

شرح ديوان الحماسة

لنبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

نشره

عبد السلام هارون

أحمد أمين

المجلد الأول

دار الحديث
بيروت

المسرح رفع الحمل
غفر الله له ولوالديه

كلية آداب - بنين

2008-10-26

شرح ديوان الحماسة

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢١ -

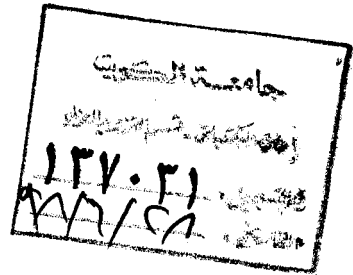


نشره

عبد السلام هارون

أحمد أمين

القيم الأول



دار الكتب
بيروت

المسرح رفع الحمل
غفر الله له ولوالديه

٨١١/٢
م

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

الطبعة الأولى

١٤١١م - ١٩٩١م

تَصْدِيرُ

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

نال ديوان الحماسة من الشهرة في العالم العربي ما يستحقه ، ففي الحق أن اختيار أبي تمام كان اختياراً موفقاً ، لأن جامعته شاعر ممتاز مكّنه شعره من أن يختار أحسن ما تقع عليه عينه ، وما تسمعه أذنه . وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعاني ، فكان هذا أيضاً محور اختياره ، ولذلك فقد يقرأ القصيدة الطويلة كلها ، فيمجبه منها معنى أو معنيان ، فيختارهما من بين القصيدة الطويلة . وإذا لم يكن بينهما رابطاً ربط بينهما ، وإذا كانت هناك كلمة نائية غيرها بخير منها ، فكان مختاراً ومنقحاً في وقت واحد ، وكان له أيضاً فضل تبويب الشعر ، فإننا لا نرى أحداً قبله قسّم الشعر هذا التقسيم ؛ فأولا كانت حركة الجمع ، وثانياً كانت حركة الاختيار حينما اتفق في النظم ، كالمفضليات والأصمعيات ، وفي النثر كما إلى القالي ، ثم جاءت حركة الاختيار المبوب ، وأمل فاحتّمها كان أبا تمام .

ويظهر أن العادة فشت أولاً في أن يسمى السكل باسم أى جزء حتى في تسمية القرآن . فسميت سورة البقرة الآية فيها في البقرة ، وسورة الأنعام كذلك ، وسورة النمل كذلك ، ثم فشت عادة تسمية الشيء بأوله ، فسمى العين للخليل لأن أول أبوابه باب العين ، وسمى أبو تمام ديوانه بالحماسة كذلك .

وقد جرى المؤلفون على هذا النمط في عصور التاريخ إلى ظهور مختارات البارودي ، وهو تقسيم ليس منطقياً كالذى اتبعه بعض الإفرنج في تقسيم الشعر

إلى شعر طبيعة ، وشعر إنسان ، وشعر إلهي مثلاً . وإلا فأنت منطق في باب
الأدب ، وباب الأضياف ، وباب النسب .

قرأت أول عهدي بالأدب شرح ديوان الحماسة هذا للتبريزي فلم يعجبني ،
لأن التبريزي نحوي لغوي أكثر منه أدبياً وناقداً ، فكنت أقرأ الشرح أحياناً
وأنا متمطّش جداً لأفهم معنى بيت فلا أجده ، لأنّ الشارح انصرف إلى شيء
آخر . ثم عثرت على تنف للمرزوق فرأيتها تسدّ هذا النقص ، ثم قرأت شرحه
على مشكلات أبي تمام ، فرأيت إماماً عظيماً لا يتهرب من المشاكل ، ولكن
يتصدّى لها ، فوددت أن لو عُثر على شرحه لديوان الحماسة ونشر ، لأنه يكمل
نقص التبريزي ، فلما عثر عليه وجدته فوق ما أتوقع ، ووجدت له مقدّمة في
النقد لم أر مثلاً في اللغة العربية ، فكما كنا نقرأ في كتب الأقدمين عن
« عمود الشعر » ونحفظ الكلمة ولا نفهم معناها حتى شرحها المرزوق شرحاً
دقيقاً وافياً ، وكما له من حسنات أخرى غير هذه . فإخراجه للقراء يسد ثلثة ،
ويكمل نقصاً .

والحق أنّ أبا تمام كان بارعاً في اختياره ، حتى كان شادي الأدب يحفظه
أول ما يحفظ ، حتى متعلمو النثر قد نصّحهم علماء الأدب أن يقبلوه ثراً مع
محافظة على المعاني ، ولقد ألف بعضهم ثراً كاملاً للديوان — وهو أبو سعيد
على بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ — وأوصوم أن ينسوه إذا ثروه لتبقى
معانيه في اللاوعي يستمد منها صاحبها عند الضرورة . وكما أنفت مختارات من
عهده إلى اليوم ، ولكن لم يحظَ منها ما حظى ديوان الحماسة .

وكتب الأدب والنحو والصرف مليئة بتعبيرها : « قال في الحماسة » .
ويكفي هذا إشارة لأبي تمام وكتابه .

وكما برع فيه أبو تمام ، برع شارحه للرزوق ، فوق الكلام حقه لغة
ونحواً وصرفاً ومعنى ونقداً ، فالكتاب في مَتْنِهِ وشرحه رغبة الأمل ،
وبغية المتأدب .

وقد اشتركت في إخراجه مع الأستاذ المحقق « عبد السلام محمد هارون » .
والحق يقال أن كان له حظ في نشره أكبر من حظي ، فله الشكر على ما بذل
من جهد في إخراج الكتاب ؛ وفي نسبته ما ورد في الشرح إلى قائله ، والتعريف
بأعلام الشعراء وغيرهم ؛ وتصحيح ما حصل فيه من خطأ الناسخ ، ووضع
فهارسه الفنية ، فאלله يجزيه عنا وعن الأدب خير الجزاء .

أحمد أمين

تقديم

كتب الاختيار :

لعل أقدم ما وصل إلينا من كتب الاختيار هو « القصائد المفضليات » التي صنعها المفضل الضبي ، وهو اختيار لقصائد طويلة من عيون الشعر ، لم يرتبها المفضل على أبواب خاصة ، ولا قصد أن يجمع الشعر الذي يتناول أغراضاً معينة ، وإنما هو اختيار الذوق الأدبي والجزالة اللغوية ، فيما تراءى له في ذلك العصر .

وقد ظهر بعده من كتب الاختيار التي على هذا النمط « الأصمعيات » لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، و « جهرة أشعار العرب » لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، و « مختارات شعراء العرب » لأبي السعادات ابن الشجري .

وهناك ضرب آخر من كتب الاختيار بدأه أبو تمام بديوان الحماسة وجرى فيه على تبويب معاني الاختيار . وحذا حذوه البحتري مع بعض الريبة في نسبة الحماسة إليه^(١) ، وكذا الخالديان ، وابن الشجري ، وأبو هلال العسكري ،

(١) من اطلع على دقة تقسيم الأبواب في الحماسة المنسوبة إلى البحتري وكثرة ضروبها وأنواعها التي بلغت ١٧٤ باباً راعه أن يكون ذلك من صنع مثل البحتري . وكما صنع أبو تمام حماسة لآل سلمة ، صنع البحتري حماسة للفتح بن خاقان . ونجد في صدر نسخة ليدن من حماسة البحتري هذا النص : « اختاره من أشعار العرب للفتح بن خاقان معارضة لكتاب الحماسة الذي ألفه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رحمه الله وعفا عنهما . رواية أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن أبي خالده الأحول عن أبيه عن البحتري . على أن البغدادي يشك في نسبة الحماسة إلى البحتري ، ففي الخزانة (٣ : ٥٩١) يمد أن نقل عن العيني قوله : « ذكره البحتري في حماسه » : « ولم نسمع أن للبحتري حماسة » .

هو الأعمى الشنتمري ، وأبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي الأندلسي ، وأبو الحسن
علي بن أبي الفرج البصري ، في دواوينهم المعروفة بالحماسات .

اسم ديوان الحماسة :

ليس يُذكرى أمر هذه التسمية ، أمي من صنيع أبي تمام نفسه ، أم هي
عرف جرى بين الأدباء ، وشهرة سارت على وجه الدهر حتى تأدّت إلينا جيلا
بعد جيل . فليس هذا الديوان ديوان حماسة فحسب ، ولكنه يجمع إلى الحماسة
المراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأضياف ، والمديح ، والسير
والنعماس ، والملح ، ومذمة النساء .

والظاهر أن أبا تمام سماه بأول أبوابه وأعظمها .

ويقول التبريزي في مقدمة شرحه للحماسة إن أبا تمام قد صنف خمسة
كتب في الشعر ، منها كتاب الحماسة ، وكتاب الوحشيات .

وقد عثرت على نص في المؤلف ١٨١ فيه : « ومنهم المثلث بن عمرو
التموخي أنشد له الطائي في اختياره الذي سماه الحماسة » . ومن هذا النص يُفهم
أن صاحب التسمية هو أبو تمام نفسه .

والذي يقرن بين الحماسة والوحشيات يجد بينهما شبيهاً كبيراً في التبويب ،
فهي تشتمل على الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والسباحة ،
والأضياف ، والصفات ، والمشيبي ، والملح ، ومذمة النساء .

وكما أُطلق على الاختيار الأول اسم الحماسة الكبرى ، أُطلق على الاختيار
الثاني اسم الحماسة الصغرى وجاء في مقدمة ناسخه : « وهذا الكتاب اختاره
أبو تمام حبيب بن أوس الطائي رحمه الله بعد اختياره كتاب الحماسة الكبرى ،
ويرويه ، وسكن بعده مكتوباً في مسودة بخطه مترجماً بكتاب الوحشيات »

ولقد رأيت أن هذه التسمية صارت شهرة لكتب الاختيار التي بوبت لمعانى الشعر ، وأن هذه الشهرة قديمة جداً ، ولا سيما أنها قد أطلقت على حاسة البحرى ، وهو قريب العهد والمعاصرة لأبى تمام .

وقد عرف هذه التسمية ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ إذ يقول فى مقدمة (التنبية على شرح مشكلات الحماسة) : « وقد أجبتهك — أيدك الله — إلى ملتصك من عمل ما فى الحماسة من إعراب ، وما يلحق به من اشتقاق أو تصرف » .

ناربخ حماسة أبى تمام :

يقولون فى أمثالهم : « رب ضارة نافعة » . وهكذا كانت الحال مع أبى تمام فى صنعه لديوان الحماسة . وقد اقتصر لنا التبريزى فى مقدمة شرح الحماسة أن أبا تمام كان قد قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، فدحه وأثابه ، وعاد من خراسان يريد العراق . فلما دخل العراق اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة ، فغم أبا تمام ذلك وأخرج صدره ، على حين سر ذلك مضيفه أبا الوفاء ، فأقبل على أبى تمام وقال له : وطن نفسك على هذا المقام فإن هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان . وأحضره خزانة كتبه فطالعهما واشتغل بها ، وصنّف خمسة كتب فى الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات ، وهى قصائد طوال ^(١) .

ويقول التبريزى : « إن كتاب الحماسة بقى فى خزائن آل سلمة يرضون به ولا يكادون يبرزونه لأحد حتى تغيرت أحوالهم . وورد هذان رجل من أهل ديبور يعرف بأبى المواذل ، فظفر به وحمله إلى أصبهان ، فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عدها من الكتب المصنفة فى معناه ، فشهر فيهم ثم فيمن يليهم » .

(١) هكذا ذكر التبريزى . وقد رجعت إلى الوحشيات مصورة دار الكتب المصرية برقم ٢٢٩٧ أدب فوجدتها مقطوعات على غرار الحماسة ، وإن كانت تتماز ببعض الطول .

وقد نفهم من نص التبريزي : « ورفضوا ما عدها من الكتب المصنفة في معناه » أن أبا تمام قد سبق في هذا الضرب من الاختيار ، وأرى أنه إنما يعني مطلق كتب الاختيار كالمفضليات ، والأصمليات ، والمعلقات .

عمل أبي تمام في الحماسة :

صب أبو تمام ذوقه الفنى على ما وصل إليه من أشعار العرب ، فاختار لكل باب من أبواب الحماسة ما ارتضاه ذوقه ، وعنى عناية خاصة بشعراء طيِّفكان قسطهم في اختياره قسطا كبيرا . وقد لحظ العلماء أن أبا تمام يعمد أحيانا إلى تغيير نصوص الشعر ، ليستقيم له أن يربط بين الأبيات التي تفككت ، أو ليست عوار نقيصة يشين وجه الحسنة من مقطوعاته . وفي ذلك يقول المرزوقي^(١) :

« وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال ، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه ، الحبيب لكل داع ، بل اعتسف في دواوين الشعراء جاهليهم ومخضرمهم ، وإسلاميهم ومولدهم ، واختطف منها الأرواح دون الأشباح ، واحترف الأثمار دون الأكمام ، وجمع ما يوافق نظمه وبخالفه ، لأن ضروب الاختيار لم تخف عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه ؛ حتى إنك تراه ينتهى إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه ، فيجبر نقيصته من عنده ، ويبدل الكلمة بأختها في نقده ، وهذا يبين أن رجوعه إلى دواوينهم فقابل ما في اختياره بها » .

وهذه التهمة : تهمة أبي تمام بتغيير النصوص التي اختارها ، والتي يدعمها المرزوقي في أثناء شرحه بما يظهرها ويقويها كان جديرا بها أن تنزل بقيمة الحماسة باعتبارها نصوصا يستشهد بها في علوم اللغة والعربية ، ولـكنا نحمد العلماء مجمعين على تزكية أبي تمام في الحماسة ، وعلى تزكية الحماسة ونصوصها ، بل يعدون

(١) في المقدمة ١٣ - ١٤ .

صنيعه في الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبي تمام نفسه والاستشهاد بشعره . وفي ذلك يقول الزحشري^(١) : « وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل على هذا بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لو توقعهم بروايته وإتقانه » .

زيادات الحماسة :

وجدت نصا في الخزانة (٣ : ٣٥٢) عن ابن المستوفى ، قال وهو يتكلم في نسبة بعض الأبيات : « ووجدتها أيضا في نسخة قديمة ذكر كاتبها أنها زيادات الحماسة ، كتبها محمد بن أحمد بن الحسن في ربيع الآخر سنة ٣٩٨ ، ونسبها - أي الأبيات - لمرداس بن عمرو . قال : وتروى للأخطل » . ولست أدري أمر هذه الزيادات ، هل هي من صنيع أبي تمام ، أم من صنيع غيره .

مراجحة الحماسة :

هذه الشهرة الطائفة لصانع الحماسة أبي تمام ، وذلك الاختيار الموفق الذي عمّد فيه أبو تمام إلى الأشعار التي يحتج بها في اللغات والعربية والمعاني ؛ ذلك الاختيار الذي انتزع إعجاب القدماء حتى يقول المرزوقي : « وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه ، ولا في اختيار المقصّات بأوفى مما دونه المفضل ونقده » ، ويقول التبريزي : « قالوا : إن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره » .

هذه الدوافع جميعا دعت الأدباء من قديم الزمان أن يُعنوا عناية صادقة بدراسة هذه المجموعة الشعرية ، وأن يتصدى لها جبهة منهم بالتفسير والتوضيح والإعراب .

وقد حفظ لنا صاحب كشف الظنون أسماء عشرين ممن شرحوا الحماسة ،

(١) انظر الخزانة (١ : ٤ طبع بولاق) .

وقد رتبهم على وفياتهم ، وأذكر في هذه للناسبة أن وفاة أبي تمام كانت في سنة ٢٣١ .

١ — أبو بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٥ . وهو أول جامع لشعر أبي تمام .

٢ — وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ . وقد سمي شرحه « التنبيه على شرح مشكلات الحماسة » . وقد استحضر معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية نسخة جيدة منه ، من مكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم ٢٣٦٩ مكتوبة في سنة ٥٩٤ . وقد استعنت بهذه النسخة واقتبست منها ما دعت الضرورة إليه في التحقيق . وفي اللوح ٢٢ ما يفيد أنه ألفه بمد سر الصناعة . ومن هذا الكتاب نسخة جيدة بدار الكتب المصرية برقم ٤٤ أدب كتبت سنة ٦٨٢ .

٣ — وأبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى صاحب الموازنة ، للتوفى سنة ٣٧١ .

٤ — وأبو هلال الحسن بن عبد الله المسكرى ، المتوفى سنة ٣٩٥ . وشرحه هو أحد الشروح التى اعتمد عليها التبريزى في تأليفه . ويمتاز هذا الشرح بعنايته بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعراء ، وتوضيح بعض ما غمض في ذلك ، مع العناية ببيان اشتقاق أسمائهم .

٥ — وأبو المظفر محمد بن آدم الهروى المتوفى سنة ٤١٤ .

٦ — وأبو على أحمد بن محمد المرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ ، وهو صاحب هذا الشرح الذى نشره .

٧ — وأبو عبد الله الخطيب الإسكافى ، صاحب مبادئ اللغة ، المتوفى سنة ٤٢١ .

٨ — وأبو الحسن على بن سيده ، اللغوى المشهور ، المتوفى سنة ٤٥٨ ، وهو شرح كبير في ست جلدات ، سماه « الأنيق » .

- ٩ - وأبو القاسم زيد بن علي الفسوي المتوفى سنة ٤٦٧ .
- ١٠ - وأبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي المتوفى سنة ٤٧٥ .
- ١١ - وعبد الله بن أحمد الساماني المتوفى سنة ٤٧٥ .
- ١٢ - والأعلم أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري المتوفى سنة ٤٧٦ وهو كبير في ست مجلدات .
- ١٣ - وأبو بكر بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٤٧٦ .
- ١٤ - وعبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخيزري المتوفى سنة ٤٧٦ لا سنة ٥٨٤ كما ذكر صاحب كشف الظنون .
- ١٥ - وأبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ .
- وقد فسر الحاشية ثلاث مرّات ، كما ذكر صاحب كشف الظنون ، قال : « شرح أولا شرحا صغيرا فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها ، وشرح ثانيا بيتا بيتا ، ثم شرح شرحا طويلا مستوفيا . وأول المتوسط : « أما بعد حمد الله الذي لا يبلغ صفاته الواصفون » .
- ومما هو جدير بالذكر أن شرح التبريزي المتداول - بهذا الاعتبار - هو الشرح المتوسط ، أما الصغير ففنه قطعة بدار الكتب برقم ١١٩٥ تشمل باب الحاشية . وأما الكبير فما لم نهتد إلى معرفته .
- وقد طبع شرح التبريزي ثلاث مرّات إحداها في مدينة « بن » سنة ١٨٢٨ بتحقيق المستشرق « غيورغ ولهم فريتاغ » Dr. Georg. Guil. Freytag المعلم في المدرسة الكلية الفريدريخوفلهمية^(١) .
- وقد ألحق بنسخته فهارس للأعلام واللغة والقوافي .
- وطبع مرّة أخرى في بولاق ١٢٩٦ بتصحيح الشيخ محمد قاسم ، ومرّة ثالثة بتحقيق الأستاذ الجليل الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، وذلك في سنة ١٣٥٧ .
- (١) هذا هو المکتوب في صدر النسخة المطبوعة ، أثبتته كما هو .

وقد صنع له كذلك عدة فهارس نافعة .

١٦ — وأبو الحسن مسعود على البيهقي المتوفى سنة ٥٤٤ .

١٧ — وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون الحضرمي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨٤ .

١٨ — وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، شارح ديوان المتنبي ، المتوفى سنة ٦١٦ . وهو شرح مختصر اقتصر فيه على الإعراب .

١٩ — وأبو نصر منصور بن مسلم بن علي الحلبي ، والمعروف بابن الدميك ، لم يذكر و تاريخ وفاته . قال ياقوت : صنع تمة لما قصّر فيه ابن جني في شرح الحماسة .

٢٠ — وأبو علي حسن بن علي الاسترأبادي النحوي .

٢١ — وأبو نصر قاسم بن محمد النحوي .

٢٢ — هذا ما عرّفه صاحب كشف الظنون من شروح الحماسة ، عرضته بعد تحقيقه وتصحيحه والتعليق عليه .

على أن أول شارح للحماسة فيما نعلم ، هو أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني المتوفى سنة ٣٣٩ . وهو شيخ أبي عبد الله النمرى ^(١) ، خلافا لما نص البغدادي ^(٢) أن أول شارح لها هو أبو عبد الله النمرى . وقد نقل البغدادي نصوصا من هذا الشرح في مواضع يسيرة من الخزائنة ، على حين أكثر التبريض من النقل عنه في شرحه للحماسة . ويفهم من تتبع نصوصه أن معظمها في الأخبار والأسباب التي قيل من أجلها الشعر ، وهي زاوية مهمة حقا في تفهم أسرار الحماسة .

٢٣ — وكما صنع أبو رياش تفسيرا للحماسة ، صنع تلميذه أبو عبد الله النمرى ^(٣)

(١) إنباء الرواة (١ : ٢٥) مع الحواشي . ونزهة الألباء ٤٠١ .

(٢) في الخزائنة (٣ : ٥٤١) .

(٣) نزهة الألباء ٤٠١ - ٤٠٣ .

كتاباً في « مشكلات الحماسة » . ومن هذا الكتاب نصوص في مواضع متفرقة من الخزائنة . والتبريزي في شرحه يورد نصوصاً من هذا الكتاب ثم يعقبها برد أبي محمد الأعرابي عليها ونحطته لها في تهكم ، معتمداً على شيخه أبي الندى ، في أكثر الأمر .

٢٤ - وما تقدم يعلم أن أبا محمد الأعرابي قد صنع نقداً لشرح النمرى . ومن هذا الكتاب نسخة برقم ٨٠ أدب ش ، وأخرى برقم ١٤٨١ أدب بخط الشنقيطي ، والظاهر أنها منقولة من الأولى . واسم هذا النقد « إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن علي النمرى البصري مما فسر من أبيات الحماسة أولاً وثانياً جاء في أوله : « قال أبو محمد الأعرابي : حضرت المجلس العادلي العالي - نوره الله - ذات ليلة ، فخرى ذكر أبي عبد الله النمرى رحمه الله ، فأثنى عليه بعض الحاضرين وذكر أنه كان شيخ البصرة في زمانه فضلاً ونبلاً ، ودرابة ورواية ، قد استخرج معاني الأبيات من أبيات الحماسة هو فيها السابق المبرز ، والجواد المبر ، فقلت : شاكره أبا يسار ! تأملت ما فسر الشيخ من تلك الأبيات أولاً وثانياً ، فوجدت في خلال ذلك خلافاً كثيراً ، إما قصوراً وإما تقصيراً ، فقال لي :

* عنتا باطلا وظلماً^(١) *

إن كنت صادقاً فيما تدعيه فجرد لنقيضها كتاباً يدل على صحة دعواك ، وقد أهملت سنة . فأملت كتابي هذا بعون الله في مدة أسبوع ، وبينت مواضع الزلل فيما فسر أبو عبد الله ، وأثبت الصواب تحت كل بيت ، وجعلت ذلك خدمة للمجلس العادلي العالي . وبالله التوفيق .

٢٥ - وقد فات صاحب الكشف أيضاً أن يذكر شيخ المعرفة أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري المتوفى سنة ٤٤٩ . ومن هذا الشرح نصوص نقلها التبريزي في شرحه .

(١) للحارث بن حازم البشكري في معاقته . وهو بتمامه :
عنتا باطلا وظلماً كما تم . متر عن - حجرة الربيض الفناء

٢٦ — وأشار البغدادي إلى مصنف لأبي على الشلوين . قال ^(١) : « وذكر الشلوين فيما كتب على الحماسة . . . » .

٢٧ — وإلى شرح لأبي الفضل الطبرسي ، وقد نقل البغدادي منه نحو ثلاثين نصا في مواضع متفرقة ^(٢) .

٢٨ — وهناك شرح حديث منسوب إلى الأديب « محمد سعيد الرافعي » . والحق أنه للمفطور له أستاذنا الشيخ إبراهيم الدجوني . وقد طبع هذا الشرح عدة مرات .
٢٩ — وآخر صنعه المفطور له العلامة الشيخ سيد بن علي المرصفي ، بعد تغيير ترتيبه . وقد طبع منه الجزء الأول سنة ١٣٣٠ .

٣٠ — وآخر صنعه بهاء الدين عبد القادر بن لقمان ، سماه « الرصافة القادرية » . طبع بالهند سنة ١٢٩٩ وبآخره تفسير لبعض الكلمات اللغوية باللغة الإنجليزية . ومن هذا الشرح نسخة بالمكتبة الأزهرية .

وهناك ضرب آخر طريف من التفسير ، عمد فيه صاحبه إلى نثر أبيات الحماسة ، مجليا بذلك معانيها الغامضة . وصاحب هذا التفسير ، هو أبو سعيد علي ابن محمد الكاتب المتوفى سنة ٤١٤ . وقد صنع كتابه هذا لبهاء الدولة بن بويه ، وسماه « منشور البهائي » ^(٣) .

موازنة بين شرحي المرزوقي والتبريزي :

على أن الذي يعنينا من هذه الشروح شرحان . هما شرحا المرزوقي والتبريزي . والمرزوقي متقدم على التبريزي ، بين وفاتيهما نحو إحدى وثمانين سنة .

(١) الخزانة (٤ : ٩٢) .

(٢) انظر إقليد الخزانة للراجكوتي ٥ : .

(٣) كشف الطنون في رسم (الحماسة) .

إذ كانت وفاة التبريزي في سنة ٥٠٢ من الهجرة . وبعد المرزوقي من أقدم الشراح
إذ كان بين وفاته في سنة ٤٢١ ووفاته أبي تمام في سنة ٣٣١ نحو مائة وتسعين سنة^(١) .

وشرح المرزوقي بعد أكبر الشروح التي وصلت إلينا ، وأكثرها عناية
بمعاني الشعر ، وبالنقد والموازنة ، على حين لم تفته العناية باللغة والاشتقاق ،
وكذا العناية التي لا إسراف فيها بمسائل النحو والتصريف . لكفه قد فاته كثير
من أخبار الشعر ومناسباته ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم وهما
الميزتان اللتان امتاز بهما التبريزي عليه . والتبريزي في هذه الناحية الأولى قد
أفاد من شرح أبي رياش للحماسة — ويبدو أن كتاب أبي رياش لم يقع للمرزوقي
حتى يمكنه الانتفاع به كما صنع التبريزي — وفي الناحية الأخرى قد أفاد من
شرح أبي هلال العسكري ، ومن المبهج لابن جني .

والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيرة ، يتكلف لها الصنعة حيناً ، ويعمد آخر
إلى السجع المزين . ومن عجب أن التبريزي ينقل عبارته هذه ذات الطابع الخاص ،
ولا يجهد قلمه في نسبة العبارة إليه إلا في القليل النادر^(٢) . بل إنه في متدمة كتابة
لم يشر إلى إفادته منه ، مع أن اللوازين بين الشرحين يدهشه التقارب الشديد بين
عبارات التفسير واتجاهاته ، ثم لا يرتاب في أن التبريزي كان في جمهور شرحه
عالة على المرزوقي .

ومن عجب أيضاً أن التبريزي مع ذلك ينسب على هؤلاء الذين يهملون نسبة
أقوال العلم إلى أصحابها فيقول في تفسير الشطر الثالث من الحماسية ٨٩^(٣) : « قال

(١) ولم يتأخر تأليف المرزوقي لشرح الحماسة عن سنة ٤١٧ . قال ياقوت : « وجدت
خطه على كتاب شرح الحماسة من تصنيفه وقد قرئ عليه في شعبان سنة ٤١٧ » .

(٢) من ذلك النادر ما ورد عند التبريزي في شرح البيت الأول من الحماسية ٦٩
والثاني من الحماسية ٨٧ والشطر الثالث من الحماسية ٨٨ .

(٣) هي الحماسية ٨٨ عند المرزوقي ، إذ أن هناك خلافاً في ترتيب المقطوعات كما سيأتي .

المرزوقي : وذكر بعض المتأخرين — يعنى ابن جنى — ولم ينصفه حيث لم يسّمه
فى كتابه ... (١) .

وفى أسلوب المرزوقي أيضاً استطالة معجبية ، يفصل بين المبتدأ وخبره أو بين
الفعل ومفعوله بمباراة طويلة يضل القارى فى ثناياها حتى يهتدى إلى ارتباط
الكلام (٢) .

ويمتاز شرح المرزوقي بمقدمته النفيسة الجريئة التى تعدّ وثيقة هامة فى تاريخ
النقد الأدبى : نقد الشعر ونقد النثر ، ضمنها مسائل شتى تتعلق بموازنة النظم والنثر
أيهما أشرف وأعلى قدراً ، ويتبع ذلك الكلام على المقايضة بين منزلة الشاعر
والكاتب ، والعلة فى كثرة الشعراء وقلة النثر ، ولماذا لا يستطيع الأديب أن
يجمع الإجابة فى صناعته النظم والنثر ؟ وما أثر الصنعة والطبع فى الآثار الأدبية
فى قيمتها وفى جمالها ؟ ومتى تستحسن الصنعة ؟ وما مدى الصلاقة بين ذوق
الأديب فيما يصنع بيانه من إنتاج أدبى وفيما يختار من بيان غيره ؟ وهذه المسألة
مبنية على ما صمغ أبو تمام فى اختيار الحاسة ، إذ كان ذوقه فى ذلك الاختيار مخالفاً
لذوقه فى نسج شعره وصناعته مخالفة ظاهرة . وقد أجاد المرزوقي فى جواب هذه
المسألة بما يمدّ مثالا فى البيان ، وغاية فى إصابة الحكم .

وكلمة أخرى فى هذين الشرحين : أن متن الحاسة فيهما يخالف بعضه بعضاً
فى الرواية وعدد الأبيات ، وفى ترتيب المقطوعات وترتيب الأبيات ، بله عدد
المقطوعات . وقد لحظت أن المرزوقي لم يرو الحاسة التى أولها :

(١) بما هو جدير بالذكر أن المرزوقي لا يصرّح باسم ابن جنى ، وكأنه كان يستضعفه
ولا يرى مكانه ، وتكداد تكون عبارة « قال بعضهم » فى شرح المرزوقي يقتضيه بها ابن جنى
فحسب . وليس يذكر هذه العبارة إلا فى مقام الاعتراض فى أغلب الأمر .

(٢) انظر نموذجاً لذلك ما ورد فى الصفحة الأولى من مقدمته ، إذ فضل بين « جارتينى »
وبين « أمر الشعر » بثلاثة أسطر .

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى
وترتيبها عند التبريزى ١٤ ، ونتج من ذلك أن نجد أن المقطوعات التي تلى
المقطوعة ١٣ يزيد رقمها واحدا عند التبريزى ، على حين نجدها برقم أدنى عند
المرزوقى ، أى إن الحماسة رقم ١٥ عند التبريزى يقابلها رقم ١٤ عند المرزوقى ،
والحماسة ١٦ عند التبريزى يقابلها ١٥ ، عند المرزوقى ، وهلم جرا .
كما نجد أن الحماسيتين ١٠٤ ، ١٠٥ فى ترتيب المرزوقى وهما ١٠٦ ، ١٠٥
عند التبريزى — قد تقدمت أولاها على الأخرى عند المرزوقى وتأخرت
عند التبريزى .

وهذه المفارقات راجعة إلى الخلاف فى نسخ الحماسة وروايتها ، وقد وجدت
المرزوقى يقول فى شرحه^(١) : « وقد رجعنا إلى نسخ مختلفات المصادر ... » ، يعنى
بذلك نسخ الحماسة ، وهو نص صريح فى بيان تعدد نسخ الحماسة .

المرزوقى :

قال صاحب ابن عباد^(٢) : « فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة : حائك ، وحلاج ،
وإسكاف . فالحائك هو المرزوقى ، والحلاج أبو منصور بن ماشده ، والإسكاف
أبو عبد الله الخطيب بالرى ، صاحب التصانيف فى اللغة » .

وليس يعنى صاحب أن أصبهان لم يبرز منها إلا هؤلاء العباقرة ، ولكنه
عنى أنهم نبغوا من بين أصحاب الصناعات ، وإلا فإن عباقرة أصبهان كثيرون ،
وقد ظهر فيها خول كثير ، منهم قبل المرزوقى أبو الفرج الأصبهاني صاحب
الأغانى المتوفى سنة ٣٥٦ وغيره كثير .

وليس يعرف زمان مولد (أبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى) ،

(١) ص ٢٥٥ من هذا الجزء .

(٢) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) .

ولكن وفاته قد أجمع المترجمون له أنها كانت سنة ٢٤١ لم يشذ منهم أحد .
ولكننا نجد نصا غربيا في نهاية كتاب الأزمنة والأمكنة للرزوقي^(١) ، وهو :
« فرغت منه ضحوة يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٤٥٣ » . والخطب
في هذا هين ، إذ يبدو أن هذه عبارة الناسخ لا عبارة الرزوقي . يؤيد هذا
إجماع المؤرخين قاطبة على سنة وفاته وعدم اختلافهم في ذلك . ويؤيده أيضا
ما ورد في نص ياقوت : « وكان — أى الرزوقي — معلم أولاد بني بويه
بأصبهان ، ودخل إليه صاحب فسا قام له ، فلما أفضت الوزارة إلى صاحب
جفا » . فإذا عرفنا أن ولاية صاحب للوزارة دامت ثمانى عشرة سنة وأن
وفاته كانت في سنة ٣٨٥ وأنتجنا من ذلك أنه تولى الوزارة نحو سنة ٣٦٧ —
إذا عرفنا ذلك كان القول بأن الرزوقي دامت حياته ٨٦ سنة بعد جفاء
الصاحب له ، غاية في البعد والاستحالة ، ولا سيما إذا وجدنا المؤرخين لم يذكروا
الرزوقي بأنه كان من المعمرين^(٢) .

سبوه وتلازمه :

والمؤرخون لا يعرفون للرزوقي شيخا إلا أبا علي الفارسي المتوفى سنة
٣٧٧ . يذكرون أنه قرأ عليهم كتاب سيبويه ، وتتلذذ له بعد أن كان رأسا
بنفسه^(٣) . والرزوقي يذكر سماعه منه في مواضع من شرحه^(٤) .

وأما تلازمه فلم يذكرها منهم إلا سعيد البقال : قال ياقوت : « وكتب
عنه سعيد البقال ، وأخرجه في معجمه .

ويذكرون أيضا أنه اتصل ببني بويه وكان معلم أولادهم .

(١) الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٨٤) .

(٢) وقد عثر أخيرا على نص في شرح الحماسة ١٦٤ يفهم منه أن الرزوقي صنع كتاب
الأزمنة قبل شرح الحماسة ، أي قبل سنة ٤١٧ . انظر الحاشية الأولى من صفحة ١٦ من التقديم .

(٣) معجم الأدباء (٥ : ٣٥) . (٤) انظر الحماسة ١٢٣ : ٢ ، ١٣٥ : ٣ .

والمرزوقي يعد في زمرة البصريين ، وهو في مواضع من شرحه^(١) يقول :
« أصحابنا البصريون » .

مؤلفات المرزوقي :

- ١ — شرح الحماسة ، قال ياقوت : « أجاد فيه جدا » . وقال القفطى :
« وهو الغاية في بابه » . وقال ابن شاكر^(٢) : « وهو أحسن شروحا » .
- ٢ — شرح المفضليات . ومنه نسخة في مكتبة برلين برقم ٧٤٤٦ .
- ٣ — شرح الفصيح . قال القفطى : « وهو كتاب جميل في نوعه »
- ٤ — شرح أشعار هذيل .
- ٥ — كتاب الأزمنة والأمكنة . وقد طبع في مجلدين في حيدر أباد
سنة ١٣٣٢ .
- ٦ — الأملأ . ومنه قطعة بدار الكتب المصرية برقم ٣٣٠٠ أدب .
تكلم فيها على شرح طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث ، والأمثال ، والحكم ،
مع ذكر ما يناسبها من العلوم المختلفة .
- ٧ — أنفاظ العموم والشمول . منه قطعة بدار الكتب المصرية
برقم ٤١٤٠ أدب .

- ٨ — شرح الموجز ، في النحو ، كما ذكر ابن شاكر .
- ٩ — شرح النحو (!؟) . ذكره ياقوت . والظاهر أنه الكتاب السابق .
- ١٠ — وذكر له القفطى كتاباً بعنوان « مفردات متعددة في النحو » .

شرح المرزوقي للحماسة :

سمى المرزوقي كتابه هذا « شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي .

(١) انظر الحماسة ١٣ : ١ والحماسة ٥٠ : ٤ .

(٢) في عيون التواريخ نسخة دار الكتب في وفيات ٤٢١ .

المعروف بكتاب الحماسة . وقد أثبت هذه التسمية في صدر مقدمته .
 وفي مكتبات العالم من هذا الكتاب نسخ كثيرة منها في تركيا وحدها
 عشر نسخ ، وفي القاهرة نسختان : إحداهما في دار الكتب المصرية ، والأخرى
 في التيمورية الملحقة بدار الكتب . وفي كل من برلين ، وليدن ، والمتحف
 البريطاني ، والوصل ، وطهران نسخة واحدة . فهي سبع عشرة نسخة ،
 وإليك أرقامها :

- ١ — نسخة كوبرلي برقم ١٣٠٨ — ١٣١١
- ٢ — » نور عثمانية برقم ٣٩٩٩ — ٤٠٠١
- ٣ — » أيا صوفيا برقم ٤٠٥٨
- ٤ — » لاله لي برقم ١٨١٠ — ١٨١٣
- ٥ — » الفاتح برقم ٣٩٤٤ — ٣٩٤٤
- ٦ — » بايزيد برقم ٢٦٠٤
- ٧ — » عاطف برقم ٢١٤٦
- ٨ — » المكتبة العمومية برقم ٥٣٩٢ ، ٥٣٩٣ ، ٥٥٤٧
- ٩ — » فيض الله برقم ١٦٤٤
- ١٠ — » برلين برقم ٧٤٤٩
- ١١ — » ليدن برقم ٦٠٣
- ١٢ — » المتحف البريطاني برقم ٥٦٨ — ٥٦٩
- ١٣ — » الموصل (مخطوطات الموصل ١٩٠)
- ١٤ — » طهران (الجزء الثاني ٢٨٨)
- ١٥ — » دار الكتب المصرية برقم ٣٠٦ أدب
- ١٦ — » مكتبة تيمور باشا برقم ١٠٢٧ شعر . وهذه النسخة لم يعرفها
 بروكلمان .

١٧ — نسخة روان كشك الملحقه بمكتبة طوب قبو سراى ، ورقمها ٧٠٦
وهذه النسبة لم يعرفها بروكلان أيضاً .

النسخ المتقدمة فى التحقيق :

اعتمدنا فى تحقيق هذه النسخة على أربع نسخ هى التى أمكننا أن نحصل عليها ، واسترجعنا من هذه النسخ الأربع نسختين اعتمدنا عليهما اعتماداً تاماً .
١ — النسخة الأولى ، وهى التى سميناها نسخة الأصل ، وهى نسخة المكتبة العمومية بالآستانة ، وهى كاملة فى مجلدين يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٥٢٥ هـ بعد وفاة المرزوقى بأربع سنين ومائة سنة ، كتبها سعد بن إبراهيم ابن أحمد القرائى ، قياسها ١٨,٥ × ٢٩,٥ وينتهى الجزء الأول منها بالحامسية رقم ٣٥٠ .

٢ — نسخة دار الكتب المصرية ، وهى قديمة أرجح أنها من مخطوطات القرن السادس ، بها ترقيع وتقطع وتلوث وآثار أرضية ، وهى نسخة ناقصة بها تسكيل فى أولها ، وتنتهى بنهاية المقطوعة الحامسية رقم ٣٠٠ أى إنها أقل من نصف الكتاب ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ والناسخ ، وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز (م) .

أما النسختان الأخريان فهما :

٣ — نسخة المكتبة التيمورية ، وهى نسخة ناقصة حديثة الخط مجهولة للناسخ وتاريخ النسخ ، وهى فى حجم متوسط تنتهى بنهاية الحامسية رقم ٣٢٣ .
٤ — نسخة روان كشك الملحقه بمكتبة طوب قبو سراى برقم ٧٠٦ ، وهى من مجلوبات معهد المخطوطات بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وهى نسخة خزائنية مكتوبة بخط نسخى دقيق جميل ، مع خلوها من الضبط ، كتبها

شمس الدين القدسي برسم السلطان مراد خان سنة ٨٦٩ بأولها طرة مذهبة ، كما
أن صفحاتها مجدولة بالذهب ، وقياسها ٣٥ × ٢٢ .

تحقيق الكتاب :

في هذا الجزء الأول عارضت نسختي المكتبة العمومية ودار الكتب
المصرية معارضة تامة في النص وفي الضبط ، وقد ظهر لي أن خلافهما قليل جدا ،
وستستمر المعارضة القائمة بينهما إلى أن تنتهي نسخة دار الكتب . هذا مع الاستعانة
بما نقدر عليه من المخطوطات ما وجدنا إلى ذلك سبيلا ، وحينئذ تحمل نسخة
روان كشك محل نسخة دار الكتب المصرية في المقابلة التامة .

وقد استدعى تحقيق هذا الكتاب أن أقارنه مقارنة تامة بشرح التبريزي
بحيث لا أترك فائدة جديرة بالإثبات فيما أرى إلا اقتسبتها في الحواشي . ولا سيما
ما كان متعلقا برواية المتن ، أو تحقيق الأخبار وتوضيحها ، أو ما كان فيه تأييد
المرزوقي أو طمن عليه .

وكذلك اصطحبت في تحقيقه شرح مشكل أبيات الحماسة لابن جني ،
وكان في النية أن أقتبس جميع نصوص هذا الكتاب وأضعها في أماكنها إزاء
أبيات الحماسة ، لكنني وجدت في ذلك إثقالا ، ووجدت الفائدة التي يجنيها
القارئ من إسهاب ابن جني في هذا الكتاب خاصة فائدة غير مرجوة . لذلك
لم أثبت منها إلا ما كان ضروريا لتوضيح أو تأييد .

كذلك كان الصَّنْع في كتاب المبهج لابن جني أيضا .

وقد التزمت أن أترجم لجميع شعراء الحماسة ترجمة موجزة ، وأن أشير إلى
مراجع الترجمة . وقد أفدت من جهدي في تراجم شعراء الحيوان للجاحظ ، والبيان
والتبيين له ، شيئا كثيرا ، كما أفدت من جهد الأخ العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر
في كتاب « الشعر والشعراء لابن قتيبة » ما يحظى أعترف له هنا بالفضل العظيم -

كما عنيت عناية خاصة بتعيين أسماء المجهولين من شعراء الحماسة الذين يعتبر
عنهم أبو تمام بقوله : « وقال آخر » أو بعض شعراء قبيلة ما من قبائل العرب ،
وقد وقفت في ذلك بمون الله بعض التوفيق .

وكذلك كان الأمر في تعيين أسماء المجهولين في شرح الرزوقي .
واستعنت بعد ذلك بمختلف المراجع الأدبية واللغوية والتاريخية والبلدانية
وكتب القراءات والتفسير وغيرها لتحقيق هذا الكتاب وضبط نصوصه .
وبيان تلك المراجع سوف أحقه بالفهارس العامة للكتاب إن شاء الله .

الفهارس العامة والاستدراكات :

وسيلحق بنهاية هذا الكتاب إن شاء الله — أى في نهاية المجلد الرابع —
ما تقتضيه طبيعته من الفهارس الفنية للشعر ، واللغة ، والأمثال ، والأعلام ،
والبلدان ، ويتلوها الاستدراكات والتصحيحات .

* * *

وبعد ، فإن صاحب الفضل الأكرم في إخراج هذه النشرة الأولى من هذا
الكتاب الجليل ، هو أستاذنا الكبير « الدكتور أحمد أمين بك » ، فهو الذى
اقترح أن ينشر هذا الكتاب ، لماله ولمؤلفه من خطر ، كما أقرّ إخراجها في لجنة
التأليف والترجمة والنشر ، التى كانت لمصر والعالم العربى بمثابة جامعة علمية عاملة ،
بما أظهرت للمعتقدين من آثار التأليف فى الشرق والغرب . وقد اشترك حفظه الله
فى وضع منهج الإخراج ليبدو الكتاب فى هذا الوضع العلمى الحديث ، كما تفضل
بمراجعة ما صنعت لتحقيق هذا الكتاب مراجعة دقيقة ، فله من الله ومن العلم
خير الجزاء .

عبد السلام محمد هارون

القاهرة فى } ٢٠ من المحرم سنة ١٣٧١
٢١ من أكتوبر سنة ١٩٥١

الجزء الأول

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي

المعروف بكتاب الحاسة

صنعة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن

المرزوقي الإصفهاني

٤٢١ - ٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق الإنسان ، متميزاً بما علمه من التبئين والبيان ، وصلى على
أفضل من صلح بأمره وزجره ، داعياً وناهياً ، وعلى الطاهرين من آله وسلم .
وبعد فإنك جاريئتي --- أطال الله بقاءك في أشمل سعادة وأكمل سلامة ،
لمّا رأيته أقصر ما أستفضله من وقتي ، وأستخلصه من وكدي^(١) ، على عمل
شرح للاختيار المنسوب إلى أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، المعروف بكتاب
الحاسة أمر - الشعر وفنونه^(٢) ، ونال الشعر له في الجاهلية وما بعدها ، وفي
أوائل أيام الدولتين وأواخرها من الرفعة به ، إذ كان الله عز وجل قد أقامه
للرب مقام الكتّيب لغيرها من الأمم ، فهو مستودع آدابها ، ومستحفظ
أنسابها ، ونظام فخارها يوم النفار ، وديوان حجاجها عند الخصاص .

ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه ، وعمّا يتميز به التّظهير عن النثر ،
وما يحمد أو يذم من الغلو فيه أو القصد ، وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام
فيها وعليها ، حتّى تصير جوائنها محفوظة من الوهن ، وأركانها محروسة من الوهي
إذ كان لا يُحكم للشاعر أو عليه^(٣) بالإساءة أو بالإحسان إلّا بالفحص عنها ،
وتأثّل مأخذ منها ، ومدى شأوه فيها ، وتمييز المصنوع مما يحوّه من المطبوع
والآتي المستسهل من الأبي المستكره . وقضيت العجب كيف وقع الإجماع من
النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطعات أنثى مما جمعه ، ولا في اختيار

(١) الوكد بالضم : السعي والجهد ، وبالفتح : المراد ، والهم ، والقصد .

(٢) أمر ، هو المفعول الثاني لجاريئتي في الكلام قبله . على أن المعروف أن يقال جراه

في كذا ويكدا ، أي به في منه في المناظرة والجدال .

(٣) م : « وعليه » .

لِلْقَصِّدَاتِ أَوْفَى عَمَّا دَوَّنَهُ الْمُفَضَّلُ وَنَقَدَهُ^(١) .

وقلت إنَّ أبا تمامَ معروفُ المذهبِ فيما يقرِّضُه ، مألوفُ المسلكِ لما ينظمه
نازعٌ في الإبداعِ إلى كلِّ غايةٍ ، حاملٌ في الاستعاراتِ كلَّ مشقَّةٍ ، متوصِّلٌ إلى
الظفرِ بمطلوبه من الصنعة أين اعتدَّسَفَ وبماذا عتَر ، متغلغلٌ إلى توعير اللفظ
وتفويض المعنى أنَّى تأتَّى له وقَدَر ؛ وهو عادلٌ فيما انتخبَه في هذا المجموع
عن سلوكِ معاطفِ مَيدانه ، ومُرْتَضٍ ما لم يكن فيما يصوغه من أمره وشأنه ،
فقد فليئتُه فلم أجذ فيه ما يوافق ذلك الأسلوبَ إلا اليسير . ومعلومٌ أن طبع كل
اسمى — إذا ملك زمام الاختيار — يجذبه إلى ما يستلذه ويهواه ، ويصرِّفه
حما ينفِرُ منه ولا يرضاه . وزعمتَ بعد ذلك أنَّجَمَ أنك مع طول مجالستك
لجهايزة الشعر والعلماء بمعانيه ، والمبرزين في انتقاده ، لم تقف من جهتهم على
حدِّ يؤدِّيك إلى المرفقة بجديده ومتوسِّطه ورديثه ، حتى تجرَّد الشهادة في شيء
منه ، وتبَّتْ الحُكْمُ^(٢) عليه أوْله ، آمنا من المجاذبين والمدافعين . بل نعتقدُ أن
كثيراً مما يستجيده زيدٌ يجوز أن لا يطابقه عليه عمرو ، وأنه قد يُستحسن البيتُ
ويثنى عليه ثم يستهجن نظيره في الشبَّه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفة ، فيمرضُ عنه ،
إذ كان ذلك موقوفاً على استحلاء المستحلي واجتواء العجوى ، وأنه كما يرزق
الواحدُ في مجالسِ الكبار من الإصغاء إليه والإقبال عليه ، ما يُحرِّمُ صنوهُ
وشبيههُ ، مع أنه لا فضيلةَ لذلك ولا نقيصةَ لهذا إلا ما فاز به من الجدلِّ عند
الاصطفاء والقسم .

وقلتَ أيضاً : إنِّي أتمنى أن أعرفَ السببَ في تأخُّر الشعراء عن رُتبةِ
الكتابِ البُلغاء ، والمعذر في قلة المترسلين وكثرة المُفلقين^(٣) ، والملة في نباهة

(١) يعني بذلك القصائد المفضليات ، التي اختارها المفضل الضبي .

(٢) في الأصل : « لتحكم » وأثبتنا ما في م .

(٣) المفلق : الشاعر المجيد يحى بالعجائب في شعره .

أولئك ونُحُول هؤلاء، ولماذا كان أكثر المترسلين لا يُفلقون في قرَض الشعر، وأكثر الشعراء لا يبرعون في إنشاء الكتب، حتى خُصَّ بالذكر عددٌ يسير منهم، مثل إبراهيم بن العباس الصولي، وأبي عليّ البصير^(١)، والعتابي، في جمعهم بين الفَنِّين، واغترازهم رِكابَ الظَّهْرَيْنِ^(٢). هذا ونظامُ البلاغة يتساوى في أكثره المنظوم والمنثور.

وأنا إن شاء الله وبه الحول والقوة، أُورِدُ في^(٣) كلِّ فصلٍ من هذه الفصول ما يحتمله هذا الموضع، ويمكن الاكتفاء به؛ إذ كان لتقصي المقال فيه موضعٌ آخر، من غير أن أنصبَّ لما تُصَوِّرُه النعوتُ الأمثلة، تفادياً من الإطالة، ولأنه إذا وُضِّح السبيلُ وقَعَت الهداية بأيسر دليل. والله عزَّ وجلَّ الموفق للصواب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اعلم أن مذاهبَ نُقَادِ الكلام في شرائط الاختيار مختلفة، وطرائق ذوى المعارف بأعطافها وأردافها مفترقة، وذلك لتفاوتِ أقدار منادِحيها على اتِّساعها^(٤) وتنازع أقطار مظانها ومعالمها^(٥)، ولأنَّ تصاريِفَ المباني التي هي كالأوعية، وتضاعيف المعاني التي هي كالأمثلة في المنثور، اتَّسَعَ بحال الطبع فيها ومُسَرَّحُه، وتشعَّبَ مرَادُ الفكر لها^(٦) ومَطْرَحُه. فإِن البلاء من يقول: فِرُّ

(١) هو أبو علي الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس النخعي، المه وف بالبصير، كان من أهل الكوفة وسكن بغداد، ومدح المتوكل والفتح بن خاقان، وكان يتشيع في غلو. وبق إلى أيام المعتز. نكت الهيمان ٢٢٥.

(٢) الاغتراز: أن يدخل قدمه في الثور، وهو للجمل مثل الركاب للبغل. في الأصل «اغترارهم»، صوابه في م.

(٣) م: «من».

(٤) المناذج: المغاوز، والمنتج: المكان الراسع.

(٥) عنى بالتنازع التباعد.

(٦) م: «فيها».

الألفاظ وَغَرَّرُهَا ، كجواهر العقود ودررها ، فإذا وَسِمَ أَغْفَلَهَا بتحسين نظومها^(١) وَحَلَّى أَعْطَاهَا بتركيب شذورها ، فراق مسموعها ومضبوطها ، وزان مفهومها ومحفوظها ، وجاء ما حُرِّرَ منها مُصَنَّفِي من كَدَّرَ العِيَّ وَالْخَطَل ، مقوِّمًا من أَوْدِ اللَّحْنِ وَالْخَطَا ، سالما من جَنَفِ التَّأْلِيفِ^(٢) ، موزونًا بميزان الصواب ، بِمَوْجِ فِي حَوَاشِيهِ رَوْنَقُ الصَّفَاءِ لَفْظًا وَتَرْكِيبًا — قَبْلَهُ الْفَهْمُ وَالتَّذْ بِلَهُ السَّمْعِ . وإذا وَرَدَ عَلَى ضِدِّ هَذِهِ الصِّفَةِ صَدِيقُ الْفَهْمِ مِنْهُ ، وَتَأْدَى السَّمْعُ بِهِ تَأْدَى الْحَوَاسِّ بِمَا يَخَالِفُهَا .

ومِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِالْوُقُوفِ عَلَى هَذَا الْخُذِّ فَتَجَاوَزَهُ ، وَالتَّزَمَ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ تَتِمِيمَ الْقَطْعِ ، وَتَلَطِيفَ الْمَطْلَعِ ، وَعَطْفَ الْآخِرِ عَلَى الْأَوَّلِ ، وَدَلَالَةَ الْمَوَارِدِ عَلَى الْمَصَادِرِ ، وَتَنَاسُبَ الْفُصُولِ وَالْوُصُولِ ، وَتَعَادُلَ الْأَقْسَامِ وَالْأَوْزَانِ ، وَالْكَشْفَ عَنْ قَنَاعِ الْمَعْنَى بِلَفْظٍ هُوَ فِي الْإِخْتِيَارِ أَوْلَى ، حَتَّى يَطَاقِ الْمَعْنَى اللَّفْظَ ، وَيَسَاقِ فِيهِ الذِّهْنُ السَّمْعُ . قَالَ : وَلَا غَايَةَ وَرَاءَ هَذَا .

ومِنْهُمْ مَنْ تَرَقَّى إِلَى مَا هُوَ أَشَقُّ وَأَصْعَبُ ، فَلَمْ تُقْنِعْهُ هَذِهِ التَّكَالِيفُ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى طَلَبَ الْبَدِيعَ : مِنَ التَّرْصِيعِ وَالتَّسْجِيعِ ، وَالتَّطْبِيقِ وَالتَّجْنِيسِ ، وَعَكْسَ الْبِنَاءِ فِي النَّظْمِ^(٣) ، وَتَوْشِيحَ الْعِبَارَةِ بِالْفَافِ مُسْتَعَارَةً ، إِلَى وَجْهِ أُخَرَ تَنْطِقُ بِهَا الْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ فِي الْبَدِيعِ ، فَإِنِّي لَمْ أَذْكَرْ هَذَا الْقَدْرَ إِلَّا دَلَائِلَ عَلَى أَمْنِهَا . وَلِكُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ وَمَا لَمْ أَذْكَرْ رَسْمٌ مِنَ النُّفُوزِ وَالْإِعْتِلَاءِ ، بِإِزَائِهِ مَا يَضَادُّهُ فَيُسَلِّمُ لِلشُّكُوصِ وَالِاسْتِقَالِ^(٤) . وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَبْوَابِ لِأَصْحَابِ

(١) م : « بَحْنُ نَظْمِهَا » .

(٢) الْجَنَفُ : الْمِيلُ فِي الْكَلَامِ وَفِي الْأُمُورِ كُلِّهَا .

(٣) يَتَنَبَّأُ بِذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ :

مُودَتُهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوٍ وَهَلْ كُلُّ مُودَتِهِ تَدُومُ

(٤) الْإِسْتِقَالُ ، النُّزُولُ إِلَى أَسْفَلِ .

الألفاظ ، إذ كانت المعاني بمنزلة المعارض للجواري^(١) ، فأرادوا أن يلتذ السمع بما يُذرك منه ولا يَمُجِّه ، ويتلقاه بالإصغاء إليه والإذن له فلا يحجبه^(٢) .

وقد قال أبو الحسن ابن طباطبائي^(٣) رحمه الله ، في الشعر : هو ما إن عرَى من معنى بديع لم يَفِرَّ من حُسن الديباجة ؛ وما خالف هذا فليس بالشعر^(٤) .

ومن البُلغاء من قصد فيما جاش به خاطرُه إلى أن يكون استفادةُ التأمل له ، والباحث عن مكنونه من آثار عقله أكثر من استفادته من آثار قوله أو مثله . وهم أصحابُ المعاني ، فطلبوا المعاني المُعْجِبةَ من خواصِّ أما كتبها ، وانزعوها جزلةً عذبةً حكيمةً ظريفةً أو رائقةً بارعةً^(٥) ، فاضلةً كاملةً ، لطيفةً شريفةً ، زاهرةً فاخرةً ؛ وجعلوا رسومها^(٦) أن تكون قريبةً للنشيب ، لائقةً الاستمارة ، صادقة الأوصاف ، لائحة الأوصاح ، خلابةً في الاستعطاف ، عَظَافَةً لدى الاستنفار ، مستوفيةً لحظوظها عند الاستهام من أبواب التصريح والتعريض ، والإطناب والتقصير ، والجِدِّ والهزل ، والخُشونة والليان^(٧) ، والإباء والإسماح ، من غير تفاوتٍ يظهر في خِلالِ أطباقها ، ولا قصورٍ ينبعُ من أنهاء أعماقها ، مبتسمةً من مثاني الألفاظ عند الاستشفاف ، محتجبةً في غموض الصَّيَان ، لدى الامتحان^(٨) تعطيك مُرادك إن رَفَقْتَ بها ، وتمنحك جانِبها إن

(١) المعارض جمع معرض كبير ، وهو الثوب تعرض فيه الجارية وتبجل .

(٢) م : « فلا يحجبه » .

(٣) ذكره ابن خلكان عرضاً في ترجمة أبي القاسم أحمد بن محمد ابن طباطبائي قال : « ولا أدري من هذا أبو الحسن ، ولا وجه النسبة بينه وبين أبي القاسم المذكور » . وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية كتاب له يدعى « عيار الشعر » ذكر في صدره أنه لأبي الحسن محمد بن أحمد ابن طباطبائي العلوي . وذكر هذا الكتاب في كشف الظنون وذكر أنه لابن طباطبائي .

(٤) م : « بشعر » .

(٥) م : « حكيمة ظريفة ، أو رائقة بارعة » .

(٦) م : « وسومها » .

(٧) الليان ، بالفتح كسحاب : مصدر لان يلائن لنا وليايا .

(٨) لدى الامتحان ، ساقطة من م .

عَنُفَّتْ مَعَهَا . فهذه مَنَاسِبُ المعاني لَطُلَّابُهَا ، وتلك مَنَاصِبُ الألفاظ لأَرْبَابِهَا . ومتى اعترف اللفظ والمعنى فيما تَصُوبُ به العقول^(١) فثَعَانَقَا وتَلَابَسَا ، متظهِرَيْنِ فِي الاشتراك^(٢) وتَوَافَقَا ، فهناك يلتقي قَرَبًا البلاغة^(٣) فَيُمِطَرُ رَوْضُهَا ، وَيُنَشَّرُ وَشْيُهَا ، وَيَتَجَلَّى الْبَيَانُ فَصِيحَ الْإِسَانِ ، نَجِيحَ الْبُرْهَانِ ، وَتَرَى رَائِدَى الْفَهْمِ وَالطَّيْعَ مُتَبَاشِرِينَ لَهَا مِنَ الْمَسْمُوعِ وَالْمَقُولِ بِالْمَسْرَحِ الْخِصْبِ وَلِلْكَرَعِ^(٤) الْعَذْبِ . فإذا كَانَ الدُّثْرُ — بما لَهُ مِنْ تَقَاسِيمِ الْلفْظِ وَالْمَعْنَى وَالنَّظْمِ — اتَّسَعَ نِطَاقُ الْاِخْتِيَارِ فِيهِ عَلَى مَا يَبْنَاهُ بِحَسَبِ اتِّسَاعِ جَوَانِبِهَا وَمَوَادِّهَا ، وَتَكَثَّرَ أَسْبَابُهَا وَمَوَاتِنُهَا^(٥) ، وَكَانَ الشَّعْرُ قَدْ سَاوَاهُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَشَارَكَهُ ، ثُمَّ تَفَرَّدَ عَنْهُ وَتَمَيَّزَ بِأَنْ كَانَ حَدُّهُ « لَفْظٌ مُوزُونٌ مُتَقَيِّئٌ بِذَلِكَ عَلَى مَعْنَى » ، فَازْدَادَتْ صِفَاتُهُ الَّتِي أَحَاطَ الْحَدُّ بِهَا بِمَا انْضَمَّ مِنَ الْوِزْنِ وَالتَّنْقِيَةِ إِلَيْهَا ، اِزْدَادَاتِ الْكُلْفِ فِي شُرَاطِ الْاِخْتِيَارِ فِيهِ ، لِأَنَّ لِلْوِزْنِ وَالتَّنْقِيَةِ أَحْكَامًا تَمَاطُلُ مَا كَانَتْ لِلْمَعْنَى وَالْلفْظِ وَالتَّأْلِيفِ أَوْ تُقَارِبُ ، وَهِيَ يَقْتَضِيَانِ مِنْ مِرَاعَاةِ الشَّاعِرِ وَالْمُنْقِدِ ، مِثْلَ مَا يَقْتَضِيهِ تِلْكَ مِنْ مِرَاعَاةِ الْكَاتِبِ وَالْمُتَصَفِّحِ ، لِثَلَا يَحْتَلُّ لَهَا^(٦) أَصْلٌ مِنْ أَصُولِهَا ، أَوْ يَمْتَلِّ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِهَا .

فإذا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يُتَبَيَّنَ مَا هُوَ عَمُودُ الشَّعْرِ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْعَرَبِ ، لِيَتَمَيَّزَ تَلِيدُ الصَّنْعَةِ مِنَ الطَّرِيفِ ، وَقَدِيمُ نِظَامِ الْقَرِيضِ مِنَ الْحَدِيثِ ، وَلِتُعْرَفَ مَوَاطِئُ أَقْدَامِ الْخُتَارِينَ فِيمَا اخْتَارُوهُ ، وَمَرَاسِمُ إِقْدَامِ

(١) تصوب به : تجود به ، من قولهم صاب المطر صوباً : نزل .

(٢) في الأصل : « الاعتراف » وأثبتنا ما م .

(٣) ضبطت في الأصل بضم التاء وفتح الراء وتشديد الياء ، وهذا خطأ . يقال التقي الثريان ، وذلك أن يحيم المطر فيرسخ في الأرض حتى يلتقي هو وندى الأرض . اللسان (ثرا) .

(٤) م : « المشرع » .

(٥) موات : جمع مائة بوزن فاعلة ، وهي الوسيلة .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من م .

المزيفين على ما زيفوه ، ويُفْلَمَ أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الاتي السَّبَجِ على الأبي الصعب ، فنقول وبالله التوفيق :

إنهم كانوا يحاولون شرفَ المعنى وصحَّةَهُ ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف — ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال ، وشواردُ الأبيات — والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتثامها على تحيُّر من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما — فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ، ولكل باب منها معيار .

فمعيار المعنى أن يُعْرَضَ على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فإذا انعطف عليه جَنَّبَتَا القبول والاصطفاء ، مستأنساً بقرائنه ، خرج وافياً ، وإلا انتقص بمقدار شوبه ووخشته .

وعيار اللفظ الطَّبعُ والرَّواية والاستعمال ، فما سَلِمَ مما يَهْجُنُهُ عند العرضِ عليها فهو المختار المستقيم . وهذا في مُفرداته وجملته مُرَاعَى ، لأن اللفظة تُسَكَّرُ بانفرادها ، فإذا ضَامَتْها مالا يوافقها عادت الجملة هَجِينَا .

وعيار الإصابة في الوصف الذِّكْرُ وحسن التمييز ، فما وجداه صادقا في العلوق ممازجاً في اللُصُوق ، يتعسَّرُ الخروج عنه والتبرُّؤ منه ، فذاك سييء الإصابة فيه . ويروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال في زهير : « كان لا يمدحُ الرجلَ إلا بما يكون للرجال » . فتأمل هذا الكلام فإن تفسيره ما ذكرناه .

وعيار المقاربة في التشبيه الفطنة وحسن التقدير ، فأصدقه مالا ينتقص عند العكس ، وأحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما لبين وجه التشبيه بلا كلفة ، إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المسبَّبه وأملكها له ، لأنه حينئذ يدلُّ على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس .

وقد قيل : « أقسام الشعر ثلاثة : مَثَلٌ سائرٌ ، وتشبيه نادر ، واستعارةٌ قريبة » .
وعيار التجام أجزاء النظم والثامه على تخيير من لذيذ الوزن ، الطبعُ واللسان ،
فالم يتعثر الطبعُ بأبنيتِه وعقودِه ^(١) ، ولم يتجسس اللسانُ في فصوله ووصوله ،
بل استمرّ فيه واستسمّاه ، بلا ملال ولا كلال ، فذاك يُوشِكُ أن يكون القصيدة
منه كالميت ، والبيتُ كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارُكاً ، وألا يكونَ كما
قيل فيه :

وشِعْرٌ كبير الكبش فرّق بينه لسانٌ دعى في القريض دَخيل ^(٢)
وكما قال خَلَفٌ :

وبعضُ قريضِ الشعرِ أولادُ علةٍ يكذُّ لسانُ الناطقِ المتَحَفِّظِ ^(٣)
وكما قال رُوْبَةُ لابنه عُقْبَةَ وقد عَرَضَ عليه شيئاً مما قاله ، فقال :

* قد قلت لو كان له قرآن ^(٤) *

ولمّا قلنا « على تخييرٍ من لذيذ الوزن » لأنّ لذيذه يطربُ الطّبعُ لإبقائه ،
وَيُمَارِجُهُ بصفائِهِ ، كما يطربُ الفهمُ لصوابِ تركيبه ، واعتدالِ نظومِهِ . ولذلك
قال حَسَّان :

تَفَنّ في كل شعرٍ أنت قائِلُهُ إِنَّ الغِناءَ لهذا الشعرِ مِضمار ^(٥)
وعيار الاستعارة الذّهن والفطنة . ومِلَّاكُ الأمرِ تقريب التشبيه في الأصل

(١) في الأصل : « بأبيه » ، صوابه في م .

(٢) البيت لأبي البيداء الرياحي ، كما في البيان (١ : ٦٦) .

(٣) أولاد علة : بنو رجل واحد من أمهات شتى ، فهم مختلفون . انظر البيان (١ :

٦٦) والعمدة (١ : ١٧٢) .

(٤) في البيان (٢ : ٦٨) : « إنه يقول لو كان لقوله قرآن » ، وذلك حيث ورد

الخبر برواية أخرى .

(٥) المِضمار ، يطلق على الموضع الذي تضمّر فيه الخيل ، وعلى زمانه أيضاً ، ويستعمل

كذلك بمعنى التضمير . عني أن الغناء وسيلة لتحسين الشعر واختباره . وهذا البيت مما لم يرد في

ديوان حسان . وأنشده في العمدة (٢ : ٤٤١) بدون نسبة .

حتى يتناسبَ المشبَّه والمشبَّه به ، ثم يكفي فيه بالاسم المستعارِ لأنه المَقولُ عَمَّا كان له في الوضع إلى المستعار له .

وعيارُ مشاكلة اللفظ للمعنى وشِدَّة اقتضائهما للقافية ، طول الدُّرْبَة ودوامُ المدرسة ، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض ، لا جفاء في خِلالها ولا نُبوً ، ولا زيادة فيها ولا قُصور . وكان اللفظ مقسوماً على رُتَب المَعاني : قد جُعِلَ الأَخْصُّ للأَخْصِّ ، والأَخْصُّ للأَخْصِّ ، فهو البرىء من العيب . وأما القافية فيجبُ أن تكون كالْمَوْعُودِ [به ^(١)] المنتظر ، يتشَوَّفُها ^(٢) المعنى بحَقِّه واللفظ بِقِسْطِهِ ، وإلا كانت قِلَقَةً في مَقَرِّها ، مُجْتَلِبَةً لِسِتْفَنِ عنها .

فهذه الخصال عُمُودُ الشَّعر عند العرب ، فمن لَزِمَها بحَقِّها وَبَنَى شِعْرَهُ عليها ، فهو عِنْدَهم المُفْلِقُ المَعْظَم . والمُحْسِنُ المُقَدِّم . ومن لم يَجْمَعْها كُلَّها فبِقَدْرِ سُهْمَتِهِ منها يكون نَصيبه من التقدُّم والإحسان ، وهذا إجماعٌ مأخوذٌ به ومُتَّبَعٌ نَهْجُهُ حتى الآن .

واعلم أن لهذه الخِصالِ وسائلَ وأُطْرَافاً ، فيها ظَهَرَ صدقُ الواصف ، وغُلُوٌّ الغالى ؛ واقتصادُ المقتصد . وقد اقْتَفَرَهَا اختيَارُ الناقدين ^(٣) ، فمنهم من قال : « أحسنُ الشَّعرِ أصدقُه » قال : لأن تجويد قائله فيه مع كونه في إيسارِ الصديق يدلُّ على الاقتدارِ والحِذْق . ومنهم من اختارَ العُلُوَّ حتى قيل « أحسنُ الشَّعرِ أكذبه » ؛ لأنَّ قائله إذا أسقط عن نفسه تقابلَ الوصف والموصوف امتدَّ فيما يأتيه إلى أعلى الرُّتْبَة ، وظهر قوَّته في الصياغة وتمهَّره في الصناعة ، وآتسعت مخارجُه وموَالِجُه ، فتصَرَّفَ في الوصف كيف شاء ، لأنَّ التَّمَلَّعَ عنده على المبالغة والتَّهْيِيلَ ، لا المصادفة

(١) هذه من م .

(٢) في الأصل : « يتشوفه » وأثبتنا ما في م .

(٣) الاقتفار : الاقتفاء والتتبع .

والتحقيق . وعلى هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له . وبعضهم قال : « أحسن الشعر أقصده »^(١) ؛ لأن على الشاعر أن يبالغ فيما يصير به القول شعراً فقط^(٢) ، فما استوفى^(٣) أقسام البراعة والتجويد أو جملها ، من غير غلو في القول ولا إحالة في المعنى ، ولم يُخرج الموصوف إلى أن لا يؤمن لشيء^(٤) من أوصافه ، لظهور السرف في آياته ، وشمول التزييد لأقواله ، كان بالإيثار والانتخاب أولى .

ويتنبع هذا الاختلاف مئيل بعضهم إلى المطبوع وبعضهم إلى المصنوع . والفرق بينهما أن الدواعي إذا قامت في النفوس ، وحرّكت القرائح ، أعملت القلوب . وإذا جاشت العقول بمكنون ودائما ، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها ، نبعت المعاني ودرّت أخلافها ، وافترقت خفيات الخواطر إلى جليات الألفاظ ، فمتى رُفِضَ التكلف والتعمّل ، وخُلّي^(٥) الطبع المهذب بالرواية ، المدرّب في الدراسة ، لاختياره ، فاسترسل^(٦) غير محمول عليه ، ولا ممنوع مما يميل إليه ، أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر ، وعفوا بلا جهد ، وذلك هو الذي يسمّى « المطبوع » . ومتى جُمِلَ زمام الاختيار بيد التعمّل والتكلف ، عاد الطبع مستخدماً متمكّناً ، وأقبلت الأفكار تستحمله أنقالها ، وتردّده في قبول ما يؤدّيه إليها ، مطالبة له بالإغراب^(٧) في الصنعة ، وتجاوز المألوف إلى البدعة ، فجاء مؤداه وأثره التكلف يُلوح على صفحاته ، وذلك هو « المصنوع » .

(١) من القصد ، وهو الوسط في الأمور .

(٢) ورد في نسخة الأصل ، بتشديد الطاء مع ضمها ، وصوابها التشديد مع الكسر ، كما في اللسان والقاموس ، وهي لغة في « قط » ساكنة الطاء بمعنى حسب .

(٣) في الأصل : « فاستوفى » ، والصواب من م .

(٤) م : « بشيء » .

(٥) وردت في الأصل بالحاء المهملة ، مع تقييدها بالإشارة ، والوجه ما أثبتناه من م .

(٦) كذا في م . وفي الأصل : « واسترسل » .

(٧) مطالبة بفتح اللام في الأصل وم . وفي م « بالإعزاب » ، والإعزاب : الإبعاد .

وقد كان يتفق في أبيات قصائدهم — من غير قصدٍ منهم إليه — اليسيرُ النَّزْرُ، فلما انتهى قَرَضُ الشعرِ إلى المَخْدَتَيْنِ، ورأوا استغرابَ الناسِ للبديعِ على افتنانهم فيه، أولعوا بتَوَرُّدِهِ إظهاراً للاقتدار، وذهاباً إلى الإغراب. فمن مُفْرِطٍ ومُقْتَصِدٍ، ومحمودٍ فيما يأتيه ومذموم، وذلك على حسب نُهوضِ الطبعِ بما يُحْمَلُ، ومَدَى قُوَاهُ فيما يطلب منه ويُكَلِّفُ. فمن مال إلى الأولِ فلائِهُ أشبه بطرائق الإغراب، لسلامته في السَّبَكِ، واستوائه عند الفحص. ومن مال إلى الثاني فلدلالته على كمال البراعة، والالتذاذ بالغرابة.

* * *

وأما تمجُّبُك من أبي تمام في اختيار هذا المجموع وخروجه عن ميدان شعره، ومفارقة ما يهواه لنفسه؛ وإجماع نقاد الشعر بَعْدَهُ على ما صحبه من التوفيق في قصده، فالقول فيه أن أبا تمام كان يختار ما يختار لجودته لا غير، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته. والفرق بين ما يُشْتَهَى^(١) وبين ما يُسْتَجَاد ظاهره، بدلالة أن العارف بالبرِّ قد يشتهي لُبْسَ ما لا يستجيده، ويستجيد ما لا يشتهي لُبْسَهُ. وعلى ذلك حال جميع أعراض الدنيا مع العقلاء^(٢) العارفين بها، في الاستجادة والاشتهاء. وهذا الرجل لم يغمض من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردد في الأفواه، الحبيب لكل داغ، فكان أمره أقرب، بل اعتسَفَ في دواوين الشعراء جاهليهم ومُخَضَّرِهم، وإسلاميهم ومولِّدِهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام^(٣)، وجمع ما يوافق نظمه ويخالفه؛ لأن ضروب الاختيار لم تحفَ

(١) في الأصل: «يشتر»، صوابه في م.

(٢) في الأصل: «من العقلاء»، صوابه في م.

(٣) الاختراف: اجتناء الثمر. والأكمام: جمع كم، بالكسر، وهو غطاء النور الذي هو أصل الثمرة.

عليه ، وطرق الإحسان والاستحسان لم تَسْتَرِ عنه ، حتى [إنَّكَ ^(١)] تراه ينتهي إلى البيت الجليد فيه لفظة تَشِينُهُ ، فَيَجْزُرُ نَقِصَتَهُ من عنده ، ويُبَدِّل الكلمة بأختها في نقده . وهذا يَبِينُ لِمَنْ رَجَعَ إلى دواوينهم ، فقابل ما في اختياره بها . ولو أنَّ نَقْدَ الشعر كان يُدْرِكُ بقوله لكان مَنْ يقول الشعر من العلماء أشعر الناس . ويكشف هذا أنه قد يميَّزُ الشعر من لا يقوله ، ويقول الشعر الجيد من لا يعرف نقده . على ذلك كان البُخْتَرِيُّ ، لأنَّه فيما حُكِيَ عنه كان لا يُفَجِّبُ من الشعر إلا بما وافق طبعه ومعناه ولفظه .

وحكى الصُّوَلِيُّ أنه سمع المُبَرِّد يقول : سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً قط أعلمَ بجَيِّد الشعر قديمٍ وحديثه من أبي تمام . وحكى عنه أنه مرَّ بشعر ابن أبي عُيَيْنَةَ فيما كان يختاره من شعر المحدثين فقال : « وهذا كله مختار » . هذا وشعره أبعدُ الأشياء من شعره . وهذا واضح .

* * *

وأما ما غلب على ظنك ^(٢) من أنَّ اختيار الشعر موقوفٌ على الشهوات ؛ إذ كان ما يختاره زيدٌ يجوز أن يزيِّفه عمروٌ ، وأنَّ سبيلها سبيلُ الصُّوَر في العيون ، إلى غير ذلك مما ذكرته — فليس الأمر كذلك ؛ لأنَّ من عَرَفَ مستورَ المعنى ومكشوفه ، ومرْفوضَ اللفظ ومألوفه ، وميَّزَ البديع الذي لم تقتسمه المقارض ، ولم تمتسفه الخواطر ، ونظروا وتبحَّروا ، وداروا في أساليب الأدب فتخيَّروا ، وطالت مجاذبته في التذاكر والابتعاث ، والتداول والابتعاث ، وبان له القليل النَّائبُ عن الكثير ، واللحظ الدالُّ على الضمير ، ودَرَى تراتبَ الكلام وأسرارها ، كما درى تعاليق المعاني وأسبابها ، إلى غير ذلك مما يكمل الآلة ، ويشحذُ

(١) هذه من م .

(٢) م : « في ظنك » .

القريحة — تراه لا ينظر إلّا بعين البصيرة ، ولا يسمع إلّا بأذن النّصّة^(١) ، ولا ينتقد إلّا بيد المعدّلة^(٢) ، فحُكْمُهُ الحُكْم الذي لا يُبدّل ، ونقده النقد الذي لا يُغيّر .

واعلم أنه يعرف الجيّد من يجهل الرديء . والواجب أن تعرف المقابح المنسَخطة كما عرفت المحاسن المرتضاه ، وجماعها إذا أُجْمِلت أنها أضداد ما بيّناه من عُمد البلاغة ، وحِصال البراعة ، في النظم والذّثر . وفي التفصيل كأن يكون اللفظ وحشياً أو غير مستقيم ، أو لا يكون مستعملاً في المعنى المطلوب ، فقد قال عمر رضى الله عنه في زهير : « لا يتتبع الوحش ولا يُعاظَلُ الكلام » . أو يكون فيه زيادة تفسد المعنى أو نقصان ، أو لا يكون بين أجزاء البيت التثام ، أو تكون القافية قِلَقَةً في مقرّها ، أو مَعِيبة في نفسها ، أو يكون في القسم أو التقابل ، أو في التفسير فساد ، أو في المعنى تناقض وخروج إلى ما ليس في العادة والطبع ، أو يكون الوصف غير لائق بالموصوف ، أو يكون في البيت حشو لا طائل فيه ، إلى غير ذلك مما يحصله لك تأمُّلكُ جُمَل المحاسن وتفصيلها ، وتتبعك ما يضادّها^(٣) وينافها ، وهذا هيّئ قريب .

وإنما قلت هذا لأنّ ما يختاره^(٤) الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سُئل عن سبب اختياره إياه ، وعن الدّلالة عليه ، لم يمكنه في الجواب إلّا أن يقول : هكذا قضية طَبِيعِي ، أو ارجع إلى غيري ممن له الدّربة والعلم بمثله فإنه يحكم بمثله حُكْمِي ، وليس كذلك ما يستردّله النقد أو ينفيه الاختيار ، لأنه لا شيء من ذلك إلّا ويمكن التنبية على الخلل فيه ، وإقامة البرهان على رداءته ، فاعلمه .

(١) النّصف والنصف ، بالتحريك فيهما : الإنصاف .

(٢) المعدّله بكسر الدال وفتحها : العدل . وجاءت في الأصل بكسر الدال .

(٣) في الأصل : « ما لا يضادّها » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٤) في الأصل : « ما لا يختاره » والوجه حذف « لا » كما في م .

وأما^(١) تمنيك معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلاء ،
والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين ، والعلّة في نباهة أولئك وحول هؤلاء ،
ولماذا كان أكثر المفلقين لا يبرعون في إنشاء الكتب ، وأكثر المترسلين
لا يفلقون في قرض الشعر ، فإنّي أقول في كل فصل من ذلك بما يحضر^(٢) ،
والله وليّ توفيق ، وهو حسبي وعليه توكلّي .

اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلاء ، موجبُهُ تأخر المنظوم عن رتبة
المشور عند العرب ، لأصوين :

أحدهما أن ملوكهم قبل الإسلام وبعده كانوا يتبجحون^(٣) بالخطابة والافتنان
فيها ، ويعدونها أكمل أسباب الرياسة ، وأفضل آلات الزعامة . فإذا وقف
أحدُهم بين السامعين لحصول تنافرٍ أو تضاعفٍ أو تضالمٍ أو تشاجر ، فأحسنَ
الاقتضاب عند البداهة^(٤) ، وأنجحَ في الإسهاب وقت الإطالة ، أو اعتلى في ذروة
مديرٍ فتصرف في ضروب من تخشين القول وتلينه ، داعياً إلى طاعة ، أو مستصلاًحاً
لمرعية ، أو غير ذلك مما تدعو الحاجة إليه ، كان ذلك أبلغ عندهم من إنفاق مالٍ
عظيم ، وتجهيز جيش كبير . وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ، ويعتدّون
ملوكهم دناءة . وقد كان لأمريّ القيس في الجاهلية مع أبيه حجر بن عمرو ،
حين تعاطى قول الشعر فنهاء عنه وقتاً بعد وقت ، وحالاً بعد حال ، ما أخرجه
إلى أن أمر بقتله . وقصته مشهورة ، فهذا واحد .

والثاني أنهم اتخذوا الشعر مكتبةً وتجارة ، وتوصلوا به إلى الشوق كما

(١) في الأصل : « وإنما » ، والمصواب في م .

(٢) م : « ما يحضر » .

(٣) التبيج : الفخر والتباغى .

(٤) اقتضاب الكلام : ارتجاءه ، اقتضاب الحديث والشعر : تكلم به من غير تهبة

أو إعداده له .

توصلوا به إلى العلية، وتعرضوا لأعراض النفس، فوصفوا اللثيم عند الطمع فيه بصفة الكريم، والكريم عند تأخر صلته بصفة اللثيم، حتى قيل : « الشعر أدنى مروة السرى، وأسرى مروة الدنى ». وهذا الباب أمره ظاهر. وإذا كان شرف الصانع بمقدار شرف صناعته، وكان النظم متأخراً عن رتبة النثر، وجب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاً عن غاية البليغ.

ومما يدلُّ على أن النثر أشرف من النظم، أن الإعجاز من الله تعالى جدُّه. والتحدَّى من الرسول عليه السلام وقفاً فيه دون النظم؛ يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء^(١) عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أُممهم يُولعون به في حينهم، ويغلبُ على طبائعهم، وبأشرف ذلك الجنس. على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام، لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة، فصارت من ذلك الجنس وبأشرفه. وكذلك كان حال عيسى عليه السلام، لأن زمنه كان زمن الطب، فكانت معجزته وهي إحياء الموتى، من ذلك الجنس وبأشرفه. فلما كان زمنُ النبي صلى الله عليه وسلم زمن الفصاحة والبيان، جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يُولعون به وبأشرفه، فتحذاهم بالقرآن كلاماً منشوراً، لا شعراً منظوماً.

وقد قال الله عزَّ وجلَّ في تنويه النبي عليه السلام^(٢) : ﴿ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ يَوْمًا يَنْتَفِي لَهٗ ﴾^(٣).

(١) في الأصل : « فيكشف ذلك أن معجز الأنبياء » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) يتال نوه فلانا ونوه به إذا رفعه وطير به وقواه ، ومنه قول أبي نخيلة :

ونودت لي ذكرى وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنه من بعض

م : « في تنزيه النبي عليه السلام » .

(٣) هذا وجه جائز في الاستشهاد بالقرآن مع ترك الواو أو الفاء ونحوهما . انظر

الحیوان (٣ : ٤/١٥ ، ٥٧ ، ٢٧٦) ورساله الشافعي الفقرات رقم ٦٤٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥

بتحقيق الشيخ أحمد شاكر .

وقال أيضاً : (والشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) .

ولما كان الأمر على ما بيناه وجب أن يكون النثر أرفع شأنًا ، وأعلى تنمكًا وبناء من النظم ، وأن يكون مزاوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات وبمزاوليها^(١) .

* * *

وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المُفْلِقِينَ وعِزٌّ مَنْ جمع بين النوعين مبرزًا فيهما ، فهو أن مَبْنَى « الترشل » على أن يكون واضح المنهج ، سهل المعنى ، متسع الباع ، واسع النطاق ، تدلُّ لوازمه على حقائقه ، وظواهره على بواطنه ، إذ كان موزَّده على أسماح مفترقة : من خاصية وعامة ، وأفهام مختلفة : من ذكوى وغبي . فتي كان متسهلاً مقسوايا ، ومنسلسلاً متجاوباً ، تساوت الأذان في تلقيه ، والأفهام في درايته ، والألسن في روايته ، فيُسمَحُ شاردُه إذا استدعى ، ويتعجَّلُ وافده إذا استدنى ، وإن تطاول أنفاسُ فصوله ، وتباعَدَ أطراف حُزُونِه وسهوله . ومبنى « الشعر » على العكس من جميع ذلك لأنه مبنى^(٢) على أوزان مقدرة ، وحدود مقسمة ، وقواف يساق ما قبلها إليها مهتأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر إلى غيره إلا ما يكون مضمناً بأخيه ، وهو عيب فيه . فلما كان مداه لا يمتدُّ بأكثر من مقدار عرُوضِه وصَرِيحِه ، وكلاما قليل ، وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً ، وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد ، وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى ، وأن يبلغ الشاعر في تليظفه ، والأخذ من حواشيه ، حتى يسمع اللفظ له ، فيؤدِّيه على غموضه وخفائه — حدًّا يصير

(١) م : « وبمزاوليها » .

(٢) م : « مبنى » .

المدرِّكُ له والمشرِّفُ عليه ، كالفائزِ بذخيرةِ اغتتمها ، والظافرِ بدفينةِ استخرجها .
وفي مثل ذلك يحسنُ انحاءُ^(١) الأثر ، وتباطؤُ المطلوبِ على المنتظرِ . فكلُّ
ما يُحمَدُ في الترسلِ ويختارُ ، يُذمُّ في الشعرِ ويرفضُ .

فلما اختلفَ المبنيانِ كما بيَّنا ، وكان المتنولُ لكل واحدٍ منهما يختارُ أبعدَ
الغاياتِ لنفسه فيه ، اختلفتَ فيهما الإصابتانِ ، لتبايُنِ طرفيهما ، وتفاوتِ قطريهما ،
وبعدُ^(٢) على القرائحِ الجمعِ بينهما . يكشفُ ذلك أن الرجزَ وإن خالف القصيدَ
مخالفةً قريبةً ترجعُ إلى تقطيعِ شأو اللفظِ فيه ، وتزاحمِ السجعِ عليه ، قلَّ عددُ
الجامعينِ بينهما ، لتقاصرِ الطباعِ عن الإحاطةِ بهما . فإذا كان الرجزُ والقصيدُ
مع أنَّهما من وادٍ واحدٍ ، أفضتِ الحالُ بمتعاطيهما إلى ما قلتُ على خلافِ يسيرِ
بينهما — فالنثرُ والنظمُ وهما في طرفينِ ضِدِّينِ ، وعلى حالتينِ متباينتينِ ،
أولى وأخصُّ .

وأما السببُ في قلةِ البلاءِ وكثرةِ الشعراءِ ، ونباهِ أولئك وخمولِ هؤلاء ،
فهو أن المترسلَّ يحتاجُ إلى مراعاةِ أمورٍ كثيرةٍ ، إن أهملها أو أهمل شيئاً منها
رجعتِ النقيصةُ إليه ، وتوجهتِ اللائمةُ عليه .

منها تبينُ^(٣) مقاديرُ من يكتبُ عنه وإليه ، حتى لا يرفعَ وضعاً ، ولا
يضعَ رفيعاً .

ومنها وزن الألفاظِ التي يستعملها في تصاريقه ، حتى تجيءَ لاثقةً بمن يُخاطَبُ
بها ، مُفخمةً لحضرةِ ساطعانه^(٤) التي يصدرُ عنها .

(١) رسمت في الأصل وم : « انحاء » مع وضع شدة على النون .

(٢) م : « فبعد » .

(٣) في الأصل : « يبين » ، صوابه في م .

(٤) م : « سلطانها » .

ومنها أن يعرف أحوال الزمان ، وعوارض الحدّثان ، فيتصرّف معها على مقاديرها في النقص والإبرام ، والبسط والانتقباض .

ومنها أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل ، والإيجاز والتخفيف ؛ فقد يتفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار ، حتّى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدارَ الفصائد الطويلة ، ويتفق أيضا ما تغنى فيه الإشارة ، وما يجري تجرى الوحي في الدلالة .

ومنها أن يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل ولا يشتطّ في الحكومة ، ولا يعدل فيما يخطّ عن المحجة . فهو إنّما يترسّل في عهد الولاية والقضاة ، وتأكيّد التبعية والأيمان ، وعمارة البلدان ، وإصلاح فساد ، وتحريض على جهاد ، وسدّ ثغور ورثق فتوق ، واحتجاج على فنة ، أو مجادلة لملة ، أو دعاء إلى ألفية ، أو نهى عن فرقة ، أو تهنئة بعميّة ، أو تعزية برزية ، أو ماشا كل ذلك من جلائل الخطوب ، وعظام الشئون التي يحتاج فيها إلى أدوات كثيرة ، ومعرفة مفتنة .

فلما كان الأمر على هذا صار وجود المظلمين بمجودة النثر أعزّ ، وعددّم أنزّر . وقد ستمهم الكتابة بشرفها ، وبوأتهم منزلة رياستها ، فأخطارهم عالية يحسب علو صناعتهم ، ومعاقد رياستهم ، وشدة الفاقة إلى كفايتهم .

والشعراء إنّما أغراضهم التي يسدّدون نحوها ، وغاياتهم التي ينزّعون إليها ، ووصف الديار والآثار ، والحنين إلى المعاهد والأوطان ، والنشيب بالنساء ، والتلطيف في الاجتداء ، والتفنن في المديح والهجاء ، والمبالغة في التشبيه والالوصاف . فإذا كان كذلك لم يتدأّنوا في المضمار ، ولا تقاربوا في الأقدار . وهذا القول كافٍ .

وإذ قد أتينا بما أردنا ، ووقينا بما وعدنا ، فإننا نشغل بما هو القصد من شرح الاختيار ، والله الموفق للصواب ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الأخيار .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب الحماسة

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الإصفهاني رحمه الله -
الحماسة : الشجاعة ، والفعل منه حَمَسَ ، ورجلٌ أحمسُ . وكانت العرب
تسمي قريشا : حُمْسًا^(١) اتشدُّهم في أحوالهم دينًا ودُنْيَا وتسمي بني عامر :
الأحامِسَ ، وكانهم ذهبوا في واحد فحَسَ إلى أنه صِفَةٌ ، فجمعوه جمع الصفات ،
كما يقال أحمَرُّ وأحمَرُّ ، وأشقرُّ وأشقرُّ ، وذهبوا في واحد الأحامس إلى أنه اسم ،
فجمعوه جمع الأسماء كما يقال أنحد وأحاميد ، وأجدل وأجادل . وهم يُخرجون
الأسماء إلى باب الصفات كثيرًا ، فيقولون : بنو فلان الذوائب لا الذنائب ،
والمراد هم الأعلى لا الأسافل ، كما يُخرجون الصفات إلى باب الأسماء كثيرًا .
وعلى هذا الأسود : الحياتُ ، والأداهمُ : القيود : قال :

* أَوْعَدَنِي بالسَّجْنِ والأَدَاهِمِ^(٢) *

والأباطح : جمع الأبطح . وكلُّ ذلك صفات أخرجت إلى باب الأسماء .
وقال الدُرَيْدِيُّ^(٣) : حَمَسَ الشرُّ : اشتدَّ . والحُمسُ : قريش ، وكنانهُ
وخزاعهُ ، تحمَّسوا في دينهم . وبنو حَمَاسٍ : قبيلة من العرب ، وكذلك بنو
حُمَيْسٍ^(٤) . وقوله :

(١) م : « الحمس » .

(٢) نسبة الديني (٤ : ١٩٠) للعديل بن الفرخ ، قاله حين هجا الحجاج فتوَّعه . وبعده :

* رجل فرجلى شنة المناسم *

(٣) . يعني أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد .

(٤) انظر جمهرة ابن دريد (٢ : ١٥٦) .

١

قال بعض شعراء بلعنبر^(١) :

المراد به بنى العنبر ، ولهذا وجب ألا يصحب الكسرة التى فى الراء التنوين .
وإنما حذف النون من « بنى » لاجتماعه مع اللام من العنبر ، وتقاربهما فى
المخرج . وذلك لأنه لما تعذر الإدغام فيه جعل الحذف بدلاً من الإدغام .
وإنما تعذر الإدغام لأن الأول متحرك والثانى ساكن سكوتا لازما ، فلما كان
من شرط المدغم تحريك الثانى إذا أُدغم الأول فيه ، وكان لام التعريف ساكنا
سكوتا لازما ، جعل الحذف لكونه مؤذيا إلى التخفيف المطلوب من الإدغام
بدلاً لما تعذر هو . ولا يلزم على هذا أن يُحذف النون من بنى النجار لأن
اللام قد أُدغم فى النون التى بعده ، فلا يمكن تقدير إدغام النون التى قبله فيه ،
حتى إذا تعذر جعل الحذف بدلاً من الإدغام ، بدلالة أن ثلاثة أشباه^(٢)
لا يصح إدغام بعضها فى بعض ، ومما يُشبه هذا من اجتماع المتجانسين من كلمتين
واستعمال الحذف فى أحدهما بدلاً من الإدغام قولهم علماء بنو فلان^(٣) ، والمعنى
على الماء . ومما يُشبهه لكنهما التقيا فى كلمة واحدة ، قولهم ظَلَلْتُ وَمَسِسْتُ
يقال منهما ظَلَلْتُ وَمَسْتُ ، وإن شئت ظَلْتُ وَمَسْتُ . تُلقى حركة المحذوف
على فاء الفعل . قال الله تعالى : ﴿ فَظَلَّمْتُ فَسَكَّهُون ﴾ . وإنما تعذر الإدغام هاهنا
لأن لَامَ الفعل فى مثل هذا المكان إذا اتَّصل به ضميرُ الفاعل يُسكن البتة ، فلما

(١) فى شرح التبريزى : « واسمه قريط بن أنيف » ، وفى التنبيه لابن جنى : « وقد
تروى لأبي الغول الطهورى » .

(٢) فى النسختين : « أشياء » ، وكذا النص عند التبريزى . والوجه ما أثبتنا .

(٣) شاهده ما أنشده التبريزى وابن جنى فى المجهج من قول قطرى :

غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم

لزمه التكون لم يصح إدغام العين فيه ، فذلك حذف .

والعَنْبَرُ في اللغة : الثَّرْسُ والطَّيْبُ . وَعَنْبَرَةُ الشتاء : شِدَّتُهُ . وعَنْبَرَةُ القوم : خلوص أنسابهم . ويقال : رأيته بهذا البلد عَنْبَرًا . يُعْرَبُ به مثلاً في الهداية . وبنو العنبر أهدى قوم . ويمكن تقدير النون زائدة فيه ، فيكون فنعلاً من عَبَرْتُ ، كأنه بحسن تأنيهِ للاهتمام بِعَبْرُ الطُّرُق . ومنه قيل في البعير : [هو ^(١)] عَبْرُ أسفار .

١- لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِلَيَّ بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ ^(٢)

مَازِنُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، ثُمَّ بَنُو أَخِي الْعَنْبَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ، وإذا كان كذلك فمدح هذا الشاعر لم يَجْرَى تَجْرَى الافتخار بهم ، وفي بني مازن عَصَبِيَّةٌ شديدة قد عُرِفُوا بها وَجِدُوا من أجلها ، ولذلك قال بعض الشعراء ^(٣) موبخاً لغيرهم :

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعَى عَصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كَفَلَايَ فِي الْوَفَاءِ سِوَاهُ
كَأَنَّ دَنَائِرًا عَلَى قِسْمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهَ لِقَاءُ

وقصد الشاعر في هذه الأبيات عندي إلى بَعَثَ قومه على الانتقام له من أعدائه ومُهْتَضِمِيهِ ، وتهيجهم وهزيم ، لا ذمهم . وكيف يذمهم ووبال الذم راجع إليه ؟ ! لكنه في هذا المعنى سالك لطريقة كَبْشَةَ أخت عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ في قولها :

(١) التكلة من م .

(٢) في شرح التبريزي : « وزعم أبو محمد الأعرابي أن الرواية :

... لم تستبح إيلي بنه الشقيقة من ذهل بن شيبانا

قال : « الشقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان » ثم ذكر أن اللقطة هي نضيرة بنت عصيم بن مروان بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة .
(٣) هو محرز بن مكعب الضبي ، كما في اللسان (قسم) ، وسترده هذه المقطوعة في الحاسة برقم ٦١١ .

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقُلُوا لَهْمُ دَمِي
 أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَتْ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ :
 وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرٍِ غَيْرُ شَيْءٍ لِمَطْعَمٍ
 فَلَا يَحْجُوزُ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهَا كَانَتْ تَهْجُو أَخَاهَا عَمْرًا أَوْ تَنْسُبُهُ إِلَى الْعَجْزِ وَالْتِقَاصِ
 فِي طَلَبِ ثَأْرِ أَخِيهِ ، وَعَمْرُوهُ الَّذِي كَانَ يُعَدُّ بِالْفَارِسِ ، وَلَكِنْ مَرَادُهَا
 بَعْنُهُ وَتَهْيِيجُهُ . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْعَبْدُ لِمَوْلَاهُ وَالْفَلَامُ لِصَاحِبِهِ وَقَدْ لَحَقَتْهُمَا هَضِيمَةٌ
 مِنْ أَجْنَبِيٍّ : لَوْ كُنَّا فِي خِدْمَةِ فَلَانٍ عَمَّاكَ أَوْ أَخِيكَ لَمَا جَسَرَ هَذَا أَنْ يَفَالَنَا بِمَكْرُوهِهِ
 وَلَا يَحْجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُمَا هَجَوْا سَيِّدِيهِمَا أَوْ فَضَّلَا غَيْرَهُمَا عَلَيْهِمَا ، وَلَكِنْ الْمُرَادُ
 تَحْرِيكُهُمَا لَهَا ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمِنْ الظَّاهِرِ بُقَالَانُ قَوْلٍ مِنْ يَذْهَبُ إِلَى
 أَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ هُجَا قَوْمَهُ وَمَدَحَ بَنِي مَازِنٍ بَوَكْدُ مَا قَلَّتْهُ قَوْلُهُ :
 - يَحْجُزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمَنْ إِسَاءَ أَهْلُ الشُّؤْ إِحْسَانًا
 لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ لِمَنْ يُنْسِكُ عَجْزًا عَنِ الْإِتِّصَارِ إِنَّهُ غَفَرَ ، وَلَا لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى
 جَزَاءِ الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ اخْتَارَ الْإِحْسَانَ . فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ :
 * لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا *

وَقَالَ أَيْضًا :

- فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُّوا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانًا
 قُلْتُ : لَيْسَ يَزِيدُ شَيْءًا مِمَّا قَالَهُ عَلَى قَوْلِ كَبْشَةَ :
 * وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمْرًا مُسَالِمٌ *
 وَإِذَا كَانَتْ أَيْبَاتُهَا بِاتِّفَاقٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعَانِي لَا تَكُونُ هُجُوًّا ، فَكَذَلِكَ
 آيَاتُ هَذَا الْعَنْبَرِيِّ . وَمَا يَشْهَدُ لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَهَا وَيُؤَيِّدُهَا ، أَنَّ فِي جُمْلَةِ
 آيَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ فِيهَا قَوْمَهُ :

يُحْبُونَ نِيرَانَهُمْ حَتَّى إِذَا خَدَّتْ شَبُّوا لِمَوْقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيرَانًا^(١)

(١) هَذَا الْبَيْتُ مِمَّا لَمْ يَخْتَرَهُ أَبُو تَمَامٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ .

وهذا المعنى هو مثل ما افتخر به غيره في صفات نفسه فقال :
 أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ فِي رِخْوِهِ^(١) فكيف الفرارُ إذا ما اقترَبَ
 بل الذى ذكره المعنبرى أزيد ، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن ،
 فإذا احتاجوا زادوا على كل هائج . ألا ترى أنه قال :
 * شَبَّوْا لِمَوْقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيرَانَا *

ومعنى البيت لو كنت مازنيا لم تُفِرْ بنو اللَّقِيطَةِ على إبلٍ .
 وَلَقِيطَةُ الْحَقِّ بِهَا الْمَاءُ وَإِنْ كَانَ فَعِيلًا فِي مَعْنَى مَفْعُولَةٍ ، لأنه أفرَدَ عن
 الموصوف به وجُعِلَ اسما . وهذا كما يقال الدَّشِيطَةُ^(٢) والدَّيِّحَةُ ، والبَنِيَّةُ
 فى الكعبة .

فأما الاستباحة ، فقد قيل هى فى معنى الإباحة ، وقد قيل : إن الإباحة هى
 التخليَّة بين الشيء وبين طالبه ، والاستباحة اتخاذُ الشيء مباحًا للنفس . وكان
 الأصل فى الإباحة إظهار الشيء للمناظر ليتناولَه مَنْ شاءَ ومنه بَاحَ بِسِرِّهِ بَوَّحًا
 وبُؤُوحًا . وَالْمَازِنُ فى اللغة : بَيضُ النَّمْلِ ، ويقال : هو يَتَمَرَّنُ على أصحابه ،
 كأنه يَتَفَضَّلُ عليهم . وَذُهِلَ من ذَهَلَتْ عن الشيء .

٢- إِذَا لَقَامَ بِنَصْرِي مَفْشَرٌ خُشْنٌ عِنْدَ الْحَفِيطَةِ إِنْ ذُو لَوْتَةٍ لَأَنَا^(٣)

(١) الرخو : ما فيه رخاوة وسهولة . وفى م : « رخوة » .

(٢) الدشيطه من الإبل : التى تؤخذ فتستاق من غير أن يعمد لها . والأوفق كما ورد
 فى م « النسيكة » ، وهى الذبيحة التى تذبح بحكمة .

(٣) نصن التبريزى على أن الرواية ضم اللام فى « لوتة » . قال : « ومن روى اللوتة
 بالفتح قال : إذا لان ذو القوة ، وكان أبلغ فى المعنى » . يذهب التبريزى إلى أن هناك فرقا
 بين الضم والفتح ، وهو قول لبعض اللغويين ، وزعم أن معناها بالضم الضعف ، وبالفتح القوة
 والشدة . والأصح أنها لغتان بمعنى واحد ، وهو الحق والاسترخاء والضعف ، وسيأتى للمرزوق
 كلام فى هذا .

اللام في «لقام» جواب يُمين مضمر، والتقدير إذا والله لقام [بنصري^(١)].
 فإن قيل : فأين جواب لو كنت ؟ قلت : هو لم تستبح إِبِلِي . وفائدة « إذا »
 هو أن هذا أخرج البيت الثاني مُخْرَجَ جواب قائل قال له : ولو استباحوا ماذا
 كان يفعل بنو مازن ؟ فقال : إذا لقام بنصري مَفْشَرٌ خُشْن . قال سيبويه :
 « إذا جوابٌ وجزاء » ، وإذا كان كذلك فهذا البيت جواب لهذا السائل وجزاء
 على فعل المستببح . ويجوز أن يكون أيضاً إذا لقام جواب « لو » ، كأنه أجيب
 بجوابين . وهذا كما تقول : لو كنت حُرّاً لاستبجحت ما يفعله العبيد ، إذا
 لاستحسننت ما يفعله الأحرار^(٢) . وقوله « إِنْ ذُو لُوْثَةٍ » يرتفع ذو عند خُذَّاقِ
 النحويّين بفعل مُضَمَّرٍ ، الفعلُ الذي بعده تفسيره ، وهو لَانَ . والتقديرُ إِنْ لَانَ
 ذُو لُوْثَةٍ لَنَا . وإنما قالوا هذا لَأَنَّ « إِنْ » لما كان شرطاً كان بالفعل أولى ،
 وعمله الجزم فيجب أن لا يفارقُ معموله في اللفظ والتقدير . وليس هذا موضع
 الكلام على من يحمل « ذو » بعد إِنْ وما أشبهه مبتدأ . ومعنى البيت إذا والله
 لقام بنصري ، أى لتكفل به قومٌ أشدّاء عند الغضب ، إذا الضعيف لَانَ .
 ويقال : قام بالأسم ، أى تكفل به . وهو القائم والقيّم . وقام بالقسطِ والعَدْلِ
 في الرعيّة ، وقامَ عليه إذا ساسه ووليه ، ومنه القيومُ والقيامُ^(٣) في صفات الله
 تعالى ، وقوله : « إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا » أى قاهراً . وأقمتُ الرُّمَحَ قِقامَ ، بمعنى
 « مُنَّه فَتَقَوَّم » . وقوله « إِنْ ذُو لُوْثَةٍ » تعريضٌ منه بقومه لِيَفْضَبُوا وَيَهْتَاجُوا
 لِنُصْرَتِهِ . وهو في البعثِ والتهيبِ أحسن من التصريح ، كما أنه في الذمِّ والمجور

(١) هذه من ل .

(٢) ما بعد هذه الكلمة إلى كلمة « والتقدير » تجده بلفظه عند التبريزي بدون تنبيه

على مأخذه .

(٣) أصله « قيام » على فيعال كما ورد في اللسان : ومثله « صياغ » من الصوغ .
 وقد قرأها عمر بن الخطاب في صورة آل عمران : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » . انظر
 كتاب المصاحف للسجستاني ٥٢ بتحقيق المستشرق آرثر جفري .

كذلك . وهذا بعضُ الناس رواه «إن ذو لَوْنَةٍ» وزعم أنَّ ذو لَوْنَةٍ ليس بجيد لأن الضعيف أبداً مَهِينٌ ، والواجب أن يقول إن القوي لَانَ ، واللَوْنَةُ هي القوة . والرواية الصحيحة هي ضم اللام من اللَوْنَةُ^(١) . والفائدة ما ذكرت من التعريض بقومه . ولأنَّ يكون طَرَفًا البيت متناولين لمعنيين متقابلين ، أحسن من أن يكونا مفيدين لمعنى واحد . و «الْمَعْشَرُ» : اسم للجماعة ، لا واحد له من لفظه . وقال الخليل : هو اسم لجماعة أمرهم واحد . ويقال جاءوا مَعْشَرَ مَعْشَرَ ، أى عَشْرَةَ عَشْرَةٍ . و «خُشْنٌ» : جمعُ خَشِنٍ وأَخْشَنَ . و «الحَفِظَةُ» : اتَّخَصَّصَتْ يُحْفَظُ لها ، أى يُفَضَّبُ . وقيل هي الحِمِيَّة ، وفي المثل : «الحفاظُ تَحْمِلُ الأحقادَ» وقيل أيضاً «أهل الحفاظِ أهل الحِفاظِ» . وذلك أن ذا الأنفِ يحترسُ من العارِ ، فلا يزال يتحفظ ويحافظ حتى يَسْلَمَ منه . وكأنَّ الأصل في الكلِّ الحِظُّ الذى هو تقيض النسيان . وقد طابق الخشونة باللين فظهرت الصنعة به ، وجاد البيتُ له ، كأنه^(٢) قال مَعْشَرٌ خَشِنُونَ عند الحفيظة إن كان ذوو اللَوْنَةِ لَيِّنِينَ عندها .

٣- قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا

أراد أن يصف بني مازن بما يحتاج له قومه فينصرونه ، فقال : هم قوم إذا ظهر لهم الشرُّ واشتدَّ سارعوا إليه غير متوقعين^(٣) لتَجَمُّع ، ولا مُعَرَّجِينَ على تَأَهُب ، لكنهم يتبادرون أفراداً وثُبَاتٍ ، وأشتاتاً وجماعاتٍ . وإبداء التاجدِ — وهو ضرس الحِلْمِ — مَثَلٌ لاشتداد الشرِّ . ومثله قول الآخر :

فَمَنْ يَكُ مِغْزَالِ الْيَدِينِ ، مَكَانُهُ إِذَا كَثُرَتْ عَنْ نَابِهَا الْحَرْبُ خَائِلٌ

(١) انظر ما سبق من التعليق عند إنشاد البيت .

(٢) في الأصل : «أنه» ، وأثبتنا ما في م .

(٣) كلما في الأصل . وفي م : «متوقعين» .

فأما قول عنتره :

* إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ النِّمِّ ^(١) *

وقول الأعشى :

* سَعَةُ الشَّدَقِ عَنِ النَّابِ كَلَخَ ^(٢) *

وقول الآخر :

* وَقَدْ أَشْلَمَ الشَّفَتَانِ الْفَهَا *

فإنما هو صفة للمصطفى بنار الحرب عند اشتداد الأمر عليه . ومثله لبعض
البلغاء : « صار الأكس كالأزوق ، والمحتال كالأحمق ؟ وذو البصيرة
كالأخرق ^(٣) » . ويقال : عَصَّ على ناجذه ^(٤) ، إذا صَبَرَ على الأمر . ونَجَذَتْهُ
الأمور : أحكمته . قال الشاعر ^(٥) :

* وَنَجَذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّوُونِ *

ويقول الرجل إذا أراد أن يتشدد على صاحبه : لَأَرَبَنَّكَ نَاجِذِي ! والمعنى
أنه يكثير له ويكَلِّحُ في وجهه حتى يبدو ناجذه . ويقولون : « خِلْتُه لِعُبُوسِهِ
يَبْتَسِمُ ^(٦) ، ولإقدامه يَنْهَجِمُ ^(٧) » . وقال بعضهم : النواجذ : الضواحك ، واحتج
بحديث النبي صلى الله عليه وسلم « أنه ضحك حتى بدت نواجذه » . قال :

(١) صدره : * ولقد حفظت وصاة عمي في الضحى *

(٢) صدره في الديوان ١٦١ : * وله المقدم في الحرب إذا *

(٣) الأكس : القصير الأسنان الصغيرها . والأزوق : الطويل الأسنان .

(٤) م : « ناجذيه » .

(٥) هو سحيم بن وثيل الرياحي ، كما في اللسان (نجد) والأصمعيات . وصدر البيت :

* أخو خمسين مجتمع أشدى *

(٦) في النسختين : « يتبسّم » ، والتصحيح بعده يقتضى ما أثبتنا ليصالح السجع .

(٧) كذا على الصواب في م . يقال انهجم الحياء : سقط . وفي الأصل : « يهجم » ،

ولا أصل له في اللغة . وعلى هذا فالوجه أن يكون الفعل قبله : « يهجم » لكنه ورد كذا
في النسختين .

وأقصى الأسنان لا يبيديها الصَّحِك . والصحيحُ الأول ، فأما الخبرُ فمحمولٌ على المُبالغةِ وإن لم تَبْدُ النواجِدُ .

وجواب « إذا » طاروا . و « وَخَدَانَا » هو جَمْعُ واحد ، وواحدُ صِفَةٍ ، كصاحب ومُحبِّبان ، ورَاج ورُعَيان . ويقال طِرْتُ إلى كذا ، إذا أَسْرَعْتَ إليه ، وطِرْتُ بكذا ، أى سَبَقْتُ به . والزَّرَافَاتُ : الجماعاتُ ، واشتقاقه من الزَّرْف ، وهو الزيادة على الشيء . ويقال زَرَفْتُ القومَ قُدَّامِي ، أى قَدَّمْتُهُمْ فِرَاقًا . وحِكِي في الزَّرَافَةِ تشديد الفاء ، يقال جاء القوم بزَرَافَتِهِمْ ، أى بجِماعَتِهِمْ ؛ وهو غريب . والمعنى أنهم لحرصهم على القتال وجُرأتِهِمْ ، لا ينتظرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، لكنَّ كلاً منهم يعتقد أن الإجابةَ تَعَيَّنَتْ عليه إذا تشدَّد الشرُّ لهم . وفي طريقته قول بعض الشعراء ^(١) :

قَوْمٌ إِذَا هَتَفَ الصَّرِيحُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ ^(٢)

سَافِعٌ : آخذُ بِنَاصِيَةِ فَرَسِهِ . ومنه قولُ الله تعالى : ﴿ لَنَسْفَقًا بِالْأَنفِيسَةِ ﴾ . وقول الآخر ^(٣) :

وَكُنْتُ إِذَا جَارَى دَعَا لِمُضُوفَةٍ أَشْمَرٌ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مُزْرِي

٤- لا يَسْأَلُونَ أَخَاكُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا

الأصلُ في التُّدْبَةِ — وإن اشتهرت ببيكاء الأموات وقولهم عنده : **وَأَفْلَانَاهُ** : — الدُّعَاءُ ، وتوسَّعُوا فيه فقالوا : **تُدْبُ** مُلَانٌ لكذا وكذا ، إذا نُصِبَ له ورُشِّحَ للقيام به . ويقولون : **تَكَلَّمَ** فلانٌ فاندبَ له فلانٌ ، إذا عارضه . والشاعر يقول : هؤلاء القوم ، يعنى بنى مازن ، لحسن محافلتهم وقوة تناهيمهم

(١) هو عمرو بن مديكرب ، كما في تفسير أبي حيان (٨ : ٤٩١) .

(٢) رواية أبي حيان : « إذا كثر الصياح » .

(٣) أبو جندب الهذلي ، كما في الحسن (نصف) وديوان الهذليين (٣ : ٩٢)

فِي نُصْرَةِ الْمُتَنَسِّبِ إِلَيْهِمْ وَالْمُحَلِّقِ^(١) حَبْلَهُ بِحَبْلِهِمْ ، لَا يَسْأَلُونَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ
إِذَا دَعَاهُمْ حُجَّةً عَلَى دَعْوَاهُ ، وَلَا يَرِاجِعُونَهُ فِي كَيْفِيَّةِ مَا أُلْجَأَ إِلَيْهِمْ ، لَكِنَّهُمْ
يُعْجَلُونَ الْإِغَاثَةَ لَهُ . وَهَذَا تَعْرِيفٌ مِنْهُ بِمَا لِحَقُّهُ مِنْ قَوْمِهِ أَوْ رَأَاهُ مِنْ عَادَتِهِمْ عِنْدَ
الِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : يَا أَخَا قُرَيْشٍ ؛ وَالْمَعْنَى يَا وَاحِدًا مِنْهُمْ . وَمِثْلُهُ :
إِذَا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَائِهِمْ لَأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بَأْيٍ مَكَانٍ^(٢)
وَقَدْ وَصَفَ بَنِي مَازِنٍ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بِمِثْلِ مَا وَصَفَهُمْ هَذَا الشَّاعِرُ ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

نَفْسِي فِدَاءُ ابْنِي مَازِنٍ مِنْ شُمْسٍ فِي الْحَرْبِ أَبْطَالٍ
وَقَوْلُ الْآخَرِ^(٣) :

فَهَلَّا سَتَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كَفَلَاتِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاهِ
هـ- لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ أَيْسُّوا مِنْ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
رَجَعَ إِلَى صِفَةِ قَوْمِهِ بِمَا يَأْتِفُونَ مِنْهُ عِنْدَهُ ؛ وَتَدَخَّلَهُمُ الْحِمَاةُ لَدَى الْإِضْغَاءِ
إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ قَضْدُهُ دَنَّتِهِمْ فَقَالَ : لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ كَثْرَةٌ عَدَدٍ وَعُدَّةٌ
لَيْسُوا مِنْ دَفْعِ الشَّرِّ وَإِنْكَارِهِ ، وَقَضْدِهِ وَارْتِكَابِهِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ
خِيفَةٌ وَقِلَّةٌ . وَقَدْ قَابَلَ الشَّرْطَ بِالشَّرْطِ فِي الصَّدْرِ وَالْعِجْزِ ، وَطَاقَبَ الْعَدَدَ
وَالْكَثْرَةَ بِالْهَوْنِ وَالْخِلَافَةِ فِي هَذَا الْكَلَامِ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَصِفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُوْثِرُونَ
السَّلَامَةَ وَالْعَفْوَ عَنِ الْجُنَاةِ مَا أَمَكْنَ ، وَلَوْ أَرَادُوا الْإِنْتِقَامَ لَقَدَّرُوا بِعَدَدِهِمْ
وَعُدَّتِهِمْ وَلَكِنَّ الْمُرَاقِبَةَ وَالتَّقْوَى تَدْعُوهُمْ إِلَى إِبْشَارِ الْحُسْنَى .

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ . وَفِي م : « الْمَلَقِ » بِكَوْنِ الْعَيْنِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ الْمَكْسُورَةِ هـ
وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ . اللَّسَانُ (عَلَقَ) .

(٢) لَوْ دَاكُ بْنُ ثُمَيْلٍ الْمَازِنِيُّ ، سَيَأْتِي فِي الْمَقْطُوعَةِ ١٨ .

(٣) هُوَ مُحَرِّزُ بْنُ مَكْمَرٍ ، كَمَا سَبَقَ فِي حَوَاشِي ص ٣٣ ..

٦- يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ الشُّوءِ إِحْسَانًا
 روى بعضهم « من ظلمَ أَهْلَ الظُّلْمِ » والظُّلْمُ بالفتح المصدر وبالضم الاسم .
 وهذه الرواية عندي أحسن . وقد بيّنتُ ما في المغفرة والإحسان من الدلالة
 على أنهم كانوا يَقْدِرُونَ على إيثار ضدهما . والظُّلْمُ : انتقاص الحظِّ والنصيب .
 وقيل هو وضع الشيء في غير موضعه ، ونقيضه العدلُ . وينتصب إحساناً
 بيجزُونَ مضمراً ، كأنه قال : ويجزُونَ من الأساءَةِ إحساناً . وَجَازَ حَدُّهُ
 لأنَّ الفِعْلَ قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ .

٧- كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لَخِشْيَتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا^(١)
 اللَّخْشِيَّةُ وَاللَّخْشِيُّ وَاللَّخْشَاءُ : مصدر خَشِيَ . ويقولون : هذا المكان أَخْشَى
 مِنْ ذاك ، وهو نادرٌ لأنَّ المكانَ يُخْشَى فهو مفعول . وَرَجُلٌ خَشِيَانٌ وَامْرَأَةٌ
 خَشْيَانَةٌ . وقوله « سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ » هو استثناءٌ مقدَّمٌ ، ولو وقع
 مَوْقَعُهُ لكان الكلامُ لم يَخْلُقْ لَخِشْيَتِهِ إِنْسَانًا سِوَاهُمْ ، فكانَ يَجُوزُ فِي سِوَاهُمْ
 الْبَدَلُ وَالِاسْتِثْنَاءُ وَالصَّغَةُ ، فلَمَّا قُدِّمَ بَطَلٌ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا وَصِفَةً لَأَنَّهُمَا
 لَا يَتَقَدَّمَانِ عَلَى الْمَوْصُوفِ وَالْمُبْدَلِ مِنْهُ ، فَبَقِيَ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً . وقد نَبَّهَ بِهَذَا
 الْكَلَامِ أَنَّ احْتِمَالَهُمْ لاحتسابِ الْأَجْرِ عَلَى زَعْمِهِمْ ، وإِقْنَاءِهِمْ فِي الْاِتِّتِقَامِ لَخِشْيَةِ
 فَوَاتِ الدُّخْرِ فِي دَعْوَاهُمْ ، فَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ لَخَوْفِهِ غَيْرَهُمْ .

(١) بئده بيت ثامن لم يروه المرزوقي ، ورواه التبريزي ، وهو :
 فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شِدُوا الإغارةَ نُرساناً وركبانا
 قال التبريزي في تفسيره : « ويروى : شَو الإغارة ، أى فرقوها . يقال شَن عليهم الغارة
 بالثنين معجمة . وسَن عليه درعه بالسین ، إذا صبها عليه . ومن روى : شَدُوا الإغارة ،
 فليس الإغارة مفعولاً به ولا انتصابها على ذلك . لكن انتصابها انتصاب المفعول له ، أى شَدُوا
 للإغارة كقولك حملوا للإغارة فرساناً وركبانا ، أى في هذه الحالة . وهو كقول الآخر :
 • شددنا شدة فقتلت منهم •

أى حملنا حلة . وشدت هذه غير متعدية ، وإذا أريد تعديتها وصلت بمل . قال :
 أشد على الكتيبة لا أبالي أحتنى كان فيها أم سواها .

٢

وقال شهلُ بن شيبانَ الزَّمَانِي^(١) :

وَيُلَقَّبُ بِالْفَنْدِ . وَالْفَنْدُ فِي اللِّغَةِ : الْقِطْعَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْجَبَلِ ، وَجَمْعُهُ أَفْنَادٌ .
قال الدُّرَيْدِيُّ : لُقِّبَ بِهِ لِعَظَمِ شَخْصِهِ . قال : وهو أحدُ الفرسان . وقال غيره :
لُقِّبَ بِهِ لِأَنَّهُ قال لِأَصْحَابِهِ فِي يَوْمِ حَرْبٍ : « اسْتَنْدُوا إِلَيَّ فَإِنِّي لَكُمْ فِنْدٌ » .
١ - صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمُ إِخْوَانُ^(٢)

صَفَحْتُ عَنْهُ : عَفَوْتُ عَنْ جُرْمِهِ . ويقالُ أَعْرَضْتُ عَنْ الْأَمْرِ صَفْحًا ،
إِذَا تَرَكْتَهُ . وقد يقالُ : أَصَفَحْتُ عَنْهُ ، كما يقالُ أَضْرَبْتُ [عَنْهُ^(٣)] . ويقالُ :
أَبْدَى لِي صَفْحَتَهُ ، إِذَا مَكَّنَكَ مِنْ نَفْسِهِ . يقولُ عَفَوْنَا عَنْ جَرَمِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ،
وَرَاعَيْنَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُتَوَاشِجَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، مَا حَمَلْنَا عَلَى الْإِغْضَاءِ عَلَى قَبِيحٍ
يَتَّفِقُ مِنْهُمْ ، وَالتَّجَاوَزِ عَنْ هَفْوَةٍ تَحْصُلُ مِنْ جِهَتِهِمْ ، وَقُلْنَا : إِنَّا مَا بَيْنْنَا وَبَيْنَهُمْ
مِنَ الْإِخْوَةِ يَقْتَضِي الْإِبْقَاءَ عَلَى الْحَالِ مَعَهُمْ ، وَاتِّظَارًا لَفَيْتَةٍ^(٤) تَكُونُ مِنْهُمْ .
وَحَقِيقَةُ صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ : أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ : وَلَيْسَ أَعْنَانَا
وَوُجُوهُنَا ، وَهِيَ جَانِبُهَا ، فَلَمْ نَتَوَاخَذْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ . وقال في هذا المعنى
ضَرَبْنَا عَنْهُمْ صَفْحًا ، وفي القرآن : (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا) .

٢ - عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعَ نَ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا

إِنَّمَا نَكَّرَ قَوْمًا لِأَنَّ قَائِدَتَهُ مِثْلُ قَائِدَةِ الْمَعَارِفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا فَضْلَ بَيْنَ

(١) هو شاعر جاهلي قديم ، وكان أحد فرسان ربيعة المشهورين ، شهد حرب بكر وتغلب
وقد قارب المائة . الخزانة (٢ : ٥٨ - ٥٩) والأغاني (٢٠ : ١٤٣ - ١٤٤) واللائق ٥٧٩ .
(٢) التبريزي : « ويروى : * صفحنا عن بني هند * وهي هند بنت مر بن أد أخت
تميم ، وهي أم بكر . وتغلب ابني وائل . فيقول : « صفحنا عن بني تغلب لأنهم إخوتنا عطائنا
عليهم الرِّسم » .

(٣) الفَيْتَةُ : الرِّجْمَةُ .

(٤) هذه من م .

أَنْ تَقُولَ عَقَوْتُ عَنْ زَيْدٍ فَلَمَلِ الْإِيَّامُ تَرُدُّ رَجُلًا مِثْلَ الَّذِي كَانَ ، وَبَيْنَ أَنْ
تَقُولَ فَلَمَلِ الْإِيَّامُ تَرُدُّ الرَّجُلَ مِثْلَ الَّذِي كَانَ ؛ لِأَنَّكَ تَرِيدُ فِي الْمَوْضِعِينَ بِهِ رَجُلًا
أَوْ الرَّجُلَ . وَلِلْعَنَى فَعْلُنَا ذَلِكَ بِهِمْ رَجَاءُ أَنْ تَرُدَّهُمُ الْإِيَّامُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ
مِنْ قَبْلُ . وَعَسَى مِنْ أَفْعَالِ الْمَقَارِبَةِ . وَأَنْ يَرْجِعَنَّ فِي مَوْضِعِ خَبَرِ عَسَى ، وَلَوْ قَالَ
عَسَى أَنْ يَرْجِعَ الْإِيَّامُ قَوْمًا لَكَانَ أَنْ يَرْجِعَ فِي مَوْضِعِ فَاعِلِ عَسَى وَكَانَ
يَكْتَنِي [بِهِ ^(١)] ؛ بِوَذَلِكَ لِأَنَّ عَسَى لِمَقَارِبَةِ الْفِعْلِ ، وَالْفِعْلُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْفَاعِلِ ،
فَإِذَا تَقَدَّمَ الْفِعْلُ مَعَ أَنْ وَتَبِعَهُ الْفَاعِلُ فَقَدْ حَصَلَ مَا يَطْلُبُهُ ، فَإِذَا وَلِيَهُ الْاسْمُ بَقِيَ
يَنْتَظِرُ الْفِعْلَ وَإِنْ ارْتَفَعَ ذَلِكَ الْاسْمُ بِهِ ، فَيَجْرِي الْفِعْلُ مَعَ أَنْ بَعْدَهُ مَجْرَى خَبَرِ كَانَ
بَعْدَ اسْمِ كَانَ . وَمَعْنَى يَرْجِعَنَّ : يَرُدُّونَ ، وَهُوَ بَابُ فَعَّلَ وَفَعَّلْتُهُ . يُقَالُ رَجَعَ
فُلَانٌ رَجُوعًا وَمَرَجَمًا وَرُجْعِي وَرُجْعَانًا ، وَرَجَعْتُهُ رَجْعًا . وَمَعْنَى يَرْجِعَنَّ قَوْمًا
يَرُدُّونَ بِأَسْرِهِمْ أَمْرًا قَوْمًا ، وَبِاثْتِلَافِهِمْ اثْتِلَافَ قَوْمٍ . لِحَذْفِ الْمُضَافِ وَأَقَامَ الْمُضَافَ
إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَخَبَرُ كَانَ مَحذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ كَالَّذِي كَانُوا ، أَيْ كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلُ مِنْ
الِاثْتِلَافِ وَالتَّوَادُّ وَالِاتِّفَاقِ . وَالضَّمِيرُ الَّذِي أَظْهَرْنَاهُ فِي « كَانُوا » هُوَ الَّذِي تَصَحُّ
الصَّلَاةُ بِهِ ، لِأَنَّ الْمَوْصُولَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي صَلَاتِهِ ضَمِيرٌ يَبْعُدُ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ اسْمًا ،
وَالَّذِي لَيْسَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْ كَانُوا شَيْءٌ إِلَّا مَا أَبْرَزْنَاهُ مِنَ الضَّمِيرِ . وَمِنْ جَوَازِ حَذْفِ
الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ مِنَ الصِّفَةِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ
نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ وَيَقْدَرُ فِيهِ أَنَّ الْكَلَامَ لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، لَا يَسُوغُ لَهُ
أَنْ يَقْدَرَ فِي الصَّلَاةِ أَيْضًا ذَلِكَ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
الْقَدْرُ يَرْجِعَنَّ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ ، لِأَنَّ مِثْلَ عَلَيْهِ لَا يَجُوزُ حَذْفُهُ مِنَ الصَّلَاةِ ،
لَا تَقُولُ الَّذِي مَرَرْتُ جَالِسًا ، وَأَنْتَ تَرِيدُ مَرَرْتُ بِهِ ، وَالَّذِي دَخَلْتُ مُنْطَلِقًا ، وَأَنْتَ

(١) حَذْفُهُ مِنْ م .

تريد الذي دخلت عليه . وبمثل هذا توصل من زعم في الآية أن التقدير : واتقوا يوماً لا تجزيه نفس عن نفس شيئاً ، لأنه قال : الصفة كالصلة ، فكما لا يجوز حذف فيه وأشباهه من الصلة ، كذلك لا يجوز حذفها من الصفة ، فاعلمه . ويجوز أن يكون قوله كالذي كانوا ، أراد « كالذين » كانوا ، وحذف النون تخفيفاً ، كما قال ^(١) :

إِنَّ الَّذِي حَانَتْ بَفَلَجٍ دَمَاؤُهُمْ مُّ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ - يَا أُمَّ خَالِدٍ ^(٢)
فيكون المعنى يرجع بهم قوماً كالذين كانوا من قبل . وفي هذا الوجه يجوز أن يُجْعَلَ « الذي » للجنس ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ ثم قال ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٣) ، والفصل بين هذا الوجه وبين الوجه الأول أنه أمّل في الوجه الأول أنهم إذا عَفَوْا عنهم أدبَتهم الأيام وردت أحوالهم في التَّوَادُّ والتَّحَابُّ كأحوالهم فيما مضى ، وأزالت من فساد ذات البين ما اعترض بسوء عشرتهم . وفي الوجه الثاني أمّل أن ترجع الأيام أنفسهم إذا صفحوا عنهم كما عهدت : سلامة صدور ، وكرم اعتقاد وعهود .

٣ - فَلَمَّا صَرَخَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانٌ

فائدة أمسى وأصبح وظلّ وبات في مثل هذا المكان على حدّ الفائدة في « صار » لو وقع موقعها ، ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ ، والبيشارة بالأُنْثَى تقع ليلاً ونهاراً . وكذلك تقول : أصبحوا خاسرين وأمسوا نادمين ، وإن كانوا في كل أوقاتهم على ذلك . « وَلَمَّا » علم للظرف ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره ، ولهذا لا بدّ له من جواب . ويقال : صرّح الشيء إذا كشف عنه وأظهره ، وصرّح هو إذا انكشف ^(٤) . ومثله بين .

(١) البيت للأشهب بن ربيعة ، كما في البيان (٤ : ٥٥) والخزانة (٢ : ٥٠٨) .

(٢) هم المتقون ، من م .

(٣) م : « بمعنى انكشف » .

الشيء وبين هو ، أى تبين ، وفي المثل « قد بين الصبح لذي عينين » . وفعل بمعنى تفعل واسع ، يقال وجّه بمعنى توجه ، وقدم بمعنى تقدم ، وتبه بمعنى تنبه ، ونكّب بمعنى تنكّب . فيقول : لما ظهر الشرّ كلّ الظهور وصار بحيث لا يسترّ شيء ولم يبق بيننا وبينهم سوى الصبر على الظلم الصريح . والمعنى أنهم لما تجاوزوا الأحوال المتشابهة ، والأخذ بالإنصاف والمقدلة ، إلى استعمال الظلم ورفع الحشمة ، حينئذ جازيناهم بمثل ما ابتدءونا . وذكر العريّان مثل لظهور الشر . وقد اشتمل هذا الكلام على تفسير البيت الذى يتلوه ، وهو قوله :

٤ - ولم يبق سوى المدوّا ن دناهم كما دانوا

المدّوان والعداء والعدوّ^(١) : الظلم . وأما قوله دناهم كما دانوا ، والأول ليس بجزء ، فهذا ليلهم إلى المطابقة والموافقة ، وإخراج اللفظ في معرض صاحبه^(٢) ليُعلم أنّه جزاؤه على حدّه وقدره ، أو ابتداؤه . وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ و ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ وما أشبهه . وجواب لما صرّح « دناهم » . وقوله في البيت التالى^(٣) هو تفصيل لما أجمله قوله دناهم ، لأنه فسّر كيف كان ذلك الجزء . والدّين لفظة مشتركة في عدة معان : الجزء ، والعادة ، والطاعة ، والحساب . وهو هاهنا الجزء . ويقولون : « كما تدين تدان » أى كما تصنع يصنع بك .

٥ - مَشِينَا مِشِيَةَ اللَّيْثِ غَدَاً وَاللَّيْثُ غَضَبَانٌ^(٤)

كرّر الّليث ولم يأت بضميره تفخيماً وتهويلاً ، وهم يفعلون ذلك فى أسماء

(١) كذا ضبط فى الأصل ، ومثله العدد بالفتح أيضاً .

(٢) يعنى ما يسميه البلاغيون المشاكلة .

(٣) قبلها : (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) ..

(٤) م : « الثانى » .

(٥) التبريزى : « ويروى : شددنا شدة الّليث » :

الأجناس والأعلام . قال عدى :

لا أرى الموت يسبقُ الموتَ شئاً ، نَقَصَ الموتُ ذا الغنى والفقيراً^(١)

فيقول : سَمَّينا إليهم مِشْيَةَ الأسد ابتكر وهو جائع ، وكُنِيَ عن الجوع بالغضب لأنه يصحبه . وهذا التشبيه أخرج ما لا قوة له في التصوُّر إلى ما له قوة فيه ، ومن روى « عَدَا » على أن يكون من العدوان فليست روايته بحسنة ، لأنَّ الليث في أكثر أحواله ظالمٌ عادٍ . والمِشْيَةُ : اسم الحالة التي يكون عليها الماشي في مشيه ، والمِشْيَةُ المَرَّة الواحدة ، والفعل يتعدَّى إلى كلٍّ واحد منهما . والليث من أسماء الأسد . ويقال : استَلَيْثَ الرجل ، إذ اشتدَّ وقوى .

٦ - بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِيْءٌ نَّ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانٌ^(٢)

تَمَلَّقَ الباء منه بِمِشْيَتِنَا ، أى مَشَيْنَا بِضَرْبٍ في ذلك الضرب تضعيف للمضروب به ، وتذليلٌ ولينٌ . ويجوز أن يكون المعنى فيه تَوْهِيْءٌ وصوتٌ في القطع وكسرُ العظام وإِطَاقَةٌ وقوَّةٌ . ويكون حينئذٍ « تَخْضِيعٌ » من التَخْضِيعِ والتَخْضِيعَةُ وهما اختلاط الصوت في الحرب . ومنه خَضِيعَةُ بَطْنِ الفَرَسِ ، قال الأصمعيُّ : يقال « لِلسَّيَاطِ خَضِيعَةٌ » لا أذرى أَمِنْ الصَّوْتِ هو أو من القطع^(٣) . وقد روى بعضهم :

* وَالضَّارِبِينَ الْهَامَ تَحْتَ التَّخْضِيعَةِ^(٤) *

وقال : هى السيوف . و « إِقْرَانٌ » من قولهم : أَقْرَنَ فُلَانٌ ، أى أطلق .

(١) انظر الخزانة (١ : ١٨٣ / ٢ : ٤ / ٥٣٤ : ٥٥٢) وسيبويه (١ : ٣٠) .

(٢) التبريزي : « ويروى : تَوْنِيعٌ ، وهو القطع . ويروى :

بضرب فيه تفجيع وتأييم وإرئان »

(٣) م : « أم من القطع » .

(٤) الرجز للبيد في ديوانه ٧ - ٨ وأمالى ثعلب ٤٥٠ والخزانة (٤ : ١١٧) . وهى

مع قصبتها في الخزانة وأمالى المرتضى (١ : ١٣٤ - ١٣٧) والحيوان (٥ : ١٧٣)

والأغاني (١٤ - ٩١ - ٩٢) والعمدة (١ : ٢٧) .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّنِينَ ﴾ . وفي الأول ^(١) إقرآن من قولهم : أقرن الدمل ، إذا نضج ولان . ويقال استقرن الحبن أيضا . و « تخضيع » من الخضوع يكون ، وهو الذل . ويقال خضع الرجل وأخضع ، إذا كين كلامه للنساء . وفي الحديث : « نهى أن يخضع الرجل لغير امرأته » ، أى يلبين كلامه .

٧ - وطمن كغم الزق غذا والزق ملان

كرر ذكر « الزق » كما كرر ذكر الليث فيما قبله . وهذا الوصف أبلغ من قول النابغة :

* وطمن كإيزاع المخاض الضوارب ^(٢) *

وهذا التشبيه أبرز ما يقل في الاعتماد في صورة ما يكثر فيه : ومثله :

فجبهناهم بضرب كما يخذ رُج من خربة المزاد الماء ^(٣)

أى ويطمن في اتساعه وخروج الدم منه كغم الزق إذا سال بما فيه وهو مملوء . وغذا يغذو غذوا ^(٤) ، إذا سال . وغذاه يغذوه غذوا . والاسم الغذاء . فأما قول الهذلي ^(٥) :

* فالطنن شفشعة والضرب هيقة ^(٦) *

فهو حكاية صوت الوقع ، وقوله « غذا » في موضع النصب على الحال ، والأجود أن يجعل « قذ » مضمرة ^(٧) .

(١) يريد في أصل استعماله .

(٢) ويروى : « كإيزاغ » بالغين المعجمة . وصدوره كما في ديوانه ٨ :

* بضرب يزال الهام عن سكناته *

(٣) البيت للحارث بن حازة اليشكري في معلقته . شرح القصائد العشر للتبريزي ٢٦٦ .

(٤) كذا ضبط في الأصل . وفي اللسان : « غذوا » بالفتح .

(٥) عبد مناف بن ربيع الهذلي .

(٦) عجزه . * ضرب المعول تحت الديمة المضدا *

(٧) ابن جني : « غذا حال من المضاف إليه ، وهو قليل . ويجب أن تكون قد

ها هنا مرادة لزوفة ، أى قد غذا ، من حيث كانت قد تقرب الماضي من الحال » .

٨ - وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْغَابُ

يَعْتَذِرُ مَنْ تَرَكَهُمْ التَّحَلُّمَ مَعَ الْأَوْدَاءِ وَالْأَقَارِبِ ، لَمَّا كَانَ مُفْضِيًّا إِلَى اكْتِسَاءِ ذَلِكَ ، وَاكْتِسَابِ خُضُوعٍ وَعَارٍ . وَالتَّقْدِيرُ : بَعْضُ الْحِلْمِ إِذْغَابُ لِلذَّلَّةِ عِنْدَ جَهْلِ الْجَاهِلِ . وَهَذَا إِذَا تَوَقَّعَ أَنْ الْمُحْتَمِلَ إِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَهُ خَوْفًا وَتَجَرُّأً ؛ لَا مَيْلًا مِنْهُ إِلَى التَّجَاوُزِ وَالْإِغْضَاءِ وَاسْتِيقَاءِ الْأُخُوَّةِ وَالْوِدَادِ . وَيُقَالُ : أَدْعَنَ لِكَذَا : إِذَا انْقَادَ لَهُ . وَمِنْهُ نَاقَةٌ مِدْعَانُ . وَأَدْعَنَ بِكَذَا : أَقَرَّ بِهِ .

٩ - وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ

قَوْلُهُ « فِي الشَّرِّ نَجَاةٌ » أَرَادَ : وَفِي دَفْعِ الشَّرِّ ، لِحَذْفِ الْمُضَافِ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَيَحْزَنُ أَنْ يَرِيدَ : وَفِي عَمَلِ الشَّرِّ نَجَاةٌ ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ وَفِي الْإِسَاءَةِ تَخَلُّصٌ إِذَا لَمْ يُخَلِّصْكَ الْإِحْسَانُ . وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : « الطَّغْنُ يَظَارُ » أَيْ يَفْطِفُ ، وَكَأَنَّ زُهَيْرَ :

وَمَنْ يَنْصِرِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذَمٍ^(١)

وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرِي مِنْهُ مَجْرَى الْعِذَارِ مِمَّا أُجْرِيَ إِلَيْهِ مَعَ الْقَوْمِ ، فَاعْلَمْهُ وَيَقُولُونَ أَيْضًا : « مَنْ لَمْ تُقَوِّمِهِ السَّكَرَامَةُ قَوِّمْتَهُ الْإِهَانَةُ » .

٣

وَقَالَ أَبُو الْغُولِ الطَّهَوِيُّ^(٢) :

الْفَوْلُ مَا خُوِذَ مِنْ غَالِهِ يُقُولُهُ غَوْلًا ، إِذَا أَهْلَكَهُ . وَهُمْ يُسَمُّونَ كُلَّ دَاهِيَةٍ

(١) م : « يطيع العوالي » ، وهي الرواية المشهورة .

(٢) شاعر إسلامي كان في الدولة المروانية . الخزائن ٣ : ١٠٩ واللائق ٥٧٩ .

غولاً . وبذلك سموا الشيطانَ والحَيَّةَ^(١) غولاً . والغِيلانَ عِنْدَهم سَحْرَة الجنّ . قال :

* كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثَوَابِهَا الْغُولُ^(٢) *

١- فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَّقُوا فِيهِمْ ظُنُونِي

لَقَطَهُ لَفْظُ الْخَبَرِ . وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدَّعَاءِ . يَقُولُ : تَفَدَى نَفْسِي مَالِي أَجْمَعُ فَوَارِسَ يَكُونُونَ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِمْ فِي الْحَرْبِ ، وَقَدْ رُويَ آخِرُ الْبَيْتِ عَلَى وَجْهِ تَقَارُبِ مَعَانِيهَا . روى : « فَوَارِسَ صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي » . وَيَكُونُ ظُنُونِي فِي مَوْضِعٍ رَفَعَ بِصَدَّقَتْ وَبُرُوي : صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي « بَفَتْحِ الصَّادِ . وَتَضْمِينِ عَيْنِ الْفِعْلِ يَدُلُّ عَلَى التَّكْثِيرِ . وَظُنُونِي يَرْتَفِعُ بِالْفِعْلِ . وَتَخْصِيصُ الْيَمِينِ فِي قَوْلِهِ : « وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي » لِفَضْلِهَا وَقُوَّةِ التَّصَرُّفِ بِهَا . وَهُمْ يَقِيمُونَ الْبَعْضَ مَقَامَ الْجُمْلَةِ فَيَنْسُبُونَ إِلَيْهِ الْأَحْدَاثَ وَالْأَخْبَارَ كَثِيرًا ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ . وَقَوْلُهُمْ : عُدْتُ بِحَقِّهِ فُلَانٌ . وَهُوَ عَبْدُ الْمُقَدَّرِ^(٣) ، وَحُرُّ الْوَجْهِ ، وَلَيْسَ الْقَفَا وَمَا أَشْبَهَهُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ . وَفَوَارِسَ شَاذٌ فِي الْجُمُوعِ عِنْدَ سِيَبَوِيهِ ، لِأَنَّ فَوَاعِلَ إِنَّمَا تَكُونُ جَمْعَ فَاعِلَةٍ فِي صِفَاتٍ مَا يَمُقِلُ دُونَ فَاعِلٍ ، وَاسْتَدْرَكَ عَلَى سِيَبَوِيهِ هَالِكٌ فِي الْمَوَالِكِ .

وَيْتُ الْفَرَزْدَقِ :

وَإِذَا الرَّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابِ نَوَاسِ الْأَبْصَارِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالْحَيَّة » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) لَكُمِبُ بْنُ زَهِيرٍ ، وَصَدْرُهُ :

* فَمَا تَدْرُومُ عَلَى وَصَلِ تَكُونُ بِهِ *

(٣) الْمُقَدَّرُ : مَنَتِي مَنَبَتِ الشَّعْرِ مِنْ مَوْخَرِ الرَّأْسِ .

ويثُ عُتَيْبَةُ بن الحارث :

* ومثلي في غَوَائِبِكُمْ قَلِيلُ *

وقال أبو العباس المبرد : هو الأصلُ في جميعه ، ويجوز في الشعر .

٢- فَوَارِسُ لَا يَمْلُونُ الْمَنَآيَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزَّبُونُ
مَلَّتْ الشَّيْءَ أَمَلَهُ مَلَالًا وَمَلَالَةً وَمَلَلًا ، إِذَا سَمِعْتُهُ . ويقال : فَلَانٌ
ذو مَلَةٍ طَرِفٌ ، إِذَا حَجَرَ بِشْيءٍ فَتَطَرَّفَهُ . قال :
* إِنَّكَ وَاللَّهِ لَذُو مَلَةٍ ^(١) *

ويجوز الرفعُ في فوارِس على أن يَكُونَ خبر ابتداء مُضْمَرٍ ، كأنه قال :
هم فوارِسُ . ويجوز النصب فيه على أن يَكُونَ بدلًا من فوارِسِ الأولى ،
ولا يَمْلُونُ في موضع الصفة للفوارِس . والمعنى فَدَّتْ نفسى فوارِسَ لا يَضْجُرُونَ
بمكايدة الحرب ^(٢) وَمَقَاسَاةِ الشدائد فيها ، ولا يكرهون المقاتلة إِذَا دَارَتْ رَحَى
الحرب بأهلها . والزَّبُونُ : الدَّفُوعُ ، ومنه الزَّبَانِيَةُ . وإنما شَبَّه الحربَ بالنافقةِ
الزَّبُونِ فوصف بصفتها ، وهى التى تَزِينُ حَالَهَا وتدفمهُ برجلها . قال :

تَزِينُ بِالْأَخْفَافِ وَالْمَنَاسِمِ عَنْ ذِرْوَةٍ تَخْضِبُ كَفَّ الْهَاشِمِ
ويقولون : ثَبَّتَ فَلَانٌ فى مَرَحَى الْحَرْبِ ، أى حيثُ دارت رحاها .
وَمَنِيةٌ وَمَنَايَا ، كصحيفةٍ وَحَثَائِفَ ، والأصل مَنَائِي فاستثقلتِ الضمةُ فى الياء
فخذت ثم فروا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحه فانقلبت الياء ألفًا فصارت
مَنَاءً ، فأبدلوا من الهمزة لتوسطها أَلْفَيْنِ يَاءً فصارت مَنَايَا .

٣- وَلَا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنِ بَسْنَى وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غَاطِ بِلَيْنِ ^(٣)

(١) لعمر بن أبي ربيعة فى اللسان (طرف) وإصلاح المنطق ٢٢٢ ، ٢٨٨ . وعجزه

* يطرفك الأدنى عن الأبعد *

(٢) م : « لمكايدة » .

(٣) التبريزى : « ويروى : من حَسَنٍ بِسْوَءٍ ، ومن حَسَنٍ بِسْوَئٍ ، على فعلٍ » .

هذا الكلام من صفة الفوارس . يريد أنهم يعرفون تجاري الأمور
ومقادير الأحوال فيوازنون الخشن بالخشين واللين باللين ، كما قال الآخر :

تَجَازِي الوَافِي بِكَيْسِلٍ وَافٍ مَلَانٍ وَالطَّفَافُ بِالطَّفَافِ

وقوله « بَسِيءٌ » أراد بَسِيءٌ خَفَفَ ، كما قالوا في هَيْنٍ هَيْنٌ وفي لَيْنٍ
لَيْنٌ . وروى بعضهم : بَسِيءٌ ^(١) . والمعنى أنهم يزيدون في الخراء على قدرِ
الابتداء . وليس ذلك بشيء لأنَّ سَيِّئٌ في مقابلةِ حَسَنٍ ، كَمَا أَنَّ اللَّيْنَ في
مقابلةِ الغِلْظِ ، وفي المُدُولِ عنه إلى سَيِّئٍ إِخْلَالٌ بِالتَّعَابُلِ ، والبيت إنما حَسَنَ به .

٤ - وَلَا تَبْلَى بِسَاَلَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

يقال : بَلَى الثَّوبُ يَبْلَى بِلَى وَبَلَاءٌ ^(٢) ، ويستعار فيقال : لِبَسْتَ فَلَانَا
وَبَلَيْتَهُ ، إذا اسْتَمْتَعْتَ بِهِ وَتَمَلَّيْتَهُ . وإنما يصفهم بالاستمرار على حالة واحدة
في مُزَاوَلَةِ الْحَرْبِ ، وَأَنَّ شَجَاعَتَهُمْ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَبْلَى عِنْدَ امْتِدَادِ الشَّرِّ ،
وَاتِّصَالِ الْبَلَاءِ . وَالبَسَاَلَةُ تُوصَفُ بِهَا الْأَسَدُ وَالرَّجَالُ ، يقال أَسَدٌ بَاسِلٌ
وَبَسُولٌ . كما يقال رجل باسل وبسول . قال امرؤ القيس :

* مَا غَرَّكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ ^(٣) *

و « صَلُّوا » هو من صَلَّيْتُ بِكَذَا أَيِ مُنَيْتُ بِهِ ، وهو من الْفِعْلِ فَعِلُوا
بكسر العين ، ولهذا انضمَّ اللام من صَلُّوا ، ولو كان فَعَلُوا بفتح العين لقال صَلُّوا ،
كما قيل دَعَوْا وَرَمَوْا . فَإِنْ قِيلَ : فَأَيْنَ جَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ « وَإِنْ هُمْ صَلُّوا
بِالْحَرْبِ » ؟ قِيلَ : هو مُتَقَدِّمٌ ، والتقدير إِنْ صَلُّوا وَمُنُّوا بِالْحَرْبِ لَمْ تَحْلُقْ
شَجَاعَتَهُمْ . وَفَصْلٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَإِنْ بِـ « هُمْ » ، لأنه ماضٍ لَمْ يَظْهَرْ فِيهِ أَتْرُؤُ إِنْ

(١) المسمى : المثل . وهما سيان أى مثلان .

(٢) التبريزي : « إذا فتحت الباء مددت ، وإذا كسرت قصرت » .

(٣) صدره كما في ديوانه ١٤٨ :

* قولاً لدودان عبيد العصا *

بالجزم . ولو كان الفعل مُسْتَقْبَلًا لَظَهَرَ الجزمُ فيه ، وَلَمَّا حَسَنَ الفصلُ بينه وبين إن بالاسم . يَقْبَحُ أَنْ يُقَالُ إِنَّ زَيْدًا يَأْتِنِي أَكْرَمُهُ ، وَقَوْلُ إِنَّ اللَّهَ أَقْدَرَنِي عَلَى زَيْدٍ فَقَلْتُ بِهِ كَذَا . وهذا شيءٌ يجوز في إن دون سائر حروف الجزاء ، لأنه الاصلُ في الجزاء والحرفُ الذي لا يزولُ عنه . وروى بعضهم : « لَا تُبْلَى بِسَائِلَتُهُمْ » من بَلَوْتُهُ إِذَا اخْتَبَرْتُهُ ، ويكون المعنى لا يمكن اختبار شجاعَتِهِمْ فَيَعْرِفُ غَوْرَهَا وَمُنْتَهَايَهَا عَلَى مَرَّ الْأَزْمَانِ ، واختلاف الأحوال .

٥- هُمْ مَنَعُوا حَتَّى الْوَقْبِ بِضَرْبٍ يُؤْلَفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُنُونِ^(١)

قوله « بضرب يؤلف » وقد وقع المنع والضرب جميعاً حكايَةً حال ، لولا ذلك لقال : بضرب ألف . ومثله في القرآن : ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . يقول^(٢) : هؤلاء القوم الذين أشرتُ إليهم بقولي : فوارس صدّقوا فيهم ظُنُونِي ، هم الذين منعوا حتى هذا المكان بِضَرْبٍ يجمع بين المنايا المتفرقة . وهذا تقييدٌ بعد إطلاق ، وتخصيصٌ بعد تعميم : وَالْحَتَّى : موضع الماء والكلا . ويقال : أُحْتِيتُ الْمَكَانَ ، أى جعلته حَتَّى . وَحَمِيَّتُهُ : ذَبَبْتُ عَنْهُ . وقوله « يؤلف » من صفة الضرب ، ويحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون المعنى إن هؤلاء لو بقوا في أماكنهم ولم يجتمعوا في هذه المعركة لَوَقَّعَتْ مَوَاتَهُمْ مَتَفَرِّقَةً في أماكنٍ متغايرة ، وَأَزْمِنَةً متفاوتة ، فلما اجتمعوا تحت الضرب الذي وصفه صار الضربُ جامعاً لتلك المنايا ووجوهها . وَحُكِّيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْضَرِيرِ^(٣) أَنَّ الْمَعْنَى إِذَا وَقَعَ بِهِمْ أَلْفٌ بَيْنَ أَقْدَارِهِمُ الَّتِي قَدَّرَتْ عَلَيْهِمْ . ويجوز

(١) الوقبى ضبط في الأصل وم بسكون القاف ، وضبطه ياقوت بفتحها . وانظر ليوم الوقبى شرح التبريزي ومجمع البلدان والخزانة (٣ : ١٠٧) والميداني (٢ : ٣٥٧) .
(٢) م : « فيقول » .

(٣) هو أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير . لقي أبا عمرو الشيباني وابن الأعرابي . وكان يلقب الأعراب الفصحاء الذين استوردتهم ابن طاه نيسابور فيأخذ عنهم ، مثل عرام ، وأبى الميثيل . نكت الهميان ٩٦ - ٩٨ .

أن يكون للمعنى أن أسباب الموت مختلفة، وكان هذا الضرب جمع بين الأسباب كلها. ويجوز أن يكون المراد ضرباً لا ينفُسُ المضرِب ولا يمهله، لأنه جمع فَرَق الموت له. وقوله «أشتاب المُنون» واحداً شَت. والمُنون: الموت، وهو من مَنَنْتُ أى قطعت.

٦- فَكَبَّ عَنْهُمْ دَرَهُ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ
نَكَبَ قد جاء متعدياً إلى مفعولين، قال أوس:

نَكَبْتُهَا مَاءُهُمْ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ صُهَبَ السَّبَالِ بِأَيْدِيهِمْ بِيَازِيرُ
والأكثر نَكَبْتُ عَنْ كَذَا. يقول: حَرَفَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذَا
الضَرْبُ اعْوِجَاجَ الْأَعْدَاءِ وَخِلَافَهُمْ، وَدَاوُوا الشَّرَّ بِالشَّرِّ. وهذا كما يقال:
«الحديد بالحديد يُفْلَحُ». وكما قيل: «لَا يَقُلُ الْحَدِيدُ إِلَّا الْحَدِيدَ». وأصلُ
لِلنَّكَبِ: اللَّيْلُ، ولذلك يقال نَكَبْتُ الْإِنَاءَ، إِذَا أَمْلَيْتُهُ. وَنَكَبَ
الرَّجُلُ نَكَبَةً. وعلى هذا النَّكْبَاءُ فِي صِفَةِ الرِّيحِ: وَالذَّرَّةُ، أَصْلُهُ الدَّفْعُ،
ثُمَّ اسْتَقْمِلَ فِي الْخِلَافِ، لِأَنَّ الْمُخْتَلِفِينَ يَتَدَافَعَانِ. ومثله:
* وَقَوَّمتُ عَنْهُ دَرَاهُ فَتَنَكَّبَا^(١) *

٧- وَلَا يَرْعَوْنَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنِي إِذَا حَلُّوا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ
يُروى: «وَلَا رَوْضَ الْهُدُونِ»، وهو أَفْصَحُ. وَالْهُدُونُ: الصُّلْحُ
وَالشُّكُونُ. وفي الحديث: «هُدْنَةٌ عَلَى دَخْنٍ»، أى صُلْحٌ عَلَى فَسَادٍ دَخِيلَةٍ.
يُصَنِّفُهُم بِالْمِيلِ إِلَى الشَّرِّ، وَالْحَرْصُ عَلَى الْقِتَالِ وَالْقَتْلِ، وَأَنَّهُمْ يُوْثِرُونَ جَانِبَ
الْخُصُومَةِ عَلَى الصُّلْحِ، وَنَاحِيَةَ الدُّعْرِ عَلَى السُّكُونِ، فيقول: لَا يَرعى هَؤُلَاءِ

(١) لابن مفرغ الحميري، كما في البيان (٢: ٢٨١). وصدده:

* فَيَارِبْ خَصْمٍ قَدْ كَفَيْتِ دَفَاعَهُ *

للقوم جوانب الخصال السهلة والأمور الهيئة ، ولا ينزلون منازل الأمن والراحة . والهويي : تصغير الهوى ، والهوى : تأنيث الأهون . ويجوز أن يكون الهوى فُعْلَى اسماً مبنياً من الهيئة ، وهى السكون . ولا تجعله تأنيث الأهون .

٤

وقال جعفر بن علبه الحارثي ^(١) :

١- أَلْهَفَى بَقْرَى سَحْبَلٍ حِينَ أَحْلَبْتُ عَلَيْنَا الْوَلَايَا وَالْمَدْوُ الْمُبَاسِلُ
التلثف يكون على الفاء بعد الإشراف عليه ، يقولون : وا لَهْفَاهُ ،
ووالَهْفَ أُمَامَ . وَلَهْفَ نفسه وأُمَّه إذا قال ذلك . وفى المثل : « إلى أُمَّه
يَلْهَفُ اللَّهْفَانِ » . وقوله « أَلْهَفَى » يجوز أن يكون مُنَادَى مَفْرَدًا ، ويجوز
أن يكون مضافًا . فإذا جَعَلْتَهُ مضافًا فَإِنَّ أَصْلَهُ أَلْهَفَى أو أَلْهَفٍ . فإذا كان
أَلْهَفَى فَكَأَنَّهُ فَرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت أَلْفَا . وعلى ذلك
يا غُلَامًا أَقِيل . وقوله :

* وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ وَابَا بَاهُما *

وإنما المعنى بَأَبِي هُما . وعلى ذلك طريقتهما فى مَدَارِي وَمَدَارَى ، وَعَذَارَى
وَعَذَارَى ، وَصَحَارَى وَصَحَارَى ، وَفِي بَقَى بَقَى ، وَفِي رَضَى رَضَى ^(٢) . وإذا كان
أَلْهَفٍ يكون الألف قد زِيدت لامتداد الصوت به ليكون أدل على التحشُّر .
وكذا إن جعلته أَلْهَفَ مَفْرَدًا يكون الألفُ زِيدت لذلك . ومعنى « أَحْلَبْتُ » :
أطاعت . وأصله الإطاعة فى الحَلَبِ خاصة ، ثم استمرت فى الإطاعات كُلِّها . وقد

(١) فى الأصل : « عليه » سواه فى م والتبريزى والمهجع وابن جنى .

(٢) التبريزى : « ويروى : أجلبت . والأصل الجلبة رفع الأصوات » .

(٣) بقى ورضى ، بفتح القاف والفساد لفه طيى ، يعملون كل ياء انكسر ما قبلها
ألفا . اللسان (بقى) .

يكون الشيء مختصاً في الأصل ثم يصير بالعرف عائناً ، كما قد يكون عاما في الأصل ثم يصير به مختصا . ورؤى : « الولايا » وهي جمعُ الوليّة ، وهي البرذعة ، وهي تكون كنايةً عن النساء إن شئت ، وعن الضعفاء الذين لا غناء عندهم إن شئت . ويشبه هذا قول أم تأبط شراً تؤبته : « وا ابناء ليس بمُلفوف ، حُشِي من صوف ، تُلَفُّهُ هُوف ^(١) » . وقولهم : « هو كالجلس الملقى » . ويروى : « اللوالى » ومعنى البيت أنه يتلف لِمَا نزل بهم في الموضع الذي ذكره حين أعان الأعداء عليهم كَوْنُ الحُرَمِ مَعَهُمْ أو مَنْ يجرى تجرّى الحُرَمِ من الضعفاء الذين لا دِفَاعَ بهم ؛ لِمَا وَجَبَ عليهم من الذبِّ عنهم ، والاشتغال بالحماية عليهم . ومن روى الموالى — وهم أبناء العم — فإنما خَصَّهم بالذكر لأن الجفاء منهم أشدَّ تأثيراً في النفس . ألا ترى أن من كان بنو عمه عليه فهو كمن قُوَّتْ بسلّاحه ، ألا ترى إلى قول الآخر حيث يقول :

مَخَافَةٌ جَوْرِ مِنْ أَمِيرٍ مُسَلِّطٍ وَرَهْطِي وَمَا عَادَكَ مِثْلُ الْأَقَارِبِ

والعدو إشارة إلى الجنس . وللبأسل ، من البسالة . وأجراه على لفظ العدو لا على معناه . وفي القرآن : (فَأَيُّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ^(٢)) .

٣- فقالوا لنا ثنتان لا بُدَّ منهما صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلَاسِلُ

الناء في « ثنتان » كالتاء في بنتان ، إلا أنه لم يُستعمل واحده كما استعمل بنت . وكذلك التاء في اثنتان كالتاء في ابنتان إلا أنهم لم يقولوا اثنة كما قالوا ابنة . والشاعر حكى ما دار بينهم عند الالتقاء فيقول : أدارنا ^(٣) أعداؤنا على

(١) الملفوف : الجاني الكثير اللحم والشعر . والهوف : الريح الحارة . وفي اللسان (هوف) : « وقيل لم يسمع هذا إلا في كلام أم تأبط شرا » .

(٢) إلا رب العالمين ، من م فقط .

(٣) كذا في الأصل وم بتقديم الدال ، وهي هنا أليق من « أدارنا » .

خَصَلَتَيْنِ حَكَمُوا عَلَيْنَا بِهِمَا، وَخَيَّرُونَا فِيهِمَا، وَهُوَ ^(١) الاستسلام الذي آخره الأسر، أو القتل الذي أوله الامتناع والدفع. وقوله «ثنتان» أراد خصلتان اثنتان، ثم فسرها بقوله «صُدُورُ رِمَاحٍ [أُشْرِعَتْ] ^(٢)» وخصّ الصدور لأنّ المقاتلة بها تقع، ويجوز أن يكون ذكر الصدور وإن كان المراد الكل كما قال:

* الواطئين على صدور نعالهم *

وإن كان الوطء للصدور والأعجاز. وكفى عن الأسر بالسلاسل. وقوله «لا بدّ منهما» أراد لا بدّ منهما على طريق التعاقب لا على طريق الجمع بينهما، وإلا سقط التخيير الذي أفاده «أو» من قوله «أو سلاسل ^(٣)». ألا ترى أنّه إذا قال خذ الدينار أو الثوب، وكل السمك أو اشرب اللبن، فليس فيه الجمع بينهما. وإذا كان الأمر على هذا فالعنى لا بدّ من إحداها ^(٤). و«أشّرت»: هيئت للطعن. وكذلك شُرعت. ويُستعمل في السيف أيضا وكان الأصل فيه مشارع المياه. وفي المثل: «أهونُ الورْدِ التشريع»، أي إيراد الشريعة.

٣- فَقُلْنَا لَهُمْ تِلْكَ إِذَا بَعْدَ كَرَّةٍ تُعَادِرُ صَرَغِي نَوْهَا مَتَخَاذِلُ يَقُول: أجبناهم وقلنا تلك، [أي تلك ^(٥)] التخييرة وذلك التحكم. ولا يجوز أن تكون الإشارة بتلك إلى واحدة من هاتين الخصلتين اللتين تقدّم ذكرهما، لأنّه لا اختيار فيهما لاختار حكمه هؤلاء، إلا أن يكون الكلام على طريق

(١) الوجه «وهما».

(٢) هذه من م.

(٣) كلمة «أو» هنا من م فقط.

(٤) قال ابن جني: «لك في منهما وجهان: إن شئت كان على حذف المضاف، أي لا بدّ من إحداها. ألا تراء قال أو سلاسل. أو إنما توجب أحد الشيئين. وإن شئت كان على ظاهره لا بدّ منهما جميعا. فصدور الرماح لمن يقتل، والسلاسل لمن يؤسر، أي يكون بهضته كذا وبعضنا كذا».

(٥) هذه من م.

التهمك والسخرية . والمعنى إنا يكون ذلك بعد عطفة وجولة تترك بيننا قوماً مصروعين يخذلهم النهوض ولا يطيقون الحراك . وإذا ، هو جوابٌ وجزءٌ ، وهو مُلغى هاهنا . وكُم من تَلَكُم للخطاب لا للضمير ، فلا موضع له من الإعراب . واختار أن يقول « متخاذل » لأن هذا البناء يختص بما يحدث شيئاً بعد شيء . على ذلك قولهم تداعى البناء^(١) كأن أجزاء النهوض يخذل بعضها بعضاً فلا يكمل ، وكأنه أنكر عليهم الاشتراط والتحكم والإجاء منهم إلى ذلك ، فقال : يسوغ ما ابتدأتم فيه لكم بعد جولة يتعقبا هذا الأمر . ويجوز أن يكون الحكم والتخيير بقوله « ثنتان لا بد منها » وقع بين الحرب والاستئثار ، لا القتل والاستئصال ، فاختاروا المحاربة . والإشارة^(٢) بقوله تلکم حينئذ يجوز أن تكون على ما قدَّمته ، ويجوز أن تكون إلى ما دَلَّ عليه قوله أو سَلَّسِلُ ، من الأسر فكأنه قال : الخصلة الثانية تؤخرها وننظر في الأولى ماذا يَنْتَهِجُ منها . وقوله « تُغَادِرُ » صفةٌ للكرة ، وقوله « نوءها » الضمير يعود^(٣) إلى صَرَغَى ، والجمع مآله إلى التأنيث ، ولو قال نوءهم لكان أحسن . والنوء : النهوض ، وهو أصل المناواة ، وإن اشتهرت في المعادة . ويكون النَّوْءُ : السقوط أيضاً . ويُشَبِّه هذا قول الآخر :

* بنوء بصدرة والرمح فيه *

٤- ولم ندر أن جِضْنَا من الموت جِيضَةً كَمِ العُمُرُ باقٍ والمدى مُتَطَاوِلٌ^(٤)

(١) م : « البيان » .

(٢) م : « ويكون الإشارة » .

(٣) م : « يرجع » .

(٤) البريزي : « كلهم روى هذا البيت إن جِضْنَا من الموت جِيضَةً ، بكسر الهمزة على ما مر تفسيره ، غير أبي العلاء المعري فإنه أخذ على أن جِضًا بفتح الهمزة . وكأنه ذهب في هذا إلى أن إن بكسر الهمزة لما يستقبل ، وأن بفتح الهمزة لما مضى . والشاعر في ذكر قصة قد مضت فيحمل قوله أن جِضْنَا بفتح الهمزة ، على تقدير لما جِضْنَا » .

جاضَ عن قِرْنِهِ وحاصَ بِمَعْنَى، أَيْ عَدَلَ وانحَرَفَ. والعُمُرُ والعُمُرُ لفتانٍ :
 الحياةُ والبقاء . ومنه قولُهُم : لَعُمُرُ اللَّهِ ، وعَمَرَكَ اللَّهُ . إلا أَنَّهُ في اليَمِينِ لا يستعمل
 إلا بفتح العين . وقوله « كم العُمُر » في موضع الظرف ، والمعنى كم يوماً أو وقتاً
 العمر باقٍ . وارتفع العمر بالابتداء . والواوُ في قوله « واللدَى متطاوِلُ » واو الحال ،
 أَيْ كم العمر باقٍ ومداه متطاوِل . ولم يأت بالضمير لأنَّ الواو أغْنَى عنه ، والمعنى
 لم نَعْلَمْ إِن عَدَلْنَا عن الحرب عَدَلَةً كم بَقِيَ من أعمارنا ، وغايات العمر ممتدة
 مبهمه حتَّى لا ينتهي أحدٌ منها إلى حَدٍّ إلّا وكما يرجو أن يتصل بـ «مداه» أيضاً
 لا يَأْمَنُ أن ينقطع ، فكأنه قال : إذا كان الحال في الأعمارِ على هذا أبداً
 فلا معنى للمُدُولِ عن الحرب ، إذ لا يمتنعُ مع تطاول اللدَى في رجاء العُمُر أن
 يَقْصُرَ في نفسه وينقطعَ عن المأمول فيه . ويجوز أن يتعلق الحال الذي دَلَّ
 عليه « واللدَى متطاوِلُ » بـ « جِضْنَا » . والتقدير لم نَذَرِ إن جِضْنَا ومدَانَا
 متطاوِلُ كم العمر باقٍ أَيْ مَدَى رجائنا . وهذا حَسَنٌ عندى . ويجوز أن
 يكون الواو عاطفةً كأنه قال : لم نَعْلَمْ كم العُمُر باقٍ وكم اللدَى متطاوِلُ إِن
 جِضْنَا . وحكى عن بعض المتأخرين أَنه قَسَرَ العُمُرَ على أَنَّهُ الحِينُ ، قال ومنه
 قوله تعالى : ﴿ قَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ وهذا إذا حُقِّقَ يرجع إلى الأول (١) .

٥- إذا ما ابْتَدَرْنَا مَازِقاً فَرَجَتْ لَنَا بِأَيِّمَانِنَا بِيضٌ جَلَّتْهَا الصِّيَافِلُ

يقول : إذا ما اسْتَبَقْنَا إلى مَضِيقٍ في الحرب وَسَعَتْهُ لَنَا سَيُوفٌ مَضْفُوفَةٌ بِأَيِّمَانِنَا

(١) ابن جنى : « لك فيكم وجهان إن شئت جعلتها زماناً فنصبها حينئذ على الظرف
 بياق ، أى يبقى عشرين أو ثلاثين . وإن شئت جعلتها أفعالا فنصبها حينئذ على المصدر ، أى
 أبقية تبقى أم ألف بقية أم أقل أم أكثر ، وهى منصوبة أيضاً بياق » .

والفائدة في قوله « جعلتها الصياقل » اهتمامهم بإصلاح آلات الحرب ، لدوام
مزاولتهم لها^(١) . وجعل الفعل للشيء على المجاز والسعة .
٦- لهم صدر مسيني يوم بطحاء سحبل ولي منه ما ضمت عليه الأنامل^(٢)
هذا مثل قوله :

منابرهن بطون الأكف وأغماذهن رموس الملوك
وإن كان في هذا تقسيم خلا منه المشتبه . ولك أن تروى « ما ضمت
عليه الأنامل » و « ضمت » ، فإذا قلت ضمت فالمعنى قبضت عليه الأنامل^(٣) .
وإذا قلت ضمت فالمعنى قبضته الأنامل . والبطحاء والأبطح : مسيل فيه دقاق
الحصى واسع . وهما صفتان أخرجتا إلى باب الأسماء . وبطحاء مكة وأبطحها
معروفان ، والتأنيث والتذكير فيهما يَحْمَلَانِ على البلدة والبقعة ، والبلد
والسكان ، إلا أنه لا يقال مكان أبطح ولا بقعة بطحاء . ويقال : تبطح
السيل ، إذا سال عريضا . فأما « سحبل » فاسم موضع أضيف البطحاء إليه ،
كما يقال تخراه سحبل . ويقال ضب سحبل ، إذا كان عريض البطن .
ولا يمتنع أن يكون المكان سمي به لاتساعه .

٥

وقال أيضا :

٢- لا يكشف الغماء إلا ابن حرق يرى غمرات الموت ثم يزورها
معنى « يرى غمرات الموت » أن يتحققها بالممارسة حتى يصير كأنه أدركها

(١) التبريزي : « وقوله جعلتها الصياقل ، ضرورة ، لأن السيوف لا تجلوها إلا
الصياقل ، ولو كان يجاوها غيرهم وكان جلائهم إياها فضل على جلاء غيرهم لكان لذكورهم هاهنا
معنى . . . ولو قال اجتهد في صتلها الصياقل وما أشبه كان حسنا » .

(٢) م : « ولي فيه » . (٣) انظر الحماسة ٨٢ .

(٤) م : « قبض عليه بالأنامل » .

بحاسة العين وشاهدَها، فيقول: لا يكشف الخصلةَ الشديدة إلا رجلٌ كريم. يرى قَحْمَ الموتِ ثم يتوسطُها ويصبرُ فيها ولا يَبْدُلُ عنها. وإنما قال «ابنُ حُرّة» لينبّه على زوال الهُجْنَةِ منه، وخلوص مولده مما يشوبه، وليصيرَ كَرَمَهُ مِهْجَةً لَا تَفْتِيهِ، ومصبراً له على كلِّ ما يُدْفَعُ إليه من الشرِّ إلا أن يُزِيلَهُ. ولأنَّ ما يَسْتَنكِفُ منه العربُ هو الهُجْنَةُ إذ كان من ليس أبوه من العربِ خارجاً من أن يكون عربياً. والغَمَاءُ والغَمُّ والغُمَّ والغَمُّ مَرَجُعٌ جميعها إلى التَغَطِّيَةِ. فإن قيل: لم عَطَفَ الزَّيَارَةَ على رؤية الغَمَرَاتِ بِحَرْفِ المُهْلَةِ، وهَلَّا جعلها عَقِيبَ الرُّؤْيَةِ؟ قالت: إنَّ «نُثْمَ» وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدلُّ على التراخي فإنه في عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك. ألا ترى قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾. فكُلُّ رَقِيَةٍ. أو إطعامٌ في يوم ذى مَسْفِيَةٍ. يقيماً ذا مَقَرَّةٍ. أو مسكيناً ذا مَقَرَّةٍ. ثمَّ كان من الذين آمنوا. ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء مما عدَّده وذكره^(١).

٢- تُقَاتِلُهُمْ أَسْيَافُنَا شَرٌّ قِسْمَةٍ قَفِينَا غَوَاشِيَهَا وَفِيهِمْ صُدُورُهَا

وَصَّعَ «قِسْمَةٍ» موضع مقاسمة: أراد شرٌّ مُقَاسِمَةٍ. وانتصاب «شَرٌّ» على المصدر. والغَوَاشِي: القَوَائِمُ، ونسكون الأَعْدَادَ أيضاً. والصُّدُورُ، أراد بهما المضارب، وإنما قال: شَرٌّ قِسْمَةٍ، لأنَّ مَنْ حِجَلَ على مثل هذه القِسْمَةِ فيما يُقَاتِلُهُمْ عليه كان الشرُّ لَهُ. وهذا أيضاً مثلُ قوله:

• لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءَ سَحْبَلٍ^(٢) •

(١) زاد التبريزي: «وأصل الزيارة الميل، وهو من الزور، والميل في أحد الشقين، فقوله يزورها، أي يميل إليها فيأتيها».

(٢) من الحماسية السابقة.

والمعنى قاسمناهم سيوفنا فقيما مقابضها وفيهم مضاربها^(١).

٦

وقال أيضا :

١- هَوَايَ مَعَ الرِّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وَجُنْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقٌ

هذه الأبيات ضمنها هذا الباب لما اشتملت عليه من حُسن صبره على البلاء، وقلة دُغره من الموت والفناء^(٢)، واستهانت به بوعيد المتوعد وحذقه برِسْقَانِ المُقَيَّد. و«هَوَايَ» ياء الإضافة فُتِحَتْ منه على الأصل، وذلك أن هذه الياء لما كان ضمير اسم على حرف واحد متطرف كرهوا أن تُسَكَّنَ فَتَحْتَلَّ^(٣) فجعلوا من أصله التحريك، فإذا كان ما قبله متحركا كغلامي وداري: كان لك فيه وجوه: تحريك الياء وهو الأصل، وتسكينه تخفيفا، وحذفه من النداء إذا قلت يا غلام، وإبدال الألف منها مع انفتاح ما قبلها كقولك يا أباهما ويا غلاما أقبل. وإذا سَكَّنَ ما قبله فتى كان راوا أو ياء أذغم فيه ولم يكن بُدْثُ من تحريكه لثلاثا يلتقي سا كنان، تقول مُسْلِمِي في الجميع^(٤) ومسلمي في الثنية. وإذا كان ما قبله أَلِفًا كَعَصَايَ وَقَفَايَ وَهَوَايَ، لم يكن بُدْثُ من الإتيان به على الأصل، وهو تحريكه، لثلاثا يلتقي سا كنان أيضا، ولا يجوز الإدغام هاهنا كما جاز مع الواو والياء، لأن الألف لا تُدْغَمُ في شيء ولا يُدْغَمُ فيها غيرها، لكونها هوائية

(١) ابن جني: «في هذا البيت دلالة على قوة شبه الظرف بالفعل، وذلك أنه عطف قوله: فقيما غواشيها على قوله: فقسامهم، ومن شرط المعطوف أن يكون وفق المعطوف عليه».

(٢) هذا ما في م. وفي الأصل: «من الموت والقتل».

(٣) م: «أن يسكن فيختل».

(٤) م: «في الجميع».

لا مُعْتَمِدَ لَهَا فِي الْحَرَجِ ، إِلَّا فِي لُغَةِ هَذَيْلٍ ، لَأَنَّهُمْ يُبَدِّلُونَ مِنَ الْأَلْفِ الْيَاءَ وَيُذَغِمُونَ . عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمْ فَتَخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضَرَعٌ^(١)

وَالْيَمَانُونَ : جَمْعُ يَمَانٍ ، وَالنِّسْبَةُ إِلَى يَمَنٍ يَمْنَى ، لَكِنَّهُ حُذِفَ إِحْدَى يَاءِ النِّسْبِ وَأُنِيتِ بِالْأَلْفِ عِوَضًا مِنْهُ . وَمِثْلُهُ شَامٌ وَتَهَامٌ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ هَوَايَ رَاحِلٌ وَمُبْعَدٌ مَعَ رُكْبَانِ الْإِبِلِ^(٢) الْقَاصِدِينَ نَحْوَ الْيَمَنِ ، مُنْظَمٌ إِلَيْهِمْ ، مَقُودٌ مَعَهُمْ ، وَبَدَنِي مَأْسُورٌ مُقَيَّدٌ بِمَكَّةَ . وَرَاكِبٌ وَرَكْبٌ مِثْلُ تَاجِرٍ وَتَجَرٍ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْجُمَانِ إِنَّهُ الشَّخْصُ وَالْجُمَانُ الْجَنَسُ ، هَكَذَا قَالَ الْأَصْمَعِيُّ . وَالشَّخْصُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ قَائِمًا . وَالْخَلِيلُ ذَكَرَ فِي الْعَيْنِ أَنَّ الْجُمَانَ وَالْجُمَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَأَضْعَدَ فِي الْأَرْضِ : أَبْعَدَ ، وَحُسِكِي أَنْ صَعْدَةَ أُمِّمْ عِلْمٌ لِلْأَرْضِ ، وَأَنْ الصَّعِيدُ مِنْهُ . وَلِهَذَا قِيلَ لِحُمُرِ الْوَحْشِ : بَنَاتُ صَعْدَةَ ، وَأَوْلَادُ صَعْدَةَ . وَهَذَا إِنْ ثَبَتَ فَهُوَ كَمَا يُقَالُ بَنَاتُ الْبَرِّ . وَقَوْلُهُ « جَنْيَبٌ » أَيْ جَنْبُوبٌ مُسْتَنْبَعٌ . وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَرْوِيهِ « حَيْثُ^(٣) » ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ لَفْظًا وَمَعْنَى .

٣- عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنِّي تَخَلَّصْتُ إِلَى وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُفْلَقُ

يَقُولُ : تَعَجَّبْتُ مِنْ سَيْرِ هَذِهِ^(٤) الْخِيَالِ إِلَى ، وَمِنْ حُسْنِ تَوْضِيحِهَا مَعَ هَذِهِ الْحَالِ ، وَهُوَ أَنَّ بَابَ السَّجْنِ مَرْتَجٌ^(٥) دُونِي . فَإِنَّمَا تَعَجُّبُهُ مِنْ سَيْرِهَا فَعَلَى غَاةِ الْعَرَبِ وَالشُّمَرَاءِ فِي وَصْفِ الْخِيَالِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُجْرُونَهَا بِجَرَى الْمَرَاةِ نَفْسِهَا ،

(١) الْبَيْتُ لِأَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلِي ، مِنْ قَسِيدَتِهِ الَّتِي رَفَى بِهَا بَنِيهِ . وَهِيَ أَوَّلُ دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ م .

(٣) لَمْ يَذْكُرِ التَّبْرِيزِيُّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ .

(٤) كَذَا وَرَدَتْ ، كَأَنَّهُ جَمَلَ الْخِيَالِ . وَنَوْنًا لِأَنَّهُ خِيَالٌ أُنْثَى .

(٥) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « مَرْتَدٌ » .

فيستطرفون منها ما يُستطرفُ من تلك لو وَقَعَ الفعل منها على الحقيقة مع
نَعْمَتِهَا . وهذا كما قال غيره :

طَرَقَ الخِيَالُ وَلَا كَلِمَاتُ مُدْجٍ سَدِكََا بِأَرْحَلِنَا وَلَمْ يَتَعَرَّجْ^(١)
وكما قال الآخر^(٢) :

وَأَنَّى اهْتَدَتْ والدُّوُّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَا خِلْتُ سَارِي اللَّيْلِ بِالْذُّوِّ يَهْتَدِي
وَأَمَّا تَعَجُّبُهُ مِنْ تَوَصُّلِهَا فَهُوَ تَعَجُّبٌ مِنْ لُطْفِهَا فِي ذَلِكَ ، وَحُسْنِ تَأْتِيهَا ،
مَعَ الْعَوَارِضِ وَالْمَوَانِعِ . وَالْمَسْرَى يَصْلُحُ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا وَمَكَانًا
وَوَقْتًُا وَالْبَيْتُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ وُجُوهِهِ . وَأَنَّى مَعْنَاهُ كَيْفَ ، أَوْ مِنْ أَيْنَ ، كَذَا
قَالَ سَبُوبُهُ . وَقَدْ تَجَرَّدَ لِأَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى كَيْفَ فِي قَوْلِ الْكَمِيتِ :

* أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ آبَكَ الطَّرَبُ *

٣- أَتَنَفَّاهِجَيْتِ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ

التَّحِيَّةُ : السَّلَامُ وَالْمُلْكُ وَالْبَقَاءُ . وَالْمَحْيَا : الْوَجْهُ مِنَ الْإِنْسَانِ ، لِأَنَّهُ يُخْصَرُ
عِنْدَ النِّسْلِمِ بِالذِّكْرِ فَيُقَالُ حَيًّا اللَّهُ وَجْهَكَ ، وَإِنْ كَانَتْ الْجُمْلَةُ مُتَلَقَّةً بِهِ . وَقِيلَ
التَّحِيَّةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْ الْحَيَاءِ . وَالْمَحْيَاةُ : تَحِيَّةُ الْقَوْمِ بِمَعْصَمٍ بَعْضًا . وَالْمَحْيَا
مِنَ الْفَرَسِ : حَيْثُ انْفَرَقَ اللَّحْمُ تَحْتَ النَّاصِيَةِ . فَيَقُولُ حَاكِيًا لِحَالِ الْخِيَالِ : جَاءَتْهَا
فَسَلَّمَتْ عَلَيْنَا ، نَمَّ لَمْ تَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى قَامَتْ وَأَعْرَضَتْ ، فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتْ
النَّفْسُ تَخْرُجُ فِي أَرْهَا . وَيُرْوَى : « أَلَمْتُ لَخْتِ » . وَالْإِلْمَامُ : الزِّيَارَةُ الْخَلْفِيَّةُ .
وَقَوْلُهُ « لَمَّا تَوَلَّتْ » جَوَابُهُ « كَادَتْ النَّفْسُ » وَهُوَ عَلَمٌ لِلظَّرْفِ . وَمَتَى كَانَ عَلَمًا
لِلظَّرْفِ لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ جَوَابٍ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ لَوْ قَوَّعَ الشَّيْءُ لَوْ قَوَّعَ غَيْرَهُ . وَتَزْهَقُ

(١) مطلع قصيدة للحارث بن حمزة اليشكري ، في المفصليات (٢ : ٥٥) .

(٢) هو الخطيئة من قصيدة في ديوانه ٢١ - ٢٥ .

خبر كادت ، لأن كاد^(١) كان وأخواته ها هنا إذا وقع بعده الاسم ، وهو موضوع لمشارفة الفعل ومشاقفته ، ولهذا وجب ألا يكون معه « أن » .
 تقول : كاد يفعل ، ولا يجوز أن يفعل إلا في الشعر . ومعنى تزَهَقُ : تهلك ، ومنه قيل للبئر البعيدة القعر والمثيلة البعيدة : زاهقة وزهوق . وفي القرآن : ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ . ويجوز أن يريد به في البيت تخرج في إثرها سريعة لما توت . ومنه زَهَقَتِ الرَّاحِلَةُ : تقدّمت . وزَهَقَ السَّهْمُ : أسرع .

٤- فَلَا تَخْشَيْ أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لَشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
 ترك الإخبار عنها وأقبل عليها مخاطبها ، جرياً على عادتهم في التنقل والافتتان في التصرف . ومعنى تَخَشَّعْتُ : تكلفتُ الخشوع . والخشوع في البصر كالخضوع في البدن . ويقال : اختشع فلان ، إذا طأطأ رأسه رامياً ببصره إلى الأرض وهو خاشع الطرف خاضع العنق . يقول مستهيناً بما اجتمع عليه من الحبس والتقييد ، ومتبجحاً عندها بالصبر على الهوى والتهالك فيه — وبهذا دخلت الأبيات في الحماسة — لا تظنني أني تكلفتُ الخشوع بعدكم لشيء عارض ، ولا أني أخاف من الموت . والفروق : الخوف ، وهو فَرَقٌ وفُرُوقٌ وفَرُوقَةٌ . وقال :

* أَنْوَرًا سَرَعَ مَاذَا يَأْفُرُوقُ^(٢) *

فإن قيل : فأين مفعول تحسبي ؟ قلت : قد نابت الجملة ، وهي قوله « أني تخشعت بعدكم » عن المفعولين . ألا ترى أن تقديره لا تحسبيني خاشعاً ، فكما أن المفعولين يحصلان من دون « أن » كذلك إذا دخل « أن » في الكلام

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « لأنه كادت » .

(٢) صدر بيت لزغبة الباهلي ، أو مالك بن زغبة الباهلي ، أو أبي شفيق الباهلي .
 اللسان (نور ، حذق) ، وعجزه :

* وحبل الـصل منتكث حذيق *

ينوب مع ما بَدَّهَ عنهما ، لأن اللفظ بالمفعولين قد حَصَلَ وإن كانا في صلة أن .
وأن وما بعده في تقدير اسم ، وهذا كما تقول : لو أنك جئتني لأكرميك ،
إذ كنت قد لفظت بالفعل في صلة أن ، وإن كنت لا تقول لو جئتك .

٥- وَلَا أَنْ نَفْسِي يَزِدُّهَا وَعِيدُكُمْ وَلَا أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقْتُ^(١)

الوعيدُ والوعْدُ من أصل واحد ، وإن كان أحدهما ضمّانا في الخير والآخر
ضمّانا في الشر ، لكنه فرّق بين المعنيين بتغيير البناءين ، كما فعلوا مثل ذلك
في العدل والعدل ، فعملوا أحدهما في الأناسي والآخر في غيرهم . يقول :
ولا تظنني أن نفسي يستخفها تهديدكم ، ولا أنني تجرت بالرّسّان ، وهو المشي
في القيد . ويقال زهأه زهواً وازدهاه ، إذا استخفه . ويُستعمل الزّهو في الباطل
والتزيّد في القول . يقال : قال زهواً ، وفي الكبر يقال زهي لا غير ، وهو
مزّهو ، والأصل الخفّة . والأخرق : القليل الرّفق بالشئ . وقال أهل اللغة :
الخرق : ضدّ الرفق . وفلان رقيق وفلان أخرق . وربما قالوا : فلان صنّع
وفلان أخرق . قال :

* وَهِيَ صَنَاعُ الرَّجُلِ خَرَقَاءَ الْيَدِ *

ويروى «أخرق» بضم الراء فيكون فعلاً ، و«أخرق» بفتح الراء فيكون صفةً .

٦- وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ كَمَا كُنْتُ أَتْنِي مِنْكَ إِذَا نَامَ طَلِقْتُ^(٢)

قوله « كما كنت أتني منك » ، الأجود أن يكون « ما » موصوفة غير

(١) أشار التبريزي إلى أنه يروى : «وعيدهم» ، وابن جني إلى رواية : «ولا أنا
بمن يزدهم وعيدهم» .

(٢) السالك ابن جني إلى رواية : «مائة» بدل «صباية» .

موصولة ، لأنك إذا جعلتها موصولة كانت معرفة وفي تقدير الذي ، والقصد إلى تشبيه صباية مجهولة بمثلها ، والتقدير عَرَّتْ صباية تشبه صباية كنت أكابدها فيك في ذلك الوقت . كأنه شبه حاله فيها بعد ما مئني به ^(١) بحاله من قبل . ومفعول أَلْقَى محذوف تخفيفاً له ، [أراد ^(٢)] كما كنت ألقاه منك . ويقال عَرَّاه وأعرَّاه بمعنى واحد . ومنه عَرَّاه الدار وعَرَّوتها بفتح العين ، أي حيث تُعَرَّى منه أي تُؤْتَى . يقول : ولكتي تعروني في الهوى رقة شوق وجهد صباية ، كما كنت أفاقيه منك وفيك حين كنت مُطلقاً ومُخْلِ . والفعل من الصَّباية صَبَّبتُ بكسر الباء ، والصفة صَبَّ . وقوله « إذ أنا مطلق » الجملة في موضع جر بالإضافة ، وقد شُرح بها « إذ » كأنه قال : وقت إطلاق ^(٣) .

٧

وقال أبو عطاء السندي ^(٤) :

اِذْ كَرْتُكَ وَالْخَطِيءُ يَخْطُرُ يَنْفَنَّا وَقَدْ نَهَاتَ مِنَّا الْمُتَقَفَّةُ السَّمُرُ

يعني بالخطي رُمح نفسه ، أي يتردد بالطعن . كأنه يصور حاله وما يكابده في مجاهدة أعدائه . والخط : سيف البحرين وعُمان ^(٥) وإليه يُنسب القنا .

(١) به ، باتفاق النسختين ، فالضمير الحال . وفي التبريزي : « بها » .

(٢) هذه من م والتبريزي .

(٣) أورد التبريزي عقب شرح هذه المقطوعة « حديث جعفر بن علية الحارثي وسبب حبسه وقتله » ، وهو حديث طويل .

(٤) التبريزي : « واسمه أفلح مولى عنبر بن عماك بن حصين ، وكان به عجة شديدة . يحمل الجهم زايا والشين سينا ، وهو من شعراء بني أمية » . وانظر ترجمته أيضا في الشعر والشعراء ٧٤٢ والأغاني ١٦ : ٧٨ - ٨٤ والخزانة ٤ : ١٦٧ .

(٥) وردت في النسختين بتشديد الميم ، وهو ضبط لا تقرأه المعاجم ولا كتب البلدان . وهذه هي المجاورة للبحرين . وأما المشددة الميم المفتوحة العين فهو التي بالشام .

وكان قولهم : الخطيئة ، وهي أرض لم تُنظر بين أرضين ممتورتين ، مبهمة .
وانخطر أصله التحرك ، يقال مرَّ يخطر خطرًا ، وخطر البعير بذنبه خطرًا
وخطرًا . فنتبه بهذا الكلام على قلة مبالاته بالحرب ، وأن نفسه تآقت والرمح
يختلف بالطعن بينهم^(١) إليها حتى كانت تلك همّة وشغله ، فقال : ذكركم
بقلبي ورماح الخط تضرب في الحرب بيننا ، وقد رويت منا أي من
دمائنا^(٢) . وروى بعضهم : « وقد نهكت^(٣) منا الثقة » من نهك
المرض ، وليس بشيء : ومصدر ذكركم ذكركم بضم الذا ، لأن الذكر
بالقلب والذكر باللسان . والاسم من نهكت النهل . والمورد : النهل : وقد
عدّ الناهل في الأضداد ، لوقوعه على الرّبان والعطشان ، وكان حقيقة النهل
أول السقي ، والاكتفاء به قد يقع وقد لا يقع^(٤) فلذلك استعمل الناهل
في الرّوي والعطش .

٢ - فوالله ما أدري وإني لصادقٌ أداء عراني من حبابك أم سحرٌ

أقسم بالله على استواء عليه^(٥) بالحالتين اللتين ذكرهما . ويستى الألف التي
في قوله « أداء عراني » ألف التسوية ، لهذا الذي ذكرناه . وكذلك لو قال :
ليت شعري أزيد في الدار أم عرو ، لكان الألف ألف التسوية أيضًا ، لأنه
بتمنيه العلم بما ذكره من الأمرين ، دلّ على استواء درايته بهما : « وعراني » ،
معناه أصابني . يقال عراه يعروه ، واعتراه يعتريه ، وعره يعرّه بمعنى واحد .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « بينهما » .

(٢) أشار ابن جني أن جملة « وقد نهكت » بدل من الحال الأولى ، أو هي حال من

الضمير في « بيتنا » .

(٣) كذا في النسختين بالبناء للمفعول .

(٤) بعض النحويين لا يميز هذا التعبير ، وهو إيلاء النافي لفظ « قد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من م .

و « الْحَبَابُ » بمعنى الْحَبِّ ، كأنه مصدر حَبَيْتُهُ . وقد يكون مصدر حَابَيْتُهُ ويكون من اثنين . ويكون أيضا جَمَعَ الْحَبِّ ، وكأنه جَمَعَهُ على اختلاف أحواله فيه ، كما تُجْمَعُ الشَّمْسُ على مواقعِهَا . وَيُرْوَى « جَنَابُكَ ^(١) » والمعنى من ناحيتك . وقوله « إِنِّي لَصَادِقٌ » يجوز أن يريد به صِدْقُهُ في الخبر ، ويجوز أن يُرِيدَ بَرَّهُ في الحلف ، ومرجع الوجهين إلى معنى واحد .

٣- فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فَاغْذِرْنِي عَلَى الْهَوَىٰ . وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَاكِ الْعُذْرُ

السَّحَر والنَّوْبِ يرجعان إلى معنى واحد ، ولذلك قال تعالى : ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ ، أى أخرجوه على وَجْهِهِ في مَرَأَى الْعَيْنِ وحقيقته على خِلافِهِ . وَالسَّحَّارَةُ ^(٢) : لُعْبَةُ ذَلِكَ صِفَتُهَا . ويقال عَنَزُ مَسْحُورَةٌ ، إِذَا عَظُمَ ضَرُّهَا وَقَلَّ لَبُّهَا . وأَرْضٌ مَسْحُورَةٌ ، إِذَا لَمْ تُنْبِتْ شَيْئًا : فيقول : إِنْ كَانَ مَا بِي سِحْرًا فَلِي عُذْرٌ فِي هَوَاكِ ، لِأَنَّ مِنْ يُسَحَّرُ يُحْبِبُ ، وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَ السَّحَرِ فَالْعُذْرُ لَكَ ، لِأَنِّي وَقَعْتُ فِيهِ بَتَعَرُّضِي لَكَ ، وَفِكْرِي فِي مَحَاسِنِكَ ، وَالِدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ « فَاغْذِرْنِي » فِي مَوْضِعٍ قَلِي عُذْرٌ ، مَا قَابَلَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ « فَلَاكِ الْعُذْرُ » . وفي هذا إسقاطُ سؤال السائل : لم قال اعْذِرْنِي وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى بَسْطِ الْعُذْرِ مِنْ لَهُ ذَنْبٌ أَوْ يُتَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ ، وَانْتِصَابِ « دَاءٍ » عَلَى أَنَّ يَكُونُ خَبَرَ كَانَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَإِنْ كَانَ مَا بِي دَاءً . ويجوز أن يكون تَوَهَّمُ أَنَّ تِلْكَ تَصَوَّرْتَهُ ^(٣) بِصُورَةِ الْمَذْنِبِ ^(٤) فَمَا أَظْهَرَهُ مِنْ عَشِقِهِ فَقَالَ لَهَا : إِنْ أَنْتِ فَتَنْتِنِي

(١) زاد التبريزي : « من جنابك » بالكسر ، أى بجانبك .

(٢) ضبط في م بتخفيف الحاء ، والصواب تشديدها كما في اللسان . قال : « شيء يلعب به الصبيان إذا مد من جانب خرج على لون ، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر يخالف وكل ما أشبه ذلك سحارة » .

(٣) م : « صورته » .

(٤) في الأصل : « الذنب » صوابه في م والتبريزي .

وَأَوْقَعْتَنِي فِي حِبَالَتِكَ لِمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ مِنْ مُحَاسِنِكَ فَلَئِنْ عُدْتُ حِينَ افْتَقَنْتُ ،
لَأَنْ مِثْلَ مُحَاسِنِكَ تُزِلُّ الْعَفِيفَ ، وَتَنْقُلُ عَنْ طَبَعِهِ الْحَلِيمَ . وَإِنْ كُنْتُ
الْمُتَعَرِّضَ لَكَ وَالْجَالِبَ عَلَى نَفْسِي مَا شَقِيتُ بِهِ ، فَالْعُدُّ لَكَ .

٨

وقال آخر^(١) :

١- وَفَارِسٍ فِي غَمَارِ الْمَوْتِ مُنْغَمِسٍ إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهِهِ صَدَقًا^(٢)

جَعَلَ الْمَوْتَ غَمَارًا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْمَاءِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ مُنْغَمِسًا فِيهَا فَحَسُنَتْ
الاستعارة جدًا : وَتَأَلَّى وَاتَّكَلَى وَآلَى مِنَ الْأَلْيَةِ . وَلَا حِلْفَ نَمَّ ، إِنَّمَا يَرِيدُ
الْحَثْمَ وَالْإِيحَابَ ، فَيَقُولُ : رَبُّ فَارِسٍ دَاخِلٌ فِي شِدَائِدِ الْمَوْتِ إِذَا حَلَفَ
عَلَى مَا يُكْرَهُ مِنْهُ أَوْ يَكُونُ كَرِيهًا فِي نَفْسِهِ بَرًّا وَلَمْ يَحْنَثْ أَنَا فَعَلْتُ بِهِ كَذَا .
وَيُرْوَى « مَكْرُوهَةٌ » وَالْمَعْنَى خَصَلَةُ تُكْرَهُ وَتُسْقُ . فَعَلَى هَذَا يَكُونُ صِفَةً
مُفْرَدَةً عَنِ الْمَوْصُوفِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا كَالْمُصَدَّوْقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ
الْمُصَادِرِ الْجَائِيَةِ عَلَى زِنَةِ الْمَفْعُولِ . وَأَضَافَ الْمَكْرُوهَ إِذَا رُوِيَ « مَكْرُوهٌ »
إِلَى الْفَارِسِ لَوُقُوعِهِ مِنْهُ . وَالْمُنْغَمِسُ : الدَّاخِلُ فِي الشَّيْءِ ، يَقَالُ غَمَسْتُهُ
فِي الْمَاءِ وَغَيْرِهِ ، وَرَجُلٌ مُغَامِسٌ لِلَّذِي يَفْشَى الْحَرْبَ وَيَتَرَدَّدُ فِيهَا . وَالْفَعْمَارُ
وَالْفَعْمَرَاتُ جَمْعُ غَمْرَةٍ ، وَهِيَ فِي الْمَاءِ وَالْحَرْبِ وَالشَّرِّ تَرْجِعُ إِلَى السَّتْرِ .
وَيَقَالُ رَجُلٌ مُغَامِرٌ ، إِذَا أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْغَمَرَاتِ وَالْمَهَالِكِ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ
« فِي غَمَارِ الْمَوْتِ » بِضَمِّ الْغَيْنِ ، وَكَسَرُهَا أَجُودُ مَعَ ذِكْرِ الْمُنْغَمِسِ .

(١) م : « آخر » فقط . وعند التبريزي وابن جني : « وقال بلعاء بن قيس الكنانى » .

وكان بلعاء هذا رأس بنى كنانة في حروبهم ، وهو شاعر محسن . المؤلف ١٠٦ . ومات قبل
يوم الحرية ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار . العقد الفريد .

(٢) يروى « مكروهه » بالإضافة إلى الهاء ، و« مكروهه » بالفاء في آخره .

٢ - غَشِيَتْهُ وَهُوَ فِي جَأَوٍّ بِأَسَلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَاَنْفَلَقَا

الْعَضْبُ : الْقَطْعُ ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : عَضْبُهُ عَنْ حَاجَتِهِ ، أَيْ حَبْسَهُ ،
وَامْرَأَةٌ مَعْضُوبَةٌ أَيْ مَعْضُوبَةٌ^(١) ، وَسَيْفٌ عَضْبٌ أَيْ قَاطِعٌ ، كَأَنَّهُ وَصِفَ
بِالْمَصْدَرِ . وَالتَّغَشَّى أَصْلُهُ الْإِثْيَانُ وَالْمَلَابَسَةُ ، وَمِنْهُ الْغِشَاوَةُ : الْغِطَاءُ . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ
حَتَّى قِيلَ تَغَشَّاهُمْ بِالْعَدْلِ أَوْ الْجَوْرِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً
مِّنْهُ ﴾ . فَقَوْلُهُ غَشِيَتْهُ ، هُوَ كَمَا يُقَالُ قَنَنْتُهُ ، وَهُوَ جَوَّابُ رَبِّ فَارِسٍ هَكَذَا
أَنَا ضَرْبَتُهُ وَهُوَ فِي جَيْشٍ تَأَمَّ السَّلَاحَ كَرِيهَ الْإِقَاءِ ، بِسَيْفٍ قَاطِعٍ أَصَابَ وَسَطَ
رَأْسِهِ فَشَقَّهُ . وَالسَّوَاءُ : الْوَسْطُ هَاهُنَا ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ .
وَيَوْضَعُ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ ثُمَّ يَوْصَفُ بِهِ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ .
وَأَصَابَ ، بِمَعْنَى طَلَبَ وَبِمَعْنَى نَالَ ، وَيُقَالُ أَصَبْتُ الصَّوَابَ فَأَخْطَأْتُهُ . وَالْجَأَوُّ :
الْمُخْضَرَّةُ ، وَهُوَ مِنَ الْجُؤُوزَةِ ، يَعْنِي اخْضِرَارَ السَّلَاحِ . وَابْتَسَالَةُ تَسْتَعْمَلُ فِي
النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهِيَ الشَّجَاعَةُ . وَيُقَالُ رَجُلٌ بَاسِلٌ وَأَسَدٌ بَاسِلٌ وَبَسُولٌ . قَالَ :

• مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ^(٢) *

وَهَذَا يَمْحُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْبَسَلِ ، وَهُوَ الْحَرَامُ ، كَأَنَّهُ لَمْ تَمْنَعْهُ مُحَرَّمٌ .

٣ - بِضْرَبَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنِّي مُخَالَسَةً وَلَا تَعَجَّلْتُهَا جُبْنًا وَلَا فِرَاقًا

يُقَالُ تَعَجَّلْتُ الشَّيْءَ ، أَيْ تَكَلَّفْتُهُ عَلَى عَجَلَةٍ . وَيُقَالُ أَيْضًا أَعْجَلْتُهُ وَاسْتَعْجَلْتُهُ
وَتَعَجَّلْتُهُ بِمَعْنَى . وَانْخَلَسُ : أَخَذَ الشَّيْءُ مَخَالَسَةً ، وَقِيلَ الْإِخْتِلَاسُ أَوْحَى مِنْ
مِنْ الْإِخْلَاسِ . وَيُقَالُ هُوَ لَكَ خُلَاسَةٌ ، كَمَا يُقَالُ نُهْزَةٌ وَفُرْصَةٌ . يَقُولُ : غَشِيَتْهُ

(١) مَعْضُوبَةٌ ، سَاقَطَ مِنْ م .

(٢) لَا مَرَى الْقَيْسِ . وَصَدْرُهُ :

• قَوْلَا لِدُودَانِ عَجِيدٍ لِلْعَصَا •

سَيِّفًا بَانَ ضَرْبَتُهُ ضَرْبَةً هَكَذَا . فَأَمَّا قَوْلُهُ لَمْ تَكُنْ مِنِّي مُخَالَسَةً ، فَهُوَ خِلَافُ قَوْلِ الْآخَرِ ^(١) :

وَقَدْ أَخْتَلَسُ الضَّرْبَ : لَا يَدْمَى لَهَا نَضْلِي
وقول الهدلي ^(٢) :

* وَطَفَنَةِ خَلْسٍ قَدْ طَعَنْتَ مُرْشَةَ ^(٣) *

لأنَّ قصد الشاعر هاهنا إلى أَنَّهُ تَنَافَلَ مِنْ خَصْمِهِ مَا تَنَافَلَ بِتَثْبُتِ وَقْوَةِ قَلْبٍ لَا كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَبَانُ . وَثُمَّ يَذْكُرُ تَمَكُّنَهُ مِنْ خَصْمِهِ عَلَى شِدَّةِ احْتِرَازٍ مِنْهُ حَتَّى تَنَافَلَ مَا تَنَافَلَهُ خَلْسًا . وَقَدْ وُصِفَ الشَّجَاعُ بِالْمَخَالِسِ وَالْخَلِيسِ ، وَكَذَلِكَ الْأَصَارِعُ . وَمَنْ مَدَحَ خَصْمَهُ ثُمَّ ذَكَرَ غَلِبَتَهُ لَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي الْاِفْتِخَارِ بِهِ ، فَاعْرِفْ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ . وَقَوْلُهُ : « وَلَا تَجْعَلُنَا جُبْنًا وَلَا فَرْقًا » يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَاتِّصَابُ « جُبْنًا » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى مُصَدَّرًا لِعَلَّةٍ . وَالْمَعْنَى : وَلَمْ أَتَكَلَّفْ تَجَمُّلَهَا لَضَعْفِ قَلْبِي وَلَا لَخَوْفِي مِنْ صَاحِبِي . وَضَرْبَةُ الْجَبَانِ أَعْجَلُ وَأَسْرَعُ .

٩

وقال ربيعة بن مقروم الضبي ^(٤)

١ - وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ
أَطْرَادِ الْمَاءِ وَالسَّرَابِ ^(٥) وَالْكَلَامِ : اتَّسَقَتْ عَلَى حَدِّ الاسْتِقَامَةِ وَالْمُرَادِ .

(١) هو الفند الزماني ، أو امرؤ القيس بن عابس الكندي . انظر اللسان (دقنق) .

(٢) هو ربيعة بن الجحدر الهذلي . اللسان (محج) ويشرح أشعار الهذليين للسكري ٢٨٥

(٣) عجزه : * يمج بها عرق من الجوف قالس *

(٤) شاعر مخضرم ، ترجم له في الشعر والشعراء ٢٧٩ والأغاني ١٩ : ٩٠ - ٩٣

والإصابة . وفي المبهج : « الربيعة : بيضة الحديد ، والربيعة أيضا : الحجر الذي يرتفع ، أي

يشال : وأما مقروم فمفعول من قولك قومت الشيء بأستاني فهو مقروم ، أ مقطوع .

(٥) في الأصل : وهو الشراب ، ، والتوجه ما أثبتنا من م .

ويقال : جَذُولٌ مطرَدٌ ، وَبَلَدٌ طَرَّادٌ ، أى واسعٌ بطرد فيه السَّراب . وأراد بالخيل الفُرسان لا الأفراس ، ألا ترى أنه قال « يوم طَرَّادِها » . والطَّرادُ من الفُرسان : حَمَلٌ بعضهم على بعضٍ . وعلى هذا ما روى عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم ، وهو « يا خَبَلُ الله اركبى » . والمعنى حَضَرَتْهُمْ يوم تَطَّارُدُهُمْ بالرِّمَّاح وأنا على فرسٍ ضَخْمٍ سليم الأوظفة من العيوب . ول « شهدت » مَوْضِعَانِ : الحضورُ من قول الله تعالى : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْوُحُوشِ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وحينئذ يتعدى إلى مفعول واحدٍ . والعِلْمُ والتبيين ، على ذلك قول الله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، وحينئذ يتعدى إلى مفعولين . وقد يُقَسَّمُ به كما يُقَسَّمُ بِالْعِلْمِ ، فيقال يشهدُ الله كما يقال يعلمُ الله . فأما شهادةُ الشاهد فلا بدَّ من القول فيها . والهِيكَلُ أصله فى البناء العظيم ، ثم وُصِفَ به الفرس .

٢- فَدَعَوْا نَزَلَ فَكَنتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

قوله « دَعَوْا نَزَالَ » أى صاحوا : نزال نزال . ومنه قيل لتطريب النائمة فى نياحتها : التَّدَعَّى . وهذا كما قال الأعشى :

* قَالُوا الطَّرَادَ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا ^(١) *

وفى القرآن : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . ويجوز أن يكونوا جعلوا نَزَالَ على التوشع هى المدَّعْوَةُ وإن كانت دُعَى إليها ؛ ويشهد لهذا الوجه قولهم ^(٢) :

* دُعِيَتْ نَزَالَ وَلُحَّ فى الدُّعْرِ ^(٣) *

(١) مجزؤه : * أو تنزلون فلانا معشر نزل .

(٢) كذا فى النسختين .

(٣) لزهير بن أبى سلمى ، فى ديوانه ٨٩ . وصدره :

* ولنم حشر الدرر أنت إذا *

وفي القرآن : ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا . لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ . ونزال : اسمٌ لا نَزَلَ ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْكُسْرِ ، مَعْرُفَةٌ مُؤَنَّثٌ مَعْدُول . والدلالة على تأنيثه قول زهير :

* دُعِيَتْ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدَّعْرِ *

والمعنى تَدَاوَوْا وقالوا نَزَالٍ فَسَكَنْتُ أَوَّلَ الْفَازَيْنِ . ثم قال مظهرًا لترك التَّحْمُدِ بذلك ، وأنه فيما فعله كمن أَدَّى واجبًا عليه : « وعلام أركبه » .
 المعنى لأى شئ أركب فرسى إذا لم أنزل إذا دُعِيَتْ إِلَى النَّزَالِ . و « ما » من « عَلَامَ » حُذِفَ أَلِفُهُ لِأَنَّهُ فِي الْاسْتِفْهَامِ إِذَا اتَّصَلَ بِحَرْفِ الْجَرِّ يَخْفَفُ بِالْحَذْفِ ^(١) ، عَلَى ذَلِكَ بِمَ وَلَمْ وَفِيمَ وَعَمَ وَمِمَّ ، إِلَّا إِذَا اتَّصَلَ بِذَا فَيَقَالُ بِمَاذَا وَمَاذَا ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَاذَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ فَلَا يَغَيَّرُ « ما » ، وقوله « وعلام أركبه » إذا لم أنزل « يجرى مجرى الالتفاتِ ويقاربه ، وفائدته أنه أسقط التَّحْمُدَ بما فعله به . وفي طريقته من جهة المعنى قول الآخر :

وَلَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْكَرَامُ أَهْلَهُمُ إِلَّا مَتِيدَ السَّلَاحِ عَنْهُمْ أَنْ يَمَارِسَا
 ومثل الأول قوله :

عَلَامَ تَقُولُ الرُّمَحُ يُنْقَلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أُطْعَمَ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتِ ^(٢)
 ٣ - وَالَّذِي حَقَّقَ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلٍ
 أَخْرَجَ التَّشْبِيهَ مَا لَا يُدْرِكُ مِنَ الْعِدَاوَةِ بِالْحَسَنِ إِلَى مَا يُدْرِكُ مِنْ غَلِيَانِ

(١) وأحياناً لا يخف ، وقرئ : « عما يتساءلون » . وأنشدوا الحسان :

على ما قام يشتمنى لثيم كخنزير تمرغ في رماد

انظر حواشي البيان (٣ : ١٢٥) .

(٢) لمرو بن معديكرب . الحماسية ٣٠ .

الْقَدْرِ ، حَتَّى تَجَلَّى ، فَصَارَ كَالْمَشَاهِدِ^(١) . وَالْأَلَدُ : الشَّدِيدُ الْخُصُومَةُ . كَأَنَّهُ لَدَّ بِالْخُصُومَةِ ، أَيْ أُوجِرَ فَلَدَّ بِهِ . وَلِذَلِكَ كَانَ اللَّادُ مُصْدَرُ اللَّدِّ . وَيُقَالُ فِي مَعْنَاهُ أَلْتَدَّدَ^(٢) . وَالْحَنَقُ : شِدَّةُ الْغَيْظِ ، يُقَالُ أَخْنَقَهُ فَحَنَقَ ، يَقُولُ رَبُّ حَضَمٍ شَدِيدِ الْخُصُومَةِ ذِي غَيْظٍ وَغَضَبٍ عَلَى تَغْلَى عِدَاوَتِهِ لِي فِي صَدْرِهِ غُلْيَانٌ لِلرَّجُلِ بِمَا فِيهِ إِذَا كَانَ عَلَى النَّارِ ، أَنَا دَفَعْتُهُ عَنْ نَفْسِي . وَجَوَابُ رَبِّ هُوَ صَدْرُ الْبَيْتِ الثَّانِي . وَالْحَنَقُ يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّزُوقِ ، كَأَنَّ الْحَقْدَ لَزِقَ بِصَدْرِهِ ، وَمِنْهُ يُقَالُ أَخْنَقْتُ الدَّابَّةَ ، إِذَا حَمَرْتَهُ .

٤ - أَرْجَيْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَظِرِ مِنْ عَلٍ^(٣)
ذَكَرَ بَعْضُ التَّأَخَّرِينَ فِي أَرْجَيْتُهُ ، أَنَّ الرَّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ « أَوْجَيْتُهُ » وَمَاعِدَاهُ تَصْحِيفٌ . قَالَ . وَهُوَ أَفْعَلْتُهُ مِنَ الْوَجَى ، وَإِنَّمَا أُوجِبَ ذَلِكَ لِيَكُونَ لِفَقِّ قَوْلِهِ بِزُغْمِهِ : « وَكَوَيْتُهُ » . وَالْمَعْنَى أَذْلَلْتُهُ وَرَدَدْتُهُ رَاذِلًا كَرُزُوحِ الْفَرَسِ الْوَجَى . ثُمَّ أُنْشِدَ قَوْلَ طَرْفَةِ مُؤَنِّسًا بِهِ :

وَقَوْمٌ تَنَاهَوْا عَنْ أَذَاتِي بَعْدَمَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشَ السَّهَابِ^(٤)
قَالَ الشَّيْخُ : وَلَقَدْ قُضِيَتْ الْعَجَبَ مِنْ هَذَا الْمُسْتَدْرِكِ ، وَمِنْ ضَلَالِهِ عَنْ طَرِيقِ الرَّشَادِ فِيمَا قَصَدَهُ مِنَ الْمَعْنَى ، وَرَوَاهُ فِي الْإِسْتِشْهَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّ شِعْرَ طَرْفَةَ إِنَّمَا هُوَ :

(١) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « كَالْمَشَاهِدَةِ » .

(٢) وَيُقَالُ يَلْتَدَّدُ أَيْضًا .

(٣) ابْنُ جَنَى : « أَكْثَرُ مَنْ تَرَى يَرَوِي غَدَا الْبَيْتِ أَرْجَيْتُهُ بِالرَّاءِ ، فَإِذَا تَعَالَى شَيْئًا رَوَاهُ أَوْجَانُهُ ، وَكِلَاهُمَا تَصْحِيفٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَوْجَيْتُهُ بِالرَّاءِ ، أَيْ ذَلَّلْتُهُ وَقَهَرْتُهُ . كَذَلِكَ رَوَيْنَاهُ وَكَذَلِكَ وَجَدْتُهُ أَيْضًا فِي شِعْرِ الْقَبِيلَةِ » .

(٤) دِيوَانُ طَرْفَةِ ٥٦ . هَذِهِ الرَّوَايَةُ عَيْنُهَا فِي نَهَايَةِ الْقَصِيدَةِ . قَالَ مَدَانِعُ دِيْوَانِهِ : « وَلَمْ يَرَوْهُ الشُّعْرَى هَذَا الْبَيْتُ » .

وما زال شُرْبِي الرَّاحَ حَتَّى أَشَرَّنِي صَدِيقِي وَحَتَّى سَاءَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ^(١)
وَحَتَّى يَقُولَ الْأَقْرَبُونَ نَصَاحَةً دَعِ الْغَىِّ وَاصْرِمِ حَبْلَهُ مِنْ حَبَالِكَ^(٢)
وَحَتَّى تَنَاهَوْا عَنْ أَذَانِي بَعْدَ مَا أَصَابَ الْوَجَى مِنْهُمْ مُشَاشُ السَّنَابِكِ
فَقَوْلُهُ : « حَتَّى تَنَاهَوْا » لَيْسَ مِمَّا فَسَّرَهُ وَاسْتَشْهَدَ لَهُ بِسَبِيلٍ ، إِنَّمَا يُرِيدُ
طَرَفَهُ أَنَّهُ أَبْعَدَ غَايَتِهِ فِي الْخُسَارَةِ ، وَتَمَادَى فِي تَعَاطَى الصَّبَا وَالْجَهَالَةِ ، فَلَمْ يَصْغِ
لِلنَّاصِحِ ، وَلَمْ يَرْغَوْا لِعَاذِلٍ ، حَتَّى نَقَضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ إِيَابَتِهِ ، وَيَتَسَوَّاهُ مِنْ قَبُولِهِ
وِلْعَاتِهِ ، فَالْقَوْا حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ : وَصَارُوا مِنْ بَيْنِ نَاسِبٍ لَهُ إِلَى الشَّرِّ ،
وَمَسَى إِلَيْهِ فِي الْقَوْلِ ، وَقَازِفٍ إِيَّاهُ بِالْغَىِّ ، فَافْضَتْ بِهِمُ الْحَالُ إِلَى أَنْ تَنَاهَوْا
بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مِنْهُمْ الْعَنَاءُ كُلَّ مَبْلَغٍ ، وَأَثَرُ فِيهِمُ الْإِعْيَاءُ وَالْإِخْفَاءُ أَشَدُّ تَأْثِيرًا . أَلَا
تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ الْوَجَى فِي الْمُشَاشِ مِنَ السَّنَابِكِ مِنْهُمْ . فَهَذَا مَا عَلَيْهِ فِي الرَّوَايَةِ ،
وَالذَّهَابِ عَنْ طَرِيقَةِ الشَّاعِرِ . وَبَعْدُ فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ أَوْجِنْتُ الدَّابَّةَ عَنِّي وَيُرَادُ
الْإِخْفَاءُ ، وَلَمْ يُسَمَّ فِي التَّذْلِيلِ ذَكَرَ الْحَقَى وَالْوَجَى مُسْتَعَارًا كَمَا سَمِعَ الْكُتُبُ
وَالْوَسْمُ فِيهِ . وَبَعْدُ الْفَوْصِ^(٣) لَا يُدْرَى عَلَى مَاذَا يَهْنَمُ بِصَاحِبِهِ . وَالرَّوَايَةُ
الصَّحِيحَةُ « أَرْجَانَتُهُ » وَ « أَرْجِيَّتُهُ » وَهَاتَانِ ، وَالْمَنْزُ أَفْصَحُ .
قَدْ قُرِئَ : « تَرْجِيٌّ مِنْ تَشَاءِ مِنْهُنَّ » وَ « تَرْجِيٌّ » . وَيُرْوَى :
« أَوْحِيَّتُهُ » ، وَيُرْوَى : « أَرْجِيَّتُهُ » وَالْمَعْنَى يَتَقَارَبُ^(٤) فِي الْكُلِّ .
يَقُولُ : رَبُّ خَصْمٍ هَكَذَا أَنَا وَحِيَّتُهُ^(٥) عَنْ نَفْسِي وَصَرْفَتُهُ ، وَقَدْ أَبْصَرَ
رُشْدَهُ ، وَعَرَفَ مَقْدَارَ نَفْسِهِ ، فَعَادَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَشْتَطُّ فِيمَا لَهُ ،
وَيَتَغَابَى عَمَّا عَلَيْهِ . وَالْقَصْدُ : مَا لَا سَرَفَ فِيهِ ، وَلَقَدْ كَانَ قَلِيلَ اقْتِصَادٍ فِي

(١) ديوان طريقة هه واللسان (شرر) مع تحريف . أشره : نسبة إلى الشر .

(٢) الديوان : « ذر الجهل واصرم حبلها »

(٣) م : « الفرض » .

(٤) م : « والمعنَى يَتَقَارَبُ » .

(٥) وحاه توحية : عجله .

كذا . وطريقٌ قاصِدٌ ، إذا كان على حَدِّ الاستواء . ومن كلامهم : ضَلَّ
عن قَصْدِ الطريق ، كما قيل : ضَلَّ عن سواء السبيل . قال الراجز^(١) :

إني إذا حَارَ الجبانُ الهُدْرَةَ^(٢) رَكِبْتُ من قصد الطريقِ مَنْجَرَهُ^(٣)
وقوله : « وكويته فوق النواظر » ، يشبهه قول الآخر^(٤) :

ولو غَيْرُ أَخَوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فوق العرائنِ مِيسَمًا
أَي كَوَيْتُهُ مِنْ عَلٍ فوق نَظَرِهِ ، أَي وَسَمْتُهُ بِسَمَةٍ من الذَّلِّ اشتهر بها ، ولم
يمكنه إخفاؤها . ويقال لمن يُتَوَعَّد بالإذلال والتشويه : لَأَسْمَنَّكَ وَنَمَّا
لَا يَفَارُكَ . ولذلك قال جرير :

لَمَّا وَصَفْتُ على الفرزدقِ مِيسَمِي وَضَعَا البعِثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ
وكما يفعلون هذه السِّمَةَ في الجبين يحملونها في الأنف ، ولذلك قال الأعشى :

• أَنْفَ مَنْ أَنْتَ وَأَسِمُ^(٥) •

وفي القرآن : ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴾ . فإن قيل : لم أتى بقوله من عَلٍ ،
وقد قال قَوْقَ النواظر ويُفَعْلَمُ منه أَنَّهُ أَعْلَى ؟ قيل : إن التقدير كَوَيْتُهُ من عَلٍ فوق
النواظر ، أَي من أَغْلَاهُ فوق نَظَرِهِ ، وفيه التقديم والتأخير ، ولو سكنت كَلَى من
عَلٍ لكان يجوز أن يكون فوق النواظر ودون النواظر ، لكنه يَبَيِّنُ أَنَّ قَصْدَهُ
إلى الجبين بِمِيسَمِهِ . والمعنى شَهْرَتُهُ بِإِذْلَالِي ، وَسَمْتُهُ بِكَيْيِّ حيثُ يظهر للنظرين
ولا يخفى . وانتصاب « فوق » يجوز أن يكون على التبدل من الضمير في كَوَيْتُهُ ،

(١) هو الحصين بن بكير الربمي . اللسان (هدر) .

(٢) الهدرة كهمة : الساقط . ويروى : « الهدرة » بالذال المعجمة ، وهو بالهملة أجود

(٣) المنجر : الطريق المستقيم . اللسان (هدر ، نجر) . م : « منجره » .

(٤) هو المتلمس . ديوانه نسخة الشنقيطي .

(٥) قطعة من بيت له يروى كاملاً في ديوانه ٥٧ ، يل روى على هذه الصورة الناقصة :

..... يفتيك واعمد لغيرها بشمرك واعلب أنف من أنت وادم

لأن « قَوْقَ » من الظُّروفِ المتسكنة . ويجوز أن تجعله ظرفاً تريد كَوَيْتُهُ في هذا المكان مما علا مِنْهُ . وإنما لم يَبَيِّنْ من علٍ لأنه جعله نكرةً ، كما تقولُ أَتَيْتُهُ قَبْلًا أَى أَوَّلًا ، وَأَنْتَ لَا تَقْصِدُ إِلَى أَنَّهُ مُضَافٌ إِلَى مَعْرِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ ، فاعلمه . ومنه ^(١) :

* كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ ^(٢)

فالكسرة في الموضعين كسرة إعراب ، وإن شئت جعلته معتل الآخر لا مَنْقُوصاً كشجٍ وقاضٍ ، وجعلته في التَّيَّةِ مُضَافاً ، فيكون مَعْرِفَةً وَتَنَوًى ضَمَّةُ البناءِ في موضع لامة ، كما تنوينا في الياء من قَاضٍ وَغَازٍ إِذَا نَادَيْتَ بِهِمَا وَاحِداً بَعِيْنَهُ . وَفِي عَلٍ لَفَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَلَهُ نَحْوٌ فِي الْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ لَيْسَ لِأَخْوَانِهِ مِنَ الْغَايَاتِ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ شَرْحِهِ .

١٠

وَقَالَ سَعْدُ بْنُ نَاشِبٍ بْنُ مَازِنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ ^(٣) :

١ - سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبَا عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبَا

القضاء ، أصله الحتم والإيجاب ، ثم يستعمل في إكمال الصُّنْعِ والفِرَاقِ مِنَ الشَّيْءِ . وَلِهَذَا قِيلَ قُضِيَ قَضَاؤُكَ ، أَى فُرِغَ مِنْ أَمْرِكَ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ نَقْضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ . وَيُرْوَى : « قَضَاءُ اللَّهِ » بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ ، فَإِذَا رَفَعْتَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ

(١) م : « ومثله » . والبيت التال لا يرى التقيس في معلقته .

(٢) صدره : * مكر مفر مقبل مدب معا *

(٣) شاعر إسلامي ، كان من شياطين العرب ، وهو صاحب يوم الوقيط في الإسلام

بين تميم وبكر بن وائل . الشعر والشعراء ٦٧٧ والخزانة (٣ : ٤٤٤ - ٤٤٦) واللال ٧٩٢ - ٧٩٤ . وفي شرح التبريزي : أنه كان أصاب دما فهدم بلال داره . واشتقاقه ناشب * من قولهم رجل ناشب ، أى ذو نشب .

فاعلا لِحَالِبًا عَلَى ، وما كان جَالِبًا في موضع مَفْعُولِهِ ^(١) ، ويكون القضاء بمعنى الحكم . والتقدير : سأغسل العار عن نفسى باستعمال السيف فى الأعداء ، فى حال جَلَبِ حكم الله على الشيء الذى يجلبه . وإذا نَصَبَ القضاء فإنه يكون مفعولاً لِحَالِبًا وفاعله ما كان جَالِبًا ، ويكون القضاء الموت المحتوم والقدر المقدور ، كما يقال للمصيد الصيد ، وللمخلوق الخلق . والمعنى جَالِبًا الموت على جَالِبِهِ . وذَكَرَ بعضهم أن « كان » من قوله ما كان جَالِبًا فى معنى صار . قال : ومثله : بَنِيَاءَ قَفَرٍ وَالطَّيِّ كَأَنَّهُ قَطَا الْحَزْنَ قَد كَانَتْ فِرَاحًا بِيَوْضَاهَا ^(٢) لأن المعنى قد صارت .

٢ - وَأَذْهَلَ عَنْ ذَارِي وَأَجْمَلُ هَذِمَهَا لِعِرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِبًا ^(٣) الذُّهُول : تَرَكَ الشيء متناسيًا له ومتسلِّيًا عنه ، ومنه اشتقاق ذَهَلٍ . يقول : إذا ضاق المنزلُ بى حتى يصيرَ دارَ الهوان انتقلت عنه ، وأَجْمَلُ خَرَابَةٌ وقاية للنفس ^(٤) من العار الباقى ، والذِّمُّ اللاحق . وهذا قَرِيبٌ من قوله :

* وَإِذَا نَبَايَكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلَ ^(٥)

وهو ضدّ المعنى الذى يقصِدونه بالثِّبَاتِ فيه والصَّبَرِ عليه ، من الإقامة فى دار الحفاظ والافتخار به ، لأنّ الانتقالَ تَمَّ هو الجالب للعار ، كما أن الإقامة هنا هو الجالب . فمن ذلك قوله :

(١) م : « مفعولة » .

(٢) البيت لابن أحر فى اللسان (كون) . ونسبه ابن يديس فى شرح المفصل إلى ابن

كنزة . ويروى : « كأنها » .

(٣) انظر الإشارة إلى هدم بيته فى ترجمته السالفة .

(٤) م : « لنفسى » .

(٥) ليه قيس بن خفاف التميمي ، كما فى حاشية البحرى ١٧٩ . وصدره :

* احذر محل السوء لا تحلل به *

وَتُقِيمُ فِي دَارِ الْحِفَاطِ بَيُوتُنَا زَمَنَا وَيَطْعُنُ غَيْرُنَا لِالْأَمْرِجِ^(١)
ومنه قوله :

يُقَالُ تَحْبِسُهَا أُذُنِي لِمَرَاتِعِهَا وَإِنْ تَمَادَى بَيْكُ كُلِّ مَحْلُوبٍ^(٢)
وفي ضِدِّه قوله :

دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَأَاهَا دَارُهُ أَفْرَاحُ عَنْهَا كَمَنْ لَمْ يَرَحَلْ
وقول الآخر :

وَلَسْنَا بِمُعْتَلِينَ دَارَ هَضِيمَةٍ تَحَاقَّةَ مَوْتٍ إِنْ بِنَا نَبَتِ الدَّارُ
وانتصب « حاجبا » على أنه مفعول ثانٍ لأَجَلْتُ ، لأنه بمعنى أَصَيَّرُ .
والتقدير : أَجَلْتُ هَذِمَتَهَا حَاجِبًا لِمَرْضِي ، وما نِمًا من باقِي الدَّمِّ . ولـ « جعلت »
غير هذا مواضع ، يكون بمعنى خَلَقْتُ وَأَنْشَأْتُ فيتمدى إلى مفعول واحد ،
كقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ؛ ويكون بمعنى تَمَيَّنْتُ ، كقوله
تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلنَّاسِ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْ آتَا ﴾ ؛ ويكون بمعنى
ظَنَنْتُ ، تقول : جَعَلْتُهُ عَبْدًا وَشَتَمْتُهُ ، أى ظَنَنْتُهُ ؛ ويكون بمعنى طَفِقَ
فلا يتمدى . تقول : جَعَلْتُ بِكُلُّهُ ، أى أَقْبَلْتُ . وعلى هذا قوله :

جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلَى^(٣) أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

٣- وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا أَتَيْتُ يَمِينِي بِأَذْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبًا

أزاد بقوله « يصغر » صغر القدر وخفته وتزارته في التهم والفكر .

(١) الحادرة اللياني في المنفصليات (١ : ٤٣) . و « للأمرج » ضبطت في الأصل بضم
لراء وفي م يفتحها ، وهما روايتان .

(٢) لسلامة بن جندل في المنفصليات (١ : ١٢٢) .

(٣) في الأصل : « من جفاء » ، والوجه ما أثبتنا من م .

وخص « التلاد » وهو المال القديم ، لأنَّ النفس بمثله أضنَّ ، وبه أنفس ، وله أضبط . تبه بهذا الكلام على أنه يخفُّ على قلبه ترك الدار والوطن خوفاً من التزام العار ، كذلك يقلُّ في عينه إنفاق المال عند انصراف اليد حائزةً للمطلوب ، جامعةً له . وجواب « إذا » قدَّم عليه وهو قوله « يصغرُ » ، فأمَّا قوله « كنت طالباً » ، فقد خُذِفَ منه الضمير العائد إلى الذي ، والتقدير كنت طالبه .

٤- فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْفَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا تَرَاثُ كَرِيمٌ لَا يُبَالِي الْعَوَاقِبَا

الهدمُ : القلع والتخريبُ ، ويسمَّى المهدومُ هدمًا . قال :

* كَأَنَّهُ هَدَمَ فِي الْجَفْرِ مُنْقَاضُ ^(١) *

وتوسعوا فيه فليل للثوب الخلقِ هدمٌ ، وجمعه أهْدَامٌ . وقيل مجوزٌ متهدمةٌ أى هَرِمَةٌ فائية . وتهدمٌ عليه من الغضب ، كما يقال تهجَّم . والقدرُ : تركُ الوفاء ، ومنه غادرتهُ ، والغدير . وكانَّ هذا الرجل كان أخلَّ بداره لنائبةً نابتةً ^(٢) فصار يخاطبُ أعداءه ويربهم قلةً فسكره فيما تجرى عليه أحواله من جهتهم ، وفيما تفضي عواقبُ أمره إليه معهم ، فيقول : إن تخربوا داري غدرًا منكم فإنها ميراثُ رجلٍ هكذا ، ويعنى به نفسه ، وسمَّى ملكه ميراثًا وهو حَيٌّ ، والمعنى أنه سيورثُ ، وهذا تسمية الشيء المتنقل في أيدي ملاكهِ والمتصرفين فيه على التشبيه : ميراثًا ، وإن لم يتنقل بالأسباب والأنساب . على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ . وتراث ، أصله ورث ، والتاء فيه كالتاء في تكاةٍ وتخمّة . وقوله : « تراثٌ كريمٌ » أراد بالكرم التزعة عن

(١) في الأصل : « منقاض » ، صوابه في م واللسان (هدم) . وصدوره :

* تمضي إذا زجرت عن سواة قدما *

(٢) انظر ما سبق في ترجمته من هدم بلال داره .

الأفذار ، والتَّبَاعِدَ مِنْ جَوَالِبِ الْعَارِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . وَقَوْلُهُ : « لَا يَبَالِي الْعَوَاقِبَا » يَقَالُ : مَا بِالْيَتَةِ بَالَةً وَبِالْيَةِ وَمِبَالَةً وَبِلَاءَ ، وَمَا بِالْيَتِ بِهِ . وَكَأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي الْمَفَاخِرَةِ وَتَعَدَّادِ الْخِلَصَالِ الْحَسَنَةِ عِنْدَ الْمُنَافَرَةِ ، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَتَّى صَارَ يُقَالُ فِي الْاسْتِهَانَةِ بِالشَّيْءِ . وَيَشْهَدُ لِهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

مَالِي أَرَاكَ قَائِمًا تَبَالِي وَأَنْتَ قَدِمْتَ مِنَ الْهَزَالِ^(١)

أَي تَفَاخَرُ .

٥- أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِي يَهْمُ بِهِ مِنْ مَقْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِبًا

يَقَالُ : مَا لَهُ عَزْمٌ وَمَا لَهُ عَزِيمَةٌ ، أَيْ تَثَبُّتٌ وَصَبْرٌ فِيمَا يَعِزُّ عَلَيْهِ . وَحَقِيقَةُ الْعَزْمِ : تَوَطُّنُ النَّفْسِ وَعَقْدُ الْقَلْبِ عَلَى مَا يُرَى قِفْلُهُ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَجْزُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَالْإِعْزَامُ : لُزُومُ الْقَصْدِ وَتَرْكُ الْإِسْنَاءِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ اعْتَزَمَ الْفَرَسُ عَلَى الْجَرَى . يَصِفُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ صَاحِبُ هَمٍّ وَأَخُو عَزَمَاتٍ ، مُسْتَبِدٌّ بِرَأْيِهِ فِيهَا غَيْرُ مُتَخَذٍ رَفِيقًا ، وَلَا مُسْتَنْصَرَ أَخًا وَصَدِيقًا . وَ« مَقْطَعُ الْأَمْرِ » أَرَادَ فَضْلَهُ وَالْخُرُوجَ مِنْهُ . وَيُرْوَى : « أَخِي غَمَرَاتٍ » وَهِيَ الشَّدَائِدُ . وَيُرْوَى : « مِنْ مَقْطَعِ الْأَمْرِ » وَهُوَ مَنْ فَطَعَ الْأَمْرَ وَأَفْطَعَ ، فَطَاعَةً وَإِفْطَاعًا ، وَهُوَ فَطِيعٌ وَمُنْطَظِعٌ . أَوْ مِنْ أَفْطَعَنِي الْأَمْرُ فَفَطَعْتُ بِهِ ، أَيْ أَعْيَانِي فَضِيقَتْ بِهِ ذُرْعًا . وَقَوْلُهُ : « صَاحِبًا » صِفَةٌ فِي الْأَصْلِ اسْتُعْمِلَتْ اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ ، فَلَمْ يَجْزِ تَجَرُّي أَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ ، وَيَجْرَى عَلَى طَرِيقَتِهِ قَوْلُهُمْ وَالِدٌ .

٦- إِذَا هُمْ لَمْ تُزْدَعْ عَزِيمَةُ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا

الْهَمُّ : مَا تُجِيلُ لِفَعْلِهِ وَإِبْقَاعِهِ فِكْرَكَ . وَالْهِمَّةُ : اسْمُ الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ

(١) أَشَدُّ الرِّجْزِ فِي اللِّسَانِ (بَلَا) .

عليها في ذلك . ويقال في المثل لمن يُعَيَّرُ^(١) بطول الأمل : « تَهْمُ وَيَهْمُ بك » ،
ومنه المَهْمَات ، وهذا يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأي الأول . وهذا طريقة
الْفُتَّاكِ لأن الرجوع عن الرأي إلى غيره طريقة من يتدبَّرُ العواقب فيترك^(٢)
الشيء إلى الشيء لما يرجوه من حُسْنِ الْمآبِ . فقال : إذا هَمَّ هذا الرجل بشيء
أَنْقَذَ عَزِيمَتَهُ ولم يَرُدَّعَهَا ، ولم يفعل ما يفعله خائفاً . ومثله قول الآخر :
جَسُورٌ لَا يُرَوِّعُ عِنْدَهُمْ وَلَا يَنْذِي عَزِيمَتَهُ اتِّقَاءَ

ويقال : رَدَّعْتُهُ فَأَرْتَدَّعَ ، أى كَفَفْتُهُ ورددته رَدَّعًا . ومنه الرُّدَّاعُ في
العِلَّةِ وهو التُّكْسُ ، يقال رُدَّعَ رُدَّعًا ورُدَّاعًا . والهِيبَةُ تكون من الدُّعْرِ
ومن الإجلال جميعاً ، ويقال للجبان هَيُوبٌ وهَيُوبَةٌ ، والهَاءُ للبالغَةِ ،
وللمَحْتَشَمِ مَهْيَبٌ . وفي الحديث : « الْإِيمَانُ هَيُوبٌ » . ويقال : تَهَيَّبْتُ الشَّيْءَ
وتَهَيَّبَنِي بِمَعْنَى ، لَمَّا كَانَ لَا يَلْتَبِسُ ، ومثله من المقلوب كثير .

٧ - فَيَالِ رِزَامٍ رَشَّحُوا بِي مُقَدِّمًا إِلَى الْمَوْتِ خَوَاصًا إِلَيْهِ السَّكَنَاءُ^(٣)

ويروى : « الكراثبا » . الفاء من قوله « فَيَالِ رِزَامٍ » النَّتِيَةُ بها استئناف
ما بعدها وإن نُسِقَ بها جملة على جملة . واللام من يالِ رِزَامٍ ، هو لامُ الاستفانة ،
ورِزَامٍ ينجرُّ به وهم المدعوون . وأصل حركة لامِ الإضافة إذا دَخَلَ على ظاهرِ
الكسر ، ولهذا إذا عُطِفَ على هذه اللام بلامِ أخرى كُسِرَتِ الثانية ، تقولُ :
يَالْزَيْدُ لِمِمْرٍ ، ولكن هذه فُتِحَتْ لكون ما بعدها مُنَادًى ، ووقوعِ المُنَادَى
على هذا الحدِّ موقعِ المضمرات ، فكما قيل لكوله ، قيل يالْزَيْدُ . وقوله « رَشَّحُوا بِي
مُقَدِّمًا » بكسر الدال بمعنى متقدِّمًا ، فهذا كما يقال وَجَّهَ بِمَعْنَى تَوَحَّهَ ، وَتَبَّهَ بِمَعْنَى تَنَبَّهَ

(١) كَذَا فِي النسختين . وليست « يَنْتَرُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فَيَنْزِلُ » ، وَوَجْهُهُ مِنْ م .

(٣) لَمِنْ حَى : « هَذَا الْبَيْتُ شَاهِدٌ عَلَى إِعْمَالِ فَعَالٍ إِعْمَالِ اسْمِ الْفَاعِلِ » .

وَنَكَّبَ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ . وعلى هذا قولهم مُقَدِّمَةُ الجَيْشِ ، ومن فتح الدال فالمعنى على أنه يُقَدِّمُ لِيَقِيَهُمْ بِنَفْسِهِ . « خَوَاضًا إِلَيْهِ الْكِتَابُ » ، انتصب الكتاب على أنه مفعول خَوَاضٍ . وَيُرْوَى « الْكَرَائِبُ » وهى الشدائد جمع كَرِيبَةٍ ، والأصل فى الْكَرْبِ : الْقَمَ الذى يأخذ بالنَّفْسِ . والتَّرْشِيعُ أصله التَّنْبِيتُ والتَّزْيِيزَةُ ، ومنه قيل رَشَّحَتِ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا إِذَا دَرَجَتْهُ فِي اللَّبَنِ ، ثم قيل رُشِّحَ فُلَانٌ لَكَذَا ، تَوْشَعًا . ومعنى البيت : يَا بَنِي رِزَامِ هَيِّئُوا لِي رَجُلًا يَتَقَدَّمَ إِلَى الْمَوْتِ وَلَا يَحِيدُ عَنْهُ ، مقتبعا الجيوش والشدائد غير متنكِّبٍ ولا حائدٍ . ويروى : « رَشَّحُوا لِي مُقَدِّمًا » ، وتلخيصه : رَشَّحُوا بِتَرْشِيحِكُمْ رَجُلًا هَذِهِ صِفَتُهُ ، فأقام الصِّفَةَ مقام الموصوف .

٨- إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْمَوَاقِبِ جَانِبًا^(١)

قوله : « ألقى بين عينيه عزمه » ، أى جعله بمرأى منه لا يفُتِلُ عنه ، وقد طابق فى المعنى أَمَا قَابَلْ قَوْلَهُ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ، بقوله : نَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْمَوَاقِبِ جَانِبًا . ومثله قول الآخر :

* وَلَا نَاطِرٌ عِنْدَ الْوَعَى فِي الْمَوَاقِبِ *

وانتصب « جانبًا » على أنه ظَرْفٌ . وَنَكَّبَ يَكُونُ بِمَعْنَى تَنَكَّبَ . والمعنى أنه إِذَا هُمْ بِالشَّيْءِ جَعَلَهُ نَضَبَ عَيْنَيْهِ^(٢) إِلَى أَنْ يَفْذُفِيهِ وَيَخْرُجَ مِنْهُ ، وبصير فى جانبٍ مِنَ الْفِكْرِ فى الْمَوَاقِبِ . ويجوز أن يَنْتَضِبَ جَانِبًا عَلَى الْمَفْعُولِ ، ويكونُ نَكَّبَ بِمَعْنَى حَرَّفَ . والمراد انحرَفَ عَنْ ذِكْرِ الْمَوَاقِبِ وَطَوَى كَشْحَهُ دُونَهُ . وسمي المعزوم عليه عَزْمًا على عادة العرب فى وصف الفاعل والمفعول بالمصادر .

(١) مثله ما أنشده له البكرى فى اللالى ٧٩٣ :

إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَصَمَّ تَصْمِيمَ السَّرِيحِ ذَى الْأَثَرِ

(٢) كذا ورد فى النسختين ، بفتح النون ، وهو من أخطائهم ، والصواب ضم النون .

وفى اللسان : « القَيْسَى : جعلته نصب عينى بالضم ، ولا تقل نصب عينى » ، يعنى بالفتح .

٩- ولم يَسْتَشِرْ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ولم يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا
مِثْلُ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ قَوْلِ ابْنِ هَرَمَةَ :

* وَلَا يَنْتَجِي الْأَذْنَيْنِ فِيمَا يُحَاوِلُ *

ويقارب الثاني قول الآخر :

* فَنِي السَّيْفِ مَوَلَى نَصْرُهُ لَا يُحَارِدُ *

والشاعر يصف استبداده وتفردَه عندما يَدَّهْمُهُ بما يَأْتِيهِ^(١) فَنَلَّا وَرَأَبًا .
وإنما نَبَّهَ على الرأي بقوله : « لَمْ يَسْتَشِرْ » ، وعلى الفعل بقوله : « وَلَمْ يَرْضَ
إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا » . وانتصبَ قَائِمَ على أَنَّهُ استثناءٌ مقدَّم . أَلَا تَرَى أَنَّ
الأصلَ وَلَمْ يَرْضَ صَاحِبًا إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ . ولو أَنَّى على هذا كَانَ الوجهُ أَن
يَكُونُ بَدَلًا ، فَقَدَّمَ المَسْتَعْنَى كما تَرَى .

١١

وقال تَأَبَّطُ شَرًّا^(٢) :

١- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرُهُ وَهُوَ مُذَبَّرٌ
قَوْلُهُ « لَمْ يَحْتَلْ » ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْحِيلَةَ مَأْخُذَةٌ مِنْ قَوْلِهِ حَالُ الشَّيْءِ ،
أَيِ انْقَلَبَ عَنْ جِهَتِهِ^(٣) ، كَانَ صَاحِبَهَا يَرِيدُ أَن يَسْتَنْبِطَ مَا يَحُولُ^(٤) عِنْدَ غَيْرِهِ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « وما يَأْتِيهِ » .

(٢) هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي ، وسمى تأبط شرًّا لأنه تأبط سيفًا وخرج
فقتل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبط شرًّا وخرج ، وهذا أشهر ما قيل في سبب تلقبهِ . وكان
أحد لصوص العرب المغيرين ؛ قرينا للشنفرى وعم و بن براق . الشعراء ٢٧١ وشرح
الأنباري للمفضليات ١ - ٢ ، ١٩٥ - ١٩٦ والأغاني ١٨ : ٢٠٩ - ٢١٨ والاشتقاق
١٦٢ - ١٦٣ - والخزانة ١ : ٦٦ - ٦٧ واللكل ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) م : « عن وجهة » . (٤) يحول بالحاء كما في النسختين ، ولعلها « يحول » .

ولذلك قيل : فُلَانٌ حَوْلَ قُلُوبٍ . وقوله « جَدَّ جِدُّهُ » أى ازداد جِدُّهُ جِدًّا .
ويكونُ مثلَ قوله :

* حتى أَسْتَدَقَّ نُحُولَهَا *

المعنى ازداد دَقِيقُهَا دِقَّةً ، ويجوز أن يكونَ المعنى صارَ غَيْرُ الْجِدِّ جِدًّا
بِمَالِهِ^(١) ، وهذا كما يُقال رِبْعٌ رَوْعُهُ ، وَخَرَجَتْ خَوَارِجُهُ ، وَجُنَّ جُنُونُهُ ،
وقال الهَذَلِي :

* يَدْعَوْنَ خُمْسًا وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ فَرْعُ *

ولأنما هو رِبْعٌ أَمْنُهُ ، وَخَرَجَتْ دَوَاخِلُهُ ، وَلَمْ يَرْتَعْ لَهُمْ أَمْنٌ . فَسَمَّى الشَّيْءَ
بِمَا آلَ إِلَيْهِ . وقوله « أَضَاعَ » يجوز أن يكونَ معناه وَجَدَ أَمْرَهُ ضَائِعًا ، ويجوز
أن يكونَ بمعنى ضَيَّعَ . ويقال : ضَاعَ الشَّيْءُ ضَيْعَةً وَضْيَاعًا ، وَتَرَكَهُمْ بَضَيْعَةً
وَمَضْيَعَةً . وإذا أَخَذَ الرَّجُلُ فِيمَا لَا يَنْعِيهِ ، قِيلَ : فَشَتَّ عَلَيْهِ الضَّيْعَةُ .
وبقاربه قولهم :

* اتَّسَعَ الْخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ^(٢) *

وقوله : « وَهُوَ مُذِيرٌ » يجوز أن يكونَ الضميرُ للأمر ، والمعنى قَاتَى أَمْرَهُ ،
أى شَقَى بِهِ وَهُوَ مُوَلِّرٌ فَائِتٌ . ويجوز أن يكونَ الضميرُ للمرء ، والمعنى عَالَجَ أَمْرَهُ
وَكَاذَبَهُ مُذِيرًا فِيهِ غَيْرَ مُقْبِلٍ وَلَا مَنْصُورٍ ، ومعنى البيت إذا الرَّجُلُ لَمْ يَطْلُبْ
رَشْدَهُ وَلَمْ يُنْفِذِ الْحِيلَةَ فِي إِصْلَاحِ أَمْرِهِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ ،

(١) م : « بِمَا آلَ إِلَيْهِ »

(٢) عجز بيت لشقران السلامي في المحننى لابن ذريد ٧٨ ، أو لابن حمام الأزدي في
المؤتلف ٩٢ . وصدره :

* كُنَّا نَدَارِيهَا فَقَدْ مَزَقَتْ *

ونحوه قول أبي عامر جد العباس بن مرداس ، في العمى (٢ : ٣٥١) :
لا نسب اليوم ولا خلة اتسع الخرق على الراتق

وقد صار الأمر جدًّا لا شُبْهَةَ فيه ، عَالَجَه وهو هكذا ، أو عالجَه والأمر هكذا . ومثله :

ولكنَّ مَنْ لا يَلْقَى أَمْرًا يَنْوُبُهُ بِمُدَّتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وهو أعزَلُ
٢- ولكنَّ أَخُو الحَزْمِ الذي ليسَ نازِلًا بِهِ الخطْبُ إلا وهو لِلْقَصْدِ مُبْصِرٌ

الساثرُ عنهم في مَثَلِ قولهم : « رَوَيْتُ حَزْمٌ ، فإذا رَوَيْتُ فاعزِم » ،
فيقول : صاحبُ الحَزْمِ هو الذي يَسْتَعِدُّ للأمر قبل نزوله ، ويدبِّره قبل فَوْتِهِ ،
حتى إذا نَزَلَ به يكونُ عارفاً بالقصة فيه ، سالكا للوجه الذي يفصلُه منه .
وهذا كما قيل في المَثَلِ : « قَبْلَ الرِّمَاءِ تُنَمِّلُ الكِنَانُ »^(١) . والحَزْمُ في اللغة :
الشَّدُّ والضبط ، ومنه الحِزَامُ ، والحَزْمَةُ ، والحِزْوَمُ ، والحَزْمُ ، والخطْبُ :
الأمر المطلوب ، ويقال : خطبْتُ الأمر فأخطَبَ ، كما تقول طَلَبْتُه فأطَابَ .

٣- فذَاكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ حَوْلَ إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخَرٌ جَاشَ مَنْخَرٌ

« ذاك » أشار به إلى أخى الحَزْمِ . و « قَرِيعُ الدَّهْرِ » يحتمل وجهين :
يجوز أن يكون في معنى مختار الدهر ، ويكون من قَرَعْتُ الشَّيْءَ أى اختَرْتُهُ
وخصَّصْتُهُ بقرعَتِي ، ويقال هو قَرِيعُهُم وقَرِيعَتُهُم وقَرِيعُهُم بمعنى واحد . ويجوز
أن يكون بمعنى مَنْ قَرَعَهُ الدهر بنوائبه حتى جَرَّبَ وتَبَصَّرَ . ويكون قَرِيعُ
الوجهين فَعِيلًا في معنى مفعول . ولا يمتنع أن يكون المراد بقريع الدهر فَعَلَ
الدهر ، ويكون في هذا الوجه قَرِيعُ في معنى فاعل ، لأنه يَقَرَعُ الناقَةَ أى يضربها .
وما تقدَّم أحسن . وقوله « ما عاش » في موضع الظَّرْفِ ، والمعنى مُدَّةَ عَيْشِهِ .
وقوله « إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخَرٌ » مَثَلٌ لِلْمَكْرُوبِ الْمُضِيقِ عَلَيْهِ ، وهذا كما استعمل

(١) الكِنَانُ : جمع كنانة ، وهى جبة السهام .

فيه الخَنْقُ والخِنَاق . وأصل المنخر في الأنف من النخير ؛ ويسمى النُخْرَةُ أيضاً . والجميع النُخَر . والنخير : مدّ النَّفَس ، ومنه نَخِيرُ الحمار . وقيل نُخْرَتَا الأنف : حَرْفَاهُ . وجاشتِ القِدْرُ : غَلَت . وجاشَ البحرُ : احتاج ، وأصلُهُ التَّعَرُّكُ في الموضعين والاضطراب ؛ ومنه الجيشُ واحدُ الجيوش . والمعنى : لافتنانه في الحِيل لا يؤخِّدُ عليه طريقٌ إلَّا نَفَذَ في آخر . و « الحَوْل » : الكثير التحوُّل في الأمور . ويقال هو قُلُوبٌ وحَوْلٌ ، وفي معناه رَجُلٌ حَوْلٌ وحَوَالِيٌّ . قال ابن أحرر^(١) :

أَوْ يُنْسِنَن يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ أَتَى حَوَالِيٍّ وَأَتَى حَذِرٍ
ويقال : هو ذو حَوْلٍ وحَوِيلٍ ، وفي المثل : « لو كان ذا حيلة تحوّل » .
فأما قولهم : هو ذو مَحَلَةٍ^(٢) ، فهو في معنى مَحَالَةٍ ، وَلَيْسَ من بَنَائِهِ ، لأن الميم في مَحَلَةٍ أصلية ، وفي مَحَالَةٍ زائدة .

٤- أَقُولُ لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفَرْتَ لَهُمْ وَطَائِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ الْحَجَرِ مُعَوِّرٌ^(٣)

من كلامهم : « نعوذ بالله من صَفَرِ الإناء ، وقرَعِ الفناء » . وهذه الاستعارة من شمول القحط وهلاك المال . ولحيان : بطنٌ من هُدَيْل كان تأبط شراً راعمهم ووترهم ، فكانوا يطلبون غفلته ، حتى اتفق منه الصُّعُودُ إلى الجبل الذي وصفه ليشتار العسل ، ولم يكن له إلا طريقٌ واحد ، فجاءوا وأخذوا عليه ذلك الطريق ، فقال : أقول لهم ، يعني عند مخاطبته إيتام وهو على الجبل . وقوله

(١) في اللسان (حول) : « ويقال للمرار بن منذر العدوي » . وروايته عند التبريز : « أو ينسان » .

(٢) ضبط في م بضم الميم .

(٣) الحجر ، كذا وردت في النسختين بتقديم الحاء وفتحها وهو الناحية . وتفسير المرزوق يحتم هذه الرواية عنده . وفي مطبوعات الحامسة : « الحجر » بتقديم الجيم المضمومة . وفي شرح التبريزي : « وذلك أن الحشرة إذا لجأت إلى جعر ضيق لا منفذ له وصل إليها الطالب » . فتفسيره يعين روايته كذلك .

« وقد صَفِرَتْ لَمْ وَطَابِي » يحتمل وجوهاً : يجوز أن يكون المعنى وقد خلا قلبي من وُدِّهم . وبعضهم يستضعف هذا ويقول : ومتى كان يَوُدُّهم ؟ وهذا اللفظ كيف يفيد هذا المعنى . ويمكن أن يُقال في ذلك إنّما أراد وِطَابَ وُدِّي . وهذا كما قال بشر :

وَإِذْ صَفِرَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكْ يَبْنَا فِيهَا ذِمَامٌ^(١)
كأنه تَبَيَّنَ منهم أَنَّهُمْ لَا يُبْقُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرَعُونَ ذِمَامًا لَهُ ، فَلَا رِعةَ
وَلَا رِقةَ لَدَيْهِمْ ، وَلَا بُقْيَا وَلَا مَحَافِظَةً عِنْدَهُمْ ، فَصَارَ اعْتِقَادُهُ فِيهِمْ كَمَا بَانَ لَهُ
اعْتِقَادُهُمْ . فِيهِ . فَلِهَذَا قَالَ مَا قَالَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَشْرَفَتْ نَفْسِي ،
بِسَبَبِهِمْ وَلْتَعْرِضْهُمْ وَهُمْ بِاتِّهَازِ الْفُرْصَةِ لِمَا أَمَكْنَهُمْ ، عَلَى الْهَلَاكِ . وَيَكُونُ
هَذَا مِنْ قَوْلِهِ :

* وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الْوِطَابُ^(٢)

وفي طريقته قول الآخر^(٣) :

هَرَقْنِ بِسَاحِقٍ جِفَانًا كَثِيرَةً وَأَذَيْنِ أُخْرَى مِنْ حَقِينِ وَحَازِرِ
وقال غيره :

يَا جَفَنَةَ كُنْصِيحِ الْخَوْضِ قَدْ كُفِنْتُ بِئَنِّي صَفِينِ يَعْلُو فَوْقَهَا الْقَتَرُ^(٤)
ويجوز أن يكون أشار بالوِطَاب إلى الجسم ، أى كاد تفارقه الرُّوح .
وهذا كما يقال : الْإِنْسَانُ^(٥) : زِقٌّ مَنفُوخٌ . ويجوز أن تكون الإشارة إلى

(١) في المفضليات (٢ : ١٣٥) : « فإذ صفرّت » .

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ١٦٠ ، وصدره :

* وَأَفْلَتَنِ عِلْبَاءَ جَرِيضَا *

(٣) هو سلمة بن الحرشب الأنماري ، كما في المفضليات (١ : ٢٦) وانظر معجم

البلدان (ساحقون) .

(٤) حجز هذا البيت من م ، وهو ساقط من الأصل .

(٥) في الأصل : « لِلْإِنْسَانِ » وأثبتنا ما في م .

ظروف العسل التي اشتارها^(١) لأنه لما تيقن قَصْدَهُم لِقَتْلَهُ وتركهم مسامحته صَبَّ العسل على الجبل من الجانب الآخر وركبهُ منزَّلًا عليه ، حتَّى لحق بالسَّهْل . قوله : « وَيَوْمَ ضَيَّقُ الْحَجَرُ مُعْوِرٌ » ، أى ضَيَّقُ الناحية مُمكن . ويقال فى الْحَجَرِ الْحَجْرَةُ أيضا . وفى المثل : « يَرِيضُ حَجْرَةٌ وَيَرْتَمِي وَسْطًا » . وَمُعْوِرٌ ، من أَعْوَرَ لك الشئ ، إذا بَدَتْ لك عَوْرَتُهُ ، وهى موضع الخفافة . قال الله تعالى فى الحكاية عن المنافقين لما قَعَدُوا عن نُصْرَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أى واهيةٌ يجب سَتْرُهَا وتحصينُهَا بِالرِّجَالِ ، وكما قيل يومَ مُعْوِرٍ قِيلَ مكان معورٍ ، أى مُحْوَفٌ . ويقال : عَوْرَ المكان إذا صار كذلك ، وقرئ : ﴿ إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾^(٢) . وقال بعضهم : كلُّ ما طلبتَه فأمكنتك فقد أَعْوَرَكَ وَأَعْوَرَ لك . ومعنى البيت : أقول لهؤلاء القوم والحال هذا ، وهو أُنِّى قد جعلتُ لنفسى طريقًا إلى الخلاص منهم أو أُنِّى أشرفتُ على الملاكِ واليَوْمِ يوم شديدٍ عَسِيرٍ .

هـ - هُمَا خُطَطَا إِمَّا إِسَارٍ وَمِنَّةٌ وإما دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْحُرِّ أَجْدَرُ

الْخُطَّةُ مأخوذةٌ من الْخُطَّ ، وهى تجرى مجرى القصة ، وإن كان لها مواضع تنفرد بها ، وحَذَفَ اللون من « خُطَطَا » إِذَا رَفَعْتَ « إِمَّا إِسَارٍ » استطالَّةٌ للاسم ، كأنه استطال خُطَطَا ببدله وهو قوله إِمَّا إِسَارٍ ، كما استطال الشاعر الآخرُ الموصول [بصلته ، والموصوف^(٣)] بصفته فقال :

أَبْنَى كَلَيْبٍ إِنَّ عَمَى اللَّذَا قَتَلَ الْمُلُوكَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ^(٤)

(١) كذا فى م . وفى الأصل : « الذى اشتاره » . والمعل يذكرو ويذنت .

(٢) هذه قراءة ابن عباس . وابن يعمر ، وقتادة ، وأبى رجاء ، وأبى حيوة ، وابن أبى عيلة ، وأبى طالوت ، وابن مقسم ، وإسماعيل بن سليمان عن ابن كثير . وقرأ الجمهور بإسكان اللوا . تفسير أبى حيان فى (سورة الأحزاب) .

(٣) التكلة من م .

(٤) البيت للأخطل فى ديوانه ٤٤ . ونسب فى الضرائر للألومى ٦٨ إلى الفرزدق ، وهو خطأ . وبه تأييد هم قوم جرير . ومعا الأخطل هما : عصم بن النعمان ، ودوكس بن الفدوكس .

نَحَذَفُ النونَ مِنَ اللَّذَا . ومثله في الحذف قول الآخر ^(١) :
لَهَا مَتْنَتَانِ خَطَاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّيْرُ
نَحَذَفُ النونَ مِنْ خَطَاتَا . وقول الآخر :

لَنَا أَعْزُ لُبْنٌ ثَلَاثٌ قَبِضُهَا لِأَوْلَادِهَا ثِنْتَا وَمَا بَيْنَنَا عَزُ ^(٢)
ويموز أن يكون الحذف على وجه الحكاية ، كأنه قال : هُمَا خُطَّتَا
خَوَلِكُمْ إِمَّا كَذَا وَإِمَّا كَذَا ، فلما تَوَيَّ ذلك حَذَفَ النونَ للإضافة . وكأنهم
كَانُوا يُدِيرُونَهُ عَلَى الْخَصْلَتَيْنِ ^(٣) ، فأخذ يتهكم عليهن ويحكي مقالاتهن ،
ونحوه قول الخليل في قوله : ﴿ ثُمَّ أَلْتَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْهَمُ أَشَدُّ عَلَى
الرَّحْمَنِ عُتْيَا ^(٤) ﴾ ، قال معناه لَتَنَزَعَنَّ مِنَ الْمُشَايِعِينَ الَّذِي يُقَالُ لَعُتُوهُ أَيْهَمُ
أَشَدُّ ؛ فَحَكَى . وقوله :

* فَأَبَيْتُ لَا حَرَجٌ وَلَا مَحْرُومٌ ^(٥) *

وإذا جَرَزْتَ « إِمَّا إِسَارٍ » يكون حذف النون لنية الإضافة ، والتقدير :
هُمَا خُطَّتَا إِسَارٍ وَمِنَّةٍ . والمعنى ليس [لى ^(٦)] إلا واحدةٌ مِنْ خَصْلَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ
عَلَى زُعْمِكُمْ ^(٧) : إِمَّا اسْتِسَارٌ وَالتَّزَامُ مِنْتِكُمْ إِنْ رَأَيْتُمُ الْعَفْوَ ، وَإِمَّا قَتْلٌ وَهُوَ بِالْحَرْ
أَجْدَرُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمَا يُخْزِيهِ وَيُكْسِبُهُ الذِّلَّ . فهاتان الخصلتان هما اللتان أشار إليهما

(١) هو امرؤ القيس . ديوانه ١٤ .

(٢) أنشد هذا البيت التبريزي وابن جني كذلك ، ولم ينسباه .

(٣) انظر مثيل هذا التعبير فيما مضى ، ص ٤٥ س ١٨ .

(٤) كذا وردت الآية بهذا الضبط في النسختين ، وهى قراءة الجمهور ، وانفرد حمزة
والكسائي وحفص بالقراءة بكسر العين والجيم والصاد فى « عتيا » و « جتيا » وصليا .

انظر تفسير أبى حيان (٦ : ٢٠٨) . والكلام بعد هذه الكلمة إلى « أشد » ساقط من م .

(٥) للأخطل فى ديوانه ٨٤ وسيبويه (١ : ٢٥٩) . وأنشده فى المخصص (٨ : ٦٩ ،

١٦ : ١١٠) . وصدده :

* وَلَقَدْ أَبَيْتُ مِنَ الْفَتَاةِ مَهْزَلٌ *

(٦) هذه من م .

(٧) الزعم : مثلث الزاى ، كما فى القاموس . وتكاد النسختان تجمعان على ضم الزاى فى

كل موضع ترد فيه هذه الكلمة ، كما هنا .

بقوله هما خُطَّان ؛ وقد ثلَّثَهما بِخُطَّةٍ أُخْرَى ذَكَرَها فِيا بِمد . وفي هذا الكلام تَهْكِمُ وهُزْء . وقوله : « والقتل بالحرِّ أجدر » يَسْمَى اعتراضاً لوقوعه بين ما عَدَدَهُ من الخصال .

٦- وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنَّهَا لَمَوْرِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ

المصاداة : إدارة الرأى فى تدبير الشىء والإتيانُ به على أَتَقَنَهُ ، ومنه يقال : إِنَّهُ لَصَدَى مالٍ ، إِذَا كَانَ حَسَنَ الْقِيَامِ بِهِ . يقول : وهاهنا خَصْلَةٌ أُخْرَى أُدَارِى نَفْسِي فِيهَا ، وَأُدَاوِرُهَا عَلَيْهَا ، وَإِنَّهَا لِلْمَوْضِعِ الَّذِي يَرِدُهُ الْحَزْمُ وَيَصْدُرُ عَنْهُ إِنْ فَعَلْتُ . وهذا إِنَّمَا قَسَمَ الْكَلَامَ هَذِهِ الْأَقْسَامَ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّهُ يَبْنُونَ أَمْرَهُ عَلَيْهَا ، وَلِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى جِهَتِي الْجَبَلِ فَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ رَضِيَ الطَّرِيقَ الَّتِي عَلَيْهَا بَنُو الْحِثْيَانِ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا كَانَ فِيهَا إِحْدَى الْحَالَتَيْنِ : مِنَ الْأَسْرِ أَوِ الْقَتْلِ ، عَلَى مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ وَيَقُولُونَ . وَإِنْ احْتَالَ لِلْجَهَةِ الْأُخْرَى وَالْحَزْمُ فِيهَا ، لِأَنَّهُ خَلَّاصُهُ مِنْهَا ، كَانَ أَمْرًا ثَالِثًا . ثُمَّ اقْتَصَصَ مَا فَعَلَهُ ^(١) . وقوله « وَإِنَّهَا لَمَوْرِدُ حَزْمٍ » اعتراضٌ أَيْضًا ، لوقوعه بين قوله وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا ، وَبَيْنَ تَبْيِينِ كَيْفِيَّةِ مَزَاوَلَتِهِ لَهَا وَشَرَحِهَا .

٧- فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصَّفَا بِهِ جُوجُؤُهُ عَيْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرٌ

الفرش : البسط ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : فَرَشْتُهُ أَمْرِي ، وَافْتَرَشَ لِسَانُهُ فَتَكَلَّمَ كَيْفَ شَاءَ . وقوله « لَهَا » الضمير لِلْخَصْلَةِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ « وَأُخْرَى » . يقول : فَرَشْتُ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْخُطَّةِ صَدْرِي عَلَى الصَّفَا . وَهَذَا حِينَ صَبَّ الْعَسَلُ فَزَلِقَ [بِهِ] عَنِ الصَّفَا . أَيْ بِصَدْرِهِ صَدْرٌ ضَخْمٌ وَمَتْنٌ دَقِيقٌ ، وَالصَّدْرُ وَالْمَتْنُ حَصْرُهُ وَمَتْنُهُ ، وَلَكِنْ أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ قَوْلِهِ : لَقَيْتُ بِزَيْدٍ الْأَسَدَ ^(٢) ، وَزَيْدُهُ

(١) م : « على ما فعله » .

(٢) هذا مما يسميه البلاغيون « التجريد » ، ويسمون الباء فى مثل هذا بآء التجريد .

الأسد عندهم . وَوَضَعَ فرشت موضع أَلْقَيْتَ وَوَضَعْتَ . ويقال : فرشتُ ساحتى بالآجر ، وافرشت الشاة للذبح إذا أضجقتها . وذكر بعضهم أنه يجوز أن يكون الضمير من « لها » للصفة ، والكلمة مقلوبة ، والمعنى فرشتها لصدري . وفي هذا إضمارٌ قَبْلَ الذِّكْرِ والقلب ، وإذا كان كذا فالأول هو الوجه .

٨- فَاخْلَطَ مَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَدْحَةَ وَالْمَوْتُ خَزَيَانٌ يَنْظُرُ

اخْلَطَ أصله تداخل أجزاء الشيء في الشيء ، وقد توسّع فيه حتى قيل : رَجُلٌ خَلِطٌ ^(١) ، إذا اختلط بالناس كثيراً . وجاء في الحديث : « لا خِلَاطَ ولا وِرَاطَ » ، وفي المثل : « ليس أَوَّانٌ يُكْرَهُ الْخِلَاطُ » . يقول : إِنْ مَهَلْتُ ولم يؤثر الصفا في صدري أثراً ، لا خدشاً ولا خشاً ، والموتُ كان طَمِيعَ فِيّ ، فلما رَأَيْتُ وقد تَخَلَّصْتُ بَقِيَ مُسْتَحْيِيًّا يَنْظُرُ ويتعَبَّرُ . والواو من قوله « والموت » وأو الحال . وهذا من فصيح الكلام ، ومن الاستعارات المليحة . وقد مُجِلَ قولُ الله عز وجل : ﴿ وَأَنْتُمْ حِينَتُهُ تَنْظُرُونَ ﴾ على أن يكون المعنى ^(٢) تتعَبَّرُونَ . وقد سَلَكَ أَبُو تَمَّامٍ مَسَلَكَ هذه الاستعارة فقال :

* إِنْ تَنْفَلَيْتِ وَأَنْوَفِ الْمَوْتَ رَاغِمَةً ^(٣) *

ويقال إنَّ الموضع الذي يقع عليه كان بينه وبين الطريق الذي عليه بنو لحيان أميالاً عِدَّةً . وقوله « يَنْظُرُ » يجوز أن يكون في موضع الحال ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر ، ويكون معناه في مقابلي . ويقال : بُيُوتُهُمْ تَنْتَظِرُ ، إذا تَقَابَلَتْ ، لأنَّ النَّظَرَ تَقَابُيبُ الْعَيْنِ نحو المرئي وفي مقابلته . لذلك صَحَّحَ أَنَّ

(١) كذا ضبط في الأصل ، وضبط في م بضم الخاء واللام ، وهما لفتان مصيحتان رلغة ثالثة « خلط » بكسر الخاء . وشاهد الأخير في اللسان قوله :

وأنت امرؤ خلط إذا هي أرسلت يمينك شيئاً أسكتيه شمالكا

(٢) م : « بمعنى » . (٣) م : « إن تنقلب » . وعجزه في الديوان ٩٨ :

* فاذهب فأنت طليق الركض يا لبد *

يقال للأعمى : نَظَرُ إِلَى ، ويجوز أن يكون معنى يَنْظُرُ يَعْلَمُ حُسْنَ حِيلَتِي وَغَنَائِي فيما يَدَّهْنِي . وفُسِّرَ قوله تعالى : ﴿ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ، أى يعلمون ذلك وَيَتَيَقَّنُونَ . وقوله « لَمْ يَكْذَحِ الصَّفَا » قيل الكَذَحُ بالأسنانِ والحَجَرِ دون الكَذَمِ ، ومنه قيل المكذَحُ المكذَّبُ في حمار الوحش ، لتمضيض بعضها بفضا . وقوله « خَزَيَانُ » يجوز أن يكون من الخِزْي : التَّهْوَانِ ، ويجوز أن يكون مِنَ الْخِزَايَةِ : الاستحياء .

٩ - فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكْ آيِيَا وَكَمْ مِثْلَهَا فَأَرَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفِرُ^(١)
يقول : رجعتُ إلى قبيلتي فَهْمٍ ، وَكِدْتُ لَا أُوْبُ ، لَأَنِّي شَافْتُ التَّلَفَ . ويجوز أن يُرِيدَ : وَلَمْ أَكْ آيِيَا فِي تَقْدِيرِهِمْ وَظَنِّهِمْ . واختار بعضهم^(٢) أن يُرْوَى : « فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آيِيَا » وقال : كَذَا وَجَدْتُهُ فِي أَصْلِ شِعْرِهِ . قال : وَمِثْلُهُ فِي أَنَّهُ رَدَّ إِلَى الْأَصْلِ وَوَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ^(٣) مَوْضِعَ الْفِعْلِ قَوْلُ الْآخِرِ :

أَكْثَرْتَ فِي الْعَذْلِ مُلِحًا دَائِمًا لَا تُكْثِرُنِ إِنِّي عَسَيْتُ صَانِمًا^(٤)
والمثل السائر : « عَسَى الْفَوِيرُ أَبْوَسًا » . ولا أدري لِمَ اختار هذه الرواية ؟
أَلَا أَنَّ فِيهَا مَا هُوَ مَرْفُوضٌ فِي الِاسْتِعْمَالِ شَاذٌ ، أَمْ لِأَنَّهُ غَلَبَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ الشَّاعِرَ كَذَا قَالَهُ فِي الْأَصْلِ ؟ وَكِلَاهُمَا لَا يُوجِبُ الْاِخْتِيَارَ . عَلَى أَنِّي قَدْ نَظَرْتُ فَوَجَدْتُ

(١) مثلها ، ضبطت في الأصل بالجر ، وفي م بالرفع . وفي الخزانة (٣ : ٥٤١) أنه يروى بالجر والرفع والنصب . فالجر على أن كم خبرية ، والنصب على أنها استفهامية ويكون مثلها صفة لنكرة محذوفة تقديره كم مرة مثلها ، والرفع على معنى كم مرة وقع مثلها .
(٢) هو ابن جني في التنبيه على الهامزة . قال التبريزي : « وتكلم الموزوق على اختيار أن الفتح هذه الرواية رادا عليه ولم ينصفه » .

(٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « اسم الفعل » . والذي في التنبيه : « فاستعمل الاسم الذي هو الأصل : المرفوض الاستعمال موضع الفعل الذي هو فرع » .

(٤) في الخزانة (٤ : ٧٩) : « نسب إلى روبة بن العجاج ولم أجده في ديوان رجزه »

أبا تمامٍ قد غيّر كثيراً من ألفاظ البيوت التي اشتمل عليها هذا الكتاب ، ولعله لو أنشَرَ الله الشعراء الذين قالوها لتبعوه وسَلَّموا له . ويروى : « ولم آلُ آيباً » والمعنى لم أدع جهدي آيباً وفي الإياب . والأوّل أحسن . وكَمِثْلُهَا ، أى كَمِثْلِ هذه الخُطّة^(١) فارقَتها بالخروج منها ، وهى مغلوّبةٌ تُضْفَوُ^(٢) وأنا الغالب . وصنّفِي الطائر معروف ، ومنه ما فى الدار صافِرٌ ، أى ذو صفير .

١٢

وَقَالَ أَبُو كَبِيرِ الْهَذَلِيِّ^(٣) :

١٥- وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمِغْشَمٍ جَلَدٍ مِنَ الْفِتْيَانِ غَيْرِ مُثْقَلٍ^(٤)

يقال سَرَى يَسْرِي سُرًى ، وأسْرَى إِسْرَاءً بمعنى ، وهو سَرَّ الليل . وفى القرآن : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ . وعلى الظلام ، أى فى الظلام موضعه نَضَبٌ على الظرف . ويقال قَعَلَتْهُ ظَلَامًا وَلَيْلًا فى مُقَابَلَةٍ فَعَاتَتْهُ نَهَارًا . ويقولون : غِمَّ ظَلَامًا وَغِمَّ صَبَاحًا ، وهذا كما جعلوا فى مُقَابَلَةِ الْيَوْمِ اللَّيْلَةَ . ويمجوز أن يكون على الظلام فى موضع الحال ، أى وأنا على الظلام ، أى رَاكِبٌ له . يقول : وَلَقَدْ سَرَيْتُ لَيْلًا بِرَجُلٍ غَشُومٍ قَوِيٍّ مِنَ الرِّجَالِ غَيْرِ مَنْسُوبٍ إِلَى الثَّقَلِ وَالْكَسَلِ فى الْأُمُورِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِذَا كَانَ الشَّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا لَيْلًا

(١) وفى التنبيه : فأنت المثل حلا على المعنى ، لما كان المراد به الحال والصورة التى ذكرها .

(٢) الضمنا : صوت الذليل المجهور . م : « تصفر » . وانظر بيت جرير فى ص ٦٦ .
(٣) اسمه عامر (أو عويمر) بن الحليس ، وهو مخضرم ذكره بعضهم فى الصحابة .
الشعراء والشعراء بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ٦٥٢ والإصابة والخزانة (٣ : ٤٦٦ - ٤٧٣ / ٤ : ١٦٥ - ١٦٧) والمعنى (٣ : ٥٤ - ٥٧) واللائى ٣٨٧ . قال التبريزي : « أحد من بني سعد بن هذيل » .

(٤) قصيدة هذه المقطوعة فى ديوان المهديين (٢ : ٨٨ - ١٠٠) .

فلم قال على الظلام ، ولم جاء في القرآن : ﴿ أُسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ و : ﴿ فَأُسْرِ بِعَبْدِي لَيْلًا ﴾ ؟ قلت : المراد توسط الليل والدخول في معظمه ، تقول : جاء فلانُ البَارِحَةَ بِلَيْلٍ ، أى في معظم ظلمته وتمسك ذلك الوقت من ليلته . والجلد : الضرب القوي ؛ ومنه الجلدُ من الأرض . وإنما قال « مِنْشَمٍ » لأنه جعله كالآلة في النشم ، ومفعَلٌ بفلا لهذا المعنى ، ويريد به تأبطَ شراً . وكان لأبي كبير معه قصّةٌ معروفة^(١) ، والأبيات مقصورةٌ عليها ، وناطقةٌ بها أو بأكثرها . والنشمُ والاعتسافُ يتقاربان . ويقالُ غَشِمَ الوالى رَعِيَّتَهُ غَشْمًا وفي كلام بعضهم : « أَسَدٌ حَطُومٌ خَيْرٌ مِنْ سُلْطَانٍ غَشُومٍ » . ويجوز أن يكون معنى « غَيْرِ مُثَقِّلٍ » أى كان حَسَنَ القَبُولِ ، مُحِبًّا إلى القلوب .

٢ - مِمَّنْ حَمَلَنَ بِهِ وَهْنٌ عَوَاقِدُ حُبِّكَ النُّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهْبِلٍ

قوله : وَهْنٌ عَوَاقِدُ حُبِّكَ « حكايةُ الحال وإن كان ذلك فيما مضى . ومثله موله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . ويُروى : « مِمَّا حَمَلَنَ بِهِ » أى هو من الحمل الذى حَمَلَنَ بِهِ . والضميرُ فى حَمَلَنَ للنساء ولم يَجْرَ لَهُنَّ ذِكْرٌ ، ولكن بَلَّا كان المراد مفهوماً جازاً إضمارها . ويُروى : « مِمَّنْ حَمَلَنَ بِهِ » ، والمعنى : هذا الفتى من الفتيان الذين حَمَلَتْ أُمّهَاتُهُمْ بِهِمْ وَهْنٌ غَيْرُ مُسْتَعِدَاتٍ لِلْفِرَاشِ ولا واضعاتٍ ثِيَابَ الْحَفَلَةِ^(٢) فنشأ مُحْمُودًا مَرْضِيًّا ، لم يُدْعَ عَلَيْهِ بِالْمُهْلِ

(١) كان أبو كبير قد تزوج أم تأبط شراً ، وكان تأبط شراً يبدى الكراهة لأبي كبير ويرتاب به وهو صغير ، فلما كبر وعرع خشي أبو كبير بأسه فاحتال ليقته وخرج به في غزوة ودفع به إلى بعض الأعداء ولكنه تمكن من الفتك بهم ، ثم حاول أبو كبير أن يقتاله فذهمه فكان يخبّره بأن يرمى بحصاة إليه فيهب من نومه سريعاً ، فعل ذلك مراراً إلى أن عرف أنه لا يمكن اغتراره في نومه ، وكف عن عزمه ، وقال في ذلك ما قال . انتهى ملخصاً من التبريزي .

(٢) الحفلة : الاحتفال والجد ، يقال رجل ذو حفلة إذا كان مبالغاً فيما أخذ فيه ، وأخذ للأمر حفلة إذا جد فيه . يقول : غير متبذلات ملقيات ثيابهن .

والتَّكَلُّ (١) . وإنما قيل : يَمْنَحُنْ به ، لأنه رَدَّ الصَّمِيرَ على لَفْظِ مَنْ ، ولو رَدَّ على المعنى لقال بهم . وفي القرآن في موضع : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ، وفي آخر : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ . وحكى عن بعضهم : إذا أردت أن تُنَجِّبَ المرأةَ فَأَغْضِبْهَا عند الجماع . وأنشد :

تَسَمَّتُهَا غَضَبِي فَجَاءَ مُسَهِّدًا وَأَنْفَعُ أَوْلَادِ الرِّجَالِ الْمُسَهِّدُ

وكذلك يقال في ولد المذعورة : إنه لا يُطَاق . والحُبْكُ : الطرائق . والنُّطَاقُ : ما تُشَدُّ (٢) المرأة في حَقْوِهَا . والرواية : « حُبْكُ الثِّيَابِ » ، لأنَّ النُّطَاقَ قد جاء من بَعْدُ في صِفَةِ أُمِّ الْمَفْشَمِ فَتَكَرَّرَ ، ولأنَّ النُّطَاقَ لا يَكُونُ لَهُ حُبْكٌ وطرائق . وواحد الحُبْكِ حَبِيكُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ . وقال الباهلي : الحُبْكَةُ والحَبَاكُ : الإزار أيضا . وقد احتَبَكْتَ المرأة . وذكر بعضهم أن المَهَبْلَ : المَعْوَى الذي لا يَتَمَسَّكُ (٣) فإن صَحَّ ذلك فَكَأَنَّهُ من الإسراع ، يقال جَمَلٌ هَبِلٌ (٤) .

٣ - ومبرأً من كلِّ غُبْرِ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وداءِ مُنْصِلٍ (٥)

غُبْرُ الْحَيْضِ وَغُبْرُهُ : بَاقِيهِ قَبْلَ الطَّهْرِ . وَكَذَلِكَ غُبْرُ اللَّبَنِ : بَاقِيهِ فِي الضَّرْعِ . وَتَزَوَّجَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِامْرَأَةٍ (٦) مُسِنَّةٍ قَبِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : « لَعَلِّي أَتَغَبِّرُ مِنْهَا وَلَدًا » . وَالْحَيْضَةُ وَالْحَيْضُ وَاحِدٌ . وَالْغُبْرُ يَكُونُ جَمْعَ غَابِرٍ أَيْضًا . وَلَمْ يَرَوْضَ بِلَفْظِ التَّبْرِئَةِ حَتَّى أَتَى بِلَفْظِ الْكُلِّ مَعَهُ تَأْكِيدًا ، كَأَنَّهُ نَقَى قَلِيلَ ذَلِكَ

(١) كذا ضبط في م . وضبط في الأصل بالضم ، وهما لفتان .

(٢) م : « ما تشده » . (٣) م : « يتمسك » .

(٤) كذا ضبط في الأصلين . ويقال أيضا : هبل بكسر الهاء وفتح الباء .

(٥) حَيْضَةٌ ، بكسر الهاء في النسختين في متن البيت وشرحه ، وفي اللسان أنه الاسم من الحيض ، وأما الحيضة بالفتح فاسم المرة منه .

(٦) م : « امرأة » .

«وكثيرة». وأضاف الفساد إلى المرضة لأنه أراد الفساد الذي يكون من قبلها. وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة. ويروى «مبراً» بالنصب والجر، فإذا نصبتَه فإنه ينمطف على «غير مُهَبَّل»، كأنه قال: شَبَّ في هاتين الحالتين. وإذا جرَّزته ينمطف على قوله «جلد من الفتيان» كأنه بمفشم جلد ومبراً. والمعنى أن الأم حملت به وهي طاهرٌ ليس بها بَقِيَّةٌ خَيْض، ووضعتَه ولا داء به استصحته من بطنها فلا يقبلُ علاجاً، لأن داء البطن لا يفارق. ولم تُرضعه أمُّه غيلاً، وهي أن تسميه وهي حُبلى بعد ذلك. ويروى عن أمٍّ تأبطَ شراً قالت: «ما وضعتُه يَدُنَا، ولا أرضعته غيلاً، ولا أبنتُه مَنقاً، ولا رأيتُ بنفسى دماً. ولقد حملتُ به في لَيْلَةٍ مظلمة ونحتَ رأسى سَرَجٌ، وعلى أبيه دِرْعٌ». وإنما تريد بهذا الكلام الآخر^(١) ما تقول العربُ من أن المرأة إذا أُكْرِهَتْ على الوطء، أو وُصِتْ وهي مذعورة، أنجبت وأدَّكرت. الداء المُضِلُّ: الذي لا دواء له كأنه أعضل الأطباء وأعيام، وأصل العضل المنع، ومنه عَضَلَتِ المرأة إذا نَسَبَ ولدُها في بطنها فلم يخرج. وعَضَلْتُها: منعْتُها التزويج ظلماً.

ع - حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَرْوُودَةٍ كَرَّهَا وَعَقَدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلِ

الرَّأْدُ^(٢): الذعر، وقد زُيِّدَ فهو مَرْوُودٌ. والمعنى حملت الأم بهذا المَفْشَم. ويروى «مَرْوُودَةٌ» بالنصب على الحال للمرأة؛ ويروى «مَرْوُودَةٍ» بالجر، ويجوز فيه وجهان: أحدهما أن تجعله صفةً لِلَّيْلَةِ، كأنه لما وقع الزَّوُود والذعر فيها جعله لها، والأكثر في الجواز والاتساع أن يُنسب الفعل إلى الوقت فيؤتى به على أنه فاعل، كما قيل: نهاره صائمٌ، وليله قائمٌ. وحسن هذا لأن الظرف قد يقدر

(١) م: «الآخر».

(٢) يقال زَادَ بالفتح والتحرّك، وزُودَ بالضم، وزُودَ كسرور.

تقدير المفعول الصحيح ، بأن يُنزع منه مَتْنِي فِي ، كما قال الشاعر :

* وَيَوْمَ شَهْدَانَاهُ سُلَيْمًا ^(١) *

فعلى ذلك تقول شُهِدَتِ اللَّيْلَةُ ، وَزُنِدَتِ اللَّيْلَةُ ، وليلة مشهودة ومنهودة . ويجوز أن يكون انجرأه على الجوار ، وهو فى الحقيقة للمرأة ، كما قيل : هذا جُغْرُ ضَبِّ خَرَبٍ . وهذا الميالىهم إلى الحُمل على الأقرب ، ولأئمنهم الالتباس . وانتصاب « كَرَهَا » على أنه مَصْدَرٌ فى موضع الحال ، والتقدير كارهة . ومعنى البيت بما تقدم ظاهر . وقوله : « عَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلْ » ، ابتداء وخبر ، والواو للحال . وأظهر التضعيف فى قوله لَمْ يُحْلَلْ ، وهو لغة تميم ، ووجه الكلام لَمْ يُحْلَلْ . والنطاق : ما تَنَتَّقُ به المرأة : تشدُّ به وسطها للعمل . قال الأصمى : كُنْ فى القديم ينتطقن بخيطٍ أو تِكَّةٍ . وذات النطاقين : أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه . والمنطقة أخذت من هذا . والمعنى أكرهت ولم تحل نطاقها . وحكى عنها فى وصف ابنها قالت فيه : « إنا لله والله شيطان ، ما رأيتُه قطُّ مستنقلاً ولا صَحِكاً ولا همَّ بشيء منذُ كان صبياً إلا فعله ، ولقد حَمَلْتُ به فى ليلة ظلماء وإن نطاقى لمشدود ^(٢) » .

٥ - فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مَبْطَنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجَلِ

حُوشُ الْفُؤَادِ وَحُوشِيُّ الْفُؤَادِ : وَحْشِيَّةٌ ، لَحْدَتُهُ وَتَوَقُّدُهُ . وَرَجُلٌ حُوشِيٌّ : لَا يُخَالِطُ النَّاسَ . وَلَيْلٌ حُوشِيٌّ : مُظْلِمٌ هَائِلٌ ، وَكَذَلِكَ إِبِلٌ حُوشٌ وَحُوشِيَّةٌ أَى وَحْشِيَّةٌ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : لَيْلٌ سَخَامٌ وَسُخَامِيٌّ : أَسْوَدٌ . وَقِيلَ : الْحُوشُ :

(١) كلمة « سليمان » ليست فى م . والبيت بتمامه كما فى سيبويه (١ : ٩٠) والكمال

٢١ ليسك :

ويوم شهدناه سليمان وعامراً قليل سوى الطمن النبال نوافله ورواية المبرد وابن جنى : « ويوما » .

(٢) كذا فى م والتبريز . وفى الأصل : « مشدود » .

بلاد الجن . مبطناً : خييص البطن^(١) . وقوله « نَامَ لَيْلُ الْهُوْجَلِ » ، جعل الفعل لَّيْلَ ، لوقوعه فيه . والمعنى نَامَ الْهُوْجَلُ فِي لَيْلِهِ . والهُوْجَلُ : الثَّقِيلُ الْكَسْلَانُ ذُو الْغَفْلَةِ . يقول : أَنْتِ الْأُمُّ بِهَذَا الْوَلَدِ مَتِيقٌ ظَلًا حَذِرًا ، حَدِيدَ الْفَوَادِ ذَكِيًّا ، يَسْهَرُ إِذَا نَامَ الثَّقِيلُ الْبَلِيدُ . والشَّهَادُ وَالسَّهْدُ^(٢) : السَّهَرُ . وَرَجُلٌ مُهْدٌ وَمُسَهَّدٌ . ويقولون لِلْمَلْدُوغِ : مَهْدُوهُ لَا يَسْرِ فِيهِ السَّمُ . وقيل الْهُوْجَلُ : الْأَحْمَقُ لَا مُسَكَّةَ بِهِ . قالوا : وَبِهِ سُمِّيَ الْفَلَاةُ لَا أَعْلَامَ بِهَا وَلَا يُهْتَدَى فِيهَا : الْهُوْجَلُ .

٦- وَإِذَا نَبَذْتَ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ فَرِحًا لَوْقَعِهَا طُمُورَ الْأَخِيلِ^(٣)

يقال : نَبَذْتُ الشَّيْءَ مِنْ يَدِي ، إِذَا طَرَحْتَهُ ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقِيلَ صَبِيٌّ مَبِوْذٌ ، وَنَابَذْتُ فَلَانًا ، إِذَا فَارَقْتَهُ عَنْ قَلْبِي . وَالْحَصَى : صَفَارُ الْحَجَارَةِ^(٤) . وَالشَّاعِرُ إِنَّمَا يَحْكِي مَا رَأَاهُ مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا كَبِيرٍ ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ أَرَادَ أَنْ يَفْتَالَهُ ، وَكَانَ يَطْلُبُ مِنْهُ فُرْصَةً يَنْتَهِزُهَا فِي نَوْمِهِ أَوْ غَفْلَتِهِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَحْتَرِي عَلَيْهِ ، فَكَانَ يَرُورُ أَحْوَالَهُ لِيَتِمَّكَنَ مِنْ مَرَادِهِ فِيهِ . وَالْمَعْنَى إِذَا رَمَيْتَهُ بِحَصَاةٍ وَهُوَ نَائِمٌ وَجَدْتَهُ يَنْتَبِهُ اتِّبَاعًا مَنْ سَمِعَ بَوَاقِعَهَا هَدَّةً عَظِيمَةً ، فَيَطْرُمُ طُمُورَ الْأَخِيلِ ، وَهُوَ الشَّقَرَاءُ . وَاتْتَصَابَ « طُمُورَ » بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « فَرِحًا لَوْقَعِهَا » ، كَأَنَّهُ [رَأَيْتَهُ^(٥)] يَطْرُمُ طُمُورَهُ ؛ لِأَنَّ الْخَائِفَ الْمَتِيقُظَ يَفْعَلُ ذَلِكَ . وَالطُّمُورُ : الْوُثْبُ ؛ وَمِنْهُ قِيلَ فَرَسٌ طِمِرٌ ، أَيْ وَثَابٌ . وَذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَنَّ الطِمِرَ فِي وَصْفِ الْفَرَسِ

(١) ابن جني : « قوله مبطناً من ألفاظ السلب لا الإثبات . وأصل هذه الأحرف ومهم بطن أن تجيء لإثبات البطن ، كالبطن والبطين والمبطان ونحو ذلك . ومبطن هنا أي خييص البطن ، فهو من سلب ذلك المعنى لا إثباته » .

(٢) ويقال سهد بالضم ، وسهاد كذلك .

(٣) رواه التبريزي : « ينزو لوقعها » ، ثم نبه في الشرح على رواية : « فرحاً لوقعها » .

(٤) م : « ضعاف الحجارة » . (٥) هذه من م .

هو المُشْرِف، ومنه قيل الموضع العالي : طَمَار . وفزِعًا انتصابه على الحال ،
وجواب إذا قوله رأيتُهُ . وقال بعضهم : الأَخِيل : الشاهين . ومنه قيل
تَخَيَّلَ الرَّجُلُ ، إذا جَبُنَ عند القتال فلم يَتَثَبَّت . والتَّخَيُّلُ : المَضِيُّ
والشَّرْعَةُ والتَّلَوْنُ .

٧ - وإذا يَهَبُّ من المَنَامِ رأيتُهُ كَرُتُوبٍ كَغَبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمْلٍ
أصلُ هَبٍّ تَحَرَّكٌ واضطرب ، ثم قيل هَبٌّ من تَوْنِهِ هَبًّا^(١) ، وَهَبَتْ
الريحُ هُبُوبًا ، وَهَبَتْ النَّافَةُ في سيرها هَبَابًا ، وَهَبَ التَّيْسُ هَبِيْبًا . وَهَبِيْتُ
السَّيْفُ : هَزَزْتُهُ . يقول : إذا اسْتَقِظَ هذا الرَّجُلُ من منامه انتصب في
مضجعه سريعًا كاتِّصَابِ كَغَبِ السَّاقِ في السَّاقِ ، وهو ليس بضعيف .
وإنَّما يعنى شَهَامَتَهُ وتَشَمُّرَهُ في تلك الحالة . وَكَغَبُ السَّاقِ مُنْتَصِبٌ أَبَدًا في
موضعه ، فذلك شَبَّهُهُ به . وَالرَّاتِبُ : الْقَائِمُ ، ومنه للراتب . وتحقيق الكلام :
وإذا يَهَبُّ رأيت رُتُوبَهُ كَرُتُوبٍ كَغَبِ السَّاقِ ، لكنَّه حذف المضاف وأقام
المضاف إليه مقامه . وهذا التَّشْبِيهُ يجرى مجرى التصوير . وَالزُّمْلُ وَالزُّمَالُ
وَالزُّمَيْلَةُ ، كَلَمَةُ الضَّعِيفِ ، واشتقاقه من التَّلْفِيفِ كَأَنَّهُ مُتَسَاوِطٌ لَا مُتَشَمِّرٌ مُتَجَرِّدٌ .

٨ - مَا إِنْ يَمْسُ الْأَرْضُ إِلَّا جَانِبٌ مِنْهُ وَحَرَفُ السَّاقِ طَىَّ الْمَحْمَلِ

إِنْ ، زيد لتوكيد النفي ، وَيَبْطُلُ عمل « ما » بانضمامه إليه في لغة من يُعْمِلُهُ .
وَاتَّصَبَ طَىَّ عَلَى الْمَصْدَرِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ ، لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ ، مَا يَمْسُ الْأَرْضَ مِنْهُ
إِذَا نَامَ إِلَّا جَانِبُهُ وَحَرَفُ السَّاقِ ، عُلِمَ مِنْهُ أَنَّ الرَّجُلَ مَطْوًى غَيْرَ سَمِينٍ ، وَهَضِيمٍ
الْكَشْحِ غَيْرِ ثَقِيلٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا نَامَ لَا يَتَبَسَّطُ^(٢) عَلَى الْأَرْضِ وَلَا يَتِمَكَّنُ
مِنْهَا بِأَعْضَائِهِ كُلِّهَا ، فَعَلَّ مِنْ يُرْخِيهِ نَوْمُهُ وَيَتِمَكَّنُ مِنْهُ ، حَتَّى لَا يَكَادُ يَتَجَمَّعُ

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م .

(٢) م : • يَنْبَسُطُ • .

ويتشتر عند الانتباه إلا بعد مناولته وتهئؤ يُفعلُ في كلِّ عضو . وهذا من أبياتِ كتاب سيبويه^(١) . واحتجَّ به بقوله « طىَّ المحمل » . وأراد بالمحمل حائل السيف ، وهذا كما يُقال : هو كالجديل ، وكالزمام . والمحمل والحِجالة بمعنى .

٩ - وإذا رميت به الفجّاج رأيتَهُ يهوى غواربها هوىَّ الأجدلِ

قال الخليل : الفجّج : الطريق الواسع في قَبَل^(٢) جبَلٍ ونحوه ، والجمعُ الفجّاج . وغاربُ كلِّ شيء : أعلاه ، ومنه غاربُ البعير . والشاعرُ يحكي في هذا أيضاً عنه ما رآه منه عند استصحابه له ، فيقول : إذا وجهته في طُرُق الجبل^(٣) رأيتَهُ يَقْصِدُ عاليها قَصْدَ الصَّغِيرِ . والهوى : بضم الهاء ، هو القصدُ إلى أعلى ، وبفتح الهاء القصدُ إلى أسفل . على ذلك قوله :

* هوىَّ الدلوِّ أسلمه الرُّشاشُ^(٤) *

ولا تختَر في رواية البيت على الضمِّ . وأنشد فيه قوله^(٥) :

كَانَ هَوِيَّهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيْقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالٍ^(٦)

ويروى : « مخارمها » . والمخارمُ : جمع المخرم ؛ وهو منقطعُ أنفِ الجبل . والمخرمُ : أنف الجبل ، وجمعه خُرُومٌ . ومن فصيح كلامهم : « هذه يمينٌ طلعت

(١) كتاب سيبويه (١ : ١٨٠) .

(٢) ضبط في الأصل واللسان بضمين ، وليس بشيء . وقد ضبط في م بالتحريك . والقبيل ، بالتحريك : سفع الجبل . وفي اللسان : « يقال انزل بقبل هذا الجبل ، أى بسفحه » .

(٣) م : « الجبال » .

(٤) الدلو ، تذكر وتؤنث . ويروى : « أسلمها » . والبيت لزهير في ديهانه

٦٧ . وصدده :

* فشج بها الأمايز وهى تهوى *

(٥) هذا ما في م . وفي الأصل : « وأنشد قوله فيه » .

(٦) للأعلم الهذلي . اللسان (خرق) .

في الحارمِ » ، وهي التي تجعل لصاحبها منها مخرجاً . والأجدل ، من جدل الخلق .

١٠- وإذا نظرت إلى أسيرة وجهه برقت كبرق العارض المنهل

الخطوط التي في الجهة الأغلب عليها سراً ويجمع على الأسيرة ، والتي في الكف الأغلب عليها سراً وسراً ويجمع على الأسرار . قال :

أنظر إلى كف وأسارها هل أنت إن أوعدتني ضائري^(١)

وقد قيل : الأسيرة : الطرائق . يقول : إذا نظرت في وجه هذا الرجل رأيت أسارى وجهه تبرق وتشرق إشراق السحاب المنشق بالبرق . يصفه بحسن البشر وتطلق الوجه في^(٢) كل حال . والعارض : ما يعرض في جانب من السماء من السحاب . وعلى ذلك العارض في الأسنان ، ولهذا قيل العارضان لما يبدو من جانبيها . ويقال : تهلل الرجل فرحاً ، واهتل ، إذا افتر عن أسنانه في التبسم .

١٣

قال آخر ، ويقال إنها لتأبط شراً^(٣) :

١- إني لمهد من ثنائى فقاصد به لابن عم الصدق شمس بن مالك^(٤)

لا يقال في الهدية إلا أهديت . ويقال في القروس : هديتها وأهديتها

(١) البيت للأعشى في ديوانه ١٠٧ واللسان (سرور) . وعجزه لم يرو في م . وهو في الأصل : « ضائر » بالروى المرفوع ، وهو خطأ .

(٢) الكلام بعده إلى نهاية شرح هذا البيت ساقط من م .

(٣) عند التبريزي : « وقال تأبط شرا » . وقد سبقت ترجمة تأبط شرا في المقطوعة

١١ . وعبرة الإنشاد هذه وما بعدها من البيتين الأولين وشرحهما ساقط من م .

(٤) شمس ، بفتح الشين هي الرواية التي اعتمدها المزدقي . وسيأتى تنبيهه على رواية

ضم الشين .

جميعاً . والأصل واحد ، لأنَّ المعنى على القصد والدلالة ، فيقول : إني أمدح ابن عَمِّي الكريم الصادق في الودِّ شمس بن مالك ، بما أقصِدُ به راعِبًا ، وأنفِذُهُ إليه مُتَحِفًا . والمعنى : إني في غيبتى منه وحضورى له ، مولعٌ بالثناء عليه ، خلا أخليه من المذح في الحالتين جميعاً . واللامُ في قوله : « لابن عمِّ الصدق » يجوز أن يتعلق بِمُهِدٍ ، يقال : أهديتُ له كذا ، وعلى هذا تكون أَعْمَلَتِ الْفِعْلَ الأوَّل ، وما أهداه يكون محذوفًا لِمَلِمِ السامع بأنه يُريدُ شِعْرَهُ وتقريظَهُ . وكان الأجودُ أن يقال فقاصدٌ إِيَّاهُ به ، ويجوز أن يكون على قولٍ من يزيد « مِنْ » في الواجب ^(١) أن يكون قوله ثنائى مفعول مُهِدٍ ، فيكون أهداه مذكوراً . ويجوز أن يتعلق اللام بقوله فقاصدٌ ، يقال قَصَدْتُهُ بكذا وقَصَدْتُ له به . وعلى هذا تكون قد أَعْمَلَتِ الْفِعْلَ الثانى ، وهو المختار إذا جَمَعْتَ بين فعلين عند أصحابنا البصريين ، ويُقال هذا ثوبٌ صِدْقٍ وأخو صِدْقٍ ، وُضِعَ الصَّدْقُ موضع الفضل والصَّلاح . والتَّسمية بالشمس كالتسمية بالبدنر والهلأل . وذكروا بعضُ المتأخرين ^(٢) أنه يروى « شمس بن مالك » بضمِّ الشين ، قال : ويكون هذا في أنه عَلِمَ لهذا الرجل فقط ، كَحَجَرٍ في أنه عَلِمَ أبى أوس الشاعر ، وأبى سلمى في أنه عَلِمَ أبى زهير الشاعر . والأعلام لا مضابقة فيها .

(١) الأكثر في « من » أن تكون زيادتها بعد النفي ، كما في قوله تعالى : « ما جاءنا من بشر » . وفي التنبيه لابن جني : « وسيبويه لا يرى زيادة من في الواجب وأبو الحسن يراه ريمكي عن العرب في تصحيحه قولها : قد كان من مطر ، وقد كان من حديث فحل عنى ، أى كان سطر وكان حديث » .

(٢) يرمى بذلك ابن جني . ونصه في التنبيه : « ومن رواء شمس بضم الشين فيحتمل أن يكون جمع شمس سمي به ، منه قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستنجد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تغيير الأعلام نحو معديكرب ... وغير ذلك مما غير عن حاتم نظائره لأجل التلمية للحادثة فيه . وليس في كلام العرب شمس علماء إلا هذا الموضع ، ولا في كلامهم حجر علماء إلا أبو أوس الشاعر ، ولا في كلامهم سلمى بضم السين إلا أبو زهير « ابن أبى سلمى » .

٢ - أَهْزُبُهُ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفُهُ كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ

عِطْفُ كُلِّ شَيْءٍ : جَانِبُهُ . وَيُقَالُ ثَنَى عِطْفُهُ ، إِذَا أَعْرَضَ وَجْهًا . وَكَانَ الْقَوْسَ وَالرِّدَاءَ سُمِّيَا عِطْفًا لِاشْتِمَالِهِمَا عِنْدَ التَّوَشُّعِ بِهِمَا عَلَى الْعِطْفِ . يَقُولُ : أَحْرَكْتُ بِالنَّشَاءِ جَانِبَهُ كَمَا حَرَّكَ جَانِبِي بِمِطْيَتِهِ ، أَيْ أَسْرَعُهُ بِذَلِكَ حَتَّى يَرْتَاحَ وَيَطَارِبَ كَمَا سَرَّنِي حَتَّى اهْتَزَزْتُ . وَالْهَجَانُ : الْإِبِلُ الْبَيْضُ الْكَرَامُ . وَالْأَوَارِكُ : الَّتِي رَعَتِ الْأَرَاكَ ، يُقَالُ أَرَكْتَ الْإِبِلَ فَهِيَ أَرَكَةٌ . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : الْأَوَارِكُ الَّتِي تَرَعَى الْأَرَاكَ ^(١) ، وَهُوَ نَبْتُ . وَالنَّدْوَةُ أَصْلُهُ الْجَمْعُ ، وَيُقَالُ نَدَاهُمُ النَّادَى ، أَيْ جَمْعَهُمْ . وَانْتَدَى الْقَوْمُ وَتَنَادَوْا ، إِذَا تَجَمَّعُوا . وَمِنْهُ دَارُ النَّدْوَةِ . وَالنَّدَى : الْجُلُوسُ ، وَالْجَمِيعُ أُنْدِيَّةٌ . وَيَقَعُ لَفْظُ هَجَانٍ لِلْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، يُقَالُ نَاقَةٌ هِجَانٌ وَنُوقٌ هِجَانٌ ، وَمِثْلُهُ دِرْعٌ دِلَاصٌ ، وَدِرْوَعٌ دِلَاصٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِعَالًا وَفَعِيلًا يَنْشَارِكَانِ كَثِيرًا ، وَكَمَا جُمِعَ فَعِيلٌ فِعَالًا كَذَلِكَ جُمِعَ فِعَالٌ فِعَالًا . أَلَا تَرَى أَنَّ الْعِدَّةَ وَالْوِزْنَ فِيهِمَا وَاحِدٌ وَحَرْفُ الْمَدِّ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ بِلِزَازٍ مَا فِي الْآخَرِ ؟ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ مُجَلٌّ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنَّ فِعَالًا إِذَا كَانَ جَمْعًا يُنَوَى بِحَرَكَاتِهِ وَأَلْفِهِ أَنَّهَا حَرَكَاتُ بَنَاتِهِ وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ ، كَأَنَّ الْكُسْرَةَ فِي أَوَّلِهِ الْكُسْرَةُ الَّتِي فِي أَوَّلِ ظُرَافٍ وَكَرَامٍ ، لَا الْكُسْرَةُ الَّتِي فِي أَوَّلِ حِمَارٍ وَإِزَارٍ ، وَكَذَلِكَ أَلْفُهُ فَاعْلَمْهُ .

٣ - قَلِيلُ التَّشَكُّيِّ لِلْمُهْمِّ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْهَوَى شَتَّى النَّوَى وَالْمَسَالِكِ

الْمُهْمُّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْهَمِّ الَّذِي هُوَ الْحُزْنُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْهَمِّ الَّذِي هُوَ الْقَضْدُ . يَقُولُ : هُوَ صَبُورٌ عَلَى النَّوَائِبِ وَالْعِلَآتِ ، لَا يَكَادُ يَتَأَلَّمُ

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي الْأَصْلِ بِالْفَتْحِ ، وَضَبِطَ فِي التَّامُوسِ بِالْكَسْرِ .

مما يَفْرُوهُ من المَهْمَاتِ . واستعمل لفظ القليل والقصدُ إلى نفي الكلِّ ، وهذا كما يقالُ فَلَانٌ قَلِيلٌ الاكثرُ بوعيدِ فَلَانٍ ، والمعنى لا يكثرُ . وعلى ذلك قولهم : قَلَّ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا ، وأقلَّ رَجُلٌ يَقُولُ كَذَا . والمعنى معنى النفي ، وليس يرادُّ به إثباتُ قليلٍ من كثيرٍ . فإن قيل : من أين سألَ أن يُستعمل لفظُ القليل وهو الإثباتُ في النفي ؟ قلتُ ^(١) : إنَّ القليل من الشيء في الأكثرِ يكون في حكم ما لا يُعتدُّ به ولا يُعْرَجُ عليه ، لدخوله بخفةِ قدره في مَلَكَةِ الغناء ، والدُّروس والأتحاء ، فلما كان كذلك استعمل لفظه في النفي على ما في ظاهره من الإثباتِ محترِزين من الرد ، ومُجْمِلين في القول ، وليكونَ كالتعريضِ الذي أثره أبلغُ وأنكى من التصريح . وقوله : « كثيرُ الهوى » طابَقَ القليلَ بقوله كثيرٌ ، من حيث اللفظ لا أنه أثبت بالأول شيئاً نَزَرًا فقابله بكثيرٍ . والمعنى أنه كثيرُ الهمِّ مختلفُ الوجه والطرق ، لا يوقِفُ منه على مَدَى غَوْرِهِ في الأمور ، ولا يَقِفُ به أمله على فنٍّ لا يتجاوزُه ^(٢) إلى الفنون . ويريدُ بالهوى الجنس وكذلك النوى ، وهى وجهته التى ينوبها . ومثله قول الآخر :

..... باقى عَلَى الحَدَثَانِ مُخْتَلِفُ الشُّوْنِ ^(٣)

٤ - يَظَلُّ بِمَوْمَاتٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا جَمِيداً وَيَعْرِوْرى ظُهُورَ الْمَهَالِكِ
المَوْمَاتُ : المَفَاةُ ، ووزنه فَعْلَالَةٌ ، وجمعها مَوَامٍ . وإنما قال « يُمْسِي بِغَيْرِهَا » ولم يقل يَبِيتُ ، لأنَّ قصدهُ إلى أن يصفه بأنه يقطع في بياضِ نهاره مَفَاةً ، ولو قال يَبِيتُ لم يَتَبَيَّنْ منه ذلك . فيقول : يقطع المَفَاوِزَ لا كَتَسَابِ المَسْكَارِ ، فَتَرَاهُ

(١) كذا ضبط بفتح التاء في النسختين في أشباه هذا الموضع .

(٢) م : « فلا يتجاوز » .

(٣) صدره عن التبريزى : * شديد مجامع الكتفين باقى *

يكون نهاره بمفازة فإذا^(١) أنى عليه المساء تجده في أخرى فريداً وحيداً — ويقال : حلّ فلان جحيشاً ، أى منفرداً — ويركب ظهور المهالك والمعاطب غير مستصحب رفيقاً ، ولا مستجمع سلاحاً . وهذا كما يقال : أعزوربتُ الفرس ، إذا ركبته عزباً . وكانت طباعهم أن من كدّ نفسه وابتذلها ، وتوحّش في المهالك ولزّمها ، وتعرض للمعاطب ولم يتوقّها ، كان ذلك أذعى إلى ما بُنُوهُ به ويميّزه عن رجال جنسه . وانتصب « جحيشاً » على الحال ، وقولها بغيرها لا يجوز أن يكون مستقراً فاعله .

٥- وَيَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدَّةِ التَّنَادِرِ

قوله « من حيث ينتحي » يجوز أن يكون للمدح ، ويجوز أن يكون لفد الرّيح ، لأنّ المراد أنّه يسبقه وإن أعطاه مهلة . ومعنى ينتحي : يقصد . والشاعر إنما يصف خفته وتشمّره وجده وتيقظه ، فيقول : من حيث اعتد في السّير جاء سابقاً للريح بعدو له واسع من عدوه . التنادر : المتتابع . وجمل العدو منخرقاً^(٢) لا تساعه . والتنادر : المتلاحق . ويقال : أدرك فلان عدّة من أصحابه ، أى لحقهم وشاهد أيامهم . وأخذ أبو تمام هذا فزاد عليه وإن كان في لفظة ركافة ، فقال :

فَمَرَّ وَلَوْ يَجَارِي الرِّيحَ خِيَاتَ لَدَيْهِ الرِّيحُ تَرْسُفُ فِي الْقِيُودِ^(٣)

٦- إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِيٍّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانٍ فَاتِكِ^(٤)

الكرى : النوم الخفيف ، وكأنه مأخوذ من كريت ، إذا عدوت عدواً

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « فإن » .

(٢) م : « متحرّكاً » ، والصواب ما في الأصل .

(٣) يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي . وقبلة :

رأه العلاج مفتوحاً عليه كما اقتحم الفناء على الخلود

(٤) رواه التبريزي : « إذا حاص » ، وهى بمعنى خاط ، ثم نبه على رواية « خاط » .

شديداً . فقولهُ : « خاَطَ عَيْنِيهِ » يريد مرّةً فيه ، وليس يريد التمسك منه حتى يجعل أجفانه كالخيط . ومنه قولهُ :

* حَتَّى تُخَيِّطَ بِالْبَيَاضِ قُرُونِي ^(١) *

وأضاف الكَرَى إلى النّوم كما يُضاف البعض إلى الجنس ، كأنّ النوم لجنس النمل ، والكَرَى لما كان على جهة مخصوصة . يقول : إذا نام النّومة التي أشار إليها لم يَزَلْ له رقيبٌ وحافظٌ من قلب رجلٍ جادٍ في الأمور ، مفاجئٌ عَرِيضٌ ، وهذا الرجل هو هو . كأنه يريد إذا نام عينه لا يقام قلبه . والشَّيْحَانُ والشَّائِخُ والشَّيْخُ : الحذر الحازم . قال الهذلي :

* وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّكَ شَيْخٌ ^(٢) *

والفاتكُ : الذي يفاجئ غيره بمكروهٍ أو قتلٍ . وفي الحديث : « الإيمان قَيْدُ الْفَتَكِ » ^(٣) . وقال الدُّرَيْدِيُّ : هو الذي إذا همَّ بالشئِ فَعَلَ .

٧ - وَيَجْعَلُ عَيْنِيهِ رَيْبَةً قَلْبِهِ إِلَى سَلَةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقَ بَاتِكَ ^(٤)
يُرْوَى :

إِذَا طَلَعْتَ أَوَّلَى الْعَدِيِّ فَتَفَرُّهُ إِلَى سَلَةٍ ^(٥)

(١) ويروى : « تَخَيَّطَ » . والبيت لبدر بن عامر الهذلي ، في اللسان والمقاييس (خيط) . وصدده :

* تَالَهُ لَا أَنْسَى مَنِحَةً وَاحِدَ *

(٢) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ١١٦ واللسان والمقاييس (شيخ) . وصدده :

* بَدَرْتُ إِلَى أَوْلَاهِمُ فَسَبَقْتَهُمْ *

(٣) ويروى : « قَيْدُ الْفَتَكِ » على المصدرية . وفي اللسان : « ومنه الحديث : أن رجلاً أتى الزبير فقاتل له : ألا أقتل لك علياً ؟ فقال : فكيف تقتله ؟ فقال : أفتك به . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قَيْدُ الْإِيمَانِ الْفَتَكُ ، لا يفتك مؤمن » .

(٤) رَوَاهُ الثَّيْرِيُّ : « أَخْلَقَ صَائِلُكَ » ولم يفسر الصائلك ، وهو المتغير الربيع . ثم روى رواية أخرى قال فيها « وهى أسلم الروايتين » . وهى كما رواها :

إِذَا طَلَعْتَ أَوَّلَى الْعَدِيِّ فَتَفَرُّهُ إِلَى سَلَةٍ مِنْ صَارِمِ اللَّارِبِ بَاتِكَ . (٥) انظر الحاشية السابقة .

(٧ - حاشية)

وهي أسلم الروایتين . والمدئي : الرّجالة الذين يمدّون قُدّام الخيل . وهو اسم صيغ للجمع ، كالكلّيب والضّنين . وعلى الرواية الأولى يقول : لا بفعل قلبه عن التحفظ ، وعينه ديبذبانهُ إلى سلّ سيفه . فإن قيل : كيف يكون العين ديبذبان القلب ، وهذا يقول إذا نام بعينه لم ينمّ بقلبه ، أم كيف تصحّ هذه الرواية وفيها يتكرّر معنى واحد في مصراعَي البيتين ، وهل الواجب في هذا إلا أن يقال إن القلب هو ديبذبان العين ، لأنّ العين نائمة والقلب منتبه ؟ قلت : إنّه وصّف حالتين ، بالمتقدّم صفّه حال النوم ، والثاني هو صفّه حال اليقظة والمعنى أنّ العين رقيب القلب ، والمتنظر لإظهار ما يكرهه وتغييره ، فإذا كره القلب شيئاً كان العين صاحبه الذي يُظهره ، فهو ربيئته إلى نزع السيف وتجريدّه ، وإنكاره ما أنكره وتغييره . والأخلق : الأملس . والبانك : القاطع . وقوله « إلى سلة » يجوز أن يكون إلى بمعنى مع ، كما تقول هذا إلى ذلك ، أى مع ذلك ، ويجوز أن يكون المعنى أنّها ربيئته إلى أن يستلّ سيفه ، وبعد ذلك فالعمل للقلب ، ويكون إلى للاتهاء . وقوله : « من حدّ أخلق » فيه توسّع ، لأنّ السيف يُستلّ من الغمد فيصير مسلولاً . ألا ترى قوله : إذا سلّ من جفن تأكل أثره على مثل مصحاة اللّجين تأكل^(١) وهذا جعل الجفن مسلولاً والسيف مسلولاً منه . ألا ترى قوله : « إلى سلة من حدّ أخلق » ، فهو في ذلك كقولهم : أدخلت الخفّ في رجلي ، والقلنسوة في رأسي .

٨ - إذا هزّه في عظم قرن تهلّت نواجذ أروام المنايا الضواحيك
مثله قول الآخر :

سقاء الرّدى سيف إذا سلّ أو مضت إليه تنايا الموت من كلّ مرّقب

(١) لأوس بن حجر في ديوانه ٢٠ واللّسان (صحاح) .

وإن كان هذا وصفَ السيفِ وقوَّةَ صاحبه في الضرب . والمعنى أنه متى حركه في الضربة ضحك الموت علماً بظفره بالمرحوب . وذِكْرُ التهلُّلِ والناجذِ مثلُ تصويرٍ للمراد . وقوله « المنايا الضواحك » . أى التى من شأنها أن تضحك عند الظفر بمطوبها ، وإنما قال « فى عَظَمِ قَرْنٍ » إيداناً بأنه لا يتعرض له إلا من يقارنه بأساً وشدةً ، وكذلك هو لا يعمل هذا السيف إلا فى عَظَمٍ من يقارنه حَزْماً ونَجْدَةً . ونسبة التهلل إلى النواجذ مجاز وسعة ، وهذا كما يقال سُرَّ فلانٌ بكذا حتى صار لكل سنٍ له ضحكٌ . وقد سُمِّيت ما يبدو من الأسنان عند الضحك الضواحك .

٩- بِرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسَ الْأَنْسَى وَيَهْتَدَى بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

قوله : « يرى الوحشة الأنس » أى ذلك مذهبه . وهذا كما يقال هو يرى رأى أبى حنيفة ، أى يذهب مذهبه . فيقول : أنسُ هذا الرجل التام في التفرد الذى يعدّه غيره وحشة . وإتباعه الأنس الأنيس تأكيد وإظهاراً للمبالغة . وهذا كما قيل : ظلٌّ ظليلٌ ، وداهيةٌ دهيةٌ . وهم يبنون من لفظ الشيء ما يتبعونه به طريق التأكيد . وقوله : « يهتدى بحيث اهتدت » يصفُ علمه بالطَّرُقِ واستغناءه عن الدليل . وقد قيل فى « أُمُّ النجوم » إنه الشمس ، وقيل هو المجرّة . والمعنى أنه يهتدى بحيث تهتدى الشمس . ويُسمى مُعْظَمُ الشيء أمّه . والشمسُ أعظمُ الكواكب . ويسمى جامع الأشياء أمّها ، يُعْنَى (١) أنها تأوى إليه . والشوَابِكُ : المشبكة . وإذا جعلت أُمُّ النجومِ المجرّة فيجوز أن يكون المعنى أنه يهتدى بالكواكب التى تجمعها ، فجعل الفعل لها لاجتماعها فيها . ويجوز أن يكون المعنى أنه يستغنى عن الدليل كما تستغنى تلك .

(١) م : « بمنى » .

١٤

قال بعض بنى قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لبشامة بن جزء^(١) النهشلي :
 ١ - إنا نحيوك يا سلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقينا
 يقول : إنا مسلمون عليك أيتها المرأة فقابلينا بمثله ، وإن خدنت الكرام
 وسقيتهم فأجربنا مجراهم فإننا منهم . والأصل في التحية أن يقال حيّاك الله ،
 ثم استعمل في غيره من الدعاء عند اللقاء ، وأما قوله :

ولكل ما نال الفتى قد نلتُهُ إلا التحية^(٢)

فالمراد به تحية الملوك خاصة ، وهو قولهم : أبنت اللعن ! وقيل في سقيت إن
 معناه : إن دعوت لأماثل الناس بالشفق فادعي لنا أيضا . والأشهر في
 الدعاء أن يقال فيه سقيت فلانا فينقل ، [والحجة في التخفيف قول أبي ذؤيب :
 سقيت به دارها إذ نأت وصدقت الخال فيه الأنوحا^(٣)]

وعلى هذا يكون في الكلام إضمار ، كأنه قال : وإن سقيت بظهر الغيب
 الكرام بالدعاء عند ذكركم فافعل بنا مثله ، وقولي سقاكم الله . وقد فصل
 بعضهم بين سقيت وأسقيت بأن قال : أسقيت : جعلت له سقيا يفعل بها ما شاء ،
 وسقيته : أعطيته ماء لفيه . ومثله كسوته وأسقيته ، لأن معنى كسوته

(١) كذا في النسختين . وعند التبريزي والمبرد ٦٥ والبغدادى (٣ : ٥١٥) :
 « حزن » . وكذلك عند ابن جني في المهج . قال : « والحزن : الموضع الغليظ » . قال
 البغدادى : « والظاهر أنه إسلامي كما يظهر من شرح المبرد لأبياته » . أى لئنيبه على أنه
 أخذ بعض معانيه من شعراء إسلاميين . انظر الكامل ٦٥ - ٦٧ ليسك . ونسب ابن قتيبة
 الأبيات في الشعر والشعراء ٦٢٠ إلى نهشل بن حري ، وفي عيون الأخبار (١ : ١٩٠)
 إلى بشامة .

(٢) لزهير بن جناب الكلبي في اللسان (حيا) والمعرين ٢٦ .

(٣) التكملة من م . والبيت لم يرو في قصيدة أبي ذؤيب التي على هذا الوزن والرو .
 انظر ديوانه ١٢٩ - ١٣٦ لكنه نسب إليه في اللسان (أنح) ، وفسر الخال فيه بأنه المتكبر .

أَلْبَسْتُهُ، وَأَكْسَيْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ كِسْوَةً^(١)، وبعضهم يجعلها سواء، ويحتاج بيت ليبد :

سَقَى قَوْمِي بَنِي تَجْدٍ وَأَسْقَى نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ^(٢)
وإذا فُصِّلَ بينهما في البيت لم يختل به لفظا ولا معنى، كما أنه إذا سَوِيَ
بينهما لم يختل معنى ولا لفظا، فكأنه لا حُجَّةَ فيه لواحدٍ من القولين. والقصدُ
في الدعاء بالشُّقْمَا إلى أَنْ يُمِدَّ اللهُ الدُّعُوَّ له بما يزيد في نعمائه ونصارتِه. ألا تَرَى
الآخرَ قال لما دَعَا على ما تَسَخَّطَهُ^(٣) :

إِذَا سَقَى اللهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَادِيَّةٍ فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا الْفَارَ تَضْطَرِمُ
فذكر ما يُحْرِقُ وَيَسْتَأْصِلُ .

٢- وَإِنْ دَعَوْتَ إِلَى جُلِّيٍّ وَمَكْرُمَةٍ يَوْمَ مَسَرَّاةِ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا
جُلِّيٌّ قُنِّي ، أجزاها مجرى الأسماء ويرادُ بها جليلةٌ . كما يرادُ بِأَفْعَلٍ
فَاعِلٌ وفِعْلٌ ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ، أَي هَيِّنْ ؛ وكما قال :
* فَتِلْكَ سَبِيلُ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ^(٤) *

أَي بواحدٍ ؛ وكقولك : اللهُ أَكْبَرُ ، تريدُ كبير . يقول : إِنْ أَشَدَّتْ
بذكر خيار الناس بجليلة^(٥) نَابَتْ ، أَوْ مَكْرُمَةٍ عَرَضَتْ وَسَنَحَتْ ، فأشيدى
بذكرنا أيضا . وهذا الكلام ظاهره استعطافُ لها ، والقصدُ به التوصلُ إلى بيانِ

(١) ضبط في النسختين بكسر الكاف ، ويقال كسوة أيضا بالضم .

(٢) وكذا روايته في اللسان والتبريزي والديوان ١٢٧ . قال الطوسي : « مجد ابنة

تيم بن غالب بن فهر بن مالك ، وهي أم كلاب وكليب ابني ربيعة بن عامر بن صعصعة » .
وفي م فقط : « بني بدر » .

(٣) م : « ما يسخطه » .

(٤) صدره كما في أمالي القتالي (٣ : ٢١٨) :

* تَمْنَى أَنْفَاسُ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمْتُ *

(٥) م : « جليلة » .

شرفه واستحقاقه ما يستحقه الأفاضل الأشراف ، والأماثل الكرام . ولا سقى
مَمْ ولا تحية ولا دعاء ولا مَعَانة . ألا ترى كيف اشتغل بمقصوده من الافتخار
فيما يتلو هذا البيت . وهم كما يتخلصون من التشبيبات وغيرها إلى أغراضهم على
اختلافها^(١) فإنهم قد يتوصلون بمبادئ كلامهم إلى أمثالها ، فتقل المؤونة ،
وتخف الكلفة . ولهذا نظائر وأشباه تجيء فيما بعد . والسراة في الناس ،
والسراة بالشين معجمة في المال والخيل . وفي حديث أم زرع^(٢) : « فَكَحْتُ
بعده رجلاً سريّاً ، ركب سريّاً ، وأخذ خطيّاً ، وأراح على نعمائياً » .
والجلى بالالف واللام : تأنيث الأجل ، كما يقال الأكبر والكبرى ، وكما
قيل السبع الطول جمع الطولى . ولا يُحذف الألف واللام منه حينئذ ، لأن
أصله يكون أقبل الذي يتم بمن . ويقال لكل ما علا شيئاً : جلّه ،
ومنه الجلالة .

٣- إنا بني نهشل لا ندعى لأب عنه ولا هو بالأبناء يشربنا^(٣)

ندعى : نفتعل من الدعوة . وقوله « عنه » تعلق به . ويقال ادعى فلان
في بني هاشم ، إذا انتسب إليهم ؛ وادعى عنهم ، إذا عدل بنسبه عنهم . وهذا
كما يقال : رغبت في كذا ورغبت عن كذا . وقوله : « لأب » أى من أجل
أب ولمكان أب . وانتصاب « بنى » على إضمار فعل ، كأنه قال : أذكر بنى
نهشل . وهذا على الاختصاص والمذح . وخبر إن « لا ندعى » . ولورفع فقال :
بنو نهشل ، على أن يكون خبر إن لكان لا ندعى في موضع الحال . والفصل
بين أن يكون اختصاصاً وبين أن يكون خبراً صراحاً : هو أنه لو جعله خبراً
لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان لا يخلو فله لذلك من

(١) في الأصل : « على اختلافهم » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) انظر حديث أم زرع في أوفى رواياته عند السيوطي في المزهري (٢ : ٥٣٢) .

(٣) التبريزي : « إن كان الشعر للقيسي فالرواية : إنا بنى مالك » .

حُولٍ فِيهِمْ ، أَوْ جَهْلٍ مِنَ الْخَاطَبِ بِشَأْنِهِمْ . فَإِذَا جُعِلَ اخْتِصَاصًا فَقَدْ أَمِنَ هُوَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا . فَقَالَ مُفْتَخِرًا : إِنَّا نَذْكُرُ مَنْ لَا يَخْفَى شَأْنُهُ ، لَا نَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا . وَإِنَّمَا قُلْتُ خَبْرًا صُرَاحًا ، لِأَنَّ لَفْظَ الْخَبَرِ قَدْ يُسْتَعْمَرُ لِمَعْنَى الْاِخْتِصَاصِ ، لَكِنَّهُ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُ بِقِرَائِنِهِ ؛ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي ^(١) *

وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنَّا لَا نَزْعَبُ عَنْ أَبِينَا فَتَنْتَسِبَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَهُوَ لَا يَزْعَبُ عَنَّا فَيَتَبَنَّى غَيْرَنَا وَيُبَيِّعُنَا بِهِ ، لِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ كُلُّ مَنَّا بِصَاحِبِهِ ، عَلِمًا بِأَنَّ الْاِخْتِيَارَ لَا يَمْدُوهُ لَوْ خَيْرٌ فَاخْتَارَ . وَيُقَالُ : شَرَيْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى بَيْعْتُهُ وَاشْتَرَيْتُهُ جَمِيعًا ، وَمِنْهُ الشَّرْوَى ، وَهُوَ الْمِثْلُ .

٤- — إِن تَبْتَدِرْنَا غَايَةً يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا يُقَالُ : بَادَرْتُهُ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا ^(٢) ، وَإِلَى مَكَانٍ كَذَا . قَالَ :

* فَبَادَرَهَا وَجَلَّتِ الْخَمْرُ *

وَكَذَلِكَ يُقَالُ : ابْتَدَرْنَا الْغَايَةَ إِلَى الْغَايَةِ . وَقَوْلُهُ : « لِمَكْرُمَةٍ » أَيْ لَا كِتْسَابٍ مَكْرُمَةٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّامُ مُضِيفَةً لِلْغَايَةِ إِلَى الْمَكْرُمَةِ ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ تَسَابُقَهُمْ إِلَى أَقْصَاهَا . يَقُولُ : إِنْ تَسْتَبِقْ نِهَايَةَ نَجْدٍ أَوْ غَايَةَ مَكْرُمَةٍ تَرَى السَّابِقِينَ مِنَّا وَالتَّالِينَ أَيْضًا مِنَّا . وَإِنَّمَا قَالَ « الْمُصَلِّينَ » وَلَمْ يَقُلْ لِلْمُصَلِّياتِ مَعَ السَّوَابِقِ ، لِأَنَّ قَصْدَهُ إِلَى الْآدَمِيِّينَ ، وَإِنْ كَانَ اسْتَعَارَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْخَيْلِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَخْرَجَ السَّابِقَ لَانْقِطَاعِهِ عَنِ الْمَوْصُوفِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ ،

(١) الرَّجَزُ يَنْطِقُ بِنَفْسِهِ إِلَى قَائِلِهِ ، وَهُوَ أَبُو النَّجْمِ الْعَجَلُ .

(٢) وَكَذَا الثَّانِيَّةُ ، لَيْسَتْ فِي م .

وليباقته عن المُجَلِّي وهو اسم الأول منها^(١) إلى باب الأسماء جَمَعَهُ على السَّوَابِقِ ، كما يقال كاهِلٌ وكواهلٌ ، وغاربٌ وغواربٌ . والمُصَلَّى هو الذي يتلو السابق فيكون رأسه عند صَلَاة . والصلَّوان : العظمان الفاتشان من جانبي المَجْز . وقال الدُّرَيْدِي : هو العظم الذي فيه مَفْرَزٌ تَجِبُ الذَّنْبُ . وقال بعض أهل اللغة : هما عِرْقَانِ في موضع الرَّدْفِ .

٥ - لَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إِلَّا افْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا
نَبَّهَ بهذا الكلام على أَنَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ السِّيَادَةَ فِيهِمْ يَكْثُرُ وَلَا يَقِلُّ ، فَتَنَبَّهَ
دَرَجَ مِنْهُمْ رَئِيسٌ تَرَشَّحَ^(٢) لِسَدِّ مَكَانِهِ وَاحِدٌ . وهذا مثلُ قوله :
وإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(٣)

والافتلاء : الافتطام والأخذُ عن الأمر ، ومنه الفُلُوْ . والمعنى هنا الترشيح
والتهيئة والصرفُ عما عليه إلى الرِّيَاسَةِ . و«أبدًا» في المستقبل بمنزلة قَطُّ في
الْمُضِيِّ . والقصدُ أنهم كلُّ وقتٍ على ذلك ، فلا يحتاجون إلى الاستعانة
بالأجانب دون الأقارب . والأبدُ : الدَّهْرُ ، وقيل سُمِّيَتِ الْوَحْشُ أَوَابِدَ لِأَنَّهَا
تَعُمَّرُ عَلَى الدَّهْرِ ، حَتَّى لَا تَمُوتَ إِلَّا بَاقَةً . وَأَنْ يَكُونَ مِنَ التَّأَبُّدِ التَّوَحُّشُ
أَحْسَنُ ، وَإِنْ أُمِكنَ رَدُّ الْكُلِّ إِلَى أَصْلِهِ وَاحِدٌ .

٦ - إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلَيْنَا^(٤)

(١) م : « منها » .

(٢) م : « رشح » .

(٣) البيت للقيط بن زُرارة كما في الحيوان (٣ : ٩٣) . ونسب إلى أبي الطحان القيني في الكامل ٣٠ والوساطة ١٥٩ . وذكر التبريزي أن البيت أيضا نظير قول أوس بن حجر :
إذا مرقم منا ذرا حدنا به تحفظ منا ناب آخر مرقم
(٤) في الكامل ٦٧ أنه أخذه من قول الأجدع الهذلي :

« أغلينا » الألف للإطلاق ، والنون ضمير الأنفس ، ومعنى أغلينا
وُجِدَتْ غَالِيَةً أَوْ جُعِلَتْ غَالِيَةً . وهو هكذا أجود ، وليس يُريد أنهم مع
الغلاء يَمَكُون منها ، بل المرادُ قَطْعُ الْمُقْدَرَةِ عنها . ومثل هذا :

نُعَرِّضُ لِلشَّيْءِ بِكُلِّ نَفَرٍ خُدُودًا لَا تُعَرِّضُ لِلسَّبَابِ^(١)

فيقول : نَبْتَذِلْ أَنْفُسَنَا فِي الْحُرُوبِ وَلَا نَصُونَهَا ، وَلَوْ عُرِضَ عَلَيْنَا إِذَا لَتَّهَا
فِي غَيْرِهَا لَا مَتَنَفَعْنَا . وهذا لِحَرْصِهِمْ عَلَى تَخْلِيدِ الذِّكْرِ الْجَلِيلِ ، وَالْأَبَانَةِ عَنْ تَحَلٍّ
النَّفْسِ فِي الشَّجَاعَةِ . وَالرُّخْصُ فِي السَّعْرِ : مُهَوِّلُهُ وَلِينُهُ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ فِيمَا
أُظِنَ اسْرَاءُ رَخْصَةً ، إِذَا كَانَتْ نَاعِمَةً . وَقَوْلُهُ : « وَلَوْ نُسَامُ بِهَا » أَيْ نَحْمَلُ
عَلَى أَنْ نَسُومَ بِهَا . وَيُقَالُ سَامَ بَسَلَعْتُهُ كَذَا وَكَذَا ، وَاسْتَامَ أَيْضًا ، وَأَغْلَى
السَّوْمَ وَالسَّيْمَةَ . وَأَسَمْتُهُ أَنَا ، أَيْ حَمَلْتُهُ عَلَى أَنْ سَامَ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ
قَوْلُهُمْ : سُمْتُه خَسَفًا ، أَصْلُهُ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ اسْتُعْمِلَ فِي الْمَكْرُوهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ يَسْأَلُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ . وَفِي الْبَيْتِ طِبَاقٌ بِذِكْرِ الْإِرْخَاصِ وَالْإِغْلَاءِ ،
وَالرُّوْعِ وَالْأَمْنِ ، فِي مَوْضِعَيْنِ ، وَهُوَ حَسَنٌ جَيِّدٌ .

٧ - بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَقْلِي صَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

يُروى : « بِيضٌ مَعَارِفُنَا » ، وَهِيَ الْوُجُوهُ . وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ نَقَاءُ الْعَرَضِ
وَانْتِفَاءُ الذَّمِّ وَالْعَيْبِ . وَيُقَالُ : اسْرَاءُ حَسَنَةُ الْمَعَارِفِ ، أَيْ الْوُجُوهِ بِمَا يَشْتَمِلُ
عَلَيْهِ . وَقِيلَ الْأَنْفُ وَمَا وَالَاهُ . وَقِيلَ : الْحُسْنُ فِي الْأَنْفِ ، وَالْمَلَاَحَةُ فِي

= لقد علمت نسوان همدان أنني
وأبذل في الهيجاء وجهي وإنني
ومن القتال الكلابي حيث يقول :

أنا ابن الأكرمين بنى قشير
نعرض للطمعان إذا التقينا
وأخوالى الكرام بنو كلاب
وجوها لا تعرض للسباب

(١) عند التبريزي : « إِذَا التَقِينَا نَفُوسًا » .

الأسنان . وواحد المعارفِ مَعْرِفٌ وَمَعْرِفٌ^(١) ، وكان الوجهُ سُمِّيَ بها لأن معرفة الأجسام وتمييزها تقع^(٢) بها . والأشهر والأحسن « يبيضُ مفارقنا » . ويجوز أن يكون أراد ابيضَّت مفارقنا من كثرة ما نقاسى الشدائد . وهذا كما يقال أَمَرُ يُشِيبُ الذَّوَاب . وفي القرآن : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ . و « تَغْلِي مَرَاجِلُنَا » أي حروبنا ، كقول الآخر^(٣) :

تَقُورُ عَلَيْنَا قَدْرُهُمْ فَنُدْبِمُهَا وَنَقْمُوهَا عَنَّا إِذَا حَمِيهَا غَلَاً

ويجوز أن يكون المراد : ابيضَّت مفارقنا لانحسار الشعر عنها ، باعتبارنا لبس الخفاف والبيض ، وإدماننا لإيَّاه ، ويكون هذا كما قال :

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعٍ^(٤)

وتكون المراجِلُ على هذا كناية عن الحروب أيضا . ويجوز أن يكون المراد : ابيضَّت مفارقنا من كثرة استعمالنا للطيب ، ويكون كقول الآخر :

* جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمِسْكِ فَرَقَةٌ^(٥) *

ويكون على هذا معنى « تغلي مراحِلنا » أي قدورنا للضيافة ، ويجوز أن يُريد : مَشِيبُنَا مَشِيبُ الْكِرَام ، لامشيب اللثام . وأنشد ابن الأعرابي في نوادره :

وَشِبْتُ مَشِيبَ الْعَبْدِ فِي نُقْرَةِ الْقَفَا وَشِيبُ كِرَامِ النَّاسِ فَوْقَ الْمَقَارِقِ
وعلى هذا يُحْمَلُ المَرَاجِلُ على أن المراد بها قدور الضيافة . فأما قوله : « نَأْسُو

(١) ذكر في اللسان والقاموس « المعرفة » مفتوح الراء فقط .

(٢) هذه الكلمة من م ، وفي أصلها « يقوم » وكتب تحتها « تقع صح » إشارة إلى الصواب .

(٣) هو النابغة الجعدي ، كما في اللسان (فتاً) ومقاييس اللغة (دوم) .

(٤) لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري ، كما في المفضليات (٢ : ٨٤) .

(٥) روى في الكامل ١٠٣ ليسك والبيان (٣ : ٣٠٥) :

جلا المسك والحمام والبيض كالدى وفرق المدارى رأسه فهو أنزع

وانظر للخلاف في نسبة الشعر الخزانة (٢ : ٥٣٢) .

بأموالنا آثارَ أيدينا » فإنما يريد ترفعهم عن القودِ ودفع أطماع الناس عن مقاصبتهم ، فيداوون جراحتهم ببذل الأروشِ والديّات . والأسو : مداواة الجرح وإن استعمل في موضع الإصلاح . قال :

والأساةُ الشفأةُ للداءِ ذي الرّيبةِ والمذركون للأوغام^(١)
ويقال للضارّ النافع : يشجّ ويأسو . ومنه اشتقاق الإسوة ، ويقال الأسوة أيضا . ويروى أن مُصعب بن الزبير لما انهزم الناس عنه يوم مسكن جعل يُقاتل ويتمثل :

وإنّ الأولى بالطف من آل هاشمٍ تأسوا فسنوا للكرامِ النّاسيا^(٢)
وفي البيت مع حسن المعاني التي بيّنتها توازنٌ في اللفظ مستقيم ، وسلامة مما يجلب عليه التهجين .

٨ - إني لمن ممّشر أفنى أوائلهم قولُ الكمّاةِ ألا أين المحامونا^(٣)
بقاربه قول الخنساء :

* أَقَلَّتْ مُسَامَاةُ الرِّجَالِ عَدِيدَنَا *

فيقول مفتخرا إني لمن قومٍ أهلك أسلافهم قولُ الأبطال لهم ألا أين الذّابّون والمحامون ؟ فكانوا يتقدمون ويفنون . والكمّاة : جمع الكميّ ، وهو من قولهم كميّ شهادته ، إذا كتمها ؛ لأنّ الشجاع يستغنى بالفعال ، عن الدّعوى والمقال ، فكانه يستر أمره وشأنه لوقت الحاجة ، ولأنّه إذا سكّت دلّ على صفاته بلاؤه .

٩ - لو كان في الأنفِ منّا واحدٌ فدعوا من فارسٍ خالهم إياه يغنونا

(١) في الأصل : « للأرغام » بالراء ، صوابه بالواو كما في م . والأوغام : الترات ، واحدها وغم .

(٢) كذا ورد إنشاده في النسختين . وفي اللسان والكمال ١٠ :

* تأسوا فسنوا للكرامِ النّاسيا *

(٣) رواية التبريزي : « قيل الكمّاة » .

يعنى بقوله « فَدَعَوْا » أعلنوا الاستغاثة بِيَالِ فلان ، وَمَنْ قَتَى ، وما أشبهه . ويقال خِلْتُهُ أَخَاهُ خَيْلاً وَخَيْلَةً وَخَيْلَانًا^(١) . وهذا مثل قول طَرْفَةَ :
 إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ قَتَى خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ
 وقد زاد هذا عليه بقوله « لو كان في الألف مِثْلًا وَاحِدًا » . لأن ذلك قال :
 إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ قَتَى ، فنصب نفسه مع قومه ؛ وهذا جَعَلَهُ مُنْضًى مَعَ
 الكثرة إلى الغرباء . وإنما قال : « مَنْ فَارِسٌ » فَكَرَّ ، كما قال طَرْفَةُ : « مَنْ
 قَتَى » فَكَرَّ . ولم يُعرف واحدًا ، منهما ، لأن السؤال بالمتكسر لشدة إبهامه يكون
 أَشْمَلَ لَتَنَاولُهُ وَاحِدًا وَاحِدًا لَاسِيًا وليس القصد في الاستفهام إلى معهود معين ،
 ولا إلى الجنس فيقال : من الفتى ، ومن الفارس . وفي هذه الطريقة قول الآخر :
 إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ قَتَى لِعَظِيمَةٍ فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى
 وبیت بشامة أجود الثلاثة . وقد أحسن الفرزدق كل الإحسان لما أشار
 إلى هذا المعنى فقال :

إِذَا مَا قِيلَ يَا لِحُمَاةِ قَوْمٍ فَنَحْنُ بِدَعْوَةِ الدَّاعِي عُنَيْنَا
 ١٠ - إِذَا الْكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الطُّبَاتِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا^(٢)

إِنَّمَا قَالَ حَدُّ الطُّبَاتِ - وَطَبَّةٌ : السِّيفُ حَدُّهُ - لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمَضَارِبَ
 بِأَسْمِهَا . وَكَأَنَّ صَلَاحَ أَنْ يُقَالَ أَصَابَتْهُ طَبَّةُ السِّيفِ صَلَاحُ أَنْ يُقَالَ حَدُّ الطَّبَّةِ .
 وَقِيلَ الطَّبَّةُ : طَرَفُ السِّيفِ ، وَالشَّبَابُ حَدُّ طَرَفِهِ . يَقُولُ : إِذَا الْأَبْطَالُ
 تَبَاعَدُوا عَنِ الْمَصَادِمَةِ وَالْمُكَافَةِ ، خَافَةَ أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ السِّیُوفِ مَدَدْنَا أَيْدِيَنَا
 إِلَيْهِمْ بِهَا^(٣) أَوْ وَصَلْنَاهَا ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ :

(١) ضبط في النسختين بكسر الخاء . وفي اللسان والقاموس « الخيلان » بالتحريك .

(٢) رواية التبريزي : « أَنْ يَصِيبَهُمْ » .

(٣) في الأصل : « بِنَا » ، والكلمة ساقطة من م .

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتَضَارِبِ^(١)
 وقوله « تَنْحُوا أَنْ يَنَالَهُمْ » أى تنحوا أن ينالهم ، وخفافة أن ينالهم ؛ فلما
 حُذِفَ مِنْ وَصَلَ الْفِعْلِ فَعْمِلٌ . وعلى هذا قولهم : تَحَصَّنَ فُلَانٌ أَنْ يُطْلَبَ ،
 وقول الله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ . وقوله : « وصلناها بأيدينا »
 أى إذا عجزت جعلنا وصلها أيدينا . وهذه الأبيات إذا تَوَلَّمَتْ فكل منها
 غاية يدعو إلى نفسه لفظاً ومعنى .

١١- وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبُهُمْ مَعَ الْبُكَاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَ
 يصف تعوذهم للشكل ، وإلفهم للمصائب والقتل ، وأن قلوبهم قد مررت
 عليها حتى قست ، فلا يكون مع البكاء على من قتل منهم . ومثله قول
 عمرو بن كلثوم :

مَقَادَ الْإِلَهِ أَنْ تَنْوَحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَصِيحَ مِنَ الْقَتْلِ
 ١٢- وَنَرْكَبُ الدُّكْرَةَ أَحْيَانًا فَيَفْرُجُهُ عَنَّا الْحِفَاطُ وَأَسْيَافُ تَوَاتِيذِهَا
 يجوز أن يكون هذا كما قال الآخر :

* خَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ *

ويجوز أن يكون أراد بالسيوف رجالاً كأنهم السيوف مضاء ونفاذاً . والأول
 أولى . وإنما يصف خطرهم بهمهمهم ، وركوبهم المهلك ، ورميهم بأنفسهم
 المرامي المعلقة . فيقول : إذا فعلنا ذلك في الوقت بعد الوقت ، وسعت المضايق عنا
 محافظتنا على الكرم وصبرنا على الشدائد ، واستعمالنا سيوفنا المطاوعة لنا . ومعنى

(١) كذا جاءت الرواية في النسختين . والمعروف في رواية بيت قيس بن الخطيم :

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَضَارِبُ

ولالأخمس بن شهاب التغلبي في المفصليات (٢ : ٧) :

وإن قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى القوم الذين فصارب

يفرُّجُه : يكشفه ويوسِّعه . ويقال : فرَّجَ اللهُ عَمَّهُ وفرَّجَه ، بالتخفيف والتشديد .
ومنه سُمِّيَ ما بين القوائم : الفروج . وإطلاق لفظ الفرج على التوراة يجري
مجرى الكفايات . وعلى هذا قيل : رَجُلٌ فُرْجَةٌ ، إذا كان كشافاً لأسراره .

١٥

عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، ويقالُ إِنَّهُ لَلسَّمَوِّعِل

ابن عاديا اليهودي :

١- إذا المرء لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ مَرَضُهُ فكلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

يقال : دَنَسَ دَنَسًا ، وَتَدَنَسَ تَدَنَسًا ، إذا تكلَّفه . فيقول : إذا لم يتدنَّس
الرجلُ باكتساب اللُّؤْمِ واعتياده فأثى مَلْبَسُ لِبَسُهُ بعد ذلك كان حَسَنًا جميلًا .
وذِكر الرِّداء هاهنا مُستَعَار ، وقد قيل : رَدَّاهُ اللهُ رِداءَ عَمَلِهِ ، فيجعلُ كنايةً
عن مكافأة العبد بما يعمَله ، أو تشهيره به ، كما جَمَلَه هذا الشاعر كنايةً عن
الفعلِ نَفْسِهِ . وتحقيقه : فأثى عَمَلِ عَمَلِهِ بعد تَجَنُّبِ اللُّؤْمِ كان حَسَنًا . واللُّؤْمُ :
اسمٌ لخصالٍ تجتمع ، وهى البُخل واختيار ما تَتَّقِيهِ المروءة ^(٢) ، والصَّبْرُ على
الدُّنْيَةِ ، ودناءة النفس والآباء . وإذا يَتَضَمَّنُ معنى الجزاء ، والفاء مع ما بعده
جوابه . وليس هنا من قول عمرو بن معديكرب :

ليس الجـالُ بمنزِرٍ فاعلمْ وإن رُدِّيتَ بُردًا

(١) لم يذكر التبريزي النسبة الأولى في صدر الإنشاد ، ولكنه ذكرها قبل تفسير البيت
الأول . قال : « ويقال إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، وهو إسلامي » . وهو السموءل
ابن غريص بن عاديا ، المضروب به المثل في الوفاء ، لأنه أسلم ابنه حتى قتل ولم يخن أمانته في
أذراعٍ أودعها عنده امرؤ القيس . انظر الأغاني (١٩ : ٩٨ - ١٠٠) وابن سلام ١٠٩ .
وهذا الإنشاد وما بعده من الكلام إلى البيت الثالث - ما عدا سطرا قبله - ساقط من م .
(٢) في الأصل : « يتيقه » وعند التبريزي : « ما تنفبه » ؛ والمؤدى متقارب .

فَيُمتَقَدُّ أَنَّهُ يَرِيدُ بِالرَّذَاءِ الثَّيَابَ بِسَبِيلٍ ، فَاعْلَمْ .

٢ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ ^(١)

يقول : إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ ظُلْمَ نَفْسِهِ عَلَيْهَا ، وَلَمْ يَصْبِرْهَا عَلَى مَكَارِهَا ، فَلَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الثَّنَاءِ الْحَسَنِ . وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى كَظْمِ الْفَيْضِ ، وَاسْتِعْمَالِ الْحِلْمِ ، وَتَرْكِ الظُّلْمِ وَالتَّغْنِي مَعَ ذَوِيهِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَشَاقِّ ، وَإِهَانَةِ النَّفْسِ فِي طَلَبِ الْحَقُوقِ ؛ لِأَنَّ مَنْ تَعَوَّدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عِلًّا ذِكْرُهَا ، وَحَسَنَ ثَنَائِهَا . وَيُقَالُ : ضَامَةٌ ضَمِيمًا ، وَهُوَ مَضْمِيٌّ ، إِذَا عَدَلَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ النَّصِفَةِ وَاهْتَضَمَ . وَمِنْهُ قِيلَ : قَعَدَ فِي ضِمِّ الْجَبَلِ ، أَيْ فِي نَاحِيَةٍ تَنْعَدِلُ إِلَيْهِ ^(٢) . وَكَأَنَّ اسْتِعْمَالَ الضَّمِّ مِنْ ضَامٍ ، كَذَلِكَ اسْتِعْمَالَ الْهَضْمِ وَاحِدًا أَهْضَامٍ الْوَادِي مِنْ هَضَمَ . وَيَبْتَعِدُ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ « ضَمِيمَهَا » ضَمِيمَ الْغَيْرِ لَهَا فَأُضَافَ الْمَصْدَرُ إِلَى الْمَفْعُولِ ، لِأَنَّ احْتِمَالَ ضَمِّ الْغَيْرِ لَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْهُ ، وَيَعْدُونَهُ تَذَلُّلًا .

٣ - مُعِيرُنَا إِنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

يُقَالُ عَيْرَتُهُ كَذَا ، وَهُوَ الْخِتَارُ الْحَسَنُ ، وَقَدْ جَاءَ عَيْرَتُهُ بِكَذَا . قَالَ عَدِيُّ :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعِيرُ بِالذِّهْرِ أَأَنْتَ الْمُبْرَأُ الْمَوْفُورُ

وَالْمَعْنَى أَنْكَرْتَ مِنَّا قَلَّةَ عَدَدِنَا فَمَدَدْتَهُ عَارًا ، فَأَجَبْتُهَا وَقُلْتُ إِنَّ الْكِرَامَ يَقْلُونَ . وَالْكَرَمُ : اسْمٌ لِلْخِصَالِ تَضَادُّ خِصَالِ الْتُّومِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهَا ^(٣) . وَهَذَا الْاعْتِرَافُ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ إِنَّمَا هُوَ اعْتِرَافٌ بِقَلَّةِ الْعَدَدِ لَا بِقَلَّةِ الْقَدْرِ وَالْفَتَاءِ ،

(١) التبريزي : « وإن هو لم يحمل » .

(٢) في الأصل : « في ناحيته يتعدك إليه » تحريف . وفي الحاشية : « في ناحيته تعدل إليه » .

(٣) في تفسير البيت الأول ص ١١٠ .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ رَجَعَ عَلَيْهِ بِالنَّفْيِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ :

* وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا *

على أن قوله « إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ » يشتمل على معاني كثيرة : وهي ولوعُ الدهر بهم ، واعتيام الموت إبتاهم ، وقلة النّسل فيهم ، واستقتالهم في الدّفاع عن أحسابهم ، وإهانتهم كرائم نفوسهم مخافة لزوم العار لهم ، ومحافظتهم على عمارة ما ابتناه أسلافهم . وكلُّ ذلك يقلل العدّد ، ويقصر المدد . وقليلٌ وكثيرٌ بوصف بهما الواحد والجمع .

٤ - وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَا وَكَهُولٌ

الماء من قوله « بَقَايَاهُ » راجعة إلى لفظ « مَنْ » لأنّ معناه الكثرة . ولورّد عليه ^(١) لقال بقاياهم . يقول : وما حصلت القِلَّةُ في القَدْر والغِنَاء ، ولا لحقت الذِّلَّةُ في اللِّقَاء والدِّفَاع لِأَسْلَافٍ أَخْلَافُهُمْ نَحْنُ ، شَبَابٌ وَكَهُولٌ يَتَسَامَوْنَ فِي اكْتِسَابِ الْعَالِي ، وَيَتَرَقُّونَ فِي دَرَجَاتِ الْفَضْلِ . و « شَبَابٌ » مُصَدَّرٌ فِي الْأَصْلِ وَوُصِفَ بِهِ ، وَلِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي وَلَا يُجْمَعُ . يُقَالُ شَبَّ الصَّبِيُّ بِشَبِّ شَبَابًا . وَقَوْلُهُ « تَسَامَى » أَرَادَ تَتَسَامَى ، فَخَذَفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ اسْتِغْنَاءً لِلْجَمْعِ بَيْنَهُمَا . فَإِنْ قُلْتَ : هَلَّا أَدْعَمْتَ كَمَا أَدْعَمْتَ فِي أَدْرَاكَ - وَالْأَصْلُ تَدَارَكَ ؟ قُلْتَ : لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ إِدْغَامٍ ، لِأَنَّهُ فَعْلٌ مُضَارِعٌ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ أَدْعِمَ لَاحْتِيجُ إِلَى جَلْبِ أَلِفِ الْوَصْلِ لَكُنْ أَوَّلُهُ ، وَأَلِفُ الْوَصْلِ لَا يَدْخُلُ عَلَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ . وَالْكَهْلُ : الَّذِي قَدْ وَخَطَهُ الشَّيْبُ ، وَمِنْهُ اكْتَهَلَ النَّبْتُ ، إِذَا شَمِلَهُ النُّورُ .

٥ - وَمَا ضَرَرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

فِي هَذَا الْكَلَامِ تَعْرِيفُ بَعْشِيرَةٍ مِنْ جَاذِبِهِ الْكَلَامِ ^(٢) . يَقُولُ : وَمَا يَضُرُّنَا

(١) أَيْ عَلَى الْمَعْنَى . وَفِي م : « عَلَيْهِمْ » .

(٢) م : « بِالْكَلامِ » .

قَلَّةٌ عَدَدْنَا وَجَارُنَا فِي عِزٍّ، وَجَارٌ مِنْ لَمْ الْعَدَدُ وَالْكَثْرَةُ فِي ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ :
 « وَمَا خَضَرْنَا » يَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا خَرَفَ نَقَى ، وَلِالْمَعْنَى لَمْ يَضُرْنَا ؛ وَيَمْجُوزُ أَنْ
 يَكُونَ اسْمًا مُسْتَفْهَمًا بِهِ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيرِ ، وَلِالْمَعْنَى أَيْ شَيْءٌ يَضُرُّنَا . وَالْوَاوُ مِنْ
 قَوْلِهِ : « وَجَارُنَا عَزِيزٌ » وَآوُ الْحَالِ ، أَيْ لَا يَضُرُّنَا ذَلِكَ وَالْحَالُ هَذَا . وَكَذَلِكَ
 الْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ : « وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ » وَآوُ الْحَالِ . وَإِنَّمَا صَلَحَ الْجَمْعُ بَيْنَ
 الْحَالَيْنِ لِأَنَّهُمَا لِدَاتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، وَلَوْ كَانَا لِدَاتٍ وَاحِدَةٍ لَمْ يَصْلُحْ . وَالْعِزُّ وَالْعِزَازَةُ
 اسْتُعْمِلَ فِي الْقُدْرَةِ وَالنَّمْعِ ، وَفِي الصَّلَابَةِ وَالشَّدَّةِ . وَيُقَالُ : تَعَزَّزَ اللَّحْمُ ، لِأَنَّ
 الْكُلَّ يَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ ، كَمَا أَنَّ الذَّلَّ وَالذَّلَّ الَّذِي هُوَ ضِدُّهُ اسْتُعْمِلَ
 فِي الْإِنْقِيَادِ وَالسَّهُولَةِ وَاللَّيْنِ وَالْوَطَاطَةِ ، إِذْ جَمِيعُهُ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ .
 وَفِي طَرِيقَتِهِ :

فَجَارُكَ عِنْدَ بَيْتِكَ لَحْمٌ ظَنِّي وَجَارِي عِنْدَ بَيْتِي لَا يُرَامُ

وَقَوْلُ الْآخِرِ (١) :

* وَهُمْ يَمْنَعُونَ جَارَهُمْ أَنْ يُقَرِّدَا (٢) *

٦ - أَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مِنْ نُجَيْرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ (٣)

وَمَثَلُهُ :

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَدْخُلُ الذَّلُّ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ لِيُعَصِّمَا

وَأَرَادَ بِذِكْرِ الْجَبَلِ الْعِزَّ وَالسَّمُو . فَيَقُولُ : لَنَا جَبَلٌ عِزٌّ يَدْخُلُهُ مَنْ نُدْخِلُهُ
 فِي جَوَارِنَا ، مَمْتَنِعٌ عَلَى طَالِبِهِ ، يَرُدُّ لِإِشْرَافِهِ وَسُوءِ طَرَفِ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَهُوَ حَسِيرٌ .

(١) هُوَ الْحَصِينُ بْنُ الْقَعْتَاعِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (سُنْتُ ، أَلْسِ) .

(٢) صَدْرُهُ : * هُمُ السَّمْنُ بِالسَّنَوْتِ لَا أَلْسِ بَيْنَهُمْ *

(٣) فِي الْأَصْلِ : « يَرُدُّ الطَّرْفَ » ، صَرَّاحُهُ فِي مِ وَالتَّبَرُّيزِ .

ومنيحٌ : اسم الفاعل من مَنَعَ مَنَاعَةً وَمَنَاعًا^(١) ، ومنه المنعة . ويجوز أن يكون فعيلًا فى معنى مفعول ، أى ممنوع منه ، وكما استعمل المنيع فى العز استعمله أيضا فى العفة ، فقيل امرأة منيعة وممنعة^(٢) أى عفيفة . وحلّ واحتلّ بمعنى . والطرف : النظرة والعين جميعا . وقال الثريدي : طرف العين امتداد لحظها^(٣) .

٧ - رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ النَّزَى وَسَمَاهِ إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلٌ

رَسَا الْجَبَلُ : ثبت أصله فى الأرض . ومنه رَسَتْ للسفن ، إذا انتهت إلى قرار البحر^(٤) . والرُسُوُّ والرُسوخ يتقاربان . والنَّذَى : الندى . وما تحت الأرض ثرى . ويقال : ثرى ثرى ، على المبالغة . يقول : ثبت أصل هذا الجبل — وهو يريد العز على ما بينت — تحت الأرض وارتفع به أدنى طويل لا ينال إلى محلّ النجم . والمراد : عزنا أصله تحت الأرض السابعة ، وفرعه عند النجم . ومعنى لا يُنَالُ : لا يُوصَلُ إليه ولا يُحَصَّلُ مثله . وكما كان يقال فى الرفيع الشأن العالى القدر : هو فى النجم وهو فى الشكك ، وكان قصده فى الفرع أنه مديد حتى اتصل بالنجم ، زاده صفة فقال طويل . وقد طابى الرُسُوَّ بالسُّوَّ ، كما قابل الأصل بالفرع . ونقله أبو تمام فقال :

لَنَا تَبَعَةٌ فَرَعُهَا فى السَّمَاءِ وَفى هَامَةِ الْحَوْتِ أَعْرَاقُهَا

٨ - وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ حَامِرٌ وَسَلُولٌ

كان وجه الكلام أن يقول : ما يروون القتل سُبَّةً ، حتى يرجع الضمير من

(١) هذا المصدر مالم يرد فى المعاجم المتداولة .

(٢) م : « متمنعة » .

(٣) نبه التبريزى إلى أنه روى بيت آخر بعد هذا البيت فى بعض الروايات ، وهو :

هو الأبلق الفرد الذى سار ذكره يعز على من رامه ويطول

(٤) م « إلى قرار الأرض » ، والمؤدى واحد . وفى اللسان : « ورست السفينة

قمرورسوا : بلغ أسفها القمر وانتهى إلى قار الماء ، فثبتت وبقيت لا تسير » .

صفة القوم إليه ولا تغزى منه ، لكتنه لما علم أن المراد بالقوم هم قال :
ما نرى . وقد جاء في الصلة مثل هذا ، وهو فيه أفضح ، قال :
* أنا الذي سمّيتني أُمّي حَيْدَرَه^(١) *

والوجه « سمّته » حتّى لا يغزى الصلة من ضمير الموصول . قال أبو عثمان
للأزني : لولا صحة مورده وتكرّره لردّده . فضّل عشيرته في الصبر على الموت ،
والثبات في الحرب على عامر وسؤل ، وهما قبيلتان^(٢) . فيقول : إذا حسب
هؤلاء القتل والقتال عارًا ومنقصةً عدّها عشيرتي فخراً ومكرمةً . والسبّة :
ما يسبّ به ، كما أن الخدعة ما يُخدع به . وأصل السبّ : القطع ، ثم استعمل
في الشتم . وهذا كما يقال : فلان يُقطع أعراض الناس . وقوله : « ما نرى »
أى لا نجعل ذلك مذهبًا .

٩- يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا كَمَا وَتَكَرَّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(٣)

قوله : « يقرب حب الموت » أى حُبُّنا للموت . وجعل في مقابلته :
« وتكرهه آجالهم » لأنه يشتمل على ما يوفّيها حقّها من اللفظ . وإن كانت^(٤)
من حيث المعنى قد حصّلت : ويبيّنه بفضّهم إياه آجالهم . ويكون الشاعر ملهًا
في المصراع الأوّل بقول الآخر :

* رأيت الكريم الحرّ ليس له عُمر *

لأنه يشير إلى أنهم يُعْتَبَطُونَ لاقتحامهم المنايا ، وحِرْصهم على ملابسة

(١) لعلى بن أبي طالب ، كما في اللسان (حدر ، سندر) .

(٢) التبريزي : « يعنى عامر بن ضمصة . وبنو سؤل هم بنو مرة بن ضمصة بن معاوية
ابن بكر بن دوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان » .

(٣) وي و : « يقصر حب الموت » ، كما سيأتى ، وكما عند التبريزي .

(٤) الضمير في « كانت » للمقابلة . في الأصل : « وهو وإن كانت » . م : « وهو وإن كان »

الحروب ، وأن أولئك يعمرون لجانبهم الشرور ، وزهدهم في مجاذبة العدو^(١) .
ويجوز أن يكون أضافَ الحُبَّ من قوله « حُبُّ الموت » إلى الفاعل ، فيكون
المعنى : يقرَّبُ حُبُّ الموت لنا آجالنا ، ويكون هذا كقول طرفة :

أَرَى الْمَوْتَ يَمْتَأُمُ الْبِكْرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمَشْدَدِ
ويكون على هذا قوله « وتكرهه آجالهم » محمولا على أنه إذا كرهت
آجالهم الموت فقد كره الموت آجالهم أيضاً . ألا ترى قول دُرَيْد :
أَبَى الْقَتْلُ إِلَّا آلَ صَمَّةَ إِنَّهُمْ أَبَوَا غَيْرَهُ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
وقول مُتَمِّم :

* أَرَى الْمَوْتَ طَلَّاعًا عَلَى مَنْ تَرَفَّعًا^(٢) *

وإذا كان كذلك فالتقابل في هذا الوجه حاصلٌ أيضاً . وبعضهم روى :
« يُقَصِّرُ حُبُّ الْمَوْتِ » واختاره ، ليكون القِصْرُ بإزاء الطول . وهم لا يُراعون
مثل هذا إذا تفاسبت المعاني وتقابلت ، ويكون ذلك منهم كالتبري^(٣) من
التكاف . ألا ترى أبا ذؤيب الهذلي قال :

وَشَيْكُ الْفُضُولِ بَعِيدُ الْقُفُولِ إِلَّا مُشَاحًا بِهِ أَوْ مُشِيحًا

وقد كان يمكنه أن يقول بطلء القفول فلم يُراع ذلك . وقد أحسن عنتره
كلَّ الإحسان في سلوك هذه الطريقة ، حين قال :

* لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَاءِ بِمُحَرَّمٍ^(٤) *

(١) م : « محاربة العدو » .

(٢) م : « توقعا » . وفي المفضليات (٢ : ٧٠) :

فلا تفرحن يوماً بنفسك إننى أرى الموت وقاعاً على من تشجعا

(٣) م « كالمبرأ » .

(٤) صدره :

* فشككت بالروح الأصم ثيابه *

١٠- وَمَامَاتٍ مِّنَّا سَيْدٌ حَتَفَ أَنْفَهُ وَلَا طُلٌّ مِّنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ^(١)

« حَتَفَ » انتصب على الحال ، ولم يُستعمل منه حَتِفٌ ولا هو محتوف .
وليس هذا مثل تَبَسَّمَتْ وَمِیْضَ الْبَرْقِ^(٢) ، فاعلمه . يقول : لم يَمُتْ رَئِيسٌ مِنَّا
على فراشه ، بل مات ميتةً كريمةً في الحرب تحت ظلالِ الشُّيُوفِ والرماح ،
ولا أَبْطَلَ دَمٌ قَتِيلٍ مِّنَّا حَيْثُ كَانَ ، وعلى يدٍ مِّنْ اتَّفَقَ . وهذا غاية ما يَتَحَمَّدُ به
الْفُتَّاكُ وأبناء الحروب ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ اعْتَذَرَ عَنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فَقَالَ :
بِحَمْدٍ مِنْ سِنَانِكَ لَا يَذَمُّ أَبَا قُرَّانٍ مِثَّ عَلَى مِثَالِ^(٣)
وفي هذه الطريقة قوله :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْفَانِيَاتِ جَزُؤُ الدُّيُولِ^(٤)
وقوله : « مات حَتَفَ أَنْفَهُ » يقال إِنَّ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وتحقيقه : كان حَتَفَهُ بِأَنْفِهِ ، أى بِالْأَنْفَاسِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ أَنْفِهِ
عِنْدَ نُزُوعِ الرُّوحِ ، لَا دَفْعَةً وَاحِدَةً . ويقال خُصَّ الْأَنْفُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ جِهَتِهِ
يَنْقُضِي الرَّمَقَ . ويقال : طُلَّ دَمُهُ يُطْلُ طَلًّا ، إِذَا أُهْدِرَ .

١١- تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلٌ

يُروى : « تسيل على حَدِّ السُّيُوفِ نَفُوسُنَا » . ولم يقل وليست على
غِيَرِهَا تَسِيلٌ فِي الرُّوَايَتَيْنِ ، لِأَنَّهُمْ يَكْرُرُونَ أَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ وَالْأَعْلَامِ كَثِيرًا ،

(١) التبريزي : « ويروى :

« وما مات منا سيد في فراشه

وهذه الرواية رواية من يجعل القصيدة جاحلية » .

(٢) أى ليس من المنسوب على أنه مصدر مرادف .

(٣) المثال : الفرائش . وفي قول الأعشى :

بكل طوال الساعدين كأنما يرى بسرى الليل المثال المهددا

(٤) لعمر بن أبي ربيعة . الأغاني (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) وعيون

الأخبار (٢ : ٤٩) .

المسحوق
عزله عن العالمين

ولا سبنا إذا قَصَدُوا التَفْخِيمَ بها . كما قال عَدِيٌّ :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا نَعَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

وفى الرواية الثانية — وهى المشهورة — أضافَ الحَدَّ إلى الطُّبَّاتِ . وهذا فيه وجهان : أحدهما أن يكون أراد بالطُّبَّاتِ السيوفَ كُلَّهَا ثم أضافَ الحَدَّ إليها ، والمعنى : تسيل على حَدَّ السيوفِ دماؤنا وليست تسيل على غيرها . وهذا كما يُسَمَّى السيفُ كما هُوَ نَصْلًا ، وكما يُسَمَّى السهمُ نَصْلًا كما هو . والثانى أن إضافة الحَدَّ إلى الطُّبَّاتِ كإضافة البعض إلى الكل ، ويكون التقدير : تسيل على الحَدِّ من الطُّبَّاتِ ، وتكون الطُّبَّاتُ مَضَارِبَ السيوفِ . فإن قيل : كيف تبجَّح بأن تكون دماؤم تسيل على حَدِّ السيوفِ لا على غيره ؟ قلت : إنَّ الدماء قد تُسَال باليَمِصِّ وبغيرها مما لا يكون شَرَفًا ، فَعَدَّ الْقِتْلَةَ التى تكون بالسيفِ أَكْرَم . ألا تَرَى أَنَّ بَنِي أَسَدٍ يُسَمَّونَ « عبيد العَصَا » لما كان حُجْرُ أبو امرئ القيس حين أوقع بهم قتلهم بها ، لتكون قتلهم ذميمة . وقد قُتِل كثيرٌ منهم بالجلاميد والصُّخُور ، ولذلك قال بعضهم :

جلاميدُ أُمْلَأُ الأَكْفَ كَأَنهَا رِوَسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ فِي الْوِاسِمِ
وقال آخر (٢) :

وَلَا تُقَاتِلْ بِالْعَصَا وَلَا تَرَامِ بِالْحِجَارَةِ
إِلَّا عُلَّالَةً أَوْ بُدَا هَهْ سَابِحٍ نَهْدِ الْجِزَارَةِ

وإذا كان الأمر على هذا فعنى التبجَّح أن تكون مَنِيَّتُهُم بالسيوف ظاهرة .
وأما قوله :

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا رُمْلٌ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ (٣)

(١) انظر البيان (٣ : ١٥) والكامل ٣٣٣ لبيك .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ١٤٤ - ١١٥ .

(٣) لمهلهل بن ربيعة ، كما فى معجم البلدان (أبانا) .

فَإِنَّ الْفَحْلَ الْمَجِينِ إِذَا تَعَرَّضَ لِلنَّاقَةِ الْكَرِيمَةِ قُرِعَ أَنْفُهُ بِالْعَصَا وَضُرِبَ وَجْهُهُ بِهَا ، فَهُوَ مِنْ ذَلِكَ مَاخُودٌ .

١٢- صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا إِنْأَثُ أَطَابَتْ حَمَلْنَا وَفُحُولٌ^(١)

أشار بهذا الكلام إلى كَرَمِ الْمَنَاصِبِ وَالْمَنَاسِبِ ، وَطِيبِ الْمَنَنِ وَالْغَرَسِ .
فيقول : صَفَتْ أَنْسَابُنَا فَلَمْ يَشْبَهَا كُدُورَةٌ . وَخَلَصَ نِكَاحُنَا أُمَهَاتٌ طَلَبَتْ
حَمَلَنَا ، وَأَبَاءَ كَرَمَتْ عُرُوقُنَا . وَيُقَالُ : كَدِرَ الْمَاءُ يَكْدُرُ كَدَرًا وَكُدُورًا
وَكَدُورَةً ، وَهُوَ أَكْدَرُ وَكَدِرٌ . وَفِي ضِدِّهِ صَفَا الْمَاءُ يَصْفُو صُفُوءًا ؛ وَالصَّفَاءُ
الاسْمُ . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كَدِرَ » . وَالسَّرُّ : النِّكَاحُ .
وَسِرُّ الشَّيْءِ : خَالِصُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ سُرِّيَّةٌ فُتِلِيَّةٌ مِنْ هَذَا .

١٣- عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا لَوْقَتٍ إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ نُزُولٌ

يُصِفُ تَرَدُّدَهُمْ فِي شَرَفِ الْمَصْعَدِ وَالْمُنْحَدَرِ ، وَكِرَمِ الْفُتُوعِ وَالْمُنْحَوَلِ ، كَمَا
ذَكَرَ طَهَارَةَ الْمَنَكِحِ وَالْمَوْلِدِ ، وَجَلَالَةَ الْمُعْتَلَى وَالْمُسْتَقَرِّ ، فيقول : عَلَوْنَا فِي خَيْرِ
الظُّهُورِ ، أَيْ حَصَلْنَا فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مِنْ ظُهُورِ أَكْرَمِ الْآبَاءِ ، وَحَدَرْنَا مِنْهَا لَوْقَتٍ
مَعْلُومَةٍ - يُشِيرُ إِلَى وَقْتِ الْأَطْهَارِ - نُزُولٌ إِلَى خَيْرِ الْبَطُونِ مِنْ أَشْرَفِ الْأُمَهَاتِ^(٢) .
وَالْمَعْنَى أَنَّا كَرَامَ الْأَطْرَافِ . وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِذَا تَوَلَّمَتْ أَدَّى النَّائِلُ مِنْهَا إِلَى
سَلَامَةِ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى مِنْ كُلِّ مَقَابِ^(٣) ، وَحُصُولِ الْفَخَامَةِ وَالْجَلَالَةِ لَهَا فِي كُلِّ
جَانِبٍ وَبَابٍ .

(١) نَكْدُرُ ، وَرَدَ بَفَتْحِ الدَّالِ فِي النِّسَخَتَيْنِ ، وَيَجُوزُ ضَمُّهَا ، فَإِنَّ مَا ضَمَّهَا مِثْلُ الدَّالِ كَمَا
فِي الْقَامُوسِ .

(٢) أَيْ نُزُولٌ مِنْ ظُهُورِ آبَائِهِمْ إِلَى خَيْرِ بَطُونٍ مِنْ أَشْرَفِ أُمَهَاتٍ .

(٣) مَقَابِ ، أَيْ عَيْبٍ ، وَفِي الْأَصْلِ : « مَصَابِ » صَوَابُهُ فِي م .

١٤- فنحنُ كماءُ المُرْنِ مافى نِصابنا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بِخَيْلُ

ماء المطر أصفى المياه عندهم ، فشبهه صفاء أنسابهم بصفاء ماء للطر . والمُرْنُ : السحابُ . وقوله : « مافى نصابنا كَهَامٌ » ، أى ليس فينا كليل الحدِّ ، ولكن كلُّ منا ماضٍ نافذٌ ، ولا فينا بخيل فيُعدُّ . وهو نقيٌّ للبخيل رأساً ، وليس يريد أن فيهم بخيلاً ومع ذلك لا يعدُّ^(١) . ومثله :

* ولا ترى الصَّبَّ بها ، يَنْجَحِرُ^(٢) *

أى ليس بها صَبٌّ رأساً فينجحِر ، ومثل هذا كثير . ويقال كَهَمَ وكَهْمٌ يَكْهَمُ ويَكْهَمُ كَهَامَةً ، فهو كَهَامٌ وكَهِيمٌ . يقال ذلك للرجُل إذا ضَعُفَ ، وللسَّيف إذا كَلَّ .

١٥- نُكِرُ إِنْ شِينَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

هذا مثل قول الآخر :

وما يستطيعُ النَّاسُ عَقْدًا نَشَدَهُ وَنَنْقُضُهُ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ مُبَرَّماً^(٣)

يصف رياستهم وعلو كلامهم ونفاذ حُكْمِهِمْ ، ورجوع الناس في المهمات إلى رأيهم ، والاعتماد على تدبيرهم^(٤) ومشورتهم . فيقول : نُفَيِّرُ ما نُرِيدُ تَغْيِيرَهُ من قول غيرنا ، وأَحَدٌ لا يَجْسُرُ على الاعتراض علينا ، والإنكار لقولنا ، انقياداً لهواننا ، واقتداءً بحزمتنا . وهذا كما قال الأعشى :

(١) لا يعد ، ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م .

(٢) البيت لابن أحرر ، كما في الخزائنة (٤ : ٢٧٣) . وصدده :

* لا تفرع الأرنب أهوالها *

(٣) عند التبريزى : « نشده » و « وينقضه » .

(٤) فى الأصل : « فى تدبيرهم » ، وأثبتنا ما فى م .

* كُلُّ سَيْرَضَى بَأْن يُبْلَغَى لَهُ تَبَعًا ^(١) *

١٦- إِذَا سَيِّدٌ مِّنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ قَوْوُلٌ لِّمَا قَالَ الْكَرَامُ فَمَوْلٌ

يشبهه قول حاتم :

إِذَا مَاتَ مِّنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ نَظِيرٌ لَهُ يُغْنِي غَنَاهُ وَيُخْلِفُ

وقولُ عُروَةَ :

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ عَلَى مَجْدِهِ غَيْرُ الْمَرْوَةِ سَيِّدٌ ^(٢)

١٧- وَمَا أَتَّخَذْتَ نَارًا لِنَادُونَ طَارِقٍ وَلَا ذَمًّا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلٌ

أراد بقوله « نَارٌ لَنَا » نار الضيافة . يقول : نُدِيمُ إِيقَادَهَا فَلَا تُطْفَأُ دُونَ طَارِقٍ لَيْلٍ . وَالضَيْفُ إِذَا فَارَقْنَا حَدَنًا وَلَمْ يَذُمَّنَا ، لِحُسْنِ تَوْفُرٍ نَاعِلِيهِ ، وَاحْتِفَالِنَا عِنْدَ سَوْقِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ . وَالنَّزِيلُ ، كَالرَّافِقِ وَالْجَالِسِ وَالْأَكِيلِ . وَالطَّرُوقُ يَخْتَصُّ بِاللَّيْلِ . وَسُمِّيَ النَجْمُ طَارِقًا لِذَلِكَ .

١٨- وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا لَهَا غُرُرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُوبٌ

يقول : وَقَعَاتُنَا مَشْهُورَةٌ فِي أَعْدَائِنَا مَعْلُومَةٌ ، فَهِيَ بَيْنَ الْأَيَّامِ كَالْأَفْرَاسِ الْفَرِّ الْمُحَجَّلَةِ بَيْنَ الْخَيْلِ ، يُعْرَفُ بِلَاؤِنَا فِيهَا ، وَحُسْنُ آثَارِنَا عِنْدَ التَّهْوُضِ لَهَا . وَهَذَا كَمَا قَالَ :

* وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَعْرُ مُحَجَّلٌ *

والتحجيل : أَنْ يَبْيَضَّ مِنَ الْأَوْظَافَةِ مَوَاضِعُ الْحِجْلِ ، وَهُوَ التَّقِيدُ وَالْخَلْخَالُ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي م : « يُلْقَى لَهَا » ، وَفِي الدِّيَوَانِ ٨٦ : « بَأْن يَرَعَى لَهُ » .

وَصَدَرَ الْبَيْت :

* تَلَقَّى لَهُ سَادَةُ الْأَقْوَامِ تَابِعَةً *

(٢) عَجَزَ هَذَا الْبَيْتُ مِنْ م . وَالْبَيْتُ لَمْ يَرَوْهُ فِي دِيَوَانِ عُروَةَ .

فإذا ارتفع التَّجْجِيلُ حتى يَبْلُغَ الفَخْذَيْنِ فما فَوْقَ فهوَ العَجْوِفُ . قال طُمَيْلٌ :
* شَمِيطُ الذَّنَابِي جُوقَتْ فِي جَوْنَةٍ ^(١) *

١٩- وَأَسِيفَانَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِيقٍ . بَهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعَيْنِ فُلُولُ
مثله قولُ النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرُ أَنْ سَيُوفَهُمْ بَهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
يقول : قد تَفَلَّلَتْ سَيُوفُنَا بِمَا نَضَارِبُ بِهَا الْأَعْدَاءَ ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبِهَا . وقال : « مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعَيْنِ » ، لِأَنَّ الْغَرَضَ أَنْ يَكُونَ عَدُوُّهُمْ
عَلَى غَايَةِ الْإِحْتِرَازِ مِنْهُمْ ؛ وَفِي أَكْمَلِ الْإِسْتِعْدَادِ لَهُمْ . وَقَوْلُهُ : « فِي كُلِّ غَرْبٍ
وَمَشْرِيقٍ » ظَرْفٌ لِقِرَاعِ الدَّارِعَيْنِ . أَيْ بِأَسِيفَانَا فُلُولٌ مِنَ الْقِرَاعِ فِي كُلِّ
غَرْبٍ وَمَشْرِيقٍ .

٢٠- مُعَوَّدَةٌ أَلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُعْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلٌ ^(٢)
مثله قولُ الآخر ^(٣) :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيمُوا سَيُوفَهُمْ وَامَّ تَكَثَّرَ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سَلَّتِ

(١) عجزه كما في الديوان ٦٠ واللسان (شخط ، جوف)

* بَنَقَبَةٌ دِيْبَاجٍ وَرِيطٌ مَقْطَعٌ *

(٢) في الأصل : « قبيل » ، وصواب الرواية من م والتبريزي ، وهو ما يقتضيه
التفسير بعده .

(٣) هو سليمان بن قتة ، أو الفرزدق . ديوانه ١٣٩ واللسان (شيم) والكامل
١٧٤ ليسك والعمدة (٢: ١٥١) . وقال المبرد « وهذا البيت ظريف عند أصحاب المعاني ، وتأويله
لم يشيموا : لم يغمدوا . ولم تكثر القتلى ، أى لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين
سَلَّتْ » . وقال ابن رشيقي : « أراد لم يغمدوا سيوفهم إلا بعد أن كثرت بها القتلى ، كما
تقول : لم أضربك و [أنت] لم تكن على إلا بعد أن جنيت على . وقال آخرون : أراد لم
يسلوا سيوفهم إلا وقد كثرت بها القتلى . كما تقول : لم ألقك ولم أحسن إليك إلا وقد أحسنت
إليك . والقولان جميعا صحيحان ، لأنه من الأضداد » .

وانتصب «معوذة» على الحال . ويجوز أن ترفع على أن تكون خبر ابتداء مضمرة ، والعامل فيه إذا كان حالاً ما يدل عليه قوله : « بها من قراع الدارين فلول » . فيقول : عودت سيوفنا ألا تجرد من أعماها فترد فيها إلا بعد أن يستباح بها قبائل . ويقال : عودته كذا فتعوذه واعتاده . والعادة من العود وهو الرجوع ، ولذلك قالوا للمواظب على الشيء : هو معاود له . وقوله « فتعمد » ، يقال عمدت السيف وأعمدته ، وأصله الستر ، ومنه تعمده الله برحمته .

٢١- سَلَىٰ إِن جَهَلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنكُمْ^(١) وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالَمٌ وَجَهْلٌ

يُرْوَى : «عنا فتخبري» . كأنه استدل على تصحيح ما ادعاها من الخصال التي عددها بشهادة الناس له وتصديقهم مقالته . يقول : سَلَى النَّاسَ عَنَّا إِن جَهَلَتِ مَا حَكَيْتُهُ مِنْ أَعْمَالِنَا حَتَّى تُخْبِرِي فَتُؤْمِنِي بِهِ وَتَسْكُنِي إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ الْعَالَمُ بِالشَّيْءِ كَالْحَمَنِ أَوِ الْمَجُوزِ أَوِ الشَّاكِّ أَوِ الْخَادِسِ أَوِ الْقَدَّرِ^(٢) . وَالْعِلْمُ قَدْ يَحْصُلُ بِإِخْبَارِ الْخَبْرِينَ كَمَا يَحْصُلُ بِالشَّاهِدَةِ ، فَلِذَلِكَ دَعَاَهَا إِلَى مَا دَعَا مِنَ الشُّوَالِ وَالْكَشْفِ . وَقَوْلُهُ : «فَتُخْبِرِي» يَنْتَصِبُ بِأَنْ مَضْمَرَةٌ وَهُوَ جَوَابُ الْأَمْرِ بِالْفَاءِ . وَالسَّوَاءُ يَكُونُ مَصْدَرًا وَوَضْعًا فِي مَعْنَى مُسْتَوٍ . يَقَالُ : هَذَا دَرَجَتُهُمْ سَوَاءٌ ، أَيْ مُسْتَوٍ ؛ وَهَذَا دَرَجَتُهُمْ سَوَاءٌ أَيْ اسْتَوَاءً ، كَمَا تَقُولُ هَذَا دَرَجَتُهُمْ تَمَامًا ، أَيْ تَمَّ تَمَامًا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فِي أَرْبَعَةِ آيَاتٍ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾ أَيْ مُسْتَوِيَاتٍ ، وَقُرِئَ ﴿ سَوَاءٌ ﴾^(٣) عَلَى الْمَصْدَرِ كَأَنَّهُ قَالَ : اسْتَوَاءً . حَكَّى أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ : هُمَا سَوَاءٌ وَهِيَ سَوَاءَانِ .

(١) التبريزي : «عنا وعنهم» .

(٢) م : «أو المقلد» .

(٣) قراءة النصب على الحال هي قراءة الجمهور . وقرأها بالجر على الرفع زيد بن علي ، والحسن ، وابن أبي إسحاق ، وعمر بن عبيد ، وعيسى ويعقوب . وقرأها أبو جعفر بالرفع ، أي هو سواء . تفسير أبي حيان (سورة فصلت) .

٢٢- فَإِنَّ بَنِي الدِّيَّانِ قُطِبَ لِقَوْمِهِمْ تَدُورُ رَحْمُهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

القُطْبُ : الحديدة في الطَّبَقِ الْأَسْفَلِ مِنَ الرَّحَى يَدُورُ عَلَيْهَا الطَّبَقُ الْأَعْلَى .
وُسُمِّيَ قُطْبُ السَّمَاءِ لَمَّا يَدُورُ عَلَيْهِ الْفَلَكَ . وعلى التشبيه قالوا : فُلَانٌ قُطْبُ بَنِي
فُلَانٍ ، أَيْ سَيِّدُهُمُ الَّذِي يَلُودُونَ بِهِ ، وَهُوَ قُطْبُ الْحَرْبِ .

١٦

الشمندر الحارثي :

قال الدَّرِيدِيُّ : شَمِندَرُ : دَابَّةٌ زَعَمُوا ، وَلَا أُخْبِرُهَا عَرَبِيَّةٌ صَحِيحَةٌ .
قال البرقي : هذا الشعر لسُوَيْدِ بْنِ صُمَيْعِ الْمُرْتَدِيِّ ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ ،
وَكَانَ قُتِلَ أَخُوهُ غَيْلَةً فَقَتَلَ قَاتِلَ أَخِيهِ نَهَارًا فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ مِنَ الْخَضِرِ .
١- بَنِي عَمَّنَّا لَا تَذْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَ مَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ الْقَوَافِيَا

الصحراء : اسم للمكان الواسع ، وَجَمْعُهُ صَحَارٍ وَصَحْرٌ . قال :

* أَنِّي مَدَّةٌ صَحْرٌ وَلُوبٌ^(١) *

وَأَصْحَرَ الْقَوْمُ : يَرْزُوا إِلَيْهَا ، وَمِنْهُ قِيلَ لِقِمْتِهِ صَحْرَةٌ بَحْرَةٌ ، أَيْ عَيَانًا وَمُبَارَزَةً .
يقول : دَعُوا التَّفَاخُرَ فِي الشَّعْرِ وَبِالشَّعْرِ ، فَإِنَّكُمْ قَصَرْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ وَلَمْ
تُبْلُوا فِيهَا فَتَنْطَلِقِ أَلْسِنَتُكُمْ لَدَى الْمَسَاجِلَةِ ، وَتَسْتَجِيبُ قَوَافِي الشَّعْرِ لَكُمْ ، إِذَا
أَرَدْتُمْ نَظْمَهَا وَإِنْشَادَهَا ، عِنْدَ الْمُنَافَرَةِ وَالْحَاكِمَةِ ، لِأَنَّكُمْ أَمْتٌ قَوَافِي الشَّعْرِ
وَدَفَنْتُمُوهَا . فَكَمَا أَنَّ اللَّيْتَ لَا يُجِيبُ إِذَا دُعِيَ ، كَذَلِكَ لَا يُجِيبُكُمْ الشَّعْرُ إِذَا
أَرَدْتُمُوهُ ، مَعَ سُوءِ بَلَاتِكُمْ ، وَقُبْحِ آثَارِكُمْ . والقافية : آخر البيت المشتمل على

(١) لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ٩٢ واللسان والمقاييس (صح) . وصدده :

* سبى من يراعه نفاه *

ما بُنِيَ عليه القصيدة . وقد يُسَمَّى البيت كما هو قافية . قال :

وقافيةٌ مِثْلُ حَدِّ السَّيِّانِ تَبْنَى وَبَذَهَبُ مِنْ قَالَهَا^(١)

قال الأخفش : وتسمى القصيدة بأشْرِهَا قافية . قال :

* فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ كَعْبٍ يَحُوكُهَا^(٢) *

٣- فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَصِيبُونَ سَلَةً فَتَقْبَلُ صَنِيمًا أَوْ نُحَكِّمُ قَاضِيًا

في هذا الكلام تعريضٌ بقومٍ أشار إليهم بقوله : « كُنْ كُنْتُمْ » ، وتصريحٌ للمخاطبين ، ومُجَاهَرَةٌ^(٣) بالقول ، فهو يرميهم بالضعف وأنهم إذا نالوا من العدو شيئاً نالوه سَرِيقَةً . فية قول : لسنا كالذين كنتم تنالونهم سَرِيقَةً ، فلتلزم لكم الضيم ، أو نَنْصِبَ حَاكِمًا يقضى بيننا وبينكم . وأشار بالضيم إلى التفضيض على ما يكون من سَرِيقَتِهِمْ . وكأنَّ القوم الذين أشار إليهم وانتفى من أن يكون حاله كحالهم ، كانوا يقاتلون سَرِيقَتَهُمْ وتَجَاسُرُهُمْ عليهم إما بالتفضيض ، وهو التزام الضيم عنده ، وإما بالمرافعة إلى الحاكم ونصب المتوسط ، والعجز في حكمه . وانتصاب « تقبل » على أنه جواب التثني بالفاء . ويقولون : في بني فلان سَلَةٌ ، أي سَرِيقَةٌ . وانتصاب سَلَةٌ على أنه مصدرٌ في موضع الحال ، والتقدير : تصيبونهم سائلين وساقين .

٣- وَلَكِنْ حُكِّمَ السَّيْفُ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ فَتَرْضَى إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيًا

يقول : متى عدوُّكم طَوَّرَكُمْ ، أو خَرَجْتُمْ مِنْ حَدِّكُمْ ، فَإِنَّا تُسَلِّطُ السَّيْفُ

(١) البيت للخنساء ، كما في اللسان .

(٢) البيت لكعب بن زهير في الشعر والشعراء ١٠٣ ، ١٠٧ . وعجزه :

* إِذَا مَا مَضَى كَعْبٌ وَفُوزٌ جَرُولُ *

(٣) م : « ومجاهدة » .

عليكم ، ولا نَرْضَى إِلَّا بِحُكْمِهِ فَيْكُمْ . فَنَتَى رَضِينَا ^(١) ، وفي طريقته قوله :
 * وَنَشْتَمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ *

٤- وَقَدْ سَاءَ فِي مَا جَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَنَا بَنِي عَمَّنَا لَوْ كَانَ أَمْرًا مُدَانِيًا
 دَلَّ بقوله : « لو كان أَمْرًا مُدَانِيًا » على أنه لم يَسُوْهُ مَا جَرَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ ،
 لِأَنَّهُ وَقَعَ بِالِاسْتِحْقَاقِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ سَاءَ فِي ذَلِكَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ الْمُؤَدَّى إِلَيْهِ
 أَمْرًا مُدَانِيًا ، وَكُنَّا نَعْرِفُ لِلْإِحْتِمَالِ فِيهِ مَوْضِعًا ، وَلِلصَّبْرِ عَلَيْهِ مَجَالًا وَمَذْهَبًا .
 فَأَمَّا وَالشَّانُ مُسْتَفْجِلٌ ، وَتَعْدِيكُمْ مُتَفَاقِمٌ ، فَإِنَّهُ لَا يَسُوْهُنِي . وَقوله : « لو كان
 أَمْرًا مُدَانِيًا » ، أَرَادَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ أَمْرًا أَمَّا لِسَاءَنِي . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
 فَجَوَابٌ لَوْ مُتَقَدِّمٌ ، وَتَلْخِيصُهُ : لَوْ كَانَ مَا تَرَدَّدْنَا فِيهِ قَرِيبًا لِسَاءَنِي مَا جَنَّتْ
 الْحَرْبُ بَيْنَنَا ، وَلَكِنْ الْآنَ لَمْ يَسُوْ . وَهَذَا تَعْظِيمٌ لِمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ ،
 وَكَالاعتذار عن الأخذ بالفضل عليهم ، وَتَرْكُ الصَّفْحِ عَنْهُمْ .

٥- فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقَاضِيَا

رواه بعضهم : « فَإِنْ تَزَعُّمُوا أَنَّا ظَلَمْنَا » . وَالزَّعْمُ فِي دَفْعِ الدَّعْوَى أَبْلَغُ ،
 وَإِنَّمَا نَبِّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَعُدُّ مَا عُمِلُوا بِهِ ظُلْمًا ، مَعَ كَوْنِ ابْتِدَائِهِ
 مِنْهُمْ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ سَرَفٌ . فَيَقُولُ : إِنْ ادَّعَيْتُمْ عَلَيْنَا أَنَّا ظَلَمْنَاكُمْ فَإِنَّا لَمْ
 نَظْلَمْكُمْ ، مَعَ عُذْوَانِكُمْ ، وَسَبْقِكُمْ إِلَى الشَّرِّ وَتَهْيِيجِهِ ، وَلَكِنَّا أَسَانَا فِي تَقَاضِيكُمْ
 الْحَقَّ ، وَإِيفَاتِكُمُ الْجَزَاءَ ، حِينَ اسْتَخْرَجْنَا بِالْعُنْفِ وَالْقَهْرِ ، وَبِمَجَاوِزَةِ الْأَدْنَى مِنَ
 الْأَمْرَيْنِ إِلَى الْأَقْصَى . فَكَأَنَّهُ سَمَّى مَا عَدَّهُ أُولَئِكَ ظُلْمًا سُوءَ تَقَاضٍ . وَالظُّلْمُ
 قِيلَ فِيهِ : إِنَّهُ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْأَرْضِ الضُّلْبَةِ إِذَا
 حُفِرَتْ : مَظْلُومَةٌ ، وَلِلسَّقَاءِ إِذَا تَنَوَّلَ مَا فِيهِ قَبْلَ إِدْرَاكِهِ : ظَلِيمٌ . وَقِيلَ : الظُّلْمُ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَنَ رَضَى رَضِينَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م .

انتقاصُ الحق . قوله « فلم نكن ظلمنا » إذا كان من حكم الجواب أن يكون طبقاً للابتداء ومبنيًا عليه ، فمن الواجب عليه أن يقول : فإن قلتم إنا كنا ظلمنا . ألا ترى أننا نقول في قول الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ ﴾ إنه كان جواب قائل قال كان الله سيعذبهم . فنحن على حدّ الابتداء وطريقته ، لكنّ الشاعر حذف من الابتداء كُنّا ، لأن ما في الجواب يدلّ عليه .

١٧

وَدَاكُ بْنُ نَمِيلٍ الْمَازِنِيُّ

قال البرقي هو وداك بن سنان بن نميل^(١) :

١- رُوِيَ دَبْنِي شَيْبَةَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ تَلَا فَوَا غَدَا خَبَلِي عَلَى سَفْوَانِ

رُوَيْدًا : تصغيرُ إزوايد ، وهو مصدرُ أَرُوْدْتُ فلانًا ، على طريق الترخيم ، وانتصابه بفعلٍ مضمَرٍ دَلَّ عليه لفظه . وأكثَرُ ما يَجِيءُ تصغيرُ الترخيم يَجِيءُ في الأعلام ، وقد يُجْعَلُ رُوَيْدًا اسمًا لَارْفُقٍ ، فَيُبْنَى حينئذٍ كما يُبْنَى أَخَوَاتُهُ من أسماء الأفعال . على ذلك ما جاء في المثل من قولهم : « رُوَيْدٌ يَقُولُونَ الْجَدَدَ » . وقد تَزَادَ كاف الخطاب عليه فيقال : « رُوَيْدَكَ » ، على ذلك قولهم : « رُوَيْدَكَ الشَّعْرَ يَغْبَبُ » . وقوله : « بَعْضَ وَعِيدِكَ » انتصب بفعلٍ مضمَرٍ دَلَّ عليه رُوَيْدٌ ، لأنَّ مع استعمالِ الرَّفْقِ كَفًا عن بعض الوعيد ، فكأنه لما قال

(١) نميل ، وردت هكذا بالنون في الأصل في هذا الموضع وسابقه ، وهي رواية نص عليها التبريزي فيما يلى . ويبدو أن « وداكا » شاعر جاهل ، ولم نعثَر له على ترجمة . التبريزي : « وداك فعّال من الودك والدكة ، وأصله الصفة ، ألا ترى أن فعلا بابهُ بالصفة ، وقلما توجد في الأسماء . وفي الكتاب من ذلك الكلاء والجبان . قال أبو الفتح : وزادنا أبو على الفياض : ذكر اليوم . ووجدت أنا الجيار ، وهو السمان أو نحوه ، والصاروخ أيضا . ونميل : تصغير ثمل أو ثامل على الترخيم . ويقال فيه أيضا نميل بالنون » .

أُرْوِدُوا يَا بَنِي شَيْبَانَ قَالَ : كُفُّوا بَعْضَ الْوَعِيدِ . وَهَذَا تَهْكُمٌ وَسُخْرِيَّةٌ ^(١) .
 وَقَوْلُهُ : « تَلَاَقُوا » ، اَلْجَزْمُ عَلَى أَنَّهُ جَوَابٌ لِلأَمْرِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ رُؤْيَا . وَإِنَّمَا
 جُعِلَ لِلأَمْرِ الْجَوَابُ لِأَنَّهُ ضَمَّنَ مَعْنَى الْجَزَاءِ وَالشَّرْطِ . وَسَقَوَانُ : اسْمُ مَاءٍ قَالُوا
 هُوَ مِنَ الْبَصْرِ عَلَى أَمْيَالٍ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ مَفْهُومٌ . وَقَوْلُهُ « غَدَا » لَمْ يُشِيرْ بِهِ
 إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ يَوْمَهُ ، وَإِنَّمَا دَلَّ عَلَى تَقَرُّبِ الْأَمْرِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : تُتَلَاَقُوا
 خَيْلِي قَرِيبًا عَلَى هَذَا الْمَاءِ ^(٢) .

٢- تُلَاَقُوا جِيَادًا لَا تَحِيدُ عَنِ الْوَعَى إِذَا مَا غَدَتْ فِي الْمَازِقِ الْمُتَدَانِي

الْوَعَى ، أَصْلُهُ ، اَلْجَلْبَةُ وَالصَّوْتُ ، وَكَذَلِكَ الْوَعَى بِالْمَعْنَى غَيْرِ مَعْجَمَةٍ . قَالَ :

* كَأَنَّ وَعَى الْخُمُوشِ بِجَانِبِهَا ^(٣) *

وَجِيَادٌ هَاهُنَا : جَمْعُ جَوَادٍ ، يُقَالُ فَرَسٌ جَوَادٌ : عَتِيقٌ ، وَخَيْلٌ جِيَادٌ :
 عَفَاقٌ . وَفِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ يَكُونُ جَمْعُ جَيْدٍ . وَتُلَاَقُوا بَدَلٌ مِنْ تُلَاَقُوا الْأَوَّلِ .
 نَبَّهَ بِهَذَا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْخَيْلِ الْفُرْسَانُ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي قَوْلِهِمُ الْخَيْلُ وَالرَّجُلُ .
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ ﴾ ، وَلِهَذَا قَالَ فِيمَا بَعْدَهُ :

(١) السخرية ، وردت في النسختين بتشديد الياء ، وهو مصدر سخر به ، كما في اللسان ،
 ولم ترد في القاموس . والسخرية بتخفيف الياء اسم منه .

(٢) ابن جني : « وبني شيبان منصوب على نداء المضاف البتة في التوابع جميعا ، كقولك
 مع التوابع رفقا بابني شيبان ، وكذلك حاله إذا بناه وجمله اسما للفعل في الأمر كأنه قال : رويدكم
 يابني شيبان ، أي انتظروا الأمر يابني شيبان . فإن قلت : فهل تجوز أن تكون بني شيبان مع
 كون رويد اسما للفعل مجرورا بإضافة رويد هذه إليه ، كما تقول في الكاف والميم ، من رويدكم
 إنها مجرور بإضافة هذا الاسم المبنى عليه ويستدل على أنها اسم لا حرف خطاب بما حكاه سيديويه
 عنهم من قولهم رويدكم أجمعين وأجمعون ، فأجمعين توكيد للكاف والميم ، وأجمعون توكيد للضمير
 المرفوع فيه . فالجواب أن ذلك لا يجوز هنا ، من قبل أن هذه الأسماء المسمى بها الأفعال
 لا يؤمر بها الغائب ، وإنما هي موضوعة لأمر الحاضر » .

(٣) للمتخيل الهذلي ، كما في اللسان (خخش ، وعى ، وغى) وديوان الهذليين (٢) :

(٢٥) . وصواب الرواية « بجانبه » لأنه في صفة ماء . وعجزه :

* وعى ركب أميم ذوى زياط *

« تُلَاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ » . ويجوز أن يكون أراد بالخيل الدواب ، ووصفها بأنها لا تجبن عن الوعى ، لدوام ممارستها له ، وتعودها إياه . ثم خبر في قوله : « تُلَاقُوهُمْ » عن أربابها ، فيقول : أُرْفِقُوا تُلَاقُوا فُرْسَانًا كِرَامًا لَا تَمَلُّ الْحُرُوبَ وَلَا تَعْدِلُ عَنْهَا إِذَا ابْتَكَرَتْ فِي مَضِيقٍ مِنْهَا ، تَتَلَحَّمُ فِيهِ الْفُرْسَانُ وَتَتَدَانَى فِيهِ الْأَبْطَالُ وَالشُّجْعَانُ . وإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعَ التَّدَانَى لَا يَكُونُ إِلَّا التَّجَالُدُ ، وَعِنْدَهُ تَشَكُّلُ الْأُمَمَاتِ . وَالْمَازِقُ : الْمَضِيقُ ، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْأَزَقِ فِي الْحَرْبِ ، فَهُوَ مَفْعِلٌ مِنْهُ .

٣- تُلَاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْخَدَمَانِ

قوله « على ما جنت » يريد على جناية . وموضعه نصب على الحال ، والعامل فيه تعرفوا . أو تلاقوا . يقول : تلاقوا من بلائهم ما يستدل به على حسن صبرهم وثباتهم في جلاذيم ، هذا مع تحامل الزمان عليهم ، وسوء تأثير الدهر فيهم . وأصل الصبر : الحبس ، ومنه قتل فلان صبرا . وحدث الدهر وأحدثه وحداثته وحوادثه : نوازله .

٤- مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطْوُهُمْ بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ

مَقَادِيمُ : جمع مِقْدَامٍ . وبشبه هذا البيت قوله :

إِذَا قَصَرْتَ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا لِلتَّضَارُبِ^(١)

وقد مر مثله ، لكن في هذا قلبا ، وذاك أنه قال : وَصَّالُونَ خَطْوُهُمْ بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ ، وكان الواجب أن يقول : كُلُّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ بِخَطْوِهِمْ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : إِذَا قَصَرْتَ أَسْيَافُنَا وَصَلْنَاهَا بِخُطَانَا ؟ وَقَالَ الْآخَرُ :

(١) سبق البيت في ص ١٠٩ .

* نَصِلُ السِّيفَ إِذَا قَصْرُنَ بِحُطُونِنا^(١) *

ومثل هذا البيت في القلب بل في تبين جواز القلب ، وقول حميد بن ثور :
نَصِلُ الْخَطَى بالسِّيفِ والسِّيفَ بِالْخَطَى إِذَا ظَنُّ أَنْ السِّيفَ ذَا الْأَثْرِ قَاصِرُ
٥ - إِذَا اسْتَنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَائِهِمْ لَأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ^(٢)

هذا مثل قوله :

لَا يَسْأَلُونَ أَهَامَ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي الدَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا^(٣)
والمعنى : إِنَّا لَا نَطْلُبُ الْعِلَلَ عَلَى الْمُسْتَنْجِدِ تَوْصُلًا إِلَى دَفْعِهِ أَوْ مَطْلِهِ ،
ولكننا نَعَجِّلُ غَوْنَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ . والاستنجد : الاستصراخ . ورجل
مِنْجَادٌ : مِفْوَانٌ ، وقد أَنْجَدَنِي ، وَيَقَالُ هُوَ نَجْدٌ . من قومٍ أَنْجَادٌ . ومثله
قول الآخر :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرِخٌ كَانَ الْعُرَاخُ لَهُ قَرَعٌ الظَّنَّابِيبِ^(٤)

١٨

سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ السَّعْدِيِّ^(٥) :

من سَعْدٍ بَنِي تَمِيمٍ . وقال الْبَرْقِيُّ : من سعد بنى كلاب .
١ - فَلَوْ سَأَلْتُ سَرَاةَ الْحَيِّ سَلَمَى عَلَى أَنْ قَدْ تَلَوَّنَ بِي زَمَانِي

(١) لكعب بن مالك الأنصاري كما في الخزائن ٣ : ٢٢ والسيرة ٧٠٥ - ٧٠٦ وشرح
شواهد المعنى ١٢٢ . ونسبه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٢٧٩ إلى ربيعة بن مقروم . وعجزه :
« قداما وناحقها إذا لم تلحق » *

(٢) م : « أم لأمي مكان » .

(٣) البيت ٤ من الحماسة الأولى .

(٤) سلامة بن جندل في المفضليات (١ : ١٢٣) .

(٥) المضرب بتشديد الراء المفتوحة ، ذكر ابن بري أنه سمي بذلك لأنه يحب بامرأة
فحلف أخوها ليضربه بالسيف مائة ضربة ، فضربه فقتل عليه ، فسمى مضرباً لذلك . وهو شاعر
إسلامي ، ذكر المبرد في الكامل ٢٨٩ ، ٦٦٦ أنه هرب من الحجاج ، وتآلى :

أقاتلي الحجاج إن لم أزر له دراب واترك عند هند نواديا

وذكره الأحمدي في الموفيات ١٨٣

سَرَاةُ النَّاسِ : خِيَارُهُمْ . وَشَرَاةُ الْإِبِلِ بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةٌ : كَرَامُهَا . وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ ^(١) . وَقَالَ الْخَلِيلُ : السَّرْوُ : سَخَاةٌ فِي مَرْوَةٍ . وَسَرَا يَسْرُو فَوُو سَرِيٌّ وَقَوْمٌ سَرَاةٌ ، وَلَمْ يَجِْ عَلَى فَعْلَةٍ غَيْرِهَا . يَعْنِي أَنَّ فَعْلَةً يُحْتَمَلُ بِهَا الصَّحِيحُ فِي الْجَمْعِ دُونَ الْمُعْتَلِّ ، وَذَلِكَ كَالْفَجَرَةِ وَالْفَسَقَةِ . وَتَلَوْنُ الزَّمَانِ يُشِيرُ بِهِ إِلَى تَهَارُيفِهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ . فَيَقُولُ : لَوْ بَحِثْتُ هَذِهِ الْمَرَاةَ بِالسُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِ عَلَى تَبَدُّلِ الْأَبْدَالِ ، وَتَغْيِيرِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ بِي فِيمَا مَضَى ، وَتَنَقُّلِ الْأَحْدَاثِ عَلَى مَرَّةٍ بَعْدَ أُخْرَى . وَجَوَابُ « لَوْ » يَجِيءُ مِنْ بَعْدِ قَوْلِهِ : « أَنْ تَلَوْنَ » ، وَأَنْ إِذَا وُصِّلَ بِالْمَاضِي أَفَادَ حَدَثًا مَاضِيًّا ، وَإِذَا وُصِّلَ بِالْمُسْتَقْبَلِ أَفَادَ حَدَثًا مُسْتَقْبَلًا .

٢ - لَخَبَّرَهَا ذَوُو أَخْسَابٍ قَوِيٍّ وَأَعْدَائِي فَكَلْتُ قَدْ بَلَانِي

قَوْلُهُ : « لَخَبَّرَهَا » جَوَابُ لَوْ . وَأَخْسَابٌ : جَمْعُ حَسَبٍ ، وَهُوَ مَا يُحْسَبُ وَيُعَدُّ عِنْدَ التَّفَاخُرِ . يَقُولُ : لَوْ سَأَلْتُ لَأَنْبَأَهَا بِخَيْرِي أَشْرَافُ قَوِيٍّ ، وَأَمَائِلُ أَعْدَائِي ، فَكَلْتُ مِنْهُمْ قَدْ خَبَّرَنِي . يُشِيرُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ زَعَمَاءَ قَبِيلَتِهِ وَذَوِي الشَّرَفِ مِنْ رَهْطِهِ ، يَهْتَرِفُونَ لَهُ بِالْفَضْلِ ، وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِمَا يَكْسِبُهُ جَمِيلَ الذِّكْرِ ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ عَلَى مَا قَاسَوْا مِنْ وَقَعَاتِهِ بِهِمْ ، وَكَابَدُوا مِنْ بَدَرَاتِهِ فِيهِمْ ، لَا يَجْهَدُونَ تَبَرُّيزَهُ ، وَلَا يُفَكِّرُونَ تَقْدِيمَهُ . وَمَنْ اعْتَرَفَ لَهُ بِالْفَضْلِ مُوَالِيَهُ وَمُعَادِيَهُ ، وَصَدَّقَهُ فِي دَعْوَاهِ أَقَارِبُهُ وَأَجَانِبُهُ ، فَهُوَ النَّهَايَةُ فِي الْكَمَالِ ، وَالنَّهَايَةُ عِنْدَ الْبَحْثِ عَنِ الْفَعَالِ . وَقَوْلُهُ : « فَكَلْتُ قَدْ بَلَانِي » اعْتِرَاضٌ حَصَلَ بَيْنَ خَبَرٍ وَمَفْعُولِهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « بِذَنْبِي الذَّم » ، وَالْفَاءُ دَخَلَتْ مَعْلَقَةً لْجَوَابِ الْجُمْلَةِ بِهَا .

٣ - بِذَنْبِي الذَّمُّ عَنْ حَسَبِي بِمَالِي وَزَبُونَاتِ أَشْوَسَ تَيْحَانِ

الباءُ مِنْ قَوْلِهِ « بِذَنْبِي » تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ لَخَبَّرَهَا . وَكَأَنَّ الْإِخْبَارَ بِحَسَنِ دِفَاعِيهِ

(١) انظر البيت ٢ من الحماسة ١٤ .

عن حَسَبِهِ بِمَالِهِ ، وَكَرَّمَ مُحَافَظَتَهُ عَلَى شَرَفِهِ وَحَالِهِ ، مِنْ تَرْكِ ذِي الْأَحْسَابِ
 مِنْ عَشِيرَتِهِ وَثَنَائِهِمْ عَلَيْهِ ، وَالْإِنْبَاءِ بِدَفْعِهِ مَعَرَّةَ الْأَشْوَاسِ التَّيَّحَانِ ، مِنْ إِبْخَارِ
 أَعْدَائِهِ وَشَهَادَتِهِمْ لَهُ . فَكَمَا أُجْمِلَ فِي الْأَوَّلِ أَجْمَلُ فِي الثَّانِي ، ثَقَّةً بِأَنْ مَسَامِعَ عِنْدَ
 التَّفْصِيلِ يَرُدُّ كُلًّا إِلَى مَوْضِعِهِ . وَإِنَّمَا خَصَّ ذِي الْأَحْسَابِ مِنْ قَوْمِهِ لِأَنَّ
 شَهَادَتَهُمْ أَوْجَهَ ، وَالتَّحَاسُدَ لَمْ أَشْمَلُ ، وَالْقَرِينَ بِمُقَارِنِهِ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ : « زَبُونَاتِ »
 فَعُولَاتُ مِنَ الزَّبْنِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ . وَالتَّيَّحَانُ : الْعَرِيضُ الْمَقْدَامُ ، وَهُوَ قَيْمَلَانُ
 بَفَتْحِ الْعَيْنِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَوَى بِكَسْرِهَا ، لِأَنَّ فَيْعِلَانَ لَمْ يَحْ فِي الصَّحِيحِ
 فَيْبَنَى الْمَعْتَلَّ عَلَيْهِ قِيَاسًا . وَفَيْعِلُ كَسِيدٌ مِنَ الْأَبْنِيَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِالْمَعْتَلِّ . وَمِثْلُ
 تَيْحَانِ هَيَّانٍ ، وَهِيَ صِفَتَانِ حَكَاهَا سِيبَوِيهِ بِالْفَتْحِ ، وَمِثْلَاهُمَا مِنَ الصَّحِيحِ
 قَيْقَبَانُ وَسَيْسَبَانُ . وَتَيْحَانُ ، مَنْ تَاخَ لَهُ يَتَوَخَّ وَيَتَيْجُ اقْتِنَانُ ، إِذَا أَشْرَفَ
 وَتَهَيَّأَ . وَرَجُلٌ مَتَيْحٌ ، وَيُقَالُ قَلْبٌ مَتَيْحٌ أَيْضًا . وَأُتِيحَ لَهُ كَذَا . وَمِثْلُ
 الزَّبُونِ الْبَيْتُوتِ ، وَهُوَ السَّقِيطُ ^(١) ، وَالتَّهَمُّ الْمُبَايَتُ لِصَاحِبِهِ . يَقَالُ زَبْنَتَهُمْ
 الْحَرْبُ ، وَحَرْبُ زُونٍ وَطَحُونٍ . وَالزَّبْنِيَّةُ وَاحِدُ الزَّبَانِيَّاتِ مِنْ هَذَا . وَفِعْلِيَّةٌ
 مِنَ الْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَلْزُمُهَا الْمَاءُ . وَالْأَشْوَاسُ : الَّذِي يُعْرِفُ فِي نَظَرِهِ الْغَضَبُ
 وَالْحَقْدُ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي التَّكْبِيرِ وَالْمُهَيْبِ .

٤ - وَأَيُّنِي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مَجْنَّ جَانٍ

فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَلِيَّهٗ فَاسَى وَآدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى ^(٢)
 وَيُرْوَى : « وَأَيُّ لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ » فَيَعْطَفُ عَلَى بَذْنِ الدَّمِّ ،
 وَيَكُونُ مَوْضِعُهُ جَرًّا ، وَيَكُونُ هَذَا مِمَّا شَهِدَ بِهِ الْأَعْدَاءُ لَهُ أَيْضًا . فَإِنْ كَسَرْتَ إِنِّي

(١) السَّقِيطُ مَا سَقَطَ مِنَ التُّدَى عَلَى الْأَرْضِ .

(٢) آدَاهُ : هَاوَاهُ . وَهَذِهِ رَايَةٌ م . وَفِي الْأَصْلِ : « وَآدَاهُ » بِالذَّالِ مُعْجَمَةٌ .

فهو على الاستئناف والانتقطاع عما قبله . والمعنى : إني ألبسُ الحروبَ وأمارسُها دائماً ، فإذا لم يكن لى من أحوالى وزمانى ما يبعثنى على مجاذبة الأعداء ومدافعتهم ، طلبت من قد شقّى بمثل ذلك ، فدافعتُ دونه وحاميتُ عليه ، لأنى لا أصبر على حالِ السلامة والسَّلم . ومثله قول الآخر :

وما إن تراه الذَّهْرَ إلا مُفَرَّراً بنفسِ أبت إلا صِعبَ المراكِبِ

١٩

آخر^(١) :

١- وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا فَطَعَنْتُ تَحْتَ كِفَانَةِ الْمُتَمَطِّرِ^(٢)

يقال : تَمَطَّرَ الرَّجُلُ ، إذا أَسْرَعَ . ويقال مَطَرَ بِهِ ، وقَطَرَ بِهِ ، إذا يَادَر^(٣) . وأراد بالخيل الفُرسان ، كأنَّه يخاطب بهذا الكلام مَنْ شَهِدَ معه المعركة ، فخبره بمعاملته المتَمَطِّرَ الذى عَهِدَهُ ، وقوله : « تَحْتَ كِفَانَةٍ » أشار به إلى المَقْتَل . وهذا المتَمَطِّرُ كأنَّه كان بَارِزَهُ ، أو أراد أن يُبَادِرَ إلى أَمْرِ ، فحال بينه وبينه . والكِفَانَةُ مِنَ الْكَنْ : السَّتْرُ ، لأنه يُصَانُ بها النَّبْلُ .

٢- وَلَقَدْ رَأَيْتُ غَدَاةَ شُلْنٍ عَلَيْكُمْ شَوْلَ الْمَخَاضِ أَبَتْ عَلَى الْمُتَغَبِّرِ^(٤)

يُروى : « وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ شُلْنَ عَلَيْكُمْ » ، أى شائلة . والتقدير : وقد شُلْنَ . وأراد بالخيل هاهنا الدواب ، وهى تَشُولُ بأذنانها إذا اشتدَّ عَدُوُّهَا ؛

(١) التبريزى : « قال أبو رياش : هذه الأبيات لبعض بني تميم الله بن ثعلبة ، يوم أواره . وأواره : موضع ، وهو الموضع الذى أحرق به عمرو بن هند بني دارم » .

(٢) أشار التبريزى إلى رواية : « لبابة المتمطر » ، وقال : اللبابة : ثوب يتطلب به الرجل على ثيابه ، إذا تحزم لحرب » .

(٣) التبريزى : « والمتمطر : اسم رجل من لحم ، وهو من قولهم : تمطر الـ جل ، إذا أسرع » .

(٤) ترتيب هذا البيت عند التبريزى ثالث الأبيات ، وثالثها هنا ثانيها عنده .

وَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ مِنْهَا عَلَى قُوَّةِ ظَهَرِهَا . فيقول : لقد رأيتم منهن من واخليل
تعدو عليكم رافعةً أذنانها ، رَفَعَ النَّوْقِ الحَوَامِلَ لها إذا طَلَبَ حَلَبُ غُبْرِ لبنها .
والغُبْرُ : البَقِيَّةُ تَبَقَى مِنَ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ . وَيُقَالُ تَغَبَّرْتُ الغُبْرَ ، كما يُقَالُ
تَحَلَّبْتُ الحَلُوبَ ، والخاصُّ لا واحدَ لها من لفظها ، وهي اسم مفردٌ موضوع
لِلنَّوْقِ الحَوَامِلِ ، والواحد من غير لفظها : خَلْفَةٌ . وقوله : « أَبَتُ عَلَى المتغَبَّرِ »
قَدْ مَعَهُ مَضْمَرَةٌ ، وهو واقعٌ موقع الحال . أراد : رأيتُ الخليلَ شائلةً أذنانها
عليكم شَوْلُ الخاصِّ آيَةً عَلَى المتغَبَّرِ . ومن روى : « ولقد رأيتُ غَدَاةً » فقد
أضمر مفعولَ رأيتُ ، وهو الخليل . وساغ ذلك ، لأنَّ قوله ولقد شهدتُ الخليلَ
— وإن أريد به الفُرسان — يدلُّ عليه .

٣- وَنُطَاعِنُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَعَلَى بَصَائِرُنَا وَإِنْ لَمْ نُبْصِرِ
ذَكَرَ الْأَبْنَاءُ كِتَابَةً عَنِ الْحَرَمِ ، كما قال الآخر :

* نَقَاتِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ بَنِينَا *

والبصائر : جمع بصيرة ، وهو ما يستدلُّ به الرجلُ من رأيه وعَقْلِهِ على
ما يَغِيبُ منه . وعلى ذَا سُمِّيَتِ الطَّرِيقَةُ مِنَ الدَّمِ بصيرةً ، لَأَنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى
الجُرْحِ ، وفُسر قوله :

رَاحُوا بِبَصَائِرِهِمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَمْدُو بِهَا عَتْدُ وَأَي^(١)

على الوجهين جميعاً . فإذا جعلتها بصائر الرأى يكون المعنى خَلَفُوا آراءهم
وطرحوها ، كما يقال تركتُ الرأى بموضع كذا وكذا ، وَجَعَلْتُ غَدَاً مَنِيَّ عَلَى
ظَهْرِ^(٢) . ومعنى « وبصيرتي يمدو بها عتد وأي » أن رأيه معه نافذٌ مستمرٌ ،

(١) للأصغر الجعفي من قصيدة في أول الأصمعيات طبع ليبسك. وأثذبه في اللسان (وأي) .

(٢) م : « يظهر » .

وإذا جَمَعْتَهُمَا بِصَائِرِ الدَّمِ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَهْزُومُونَ مَكْلُومُونَ^(١) في ظهورهم وأقفاهم، فدماءهم على أكتافهم. ومعنى « وبصيرتي يعدو بها عتدّ وأى » في هذا الوجه أن دمي سالم في نفسي وفرسي يَفْدُو بي. ومعنى البيت: إنا ندافع عن حُرْمِنَا وحريمنا، وعلى ما يعترض في الوقت، نَفْعَلُ ذلك وإن لم نُبْصِرْ عاقبة الأمر، ولم تَتَذَبَّعْهَا بالفكر فيها، وتأثُل نتائجها، فنَعْلَمَ مَوَادَّهَا. وهذا شأنُ الفَتَّاكِ فيما يُمَشُّونَهُ من أحكام الحرب وينفذونه، ويفتُلُونَهُ من أسباب الجذاب والنزاع ويُبْزِمُونَهُ. وقد قيل في هذا البيت إنه كما حُكِيَ عن مُسَيِّلَةِ حين قال لبي حنيفة: « قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ، فَأَمَّا الدِّينُ فَلَا دِينَ ». وكان المعنى على هذا: وعلى بصائرنا في الحرب عند المحافظة على الشرف وإن لم نُبْصِرْ أمر الدين. وهذا بعيدٌ مَتَعَسِّفٌ، وإذا تَأَمَّلْتُهُ ظَهَرَ لَكَ. وفي الطريقة الأولى قول التَّطَائِي:

وخيّر الأمر ما استَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا

وسمعت بعض أصحاب المَعَانِي يقول: المعنى إنا نقاتل الأبطال جَرِيًّا على عادة الناس عند نَظَرِهِمُ لدُنْيَاهُمْ ودينهم، في الذَّبِّ عن الحُرْمِ والعشيرة والشَّرَفِ، وعلى الأديان والاعتقادات والبصائر، وإن لم نُبْصِرْ وجهًا واحدًا من هذه الوجوه نُقَاتِلُ أيضًا، لأنَّ هَمَّنَا القتلُ والقتال. قال: فَحُذِفَ مفعولُ وإن لم نُبْصِرْ لأنَّ المراد مفهوم. وكذلك حُذِفَ جوابُ إن، لأنَّ فيما تقدّم دليلًا عليه.

(١) م: « مكلمون ».

٢٠

القطريُّ بن الفُجاءةِ المازني^(١)

١ - لَا يَزْكَنَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْأَحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ

قَصْدُهُ إِلَى الْبُعْثِ وَالتَّحْضِيضِ ، عَلَى التَّفْرِيرِ بِالنَّفْسِ وَالتَّعْرِيزِ . أَلَا تَرَى
 أَنَّهُ يَحْتُ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى تَرْكِ الْفِكْرِ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَرَفْضِ التَّعَرُّزِ خَوْفًا مِنْ
 الْعَاطِبِ . وَيُنَبِّهُ عَلَى أَنَّ الْحَذَرَ لَا يُدْجِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَأَنَّ الْأَجَلَ إِذَا جَاءَ لَمْ
 تُفْنِ مَعَهُ قُوَّةُ الْأَمَلِ ، فَيَقُولُ : لَا يَمِيلَنَّ أَحَدٌ إِلَى هَجْرِ الْإِقْدَامِ ، وَالسَّكُونِ
 إِلَى الْإِحْجَامِ فِي الْحَرْبِ مُتَخَشِّعًا مِنَ الْمَوْتِ . وَالْإِحْجَامُ : مَطَاوَعُهُ حَبَّئْتُ
 أَيْ كَفَفْتُ وَدَفَقْتُ . فَهُوَ كَالْإِكْبَابِ فِي أَنَّهُ لِمَطَاوَعَةٍ كَسَبْتُ . وَيَقَالُ
 حَبَّئْتُ الْبَعِيرَ ، إِذَا خَطَمْتَهُ بِمَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْعَصْرِ ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ الشَّيْءَ الْحِجَامَ .

٢ - فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةً مِنْ عَنِّ بِمِثْلِي مَرَّةً وَأَمَامِي

الدَّرِيَّةُ تَهْمَزُ وَلَا تَهْمَزُ ، فَتُجْمَلُ مِنَ الدَّرَاءِ وَهُوَ الدَّفْعُ ، وَمِنَ الدَّرِيِّ وَهُوَ
 الْخُتْلُ ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ الدَّابَّةُ الَّتِي يَخْتَلُ بِهَا الصَّيْدُ لِيُفْرِكَ فِرْيَةً : دَرِيَّةً ،
 وَالْحَلَقَةُ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّعْنُ دَرِيَّةً . وَيُمْكِنُ خَمَلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا .
 فَإِذَا جَعَلْتَ الدَّرِيَّةَ الْحَلَقَةَ يَقُولُ : لَا يَفْعَانُ ذَلِكَ أَحَدٌ وَلِيَعْتَبَرَ بِحَالِي ، فَاقْدَرِ
 رَأَيْتُ نَفْسِي فِي غَيْرِ وَقْتٍ وَحَالٍ ، وَكَأَنِّي لِلرَّمَاكِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلَقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا
 الطَّعْنُ ، فَتَأْتِينِي الرَّمَاكِ مِنْ جَوَانِبِي كُلِّهَا ثُمَّ سَلِمْتُ . وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ

(١) قطري أحد زعماء الخوارج ، خرج زمان مصعب بن الزبير لما ولي العراق فياقة
 عن أخيه عبد الله . وكانت ولاية مصعب في سنة ٦٦ للهجرة ، ذبح قطري عشرين سنة يقاتل
 ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يدير إليه جيشا بعد جيش فبهزمه ، ولم يزل كذلك حتى
 توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي فظهر عليه وقتله سنة ٧٨ . وقطري : نسبة إلى موضع
 بين البحرين وعمان . وليس قطري اسما له ، بل اسمه جموعة بن مازن . وفيات الأعيان .

اليمين والقُدَّامُ لأنه يَعْلَمُ أن اليسار في ذلك كاليمين . فأما الظَّهْرُ فإن الفارس لا يُمكنُ منه أحداً . وإذا جَلَعَتِ الدَّرِيَّةُ الدَّابَّةَ الموصوفة يكون المعنى : فلقد أَرَانِي وقد اتَّقَيْتَنِي بِفِصْرَتِ سُرَّةٍ لغيري من الطَّعْنِ ، كما تكون تلك الدَّابَّةُ سُرَّةً للصائد^(١) والطَّعْنُ يتناولني . وعلى هذا يكون معنى « للرِّمَاحِ » من أجل الرِّمَاحِ . والأوَّلُ أحسنُ . وقوله : « مِنْ عَن يَمِينِي » مِنْ تَعَلَّقَ بِفِعْلٍ دَلَّ عَلَيْهِ قوله أَرَانِي دَرِيَّةً للرِّمَاحِ ، وهو تَأْتِينِي وما يَجْرِي مَجْرَاهُ . وَعَنْ مِنْ قوله « عَنْ يَمِينِي » اسْمٌ هَاهُنَا ، وَايسَ بِمَجْرَفٍ . والمعنى مِنْ جَانِبِ يَمِينِي ، ومثله قول الأعشى^(٢) :

* مِنْ عَن يَمِينِ الْحَبِيَّاءِ نَظْرَةً قَبْلُ^(٣) *

وقول الآخر :

• مِنْ عَن يَمِينِ الدَّارِ وَالْحَائِطِ *

٣- حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحْدَرُ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سَرْجِي أَوْ عِنَانَ لِحَايِي .

وقوله « أَوْ عِنَانَ لِحَايِي » ، أَوْ هَاهُنَا لَيْسَتْ لِلشَّكِّ ، وَإِنَّمَا هِيَ الَّتِي يُرَادُ بِهَا أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى طَرِيقِ التَّمَاقُظِ ، أَيْ إِمَّا ذَا وَإِمَّا ذَا . وَلَكِ أَنْ تَرِيدَ الْجَمْعَ ، لِأَنَّ أَصْلَ « أَوْ » الْإِبَاحَةُ . وَهَذَا كَمَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فَيَقَالُ لَهُ : مَا كَانَ طَعْمُكَ فِي بَلَدِكَ ؟ فَيَقُولُ : الْحِنْطَةُ ، أَوْ الْأُرْزُ . وَالْمَعْنَى أَحَدُ هَذَيْنِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَدَلاً مِنْ صَاحِبِهِ أَوْ الْجَمِيعِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : انْتَصَبْتُ لِلرِّمَاحِ حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا سَالَ مِنْ دَمِي إِمَّا عِنَانَ لِحَايِي وَإِمَّا جَوَانِبَ سَرْجِي ، أَيْ عَلَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْعَصِيدُ » وَاثْبَتْنَا مَا فِي م .

(٢) كَذَا . وَالصَّرَاحُ أَنَّهُ الْقَطَاعِي ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (عَيْن) وَدِيوانِ الْقَطَاعِي .

(٣) صدره : * فَقُلْتُ لِلرَّكْبِ لِمَا أَنْ عَلَا بِهِمْ

حَسَبَ مَا اتَّفَقَ مِنَ الطَّمَنِ . فَالْعِنَانُ لَمَّا سَالَ مِنْ أَعَالِيهِ ، وَجَوَانِبِ السَّرْحِ لَمَّا سَالَ مِنْ أَسَافِلِهِ .

٤- ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جَذَعَ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإقدام الجذوعة قبل الإثناء بَسَنَةٍ ، والدَّهْرُ لَجِدَّتِهِ يُسَمَّى جَذَعًا ، وكذلك يقال لمن يُرَى في أمر ما على حالة واحدة : هو جَذَعٌ فيه . وانتصابُ « جَذَعَ البصيرة » على أنه حالٌ وهو نَكْرَةٌ . والمعنى ثم انصرفت مع ما وصفتُ من حالي واتَّفَقَ مع ضيق المجال عَلَيَّ ، وقد نلتُ ما أردتُ من الأعداء ولم ينالوا مني ما أرادوا ، وأنا على بصيرتي الأولى لم يبدُ لي في الاقتحامِ ، ولا غَلَبَ في اختياري التطرُّفِ والانحرافِ ، بل صار إقدامي في الحرب قَارِحًا لَطُولِ ممارستي ، وتكرُّر^(١) مبارزتي ، وإن كان بَقِيَ رأيي فيه جَذَعًا . وهذا يريدُ به ما يترقَّى فيه الإنسان من التدرب والترنُّن عند مزاولة الأعمال ، ومن بقاء ولُوعِهِ بها ، وحِرْصِهِ عليها على حدِّه في أوَّلِ الشأن . وكما جَمَلَ هذا القُروح والجذوعة : البصيرة والإقدام ، قال أبو تمام :

* كَهْلُ الْأَنَاءِ فَتَى الشَّدَاةِ^(٢) *

فنقله كما ترى . واقتدى به البحتري فقال :

* إِقْدَامُ غَيْرٍ وَاعْتِزَامُ مُجَرَّبٍ^(٣) *

وقد أشار الأعشى إلى كلِّ ذلك في قوله :

(١) في الأصل : « وتكنه » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) هو بتمامه كما في الديوان ٢٠٧ :

كهْلُ الْأَنَاءِ فَتَى الشَّدَاةِ إِذَا عَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْقَشْعُ لِلْفَطْرِيفَا

(٣) في ديوان البحتري ٢٠ :

ملك له في كل يوم كريمة إقدام ليث واعتزام مجرب

* تَمَهَّلَ فِي الْحَرْبِ حَتَّى امْتَنَنَ ^(١) *

وفي طريقته قول أبي الغول :

وَلَا تَبْلَى بَسَاتِهِمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا لِلْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ ^(٢)

٢

الحريش، ويروى للمعبس بن مرداس ^(٣) :

١ - شَهَدَنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَوَّمَاتٍ حُنَيْنًا وَهِيَ دَامِيَّةُ الْحَوَامِي

الحوامي من الحماية ، وهي المنع . وكما جعلوا للحوافر حوامي سموا ما يطوي به البئر من الحجارة وغيرها ليحمي جوانبها من التشعث والتهدم : حوامي . يَصِفُ خَيْلاً فَيَقُولُ : حَضَرْتُ حُنَيْنًا مَعَ النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ، مُفْلَمَاتٍ وَقَدْ دَمِيَتْ جَوَانِبُ حَوَافِرِهَا لَكثَرَةِ الْعَدُوِّ ، وَلَمَّا لَحِقَهَا مِنَ النَّعَبِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزَا هَوَازِنَ بَوَادِي حُنَيْنٍ ، وَرئيسُ هَوَازِنَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ الْجَشَمِيُّ . وَإِنَّمَا قَالَ « مُسَوَّمَاتٍ » لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِعَلَامَاتٍ لِيَبَيِّنَ بِهَا فَضْلُ كُلِّ مِنْهُمْ وَبِلَاؤُهُ . وَالسِّيَامَةُ : الْعَلَامَةُ ، وَقَدْ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّخِذِ الْمُسَوِّمَاتِ ﴾ عَلَى ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ سِيَامُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ ﴾ .

(١) كذا في الأصل ، وفي م : « امتحن » . وفي الديوان ٢١ : « حتى اتحن » . واللسان (تحن) : « حتى اتحن » . وصدده :

• عَلَيْهِ سِلَاحٌ أَمْرٌ مَاجِدٌ •

(٢) انظر الحماسة ٣ : ٤ .

(٣) البريزي : « وقال الحريش بن هلال القريني ، ويروى للجحاف بن حكيم بن عاصم » . والحريش هذا مختلف في صحبته . انظر الإصابة ٢٠٨٣ . وأما المعباس بن مرداس فهو صحابي من المؤلفات قلوبهم . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٢٥٩ والأغاني (١٣ : ٦٢ - ٧٠) والخزافة (١ - ٧١ - ٧٤) والمرزباني ٢٦٢ - ٣٦٣ . على أن الأبيات رواها الأعلام في شرح الحماسة لجحاف بن نديبة . انظر الإصابة ٢٠٨٣ .

٢ - وَوَقْعَةَ خَالِدٍ شَهِدَتْ وَحَكَّتْ سَنَا بَكَمَّا عَلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ

أصلُ الحَكِّ صَدْمُ جَسْمٍ بِآخَرٍ وَتَرْدِيدُهُ عَلَيْهِ لِيُؤْثِرَ فِيهِ . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ
فَقَالُوا : حَكَّ هَذَا الْأَمْرُ فِي صَدْرِي ، لِمَا يَتَرَدَّدُ فِي خَاطِرِكَ . وَهُوَ يَتَحَكَّكُ
بِفُلَانٍ أَيْ يَتَعَرَّضُ لَهُ ، حَتَّى إِنْهُمْ يَقُولُونَ لِلشَّيْءِ الْخَفِيِّ : هُوَ حَكِيكَ تَحِيَّتٌ ^(١) .
وَيَعْنِي خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُنِيرَةِ . وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ ، وَإِنَّمَا نَسَبَهَا إِلَى
خَالِدٍ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ خَالِدًا يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى الْخَيْلِ فَلَقِيَ
قُرَيْشًا بِالنَّخْدَةِ ^(٢) ، فَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ . فَيَقُولُ : وَحَضَرَتْ أَيْضًا وَقْعَةُ خَالِدٍ يَوْمَ
الْفَتْحِ ، وَحَكَّتْ أَطْرَافَ حَوَافِرِهَا بِأَرْضِ الْحَرَمِ . وَالْمُرَادُ بَيَانُ طَوْلِ مُمَارَسَتِهَا
لِلْحُرُوبِ وَالْوَقَعَاتِ ، وَتَرَدُّدِهَا فِي تَحْمُلِ أَعْيَاءِ الشَّرِّ وَالْمَشَقَّاتِ .

٣ - نُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ بِكُلِّ تَعَرٍّ خُدُودًا مَا تُعَرِّضُ لِلطَّامِ
مُثْلُهُ :

نَهَيْنُ النُّفُوسَ وَهُنُ النُّفُوسِ سِي يَوْمَ الْكَرِيمَةِ أَوْقَى لَهَا ^(٣)
يقول : نَبْتَذِلُ فِي الْحُرُوبِ أَنْفُسَنَا طَلِبًا لَصِيَاتِنَا ، وَنَسْتَقْتِلُ فَنَتَعَرِّضُ
وَلَا نَتَّقِبْزُ ^(٤) ، بَلْ نَبْذِلُ لَهَا وَجُوهَنَا الَّتِي هِيَ حَرَمُ النُّفُوسِ ، وَلَوْ عُرِضَ
عَلَيْنَا فِي السَّلَامِ وَالسَّلَامَةِ بِذُلِّهَا لِلطَّامِ ، لَا نَفْتَنَّا مِنْهُ وَامْتَنَعْنَا . وَالْمَعْنَى : نَتَأَقَّى السُّيُوفَ
بِخُدُودِنَا إِذَا كَسَبْنَا ذِكْرًا ، وَإِنْ صُنَّاهَا عَنِ الْأَذَى الْيَسِيرِ . وَأَكْشَفُ مِنْ
هَذَا وَأَشْرَفُ قَوْلُ الْآخَرِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « نَجِيثٌ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) الْخَنْدَمَةُ : جَبَلٌ بِمَكَّةَ .

(٣) لِلْغَنَاءِ ، كَمَا فِي الْخَيَّوَانِ (٦ : ٤٢٧) . عَلَى أَنَّ أَنْزَبَ تَمْثِيلٌ لَهُ هُوَ قَوْلُ الْقَتَالِ ،

الْكَلَابِيِّ ، فِي الْكَامِلِ ٦٧ :

نُعَرِّضُ لَطَمَانٍ إِذَا التَّفِينَا وَجُوهَا لَا تُعَرِّضُ لِلْسَّبَابِ

(٤) م : « نَتَقَبِزُ » .

وَيَبْتَذِلُ النَّفْسَ الْمَصُونَةَ نَفْسَهُ إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتِذَالَهَا^(١)
 ٤- وَلَسْتُ بِخَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكِمَاءُ وَلَا أُرَامِي^(٢)
 الثِّيَابُ يَعْنِي بِهَا السَّلَاحُ ، وَهَذَا كَمَا يُسَمَّى بَرًّا . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ :
 * بَرٌّ أَمْرِي مُسْتَسْلِمٌ حَازِمٌ^(٣) *

وَقَوْلُ الْهَذَلِيِّ :

* قَوْوَرٌ بَرٌّ مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ^(٤) *

يَعْنِي السَّيْفُ . وَهَذَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لَا أَنْزَعُ ثِيَابِي
 وَقْتَ هَرَبِ الْأَبْطَالِ تَشْمَرًا وَتَخَفُّفًا ثُمَّ لَا أُبْلِي وَلَا أُجْتَهِدُ ، وَلَكِنْ إِذَا وَطَنْتُ
 نَفْسِي عَلَى الشَّرِّ تَقَصَّيْتُ أَبْلَغَ مَا يَكُونُ مِنْهُ بِأَبْلَغَ مَا يَكُونُ مِنْ بَلَاءِي . وَمَوْضِعُ
 « وَلَا أُرَامِي » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، أَيْ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ غَيْرَ مُرَامٍ . وَيَعْنِي بِالْمُرَامَةِ
 مَدَافَعَةَ الْخَصْمِ وَمَجَاهَدَتَهُ بِكُلِّ مُمْكِنٍ وَمُقَرِّضٍ . وَلَيْسَ يَرِيدُ الرَّمْيَ بِالنَّبَالِ .
 وَقَدْ تَوَسَّعُوا فِي الرَّمْيِ وَالْمُرَامَةِ حَتَّى اسْتَعْمِلَ فِي الْاِفْتِخَارِ ، وَاسْتَعْمِلَ لِتَأْثِيرِ
 الذَّهْرِ وَالشَّيْبِ وَلِنَظَرِ الْحُبُوبِ الْمُفْتَتِنِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَفْيُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا
 فَقَالَ : لَا أَخْلَعُ ثِيَابِي تَخَفُّفًا عَنْ نَفْسِي فِي التَّوَلَّى وَالْاِنْهَزَامِ عِنْدَ هَرَبِ الشُّجْعَانِ ،
 وَلَا أُرَامِي أَيْضًا ، يَعْنِي الرَّمْيَ بِالنَّبَالِ ، وَلَكِنْ أَتَلَقَّى الشَّرَّ وَأُصَدِّمُهُ بِوَجْهِهِ .
 وَيَشْهَدُ لِهَذَا أَوَّلُ الْبَيْتِ التَّالِي لَهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَامَةَ تَكُونُ مِنْ بَعِيدٍ
 فَتُخْطِئُ وَتُصِيبُ ، وَعِنْدَ الْمَكَافَةِ^(٥) تَشْكُلُ الْأُمْنَاتُ .

(١) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « نَفْسَهَا » .

(٢) لِأَبِي قَيْسِ بْنِ الْأَسَاةِ الْأَنْصَارِيِّ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ (٢ : ٨٥) بِرَوَايَةِ : « حَازِمٌ » .

وَعَجَزَهُ : * لِلدَّهْرِ جِلْدٌ غَيْرُ مَجْزَاعٍ *

(٣) لِقَيْسِ بْنِ عِزَارَةَ الْهَذَلِيِّ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ (٣ : ٧٨) . وَصَدْرُهُ :

* فَوَيْلَ أَمِّ بَرٍّ جَرَّ شَعْلَ عَلَى الْحَصَى *

(٤) م : « الْمَفَاتِحَةُ » .

٥- وَلَكِنِّي يَجُولُ الْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحُسَامِ
 الْعَضْبُ : الْقَطْعُ وَالْمَنْعُ ، ثُمَّ قِيلَ سَيْفٌ عَضْبٌ ، أَيْ قَاطِعٌ ، كَمَا قِيلَ
 ضَيْفٌ فِي الضَّائِفِ^(١) . وَقَالَ الْخَلِيلُ : سُمِّيَ السَّيْفُ حُسَامًا لِأَنَّهُ يَحْسِمُ الْعَدُوَّ عَمَّا
 يُرِيدُ مِنْ بُلُوغِ عَدَاوَتِهِ . وَقَوْلُهُ : « بِالْعَضْبِ » ، أَيْ وَمَعَ الْعَضْبِ ، وَهُوَ فِي
 مَوْضِعِ الْحَالِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ ظَاهِرٌ .

٢٢

ابن زبابة التيمي: (٢)

مأخوذ من زَبَبَ الرَّجُلُ^(٣) .

١- نَبِيتٌ عَمْرًا غَارِزًا رَأْسَهُ فِي سِنَةٍ يُوعِدُ أَخْوَالَهُ
 جَعَلَ غَرَزَ الرَّأْسِ كُنْيَةً عَنِ الْجَهْلِ وَالذَّهَابِ عَمَّا عَلَيْهِ وَلَهُ مِنَ التَّحَفُّظِ .
 وَنَبِيٌّ وَأَنْبِيٌّ مِمَّا يَتَعَدَّى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ . قَعَمَرًا انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ .
 وَغَارِزًا ، انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَالِثٌ ، وَرَأْسَهُ انْتَصَبَ مِنْ غَارِزًا . وَأَرَادَ
 بِالسَّنَةِ : الْغَفْلَةَ ، وَهِيَ مَا يَحْدُثُ مِنْ أَوَائِلِ النَّوْمِ فِي الْعَيْنِ وَلَمْ يَسْتَحْكَمْ بَعْدُ .
 وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ التَّشْبِيهِ وَأَبْلَغِ التَّعْرِيفِ . وَالْإِبْعَادُ إِذَا كَانَ عَلَى مَا وَصَفَ
 حَقِيقٌ بِالتَّهَجُّينِ . يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ .

(١) الضائف : الذي يضيف القوم ضيفا وضيافة ، أي ينزل بهم ويميل إليهم .
 (٢) هو عمرو بن الحارث بن همام ، أحد بني تميم اللات بن ثعلبة ، شاعر جاهل ،
 وزبابة أمه . يقول فيها :

يا لهف زبابة للحارث الـ صاحب فالانام فالآتب

وقال أبو رياش : هو فارس مجلز عمرو بن لاي . انظر اللآلئ : ٥٠٤ .

(٣) التبريزي : « : يابة اسم مرتجل للعلم ، وهو فعالة أو فيعالة أو فوعالة ، من لفظ
 الأوب ، رده النشاط » .

وَسَنَانُ أَفْصَدَهُ الدَّعَاسُ فَرَنَقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِثَائِمٍ ^(١)
 وَقَدْ فَصَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ . وَالنِّعْلُ
 وَسِنَّ يَوْسَنُ وَسَنًا . وَمَوْضِعُ « يُوعِدُ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ . وَمَعْنَى « غَارَزَا
 رَأْسَهُ » : مُدْخِلًا ؛ وَمِنْهُ الْغَرَزُ بِالْإِبْر . وَيُقَالُ : غَرَزَ فُلَانٌ رَجُلَهُ فِي الْغَرَزِ ،
 أَيْ فِي الرِّكَابِ . وَتَوَسَّعُوا حَتَّى قَالُوا : اغْتَرَزَ فُلَانٌ فِي رِكَابِ الْقَوْلِ .

٢ - وَتِلْكَ مِنْهُ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ إِذَا قَالَهُ

هَذَا الْكَلَامَ تَهَكُّمٌ وَسُخْرِيَّةٌ ، وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخِرِ :
 وَأَمَّا أَخُو قُرْطٍ فَلَسْتُ بِسَاحِرٍ فَقُولَا أَلَا يَا اسْلَمَ بَمَرَّةٍ سَالِمًا
 قَالَ هَذَا وَمَرَّةٌ مُعَرَّضٌ لِكُلِّ بَلَاءٍ . « أَنْ يَفْعَلَ » مَوْضِعُهُ رَفْعٌ عَلَى الْبَدَلِ
 مِنْ قَوْلِهِ وَتِلْكَ مِنْهُ . وَالْمَعْنَى تِلْكَ الْخَصْلَةُ لَا يُؤْمَنُ وَقُوعُهَا مِنْ عَمْرٍو ، وَهُوَ
 فِعْلُهُ لَمَّا يَقُولُهُ .

٣ - الرُّمُحُ لَا أَمَلًا كُنِّي بِهِ وَالْأَبْدُ لَا أَتَّبِعُ تَزْوَالَهُ

هَذَا التَّمَدُّحُ مِنْهُ تَعْرِيفٌ بِمَحْضِهِ وَإِزْرَاءٌ بِفُرُوسِيَّتِهِ ، وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَضْدَادَ
 هَذِهِ الْأَوْصَافِ مَجْتَمِعَةٌ فِيهِ . فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : إِنِّي لَا أَقْتَصِرُ مِنْ تَعَاطِي
 أَنْوَاعِ السَّلَاحِ عَلَى الرُّمُحِ فَقَطْ ، وَلَكِنِّي أَجْمَعُ فِي الِاسْتِعْمَالِ بَيْنَهَا . وَهَذَا كَمَا
 يُقَالُ : مَلَأَ كَفَّهُ مِنْ كَذَا ^(٢) فَلَيْسَ فِيهِ مَوْضِعٌ لِفَيْرِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 الْمَعْنَى : [إِنِّي اسْتَعْمَلْتُ رِمَحِي بِأَطْرَافِ أَصَابِعِي لِحَذَقِي وَاقْتِدَارِي ، وَلَا آخِذُهُ
 بِجَمِيعِ كَفِّي ^(٣)] . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : أَقْبَضُهُ وَلَا أَقْبِضُهُ ؛ لِأَنَّ الْقَبْضَ : الْأَخْذَ
 بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ، وَالْقَبْضَ بِالْكَفِّ كُلِّهَا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ ^(٤) :

(١) نَعْدَى بِنِ الرَّقَاعِ ، كَمَا فِي السَّانِ (رَفَقَ) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ هَذَا » وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م .

(٣) التَّكْلَةُ مِنْ م .

(٤) هُوَ عَبْدُ يَفْعُوثَ بْنِ وَقَامِ الْحَارِثِيِّ . الْمَفْضَايَاتُ (١ : ١٥٦) .

* كَيْفًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاءِ بَنَانِيَا ^(١) *

وقوله : « وَاللَّبْدُ لَا أَنْبَعُ تَرْوَالَهُ » أراد : أُلْزِمَ ظَهْرُ دَابَّتِي ، وَإِنْ مَالَ اللَّبْدُ
لَمْ أَمِلْ مَعَهُ . وَهَذَا كَمَا قَالَ أَبُو النِّجَمِ :

أَذْرَكَ عَقْلًا وَالرَّهَانَ عَمَلَةً تَقَفَ أَعَالِيهِ وَقَارُ أَسْفَلُهُ ^(٢)

أَيُّ كَأَنَّهُ يُبْلِصِقُ الْأَسْفَلَ بِظَهْرِ الْفَرَسِ فَلَا يَزُولُ وَلَا يَمِيلُ .

٤ - وَالذَّرْعُ لَا أَبْنِي بِهَا ثُرُوءَ كُلِّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٍ مَالَهُ

لَوْلَا أَنْ قَضَدَهُ فِي التَّمَدُّحِ إِلَى التَّعْرِيفِ بِالْخَيْرِ عَنْهُ لَكَانَ لَا مَعْنَى لِهَذَا
الْكَلَامِ . أَلَا تَرَى أَنْ قَوْلَهُ : « وَالذَّرْعُ لَا أَبْنِي بِهَا ثُرُوءَ » وَقَدْ فُسِّرَ عَلَى أَنَّهُ
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : لَا أَقْنِي الذَّرْعَ لَكَ أَنْتَجَّ فِيهَا فَأُتَمَوَّلَ . وَتَرَكُ التَّجَارَةَ
فِي الْأَسْلِحَةِ لَيْسَ فِيهِ كَبِيرُ تَمَدُّحٍ ^(٣) . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : لَا أَعْدُّهَا سَبَبًا
فِي ارْتِفَاقِ الْمَنَاصِمِ فَأُثْرِي ، وَيَكُونُ كَقَوْلِ عَنُتَرَةَ :

يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعةِ أَنَّنِي أَغْشَى الْوَغَى وَأَعِثُّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ -

وقوله : « كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٍ مَالَهُ » ، يَرِيدُ بِهِ : الْمَالُ وَدَائِعُهُ عِنْدَ
النَّاسِ ، وَلَا بَدْءَ مِنْ ارْتِجَاعِهَا وَالتَّقَاضِي بِهَا وَإِنْ أَهْنَلُوا مُدَّةً ، فَلَمْ أَتَجَرَّ فِي دِرْعِي
أَوْ لَمْ أَلْبَسْهَا لَتَغْنَمِ الْأَنْفَالِ بِهَا ، وَالْمَالُ هَذِهِ حَالُهُ عِنْدَ أَرْبَابِهِ . وَيَكُونُ هَذَا كَمَا
حَالَ الْآخَرُ ^(٤) :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « مَا » مِنْ قَوْلِهِ « مَالَهُ » بِمَعْنَى الَّذِي ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : كُلُّ

(١) صدره : « وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَصَهَا الْقَنَاءُ »

(٢) م : « نَقَفَ » بِالنُّونِ .

(٣) هَذَا مَا فِي م . وَفِي نَسَخَةِ الْأَصْلِ : « كَثِيرُ تَمَدُّحٍ » .

(٤) هُوَ لَبِيدٌ . دِيوَانُهُ ٢٢ طَبْعٌ فِي سَنَةِ ١٨٨٠ .

اسرى مُرْتَهَنٌ بِأَجَلِهِ ، وبالذى كُتِبَ لَهُ ، ولا يمتنع أن يكون أشار به « ما » إلى ما يُقتنى من أغراض الدنيا . و يروى : « كلُّ اسرى مُسْتَوْدِعٌ مَالُهُ » بكسر الدال ، والمعنى أنَّ ما يجمعه المرء يكسبه إذا جاء مُحْتَوَمُ القضاء يتركه لغيره لا محالة ، فلم أرغب فيه وفي آخاره ، وأزهدي في اكتساب المحامد والمآلي ؟ وهذا الكلام نهاية في التنقُّص من عَرَضَ به ، وغاية في الطَّعن عليه ، والقَدْح في عَادَتِهِ . ويروى : « والدَّرْع لا أَبْغِي بها نَثْرَةً » ، وهى الواسعة . والمعنى : إني أكتفي من الدَّرْع ببِدْنَةٍ ، فلا أطلب ما يفيضُ فيضًا ، ويجب مع هذه الرواية والتفسير أن يكون معنى المِصْرَاعِ الثاني : كلُّ اسرى مُرْتَهَنٌ بِأَجَلِهِ ، ومُحْمَلٌ ليومِهِ .

٥ - آيَتُ لَا أَذِفُنُ قَتْلَكُمْ فَدَخَنُوا الْمَرْءَ وَسِرْبَالَهُ^(١)

هذا البيت لم أجده في نسخ كثيرة ، فيغلب في ظني أنه ليس من الاختيار . وعلى ما بهِ فله قِصَّةٌ مشهورة زَعَمُوا . وهى أنه يُروى فيه أن واحداً من المخاطبين كان أحدث في حربٍ حَضَرَهَا خوفاً على نفسه ، فَعَرَّضَ الشاعرُ بهم وذَكَرَهم سوءَ بلائهم ، وَضَعَفَ ثباتهم . وإنما يُريدُ أنهم إذا صَرَّعُوا في المعركة غُثِرَ منهم إن لم يُطَيَّبُوا على مثل ما قَعَلَهُ ذلك الواحد المُعَرَّضُ به ، أو استُبدِلَ بالزَّائِحَةِ عليه فافنضجوا . وهذا تهكُّمٌ أيضاً وتعميرٌ بالاتِّفاقِ السَّيِّئِ . وآيَتُ معناه حَلَفْتُ ولفظه لفظ الخبر ، والمعنى معنى القَسَمِ . وربما قالوا : آيَتُ على نَفْسِي .

(١) ابن هذا البيت وسابقه بيت رواه التبريزي وهو :

إِنَّكَ يَا عَمْرُو وَتَرَكَ النَّدَى كَالْعَبْدِ إِذْ قَيَّدَ أَجَالَهُ

وقال : « قال ابن السكيت : أذت كالعبد اقتصر على موضع يرعى فيه ولا يعتزب ببلبه . وقال غيره : أى إنك قد تركت الندى واكتساب الشرف به ، فلا تستفيد ، كالعبد يقيد أجاله . ويُنَامُ فيستر بـج . وطلب الشرف إنما يكون مع التَّعَبِ » .

٢٣

الحارث بن همام الشيباني^(١)

١ - أَيَا ابْنَ زِيَابَةَ إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَلَقَّنِي فِي النَّعْمِ الْعَازِبِ^(٢)

النَّعْمُ يُذَكِّرُ وَيُؤَنِّتُ ، والتذكير فيه أغلب . وفائدته في الإفراد الإبلُ في الأكثر ، وإذا جُمِعَ دَلَّتْ على الأزواج الثمانية^(٣) . يُعْرَضُ بِأَنَّهُ رَاعٍ فيقول : يَا ابْنَ زِيَابَةَ إِنَّكَ لَا تَجِدُنِي رَاعِيًا يَبْعِدُ فِي الْمَرْعَى بِإِبِلِهِ . والمعنى أنت كذلك ، ويُقال : مَالٌ عَازِبٌ وَعَزَبٌ^(٤) ، إِذَا بَعُدَ عَنْ أَهْلِهِ . وَرَوْضٌ عَازِبٌ : بعيد المَطْلَب .

٢ - وَتَلَقَّنِي يَشْتَدُّ بِي أَجْرَدُ مُسْتَقْدَمُ الْبَرَكَةِ كَالرَّاحِبِ

قوله : « وتلقني » عطفه على الجواب ، لأنه يصلح أن يكون جواباً . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ : إِنْ تَلَقَّنِي تَلَقَّنِي كَذَا ، لَصَلَحَ ؟ يقول : تَلَقَّنِي يَعْدُو بِي فَرَسٌ قَصِيرُ الشَّعْرِ ، مُتَقَدِّمُ الصَّدْرِ ، مُشْرِفٌ كَالرَّاحِبِ ، [أى إشرافه إشرافُ الراكب^(٥)] لا المراكب . وَيَشْتَدُّ : يَفْتَعِلُ مِنَ الشَّدِّ ، وهو العدو . ويقال : اسْتَقْدَمُ وَتَقَدَّمَ ، واستأخر وتأخر ، بمعنى . وَالْبَرَكَةُ ، كُسْرٌ بِأَوْهَا عِنْدَ اتِّصَالِ الْمَاءِ بِهَا ، لَوْلَا ذَلِكَ لَقِيلَ بَرَكٌ بِفَتْحِ الْبَاءِ .

(١) الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، شاعر جاهل .

(٢) ابن زِيَابَةَ ، مضت ترجمته قريباً ، وهو ابن الحارث بن همام . وهذه المقطوعة :

استبعد بعضهم أن يكون ابن زِيَابَةَ هو عمرو بن الحارث بن همام ، وارتفعي القول الآخر .

(٣) هي الضأن والمعز والإبل والبقر ، ذكورها وإناثها . انظر الآيتين ١٤٣ ، ١٤٤

من سورة الأنعام .

(٤) كَذَا في النسختين ، والمعروف « العزيب » .

(٥) الكلمة من م .

٢٤

فأجابه ابن زبابة

١ - يا لَهْفَ زَبَابَةَ للحارثِ الصَّاحِبِ قاله — انهم فالآيبِ
يجوز أن يكون أورد هذا الكلام ساخراً متهايناً ، ومستهنزاً متهمكماً ،
فوصفه بهذه الصفات وكان الأمر بخلافه ، ويقربُ هذا أن ما قبل هذه
المقطوعة في مثل هذه الطريقة . ويجوز أن يكون ذكر ما كان منه ^(١) على
الحقيقة ، فهو يتحسر لما رأى من فلاحه في غزاته ، وسلامته في مآبه .
ويقول : يا حَسْرَةَ أُمِّي ^(٢) من أجل هذا الرَّجُلِ فيما ارتفع له من المراتب في الغزو ،
وُجِعَ له من السلامة والوفْرِ . والصَّاحِبُ ، يجوز أن يكون في معنى مُضْبِحٍ ،
كما قال :

* حين لاحَتْ للصَّاحِبِ الجوزاء ^(٣) *

والغارة وقتها الغداة ، فلذلك قال : للحارث المُضْبِحِ عندنا والغانم منا .
والترتيب الذي يفيدُه الغاء جارٍ على سَنَنِه ، كأنه أرادَ للحارثِ الغازي نَحْوَنَا
والغانم منا — والغنمُ بعد الغزو — فالآيبِ إلى قومه — والاذبَةُ بعد
الاستغنام . ويجوز أن يكون الصَّاحِبُ من صَبَحَتْ القومَ ، إذا أُتِيَتْهُمْ صباحاً .
وفي اللَّئْلِ السَّائِرِ « صَبَحْنَاهُمْ فَفَدَوْا شَأْمَهُ ^(٤) » . وهذا الوجهُ أوجهٌ وأجودُ .
واعلم أن الصِّفَّةَ إذا جاءت للتبيين وإزالة اللبس عن الموصوف ، فالوجهُ أن يُعمدَ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « أن يكون ذكر منه » .

(٢) في الأصل : « يا حَسْرَةَ بِي » ، وفي م : « يا حَسْرَةَ أُمِّي » .

(٣) لأبي زبيد الطائي . الحيوان (٥ : ٢٣١) والخزانة (٣ : ٢٨٣) . وصدده :

* أي ساع سمي ليقطع شربي *

(٤) ذكره الميداني في مجمع الأمثال وقال : « أي أوقفنا بهم صبحاً فأخذوا الشق
الأشأم ، أي صاروا أصحاب شأمة ، وهي ضد البينة » .

إلى أخصّها بالموصوف ، وأحقّها بالبيان والشرح ، حتى تُفني عن العدول عنها إلى غيرها من الصفات . فإن اتفق بعد ذلك لبسٌ حينئذٍ يُزال بما يُضَمُّ إليه . وإذا جاءت للتعظيم أو التهجين فإنه قد يُوالى بين عدّةٍ منها بحروف النسخِ ومن دونها : تقول : جاءني زيدُ الظريفُ الكاتبُ الفاضلُ العالمُ : وإن أتيت بالواو العاطفة متخلّلةً له ساغ^(١) ، فإن قيل : إذا كانت الصفة هي الموصوف ، والشئ لا يُعطف على نفسه ، فكيف جازَ عطفُ بعض الصفاتِ على بعض ؟ قلت : تغايُرُ المعاني الحاصلةِ بها وقوّةُ اتّصالِ بعضها ببعضٍ في بابي الصلّة والصّفة ، سوّغَ ذلك في ألفاظها .

٢ - والله لو لاقيته خائباً لآبَ سيفاناً مع الغالب

أقسمَ بالله فيقول : والله لو لقيته منفرداً عن أشياعه لحصلَ سيفاناً للغالب منّا . وذكرَ السيفين والمرادُ جميعُ ما معهم من برّهما وسلاحهما ، لعلّ شأنهما . وجعلَ النفلَ للسيفين على الحجاز . والمعنى : لو خلّوتُ به لقتلته أو قتلنى .

٣ - أنا ابنُ زبابة إن تدعنى أتك والظنُّ على الكاذب

قوله : « والظنُّ على الكاذب » يجرى بجرى الأمثال ، ويكون مبنياً على ما قال لبيد ، وهو :

واكذبِ النفسَ إذا حدّتها إن صدقَ النفسَ يُزرى بالأملِ
والمعنى : كلُّ منّا يحدثُ نفسه ويكذبُها ، ثم الظنُّ على من لا يتحقق أمّله . ويجوز أن يريد : أنا المعروف المشهور ، إن دعوتنى لمبارزتك جئتكَ ، فإن كنتَ تظنُّ غيرَ هذا فظنُّك عليك ، لأنك كذبتَ نفسك فيما تتوهمه من قعودى عنك ، أو نكولى عن الإقدام عليك . ويجوز أن يكون المعنى :

(١) هذا الصواب من م . وفي الأصل : « لما ساغ » .

إِنْ تَدْعُنِي أَجْنَبُكَ ، فَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ تَكُونُ الْغَالِبَ فَظَنُّكَ عَلَيْكَ ، لِأَنَّكَ تَكْذِبُ نَفْسَكَ .

٢٥

الْأَشْرُ النَّخَعِيُّ (١) :

١- بَقِيتُ وَفَرِي وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْمَلَأِ وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ الْوَفْرِ : لِلْمَالِ الْكَثِيرِ . وَالْعَبُوسُ : الْكُلُوحُ عَنْ غَضَبٍ ، وَتَوَسَّعُوا فَقَالُوا : يَوْمٌ عَبُوسٌ ، أَيْ شَدِيدٌ . وَهُوَ جَبَسٌ عَيْنٌ ، فِي اللَّثَمِ . وَهَذَا مِنَ الْإِيمَانِ الشَّرِيفَةِ ، وَاللَّفْظُ لَفْظُ الْخَبَرِ ، وَظَاهِرُهُ الدُّعَاءُ ، وَمَحْصُولُهُ الْقَسَمُ . فَيَقُولُ : ادْخَرْتُ مَالِي وَلَمْ أَفَرِّقْهُ فِيمَا يَكْسِبُ لِي حَسْداً ، فَعَلَ الْبُخْلَاءُ ، وَزَهَدْتُ فِي اكْتِسَابِ الْمَعَالِي وَالْمَأْتَرِ زُهْدَ الْأَدْنِيَاءِ ، وَتَأَقَّيْتُ الْأَضْيَافَ (٢) بِوَجْهِ رَجُلٍ كَالْحَرِّ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ كَذَا . وَمِثْلُهُ فِي الْيَمِينِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدَيَّ (٣) *

٢- إِنْ لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ (٤) شَنُْ الْغَارَةِ مُفْجَمَةٌ ، وَشَنُْهَا مَعْجَمَةٌ : صَبَّهَا . وَأَصْلُ جَمِيعِهَا فِي الْمَاءِ ،

(١) الأشر : لقب له ، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة النخعي الكوفي . أدرك الجاهلية ، وكان من أصحاب علي ، شهد معه الجمل وصفين وغيرها ، وكان من أحب علي عثمان وشهد حصره ، وولاه علي بن أبي طالب مصر بعد صرف قيس بن عباد عنها ، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فأت سنة ٣٨ . ولقب بالأشر لأن رجلاً ضربه في يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قبحاً إلى عينه فشرتها . الإصابة ٨٣٣٥ وتهذيب التهذيب ومعجم المرزباني ٣٦٢ . التبريزي : « وفي الشراء آخر يقال له الأشر بن عامر ، أحد بني عوف بن ولاد بن تيم اللات . ومنهم الأشر الحماي الأزدي من بني حمارة من أزد عمان » .

(٢) م : « أضياف » .

(٣) صدره : * ما قلت من سيئ مما أتيت به * .

(٤) التبريزي : « ابن حرب ، يعني معاوية بن أبي سفيان » .

ثُمَّ حَصَلَ التَّوَشُّعُ فِيهَا . يَقُولُ : تَصَوَّرْتُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا وَأَفْسَمْتُ بِهَا ، إِنْ لَمْ أَصُبَّ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ خَيْلًا لَا تَخْلُو يَوْمًا مِنْ اخْتِلَافِ نَفُوسٍ ، وَاتِّهَابِ آجَالٍ . وَسَمِعِي الْخَلِيلَ غَارَةً لَمَّا كَانَتْ مِنْ قَبْلِهَا تَكُونُ . وَمَوْضِعُ « لَمْ تَخْلُ يَوْمًا » نَصَبٌ عَلَى الصِّفَةِ لِلْغَارَةِ ، أَيْ خَيْلًا جَرَتْ عَادَتُهَا بِذَلِكَ . وَالنَّهَابُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرٌ نَاهَبْتُهُ وَبُسْتَمَلٌ فِي الْمُنَاوِرَةِ وَالْمَارَةِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ النَّهَبِ . وَجَوَابُ « إِنْ لَمْ أَشْنِ » فِيمَا تَقْدُمُ .

٣- خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّمَاءِ شُرَبًا تَعْدُو بِيضٍ فِي الْكِرِيهَةِ شُوسٍ الشُّرْبُ^(١) : الضُّمُّرُ . وَالشُّوسُ : جَمْعُ أَشُوسٍ . وَيُقَالُ شَاسَ يَشُوسُ وَشُوسَ يَشُوسُ ، إِذَا عُرِفَ فِي نَظَرِهِ الْغَضَبُ أَوِ الْكِبَرُ . وَاتَّصَبَ « خَيْلًا » عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ غَارَةٍ . وَشَبَّ الْخَلِيلَ فِي ضَمَرِهَا وَسُرْعَةِ نَفَاقِهَا بِالْجَنِّ . وَاتَّصَبَ « شُرَبًا » عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْخَلِيلِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ « كَأَمْثَالِ » ، أَيْضًا صِفَةٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا لِلضُّمَرِ فِي كَأَمْثَالِ السَّمَاءِ . وَالْمَعْنَى : خَيْلًا تَشَابَهَ السَّمَاءُ فِي حَالِ شُرُوبِهَا وَضَمَرِهَا . وَقَوْلُهُ : « تَعْدُو بِيضٍ » أَيْضًا صِفَةٌ ، إِمَّا لِقَوْلِهِ شُرَبًا ، وَإِمَّا لِلأَوَّلِ تَعْدُو بِرِجَالٍ كِرَامٍ ، مُتَكَبِّرِينَ فِي الْحَرْبِ ، ذَوِي أَنْفَقَةٍ . وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَ مُفْرَدَاتٍ وَجُمْلٍ فِي الْوَصْفِ ، فَالترتيب المختار تقديم المفردات على الجُمْلِ ، وَقَدْ جَاءَ الْبَيْتُ عَلَى ذَلِكَ . وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الْبَيَاضَ كِنَايَةً عَنِ الْكِرَامِ ، كَأَنَّهَا تُرِيدُ نَقَاءَ الْعِرْضِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* أُمِّكَ بِيضَاهُ مِنْ قُضَاعَةٍ ...^(٢) *

وَكَمَا فَعَلُوا هَذَا جَعَلُوا الْغُرَّ كِنَايَةً عَنِ الْكِرَامِ ، وَرَبَّمَا قَالُوا غُرَّانٌ .

(١) هذا ما في م والتبريزي . وفي الأصل : « الشُّرُوبُ : الضُّمَرُ » يقرآن على المصدرية .

(٢) البيت بتمامه كما في شرح ديوان زهير ٥٢ واللسان (بيض) :

أُمِّكَ بِيضَاهُ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَسْتَكْنُ فِي طَنْبِهِ

خَفَاتَا قَوْلُهُمْ : « بِيضُ الْوُجُوهِ » فَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا شَيْئًا يَشِينُهُمْ فَيَغَيِّرُ لَوْنَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِ . وَقَدْ قَالُوا فِي ضِدِّهِ : « أَوْجُهُهُمْ كَالْحَمِّ » ، وَ « سُودُ الْوُجُوهِ » .
وَأَمَّا الشُّوسُ فَكَأُفُوصُ الْوُجُوهِ وَصِفَ بِهِ الرِّجَالُ وَصِفَ بِهِ الْخَيْلُ أَيْضًا ، وَالْمُرَادُ بِهِ عِزَّةُ النَّفْسِ . وَقَوْلُهُ « فِي الْكِرِيهَةِ » لِلْحُقُوقِ الْمَاءِ بِهَا أَلْحَقَ بِبَابِ الْأَسْمَاءِ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي نَوَازِلِ الدَّهْرِ وَشِدَائِدِ الْأَمْرِ . وَهُوَ ظَرْفٌ إِنْ شُئْتَ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « بِيضٌ » مِنَ الْكَرَمِ ، وَإِنْ شُئْتَ لِقَوْلِهِ شُوسٌ . وَالْكَرَمُ فِي الْكِرَائَةِ : نَزَاهَةُ النَّفْسِ عَنْ لَوَازِمِ الْعَارِ .

٤- حَمَى الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ وَمَضَانُ بَرَقَ أَوْ شَمَاعُ شُمُوسٍ
شَمَاعُ الشَّمْسِ : انْتِشَارُ ضَوْئِهَا . وَيُقَالُ : أَشَعَّتِ الشَّمْسُ : انْتَشَرَ شَمَاعُهَا .
يَقُولُ : حَمَيْتِ الْأَسْلِحَةَ يَوْمَ الْوَعْيِ لَصَبْرِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ ، وَطَوَّلَ مُقَامِهِمْ . ثُمَّ شَبَّهَ لِمَاعَهَا بِوَمَضَانِ الْبَرْقِ أَوْ شَمَاعِ الشَّمْسِ ، وَجَمَعَ الشُّمُوسَ لِاخْتِلَافِ مَطَالِمِهَا .
وَالْوَمَضَانُ : مَصْدَرٌ وَمَضٍ ، وَكَذَلِكَ الْوَمَضُ وَالْوَمِيزُ . وَيُقَالُ فِي فِعْلِهِ أَوْمَضَ أَيْضًا .

٢٦

مَعْدَانُ بْنُ جَوَّاسٍ الْكَنْدِيُّ^(١) :

وَدَخَلَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي الْبَابِ لِمَا اشْتَمَلَا عَلَيْهِ لَفْظًا وَمَعْنَى مِنْ
« الْفُظَاظَةِ وَالْقَسْوَةِ » .

(١) معدان بن جواس بن فروة بن سلمة بن المنذر بن المضرب بن معاوية بن عامر بن سلمة بن شكامة بن شبيب بن السكون السكوني الكندي ، وكان له حلف في ربيعة . مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ونزل الكوفة وكان نصرانيا فأسلم في أيام عمر بن الخطاب ، وقام الزبير بن العوام بأمره . الإصابة ٨٤٣٥ ومعجم المرزبان ٤٠٧ . على أن هذه الحساسية تنسب أيضاً إلى أبي حوط حجية بن المضرب السكوني ، وهو شاعر جاهلي فارسي . نص على ذلك التريزي ، وكذا الأمدى في الموثلف ٨٥ .

١- إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي فَلَا مَنِي صَدِيقِي وَشَأْنُ مَنْ يَدَيَّ الْأَنَامِلُ^(١)

قوله « صديقي » يجب أن يُريدَ به الكثرة لا الواحد . ويقال : شَلَّتْ يَدُهُ شَلًّا . وهذا من الجنس الأول في أن لفظه لفظ الخبر ، والمعنى معنى الدعاء ، وللراد القسم . وقوله « فلامني » لامني في موضع رفع على أنه خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : فأنا لآمني . والفاء مع ما بعده جواب إن . والمعنى : إن كان ما أَدَى إِلَيْكَ عَنِّي حَقًّا ففعلت ما استحققتُ به لوَمَ الصديق ، واسترختُ أصابعي . فإن قيل : اليمين والشرط^(٢) كيف يصح ؟ قلت : هذا كلام مُبْطِلٌ لما ادعى عليه ، ناف له ، فاليمين تَفَاوَلَتْ نَفْيٌ ما أُثْبِتَ فيه ، ودفع ما قَرِفَ به . ودَلَّ على ذلك فحوى الكلام . ويجوز في « كان » أن يكون التامة لا الناقصة ، فيكتفي بالفاعل ولا يحتاج أن يُضَمَّرَ بَعْدَهُ « حَقًّا » . والمعنى إن وقع ما بُلِّغْتَ عَنِّي وَحْدًا . وتخصيصه للأنامل لأن أكثر المنافع بها . وجاز إضمارُ خبر كان إذا جمعتها ناقصة لأن في الكلام والحال دليلًا عليه ، ولأن دخوله على المبتدأ والخبر ، فكما يُحذفُ الخبر في ذلك الباب يُحذفُ هنا .

٢- وَكَفَنْتُ وَخَدِي مُنْذِرًا بِرَدَائِهِ^(٣) وَصَادَفَ حَوَطًا مِنْ أَعَادِي قَاتِلٌ

وَخَدِي انتَصَبَ على المصدر ، وهو في موضع التَّوَحُّد . وفي النحويين من يجعله وإن كان معرفة في موضع الحال . يقول : وَفُجِئْتُ بِمُنْذِرٍ وَأُحْوِجْتُ إِلَى أَنْ أَبَاشَرَ تَكْفِينَهُ وَتَجْهِيْزَهُ بِنَفْسِي - وهذا مما يزيد المصائب كَلَمًا وَدَاءً - وَصَادَفَ ابْنِي مِنْ أَعْدَائِي مَنْ لَا يُبْنِي عَلَيَّ^(٤) . وَأَعَادِي بَنَاءٌ عَلَى الْفَتْحِ خَلْفَتُهُ ،

(١) بلغت ، بخطاب المؤنثة كما في الذختين . وعند التبريزي : « بلغت » بخطاب المذكر .

(٢) م : « اليمين في الشرط » .

(٣) م : « في ثيابه » . التبريزي « في ردايه » .

(٤) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن الصحيح نسبة الشعر إلى حبيبة بن المضرب .

وأن المنذر هو أخو حبيبة ، وأن حوطا هو ابنه الذي كنى به . ثم روى عنه سبب الشعر =

ولأنه الأصل في ياء الضمير إذا حُرِّك . وعلى هذا تقول : هؤلاء بَنِيَّ ومعطى ، وهذا قاضِي . وأعادى يجوز أن يكون أَفَاعِلَ وأضافه ، ويجوز أن يكون أَفَاعِلِ كَأَبَائِي وخَفَّفه ، كما خَفَّفَ أَثَافٍ ثم أَضافه . ويجوز أن يكون لَمَّا رَامَ الإضافة اجتمع ثلاث ياءاتٍ فَخَذَفَ مَدَّةً أَفَاعِلِ .

٢٧

عامر بن الطفيل الكلابي^(١) :

١- طَلَّقْتُ إِن لَّمْ تَسْأَلِ أَيْ فَارِسٍ حَلِيلُكَ إِذْ لَاقَى صُدَاءَ وَخَشَمًا

جَعَلَ الإقسام عليها بما يَضِيقُ طريقها في التجوُّز والإهمال ، لَمَّا وَلَّاهَا البَحْثُ والسؤال . هذا إذا جعلت الكلامَ دُعَاءً . يقول : بِنْتُ مِنْ زَوْجِكَ إِن لَّمْ تُنْقِشِي بالسؤال عن أحواله حين لَاقَى هَاتَيْنِ القَبِيلَتَيْنِ ، هَلْ أُبَلَى فِي مَلَاقَاتِهِنَّ ، وكيف ثَبَّتَ فِي وَجوهِهِمَا . ويجوز أن يكون طَلَّقْتُ وعيداً توعدها به إِن لَّمْ تَنْتَقِ إِلَى مَرَسُومِهَا^(٢) . والحَلِيلُ : الزوج ، سَمِيَ بذلك لأنه يُحَالُ

« أن النعمان بن المنذر أغار على بني تميم فنذروا به ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب ، وكان فيمن معه حجة بن المضرب ، وكانت أخته فكية بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة ، فنذر بنو تميم بالنعمان بن المنذر فهزموه ، فاتهم النعمان حجة أن يكون أنذرهم فقال . . . » وأتشد البيت وما بعده .

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري ، وهو ابن عم ليبيد ، وكان فارس قيس . وكان عامر أقر النبی صلی الله علیه وسلم فقال له : تجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأمر من بعدك وأسلم ؟ فقال النبی صلی الله علیه وسلم : « اللهم اكفني عامراً » . فأنصرف وهو يقول : لأملاؤها عليك خيلاً جرداً ، ورجالا مردأً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً ! فظن في طريقه فأتاه وهو يقول : غدة كفدة البعير ، وموت في بيت سلوية ! الشعراء ٢٩٣ - ٢٩٥ والخزانة ١ : ٤٧٣ - ٤٧٤ والمؤتلف ١٥٤ والمرزباني ٣٢٢ والأغانى ١٥ : ٥٠ - ٥٦ والنقائض ٦٥٤ - ٦٧٨ .

(٢) م : « مرسومه » .

صاحبه . وَخَنَمٌ هُوَ خَنَمٌ بَنَ أَنْمَارٍ . والخنمة : التلطح بالدم . ويقال : كانوا تحالفوا ففعمسوا أيديهم في دَمٍ بَعِيرٍ نَحَرُوهُ واجتمعوا عليه فسُمُوا خَنَمًا . ومفعول تَسَالَى محذوف ، المراد تسأل الناس . وقوله « أَيُّ فَارِسٍ » هو المسألة ، وهو في موضع المفعول أيضاً . وجواب الشرط مُتَدَمٌ ، كأنه قال : إن لم تسأل الناس عن هذه المسألة فأنت مطلقٌ من بَعْدُ ، أو فجعل الله خاتمة أمرِك ذلك .

٢- أكره عليهم دعلجاً ولباً أنه إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحمًا^(١)

أَجَلٌ فِي اقْتِصَاصِ بِلَانِهِ ، ثِقَّةٌ بَأَنِّ بَحْثِهَا وَاسْتِقْصَاءِهَا بِأَنِّي عَلَى تَفَاصِيلِهِ . يقول : أَعْطِفُ فَرَسِي دَعْلَجًا عَلَيْهِمْ ، حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَكَرًّا بَعْدَ فَرٍّ ، وَإِذَا اشْتَكَى مِنْ كَثَرَةِ وَقُوعِ الطَّنِّ بِصَدْرِهِ حَمَحَمَ . وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلصَّدْرِ عَلَى الْمَجَازِ وَالسَّعَةِ لِكُونِهِ مَوْقِعَ الطَّنِّ . هَذَا إِذَا رَوَيْتَ : « وَلَبَّائِهِ » بِالرَّفْعِ ، لِأَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ رَوَى « وَلَبَّائِهِ » بِالنَّصْبِ ، كَأَنَّهُ فَرٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْاِشْتِكَاءُ وَالتَّحْمَحُمُ لِلْبَّانِ عَلَى كَثَرَةِ نِسْبَةِ الْاِشْتِكَاءِ إِلَى الْأَعْضَاءِ الْآلَةِ . فَوَقَعَ فِيهَا هُوَ أَقْبَحُ ؛ لِأَنَّهُ الْمُرَادُ أَكْرَهُ عَلَيْهِمْ فَرَسِي ، فَلَا مَعْنَى لِعُطْفِ اللَّبَّانِ عَلَيْهِ . وَسَمِعْتُ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ بَابِ تَكَرَّرِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ بِالْعُطْفِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِصَاصِ وَتَفْخِيمِ الشَّانِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ . قَالَ : وَوَجْهُ الْاِخْتِصَاصِ أَنَّ الذِّكْرَ بِصَدْرِهِ ، كَمَا أَنَّ الْأَنْثَى بِعَجْزِهِ . وَالِدَّاعِلُجُ : الْمَرِيحُ فِي السَّيْرِ وَالتَّرَدُّدِ ، وَيُوصَفُ بِهِ الْفَرَسُ

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : الصواب :

أقدم فيهم دعلجاً وأكره إذا أكرهوا فيه الرماح تحمحمًا

والبيت لعبد عمرو بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فارس دعالج ، قاله يوم فيف الريح ، وليس هو لعامر بن الطفيل . وأنشده في تصديق ذلك لمروان بن سراقة الجعفي :
وعبد عمرو منع القياما ودعلجا أقدمه إقداما

والبعير والحمار، وذكر بعضهم أنه يقال في الضَّبِّ المانح أيضاً . [وقد أحسن
عنتره كل الإحسان حين سلك هذا السبيل فقال :
فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتمحم^(١)]

٢٨

زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ^(٢) :

١- وَكُنَّا حَسْبِنَا كُلَّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ لِيَاكِي قَارَعْنَا جُذَامَ وَحْمٍ يَرَا^(٣)

حكى الأصمعي في الأمثال : « ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء
تمرة » . والمعنى : ليس كل ما أشبه شيئاً ذلك الشيء . ومعنى البيت : ظننا لما
التقينا مع جُذَامَ وَحْمٍ أَنَّ سَبِيلَهُمْ سَبِيلُ سَائِرِ النَّاسِ ، وَأَنَّا سَنَقَهْرُهُمْ قَهْرًا قَرِيبًا
نَمْ وَجَدْنَاهُمْ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، لَكُنْ أَوَّلُهُمْ مِنْ أَصْلَانَا ، وَاجْتَمَاعِهِمْ فِيمَا تَمَيَّزْنَا فِيهِ
عَنْ سَائِرِ النَّاسِ مَعَنَا ، وَجُذَامُ أَبُو هَذِهِ الْقَبِيلَةِ فَسَمَّيْتُ بِهِ ، وَأَصْلُهُ الْجَذْمُ :
الْقَطْعُ ، وَبِهِ سُمِّيَ الدَّاءُ الْمَعْرُوفُ جُذَامًا ، وَقِيلَ لِلْمَقْطُوعِ الْيَدُ : أَجْذَمَ . وَحَكَى
بَعْضُهُمْ : مَا سَمِعْتُ لَهُ جَذْمَةً وَلَا زَجَّةً ، أَيْ كَلِمَةً ، لَتَقْطَعِ الصَّوْتُ بِهَا عِنْدَ
النُّطْقِ . وَالْقَرْعُ : ضَرْبُ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ ، نَمْ تَوَسَّعُوا فَقَالُوا : قَرَعْتُ بَاطِلَهُ بِحَقِّي ،
وَقَرَعَ الشَّارِبُ جِهَتَهُ بِالْإِنَاءِ ، إِذَا اسْتَوَى مَا فِيهِ .

٢- فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ بِيَمَضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْسُرَا

بَعْضُهُ ، انْتَهَبَ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ النَّبْعِ . وَجَوَابُ لَمَّا قَوْلُهُ « أَبَتْ » .

(١) هذه التكلة من م .

(٢) زفر بن الحارث الكلابي ، أحد بني عمرو بن كلاب ، كان قد خرج على عبد الملك
ابن مروان وظل يقاتله سبع سنين ثم رجع إلى الطاعة . وكان سيد قيس في زمانه ، وكان على
قيس يوم راهط . وزفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج .
الكامل ٥٣٣ والجهشياري ٣٥ والمؤتلف ١٢٩ وشرح شواهد المفني ٣١٣ .

(٣) التبريزي : « ليالي لاقينا » .

وتكسر أصله تكسر . والشاعر اعترف بأن أصل أولئك نبع ، كما أن أصلهم نبع ، النبع خير الأشجار التي يتخذ منها القسي وأصلها ، كما أن العرب شرؤها وأرعاها ، فجعلت العرب تضرب المثل بهما في الأصل الكريم والنبم ، حتى إن بعض المحدثين قال :

هَيْهَاتَ أَبْدَى الْيَقِينُ صَفْحَتَهُ وَبَانَ نَبْعُ الْفَخَّارِ مِنْ غَرَبِهِ
فيقول : لما قرعنا أصلهم بأصلنا أبت العيدان من التكسر . والمعنى أن كلاً منّا أبى أن ينهزم عن صاحبه . فالعيدان مثل للرجال ، والنبع مثل للأصل .
٣ - وَلَمَّا لَقِينَا عَصْبَةَ تَغْلِبِيَّةَ يَقُودُونَ جُرْدًا لِمَنْيَةِ ضَمْرًا

يقال تغلبي وتغلبى ، والكسر أكثر ، ومن فتتح فلتنوا إلى الكسرات والبياءين . وهذا كما قالوا : نَمَرِيَّ فَرَدُّوا مِنْ فَعِلٍ إِلَى فَعَلٍ . يقول : لما لقينا جماعة من بني تغلب ^(١) يقودون للحرب خيلاً ضمراً قصار الشعور . وجواب لما فيما بعد ، وهو سقيناكم . وإنما احتاج إلى الجواب متى كان علماً للظرف ، لأنه يحى لوقوع الشيء لوقوع غيره . وجعل الخيل جرداً لأن العراب منها تكون كذلك . واللام من قوله « للمنية » يجوز أن يتعلّق بيقودون ، ويجوز أن يتعلّق بقوله ضمراً ، أى ضمّرت لها .

٤ - سَقَيْنَاكُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا

يقول : قابلناكم بمثل ما بددونا به من سقى كأس الموت ، لكن القتل كان فيهم أعم ، ولم أشمل . وجعل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه ^(٢) . ويقرب أن

(١) التبريزي : « يعنى تغلب بن حلوان ، بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، لأن الظفر في يوم مرج راهط كان لكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، وايس لتغلب وأئل هنا مدخل . »
(٢) ذهب التبريزي إلى أن هذا التفسير خطأ ، وأن المعنى أنه شهد لهم بالغلبة واعترف أنهم أهل صبر ، وقد أقر بهزيمة قومه في قوله :

ولم تر منى نبوة قبيل هذه فرارى وتزكى صاحبي وراثيا

يكون قول الله تعالى : ﴿ فَمَا أَصْبَرُكُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ على هذا الوجه . كَانَ النَّارَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ وَوَجِبَتْ ، بما كان منهم من المصيبة ، فجعل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه ، ولذلك قال بعض المفسرين في معناه : ما أعملهم بعمل أهل النار . كَانَ إِصْرَارَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ كَالصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى النَّارِ . وَرُدُّ الْآيَةِ إِلَى الْبَيْتِ وَإِجْرَاءُ الْقَوْلِ فِيهَا عَلَى هَذَا الْحَدِّ غَرِيبٌ حَسَنٌ . وَقَوْلُهُ : « أَصْبَرُ » أَيْ أَصْبَرُ مِنَّا ، وَأَفْعَلُ الَّذِي يَتِمُّ بِمَنْ يُحَذَفُ مِنْهُ « مِنْ » فِي بَابِ الْخَبَرِ دُونَ الْوَصْفِ . وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْخَبَرَ كَمَا يَحُوزُ حَذْفُهُ بِأَسْرِهِ لِقِيَامِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِحُوزِ حَذْفِ بَعْضِهِ أَيْضًا لَهُ

٢٩

عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ^(١) :

حَكَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : قَالُوا مَعْدِيكَرِبٌ لِأَنَّهُ عَدَا الْفَسَادَ . وَالْكَرْبُ : الْفَسَادُ .

١- وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا كَانَهَا جَدَّاءُ زَرْعٍ خُلِيَتْ فَاسْبَطَرَتْ^(٢)

اسبطرت : امتدَّت ، وَالسَّبَطُ وَالسَّبْطُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . يَقُولُ : لَمَّا رَأَيْتُ الْفُرْسَانَ مَنَحَرِّفِينَ لِلطَّمَنِ ، وَقَدْ خَلَّوْا أَعْنَءَهُمْ وَأَرْسَلُوها ، وَقَرَّطُوا أَذَانَهَا بِهَا ، فَكَانَهَا أَنْهَارُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ مِيَاهُهَا فَامْتَدَّتْ بِهَا . وَالتَّشْبِيهُ وَقَعَ عَلَى جَرَى الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ لَا عَلَى الْأَنْهَارِ ، كَأَنَّهُ شَبَّهَ امْتِدَادَ الْخَيْلِ فِي انْحِرَافِهَا عِنْدَ الطَّمَنِ بِامْتِدَادِ الْمَاءِ فِي الْأَنْهَارِ ، وَهُوَ يَطْرُدُ مُلْتَوِيًا وَمُضْطَرِبًا . وَكَمَا وَصَفَ الْخَيْلَ

(١) هُوَ أَبُو ثَوْرٍ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبِ الزَّيْدِيُّ ، كَانَ مِنْ فُرْسَانَ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ بِالْبَأْسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَقَدَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَبَيْنَ ارْتِدَائِهِ مِنَ الْيَمَنِ ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَسْلَمَ ، وَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ وَأَبْلَى فِيهَا . الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٣٣٢ وَالْأَغَانِي (١٤ : ٢٤ - ٣٩) وَالْخَزَانَةِ (١ : ٤٢٢ - ٤٢٦) وَكُتِبَ الصَّحَابَةُ .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « أُرْسِلَتْ فَاسْبَطَرَتْ » .

في انحرافها بزورٍ وُصِفَتْ أَيْضًا بِنُكْبٍ ، فقال بعضهم :

• لِأَعْدَائِنَا نُكْبُ إِذَا الطَّغْنُ أَفْقَرًا •

فالنُّكْبُ : جَمْعُ أَنْكَبَ ، وهو الذي ينحطُّ أحد مَكِيبِهِ عن الآخر ، كما أَنَّ الزُّورَ جمعُ أَزْوَرٍ ، وهو الْمُنْفُوجُ الزُّورُ . وهذا من التشبيه الحسن الصائب . وقوله : « خُلِّيتُ فَاسْطَرْتُ » جُمْلًا للجداول على الجاز والسَّعة ، لأنَّ المياه هي التي تَخَلَّى وتمتدَّ . وهذا كما يقال نَهْرٌ جَارٍ ، وإنَّ كان الماء هو الذي يجري .

٢ - فَجَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهٍهَا فَاسْتَقَرَّتِ^(١)

فجاشت إلى النفس أول مرة . اعترض بعضهم فقال : لولا أَنَّهُ جَبُنَ لما جاشت إليه النَّفْسُ . قال : ومثله في الرداءة قول عنترة :

إِذْ يَتَّقُونَ بِيِ الْأَسِنَّةِ لَمْ أَخِمِ عَنْهَا وَلِكِنِّي تَضَاقُ مُقَدِّمِي

هَلَّا قَالَ كَمَا قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

أَشَدُّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أُمُّ سِوَاهَا

قال الشيخ : وليس الأمر كما توهم ، لأن ما ذكره عمرو وعنترة بيانُ حالِ النَّفْسِ ، ونفسُ الجبان والشجاع على طريقةٍ واحدةٍ فيما يَدُهُمَا عند الوهلة الأولى ، ثم يختلفان : فَالْجَبَانُ يَرْكَبُ نَفْرَتَهُ^(٢) ، وَالشَّجَاعُ يَدْفَعُهَا فَيَثْبُتُ . فأما قول العباس ابن مرداس فليس مما ذَكَرَها بسبيلٍ ، وإنما هو بيانُ الحالة الثانية وما يعزمُ عليه بعد الاعتصام والمراجعة والتمسُّك . فاعلمه إن شاء الله . وقوله : « أَوَّلَ مَرَّةٍ » وذاتُ مَرَّةٍ ، لا يكونان إِلَّا ظَرَفَيْنِ ؛ لِأَنَّ مَرَّةً لَيْسَ بِاسْمٍ لِلزَّمانِ لَازِمٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ مُدْخَلٌ عَلَيْهِ . فَإِذَا قُلْتَ مَرَّةً فَإِنَّمَا حَقِيقَتُهَا فَمَلَّةٌ وَاحِدَةٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ

(١) م والتبريزي : « فردت » بالقاء .

(٢) هذا ما في م والتبريزي . وفي الأصل : « نفسه » .

يكون وقتاً واحداً . ويجوز أن يكون الفاء في « لجاشت » زائدة ، في قول الكوفيين وأبي الحسن الأخفش ، ويكون جاشت جواباً لَلَسَا . والمعنى : لما رأيت الخليل هكذا خافت نفسي وثارت . وطريقه جُلُّ أصحابنا البصريين في مثله أن يكون الجواب محذوفاً ، كأنه قال : لما رأيت الخليل هكذا لجاشت نفسي وردت على ما كرهته فقرت ، طعنت أو أبلّيت . ويدلُّ على ذلك قوله : « علام تقول الرمح يشغل ساعدي إذا أنا لم أطمئن » ، فحذف طعنت أو أبلّيت لأنَّ المراد مفهوماً . وهذا كما حذفوا جواب لو رأيت زبداً وفي يده السيف ! وعلى هذا الكلام على المذهبين في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ ﴾^(٢) أبو أيُّها ، وفي قول امرئ القيس :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَىٰ بِنَا بَطْنُ خَبْتِ ذِي قِفَافٍ هَقْنَقَلٍ
وحذف الجواب في مثل هذه المواضع أبلغ وأدلَّ على المراد وأحسن ، بدلالة أن المولى إذا قال لمبده : « والله لئن قُمتُ إليك » وسَكَتَ ، تراخى عليه من الظنن المعترضة للوعيد ما لا يتزاحم لو نصَّ من مؤاخذته على ضربٍ من العذاب . وكذلك إذا قال المتبجِّحُ : « لو رأيته شاباً » وسَكَتَ ، جالت الأفكار به بما لم تجلُّ به لو أتى بالجواب .

٣ - عَلَامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يَنْقِلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْمَئِنِّ إِذَا الْخَلِيلُ كَرَّتِ
« ما » في الاستفهام إذا اتصل بحرف جرٍّ يُحذف الألف من آخره تخفيفاً ، على ذلك فيمَ وبِمَ ولمَ ، إلّا إذا اتصل ما بذًا فقلت : بماذا ولماذا ، لأنّه يُترك على تمامه^(١) . وقوله : « تقول الرُّمْحُ » يُروى بفتح الحاء وضمة ، فإذا

(١) وقد يترك على تمامه مع عدم اتصاله بهذا . وقرأ عكرمة وعيسى : « عما يتساءلون » . وقال حسان : على ما قام بشتى لئيم كخنزير تمرغ في رمال
انظر المعنى في (ما) والحزانة (٢ : ٣٥٧) والبيان (٣ : ١٢٥) .
(٢) كذا في النسختين . وقرأ عاصم وحزرة والكسائي وخالف الأعشى بتخفيف التاء وباقى القراء بتشديدها .

نَصَبْتَ فَلَا نَكَ جَعَلْتَ تَقُولُ فِي مَعْنَى تَنْظُنُّ . وَهُمْ — عِنْدَ الْخُطَابِ وَالْكَلَامِ
اسْتِفْهَامٌ — يَحْمِلُونَ الْقَوْلَ عَلَى الظَّنِّ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :
* فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا ^(١) *

أَيُّ مَتَى تَنْظُنُّ ذَلِكَ فَتَقُولُ ، لِنَجْعَلَ الْقَوْلَ يَدُلُّ عَلَى الظَّنِّ لَمَّا كَانَ الْقَوْلُ
تَرْجَمَةً عَنِ الظَّنِّ . وَالْخُطَابُ وَالْإِسْتِفْهَامُ يَحْتَمِلَانِ مَا لَا يَحْتَمِلُ غَيْرُهُمَا . وَإِذَا رَفَعْتَ
الرُّمْحَ قَالَقَوْلُ مَتْرُوكٌ عَلَى بَابِهِ ، وَالرُّمْحُ يَرْتَفِعُ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَالْكَلَامُ حِكَايَةٌ ،
وَمَا بَعْدَ الْقَوْلِ إِذَا كَانَ كَلَامًا مُفِيدًا يُحْكِي . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ
وَلَأَيِّ وَجْهِ تَقُولُ : أَجْهِلُ الرُّمْحُ فَيُنْقَلُ سَاعِدِي إِذَا لَمْ أَعْمَلْهُ إِذَا حَصَلَ الْكُرُّ
مِنَ الْخَيْلِ بَعْدَ الْفَرِّ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ . وَالْمَعْنَى بِأَيِّ حُجَّةٍ أَجْهِلُ السَّلَاحِ
إِذَا لَمْ أَهْلِكْ فِي الْحَرْبِ وَلَمْ أَسْتَعْمِلْهُ فِي وَقْتِهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ إِسْقَاطٌ لِلتَّبَجُّعِ
بِالْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ : « إِذَا أَنَا لَمْ أَطْمُنْ » أَيُّ لَمْ يُنْقَلُ سَاعِدِي
الرُّمْحُ فِي وَقْتِ تَرْكِي الظَّنِّ زَمَانَ كَرَّ الْخَيْلِ ، فَإِذَا الْأَوَّلُ ظَرَفَ لِقَوْلِهِ
يُنْقَلُ ، وَإِذَا الثَّانِي ظَرَفَ لِقَوْلِهِ لَمْ أَطْمُنْ .

٤ — لَعَا اللَّهُ جَرَمًا كَلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ وَجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازَبَارَتْ
ازْبَارَتْ : انْتَفَشَ حَتَّى ظَهَرَ أَصُولُ شَعْرِهِ . قَالَ :

فَهُوَ وَرَدُ اللَّوْنِ فِي ازْبَرَارِهِ وَكَيْتُ اللَّوْنِ مَا لَمْ يَزْبِرْ ^(٢)
كَلَّمَا انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَ« وَجُوهَ » انْتَصَبَ عَلَى الشَّمِّ وَالذَّمِّ ، وَالْعَامِلُ
فِيهِ فِعْلٌ مُضْمَرٌ وَهُوَ أَذْكَرُ . كَأَنَّهُ شَبَّهَ وَجُوهَهُمْ بِوُجُوهِ الْكِلَابِ فِي الْحَالَةِ
الْمَذْكُورَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ « جَرَمًا » . وَمَعْنَى

(١) لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (قَوْلٌ) . وَصَدْرُهُ :

* أَمَّا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدَ غَدِ *

(٢) الْبَيْتُ لِلْمُرَارِ بْنِ مَنَقَدٍ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ (١ : ٨١) .

لِحَا الله : قَشَرَ الله ، أَى قَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ غَدَاةَ كُلِّ يَوْمٍ ، أَذْكَرُ قَوْمًا يُشْهِوُنَ الْكِلَابَ إِذَا وَائِبَتْ غَيْرَهَا وَسَاوَرَتْ ، فَانْتَفَشَتْ وَتَجَمَّعَتْ لِلْوَبِّ ؛ وَتِلْكَ الْحَالَةُ مِنْ أَحْوَالِهَا أَشْنَعُ وَأَنْكَرُ : وَهَذَا تَحْقِيقُ الشَّيْبِ ، وَتَصَوِيرُ لِقَبَاحَةِ الْمَغْظَرِ . وَالذَّرُورُ فِي الشَّمْسِ أَصْلُهُ الْإِنْتِشَارُ وَالْعَفْرِيقُ . قَالَ :

• كَالشَّمْسِ لَمْ تَعْدُ سِوَى ذُرُورِهَا •

أَى طُلُوعِهَا وَإِنْتِشَارِ ضَوْئِهَا . قَالَ الْخَلِيلُ : الْمَهَارِشَةُ مِنَ الْكِلَابِ وَغَيْرِهَا كَالْمَحَارِشَةِ . وَيُقَالُ : فَلَانٌ يُهَارِشُ بَيْنَ الْكَلْبَيْنِ .

٥ - فَلَمْ تُغْنِ جَرْمُ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقِيَا وَلَكِنَّ جَرْمًا فِي الْإِقَاءِ أُبْذَعِرَتْ^(١)

جَرْمُ وَنَهْدٌ : قَبِيلَتَانِ مِنْ قُضَاعَةَ^(٢) . وَمَعْنَى ابْذَعِرَتْ : تَفَرَّقَتْ . وَأَضَافَ نَهْدًا إِلَى ضَمِيرِ جَرْمٍ ، لِاعْتِمَادِهِ كَانَ عَلَيْهَا ، وَاعْتِقَادِهِ الْإِكْتِفَاءَ بِهَا . وَالْمَعْنَى لَمْ تَنْصُرْهَا فَكَانَتْ تَكْتَفِي بِهَا وَتَغْنِي ، وَلَكِنْ جَرْمًا انْهَزَمَتْ ، وَهَامَتْ عَلَى وَجْهِهَا فَمَضَتْ ، وَاصْطَلَتْ نَهْدٌ بِنَارِ الْحَرْبِ ، فَمَسَتْ حَاجَتُهَا إِلَى مَنْ يُؤَاوِزُهَا ، وَيَنَاهِضُ الْأَعْدَاءَ مَعَهَا .

٦ - ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ دَرِيَّةٌ أَقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ

يَقُولُ : بَقِيْتُ نَهَارِي مُنْتَصِبًا فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ ، وَالطَّمَنُ بِأَيْنِي مِنْ جَوَانِبِي ، وَكَأَنِّي لِلرَّمَاكِ بِمَنْزِلَةِ الْحَلْقَةِ الَّتِي يُتَعَلَّمُ عَلَيْهَا الطَّمَنُ ، أَذُبُّ عَنْ جَرْمٍ وَقَدْ هَرَبَتْ هِيَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ : كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ صَيِّدٌ . فَقَدْ حَكَى أَبُو زَيْدٍ أَنَّهُ يُقَالُ

(١) رَوَايَةُ التَّبْرِيزِيِّ : « إِذْ تَلَاقِيَا » .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : وَكَانَتْ جَمٌّ وَنَهْدٌ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، فَقَتَلَتْ جَمٌّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْحَارِثِ يُقَالُ لَهُ مَعَاذُ بْنُ يَزِيدٍ ، فَارْتَحَلَتْ جَرْمٌ فَتَحَوَّلُوا إِلَى بَنِي زَيْدٍ قَوْمِ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ، فَجَاءَتْ بَنُو الْحَارِثِ يَطْلُبُونَ بَدَمَ صَاحِبِهِمْ ، فَعَبَسَ عَمْرُو جَرْمًا لِبَنِي نَهْدٍ ، وَتَعَبَسَ هُوَ وَقَوْمُهُ لِبَنِي الْحَارِثِ ، فَفَكَّرَتْ جَرْمٌ دِمَاءُ بَنِي نَهْدٍ نَفَرَتْ ، وَانْهَزَمَتْ بَنُو زَيْدٍ ، فَلَامَهُمْ عَمْرُو .

للصيد خاصةً دَرِيَّةٌ ، غيرُ مَهْمُوزَةٍ ، وَدَرَايَا ؛ كَانَ هَذَا مِنْ دَرَبَتْ أَى خَتَلَتْ .
فَأَمَّا الدَّابَّةُ الَّتِي يُسْتَرْتَبُهَا مِنَ الصَّيْدِ ، فَإِذَا أَكْثَبَ رُمِيَّ مِنْ خَلْفِهَا ، فَذَكَرَ
أَبُو زَيْدٍ أَنَّهَا تَسْمَى دَرِيَّةَ الصَّيْدِ ، بِالْهَمْزِ . قَالَ : وَيُقَالُ : دَرَأْتُهَا نَحْوَ الصَّيْدِ
وإِلَى الصَّيْدِ وَلِلصَّيْدِ ، إِذَا سُقَتْهَا . وَكَأَنَّ هَذَا مِنَ الدَّرَاءِ ، وَهُوَ الدَّفْعُ . وَقَدْ تَسَمَّى
تِلْكَ الدَّابَّةُ الذَّرِيْعَةُ وَالسَّيْفَةُ وَالْقَيْدَةُ . وَأَنْشَدْتُ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ ، رَحِمَهُ
اللَّهُ ، أَنْشَدَنِيهِ حَمَزَةُ بْنُ الْحَسَنِ ، قَالَ : أَنْشَدَنِيهِ عَلَى بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشِ عَنْهُ :

إِذَا نَصَبْنَا لِقَوْمٍ لَا نَدِبُ لَهُمْ كَمَا تَدِبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ^(١)
الذَّرْعُ : جَمْعُ ذَرِيْعَةٍ ، كَصَحِيفَةٍ وَصُحُفٍ . وَإِنْ جَعَلْتَ « كَأَنِّي » فِي مَوْضِعِ
الْحَالِ فَأَقَاتِلْ فِي مَوْضِعِ الْخَيْرِ لَطَلَاتٍ حِينُئِذٍ .

٧ - فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحَهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَتْ

النُّطْقُ اسْتُعْمِلَ فِي الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ مَنْطِقُ الطَّيْرِ ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا
فَقَالُوا : نَطَقَ الْكِتَابُ بِكَذَا . يَقُولُ : لَوْ أَنَّ قَوْمِي أَبْلَوْا فِي الْحَرْبِ وَاجْتَهَدُوا
لَا فَتَخَرْتُ بِهِمْ ، وَذَكَرْتُ بِلَاءَهُمْ ، وَلَكِنَّ رِمَاحَهُمْ أَجَرَتْ لِسَانِي ، كَمَا يُجَرُّ
لِسَانُ الْفَصِيلِ . وَجَعَلَ الْفَعْلَيْنِ لِلرِّمَاحِ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ فِي أَنَّ التَّقْصِيرَ كَانَ مِنْهُمْ
لَا مِنْهَا . وَالْإِجْرَارُ : أَنْ يُشَقَّ لِسَانُ الْفَصِيلِ لِلرِّمَاحِ فَيُجْعَلَ فِيهِ عُودٌ لثَلَاثَ
بَرَصَعٍ أَمْهٍ . وَقَدْ اسْتُعْمِلَ الْإِجْرَارُ فِي الرُّمَحِ إِذَا تَكَسَّرَ فِي الْمَطْعُونِ . قَالَ :

* أَجْرَةُ الرُّمَحِ وَلَا تُهَالَهُ^(٢) *

(١) أَنْشَدَ فِي اللِّسَانِ (ذَرْعٌ) :

وَالْمَعْنَى أَسْبَابُ تَقَرُّبِهَا كَمَا تَقَرَّبُ لِلْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ

(٢) فِي اللِّسَانِ : « فَجَّ اللِّامُ لِسَاكُونَ الْهَاءِ وَسَاكُونَ الْأَلْفِ قَبْلَهَا . وَاخْتَارُوا الْفَتْحَةَ
لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ الْأَلْفِ الَّتِي قَبْلَهَا ، فَلَمَّا تَحَرَّكَتِ اللَّامُ لَمْ يَلْتَقِ سَاكِنَانِ فَتَحَذَفَ الْأَلْفُ لِاتِّقَانِهَا » .
وَقَبْلَهُ :

* رِيَاءٌ فِدَاءُ لَكَ يَا فَضَالَهُ *

وفي طريقه قوله : « أنطقني رماحهم » قول الآخر ^(١) :
أقول وقد شددوا لسانى بنسمة أمفشر تيم أطلقوا عن لسانى
لأن المعنى أحسنوا إلى ينطلق لسانى بشكرهم .

٣٠

سيار بن قصير الطائي

١ - لو شهدت أم القديد طماننا بمرعش خيل الأرمي أرنت ^(٢)

جواب لو ، « أرنت » . يقال رنّ وأرنّ بمعنى واحد . ومرعش من ثغور
أرمينية . وأم القديد ، قيل هي امرأته . والخيّل ينتصب من قوله « طماننا » .
ومعنى البيت : لو حضرت هذه المرأة مطاعنتنا بمرعش خيل هذا الرجل
الأرمي لولوت وخبّت ، إشفافاً علينا ، لكثرتهم وقلتنا . والباء من قوله
« بمرعش » تعلّق بطماننا ، وهو ظرف مكان له قد عمل فيه . وإنما قلت هذا
لثلاثي توهم أنه تعلّق بشهدت ، وأنه في موضع الحال للخيّل أو المطاعنين ،
فيكون قد فصل به بين الصلة والموصول ، وهما طماننا وخيل الأرمي .

٢ - عشيّة أرمى جمهم بلبانه ونفسي وقد وطنتها فاطمأنت

لبان الفرس : صدره . ويقال : وطنت نفسي على كذا فتوطنّت ، أى
حملتها عليه فذلّت . وانتصب « عشيّة » على أنه ظرف لطمأننا . ويجوز أن
يكون ظرفاً لشهدت ، ولا يجوز أن يكون ظرفاً لأرمى ؛ لأن أرمى أضيفت
عشيّة إليه ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف . ومعنى البيت : عشيّة أحمل على
القوم ولا أبالي إن كانت عليّ أو لي ، لأنى وطنت نفسي على الشر فآلفته

(١) هو عبد ينفوث بن وقاص الحارثي . المفصليات (١ : ٥٥)

(٢) أنشد هذه الأبيات ياقوت في (مرعش) بدون نسبة .

وسكنت إليه . فمن روى : « ونفسى قد وطنتها » يكون الواو للحال ، ونفسى يرتفع بالابتداء ، ووطنتها في موضع الخبر . ومن روى : « ونفسى وقد وطنتها » فإن نفسى يكون في موضع الجر عطفاً على بكتانه ، أى أرمى جيشهم بنفسى وفرسى ، ويكون قد وطنتها في موضع الحال . وتحقيق الكلام : وقد وطنتها على الشر فسكنت إليه ، ورضيت به . ومثله قول عنتره :

مازلت أرميهم بقرحة مهربى ولبان لا وكل ولا هيب

وقول الآخر :

مازلت أرميهم بقرحة نخره وفارسه حتى ثارت ابن واقد^(١)

٣- ولا حقة الأطال أسندت صفها إلى صف أخرى من عدى فاقشعرت

إنما تكرر قوله « عدى » لينبّه به على اختلافهم وكثرتهم ، وأن ذلك لتوفر فضائلهم ، وتظاهر عزم ورياستهم ، إذ كان الحسد ينبع ذلك ، ولأنهم يترون من لا يذل لهم ، ولا يهوى هوام . بقول : ورب خيل قد لحقت بطورها بظهورها^(٢) ، وارتفعت جنوبها إلامتونها ، أنا أملت صفها إلى صف خيل مثلها من الأعداء ، نخافت لقلتنا وكثرتهم . وأصل الاقشعرار تقبّض الجلد وانتصاب الشعر ، وقد تكلم الناس في قول امرئ القيس :

* والقلب من خشية ممشعر^(٣) *

فقال بضمهم : الاقشعرار لا يصح في القلب ، لأنه يجبر به عما عليه شعر ، ولا شعر على القلب . وقال غيره : إنما هو كفاية عن الوجل ، ولما كان

(١) في الأصل : « وبوجه حتى » ، ولا يستقيم به الوزن . وهو من الطويل مع الحرم

في أوله . وأثبتنا ما في م . (٢) م : « وظهورها » .

(٣) هو بتمامه ، كما في الديوان ٩ :

فبت أكابد ليل النما م والقلب من خشية ممشعر

الاقشعراؤ يقع عنده كُتَي به عنه . وإذا كان كذلك فكأنه قال : والقلبُ من خَشْيَةِ وَجَل .

٣١

بعضُ بني بُولَانَ مِنْ طَيِّ^(١)

بُولَانَ فَعْلَانٌ ، مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ بُولَةٌ ، إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْبَوْلِ . وَالْبُؤَالُ : دَاءٌ يَصِيبُ الْغَنَمَ فَيَبُولُ حَتَّى يَمُوتَ .

١ - نَحْنُ حَبَسْنَا بَنِي جَدِيلَةَ فِي نَارٍ مِنَ الْحَرْبِ جَحْمَةَ الضَّرَمِ جَدِيلَةُ مِنَ الْجَدَلِ ، وَهِيَ فِيمَا زَعَمُوا أَثْمُهُمْ . وَالْجَدَلُ : الْقَتْلُ . قَالَ الدَّرِيدِيُّ : جَدِيلَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ امْرَأَةٌ مَجْدُولَةٌ ، إِذَا كَانَتْ قَضِيفَةً . وَيُقَالُ ضَرَمَتِ النَّارُ ، إِذَا التَّهَبَتْ ، تَضَرَّمُ ضَرَمًا . وَلِهَذَا مَا تَلْتَهَبُ بِهِ النَّارُ سَرِيقًا مِنَ الْحَطَبِ قِيلَ لَهُ الضَّرَامُ . فَيَقُولُ : حَبَسْنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَى نَارٍ مِنَ الْحَرْبِ شَدِيدَةِ الْإِتْهَابِ . وَالْجَحْمَةُ : مَصْدَرُ جَحِمَتِ النَّارُ فَعَى جَا حَةً ، إِذَا اضْطَرَمَّتْ ؛ وَمِنْهُ الْجَحِيمُ . قَالَ : وَصِفَتِ النَّارُ بِالْجَحِيمِ لِحُمْرَتِهَا ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ عَيْنُ الْأَسَدِ^(٢) جَحْمَةً ، لِأَنَّهَا تَتَرَاوَى بِاللَّيْلِ كَأَنَّهَا نَارٌ . وَقَالَ الدَّرِيدِيُّ : الْجَحْمَةُ الْعَيْنُ ، لَفَةً يَمَانِيَّةً . وَعَيْنُ الْأَسَدِ خَاصَّةٌ فِي كُلِّ اللُّغَاتِ الْجَحْمَةُ .

٢ - نَسْتَوْقِدُ النَّبْلَ بِالْخَضِيزِ وَنَعَصُ طَادَ نَفُوسًا مُبْنَتٌ عَلَى الْكَرَمِ

قَوْلُهُ « نَسْتَوْقِدُ النَّبْلَ » مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، كَأَنَّهُ جَعَلَ خُرُوجَ النَّارِ مِنْ

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعرابي : « هذا الشعر لرجل من بلقين ، وسبب ذلك أن القين بن جسر وطينا كانوا حلفاء ، ثم لم تزل كلب بأوس بن حارثة حتى قاتل القين يوم ملكان ، فحبسهم بنو القين ثلاثة أيام ولياليها لا يقدرُونَ على الماء ، فنزلوا على حكم الحارث بن زهدم أخى بنى كنانة بن القين ، فقال شاعر القين يومئذ : نحن حبسنا . »

(٢) في الأصل : « عين الشمس » تحريف ، صابه في م والتبريزي واللسان .

الحَجَر عند صَدْمَةِ النَّبْلِ اسْتِيقَادًا مِنْهُمْ . وَالْوَقْدُ ، تَوَسَّعُوا فِيهِ حَتَّى قِيلَ قَلْبُ وَقَادٌ . فَإِنْ قِيلَ : هَلَّا قَالَ نَسْتَقْدِحُ النَّبْلَ ، فَكَانَ أَصَحُّ ؟ قُلْتُ : الَّذِي قَالَهُ أَفْصَحُ ؛ وَقَدْ قِيلَ زَنْدٌ مِيقَادٌ ، إِذَا كَانَ سَرِيعَ الْوَرَى . وَقَالَ الْخَلِيلُ : كُلُّ مَا تَلَاؤًا فَقَدْ وَقَدَ ، حَتَّى الْخَافِرُ . يَقُولُ : تَنْفِذُ سَهْمَانَا فِي الرَّمِيَّةِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى حَضِيضِ الْجَبَلِ فَتُخْرِجَ مِنْهُ النَّارَ لَشِدَّةِ رَمِينَا ، وَقُوَّةِ سَوَاعِدِنَا ، وَنَصِيدِهَا نَفُوسًا مَبْنِيَّةً عَلَى كَرَمٍ . أَيْ نَقْتُلُ الرُّؤْسَاءَ وَمِنْ تَكْرُمُ نَفْسِهِ وَتَعَزُّ حَيَاتِهِ . وَقَوْلُهُ « بُنْتُ » أَصْلُهُ بُنَيْتُ ، فَأَخْرَجَهُ عَلَى لَفَةِ طَيِّئٍ ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي بَقِيَّةِ بَقِي ، وَفِي رُضِي رُضِي . وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

* عَلَى نَحْمَرِ نَوْبَتُمُوهُ وَمَا رُضِي ^(١) *

وَقَالُوا فِي بَادِيَةِ بَادَاةٍ ، كَأَنَّهُمْ يَفْرُونَ مِنَ الْكُسْرَةِ بَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ ، فَتَنْقَلِبُ الْيَاءُ أَلْفًا . وَالْحَضِيضُ : قَرَارُ الْأَرْضِ عِنْدَ سَفْحِ جَبَلٍ . وَالنَّبْلُ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ .

٣٢

وَقَالَ رُوَيْشِدُ بْنُ كَثِيرٍ الطَّائِي :

١ - يَا أَيُّهَا الرَّائِبُ الْمَزْجِيُّ مَطِيَّتُهُ سَأَلْتُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ ^(٢)

الْمَطِيَّةُ مِنَ الْمَطَا ، وَهُوَ الظَّهْرُ . وَيُقَالُ مَطَاةٌ وَامْتِطَاهُ ، إِذَا رَكَبَهُ . وَلِلْحُقُوقِ الْمَاءِ بِهِ صَارَ اسْمًا ، وَقَدْ سَمِئَتْهُ . وَيُرْوَى : بَلَغَ بَنِي أَسَدٍ . وَقَوْلُهُ : « مَا هَذِهِ

(١) لَزِيدُ الْخَلِيلِ ، كَذَا فِي نَوَادِرِ أَبِي زَيْدٍ ٨٠ وَالْأَمَالِي (٣ : ٢٤) وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَعْنَى لِلْسِّيُوطِيِّ ١٦٥ . وَاللِّسَانُ (أَتَمَّ) . وَصَدْرُهُ :
* أُنْفَى كُلِّ عَامٍ مَا أُنْفَى تَجْمَعُونَهُ *

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « هَذِهِ الْأَبْيَاتُ شَاذَةٌ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ ، لِأَنَّ الْعَادَةَ قَدْ جَرَتْ إِذَا اسْتَعْمَلُوا هَذَا الْوِزْنَ أَنْ يَكُونَ الْاَلِينُ فِيهِ كَامِلًا ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ الرَّوْيِ أَلْفٌ أَوْ وَاوٌ قَبْلَهَا ضَمَّةٌ ، أَوْ يَاءٌ قَبْلَهَا كَسْرَةٌ . وَقَوْلُهُ : الصَّوْتُ ، قَدْ جَاءَ بِالْوَاوِ وَمَا قَبْلَهَا مَفْتُوحٌ » .

الصوت» الجملة في موضع المفعول، وارتفع الصوت على أنه عطف البيان. يُخاطِبُ الراكبَ السائقَ لمطيطته بإعجال، يسأله أن يُبلغَ بني أسدٍ عنه عن طريق الفحص والاستعلام: ما هذه الجلبةُ. وهذا الكلامُ تهكُّمٌ وسخريةٌ، لأنه هو الذي أثار عليهم ما احتاجوا له، وجلبَ عليهم ما أشكاهم. وإنما قال ما هذه الصوت، والصوت مُذكَّرٌ، لأنه قَصَدَ به إلى الصيحةِ والجلبةِ. وهذا كما قال حاتم:

أماويّ قد طالَ التجنُّبُ والهَجْرُ وقد عَذَرْتَنِي فِي طِلَابِكُمُ الْمَعْدُرُ
يريد المذرة. وكما قال الآخر^(١):

وكانَ يَجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُضْمِرُ
فَأَنْتَ الشُّخُوصَ لَأَنَّهُ قَصَدَ بِهَا إِلَى النُّفُوسِ. وحكى عن أبي عمرو: ابنُ العلاء أنه سمع بعضهم يقول: «جاءته كتابي فاحتقرها». قال أبو عمرو: قلت: أتقول جاءته كتابي؟ قال: نعم، أليست هي صحيفة؟ وقد قيل: لما كانت الشُّخُوصُ شُخُوصَ النِّسَاءِ أَنْتَ الْعَدَدُ. وقوله: «الراكب المُرْجِي» الراكب يقع على ركب البعير خاصة؛ لأن ركب الخيل يقال له فارس. والمُرْجِي، يُقال زَجَا الشيء يزجو زَجْوًا وزَجَاءً، وَأَزَجَيْتُهُ أَنَا وَزَجَيْتُهُ، إِذَا اسْتَحَنَنْتُهُ. ومنه زَجَاءُ الْخَرَاجِ. وفي هذا الكلام دَلَالَةٌ على أنه ليس يُقْنِعُهُ ما أَوْقَعَهُمْ فِيهِ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَتَوَعَّدُ بِالِاسْتِئْصَالِ إِنْ لَمْ يَصْغَحْ عُدْرُهُمْ. ويجوز أن يكون المراد بقوله «ما هذه الصوت» ما الذي يتأدَّى إلَيَّ عنكم، ويتحدَّث به الناس من شائِكُمْ وقصَّتِكُمْ. ويقال: ذَهَبَ صَوْتُ هَذَا الْأَمْرِ فِي النَّاسِ لِلتَّحَدُّثِ بِهِ، وَذَهَبَ صِدَّتُ بَنِي فُلَانٍ فِي النَّاسِ إِذَا ذُكِرُوا بِالْخَيْرِ. فكانه على هذا يوههم

(١) هو عمر بن أبي ربيعة، من قصيدته التي مطلعها:

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٌ فَبِكْرٍ غَدَاةٌ غَدِ أُمِّ رَائِحٍ فَهَجْرٍ

أنه لم يصحّ عنده ما يُقال، وأنهم إن لم يقيموا المَعْدِرَةَ والدَّلالة على براءة الساحة حينئذ عاقبتهم . وهذا المعنى في نهاية الحُسْن^(١) .

٢- وَقُلْ لَهُمْ بَادِرُوا بِالْمُذْرُوبِ اتَّمِسُوا قَوْلًا يُبَرِّئُكُمْ إِنِّي أَنَا الْمَوْتُ

مفعول بادروا محذوف ، كأنه قال : بادِرُوا الْعِقَابَ بِالْعُذْر ، أى سابقوه . يقول : قُلْ لَهُمْ : سارِعُوا بِالْعُذْرِ فيما ركبتموه واطلبوا قَوْلًا يُبَرِّئُ سَاحَتَكُمْ ، إِنِّي أَنَا حَتُّكُمْ إِن لَمْ تَفْعَلُوا ، أى اقْرَبْ حَيْنَكُمْ ، وَأَسْتَعِ فِي هَلَاكِكُمْ إِن لَمْ تَفْعَلُوا . ويقال : لَمَسَ وَاتَّمَسَ فِي مَعْنَى طَلَب . على ذلك قولُ الله تعالى : حَاكِيًا عَنْ مَسْرِقَةِ السَّمْعِ : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثِّتًا حَرًّا شَدِيدًا﴾ ، أى طلبناها . وقال الشاعر :

الْأَمُّ عَلَى تَبَكِّيهِ وَالْمُسَةُ فَلَاجِدُهُ

و « يبرئكم » في موضع الصِّفَةِ للقول ، أى قولاً مبرئاً لكم من الذنب .

٣- إِنْ تُذْنِبُوا نِمَّ يَأْتِينِي بِقَبْلِكُمْ فَمَا عَلَى بَذَنٍ عِنْدَكُمْ فَوْتُ^(٢)

قوله « بَذَنٍ » أى بسبب ذَنْبٍ ، وقد حَذَفَ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال بجزاء ذَنْبٍ ، ويقال : « لا فَوْتَ عليك في كذا » ، كما يقال لا بأس عليك . والمعنى : لا يفوتك . وفي هذا الكلام إيذان بأنه مستعملُ الأناة والحلم معهم ، ثقةً بأنهم لا يفوتونه . يقول : إِنْ تُجْرِمُوا نِمَّ يَصِحُّ عِنْدِي تَعَمُّدُكُمْ فِي إِجْرَامِكُمْ وَتَيَقُّنُكُمْ مَا يُلْحَقُكُمْ مِنْ لَائِمَةٍ وَعَيْبٍ^(٣) وَأَنْكُمْ أَقْدَمْتُمْ مُسْتَهِينِينَ ، وبِمَنْ يَأْخُذُكُمْ نَكِيرُهُ غَيْرَ حَافِلِينَ ، فما يفوتني

(١) كذا في م . وفي الأصل : « في نهاية » فقط .

(٢) يروى أيضاً : « تقيتكم » كما نص التبريزي . ويروى : « بقيتكم » كما سيأتي .

(٣) م : « وعيب » .

مكافأتكم ، ولا يُعَيِّنِي مؤاخذتكم ومحاسبتكم . ورؤى : « ثم يأتيني بقيتكم »
 وفُسر على وجهين : أحدهما أن المعنى ثم تأتيني خياركم وأمائلكم ، يقيمون
 معذرة أنفسهم ، ويبينون أنهم لم يساعدوك لا بالرأى ولا بالفعل . وهذا كما يقال :
 فلان من بقية أهله ، أى من أفاضلهم . والآخر أن يكون المعنى : ثم تأتيني
 بقيتكم الذين لم يذنبوا متصّلين بأنهم قد فارقوك وأسلموك ، لعظيم جنايتكم ،
 وخطموا ربة النصرة والمعاونة لكم .

٣٣

أنيف بن حكم النبهاني^(١)

١ - جَعَفْنَا لَهُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ بْنِ مَالِكٍ كَنَائِبَ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالَهَا

الكتيبة من الجيش : ما جمع فلم ينتشر . وقوله : « يُرْدِي » مع ما بعده
 في موضع الصفة للكتائب . يقول : جمعنا لهؤلاء القوم جيوشاً من خلص العرب
 تهلك عقوبتها الذين في نسبهم هُجَنَةٌ أو إقِرافٌ إذا برکوا عليهم . وهذا يجوز أن
 يكون تعريضاً بما يذيه ووعيداً لهم . والإقِراف يكون من قبل الفحل ، والهُجَنَةُ
 من قبل الأُم . وذَكَرَ الْمُقْرِفِينَ ولم يذكر الهُجَنَاءَ لأنهم وإن كانوا يأخذون
 مأخذهم في أنه لا يخلصُ سَبَهُمْ ، [ولا يصفو سبهم^(٢)] ، فنافيهم أشدّ نقداً ،
 ومزبئهم أنكر دَفْعاً . وكان عَنَتَرَةُ التَّمِيسِي هَجِينًا فقال :

إِنِّي إِصْرُؤُ مِنْ خَيْرِ عَبَسٍ مَنَصِبًا شَطْرِي وَأَحْيَى سَاثِرِي بِالْمَنْصُلِ

[نافيًا للإقِراف^(٣)] ، فجعل أحد شطريه من خير عَبَسٍ ، وجعل الباقي
 يحميه من الدَمِّ باستعمال السَّيفِ يوم الرِّوْع ، وحسن البلاء في الحرب ، حتّى .

(١) التبريزي والمهجع : « أنيف بن زبان النبهاني » .

(٢) التكلة من م .

(٣) التكلة من م . وما بعده إلى « عبس » ساقط من م .

يُلْحِقَهُ بِالْخُلَاصِ ، وَلَا تَقْعَدَ بِهِ هُجْنَتُهُ عَنِ الدُّخُولِ فِي زُمَرَةِ الصُّرَحَاءِ .

٣- لَهُمْ عَجْزٌ بِالْحَزَنِ فَالرَّمْلُ فَالْلَوَى وقد جاوزت حَيَّيْ جَدِيسَ رَعَالِهَا

الرَّعِيلُ: قطعةٌ من الخليل متقدِّمةٌ ، وتوسَّعوا فقالوا: أراعيْلُ الرِّياحِ . ويقال: استَرْعَلَ فلانٌ ، أى خَرَجَ في الرَّعِيلِ الأولِ . يقول: سَوَاقِي هذه الكتابِ وأوائِلُها قد جاوزت بلادَ طَسَمٍ وجَدِيسَ ، ولواحيقُها قد شجنتُ بها هذه المواضعَ . وبين بلادِ حَيَّيْ جَدِيسَ والبقاعِ التي ذكرها مَسَافَةٌ بعيدةٌ . واللَّوَى ، حيثُ يَرِقُّ الرَّمْلُ فيخرج السَّائِرُ فيه إلى الحزنِ . وطَسَمٌ وجَدِيسُ : أُمَّةٌ من العربِ بادوا وانقرضوا . وقيل أراد بالحَيَّينِ جَدَسًا^(١) وجَدِيسًا ، وذَكَرَهُم والقَصْدُ إلى ديارهم وبلادهم ، ورتَّبَ للمواضعِ الذي عدَّها بالغاء ، وجعل أعجاز الكتابِ فيها تَكثِيرًا لها .

٣- وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَلِيلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ تُتَاحُ لِفِرَاتِ الْقُلُوبِ نِبَاهُهَا

رَجَلَةٌ موضوعةٌ لأدنى العدد ، بدلالة أنك تقول : ثَلَاثَةُ رَجَلَةٍ . ومن عادتهم أن يُقَدِّمُوا الرِّجَالَ عند تعبئة الجيش ، لِيَسْتَنِدُوا إلى الفُرْسَانِ . وقوله: « وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَلِيلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ » أراد قطعة من الرِّجَالَةِ . ومعنى تُتَاحُ : تُقَدَّرُ وَتُهَيَّأُ . ويقال : تَاحَ لَهُ كَذَا وَأَتَحَّتْهُ أَنَا ؛ رَجُلٌ مُتَيَّحٌ . وموضِعُهُ جَرٌّ على الصِّفَةِ لِرَجَلَةٍ . فيقول: تحت صدور الدوابِ قِطْعَةٌ من الرِّجَالَةِ تُقَدَّرُ نِبَاهُهَا لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ ، أى لا يُشْعِرُهم فإذا نبأهم تعمل هذا العمل . والحرشَفُ ، الأصل فيها أن تُستعمل في الجراد ، ثم استُعير للجِجَاعَةِ من الرِّجَالَةِ على التَّشْبِيهِ ، وقال امرؤ القيس :

كَانَهُمْ حَرَشَفٌ مَبْثُوثٌ بِالْجَوِّ إِذْ تَبْرُقُ النَّعَالُ

(١) في التماموس : « وجَدِسٌ مَكَّة : بطن من لحم ، أو هو تمصيحيف والسرواب بالحاء المهملة »

وغيرَات: جمع غيرة، وهي صفة، يقال رجلٌ غِرٌّ وغَرِيرٌ، وجاريةٌ غِرَّةٌ وغَرِيرَةٌ، ومصدره الغرارة.

٤- أَبَى لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّهُمْ بَنُوا نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا
هذا الكلام من صفة الكتائب. و«أن يعرفوا» في موضع المفعول لِأَبَى،
وفاعله قوله «أنهم بنوناتي». وقوله «كانت» من صفة الناتق. يقول: منع لهم
معرفة الضيم كثيرتهم وترادفهم. والناثق: المرأة الكثيرة الأولاد. وجعل العيال
كناية عن الأولاد، وهو جمع عَيْل، كجيد وجياد. يقال: عند فلان كذا عيلاً،
وهو مُعِيلٌ ومُعِيلٌ^(١): كثير العيال. والفعل من نَاتِقٍ نَتَقْتُ نَتَقًا.

٥- فَلَمَّا أَتَيْنَا السَّفْعَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ بِحَيْثُ تَلَاقَى طَلْحُهَا وَسَيِّئُهَا
الباء من قول «بحيث» تعلق بفعل دَلَّ عليه أتينا، كأنه قال: حصلنا
بحيث تلاقى طلحها وسياؤها. وموضعه من الإعراب نصبٌ على الحال للضميرين
في أتينا. والسفح: أسفل الجبل، ولاشتهاره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى
الجبل. والطلع والسَّيَالُ: شجران. فيقول: لما بلغنا أسفل الجبل من بطن
هذا الوادي بحيث التقي هذان الجنس من الشجر. وهذا إشارة منه إلى موضع
المرაკ والقتال. وجواب لما فيما بعده.

٦- دَعَوْا لِنِزَارٍ وَانْتَمَيْنَا لِطَيِّئٍ كَأَسَدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا
انتمينا: انتسبنا، أي قالوا يا نِزَارِ، وقلنا نحن: يا لَطَيِّئِ، مشاهين
للأسود. وقوله «كأسد الشرى» حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه،
كأنه قال: وكإقدام أسد الشرى إقدامها ونزالها وجاز الحذف لأنه لا يلتبس

(١) كذا في الأصل. وفي م: «مُعِيلٌ وَتَمِيلٌ»، وكلها صحيح.

وجه التشبيه بغيره . ومعنى « دَعَوْا لِنَزَار » : انتسبوا إلى نِزار . وهذا الاعتزاء الذى أشار إليه قد يفعله الفارسُ عند الطعن والضرب أيضاً ، يقول الواحدُ منهم : خُذْهَا وَأَنَا مِنْ بَنَى فُلَان ، وَأَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَان .

٧ - فَلَمَّا التَّقَيْنَا بَيْنَ السَّيْفِ يَنْتَنَّا لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيَّ سَوَالِهَا

الإحفاء يكون فى السؤال عن الشيء ، ويكون فى طلب الشيء من الغير ، وهو المبالغة فيها ، والذى بينه السيفُ هو حُسن بلاء أحدِ الفريقين وزيادته فيما يُحمدُ من الصبرِ والثباتِ على صاحبه . وقد حذفه من اللفظ لأنَّ المفاعيل تُحذف كثيراً إذا دلَّ الدليل عليها . ومعنى قوله : « لسائلةٌ عَنَّا حَفِيَّ سَوَالِهَا » أن الإحفاء فى السؤال والاستقصاء فى البحث ، مما يزداد معه بينات الأحوال ، وجليات الأمور . وجعل الحَفِيَّ للسؤال على الحجاز والسعة . وفسر قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَانَتْ حَفِيَّ عَنْهَا ﴾ : كَانَتْ المعنى كأنك عالمٌ بها ، لما كان الإحفاء فى المسألة حقيقةً بأن يؤدَّى إلى العلم بالسئول عنه . والسائلةُ يجوز أن يريد بها قبيلةً ، ويجوز أن يريد بها امرأةً . وجعل قوله « السَّيْفُ » كنايةً عن أنواع السلاح ، بدلالة أنه أعاد ذكر استعمال السيف فيما بعده ، لما فصل أحوالهم وفسر مقاماتهم فقال : وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالشَّيْوَفِ .

٨ - وَلَمَّا تَدَانَا بِالرَّمَاكِ تَضَلَّعَتْ صُدُورُ الْقَنَاءِ مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا

يقول : ولما تقارَبْنَا باستعمال الرَّمَاكِ رَوَيْتِ الْقَنَاءَ مِنْ دِمَائِهِمْ ، وصار النَّاهِلُ منها عَالًا . والنَّهْلُ : الشَّرْبُ الْأَوَّلُ ، والْعَلُّ : الشَّرْبُ الثَّانِي كَانَهُمْ عَاوَدُوا الطَّعْنَ وَكَرُّوا حَالًا بَعْدَ حَالٍ . وَالتَّضَلَّعُ ، حقيقته أن يُستعمل فيما له ضلعٌ ، وعند الارتواء تنفخ الأضلاع ؛ واستعاره ها هنا . ويقال : تَضَلَّعَ شَيْعًا ، وَتَحَبَّبَ رِيًّا . وَخَصَّ الصُّدُورَ لِأَنَّ الطَّعْنَ بِهَا . وَيُقَالُ عَلَّ إِبِلُهُ يُعَلُّ وَيُعَلُّ ، فَعَلَّتْ

هـ . وإن شئت على هذا رَوَيْتَ : « وَعَلَّتْ نِهَالُهَا » ، وإن شئت رويت : « وَعَلَّتْ » .

٩ - وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ وسائلُ كانت قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا
وَسَلَّتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً ، أَى تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِقُرْبَةٍ . ويقال تَوَسَّلْتُ أَيْضًا . وفي
القرآن : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ . ويقال . عَصَيْتُ بِالسُّيْفِ ^(١) ، إذا ضَرَبْتَ
به ، وَعَصَوْتُ بِالْعَصَا . وَجَعَلَ انْبَتَاتَ الْوَسَائِلِ وَانْقِطَاعَ الْأَوَاخِي عند استعمال
السُّيُوفِ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَشْتَدُّ عِنْدَهُ ، وَالْقِنَاعَ يَكْشِفُ مَعَهُ . ولهذا لَمَّا اسْتُوصِفَ
عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ أَنْوَاعُ السَّلَاحِ قَالَ فِي السُّيْفِ : « عِنْدَهُ تَشَكُّلُ الْأَنْهَاتِ » .
وقوله : « كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا » ، يريد به أَنَّ حِبَالَ تِلْكَ الْوَسَائِلِ كَانَتْ
مَفْتُولَةً عَلَى الصِّلَاحِ ^(٢) فَتَقَطَّعَتْ بِاسْتِعْمَالِ السُّيُوفِ ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْهَا صَارَ وَاحِدًا
وَمَوْتُورًا ، فَسَقَطَ الْمَلَامَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ .

١٠ - فَوَلَّوْا أَطْرَافَ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ قَوَادِرَ مَرْبُوعَاتِهَا وَطَوَالِهَا
قوله : « وَأَطْرَافَ الرِّمَاحِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلضَّمِيرِ فِي وَلَّوْا . وَذَكَرَ
الْأَطْرَافَ لِأَنَّ الطَّغْنَ بِهَا يَقَعُ ، وَإِنْ كَانَتْ الرِّمَاحُ بِأَسْرِهَا مَقْصُودَةً . يَقُولُ :
انْهَزَمُوا وَأَسْنَةُ الرِّمَاحِ مَتَمَكِّنَةٌ مِنْهُمْ ، وَمُقْتَدِرَةٌ عَلَيْهِمْ ، طَوَالِهَا وَأَوْسَاطُهَا .
وَالْمَرْبُوعُ وَالْمَرْتَبُوعُ ^(٣) : مَا كَانَ بَيْنَ الْقَصِيرِ وَالطَّوِيلِ ، وَمِنْهُ رَجُلٌ رَبْعَةٌ .
وإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَنْهَزِمِينَ إِذَا مَنَحُوا أُكْتَفَاهُمْ لِمَنْ يَطْلُبُ أَثَرَهُمْ وَيَقْصِدُ
النَّكَايَةَ فِيهِمْ ، فَتَأْثِيرُ الْأَسْلِحَةِ عَلَى اخْتِلَافِهَا مُتَقَارِبٌ . وَارْتَفَعَ « مَرْبُوعَاتُهَا »
عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْأَطْرَافِ . وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْقَصْدَ بِهَا إِلَى جَمِيعِهَا ، لَا إِلَى بَعْضِهَا .

(١) كَذَا جَاءَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي الْأَصْلِ وَم . وَيُقَالُ أَيْضًا : عَصَاهُ يَعْصُوهُ ، وَعَصَاهُ يَعْصَاهُ .

(٢) كَذَا فِي مَعَ أَثَرٍ تَصْحِيحٍ مِنَ النَّاسِخِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الصِّلَاحُ » .

(٣) الْمَرْتَبُوعُ ، بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِهَا ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (رَبْعٌ ٤٦٣) ، وَجَاءَتْ اللَّفْظَةُ الْأُولَى

فِي م ، وَالْآخِرَةُ فِي الْأَصْلِ .

٣٤

قال عمرو بن معديكرب^(١) :

١ - ليسَ الجمالُ بمنزِرٍ فاعلمْ وإنْ رُدَّيتَ بُردًا

قوله « فاعلم » اعتراضٌ تأكَّدَ به الكلام ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ؛ لأنَّ قوله « وإنْ رُدَّيتَ » متعلِّقٌ بما قبله تعلُّقٌ جواب القسم بالقسم . يقول : ليسَ جمالُ المرءِ فيما يلبسه من الثياب وإن استسرى الملايسَ واختار أرضاها وأكلها . وكانوا يأثرون بزُردٍ ويرتدون بأخضر ، ويُسمَّيان خُلَّةً ، وباجتماعهما كان يكمل اللُّبوس ، حتى كانت خِلعة ملوكهم لا تغدوها . ولذلك سُمِّيَ من سُمِّيَ ذا البُزْدَيْنِ . قال :

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالكٍ ويا ابنةَ ذِي البُزْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ^(٢)
وقوله : « وإنْ رُدَّيتَ بُردًا » في موضع الحال ، كأنه قال : ليسَ جمالُكَ بمنزِرٍ مُرَدِّيٍّ مَعَهُ بُردًا . والحال قد يكون فيه معنى الشرط ، كما أنَّ الشرط يكون فيه معنى الحال . فالأوَّلُ كقولك : لافعلتهُ كائنًا ما كان ، أى إن كان هذا وإن كان هذا . والثانى كبيت الكتاب :

* عاوِذَ هَرَاةٍ وإنْ مَعْمُورُها خَرِبًا^(٣) *

لأنَّ الواو منه في موضع الحال ، كما هو في بيت عمرو ، وفيه لفظ الشرط . ومعناه ، وما قبله نائبٌ عن الجواب . والمعنى : إنْ خَرِبَ مَعْمُورُ هَرَاةٍ فعاوِذَها . وكذلك بيت عمرو ، تقديره : إنْ رُدَّيتَ بُردًا على منزِرٍ فليسَ الجمالُ ذلك .

(١) سبقت ترجمته في المقتوعة ٢٩ .

(٢) البيت لحاتم الطائي . وابنه عبد الله هو ماوية بنت عبد الله زوج حاتم . وذو البردين = عامر بن أحيمر بن هذلة . انظر حواشي البيان (٣ : ٣٠٩ - ٣١٠) .

(٣) كتاب سيبويه (١ : ٤٥٧) .

٢ - إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ وَمَنَاقِبُ أَوْرَمْنٍ مَجْدًا

أراد أن جمال المرء في أصوله الزكّية ، وأفعال له كريمة تورث المجد والشرف . والمَعْدِنُ ، هو من عَدَنَ بالمكان عَدَنًا وَعُدُونًا ، إذا أقامَ . وكذلك عَدَنَتِ الإِبِلُ فِي الْحُمْضِ ، وقيل المَعْدِنُ اشتقاقه من عَدَنَتُ الْحَجَرُ ، إذا قَلَعْتَهُ . وإذا جمع الرجلُ بين الشرف الموروث والمستحدث المكسب فهو النّهايةُ . ومَنَاقِبُ الإنسان : ما عُرِفَ فيه من الخِصال الجيلة ، والطرائق الحميدة ، والوحدة مَنْقِبَةٌ . والنَّقِبُ كأنه منه . قال الدُّرَيْدِيُّ : يقال نَقِبٌ بَيْنَ النَّقَابَةِ بِالْفَتْحِ ، مثل كَفِيلٍ بَيْنَ الْكِفَالَةِ . فأما التعريف فصدره العِرافَةُ بالكسر : والمَجْدُ : الشرف والرِّفْعَةُ ، وسُمِّيَتِ الأرضُ المرتفعة مَجْدًا ونَجْدًا به . ويجوز أن يكون أصله الكثرة ، يقال أَجَدْتُ الدَّابَّةَ عِلْفًا ، أى وَسَّعْتُهُ لَهَا .

٣ - أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا بَغَةً وَعَـدَاءً عَلَنَدَى

أَعْدَدْتُ وَاَعْدَدْتُ واحد ، والاسم العُدَّة والعِتَاد . يقول : هَيَّأتُ لنوائب الدهرِ ، أى لدفعها دِرْعًا واسعةً وِفْرَسًا ضخمًا جَيِّدَ العَدْوِ كثيره . والعَلَنَدَى أَلِفُهُ لِلإِلْحَاقِ ، كسَفَرٍ جَل . وأصل الكلمة ثلاثيٌّ ، والنون والألف زائدتان ، فهو من العَلَد . قال الخليل : هو الغليظ الشديد من كلِّ شيء . والدلالة على أن الألف للإلحاق أنك تقول للدؤنث علنداةٌ ، وأنتك تنون فتقول علندى . وذكر بعضهم أن العَلَنَدَى : الضَّخْمُ من الإبل والخيَلِ جميعًا ، وجمعه علاند وإن شئت علادٍ ، كما قالوا فى حَبْنَطَى حَبَانِطٌ وَحَبَاطٍ . وِفْرَسٌ عَدَاءٌ وَعَدَوَانٌ ، إذا كان كثير العدو .

٤ - نَهْدًا وَذَا شُطْبِ يَهُ دُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًا

نَهْدًا ، أى فرسا غليظا . والنُّهْدُ فى الثدي : بيانُ حجمه ونُتُوهُ من هذا -

وَسَيْفًا ذَا شُطْبٍ : ذَا طَرَائِقَ ، يَقْطَعُ الْبَيْضَ وَالْدَّرُوعَ قَطْعًا . وَالْقَدَّ : الْقَطْعُ طُولًا ، وَالْقَطُّ : الْقَطْعُ عَرْضًا . وَالْبَدَنُ مِنَ الدِّرْعِ : قَدْرُ مَا يَسْتُرُ الْبَدَنَ . وَيُقَالُ سَيْفٌ مُشْطَبٌ : فِيهِ شُطُوبٌ وَطَرَائِقُ .

٥ - وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلٌ كَغَبَا وَنَهْدًا

قوله : « يَوْمَ ذَاكَ » يجوز أن يُشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَمْرٍ قَدْ عَلِمَهُ السَّامِعُونَ ، وَهُوَ الْحَرْبُ ، لِأَنَّ النَّزَالَ يَكُونُ فِيهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِهِ إِلَى السَّلَاحِ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ أَعَدَّهُ . وَيَوْمُ السَّلَاحِ : يَوْمُ الْحَرْبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَشَارَ بِهِ إِلَى الْخَدَّائِنِ ، لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ « أَعَدَدْتُ لِلْخَدَّائِنِ » . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : عَلِمْتُ أَنَّ مُنَازِلٌ هَؤُلَاءِ فَأَعَدَدْتُ لَهُمْ هَذَا السَّلَاحَ ، لَعَلِّي بِالْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَالْحَازِمُ يَتَهَيَّأُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ وَقْعِهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : فَعَلْتُ ذَلِكَ بِحِزَامَتِي ^(١) ، وَعَلَى بِمَوَارِدِ الْأُمُورِ وَمَصَادِرِهَا .

٦ - قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ دَنَ تَنْمَرُوا حَلَقًا وَقَدًا

اتَّصَبَ حَلَقًا عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَيُرِيدُ بِهِ الدَّرُوعَ الَّتِي نُسِجَتْ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ . وَالْقَدُّ ، أَرَادَ بِهِ الْيَلْبَ ، وَهُوَ شَبْهُ دِرْعٍ كَانَ يُتَّخَذُ مِنَ الْقَدِّ . وَيُرْوَى : « خُلَقًا وَقَدًا » وَيَكُونُ اتَّصَابُ خُلَقًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، أَيْ تَشَبُّهُوا بِالنَّمْرِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَخِلَقِهِمْ . وَدَلَّ عَلَى الْخِلَقِ قَوْلُهُ قَدًا . وَمَعْنَى الرِّوَايَةِ الْأُولَى أَنَّهُمْ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ الدَّرُوعَ وَالْيَلْبَ تَشَبَّهُوا بِالنَّمْرِ فِي أَعْمَالِهِمْ فِي الْحَرْبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِتَنْمَرُوا تَلَوَّنُوا بِالْوَانِ النَّمْرَ ، لَطُولِ ثَبَاتِهِمْ وَمِلَازِمَتِهِمْ الْحَدِيدَ ، وَحِينَئِذٍ يَصْخَرُ أَنْ يَكُونَ اتَّصَابُ حَلَقًا عَلَى التَّمْيِيزِ . وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَجُودُ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ دَخَلَ قَوْلُهُ : « وَقَدًا » بِالْمَعْطَفِ عَلَى حَلَقًا فِي أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْحَدِيدِ

(١) م : « لِحِزَامَتِي » .

وليس منه؟ قيل: لما كان يُغنى غناء درع الحديد، جاز أن يصحبه في أن يكون بدلاً. وقوله «إذا لبسوا الحديد» ظُرفٌ لتتمروا.

٧ - كل امرئ يجرى إلى يوم الهياج بما استعدَّ

هذا كما قيل في اللَّئْل: «قبل الرِّمَاء تُمَلَأُ الكنان»^(١)، فيقول: كلُّ رَجُلٍ يجرى إلى يوم الحرب بما أعدَّه واستعدَّه. والضمير من صلة «ما» محذوفٌ استطرأً للاسم. ويجوز أن يكون استعدَّ فعلاً ليوم الهياج لا لكل امرئ، ويكون معناه بما كلَّفَ يومُ الهياج أن يُعدَّه له. يقال: استعدته كذا، أى سألته أن يُعدَّ.

٨ - لما رأيتُ نساءنا يَفْحَصْنَ بالمعزاء شداً

الأمعز والمعزاء: الأرض الحزنة ذات الحجارة، والجميع للمعز والأماعر والمعزوات. والأصل في المعز الصَّلابَة. ويقال رجل ماعزٌ ومعزٌ. ويروى: «يَفْحَصْنَ»، ومعناه يؤثرن لشدة العدو في المعزاء، حتَّى يصير به لآثارهن كالأفاحيص. ويقال: استضحك فلانٌ حتَّى فحَصَ برجليه. وقيل على التوشع: فحَصْتُ عن الأمر. وينتصب «شداً» على أن يكون مفعولاً له، كأنه قال: يَفْحَصْنَ بالمعزاء لشدهن. ويجوز أن يكون شداً مصدرًا في موضع الحال، أى يفعلن ذلك بالمعزاء شادَات. ويروى: «يَمْحَصْنَ»، والمَحْصُ: العدو الشديد، وينتصب شداً على أنه مصدرٌ من غير لفظه، كأنه قال يشدُّدن شداً ويمحَصْنَ محصًا. وجواب لما قوله «نازلت»، وسيجيء من بعده. وإنما عملت النساء ما ذكر إشفاقاً من الغارة والسَّباء.

(١) انظر ما سبق في ص ٨٦.

٩ - وَبَدَتْ لَمْ يَسْ كَانَهَا يَذُرُ السَّمَاءَ إِذَا تَبَدَّى^(١)

قوله : « كَانَهَا يَذُرُ السَّمَاءَ » في موضع الحال للمرأة ، أى بَدَتْ مُشَبَّهَةٌ
 البذر ، وقوله : « إِذَا تَبَدَّى » ظَرَفٌ لما دَلَّ عليه كَأَن من معنى الفِعل .
 يقول : وبرزت هذه المرأة كاشفةً عن وجهها سافرةً ، كَانَهَا قد أرسلت نِقابها .
 ودَلَّ على هذا بقوله : « كَانَهَا يَذُرُ السَّمَاءَ إِذَا تَبَدَّى » . وإنما فَعَلَتْ كذلك
 لأحد وجهين : إمَّا للتشبه بالإماء حتى تأمن السَّيَّء ، أو لما تَدَاخَلَهَا من
 الرُّعب . وفي طريقته :

وَنَسَوْتُكُمْ فِي الرُّوْعِ بِأِدِّ وُجُوْهَهَا يُخَلِّنَ إِمَاءَ وَالْإِمَاءَ حَرَائِرُ^(٢)

١٠ - نَازَلْتُ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرَ مِنْ نِزَالِ الْكَبَشِ بُدَاً

لا بُدَّ يستعمل استعمال لا محالة ، وتحقيقه لا يحيد ولا مغدِل . ومنه قولهم :
 استبدَّ فلانُ بالأمر ، أى انفردَ به . والتَّبَدُّ والتَّبَدُّ : مَصْدَرُ الأَبَدِّ . وهذا
 جواب قوله : « لما رأيتُ نساءً نَافِحَضْنَ » . وكَبَشُ الكَتِيبة : رئيسها^(٣) .
 فيقول : لما رأيتُ الأمرَ على ما ذكرْتُ أَنْفَتُ وقصَدْتُ رئيسَ الأعداء وملاقاته
 ولم أجد من ذلك بُدَاً . وإنما قال : « نَازَلْتُ كَبَشَهُمْ » لِيُرَى أَنَّهُ ممن تدعوه
 نفسه إلى مُجَاهدةِ الرُّؤساءِ والتعرُّضِ لهم في الحرب ، وأنه ممن لا يَرْضَى عن
 المِبارزةِ بالنِزَلِ الأَدْنَى . والرَّئِيسُ متى كان واثقاً بنفسه طلبَ أمثاله ،
 واستغنى من مبارزة من لا يُؤْبَهُ له ، وتفادى منها ، إلَّا عند الضرورة .

(١) روى التبريزي بعد هذا بيتاً لم يروه المرزوق ، وهو :

وَبَدَتْ بِحَاجِرَتِهَا أَلَّتِي تَحْقِقُ وَكَانَ الْأَمْرُ رَجَدَاً

(٢) البيت لسيرة بن عمرو الفقي . وهو من أبيات الحماسة .

(٣) ابن جني : « أعاد لفظ الكَبَش دون ضميره لأنه موضع تَفْخِيمٍ وتَعْظِيمٍ ، وكان إعادة
 لفظ المعظم أوكد وأنعم » .

١١ - ثُمَّ يَنْذِرُونَ دَمِي وَأَنْذِرْ إِنْ لَقِيتُ بَأْنَ أَشَدُّ

يقول : هم يقولون لله علينا سَفَكُ دَمِ عمرو ، وأنا أقول لله على أن أحل عليهم وأبذل نفسي لهم ، ثقة بكفائتي واستهانته بنذرهم . ويقال في الحملة : شددنا عليهم شدة صادقة ، وشدة غير كاذبة ، إذا أرادوا المبالغة .

١٢ - كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأْتُهُ يَيْدِيَّ لَخْدًا

بَوَّأْتُهُ مُبَوَّأٌ صِدْقٍ : أنزلته . والمبأة : المنزل . وإنما فرغ من التبجح بالشجاعة ثم ذكر صبره على البلاء ، وتوطين نفسه على اللأواء ، فيقول : كم من أخ موثوق به فُجِعْتُ بموته ، وأُحْوِجْتُ إلى تولى دفنهِ ، ومباشرة تجهيزهِ . وهذا إذا ابتلى به المرءُ كان أعظمَ لجزعه ، وأنكى في قلبه .

١٣ - مَا إِنْ جَزِعْتُ وَلَا هَلِمْتُ تُولَا يَرُدُّ بُكَائِي زَنْدًا^(١)

الهِلَعُ : أَفْحَشُ الْجَزَعِ ، لأنه جَزَعٌ مَعَ قَلَّةٍ صَبْرٍ . وقد فسره التنزيل في قوله تعالى : ﴿ إِنْ الْإِنْسَانَ خَلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ . لأن المعنى أن الإنسان لا يصبر على ضئير ، ولا على خبير ، فكأنه قال : ما حزنت عليه حزنًا هينًا قريبًا ، ولا فظيماً شديداً . وهذا نَفْيٌ لِلْحُزْنِ رَأْسًا ، فهو كقولك : ما رأيت صغيرهم ولا كبيرهم . وقد أعطى الترتيب حَقَّهُ لأنه ارتقى فيه من الأذون إلى الأعلى ، إذ كان قوله « ما إن جَزِعْتُ » وإن كان مستصلاً لجميع أنواعه مُفِيداً لِلأَذْوَانِ ، وقد جاء بعده « وَلَا هَلِمْتُ » ، وقوله : « وَلَا يَرُدُّ بُكَائِي زَنْدًا » ، وكان بعضُ الناس

(١) أشار التبريزي إلى رواية ابن دريد :

ما إن جَزِعْتُ وَلَا هَلِمْتُ تُولَا لَطَمْتُ عَلَيْهِ خَدًا

برويه : « ولا يرُدُّ بكأى زَيْدًا » ، وزعمَ أنه أخٌ له . ورأيت مَنْ زعمَ أنه
فَشَسَ عن نَسَبِ عمرو فلم يجد له نَسَبًا^(١) ولا شقيقًا يسمَّى زيدا . على أن قوله
« كم من أخٍ لي صالحٍ » لا يلائمه — فيما يقتضيه سياقُ اللفظ ونظام المعنى ، ومع
إفادته الكثرة — أن يُقابل بولا يرُدُّ بكأى أخى زيدا مع تخصُّصه . فأما من
روى « زندا » فبعض الشيوخ كان يقول : أراد ولا يرُدُّ بكأى شررة ،
فذكر الزند وأراد ما يخرج منه عند القدح . وأحسنُ من هذا أن يكون ذكر
الزند تقييلاً لمائدة الحزن لو تكلفه عند ما دهمه من الفجعة بالأخ المذكور .
وهم يستعملون الزند في هذا المعنى ، كما يستعملون النوف والتغير والتطير والنتيل .
وحكى أبو زيد أنهم يقولون إذا قللوا مال الرجل : « زندان في مِرْقَعَةٍ^(٢) » .
وهذا المعنى حسنٌ ، والشاهدُ له قوئى . ورأيت في بعض النسخ : « ولا يرُدُّ
بكأى رداً » ، وهذا حسنٌ أيضاً ، ويكون المعنى : ولا يرُدُّ بكأى مردودا .
والمعنى : ولا يُغنى بكأى شيئاً . وفي كلام الناس : هذا الأمرُ أرْدُّ عليك ،
أى أنفعُ وأجدى . وإنما عَقَّبَ نَفَى الجَزَع بهذا الكلام تنديها على أن صبره
عن تأدبٍ وتبشُّرٍ ومعرفةٍ بالعواقب ، وحُسْنِ تأملٍ .

١٤ — أَلْبَسَتْهُ أُنُوبًا بَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا
يقول : توليت تكفينه وتجهزه بنفسى ، وخُلِقْتُ صبوراً حين خُلِقْتُ .
وهذا يريدُ به أنه جمع إلى الجَلَادَةِ المكتسبة جَلَادَةَ الخَلْقَةِ والطبيعة .

١٥ — أَغْنَى غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ نَ عَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا

قول « الزاهبين » يجوز أن يريدَ بهم مَنْ انقضَّ من عشيرته وبذويه ،
ويكون المعنى أنه المعتمدُ عليه بعدمهم ، ويجوز أن يريدَ بهم المتغيِّبين عن

(١) في الأصل « نسباً » صوابه في م .

(٢) المرقعة : كنانة أو خريطة قد رقت . أمثال الميداني .

المشاهد والمعارك . وقوله « أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ عَدًّا » يجوز أن يكون المعنى : يقال في للأعداء : خذوا فلاناً فإنه يُعَدُّ بكذا وكذا من الفرسان . ويقال إن عمراً كان يمدُّ بألف فارس . ويجوز أن يكون المعنى أهياً للأعداء مَعْدُوداً ، فيكون عَدًّا انتصابه على الحال ، وموضوعاً موضع المعدود ، وأَعَدُّ مستقبل أُعِدْتُ ، أى هُيئت . وفي الأول يكون مَصَدَرًا لأَعَدُّ . والواحد لا يصح عَدُّه ولكن كأنه يقال فيه : إنه يقوم مقام كذا وكذا من العدد . ويروى « أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ » بفتح الهمزة ، ويحتمل وجهين من المعنى : أن يقول أَعَدُّ لهم وقماتي وأيامي عند المفاخرة والمنافرة عَدًّا ؛ وهذا معنى حَسَنٌ . والآخر أن يكون المعنى : أَعَدُّ لهم كل ما يحتاج إليه من عَدَدٍ وَعُدَّةٍ ، وهذا يؤذِنُ بأنه يدبِّرُ أمرَ الحربِ ؛ وَيُرْجِعُ إليه في أسبابها والجمع لها وهذا يرجع معناه إلى معنى مَنْ يَرَوِي « أَعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ » بضم الهمزة وكسر العين . وفي هذه الرواية يجوز أن يكون عَدًّا مفعولاً به ، والمعنى : أَعَدُّ لها معدوداتها .

١٦- ذَهَبَ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ وَبَقِيَتْ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا

يقول : فُجِعْتُ بِأَحْبَائِي وَبَقِيَتْ منفرداً بالسيادة ، فأنا كالسيف لا يُجمع اثنان منه في غمٍّ . ويجوز أن يكون : بقيت لففاذي في الأمور ومضائي كالسيف . وفرْدًا ينتصب على الحال ، أى منفردًا .

٣٥

وقال عمرو أيضاً :

١- وَلَقَدْ أَنْجَعُ رَجُلِي بِهَا حَذَرَ الْمَوْتِ وَإِنِّي لَفَرُّورٌ^(١)

هذا كلام من جمع إلى شجاعته وإقدامه حَذَرًا وحَزَامَةً ، وإلى جرأته وتموذه

(١) هذه المقطوعة روحها في الأصل مقيد بالسكون ، وهى فى م . طائفة الروى بالضم . وقال التبريزى : « من الرمل الأول إذا أطلقت ، ومن الثانى إذا قيدت ، مردف فى الضربين جميعاً ، والقافية من المتواتر إذا أطلقت ، ومن المترادف إذا قيدت » .

رِفْقًا وَأَصْلًا ، ثم يكون عارفاً بوقت كلِّ منها ، وبالحالة الموجبة لاختياره بَعْضَهَا . وَأَنْجَعُ رِجْلَيَّ ، أى أَسْتَحِثُّ فَرَسِي . وهو من فصيح الكلام ، ومن العبارة التي تصوّر المعنى . ومن لفظه وبابه قولهم : جَمَعْتُ يَدِي عَلَى كَذَا^(١) ، ورفعت يدي عن كذا . وحذّر الموت ، انتصب على أنه مفعول له ، والضمير من قوله : « بها » للفرس . والمعنى : أركضها وأستدير جريها ، ذهاباً في الفرار ، واحتراراً من الموت إذا كان الوقت وقتاً ، وإني لكثير الحرب إذا كان الحرب أغنى ، وإلى مراعاة العدو أدعى .

٢ - وَلَقَدْ أَعْطِفَهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرٌ

يقول : كما أهربُ وقت الحرب فإني أعطفُ وقت العطف ؛ لأن الكرّ والفرّ من شأنى ، والإقدام والإحجام عادتي ودأبي . وأشار بقوله : « حين للنفس من الموت هَرِيرٌ » إلى شدة الأمر وتفاقم الخطب . أى أعطفُ الفرس وهي كارهة في الوقت الذي تهرئ النفس وتضج من شدة البلوى . والهرير ، قيل هو دون الفباح .

٣ - كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّي خُلُقٌ وَبِكُلِّ أَنَا فِي الرَّوْعِ جَدِيرٌ

« ما » زائدة . وأشار بقوله : « ذلك » إلى ما قدّمه من الكرّ والفرّ . أى كلُّ ما وصفت عادةً مني وطبيعةً ، وبفعلٍ كُلهُ أنا خَلِيقٌ في الرَّوْعِ . ويقال : هو جَدِيرٌ بكذا ، وجدير لكذا ، وجدير أن ينال كذا ، ولقد جَدُرَ جَدَارَةً ، وأجَدِرَ به أن يفعله . قال :

(١) في الأصل : « على يدي » ، وأثبتنا ما في م .

* جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا وَيَسْتَغْلُوا^(١) *

٤ - وابنُ صُبَيْرٍ سَادِرًا يُوعِدُنِي مَالَهُ فِي النَّاسِ مَا عِشْتُ مُجِيرُ

قال الدريدي : يقال أُنِي فلانٌ أمره سادراً ، إذا جاءه من غير جهته .
يقول : وهذا الرجلُ مع ما ذكرتُ من قصتي في الحرب يتهددني ساهياً
لاهيًا ، وماله عاصمٌ مني في الناس ما عشتُ . وموضعُ « ما عشتُ »
ظرفٌ ، بيانه أن ما مع الفعل في تقدير المصدر ، واسم الزمان محذوف معه ،
كأنه قال : مدة عيشي .

٣٦

قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ الْأَوْسِيِّ^(٢) :

١ - طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً نَائِرٍ لَهَا نَقْدٌ لَوْلَا الشَّمَاعُ أَصْنَاهَا^(٣)

الشَّعْ وَالشَّمَاعُ : المتفرق . ومنه شَعَّ الغارة ، وتَطَايَرَ القومُ شَمَاعًا . يقول :
طَعَنْتُ هَذَا الرَّجُلَ طَعْنَةً طَالِبٍ بِالدَّمِ فَاتِكَ^(٤) لَا بُقْيَا مَعَهَا ، وَلَا تَقْصِيرَ

(١) لزهرى فى ديوانه ١٠٣ . وصدره :

* بخيل عليها جنة عبقرية *

(٢) هو قيس بن الخطيم بن عدى بن عمرو الأوسى ، شاعر فارس ؛ كان له فى وقعة
بمات التى كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة ، كان بينه وبين حسان بن
ثابت منافسة : كان حسان يذكر ليل بنت الخطيم أخت قيس فى شعره ، وكان قيس يذكر
عمرة امرأة حسان فى شعره . وذكره بعض المؤرخين فى الصحابة خطأ ، فقد ذكر أصحاب
الغازى أنه قدم مكة فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، وتلا عليه القرآن فقال : إني
لاسمع كلاماً عجيباً فدعنى أنظر فى أمرى فى هذه السنة ثم أعود إليك . فات قبل الحول . انظر
الإصابة ، والخزانة (٣ : ١٦٨ - ١٦٩) والأغانى (٢ : ١٥٤ - ١٥٩) ومعاهد
التنصيص (١ : ٦٧) .

(٣) روى التبريزى هذه المقطوعة تسعة أبيات ، إذ روى بين البيتین الخامس والسادس
بيتين آخرين سنبه عليهما فيما سأتى .

(٤) م : « قاتل » .

فى للبالغة فيها، لها نَفَذٌ، أى خَرَقٌ، لولا انتشار الدَّم لأضاءها. وأضاءها جواب لَوَلَا، والمبتدأ وهو «الشَّعَاعُ» خبره محذوف، كأنه قال: لولا الشَّعَاعُ مانِعٌ لأضاءها النَّفَذُ. ومن رَوَى «الشَّعَاعُ» بضم الشين، فإنه يُريدُ به نُورَ الشَّمْسِ. والأول أجود وأشهر. ويقال: أشعتِ الشَّمْسُ، إذا امتدَّتْ نُورُها وانتشر.

٢- مَلَكْتُ بها كَفَى فَأَنْهَرْتُ فَتَقَمَّا يُرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

يُروى: «يُرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَنْ وَرَاءَهَا» و«ما وراءها»، ويُرَوَى: «يُرَى قَائِمًا» أيضًا. ويقال: مَلَكْتُ العَجِينَ وأَمْلَكْتُهُ، إذا بَالَغْتَ فى عَجْنِهِ وشَدَدْتَ. وكان الأصمى يمتنع من أَمْلَكْتُ، فيكون المعنى شَدَدْتُ بهذه الطعنة كَفَى ووسَّعْتُ خَرَقَهَا حتى يُرَى القائمُ من دونها الشيء الذى وراءها. وهذا التفسير فى مَلَكْتُ تفسير القدماء. ويجوز أن يكون معنى «مَلَكْتُ بها كَفَى» أى تَمَكَّنْتُ من فعلها، فأطَقْتُ تصريفَ كَفَى فى إيقاعها على مرادى. وهذا كما يقول^(١): أنا أَمْلِكُ هذا الأمر، إذا كان قادِرًا عليه. وكأنه أشار بهذا الكلام إلى أن الطعنة لم تكن على دَهْشٍ واختلاس، ولكن عن تَمَكُّنٍ واقتدار. ويروى: «يُرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَنْ وَرَاءَهَا» و«ما وراءها» ومن روى «مَنْ وَرَاءَهَا» فالمعنى يُرَى مَنْ وَرَاءَهَا إذا كان قَائِمًا مِنْ دُونِهَا. ووراء ههنا بمعنى خَلْفَ، وإن كان يقع على الخَلْفِ والقُدَّامِ جميعا. وَمِنْ دُونِهَا، أى مِنْ قُدَّامِهَا. وبيت الأعشى على هذا، وهو قوله:

* تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهَى دُونَهُ^(٢)

أى تريك الخمرَةَ فى الزجاجة القَدَى مِنْ قُدَّامِهَا، وهى قُدَّامُ القَدَى؛

(١) فى النسختين: «تقول».

(٢) عجزه كما فى ديوان الأعشى ١٤٧:

* إذا ذاقها من ذاقها يتمطق *

أى تريك الزُّجاجة ما خلفها من قدامها لصفاء الحجرة فيها . ومعنى أَنهَرَتْهُ : وسَّعَتْهُ حتى جعلته كالنهر سعةً . والنهر نفسه سُمِّيَ بذلك لاتساعه . ومنه المنهَرَةُ ، وهى فضاء بين بُيُوتِ الحَيِّ يلقون فيه كَنَاسَتَهُمْ . وفى هذا الوصف سَرَفٌ مُسْتَنَكِرٌ وخروجٌ عن القصدِ مُسْتَهْجَنٌ . ويجرى نَجْرَاهُ فى الغلوة قول مُهْلِيل :

فلولا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ جَبْرِ صَلِيلِ الْبَيْضِ يُفْرَعُ بِالذِّكُورِ^(١)
واستعمل عنترَةُ لَفْظَ الإِنْهَارِ مع اقتصارٍ فقال :

أَنهَرْتُ لَبَتَهُ بِأَنْجَرَ قَانِي وَرَشَاشٍ نَافِذَةٍ عَلَى الْأَثَابِ
٣ - يَهُونُ عَلَى أَنْ تَرُدَّ جِرَاحُهَا عِيُونَ الْأَوَاسِي إِذْ حَدَّثَتْ بِلَاءُهَا

الأواسي : النِّسَاءُ المداويات للجراح ، والفعل منه أَسَوْتُ . ويقال للرجل الآسُونُ والأُسَاءُ . وإنما ذَكَرَ النِّسَاءَ لأنهم يَأْنِفُونَ من الصناعات ، ويعلمونها العبيد والإماء وحرائر النساء أحياناً ، إذ لم يكنَّ فى غايةِ بَعِيدَةٍ من الشَّرَفِ . وقوله « أَنْ تَرُدَّ » موضعه رَفَعٌ على أَنه فاعِلٌ يَهُونُ . و « إِذْ حَدَّثَتْ » ظَرْفٌ لِيَهُونَ ، وهى حكاية حالٍ ماضية . والمعنى : يَخْفُ عَلَى رَدِّ جِرَاحِ هذه الطعنة عيونَ النِّسَاءِ المداويات لها ، إِذْ حَدَّثَتْ أَثَرُهَا فيها . وبلاءها ، يجوز أن يكون المراد بِلَافٍ فيها ، ويجوز أن يريد بِلَالِهَا شِدَّتَهَا وفضاعتها . والمصادر تُضَافُ إلى الفاعِلين والمفعولين جميعاً .

٤ - سَاعَدَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ زُهَيْرٌ فَأَدَى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا^(٢)

(١) انظر البيان (١ : ١٢٤) والحيوان (٦ : ٤١٨) ونقد الشعر ٨٤ ، والموشح ٧٤ ، والعمدة (٢ : ٧٠) والأغاني (٤ : ١٦٤) .

(٢) التبريزي : « خدش فادى » . وروى من الخبر : أن خدش بن زهير كان للخطيم والد قيس عنده يد ، فدل قيساً على قاتل أبيه وأعاناه عليه ومكنه من أن ينال ثأره . وقد ساق الأمدى فى المؤلف ١٠٧ نسب خدش ، وهو خدش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن عامر بن صعصعة .

يجوز أن ينتصب نعمة على الحال ويكون مفعول أدّى محذوفاً كأنه قال : فأذاها نعمةً ويداً يستحق عليها شكراً ، ويجوز أن ينتصب على أنه مفعول أدّى ، ويكون المعنى : ساعدنى في هذه الطعمة زهير بن عمرو ، فأدّى صنيمة كانت لى عنده بمساعدته ، واتخذها مغنياً لنفسه أيضاً . ويجوز أن يكون أفاءها من النىء : الغنيمة ، وهذا قول أبى عبيدة . ويجوز أن يكون أفاءها من النىء : الرجوع ، أى أذاها ورجعها إلى مضطئنها ، لأن الأيدى قروضٌ في الصالحين .

٥- وكنتُ أمراً لا أسمعُ الدهرَ سبّةً أَسْبُها إلا كَشَفْتُ غِطاءَها^(١)

يُرْوَى « لا أسمعُ » و « لا أسمعُ » . ومن الغطاء قيل غطاء الليل ، وغطا عليهم الشر وغيره . يقول : كنت رجلاً لا أعيرُ شيئاً طول الدهر إلا بينتُ للناس براءةً ساحقاً منه . وحقيقهُ « كَشَفْتُ غِطاءَها » أى لم أترك الشبهة ملتبسةً على سامعها ، فكان يتردد بين تصديقها وتكذيبها ، بل أبنتُ أمرها^(٢) وأظهرت وجهها ، حتى بان للناس اختلاقُ السابِّ بها ، وكذابه فيها . والشبهة كالنُفْة والنُفْة وما أشبهها . وذهب بعضهم إلى أن المعنى : إذا رُميت بعتيبٍ كان حقاً على تحوُّه عن نفسه ، بما استأنفه من سَفَى . والأول أحسن .

٦- متى باتَ هذا الموتُ لا تَبْقَ حاجةٌ لِنَفْسِي ، إلا قد قَضَيْتُ قَضَاءَها^(٣)

(١) روى التبريزى بعنه هذا البيت :

فإنسى في الحرب الضروس موكلاً

بإقدام نفسٍ ما أريد بقاءها

وقال في تفسيره : « الضروس : الشديدة ، من ضرس البئر ، وهو طيبها بالحجارة . ويروى : العوان ، وهى التى قوتل فيها مرة بعد مرة » . ثم روى بعد هذا البيت للزائد ، البيت رقم ٧ لرواية « إذا ما اصطبحت أربعاً » .

(٢) م : « بأن أبنت أمرها » .

(٣) روى هذا البيت عند التبريز مؤخرأ عن تاليه ، ثم روى بعدها :

يُرْوَى « لَا يُلْفِ حَاجَةً » عَلَى أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ الْمَوْتُ ، وَ « لَا تَلَفَ حَاجَةً » عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ ، أَيْ لَا تَوْجِدَ . يَقُولُ : أَجْتَهِدُ فِي إِدْرَاكِ الْأَثَارِ ^(١) ، وَطَلَبِ الْأَوْتَارِ ، قَبْلَ دُتُورِ الْأَجْلِ ، فَتَى جَاءَ الْمَوْتُ لَا يَجِدُ حَاجَةً تَتَمَلَّقُ نَفْسِي بِهَا قَبْلُ إِلَّا وَهِيَ مُقْضِيَّةٌ . وَمَعْنَى « قَضَيْتُ قَضَاءَهَا » أَيْ فَرَعْتُ مِنْهَا كَقَضَائِي لِأَمْثَالِهَا . وَقَوْلُهُ « هَذَا الْمَوْتُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصَوُّرُهُ [حَاضِرًا] ^(٢) لِمَعْرِفَتِهِ بِإِدْرَاكِهِ لَا مُحَالَةٍ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِدَوَامِ اسْتِفْقَالِهِ وَتَحَدُّثِهِ بِمَجِيئِهِ ، وَكَوْنِهِ مِنْ هَمِّهِ ، أَشَارَ إِلَيْهِ عَلَى جِهَةِ التَّقْرِيبِ لَهُ .

٧- إِذَا مَا شَرِبْتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِثْرِي وَأَتَبَعْتُ دُلُوبِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا ^(٣)

يَقُولُ : إِذَا شَرِبْتُ أَرْبَعَةً أَكُوسٍ جَرَرْتُ مِثْرِي ، فَأَثَرٌ فِي الْأَرْضِ خَيْلَاءٌ وَكِبْرًا ، وَتَمَّتْ مَا بَقِيَ عَلَى مِنَ السَّمَاحِ فِي حَالِ الصَّخْرِ ، كَانَ مَعْظَمُهُ فَقَلَهُ صَاحِبًا ، وَالباقى مِنْهُ تَمَّتْ فِي حَالِ الشُّكْرِ . وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرِي بِجَرَى الْمَثَلِ الْمَعْنَى الَّتِي بَيَّنْتُ . حَكَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : « أَتَبِعَ الْفَرَسَ لِحَامَتِهَا » ، وَ « أَتَبِعَ الدَّلُورَ رِشَاءَهَا » ، أَيْ تَمَّ مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِكَ . وَكَانَ يُضْرَبُ لِمَنْ جَادَ بِالْكَثِيرِ وَتَرَكَ الْقَلِيلَ الْحَقِيرَ . وَهَذَا أَجُودُ مِنْ قَوْلِ عَنُتْرَةَ الْعَبْسِيِّ ، وَإِنْ

- ثَارَتْ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أَصْبَحْ . وَلا يَتَأَخَّرُ أَشْيَاخُهُ جُمِعَتْ إِزَامُهَا .
وَقَالَ فِي تَفْسِيرِهِ : « ثَارَتْهُ : طَلَبْتُ بَشَارَهُ ثَارًا . وَالثَّارُ : الْمَصْدَرُ . وَالثَّارُ : الْمَطْلُوبُ بِالْذِّمِّ ، سَمِيَ بِالْمَصْدَرِ . يُقَالُ فَلَانِ الثَّارُ الْمَنْعَمُ ، أَيْ هُوَ الَّذِي إِذَا قُتِلَ أَتَانَا طَالِبُ الدِّمِّ عَنْ الطَّلَبِ . وَالمُنْتَوَرُ بِهِ : الْمُقْتُولُ . وَالثَّوْرَةُ : الْمَصْدَرُ عَلَى فِعَالَةٍ . قَوْلُ الشَّاعِرِ :
طَلَلَتْ بِهِ ثَارِي وَأَدْرَكَتْ ثَوْرِي بَنِي عَامِرٍ هَلْ كُنْتُ فِي ثَوْرِي نَكْسَا
وَقَوْلُهُ : جَعَلْتُ إِزَامَهَا ، جَعَلُونِي أَقْوَمَ بِهَا . مِنْ قَوْلِكَ : فَلَانِ إِزَامَ مَالٍ ، إِذَا كَانَ يَقُومُ بِإِصْلَاحِهِ » .

(١) آثَارٌ مَقْلُوبٌ أَثَارٌ ، جَمْعُ ثَارٍ . كَمَا فِي اللِّسَانِ .

(٢) التَّكَلُّفُ مِنْ م .

(٣) التَّبَرُّزِي : « إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا » كَمَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ .

كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كذوم ، وقول عنتره :
 وإذا انتشيت فإني مُستَهلكٌ مَالِي وَعِرْضِي وَإِفْرٌ لَمْ يُكَلِّمْ
 وإذا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكَرُّمِي
 وبیت عمرو :

مُشْفَعَةٌ كَأَنَّ الْحَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا

لأنّ هذا قال : إنا نتسخى إذا شربنا الخمر ممزوجة . وما قاله عنتره في بيتين
 أشار إليه قيسٌ في مِصْرَاع . وكان ابنُ الأعرابي يذهب في قوله « سخينا » إلى
 أنه يقال ماء مُسَخَّنٌ وَسَخِينٌ ، وإن كان فعيلٌ في معنى مُفْعَلٌ قليلا . وانتصب
 عنده على أنه حال الماء . ويكون المراد على طريقته : كَأَنَّ الْحَصَّ فِيهَا إِذَا مُرِجَ
 بماء سخين . وهذا لِهَرَبِهِ مِمَّا اسْتَقْبَحَهُ النَّاسُ . وهو حَسَنٌ ، لكنّه يقتضى أن
 يكون بلادهم صُرُوداً^(١) .

٣٧

الحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيُّ^(٢) :

وهو أخو أبي جهلٍ لعنه الله . وكان هرب يوم بدرٍ لما أنزل الله تعالى
 لِلنَّصْرَةِ عَلَى رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

١ - اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرِ زُبَيْدٍ

(١) الصرود : البلاد الباردة ، يقابله الجروم ، وهي البلاد الحارة .

(٢) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، كان شريفاً مذكوراً ،
 شهد بدرًا مع المشركين وكان فيمن انهزم ، فعيره حسان بقوله :

إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا الَّذِي حَدَّثَنِي فَجَنُوتٌ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولحام

فأجابه الحارث بهذه الحماسة ، ثم شهد أحداً مشركاً أيضاً ، ثم أسلم يوم فتح مكة ،
 واستشهد يوم اليرموك . الإصابة ١٥٠٠ والسيرة في غير ما موضع .

أخذ يستشهد برّبه ، ويتنصل من هربه ، بأنّه لم يأتِه إلّا بعد غلبة اليأس من نفسه عليه إن ثبت ، وإلّا بعد أن ضُرِّج بالدم الشامل له وقرّسه . ومثله قول مهمل :

لَمْ أَرِمَ حَزْمَةَ الْكُتَيْبَةِ حَتَّى حُدِيَ الْوَزْدُ مِنْ دُمِّي نِعَالاً^(١)
وهذا قاصِرٌ عن درجة ما تقدّم ، لأنّه يعتذر مما آثره من الحرب في وقته ، وذلك أوردّه مورد المتبجّج ، وأنّه خلّقه ومذهبه ، لعلّه بمصادر الحروب ومواردها . وقوله : « الله يعلم » لفظه لفظ الخبر ، والقصد إلى الحلف ؛ لأنّه يستشهد برّبه فيقول : علم الله ما تركتُ مقاتلتهم ، حتّى جرحوني فسال مني على فرسي دمّ أشقر كثير ، علاه زبد .

٣ - وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلَ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي^(٢)

أراد : وحتى علمت . وإنما أطلق لفظة علمت لارتفاع الشبه عن اعتقاده ذلك^(٣) . وانتصب واحداً على الحال ، والمعنى منفرداً ، وواحدٌ هاهنا صفة ، والمعنى : وحتى تيقنت أني إن ثبت في وجوههم ، وأنصب منفرداً لمقاتلتهم قتل ، ولا يضرّ حضوري أعدائي . وتبه بقوله : « ولا يضرّ عَدُوِّي مَشْهَدِي »

(١) الذي : جمع دم . وفي م : « من دماء » وهما بمعنى .

(٢) روى التبريزي بيتاً بين هذا وسابقه ، وهو :

وَسُمِّمْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تَلْقَائِهِمْ فِي مَازِقِ الْخَيْلِ لَمْ تَتَبَدَّرْ

قال التبريزي : « ويروي : وجدت . وهو مثل ، ومعناه أنه غلب ظنه أنه لو وقف قتل . والتلقاء ، مأخوذ من لقيت ، فيجوز أنه يستعمل في معنى اللقاء . وعلى ذلك حملوا قول الراعي :

أملت خبرك هل تأتي مواعده فالיום قصر عن تلقائك الأمل

وأكثر ما يستعمل تلقاء في معنى نحو الشيء ، كما جاء في الكتاب العزيز : تلقاء أصحاب النار . أي نحوهم .

(٣) هذا الصواب من م والتبريزي . وفي الأصل : « لإيقاع الشبه على اعتقاده ذلك » .

أنه لو كان في ثباته ضَرَرُ عَدُوٍّ لثَبَتَ في وجهه ، ولم يُبَالِ بِقَتْلِهِ . وقوله « عَدُوِّي » يفيد الكثرة وإن كان لفظُهُ مُوَحَّدًا .

٣- فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةَ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ سَرْمَدٍ^(١)

يقال : صَدَّ فُلَانٌ عَنِّي ، إذا صَرَفَ وَجْهَهُ صَدُودًا ، وصددته أنا عن كذا صَدًّا . وَخَكِي أَصَدَدْتُهُ ، وليس بشيء . يقول : أَعْرَضْتُ عَنْهُمْ وَدُمَاؤُهُمْ وَأَسْرَاؤُهُمْ فِيهِمْ ، ولم أَتْلُهَا ولم أَظْفَرْ بِهَا . وهذا يدلُّ على أنه كان مَوْتُورًا . وإنما حاربَهُم لَطَلَبِ دِمَاءٍ كانت له فِيهِمْ . وقوله « الْأَحِبَّة » على هذا التفسير يجب أن تكون أَحِبَّتَهُمْ . ويجوز أن يريد بِالْأَحِبَّةِ أَحِبَّةَ نَفْسِهِ ، ويكون المراد : ودماء أَحِبَّتِي وَأَسْرَائِي فِيهِمْ . وقوله « طَمَعًا » انتصب على أنه مفعول له ، وهو الذي يَسْمَى مُصَدِّرًا لِمَعْلَةٍ . والمعنى : فعلت ذلك لطمعي في أن يُعْقِبَ اللَّهُ تَعَالَى لِي يَوْمًا يُرْصِدُ الشَّرَّ لَمْ ، ويمكنني منهم ، فأتهمزُ الْفُرْصَةَ وَأُرَوِي الْقُلَّةَ^(٢) . ويقال : رَصَدْتُ فُلَانًا بِالْمُكَافَاةِ ، وَرَصَدْتُ لَهُ أَيْضًا وَأُرْصَدْتُهُ ، وَأَنَا مُرْصِدٌ لِفُلَانٍ بَمَا كَانَ مِنْهُ حَتَّى أَكَافِيَهُ . ويجوز أن يكون انتصاب « طَمَعًا » على أنه مُصَدِّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، والتقدير : صددت عنهم طامعًا . والعقاب يجوز أن يراد به العاقبة ، ويجوز أن يراد به المُكَافَاةُ . يقال : أولاهُ خَيْرًا فَقَعَبَهُ بِشَرٍّ ، عُقْبَةً وَعِقَابًا وَعُقْبَى . وإذا كان لِلْفَرَسِ بعد انقطاع جريه جَمَامٌ قيل له عِقَابٌ ، وهو من ذَاكَ . ومن روى « يَوْمِ سَرْمَدٍ » فَالسَّرْمَدُ قال الخليل : هو دوام الزَّمانِ واتصاله من لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، واستدلَّ بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، فيكون المعنى : بعقابٍ يَوْمٍ طَوِيلٍ .

(١) كان حقه أن يثبت في المتن رواية « مرصد » لأنها الرواية التي جعلها أساسا في التفسير ، كما صنع التبريزي من جملة رواية « مرصد » أساسا في المتن والتفسير .

(٢) هذا ما في م . وفي الأصل : « غليل » .

يَقْتَصِلُ زَمَانُهُ ، وَيَمْتَدُّ بِلَاؤُهُ . وَأَيَّامُ النِّعَمِ وَالْحَنَةِ تَوْصَفُ بِالطُّوْلِ ، وَلِهَذَا قِيلَ :
مَعَى لِفْلَانٍ يَوْمٌ كَأَيَّامٍ ، وَشَهْرٌ كَدَهْرٍ .

٣٨

قال الفرارُ السلمى ^(١) :

١ - وَكِتَبِيَّةٌ لَبَسَتْهَا بِكِتَبِيَّةٍ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِي

هذا يَقْبَحُ بِأَنَّهُ مِثْلُ شَرِّ وَأَذَى ، وَجَمَاعٌ بَيْنَ كِتَابَتَيْنِ شَتَّى تَتَقَاتَلُ مِنْ
دُونِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ هُوَ مِنْ بَيْنِهِمْ غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا يُجْرُونَ إِلَيْهِ ، وَلَا مُفَكِّرٍ فِي مَا يَنْتُجُ مِنْ
الشَّرِّ فِيهِمْ . فيقول : رَبِّ كِتَبِيَّةٍ خَلَطْتُهَا بِكِتَبِيَّةٍ ، فَلَمَّا اخْتَلَطَتْ نَفَضْتُ يَدِي
مِنْهُمْ وَلَمْ ، وَخَلَيْتُهُمْ وَشَأْنَهُمْ . وَكِتَبِيَّةٌ ، الْحَقُّ الْمَاءُ بِهَا لِأَنَّهُ جُعِلَ اسْمًا ، وَهُوَ
مَنْ كَتَبْتُ أَى جَمَعْتُ . وَتَوَسَّعُوا فِي النَّفْضِ - وَأَصْلُهُ الْإِلْقَاءُ وَالْإِمَامَةُ -
فَقِيلَ : نَفَضْتُ الْيَدَ مِنْ فُلَانٍ وَلِفْلَانٍ أَشَدَّ النَّفْضِ ، إِذَا وَكَلْتَهُ إِلَى نَفْسِهِ ،
يَأْتِيَا مِنْ رَجَعَتَهُ ، وَفِي ضِدِّهِ يَقَالُ : قَبَضْتُ عَلَيْهِ كَفِّي ، وَجَمَعْتُ عَلَيْهِ يَدِي .
وَقَدْ قَالُوا : نَفَضْتُ الطَّرِيقَ أَيْضًا ، وَفَرَّقْتُ النَّفْضَةَ فِي الطَّرِيقِ . وَذَكَرَ
بَعْضُهُمْ ^(٢) أَنَّ قَوْلَهُ : « حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي » وَ« بِهَا يَدِي » ،
الْمُرَادُ بِهِ قَعَمْتُ فَرَسِي بِسَوْطِي ، كَأَنَّهُ لَمَّا ضَرَبَ فَرَسَهُ إِنَّمَا نَفَضَ يَدَهُ . يَصِفُ
سُرْعَةَ ضَرْبِهِ بِالسَّوْطِ ، وَأَنَّهُ لَا كُنْفَةَ عَلَيْهِ بِهِ . قَالَ : وَهَذِهِ السَّرْعَةُ مُسْتَحَبَّةٌ
فِي ضَرْبِ السَّوْطِ ، كَمَا يَسْتَحَبُّ فِي الْعَمَلِ بِالسَّلَاحِ . وَمَنْ رَوَى « بِهَا » يَجُوزُ أَنْ

(١) الفرار شاعر مخضرم ، أدرك الجهادية والإسلام ، واسمه حيان (ويقال حيان) بن
الحكم . أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم رايةً سالمٍ يوم الفتح ثم نزعها منه وأعطاهما
يزيد بن الأخنس . وكان الفرار من شهد حنيناً . وسليم ، بالتصغير : اسم قبيلة . انظر
الإصابة ١٥٥١ .

(٢) يعنى بذلك ابن جنى ، والنص الذى نقله المرزوق مثبت فى كتاب التنبيه لابن جنى .

يُرِيدُ الْمَخْصَرَةَ . انْتَهَتْ الْحِكَايَةُ عَنْهُ . وَالتَّعَجُّبُ مِنْ إِدْرَاكِ هَذَا الْمَعْنَى يَمْنَعُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ . فَسَبَّحَانِ مِنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ .

٢- قَتَرَكْتُهُمْ تَقْصُ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ
قوله « تَقْصُ » أى تَكْسِرُ فى موضع الحال لم . وكذا قوله « من بين مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ »
يقول : فارقَتُهُمُ الرِّمَاحُ تَخْتَلِفُ بِالطَّعَنِ بَيْنَهُمْ ، وَتَكْسِرُ ظُهُورَهُمْ ، فَهُمْ مِنْ بَيْنِ مَصْرُوعٍ أُلْقِيَ فِي الْعَفْرِ ، وَهُوَ التُّرَابُ ، وَآخَرَ مَطْعُونٍ أَوْ مَجْرُوحٍ ، وَقَدْ أُسْنِدَ إِلَى مَا يُبَسِّكُهُ وَبِهِ رَمَقٌ .

٣- مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ قُتِلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ لَا تَبْعُدُ^(١)
قول « ما كان » يجوز أن يكون ما استفهاماً وكان تَجَمُّلُهُ الْفَائِضَةُ ، وَيجوز أن يكون نَفْيًا وَتَجَمُّلُ كَانَ مُؤَكِّدَةً ، وَنَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ لَمْ يَنْفَعُهُ الثَّبَاتُ . فيقول : أَيْ شَيْءٌ كَانَ يَنْفَعُنِي قَوْلُ التَّوَادِبِ لِي لَا تَبْعُدُ وَقَدْ قُتِلْتُ . وَمَعْنَى لَا تَبْعُدُ : لَا تَهْلِكُ . يُقَالُ بَعُدَ ، إِذَا هَلَكَ ، وَبَعُدَ ، إِذَا نَأَى . وَكَانُوا يَدُلُّونَ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ عِنْدَ النَّدْبَةِ بِهَا عَلَى مَسَاسِ الْحَاجَةِ إِلَى حَيَاةِ الْمُنْدُوبِ ، وَقِلَّةِ الْإِسْتِفْنَاءِ عَنْهُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْوَجْهَ أَنْ يُنْدَبَ بِهِ مَنْ كَانَ مُحْمُودَ الْحَيَاةِ ، وَغَرِيزَ الْفَقْدَانِ . وَقَوْلُهُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ « نَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ لَكَانَ يَدْفَعُ وَجْهَ السَّكْتِيَّةِ ، وَيَصِيرُ وَاقِعًا لِأَصْحَابِهِ ، وَحَائِلًا بَيْنَ الْأَعْدَاءِ وَبَيْنَهُمْ ، فَلَا يُمْكِنُهُمْ تَجَاوُزُهُ إِلَّا وَقَدْ فَرَّغُوا مِنْهُ . فَلِهَذَا قَالَ « وَقُتِلْتُ خَلْفَ رِجَالِهِمْ » . وَمَوْضِعُ « لَا تَبْعُدُ » وَهُوَ حِكَايَةُ ، رَفَعُ أَوْ نَصَبُ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ أَوْ مَفْعُولٌ مِنَ مَقَالِ نِسَائِهِمْ . وَقَوْلُهُ وَقُتِلْتُ ، فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلْمُضْمَرِ فِي يَنْفَعُنِي ، وَالْعَامِلُ فِيهِ مَقَالُ أَيْضًا ، وَخَلْفَ رِجَالِهِمْ حَالٌ لِلْمُضْمَرِ فِي قُتِلْتُ .

٣٩

وقال بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ^(١) :

١- يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسٍ بَنِ وَهْبٍ بِأَسْفَلِ ذِي الْجَدَاةِ يَدَا الْكَرِيمِ^(٢)

إنما عُدِّي يَدَيْتُ بَعْلِي ، لأنه أُجْرِي مجرى أَنْعَمْتُ . وهم يَحْمِلُونَ النَّظِيرَ عَلَى النَّظِيرِ ، كما يَحْمِلُونَ النَّقِيبُضَ عَلَى النَّقِيبِضِ . وقال الأَخْفَشُ : يقال يَدَيْتُ عِنْدَهُ وَأَيْدَيْتُ جَمِيعًا ، إِذَا اتَّخَذْتَ عِنْدَهُ صَدِيقَةً ، وَإِنْ كَانَتْ أَيْدَيْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَشْهَرُ مِنْ يَدَيْتُ ، لِأَنَّ يَدَيْتُ اشْتَهَرَ فِي أَصَبْتُ يَدَهُ ، كما تقول : رَأْسُهُ وَوَجْهَتُهُ وَصَدْرَتُهُ ، إِذَا أَصَبْتَ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ مِنْهُ . ومعنى هَذَا الْبَيْتِ : اتَّخَذْتُ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ بِهَذَا الْمَكَانِ يَدًا غَرَاءً ، وَصَدِيقَةً شَرِيفَةً ، مِثْلُهَا يَفْعَلُهُ الْكَرَامُ . وقوله : « يَدَا الْكَرِيمِ » نَبْهٌ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ يَدَيْتُ يَدَيًا ، مِثْلُ جَرَيْتُ جَرِيًا ، لَكِنَّهُ وَضَعَ الْيَدَ مَكَانَهُ . فَإِنْ قِيلَ : مَا تُفَكِّرُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدَثِ ، وَقَدْ حُذِفَ لَامُهُ كَمَا حُذِفَ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ ؟ قلت : اسْمُ الْحَدَثِ لَمْ يَكُنْ كَثْرَةً اسْمُ الْعَيْنِ ، وَإِذَا كَانَ حُذِفَ اللَّامُ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ حُذِفَ لِكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْحَدَثِ الَّذِي لَمْ

(١) هو معقل بن عامر الأسدي . ذكر التبريزي من سبب الشعر « أن معقل بن عامر الأسدي أخا حضرمي بن عامر ، وهو فارس الدهماء ، مر يوم جبلة على ابن الحسحاس بن وهب الأعيوي وهو صريع ، فاحتمله إلى رحله وداواه حتى برئ ، ثم كساه وأداه إلى أهله » .
(٢) الجداة ، بالذال المهملة هي رواية الأصل ومعجم البلدان . قال ياقوت : « موضع في بلاد غطفان » . وفي م والتبريزي : « الجداة » بالذال المعجمة . وذكر ياقوت أنها لغة في « الجماء » بالذال المهملة ؛ ومهما يكن فالكلمة مفتوحة الجيم . لكن نقل التبريزي عن تخري أن الرواية المشهورة « الجداة » بكسر الجيم . وابن حسحاس ، نقل التبريزي أنه يروي : « ابن حسحاس » .

يكثّر استعماله لا يجري مجراه . وقوله : « ابن حَسْحاسٍ » من الحَسْحَسَةِ ، وهو إحراق الجلد بالنار .

٢ - قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الْحَمَاءِ لَمَّا شَهِدْتُ وَغَابَ عَنْ دَارِ الْحَمِيمِ الْقَصْرُ : الْحَبْسُ وَالرُّدُّ ، وَمِنْهُ الْقَصْرُ وَالْقَصَارَى : الْغَايَةُ . وَالْحَمَاءُ : تَأْنِيثُ الْأَحْمِ ، وَهُوَ الْأَسْوَدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْحَمَمُ : الْفَحْمُ . وَجَارِيَةُ حُمَمَةٍ ، أَيْ سَوْدَاءَ . وَهَذَا تَفْسِيرُ النَّعْمَةِ الَّتِي آتَاكَهَا عَنْده . فَيَقُولُ : لَمَّا وَجَدْتَهُ جَرِيحًا ، وَفِي الْمَرَكَةِ طَرِيحًا ، قَدْ غَابَ عَنْهُ ذُووهُ وَالْمَشْفِقُونَ عَلَيْهِ ، حَبَسْتُ عَلَيْهِ فَرَسِي فَأَرْدَفْتُهُ . وَجَوَابُ لَمَّا مَقْدَمٌ ، وَهُوَ قَصَرْتُ . كَأَنَّهُ قَالَ : لَمَّا رَأَيْتَهُ كَذَا حَبَسْتُ عَلَيْهِ فَرَسِي . وَحَذَفَ مَفْعُولُ شَهِدْتُ لِأَنَّهُ أَمِنَ الْإِلْتِبَاسَ . وَقَوْلُهُ : « وَغَابَ عَنْ دَارِ الْحَمِيمِ » كَانَ وَجْهُهُ أَنْ يَقُولَ : لَمَّا شَهِدْتُهُ وَغَابَ حَمِيمُهُ ، لَكِنَّ الْمَعْنَى لَا يُخِيلُ^(١) . وَالْحَمِيمُ : الْقَرِيبُ الْمُشْفِقُ . وَالْحَامَةُ : خَاصَّةُ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ ، وَيُقَالُ هُوَ الْأَحْمُ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ^(٢) ، أَيْ الْأَخَصُّ .

٣ - أَبْنَيْتُهُ بَأَنَّ الْجُرْحَ يُشْوِي وَأَنْتَ فَوْقَ عِجْلَزَةٍ جُومِ هَذَا مِمَّا تَمَّ بِهِ الصَّنْعَةُ عَنْده ، بَعْدَ أَنْ ارْتَدَفَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَلَّاهُ بِقَوْلِهِ « الْجُرْحُ يُشْوِي » ، وَمَنَاهُ بِقَوْلِهِ « وَأَنْتَ فَوْقَ عِجْلَزَةٍ جُومِ » . وَيُقَالُ : رَمَاهُ فَأَشْوَاهُ ، إِذَا أَصَابَ غَيْرَ الْمَقْتُلِ . وَالْجُومُ : الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ جَرْيُهُ . وَالْعِجْلَزَةُ : الضَّلْبَةُ . وَبَنَزْتُ جُومًا مِنْ هَذَا ، لِأَنَّ مَاءَهَا يُغَوِّرُ أَحْيَانًا ثُمَّ يَعُودُ وَيَفْزُرُ . وَالْمُرَادُ : أَنَّ تَبْلِيغَكَ لِلأَمْنِ بِهِ سَهْلٌ ، وَأَنَّ مَا بَكَ^(٣) مِنَ الْجُرْحِ هَيِّنٌ .

(١) يُقَالُ أَخَالَ الشَّيْءُ : اشْتَبَهَ ، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يُخِيلُ عَلَى أَحَدٍ ، أَيْ لَا يَشْكَلُ . الْإِنْسَانُ .

(٢) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْ ذِي قَرَابَةٍ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مَا بَانَ » ، صَوَابُهُ مِنْ م وَالتَّجْرِيزُ .

٤ - وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ مَكَانَ الْفَرَقْدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ

يُبَيِّنُ بهذا أنه تَبَرَّعَ بما فعلَ ، وأنه لم يَلِزمه لزومَ الواجب الذي لا يَسُوغُ الإخلالُ به ، فيقول : لو شئت لبعدتُ منه بُعدَ الفرقدين من النُّجُومِ السَّيَّارَةِ ، وهي التي يحلُّ فيها النَّيِّرَانِ ، والفرقدان لاحتولَ فيه ^(١) ، وهذا يجري مجرى قولِهِمْ : « هو مِنِّي مَنَاطُ الثُّرَيَّا » في أن المراد به التَّبعيد ، ويجوز أن يريد بُعدتُ منه بُعدَ الفرقدين ، ثم بيَّن أن الفرقدين من النجوم ، فيكون من النجوم تبيينًا ، كقوله تعالى ﴿ فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ ﴾ . ويجوز أن يريد بالنجوم نبات الأرض ، لأنَّ كلَّ ما طَلَعَ فقد نَجِمَ ، ويكون المعنى بُعَدَ الفرقدين من الأرضِ ومنابتِها ، ويكون في هذا المعنى شبه إلتغازٍ فيضُفُّ .

٥ - ذَكَرْتُ تَعَلَّةَ الْفَتَيَانِ يَوْمًا وَلِخُطَايَ الْمَلَامَةِ بِالْمَلِيمِ

يُبَيِّنُ بهذا الكلام أنه اتقى بما فعلَ تَوَجَّهَ الذَّمُّ إليه من الناس ، فيقول : أخطرتُ ببالي ما يتعلَّلُ به الفتیانُ في محافِلِهِمْ ومجالِسِهِمْ ، وتقبيحِهِمْ من أخبارِ الناس ما يُستحقُّ بفعله أو بتركِهِ عندهم ذَمٌّ ، فيلجِئُون بِهِ اللَّوْمَ ، وبهيجُونَهُ في أحكامِ الفتوَةِ . ومصدرُ قوله « ذَكَرْتُ » الذُّكْرُ بضم الدال لأن هذا كان بالقلب ، والذُّكْرُ بكسر الدال باللسان . والمَلِيمُ : الذي يَأْتِي بما يَلَامُ عليه . قوله « تَعَلَّةٌ » مصدرُ علَّتهُ ، فهي كالْتَقْدِمة والتكرمة . ويجوز أن يكون تسميتهم للمعلَّل ، وهو يَوْمٌ من أيام العَجُوزِ ، من هذا ، كأنه يعلِّلُ النَّاسَ بشيء من تخفيف البرد .

(١) قول الفرقدين لتلازمهما منزلة المنرد .

٤٠

وقال الشداخ بن يعمر الكِنَانِيُّ^(١) :

١ - قَاتِلِي الْقَوْمَ يَا خُزَاعُ وَلَا يَدُ خُلُكُم مِّنْ قِتَالِهِمْ فَشَلُّ^(٢)

يُرَوَّى « قَاتِلُوا » و « قَاتِلِي » على اللفظ مرّة وعلى المعنى أخرى ، وجعل النَّهْيَ فِي اللَّفْظِ لِلْفَشَلِ ، وَالْمُرَادُ لَا تَفْشَلُوا . وهذا بَمَثُوتٍ وَتَحْضِيضٍ ، فيقول : حَارِبِي^(٣) أَعْدَاءُكَ^(٤) يَا خُزَاعَةُ ، وَلَا يَتَدَاخِلُكُمْ الْجُبْنُ وَالضَّعْفُ مِنْهُمْ . وَخُزَاعَةُ ، قال الخليل : هو من خَزَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ إِذَا تَخَلَّفَ ، لَأَنَّهُمْ تَخَلَّفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ بِمَكَّةَ أَيَّامَ سَبِيلِ الْعَرَمِ .

٢ - الْقَوْمُ أَمَّا أَلَيْسَ لَكُمْ شَعْرٌ فِي الرَّأْسِ لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا^(٥)

يَبَيِّنُ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُمْ نَاسٌ كَمَا أَنَّ خُزَاعَةَ نَاسٌ ، فيقول : لَا تَهَابُوهُمْ فَإِنَّ خِلَقَتَهُمْ كَخِلَقَتِكُمْ ، وَإِنَّهُمْ إِذَا قُتِلُوا لَمْ يَحْيَوْا مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَيَرْجِعُوا إِلَى الْقِتَالِ . هذا

(١) الشداخ بن يعمر الكناني ، شاعر جاهلي ، من بني كنانة بن خزيمه . وكان من خبر هذه الأبيات كما روى التبريزي ، أنه كان بين بني كنانة وخزاعة حلف على الناصر والتعاقد على سائر الناس ، فاقتتلت خزاعة وبني أسد فاعتلتها بني أسد ، فاستعانت بخزاعة ببني كنانة ، فذكر الشداخ قرابة بني أسد ، فغذل كنانة عن نصرة خزاعة ، وبهذا السبب انحدرت بني أسد من تهامة إلى نجد غضبا على بني كنانة إذ لم تنصرهم .

(٢) ابن جني : « هذا الشعر من البحر المنسرح ، وإنشاده على هذا الظاهر يكمره ، وذلك أن أول المنسرح لا يجوز فيه فاعلن ، ويروى : فقاتلي ، وإذا روى هكذا كان وزنه مفاعلن ، وهذا جائز فيه ، لأنه خبن مستفعلن » .

(٣) م : « جازي » .

(٤) في الأصل : « أعدائي » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٥) ابن جني : « وضع الرأس موضع الرؤوس كقوله :

* في حلقكم عظم وقد شجينا *

مبالغة في الاستحاث والتجسير . وجعل قوله : « لَهْمُ شَعْرُ الرِّأْسِ » بما بعده ، تفسيراً للمائلة وتبييناً . وجواب إن قُتِلُوا فيما تقدّم عليه .

٣- أَكَلَمَّا حَارَبْتَ خُرَاعَةً تَحْدُوْنِي كَأَنِّي لِأَهْمِمْ جَمَلٌ

قوله « كأني لأهمهم » في موضع الحال ، أي تحدونني مُشَبَّهًا بجمال لأهمهم . وكَلَمَّا ظَرَفْتُ لقوله تجدونني . وكأنّه قال : تحدونني خُرَاعَةً كَلَمَّا حَارَبْتَ ، أي تسوقني لنصريها والدفاع عنها ، كأني ناضح لأهمهم يُسْتَقَى عليه الماء ، فيقال له أَقْبِلْ بِالْدَّلْوِ وَأَذْبِرْ . وذَكَرَ الْأَمَّ تغليظاً للقول وتخشينا . وقوله « أَكَلَمَّا » ، كأنّه أَقْبِلْ على إنسان بعد أن كان بَعَثَهُمْ وَجَرَأَهُمْ على قتال أعدائهم ، فقال على طريق الإنكار ما قال .

٤١

وقال الْحَصِينُ بْنُ الْحَمَامِ الْمَرِيُّ (١) :

١- تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

يجوز أن يكون هذا مثل قولهم : « الشَّجَاعُ مُوْتَى » . وفي طريقته قول الآخر :

أَكَنَّ الْجَبَانَ يُرْسَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ

(١) الحصين بن الحمام المري ، من مرة غطفان ، وهو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . والحمام ، بضم الماء ، قيل إنه عرق الحيل . وهو شاعر جاهلي مقل . قال أبو عبيدة : اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة : المسيب بن علس ، والمتلمس ، وحصين بن الحمام المري . والشعراء ٦٣٠ والاشتقاق ١٧٦ والاستيعاب وأسد الغابة والإصابة ، والمؤتلف ٩١ والأغاني (١٢ : ١١٨ - ١٢٤) والخزانة ، (٢ : ٧ - ٣ / ٩ - ٣٥٢ - ٣٥٥) .

قَدْ تَذَرِكُ الْحَادِثُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَطْلَانُ
ومثله قول الآخر^(١) :

نُهِنُ النُّفُوسَ وَهُنُ النُّفُوسِ سِ يَوْمَ الْكَرْبَةِ أَوْقَى لَهَا
ويجوز أن يقول : أَحْجَمْتُ مُسْتَبَقِيًا لِعَيْشِي ، فلم أجد لنفسي عيشًا
كما يكون في الإقدام ، وذلك لأنَّ الأحدثنة الجميلة ، والنَّجَج عند الناس في
اللباغى الحميدة ، إنما يكون بالتقدم لا بالتأخر ، وبالاختار لا بالانحراف ، ومن
ذَكَرَ بِالْجَمِيلِ وَتُحَدِّثُ عَنْهُ بِالْبَلَاءِ الْحَسَنِ حَيَّيْ ذِكْرُهُ وَاسْمُهُ ، وَإِنْ ذَهَبَ
أَثَرُهُ وَجِسْمُهُ . وقوله : « حَيَاءٌ مِثْلُ أَنْ أَتَقَدَّمَ » معناه حياءٌ تُشَبِّهُ الحَيَاةَ
للكسبة في التقدم والتقدم .

٢- فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمِي كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدَّمُ^(٢)

أراد : لَسْنَا بِدَامِيَةِ الْكُلُومِ عَلَى الْأَعْقَابِ . ولو لم يجعل الإخبار عن أنفسهم
لَكَانَ الْكَلَامُ لَيْسَتْ كُلُّوْمُنَا بِدَامِيَةِ عَلَى الْأَعْقَابِ . فيقول : نتوجه نحو
الأعداء في الحرب ولا نغرض عنهم ، فإذا جُرِحْنَا كَانَتْ الْجَرَاحَاتُ فِي مُقَدِّمِنَا
لَا مُؤَخَّرِنَا ، وسالت الدِّمَاءُ عَلَى أَقْدَامِنَا لَا عَلَى أَعْقَابِنَا . وقوله « تَقَطَّرُ الدَّمُ »
إِذَا رُوِيَ بِالنَّاءِ كَانَ الْمَعْنَى تَقَطَّرُ الْكُلُومُ الدَّمُ ، فَيَكُونُ الدَّمُ مَفْعُولًا بِهِ . ويقال : قَطَرَ
الدَّمُ وَقَطَرَتْهُ ، وَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ ، وَإِنْ شُدَّتْ جَعَلَتِ الدَّمُ مَنْصُوبًا عَلَى التَّمْيِيزِ ،
كَأَنَّهُ أَرَادَ تَقَطَّرُ دَمًا ، وَأَدْخَلَ الْأَلِفَ وَاللَّامَ وَلَمْ يَتَدَبَّحْهُمَا ، كَقَوْلِ الْآخَرِ^(٣) :

* وَلَا بِفَزَارَةِ الشُّعْرِ الرَّقَابَا^(٤) *

(١) هو الخنساء ، كما سبق في حواشي ص ١٤٠ .

(٢) رواية ابن جني : « الدِّمَاءُ » بكسر الدال على أنه مقصور « الدِّمَاءُ » . وذكر ابن
جني في روايته أيضًا : « تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ » . من قولهم أَقْطَرَتِ الدَّمُ ، أى أَسْلَتْهُ .

(٣) هو الحارث بن ظالم المري . المفضليات (٢ : ١١٤) .

(٤) صدره : * فَا قَوْمِي بِثُعْلَبَةٍ بِنِ سَعْدِ *

ويجوز أن يُرْوَى « يَقْطُرُ الدِّمَا » بالياء ، ويكون الدِّمَا في موضع الرفع على أنه فاعِل يَقْطُرُ ، لَكِنَّهُ رَدَّهُ إِلَى أَصْلِهِ فَأَتَى بِهِ مَقْصُورًا وَإِنْ كَانَ الِاسْتِعْمَالُ يَحْذِفُ لَامِهِ . ومثل هذا البيت قولُ القُطَامِيِّ :

لَيْسَتْ تُجْرَحُ فُرَارًا ظُهُورُهُمْ وفي النحورِ كُلُّهُمْ ذَاتُ أَبْلَادٍ
٣ - نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعِزَّةٍ علينا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

يقول : نُشَقِّقُ هَامَاتٍ مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا لِأَنَّهُمْ مِنَّا ، وَهُمْ كَانُوا أَسْبَقَ إِلَى الْمُفْزَقِ وَأَوْفَرَ ظُلْمًا ، لِأَنَّهُمْ بَدِئُونَا بِالْشَّرِّ ، وَأَلْجَؤُونَا إِلَى الْقِتَالِ ، وَنَحْنُ مُنْتَقِمُونَ وَمُجَازُونَ .

٤٢

وقال رجلٌ من بنى عَقِيلٍ ^(١) :

وَحَارَبَهُ بَنُو عَمِّهِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ :

١ - بَكَرُهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو تُفَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ

الْكُرْهُ بِالضَّم : الْمَشَقَّةُ ، وَالْكُرْهُ بِالْفَتْحِ الْإِكْرَاهُ . وَسَرَاةُ الْقَوْمِ : خِيَارُهُمْ . فيقول : بِمَشَقَّةِ رُؤُسَانَا وَكَرَاهَتِهِمْ نَبَاكَرُكُمْ بِسِیُوفٍ مُحَدَّدَةٍ الْحَدَّ ^(٢) مَصْقُولَةً ، وَإِنَّمَا قَالَ « بَكَرُهُ سَرَاتِنَا » لِأَنَّ الرُّؤْسَاءِ يَحْبُونَ التَّائِلَفَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ وَإِصْلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَتَرَكَ التَّدَابُرَ وَالِاخْتِلَافَ ، إِذْ كَانَ عِزُّ الرَّئِيسِ بِأَصْحَابِهِ ، وَحِشْمَتُهُ فِي نَفْسِ مُنَابَذِهِ بِقُوَّةِ ذَوِيهِ وَأَقَارِبِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرُ السَّرَاةِ وَالْمُرَادُ الْجَمِيعُ . وَالْمَعْنَى : عَلَى كُرْهِ مَنَا نَقَاتِلُكُمْ وَلَكِنِّكُمْ أَلْجَأْتُمُونَا إِلَيْهِ . وَجَمَعَ

(١) التبريزي : « عَقِيلٌ : تصغير عقل أو عقل مضدر عقل ، ويجوز أن يكون تحقير عقيل تحقير الترخيم ، ويجوز أن يكون تصغير عقال وتصغير عقل تصغير الترخيم منهما » .
(٢) م والتبريزي : « مرققة الحد » .

صقيلاً وهو فاعيل بمعنى مفعول على صقالٍ وذلك على غير بابه، لأن التكسير على فِعالٍ يكون في الأصل فَعِيلٍ إذا كان بمعنى فاعِلٍ، نحو ظَرِيفٍ وظِرَافٍ وكرِيمٍ وكرَامٍ، ومثله قولهم فَصِيلٌ وفِصَالٌ، وساغ ذلك لاتفاقهما في الزنة والوصفية. وروى: «بُرْهَفَةُ الصَّقَالِ»، وتكون إضافة المُرْهَفَةِ إلى الصَّقَالِ كإضافة البعض إلى الكل، لأن المعنى بالمرهفة^(١) اتخذ من الصَّقَالِ، أى من السيوف المصقولة^(٢).

٢ - نُعْدِيهِنَّ يَوْمَ الرُّوْعِ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثَلِّمَةَ النَّصَالِ

قوله «نُعْدِيهِنَّ» أى نصرهن. ويقال: عَدَّ الهِمَّ عنك، أى اصرفه. والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى نصرِفُ السيوفَ عنكم إبقاءً عليكم، وكراميةً لاستئصالكم، وإن كانت نصالها قد تَفَلَّتْ من كثرة ما تُقَارِعُ بها الأعداء. ويجوز أن يكون المعنى: نصرِفُها وإن تثلّت بكم وفيكم، لأن القدرة تُذْهِبُ الحفيظة، ولأن ما يَجْمَعُنَا يدعو إلى البُغْيَا، والأخذ فيكم بالحسنى.

٣ - لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادِثُ بِالصَّقَالِ

قوله «من الهامات» أى من دماء الهامات ومن التأثير فيها. يقول: لهذه السيوف لَوْنٌ متغيّرٌ قبيحٌ، لكثرة ما يُسْفِكُ بها الدِّمَاءَ، وإن كانت يَجْدُدُ صَقْلُهَا كُلَّ يَوْمٍ. والحادث: إعادة الماء إلى السيفِ بالصَّقْلِ. وقد قال الحسن رحمه الله فيما حكي عنه من مواعظه: «حَادِثُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ، وَاقْدَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ فَإِنَّهَا طُلْعَةٌ». وقوله «كابٍ» من قولهم كَبَا

(١) والتبريزى: «بالرققة».

(٢) وذكر ابن جني أن الصقال هنا أيضاً مصدر صقات، وتأويله: بمرهفة عند الصقال، كما أن قوله «بضة المتجرد» معناه بضة عند المتجرد.

وَجْهَهُ ، إِذَا أَرَبَدَ [واسودَ] . وَكَبَا نُورُ [الصُّبْحِ وَ^(١)] الشَّمْسِ ، إِذَا نَقَصَ وَأَظْلَمَ . وَجَوَابُ إِنْ كَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ الْمُرْهَقَةِ .

٤- وَنَبِيَّ حِينَ نَقَتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقَتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

وَصَفَ حُسْنَ صَبْرِهِمْ ، عَلَى مَا يَتَّفِقُ مِنْ نَائِبَةٍ ، وَيَتَجَدَّدُ مِنْ عَارِضِ حَادِثَةٍ ، فَيَقُولُ : نَبِيَّ قَتْلَاكُمْ إِذَا قَتَلْنَاكُمْ لِمَا يَجْمَعُنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الرَّحِمِ الْمَاسَةِ ، وَالْقَرَابَةِ الدَانِيَةِ ، وَنَقَتُلُكُمْ إِذَا أَحْوجْتُمُونَا إِلَى قَتْلِكُمْ ، كَأَنَّا لَا نُبَالِي بِمَا يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى الْجَزَعِ لَهُ . وَقَوْلُهُ « نُبَالِي » مُفَاعِلٌ مِنَ الْبَلَاءِ . فَإِذَا قَالَ لَا أُبَالِيهِ كَأَنَّهُ أَرَادَ : لَا أَحْتَفِلُ بِهِ فَأَعَادَهُ بِلَائِي وَبِلَاءَهُ وَأَفَاخِرَهُ . هَذَا أَضْلُهُ ، وَقَدْ مَضَى . وَحِكْي سِيَبُويَه : مَا أُبَالِيهِ بِالَّةَ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْبَالَةَ كَالْحَانَةِ ، وَأَنَا حَذَفَ يَأُوهُ حَذَفَ تَخْفِيفَ لَا حَذَفَ قِيَاسٍ .

٤٣

وقال القتال الكلابي^(٢) :

١- نَشَدْتُ زِيَادًا وَالْمَقَامَةَ يَبْنِيَا وَذَكَرْتُهُ أَرْحَامَ سِعْرِ وَهَيْتُمْ

يقال : نَشَدْتُكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ ، وَنَشَدْتُكَ اللَّهُ ، أَيْ سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ .

(١) هذه من م .

(٢) القتال لقب غلب عليه ، واسمه عبد الله بن المحيب بن المضر جى بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهو شاعر إسلامي . وكان من حديث هذا الشعر كما روى التبريزي وأبو الفرج أن القتال كان يتحدث إلى ابنة عم له ولها أخ غائب ، فلما قدم رأى القتال يتحدث إلى أخته ونهاه ، وحلف له لأن رآه ثانية ليقْتَلَه . فلما كان بعد ذلك رآه عندها ، فأخذ له السيف ، ورآه القتال فخرج هاربا وخرج في أثره ، فلما دنا منه فاشده القتال بالله والرحم ، فلم يلتفت إليه ، فبينما هو يسعى وقد كاد يلحقه وجد رجلا مركوزا عند بيت ، فأخذه القتال ثم عطف عليه فقتله . وانظر ترجمته في الأغاني (٢٠ : ١٥٨ - ١٦٦) والمؤتلف ١٦٧ والحزافة ٣ : ٦٦٧ - ٦٦٨ والشعر والشعراء ٦٨٦ - ٦٨٧ .

يقول : أَسَمْتُ عَلَى زِيَادٍ بِاللَّهِ وَأَهْلُ الْجُلُسِ بَيْنَنَا حَاضِرُونَ ، وَلَمَّا يَأْتِيهِ كُلُّ
مِنَّا مُشَاهِدُونَ^(١) ، وَذَكَرَتْهُ مَا يَجْمَعُنِي وَإِبَاءَهُ مِنَ الرَّحِمِ مِنْ جِهَةِ هَذَيْنِ
الرَّجُلَيْنِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِهَذَا عَلَى زُعْمِهِ طَلَبًا لِلصُّلْحِ ، أَوْ اسْتِظْهَارًا بِإِقَامَةِ الْحُجَجِ
عَلَيْهِ ، وَإِقَاءِ مَغَالِيقِ الْبَغْيِ إِلَيْهِ .

٣ - فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ غَيْرَ مُنْتَهٍ أَمَلْتُ لَهُ كَفِّي بِلَدْنٍ مُقَوِّمٍ

يقول : لَمَّا وَجَدْتُهُ لَا يَنْتَهِي بِالْقَوْلِ ، وَلَا يَرْغَبُ بِالزَّجْرِ ، حَدَرْتُ لَهُ
كَفِّي بِرُوحٍ لَتَيْنٍ مُتَقَفٍ فَطَمَنْتُهُ . وَقَوْلُهُ « أَمَلْتُ لَهُ » ، أَيْ مِنْ أَجْلِ « كَفِّي
بِلَدْنٍ » ، مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، وَبَلِيغِ الْكُنَايَاتِ .

٣ - وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ نَدِمْتُ عَلَيْهِ أَيْ سَاعَةً مَتَدَمٍّ^(٢)

يقول : لَمَّا بَانَ لِي إِتْيَانُ تِلْكَ الطَّعْنَةِ عَلَيْهِ نَدِمْتُ فِي وَقْتٍ لَمْ تَنْفَعِ النَّدَامَةُ
فِيهِ ، لِقَوْتِ الْأَمْرِ فِي الْإِبْقَاءِ . وَهَذَا فِي إِظْهَارِ التَّحَشُّرِ بِهِ كَقَوْلِ الْآخِرِ^(٣) :

* وَدِدْتُ وَأَيْنَ مَا مَنَى وَدَادِي^(٤) *

وَانْتَصَبَ أَيْ سَاعَةً عَلَى الظَّرْفِ ، لِأَنَّهُ أَيْبًا لَمَّا كَانَ لِلْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ
جُعِلَ حُكْمُهُ حُكْمَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ .

(١) م : « شَاهِدُونَ » .

(٢) هَذَا مَا فِي م وَالتَّبْرِيزِي . وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « فَلَمَّا رَأَيْتُ » .

(٣) هُوَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَب . الْكَلْبِيُّ ٦٣ .

(٤) صَدْرُهُ : * تَمَنَانِي لِيَلْتَانِي قَبِيصِ *

٤٤

قيس بن زهير العبسي^(١)

١ - شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسَيِّفِي مِنْ حُدَيْفَةٍ قَدْ شَفَانِي
 كَانَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ قَتَلَ مَالِكَ بْنَ زُهَيْرٍ أَخَا قَيْسٍ ، فَظَفِرَ بِهِ وَبِأَخِيهِ حُدَيْفَةَ
 فَقَتَلَهُمَا . يَقُولُ : اسْتَفَيْتُ بِقَتْلِ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ . ثُمَّ قَالَ : وَشَفَانِي سَيْفِي أَيْضًا مِنْ
 أَخِيهِ حُدَيْفَةَ ، لِأَنَّهُ أَتَى عَلَيْهِ لَمَّا أَعْمَلْتُهُ فِيهِ . وَهَذَا مِمَّا جَرَى بَيْنَ عَبْسٍ وَفَزَارَةَ
 بِسَبَبِ دَاحِسٍ وَالْغُبَرَاءِ .

٣ - فَإِنْ أَكُ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غِلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
 يَقُولُ : إِنْ سَكَنْتُ لَوْعَتِي بِمَجَازَاتِهِمْ ، وَبَرَدَتْ غُلَّتِي ، فَإِنِّي لَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ
 إِلَّا أَطْرَافَ أَصَابِعِي . وَذَلِكَ أَنْ عِزِّي كَانَ بِهِمْ ، وَكَانُوا كَالْكَفِّ ، فَلَمَّا مَاتُوا
 وَأَعْوَزَنِي التَّبَجُّحُ بِمَكَانِهِمْ^(٢) ، وَالِاسْتِعْلَاءُ عَلَى الْعَدُوِّ بِهِمْ ، صِرْتُ كَنْ قُطِعَتْ
 أُنَامِلُهُ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : « بِالسَّاعِدِ تَبْطِشُ الْكَفَّ » .

٤٥

وقال الحارث بن وعلّة الذّهلي^(٣) :

الْوَعْلَةُ : الصخرة المشرفة من أعلى الجبل .

(١) قيس بن زهير : شاعر جاهلي ، كان سيد عبس ، وكانت له ضلع كبيرة في حرب
 داحس ، وهو صاحب داحس . انظر أمثال الميداني (١ : ٢٥٠) والأغاني (٧ : ١٦ / ١٤٣ :
 ٢٣) والعقد وكامل ابن الأثير وغيرهما ، في حرب داحس والغبراء .
 (٢) التبجح : الافتخار .

(٣) شاعر جاهلي ، ذكر نسبه في الأغاني (٢٠ : ١٣٢) والمؤتلف ١٩٧ قال
 « الحارث بن وعلّة بن الجبالد بن يثري بن الديان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة » .
 وهو غير الحارث بن وعلّة الجرمي . انظر المفضليات (١ : ١٦٢ - ١٦٣) .

١- قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِرُّ—يُنِي سَهْمِي

يقول: قومي، يا أميمة، هم الذين فجعوني بأخي ووتروني فيه، فإذا رُمْتُ الانتصار منهم عاد ذلك بالنكاية في نفسي، لأنَّ عن الرجل بعشيرته، وهذا الكلامُ تحزنٌ وتفجعٌ وليس بإخبار.

٢- فَلَتْنِ عَفَوْتُ لَأَغْفُونَ جَلًّا وَاتْنِ سَطَوْتُ لَأَوْهِنَ عَظْمِي

عفاً عن المذنبِ والذنبِ عفواً، إذا صفح. وحذف حرف الجرِّ فوصل لأغفون بنفسه. والكلامُ تحشُّرٌ وتوجع. يقول: إن تركتُ مؤاخذتهم، وأطرحْتُ طلبَ الانتقامِ منهم، صفحتُ عن أمرٍ عظيم، وإن سَطَوْتُ عليهم أضعفتُ عظمي، وهددتُ رُكني. والجللُ يزعم أهل اللغة أنه من الأضداد، يقعُ على الصغير والكبير، وهاهنا يُرادُ به الكبير. وكذلك في قوله:

* وَمِنَ الْأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلٍ (١) *

والسَطَوُ: الأخذُ بعُنْفٍ. وفي كلِّ واحدٍ من المصراعين يمينٌ مُضمرةٌ، جوابها في الأولِ لأغفون، وفي الثاني لأوهين. واللام من لئن في الموضعين موطئة للقسم.

٣- لَا تَأْمَتْنِ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمْ وَبَدَأْتَهُمْ بِالشِّتْمِ وَالرَّغْمِ

حوَّلَ الكلامَ عن الإخبارِ توجعاً على عادتهم إلى الخطاب، متوعداً. يقول: لا تسكنِ إلى ناحية قومٍ اهتَضَمْتَهُمْ وبدأتَهُمْ بِشْتِمٍ وأطراهم، وإسقاطهم وتذليلهم. وظلمتهم مع ما بعده من صفة القوم. والرَّغْمُ مصدر رَغِمْتُ فلاناً إذا قلتَ له رَغماً أو فعلتَ به ما يرغمُ به أنفه ويُذِلُّه. والرَّغَامُ: التراب،

(١) للبيد في ديوانه ص ١٧. وضرره:

* وأرى أربد قد فارقتي *

وحكى الخليل : أرغته : حملته على ما لا يقدر على الامتناع منه .

٤ - أَنْ يَأْبِرُوا نَخْلًا لِنَعِيرِهِمْ وَالْقَوْلُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِي

موضع قوله « أَنْ يَأْبِرُوا » نصبٌ على البدل من قومًا في البيت الذي قبله ، كأنه قال : لا تأمن أبْرَ قومٍ ظلمتهم وأوحشتهم نخلاً لنعيرهم . ويقال : أبْرَتْ النخل وأبْرَتْه ، إذا أَلْقَتْهُ . وجعل هذا الكلام وعيدًا في مفارقة القوم الذين وصفهم بإيامهم ، وتقويتهم لأعدائهم بعد الانتقال إليهم ، وإصلاحهم الفاسد من فخرهم وأمرهم نصرته لهم ، وجعل قوله « أَنْ يَأْبِرُوا » كناية عن هذا المعنى ، كما قال طرفة :

وَلِيَ الْأَضْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُصْلِحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ

وقد قيل : أراد : لا تأمن قومًا أسأت في معاملتهم أن يتركوا أرضهم وديارهم ويلحقوا بالأعداء فيأبروا نخيلهم ويتصرفوا في مهنهم ، ليكونوا معهم عليكم . والأوّل أحسن وأغرب . وقوله « وَالْقَوْلُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ يَنْمِي » يجوز أن يكون ضربه مثلاً في التهاون بما لا يجوز التهاون فيه ، ويجوز أن يشير بالقول إلى ما يقوله في شعره هذا ، ويريد أنه سيزداد بانضمام الفعل إليه .

٥ - وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لَدَى الْحِلْمِ

زَعَمَ زُعْمًا وَزَعَمًا وَمَزَعَمًا ، وأكثر ما يستعمل فيه ما كان باطلاً أو فيه ارتياب . ولذلك يقال : تَزَعَّمَ ، أى تكذّب ؛ وَزَعَمَ في غير مَزَعَمٍ ، أى طمع في غير مَطْمَعٍ . و « أَنْ لَا حُلُومَ » أن فيه مخففة من الثقيلة . أراد : زعمن أنه لا حُلُومَ لنا . والهاء ضمير للأمر والحديث ، و « لَا حُلُومَ » في موضع الخبر . أراد : وزعمن أن الأمر والشأن لا عقول لنا ، فإن كان الأمر على ما زعمن فنبهونا أنتم ، فإن عاشر بن الظرب حكّم العرب كان يُقرَعُ له العصا فينبّه ، لما

كَانَ يَزِيغُ فِي الْحُكْمِ لِكَبَرِيَّتِهِ وَسِنِّهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَهَكُّمٌ وَسُخْرِيَّةٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُكَ لِمَنْ أَنْكَرَكَ عَلَيْكَ مَا لَا يُشَكُّ فِي صَلَاحِهِ وَصَحَّتِهِ : إِنْ كَانَ ذَلِكَ فَاسِدًا فَصَحَّحْهُ أَنْتَ . وَهَذَا ظَاهِرٌ . وَذُو الْحِلْمِ الَّذِي قُرِعَ لَهُ الْعَصَا مُخْتَلَفٌ فِيهِ ، فَتَدَّعِيهِ الْيَمِينُ وَتَقُولُ : هُوَ عَمْرُو بْنُ حُمَمَةَ الدَّؤَسِيِّ ، رَوَى ذَلِكَ الشَّعْبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَتَدَّعِيهِ مُضَرُّ ، فَتَقُولُ : هُوَ عَامِرُ بْنُ الظَّرَبِ الْعَدَوَانِيُّ ، وَإِيَّاهُ عَنَى ذُو الْإِصْبَعِ فِي قَوْلِهِ :

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي وَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وَتَدَّعِيهِ رُبْعَةٌ فَتَقُولُ : هُوَ قَيْسُ بْنُ خَالِدِ الشَّيْبَانِي ، وَهُوَ جِدٌّ بِسِطَامِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ .

٦- وَوَطِئْتَنَا وَطْئًا عَلَى حَنْقٍ وَطْءُ الْمُقَيَّدِ نَابِتَ الْهَرَمِ

يَقُولُ : أَثَّرَتْ فِيْنَا تَأْثِيرَ الْحَنْقِ الْغَضْبَانِ ، كَمَا يُوَثِّرُ الْبَعِيرُ الْمُقَيَّدَ إِذَا وَطِئَ هَذِهِ الشَّجِيرَةَ . وَخَصَّ الْمُقَيَّدَ لِأَنَّهُ وَطْأَهُ أَثْقَلَ ، كَمَا خَصَّ الْحَنْقَ لِأَنَّهُ إِبْقَاءُهُ أَقْلٌ . وَالْهَرَمُ : ضَرْبٌ مِنَ الْحَصَى ، يُقَالُ جَمَلٌ هَارِمٌ ، وَإِبِلٌ هَوَارِمٌ إِذَا رَعَتْ الْهَرَمَ . وَانْتَصَبَ وَطْءُ الْمُقَيَّدِ عَلَى الْبَدَلِ ، أَيْ وَطْئًا يُشَبِّهُ هَذَا الْوَطْءَ . وَمِمَّا حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طِئَةِ الدَّلِيلِ » ، أَيْ مِنْ أَنْ يَطَأَنِي ، لِأَنَّهُ وَطْأَهُ أَشَدُّ ، لِسُوءِ مِلْكَتِهِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) :

* وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَابٍ *

وَعَلَى هَذَا قِيلَ : ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةَ الْجَبَانِ ، وَضَبَطْتُهُ ضَبْطَةَ الْأَعْمَى .

٧- وَتَرَكْتَنَا لِحِمَا عَلَى وَضَمٍّ لَوْ كُنْتَ تَسْتَبْقِي مِنَ اللَّحْمِ

(١) هُوَ أَمْرُو التَّيْسِ . دِيَوَانُهُ ١٧٧ . وَالْبَيْتُ بِتَأَمِهِ :

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٌ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَابٍ

هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ فِي الْإِنْقِيَادِ وَالذُّلِّ . وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ : « النَّسَاءُ لَحْمٌ عَلَى وَضْعِهِ إِلَّا مَا ذُبَّ عَنْهُ » . يَقُولُ : تَرَكْنَاهُ لَا دِفَاعَ بِنَا ، كَاللَّحْمِ عَلَى خِيَانِ الْجَزَارِ يَفْنَاؤُهُ مَنْ شَاءَ ، لَوْ كُنْتَ تَتْرَكُ مِنَّا بِقِيَّةٍ ، وَتَطْلُبُ عَلَيْنَا بِقِيَّةٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّكَ تَرُومُ اسْتِثْصَالَنَا ، فَلَسْتَ تَرْضَى بِالْإِذْلَالِ . وَجَوَابُ لَوْ فِيمَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ .

٤٦

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ

قَتَلَ أَخُوهُ ابْنَاهُ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ لِيَقْتَادَ مِنْهُ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ وَهُوَ يَقُولُ :

١ - أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعَزِيَّةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدْ
النَّسَاءُ : تَنَفُّعٌ مِنَ الْإِسْوَةِ . وَيُقَالُ إِسْوَةٌ وَأُسْوَةٌ ، فَيُضَمُّ أَوَّلُهُ
وَيُكْسَرُ ، وَانْتِصَابُهُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . أَيْ أَقُولُ مَتَأْسِيًا بِغَيْرِي ،
وَمُسْلِيًا لِنَفْسِي : جَنَى عَلَى أَخِي الَّذِي مَحَلَّهُ مِنِّي مَحَلُّ إِحْدَى يَدَيَّ ، مَهْوًى
لَا إِرَادَةَ لِمَسَاءَتِي وَخَطَأً لَا عَمْدًا . وَقَوْلُهُ « إِحْدَى يَدَيَّ » فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ
و « أَصَابَتْنِي » خَبْرُهُ ، وَقَوْلُهُ « وَلَمْ تُرِدْ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ
النَّصْبِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لِقَوْلِهِ أَقُولُ .

٢ - كَلَاهُمَا خَافٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

يَقُولُ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَخِ الْوَاتِرِ وَالْإِبْنِ الْمَفْقُودِ يَصْلُحُ لِأَن يَرْضَى بِهِ
عَوَضًا مِنْ فَقْدَانِ الْآخَرِ ، فَإِنْ اقْتَدَتْ مِنَ الْأَخِ مُنْتَصَفًا لِلْإِبْنِ فَقَدْتُهُمَا جَمِيعًا ،
فَاسْتَبَقَانِي أَخِي هُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْرَبُ وَأَعْوَدُ ^(١) .

(١) أعود : أى أكثر عائدة ؛ والمائدة : الفائدة .

٤٧

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الطَّائِي^(١) :

١- مَا وَلَدَتْنِي حَاصِنُ رَبْعِيَّةُ لَيْتَنِي أَنَا مَالَأْتُ الْهَوَى لَا تَبَاعَهَا

امرأة حاصِنٌ وحَصَانٌ ، أى ممتنعة^(٢) عن الرَّفَثِ ، عفيفةٌ . ومصدره الحَصَانَةُ والحَصْنُ ، وربْعِيَّةٌ : منسوبةٌ إلى ربعية : وهذا الكلام خبرٌ يجرى مجرى البين ، واللام من « لَيْتَنِي » يُؤْذَنُ بِأَنَّ الْكَلَامَ قَسَمٌ ، فيقول : لست ابنَ امرأةٍ من بنى ربعيةٍ كريمةٍ عفيفةٍ إِنْ كَفْتُ شَايَفْتُ الْهَوَى وَتَابَعْتُهُ فِي طَلَبِ امْرَأَةٍ . والمعنى : لستُ لِإِشْدَاقٍ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ . ومَالَأْتُ ، مأخوذةٌ من قولهم : هُوَ مَلَى بِكَذَا ، وَقَدْ مَلَأُوا يَمْلَأُوْنَ مَلَاءَةً . وجواب الشرط فيما تقدم .

٢- أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ رَحْبٌ فَسِيحَةٌ فَهَلْ تُعْجِزَنِي مُبْقَعَةٌ مِنْ بَقَاعِهَا

قال الخليل : المُبْقَعَةُ : قطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها ، واستشهد الشاعر لنفسه في إنكار ما انتفى من فعله بقوله : أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْضَ ، لِأَنَّ أَلَمْ تَرَ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الاسْتِفْهَامِ ، كَلِمَةً يُؤَاقَفُ بِهَا الْمُخَاطَبُ فِي تَحْقِيقِ الْأُمُورِ ، وَتَثْبِيتِ الْخُطُوبِ ، وَرَبَّمَا صَحِيحُهَا مَعْنَى التَّعْجِيزِ . فيقول : إِنْكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ عَرِيضَةٌ ، وَأَنَّ بَقَاعَهَا لَا تَنْبُؤُ بِي ، وَلَوْ نَبَتْ لَمْ تُعْجِزَنِي ، فَكَمَا أَنِّي فِي هَذَا هَذِهِ الصِّفَةِ ، فَكَذَلِكَ أَنَا فِي الْأَوَّلِ . ومذهب هذا الكلام

(١) كان إِيَّاسُ هَذَا عَامِلًا لِكُسْرَى عَلَى عَيْنِ التَّرُّوْمَا وَالْإِهَامَا إِلَى الْخَيْرَةِ ، وَتَدَّ جَعَلَهُ كُسْرَى عَلَى رَأْسِ الْعَرَبِ فِي يَوْمِ ذِي قَارِ ، الَّذِي كَانَ بَيْنَ يَكْرَ بْنِ وَائِلَ ، وَبَيْنَ الْفَرَسِ وَأَحْلَافِهِمْ مِنْ تَغْلَبٍ وَطَيْسٍ وَضَبَّةٍ وَتَمِيمٍ وَبَهْرَاءَ وَتَنْوُخَ ، وَقَدْ هَزَمَتِ الْفَرَسَ وَأَحْلَافَهَا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ : « هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ ، وَبِىْ نَصْرُوا » ، وَفِي أَثْنَاءِ عَمَالَتِهِ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . الْأَغَانِي (٢٠ : ١٣٤ ، ١٣٨) وَالتَّنْبِيْهِ وَالْإِشْرَافَ ١٥٨ ، ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) م : « ممتنعة » .

مذهب قول القائل عند تحقيق أمر وتصويره للمخاطب : إن هذا حق كما أنى حاضر ، وكما أنك تسمع وتُجيب .

٣ - وَمَبْثُوثَةٌ بَثَّ الدَّبَا مُسْبَطَرَةٌ رَدَدْتُ عَلَى بَطَائِهَا مِنْ سِرَاعِهَا

يقول : رَبُّ خَيْلٍ مَتَفَرِّقَةٍ مَمْتَدَّةٍ فِي وَجْهِ الْأَرْضِ امْتِدَادَ فِرَاحِ الدَّبَا وَتَفَرُّقِهَا - والمعنى أنهم يَمْوُجُونَ فِي انْتِشَارِهِمْ ، كما أن الجراد إِذَا انْبَثَّتْ مَاجَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ - أَنَا رَدَدْتُ أَوَّلَهَا عَلَى آخِرِهَا ، وَحَبَسْتُ مُتَقَدِّمَاتِهَا عَلَى مُتَأَخِّرَاتِهَا ، حَتَّى لَحِقَتْ الْأَعْجَازُ بِالْصُدُورِ ، وَاخْتَلَطَتِ اللَّوَاهِقُ بِالسَّوَابِقِ .
ويقال : هُم يَتَهَافَتُونَ تَهَافَتَ الْفَرَاشِ ، وَيَتَمَوَّجُونَ تَمَوَّجَ الْجَرَادِ .

٤ - وَأَقْدَمْتُ وَالْخَطَى يُخْطِرُ بَيْنَنَا لِأَعْلَمَ مَنْ جَبَانُهَا مِنْ شُجَاعِهَا

قوله « وَالْخَطَى » واوه واو الحال . وَاللَّامُ مِنْ « لِأَعْلَمَ » لَامُ الْعَلَّةِ .
يقول : تَرَكْتُ الْإِحْجَامَ ، وَآثَرْتُ الْإِقْدَامَ ، وَرَمَحُ الْخَطِّ تَخْتَلِفُ بِالطَّعْنِ ، وَتَحْكُمُ لِلشَّجَاعَةِ عَلَى الْجُبْنِ ، لِأَتَبَيَّنَ الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِي ، وَالْمُتَقَدِّمَ مِنَ الْمُتَخَلِّفِ . وَالْمَعْنَى فَعَلْتُ ذَلِكَ لِتَبَيَّنِ فَضْلِي عَلَى غَيْرِي .

٤٨

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ^(١)

وَطَلَبَ مِنْهُ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ فَرَسًا يَقَالُ لَهُ^(٢) سَكَابٍ فَنَعِمَ إِيَّاهَا :

١ - أَيْنَتَ اللَّغْنِ إِنْ سَكَابَ عِلْقُ نَفِيسٍ لَا تُعَارُ وَلَا تُبَسَّاعُ^(٣)

قوله « عِلْقُ نَفِيسٍ » أَي مَالٌ يُبْخَلُ بِهِ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : هُوَ عِلْقُ مَضِنَّةٍ .

(١) هو عبيدة بن ربيعة بن قحطان بن ناشرة بن سيار بن رزام بن مازن ، كما في كتاب الخليل لابن الأعرابي ٦٢ حيث أُنشد الأبيات . وفي همدان فرس يقال له سكاب ، فخره الأجدع بن مازن . الخليل لابن الأعرابي ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) كَذَا فِي الذَّبْحَتَيْنِ وَالتَّبْرِيزِيِّ ، ذَكَرَ الْفُضْطَ ، وَأَنْتَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمَعْنَى .

(٣) رَوَايَةُ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ : « لَيْسَتْ بِلِقْ يَسْتَعَارُ وَلَا يَبَاعُ » .

ويقال: عَالَقَتْهُ بِعِلْقٍ وَعِلْقِهِ، إِذَا خَاطَرَتْهُ بِكَرَاهِمِ الْمَالِ. يقول: مُنِفْتُ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَسْتَحِقُّ بِهِ اللَّعْنُ، إِنْ فَرَسَى سَكَابٍ مَتَاعٍ نَفِيسٍ، وَعِلْقُ كَرِيمٍ، لَا يُعْرَضُ لِلْبَيْعِ، وَلَا يُبْذَلُ لِلْإِعَارَةِ. و«سَكَابٍ» إِذَا أَعْرَبَتْهُ مَنَعَتُهُ الصَّرْفَ، لِأَنَّهُ عِلْمٌ، فَلْحَصُولُ التَّعْرِيفِ فِيهِ وَالتَّأْنِيثُ مَعَ كَثْرَةِ الْحُرُوفِ يُنَمَّعُ الصَّرْفُ. وَالشَّاعِرُ تَمِيمِيٌّ، وَهَذَا لُغَةُ قَوْمِهِ. وَإِذَا بَنَيْتَهُ عَلَى الْكُسْرِ أَجْرِيتهُ مَجْرَى حَدَّامٍ، لِأَنَّهُ مُؤَنَّثٌ مَعْدُولٌ مَعْرِفَةٌ، فَلَمَّ شَابَهَتْهُ بِهِذِهِ الْأَوْصَافُ دَرَاكِ وَنَزَالٍ يُبْنَى؛ وَهَذِهِ اللَّغَةُ حِجَازِيَّةٌ. وَاشْتِقَاقُ سَكَابٍ مِنْ سَكَبْتُ إِذَا صَبَبْتُ. وَيُقَالُ فِي صِفَةِ الْفَرَسِ: هُوَ بَحْرٌ وَسَكَبٌ. وَقَوْلُهُ: أَيْبَتَ اللَّعْنُ، تَحِيَّةٌ كَانَ يُسْتَقْطَفُ بِهِ الْمُلُوكُ. وَأَصْلُ اللَّعْنِ: الطَّرْدُ. وَقَوْلُ الشَّاعِرِ^(١):

وَلِكُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ

يعنى إِلَّا أَنْ يُقَالَ لِي: أَيْبَتَ اللَّعْنُ، لِأَنَّهُ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ. وَكَأَنَّهُ قَالَ: نِلْتُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْمُلُوكَ.

٢ - مَفْدَاةٌ مُكْرَمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تُجَاعُ

يقول: لِعَزَّتْهَا عَلَى أَرْبَابِهَا تُفَدَّى بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَتُؤَثَّرُ تَكْرِيمًا لَهَا عَلَى الْعِيَالِ عِنْدَ الْإِضَافَةِ وَالْإِفْتَارِ، فَيَجُوعُ الْعِيَالُ وَلَا تَجُوعُ هَذِهِ.

٣ - سَلِيلَةٌ سَابِقَتَيْنِ تَنَاجَلَاهَا إِذَا نُسِبَا يَضُمُّهُمَا الْكُرَاعُ^(٢)

يقول: هِيَ وَلَدُ فَرَسَيْنِ سَابِقَتَيْنِ، إِذَا نُسِبَا ضَمَّ مَنَاسِبُهُمَا وَمَنَاصِبُهُمَا الْكُرَاعُ، وَهُوَ فَخْلٌ كَرِيمٌ مَعْرُوفٌ. وَسَلِيلَةُ الْحَقِّ أَلْهَامُهَا وَإِنْ كَانَ فَعِيلًا

(١) هُوَ زَمِيرُ بْنُ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ، كَمَا سَبَقَ فِي حَوَاشِي صَفْحَةِ ١٠٠.

(٢) ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: «يَضُمُّهُمَا إِذَا نُسِبَا».

في معنى مفعول ، لأنه جُعِلَ اسمًا ، كما تقول هي قتيلة بنى فلان . ومعنى سُلَّ :
نَزَعَ . ويقال : نَجَلَا وَلَدَهُمَا وتناجلاه ، بمعنى واحد ، قال :
* إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا ^(١) *

وأصل الكُراع في اللغة : أنفٌ يتقدم من الجبل ، فسُي هذا الفعلُ به
لِعَظَمِهِ . وأما الكُراع الاسم الجامعُ للخيَل ، فهو غيرُ ذَا .

٤ - فلا تَطْمَعُ أَيَّتَ اللَّعْنِ فِيهَا وَمَنْعُكَهَا بِوَجْهِهِ يَسْتَطَاعُ

يقول : ارفعَ طَمَعَكَ في تحصيل هذه الفرس ، أَيَّتَ أَنْ تَأْتِيَ مَا تَسْتَحِقُّ
به اللَّعْنُ ، وَدَفْعَكَ عنها يُقَدَّرُ عليه بِوَجْهِهِ ما وبهيمة ما . والمعنى : إني لا أَسْعِفُكَ
بها اسْتَبْعَتْهَا أو اسْتَوْهَبَتْهَا ، ما وجدتُ إلى الرَّدِّ طريقًا ، فلا تَطْمَعُ فيه مادامت
لي هذه الحالة . وقوله « وَمَنْعُكَهَا » أي مَنْعَكَ عنها . ويقال مَنْعْتُكَ كَذَا ،
وَمَنْعْتُكَ عَنْ كَذَا ، وَأَمَّا الْمَنْعَةُ الْعِزُّ ^(٢) فهو مصدرٌ كالحركة والجلبة مِنْ مَنْعٍ
مَنْاعَةً وَمَنْاعًا ، فهو مَنْيعٌ .

٤٩

وقالت امرأة من طيء ^(٣) :

١ - دَعَا دَعْوَةَ يَوْمِ الشَّرِّ يَالْمَالِكِ وَمَنْ لَا يُحِبُّ عِنْدَ الْحَفِيزَةِ يُكَلِّمُ

يقول : استغاثَ هذا الرَّجُلُ في يومِ اجتماعنا بالشَّرِّ - وهو مكانٌ معروف .
اتفقت فيه وقعةٌ فنُسبَ يومُها إليه - استغاثَةً وقال : يَا مَالِكُ ؛ وَمَنْ لَا يُحِبُّ .

(١) للأعشى في ديوانه ١٥٧ . وصدرة :

* أَنْجَبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ *

(٢) م : « العزة » . والمنعة يقال بفتح النون وإسكانها .

(٣) هي بنت هديل بن قرفة الطائي ، أحد اصووص العرب زمان عبد الملك بن مروان ،
كما سيأتى في التفسير .

إذا استصرخ ، ولم يُفْتِ إذا اسدَنَصَرَ ، يُهْتَضَمُ ويُجرح . وقوله « يا مَالِكِ » اللام فيه للإضافة ، وإنما فُتِحَ لَأَنَّهُ دَخَلَ على ما هو واقعٌ موقع المضر ، فكما يُفْتَحُ لام الإضافة مع المضر كذلك فُتِحَ مع المُنَادَى لوقوعه موقعه . فإن قيل : فما الدعوى ؟ قلت : : مَالِكِ ، كأنه قال : دُعَايَ لِمَالِكِ . والحفيظة : الخصلة التي يحفظ الإنسان عندها ، أى يُفَضَّبُ . وكذلك الحفيظة . قال :

* وَحِفْظَةٌ أَكَنَّهَا ضَمِيرِي ^(١) *

وقوله « بُكَلِّمُ » كناية عن الغلبة أو القتل .

٢ - فَيَا ضَيْعَةَ الْفَتَيَانِ إِذْ يَعْتَلُونَهُ يَبْطُنُ الشَّرَى مِثْلَ الْفَنِيقِ الْمُسَدَّمِ

الفنيق : الفحل المُفَنَّق لا يُرَكَّب لكرامته على أهله . والمُسَدَّم : الفحل الهائج المنوع . ويقال : عَتَلَهُ يَعْتَلُهُ وَيَعْتَلُهُ جميعاً ، إذا قَادَهُ بُعْثٌ . ومعنى « يَا ضَيْعَةَ الْفَتَيَانِ » وإن كان لفظه لفظ النداء ، معنى الخبر ، كأنه قال : ضَاعَ الْفَتَيَانِ جَدًّا . فيقول على وجه التمجُّب والاختصاص : ما أَضْيَعَ الْفَتَيَانِ فى ذلك الوقت وفى تلك الحالة . كأنه لمَّا لم يُنْصَرَفْ فى تلك الحالة ولم يُخْضَرْهُ فَتَى يُعِينُهُ كان الْفَتَيَانُ ضَائِعَيْنِ ، إذ كانوا يُفْنِفُونَ فى قَوْدِمِ إِيَّاهُ ، وهو كأنه غل مشدود القم خوفاً من صِيَالِهِ ، فلا يُنَاكِرُ بنفسه ^(٢) ، ولا يَدَافِعُ أحدٌ دُونَهُ . وذكر بعضهم أن هذا المَقْتُولَ هو بَهْدَلُ بن قِرْقَةَ ، أحد بنى نُهْجَانَ ، وأُخِذَ بسبب دم ابن جَعْدَةَ الْحَزْزَوِى ^(٣) وَقُتِلَ بِالْمَدِينَةِ صَبْرًا . وما اقْتَصَصَ فى الأبيات يدل على خلافه ^(٤) .

(١) للمعاج فى ديوانه ٢٦ واللسان (حفظ) .

(٢) المناكرة : المحاربة والقتال .

(٣) هو عون بن جمعة بن هبيرة بن أبي وهب الخزومى ، كما ذكره التبريزى .

(٤) قال التبريزى : « بل الذى اقتصص فى الأبيات يدل على صحته » . ثم نقل نصاً طويلاً

من كتاب أخبار الأصوص للسكرى .

٣- أَمَا فِي بَنِي حِضْنٍ مِنْ ابْنِ كَرِيهَةٍ مِنْ الْقَوْمِ طَلَّابِ الثَّرَاتِ غَشَمَ
هذا الكلام بَقْتُ وَنَحْضِيزُ لِأَبْنَاءِ حِضْنٍ . وَالْغَشَمُ : الَّذِي يَرْكَبُ
رَأْسَهُ وَلَا يَهَابُ الْإِقْدَامَ عَلَى شَيْءٍ . وَالْكَلَامُ لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى
الْتَمَنَّى ، كَأَنَّهُ يَبْنَعُ وَيُحْضِيزُ مَنْ يَطْلُبُ دَمَهُ إِذْ قَاتَ نَصْرَتُهُ حَيًّا . فَيَقُولُ :
أَمَا فِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ابْنُ حَرْبٍ مُتَنَاهٍ فِي طَلَبِ الدَّمِ وَإِدْرَاكِ النَّارِ ، ظُلُومٌ غَشُومٌ ،
يَرْكَبُ الْكَرَائَةَ وَالْأُمُورَ الصَّعْبَةَ ، غَيْرَ مُرْعَوٍ وَلَا مُنْقَبِضٍ .

٤- فَيَقْتُلُ جَبْرًا بَاسِرًى لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ وَاسْكُنَ لَا تَسْكَابِيلَ بِالدَّمِ (١)

جَبْرٌ هُوَ الْقَاتِلُ لَوَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ . وَيُقَالُ : بَاءَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ يَبُوءُ بَوَاءً ، إِذَا
ارْتَضَى لِقَتْلِهِ بَدَلًا مِنْهُ . وَأَبَاتُ فُلَانًا بِفُلَانٍ ، أَيْ قَتَلْتُهُ . وَانْتَصَبَ « يَقْتُلُ »
عَلَى أَنَّهُ جَوَابُ التَّمَتَّى بِالْفَاءِ ، وَالْعَامِلُ فِي الْفِعْلِ أَنْ مَضْمَرُهُ ، أَيْ أَمَا فِيهِمْ رَجُلٌ
هَكَذَا فَيَقْتُلُ هَذَا الرَّجُلَ رَجُلًا لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرًا ، فَيَكُونُ فِي دَمِهِ وَقَلْبِهِ بَدَلُهُ ،
وَاسْكُنَ سَقَطَتِ الْمَكَابِيلُ فِي الدِّمَاءِ مِنْذُ جَاءَ الْإِسْلَامُ ، فَلَا يُقْتَلُ بَدَلُ الْوَاحِدِ
إِلَّا وَاحِدًا ، شَرِيفًا كَانَ أَوْ وَضِيعًا .

٥٠

وَقَالَ بَمَضٍ بَنِي فُقَمَسٍ (٢) :

١- رَأَيْتُ مَوَالِيَّ الْأُولَى يَخْذُلُونِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذْ يَتَقَلَّبُ

الموالى ها هنا : أَبْنَاءُ الْعَمِّ . وَالْأُولَى فِي مَعْنَى الَّذِينَ ، وَيَخْذُلُونِي مِنْ صِلَاتِهِ .
يَقُولُ : رَأَيْتُ أَبْنَاءَ عَمِّي هُمُ الَّذِينَ يَقْعُدُونَ عَنْ نُصْرَتِي عَلَى تَقَلُّبِ الزَّمَانِ ،
وَتَصَرُّفِ الْحَدَثَانِ . وَقَوْلُهُ « عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « حَبْرٌ » بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ فِي الْمَقْنِ وَالشَّرْحِ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِيهِمُ وَالتَّبَرِيزِيُّ .

(٢) التَّبَرِيزِيُّ : « قِيلَ هُوَ مَرَّةٌ بَنُ عِدَاءِ الْفُقَمَسِيِّ » .

يخذلونني مُقَاسِيًا لما يحدث في الدهر أو أن تقلبه وتغيره .

٣ - فَمَهْلًا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا إِذَا الْخَصْمُ أَبْزَى مَائِلُ الرَّأْسِ أَنْكَبُ^(١)

قوله : « تفاعدوا » دعاء ، وقد اعترض بين أول الكلام وآخره ، ولكنه أكد ما يقتضيه فصّلح لذلك . يقول : هَلَّا جَعَلُونِي عُدَّةً لِرَجُلٍ مِثْلِي ، فقد بعضهم بعضاً وقد جاءهم الْخَصْمُ متأخراً العَجْزُ مائل الرأس منحرفاً . وهذا تصويرٌ لحال المُقاتِلِ إذا انتصب في وجهه مقصوده ، وهو أبلغ في الوصف من كل تشبيه ، ومثله قول الآخر^(٢) :

* جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطُّ *

ألا ترى أنه صورّ لون المذق كما قال : هل رأيت الذب قط ؟ وقوله : « إِذَا الْخَصْمُ » هو حكاية الحال المتوهمّة ، وهو الرواية المختارة . وقد روى : « إِذَا الْخَصْمُ » والجُمْلَةُ التي تبين بها إذا هذه يجب أن يكون فيها فعلٌ ، وقد عرّيت منه هاهنا ، وأظنُّ أن الأخفش جَوّزَ مثله . والمعنى : لِمَ أَفَاتُونِي أنفسهم ، وهلا أدخروني ليوم الحاجة إذا كان الخصم هكذا . وأراد بالخصم الجنس . وقال الأصمّي : الْبَزَى : تأخّر العَجْزُ . وقال غيره : هو إشرافُ وَسَطِ الظَّهْرِ على الأُمت . والبيت يشهد للأصمّي . والتَّكَبُّ : شبه الميل في المَشْيِ ومنه الأنكب من الإبل ، وهو الذي يمشي في شِقِّ .

٣ - وَهَلَّا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وَفِي الْأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ

الكلام في « تفاعدوا » وأنه دعاء واعتراض ، على ما مرّ . وإنّما وكرّر

(١) إذا ، كذا ورد رسماً في النسختين بالألف مع كسر الذال ، وذلك لتقرأ بالروايتين ، إذ وإذا . قال ابن جني : « فن رَوَاهُ إِذْ حَكَى الْحَالِ الْمُتَوَقَّعَةَ كَقَوْلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ : إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ . ومن رَوَاهُ إِذَا فَهُوَ كَقَوْلِهِ آتِيكَ إِذَا زَيْدٌ قَائِمٌ . وهذا جائز على رأى أبي الحسن ، وذلك أنه يميز الابتداء بعد إذا الزمانية المشروط بها . »
(٢) قيل هو المعجاج . الحزانة (١ : ٢٧٧) .

ما كثره على وجه التأكيد ، وتفظيماً للأمر . والمعنى : هَلَّا جعلوني عُدَّةً لرجُلٍ
مثلي في البأس ، فَقَدَّ بعضهم بعضاً . وقد انتشرَ في الأرض أعداء كثيرة ،
وأَنواعٌ من الشر فظيمة . والشُّجَاع : الحَيَّة . وَكُنِّي بالعَقْرَبِ وبه عَنِ الأَعْدَاءِ
والشَّرِّ . وارتفاع شُجَاعٍ ، يجوز أن يكون على البدل ، ويجوز أن يكون على
الابتداء ومبثوثٌ خَبَرٌ له قُدَمٌ عليه ، ويجوز أن ينصب مبثوث على الحال ،
ويُجْعَل في الأرض الخَبَرُ^(١) . ولم يُثَنِّ مبثوث لأن القصد بالشُّجَاع والعقرب إلى
خيل الأعداء والشرِّ ، فكأنهما شيء واحد .

٤ - فَلَا تَأْخُذُوا عِقْلًا مِنَ الْقَوْمِ إِنِّي أَرَى الْعَارَ يَبْقَى وَالْمَاعِلُ تَذَهَبُ
لك أن ترفعَ المَاعِلَ على الاستثناء ، ولك أن تحمله على ما قبله فتطعنه
على العار . يقول : لا ترغبوا في قبول الدِّبَّةِ فإنه عَارٌ ، والعار يبقى أثره ،
والأموال تنفي . والمَاعِلُ : جمع المَعْقَلَةِ . والمَعْقَلَةُ والمَقْلُ : الدِّبَّةُ ، وأصله الإبل
كانت تُعَقَّلُ بفناء وَلِيِّ المَقْتُولِ ، وهو مصدرٌ وُصِفَ به . وحكى الأصمعيُّ : صار
دُمُهُ مَعْقَلَةً على قومه ، أي صاروا يَدُونَهُ .

٥ - كَأَنَّكَ لَمْ تُسَبِّحْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً إِذَا أَنْتِ أَدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ
يقول : مَنْ أَدْرَكَ ما طلبه من النَّارِ فكأنه لم يُصَبِّ ولم يُوتَرَ . وهذا بَعَثٌ
وتخصيض على طلب الدَّمِ والزَّهْدِ في الدِّبَّةِ . وفي طريقته قول الآخر^(٢) .
كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَغْرَ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكُ صُغُولًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا^(٣)
لكنَّ هذا بَعَثٌ على طَلَبِ المال .

(١) ابن جني : « فن نصب فإنه وصف نكرة قدم عليها فنصب على الحال منها ،
كقولك : لية موحشاً طلل قديم »

(٢) هو جابر بن ثعلبة الطائي ، كما في الكامل ٢٩٩ لبيدك . وفي الحماسة ٩٥ أنه
جابر بن الثعلب .

(٣) التبريزي : « ولم يك في بؤس إذا ما تمولا » .

٥١

وقال آخر :

١- فَلَوْ أَنَّ حَيًّا يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً لَسَقْنَا لَكُمْ سَيِّلاً مِنْ الْمَالِ مُفْعَماً

انتصب فدية على الحال من المال ، والمراد به الإبل لا غير ، ونكر قوله « حياً » وهو يقصد به قصد حتى بعينه ، لأن المراد كان مفهوماً عند من عرف القصة ، فجعله كالتعريض . وقوله « سَيِّلاً مُفْعَماً » والسَّيْلُ يُفْعَمُ به الشيء ، يجوز أن يكون من باب هم ناصب وما أشبهه ، ويكون المعنى سَيِّلاً ذا إقام ، ولكن أكثر ما يحى معنى النسبة فيما كان للفاعل ، كطالق ومريض . ومثله قولهم نخلة مؤقر . ويجوز وهو الأجود أن يكون عبر عن الكثرة بقوله مُفْعَمٌ كما عبر في قولهم شعرٌ شاعرٌ وموتٌ مائتٌ عن التناهي بلفظ فاعل ، وإن كان الموت لا يموت ، والشعر لا يشعر ، كما أن السَّيْلَ لا يُفْعَمُ . وقد قيل امرأة فعمّة المخلخل ، أى غليظة كثيرة اللحم عليه . والمعنى : لو كانت معاملتنا مع حتى يرى قبول المال فداء لأرضيناه بالمال الكثير .

٢- وَلَكِنْ أَبِي قَوْمٌ أُصِيبَ أَخُوهُمْ رَضَى الْعَارَ وَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدَّمَ

يقول : ولكن امتنع قومٌ أصبنا أصحابهم من الرضا بالدنية ، وآثروا طلب الدم على قبول الدية . وجعل اللبن كفاية عن الإبل تؤدى عقلاً ، [لأنه^(١)] منها ، وكما نكر حياً في البيت الأول نكر أيضاً في الثاني قوله « أَبِي قَوْمٌ » ، والغرضُ بهما على حد واحد ، ولا يجوز أن يكون « يَقْبَلُ الْمَالَ فِدْيَةً » صفة لقوله حياً ، لأنه يبقى أن بلا خبر . فأما قوله « أُصِيبَ أَخُوهُمْ »

(١) التكلة من م .

فَهُوَ صِفَةُ لِقَوْلِهِ قَوْمٌ . وَقَوْلُهُ « رَضَى الْعَارِ » الْعَارُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ، أَيْ أَبَوَا
أَنْ يَرْضَوْا الْعَارَ خُطَّةً لَأَنْفُسِهِمْ .

٥٢

وَقَالَتْ كَبْشَةُ أُخْتُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ^(١) :

١ - أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَعْقِلُوا لَهْمُ دَمِي
الشعر لكبشة أخت عبد الله ^(٢) . والكلام بعث وتوبيخ . وإنما تكلمت
به على أنه إخبار عما فعله عبد الله وأقامه من الوصاة عند الوفاة ، فتقول : راسل
عبد الله بن معديكرب لما دنا أجله قومه وذويه ، بأن لا تعقلوا دمي . وعرض
كبشة تخفيضهم على إدراك الثأر ، وترك التباطؤ والتكاسل فيه ، وإن كانت
آمنة من ميلهم إلى قبول الدية ، فغلطت القول لاحتياج حميتهم . ويقال عقلت
فلاناً ، إذا أعطيت ديتة . وجعل هذا المفعول الدّم لأنّ المراد مفهوم ، كأنه
قال : لا تأخذوا بدل دمي عقلاً . ويقال عقلت عن فلان ، إذا غرمت عنه
دية جنابته أو أرشها .

٢ - ولا تأخذوا منهم إفاً ولا أبكراً وأترك في بيت بصعدة مظلم
الإفاً : جمع وواحدة أفيل ، وهي صغار الإبل ، والأبكر : جمع البكر ،
وهو الفتى منها . يقول : لا تأخذوا من قتلتني صغار الإبل وبكارتها ، فتدكوني
في قبر مظلم بصعدة ؛ وهو مكان باليمن . وإنما جعل قبره هكذا ، لأنهم كانوا
يزعمون أن المقتول إذا ثاروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أوقبلت ديتة بقي .

(١) سبقت ترجمة أخيها عمرو في الحاشية ٢٩ . التبريزي : « كبشة أمم مرتحل علماً ،
وليس بتأنيث كبش ، لأن ذلك لا مؤنث له من لفظه ، وإنما هي نعمة » .
(٢) عبد الله أخو كبشة وأخو عمرو بن معديكرب .

قَبْرُهُ مُظْلِمًا . فَإِنْ قِيلَ : لَمْ ذَكَرَ الْإِقَالَ وَالْأَبْكَرَ وَمَا يُوَدِّي فِي الدِّيَاتِ لَا يَكُونُ مِنْهُمَا ؟ قُلْتُ : أَرَادَ تَحْقِيرَ الدِّيَاتِ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ تَحْقِيرَ أَمْرِ خِلْمَةٍ فَازَ بِهَا إِنْسَانٌ : إِنَّمَا أُعْطِيَ خِرْقًا وَقُلُوسًا ! وَإِنْ كَانَتِ النَّيَابُ الْمُنْطَاةَ كِسْوَةً فَاحِرَةً ، وَالْمَالُ الْمَوْفَرُ جَائِزَةً سَنِيَّةً . وَانْتَصَبَ « وَأَتْرَكَ » بِإِضْمَارٍ أَنْ وَهُوَ جَوَابُ النَّهْيِ بِالْوَاوِ .

٣ - وَدَعَّ عَنْكَ عَمْرًا إِنْ عَمَرَا مُسَالِمٌ وَهَلْ بَطْنُ عَمْرِو غَيْرُ شَبْرِ لِمَطْعَمٍ

عَمْرُو هُوَ أَخُوهَا ، وَكَانَ يُعَدُّ بِأَلْفِ فَارَسٍ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ يُسَالِمٍ وَلَا سِيًّا فِي طَلَبِ دَمِ أَخِيهِ . وَإِنَّمَا رَمَتْهُ بِهَذَا الْكَلَامِ لَتَهْيِيجٍ مِنْهُ وَتَبَعْنُهُ عَلَى التَّعَجُّلِ فِي دَرْكِ النَّارِ ، وَالتَّسَرُّعِ فِي الْإِنْتِقَامِ . وَقَوْلُهُ : « وَهَلْ بَطْنُ عَمْرِو غَيْرُ شَبْرِ لِمَطْعَمٍ » تَزْهِيدٌ فِي الدَّبِيَّةِ ، وَهَذَا كَمَا رَوَى فِي الْخَبَرِ : « وَهَلْ بَطْنُ ابْنِ آدَمَ إِلَّا شَبْرٌ فِي شَبْرِ » لَمَّا أُريدَ تَزْهِيدُهُ فِي الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا . أَيْ مَا يَضْنَعُ بِالْمَالِ وَجُوفُهُ يَمْتَلِئُ بِالسَّيْرِ . وَعَمْرُو لَمْ يَكُنْ يَمِيلُ إِلَى الدَّبِيَّةِ ، كَمَا لَمْ يَكُنْ يَمِيلُ إِلَى الْمَسَالَةِ ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّحْضِيضِ وَالْحَثِّ .

٤ - فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَأَرَوْا وَأَتَدَيْتُمْ فَمَشُّوا بِأَذَانِ النَّعَامِ الْمُصَلَّمِ

الصَّلْمُ : قَطْعُ الْأُذُنِ مِنْ أَصْلِهَا ، وَمِنْهُ الصَّلِيمُ : الدَّاهِيَةُ الْمُسْتَأْصَلَةُ . وَأَتَدَيْتُمْ ، مَعْنَاهُ قَبِلْتُمُ الدَّبِيَّةَ . يُقَالُ : وَدَيْتُهُ فَاتَدَى ، كَمَا يُقَالُ وَهَبْتُهَا فَاتَهَبَ ، أَيْ قَبِلَ الْهَبَةَ . وَفِي الْحَدِيثِ : « هَمَمْتُ أَلَّا أَتَهَبَ إِلَّا مِنْ قَرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ » وَمِثْلُهُ قَضَيْتُهُ الدِّينَ فَاقْتَضَاهُ ، أَيْ قَبِلَهُ وَتَوَقَّرَهُ . وَقَوْلُهُ : « فَمَشُّوا » أَيْ امشُوا . وَضَعَفَ الْفِعْلُ لِلتَّكْثِيرِ . وَمَنْ رَوَى « فَمَشُّوا » بِضَمِّ الْمِيمِ فَعْنَاهُ امْسَحُوا ؛ وَيُقَالُ لِمَنْ دَبِلَ الْفَمَرِ : الْمَشُوشُ . وَالْمَعْنَى : إِنْ لَمْ تَقْتُلُوا قَاتِلِي وَقَبِلْتُمْ دِيْنِي فامشُوا أَذْلَاءَ بِأَذَانٍ مُجَدَّعَةٍ كَأَذَانِ النَّعَامِ . وَوَصَفَ النَّعَامَ بِالْمُصَلَّمِ تَصْوِيرًا لَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ

خَلَقَتْ جَمِيعَهَا ذَلِكَ . وَمِنْ أَحَادِيثِهِمْ عَنِ الْبَهَائِمِ : « ذَهَبَتِ النَّمَامَةُ تَطْلُبُ قَرْنَيْنِ فَجُدَّتْ آذَانُهَا ^(١) » . وَمِنْ رَوَى « فَمَشُوا » فَالْمَعْنَى امْسَحُوا بِأَذَانِكُمْ مَجْدَعَةً مُثَلَّةً بِكُمْ كَأَذَانِ النَّعَامِ .

٥- وَلَا تَرِدُوا إِلَّا فُضُولَ نِسَائِكُمْ إِذَا ارْتَمَلْتُمْ أَعْقَابَهُنَّ مِنَ الدَّمِ تَرَمَلٍ وَارْتَمَلْ إِذَا تَلَطَّخَ بِالْدَمِ . قَالَ :

* إِنْ بَنَى رَمَلُونِي بِالْدَمِ ^(٢) *

وَيُحْزَرُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ دَعَاءَ عَلَيْهِمْ ^(٣) ، أَيْ أَحَلَّكُمْ اللَّهُ مَحَلَّ مِنْ ذَا صِفَتِهِ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ « فَمَشُوا » مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ أَيْضًا ^(٤) . وَإِنْ شَتَّ جَعَلَتْهُ نَهْيًا ، وَمَشُوا أَسْرَأَ . وَالْمَعْنَى : إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَتَأَخَّرُوا فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا وَالْمَنَاجِعِ ، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْمَشَاهِدِ وَالْمَوَارِدِ ، وَأَلْبَسُوا الذَّلَّ رَاضِينَ بِهِ ، فَإِنْ مَالَ أَسْرَمَ ^(٥) مَعَ تَضْيِيعِكُمْ دَمَ صَاحِبِكُمْ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ . وَكَانَ عَادَتُهُمْ إِذَا وَرَدُوا الْمِيَاهَ أَنْ يَتَقَدَّمَ الرَّجَالُ ثُمَّ الْعُضَارِيطُ وَالرُّعَاةُ ، ثُمَّ النِّسَاءُ ، إِذَا صَدَرَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ عَنْهُ ، فَكُنَّ يَغْسِلُنَّ أَنْفُسَهُنَّ وَثِيَابَهُنَّ وَيَتَطَهَّرْنَ آمِنَاتٍ مِمَّا يَزِعُجُهُنَّ غَيْرَ مُسْتَعَجَلَاتٍ ، فَمَنْ تَأَخَّرَ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى تَصْدُرَ النِّسَاءُ فَهُوَ الْغَايَةُ فِي الذَّلِّ . وَجَمَلَ النِّسَاءُ مُرْتِمِلَاتٍ بِدَمٍ الْحَيْضِ تَقْظِيمًا لِلشَّانِ ، وَتَدْنِيسًا لِلْمَاءِ . وَالْأَعْقَابُ وَاحِدُهَا عَقِبٌ ، وَهُوَ مُوْخِرُ الرَّجُلِ . يُقَالُ : وَلَّى عَلَى عَقْبِيهِ ، إِذَا انْصَرَفَ رَاجِعًا عَنْ مَطْلُوبِهِ .

(١) انظر الحيوان (٤ : ٣٢٣ ، ٣٩٨) .

(٢) لأبي أوزيم الطائي ، كما في اللسان (رمل) .

(٣) في الأصل : « عليه » وفي م : « عليكم » ، والوجه ما أثبتنا .

(٤) أي يكون على معنى الدعاء .

(٥) كذا في م . وفي الأصل : « فإن ما لكم » .

٥٣

وقال عنزة بن الأخرس المعنى من طي^(١) :

١- أَطْلَحَ حَمْلَ الشَّاءِ لِي وَبُغْضِي وَعِشْ مَا شِيتَ فَانْظُرْ مِنْ تَضِيرٍ^(٢)

يقال : شَنَنْتُهُ شَنَاءً وَشَنْتًا^(٣) وَشَنَانًا^(٤) وَمَشْنَاءً ، إِذَا كَانَ بُغْضًا مُخْتَلَطًا بِعَدَاوَةٍ وَسُوءِ خُلُقٍ ، كَمَا أَنَّ الشَّنْفَ اسْمٌ لِشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ . يَقُولُ : أَدِمَّ احْتِمَالِ الضَّغَائِنِ وَالْبُغْضِ لِي ، وَعِشْ مَدَّةَ مَشِيتِكَ فَتَأْمَلْ مِنْ يَضُرُّهُ ذَلِكَ . وَيُقَالُ ضَارَهُ يَضِيرُهُ ، وَضَرَّهُ يَضُرُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَانْتَصَبَ مَوْضِعَ مَا شِيتَ عَلَى أَنَّهُ ظَرَفٌ . وَ« مَنْ » مَفْعُولُ تَضِيرٍ ، لِأَنَّهُ اسْتِفْهَامٌ فَلَا يَفْعَلُ فِيهِ مَا قَبْلَهُ . أَيْ انْظُرْ تَضِيرَ مَنْ .

٢- فَمَا يَبِيدُكَ خَيْرٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ سُدُودِكَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ^(٥)

يَبِّينَ وَجْهَ اسْتِهَانَتِهِ بِهِ ، وَقَلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِبَغْضَائِهِ وَعَدَاوَتِهِ . فَيَقُولُ : لَا نَفْعَ عِنْدَكَ أَعْلَقَ رَجَائِي بِهِ ، وَغَيْرُ إِعْرَاضِكَ هُوَ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ ، فَأَمَّا إِعْرَاضُكَ فَأَهْوُونُ بِهِ وَأَحْقَرُ بَكُونِهِ . وَأَرْتَجِيهِ ، فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلنَّفْعِ ، أَيْ نَفْعُ مُرْتَجَى .

٣- أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرَكَ سَارَ عَنِّي وَشِعْرِي حَوْلَ يَدَيْكَ مَا يَسِيرُ^(٦)

(١) ويعرف أيضاً بعنزة بن عكبرة، وعكبرة اسم أمه . قال الأمدى في المؤلف ١٥٢ : « شاعر محسن وفارس » . والعنزة : واحدة العنتر ، وهو الذباب الأزرق ، فهو اسم منقول كما في المجه لابن جني . والمعنى : نسبة إلى معن بن عتود .

(٢) رواية الأمدى : « حبل الشناءة » بالياء . قال التبريزي : « الرواية الجيدة : حمل الشناءة بالميم . ويروى : حبل الشناءة ، بالياء ، وهو استعارة حسنة أيضاً ، جعل للشناءة حبلاً » .

(٣) هذه مثلثة الشين . (٤) الشنآن بسكون النون وفتحها .

(٥) وكذا رواية الأمدى . وفي م والتبريزي : « نفج أرتجيه » .

(٦) شعرك ، أى شعري المفعول فيك ؛ وشعري ، أى شعرك المفعول في . والأوفق .

رواية الأمدى والتبريزي : « إن شعري سار عني وشعرك » .

هذا تقرير له في بيان فضله عليه ، وسلامة عرضه من قَرَفِهِ إياه . يقول :
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ شِعْرَكَ الَّذِي قَلْتَهُ فِيَّ لَمْ يَغْلُقْ بِي ذَمُّهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ كَذِبًا وَزُورًا ، وَشِعْرِي
 الَّذِي قَلْتَهُ فِيكَ يَطُوفُ حَوْلَ دَارِكَ وَبَيْتِكَ وَلَا يَفَارُكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ صِدْقًا .
 ويجوز أن يكون المعنى : أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي الَّذِي قَلْتَهُ فِيكَ سَارَ عَنِّي ، لِأَنَّ الرِوَاةَ
 احْتَمَلُوهُ اسْتِجَادَةً لَهُ وَاسْتِلْذَاذًا ، وَشِعْرَكَ الَّذِي قَلْتَهُ فِيَّ مُلَازِمٌ لَكَ لَزُهُدِ النَّاسِ
 فِيهِ لَمَّا كَانَ سَفْسَافًا . وساغ الوجهان جميعاً لِأَنَّ الْمَصْدَرَ يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ كَمَا
 يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ ، فَعَلِيَ ذَلِكَ جَازٌ أَنْ يَقُولَ شِعْرُكَ وَيُرِيدُ شِعْرِي الْمَقُولَ
 فِيكَ . وروى بعضهم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وَشِعْرَكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ
 وهذا الراوي ^(١) صرَّحَ بالتفسير الثاني .

٤ - إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
 في طريقته قول أوس :

إِذَا بَشَرْتَنِي إِلَى الطَّرَفِ عَنْ عُرْضٍ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ بِنْفَضِي عُورُ
 يقول : إِذَا رَمَيْتَنِي بِبَصْرِكَ لَمْ يُمْكِنَكَ مَلُؤُهُ مِنِّي بُنْفَضًا وَعِدَاوَةً ، حَتَّى
 تُفَرِّضَ عَنِّي فَعَلَ النَّاضِرُ إِلَى الشَّمْسِ ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ تَدُورُ مِنْ جِهَتِي . فَأَمَّا
 قول الآخر :

* نَظَرْتُ يَرْكُ مَوَاطِيءَ الْأَقْدَامِ *

فهو صفة نظر المييب المعظم . وفي نظر الناظرين على اختلافهم ما يستدل به
 على أحوالهم ، وسفد كرامتهم عما يحجب عنه مُبِينًا مِنْ بَعْدُ .

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « وهذه الرواية » .

(٢) صواب روايته : « نظراً » . وصدر البيت كما في البيان (١ : ١١) .

* يتقارضون إذا التقوا في موقف *

٥٤

وقال الأحوص بن محمد^(١) :

١ - إني على ما قد علمتُ مُحَسَّدٌ أَنمي على البغضاء والشتانِ .

عَلِمْتُ بمعنى عَرَفْتُ ، ولهذا اكتفى بمفعولٍ واحدٍ . ومعنى البيت . إني مرموقٌ محسودٌ على ما قد عَرَفْتِهِ من أحوالي ، زائدٌ كلَّ يومٍ على بغضاء الناسِ وشتانهم لي ، ويكون قوله « على ما قد عَلِمْتُ » ، وقوله « على البغضاء » جميعاً في موضع الحال . والعامل في الأول قوله مُحَسَّدٌ ، وفي الثاني أَنمي . ويجوز أن يكون على ما قد عَلِمْتُ من صِلَةِ مُحَسَّدٍ ، كما تقول حَسَدْتُهُ على كذا . وقال بعضُ الناس : الشتان : بُغْضٌ يختلط به عداوةٌ وسوءُ خلقٍ ، فهذا جاز الجمعُ بينه وبين البغضاء . وقال غيره : بل هُما بمعنى واحد ، واللفظان إذا اختلفا على اتفاقٍ معناهما جاز الجمعُ بينهما تأكيذاً . واحتجَّ بقوله :

* وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ^(٢) *

قال : ولا خلاف بين أهل اللغة أنه لا فضل بينهما .

٢ - مَا تَعْتَرِينِي مِنْ خُطُوبٍ مُلَمَّةٍ إِلَّا تُشَرِّفُنِي وَتُعْظِمُ شَانِي
أضاف الخطوب إلى مُلَمَّةٍ لأنه أراد بها أوائلَ أمرٍ عظيمٍ ، وجوانبَ ثمرٍ

(١) هذه العبارة ساقطة من الأصل ، وإثباتها من م . وعند التبريزي : وقال الأحوص ابن مد بن عاصم بن ثابت بن أبي الألقاح الأنصاري . « والأحوص : لقب له ، ومعناه الضيق العين ، واسمه عبد الله . وهو شاعر إسلامي أموي ، من شعراء المدينة ، وقد نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة لهم وجهت إليه . الشعر والشعراء ٤٩٩ وابن سلام ١٣٧ - ١٤٠ والأغاني (٤ : ٤٠ - ٥٨) والخزانة (١ : ٢٣١ - ٢٣٤) .

(٢) للحطيطة في ديوانه ١٩ . وصدره :

* أَلَا حَبْنًا هِنْدَ وَأَرْضَ بَهَا هِنْدَ *

فطبيع . وأصل الخطب الطلب ، يقال خطبت كذا فأخطبني ، كما تقول طلبته فأطلبني ، فكأنه أراد أوائل ملة وأسبابا لها تطلبه . ويقال : هذا خطبُ أمرٍ عظيم ، وهذا خطبُ أمرٍ يسير . فيقول : ما يطرُقُ ساحتي أسبابُ نازلةٍ شديدةٍ إلا عظمُتْ شأني ، ورفعتْ قدرِي ، لأنه يُعرفُ بلائي فيها ، وحسنُ تحلّمي منها ، فازددتُ في عيون الناس وقلوبهم .

٣ - فإذا تزولُ تزولُ عن مُتَخَمِّطٍ تُخَشَى بَوَادِرُهُ لَدَى الْأَقْرَانِ^(١)

المتخمطُ : المتفصَّبُ لَهُ سَوْرَةٌ وَالتَّهَابُ ، واستعير في آدِي البحر وأمواجِهِ إذا التَّجَّتْ . قال :

* خِطِّ التَّيَّارِ يَزِيحُ بِالْقَلَعِ^(٢) *

يقول : إذا انكشفت تلك الخطوبُ والملمات انكشفت عن رَجُلٍ تَمَكَّبَرُ يُخَافُ فَلَائِهِ وَبَدْرَاهُ عِنْدَ نَظَرَائِهِ فِي الْبَاسِ وَالشَّدَّةِ . والمعنى : إِنَّ الدَّوَاهِيَ إِذَا نَزَلَتْ بِسَاحَتِي لَا تَلِينُ لَهَا عَرِيكَتِي ، وَلَا تُحَصِّلُ عَلَيَّ تَذَلُّلاً لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ لِي . وقوله : « تُخَشَى بَوَادِرُهُ » في موضع الصفة للمتخمط . ولم يَرْضَ حَتَّى يَجْعَلَ الْبَوَادِرَ تَخْشِيَةً عِنْدَ أَشْبَاهِهِ ، فَكَمَلَتِ الصِّفَةُ ، وَتَمَكَّنَتِ الْقَافِيَةُ .

٤ - إِنِّي إِذَا خَفِيَ الرَّجَالُ وَجَدْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ

إِنِّي إِذَا خَفِيَ مَوَاقِعُهُمْ مِنْ قُلُوبِ الرُّسَاءِ ، وَمَوَاضِعُهُمْ مِنْ صُدُورِ الْجَالِسِ فَأَنَا بِمَخْلَافِهِمْ . يصفُ اِشْتِهَارَهُ فِي الْأَمَّاكِنِ وَجَلَالَتِهِ فِي النُّفُوسِ ، فَيَقُولُ : إِذَا غَشِيَ الرَّجَالُ حُحُولُ الْفَتَنِ فِي شُهْرَتِي وَنِبَاهَتِي كَالشَّمْسِ الَّتِي يَتَّصِلُ شُعَاعُهَا بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَيُعرفُ شَأْنَهَا فِي كُلِّ نَفْسٍ وَكُلِّ زَمَانٍ .

(١) ابن جني في التنبية : « عل الأقران » .

(٢) لسويد بن أبي كاهل اليشكري في المفضليات (١ : ٢٠٠) . وصدره :

* ذر عباب زبد آذيه *

٥٥

قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب^(١) :

١- مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونًا

لَمَهْلُ الْمَهْلُ وَالْمَهْلُ تَتَقَارَبُ فِي أَدَاءِ مَعْنَى الرَّقِّ وَالسَّكُونِ . وَيُقَالُ :
لَا مَهْلَ لَكَ ، وَمَالِكَ مِنْ مَهْلٍ . قَالَ :

يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لِأَقْسِمُ مَا بِي عَنْ بُشَيْنَةَ مِنْ مَهْلٍ^(٢)

يَقُولُ : رِقْقًا يَا بَنِي عَمَّنَا ، رِقْقًا مَوَالِينَا . وَهَذَا التَّكْرَارُ يُرِيدُ بِهِ التَّأْكِيدَ .
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ تَهَكُّمًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَأْمٌ ابْتَدَعُوا فِي أَمْرِ
لَمْ يَأْمَنْ مَعَهُ مِنْ تَقَاظُمِ الشَّانِ ، وَاسْتَفْجَالِ الْخُطْبِ ، مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى تَلَاوُفِهِ ،
فَاسْتَرْفَقَهُمْ لَذَلِكَ . وَقَوْلُهُ : « لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا » أَيْ لَا تُثْبِرُوا مَا كَانَ مُسْتَوْرًا
مِنَ الشَّرِّ . وَذِكْرُ الدَّفْنِ وَالتَّبَشُّ اسْتِعَارَةٌ فِي الْإِظْهَارِ وَالْكُتْمَانِ .

٣- لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَتُنْكِرَ مَكْرُمُكُمْ وَأَنْ نَكْفُفَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا

يُقَالُ : طَمِعَ فُلَانٌ فِي كَذَا طَمَعًا وَطَمَاعِيَّةً وَمَطْمَعًا . وَأَوْصَلَ الْفِعْلَ بِنَفْسِهِ
مِنْ دُونَ فِي ، لِأَنَّ أَنْ الْخَفِيفَةَ وَالشَّدِيدَةَ إِذَا اتَّصَلَ بِهَا حُرُوفُ الْجَرِّ حَسُنَ حَذْفُهَا
لِطَوِيلِ الْكَلَامِ بِهَا . تَقُولُ : أَنَا رَاغِبٌ فِي أَنْ أَلْقَاكَ ، وَطَامِعٌ فِي أَنْ يُخْسِنَ
زَيْدٌ إِلَيْكَ ، وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ أَصِلَكَ . وَلَوْ قُلْتَ : أَنَا رَاغِبٌ أَنْ أَلْقَاكَ ،

(١) هُوَ الْمُسَمَّى بِالْأَخْضَرِ الْهَيْبِيِّ ؛ لِقَوْلِهِ :

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مِنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ

وَهُوَ شَاعِرٌ خَبِيثٌ مَتَمَكِّنٌ . مَعَاصِرٌ لِلْأَحْوَصِ وَالْفَرَزْدَقِ ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ ؛ فَلَمَّا مَاتَ الْوَلِيدُ جَفَاءَ سُلَيْمَانَ وَحَرَمَهُ . الْأَغَانِي (١٥ : ٢ - ٩)
بِالْمَوْلُفِ ٣٥ وَبِالْمَرْزُوبَانِ ٣٠٩ وَالْبَلَاغِ ٧٠٠ - ٧٠١ .

(٢) الشَّمْرُ يَنْطِقُ بِنِسْبَةِ قَائِلِهِ ، وَهُوَ جَمِيلٌ .

وطامعٌ في أن يُحسنَ زيدٌ إليك ، وحريصٌ على أن أصلَكَ ، ولو قلت : أنا راغبٌ أن ألقاك ، وطامعٌ أن يحسنَ زيدٌ إليك ، وحريصٌ أن أصلَكَ لجاز . ولو جَعَلْتَ مكانَ أن المصدرَ فقلتَ : أنا راغبٌ في لقائك ، وطامعٌ في إحسانِ زيدٍ إليك ، وحريصٌ على صِلَتِكَ ، لم يَجُزْ حذفُ حرفِ الجرِّ . لا تقول : أنا راغبٌ لِقائك ، وطامعٌ لإحسانهُ إليك ، وحريصٌ صِلَتِكَ ؛ لأن ما كان بطول الكلام به لم يحصل . يقول : لا تُقَدِّروا أنكم إذا أهنتُمونا قابلناكم ، بالإكرام ، وأنكم إذا أذيتُمونا كففتُمنا عن أذاكم ، لأن عزتنا تمنعُ من ذلك .

٣- مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا سِيرُوا رُؤَيْدًا كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَا

هذا الكلام فيه تهكم فيقول رفقا يا بني عَمَّنَا عن ثَلَيْنَا ، والوقوع فينا ، وسيروا على هِينَةٍ^(١) ووقارٍ ، وسكينةٍ وانخفاضٍ ، على عادتكم المتقدمة ، وسنتكم المهودة ، ودَعُوا ما استأنفتموه من الأخلاقِ المسكرة ، والسَّيرِ الذميمة . والأَثْلَةُ : شجرةٌ نُجْعَلُ مَثَلًا لِلْعَرِضِ ، فيقال : فَلَانٌ يَنْحَتُ أَثْلَةً فَلَانٍ ، إِذَا ذَمُّهُ وَتَنَقَّصَهُ . وقوله « سيروا رُؤَيْدًا » أراد سيرُوا واسِيرًا تَرْوِدُونَ فيه ، أى تَرْفُقُونَ فيه وتَسْكُنُونَ . « كما كنتم تَسِيرُونَا » أى ارجعوا إلى مثل سيرتكم الأولى ، وإلى طريقتكم المثلَى ، واتركوا ما ابتدعتموه ، فإِنَّا لا نَحْتَمِلُهُ ولا نَصَابِرُكم عليه . وروى بعضهم بدلًا من المِصْرَاعِ الثَّانِي :

* مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا مَهْلًا مَوَالِينَا *

ويحمل التكرار فيه على أنه تَوَعَّدُ وتَأْكِيدٌ .

٤- اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا لَا نَحْبُبُكُمْ وَلَا نَلُومُكُمْ إِلَّا تُحِبُّونَا

استدَّهَدَ رَبَّهُ فِي انْتِفَاءِ الْحُبِّ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ لَا يَلُومُونَهُمْ إِذَا

(١) م : « هية » .

لم يحببهم . كأن المعنى أن القلوب تجبولة على حبِّ المحسنِ وبُغضِ المُنكرِ ،
فإذا ارتفع التعامل بالإحسان مما بينهم ، وحَدَّثَ التجاذبُ بالإساءة فيهم ،
فالتحابُّ لا محالة ساقطٌ ، والتباغُضُ حاصلٌ .

٥ - كُلُّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَقْلِيصُكُمْ وَتَقْلُونَا

يقول : كلُّ واحدٍ سنا ومنكم من قبلُ وإلى الآن له نيةٌ صادقة لصاحبه
في العداوة والبغضاء ، وعقيدةٌ خالصة في القطيعة والجفاء ، فيحمد الله ومَنَّهُ
وجزِيلَ مَنَحِهِ قد استمرَّ أمرُنا على أننا نبغضكم وتبغضوننا . وقوله « بنعمة
الله » هو كما جاء في القرآن : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ . وقوله
« تَقْلِيصُكُمْ وَتَقْلُونَا » إشارةٌ إلى الحال . وَحَدَفَ المفعول من الثاني لَأَنَّ في
الكلام ما يدلُّ عليه . ويجوز أن يكون أراد وتقلوننا فَحَدَفَ الثَّانِيَةَ عن
الإعراب ، وهي لغة حجازية . ومثله :

* قَدْ رَفَعَ الْفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي ^(١) *

يريد تحذرين ، وعلى هذا قولُ الآخر :

* إِلَى مِنَ بِالْحَنِينِ تَشْوِقِيَنِي *

وهذا يؤيِّدُ مذهب سيبويه في تجويزه للشاعر حذف حركة الإعراب
عند الضرورة .

(١) نسب في حياة الحيوان للدير إلى طرفة بن العبد . وقوله :

يالك من قبرة بمعسر خلا لك الجو فيفيضي واصفري

ونفري ما شئت أن تنفري

٥٦

وقال الطرماح بن حكيم الطائي^(١) :

١ - لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ

قوله « أننى بغيفض » فى موضع الفاعل ، والمعنى : زادنى بغافضتى إلى كل رجلٍ لا فَضْلَ فيه ولا خَيْرَ عنده ، حُبًّا لِنَفْسِي ، لأنَّ التمايز بينى وبينه والتباين ، هو الذى أداه إلى بغيفضى ، ولو كان بيننا تشاكلٌ وتقاربٌ لَمَّا نَبَا عَنِّي ولا أَبْغَضَنِي . وهذا الكلام تعريضٌ بمناذله . وقوله « غير طائل » هو من طال عليهم يطول طَوْلًا . والطول : الفضل . وقال الخليل : يقال للشئ الدون الخسيس : هذا غير طائل ، والمذكر والمؤنث فيه سواء . ويقال : زِدْتُ فضلًا كما يقال ازددتُ فضلًا وزادنيه كذا .

٢ - وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

قوله « وأننى شقى » أصله أننى ، لكنّه حذف اللون الأولى من أن تخفيفًا لأنّه اجتمع ثلاث نونات . وهو محمول فى الإعراب على أننى فى البيت الأول وممطوف عليه ، فيقول : وزادنى حُبًّا لِنَفْسِي أيضًا شَقَوَتْنِي بِاللَّثَامِ حَتَّى تَنْقُصُونِي واعتابونى ، ثم قطع الإخبار وكأنّه أقبل على مخاطبٍ ملتفتًا إليه قال : وَلَا تَرَى أَحَدًا يَشْقَى بِهِمْ إِلَّا وَهُوَ كَرِيمُ الطَّبَائِعِ ، مجانبٌ لم يعرضه وأصله ، وَخُلِقَ وَفَعْلُهُ .

(١) هو الطرماح بن حكيم بن نفر بن قيس بن جعدر ، شاعر خطيب ، وكان يعد فى الملئين ، وهو من فحول الشعراء الإسلاميين وفصحائهم ، ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك ، وكان صديقًا للكثير على ما كان بينهما من تباعد فى النسب والبلاد ، وكان يمدح خاله ابن عبد الله القسرى . الأغاني (١٠ : ١٤٨ - ١٥٣) والمؤتلف ١٤٨ ، والمعنى (٢) : (٢٧٦ - ٢٧٨) والشعر والشعراء ٥٦٦ .

ويقال شَقِيتُ شِقْوَةً [وَشَقَاوَةً] ^(١) وَشَقَاءً . والشَّامِل : الطَّبَّاع ، واحداها شِمَالٌ . قال :

* أَلُومٌ وَمَا لَوْحِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا *

نم يقال : هو حَسَنُ الشَّمَائِل ، والمراد به الهَيْئَةُ وَالشَّكْل .

٣ - إِذَا مَا رَأَى قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَى فِعْلَ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ

رجع إلى اقتصاص ^(٢) الحال بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ عَرَّضَ بِهِ فَيَقُول : إِذَا أَبْصَرَنِي الْمُبَاطِغُ لِي ارْتَدَّ طَرْفُهُ عَنِّي ، وَقَطَعَ نَظْرَهُ إِلَيَّ ، فِعْلٌ مَنْ يَعْرِفُ الشَّيْءَ وَيَتَكَلَّفُ جَهْلَهُ . وقوله « قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ » ، الطَّرْفُ : مصدر طَرَفْتُهُ ، إِذَا أَبْصَرْتَهُ . وعلى هذا قوله :

* تَحَسَّبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةً ^(٣) *

وقد يراد بالطَّرْفِ العَيْنُ أَيْضاً فَيَكُونُ اسماً لِلْجَارِحَةِ وَالْحَدَثِ جَمِيعاً .
وانتصب « فِعْلَ الْعَارِفِ » عَلَى الْمَصْدَرِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنَى .
وَالْمُتَجَاهِلُ : مُتَكَلِّفُ الْجَهْلِ . وعلى هذا : تَعَامَى ، وَتَعَارَجَ ، وَتَخَازَرَ . وفي طَرِيقَتِهِ لَفْظاً وَمَعْنَى قَوْلِ الْآخَرِ :

* تَشَاوَسَ يَزِيدُ إِنَّنِي مَن تَأْمَلُ *

٤ - مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنِيهِ كِفَّةٌ حَابِلِ

يقال : مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ ، إِذَا ضَيَّقْتُهَا عَلَيْهِ . وَمَلَأْتُ مِنْهُ الْأَرْضَ ، إِذَا قُتِّمَتْ وَقَعِدَتْ بِذِكْرِهِ . وَالْحَابِلُ : نَاصِبُ الْحَبَالَةِ . وَيُقَالُ حَبَلْتُ الصَّيْدَ وَاحْتَبَلْتُهُ ، إِذَا أَخَذْتَهُ ؛ وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : احْتَبَلَهُ الْمَوْتُ بِجِبَالِهِ . وَالْكِفَّةُ ، يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ

(١) هذه من م .

(٢) في نسخة الأصل : « اختصاص » ، صوابه في م .

(٣) في الأصل : « علينا » صوابه في م . وهو لطرفة في ديوانه ٦٤ . وعجزه :

* يَا لِقَوْمِ الشَّابِّ الْمُسَكَّرِ *

به الخفيرة التي ينصب الحابل فيها الحباله . ويجوز أن يريد بها قترته ، ويجوز أن يريد بها عين الحباله ، لأنها تجمل كالطوق . وهذا أقرب لأن الخليل فسر الكفة على ذلك . وجاز إضافتها إلى الحابل كما يجوز إضافة نفس الحباله إليه ، والمعنى : ضيقت عليه الأرض على اتساعها ، لشدة بغضه لي ، أى حتى كانتا برحبيها في عينيه كفة حابل إذا اجتمع فيها معي . وهذا يشير به إلى تضاد الطبعين ، وتباين الخلقين ، وأنه لو أمكنه لا تنفي وجوده في الأرض انتفاء الضد للضد ، قلة موافقة وكثرة مخالفة .

٥٧

وقال بنمض بن ققمس^(١) :

١ - وذوى ضبابٍ مُظهرين عداوةً قرَحَى القلوبِ معاودى الإفنادِ

يقول : رُبَّ قومٍ ذوى أحقادٍ وضغائن ، مجاهرين بعداوتى ، مراجعين حالاً بعد حالٍ قول الفحش في ، مُتَقَرِّحِي الأَفْئِدَةِ لشدة الحسد والبغض لي ، فعَلْتُ بهم كذا . وجواب رُبَّ فيما بعد . وذَكَرَ قَرَحَ الْقَلْبِ مثلاً في العداوة ، كما يُذكر مرضه مثلاً في التناق . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرَضاً ﴾ . فأما ذكر الصَّعْر والشَّوْس فهو من هذا الباب ، لكنه تصوير حال المبالغ أو المتكبر في نظره ، أو إقباله أو التفاته ، وكذلك ما يشبهه . وقوله « معاودى الإفناد » الإفناد بكسر الهمزة : مصدر أفند الرجل ، إذا أتى بالفند . وإذا روي « الأفناد » بفتح الهمزة فهو جمع الفند ، وهو الفحش والخطأ في

(١) التبريزي : قال أبو محمد الأعرابي : الصواب أنه لمرداس بن جشيش ، أخى بن سعد ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه .

الرأى . ويقال فى اللوم : فَنَدَّتْهُ ، لأنه يجمع تحنطه الرأى وذكر القبيح .
والضباب : جمع الضب ، وهو الحقد . قال :

* ياربِّ ذى ضِفْنٍ وضَبِّ فارِضٍ ^(١) *

ويقال : فلان خَبَّ ضَبٌّ ، إذا كان مُفَكِّراً فى المعادة .

٢- نَأْسَيْتُهُمْ بَفَضَائِهِمْ وَتَرَكْتُهُمْ وَهُمْ إِذَا ذَكَرَ الصَّدِيقُ أَعَادِ

يقول : رَبُّ قَوْمٍ هَكَذَا أَنَا نَسِيتُ بَعْضَهُمْ لى حَتَّى نَسُوا أَيْضاً — لأنَّ
النِّسَاءَ تكون من اثنين فصاعداً — وتركْتُهُمْ وهم من جملة الأعداء ، إِذَا مُيِّرَتْ
بالتَّوَكُّرِ الأصدقاء . وقوله « الصديق » أراد به الجنس .

٣- كَيْفَا أَعَدَّهُمْ لِأَبْعَدَ مِنْهُمْ وَلَقَدْ يُجَاهِدُ إِلَى ذَوَى الْأَخْقَادِ

يقول : لم أكَشِفْتُهُمْ ، ولا أظهرتُ لهم عِلْمى بعداوتهم ، بل استمررت فى
مداجاتهم ومسانرتهم ، وعركت بَجَنِّى ما بَدَّرَ من هَفَوَاتِهِمْ ، طَلَبًا لِأَن أَعَدَّهُمْ
لِمَنْ هُوَ أَبْعَدُ شَأْوَافِى الْمَدَاوِءِ ^(٢) ، أو أَشَدُّ تَأْخُرًا فى الالتحام والقربة . ثم قال :
ولقد يُضْطَرُّ الإنسان إلى نُصْرَةِ بنى الأعمام وإن كانوا مُنْطَوِينَ على ضِعَائِهِ ،
فَإِذَا قَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَأَمَّهُ ذَلِكَ وَوَأَفَقَهُ ، وحصلت الدِّبْرَةُ ^(٣) على من حَصَلَ ،
إِذَا كَانَ فِيهِ تَفَانِيهِمْ ، واشتفاء الصُّدُورِ مِنْهُمْ . وهذا كما قيل لبعض حكماء
العَرَبِ ما تقولُ فى ابنِ المِ ؟ قال : عدوك وعدو عدوك .

(١) انظر الحيوان (٦ : ٦٦) ومجالس ثعلب ٣٦٤ واللسان (فرض) .

(٢) التبريزى عن أبي محمد الأعرابي أن الصواب : لأبعد قرابة منهم . قال : وهو مثل

قول حضرمي بن عامر :

ولقد طويتكم على بللاتكم وعلمت ما فيكم من الأذراب

كيما أعدكم لأبعد منكم ولقد يجاهد ذوى الأنساب

(٣) الدبيرة ، بالفتح : الظفر والنصرة ، كما اللسان (٥ : ٣٥٣) .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ (١) :

١ - دَفَعْنَاكُمْ بِالْقَوْلِ حَتَّى بَطَرْتُمْ وبالرَّاحِ حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ

يقول : دَرَجْنَاكُمْ فِي اسْتِبْقَائِكُمْ (٢) وَرَتَبْنَا الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ فِي اسْتِفَاءِ تِكُمْ وَإِصْلَاحِكُمْ ، فَوَعَّظْنَاكُمْ أَوَّلًا بِاللِّسَانِ وَضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي الْجِدَالِ ، حَتَّى أَبْطَرَكُمْ ذَلِكَ وَزَادَكُمْ إِغْرَاءً ، فَارْتَقَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الدَّفْعِ بِالرَّاحِ ، وَتَقْبِيحِ مَا تَأْتُونَهُ بِأَحْسَنِ الْمَسِّ ، فَلَمَّا لَمْ يُغْنِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَدَلْنَا مِنْهُ إِلَى الدَّفْعِ بِالأَصَابِعِ ، وَمَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَنَازِلِ مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْخَشُونَةِ وَاللِّيَانِ مَعْلُومٌ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ . وَمَرَّ بِي فِيمَا قَرَأْتُهُ مِنْ مَجَابِبَاتِ قُرَيْشٍ ، أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِآخَرٍ مِنْهُمْ مُسْتَضْعِفًا لِمَا أوردَهُ عَلَيْهِ : هَذَا دَفْعٌ بِالرَّاحِ ! فَقَالَ مَجِيئًا : كَلَّا ! إِنَّ مَعَهَا الْأَصَابِعَ ! وَقَوْلُهُ « حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ » انْتَصَبَ دَفْعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ كَانَ ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ كَأَنَّهُ قَالَ : حَتَّى كَانَ الدَّفْعُ دَفْعَ الْأَصَابِعِ . وَلَكِ أَنْ تَرْفَعَهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ ، وَتَضْمُرَ الْخَبَرَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : حَتَّى كَانَ دَفْعُ الْأَصَابِعِ دَفْعَنَا ، أَوْ عَلَى أَنْ يَكُونَ كَانَ بِمَعْنَى حَدَثَ ، فَتَكْتَفِي بِالْفَاعِلِ ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى كَانَ التَّامَّةَ .

٢ - فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلَامِكُمْ غَيْرَ رَاجِعٍ

يقول : وَلَمَّا وَجَدْنَاكُمْ لَا تَرَعُونَ لِمَوَاطِعِكُمْ وَتُذْرِكُمْ ، وَلَا يَمُودُكُمْ مَا عَزَبَ مِنْ بَصَائِرِكُمْ وَعَمَلِكُمْ ، وَلَا يَقِفُ الْجَهْلُ بِكُمْ عَلَى غَايَةٍ لَا مُتَجَاوِزَ وَرَاءَهَا ، وَلَا يُغْنِي مَا اسْتَفْرَغْنَا فِيهِ الْوُسْعَ مِنْ رَدِّكُمْ وَزَجْرِكُمْ ، رَاجِعُنَا أَنْفُسَنَا

(١) التبريزي : « يزيد بن الحكم الكلبي » . وهذا غير يزيد بن الحكم الثقي ، المترجم في الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠٠) والخزانة (١ : ٥٤ - ٥٦) .

(٢) م : « درجنا في استصلاحكم » .

مُنْكَرِينَ وَمُتَعَجِّبِينَ ، وَأَقْبَلْنَا نُبَاحِثُ عَنْ أُصُولِنَا وَفُرُوعِنَا مُعْتَزِينَ ^(١) ، لِنَقْفَ عَلَى مَا وَطَّأَ لَكُمْ مَرَائِبَ الْعُفُوقِ ، وَحَسَّنَ فِي آرَائِكُمْ تَحْطِئَ مَوَانِعَ الْحَقُوقِ ، إِلَى نَكْتِ قُوَى الْعُودِ .

٣- مَسِينَنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكُلْنَا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِحٍ

قوله « مَسِينَا » يجوز أن يكون بمعنى أَصَبْنَا واختَبَرْنَا ، لأنَّ الْمَسَّ باليد قد يُقصدُ به الاختبار ، ويجوز أن يكون بمعنى طلبنا . وقد قال بعضُ الناس في قول الله تعالى : ﴿ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ : إنَّ المعنى لا يطلُبُهُ . قال : واللَّحْسُ كالْمَسِّ في أنه يوضع في معنى الطَّلَبِ . قال : وعلى هذا يُحمل قولُ الله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَّ حَرَسًا ^(٢) ﴾ . فإِنَّ الأوَّلَ قولُهُم : مَسَّهُ الْكِبَرُ ، وأفضى الرَّجُلُ إِلَى امْرَأَتِهِ إِفْضَاءً مَسِيسَ . ومن الثَّانِي مَسَّاسُ الْحَاجَةِ . فَمَا قَوْلُهُمْ : به مَسٌّ مِنْ جُنُونٍ ، فيصَحُّ أن يكون من الأوَّل ومن الثَّانِي جَمِيعًا . وهذا كما يُقالُ : به لَمَّ مِنْ جُنُونٍ ، وأصلُهُ من اللَّمِّ وهو الْجَمْعُ أو الإِلَام . وقوله « وَكُلْنَا إِلَى حَسَبٍ » أَيْ يَنْتَهِي وَنَتَمَى ^(٣) . فـ « إِلَى » تَعْلُقُ بِهَذَا وَمَا أَشَبَّهُهُ مِنَ اللَّضْمَرَاتِ . وهذا كما يُقالُ : أَنَا مِنْكَ وَإِلَيْكَ . وقولُهُ « كُلْنَا » أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا ، يَعْنِي أَهْلَ بَيْتِهِمْ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ « إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ » . ومعنى البيت : لَمَّا اشْتَدَّ لَجَاجُهُمْ وَطَالَ تَمَادِيهِمْ ، وَصَارُوا لَا يَنْزِلُونَ عَنْ مَرَائِبِ الْبَغْيِ ، وَلَا يَرْجِعُونَ عَنِ الدَّهَابِ فِي طُرُقِ الْفَسَادِ ،

(١) م : « معتبرين » .

(٢) وإِنَّا ، وردت بكسر الهمزة في النسختين . وقد اختلف القراء في كسر همزة إن وفتحها في اثني عشر موضعاً من هذه السورة ، وهي سورة الجن ، فقرأ بعضهم بالكسر في جميعها ، وبعضهم بالفتح في جميعها ، وبعضهم بالكسر في بعضها والفتح في بعضها الآخر . إتحاف فضلاء البشر .

(٣) م : « أَيْ نَتَمَى وَنَتَمَى » .

نَظَرْنَا : أي عَرَقَ يَقْتَضِي مُنْكَرَ الْخِلَافِ مَعْنَا ، وَمَا الَّذِي يُوْجِبُ التَّدَابُرَ مِنَ الْأَنْسَابِ وَالْأَسْبَابِ بَيْنَنَا ، فَلَسْنَا أَطْرَافَ أَبْنَانَا ، وَاسْتَشْفَقْنَا جَوَانِبَهَا ، وَوَجَدْنَا كَلَامًا مَتْنًا يَنْتَمِي إِلَى حَسَبٍ يَرْفَعُهُ وَلَا يَضَعُهُ . وَيُقَالُ : وَضَعْتُهُ ، إِذَا حَطَّطْتَ مِنْهُ . وَوَضَعَ الرَّجُلُ ، وَهُوَ وَضِيعٌ بَيْنَ الضَّعَةِ وَالضَّعَةِ . وَالتَّوَضُّعُ : التَّائِثُ وَالانْكَسَارُ مِنْ هَذَا . وَيُقَالُ : دَابَّةٌ حَسَنَةُ الْمَوْضِعِ ، وَضِدُّهُ الْمَرْفُوعُ . وَبَعِيرٌ عَارِفُ الْمَوْضِعِ ، أَيْ ذَلُولٌ عِنْدَ الرُّكُوبِ .

٤ - فَلَمَّا بَلَّغْنَا الْأَمْنَاتِ وَجَدْتُمْ بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْمُضَاجِعِ
جَعَلَ الْمُضَاجِعَ كَنَابَةً عَنِ الْأَزْوَاجِ . وَهَذَا كَمَا يُكْنَى عَنْهُمْ
بِالْمُفَارِشِ . قَالَ :

سُجَّرَاهُ نَفْسِي غَيْرَ جَمْعٍ أَشَابَهُ حُسْدٍ وَلَا هُلْكَ الْمَفَارِشِ عُذْلٍ

يَعْنِي أَنَّ أَمْنَاتِهِمْ عَفَائِفُ . فَيَقُولُ : لَمَّا تَقَصَّيْنَا بِالْبَحْثِ وَالْكَشْفِ أَنْسَابَ آبَائِنَا ، وَعَلَانِي ^(١) وَصَلِيمَا فَلَمْ نَجِدْ فِيهَا مَقَمَّرًا ، وَلَا إِلَى مَا دَمْنَا مِنْ أَخْلَاقِكُمْ مِنْهَا دَاعِيًا ، عَدَلْنَا إِلَى النَّظَرِ فِي أَنْسَابِ أَمْنَاتِنَا ، وَالتَّوَضُّعِ إِلَى مَكْنُونٍ وَشَائِبِهَا ، وَبِجَهْلٍ مَوَاصِلِهَا ، فَالْفَيْتُمْ أَبْنَاءَ عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ الْفُرُشِ . وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَعَارِضِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ : كَانَتْ أَمْنَاتُنَا أَشْرَفَ مِنْ أَمْنَاتِكُمْ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ مَا خَالَفْتُمُونَا فِيهِ ، وَصَرْتُمْ عَلَى حَرَفٍ مَبَايِنَةٍ لَنَا مِنْ أَجْلِهِ ، شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ . وَإِنَّمَا قَالَ « وَجَدْتُمْ » لِيَكُونَ كَالْتَقْرِيرِ لَهُمْ ، وَبَصِيرَةٍ مَا ادَّعَى مِنَ الْفَضْلِ عَلَيْهِمْ بِاتِّفَاقٍ مِنْهُمْ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : وَجَدْتُمُونَا ، فَوَضَعَ بَنِي عَمِّكُمْ مَكَانَ « نَا » ، وَهُوَ أَخْصَرُّ مِنْ بَنِي عَمِّكُمْ ، بِدَلَالَةِ أَنَّ مَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ أَخْصَرُّ مِمَّا يَكُونُ لِلْغَائِبِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ وَضَعَ الْأَدَوْنَ مَوْضِعَ الْأَخْصَرِّ .

(١) م : « وعلق » .

وليس الأمر على ما قال، لأن الرجل إنما يريد بهي محكم الآباء، وقد قدم ذكرهم في قوله «مسئنا من الآباء». ألا ترى أنه قال: كانوا كرام المضاجع. وإذا كان الأمر على هذا، كان الواجب عليه أن يقول: وجدتم آباءنا كانوا، لا وجدتمونا.

٥٩

وقال جابر بن رالان^(١):

١- لعمرك ما أخزى إذا ما نسبتي إذا لم تقل بطلاً على ومينا

لعمرك مبتداً، وخبره محذوف، فكأنه قال لعمرك ما أقسم به، ولا يستعمل في اليمين إلا بفتح العين، وإن كان ضمها لغة فيه. و«أخزى» يجوز أن يكون من الخزي: الهوان، ويجوز أن يكون من الخزاية: الاستحياء. وللبطل يراد به الباطل. والمئين: الكذب، وقد مان، وهو مائن وميئون. والمعنى: وبقاتك ما أستحي أو ما أهون ولا أذل متى ما ذكرت أسلافي وآبائي ولم تقل باطلاً، ولم تدع على زوراً. وقوله «إذا ما نسبتي» ظرف لقوله ما أخزى. و«إذا لم تقل» يجوز أن يكون بدلاً منه. ولولا أنه كرر «إذا» لكان الكلام ما أخزى إذا ما نسبتي ولم تقل بطلاً وميناً. ولا يجوز أن يكون العامل في إذا «ما نسبتي» لأن ذا قد أضيف إليه ويين به، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. ويجوز أن يكون إذا الأولى بما اتصل به وما عمل فيه الجملة في جواب إذا الثانية، كأنه قال: إذا لم تقل بطلاً فلعمرك ما أخزى إذا ما نسبتي. وانتصب «بطلاً» على أنه

(١) التبريزي: «جابر بن رالان السبسي». ثم قال: «من همز رالان فهو فعلان من لفظ الرال، ومن لم يهزمه احتمل أمرين: أحدهما أن يكون تخفيف رالان، كقولك في تخفيف رأس راس، والآخر أن يكون فعلان من رولت الخبز في السمن ونحوه، إذا أشبهت منه».

مفعول لم تقل ، لأن القول يُحكى بعده الجمل فيعمل في مواضعها لا في لفظها ،
ويقع المفرد بعده - إذا كان معنى الجملة - منصوباً به .

٣- ولكننا نخزي امرؤ ويكلم استه قنأ قومه إذا الرماح هوينأ^(١)

هذا تعريض بالمخاطب ، يقول : أنا لا أخزي إذا ذكر مسعاة آبائي على
حدّها وحتمها ، إنما يخزي لذلك رجلٌ هذا صفته ونعته ، وهو أنه يجرح
استه ، لكونه مولياً ومنهزماً ، رماح قومه إذا شرعت للظمن . وإنما قال
« قنأ قومه » لأنه أشار في تعريضه إلى حالة انفتت للمخاطب مع أبناء عمه .
وكل جرح صغر أو كبر فهو كلم .

٣- فإن تبعضونا بفضة في صدوركم فإننا جدعنا منكم وشرينا

قوله « في صدوركم » بما تعلق به في موضع الصفة للفضة . والمعنى : إن
انطوت صدوركم لنا على بفضة راسخة فيها ، متمكنة منها فغير مستنكر عندنا
ولا مستطرف من أحوالنا ، لأن ما ارتكبناه فيكم من جدع الأنوف وبيع النفوس
بإذلالنا إياكم ، وبما أخذناه في فدائكم ، يوجب البغضاء ، ويقتضي الشئان .

٤- ونحن غلبنا بالجال وعزها ونحن ورثنا غيثاً وبدينا

يعنى بالجال أجا وسلمى وهضابهما ، ولذلك جمع . وقوله « وعزها » أراد
عز أربابها وسكانها . ويجوز أن يريد العز الذي يحصل لهم عند التحضن بها .
وطيئاً أبداً تفتخر بذلك ، لأنهم إذا اعتصموا بها لم تتوصل الأعداء إليهم فيها .
وغيث وبدين : قبيلتان^(٢) . يريد : ورثنا أحسابهم ومفاخرهم . وغيث :

(١) التبريزي : « تكلم استه » .

(٢) التبريزي : « وغيث وبدين : اسماء رجلين من طيئ » .

فِيْعِلُّ مِنَ النَّوْثِ ، وَفِي بَطُونٍ طَيِّئٍ بَطْنٌ يَقَالُ لَهُمُ النَّوْثُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِي .

٥ - وَأَيُّ ثَنَائِيَا الْمَجْدِ لَمْ نَطَّلِعْ لَهَا وَأَنْتُمْ غَضَابٌ تَحْرُقُونَ حَلِينَا

الاستفهام هنا يجرى بجرى النفي ، كأنه قال : ما ثَنِيَّةٌ من ثَنَائِيَا المجد إلا طَلَعْنَا لها . والثَنِيَّةُ : فعيلة من ثَنَيْتُ ، أَي عَطَفْتُ وَصَرَفْتُ ، وكما اسْتُعْمِلَتْ في الجبال اسْتُعْمِلَتْ في الأمورِ وَالْخَطَّاتُ ^(١) . قال :

وَمِنْثِيَّةٌ مِنْ أَمْرِ قَوْمٍ وَغَرَّةٌ فَرَجَتْ بَدَايَ فَكَانَ فِيهَا الْمَطْلَعُ

فلذلك ذكرها هنا مثلاً ، والمعنى : إِنَّا مَطَّلَعُ الشَّرَفِ عَلَى تَوْغْرِهَا أَوْ نَسْأَلُهَا ارْتَقِينَا إِلَيْهَا ، وَأَنْتُمْ تَهْدِدُونَنَا فِي غَضَبِكُمْ ، وَالْحَرْقُ : حَرَقَ أَحَدُ النَّابِينَ بِالْآخِرِ . وَقَدْ حَرَقَ نَابُهُ يَحْرِقُ وَيَحْرُقُ ، حَرَقًا وَحُرُوقًا ^(٢) ، مِنَ الْغَيْظِ . وَذَكَرَ الْخَلِيلُ : حَرِيقُ النَّابِ كَصَرِيفِ النَّابِ . وَ« فُلَانٌ يَحْرُقُ عَلَى الْأَرْزَمِ » وَيُرْوَى « الْأَرْزَمِ » . وَالْأَرْزَمُ : الْأَكْلُ ، وَالْأَرْزَمُ : الْعَضُّ ، وَهِيَ جَمِيعًا بِالْأَسْنَانِ ، وَالْمَعْنَى يَحْرُقُ عَلَى أَسْنَانِهِ . وَالتَّوَعَّدُ يَفْعَلُ ذَلِكَ يُظْهِرُ بِهِ شِدَّةَ الْغَيْظِ . وَاكْتَفَى بِقَوْلِهِ « يَحْرُقُونَ » عَنْ ذِكْرِ الْمَفْعُولِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ . وَيُقَالُ : أَطْلَعَ عَلَيْهِ وَلَهُ ، إِذَا أَشْرَفَ . وَالْمَعْنَى إِنَّا رَدَدْنَا عَلَى حَسَدِكُمْ لَنَا ، وَتَغْيِظُكُمْ فِينَا ، قُوَّةً وَشَرَفًا ، وَعِزَّةً وَكِرَمًا ، حَتَّى لَمْ تُبْقِ غَايَةً مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا ارْتَقِينَا إِلَيْهَا وَعَلَوْنَاهَا .

(١) الخطاطات : جمع خطة ، وهذا ما في م . وفي الأصل : « والخطاب » .

(٢) حرق ، هذه لازمة ومتعدية ، يقال حرق ناب البعير ، وحرق البعير نابه أيضا .

٦٠

وقال سبرة بن عمرو الفقعسي^(١)

وعيره ضمرة بن ضمرة النهشلي كثرة إبله .

١ - أَتَنَسَى دِفَاعِي عَنكَ إِذْ أَنْتَ مُسْلِمٌ وَقَدْ سَأَلَ مِنْ ذَلِّ عَلَيْكَ قَرَارِ^(٢)

لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار . أى لم تنسى مدافعتي عنك حين كنت مخذولاً لا ناصر معك ، وقد امتدَّ سيل الذلِّ نحوك فسأل عليك . فإذا ظرفٌ لدفاعي . وقَرَارٍ : اسمٌ وادٍ ، ويكون ذكره مثلاً . ومن كلامهم : « سال عليه الذلُّ ، كما يسيل السَّيل » . ولا يمنع أن يكون لحقه ما لحقه من الذلِّ من ناحية قرائر ، فلذلك خصَّه . وقوله « إِذْ أَنْتَ مُسْلِمٌ » يقال أسلمته وسلمته ، إِذَا خَلَيْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَرِيدُ النِّكَايَةَ فِيهِ . وَأَسْلَمْتُ الصَّبِيَّ فِي حِرْفَةٍ ، إِذَا أَرْسَلْتَهُ فِيهَا . وقوله « وقد سال » في موضع الحال ، أى أسلمت وحال ذلك .

٢ - وَنَسَوْتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بِأَدْوَجُوهَا يُخْلَنَ إِمَاءٌ وَالْإِمَاءُ حَرَائِرُ

قوله « ونسوتكم » مع خبره جملة انعطفت على قوله « وقد سال من ذلِّ »

(١) التبريزي : « ذكر أبو عبيدة أن سبرة بن عمرو قال هذه الأبيات في منافرة عباد ابن أنف الكلب ومعبد بن فضلة بن الأشتر الفقعسي . . . تنافرا إلى ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، وبينهما مائة من الإبل خطر ، فقال عباد لضمرة : لك مائة من الإبل ، وتنفرني على معبد . ففعل ، فهو أول من ارتشى من حكام الجاعلية » . وقد روى بإقوت الأبيات (في قرائر) .

(٢) ذكر التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن الصواب : « وقد سال من نصر عليك قرائر » ، قال : يعنى نصر بن قمين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه . يقول : دافعهم عنك حين سال الوادي بهم عليك .

وهذا وصفُ الحال التي مُنيَ بها حينَ نَصَرَهُ بِمُخَاطَبِهِ . والمراد : ونساؤكم تشبّهن بالإماء ، مخافة السَّيِّئ ، حتى تَبَرَّجْنَ وبرزن مكشوفاتِ ناسياتٍ للحياء . وإن كنَّ حرائر . وإنما قال هذا لأنهم كانوا يَقْصِدُونَ بِسَبْيِ مَنْ يَسْبُونَ من النساء إلحاقَ العار ، لا اغتنامَ الفداء والمال ، ولما كان الأمرُ على هذا فالحرّة كانت في مثل ذلك الوقتِ تشبّه بالأمّة ، لكي يُزَهَّدُ في سَبْيِهَا . ومعنى و « الإماء حرائر » : واللأني يُحَسِّنُ إماءَ حرائرُ . ولو قال يَخْلَنُ إماءُ وهن حرائر لكان مأخذُ الكلام أقرب ، لكنّه عدل إلى « والإماء حرائر » ، ليكون الذّكر به أنعم ، والاقتصاص^(١) أشنع وأعظم . وقال « بادِ وجوهها » لتقدّم الفعل ، وأن تأنيث الوجوه غير حقيقي ، ولو قال بِأَدِيَّةٍ وجوهها لجاز . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَحَارِ غَانِيَةٍ عَقَدْتُ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مُنْشَرًّا بِشِمَالِهَا

٣- أَعْيَرْتَنَا أَلْبَانَهَا وَلُحُومَهَا وَذَلِكَ عَارٌّ يَابَنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ

يريدُ على وجه الإنكار والتفريع : لِمَ عَيْرْتَنَا أَلْبَانَ الْإِبِلِ وَلُحُومَهَا واقتناء الإبلِ مُبَاحٌ لا محظورٌ في القديم والحديث ، والانتفاعُ بِلُحْمَانِهَا وَأَلْبَانِهَا مُسَوِّغٌ غير مردودٍ في الدّين والعقل ، وتفريقُها في المحتاجين إليها إحسانٌ ومعروفٌ يَجْلِبَانِ^(٢) الحمدَ والشكر . وذلك عارٌ ظاهرٌ ، أي زائلٌ . قال أبو ذؤيب :

وَعَيْرَهَا الْوَاشُونَ أَنِّي أَحِبُّهَا وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا

ومن هذا قولك : ظَهَرَ فَوْقَ السَّطْحِ ، وقولك : جَعَلْتُهُ مَنًى بَظْهَرٍ ، وقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ﴾ . ويموز أن يريد بالظاهر أن الحال في أن

(١) كذا في م . وفي الأصل : « والقصاص » .

(٢) كذا ضبط بضم اللام في النسختين ، وهي إحدى لفتين : ضم اللام وكسرهما

في المضارع .

ذلك ليس بعار ظاهرةً غَيْرُ مُلْبِسَةٍ ولا خافية . ويقالُ عَيْزَتُهُ كَذَا وهو الأَفْصَحُ ، وعَيْزَتُهُ بِكَذَا . قال عديُّ :

أَيُّهَا الشَّامِتُ المَعِيْرُ بالدَّهْرِ (١)

والواو من قوله « وذلك عارٌ » واو الحال ، أى أتعيرُنا والحال ذلك .

٤ - نُحَايِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهِنُهَا وَنَشْرَبُ فِي أَثْمَانِهَا وَنُقَامِرُ

بين وجوه تصرفهم فيما عَيرَهم به ، فقال : نجملها حياءً لنظرائنا فنتهادى بها ، ونُسَهِّلَ تَمَكَّنَ العَفَاةِ والزَّوَارِ منها ، بابتذالها وإهانتها - وحذَفَ ذِكْرَ مَنْ أَهْيَنَتْ لَهُ لَأَنَ المراد مفهوم - - ونبيعها فنصرفُ أَثْمَانَهَا إلى الخمر والإفناق ، ونَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ عليها فى اللَّيْسِ عند اشتداد الزَّمان ، فنفرُّقُهَا فى الضُّعْفَاءِ والمُحْتَاجِينَ إِلَيْهَا . وفى تَعْدَادِ هَذِهِ الوجوهِ إِبْطَالٌ لِكُلِّ مَا أُوهِمَ أَوْ ادَّعِيَ يَلْحَقُ مِنَ العَارِ فى اقْتِنَائِهَا وَاذْخَارِهَا . وروى بعضهم : « نُحَايِي بِهَا أَكْفَاءَنَا » على أن يكون نُفَاعِلُ مِنَ الحَيَاةِ ، أى نعايشُهم بها ونجمل ؛ وليس بشيء ، فلا تُعْرَجُ عليه .

٦١

وقال آخر من بنى فَقَمَسٍ (٢) :

١ - أَيْبَنِي آلُ شَدَادٍ عَلَيْنَا وَمَا يُرْغَى لَشَدَادٍ فَصِيلُ

مخرجُ هذا الكلام مخرجُ الكلامِ المُتَقَدِّمِ ، فى أنه إنكار وتقرُّيعٌ ، وفيه إشارة إلى ما يتضمنه قول الآخر من التَّبْخِيلِ ، وهو :

(١) تمامه ، كما فى الأغاني (٢ : ٣٤ ساسى) : « ألأنت المبرأ الموفور » .

(٢) التبريزى : « قال أبو هلال : هو لعمرو بن مسعود بن عبد مرارة » .

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبِثِي بَرَبٍ وَلَا لَحْمِي عَلَى وَلَا سِلَاقِي^(١)
 أَى مَا لَهُمْ يَبْتَغُونَ عَلَيْنَا وَحَالَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا هُوَ نَهَابَةُ الْبَخْلِ وَالشُّومِ ،
 وَالذَّقَّةِ وَاللُّومِ ، حَتَّى لَا يَحْمَلَ قَصْلٌ لَهُمْ عَلَى إِرْغَاءِ بَأْنٍ يُفْصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 أُمِّهِ بَنَجْرٍ أَوْ هَبَةٍ ، ضَنْبًا بِهِ ، وَإِشْفَاقًا عَلَيْهِ . أَى إِنَّهُمْ لَا يَسُوْغُ لَهُمُ الْبَغْيُ مَعَ
 هَذِهِ الْحَالِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ « وَمَا يُرْغَى لَشَدَادِ قَصْلٍ » يَرَادُ بِهِ مَا لَهُمْ
 فَصِيلٌ فَيُرْغَى ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ *^(٣)

وَالْمَعْنَى : لَا ضَبَّ بِهَا فَيَنْجَحِرُ . يَرْمِيهِمْ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ ، وَضَعْفِ الْمُنَّةِ ،
 وَقُصُورِ الْإِسْطَاعَةِ . وَقَالَ : أُرْغَى فَلَانٌ فَصِيلَهُ ، وَإِذَا حَمَلَهُ عَلَى الرِّغَاءِ ، وَأُرْغَى
 فَلَانٌ فَلَانًا وَأُتْنَى ، إِذَا أُعْطَاهُ إِبْلًا وَغَنَمًا . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « وَمَا يُرْغَى »
 بِكَسْرِ الْفَيْنِ ، أَى لَا يُعْمَلُ بِالْفَصِيلِ مَا يَحْمِلُ أُمُّهُ عَلَى الرِّغَاءِ لَهُ . وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

٢ - فَإِنْ تَغَمَزَ مَقَاصِلَنَا تَجِدْنَا غِلَظًا فِي أَنْامِلٍ مَنْ يَصُولُ

هَذَا تَعْرِيفٌ وَإِعَادٌ ، فَيَقُولُ : إِنْ رُزُّمُونَا وَجَدْتُمُونَا غِلَظًا عَلَى مَنْ يَصُولُ
 عَلَيْنَا ، جُفَاءً عِنْدَ مَنْ يَسُوْمُنَا مَكْرُوهًا . وَالْمَعْنَى : لَا نُسْتَلَانُ عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . وَجَعَلَ
 الْغَمَزَ غَمَزَ الْفَاصِلِ كُنَايَةً عَنِ الْإِخْتِبَارِ . وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ^(٤) : « لَا أُغْمَزُ
 كِتْمَنَازَ النَّيْنِ » ، وَلِذَلِكَ صَالِحٌ أَنْ يَقُولَ اسْتَفْظَظْتُنَا فِي أَنْامِلِهِمْ . وَخَصَّ الْأَنْامِلَ
 لِأَنَّ الْإِفْتَالَ عَنِ الشَّيْءِ وَالْإِفْبَالَ عَلَيْهِ بِسَلَامَتِهَا مِنَ الْآفَاتِ يَقْوَى .

(١) أَى لَا أَجِلَ اللَّيْلِ بِمَنْزِلَةِ الْمَعْظَمِ الْمُبْجَلِ ، أَوْ الْمَالِكِ لِي ، بَلْ أَبْذَلُهُ وَأَمِينَهُ لِلضَّيْفِ .

(٢) هُوَ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ ، يَصِفُ فِلَاةً . الْخَزَائِنَةُ (٤ : ٢٧٣) .

(٣) صَدْرُهُ : * لَا تَفْزَعُ الْأَرْبَابُ أَهْوَالَهَا *

(٤) هُوَ الْحِجَاجُ ، قَالَهَا فِي خُطْبَةٍ لَهُ بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ . الْبَيَانُ (٢ : ٣٠٩) .

٦٢

وقال جزء بن كليب الفقهسي^(١) :

١- تَبَنَّى ابْنُ كُوزٍ وَالسَّفَاهَةُ كَاسِمَهَا لِيَسْتَادَ مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لِيَايَا

قوله « والسفاهة كاسمها » اعتراضٌ دخل بين تَبَنَّى ومفعوله . والأصل في السَّفَه : الخِفَّة . ويقال : زِمَامٌ سَفِيه ، لا ضطرابه ، كما يقال زِمَامٌ عَيَّارٌ^(٢) . فيقول : تَطَلَّبَ هذا الرَّجُلُ مَا تَطَلَّبَهُ سَفَهَا ، وفعلُ السفاهةِ قَبِيحٌ كما أَنَّ اسمَهَا قَبِيحٌ . وإنما قال هذا لأنَّ السَّفَهَ كما تُنْكِرُ العقولُ والقلوبُ ذَاتَهُ وفعله ، كذلك تَمُجُّ الأَذَانُ والضُّدُورُ اسمه . فإن قيل ما اسمُ السفاهةِ حتى قال : والسفاهةُ كاسمها ؟ قلت : قوله والسفاهة ، أراد ما يُسَمَّى سفاهة ، أي المسمى بهذا الاسم ، كما أَنَّ الاسمَ الذي هو السَّفَه قَبِيحٌ . إلا أَنَّهُ لما لم يَحْذِ إلى العبارة عن الذَّاتِ طريقاً إلا باسمه قال : والسفاهة . ويجوز أن يكون أراد بَتَبَنَّى : أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِي التَّبَنِّي ، حينَ عَدَا طَوْرَهُ ، وَسَامَنَّا مواصلته ، كما يقال تَشَجَّعَ وَتَمَرَّأَ . وقوله « ليستاد مِنَّا أَنْ شَتَوْنَا لِيَايَا » أتى بالفعل واللام ، لأنَّ تَبَنَّى مثل أراد . فكما خال الله عز وجل : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، وقال الشاعر :

* أَرَادَتْ لِيَتَنَاشَ الرِّوَاقَ فَلَمْ تَقُمْ *

والمعنى يريدون إطفاء نور الله ، وأرادت انتياش الرِّوَاق - كذلك قال هذا :

(١) البريزي : « قال أبو محمد الأعرابي : هو جرير بن كليب ، لا جزء . وقد ذكر جريرا في المؤلف ٧١ وقال : « جرير بن كليب بن نوفل بن نضلة الشاعر . كذا ذكر ابن حبيب في كتابه الذي ذكر فيه شعراء القبائل ، ولم يذكر له شعرا ، ولا وجدت له في قبائل بني أسد ذكرا . وهو إسلامي » .

(٢) م : « عيال » كشداد . وكلاهما متجه . فالعيار : الكثير المجد والذهب . والعيال : المتبخر الميال .

تبغى لَيْسْتَادَ ، والمعنى تَبَغَّى الاستيادَ منا ومُراد الشاعر تطالبَ النِّكاحَ في سادتنا من أجل أَنَّا دَخَلْنَا في الشَّتَاءِ . والمعنى من أجل أَنَّا افْتَقَرْنَا واشتدَّ الزَّمانُ علينا فَأَثَّرَ فينا . قوله « أَن شَتَوْنَا » موضعه نَصَبٌ ، أصله لَأَنَّ شَتَوْنَا ، فلما حُذِفَ الحرف الجارُّ وَصَلَ الفعلُ فَعَمِلَ . ومعنى شَتَوْنَا : قَحِطْنَا ^(١) وأَقَمْنَا في القَحْطِ ، كما تقول شَتَوْنَا بِمَكَانٍ كَذَا . ويقال : اشْتَيْنَا ، إذا أُرِيدَ دَخَلْنَا في الشَّتَاءِ .

٢ - فما أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حَزَاةٌ بِأَنَّ ابْنَتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيًّا

انتصب « حَزَاةٌ » على التمييز ، فيقول : ليس انهرأفك عَنَّا عَائِبًا علينا حين لم نُسِفِكَ بِمُرَادِكَ ، ولم نُجِبِكَ لَمَّا خَطَبْتَ من خَطَبْتَ إِلَى مَلْتَمَسِكَ ، وَمَعِيًّا عِنْدَنَا حين عَدَوْتَ طَوْرَكَ فَتَجَاوَزْتَ مُسْتَحَقَّكَ وَقَدَّرَكَ ، بشيءٍ يَكْبُرُ عِنْدِي تَقْطِيعُهُ ^(٢) في الصَّدْر ، وتأثيره في النَّفْسِ . أى إِرْغَامُكَ وإِسْخَاطُكَ يَهُونُ عَلَيْنَا . والباءُ الِذِي في قوله « بِأَنَّ ابْنَتَ » هو الباءُ الِذِي في قولك ما زِيدُ بِمَنْطَلِقِي . ويقال : زَرَيْتُ عَلَيْهِ فِعْلُهُ ، إِذَا عُبِتَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ ؛ وَأَزْرَيْتُ بِهِ ، إِذَا وَضَعْتَ مِنْهُ وَقَصَّرْتَ بِهِ . وقوله « وَزَارِيًّا » أى وَزَارِيًّا عَلَيْنَا ، فحذف لَأَنَّ المراد مفهوم .

٣ - وَإِنَّا عَلَى عَاصِ الزَّمانِ الِذِي تَرَى نُعَالِجُ مِنْ كُرْهِ الْمَخَاذِي الدَّوَاهِيَا

يقول : إِنَّا نَعَالِجُ هَرَبًا مِنَ الْمَكْرُوهِ ^(٣) الشَّدَائِدِ ، ونصير تفاديًا منها على الْعِظَامِ ^(٤) . هذا - ما تَرَى من نكايَةِ الْخَدَّائِنِ ، وسوءِ تَأْثِيرِ الزَّمانِ ، وقَصْدِهِ إِيَّانَا بِالْمَكَارِهِ وَالْبَلَاءِ ، وَالْمَفَاقِرِ وَالضَّرَّاءِ . وهذا تنبيهٌ على أَنَّ مُحَافَظَتَهُمْ عَلَى

(١) ضبط في الأصل بضم القاف ، وفي م بفتحها ، وكلاهما صحيح وإن كانت لغة الفصحى أعلى وأكثر . ففي القاموس : « وقحط الناس كسعم ، وقحطوا وأقحطوا بضمهما قليلتان » -

(٢) م : « تَقْطِيعُهُ » .

(٣) م : « من مَكْرُوهِ الْمَخَاذِي » .

(٤) في الأصل : « بجنى الْعِظَامِ » ، وأثبتنا ما في م .

الشرف يمنهم من مناكحة من ليس بكفء لهم ، وأنَّ مُسَاعَفَتَهُمْ إِيَّاهُ بما طلبه
مُخْزِيَةٌ عندهم . وقوله « على عرض الزمان » موضعه موضع الحال . والمعنى : إنا
منكوبين وفقراء نفعل ذلك حَذَرًا من العار .

٣- فَلَا تَطْلُبْنَهَا يَا بَنَ كُوزٍ فَإِنَّهُ غَذَا النَّاسِ مُدْقَامَ النَّبِيِّ الْجَوَارِيَا

يقول : لا تطلبِ التزويجَ بالمرأة التي خطبتُها يا بن كوز ، فلك في سائر النساء
مندوحةٌ ، سَيِّمًا ومنذُ بَعَثَ اللهُ عزَّ وجلَّ النبي عليه السلام ، وقام بأداء الرسالة
عنه ، رَبَّى النَّاسُ الْبَنَاتِ وتركوا وَأَذْهَنَ فَسَكُتُنَ^(١) . ويقال : غَدَاهُ يغذوه
غَدَوًا ، وتغذى بكذا . والغذاء : الطعام والشراب .

٥- وَإِنَّ الَّتِي حُدَّتْهَا فِي أُنُوفِنَا وَأَعْنَاقِنَا مِنَ الْإِبَاءِ كَمَا هِيََا

يقول : وإنَّ النخوة التي أبلِغَتْهَا ، والحِمْيَةَ التي حُدَّتْهَا ، باقيةٌ في أنوفنا
حتى لا نَسْمَ بها مَرْنَمَةً ، وفي أعناقنا ورءوسنا حتى لا تَلْوِيَهَا إِلَى مُخْزِيَةٍ
وَمَنْقَصَةٍ هي حاصلةٌ فيها كما أبلِغَتْ ؛ فالامتناعُ من مثل ما سُمِّتَ معروفٌ منَّا ،
وماخوذ به في عاداتنا ، فلا نستطِرْفُهُ . وقوله « في أنوفنا » في موضع المفعول .
الثالث لحدَّتْهَا . وقوله « كما هيَا » في موضع خبر إن ، وما زائدة . أراد كهيَا ،
أي هي باقيةٌ بحالها ، مستمرةٌ على طريقها . ويجوز أن يكون هي مبتدأ ، وكافي .

(١) التبريزي : « وأصل الواد الثقيل ، وذلك أنها كانت تثقل بالتراب . وأول من منع
عن الواد صمصة بن ناجية جد الفرزدق ، وذلك أنه أضل ناقتين له فخرج في بغائهما ، فلما أجنعه
الليل رفعت له نارفأهما ، فإذا شيخ وامرأة ماخض ، فسلم فرد الشيخ فسأله عن الناقتين ، فقال :
وجاءتهما وقد أحيانا الله بهما . ثم قال الشيخ لنساء كن عنده : إن جاءنا غلام فما أدري ما أصنع
به ، وإن جاءتنا جارية فاقفانها ، ولا أسمعن صوتها . فجاءت جارية ، فاشترأها صمصة بناقتيه .
وجعل الذي ركبته في طلبهما ، وجعل ذلك سنة ، فكل من أراد أن يثد ابنة له جاءه فاشترأها
منه بلقحتين وجل ، فجاء الإسلام وقد فدى ثلثائة مومدة ، فقال الفرزدق :

وجدى الذى منع الوائدات وأحيا الوئيدة لم تواد

موضع الخبر . ويقولون : كما أنا كما أنت ، أى تشابهنا ، ويكون ما نَكِرَةً غير موصوفة . ويجوز أن يكون حَذَفَ صِفَتَهُ كأنه قال : كما حَدَّثْتَهُ أى كشيء حَدَّثْتَهُ . وإنما خَصَّ « فى أنوفنا وأعناقنا » بالذكر لأنه يقال فى الكبر والصعوبة : فى أنف فلان خنزُوانةٌ ، وزمَّ فلانٌ بأنفه ، وأنفه أنفُ الليث ، وهو أحمى أنفاً من أن يقبل كذا . ويقولون : فى خده صَعْرٌ ، وفى عنقه صَوْرٌ وصَيْدٌ ، وفى ناظره شَوْسٌ وَصَادٌ . قال يصف سيفاً .

* يُدَاوَى بِهَا الصَّادُ الَّذِى فى النَّوَاطِرِ *

٦٣

وقال زيادة الحارثي^(١) :

١- لَمْ أَرِ قَوْمًا مِثْلَنَا خَيْرَ قَوْمِهِمْ أَقَلَّ بِهِ مِنَّا عَلَى قَوْمِنَا^(٢) نَحْرًا

ينتصب قوله « خير قومهم » على أنه بدلٌ من قوله « قوماً » . ويجوز أن يكون صفة . و « أَقَلَّ » ينتصب على أنه مفعول ثانٍ ، و « نَحْرًا » ينتصب على التمييز . وقوله « به » الضمير منه يرجع إلى ما ذكره ودلَّ عليه من قوله « خير قومهم » يريد أقل بكونهم خيرين . ومثله قول القائل :

* إِذَا زَجَرَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ^(٣) *

أى إلى السَّفه . وتقدير البيت : لَمْ أَرِ خَيْرَ قَوْمٍ مِثْلَنَا أَقَلَّ بِذَلِكَ نَحْرًا مِنَّا

(١) شاعر إسلامي : كان بينه وبين هذبة بن الحشرم مهاجرة ومناقضة ، وقد قتله هذبة فى قصة رواها أبو الفرج . وهو زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن خنيس بن عمرو ابن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم . الأغاني (٢١ : ١٦٩) .

(٢) التبريزي : « على قومهم » .

(٣) عجزه كما فى الخزانة (٣ : ٣٨٣) وأمالى ابن الشجرى (١ : ٦٨ ، ٢/٣٠٥) .

* وخالف والسفيه إلى خلاف *

على قومنا . والمعنى إنا لا نبغى على قومنا ، ولا نتكبر عليهم ، بل نعدّهم أمثالنا ونظراءنا ، فنباسطهم ونوازهم قولاً بقول ، وفعلًا بفعل .

٢- وما تزدھینا الکبرياءَ علیہم إذا کلمونا أن نکلّمہم نَزْرًا^(١)

ينتصب قوله « نَزْرًا » على أنه صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال : نكلّمهم كلاماً نَزْرًا . والمعنى لا يستخفنا التكبر إلى أن نتعلّى عليهم ، ونقلّ الكلام معهم ترفعًا عن مساواتهم ، بل نباسطهم ونكاثرهم في القول والسؤال ، إيناسًا لهم وتسكينًا منهم . ويقال : زهاه وازدهاه بمعنى . والأصل في ازدهى : ازتهى ، لأنه افتعل من الزّهو ، لكنه أبدل من التاء دالاً تقريباً للحرف من الزاى . وقوله « أن نكلّمهم » أراد لأن نكلّمهم ، فحذف حرف الجر . و « أن » يفعلُ به ذلك كثيرًا .

٦٤

وقال ابنه مسور :

حين عَرَضَ عليه سعيد بن الفاصِ سَمِعَ دِيَاتٍ بأبيه^(٢) فأبى . ويقال :
هى لعمّہ :

١- أَمَدَ الذی بالثَّمَفِ نَفِ كُوَيْكِبِ رَهِيَنَةَ رَمَسٍ ذى تُرَابٍ وَجَنْدَلِ

(١) روى التبريزى بعده بيتا ، وهو :

ونحنُ بنو ماءِ السَّماءِ فلا نرى لأنفسِنا من دون مملكةٍ قَصَصَا

وقال في تفسيره : « القصر هاهنا : الغاية . يقال قصر كذا أن تفعل كذا . وماء السماء : امرأة كانت في حسنها وصفاء بشرتها مثل ماء السماء فسميت به . وماء السماء الملك سمي بذلك لأنه كان للناس بمنزلة المطر في جوده . يقول : نحن بنو ملك فلا نرى لأنفسنا غاية دون أن نكون ملوكا » .

(٢) انظر خبر مقتله في الأغاني ، في الموضع الذى سبقت الإشارة إليه .

ألف الاستفهام دخل هاهنا على معنى الإنكار ، وتنساول الفعل الذى فى صدر البيت الثانى ، لأنَّ ألف الاستفهام يطْلُبُ الأفعال . والمعنى : أَذْكَرُّ بِالْإِبْقَاءِ بعد المدفون بنَعْفِ هذا الجبل — وهو ما استقبلت منه — الْمَرْهُونِ فى قبر ذى تُرابٍ وحجارة . وَالنَّعْفُ ، اشْتُقَّ مِنْهُ انْتَعَفَ لَهُ ، أى تعرَّض . وَالْمَنَاعَةُ : المَارَضَةُ من رجلين فى طريقين يريد كلُّ واحدٍ سَبْقَ الآخر . وقيل النَّعْفُ : المكان المرتفع فى اعتراض . وقوله « رهينة » جعله اسماً فلهذا ألحق الهاء بها . والرَّمس : القبر . ويقال رَهْنَتْهُ رَهْنًا بمعنى رَهْنَتْ عِنْدَهُ ، وأصله من اللزوم والدوام ويقال هذا لك رَاهِنٌ . والأصل فى الرَّمْسِ : التغطية ، يقال رَمَسْتُهُ بالتراب ؛ ومنه الرياح الرِّوَامِسُ .

٣- أَذْكَرُّ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَبُقْيَاىَ أَنِّى جَاهِدُ غَيْرُ مُؤْتَلٍ يقول : أَسَامُ الإِبْقَاءِ عَلَى مَنْ وَتَرَنِي ؟ إِبْقَاىَ عَلَيْهِ أَنِّى أَجْتَهِدُ فى قِتْلِهِ ، ولا أَقْصُرُ . والإِبْقَاءُ لا يكون الْجُهْدَ ، ولكنَّ المعنى : يكون هذا مَنِّ عِوَضًا من ذاك . ومثله قول الآخر ^(١) :

* تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ^(٢) *

والبُقْيَا : اسمٌ عَلَى فُعْلَى ، مبنى من الإِبْقَاءِ فى معناه ، والواو منه واو الحال ، ولو لم يأت به لكان الكلام على الاستثناء والإِنْقِطَاعِ مما قبله . ويقال : لا آلُوْفى كَذَا ولا آتَلِي ، أى لا أَقْصُرُ ، ولا آلُوْ كَذَا ، أى لا أَسْتَطِيعُهُ .

٣- فَبَلَّا أَنْتَ نَأْرِي مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ بَنِي عَمْنًا فَالْدَّهْرُ ذُو مَطْوَلٍ ^(٣)

(١) هو عمرو بن معديكرب . الخزائن (٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٣) ابن جنى : « يحتمل متطول هذا أمرين : أحدهما أن معناه ذو تفضل وإيصال لى إلى بغيته ، والآخر ذو متطول ، أى فيه طول ، فإن تأخر ما أرومه الآن لم أياس منه فيما بعد ، وهذا أظهر الوجهين ، لأن الشعر بمثله ورد كثيراً . وتكون هذه لفظة فى تطاول الدهر ، وتطول يعتقب عليها تفاعل وتفضل ، كقولهم تكأده الأمر وتكأده ، وتكأيس وتكيس . »

يقول مُخْبِرًا عن صَبْرِهِ وَحُسْنِ رِفْقِهِ فِي طَلَبِ الْأُمُور ، وَأَنَّهُ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ الْمَلَالُ وَإِنْ تَرَاخَى الْمَطْلُوب ، وَتَدَافَعَ الْوَقْتُ فِي الْحَصُولِ ، فَيَقُولُ : إِنْ لَمْ أَذْرِكْ ثَأْرِي قَرِيبًا يَا بَنِي عَمَّنَا فِي الدَّهْرِ تَطَاوُلَ ، وَالزَّمَانُ بِتَبْدِيلِ الْأَبْدَالِ وَتَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ كَافِلٌ ، وَلَهُ ضَامِنٌ ، وَمَا يَتَعَسَّرُ فِي وَقْتٍ يَتيسَّرُ فِي آخَرٍ . وَذَكَرَ الْيَوْمَ وَالْقَدْرَ إِشَارَةً إِلَى تَقَرُّبِ الْوَقْتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، كَمَا يُقَالُ فِي الْمَاضِي : كَانَ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كَذَا . وَمُتَطَوِّلٌ : مُصَدَّرٌ مِثْلُ تَطَوَّلَ .

٤- فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ لَّئِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجِّلِ جَزَمَ « يَدْعُنِي » بِلَا عَلَى أَنَّهُ دَعَا ، وَالْمَعْنَى : لَأَدْعِيْتُ لِكَشْفِ مَكْرُوهِهِ ، وَلَا لِلدَّفْعِ عَنْ مَظْلُومٍ ، إِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً لِمَنْ وَتَرَنِي ، أَوْ يَعْجَلُنِي . وَالْمَعْنَى : إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ أَوْ يَقْتُلْنِي . وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الدُّعَاءِ فَالْمَعْنَى مَعْنَى الْقَسَمِ . وَقَوْلُهُ : « أَوْ أُعَجِّلِ » أَرَادَ : أَوْ لَمْ أُعَجِّلْ لِمَثَلِهَا ، فَحَذَفَ . وَفِي هَذَا بَيَانٌ لِلتَّوَعُّدِ بِالْإِقْدَامِ ، وَالتَّسَرُّعِ إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الِاسْتِقْتَالِ بَعْدَ الْإِمْكَانِ .

٥- أَنْتَحَنُ عَلَيْنَا كَذَلِكَ الْحَرْبِ مَرَّةً فَتَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكَذَلِكَ^(١)

(١) رَوَى التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ ثَلَاثَةُ آيَاتٍ ، وَذَكَرَ ابْنَ جَنِّي أَوَّلَهَا ، وَهِيَ :
 يَقُولُ رَجُلٌ مَا أَصِيبَ لَهْمُ أَبِي* وَلَا مِنْ أَخِي أَتَيْتِلْ عَلَى الْمَالِ يُتَمَقَّلُ
 كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ ذُنَابٌ كَثِيرَةٌ فَلَمْ يَدِرْ حَتَّى جِئْتُ مِنْ كُلِّ مَدْخَلٍ
 ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَاسْبَلْتُ عَبْرَةً* مِنْ الدَّمْعِ مَا كَادَتْ عَنِ الدَّمْعِ تَنْجَلُ
 قَالَ التَّبْرِيزِيُّ : « يَقُولُ : يَشِيرُونَ عَلَى بَأْخِذِ الدِّيَةِ وَلَمْ يَصْبِهِمْ مَا أَصَابَنِي ، وَلَعَلَّهُمْ لَوْ أَصِيبُوا بِمَا أَصِيبْتُ بِهِ لَمْ تَقْنَعْنِهِمُ الدِّيَةُ » . وَقَالَ : « وَيُرَوَّى : حَتَّى جِئْتُ مِنْ غَيْرِ مَدْخَلٍ . أَرَادَ بِالذُّنَابِ الْأَعْدَاءَ . وَقَوْلُهُ : حَتَّى جِئْتُ مِنْ غَيْرِ مَدْخَلٍ ، أَيْ مِنْ مَدْخَلٍ كَثِيرَةٍ . وَيَقَعُ فِي بَعْضِ النَّسَخِ : دِيَاتُ كَثِيرَةٍ » .

وَقَالَ ابْنُ جَنِّي فِي تَفْسِيرِ أَوَّلِ الْآيَاتِ الزَّائِدَةِ : « عَطَفَ الثَّانِي - يَعْنِي كَلِمَةُ أَخ - عَلَى مَا مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَزَادَ فِي الْأَوَّلِ . أَلَا تَرَى إِلَى جَوَازِ قَوْلِهِ : مَا أَصِيبَ لَهْمُ مِنْ أَبِي ؟ وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ : بَدَأَ لِي أَنِّي لَسْتُ مَدْرُكٌ مَا مَاضِي وَلَا سَابِقٌ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَانِيًا » .

هذا الكلام تهديدٌ ، وضمن في أنه سيكافئهم على ما بدأوا . والمعنى : سنؤثر فيكم كما أثرتم فينا ، ونُنزلُ الحربَ بكم كما أنزلتموها بنا . ويقال : أنختُ البعيرَ فاستفناخ وبَرَكَ ، ولا يقال فناخ . وتقول في شدة التأثير : بَرَكَ عليهم الدهرُ بكلِّه ، ووطئهم بمنامه ، وأنحى عليهم بجرانه . وهذا جَمَلُ الكلِّكلِ هو المُنَاخ في صدر البيت ، وفي العَجْزِ جَمَلُ الحربِ مُنَاخَةٌ بكلِّكلها . وكلُّ ذلك أمثالٌ ، والمعنى من جميعها ظاهر .

٦٥

وقال بعض بني جرم من طيء :

١- إخالك مُوعِدِي بَيْتِي جُفَيْفٍ وَهَالَةً ، إِنِّي أَنُهَاكِ هَالَا

في قوله « إخال » ضرب من الاستهانة ، يقول : أَحَسِبُكَ تُهَدِّدُنِي بِنَبِيٍّ جُفَيْفٍ وَبِهَالَةٍ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى هَالَةٍ فَقَالَ : إِنِّي أَزْجُرُكَ عَنِ التَّحَكُّكِ بِنَا ، وَنُصْرَةٍ مِنْ بِنَائِدُنَا . ومثل هذا الكلام يُسَمَّى التَّفَاتَا . والعرب قد تَجَمَّعَ في الخطاب أو الإخبار بين عِدَّةٍ ، ثُمَّ تُقْبِلُ أَوْ تَلْتَفِتُ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَى وَاحِدٍ لِكَوْنِهِ أَكْبَرَهُمْ ، أَوْ أَحْسَنَهُمْ سَمَاعًا لِمَا يُلْقَى إِلَيْهِ ، أَوْ أَخْصَمَهُمْ بِالْحَالِ الَّتِي تَنْطَلِقُ بِالشَّكْوَى بَيْنَهُمْ ، فَتَفْرِدُهُ بِكَلَامٍ . عَلَى هَذَا بَيْتُ الْهُذَلِيِّ (١) :

* أَحْيَا أَبَا كُنَّ يَالِيْلَى الْأُمَادِيحِ *

فقال أَبَا كُنَّ ، ثُمَّ قَالَ يَالِيْلَى . وَيُقَالُ : خَلَّتْ أَخَالُ ، وَإِخَالُ طَائِيَّةٌ ، فَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا فِي أَلْسِنَةٍ غَيْرِهَا ، حَتَّى صَارَ أَخَالُ كَالْمَرْفُوضِ . وَالهَالَةُ : الدَّارَةُ .

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الملهين (١ : ١١٣) .

(٢) صدره : * لَوْ كَانَ مَدْحَةٌ حَتَّى أَنْشَرْتَ أَحَدًا *

وَيُرْوَى فِي عَجْزِهِ : * أَحْيَا أَبُوتَكَ الشَّمَّ الْأُمَادِيحِ *

حَوْلَ الْقَمَرِ ، فِي اللِّغَةِ ، وَإِذَا أَنْتَ خَاطَبَهَا فَإِنَّهُ جَعَلَهَا قَبِيلَةً ، وَإِذَا ذَكَرَهَا فَعَلَى إِرَادَةِ رَجُلٍ هُوَ أَبُو الْقَبِيلَةِ ، وَإِذَا جُمِعَ فَعَلَى الْمَعْنَى . وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ قَدْ صَرَّفَ كَلَامَهُ .

٢ - فَإِلَّا تَنْتَهِي يَا هَالِ عَنِّي أَدْعُكَ لِمَنْ يُعَادِينِي نَكَالًا

يقول : إِنْ لَمْ تَنْزَجِرْ عَنِّي وَلَمْ تَرْتَدِعْ بِكَلَامِي ، أَجْعَلُكَ لِأَعْدَائِي عِزَّةً رَادِعَةً ، وَعَقُوبَةً زَاجِرَةً . وَالنَّكَالُ : اسْمٌ لِمَا يُجْعَلُ عِزَّةً لِلْغَيْرِ ، وَيُقَالُ نَكَلَ يَنْكُلُ ، وَنِكَالٌ يَنْكُلُ لِقَتَانِ ، الْأُولَى تَمِيمِيَّةٌ وَالْأُخْرَى حِجَازِيَّةٌ .

٣ - إِذَا أَخْصَبْتُمْ كُنْتُمْ عَدُوًّا وَإِنْ أَجْدَبْتُمْ كُنْتُمْ عِيَالًا

يَصْنَعُهُم بِالْأَشَرِ وَالْبَطَرِ وَسُوءِ الْحِفَازِ ، وَالتَّعَجُّلِ إِلَى الشَّرِّ ، فَيَقُولُ : إِذَا نَلْتُمُ الْخَيْرَ وَطَاوَعْتُمُ الْوَجْدُ خَرَجْتُمْ لَنَا أَعْدَاءٌ ، ثُمَّ إِنْ أَثَرُ فِيكُمْ الدَّهْرُ ، أَوْ ضَنْطَكُمْ الْبُؤْسُ وَالضَّرُّ ، أَوْ بَيْتُمْ إِلَيْنَا ، وَلَحَقْتُمْ بِجَمَلَتْنَا ، فَاحْتَجْنَا إِلَى أَنْ نُمَوِّنَكُمْ .

٦٦

وَقَالَ آخِرُ^(١) :

١ - اللَّهُؤْمُ أَكْبَرُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ وَاللَّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا

فَضَّلَ اللَّؤْمَ فِي اللَّفْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَسْلَافِهِمْ ، وَالْقَصْدُ بِهِ إِلَى تَفْضِيلِهِ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ ، لِأَنَّ الشَّرْطَ تَشْبِيهِ الْأَحْدَاثِ بِالْأَحْدَاثِ ، وَالذَّوَاتِ بِالذَّوَاتِ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ حُذِفَ الْمُضَافُ وَأَقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ،

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : لم يذكر أبو تمام اسمه واسمه الحكم بن زهرة . قال الحمصي : زهرة أمه ، وهو الحكم بن المقداد بن الحكم بن الصباح ، أحد بني مخاشن بن عصم ، ثم أحد بني زهرة بن قيس بن عمرو بن ثرملة بن مخاشن بن شمع بن فزارة ، ويعرف بالحكم الأصم الفزاري . وقال أبو رياش : هو لعويف القوافي » . ونسب في معجم المرزباني . ٢٧٨ إلى عريف القوافي .

كَأَنَّهُ قَالَ : اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ أَخْلَاقٍ وَزَيْرٍ وَأَخْلَاقٍ وَالِدِهِ ، وَقَوْلُهُ « وَوَالِدِهِ »
 دَخَلَ فِيهِ كُلُّ أَبِي لَهْمٍ ، كَمَا دَخَلَ فِي قَوْلِهِ « وَمَا وَلَدَا » كُلُّ وَلَدٍ لَهُمْ . وَاللُّؤْمُ :
 خِصَالٌ مُنْكَرَةٌ ، إِذَا اجْتَمَعَتْ سَمَّيَتْ لُؤْمًا ، كَدَنَاءِ النَّفْسِ وَالْآبَاءِ وَالْبُخْلِ
 مُرَدَّدًا فِيهِمْ ، وَالنَّظَرُ فِي الْأُمُورِ التَّافَهُةِ الْحَزِيَّةِ . وَزَيْرٌ فِي اللُّغَةِ : دُوَيْبَةُ أَصْغَرُ
 مِنَ السَّنُورِ طَحْلَاءِ اللَّوْنِ تَرَجُّنٌ فِي الثُّبُوتِ ^(١) ، وَجَمْعُهُ وَبَارٌ . وَيُسَمَّى بِهَا ، ثُمَّ
 جُعِلَتْ لِلْقَبِيلَةِ ^(٢) . فَإِنْ قِيلَ : لِمَ لَمْ يَقُلْ : وَمَنْ وَلَدَا ؟ قُلْتَ : أَشَارَ إِلَى الْجَنْسِ
 وَمَا يَقَعُ لِلْأَجْنَاسِ .

٢ - قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبِهِمْ أَمِنُوا مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلُوا قَوْدًا
 يَقُولُ : هُمْ قَوْمٌ إِذَا جَرَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ جَرِيرَةً أَمِنَ جَمِيعُهُمْ ، لِدَقَّةِ أَصُولِهِمْ ،
 وَلُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ ، أَنْ يُوَاخِذُوا كُلَّهُمْ بِهَا ، فَكَيْفَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ . كَانَ الْقَبِيلَةُ
 بِأَسْرَها لَا يُعَدُّونَ بَوَاءَ لِقَتِيلٍ فَيُقْتَلُوا بِهِ ، فَالْأَمْنُ الَّذِي شَمِلَهُمْ عِنْدَ اتِّفَاقِ
 الْجَنَائِيَّاتِ مِنْهُمْ لِهَذَا . وَالْقَوْدُ : أَنْ يُقْتَلَ الْقَاتِلُ بِالْقَتِيلِ ، فَيَقَالُ : أَقْدَتَهُ بِهِ .
 وَإِذَا أَتَى الرَّجُلُ صَاحِبَهُ بِمَكْرُوهِةٍ فَانْتَقَمَ مِنْهُ بِمِثْلِهَا ، قِيلَ : اسْتَقَادَهَا مِنْهُ ، وَهَذَا
 كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

* مَنْ ذَا يَعْصُ الْكَلْبَ إِنْ عَصَا *
 وَنَقْلُهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَاللَّدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
 فَادْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ لِأَنَّهُ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ
 ٣ - اللُّؤْمُ دَائِمٌ لَوْ بَرٍّ يُقْتَلُونَ بِهِ لَا يُقْتَلُونَ بِدَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدًا
 أَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ مَطَامِعَهُمُ الْخَسِيسَةَ تُرَدِّبُهُمْ ، وَإِسْفَافَهُمْ لَهَا يَمْرَضُهُمْ لِلْقَتْلِ

(١) تَرَجُّنٌ هُنَا بِالرَّاءِ ، وَهِيَ تَطَابِقٌ تَدَجَّنَ بِالْأَلِفِ وَزَنًا وَمَعْنَى . وَالرَّجُونُ وَالْدَجُونُ :

الإِقَامَةُ . (٢) التَّبَرِيزِيُّ : « وَبَرُّ بْنُ الْأَضْبَطِ : قَبِيلَةٌ مِنْ كِلَابٍ » .

ويهلكهم ، فقال : هذا داؤهم لا يُقتلون إلا به ، ولأنَّ حَيْنَ كُلِّ حَائِنٍ فيما يَفْلِبُ به وعليه . ويجوز أن يريد أنه لما تَرَفَّعَ القصاص عنهم عند وقوع الجرائر منهم ، كانت القِتْلَةُ الكريمة فيهم أزهد ، وعندهم أبعد ، ولا يموتون إلا بدائهم الذي هو اللؤم . والموت قد يُسمَّى قَتْلًا . وإنَّما أُدخل هذه الأبيات في الباب لقوله « قَوْمٌ إِذَا مَا جَنَى جَانِبُهُمْ أَمْنُوا » فلما ذَكَرَ من يجتهد في إدراك النَّارِ من جهته تيسر أو تعسر ، ذَكَرَ أيضًا ما يُضَادُّهُ ممن يُرَغَّبُ عنه وَيُزْهَدُ في النَّيْلِ منه ، تَرَفُّعًا عن مكافأته . وهذا عادته في إنباع الشيء بضده ، فاعلمه .

٦٧

وقال آخر :

١ - أَلَا أَبْلَغًا خَلَّتِي رَاشِدًا وَصِنُوِي قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلْ

قديمًا ، انتصبَ على الظَّرْفِ لقوله خَلَّتِي . والمراد : أُبْلَغًا خَلِيلِي قَدِيمًا رَاشِدًا ، وَصِنُوِي إِذَا مَا انتَسَبَ . والصَّنَوَانِ : الفَرْعَانِ يَخْرُجَانِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ . ويقال للأَخَوَيْنِ هَا صِنَوَانٍ ، تشبيهاً بذلك ، ولَمْ يَرَجُلٌ صِنُوِي أَبِيهِ . ويقال صِنُوٌ ، وصِنَوَانٍ في التثنية ، وصِنَوَانٌ في الجميع ، ولا يُعرفُ له نظيرٌ إلا قِنُوٌ . فيقول : رَاشِدٌ خَلِيلِي الْقَدِيمُ ، ونَسِيبِي الْقَرِيبُ ، فَأَبْلَغَاهُ عَنِ رِسَالَةٍ . وفي جَمْعِهِ بَيْنَ خَلَّتِي وَصِنُوِي ، وتأخيرهُ قَدِيمًا إِذَا مَا اتَّصَلْ ، مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، مِنْ أَنَّ الْعَرَبَ تَلَفَّتِ الْخَبْرَيْنِ لَفًّا ، ثُمَّ تَرَمَّيَ بِتَفْسِيرِهَا جَمْلَةً ، ثَقَّةٌ بَأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّ إِلَى كُلِّ مَا لَهُ .

٢ - بَأَنَّ الدَّقِيقَ يَهِيْجُ الْجَلِيلَ وَأَنَّ الْمَرْزُورَ إِذَا شَاءَ ذَلَّ

الباء دخل للتأكيد ، وموضع أن مفعول ثانٍ من أُبْلَغَا . فيقول : أُبْلَغَاهُ

أَنْ صَغِيرَ الْأُمُورِ يَحْنِي الْكَبِيرَ ، وَأَنْ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ مَتَى أَرَادَ عَادَ ذَلِيلًا ،
بَأَنْ يَعْدُو طَوْرَهُ ، وَيَشْتَغِلَ بِمَا لَا يَهْتُمُّ . ومثل هذا قولهم : « الشرُّ يبدؤهُ
صغاره » ، وقول شاعرهم ^(١) :

* الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتْيَةً ^(٢) *

وقول الآخر ^(٣) :

* كَمْ مَطَرٍ بَدَّؤُهُ مُطِيرٌ ^(٤) *

٣ - وَأَنْ الْحَزَامَةَ أَنْ تَصْرِفُوا لِحَيِّ سِوَانَا صَدُورَ الْأَمَلِ
هذا الكلام تحذيرٌ وإنذار . يقول : وأبلغاه أَنَّ الحزَمَ فِي صَرْفِ أَعْنَةِ
خَيْلِكُمْ إِلَى غَيْرِنَا ، فَإِنَّكُمْ لَا تَقُومُونَ لَنَا إِذَا هَيَّجْتُمُونَا ؛ وَالرَّأْيَ فِي أَنْ تَعْدِلُوا
بَصَدُورِ رِمَاحِكُمْ إِلَى طَعْنِ مَنْ سِوَانَا ، فَإِنَّكُمْ لَا تَكُونُونَ لِدِفَاعِنَا ، وَلِأَنَّ الْكَرَّةَ
لَا يُخْرِجُ مِنَّا إِلَّا إِبَاءً وَامْتِنَاعًا .

٤ - فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدَّتْنَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَادْهَبَ فَحَلَّ

العرب تقول : « سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ » . ولذلك قال شاعرهم ^(٥) :

وإِنْ سَيَادَةُ الْأَقْوَامِ فَأَعْلَمَ لَهَا صُعْدَاهُ مَطْلَعُهَا طَوِيلٌ ^(٦)

(١) هو عمرو بن معديكرب . شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

(٢) عجزه : * تسمى بزيتها لكل جهول *

(٣) هو أبو تمام . البيان والتبيين (٣ : ٦٧) .

(٤) صدره : * رب قليل جنى كثيراً *

(٥) هو الأعلام الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٨٧) والبيان (١ : ٢٧٥) :

(٢١٨ : ٣ / ٣٥٢) .

(٦) صعداء ، كذا وردت في النسختين ، وكذا في أصل ديوان الهذليين نسخة الشنقيطي .
وشرح السكري لأشعار الهذليين ، ونسخة مكتبة فيض الله من البيان والتبيين . وضبط في
اللسان (صعد) بفتح الصاد وسكون العين ، وفسره فقال : « أكمة صمود وذات صعداء .
يشد صمودها على الراقي . . وأما الصعداء بضم ففتح ، فهو التنفس بتوابع ، وهو المشقة أيضاً .

فيقول : إن رُمّت سيادتنا من وجهها ، وبآلات التي يُحتاج إليها في تحصيلها ، تم لك ذلك ؛ وإن كنت للكبر فاذهب فاحسب أنك سيّد ، فإنك لا تكون . هذا إذا رويت « فخل » بفتح الخاء . وإن رويت « خل » بضمها فالمعنى : اذهب وتكبر ، فإننا لن نقاد لك ، واستعمال البني والصلف والكراه لا يزيدنا إلا إباءً عليك ، وتمادياً في اللجاج معك . والخال : السكير . واختال الرجل فهو مُختالٌ وخالٌ أيضاً . قال الشاعر :

* إذا تجرّد لا خال ولا بخل *

ويقال خال يَخُولُ ويَخَالُ خَوْلاً وَخَالاً ، وفي الظن يُقالُ خال يَخَالُ لا غير . وقوله « فاذهب » أمرٌ من قولك ذهب يقول كذا . وعلى هذا قول الشاعر :

* فاذهب فما بك والأيام من عجب ^(١) *

وكذلك قولك للغريم : قُمْ فاعطني حتى . فالأمر في الحقيقة بالمطية لا بما سواه . وأجرى مجراه قولهم : أخذ يتمسك بكذا ، وطفق يتحدّث بكذا ، وجعل يشتمني . وخرجوا في التوشع إلى أن قالوا : قام يهزأ بي ، وقد يظن أنه أمير ^(٢) . وليس القصد إلى فعله القيام والقعود ، ولكن زيادة كالتصوير للحال والتأكيد للقصة .

(١) البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل . انظر الكتاب (١ : ٣٩٢) والخزانة (٢ : ٣٣٨) والإنصاف ٢٧٣ . وصدره :

* فالיום قربت تهجونا وتشتنا *

(٢) م : « أمين » .

٦٨

وقال بعض بني أسد :

١ - كَلَّا أَخَوَيْنَا إِنْ يُرْعَ يَدْعُ قَوْمَهُ ذَوِي جَامِلٍ ذَنْرٍ وَجَمْعَ عَرَمَرَمٍ

يقوله رجلٌ اقتتل فريقان من قومه على بئرٍ ، فيقول : كَلَّا صَاحِبَيْنَا إِنْ يُفَزَعُ يَسْتَعِثُّ بِقَوْمِ ذَوِي عَدَدٍ وَعُدَّةٍ . وَالْجَامِلُ : الإِبِلُ ، وَهُوَ اسْمٌ صِيغَ لِلْجَمْعِ . وَالذَنْرُ : الْكَثِيرُ . وَالْعَرَمَرَمُ : الْجَيْشُ الْعَظِيمُ . وَعَرَامُ الْجَيْشِ : حُدُومُ وَكَثَرَتُهُمْ . وَاتَّصَبَ « ذَوِي » عَلَى الْحَالِ . وَالْجَزَاءُ مَعَ جَوَابِهِ خَبَرٌ لِلْمَبْتَدَأِ ، وَهُوَ كَلَّا .

٢ - كَلَّا أَخَوَيْنَا ذُو رِجَالٍ كَانَتْهُمْ أَسْوَدُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ ضَنِغَمٍ

يقول : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صَاحِبَيْنَا مُؤَيَّدٌ بِرِجَالٍ كَانَتْهُمْ أَسْوَدُ هَذِهِ الْمَأْسَدَةِ ، مِنْ كُلِّ لَيْثٍ غَلِيظِ الْعُنُقِ ، شَدِيدٍ . وَضَنِغَمٌ : فَيَعَلٌّ مِنَ الضَّغَمِ ، وَهُوَ الْعَضُّ . وَكَلَّا مُوَحَّدٌ الْفِعْلُ ، مَوْضُوعٌ لِلْعَنْتَى ؛ لَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ هُنَا كُلُّ وَاحِدٍ .

٣ - فَمَا الرُّشْدُ فِي أَنْ تَشْتَرُوا بَنِيكُمْ بِبَيْسٍ وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِالدَّمِ

يَدْعُوهُمْ إِلَى الْمَصَالِحَةِ ، وَيَعْرِفُهُمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي مَاءٍ ، يَصِلُونَ إِلَيْهِ بِإِرَاقَةِ دَمَاءٍ ؛ وَيَزْهَدُهُمْ فِي خِصْبٍ وَنَعِيمٍ ، يَخْصُلُ عَنْ عَيْشٍ بَيْسٍ ، فَيَقُولُ : لَيْسَ الصَّلَاحُ وَالنَّجَاحُ فِي أَنْ تَسْتَبْدِلُوا بَنِيكُمْ بِبُوسٍ ، وَبِسَلَامَتِكُمْ هُنْكَأً ، وَلَا أَنْ تَشْرَبُوا الْمَاءَ بِسَفْكِ الدَّمَاءِ . وَالبَيْسُ ، يَكُونُ مَضْدَرًا كَالْبُوسِ ، وَيُوضَعُ فِي مَقَابِلَةِ النَّعِيمِ كَمَا فَعَلَهُ هَذَا ، وَيَكُونُ صِفَةً ، عَلَى هَذَا قَوْلِ الْهَذَلِيِّ (١) :

وَمَعَى لُبُوسٌ لِلْبَيْسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ بِجَهَةِ نِعَاجٍ مُجْغِلٍ
وَهُوَ الرَّجُلُ الشَّجَاعُ ذُو الْبَاسِ .

(١) هُوَ أَبُو كَبِيرِ الْهَذَلِيِّ . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (٢ : ٩٨) .

٦٩

وقال حُرَيْثُ بْنُ عَتَّابٍ^(١) :

١ — تَعَاوَا أَفَاخِرَكُمْ : أَعْيَاوَقَقَسُ إِلَى الْمَجْدِ أَذْنَى أُمِ عَشِيرَةِ حَاتِمٍ
يقول : هَلُّوْا أَنْفَارَكُمْ : أهؤلاء البطون أقرب إلى المجد أم رهط حاتم ؟
وبنو أعيا : من بني سعد بن قيس ، وبنو ققس : حنث من بني أسد . وروى
بعضهم : « أَعْيَارُ قَقَسٍ » ، يريد رؤساء قَقَسٍ . ورغم أن أعيا لا يعرفه
اسم قبيلة ، وأن هذا تصحيف استدركه . فأما إنكاره لأعيا قبيلة فلا وجه له
لأن بني أعيا من قبائل سعد بن قيس ، وهو مشهور ذكره النسابة وغيرهم ،
ووهب بن أعيا بن طريف الأسدي ، معروف معدود في الأعلام . وأما من
طريق النظم فلأن تكون القبيلة مقابلة بمثلها ، ومذكورة في المنفرة معها —
أحسن من أن يُقابل الأفراد بالقبيلة . و « أَعْيَارُ » إشارة إلى الأفراد ، لأنه
يراد بها الرؤساء . يقال : هو عَيْرُ قَوْمِهِ ، أي سيدهم . هذا وقد رجعنا إلى نسخ
مختلفات المصادر ، فوجدناها متوافقة في تحللها « أَعْيَاوَقَقَسُ » . وإذا كان

(١) عتاب ، بالنون ، كما في م . قال ابن جني في المبهج . « اسم مرتجل غير منقول .
وهذا أحد الأمثلة التي جاءت على فعال اسما لا صفة » ، وهي الكلاء ، والجبان ، والفياد : ذكر
اليوم ، والجيار في الصدر وهو أيضاً الصاروج ، والمقار : أحد الأنبية ، وعتاب هذا الرجل
والخطار : دهن طيب . ويجوز أن يكون عتاب من العنب كثر من الثمر » . وحريث ، ذكره
الآمدي في المؤلف ١٦١ وقال أحد بني نهبان بن عمرو بن الغوث بن طيس . شاعر محسن
مكثر ، وهو القائل :

أترجو حبي أن تجيء صفارها بخير وقد أعيا حيا كبارها
فأخذ الفرزدق فقال :

أترجو كليب أن تجيء صفارها بخير وقد أعيا كليب كبارها

وقال أبو محمد الأعرابي فيما نقله عنه التبريزي : « وهو في عصر عمر بن الخطاب وبعد
ذلك إلى زمن معاوية » .

كذلك لا يجوز العدول عما قاله الشاعر إلى ما لم يقله . وقوله « أعيأ وقعس » استفهام في الأصل نُقِلَ عن بابه ، والمعنى : أنافرکم بالقضية التي تكون نتيجة هذا الاستفهام ، وقوله « أذني إلى المجد » لم يُثَنَّهُ وإن كان خبراً عن اثنين ، لأنه أفعِلُ الذي يتم بمن ، وقد دخل عليه الاستفهام ، فيجب أن يستوى فيه الواحد والاثنان ، والمذكر والمؤنث . وهذا الكلام لو أتى به على وجهه لكان : أم عشيّة حاتم أدنى إلى المجد منهم ، لكنه حذف إذ كان المراد مفهوماً . وإنما جاء على حرف الاستفهام لِيُبَصِّرُوا ضلالتهم . وفي طريقته بيت جرير : هَلُمُّوا نَحَا كَمَكُمُ فِي الْحَكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْغُرِّ مِنْ آلِ الْبَطَاحِ الْأَكْرِمِ . والتقدير : أنافرکم أيهم أُمَجِّد وأَعْرِف . وحاتم المذكور هو حاتم بن عبد الله الطائي . و « تعال » كان يقوله من هو في رابيةٍ للتسفل ، لأنه تفاعل من العلو ، فكثر استعماله حتى جرى مجرى هَلُمُّ ، فصار للتسفل يقوله عند الدعاء المُسْتَعْفِلِ .

٢ - إلى حكم من قيس عيلان في فصل ومن آخر حي ربيعة عالم قيل : أراد بأحد الحكمين عامر بن الظرب^(١) وبالأخر دغفلا النسابة . والفصل : الذي يفصل الأمور ، والياء دخلته لتلحقه ببناء جعفر ، كما أن الضنم قِيْلُ من الضنم ، والبناء ان بمحصول الياء فيهما صاراً صفتين بعد أن كانا مصدرين ، لأن فصلاً من دون الياء مصدرُ فصل ، كما أن ضعفًا من دون الياء

(١) التبريزي : « وقال النمرى : الحكم من قيس عيلان عامر بن الظرب العدواني ، والآخ الذي هو من حي ربيعة دغفل . وحي ربيعة : بكر وتغلب ، ورجل واحد لا يَكُنْ من حين ، وإنما يريد من أحد حيي ربيعة » . وقال أبو محمد الأعرابي مترضاً على ذلك : « كيف يكون الحكم من قيس عيلان هاهنا عامر بن الظرب ، وهو قبل الإسلام بمائتي عام ، ومتى لحقه حريث بن عتاب وهو في عصر عمر بن الخطاب وبعد ذلك إلى زمن معاوية ؟ ! وإنما عني بالحكم من قيس عيلان هرم بن قطبة بن سيار بن عمرو الفزاري . والحكم من حي ربيعة دغفلا النسابة . وحي ربيعة : ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وذهل بن ثعلبة : وهو عم ذهل بن شيبان ، وعم الرجل أبوه » .

مصدر ضَغَمَ ، فلَمَّا حَصَلَ الياءُ فِيهِمَا وُصِفَ بِهِمَا وَأَفَادَا مِبَالِغَةً فِي الْمَعْنَى . أَلَا تَرَى
أَنَّ فَيْصَلًا يُفِيدُ مَا لَا يُفِيدُهُ فَاصِلٌ ، وَكَذَلِكَ ضَغِيمٌ يُفِيدُ مَا لَا يُفِيدُ ضَاغِمٌ ، فَاعْلَمْهُ .

٣ - ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ ضَرَبْنَا الْعِدَى عَنْكُمْ بِبَيْضِ صَوَارِمٍ

قَامَ لَهُ بِمَعْنَى تَقَوَّمَ وَتَرَكَ الْخِلَافَ ، وَقَامَ عَلَيْهِ بِمَعْنَى دَاوَمَ وَلَا زَمَ . وَفِي الْقُرْآنِ :
﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . يَقُولُ : قَدْ عَنَّاكُمْ ^(١) بِالْمَسْكُورَةِ ، حَتَّى إِذَا بَانَ لَنَا
فَتْنَتُكُمْ وَاسْتَقَامَتُكُمْ ، حِينَئِذٍ ذَبَبْنَا الْأَعْدَاءَ عَنْكُمْ بِسُيُوفٍ قَوَاطِعَ . وَالْمَعْنَى :
نَعَامَلُكُمْ بِمَعَامِلَةِ الْأَعْدَاءِ ، فَإِذَا اسْتَقَمْتُمْ لَنَا وَذَهَبَ الْخِلَافُ عَنْكُمْ ، ضَمَمْنَاكُمْ إِلَى
أَنْفُسِنَا ، وَحَمَيْنَا عَلَيْكُمْ مَعَ الْأَوْلِيَاءِ .

٤ - فَخَلُّوْا بَأْ كُنَافٍ وَأَكْنَافٍ مَفْشَرِي أَكُنْ حِرْزَكُمْ فِي الْمَاقِطِ الْمُتَلَاحِمِ
فِي جَمْعِهِ لِلْأَكْنَافِ ظُهُورُ تَجَبُّرٍ فِيهِمْ ، وَأَخَذُ بِالَّتَعَلُّي عَلَيْهِمْ . يَقُولُ : انْزَلُوا
بِحِجَابِي وَجَنَابِ عَشِيرَتِي ، وَتَحَصَّنُوا بِفَنَائِي وَفِنَاءِ قَوْمِي أَكُنْ كَهَفَكُمْ فِي
لِلضِّيقِ مِنَ الْحَرْبِ الْمُتَلَاصِقِ . وَالْمُتَلَاحِمِ ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اللَّحَامِ ، لِأَنَّ
كُلَّ شَيْءٍ كَانَ مُتَبَايِنًا ثُمَّ تَلَازَمَ ^(٢) يُقَالُ فِيهِ : التَّحَمَّ وَتَلَاحَمَ ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ مِنَ اللَّحْمَةِ ، لِأَنَّ أَهْلَهَا يَتَلَاخُمُونَ فِيهَا . يَقَالُ : لَحْمَتُهُ فَهُوَ لَحِيمٌ ، أَيْ
قَتَلْتُهُ . قَالَ الْهَذَلِيُّ ^(٣) :

* فَلَا رَيْبَ أَنَّ قَدْ كَانَ نَمَّ لَحِيمٌ ^(٤) *

٥ - فَقَدْ كَانَ أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أُضِيفَ كُمْ إِلَيَّ وَأَنْهَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَالِمٍ

(١) م : « فرعناكم » ، أى علوناكم .

(٢) كذا في الأصل ، وفي م : « تلان من » ، والأخيرة محرفة .

(٣) هو ساعدة بن جؤية الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٢٣٢) والسان (حصر ،

لحم) ومقاييس اللغة (ريب ، لحم) .

(٤) صدره : * فقالوا تركنا القوم قد حصروا به *

نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى اسْتِعْلَانِهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا لَهُمْ
كَالْخَوَلِ وَالْتَّبَعِ ، وَأَنَّ الْأَسْلَافَ كَانَتْ تُوصِي الْأَخْلَافَ بِهِمْ لِنَطَاوُلِ أَيَّامِهِمْ
فِي جَنَبَتِهِمْ ، وَاسْتِغْنَاءِ الْعَنَاءِ بِهِمْ مِنْ مَاضِيهِمْ وَغَايِرِهِمْ .

٧٠

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ كُنَيْفٍ النَّبْهَانِيُّ :^(١)

١ - تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحَرِّ أَجْمَلُ وَلَيْسَ عَلَى رَبِّبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ^(٢)

الخطاب بهذا الكلام للنفس على طريق التَّسْلِيَةِ ، فَيَقُولُ : تَصَبَّرْ فَإِنَّ
الصَّبْرَ بِالرَّجُلِ الْكَرِيمِ أَحْسَنُ مِنَ التَّخَشُّعِ فِيمَا لَا يَحْسُنُ الْخُلُوعُ فِيهِ وَلَهُ .
وَالْأَصْلُ فِي الصَّبْرِ الْحَبْسُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : قُتِلَ فُلَانٌ صَبْرًا . وَقَوْلُهُ « وَلَيْسَ عَلَى
رَبِّبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ » ، يَرِيدُ بِهِ أَنَّ الْأَحْدَاثَ لَا تَقِفُ عَلَى شَيْءٍ بِحُكْمٍ وَاحِدٍ ،
وَلَكِنَّمَا تَتَقَلَّبُ وَتَتَبَدَّلُ ، فَلَا مُتَّكِلَ عَلَيْهَا ، وَلَا مُعْتَمِدَ عَلَى عَهْدِهَا ، فَهِيَ كَمَا
تُحْسِنُ نُسَيْيَ ، وَكَمَا تُذَوِي تَدَاوِي ، وَكَمَا تَجْمَعُ تُفَرِّقُ . وَقَوْلُهُ « تَعَزَّ » هُوَ
مِنْ عَزَا الرَّجُلُ وَعَزَى الرَّجُلُ ، إِذَا صَبَرَ عَزَاءً ، وَرَجُلٌ عَزِيٌّ أَيْ صَبُورٌ . وَفِي
بِنَاءِ تَفْعَلُ زِيَادَةُ تَكْلُفٍ ، وَدَلَالَةٌ عَلَى فِرَاطِ تَعْمَلٍ . وَالْمُعَوَّلُ : الْمَحْمَلُ وَالْمُتَّكِلُ .

(١) قَالَ الْبُكْرِيُّ فِي اللَّكَلِ ٤٣٠ : « شَاعِرٌ إِسْلَامِي » .

(٢) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ أَيْيَاتُ ثَلَاثَةٍ وَهِيَ :

فَلَوْ كَانَ يُغْنِيهِ أَنْ يَسْرَى الْمَرْءُ جَازِعًا لِحَادِثَةٍ أَوْ كَانَ يُغْنِيهِ التَّذَكُّلُ
لِكَانِ التَّعَزَّى عِنْدَ كُلِّ مَصِيبَةٍ وَنَائِبَةٍ بِالْمَرْءِ أَوْ لَسَى وَأَجَلُ
فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَمْدُودُ حِمَامَةً وَمَا لِأَمْرِي عَمَّا قَضَى اللَّهُ سَزَجَلُ

وَالْحَرَّ أَصْلَهُ الْأَعْتَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَالْأَكْرَمُ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِمَا بَدَأَ مِنَ الْوَجْهِ
فِي اللَّقَاءِ : حُرُّ الْوَجْهِ . قَالَ الشَّاعِرُ (١) :

* لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةً مُسْمِئَةً (٢) *

٢ - فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ يَوْمِي وَنُعْمَى وَالْحَوَادِثُ تَفْعَلُ

قوله « والحوادث تفعل » يسمى اعتراضاً ، ومثل هذا من الاعتراض يزيد
القصة تأكيذاً ، وهو هنا حائلٌ بين الجزاء وجوابه ، لأن جوابَ « إِنْ تَكُنْ »
قوله « فَمَا لَيِّنْتَ مِنَّا قَنَاطَةَ صَلِيبَةٍ » وَحَسَّنَ الْكَلَامُ بِهِ جِدًّا إِذْ كَانَ تَأْكِيداً لِمَا
يَقْتَضِيهِ مِنْ تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ ، وَتَحْقِيقاً لِمَا شَكَاهُ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ ، وَبَعَثْنَا عَلَى
التَّسْلِي ، وَأَخَذَ النَّفْسَ بِالنَّاسِي . فيقول : إِنْ كَانَتِ الْأَيَّامُ دَارَتْ فِينَا بِالنِّعَمَاءِ سَمَرَةً
وَبِالْبَاسَاءِ أُخْرَى - وَهَذَا عَادَةُ الدَّهْرِ وَحَوَادِثِهِ - فَمَا غَيَّرَتْ مَنَا شَيْئاً .

٣ - فَمَا لَيِّنْتَ مِنَّا قَنَاطَةَ صَلِيبَةٍ وَلَا ذَلَّلْتَنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَجْمَلُ (٣)

ذِكْرُ الْقَنَاطَةِ مَثَلٌ ، وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي مِثْلِهِ . وَأَبِينِ مَا يُسْتَشْهَدُ بِهِ فِي
اسْتِمَارَتِهَا لِلْإِبَاءِ وَالتَّشَدُّدِ قَوْلُهُ :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاحِشٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ (٤)
وَهَذَا الْبَيْتُ بَيَانٌ لِفَائِدَةِ الصَّبْرِ الَّذِي دَعَاهُ إِلَيْهِ ، وَبَعَثَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ

(١) هو عامر بن النافيل . ديوانه ١١٩ والشعر والشعراء ٢٩٣ .

(٢) صدره : * لعمري وما عمري على بهين *

(٣) التبريزي : « لآلى ليس تجمل » .

(٤) في الكامل ١٢٥ لبيسك : « وقال بعض شعراء الجاهلية » . والبيت مع قرين له

في الكامل وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) . ونسباً في زهر الآداب (١ : ٢٠١) إلى
عمرو بن قبيصة .

الصابر على الشدائد حَقِيقٌ بِالْأَلَّا يَتَذَلَّلُ لِمَا لَا يَحْسُنُ بِهِ ، وَلَا تَجْمُلُ الْأَحْدُوثُ فِيهِ عَنْهُ ، وَالْأَلَّا يَتَلَيَّنْ لِمَا كَانَ يَتَصَلَّبُ لَهُ مِنْ قَبْلُ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِذَا كَانَ غَايَةَ الصَّبْرِ وَمَعْنَاهُ هَذَا ، فَإِلَى أَىِّ شَيْءٍ دَعَا نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ : تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ ؟ وَقَدْ خَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ آخِذٌ بِمَا هُوَ حَقِيقَتُهُ ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى « تَعَزَّ » دُمٌ عَلَى التَّعَزَّى ، وَيَكُونُ بِنَاءُ الْأَمْرِ لِمَا هُوَ الْحَالُ ، وَلَا يَرِيدُ اسْتِثْنَاءَهُ ، كَمَا أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ مَعْنَاهُ دُومُوا عَلَى الْإِيمَانِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُ نَفْسِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِمَا كَانَ عَادَتُهُمْ فِي الْمُسْتَقْدَمِ .

٤- وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيمَةً تُحْمَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ^(١)

يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى رَحَلْنَاهَا رَحَلْنَا لَهَا نَفُوسًا ، وَالضَّمِيرُ لِلْحَوَادِثِ ، وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِهِمْ كَلْتُكَ وَكَلْتُ لَكَ ، وَوَزَنْتُكَ وَوَزَنْتُ لَكَ ، وَيَكُونُ نَفُوسًا مَفْعُولًا لِرَحَلْنَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ أَعْنَى ضَمِيرِ الْمَنْصُوبِ فِي « رَحَلْنَاهَا » لِلنَّفُوسِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا . وَأَنَّى بِالضَّمِيرِ قَبْلَ الذِّكْرِ ، ثُمَّ جَعَلَ قَوْلَهُ نَفُوسًا بَدَلًا مِنْهَا ، عَلَى طَرِيقِ التَّبْيِينِ . وَقَوْلُهُ « وَلَكِنْ » حَرْفٌ يُسْتَدْرَكُ بِهَا بَعْدَ النَفْيِ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى مَا تَذَلَّلْنَا لِلنَّوَائِبِ ، وَلَكِنْ هَيَّأْنَا لَهَا نَفُوسًا تَأْنِفُ مِنَ الرِّضَا بِالذَّنْبِ ، فَلَا تَنْسَى كَرَمَهَا ، وَتُكَلِّفُ أُمُورًا لَا تَنْهَضُ بِهَا فَتُكَلِّفُهَا . وَفِي وَصْفِ النَّفُوسِ بِالْكَرَمِ إِشَارَةٌ إِلَى الظَّلْفِ وَالْمَقَّةِ ، وَالتَّأَنِّي مِنَ الْمُخْزِيَةِ ، وَجَانِبَةِ الرِّيبَةِ ، وَالنَّفُورِ مِنْ كُلِّ قَبِيحَةٍ . وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ

(١) بعده عند التبريزي :

وَقَمِينًا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِينًَا نَفُوسَنَا فَصَحَّحَتْ لَنَا الْأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هُمُورًا

وجلّ في صفة المختارين من عباده المزيّنين^(١) : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا سَمِعُوا بِاللَّغْوِ سَرَّوْا كِرَامًا﴾ . فأما قوله « رَحَلْنَاهَا » في الاستعارة ، فكما يقال استَحَمَلْتُ فلانًا نفسي ، وركبني ظلماتٌ وما أشبهها . وحكي : هو يَرْحَلُهُ بما يسكره ، أى يَرْكَبُهُ ؛ ولا رَحَلْتُكَ بالسيف ، أى لا عَلَوْتُكَ .

٧١

وقال آخرُ :

١- وكم دِهْمَتِي من خُطوبٍ مُلِمَّةٍ صَبَرْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ

يقول : سمرأ كثيرة فاجأتني خُطوبٌ شديدة ، ونزلت بي ، فحبست نفسي عليها ، وتجلدت لها ، فلم يَظْهَرْ في مَنَاطِرِي خُشوعٌ ، ولا بَدَأَ في جوارِحِي خُضوع . ومَوْضِعُ كم على هذا التأويل ظَرْفٌ . « وَمِنْ » على طريقة الأخفش تكون زائدة ، لأنه يُجَوِّزُ زيادة « مِنْ » في الواجب ، ويستدلُّ من المسموع بقول بعضهم : « قد كان من مَطَرٍ فَخَلَّ عَنِّي » وبغيره . فكأنه قال : كم سَمَرَةٌ دِهْمَتْنِي خُطوبٌ كثيرة . ويكون قوله صَبَرْتُ عَلَيْهَا صفةً للخطوب . ويجوز أن يكون كم في موضع الابتداء ، ومن خُطوبٍ هو بيانٌ له ، وقد فصل بينهما بجزءه ، وهو دِهْمَتْنِي ، وتقديره كم من خطوبٍ دِهْمَتْنِي ، أى كثيرٌ من الخطوب . فأما فائدة العطف بـ ثُمَّ من قوله « ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ » فهو إبانة الاستمرار في الصَّبْر ، وإن طالت المَهْلَةُ إلى أن انكشفت تلك الملمات العارضة وانفجرت . ومعنى دِهْمَتْنِي : فاجأتني ، ومنه الدَّهْمُ ودِهْمَاءُ الناس .

٢- فَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي وَالَّذِي قَدْ فَعَلْتُمْ فَلَا تُدُّ فِي أَعْنَاقِكُمْ لَمْ تُقَطَّعْ

(١) المزيّن ، كذا ضبطت بكسر الكاف في النسختين ، أى الذين زكوا أنفسهم . وفي كتاب الله : « قد أفلح من زكاها » .

يقول : أَصَبْتُ مَا طَلَبْتُهُ ، وَتَقَاضَيْتُ بِهِ مَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ ثَارٌ أَوْ وَثَرٌ ،
فَاسْتَنْزَلْتَهُ عَنْهُ ، وَمَا فَعَلْتُمْ مِنَ الْقُعُودِ عَنْ نُصْرَتِي ، وَخِذْلَانِي فِيمَا نَابَنِي أَرْزَمَكُمْ ،
فَكَأَنَّهَا قَلَانِدٌ وَأَطَوَاقٌ لَا تَنْحَلُّ عَنْكُمْ وَلَا تَنْقَطِعُ . وَهَذَا تَحْقِيقٌ لِلزُّومِ الْعَارِ
لَهُمْ فِيمَا أَتَوْا . وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَشَرٍ :

* وَقُلِّدَهَا طَوَقَ الْحَمَامَةِ جَعْفَر *

يَصِفُ غَدْرَةَ ارْتَكَبُوهَا . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا
بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ ﴾ .

٧٢

وَقَالَ عُوَيْفُ الْقَوَافِي (١) :

١ - ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادٌ مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ الْعُودُ (٢)

يقول : طَارَ النُّومُ فَلَا يُعْرِفُ لَهُ أَثَرٌ ، مِمَّا ذَهَبَ وَحَزَبَكَ ، وَنَامَ الَّذِينَ كَانُوا

(١) عويف القوافي الفزاري ، وهو عوف بن معاوية بن عتيبة بن حذيفة بن بدر ، سمي
عويف القوافي لبيت قاله ، وهو :

سَأَكْذِبُ مَنْ قَدْ كَانَ يَزْعُمُ أَنِّي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا لَا أَجِيدُ الْقَوَافِيَا

وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، مدح الوليد وسليمان ابني عبد الملك ، وعمر
ابن عبد العزيز . البيان (١ : ٣٧٤) ومعجم المرزباني ٢٧٧ - ٢٧٨ والأغاني (١٧ : ١٠٥)
والاشتقاق ١٧٣ .

قال أبو رياش : « وَكَانَتْ أخته عند عيينة بن أسماء فطلقها ، فكان مرانما لعيينة وقال :
الحرّة تطلق لغير بأس ! فلما أخذ الحجاج عيينة فحبسه قال عويف هذا الشعر » .

(٢) روى التبريزي بعده :

خيرٌ أَنَانٍ عَنْ عَيْنَةٍ مُوجِسٍ كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ الْأَكْبَادُ
بَلَسَغَ الشُّنْفُوسَ بِلَاؤُهُ فَكَأَنَّا مَوْتَى وَفِينَا الرُّوحُ وَالْأَجْسَادُ
يَسْرَجُونَ عَثْرَةً جَدُّنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ لَا يَدْفَعُونَ بِنَا الْمَكَارِيَةَ بَادُوا

يعودونك ولم يَشْهَرُوا لَكَ . وللمعنى : إِنِّي اخْتُصِصْتُ فَيْكَ بِمَا عَرَى مِنْهُ عَوَادُكَ ، وَتَحَمَّلْتُ مِنَ الْجَزَعِ مَا سَقَطَ عَنْهُمْ وَخَفَّ عَلَيْهِمْ . والرُّقَادُ والرُّقُودُ : النَّوْمُ بِاللَّيْلِ ، وَعَرَفَ الْأَوَّلَ تعريف الجنس ، ونَكَرَ الثَّانِي لِأَنَّهُ أَرَادَ نَوْعًا مِنَ الْجِنْسِ ، كَانَ الْمُرَادُ : ذَهَبَ النَّوْمُ عَلَى اخْتِلَافِهِ حَتَّى مَا يُرَى لِنَوْعٍ مِنْهُ مُخْتَصٍ أَثَرٌ .

٢ - لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُمَيْدَةٍ أَنَّهُ أَمَسَتْ عَلَيْهِ تَظَاهَرُ الْأَقْيَادُ^(١)

قوله « لَمَّا أَتَانِي » ظرف لقوله « نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي » لِأَنَّ لَمَّا إِذَا وَلِيَهُ الْفِعْلُ الْمَاضِي ، كَانَ عَلَمًا لِلظَّرْفِ ، وَفُسِّرَ بِحِينَ . والمعنى : حِينَ تَسَاقَطَ إِلَى عَنْ هَذَا الرَّجُلِ وَتَأْدَى أَنَّهُ أُسِيرَ وَقِيدٌ بِقَيْدٍ بَعْدَ قَيْدٍ ، فَارَقَنِي مَا كُنْتُ أَخَامِرُهُ وَأَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ التَّنَكُّرِ لَهُ ، وَأَزَلْتُ عَنْ نَفْسِي مَا اسْتَجَفَيْتُهُ فِيهِ ، لِأَنَّ الْكَرِيمَ يَرْقُ لِمَثَلِهِ مِنَ الْكَرَامِ عِنْدَ النَّوَازِلِ . ومعنى التَّظَاهَرِ : أَنْ يَصِيرَ الشَّيْءُ فَوْقَ الشَّيْءِ فَيَقْوَى . ويقال : تَظَاهَرَ بَيْنَ قَوْيَيْنِ ، إِذْ لَبِسَ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ . وقوله تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ معناه تَعَاوَنَا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : هُوَ ظَهَرُ ظَهِيرٍ ، أَيْ قَوًى فِي الْإِسْتِفَانَةِ .

٣ - نَخَلْتُ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ لِأَنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ

يقول : أَضَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ نَفْسِي لَهُ النَّصِيحَ ، لِأَنَّ الضَّغَائِنَ تَفَارِقُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ . وَهَذَا الْكَلَامُ هُوَ بَيَانُ عِلَّةِ مَفَارَقَةِ ضِغْنِهِ وَرَجُوعِهِ إِلَى سَلَامَةِ الصَّدْرِ لَهُ . وَقَدْ ذَكَرَ فِيمَا بَعْدَهُ مَا يُدَلُّ عَلَى حَسَنِ الْإِنْصَافِ مِنَ النَّفْسِ ، وَالاعْتِرَافِ بِالْفَضْلِ لِلْغَيْرِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « أَنَّهُ » بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَلِلْمَعْنَى لِأَنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ . وَإِذَا رُويَ بِالْكَسْرِ يَكُونُ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ .

(١) التبريزي : « أَمَسَ عَلَيْهِ » .

٤ - وَذَكَرْتُ أَيْ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهُ بِالرَّفْدِ حِينَ تَقْصُرُ الْأَرْفَادُ
 مصدر ذكرْتُ في هذا الذِّكْر بضم الذال ، لأنه بالقلب . وقوله « بالرفد » ،
 يريد ببذل الرفد ، فحذف المضاف . يقول : أَجَلْتُ في فِكْرِي ، وَقُلْتُ في حَدِيثِ
 نَفْسِي : لو خَلَى مَكَانَهُ مَنْ كَانَ يَسُدُّ مَسَدَّهُ ، وَمَنْ يُعْطَى عَطَاءَهُ عِنْدَ تَقْصُرِ الْعَطَايَا
 وتراجع المعونات . وهذا إشارة إلى زَمَانِ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ وَقْتَ تَنَافُسِ النَّاسِ
 فِي التَّمَلُّكَاتِ ، وَاللَّفْعُ عَنْهَا بِإِعْدَادِ الْعِلَالَتِ . والمعنى : إِنْ مِثْلُهُ لَا يُوجَدُ
 وَلَا يُظْفَرُ بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَسْمَحُ لِنُصْفِ
 بِهِ لَدَهْرِهِ ، أَوْ كَيْفَ يَطْوِي الصَّدْرُ عَلَى الشُّلُوعِ عَنْهُ وَالْخُلُوعِ مِنْهُ ، مَعَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ
 إِلَيْهِ . ويقال : رَفَدْتُ الرَّجُلَ رَفْدًا إِذَا أُعْطِيَتْهُ ، ثُمَّ سُمِّيَ الْعَطِيَّةُ رَفْدًا بِكَسْرِ
 الرَّاءِ ، وَجَمْعُهُ الْأَرْفَادُ . وَأَرْفَدْتُهُ تَحَكُّيًا لَكِنَّهُ لَيْسَ بِالْمُتَخَيَّرِ . وَتَقَاصَرُ ، أَصْلُهُ
 تَقْصَرُ فُجْذِفَ إِحْدَى التَّائِمِينَ تَخْفِيفًا ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ بِإِضَافَةِ حِينَ إِلَيْهِ .

٥ - أَمْ مَنْ يَهِينُ إِنَّا كَرَامٌ مَالِهِ وَإِنَّا إِذَا عُلِّدْنَا إِلَيْهِ مَعَادُ

أَمْ هَذِهِ هِيَ الْمُنْقَطِعَةُ ، وَالِاسْتِفْهَامُ دَخَلَ فِي الْكَلَامِ عَلَى طَرِيقِ التَّوَجُّعِ
 وَالتَّهَنُّفِ لِمَا جَرَى عَلَى عُيُنِهِ الْمَذْكُورِ . والمعنى : لو فَقَدْنَاهُ مَنْ كَانَ يَبْذُلُ لَنَا
 عِقَائِلَ أَمْوَالِهِ ، وَمَتَى شِئْنَا وَجَدْنَا عِنْدَهُ مَعَادًا فَلَا يَمَلُّ الشُّوَالَ ، وَلَا يُغِيبُ النَّوَالَ ؛
 وَهَذَا الْكَلَامُ تَنْبِيهٌُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُدِيمُ الْإِحْسَانَ ، وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ يَوْمِهِ دُونَ
 عَطَاءِ غَدِهِ . وقوله « كَرَامٌ مَالِهِ » ، جَمْعُ كَرِيمَةٍ ، وَقَدْ أُجْرِيَ تَجْرِي الْأَسْمَاءِ
 حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « إِذَا جَاءَكَ كَرِيمَةٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمْهُمْ ^(١) » .

(١) قَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي إِكْرَامِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ فَبَسَطَ لَهُ رِداءَ
 وَعَمَّهُ بِيَدِهِ . الْلسَانُ (كَرَم) .

٧٣

وقال بشر بن المغيرة^(١) :

١ - جَفَانِي الْأَمِيرُ وَالْمَغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأَمْسَى يَزِيدُ لِي قَدْ أَزَوَّرَ جَانِبُهُ^(٢)

أراد بالأمير المهلب بن أبي صفرة . والمغيرة أخوه ، ويزيد ابنه . وقائل هذا الشعر بشر بن المغيرة ، وهو أحدُ الفرسان المشهورين^(٣) ، فيقول : جفاني عني المهلبُ ، وأبي المغيرة ، وصار يزيد ابن عني لاقتدائه بهم منحرفاً عني ، غير مائلٍ إلي . والازورار : الانحراف ، وهو من الزور : نَتَوَّ أَحَدِ شِقَى الصدر واطمئنان الآخر : ويقال رَجُلٌ أَزَوَّرُ ، وامرأةٌ زوراء .

٢ - وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شَيْعًا لِبَطْنِهِ وَشَيْعُ الْفَتَى لَوْمْ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ

أراد بالكلِّ الاتحاد لا الجميع . يقول : كلُّ واحدٍ منهم قد نال من الدنيا وأعرضها قدر ما يشبعه ويمكنه الاكتفاء به ، ثم قال : وشيعةُ الإنسان لَوْمْ إِذَا لم يُشْرِكْ صَاحِبُهُ فِيهِ فَبَقِيَ جَائِعًا . أي هو كذلك في ذلك الوقت ، وعلى تلك الحالة . والشَّيْعُ لا يكون لَوْمًا ، لكنَّ التفرد به من دون ذَوِيهِ على حاجةٍ منهم إليه يكونُهُ^(٤) ، فَرَمَى بالكلام على ما تَرَى لأنَّ المراد منه مفهوم . والفرق بين الشَّيْعِ والشَّيْعِ ، أن الشَّيْعَ يسكون الباء : القَدْر الذي يُشْبِعُ ، والشَّيْعَ بفتح الباء :

(١) قال التبريزي : « ويروى أن اسمه كان بُسِيرًا » . وقال أيضاً : « وكان بشر بن المغيرة بخراسان مع المهلب فلم يوله شيئاً » .

(٢) يزيد ، ضبِطت في الأصل بضمين في أعلى الدال وضمة في وسطها لتقرأ بالصراف وعدمه ، وذلك مع كلمة « معا » فوق الضمتين .

(٣) م : « المشهورين » .

(٤) أي يكون لَوْمًا .

الامتلاء من الطعام ، وقد استعمل الشَّع في غير الطعام فيقال : أَشْبَعْتُ الثَّوبَ صِبْغًا ، وكذلك في كُلِّ ما وَفَّرته من القول وغيره ، حَتَّى قيل تَشْبَع الرَّجُلُ ، إِذَا تَكَثَّرَ .

٣- فَيَا عَمَّ مَهْلًا وَاتَّخِذْنِي انْتِوَابَةً تِلْمُ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ نَوَائِبُهُ^(١)

قوله « مَهْلًا » معناه رِفْقًا ودَعْر العجلة . ويحرَّكُ الهاء منه فيقال انت كذا على مَهَلٍ ومَهْلٍ جميعا . ويقال : ما بى عن كذا مَهْلٌ ، أى لئى فيه مستعجل . وفي هذا بعض التوعُّد والتطنُّز وإن كان ظاهره أنه يستعطف المَهْلَب ويعرفه أَنَّ الدَّهْرَ ذو غَيْرٍ وذو ألوان فلا يُؤْمَنُ بوائِقه ؛ وأَنَّهُ قد يُحتاج إلى المُسْتَعْفَى عنه لِحَادِثَةٍ تَحْدُثُ . فيقول : ادَّخِرْنِي لِنَوَابَةٍ تَنْزِلُ ، وهى المصيبة أو الذَّكْبَةُ ، ولا تَطَّرِحْنِي اغْتِرَارًا بِالْأَمْنِ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ كثير النوائب ، وشيك التحوُّل . وقوله « ياعَمَّ » حَذَفَ الياء منه لوقوعه موقع ما يُحذفُ في هذا الباب ، وهو التنوين ، ولأنَّ باب النداء بابُ إيجاز ، ولأنَّ الكسرة تدلُّ عليه .

٤- أَنَا السَّيْفُ إِلَّا أَنَّ السَّيْفَ نَبْوَةٌ وَمِثْلِي لَا تَذْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهُ

يُفَضِّلُ نَفْسَهُ في نفاذه في الأمور ومضائه ، على السَّيْفِ ؛ فقال أولاً : أَنَا السَّيْفُ ، أى أَشْبَهُهُ ، ثُمَّ تَلَّاقَى فقال : إِلَّا أَن السَّيْفَ رُبَّمَا نَبَا عن الضَّرِيبَةِ وَكَبَا ، ومثلى لا تَسْكُلُ ولا تَذْبُو حُدُودَهُ عن شَيْءٍ تُتَلَّاقِيهِ . وفي هذه الطريقة قول جرير :

وليس لسيفي في العظام بقيةٌ وللسَّيْفِ أشوى وقعةً من لسانيا
والمضاربُ : جمع مَضْرِبٍ ، وهو الموضع الذى يُضْرَبُ به من السيف .

(١) التبريزى : « جم عجائبه » .

٧٤

وقال بعض بني فقعس^(١) :

١- يَا أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ السَّائِرَانِ مَعًا قَوْلًا لِسِنْدِسٍ فَلْتَقَطُفْ قَوَافِيهَا

الراكب : اسم لمن ركب حيواناً إلا الفرس ، فإنه يقال لراكبه فارس متى أطلق . ومعاً ، انتصب على الحال ، ومعناه مُصْطَحِبِينَ ومجتمعين . فيقول : يا أيها السائران المصطحبان ، قولاً لهذه القبيلة لتترك قول الشعر ، أو تتوقف قليلاً حتى تتباطأ قوافيها عني^(٢) . وفي هذا الكلام ضرب من الاستهزاء بهم ، وإشارة إلى التجبر والتعالي عليهم . والقطوف من الدواب : الذي في خطوه بطاء مع تقارب . وجعل فعل الأمر للقوافي على السعة والجاز . وسنيسهم المأمورون . وهذا كما يقال في النهي : لا أَرَبَّنَكَ هَاهُنَا ، والمحاطب هو المنهي ، لأن المعنى : لا تكن هاهنا فأراك . ثم بين هذا الشاعر الوجه الذي أوجب منه أطراح الافتخار ورفض الهجاء له ، فقال :

٢- إِنِّي أَمْرٌ مُكْرَمٌ نَفْسِي وَمُتَنَبِّذٌ مِنْ أَنْ أَقَاضِعَهَا حَتَّى أُجَازِيَهَا

يقول : إني رجل أربأ بقدرى عن مكابلتهم ، وأترفع عن موازتهم ، وأتوقف عن ملاحاتهم ، طلباً لجازاتهم . والتقدير : لا أقاضعها لكي أجازيها ، لأن حتى الداخلة على الفعل مرة يكون بمعنى كفى ، ومرة يكون بمعنى إلى أن .

(١) التبريزي : « قال بعض بني عبد شمس من فقعس » .

(٢) جعل « تقطف » هنا من القطاف وهو بطاء الدابة . وأما أبو رياش فجعلها من قطف الثمرة بمعنى قطعها ، أي لتدع قول الشعر فيما بيننا وبينها . وأما النمرى ففسرها من القطف : جنى الثمرة ، أي إن فعلنا بهم شراً فهو جناية قوافيهم عليها . وهذا القول الأخير حسن جداً ، إلا أن ما بعده يدل على أنهم لم يجازوهم بعد ، لقوله : إني أمرؤ مكرم نفسي ومتنبد . وعلى هذين المعنيين تكون « تقطف » متعدية . وعلى ما فسرهُ المرزوقي تكون لازمة .

ويجوز أن يكون المعنى : لا أقادِعُها إلى أن أجازيها ، أى أولاً أجازيها فعلاً لأرى القدرة عليها ، ثم حينئذ أجازيها بالكلام . والأول أحسن . ثم أخذ يقتصّ ما كان منهم لما طلب مكافأتهم بالفعل . والمقادة : المُفاحشة . ويقال قَدَعْتُهُ ، إذا رَمَيْتَهُ بالفُحْش . ومَتَّيْتُ : مُفْتَعِلٌ من التَّوَدُّعِ ، وهى الرُّفْق .

٣ - لما رَأَوْهَا مِنَ الْأَجْزَاعِ طَالِمَةً شَعْنًا فَوَارِسُهَا شَعْنًا نَوَاصِيهَا

يقول لما راوا الخيل بارزة لهم ومفاجئة إياهم من أجزاع الوادى - وهى جوانبها - مُغْبِرَةً النَّوَاصِي مغبرة الفرسان . وجواب لما فيما بعده . ويقال شَعِثَ شَعْنًا وشَعُونَةً ، وهو أَشْعَثُ وشَعِثُ . وأَضْمَرَ الخيل فى قوله « لما رَأَوْهَا » وإن لم يَجْزِ لها ذِكْرٌ ، لأن الحالة الحاضرة تدلُّ عليه . ويجوز أن يكون تقدّم ذكرها فيما تَرَكَ من أبياته .

٤ - لَأَذَتْ هُنَالِكَ بِالْأَشْعَافِ عَالِمَةً أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ بَلِيلٍ أَمْرًا فَاوِيَهَا

يقول : التجأت فى ذلك الوقت إلى قُللِ الجبال وأعلى الهضاب ، عارفة سوء اختيارها فى تحكُّكها بى ، وتعرضها بالشَّعْر لى ، وأنها قد ائتمرت لأفواتها بَلِيلٍ . وذكر الليل هاهنا إشارة إلى خَيْرَتِهَا فيما أَتَتْهُ من تَرَكَها الرَّشَادُ ، وقبولها مَشُورَةَ الْغَوَاةِ . والأشْعَافُ : جمع الشَّعْفَةِ ، وهى أعلى الجبل ، وأعلى كلِّ شىء ، ولذلك قيل شَعْفَةُ الْقَلْبِ لرأسه عند مَعْلَقِ النَّيَاطِ . وهنالك ظرف ، ويكون للزَّمانِ والمكانِ جميعاً ، وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه ، كأنَّ البُعْدَ فيما يُشار إليه بِهِنَالِكَ أبلغ مما يكون فيما يشار إليه بهنالك . وهذا على طريقة ما تقول فى ذلك وذاك . وقوله « أَنْ قَدْ أَطَاعَتْ » أن فيه مَخَفَّةً من التَّغْيِيلَةِ ، أى عالمة أنها قد أطاعت . ويقولون لما لا يُعْمَلُ بِتَثْبُتٍ وَحُسْنِ تَدَبُّرٍ : « هذا

أمرٌ قد قَدَّرَ بَلِيلٌ . وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ يَتَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ﴾ .

٧٥

وقال آخر في ابن له :

١- لَا تَعْدُلِي فِي حُنْدُجٍ إِنْ حُنْدُجًا وَلَيْتَ عَفْرَيْنَ لَدَى سَوَاءٍ

يخاطب لأئمة عَدَلَتْهُمُ فِي التَّوْفَرُّ عَلَى ابْنِهِ حُنْدُجٍ واختصاصه إِيَّاهُ واستخلاصه ، وذكر الخليل أن حُنْدُجًا فِي الْأَلْفَةِ : رَمْلَةٌ طَيِّبَةٌ تَنْبِتُ أَلْوَانًا مِنَ النَّبَاتِ . فيقول : لَا تَلُومِينِي فِي أَمْرِ حُنْدُجٍ ، إِنْ حُنْدُجًا وَلَيْتَ هَذِهِ الْمَأْسَدَةُ مَتَسَاوِيَانِ عِنْدِي . وقد قيل فِي لَيْثٍ عَفْرَيْنَ : إِنَّمَا هِيَ الَّتِي تَصِيدُ الذَّبَابَ وَثَبًا ، فَشَبَّهَ فِي كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ بِهِ ، وَقَدْ وُصِفَ الْخَبِيثُ الْمُنْكَرُ بِالْعَفْرِ وَالْعَفْرِيَّةُ وَعَفْرَتِي ، وَيُقَالُ أَيْضًا لِلْأَسَدِ عَفْرٌ وَعَفْرَتِي . وقيل هُوَ أَشَدُّ عَفَارَةً ، وَاسْتَعْفَرَ فَلَانٌ . وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ لَيْثَ عَفْرَيْنَ دَابَّةً كَالْحِرْبَاءِ يَتَحَدَّى الرََّاكِبَ وَيَضْرِبُ بِذَنْبِهِ ^(١) . وقيل عَفْرَيْنَ : مَوْضِعٌ نُسِبَ إِلَيْهِ ، وَقِيلَ عَفْرَيْنَ : فِعْلَيْنِ مِنَ الْعَفْرِ ، وَهُوَ التَّرَابُ ، لِأَنَّ عَادَةَ الْأَسَدِ أَنْ لَا يَصِيبَ مِنْ فَرِيستِهِ حَتَّى يُعَفِّرَهُ ، يُشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ فِي صِفَتِهِ :

• وَلَا نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى تَعَفَّرَ ^(٢) •

وذكر بعضهم أَنَّ لَيْثَ عَفْرَيْنَ كَقَوْلِهِمْ : لَيْثُ لُيُوثٍ ، لِأَنَّهُ يُقَالُ الْمُنْكَرُ الدَّاهِيَةُ عَفْرٌ ، وَيُوصَفُ بِهِ الْأَسُودُ وَالرَّجَالُ . وَيَكُونُ عَلَى هَذَا عَفْرَيْنَ جُمْعُ جَمْعِ السَّلَامَةِ كَالْأَفْوَريْنَ ، وَمَرَّةً بِي أَنَّ قَوْلَهُمْ لَيْثَ عَفْرَيْنَ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَسَوَاءٌ : مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَصِفَ بِهِ .

(١) م : « تتحدى الراكب وتضرب بذنبها » .

(٢) م : « حتى يعفرا » .

٢ - حَمَيْتُ عَلَى الْمُهَّارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمُدَّعِينَ جُفَاءً

يُبَيِّنُ فِي هَذَا الْكَلَامِ انْتِفَاءَ الرَّيْبِ عَنْ مُشَابَهَتِهِ لَهُ . وَتَقْيِيلَهُ إِيَّاهُ ، وَأَنَّهُ لَا يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ مِنْ صُلْبِهِ ، فَيَقُولُ : حَفَظْتُ أَطْهَارَ أُمِّهِ عَنِ الزُّنَاةِ ، لِأَنِّي اخْتَرْتُهَا مِنْ بَيْتِ الْعَقَّةِ ، وَأَرْوَمَةِ الْكُرْمِ ، وَمَغْرَسِ النَّجَابَةِ ، وَالْعِتْقِ وَالشَّهَامَةِ^(١) وَدَعَوَايَ حَقًّا ، وَبَعْضُ دَعَاوَى الْمُدَّعِينَ كَالَّذِي يَغْلُو السَّيْلَ وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ سَقَطِ الْأَرْضِ . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : وَبَعْضُ دَعَاوَى الرِّجَالِ ، خَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ . وَالْعَهْرُ وَالْعُهُورُ : الْفَجُورُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « حَمَيْتُ عَلَى الْمُهَّارِ » مَا أَرَادَ امْرَأَتُ الْقَيْسِ بِقَوْلِهِ :

* وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزْنَ بِهَا الْخَالِي^(٢) *

أَيُّ بَفْرِطٍ غَيْرَتِي وَكَمَالِ رُجُولِيَّتِي وَتَمَامِ مُحَاسِنِي . وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَطْهَارَ لِمَا فِي الْحَيْضِ مِنَ الْإِعْتَزَالِ ، وَكَأَنَّ الْقَالَ الْآخَرَ^(٣) :

* دُونَ النَّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ^(٤) *

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ جُفَاءً : وَبَعْضُ الرِّجَالِ مَحْمُولٌ دَعَى ، فَهُوَ كَالْجُفَاءِ لَا يُعْنَدُ بِهِ . وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ .

٣ - فَجَاءَتْ بِهِ سَبْطُ الْعِظَامِ كَأَنَّمَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ لَوَاهِ

(١) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ : إِنَّمَا وَصَفَ الشَّاعِرُ ابْنَ أُمِّهِ . يَقُولُ : لَمْ أُسَيِّبْهَا كَمَا تَسِيَّبُ الْإِمَاءُ فَجَاءَتْ بِهِ لِرَشْدَةٍ . وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى قِصَّةِ الْبَيْتِ عَرَفْتَ مُصَدِّقَ مَا قُلْتَهُ . أَكْتَبْنَا أَبُو النَّدَى قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جَنْبٍ مِنْ بَلْقَيْنَ عِنْدَهُ ابْنَةُ عَمٍّ ، لَهُ مِنْهَا ابْنٌ يُقَالُ لَهُ سَيَّارٌ ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مِنْ أُمِّهِ يُقَالُ لَهُ دِمَاجٌ ، فَكَانَتْ الْحَرَّةُ إِذَا رَأَتْهُ يَلْطَفُ دَمْلَجًا بِبَعْضِ اللَّطْفِ لِأَمْتِهِ وَغَضِبَتْ ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

أَلَا نَمَى فِي دِمَاجٍ إِنْ دَمْلَجَا وشركة سيار إلى سواء
شغلت عَنِ الْعِشَاقِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وبعض الرجال المدعين زفاه

(٢) صدره : * كَذَبْتَ أَتَقْدُ أَصْبَى عَلَى الْمَرْءِ عِرْسَهُ *

(٣) هُوَ الْأَخْطَلُ . دِيَوَانُهُ ١٢٠ وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْمَغْنَى ٢٢١ .

(٤) صَارَهُ : * قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ *

يقول : جاءت الأم بهذا الولد وهو تأمّ العظام مديدُ القامة ، فكأنَّ قامته رمح ، وكأنَّ عمامته إذا توسَّطَ الرَّجَالِ لواءَ محمول عليه . وأحسن صنعة منه قولُ مسلمٍ ، وإن كان هذا سليماً من العيب .

يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدِينِي قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نَجَادٍ
وفي طريقته قولُ الآخر^(١) :

* يَكَادُ يَسَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ^(٢) *

٧٦

وقال آخر^(٣) :

١ - إذا كان أولادُ الرَّجَالِ حَزَازَةً فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْخُلُوُّ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ^(٤)
إذا يتضمَّن معنى الجزاء ، ولهذا احتاج إلى الجواب فجعل بالفاء . فيقول :
إذا كان الأولاد تقطيعاً في الصدور وتحزيراً في القلوب ، لعقوقهم واستعمالهم الجفاء
في موضع البرِّ مع آبائهم ، فأنت العسل مشوباً بالماء العذب . وقد وصف بعضهم
كلاماً فقال : « هو السَّحْرُ الحلال ، والعذبُ الزُّلال » . ويشير الشاعر إلى سهولة
جانبه ، وحسن طاعته ، ودماثة خلقه . وقال الخليل : الحزازة : وجع في القلب
من غَيْظٍ أو أذى . والحزاز أيضا كذلك ، وأنشد بيت الشَّماخ :

(١) هو فرعان بن الأعراف ، يقوله في ابنة منازل . الحماسة ٦٠٣ .

(٢) صدره : * لربيته حتى إذا أض شيطلاً *

(٣) قال أبو رياش : هو لأبي الشغب العبدى ، وقال أبو عبيدة : للأقرع بن معاذ القشيرى .

(٤) أول المقطوعة عند التبريزي :

رأيت رباطاً حين تمَّ شَبَابُهُ . وولىَّ شَبَابِي لَيْسَ فِي بَرِّهِ عَتَبُ

قال : « ليس في بَرِّه عتب ، أى ليش فيه فساد . قال أبو هلال : الوجه أن يقال إنه لا يمن
بِره فينكر منه ذلك ، يقال عتبت على الرجل عتبا ، إذا أنكرت عليه شيئاً من فعله . ويجوز أن
يقال : إنه يعم بالبر جميع أهله فليس يعتب عليه أحد منهم ، أو يقوم بجميع ما يحتاج إليه أبوه
فلا يعتب عليه في شيء » .

* وفي الصدر حَزَّازٌ مِنَ اللَّوْمِ حَامِزٌ^(١) *

٢ - لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مُتَمَتِّعٌ صَعْبٌ

خاطَبَ في الأول ثم عَدَلَ في الثاني إلى الإخبار ، وهذا عادتهم إذا افتنوا في كلامهم ، نظموا أو نثروا ، لِمَا في التحول من سهولة تجاوب الألفاظ ، وتلاؤم طرائق النظام . فيقول : لَنَا مِنْ هَذَا الْوَلَدِ خُلُقٌ سَجِيحٌ ، ومذهبٌ في البرِّ فسيحٌ ، فهو هَيِّنٌ لَيْنٌ معنا ، ولِلْأَعْدَاءِ مِنْهُ إِذَا طَلَبُوهُ أَوْ جَرَّبُوهُ جَانِبٌ خَشِنٌ مِدْفَعٌ ، وطريقٌ صعبٌ مُتَلَفٌ ، وَخُلُقٌ وَغَرٌّ شَرِسٌ . ولم يقل وللأعداء جانب ولكن عَطَفَ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ ، بمعنى أَنَّ أَحَدَهُمَا لاجْتِنَابِ الْخَيْرِ ، وَالْآخَرُ لِلدِّفَاعِ الشَّرِّ . فَكَأَنَّ التَّقْدِيرَ : وَلِنَامِنِهِ جَانِبٌ مُعَدٌّ لِلْأَعْدَاءِ ذَلِكَ صِفَتُهُ ، فَصَارَ الْجَانِبَانِ لَمْ فِي اللَّفْظِ ، وَالْقِسْمَةُ ثَابِتَةٌ فِي الْمَعْنَى . وَالدِّمَانَةُ : سَهُولَةُ الْخُلُقِ وَلِينُ الْجَانِبِ . وَيُرْوَى « مُتَمَتِّعٌ صَعْبٌ » ، وَ« مُتَلَفَةٌ صَعْبٌ » ، وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ .

٣ - وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ الْمَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا اهْتَزَّتْ تَحْتَ الْبَارِحِ الْفُضُنُ الرَّطْبُ الْبَارِحُ : رِيحٌ حَارَةٌ تَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ . فيقول : تَمَلَّكُهُ عِنْدَ اكْتِسَابِ الْمَكَارِمِ أَرِيحِيَّةٌ يَهْتَزُّ عِنْدَهَا اهْتِزَازَ الْفُضْنِ الرَّطْبِ ، الَّذِي جَرَى الْمَاءُ فِيهِ ، إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهِ الْبَارِحُ . وَ« كَمَا اهْتَزَّتْ » أَرَادَ كَاهْتِزَازَ . وَقَوْلُهُ « تَحْتَ الْبَارِحِ » حَسَنٌ جَدًّا ، لِأَنَّ الرِّيحَ تَعْلُو الْغُصُونِ فِي مَرُورِهَا . وَقَدْ نَسَبُوا الْبَارِحَ إِلَى النُّجُومِ إِذَا ذَكَرُوا الْأَنْوَاءَ . قَالَ :

أَيَا بَارِحَ الْجُوزَاءِ مَا لَكَ لَا تَرَى عِيَالَكَ قَدْ أَمْسَوْا مَرَامِيلَ جُوعًا^(٢)

(١) صدره في ديوان الشماخ ٤٩ واللسان (حز ، حز) :

* فلما شراها فاضت العين عبرة *

(٢) انظر الأزمدة والأمكنة للمرزوقي (١ : ٢١٦) ومجالس ثعلب ٤٩٠ .

هذا بقوله بعض المتلصصة. وعيالها: الشَّرَاقُ، وذلك أَنَّ البَارِحَ تَحْمِلُ الْغُبَارَ وتَدْرُسُ الْأَثَارَ، فَتَجَسُرُ الْمُتَلَصِّصَةَ عَلَى السَّحَى، وَتُمْكِنُهُمُ السَّرَقَةُ.

٧٧

وقال آخر^(١):

١ - وفارقتُ حَتَّى مَا أَبَالِي مِنَ النَّوَى وإنْ بَانَ جِرَانٌ عَلَى كَرَامٍ^(٢)

يُروى: «مَنْ انْتَوَى» وهو افْتَعَلَ مِنَ النَّوَى، وهى الوجهة المنووية للقوم، أو البُعْد. يقول: أَلِفْتُ مَفَارِقَةَ الْوَطَنِ وَالْإِخْوَانِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، واعتدتُ التَّبَاعُدَ عَنْهُمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، حَتَّى لَا أَبَالِي مَنْ انْتَوَى مِنْهُمْ أَوْ نَأَى، وإنْ كَرُمُوا عَلَى عِنْدَ الْمَجَاوِرَةِ. ومن روى: «لَا أَبَالِي مِنَ النَّوَى»^(٣) فمعناه لَا أُحْتَفَلُ بِهِ، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ تَعْلَقُ «حَتَّى» بِفَارَقْتُ؟ وما معناه؟ قلت: أَرَادَ تَكَرَّرَتْ الْمَفَارِقَةُ عَلَى وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ، إِلَى أَنْ صِرْتُ لَا أَبَالِي بِالْفِرَاقِ. فمعنى حَتَّى: إِلَى أَنْ. وَقَوْلُهُ «فَارَقْتُ» مُسْتَصْلَحٌ لِلْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ. فَانْصَرَفَ إِلَى الْكَثِيرِ، بِدَلَالَةِ أَنَّ الْمُنْتَمِرِينَ بِالْبَلَاءِ قَدِيمًا، وَالْمُتَحَكِّكِينَ بِهِ كَثِيرًا، هُوَ الَّذِي يَسْتَهِينُ بِهِ كَثِيرًا، دُونَ مَنْ مَارَسَهُ يَسِيرًا، وَعَاجَلَهُ حَدِيثًا.

٢ - فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي هِيَ النَّأْيُ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الصَّدِيقِ تَنَامُ
جَعَلَتْ نَفْسِي، بِمَعْنَى طَفِقَتْ وَأَقْبَلَتْ، وَلِذَلِكَ لَا يَتَعَدَّى. فيقول: أَخَذَتْ نَفْسِي تَصْبِرُ عَلَى النَّأْيِ، وَتَنْطَوِي عَلَى الْفِرَاقِ، فَلَا يَظْهَرُ مِنْهَا جَزَعٌ، وَلَا تَبَوُّحٌ بِشَكْوٍ، وَعَيْنِي تَنَامُ عَلَى فَقْدِ الصَّدِيقِ مِنْهُمْ فَلَا تَسْهَرُ، وَلَا تَبْكِي

(١) التبريزى: «وذكر أنه لعبد الصمد بن المعذل، وقيل للحسين بن مطير».

(٢) التبريزى «ويروى: وفارقت حتى ما أحن من النوى».

(٣) كذا في الذختين مع اتفاقهما في صلب البيت أنه «أبالي».

فتذرف . وهكذا النفسُ إذا وُطِّنتُ على الشدائد ، وتمرَّنتُ بالمصائب . وقوله :
« تَنْطَوِي » أَضْلُ الطَّيِّ الثَّنَى وَالْقَبْضُ ، ومنه الطَّوِي والطَّيَّان .

٧٨

وقال آخر ^(١) :

١ - رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاغُ لَهُ وبالمصائبِ في أهلي وجيرانِ
يقول : فُرِّعْتُ بالفراقِ مرَّةً بعد أخرى ، وثانيةً بعد أولى ، حتى صِرْتُ
لا أرتاغُ له ، وواظبتُ للمصائبِ على واتَّصَلْتُ في الأهلِ تارةً ، والإخوانِ
أخرى ، حتى صارت الرِّزايا بالإلْفِ كأنها مِرازِيٌّ وعطايا . والكلام في حَقِّ
وانصالي ومعناه على ما تقدَّم .

٢ - لَمْ يَتْرَكِ الدَّهْرُ لِي عِلْقًا أَضْنُ بِهِ إِلَّا اصْطَفَاهُ بِنَايِ أَوْ بِهِجْرَانِ
يقول : لَمْ أَذْخِرْ لِنَفْسِي عِلْقًا نَافَسْتُ فِيهِ إِلَّا زَاخِحِي الدَّهْرُ عَلَيْهِ فَاسْتَأْثَرَ بِهِ ،
إِذَا يَابِقَاعِ بَعْدَ بَيْنِنَا ، أَوْ إِحْدَاثِ هِجْرَانِ تَوَسَّطْنَا . وَأَصْلُ الْعِاقِي : الْمَالِ .
الكَرِيمِ ، وَجَمْعُهُ أَعْلَاقٌ وَعُلُوقٌ . وَاسْتَعَارَهُ هَاهُنَا .

٧٩

وقال طفيلُ الغنَوِيِّ ^(٢) :

١ - وَمَا أَنَا بِالْمُسْتَنْكَرِ الْبَيْنِ إِنِّي بِذِي لَطْفِ الْجِيرَانِ قِدَمًا مُفَجِّعُ

(١) التبريزي : « قال أبو العلاء : هذا يروي مؤرج السدوسي ، وكان مؤرج يكنى
أبا قيد » .

(٢) هو طفيل بن عوف ، أو هو طفيل بن كعب الغنوي . كان من أوصاف الناس الخيل .
وكان يقال له في الجاهلية المخبِر ، حسن شعره . وطفيل شاعر جاهلي فحل كان أكبر من النابغة
وليس في قبس فحل أقدم منه . الأغاني (١٤ : ٨٥ - ٨٧) والمناقب (٣ : ٦٤٢ -
٦٤٣) والعيون (٣ : ٢٤ - ٣١) والاشتقاق ١٦٥ والمؤتلف ١٤٧ ، ١٨٤ والاختصاف
٣٢٧ والشعر والشعراء ٤٢٢ .

يقال : نَكَرَ وَأَنْكَرَ واستنكرَ بمعنى واحد . فيقول : أَنْسْتُ بفراقِ
الأحبة بعد نَفَرَتِي^(١) ، وَبِعُدْ ذَوِي اللَّطَفِ عَقَبَ^(٢) قَلْقَى ، وذلك لِأَنِّي
فُجِّعْتُ بِالْخُلَاطَاءِ وَالْجِيرَانِ قَدِيمًا ، حَتَّى صَارَ كَالْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ . وقوله « بَذَى
لَطَفِ الْجِيرَانِ » أَرَادَ بِلَطِيفِ الْجِيرَانِ ، أَيْ بِاللَّطِيفِ مِنْهُمْ . وَقَدْ مَّا
ظَرَفَ لِلْمُفْجَعِ .

٢- جَدِيرُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ صَحْبُهُمْ إِذَا أَنَسُ عَزُّوا عَلَى تَصَدَّعُوا

يقول : أَنَا خَلِيقُ الْبَيْنِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ أَجَاوِرُهُمْ إِذَا اسْتَوْقَفْتُ قُرْبَهُمْ ،
وَاسْتَحْلَيْتُ الْكَوْنَ مَعَهُمْ ، حَتَّى لَا يَعْزُّ عَلَى أَنَسٍ إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ كَثَبٍ .
وَالْأَنَسُ : الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ . يقال : رَأَيْتُ مَعَهُ أَنَسًا كَثِيرًا ، أَيْ نَاسًا .
تَصَدَّعُوا : تَفَرَّقُوا . وَمِنْهُ يُقَالُ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ بُقْلَانٍ ، إِذَا تَغَيَّبَ هَارِبًا .

٨٠

وقال الراعي^(٣) :

١- وَقَدْ فَادَنِي الْجِيرَانُ حِينَمَا وَقَدْتُهُمْ وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا تَجِنُ جَمَالِيَا^(٤)

يقول : جَذَبَنِي الْخُلَاطَاءُ زَمَانًا وَجَذَبْتُهُمْ ، حَتَّى كُنْتُ فِي حُكْمٍ مِنْ لَا يَصِيرُ
عِنَهُمْ ، وَلَا يَفْئُكُ مِنْهُمْ ، كَالْقَائِدِ لِلشَّيْءِ وَهُوَ مَقُودٌ لَهُ ، لِأَنَّهُ مِنْ كَانَ هَذِهِ صِفَتُهُ
مَعَ شَيْءٍ فَهُوَ يَلْزِمُهُ وَلَا يَفَارِقُهُ . وَالْآنَ فَارَقْتُهُمْ فَلَا أَحِنَّ إِلَيْهِمْ ، وَلَا أَنْزِعُ نَحْوَهُمْ ..

(١) م : « نفرى » .

(٢) كذا يسكون القاف في النسختين ، وهى لغة صحيحة .

(٣) الراعي لقب له ، واسمه عبيد بن حصين بن معاوية ، أو حصين بن معاوية النمرى ،
وإنما قيل له الراعي لأنه كان يصف الإبل في شعره . وهجاه جرير لأنه كان اتهمه بالميل إلى
الفرزدق . الأغاني (٢٠ : ١٦٨ - ١٧٣) والمؤتلف ١٢٢ والخزانة (١ : ٥٠٢ -

٥٠٤) والاشتقاق ١٧٩ والنقاظ في مواضع كثيرة . والشعر والشعراء ٣٧٧ - ٣٨١ -
(٤) البيتان في معجم البلدان (وهين) .

وَنَسَبَ الْحَنِينَ إِلَى جِمالِهِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ النَّفْسَ ، لَأَنَّهَا فِي الْحَنِينِ أَقْلُ صَبْرًا حَتَّى رُبَّمَا تَهَيَّم عَلَى وُجُوهِهَا ، وَتَنَدُّ عَنْ صَوَاحِبِهَا ، طَلَبًا لِلإِلْفِ ، وَجَزَاءً مَعَ الْهَوَى . وَعَلَى هَذَا قَالَ مَنْ قَالَ فِي مَخَاطَبَةِ رَاحِلَتِهِ وَقَدْ رَأَاهَا :

فَإِنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجَدِي وَلَكِنْ أَصْحَبَتْ عَنْهُمْ قُرُونِي^(١)

٢- رجاؤك أنساني تذكري إخوتي ومالك أنساني بوهبين ماليا

يقول : أُملي فيك أنساني الفكر في إخوتي وأهل بيتي ، وطمعي في مالك أنساني مالى بوهبين . وهذا قاله لأنه يرى أن رجاءه فيه لتحققه صار مؤثرا على ذكر وطنه وعشيرته ، وأن ما طمِع فيه من ماله لما كان أكثر مما ملكه بوهبين صار مُنْسِيًا لَهُ .

* * *

وهذه المقطوعات بما اشتملت عليه من الفظاظاة والقسوة ، وذكري قلة الفكر في الأوطان والأحبة ، وتفاهي العهود والأذمة ، ومفارقة الأماكن المألوفة . والحلل المورودة ، وشكوى النفس إلى التناهي والغربة ، دخلت في باب الحماسة . وبمثل هذه المناسبة دخل فيه كثير من نظائرها . وسندت عليها إذا اتهمنا إليها .

٨١

وقال آخر :

١- وَإِنَّا لَتُصْبِحُ أَسْيَافُنَا إِذَا مَا اضْطَبَّحْنَ بِيَوْمِ سَفْوِكَ

يروى « تُصْبِحُ » بفتح الباء على ما لم يسم فاعله ، فيكون المعنى : إِنَّا لَنُشَقِّي أَسْيَافَنَا الصَّبُوحَ بِيَوْمِ سَفْوِكَ إِذَا مَا اضْطَبَّحْنَ . ومن روى « لَتُصْبِحُ » بكسر الباء فخبِرُ تُصْبِحُ في الثاني ، وهو « مُنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ » . والمعنى : إِنَّا لَنُصِيرُ أَسْيَافَنَا إِذَا شَرَبَتْ الصَّبُوحَ فِي يَوْمِ سَفْوِكَ لِلدَّمَاءِ بِهِذِهِ الْحَالَةِ .

(١) في اللسان (قرن) : « أسمعتم عنهم قروني » . والبيت لرجل من بني كليب . انظر ص ٢٩٥ .

ونسبته السفك إلى اليوم مجازاً لما كان يقع فيه ، فهو كقولهم : نهاره صائم .

٢- مَنَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَعْمَادُهُنَّ رُمُوسُ الْمُلُوكِ

أراد أنها تُنْتَهَى فتخطبُ واعظة للأعداء زاجرة ، ومُنْذِرَةٌ للكُفَّاءِ محدِّرة ، لكن منابرهنَّ أكفُ الضارين ، وأعمادها إذا أعمدت رُمُوسُ الملوكِ المعظمين . وهم يتبجحون بقتل الملوك وقتالها . ويقربُ من هذا قوله :

* يَكُونُ جَفِيرُهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ *

وقوله :

من عهدٍ عادٍ كان معروفاً لنا أُسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

والمنابرُ : مواضع النِّبَرِ ، وهو الصوت ، لأنها نصبت للخطب والمواظع والتحميدات .

٨٢

١- لَا يَمْنَعُكَ حَفْضُ الْعِيشِ فِي دَعَا نِزَاعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانٍ^(١)

يقول : لَا يُزْهَدَنَّكَ اشْتِيَاقُكَ إِلَى السَّكَنِ ، وَحُبُّنُكَ إِلَى الْوَطَنِ ، فِي إِيْثَارِ سَعَةِ الْعِيشِ وَرَغْدِهِ مَعَ الرَّاحَةِ وَالشُّكُوفِ . وَيُرْوَى : « نِزُوعُ نَفْسٍ » والنزوع اشتهاؤه في الكف عن الشيء ، والنزاع في الشوق ، وإن كان جائزاً وقوع أحدهما موقع الآخر في التشويق . ويقال ناقةٌ مُنْزَعٌ ونزوعٌ . وقد أَنْزَعُوا ، إِذَا حَنَّتْ إِبِلُهُمْ . وَالنَّزْعُ : الْجَذْبُ ، وَيُقَالُ : خَرَجَ نَازِعٌ يَدٍ ، إِذَا خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ .

٢- تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانٍ

(١) . جعل التبريزي الرواية الأولى : « نزوع نفس » ، م نبة على رواية « نزاع » .

هذا تسليّةٌ للنفس عن الأهل . يقول : تجدُ بكلِّ بلد تنزِلُ به أهلاً بدلاً من أهلك ، وجيراناً بدلاً من جيرانك . والعربُ تقولُ : هذا بذاك ، أى هو عوضٌ منه . وإنما ضَمَّنَ أبو تمام هذه الأبياتَ بابَ الحاسة ، لما قدَّمته من أنها صادرةٌ عن قسوةٍ شديدة ، وقلةٍ فِكْرٍ في التحوُّل عن الإلْف والعادة ، ولأن تركَ الوطن والإخلال بالعشيرة يُضَمُّ إلى القتل وتلف النفس ، فالصبر عليه كالصبر على القتل . ألا ترى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ .

٨٣

وقال بعضُ بني أسَدٍ^(١) :

١ - إِلَّا أَكُنْ مِمَّنْ عَلِمْتَ فَإِنِّي إِلَى نَسَبِ مِمَّنْ جِهَلْتِ كَرِيمِ

يقول : إن لم أكن ممن عرفتهم بالشرف ، فإنى أنتمى إلى شرفِ كريمٍ ممن جهلتهم . كأنه يريد : ليس الاعتبارُ بما تعدَّيته شرفاً أو تعرفيته نسباً ، لكنَّ الاعتبارَ بحصول الكرم على أى وجهٍ حصل ، وحوزِ المجد وإن جهله من جهل . وقوله « إِلَى نَسَبِ » يتعلَّقُ بفعل مضمرٍ ، كأنه قال : فإننى أنتمى إلى نسب .

٢ - وَإِلَّا أَكُنْ كُلَّ الْجَوَادِ فَإِنِّي عَلَى الزَّادِ فِي الظُّلْمَاءِ غَيْرُ شَتَمِ

يقول : إن لم أكن النهايةَ في الجودِ فإنى لا أشتَمُ بسببِ الزادِ في الليلةِ المظلمة ، فلا أذمُّ لصرفي الضيف عن نفسى بالعلل الكاذبة في الشتوةِ المَحِطَّة . وقد اشتَمَلَ قوله « عَلَى الزَّادِ فِي الظُّلْمَاءِ » على ما بيَّنا وأكثَر منه . وهذا الذى خَبَّرَ

(١) التبريزى : « قيل لعبد العزيز بن زرارعة » .

به عن نفسه هو الجُودُ ، لكنه أراد أن يُرى من نفسه ترك ادعاء النهايات ،
والأخذ بالاعتقاد في الحالات ، وإن كان تنأى من حيث اقتصد . ويقال
زَيْدُ الشُّجاع كلُّ الشُّجاع ، والمعنى أنه الكامل في معناه . ومن هذا الباب قوله
عز وجل : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ ﴾ . وهذا كلام من نظر
لنفسه وغيره ، وتبين ما عليه وله ، فأثبت ما أثبت في أحسن مِعْرَضٍ ، ودفع
مادفع بالطف تعريض . وتعلق على من قوله : « على الزاد » بشقيهم وإن كان
مضافاً إليه ، لأنه أُجْرِيَ غير تجرّى لا ، لأنهما للنفي ، فحِيلَ الكلام على
المعنى فكانه قال : إني على الزاد لا أشتُم . ونزيد هذا شرحاً فيما بعده .

٢- وإلا أكن كل الشُّجاع فإني بضرب الطلى والهام حقّ عليم

هذا كالبيت الذي قبله . يقول : إن لم أكن النهاية في الشُّجاعة ، والمعنى إن
لم يكن فِعْلِي النهاية فيما يفعله الشُّجاع ، فإني عالمٌ حقاً بضرب الرؤوس والطلّى .
والمتناهي في الشُّجاعة لا يتعدى فعله هذا ، لكنه سلك طريقته فيما قبله .
الطلّى : الأعناق وأعراضها ، والواحدة طُلِيّة . والباء من قوله « بضرب
الطلّى » تعلق بقوله عليم .

فإن قيل : كيف ساع ذلك والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف ؟
قلت : لما كان قوله « حقّ عليم » لا زيادة فيه إلا التوكيد لم يُعَدَّ بالمضاف ،
فحِيلَ الكلام على المعنى لا على اللفظ ، فكانه قال : إني بضرب الطلى
عليمٌ جداً . ويجرى هذا المجرى إجازتهم لقول القائل أنت زيداً غير ضاربٍ ،
مع امتناعهم من إجازة أنت زيداً مثل ضاربٍ ، لما كانت معنى غير معنى لا ،
فحِيلَ الكلام على المعنى لا على اللفظ ، حتى كأنه قيل : أنت زيداً لا ضاربٍ .
فاعلمه ، وبالله التوفيق .

٨٤

وقال عمرو بن شأس^(١) :

١- أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهُوَانِ وَمَنْ يُرْذُ عِرَارًا لَعَمْرِي يَا لِهَوَانٍ فَقَدْ ظَلَمَ

المُضْمَرَةُ فِي أَرَادَتْ رَابِعَةُ عِرَارٍ ، فَقَالَ وَاللَّهِ عَمْرُو : أَرَادَتْ اسْمَاتِي إِهَانَةً .
عِرَارٍ وَالاسْتِخْفَافَ بِهِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ ذَلِكَ فِي مِثْلِهِ فَقَدْ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ
مَوْضِعِهِ . فَإِنْ قِيلَ : هَلْ تَفْصِلُ بَيْنَ قَوْلِهِ أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهُوَانِ وَبَيْنَ قَوْلِهِ
لَوْ قَالَ أَهَانَتْ عِرَارًا ؟ قُلْتُ : بَلَى ، لِأَنَّ مَعْنَى أَرَادَتْهُ بِالْهُوَانِ أَرَادَتْ كَوْنَهُ
لَهَا وَصَحْبَتَهُ إِيَّاهَا بِاسْتِعْمَالِ الْهُوَانِ مَعَهُ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْهُوَانُ وَاقِعًا ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ غَيْرَ وَاقِعٍ . وَمَعْنَى أَهَانَتْهُ : ابْتَدَلَتْهُ وَأَذَلَّتْهُ . فَهُوَ إِخْبَارٌ لَوْ قُوعِ
الْفِعْلِ بِهِ فَيَا مَضَى . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ظَلَمَ : تَحَيَّفَ حَقًّا وَبَحْسًا .

٢- فَإِنْ كُنْتُ مَنِّي أَوْ تُرِيدِينَ صُحْبَتِي فَكُونِي لَهُ كَالسَّمَنِ رُبَّتْ لَهُ الْأَدَمُ

نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخِطَابِ ، عَلَى عَادَةِ تَفْسِيرِهِمْ . يَقُولُ : إِنْ
كُنْتُ تَهْوِينَ هَوَايَ ، أَوْ تُرِيدِينَ الْكَوْنَ مَعِي وَمَصَاحِبِي ، وَإِنْ انْطَوَيْتِ
فِي حُبِّهِ عَلَى مُحَالَفَتِي ، فَكُونِي لَهُ فِي تَصَنُّعِكَ كَأَنَّكَ مُوَافِقَةُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ ،
جَارِيَةٌ مَعَهُ عَلَى الْحِدِّ الْوَاحِدِ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ ، وَإِظْهَارِ الْمِيلِ وَالْمَوَدَّةِ . وَالسَّمَنُ

(١) عمرو بن شأن الأسدي ، قال الجهمي : « كثير الشعر في الجاهلية والإسلام ، وهو
أكثر طبقة شعراً » . وأسلم في صدر الإسلام وشهد القادسية . وقال ابن قتيبة : « وهو
أبو عرار ، وفيه يقول عمرو لامراته » . وأنشد الأبيات . الشعر والشعراء ٣٨٩ والجمعي
٤٦ - ٤٧ والمرزباني ٢١٢ - ٢١٣ واللاي ٧٥٠ - ٧٥١ والأغاني (١٠ : ٦٠ -
٦٣) . وقال التبريزي : « هو مخضرم أدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، وكانت له امرأة من
قومه وابن من أمة سوداء يقال له عرار ، فكانت تعيره إياه وتؤذيه ويؤذيها ، فأنكر عمرو
أذاها له » .

إِذَا رَبُّ نَحِيَهُ لَمْ يَتَغَيَّرَ . يَرِيدُ فَلَا تَتَغَيَّرِي أَنْتِ أَيْضًا . وَمَعْنَى رُبَّتْ لَهُ أَى مِنْ أَجْلِهِ ، وَالْأَدَمُ : جَمْعٌ ، يُقَالُ أَدِيمٌ وَأَدَمٌ . وَلَهُ نَظَائِرُ قَلِيلَةٌ : إِهَابٌ وَأَهَبٌ ، وَأَفِيقٌ وَأَفَقٌ ، وَعَمُودٌ وَعَمَدٌ .

٣- وَإِنْ كُنْتَ تَهْوِينَ الْفِرَاقَ ظَلَمْتِنِي فَكُونِي لَهُ كَالذَّبِّ ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمُ .
يقول : وَإِنْ كُنْتَ تُؤْثِرِينَ مَفَارِقِي وَتَمِيلِينَ إِلَى التَّبَايُنِ عَنِّي فَأَسِئِي .
عِشْرَتَهُ وَكُونِي لَهُ كَالذَّبِّ ضَاعَتْ الْغَنَمُ مِنْ أَجْلِ وَقُوعِهِ فِيهَا . وَالْمَعْنَى عَاشِرِيهِ عِشْرَتَهُ لَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « ضَاعَتْ لَهُ الْغَنَمُ » فَاتَتْهُ الْغَنَمُ بَعْدَ أَنْ أَشْكَنْتَهُ . وَالسَّبْعُ إِذَا شَارَفَ فَرِيَسْتَهُ ثُمَّ فَاتَهُ كَانَ ذَلِكَ مُهِيجًا لَهُ ، وَدَاعِيًا إِلَى الْفَسَادِ فِيهَا يُمَكِّنُهُ ^(١) .

٤- وَإِلَّا فَسِيرِي مِثْلَ مَاسَارِ رَاكِبٍ تَجَشَّمَ خِمْسًا لَيْسَ فِي سِيرِهِ أَمٌّ .
هَذَا كَمَا يُقَالُ عَلَى طَرِيقِ الْوَعِيدِ أَوْ إِظْهَارِ الزُّهْدِ لِمَنْ يُؤْمَرُ شَيْئًا : اْعْمَلْ كَذَا وَكَذَا وَإِلَّا فَدَعُهُمَا وَلَا تَعْمَلْ أَحَدَهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ . يَقُولُ :
وَإِلَّا فَلَا تُحْسِنِي إِلَيْهِ وَفَارِقْنِي مِنْ وَقْتِكَ . وَهَذَا إِظْهَارُ زُهْدِهِ فِيهَا ، وَاطَّرَاحَ تَكْلُفِ الْأَشْتِرَاطَاتِ مَعَهَا . ثُمَّ قَالَ : لَيْكُنْ سِيرُكَ سِيرَ الرَّاكِبِ تَكْلُفَ وَرُودِ الْمَاءِ يَلْمِسُ ، وَلَيْسَ فِي سِيرِهِ قَصْدٌ وَلَا قُرْبٌ . وَقَوْلُهُ « مِثْلَ مَاسَارِ رَاكِبٍ » أَى سِيرًا يُشَابِهُ سِيرَهُ . وَقَوْلُهُ « تَجَشَّمَ » مِنْ صِفَةِ رَاكِبٍ . وَالْأَمُّ : الْقُرْبُ ، وَيُقَالُ أَمَرِي مِنْ أَمْرِكُمْ أُمَّ . وَيُرْوَى : « لَيْسَ فِي سِيرِهِ بَقِيَّةٌ » أَى إِبْطَاءٌ ^(٢) .

٥- فَإِنْ عَرَّارًا يَسْكُنُ ذَا شِكِيمَةٍ تُلَاقِيْنَهَا مِنْهُ فَمَا أَمْلِكُ الشَّيْمَ .
يقول : إِنْ عَرَّارًا إِنْ يَكُنْ ذَا سُوءِ خُلُقٍ تُتَمَنَّى بِهِ وَتَشْقَى بِمَقَاسَاتِهِ ، فَإِنِّي

(١) زَادَ التَّبْرِيزُ : « وَهَذَا تَهْدِدُ مِنْهَا ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ » .

لا أُمَلِّكَ تَغْيِيرَ الطَّبَائِعِ وَالْخُلَاقِ . وَكَأَنَّهُ جَوَابٌ لِعِزَّازِهَا مِنْ قَلَّةِ الْمَلَأَمَةِ بَيْنَهُمَا . وَالشَّكِيمَةُ : الْحَدُّ وَالشَّدَّةُ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَشَدِيدُ الشَّكِيمَةِ ، أَيْ شَدِيدُ الْعَارِضَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ شَكِيمَةُ اللَّجَامِ — وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الْمُعْتَرِضَةُ مِنْهُ فِي النِّعَمِ — مَأْخُودًا مِنْهُ ، وَالْجَمِيعُ الشَّكَاثِمُ .

٦ — وَإِنْ عِرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمِ

يقول : وَإِنْ وَلَدِي عِرَارًا إِنْ لَمْ يَكُنْ وَضِيءَ الْوَجْهِ مَسْمُوحًا بِالْجَمَالِ ، فَإِنِّي أَحِبُّهُ عَلَى سَوَادِهِ وَتَمَامِ خَلْقِهِ . وَهَذَا كَأَنَّهُ إِسْقَاطُ لِقَوْلِ مَنْ بَرَّيْتُ أَبْنَاهُ وَيُعَيَّرُهُ الْقُبْحَ وَالْدَّمَامَةَ . وَكَانَ عِرَارٌ هَذَا أَحَدَ الْفُضْلَاءِ ، وَتَوَجَّهَ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ إِلَى الْحِجَّاجِ رَسُولًا فِي بَعْضِ فُتُوْحِهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ الْحِجَّاجِ لَمْ يَعْرِفْهُ ، وَازْدَرَاهُ ، فَلَمَّا اسْتَنْطَقَهُ أَبَانٌ وَأَعْرَبَ مَا شَاءَ ، وَبَلَغَ الْغَايَةَ وَالْمُرَادَ فِي كُلِّ مَا سَأَلَ ، فَأَنْشَدَ الْحِجَّاجُ : « أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ ... » . الْآيَاتُ مَتَمِّلًا ، فَقَالَ عِرَارٌ : أَنَا أَيْدَى اللَّهِ الْأَمِيرِ عِرَارٌ ! فَأَعْجَبَ بِهِ وَبَذَلَكَ الْإِنْفَاقَ . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْمَأْمُونِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ :

إِنْ يَكُنْ لِلسَّوَادِ فِيكَ نَصِيبٌ فَبَيَاضُ الْأَخْلَاقِ مِنْكَ نَصِيبِي
وَالْعَمِيمُ وَالْعَمَمُ : الطَّوِيلُ النَّامُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْجَوْنَ الْأَسْوَدَ هَاهُنَا ، وَيُجْعَلُ مِنَ الْأَضْدَادِ .

٨٥

وَقَالَ آخِرُ^(١) :

١ — لَوْلَا أُمِيمَةٌ لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدَمِ وَلَمْ أَفَاسِ الدُّجَى فِي حِنْدِسِ الظَّلَمِ

(١) التَّبَرِيزِيُّ : « وَهُوَ إِسْحَاقُ بْنُ خُلْفٍ » .

يُرْوَى : « ولم أَجُبْ في الليالي جِنْدِسَ الظَّلَمِ » . والمبتدأ بعد لولا يَحذفُ خَيْرُهُ أَبَدًا ، وَيُسْتغْنَى بِجواب لَوْلَا عنه . والتقدير : لولا أُمَيْمَةُ مانعةٌ لم أَجْزَع . فيقول : لولا ابنتي أُمَيْمَةُ لم أَخَفِ الفقر ولم أَرْحَلْ في طَلَبِ المال ، ولم أَرْكَبِ الليل ، فكنت أجوبُ ظَمَاءَهُ ، وأُكابِدُ أهوالَهُ . والجِنْدِسُ : شدة الظُّلْمَةِ ، وقد اشتقَّ منه الفعل ، فقيل : حَنَدَسَ الليلُ فهو مُحْنَدِسٌ^(١) . ومعنى لم أَجُبْ : لم أَقْطَع . وقاطِعُ المواضعِ المظلمة كَأَنَّهُ قاطِعٌ للظُّلْمَةِ . ومن رَوَى « ولم أَقاسِ الدُّجَى » يريدُ أهوالَهَا . وإضافة الجِنْدِسِ إلى الظَّلَمِ كإضافة البعض إلى الكل ، أَى في الشَّدِيدِ مِنَ الظَّلَمِ . ويقال تَحَنَدَسَ الرَّجُلُ^(٢) ، إِذَا ضَعُفَ وَسَقَطَ .

٢ - وزادني رَغْبَةً في العَيْشِ مَعْرِفَتِي ذُلَّ الْيَتِيمَةِ يَجْفُوها ذَوُو الرَّحِمِ . يقول : زادني حِرْصًا على الدُّنْيَا ورَغْبَةً في العَيْشِ فيها ، عَلِمِي بِذُلِّ الْيَتِيمَةِ وقد جَفَّها أَقاربُها ، وأَطْرَحَها أَهلُوها . وموضع « يَجْفُوها » من الإِعْزَابِ نَصَبٌ على الحال لليَتِيمَةِ ، والعاملُ فيه ذُلُّ الْيَتِيمَةِ . والتقدير : زادني مَعْرِفَتِي بِذُلِّ الْيَتِيمَةِ إِذَا جَفَّها ذَوُوها رَغْبَةً في العَيْشِ ومُهْلَةً العُمُرِ .

٣ - أَحَازِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِهَا فَيَهْتِكَ السَّتْرَ عَنْ نَلْمٍ عَلَى وَضَمٍ . قوله « أَنْ يُلِمَّ بِهَا » موضعه نُصَبٌ على التَّبدَلِ مِنَ الْفَقْرِ . والمعنى : أَحَازِرُ الْإِلَامَ الْفَقْرَ بِهَا فَيَكْشِفُ السَّتْرَ عَنِّي لِادِّفَاعِ بِهِ ، فتنالُهُ من شاءَ بِمَا شَاءَ . والعربُ يَقُولُ : « النِّسَاءُ نَلَمْنَ عَلَى وَضَمٍ إِلَّا مَا ذُبَّ عَنْهُ » . والوَضَمُ : خِيَانَةُ الْجَزَارِ وَالْخُبَّازِ ، وَمَوْضِعُهُ مِيضَمَةٌ ، وَالْجَمِيعُ الْمَوَاضِعُ .

٤ - تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَقَقَا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ .

(١) هذا الفعل ومشتقه مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٢) ورد في القاموس ، ولم يرد في اللسان .

يقول : تحب ابنتي بقاى لها ، وأنا أود موتها إشفافاً عليها ، وخوفاً من ابتذال يلحقها ، وابتلاء بمن لا يعرف لها ما يعرف لثلاثها ، ثم قال : وللموت أكرم نزال على الحام ، كما قيل : « نيم الخنن القبر » و « دفن البنات من المكرّمات » . وانتصب شققاً على أنه مفعول له .

٥ - أخشى فظاظة عمّ أو جفاء أخ . وكنت أبقى عليها من أذى الكلام . هذا تفسير قوله « أهوى موتها شققاً » يريد : أشفق من مغالطة عمّ لها ، أو جفوة أخ تلحقها ، وأنا كنت ^(١) أبقى عليها من إيذاها بالكلم فضلًا عن غيرها من الأفعال . يقال : رجل فظّ ، إذا كان قاسي القلب غليظ القول . والكلم : جمع كلمة . ومعنى : « أذى الكلام » الأذى الذى يلحق من الكلام .

وهذه الأبيات مع ما يشبهها لما صادت ما قبلها فى تضمينها رقة القلب ، والتمطّ على الولد والأهل ، أنبغها بها . وكل ذلك كالعارض ثم يعود إلى ما بنى عليه الباب . وهذا عادة أبى تمام فى أبواب هذا الاختيار . ويشبهها قول الآخر ^(٢) :

لقد زاد الحياة إلى حيا بنائى لمنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بقدى وأن يشربن رنقا بعد صاف ^(٣)
وأن يعرفن إن كسى الجوارى فتدبو العين عن كرم مجاف

(١) م : « وإنما كنت » .

(٢) هو أبو خالد القناني ، كما فى الكامل ٥٢٩ ليسك واللسان (كرم) .

(٣) الكامل : « أن يرين الفقر » .

٨٦

وقال خطابُ بنُ المعلّى (١) :

١ - أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ حَالٍ إِلَى خَفَضٍ

يقول للدهرِ حُكْمٌ مَعْرُوفٌ، وطَرِيقٌ مألوفٌ، في رَفْعِ الوَضِيعِ، وحرطٌ الرفيع، فَأَجْرَى حُكْمَهُ عَلَيَّ، وَأَنْزَلَنِي عَنْ رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ إِلَى مَنْزِلَةٍ مُنْخَفِضَةٍ، والخَفَضُ: ضِدُّ الرَفْعِ، وهو مَصْدَرٌ وَضِعَ موضِعَ المفعول. يريدُ إلى مكانٍ منخفَضٍ.

٢ - وَغَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الْغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِرْضِي

يرَوَى: عَالَنِي « ومعناه غلبني، ويروى: « غَالَنِي » ومعناه أَهْلَكَنِي بِارتِجَاعِ عَوَارِيهِ مِنَ الْمَالِ، وَاسْتِلَابِ مَا كُنْتُ وَفَرْتُ (٢) بِهِ مِنَ الْعِتَادِ، فَالِي مَالٌ سِوَى نَفْسِي، وَلَيْسَ النَّفْسُ مِنَ الْمَالِ فِي شَيْءٍ. وَمَوْضِعُ « سِوَى » نَضْبٌ عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ خَارِجٌ، وَهَذَا الْاسْتِثْنَاءُ يَتَأَكَّدُ بِهِ اتِّفَاءُ الْغِنَى. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بَيْنَ قُلُوبٍ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ (٣)

وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَيْسَ لِي غِنًى سِوَى غِنَى نَفْسِي، فَحَذَفَ الْمُضَافَ، وَالْمَعْنَى: إِنْ نَفْسِي غَنِيَّةٌ فَلَا تَطْمَعُ فِي الْمَكْسَبِ الْوَضِيعَةِ، وَلَا تَتَدَنَسُ بِالْمَالِ كُلِّ الْخَبِيثَةِ. وَقَوْلُهُ « بَوْفَرِ الْغِنَى » أَيْ يَسْلُبُ وَفَرِ الْغِنَى، فَحَذَفَ الْمُضَافَ. وَيَتَعَلَّقُ الْبَاءُ مِنْهُ بِقَوْلِهِ غَالَنِي. وَالْوَفْرُ: كَثْرَةُ الْمَالِ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْغِنَى، لِأَنَّ الْمُرَادَ الْمَالُ الَّذِي يَحْصُلُ

(١) كَذَا بِاتِّفَاقِ النُّسَخَتَيْنِ. التَّبَرِيزِيُّ: « حِطَّانُ بْنُ الْمَعْلَى » وَذَكَرَ عَنْ اشْتِقَاقِهِ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ: « حِطَّانُ فَعْلَانٌ مِنَ الْحِطِّ ».

(٢) م: « وَفَرْتُ » بِالْقَافِ.

(٣) الْبَيْتُ لِلتَّابِغَةِ الذَّبْيَانِي فِي دِيْوَانِهِ ٦.

به الغنى . وهم يضيفون الشيء إلى الشيء لأدنى مناسبة بينهما ، سواء كان له أو عليه ، أو معه أو فيه ، أو من أجله ، أو بما يليه . ويجوز أن يكون موضع « بوفر الغنى » نصبًا على الحال للدهر ، كما تقول : فاتني فلان بكذا ، والمعنى فاتني مستصحبًا له . ومثله : جاء في أطمار ، أى لايسًا لها . ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى ، فقدى غالي تَمْدِيدَةً فَحَقَنِي ، لأنه في معناه ، فكأنه قال : فجعتني بوفر الغنى وأصابني .

٣ - أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَارُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَمَا يُرْضِي

قوله « بَمَا يُرْضِي » يدلُّ على أنه أضمر مع قوله أَبْكَانِي الدهر شيئًا يكون في مقابليته ، وحذف لأن المراد مفهوم . والمعنى أَبْكَانِي الدهرُ بَمَا يُسْخِطُ . وقوله « يَارُبَّمَا » المُنَادَى فيه محذوف ، كأنه قال : يا قومِ رُبَّمَا . وهذا النداء على وجه التحشُّر والتوجع من معاملة الدهر وسوء تَنَقُّلِهِ . وقوله « رُبَّمَا » « ما » هذه دخلت كَأَفَّةٍ لِرُبِّ عن العمل ، وخارجة لها إلى أن تصير مشتركة حتى جاز وقوع أضحكني بعده . ومثله قوله تعالى : ﴿ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١) . ومعنى البيت : أَبْكَانِي الدهرُ بَمَا أَسْخَطَنِي ، ويا قومِ ربما أضحكني الدهرُ فيما مضى بَمَا أَرْضَانِي . وفي طريقته قول الآخر (٢) :

فَإِنْ تَكُنِ الْإِيَّامُ أَحْسَنَ سَرَّةً إِلَى فَقْدِ عَادَتِ لَهْنٍ ذُنُوبُ

٤ - لَوْلَا بُنْيَاتُ كَرْزُوبِ الْقَطَا رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ

(١) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بتخفيف الباء في ربما ، والباقيون بتشديدها . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ . وقد وردت في النسختين بتشديد الباء . وما يجدر ذكره أن « رب » لم تقع في القرآن إلا في هذه الآية من سورة الحجر على كثرة وقوعها في لسان العرب . تفسير أبي حيان (٥ : ٤٤٢) .

(٢) هو كعب بن سعد الغنوي . أمالي القالي (٢ : ١٤٩) .

بُنَيَّاتٌ فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ ، وَجَازَ الْإِبْتِدَاءُ بِهِ لِكَوْنِهِ مَحْدُوداً^(١) بِمَا اتَّصَلَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ . وَجَوَابُ لَوْلَا « لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ » وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَاسْتَفْنَى بِهِ عَنْ خَيْرِ الْمَبْتَدَأِ ، وَالتَّقْدِيرُ : لَوْلَا بُنَيَّاتٌ صِفَاتُهُنَّ هَذِهِ مَانِعَةٌ لِي لَفَعَلْتُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَوْلَا بُنَيَّاتٌ لِي صَفِيرَاتٌ كِفْرَاخِ الْقَطَا الَّتِي عَلَيْهَا الزَّغَبُ — وَهُوَ الشَّعْرُ اللَّيِّنُ الْأَصْفَرُ — اجْتَمَعْنَ لِي فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ ، فَبُنِيَ ثَانِيَةٌ بَعْدَ أُولَى ، وَوَاحِدَةٌ إِلَى جَنْبِ أُخْرَى فَكَثُرْنَ — لَكَانَ كَذَا . وَمِثْلُهُ : تَجَمَّعْنَ مِنْ شَيْءٍ ثَلَاثًا وَأَرْبَعًا وَوَاحِدَةً حَتَّى اجْتَمَعْنَ ثَمَانِيًا

أَيِ جِئْنَ مَتَوَالِيَابَ . وَيُرْوَى : « رَدَدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » ، بَفَتْحِ الرَّاءِ مِنْ رَدَدْنَ وَإِضَافَةِ الْبَعْضِ ، وَالْمَعْنَى : قَوَّسْنِي وَحَنَّنِي ظَهَرِي . وَيَجُوزُ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْبَنَاتِ زُوجُنَ فَرُدَدْنَ مَعَ بَنَاتٍ لَهُنَّ صَفَارُ . وَيُقَالُ : ابْنَتُكَ مَرْدُودَةٌ ، أَيْ مَطْلُوقَةٌ . وَإِلَى فِي مَوْضِعٍ مَعَ ، يُقَالُ هَذَا إِلَى ذَلِكَ أَيْ مَعَهُ . وَيَكُونُ « مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ رُدَدْنَ مَعَ غَيْرِهِنَّ . وَقَدْ شَبَّهَ الْخَطِيئَةُ وَغَيْرُهُ الْأَوَّلَادَ بِزُغُبِ الْقَطَا ، فَقَالَ :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَاخٍ زُغُبِ الْحَوَاصِلِ لَا مَالًا وَلَا شَجَرًا

يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « رُدَدْنَ » عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ . وَ« مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ » مُضَافَيْنِ . وَالْمَعْنَى : كُنَّ فِي صُلْبِي ، فَلَمَّا وَلَدْتُهُنَّ صِرْنَ فِي كِبْدِي فَهِيَ تَحْتَرِقُ عَايِنًا لِقَرطِ شَفَقَتِي .

هـ — لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطَّوْلِ وَالْعَرْضِ

الْمُضْطَرَبُ يَكُونُ الْاضْطِرَابَ ، وَيَكُونُ مَوْضِعَ الْاضْطِرَابِ . يَقُولُ : لَوْلَا خَوْفِي مِنْ ضِيَاعِيهِمْ وَإِبْقَائِي عَلَيْهِمْ ، لَكَانَ لِي مَجَالٌ وَاسِعٌ ، وَمِثْلُهُ فُسَيْحٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَحْدُودًا » ، صَوَابُهُ فِي م وَالتَّبْرِيْزِي .

في الأرض الطويلة العريضة . وإنما تلوّمتُ وازِمتُ مكانى هذا لمن وبسبهن .

٦ - وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض^(١)

يقول : محلّ أولادنا من أنفسنا فيما بيننا وإن كانت ماشية على الأرض محلّ الأكباد من الأجواف . ويقال « الولد فلذة من الكبد » ، أى قطعة . وقوله « تمشى على الأرض » فى موضع الحال للأولاد ، وبيننا ظرف تمشى . والتقدير : أولادنا وهى ماشية على الأرض بيننا أكبادنا . وقوله « إنما » يدخل لتحقيق الشئ على وجه مع نفي غيره عنه .

٨٧

وقال حيان بن ربيعة^(٢) :

١ - لقد علم القبائل أن قومي ذوو جدٍ إذا لبس الحديد^(٣)

يقول : شهدت القبائل أن قومي يجذون فى الحرب إذا تدجج أهلها فى الأسلحة ، ويبلون فيها ولا يقصرون . و « إذا لبس الحديد » ظرف لقوله « ذوو جدٍ » كأنه قال : إنهم يجتهدون فى ذلك الوقت . وأن قومي مع ما بعده سدّ مسدّ مفعولنا علم .

(١) بعده عند التبريزي :

لو هبت الريح على بعضهم لامتدعت عيني من الضمض

(٢) التبريزي : « قال أبو هلال : هكذا قال أبو تمام . ونحن نقول : هو حيان بن عليق بن ربيعة الطائي ، أخو بني أخزم ثم أحد بن عدى بن أخزم بن أبي أخزم بن عمرو بن ثعل . وفى نسخة أبي أحمد : جبار بن ربيعة ، وهو غلط ، وليس فيهم جبار بن ربيعة ، إنما هو جبار بن جزء بن ضرار ، ابن أخى الشماخ ، وجبار بن مالك بن حمار الشمخي من فزارة ، وجبار بن عمرو بن عميرة الطائي ، ويعرف بالأسد الرهيص . وأما جبار بن ربيعة فليس بمعروف ولا مذكور . »

(٣) التبريزي : « ويروى : ذوو حد . والحد : السلاح . »

٣- وَأَنَا نِعَمَ أَحْلَاسُ الْقَرَّافِي إِذَا اسْتَعَرَّ التَّنَافُرُ وَالنَّشِيدُ

يقول : وبشهودن أيضاً أنه نِعَمَ أصحابُ القوافي وأربابُها نحن ، إذا التهبَتِ نارُ التفاخر والتناشد والتحاكم . والجلس ، أصله البرذعة وما يلي الغلظ تحت الرّاحل ، ثم يستعمل على طريق التشبيه على وجهين : يقال في الذم : فلان كالجلس الملقى ، فيمن لا غناء عنده ولا كفاية إذا حَزَبَهُ أمرٌ . ويقال فيمن لَزِمَ ظهور الخيل : هم أحلاسُها ؛ وهذا إذا مدحوا بالفروسيّة . ثم قالوا : ما هذا من أحلاسِ فلان ، أى ليس من آلانِه . وقد مرّ بي أيضاً أنه يقال للكفل الذى ليس بفارس : هو كالجلس . وأحلاسُ البيت : ما يُلقَى تحت حرّ متاعه :

٣- وَأَنَا نَضْرِبُ الْمَلْحَاءَ حَتَّى تُؤَلَّى وَالسُّيُوفُ لَنَا شُهُودٌ^(١)

يقول : وشهدوا أيضاً أنا نضاربُ الكتيبة البيضاء لكثرة سلاحها فنغلِبُهم حتى تُؤَلَّى منهزمةً ، وسيوفُنا لها حاضرةٌ نكتسِبُهم بها في الحرب أيضاً ، والمَلْحَاءُ من الملح ، وهو البياض . يقال : كَبَشُ أُمْلَح . ويُروى « نَضْرِبُ لِلْمَلْحَاءِ » بضمّ الراء . ويقال : ضاربته فضرَبته أضْرَبُهُ ، أى غلبته في الضراب .

٨٨

وقال الأعرجُ المعنى^(٢) :

١- أَنَا أَبُو بَرْزَةَ إِذْ جَدَّ الْوَهْلُ^(٣)

(١) م : « لها شهود » .

(٢) التبريزى : « معنى طيى » . وقيل الصحيح أنها لعمرو بن يثرب . والأعرج المعنى هو عدى بن عمرو بن سويد بن ريان الأعرج الطائى المعنى ، وقيل اسمه سويد بن عدى . وهو شاعر مخضرم . معجم المرزبانى ٢٥١ .

(٣) التبريزى : « ويروى : أنا أبو بردة » . وقد روى التبريزى الأشطار الخمسة الأولى بترتيبها هنا ، ثم روى بعدها الأشطر السابع ثم شطراً آخر لم يروه المرزوق ، وهو : =

٢ - خُلِقْتُ غَيْرَ زُمْلٍ وَلَا وَكَلٍ

يريد أنا الذى لشهرته تُغنى كُنيته عن صفاته وذكر أحواله ، وقت اشتداد الخوف . فإن قيل : ما العايلُ فى قوله « إِذْ جَدَّ » ؟ قُلتَ : ما دَلَّ عليه قوله أنا أبو بَرَزَةَ من المعنى الذى بَيَّنَّته هو العايلُ - ومثله :

* أنا أبو النِّجمِ وشِعْرى شِعْرى *

وقوله « خُلِقْتُ غَيْرَ زُمْلٍ » ، أى غير ضعيف ولا جَبَانٍ يَتَّكِلُ على غيره . فيما يَنُوبُهُ . والزُّمْلُ ^(١) والزُّمَالُ والزُّمَيْلَةُ ^(٢) : الضعيف . والوَكَلُ : الذى يَتَّكِلُ على غيره .

٣ - ذَا قُوَّةٍ وَذَا شَبَابٍ مُّقْتَبِلٍ

٤ - لَا جَزَعَ الْيَوْمَ عَلَى قُرْبِ الْأَجَلِ

٥ - الْمَوْتُ أَحَلَى عِنْدَنَا مِنَ الْعَسَلِ

يقول : خُلِقْتُ قُوَّةً مُّقْتَبِلَ الشَّبَابِ ، لم تُبَيِّنِ السُّنُونَ ، ولم يُضَمِّنِ ما مَسَّخِيهِ من التَّوَابِتِ والمُحُومِ . فإن قيل : ما الزَّيَادَةُ فى قوله « ذَا قُوَّةٍ » على قوله « غير زُمْلٍ » ؟ قُلتَ : يجوز أن يكون ذا قُوَّةٍ معصروفاً إلى الرَّأْيِ ، وغير زُمْلٍ معصروفاً إلى الْبِلْيَةِ . ويجوز أن يكون المراد بذا قُوَّةٍ الْجَلَادَةُ ، لأنَّه ليس من كان غير ضعيف كان جَلْدًا . واقتبالُ الشَّبَابِ : أَلَّا يُرَى أثرٌ من الكِبَرِ معه .

وقوله « لَا جَزَعَ الْيَوْمَ » يقول : اسْتَقَمَّلْنَا يَوْمَنَا ، فلا نَجْزَعُ على دُنُوِّ الْأَجَلِ

* نحنُ بَنُو الْمَوْتِ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ * .

ثم الشطر الثامن ثم الشطر السادس .

(١) يقال بتشديد الميم وتخفيفها .

(٢) وهذا أيضاً بتشديد الميم وتخفيفها .

فيه إن دَنَا ، لأنَّ الموت إذا غَشِينَا فيما نطلبه ، أخلَى طَعَمًا عندنا من طعم العسل ، وقوله « اليوم » ظرف لقرب الاجل ، وعلى قُرْب الاجل ، خبرٌ للآ . ويجوز أن تجعل اليوم خبرًا « على قرب الاجل » تبيننا له أو حالاً . وإن جعلته خبراً بعد خبر ، كما نقول : هذا حلٌّ حامضٌ ، جاز أيضاً . وذكر بعض المتأخرين أنه لا يجوز أن يكون معنى « على » هنا معناها في قولك جَزَعْتُ على كذا ، أى أشفقت عليه ، لأنه غيرُ الغرض المقصود . ألا ترى أن معناها لا جَزَعَ اليوم من الموت على أن الاجل قريبٌ مِنَّا ، فإذا قُرِبَ مِنَّا فلم نجزع منه فما ظنك بنا إذا بَعُدَ عنا . وأنا أقول : وإن من البيان لِسِحْرٌ ، وإن من الفوصِ على المعاني لِشِلهِ دُرًا .

٦- رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ

٧- نَحْنُ بَنَى ضَبَّةَ أَصْحَابِ الْجَلْ

٨- نَنَمَى ابْنُ عَفَّانَ بِأَطْرَافِ الْاَسَلْ

يعنى بالشيوخ عثمان بن عفان رضى الله عنه . المعنى : إنا طالبون بدمه ، فإذا أدركنا ثأره فحسبنا ذاك . وهذا معنى قوله « ثم بَجَلْ » . وموضع بَجَلْ رَفَعٌ على الابتداء وخبره مُضْمَرٌ ، كأنه قال : « ثم بَجَلْنَا ذلك » ، أى حَسَبْنَا ذلك . وثُمَّ غَاطِفَةٌ لَجَلَّةٍ على جملة . وقال لبيد :

* بَجَلِي الْآنَ مِنَ الْعَيْشِ بَجَلٌ ^(١) *

وحكى الأخفش أن بَجَلْ سا كنةٌ أبداً . يقولون بَجَلْكَ ، كما يقولون قَطَعْكَ . وقَدْكَ ، إلا أنهم يقولون بَجَلِي ولا يقولون بَجَلْنِي كما يقولون قَطَنِي وقَدَنِي ،

(١) صدره كما في ديوان لبيد ١٧ طبع ١٨٨١ :

* فَنَى أَهْلَكَ فَلَا أَهْلَكَ *

وهو القياس مع مجيئه على السكون . وانتصاب « بنى ضَبَّة » بفعلٍ مُضمر ،
والقصد فيه المدح والاختصاص . وخبر المبتدأ الذي هو نحن « أصحاب » ،
والتقدير : نحن — أذكر بنى ضَبَّة — أصحابُ الجَمَل . وهذا الكلام يُنبّه به
على أنهم مُجِدِّون في طلب دم عثمان رضى الله عنه ، لأن الذين خرجوا مع عائشة
رضى الله عنها وقاتلوا يومَ الجَمَل كان دعواهم طَلَبَ الثَّار . ولو قال نحن بنو
ضَبَّة لكان يسقط نخامة المدح وتعظيمه ، وكان يصير أصحابُ صفةٍ وبنو خبراً ،
وكان يجوز أن يكونا جميعاً خبرين ، ويجوز أن يكون أصحاب بدلاً من بنو .
وقوله « نَدَى ابن عفان » كان عادتُهم إذا مات رئيسٌ فيهم عظيمُ الشأن
والمحل أن يطوفَ واحدٌ منهم على القبائل ، وَيَصْعَدُ الرِّوَابِي المِطْلَةَ عليهم ،
وَالْأَكَامَ المرتفعة بمحالتهم ويقول : نَعَاءُ فُلَانًا ! يريدون تشهيرَ أمره ، وتعظيم
الفتجع به ، وربما أَرَخُوا بموته . فيقول : نحن نجعلُ بدلَ هذا الفعل أن نطلبَ
دمه بأطرافِ الرَّماح . وهذا معنى حَسَن .

٨٩

وقال آخر^(١) :

١ - دَاوِ ابْنَ عَمِّ السَّوِّءِ بِالنَّائِي وَالْغَنَى كَفَى بِالْغَنَى وَالنَّائِي عَنْهُ مُدَاوِيَا
يقول : عالج ما بينك وبين ابن عمِّ السَّوِّءِ من التضاغن والتباين ، والتغايط
والتحاسد ، بِالْبُعْدِ منه ، والاستغناء عنه . ثم قال : وكفى بهما من مُدَاوِيَا معه .
وهذا يجري مجرى الالتفات ، وهو تنبيهٌ على أنهما الغاية فيم يُحْسَمُ به شرُّهُ ،
وَيُدْفَعُ به ضيرُهُ . وموضعُ بِالْغَنَى : فَعُ بَكَفَى . ومداوياً يجوز أن يكون حالاً ويجوز
أن يكون تمييزاً ، وهو أحسن ، ومثله : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ . والكلام يجري

(١) التبريزي : « وقيل إنه لرجل من بني أسد » .

أيضاً مجرى التأكيد فيما دعا إليه ، والتحقيق لفناء ما أشار به .

٢ - جَزَى اللَّهُ عَنَّا مَحْصَنًا بِيَلَانِهِ وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ الْقَرِيبَ وَخَالِيَا
مَحْصَنٌ الْمَذْكُورُ ، هُوَ ابْنُ عَمِّهِ الَّذِي تَأَذَّى بِهِ فِدَعًا عَلَيْهِ . يقول : جَزَاهُ
اللَّهُ بِفَعْلِهِ فِينَا ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا ، وَإِنْ كَانَ مُتَّصِلَ النَّسَبِ
بِطَرَفِي أَبِي وَأُمِّي .

٣ - يَسْلُ الْغِنَى وَالنَّأَى أَدْوَاءَ صَدْرِهِ وَيَبْدَى التَّدَانِي غِلْظَةً وَتَقَالِيَا
السَّلُّ : النَّزْعُ . والأدواء : جَمْعُ الدَّاءِ . وهذا مِثْلُ مَا رَوَى : « أَنْ مُرْئِي
ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا ^(١) » ، وزاد عليه أيضاً بِمَا شَفَعَ النَّأَى ^(٢)
به من ذكر الغنى . وَتَبَّهَ أَيْضاً عَلَى أَنْ فِي التَّدَانِي تَحَاوُداً يَبْدُو مَعَهُ الْقِلَى وَالْقَسْوَةُ
لَأَنَّ الْكَلَامَ كَالْتَعْمِيلِ لِلأَمْرَيْنِ الَّذِينَ رَغَّبَ فِي أَحَدِهِمَا وَزَهَّدَ فِي الْآخَرِ ، وَمَا
التَّدَانِي وَالتَّنَائِي . والمثل السائر : « فَرَّقْ بَيْنَ مَعْدَرٍ تَحَابٍّ » مِثْلُ الْبَيْتِ .

٤ - أَمَّا عَلَى الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بَرَكَهْ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلَّتُهُ بَيَّ كَافِيَا ^(٣)
هذا الكلام شِكَايَةً مِمَّا عَامَلَهُ بِهِ مَحْصَنٌ ، وَتَعْرِيجُ بِأَذَاهُ ، فيقول : لَمْ يَرْضَ
بِالْقَعْدِ عَنِّي وَإِسْلَامِي لِلدَّهْرِ حَتَّى صَارَ عَوْنًا لَهْ عَلَيَّ ، لَمَّا أَخَذَ يُوَثِّرُ تَأْثِيرَهُ ،
وَيُلْقِي كُلَّكَلَّةً وَجِرَانَةً . ثُمَّ قَالَ مُنْتَقِلاً عَنِ الْأَخْبَارِ عَنْهُ إِلَى مَخَاطِبَتِهِ ، إِظْهَاراً
لِلجَزَعِ مِنْ فَعْلِهِ . لَوْ اتَّخَذْتَ الدَّهْرَ وَكِيلًا وَاعْتَمَدْتَ عَلَيْهِ ، دُونَ أَنْ تُبَاشِرَ
مَسَاءَتِي بِفَعْلِكَ لَكُفَاكَ . وَمِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ ، أَغْنَى كَفَى الدَّهْرُ ، بِسَمَى التَّفَاتَا .
وقوله « كَافِيَا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَمْيِيزًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْمَصْدَرِ ،

(١) هذا من كتاب عمر رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري . انظر مجمع الأمثال
في (فرق بين معد تحاب) .

(٢) في الأصل : « الثاني » ، صوابه من م .

(٣) التبريزي : « ويروى : إذ حل بركه » . وكتب في نسخة الأصل : « حل » بحيث
تقرأ باللام والكاف أيضاً . وذلك بتقدير اللام وإلحاق علامة الكاف من جانبها الأيمن .

أراد : كَفَى الدَّهْرُ لو وَكَلَّتُهُ بى كَفَايَةً . واسمُ الفاعل يقع موقعَ المصدر كثيراً كما يقعُ المصدرُ موقعَ اسمِ الفاعل . ومثله قول بِشْرِ :
* كَفَى بِالنَّأْيِ من أسماءِ كافٍ ^(١) *

فقوله كافٍ فى أحد الوجوه مَصْدَرٌ لـ كَفَى لم يَنْصِبُهُ ، وجعله كقول الآخر :
* كَانَ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ القَرِقُ ^(٢) *

فى ترك إعراب المعتل فى موضع التَّنْصِبِ أيضاً ، إذ كان من القَرَبِ من يستنقل الفتحة فى الياء ، والتَّقدير : كَفَى النَّأْيُ من أسماءِ كافياً ، أى كِفَايَةً . وقد جاء فى المثل : « أَعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا » ، بسكون الياء فى باريها ، ولم يَرْوِ أَحَدٌ بَارِيهَا بالفتح ، فليس يجوز إلّا ما حُكِيَ ، لأنَّ الأمثالَ لا تُعَيَّرُ .

٩٠

وقال رَجُلٌ من بني كَلَيْبٍ ^(٣) :

١ - وَحَنَنْتُ نَاقَتِي طَرَبًا وَشَوْقًا إِلَى مَنْ بِالْحَيْنِ تُشَوِّقُنِي
انتصب « طَرَبًا » على أَنَّهُ مَصْدَرٌ فى موضع الحال ، أو على أَنَّهُ مفعولٌ له .
وأول البيت خبرٌ عن راحِلَتِهِ ، وآخرُهُ خِطَابٌ لها . وقوله « تُشَوِّقُنِي » حذف نونه استغناءً لاجتماع نونين ، والأصل تشوِّقِني . ومثله فى الحذف قول الآخر ^(٤) :
* يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا قَلَّيْنِي ^(٥) *

(١) عجزه فى مختارات ابن السجرى ٧٥ :

* وليس لحبها إذ طال شاف *

(٢) انظر اللسان والمقاييس (قرق) وإصلاح المنطق ٤٦٤ .

(٣) التبريزى : « من بني كلب » .

(٤) هو عمرو بن معد يكرب ، كما فى اللسان (فلا) .

(٥) صدره : * تراه كالشَّغَامِ يعل مسكا *

يريد فَلَئِنِّي . والمعنى : اشتكت نأقتى حانةً لطربها وشوقها . ثم أخذ
يخاطبها مُنْكَرًا عايبا ما ظهر منها فقال : تُشَوِّقُنِي بِحَيْنِكَ إِلَى مَنْ ؟ أَرَادَ أَنَّهُ
مع حصول اليأس يجبُ ألاَّ تَحِنَّ ولا تُشَوِّقَ . ويجوز أن يكون المعنى تعظيم
المشتاق إليه ، فكأنه قال : تشوقيني إلى مَنْ بِحَيْنِكَ ؟ أى إلى إنسانٍ وأى
إنسان ؟ وَمَنْ من قوله « إلى مَنْ » في هذا الوجه يكون نَكِيرَةً غير موصوفة
وإن كان الكلامُ خَبَرًا ، وفي المعنى الأول يكون مَنْ استفهامًا . وتقول :
مَرَرْتُ بِمَا صَالِحٍ ، وَمَرَرْتُ بِمَنْ كَرِيمٍ ، تريدُ بِإِنْسَانٍ كَرِيمٍ . وقد حُلَّ قوله
عزَّ وجلَّ : ﴿ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ ﴾ ، على أن معناه مَثَلًا شَيْئًا بَعُوضَةٌ .
وَالطَّرَبُ : خِفَّةٌ تعترى لعارضٍ مُرُورٍ أو هَمٍّ :

٣ - فَأَنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجَدِي وَلَكِنْ أَصْحَبَتْ عَنْهُمْ قُرُونُ
هذا الكلام اعترافٌ بالحُبِّ ، ونسويغٌ لحنين الناقة وإن كره التذكير
الحاصل منه . وَالشَّجْوُ الْمُنتَجِعُ عنه . وقوله « مثل ما تجدين » يجوز أن يكون
خبرًا مقدمًا والمبتدأ وَجَدِي ، فيكون التقدير : إِنِّي وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ ،
والجمله خبرٌ إنَّ . ويجوز أن يكون مِثْلُ خَبَرٍ إنَّ ، وَوَجَدِي بدلٌ من ياء الضمير
المتصل بِأَنِّي ، كأنه قال : إنَّ وَجَدِي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ . وما بمعنى الذى ، وتجدين
من صلتِهِ ، والضمير العائد إليه محذوف ، كأنه قال : مِثْلُ مَا تَجِدِينَهُ ، أى
مِثْلُ الْوَجْدِ الذى تجدينه . ويجوز أن يكون ما مَعَ الْفِعْلِ في تقدير مَصْدَرٍ ،
كأنه قال : إِنِّي وَجَدِي مِثْلُ وَجْدِكَ . والأصلُ في إِنِّي إِنَّا ، لكنَّه حُذِفَ
نُونُهُ لاجتماع ثلاث نُونَاتٍ ، ويجوز أن يكون لم يَأْتِ بنون العباد كما لم يَأْتِ
به في آتَى وَلَيَّتِي ، والمعنى إنَّ وَجَدِي مِثْلُ وَجْدِكَ ، ولكن تَابَعْتَنِي نَفْسِي
باليأسِ منهم ، وَأَنْتِ لَا تَعْرِفِينَ الْيَأْسَ . والإصحاب : الانقياد . والقُرُونُ

وَالْقَرُونَةُ : النَّفْسُ . وَيَقُولُونَ : أَخَذْتُ قَرُونِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ ، أَيْ رَفَضْتُهُ وَاطَّرَحْتُهُ .

٣ - رَأَوْا عَرْشِي تَتَلَمَّ جَانِبَاهُ فَلَمَّا أَنْ تَتَلَمَّ أَفْرَدُونِي يَقُول : رَأَوْا عِزِّي قَدْ تَهَدَّم جَانِبَاهُ ، وَانْهَدَّ رُكْنَاهُ ، فَلَمَّا صَارَ أَمْرِي كَذَلِكَ تَرَكَونِي وَحِيداً ، وَقَعَدُوا عَنْ مَشَائِعِي وَمُتَابَعَتِي ، فَذَعَنِي الْحَالُ إِلَى مَفَارِقِهِمْ ، وَالتَّحَوَّلَ عَنْهُمْ . وَالْعَرْشُ : سَرِيرُ الْمَلِكِ ، وَقِيَامُ أَمْرِ الرَّجُلِ وَعِزُّهُ ، فَإِذَا زَالَ قِيلَ : نُلَّ عَرْشُهُ وَتَتَلَمَّ . وَقَدْ أَلَمَّ فِي هَذَا بِقَوْلِ أَوْسٍ :

* وَهُمْ لِمَقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ ^(١) *

ويقوله :

* بَنُو أُمِّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ ^(٢) * (البیتان)

٤ - هَنِيتَا لَابْنِ عَمِّ السَّوءِ أَنِّي مُجَاوِرَةٌ لِبَنِي مُعَلِّ لَبُونِي

أَنِّي فِي مَوْضِعِ الْفَاعِلِ لِهَنِيتَا ، وَمُجَاوِرَةٌ أَرْتَفَعُ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرُ أَنْ ، وَلَبُونِي فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنَّهَا فَاعِلَةٌ لِمُجَاوِرَةٍ ، وَبَنِي مُعَلِّ مَفْعُولٌ بِهِ . وَالْمَعْنَى : لِيَهْنِي ابْنُ الْعَمِّ السَّوءِ بُعْدِي عَنْهُمْ ، وَمُجَاوِرَةٌ لِبَنِي لِفَيْرِهِمْ . وَاللَّبُونُ : الْفَاقَةُ الَّتِي بِهَا لَبَنٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرْتَفَعَ مُجَاوِرَةٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ ، وَالْمَبْتَدَأُ لَبُونِي وَالْجُمْلَةُ كَمَا هِيَ تَكُونُ خَبَرُ أَنْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَبُونِي بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِأَنِّي ، وَالْخَبَرُ مُجَاوِرَةٌ . وَالْمَعْنَى وَالتَّقْدِيرُ أَنَّ لَبُونِي مُجَاوِرَةٌ لِبَنِي مُعَلِّ . وَهَذَا الْكَلَامُ إِنْبَاءٌ أَنَّ مَا حَصَلَ مِنْ بُعْدِهِ عَنِ الْعَشِيرَةِ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَهُ ، فَقَالَ هَذَا اللَّهُ أَبْنَاءَ عَمِّي مَا أَرَادُوهُ وَفَارَزُوا بِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَهَيْدًا وَتَهَكُّمًا .

(١) عجزه : * وَإِنْ كَانَ مُحَضًّا فِي الْعُمُومَةِ مَخُولًا *

(٢) هُوَ بَنَامُهُ :

بَنُو أُمِّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرُونَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْأَمْرِ جَحْفَلًا

٩١

وقال رجل من بني أسد :

١- وَمَا أَنَا بِالنَّكْسِ الَّذِي وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّ عَنِّي ذُو الْمَوَدَّةِ أَحْرَبُ

النَّكْسُ أَصْلُهُ فِي السَّهَامِ ، وَنُقِلَ إِلَى الضَّعِيفِ مِنَ الرِّجَالِ . يُقَالُ :
نَكَسْتُهُ نَكْسًا ثُمَّ يُسَمَّى الْمَكْسُوسُ نِكْسًا ، كَمَا يُقَالُ نَقَضْتُهُ نَقْضًا ثُمَّ يُسَمَّى
الْمَنْقُوضُ نِقْضًا بِكسر النون . كَانَ السَّهْمُ انْكَسَرَ فَوْقَهُ فَنُكِسَ فَسُمِّيَ نِكْسًا .
فَيَقُولُ : مَا أَنَا بِالنَّكْسِ الضَّعِيفِ اللَّثِيمِ ، وَلَا الَّذِي إِذَا انْحَرَفَ عَنْهُ مَنْ يُؤَادُّهُ دَعَا
بِالتَّوْبِيلِ وَالْحَرْبِ فَقَالَ : وَاحْرَبَاهُ . وَفِي طَرِيقَتِهِ .

وَلَا أَقُولُ إِذَا مَا خَلَّةٌ صَرَمْتُ يَأْوِيحُ نَفْسِي مِنْ شَوْقِي وَإِشْفَاقِي^(١)
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَحْرَبُ : اغْتَاظُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

* إِنِّي إِذَا الشَّاعِرُ الْمَفْرُورُ حَرَبَنِي *

وَهَذَا أَسْلَكَ فِي طَرِيقَةِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : وَلَا الَّذِي إِذَا صَدَّ
عَنْهُ ذُو الْمَوَدَّةِ يَحْزَبُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّلَاةِ مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْصُولِ ، لَكِنَّهُ لَمَّا
كَانَ الْقَصْدُ فِي الْإِخْبَارِ إِلَى نَفْسِهِ وَكَانَ الْآخِرُ هُوَ الْأَوَّلُ ، لَمْ يُبَالِ بِرَدِّ الضَّمِيرِ عَلَى
الْأَوَّلِ وَخَلَّيَ الْكَلَامَ عَلَى الْمَعْنَى ، لِأَمْنِهِ مِنَ الْإِتْبَاسِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَبِيحٌ عِنْدَ
النَّحْوِيِّينَ ، حَتَّى إِنْ أَبَاعَمَانَ لِلْمَازِنِيِّ قَالَ : لَوْلَا اِشْتِهَارُ مَوَدِّهِ وَكَثْرَتُهُ لَرُدَّتْهُ . وَمِثْلُهُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّنِي أُخِّي حَيْدَرَهُ^(٢) *

(١) لتأبط شراً . المفضليات (١ : ٢٦) .

(٢) لعل بن أبي طالب ، كما في اللسان (حدر ، سندر) . وقد سبق في ص ١١٥ .

٢- ولكتني إن دام دُمتُ وإن يكنْ لَه مذهبٌ عني فلي عنه مذهبٌ^(١)

يقول : أملك نفسي وودّي في مصادقة الأخلأ ، فإن داموا لي على العهد دُمت لهم ، ولزمتُ الوفاء معهم ، وإن رأوا ذهاباً عني وميلاً إلى غيري ذهبتُ عنهم ، ومِلْتُ إلى غيرهم . ويُروى : « ولكتني ما دام دُمت » ويكون موضعُ ما دام ظرفاً ، وخبرٌ لكنّ دُمتُ . وفي الأولى يكون الجزاء وجوابه خبراً . وفي طريقته قول ليبيد :

فاقطعْ لُبَانَةً مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلُهُ وتُخِيرُ وَاصِلِ خَلَةٍ صَرَامُهَا
٣- أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْوُدِّ وَدٌّ تَطَوَّعَتْ به النَّفْسُ لَا وَدٌّ أَنِّي وَهُوَ مُتَعَبٌ

يقول : خير الودِّ ما جاء عفواً من غير جهدٍ ، ولا إكراه نفس وطبع ، بل ببعثه الميلُ ، ويحكمه الخُلوص ؛ فأما المتعبُ من المودّات ، المشوبُ بالتعمُّلِ والتكلف ، فلا طائل فيه . ومثله قول بعضهم :

ولا خَيْرَ في وَدٍّ اسْرِي مُتَكَارِهِ عَلَيْكَ وَلَا في صَاحِبٍ لَا تَوَاقِفُهُ^(٢)
وقول الآخر :

إذا أنت لَا يَثْنِيكَ إِلَّا شَفَاعَةٌ فلا خَيْرَ في وَدٍّ يَكُونُ بِشَافِعٍ

٩٢

وقال أبو حنبل الطائي^(٣) :

١- أقدّ بلاني على ما كان من حدّثٍ عندَ اختِلَافِ زِجَاجِ الْقَوْمِ مَسَيَّارُ

(١) كذب بخط مخالف قبل هذا البيت :

ولست إذا ولي الصديق بوده بمكتتب أحسن إليه وأندب

(٢) أنشده التبريزي ، مع بيتين بعده ، وقال : « قالوا هو لمسلم بن الوليد » .

(٣) هو جارية بن مر ، أبو حنبل الطائي ، شاعر جاهل فارس . ذكره في المؤلف ٩٩ .

التبريزي : « ويقال إن هذه الأبيات لعامر بن جوين ، حين أجاز سيار بن موالة بن عامر -

ارتفع « سَيَّارٌ » بقوله بَلَّانِي . واللام في « لقد » تُؤْذِنُ بَيَمِينٍ . يقول :
لَقَدْ خَبَّرَنِي هَذَا الرَّجُلُ عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ حَدِيثٍ ، وَاعْتَرَضَ مِنْ شَرٍّ ، فَعَرَفَ
حُسْنَ بَلَّانِي عِنْدَ اخْتِلَافِ الْقِنَا بِالطَّعْنِ . وَذَكَرَ الزَّجَّاجُ ، وَالْمُرَادُ الرَّمَّاحُ
بِكَلَامِهَا ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ (١) :

* الْوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نَمَائِلِهِمْ (٢) *

وَلَمَّا يُوطَأُ النَّفْلُ كُلُّهَا . وَيُقَالُ : زَجَجْتُهُ بِالرَّمْحِ ، إِذَا زَرَقْتَهُ .

٣ - حَتَّى وَفَيْتُهَا دُهِمًا مُعَقَّلَةً كَالْقَارِ أُرْدَفُهُ مِنْ خَلْفِهِ قَارٌ

يقول : صَبَرْتُ لِمَا عَزَّ مِنْ أَمْرٍ ، وَتَعَسَّرَ مِنْ وِفَاءٍ وَأَدَاءٍ ، لِأَخْرُجَ مِمَّا بِهِ
تَكَلَّفْتُ ، مِنَ الْعَهْدَةِ الَّتِي فِيهَا دَخَلْتُ . وَقَدْ كَانَ أَبُو حَنْبَلٍ تَضَمَّنَ لِسَيَّارٍ إِبِلًا
لَهُ بِأَعْيَانِهَا أَوْ شُرُوَاهَا ، أَيْ مِثْلَهَا ، فَيَقُولُ : أَخَذَ سَيَّارٌ يَنْقَطِرُ مَاذَا يَكُونُ مِنِّي
فِيَا تَضَمَّنْتُ حَتَّى وَفَيْتُ بِإِبِلِهِ سَوْدًا مُشْدُودَةً بِعُقْلِهَا ، كَأَنَّهَا فِي سَوَادِهَا قَارٌ عُولِي
بِقَارٍ . وَهَذَا يَرَادُ بِهِ تَأْكِيدُ السَّوَادِ . وَيُقَالُ رَدَّ فُتْنُهُ وَأُرْدَفْتُهُ ، إِذَا جِثَّتْ بَعْدَهُ .
وَرَدَّ فِكْمُكَ وَرَدَّفَ لَكَ ، أَيْ تَبِعَكَ وَجَاءَ بَعْدَكَ . وَانْتَصَبَ « دُهِمًا » عَلَى
أَنَّهُ حَالُ الْإِبِلِ . وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ « كَالْقَارِ » تَصْوِيرُ اللَّيْلِ بِالْوَانِهَا . وَمَعْنَى لَقَدْ
بَلَّانِي حَتَّى وَفَيْتُ ، أَيْ انْتَظَرْتُ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَلَاءِ فِي وَفَائِي عِنْدَ مَا ضَمِنْتُ ،
وَصَارَ يُحَرِّبُنِي إِلَى أَنْ وَفَيْتُ . وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ مُعَقَّلَةً ، أَنَّهُ سَلَّمَهَا فِي مَبَارِكِهَا آمِنَةً .

= بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، وكان سيار جاراً لرجل من بني ثعل بن يثقال له عدى بن أفلت ،
فر عامر بن جوين بعدى بن أفلت وقد قامره سيار بن موالة بالفداح فقممه عدى حتى غلق مال
سيار ، فظعن الحى فقال سيار لثمينين له : تخلفا بأهلكما بعد الحى حتى ينزلوا ، فإذا نزلوا
فانطلقا برحلكما حتى تفيدا إلى رحل عامر بن جوين ، ففعلنا فجاء عدى بن أفلت فأراد أن
ينقلهما ورحلهما ، فأبى ذلك عامر بن جوين وقال : قد جاورنى الرجل ! فلما خرج امرؤ
القيس بن حجر عند عامر بن جوين فنزل على أبى حنبل جارية بن مر ، تهادى أبو حنبل
وعامر الشعر ، فقال عامر : لقد بلانى

(١) هو الأعشى . الكامل ٣٥ لبيك واللسان (دفن) .

(٢) عجزه : * يمشون فى الدفنى والأبراد *

ويموز أن يكون أراد إبلاً متقدماتها ومتأخراتها سوّد، فذلك قال كالقار
أردف بقار، ويموز أن يكون أراد بالقار جمع قارة، وهي الجبال، فشبهها بها
في عظمها.

٣- قَدْ كَانَ سَيْرٌ فَحُلُوا عَنْ تَحْمُولَتِكُمْ إِنِّي لَسَكُلٌ أَمْرِي مِنْ جَارِهِ جَارٌ
يقول: وَجَبَ السَّيْرُ لِلْخَوْفِ وَالْحَذَرِ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ، وَأَمَّا السَّاعَةُ وَقَدْ
بَلَّغْتُمُ الْمَأْمَنَ فِي جَوَارِي فَحُلُوا عَنْ أَجْمَالِكُمْ، إِنِّي لَسَكُلٌ رَجُلٌ مِنْكُمْ جَارٌ بَدَلًا
مِنْ جَارِهِ الْأَوَّلِ. والعرب تقول: هذا من ذاك، وهذا بذاك أى عِوَضٌ.
وفُتِّرَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ^(١)

على أن المعنى لَيْتَ لَنَا بَدَلًا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً. ويقولون: فلان لك
من الجار جار، ومن القديم، ومن الأكيل أكيل. ويحتمل أن يكون
معناه: إِنِّي لِكُلِّ رَجُلٍ يُجِيرُ مِنْ يَجَاوِرُهُ، أَيْ مَنْ يَدَانِيهِ بِسُوءٍ، وَالْأَوَّلُ
أَجُودٌ وَأَضُوبٌ. وَالْحُمُولَةُ: جَمْعُ حِمْلٍ، وَدَخَلَتْ الْهَاءُ فِيهِ تَوْكِيدًا لِتَأْنِيثِ
الْجَمْعِ. وَالْحُمُولَةُ: الْأَبْلُ الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فَعُولَةٌ كَالْقَتُوبَةِ،
وَالرَّكُوبَةِ، وَلَا يَجْرِي عَلَى الْمَوْصُوفِ، لَا يَقَالُ دَابَّةٌ حُمُولَةٌ.

٩٣

وقال يزيد بن حمان السكوني^(٢):

١- إِنِّي حَدِّثْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذَا خَدَّتْ نِيرَانُ قَرْمِي وَفِيهِمْ شُبَّتِ النَّارُ

(١) للأحول الكندي كما في معجم البلدان (الطهيان). وهو اسم قلة جبل باليمن.
(٢) كذا في النسختين. وعند التبريزي ومعجم المرزباني ٩٣؛ أنه «يزيد بن حمان
السكوني». قال المرزباني: «حليف بني شيبان، وكان له بلاء ورأى يوم ذي قار، فقال يمدح -

الحمد : الثناء على الرجل بما فيه من الخصال المرتضاة . وبهذا المعنى فارقي الشكر ، لأن الشكر لا يكون إلا على صديعة . فيقول : لما رأيت بني شيبان عند إنحلال الأرض وإجدايها ، وإفتار الناس وإضاقتهم ، يوقدون نار ضياقتهم وبقيمونها ، وإن كانت نيران غيرهم خامدة متروكا إشعالها ، أُنشئت عليهم ، ونشرت فضيلتهم . وقال « نيران قومي » وإن أراد غيرهم معهم ، تفضيلاً لم على قومه ، وإيداناً بالصدق في تحبّره ، فبدأ بذكر قومه وذويه . ويروى : « نيران قوم » ، والأول أجود .

- ٢ - ومن تَكْرُمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ^(١)
٣ - حتى يكون عزيزاً من نفوسهم أو أن يبين جميعاً وهو مختار^(٢)

يقول : من تكلفهم الكرم كأنهم لا يرضون في مثل ذلك الوقت بما طُبعوا عليه وجبلوا ، حتى تكلفوا أكثر منه ، أنهم يُحِلُّون جَارَهُمْ من العناية به والاتحاف^(٣) والإحسان إليه والاصطناع ، محلاً ينشكك من بعد في نفسه : هل هو جارهم أم من صميمهم . وعلى هذا يتعلق حتى من قوله « حتى يكون عزيزاً » بالمعنى الذي دلّ عليه قوله لا يعلم الجارُ فيهم أنه الجارُ ، أي يعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزاً فيما بين ظهرائهم ، أو يختار مفارقتهم . والمعنى : ذلك له فيهم ، ما اعتزّ بجوارهم ، أو مال إلى فراقهم . ويجوز أن يكون

= بني شيبان : إني حدث وقال التبريزي : هكذا قال أبو تمام - أي في نسبة الشعر - والصحيح أنه عدى بن يزيد بن حمار ، بعد الألف راء ، بن عباد بن مسلمة بن هوف بن تراغم بن معاوية بن ثعلبة بن عقبة بن سكون . وعدى جاهل ، ويعرف بالجهن ، وكان نازلاً في شيبان .

(١) المرزباني : « لا يشعر الجار فيهم » .

(٢) المرزباني : « في نفوسهم » .

(٣) في النسختين : « والاتحاف » ، ولم نجد لها وجها .

قوله « من نفوسهم » في موضع الحال ، وعزيراً خبر كان . وإن جعلت « عزيراً » في موضع الحال ومن نفوسهم خبراً جاز . والمعنى : حتى يكون كأنه من أصلهم ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ، والمعنى من جنسكم ومن بطانتكم . ويجوز أن يكون البيت مضمناً ، ويكون معنى لا يعلم الجار فيهم أنه جار ، أن الجار لا يكون قد أحسَّ بمجاورته لهم حتى يتفقدوه هذا التفقد ، ويحلوه هذا المحل . وقوله « أو أن يبين جميعاً » انتصب جميعاً على الحال ، والمعنى أو أن يفارق وهو مجتمع الحال غير منتشرها ، ومختار لذلك غير مضطر إليه . ومثل هذا بيت زهير :

ضَمِنَّا مَالَهُ وَغَدَاً جَمِيعاً عَلَيْنَا نَقْصُهُ وَلَهُ النَّمَاءُ

وقبل بيت زهير هذا قوله :

وَجَارٍ سَارٍ مَعْتَمِداً إِلَيْنَا أَجَاءَتْهُ الْخَافَةُ وَالرَّجَاءُ

فَجَاوَرَ مُكْرَماً حَتَّى إِذَا مَا دَعَاهُ الضَّيْفُ وَانْقَطَعَ الشَّتَاءُ

ضَمِنَّا مَا لَهُ وَغَدَاً جَمِيعاً

فقد علمت اشتغالها على ما ذكره هذا الشاعر وتفردها بما زاد عليه من المعنى . ويجوز أن يكون « حتى » بمعنى كفى ، فيكون المراد لا يعلم الجار لحسن توفيقهم عليه ، وتوحيدهم بإياه باتخاذ الصنائع لديه أنه جار ، لكني يكون عزيراً مدة مقامه ، أو يفارقهم مختاراً ، موفور المال ، مضمون الحال .

٤ - كَأَنَّهُ صَدَعَ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِهِ عِتَاقِ الطَّيْرِ أَوْكَارُ^(١)

يقول : كأن الجبار لتمتعه بهم ، وتمززه حين استظهر على الزمان بمكانه . وفيهم ، وعِلَّ احترز عن طلابه في رأس قلة شاحقة أوكار عتاق الطير دونه ، وهو

(١) في معجم المرزباني : « ودونه » .

أرفع منها وأحسن . فالتشبيه تناول ما ذكرت من التمتع والتحصن . ويعنى
بعتاق الطير : العقبان وما أشبهها من أحرار الطير ، وما يتخذ الوكور في
الجبال . وإلى هذا أشار الهذلي^(١) في قوله :

حتى انتهيتُ إلى فراشِ عَزِيزَةٍ سَوْدَاءَ رَوْتُهُ أَنْفَهَا كَالْخَصْفِ

يعنى وكر عَقَاب . وَالصَّدَعُ وَالصَّدِيعُ : الفئ من الأوعال ، وقيل هو
للربوع وقد استعمل في الرَبْعَة من الرجال .

٩٤

وقال آخر^(٢) :

١ - نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ تَحَلٍّ^(٣)

يقول : أَوَيْتُ لِمَا تَغَرَّبْتُ عَنْ أَوْطَانِي دَاخِلًا فِي الشَّتَاءِ ، مُتَحَنِّنًا بِالْجَذْبِ
وَالْقَطْعِ ، مُجِئًا إِلَى الْإِسْتِعَانَةِ عَلَى الزَّمَانِ بِغَيْرِي ، إِلَى آلِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ
وَنَزَلْتُ فِيهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ يَقْتَصُّ مَا رَأَى فِيهِمْ . وَيُقَالُ زَمَنُ تَحَلٍّ ، وَصِفَ
بِالْمَصْدَرِ ، وَزَمَنُ مَاحِلٍ وَزَمَنُ مُجِلٍّ . وَالْأَصْلُ فِي الْحُلِّ : الْقَطَاعُ لِلطَّرِيقِ وَيُبْنَى
السَّكَلَا . وَيُقَالُ أَرْضٌ تَحَلُّ وَأَرْضٌ مُحُولٌ ، وَصِفَ بِالْجَمْعِ ، كَأَنَّهُ أُجْرِى عَلَى
أَقْطَاعِ الْأَرْضِ ، كَمَا يُقَالُ : ثَوْبٌ مَزَقٌ .

٢ - فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ وَالْإِطَافَةُ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي^(٤)

(١) هو أبو كبير الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ١١٠) .

(٢) هو بكير بن الأخنس ، كما في البيان والتبيين (٣ : ٢٣٣) . على أن المقطوعة
بدون نسبة في ترجمة المهلب بن أبي صفرة من وفيات الأعيان ، وكذا في عيون الأخبار
(١ : ٣٤١) .

(٣) في البيان : « فقيرا بعيد الدار » .

(٤) البيان : « الإطافهم وافتقارهم وإكرامهم » .

يقول : لم يزالوا يؤثرونني بالإحسان والحسنى ، ويختصونني بإسداء الجليل
والنعمى ، ويلتزمون لى من الإكرام والتقريب ، والإدناء والترحيب ، حتى
ظلمتهم عشيرتى ، وتشككت فى اغترابى منهم ، وبعد نسبى عنهم . ومن
الاقتفاء القفى ، وهو المكرم من الضيوف والسكن ، والقفاوة . قال :

* يُعْطَى دَوَاءَ قَفَى السَّكَنِ مَرْبُوبٌ ^(١) *

٩٥

وقال جابر بن ثعلب الطائي ^(٢) :

١ - وَقَامَ إِلَى الْمَازِلَاتِ يُلْمَنِي يَقْلُنْ أَلَا تَنْفَكُ تَرْحَلُ مَرْحَلًا ^(٣)

يقول : انتصب اللوام عاتبات على ، سائقات العنز إلى قائلات : ألا تزال
ترحل ارتحالاً فلا تستقر بك دار ، ولا يقرب لك مزار ، ولا يحط عن
راحلة رحل . ومرحلاً انتصب على المصدر ، كما تقول : أما تنفك تخرج
تخرجاً وتبعد مبعداً . ومعنى ترحل تشد الرحل . وموضع « يلمنى » موضع
الحال ، « ويقلن » فى موضع البدل من يلمنى .

٢ - فَإِنَّ الْفَتَى ذَا الْحَزَمِ رَامَ بِنَفْسِهِ جَوَاشِنَ هَذَا اللَّيْلِ كَى يَتَمَوَّلَا

فى الكلام اختصار ، كأنه قال : فأجبتهم فقلت : إن الفتى الحازم يحمل
نفسه المشتات ، ويرمى بنفسه المتالف الصمبات ، ويمتطى الأهوال ، كى ينال

(١) لدلالة بن جندل السعدي ، كما فى اللسان (قفا) . وصدره :

* ليس بأسنى ولا أفنى ولا سعل *

(٢) التبريزى وابن جنى : « جابر بن الثعلب » . وفى الكامل ٢٩٩ ليسك : « جابر
بن ثعلبة » . وانظر ما سبق فى ص ٢١٥ .

(٣) التبريزى : « ويروى : ألا يا ارحل لأهلك مرحلاً » .

الأموال ، غَيْرُ مُسْكِرٍ فِي ظِلْمَةِ لَيْلٍ ، وَلَا مُسْتَضِيبٍ لِرُكُوبِ خَطْبٍ . وقوله : « جَوَاشِنَ هَذَا اللَّيْلِ » يَعْنِي صُدُورَها وَأَوَائِلَها . وَاللَّيْلُ بِإِزَاءِ النَّهَارِ فِي الِاسْتِعْمَالِ ، وَاللَّيْلَةُ بِإِزَاءِ الْيَوْمِ . وَالْإِشَارَةُ بِـ : « هَذَا » عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيبِ . وَهُمْ يَسْتَعِيرُونَ الْجَوَاشِنَ وَالْهَوَادِي وَالصُّدُورَ وَالتَّحُورَ وَالْأَعْنَاقَ وَالرُّؤُوسَ لِأَوَائِلِ الْأُمُورِ ، كَمَا يَسْتَعِيرُونَ الْأَعْجَازَ وَالْأَدْبَارَ وَالْأَعْقَابَ وَالْأَذْنَابَ لِآخِرِها .

٣- وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ بِحَمْدِ الْغَنَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ الْعَمِّ مُحْوَلًا^(١) أَفْتَقَرَ فِعْلٌ مُفْتَقِرٌ وَفَقِيرٌ جَمِيعًا ، اسْتُعْنِيَ بِهِ عَنْ فَقْرٍ . يَقُولُ : مَنْ نَالَ الْفَقْرَ بَيْنَ عَشِيرَتِهِ وَأَهْلِيهِ حَمْدَ الْغَنَى ، وَصَارَ عِنْدَهُ الْمَطْلُوبُ وَالْمَتَمَنَّى ، وَإِنْ كَانَ مَعْطُوفًا عَلَيْهِ مُسْكِرًا ، وَمُعَمَّا فِيهِمْ مُحْوَلًا . وَقَوْلُهُ : « وَاسِطَ الْعَمِّ » سِطَةُ الْحَسَبِ : كَرَمُهُ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ وَسَطَ . قَالَ :

* وَقَدْ وَسَطْتُ مَالِكًا وَحَنْظَلًا^(٢)

وَيُقَالُ : فَلَانٌ وَسِيطٌ فِي قَوْمِهِ : جَلِيلٌ ، وَفُلَانٌ وَاسِطُ الْقَوْمِ ، وَهُوَ أَوْسَطُهُمْ أَيْ أَشْرَفُهُمْ .

٤- كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَغْرِبْ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى وَلَمْ يَكُ صُغْلُوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلَا

هَذَا الْكَلَامُ بَعَثَ عَلَى التَّجَوُّالِ ، وَتَحْضِيضُ فِي اكْتِسَابِ الْمَالِ ، فَيَقُولُ : إِذَا أَقْتَنَيْتَ بَعْدَ فَقْرِكَ ، وَاكْتَسَيْتَ عَنْ عُرْيِكَ ، فَكَأَنَّكَ مَا كُنْتَ قَطُّ فَقِيرًا وَلَا عُرْيَانًا . وَالْمَعْنَى : إِنْ مِنْ اسْتَبْدَلَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ يُسْرًا ، وَنَالَ عَقَبَ ضِيقِهِ

(١) ضَبَطْتُ « مُحْوَلًا » بِذَنْحِ الْوَاوِ فَقَطَّ فِي النُّسخَتَيْنِ ، وَهِيَ لُغَةٌ مَحْصِيحَةٌ . يُقَالُ أَخُولُ الرَّجُلِ وَأَخُولُ ، بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَالْمُجْهُولِ ، فَهُوَ مُحْوَلٌ وَمُخْوَلٌ بِكُسرِ الْوَاوِ وَفَتْحِها . وَمِثْلُهُ الْمَمِّ وَالْمَمِّ ، وَهُوَ الْكَثِيرُ الْأَعْمَامِ . وَرَوَاهُ ابْنُ جَنَى :

وَيُزْرَى بِظَرْفِ الْمَرْءِ قِلَّةَ مَالِهِ وَإِنْ كَانَ أَقْوَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَلًا (٢) أَرَادَ : وَحَنْظَلَةً . وَهِيَ النَّبِيلَةُ . وَالرَّجَزُ لِفَيْلَانَ بْنِ حَرِيثٍ . اللَّسَانُ (وَسَطٌ) .

يُؤْبَعْدُهُ : * صَيَّاهَا وَالْعَدَدُ الْمُجْلَجَلَا *

رخاء، فكأنه ما سبق إليهما، ولا زوجٍ فيهما. وفي طريقته ما بعده، وهو :
« ولم يكُ في بُوسٍ ». والصُّغْلُوكُ : الفقير .

٥ - وَلَمْ يَكُ فِي بُوسٍ إِذَا بَاتَ لَيْلَةً يُبْنِغِي غَزَا السَّاجِي الطَّرْفَ أَكْحَلًا^(١)

يقول : وإذا استمتع لَيْلَةً بمناجاةِ إنسانٍ كأنه غزالٌ في طَرَفِهِ فَتَرٌ ، وفي عَيْنِهِ كَحَلٌّ ، فكأنه ما كان ذا بُوسٍ قَطُّ . أى تُعْطَى النِّعْمَةُ على آثارِ الضَّرِّ ، وتمحوها حتى تُنْصَى . وقوله « ولم يكُ في بُوسٍ » قد مرَّ الكلامُ في حذف النون منها تخفيفاً . والمناغة : للغزالة ، وأصله من النِّعْيَةِ ، وهى الصوت اللطيف ، والنِّعْمَةُ الحسنة الخفيفة ، ولذلك يُفسَّرُ الْمَنَاغَةُ على الْمَسَارَةِ . والساجي : الساكن ، يقال لَيْلٌ سَاجٍ . قال :

* يَا حَبِذَا الْقَمَرَاءِ وَاللَّيْلُ السَّاجِ^(٢) *

٩٦

وقال بعض بني طيء :

١ - إِنْ أَدَعَ الشُّعْرَ فَلَمْ أُكْذِهِ إِذْ أَزَمَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ

قوله « إِذْ أَزَمَ » ظرفٌ لقوله أَدَعَ . وتقدير الكلام : إِنْ أَدَعَ الشُّعْرَ إِذْ أَزَمَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ فَلَمْ أُكْذِهِ . ويريد بالحق كِبَرَتَهُ وشيخوخته ، وما أخذ به النَّفْسَ عِنْدَهُ من مراعاة الحق ، والرجوع عن الهزل إلى الجد . وأراد بالباطل الصِّبَا والآهَوَ وما يُتَّبَعُهُمَا مما يُعَدُّ سَفَهًا . وقوله « فَلَمْ أُكْذِهِ » أصله من حَفَرَ

(١) التبريزي : « فاطر الطرف » ، ثم أشار إلى رواية « ساجي الطرف » . وأنشد

بعده بيتاً لم يروه المرزوقي ، وهو :

إذا جانب أعياك فاعمِدْ بجانب فإنك لاقٍ في بلادٍ معولاً

(٢) في الأصل : « ساجي » ، صوابه من م واللسان (قمر) . وبعده :

* وطرق مثل ملاء النساج *

فَأَكْدَى ، إِذَا بَلَغَ الْكُدْيَةَ ، فَتَمَدَّرَ عَلَيْهِ الْحَقَرُ وَإِنْ بَاطُ الْمَاءِ . وَالْكُدْيَةُ : مَكَانٌ صُلْبٌ يُعْنِي الْحَافِرَ . وَيُقَالُ أَيْضًا : حَقَرَ فَأَجْبَلَ ، إِذَا بَلَغَ جَبَلًا . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : أَكْدَى فِي الشَّعْرِ وَالْعَطَاءِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ . وَقَالُوا أَيْضًا : فَلَانٌ بَلَغَ النَّاسُ كُدْيَتَهُ ، أَيْ كَانَ يُعْطَى نَمِ أَمْسَكَ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ تَرَكْتُ الشَّعْرَ حِينَ تَحَلَّيْتُ ^(١) وَارْعَوَيْتُ ، وَصَارَ الْحَقُّ عَاصًا عَلَى بَطَالَتِي ، وَالْحِلْمُ ^(٢) مَانِعًا مِنْ جَهَالَتِي ، فَلَمْ أَتْرُكْهُ عَنْ عَجْزٍ لَاحِقٍ ، وَلِإِخْلَامٍ حَاصِلٍ . وَالْإِزْمُ : الْعِضُّ ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ ، فَقِيلَ : « نَعَمْ الدَّوَاءُ الْإِزْمُ » ، يَرِيدُونَ الْحِمِيَّةَ .

٢ - قَدْ كُنْتُ أُجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ وَأَكْثَرُ الصَّدِّ عَنْ الْجَاهِلِ
يقول : كُنْتُ أُجْرِي الشَّعْرَ عَلَى حَقِّهِ وَكُنْهٍ ، وَأَقْرَضُهُ مُسْتَمِرًّا فِيهِ عَلَى حَدِّهِ أَيَّامَ شَبَابِي ، وَقَبْلَ ارْتِدَاعِي ، وَمَعَ ذَلِكَ كُنْتُ أَكْثَرُ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجُهَالِ ، وَأَتَصَوَّنُ عَنْ مَكَائِلَتِهِمْ وَمَوَازِتِهِمْ . وَهَذَا يَجْرِي تَجْرَى قَوْلِ الْآخَرِ :
إِنِّي أَسْرُؤُ مُكْرِمٍ نَفْسِي وَمُتَنَبِّدٍ مِّنْ أَنْ أَفَازِعَهَا حَتَّى أَجَازِيهَا ^(٣)
وَالْمَعْنَى أَرْبَابًا بِقَدْرِي عَنْ مَقَارَضَةِ الشَّعْرَاءِ ، وَمَجَازِبَةِ الشُّفَهَاءِ ، وَلَكِنْ إِنْ دَعَتِ الْحَالُ مَعَهُمْ ، وَالضَّجْرُ بِهِمْ ، إِلَى الْحِجَازَةِ مَعَ مَرَاةِ الْحِلْمِ ، فَبِالْفِعْلِ لَا بِالْقَوْلِ ، وَعَلَى هَذَا كُنْتُ قَبْلَ هَذَا الْأَوَانِ مَعَ الْجُهَالِ .

٩٧

وقال آخر :

١ - زَعَمَ الْقَوَاضِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ بِجُنُوبٍ خَبَتْ عُرْبَتُ وَأُجِمَّتِ ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَكَّتْ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالْحَكْم » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٣) مِنَ الْهَامِشَةِ ٧٤ . ص ٢٦٧ .

(٤) « جُنُوب » فِي النُّسخَتَيْنِ بِضَمِّ الْجِيمِ : جَمْعُ جَنْبٍ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ بِفَتْحِ الْجِيمِ ..

يقول : قال اللوام عاتبة على جندب ، ومنذ كرهة لتودعه وميله إلى الراحة والخفض وترك السفر : إن ناقته حط عنها رحلها ، وأزيل كلالها ، فهي جامئة بجنوب خبت : والخبت ، أصله ما اطمأن من الأرض^(١) . ويقال أخبت الرجل ، إذا صار في الخبت ؛ وتوسم فيه فقيل المتأله الخاشع : هو مُحْبِتٌ .

٢ - كذب العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية قلن لج وذلت أبطل قولهن فذكر أنهن لو رأين منزلنا ومبركنا بهذا البلد ، قلن لج جندب في السير وذلت الناقة . ويجوز أن يكون قوله « مناخنا » لم يُسر به إلى إناخة وإلى موضع لها ، وإنما يكون كقوله :
* فإن المندى رحلة وركوب^(٢) *

فيكون المعنى : لو رأين ما جعل بدلاً لفاقتنا في موضع الإناخة لقان ذلك . ومثله :

* تغليقها الإسراج والإلجام *

أى جعل الإسراج بدلاً مما كان يُعلق عليه . ويقرب منه قوله :
لما تذكرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس^(٣)
وإنما شاهد وقتهما فذكرهما به ، ولم يكن ثم دجاج ولا نواقيس .

(١) ذكر ياقوت أن « خبت » علم لصحراء بين مكة والمدينة وماء لكاتب ، وقرية من قرى زبيد باليمن .

(٢) لعلقة النحل في المفضليات (٢ : ١٩٤) واللسان (ندى) . وصدره :

* ترادى على دمن الحياض فإن تعف *

وركوب : مصدر ركب ، ويروى : « وركوب » بفتح الراء ، وهو اسم هضبة . وفي اللسان : « رحلة وركوب : هضبتان » .

(٣) جريز في ديوانه ٣٢١ والحيوان (٢ : ٣٤٢) .

٩٨

وقال الراعي^(١) :

١ - كَفَانِي عِرْفَانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ كُلُّهُ النَّجُومُ وَالنَّعَاسُ مُعَانِقُهُ^(٢)

عِرْفَانُ : اسم صاحبه . فيقول : نام هذا الرجلُ وكفاني الاشتغال بالنوم ، وكَلَأْتُ النجومَ وارتقيتها ، وكفيتها السهر ، وقد لَازَمَ النَّعَاسَ وعانقه . فإن قيل : كيف كفاهُ الكرى ؟ قلت : هذا على مطابقة الكلام ، فلما قال كفَيْتُهُ مُرَاعَاةَ النجوم ونُبْتُ عنه فيها ، قال : كفاني الكرى ، وإن كانت نيابةً ذلك عنه في الكرى لا يَصِحُّ . ويُرْوَى : « كفاني عِرْفَانُ الْكَرَى وَكَفَيْتُهُ » ، أى معرفة الكرى ، وليس بِمُرْتَضَى .

٢ - فَبَاتَ يُرِيهِ عِرْسَهُ وَبَنَاتِهِ وَبِتْ أُرِيهِ النَّجْمَ أَيْنَ خَافِقُهُ

هذا تَطَنُّزٌ من القول^(٣) ، لأن السامرَ لا يَعْلَمُ من حال النائم أنه يَحْلُمُ أو لا يَحْلُمُ . وإنما نَبَّهَ بهذا الكلام على استحكام نومه وتلذذه به ، إذ كانت الأحلام لا تحصل للنائم إلا عند ذلك . ولما قال بات يُرِيهِ النومُ امرأته وأولاده ، قال في مقابلته على الطريقة التي في البيت الأول : وَبِتْ أُرِيهِ النَّجْمَ . وهذا الجنس يكثر في كلام البُلغَاء ، ومثله قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَمِنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ . و ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ . وقول الشاعر^(٤) :

* دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا *

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٨٠ .

(٢) التبريزي : « قال أبو العلاء : ويروى عِرْفَانُ . مسمى بالعرفان ، وهو

دوية ، وقيل ضرب من الجراد » .

(٣) التطنز ، أراد به السخرية والتمك . والمعروف « الطنز » .

(٤) هو شهل بن شيبان . انظر ما مضى في ص ٣٥ .

وقد مرَّ جميعه مُستَقْصًى .

٩٩

وقال آخرُ :

١ - فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إِلَّا أَلَمْتُ بِرَحْلِي أَوْ خَيَّأْتُهَا الْكَذُوبُ^(١)

حَدَفَ مفعول نازل لأن المراد مفهوم ، كأنه قال : لا أنزل منزلاً . ومثله قول الله عز وجل : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ ، أى العذاب . والإلمام : زيارة لا لبث معها . يقول : لا أنزل محلاً إلا رأيت هذه المرأة مُلَمَّةً بِرَحْلِي ، أى متصورةً لى بهذه الصورة ، تشوقاً منى وتحققاً . هذا فى حال اليقظة وعند فراغ البال والاشتغال بحال النفس . أو رأيتُ خيالها الكذب القليلة الوفاء إذا نمتُ . ويقال خيالٌ وخيالةٌ ، كما يقال مكانٌ ومكانةٌ . وجعلها كذوباً لما لم يتحقق فعلها وقولها . والمعنى : إني لا يخلينى منها لا النوم ولا اليقظة ، ولا يلفتنى عنها لا الرخاء ولا الشدة ، وفى هذه الطريقة قول امرئ القيس :

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا

يَبْثُرُ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ

وقال الأصمعى فى قول الآخر :

أَلْبَسَ بَصِيرًا مَنْ رَأَى وَهُوَ قَاعِدٌ

بِمَكَّةَ أَهْلَ الشَّامِ يَخْتَبِرُونَا

هو على التشوُّف والتَّحَقُّقِ .

٢ - فَقَدْ جَعَلَتْ قُلُوصُ ابْنِي مُهَيْلٍ مِنْ الْأَكْوَارِ مَرْتَمَهَا قَرِيبُ^(٢)

(١) ابن جنى : « عطف على المضمر المرفوع المتصل بغير توكيد ، ولو أكد فقال أَلَمْتُ هِى لكان حسناً ، غير أن الكلام طال بقوله : برحلى ، فتاب طوله عن توكيده ، كما أن قول الله تعالى : ما أشركنا ولا آبائنا ، لما طال الكلام فيه بلا » .
(٢) البيت من شواهد الخزائن (٤ : ٩٢) . ويروى : « ابني زياد » .

جَمَلْتُ هاهنا بمعنى طَفِقْتُ وأَقْبَلْتُ ، ولذلك لا يتعدَّى . والقُلُوصُ :
الْفَتِيَّةُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَمَرَّتُهَا قَرِيبٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ^(١) . يَقُولُ : أَقْبَلْتُ قُلُوصُ
هَؤُلَاءِ الرِّجْلَيْنِ قَرِيبَةً الْمَرْتَعِ مِنْ رِحَالِهِمْ ، قَصِيرَةَ الْمَسْرَحِ فِي رَوَاحِهِمْ ، لِأَنَّهُ لِمَا
لَحَقَهَا مِنَ السَّكَلَالِ وَالْإِعْيَاءِ ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَى التَّبَاعُدِ فِي الْمَرْعَى وَالْإِرْتِيَادِ .

٣ - كَأَنَّ لَهَا بِرَحْلِ الْقَوْمِ بَوًّا وَمَا إِنْ طِبْهَا إِلَّا اللُّغُوبُ
يقول : كَأَنَّ لِهَذِهِ النَّاقَةِ وَلَدًا بِرَحْلِ الْقَوْمِ ، تَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ ، وَلَا تَتْبَاعِدُ
عَنْهُ ، وَمَا دَاوَاهَا إِلَّا الْإِعْيَاءُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

مِنَ السَّكَلَالِ لَا يَذْقَنُ عُودًا لَا عُقْلًا تَبْنِي وَلَا قِيُودًا
وَالطَّبُّ أَصْلُهُ الْعِلْمُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الدَّاءُ الَّذِي يُعْلَمُ وَيُعْرَفُ . وَالبَّوُّ ،
أَصْلُهُ : جِلْدٌ فَصِيلٌ يُخَشَى تَبْنِنًا لِتَدْرُّ الْأُمُّ عَلَيْهِ .

١٠٠

وقال آخر^(٢) :

٦ - إِنْ كُنْتُ لَا أَزْمِي وَتُرْمِي كِنَانَتِي

تُصِيبُ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشَحِي وَمَنْكِي^(٣)

(١) التبريزي : « وقال أبو العلاء : ويروى : فقد جعلت قُلُوصَ ابْنِي سَجِيلَ . وكثير
مِنَ النَّاسِ يَرْفَعُ الْقُلُوصَ ، وَهُوَ وَجْهٌ رَدِيءٌ ، لِأَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ جَعَلْتُ وَهُوَ يَرِيدُ الْمُقَارَبَةَ لَمْ يَكُنْ
مِنْ إِيْتَانِهِ بِالْفِعْلِ ... وَلَيْسَتْ جَعَلْتُ فِي هَذَا الْوَجْهِ فِي مَعْنَى الْمُقَارَبَةِ ، وَإِنَّمَا هِيَ بِمَعْنَى صِيرَتْ فَلَا تَفْتَقِرُ
إِلَى فِعْلِ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ مَرَّتُهَا قَرِيبٌ ، جَلَّةً فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي » .

(٢) التبريزي : « وقال آخر وضرب بنو عم له اسمه حوشب - والحوشب :
الغظيم البطن - ويقال إن هذا الجندل بن عمرو » .

(٣) م : « جانحات » فقط . وكتبت في نسخة الأصل كما أثبتنا لتقرأ « جانحات »
و« جانحات » بوضع همزة تحت النون ، وكتب فوقها كلمة « معا » .

هذا مَثَلٌ. والمعنى: إذا لم أقصد في خاصٍّ أُمرى، ثم قُصِدْتُ فِيمَنْ يَشْمَلُهُ عِنَابِي، عاد ذلك القصدُ بالشرِّ والمساءةِ عليَّ، وصرتُ كأني أنا المقصودُ. و«الجانحاتُ»: المائلاتُ، وروى بعضهم «جانحاتُ النَّبْلِ» وهي المستأصِلاتُ المَهْلِكَاتُ. ويقالُ جاحَهُ واجتاحَهُ بمعنى. وليست هذه الرواية بجيدة، لأنَّ الغرضَ ما ذكرته من أنَّ من يَمَسُّهُ أمرُهُ إذا قُصِدَ كان كَنَفْسِهِ. فإن قيل: فلمَ خَصَّ الجانحاتُ؟ قلت: المرادُ فيما ضربَ المثلُ له: إني رُميتُ^(١) إذا رُميتَ الجَعْبَةُ المعلقةُ^(٢) عليَّ، لأنَّ بعضَ السَّهامِ يصيبه وبعضها يصيبني. وإذا كان كذلك فلا بد من ذكر الجانحات. و«النَّبْلُ»: اسمٌ صيغَ للجمع. والكِنَافَةُ: ما يُفْطَى به الشيءُ في الأصل، واختصَّ بها الجَعْفَةُ وهو من الكَنِّ، كالسَّتارةِ من السَّتر. وفي القرآن: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾. وقد فُصِّلَ بين كَنَنْتُ وَاكْتَنَنْتُ، فجعلوا كَتَنَنْتُ لما يُضْمَرُ في القلبِ من الحديثِ والسرِّ، وكَنَنْتُ لما يُسْتَرُّ بشيءٍ. وذكر الدُّرَيْدِيُّ أنَّ الكِنَافَةَ لا يكون إلا للنَّبْلِ، ويكون من أديمٍ، فإذا كانت من خَشَبٍ فهو جَفِيرٌ، وإن كانت من قطعتين مقرونتين فهي قَرْنٌ، والجَعْبَةُ تكون للنَّبْلِ والنشَاب جميعاً.

٢ - أَفَيْقُوا بَنِي حَزْنٍ وَأَهْوَاؤُنَا مَعًا وَأَرْحَامُنَا مَوْصُولَةٌ لَمْ تُقْضَبِ^(٣) يقول: احموا بني حَزْنٍ من سَكْرَةِ جَهْلِكُمْ، وانقهِوا من رَقْدَةٍ

(١) م: «إني مرى». (٢) في الأصل: «المعلقة»، صوابه في م.

(٣) روى قبله التبريزي:

فقلْ لِبَنِي عَمِي فَقَدْ وَأَبِيهِمْ مُسُّوا بِهَرِيرِ الشَّدَقِ أَشْوَسَ أَغْلَبِ

وفي تفسيره: «الهرت: سعة الشدق. ويقالُ منى له كذا، أي قدر له كذا. وقوله:

منا، أي بلوا بمن هذه صفته، وهي من صفات الأسد». وروى بعده:

وَلَا تَبْعَثُوهَا بَعْدَ شَدِّ عِقَالِهَا ذَمِيمَةً ذَكَرَ الْغَيْبِ فِي الْمُتَعَقِبِ

وفي تفسيره: «هذا مثل، أي لا تبعثوا الحرب بعد السلام».

غفلتكم ، الأهواء بعدد متفقة ، وأسباب الرحيم موصولة ، لم يتسلط عليها العقوق ، ولم يقطعها الجفاء والنُبؤ . والمعنى : كُفُّوا عما أنتم عليه من سيئات التقاطع والتدابُر ، قبل تفاقم الخطب ، واستفحال الشأن . والقَضْبُ : القَطْعُ ، ومنه قيل للسيف المَقْضَبُ والقَضِيب . وقوله « معاً » في موضع الخبر ، أى مجتمعة .

٣ - فَإِنْ تَبَعْتُمْوهَا تَبَعْتُمْوهَا ذَمِيمَةً قَبِيحَةً ذِكْرُ الْغِبِّ لِلْمُتَغَيِّبِ يقول : إِنْ هَيَّجَتْكُمْ الْحَرْبُ هَيَّجَتْكُمْوهَا مذمومة قبيحة ذِكْرُ الْعَاقِبَةِ لِمَنْ يَتَّبِعُ الْعَوَاقِبَ فَيَتَذَبَّرُهَا ، وَيَتَعَدُّ الْمَصَايِرَ فَيَتَأَمَّلُهَا . وَيُقَالُ تَغَيَّبْتُ الْأَمْرَ كَمَا يُقَالُ تَعَقَّبْتُهُ ، أَيْ تَفَقَّدْتُ عَاقِبَتَهُ وَغَيَّبُهُ . وَالْغِبُّ أَصْلُهُ فِي وَرُودِ الْمَاءِ وَالزِّيَارَةِ ، وَهُوَ يُنَوِّبُ فِي أَسْمَاءِ الْأَطْغَاءِ وَغَيْرِهَا عَنِ الثَّلَاثِ . فَأَمَّا قَوْلُهُ : زُرْ غَيَّبًا تَزِدُّ حُبًّا « فَأَلْهَلَةٌ فِيهِ أَوْسَعُ » .

٤ - سَاخِذْ مِنْكُمْ آلَ حَزْنٍ لِحَوْشِبٍ وَإِنْ كَانَ مَوْلَى لِي وَكُنْتُمْ بَنَى أَبِي إِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ بَنَى عَمِّهُ ضَرَبُوا مَوْلَى لَهُ ، فَيَقُولُ : سَأَنْتَقِمُ مِنْكُمْ يَا آلَ حَزْنٍ وَإِنْ كُنْتُمْ بَنَى أَعْمَامٍ ، وَكَانَ حَوْشِبٌ مَوْلَى مُحَالِفَةٍ وَجَوَارٍ . وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخِرِ :

فَإِنْ غَضِبْتَ فِيهَا حَيَّيْبُ بْنُ حَبْتَرٍ فَخُذْ خُطَّةً تَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ وَكُنْتُمْ » ، وَالْبَصْرِيُّونَ لَا يَجُوزُونَ مَدَّ الْمَقْصُورِ ، لِأَنَّهُ إِدْخَالُ زِيَادَةٍ عَلَى كَلَامِهِمْ ، وَيَجُوزُونَ قَصْرَ الْمَمْدُودِ ، لِأَنَّهُ حَذْفٌ لِلتَّخْفِيفِ ، وَرَدَّ إِلَى الْأَصْلِ ^(١) . وَحَوْشِبٌ عَدَدُ النَحْوِيِّينَ أَنَّهُ

(١) التبريزي : ويروى : « وَإِنْ كَانَ مَوْلَايَ وَكُنْتُمْ بَنَى أَبِي » . عَلَى الزَّحَافِ الَّذِي هُوَ الْكَفُّ ، وَلَيْسَ فِي الْجَمَاسَةِ بَيْتٌ مَكْفُوفٌ غَيْرُهُ . وَيُروى : مَوْلَى لِي ، فَعَلِيَ هَذَا يَسْلَمُ مِنَ الزَّحَافِ . وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ بِطَرِيقَةِ الشُّعْرَاءِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُمَا مَعْرِفَتَانِ مُضَافَتَانِ : مَوْلَايَ وَبَنَى أَبِي » . فَلْنَأْخُذْ بِالرَّوَايَةِ بَانَكَفِ هِيَ رَوَايَةُ ابْنِ جَنَى فِي التَّبْيِيهِ .

[نما^(١)] لم يحمي إلا بزيادة الواو ، وأنه مثل كوكب . وحكى الخازنجمي أن حشبا اسم رجل ، وأنه يقال أحشبنى كذا ، أى أحشمنى^(٢) .

١٠١

وقال جميل^(٣) :

١ - أَبُوكَ أَبُوكَ أَرَبْدُ غَيْرَ شَكٍّ أَحَلَّكَ فِي الْمَخَازِي حَيْثُ حَلَّا

ارتفع أبوك بالابتداء ، وكرره تأكيداً ، وأربد بدل منه ، وخبر المبتدأ أحلك . وانتصب « غير » على المصدر ، وهو مما يؤكّد به ما قبله . ومثله حقاً وما أشبهه . والمعنى أن لؤم أبيه موروث ، وأنه اقتداء بسلفه قد أنزل ابنه منزله في المخازي والقبائح ، حقاً لا سريّة فيه .

٢ - فَمَا أَنْفِيكَ كَيْ تَزْدَادَ لَوْمًا لِلْأَلَمِ مِنْ أَيْهٍ — كَ وَلَا أَذْلًا

يقول : لا أبرئك من أيبك طلباً لأن أنسبك إلى من هو ألأم منه وأذلّ لنزداد ذلاً ولؤماً ؟ لأن أباك النهاية في هذين . وانتصب « لؤماً » على التمييز ، واللام من « لألأم » تعلق بفعل مضمر ، كأنه قال : ما أنفيك من أيبك وأدعوك لألأم منه ، لأنه إذا كفاه من أيبه فقد جملة لغيره . ويجوز أن يحمل الكلام فيه على المعنى ، فيتصوّر أنفيك بأدعوك ، ويُعدّى تعديته . ومثله

(١) هذه من م فقط .

(٢) م : « أحشبنى كذا في معنى أحشمنى ، أى أغضبني » .

(٣) عند التبريزي وابن جني : « وقال آخر » وعكس الأمر في المقطوعة التالية ، إذ نسبها التبريزي إلى جميل ، على حين نجد عبارة الإفشاد فيها في النسخين : « وقال آخر » . وهو جميل بن عبد الله بن معمر ، أحد عشاق العرب المشهورين ، وصاحبه بشيئة ، وهما جميعاً من عذرة . وجميل شاعر إسلامي معاصر لجرير والفرزدق وكثير عزة . الشعر والشعراء ٤٠٠ - ٤١٢ والأغاني (٧ : ٧٢ - ١٠٤) والمؤتلف ٧٢ ، ١٦٨ وابن سلام ٢٠٨ والخزانة (١ : ١٤٣ - ١٤٦) وابن خلكان في رسمه .

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ . وعلى هذا يُحْمَلُ قول الفرزدق :
* قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي ^(١) *

لَمَّا كَانَ مَقْتَاهُ صَرَفَهُ اللَّهُ عَنِّي . وَمِنْ أَيْيَاتِ الْكِتَابِ ^(٢) :
إِذَا تَغَنَّى الْحَمَامُ الْوُزُقُ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَغَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارٍ ^(٣)
لَأَنَّهُ تُصَوِّرُ هَيَّجَنِي أَنَّهُ ذَكَرَنِي ، فَعُدِّي تَعْدِيَتَهُ .

١٠٢

وقال آخر ^(٤) :

١- أَبُوكَ حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدِّي يَاحَجَّاجُ فَارِسُ شَمَرَا
يقول : أبوك الذي سَرَقَ بُرْدَ ضَيْفِهِ وَغَدَرَ بِهِ وَخَانَهُ ، وَجَدِّي فَارِسُ هَذَا
الْفَرَسِ الْمَعْرُوفِ . وَسَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ ، أَصْلُهُ سَارِقُ بُرْدِ الضَّيْفِ ، لَكِنَّهُ
أَضَافَهُ إِلَى الضَّيْفِ بِنَاءٍ عَلَى قَوْلِهِمْ سَرَقْتُ الضَّيْفَ بُرْدُهُ ، وَالْمُرَادُ سَرَقْتُ مِنَ
الضَّيْفِ ، لَكِنَّهُ لَمَّا حَذَفَ الْجَارَ تَخْفِيفًا وَصَلَ الْفِعْلُ فَعْمَلٍ فِيهِ ، ثُمَّ أَضَافَ اسْمَ
الْفَاعِلِ إِلَيْهِ . وَعَلَى هَذَا يُقَالُ اخْتَرْتُ الرَّجَالَ زَيْدًا : وَشَمَرُ فِعْلٌ فِي الْأَصْلِ
سُمِّيَ بِهِ الْفَرَسُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَسْمَاءِ شَيْءٌ عَلَى فَعْلٍ . وَمِثْلُهُ خَضَمٌ ، وَهُوَ
لَقَبٌ لِلْعَنْبَرِ بْنِ مَازِنٍ ^(٥) . وَحُبَابٌ بِجُوزٍ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا وَسَارِقُ الضَّيْفِ خَبَرًا ،

(١) ديوان الفرزدق ١٨١ . قاله حين خرج من المدينة بعد موت زياد . وقبله :

* كَيْفَ تَرَانِي قَالِبَا بَحْنِي *

(٢) كتاب سيبويه (١ : ١٤٤) .

(٣) للنايفة الذبياني من معلقة في رواية جمهرة أشعار العرب ٥٣ . والرواية فيها : « واو

تغربت » ، وكذا في كتاب سيبويه .

(٤) كذا في النسختين . وعند التبريزي وابن جني : « قال جميل » .

(٥) التبريزي : « وشمر اسم فرس ينشد بفتح الشين وكسرهما ، فإذا فتحت الشين فهو

مسمى بالفعل الماضي ، كما سمي الرجل خضم لكثرة أكله ... وإذا كسرت الشين فهو اسم
فعل ، مثل الإمر والمهلع ، ويجب أن يكون على هذا الوجه اسم فرس أنثى ، وهو علم المؤنث
كأمراء نسبيها بقتب ودنب . هذا ما ذكره أبو العلاء في هذه الكلمة » .

ويموز أن يكون حُبَابٌ خَبَرًا وسَارِقُ الضيف صَفَةً ، وهذا أجود حتى يكون في مقابلة فارس شَمَر . كأن المراد : أبوك المعروف بهذا الاسم ، وجدّي المعروف بهذا . ورواه بعضهم « فارس شَمَر » بكسر الشين ، وقال : هو علمٌ مؤنث مثل امرأة تُسمَّى قَتَب ودَنَب .

٢- بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لَأَبَاءِ صِدْقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سِيرًا
كما فضل جدّه على أبيه في البيت الأوّل فضل نفسه عليه في البيت الثاني . والمعنى أن المرء يتقيل أباه ، فإذا كان جدّي صالحاً فأنا صالح ، وإذا كان أبوك صالحاً فأنت صالح . وقوله « وَمَنْ يَكُنْ لَأَبَاءِ صِدْقٍ » يريد من كان وَلَدَ آبَاءِ كِرَامٍ عُرِفَ بِهِمْ حَيْثُ ذَهَبَ ، ولقيهم أنى سارَ وظَمَنَ . واللام دَخَلَ في قوله لَأَبَاءِ صِدْقٍ لهذا المعنى . ومثاله :

لَنْ كَانَ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِلْقٍ وَقَبْرٍ بِصَيْدَاءِ التِّي عِنْدَ حَارِبٍ^(١)
أى إن كان وَلَدَاهُ . وَصِدْقٍ يُصَافُ إِلَيْهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ ، وَالْمُؤَنَّثُ وَالْمَذَكَّرُ ، وَيُرَادُ بِهِ اللَّذَحُ . فَإِذَا قُلْتُ تَوْبُ صِدْقٍ وَرَجُلٍ صِدْقٍ ، فَالْمَعْنَى نِعَمَ الشَّيْءِ ذَلِكَ ، أَى هُوَ صَادِقٌ فِيمَا يُحْمَدُ فِيهِ لَا كَاذِبٌ . وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَهُ نَعْمًا فَتَحَتِ الصَّادَ مِنْهُ فَقُلْتَ : هُوَ الرَّجُلُ الصَّدْقُ ، وَيُنْتَنَى وَيُجْمَعُ وَيُؤَنَّثُ . قَالَ :
* مَقْدُودَةُ الْأَذَانِ صَدَقَاتُ الْخَلْقِ^(٢) *

٣- فَإِنْ تَمَضُّبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَّهُ إِذْ لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرًا
يقول : إِنْ تَسَخَّطْتُمْ مَا قَسَمَهُ اللَّهُ ، تَعَالَى جَدُّهُ ، لَكُمْ ، وَجَمَلَهُ نَصِيبَكُمْ ،

(١) للنايفة الذبياني في ديوانه ص ٣ .

(٢) لرؤبة في ديوانه ١٠٤ واللسان (صدق) .

فَلْتَهُ كَانَ أَعْلَمَ بِكُمْ وَبَقَدَّرَ اسْتِحْقَاقَكُمْ ، لَمَّا لَمْ يَرْكَمْ أَهْلًا لَا كَثْرَ مِنْهُ . وَالْمَعْنَى :
إِنَّ مَا حَصَلَتْكُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَخْسِ فِي الْقِسْمَةِ ، وَالنَّقْصِ مِنَ الْمَقْدَرَةِ . وَالتَّأَخَّرُ فِي
الْمَنْزِلَةِ ، حِكْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَصَفَةٌ ، وَلَوْ زَادَ مُسْتَحَقُّكُمْ عَلَيْهِ لِأَعْطَاكُمْ ،
فَإِنَّهُ الْعَالِمُ الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَفْضِيَّتِهِ . وَالبصير في صفة الله ، تَحْقِيقُهُ الْعَالِمُ .

١٠٣

وقال أبو النشاش^(١) :

١- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرِخْ سَوَامًا وَلَمْ يُرِخْ سَوَامًا وَلَمْ تَمْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ^(٢)

يُقَالُ سَرَخْتُ لِلْمَاشِيَةِ ، إِذَا أَخْرَجْتَهَا بِالْفَدَاةِ إِلَى الْمَرْعَى ؛ وَأَرَخْتُهَا ، إِذَا
رَدَدْتُهَا بِالْعِشِيِّ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : لِمَ قَالَ « وَلَمْ يُرِخْ سَوَامًا » وَالنَّكِرَةُ إِذَا
أُعِيدَ ذِكْرُهَا يَجِبُ تَعْرِيفُهَا ، بِدَلَالَةِ أَنَّكَ تَقُولُ رَأَيْتُ رَجُلًا بِمَكَانٍ كَذَا ، فَقَالَ لِي
الرَّجُلُ كَذَا ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَكَّرَ هُمَا لِأَنَّهُ تَصَوَّرَ الْمُرَاحَ بِمَا دَخَلَهُ مِنَ
التَّنَاقُصِ وَالتَّزَايُدِ ، [بِالْأَخْذِ^(٣)] مِنْهُ وَالرَّدُّ إِلَيْهِ غَيْرَ الْمَسْرُوحِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
فَالثَّانِي غَيْرَ الْأَوَّلِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّوَامُ الثَّانِي غَيْرَ الْأَوَّلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْكُثْرَيْنِ
مِنْهُمْ كَانُوا يَأْمُرُونَ رِعَاءَهُمْ بِأَنْ يَقْتَضِبُوا قِطْعَةً مِنَ الْمَالِ كَيْفَ اتَّفَقَتْ^(٤) ، لِيَحْبِسُوهَا
عَلَى الْحَقُوقِ الْعَارِضَةِ ، سِوَى الْمُؤْنِ اللَّازِمَةِ ، فَكَانَتِ الْغَادِيَةُ لِمَا يَقِيمُونَهَا مِنَ النَّوْبِ

(١) كَانَ أَبُو النشاش من لصوص بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شذاذ عن العرب
بين طريق الحجاز والشام ، فطفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده ، ثم هرب فأتى في طريقه
غراباً على شجرة بان ، ينتف ريشه ، فلهجاً إلى رجل من بني لب فقال له : إن صدقت الطير يعاد
إلى حبسه وقيده ويقتل ويصلب . فقال أبو النشاش هذه الأبيات . الأغاني (١١ : ٤٢-٤٣) .

(٢) الأغاني : « ولم يسط له الوجه صاحبه » .

(٣) التكلة من م والتبر يزي .

(٤) في الأصل : « اتفقتها » ، صوابه في م .

في ذلك غير الرائحة ، والرائحة غير العادية . وإذا كان كذلك فالسؤال ساقط .
وَالْمَعْنَى : إذا الرَّجُلُ لم يَكُنْ ذا مَالٍ يُسْرَحُ بَعْضُهُ وَيُرَاحُ عَلَيْهِ بَعْضُهُ ، على
حَسَبِ مَا يَتَّفَقُ ، ولم يَكُنْ لَهُ أَقَارِبُ يَتَعَطَّفُونَ عليه وَيَرَوْنَ من الفُرُوضِ ^(١)
الواجبة الإحسانَ إليه ، فَاَلَمُوتُ خَيْرٌ لَهُ . وَجَوَابُ إِذَا في البيت الثاني . ويجوز
أن يكون المراد بقوله ولم تَعَطَّفْ عليه أَقَارِبُهُ تَعَطَّفَ النَّصْرَةَ والإِعْزَازَ ، فيكون
المعنى إذا لم يكن غَنِيًّا ولم يكن مُؤَبَّدًا بذَوِيهِ فيعْتَرِضُ بهم ، فَاَلَمُوتُ أَصْلَحُ لَهُ من
الحياة . وهذا المعنى أَحْسَنُ .

٢ - فَلَمُوتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى من قُعودِهِ عَدِيمًا وَمِنْ مَوْتَى تَدِبُّ عَقَارِبُهُ ^(٢)
فَلَمُوتُ جواب إذا ، لتَضَمُّنِهِ معنى الجزاء . يقول : إذا الرجل لم يَكُنْ
على ما وصفتُ فَوُرُودُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ خَيْرٌ لَهُ من قُعودِهِ راضيًا بِفَقْرِهِ ، وبإفضال
مَوْتَى بِذَوِيهِ بِالْمَنِّ ، ولا يُخَلِّصُ النعمةَ عِنْدَهُ من الشَّوَابِ . وديبُّ العقاربِ
كِتَابَةٌ عن فِعْلِ الْأَذَى والتَّحْمُدِ بالكلمات المُكَدَّرَةِ . وانتَصَبَ « عَدِيمًا »
على الحال . ويجوز أن يكون المعنى في قوله « وَمِنْ مَوْتَى تَدِبُّ عَقَارِبُهُ » أن
يَخْصُلُ الفسادُ بين المشيرة ، والتدابر والاختلاف ، فكلُّ يَقْصِدُ صاحبه بالمساءة ،
ويَبْنِي له الغوائل . وهذا الْمَعْنَى يَتَّفَقُ مع المعنى الثاني في البيت الذي قبله .

٣ - وَنَائِيَةِ الْأَرْجَاءِ طَامِسَةِ الضَّوَى خَدَتْ بِأَبِي النُّشَاشِ فِيهَا رَكَائِبُهُ ^(٣)
انجَرَّت « نائية » بإضمار رُبِّ ، والواو داخلة للعطف ، ولم يَصِرْ بدلًا من رُبِّ

(١) م : « الفرائض » .

(٢) الأغاني : « تعاف . شاربه » .

(٣) الأغاني : « ودوية فقر يجار بها القطلا » . وبعد البيت عند التبريزي :

لِيَكْسِبَ نَجْدًا أَوْ لِيَذْرَكَ مَفْنًا جزيلًا وهذا الدهرُ جَمٌّ مَجَانِبُهُ
وعند أبي الفرج :

ليدرك ثأرًا أَوْ لِيَكْسِبَ مَفْنًا ألا أن هذا الدهرَ تَرَى مَجَانِبُهُ

بَدَلَالَةٍ وَقُوعِ الْفَاءِ الْعَاطِفَةِ مَوْقِعِهِ وَبَلٍ فِي نَحْوِ :

* فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ ^(١) *

* بَلْ بَلْدَةٍ ذِي عَقْدٍ وَإِحْتِبَابٍ ^(٢) * و :

يقول : وَرُبَّ مَفَازَةٍ بَعِيدَةٍ الْأَطْرَافِ ، دَرَسَةِ الْأَعْلَامِ ، سَارَتْ بِأَبِي
النَّشَاشِ فِيهَا رَوَاحِلُهُ يَطْلُبُ الْمَالَ ، وَيَكْتَسِبُ الْمَجْدَ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَبَجُّحٌ
مِنْهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذِ الْفَقْرَ ضَجِيمًا ، وَلَا الدَّعَاةَ حَلِيفًا ، بَلْ رَمَى بِنَفْسِهِ نَحْوَ الْمَرَامِيِّ
الْمُتَلَفَةِ ، وَطَوَّحَهَا فِي الْمَوَاقِفِ الْمُتَغَطِّبَةِ . وَالْأَرْجَاءُ وَاحِدُهَا رَجَاءٌ . وَالطَّامِسُ :
الْدَّارِسُ . وَيَقَالُ طَمَسَ وَطَسَمَ . وَالضَّوْى : الْأَعْلَامُ ، وَالوَاحِدَةُ ضَوْءٌ ،
وَمِثْلُهُ قُوَّةٌ وَقُوَى . وَمَعْنَى خَدَتْ : أَسْرَعَتْ ، وَمَصْدَرُهُ الْخَلْدِيَانِ . وَالرَّكَائِبُ :
جَمْعُ الرِّكُوبَةِ ، وَهِيَ لِلرَّكُوبَةِ ، وَلَا يَنْبَغُ الْمَوْصُوفُ ، بَلْ يُسْتَعْمَلُ عَلَى
أَفْرَادِهَا ، وَمِثْلُهَا الْخُلُوبَةُ .

٤ - وَسَائِلُهُ بِالْغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلِي وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ ^(٣)
يقول : رُبَّ رَجُلٍ وَاسِمَاءٍ سَأَلَا عَنِّي بظَهْرِ الْغَيْبِ ، لَمَّا تَدَاخَلَ الْقُلُوبَ
مِنْ هَيْبَتِي ، وَالْإِشْفَاقِ مِنْ وَقَعَتِي . ثُمَّ قَالَ مُسْتَهْمًا عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ : وَمَنْ
يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ ، أَيْ يَجِبُ أَلَّا يُسْأَلَ الصُّعَالِيكَ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ وَطُرُقِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ
لَا تُفْلَمُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَسْتَقَرُّ بِهِمْ مَوْضِعٌ ، وَلَمْ يَكُنْ يَحْوِيهِمْ بَلَدٌ وَمَذْهَبٌ يُلْزَمُونَهُ
أَوْ يَخْتَصُّونَ بِهِ . وَكَانَ وَجْهُ الْكَلَامِ أَنَّ يَقُولَ : وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الصُّعْلُوكِ
لِيَكُونَ وَفْقَ قَوْلِهِ « وَسَائِلُهُ بِالْغَيْبِ عَنِّي » ، لَسَكَه عَدَلَ عَنْهُ إِلَى مَا قَالَهُ
تَأْكِيدًا لِلْمَرَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ سُؤَالُ نَفْسِهِ عَنْ مَذْهَبِهِ مُنْكَرًا لِاسْتِبْهَامِهِ
عَلَيْهِ ، فَسُؤَالُ غَيْرِهِ عَنْهُ أَبْعَدُ مِنَ الصَّوَابِ .

(١) لَا مَرَى الْقَيْسَ فِي مَلَقَتِهِ ، وَهُوَ بِتَامَهُ :

فَمِثْلِكَ حَبْلٍ قَدْ طَرَقَتْ وَمَرْضَعٌ فَالْهَيْبَةُ عَنْ ذِي تَمَانٍ مَحُولٌ

(٢) فِي م : « بَلْ بَلْدَةٍ » فَقَطْ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « بَلْ بَلَدٌ » فَقَطْ .

(٣) الْأَعْنَى : « وَسَائِلُهُ أَيْنَ ارْتَحَالِي » .

٥ - فلم أرَ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَهُ أَلْتَنَى وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبُهُ
 يُرَوَى «مِثْلَ الْهَمِّ» ، هو مَصْدَرُ هَمَمْتُ بِالشَّيْءِ ، أى إذا هَمَّ بِمَجِبٍ عَلَيْهِ
 أَنْ يُفْعِلَهُ وَلَا يُؤْخِرَهُ . ويقول : لم أرَ كَالْفَقْرِ يَتَخَذُهُ الْفَقْرُ ضَاجِعًا ، أى يَرَضِي
 بِهِ وَيَلْزِمُهُ لَهُ وَلَمْ أَرِ كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَكْدَى رَاكِبُهُ وَالطَّالِبُ فِيهِ . وَالْمَعْنَى :
 يَجِبُ أَلَّا يَحْصُلَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، لَا الرِّضَا بِالْفَقْرِ ، وَلَا الْإِخْفَاقُ مَعَ رُكُوبِ اللَّيْلِ .
 وَيُقَالُ ضَجِعَ ضَجْعًا وَضَجُوعًا وَاضْطَجَعَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْعَاجِزِ الضَّجِيعِيَّةِ
 وَالضَّجْعَةُ . وَتُسَمَّى الْكَوَاكِبُ الَّتِي لَا تَسِيرُ : الضَّوَاجِعُ . وَالْإِخْفَاقُ : أَنْ
 يَفْزُو فَلَائِقُهُ ، أَوْ يَرْجُو فَيَخِيبُ . قَالَ عَنَتَرَةُ :

فِيخْفِقُ مَرَّةً وَيُصِيبُ أُخْرَى وَيَفْجَعُ ذَا الضَّمَانِ بِالْأَرِيبِ
 وَقَوْلُهُ «أَخْفَقَ طَالِبُهُ» ، أى الطَّالِبُ فِيهِ . وَهَذَا مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ
 لِكَوْنِهِ فِيهِ .

١٠٤

وَقَالَ آخِرُ (١) :

١ - أَلَا قَالَتِ ائْتَلِخْسَاهُ يَوْمَ سُوَيْقَةٍ

عَهْدَتُكَ دَهْرًا طَاوَى الْكَشْحِ أَهْضَمًا

يقول : قَالَتِ هَذِهِ الْمَرَأَةُ يَوْمَ اجْتِمَاعِنَا فِي سُوَيْقَةٍ : عَهْدَتُكَ زَمَانًا مُمْتَدًّا صَغِيرَ
 الْبَطْنِ ، مَطْوًى الْكَشْحِ وَالْجَنْبِ . وَإِنَّمَا أَنْكَرْتَ سِمْنَهُ وَكَثْرَةَ لَحْمِهِ ، فَأَجَابَهَا
 بِالْبَيْتِ الثَّانِي . وَالتَّهْضُمُ : انْضِمَامُ الضُّلُوعِ ، وَتَقَارُبُ الْجَنْبَيْنِ .

٢ - فَاِمَّا تَرَى بَنِي الْيَوْمِ أَصْبَحَتْ بَادِنًا لَدَيْكَ فَقَدْ أَلْنَى عَلَى الْبُزْلِ مَرَجًا

(١) وَرَدَتْ هَذِهِ الْحَاسِيَةُ عِنْدَ الْبُتْرِيزِيِّ بِمَدِّ الْمَقْطُوعَةِ الثَّالِيَةِ إِذْ تَقَدَّمَتِ الْمَقْطُوعَةُ الثَّالِيَةُ
 عَلَيْهَا عِنْدَهُ .

يقول : إن كنت تريبنى اليوم - وهو إشارة إلى يومه وما يقرب منه - أصبحت مُثْقَل النفس ، مُبَدَّن الخلق لديك ، أى فى مَنْظَرِك ومَعْتَقَدِك ، فإنى إذا رَكِبْتُ البُزْلَ وَجِدْتُ عليها سرجا . والمِرْجَمُ : الذى كأنه آلهة فى رَجْم الأرض بأخفاف الإبل ووطء الأقدام . وينتصب « مِرْجَمًا » على الحال . وقيل المِرْجَمُ فى السَّفَرِ : البعيد فى الغاية . وكما قيل رَجُلٌ مِرْجَمٌ ، قيل يَدٌ مِرْجَمٌ ، وَرَجُلٌ مِرْجَمٌ ، ولسان مِرْجَمٌ ، قال الشاعر :

* شَدِيدُ الرَّجَامِ باللسان وباليد *

و « إِمَّا » ، فى أكثر الأحوال يلزَمُ الفعل الواقع بعده إحدى الفونتين الثقيلة والخفيفة ، لأنه كما أَكَّدَ حرفُ الشرط بـ « ما » أَكَّدَ الفعل المشترط به بالنون أيضاً . وهاهنا جاء خالياً من النون .

١٠٥

وقال آخر (١) :

١ - أَلَا قَالَتِ الْعَصْمَاءُ يَوْمَ أَقْبَيْتَهَا أَرَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَحًا (٢)
هذا فى طريقة ما قبله . فيقول : قالت هذه المرأة لما التقيت معها : أَعْلَمْتُكَ عن قريب ناعم الحال ، تَأَمَّ شَعْرُ الرَّأْسِ ، لم يتسلط عليك صَلَعٌ ، ولا حدث انحسارُ شَعْرٍ ، ولا شُحُوبٌ لَوْنٍ ، فكيف تَغَيَّرْتَ مع قُرْبِ الأَمَدِ . وانتصب « حَدِيثًا » على الظرف . وناعم البال ، مفعول ثانٍ من أَرَاكَ . والأفرعُ : التَّامُّ شعر الرأس ، وَجَمْعُهُ فُرْتَانٌ . والأضلعُ خِلَافُهُ .

(١) انظر ما سبق من الكلام على الترتيب فى الحماسة السابقة ، وقد روى هذه الحماسة صاحب الخزائن (١ : ٤٨٢) ، وذكر أن أحداً لم يعرف نسبها .

(٢) وقع هذا المعجز فى شعر متمم بن نويرة فى قصيدته التى رثى بها مالكا :

تقول ابنة العمرى مالك بعدما أَرَاكَ - دِينًا ناعم البال أفرعا

المفضليات (٢ : ٦٨) .

٢- فَقُلْتُ لَهَا لَا تُنْكِرِيَنِي فَقُلَّ مَا يَسُودُ الْفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَحَا
يقول: أَجَبْتُهُمَا وَقُلْتُ: لَا تَسْفِكِرِي مَا رَأَيْتِ مِنْ شُحُوبِ لَوْنِي، وَانْحِسَارِ
الشَّعْرِ عَنْ رَأْسِي، فَمَا يَنَالُ الْفَتَى السِّيَادَةُ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِشَيْبَتِهِ شَيْبًا، وَوُفُورِ
شَعْرِهِ ^(١) صَلَحَا، وَإِلَّا بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الرَّأْيِ، وَاسْتِنْفَادِ الْعُمُرِ فِي اكْتِسَابِ الْمَجْدِ.
وَقَوْلُهُ «قُلَّ مَا» يَفِيدُ النَّفْيَ هُنَا، وَمَا تَكُونُ كَافَةً أَقْلًا عَنْ طَلَبِ الْفَاعِلِ، وَنَاقِلَةً
لَهُ عَنِ الْأِسْمِ إِلَى الْفِعْلِ، فَإِذَا قُلْتُ: قُلَّ مَا يَقُومُ زَيْدٌ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ مَا يَقُومُ
زَيْدٌ. يَكُنْ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: قُلَّ رَجُلٌ يَقُولُ ذَاكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَأُجْرِيَ
مَجْرَى مَا يَقُولُ ذَاكَ إِلَّا زَيْدٌ، وَقَالُوا أَيْضًا: أَقْلُ رَجُلٍ يَقُولُ ذَاكَ إِلَّا زَيْدٌ. وَأَنَّهُمْ
أَجْرُوا خِلَافَهُ مَجْرَاهُ، فَيَقُولُ: كَثُرَ مَا يَقُولُ زَيْدٌ. وَعَلَى ذَلِكَ بَيْتُ الْكِتَابِ:
..... وَقُلَّ مَا وَصَالَ عَلَى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ ^(٢)

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَا» مِنْ قُلَّ مَا يَسُودُ الْفَتَى، مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدَرِ،
كَأَنَّهُ قَالَ: قُلَّ سِيَادَةُ الْفَتَى، أَيْ يَنْزُرُ اسْتِحْكَامُهَا إِلَّا مَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ. وَمِثْلُهُ
قَوْلُ لَبِيدٍ:

قُلَّ مَا عَرَّسَ حَتَّى هِجَّتُهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ
لأنه ليس يريد نَفْيَ التَّعْرِيسِ رَأْسًا؛ إِذْ كَانَ يَمْتَنَادُهُ قَطَاعُ الْفَلَاحِ،
وَرُكَّابُ الظَّلَامِ، بَلْ يَرِيدُ عَرَّسَ تَعْرِيسًا قَلِيلًا فَهَجَّتُهُ. وَيَقَالُ: صَلَحَ صَلَحًا
وَصُلَحَةً، وَهُوَ أَصْلَعُ وَصَلِيعٌ.

٣- وَلِلْمَقَارِحِ الْيَعْبُوبُ خَيْرُ عِلَالَةٍ مِنْ الْجَذَعِ الْمُرْخِي وَأَبْعَدُ مَنَزَعَا
هَذَا مَثَلُ ضَرْبَةٍ فِي تَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ وَقَدْ أَدَبَهُ الْكَبِيرُ، وَنَازَعَ

(١) فِي الْأَصْلِ: «وَوُفُورِ شَيْبِهِ»، صَوَابُهُ فِي م.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَصَالَ يَدُومُ عَلَى الصَّدُودِ»، صَوَابُهُ فِي م وَسِيْبُويَه.

(١: ١٢، ٤٥٩). وَنُسِبَ سِيْبُويَه إِلَى عُمَرَ بْنِ أَبِي رَيْمَةَ، وَالتَّائْتَمَرُ إِلَى الْمُرَارِ الْفَقْمِيِّ..
وَصَدْرُهُ: * صَدَدَتْ نَاطِقَاتُ الْأَبْدَادِ وَقَلَمًا *

الدَّهْرَ وَأَبْنَاءَهُ أَطْرَافَ الْخُطُوبِ، وَمَرَاثِرَ السِّيَادَةِ وَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَحْدَاثِ الَّذِينَ لَمْ يَجْرِبُوا الْأُمُورَ، وَالْأَعْمَارَ الدِّينَ لَمْ يُجَاذِبُوا الشَّدَائِدَ، فَيَقُولُ: لِلْفَرَسِ الْمُتَمَنَّى فِي الْقُوَّةِ وَالسِّنِّ، الَّذِي يَجْرِي جَرِيَّةَ الْمَاءِ سُهولةً وَنَفَازًا، خَيْرٌ لِبَقَاءِ وَأَبْعَدُهُ غَايَةِ مِنْ ابْنِ سَنْتَيْنِ وَهُوَ مُهْمَلٌ لَمْ يُسْتَفَنْ بِهِ فِي رُكُوبٍ وَنَزُولٍ، وَلَمْ يُرَضْ^(١) بِالسَّرَاجِ وَالْجَامِ. وَالْيَعْمُوبُ: الْفَرَسُ الْكَثِيرُ الْجَرَى^(٢)، وَالْجَذُولُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ.. وَالْعَلَلَةُ: الْبَقِيَّةُ مِنَ الْجَرَى وَغَيْرِهِ، وَهَاهُنَا يَرِيدُ الْجَرَى. قَالَ الشَّاعِرُ^(٣):

إِلَّا عُلاَّةٌ أَوْ بُدَا هَهْ سَابِحٍ نَهْدِ الْجَزَارَةِ

فَالْبِدَاهَةُ: أَوَّلُ الْجَرَى، وَالْعَلَلَةُ: آخِرُهُ. وَقَوْلُهُ «مَنْ الْجَذَعُ الْمُرْخَى» يُرْوَى الْمُرْخَى بِكَسْرِ الْخَاءِ، وَالْإِرْخَاءُ: لِينٌ فِي الْقَدْوِ. قَالَ:

* وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِبٌ تَنْفُلٍ^(٤) *

وَإِذَا رُويَ بَفَتْحِ الْخَاءِ فَهُوَ الْمُرْسَلُ الْمُهْمَلُ النَّزْوِعُ إِلَى الْغَايَةِ. وَانْتِصَابُ «عُلَاةٌ» وَ«مَنْزَعًا» عَلَى التَّمْيِيزِ.

١٠٦

وقال شبيب بن عوانة^(٥):

١ - قَضَى بَيْنَنَا مَرْوَانُ أَمْسٍ قَضِيَّةً فَمَا زَادَنَا مَرْوَانُ إِلَّا تَنَاثِيًا

(١) م: «وَلَمْ يُؤْدَبْ».

(٢) كَذَا فِي م. وَفِي الْأَصْلِ: «الْكَرِيمُ الْجَرَى».

(٣) هُوَ الْأَعَشَى. دِيْرَانُهُ ١١٤.

(٤) لَا مَرَى الْقَيْسِ. وَصَدْرُهُ:

* لَهُ أَيْطَلَا طَبِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ *

(٥) التَّبَرِيزِيُّ: «قَالَ أَبُو هِلَالٍ: وَرَوَاهُ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْبَصْرَةِ الْكَرُوسُ الطَّائِيُّ، وَهُوَ الْكَرُوسُ بْنُ زَيْدِ بْنِ الْأَخْزَمِ بْنِ مَسَادِ بْنِ مَعْقِلِ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَثَرِ بْنِ ثَمَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَدْعَانَ بْنِ ذَهْلِ بْنِ رُومَانَ بْنِ جَنْدَبِ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ فَطْرَةَ - وَفَطْرَةُ هُوَ جَدِيلَةُ - . وَخَاصِمُ ابْنِ عَمٍّ لَهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَجَبَسَهُ مَرْوَانُ».

يقول : قَضَى بَيْنَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِحُكْمٍ تَسَخَّطْنَاهَا ، وَلَمْ نَرْضَ بِهَا ، إِذْ لَمْ يُقْصِدْ بِهَا صَلاَحَ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَلَا تَلَاْفِي جَمْعَ الشَّمْلِ ، فَازْدَدْنَا بِهَا تَبَايُنًا عَنْ الْإِصْلَاحِ وَالْمَرَاْجِعَةِ وَخْتِلَافًا وَتَفَافُتًا عَنِ الْإِلْتِمَامِ وَالْمُوَافَقَةِ وَتَبَاعُذًا . وَقَوْلُهُ « أَمْسِ » تَقْرِيبُ لَزْمَانِ فَعْلِهِ ، وَلَمْ يُرِدِ الْيَوْمَ الَّذِي وَلِيَ يَوْمَهُ . وَهَذَا كَمَا تَقُولُ : فَلَانُ بِالْأَمْسِ يَفْعَلُ كَذَا وَأَمْسٍ مَعْرِفَةٌ ، وَإِنَّمَا بُنِيَ لِتَضْمُنِهِ مَعْنَى الْأَلْفِ وَاللَّامِ .

٢ - فَلَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ لَعَفْتُهَا وَلَكِنْ أَتَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ وَرَائِيَا^(١)

يقول : لَوْ كُنْتُ بِالْبَدْوِ لَرَدَدْتُ حُكُومَتَهُ وَأَبْدَيْتُ كِرَاهِيَتِي لَهَا ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَسِيرًا إِذْ كُنْتُ فِي الْحَضَرِ حَاصِلًا فِي دَارِهِ ، وَدَاخِلًا تَحْتَ مَلِكِيَّتِهِ . وَمَعْنَى « أَتَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ وَرَائِيَا » أَيْ حَالَتِ مَسَالِحُهُ وَمَرَاْصِدُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَرَادِي . وَوَرَاءَ بِمَعْنَى قُدَّامَ هُنَا ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ .

١٠٧

وقال جميل^(٢) :

١ - فَلَيْتَ رِجَالًا فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دِمِي وَهَمُّوا بِقَتْلِي يَا بُشَيْنَ لَقُونِي

فِيكَ أَيْ فِي مَعْنَاكَ وَبِسَبَبِكَ . وَقَوْلُهُ « قَدْ نَذَرُوا » مِنْ صِفَةِ رِجَالٍ ، وَلَقُونِي خَبَرٌ لَيْتَ . وَالْمَعْنَى تَمَنَّيْتُ أَنْ رِجَالًا فَعَلُوا فِي مَعْنَاكَ مَا فَعَلُوا مِنْ الِهِمِّ بِقَتْلِي ، وَعَقْدِ النَّذْرِ فِي سَفْكَ دِمِي ، التَّقْوَا مَعِي ، مَاذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ . وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِيهَامٌ أَنَّهُمْ لَا يَحْشُرُونَ عَلَى التَّعَرُّضِ لَهُ ، وَفِيهِ اسْتِهَانَةٌ بِأَقْوَالِهِمْ

(١) م والتهريزي : « بِالْأَرْضِ الْفَضَاءِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ آخِرُ » وَأَثْبَتَ مَا فِي م . وَعِنْدَ الْتَهْرِيْزِيِّ : « وَقَالَ جَمِيلٌ »

بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْرُورٍ الْعَدَنِيِّ . وَقَدْ سَبَقَتْ لِرَجَّةِ جَمِيلٍ فِي الْخُطَابَةِ ١٠٢ .

ومكايدهم ، وإن كانوا قد بدّلوا من القول ما بدّلوا ، وأضمرُوا فيه ما أضمرُوا .
وقد فسرَ تَهْنِئَتُهُمْ له ، وَنُكُوصَهُمْ عن الإقدام عليه في البيت الثاني .

٢ - إذا ما رأوني طالعا من ثنيةٍ يقولون مَنْ هذا وقد عرفوني
يقول : إذا ما أبصروني ^(١) مُقْبِلًا عن عَقْبَةٍ ، طالعا عليهم من طريق
إليهم مُفْضِيَةً ، يتساءلون فيما بينهم بقولهم : مَنْ هذا ، وإن كانوا عارفين بي .
أى يتجاهلوننى جُبْنًا وإحجاما .

٣ - يقولون لى أهلاً سهلاً ومرحباً ولو ظفروا بى ساعة قتلوني
نَبَهَ بهذا الكلام على تملّقيهم وإظهارهم بالنفاق ما لا يوافق باطنهم ،
عَجْزاً وضعف كيد . والمعنى يستقبلونى بالتأهيل ويتفقوننى بالترحيب عند
الالتقاء ، ولو أعطوا الظفر لأتوا على وما أبقوا .

٤ - فكيف ولا توفى دماؤهم دى ولا ما ألهم ذو كثرة فيدوني ^(٢)
يقال : أَوْفَيْتُهُ وَوَفَيْتُ لَهُ بِكَذَا وَأَوْفَيْتُ ، وفى هذا بيان عُذْرِهِمْ فى
تَرْكِ الوفاء بالقدر ، وتعجّب من أفعالهم عند اختلاف أحوالهم . فيقول :
كيف يُقَدِّمون على وليس فى دماهم كاهم وقلا بدى ، ولا فى مالهم اتساع ،
فإذا عَجَزَت دماؤهم عن دى فكيف يُعْطُونَ دِيتى .
ويقال وَدَيْتُهُ أُدِيهِ دِيَّةً وَوَدَّيَا .

(١) فى النسختين : « أبصروا بى » .

(٢) التبريزى واللسان (نده) : « دو نده » . والنده ، بفتح النون وضمة :
كثرة المال .

١٠٨

وقال يحيى بن منصور^(١) :

١ - وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَرًّا بِلَدَةٍ سِوَى بْنِ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلَانَ وَالْفِزْرِ

سِوَى فِي مَوْضِعٍ جَرٍّ عَلَى أَنَّهُ صَفَةُ لِبَلَدَةٍ . وَالْمَعْنَى وَجَدْنَا أَبَانَا حَلًّا بِلَدَةٍ
مَتَوَسِّطَةً لِدَيَارِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ وَسَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ . وَالْمَعْنَى حَلًّا بَيْنَ مُضَرَ
وَنَأَى عَنْ رَبِيعَةَ ، لِأَنَّ قَيْسًا وَالْفِزْرَ مِنْ مُضَرَ . وَالْفِزْرُ : لَقَبُ اسْعَدِ بْنِ زَيْدٍ
مَنَاءَ . وَقَالَ الْأَخْفَشُ : سِوَى وَسَوَاءٌ فِي مَعْنَى الْعَدْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ :
﴿ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ . وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ
مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سِوَى ﴾^(٢) ، أَيْ مَكَانًا عَدْلًا .

٢ - فَلَمَّا أَتَتْ عَنَّا الْمَشِيرَةُ كُلُّهُمَا أَنْخَذَا فَجَا لَفْنَا الشُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

٣ - فَمَا أَسَامَتْنَا عِنْدَ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَتَرٍ

يقول : لَمَّا خَذَلْتُنَا عَشِيرَتُنَا - وَهِيَ رَبِيعَةُ - فِيمَا نَابَتْنَا ، وَتَبَاعَدَتْ بِنُصْرَتِهَا
وَمَعُونَتِهَا عَنَّا ، وَتَرَخَّصَتْ فِي الْقُعُودِ عَنْ مُسَاعَدَتِنَا ، اِكْتَفَيْنَا بِأَنْفُسِنَا فَأَقَمْنَا بَدَارَ
الْحِفَاطِ وَالصَّبْرِ ، وَانْخَذْنَا سُبُوحًا حَلَفَاءَ عَلَى الدَّهْرِ ، فَمَا خَذَلْتُنَا فِي يَوْمٍ حَرْبٍ
وَعِنْدَ مُدَافَعَةٍ وَجْهٍ ، وَلَا نَحْنُ نَغْضُنَا^(٣) جُفُونَنَا عَلَى وَتَرٍ وَحَقْدٍ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا
وَسُيُوفُنَا تَوَافَيْنَا فِيمَا عَلَيْهِ تَعَاقَدْنَا ، وَتَوَازَرْنَا فِيمَا لَهُ تَحَالُفُنَا^(٤) ، فَبَلَّغْنَا نَحْنُ أَقْصَى

(١) التبريزي : « وقال يحيى بن منصور الحنفي . قال أبو رباح : هذا غلط من أبي تمام .
يحيى بن منصور هو ذهل ، وهذه الأبيات لموسى بن جابر الحنفي » .

(٢) كذا بكسر السين في النسختين . وهي إحدى القراءات ، وقرئ « سِوَى » بضم
السين في أخرى . تفسير أبي حيان (٦ : ٢٥٣) .

(٣) م : « أغضينا » .

(٤) في الأصل : « وتوازرنا له تحالفنا » ، صوابه في م .

المبالغ في طلب الأوتار ، وانتهت هي إلى أبعد النهايات في المعاونة والإحلاب . وهذا مثل ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعددٍ وعُدَّتْهم ، وبلائهم وصبرهم واستغنائهم عن القاعدين عن التَّحَمُّلِ معهم والذَّبِّ عنهم من عَشيرتهم . وقوله : « أَنْخَا » كِنَايَةٌ عَنِ الْإِقَامَةِ وَالتَّثَابُتِ فِي وَجْهِ الْأَعْدَاءِ ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى الْمَرَادِ .

١٠٩

وقال أبو صخر الهذلي^(١) :

١ - رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشَجَّرُ بِالرَّمَا حِ^(٢)

جعل الْقُرَشِيُّ جِنْسًا لَا عَيْنًا . والمعنى : رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْقُرَشِيِّ حِينَ قَسَمْتُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ عِنْدَ اشْتِجَارِ الْخَيْلِ بِالرَّمَا حِ ، وَانْتِظَامِهَا بِهَا لِلطَّعْنِ الْخَتْلِفِ بَيْنَهُمْ ، الْمَتَرَدِّدِ فِيهِمْ . وَجَوَابُ لَمَّا مُقَدَّمٌ ، وَهُوَ « رَأَيْتُ » فِي صَدْرِ الْبَيْتِ . يُرِيدُ : عِنْدَ هَذَا الْأَمْرِ بَانَ فَضْلُهُمْ عَلَى النَّاسِ ، وَقَوْلُهُ « تُشَجَّرُ » كُلُّ شَيْءٍ دَخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ فَقَدْ تَشَاجَرَ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمِشْجَبُ مِشْجَرًا ، وَتَشَاجَرَ الْقَوْمُ بِالرَّمَا حِ : تَطَاعَنُوا .

٢ - وَرَنَقَتِ الْمَنِيَّةُ فَهِيَ ظِلٌّ عَلَى الْأَبْطَالِ دَائِيَّةُ الْجَنَاحِ

(١) هو عبد الله بن سلم السهمي الهذلي ، شاعر إسلامي ، من شعراء الدولة الأموية ، كان متعصباً لبني مروان موالياً لهم ، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح كثيرة ، وروى أبو الفرج خبراً طريفاً له مع عبد الله بن الزبير إذا حبسه في سجن عارم ، بعد مقابلة أدبية بينهما ، ثم أطلق سراحه . الأغاني (٢١ : ٩٤) والخزانة (١ : ٥٥٥) .

(٢) مما هو جدير بالذكر أن هذه المقطوعة لم ترد في أشعار الهذليين أو دواوينهم . وذكر التبريزي رواية أخرى أيضاً ، وهي « فضيلة » بهيئة التصغير ، جعله علماً ، وقال : « رأيت فضيلة ، أي ضربت رثته . ويجوز أن يكون من رؤية العين ، أي رأيت في مشتجر الرماح ، وكان شهد هذا الشاعر وفضيلة الحرب ، فعاد ولم يعد فضيلة ، فمثل عنه فجسم في الجواب » .

انْعَطَفَ « رَنَقَتْ » عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي تَنَاوَلَهُ لَمَّا . فَيَقُولُ : وَلَمَّا اسْتَدَارَتْ .
 الْمَنِيَّةُ وَحَلَفَتْ عَلَى رءوس الأبطال ، فهي ظِلُّ دَانِيَّةِ الْجَنَاحِ مِنْ قَعَمِ رءوسهم .
 وهذا مثلٌ . والمعنى : لَمَّا أَشْرَفَتِ الْمَنِيَّةُ عَلَيْهِمْ إِشْرَافَ الطَّائِرِ عَلَى مَا يَرِيدُ
 انْكَدَارَهُ عَلَيْهِ ، بَانَتْ فَضِيلَتُهُمْ . وَيُقَالُ : رَنَقَ الطَّائِرُ فِي الْهَوَاءِ ، إِذَا حَاقَ
 وَاسْتَدَارَ ، وَجَعَلَ لِلْمَنِيَّةِ ظِلًّا تَحْقِيقًا ^(١) لِلْإِسْتِعَارَةِ مِنَ الطَّائِرِ ، لِأَنَّهُ يُوقِعُ ظِلَّهُ
 فِي تِلْكَ الْحَالَةِ . وَجَعَلَ الْجَنَاحَ دَانِيًّا تَأْكِيدًا لَطَمَعِ الْمَوْتِ فِي الْفَوْزِ بِالْأَرْوَاحِ
 الْإِخْتِلَاسِ . وَكَذَا الطَّائِرُ فِي التَّحْلِيْقِ عِنْدَ الْإِنْقِضَاضِ . وَارْتَفَعَ « دَانِيَّةُ
 الْجَنَاحِ » وَ « ظِلُّ » جَمِيعًا عَلَى أَنْ يَكُونَا خَبْرَيْنِ لِقَوْلِهِ هِيَ ، كَمَا يَقُولُ : هَذَا
 حُلُوٌّ حَامِضٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَانِيَّةٌ صِفَةً لِلظِّلِّ ، وَأَنْتَهَبًا عَلَى الْمَعْنَى . وَيَجُوزُ
 أَنْ يُرْوَى « دَانِيَّةٌ » بِالنَّصْبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ حَالًا .

١١٠

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي عَبْسٍ :

١ - أَرِقْ لَأَرْحَامِ أَرَاهَا قَرِيبَةً الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ لَا جَرْمٍ وَرَاسِبٍ

يَقُولُ : يَرِقُّ قَلْبِي بِمَا تَمَكَّكُهُ ^(٢) مِنَ الرَّحْمَةِ ، فَانْعَطَفَ ^(٣) مِنْ أَجْلِ أَوَاصِرِ
 أَرَاهَا قَرِيبَةً مُشْتَبِكَةً بَيْنَنَا ، مِنْ جِهَةِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، لَا مِنْ جِهَةِ جَرْمِ
 وَرَاسِبٍ . وَالْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ فِي زَوَارٍ ، وَجَرْمٌ وَرَاسِبٌ مِنْ قِضَاعَةٍ ، وَهُمْ مِنَ
 الْبَلْسِ ، وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ انْتَقَلَتْ إِلَى الْبَلْسِ ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ ، فَهَذَا قَالِ مَا قَالِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحْقِيقًا » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) م : « مِمَّا يَمْلِكُهُ » . (٣) م : « فَانْعَطَفَ » .

وقيل : عَيْسُ وَضَبَةُ والحارثُ بن كعبٍ إخوةٌ لأم [ورخم الحارث في غير النداء وذلك في الشعر جائز^(١)] .

٢- وَأَنَا نَرَى أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِهِمْ وَأَنْفَنَا بَيْنَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ^(٢)

ذَكَرَ الْمَشَابَهَ الْخَاصِلَةَ بَيْنَهُمْ تَأْكِيداً لِلْقُرْبَى وَالْقَرَابَةِ ، الْمَوْجِبَةِ لِمَا ذَكَرَ مِنَ الرِّقَّةِ وَالشَّفَقَةِ ، عَلَى مَا حَدَّثَ فِيهِمْ مِنْ وَقُوعِ الْفُرْقَةِ ، وَسُقُوطِ التَّجَاوُرِ وَالْخِلَاطَةِ . فيقول : أَرِقَ لِلرَّحِمِ الْقَرِيبَةِ ، وَلَأَنَّا نَرَى أُنْدَامَهُمْ فِي النِّعَالِ كَأَقْدَامِنَا^(٣) ، وَأَنْفَهُمْ بَيْنَ لِحَامِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ كَأَنْفِنَا . وقال بَيْنَ اللَّحَى وَلَمْ يَقُلْ لِحَامُهُمْ ، لِأَنَّهُ بِإِضَافَةِ الْأَقْدَامِ وَالنِّعَالِ اكْتَفَى . وَذَكَرَ الْأَطْرَافَ لِأَنَّهَا تَطْهَرُ لِلْعُيُونِ ، وَالْمَشَابَهَةُ تَعَلَّقَتْ بِهَا أَكْثَرَ .

٣ - وَأَخْلَقْنَا إعْطَاءَنَا وَإِبَاءَنَا إِذَا مَا أَبَيْتْنَا لَا نَدِرُّ لِمَاصِبِ

جَعَلَ الشَّبَهَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي الْخِلَاقِ وَهَاهُنَا فِي الْخُلُقِ ، تَأْكِيداً لِلْأَمْرِ . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ وَأَخْلَقْنَا أَخْلَاقَهُمْ ، فَأَعْتَمَدَ عَلَى أَنَّ الْعُطْفَ عَلَى قَوْلِهِ أَقْدَامَنَا بَدَلٌ وَيُغْنِي — لِمَا يُفِيدُهُ مِنَ الْإِشْتِرَاكِ — مَا يُغْنِي فِي قَوْلِهِمْ قَامَ زَيْدٌ وَعَمَرُو ، وَإِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ وَعَمَرُو . فَكَانَتْهُ قَالَ : وَأَنَا نَرَى أَخْلَاقَنَا كَأَخْلَاقِهِمْ ، إِذَا أُعْطِينَا أَوْ أَبَيْتْنَا . ثُمَّ ذَكَرَ مَا دَلَّ عَلَى تَشَدُّدِهِمْ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ فَقَالَ : وَإِذَا أَبَيْتْنَا لَا نَتَسَهَّلُ

(١) التكملة في م . ونحوها في التبريزي . وقال ابن جني : « رخم حارثاً في غير النداء كقوله :

* وأضحت منك شاسعة أماما *

وغيره . وسبب جواز ذلك عندى في الضرورة كثرة ما تتأدى هذه الأسماء ، فإذا نوديت رخت كثيراً ، فلما ألفت فيها ذلك وكان فيه أيضاً ضرب من التخفيف جنحوا إليه عند الضرورة .

(٢) م : « فإنا نرى » .

(٣) في الأصل : « كأقدامهم منا » ، صوابه في م .

لَمَنْ يُرِيدُ قَهْرَنَا . وَأَصْلُ الْعَصَبِ الشَّدَّةُ ، وَمِنْهُ الْعِصَابَةُ . وَضَرْعُ الْحُلُوبَةِ إِذَا
اشْتَدَّ الزَّمَانُ بِهَا ، وَسَاءَ خُلُقُهَا فَرَفَعَتِ اللَّبَنَ ، بُشْدٌ وَيُحْتَلَبُ وَإِنْ ضَجِرَتْ ،
لِمَسَاسِ الْحَاجَةِ ، وَاسْتِيْلَاءِ الْفَاقَةِ . وَهَذَا الْكَلَامُ مَثَلٌ هَاهُنَا . وَمَثَلُ الْبَيْتِ
قَوْلُ الْآخِرِ ^(١) :

لَا يُخْرِجُ الْكَرَّةُ مِنِّي غَيْرَ مَأْبِيَّةٍ وَلَا أَلَيْنَ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي
يُرِيدُ : إِنْ الْإِكْرَاهَ لَا يَزِيدُنَا إِلَّا امْتِنَاعًا ، وَالْاِقْتِسَارَ لَا يُحْصِلُ مِنَّا إِلَّا إِيَاءً .
وَبُشْبُهُ مِنْ حَيْثُ النَّظْمُ قَوْلُهُ : « إِذَا مَا أَبَيْنَا لَا نَذِرُ لِعَاصِبِ » الْاِتْنَتَاتِ . أَلَا تَرَى
أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ يَطْرُدُهُ مِنَ الْقَوْلِ وَصَارَ كَأَنَّهُ التَّفَتُّ فَقَالَ ذَلِكَ .

١١١

وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ حَمِيرٍ ^(٢) :

١ - مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِي التَّيْمِ — إِذَا التَّفَّ صِيْقُهُ بِدَمِهِ
ذَكَرَ أَنَّهَا قِيلَتْ فِي وَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَعَبْدِ مَآةٍ وَكَلْبٍ ، وَكَانَتْ عَلَى
حَمِيرٍ ، وَقُتِلَ فِيهَا عُلَقْمَةُ بْنُ ذِي يَزَنَ . وَقَوْلُهُ « مَنْ رَأَى » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَمَعْنَاهُ
التَّفْطِيعُ وَالتَّعْظِيمُ . وَأَرَادَ بِالْيَوْمِ الْوَقْعَةَ ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا صَلَحَ أَنْ يَكُونَ إِذَا ظَرَ قَالَ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمٌ مِثْلُ يَوْمِ عَسِيرٍ ﴾ . أَلَا تَرَى

(١) هُوَ ذُو الْإِصْبَعِ الْمَدَوَانِي . الْمَفْضَلِيَّاتِ (١ : ١٦١) .

(٢) ذَكَرَ التَّبْرِيزِيُّ عَنْ أَبِي رِيَّاسٍ خَبَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَهُوَ خَبَرٌ طَوِيلٌ آثَرْنَا الْإِشَارَةَ
إِلَيْهِ . وَمُلْخَصُهُ أَنَّ الْحَرْبَ وَقَعَتْ بَيْنَ حَمِيرٍ وَصَحَارٍ ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ صَحَارٌ ، وَقَتَلُوا مَلَكًا مِنْ
مَلُوكِهِمْ يَدْعَى « ذَا ثَات » ، فَجَمَعَتْ حَمِيرٌ لَصَحَارٍ ، فَارْتَحَلَتْ صَحَارٌ مِنَ الْبَيْدَاءِ فَلَحَقَتْ بِبِلَادِ مَعَدٍ
فَنَارَتْ حَمِيرَ إِلَى كَلْبٍ تَطْلُبُهُمْ بِدَمِ الْمَلِكِ — وَكَلْبٌ إِخْوَةُ صَحَارٍ — فَاسْتَنْجَدَتْ كَلْبَ بَنِيهِمُ الرِّبَابِ
فَأَنْجَدَتْهُمْ عَلَى حَمِيرٍ ، ثُمَّ ظَلَمَ بَنُو تَيْمٍ مِنَ الْبَيْدَاءِ فَلَحَقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلَوْا بِبُيُوتِهِمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَمِيرٍ ،
ثُمَّ صَارَتْ حَمِيرٌ إِلَى التَّيْمِ وَعَدَى وَعَكَلَ بَنُو وَبَرَةَ ، فَظَهَرَتْ بَنُو عَبْدِ مَنَاةَ وَكَلْبَ عَلَى حَمِيرٍ وَقَتَلَتْ
التَّيْمَ عُلَقْمَةُ بْنُ ذِي يَزَنَ ، فَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ حَمِيرٍ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ .

أَنَّ فِي قَوْلِهِ ﴿يَوْمَ عَسِيرٌ﴾ مَعْنَى فِعْلِي ، فَصَارَ يَوْمُذْ ظَرْفًا لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَذَلِكَ النَّقَرُ يَوْمُذْ نَقَرُ يَوْمٍ عَسِيرٍ . فَيَقُولُ : مَنْ شَاهَدَ يَوْمَنَا مَعَ ابْنِي التَّيْمِ حِينَ التَّفَّ غُبَارُ الْجَوِّ بِالدَّمِّ ، وَتَنَدَّى بِهِ وَابْتَلَّ ، حَتَّى قَلَّ . وَالصَّيْقُ : الْغُبَارُ الْجَائِلُ فِي الْجَوِّ . وَأَضَافَهُ إِلَى الْيَوْمِ لِكَوْنِهِ فِيهِ ، وَالتَّفَافِيهِ كَانَ بِرِشَاشِ الدَّمِّ الْقَاطِرِ مِنَ الْجِرَاحِ . وَيُقَالُ صَيْقَةً أَيْضًا : قَالَ [رُؤْيَةُ (١)] :

* يَنْتَرُكُنْ تَرْبَ الْأَرْضِ مَجْنُونِ الصَّيْقِ *

وَصَيْقٌ : جَمْعُ صَيْقَةٍ .

٢ - لَمَّا رَأَوْا أَنَّ يَوْمَهُمْ أَشِبُّ شَدُّوا حَيَازِيَهُمْ عَلَى أَلَمِهِ

قَوْلُهُ أَشِبُّ أَيْ كَثِيرُ الْجَلْبَةِ ، صَيْقُ الْاِخْتِلَاطِ ، وَالْمَكَانُ الْأَشِبُّ فِيهِ شَجَرٌ مُتَلَفٌ . وَجَوَابُ لَمَّا «شَدُّوا» . يَقُولُ : لَمَّا أَحَسَّ بَنُو التَّيْمِ بَفْطَاعَةِ الْأَمْرِ وَاِخْتِلَاطِ الشَّأْنِ ، وَتَضَاقُّ الْجَالِ وَالْمَكْرَ ، وَطَنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْأَلَمِ ، وَشَدُّوا حَيَازِيَهُمْ لِلجَّهْدِ ، وَتَهَيَّئُوا لِلصَّبْرِ عَلَى مَا ابْتُلُوا بِهِ وَشَقُّوَالَهُ . وَالْحَيَزُومُ : الصَّدْرُ ، لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْحَزْمِ وَالْعَزْمِ ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَوْضِعُهُمَا . وَيُسَمَّى حَزِيمًا أَيْضًا ، كَأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُشَدُّ بِالْحَزَامِ . وَالْحَزَامُ مِنَ الْحَزْمِ أَيْضًا . وَشَدُّ الْحَيَازِيمِ مَثَلٌ لِلصَّبْرِ عَلَى مَا لَحَقَهُمْ . وَرُوي عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

حَيَازِيَمُكَ لَمَوْتٍ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيكَ (٢)

يُرِيدُ : أَشَدُّ حَيَازِيَمُكَ .

٣ - كَأَنَّمَا الْأَسَدُ فِي عَرِيْنِهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي قَتْمِهِ

(١) التَّكْلَةُ مِنْ مٍ وَالتَّهْرِيْزُ وَانْظُرْ دِيْوَانَ رُؤْيَةَ ١٠٦ .

(٢) يَزُوي أَيْضًا : « أَشَدُّ حَيَازِيَمُكَ لَمَوْتٍ » ، وَهُوَ أَكْثَرُ مَا جَاءَ فِي الْحَزْمِ . انْظُرْ

الْعَمْدَةُ (١ : ٩٢) وَالْأَغَانِي (١٤ : ٣٣) .

يقول : إِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ يَتَمَتَّعُونَ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَيَبْطِشُونَ بِهِمْ ، تَمْنَعُ
الْأُسْدُ فِي أَجْمَتِهَا وَبَطِشِهَا مِنْهَا ، وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ ، يَرِيدُ نَحْنُ فِي كَثْرَتِنَا وَهَوْلِنَا
وَإِحَاطَتِنَا بِهِمْ ، وَإِدْرَاكِهَا إِيَّاهُمْ كَاللَّيْلِ إِذَا جَاشَ ظُلْمَتُهُ ، وَتَرَكَ سَوَادَهُ .
وَالْقَتَامُ وَالْقَتَمُ وَالْقَتْمَةُ ، يَجِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالْغُبَارِ وَالرَّيْحِ ، وَجَاءَ الْفِعْلُ مِنْهُ
فَقِيلَ قَتِمَ يَقْتَمُ قَتْمًا وَقَتَامًا . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ أَرَادَ بِالْقَتَمِ الْقَتَامَ لِحَذَفِ
الْأَلِفِ ، كَمَا قَالَ غَيْرُهُ وَرَوَاهُ قُطْرُبٌ :

أَلَا لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي سُهَيْلٍ إِذَا مَا اللَّهُ بَارَكَ فِي الرَّجَالِ
وَمَصْدَرُ مَا كَانَ عَلَى فَعِلِ الْفَعْلِ فِي الْأَكْثَرِ ، فَلَا أُدْرِي لِمَ أَنْكَرَهُ حَتَّى
اعْتَذَرَ بِمَا ذَكَرَهُ . وَالْعَرَبُ : الْأَجْمَةُ ، أَجْمَةُ الْأُسْدِ ، ثُمَّ يُسَمَّى مُقْتَتِلُ الْقَوْمِ عَرِيْنَا .
وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : هُوَ عَرِيْنَةٌ لَا يُطَاقُ ، إِذَا كَانَ خَبِيثًا وَقَوْلُهُ « عَرِينَهُمْ » مَوْضِعُهُ
مَوْضِعُ الْحَالِ ، وَالْأُسْدُ خَبِرٌ مُبْتَدَأٌ مُحذوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ كَأَنَّمَا هُمُ الْأُسْدُ فِي
مُقْتَتِلِهِمْ ، وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ فِي هَوْلِنَا وَإِدْرَاكِهَا ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ جَاشَ فِي قَتْمِهِ ،
فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا ، وَالْأَجْوَدُ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَعَهُ مُضْمَرَةٌ ، أَيْ كَاللَّيْلِ
وَقَدْ جَاشَ .

٤ - لَا يُسْلِمُونَ الْغَدَاةَ جَارَهُمْ حَتَّى يَزِلَّ الشَّرَاكُ عَنْ قَدَمِهِ
مَدَحَهُمْ بِحُسْنِ الْأَحَامَةِ عَلَى الْجَارِ . وَتَرَكَ الْإِسْلَامَ لَهُ مَدَّةٌ بَقَائِهِ فِيهِمْ .
وَقَوْلُهُ « الْغَدَاةَ » أَشَارَ بِهَا إِلَى غَدَاةِ اللَّقَاءِ ، أَوْ صَبَاحِ الْفَوَارِ . وَقَوْلُهُ « حَتَّى
يَزِلَّ الشَّرَاكُ عَنْ قَدَمِهِ » فِيهِ قَلْبٌ ، وَالْأَصْلُ زَلَّتِ الْقَدَمُ عَنِ الشَّرَاكِ .
وَهَذَا مَثَلٌ لِمَوْتِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَلْبَسُهَا بَعْدَهُ . وَاحْتَمَلَ الْكَلَامُ الْقَلْبَ لِأَنَّ الْمَعْنَى
لَا يُخِيلُ^(١) كَمَا لَا يُخِيلُ فِي قَوْلِهِمْ : أَدَخَلْتُ الْخُفَّ فِي رِجْلِي ، وَالْفَلَنْسُوءَ فِي

(١) لَا يُخِيلُ : لَا يَشْتَبِهُ وَلَا يَلْتَبَسُ . وَفِي اللَّسَانِ : « وَأَخَالَ الشَّيْءُ : اشْتَبَهَ . يُقَالُ :
هَذَا الْأَمْرُ لَا يُخِيلُ عَلَى أَحَدٍ ، أَيْ لَا يَشْكَلُ » وَفِي الْأَصْلِ : « لَا يَجِبِلُ كَمَا لَا يَجِبِلُ » ،
صَوَابُهُ فِي م .

رأسى . وهذا كما يُقال هُرَيْقٌ جِفَانُهُ ، وَصِفَرٌ وَطَابُهُ ، وَطُوبَى حَصِيرُهُ ،
وَحَلَى مَكَانَهُ . والمعنى لا يُسَلِمُونَ الجَارَ إلى أن يموتَ فيهم . ويجوز أن يكون
الهاء من قَدَمِهِ . راجعاً إلى الشَّرَاكِ ويكونُ الكلامُ مثلاً لتفطيع الأمر ، وهذا
كما يقال : « زال السَّرْجُ عن المَعْدِ »^(١) ، و « بَلَغَ الحِزَامُ الطُّبْنَيْنِ » وما
أشبههما . والمعنى إلى أن يَزَلِقَ الرَّجُلُ عن مَقَرِّهِ فلا يثبتُ في النعل ، والمعنى
إلى أن يَبْلُغَ الأمرُ كلَّ مَبْلَغٍ فَطِيعَ .

٥ - ولا يَخِيْمُ اللِّقَاءُ فَارِسَهُمْ حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرَمِهِ
يقول : ولا يَجْبُنُ عن اللقاءِ فَارِسُهُمْ فَيُخْجِمَ ، ولا يَضُفُّ دُونَهُ فَيَحَارَ ،
بل يُقَدِّمُ إِقْدَامًا تُخْرِقُ^(٢) الصُّفُوفُ بِهِ عِزَّةَ نَفْسٍ ، وَكَرَمَ عِرْقٍ . واللقاء
ينتصبُ على المفعول ، الأصل عن اللقاء ، فلَمَّا حَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ تَخْفِيفًا وَصَلَ
الفِعْلُ فَعَمِلَ . ويجوز أن يكون ظرفاً كَمَطْلَعِ الشَّمْسِ ، أَرَادَ وَقْتَ اللِّقَاءِ .
وقوله « حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفُ » يريد إلى أن يَشُقَّهَا كَرَمًا مِنْهُ ، كَأَنَّهُ لَا يَرْضَى
بِأَدْوَنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ فِي اللِّقَاءِ لِنَفْسِهِ ، بَلْ يَأْتِي إِلَّا النَّهْيَةَ وَالْعُلُوَّ . وَيُقَالُ خَامَ
الرَّجُلُ يَخِيْمُ ، إِذَا كَادَ كَيْدًا فَلَمْ يُفْلِحْ فِيهِ ، أَوْ تَقَدَّمَ فِي الْحَرْبِ فَتَكَصَّ
وَلَمْ يَظْفَرْ . قال الشاعر ، وَأَنْشَدَهُ الْخَلِيلُ :

رَمَوْنِي عَنْ قَيْسِي الزُّوْرِ حَتَّى أَخَامَهُمُ الْإِلَهُ بِهَا فَخَامُوا^(٣)
ويجوز أن يكون قولهم خِيَمَ بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ ، وَالْخَيْمَةُ وَاحِدَةُ الْخِيَامِ ،
مِنْهُ أُخِذَ .

٦ - وَمَا بَرَحَ التَّيْمُ يُفْتَزِرُونَ وَرُزُّ قُ الْخَطِّ تَشْنِي السَّقِيمِ مِنْ سَقَمِهِ^(٤)

(١) المعد : واحد المعدين ، وهما مريض دفتي السرج .

(٢) م : « يَخْرِقُ » . (٣) أَنْشَدَهُ فِي اللِّسَانِ (خَم) .

(٤) كَذَا جَاءَ الْبَيْتُ فِي الْأَصْلِ بِالْخَزْمِ ، أَيْ بِزِيَادَةِ حَرْفٍ فِي أَوَّلِهِ . وَفِي م وَالتَّبْرِيزِي :

« مَا بَرَحَ » .

ما بَرَحَ وما زالَ بِمعْنَى ، وليس هذا من البراح من المكان . ألا تَرَى
أن الله قال : ﴿ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ ، وَمَحَالٌ أَنْ يَبْلُغَ هذا
المَوْضِعَ ، وهو لم يَبْرَحْ من مكانه . وكأنَّ الكَلِمَةَ في اللغة تدلُّ على معنى
المجاوِزة ، ولذلك قيل :

* أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا ^(١) *

أى جاوزتَ ما يكون عليه أمثالك من الخلالِ الرَّضِيَّةِ . والمعنى : ما زال
بنو التَّيْمِ يَنْقَسِبُونَ وَيَدْعُونَ بِأَلْفَلَانٍ مُعْتَرِضِينَ ، أو يَخْذِ الطَّعْنَةَ وَأَنَا فَلَانٌ
مُدْعَيْنَ ، والرَّمَّاحُ المحمولة من الخطِّ الزُّرْقِ في ألوانها تشفى التَّكَبُّرَ من كِبَرِهِ ،
والْعَدُوَّ الْمُخَالَتَ من دَائِهِ . وقوله « السَّقيم » يجوز أن يكون كنايةً عن النِّفاقِ
للدَّاجِى ، كما قال الله تعالى لَمَّا وَصَفَهُمْ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ . ويجوز أن
يكون يُرَادُ به الصِّلَفُ التَّيَّاهُ ، كما يُقال عند صفته : في طَرْفِهِ شَوْسٌ ، وكذا
جاء في صفة الشُّيُوف :

* يَدَاوَى بِهَا الصَّادُ الَّذِي فِي النَّوَاطِرِ ^(٢) *

ويجوز أن يكون المعنى : والرَّمَّاحُ في اختلافها تشفى الموتورين من أوتارهم
وَذُحُولِهِمْ . وجعلَ الفِعْلَ للرَّمَّاحِ على الجَازِ والسَّعَةِ . وقوله « وَزُرْقُ الْخَطِّ »
الواوُ واو الحال . وَيَعْتَرِضُونَ خَبَرٌ ما بَرَحَ .

٧ - حَتَّى تَوَلَّيْتُ مُجُوعٌ خَمِيرَ فَأَلْـفَلْ سَرِيعٌ يَهْوِي إِلَى أَمِّهِ ^(٣)

يريدُ : ما زالوا بهذه الحالة إلى أن انهزمت جيوشُ خَمِيرَ ، فصارَ المَقُولُ
الْمُنْهَزِمُ مُبَادِرًا في السَّرعَةِ إلى مَقْصِدِهِ . وقوله الْفَلْ مَصْدَرٌ في الْأَصْلِ وَصِفٌ في

(١) للأشعري في ديوانه ٣٧ . وهو بَيَّاه :

تقول ابنتي حين جد الرخية * لى أبرحت ربا وأبرحت جارا

(٢) رجب في ص ٢٤٤ . (٣) التبريزي : « والفل » .

وهو مَوْضُوعٌ مَوْضِعُ المفعول ، ولذلك جاز أن تقولَ رَجُلٌ قُلٌّ وَقَوْمٌ قُلٌّ وَنِسْوَةٌ قُلٌّ . ومثله رَجُلٌ فَرٌّ ، إلا أنه موضعٌ موضعٌ فارٌّ ، ويقع للواحد والجميع .

٨ - وَكَمْ تَرَكَنَا هُنَاكَ مِنْ بَطَلٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيحُ فِي لِمَعِنِ مَوْضِعُكُمْ نَضَبٌ عَلَى المفعول من تَرَكَنَا . يقول : وكثيراً تركنا في تلك المعركة من الأبطال وهم مُصَرَّعُونَ مُعَفَّرُونَ في تلك المعركة ، بادُونَ للضياء والظلمة ، أتى الرِّيحُ بسفاهها وتَجَمَّلُهُ في لِمَعِنِهِمْ وَلِحَاهُمْ . وأشار بقوله هناك إلى مُعْتَرِكِ القومِ وَمُزْدَحِمِ الطَّعْنِ والضَّربِ .

١١٢

وقال حسان بن نشبة^(١) :

١ - وَنَحْنُ أَجْرُنَا الْحَيَّ كَلْبًا وَقَدَّاتُ لَهَا حَيْرٌ تُزْجِي الوَشِيحَ الْمُقَوِّمًا^(٢)

يقول : أدخلنا في جوارنا هذه القبيلة ، وَضَمَّنا لها الذَّبَّ عنها وسلامتها على ما يعرض لها ، وقد قصدت لها حَيْرٌ بَعْدَ رِهَا وَعُدَّتِهَا ، تَسُوقُ نَحْوَهَا الخيلَ الْمُطَهَّمَةَ ، والرِّمَاحَ الْمُثَقَّفَةَ . والوَشِيحُ أصلُه عُرُوقٌ ، ثُمَّ جُعِلَ للرِّمَاحِ أَنْفُسُهَا . وَجَعَلَهَا مُثَقَّفَةً ، يُبْرِئُ عُنَابَتَهُمْ بِإِعْدَادِ الآلَةِ لزمانِ المقاتلة .

٢ - تَرَكَنَا لَهُمْ شِقَّ الشَّامِ فَأَصْبَحُوا جَمِيعًا يُزْجُونَ المِطْيَ الْمُخَزَمًا

(١) التبريزي : « وقال حسان بن نشبة العدو في ذلك - أي في الحرب التي سبق الكلام عليها - أخو بني عدى بن عبد مناة بن أد . قال أبو محمد الأعرابي : هذا الاسم مصحف ، والصواب جساس بن نشبة ، مثل عساس . قال جرير يهجو جحذ بن خرعب التيمي :

أجحذب أشبهت التي كان بظرفها كطروث أرض غير ذات أناس

لقد شهدت تم على أم جحذب وكان سراة التيم رهط جساس

يعني جساس بن نشبة التيمي » .

(٢) م والتبريزي : « نحن أجرنا » بالخدم في أوله .

لَهُمْ يَمْنَى لِحَمِيرٍ . والعَرَبُ تَجْعَلُ الشَّامَ كَنَابَةً عَنِ الشُّومِ . فمن أَمْنَاهُمْ :
* صَبَحْنَاهُمْ فَعَدَوْا شَأْمَةً *

ويقولون : خَلَيْنَاهُمْ وَالْجَانِبَ الْأَشَّامَ ، وَخَلَيْنَاهُمْ وَالنَّاحِيَةَ الشُّومَى . فكَأَنَّهُمْ
يقولون ذلك للمنهزم وإن كان مأخذه في الشَّقِّ الْأَيْمَنِ ، لأنَّ الشُّومَ معه
والإِدْبَارَ ، أَيَّ طَرِيقٍ أَخَذَ ، وَمَسَلَّكَ تَوَجَّهَ . وهذا كما يقال : فُلَانٌ مَتَى
بِالْيَمِينِ ، وفُلَانٌ بِالشَّامِ ، وفُلَانٌ بِعَلِيَاءٍ عِنْدِي ، وفُلَانٌ فِي الْمَهَابِطِ ؛ إِذَا جَعَلْتَ
مَنْزِلَتَهُ عَلَيَّةً أَوْ مُتَسَفِّلَةً . ومعنى البيت : خَافَيْنَاهُمْ فِي الْإِنْهَزَامِ شِقَّ الشُّومِ
وَجَانِبَهُ ، فَأَصْبَحُوا يُزَجُّونَ مَطَايَاهُمْ مُخْزَمَةً حَسْرَى كَالَّةَ^(١) لَا يُبْقَى عَلَى
وَجَاهَا ، وَلَا يُبْقَى حَفَاها وَالْخَزْمُ : الشَّدُّ وَالْقَطْعُ . ويقال شِرَاكٌ مُخْزُومٌ ،
أَيُّ مَقْطُوعٍ .

٣ — فَلَمَّا دَنَوْا صَلُّنَا فَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ سَحَابَتُنَا تَنْدَى أَمِيرُهُمْ دَمًا^(٢)
يقولُ ، لَمَّا قَرَّبُوا فِي الْإِتْقَاءِ ، صَلُّنَا عَلَيْهِمْ وَبَطَشْنَا بِهِمْ ، فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ
جَيْشَنَا الَّذِي كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ تَنْدَى طَرَائِفُهَا دَمًا . جَعَلَ السَّحَابَةُ تَرَشُّحُ بِالْدَّمِ لَمَّا
كُتِرَ سَفْكُهُمْ لَهُ . وَتَنْدَى فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَانْتَصَبَ دَمًا عَلَى التَّمْيِيزِ .
ويقال : نَدَى يَنْدَى نَدَى . وَالْأَمِيرَةُ : الْأَوْسَاطُ وَالطَّرَائِقُ ، وَاحِدُهَا
مِيرَرٌ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ أَيْضًا .

٤ — فَعَادَرْنَ قَيْلًا مِنْ مَقَاوِلِ حَمِيرٍ كَأَنَّ بَحْدِيهٍ مِنَ الدَّمِ عِنْدَمَا
يقولُ : تَرَكْتُ الْخَيْلُ فِي تَجَوَّالِهَا مِنْهُمْ رُئَسَاءَ مَضْرُوعًا ، قَدْ سَالَ الدَّمُ
عَلَى خَدَيْهِ فَكَأَنَّهُمَا خُضِبَا بِالْعَنْدَمِ ، وَهُوَ دَمُ الْأَخَوَيْنِ . وَالْمَقُولُ بَلْفَةُ أَهْلِ
الْيَمَنِ : الْقَيْلُ ، وَالْمَقَاوِلُ وَالْمَقَاوِلَةُ جَمْعُهُ ، وَهُمْ الْأَقْوَالُ وَالْأَقْبَالُ . وَقِيلَ يُخَفَّفُ

(١) كَذَا فِي م ، وَفِي الْأَصْلِ : « فَالَةَ » .

(٢) م وَالتَّبْرِيزِيُّ : « تَنْدَى أَسْرَتَهَا » .

من قَيْلٍ ، فهو من الواو أيضا ، ومعناه هو الذي يَفْذُ قَوْلُهُ ، وَيُقْتَمَدُ أَمْرُهُ
ونَهْيُهُ . ووُصِفَ به الملك كما وُصِفَ بالهَمَام ، لَمَّا كان إِذَا هُمْ بالشئ فَعَل ،
لا يَرُدُّ ولا يُدْفَع . وقيل للسان مَقُولٌ لَمَّا كان آله في القول .

٥- أَمَرَ عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَ طَعْمَهَا مَطَاعِمُنَا يَمَجُّجُنَ صَابَا وَعَلَقْمَا

يقول : صارت مَطَاعِمُنَا مَرَّةً عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَهَا ، حتى إنها تَمُجُّ بِعَدِّ
ذَوَاقِهَا صَابَا وَعَلَقْمَا ، وَالصَّابُ : شَجَرَةٌ لَهَا لَبَنٌ إِذَا أَصَابَ الْعَيْنَ حَلَبَهَا . وَالْعَلَقْمُ :
شَجَرَةٌ مُرَّةٌ ، وَقِيلَ هُوَ الْحَنْظَلُ . حُسِبِيَ أَنَّ الْعَلَقْمَةَ الْمَرَارَةُ . وَيُقَالُ عَلَقْمَ الْحَنْظَلِ .
إِذَا أُدْرِكَ مَرَارَتُهُ . وَقَوْلُهُ : « يَمَجُّجُنَ » حَالٌ لِلْأَفْوَاهِ ، وَالتَّقْدِيرُ أَمَرَ مَطَاعِمُنَا
عَلَى أَفْوَاهِ الذَّاكِّينَ طَعْمَهَا ، مَاجَّةً صَابَا وَعَلَقْمَا ، أَيْ إِذَا ذَاقَتْ رَمَتْ بِمَا هُوَ
كَهَذَيْنِ . وَالْمَعْنَى : إِذَا خَبِرْنَا حُصْلَ مَا هُوَ كَذَلِكَ . وَجَازَ فِي « طَعْمَهَا »
الِإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ يَحْتَمِلُ نَبْهَةَ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، لَمَّا كَانَ رُتْبَةُ
الْفَاعِلِ وَهُوَ مَطَاعِمُنَا التَّقْدِيمِ ، وَرُتْبَةُ الْمَفْعُولِ وَمَا يَجْرِي تَجْرَاهُ التَّأْخِيرِ ، وَهُوَ
عَلَى أَفْوَاهٍ مِنْ ذَاقَ طَعْمَهَا . وَفِي طَرِيقَةِ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ الْآخِرِ ^(١) :

فَإِنْ تَغْمِزْ مَفَاصِلَنَا تَجِدْنَا غِلَظًا فِي أُمَامِلٍ مِنْ يَصُولِ

وَالطَّعْمُ : الذَّوْقُ ، وَالطَّاعِمُ : جَمْعُ الْمَطْعَمِ . وَيُقَالُ هُوَ حَسَنُ الْمَطْعَمِ ، أَيْ
طَيِّبُ الطَّعَامِ .

١١٣

وقال في ذلك أيضاً :

١- وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَفِدْ حَيًّا سَوَاهُمْ فِدَاءَهُ لَتَيْمٍ يَوْمَ كَلْبٍ وَخَيْرًا
يقول : أَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَرْبَابًا بِقَدْرِي ، وَأَرْفَعُ نَفْسِي أَنْ أَجْعَلَهَا فِدَاءً لغيري ،

(١) هُوَ سَمُرُو بْنُ مَسْعُودٍ . انظر الحماوية ٦١ .

أَفْدَى تَيْمًا بِهَا؛ إِمَّا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ حُسْنِ الْبَلَاءِ يَوْمَ اجْتِمَاعِ كَلْبٍ وَخَيْرٍ لِلْقِتَالِ .
وَجَوَابُ الشَّرْطِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « إِنْ لَمْ أَفْدِ » قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى :
[إِنْ ^(١)] لَمْ أَفْدِ غَيْرَهُمْ تَرْفَعًا ، فَإِنِّي أَفْدِيهِمْ تَشَكُّرًا .

٢- أَبَوَا أَنْ يُبَدِّحُوا أَجَارَهُمْ لِمَدْوَمٍ وَقَدْ نَارَ تَقَعُ الْمَوْتِ حَتَّى تَكُونُوا ^(٢)

أَبْنَا ، الْفِعْلُ لِبَنَى التَّيْمِ . يَقُولُ : امْتَنَعُوا مِنْ أَنْ يُخَلَّوْا بَيْنَ جِيرَانِهِمْ قَبِيلَةَ
كَلْبٍ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِمْ خَيْرٍ ، وَقَدْ ارْتَفَعَ غُبَارُ الْمَوْتِ حَتَّى التَفَّ فِي الْجَوِّ . وَأَرَادَ
بِالْجَارِ وَالْعَدُوِّ الْكَثْرَةَ ، إِذْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُمَا الْقَبِيلَتَيْنِ ، وَإِنَّمَا أَضَافَ النَّفْعَ إِلَى
الْمَوْتِ تَهْوِيلًا ، وَيَحْزَنُ أَنْ يُرِيدَ بِالْمَوْتِ الْحَرْبَ . وَتَكُونُوا : تَفَوَّعَلٌ مِنْ
الْكَثَرَةِ ، يَرِيدُ تَرَاكُمُ الْغُبَارِ وَالتَّفَافُهُ . وَهَذَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَكُونُوا
مِنْ التَّرَاكُمِ ، جَعَلَهُ بَعْضُهُمْ كَالسَّحَابِ ، وَجَعَلَهُ بَعْضُهُمْ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ حَتَّى
ظَهَرَ لَهُ الْكَوَاكِبُ ، وَحَتَّى صَارَ النَّهَارُ بِسَبَبِهِ كَاللَّيْلِ . وَتَجَاوَزَ الْمُنْتَهَى ^(٣) جَمِيعَ
ذَلِكَ ، حَتَّى بَلَغَ حَدًّا مِنَ الْإِفْرَاطِ مُسْتَنْشَعًا فَقَالَ :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا غَيْرًا لَوْ تَبْتَغِي عَنَقًا عَلَيْهِ أُمُكْنَا ^(٤)
وَإِذَا أَرَدْتَ بِالْمَوْتِ الْمُنْتَهَى يَكُونُ الْمُرَادُ : كَأَنَّ الْمَوْتَ أَنْثَى الرَّهَجِ فِي سَلْبِ
النَّفْسِ حَتَّى كَثُفَ فِي الْهَوَاءِ . وَهَذَا مَثَلٌ .

٣- سَمَوْا نَحْوَ قَلِيلِ الْقَوْمِ يَبْتَدِرُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى هَوَى فَتَقَطَّرَا

يَعْنَى بَنَى تَيْمٍ . يَقُولُ : ارْتَفَعُوا نَحْوَ رَئِيسِ الْقَوْمِ مُسْتَبْقِينَ إِلَيْهِ بِأَسْيَافِهِمْ
فَتَنَاوَلُوهُ حَتَّى سَقَطَ . وَمَعْنَى تَقَطَّرَ : وَقَعَ عَلَى أَحَدِ قُطْرَيْهِ . وَالْقَطْرَانِ : الْجَانِبَانِ .

(١) بِهَا يَلْتَمِ الْكَلَامُ ، وَلَيْسَتْ فِي إِحْدَى النُّسخَتَيْنِ .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « وَيُرْوَى : تَكُونُوا . مِنْ كَوْرِ الْعَامَةِ ، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ » .

(٣) كَذَا بِالْهَمْزِ فِي الْأَصْلِ ، وَبِالتَّسْهِيلِ فِي م .

(٤) رَوَاةُ الدِّيَوَانِ بِشَرْحِ الْعَكْبَرِيِّ : « عَلَيْهَا أُمُكْنَا » .

وفي الكلام اختصاراً، كأنه قال : ابتدروه بالأسياف وضربوه حتى سقط ،
 فحذف ضربه . وموضع يتدورنه نصب على الحال ، وتعلق حتى بالمحذوف
 الذي بينته .

٤- وكانوا كأنف اللئث لاشم مرغمًا ولا نال قط الصيد حتى تعفرا^(١)

الأسد أحمى الحيوان أنفاً ، ويبلغ من عُجبه بنفسه أنه لا يتواضع لأكل
 صيد غيره . ونسب الأنفة إلى الأنف كما يُنسب الحمية إليه . يقال : هو أحمى
 أنفاً من فلان ، وآنف أنفاً منه ، وحمى فلان أنفه من كذا ، أى أنف منه ولم
 يرض به . وحسن في السكناية عن الإباء والتصون عن الدناءة والمذلة قوله :
 « لاشم مرغمًا » بعد ذكر الأنف . فيقول : وكان بنو التميم في التمتع كاللئث
 الذى لا يغمض على قذى ، ولا يشم مرغمًا ومذلاً ، ولا يصبر لشيء على هوان ،
 ولا يعطف على مكره وصغار ، ولا ينال الصيد قط حتى يكون هو المعفر .
 والعفر : التراب . هذا إذا رويت « قط الصيد حتى تعفرا^(٢) » وقال ذلك لأنه
 فيما يتصيد لا يرضى بالاختلاس ، ولا يعتمد على صيد غيره والإصابة منه .
 وبروى : ولا نال قط الصيد حتى تعفرا^(٣) . والفظ : ماء الكرش . ويقال
 افتظت الكرش ، إذا استخرجت ذلك الماء منه . والمعنى : ولا نال الفظ من
 بطن الصيد حتى يتعفر أى يسقط في العفر ويتمكن منه . والأول يبدأ من
 الصيد بمشوه بطنه ، فلذلك خص الفظ . والشميلة خلاف الفظ ، لأنه اسم
 لما يبقى في البطن من العلف والرطب . وقط في الماضي كأبداً في المستقبل ،

(١) م فقط : « يعفرا »

(٢) م : « يعفرا » . وزاد التبريزي رواية : « قسص الصيد » عن عبد السلام

البصري .

وهو مفرقة مَبْنِي كَامِس ، وأبدأ نِكْرَةً كَفْدًا . ولا نَال ولا شَمَّ في مَعْنَى
لم يَشَمَّ ولم يَنْل . ومثله قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ .

١١٤

وقال هلال بن رزين^(١) :

١ - وَبِالْبَيْدَاءِ لَمَّا أَنْ تَلَاَتِ بِهَا كَلْبٌ وَحَلَّ بِهَا التَّنْذُورُ

يقول : لما تلاقت كَلْبٌ وَخَيْرٌ بِالْبَيْدَاءِ وأدركوا الأوتار ، فَحَلَّ بها
التَّنْذُورُ وسقطت الأقسامُ عن الخالفين بها لإذرا كِهيم الآثار^(٢) . وجوابُ
لما يجوز أن يكون ما دلَّ عليه قوله « فَحَانَتْ خَيْرٌ » أو قوله « وَحَلَّ بها
التَّنْذُورُ » . ويجوز أن يكون قوله « أَجَادَتْ وَبَلَّ مُذْجِنَةً » ، وهو أول البيت
الرابع ، وعند من يُجَوِّزُ زيادةَ الحُرُوفِ في مثل هذا المكان يكون « حَلَّ بها
التَّنْذُورُ » أو « فَحَانَتْ » الجوابُ ، فيكون الفاء والواو مُقَحَّمَةً ، وهكذا
يقولون في قول الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ عندَهم الواو
زائدة ، والمُرَادُ فُتِحَتْ^(٣) ، وقول امرئ القيس :

* فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأُنْتَحَى^(٤) *

(١) التبريزي : أحد بني ثور بن عبد مناة بن أد . وعند ابن جني : « وقال هلال
بن رزين الرباعي . وذكره المرزباني في المعجم ٤٨٢ وقال : « هلال بن رزين أحد بني ثور
بن عبد مناة بن أد . جاهلي . يقول في وقعة كانت لبني عبد مناة وكلب على حمير » . وأُشْد
بعض هذه الحماسية .

(٢) كذا في الأصل ، وهو على القلب ، حكاه يعقوب ، والمألوف في جمع ثار آثار كما في م .
(٣) كذا ورد في النسختين بتخفيف التاء هنا وتشديدها في التلاوة قبلها . وقراءة
التخفيف هي قراءة عاصم وحزمة والكسائي وخلف ووافقه الأعمش ، والباقيون بالتشديد .
إتحاف فضلاء البشر ٣٧٧ .

(٤) عجزه : * بنا بطن خبت ذي حفاف عثقل *

يقولون : المراد انتحى ، والواو زائدة .

٢ - فَحَانَتْ حَيْرٌ لِّمَا التَّقَيْنَا وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ عَسِيرٌ^(١)

يقول : هَلَكْتُ حَيْرٌ عِنْدَ الْإِتْقَاءِ ، لِأَنَّ الدَّبْرَةَ كَانَتْ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ بِالْبَيْدَاءِ يَوْمٌ صَغْبٌ . وَيُقَالُ : يَوْمٌ وَأَمْرٌ عَسِيرٌ وَعَسِيرٌ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَسْرٌ بِالضَّمِّ وَعَسِرَ بِالْكَسْرِ ، وَيُقَالُ هُوَ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ ، وَالْعُسْرَى وَالْيُسْرَى .

٣ - وَأَيَقَنَتِ الْقِبَائِلُ مِنْ جَنَابٍ وَعَامِرٍ أَنْ سَيَمْنَعُهَا نَصِيرٌ^(٢)

يقول : وَتَيَقَّنَتْ جَابٌ وَعَامِرٌ بَطُونُ بَنِي كَلْبٍ^(٣) أَنَّهُ سَيَذُبُّ عَنْهَا نَصِيرٌ غَلِيظٌ ، وَمُعِينٌ قَوِيٌّ . وَيَعْنِي بِالنَّصِيرِ بَنِي التَّيْمِ . وَجَعَلَ اللَّفْظَ نَكِيرَةً لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي تَعْظِيمِ النُّصْرَةِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ نَصِيرٌ مِنَ النُّصَارِ ، أَيْ كَامِلٌ فِي مَعْنَاهُ . وَجَعَلَهُمْ كُلَّهُمْ نَصِيرًا لِانْصَارًا . لِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ وَأَهْوَانِهِمْ . وَقَوْلُهُ «أَنْ سَيَمْنَعُهَا» أَنْ تُخَفَّفَ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَاسْمُهُ مُحَذُوفٌ ، يُرِيدُ : أَنَّهُ سَيَمْنَعُهَا وَالسَّيْنُ فِي الْفِعْلِ لثَلَاثًا تَلْتَبَسُ الْمُخَفَّفَةُ بِالنَّاصِبَةِ لِلْفِعْلِ . وَالْهَاءُ الَّتِي أَظْهَرْتَهُ ضَمِيرَ الْأَمْرِ وَالشَّأْنِ .

٤ - أَجَادَتْ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمْ صَوْبٌ سَارِيَةٌ دَرُودٌ^(٤)

(١) المرزبانى : « تحابت » .

(٢) ابني جنى : « ويروى وعامر » عطفًا على القبائل . ولم يصرف عامر لأنه عني بها الثقيلة ... وقد يجوز أن تكون الرواية : وعامر أن . على تخفيف الهمزة وإلقاء حركتها على تنوين عامر » .

(٣) التبريزى : « وقال أبو ريش : يعنى عامر الأجدار ، وهم بطن عظيم من كلب ، وإنما لقب بالأجدار لأنه ولد في أصل جدار ، وهو أخو عامر بن صمصمة لأمه . وجناب بن هبل بن عبد الله من كلب » .

(٤) التبريزى : « ويروى : صوب سارية - يعنى بالرفع - قال أبو ريش : أنت صوب لأنه أراد الدفعة » . وقد نبه إلى هذه الرواية ابن جنى ، بل جعلها الرواية الأولى .

يُقالُ : هذا يَوْمٌ دَجَنٌ ، أى يَوْمٌ إلباس غيم . والدُّجَنَةُ : الظُّلْمَةُ ، وليلةٌ مِدْجَانٌ . فيقول : أتت سَحَابَةُ الجِيشِ بِمَطَرٍ جَوْدٍ ، فَوَبَلَتْ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ — أى سَحَابَةٌ لها ظِلَامٌ ، لكثافتها وقُرْبُها من الأرض — فَصَبَّتْ عليهم المَنَيا دَرَّ سَارِيَةٍ ، أى سَحَابَةٌ تَسْرِي لَيْلًا . والدَّرُور ، هى السَّكِينَةُ الدَّرُّ . ويرتفع على أَنه فاعل دَرَّتْ . وَصَوَّبَ مَصْدَرٌ من غير لَفْظِهِ ، كأنَّه قال صَابَتْ دَرُورٌ صَوَّبَ سَارِيَةٍ . وجَعَلَ ما فى العَجْز من هذا فى مقابلة ما فى الصدر ، من قوله « أَجَادَتْ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ » كأنَّه قال : أَجَادَتْ الخَيْلُ وَبَلٌ مُدْجِنَةٌ فَدَرَّتْ درور الموت دَرَّ سَارِيَةٍ ، فالسَّارِيَةُ بإزاء المدْجِنَةِ لا غير . وكلُّ ذلك مَثَلٌ لتكثير الشرِّ ، وتفضيع البلاء والقتل . وفى هذه الطَّرِيقَةِ قول النابغة :

وَمُعَلِّقِينَ عَلَى الْجِيَادِ حُلِيِّهَا حَتَّى تَصُوبَ سَمَؤُومَ بِقَطَارٍ

وذكر بعضهم أن أَجَادَتْ ودَرَّتْ فِعْلَانِ مُجْمَعًا للدَّرُور ، فهو كما يُقال قَامَ وَقَعَدَ زَبَدٌ . قال : والدَّرُور : حَرْبٌ تَدْرُّ بِالدِّمَاءِ . ويُقال : جَادَتْ وَأَجَادَتْ بِمعنى واحدٍ ؛ والرَّادُّ جَادَتْ دَرُورٌ فَدَرَّتْ عليهم كَوَبَلٍ مُدْجِنَةٍ ، وَكَصُوبٍ سَارِيَةٍ . والأوَّلُ أَقْرَبُ وأَكْشَفُ وَأَصَحُّ .

٥ - فَوَلَّوْا تَحْتَ قِطْقِطِهَا سِرَاعًا تَكْبُهُمُ الْمَهْمُودَةُ الذُّكُورُ

يقول : انهزمت خَيْرُ مُسْرِعينَ تَحْتَ صِغارِ البردِ ، ولم يَصِرُوا إلى كِبَارِهِ ، والشُّيُوفُ الهِنْدِيَّةُ تَسْقِطُهُمْ لَوَجْهِهِمْ . ويُقالُ هَنَدَتْ السَّيْفُ ، إذا نَسَبَتْهُ إلى الهِنْدِ . وقال أبو عمرو : وَهَنَدَتْ السَّيْفُ ، إذا أَحْدَدَتْهُ . وَذَكَرَ الدَّرِيدِيُّ فى القِطْقِطِ أَنَّهُ ضَرَبُ مِنَ المَطَرِ ، ولم يَحْدَدْ . ومَوْضِعُ « تَكْبُ » نَصَبٌ على الحال ، وما قَدَّمَنا فى القِطْقِطِ قول الخليل .

وقال جزء بن ضرار^(١) :

١- أَتَانِي فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي حَدِيثٌ بِأَعْلَى الْقُنْتَيْنِ لِحَجِيبٍ

تقديره : أناني حديث عجيب بأعلى القننتين^(٢) ، فلم أسرر به حين جاءني .
وإنما استعجب من الحديث لتضمنه ما كرهه ، فكان يرده بما يقوى في
أمله من ضده . وقد اجتمع فعلاً أناني وجاءني ، فأعمل الأول . ومثله
قول الآخر^(٣) :

وَلَمْ أُمْدَحْ لَأَرْضِيهِ بِشِعْرِي كَثِيراً.....^(٤)

٢- تَصَامَمْتُ حَتَّى أَتَانِي يَقِينُهُ وَأَفْرَعُ مِنْهُ مَخْطُطٌ وَمُصِيبٌ^(٥)

تصاممته ، أراد تصامت عنه ، حتى أتاني يقينه ، أي الجلي الواضح منه .
وأفزع يجوز أن يكون معناه صادف الفزع فلا يقتضى مفعولاً ، ويجوز أن
يكون أفزع الغير فيكون مفعوله محذوفاً . ومعنى البيت : تكلفت الصمم عن

(١) جزء بن ضرار ، أخو الشماخ بن ضرار ، قال ابن حجر في الإصابة ١٢٨١ :
« ذكره المرزباني في معجمه وقال : هو شاعر مخضرم . وهو القائل يرفي عمر بن الخطاب :
جزى الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذلك الأديم الممزق » .
وانظر الأغاني (٨ : ٩٨) .

(٢) التبريزي : « القنتان : جبل أسود مشرف بعض الإشراف » .

(٣) هو ذو الرمة كما في التنبيه لابن جني .

(٤) تمامه كما في التنبيه :

• لثيما أن يكون أصاب مالا •

وعند التبريزي : « أن يقال أصاب » .

(٥) جعل التبريزي الرواية الأولى عنده : « وأفزع » بالراء المهملة ، وقال :
« وأفزع معناه صادف الفزع ، وإذا كان هكذا فلا يقتضى مفعولاً . ويجوز أن يكون معناه
أفزع الغير ، فيكون مفعوله محذوفاً » .

ذلك الخبر حتى جاء ما لم يمكن رده ، لكون الشبهة ^(١) منتفية عنه ، وانفق الخطى والمصيب على تصحيحه ، وصادف الفزع فيه ، أو أفزعا الغير منه .
ومثل قوله « تصامته » في انحذف حرف الجر ^(٢) منه قول الآخر :

• وأخفى الذي لولا الأسمى لقضاني ^(٣) •

يريد : لقضى على . وفي القرآن : ﴿ وَإِذَا كَالُومٌ أَوْ وَزَنُومٌ ﴾ ، يريد كالوا عليهم أو وزنوا عليهم . وأضاف اليقين إلى ضمير الخبر لأنه يريد المتيقن منه .

٣ - وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَخَذَتِ الدَّهْرُ فِيهِمْ وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبٌ

٤ - فَإِنْ يَلِكُ حَقًّا مَا أَتَانِي فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَنُوبُ

قوله « حُدِّثْتُ » يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، فالأول قام مقام الفاعل وضميره التاء ، والثاني قومي ، والثالث أَخَذَتِ الدهر فيهم أَخَذَانًا . وكما قال الآخر ^(٤) :

• وَإِنْ تُكَلِّمُكَ تَبَلَّتْ ^(٥) •

يريد تَبَلَّتْ كَلَامَهَا . ويجوز أن يكون أجرى قوله « أَخَذَتِ الدهر فيهم » مجرّى نكوى الدهر فيهم ، فاستغنى عن المفعول . وقوله : « وَعَهْدُهُمْ بِالْحَادِثَاتِ قَرِيبٌ » يجوز أن يكون من جملة ما بُلِّغَ وأنبيء به ، ويجوز أن يكون الواو للحال ، كأنه نكوى الدهر فيهم وحالهم قَرُبُ العهدِ بحوادثِهِ ، ويجوز أن يكون جاريًا مجرّى الاعتراض بين ما قبله وما بعده ، وحقيقة معناه تصديقه لما خبر به ،

(١) م : « الشبهة » .

(٢) م : « بحذف حرف الجر » .

(٣) لرجل من بني كلاب ، كما في الكامل ٢١ ليسك . وصدده :

• نحن فتبدي ما بها من صباة •

(٤) هو الشنفرى . المفضليات (١ : ١٠٧) .

(٥) البيت بتمامه :

كَانَ لَهَا فِي الْأَرْضِ نَسِيًّا تَقْصَهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تَكَلَّمُكَ تَبَلَّتْ .

وَأَنْ قَوْمَهُ مِنَ الْكِرَامِ الَّذِينَ لَا يَسْلَمُونَ عَلَى الدَّهْرِ ، بَلْ يُوَلِّعُ بِالتَّأْوِيلِ فِيهِمْ
كَمَا قَالَ :

أَرَى الدَّهْرَ يَمْتَنِّمُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيمَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ^(١)
وَإِذَا عَزَلَ هَذَا الْإِعْزَاضَ يَكُونُ الْكَلَامُ : وَحَدَّثْتُ قَوْمِي أَخَذْتُ الدَّهْرَ
فِيهِمْ ، فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي . وَمَعْنَى الْبَيْتَيْنِ : أَنْبِئْتُ أَنَّ قَوْمِي نَكَى الدَّهْرَ
فِيهِمْ ، وَحَلَّ أَثْقَالَهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتُ حَقًّا مِنْ إِخْنَاءِ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ ،
وَسُوءِ تَأْوِيلِهِ فِيهِمْ ، فَإِنْ أَخْبَارَهُمْ كَرِيمَةً فِي التَّوَائِبِ إِذَا نَابَتْهُمْ ، وَنَفُوسَهُمْ عَزِيزَةً
تَأْتِي الْإِنْفِيَادَ لِمَا لَا يَحْسُنُ ، وَالْمُطَاوَعَةَ فِيمَا يَشِينُ وَلَا يَزِينُ . وَجَوَابُ « فَإِنْ يَكُ
حَقًّا » مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فَإِنَّهُمْ كِرَامٌ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ فَإِنَّهُمْ يَصْبِرُونَ صَبْرَ الْكِرَامِ .
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى : فَإِنَّكَ تَمْلِكُهُمْ
وَتَقْدِرُ عَلَيْهِمْ .

٥ - فَقِيرُهُمْ مُبْدِي الْغِنَى وَغَنِيَّتُهُمْ لَهُ وَرَقٌّ لِلْسَّائِلِينَ رَطِيبٌ

يقول : محتاجهم متجملٌ ، وبما لا تناله مقدراته ولا ينهضُ وسعُه متكثرٌ ،
وظاهرُه الغنى اكتفاء بما يملكُه ، وتصنُّعًا لمن يرُمُّه ؛ وَغَنِيَّتُهُمْ لَهُ إِنْضَالٌ عَلَى
الْمُقَاتَةِ ، وَمَعْرُوفٌ عِنْدَ السُّؤَالِ ، يَحْيُونَ فِي جَنَابِهِ ، وَيَمِيشُونَ فِي كَنَفِهِ وَظِلَالِهِ .
وقوله « لَهُ وَرَقٌّ » مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِلنَّدَى ، وَأَصْلُهُ هَاهُنَا وَرَقُ الشَّجَرِ ، وَبِهِ عَيْشُ
الْمَالِ : الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ . وَإِذَا لَمْ يَمْنَعُوا مِنَ الْوَرَقِ عَاشَ النَّاسُ فِي فَنَائِهِمْ . هَذَا
الْأَصْلُ ، ثُمَّ يَتِمَثَّلُ بِهِ بَعْدُ لِغَيْرِهِ مِنْ ضُرُوبِ الْمَنَافِعِ ، وَوَجُوهِ الْمَرَازِي . وَسَلَكَ
فِي هَذِهِ الْأَسْتِعَارَةِ وَالتَّمَثِيلِ مَسَلَكَ زُهَيْرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ يَوْمًا وَلَا مُقَدِّمًا مِنْ خَائِطٍ وَرَقًا

(١) البيت لطرفة في مملته .

ويقال: وَرَقَتْ^(١) الشَّجَرَةُ وَأُورَقَتْ، وشجرة وَرِيقَةٌ، إذا كثر ورقها والوراق: زمنُ خروجِ الورق، كالصَّرامِ والجَدَادِ.

٦- ذَلُّهُمْ صَغْبُ الْقِيَادِ وَصَغْبُهُمْ ذَلُّهُ بِحَقِّ الرَّاعِبِينَ رَكُوبٌ^(٢)

يقول: مَنْ كَانَ سَهْلَ الْجَانِبِ مِنْهُمْ تَرَاهُ مَتَمَسِّرًا إِذَا سِيَمَ الضَّيْمَ، مُتَّصِعًا فِي التَّزَامِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ؛ وَالْأَبْجُ الْخَشِينُ الْخُلُقِ مِنْهُمْ مُعْتَرِفٌ بِحَقِّ الرَّاعِبِينَ، يُرَكَّبُ بِهِ وَلَا يَمْنَعُ، وَيُقَادُّ لَهُ وَلَا يَأْبَى. وقوله رَكُوبٌ، هو في معنى مفعول هاهنا. وَالذَّلُّ: الْوُطْئُ فِي الظَّهْرِ، وَالذَّلُّ وَالذَّلُّ يَرْجِعَانِ إِلَى السَّهْوَةِ وَالْوَطْءِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّهُ تَفَرُّدًا بِمَعْنَى يَتَمَيَّزُ عَنْ صَاحِبِهِ بِمَا يُضَادُّهُ. أَلَا تَرَى أَنَّ ضِدَّ الذَّلِّ بِالضَّمِّ الْعِزُّ، وَضِدُّ الذَّلِّ بِالْكَسْرِ الضُّعُفُ.

٧- إِذَا رَنَقَتْ أَخْلَاقُ قَوْمٍ مُصِيبَةٌ تُصَنِّفُ بِهَا أَخْلَاقَهُمْ وَتَطْيِبُ^(٣)

يقول: إِذَا كَدَّرَتْ الْمَصَائِبُ أَخْلَاقَ النَّاسِ فَتَغَيَّرَتْ، حَتَّى لَا يَصِيرَ عَلَيْهَا تَحْمِيلٌ، وَلَا إِلَيْهَا مِنَ النَّوَائِبِ مَلْجَأٌ، فَإِنْ أَخْلَاقَ هَؤُلَاءِ تُصَنِّفُ بِهَا [وَمَا^(٤)] وَتَطْيِبُ عِنْدَ تَحَامُلِهَا؛ كَانَهُمْ كُلُّهَا أَزْدَادُوا امْتِحَانًا بِالْذَّهْرِ أَزْدَادُوا طَلَاةً وَهَشَاشَةً، وَلَيْنَ مَغْطَفٍ وَلُدُونَةٍ، وَنُهُوضًا بِالْأَعْيَاءِ، وَصَبْرًا لَدَى اللَّأْوَاءِ. وَيُقَالُ مَا لَا رَنَقٌ وَرَنَقٌ، وَمَا فِي عَيْشِهِ رَنَقٌ أَيْ كَدَرٌ.

٨- وَمَنْ يَغْمُرُوا مِنْهُمْ بِفَضْلِ فَإِنَّهُ إِذَا مَا أُنْتَمَى فِي آخِرِينَ نَجِيبٌ

أَصْلُ الْغَمْرِ التَّغَطِّيَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: دَخَلَ فِي غَمَارِ النَّاسِ. وَالنَّجِيبُ: الْكَرِيمُ مِنَ النَّاسِ وَالْخَلِيلُ وَالْإِبِلُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْخِتَارِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْمُنْتَجَبُ، وَقَدْ نَجَّبَ الرَّجُلُ نَجَابَةً، وَأُنْجَبَ: أُنِيَ بِأَوْلَادِهِ نُجَبَاءً. يَقُولُ: وَالْغَمُورُ

(١) ضبط في الأصل بتشديد الراء، وفي م بفتحها فقط. وهما لغتان صحيحتان.

(٢) م: «لحق الراغبين». (٣) التبريزي: «تصنف لها». (٤) هذه من م.

الخامِلُ منهم ، لظهور الفضل عليه ، إذا انتسبَ في قومٍ آخرين عُدَّ نَجِيبًا .
ومثله قولُ الآخر^(١) :

يَسُودُ ثَنَانًا مِنْ سِوَانَا وَبَدُونَا يَسُودُ مُعَدًّا كُلُّهَا مَا تَدَافَعُهُ
وإن كان هذا زائدًا على ذلك . وحذف مفعول « يَفْعُرُوا » لأنه
لا يَلْتَبِسُ . أراد ومن يَفْعُرُوهُ ، أى المفضول^(٢) فيهم إذا انتمى في غيرهم
كان فاضلاً .

١١٦

وقال القطامي^(٣) :

١ - من يَكُنِ الحِضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ فَأَيُّ أَنَاسٍ بِإِدِيَةِ تَرَانَا
الحِضَارَةُ تُكْسَرُ منه الحاءُ وتُفْتَحُ ، وكذلك البداوة تُكْسَرُ منه الباءُ
وتُفْتَحُ . والمراد بالحِضَارَةُ أهل الحِضَارَةِ ، فحُذِفَ المُضَافُ ، يَدُلُّ على ذلك
قوله « فَأَيُّ أَنَاسٍ بِإِدِيَةِ » ، لأن التفضيل إنما يَصِحُّ بين الحضريين والبدويين .
وأى هذه تُضَافُ إلى النَّكِيرَةِ ، ولا تُضَافُ إلى أكثر من الذى جَعَلْتَهُ خَبْرًا ،

(١) هو حجر بن خالد الثعلبي ، كما سيأتي في الحماسية ١٧٠ .

(٢) في الأصل : « المقصود » ، صوابه في م .

(٣) القطامي ، بضم القاف وفتحها : لقب غلب عليه . قالوا سمي به لقوله :

يُحِطُّونَ جَانِبًا فَجَانِبًا صَدَّكَ الْقَطَامِيُّ قَطَا قَوَارِبَا

واسمه ، غير بن شبيب الثعلبي ، شاعر إسلامي مقل ، وله ديوان مطبوع . وكان قبل إسلامه
نصرانيا ، وكان الأخطل يعجب به كثيراً . وكان يمدح زفر بن الحارث الكلبي لأنه كان
أسره ثم من عليه ووهب له مائة ناقة ورده إلى قومه . الشعر والشعراء ٧٠١ - ٧٠٥ وابن
سلام ١٢١ - ١٢٢ والاشتقاق ٢٠٤ - ٢٠٥ والمؤتلف ١٦٦ والمرزبانى ٢٤٤ - ٢٤٥
والأغاني (٢٠ : ١١٨ - ١٣١) والخزانة (١ : ٣٩١ - ٣٩٤ / ٣ : ١٨٨ -
١٩٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

(٤) م والتبريزي : « من تكن » بالتاء .

لأنك تريد صِفَتَهُ . ألا تَرَى أَنَّكَ تقول مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلٍ ، وَأَيْ رَجُلٍ أَخُوكَ إِذَا جَعَلْتَهُ خَبْرًا يَكُونُ مَخْرَجُ الْكَلَامِ الْمَذْحُ وَالتَّعْجُّبُ ، كَأَنَّكَ قُلْتَ : نِهَابَةٌ فِي الرَّجُولِيَّةِ أَخُوكَ . فَعَمِلَ هَذَا قَوْلُهُ فَأَيَّ رَجَالٍ بَادِيَّةٍ . فيقول : مَنْ أَعْجَبُهُ رَجَالُ الْحَضَرِ ؛ فَأَيَّ رَجَالٍ بَدَوْا نَحْنُ ، إِذَا حُصِّلَتِ الرِّجَالُ . والمعنى : أَيُّ أَهْلِ أَنْاسٍ نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ . والمراد التَّمَذُّجُ والتَّعْجُّبُ .

٢- وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنْ فِينَا قَنًا سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانًا^(١)

يقول : وَمَنْ ارْتَبَطَ الْحُمْرُ واقتناها ، وَكَانَ عَيْشُهُ مِنْهَا ، فَإِنَّا أَرْبَابُ الْغَزْوِ ، وَآلَاتِنَا رِمَاحٌ طَوَالٌ ، وَخَيْلٌ رَائِقَةٌ عِنَاقٌ . والجحشُ من أولاد الحُمُرِ كالمُهْرِ فِي الْخَيْلِ ، وَالْجَمْعُ الْجَحَاشُ وَالْحِيَشَةُ . وَالسُّلْبُ : الطَّوَالُ ، وَالْوَاحِدُ سَلُوبٌ .

٣- وَكَنَّ إِذَا أَعْرَنَ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا

يقالُ : عَوَزَ الرَّجُلُ كَذَا عَوَزًا ، مِثْلَ عَدِمَ ، وَأَعْوَزَهُ الدَّهْرُ : أَفْقَرَهُ . وَأَعْوَزَ الرَّجُلُ : سَاءَتْ حَالُهُ ، وَهَذَا لَا يَتِمَّدُ . يقول : كَانَتْ هَذِهِ الْخَيْلُ إِذَا أَغَارَتْ عَلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْقَبَائِلِ فَبَدَّدَتْ شَمْلَهَا ، وَخَوَّفَتْ آمِنَهَا ، وَصَارَتْ تَأْخُذُ حِذْرَهَا ، وَتَتَّقِيهَا بِالْبُعْدِ عَنْهَا ؛ حَتَّى أَعْوَزَهَا النَّهْبُ حَيْثُ كَانَ النَّهْبُ ، لِمَعَاوَدَتِهِمُ الْغَارَةَ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَإِدَامَتِهِمْ إِيَّاهَا ، وَإِلْحَاقِهِمْ بِهَا . وَقَوْلُهُ « إِذَا أَعْرَنَ » ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ أَعْرَنَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَهُوَ جَوَابٌ لَهُ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ كُنَّ .

٤- أَعْرَنَ مِنَ الضَّبَابِ عَلَى حُلُولٍ وَضَبَّةٌ إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا

(١) أشار ابن جني في التنبيه إلى رواية « سلبا » بالتحريك . قال : « وَمَنْ رَوَى سَلْبًا وَصَفَهُ بِالْوَاحِدِ ، كَقَوْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ : مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ، وَأَعْجَازِ نَخْلٍ مُنْقَعَرٍ . وَمَنْ قَالَ سَلْبًا وَصَفَهُ بِالْجَمْعِ ، كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : وَيَنْشِئُ السَّحَابُ الثِّقَالَ . وَقَدْ جَاءَ الشَّعْرُ بِهَئَا جَمِيعًا ، وَذَلِكَ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ الْهَاءِ » .

٥ - وأحياناً على بَكْرٍ أَخِينَا إذا ما لم نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا
الضَّبَابُ يشتمل على ضَبَّةٍ وَضَيْبٍ ، وَحَسِلٍ وَحُسَيْلٍ ، فذلك سُمُّوا
الصَّبَابُ . يقول : أغارت على أقاربهم وعلى الحِلَّاتِ الفازلة حَوْلَهُمْ وفيهم ، لأنَّ
من قُدِّرَ له الحَيْنُ فقد أدركه . والمعنى : إنهم لا يعتيدهم الغارة لا يَصْبِرُونَ عنها ،
حَتَّى إِذَا أُعْزِمُوا الْأَبَاعِدُ عَطَفُوا عَلَى الْأَقَارِبِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَمَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :
وأحياناً على بَكْرٍ أَخِينَا إذا ما لم نَجِدْ إِلَّا أَخَانَا

وقوله : « إِنَّهُ مِنْ حَانَ حَانَا » يُسَمَّى الْإِلْتِفَاتِ ، كَأَنَّهُ التَّفَتَ إِلَى إِنْسَانٍ
فَقَالَ : إِنَّهُ مِنْ هَلَاكَ بَعَزُونَا فَقَدْ هَلَاكَ . وقوله « عَلَى بَكْرٍ » تَعَلَّقَ بِفَعْلٍ
مُضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ مَا تَقَدَّمَ فِيمَا قَبْلَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأحياناً أُغْرِنَ عَلَى بَكْرٍ .

١١٧

وقال الأعرجُ الْمَعْنَى^(١) :

١ - أَرَى أَمَّ سَهْلٍ مَا تَزَالُ تَفْجَعُ تَلُومُ وَمَا أَذْرِي عِلَامَ تَوْجَعٍ
يقول : أرى هذه المرأة تتفجع تارةً وتتوجع أخرى ، تَتَعَبُ عَلَى تَلُومٍ ،
وما أَذْرِي مِنْ أَى شَيْءٍ شَكَّوْاها ، وَفِي أَمْرِ تَوْجَعٍ عَلَى عَتَبِها ، لِأَنِّي لَا أُنْعَاطِي
مُنْكَرًا فَاسْتَعْقَى بِهِ ذَلِكَ : وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي عِلَامَ وَأَشْبَاهِهِ^(٢) . وقوله :
« مَا زَالَ » يَرِيدُ بِهِ اتِّصَالَ تِلْكَ الْحَالَةِ مِنْهَا ، لِأَنَّ مَا زَالَ لِدَوَامِ الْمَاضِي ، وَمَا يَزَالُ
هُوَ مُسْتَقْبَلُ مَا زَالَ ، فَيَصِيرُ لِمُتَدَادِ الْحَالِ . فَإِنْ قِيلَ : أَلَيْسَ زَالَ ضِدًّا دَامَ

(١) التبريزي : وهو رجل من الحواريين . وذكره المرزباني في المعجم ٢٥١ ، وقال :
« عدى بن عمرو بن سويد بن زبَان الأعرج الطائي المعنى ، وقيل سويد بن عدى ، وهو مخضرم ،
أدرك الجاهلية والإسلام » وذكره ابن حجر في الإصابة ٣٧١٣ ، ٦٤٠٩ . وأنشده له :

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعى صلاة الصبح قاما
كسباب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنسدا
وحزمت الخمر وقد أراى بها سدكا وإن كانت حراما

(٢) انظر ص ١٩٥ .

فكيف يُفِيدُ وهو للثَنَى معنى الدوام ؟ قُلْتَ لِمَا دَخَلَ مَا النَافِيَةُ عَلَيْهِ تَغْيِيرُ
معناه إلى الإيجاب ، لَأَنَّ ثَنَى الثَنَى إِيحَابٌ ، فعاد إلى معنى الدوام . وقوله :
« تَلُومٌ » فى موضع الحال ، أَى تَفَجَّعُ لَأْتَمَّةً ، وقوله : « وَمَا أُدْرِى عَلاَمٌ » ،
يريدُ وما أدري ما يقتضى هذا السُّؤال .

٢ - تَلُومٌ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ الرِّزْدَ لِقِحَّةً وَمَا تَسْتَوِي وَالْوَرْدَ سَاعَةً تَفْرَعُ

يقول : تعيبُ عَلَى فى إِيشارَى فَرَسَى الْوَرْدَ بِلَبَنِ لِقِحَّتِي - وهى الذَّاقَةُ التى
بِهَا لَبَنٌ - وَمَا تَسْتَوِي هِىَ مَعَ الْوَرْدِ سَاعَةُ الْفَرْعِ وَوَقْتُ الْغَارَةِ . وقوله
« وَالْوَرْدَ » منصوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ . يريدُ : لَا تَسْتَوِي هِىَ مَعَ الْوَرْدِ .
ولو أَرَادَ مَا تَسْتَوِي هِىَ وَمَا يَسْتَوِي الْوَرْدُ لَمْ يَكُنْ يَجُوزُ إِلَّا الرِّفْعُ ، وَالْعَامِلُ فى هَذَا
الْمَعْمُولِ ^(١) لَا يَعْمَلُ بِتَوْشِطِ الْوَاوِ بَيْنَهُمَا . وَإِذَا أَرَدْتَ تَجْرِيدَ الْفِعْلِ عَلَى مَا يَدُلُّ
عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَسْتَوِي ، يَكُونُ تَقْدِيرُهُ إِذَا أَظْهَرْتُهُ عَامِلًا فِيهِ : وَمَا تُسَاوَى الْوَرْدَ . وَعَلَى
هَذَا قَوْلُهُمْ : اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةُ لِأَنَّ الْمَعْنَى سَاوَى الْمَاءِ الْخَشَبَةَ . فَإِنْ قِيلَ :
كَيْفَ قَالَ وَلَا أُدْرِى عَلاَمٌ نَوْجَعُ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِقَوْلِهِ تَلُومٌ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ الْوَرْدَ
لِقِحَّةً ، وَهَلْ كَذَّبَ نَفْسَهُ ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ قَوْلَهُ مَا أُدْرِى إِنْكَارٌ وَتَفْطِيعٌ لِلشَّانِ ،
وَالْمُتَضَجِّرُ بِالشَّيْءِ يَقُولُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا . وَرَوَى بَعْضُهُمْ « وَالْوَرْدَ » بِالرِّفْعِ
وَكَانَ الْأَجُودُ أَنْ يَقُولَ : وَمَا تَسْتَوِي هِىَ وَالْوَرْدَ ، لِأَنَّ عَطْفَ الظَّاهِرِ عَلَى الْمُضْمَرِ
الْمَرْفُوعِ ضَعِيفٌ حَتَّى يُؤَكَّدَ . وَيَكُونُ الْمَعْنَى : وَمَا تَسْتَوِي أُمُّ سَهْلٍ وَفَرَسَى
فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ ، لِاخْتِلَافِ غَنَائِهِمَا ، وَلِأَنَّ قُصَارَى تِلْكَ الْمَرْبُ وَالْدَّهَشَ ،
وَعَنَاءَ فَرَسَى كَوْنُهُ عُدَّةً لِلدَّفَاعِ وَالذَّبِّ . وَالْأَوَّلُ أَجُودٌ وَأَفْصَحُ وَأَسْمُ .

٣ - إِذَا هِيَ قَامَتْ حَاسِرًا مُشْمَعِلَةً نَخِيبَ الْفَوَادِ رَأْسَهَا مَا تَقْنَعُ ^(٢)

(١) م : « المفعول » . (٢) البريزى : « رأسها ما يقنع » ثم أشار إلى الرواية الأخرى .

هذا بيان الحال ساعة الفزع ، وموضع إذا نَضَبُ على أنه بدل من ساعة
تَفَزَعُ ، ويكون على ذلك قوله « هنالك يجزيني الذي كنت أصنع » من البيت
الذي يليه مُنْقَطَعًا ، وإن كان بيان علة إثاره باللبن وانتفاء المساواة بينه وبين
المرأة . والمعنى : ما تُساوى هذه المرأة الفرس إذا هي قامت بلا قِنَاع ، جَادَّةٌ
في العَدُو ، مَذْخُوبَةُ الْقَابِ ، طائِرة اللَّب ، لا خِمار عليها ولا قِنَاع ، لَدَهْشِهَا في
احتمارها ، وذَهابها عن عاداتها وإفها . وقوله « مشمعة » أي جَادَّةٌ في العَدُو .
وانتصب « رأسها » لأنه مفعولٌ مقدَّم . ويجوز أن يكون « إذا هي قامت » استئناف
كلام ، وحينئذ يكون جوابُ إذا قوله هنالك يجزيني الذي كنت أصنع .

٤ - وقُمتُ إليه بالألجام مُيسَّرًا هنالك يجزيني الذي كنت أصنعُ
يقول : وقُمتُ إلى فرسي في تلك الحال ، مُهيَّئًا له بالألجام ، للدِّفاع والقتال .
ثم قال : في ذلك الوقت يجزيني ما أعامله به الساعة من إيثارِ بَابِن ، وتضمير
وصنعة . وقوله « مُيسَّرًا » أي مُهيَّئًا . وفي القرآن : ﴿ فَسَيُسِّرُهُ لِّلْفُتْرَى ﴾ .
هنالك إشارة إلى الوقت ، ويستعمل في المكان . ويقال هناك أيضا فيهما .
والعاملُ فيه هاهنا يجزيني .

١١٨

وقال حُجْرُ بن خالد^(١) :

١ - كَلْبِيَّةٌ عَلِقَ الْفَوَادُ بِذِكْرِهَا ما إن تَزَالَ تَرَى لها أَهْوَالاً

(١) التبريزي : « وقال حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة
ابن قيس بن ثعلبة » . وحجر شاعر جادلي كان معاصراً لعمرو بن كلثوم ، وكان أنشد شعراً
بين يدي النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو في مجلس الملك ثم اقتصر منه
حجر ، وأجار الملك حجراً ، فقال حجر ، أبياتاً يمدح بها النعمان ، رواها الجاحظ في الحيوان .
(٣ : ٥٨) . وانظر الحماسة ٧١٨ .

يقول : عَلِقَ الفؤادُ بِذِكْرِ اسْمِ كَلْبِيَّةٍ ، لَا تَزَالُ تُقَاسِي مِنْ أَجْلِهَا أَهْوَالاً ، وَتَتَحَمَّلُ مَشَقَّاتٍ . قَوْلُهُ « عَلِقَ الفؤادُ بِذِكْرِهَا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ عَلِقَ ذِكْرُهَا بِالْفؤَادِ فَقَلَبَ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، وَيَكُونُ كَقَوْلِ الْآخَرِ :

* عَلِقَ الْأَحْشَاءُ مِنْ هِنْدٍ عَلَقٌ *

وَكَمَا يُقَالُ عَلِقَ بِقَلْبِهِ عِلَاقَتَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ الفؤادَ تَابِعًا لِلذِّكْرِ فَكَأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِهِ . وَكُلُّ شَيْءٍ وَقَعَ مَوْقِعُهُ قَبْلَ عَلِقِ مَعَالِقِهِ . وَجَعَلَ صَدْرَ الْبَيْتِ عَلَى الْإِخْبَارِ عَنْهَا ، ثُمَّ نَقَلَ الْكَلَامَ إِلَى مَخَاطِبَةِ نَفْسِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتَمَرَّ فِي الْإِخْبَارِ عَنْهَا وَيَكُونُ الْمَعْنَى : عَلِقَهَا الفؤادُ فَلَا تَزَالُ هِيَ تُقَاسِي أَنْتَ بِسَبَبِهَا أَهْوَالاً . وَ « إِنَّ » مِنْ قَوْلِهِ « مَا إِنَّ » زِيدَتْ لِمَا كِيدَ النَّفْسِ .

٢ - فَأَقْنِي حَيَاءُكَ لَا أَبَالِكَ إِنِّي فِي أَرْضِ فَارِسٍ مُوْتَقٍ أَحْوَالاً

أَقْبَلَ يَخَاطَبُ الْمَرْأَةَ فَقَالَ : أَلْزِمِي حَيَاءُكَ ، أَيْ لَا تَفْعَلِي مَا يُقَالُ نُسِيَ الْحَيَاءُ مَعَهُ وَأُطْرِحَ ، إِنِّي مُحْبُوسٌ فِي أَرْضِ فَارِسَ سَيْنِيفَ لَا أَبَالِكَ . وَقَوْلُهُ « لَا أَبَالِكَ » بَعَثَ وَتَحْضِيضُ ، وَلَيْسَ بِنَفْسٍ لِلْأُبُوءَةِ ، وَخَبَرٌ لَا مَحْذُوفٌ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى لَا أَبَالِكَ ، وَدَخَلَ اللَّامُ مُؤَكِّدَةً لِلْإِضَافَةِ ، لِأَنَّ هَذِهِ إِضَافَةٌ لَا تُخَصِّصُ ، فَسَاعَ تَأْكِيدُهَا بِاللَّامِ ، وَلَوْ كَانَتْ الْإِضَافَةُ مُخَصَّصَةً لَكَانَ لَا يَفْعَلُ فِي أَبَالِكَ . وَتَقْدِيرُ الْخَبَرِ : لَا أَبَالِكَ مَوْجُودٌ . وَيُقَالُ : قَنِي بَقْنِي ، وَأَقْنِي : أَمُرُّ مِنْهُ . وَقَنَّا يَقْنُو . قَالَ الْمَلْهَسُ :

* كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قَطِيفٍ مُضَلَّلٍ ^(١) *

وَأَمَّا قَالَ إِنِّي مُوْتَقٍ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أُسِرَ وَأُوْتِقَ ، لِمَلَمَةٍ بِمَا يُؤْوَلُ إِلَيْهِ فِي

مَقْصِدِهِ أَمْرُهُ ، كَأَنَّهُ لَمَّا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِ التَّجَامِي وَالِاتِّقَاءِ عِلْمٌ أَنَّ أَحْسَنَ الْعَاقِبَتَيْنِ فِيهِ الْأَسْرُ ، فَذَكَرَهُ . وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

* قَدْ يَتِمَّتْ بِنْتِي وَأَمْتُ كُنْتِي *

فهذا وجهه ، ويجوز أن يكون قال هذه الأبيات بعد الأسر .

٣- وَإِذَا هَلَكْتُ فَلَا تُرِيدِي عَاجِزًا غُسًّا وَلَا بَرَمًا وَلَا مَغْزَالًا

ليس قصده في هذه الوصاة إلى أن يبعثها على تَخْيِيرِ الرَّجَالِ ، أو يرشدها لوجوه الانتخاب^(١) ، وإنما المراد : اطأبي مثلى . وهو يعلم أنها لا تظفر بمن يُمائله أو يقاربه . وَالنَّسْ : الضَّعِيفُ . قال :

* فَطَمَنَتْهُ لَا غُسٍّ وَلَا بِمُعَمَّرٍ^(٢) *

وَالْبَرَمُ : الذى لَا يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الْمَيْسَرِ ، لضيق صدره وتبرمه بما يلتزم في مثله . وَالْمَغْزَالُ : الذى لَا يَحْمِلُ السَّلَاحَ ، ويتناهى اعتزاله ورفضه إياه . وَالْأَعْزَلُ مثله . ومثل هذا قول ابن أحرار :

فَلَمَّا زَالَ سَرَجٌ مِنْ مَقْدَرٍ وَأَجْدِرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا
فَلَا تَصِلِي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي الْقَوْمِ أَصْبَحَ مُسْتَكِينَا
إِذَا شَرِبَ الْمَرِضَةُ قَالَ أَوْكِ عَلَى مَا فِي سِقَانِكَ قَدْ رَوِينَا
٤- وَاسْتَبَدَلِي خَتَنًا لِأَهْلِكَ مِثْلَهُ يُعْطَى الْجَزِيلَ وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ

يقال : اعتاصى منى لِأَهْلِكَ خَتَنًا مِثْلَ ذَلِكَ الْخَتَنِ ، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلًا ، وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ بَطْلًا فَبَطْلًا . ومثله يرتفع بالابتداء ، وما بعده في موضع الخبر له ، والجملة في موضع الصفة لِلْخَتَنِ ، ولا يجوز نصب « مِثْلَهُ » .

(١) م : « الانتخاب » .

(٢) لزهير بن ميمون ، في اللسان (غسس) . وصدره :

* فلم أرقه إن ينج منها وإن يمت *

٥- غير الجدير بأن تكون لقوْحُهُ رَبًّا عليه ولا الفصيلُ عِيالًا

هذا أيضاً من صِفَةِ أَخْتَيْنِ . يقول : لا يكون خليقاً بأن يكون مملوكاً لماله^(١)
لا مالسكاً ، ويحلُّ الفصيلُ منه محلَّ العيال لا محلَّ المال . وهذا كما قال الآخرُ :

فَلَا وَاللَّهِ مَا لَبَنِي بَرَبٌ وَلَا لَحِمِي عَلَى وَلَا سِلَاسِي^(٢)

واللَّقُوْحُ صِفَةٌ ، يقال ناقةٌ لَقُوْحٌ إذا كان بها لَبَنٌ ، وجمعه لُقُحٌ قال
الخليل : فإذا أرادوا استعمالها على حدِّ الأسماء قالوا لِقْحَةٌ ، يقال : هذه لِقْحَةٌ
فلان ، للناقة الحلوب — ولا يقال ناقةٌ لِقْحَةٌ — والجميع لِقَاحٌ .

١١٩

وقال ابن رميظ العنبري^(٣) :

١- باتوا نياماً وابنٌ هِنْدٍ لم ينم

٢- باتٍ يُقَاسِيهَا غُلَامٌ كَا زَلَمَ

يقول : مكث الناسُ نائمين في ليلهم ، وهذا الرجل لم ينم ، لأنه كان يَبْتَ
للغارة ، ثم قال « بات يقاسيها » ، أي يُعاني الغارة كيف يُوقِّعها ويدبُّرها متى

(١) في الأصل : « بماله » ، وأثبتنا ما في م .

(٢) سبق البيت في ص ٢٤٠ .

(٣) هو رشيد بن رميظ ، بهيئة التصغير فيهما . في الأصل : « ربيظ » ، تحريف صوابه
في م والعنبري ، كذا وقع في نسخة المرزوقي ، والصواب « العنبري » ، نسبة إلى بني عنز
ابن وائل ، أو بني عنزة . انظر تاج العروس (٥ : ٣٧) ، والأرجح أنه من بني عنزة . انظر
أمالى القالى (٢ : ١٢٦) وتحقيق اسمه في حواشي الحيوان (٥ : ٤٣٤) وسقط اللام ٧٢٩ .
وقال التبريزي : قال أبو رياش : هذه قاطا في غارة الحطم ، وهو شريح بن شر-بيل بن عمرو
ابن مرثد ، أغار على اليمن فقتل وليعة بنى معديكرب ، أخا قيس ، وسبى بنت قيس بن معديكرب
أخت الأشعث بن قيس ، فبعث الأشعث يعرض في فدائها بكل قرن من قرونها مائة من الإبل ،
فلم يفعل الحطم ، وماتت عنده عطشاً .

يأخذ فيها ، غلامٌ مُدْمَجُ الخَلْقِ خَفِيفٌ نَقْفٌ مُشْمَرٌ ، كأنه قِدْحٌ . يعني ابن هِنْدٍ .
والزَّالَمُ بفتح الزَّاء وضمُّها : القِدْحُ كان يُسْتَقْسَمُ به . قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ . ويجوز أن يكون المضميرين في باتُوا
المغارُ عليهم .

٣ - خَدَلَجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاقُ الْقَدَمِ

٤ - قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمَ

بصفه بأنه غليظ السَّاقَيْنِ ، ولو طُنَّه الأرضَ صَوْتُ ، ولقدَّمه خَفَقٌ ، وهو
سُرْعَةُ الخَطْوِ مع ضَرْبِ الأرضِ بها ، كأنه يشير بهذا إلى ثباته وقوته في العمل
والسير ، وشدة بلائه وضربه على السكدة . وقوله « قَدْ لَفَّهَا » يريد الإبل .
وجعلَ الفِعْلَ لِلَّيْلِ على المجاز . والمعنى : جَمَعَهَا بِرَجُلٍ مُتْنَاهِى الْقُوَّةِ ، عَنيفِ
السَّوْقِ ، يَكْسِرُ الطَّرَائِدَ بَعْضًا^(١) على بعضٍ ، لِقَلَّةِ رَفْقِهِ وكثرة عُنْفِهِ ، ولأنَّه
قليل الفِكْرِ فيها إذ كانت حُصِّلَتْ بِالْغَارَةِ ، فَإِنْ سَلِمَتْ فَهِيَ غُتْمٌ ، وَإِنْ تَلِفَتْ
فَلَيْسَتْ بِغُرْمٍ ، فَالْعَوَضُ مِنْهَا بِالْقُرْبِ . وقوله « حُطَمَ » بدلًا للعِبالَةِ ، وهو من
الحطَمِ الكسر .

٥ - لَيْسَ بِرَاعِيٍّ إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

٦ - وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ الْوَضْمِ

يقول : لَا يَرَفُقُ هَذَا الرَّجُلُ بِوَسَائِقِهِ رَفَقَ الرُّعَاةِ ، وَلَا رَفَقَ الْجَزَّارِ ،
وذلك أن الراعى مُكْتَرَى لِاتِّصَالِ مَرْعِيَّهِ ، وَحَفَظِ مَا ضَمَّ إِلَيْهِ بِجَهْدِهِ ،
وَالْجَزَّارُ لَا يَسْتَهْلِكُ مَالَهُ وَلَا يَغْنُفُ عُنْفَ مَنْ لَا يُبَالِي بِهِ . وَهَذَا صِفَةُ الْمَغْوَارِ

(١) م : « بعضها » .

القليل النِّكَرُ في فَسَادٍ مَا يَخْوِيهِ مِنْهَا ، الذَّاهِبُ عَنْ اسْتِبْقَائِهَا ، لَا يَبَالِي كَيْفَ اسْتَوْسَقَتْ ، وَعَلَى أَيْ حَالَةٍ تَحَصَّلَتْ .

١٢٠

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عُثْبَةَ الْحَارِثِيُّ (١) :

١ - أَلَا لَا أُبَالِي بَعْدَ يَوْمِي بِسَحْبَلٍ إِذَا لَمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا (٢)

يقول : اِسْتَفْتَيْتُ مِنْ أَعْدَائِي يَوْمَ سَحْبَلٍ - وهو اسم وادٍ - وأدركت آثارِي (٣) عندهم فَلَا أُبَالِي بِدُنُوِّ مَوْتِي بَعْدَهُ إِذَا لَمْ يُعَذَّبْنِي اللَّهُ تَعَالَى تَبَارَكَ اسْمُهُ ، إِذْ كُنْتُ نِلْتُ أُمْنِيَّتِي ، وَقَضَيْتُ مَأْرَبَتِي . وَالَّذِي تَنَاوَلَهُ قَوْلُهُ « لَا أُبَالِي » هُوَ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا . وَيُقَالُ لَا أُبَالِي كَذَا وَلَا أُبَالِي بِكَذَا . وَإِذَا لَمْ أُعَذَّبْ ظَرَفْتُ لِلْأُبَالِي ، أَيْ لَا أُبَالِي بِالْمَوْتِ إِذَا سَلِمْتُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَإِنَّمَا أَتَى بِإِذَا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي أُبَالِي وَأَصْلُهُ وَمَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ فِي الِاسْتِعْمَالِ ، وَأَنَّ قَوَائِمَهُمْ لَا أُبَالِيهِ بِاللَّهِ أَصْلُهُ عِنْدَ سَبِيوِيهِ بِالْيَمَةِ فَخُفِفَ . وَقَدْ ذَهَبَ غَيْرُهُ إِلَى أَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ ، وَيَقُولُ فِي بِاللَّهِ إِنَّهَا فَعْلَةٌ ، وَإِنْ أَلْفَهَا مَقْلُوبَةً عَنْ وَاوٍ ، وَأَنْ أُبَالِي كَانَتْ أُبَاوِلُ أَيْ لَا أَكْثَرُ ، ثُمَّ وُضِعَ مَوْضِعُ لَا أُخْفِلُ وَلَا أَكْثَرْتُ . وَلِلتَّرْجِيحِ وَالنَّظَرِ فِي الْمَسْأَلَةِ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا .

٢ - تَرَكْتُ بِجَنَّتِي سَحْبَلٍ وَتِلَاعِهِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ تَنَاوِيَا

أَخَذَ يَقْتَصِمَ مَا هُوَ عَلَيْهِ لِلْمَوْتِ مِنْ فَعْلِهِ ، فَيَقُولُ : تَرَكْتُ بِجَانِبِي هَذَا الْوَادِي

(١) سبقت له الحماسية الرابعة . التبريزي : « وقال جعفر بن عتبة الحارثي حين لقي بني عقيل » .

(٢) التبريزي : « يوم بسجل » .

(٣) الآثار : جمع ثار بالقلب ، ومثله الآثار .

ومسائل مياهه مَضُوبَ دَمٍ ، يلزم ذلك المكان على مرور الأيام فلا يبرح . وقوله « ثَاوِيَا » مِنْ ثَوَى بِالْمَكَانِ ، إِذَا هُم . يَفَالُ ثَوَى وَأَثَوَى جَمِيعًا . وقوله « مُرَاقَ دَمٍ » يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ مَوْضِعًا أَرِيقَ بِهِ دَمٌ ، كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ دَمًا مُرَاقًا ، وَلَكِنَّهُ إِذَا أُرِيدَ بِهِ الْمَوْضِعُ يَكُونُ لَا يَبْرَحُ مِنْ صِفَةِ الدَّمِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ رَجُلًا أَرِيقَ دَمَهُ وَيَكُونُ كَقَوْلِكَ هُوَ حَسَنُ وَجْهِ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ لِلرَّادِ مُرَاقَ دَمٍ لَا يَزَالُ ذَكَرُهُ بَاقِيًا عَلَى الدَّهْرِ لِحَذْفِ الْمُضَافِ . وَالتَّلَاحُ : جَمْعُ تَلْعَةٍ ، وَهِيَ أَرْضٌ مَرْتَفَعَةٌ يَتَرَدَّدُ فِيهَا السَّيْلُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي . وَمِنْ الْاسْتِعَارَةِ الْحَسَنَةِ : فَلَنْ لَا يُوثِقُ بِسَيْلٍ تَلْعَتِهِ ، إِذَا كَانَ غَيْرَ صَدُوقٍ فِي أَخْبَارِهِ .

٣ - إِذَا مَا أُنَيْتَ الْحَارِثِيَّاتِ فَأَنْعَنِ لَهْنٌ وَخَبْرُهُنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

هَذَا كَلَامُ رَجُلٍ يُوَسِّسُ أَحِبَّتَهُ مِنْ نَفْسِهِ لَاسْتِقْتَالِهِ ، أَوْ لِأَنَّهُ مُنِيَ بِمَا لَمْ يَرْجُ اخْتِلَاصَ مِنْهُ . فَقَالَ : إِذَا زُرْتِ نِسَاءَ بَنِي حَارِثَةَ فَأَذْكُرْ مَوْتِي لَهْنٌ ، وَأَعْلَمُهُنَّ أَنَّهُ لَا تَلْقَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ . فَقَوْلُهُ « أَنْ لَا تَلَاقِيَا » أَنْ مَخْفَفَةٌ مِنْ أَنَّ الثَّقِيلَةَ ، وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ ، وَتَلَاقِيَا نَصَبٌ بِلَا وَخَبْرُهُ مَحْذُوفٌ ، الْمُرَادُ لَا تَلَاقِي لَنَا ، وَالْهَاءُ فِي أَنَّهُ ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالْأَمْرِ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ أَنَّ . وَهَذَا الْبَيْتُ مَعَ مَا بَعْدَهُ لِمَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ^(١) فِيمَا أَظُنُّ ، وَانْضَمَّ إِلَى آيَاتِ جَعْفَرِ بْنِ عَلْبَةَ عَلَى سَبِيلِ الْفَلَطِ .

٤ - وَقَوِّدْ قَلُوصِي فِي الرَّكْبِ فَإِنَّهَا سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا

يَقُولُ نِسَاءً كَثِيرٌ قَوِّدَ نَاقَتِي حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، فَإِنَّ الْأَعْدَاءَ يَشْتَمُونَ إِذَا اسْتَدْلَوْا بِهَا وَيَضْحَكُونَ سَرُورًا ، وَالْأَصْدِقَاءُ ذَوَاتُ الشَّفَقَةِ يَفْتَمُونَ فَيَبْكُونَ تَوَجُّعًا^(٢) . وَهَذَا الْكَلَامُ تَحْزُنٌ وَتَحْشُرٌ . وَقَوْلُهُ « سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي

(١) انظر الخزانة (١ : ٣١٧ - ٣١٩) . (٢) كذا في النسختين .

بواكيا» من باب وصف الشيء بما يؤول إليه ، ومثله قولهم : خرجت جوارجه . وقول الفرزدق :

* قَتَلْتَ قَتِيلًا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ *

والقلوص ، قال الخليل : هي الناقة الباقية على السير ، لا تزال قلوصاً حتى تَبْرُلُ^(١) . وإنما سُميت قلوصاً لطول قوائمها ولم تَجْسُمْ بَعْدُ .

١٢١

وقال آخر^(٢) :

١ - لَعَمْرِي لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ
خَبْرُ « لَعَمْرِي » مُضْمَرٌ وَلَا يَجُوزُ إِظْهَارُهُ ، وَهُوَ قَسَمٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَيْضاً
فِيهِ إِلَّا فَتْحُ الْعَيْنِ ، وَلَرَهْطُ جَوَابُهُ . وَالرَّهْطُ يَقَعُ عَلَى مَا دُونَ الْعَشْرَةِ ، وَلِهَذَا
دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْأَحَادُ فَعِيلٌ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ . وَمِثْلُهُ نَفَرٌ ، وَلَوْ كَانَ يَقَعُ
عَلَى الْكَثِيرِ لَمَا جَازَكَ فِيهِ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَقُولُ ثَلَاثُ إِبِلٍ . وَانْتَصَابُ
« بَقِيَّةً » عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَمَوْضِعُ « وَإِنْ عَالَوْا بِهِ » نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ لِلرَّهْطِ ،
وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِيمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « خَيْرٌ بَقِيَّةً » . وَقَوْلُهُ « كُلَّ مَرْكَبٍ »
يُرِيدُ بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ مَذْمُومٍ . وَعَالَيْتُ بَفُلَانٍ بِمَعْنَى أَعَالَيْتُهُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ :
وَبَقَائِي ، لَعِتْرَةُ الرَّجُلِ أَحْسَنُ إِبْقَاءٍ عَلَيْهِ ، وَأَكْثَرُ حَشْمَةٍ لَهُ ، وَإِنْ أَرَادَ كِبُوهُ
مَرَاحِبَ صَغِيرَةٍ مَكْرُوهَةٍ ، وَأَنْزَلُوهُ مِنْ أَرْكَانِ حَزَنَةٍ مَذْمُومَةٍ .

٢ - مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَاغَتِي جَزِيلٍ وَلَمْ يَخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرَّبٍ
تَعَلَّقَ « مِنْ » بِقَوْلِهِ خَيْرٌ بَقِيَّةً ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَفْعَلُ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ . يَقُولُ : هُمْ

(١) البازل : التي استكلت الثامنة وطغنت في التاسعة .

(٢) هو خالد بن فضلة ، كما في الحيوان (٣ : ١٠٣) والبيان (٣ : ٢٥٠) .

أَحْسَنُ إِبْقَاءٍ عَلَيْهِ مِنَ الْغَرِيبِ الْأَبْعَدِ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ مُحْتَشِمًا فِي نَفْسِهِ غَنِيًّا ، وَمُعْظَمًا مَهِينًا . وَقَوْلُهُ « وَإِنْ كَانَ ذَا غَنًى » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْضًا . وَالْجَانِبُ يَرَادُ بِهِ الْجَنْسُ لَا وَاحِدٌ بَعِيْنُهُ . وَقَوْلُهُ « وَلَمْ يُخَيِّرَكَ مِثْلُ مُجَرَّبٍ » يَجْرِي مَجْرَى (١) الْإِلْتِفَاتِ ، وَهُوَ تَوْكِيدٌ لِلْخَبَرِ الَّذِي أَوْرَدَهُ ، وَتَحْقِيقٌ لِمَا أَنْبَأَ بِهِ وَشَرَحَهُ ، وَأَنَّ مَا قَالَهُ قَالَهُ عَنْ تَجْرِبَةٍ وَخَبْرَةٍ ، لَا عَنْ سَمَاعٍ وَخَبَرٍ .

٣- إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُ مِنْهُمْ فَكُلْ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبٍ

هَذَا الْكَلَامُ تَحْذِيرٌ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِالْأَجَانِبِ ، وَالِاسْتِمَامَةِ إِلَى نَاحِيَتِهِمْ ، وَبَعَثٌ عَلَى طَلَبِ مَوَافَقَتِهِمْ وَتَرْكِ الْخِلَافِ عَلَيْهِمْ ، بَعْدَ الْحَصُولِ فِيهِمْ ؛ وَأَنَّ اسْتِمَالَ الْإِدْلَالِ مَعَهُمْ ، وَالْأَخْذَ بِالْمُضَابِقَةِ فِي إِيقَاتِهِمْ وَالِاسْتِيفَاءِ مِنْهُمْ غَيْرُ وَاجِبٍ . وَيُرْوَى : « فِي قَوْمٍ عِدَى لَسْتُ مِنْهُمْ » وَيَكُونُ مَعْنَى لَسْتُ مِنْهُمْ : وَأَنْتَ لَا تَهْوَى هَوَاهُمْ . وَالْعِدَى يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، يَقَالُ رَجُلٌ عِدَى ، وَقَوْمٌ عِدَى ، أَيْ بُعْدُ غُرْبَاءَ . وَقَوْلُهُ « كُلْ مَا عُلِفَتْ » مِثْلٌ . وَمِثْلُهُ .

* وَلَا تَطْعَمَنْ مَا يَفْلُقُونَكَ *

وَكُنَّ الْعُلْفَ مَخْتَصًّ بِهَذَا الْمَعْنَى ؛ فَإِنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي غَيْرِهِ .

١٢٢

وَقَالَ الْبُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ (٢) :

١- فَنَنْتَمِ الْحَيُّ كُلُّهُ غَيْرُ أَنَا رَأَيْنَا فِي جِوَارِهِمْ هَنَاتٍ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِثْلُ » وَأَثْبَتْنَا مَا فِيهِمُ وَالتَّبْرِيْزِيُّ .

(٢) هُوَ الْبُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ بْنُ جِلَاسٍ ، أَحَدُ بَنِي جَدِيلَةَ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي طَرِيفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثُمَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَدْعَاءَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ رُومَانَ . وَهُوَ مِنْ مَعْمَرِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَكَانَ قَدْ جَاوَرَ كُلَّهَا أَيَّامَ حَرْبِ الْفَسَادِ فَلَمْ يَحْمِدهُمْ . الْمُؤْتَلَفُ ٦١ وَشَرَحَ التَّبْرِيْزِيُّ عَلَى الْحِمَاسَةِ فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ . وَانْظُرْ لِحَرْبِ الْفَسَادِ شَرَحَ التَّبْرِيْزِيُّ وَالْأَغَانِي (١١ : ١٢٧) وَالْمِيدَانِي (٢ : ٣٥٨) .

هذا الكلام تهكمٌ وسخريةٌ . وجاز أن يأتي به بلفظ المدح لأنه بما بعده تبين القرض ؛ فيكون أبلغ في الهزء . والهفات : الأمور المنكرة ، ولا تستعمل إلا في الشر^(١) ، وهي جمع هنة ، وإنما يكتفى بها عن المحقرات ، كأنه يرى الإبقاء والجمالة ، ويجرى الأمر على الدأجاة وترك الجاهرة . وقد يجمع هنة على هنوات ، فمن ردّ اللام في الجمع رده في النسبة أيضاً ، ومن لم يردّه فهو في النسبة بالخيار ، إن شاء قال هني وإن شاء قال هنوي . فيقول : قبيلة كلب محمودة في الأحياء ، غير أننا منينا في جوارهم بدواه وبلينا بمنكرات . والاستثناء في هذا المكان يكون منقطعاً . وكان فارق قومه طيناً مرغماً وجاور كلباً فلم يحمّد جوارهم ففارقهم دائماً لهم .

٢ - ونعم الحى كلبٌ غير أنا رزينا من بنين ومن بنات يريد مثل ما أراد في البيت الأول من السخرية . ومعنى رزينا : أصبنا بينين وبنات . ويقال فلان مرزاً في ماله فيكون مدحاً ، وفلان مرزاً في أهله فيكون ترشحاً وتوجماً . ومثل هذا التهكم قول الآخر^(٢) :

فِدَى لِسَلَمَى تَوْبَايَ إِذْ دَنَسَ الْ قَوْمُ وَإِذْ يَدُسُّونَ مَا دَسُّوا
فالتفدي به هنا كالمدح بنعم ثم . وقوله « من بنين » من دخل للتفضيل ، كأنه قال : رزينا أناساً من بنين ومن بنات ، ومفعول رزينا محذوف ، ويجوز أن يكون زاد من في الواجب على ما أجازة الأخفش وحكاة عنهم من قولهم : « قد كان من مطرٍ نخلٌ عني^(٣) » ، فيكون المراد رزينا بينين وبنات .

(١) ذكر التبريزي أن بعض المحوذين ، قد استعملها في الخير ، وهو قوله :

وعشرة محمودة تحتها مساعدات وهنات عذاب

(٢) هو الجميع الأسدي . المفضليات (١ : ٤٠) .

(٣) كذا في م . وفي الأصل : « على ما أجاره الأخفش وحكاة عنه كان من مطر » ،

وفيه تحريف ونقص .

٣- فَإِنَّ الْعَذْرَ قَدْ أَمْسَى وَأَضْحَى مُقِيمًا بَيْنَ خَبْتٍ إِلَى الْمَسَاتِ (١)

يقول زارياً عليهم ومبيناً : إِنَّهُ نَالَهُمْ مَا نَالَهُمْ لِأَنَّ الْعَذْرَ مُقِيمٌ فِيمَا بَيْنَ دِيَارِهِمْ ، وَمِمَّا انْطَوَى عَلَيْهِ أَحْشَاؤُهُمْ : وَفَائِدَةُ قَوْلِهِ أَمْسَى وَأَضْحَى بَيَانُ اتِّصَالِ الْوَقْتِ . وَقَوْلُهُ « فَإِنَّ الْعَذْرَ » الْفَاءُ رَبَطَ الْجُمْلَةَ الَّتِي بَعْدَهَا بِمَا تَقَدَّمَ وَرَتَّبَهَا عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : قَاسَوْا مَا قَاسَوْهُ فِي جِوَارِهِمْ فَإِنَّهُمْ غَادِرُونَ . وَخَبْتٌ وَالْمَسَاتُ : مَاءَانِ السَّكْبِ . يَقُولُ : الْعَذْرُ مُقِيمٌ فِي كَلْبٍ بَيْنَ هَذَيْنِ ، أَيْ فِي أَوَّلِ دِيَارِهِمْ وَآخِرِهَا .

٤- تَرَكْنَا قَوْمَنَا مِنْ حَرْبٍ عَائِمٍ أَلَا يَا قَوْمِ الْأُمْرِ الشَّتَاتِ

هذا الكلام اقتصاصٌ لحالِهِ ، وإظهارٌ للتأشُّفِ عَلَى مجَاوِرَةِ كَلْبٍ ، وَالتَّندُّمِ عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ مَفَارِقَةِ الْعَشِيرَةِ : وَقَوْلُهُ « يَا قَوْمِ الْأُمْرِ الشَّتَاتِ » تَعَجُّبٌ . وَالشَّتَاتُ : مَصْدَرٌ وَصِفَ بِهِ . وَاللَّامُ فِي الْأُمْرِ لَامُ الْإِضَافَةِ ، لَكِنْ فَائِدَتُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّعَجُّبِ ، وَأُتِيَ بِهِ مَعَ الْمَدْعُوِّ . وَقَدْ يُقَالُ يَا زَيْدُ فَيَكُونُ الْمُنَادَى مَحْذُوفًا . وَهَذِهِ اللَّامُ تَدْخُلُ مَفْتُوحَةً فِي الْمُنَادَى وَيُرَادُ بِهِ الْإِعْتِرَاءُ (٢) ، كَقَوْلِكَ يَا لَبْكَرٍ وَيَا لَتَمِيمٍ . فَيَقُولُ : انْتَقَانَا عَنْ قَوْمِنَا وَفَارَقْنَاهُمْ مُنْذُ زَمَنِ الْحَرْبِ الَّتِي اتَّفَقَتْ بَيْنَنَا عَامًّا أَوَّلَ . ثُمَّ أَخَذَ يَسْتَعِظِفُهُمْ ، وَيَتَذَمُّ مِنْ صِرَافَتِهِمْ ، وَيُظْهِرُ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَقْبِلُوا لِمَا تَشَقَّتْ مِنْ أَمْرِنَا ، وَاخْتَلَّ مِنْ حَالِنَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ حَرْبٍ عَائِمٍ » جَعَلَ مِنْ بَدَلٍ مُنْذُ ، لِأَنَّهُ فِي الْمَكَانِ مِثْلُهُ فِي الزَّمَانِ ، كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

(١) المسات ، كَذَا ضَبَطَ فِي النُّسخَتَيْنِ بَفَتْحِ الْمِيمِ ، وَضَبَطَهُ يَاقُوتٌ بِضَمِّهَا .

(٢) الاعتِرَاءُ : الْإِدْعَاءُ وَالِانْتِمَاءُ فِي الْحَرْبِ ، وَمِثْلُهُ التَّعَزَّى . وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ لَمْ

يَتَعَزَّ بِعِزِّ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَّا . أَيْ مَنْ لَمْ يَدْعُ بِدَعْوَى الْإِسْلَامِ فَيَقُولُ يَا اللَّهُ أَوْ يَا لِلْإِسْلَامِ أَوْ يَا لِلْمُسْلِمِينَ » .

* أَقْوَيْنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ ^(١) *

٥- وأَخْرَجْنَا الْأَيَّامِيَّ مِنْ حُصُونِ بِهَا دَارُ الْإِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ

يقول: أَخْرَجْنَا النِّسَاءَ اللَّاتِي صِرْنَ أَيَّامِيَّ مِنْ مَقَرِّ عَزَّيْنِ، وَدَارِ أَمْنِهِنَّ، إِلَى جِوَارِ كَلْبٍ، حَتَّى اتَّفَقَ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَا اتَّفَقَ، وَمِنْ حُلُولِ الرِّزَايَا وَمَقَاسَةِ الْهَنَاتِ بَهَنٍّ مَا أَفْلَقَ. وَوَصَفَ النِّسَاءَ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُنَّ مِنَ الْإِيْمَةِ، وَإِنْ كُنَّ وَقْتُ الْإِخْرَاجِ ذَوَاتِ بُعُولٍ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ ^(٢):

* سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا ^(٣) *

وفي القرآن: ﴿إِنِّي أُرَانِي أَغْصِرُ خَرًّا﴾. وَأَيَّامِيَّ: جَمْعُ أَيَّامٍ، وَيُقَعُّ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ. وَالْفِعْلُ مِنْهُ آمٌ، أَيْ بَقِيَ بِلَا زَوْجٍ. وَهُوَ مِنَ الْفِعْلِ قَبِيلٌ، وَجَمْعُهُ أَيَّامٍ عَلَى فَيَاعِلٍ. وَأَيَّامِيَّ مَقْلُوبٌ كَأَنَّهُ قُدِّمَ اللَّامُ عَلَى الْعَيْنِ فَصَارَ أَيَّامِيَّ عَلَى فَيَالِغٍ، ثُمَّ فَرَّوْا مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ، فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا.

٦- فَإِنْ نَزَجْ عَ إِلَى الْجَبَلَيْنِ يَوْمًا نَصَالِحِ قَوْمَنَا حَتَّى الْمَمَاتِ

هَذَا إِظْهَارُ رَغْبَةٍ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْعَشِيرَةِ، وَمَعَاوِدَةِ الْوَطَنِ وَالْمَحَلَّةِ. يَقُولُ: إِنْ اتَّفَقَ لَنَا عَوْدَةٌ إِلَى بِلَادِنَا تَرَكْنَا الْخِلَافَ عَلَى ذَوِينَا، وَأَقْنَبْنَا بِهَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَجْلِ، وَاسْتِنْفَادِ الْمَهْلِ. وَيَعْنِي بِالْجَبَلَيْنِ أَجَاً وَسَلَمَى: جَبَلَيْ طَيْءٍ ^(٤). وَقَوْلُهُ «حَتَّى الْمَمَاتِ» أَرَادَ بِهِ إِلَى حِينِ الْمَمَاتِ، فَحَذَفَ الْمَضَافَ. وَالْمَمَاتُ يَكُونُ مُصَدَّرًا، وَإِنْ جَعَلْتَهُ اسْمًا لِلْحَيْنِ فَلَا حَذْفَ.

(١) صدره كما في الديوان ٨٦ طبع دار الكتب :

* لَمِنَ الدِّيَارِ بِقَنَةِ الْحَجَرِ *

(٢) هو مالك بن الربيع . الأماي (٣ : ١٣٨) والخزاف (١ : ٣١٩) . وانظر الأغاني (١١ : ١٤٢) .

(٣) صدره : * وَعَطِلَ قُلُوصِي فِي الرِّكَابِ فَإِنَهَا *

(٤) وكان أجاً لبني ثعل ، وسلمى لبني نهبان .

١٢٣

وقال موسى بن جابر^(١) :

١ - لا أَشْتَهِي يا قَوْمِ إِلَّا كَارِهًا بَابَ الْأَمِيرِ وَلَا دِفَاعَ الْحَاجِبِ

يصفُ بهذا الكلام مَيْلَهُ إِلَى الْبَذْوِ ، وَتَفْضِيلَهُ رِجَالَهُ عَلَى رِجَالِ الْخَضِرِ ،
فَيَقُولُ : لَا أُنْتَمِي وَرُودَ بَابِ الْأَمْرَاءِ ، وَمُدَافَعَةَ الْحُجَابِ ، وَلَا أَعْلَقُ شَهْوَتِي بِهِمَا
إِلَّا عَلَى كَرْهٍ وَعَنْ دَاعِيَةٍ عَارِضَةٍ ؛ إِذْ كُنْتُ أَلْفَتُ الصَّحَارِي وَالْبَرَارِي ،
وَصَاحَبْتُ بِهِمَا مَنْ لَا تَمْلِكُنِي مَعَهُ حِشْمَةٌ ، وَلَا يَصُدُّنِي دُونُهُ عِزَّةٌ . وَانْتَصَبَ
« كَارِهًا » عَلَى الْحَالِ .

٢ - وَمِنَ الرَّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ وَمِنْ تَدُونِ شُهُودُهُمْ كَالْفَائِبِ

يَقُولُ : مِنَ الرِّجَالِ رِجَالٌ كَالْأَسِنَّةِ الْمَطْرُورَةِ ، أَيْ بِمَضُونٍ فِي الْأُمُورِ
وَيَفْصِلُونَهَا نِفَازَ الْأَسِنَّةِ ؛ وَمِنْهُمْ مَزْدُونٌ . وَالْمَزْدُ : الْمُبْخَلُّ لِلْقَلِيلِ . وَقِيلَ الزَّيْنُ
ضَرْبٌ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْقِلَّةِ . يَقَالُ : « زَنْدَانٍ فِي مُرَقَّةٍ »^(٢) ، ثُمَّ قِيلَ هُوَ مَزْدٌ مُشْتَقٌّ
مِنْهُ . وَقَوْلُهُ « شُهُودُهُمْ كَالْفَائِبِ » أَيْ لَا غَنَاءَ عِنْدَهُمْ ، وَلَا دِفَاعَ بِهِمْ ، فَخُضُورُهُمْ
كَفَيْتَهُمْ . وَأَرَادَ بِالْفَائِبِ الْكَثْرَةَ لَا التَّوْحِيدَ . وَكَانَ مِنْ حَقِّ التَّقْسِيمِ أَنْ يَقُولَ :

(١) هُوَ مُوسَى بْنُ جَابِرِ بْنِ أَرْقَمَ بْنِ مُسْلِمَةَ بْنِ عُبَيْدِ الْخَثْعِيِّ الْيَمَامِيِّ ، شَاعِرٌ نَصْرَانِيٌّ جَاهِلِيٌّ
كَثُرَ الشُّعْرُ ، فِيمَا ذَكَرَ الْأَعْمَدِيُّ وَالْمَرْزُبَانِيُّ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ أَزِيرِقَ الْيَمَامَةِ ، وَيَعْرِفُ بِابْنِ لَيْلٍ وَهِيَ
أُمُّهُ . وَكَانَ يَقَالُ لَهُ أَيْضًا : ابْنُ الْغَرِيْمَةِ ، كَمَا يَقَالُ لِحَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ . وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ فِيمَا ثَقَلَهُ
عَنْهُ التَّبَرُّيُّ : « مُوسَى مُنْقُولٌ مِنَ الْعِبْرَانِيَّةِ ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّ فِي الْعَرَبِ مَنْ سَمَّى مُوسَى زَمَانًا
الْجَاهِلِيَّةَ ، وَإِنَّمَا حَدَّثَ هَذَا فِي الْإِسْلَامِ لَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَمَّى الْمُسْلِمُونَ أَبْنَاءَهُمْ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ . عَلَى
سَبِيلِ التَّبَرُّكِ » . وَقَوْلُ ابْنِ الْعَلَاءِ هَذَا مُعْتَرِضٌ بِمَا ذَكَرَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ ٣٧٦ . وَانْظُرْ
الْمَوْثَلَفَ ١٦٥ .

(٢) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ١٨٠ .

ومنهم مزندون ، لكنه اكتفى بِمِنِ الْأَوَّلِ . ومثله قول الله تعالى : ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ . وسمعتُ أبا عليٍّ الفارسيَّ رحمه الله يقول : كلُّ صِفَتَيْنِ تَتَنَافَيَانِ وتندافعان فلا يصحُّ اجتماعهما لموصوفٍ لا بُدَّ لِإِضْمَارٍ مِنْ مَعَهُمَا إِذَا فُصِّلَ جُمْلَةً بهما ، متى لم يَجِئْ ظاهراً ، ثم أنشد :

وما زودوني غيرَ سَحْقٍ عِبَاءَةٍ وَخَسِ مِيءٍ مِنْهَا قَسِيٌّ وَزَائِفٌ^(١)

وقال : يريد ومنها زائف . وهذا كما تقولُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو ، والمعنى وعمرُو منطلق ، فحذف الاكتفاء بالخبر عن الأول ، وعلماً بأن المنعطف ذلك حاله . قال : فإن أمكن اجتماع الصفتين لموصوفٍ واحد استغنى عن إضمار من ، ذلك كقولك صاحبك منهما ظريف وكريم .

٣ - مِنْهُمْ لِيُوثُّ لَا تُرَامُ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشَتْ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ

يقول : من الرجال رجالٌ كالأسود عِزَّةً وَأَنْفَةً ، لا يُطْلَبُ اقْتِسَارُهُمْ واهْتِصَامُهُمْ ، ومنهم متقاربون كالقماش واللفائف ، يُجْمَعُوا عَلَى مَا اتَّفَقَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ . كأنه لم يَقْنِعْهُ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ وتلك القسمة ، فاستأنفهما على وجهٍ آخر . وقوله « وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشَتْ » ينوب فيه ذكر البعض عن قوله « وَمِنْهُمْ » ، لِأَنَّ مِنَ التَّبَعِيضِ فَاسْتَغْنَى بِهِ . وقوله « وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ » كقول الآخر :

* وَكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الْأَدَمِ^(٢) *

قال الأصمعي : لِأَنَّ بَيْتَ الْأَدَمِ يَجْمَعُ الْجَيِّدَ وَالرَّدِيءَ ، عَلَى تَقَارُبِ بَيْنِهِمَا ، فَقِيهِ مِنْ كُلِّ جِلْدٍ رُقْعَةٌ . وكذلك الحاطب يجمعُ في حبله^(٣) الجيِّدَ والرَّدِيءَ ،

(١) البيت لمزرد ، كما في اللسان (سحق ، قسا ، مأي) .

(٢) قبله في اللسان (أدم) :

* النَّاسُ أَضْيَافٌ وَشَيْءٌ فِي الشَّيْمِ *

(٣) في الأصل : « صدره » ، صوابه في م والتبريزي .

والرطب واليابس ، على تَدَانٍ بينهما . فإن قيل : وما الفائدة في إعادة التقسيم والتشبيه ؟ فالجواب أن يقال : كأنه صَنَّفَهُمْ^(١) في الأولى من حيث اختلفوا عنده في الأعمال والأخلاق ، وعلى توهم تباعد بينهم ، بدلالة قوله من الرجال أَسِنَّةٌ ومنهم مزَنَدُونٌ لا يُقْتَدُّ بمحضورهم . وبين الصفتين تفاوتٌ عظيم ، وتباينٌ شديدٌ . وصَنَّفَهُمْ في الأخرى من حيث اختلفوا فيها على توهم تقارب بينهم ؛ لأن فيمن يُقَمَّشُ من لا يُبَايِنُ المباينة الفاحشة ، ولا يُخَالِفُ المخالفة المنكرة .

١٢٤

وقال آخر :

١ - أقولُ لنفسي حينَ خَوَدَ رَأْهُهَا مكانَكَ لَمَّا تُشْفِقِي حينَ مُشْفَقِي

يقال : خَوَدَ رَأْهُ ، للمذعور المرتاع : والرَّأْل . فرخ النعام . وهذا مَثَلٌ . والتخويد : ضَرْبٌ من السَّيْرِ سريع . والتَّخْوِيدُ والوَخْدُ والخَدْيُ متقاربةٌ المعنى ، في أنها تفيدُ ضروباً من المشي ، ويُوصَفُ بجميعها للنعام . ويقال في هذا المعنى « زَفَّ رَأْهُ » ، لأن الزَّفِيفَ ضَرْبٌ من القُدْوِ سريعٌ أيضاً . وفي هذه الطريقة قولُهُم « طار طائرُهُ » . ويقولون : « هو أَفْرُ من نَعَامٍ » ، و « أَشْرَدُ من ظَلِيمٍ » . ومعنى البيت : إني أَثَبَّتُ نفسي عند ما يَبْدَهُ من دُغْرِ الحرب ، وَيَفْجَأُ من روعة القتال ، فأخاطب نفسي إذا هَمَّتْ بالإحجام ، أو وُسَّوسَ إليها وجوبُ الانهزام : أَلَزِمِي مكانَكَ لم تُدْعِرِي وقت دُغْرِ . وقوله « مكانَكَ » أَمْرٌ ، وهو موضوعٌ موضعَ الفعل الذي عَمِلَ فيه ، ومكْتَفَى^(٢) به عنه ، فهذا إيجابٌ . وقوله « لَمَّا تُشْفِقِي حينَ مُشْفَقِي » تأنيسٌ ، أي لم تخافي وقت مخافتِهِ .

(١) كذا في م . وفي الأصل : « وصنفهم » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « ومكتف » .

فهما كلامان . والإشفاق : الذُّعْرُ ، وقد يختلط بالثُّضَح ويَتَجَرَّد عنه . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ .

٢ - مَكَانَكَ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي عِمَايَةَ هَذَا الْعَارِضِ الْمَتَأَلِّقِ ^(١)

يقول : أَسْتَأْنِي وَأَتَرَفُّ ، وأقول في تلك الحالة ، تَمَسَّكِي بِنَفْسٍ وَاحْفَظِي مَكَانَكَ إِلَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ عَنْ أَىِّ شَيْءٍ تَنْكَشِفُ لَكَ ظِلْمَةُ هَذَا الْعَارِضِ الْمُتَشَقِّقِ بِالْبَرْقِ . وَالْعَارِضُ ، أَصْلُهُ فِي السَّحَابِ ، وَهَاهُنَا أَرَادَ بِهِ الْجَيْشَ . وَجَعَلَ الْمَتَأَلِّقَ مِثْلًا لِلْعَمَانِ الْأَسْلَحَةِ . وَيُقَالُ اتَّلَقَ الْبَرْقُ أَى تَلَأَأَ ، وَتَأَلَّقَ . وَالْعِمَايَةُ : الظِّلَّةُ وَالْهَبْوَةُ . وَيُرْوَى : « عِمَايَةُ هَذَا الْعَارِضِ » وَهِيَ فِي طَرِيقِ الْعِمَايَةِ لِأَنَّهُمَا مِنَ الْغَىِّ وَالْعَمَى ، وَقَدْ تَوَسَّعَ فِيهِمَا . وَإِنَّمَا طَلَبَ مِنَ النَّفْسِ الصَّبْرَ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِأَنَّ مَنْ ثَبَّتَ فِي الْحَرْبِ إِلَى انْكَشَافِ الْحَالِ فِيهِ فَقَدْ أَعْطَاهَا حَقَّهَا .

١٢٥

وقال موسى بن جابر ^(٢) :

١ - وَقُلْتُ لَزِيدٍ لَا تُتَرَتِرْ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمَنَايَا دُونَ قَتْلِكَ أَوْ قَتْلِي ^(٣)

الَّتَرْتَرَةُ : الْعَجَلَةُ . وَحِكْي الدَّرِيدِيَّ أَنَّهَا كَثْرَةُ الْحَرَكَةِ ^(٤) ، فَهِيَ كَالْتَلْتَلَةِ . وَرُويَ الْحَدِيثُ : « تَلْتَلُوهُ وَمَزْمُؤُهُ » بِالرَّاءِ ^(٥) وَاللَّامِ جَمِيعًا . وَيُرْوَى

(١) ذكر التبريزي أن بعد البيتين :

وكوفي مع التالى سبيل محمد
إذا قال سيف الله كروا عليهم
وإن كذبت نفس المقصر فاصدق
كررنا ولم نخفل بقول المعوق

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٢٣ .

(٣) كذا في الأصل . وفي م والتبريزي : « قلت لزيد » بالخمر .

(٤) انظر الجمهرة (٢ : ١٣) .

(٥) في النسختين : « بالزاي » ، تحريف .

« لا تُبْزِرُ » ، والبزيرة ؛ كثرة الكلام ، وكذلك التثرة بالناء ، ورجلٌ ثرثارٌ . ويقال : ما أكثر بزرتهم ، إذا ما جوا في الكلام . ومنه سُمي البزير : جنسٌ من المغاربة ^(١) ، وكذلك البزيرة بالزاي : كثرة الحركة . وقد روي : « لا تُبْزِرُ » . ويقال ما أكثر بزرتهم ، ورجلٌ بزّارٌ وبزّارٌ ، إذا كان يكثر حركاته ويخف ^(٢) فيقول : لا تفعلْ يا زَيْدُ ، أو لا تُكثِرْ كلامَكَ ولا تضطرب ، فإنَّ القومَ يرون الصبر على المنايا ويخفّ عليهم ويقلّ عندهم إذا ثبت فيه قتلُك أو قتلُ لهم ^(٣) . واتهموا في تحصيل أحدهما فرصهم . ويكون « يرون » في هذا الوجه من الرأي ، كما يقال فلانٌ يرى في دينه أو في مهوئِهِ كذا ، أي يتخذه مذهبا ويدوم عليه . ويجوز أن يريد يرون المنايا : يُقاسون الشدائد ، ويدوقون المنايا ، ولم يصلوا بعد إلى قتلٍ أو قتلِكَ . ويكون معنى « دون قتلِكَ » كما يقال « دون هذا الأمر خراط القتاد » ، وكما قال بشرٌ :

* وَمِنْ دُونِ لَيْلِي ذُو بَحَارٍ وَمَنْوَرٌ ^(٤) *

ومعنى يرى كما يُقال لو علمت ماذا رأيتُ من فلانٍ ، يراد أي شيء مارست وكأيدت . والكلام في المعنى الأول تصويرٌ لحال القوم في عداوتهم ، ونهْيٌ عن المعالجة ^(٥) معهم ، وبُعْثٌ على مصابرتهم ومحاذرتهم . وعلى المعنى الثاني يكون تثبيتا لصاحبه وتشجيعا ، وتسكيفا منه وتصبيرا ، فيكون مثل قوله :

(١) ومنه سمى البربر ، إلى هنا ساقط من م .

(٢) م : « إذا كان يكثر حركاته ويخف » .

(٣) أي إذا ثبت لهم . وكلمة « لهم » في م نقطة .

(٤) صدره كما في معجم البلدان (٢ : ٦٥) :

* لَيْلِي عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ تَذَكَّر *

وبحار في النسختين بفتح الباء ، وهي لغة فيه نص عليها ياقوت ، وأورد لغة أخرى ، وهي

كسر الباء . وقد جاء مصروفا في م ومنوعا من الصرف في الأصل .

(٥) كذا في م . وفي الأصل : « المعالجة » ، تحريف .

* أقولُ لنفسى حينَ خَوَّدَ رَأُهَا^(١) *

وكان أبا تمامٍ تَصَوَّرَ هذا المعنى ، فلذلك ألحق الأبيات بما يليها .

٢- فَإِنْ وَضَعُوا حَرَبًا فَضَعُوهَا وَإِنْ أَبَوْا فَعُرْضَةُ عَصٍّ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي

يقول : إن حَطُّوا الحرب أو أَطْرَحُوهَا ، وراموا المسألة والنتاركة فيها ، فَاتَّبِعْهُمْ فِي ذَلِكَ وَاقْتَدِ بِهِمْ ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الشَّرَّ فَالْقَوِيُّ عَلَى عِضَاضِ الْحَرْبِ وَالصَّبُورُ عَلَى لَزَامِهَا مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي ، والمعنى : أنا وأنت . وهذا كما يقال : مثله لا يقتاض منه ، والمعنى هو لا يُقْتَضُ منه . ويقول : فلانُ عُرْضَةُ الشَّرِّ ، إذا كان قويا عليه .

٣- وَإِنْ رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى فَشَبَّ وَقُودَ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزَلِ

جَعَلَ الرَّفْعَ فِي مَقَابِلَةِ الْوَضْعِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، والمعنى : إِنْ هَيَّجُوهَا . وَالْعَوَانُ : الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَتَقَادَمَ وَتَطَاوَلَ لَبْسُهَا ، وَاتَّصَلَ هَيْجَانُهَا ، وَاتَّسَعَ نَفْيَانُهَا . وَهَذَا عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْعَوَانِ مِنَ النَّسَاءِ . فَهِيَ كَمَا وَصَفَهَا غَيْرُهُ - لَمَّا أَرَادَ ابْتِدَاءَهَا وَجِدَّتْهَا - بِأَنَّهَا فَتَاةٌ وَبِكْرٌ ، فَقَالَ :

الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتْيَةً تَسْعَى بِبِرِّتِهَا لِكُلِّ جَهُولٍ^(٢)

وَقَدْ اسْتَعْمَلُوا الْبِكْرَ وَالْعَوَانَ فِي الْحَاجَاتِ أَيْضًا ، فَقَالَ : هِيَ بِكْرٌ حَاجَاتِي ، وَحَاجَتِي بِكْرٌ ، وَحَاجَتُكَ عَوَانٌ . يَقُولُ : وَإِنْ أَجَّجُوا نَارَ الْحَرْبِ الْعَوَانَ الَّتِي تَشَاهِدُ وَاسْتَجَاشُوا لَهَا ، وَأَثَارُوا كَوَامِنَهَا ، فَاسْتَجِشْ أَنْتِ أَيْضًا وَأَوْقِدْ نَارَهَا بِالْحَطَبِ الْغَالِظِ الْجَزَلِ .

(١) البيت الأول من الحماسة السابقة . وقد دوى في م كالا .

(٢) لعمرو بن مديكرب . انظر شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

١٢٦

وقال أيضاً :

١- إذا ذُكِرَ ابنا العنبرية لم تضيق ذراعي وألقى باستيه من أفاخر^(١)

قوله : « لم تضيق ذراعي » مثل ، ويقال ذرعى . قال الخليل : الذراع اسم جامع لكل ما يسرى يدا من الروحانيين^(٢) . يقول : إذا ذُكِرَ هذان الرجلان من آباء اتسع نطاق افتخاري ، ورُحِبَ بحالي وبأعي ، ولم تُعِينِي غلبته من أساحله ، ولم يَقْعُدْ بي ذكرهما عن الارتقاء في الفخر إلى ما لا يَطْلُعُ له من أوازنه وأكاليه ، حتى ألقاه باستيه دون وجهيه لتولييه وإعراضيه . وذِكرُ الاست تقبيح لفعله عند التُكُوصِ والانهزام ، وتشنيع عليه في التولي والإذبار .

٢- هَلالانِ حمالانِ في كُلِّ شتوةٍ من الثقلِ ما لا تستطيعُ الأباغرُ

يقول : هما في الاشتهار واعتلاء الشان ، واستضاءة الناس بنورها ، والانتفاع بمكانهما ، بمنزلة هلالين ؛ ويتكلفان عند كل جذب وتحلٍ ، من الأثقال والأعباء ، ما لو صارت أجراماً لمعجز عن النهوض بها وتحملها البُغران . فإن قيل : إذا كان قصده في تحمّل الأثقال إلى قرى الضيف ، ونحر الجزور وقسمتها في المنسِر ، والصبر على المون ، والنهوض بالكلف ، فكيف قال حمالان من الثقل ما لا يستطيع الأباغر ؟ وكيف مثل ما يثقل على القلوب من الغرامات والحقوق ، بالأوفار التي تنقل على الظهور ؟ قلت : إنما يريد أن تلك المون والتكاليف التي يلتزمها ، ويسعى بها وفيها ، لو جُسِمت ثم حُلّت ، لكانت

(١) في الأصل : « من بفاخر » ، وصواب الرواية المتساق مع التفسير من م والتبريزي .

(٢) في اللسان (ذرع ٤٤٨) : « من الروحانيين ذوى الأبدان » .

الجمال لا تستقل بها ، ولا تقوى عليها^(١) ، فهذا وجه . ويجوز أن يكون لما قال
تعالى في كل شئوة من الثقل ، جعل لفقها ما لا تستطيع الأباعر ، إذ كانت
الجمال وأشباهها هي التي لحمل الأثقال خلقت^(٢) ، وبها اشتهرت ، وليكون في
اللفظ توافق ، مع الأمن من عارض الالتباس . ويكون هذا كما قال غيره^(٣) :

ألا هلك امرؤ ظلت عليه بجنب عنيزة بقر هجود

سمعن بموته فظللن فوثحا قياما ما يحل لمن عود

ألا ترى أنه لما كان قد كفى عن النساء بقوله « بقر هجود » عبر عن
إمساكهن عن الطعام تحزنا بقوله « ما يحل لمن عود » إذ كانت البقر
وما يجانسها من البهائم تعتلف المود وما يكون كالعود . وليس ذلك إلا
لطلب الموافقة في اللفظ ، مع الأمن من اللبس . فأما قول لبيد :

فإذا جوزيت قرضا فاجزه إنما يجزي الفتى ليس الجمال

فمعناه إنما يعرف النعم وما يجب لها من شكر النعم أرباب العقول
وذوو التمييز ، لا البهائم . فتى أزلت إليك نعمة فكن من المجازاة عليها
بمرصد ، فإن معرفة ذلك والأخذ به من تمام العقل ، ويوجب المميزون وأولو
الحجى ، لا غيرهم مما لا تمييز له ، ولا معرفة بذلك عنده . وذكر الجمل مكفيا

(١) م : « بجلها » .

قال التبريزي : « هذا قول المرزوقي . وقال النري : أى هذان الرجلان يحملان من أهواء
المغارم وأثقال الصنائع ما لو أنه يوزن لم تستطع حمله الإبل ، وهى أثقل الحيوان حلا ، وأكثره
صبرا . قال أبو العلاء : قد تأول النري له معنى قد يجوز مثله ولكنه بعيد ، وإنما ينبغي
أن يحمل الشيء على ما أكثر ، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين الممدوحين يحملان من قري
الأنسياف ومن نحر الإبل ما لا تستطيعه الأباعر ، أى إنها لا تقوى عليه لأنه يهلكها » .

(٢) كذا في م . وفي الأصل : « هى التي تحمل الأثقال لها خلقت » .

(٣) هو امرأة بن بى حنيفة توفى يزيد بن عبد الله بن عمرو الحنفى . المفصيات

(٢ : ٧٢) .

وإن كان القصدُ جنسه أو أجناسَ مثله . وفي طريقةٍ مانحن فيه قول أبي تمام
إلا أنه فصلَ بين المنزلتين ، وهو :
والصَّبرُ بالأرواح يُعرَفُ فضلهُ صَبرُ الملوكِ وليس بالأجسامِ

١٢٧

وقال ^(١) :

١ - أَلَمْ تَرَيَا أَنِّي حَمَيْتُ حَقِيقَتِي وَبَاشَرْتُ حَدَّ الْمَوْتِ وَالْمَوْتَ دُونَهَا
الحقيقة : الخصلة التي يحقُّ على الإنسان حمايتها . وقال الخليل : الحقيقة :
ما يصير إليه حقُّ الأمر ووجوبه . وقوله « أَلَمْ تَرَيَا » تقريرٌ للغير على ما كان
من بلائه . يقول : أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي ذَبَبْتُ عَمَّا يَحِبُّ عَلَى الذَّبِّ عَنْهُ ، وباشرت الموت
بنفسي ، والموت دونَ حماية الحقيقة . يريد أن الحافظة على الشرفِ أشقُّ من
اقتحامِ الموتِ والاستقلال ، لأنه يحتاج أن يُصَبِّرَ فيه من المكاره على ما لا يُحَدُّ
ولا يُخَصَّرُ ، وَيَتَكَلَّفُ له من المشاقِّ ما لا يُعَدُّ ولا يُضبط . فهذا وجه . والضَّميرُ
من قوله « دُونَهَا » يرجع إلى ما دلَّ عليه حَمَيْتُ من الحماية والحِفْظِ . ويجوز أن
يكون قوله « والموت دونها » أى قريبٌ من الحقيقة التي دَفَعْتُ عنها أو من
الحماية التي التزمتها ، وحائِلٌ بيني وبينها ، ويكون هذا بياناً لكيفية مباشرته
لحدِّ الموت ومشافهته إياه على سَمَتِ القُرب ، والواو من قوله « والموت »
واو الحال . وإذا جَمَعَتِ المعنى الأول فيكون الكلامُ بياناً لتفضيل حماية
الحقائق على مباشرة المناباة .

(١) كذا في م . وعند التبريزي : « وقال أيضاً » . وعبارة م والتبريزي تدل على
أن الحماسية لموسى بن جابر . وفي الأصل : « وقال آخر » .

٢- وَجُدْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا وَقُلْتُ اطْمِئْنِي حِينَ سَاءَتْ ظُنُونُهَا

يصف ابتذاله نفسه فيما تعناه على حاجة من العشرة إلى بقائها ، وحلها من القلوب محل ما يُضَنُّ بها ، فيوجب صيانتها . يقول : تسخَّنتُ بنفسٍ لَا يُتَسَخَّنُ بِمِثْلِهَا كَرَمًا وَعِزَّةً ، ومَرَفَأً وَأَبْهَةً ، وقُلْتُ تَثْبِيثًا لَهَا : اسْكُنِي وَاصْبِرِي عند استيلاء الرُّعب عليها ، واختلاف الظُّنون بها . وهذه إشارة إلى ما يلحق النفس في الأول من الالتقاء ^(١) ، للوهلة العارضة ، والفجعة المروعة . ومثله : أقولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَدَ رَأُيُهَا مَكَانَكَ لَمَّا تُشَفِّقِي حِينَ مُشَفِّقِي ^(٢)

٣- وَمَا خَيْرُ مَالٍ لَا يَبْقَى الذَّمُّ رَبَّهُ وَنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يُهِنُهَا ^(٣)

لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار الذي يجرى تجرَى التَّنْفِي . يقول : أَىْ خَيْرٍ فِي مَالٍ لَا يَصُونُ صَاحِبَهُ مِنْ ذَمٍّ وَعَارٍ ، وَلَا يَحْمِيهِ مِنْ أَلْحُوقِ تَهْجِينٍ وَشَنَارٍ ؟ وأى شئ غنائه نفس لا يبتذلهما صاحبها في استيفاء حقوقها ، وَلَا يُتَعَبُّهَا فِي الدِّفَاعِ دُونَ حَقَائِقِهَا ؟ وهذا الكلام تبرؤ من التَّحَدُّ ^(٤) بما كان منه من إنفاق المال ، وابتذال النفس . ومثله قول الآخر :

وَيَبْتَذِلُ النَّفْسَ الْمُصُونَةَ طَائِعًا إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتَذَالَهَا ^(٥)

(١) م : « في أول الالتقاء » .

(٢) انظر الحماسية ١٢٤ .

(٣) التبريزي : « بنفس امرئ » .

(٤) هذا ما في م . وفي الأصل : « التَّحْمَل » ونراه تحريفا .

(٥) م : « المصونة نفسه » ، وقد سبق البيت في ص ١٤١ برواية م .

١٢٨

وقال :

١ - ذَهَبْتُمْ فَلَدْتُمْ بِالْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكْنَا أَحَادِيثًا وَلَحْمًا مُوَضَّعًا^(١)

يَخَاطِبُ قَوْمَهُ وَيُلَوِّمُهُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْقَعُودِ عَنْ نُصْرَتِهِ ،
وَالْتَكْوِصِ عَنْ مَشَاعِيَتِهِ ، وَاعْتِلَالِهِمْ عِنْدَ اعْتِذَارِهِمْ مِنْ ذَلِكَ بِالْمَعَاذِيرِ الْمَشُوبَةِ
بِالْكَذِبِ ، النَّجَائِثِ إِلَى الْأَمِيرِ وَقُلْتُمْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ ، وَعِنْدَ
تَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ لَا يَمْتَنِعُونَ مِنْهُمْ وَلَا يَدَافِعُونَ ، فَهَمَّ كَاللَّحْمِ الْمُبْضَعِ عَلَى
خِيَوَانِ الْجَزَارِ ، تَمْتَدُّ الْأَيْدِي عَلَى تَوْضُعِهِ إِلَيْهِ ، وَتَتَعَلَّقُ الْأَطْلَاعُ بِنَنَاوِهِ
وَأَخْذِهِ^(٢) . وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلًا وَحُسْنِ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفِعَالِ

هَذَا إِذَا رَوَيْتَ « تَرَكْنَا » بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَإِنْ رَوَيْتَ بِضَمِّ التَّاءِ كَانَ
الْمَعْنَى : ادْعَيْتُمْ عَلَيْنَا فِيمَا نَابَنَّا ، وَعِنْدَمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنْ مَفَارِقَتِنَا وَخِذْلَانِنَا ، أَنَا
تَرَكْنَا أَحَدُوهُمْ لِلنَّاسِ قَبِيحَةً ، يَقُومُونَ وَيَقْعِدُونَ بِذِكْرِنَا ، وَأَذْلَاءُ مُتَضَمِّينَ
لَا دِفَاعَ بِنَا ، وَلَا امْتِنَاعَ مِنْ مَذَمَّةٍ فِي طِبَاعِنَا . وَالْمَوْضِعُ : الْمَقْطَعُ الْمَفْرَقُ فِي
مَوَاضِعِ^(٣) .

٢ - فَمَا زَادَنِي إِلَّا سَنَاءٌ وَرِفْعَةٌ وَمَا زَادَكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَخَضُّعًا

يقول : لَمْ يَزِدْنِي فِعْلَكُمْ وَقَوْلُكُمْ عِنْدَ اعْتِلَالِكُمْ فِي مَفَارِقَتِكُمْ إِلَّا ارْتِفَاعَ

(١) أَشِيرُ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهُ فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى : « مُبْضَعًا » . وَالْمُبْضَعُ : الْمَقْطَعُ

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « تَمْتَدُّ الْأَيْدِي إِلَيْهَا ، وَتَتَعَلَّقُ الْأَطْلَاعُ بِنَنَاوِهَا وَأَخْذُهَا »

(٣) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « وَالْمُبْضَعُ : الْمَقْطَعُ الْمَفْرَقُ » .

تَحَلَّى، وَتَمَوَّ حَالٍ، وَجَلَّالَةَ قَدْرٍ، وَلَمْ يَزِدْكُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَرَاجُعًا وَتَذَلُّلًا،
وَتَصَوُّرًا بِالْقَبِيحِ وَتَسْقُطًا، لِأَنَّ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِعَشِيرَتِهِ وَأَقْرَبِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ
وَذَوِيهِ، لَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ الْبَعِيدُ الَّذِي يُؤْوِيهِ، وَالْمُسْتَعَانُ بِهِ لِمَا يَرْجُوهُ.

٣- فَمَا نَفَرَتْ جَنِّي وَلَا فُلٌّ مِبرِدِي وَلَا أَصْبَحَتْ طَيْرِي مِنَ الْخَوْفِ وَقَمَا

وهذا يحتمل وجوها: يجوز أن يريد لم ينخزل - لما أتيتم وأخبرتم -
أحمأى الذين هم كالجن، ولا فُلٌّ لسانى الذى هو كالمِبرِدِ، ولا ذُعْرَ جأشى
فصار طَيْرِي واقعة. ويكون الأول كقول الآخر:

* عَلَيْنِهِنَّ فِتْيَانُ كُنَّةٍ عَبَقَر *

وتشبيه اللسان بالمِبرِدِ وَحَدَّ السيف أكثر من أن يحتاج له إلى شاهد.
وقد قيل في « نَفَرَتْ جَنِّي » إنه مَثَلٌ لَفَلَّتَاتِهِ وَبَدْرَاتِهِ، ويكون هذا كما
وصف امرؤ القيس فرسه بالمرج وَحِدَّةَ القلب فقال:

* بِهِ طَائِفٌ مِنْ جِنَّةٍ غَيْرِ مُعَقَّبِ *

وإنَّ ذِكْرَهُ الْمِبرِدَ مَثَلٌ لصلاحه، وإنَّ ذِكْرَهُ الطَّيْرَ مَثَلٌ لصينته وذِكْرَهُ
الذَّاهِبِ فِي النَّاسِ. ويجوز في هذا الوجه أن يريد به ذكاه ونشاطه وشهامته،
فقد قيل في ضِدِّهِ: هو سَاكِنُ الطَّائِرِ، وَكَأَنَّ عَلَى رءوسهم الطَّيْرُ. ويجوز أن
يشير بِالْجَنِّ إِلَى مَا يَدْعِيهِ الشُّعْرَاءُ مِنْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَابِعًا مِنَ الْجِنِّ
يَسْتَعِينُ بِهِ فِيمَا يَحْزُبُهُ، وَيُجْعَلُ الْمُرَادُ بِالْمِبرِدِ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْلسَانُ لَا غَيْرُ.
ويجوز أن يريد بالطَّيْرَ سَرَايَاهُ وَطَوَائِفَ خَيْلِهِ الَّتِي يَطِيرُهَا لِلْفَارَاتِ وَالْأَرْتِبَاءِ،
وَتَجَسُّسِ^(١) الْأَخْبَارِ وَغَيْرِهَا.

(١) ج: « وتجنس » بالحاء المهملة، وكلاهما بمعنى واحد، وهو البحث.

١٢٩

وقال حريث بن جابر^(١) :

١- لَعَمْرُكَ مَا أَنْصَفْتَنِي حِينَ سَمَّيْتَنِي هَوَاكُمَعَ الْمَوْلَى وَأَنْ لَا هَوَى لِيَا

الْعَمْرُ وَالْعَمْرُ لَفَتَان ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَسَمِ إِلَّا بَفَتْحِ الْعَيْنِ . وَأَنْصَفْتَنِي : أَعْطَيْتَنِي النِّصْفَةَ وَالنِّصْفَ . وَيُقَالُ انْتَصَفْتُ مِنْ فُلَانٍ ، أَيْ اسْتَوْفَيْتُ حَقِّي مِنْهُ كَامِلًا حَتَّى صَرْتُ أَنَا وَهُوَ عَلَى النِّصْفِ سَوَاءً . وَمَعْنَى سَمَّيْتَنِي : جَسَّمْتَنِي خُطَّةً مِنَ الشَّرِّ . وَيُقَالُ أَيْضًا : سَامَ فُلَانٌ فُلَانًا ، إِذَا دَاوَمَ عَلَيْهِ وَأَلَحَّ فِي شَيْءٍ . يَقُولُ : وَبِقَائِكَ مَا أَعْطَيْتَنِي النِّصْفَةَ حِينَ عَرَضْتَ عَلَى الرِّضَا بَأَنْ يَكُونَ لَكَ هَوَى مَعَ مَوْلَاكَ ، حَتَّى تَنْتَقِمَ لَهُ وَتَذُبَّ دُونَهُ ، وَالْأَيُّ يَكُونُ لِي هَوَى مَعَ مَوْلَايَ وَأُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ . قَوْلُهُ « وَأَنْ لَا هَوَى لِيَا » أَرَادَ : وَأَنْتَ لَا هَوَى لِيَا .

٢- إِذَا ظَلِمَ الْمَوْلَى فَرِغْتُ لِظُلْمِهِ فَحَرَّكَ أَحْشَائِي وَهَرَّتْ كَلَايَا

يُبَيِّنُ كَيْفَ يَتَمَصَّبُ لِمَوَالِيهِ ، وَكَيْفَ يَأْتِيهِ مِنَ اهْتِضَامِ بِلَحَقَّتِهِمْ ، يَقُولُ : إِذَا اهْتَضِمَ حَلِيفٌ لِي أَوْ ابْنُ عَمٍّ ، دُعِرْتُ لَامْتِهَانَهُ وَاهْتِضَامَهُ ، فَاضْطَرَبَ أَحْشَائِي وَنَبَحَتْ كَلَابِي . وَالْمَعْنَى : لَمْ أَعْتَدِ الْمُضْيِمَةَ فِيمَنْ يَتَّصِلُ بِي ، وَيَتَسَبَّبُ إِلَيَّ ، فَإِذَا اتَّفَقَ وَقَوُّعُهَا صَارَتْ كَلَابِي تَنْبِحُ ، وَأَخَذَتْ نَفْسِي تَقْلِقُ . فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَحَرَّكَ أَحْشَاؤِهِ لَوْجِيبِ قَلْبِهِ وَخَفَقَانِهِ ، وَنَبَحَتْ كَلَابُهُ لِتَهَيُّئِهِ لِلانْتِقَامِ ، وَتَدَجُّجِهِ فِي السَّلَاحِ لَهُ ، وَتَجَمُّعِ أَصْحَابِهِ وَإِعْدَادِهِمُ الْخَيْلَ وَالرَّجُلَ لِإِغَاثَتِهِ . وَالْكَلْبُ يُنْكِرُ أَصْحَابَهُ إِذَا رَأَاهُمْ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ فَيَنْبِحُ . أُنْشِدَ الْأَصْمَعِيُّ فِي مِثْلِهِ :

(١) التبريزي : « وقال حريث بن جابر بن سري بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدئل بن حنيفة بن لجم بن صعب بن عل بن بكر بن وائل » .

أَنَاسٌ إِذَا مَا أَتَكَرَّ الْكَلْبُ أَهْلَهُ حَمَوَا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِمٍ^(١)
 ووجه آخر ، وهو أن يكون تحرّكت أحشاؤه لاضطرابه في جمع من
 يجمع ، وإعداد ما يُعِدُّ ، والمذسّرِع في الشيء يلحقه ذلك ، ومثله .
 أشارت له الحربُ العَوَانُ فجاءها يُقَعِّقِعُ بالأقرب أول من أتى
 فقعقة الأقرب كتحريك الأحشاء وأكثُر . ويكون معنى فَرَعَتْ أَغَثُ
 على هذا . ومثله قوله :

* حَلَلْنَا الْكَثِيبَ مِنْ ذُرُودٍ لِنَنْزَعَا^(٢) *

أى لنغيث . ويجوز أن يكون أراد بالكلام الأصحاب ، ويكون مثل
 قول المذلي^(٣) :

وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيَبْعُدَ نَفْرُهَا وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كِلَابَهَا
 فَقَدْ فُسِّرَ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ عَلَى هَذَا . وكذلك قول تَابَطُ شَرًّا :
 * لَيْلَةً صَاحُوا وَأَغَرَوْا بِي كِلَابَهُمْ^(٤) *
 فُسِّرَ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا .

١٣٠

وقال البعيث بن حريث^(٥) :

١ - خِيَالُ لَامِ السَّلَسْبِيلِ وَدُونَهَا مَسِيرَةُ شَهْرِ الْبَرِيدِ الْمَذْبَذَبِ

(١) روى في الحيوان (٢ : ٧) مع نسبته إلى طفيل الغنوى : « شنعاء مظلم » .
 وفي الأموال (١ : ٥٥) : « مضلع » ، وقال : « ويروى مفضع » .

(٢) للكلعبة العرفي في المفضليات (١ : ٣٠) . وصدوره :

* وقلت لكأس ألعيا فإتما *

(٣) هو أبو ذؤيب . انظر ديوان الهذليين (١ : ٨٠) .

(٤) عجزه في المفضليات (١ : ٢٦) : * بالميكتين لدى معدي ابن براق *

(٥) هو البعيث الحنفي ، كما في الموقلف ٥٦ . وهو البعيث بن حريث بن جابر بن سري .
 بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدئل بن حنيقة بن لجيم . وقد سبق ترجمة
 والده حريث بن جابر في الحماسة السابقة .

خير الابتداء محذوف ، كأنه قال : خيال لهذه المرأة أثنى أو زارني ،
وبيني وبينها مسيرة شهر للبريد السريع المتمجّل . كأنه استطرّف من الخيال
ما كان يستطرّفه من المرأة لو زارت . وقوله « البريد المذبذب » كما يُقال
للسائق الحاثّ طارِدٌ . ألا ترى قوله يصف فرساً :

* وَيَسْبِقُ مطروداً وَيَلْحَقُ طارِداً *

لأنّ المذبذب والمذبّب الأصل فيهما واحدٌ ، يَرْجِعُ إلى الطَّرْدِ
والاستمجال . والمُسرِعُ المُستَفْجِلُ يتذبذب ، أى يضطرب . فأتى قوله تعالى :
﴿ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ فهو من صفة المنافقين ، ومعناه مطرودين بين المؤمنين
والكافرين ، فليسوا بمقبولين عند واحدة من الفرقتين . ومثل ذبّ وذذبّ ،
كَبّ وكَبّب . فإن قيل : لم نكّر فقال خيالاً لأنّ السلسيل ؟ قلت :
يجوز أن يكون كان يرى خيالها على هيئاتٍ مختلفة ، فاعتقد لاختلاف هيئته
أنّه عدّة خيال ، فلذلك نكّره ، كأنه قصد إلى واحدٍ منها ، ومثله :

خَيْالٌ لَزَيْنَبَ قَدْ هَاجَ لِي نِكَاسًا مِنَ الْحَبِّ بَعْدَ انْدِمَالٍ^(١)

٢ - قَلْتُ لَهَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَرَدَّتْ بِتَاهِيلٍ وَسَهْلٍ وَمَرْحَبٍ

حكى ما دارَ بينه وبين الخيال . والخيال يُدَكَّرُ وَيُوَّثَّ . ونَبّه بكلامه
على أنّه أظهر لها قبولاً حسنًا ، وبشرًا وطلاقةً ، ففعل المنشوّف لها ، المنشوّق
إلى لقائها ، وأنه تلقاها بالترحيب والتأهيل ساعة طلوعها ، فأجابته بمثل ذلك .
وانتصب أهلاً بفعلٍ مُضْمِرٍ كأنه قال أتيت أهلاً لا غرباء ، وسهلاً من
المنازل لا حزنًا ، ورحبًا من الأماكن لا ضيقًا : والتأهيل : مصدر أهّلته أى
قلت له أهلاً . وكان يجب أن يقول فردت بتأهيل وتسهيل وترحيب ، لو أتى

(١) لأمية بن أبي عائذ في ديوان المهذلين (٢ : ١٧٣) برواية : « خيال لجمدة » .

بالكلام على حذرٍ واحدٍ ، لكنّه أتى في بعضه بحكاية اللفظ ، وفي بعضه ببناء الأخبار . وقال سيبويه : إذا قال الرَّأْدُ وبك أهلاً ، فإنّما يقول : أنت عندي بمنزلة من يقال له هذا لو جئتني . وإنّما قال هذا لأنّ الحال لا تقتضي من الزائر أن يُصادفَ المَزورَ عندهُ ذلك ، فحمل الكلام - وقد اعتيد فيه ما ذكره - على أنه يُرَادُ لو جئتني لكنت بهذه المنزلة .

٥- مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونَ كَظَبِيَّةٍ وَلَا دُمِيَّةٍ وَلَا عَقِيلَةٍ رَبَّرَبٍ
مَعَاذَ انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ . والمعنى أَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ أَوْ أَعُوذُ بِهِ مَعَاذًا . كَأَنَّهُ
أَنِفَ وَصَارَ يَرْبَا بِصَدِيقَتِهِ أَنْ تَكُونَ فِي الْحُسْنِ بِحَيْثُ تَشَبَّهُ بِالظَّبْيِ أَوِ الظَّبْيَةِ
أَوْ بِالصُّورَةِ الْمَنْقُوشَةِ ، أَوْ بِكَرِيمَةٍ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ ، إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ
عِنْدَهُ دُونَهَا ، وَقَاصِرَةً عَنْ رُتْبَتِهَا . وَقَدْ سَلَكَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ أَمْرُ الْقَيْسِ هَذِهِ
الطَّرِيقَةَ فَقَالَ :

كَأَنَّ دُمِي سَقَفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ كَسَامُزِيدِ السَّاجُومِ وَشَيْئًا مُصَوَّرًا^(١)
غَرَائِرُ فِي كِنٍ وَصَوْنٍ وَنَعْمَةٍ يُحَلِّينَ يَاقُوتًا وَدُرًّا مُنْقَرًا
فَشَبَّهَ الدُّمِيَّ بِالنِّسَاءِ لَا النَّسَاءِ بِالدُّمِيِّ . وَمَا يَسْتَحْسِنُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ
قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

كَأَنَّمَا جَادَ مَفْنَاهُ فَفَيْرُهُ دُمُوعُنَا يَوْمَ بَانُوا وَهِيَ تَنْهَلُ
لَأَنَّهُ شَبَّهَ الْأَمْطَارَ لِلْمَغِيرَةِ لِرُسُومِ الدِّيَارِ بِدُمُوعِ الْمُشَاقِّ . فِي إِثْرِ الْأَحْبَابِ
يَوْمَ الْفِرَاقِ . وَالْعَقِيلَةُ : الْكَرِيمَةُ مِنَ النَّسَاءِ [وَالدَّرُّ^(٢)] وَكُلُّ شَيْءٍ .
وَالرَّبَّرَبُ : الْقَطِيعُ مِنَ الْبَقَرِ .

(١) مزيد الساجوم ، مبيض لهما في نسخة الأصل ، وإثباتهما من شرح ديوان امرئ القيس ٩٢-٩٣ . والساجوم : اسم واد . والمزيد : الذي علاه الزيد . وفي م : « مزيد الساجور » ، تحريف .
(٢) هذه من م .

٤- وَلَكِنَّهَا زَادَتْ عَلَى الْحُسْنِ كُلاًهُ كَمَالاً وَمِنْ طَيِّبٍ عَلَى كُلِّ طَيِّبٍ
 يقال : زِدْتُهُ فِزَادَ وَازْدَادَ جَمِيعاً . وَكَمَالاً يَنْتَصِبُ عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا
 يَزِيدُ حُسْنُهَا عَلَى كُلِّ حُسْنٍ كَمَالاً ، لِأَنَّهُ لَا حُسْنَ إِلَّا وَتَدْخُلُهُ نَقِیْصَةٌ ، سِوَى
 حُسْنِهَا . وَكَذَلِكَ كُلُّ الطَّيِّبِ يَتَخَلَّلُهُ حَاطِیْطَةٌ إِلَّا طَيِّبُهَا . وَ« مِنْ طَيِّبٍ » أَى
 وَزَادَتْ مِنْ طَيِّبِهَا عَلَى كُلِّ طَيِّبٍ طَيِّباً . وَالْفَرَضُ أَنْ يَبَيِّنَ لَمْ أَنْكَرْ لَهَا ^(١) تَشْبِیْهَهَا
 بِغَيْرِهَا ، فَقَالَ : هِیَ تَتَرَفَّعُ عَنْ ذَلِكَ : إِذْ كَانَتْ جَامِعَةً لِلْحَاسِنِ ، مُسْتَحِقَّةً لِلْوَصْفِ
 بِالْكَمَالِ ، وَإِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ اسْتَبَدَّ بِصِفَةٍ دُونَ صِفَةٍ ،
 وَيَتَفَرَّدُ بِنَوْعٍ دُونَ نَوْعٍ .

٥- وَإِنْ مَسِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَنْزِلِي لِبِالْمَنْزِلِ الْأَقْصَى إِذَا لَمْ أَقْرَبِ
 يقول : مَكَانِي الَّذِي أَسِيرُ فِيهِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَمَوْضِعِي الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ ، لَا بُدَّ
 مِنَ الْمَنَازِلِ ، وَأَوْضَعُ الْمَسَافِرِ ، إِذَا لَمْ يَلْحَقْنِي فِيهَا تَقَرُّبٌ وَتَعْظِيمٌ . وَقَوْلُهُ « أَقْرَبِ »
 بِمَعْنَى أَكْرَمَ وَأَذْنَى ، عَلَى طَرِيقِ الْإِعْظَامِ . وَلَيْسَ يَرِيدُ تَقَرُّبِ ^(٢) الْمَسَافَةِ بِهِ .
 وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى إِذَا لَمْ أَقْرَبِ كُنْتُ بِمَنْزِلَةِ الْمَطْرُودِ الْمُنْفَى ، وَإِنْ كُنْتُ مُقَاماً
 دَانِياً . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ لِبِالْمَنْزِلِ وَالْمَسِيرِ ؛ فَكَتَفَى بِأَحَدِهِمَا . وَآثَرُ الْمَنْزِلِ
 بِالذِّكْرِ لِأَنَّ النَّزُولَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ السَّيْرِ . وَدَلَّ بِهَذَا الْكَلَامُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَرْضَى فِي
 مَتَصَرِّفَاتِهِ إِلَّا بِمَا يَقْضَى بِتَجْوِيزِهِ ، وَيُقْضَى إِلَى اصْطِفَائِهِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ ؛ وَأَنَّهُ لَا يَصْبِرُ
 عَلَى الْمَوَانِ وَالْجَفَاءِ حَيْثُ سَارَ وَنَزَلَ ، بَلْ يَطْلُبُ إِكْرَامَهُ وَإِلَّا انْتَقَلَ وَنَحْوَالِ .
 ٦- وَأَنْتَ وَإِنْ قُرْبَتْ يَوْمًا بِبَائِعٍ خَلَاقِي وَلَا قَوْمِي ابْتِغَاءَ التَّحَبُّبِ

(١) كلمة « لها » ليست في م .

(٢) م : « تَقْلِيلِ » .

يقول : لستُ وإن أدنيتُ وبُجِّلْتُ ببائع نصيبي من شَرَفِي ، وموضعي ^(١) من عشيرتي ، طلبًا للتحبُّبِ إلى من أجاورُهُ وأعاشِرُهُ ، أو تهالكًا في تعليق الطَّمَعِ بمن أرجوه وآملُهُ . والخَلَّاقُ : الحِطُّ والنَّصِيبُ من الصَّلاح . ويقال : ما لفلانَ خَلَّاقٌ ، إذا لم يكن له رغبةٌ في الاستصلاح واكتساب الخير . وانتصب « ابتغاءُ التَّحَبُّبِ » على أنه مفعولٌ له .

٧ - وَيَعْتَدُهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ دِينِي وَمَنْصِبِي

يقول : وَيَعْتَدُهُ ما تبرأتُ منه وَأَنْفَتُ من فعله كثيرٌ من الناسِ تجارةً رابحةً ، وصفقةً مفيدةً نافعةً ، وأنا بدفعني عنه ويزهّدني فيه شرفي وديانتي . وهذا القول يجوز أن يكون تنزيهاً لنفسه ، وتركياً لفعاله وخُلُقِه فَقَطْ ، وأن يكون القصد منه التعريض بغيره . وهذه الأبيات وإن كان في جملتها ^(٢) ما ليس من الباب فإنه كَرِهَ تبديدها لسلامتها من القابِ ، ووفورِ حظّها من الانتخاب .

٨ - دَعَانِي يَزِيدُ بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ وَعَبَسَ وَقَدْ كَانَا عَلَى حَدِّ مَنْكَبٍ

ما قَدَّمَهُ تَوَضُّعٌ إلى بيان مراعاته أمرَ العشيرة ، والتعطفِ على القريب وقت الحاجة ، والتمسكِ بما يوجبهُ الكَرَمُ والحرّية . يقول : دعاني هذا الرجلُ وصاحبه مستغِيثين ، بعد سوء ظنه بمشيرته وبى لما أسْلَفَ من الشرِّ ، وقَدَّمَ من العقوق والإيذاء ، وقد كانا أشرفاً على حَدِّ الهلاك . هذا إذا رويت بفتح الكاف مَنْكَبٍ ، والمعنى : شافها حَدَّ الشرِّ وحَرْفَهُ ، ولا يأمنان اقتحامَهُ وتوشطَهُ . ويقال أصابَهُ نَكَبٌ من الدَّهْرِ وَمَنْكَبٌ وَنَكْبَةٌ وَنُكُوبٌ كثيرةٌ ، ومنه قيل حافرٌ نَكِيبٌ ومُكُوبٌ ، إذا أثّر فيه حجرٌ أو غيره .

(١) م : « أو موضعي » .

(٢) كذلك في م . وفي الأصل : « من جملتها » .

ويروى « على حَدِّ مَنْكِبٍ » بكسر الكاف ، والمعنى : كانا مُهاجِرَيْنِ لى .
يقال : فلانٌ معى على حَدِّ مَنْكِبٍ ، أى كلما رآنى أَلْتَوَى ولم يَتَلَقْنى بوجهه ،
وتسَكَّبَ عَنى ؛ أى اجْتَذَبَنِى . وَلِلْمَنْكِبِ من كلِّ شىء : جَانِبُهُ وناحيئُهُ .
ومثله قولُهُم : فلانٌ يَلْقَانى على حَرْفٍ ؛ وهو منحرفٌ عَنى ومتعرِّفٌ . ويجوز
أن يريد بقوله « بعد ما ساء ظنُّهُ » بعد تَسَلُّطِ اليأس والقنوط من الحياة عليه .
٩ - وقد عَلِمَا أَنَّ العَشِيرَةَ كُلَّهَا سَوَى مُحْضَرٍ من خَاذِلِينَ وَغُيِّبٍ

دَلَّ بهذا الكلام على الضرورة الداعية إلى الاستعانة به ، والاستظهار
بدعوته وإجابته . يقول : استغاثا بى متيقِّنين أَنَّ كلَّ عَشِيرَتِهِمَا إِذَا لم أَحْضُرْ
من بين شاهِدٍ لا يَنْصُرُ ، وغائبٍ لا يَحْضُرُ وَأَنَّ الكِفَايَةَ لا توجد إِلاَّ عِنْدى ،
وَالنُّصْرَةُ لَهَا لا تَحْصُلُ إِلاَّ بِسَمْعِي . وقوله « من خَاذِلِينَ وَغُيِّبٍ » أَرَادَ وَمِنْ
بَيْنِ غُيِّبٍ ، فَاكْتَفَى بِمَنْ الْأَوَّلُ عَنِ الثَّانِي ، وقد مرَّ القـول فى مثله
مَشْرُوحًا . ومعنى سَوَى هَاهُنَا معنى بَدَلٍ وَمَكَانٍ . وذَكَرَ الْمُحْضَرُ والمُرَادُ
النَّفْسُ ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : وقد عَلِمَا أَنَّ العَشِيرَةَ كُلَّهَا بَدَلًا مِنِّى وَمَكَانِى ، من
خَاذِلٍ وَغَائِبٍ .

١٠ - فَكُنْتُ أَنَا الْحَامِي حَقِيقَةً وَأَائِلٍ كَمَا كَانَ يَحْمَى عَنْ حَقَائِقِهَا أَبِي
يقول : أَعْنَتُهُمَا على ضعف رجائهما ، وتسلط الظنون السيئة عليهما ،
جَارِيًا على الغاية الموروثة عن أسلافى ، ومقتديًا فى الذَّبِّ عن العشيرة ، والمواظبة
على حماية الحقيقة ، بآبائى . ويقال : حَمَيْتُ الْحَقِيقَةَ وَحَمَيْتُ عَنْ الْحَقِيقَةِ ، وهو
يَحْمَى عَلَيْهِ وَيُحَامَى عَلَيْهِ .

١٣١

وقال المثلّم بن رياح^(١) :

١ - مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي سِنَانًا رِسَالَةً وَشَجَنَةً أَنْ قُومًا خَذَا الْحَقَّ أَوْدَعَا

يقول : مَنْ يُوَدِّي عَنِّي رِسَالَةً إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ، بَأَنْ أَرْضِيَا الْحَقَّ وَقُومًا وَاسْتَوْفِيَاهُ ، أَوْ اتَرَكَاهُ فَالْكُفَا غَيْرُهُ وَإِنْ نَسَخَطْتُمَاهُ . وَهَذَا تَوَعُّدٌ وَاسْتِهَانَةٌ . وَقَوْلُهُ « أَنْ قُومًا » أَنْ مَخَفَّةً مِنْ أَنْ الثَّقِيلَةَ وَالْمُرَادُ : أَنَّهُ قُومًا . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ فِي : أَمَّا أَنْ جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَنْ الْمَفْسَّرَةِ ، كَأَنَّهُ فَسَّرَ الرِّسَالَةَ بِقُومًا خَذَا الْحَقَّ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : أَتَفَخَّرُ عَلَى أَنْ أَصْحَابُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَصْحَابِي . وَأَنْ هَذِهِ تَجْرِي تَجْرِي أَيْ فِي أَنَّهُ يُفَسَّرُ بِهِ . وَلَوْ قَالَ قُومًا وَخَذَا الْحَقَّ ، فَأَتَى بِمَجْرَفِ الْعُطْفِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ كَانَ أَفْصَحَ . وَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ بِغَيْرِ الْعَاطِفِ كَثِيرًا . وَقَوْلُهُ « قُومًا » لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ فِعْلُ الْقِيَامِ ، لَكِنَّهُ وَضْعُهُ فِي الْكَلَامِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ فِيمَا مَضَى أَمْثَالَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ خَذَا الْحَقَّ عَلَى طَرِيقِ التَّهَكُّمِ وَالسَّخَرِيَّةِ . أَيْ إِنْ قَدَرْتُمَا عَلَى أَخْذِ الْحَقِّ الْمُدَّعَى فَخُذَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : تَرَكَا كَمَا مَا سَمِيتَاهُ حَقًّا ، وَطَلَبَا لَهُ عِنْدِي سَوَاءً عَلَى الْحَقِيقَةِ .

٢ - سَأَ كُفَيْكَ جَنْبِي وَضَعْتُ وَوَسَادَهُ وَأَغْضَبُ إِنْ لَمْ تَعْطِ بِالْحَقِّ أَشْجَمًا^(٢)

(١) التبريزي : « المثلّم بن رياح بن ظالم الماري » . وقال المرزباني في المعجم ٣٨٦ : « المثلّم بن رياح الماري جاهل ، وله يقول سنان بن أبي حارثة وأجار عليه :
من مبلغ عن المثلّم آية وسهلا فقد نفرتم الوحش أجمعاً
هم ليعرفوا دنيا فلا تقرّبهم أبا حشرج وافصح بلحنيك مضجعا
فأجابه المثلّم :

من مبلغ عن سنانا رسالة وشجنة أن قوما خذا الحق أودعا

(٢) قال التبريزي : « هو أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان » . وقال أيضاً : « قال أبو هلال في قوله إِنْ لَمْ تَعْطِ بِالْحَقِّ : هكذا روى ، وهو تصحيف -

يقول : أ كفيك ما يُمسني ويخصني ، ولا أضايك فيما يرجع نفعه
وضرئه إلي . وذكر وضع الجنب والوساد مأخوذاً من المثل السائر في المعنى
بالشيء المتمهد له ، وهو قولهم : « أُمِّ قَرَشَتْ فَأَنَامَتْ » : والمعنى : لا أكلفك
عنايةً بأمرى ، ولا أؤاخذك بمصالح أسبابي : ومتى لم تناول مولاى أشجع
الحق ، ولم تعامله فيما بينكما بالحق والعدل ، غَضِبْتُ له وانتقمْتُ ؛ لأن في
تضييع حق المولى والأخذ بالتفويض فيه لازم العار ، وفي استعمال التغابي فيما
يتعلق بى واطراحي المناقشة والمشاحة فيه باقٍ الصيت والجمال . قوله « إن لم
تُعْطِ بالحق » قيل فيه مفعولٌ تُعْطِ الثانى محذوفٌ ، ومعنى بالحق : بالعدل
والإنصاف . كأنه قال : تُعْطِ أشجع ما يَجِبُ له بالحق . وقيل أراد بِتُعْطِ
تُعاملُ فعداه تَعْدِيته . وقيل بالحق هو المفعول الثانى ، لكنه زاد الباء فيه
تأكيذاً ، كما قال الآخر ^(١) :

* سُوْدُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالشُّورِ ^(٢) *

ويغلب في نفسى أن الشاعر قال وأغضبُ إن لم تعطيا الحق أشجعا ،
لأنه بنى الرسالة على أن تكون متوجهة نحو اثنين : سِنَانٍ وَشِجْنَةٍ . ومخاطبته
من بُعد أحدهما في قوله سأ كفيك ، على عادتهم في الافتنان والتصرُّف ، لا يمنع
من الرجوع إلى ما بنى كلامه عليه من ذكر الاثنين . وهذا ظاهر لمن تأمله .

= قبيح ، والصحيح : وأغضب إن لم يفضب الحق أشجعا . يقول : سأ كفيك أمرى كله ولا
أهلك شيئاً ، وأغضب لك ولحقك إن لم يفضب له أشجع .

(١) هو الراعى انهيرى ، أو القتال السكلاي ، إذ ورد في شعر لكل منهما . الخرافة
(٣ : ٦٦٧) .

(٢) صدره : * من الحرائر لاربات أجرة *

٣ - تَصِيحُ الرُّدَيْفِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ صِيحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوعًا

يريد : تختلف الرِّمَاحُ للنسوبة إلى هذه المرأة^(١) بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِالطَّنِّ ، فصياحها كصِيحِ بَنَاتِ الْمَاءِ إِذَا جَاعَتْ . وهذا كما حكى الْآخَرُ وَقَعَ أَلْقَنَّا وَالسَّيْفُ عِنْدَ الطَّنِّ وَالضَّرْبِ ، فقال :

* وَالطَّنُّ شَفْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ^(٢) *

وَيَعْنِي بِنَاتِ الْمَاءِ طَيُورَ الْمَاءِ . وهذا كما يقال في الوحش : بَنَاتُ الْفَلَا ، وللنواب : بَنَاتُ الدَّهْرِ .

٤ - لَفَقْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا بَنِي عَمَّنَا مِنْ يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعًا

يقول : استأنفنا حالةَ جَامِعَةٍ لَنَا وَلِعَشِيرَتِنَا ، فَاسْقِدْنَا بِالتَّبَايُنِ اجْتِمَاعًا ، وَبِالتَّزَايُلِ اخْتِلَاطًا ، وَبِالتَّنَافُرِ تَأَنُّسًا ، وَبِالتَّشَارُدِ تَأَلُّفًا ، حَتَّى صِرْنَا يَدًا وَاحِدَةً عَلَى الْمُنَابِذِينَ ، وَلِسَانًا وَاحِدًا عَلَى الْخَالِفِينَ ، فَن رَمَى وَاحِدًا مِنَّا فَقَدَرَمَى جَمِيعَنَا . هذا إِذَا رُوِيَ : « مِنْ يَرْمِنَا يَرْمِنَا مَعًا » . وَمَنْ رَوَى : « مِنْ يَرْمِيهِمْ يَرْمِنَا مَعًا » يَكُونُ الْمَعْنَى فِي اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ أَبِين . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ^(٣) :

فَأَمْسَى كَغَمْبَاهَا كَغَمْبَاهَا وَكَانَتْ مِنْ الشَّتَانِ قَدْ دُعِيَتْ كِمَا بَا

(١) هِيَ رَدِينَةُ ، وَاسْمُ زَوْجِهَا سَمِيرٌ ، كَانَا يَقُومَانِ الرَّمْلَ بِحُطٍّ مَجْرٍ ، فَاسْتَبَدَّتْ إِلَى كُلِّ مَنَاهَا . اللِّسَانُ (سَمِيرٌ ، رَدْنٌ) .

(٢) الْبَيْتُ لَمِيدٌ مُنَافٍ بَيْنَ رُبْعِ الْهَذْلِ . اللِّسَانُ (شَفْغٌ ، هَقْعٌ ، عَوْلٌ ، حُضْدٌ) وَبَقِيَّةُ أَشْعَارِ الْهَذْلِيِّينَ ص ٣ . وَقَدْ سَبَقَ الْإِسْتِشْهَادُ بِهِ فِي ص ٣٧ . وَعَجَزَهُ :

* ضَرْبُ الْمَعُولِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْمَضْدَا *

(٣) هُوَ مِمَاوِيَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ . الْمُفْضَلِيَّاتُ (٢ = ١٥٨) .

١٣٢

وقال آخر^(١) :١- يازمِلُ إِنِّي إِنْ تَكُنْ لِي حَادِيَا أَعْكِرَ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرْمُغْ لَا تَسْبِقِ^(٢)

يقول : إِنْ تَخَلَّفْتَ عَنِّي حَتَّى يَكُونَ مَكَانُكَ مَكَانَ الْهَادِي مِنَ الْبَعِيرِ
أَعْطَفَ عَلَيْكَ . وَإِنْ تَقَدَّمْتَنِي هَارِبًا حَتَّى تُصِيرَ كَالْهَادِي لِي مُسْتَعْمَلًا الْخَدَّاعِ
وَالرَّوَاعِ مَعِيَ لَمْ تُفْتِنِي . وَالْمَعْنَى : إِنِّي أَذْرِيكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وَقَدْ أَحْسَنَ التَّابِعَةُ
فِي قَوْلِهِ :

فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
وَيُقَالُ عَكَّرَ وَاعْتَكَّرَ بِمَعْنَى عَطَفَ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَكُنْ فِي الْفِتَنِ ، إِذَا كَانَ
ثَابِتَ الْقَدَمِ .

٢- إِنِّي أَمْرٌ وَتَجِدُ الرَّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرَّكَّابُ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ

يقول : إِنِّي رَجُلٌ يَنَالُ أَعْدَائِي مِنْ عِدَاوَتِهِمْ لِي مَا يَنَالُ الْإِبِلُ مِنَ الذُّبَابِ
الْأَزْرَقِ ، وَهَذَا الْجَنَسُ مِنَ الذُّبَابِ يَتَأَذَى بِهِ الْإِبِلُ تَأَذَّى الْحُمْرُ بِالْثَمَرِ أَوْ أَشَدَّ .
وَعِدَاوَتِي يَنْتَصِبُ عَلَى الْمَفْعُولِ . كَأَنَّهُ قَالَ : يَجِدُ الرَّجَالَ مِنْ عِدَاوَتِي ، فَحَذَفَ

(١) عند التبريزي فقطط : « وقال ابن دارة » . وابن دارة هو سالم بن مسافع
ابن يربوع - ويربوع هو دارة ، وإنما سمي دارة لأن رجلاً من بني الصادر قتل ابن عم
ليربوع ، فقتله به وأخذ ابنته ، ثم أرسلها فأنت قومها ، فسألوها عن قتل أبيها فقالت : غلام
كأن وجهه دارة القمر . انظر الخزانة (١ : ٢٩١) والأغاني (٢١ : ٥٠) .
(٢) زمل هذا ، هو زميل بن أبيير ، أحد بني عبد الله بن مناف ، قاتل ابن دارة .
وفي ذلك يقول :

أما زميل قاتل ابن داره وغاسل الخزاة عن فراره .
وكان سالم وزمل جميعاً في صدر الإسلام ، أدركا زمان معاوية .

حَرَفَ الْجَزَّ وَوَصَلَ الْفِعْلَ فَعْمِلَ . يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ . « وَجَدَ الرَّكَّابَ مِنَ الذُّبَابِ » . ومثله :

* أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ^(١) *

وقوله « عداوتي » يجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل ، أى عداوتى لهم ، ويجوز أن يكون مضافاً إلى المفعول ، أى عداوتهم لى ومعنى تَجِدُ تَحْزَنُ ، ولذلك كان الوجدُ مَصْدَرَهُ . ويجوز أن يكون تجد بمعنى تَنَلَّمَ ، ويكون عداوتى للمفعول الأول وَوَجَدَ الرَّكَّابَ المفعول الثانى ، والمعنى : إن عداوتهم لى نُقْلَهُمْ وَتُنْزِيَهُمْ ، فيعملها الرِّجَالُ مِثْلَ وَجَدِ الرَّكَّابِ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مِنَ الذُّبَابِ ؛ أى يغالون منها ما ينال تلك منهم . ويحصل فى البيت تجنيسٌ حينئذ .

١٣٣

وقال الحصين بن الحمام ^(٢) :

١- فَقُلْتُ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُقَدِّمُونَ مُقَدِّمًا

يقول : قلتُ لهؤلاء القوم : ما لكم تُحْجِمُونَ وَلَا تُقَدِّمُونَ ، فَقَدْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلَا اهْتَدَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْآخِرِ . وهذا الكلام تَضَجُّرٌ مِنْهُمْ لِمَا تَخَذَلُوا وَلَمْ يَكُونُوا عِنْدَ الظَّنِّ فِيهِمْ . وَوَضَعَ مُقَدِّمًا مَوْضِعَ الْإِقْدَامِ ، وَسَاعَ ذَلِكَ لِأَنَّ مَصَادِرَ الْكَلِمَاتِ الصَّادِرَةَ عَنْ أَصْلِ وَاحِدٍ يَوْضَعُ بَعْضُهَا مَوْضِعَ الْبَعْضِ لِدَاجٍ يَدْعُو إِذَا لَمْ يَسْكُنْ نَمَّ مَانِعٌ . وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِأَنَّ قَدَّمَ يَكُونُ مَرَّةً مُتَعَدِّيًا ،

(١) هو من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف لها قائل . سيبويه (١ : ١٧) ، والخزانة (١ : ٤٨٦) . وعجزه :

* رب العباد إليه الوجه والعمل *

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ٤١ .

وسمة يكون بمعنى تقدم ولا يتعدى ، ومقدمًا هاهنا مصدر ما لا يتعدى ، فهو مثلُ تقدم لو قاله ، ومنه مُقدمَةُ الجيش ، يُرادُ متقدمته . وقوله « تفاقدتم » اعتراضٌ بين ما لكم وبين لا تُقدمون ، وهو دعاء عليهم . ومثله في الأسرين جميعاً قول الآخر ^(١) :

إِنَّ النَّمَانِينَ وَبُلَّغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ
وإن كان هذا دعاءً خيّر .

٢- مَوَالِيكُمْ مَوَالِي الْوِلَادَةِ مِنْهُمْ وَمَوَالِي الْيَمِينِ حَابِسًا مُتَقَسِّمًا
إنما قسم الموالى هذه القسملة لأن المولى له مواضع في استعمالهم ، منها المولى في الدين : وهو الولي . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ ، وقول النبي عليه السلام : « من كنتُ مولاهُ فعلى مولاه » ، وقوله عليه السلام : « مَرْبُوبَةٌ وَأَسْلَمَ وَغَفَارٌ مَوَالِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ . »
ومنها العصبيةُ وبنو القم ، وهو الذي سماه الشاعر مَوَالِي الْوِلَادَةِ . ومنها الحليف ، وهو من انضم إليك واعتز بعزك وامتنع بمنعك ، وهو الذي سماه مَوَالِي الْيَمِينِ ؛ لأنه يُفَسِّمُ له عند الانضمام بذلك ، وهو المُفْتَقُ لك ينتسب بنسبك ، وأنت مولاهُ وذاك مولاهُ . وهم يقولون : إنَّ المولى لا يَسْكَدُ يَفْضُلُ الصِّمِّمِ ، قال :
وليس أَيْبَرُكُمْ كَأَيْبَرِ سَوْءٍ وَمَا جُعِلَ الْمَوَالِي كَالصِّمِّمِ

يقول تَدَارَكُوا الذين ينتسبون بالولاء ، ولأه النسب ، وولاء الحليف والنصرة ، فكلُّ منهم ذو حَبْسٍ على الشرِّ متقسم الحال ، متوزع المال مُقَارٍ عليه ، فإلَّكُمْ لَا تَمْتَعِضُونَ وَلَا تُنْكِرُونَ .

وقوله : « حَابِسًا » في معنى تحبوس ؛ لكنته أخرجه تخرج النسب ؛ أى

(١) هو عوف بن محلم الخزاعي . الأما (١ : ٥٠)

ذو حَبَسٍ ، وانتصابه على الحال . وقوله « مواليكُم » على هذا انتصب بفعلٍ مُضْمَرٍ ، كأنه قال : أغِيثُوا مواليكُم وتداركوا . وَيُرْوَى « حَابِسٌ قَدْ تُقْسَمَا » . وقيل هو اسمٌ عَلَمٌ ، وارتفاعه على أنه بدلٌ من مولى اليمين ، وقد تُقْسَمَا في موضع الخبر . واكتفى بالإخبار عن المَوْلَيْنِ لَأَنَّ الموالى انقسموا إليهما .

٣- وَقُلْتُ تَبَيَّنَ هَلْ تَرَى بَيْنَ وَاسِطٍ وَنَهَيْ أَكْفٍ صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمًا^(١)

يُرْوَى « فَارِسًا غَيْرَ أُخْرَمًا » ، كأنه أقبل على واحد منهم فقال : تَأْمَلْ هَلْ تَرَى بَيْنَ هَذَيْنِ الموضعين فارسًا غيرَ مُنْقَطِعٍ . المعنى : أنهم يتواترون أَرْسَالًا في الصَّرَاحِ غير متجمِّعين له ، بل يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا في أَرْضِكُم ودياركم يستنصرون فلا يُنْصَرُونَ ، فما لَكُم لَا تَأْنِفُونَ . ومن رَوَى : « صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمًا » فعناه مستغِيثًا لَا يُجَابُ ، فكأنه أعجم لَا يُفْهَمُ قوله . يريد : تَبَيَّنَ فَإِنَّكَ لَا تَرَى إِلَّا فَارِسًا أُخْرَمَ ، أَوْ صَارِخًا أَعْجَمَ . والأعجم : الذي لَا يُفْصَحُ . والصارخ والصَّرِيح واحد ، ويقال صرَخَ فَأَصْرَخْتُهُ ، أَيْ اسْتَعِثْ فَأَعِثْتُهُ . وفي القرآن : ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ والصَّرِخَةُ اسْتِعْمَلُ فِي الْفَزَعِ والمصيبة . وفي المثل « لَهُ صَرِخَةُ الْحَبْلِ » . وَالْخَرْمُ : الْقَطْعُ ، وَمِنْهُ أُخْرِمُ الْكِتِفَ ، وَهُوَ مَحْزُوتٌ فِي طَرَفِ غَيْرِهَا^(٢) .

٤- مِنْ الصُّبْحِ حَتَّى تَقْرُبَ الشَّمْسُ لَا تَرَى مِنْ الْحَبْلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوِّمًا

أَيِ ابْتَدَأَ الْأَعْدَاءُ بِغَيْرِ وَنَهْيُونَ ، وَهَؤُلَاءِ بِصَرَخُونَ وَيَسْتَعِيثُونَ ، مِنْ

(١) التبريزي ومعه البلدان : « ونهى الأكف » ، ونص ياقوت على أن النهى بالكسر ويفتح . وذكر التبريزي في بعض رواياته : « غير أخزما » ، وقال : « وصارخ ، قبل منيث . وأخزم : جبل . ومعنى البيت على هذا أنه ليس بين هذين الماهين مفرج إلا هذا الجبل » .

(٢) في الأصل : « غيرهما » ، وفي م : « غيرها » ، والوجه ما أثبتنا . والعير ، بفتح العين المهملة : كل عظم ناقٍ .

وقت الغداة إلى أن غابت الشمس ، فلا ترى من الخليل إلا ما خرج بنفسه لا أورية له كمثل له ، وقد أعلم بعلامة ليعرف بلاء صاحبه . وقوله : « من الضنح » ، وضع من فيه موضع منذ ، لأن منذ في الأزمنة بمنزلة من في الأمكنة . ومثله قول زهير :

* أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ ^(١) *

وقال الأصمعي : الخارجى : كل متناه في جنسه ، فائق نظراءه في معناه . والسوم من السبا ، وهى العلامة ، وفى القرآن : ﴿ سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ ﴾ .

٥ - عَلَيْنَ فِتْيَانٍ كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادًا أَكْرَمًا

يقول : على هذه الخليل رجال كساهم مُحَرَّقٌ ، أى دروعهم وسائر أسلحتهم مما كان يكسوم ، ويجعله خيمة : وكان مُحَرَّقٌ إذا كسا الأسلحة أتى بها جيدة كريمة . ومُحَرَّقٌ : لقب لعمر بن هند ، وكان أخرج قومًا من تميم حين أجاج النار بأواره ، فلقب به ، وقال بعضهم : لقب بذلك لأنه كان إذا عاقب عاقب بالنار . وقوله « إذا يكسو » اعتراض بين الفعل وهو يكسو وبين المفعول به وهو « صفائح بُصْرِى » من البيت الثانى . ويقال أجاد الشئ بمعنى جاء به جيدًا ، وبمعنى جودة . وكذلك أكرمته يكون بمعنى أتى به كريمًا ، وبمعنى كرمته . وقد توسعوا فى كسا وإن كان أصل الكسوة اللباس ، فقول : اكتسى الأرض بالتبات ، على التشبيه ، فقال رؤبة يصف الثور والكلاب :

* وَقَدْ كَسَا فِيهِنَّ صَبَقًا بَرْزَعًا *

أى كسا الكلاب دما طريًا . وقال بعضهم فى وصف نبال :

* وَزُرْقٍ كَسَتْهَا رِيَشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ *

أى قُدُّدُهَا من ريش مَضْرَحِيّ . فعلى هذا قوله « كَسَامٌ مُحَرَّقٌ » .

٦- صَفَائِحُ بُضْرَى أَخْلَصَتْهَا قُيُونُهَا وَمُطَرِّدًا مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ مُبْنَمًا
صَفَائِحُ أَنْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ مِنْ كَسَامٍ مُحَرَّقٍ . وَبُضْرَى : قَرْيَةٌ
بِالشَّامِ تُطْبَعُ بِهَا السُّيُوفُ . فيقول : كَسَامٌ مُحَرَّقٌ سَيُوفًا بُضْرِيَّةٌ ، أَخَذَهَا
طَبَّاعُوهَا مِنْ خَالِصِ الْحَدِيدِ ، وَدُرُوعًا لَيِّنَةً سَهْلَةً سَلِسَةً ، مُتَّبَاعَةُ السَّرْدِ ،
تَطَرَّدُ وَلَا تَحْتَلِفُ ، دَاوُدِيَّةٌ . وَالصَّفَائِحُ : جَمْعُ صَفِيحَةٍ ، وَهِيَ كُلُّ سَيْفٍ عَرِيضٍ
أَوْ خَشِيَّةٍ عَرِيضَةٍ . وَيُقَالُ سَيْفٌ مُصَفَّحٌ أَيْضًا ، أَيْ عَرِيضٌ ، كَأَنَّهُ زَيْدٌ فِي
صَفْحَتَيْهِ ، أَيْ جَانِبَيْهِ . وَيُقَالُ أَصْفَحَ بَسِيفَهُ ، أَيْ ضَرَبَ بِصَفْحِهِ . وَمَعْنَى
أَخْلَصَتْهَا : أَتَتْ بِهَا خَالِصَةَ الْحَدِيدِ . وَاسْتَعْمَلَ الْكِسْوَةَ فِي السَّيْفِ كَمَا يَسْتَعْمَلُ
فِيهِ الْبَزَّ . قَالَ :

* فَوُفِّرَ بَرٌّ مَا هُنَاكَ ضَائِعٌ ^(١) *

يُرِيدُ السَّيْفَ . وَوَصَفَ الدَّرْعَ بِالْأَطْرَادِ لِتَتَابَعِ مَرَدِّهَا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ ،
لَا اخْتِلَافَ فِي حَلِقَتِهَا ، وَلَا تَفَاوُتَ فِي نَظْمِهَا . وَجَمَعَهَا مُبْنَمًا لِإِحْكَامِهَا .

٧- فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلِمًا ^(٢)

يقول : لما رأيتُ الأمرَ مُسْتَفْجِلًا ، وَالخَطْبَ عَظِيمًا مُسْتَفْظَمًا ، وَالصَّبْرَ
عَامًّا لَنَا كَلْمًا ، مَغْلُوبًا عَلَيْهِ مَمْنُوعًا ، صَبَرْنَا نَحْنُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِنَا عَلَى عَادَتِنَا الْمَعُودَةِ
مِنَّا ، وَوُطَّنَا أَنْفُسَنَا عَلَى الشَّرِّ . وَيُحْزَنُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « لَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ قَدْ
حِيلَ دُونَهُ » لَمَّا رَأَيْتُ الْوَقْتَ وَقْتًا يُعَالُ فِيهِ الصَّبْرُ ، وَيُحَالُ بَيْنَ طَالِبِيهِ وَبَيْنَهُ .

(١) لقيس بن عيزارة الهذلي ، في ديوان الهذليين (٣ : ٧٨) . وصدده :

* فَوَيْلَ امْ بَزْجَرِ شَعْلٍ عَلَى الْحَصَى *

(٢) م : « وَلَمَّا رَأَيْتُ » . التبريزي : « وَلَمَّا رَأَيْنَا الصَّبْرَ » .

وقوله « وإن كان يوماً ذا كواكب مُظلمًا » اعتراضٌ بين لنا وجوابه ، وهو شرطٌ في وقوع الصبرِ منهم يُترجم عن الحال . أى صَبَرْنَا وإن كان اليومُ يوماً مُظلمًا ترى فيه الكواكب ظهراً ، لانسداد عين الشمس بفُبار الموت . وجوابُ الجزاء استغنى عنه بجواب لنا . وروى بعضهم : « وأن كان يوماً » بفتح الهزرة على أن يكون أن تخففة من الثقلية ، والمرادُ وأنه كان اليومُ يوماً ذا كواكب . وهذا الراوى لعله لم يعرف الاعتراضاتِ والفصاحةَ فيها ، والتبسَ المعنى عليه أيضاً .

٨ - صَبَرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مَنَامًا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقَطْعُنَ كَفًّا وَمِعَصَمًا^(١)

يقول : حملنا أنفسنا على السكره ، وحبسناها في مجالِ الموت والشرِّ ، وكان ذلك منّا عادةً وطبيعةً . وقوله « أسيافنا » يجوز أن يتعلق الباء منه بصَبَرْنَا ، واعتراض بينهما قوله « وكان الصبرُ منامًا سجيّةً » ، إذ كان أراد أن يُبين أن ذلك الفعل ليس بمُسْتَبَدِّع ولا مُسْتَنَكِرٍ من أخلاقهم . ويجوز أن يتعلق بما دلَّ عليه « وكان الصبرُ منامًا سجيّةً » . وَيَقَطْعُنَ في موضع الحال للأسياف على الوجهين جميعاً . وفي طريقته قول نهشل بن حرّى :

وَيَوْمَ كَانَ الْمُضْطَلِّينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قُعُودٌ عَلَى جَحْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى يَبُوءَ وَإِنَّمَا تَفَرَّجَ أَيَّامُ الْكَرْبِ بِالصَّبْرِ
٩ - نَفَلَقُ هَامًا مِنْ أَنْاسٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

يقول : نُشَقِّقُ هَامَاتٍ مِنْ رِجَالٍ يَكْرُمُونَ عَلَيْنَا وَيَعِزُّونَ ، لما يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْأَحْوَالِ الْوَكِيدَةِ ، وَالْحَرَمِ الْقَوِيَّةِ بِالْأَنْسَابِ وَالْأَسْبَابِ ، وَهُمْ كَانُوا

(١) ابن جني : « يريد أكفا ومعاصم ، فوضع الواحد موضع الجمع . . . وجاز ذلك لأنها إنما يقطعها كفاكفا ، ومعصا معصا ، فتصور هذه الحال فوجد » .

أشدَّ عقوبًا وأتمَّ ظلمًا ، بما أطرَّحوه من مراعاة الحقوق ، وبدءوا به من تنامي
 المهود ، واستعجلوه من البنى ، وسلكوه من سنن النقي . ويروى أن يزيد
 ابن معاوية لا رحمه الله ^(١) تمثَّل بهذا البيت لما وُضِعَ بين يديه رأسُ الحسين
 ابن علي رضي الله عنهما .

١٠- ولما رأيتُ الودَّ ليس بنافعٍ عمَدْتُ إلى الأمر الذي كان أحزَمًا

١١- فلستُ بمبتاعٍ الحياةِ بِذِلَّةٍ ولا مُرتقي من خشيةِ الموتِ سَلَمًا

قوله « إلى الأمر الذي كان أحزَمًا » جُعِلَ الحزْمُ للأمر كما جُعِلَ له العزمُ
 في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ ﴾ ، فكلُّ ذلك مجازٌ واتساعٌ . وصالح أن
 يريد بقوله أحزَمَ ، أحزَمَ من غيره ، لوقوعه خبرًا ، لأنه كما يجوز حذف الخبر
 بأسره إذا دلَّ دليلٌ عليه ، كذلك يجوز حذف ما يتمُّ به منه إذا لم يلتبس
 بغيره ، ولم يختلَّ الكلامُ بسببه . وقوله « لما رأيتُ الودَّ » حذفُ المضافِ فيه
 وأقام المضافُ إليه مقامه ، كأنه قال : لما رأيتُ مراعاة الودِّ ومحافظةه ، أو إظهار
 الود وإبقاءه . ومعنى البيت : لما رأيتُهم لا يرتدُّون عن ركوب الرأس ،
 والمجازة إلى أقصى ما في الطوق من اللجاج والشر ، قصدتُ إلى ما كان
 أجمعَ للحزْمِ معهم من مكاشفتهم ، وتركِ الإبقاء عليهم ؛ لأن ظهور التعادى
 والتكاشف خيرٌ من ركوبِ الغرور ^(٢) مع التشابك . ويُلاحظ هذا البيت
 قول الآخر :

إذا حاجةٌ عزَّتْكَ لا تستطيعُها فدعها لأخرى آتٍ لك بابها

وقوله « فلستُ بمبتاعٍ الحياةِ بسبِّةٍ » ^(٣) ، يقال ابتاع الشيء بمعنى اشترى ،

(١) م : « لعنه الله » .

(٢) الرواية في متن البيت : « بذلة » . أما رواية « بسبة » فقد أشار إليها التبريزي .

(٣) كذا في النسختين . والوجه « الغرر » .

وإن كان بَعْتُهُ بمعنى اشترَيْتُهُ وبَعْتُهُ جميعًا . والسَّبَّةُ : الخَصْلَةُ التي يُسَبُّ بها ،
فهي كالهُجْنَةِ والْمَرَّةِ^(١) . يقول : قَعَلْتُ ذلك ، فإني لست ممن يَطْلُبُ العَيْشَ مع
الذَّلِّ ، ولا مِمَّنْ يَرْتَقِي في الأسباب خوفًا من الموت ، بل المِيتَةُ الحَسَنَةُ على
ما يتعقَّبُها من الأُحدوثِة الجليَّةِ آثَرُ عندنا ، وأُوَقَّعُ من هَوَانَا ، من العيشة الذَّمِّيمَةِ
على ما يُخَالِطُهَا من الرِّضَا بالدَّيَّةِ .

١٣٤

وَقَالَ بَشَامَةُ بْنُ الْغَدِيرِ^(٢) :

١- وَلَقَدْ غَضِبْتُ خُنْدِفَ وَلَقَيْتُهَا لَمَّا وَنَى عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالَهَا

خُنْدِفٌ . لَقَبٌ لِلْيَلِيِّ امْرَأَةِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ ، لقولها لزوجها يومًا : مَا زِلْتُ
أُخْنَدِفُ فِي أَنْزِكُمْ - وَالْخُنْدَفَةُ : مَشْيَةٌ كَالْهَرْوَلَةِ - فقال لها : وَأَنْتِ خُنْدِفٌ .
فلزِمَهَا ، فصارت مُضَرُ نَسْلِينَ : أَحَدُهَا وَلَدُ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ ، وَالْآخَرُ خُنْدِفٌ .
وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ظَلِمَ . فَنَادَى : يَا خُنْدِفُ^(٣) . فخرج
الزُّبَيْرُ وَبِيده السَّيْفُ ، وهو يقول : خُنْدِفُ أَيُّهَا الْخُنْدِفُ ، وَاللَّهِ لئن كُنتَ مَظْلُومًا

(١) في الأصل : « والعمره » وفي م : « والفره » ، والوجه ما أثبتنا ، والبره
بوزن الهجته : ما يعترى المرء من جنون .

(٢) جعل التبريزي هذه الحماسية لبشامة بن حزن : وقال : « قال أبو هلال : في
الشعراء رجلان يقال لهما بشامة ، أحدهما بشامة بن الغدير ، وهو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة
بن عوف بن سعد بن ذبيان . . . والآخر بشامة بن حزن النهشل ، وهذا الشعر له . وقال
الأمدي : هو لبشامة بن الغدير » . وابن الغدير خال زهير بن أبي سلمى ، كما في المؤلفات
للأمدي ص ٦٦ . وقد سبق لبشامة بن حزن الحماسية رقم ١٤ .

(٣) كذا في الأصل . وفي م والتبريزي : « خندف إلهك أيها الخندف » ، وصواب
هذه الأخيرة : « أخندف إلهك أيها الخندف » ، كما في اللسان (خندف) ، وقال : « يقول :
يا من يدعو خندفًا أنا أجيبك وآتيك . قال أبو منصور : إن صح هذا من فعل الزبير فإنه كان
قبل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التعزى بعزاء الجاهلية » .

لَا نُصْرَتَكَ . يَقُولُ : عَصِبْتُ لِنَسْلِي مُضَرَ خَنْدِفٍ وَقَيْسٍ ، لِمَا وَنَى عَنْ مَعَاوَتِهَا
وَالنُّهْؤُوسِ لَهَا نُصَارُهَا . وَيَقَالُ وَنَى بَيْنِي وَبَيْنَا ، وَهُوَ وَانٍ . وَإِنَّمَا قَالَ : « خُذْهَا »
وَلَمْ يَقُلْ نُصَارُهَا ، لِأَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ قَتَلْتُ
فَتِيلَ بَنِي فَلَانٍ ؛ وَقَدْ مَضَى لَهُ أَشْبَاهُ وَأَمْثَالُ . فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ تَبَرَّعَ بِمَا كَانَ
مِنْهُ مِنَ الْمُدَافَعَةِ دُونَهُمْ وَالْمَقَاتِلَةِ عَنْهُمْ ، فَلِذَلِكَ تَحَمَّدَ بِهِ . وَقَالَ عَصِبْتُ لَهُمْ لِمَا
رَأَيْتُ مِنْ وَجَبِ نُصْرَتِهِمْ عَلَيْهِ خَذَلَهُمْ . وَجَوَابُ لِمَا وَنَى ، مَا هُوَ صَدْرُ الْبَيْتِ .

٣ - دَافَعْتُ عَنْ أَعْرَاضِهَا فَفَنَعْتُهَا وَلَدَيْ فِي أَمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا

هَذَا تَفْسِيرٌ لِلْفَضْبِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَيَبَيِّنُ نَتِيجَتَهُ . وَالْعَرِضُ : النَّفْسُ ،
وَيُسْتَفْعَلُ فِي الْحَسْبِ . يَقُولُ : ذَبَبْتُ عَنْهَا وَمَنَعْتُ الْأَعْدَاءَ مِنْهَا ، وَلَدَيْ فِي
أَمْثَالِهَا مِنَ الْقَبَائِلِ أَمْثَالُ هَذِهِ النَّصْرَةِ . هَذَا وَجْهٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ وَلَدَيْ فِي
أَمْثَالِ هَذِهِ النَّصْرَةِ أَمْثَالُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ . وَالْقُرَائِنُ الَّتِي تَسُوِّغُ رَدَّ الضَّمِيرَيْنِ
إِلَى جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ حَاضِرَةٌ فِي الْكَلَامِ قَوِيَّةٌ .

٣- إِنِّي أَمْرُؤُ أَمِيمٌ الْقَصَائِدِ لِلْعِدَى إِنَّ الْقَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا
هَذَا يُمْكِنُ الِاسْتِدْلَالُ بِهِ عَلَى صِحَّةِ الْمَعْنَى الثَّانِي ، وَمَعْنَى « أَسْمُ الْقَصَائِدِ » :
أَعْلَاهُا بِمَا يَصِيرُ كَالسَّمَةِ عَلَيْهَا ، حَتَّى لَا تُنْسَبَ إِلَى غَيْرِي ، وَحَتَّى يُعْرَفَ مِنْهَا
السَّبَبُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ ، فَمَنْ سَمِعَهَا عَرَفَ قَصَّتَهَا ؛ وَلِهَذَا قَالَ إِنَّ الْقَصَائِدَ
شَرُّهَا أَغْفَالُهَا ، أَيْ شَرُّ الشَّعْرِ مَا لَا مِيسَمَ لِقَائِهِ وَالْمَقُولُ فِيهِ عَلَيْهِ . وَيَقَالُ
دَبَّةٌ غُفْلٌ ، إِذَا عَرَى مِنَ الْأَعْلَامِ . وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ فِي الْبَيْتِ إِنَّهُ مَقْلُوبٌ ،
وَالْمُرَادُ أَمِيمٌ الْعِدَى بِقَصَائِدِي ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) :

(١) هُوَ الْمُتَلَمِّسُ . دِيوَانُهُ ص ١ نَسْخَةُ الشُّنْقِطِيِّ بِدَارِ الْكُتُبِ وَالْكَامِلِ ١٥٨ لَيْبِسْكَ .

• جعلت له فوق العرائن ميسماً^(١) •

والأول أكشف وأصح ، بدلالة أن الغفل جعله من القصائد ، فكذلك الموسوم يجب أن يكون منها^(٢) .

٤ — قومي بنو الحرب العوان بجمعهم والمشرقية والقنا إشعالها
يروي « والمشرقية بالجر » ويكون معنى البيت قومي إخوان الشر
القطيع ، وأبناء الحرب التي قوتل فيها امرأة بعد أخرى ، فصارت عواناً بعد أن
كانت بكرأ ، أي رفقت من حال إلى حال أشد منها ، ويكون هذا مثل
قول الآخر :

فلسنا من بني جداء بكرٍ ولكننا بنو جد النقال

وعلى ما ذكرنا يتم الكلام بقوله العوان ؛ ثم قال « بجمعهم » أي باجتماع قومي
واجتماع آلات الحرب اشتملت نارها . والباء من بجمعهم يتعلق بقوله إشعالها .
ويروي « والمشرقية » بالرفع ، ويكون على هذه الرواية تمام الكلام عند قوله
بجمعهم ؛ لأن الباء منه حينئذ يتعلق بقوله العوان^(٣) . والمعنى : قومي بنو الحرب
التي عونت ، أي صارت عواناً بهم ، واجتماع جيشهم ؛ ثم استأنف الكلام ؛
فقال : « والمشرقية والقنا » ، والمراد واشتعال نارها بالرماح والسيوف المشرقية .

(١) صواب الرواية : « جعلت لهم » . وصدر البيت :

* ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتي *

(٢) التبريوي : « قال أبو العلاء : أي أجعل فيها شيئاً تشهر به وتعرف ، كما تعرف
الناقة بسمتها . وأما الشعراء اليوم فيجمعون الموسوم من الشعر ما ذكر في قافيته اسم المدح ،
كقول الأعشى :

فأليت لا أرى لها من كلاله ولا من حنى حتى تلاق محمدأ .

(٣) ابن جني : « والقنا إشعالها ، أي ذوات إشعالها ليكون الثاني الأول ، وهذا
واضح . والباء في بجمعهم حال من قومي ، أي قومي في حال اجتماعهم بنو الحرب . وعمل فيها
حافى بنى الحرب العوان من معنى الغفل . ألا تراه في معنى صبر ومقدمون » .

وهذا الكلام - أعنى والمشرقية - وإن استؤنف به فمن صفة الحرب . وقبل في المشرقية إنها نسبت إلى المشارف ، وهى قِدَى معروفة تُجَاب منها وتُطَبع بها . ويقال : أشعلت النار فى الخطب ، وأشعلت الخيل فى الفارة ، وأشعلته غضباً .

٥- مازال معروفاً لمرْدَفَى الوغَى عَلَّ القنا وعليهمُ إنهاهما مازال لدوام الماضى ، وارتفع عَلَّ القنا على أنه اسمه ، وخبره معروفاً . والمعنى : سَقَى الرِّمَاحَ عَلَّاً بعد نَهْلٍ عَادَّةً معروفةً لهم ، فيما تقدم من الأيام إلى الآن إذا حضروا الحرب . والقَلُّ والقَلْلُ : الشَّرْبَةُ الثانية ، ويقال : عَلَّ إبْلَهُ يَعْلمُهَا فَعَلَّتْ هـ . وَأَنْهَلْتُ الإِبِلَ ، إذا سَقَيْتَهَا أولاً ، فَنَهَلْتُ ، إذا شَرِبَتْ فى أوَّل الورود حتى رَوَيْت . ومثل هذا البيت قول الآخر :

نَهَلْنَا مِنْ دِمَاءِ بَنِي لُؤَيٍّ وَأَنْهَلْنَا الْقَنَا حَتَّى رَوَيْنَا
وتوسَّعُوا فى الاستعمال حتى سَمَّوا منازل السَّفَرِ على المياه مَنَاهِلَ . وإنما قال : « وعليهم إنهاها » لأنه كأنه جعل ذلك واجبا عليهم .

٦- من عهد عادٍ كان معروفاً لنا أَسْرُ المُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا وَضَعَ مِنْ فى قوله « من عهد عادٍ » موضع مُنْذُ لِقَوَّتِهَا وكثرة تصرفها وتمكُّنِهَا فى باب الجرِّ ، وأداء معنى الابتداء ، ومثله قول الله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ ﴾ ، وقول الرَّاَجَز :

من غُدُوَةٍ حَتَّى كَانَ الشَّمْسَا بِالْأَفُقِ الْغَرْبِ تَطَلَّى وَرْسَا
ومعنى البيت أنه نَبَّه على مجاذبتهم للملوك والعلمية ، لا للأذنان والسفلة . والقِتَالُ فى ترتيب الفعل مُسَابِقٌ ^(١) للأسر والقتل ، لكنَّه لم يُبال بتأخيرهِ فى ترتيب اللفظ ، لأنَّ الواو لا يُوجِبُ فى العطف ترتيباً ، إنما هو مَوْضُوعَةٌ لِلْجَمْعِ

فقط ، وَتَبَجَّحَ أَيْضًا بَأَن ذَلِك قَدِيمٌ فِيهِمْ ^(١) منذ زمن عَادٍ لَا حَدِيثَ .

١٣٥

وقال أرطاة بن سهية ^(٢)

١ - وَنَحْنُ بَنُو عَمٍّ عَلَى ذَاكَ بَيْنَنَا زَرَّابِي فِيهَا بَغْضَةٌ وَتَنَافُسٌ ^(٣)

يقول : نحن أبناء عمٍّ ، وعلى ما بيننا من القرْبَى والقَرَابَةِ فُرِشَتْ بَيْنَنَا بُسْطُ شَرٍّ تَشْتَمِلُ عَلَى تَبَاغُضٍ وَتَحَاسُدٍ . وَذِكْرُ الزَّرَّابِي مَثَلٌ هَاهُنَا ، وَهِيَ الْبُسْطُ ، وَاحِدُهَا زَرْبِيَّةٌ وَزَرْبِيٌّ ^(٤) ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهِيَ فِي لُغَةٍ أُخْرَى الشَّوَاذِكِينَ ^(٥) : وَأَنْشَدَ لَذِي الرُّمَّةِ :

تَرَدَّدْتُ مِنْ أَفْوَافِ تَوْرٍ كَأَنَّهَا زَرَّابِي وَأَرْتَجَّتْ عَلَيْكَ الرَّوَاعِدُ

وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَتَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَّابِي مَبْثُوثَةٌ ﴾ : أَيْ مَفْرَقَةٌ فِي الْمَجَالِسِ . وَيُقَالُ : اطْوَيْ سَاطَ الشَّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . وَيَقُولُونَ أَيْضًا : أَعْطَانِي فُلَانٌ فِي بَسَاطٍ كَلَامِهِ كَذَا ، أَيْ فِيمَا بَسَطَ مِنْهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ فِي الزَّرَّابِي : إِنَّهَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَدِيمًا مِنْهُمْ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي م .

(٢) ذَكَرَ ابْنُ جَنِّي فِي الْمُبْهَجِ أَنَّ الْأَرطَاةَ وَاحِدَةً الْأَرطَلَى ، وَأَنَّ سَهِيَّةَ تَحْتَنِينَ سَهْوَةً ، يُقَالُ فَرَسٌ سَهْوَةٌ ، إِذَا كَانَتْ سَهْلَةً الْجَرَى . وَسَهِيَّةٌ أُمُّ أَرطَاةٍ غَلِبَتْ عَلَى نَسَبِهِ ، وَأَبُوهُ زُفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ . وَأَرطَاةٌ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ لَمْ يَسْبِقْهَا وَلَا تَأَخَّرَ عَنْهَا ، وَقِيلَ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَعَاشَ إِلَى خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . وَهُوَ مِنْ بَنِي مَرْثَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ سَعْدٍ ، وَكَانَ مِنْ وَقْتِ هَاجِلِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَكَانَ عَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً . الْأَغْنَى (١١ : ١٣٤ - ١٤٠) وَالْإِشْتِقَاقُ ١٧٦ - ١٧٧ وَالْإِصَابَةُ وَالْكَلْبُ ٢٩٩ : ٦٣٠ .

(٣) التَّبَرِيزِيُّ : « قِيلَ إِنَّهَا فِي دِيْوَانِ أَرطَاةَ : زَرَّابٍ عَلَى مِثَالِ غَرَّابٍ ، فَكَأَنَّهُ جَمْعُ زَرْبِيَّةٍ ، فَجَعَلَ الْعِدَاةُ زَرْبِيَّةً لِأَنَّهَا تَزْرُبُ فِي الْقَلْبِ ، أَيْ تَدْخُلُ » . وَأَنْشَدَهُ أَبُو النَّدَى « زَائِبٌ » وَهِيَ الْقَوَارِصُ ، قَالَ أَبُو النَّدَى : وَلَا أَعْرِفُهَا وَاحِدًا .

(٤) بِتَثْنِيَةِ الزَّائِي فِيهِمَا ، كَمَا فِي اللِّسَانِ .

(٥) كَذَا وَرَدَ هَذَا اللَّفْظُ . وَلَعَلَّ لَهُ صِلَةٌ بِكَلِمَةِ « شَادْكُونَه » الْفَارْسِيَّةِ ، بِمَعْنَى مَا يَنَامُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ حَشِيَّةٍ وَنَحْوِهَا . انْظُرْ مَعْجَمَ اسْتِئْجَاسٍ ٧٢٢ .

الْقُطُوعُ الحِيرِيَّةُ الرَّقِيقَةُ . وفي كلام بعض الفصحاء : « فُرِشَتْ بَيْنَنَا قُطُوعُ النَّأْمِ » . فَعَلَى هَذَا اسْتَعْمَلَ هَذَا الشَّاعِرُ الزَّرَّابِيُّ . فَأَمَّا قَوْلُهُ « عَلَى ذَاكَ بَيْنَنَا » ، فَإِنَّمَا أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى مَا جَمَعَهُمْ مِنْ سَبَبِ الْعُمُومَةِ وَنَسَبِهَا . وَيُرْوَى : « عَلَى ذَاتِ بَيْنَنَا ، زَرَّابِي » كَأَنَّهُ أَرَادَ بِذَاتٍ بَيْنَهُمْ خَالِصَةَ النَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ ، ثُمَّ جَعَلَ فَوْقَهَا مَا قَدْ غَمَرَهَا وَسَتَرَهَا مِنْ زَرَّابِي الْفَسَادِ . وَيُرْوَى :

..... عَلَى ذَاكَ بَيْنَنَا تَنَاءً وَفِينَا بَغْضَةً وَتَنَافُسُ

والمعنى : وعلى ما يجمعنا من الرَّحِمِ بِنَايَ بَعْضُنَا عَنِ الْبَعْضِ ، وَمَعَ ذَلِكَ بَيْنَنَا تَدَابُرٌ وَتَبَاغُضٌ ، وَتَهَاجُرٌ وَتَقَاطُعٌ . كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا التَّنَائِيَّ مَدَاوِءًا فِي إِزَالَةِ مَا بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَنْفَعِ .

٢- وَنَحْنُ كَصَدْعِ الْقُسِّ إِنْ يُعْطِ شَاعِبًا يَدَعُهُ وَفِيهِ عَيْبُهُ مُتَشَاخِسٌ

القُسُّ : الْقَدْحُ الضَّخْمُ . وَالشَّعْبُ ، يَسْتَعْمَلُ فِي الْجَمْعِ وَالتَّفْرِيقِ . وَيُقَالُ أَيْضًا : تَفَرَّقَ شَعْبُهُمْ . وَالشَّاعِبُ هَاهُنَا : مُصْلِحُ الْقَدَاحِ . يَقُولُ : اسْتَخْصِمَ الْفَسَادُ بَيْنَنَا حَتَّى لَا يَقْبَلَ صُلْحًا وَلَا صَلَاحًا ، وَتَفَاقَمَ الْإِنْصِدَاعُ حَتَّى لَا يَلْتَحِمَ تَبَابُئًا وَتَدَافُقًا ، فَلَنْ تَعُودَ الْحَالُ إِلَى مَا كَانَتْ وَإِنْ أَمْسَكْنَا عَنْ إِثَارَةِ الشَّرِّ وَالزِّيَادَةِ فِيهِ زَمَانًا ، وَتَصْنَعْنَا فِي الْإِحْتِمَالِ وَالْمُقَارَبَةِ إِبْقَاءً عَلَى الْحِظِّ مِنَ الْمَرَاجِعَةِ وَإِذْنًا ، بَلْ يَكُونُ مَا بَيْنَنَا كَالشَّقِّ فِي الْقَدَحِ ، إِنْ أُعْطِيَ شَاعِبًا تَرَكَهُ وَالْعَيْبُ ظَاهِرٌ فِيهِ ، غَيْرُ مُنْكَسِكٍ وَلَا خَافٍ . وَالْمُتَشَاخِسُ : الْمُتَفَاوِتُ الْمُتَبَايِنُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : تَشَاخَسَتْ أَسْنَانُهُ مِنَ السَّكْبَرِ ، إِذَا احْتَلَفَتْ . قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ أَنْ يَسْقُطَ بَعْضُهَا وَيَمِيلُ بَعْضُهَا . وَقِيلَ الشَّخْسُ فِي الْأَصْلِ فَتَمَحَّ الْفَمُ لِلتَّشَاوُبِ . وَيُجَوِّزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « وَفِيهِ عَيْبُهُ » : وَمَعِيبُهُ هَكَذَا . وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَمِنْ الْمَوَالِي ضَبُّ جَنْدَلَةٍ نَخِرُ الْمَوَدَّةَ ظَاهِرُ الْغَمْرِ

وقد أحسن أبا ن الأحقى في مُزْدَوِجَتِهِ حين قال :

وإنما مـودَّةُ الأشرار في وهـيها كمثلِ الفخارِ
بصيبه أذنى يـدٍ فينكسر^(١) وليس يُزَي شَعْبُهُ إذا جُبِرَ

٣- كفى يَبْنِنَا إِلَّا تَرُدُّ تَحِيَّةٌ على جَانِبٍ ولا يَشْمَتُ عَاطِسُ

يُروى « يَشْمَت » بالشين والسين ، وهما بمعنى واحد ، وسَمِعْتُ أبا عليّ الفارسي يقول في اشتقاق التَّسْمِيتِ بالسين غير معجزة - وهو قولك للعاطس : يَرْحَمُكَ اللهُ - فقال : كأنه إذا عَطَسَ لَحِقَتْهُ نَفْضَةٌ في جسمه ، فإذا دعا الداعي له فكأنه رَدَّه إلى سَمْتِهِ وهَذِهِ . وقال في التَّسْمِيتِ بالسين معجزة : كأنه التَّثْبِيتُ من الشَّوَابِيتِ وهى القَوَائِمُ^(٢) . يقول : يكفيك من الشرِّ الرَّاتِبُ بَيْنُنَا أَنَّهُ لَا تَرُدُّ تَحِيَّةَ الْوَاحِدِ مِنَّا - يريد جَوَابَ تَسْلِيمِهِ - وإن كان الالتقاء معه عن غَيْرِ كالاتِّقاء مع الأجنب والغرباء ، وأنه إذا عَطَسَ وَاحِدٌ لَا يُتَلَقَّى بِالْدُّعَاءِ لَهُ على ما استمرَّ وعُرِفَ من عَادَةِ النَّاسِ في تَنَادِيهِمْ وَتَجَاوُرِهِمْ^(٣) . وقوله « كفى بَيْنُنَا » هو بين الذى كان ظَرْفًا ، فنقله إلى باب الأسماء . ومثله قولُ الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُنْكُمْ^(٤) ﴾ وقال الشاعر^(٥) :

كَانَ رِمَاحُهُمْ أَشْطَانُ بَثْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالَيْنِهَا جَرُورٍ

ويجوز أن يُروى « أن لا تَرُدُّ » بالرفع ، وكذلك « ولا يَشْمَتُ » على أن.

(١) كذا في الأصل ، روى م : ه أذنى أذى .

(٢) قال ابن جني : « وذلك أن القائمة هى التى تحمل الفرس ونحوه ، وبها عصمته ، وهى قوائمه . وكأنه إذا دعا له فقد ثبت أمره وأنهض وأحكم دعائمه » .

(٣) كذا في النسختين ، بالجمع .

(٤) وردت في الأصل بفتح النون والاستشهاد يقتضى ضمها كما فى م . والأولى قراءة نافع وحفص والكسائى وأبى جعفر ، وقرأ الباقون بالضم . إتحاف فضلاء البشر ٢١٣ فى سورة الأنعام .

(٥) هو مهلهل . انظر الكامل ٢١٢ ، ٣٥٢ ليسك . وانظر القصيدة بتمامها فى

أمالى النقاد (٢ : ١٢٩ - ١٣٣) .

تَجَمَّلَ أَنْ تُخَفِّفَ مِنَ الثَّقِيلَةِ . وَيَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا تُرَدُّ تَحِيَّةٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعَ ﴾ ، بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ .

١٣٦

وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُفْلَةَ (١) :

١ - تَنَاهَوْا وَسَلُّوا ابْنَ أَبِي لَبِيدٍ أَأَعْتَبُهُ الضُّ — بَارِمَةُ النَّجِيدِ

يقول : كُفُّوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَهْيِيجِ الشَّرِّ ، وَأَمْسِكُوا عَنِ الشَّرِّ فِي تَارِثِ
نَارِ الْحَرْبِ ، وَسَلُّوا هَذَا الرَّجُلَ : هَلْ أَرْضَاهُ الْأَسَدِيُّ الْقَوِيُّ الْغَلِيظُ الشَّدِيدُ لَمَّا
تَحَكَّكَ بِهِ ، وَهَلْ وَفَاهُ مَا اسْتَحَقَّهُ عَلَيْهِ . كَأَنَّهُ جَعَلَ إِنْزَالَهُ الشُّؤْمَ بِهِ وَالزِّيَادَةَ
عِنْدَ تَسْكُرَتِهِ لَهُ إِعْتَابًا ، عَلَى التَّهْكُمِ وَالشُّخْرِيَّةِ . وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَشِيرٍ :

غَضِبْتَ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتِّلَ عَامِرٌ يَوْمَ النَّسَارِ فَاغْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ

وَالضُّبَارِمَةُ ، قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ الْجُرْيُ عَلَى الْأَعْدَاءِ . وَسَمِيَ الْأَسَدُ ضُبَارِمًا .
قَالَ : وَيُقَالُ هُوَ الْأَسَدُ الْوَثِيقُ الْخَلْقُ ، لِلْمَكْتَنَزِ اللَّحْمِ . وَيَجُوزُ عِنْدِي أَنْ يَكُونَ
مِنْ مَعْنَى الْمُضْطَرِّ لَا مِنْ لَفْظِهِ ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ دَمِيتٍ وَدِمِثَرٍ ، وَدَلَامِصٍ
وَدِلَاصٍ وَسَبَطٍ وَسَبْطَرٍ . وَالنَّجِيدُ : ذُو النَّجْدَةِ ، وَهِيَ الْبَاسُ وَالشَّدَّةُ .

(١) هُوَ عَقِيلُ بْنُ عُفْلَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْمُرِّي . شَاعِرٌ مَجِيدٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْبُلُوَّةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ
مَعْرُوفًا بِكِبَرِهِ وَاعْتِزَازِهِ بِنَفْسِهِ . وَانْظُرْ أَخْبَارَهُ فِي الْأَغَانِي (١١ : ٨١ - ٨٩) وَابْنِ سَلَامٍ
٢١٤ وَالْخَزَازَةِ (٢ : ٢٧٨ - ٢٧٩) . وَهَقِيلُ ، بَفَتْحِ الْعَيْنِ ، قَالَ ابْنُ جَنِّي فِي الْمَهْجِجِ :
« اسْمٌ مَرْتَجِلٌ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَعِيلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، أَيْ مَقُولٌ ... وَالْهَلْفُ : ثَمَرُ الْأَرَاكِ ،
الْوَحْدَةُ عُفْلَةٌ » .

٢- وَلَسْتُمْ فَاعِلِينَ إِخَالُ حَتَّى يَنَالَ أَقاصِيَ الْخَطَبِ الْوُقُودُ

حَذَفَ مَفْعُولَ قَوْلِهِ فَاعِلِينَ ، وَهُوَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ « تَنَاهَوْا » كَأَنَّهُ قَالَ : وَلَسْتُمْ فَاعِلِينَ التَّنَاهِي . يَقُولُ : مَا أَرَى أَنْتُمْ تَنْتَهُونَ إِلَى مَا رَسَمْتُ ، أَوْ تَقْبَلُونَ كَلَامِي الَّذِي إِلَيْهِ أَشَرْتُ ، حَتَّى يَنْظُمُ الْخَطَبُ ، وَيَبْلُغَ الْبَلَاءُ أَقْصَى مَبَالِغِ الْجَهْدِ ، فَيَتَعَدَّى الْأَقَارِبَ إِلَى الْأَبْعَادِ ، وَيَتَأَدَّى مِنَ السَّقِيمِ إِلَى الْبَرَى . وَذَكَرَ الْخَطَبُ وَالْوُقُودَ هَاهُنَا مَثَلًا لِنَفَاقِ الشَّانِ وَاسْتَفْعَالِهِ ، وَاتَّسَاعِ الْمَكْرُوهِ وَاشْتِمَالِهِ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي « إِخَالُ » وَكَسْرِ الْمَمْرَةِ مِنْهُ .

٣- وَأَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ إِلَى فِيهِ لِسَانِي مَفْشَرٌ عَنْهُمْ أَذُودُ

يَقُولُ : إِنِّي مُتَعَطِّفٌ عَلَى عَشِيرَتِي وَإِنْ كَانُوا مُسَيِّئِينَ إِلَيَّ ، مُتَكَرِّمٌ مَعَهُمْ وَإِنْ كَانُوا مُتَحَامِلِينَ عَلَيَّ ، فَأَبْغَضُ إِنْسَانًا أَذْكَرُهُ وَأَتَنَاوَلُهُ بِلِسَانِي مُتَنَقِّصًا لَهُ ، قَوْمٌ أَدْفَعُ عَنْهُمْ فِي وَقْتِي ، وَأُحَامِي عَلَيْهِمْ فِي ظَاهِرِ أَمْرِي . وَفِي الْبَيْتِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَأَصْلُ تَرْتِيبِهِ : أَبْغَضُ مَنْ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ إِلَى قَوْمٍ هَكَذَا شَأْنِي مَعَهُمْ . وَهَذَا تَنْبِيْهُ عَلَى أَنَّ الرِّشَادَ فِي الْحَافِظَةِ عَلَى حُرْمِ ذَوِي الرَّحِمِ وَإِنْ كَانُوا مُنَابِذِينَ . فَمَنْ مِنْ قَوْلِهِ « أَبْغَضُ مَنْ » نَكِيرَةٌ مُوصَوِّفَةٌ ، وَصِفَتُهُ وَضَعْتُ لِسَانِي فِيهِ الْجُمْلَةُ . وَقَدْ فَصَّلَ بَيْنَ بَعْضِهَا وَالبعض الآخر بقوله « إِلَيَّ » وَهُوَ أَجْنَبِيٌّ مِنْهَا . وَهَذَا فِي الصِّفَةِ أَقْرَبُ مِنْهُ فِي الصَّلَةِ ، فَاحْتِمَالُهُ فِيهِ أَقْرَبُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ جَرِيرٍ :

فَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهَالٍ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي

وَمَعْنَى أَذُودَ : أَدْفَعُ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ اللِّسَانُ الْمَذُودَ ، وَهَذَا كَمَا سُمِّيَ الْمِفْصَلُ .

٤- وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي أَغْيَابُ رِجَالِكِ أَمْ شُهُودُ

يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَتَجَبَّحَ بِتَعَقُّفِهِ فِي جَارَاتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتَطَلَّبُ

مفارقة القيمينَ بهنَّ ، مبرصداً للتمكنَ منهنَّ ، فيكون ذلك باعناً للسؤال عن
رجالهنَّ ، ليغتنم الخلوةَ بهنَّ . والثاني أن يريدَ رَفَعَ الطَّعْج عن جَبْرِته ، وقلةَ
الفكرِ في تثبُّعِ أحوالِهِمْ ، عند حضورِهِمْ وغيبَتِهِمْ ، إذ لم يكن هُمُّهُ في النَّيلِ
منهم ، ومشاركتِهِمْ فيما يتجدد لهم من خير ، ففَلَّ السِّيفُ للطامعِ الدنيَّة .
ويكون هذا كما قال الآخر :

وَإِذَا أَنَى مِنْ وَجْهِهِ بِطَرِيقِهِ لَمْ أَطْلُغْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَانِهِ
وَهَذَا أَوْجَهٌ ، لِأَنَّ ذِكْرَ الْعِفَّةِ قَدْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ .

٥- وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بَيْتِ جَارِي صُدُورَ الْعَيْرِ غَمْرُهُ الْوُرُودُ^(١)

هذا يشهد لما اخترناه في تفسير ما قبله ، فيقول : وإذا دعاني الجار إلى
بَيْتِهِ بُكْرَ مَنِي بَرِّهِ ، وبُشْرَ كُنِي فِي خَبْرِهِ ، لَا أَنْصَرِفُ عَنْهُ وَالطَّعْجُ فِيهِ بِجَالِهِ ،
وَالِاسْتِفْنَامُ لِلْحَقِيرِ مِنْ مَالِهِ وَطَعَامِهِ عَلَى حَدِّهِ ، انصرافَ الْعَيْرِ عَنِ الْمَاءِ وَقَدْ غَمْرُهُ
الورود . والتَّغْمِيرُ كالتَّصْرِيدِ ، وَهُوَ شُرْبُ دُونَ الرَّيِّ وَمِنْهُ الْغَمْرُ : الْقَدْحُ
الصَّغِيرُ ، وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُتَكَأَلُ بِهِ الْمَاءُ فِي الْمَهَامَةِ . وَأَنشَد :

تَكْفِيهِ حُزَّةٌ فَلَيْذٌ إِنْ أَلَمَ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبُهُ الْغَمْرُ^(٢)

وقيل في غَمْرُهُ معناه أرواهُ من الغمر : الماء الكثير ، فيكون المعنى :
إِنِّي لَا أَتَهَلَّكُ عَلَى طَامِهِ فِغْلٍ النَّهْومِ الْخَسِيسِ الْهِمَّةُ فَاتَضَلَّعُ ، لَكِنِّي آكُلُ
أَكْلًا كَرِيمًا . وَهَذَا الْمَعْنَى أَقْرَبُ عِنْدِي .

٦- وَلَا مُلْقِي لِيذِي الْوَدَعَاتِ سَوَطِي الْأَعْبَةُ وَرِيَّتَهُ أَرِيدُ

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : البيتان الأخيران لابن أبي نمير انتحالي ، من بني مرة ،
جاء بهما أبو تمام صلة في هذه الأبيات ، وليسا منها » .

(٢) لأعشى باهلة يرث أخاه المنتشر بن وهب . اللسان (غمر) وإصلاح المنطوق ٨٠٥ ،
و ٣١٦ . وقصيدته في حسانة ابن الشجرى ١٠ والأصمعيات ٣٣ ليبسك .

هذا مثل قول الآخر^(١) :

لَا آخِذُ الصَّبِيَّانَ أَلْتَمَهُمُ وَالْأَمْرُ قَدْ يُغَيِّرِي بِهِ الْأَمْرُ
وفي طريقته أيضاً قول الآخر :

أَحِبُّ صَبِيَّ السَّوِّءِ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ وَأَبْغَضُهُ مِنْ بُغْضِهَا ، وَهُوَ حَادِرٌ^(٢)
أَي حَسَنُ الْخَلْقِ : يَصِفُ عِفَّتَهُ فَيَقُولُ : لَا أَلْقَى سَوَاطِي بَيْنَ يَدَيِ الصَّبِيِّ
الَّذِي فِي عُنُقِهِ عَوْذٌ وَتَمَائِمُ لَصِفَرِهِ ، أَلَاعِبُهُ فِي الظَّاهِرِ ، وَأَضْمِرُ التَّوَدُّدَ إِلَى أُمِّهِ
وَأَطْلُبُ الْخُلُوةَ بِهَا لِاسْتِغَالِهِ . وَهَذَا إِذَا رَوَيْتَ : « وَرَبَّتَهُ أُرِيدُ » ، وَقَوْلُهُ
أَلَاعِبُهُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَيُرْوَى : « وَرَبِّيَّتَهُ » وَهُوَ أَكْشَفُ . وَرَأَيْتُ مَنْ
يَقْصُرُ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةَ عَلَى صِفَةِ الْعَفَّةِ عَنِ الْجَارَاتِ ، وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا
لَعَنَى أَحْسَنُ وَأَوَّلَى .

١٣٧

وقال محمد بن عبد الله الأزدي^(٣) :

١ - لَا أَدْفَعُ ابْنَ أَلَمٍ يَمْشِي عَلَى شَفَا وَإِنْ بَلَغْتَنِي مِنْ أَذَاهُ الْجَنَادِ عُ

الشَّفَا : حَرَفُ الشَّيْءِ . وَيَمْشِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَالْبَيْتُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ :
أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى إِذَا أَشْفَى ابْنُ عَمِّي عَلَى بَلَاءٍ وَشَرٍّ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْهُ ،
وَيُخَشَى عَطْبُهُ فِيهِ ، فَإِنِّي لَا أَدْفَعُ فِي صَدْرِهِ تَحَامُلًا عَلَيْهِ لِيَقْتَحِمَهُ ، وَلَا أَرْجُ بِهِ
فِيهِ لِأَغْرِقَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ : إِذَا انْحَرَفَ عَنِّي مَهَاجِرًا إِلَى وَمَشَى عَلَى جَانِبِ
مِنِ الْمَوَاسِنَةِ مَعِيَ لَا أَنْفَرَهُ ، وَلَا أَتَمُّ اسْتِحْشَاهُ بِمَا أَثِيرُ مِنْ كَوَامِنِ غِيظِهِ ، وَإِنْ

(١) هُوَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ . أَمَّا الْقَائِلُ (١ : ٤٥) .

(٢) أَنَشَدَهُ فِي اللِّسَانِ (حَدَر) شَاهِدًا عَلَى أَنَّ الْحَادِرَ : التَّلَظُّظُ .

(٣) الْمَهْجُجُ : « قَدْ قَالُوا الْأَزْدُ وَالْأَسَدُ ، وَكَانَ الزَّأْيُ يَدُلُّ مِنَ السَّيْنِ ، وَكِلَاهُمَا عَلِيمٌ مَرْتَجِلٌ » .

بَلَفَتْنِي الدَّوَاهِي عَنْهُ ، وَقَاسَيْتُ الشَّدَائِدَ مِنَ التَّأَذِّي بِهِ . أَيْ لَا أَتَهَرُّزُ الْفُرْصَةَ فِي مَكَاشِفَتِهِ وَإِنْ اتَّصَلَ بِالشَّوْءِ تَعَرُّضُهُ ، وَدَامَ فِيمَا يَبِينُ اعْتِرَاضُهُ . وَالْجَنَادِعُ فِي الْأَضَلِّ تُسْتَعْمَلُ فِي هَوَامِّ الْأَرْضِ ، تُسْتَعْمَلُ كُنَايَةً عَنْ ضُرُوبِ الْمَكَارِهِ وَأَنْوَاعِ الْأَذَى . وَمِنْ قَوْلِهِ ^(١) : « بَدَّتْ جَنَادِعُهُ وَاللَّهُ جَادِعُهُ » . وَهَذَا كَمَا اسْتَعَارُوا الْعُقَارِبَ فَقَالُوا : دَبَّتْ عُقَارِبُهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْجَنَادِعُ : جَنَادِبُ فِي جِجَرَةِ الْحَشْرَاتِ يَخْرُجْنَ إِذَا كَانَ الْحَافِرُ يَبْلُغُ أَقْصَاهَا . وَمِنْهُ قِيلَ فِي الْمَثَلِ : « جَاءَتْ جَنَادِعُ الشَّرِّ » ، أَيْ أَوَائِلُهُ . وَاسْتَعْمَلُ فِي الْكَلَامِ أَيْضًا فَقِيلَ جَنَادِعُ الْقَوْلِ لِمَا يَسُوءُ مِنْهُ . وَيَجُوزُ فِي قَوْلِهِ « يَمْشِي عَلَى شَفَا » وَجْهٌ آخَرٌ حَسَنٌ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ يَمْشِي فِي مَعْنَى يَسِيرُ وَيَحْطُبُ . وَفِي الْمَثَلِ : « هُوَ أَضْرَبُ مِنْ مَشْيٍ بِشَفَةِ ^(٢) » . وَكَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ مَشَاءَ بَنِيمٍ ﴾ ، وَيَكُونُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ « عَلَى شَفَا » مُتَعَلِّقًا بِمَضْمَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَفْعَلُ ذَلِكَ كَأَنَّا عَلَى شَفَا أَوْ حَاصِلًا ؛ وَالْمَعْنَى مُنْحَرِفًا : أَيْ لَا أَدْفَعُهُ عَنِ التَّحْرِيشِ وَالنَّمِيمَةِ قَهْرًا وَعُغْفًا ، وَلَكِنْ أُعْطِفُهُ بِالْحُسْنَى .

٢- وَلَكِنْ أَوَاسِيهِ وَأَنْسَى ذُنُوبَهُ لِيَرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَى الرَّوَاجِعِ

قَوْلُهُ « أَوَاسِيهِ » أَيْ أَجْعَلُهُ إِسْوَةً نَفْسِي ، فَأَقَاسِمُهُ مَالِي وَمِلْكِي : يَقُولُ : لَكِنِّي أَتَنَاسَى ذُنُوبَهُ وَهَفْوَانَهُ ، وَأَتَغْلِبُ جَرَائِمَهُ وَزَلَّاتِهِ ، وَأُحْسِنُ التَّائِبِي فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ لِمَوَاسَاتِهِ ، عِنْدَ مَا أُنْتَظَرُ مِنْ قِيَّتِهِ وَعَظْفَتِهِ ، حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ دَوَاعِي الْأَحْوَالِ ، وَتَشَابُكِ الْأَرْحَامِ ، وَرَوَاجِعِ الْعَقَبِ ، وَلَوْاحِقِ السَّبَبِ . وَهَذَا الَّذِي وَصَفَهُ هُوَ الْغَايَةُ فِي الْإِبْقَاءِ وَالِاسْتِبْقَاءِ .

٣- وَحَسْبُكَ مِنْ ذُلِّ وَسُوءِ صَنِيعَةٍ مَنَاوَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَإِنْ قِيلَ قَاطِعٌ

(١) م : « وَمِنْ كَلَامِهِمْ » .

(٢) كَذَا فِي م وَالتَّبْرِيذِي . وَفِي الْأَصْلِ : « هُوَ أَضْرَبُ » ، بِالْخَاءِ .

يقول : كافيك من سوء الفعل واكتساء الذلّ ، أن تُتَوَيَّ أقرارك وإن كانوا قاطعين عاقين ، مهاجرين مُصارمين . وإنما قال « من ذلّ » لأنّ عزّ الرّجل بعشيرته ، ومن أفاّت نفسه الخطّ منهم فقد ذلّ . وللمناواة أصلها الهمز ، واشتقاقها من النّوء : الهوض . كأنّ المتعادين يُناهض كلُّ صاحبته إما بنفسه ، وإما بمقيدته ونيتته . وقوله « سوء صنيعه » جعل الصّنيعه اسما فعي كالكرهية . وقوله « وإن قيل قاطع » ارتفع قاطع على أنّه خبر ابتداء مُضمر ، كأنّه أراد وإن قيل هو قاطع . وفي طريقته قول الخطيئة :

فأَبْقُوا أَلَاءَ الْكُفِّ عَلَيْهِمْ^(١) فَإِنَّ مَلَامَةَ الْمَوْلَى شَقَاءُ

وروى بعضهم : « وأن قيل » بفتح الهمزة ، كأنّه يُفْطِنُهُ على قوله مُناواة ، والمعنى حَسْبُكَ مِنَ الْأَمْرَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ مُنَاوَاةُ الْأَقْرَابِ ، وقول الناس هو قاطع عاق . والأوّل أجود وأشبه بما اقتضاه وتصرّف فيه .

١٣٨

وقال آخر :

١- إِنْ يَحْسَدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا^(٢)

الضمير في « يحسدوني » لطائفة من الناس خصّهم بالإخبار عنهم ، وقصدتم بالكلام . فيقول : إِنْ نَافَسُونِي وَحَسَدُونِي ، وَرَمَقُوا النِّعْمَةَ عَلَيَّ بِعَيْنِ التَّسْخِطِ . فَإِنِّي لَا أُلَومُهُمْ وَلَا أَعْتَبُ عَلَيْهِمْ ، إِذْ كَانَ التَّنَافُسُ وَالْحَسَدُ يَنْبَغَانِ الْفَضْلَ ،

(١) وكذا في الديوان ٢٧ . وفي م : « عليكم » تحريف . وبعده :

فإن أباهم الأدنى أبوهم وإن صدورهم لكم براء

(٢) الابيات في أمالي القالي (٢ : ١٩٨) وعيون الأخبار (٢ : ١٠ - ١١) . ورواية

عيون الأخبار :

• إِنْ يَحْسَدُونِي فَإِنِّي لَا أُلَومُهُمْ •

وإِذْ كَانَ مِنْ قَبْلُنَا عِتَادَ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مِثْلَ مَا نَرَاهُ بِسَبَبِ الْفَضْلِ . وَقَدْ أَحْسَنَ كُلُّ الْإِحْسَانِ مِنْ قَالٍ :

وَإِذَا سَرَحْتَ الْعَرْفَ حَوْلَ قِيَابِهِ لَمْ تَلَقَ إِلَّا نِعْمَةً وَحَسُودًا^(١)
فَأَمَّا قَوْلُهُ « قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا » . فَمِثْلُهُ قَوْلُ عُمرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

* وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ^(٢) *

وَقَبْلِي جَعَلَهُ لَعْوًا ، وَمِنَ النَّاسِ تَبْلِيغٌ ، وَقَدْ حُسِدُوا خَيْرَ الْمَبْتَدَأِ .

٢- قَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
هَذَا الْكَلَامُ دُعَاءَ لِنَفْسِهِ وَعَلَيْهِمْ ، عَلَى طَرِيقِ التَّسْلِي وَقَلَّةِ الْإِحْتِفَالِ ، وَلِأَنَّ الْحَاسِدَ يَرْفَعُ الْخَامِلَ مِنَ الْفَضْلِ وَيُنَوِّدُ بِهِ . فَيَقُولُ : أَدَامَ اللَّهُ لِي مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ ، وَلَهُمْ مَا مِمَّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَسَدِ ، وَمَاتَ أَكْثَرُنَا لَغِيظُهُ بِمَا يَجِدُ . وَقَوْلُهُ « وَمَاتَ أَكْثَرُنَا » الْأَكْثَرُ مِنَ الْحَسَدَةِ ، لِأَنَّهُ - وَإِنْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِيمِنْ أَضَافَ الْأَكْثَرَ إِلَيْهِ - وَاحِدٌ . وَقَوْلُهُ « بِمَا يَجِدُ » حَذَفَ الْمَفْعُولَ ، وَالْمَعْنَى بِمَا يَجِدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْحَسَدِ ، أَوْ بِمَا يَجِدُهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ عِنْدَ الْمُحْسُودِ . وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَمَزَةُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مَهْدِيٍّ الْكِسْرَوِيَّ يَقُولُ : أَنَا قَدْ تَتَبَعْتُ مِنْ دَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمَهُمْ وَمُجَدِّدَهُمْ فَوَجَدْتُ أَبَا تَمَّامٍ الطَّائِيَّ مُتَفَرِّدًا بِمَعْنَى قَوْلِهِ :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتَ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ
لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ يَزَلْ لِلْحَاسِدِ التُّغْمَى عَلَى الْمُحْسُودِ

(١) فِي م : « فَإِذَا سَرَحْتَ » .

(٢) صَدَرَهُ فِي الدِّيَوَانِ ٧٦ :

غير مَسْبُوقٍ إليه . وعندى أنه أخذه من فَحْوَى هُذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَإِنْ كَانَ زَادَ عَلَيْهِ .

٣- أَنَا الَّذِي بَجِدُونِي فِي صُدُورِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرِدُّ قَوْلُهُ « بَجِدُونِي » كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ بَجِدُونَنِي ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ النُّونَ تَخْفِيفًا . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ لَوْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الصَّلَةِ : يَجِدُونَهُ ، حَتَّى يَكُونَ فِي الصَّلَةِ ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَى الَّذِي . وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يَجِيءَ وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَعُودُ إِلَى الَّذِي وَإِنْ كَانَ صَلَةً لَهُ ، لِأَنَّ الَّذِي خَبِرُ أَنَا ، وَهُوَ وَلِلْبَتْدَاءِ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، فَلَمَّا كَانَ الْأَوَّلُ وَالثَانِي شَيْئًا وَاحِدًا لَمْ يُبَالِ أَنْ يَرُدَّ الضَّمِيرُ الَّذِي يَجِبُ رَجُوعُهُ إِلَى الثَّانِي إِلَى الْأَوَّلِ . وَمِثْلُ هَذَا مَا نُسِبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَةً ^(١) *

فَقَالَ سَمَّيْتُ وَلَمْ يَقُلْ سَمَّيْتُهُ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي مِثْلِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مُسْتَقْصًى ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَا الَّذِي صِرْتُ غُصَّةً فِي صُدُورِهِمْ قَدْ نَشِبَتْ فَلَا تَصْدُرُ وَلَا تَرُدُّ ، أَيْ صَارَتْ لَا زِمَةً لَا تَسُوعُ وَلَا تَوُوبُ . وَقَوْلُهُ « صَدْرًا » مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَ« لَا أَرْتَقِي » إِنْ جَعَلْتِ فِي صُدُورِهِمْ لَفَوْا يَكُونُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي ، وَإِنْ جَعَلْتِ فِي صُدُورِهِمْ مَفْعُولًا ثَانِيًا كَانَ لَا أَرْتَقِي حَالًا .

١٣٩

وقال آخر :

١- الشَّيْءُ يَبْدُوهُ فِي الْأَصْلِ أَصْفَرُهُ وَلَيْسَ يَصْلَى بِكُلِّ الْحَرْبِ جَانِبَهَا يَبْدُوهُ أَيْ يَبْدَأُ مِنْهُ ، فَحُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ وَوَصَلَ الْفِعْلُ فَنَصَبَ . يَقُولُ :

أوائلُ الأمور ضعيفةٌ ، ومبادئُها صغيرةٌ حقيرةٌ ، ثم تَسْتَخِمْ على مَرِّ الأيامِ وتَصَرِّفُ الأخوالَ فتعظمُ . وهذا كما قال الآخر^(١) :

الحربُ أوَّلُ ما تكونُ فُتَيَّةٌ تَسْعَى بِزِيَّتِها لِكُلِّ جَوهِلٍ
وفي طريقته قولُ الآخر^(٢) :

* كَمْ مَطَرٍ بَدَّوْهُ مُطَيَّرُ^(٣) *

وقوله «وليس يَصْلِي بنار الحرب جانبيها» يروى : «بِجَلِّ الحرب» والمعنى : لا يَصْطَلِي بنار الحربِ ومُعْظَمِها مَنْ يَكْتَسِبُها وَيوقِدُها فقط ، بل يحصلُ بالمشاركة فيها وَيُبْنَى بِبَنَوِها ، مَنْ لَمْ يَنْقُلْ خَطْوَتَهُ فِي بَغْيِها ، وَلَمْ يَسْعَ فِي تَهْيِيجِها .

٢- والحربُ يُلْحَقُ فيها الكارِهونَ كما تَذْنُو الصَّحَّاحُ إلى الجَرَبِ فتُعْذِبُها بقولُ : شرُّ الحربِ يُعْذِي إعداءَ الجَرَبِ ، فَتَرى الكارِهَ لها يَلْتَحِقُ بها^(٤) . وإن كان غيرَ حازِمٍ لها ، وَتَلْقَى البعيدَ منها يَصْطَلِي بِجَرِّها وإن لَمْ يُذَكِّها^(٥) . ولم يُشَيِّعْ مَوْقِدَها . وفي هذا التشبيه خروجُ المُشَبَّه من الكُمُونِ إلى الظُّهورِ ، ومن الخفاءِ إلى البرُوزِ ، حتَّى يَتَجَلَّى لِمُتَأَمِّلِهِ وَالْفَكَّرِ فِيهِ على بُعْدِهِ في التَّصَوُّرِ تَجَلَّى القريبِ في العُرفِ والاعتِقادِ . وهذا هو غايَةُ المِرادِ من التَّشْبِهاتِ .

٣- إني رأيتُكَ تَقْضِي الدِّينَ طَالِبَةً وَقَطَرَةَ الدِّمِ مَكْرُوهَةً تَقَاضِيها
هذا البيتُ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَذْمُوحًا ، فيكونُ المعنى : إني رأيتُكَ تَخْرُجُ إلى الدِّينِينِ سَرِيعًا مِنْ دَيْنِهِمْ عَلَيْكَ ، غيرَ مُدَافِعٍ بِمَا فِي ذِمَّتِكَ لَمْ وَلَا مُمَاطِلٍ ،

(١) عمرو بن معديكرب . شروح سقط الزند ١٦٧٨ .

(٢) هو أبو تمام . البيان والتبيين (٣ : ٦٧) .

(٣) صدره : * رب قليل جنى كثير *

(٤) م : * يمتحن بها * .

(٥) في الأصل : « يدركها » والوجه ما أثبتنا من م .

فإذا طَوَّلَيْتَ بِدَمٍ أَوْ نَوَزَيْتَ فِي ذَخْلٍ ، شَقَّ تَقَاضِيكَ بِهِ وَتَعَذَّرَ ، وَتَصَعَّبَ نَيْلُهُ مِنْ جِهَتِكَ وَتَعَسَّرَ . فَقُلْ هَذَا قَوْلُهُ « مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا » ، مَعْنَاهُ مَرُوءَةٌ تَقَاضِيكَ بِهَا . وَيُضْلَحُ أَنْ يَكُونَ ذَمًّا ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِنِّي رَأَيْتُكَ بِأَهْوَنِ سَعْيٍ وَأَقْرَبِ طَلَبٍ تَخْرُجُ مِنَ الْأَوْتَارِ وَالْأَمَاءِ إِلَى طُلَّابِهَا ، فَلَا كُفْلَةَ فِي نَيْلِهَا وَإِدْرَاكِهَا مِنْ جِهَتِكَ ، وَالتَّقَاضِي بِالْأَمِّ عَسِرٌ صَعْبٌ إِلَّا إِذَا كَانَ عِنْدَكَ وَقَبْلَكَ ، فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَضَعْفِ كَيْدِكَ وَمَهَانَةِ نَفْسِكَ ، وَقُصُورِ آثَانِكَ . وَالَّذِينَ فِي هَذَا الْوَجْهِ يُرَادُ بِهِ الْوِثَرُ وَالْأَدَمُ . وَقَوْلُهُ « مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا » بِمَعْنَى تَقَاضَى غَيْرِكَ بِهَا . وَمِثْلُ قَوْلِهِ مَكْرُوهٌ تَقَاضِيهَا فِيمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ قَوْلُ كَيْدٍ :

* بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُخْرَةٍ ^(١) *

لأنَّ المعنى بَاكَرْتُ حَاجَتِي إِلَيْهَا .

١٤٠

وقال شريح بن قرواش ^(٢) :

١ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّفْسَ جَاسَتْ عَكَرْتُهَا عَلَى مِسْحَلٍ وَأَيُّ سَاعَةٍ مَفْكَرٍ

يقول : لَمَّا تَحَرَّكَ كَتَّ حَيِّتِي وَغَلَبَ ^(٣) نَفْسِي ، حَتَّى كَادَتْ تَتَوَرُّ مِنْ مَقَرِّهَا فَتَجْرِي أُنْفَةً وَامْتِعَاضًا ، عَطَفْتُهَا عَلَى صَاحِبِي مِسْحَلٍ فِي أَيِّ وَقْتٍ مَغْطَفٍ قَعَلْتُ ذَلِكَ . وَهَذَا تَقْطِيعُ لِلشَّانِ ، وَتَفْخِيمُ لِلْأَمْرِ . فَإِذَا رَوَّيْتَ « وَأَيُّ سَاعَةٍ مَفْكَرٍ » بِالرَّفْعِ يَكُونُ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَيُّ سَاعَةٍ مَفْكَرٍ

(١) من معلقته . وعجزه :

* لِأَعْلٍ . نَهَا حِينَ هَبَ نِيَامَهَا *

(٢) كان من سبب هذه الأبيات ما رواه التبريزي عن أبي رياش قال : لقي شريح بن مسهر أخو بلحارث بن كعب ، مسحل بن شيطان بن جذيم بن رواحة ، فطمعن مسحلا فصرعه . فعلم شريح بن قرواش على شريح بن مسهر فطمعته فصرعه واستنفذ مسحلا : وقال هذه الأبيات .
(٣) كذا في النسختين ، أي غلبت نفسي .

وَمَكَّرَ تِلْكَ السَّاعَةُ . وَإِذَا رُوِيَتْهُ بِالنَّصْبِ يَكُونُ ظَرْفًا ، وَيَكُونُ الْعَامِلُ فِيهِ مُضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَعَكَّرْتُ أَيَّ وَقْتٍ مَّعَكَّرَ . وَمَعْنَى عَكَّرَ : عَطَفَ . وَيُقَالُ : هُوَ عَكَّرَ فِي الْفِتَنِ . وَجَوَابُ لَمَّا « عَكَّرْتُهَا » .

٣ - عَشِيَّةً نَازَلَتْ الْفَوَارِسُ عِنْدَهُ وَزَلَّ سِنَانِي عَنْ شُرَيْحِ بْنِ مُسْهِرٍ عَشِيَّةً انْتَصَبَ عَلَى أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ وَأَيَّ سَاعَةٍ مَّعَكَّرَ إِذَا نَصَبْتَ أَيْبًا ، وَإِنْ رَفَعْتَهُ فَانْتَصَبَ عَشِيَّةً عَلَى أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا وَالْعَامِلُ فِيهِ فَعْلٌ مُضْمَرٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ عَكَّرْتُ عَشِيَّةً . وَلَا يَكُونُ الْعَامِلُ نَازَلَتْ ، لِأَنَّهُ مُضَافٌ إِلَيْهِ وَبَيِّنٌ لِلْوَقْتِ ، وَالنَّصَابُ إِلَيْهِ لَا يَعْمَلُ فِي الْمَضَافِ . فَيَقُولُ : عَطَفْتُ عَلَيْهِ ذَابًا عَنْهُ وَمُدَافِعًا دُونَهُ ، عَشِيَّةً مَنَازَلَتِي الْفُرْسَانُ بِمُضَرَّتِهِ ، وَحِينَ زَلَّ سِنَانُ رَحَى عَنْ ابْنِ مُسْهِرٍ ، وَإِنَّمَا زَلَّ السِّنَانُ عَنْهُ وَسَلِمَ مِنْ طَعْنَتِهِ لِأَنَّهُ كَانَ لَيْسَ دِرْعًا تَحْتَ ثِيَابِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ، فَكَأَنَّهُ يَعْتَذِرُ وَيَتَلَهَّفُ .

٣ - وَأَقْسِمُ لَوْلَا دِرْعُهُ لَتَرَكْتُهُ عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ ضِبَاجٍ وَأَنْسُرٍ قَوْلُهُ أَقْسِمُ بِمَيْنَ ، وَالْحُلُوفُ بِهِ مَحذُوفٌ ، وَهُوَ لَفْظَةُ اللَّهِ . وَلِكثَرَةِ مَجِيئِهَا مَعَ أَقْسِمُ صَارَ وَهُوَ مَحذُوفٌ كَالْمَنْطُوقِ بِهِ ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِحَدِيثِ لَوْلَا ، لِأَنَّهُ فِيهِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ بَيَّنَّ الْعُذْرَ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَوْلَا دِرْعُهُ الَّتِي اسْتَظْهَرَهَا ، وَظَاهَرَ بِثُوبِهِ فَوْقَهَا ، لَتَرَكْتُهُ بَطْنِي مَقْتُولًا ، وَعَوَافِي السَّبَاحِ وَالطَّيْرِ تَأْتِيهِ وَتَنَالُ مِنْهُ . وَيُقَالُ عَفَاهُ وَاعْتَفَاهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

٤ - وَهَلْ غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إِلَّا نَزَالَتُكَ إِلَّا كَمِيٍّ عَلَى لَحْمِ الْكَمِيِّ الْمُقَطَّرِ هَذَا الْكَلَامُ بَيَانُ مَا تَكَلَّفَهُ عِنْدَ التَّعَطُّفِ عَلَى مِسْحَلٍ ، وَتَصْوِيرُ لَهْوَلٍ مَا رَكِبَهُ وَعَانَاهُ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ فِي نُصْرَتِهِ . وَلِهَذَا جَعَلَ النَّفْيَ بِلَفْظِ الِاسْتِفْهَامِ ، فَقَالَ : وَمَا شَدَائِدُ الْمَوْتِ إِلَّا مَنَازِلُكَ الْكَمِيِّ فَوْقَ لَحْمِ الْكَمِيِّ ، أَيْ فَوْقَ جَيْفٍ

القتلى . ولولا أَنَّ هَلْ في طريق النفي هاهنا لما جاء بعده إِلَّا . والمُقَطَّرُ : المُنْقَى على أحد قُطْرَيْهِ ، وهما الجانبان . ولَقَطَّرَ اختصاصاً بالمعارة عن الإسقاط والصَّرْع . على ذلك قول عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ :

* ما قَطَّرَ الفَارِسَ إِلَّا أَنَا ^(١) *

ومن اللَّحِكِيِّ عنهم في المعنى الذي قَصَدَهُ هذا الشاعر ، أنه سُئِلَ بعضهم : ما أَشدُّ ما رأيتَه فيما زاولته من الحروب ؟ فقال : « الزَّلَقُ على العَلَقِ » . وفي طريقته قول الآخر :

يَطَّانَ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدَ الْقَتَا شَرِيحاً فَمَا يَجْرِيَنَّ إِلَّا تَوْهًا ^(٢)

١٤١

وقال طرفة الجذيمي ^(٣) :

١ - يَارَا كِبَا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي بَنِي فَقَعْسٍ قَوْلِ امْرِئٍ نَاخِلِ الصَّدْرِ ^(٤)

(١) صدره كما في شرح شواهد المغني ٢٤٥ .

* قد علمت سلمى وجاراتها *

(٢) م : « إلا تقمها » .

(٣) ذكره الأمدى في المؤلف ١٤٦ ، وقال : « أحد بني جذيمة بن رواحة بن قطيعة ابن عيس بن بغيض ، شاعر فارس » ، وتصحف على صاحب القاموس فجعله طرفه الجذيمي ، وقال : « من بني خزيمة بن رواحة » . وقال ابن جني في المبهج : « الطرفة : واحدة الطرفاء ومثله قصبه وقصباء ، وحلقة وحلفاء ... » . وجذيمة : علم مرتجل وليس منتولاً . ويجوز أن يكون من جذمت يده أى قطعها ، فيكون اسماً كالنطيحة والذبيحة . وقال ابن جني في التنبيه : « طرفة الجذيمي جذيمة عيس ، ويقال الجذمي » . وبهذه النسبة الأخيرة ورد في المؤلف (٤) قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عيس - هو ابن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . وذلك أن حية بنت مالك بن مرة كانت تحت فقعس فأتها فخلع عليها رواحة ، فولدت جذيمة على فراشه . فزعموا أنها تزوجته وهي حبل بجذيمة فولدت له ثلاثة أشهر ، فجعله جذيمة يطلب بميراثه من أبيه فقال له أعيان بن طريف : ما أعرفك ولا لك عندي ميراث . فقال له : ويحك أعطني ولو بكراً أستحق به النسب . فنعته ... وثبت جذيمة في بني عيس .

يَخَاطِبُ واحداً من الركبان غيرَ مُعَيَّنٍ ، وَيَكْلِفُهُ إِنْ عَرَضَ ابْنِي فَقْعَسِ
أَنْ يُبَكِّفَهُمْ عَنْهُ قَوْلَ رَجُلٍ نَاحِلِ الصَّدْرِ نَاصِحِ الْجَنِّبِ ، صَادِقِ الْوَدِّ . وَإِنَّمَا
نَكَرَ لِلدَّعْوَى لِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا شِدَّةُ اهْتِمَامِهِ بِالرَّسَالَةِ وَتَحْمِيلُهَا رَسُولاً كَاثِناً مِنْ
كَانَ . وَالثَّانِي أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَضَعَ رِسَالَةً ظَاهِرَهَا أَنَّهَا أَوْدَعَتْ مَتَحَمَّلاً ، عَلَماً
ب أَنَّ الرِّسَالَةَ بِنَفْسِهَا إِذَا ضُمِّنَتْ الشُّعْرَ وَعُقِدَتْ بِهِ سَتَبْلُغُ عَلَى أَفْوَاهِ الرُّوَاةِ .
وَقَوْلُهُ « نَاحِلِ الصَّدْرِ » يَرِيدُ مُصَفِّى مَا فِي الصَّدْرِ ، خَذَفَ الْمُضَافِ . أَوْ يَرِيدُ
نَاحِلَ الصَّدْرِ لِمَا يَبْعِيهِ فَعْمَلُ الْفِعْلِ لِلصَّدْرِ تَوْشُعاً ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ مُوَافِقُ الظَّاهِرِ
لِلْبَاطِنِ . وَيُقَالُ : نَخَلْتُ الْوَدَّ وَالتَّضَحَّيْتُ لِفُلَانٍ ، إِذَا أَخْلَصْتَهُمَا .

٢- فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ عَنْ كَشَاحَةٍ وَلَا طِيبِ نَفْسٍ عَنْكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ

يَقُولُ : أَحْلِفُ أَتَى لَمْ أُؤَيِّرْ فِرَاقَكُمْ لِعِدَاوَةٍ لَازِمَةٍ لِكَشْحِي ، وَبَغْضَاءِ
مُتَمَكِّنَةٍ مِنْ طَوِيَّتِي ، وَلَا لِسُلُوءِ نَفْسٍ عَنْكُمْ وَسَخَاءِ قَلْبٍ بِكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ . وَهَذَا
الْكَلَامُ إِظْهَارٌ مَيْلٍ إِلَى إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ لَوْ تَسَاعَدَتِ الْأَحْوَالُ ، وَمَعْذَرَةٌ
أَقَامَهَا فِيمَا قَصَدَهُ مِنْ مُرَاغَمَتِهِمْ ، وَآثَرَهُ فِي مَهَاجَرَتِهِمْ وَمَفَارَقَتِهِمْ ، وَإِبَانَةٌ عَنْ
الْأَمْرِ فِي أَنَّ الْبَاعِثَ عَلَى مَا اتَّفَقَ لَمْ يَكُنْ مِنْ سُوءِ خَلَّةٍ ، وَانْطَوَاءٍ عَلَى حَسَدٍ
وَقَطِيعَةٍ . وَإِنَّمَا قَرَنَ السُّلُوءَ بِقَوْلِهِ آخِرَ الدَّهْرِ لِئَبْرَى أَنَّ ذَلِكَ التَّقْدِيرَ لَيْسَ بِمَحَاصِلٍ
وَلَا وَاقِعٍ أَبَداً ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ لَا أَفْعَلُ كَذَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ .

٣- وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قَبِيلَةٍ بَقَتْ وَأَتَتْنِي بِالْمَظَالِمِ وَالْفَخْرِ

هَذَا كَشَفُ الْعِذْرَةِ وَذِكْرُ السَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِلْجَانِبَةِ وَالْفِرْقَةِ ، فَيَقُولُ :
وَلَكِنِّي كُنْتُ رَجُلًا مِنْ قَبِيلَةٍ خَرَجْتُ عَنْ طَرِيقِ التَّوَاصُلِ إِلَى طَرِيقِ التَّقَاطُعِ
بِمَا اسْتَعْمَلْتُهُ مِنَ الْجَنَى وَالشَّقَاقِ ، وَتَعَاطَيْتُهُ مَعِيَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعِنَادِ ، حَتَّى تَدَاعَتْ
مَبَانِي التَّوَاشُجِ وَالتَّتَحَابِ ، وَانْفَصَمَتْ عُرَى الْمَلَاقِقِ بَيْنَنَا وَالتَّوَادِّ ، وَعِيلَ

الصَّبْرُ ، بما لحق من الهَضْم ، وَحَرَجَ الصَّدْرُ ، لِمَا تَلَاخَقَ حَالًا بَعْدَ حَالٍ مِنَ
الاستخفاف والنَّزَلِ .

٤- فَإِنِّى لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ أُبْتَهُمْ عَلَى حَالَةٍ حَدْبَاءَ نَابِيَةِ الظَّهْرِ^(١)

انتقل عن الخطاب إلى الإخبار حين توعدهم ، وإن كان الكلُّ من جملة
الرَّسَالَةِ . ويروى : « لَشَرُّ النَّاسِ » بكسر اللام ، والمعنى أنا ابنُ شرِّ الناس ،
كما قال النابغة :

* لئن كان للقبرين قبرٍ بخلقٍ^(٢) *

والكلام لفظه لفظ الخبر والمعنى معنى القسم . وهذا من الأيمان الشريفة .
ويروى : « لَشَرُّ النَّاسِ » . والمعنى : أنا شرُّ الناسِ إِنْ أَجِئْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ بَيِّنَاتٍ
على حَالَةٍ مُنْكَرَةٍ ، وَخُطَّةٍ صَعْبَةٍ ، لَا يُسْتَقَرُّ عَلَيْهَا ، وَلَا يُثَبَّتُ عَلَى ظَهْرِهَا .
وفى هذه الطريقة قولُ الآخر^(٣) :

لَقَدْ حَمَلْتُ قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ حَرْبَنَا عَلَى يَابِسِ السَّيِّئِ مُحْدَوِّبِ الظَّهْرِ
فقوله نَابِيَةِ الظَّهْرِ مثل قول هذا مُحْدَوِّبِ الظَّهْرِ ، أَى ظَهْرُهَا يَجْنُو لِنُبُوِّهِ
وَنُبُوِّهِ فَيَقْلُقُ رَاكِبَهَا وَلَا يَقِرُّ ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ وَإِنِّى لَشَرُّ النَّاسِ .
٥- وَحَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ مِنْ شَرِّ بَيْنِنَا وَنَقَمُهُ لَا نَدْرِى أَنْ نَزِعَ أَمْ نَجْرِي

تَعَلَّقَ حَتَّى بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَأَدِيمُ ذَلِكَ لَمْ حَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ ،
أَى إِلَى أَنْ يَفِرَّ النَّاسُ . والمعنى : إِنِّى لَا أَزَالُ أَتَمَادَى فِي اللَّجَاجِ وَالشَّرِّ ، وَأَتَرَقَّى فِي
دَرَجَاتِ النَّزَاعِ وَالْحَرْبِ ، حَتَّى يَسْقِيلَ النَّاسُ مِنْ مِشَارِكَتِنَا وَمَلَابَسَتِنَا فِيمَا نُرَاوِلُهُ ،
وَيَسْتَعْمُوا مِنَ التَّوَشُّطِ بَيْنَنَا وَرَدَّنَا عَمَّا نَقْتَحِمُهُ ، وَيَنْفُضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ اسْتِطْلَاحِنَا

(١) كَذَا وَرَدَّ فِي الْأَصْلِ وَفِي م وَالتَّبْرِيزِى وَالمُؤْتَلَف : « عَلَى آلَةٍ » . وَالْآلَةُ : الْحَالَةُ أَيْضًا .

(٢) عَجْزُهُ : * وَقَبْرٍ بِصِيدَاءِ الَّتِي عِنْدَ حَارِبِ *

(٣) هُوَ الْأَخْطَلُ ، دِيْرَانُهُ ١٢٩ وَاللِّسَانُ (سَيْس) .

وتتخير نحن أيضاً ونرتبك إذا توسطنا أمورنا، فلا نذري أنقص ونكف، أم
نجرى فننفذ. وهذا إلام بما سار به المثل في قصة السائلة لاسمن، ويقول
الشاعر^(٢) :

وَكُنْتُ كَذَاتِ الْقَدْرِ لَمْ تَذَرِ إِذْ غَلَّتْ أَتَنْزِلُهَا مُذْمُومَةً أَمْ تُذَيِّبُهَا^(٣)
وفي المثل السائر : « اختلط الخائر بالزُّبَادِ^(٤) ». وقوله « لا نذري »
في موضع الحال .

١٤٢

وَقَالَ أَبُو بِنِ مُحَمَّدٍ الْمُرِّي^(٥) :

- ١ - تَمَنَّى لِي الْمَوْتَ الْمَجَلَّ خَالِدٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يُعْرِفُ حَاسِدُهُ
 - ٢ - فَخَلَّ مَكَانًا لَمْ تَكُنْ لَتَسُدَّهُ عَزِيزٌ أَعْلَى عَبَسَ وَذِي بَيَانَ ذَائِدُهُ^(٦)
- يقول : وَدَّ لِي الْمَوْتَ الْوَحِيَّ السَّرِيعَ الْإِتْيَانِ خَالِدٌ ، حَسَدًا مِنْهُ وَبُغْضًا ،
وَمَنَاقَسَةً فِي الرِّيَاسَةِ وَحِقْدًا . ثُمَّ قَالَ مُتَسَلِّيًا : وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا حَاسِدَ لَهُ ،
لَأَنَّ الْحَسَدَ مِنْ تَوَابِعِ الْفَضْلِ وَمَسَبِّبَاتِهِ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ

قَبِلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا^(٧)

وقد شرح القول فيه . وقوله « فَخَلَّ مَقَامًا » أَقْبَلَ عَلَى خَالِدٍ مُبَكِّكًا لَهُ

(١) هو بشر بن أبي خازم . المفضليات (٢ : ١٣١)

(٢) رواية المفضليات : « فكَانُوا كَذَاتِ »

(٣) الزباد ، كرماء : ما لا خير فيه .

(٤) التبريزي والآمدی : « العبيس » قال التبريزي : وحام هو ابن جابر بن قراد بن

مغزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس . ومثله عند الآمدی في الموثلف ٩١ .

(٥) التبريزي والآمدی : « فخلَّ مقامًا » .

(٦) من الحماسية ١٣٨ .

وَمُقَصِّرًا بِهِ ، يَعْرِفُهُ أَنَّهُ يَحْسُدُهُ فِيمَا لَا يَصْلُحُ لَهُ وَلَا يُسْتَكْفَى مِثْلُهُ فِيهِ ، فَقَالَ :
أَتَرَكْتُ مَقَامًا تَزِلُّ قَدَمُكَ عَنْهُ ، وَتَسْقُطُ رُتْبَتُكَ دُونَهُ ، وَأَنْتَ مَكَانًا لَا تَسُدُّهُ
بِكِفَايَتِكَ ، وَلَا تَقُومُ فِيهِ بِفَنَائِكَ ، [وَبِعِزِّ الْمَدَافِعِ دُونَهُ عَلَى طَوَائِفِ عَبَسِ
وَذُبْيَانٍ — وَإِنَّمَا يَرِيدُ رِيَاسَةَ الْعَشِيرَةِ ^(١)] — وَخَلَّ الْقِيَامَ بِأَمْرِ عَبَسٍ وَذُبْيَانٍ
إِذْ لَسْتَ مِنْ رِجَالِ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « لَتَسُدَّهُ » الْإِلَامُ فِيهِ لَامُ الْجُحُودِ ، وَهِيَ لَامُ
الْإِضَافَةِ ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهُ يَنْتَسِبُ بِأَنْ مُضْمَرَةٌ وَلَا يُظْهَرُ الْبَتَّةَ .

١٤٣

وقال أيضًا :

١- لَسْتُ بِمَوْلَى سَوْءَةٍ أُدْعَى لَهَا فَإِنَّ لَسَوَاتِ الْأُمُورِ مَوَالِيَا

مَوْلَى سَوْءَةٍ : مُتَوَلِّيًا وَصَاحِبَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَلِيِّ : الْقُرْبُ
أَمْ لَا أَقَارِبُهَا ^(٢) وَلَا أَدَانِيهَا : وَقَوْلُهُ « أُدْعَى » مِنَ الدَّعَاوَةِ وَالِدَّعْوَةِ ، وَهِيَ
الدُّنْيَا . يَقُولُ : لَا أَتَقَاطَى قَبِيحًا ، وَلَا أَتَوَلَّى خُزْرِيَّةً فَأَنْسَبَ إِلَيْهَا ، وَأَعْرِفَ
بِهَا ، فَإِنَّ لِمُقَابِحِ الْأُمُورِ أَرْبَابًا غَيْرِي . وَهَذَا انْتِفَاءً مِنَ الْأَذْنَانِ ، وَتَبَرُّؤًا مِنْ
الْمُقَابِحِ ، وَتَعْرِيبُ بَأَنَ مَا يَنْزَعُ عَنْهُ حَاصِلٌ فِي مُجَادِبِهِ وَمُلَازِمٍ لَهُ .

٢- وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقَ وَلَا الْعِدَى أَدِيى إِذَا عَدُّوا أَدِيى وَاهِيَا ^(٣)

(١) التكملة من م .

(٢) م : « أقارفها » . والمقارفة : المقاربة والمداينة .

(٣) ابن جني : « زاد لا مؤكدة للنفي ، وقاصلة بين معنيين ، وذلك أنه لو قال : ولن
يجد الناس الصديق والعدى أديى واهياً لم يكن فيه دليل أنه لا يجد بعضهم دون بعض ، وإنما
فيه من الدليل أنه لا يجدونه كذلك كلهم ، فقد يجوز أن يجده واهياً بعضهم ، كما أنك إذا
قلت ما جاني الناس كلهم ففيه نفي مجيء الكل وليس فيه نفي مجيء البعض . فإذا قلت ما جاني
الصديق والعدو جاز أن يكون قد جاء بعض أولئك . فإذا قلت ما جاني الصديق ولا العدو لم
يجز أن يكون جارك أحد منهم . فهذا هو الفرق ، وهو أمدح ، لأنه لم يطلع أحد منهم
على ضمه » .

يقول: إني صحيح الأصل، تقى العرض، فلو تعاون في الكشف عما أدعيه والبحث دونه أصدقائي وأعدائي، ومن يرى التفضيض على ما بُنكره، أو التشهير والتنديد بما يثيره، لما وجدوا غمزة، ولا ظفروا بنقيصة. وذكر الأديم مثل للعرض والأصل. والمد والإحصاء كناية عن النقص والتقصير.

٣ - وإن نجاري يابن غنم يخالف نجار اللثام فابني من ورائيا

النَّجَارُ: الأصل. وهذا تعريضٌ للحطاب، يقول: أصلي مخالف لأصول الأدياء، فاطلبنى للمفاخرة إذا غبتُ عنك [أو فُتُك^(١)]. فاما إذا حَضَرْتُ فإنك لا تقاومني ولا يستقيم لك مساجلتي. هذا إذا جعلت وراء بمعنى خلف، فإن جعلته بمعنى قدام يكون بمعنى أبغى إذا تقدمتني. ومن طلب من تخلف عنه من قدام لا يُذكره. والكلام على هذا يكون تهكمًا وسخرية. فالعنى في الأول والثاني: إنك لا تلحق شأوي فاطلبنى طلب المَعْدَر واليائس^(٢). ويجوز أن يكون يُريد: إني كريم الأصل، رفيع المَحَل، على الرتبة، ومن كان كذلك لا يُظفر به، ولا يُضطادُّ مثله [إلا^(٣)] بالخضوع له والانقياد بالتذلل بين يديه، فأبغى وأنت تابع لي، وواطى عَقبي، حتى تنالني، وإلا لم تبلغ مُهادك مني. ويقال: فلان من وراء فلان، إذا كان ناصرًا له، وتابعا. وأنشد ابن السكيت:

لعمرك ما كان القَرْنِي ورهطه بِعَمِّي ولا خالي ولا من ورائيا

وقال: المَنَعِي ولا ناصري. فاما قولهم الله من ورائك، فالعنى طالبك ومُترصدٌ لكافأتك. فعلى القول الأخير يكون من ورائي في موضع الحال لضمير الفاعل في أنغ.

(٢) التبريزي: «كبعض الرجال».

(١) التكملة من م.

(٣) المَعْدَر: المقصر المتواني من غير عذر. ومنه: «وجاء المَعْدَرُونَ».

٤- وَسَيَّانٍ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى كَبَعْضِ رِجَالِ يُوْطِنُونَ الْخَازِيَا

ارتفع سَيَّانٍ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُقَدَّمُ لِقَوْلِهِ « أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى » ، وَالْمَعْنَى :
مِثْلَانِ عِنْدِي مَوْتِي وَأَنْ أَرَى كَمَنْ يَأْلَفُ الْخَازِيَا وَيَرْضَاهَا وَطَنًا وَمَاوًى ،
وَلَا يَأْنَسُ إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا إِلَيْهَا . وَهَذَا تَعْرِيفُ بِالْمُخَاطَبِ أَيْضًا .
وَالسِّيُّ : الْمِثْلُ . قَالَ :

فَيَا كُفَّ وَحَيَّةَ بَطْنِ وَادٍ هُمُوزِ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بَيْ^(١)

٥- وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي وَلَسْتُ أَرَى لِلْمَرْءِ مَا لَا يَرَى لِيَا

يَقُولُ : لَا أَحْتِشِمُ مَنْ لَا يَحْتَشِمُنِي ، وَلَا أَنْهَيْبُهُ إِذَا لَمْ يَنْهَيْبُنِي ، وَلَا أَرَى
مَنْ يُعْظَمُ لِلْمَرْءِ وَإِجْلَالُهُ مَا لَا يَرَاهُ لِي ، لَكُنِّي أَوَازِنُ النَّاسَ فِي أَفْعَالِهِمْ ،
وَأُجَازِيهِمْ عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ . وَقَوْلُهُ « مَا لَا يَرَى لِيَا » حَذَفَ مَفْعُولُ يَرَى
تَخْفِيفًا ، وَهَذَا الْحَذْفُ سَائِغٌ إِنْ جَعَلْتَ مَا مَعْرِفَةً فَكَانَ مَا بَعْدَهُ صَلَةً ، أَوْ جَعَلْتَهُ
نَكْرَةً فَكَانَ صِفَةً .

٦- إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُجِيبِكَ إِلَّا تَكَرُّهَا عِرَاضَ الْعُلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بَاقِيَا

انْتَصَبَ قَوْلُهُ « تَكَرُّهَا » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالتَّقْدِيرُ
إِلَّا مَتَكَرُّهَا . وَانْتَصَبَ « عِرَاضَ الْعُلُوقِ » عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
« لَمْ يُجِيبِكَ إِلَّا تَكَرُّهَا » ، لِأَنَّ الْمَعْنَى إِذَا الرَّجُلُ عَارَضَكَ فِي الْحُبِّ عِرَاضَ
الْعُلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْحُبُّ بَاقِيَا وَلَا ثَابِتًا . وَالْعُلُوقُ ، هِيَ الْمَرَأَةُ الَّتِي تَرَامُ وَلَدَهَا
وَتَلْسُنُهُ حَتَّى يَأْنَسَ بِهَا ، فَإِذَا أَرَادَ ارْتِضَاعَ اللَّبَنِ مِنْهَا ضَرَبَتْهُ وَطَرَدَتْهُ . قَالَ :

(١) اللطيفة في ديوانه ٦٩ واللسان (سوا) .

وَمَا نَحْنِي كِمِثَاجِ الْقَلْوِ قِي مَاتَرٍ مِنْ غِرَّةٍ تَضْرِبِ^(١)
 وَيُشْبِهُ الْبَيْتَ الَّذِي نَحْنُ فِي تَفْسِيرِهِ قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :
 أَمْ كَيْفَ يَفْعُ مَا تُعْطَى الْعَلُوقُ بِهِ رِغْمَانٍ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ

١٤٤

وَقَالَ عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ^(٣) :

١ - يَذَبُّ وَرَدُّ عَلَى إِثْرِهِ وَأَمْكَنَهُ وَقَعُ مِرْدَى خَشَبِ

هذا وَرَدُّ بْنُ حَابِسٍ طَلَبَ نَضْلَةَ الْأَسَدِيِّ بِوَتَرٍ كَانَ لَهُ عِنْدَهُ^(٤) . فيقول :
 تَسْرِعُ هَذَا الرَّجُلُ فِي إِثْرِ الْمَارِبِ مِنْهُ ، وَاسْتَعَثَّ فَرَسَهُ فِي حَلَاقِهِ ، فَكُنْهُ مِنْهُ
 عَذُو فَرَسٍ صُلْبٍ كَأَنَّهُ مِرْدَاةٌ . وَالْمِرْدَى : صَخْرَةٌ يُكْسِرُ بِهَا النَّوَى وَغَيْرُهُ . وَمَعْنَى
 خَشَبٍ خَشِنٌ . وَيُقَالُ خَشَبْتُ الشَّيْءَ خَشْبًا فَخَشَبَ . وَالْخَشَبُ^(٥) مِنَ السَّيْفِ^(٦) :
 الَّذِي بُدِيَ طَبْعُهُ فَلَمْ يَلْنِ بَعْدُ . وَقَوْلُهُ « وَقَعُ مِرْدَى » هُوَ مَنْ وَقَعَتْ الْحَدِيدَةُ ،

(١) للناطقة الجمعدى فى اللسان (علق) . وقد روى فى الأصل : « تقرب » بالرفع ،
 وصوابه بالخفض لأنه جواب الشرط كما فى م ، وعليه نيه أن يرى . اللسان (علق) . وقبله :
 وكان الخليل إذا رابى فعاتبه ثم لم يعتب

(٢) هو أفنون التغلبى . اللسان (علق ، رأم) والبيان والبيان (١ : ٩) والمفضليات
 (٣ : ٦٢) وخزانة الأدب (٤ : ٤٥٦) .

(٣) كذا فى الأصل . وفى م والتبريزى : « وقال عنتره » فقط . ويبدو أن هذا الأخير
 هو النص الصحيح . وقال التبريزى : « قال أبو هلال : يعنى عنتره بن معاوية بن شداد بن قراد
 بن مخزوم بن مالك بن قطيعة بن عيس ، وكنيته أبو المغلس . وفى الشمره جماعة يقال لهم عنتره
 منهم هذا ، ومنهم عنتره بن عكبرة الطائى ، وهو عنتره بن الأخرس ، وقد مر ذكره . ومنهم
 عنتره بن عروس مولى ثقيف ، وكان مولدا فى بلاد أزد شنوء : شاعر راجز » . وانظر الحماسية
 ٥٣ والمؤتلف والمختلف للأمدى ١٥١ - ١٥٢ .

(٤) التبريزى : « وقيل ورد : اسم فرسه » .

(٥) فى الأصل : « والخشب » ، والوجه ما أثبتنا من م .

(٦) كذا فى النسختين ، كأنه جعل السيف جنسا ، أو اهل : « من » مقحمة .

إذا ضربتها بالميقة، كأن الفرس كان يضرب الأرض بحوافره ضرب الحديد بالميقة. ومن هذا قول الهذلي ساعدة:

وحوافرُ تقعُ البراح كأنما ألف الزَّمَاعَ بها سلامٌ صابٌ^(١)

[فمعنى تقع البراح، أى تفرعه. وروى الجحى هذا البيت:

..... كأنما ألف^(٢) الزَّمَاعَ ردى سلام صلب^(٣)]

وقال: ردَى صخرة، شبه الأنف بها، فملى هذه الرواية يتحصل التوافق بين بيتي عنتره وساعدة الهذلي في اللفظ أيضا.

٢- يتابع لا يبتغي غيره بأبيض كالقبس الملتهب^(٤)

التابع والمتابعة يستعملان في أطراد الشيء واستمراره على حدٍ واحدٍ. على هذا قوله:

* وعراضة السيتين توبع برّهما *

ومفعول يتابع محذوف، ويجوز أن يكون الفعل للرجل ويجوز أن يكون للفرس. كأن المراد: يتابع الركض أو العدو. وموضع لا يبتغي نصب على الحال. والباء من قوله « بأبيض » يجوز أن يريد به سيفاً. والقبس: النار. شبه بها فى برّيقها ولمعانها ويجوز أن يريد به رجلاً كريماً، ويكون على هذا « يتابع » للفرس. وشبهه بالنار لذكائه ونفاذه. واستعمال البياض فى الكرم ونقاء العرض كثير معروف، على ذلك قول الآخر^(٥):

(١) ديوان الهذليين (١ : ١٨٦).

(٢) فى الأصل، وهو هنا: « كافاً أنفسه ».

(٣) هذه التكملة من م.

(٤) جعل التبريزى الرواية الأولى: « تتابع » وقال: « أى تهادى هذا الرجل لا يبتغي

غير فضلة. والتتابع فى الشر دون الخير. ويروى: يتابع، ومفعول يتابع محذوف.

(٥) هو ابن قيس الرقيات. ديوانه ٨٣.

* أُمُّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ ^(١) *

فأما معنى قوله « بَيْتَنِي غَيْرَهُ » فيجوز أن يكون أن هِمَّتُهُ كانت موكولة به لا بشيء من الغنائم والاموال . وكأنه أَلَمَّ بقوله :

* أَغَشَى الْوَعَى وَأَعَفَّ عِنْدَ الْمَغْنَمِ ^(٢) *

ويجوز أن يُرِيدَ أَنْ قَصَدَهُ فِي الطَّلَبِ كَانَ إِلَيْهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ .

٣- فَمَنْ يَكُ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِي فَإِنَّ أبا نُوفَلٍ قَدْ شَجِبَ

أَضَافَ الْمَصْدَرَ فِي قَتْلِهِ إِلَى الْمَفْعُولِ . يَقُولُ : مَنْ شَكَّ فِي قَتْلِ وَرْدٍ لِنُضْلَةٍ فَلْيُزِلِ الشَّكَّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلْيَدْعِ الْارْتِيَابَ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُ هَلَكَ لَا نَحَالَةَ . وَأَبُو نُوفَلٍ : كَنِيَّةُ نُضْلَةٍ . وَفِي الْكَلَامِ تَهَكُّمٌ وَإِظْهَارُ شِمَاتَةٍ . وَيُقَالُ شَجِبَ بَفَتْحِ الْجِيمِ ، إِذَا هَلَكَ ، فَهُوَ شَاجِبٌ ، وَشَجِبَ بِكَسْرِ الْجِيمِ فَهُوَ شَجِبٌ ، لَعْنَانٌ .

٤- وَغَادَرْنَا نُضْلَةَ فِي مَعْرِكِ بِحُرِّ الْأَسِنَّةِ كَالْمُحْتَطَبِ

النُّونُ ضَمِيرُ الْخَيْلِ . يَقُولُ : تَرَكْتُ الْخَيْلُ هَذَا الرَّجُلَ لَمَّا انْكَشَفَتْ عَنْهُ وَهُوَ فِي مُزْدَحَمِ الْحَرْبِ جَارًا لِلْأَسِنَّةِ الْمَكْسُورَةِ فِيهِ عِنْدَ الطُّغْنِ ، كَأَنَّهُ جَامِعُ حَطَبٍ . وَيُقَالُ أُحْرَزْتُ فُلَانًا الرُّمَحَ فَجَرَّهُ ، أَيْ كَسَرْتُهُ فِيهِ لَمَّا طَعَنْتُهُ فَصَارَ يَجْرُهُ . وَأَنشَدَ أَبُو زَيْدٍ :

* أَجْرُهُ الرُّمَحَ وَلَا تَهَالَهُ ^(٣) *

وَحَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُحْتَطَبَ : دُوبِيَّةٌ تَمْرُ عَلَى الْأَرْضِ فَيَمْلُقُ بِهَا الْعِيدَانُ .

(١) هُوَ بَيْتَاهُ كَمَا فِي الدِّيْرَانِ وَمَا مَضَى فِي حَوَاشِي الْحَمَاسِيَةِ ٢٥ : ٣ :

أَمَّا بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الـ * بَيْتِ الْوَيْ يَسْتَكِنُ فِي طَبْعِهِ

(٢) لَعْنَتُهُ فِي مَعْلَقَتِهِ . رَصَدَهُ :

* يُخْبِرُكَ مِنْ شَهْدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي *

(٣) سَبَقَ إِشْدَادُهُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ مِنَ الْحَمَاسِيَةِ ٢٩ ص ١٦٢ .

ويكون المعنى يجرُّ الأسنَّة كما تجرُّ هذه الدُّويبة العِبدان . وهذا تصويرٌ
للحنى بالجلِّي .

١٤٥

وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ^(١) :

١ - لَحَى اللَّهُ صُغْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي الْمَشَاشِ آلِفًا كُلَّ نَجْزِرٍ^(٢)

لَحَى الله : كلمةٌ تُستعملُ في السَّبِّ ، وأصله اللَّوْمُ والقَشْرُ أيضًا . والصُّغْلُوكُ :
الفقير . يقول : زاد الله كلَّ فقيرٍ يرضى من عَيْشه بَأَن يَطُوفَ في المَجَازِرِ إِذَا أَظْلَمَ
عليه الليلُ ، وبلتقط المَشَاشَ منها كأنه يَصَافِيها ويلازمها حُبًّا لها - فَقَرَأَ^(٣) .
وإنما قال هذا على وجه الإنكار . أَيْ لِمَ يَقْنَعُ بِذَلِكَ ، وَمَالَهُ يُسِفُّ لِمَثَلِ هَذَا
الْمُطْمَعِ الْخَسِيسِ وَلَا يَطْلُبُ مَعَاليَ الْأُمُورِ . وَالْمَشَاشُ : كُلُّ عَظْمٍ هَشٍّ دَسِيمٍ ،
وَالوَاحِدُ مُشَاشَةٌ . وَقَوْلُهُ « مُصَافِي الْمَشَاشِ » نَكْرَةٌ ، وَانْتِصَبَ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ
لِقَوْلِهِ صُغْلُوكًا . وَإِضَافَتُهُ ضَعِيفَةٌ ، لِأَنَّ الْمَشَاشَ أَشِيرَ بِهِ إِلَى الْجَنَسِ ، وَلَا يَحْصُلُ
التَّخْصِيسُ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ : قَيْدُ الْأَوَابِدِ ، وَدَرَكُ الطَّرِيدَةِ وَمَا
أَشْبَهُهُ . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَجْرُكَ الْبَاءُ مِنْ مُصَافِي بِالْفَتْحِ ، فَسَكَّنَهُ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ مَنْ
يُجْرِي الْفَتْحَةَ فِي مِثْلِهِ مِنَ الْمَعْتَلِّ يَجْرِي سَائِرُ الْحَرَكَاتِ فَلَا يُثَبِّتُهَا .

٢ - بَعْدُ الْغَنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرٍ

(١) التبريزي : « سُمِّيَ بِالْعُرْوَةِ مِنَ الشَّجَرِ ، وَهُوَ مَا لَا يَبِيسُ فِي الشِّتَاءِ فَتَسْتَفِيتُ بِهِ الْإِبِلَ
فِي الْحَدَبِ » . وَعُرْوَةُ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ فَارِسٌ مِنْ بَنِي عَبَسَ ، كَانَ يَلْقَبُ عُرْوَةَ الصَّمَالِيكَ ، لَجَمْعِهِ
إِدَاهِمَ وَقِيَامِهِ بِأَمْرِهِمْ . انْظُرِ الْأَغَانِي (٢ : ١٨٤ - ١٩٠) وَاللَّالِ (٨٢٣ - ٨٢٤)
وَالْخَزَائِنَ (٤ : ١٩٤ - ١٩٦) وَالشَّعْرَ وَالشُّعْرَاءَ ٦٥٧ .

(٢) رَوَايَةُ الْبُيُوتَانِ : « مَضَى فِي الْمَشَاشِ » .

(٣) فَقَرَأَ ، مَفْعُولٌ « زَادَ » فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ .

يقول : لِفَرَحِهِ بِمَا يَنَالُهُ مِنْ كَسْبِهِ الدِّينِ ، وَرِضَاهُ عَنْ أَتْيَامِهِ بِعَيْشِهِ اللِّثِيمِ
يَعُدُّ — إِذَا أَصَابَ الْقِرَى لَدَى صَدِيقٍ وَلِدَتْ لَهُ شَيْئًا فَاتَّسَعَ اللَّبَنُ عِنْدَهُ وَفِي
رَحْلِهِ — الْغَنَى مُحُوزَالَهُ ، وَمَحْصَلًا عِنْدَهُ ، فَلَا غَضَاضَةً تَلْحَقُهُ ، وَلَا أَنْفَقَةً تَقْبِضُهُ .
وَالْمَيْسَرُ ضِدُّ الْمَجْنَبِ ، يُقَالُ يَسَّرَ الرَّجُلُ وَيَسَّرَتْ غَنَمُهُ . وَجَنَّبَ الرَّجُلُ ،
إِذَا قَلَّتِ الْخُلُوبَةُ فِي إِبِلِهِ وَغَنَمِهِ . قَالَ :

* وَكُلُّ عَامٍ عَلَيْهَا عَامٌ تَجْنِبُ ^(١) *

وقوله « أَصَابَ قِرَاهَا » أَضَافَ الْقِرَى إِلَى اللَّيْلَةِ عَلَى الْجَازِ ، وَالْمِرَادُ
قِرَاهُ فِيهَا .

٣ — يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفِّرُ ^(٢)

يقول : يَنَامُ هَذَا الصُّغْلُوكُ لِدَنَاءَةِ هِمَّتِهِ ، وَقَاءَةِ مَعِيشَتِهِ ، وَاسْتِيْلَاءِ الْكَسَلِ
عَلَى نَفْسِهِ وَمَكْسَبِهِ قُبْلَ اللَّيْلِ ^(٣) ، لِأَنَّهُ هِمَّتُهُ ^(٤) فِي رَاحَتِهِ وَنَوْمِهِ ، وَحِرْصِهِ عَلَى
مَا يَسُدُّ جَوْعَتَهُ بِهِ . ثُمَّ يَأْتِي الصَّبَاحُ عَلَيْهِ وَهُوَ نَاعِسٌ بَعْدُ ، غَيْرُ قَاضٍ حَاجَتَهُ
مِنَ الرَّقَادِ ، وَلَا ضَجِيرٍ فِي مَضْجَعِهِ بِالتَّسَاقُطِ وَالْانْجِدَالِ ، يَنْفِي عَنْ جَنْبِهِ مَا لَصِقَ
بِهِ مِنَ الْحَصَى وَالثَّرَابِ ، وَنَشَبَ فِيهِ مِنْ دُقَاقِ الْحَصَى . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ نَامَ بِلَا
وِطَاءٍ . وَقَوْلُهُ « يَحْتُ الْحَصَى » أَيْ يُسْقِطُهُ ، فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ يَحُطُّ . وَالْعَفَرُ :
الثَّرَابُ . وَيُقَالُ عَفَرْتُهُ فَتَمَفَّرَ .

(١) للجميع الأسدى في المفضليات (١ : ٣٣) وصدده :

* لَمَّا رَأَتْ إِبِلٌ قَلَّتْ حَمُولَتَهَا *

(٢) الديوان : « ثُمَّ يَصْبِحُ طَاوِيَا » .

(٣) م : « وَمَكْسَبَتُهُ . وَقَبْلُ كُلِّ شَيْءٍ : أَوَّلُهُ .

(٤) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « لِأَنَّهُ نَهْمَتُهُ » .

ع - ولكن صُمِّلُوا كَصَفِيحَةٍ وَجْهِهِ كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ^(١)

صَفِيحَةُ الرَّجُلِ وَصَفِيحَتُهُ : عُرْضُ وَجْهِهِ . يقول : ولكن فقيرًا مُشْرِقَ
الْوَجْهِ صَافِي اللَّوْنِ ، لا يَتَخَشَّعُ لِفَقْرِهِ ، ولا يَتَذَلَّلُ إِذَا أَثَّرَ الدَّهْرُ فِيهِ ، فَكَانَ
ضَوْءُ وَجْهِهِ ضَوْءَ نَارِ الْقَابِسِ الْمُتَنَوِّرِ . والقابِس هاهنا ذو القَبَسِ معناه .
والقَبَسُ : النار ، ويكون القابِسُ الطالبُ . ويقال : أَقْبَسَنِي نَارَكَ . والمتنَوِّرُ :
المتفَعِّلُ مِنَ النَّارِ . ويقال تنَوَّرْتُ النَّارَ ، أَي نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَاسْتَضَاءْتُ بِنُورِهَا .
ومنه قول امرئ القيس :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلُهَا بِيَثْرَبَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَلِ
وموضع « صَفِيحَةُ وَجْهِهِ » مع خَبَرِهِ نَضَبٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ صَفَةً لَصُمِّلُوا كَ
وخبِرَ لَكِنْ يَجِيءُ فِيمَا يَجِيءُ مِنْ بَعْدُ . وقوله « صَفِيحَةُ وَجْهِهِ » حَذَفَ الْمُضَافَ
منه لِأَنَّ الْمُرَادَ ضَوْءَ صَفِيحَةِ وَجْهِهِ كَضَوْءِ شَهَابٍ ، فَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ .

ه - مُطِلًّا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمَشْهُرِ
يقال : أَطْلَّ عَلَى كَذَا ، إِذَا أَوْقَى عَلَيْهِ . وَالْمَنِيحُ ، قَالَ الْخَلِيلُ : هُوَ الثَّامِنُ
مِنَ الْقِدَاحِ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : الْمَنِيحُ وَالسَّفِيحُ وَالْوَعْدُ قِدَاحٌ لَا أَنْصِبَاءَ لَهَا ،
وإِنَّمَا يُسَكَّرُ بِهَا الْقِدَاحُ فَهِيَ تُجَالُ أَبَدًا ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْمَنِيحُ الَّذِي لَا يُفْتَدُ
بِهِ . فَيَقُولُ : وَلَكِنَّ الْفَقِيرَ الْوَضِيءَ الْوَجْهِ ، الَّذِي يَبْذُلُ جُهْدَهُ وَيَبْتَذِلُ نَفْسَهُ
فِي طَلَبِ غِنَاهُ ، وَيُقَصِّرُ سَمِيَّتِهِ عَلَى مَا يَبْلُغُ بِهِ عُذْرَهُ فَيُخْصِرُ عَلَى أَعْدَائِهِ غَازِبًا
وَمُغْبِرًا ، وَهُمْ يَزْجُرُونَهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَيَكْرَهُ هُوَ عَلَيْهِمْ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ يَزْجُرُ
هَذَا الْقِدْحُ فِي خُرُوجِهِ وَمَعَ ذَلِكَ يُرَدُّ . وَخَبِرَ لَكِنْ بَعْدُ لَمْ يَجِيءْ .

(١) بين هذا البيت وسابقه عند التبريزي :

يُمِينُ نِسَاءَ أَلْحَى مَا يَسْتَعِينُهُ وَيُمْسِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ

٦ - إِذَا بَمَدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوَّفَ أَهْلُ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ^(١)

يقول : هذا الفقير لا يَقْصِدُ به عن طَلَبِ الأَعْدَاءِ والإِغَارَةِ عَلَيْهِمِ وَالنَّيْلِ مِنْهُمْ بُعْدَ الْغَزَاةِ وَتَنَائِي الدَّارِ ، فَمَنْ لَا يَأْمَنُونَهُ وَإِنْ شَحَطُوا ، بَلْ يَتَشَوَّفُونَهُ تَشَوَّفَ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ ، أَيْ كَمَا يُتَشَوَّفُ غَائِبٌ دَنَا قَوْلُهُ وَيُنْتَظَرُ . وَاتَّصَبَ « تَشَوَّفَ » عَلَى الْمَصْدَرِ فِيمَا دَلَّ عَلَيْهِ لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ، وَمَفْعُولُ تَشَوَّفَ مُحذوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ تَشَوَّفَ أَهْلُ الْغَائِبِ رُجُوعَهُ .

٧ - فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيداً وَإِنْ يَسْتَفْنِ يَوْمًا فَاجْدِرِ

يقول : ذَلِكَ الصُّعْلُوكُ إِنْ أَذْرَكَهُ الْأَجَلُ ، قَبْلَ نَيْلِ الْأَمَلِ ، لَقِيَهُ مُحْمِداً ، إِذْ كَانَ قَدْ فَعَلَ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ ، وَأَقَامَ عُذْرَهُ فِي مَطْلُوبِهِ بِاسْتِفْرَاحِ الْوُسْعِ فِي السَّعْيِ لَهُ ، وَإِذَا كَانَ التَّبِعَةُ فِيمَا فَاتَ عَلَى مَنْ يَمْلِكُ الْعَوَاقِبَ دُونَهُ . وَإِنْ نَالَ الْغَنَى يَوْمًا فَمَا أَخْلَقَهُ بِذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ » خَبَرُ قَوْلِهِ وَلَكِنْ صُعْلُوكًا لَوْ انْفَرَدَ عَنْ قَوْلِهِ فَذَلِكَ ، لَكِنَّهُ لَمَّا تَرَخَى الْخَبَرَ عَنْ الْخَبَرِ عَنْهُ وَتَبَاعَدَ لِلْقَضَى عَنِ الْمَقْضَى لَهُ أُنِىَ بِقَوْلِهِ فَذَلِكَ ، مُشِيرًا بِهِ إِلَى الصُّعْلُوكِ . فَصَارَ إِنْ يَلْقَى خَبَرًا عَنْهُ . وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ وَالثَّانِي شَيْءًا وَاحِدًا ، وَمِمَّا أُجْرِيَ هَذَا الْجُرْيِ لِحَصُولِ مِثْلِ هَذَا التَّرَاخَى فِيهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوا^(٢) ﴾ أَنَّهُ مِنْ يُحَادِّدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ۖ ، فَأَعَادَ أَنْ فِي قَوْلِهِ « فَإِنَّ » كَمَا تَرَى .

(١) الديوان : « فَإِنْ بَمَدُوا » .

(٢) هذه قراءة الحسن والأعرج . وقراءة الجمهور : « أَلَمْ يَعْلَمُوا » بالياء . انظر تفسير

أبي حيان (٥ : ٦٤) .

١٤٦

وقال عنتره بن شداد العبسي^(١) :

١ - تَرَكْتُ بَنِي الْهُجَيْمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ

البيت يُرَوَى عَلَى وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا :

تَرَكْتُ بَنِي الْهُجَيْمِ لَهُ دَوَارًا إِذَا يَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ يَعُودُ

ويكون الضمير في قوله له للفرس ، ويمضى فعل له ، وجماعتهم ينتصب على المفعول ، لأن يمضى هذا يتعدى ، ومعناه يُجَاوِزُهُمْ . ويكون المعنى : تَرَكْتُ هؤلاء القومَ لفرسي مَطَافًا بمنزلة الدَّوَار - وهو صَنْمٌ كانوا يحجُّونه - يَطُوفُ حَوْلَ ذَلِكَ الصَنْمِ ، إِذَا نَفَذَهُمْ وَخَرَقَ صَفُوفَهُمْ وَدَارَ عَلَيْهِمْ عَادَ إِلَى مِثْلِ فَعَلِهِ الْأَوَّلِ ، وَإِلَى مَكَانِهِ الْأَوَّلِ . وَيُشَبِّهُ هَذَا الْبَيْتَ بَيْتُ الْأَعَشَى فِي الْمَعْنَى وَاللَّفْظِ ، وَهُوَ :

تَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَتَمْضِيهِمْ كَمَا طَافَ بِالرُّنْجَةِ الْمُرْتَجِمُ

وجاء في الحديث حُجَّةٌ لَتَعْدَى يَمْضَى ، فِي صِفَةِ الْمَحْشَرِ : « يَمْضِيهِمُ الدَّاعِي وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ » .

وَالثَّانِي أَنْ يُرَوَى :

تَرَكْتُ بَنِي الْهُجَيْمِ لَهُمْ دَوَارٌ إِذَا تَمَضَى جَمَاعَتُهُمْ تَعُودُ

والمعنى : تَرَكْتُهُمْ يَطُوفُونَ حَوْلَ قِتْلَاهُمْ كَمَا يُطَافُ عَلَى ذَلِكَ الصَنْمِ ، أَوْ ذَلِكَ النَّسْكِ ، فَإِذَا انْقَضَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَادَتْ الْأُخْرَى لِلنَّظَارَةِ^(٢) . وَقَوْلُهُ « جَمَاعَتُهُمْ » يَرِيدُ جَمَاعَةً مِنْهُمْ ، فَأُضَافَ الْبَعْضُ إِلَى الْكُلِّ ، وَلَيْسَ يَرِيدُ جُمْلَتَهُمْ ، فَهُوَ فِي

(١) سبق له الحماسية ١٤٤ .

(٢) كَذَا وَرَدَتْ الْكَلِمَةُ بِفُسْطُهَا فِي الْأَصْلِ . وَهِيَ سَاقِطَةٌ مِنْ م .

حكم النكرات. وموضع « لم دَوَّارٌ » نصبٌ على الحال ، وقوله « تَعُوذُ » فاعله مضمر ، وهو جماعة أخرى ، فاكتفى بذكر الأولى عنها .

٣- تَرَكْتُ جُرِيَّةَ الْعَمْرِيِّ فِيهِ شَدِيدُ الْعَمِيرِ مُعْتَدِلٌ سَدِيدٌ^(١)

يفتخر بأنه أَصَابَ المذكور ، لكما رماه بسنهمٍ مُحْكَمِ النصل ، مَقُومِ الْقِدْحِ ، صُلْبِ الْعَمِيرِ ، شديد الوقع . وموضع قوله « فيه شديد العير » نصبٌ على الحال . والعيرُ : الثاني من وسط النصل . وقد أقيم الصِّفَةُ مَقَامَ الموصوف ، لأنَّ المرَادَ به سَنَهُمُ شديد العير . ولولا ما حَصَلَ من الاختصاص بإضافة الشديد إلى العير لَمَا جاز ذلك فيه ، لأنَّ الصفة لا يقوم مقام الموصوف حتى يَدُلَّ عليه دلالة قوية . فأما إذا كانت عامة في أجناس ، فلا يجوز ذلك فيه . لو قُلْتَ مَرَزْتُ بِطَوِيلٍ ، وأنت تريدُ رَجُلًا ، لم يَحْسُنْ ، لأنَّ الطويل يكونُ في غير الرجال كما يكون في الرجال . ولو قُلْتَ مَهَرْتُ بِكَاتِبٍ ، يَحْسُنُ إِذْ كانت الكتابة مُحْتَصَةً .

٣- فَإِنْ يَبْرَأُ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ وَإِنْ يُفْقَدُ فَحَقٌّ لَهُ الْفُقُودُ

كان من رموزهم أنَّ الواحد إذا رمى بسنهمٍ وأراد سلامة الرميَّة منه رَفَى مَهْمَهُ بِعُودَةٍ وَنَفَثَ فِيهِ ، ثُمَّ رَمَى بِهِ ، وإذا أراد هلاكه لم يفعل ذلك . ومثل هذا قول الآخر^(٢) :

فَلَمْ أَرْقُهِ إِنْ يَنْجُ مِنْهَا وَإِنْ يَمُتْ فَرَمِيَّةٌ لَا غُسَّ وَلَا بِمُغَمَّرٍ^(٣)
وقوله « فحق له الفُقُود » المبتدأ محذوف ، كأنه قال فهو حق له الفُقُود ،

(١) التبريزي : « إنما قال العمري لأن الهجيم ابن عمرو » . ورواية التبريزي : « معتدل شديد » بالسين .

(٢) هو زهير بن سمود ، كما في اللسان (غس) . وقد سبق الاستشهاد بعجز البيت في ص ٣٥٣ .

(٣) فيما سبق وفيما سيأتي في الصفحة التالية : « فطعنة لاغس » . ونحشى أن تكون للرواية التبت على المرزوقي .

لأنَّ الفاء يُجَلَّبُ في الجزاء إذا كان الجواب بالابتداء والخبر ، ولو قُصِدَ إلى أن يكون الفعل جواباً لا يُسْتَفْنَى عن الفاء . وبعض من يدفع هذه الطريقة يقول لا رُقِيَّةَ ولا نَفَثَ ، إنَّما كُنَّا عن الإبقاء بمثل هذا الكلام . وقوله : « وإن يُفْقَدَ » فهو مثل قوله « فَطَعْنَتْهُ لَا غَسَرَ » . والمعنى : إن يَبْرَأَ فليس ذلك من بُقْيَايَ ، وإن يَهْلِكْ فواجِبٌ لأنَّ المصابَ بمثله يَهْلِكُ لا تَحَالَةً .

٤ - وما يَذْرَى جُرْيَةً أَنْ تَبْلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ
يُرْوَى : « وهل يَذْرَى جُرْيَةً » . والمعنى لا يعلم أنه كما أنى أَصَبَتْهُ فدأبى وعادنى أن تكون الأبطال النجباء لِنَبْلِي بمنزلة الجففة ، أَصِيْبُهُمْ أبدأ بها . وفي ذكره البطل النجيد إلالم بقول الآخر ^(١) :

..... وَنَضَّ طَلَادُ نَفُوسًا بُنْتُ عَلَى كَرَمٍ ^(٢)

ويقول الآخر ^(٣) :

من عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقِتَالُهَا

وأخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جُنُوزِهَا فَقَدْ أَشْكَنْتَ بَيْنَ الطَّلَى وَالْجَاحِمِ ^(٤)
ويمحوز أن ير يد بالبطل النجيد جُرْيَةً بعينه ، ثم يحوز أن يكون مُتَهَكِّمًا فيما وَصَفَهُ به ، ويمحوز أن يكون مَادِحًا له ، لأن مدحَ خَصْمِهِ وَقْتَ غَلْبِهِ رَاجِعٌ إليه .

(١) أحد بنى بولان ، من طبى . الحماسية ٣١ .

(٢) صدره : * نستوقد النبل بالحليض ونصه *

(٣) هو بشامة بن الغدير . الحماسية ١٣٤ .

(٤) كذا في م والديوان ٣٨٧ . وفي الأصل : « ولا تطلبوا » .

١٤٧

وقال قيسُ بنُ زُهَيرِ العبِسيِّ سيِّدُ بني عبسٍ^(١) :

١ - تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ لَا يَرِيمُ^(٢)

يُرْوَى « أَنْ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا » ، والمعنى هو حَيٌّ ، وقوله « عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ » خبرُ أَنْ . ويروى : « مَيِّتًا » وإعرابه على ما ذكرناه في حَيًّا . ويروى : « مَيِّتٌ » وارتقاءهُ على أَنَّهُ خبرُ أَنْ ، و « عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءِ » في مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَهُ . ومعنى تَعَلَّمْ : اعْلَمْ . ولا يقال في جوابِهِ تَعَلَّمْتُ ، اسْتَغْنِي عَنْهُ بَعَلِمْتُ . وَيَفْنِي بِخَيْرِ النَّاسِ حَمَلُ بَنِ بَدْرٍ . وَجَفْرُ الْهَبَاءِ : بُرٌّ قَرِيبُهُ الْقَمَرُ ، وماؤها كثيرٌ مَعِينٌ . وكان حَمَلٌ انْهَزَمَ فِي وَقْعَةٍ بَيْنَ عَبْسٍ وَذُبْيَانٍ ، فلما انْتَهَى إِلَى الْهَبَاءِ أَمِنَ لِبُعْدِهَا عَنِ الطَّلَبِ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْتَرِدَ ، فاتفقَ لِحَاقِ قَيْسٍ بِهِ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ ذَوِيهِ ، فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

٢ - وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ

أشار بِالظُّلْمِ إِلَى مَا جَرَى بَيْنَهُمْ فِي أَمْرِ دَاحِسٍ وَالْغَبَاءِ ، وَإِنْكَارِهِ السَّبْقَ ، وَرُكُوبِهِ الْبَغْيَ . وقوله « مَا طَلَعَ النُّجُومُ » يَنْتَصِبُ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الدَّهْرِ . والمعنى : لَوْلَا مَا أَسْلَفَهُ مِنَ الظُّلْمِ لَاقْتَضَى مَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاهُ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالذَّمِّ ،

(١) قيس بن زهير العبسي شاعر جاهلي فارسي . ودو صاحب داحس ، وكانت الغبراء فارس حليفة بن بدر الفزاري ، وقد أجرى السبق بين الفرسين فوضع حمل بن بدر أسود حليفة كميناً يصدون داحسا عن الغاية ، وحدث خلاف أيهما السابق ، فذهبت الحرب بسبب ذلك بين عبس وفزارة ، واستمرت أربعين عاما قتل فيها خلق كثير . انظر العقد والأغنى (٧ : ١٤٣ / ١٦ : ٢٣) والكمال ٣٤٣ والميداني (١ : ٢ / ٣٥٩ : ٥١) .

(٢) جعل التبريزي الرواية الأولى : « أَنْ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ » ثم نبه على روايتي « حيا »

و « ميتا » .

والتشاجر والرحيم - البكاء عليه مدة الدهر . وقوله « ما طلع » بمنزلة المصدر ، وقد حذف اسم الزمان معه . والمراد بذكر الدهر الكثير والمبالغة والتأيد . وقد بينته بقوله « ما طلع النجوم » ، لأنه على ذلك يصح أن يكون مدلاً منه . ففغنى « عليه الدهر » عليه طوال الدهر^(١) ، وامتداد الدهر .

٣ - ولكن الفتى حمل بن بذير بنى والبغى مرتعته وخيم

يقول : استعمل البغى واستوبل العافية ، واستندم المرتع ، ومن بنى عليه فإنه ينصر . ويقال : بنى الرجل على فلان ، أى جاز . وبنى الفرس فى عذره ، وهو فرس ناخ ، وذلك إذا اختال وسرح . وإذا استعمل فى الفخار والاستطالة فهو من هذا . والوخامة : الثقل يعرض من الطعام . يقال وخم وخامة فهو وخيم ووخيم ، أى لا يستمرأ .

٤ - أظن الحلم دلك على قويمى وقد يستجمل الرجل الحليم^(٢)

يقول : احتملى من عشيرتى ، واستعمل الحلم معهم ، هو الذى جسّمهم على فيما أظن ، ودلّهم على قصدى واحتضامى على ما يتبين . ثم قال « وقد يستجمل الرجل الحليم » أى إذا أخرج الحليم وأخرج^(٣) فقد يتكلف ما لا يكون معه ، ودأ فى طبعه ، ولا موجوداً من خلقه . وإنما نبّه بهذا الكلام على أنه يتعلم عن الأدبين ، ويصبر على أذاهم ، وأنه لما عيل صبره وحمل فوق ما فى وسعه ، خرج عن المعتاد منه إلى غيره .

(١) كذا فى م . وفى نسخة الاصل : « طول الدهر » .

(٢) أنشده بعد التبريزى :

ومارست الرجال ومارسوني فموج على ومستقيم

(٣) فى الاصل : « وأخرج » ، والصواب ما أثبتنا من م .

١٤٨

وقال مساور بن هند^(١) :

١ - سائل تميما هل وقيت فإتني أعددت مكرمتي ليوم سباب

يقول : سائل تميما هل كان مني وقلا بما تضمنته لجاري ، فإني رجل نظار
في أعقاب الأحداث ، مهمت بإعداد المكارم ليوم النفار ، شديد النزاع في
مجالس الفخار . كأنه يقرر خصماءه على ما كان من وفائه ، ليُسقط التبعة عنه
فيه ، ويُنبئ على أنه يُراعى أفعاله فيخلصها مما يُعدُّ سيئة وسبة ووضعة
في حسبه .

٢ - وأخذت جار بنى سلامة عنوة فدفعت ربقته إلى عتاب

عتاب هذا كان معتصما بجبله ، ومستظهِرا بذمته ، فلحقه من بنى سلامة
اهتضام في أمر ، فجاء مساور ومكث من جارهم ، وأعطاه ربقته ليتحکم فيه ،
ويشتفى لما لحقه منهم . وهذا الكلام بيان لكيفية وفائه والخروج إلى جاره
بما كان تضمن له . وقوله « عنوة » أي قهرا ، وهو مصدر في موضع الحال .
ويقال : أخذ بلد كذا عنوة ، أي قهرا بالسيف . والربقة : الخبل يُشد في
عُنق البهيم ، وقد توسعوا فيه فقالوا : خلع فلان ربة الإسلام . وقوله « دفعت
ربقته » ، هو كما يقال دفعت مقادته .

٣ - وجلبته من أهل أبضة طائفا حتى تحكّم فيه أهل إراب

(١) هو المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي . شاعر فارس مخضرم ،
أدرك النبي ولم يجتمع به ، ويقال إنه ولد في حرب داحس قبل الإسلام بخمسين عاما . الإصابة ،
والخزانة (٤ : ٥٧٣) والشعر والشعراء ٣٠٧ . وفي المبهج أن « مساور » منقول من
اسم الفاعل . وأما هند فعلم مرثجل .

الماء من « جَلَيْتُهُ » ترجع إلى دار بني سلامة . وأَبَضُّهُ : اسم ماء . وقوله « جَلَيْتُهُ طائفا » تنبيهٌ على أنه وإن لَزِمَهُ لجارِهِ الانتقام له من خصمه ومهتَضِمِيهِ فقد تبرَّع له بما لم يكن عليه ، وتكلف فيه ما لم يلزمه . وإِرَابُ : موضع ، وقيل إِرَابُ : ماله ابني العنبر . وأَبَضُّهُ : ماله لطائي . والأَبَضُّ كالعقل ، ومنه اللَّابِضُ في الرَّجُلِ . وقيل للغرابِ مُؤَبِّضُ النَّسَا ، لأنه يَحْجِلُ فكَانَهُ مَأْبُوض .

٤ - قتلوا ابنَ أَخِيهِمْ وجارَ بُيُوتِهِمْ من حَتِيمٍ وسَفَاهَةِ الألبابِ
يَشْرُ بَقَعَتِهِم الذميمة وَيُنَدِّدُ ، فيقول : قَطِّمُوا الرِّجْمَ ونَقِّضُوا العَهْدَ ،
وارتكبوا ما كان محظوراً في الدين والمرؤة ، والعهد والذمة ، فقتلوا جارهم
وإبنَ أَخِيهِمْ ، بِخِيَّةٍ عَقُولِهِمْ ، واقترب هلاكهم . والسَّفَهَةُ : الخِفَّةُ في الأصل ،
ومنه قيل زِمَامٌ سَفِيهٌ ، إذا كان كثير الاضطراب ، ومنه قيل : تَسَفَّهَتِ الرِّيحُ
الغصنَ ، وتَسَفَّهَتْ عن ماله . واللَّبُّ : العقل ، والفِعلُ منه لَبَّ يَلْبُ . وقالت
صَفِيَّةُ بنت عبد المطلب^(١) : « أَضْرِبُهُ لَكِنِّي يَلْبُ ، وَيَقُودُ الْجُنَيْشَ
ذَا الْجَلَبِ^(٢) » .

٥ - غَدَرَتْ جَذِيَّةٌ غَيْرَ أَيْ لَمْ أَكُنْ أَبَدًا لِأُولَافٍ غَدَرَةٍ أَثَوَابِي
عَيَّرَهُم باستعمال الغدر وترك الوفاء للجار ، ثم بَرَأَ سَاحَتَهُ من تعاطي مثل
فعلهم ، ونَزَّهَ نَفْسَهُ عن ارتكاب نظير ما ارتكبوه . فأما قوله « لَمْ أَكُنْ
لِأُولَافٍ » فاللام فيه لام الجحود ، وانتصابُ الفِعلِ بأن مضمرة بينه وبين اللام .
وموضع « لاوِافٍ » نَصَبٌ على أنه خبر كان ، وانتصاب غَيْرَ على أنه استثناء

(١) في الأصل : « عبد الملك » ، صوابه في م والاسان (لِب) . وكانت قد ضربت

الزبير فقبل لها : لم تضربينه ؟ .

(٢) ويروى : « ذا الجلب » .

مُنْقَطِعٌ. وَذَكَرَ التَّوْبَ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْكِتَابَةِ عَنِ النَّفْسِ. وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ :
 نُبِّيتُ أَنَّ دَمًا حَرَامًا نَلْتُهُ فَهَرِيقَ فِي تَوْبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرٌ
 وَقَدْ قِيلَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَيَا بَكَ قَطَّهْرُ﴾ ، أَيْ نَفْسِكَ . وَيَقُولُونَ
 عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ : فُلَانٌ غَفَرُ الرَّدَاءِ ، وَعَفِيفُ الْحِجْزَةِ ، وَالْمُرَادُ النَّفْسُ .
 وَعَلَى هَذَا قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجِرَ أَمُّهُمْ ^(١) *

وَقَوْلُ الْهُذَلِيِّ ^(٢) :

تَبَرَّأُ مِنْ دَمِّ الْقَتِيلِ وَبَرَّهْ وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَّ الْقَتِيلِ لِإِزَارُهَا

٦ - وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ تَتْرُكُوا أَحَدًا يَذُبُّ لَكُمْ عَنِ الْأَحْسَابِ

الْخَطَابُ يُوجِّهُ إِلَى جَذِيْمَةٍ وَهُوَ مِنْهُمْ ، وَلِذَلِكَ جَعَلَ لَهُمْ أَحْسَابًا يُحْتَاجُ
 إِلَى الذَّبِّ عَنْهَا ، وَيَنْصَحُ لَهُمُ بِالْإِبْقَاءِ عَلَيْهَا ، وَتَرَكِ الْأَفْعَالَ الَّتِي تَدْعُو إِلَى
 الْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ وَمِنْهَا ، لَكِنَّهُ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِمَّا عَصَبَ مِنَ الدَّمِّ بِهِمْ ، وَالزَّمَهُمْ
 مِنْ ذَمِيمِ الْقَوْلِ فِي شَيْئِهِمْ وَطَرُقَهُمْ ، فَقَالَ : إِذَا رَكِبْتُمْ مِنْ شَنِيعِ الْقَدْرِ مِثْلَ
 مَا أَنْكَرْتُهُ اشْتَهَرَ أَمْرُكُمْ ، وَانْتَفَى النَّسِيبُ وَالْغَرِيبُ مِنْ مُلَابَسَتِكُمْ ، وَخُلِيَ
 بَيْنَ الْقَادِحِ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَعْمَارِكُمْ وَبَيْنَكُمْ ، فَلَا يَذُبُّ عَنْكُمْ ذَابٌ ،
 وَلَا يُدَافِعُ دُونَكُمْ مُدَافِعٌ ، وَتَفَرَّدْتُمْ بِالْعَارِ الْآخِقِ ، وَالتَّهْجِينَ الْعَائِدَ .

(١) : عَجْزُهُ : * يَحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّيَاسِ *

(٢) : هُوَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهُذَلِيُّ . دِيَوَانُ الْهُذَلِيِّينَ (١ : ٢٦) .

١٤٩

وقال العباس بن مرداس^(١) :

- ١ - أَبْلِغْ أَبَا سَلَمَى رَسُولًا يَرُوءُهُ وَلَوْ حَلَّ ذَا سِدْرٍ وَأَهْلِي بَعْسَجَلٍ
 ٢ - رَسُولَ امْرِئٍ يَهْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَةً فَإِنْ مَغْشَرُ جَادُوا بِعِرْضِكَ فَأَبْخَلِ
 يخاطب بقوله « أَبْلِغْ » صاحبا له ، يقول أدُّ إلى أبي سلمى رسالة
 تُفَرِّغُهُ عَلَى مَا يَيْفَنَّا مِنَ الْبُعْدِ ، وَعَلَى اسْتِطَانَةِ ذَا سِدْرٍ وَنَزُولِ أَهْلِي بَعْسَجَلٍ .
 وذو سِدْرٍ : موضع فيه السِّدْر ، وهو شَجَرُ النَّبِيِّ . وَعَسْجَلٌ : موضعٌ من حَرَّةِ
 بَنِي سُلَيْمٍ ، وَبَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ بَعِيدَةٌ . وَالرَّسُولُ يَقَعُ عَلَى الْمُرْسَلِ وَالرَّسَالَةَ جَمِيعًا ،
 وَيَجْرَى تَجْرَى الْمَصَادِرِ ، فَيَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ فَمَا فَوْقَهُ ، وَجَزَاءُ « لَوْحَلَّ » تَجَازُ
 الشَّرْطِ ، فَهُوَ يَفِيدُ مَعْنَى إِنْ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَبْلِغْهُ ذَلِكَ فَإِنِّي لَا أَذْخَرُهُ نُصْحِي ،
 وَإِنْ بَعْدَ عَنِّي وَعَنْ عَشِيرَتِي . وَانْتَصَبَ « رَسُول » مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي عَلَى أَنَّهُ
 بَدَلٌ مِنْ رَسُولًا يَرُوءُهُ . وَنَقَلَ الْكَلَامَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَنْ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخِطَابِ ،
 لَتَكُونَ الْوَصَاةُ أُنْجَعُ ، وَالرَّسَالَةُ أَبْلَغُ . وَإِنَّمَا قَالَ « رَسُولًا يَرُوءُهُ » لِمَا فِيهِ مِنَ
 التَّحْذِيرِ . فَيَقُولُ : أدُّ إِلَيْهِ رِسَالَةً رَجُلٌ مُتَنَصِّحٌ مُتَقَرِّبٌ ، وَعَلَى مَا يَكُونُ فِيهِ
 صِلَاةٌ وَخِلَاصَةٌ مُنَبِّهٌ . وَقَوْلُهُ « فَإِنْ مَغْشَرُ جَادُوا بِعِرْضِكَ » تَغْرِيبٌ بَيْنَ كَانَ
 بِنَفْسِهِ وَيَخُونُهُ ، وَيَدَاجِيهِ فِيمَا اسْتَشَارَهُ فِيهِ فَلَا يَصْدُقُهُ . وَارْتَفَعَ « مَغْشَرٌ » بِفِعْلِ
 مُضْمَرٍ « جَادُوا » تَفْسِيرُهُ : لِأَنَّ إِنْ بِالْفِعْلِ أَوَّلَى ، وَالْمَعْنَى : إِنْ عَرَضَكَ مَنْ
 لَا يُهَيِّمُهُ سَلَامَةُ عِرْضِكَ لِمَا فِيهِ ذَهَابُ النَّفْسِ وَتَلَفُ الْمُهْجَةِ ، وَتَسْخَى بِكَ

(١) هو العباس بن مرداس السلمى الصحابى ، أسلم قبل فتح مكة ببسير . وأمه اخنساء
 الشاعرة ، وكان العباس من المؤلفة قلوبهم . الخزانة (١ : ٧٣) والإصابة ، والأغانى
 (١٣ : ٦٢ - ٧٠) والمرزبانى ٢٦٢ - ٢٦٣ واللالى ٣٢ - ٣٣ والطبرى
 (٣ : ١٣٦ - ١٣٧) والشعر والشعراء ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٧٢٢ - ٧٢٥) .

وبما يجمعك وإياه من أسباب المودة واللحمة ، فانبخل أنت به وتماسك ،
قبيل فوت الوقت ، وانظر ليومك وغدك قدّام تولى الأمر .

٣ - وإن بوءوك مبرّكاً غير طائلٍ غليظاً فلا تنزل به وتحوّل

يقال : بوّأته مَبوّأ صِدْق ، أى أخلّته . والمبّاءة : المنزل . يقول : وإن
حملوك على مرّكب غير وطىء يسومونك فيه خسفاً ، وأنزلوك منزلاً خشناً
حزناً بؤثّر في فئانات الإبل فيذمّوها ، ويستوعره الركب فلا يروّنه منزلاً
لها ، فلا ترصّ به ، وانتقل عنه . وهذا مثل إمّا عرّضوه له ، ويبيّعه بضربه
إياه على مُحاذرته ، وتصوّر الأمر معهم بصورته . وقوله « غير طائل » يجب
أن يكون من الطول : الفضل ؛ يقال : طال عليهم طوياً فهو طائل . والمعنى :
لا خير فيه فيطول على غيره . ومثل هذا البيت قول امرئ القيس :

هُوَ الْمُنْزِلُ الْآلَافِ مِنْ جَوْ نَاعِطٍ بَنِي أَسَدٍ حَزَنًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرَا

وقوله « فلا تنزل به » الفاء [مع ما^(١)] بعده جواب الشرط في قوله وإن بوءوك .
وموضع فلا تنزل رفّع على أنّه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : فأنت لا تنزل به .

٤ - وَلَا تَطْعَمَنَّ مَا يَمْلِفُونَكَ إِنَّهُمْ أَتَوَكَ عَلَى قُرْبَاهُمْ بِالْمُثْمَلِ^(٢)

أخرج ما قدّمه من التمثيل لكيدهم وسوء دخلتهم ، وما يجب عليه من
الأخذ بالتحرز معهم ، وترك الاستفاضة في أمّرك^(٣) الذي اختاروه ، والمبوّأ
الذي أعدّوه ، في معرض آخر . والمعنى : وما بعد قرى لك فتجنّب ولا تتناولوه ،
فإنهم هيئوا لك به سماً قاتلاً فلا تطعمه . والمثمل ، هو السّم الذي قد خلط به

(١) التكلة من م .

(٢) سبق الاستشهاد بصدر البيت في ص ٣٥٩ .

(٣) كذا في م . وفي الأصل : « المنزل » .

ما يقويه ويهيئجه ، ليسكون أنفذ . ويقال للصفوة التي توضع في الهناء عند^(١)
طلى البعير به . الثملة ، وهو مما ذكرت . قال الرازي^(٢) :

* كما يلاث في الهناء الثملة^(٣) *

وقوله « أتوك على قربائهم » يجوز أن يريد به على قرئهم وتنصيحهم ،
ويجوز أن يريد به على قربائهم وتشابك الأحوال بينك وبينهم . وإنما تنقل
في المثل بعد المثل تأكيداً للقول عليه في محاذرتهم^(٤) ، وإنذاراً في الركون
إليهم ، والاستقامة إلى ناحيتهم .

٥ - أبعد الإزار مجسداً لك شاهداً أتيته به في الدار لم يتزَّيل

هذا الكلام وإن كان أفضله لفظ الاستفهام فهو تقريب وإنكار ، وتنبية
وإنذار ، فيما يضرب المخاطب عنه ، ويفعل دونه ، مع كونه أعدل شاهد على
سوء نيتهم ، وخُبث طويبتهم ، ومع خروجه عن حيز الاستدلال عليه إلى
المشاهدة ، ومن خلل الخفاء والتشكك إلى ظاهر الضرورة . فيقول : أتفتَّ
بهم ، أو تستريب بما أحذرك منهم ، بعد ظهور أسرم وانكشاف قصدهم ،
وبعد ما أتيته به في الدار من الإزار المتلطخ بدم ابن عمك ، وقد يبس عليه
ولم يتزَّيل عنه . فقوله « بعد الإزار » يتعلق بفعل مضمَّر قد دلَّ عليه خبيثات
القصة الحكيمية^(٥) . والمجسد : الثوب المشيع صبيحاً . والجساد : الزعفران .
ومعنى لم يتزَّيل : لم يفارق الدم ، ولم ينفك مما خالطه منه .

(١) م : « بعد » ، تحريف .

(٢) هو صخر بن عمير ، كما في اللسان (مثل) .

(٣) في اللسان : « كما ثلاث بالهناء » . وقبله :

منوثة أعراضهم موطلة في كل ماء آجن وسمله .

(٤) في الأصل : « مجاذبتهم » ، صوابه من م .

(٥) كلمة « قد » و « خبيثات » من م .

٦- أراك إذا قد صرت للقوم ناضحاً يُقال له بالغرب أذير وأقبل

الناضح : البعير الذي يُسْتَقَى عليه الماء . والنَّضْحُ من الحياض ^(١) : ما قُرِبَ من البئر فيُفَرِّغُ الماء من الدلو فيه ، وهذا الكلام صدر عن نَصَحَ جُهْدُهُ وَيَبْنَ لموعوظه رُشْدَهُ ، فلما لم يُتَلَقَّ بالقبول قوله جعله قضيّة منه على المُخاطَب ، بسوء الاختيار ، وركوب الاغترار ، وأظهر أنه قد صار من التضجّر به ورفّع الطمع عنه وعن صلاحه ، في حكم اليأس من فلاحه ، والمُسْك عن وعظه وإبلاغه ، لكونه في حكم المُسَخَّر لهم حتى لا رأى له ولا اعتبار ، ولا تدبّر ولا اختيار . فقال : أراك قد صرت معهم بمنزلة البعير الذي يُسْتَقَى عليه ، طاعةً وانقياداً ، فيقال له أذير وأقبل بالغرب . والمعنى تُسَامُ ما تُسَامُ فتلتزمه وتنقاد ، فإلّا ذلك البعير . ومعنى « يُقال له » أى يُحْمَلُ على ذلك . والتصرف في القول على وجوه كثيرة من المجاز .

٧- فَخَذُهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لأمرئٍ متذللٍ

هذا الكلام خروجٌ عن ^(٢) عهدة ما يفعله المخاطب ، وبرائةً إليه مع الإنكار عليه والتنبية على موضع الخطأ فيه ، فيقول : وكَلْتُكَ إلى نفسك ، ونَفَضْتُ يدي من مُراجعتك ، فأَرْضَ بما عليه تُدارُ ، وابذل ما تُراودُ عنه وتُسَامُ ، علماً أن مثله لا يَرْضى به عزيزٌ ، ولا يلتزمه آفٌ ؛ وفيه مع ذلك نظرٌ وجدالٌ لمن يتذللُ : هل هو خُطَّته أيضاً . والمعنى : إنك تركبُ ظَهْرَ الأبقعة المتكلف للذل فكيف العزيز . ويجوز أن يكون المعنى : فيها للناس ، إذا تذاكروا الأحوال والخطط ، نظرٌ وكلامٌ مبسوطٌ : هل يَرْضَى بمثله المتذللُ

(١) كذا في النسخين . وفي اللسان : « النضح » .

(٢) م : « من » .

أو لا . ويجوز أن يريد : إن الدّليل يتكلم فيمن يرضاها خُطّةً ويُعَيِّره إِيّاها ، فكيف يكون خُطّةً للعزیز . وهذا الوجه أبلغُ الوجوه الثلاثة وأدقّها .

١٥٠

وقال العباس بن مرداس^(١) :

١ - أَتَشْحَذُ أَرْمَاحًا بِأَيْدِي عَدُوِّنَا وَتَتْرُكُ أَرْمَاحَ بَهِنٍ تُكَايِدُ^(٢)

هذا مَثَلٌ . والمعنى : أتعينُ أعداءنا علينا ، لأنَّ مَنْ أَحَدَّ سلاحَ العدوِّ الذي يقاقل به ، وتركَ سلاحَ صاحبه الذي يكايده فقد أعانَه عليه . وإِنَّمَا خَصَّ من بين العدَدِ الرِّمَاحَ لأنها كانتَها أَخَصَّ بهم . وقوله « وتتركُ أَرْمَاحًا » أراد وتتركُ شَحْدَ أَرْمَاحٍ ، فحذفَ المُضَافَ . ويجوز أن يكوفى كَفَى بالأرماح عن الرِّجال . والمعنى : أتهيجُ أصحابَ عدوِّ^(٣) عَلَيَّ ، وتسدِّدهم نحوى ، وتتركُ أصحابي الذين بهم أَكايِدُ ، فلا تقوِّى في القتال والصَّبْرَ رأيهم ولا تُمِرُّ في الثَّباتِ عزائمهم ، ومن المعروف قولهم : فلانٌ سَيِّئِي ورُحْمِي ، في الذي يستظهر به عند مُلاقاة الأعداء وفلانٌ تُرْسِي وجُنَّتِي ، فيمن يُتَّقَى به من الأسواء . وإِنَّمَا قال في هذا الوجه أَرْمَاحًا بأيدى عدونا لأنه إذا كَفَى عنهم بما يَكُونُ آلَةً جعلها باليد . ويقال شَحَذْتُ السَّكِّينَ ، إذا أَحَدَدْتَهُ . والباء من قوله « بأيدى » يتعلق بمضمر ، كأنه قال أَرْمَاحًا مستقرّة وحاصلةً بالأيدى . والعدوُّ يقع على الواحد وعلى الجمع . وفي القرآن ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي ﴾ .

٢ - عَلَيكَ بِجَارِ الْقَوْمِ عَبْدِ بْنِ حَبْرٍ فَلَا تَرَشَّدَنَّ إِلَّا وَجَارِكَ رَاشِدُ

(١) التبريزي : « وقال أيضاً » .

(٢) التبريزي : « بن تكايد » . وفي تفسيره : « والمكايبة : معالجة الأقران . يقال كابدت الشيء مكابدة وكبأداً ، إذا قاسيته في مشقة . والكيد : الشدة .

(٣) في الأصل : « رسول » ، وأثبتنا ما في م .

هذا الكلامُ بَعَثٌ وتَمْضِيضٌ على مراعاة العهود والذمم ، وصيانة الجار من
الاهتضام ، وإن لام فيها اللوائيم . فيقول : اُنْتَصِفْ لَجَارِكَ وانتقم له بأن تؤثر
في جار القوم ، فإنك لا تكون راشداً إلا وقد رَشَدَ جَارُكَ معك . ويقالُ
رَشِدَ يَرَشُدُ ، ورَشَدَ يَرَشُدُ ، لغتان . والباء من قوله : « بجار » يتعلق بعليك ،
لأن معنى عليك خُذْ . ويقال خُذْ كذا وخُذْ بكذا . يقال أيضاً عليك كذا
وبكذا . ودخول النون الخفيفة في قوله « تَرَشَدَنَّ » لأنه ليس بواجب فهو يجري
مجرى الأمر والنهي والاستفهام .

٣- فَإِنْ غَضِبْتَ فِيهَا حَبِيبُ بْنُ حَبْتَرٍ فَخُذْ خُطَّةَ يَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ
الصمير في « فيها » للفعلَةِ والخُطَّةِ . ألا ترى قوله « نَحْذُ خُطَّةً يَرْضَاكَ فِيهَا
الْأَبَاعِدُ » . والمعنى : إن تَسَخَّطَ مَا تَتَكَلَّفُهُ لَجَارِكَ مِنَ الذَّبِّ عَنْهُ وَالْإِنْتِقَامِ لَهُ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فَلَا تُبَالِ بِهِمْ ، وَخُذْ فِي أَمْرِهِ مَا يَحْمَدُكَ الْأَبَاعِدُ دُونَ الْأَقَارِبِ ،
فَإِنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا انْتَشَرَتْ عَنْكَ بِالْوَفَاءِ اسْتَرْجَحَكَ الْأَجَانِبُ . وَخَذَلُ الْجَارَ
وَتَسْلِيْمُهُ إِشَارًا لِهَوَى الْأَقَارِبِ ، وَمُجَانِبَةً لِكِرَاهَتِهِمْ ، يَجْلِبُ الذَّمُّ وَيُلْحِقُ الْعَارَ .

٤- إِذَا طَالَتِ النَّجْوَى بِغَيْرِ أُولَى الْقُوَى أَضَاعَتْ وَأَضَعَتْ خَدَمَ مَنْ هُوَ فَارِدٌ
هذا بيان الرأى في قبول ما أشار به ، وترك التمرّيج على غيره . والعامل
في « إذا طالت » أَضَاعَتْ ، وهو جوابه أيضاً . فيقول : إذا طالت المناجاةُ
وامتدّت الاستشارة مع غير أرباب الآراء القويّة ضَيَعَتِ المستشير وأمالت خَدَهُ ،
وصار في الانفراد بما يعاينه بمنزلة مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُشِيرَ ، لوقوع الشاور على
غير خَدِّهِ ، وتقصير المُشير في القيام بواجبه ، وقد جمع بين فعلين في قوله « أَضَاعَتْ »
و « أَضَعَتْ » فأَعْمَلَ الثاني ، وهو المختار عند أصحابنا البصريين . ويجوز أن
يكون مفعول أَضَاعَتْ غير « خَدَ مَنْ » فحذفهُ ، كأنه قال أَضَاعَتْ رَبَّهَا . وكان

الحكم في هذا الوجه أن يقول لو أظهر المفعول : وأصغت خذه لكونه فardاً
 بوحيداً ، لكنه لما كان الآخر هو الأول وقد خذه ، لم يُبال بإظهاره ، لأن
 الذي هو فard ربّ النجوى لا غير . ومعنى إصغاء الخد الإذلال والانحراف
 للفتور والحجل . والقوى : جمع قوة ، وأصلها طاقات الحبل ، ثم استعملت في
 الآراء والمزائم . وأصل النجوى المسارة ، فاستعملت للشورة لأنها في أكثر
 المواضع تقع بها . ويقال : فلان نجى فلان ، وتناجوا فيما بينهم وانتجوا ،
 وهم نجوى ، وصف بالمصدر . وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَمَنْ لَا يَكُنْ ذَا نَاصِرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُغَلِّبَ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيُضْهِدِ

٥- فحارب فإن مولاك حارد نصره ففي السيف مولى نصره لا يحارد

يقول : حارب من قصد جارك وأعان عليه ، ولا تفعد عن نصرته والانتصار
 له ، فإن لم يعاونك فيما ترومه مواليك ، وتأخروا عن النهوض معك ، فاستعن
 بالسيف ، فإن فيه مولى لك لا يخذلك ، ولا يتباطأ عنك . وهذا كما قال غيره ^(١) :

* أَنْخَنَّا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ ^(٢) *

والمحاربة أصلها في قلة اللبن ، واستعمل في قلة الموازنة والمظاهرة . وقوله
 « فإن مولاك » ارتفع مولاك يفعل مضمر ما بعده . [تفسيره ، لأن إن بالفعل
 أولى ^(٣)] .

(١) هو يحيى بن منصور . الحماسية ١٠٨ .

(٢) صدره : * فلما نأت عنا العشرة كلها *

(٣) التكملة من م . وانظر ما سبق في ص ٤٣٣ من ١٦ - ١٧ .

١٥١

وقال أيضاً :

وهذه الأبيات تُعَدُّ من المنصفات ^(١) :

١ - فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبِّحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّمَيِّنَا فَوَارِسًا

أشار بالحي إلى قومٍ معهودين . يقول : لم أَرِ مُفَاراً عليه كالذين صَبَّحْنَاهُمْ ،
 وَلَا مُغِيرًا مِثْلَنَا يَوْمَ لَقِينَاهُمْ . فَكَسَمَ الشَّهَادَةَ قَسَمَ السَّوَاءِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِهِمْ ،
 وَتَنَاوَلَ بِالْمَدْحِ كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ . وَانْتَصَبَ قَوْلُهُ « حَيًّا مُصَبِّحًا » عَلَى التَّمْيِيزِ ،
 وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ قَوْلِ الْقَائِلِ : عِنْدِي عَشْرُونَ دِرْهَمًا وَضَحًّا ^(٢) . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
 فَوَارِسًا تَمْيِيزٌ وَتَبْيِينٌ . وَيجوز أن يكون الأول والثاني في موضع الحال ، وَالْمُصَبِّحُ
 الَّذِي يُؤْتِي صُبْحًا لِلْغَارَةِ ، وَبِاسْتِعْمَالِ فِي الْخَيْرِ أَيْضًا ، يُقَالُ : صَبَّحَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ .
 فَإِنْ قِيلَ . لِمَ قَالَ فَوَارِسَ وَالتَّمْيِيزُ يُؤْتِي بِهِ مُوَحَّدَ الْفِعْلِ . قُلْتُ : إِذَا لَمْ يَفْتَحِ
 كَثْرَةُ الْعِدَدِ وَاخْتِلَافُ الْجِنْسِ مِنَ الْمَمَيَّزِ يُؤْتِي بِالتَّمْيِيزِ مَجْمُوعَ الْفِعْلِ مَتَى أُريدَ
 التَّنْبِيهُ عَلَى ذَلِكَ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
 أَعْمَالًا ﴾ ، كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ مُخْتَلِفَةً كَثِيرَةً ، نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : أَعْمَالًا

(١) المنصفات : القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم
 فيما اضطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أجوالهم من إمحاض الإخاء . ويروى أن أول من
 أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة حيث قال :

كَأَنَّا غَدْوَةٌ وَبَنَى أَبِينَا بِحَنْبِ عَنِيْزَةٍ رَحِيًّا مَدِيرِ

وَمِنَ الْمُنْصِفَاتِ قَوْلُ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي لَهَبٍ :

لَا تَطْمَعُوا أَنْ تَهَيِّنُونَا وَنُكْرِمَكُم * وَأَنْ نَكْفِ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتَوْذُونَا

انظر الخزانة (٣ : ٥٢٠ - ٥٢١) .

(٢) الوضع : النقي الأبيض .

ولو قال عملاً كان السامع لا يبيد في وهمه أن خسرتهم^(١) كان لجنس واحد من أجناس المعصية ، أو لعمل واحد من الأعمال الذميمة . فكذلك قوله « فوارس » جمعه حتى يكون فيه إيدان بالكثير .

٢ - أكرّ وأنحى للحقيقة منهم وأضرب منّا بالسيوف القوانيسا

المصراع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو أسد ، والمصراع الثاني إلى عترته وأصحابه . والمراد : لم أر أحسن كراً ، وأبلغ حابة للحقائق منهم ، ولا أضرب للقوانيس بالسيوف منا : وانتصب القوانيس من قيل دلّ عليه قوله « وأضرب منا » . ولا يجوز أن يكون انتصابه عن أضرب لأنّ أفعل الذي يتم بمن لا يفعل إلا في النكرات ، كقولك : هو أحسن منك وخمّا . وأفعل هذا يجرى مجرى فعل التعجب ، ولذلك تمّدّى إلى المفعول الثاني باللام ، فقلت ما أضرب زيداً لعمرٍو . وقول الله تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾^(٢) ، موضع حيث نصب مما دلّ عليه أعلم . والقوانيس ، قال اللريدى : هو أعلى البيضة وقال غيره : قونس الفرس : ما بين أذنيه إلى الرأس . ومثله قونس البيضة من السلاح .

٣ - إذا ما حملنا حمله نصّبوا لنا صدور المذاكي والرماح الدواعسا

يُروى : « إذا ما شددنا شدة^(٣) » . يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ، ونصبوا صدور الخيل القرح ، والرماح المعدة لذلك^(٤) .

(١) في الاصل : « جسرهم » ، والصواب في م .

(٢) هذه في قراءة جمهور السبعة . وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالترديد .

تفسير أبي حيان (٤ : ٢١٦ - ٢١٧) .

(٣) جعلها التبريزي الرواية الأولى ، وما قبلها الرواية الثانية .

(٤) م : « للدفع » .

ولَدَّعَسَ : الدَّعَسُ فِي الْأَصْلِ ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الطَّعْنِ وَشِدَّةِ الْوُطْءِ وَالْجَمَاعِ .
وَالذَّكَاءُ : ضِدُّ الْفَتَاءِ . وَيُقَالُ فَرَسٌ مُذَكَّرٌ ، إِذَا تَمَّ سِنُّهُ وَكَمَلَ قُوَّتُهُ . وَفِي
الْمَثَلِ : « جَرَى الْمَذَكِّيَاتِ غِلَابٌ » . وَيُقَالُ « غِلَا » . وَيُقَالُ : فَتَاءُ فُلَانٍ
كَذَكَاءِ فُلَانٍ وَكَتَذَكِيَةِ فُلَانٍ ، أَيْ حَزَامَتُهُ عَلَى نَقْصَانِ سِنِّهِ كَحَزَامَةِ ذَاكَ مَعَ
اسْتِكْمَالِهِ لِسِنِّهِ . وَقَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى :

يُفَضِّلُهُ إِذَا اجْتَهَدَا عَلَيْهِ تَمَامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ
٤- إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نَكَّرُهَا فَلَيْسَ بِهَا يَرْجِعُ إِلَّا عَوَابِسًا
يَقُولُ : إِذَا الْخَيْلُ دَارَتْ عَنْ مَضْرُوعٍ مِنَّا كَرَزْنَا عَلَيْهِمْ لِنَصْرِعَ مِنْهُمْ
مِثْلَ مَا صَرَعُوا مِنَّا . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ : إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ عَنْ صَرِيحٍ مِنْهُمْ
لَا يُقْنِعُنَا ذَلِكَ فِيهِمْ ، بَلْ نَكَّرُهَا عَلَيْهِمْ لِمِثْلِهِ ^(١) ، وَإِنْ كَرِهَتْ الْكِرَّ لَشِدَّةِ
الْبَأْسِ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَّا كَوَالِحَ . وَالْعَامِلُ فِي قَوْلِهِ « إِذَا الْخَيْلُ » نَكَّرُهَا ، وَهُوَ
جَوَابُهُ أَيْضًا . وَإِلَّا عَوَابِسًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقَوْلُهُ « الْخَيْلُ » ارْتَفَعَ بِفِعْلِ
مُضْمَرٍ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرُهُ .

١٥٢

وقال عبد الشارق بن عبد العزيز الجهني ^(٢) :

١- أَلَا حَيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمْتَ عَلَيْنَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « لِمِثْلِهِ » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ عَبْدُ الشَّارِقِ » ، وَالْكَامِلَةُ بَعْدَهُ مِنْ م . وَزَادَ التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ
« وَهُوَ مِنَ الْمُنْصَفَاتِ » وَأَنْظَرَ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى « الْمُنْصَفَاتِ » فِي الْحَمَاسِيَةِ السَّابِقَةِ .
وَعَبْدُ الشَّارِقِ ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ تَسْمِيَّتِهِ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ . قَالَ فِي الْمَبْجُجِ : « الشَّارِقُ اسْمُ صَمٍّ لَمْ ،
وَلِذَلِكَ قَالُوا : عَبْدُ الشَّارِقِ كَقَوْلِهِمْ عَبْدُ الْعَزَى ، وَكَلَامُهَا صَمٌّ . وَمِثْلُهُ عَبْدُ يَنْوُثَ وَعَبْدُودُ وَنَحْوُ
ذَلِكَ : وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّارِقُ مِنْ قَوْلِهِمْ عَبْدُ الشَّارِقِ ، وَهُوَ قَرْنُ الشَّمْسِ ، كَقَوْلِهِمْ لَا أَكَلِمَكَ
مَا ذَرَّ شَارِقٌ ، أَيْ مَا طَلَعَ قَرْنُ الشَّمْسِ ، فَقَوْلُهُمْ إِذَا : عَبْدُ الشَّارِقِ كَقَوْلِهِمْ عَبْدُ شَمْسٍ . وَأَمَّا
الْعَزَى فَهُوَ اسْمُ صَمٍّ ، وَهُوَ تَأْنِيثُ الْأَعْزِ » .

هذا على كلامين . و « أَلَا » افتتاح^(١) . والتحية ، قال بعضهم : هى الوداعُ ها هنا ، يقول : أَلَا أُبْلِغْتِ وَدَاعَنَا يَا رُدَيْنَةُ . ثم قال : نَحْيِيهَا ، أى نودّعها . وإن عَزَّت^(٢) علينا مفارقتها . ويجوز أن يكون دعا لِرُدَيْنَةَ مبتدئا فقال : جَزَاكَ اللهُ عَنَّا ، أى تَوَلَّى اللهُ ذلك من دُونِنَا ، ثم راجع نفسه فقال : نَفْعَلْ ذلك على فِخَامَةٍ مَوْعِيهَا مِنَّا ، وَجَلَالَةٍ مَحَامَاهَا مِنْ قُلُوبِنَا ، إِذْ كُنَّا لَا تَقْدِرُ لَهَا عَلَى غَيْرِ ذلك . وقوله « نَحْيِيهَا وَإِنْ كَرُمْتُ » يَسْمَى التَّفَاتَا ، كَأَنَّهُ التَّفَتَّ إِلَى مِنْ مَعَهُ . فقال ذلك .

٣ — رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِنَا عَلَى أَضْمَانِنَا وَقَدْ اخْتَوَيْنَا
تَوَصَّلَ بِمَخَاطِبَتِهَا إِلَى اقْتِصَاصِ الْحَالِ الَّتِي يَرِيدُ شَرْحَهَا ، فَأَخَذَ يُبَايِنُهَا
فيقول : لَوْ رَأَيْنَا غَدَاةَ حِنَّا عَلَى حَزَازَاتٍ فِي النَّفْسِ ، وَاحْتِرَاقَاتٍ فِي الْجَوْفِ
وَالصَّدْرِ ، مِنَ الْغَيْظِ وَالْحَقْدِ ، وَقَدْ حَوَيْنَا أُمُورَالْ أَعْدَائِنَا ، وَاسْتَبَحْنَا حَرِيمَهُمْ ،
وَمَلَأْنَا أَيْدِينَا مِنْ غَنَائِهِمْ . هَذَا إِذَا رَوَيْتَهُ بِالْحَاءِ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ :
« اخْتَوَيْنَا » بِالْحَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَيَكُونُ افْتَعَلَ مِنَ الْخَوَى ، وَالْمَعْنَى : خَوَتْ أَفْنَدْتَنَا
مِنْ الْوُدِّ ، كَقَوْلِ الْآخَرِ^(٣) :

وَإِذْ صَفَرْتُ عِيَابُ الْوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا فِيهَا ذِمَامٌ
وَأَجُودُ مِنْهَا « وَقَدْ اخْتَوَيْنَا » بِالْجِيمِ ، وَهُوَ افْتَعَلَ مِنَ الْجَوَى ، كَأَنَّهُ يَرِيدُ
مَا اشْتَمَلَ الْجَوَانِحُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدَاوَةِ حَتَّى صَارَ جَوَى . وَالْأَضْمُ : الْغَضَبُ . وَمَعَ
ذِكْرِ الْأَضْمِ اخْتَوَى بِالْجِيمِ أَشْبَهُ ، وَهُوَ أَقْرَبُ . وَجَوَابُ لَوْ مَحذُوفٌ ، لِأَنَّ
الْأَفْعَالَ التَّابِعَةَ لِهَذَا الْبَيْتِ جَمِيعُهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى بَيَانِ الْقِصَّةِ ، وَشَرَحَ أَحْوَالَ الْوَقْعَةِ .

(١) أى ألا : أداة لانتتاح الكلام . وفى الأصل : « والافتتاح » ، صوابه فى م .

(٢) فى الأصل : « كرمت » ، صوابه فى م .

(٣) هو بشر بن أبى خازم . المفضليات (٢ : ١٣٥) .

وقد بَيَّنْتُ فيما تقدَّم أنَّ حَذْفَ الجواب من مِثْلِ قولِ الفائل : لو رَأَيْتَ زَيْدًا
وفى يده السَّيْفُ ، أدلُّ على التهويل والتفخيم من إثباته .

٣ — فَأَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَبِيئًا فَقَالَ أَلَا أُنْعِمُوا بِالْقَوْمِ عَيْنًا
يقول : توجَّهنا نحوهم وأُنْعِمْنَا مِنْ قِبَلِنَا مِنْ ارْتَبَأْنَا لَنَا ، فعادَ مبشِّرًا وقال :
قَرُّوا عَيْنًا وَاسْتَبَشِّرُوا ، فقد أَقْبَلُوا . وهذا ممَّا يُتَرْجَمُ عن محبتهم للملافة
الأعداء ، وَحَرِصَهُمْ على القتال ، وتشوُّفهم للجاذبة والنزاع ، حتى عَدَّوا قُرْبَهُمْ
بِشَارَةً ، والالتقاء معهم غنيمة . وهذا عندى أَبْلَغُ من قول الآخر :
يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْيَأُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا^(١)
ومن قوله :

* لِقَاءُ أَعَادٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبِ *

وقوله « عَيْنًا » انتصبَ على التمييز ، وهو من باب ما نُقِلَ الفِعْلُ عنه
وَوُضِعَ النَّكِرَةُ فيه موضع المَعْرِفَةِ ، لأنَّ الأَصْلَ فى قَرَرْتَ به عَيْنًا : قَرَرْتُ
عَيْنِي . ومِثْلُه قولهم : يَتَصَبَّبُ عَرَقًا ، وَبِتَفَقُّ شَحْمًا . وفى القرآن : ﴿ وَأُشْتَمَلَ
الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ .

٤ — وَدَسُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءً فَلَمْ تَعْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدُنَّا

يقول : وجَّهوا فارسًا لِيَنْدَسَّ فى أثناء خيلنا ، وَيَعْرِفُ سَرَّنا وَعَلَنَّا ،
ويقفَ على عَدَدِنَا وَعُدَّتِنَا ، فيرجعَ إليهم بواضح الأحوال والأخبار ، نخْلَيْنَاهُ
والانصرافَ إليهم ، ولم نَسْتَعْمِلْ غَدْرًا فى احتباسه عندنا ، وطىُّ أخبارنا عنهم .

(١) « يستعذبون منا » هى من هامش نسخة الأصل فقط مع علامة إلحاق ، وهذه
العبارة سابقة من م . وبقية حروف الكلمة ، وهى « ياهم » من « مناياهم » هى تكملة ضرورية
وليست فى النسختين . ويبدأ الاستشهاد فى النسختين بكلمة « كأنهم »

وأصل الدس : إخفاء الشيء تحت غيره . وفي القرآن : ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ ويقال ^(١) : اندس إلى فلان ، أى أناه بالتمائم . فإن قيل : ما فائدة ذكر الغدر هاهنا والفارس الذى أنفذوه جاسوساً ^(٢) لم يكن اتخذ ^(٣) منهم أماناً ، ولا اشترط عليهم شرطاً يوجب سلامته به مع مخالطته لهم . قلت : كأن المراد لم نستعمل مكرّاً باحتباس الرسول ، إذ كان فى منعه من الانصراف إليهم انطواء أخبارنا عنهم ، فيكون كالتدريس بهم وبه . ويجوز أن يكون ذلك الفارس الذى ظهر لهم ذمة بالمعرفة بينه وبينهم ، فقدّ ظهوره أخذاً للأمان عليهم . ويجوز أن يكون سمى ترك أقرب الأئمين إلى الكرم والوفاء معه غدرّاً ، ثم برأ ساحته منه .

٥ - لجأوا طارضاً برّداً وجئنا كمثل السيف نركب وازعينا

يقول : تسارعوا مُقبلين نحونا ، وكأنهم فى كثرتهم وتعجلهم قطعة من السحاب فيها برّدٌ — وَوَجْهُ التشبيه أن لهم حَفِيفاً وَوَقْعاً شديداً متهافتاً ، كما يكون لذلك السحاب — ونحن لكثرتنا وإتياننا على ما يعترض فى طريقنا كالسبيل الذى لا يُبْقَى ولا يَدْر . ومعنى « نركب وازعينا » أى لا ننفذ لمن يريد ضبطننا ، ولا نطأوع من يطلب كفننا من الجيشين جميعاً . ولم يُثن « وازعينا » لأنه يشير إلى رجلين ، لكنه أراد الكثرة والجنس بالوزاع ، ثم ثنى مبيّناً اختلاف الطائفتين من الخيلتين . ولا يجوز أن يُروى « وازعينا » بكسر العين لما يحصل من العيب بالسناد مع ارتفاع الضرورة ^(٤) .

(١) فى النسختين : « ويقول » .

(٢) م : « داسوسا » فاعول من الدس . وقد أشير فى نسخة الأصل إلى أنها كذلك فى نسخة أخرى . والمعروف ، كما فى مادة (دس) من المعاجم : « الديس » .

(٣) م : « أخذ » .

(٤) فى النسخة : « وقد رواه بعض الرواة : وازعينا ، فركب قبح السناد لضيق طريق المعنى الأول عليه . والقول فيه ما ذكرته » .

٦- فَنَادَوْا يَا بُهْشَةَ إِذْ رَأَوْنَا فَقُلْنَا أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهِينًا

يقول : لما شارفناهم استغاثوا ببني بُهْشَةَ مُعْتَزِينَ إِلَيْهِمْ ، وَمُسْتَعِدِّينَ مِنْهُمْ ، فَاسْتَنْزَنَا نَحْنُ أَيْضًا فِي مَقَابِلَةٍ مَا فَعَلُوا بِبَنِي جُهِينَةَ ، وَهَزَزْنَا لَهُمُ اللَّضْرِبَ فِيهِمْ ، وَالْإِيْقَاعَ بِهِمْ . وَإِنَّمَا يَسْتَعْمِلُونَ الْاعْتِرَازَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ تَهْوِيلًا لِلْأَمْرِ ، وَتَكْثِيرًا لِلْعَشِيرَةِ ، لِيَسْتَشْعَرَ كُلُّ مَنْ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ الرَّغْبَ مِنْ صَاحِبِهِ ، وَالتَّهَيُّبَ لَهُ . وَاللَّامُ مِنْ « يَا بُهْشَةَ » لَامُ الْجَرِّ ، وَتَعَلَّقَتْ بِهَا : حَرْفُ النَّدَاءِ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ تَعَلَّقَتْ بِالْفِعْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ يَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ لَمَّا لَمْ يَخْرُجْ إِلَى الْوُجُودِ سَقَطَ حُكْمُهُ . وَفَتَحَتْ لَوْ قَوَّعَ الْمُنَادَى مَوْقِعَ اللَّضْمِ . وَبُهْشَةَ مَدْعُوَّةٌ ، وَالْجَارُ مَعَ الْجُرُورِ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ لِأَنَّهُ مُنَادَى . وَقَوْلُهُ أَحْسِنِي ضَرْبًا « يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَرْبًا مَفْعُولًا بِهِ مِنْ أَحْسِنِي ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيْ ضَارِبَةً . وَيُرْوَى : « أَحْسِنِي مَلًّا » ، وَمَعْنَاهُ خُلُقًا . وَالْمُرَادُ مُخَالَفَةً ^(١) أَهْلِ الْحَرْبِ وَالْمُسْتَنْصِرِينَ ؛ وَهَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي زَيْدٍ . وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : مَعْنَاهُ أَحْسِنِي تَمَالُّوْا أَيْ تَعَاوَنَا . وَيُقَالُ مَالَأْتُ عَلَى فُلَانٍ ، وَكَأَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ مَلِيٌّ ، وَقَدْ مَلَأُوْا بِمُلُوءٍ مَلَاءَةً وَمَلَاءَةً .

٧- سَمِعْنَا دَعْوَةَ عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ فَجَلْنَا جَهْلًا ثُمَّ ارْعَوَيْنَا

يقول : قَرَعَ أَسْمَاعُنَا فِي أَنْفَاءِ التَّهَيُّؤِ وَالتَّطَالُعِ دَعْوَةٌ تَأَدَّتْ مِنْ مَكَانٍ غَائِبٍ عَنْ عِيُونِنَا ، فَدُرْنَا دَوْرَةً ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى أَمَاكِنِنَا . وَهَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا خَافُوا السَّكِينِ فَجَاءُوا لِيَتَأَمَّلُوا ، فَلَمَّا أَمِنُوا رَجَعُوا . وَيُقَالُ : ارْعَوَى عَنْ الْجَهْلِ ارْعَوَاهُ وَرَعَوَى حَسَنَةً وَرَعَوَى ، أَيْ رَعَ . وَيُقَالُ : فَعَلَ فُلَانٌ كَذَا بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَأَتَانِي خَبَرٌ عَنْ ظَهْرِ الْغَيْبِ .

(١) كذا على الصواب بالتحاق عند التبريزي . وفي النسختين : « مخالفة » .

٨ - فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْجَنَّا لِلْكَلاَكِلِ فَارْتَمَيْنَا^(١)

هذه الموافقة التي أشار إليها ، يجوز أن تكون للتعبية والتهينة ، ويجوز أن تكون لتداعى الأبطال والمبارزة ، واعتراضهم بين الصّقّين المطاعنة . وقوله « قليلا » يجوز أن يُرِيدَ به زَمَانًا قَلِيلًا ، فيكونُ ظَرْفًا ، ويجوز أن يرِيدَ به^(٢) : تَوَاقُفًا قَلِيلًا ، فيكونُ صفةً لمصدر محذوف . والصفات تنوبُ عن المصادر والظروف كثيرًا . وجوابُ لَمَّا « أَنْجَنَّا » ، ومفعولُه محذوف . والمعنى : إِنَّا بَعْدَ الْمَارَّةِ نَزَلْنَا ، وَأَنْجَنَّا لِلشُّدُورِ فَتَنَّا ضَلْنَا .

٩ - فَلَمَّا لَمْ نَدْعِ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا

١٠ - تَلَالُؤُ زُنَّةٍ بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا

يقول : لَمَّا مَلَلْنَا الطَّرَادَ وَالرَّمَاءَ ، بِإِفْنَاءِ النَّبَالِ وَتَعْطِيلِ الْقِسِيِّ لَانْقِطَاعِ الأوتار ، مَشَى بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ لِّلْكَفَاحِ وَالْجِلَادِ ، طَلَبًا لِلِاشْتِفَاءِ ، كَأَنَّهُمْ تَنَقَّلُوا فِي دَرَجِ الْقِتَالِ وَمِرَاتِيهِ ، حَتَّى بَلَغُوا أَعْلَاهَا وَأَضْعَفَهَا ، وَأَوَّلَاهَا بِدَرْكِ الثَّأْرِ وَأَحْقَاهَا . ولهذا أَمَّا سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُمَرُ بْنُ مَقْدِيدٍ كَرِبَ عَنْ أُنْوَاعِ السِّلَاحِ ، وَانْتَهَى إِلَى ذِكْرِ السَّيْفِ ، قَالَ « عِنْدَهُ تَشَكُّلُ الْأَمْهَاتِ » . وَانْتَصَبَ

(١) م : « وارتمينا » . وقال ابن جني : « لك أن تجعل اللام صلة إلى المفعول توكيدا كقول الله سبحانه : قل عسى أن يكون ردف لكم ، وكقولُه : إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّوْيَا تَعْبُرُونَ . غير أن هذا قدم فيه المفعول فحسن زيادة اللام لإعانة الفعل . وقرأت على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى لابن ميادة :

وملكت ما بين الدراق ويثرب ملكا أجار لمسلم ومعاذ

أى أجار مسلما ومعاذاً ، فكانه قال : أنجنا الكلاكل ، فزاد اللام من حيث ذكرنا . ويجوز أن يكون اللام خبر مبتدأ محذوف يدل عليه قوله أنجنا ، فكانه لما قال أنجنا قال : إناختنا للكلاكل .

(٢) كذا في م وفي الأصل : « أن يكون به » .

« تَلَاؤُءُ مُزَنَةٍ » على أنه مَضَرٌّ مما دَلَّ عليه « مَشِينَا نَحُومَ وَمَشَوْا إِلَيْنَا » ،
لأنَّ في ذلك تَلَاؤُءَ السَّلَاحِ من الجانبين جميعاً ، ووميضَ كُلِّ واحدةٍ من
الطَّائِفَتَيْنِ جميعاً للأخرى . وقوله « إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا » ، أى إذا
كان مشيهم إلينا حَجَلًا كان مَشِينًا إِلَيْهِمْ رَدَيْنًا . والرَّدْيَانُ فَوْقَ الْحَجَلَانِ ،
لأنَّه مَشَى الْحَمَارُ بَيْنَ آرِيَةٍ وَمُتَمَعِّكِهِ ، فهو أَسْرَعُ من الْحَجَلَانِ ، إذ كان في
الحَجَلَانِ تَقَارُبُ الْخَطَاوِ كَمَشَى الْمُقَيَّدِ وَوُثِدَتِهِ . فيقول : تَلَاؤُءًا لَوْ فُورٍ أَسْلَحْتِنَا ،
وَبَرَقٍ دُرُوعِنَا وَبَيْضِنَا ، وَإِيْمَاضٍ أَغْنَيْنَا ، تَلَاؤُءُ سَحَابَةٍ بَرَقَتْ لِسَحَابَةٍ
أُخْرَى قَابَلَتْهَا . وقال أبو زَيْدٍ : هذا من رَدْيَانِ الْجَوَارِي إِذَا لَعِبْنِ (١) تَرَفَعَ
إِحْدَاهُنَّ رِجْلًا وَتَخَطَّوْا بِأُخْرَى خُطَوَتَيْنِ ، ثُمَّ تَضَعُهَا وَتَرَفَعَ الْأُخْرَى ، تفعل
ذلك مَرَّارًا . قال : وَالْغُرَابُ يَرْدِي وَيَحْجَلُ .

١١- شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنًا

١٢- وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُودَيْنَا

يَقُولُ : حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً مُسَكَّرَةً (٢) ، فَأَصَبْنَا مِنْهُمْ ثَلَاثَةً مِنَ الْفَتَيَانِ ،
وَقَتَلْتُ قَيْنًا . وَقَيْنٌ : اسْمُ رَجُلٍ كَانَ مَشْهُورًا فِيهِمْ بِالْبَاسِ وَالنَّجْدَةِ ، فَلِذَلِكَ
عَيَّنَ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ » فِتْيَةٌ مِنْ أَبْنِيَةِ الْقَلِيلِ ، كَقَوْلِهِ وَصْبِيَّةٌ ،
وَلِذَلِكَ أَضَافَ الثَّلَاثَةَ إِلَيْهَا . وَبَنَاءُ الْكَثِيرِ الْفَتَيَانِ . وَ« شَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى » ،
يَقُولُ : وَحَمَلُوا حَمَلَةً فَأَصَابُوا مَنَا مِثْلَ مَا أَصَبْنَا مِنْهُمْ ، وَارْتُتْ مِنْ قَتْلَانَا مِثْلُ
مَا ارْتُتْ مِنْ قَتْلَاهُمْ ، وَرَمَوْا جُودَيْنَا أُخْرَى . قَوْلُهُ « بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ » لَوْ قَالَ
أَمْثَالِهِمْ لَجَازَ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ :

(١) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « نَعِين » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٢) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ م .

﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ ، وفى موضع آخر : ﴿ إِنَّا كُنْهُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ﴾ .
وهذه الأبيات تُسمى المُنْصِيفَة ، لِمَا تَقَابَلَ فِيهَا مِنْ صِفَاتِ الْجَيْشَيْنِ عَلَى وَجْهِ
التَّعَادُلِ ، وَسَنَنَ التَّصَادُقِ . إِنْ قِيلَ مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ « شِدَّةٌ أُخْرَى » ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ
تَقَدَّمَ لَهُمْ أُولَى ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ تَوَالَى بَيْنَنَا خَمَلَتَانِ : الْأُولَى مِنَّا ،
وَالْأُخْرَى مِنْهُمْ ، لِأَنَّ قَصْدَهُ اقْتِصَاصُ الْحَالِ الدَّائِرَةِ بَيْنَهُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
أَرَادَ أَنْ يَبِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا السَّابِقِينَ وَالْمُبْتَدئين ، فَوَصَفَ شِدَّتَهُمْ بِالْأُخْرَى لِيُعْلَمَ
أَنَّ الْمُتَقَدِّمَ فِي الذِّكْرِ كَانَتْ الْأُولَى .

١٣- وَكَانَ أَخِي جُؤَيْنٌ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتَيَانِ زَيْنَا

١٤- فَأَبَا بِالرُّمَاحِ مَكْسَّرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ أَمَحْنَيْنَا

تَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ بَحْسُنِ مَحَافِظَتِهِ عَلَى الشَّرَفِ ، وَجَمِيلِ مَدَافَعَتِهِ دُونَ الْعَشِيرَةِ
ثَبَّتَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَنَّ قِتْلَتَهُ كَانَتْ قِتْلَةً مَحْمُودَةً تَزِينُ وَلَا تَشِينُ . وَقَوْلُهُ :
فَأَبَا بِالرُّمَاحِ مَكْسَّرَاتٍ ، وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ مُنَحْنِيَّاتٍ ، جَعَلَ فِيهِ أَعْلَى الصَّفَتَيْنِ
لِنَفْسِهِ وَذَوِيهِ ^(١) ، وَإِنْ كَانَ الظَّاهِرُ مِنْ قَصْدِهِ فِي الْوَصْفِ الْجَرَى عَلَى
سَنَنِ النُّصْفِ ، يَشْهَدُ لذلِكَ مَا رَتَّبَهُ زَهَيْرٌ فِي قَوْلِهِ :

يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَمَوْا حَتَّى إِذَا أُطْمَنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَقَنَا

أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ الطَّعْنَ فَوْقَ النُّضْلِ ، وَالضَّرْبَ فَوْقَ الطَّعَانِ ، وَالْعِنَاقَ
فَوْقَ السِّكَفَاحِ . وَكَذلِكَ فَعَلَ فِي الرَّدِّيَّانِ وَالْحَجَلَانِ ، وَفِي وَصْفِ أَخِيهِ بَحْسُنِ
الْحِفَاطِ عِنْدَ قَوْلِهِ « وَرَمَوْا جُؤَيْنَا » فِي مَقَابَلَةِ « وَقَتَلْتُ قَيْنَا » . وَأَمَّا قَوْلُ
الْآخِرِ ^(٢) .

(١) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « لِنَفْسِهِ مِنْ ذَوِيهِ » .

(٢) هُوَ الْحَصِينُ بْنُ الْحَمَامِ الْمُرِّي . الْمَفْضَلِيَّاتُ (١ : ٦٣) .

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرَدَ كُلَّهُمَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْعَرِيَّ الْمُقَوِّمًا
فليس من التناصف في شيء؛ إذ كان المعنى: إِنَّا عِنْدَ الطَّعْمَانِ نُذَوِّبُهُمْ عَنْ
ظُهُورِ الدَّوَابِّ، فَتَنْفُتُ دَوَابُّهُمْ وَتَفُوزُ بِهِمَا، وَهُمْ يَسْتَنْقِذُونَ رِمَاحَنَا لَأَنَّا نَكْسِرُهَا
فِيهِمْ إِذَا طَعْنَاهُمْ، وَنُجْرِثُهَا إِيَّاهُمْ فَيَفُوزُونَ بِهَا. فيقول: انصرفوا وقد تكتمرت
رماحهم بالإجْرَارِ، وَرَجَعْنَا وَقَدْ تَنَتَّ سَيُوفُنَا بِأَعْمَالِنَا إِيَّاهَا فِي الْبَيْضِ وَالذَّرُوعِ
وَقْتَ الْجِلَادِ.

١٥- فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاحٌ وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا السَّكَلَى سَرَيْنَا
يقول: بَقُوا لِيَلَهُمْ يَنْتُونُ عَلَى الصَّعِيدِ، وَهُوَ وَجْهُ الْأَرْضِ، وَلَوْ سَاعَدَتْنَا
الطَّائِفَةُ الْمَجْرُوحَةُ مِنَّا، وَقَدَّرَتْ عَلَى الشَّرَى لَسَرَيْنَا، لَكِنَّ كُلًّا مِنَّا اضْطُرَّ
إِلَى الْإِقَامَةِ وَالتَّلَوُّمِ رَبْنَمَا يَتُوبُ إِلَيْهِ الْقَوَى بَعْدَ الْحُقُوقِ الْجَهْدِ، وَمُشَارَفَةِ
الرَّدَى. وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْأَحَاحَ الْعَطَشَ، وَالْمَشْرِفَ مِنَ الْجِرَاحِ عَلَى الْهَلَاكِ يَقْطُشُ.
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْأَحَاحَ شِدَّةَ الْوَجْدِ مِنَ الْغَيْظِ حَتَّى يُسْمَعَ لَهُ مِنَ الصَّدْرِ
صَوْتُ، وَهُوَ عَلَى مِثَالِ الْأَذْوَاءِ وَالْأَصْوَاتِ جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُ قَلِيلًا يَكْثُرُ فِيهِمَا.
وَالسَّكَلَى: جَمْعُ كَلِيمٍ، وَفَعَلَى يَكُونُ جَمْعًا لَمَّا كَانَ مِنَ الزَّمَانَةِ وَالضَّرَرِ
وَأَنْوَاعِ الْبَلَايَا. وَأَبْنِيَّةٌ وَاحِدَةٌ تَخْتَلِفُ

١٥٣

وَقَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي: (١):

١- إِنْ الرِّبَاطَ النُّسْكَدَ مِنْ آلِ دَاخِسٍ كَبَوْنَ فَمَا يُفْلِحُنَّ يَوْمَ رِهَانٍ

(١) التبريزي: «وقال بشر بن أبي حماد العبسي، ابني زهير بن جذيمة. ويروى:
بشير». وفي المؤلف ٦١ «بشير بن أبي جذيمة العبسي، بضم الباء. تصغير بشر». وقد
سبقت ترجمة «أبي بن حماد» في الحماسية ١٤٢.

يُرَوَّى « أَبَيِّنَ فَلَا يُفْلِحَنَّ ^(١) » ، وَيُرَوَّى « كَبُونَ » أَيْ سَقَطَنَ لُجُوهَهَا . قَالَ :

* فَكَبَّا كَمَا يَكْبُوفُنَّ تَارِزُ ^(٢) *

وهذا الكلام تَصَجُّرٌ بما اُنْتُجِعَ بَيْنَ أَبْنَى بَغِيضٍ عَبَسٍ وَذُبْيَانٍ مِنَ الشَّرِّ ، فِي الرَّهَانِ عَلَى دَاحِسٍ وَالْقَبْرَاءِ ، وَدُعَاءٌ عَلَى دَاحِسٍ وَنَسْلِهِ بِأَلَّا تُفْلِحَ فِي خِطَارٍ ، وَأَنْ تَأْتِيَ النِّجَاحَ فِي سِيَاقٍ ، فَقَالَ : إِنَّ الْخَيْلَ الْمَرْبُوطَةَ الْمَشَائِمِ مِنْ آلِ دَاحِسٍ وَدَاحِسًا ، أَبَتِ السَّبْقَ فِي حَلَبَةِ وَمِيدَانٍ ، وَالْفَلَاحَ يَوْمَ خِطَارٍ وَرِهَانٍ . وَالْمَعْنَى : لَا جَعَلَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَدْ تَرَدَّدْنَا مِنَ الْبَلَاءِ فِي عَمَايَاتٍ لَا انْكَشَافَ لَهَا . وَخَبَرٌ إِنَّ « جَلْبَنَ بِإِذْنِ اللَّهِ » وَقَوْلُهُ « كَبُونَ فَمَا يُفْلِحَنَّ » أَوْ « أَبَيِّنَ فَلَا يُفْلِحَنَّ ^(٣) » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ إِنَّ وَخَبَرِهِ . وَالْمَعْنَى مَعْنَى الدُّعَاءِ ، فَهُوَ كَمَا يُقَالُ إِنَّ زَيْدًا خَذَلَهُ اللَّهُ فَعَلَ كَذَا . وَمِثْلُهُ فِي الْاعْتِرَاضِ بِالْأَعْيَادِ قَوْلُ الْآخِرِ ^(٤) :

..... مَا لَكُمْ تَفَاقَدْتُمْ لَا تَقْدُمُونَ مُقَدِّمًا ^(٥)

وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ كُلُّهُ إِخْبَارًا مَتَجَرِّدًا ^(٦) عَنْ الدُّعَاءِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى كَبُونَ وَأَبَيِّنَ ، أَنَّهُ حَصَلَ لَهُنَ ذَلِكَ . وَالتَّشْكُدُ : جَمْعُ أَتَشْكُدُ . وَالرِّبَاطُ :

(١) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ ، وَرَوَايَةُ التَّبْرِيزِيِّ : « أَبَيِّنَ فَمَا يُفْلِحَنَّ » . وَانْظُرْ مَا سَيَأْتِي فِي الْحَاشِيَةِ التَّالِيَةِ .

(٢) لِأَبِي ذُؤَيْبِ الْهَذَلِيِّ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ (١ : ١٥) . وَصَجَرُهُ :

* بِالْخَبْتِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ *

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي م : « فَمَا يُفْلِحَنَّ » .

(٤) هُوَ الْخَصِينُ بْنُ حَامٍ الْمُرِّي . الْحَمَاسِيَّةُ ١٣٢ .

(٥) ضَدْرُهُ : * فَقُلْتُ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ *

(٦) مُتَأَثِّرٌ فِي هَامِشِ نَسْخَةِ الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى : « مَجْرَدًا »

مصدر رابطتُ، ولذلك وقع على الواحدِ والجمع . والآلُ، ذَكَرَ البَصْرِيُّونَ أنه في معنى الأهل ، لا فَرَقَ بينهما ، وأنَّ تصغيره أَهْيَلٌ ، وهذا يُؤْذِنُ بأنَّ أصلَ أَلْفِهِ هاءُ . وحكى ثعلبٌ عن شيوخه أنَّ الأهلَ ، القرابةُ ، مُتَّبِعًا كان أو غيرَ مُتَّبِعٍ ، وأنَّ الآلَ المُتَّبِعُ وإنَّ لم يكن ذا قرابةٍ ، فهما للمغنيين . قال : وحكى الكسائي في تصغير الآلِ أَوَيْلٌ ، وفي تصغير الأهلِ أَهْيَلٌ .

٢ - جَابَنَ يَأْذَنُ اللَّهُ مَقْتَلَ مَالِكٍ وَطَرَحَنَ قَيْسًا مِنْ وَرَاءِ عُمَانَ

أخذ بعقدُ الخصالِ المَكْرُوهَةَ الحاصلةَ بها ، فيقول : جَلَبَ سَبْقُ دَاحِسٍ يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى قَتْلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ ، وتطرحَ قَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ إِلَى عُمَانَ . وكان قَيْسٌ نَذَرَ أَلَّا يَنْظُرَ فِي وَجْهِ عَظْمَانِي أَبَدًا ، فدعاه ذلك إلى مِرَاغِمَةِ الْعَشِيرَةِ ، والتباعد في الْغُرْبَةِ . وقوله « يَأْذَنُ اللَّهُ » من قَوْلِكَ أَذِنْتَ بِانْقِوَمٍ . وفي الحديث : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ ^(١) » . وقصدُ الشَّاعِرِ أَنْ يَذْكَرَ مَا أَعْقَبَ سَبْقَ دَاحِسٍ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَلْحَقَ مِنَ الشُّؤْمِ . وقوله « جَابَنَ » جعلَ اللَّفْظَ لِلآلِ ، والمُرَادُ دَاحِسٌ ، لكنَّه لما جعلَ الدُّعاءَ لآله استمرَّ في الإخبارِ على حاله ولم يغيَّر . وبشبهه قول الآخر :

إِنَّ ابْنَ ضِرَارٍ حِينَ أَنْدَبُهُ زَيْدًا سَعَى لِي سَعْيًا غَيْرَ مَكْفُورٍ

أراد : إِنَّ ابْنَ ضِرَارٍ زَيْدًا ، فذكر الآلَ والمراد غيره . وهم في كثير من المواضع أقاموا الْوَالِدَ مَقَامَ الْوَلَدِ وَالْوَلَدَ مَقَامَ الْوَالِدِ ، والعشيرةَ مَقَامَ الْوَاحِدِ مِنْهَا ، والواحدَ مَقَامَ الْعَشِيرَةِ ، لأغراض مختلفة ، حينَ أَمِنُوا الْإِتْبَاسَ . ومِمَّا يُجَانِسُ هَذَا زِيَادَتُهُمْ « ذُو » و « حَيٍّ » . أنشد أبو زيد :

(١) تمام الحديث ، كما في اللسان : « مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيٍّ يَنْفَعِي بِالْقُرْآنِ » . وقد فسر الأذن : بالتحرير ، أنه الاستماع .

يَا قُرَّ إِنَّ أَبَاكَ حَيٌّ خَوَّيْلِدٌ قَدْ كُنْتَ خَائِفَهُ عَلَى الْإِنْحِقَاقِ^(١)
وَقَالَ الشَّيْخُ :

* فَأَدْمِجْ دَمَجَ ذِي شَطْنٍ بَدِيعِ^(٢) *

وَالْقَصْدُ إِلَى خَوَّيْلِدٍ وَإِلَى شَطْنٍ .

٣ - لَطْمُنَ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ وَجَمْعُكُمْ يَرَوْنَ الْأَذَى مِنْ ذِلَّةٍ وَهُوَ أَنْ

الْمَلُطُومُ دَاحِسٌ ، خَجَرَى عَلَى مَا بَنَى عَلَيْهِ السَّكْلَامُ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْ نَسْلِهِ
وَأَلِهِ . وَكَانَ خَذِيقَةُ بْنُ بَدْرِ أَرْصَدَ فِتْنَةً لَهُ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ لَمَّا تَفَالَّقَ هُوَ
وَقَيْسٌ عَلَى الْفَرَسَيْنِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ ذَاتِ الْإِصَادِ لُقِّبَ بِشُعْبِ الْحَيْسِ - الْحَيْسِ
أَكْلُوهُ فِيهِ - وَقَالَ لَهُمْ : إِنْ جَاءَ دَاحِسٌ مُتَقَدِّمًا سَابِقًا فَالْطُّوهُ وَنَهْنَهُوهُ عَنْ
الْغَايَةِ حَتَّى تَتَقَدَّمَ الْغَبْرَاءُ ، فَمَرَّ بِهِمْ دَاحِسٌ مُبَرِّزًا وَفَعَلُوا بِهِ مَا رَسَمَ لَهُمْ حَتَّى
تَخَلَّفَ عَنِ الْغَبْرَاءِ ، فَاجْتَهَدَ دَاحِسٌ وَتَكَافَّفَ مِنَ الْقَدْوِ مَا لَحِقَ بِهَا ، وَتَقَدَّمَ
عَلَيْهَا ثَانِيًا فَنَجَّاهُ سَابِقًا . وَقَوْلُهُ « وَجَمْعُكُمْ يَرَوْنَ الْأَذَى » ، يُخَاطَبُ بِهِ بَنِي
عَبْسٍ ، وَإِنَّمَا يَصِفُ مَا نِيلَ مِنْهُمْ وَرَكِبَهُمْ مِنَ الْهَضِيمَةِ فِي فَرَسِهِمْ لَمَّا لَطِمَ ، وَفِي
أَنْفُسِهِمْ حِينَ مُنِعُوا مَا اسْتَحَقُّ لَهُ . وَاللَّطْمُ : الضَّرْبُ فِي الْخَدِّ ، ثُمَّ قِيلَ فَرَسٌ
لَطِمٌ تَشْبِيهًا بِذَلِكَ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ هُوَ تَمْسُوحٌ بِالْجَمَالِ مَسْحًا . وَذَاتُ الْإِصَادِ
يُرِيدُ الْبُقْعَةَ الَّتِي فِيهَا الْإِصَادُ ، وَيُقَالُ هِيَ رَذَّةٌ بَيْنَ أَجْبَلٍ . وَالرَذَّةُ
كَالْحَفِيرَةِ^(٣) يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمَاءُ ، وَالْجَمِيعُ الرِّدَّاهُ .

٤ - سَيُمنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتُقْتَلُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ

(١) نَوَارِدُ أَبِي زَيْدٍ ١٦١ .

(٢) صَدْرُهُ فِي دِيْوَانِ الشَّيْخِ ٦١ :

* أَطَارَ عَتِيقَهُ عَنْهُ نَسَالًا *

(٣) م : « كَالْحَفْرَةِ » وَأَشِيرُ فِي الْأَصْلِ إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةِ « كَالنَّقْرَةِ » .

هذا يحتمل وجهين : أحدهما أنه جعل الخطاب لصاحب الفرس على المجاز والسمة ، والمقصود الفرس ، فيقول : تُمنعُ من السَّبقِ إن سَبَقْتَ — وهذا إشارة إلى ما كان منهم من لطمِ داحسٍ . وقد قُدِّمَ ذِكْرُهُ — فإن خَفَّتْ قَدَمَاكَ بِكَ وَبَرَزْتَ ثَانِيًا أَتَيْ عَلَيْكَ . ويكون قوله « زَلَّتْ بِكَ الْقَدَمَانِ » على ما فَسَّرْنَاهُ من قولهم قَدَحَ زَلُولٌ ، إذا كان خفيفًا . فهذا وَجْهُ . والثاني أن يُترك الخطاب على ظاهره وحده ، فيكون الْمَعْنَى : سَيُمنعُ منك الْمُتَّفَقُ عليه من الخطأِ بِسَبْقِ فَرَسِكَ ، فإن لم يَثْبُتْ قَدَمَاكَ عِنْدَ التَّقَاضِي بِهِ ، وفي الدفاع عن نفسك فيما يَرَادُ من ظُلْمِكَ وِرامٍ من هَضْمِكَ قُتِلَتْ أَيْضًا . وهذا أَقْرَبُ وأشبه بِالْقِصَّةِ .

١٥٤

وقال غَلَّاقُ بْنُ مَرْوَانَ^(١) :

١ — هُمْ قَطَعُوا الْأَرْحَامَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَجْرُوا إِلَيْهَا وَاسْتَحَلُّوا الْمَحَارِمَا
قَطَعُوا بِالْتَّخْفِيفِ يَصْلُحُ لِقَلِيلِ الْفِعْلِ وَكَثِيرِهِ ، فَإِذَا ثَقُلَتْ لَمْ يَكُنْ
إِلَّا لِلتَّكْثِيرِ أَوْ التَّكْرِيرِ . وَالشَّاعِرُ يَصِفُ مَا أَجْرَى إِلَيْهِ الْقَوْمُ فِي سَبْقِ دَاحِسٍ
من قطيعة الرَّحِمِ ، وَاتِّهَاكَ الْمَحْرَمِ ، وَاسْتِحْلَالَ الْمَحْظُورِ الْمَحْرَمِ ؛ وَيَقْتَصُّ
مَا تَنَقَّلُوا فِيهِ وَتَدَرَّجُوا إِلَيْهِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَشَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ . وَقَوْلُهُ « أَجْرُوا
إِلَيْهَا » الْإِجْرَاءُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمُسْكِرِ الْمَذْمُومِ ، وَمَفْعُولُهُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ أَجْرُوا

(١) النبريزي : « غلاق بن مروان بن الحكم بن زنباع » . المبهج : « يكون غلاق فعالا من غلق الرهن فهو غلاق ، كعلم فهو غلام ، وسلم فهو سلام . ويجوز أن يكون من من أغلق الباب ونحوه ، وهذا أقلها لعزة فعال من أفعل ، إنما جاء منه أسار فهو سار ، وأدرك فهو دراك ، وأجبر فهو جبار . وأقصر فهو قصار . وقزا بعضهم : يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد . ومروان : علم مرتجل » .

فَعَلُّهُمْ إِلَيْهَا ، وَالضَّمِيرُ فِي « إِلَيْهَا » لِلْقَطِيعَةِ ، لِأَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى مَصْدَرِهِ .
وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ، أَيْ كَانَ السَّكْذِبُ شَرًّا لَهُ .

٣ - فَيَا أَيُّهُمْ كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا وَلَمْ تَلِدِ شَيْئًا مِنَ الْقَوْمِ فَاطِمَا

الْبَيْتُ عَلَى كَلَامَيْنِ : صَدْرُهُ إِخْبَارٌ ، وَعَجْزُهُ خُطَابٌ لِفَاطِمَةَ ، وَهِيَ أُخْتُ
لِهَا . وَمِثْلُهُ فِي أَنَّهُ كَلَامَيْنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي
لَذُنُوبِكِ ﴾ . وَالشَّاعِرُ قَصَدَهُ إِلَى إِظْهَارِ التَّوَجُّعِ مِنَ الْحَالِ ، فَيَقُولُ مَتَمَنِّيًا : يَوَدُّ
إِنْ يَكُونُوا الْوُصْلَةَ وَقَرَابَةَ غَيْرِ وُصْلَتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ ، حَتَّى لَا يَبْلُغَ الْجَفَاءَ مِنْ جِهَتِهِمْ
مَبَالِغَهُ فِي نَفْسِنَا ، لِأَنَّ ظُلْمَ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ تَأْثِيرًا . وَالشَّرُّ إِذَا وَرَدَ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنْ مَطْنَةِ الْخَيْرِ كَانَ أَنْفَذَ تَحْزِينًا . فَقَوْلُهُ « كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا »
أَيْ لِقَرَابَةِ أُخْرَى مَكَانَ هَذِهِ الْقَرَابَةِ ؛ أَوْ لِأَرْحَامٍ أُخْرَى مَكَانَ هَذِهِ الْأَرْحَامِ .
وَقَوْلُهُ « لَمْ تَلِدِي شَيْئًا » تَمْنَى ارْتِفَاعَ الْوُصْلَةِ كَمَا تَمْنَى فِي الْأَوَّلِ انْقِطَاعَ الْقَرَابَةِ ؛
كَأَنَّهُ وَدَّ بَعْدَ اسْتِبْدَالِهِمُ بِالتَّنَاصُرِ تَدَابُرًا ، وَبِالتَّوَاصُلِ تَقَاطُعًا ، أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْهُمْ
غُرَبَاءَ . وَقَوْلُهُ « فَيَا أَيُّهُمْ » الْمُنَادَى مَحْذُوفٌ ، أَرَادَ يَا قَوْمَ لَيْتَهُمْ .

٣ - فَمَا تَدْعِي مِنْ خَيْرٍ عَدْوَةَ دَاحِسٍ فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبَرَةَ سَالِمَا

يَدْعِي مَا أُخْذِلُوهُ مِنْ سَبْقِ دَاحِسٍ وَتَبْرِيزِهِ ، وَيُسَوِّي رَأْيَهُمْ فِي تَبْجِيحِهِمْ ،
وَيَعْرِفُهُمْ قُبْحَ عَاقِبَةِ مَا اخْتَارُوهُ ، وَسُوءَ مَغْتَبَةِ مَا شَرُّوا فِيهِ . وَإِنَّمَا قَالَ « مَا تَدْعِي »
لِأَنَّ أَصْحَابَ الْغُبْرَاءِ كَانُوا يَعْلَمُونَ ^(١) سَبْقَ دَاحِسٍ وَيَنْكُرُونَهُ ، فَلِهَذَا عَلَنَ مَا حَكَاهُ
عَنْهُ بِاللَّغْوِ . وَقَوْلُهُ « مِنْ خَيْرٍ عَدْوَةَ » أَيْ مِنْ نَفْعِهِ وَسَقَاءَ ذِكْرِهِ . وَقَوْلُهُ
« فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا » رَدَّ الضَّمِيرَ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْعَدْوَةُ . يَرِيدُ : لَمْ يَرْجِعْ

(١) هَذَا مَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « لِأَنَّ أَصْحَابَ الْغُبْرَاءِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

إليك منها جَدْوَى ، ولا ارتفع الأمر فيه كغفًا . وأما فانت الغنيمة فيه لم تحصل .
لك السلامة أيضا .

٤ - شَأْنُكُمْ بِهَا حَيٌّ بَغِيضٌ وَغَرَبَتْ أَبَاكَ فَأَوْدَى حَيْثُ وَآلَى الْأَعَاجِمَا
قال أبو زيد : يقال شَأْمٌ فلانٌ أصحابه ، إذا أصابهم الشؤم من قبله .
و « بها » يُرِيدُ بِالْعَدْوَةِ ، وهذا تفسير قوله : فَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبَرَّةَ سَالِمًا .
يَقُولُ : أَوْقَعْتُمْ بَعْدَوْتَهَا وَالْخِطَارَ عَلَيْهَا الشُّؤْمُ فِي حَيٍّ بَغِيضٍ : عَبَسَ وَذُبْيَانُ ،
وَأُخْوَجَ أَبُوكَ -- يعنى قيس بن زهير -- إلى ترك أرض العرب ومهاجرتها .
يعنى حين أخرج^(١) وأزعج إلى بلاد العجم ، حتى صار يؤاليهم بها ، إلى أن
مات غريباً بين ظهرانيهم . وأشار بقوله « حَيْثُ » إلى عُمان وما وراءه .

٥ - وَكَانَتْ بَنُو ذُبْيَانَ عِزًّا وَإِخْوَةً فَطَرْتُمْ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ الْجَمَاجِمَا
يقول : كان بنو ذبيان لكم يا بنى عبس مَلَاذًا وَعِزًّا ، وَعَتَادًا وَظَهْرًا ،
لما يَجْمَعُكُمْ وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْأَخْوَةِ ، فَاطَرْتُمْ مَوَاتَ التَّمَازُجِ وَالتَّشَابُكِ ،
وتجاوزتموها إلى التَّجَادِبِ وَالتَّقَاتِلِ . وهذا تحسيرٌ لِلْمُخَاطَبِ فيما انتقل عنه من
موالاة المشيرة ، والإبقاء على الأحوال الجامعة ، وتلهيفٌ فيما انتقلوا إليه من
تهيج الحرب ، وبَسْطُ الْأَذَى وَالشَّرِّ ، وتنبيهٌ على ما يَتَعَقَّبُ أحوالهم إن
استمرُّوا عليها من التَّفَانِي وَالتَّهَالُكِ . وكان الواجب أن يقول : فَطَرْتُمْ
تَضْرِبُونَ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ ، فاكفنى بالإخبار عن إحدَى الفِرقَتَيْنِ ؛ إذ قد-
عَلِمَ أَنَّ حَالِ الْأُخْرَى كَحَالِهَا . ومعنى طَرْتُمْ : تَسَرَّعْتُمْ ، كما قال :

* طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا^(٢) *

(١) كذا في م . وفي الأصل : « أخرج » بالخاء المعجمة .

(٢) من الحماسية الأولى . وصدده :

* قَوْمٌ إِذَا النُّشْرُ أَبْدَى نَاجِلِيهِ لَهُمْ *

٦- فَأَضَحَّتْ زُهَيْرٌ فِي السَّنِينَ الَّتِي مَضَتْ وَمَا بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ إِلَّا الْأَشْأَامَ
أَنْتَ الْفِعْلُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِذِكْرِ زُهَيْرِ الْقَبِيلَةَ بِأَسْمِهَا ، وَمَعْنَى يُدْعَوْنَ يُسَمَّوْنَ ،
كَمَا قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

* وَكَفْتُ أَذْعُو قَدْ آهًا الْإِثْمِدَ الْقَرْدَا ^(١) *

يُرِيدُ أُسْتَى ، وَلِلذَلِكَ تَعْدَى إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، فَيَقُولُ : صَارَ أَسْلَافُ بَنِي زُهَيْرِ
ابْنَ حُدَيْفَةَ وَأَخْلَافَهُمْ لَا يُسَمَّوْنَ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا إِلَّا الْمَشَائِمَ . وَالْأَشْأَامُ : جَمْعُ
أَشْأَامٍ . وَيُقَالُ : جَرَتْ لَهُمْ طَيْرٌ أَشْأَامٌ ، أَيْ جَرَتْ لَهُمْ بِالشُّؤْمِ . وَقَالَ زُهَيْرُ :

* فَتُنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَامٌ ^(٢) *

أَيْ غِلْمَانُ أَمْرِ أَشْأَامٍ . وَقَوْلُهُ « فِي السَّنِينَ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِأَضَحَّتْ ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِقَوْلِهِ « لَا يُدْعَوْنَ » . وَقَوْلُهُ « وَمَا بَعْدُ » يَرَادُ بِهِ وَفِيهَا بَعْدُ
فَيَكُونُ مَا مَعْطُوفًا عَلَى السَّنِينَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ « مَا » نَصْبًا عَلَى أَنْ
يَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى مَوْضِعِ فِي السَّنِينَ لَا عَلَى لَفْظِهِ ، لِأَنَّ مَوْضِعَهُ نَصْبٌ لِكَوْنِهِ
ظَرْفًا . وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ مَا صَلَةً ، كَأَنَّهُ فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَةِ وَبِمَدِّهَا . وَيَجُوزُ أَنْ
يُرْوَى : « وَمَنْ بَعْدُ لَا يُدْعَوْنَ » ، وَهُوَ حَسَنٌ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ ^(٣) أَنَّ مَا مِنْ قَوْلِهِ
« وَمَا بَعْدُ » لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا صَلَةً وَزَائِدَةً ^(٤) لِأَنَّ بَعْدُ لَمَّا جُعِلَ غَايَةً
وَدَخَلَهُ النُّقْصَانُ بِحَذْفِ مَا كَانَ مُضَافًا إِلَيْهِ امْتِنَعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى شَيْءٍ
وَخَيْرًا عَنْهُ ، وَإِذَا امْتِنَعَ مِنْ ذَلِكَ امْتِنَعَ أَنْ يَكُونَ صَلَةً لِمَوْصُولٍ ، لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ

(١) صدره ، كما في اللسان (دعا) :

* أَهْوَى لَهَا مَشَقًّا جَشْرًا فَشَبَّرَهَا *

(٢) تمامه : فَتُنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانُ أَهْلَامَ كُلِّهِمْ كَأَحْمَرَ عَادَ ثُمَّ تَرْضَعُ فَتَفْطَمُ

(٣) هو ابن جني في التنبيه .

(٤) نفس التنبيه : « يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَا مِنْ قَوْلِهِ : وَمَا بَعْدُ ، زَائِدَةً ... » إلخ .

صِلَّةً من الظروف والجمل هو ما جاز أن يكون خبر المبتدأ . وليس الأمر على ما قاله ، ألا ترى أن قوله عز وجل : ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنْ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ ﴾ . معناه : ومن قبل الذي فرطتم في يوسف ، أى قدَّمتم . ويجوز أن يراد : ومن قبل تفريطكم ، فيكون ما مع الفعل في تقدير مصدر . وعلى الوجهين جميعا ما في موضع رفع . ومن قبل خبره . وذكر أبو إسحاق الزجاج في ما من الآية ثلاثة أوجه ، ما ذكرنا أحدها . وإذا كان الأمر على هذا فما ذكره هذا القائل غير صحيح ، لأنى قد أريتكه بعد وهو غاية خبرا ، وكونه صلة تابع لكونه خبرا ، فاعلمه .

١٥٥

وقال المساور بن هند^(١) :

١ - أَوْدَى الشَّبَابُ فَمَالَهُ مُتَقَفِّرٌ وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ الْمَخْبِرُ^(٢)

يقول : أذبر الشباب وولى^(٣) ، فهو فائت لا يُتَّبَعُ^(٤) ، ومطلوب لا يُلْحَقُ ، وعَدِمْتُ نظرائى وأقرانى ، فأين بقائى بعدهم ، وكيف خلاصى مما اخترمهم وأفنأهم . وهذا الكلام توجع وتحسر لما تقضى من شبابه ، وعنفوان عمره^(٥) وتقدم من أقرانه ولداته . أى إذا خلوت منهم ، وصرت عائشا فى

(١) سبقت له الحماسية ١٤٨ .

(٢) التبريزى : « وأكثر الناس ينشد : وفقدت أحمابى » .

(٣) هذا ما فى م . وفى الأصل : « وقل » مع الإشارة إلى أنها فى نسخة أخرى :

« وولى » .

(٤) م « لا يتبع » .

(٥) أنشيد فى الأصل إلى أنها فى نسخة : « أمره » .

غَيْرِهِمْ فَكَمْ عَسَى أَنْ أُبْقَى بَعْدَهُمْ . ويقال غَيْرَ إِذَا مَضَى ، وَغَيْرَ إِذَا قَبِيَ .
ويريد ^(١) بالمغِير هنا البقاء ، ويقال : اقْتَفَرْتُ الشَّيْءَ وَتَقَفَرْتَهُ ، إِذَا تَتَبَعْتَهُ .

٣- وَأَرَى الْغَوَانِي بَعْدَمَا أَوْجَهَنِي أَعْرَضَنْ ثُمَّتَ قُلْنُ شَيْخٍ أَعْوَرُ

الغواني : جمع غانية ، وهي التي تَسْتَفِنِي بزوجها عن الرجال ، وقيل هي التي تَسْتَفِنِي بحاسنها عن النزيث بالحلي . وقال أبو عبيدة : هي المتزوجة ، وأنشد لجميل بن مَعْمَرٍ :

حَبِثُ الْأَيَّامِي إِذْ بُنِينَهُ أَيْمٌ فَلَمَّا تَقَفَّتْ أُعْلَقَتْنِي الْغَوَانِيَا
وأنشد ابن الأعرابي :

* أَرْمَانَ لَيْلَى كَتَابُ غَيْرُ غَانِيَةٍ ^(٢) *

والشاعر يقول متشكِّياً من الشَّيْبِ الْمُفْتَاضِ مِنَ الشَّبَابِ ، ومن الضعف التابع لصحة الجسم ، ومن السقوط والانحطاط بعد الجاه عند الغانيات : أرى النساء بعدما كُنَّ يَجْعَلْنَ لِي عِنْدَهُنَّ جَاهًا أَعْرَضَنْ عَنِّي وَأَطْرَحَنِي ، وأبدَ لَنِي بِالْحَمْدِ ذِمًّا ، وبالتسمية تَلَقِّيًّا وَنَبْزًا ^(٣) ، فمَتَى ذُكِرْتُ عِنْدَهُنَّ قُلْنُ هُوَ شَيْخٌ أَعْوَرُ . وقوله « أَوْجَهَنِي » من الوجاهة : الْمَنْزِلَةُ . يُقَالُ وَجَّهَ وَجْهَهُ ، وَوَجَّهَنِي السَّالِطَانُ وَأَوْجَهَنِي : جَعَلَ لِي جَاهًا وَمَنْزِلَةً . وَرَجُلٌ مُوجَّهٌ وَوَجِيهٌ . وقوله « شَيْخٌ » ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وقد مَضَى القولُ في التاء من ثُمَّتَ وَرُبَّتْ ، وأنه علامة التأنيث للقصة . وَجُعِلَتْ تَاءٌ مَفْتُوحَةٌ فَرَقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الَّتِي تَلْحَقُ الْفِعْلَ وَالْاسْمَ .

(١) أشير في الأصل إلى أنها في نسخة : « ويراد » .

(٢) لنصيب ، كما في اللسان (غنا) . وعجزه :

* وَأَنْتَ أَمْرُدُ مَمْرُوفٌ لَكَ الْعَزْلُ *

(٣) النبز ، بالفتح ، التلقيب ، وبالتحريك . اللقب .

٣- ورأين رأسي صار وجهها كله إلا قفأى وإحية ما تُضفر^(١)

يقول مستمراً في تكلف الجزع إثر ما تولى من الشَّباب ، وباسطاً مَعْدِرَةً النِّسَاء فيما استحدثن له : رأيتني قد صَلِفْتُ وانحسر الشَّعْرُ عن رأسي حتَّى صار كله كوجهي ، إلا قفأى فإنَّ به تَبْذَأُ من الشَّعْر ، وإلا لَحِيَّة لا تُقام مقام الذُّوَابَةِ في الضَّفَر والتَّجَمُّل . فقولُه « إَحْيَا مَا تُضْفَرُ » تَحَسُّرٌ على ما عَدِمَ في رأسه من الضَّفَائِر وإن كانت اللَّحِيَّة لم يُغْتَذِ ضَفَرُهَا . وقولُه « كُلُّهُ » ارتَفَعَ على أَنَّهُ توكيدٌ لِلْمُضْمَرِ في صار ، أو على أَنَّهُ اسم صار ، أو على أَنَّهُ يرتفع بفعله وفِعْلُهُ ما دَلَّ عليه قولُه « وَجْهًا » كأنَّ المراد نَوَجَّهُ كُلُّهُ ، ويكون كقولك رأيت زَيْدًا قَيْسِيًّا أبوه ، أَيْ تَقَيَّسَ أبوه ، وصررت بِسِرْجٍ خَزَرٍ صُفْتُهُ^(٢) .

٤ - ورأين شيخاً قد تحنَّي صُلْبُهُ يَمْشِي قَيْقُمُسُ أو يُكِبُّ قَيْقُمُرُ^(٣)

يقول : ورأين شيخاً مَنَحَنِي الصُّلْبِ ، مُحْدَوِدَبِ الظَّهْرِ ، يَمْشِي مِشْيَةً الْقُقَمَانِ إِذَا اسْتَمَرَّ في المَشْيِ ، أو يَتَعَثَّرُ فَيَسْقُطُ لَوَجْهِهِ . وكان الواجب أن يقول : أو يَمْشُرُ قَيْكِبُ ، لأنَّ العِثَارَ قَبْلَ السَّقُوطِ للوجه ، لكنَّه لم يُبَيَّلَ بتغيير الترتيب ، لِأَمْنِهِ مِنَ الالتباس ، وهذا دون ما يجيء في كلامهم من القلب ، مثل قوله :

* كَمَا أَسْلَمْتُ وَخَشِيَّةٌ وَهَقَا *

(١) ابن جني : « يروى كله بالرفع والنصب . فالنصب على أَنَّهُ توكيد للرأس ، والرفع على أَنَّهُ توكيد للضمير في صار . والوجه الرفع ، وذلك أَنَّهُ ليس يريد أَنَّهُ رأين رأسه كله ، وإنما يريد أَنَّهُ رأين رأسه قد صار كله وجهها . وقد يجوز أيضاً أن يكون كله إِذَا رفع اسم صار ، حتَّى كأنه قال : ورأين رأسي صار جميعه وجهها وقد يجوز أن يكون كله صفة أو تأكيداً ، وهو أول من أن يباشر به العامل ، ألا تراه أخاً ما لا يباشر العامل أبداً ، وهو أجمع وأجمعون » . (٢) الصفة : هنة كالمرفقة فوق السرج ، بمنزلة الميثرة للرجل . (٣) يقمس ، كذا ضبطت بضم العين في الأصل ، وهي رواية أبي هلال كما نص التبريزي . وضبط في م . بفتح العين . التبريزي : « ويروى : يقمش . أى يضطرب . ومنه تقموشت الخيمة ، إِذَا سقطت » .

وكقول امرئ القيس :

* كَمَا زَلَّتِ الصَّفَوَاءُ بِالْمَتَنَزَّلِ ^(١) *

ويقال : قَعَسَ يَقْعَسُ ، إذا صار أَقْعَسَ خِلْقَةً فِيهِ ، وَقَعَسَ يَقْعَسُ قَعَسَانَا إِذَا مَشَى مِشْيَةً الْأَقْعَسِ تَكَلُّفًا ، ومثله عَرَجٌ يَعْرَجُ وَعَرَجٌ . ويقال : أَكَبَّ زَيْدٌ فَلَا يَتَعَدَّى ؛ وَكَبَهُ اللَّهُ لَوَجْهِهِ ، وهذا على العكس مما عليه أكثر الأفعال . ومثله أَقْلَعَ الْغَيْمُ وَقْلَعَهُ اللَّهُ .

٥ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرَّوْا فِتْنَةً عَمِيَاءَ ثَوَقَدُ نَارُهَا وَتَسْعَرُ ^(٢)

إنما قَدَّمَ ما اقتضاه من ضَعْفِهِ وَكِبَرَتِهِ ، لِيُرَى الْعُذْرُ فِيمَا يَفْجِرُ عَنْهُ مِنَ النَّهْوِ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ، فيقول : لَمَّا وَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ كَرِهُوا مَا تَرَدَّدُوا فِيهِ مِنْ فِتْنَةٍ لَا يُهْتَدَى لَوَجْهِهَا ، وَلَا يُقْتَدَرُ عَلَى كَشْفِهَا ، تَسْعَرُ نَارُهَا وَتَتَلَهَّبُ ، وَبُيْتِمَتْ شَرُّهَا فَشْتَمِلُ . ويعني بهذا فتنة ابن الزبير وعبد الملك . وجواب لَمَّا مُنْتَظَرٌ ، وهو هنا محذوف بدلُ عليه الكلام ، كأنه قال : انْقَبَضْنَا عَنْ النَّهْوِ فِيهَا وَالْحَرَكَ ، لِنَنْظُرَ مَاذَا تَكُونُ . وَالْفِتْنَةُ الْعَمِيَاءُ : الَّتِي لَا يُهْتَدَى فِيهَا لَوَجْهِ أَمْرِ ، وَفَضْلُ شَأْنٍ . وَالتَّعْمِيَةُ : التَّلْبِيسُ . ويقال : هُوَ فِي عُمِيَانِهِ ^(٣) ، أَيْ عَمَاهُ ، مَصْدَرٌ كَالطُّغْيَانِ .

٦ - وَتَشَعَّبُوا شُعَبًا فَكُلُّ جَزِيرَةٍ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرٌ

شَعَبْتُ يَكُونُ بِمَعْنَى جَعْتُ وَبِمَعْنَى فَرَّقْتُ . وَيُقَالُ التَّامُّ شُعْبُهُمْ ، إِذَا اجْتَمَعُوا بَعْدَ تَفَرُّقٍ ؛ وَتَفَرَّقَ شُعْبُهُمْ ، إِذَا تَبَدَّدُوا بَعْدَ تَجْمُعٍ . . وَالشُّعْبَةُ : الطَّائِفَةُ ، وَجَمْعُهَا شُعَبٌ . يَقُولُ تَفَرَّقَ النَّاسُ فِرْقًا ، فَصَارَ الْاِخْتِلَافُ لَازِمًا

(١) صدره • يزل الغلام الحف عن صهواته •

(٢) م : « فتسر » بالفاء . (٣) هذه الكلمة مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

لأهوائهم ، والتباين مقترباً بآرائهم ، في كل جزيرة أمير المؤمنين ومنبر ، يدعو إلى نفسه ويخطب على منبره لجذب^(١) الأمر إليه . وقوله « أمير المؤمنين » لفظه معرفة للإضافة المعتادة في هذه اللفظة المألوفة على الحد الذي ترى ، لكن التنوين منوي ، وإذا كان كذلك كان في حكم النكرات . وإنما ساغ ذلك لأن قوله « أمير المؤمنين » يُشار به إلى الحال ، أى فيها أمير على المؤمنين ، واسمُ الفاعل إذا أُريد به الحال أو الاستقبال كانت إضافته على وجه التخفيف لا على وجه التعريف ، ويصير التنوين الذي هو الأصل متوياً فيه ، وعلى هذا قوله : ﴿ عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ لأن التقدير مُّمْطِرُنَا . وكذلك قوله عز وجل : ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ . وعنى بذلك ابن الزبير ونظراءه ممن كان يطلب الخلافة في أيام عبد الملك بن مروان . وهذا البيت منعطف بما فيه على قوله « هَرُّوا فِتْنَةً » .

٧ - وَلَتَعْلَمَنَّ ذُبْيَانُ إِن هِيَ أَعْرَضَتْ أَنَّا لَنَا الشَّيْخُ الْأَعْرُ الْأَكْبَرُ^(٢)

يقول على وجه التوعّد : لَتَعْلَمَنَّ هذه القبيلة إن تَوَجَّهَتْ نَحْوَنَا أَنَّا لَمَّا هذا الرئيس المشهور الشأن ، العظيم الأمر . ويُقال : عَنَى بِهِ زُهَيْرُ بْنُ جَدِيمَةَ الْعَبْسِيِّ . وقيل هو قيس بن زُهَيْر . وَبُرُوَى « إِن هِيَ أَدْبَرَتْ » . والمعنى : إِن وَآتٍ وَأَعْرَضَتْ ، فَإِنَّهَا سَتَعْلَمُ أَنَّا نَكْتَفِي مِنْ دُونِهِمْ . ويموز أن يكون المراد بأدبرت : تركت الحق . وجواب إن في قوله : « لَتَعْلَمَنَّ ذُبْيَانُ » ، وقد مضى مثله .

٨ - وَلَنَا قَنَاءٌ مِنْ رُدَيْنَةَ صَدَقَةٌ زَوْرَاءَ حَامِلِهَا كَذَلِكَ أَزُورُ

(١) هذا ما في م . وفي الأصل : « يجذب » .

(٢) في الأصل : « إن هي أدبرت » ، والوجه ما أثبتنا من م والتبريزي ، كما يدل عليه سياق الشرح .

قوله : « من رُدْبَنَة » أى من رِمَاح ردينة ، وهى امرأة كانت تبيع الرِّمَاح ؛ فحذف المضاف . والصدقة : الضَّلبة ، والعربُ تذكّر القنّاة وصلابتهَا واعوجاجها ، وأنها لا تلين ولا تقبل التَّقويم والتَّثقيف ، ضاربة بها المثل فى الخِلاف والإباء ، والامتناع والتَّعسّر على من يُريدُ إكْرَاههم ، والتَّصعّب على من يُريدُ^(١) تليينهم أو الغضّ منهم . والمعنى : فَنَاتِنَا لا تَسْتَقِيمُ لِمُقَوِّمٍ ، وحامِلُهَا لا يَنْقَادُ لِمُجْتَذِبٍ . وعلى هذا قول عمرو بن كلثوم :

عَشَوَزَنَةٌ إِذَا عُزِمَتْ أَرَنْتَ تَشَجُّ قَفَا الْمُقَوِّمِ وَالْجَلِيْفِ^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاوِزٍ فَالَانْهَا الإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وهذا الشاعر لم يَرْضَ بِذِكْرِ الْقَنَاءِ وما جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ مِنْ وَصْفِ
اعوجاجِهَا ، حَتَّى عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ « حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَرْوَرُ » ، فزاد عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ كَمَا
تَرَى ، وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّأْكِيدَ وَلِلْبَاقَةِ وَتَبْيِينَ قُوَّةِ الْامْتِنَاعِ عَلَى مَنْ يَطْلُبُ اقْتِسَارَهُمْ .
وهذا كَمَا يَصِفُونَ لِلتَّكْبَرِ بِالشَّوْسِ وَالصَّعْرِ وَالصَّيْدِ . وقوله : « حَامِلُهَا كَذَلِكَ »
مِنْ صِفَةِ الْقَنَاءِ ، وَارْتَفَعَ حَامِلُهَا بِالْإِبْدَاءِ ، وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ بِخَبَرَيْنِ : كَذَلِكَ ،
وَأَرْوَرُ . وقوله « كَذَلِكَ » إِذَا وَقَعَ هَذَا الْمَوْقِعَ لَا يُغَيَّرُ ، بَلْ يَكُونُ لِهَذَا كَرَّرَ
وَالْمُؤَنَّثُ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ^(٤) . وَأَنْشَدَ أَبُو زَيْد :

(١) م : « يطلب » .

(٢) المقوم ، هى فى م : « المثقف » . وقد أشير فى نسخة الأصل إلى أنها فى نسخة

أخرى : « المثقف » .

(٣) هو شاعر جاهل كما فى الكامل ١٢٥ لينسك .

(٤) الحق أن هذه إحدى اللغات ، وإلا فهناك لغة لتطابقها التى تطابق فيها الكاف

المخاطب أفراداً جمعاً وتذكيراً وتأنثاً ، وهى أفصح اللغات . انظر مع الخوامع (١ : ٧٦ - ٧٧)

وشرح ابن عييش على الفصل (٣ : ١٣٥) وشرح التصريح (١ : ١٢٨) طبع ١٣٤٤

والغنى (١ : ١٥٥) طبع ١٣٤٨ .

أَمَّا أَقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسٍ وَلَا كَذَا رَجُلًا إِلَّا بِأَحْبَابِي^(١)
وَالْمَعْنَى وَلَا كَمَا أَنَا السَّاعَةَ رَاجِلًا .

١٥٦

وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ^(٢) :

١- قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنْيَفِ تَرَوْحُوا ، عَشِيَّةً بَدْنَا عِنْدَ مَاوَانَ رُزَّحٍ
تقدير البيت : قُلْتُ لِقَوْمٍ رُزَّحٍ عَشِيَّةً بَدْنَا عِنْدَ مَاوَانَ فِي الْكَنْيَفِ :
تَرَوْحُوا . وَالْمَعْنَى بَعَثْتُهُمْ عَلَى السَّيْرِ فِي الرَّوَّاحِ ، وَإِنْ كَانُوا مُتَسَاقِطِي الْقَوَى^(٣)
كَأَنَّيْ ، لَا حَرَكَ بِهِمْ ، وَلَا نُهْوضَ يُقِيمُهُمْ ، هَزَلَى لِتَأْثِيرِ السَّفَرِ فِيهِمْ ، وَظُهُورِ
أَثَرِ الشَّقَّةِ عَلَيْهِمْ . وَوَاحِدُ الرُّزْحِ رَازِحٌ^(٤) ، وَيُقَالُ رَزَّحَ الْبَعِيرُ رُزُوحًا ،

(١) في نوادر أبي زيد ص ٥ وكذا عند التبريزي : « بأحباب » ، بدون إضافة . وقد
تكلم أبو زيد على البيت ، ونسبه إلى حيي بن وائل .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٤٥ . وكان من خبر هذه الأبيات كما في ديوانه ص ٨٨
والتبريزي عن أبي رياش : « تنابعت على معد سنوات جهدن الناس جهداً شديداً ، وكانت
غطفان من أحسن معد فيها حالا ، وترك الناس الفزوة لخدوبة الأرض ، وكان عروة في تلك
السنين غائبا فرجع مخمقا قد ذهبت إبله وخيله ، وجاء إلى قومه وقد عنن بعضهم عليه عنة ، فندب
منهم رهطا فخرجوا معه فنحر لهم بعيرا وحلوا سلاحهم على بعير آخر وقد لم بعيرا فوزعه بينهم
وخرج يريد أرض قضاة ، وقصد قبيل أرض بني القين ، فر بمالك بن حمار الفزاري وقد فقد
ما معه فقال له مالك : أين تنطلق بفتيانك هؤلاء تهلكم ضيعة ؟ قال : إن الضيعة ما تأمرون
به : أن أقم حتى أهلك هزالا . فقال : إن أظمتني رجعت على حرسين - وهما جبلان في أرض
بني فزارة - فكان طريقك حتى تأتي قومي فتكون فيهم . فقال : فا أصنع بمن كنت عودتهم إذا
جاءوني واعتروني ؟ قال تعذر فيعذرونك إذا لم يكن عندك شيء . قال : لكن أنا لا أعذر
ففسى بترك الطلب . فقال عروة يذكر شدة حال أهل الكنيف ومن بماوان ، وقيامه بأمرهم حتى
صلحوا ، وندبه إليهم حتى خرجوا معه » .

(٣) م : « ساقطي القوى » . (٤) الكلام بعده إلى « رزاح » ساقط من م .

إِذَا أَعْيَا، وَإِبِلٌ رَزَحَى، وَقَوْمٌ رَزَّاحٌ^(١) أَيْ مَهَارِبِلٌ سَاقِطُونَ. وَالْكَنِيفُ :
الْحَظِيرَةُ مِنَ الشَّجَرِ .

٣- تَنَالُوا الْغَنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنَفْسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَايحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرَّحٍ^(٢)

قَوْلُهُ « تَنَالُوا » جَوَابُ الْأَمْرِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ تَرَوَّحُوا. وَالْغَنَى :
سَيَرُوا وَاجْتَهَدُوا تَنَالُوا الْغَنَى، وَتَبْلُغُوا حَدًّا مِنَ الطَّلَبِ يُفْضِي بِكُمْ إِلَى الْمَوْتِ
الْمَرِيحِ الْبَاسِطِ لِمُذَرِّكُمْ^(٣). وَالْمُبَرَّحُ : الْمَلِيحُ الشَّدِيدُ، وَمِنْ هَذَا وَصَفَ الرِّيحَ
بِالْبَارِحِ. وَيُقَالُ : بَرَّحَ بِي الْحَبُّ، أَيْ اشْتَدَّ؛ وَبَرَّحَ بِي فُلَانٌ، إِذَا آذَى؛
وَأُبْرَحَ الرَّجُلُ، إِذَا أَتَى بِالْبَرْحِ، وَالْبَرْحُ يَكُونُ الشَّدَّةَ وَيَكُونُ الْعَجَبَ،
وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى :

* أُبْرَحْتَ رَبًّا وَأُبْرَحْتَ جَارًا^(٤) *

٣- لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ رَغِيبَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ

قَوْلُهُ « لِيَبْلُغَ » تَفْسِيرُ مَا قَدَّمَهُ. وَيُشِيرُ بِقَوْلِهِ « عُذْرًا » إِلَى قَاطِعِ الْمَوْتِ
لِأَنَّ الْمُجْتَهِدَ فِي طَلَبِ الشَّيْءِ إِذَا حَالَ أَجَلُهُ دُونَ أَمَلِهِ فَقَدْ أَعْذَرَ، إِذَا كَانَ قَدْ
فَعَلَ مَا عَلَيْهِ^(٥). وَقَوْلُهُ « أَوْ يُصِيبَ رَغِيبَةً » إِشَارَةٌ إِلَى نَيْلِ الْغَنَى. وَالرُّغْبُ :
اِتِّسَاعُ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ بَطْنُ رَغِيْبٍ. وَقَوْلُهُ « وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ » أَيْ مِنْ
أَعْذَرَ فِيمَا يَطْلُبُهُ، أَصَابَهُ أَوْ فَاتَهُ، فَقَدْ أَنْجَحَ. وَهَذَا الْكَلَامُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ

(١) هَذَا الْجَمْعُ لَمْ يَرِدْ فِي الْمَعَاجِمِ الْمُتَدَاوِلَةِ، وَبَدَلَهُ « رَزَّاحِي » بَفَتْحِ الرَّاءِ مَعَ قَصْرِ آخِرِهِ.

(٢) الدِّيُونُ : « مِنْ عَنَاءٍ وَبَرَحٍ ».

(٣) م : « إِلَى مَوْتٍ يَرِيحُكُمْ وَيَبْسُطُ عُذْرَكُمْ ».

(٤) هُوَ بَيِّنَاتُهُ فِي دِيْوَانِ الْأَعَشَى ٣٧ :

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيحِ * لِي أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا

(٥) م : « إِذَا كَانَ مَا عَلَيْهِ قَدْ فَعَلَ ».

وظاهرُ صَدْرِ البيتِ الأوَّلِ أنَّه يتكرر به المعنى الذى قدمه فيه ، فليس الأمرُ كذلك ، لأنَّه ذَكَرَ فى الأوَّلِ إبلاغَ النَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ حَدًّا يُرِيحُهُ ، ولم يُبيِّنْ من فَعَلَ ذلك : هل أَنْجَحَ أولا . وفى الثانى بَيَّنَّ أَنَّ الْمُعْذِرَ فى طَلَبِ الشَّيْءِ كَالْمُنْجِحِ ، وأنَّه إذا اسْتَفْرَقَ وَسَمِعَهُ فى طَلَبِ مَا يَهْمُ بِهِ ثُمَّ حَالَ دُونَهُ حَائِلٌ فَقَدْ أَعْذَرَ . وفى طريقته قَوْلُ أبى تمام :

لَأْمُرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

١٥٧

وقال أبو الأبيض العبسي^(١) :

١- أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ يَقُولُنَّ فَوَارِسٌ وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قُفُولُ

قوله « شِعْرِى » اسمُ لَيْتَ ، وخَبَرُهُ مُضْمَرٌ اسْتَفْنَى عَنْهُ بِمَفْعُولِ شِعْرِى . ولَيْتَ شِعْرِى لَا يَجِىءُ إِلَّا هَكَذَا ، كَمَا أَنَّ لَوْلَا يَجِىءُ أَبَدًا مَحْذُوفٌ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ الذى بَعْدَهُ ، وقد اسْتَفْنَى عَنْهُ بِجَوَابِهِ ، وذلك كَقَوْلِكَ لَوْلَا عَبْدُ اللَّهِ لَفَعَلْتُ . وقوله « هَلْ يَقُولُنَّ فَوَارِسٌ » سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِ لَيْتَ شِعْرِى . ومعنى الكلام لَيْتَ عَلِمَى وَاقِعٌ : هل يَتَمَعُّ هذا الْقَوْلُ مِنَ الْفُرْسَانِ فى تلكِ الْحَالِ ؟ ومَفْعُولُ « يَقُولُنَّ » أولُ البيتِ الثانى ، وهو قَوْلُهُ « تَرَكْنَاهُ » ، واعتَرَضَ بَيْنَهُمَا قَوْلُهُ « وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قُفُولُ » ، ومَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، والذى تَتَمَّى عَلَيْهِ أَنَّ هَلْ يُقْتَلُ ، فإذا انْصَرَفَ الْأَبْطَالُ عَنْهُ قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ أَوَّلًا . وتحقيق الكلام : لَيْتَنِي عَلِمْتُ مَا يَقْتَضِي هَذَا السُّؤَالُ مِنَ الْجَوَابِ ، لِأَنَّ ذَاكَ يَهْمُهُ

(١) البريزى : « قال أبو هلال : وكان فى أيام هشام بن عبد الملك ، وخرج مجاهدًا فى بعض الوجوه فرأى فى المنام كأنه أكل تمرًا وزبدًا ودخل الجنة : فلما كان من الغد أكل تمرًا وزبدًا وتقدم فقاتل حتى قتل » .

لا نَفْسُ السُّؤَالِ . وقوله : وقد حَانَ مِنْهُمْ قُفُولٌ ، أى رُجُوعٌ عن المَعْرَكَةِ إلى ديارِهِمْ وَحَيِّهِمْ ، كَأَنَّهُ كَانَ هَمٌّ بِالاستِقْبَالِ ، وَوَعَانَ نَفْسُهُ مِنْ مُصَادِمَةِ الْعَدُوِّ^(١) ، وَمُصَادِمَةِ الْقِتَالِ عَلَى مَا غَلَبَ الْيَأْسَ مِنَ الْانْصِرَافِ عَنْهُمْ ، لَتَعَرَّضَهُ لِمَا لَا يَسْلَمُ مَعَهُ مِنْ يُبَلَّأِيَسُهُ ، فَتَسَلَّمَ بِذَلِكَ . وقوله « يَوْمَ ذَاكَ » إشارةٌ إلى يَوْمِ مَلَاكَةِ الْأَعْدَاءِ . فَإِنْ قِيلَ : هَلْ تَقَدَّرُ فِي الْكَلَامِ بَعْدَ الْاسْتِفْهَامِ شَيْئًا لِأَنَّكَ إِذَا اسْتَفْهَمْتَ عَنْ شَيْءٍ كَانَ مَا تَسْتَفْهِمُ عَنْهُ وَخِلَافُهُ سَوَاءً عِنْدَكَ ، وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ مُسْتَفْهِمًا ؟ قُلْتَ : مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ هَلْ يَقُولُنَّ فَوَارِسٌ كَذَا ، وَهَلْ زَيْدٌ عِنْدَكَ ، عَلَى « أَوْ » أَوْ « أَمْ » وَلَوْلَا ذَلِكَ لَامْتَنَعَ الْاسْتِفْهَامُ . وَنَشْرَحُ الْكَلَامَ فِيهَا بِقِتْضِيهِ هَذَا الْمَوْضِعَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ .

٢ - تَرَكْنَا وَلَمْ يُجَنِّنْ مِنَ الطَّيْرِ لَحْمُهُ أَبَا الْأَبْيَضِ الْعَبْسِيَّ وَهُوَ قَتِيلٌ^(٢)
يقول : لِيَتْنَى عَلِمْتُ هَلْ يَقُولُونَ فِي مُنْصَرِفِهِمْ تَرَكْنَا أَبَا الْأَبْيَضِ مَعْرُومًا مَتْرُوكًا بِالْعَرَاءِ ، تَعْفُوهُ^(٣) سِبَاعُ الطَّيْرِ وَتَأْكُلُ مِنْ لَحْمِهِ ، غَيْرَ مُسْتَوْرٍ عَنْهَا وَلَا مَمْنُوعٍ مِنْهَا . وَقَدْ اعْتَرَضَ بَيْنَ تَرَكْنَا وَمَفْعُولِهِ وَهُوَ أَبُو الْأَبْيَضِ بِقَوْلِهِ « وَلَمْ يُجَنِّنْ مِنَ الطَّيْرِ لَحْمُهُ » ، وَمَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ . فَإِنْ قِيلَ : فَمَا لِلْقَدَّرِ بَعْدَ الْاسْتِفْهَامِ هُنَا مِنْ حَرْفِ الْمَطْفِ : أَمْ ، وَأَوْ ، وَكَيْفَ يَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ مَعَ ذَلِكَ الْمَقْدَرِ ؟ قُلْتَ : الْمَعْنَى عَلَى أَوْ ، بِدَلَالَةِ أَنَّهُ يُجَابُ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ بِنَعْمٍ أَوْ لَا ، إِذْ كَانَ الْمَبْنَى عَلَى لِيَتْنَى عَلِمْتُ هَلْ يَقَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ . فَأَمَّا تَقْدِيرُ أَمْ وَهِيَ عَاطِفَةٌ فَلَا يَصِحُّ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، كَمَا لَا يَجُوزُ اللَّفْظُ بِهَا عَلَى جِهَةِ الْمَعَادِلَةِ . وَقَدْ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ :

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « عَلَى مُصَادِمَةِ الْعَدُوِّ » .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « وَلَمْ تُجَنِّنْ » .

(٣) تَعْفُوهُ : تَعْتَرِيهِ . وَهَذِهِ رَوَايَةٌ م . وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « تَعْفُوهُ » .

لا يكونُ أمَّ بَعْدَ شَيْءٍ من حروف الاستفهامِ سِوَى الألفِ إلَّا على كلامين .
وأما تقديرُ أمِّ المنقطعةِ بـ «مَعِيدٌ» ، لأنه لو قُصِدَ لم يكن بُدٌّ من ذِكْرِهِ وذِكْرُ
الْمُسْتَفْهَمِ بِهِ عنه بعده . فاعْلَمْهُ .

٣ — وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تَرَانِي وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنِّي غَدًا لَقَلِيلُ
يقول : رَبِّ إِنْسَانٍ يُعَلِّقُ طَمَعَهُ بِمِرَانِي ، ويرجو تحصيله بَعْدِي ، والذي
يَنَالُهُ مِنْهُ غَدًا — يُشِيرُ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ — قَلِيلٌ غَيْرُ كَثِيرٍ . وَالْمَعْنَى : إِنِّي
لَا أَذْخَرُ مَالِي بَلْ أَتْلِفُهُ فِي اكْتِسَابِ الْحَامِدِ ، فَلَا يَكُونُ لِي تَرَاثٌ إِلَّا سِلَاحِي
وما لا بُدَّ لِلْفَارِسِ مِنْهُ .

٤ — وَمَا لِي مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَفِيلٍ^(١)
٥ — وَأَسْمَرُ خَطِيئُ الْقَنَاءِ مُنْقَفٍ وَأَجْرَدُ عُرْيَانُ السَّرَاةِ طَوِيلُ
نَقَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ يَدَّخِرُهُ^(٢) طولَ حَيَاتِهِ ، وَيَرِثُهُ الْوَارِثُ بَعْدَ مَمَاتِهِ
إِلَّا دِرْعَهُ وَبَيْضَتَهُ ، وَسَيِّفًا مَصْفُوعًا طُبِعَ مِنْ خَالِصِ الْحَدِيدِ ، وَرُمْحًا جُلَّتْ
قَنَاتُهُ مِنَ الْخَطِّ — وَهُوَ جَزِيرَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ — وَفَرَسًا قَصِيرَ الشَّعْرِ مُنْجَرِدَ
الظَّهْرِ مِنَ اللَّحْمِ ، مُشْرِفَ الْهَامَةِ ، طَوِيلَ الْقَامَةِ . الْمَغْفَرُ : حَاقٌّ يَتَقَنَعُ بِهَا
الْمُسْلِحُ ، وَكَذَلِكَ الْغَفَارَةُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْمَغْفَرُ : رَفْرَفُ الْبَيْضَةِ . وَأَصْلُ
الْمَغْفَرِ التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ . وَقَوْلُهُ « غَيْرُ دِرْعٍ » يَجُوزُ رَفْعُهُ ، وَهُوَ الْوَجْهُ ، عَلَى أَنْ
يَكُونَ بَدَلًا ، وَيجوزُ النَّصْبُ عَلَى الاستثناءِ .

٦ — أَقْبِهِ بِنَفْسِي فِي الْحُرُوبِ وَأَتَقِي بِهَادِيهِ إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَصُولُ

(١) م والتبريزي : « غير درع ومغفر » . وأشير في حواشي الأصل إلى أنها في نسخة
« ومغفر » .

(٢) م : « يدخره » .

هذا معني شريف حسن . يقول : أَحْفَظُ مَقَاتِلَ قَرَمِي بِفَخْدِي وَرَجْلِي ،
وَأَتَّقِي فِيهَا ^(١) بَاتِنِي بَعْنَقِهِ . والمعنى : من أراد أن يصيب مَقَاتِلِي جَعَلْتُ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ عُنُقَ دَابَّتِي ، كما أن من أراد مَقَاتِلَ قَرَمِي أَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَخْدِي
وَرَجْلِي . ثم قال : « إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَصُولُ » أي لَا أَخْذُلُهُ فِي الشَّدَائِدِ وَلَا أَنْتَفِعُ
بِهِ إِلَّا وَأَنْفَعُهُ . وهذا مَثَلٌ . والعَرَبِيُّ يُسَمِّي ^(٢) سِلَاحَهُ وَمَرْكُوبَهُ خَلِيلًا ،
على ذلك مَا أَنْشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ ، وهو :

وَإِنِّي كَمَا قَالَتْ نَوَارُ إِنْ أَجْتَأْتُ عَلَى رَجُلٍ مَا شَدَّ كَفِّي خَلِيلَهَا

١٥٨

وقال قيس بن زهير العبسي ^(٣) :

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو زِيَادٍ ذِمَارَ أَبِيهِمْ فِيمَنْ يُضِيعُ

اللام من « لَعَمْرُكَ » لام الابتداء ، وخبر المبتدأ محذوف ، كأنه قال :
لَعَمْرُكَ قَسَمِي . يقول : وبقائك ما ضَيَّعَ لهؤلاء العصابة من حق أبيهم وشرف
أسلافهم ، ما يوجب التذثر عند المحافظة عليه في جملة من يُضِيعُ حقوق آبائهم ،
وما أَتْلَوْهُ من مفاخرهم ومحاسنهم ؛ بل حافظوا عليه بما ضَمُّوا مما استحدثوه
واطرّفوه إليه . وحذف مفعول يُضِيعُ كأنه قال : فِيمَنْ يُضِيعُ الذَّمَارَ .
ويقال : فلانُ حامِي الذَّمَارِ ، أي إذا ذَمَّرَ وَغَضِبَ حَمَى . وهذا كما يُقال ، هو
ثَبَتُ الْخَبَارِ ، أي إذا حَصَلَ فِي الْخَبَارِ ثَبَت . وقوله « مَا أَضَاعَ » تَهَكُّمٌ

(١) م : « ما » .

(٢) في النسختين : « والعرب تسمى » .

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٤ . والتبريزي : « وقال قيس بن زهير في بني زياد الربيع ،

وعامرة ، وأنس ، وكان يقال لهم السكلة » .

أو تعريض؛ لأن الذين أخبر عنهم أشهرُ أسراً وأعظمُ شأنًا من أن يُقالَ فيهم ذلك .

٢- بَنُو جَنْيَّةٍ وَلَدَتْ سَيُوفًا صَوَارِمَ كُلِّهَا ذَكَرَ صَنِيعُ

يَفْنِي وَلَدَ زِيَادَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاشِبِ الْعَبْسِيِّ ، يَقُولُ : هُمُ بَنُو امْرَأَةٍ كَانَتْهَا فِي فَضْلِهَا وَدَهَانِهَا مِنَ الْجِنِّ . وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخُرَشْبِ الْأَنْمَارِيَّةُ ، وَهِيَ إِحْدَى الْمُنْجِبَاتِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا كَأَنَّ^(١) قَائِلًا قَالَ لَهَا : « أَعْشَرَةُ هِدْرَةٍ^(٢) » ، أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ ثَلَاثَةُ كَعَشْرَةٍ ؟ فَلَمَّا انْقَبَتِ اقْتَصَمَتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا فَقَالَ لَهَا : إِنْ عَاوَدَكَ فَقُولِي : بِلِ ثَلَاثَةِ كَعَشْرَةٍ . فَرَجَعَتْ إِلَى الْمَنَامِ وَرَأَتْ مِثْلَ مَا رَأَتْ مِنْ قَبْلِ ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ فِي الْجَوَابِ : بِلِ ثَلَاثَةِ كَعَشْرَةٍ . فَوَلَدَتْ بَيْنَ ثَلَاثَةِ^(٣) صَوَارِمَ كُلِّهَا مِنْهُمْ أَبَا لَقِيْلَةَ ، وَمُعْظَمًا فِي قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ ، وَهُمُ رِبِيعُ الْحِفَاطِ ، وَعُمَارَةُ الْوَهَابِ ، وَأَنْسُ الْفَوَارِسِ . وَكَأَنَّ جَمَلَ الْأُمِّ جَنْيَّةً خَرُوجَهَا فِيمَا أَتَتْ بِهِ عَنْ الْمُعْتَادِ [مِنَ الْإِنْسِ^(٤)] جَمَلَ الْأَوْلَادِ سَيُوفًا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : هُمُ أَوْلَادُ امْرَأَةٍ وَلَدَتْ رِجَالًا كَانَتْهُمْ فِي النَّفَازِ سَيُوفٌ

(١) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ » .

(٢) ضَبَطْتُ فِي الْأَصْلِ بِالتَّحْرِيكِ ، وَفِي م بِكَسْرِ الْهَاءِ ، وَفِيهَا لَفَةٌ ثَالِثَةٌ وَهِيَ ضَمُّ الْهَاءِ وَفَتْحُ الرَّاءِ ، أَيْ سَاقَطُونَ لَيْسُوا بِشَيْءٍ . وَفِي اللِّسَانِ : قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : وَالْفَتْحُ أَقْبَسُ ، لِأَنَّهُ جَمْعٌ هَادِرٌ مِثْلُ كَافِرٍ وَكَفْرَةٍ . وَإِمَّا هِدْرَةٌ - أَيْ بِكَسْرِ فَفَتْحٍ - فَلَا يَكْسُرُ عَلَيْهِ فَاعِلٌ مِنَ الصَّحِيحِ وَلَا الْمُعْتَلِّ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْنِيَةِ الْجُمُوعِ . وَأَمَّا هِدْرَةٌ - أَيْ بَضْمٍ فَفَتْحٍ - فَلَا يُوَافِقُ مَا قَالَهُ النُّحَوِيُّونَ ، لِأَنَّ هَذَا بِنَاءٌ مِنَ الْجَمْعِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمُعْتَلِّ دُونَ الصَّحِيحِ نَحْوُ غَزَاةٍ وَقَفْصَاةٍ ، أَلَيْسَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا لِلْجَمْعِ . وَالَّذِي رَوَى هِدْرَةً بِالضَّمِّ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ . وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ .

(٣) وَهَذَا يُوَافِقُ السَّجْعَ قَبْلَهُ . وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ ، أَوْ أَنَّهُمْ صَارُوا فِيمَا بَعْدَ أَرْبَعَةٍ وَهُمْ الْمَسْمُونُ بِالْكَلَّةِ . وَالرَّابِعُ هُوَ قَيْسُ الْحِفَاطِ . وَأَمَّا رِبِيعٌ فَالْمَعْرُوفُ فِي لَقَبِهِ ، أَنَّهُ « رِبِيعَةُ الْكَامِلِ » . انْظُرْ شُرُوحَ سَقَطِ الزَّنَدِ ٢٠٥١ وَالِاشْتِقَاقَ ١٦٩ .

(٤) التَّكْلَةُ مِنْ م .

قواطع ، كل واحدٍ منها ذَكَرُ الخَدِّ ، مَصْنُوعٌ صَقِيلٌ . و « صَنِيعٌ » كما اسْتَعْمِلَ في السَّيْفِ اسْتَعْمِلَ في الخَلِيلِ . يقال صَنَعْتُ الفَرَسَ ، إِذَا ضَمَرْتَهُ .

٣- شَرَى وَدَى وَشَكَرَى مِنْ بَعِيدٍ لآخرٍ غَالِبٍ أَبَدًا ربيع

يقال : شَرَبْتُ الشَّيْءَ بمعنى اشتريت وبعيتُ جميعاً ، وكذلك بَعْتُ يَصْلُحُ للأمرين ، ومن شَرَبْتُ الضَّرَوَى ، وهو المِثْلُ ، لكن لأمه وهو ياء قَلَبْتُ واوًا ، لأنَّ فَعْلَى إِذَا كَانَ اسْمًا وَلَا مَهْ ياءُ يُفَعَّلُ به ذلك ، فَرَقًا بين الاسم والصفة . وعلى هذا قولهم الفتوى . فيقول : اشترى ربيعُ الحِفاظِ على بُعْدِهِ مِنِّي ، وَدَى له ، وثَنَأَنِي عليه وعلى آخرِ رَجُلٍ يَبْقَى من بني غالب أَبَدًا^(١) . وقوله « من بَعِيدٍ » في موضع الحال . وإِنَّمَا قال هذا لِأَنَّهُ ناله إِحْسَانَهُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ شُكْرُهُ وَبَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ وَبُعْدٌ .

(١) وكذا وردت العبارة بتمامها عند التبريزي مما يدل على اعتياده اعتياداً كبيراً على المرزوق وزاد التبريزي : « وإِنَّمَا شكر الربيع بن زياد لقيامه معه ، ونصرته إياه في حرب داحس . وذلك أن الربيع قد كان ساوم قيساً على درع له ، والربيع راكب وقيس راجل ، فلما وضعها على قربة ركب فرسه ففضى بها ، فلما اتجمعا أخذ قيس بن زهير بزمام أمه فاطمة بنت الخرشب يريد أن يرتتها بدرعه فقالت : أين ضل حلمك يا قيس ؟ أترجو الصلاح فيما بينك وبين بني زياد ، وقد ذهبت بأهمهم يمتة ويسرة ، وقال الناس ما شاموا ، وحسبك من شر سماعة ! فذهبت مثلاً . وعلم قيس أنها صدقت ، فأرسلها وأغار على إبل الربيع فاستاقها وكان هذا بينهما . فلما قتل حذيفة مالك بن زهير ظن قيس أن الربيع لا يقوم معه بطلب ثأر أخيه لما بينهما من الشحنة . فلما قام معه قال قيس :

* شَرَى وَدَى وَشَكَرَى مِنْ بَعِيدٍ *

أى كان بيني وبينه بعد فأتى العداوة وراء ظهره ونصرني ، للرحم والقراة . وغالب من عبس . وقال أبو هلال وروى هشام بن محمد بن السائب الكلبي هذه الأبيات لحاتم . وكان قد جاور حاتم زمن الفساد بنى زياد عبد الله بن عبس ، فأحسنوا جواره ، فقال فيهم هذه الأبيات .

١٥٩

وقال هُذْبَةُ^(١) :١- إني من قضاة مَنْ يَكْذِبُهَا أَكْذَهُ وَهِيَ مِنِّي فِي أَمَانٍ^(٢)

ليس يريد بهذا الكلام نسبة نفسه إلى قضاة فقط ، بل يريد اختصاصه بهم ، وتعشبه لهم . وهذا كما يقال : أنا من فلان وإلى فلان ، أى ابتدأى منه واتمأتى إليه ، فيقول : إني منتم إلى قضاة أهوى هواها ، وضللى معها ، فن عاداهَا أو نابذها عاديته ونابذته ، وهى آمنة من مكروهى وأذى ، إذ كنت أنمط عليها فيما ينوبها ، وأغتفر زلاتها فيما يتفق منها . وهذا الكلام فى التنبيه فى الاختصاص ، والإبانة عن الطاعة والإخلاص ، من أبلغ كلام وأكرم إيناس . ألا ترى أنه فصل ما أجمل ، وفسر ما أبهم بقوله « من يكذبها أكذَهُ وهى مِنِّي فى أمان » ؟ وهذا صفة جوارح الإنسان مع جلته وأبعاضه مع كُله ، بدلالة أنه يدافع من يريد إصابه أحدها ، ثم هى آمنة من جنائته عليها ، أو على شئ منها .

٢- ولستُ بشاعرٍ السَّفَسَافِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مِذْرَةُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ

(١) التبريزى : « هدية بن خشرم » . المبهج : « هدية واحدة الهدب ، وهى الثوب والأرطى والخشرم : جماعة النحل ، وهو أيضاً الثول والدبر » . وهدية ابن خشرم بن كرز شاعر عذرى ، وكان صاحب زيادة بن زيد العذرى فى سفرة ، فلم يزل يطلب غرته حتى قتله ، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص ، وكان ولّى دمه أخوه عبد الرحمن زيد ، فكنه منه سعيد فقتله . انظر الأغاني (٢١ : ١٦٩ - ١٧٧) ومعجم المرزبانى ٤٨٣ واللكلى ٢٤٩ - ٢٥٥ ، ٦٣٩ - ٦٤٠ والخزانة (٤ : ٨١ - ٨٧) والشعر والشعراء ٦٧١ - ٦٧٦ .

(٢) روى التبريزى خبر هذه الأبيات مسبباً فى نحو تسع صفحات تصور ما كان بينه وبين زيادة بن زيد من عداوة ومكايده .

يقول : ليس تحلّى منهم وفيهم محلّ شاعرٍ يُسَفِّسُ القَرِيضَ ، ثم يقف
دُونَ غايته باليدِ واللّسان . والسّفْسَاف : ما لا خَيْرَ فيه من الأفعال والأقوال :
وفي الحديث : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِبُّ مَعَائِلَ الْأُمُورِ وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا » .
وَالْمَوَانُ مِنَ الْحَرْبِ : التي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . فَإِنْ قِيلَ : أَيْنَ تَجُزُّ
الْبَيْتَ مِنْ صَدْرِهِ فِي النِّظَامِ ، وَهَلَّا قَالَ بَعْدَ مَا نَقَى عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الشَّعْرِ
الرَّكَيكِ : وَلَسَكُنِّي شَاعِرُ الْمُتَخَيَّرِ الرِّصِينِ ؟ قَالَتْ : إِنَّمَا أُرَادُ (١) التَّنْبِيهَ عَلَى
فَضْلِهِ فِيهِمْ (٢) وَطَوْلِهِ ، وَعَلَى كِفَايَةِ بَيَانِهِ ، وَعَلَى غِنَاءِ سِنَانِهِ . وَالْحَرْبُ كَمَا تَقَعُ
بِالضَّرَابِ وَالطَّعَانِ تَقَعُ بِمَجَادِبَةِ الْحِجَاجِ عِنْدَ التَّنْفَارِ وَالْفَخَّارِ . وَآثَرُ أَنْ يَقُولَ :
« وَلَكِنْ مِذْرَهُ الْحَرْبِ » لِيَدْخُلَ تَحْتَهُ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا . وَقِيلَ : الْمِذْرَهُ هُوَ
السَّيِّدُ الَّذِي يُدْفَعُ بِهِ الشَّرُّ فَيَنْتَظِمُ بِهِ أُمُورُ الْحَرْبِ ، وَيَقُومُ بِأَسْبَابِ الصَّحَابِ .
وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مِنْ دَرَرِهِ عَلَيْنَا ، أَيْ طَلَعَ . وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ دَرَأٍ أَيْ دَفَعَ ،
وَأَنَّ الْهَاءَ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْهَمْزَةِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ تَعْرِيفًا بِإِنْسَانٍ نَقَى
عَنْ نَفْسِهِ حَالَهُ وَأَنْبَأَ أَنَّ الْأَمْرَ (٣) بِخِلَافِهِ .

٣ - سَأَهْجُوا مِنْ هَجَائِهِمْ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَعْرِضْ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي

قوله « من سوام » يتعلق من بهجائهم (٤) ، وموضعه نصبٌ على الحال .
ويمحتمل معاني : يجوز أن يريد به مخالطاً لغيرهم ؛ لأنَّ من هذه تكون للملابسة ؛
على ذلك قولهم : أَنْتَ مِنِّي فَرَسَخِينَ ، أَيْ أَنْتَ تُخَالِطُنِي . يَقُولُهُ الدَّلِيلُ
وَالْغَفِيرُ (٥) . وَيَكُونُ لِلْوَلَاءِ وَالتَّنَصُّرَةِ ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

(١) م : « إِنَّمَا أُرَادَ » .

(٢) كذا في م ، وفي الأصل : « مِنْهُمْ » . (٣) م ، « أَمْرُهُ » .

(٤) م والتبريزي : « مِنْ سِوَاهُمْ يَتَخَلَّقُ بِمَنْ هَجَاهُمْ » .

(٥) كذا في م والعمورية . وفي الأصل : « يَقُولُهُ الدَّلِيلُ الْغَفِيرُ » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

فيكون معنى « مِنْ سَوَامٍ » ناصراً لغيرهم . وتكون للنَّسْل والولادة .
يقول مُنْ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وبعضهم من بعض ، فيكون المعنى منسباً إلى غير
أصلِهِمْ . وعلى هذا قوله « وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ » يتعلق مِنْ بهجاني ، ويكون
الكلام في موضعه ومعناه على الحد الذي بيناه . من تعرض لهم بمكروه
أو ذكركم بسوء فإني أدافعهم عنهم ، وأعارضهم دونهم ، وأقاتله عن تناولهم منهم ،
ومن تعرض لي منهم فإني أعرض عنه ، وأصفح عن غيئه فلا أواخذه به ،
صيانةً لهم ، ومحافظة على ما يجمعني وإياهم .

١٦٠

وقال عمرو بن كلثوم (١) :

١ - مَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ تَنْوَحَ نِسَاؤُنَا عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَنْ نَضِجَ مِنَ الْقَتْلِ

مَعَاذَ اللَّهِ ، من المصادر التي لا تكون إلا منصوبة ، وَضِجَتْ موضِعاً واحداً
من الإضافة على ما تَرَى ، ولا يتصرف . والعياذ في معناه ومن أصله ، وهو
يتصرف مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً ، وبالألف واللام . وانتصب معاذ الإله
على إضمار فعلٍ تَرِكَ إظهاره . ويقولون : عائذاً بالله من شرِّها ، فيجري مجرى
عِيَاذاً بالله ، كأنه قال : أعوذ بالله عائذاً وَعِيَاذاً . ومن أبيات الكتاب :

(١) ليس في حاجة إلى ترجمة . وشهرته شاعراً من شعراء الملققات شهرة ظاهرة .
وهو تغلبى من بني عتاب ، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة . انظر ترجمته بإسهاب في
الأغاني (٩ : ١٧٥ - ١٧٨) والخزانة (١ : ٥١٧ - ٥٢١) وشرح شواهد المعنى
للسيوطي ٤٤ - ٤٥ والشعر والشعراء ١٨٥ - ١٨٨ .

أَلْحِقْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَفَّوْاْ وَعَانَدَاْ بِكَ أَنْ يَغْلُواْ فَيَطْغَوْاْ^(١)
 ويُقال : عَذْتُ بِاللَّهِ عَوْذًا وَمَعَاذًا وَعِيَاذًا . ويقال : أَفَلَتَ مِنْهُ عَوْذًا
 بفتحتين ، أى عانداً ، وَأَتَيْتُهُ عَوْذًا . وهذا الكلامُ تَبَرُّؤٌ من إظهار الجَزَعِ
 على قَتْلِهِمْ ، واستعمال البكاء والصَّجَّاجِ في بَلْوَاهُمْ ، وَتَصَبُّرٌ على نواصب الدهر ،
 وانتفاء من تَكَرُّهِ القَتْلِ . يقول : نفوذُ بالله من نَوْجِ نَسَائِنَا على مُتَوَقِّئِ مِنَّا
 مَفْقُودٍ ، ومن ضَجِيجِنَا من القَتْلِ والقِتَالِ ، وكيف يكون أحدُ هُذَيْنِ مِنَّا وقد
 تَعَوَّدَتْ نَسَاؤُنَا الشُّكْلَ ، ونَشَأْنَا في عِمَارَةِ الحَرْبِ ومِزَاجِهَا . وفي طريقته
 قولُ الآخر^(٢) :

إِذَا مَا أَتَنَنْي مِيَتَنِي لَمْ أَبَالِهَا وَلَمْ تُذَرِ خَالَانِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي
 ٣ - قِرَاعِ الشُّيُوفِ بِالشُّيُوفِ أَحَلَّكُنَا بَارِضِ بَرَّاحِ ذِي أَرَاكِ وَذِي أَثَلِ
 الْأَصْلُ فِي الْبَرَّاجِ الْأَرْضُ الَّتِي لَا بِنَاءَ فِيهَا وَلَا عُمرَان . وَالْمَقَارَعَةُ :
 مُضَارَبَةُ الْقَوْمِ فِي الْحَرْبِ . وَكُلُّ شَيْءٍ ضَرَبْتُهُ بِشَيْءٍ فَقَدْ قَرَعْتُهُ . وَهَذَا عَلَى
 حَذْفِ الْمُضَافِ ، كَأَنَّهُ قَالَ قِرَاعُ أَصْحَابِ الشُّيُوفِ بِالشُّيُوفِ . أَخْبَرَ عَنْ
 نَفْسِهِ وَذَوِيهِ بِأَن صَبَّرَهُمْ فِي دَارِ الْحِفَاطِ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُمْ بَارِضٍ وَاسِعَةٍ ذَاتِ أَثَلٍ
 وَأَرَاكِ ، وَصَرَّفَهُمْ عَنِ الْإِنْتِجَاعِ وَتَطَلَّبِ الْخِصْبِ فِي الْمَطَانِ^(٣) . وَهَذَا صَرِيحٌ
 مَا قُلَهُ غَيْرُهُ^(٤) ، وَهُوَ :

* أَنْخَنَّا خَالَفَنَّا الشُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ^(٥)

(١) كتاب سيبويه (١ : ١٧١) واللسان (عوذ) . وقد نسب فيهما إلى عبد الله
 ابن الحارث السهمي . وانفرد اللسان برواية : « أَنْ يَغْلُوا » .
 (٢) هو الشنفرى الأزدي . المفضليات (١ : ١١٠) .
 (٣) هذا ما في م . وفي الأصل : « وَالْمَطَان » .
 (٤) هو يحيى بن منصور . الحماسية ١٠٨ .
 (٥) صدره : • فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْمَشِيرَةُ كُلُّهَا •

والأراك : شجرٌ تُتخذُ منه للساويك . ويقال : إبلٌ أوارِك ، إذا اعتادتْ أكلها . والائلُ أيضاً : شجرٌ . وهذا كما قال الآخر ^(١) :

وتحلُّ في دارِ الحُفَاطِ بِيُوتُنَا زَمَنًا وَيَطْعُنُ غَيْرُنَا بِالْأَنْزُعِ ^(٢)

ونبّه بذِكر الأرض البرّاح على أنهم غير محتجزين ^(٣) بمحْصُون ولا قِلَاع ، ولا ممتنعين بهِضاب ولا حِبال . والائل والأراك ينبتان في السهْلِ أكثر ، فوكّدتُ بذِكرهما المراد ، وجعل البرّاح بدلاً من قوله « بأرض » ولذلك قال « ذى أراك » ولم يقل ذات .

٣ — فما أَبَقَتِ الأَيَّامُ مِلْئَالٍ عِنْدَنَا سِرَى جَذَمِ أَذْوَادٍ مُحْدَقَةِ النَّسْلِ

أراد بالأيام الوقّات . وقوله « مِلْئَالٍ » أراد من المال ، فجعل الحذف بدلاً من الإدغام لما التقي بالنون واللام حرفان متقابلان ، الأول مُتَحَرِّك والثاني ساكنٌ سكوناً لازماً . والمعنى : ما بَقِيَ تأثيرُ الحوادثِ وَنَكَبَاتِ الأَيَّامِ عندنا من أصولِ المالِ ومقتنياتها ، إلّا بقايا أَذْوَادٍ قَطَعَ الضَّرُّ نَسْلَهَا ، ونمكّن الهَزَالَ وسوء الحال منها ، فهي على شَرَفٍ فَنَاءٍ وَذَهَابٍ . والجِذْمُ : الأصلُ . والأذْوَادُ : جمع الذَّوْدِ ، والذَّوْدُ يقع على ما دون العشرة . وقال أكثر أهل اللغة : إنها تَقَعُ على الإناث دون الذَّكُورِ . وبعضهم يجوز وقوعها على الذكور أيضاً . وما في البيت يشهدُ للأوّل .

٤ — ثَلَاثَةٌ أَثْلَاثٍ فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا وَأَقْوَاتُنَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْعَقْلِ ^(٤)

(١) هو الحادثة الذباني . المفضليات (١ : ٨) .

(٢) المفضليات : « ونقيم » . م والمفضليات : « للأمرع » .

(٣) م : « محتجزين » بالراء المهملة .

(٤) في الأصل : « وأقواتنا » . تحريف . ورواية التبريزي : « إلى العقل » .

أراد : أموالنا ثلاثة أثلاث ، فيرتفع الثلاثة على أنه خبرٌ مبتدأ محذوف ، وما بعدها تفسيرٌ لها وتفصيل^(١) . ونَبَّهَ بما أوردَ وقَسَمَ على الوجوه التي انصرفت إليها أموالهم فأفنتها ، والطَّرِيقُ التي توزَّعَتْها فقلَّتها ، فقال : افترقتُ أموالنا فِرَقًا ثلاثًا^(٢) ففرقةٌ منها صرفناها إلى أمانٍ خَيلنا لأننا غزَّأوُن ، ومُعَالَجُو حُرُوبٍ ، فلا نستغنى عنها ؛ إذ كان جدُّنا وهزُّنا منها وبها . وفرقةٌ منها حبَّسناها على أقواتنا ومعايشنا ؛ لأنَّ العِفَّةَ والزُّورَ كانت تتناوبنا وتتناوبُ عليها حتى تستغْرِقَها ، لأنَّ إقامتنا بدارِ الحِفاظِ [شَقَلْنَا^(٣)] عن الغزوِ واجتذابِ الزَّيَادَةِ إليها . وفرقةٌ منها وجَّهناها إلى الدِّيَّاتِ ، وأرُوشِ الجِنَايَاتِ التي كَسَبَتْها أيدينا ، واجترَحَتْها رِمَاحُنا ، إذ كنا لِعِزِّنا وَمَنْعَتِنا لَا يُطْمَعُ في الاقتصاصِ مِنَّا . ومثَّلَ هذا قولُ الآخر^(٤) :

* نأسو بأموالنا آثارَ أيدينا^(٥) *

(١) ابن جني في التنبيه : « أي أموالنا ثلاثة أثلاث ؛ فحذف المبتدأ وحذفه أيضاً فيما بعد في قوله : فأثمان خيلنا . أي فثلث أثمان خيلنا ، أو فأثمان خيلنا ثلث وكذا وكذا وكذا . وجاز أن يقدره على : ثلث أثمان خيلنا . فيبتدئ بالنكرة ويخير بالمعرفة ، من حيث كان الغرض إنما هو ثلث أموالنا من ذى ناحية تناولناه . ويجوز أن تمتد زيادة النفاة فإن ذلك كثير في الشعر والقرآن . فيبدل أثمان وأقوات وما تفقود ، من ثلاثة أثلاث . أي مالنا أثمان خيلنا وأقواتنا وما نفقود إلى التثنية . وقال ثلاثة أثلاث ولم يقل ثلاثة أقسام من قبل أن الأقسام قد تدون متساوية وغير متساوية ، فأراد صحة القسمة ، واعتدال المساهمة » .

(٢) م : « ثلاثة » ، وكلاهما صحيح . فإن العدد إذا تأخر عن المعدود جاز فيه المطابقة وعدمها . انظر حاشية الصبيان على الأشموني ، في أوائل (باب العدد) .

(٣) التكلفة من م .

(٤) هو بشامة النهشلي . الحماسية ١٤ .

(٥) صدره : * بيض مفارقاً تغلّ مراحِلنا *

١٦١

وقال المثلّم بن عمرو^(١) :

١ - إني أבי الله أن أموت وفي صدري همّ كأنه جبلٌ

يقول : يا بى الله عز وجل لي الاخترام وفي نفسي همّ عظيم لا أَسْتَعِي في إِمضائه وتنفيزه . ويعني بذلك دَمًا يَطْلُبُهُ ، أو حِقْدًا يَنْقُضُهُ ، أو مَنًى من عَدُوِّهِ^(٢) يَذْرُكُهُ . وهذا الكلام وعيد وإيدان بأنه مجتهد في الطلب ، وراجح ألاَّ يَحُولَ الأجلُ بينه وبين الأمل ، بما عَوَدَهُ الله من الصُّنْع والظفر بالملُوب . والواو من قوله « وفي صدري » واو الحال . وموضع « كأنه جبل » صِفَةٌ للهَمِّ . والهمُّ يجوز أن يكون مصدرَ هَمَمْتُ بالشئ ، ويجوز أن يكون واحدَ المموم .

٢ - يَنَمَعُنِي لَذَّةُ الشَّرَابِ وإنَّ كانَ قِطَابًا كأنه العسلُ

هذا من صِفَةِ الهَمِّ . يقول : يَصُدُّنِي ذلك الهَمُّ عن التَّلَذُّذِ بالشَّرَابِ ، وإن طاب وصار مِزَاجًا كالعسل يُسْتَحَلَّى ولا يُتَكَرَّرُ . ومثله لأبي ذؤيب :

* فَجَاءَ بِمِزِجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ^(٣) *

(١) التبريزي : « المثلّم بن عمرو التنوخى » ، ثم قال : « تنوخ هم أولاد تيم الله بن أسد ابن وبرة » . المبعج : « تنوخ اسم للقبيلة ، يجوز أن يكون فعولاً من تنعج بالمكان ؛ أى أقام به . ويجوز أن يكون تفعل من الإناخة » . وقد ذكره الأمدى في المؤتلف ١٨١ والمرزبانى في معجمه ١٨١ . وأنشد الأمدى هذه الأبيات ، ثم قال : « وهذه الأبيات في أشعار هذيل للبريق بن عياض الهذلي » . وتقول : إن هذه الحماسية في بقية أشعار الهذليين ص ٢٥ منسوبة للبريق بن عياض .

(٢) م : « عدو » .

(٣) عجزه في ديوان الهذليين (١ : ٤٢) واللسان والمقاييس (مزج ، ضحك) «

* هو الضحك إلا أنه عمل النحل *

جَعَلَ مَا يُمَزَّجُ بِهِ مَزْجًا . ورواية الأصمعي « مَزْجًا » بكسر الميم . فالْمِزْجُ كالْمِزَاجِ وَالْقَطَابِ ، سَمَّاهُ بِمَا يُسْتَصْلَحُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ يُفْعَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِ . وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا أُصِيبَ بِمِنْ يَمَسُّهُ أَوْ وَتَرَ فِيمَنْ يَقْرُبُ مِنْهُ وَيَخْتَصُّهُ ، كَانَ يَفْقِدُ عَلَى نَفْسِهِ نَذْرًا فِي مِجَانِبَةِ بَعْضِ اللَّذَّاتِ أَوْ أَكْثَرِهَا ، مِنْ مَعَاقَرَةِ الشَّرَابِ أَوْ مِجَامَعَةِ النِّسَاءِ أَوْ مَا يَجْرِي بِجَرَاهَا ، إِلَى أَنْ يَنَالَ الْمُرَادَ ، وَيَحْصُلَ الْمُرْتَادَ . وَيُقَالُ قَطَّبْتُ الشَّرَابَ ، أَيْ مَزَجْتُهُ . وَيُرْوَى : « وَإِنْ كَانَ رُضَابًا » . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ مَاءَ فَرَسٍ مَحْبُوبٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ مَاءَ مَحَلَّةٍ فِي جَنْبِهِ ذَلِكَ الْحُلُّ مِنَ الشَّرَابِ .

٣ - حَتَّى أَرَى فَارِسَ الصَّمُوتِ عَلَى أَكْسَاءِ خَيْلٍ كَانَتْهَا الْإِبِلُ^(١)

حَتَّى تَعْلَقَ إِنْ شئتَ بِقَوْلِهِ أَبِي اللَّهِ ، وَإِنْ شئتَ تَعْلَقَ بِيَعْنِي ، وَالتَّقْدِيرُ فِي الْوَجْهِينِ : يَا أَبَى اللَّهِ مَوْتِي حَتَّى أَرَى هَذَا الْأَمْرَ ، أَوْ يَعْنِي الِاتِّعَازَ بِالشَّرَابِ حَتَّى أَرَاهُ وَأُشَاهِدَهُ . وَالصَّمُوتُ : اسْمُ فَرَسِهِ^(٢) . وَيَعْنِي بِفَارِسِهِ نَفْسَهُ . وَأَكْسَاءُ الْخَيْلِ : أَدْبَارُهَا . وَيُقَالُ هُوَ يَكْسُوهُ وَيَذْبُرُهُ وَيَذْنُبُهُ ، أَيْ يَكُونُ فِي أَنْتَرِهِ . وَحِكْيُ الْخَلِيلِ أَكْسَأَتْهُ الْخَلِيلَ . وَالْمَعْنَى : لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى أَرَى نَفْسِي تَرَكُضُ فِي أَدْبَارِ خَيْلٍ مِنْهَزِمَةٍ وَتَسُوقُهَا ، كَمَا تُسَاقُ الْإِبِلُ . وَقِيلَ شَبَّهَهَا بِالْإِبِلِ فِي عِظَمِ خَلْقِهَا وَإِشْرَافِهَا . وَالْإِسْكَالَامُ عَلَى هَذَا يُرَادُ بِهِ خَيْلٌ مَخْصُوصَةٌ يَتَوَعَّدُهَا وَيَعْنِي عَلَيْهَا .

(١) التَّبْرِيزِيُّ « وَيُرْوَى : كَانَتْهَا إِبِلٌ ، بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالْبَاءِ ، وَهِيَ جَمْعُ إِبِيلٍ . وَالْإِبِيلُ : الْعَصَا وَالْخَيْلُ تُشَبَّهُ بِالْعَصَى فِي ضَمَرِهَا وَصَلَابَةِ لَحْمِهَا . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :
« كَانَتْهَا هِرَاوَةٌ مِنْوَالٍ » .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ فَرَسٍ ، أَوْ اسْمُ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ .

٤ - لا تحسبني مُحَجَّلًا سَبِطَ السَّاقَيْنِ أُنَبِّئُكَ أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ
 هذا توعدٌ وتعريضٌ بالمخاطب . المحَجَّل ، يجوز أن يكون مأخوذاً من
 الحِجَل الذي هو القَيْد ، ومن الحِجَل الذي هو التَّلْخَال ، ويجوز أن يكون
 من الحِجَلَة . والمعنى : لا تظنني إنساناً مُتَرَفّاً مُنْعَمًا لَا غِنَاءَ عِنْدَهُ ، ولا كفاية
 لديه ، ولا رأى يُسْتَدَنَّ إليه ، ويعوّل في المهمات عليه ، فهو في العجز كالممنوع
 المُقَيَّد ، وكالمرأة المَخْلُوعَة ، وكالحذر المَلْزَم للحبال والفرش يجرع - لضعف
 نهوضه ، وسقوط قُوَّاه ، وسوء بصيرته - من ظَلَع جَمَلَه فَضْلاً من غيره . وقوله
 « أُنَبِّئُكَ أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ » صَرَفَ الكلامَ إلى الإخبار عن نفسه ، ولو قال
 « يَبْكِي أَنْ يَظْلَعَ » لَتَرَكَ الاستمرار في صفة المحَجَّل جارياً على حَدِّهِ ، غير
 متحوّل عنه ، وكان الكلام أحسنَ في قِرَانِ النِّظَم .

٥ - إني امرؤ من تنوخ ناصره مُحْتَمِلٌ فِي الْجُرُوبِ مَا احْتَمَلُوا^(١)

قوله « من تنوخ » أي اُنْتَسَبَ إليها ، وأهوى هواها . و« ناصره »
 نَكْرَة لأن إضافته إضافة تخفيف لا إضافة تعريف ، والتَّنْوِين منوئٌ فيه ،
 أراد : ناصره . وقوله : « ما احتملوا » أراد : ما احتملوه ، فحذف المفعول
 لطول الصلّة . والمعنى : إني مخالطهم وناصرهم ، وصابرٌ على ما يصبرون عليه ،
 وناهضٌ تحت العِبء الذي ينهضون فيه .

(تم التسم الأول من شرح المَرْزُوقِ للحامَة)

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : ويروى ناصرم ، أي ناصر لهم . قال : وهذا
 الشعر في أشعار هذيل للبريت بن عياض الهذلي . وقال : إني امرؤ من هذيل . »

المسرح الممّعل
غفر الله له ولوالديه

شرح ديوان الحماسة

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢١ - —

نشره

عبد السلام هارون

أحمد أمين

القيم الثاني

دار الجبيل
بيروت

المسرح الممّعل
غفر الله له ولوالديه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٦٢

وقال عبد الله بن سبرة^(١) :

١- إِذَا سَالَتِ الْجَوَازُ وَالنَّجْمُ طَائِعٌ فَكُلُّ مَخَاضَاتِ الْفِرَاتِ مَعَابِرُ

٢- وَإِنِّي إِذَا ضَنَّ الْأَمِيرُ بِإِذْنِهِ عَلَى الْإِذْنِ مِنْ نَفْسِي إِذَا شِيتُ فُادِرُ

أراد بالنجم الثريا ، وأكثر ما يعترض هذه اللفظة في استعمالهم معروفاً يراد به الثريا لا غير ، ألا ترى قول الهذلي^(٢) :

فَوَرَدَنُ وَالْمَيُوقُ مَقْعَدَ رَانِي ۖ ضَرْبَاءُ - لَفَ النَّجْمِ لَا يَنْتَلِعُ

والجوزاء سُميت بذلك لأنَّ وَسطَهَا أبيض . وحوز كل شيء : وسطه .

والوقت الذي يشير إليه يشتد فيه الحر . لذلك قال ساجدهم : « إِذَا طَاعَ النَّجْمُ ،

فَالصَّيْفُ فِي حَذَمٍ ، وَالْعُشْبُ فِي حَطَمٍ » . فكان قائل هذا الشعر استأذن

صاحبه في الانتقال إلى البدو فلم يأذن له ، فأخذ يتشكى^(٣) عن مُرادِه بهذا

(١) عبد الله بن سبرة الجرشي ، منسوب إلى جرش ، وهو موضع باليمن . قال أبو رياش : « كان عبد الله بن سبرة هذا أحد قتلك العرب في الإسلام ، وكان رجل من الروم يقال له سعد الطائغ يأتي صاحب الصوائف ، فيقول سعد لصاحب الصائفة : ابعت معي جندا أدلم على هورات الروم ، فيتوغل بهم وقد جعل لهم كتيبا من الروم فيقتلون ، فأكثر ، فقال يوما لصاحب الصائفة : ابعت معي رجلا من أصحابك فإني قد عرفت غرة لهم . فانتدب عبد الله بن سبرة ومضى معه حتى انتهى إلى غيضة فقال لعبد الله : ادخل . فقال له عبد الله : أنا الدليل أم أنت ؟ فأبى وعرف عبد الله ما أراد فقتله ، وخرج عليه بطريق من بطارتهم فاختلف هو وعبد الله ضربتين فضربه عبد الله فقتله ، وضربه الروم فقطع إصبعين له » .

(٢) هو أبو ذؤيب ، ديوان الهذليين (٢ : ٦) .

(٣) م : « يتسل » : والوجه ما في الأصل .

الكلام ويتوجد^(١). ويقول: إذا تَنَاهَى الْحَرُّ وارتفعت الجوزاء في أول الليل إلى كَيْدِ السَّمَاءِ، وَطَلَعَ الثَّرْيَا عِنْدَ السَّحَرِ، فَكُلُّ نَحَاضَةٍ مِنْ جَوَانِبِ الْفُرَاتِ مَعْبَرٌ لِي أَهْرُبُ فِيهِ؛ لِأَنَّ نُضُوبَ الْمَاءِ وَنَقْصَانَهُ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. وقوله «وَالنَّجْمُ طَالَعٌ» لَوْ لَيْتَهُ «إِذَا» فَقِيلَ إِذَا النَّجْمُ طَالَعٌ، لَمْ يَصْلُحْ؛ لِأَنَّ الْجَلَّةَ الَّتِي يُبَيِّنُ بِهَا إِذَا لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ فِعْلٍ، لَمَّا يَتَضَمَّنُ مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ. تقول آتِيكَ إِذَا زَيْدٌ يَأْمُرُ^(٢). ولو قلت آتِيكَ إِذَا زَيْدٌ أَمِيرٌ لَمْ يَصْلُحْ؛ لَكِنَّهُ لَمَّا انْعَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ «شَالَتْ الْجَوَزَاءُ» حَسَنَ حَمَلًا عَلَى الْمَعْنَى، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَطَالَعَ النَّجْمُ. وهذا إِذَا كَانَ الْوَاوُ فِيهِ لِلْمَطْفِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الْوَاوُ وَوَاوُ الْحَالِ، يُرِيدُ إِذَا شَالَتْ الْجَوَزَاءُ فِي حَالِ طُلُوعِ النَّجْمِ. وَالْعَامِلُ فِي «إِذَا» مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «فَكُلُّ نَحَاضَاتِ الْفُرَاتِ مَعَابِرُ». وقوله: «وَأِنِّي إِذَا ضَنَّ الْأَمِيرُ»، يقول: إِذَا تَمَنَّى الْأَمِيرُ مِنَ الْإِذْنِ لِي، وَصَدَّقَنِي الْوَقْتُ عَنْ مُمَرَّادِي، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى جَوَازِ الْمَسَاحِ وَالْمَرَاوِدِ، لَكُونِهَا مَشْحُونَةً بِالْمُرْتَبِينَ^(٣) فِيهَا، انْتَظَرْتُ غَيْضَ الْمَاءِ وَجَزْرَهُ فِي الْفُرَاتِ، وَإِمَّا كَانَ النَحَاضَاتِ مِنَ الْعُبُورِ وَالذَّهَابِ، فَنَحْنُ آذَنُ لِنَفْسِي وَأَهْرُبُ. وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَآرِعَ لَا تُضَبِّطُ كَمَا تُضَبِّطُ الْجُسُورُ وَمَضَائِقُ الطُّرُقِ.

١٦٣

وقال الربيع بن زياد العبسي^(٤):

١ - حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبَلَا دَحَى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْذَمًا

(١) يقال توجد فلان أمر كذا، إذا شكاه، وهم لا يتوجدون سهر ليلهم: لا يشكون ما مسهم من مشقته. م: «ويتوعد».

(٢) يقال أمر كفرج وكرم، أي صار أميرا. (٣) تسهيل المرتبين.

(٤) الربيع بن زياد العبسي: أحد الكلة. انظر ما سبق في حواشي الهامية ١٥٨ في

قسم الأول.

يقول : أَلْتَهَبَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ الْبِلَادَ عَلَى نَارٍ تَتَوَهَّجُ ، فَلَمَّا اسْتَعْرَتْ
وَتَأَجَّجَتْ هَرَبَ وَتَرَكَنِي أَصْطَلِي بِهَا وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ قَيْسًا تَرَكَ أَرْضَ
الْعَرَبِ وَانْتَقَلَ إِلَى عُثْمَانَ بَعْدَ إِثَارَةِ الْفِتَنِ وَاهْتِجَاجِ الشَّرِّ ، فِي سَبْقٍ دَاحِسٍ .
وَالْإِجْذَامُ : الْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ ، وَجَعَلَهُ مَثَلًا لِأَزْوَائِهِ وَنَفَضِهِ الْيَدَ مِمَّا كَانَ
لَابَسَهُ وَتَوَلَّاهُ مِنْ إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ .

٢ - جَنِيَّةٌ حَرْبٍ جَنَّاها فَمَا تُفَرِّجُ عَنْهُ وَمَا أَسْلِمًا

جَنِيٌّ : فَعِيلٌ فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ ، لَكِنَّهُ أُلْحِقَ الْمَاءَ بِهِ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ اسْمًا ، كَمَا
أُلْحِقَ بِالْبَيْئَةِ وَهِيَ الْكُعْبَةُ ، وَبِالذَّبِيحَةِ وَالنَّطِيجَةِ . وَهَذَا اعْتِدَادٌ عَلَى قَيْسٍ بِمَا
جَنَّاهُ^(١) ، وَتَحَمُّدٌ بِمَا أَتَاهُ ، وَامْتِنَانٌ بِأَنَّهُ لَمْ يَقْعُدْ عَنْ نُصْرَتِهِ ، وَلَمْ يَخْذُلْهُ وَقْتُ
حَاجَتِهِ ، وَلَمْ يُخَلِّهِ لِلْأَعْدَاءِ وَقْتُ إِقَامَتِهِ ، وَلَا تَرَكَ النِّيَابَةَ عَنْهُ وَاعْتِنَاقَ الْأَمْرِ
بَعْدَ غَيْبَتِهِ ، بَلْ نَهَضَ فِي الشَّرِّ وَالْقِتَالِ مَا اتَّصَلَ نَهْوُضُهُ ، وَتَفَرَّدَ بِالِدِّفَاعِ عَنْهُ عِنْدَ
فُتُورِهِ وَنُفُورِهِ . وَقَوْلُهُ « فَمَا تُفَرِّجُ عَنْهُ » ، أَيُّ مَا تُفَرِّقُ عَنْهُ وَلَا تُكْشِفُ .

٣ - غَدَاةٌ مَرَرَتْ بِآلِ الرَّبَِّا بِ تَعْجَلُ بِالرَّكْضِ أَنْ تُنَلِّجَا

أَقْبَلَ بِمُخَاطَبٍ بَعْدَ مَا كَانَ يُخْبِرُ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَصَارِيفِ كَلَامِهِمْ ، وَقَوْلُهُ
« غَدَاةٌ مَرَرَتْ » ظَرْفٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ إِجْذَامًا . أَيُّ هَرَبَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
وَالْأَوَانِ . وَ « تَعْجَلُ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَالْمَعْنَى : احْتَزَتْ بِآلِ هَذِهِ الْمَرَاةِ
مُسْتَعْجِلًا بِرَكْضِ الْأَعْدَاءِ^(٢) فِي أَنْرِكَ ، حَتَّى لَمْ تَتَسَّعْ لِلْجَامِ دَابَّتِكَ ، وَلَمْ تَأْمَنْ
رَيْثَ إِصْلَاحِ أَمْرِكَ ، وَالتَّهَيُّؤِ لِنَجَاتِكَ . وَقَوْلُهُ « أَنْ تُنَلِّجَ » فِي مَوْضِعِ النَّصَبِ
مِنْ تَعْجَلُ ، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ تَعْجَلُ بِالرَّكْضِ عَنْ أَنْ تُنَلِّجَ ، فَحُذِفَ

(١) م : « فيما جناه » .

(٢) م والتبريزي : « تركض الأعداء » .

الجار ووصل الفعل فَعِيل . وفي القرآن : ﴿ وَمَا أَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ .

٤ - وَكُنَّا فَوَارِسَ يَوْمِ الْهَرِيرِ إِذْ مَالَ سَرْجُكَ فَاسْتَقْدَمَا^(١)

يَوْمُ الْهَرِيرِ معروف^(٢) . وإنما قال كنا فرسان هذا اليوم ، إما كان عُرِفَ من جميل بلائهم ، وحسن ثباتهم فيه ووقائهم ، وليد كُرٍّ بتبريزهم حين نكصوا على أعقابهم ، وقصروا عن شأوهم . وذِكْرُ مَيْلِ السَّرَجِ مَثَلٌ ، وقول جرير يشهدُ لذلك ويكشفه ، حين قال :

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرْجُهُ هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِكِ الْمَنِيَةِ نَاجٍ

والمراد اضطرابُ الأمر وفشلُ الرأى وتمكُّنُ الخوف والدَّهْشِ مِنَ الْمُهْزَمِ ، ونزوله عما يهْمُ بِرُكُوبِهِ . وفي طريقته قول الآخر :

لَا تَجْعَلُونَا إِلَى مَوْتِي بِحُلٍّ بِنَا قَدْ الْحَزَامُ إِذَا مَا لَبَدُهُ مَالَا

وكما جعلَ الحزامَ مَثَلًا لتداركِ الأمر وتلافي فائِدِهِ على الوجه الذي تَرَاهُ ، جعلَ تَرَكَ شَدَّ الْحَزَامِ عند ما يَطْرُقُ أَوْ يَنْوِبُ مَثَلًا لِلتَّحَزُّمِ والتَّجَمُّعِ قبل نزول الخطبِ ، حتَّى إِذَا بَدَتْ أَعْنَاقُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِغْنَائِهِ شَيْءٌ لِمَتَمَامِ أَهْمِيَّتِهِ . وعلى ذلك قولُ امرئ القيس :

أَقْصِرْ إِلَيْكَ مِنَ الْوَعِيدِ فَإِنِّي مِمَّا أَلَاقِي لَا أَشُدُّ حِزَامِي

فَتَأْمَلُ مَا فَتَحْنَا مُبْهَمَهُ تَنْلُ كُلَّ فَائِدَةٍ ، وَتُظْفِرُ بِكُلِّ غَنِيْمَةٍ . ويقال : اسْتَقْدَمُ بمعنى تَقَدَّمَ ، وفي ضِدِّهِ اسْتَأَخَرَ بمعنى تَأَخَّرَ . والمعنى : كنا فرسانَ هذه الوقعة في هذا اليوم المشهور ، حين كُنْتَ لِلشَّرِّ مُعْوِرًا ، وعلى شَفَا الْبَلَاءِ مُوَفِيًا .

(١) التبريزى : « فكنا » .

(٢) انظر الأغاني (١١ : ٥٥) ومعجم البلدان في رسمه .

٥ - عَطَفْنَا وَرَأَيْكَ أَفْرَاسَنَا وَقَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ الْفَمَا

يقول : تَعَطَّفْنَا عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَدَافَعْنَا دُونَكَ ، وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَسْنَانُ وَأَسْلَمَتْهَا الشَّفَاهُ ، تَقَلَّصْنَا عَنْهَا وَيُبْوسَةُ حَادِثَةٍ فِيهَا . وَذِكْرُ الْقَمِّ كُنَايَةً عَنِ الْأَسْنَانِ ؛ كَمَا يُقَالُ قَضَّ اللَّهُ فَاهُ . وَيُقَالُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ذَبَّتِ الشِّتَاهُ^(١) . وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَنَتَرَةَ :

* إِذَا تَقَلَّصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضِيحِ الْقَمِّ^(٢) *

وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ قَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ وَأَوِ الْحَالِ . وَالِاسْتِعَارَةُ بِإِسْلَامِ الشَّفَتَيْنِ فِي نِهَآيَةِ الْحُسْنِ .

٦ - إِذَا نَفَرْتَ مِنْ بَيَاضِ السَّيُومِ فِ قُلْنَا لَهَا أَقْدِي مُتَقَدِّمًا

يقول : إِذَا جِئْتِ خَيْلَنَا وَحَادَثَ عَنْ تَلَاثِ السُّيُوفِ وَبَرِقَ الشَّمْسُ وَشُمَاعُهَا فِي السَّلَاحِ ، وَهَرِيرُ الْأَبْطَالِ وَتَدَاعِيهَا ، أَكْرَهْنَا مَا عَلَى الْإِقْدَامِ . وَذِكْرُ النَّوْلِ هَاهُنَا كُنَايَةً عَنِ الْفِعْلِ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ قَالَ بِرَأْسِهِ كَذَا ، إِذَا حَرَّكَهُ ، وَقَالَ بِسَوْطِهِ ، إِذَا أَشَارَ بِهِ . وَالْمُقَدَّمُ وَالْإِقْدَامُ بِمَعْنَى . وَحَقِيقَةُ الْكَلَامِ إِذَا نَفَرْتَ قَدْ مَنَّاها تَقْدِيمًا .

١٦٤

وقال الشنفرى^(٣) :

١ - لَا تَقْبِرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ حَامِرٍ

(١) ذبَّت : ذبلت وجفت من العطش أو غيره .

(٢) صدره : * ولقد حفظت وصاة عمي بالضحي *

(٣) الشنفرى : شاعر جاهلي من بني الإواس بن الحجير بن اخنوخ بن الأزد بن الغوث . انظر أخباره في الأغاني (٢١ : ٨٧) . والشنفرى اسمه ، وقيل لقب له ، ومعناه العظيم الشفة . وهو ابن أخت تأبط شرا ، وكان أحد الثلاثة العدائين .

يقال : قَبِرْتُ الإنسانَ ، إِذَا دَفَنْتَهُ ؛ وَأَقْبَرْتُهُ إِذَا جَعَلْتَهُ لَهُ مَوْضِعَ قَبْرِهٖ ،
 وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ . وَالشَّاعِرُ كَأَنَّهُ نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ
 يَمْنُنُ يُقْتَلُ وَيُبْرَكُ بِالْعَرَاءِ لَا يَرِيثِي لَهُ شَقِيقٌ ، وَلَا يَرِثِيهِ ^(١) نَسِيبٌ وَلَا رَفِيقٌ ،
 فَيَأْتِيهِ عَوَافِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ . نَخَاطَبُ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : لَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُحَرَّمٌ
 عَلَيْكُمْ ، يَرِيهِمْ اسْتِغْنَاءَهُ عَنْهُمْ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَرَفَعَهُ نَفْسِهِ عَنِ الاسْتِغْنَاءَةِ إِلَيْهِمْ
 وَالْاعْتِمَادِ عَلَيْهِمْ ، وَذَهَابَهُ عَنْهُمْ فِعْلَ الْجَانِبِ لَهُمْ ، الْبَعِيدِ مِنْهُمْ . ثُمَّ قَالَ « وَلَكِنْ
 أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ » ، أَيْ وَلَكِنْ الضُّبُعُ تَأْكُلُ لِحْيَ فَا بَشِيرِي أُمَّ عَامِرٍ ، جَعَلَهُ
 كَمَا هُوَ لَقَبُ الضُّبُعِ ^(٢) . وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ مَبْتَدَأٌ وَالْخَبَرُ مَحذُوفٌ ، وَهُوَ
 بِأَسْكَنِ وَتَقَوَّلِي أَمْرِي وَنَحْوُهُ . وَهَذَا فِي أَنَّهُ جُعِلَتْ لَقَبًا فِي أَنَّ شَرَطَهَا
 أَنْ تُحْكِي ، كَتَأْبَظْ شَرًّا وَمَا أَشْبَهَهُ . وَإِنَّمَا جُعِلَتْ لَقَبًا لَهَا لِأَنَّ الْعَادَةَ فِي اصْطِيَادِ
 الضُّبُعِ أَنْ يُقَصِّدَ وَجَارَهَا وَيُخْفِرَ وَهِيَ تَتَأَخَّرُ شَيْئًا شَيْئًا . وَالصَّائِدُ يَقُولُ : أُمِّ عَمْرٍ
 لَيْسَتْ هَاهُنَا ؟ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ بِشَاءِ هَزَلِي ، وَجَرَادٍ عَظْلَى ؛ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ
 لَيْسَتْ هَاهُنَا ؟ فَلَا يَزَالُ يَخْفِرُ الْوَجَارَ ، وَيَكْرُرُ هَذَا الْكَلَامَ ؛ وَالضُّبُعُ تَتَأَخَّرُ
 حَتَّى تَبْلُغَ أَقْصَى وَجَارَهَا فَتُخْرِجَ حِينَئِذٍ بِأَغْلَظِ عُنْفٍ . وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ [عَلَى
 هَذَا ^(٣)] فِي اصْطِيَادِهَا لِقَبِّهَا بِيَعْمُضَ مَا تُخَاطَبُ بِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ :
 لَا تَقْرُبُونِي إِذَا مِتُّ فَقَدْ حَرَّمْتُ دَفَنِي عَلَيْكُمْ ، وَاسْكِنِي الَّذِي يُقَالُ لَهُ أَبْشِرِي
 أُمَّ عَامِرٍ وَلِي أَمْرِي دُونَكُمْ . فَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ إِلَيْهِ يَذْهَبُ الْخِلَافُ مِنَ
 أَصْحَابِ الْمَعَانِي . وَحِكْمَى سَيَبُويَه عَنْ الْخَلِيلِ فِي قَوْلِ الْأَخْطَلِ :

وَلَقَدْ أَبَيْتَ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَعْزِلٍ فَأَبَيْتُ لَا حَرَجَ وَلَا مَحْرُومَ

(١) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « وَلَا يَرِثِيهِ » .

(٢) الصَّوَابُ « كُنْيَةُ الضُّبُعِ » .

(٣) التَّكْلَةُ مِنْ م .

أنه قال آيت الذى يقال له لا حَرَجٌ ، فحَكَى . ثم قال : يقوِّيه فى ذلك قول الأخطل :

على حين أن كانت عُثَيْلٌ وشائظًا وكانت كِلَابٌ خَامِرِي أم عامِرٍ^(١)
لأنه أراد كانت كِلَابٌ التى يقال لها خَامِرِي أم عامِر ، فحكى ذلك الكلام وكفى به عن الضُّعِّ . ويحتمل أن يكون البيت على كلامين ، كأنه قال : لا تدفنونى ، مخاطبًا أصحابه ورقاءه ، وليس يُرِيدُ نَهْيَهُمْ عن ذلك ؛ ولكن يريد كشف حاله لهم ، وبيان عاقبة أمره فيهم . ثم أقبل على الضُّعِّ فقال : أبشِّرِي يا أم عامِر ، فإنك ناكِلِينَ مِنِّي . ويكون هذا فى تحويل الكلام عن شيء إلى آخر ، كقول الله عز وجل : ﴿ يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ ، فأعلم ذلك تنتفع به إن شاء الله . ويقال بَشَّرْتُهُ فأبشَّر ، كما يُقال فَطَّرْتُهُ فأفطَّر . ويقال بَشَّرْتُهُ بالتحفيف بمعنى بَشَّرْتُهُ ، فاستبشَّر . وحكى أبشَّرْتُهُ أيضًا .

٣- إذا احتَمَلُوا رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغَوَدِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثُمَّ سَاثِرِي
إذا ظَرَفَ الْقَوْلَ تَفْهُرُونِي ، أو لَمَادَلْ عَلَيْهِ اللَّفْظُ وَالْحَال ، وقد جُعِلَ خَبْرًا للمبتدأ الذى بَعْدَ لَكِنْ ، وهو قَوْلُهُ أبشِّرِي أم عامِرٍ^(٢) مَنْ يَأْكُلُنِي أو يَتَوَلَّى أَمْرِي . ويجوز أن يكون ظَرَفًا لِقَوْلِهِ أبشِّرِي فى الْقَوْلِ الثَّانِي . وإنما قَالَ « فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي » لأنَّ الْحَوَاسَّ خَمْسٌ ، وَأَرْبَعٌ مِنْهَا فِي الرَّأْسِ : الْبَصَرُ لِلرَّئِيَّاتِ ، وَالْأَذُنُ لِلْمَسْمُوعَاتِ ، وَالْأَنْفُ لِلْمَشْمُومَاتِ ، وَالْفَمُ لِلْمَذْذُوقَاتِ . وقد اعْتَرَضَ بِهِ بَيْنَ الْمُعْطُوفِ وَالْمُعْطُوفِ عَلَيْهِ ، وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُسَدِّدُ الْمَعْنَى الْمَطْلُوبَ

(١) الشائظ : الدخلاء فى القوم ليسوا من صميمهم . والبيت فى اللسان (وشظ) .

(٢) أى الذى يقال له أبشِّرِي أم عامِر هو الذى يَأْكُلُنِي أو يَتَوَلَّى أَمْرِي . انظر ما سبق .

ويؤكده . وقوله « وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى نَمَّ سَائِرِي » ، يروى بفتح الراء ويكون ظرفاً وإشارة إلى المعركة ومزدحم الناس . والتقدير وَغُودِرَ نَمَّ سَائِرِي حيث التَقَى القَوْمُ بعد أن حُلَّ رأسه لشُهرته ، أو ليعْلَمَ به إتيانُ القَتْلِ عليه . ويُرَوَّى « نَمَّ » بضم الراء ويكون حرفَ العطف عطفَ به سائري على المضمَر في غُودِرَ ، والمعنى غُودِرَ رأسُهُ نَمَّ سائرُهُ حيثُ التَقَى القَوْمُ للنظارة . والأولى أجود . وإنما ضُمَّتْ هذه لأنَّ عطفَ الظاهر على المضمَر المرفوع ضَمِيفٌ حتَّى يُؤكِّدَ . وتأكيده : وَغُودِرَ هو عند الملتقى نَمَّ سائرُهُ . ويجوز أن يكون سائري في موضع النصب معطوفاً على رأسي ، كأنه احتملوا رأسه ثم سائرُهُ ، فيكون أقرب . وكان الشنفرى أحدَ الخُلَماء الذين تَبَرَّأَ عشائِرُهُم منهم وأسلمُوا بجرائِهم ، ولهذا قال في نفسه :

طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرَنَ لَحْمُهُ عَقِيرَتُهُ لَا يَأْتِي بِمَا حَنَّ أَوَّلُ^(١)

ومن أجل ذلك كَشَفَ القِنَاعَ مع قومه ، وأخذ يتفادى منهم ويقول : لَا تَقْبِرُونِي إِنْ قَبِرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ . فإن قيل : أين جوابُ إذا ؟ قلت : إن جملة ظَرْفًا لقوله لَا تَقْبِرُونِي فذلك جوابُهُ ، وكذلك إن جملة ظَرْفًا للخبر المقدَّر . والسائر : الباقي من الشيء ، وهو من الشُّور ، وأسأرتُ في الإناء .

٣ - هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرَتِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبَسَّلًا بِالْجَرَائِرِ

أشار بقوله « هُنَالِكَ » إلى الوقت الذي يتناهى فيه الأمد ، ويدنو فيه الأجل ، لا إلى الوقتِ الآتِي بَعْدَ القتل ، وهو ظَرْفٌ لِلْأَرْجُو . والمعنى : في ذلك الوقت لا أطمع في حياة سائرة لي ، وأنا مخذولٌ مُسَلَّمٌ بجرائري في القبائل ، لا يُرَى إِلَّا شَامِتٌ بي ، أو طالبٌ للانتقام مِنِّي . وقوله « سَجِيسَ اللَّيَالِي » يُرَادُ

(١) البيت من لاميته التي يقال لها « لامية العرب » .

به امتداده وسلاسته في الاتصال وهو اسم الفاعل من سَجَسَ^(١) . وقد أَحْكَمْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي كِتَابِنَا الْأَزْمَنَةِ^(٢) . وهو ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ مُبْتَسَلًا بِالْجُرَاثِرِ . وانتصب مُبْتَسَلًا عَلَى الْحَالِ . والجراثير : بجمع الجريرة . وَأَبْسَلُوا : أُسْلُوا . وفي القرآن ﴿ أَلَيْكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا كُتُبُوا ﴾ .

١٦٥

وقال تأبط شراً :

١ - وَقَالُوا لَهَا لَا تَنْكِحِيهِ فَإِنَّهُ لِأَوَّلِ نَصْلِ أَنْ يُبْلَقَ نَجْمًا

كان تأبط شراً خطب امرأة عبسية ، فأرادت إجابته وَوَعَدَتْهُ مَنَاحَتَهُ ، فلما جاءها أَظْهَرَتْ الزُّهْدَ ، وَأَخْلَفَتْ الْوَعْدَ ، واعتَلَّتْ بِأَنَّ الرِّغْبَةَ فِي شَرَفِهِ وَفَضْلِهِ كَمَا كَانَتْ لَكِنَّهُ قِيلَ لَهَا مَا تَصْنَعِينَ بِرَجُلٍ يُقَتِّلُ عَنْكَ قَرِيبًا ، لِأَنَّ لَهُ فِي كُلِّ حَيٍّ جَنَائِيَّةً ، وعنده لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَائِلَةٌ ، فَتَبَعَيْنَ أَيْمًا فَانصَرَفَ تَأْبُطُ شَرًّا وَقَالَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ .

وقوله « أَنْ تُبْلَقَ » يجوز أن يكون موضعه رَفْعًا بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَخَبَرُهُ لِأَوَّلِ نَصْلِ ، والجملة في موضع خبر إن . [وَالتَّعْدِيرُ : بِإِنْ^(٤)] تَأْبُطُ شَرًّا مُلَاقَاتُهُ نَجْمًا لِأَوَّلِ نَصْلِ يُجْرَدُ . ويجوز أن يكون « يُبْلَقَ » في موضع النصب على أن يكون بدلًا من الماء في « إِنَّهُ » ، كَأَنَّهُ قَالَ إِنَّ مُلَاقَاتَهُ نَجْمًا لِأَوَّلِ نَصْلِ . والماء في فَإِنَّهُ يجوز أن يكون لتَأْبُطُ شَرًّا ، وهو الأجود في الوجهين . ويجوز أن

(١) ابن جني : « يقال سَجَسَ الماء إذا فسد وتغير . ومنه عندي قولهم : لا أكلمك سجيس الدهر ، أي امتداده . والتقاوها أن الشيء إذا طال مدته في غالب الأمر تغير وفسد ، كأنه قال : لا أكلمك إلى آخر المدة التي يتغير فيها الدهر » .

(٢) الأزمنة والامكنة (١ : ٢٩٣) . وهذا نص صريح في أن المرزوقي ألف شرح الحماسة بعد تأليفه كتاب الأزمنة .

(٣) سبقت ترجمته في الحماسة ١١ . (٤) التكلة من م .

يكون للأمر والشأن في الوجه الأوّل، ويكون تفسيره الجملة. ويجوز أن يكون في موضع الظرف، أى زَمَنَ أن يُلاقى نَجَمًا. والمعنى هو لأوّل نَصْلٍ إذا لاقى نَجَمًا، أى يُقْتَلُ بأوّل نَصْلٍ يُعْمَلُ^(١) في ذلك الوقت. ويُرْوَى « أن يُلاقى مَضْرَعًا »، والمَضْرَعُ يجوز أن يكون مَضْدَرًا، ومكانًا، وزمانًا. وانتصابه يجوز أن يكون على أنه مفعول يُلاقى ويجوز أن يكون مفعول يُلاقى محذوفًا ويكون مَضْرَعًا في موضع الحال؛ كأنه قال أن تلاقيه ذا مَضْرَعٍ، أى مصروعًا، فَحَذَفَ المضاف.

٢ - فَلَمْ تَرَ مِنْ رَأْيٍ فَتِيلًا وَحَاذَرْتَ تَأْيِئَهُمَا مِنْ لَابِسِ اللَّيْلِ أَرْوَعًا
يقول: لم تَرَ هذه المرأة من الرأى لك قَبِلْتَ مَشُورَةَ الناسِ وَتَمَنَعْتَ من مناكحتي ما يوازي فَتِيلًا، أى ما بغنى غناء فتيل. وقد حَذَرْتَ بقاءها أَيْمًا من رَجُلٍ رَكَّابِ اللَّيْلِ لا يفارقه فِيمَا بِهِمْ، فكأنه لبأسِهِ ذَرَكِي الْقَلْبَ شَهْمًا. والقتيل والنقيير والقطمير يُضْرَبُ المثلُ بها في حَقَارَةِ الشئ. والأَرْوَعُ يكون الحديد الْقَلْبَ المَرْوَعُ القواد، ويكون الجليل. وقوله « وَحَاذَرْتَ » في موضع الحال والأجود أن يُضْمَرَ معها « قَدْ » أى لم تَرَ فَتِيلًا من الرأى مُحَاذِرَةً.

٣ - قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ أَكْبَرُ هَمِّهِ دَمُ الثَّأْرِ أَوْ يَلْتَقِي كَحْمِيًّا مُسَفَّعًا
هذا من صفة لابس الليل. فإن قيل: ما معنى قليل غِرَارِ النَّوْمِ؟ وإذا^(٢) كان الغِرَارُ القليل من النوم، بدلالة قولهم ما نَوْمُهُ إِلَّا غِرَارًا^(٣)، فكيف جاز أن تقول قليل غرار النوم، وأنت لا تقول هو قليل قليل النوم؟ قلت: يجوز أن يُرَادَ بالقليل الثَنَى لا إثباتُ شئٍ منه، والمعنى: لا يَنَامُ الغِرَارَ فكيف

(١) يعمل، من الإعمال لا من العمل. وفي م: « يعمد ».

(٢) في الأصل: « وإنما »، صوابه في م.

(٣) م: « لا غرار » بالرفع، وهو الأصوب. وقد أنشدوا في الشاذ:

وما الدهر إلا منجنونا بأهله وما صاحب الحاجات إلا معذبا

ما فَوْقَهُ؟ ويجوز أن يكون المعنى نَوْمُهُ قَلِيلٌ ما يَقِلُّ من النَّوْمِ، أى نَوْمُهُ قَلِيلٌ القليل، يريدُ به أَنَّهُ مُسَهَّدٌ، وأن أَكْبَرَ^(١) ما يَهْتَمُّ له طَلَبُ دَمِ النَّارِ، أو ملاقاته كَيْمِيَّ مُسَفِّعِ الْوَجْهِ، لدَوَامِ تَبَدُّلِهِ لِلسَّمَاءِ، وَتَسْيِيرِهِ فِي الْهَوَاجِرِ. وَالْكَيْمِيُّ: الذى يَكْمِي شَجَاعَتَهُ لَوْقَتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَقِيلَ هو الذى يُتَكَمَّى فِي سِلَاحِهِ، وقوله «أَوْ يَلْقَى» أنْ مُضْمَرَةٌ بَيْنَ أَوْ وَالنِّعْلِ، ولولا ذلك لَمْ يَجْزُ عَطْفُ الْفِعْلِ عَلَى الْاسْمِ، لاختلافهما. وَإِذَا أَضْمِرَ «أَنْ» بِصِيرُ حَرْفِ الْعَطْفِ نَاسِقًا اسْمًا عَلَى اسْمٍ، والتقدير: أَكْبَرُ هَمِّهِ دَمُ النَّارِ أَوْ لِقَاءُ كَيْمِيٍّ. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾، والتقدير: أو أن يرسل رسولاً، حتى يكون أن مع الفعل في تقدير مَصْدَرٍ مَنْسُوقٍ عَلَى قَوْلِهِ وَحْيًا، إذ قد اِمْتَنَعَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى أَنْ يُكَلِّمَ.

٤ - يُمَاصِئُهُ كُلُّ يَشْجَعٍ قَوْمُهُ وَمَا ضَرَبُهُ هَامَ الْعِدَى لِيُشْجَعَا^(٢)

يجوز أن يكون قوله «يُمَاصِئُهُ» صفةً لَكَيْمِيٍّ مُسَفِّعًا؛ لِأَنَّ مِثْلَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ يَكُونُ صِفَةً لِلنَّيْكَرَةِ وَحَالًا لِلْمَعْرِفَةِ، وَيَكُونُ الثَّنَاءُ عَلَى خَصِيصِهِ الَّذِي هُمُ مَلَاقَاتُهُ، كَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ. ويجوز أن يكون راجعاً إِلَى الْأَوَّلِ، ودَاخِلًا فِي صِفَاتِهِ فَيَذْبَعُ قَوْلَهُ قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ. ومعنى يُمَاصِئُهُ: يقاتله. وَأَصْلُهُ الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ وَالرَّمْحِ. وَيُقَالُ مُصَعِّ بَذَنَبِهِ، إِذَا حَرَّكَهُ. وَمَصَعَ الطَّائِرُ بَذَرِقَهُ، إِذَا رَمَى بِهِ.

(١) كذا في م وهو الأوفق. وفي الأصل: «أكبر».

(٢) التبريزي: «ويروى: كُلُّ يَشْجَعٍ يَوْمَهُ»

كُلُّ يَشْجَعٍ نَفْسَهُ : ويروى :

ومن روى: كل يشجع قومه بالنصب فالمعنى راجع إلى ما ذكرناه أيضاً، لأن شجاعته في نفسه شجاعة قومه، فكانه بإقدامه في الحروب كسب لقومه ذكر الشجاعة فيهم، ونسبها إليهم.

وقوله « كل » أى كل واحد من الناس ، فأفرد وهو فى التّية مضاف .
ومعنى البيت : إنَّ كلَّ مَنْ قَاتَلَ هَذَا الرَّجُلَ قَاتَلَهُ طَمَعًا فى أَنْ يَنْسِبَهُ قَوْمُهُ
إلى الشَّجَاعَةِ ، وليدبجج به عند أقرانه ^(١) ، ويذهب به صيته فى الناس . وليس
قتله للشَّجَمَانِ وضربه هَامَ الأعداءِ لمثل ذلك ، لكنه طَبِعُ منه ، وجَرَى على
عاداته . وقوله « يُشَجِّعُ قَوْمُهُ » أى لأن يشجعه قومه ، والمفعول محذوف بدلالة
قوله ^(٢) :

* أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِ أَحْضَرَ الْوَغَى *

يُرِيدُ أَنْ أَحْضَرَ ، يَدُلُّ عَلَى هَذَا مَا بَعْدَهُ ، وهو :

* وَأَنْ أَتَهْدَى اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِى *

٥ - قَلِيلُ ادِّخَارِ الزَّادِ إِلَّا تَعَلَّةٌ فَقَدْ نَشَرَ الشَّرُّوفُ وَالتَّصَقَّ الْمَعَا
قوله « إِلَّا تَعَلَّةٌ » من عَلَّتُهُ بكذا ، فهو كالقائمة من قَدَمَتْ . والنَّشْرُ اسيف :
مَقَاطُ الأضلاع ^(٣) ، وَلَا يَنْشُرُ إِلَّا لِلْهَزَالِ . وَذِكْرُ الْقِلَّةِ هَاهُنَا ، قَصُودٌ بِهِ إِلَى
النَّفَى لَا غَيْرَ ، بدلالة مجيء الاستثناء بعده ، وإذا كان كذلك لم يثبت القليلُ
به . والمعنى : مَا يَذْخَرُ مِنَ الزَّادِ إِلَّا قَدْرًا يَتَعَمَّلُ بِهِ ، فَقَدْ أَثَرَ الطَّوْسُ فِيهِ حَتَّى
هَزَلَ ، فَتَرَى رِءُوسَ أَضْلَاعِهِ شَاخِصَةً ، وَأَمْعَاءَهُ بِجَنْبِهِ مَلْتَصِقَةً ، لِقِلَّةِ طُعْمِهِ ،
وَاتِّصَالِ عِمَارَتِهِ لِلشَّدَائِدِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾
و ﴿ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

٦ - بَيْتٌ بِمَعْنَى الْوَحْشِ حَتَّى أَلْفَنُهُ وَيُضَيِّحُ لَا يَحْمِي لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَمًا
قوله « بَيْتٌ بِمَعْنَى الْوَحْشِ » ، أى استمرت هذه الحالة به ، واتصلت منه

(١) التَّبَجُّجُ : الْفُخْرُ . (٢) هُوَ طَرَفَةٌ ، فى مَعْلَقَتِهِ الْمَشْهُورَةِ .

(٣) مَقَاطُ : جَمْعُ مَقَطٍ . وفى الأَصْلِ : « مُقَابِلُ » ، تَحْرِيفٌ . وفى م : « مَقَطٌ »

ودامت ، لأن الأماكن سيوا ضاقت عنه ، ومجاميع الإنس تكرهته فَلَقَطَتْهُ ،
فَالِفَ القِفَارِ وَلَزِمَ مَرَابِيعَ الوحش ومساكنها ، حتى أُنِسَتْ به وسكنت إليه ،
وعَدَّتْهُ واحداً منها ، وصار هو أيضاً على تعاقب الزمان وتَصَرُّفِ الأحوال
لا يَحْمِي من أَجْلِهَا مَرْعَى ، ولا يُرَاعِي من مَرَادِهَا مَأْوَى ، لأن هِمَّتَهُ مصروفةً
إلى غَيْرِهَا ، ونَفْسِهِ مشغولةٌ بسواها ، فلا نَفَرَتْهَا مِنْهُ تَقْبِضُهَا عنه ، ولا صَيِّدُهُ
لَهَا يَجْمَعُهَا من همه . ومِثْلُ هذا قول الآخر ^(١) :

عَلَّامٌ تَرَى لَيْلَى تُعَذِّبُ بِالْمَعْنَى أَخَا قَفْرَةٍ قَدْ كَانَ بِالنُّوْلِ يَأْنَسُ ^(٢)
وَأَضْحَى صَدِيقَ الذَّنْبِ بَعْدَ عِدَاوَةٍ وَبَغْضٍ وَرَبَّتَهُ الْقِفَارُ الْأَمَالِسُ ^(٣)

٧- على غِرَةٍ أَوْ جَهْرَةٍ مِنْ مَكَانِسٍ أَطَالَ نِزَالَ الْقَوْمِ حَتَّى تَسْمَعَسَمَا ^(٤)

تَعَلَّقَ قَوْلُهُ « عَلَى » بقوله « لا يَحْمِي » . والمعنى : لا يحافظ لها ولا
يترقبها ، لا على غَفْلَةٍ منها واغترارٍ منه إياها ، ولا بمجاهرة لها ولا بكشفة دونها ،
بل أَطَالَ مزاولة الغارات ومُنازلة السكاة مُنْذُ تَرَعَرَعَ ، إلى أن وَلَّى شَبَابُهُ
وَتَسَمَّعَ . وهذه إشارة إلى ما تنقل فيه على تَغْيُرِ الأحوال وُضْعِ الأوقات ، من
اكتساب العداوات وإيقاع الوقعات ، وتهيج الغارات . وقوله « تَسَمَّعَ » من
قَوْلِكَ تَسَمَّعَ اللَّيْلُ أَوِ النَّهَارُ ، إِذَا أَدْبَرَ . وفي الحديث : « تَسَمَّعَ الشَّمْسُ » .

(١) هو عبيد بن أيوب العبدي ، أو عبيد بن ربيعة التميمي . انظر الحيوان (٦ : ١٦٨)
وحاسة البحرى ٤١١ .

(٢) الحيوان : « أخا قفرات كان بالذنب » .

(٣) في الحيوان :

وصار خليل الفول بعد عداوة صفيا وربته القفار البسابس

(٤) رواية التبريزي : « أو نهزه من مكانس » . وفي الأصل : « نزاع القوم »
والنفسير بعده يقتضى ما أثبتنا من م . والتبريزي . وقد أشار التبريزي أيضا إلى رواية :
« تشعشعا » ، قال : « من قولهم رجل شعشاع ، أى حلو خفيف ، أى صار لبقا بالنزال ملبج
الطعان والضراب ، لطول عادته لذلك » .

وَالْكَانِسُ : الْمَلَاذِمُ لِلْكَنَاسِ . وَيُقَالُ كَنَسَ الظُّبْيُ فَهُوَ كَانِسٌ ، إِذَا أَوَى إِلَى كِنَاسِهِ . قَالَ لَبِيد :

تَسْلُبُ الْكَانِسَ لَمْ يُوَرَّ بِهَا شُعْبَةُ السَّاقِ إِذَا الظِّلُّ عَقَلَ^(١)

وَيُقَالُ لِلْكَنَاسِ الْمَكْنَسُ . تَقَالُ : ظَبْيٌ كَنَسَ^(٢) ، إِذَا أَرَمَ كِنَاسَهُ .

٨- وَمَنْ يُغَرَّ بِالْأَعْدَاءِ لَا بُدَّ أَنْهُ سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَصْرَعِ الْمَوْتِ مَصْرَعًا^(٣)

قوله « لَا بُدَّ » يجرى مجرى لَا مَحَالَّةَ ، وهو من التَّدَد مصدر للأبد ، وهو سَعَةُ مَا بَيْنَ الْيَدِ وَالْجَنْبِ ، كَانَ المراد لاسَعَةً فِي ذَلِكَ وَلَا تَجَوُزُ . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ : لَا بُدَّ مِنْ أَنَّهُ سَيَلْقَى ، فَحَذَفَ مِنْ . فَإِذَا قُلْتَ : لَا بُدَّ مِنْ كَذَا ، فَانْتَصَبَ بُدَّ بَلَاءً ، وَخَبَرَهُ مِنْ كَذَا . وَلَمْ يَتَّعَلَقْ مِنْ بُدَّ كَمَا تَتَّعَلَقُ بِخَيْرٍ مِنْ قَوْلِكَ لَا خَيْرَ مِنْهُ لَكَ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكُنَّ بُدَّ وَلَمْ يَجَزْ غَيْرُهُ : يَقُولُ : مِنْ أَوَّلِهِ بِمُضَادَّةِ الْأَعْدَاءِ ، وَغَرَى بِمُضَارَّتِهِمْ لَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ مَصْرَعًا مِنْ مَصَارِعِ الْمَوْتِ ، لِأَنَّهُ كَمَا يَرَى فِيهِمْ يَرَى بِهِمْ . وَيُقَالُ : غَرَى بِكَذَا وَأَغْرَى بِهِ ، وَقَدْ رَوَى « يُغَرَّ » بَفَتْحِ الْيَاءِ ، وَ« يُغَرَّ » بِضَمِّهَا . وَالْمَصْرَعُ هَاهُنَا مَصْدَرٌ ، وَقَدْ يَكُونُ فِي غَيْرِ هَذَا اسْمًا لِلْمَكَانِ وَالزَّمان . وَعَلَى طَرِيقَةِ هَذَا الْبَيْتِ الْمَثَلُ السَّائِرُ : « مَنْ يَرِ يَوْمًا يَرِ بِهِ » . وَجَوَابُ الْجَزَاءِ فِي ضَمْنِ قَوْلِهِ لَا بُدَّ أَنْهُ سَيَلْقَى ، وَالتَّقْدِيرُ مَنْ يُغَرَّ بِالْأَعْدَاءِ فَهُوَ سَيَلْقَى بِهِمْ مَصْرَعُ الْمَوْتِ ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ .

٩- رَأَيْتَ فِتْنَى لاصِيدٍ وَخَشْيَ يُرْمُهُ فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْسًا لَصَافَحَتْهُ مَعًا

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَوْرًا » ، وَفِي م : « يَوْرًا » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتْنَا ، وَهِيَ إِحْدُ رَوَايَةِ الْبَيْتِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (وَأَر) . وَيُرْوَى : « لَمْ يُوَرَّ » ، وَهِيَ رَوَايَةُ الْدِيوَانِ ١١ طبع ١٨٨١ .

(٢) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ . وَالْمَعْرُوفُ « كَانَسَ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ مَصْرَعِ الْقَوْمِ » ، صَوَابُهُ فِي م وَالتَّبَرِيزِيِّ .

رَجَعَ إِلَى ذِكْرِ الْوَحْشِ بَعْدَ أَنْ اعْتَرَضَ بَيْنَ الْكَلَامِ فِيهَا بِقَوْلِهِ : « أَطَالَ نِزَالَ الْقَوْمِ » ، وَبِقَوْلِهِ « وَمَنْ يُفْرِ بِالْأَعْدَاءِ » . وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبَيِّنَ سَبَبَ أَنْسِهَا بِهِ ، وَزَوَالَ نِفَارِهَا مِنْهُ بِأَشَقِّ مَا قَدَّمَ . فَيَقُولُ : رَأَتْ الْوَحْشُ بِهِ فَتَى صَيْدِ الْوَحْشِ مِمَّا لَيْسَ يَخْطُرُ بِيَالٍ ، وَلَا يُعَدُّهُ مِنْ جِلَّةِ الْأَشْفَالِ . فَلَوْ مَكَّنْتُ مِنْ نَفْسِهَا إِنْسًا لِمَكَّنْتُ هَذَا . فَقَوْلُهُ « لَا صَيْدُ وَحْشٍ يُهْمُهُ » مِنْ صِفَةِ الْفَتَى ، وَتَنَى بِقَوْلِهِ لَا الْفِعْلَ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَكْرَرْ لَا مَرَّتَيْنِ كَمَا تَقُولُ لَا عَبْدٌ لَكَ وَلَا جَارِيَةٌ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ أَضْمَرَ بَعْدَ لَا فِعْلًا ، وَجَعَلَ الصَّيْدَ يَرْتَفِعُ بِهِ ، وَيَكُونُ الْفِعْلُ الظَّاهِرُ بَعْدَهُ تَفْسِيرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ لَا يُهْمُهُ صَيْدُ وَحْشٍ يُهْمُهُ . وَالْمَصَاحِفُ أَصْلَاهَا فِي مِائَةِ صَفْحَةٍ لِاحْدَى الْيَدَيْنِ لِلْآخَرَى عِنْدَ السَّلَامِ ، فَاسْتَعَارَهَا لِلتَّمَكِينِ وَالِاسْتِسْلَامِ . وَقَوْلُهُ « مَعَا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ مَجْتَمِعَةً وَمَصْطَحِبَةً . وَالْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ الْإِتْيَانِ بِلَفْظَةِ تَنْفِيدِ الْعُمُومِ ، فَكَأَنَّ الْمُرَادَ الْوَحْشُ عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا .

١٠- وَلَكِنْ أَرْبَابَ الْمَخَاضِ يَشْفُهُمْ إِذَا اقْتَفَرُوهُ وَاحِدًا أَوْ مُشَيِّمًا

١١- وَإِنِّي وَإِنْ تَحَمَّرْتُ أَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَلْتَنِي سِنَانُ الْمَوْتِ يَبْرِقُ أَصْلَمًا

قَوْلُهُ « الْمَخَاضُ » هِيَ الثُّوْقُ الْحَوَامِلُ ، وَهُوَ اسْمٌ صِيغٌ لِلْجَمَاعَةِ مِنْهَا ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا ، وَإِنَّمَا خَصَّهَا لِأَنَّ التَّنَافُسَ فِيهَا أَكْثَرُ ، وَأَرْبَابُهَا أَسْخَرُ . وَالشَّاعِرُ تَرَكَ قِصَّةً إِلَى قِصَّةٍ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : لَا يُهْمُهُ طَائِبَ الْوَحْشِ ، وَلَكِنْ يُهْمُهُ قَصْدُ أَرْبَابِ الْإِبِلِ فِي أَمْوَالِهِمْ ، فَهُوَ يُوْذِيهِمْ وَيَفْزَعُهُمْ ، وَيُضَنِّبُهُمْ إِذَا تَبَقَّعُوا أُنْرَهُ . وَقَدْ أَغَارَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَأَقَ إِلَيْهِمْ مُنْفِرِدًا عَنْ أَصْحَابِهِ ، أَوْ مُحْتَفَلًا بِهِمْ مُعَانَاةً يَجْتَشِيهِعُهُمْ . وَهَذَا بَيَانُ مَا قَدَّمَ فِي قَوْلِهِ « أَطَالَ نِزَالَ الْقَوْمِ حَتَّى تَسْمَعَهُمَا » .

وَانْتَصَبَ وَاحِدًا عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ اقْتَفَرُوهُ ، أَيْ مِنْفَرِدًا . وَيُقَالُ اقْتَفَرْتُ
لِلْوَحْشِ ^(١) إِذَا تَقَبَعْتَ أَثَرَهُ . وَمَعْنَى يَشْفُهُمْ ، يَهْزِلُهُمْ وَيَكْدُّ عَيْشَهُمْ . وَمَشْتَبَعًا :
مَعَهُ شَيْعَةً . يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَبَالِي كَيْفَ سَقَطَ عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُ يَشْفُهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ .
وَقَوْلُهُ « وَإِنِّي وَإِنْ عُمِّرْتُ » بَيَانُ قَوْلِهِ « وَمَنْ يُغَرِّ بِالْأَعْدَاءِ » ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ
« رَأَيْتُ فَتًى » بَيَانُ قَوْلِهِ « بَيْتٌ بِمَعْنَى الْوَحْشِ حَتَّى أَلْفَنَهُ » ، لِأَنَّهُ فَسَّرَ كُلَّ
بَيْتٍ مِنَ الْآيَاتِ الثَّلَاثَةِ بِبَيْتٍ . فَيَقُولُ : أَنَا وَإِنْ أَطْبَلَ عُغْرِي ، وَمُدَّ مِنْ نَفْسِي بِمَا
يَلْحَقُنِي مِنَ وَاقِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَجْتَرَحُهُ وَأَخْتَاضُهُ ^(٢) ، أَتَيْتَنُ أَنِّي سَأَلْتَنِي
أَجَلِي ، وَأَوْافِي مَضَرَعِي إِذَا دَنَا الْحَيْنُ الْمَعْلُومُ ، بِالْحَيْنِ الْمَحْتَمِ ، وَتَرَأَى سِنَانُ
الْمَوْتِ لِي بَارِزًا بَارِقًا ، أَيْ السِّنَانُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْمَوْتُ ، فَلَا أَخْتَارُ أَنْفُسِي إِلَّا
مَا لَا يَكْسِبُنِي عَارًا . وَفِي الْكَلَامِ مَعَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ التَّسْلِي التَّامَّ ، وَالرِّضَا
بِالْمَقْدُورِ . وَجَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ أَعْلَمُ أَتَنِي ، وَهُوَ عَلَى إِرَادَةِ الْفَاءِ ، وَيَجُوزُ عَلَى
نِيَّةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ .

١٦٦

وَقَالَ بَعْضُ بَنِي قَقْمَسَ : ^(٣)

١ - دَعَوْتُ بَنِي قَيْسٍ إِلَى فَشْمَرَتٍ خَنَازِيدُ مِنْ سَعْدٍ طَوَالَ السَّوَاعِدِ ^(٤)
يَقُولُ : اسْتَعِثْتُ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَنَدَبْتُهُمْ إِلَى نُصْرَتِي وَالِدِفَاعِ دُونِي ، خَفَّتْ
لِي رِجَالُ كَأَنَّهُمْ خَوْلٌ مَمْدُودَةٌ الْقَامَاتِ ، مَبْسُوطَةُ الْأَيْدِي بِالْخَضْبِ وَالْعَامَنِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « الرَّجُلِ » ، صَوَابُهُ فِي م وَالتَّبَرُّ يُزَى .

(٢) كَذَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « وَأَعْتَاضَهُ » .

(٣) فِي الْحَيَوَانِ (١ : ١٣٤) : « بَعْضُ الْقَيْسِيِّينَ مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ » . وَفِي الْبَيَانِ

(٢ : ١١) : « قَوْلُ الْقَيْسِيِّ » .

(٤) دَعَوْتُ بَنِي قَيْسٍ ، هَذِهِ رَوَايَةُ الْأَصْلِ وَمِ الْتَّبَرُّ يُزَى . وَفِي الْحَيَوَانِ وَالْبَيَانِ :

« دَعَوْتُ بَنِي سَعْدٍ » .

ويجوز أن يريد بالطول الاقتدار والغلبة ، كما يُقالُ في السَّلاطَةِ : هو طويل اللسان والخنازيد : السِّكرام من الخيل ، قاستَمَارَها للسِّكرام من الرِّجَال كما يُستَعار القُرُومُ لِلصَّاعِبِ لَهُمْ . ومن زَعَمَ أَنَّ الخنازيد : الخَصِيَّانِ أو الفَحُولَةَ ، فقولُه بعيدٌ عن الصواب ؛ يَشْهَدُ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ السِّكرامُ قولُ الشاعِرِ^(١) :

* وَخَنَاذِيدَ خَصِيَّةٍ وَفُحُولًا^(٢) *

والطَّوَال ، يكونُ جَمْعَ طَوِيلٍ وطُوالٍ جميعا . ومفعول شَمَرَتْ محذوف ، والمُرَاد ، رَفَعَتْ ذُبُولَهَا ، وَتَهَيَّأتَ مجتمعة ومتخففة للقتال . وكما قيل هم طِوَال الأَبْدَى والسَّوَاعِدِ في الجَرِيءِ المُقَدِّمِ ، المُسْتَعْلَى المُتَقَدِّرِ ، قيل في السخاء : هم بُسُطُ الأَبْدَى والأَكْفُ ، وقيل هو شديد السَّاعِدِ للقوى الجُلْد .

٢- إِذَا مَا قُلُوبُ الْقَوْمِ طَارَتْ مَخَافَةً مِنْ الْمَوْتِ أَرْسَوْا بِالْأَنْفُسِ الْمَوَاجِدِ

انتصب مَخَافَةً على أَنه مفعولٌ له . وجواب إِذَا « أَرْسَوْا » . والمعنى : إِذَا تَمَكَّنَ الرُّغْبُ مِنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ حَتَّى طَاشَتْ [له^(٣)] الأَلْبَابُ ، وَطَارَتْ لَهُ الْأَفَنَدَةُ ، ثَبَتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فِي مَوَاقِفِ التَّدَاوُعِ وَالتَّحَارُبِ بِأَنْفُسِ كَرِيمَةٍ لَا تُغْنِي عَلَى قَدَى ، وَلَا تُصْبِرُ عَلَى أَذَى ، فَهِيَ آيَةٌ لِلدَّيَّانَاتِ ، صَابِرَةٌ عِنْدَ النَّائِبَاتِ . وقوله « أَرْسَوْا » مفعولُه محذوف ، كَأَنَّهُ قَالَ أَرْسَوْا قُلُوبَهُمْ بِالْأَنْفُسِ الْكَرِيمَةِ . ويجوز أن يكون الباء من بالأنفوس زائدة للتأكيد^(٤) ، كما قال :

(١) هو النابغة الذبياني ، كما حقق ابن بري . ويروى لخفاف بن عبد قيس البرجمي - اللسان (خند) . وفي الحيوان (١ : ١٣٣) أَنه خفاف بن نذبة .

(٢) صدره : * وبراذين كابييات وأتنا *

(٣) هذه من م .

(٤) وقال ابن جني في التنبيه : « يجوز أن تكون الباء هاهنا حالا من الضمير في أرسوا ، أي أرسوا ونفوسهم معهم ، كقولك خرج بشيابه ، أي وثيابه عليه » .

* سُودُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأُ بِالسُّورِ ^(١) *

والمعنى أُرْسُوا النُّفُوسَ ، أى أثبتوها إثباتاً لا تَحْلُحَ معه ولا تَمُوجَ .
على هذا قولهم : الجبال الراسيات ، وهو رأي الدَّعَائِمِ . وَالْمَوَاجِدُ : جَمْعُ
مَاجِدَةٍ ، وأصله الكثرة ، يقال أجمدت الدابة المَلَفَ ، إذا كثرت لها .

١٦٧

وقال سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ ^(٢)

١ - يَا بُوسَ لِلْحَرْبِ الْآئِي وَضَعْتَ أَرَاهِطُ فَاسْتَرَا حُوا

اللام من قوله « يَا بُوسَ لِلْحَرْبِ » دَخَلَتْ لَنَا كَيْدَ الإِضَافَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ،
وهي إِضَافَةٌ لَا تُخَصِّصُ وَلَا تُعَرَّفُ . وهذه اللام لا تَجِيءُ عَلَى هَذَا الْحَدِّ إِلَّا فِي
بَابَيْنِ : أَحَدُهُمَا بَابُ النَّفْيِ بَلَاءً ، وَذَلِكَ مِنْهُ فِي قَوْلِكَ لَا غَلَا تَنِي لَكَ وَلَا أَبَالَاكَ
وَمَا أَشْبَهَهُمَا ، وَالثَّانِي بَابُ الدَّاءِ فِي قَوْلِكَ يَا بُوسَ لِلْحَرْبِ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى يَا بُوسَ
الْحَرْبِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْلَمْ يُرِدِ الإِضَافَةَ لَنَوَّنَ يَا بُوسَ فِي النَّصْبِ ، لَكُونَهُ
نَكْرَةً ، أَوْ كَانَ يَجْعَلُهُ مَعْرِفَةً مَبْنِيَّةً عَلَى الضَّمِّ . وَقَدْ أَنَى الشَّاعِرُ فِي بَابِ النَّفْيِ
عَلَى أَصْلِهِ فِي الإِضَافَةِ فَقَالَ :

(١) البيت يروى لشاعرين متعاصرين ، أحدهما الراعي النميري ، والآخر النقال الكلبي .
انظر الخزانة (٣ : ٦٧٧ - ٦٦٩) . وصدر البيت :

* هن الحرائر لا ربات أحرة *

(٢) هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، جد طرفة بن العبد ، كما ذكر
الطبريزي . وهذه الحماسية يقولها سعد يمرض فيها بالحارث بن عباد ، وكان قد عرف باعتزال
الحرب ومجانبتها ، ولم يسته إلى خوض نمارها في آخر الأمر إلا ما رواه أبو رياش ، ومؤداه
« إن ابن أخيه واسمه بجير بن عمرو بن عباد - عرض له مهلهل على غرة فقتله وقال له : بق بشع
فعل كائب ! فقتل للحارث بن عباد : إن ابن أخيك قد قتل دية لشع نعل كليب ، فلم ينتج لذلك

أبالموت الذي لا بُدَّ أنِّي مُلَاقٍ لا أَبَاكَ تَخَوَّفْنِي^(١)

والذي يَبْدُلُ على أن هذه الإضافة لا تَخَصُّصُ أن لا قد عَمِلَ معها ، وهو لا يَفْعَلُ إلَّا في النِّسْكَرات . وَمَعْنَى البيت أَنَّهُ على وَجْهِ التَّعَجُّبِ دَعَا بُؤْسَ الْحَرْبِ التي حَطَّتْ أَرَاهِطُ وَأَذَانَتُهُمْ حَتَّى اسْتَسْلَمُوا لِلْأَعْدَاءِ ، وَأَلْفَوْا وَضَعَ الْحَرْبِ^(٢) ، وَحَالَفُوا الرَّاحَةَ ، وَآثَرُوا السَّلَامَةَ . وَهَذَا الْكَلَامُ فِيهِ مَعَ الْقَضْدِ إِلَى التَّعَجُّبِ تَهَكُّمٌ وَتَعْبِيرٌ ؛ كَأَنَّهُ أَرَادَ : مَا أَبْأَسَ الْحَرْبِ التي قَعَلْتَ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « فَاسْتَرَا حُوا » فِيهِ تَهَكُّمٌ وَبَيَانٌ لاسْتِغْنَائِهِمْ ذَلِكَ^(٣) ، وَمِثْلُهُمْ إِلَيْهِ ؛ كَأَنَّهُمْ عَدُّوا نَفْضَ الْيَدِ مِنْ مَجَادِبَةِ الْأَعْدَاءِ وَصِرَافَتِهِمْ وَالْإِحْتَزَازِ مِنْ مَكَائِدِهِمْ ، لظُهُورِ عِجْزِهِمْ ، وَتَصَوُّرِهِمْ بِصُورَةٍ مِّنْ لَا يُحْتَفَلُ لَهُ ، وَلَا يُسْتَظْهَرُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُتَّقَى مِنْهُ — سَلَامَةٌ وَرَاحَةٌ ، وَإِنْ كَانَ سُقُوطًا وَمِهَانَةً . وَكُلُّ ذَلِكَ لَخُرُوجِهِمْ عَنْ مَلَكَةِ الْعِزَّةِ ، وَاطِّرَاحِهِمْ قِنَاعَ الْحَمِيَّةِ . وَأَرَاهِطُ جَمْعٌ ، يُقَالُ رَهْطٌ وَأَرْهَطُ وَأَرَاهِطُ . وَالرَّهْطُ يَقَعُ عَلَى مَا دُونَ الْعَشْرَةِ — وَلِذَلِكَ جَازَ أَنْ يُضَافَ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَحَادِ إِلَيْهِ — وَفَارَّقَ الْخَيْلَ وَالْقَمَمَ وَالْإِبِلَ^(٤) .

٢ - وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى إِبْجَا جِهَهَا التَّخْيِيلُ — لُ وَالْمِرَاحُ

= وَتَرِيثٌ حَتَّى يَتَحَقَّقَ مِنَ الْخَبَرِ بِنَفْسِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمَهْلَهْلَ : إِنْ إِنْمَا قَتَلْتَهُ بِشَعِ نَعْلٍ كَلْبِي ! فَجَمَعَ قَوْمَهُ وَأَعَدَّ لِلْحَرْبِ عِدَّتَهَا ، وَكَانَ يَوْمَ التَّحَالُقِ بَيْنَ قَوْمِهِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَإِخْوَتُهُمْ تَغْلَبُ . وَانْظُرِ الْعَقْدَ (٥ : ٢٢٠ - ٢٢١) .

(١) الْبَيْتُ لِأَبِي حِيَةَ النَّمِيرِيِّ ، كَمَا فِي اللَّسَانِ (أَبِ) .

(٢) أَيْ تَرَكَ الْحَرْبَ .

(٣) م : « بَيَانُ الْإِسْتِغْنَاءِ مِنْهُمْ لِذَلِكَ » .

(٤) أَشْبَحَ التَّبَرُّيُّ الْكَلَامَ عَلَى : « وَضَعْتُ أَرَاهِطُ » قَالَ : « وَلَيْسَ الْوَضْعُ هَاهُنَا ضِدُّ الرِّفْعِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهَا تَرَكَتْهُمْ فَلَمْ تَكْلِفْهُمْ الْقِتَالَ فِيهَا . وَإِنَّمَا يَعْنِي سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الْحَارِثَ بَيْنَ عِبَادٍ وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي اعْتِزَالِ الْحَرْبِ . وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْحَارِثَ لَمَّا حَارَبَ مَعَ بَنِي بَكْرِ بَعْدَ قَتْلِ بَجِيرٍ قَالَ : أَتُرَانِي مِمَّنْ وَضَعَتْهُ الْحَرْبُ ؟ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى النَّصَبِ . وَمَنْ رَفَعَ أَرَاهِطَ فَالْمَعْنَى يَابُوسَ لِلْحَرْبِ التي وَضَعَتْهَا أَرَاهِطُ . وَهَذَا اللَّفْظُ هُوَ الْأَصْلُ لِأَنَّ قَوْلَكَ تَرَكَ بَنُو فُلَانٍ الْحَرْبَ هُوَ وَاجِبُ الْكَلَامِ ، وَقَوْلَكَ تَرَكَتِ الْحَرْبُ بَنُو فُلَانٍ مُجَازٌ وَاتِّسَاعٌ » .

يقال : جَحَمَتِ النَّارُ فِيهِ جَاحِمَةً ، إِذَا اضْطَرَمَّتْ ؛ ومنه الجحيم . وهذا الكلام جارٍ مجرى ما قَبْلَهُ ، وفيه إزراء بالذين ذَكَرَهُمْ ، وإيهامٌ بأنهم كانوا أصحاب خِيَلَاءٍ وَبَطَرٍ ، ومَرَّاحٍ وَنَزَقٍ ، فلم تَثْبُتْ أَقْدَامُهُمْ عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَا صَبَرَتْ أَنْفُسُهُمْ أَوَّانَ الْكِفَاحِ ، فقال مُعَرِّضًا : لا يَبْقَى لِنَارِ الْحَرْبِ كِبَرِيَاءُ الْمُتَسَكِّبِينَ ، وَلَا نَشَاطُ الْمُرَحِّينَ ، بل يَسْتَبَدِّلُونَ بَيْنَهُمَا اللَّيْنَ وَالْكَسَلَ ، وَالْانْخِرَالَ وَالْفَشَلَ ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْإِمْتِهَانِ ، وَالِاسْتِسْلَامَ عِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . وقوله « لا يَبْقَى لِجَاحِمِهَا التَّخْيِيلُ » يجوز أن يُرِيدَ بِهِ صَاحِبَ التَّخْيِيلِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْبَدَلُ فِي إِلَّا الْفَتَى — وَهُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُ ، وَجْهَ الْكَلَامِ وَمُخْتَارَهُ ؛ لِأَنَّ الثَّانِيَّ يَكُونُ مِنَ الْجِنْسِ الْأَوَّلِ ، وَفِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ لَا يَكُونُ مِنْ جِنْسِهِ ، وَالِاخْتِيَارُ فِي الْمُسْتَنَى بَعْدَهُ النَّصْبُ .

٣ — إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي الـ نَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

قوله « إِلَّا الْفَتَى » ارتفع على أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ التَّخْيِيلِ ، وَهَذَا لُفَّةٌ تَمِّمُ ، وَلُفَّةٌ سَائِرُ الْعَرَبِ النَّصْبُ فِيمَا كَانَ اسْتِثْنَاءً خَارِجًا وَإِنْ كَانَ جَائِيًا بَعْدَ النَّفْيِ ، لِأَنَّ كَوْنَهُ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ يُبَعِّدُ الْبَدَلَ فِيهِ . وَالنَّصْبُ كَانَ جَائِزًا عَلَى كُلِّ وَجْهِ . وَالنَّجْدَاتُ : الشَّدَائِدُ . وَالصَّبْرُ أَصْلُهُ الْخُبْسُ ، وَقَمَالُ بِنَاءِ الْمُبَالَغَةِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْفَاعِلِ مِنَ صَبَّرَ ، لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ مِنَ صَبَّرَ مُصَبَّرٌ . يَقُولُ : لَكِنْ [لَا] يَنْبَغِي لِمُلَابَسَةِ الْحَرْبِ وَالصَّبْرِ عَلَى شِدَائِدِهَا [إِلَّا الْفَتَى ^(١)] الْحَسَنُ الثَّبَاتُ فِي السَّكْرَانِ ، وَالْفَرَسُ الضَّلْبَةُ عَلَى الْجِرَاءِ . وَيُقَالُ فَرَسٌ وَقَّاحٌ ، وَحَافِرٌ وَقَّاحٌ ، وَهُوَ وَقَّحُ الْوَجْهِ ؛ وَمُصَدَّرُهُ الْقِحَّةُ .

(١) التَّكْلِمَةُ مِنْ م .

٤ - والنَّثْرَةُ الحَصْدَاءُ وَالْبَيْضُ الْمَكَلَّلُ وَالرَّمَّاحُ

عَدَدَ الآلاتِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجْدَاتِ عِنْدَ مَرَاسِ الْحَرْبِ، وَدِفَاعِ الشَّرِّ. فَالنَّثْرَةُ: الدَّرْعُ الْوَاسِعَةُ لِلْحِكْمَةِ السَّرِيدِ، وَيُقَالُ فِيهَا النَّثْلَةُ بِاللَّامِ أَيْضًا. وَالْحَصْدَاءُ: الْجَذَلَاءُ، وَمَصْدَرُهُ الْحَصْدُ. يُقَالُ حَصِدَ يَحْصِدُ حَصْدًا، وَأَخْصَدْتُهُ وَهُوَ مُحْصَدٌ. يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْأَوْتَادِ وَالْجِبَالِ وَالْدَّرْعِ إِذَا أَخْكَمْتَ وَفَتَلْتَ. وَيُقَالُ هُوَ حَصِيدٌ وَمُسْتَحْصِدٌ أَيْضًا. وَقَوْلُهُ «الْبَيْضُ الْمَكَلَّلُ» يَعْنِي بِالسَّامِيرِ، كَأَنَّهَا غُشِيَتْ وَسُمِّرَتْ. وَالْمَعْنَى إِنَّمَا يَبْقَى عَلَى صَلَاحِ الْحَرْبِ وَمَزَاولِهَا مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ يَرْجِعُ إِلَى قُوَّةٍ وَجَلْدٍ، وَمَنْ صَبْرِهِ يَعْتَمِدُ عَلَى أَتْلُجٍ أَمَدٍ، وَمَنْ سِلَاحِهِ يَبْقَى بِأَنْتَمٍ عَدِيدٍ. وَلَمْ يَصِفِ الرَّمَّاحُ، وَيَعْنِي أَقْوَمَهَا لَا مَحَالَةَ.

٥ - وَالْكَرُّ بَعْدَ الْفَرِّ إِذَا كَرِهَ التَّقَدُّمُ وَالنُّطَاحُ

بَيَّنَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الصَّبَّارُ مِنَ الْأَفْعَالِ فِي الْحَرْبِ، كَمَا بَيَّنَّ الْآلَاتِ الَّتِي مِنْ شَرَطِهَا (استصحابها^(١)) فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَيَبْقَى لِحَاجَتِهَا الْكَرُّ بَعْدَ الْفَرِّ فِي وَقْتِ يُكْرَهُ فِيهِ الْإِفْدَامُ وَالتَّقَدُّمُ، وَالنُّطَاحُ وَالتَّجَرُّدُ. وَبَعْضُهُمْ يَرَوِي هَذَا الْبَيْتَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ^(٢)، وَالصَّوَابُ هَذَا التَّرْتِيبُ. وَجَعَلَ النُّطَاحَ بَيْنَ الْكِبَاشِ مَثَلًا لِلْبَهَالَةِ بَيْنَ الْفَرَسَانِ.

٦ - وَتَسَاقَطَ التَّنَوَّاطُ وَالْذَّنْبَاتُ إِذَا جُهِدَ الْفِضَاحُ^(٣)

هَذَا يَنْعُطُ عَلَى قَوْلِهِ وَضَعْتُ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَا حُوا. يَقُولُ: وَتَسَاقَطَ الدُّخْلَانُ

(١) هذه من م.

(٢) أي يرويه بعد البيت التالي، ومن فعل ذلك التبريز.

(٣) التبريزي: «وتساقط الأوشاط» ثم أشار إلى رواية «التنواط». ولم يفسر الأوشاط صريحًا. وفي اللسان: والوشيط: التابع والحلف، والجمع أوشاط.

والهَجْناء الذين نِيَطُوا بصميم العَرَب فلم يكونوا منهم . والتَّنَوَّاطُ مَصْدَرٌ في الأصل ، كالتَّرْدَاد والتَّكْرَار ؛ وكان المراد ذَوُو التَّنَوَّاط ؛ فحذِفَ المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه . ويجوز أن يكون وُصِفَ به كما يوصفُ بالمصادر . وذكر بعضهم أن التَّنَوَّاطَ ما يُعَلَّقُ على الفَرَس من إِدَاوَةٍ وغيرها ؛ لأنَّ كلَّ ذلك قد نِيَطَ به ، ثم أطلق تشبيهاً على الدُّخْلَاء . وقد استعمل هذه اللفظة في الدَّعَى ، فقيل : هو مَنُوطٌ . وقال الشاعر ^(١) :

وَأَنْتَ دَعِيٌّ نِيَطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ
كَمَا نِيَطَ خَلْفَ الرَّايِبِ الْقَدَحُ الْفَرْدُ
فعلى هذا يجوز أن يريد بذوى التَّنَوَّاط الأُدْعِيَاء . وقوله الذَّنَبَاتُ ، يريدُ التَّبَاعَ والعُسَاءَ . ويقال الذَّنَابُ والأَذْنَابُ أيضاً . وكما قيل هذا تشبيهاً بِذُنَابَةِ الْوَادِي ^(٢) ، قيل في الرؤساء الذُّوَابُ ، لأنهم الأغفلون . وذكر بعضهم أن الذَّنَبَاتِ لَا يُقَالُ فِي النَّاسِ ، وإنما يُقَالُ لَهُمْ أَذْنَابٌ ، ثم أنشد :

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ
وَمَنْ يُسَوِّي بَأَنْفٍ النَّاقَةَ الذَّنْبَا ^(٣)
ومن حيث جاز الأَذْنَابُ واستعارتها جاز استعارَةُ الذَّنْبَةِ وَالذَّنَابَةِ وَالذَّنَابِ وَالذَّنَبَاتِ ، ولا فَضْلَ . وقوله « إِذْ جُهِدَ الْفِضَاحُ » معناه « يُبْلَغُ بِالْفِضِيحَةِ جَهْدُهَا » ولم يُرَضَ بِالْعَفْوِ منها . وفي الوقت الذي أشار إليه ، لَا يَنْتَبِتُ إِلَّا مَنْ يَرْجِعُ إِلَى كَرِيمٍ مُتَنَاهٍ ، وَحِرْصٍ عَلَى الْحَفَظَةِ عَلَى الشَّرَفِ بِالْفِعْلِ .

٧ - كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الْعُشْرَاحُ

أَخَذَ يَقْتَصُّ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ . وقوله « كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا » تَمَثَّلُ يُضْرَبُ لَشِدَّةِ الْحَرْبِ ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ يَكْشِفُونَ عَنِ السَّاقِ ، لِفِعْلِ الْفِعْلِ

(١) هو حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث . ديوانه ١٦٠ و اللسان (نوط) .

(٢) الذَّنَابَةُ بضم الذال وتكرر أيضاً .

(٣) البيت للعطية . د انه ص ٦ .

لها ، والمراد انكشفت الحرب لهم عن تَشَمُّرِ أهلها واشتدادها . وقد قليل : الساق انتم للشدة ، وفُسِّر عليه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ فقليل : المعنى يوم يكشَفُ عن شِدَّة . وكذلك كشفت الحربُ عن ساقِها ، معناه أُبْرِزَتْ عن شِدَّتِها . وقوله « وبدا من الشرِّ الطُّرَّاح » أى الخالص الذى لا يمتزج به خَيْرٌ ولا يُزَجَّى بعده صَلَاحٌ . ويقال : صَرِيحٌ وَصْرَاحٌ ، كما يقال طَوِيلٌ وطُوْالٌ ، وعريضٌ وعُرَاضٌ . ويقال : صَرَّحَتْ الخُمْرةُ ، إذا انكشفت عنها زُبدتها .

٨ - فَالْهَمْ بِيضَاتُ الْخُدُورِ رِ هُنَاكَ لَا التَّمُّ الْمُرَاحُ

أَقْبَلَ يَصِفُ مَا امْتَحَنُوا بِهِ فِي الْحَرَمِ إِذَا تَرِكَ حَدِيثُ الْمَالِ وَالْبَلَاءِ فِي الثُّفُوسِ . وقوله « فَالْهَمْ بِيضَاتُ الْخُدُورِ » يجوز أن يُرَادَ بِهِ مَا يُهْتَمُّ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ : الْحَرَمُ وَالنِّسَاءُ الْمُخَدَّرَاتُ اللَّاتِي كَانَهُنَّ بَيَضُ مَكُونُ صِيَانَةٍ وَجَمَالًا ، لَا الْإِبِلَ الْمُرَاحَةَ مِنْ مَرَاعِيهَا . كَأَنَّهُ سَمَّى مَا يُهْتَمُّ لَهُ هَمًّا . ويجوز أن يكون المعنى مَا يُهْتَمُّ بِهِ : النِّسَاءُ لَا الْإِبِلَ . والمراد أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْتَنُمُونَ سِبَاءَ النِّسَاءِ وَالْحَاقِ الْعَارِ بِسَبِيحَةٍ ، لَا اغْتِنَامِ الْأَمْوَالِ . وَتَشَبَّهَ الْمَرْأَةُ بِالْبَيْضِ لِثَلَاثِهَا وَزَوَالِ الْحُجُومِ عَنْهَا . وَقَالَ الْخَلِيلُ : بَيِضَةُ الْخُدْرِ هِيَ الْحَجَارِيَّةُ الْمُخَدَّرَةُ الْجَمِيلَةُ . وَإِنَّمَا قَالَ الْمُرَاحُ لِأَنَّ النَّعْمَ مَذْكُورٌ . وَيُقَالُ سَرَّحْتُ الْمَاشِيَةَ بِالْفِدَاةِ ، وَأَرَحْتُهَا بِالْعَشِيَةِ .

٩ - بِئْسَ الْخِلَافُ بَعْدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرُ وَاللَّقَاحُ

أَوْلَادُ يَشْكُرُ ، هُمُ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ وَضَعَتْهُ الْحَرْبُ . فَيَقُولُ : إِذَا خَلَّفْنَا مِنْ لَا دِفَاعَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالْأَمْوَالِ ، فَبِئْسَ الْخِلَافُ بَعْدَنَا . جَعَلَ أَوْلَادُ يَشْكُرُ كَاللَّقَاحِ - وَهِيَ الْإِبِلُ بِهَا لَبَنٌ - فِي حَاجَتِهَا إِلَى مَنْ يَذُبُّ عَنْهَا ، وَيُحَامِي عَلَيْهَا . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « وَاللَّقَاحُ » بَفَتْحِ اللَّامِ ، وَهُمُ بَنُو حَنِيفَةَ ، وَكَانُوا لَا يَدِينُونَ لِلْمُلُوكِ . وَيَكُونُ السَّكْلَامُ عَلَى هَذَا تَهْكِمًا .

١٠ - مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٌ^(١)

يقول : مَنْ أَحْجَمَ عَنِ الْحَرْبِ وَكَرِهَ الاصْطِلَاءَ بِقَارِهَا وَالصَّبْرَ عَلَى بِلَوَاهَا ، وَعَجَزَ عَنِ الثَّبَاتِ فِي وَجْهِ أَبْنَائِهَا ، فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٌ لِي فِيهَا وَلَا انْحِرَافٌ . ومعنى « فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ » فأنا المشهور بأبيه ، المستغنى عن تطويل نَسَبِهِ . فقوله لَا بَرَّاحٌ ، الْوَجْهُ فِيهِ النَّصَبُ ، وَلَكِنَّ الضَّرُورَةَ دَعَتْهُ إِلَى رَفْعِهَا . وقال سيبويه : جَعَلَ لَا كَلَيْسَ هَاهُنَا فَرَفَعَ بِهِ النِّكْرَةَ ، وَجَعَلَ الْخَبَرَ مُضْمَرًا . ومثله :

* بِي الْجَحِيمِ حِينَ لَا مُسْتَصْرَخٌ^(٢) *

كأنهما قالا : حين ليس عندي مُسْتَصْرَخٌ وَلَا بَرَّاحٌ عِنْدِي فِي الْحَرْبِ .

(١) هذا آخر المقطوعة عند المرزوق . وروى التبريزي بعده خمسة أبيات . وهي :

١٠ - صَبْرًا بَنَى قَيْسٍ لَهَا حَتَّى تُرْجِحُوا أَوْ تُرَاحُوا

١١ - إِنْ الْمَوَائِلَ خَوْفَهَا يَعْتَاقُهُ الْأَجَلُ الْمَتَاحُ

١٢ - هِبَاتِ حَالِ الْمَوْتِ دُونَ الْقَوْتِ وَانْتِضَى السَّلَاحُ

١٣ - كَيْفَ الْحَيَاةُ إِذَا خَلَّتْ مِنَّا الظَّوَاهِرُ وَالْبَطَاحُ

١٤ - أَيْنَ الْأَعِزَّةُ وَالْأَسِنَّةُ عِنْدَ ذَلِكَ وَالسَّمَاحُ

وقال في شرح البيت الأول : « أَيْ اصْبِرُوا لِهَذِهِ الْحَرْبِ حَتَّى تَقْتُلُوا أَعْدَاءَكُمْ فَتَرْجِحُوهُمْ مِنْ شِدَّتِهَا أَوْ يَقْتُلُوكُمْ فَتَرْجِحُوهُمْ مِنْ ذَلِكَ » . وفي شرح الثاني : « الْمَوَائِلُ : الَّذِي يَطْلُبُ الْمَوْتِ . خَوْفُهَا أَيْ خَوْفُ الْحَرْبِ . وَنَصَبُ الْخُوفِ بِالْمَوَائِلِ . وَيَعْتَاقُهُ ، أَيْ يَشْغَلُهُ الْأَجَلُ عَنِ النِّجَاءِ فَيَقَعُ فِيهَا يَكْرَهُ مِنْهَا . وَالْمَتَاحُ : الْمَقْدَرُ . وَهُوَ كَمَا يُقَالُ : لَا يَنْفَعُ عَمَّا هُوَ وَانْعَ التَّرْقُ . » وقال في شرح الثالث : « أَرَادَ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ حَالَ دُونَ أَنْ يَفُوتَ الرَّجُلَ فَيَذْهَبَ عَنْ هَذِهِ الْحُرُوبِ مِنْهُمَا . يُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا الْقَتْلُ أَوْ الْغَلَبُ » . وفي شرح الرابع : « الظَّوَاهِرُ : أَعَالَى الْأَوْدِيَةِ وَالْبَطَاحُ : بَطُونُهَا . وَهُوَ مِنْ نَوَادِرِ الْجَمْعِ ، وَاحِدُهَا أَبْطَحُ وَبَطْحَاءُ » .

(٢) للمعاج في ديوانه ١٤ . وقبله ، وهو أول الأرجوزة :

* وَاللَّهِ أَوْ لَا أَنْ تَحْشَ الطَّبِخُ *

وهذا يقلُّ في الشعر ولا يكثرُ. وجعل غيره بَرَّاحٌ مبتدأ والخبر مضمراً؛
وإنما يحسنُ ذلك إذا تكرر، كقول القائل: لا دِرْهم لي ولا دينار، ولا
عبد لي ولا أمة. إلا أنه جَوَزَ للشاعر الرفعُ في النكرة بعد لا وإن لم يكرّر،
لأن أصلَ ما يُنفى بلا الرفع، فكأنه من باب ردِّ الشيء إلى أصله. ويقال
ما بَرَّحتُ من مكان كذا، أي ما زِلْتُ بَرَّاحاً وبروْحاً. وما بَرَّحتُ أقفلُ
كذا بَرَّاحاً، أي أَمَت على فعله، مثل ما زِلْتُ أقفله. والبرَّاحُ الأولُ في
مكان، والبرَّاحُ الثاني في الزَّمان، ولا بُدَّ له من خبر.

١٦٨

قال جحدرد، وهو ربيعة بن ضبيعة^(١):

١ - قد يَتِمَّتْ بِنْتِي وآمَتْ كَنَّتِي

٢ - وشَمَمْتُ بَعْدَ ادِّهَانٍ مُجَنِّي^(٢)

٣ - رُدُّوا عَلَيَّ الْخَلِيلَ إِنِ أَلَمْتُ

٤ - إِن لَّمْ أَتَانِجِزْهَا فَجَزُّوا لِمَتِي

٥ - قد عَلِمْتُ وَالِدَةُ مَا ضَمَّتِ

٦ - ما لَفَفْتُ فِي خِرْقٍ وَشَمَّتِ^(٣)

٧ - إِذَا الْكُمَاةُ بِالْكُمَاةِ اتَّفَقَتْ^(٤)

(١) جحدرد، قال ابن جني في المجهج ٤: «هو الجحد القصير من الناس، وهو صفة

محتقولة». وجحدرد هو ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن ضبيعة، كما ذكر التبريزي.

(٢) م: «بعد الدهان». التبريزي: «بعد الرهان» وهذه الأخيرة محرفة.

(٣) قال التبريزي: «ويروى: ولففت».

(٤) بعده عند التبريزي:

* أُنْجِدُّ فِي الْحَرْبِ أَمْ أُنْمِتِ *

هذا توجعٌ وتحشُّرٌ. والمرادُ إني قد استنقذتُ ، وكانت هذه الأمور من اليَتيمِ والأبسةِ والنشعثِ قد اتفقتُ ووقعت . وإنما قال هذا لأنه كان قد سيمَ في يومٍ تحلَّقَ اللِّمَمُ أن يحلَّقَ الشَّعرَ ، إذ كانوا جعلوا ذلك شعاراً لهم^(١) ، وهذا اليوم من أيام بَكْرٍ وتَغْلِبٍ^(٢) . وكان جحدرد هذا حسنَ اللَّمةِ غزلاً ، متبجِّجاً بحاله ووفرتِه عند النساء ، فسأل - لسكراته ما ساموه - الإغفاء منه ، مفتظرين ما يكون من بلائه ، وتشهير نفسه بين الصَّغْفين بعلامةٍ تُميِّزه وآثارٍ تُشرِّفه ، وحلَّاتٍ على الأعداء تدلُّ على غنائه ، ومقاماتٍ تشهدُ بوفائه ؛ فإن لم يَفِ بذلك حينئذٍ تجرَّ لَمَتُهُ عُقوبةً وتفكيلاً ، ففي جَزِّ اللَّمةِ إذلالٌ ؛ ولذلك كان يُفعل بالأسير عند المَنِّ عليه . ثم ذكر ما نشأ عليه ونُفِّسَ فيه^(٣) من وقتِ الولادة إلى الإيفاع ، من الغناء والكفاية ، والذكاء والشَّهامة ، فقال : قد علمتُ والذئبُ أيَّ ولدٍ تَضُمُّهُ إلى نفسه ، وأيَّ إنسانٍ تلفُفُ في القُمطِ حين لَفَّتني ، وأيَّ فارسٍ تشبُّهُ بشيٍّ ، إذا تراكَمتِ الأهوالُ ، وتداغت الأبطالُ ، وضاقَ لَأَكْرُ والمَجَالُ ، وتلاحقتِ الرِّجالُ بالرِّجالِ ، فهذا سببُ توطينِهِ النفسِ على القَتْلِ ، [ووجه الشرط في مناجزة الخيل^(٤)] . وقوله « يَتِمَّتْ » مصدرُهُ اليَتيمُ . قال الدُّرَيْدِيُّ : اليَتيمُ الفرْدُ ، لذلك سُمِّيَ الذي يموتُ أحدُ والديه

(١) كانت بكر بن وائل - وهم قوم جحدرد - قد حلقت رؤوسها استيسالاً للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسايتهم . وكان الحارث بن عباد قد اقترح يوم تحلَّق اللمم أن يشترك النساء في هذه الحرب ، وأن تحمل كل امرأة إداوة من ماء تنقلدها ، وهراوة تمسكها ، فإذا مرت المرأة على صريع قد حلق رأسه عرفته فسقته من الماء ونعشته ، وإذا مرت على صريع لم يحلق رأسه ضربته باهراوة فقتلته وأنت عليه . وكما حلقت بكر رؤوسها قطعت ثمار سباطها - وهي عذباتها - وذلك رافة بالخيل أن تعقر أو يؤثر بها أثر قبيح عند شدة القتال ، والذي أشار بذلك هو عامر بن تيم اللات بن ثعلبة ، فسمى لذلك « مقطع الجذم » .

(٢) م : « من وقعات بكر وتغلب » .

(٣) م : « وتقدس فيه » ، تحريف .

(٤) هذه التكلة من م .

يَتِيمًا ، كَأَنَّهُ أَفْرَدَ ، وَقِيلَ الْيَتِيمُ فِي الدَّاسِ مِنَ الْأَبِ وَالْأُمِّ ، وَمِنَ الْبَهَائِمِ مِنَ الْأُمِّ .
 وَقَوْلُهُ « أَمْتُ » مَصْدَرُهُ الْأَيْمَةُ وَالْأَيُّومُ . وَالْأَيْمُ : الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا .
 وَالْكَنَّةُ ، قَالَ الْخَلِيلُ : هِيَ امْرَأَةُ الْأَخِ أَوْ الْإِبْنِ . وَيَشْهَدُ لِمَا قَالَهُ قَوْلُ
 الشَّاعِرِ (١) :

هِيَ مَا كَنَّنِي وَتَزَّ عُمُ أَنِّي لَهَا حَمُو (٢)

وَيَعْنِي جَحْدَرٌ بِالْكَنَّةِ امْرَأَةً نَفْسَهُ ، كَأَنَّهُ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ كَنَّةً قَوْمِهِ
 أَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ .

وَالشَّعْثُ وَالشُّمُونَةُ : اغْبَارُ الشَّعْرِ وَتَلْبُدُهُ .

وَقَوْلُهُ « رُدُّوْا عَلَيَّ الْخَلِيلَ » يَرِيدُ أَصْرَفُوا وَجُوهَهَا إِلَيَّ .

وَالْمُنَاجَزَةُ : الْمَعَالِجَةُ بِالْقِتَالِ (٣) ، وَمِنْهُ إِنْجَازُ الْوَعْدِ ، وَنَجَزَ الشَّيْءَ .

وَقَوْلُهُ « مَا لَفَقْتُ فِي خِرْقِي » بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ مَا ضَمَّتْ ، وَالتَّكْرَارُ عَلَى هَذَا
 الْوَجْهِ تَفْخِيمٌ لِلْقِصَّةِ .

(١) هُوَ قَفِيدٌ ثَقِيفٌ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (حَا) .

(٢) مِنْ مَجْزُوءِ الْخَفِيفِ . وَقَبْلَهُ فِي اللِّسَانِ وَشَرَحَ التَّبْرِيزِيُّ :

أَيُّهَا الرِّكْبُ سَلِمُوا وَارْبَعُوا كَيْ تَكَلَّمُوا
 وَتَقَضَّوْا لِبَافَةً وَتَحَيَّوْا وَتَغْنَمُوا
 خَرَجَتْ مَزْنَةٌ مِنْ أَلَا بِحَسَرٍ رِيَا تَجْمَعُ

وَقَدْ رَوَى التَّبْرِيزِيُّ قِصَّةَ لِهَذَا الشَّعْرِ اسْتِمَانِ فِيهَا الْحَارِثُ بْنُ كَلْدَةَ طَبِيبُ الْعَرَبِ بُوَسَائِلَ

الْعِلَاجِ النَّفْسِيِّ .

(٣) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ . وَالْوَجْهُ : « الْمَعَالِجَةُ » . وَفِي اللِّسَانِ : « وَتُنَاجِزُ الْقَوْمَ :

تَسَابَقُوا دِمَاهِمَ ، كَأَنَّهُمْ أَسْرَعُوا فِي ذَلِكَ » .

١٦٩

وقال شماس بن أسود^(١) :

١ - أَغْرَكَ يَوْمًا أَنْ يُقَالَ ابْنُ دَارِمٍ وَتُقَعَى كَمَا يُقَعَى مِنَ الْبَرْكِ أَجْرَبُ
 لَفْظُهُ لَفْظُ الاسْتِفْهَامِ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ . وَيُقَالُ غَرَّهُ ، إِذَا
 غَشَّهُ وَخَتَرَهُ^(٢) بِمَا يَحِبُّ السَّكُونُ إِلَيْهِ وَالْإِيمَانُ بِهِ . وَيُقَالُ : مَا غَرَّكَ مِنِّي ،
 أَيْ لِمَ وَثِقْتَ بِي ؟ وَمَا غَرَّكَ بِي ، أَيْ لِمَ اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ ؟ وَمَا غَرَّكَ عَنِّي ، أَيْ لِمَ
 غَفَلْتَ عَنِّي ؟ فَيَقُولُ : اغْتَرَزْتَ بِقَوْلِ النَّاسِ فِيكَ هُوَ ابْنُ دَارِمٍ وَإِنْ أُخِّرَ
 مَنَزِلُكَ ، وَأَقْصِيتَ فِي نَفْسِكَ كَمَا يُقَعَى الْبَعِيرُ الْجَرَبُ مِنَ الْبَرْكِ خَافَةَ الْإِعْدَاءَ ،
 وَكَانَ حُكْمُ مِثْلِكَ إِلَّا يُفْنِعَهُ نَخَامَةُ الذِّكْرِ مَعَ سَقُوطِ الْقَدْرِ ، وَلَا يَسْكُنُ مِنَ
 النَّاسِ إِلَى تَسْمِيَتِهِمْ إِيَّاهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ وَهَذَا فِغْلُهُمْ بِهِ . قَوْلُهُ « ابْنُ دَارِمٍ »
 يَمُوزُ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً وَخَبَرُهُ مَحذُوفٌ ، وَأَنْ يَكُونَ خَبَرًا وَالْمَبْتَدَأُ مَحذُوفٌ ،
 وَالْمُضْمَرُ فِي الْوَجْهِينِ أَنْتَ أَوْ هُوَ . وَيُقَالُ بَعِيرٌ جَرِبٌ وَأَجْرَبٌ ، وَالْبَرْكُ : جَمْعُ
 بَارِكٍ ، كَتَاخِرٍ وَتَجَرٍ .

٢ - قَضَى فِيكُمْ نَوْسٌ بِمَا الْحَقُّ غَيْرُهُ كَذَلِكَ يَخْزُوكَ الْعَزِيزُ الْمُدْرَبُ^(٣)

(١) التبريزي : « شماس من الفرس الشموس ، وإنما يريدون أنه أبي عزيز . وهذا
 أشبه من اليوم الشماس ، وإن كان ذلك جائزاً » . وقد نسبته التبريزي فقال : « شماس بن أسود
 الطهوي » . وذكر أنه يقول الشعر لحري بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهل بن
 دارم . وكان قيس بن حسان بن عمرو بن مرثد قد أخذ بكرا من إبل عمرو بن عمران ، جار
 حري بن ضمرة ، فانتقم له حري بأن أخذ من إبل قيس بن حسان ثلاثين بعيرا ، فافطلق قيس
 إلى أخواله بني مجاشع يستعديهم ، فشوا إلى بني نهل وطلبوا أن يرد إليه جري الإبل ، فلم يقبل ،
 فطلبوا منهم خلعه فخلعوه ، وأخذوه بنو مجاشع فضر به وأخذوا منه أكثر مما أخذوه .

(٢) ختَرَهُ : غشه وخذعه . وفي م : « خبره » .

(٣) التبريزي : « قيس » بدل « نوس » ، وقال : « روى أبو هلال : قفى

فيكم نوس » .

نَوْسُ هَذَا الْمَذْكُورِ كَانَ لَهُ جَارٌ ، وَاهْتَصَمَهُ ابْنُ دَارِمٍ وَاسْتَأَقَ مَالَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ الصَّرِيخُ نَوَسًا ذَهَبَ فِي أَثَرِ ابْنِ دَارِمٍ وَارْتَجَعَ مَالَ جَارِهِ مِنْهُ ، وَسَلَبَهُ مَا صَحِبَهُ مِنْ مَالٍ نَفْسِهِ ، وَأَبَانَ يَدَهُ مِنْهُ بِضَرْبَةٍ تَنَالُوهُ بِهَا ، فَلِهَذَا قَالَ : حَكَمَ فِيكُمْ نَوْسٌ عِنْدَ الْإِنْتِقَامِ لِمَا جَارِهِ مِنْكُمْ بِحُكُومَةٍ جَائِزَةٍ خَارِجَةٍ عَنِ الْاِقْتِصَادِ إِلَى الْاِسْتِطَاعِ . ثُمَّ قَالَ « كَذَلِكَ يَخْزُوكَ » أَيْ يَسُوسُكَ الرَّجُلُ الْجَدْلُ الْعَزِيزُ الْمَجْرَبُ . وَهَذَا الْكَلَامُ ، أَغْنَى كَذَلِكَ يَخْزُوكَ ، يَجْرِي بِجَرَى الْاِتِّفَاتِ ، كَأَنَّهُ التَّفَتُّ إِلَى غَيْرِهِمْ فَيَخَاطَبُهُمْ مُبَكِّتًا لَهُمْ وَمُقَرَّرًا بِذَلِكَ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ صَرَفَ الْكَلَامِ عَنِ خِطَابِ الْجَمَاعَةِ وَأَقْبَلَ يَخَاطِبُ الْوَاحِدَ . وَيُقَالُ خَزَاهُ يَخْزُوهُ ، إِذَا كَفَّهُ عَنِ الْمَكْرُوهِ وَحَبَسَهُ عَلَى مَرٍّ لِّلرَّادِ . قَالَ لَبِيد :

* وَأَخْزَاهَا بِالْبَرِّ اللَّهُ الْأَجَلَ ^(١) *

٣- فَأَدَّ إِلَى قَيْسِ بْنِ حَسَّانَ ذَوْدَهُ وَمَا نِيلَ مِنْكَ التَّمَرُ أَوْ هُوَ أَطْيَبُ يُخَاطِبُ ابْنَ دَارِمٍ مَتَوَعَّدًا وَمُعَيَّرًا ، وَيَقُولُ : أَخْرُجْ مِمَّا فِي ذِمَّتِكَ مِنْ ذَوْدِ قَيْسِ بْنِ حَسَّانَ إِلَيْهِ ، وَحَالُكَ إِذَا رُمْتَ ظَلَمَ غَيْرِكَ أَنْ مَا يُنَالُ مِنْكَ كَالْتَّمَرِ فِي الْخَلَاوَةِ أَوْ أَطْيَبُ . وَالْمَعْنَى : إِنْ تَعَرَّضْتَ لِأَخْذِ مَالٍ قَرِيبٍ مِنْكَ أَوْ بَعِيدٍ عَنْكَ ، مَعَ ضَعْفِ الْمُنَّةِ فِي سُقُوطِ الْعِزَّةِ ^(٢) ، لَا يُجْدِي عَلَيْكَ نَفْعًا ، وَلَا يَسُوقُ إِلَيْكَ غَنَمًا ، فَارْهَدْ فِيمَا عِنْدَكَ لَهُ ، وَرُدَّهُ قَبْلَ أَنْ تَسْتَوِيلَ عَاقِبَتُهُ ، وَتَسْتَوْخِمَ مَقْبَتُهُ . وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ « وَمَا نِيلَ » ، وَאו الْحَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ أَدَّهُ وَأَنْتَ إِذَا أَكَلْتَ مُسْتِطَابٌ . وَقَوْلُهُ « أَوْ هُوَ أَطْيَبُ » أَيْ أَطْيَبُ مِنَ التَّمَرِ .

(١) صدره في ديوان لبيد ١٢ طبع ١٨٨١ والمقاييس واللسان (خزا) :

* غير أن لا تكذبها في التقي *

(٢) م : « وسقوط العزة » .

وَالْحَذْفُ مِنَ الْخَبَرِ جَائِزٌ ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ . وَأَوْهَى أَوْ الْإِبَاحَةُ ، وَقَدْ نُقِلَ إِلَى الْخَبَرِ .

٤- فَإِلَّا تَصِلَ رَحِمَ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ يُعَلِّمَكَ وَضَلَ الرَّحِمَ عَضْبُ مُجْرِبُ يَقُولُ : إِنْ لَمْ تَصِلْ رَحِمَكَ مُخْتَارًا لَهُ ، وَمُتَمَقِّيًا أَثَرَ الْمُتَقَوِّقِ بِهِ ، وَمُزِيلًا عَنْ نَفْسِكَ سِمَةَ الْجَاهِلِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهَا لَا يُمَكِّنُهُ الْخُرُوجُ مِنْهُ ، وَالْأَكْلُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِمْرَانِهِ ، عَلِمْتَ صِلَةَ الرَّحِمِ وَالْخُرُوجَ مِنَ الْخُقُوقِ ، سَيَفُ قَاطِعٌ لَا يُبْقِي عَلَيْكَ وَلَا يَأْلُو تَأْدِيكَ . وَفِي طَرِيقَتِهِ السَّائِرَةُ قَوْلُهُمْ : « الطَّعْنُ يَظَارُ »^(١) ، وَمِنَ الشَّعْرِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

وَمَنْ يَنْصُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْدِيمٍ

١٧٠

وَقَالَ حُجْرُ بْنُ خَالِدٍ^(٢) :

١- وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ فِي الْمَجْدِ بَيْتَهُ وَأَعْيَا رِجَالًا آخِرِينَ مَطَالِعُهُ

قَوْلُهُ « حَلَّ فِي الْمَجْدِ بَيْتَهُ » فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لَوْجَدَ ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى عَلِمَ . وَالْبَيْتُ لَا يَحُلُّ وَلَكِنْ يُحَلُّ فِيهِ ، لَكِنَّهُ رَمَى بِالْكَلَامِ عَلَى السَّعَةِ وَالْجَازِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى لَا يَحْتَمِلُ . وَيَقُولُونَ : فَلَا نَعَالِي الْمَكَانِ ، لِأَنَّهُ إِذَا عَلَا مَكَانُهُ فَقَدْ عَلَا هُوَ . وَقَالَ الْآخَرُ :

* وَحَلَّتْ بِيُوتِي فِي يَفَاجٍ مُتَمِّعٍ *

فَيَقُولُ : عَلِمْنَا بِالِاخْتِبَارِ^(٣) فِي طِلَابِ الْعُمُورِ ، وَالِاجْتِهَادِ فِي مَنَالِ أَنْفَعَى

(١) أَيِ يَطْفِ عَلَى الصَّالِحِ . وَيُرْوَى : « الطَّعْنُ يَظْفَرُ » . انْظُرْ مُقَابِيصَ اللُّغَةِ (غَار) .

(٢) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ١١٨ مِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ .

(٣) كَمَا فِي م . وَفِي الْأَصْلِ : « بِالِاخْتِبَارِ » .

السَّمَوَاتِ، تَمَكَّنَ بَيْتُ آبَيْنَا مِنْ ذِرْوَةِ الْجِدِّ وَالشَّرَفِ، فَمَحَلَّهُ فَائِتٌ لَا يُلْحَقُ، وَمَطْلَعُهُ مُعْجِزٌ لَا يُمَكِّنُ، إِذْ كَانَ مَدَاهُ الْغَايَةَ الَّتِي لَيْسَ وَرَاءَهَا مُسْتَشْرِفٌ لِنَظِيرٍ، وَلَا مَنَاقٍ لِلآخِ.

٣- فَمَنْ يَسْعَ مِنْنًا لَا يَنْتَلِ مِنْتِلَ سَعْيِهِ وَلَكِنْ مَتَى مَا يَرْتَحِلْ فَهُوَ تَابِعُهُ يَقُولُ: مَنْ طَلَبَ نَيْلَ مَكَانِهِ، أَوْ الِارْتِقَاءَ إِلَى دَرَجَتِهِ، بَسَفِي يَتَكَلَّفُهُ وَيَجْهَدُ فِيهِ نَفْسَهُ، وَقَفَ دُونَهُ وَقَمَدَ بِهِ طَوْقَهُ، وَكَانَ أَقْصَى غَايَتِهِ بَعْدَ اسْتِفْرَاغِ مَجْهُودِهِ، أَنْ يَكُونَ تَابِعًا لَهُ، وَوَاطِنًا عَقِبَهُ؛ فَأَمَّا مُسَامَاتُهُ^(١) فِي مَدَارِجِهِ، أَوْ مُسَامَتَتِهِ فِي مَطَالِعِهِ، فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَطْمَعٍ فِيهِ.

وَقَدْ سَلَكَ الْأَعْشَى هَذَا الْمَسْلَكَ فَقَالَ:

* كُلُّ سَيْرَاضِي بَأَنْ يُبْلَقَى لَهُ تَبَعًا^(٢) *

وَذِكْرُ الْإِرْتِحَالِ حَسَنٌ فِي الْإِسْتِعْلَاءِ^(٣) مَعَ ذِكْرِ السَّنَى. وَقَدْ قِيلَ: «لَوْلَا السَّعْيُ لَمْ تَكُنِ الْمَسَاعِي».

٣- يَسُودُ ثِمَانًا مِنْ سِوَانَا وَبَدُونَا يَسُودُ مَعْدًا كُلُّهَا مَا تَدَايَعُهُ^(٤) الثَّنَى: مَنْ دُونَ الرَّئِيسِ، لَكِنَّهُ يَلِيهِ فِي الرُّتْبَةِ. وَالْبَدَنُ: السَّيِّدُ غَيْرُ مُدَافِعٍ عَنْ أَوْلِيَّةِ سَيَادَتِهِ، فَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا الْأَوَّلُ فِي الرِّيَاسَةِ وَالثَّانِي. وَأَصْلُهُ مِنْ

(١) م: «مساواته».

(٢) صدره في الديوان ٨٦: * تلقى له سادة الأقوام تابعة *

(٣) م: «الاستعارة». ولكل وجه.

(٤) يروون أن حجر بن خالد لما أشد هذا البيت رنع عمرو بن كلثوم التغلبي يده فلفطه في حضرة الملك، ففضض الملك وقام ابن كلثوم، فلما كان الليل دخل حجر على عمرو فآخذه فلفطه فنادى: يا تغلب! فامتلات الأرض خيلا، ثم نادى مناد من فوق قصر الملك: يا حجر بن خالد، إنى لك جار! فتصدعت خيل التغالبة. وأنشأ حجر مديحا في الملك، رواه طاهر يزى والجاحظ في الحيوان (٣: ٥٩)، أوله:

سمعت بفعل العاعلين فلم أجد * كفعل أبي قابوس حزما وناقلا

(٣- حاسة - ثان)

ثَنَيْتُ الشَّيْءَ . وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا ثَنِيَّ فِي الصَّدَقَةِ » .
وَالْمَعْنَى أَنَّهَا لَا تَوْخَذُ فِي التَّسْمَةِ سَرَتَيْنِ . وَيُقَالُ ثَنَيْتُ الشَّيْءَ ثَنِيًّا ، ثُمَّ يُسَمَّى
الْمَثْنَى ثَنِيًّا وَمَا تُنْيَى بِهِ هُوَ أَيْضًا ثَنِيًّا . وَحَلَّى هَذَا الضَّعْفُ ، يُقَالُ ضَعَفْتُ الشَّيْءَ
مُخَفِّفًا فِي مَعْنَى ضَاعَفْتُ ضَعْفًا ، ثُمَّ يُسَمَّى الضَّعُوفُ ضِعْفًا بِالْكَسْرِ ، وَالضَّعُوفُ
بِهِ ضِعْفًا أَيْضًا . قَالَ لَبِيد :

* وَعَالَيْنَ مَضْعُوفًا وَفَرْدًا سُوطُهُ ^(١) *

وَالْبَدءُ : الْعَظْمُ الْمُنْفَصِلُ مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ ، كَأَنَّهُ مِنْ هَذَا . قَالَ :

* أَغْلَتِ الشَّتْوَةُ أَبْدَاءَ الْجُرُورِ ^(٢) *

وَمَعْنَى الْبَيْتِ : الْمَغْمُورُ فِينَا إِذَا حَصَلَ فِي غَيْرِنَا سَادَمُهُمْ وَعَلَامُهُمْ ، وَالرَّيْسُ مِنَّا
تُسَلِّمُ لَهُ الرِّيَاسَةَ عَلَى قِبَائِلٍ مَعَدَّةٍ كُلِّهَا ، غَيْرَ مُعَارِضٍ فِيهَا ، وَلَا مُدَافِعٍ [عَنْهَا] ^(٣) .
٤ - وَنَحْنُ الَّذِينَ لَا يُرْوَعُ جَارُنَا وَبَعْضُهُمْ لِلْغَدْرِ ضُمٌّ مَسَامِعُهُ
يَصِفُ عَزَمَهُ وَمُنْعَمَتَهُمْ ، وَعَهْدَهُمْ وَوَفَاءَهُمْ ، وَأَنَّ الْجَاوِرَ لَهُمْ ، وَالْمُعْتَصِمَ
بِحَبْلِهِمْ ، يَبْقَى آمِنًا مَعَهُمْ غَيْرَ مَذْعُورٍ ، وَمَوْفُورًا غَيْرَ مُسَاوَبٍ . ثُمَّ قَالَ مُعَرِّضًا
بِغَيْرِهِ : وَبَعْضُ النَّاسِ لَمَّا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ الْغَدْرِ ، وَيَشْتَهَرُ بِهِ مِنْ تَضْيِيعِ الذَّمِّ ،
وَلَكُونِهِ مُنْطَوِيًّا فِيمَا بَاتِيهِ عَلَى الْإِصْرَارِ ، يُحِمُّ مَسَامِعَهُ عَنْ ذِكْرِ الْعَارِ ، فَلَا
يُبَالِي بِذَمِّ النَّاسِ لَهُ ، وَلَا يَأْفُ مِنْ تَهْجِينِهِمْ أَفْعَالَهُ . وَفِي طَرِيقِهِ قَوْلُ الْآخِرِ ^(٤) :

(١) عجزه : • جهن ومرجان يشك المفاصلا

(٢) لطرفة في ديوانه ٧٣ واللسان (يسر ، بدأ) . وصدوره :

• وهم أيسار لقمان إذا •

(٣) هذه من م .

(٤) أنشد الجاحظ في البيان (٣ : ٣٣٣) البيتين التاليين مع ثالث بعدهما ، وروى
عن أبي عبيدة أنها من الشوارد التي لا أرباب لها . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٩) وديوانه
المعاني (١ : ١٨٢) وأمال القالي (٣ : ٨٣) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠) والصناعتين
١٠٣ ومحاضرات البراهيب (١ : ١٥٠) .

إِنْ يَجْبُنُوا أَوْ يَفْدِرُوا أَوْ يَبْخُلُوا لَا يَخْفُوا
يَفْدُوا عَلَيْكَ مَرَجِلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا^(١)

وكان وجه الكلام أن يقول لا يردع جارهم ، حتى يرجع من الصلة إلى
الموصول المذكور ؛ لكنه لما كان المقصود بقوله نحن والذين شيئاً واحداً
لم يبال برجوع الضمير إلى كل واحد منهما . وقد مضى مثله

٥ - نَدْهَقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالْفَدَى وَبَعْضُهُمْ تَغْلِي بَذْمٍ مَنَاقِمُهُ^(٢)

الدَّهْدَقَةُ : الصَّوْتُ^(٣) . وَالْبَضْعُ : الْقَطْعُ . أَيْ تَتَوَلَّى ذَلِكَ كَرَمًا مِنَّا عَلَى
اعْتِسَافٍ وَسُوءِ نَأْتٍ . وَيُحْزَنُ أَنْ يَكُونَ الْبَضْعُ جَمْعَ بَضْعَةٍ^(٤) فَيَكُونُ الْمَعْنَى :
إِنَّا نُقَلِّبُهَا فِي الْقُدُورِ ، فَلِمَظْمَا يُسْمَعُ لَهَا فِي التَّقْلِبِ صَوْتٌ . وَالْمَنَاقِعُ : جَمْعُ
الْمَنْتَقِعِ وَالْمَنْتَمَةِ ، وَهِيَ الْقُدُورُ الصَّغَارُ ، وَقِيلَ هِيَ الْأَتْوَارُ^(٥) الصَّغِيرَةُ . وَقِيلَ
الْمَنَاقِعُ وَاحِدُهَا ، وَأَصْلُهُ مَا يُنْتَقِعُ فِيهِ الشَّيْءُ ، فَاسْتِمَارَهُ لِلْقُدُورِ . فَأَمَّا قَوْلُهُمْ
مَنْتَقِعُ الْبَرِّ فَقَدْ قِيلَ فِيهِ مَا ذَكَرْنَا وَغَيْرُهُ . وَقَدْ رَوَى مَنْتَقِعُ الْبَرِّ ، بِكسْرِ
الِيمِ ، وَفُسِّرَ عَلَى وَعَاءِ الْقَدْرِ^(٦) وَذِكْرُ الْبَاعِ مَثَلٌ ، وَالْمُرَادُ الْكِرْمُ . فَعَلَى
الطَّرِيقَةِ الْأُولَى يَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ : يُسْمَعُ لِقَطْعِ اللَّحْمِ بِأَيْدِينَا دَهْدَقَةٌ ، لِقَلَّةِ
رَفَقَتِنَا فِيهِ وَسُوءِ حِذْقِنَا بِهِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٧) :

(١) بعده : كَأَنِّي بِرَأَيْهِ كُلِّ يَوْمٍ • م لونه يتخيل

(٢) التبريزي : « ومن روى : الباغ ، بالعين منقوطة أراد الباغى ، فحذف الياء » .

(٣) التبريزي : « ندهق : تغلى . والدهقة : الصوت » .

(٤) البضعة بالفتح ، قال في اللسان : « وأخواتها بالكسر مثل القطعة ، والفلة » .

والقدرة ، والكسفة ، والخرقة ، وغير ذلك مما لا يحصى » .

(٥) التور بفتح التاء : إناء من صفر أو حجارة كالإجانة .

(٦) هذا ما في م . وفي الأصل : « دعاء القدر » .

(٧) هو شقران مولى سلمان . انظر الحماسة ٦٩٨ وشرح سقط الزند ٥٩١ . وعند

الجاحظ في البيان (٣ : ٣٠٩) أنه ثروان مولى بني عذرة .

جُفَاءَ الْمَحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مَفْصِلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّمًا^(١)

على الطريقة الثانية يكون المعنى : تَغْلِي قُدُورُنَا بِقَدْرِ اللَّحْمِ ، فإذا قَلَبْنَاهَا فيها إِمَامَةً لخدمَةِ الضَّيْفِ ، واكِتِسَابًا لِلْحَمْدِ ، وَرَغْبَةً فِي ابْتِنَاءِ الْمَجْدِ ، تَقَلَّبَتْ وَلَهَا صَوْتٌ ، لِعِظَمِهَا وَاتَّسَاعِ قُدُورِهَا^(٢) . وبعضُ الناسِ — وهذا تعريضٌ بِالْغَيْرِ — تَغْلِي قُدُورُهُ الَّتِي كَانَتْهَا مَنَاقِعُ فِي الصَّغَرِ بِذِمِّ النَّاسِ لَهُ . فقوله « بِذِمِّ » في مَوْضِعِ الْحَالِ ، تَقْدِيرُهُ : تَغْلِي مَذْمُومَةً .

٦- وَيَحْتَلِبُ ضِرْسُ الضَّيْفِ فِينَا إِذَا شَتَا سَدِيفَ السَّنَامِ تَسْتَرِيهِ أَصَابِعُهُ
بُرْوَى « ضِرْسُ الضَّيْفِ » بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا ، وَسَدِيفَ بِالنَّصْبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ، وَهُوَ الْجَيْدُ . وَبَعْضُهُمْ يَنْصِبُ الضَّرْسَ وَيَرْفَعُ سَدِيفَ السَّنَامِ ، وَالْمَعْنَى لَا يَلْتَبِيسُ فِي الْوَجْهِينِ . يَقُولُ : وَإِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ ، وَأَسْنَتَ النَّاسُ ، فَإِنَّ الضَّيْفَ فِينَا يَا كُلُّ سَدِيفِ السَّنَامِ ، مِنَ الْإِبِلِ السَّامِ ، عَلَى مَا تَخْتَارُهُ أَصَابِعُهُ فِي الْجِنَانِ . وَالسَدِيفُ : قِطْعُ السَّنَامِ . وَقِيلَ هُوَ شَخْمُ السَّنَامِ . وَمَعْنَى إِذَا شَتَا ، إِذَا أُنْحَلَّ . وَذِكْرُ الْحَلْبِ كِنَايَةٌ عَنِ الْأَكْلِ .
وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَا نَرْضَى بِفَحْرِ الْكُسَيْرَاتِ الْمَهْزُولَاتِ ، بَلْ نَعْتَبِطُ خِيَارَ الْإِبِلِ وَكِرَامَهَا عِنْدَ حُلُولِ الضَّيْفَانِ . وَتَسْتَرِيهِ : تَخْتَارُهُ ، يَقَالُ اسْتَسْرَيْتَ^(٣) الشَّيْءَ أَيْضًا . وَالسَّرِيُّ : الْخِيَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَمَوْضِعُ تَسْتَرِيهِ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ

(١) التَّخْذُمُ : قِطْعُ اللَّحْمِ بِالسَّكِينِ . فِي الْأَصْلِ : « تَجْذُمَا » وَفِي م : « تَخْذُمَا » كَلَاهَا عَرَفَ عَمَّا أَثْبَتْنَا . يَقُولُ : هُمْ سَادَةٌ نَشْتَوُ عَلَى السِّيَادَةِ ، وَعُودُوا أَنْ يَكُونُوا مُخْدُومِينَ لِأَخَادِمِينَ ، فَلَيْسَ لَهُمْ بَصَرٌ بِجَزْرِ الْإِبِلِ وَتَفْصِيلِ أَعْضَائِهَا . وَالْعَرَبُ تَعْدُ الْجَهْلَ بِجَزْرِ الْإِبِلِ مَدْحًا وَالْمَعْرِفَةَ بِهِ ذِمًّا . انْظُرْ شُرُوحَ سَقَطِ الزَّيْدِ .

(٢) م : « قُدُورُنَا » . وَالْمَأْثُودَى وَاحِدٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « اسْتَرَيْتَ » ، وَالْوَجْهُ ، مَا أَثْبَتْنَا مِنْ م .

للسديف ، والعامل فيه يَحْلُبُ ، كأنه قال تَحْلُبُهُ الضَّرْسُ^(١) مختاراً بالأصابع .
 ٧ -- مَنَعْنَا حَمَانًا وَاسْتَبَاحَتْ رِمَاحُنَا حَتَّى كُلَّ قَوْمٍ مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعَهُ^(٢)
 يقول : إِذَا أُحْمِينَا^(٣) مَكَانًا ذَبَبْنَا أَعْدَاءَنَا عَنْهُ ، وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ
 عَلَى دَخُولِهِ ، وَمَتَى شَتْنَا اسْتَبَحْنَا أُحْمِيَةَ النَّاسِ أَمْرًا وَفَضْلَ قُوَّتِنَا ، وَلَا اسْتِسْلَامَ
 الْقِبَائِلِ لَنَا ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَحْمِيَةُ مُسْتَجِيرَةَ الْمَرَاتِعِ . وَقَوْلُهُ « مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعَهُ »
 الْمَاءُ يَرْجِعُ إِلَى حَتَّى كُلِّ قَوْمٍ ، وَالْمَعْنَى الْحِمَى الَّذِي قَدْ اسْتَجَارَ مَرَاتِعُهُ بِالْمُتَمَنِّعِ
 الْقَوَى ، وَتَعَزَّزَ بِالظَّهْرِ الظَّاهِرِ . وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى إِيْلَافِ الْجَوَارِ ، كَأَنَّهَا تَجْمَعُ
 بَيْنَ جَوَارِيْنِ فِي حَيْثُهَا وَحَتَّى غَيْرِهَا ، تَسْتَظْهِرُ بِأَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ . وَجَعَلَ الْفِعْلَ
 لِلْمَرَاتِعِ مَجَازًا ، أَيْ تَسْتَبِيحُ الْحِمَى الَّذِي هَذَا صِفَتُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ
 الْحِمَى الَّذِي قَدْ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ^(٤) الضَّعْفَاءَ مِنَ الْأَجَانِبِ فِي الْجَوَارِ . وَيُقَالُ :
 اسْتَجَارَ ، إِذَا تَضَمَّنَ الْإِجَارَةَ وَطَلَبَ مِنْ غَيْرِهِ الْمَجَاوِرَةِ ، وَاسْتَجَارَ أَيضًا إِذَا
 طَلَبَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْجَوَارِ وَيُجَامَى عَلَيْهِ . وَيُقَالُ اسْتَجَرْتُ فُلَانًا وَبِفُلَانٍ ،
 وَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ .

(١) الضرس مذكر ، ويؤنث كما ورد هنا . وأنكر الأصمعي تأنيثه ، وقال في قول دكين :
 • ففقت عين وطنت ضرس •

« إنما هو : وطن الضرس ، فلم يفهمه الذي سمعه » .

(٢) أشار التبريزي إلى رواية « مستجير » بالحاء المهملة ، قال : وكأنه يريد التفاف
 العشب من الكثرة وفرط الحماية له .

(٣) كذا في الأصل . وفي م : « حمينا » ، وهما لغتان . وفي إصلاح المنطق ٢٥٣ :
 • حيث المكان وأحميته : جعلته حتى لا يقرب ومنعت الناس منه » .

(٤) في النسختين « عن قومه » .

١٧١

وقال أيضاً :

١- كَعَمْرُكَ مَا أَلْيَاهُ بَنُ عَمْرٍو بَذَى لَوْنَيْنِ مُخْتَلِفِ الْفَعَالِ^(١)

وصمَّه بأنه ثابتُ القدم بحُسنِ الوفاء ، محافظٌ على الذَّمار ، باقٍ على طريقةٍ واحدةٍ في الشَّدَّةِ واللَّيَّانِ . فيقول : وبمائك ما هوَ بَذَى لَوْنَيْنِ^(٢) يخالفُ باطنه ظاهره ، ولا يوافقُ مقالَه فَعَالَه ، يتنقلُ في الأهواء ، ويتلونُ تلونَ الأوفاقات ، فهو على أن يجيبَ كلَّ ناعٍ ، ويتبسَّعَ كلَّ قائدٍ وسائقٍ ، إن صَمِنَ لم يفِ ، وإن وعدَ لم يُنجِز .

٢- غَدَاةَ أَتَاهُ جَبَّارٌ بِإِدٍ مُعْضَلَةٌ وَحَادَ عَنِ الْقِتَالِ^(٣)

جَبَّارٌ : رجل . والإِد : المنكر من الأمر الشديد . وفي القرآن : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُ شَيْئًا إِدًّا ﴾ . وقد أفرَدَ هاهنا عن موصوفه فأجرى تَجْرِي أسماء الدَّوامي . والمُعْضَلَةُ : الداهيةُ العسيرةُ الضَّيِّقَةُ . ومنه قولهم : هو عُضْلَةٌ من العُضَل ، ودالاً عُضَالٌ : الذي غلبَ وأغيا . وقوله « غداةُ أتاه » ظَرْفٌ للفعل الذي دلَّ عليه قوله « بَذَى لونين مختلفي الفَعَال » ، كأنه جَلَبَ عليه هذا الرَّجُلُ أمراً مُنْكَرًا ، ضيقًا عَسيرًا ، ثم خلاه بَصَلَى بناره ويقاسى مَكْرُوهه ، ويماصِصُ خُصَمَاءَهُ فيه ويجاذبهم ، وهَرَبَ هو .

(١) وكذا رواية ابن جني . وانفرد التبريزي برواية : « ألياه بن عبد » .

(٢) م : بَذَى وجهين .

(٣) التبريزي « ويروى : غداةُ أتاه جَبَّارٌ بعبدٍ مُعْضَلَةٍ . ومعناه أن جباراً جاءه

بعبدٍ مُعْضَلَةٍ ، كأنه يستغفله ، وحاد هو عن القتال لقتله ألياه . ويروى جَبَّارٌ بن عبدٍ مُعْضَلَةٍ .

كأنه استغفله لما أتى جبار ألياه .

٣- فَقَضَ بَجَامِعِ الْكَتِفَيْنِ مِنْهُ بِأَبْيَضَ مَا يُغَبُّ عَنِ الصِّقَالِ

الْفَضُّ : السَّكْسَرُ وَالتَّفْرِيقُ ، وَيُقَالُ انْفَضَّ الْقَوْمُ ، إِذَا تَفَرَّقُوا . يَقُولُ : فَصَلَ تَجَمَّعَ كَتِفَيْهِ بِضَرْبَةٍ مِنْ سَيْفٍ يُحَادِثُ بِالصِّقَالِ ، وَلَا يَتَفَاوَلُ عَنْهُ . وَالْإِغْبَابُ : أَنْ تَرِدَ الْإِبِلُ الْمَاءَ غَيْبًا . وَيُقَالُ أَغَبَّ الْقَوْمُ ، إِذَا صَارَتْ لِإِبِلِهِمْ كَذَلِكَ . وَلَيْسَ يَرِيدُ بِنَفْيِ الْإِغْبَابِ أَنْ يَدُلَّ عَلَى صَقْلِ السَّيْفِ كُلِّ يَوْمٍ ؛ وَلَكِنْ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَهْمِلُ صَقْلَهُ زَمَانًا مَمْتَدًّا ؛ إِذْ كَانَ صَاحِبُهُ يَسْتَعْمِلُهُ كُلَّ يَوْمٍ . وَعَلَى هَذَا ذِكْرُ الْغَبِّ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ : « زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا » .

٤- فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نَصَرْنَا بِذِي لَجَبٍ أَرْبَ مِنَ الْعَوَالِي

يَقُولُ : لَوْ حَضَرْنَاكُمْ لَنَصَرْنَاكُمْ وَجَاهَدْنَاكُمْ بِحِمْيَشٍ لَهُ جَلَبَةٌ وَصَوْتُ ، أَرْبَ لِكثْرَةِ الرَّمَاكِ فِيهِ . أَيْ تُشَبِّهُ كَثْرَةَ الرَّمَاكِ فِيهِ وَالتَّفَاوُلَ كَثْرَةَ شَعْرِ الْأَرْبِ . وَهَذَا عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ ، لِأَنَّ أَصْلَ الْأَرْبِ فِي الشَّعْرِ . وَفِي الْمَثَلِ : « كُلُّ أَرْبٍ نَفُورٌ » ، يَعْنِي الْبَعِيدَ الْكَثِيرَ الشَّعْرَ عَلَى الْوَجْهِ وَالْعُنُتُونَ ، لِأَنَّ مَا حَوَالَى عَيْنَيْهِ مِنْ الشَّعْرِ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ الْمَنَاطِرَ عَلَى خِلَافِ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ فَيَنْفِرُ . وَالْعَوَالِي : جَمْعُ عَالِيَةٍ ، وَيُرَادُ بِهَا جِنْسٌ مِنَ الرَّمَاكِ .

٥- وَلَكِنَّا نَأْنِيَا وَاكْتَفَيْنَا وَلَا يَنْأَى الْحَقُّ عَنِ السُّؤَالِ

يُرْوَى « وَاكْتَفَيْنَا » . يَقُولُ : بَعْدَنَا عَنْكُمْ فَاسْتَقْلَلْنَا بِأَنْفُسِكُمْ وَاسْتَفْنَيْتُمْ عَنْكُمْ بِعَاضِدِكُمْ فِي كُلِّ مَا يَدْعُوكُمْ ، فَلَمْ تَدْعُكُمْ حَاجَةً إِلَى مَجَاوِرَتِنَا ، وَلَا الْجَائِكُمْ الزَّرُورَةَ إِلَى التَّكْثُرِ بِنَا . وَالرَّجُلُ اللَّطِيفُ الْبَارُّ بِصَاحِبِهِ لَا يَتَبَعَّدُ عَنْ تَنْشَمِ الْأَخْبَارِ وَاسْتِنْشَاقِهَا مِنْ يَهْمَةِ أَمْرِهِ ، وَإِنْ بَعُدَ بِنَفْسِهِ وَمَكَانِهِ . وَمَنْ رَوَى « وَاكْتَفَيْنَا » كَانَ الْمَعْنَى اكْتَفَيْنَا فِي الْبُعْدِ عَنْكُمْ فَلَمْ نَحْتَاجْ إِلَيْكُمْ . وَالْقَصْدُ

في الروايتين أنه لم يكن بإحدى الجنبين افتقار إلى الأخرى ، فصار ذلك سبباً في التناى ، وعذراً بيننا^(١) في التأخر عن المعاونة والمكانة . ودل بقوله : « ولا ينفى الحفي » على أن القلوب في القمطف والخلوص ، على ما يوجبها الوداد ولم يغيرها البعاد . ويقال فلان حفي بفلان ظاهر الحفوة ، أى البر .

١٧٢

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ عُتْبَةَ^(٢) :

١ - إِذَا كُنْتَ مِنْ سَعْدٍ وَأَمَّاكَ مِنْهُمْ غَرِيْبًا فَلَا يَفْرُكَ خَالِكَ مِنْ سَعْدٍ
يقول : إذا كنت بعيداً عن وطنك وذويك من قبل أبيك ، وحاصلاً في بني خالك ، ضارباً فيهم بسهم الخوالة ، لكون أمك منهم ، فلا تفتربهم ، ولا تعتمد على قرابتك فيهم ، فإن التشابك الموثوق به المستصلح لإعداده ، إذا كان الالتحام بالأبوة لا بالأبومة . فأما الخوالة فمساوية للقرية ، بعيدة من القرى والقرية ، والمكانة والنصرة . وهذا المعنى قد كشفه غيره فقال :
بَنُونَا بَنُو أَبْنَانِنَا وَبَنَاتِنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ^(٣)

(١) في الأصل وم والتبوية : « بيننا » .

(٢) كذا في النسختين . وعند التبريزي وابن جني في كتابيه : « غسان بن ولة » . وقال التبريزي فيه : « أحد بني مرة بن عباد » وفي محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) : « حسان بن ولة » . ونسب الجاحظ الشعر في الحيوان (٣ : ١٣٧) إلى النمر بن تولب . قال ابن جني : « غسان : علم مرتحل . ويجوز أن يكون من أحد شيئين إما من قولهم فلان غس ، أى ضيف . . . فإن كان من الفس فهو فلان ، وإن كان من الفسن وهو حصل العرف فهو فعال . وينبغي أن يكون فلانا لامتناعهم من صرفه » .

(٣) قال العيني : « هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ، والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث ، والفقهاء كذلك في الوصية ، وأهل المعاني والبيان في التشبيه . ولم أر أحداً منهم عزاه إلى قائلة » . وفي الخزائن (١ : ٢١٣ - ٢١٤) أنه قائله الفرزدق .

قَوْلُهُ « فِي سَعْدٍ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا ، وَيُجْمَلُ غَرِيبًا مُنْتَصِبًا عَلَى الْحَالِ ، وَيَكُونُ الْعَامِلُ فِيهِ كُنْتُ ، أَوِ الْعَامِلُ فِي الظَّرْفِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُجْمَلَ فِي سَعْدٍ لَفْظًا ، وَيُجْمَلُ غَرِيبًا خَبَرًا كَانَ . وَقَوْلُهُ « فَلَا يَفْرُزُكَ » جَمَلَ النَّهْيَ فِي الْفِعْلِ لِلخَالِ ، وَالْمَعْنَى لَا تَفْتَرِّ بِخَالِكَ مِنْ سَعْدٍ ، لِأَنَّ اللَّيْهِيَ هُوَ الْمُخَاطَبُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُمْ : لَا أَرَيْتَكَ هَاهُنَا . وَقَوْلُ الْآخَرِ ^(١) :

* إِنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تُنْصِبُكَ لِلشَّيْبِ ^(٢) *

٢- فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مُضَعًى إِيَّاهُ إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَهُ بَابِ جَلَدٍ يَقُولُ : ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مَنْحُوسُ الْحِظِّ ، مَنْقُوصُ الشَّرْبِ ، مُتَالِ الْإِنَاءِ وَالْحَوْضِ مَتَى لَمْ تَنْجِدْهُ أَبْوَةً يَشْتَدُّ بِهَا أُمُومَتُهُ ، وَعُمُومَةُ يَتَأَيَّدُ بِهَا خَفَوَاتُهُ ^(٣) . وَهَذِهِ الْأُمُثَالُ مَضْرُوبَةٌ لِلْهَضِيمَةِ تَذَحُّقُ فَلَا يَتَحَرَّكُ لِدَفْعِهَا الْأَخْوَالَ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ، وَلِأَنَّ الْحَيَّةَ إِنَّمَا يَبْعَثُهَا تَرَاقُدُ بَنِي الْأَعْمَامِ ، أَوِ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْآبَاءِ ، وَجَوَابُ إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ مُقَدَّمٌ ، وَهُوَ ظَرْفٌ لِإِصْفَاءِ الْإِنَاءِ . وَاسْتِعَارَةُ الْإِنَاءِ هَاهُنَا كَمَا قَالَ زَهِيرُ :

وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يَهْدِمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ
وَمِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُهُ :

يَا جَفْنَةً كَتَصْبِيحِ الْحَوْضِ قَدْ كَفَيْتُ بِنْتِي صِفِّينَ يَمْلُو فَوْقَهَا الْقَتْرَ
وَإِنْ كَانَ فِي الْكَفِّ مَا لَيْسَ فِي الْإِصْفَاءِ ، فَاعْلَمْهُ .

(١) هُوَ الْجَمِيعُ الْأَسْمَى . الْمُفْضَلِيَّاتُ (١ : ٣٢) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَا تَنْصِيكَ » ، وَصَوَابُهُ فِي مِ وَالْمُفْضَلِيَّاتِ وَالْخَزَائِفَةِ (٤ : ٢٩٦) .
صَدْرُهُ : * وَلَوْ أَصَابَتْ لِقَالَتْ وَهِيَ صَادِقَةٌ *

(٣) م : « تَشِيد » وَ « تَزِيد » بَدَلَ « يَشْتَدُّ » وَ « يَتَأَيَّدُ » .

١٧٣

وقال بَعْضُ بَنِي جُهَيْنَةَ^(١) :

١- أَلَا هَلْ أَتَى الْأَنْصَارَ أَنْ ابْنَ بَحْدَلٍ مُحَمَّدًا شَفَى كَلْبًا فَقَرَّتْ عُيُونُهَا^(٢)

هذا الاستفهام طريقته طريق التمني وإظهار الميل إلى أن يكون الأنصار شركوه في العلم بالحالة التي يقتضها . ويجوز أن يكون أخرج الكلام على هذا ليبلغوا . فيقول : هل تأدَّى خبرُ مُحَمَّد بن بَحْدَلٍ فيما كان من نصره كَلْبًا على قَيْسٍ ، وإفراره عُيُونَهُمْ منهم ، وشفائه قُلُوبَهُمْ مما كان تدَاخَلَهَا من عَدَاوَتِهِمْ ، واحتاج فيها من نار حُقُودِهِمْ .

٣- وَأَنْزَلَ قَيْسًا بِالْمَوَانِ وَلَمْ تَكُنْ لِنُقْلِكَ إِلَّا عِنْدَ أَمْرِ يَهِينِهَا

يقول : وَأَحَلَّ مُحَمَّدٌ قَبِيلَةَ قَيْسٍ بِمَحَلِّ الذِّلِّ والامتهان ، والتهضم والهوان ، حَتَّى كَفُّوا عَنْ مَجَادِبَةِ كَلْبٍ والتعرض لهم بالسوء . ثم قال : ولم تَكُنْ قَيْسٌ تَنْزَجِرُ وترتدع إِلَّا عِنْدَ مَا يُسْقِطُهَا ، وَيُنْزِلُهَا بِدَارِ الرَّغْمِ وَيُسْخِطُهَا ، لَفَرَطٍ لَجَاجِهَا ، وَتَأْبِيهَا وَجَاحِهَا . واللام من « لِنُقْلِكَ » لام الجحود .

(١) المبهج : « في وقعة لكلب مع فزارة . جهينة اسم مرتجل من الجهن ، وهو غلط الوجه ، وكأنه تحوير جهنة أو نحوها . والفزارة : أم البير » . وفزارة ، بنو ذبيان بن بنيض ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . وكلب ، بنو وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة . وجهينة ، بنو زيد بن سود بن أسلم بن الحلف بن قضاعة .

(٢) الزبيرى : « ويروى : الأشراف . والأنصار » لما كانت فتنة ابن الزبير ، وكان عبد الملك بن مروان يقاتل مصعب بن الزبير ، وكانت قيس زبيرية ، كان أبناء القيسيات من بنى أمية يفسخرون على أبناء الكلبيين بما تفعل بهم قيس في البدو والحضر ، فبحث خالد ابن يزيد بن معاوية عن رجل من الكلبيين ليمحو ذلك العار ، فانتدب لذلك حميد بن بحدل خال يزيد بن معاوية ، وكتب له خالد بن يزيد عهدا على لسان عبد الملك بن مروان بأخذ الصدقة من قيس حتى يتمكن من النكاية . وقد استغل حميد هذا السلطان فأوغل في النكاية بقيس - ولا سيما بنى فزارة - إغلا سجله هذا الشعر .

٣ - فَقَدْ تُرِكَتْ قَتْلَى حُمَيْدِ بْنِ بَحْدَلٍ كَثِيرًا ضَوَاحِيهَا قَلِيلًا دَفِينَهَا^(١)
 هذا بيان لما حلَّ بقَيْسٍ . يَقُولُ : تُرِكَتِ الْقَتْلَى الَّذِينَ أَبَادَهُمْ حُمَيْدُ
 ابْنُ بَحْدَلٍ بِالْعَرَاءِ ، فَقَدْ كَثُرَ بَوَارِزُهُمُ لِلشَّمْسِ ، وَقَلَّ دَفَائِنُهُمْ فِي الْأَرْضِ . وَإِنَّمَا
 يُفْظَلُ بِمَا يَصِفُ مَا دُفِنَ إِلَيْهِ قَيْسٌ وَابْتُلِيَ بِهِ . وَالضَّوَاحِي : جَمْعُ ضَاحِيَةٍ ،
 وَهِيَ الظَّوَاهِرُ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ ضَحَّى يَضْحَى عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ، وَلُغَةٌ أُخْرَى ضَحَّى
 يَضْحَى ، وَهَذَا أَفْصَحُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَأَنْتَ لَا تَنْظُرُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ .
 وَأَصَافَ قَتْلَى إِلَى حُمَيْدٍ لِأَنَّهُ الْمَوْقِعُ بِهِمْ ، الْقَاتِلِ لَهُمْ .

٤ - فَإِنَّا وَكَلْبُنَا كَالْيَدَيْنِ مَتَى تَقَعَ شِمَالُكَ فِي الْمِجْبَا تُعْنِكَ يَمِينُهَا
 هذا الكلامُ تَحْمِيدُ^(٢) وَتَنْبِيهِ عَلَى أَنْ مَا يَجْمَعُهُمْ وَكَلْبُنَا فِي نِهَايَةِ الْقُوَّةِ
 وَالِاسْتِحْكَامِ ، فَلَا يَفْرِضُ فِيهِ قُتُورٌ ، وَلَا يَسْلُطُ عَلَيْهِ كَلَةٌ وَلَا قُصُورٌ ، فَهَمْ
 كَالْيَدَيْنِ إِذَا دُفِنَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى شِدَّةِ أَعَانَتِهَا الْأُخْرَى . وَجَمَلَ الْفُضْلَى مِنَ
 الْيَدَيْنِ - وَهِيَ الْيَمِينُ - مَثَلًا لِأَنْفُسِهِمْ .

١٧٤

وَقَالَ الْمُنْخَلُ الْيَشْكُرِيُّ^(٣) :

١ - إِنْ كُنْتَ عَازِلَتِي فَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي^(٤)

(١) التبريزي : « قوله قليلا ، لم يرد أن القليل منهم دفنوا ، أراد أنه لم يدفن منهم أحد . ومثله :

قليلًا على ظهر المطيعة ظله سوى ما نفي عنه الرداء المحرر » .

(٢) هذا ما في م . وفي الأصل : « تحمل » .

(٣) هو المنخل بن مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري . وهو قديم جاهل .
 وكان يشبب بهند أخت عمرو بن هند ، وكان يتهم بامرأته أيضًا ، كما كان يتهم بالمتجردة امرأة
 الزنمان بن المنذر . وكان للزنمان منها ولدان كان الناس يقولون إنهما من المنخل . ولما قال
 النابغة قصيدته في وصف المتجردة قال المنخل : ما يعرف هذا إلا من جرب . فكانت تلك
 السعاية سببًا في هرب النابغة ولحاقه بآل جفنة الفسانيين . انظر الأغاني (١٨ : ١٥٢ - ١٥٦)
 والمؤلف ١٧٨ والشعراء ٣٦٤ - ٣٦٦ .

(٤) التبريزي : « إنما قال ذلك لأن للزنمان بن المنذر كان يكرمه ويقربه ، ودار الزنمان
 بالهيرة ، والهيرة من العراق » .

يَسْتَعْفِي مِنْ لَوْمِهَا وَتَقْرِيعِهَا فِي تَبْذِيرِ الْمَالِ وَإِتْلَافِهِ ، وَتَرْكِ الْأَذْخَارِ مِنْهُ
لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ؛ فَيَقُولُ : إِنْ كَانَ دَأْبُكَ إِدْمَانَ عَذْلِي ، وَالِاسْتِمْرَارَ فِي تَوْبِيخِي ،
فَفَارِقْنِي وَخُذِي طَرِيقَ الْعِرَاقِ لَا رَدَّكَ اللَّهُ . قَوْلُهُ « لَا تَحْجُورِي » دُعَاءٌ عَلَيْهَا ،
مِنْ قَوْلِكَ حَارَ أَيْ رَجَعَ . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّاسِ : « نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوَرِ بَعْدَ
السَّكُورِ » ، لِأَنَّ النِّقْصَانَ تَرَا جَع . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « سِيرِي » دُعَاءٌ أَيْضًا ،
كَأَنَّهُ قَالَ فَسَيَّرِكَ اللَّهُ وَلَا رَدَّكَ !

٢ - لَا تَسْأَلِي عَنْ جُلٍّ مَّا لِي وَانْظُرِي كَرَمِي وَخَيْرِي^(١)

قَالَ الْخَلِيلُ : الْخَيْرُ : الْهَيْئَةُ . يَقُولُ : اتْرُكِي الْبَحْثَ وَالْفَحْصَ عَنْ
ذَخَائِرِي وَمَعَازِمِ مَالِي ، وَلَكِنْ [اَعْلَى^(٢)] شَرَفِي وَكَرَمِي وَحُسْنَ هَيْئَتِي
وَخُلُقِي . وَقَوْلُهُ « وَانْظُرِي » مَعْنَاهُ وَاعْلَمِي . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُسَاقُونَ
إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ، أَيْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَيَتَقَنُّونَهُ . وَالْعَرَبُ تَضَعُ
عِبَارَاتِ طُرُقِ الْعِلْمِ فِي مَوْضِعِ الْعِلْمِ . يَقُولُونَ : سَمِعْتُ كَذَا ، بِمَعْنَى عَلِمْتُهُ .
وَعَلَى هَذَا قَوْلُنَا : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . وَيَقُولُونَ : ذُقْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى دَلِمْتُهُ
وَخَبَرْتُهُ . وَيَقَالُ : سَمِعْتُ رَائِحَةَ الْفَضْلِ مِنْ فُلَانٍ ، أَيْ عَلِمْتُهُ .

٣ - وَفَوَارِسِ كَأْوَارِ حَرِّ النَّارِ أَحْلَاسِ الذُّكُورِ

يَقُولُ : وَرُبَّ فُرْسَانٍ يَشْتَعْلُونَ لَيْلًا وَنَهَارًا ، ذَكَاءً وَحَيَّةً ، وَبَأْسًا وَنَجْدَةً ،
اشْتِعَالِ النَّارِ ، وَيَلْزَمُونَ ظُهُورَ الذُّكُورِ مِنَ الدَّوَابِّ الْزَوْمَ الشَّدِيدَ ، إِذَا كَانَ
ذَلِكَ شَأْنَهُمْ وَدَأْبَهُمْ . وَجَوَابُ رُبِّ مُنْتَظَرٌ . وَقَوْلُهُ « كَأْوَارِ حَرِّ النَّارِ » ،
الْأَوَارِ : التَّوْهُّجُ وَالِانْتِهَابُ ، وَلِهَذَا أَضَافَهُ إِلَى الْحَرِّ . وَيَقَالُ وَأَرَتِ النَّارُ ، إِذَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَاسْأَلِي كَرَمِي » . وَالْإِثْبَاتُ بِمَعْنَى مَا أَثْبَتْنَا مِنْ م وَالتَّبْرِيْزِي -

(٢) اَنْكَلَةُ مِنْ م .

تَوَهَّجَتْ ، ومنه الإِرَّةُ . وإذا كان كذلك فالأصلُ في أَوَارٍ وُؤَارٍ ، فيما أن يكون قد قُلبَ ، فقدم الهمزة ، وإما أن يكون لُيِّنَ الهمزة ثم أُبدِلَ من الواو المضمومة التي هي فاء الفعل هَمْزَةً ، كما فُعِلَ في وَقَّتَ إذا قيل أَقَّتَ ، فصار أَوَارًا . وقوله « أخلاس الذكور » ، الحِلْسُ : كل شيء وَلِيَ الظَّهْرَ تحت الرَّحْلِ . وحكى ثَعْلَبُ عن ابن الأعرابي أن الأَحْلَاسَ البُسْطُ ، واحِدُهَا حِاسٌ ، قال : ومنه الخبر : « إذا ظَهَرَتِ الْفِتْنُ فَكُنْ حِلْسَ بَيْنِكَ » . وَأَنشَدَ :

نَوَمْتُ عَنْهُمْ غَلَامًا حَبَسَا وَقَدْ تَغَطَّى فَرَوَةً وَحِلْسَا

ومنه استَحْلَسَ الأرضُ بالنياتِ ، والأَرْضُ بِالظَّلَامِ . ولما أَدَّى الحِلْسُ معنى اللزوم صَحَّ الوَصْفُ به . وعلى هذا أسماء الأجناس إذا ضُمِنَتْ معاني الأفعال .

٤- شَدُّوا دَوَابِرَ يَبْخُضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ

٥- وَاسْتَلَأَمُوا وَتَلَبَّبُوا إِنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمَغِيرِ

قوله « شَدُّوا دَوَابِرَ » ، هو جَوَابُ رَبِّ . والمعنى : رَبُّ فَرَسَانِ هَذَا حَفَّتَهُمَ اسْتَعَدَّوْا . والمعنى اسْتَعَدَّوْا مَعِيَ أَوْ لِي مَغِيرِينَ أَوْ مُدَافِعِينَ ، بَأَن شَدُّوا مَآخِرَ الْمَغَايِرِ فِي جُيُوبِ دُرُوعِ مُحْكَمَةِ رِءُوسِ الْمَسَامِيرِ ، ضَيْقَةِ السَّرْدِ . والدوابر ، واحِدَتُهَا دَابِرَةٌ وهي المَآخِرُ ، وتُسْتَعْمَلُ أَيْضًا فِي الْحَوَافِرِ وَالْحَابِ . ومنه قَطَعَ اللَّهُ دَابِرَتَهُمْ ، لِأَن سَبَاعَ الطُّيُورِ إِذَا قُطِعَتْ دَوَابِرُهَا تَعَطَّلَتْ عَنِ الْكَسْبِ . و « اسْتَلَأَمُوا » ، أَيْ لَبَسُوا الدَّرَمَ ، وهي جَمْعُ لَأَمَةٍ . وَفَعْلَةٌ وَفُسْلٌ قَلِيلٌ ، وَمِثْلُهُ نَوْبَةٌ وَنُوبٌ . وهي مِنَ الْمَلَامَةِ الْمَطْلُوبَةِ فِي نَظْمِ الْحَلَقِ وَسَرْدِهَا . وَلَمَّا كَانَ الْوَاوُ الْعَاطِفَةُ لَا تُوجِبُ شَيْئًا مِنَ التَّرْتِيبِ لَمْ يَبَالِ بِتَأْخِيرِ وَاسْتَلَأَمُوا ، وَإِنْ كَانَ لَبَسَ الدَّرْعِ مُقَدِّمًا عَلَى لَبَسِ الْبَيْضِ ، وَشَدُّوا دَوَابِرَهَا

فيها . وقوله « إِنَّ التَّلْبَبَ لِلْمُغِيرِ » يَجْزِي تَجْرِقِ الالتفات . والتَّلْبَبُ : التَّحَرُّمُ ، وقيل هو الانتطاق والتَّجَرُّدُ . ويمكن الاستشهاد بهذا على أَنَّ الفَوَارِسَ الموصوفين كانوا مُغِيرِينَ .

٦- وعلى الجياد المضمَّراتِ فَوَارِسٌ مِثْلُ الصُّقُورِ
الواو من قوله « وعلى الجياد المضمَّراتِ فَوَارِسٌ » واو الحال ، كأنه قال . شدُّوا دوابِرَ بَنِيضِهِم والحال ذا . يُرِيدُ : رَبُّ فُرْسَانٍ تَشَعَّرُوا واستَعَدُّوا مَعِيَ لِلْفَارَةِ أو الدَّفَاعِ للمغيرين ، وبإزائنا خَيْلٌ هَكَذَا . يقول . وعلى الجيادِ العِتَاقِ السُّوَمَةِ المصنوعة ، فُرْسَانٌ كَأَنَّهُمْ فِي حِدَّةٍ نَظَرُهُم وارتفاعِ نَظَرِهِم وطموحهم ، صُقُورٌ فِي حَالٍ مَا تُخَلِّي لِلصَّيْدِ . وَسَمِئْتُ مَنْ يَقُولُ . إِنَّ جَوَابَ رَبِّ لَمْ يَجِبْهُ بَعْدُ ، وَإِنَّمَا أَعَادَ ذِكْرَ الجيادِ لِقَبَاعِدِ رَبِّ عَنْهُ بِمَا حَالَ بَيْنَهَا ، وجوابه أَفَرَزْتُ عَنِّي مِنْ أَوْلَئِكَ . وهذا البيت لم يدخل في الاختيار ، أَغْنَى أَفَرَزْتُ عَنِّي ^(٢) .

٧- وَإِذَا الرِّيحُ تَنَافَحَتْ بِجَوَانِبِ الْبَيْتِ الْكَاسِيرِ

٨- أَلْفَيْتَنِي هَشًّا أَيْدِي—نِ بَمَرِّي قِدْحِي أَوْ شَجِيرِي

أخذ يتَّبَجَّحُ بالسَّخَاءِ والتَّكْرُّمِ ، كما يتَّبَجَّحُ بالثَّباتِ والنَّشْجِ . وهذه الفصولُ تفسيرُ قوله « وانظري كَرَمِي وَخَيْرِي » . فيقول . وإِذَا تَنَافَحَتْ الرِّيحُ أَوَانِ الشَّتَاءِ ، وَوَقْتَ الْجَذْبِ وَالْإِنْحَالِ ، حَتَّى زَغَزَعَتْ جَوَانِبَ الْبَيْتِ الْعَظِيمِ

(١) بعده عند التبريزي :

يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَا رِ يَجِفْنَ بِاللَّيْمِ الْكَاسِيرِ

أَفَرْتُ عِمْنِي مِنْ أَوْلَ ثَمَّ وَالْفَوَائِحِ بِالْعَبِيرِ

وقال : « يقال وجف يحف ، إذا أسرع ، وجيفا . وأوجف إيجافا كذلك » .

(٢) نص التبريزي : « وليس في المختار ، وهو يروى بعد قوله : يخرجن » .

الكُسور والأركان ، ألفتني هكذا . ويُقالُ بَيْتُ كَسِيرٌ إذا كانَ عَظِيمَ الكِسْرِ ، كما يُقالُ رَجُلٌ جَسِيمٌ بَدِينٌ ، إذا كانَ عَظِيمَ الجِسمِ والبَدَنِ . وكَسَرُ البَيْتِ وكَسَرُهُ بِالْفَتْحِ والكَسْرُ : جَانِبُهُ . وتفسير الكِسْرِ على هذا أبلغ وأحْسَنُ من أن يُجْمَلَ في مَعْنَى المَهْدَمِ والمَكْسور . وعلى ما به فَقَدْ يُفَسَّرُ عليه . وقوله « أَلْفَيْتَنِي » جوابُ إذا . يَقُولُ : تَجِدُنِي في ذلك الوقت خفيفَ اليد بِمَسْحِ القِدَاحِ ، وعند حُضُور الأيسار ، نَشِيطًا في إيجاتِها ، حريصًا على فوزِها وتحْمِيلِ الكَلْفِ في إدارَتِها . وقوله « أَوْ شَجِيرِي » الشَّجِير : الغريب . ويقالُ : نَزَلَ بَيْنَهُمْ شَجِيرًا ، أى غريبًا . وإنما يَفْنَى قِدْحًا يَتَبَرَّكُ بِهِ ، فيستعار من الغَيْر ، فإذا أجاَلَهُ الياسِرُ مع قِدَاحِهِ كانَ كالشَّجِير فيما بينها والدَّخِيل . والهَشَّ الخفيف . ويُقالُ اسْتَهَشَّنِي الشَّيْءُ ، أى اسْتَخَفَّنِي . ومنه هُوَ يَهْشُ إلى إِخْوَانِهِ .

- ٩- ولقد دَخَلْتُ على الفَتَاةِ الخِذَرِ في اليومِ المَطِيرِ
١٠- السَّكَاكِيبِ الحَسَناءِ تَرَى فُلًا في الدَّمَائِسِ وفي الحَرِيرِ
ذكر أن أوقاته مَنقُسمَةٌ ^(١) بين الجِدِّ والهَزْلِ ، وأمواله ^(٢) مَتَوَزَّعةٌ بين لوازمِ الحقوقِ ، ولواحقِ الفُضُولِ ، فيقول : ولقد أُعْطِيتُ الصَّبِيَّ حَقَّهُ ، وأقمتُ للهوى رَنَمَهُ ، وَسَعِيتُ في البَطَالَةِ أوقاتها وأعطيتُ الخسارةَ مَقاوِدَها ، فدَخَلْتُ على الفتاةِ الخِذَرِ في أَطْيَبِ أوقاتِ اللَّذَّةِ ، وهو ما أشارَ إليه بقوله « في اليومِ المَطِيرِ » . ثُمَّ وَصَفَ الفتاةَ فقال : كانت نَاهِدَةً النَّدِيدِينَ ، حَسَنَةً الخِلْفَةِ ، موفِّرةً الحِظَّ من النِّعْمَةِ والنَّعْمَةِ ، فهي تَتَبَخَّرُ في مَلابِسِ الحريرِ [المتلَوِّنةِ] على أَجناسِها المختلفةِ ، والدَّمَائِسِ : الحريرِ ^(٣) [الأبيضِ] ، ولهذا قال امرؤ القيسِ -

(١) م : « مَنقُسمَةٌ » .

(٢) كذا على الصواب في م . وفي الأصل : « وأقواله » .

(٣) هذه التكلة من م .

* وشَحْمٌ كَهَذَابِ الدَّمَقْسِ لِلْمَقْتَلِ *

وإذا كان كذلك فقولُه « وفي الحرير » ينصرف إلى سائر الألوان ،
ويشتمل على جميع الأجناس ، فكأنه قال : ترَفُلُ في أجناس الحرير ، الأبيض
منها وغير الأبيض يُريدُ أن معارضها من تلك الأجناس .

١١- فَدَقَمْتُهَا فَتَدَفَعَتْ مَشَى الْقَطَاةُ إِلَى الْغَدِيرِ

١٢- وَلَتَمَّتْهَا فَتَنَفَّسَتْ كَتَنَفَّسَ الظَّنِّي الْعَقِيرُ^(٢)

قوله « فتدافعت » هو مطاوعة دافعت ، ومطاوعة دَفَعْتُ اندَفَعْتُ ، إلا
أنه يوضع كل موضع صاحبه . فيقول : هزرتها المساعدي ، وبعثتها لتسعى
معي فانبعثت وأسمحت وهي تمشي مَشَى الْقَطَاةُ إذا وقعت على الغدير ، ومشت
نحو الماء . وهذه المشية فيما يقال أحسن المَشَى ، لأنها وسرورها بالورود ، وعُجْبها
بالخلاء ، وانتصب « مَشَى » على أنه مصدرٌ من غير لَفْظِهِ لأن معنى تدافعت
مَشَتْ ، والقصدُ إلى التشبيه لأن المعنى مَشَتْ مِشْيَةً تُشَبِّهُ تلك المِشْيَةَ . وسيبويه
يُضْمِرُ في مثل هذا الموضع فعلاً من لَفْظِ الْمَصْدَرِ إن وجده ، وإلا قدره ،
ويجمل الظاهر دليلاً عليه . وقوله « ولتمتها^(٣) » يُريدُ . وقبَلْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ .
ومنه اللثام ، لأنه في الفم كاللثام في الأنف . والمعنى أُنِيَ كَيْفَتُهَا فَلَحِقَهَا من ذلك
تعب ، فتَنَفَّسَتْ له تَنَفُّساً كَتَنَفَّسَ الظَّنِّي إذا عُقِرَ . ويقال إنه في تلك الحالة
يتنفس تنفساً ممتداً طويلاً ؛ فَشَبَّهَ تَهْدَاها به . ويروى . « كتَنَفَّسَ الظَّنِّي

(١) صدره : * فظل العذاري يرتمين باحكما *

(٢) هذه رواية م . وهي ما يتساق مع التنفير التالي . وفي الأصل : « الهير » . وهي
رواية كذلك . على أن الرواية التي اعتمدها التبريزي في متن الحماسة : « الفرير » ونبه على
الروايتين الآخرين ، فهن ثلاث روايات .

(٣) في الأصل : « فلتمتها » وهو مخالف لنص البيت . والوجه ما أثبتنا من م .

«بهر» ، والمعنى قريب ، لأن البهر : النفس العالى . وفى طريقة قوله « ولتمتها ختفت » قول طرفة العبدي^(١) :

تَحْسِبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةً يَا لَقَوْمٍ لِلشَّبَابِ الْمُسْبِكِ
لأن المعنى فى الموضعين التنبيه على تنافى الموصوف فى النعمة والرفقة .

١٣ - فَدَانَتْ وَقَالَتْ يَا مَنَ—خَلُّ مَا بِجَسَمِكَ مِنْ حُرُورِ^(٢)

١٤ - مَا شَفَّ جَسْمِي غَيْرُ حُبِّكَ فَاهْدِنِي عَنِّي وَسِيرِي

١٥ - وَأَجِئْهَا وَتُحِبَّنِي وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بِمِ—يَرِي^(٣)

(١) كذا جاءت نسبة طرفة فى النسختين ، ولعله سهو ، فإن المعروف فى نسبة طرفة « البكرى » لا « العبدي » . على أن الكلمة ساقطة من التيمورية .

(٢) التبريزى : « ويروى : من غرور ، وقيل هو قلة اللحم » .

(٣) روى التبريزى بعده خمسة أبيات ، ضمن تفسير الأول منها بيتا سادسا لم يرو فى الحفاصة وهى :

١٦ - وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَا مِةً بِالصَّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ

١٧ - فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنِّى رَبُّ الْخَوَرِ نَقِي وَالسَّادِرِ

١٨ - وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّى رَبُّ الشُّوْبَةِ وَالْبَعِيرِ

١٩ - يَا هِنْدُ مَنْ لَمْتِمِ يَا هِنْدُ لِلْعَانِ الْأَسِيرِ

٢٠ - يَكْفَنُ مِثْلَ أَسَاوِدِ تَنْوَمُ لَمْ تُكْفَ بَزْوَرِ

وقال فى تفسير البيت ١٦ : « معنى بصغير ماله وكبيره ، ولم يرد إناء صغيرا وإنما كبيراً . هو الذى يحقق هذا قوله :

وَشَرِبْتُ بِالنَّخِيلِ الْإِنَا ثِ بِالْمَطْهَمَةِ الذُّكُورِ

وهذا مثل قول الآخر :

شَرِبْتُ بِقِرَاطٍ وَأَسْكُرْتُ صَحْبِي وَرَحْتُ وَلِىَ عِنْدَ التَّجَارِ حِمَابِ

قِرَاط : اسم ناقتة . وقيل : أراد بالصغير الدرهم ، وبالكبير الدينار .

ثم فسر البيت ١٩ بقوله : « هى هند بنت المنذر بن ماء السماء ، وهى عمة النعمان -

(٤ - حفاصة - ثا))

قوله « فَدَنَتْ » أراد به دُنُوَ الشفقة ، والتَقَرَّبَ بِحَسَنِ الْعَاطِفَةِ ، لَا قُرْبَ الْمَسَافَةِ . والمعنى : تَأَمَّلْتُ تَغْيِيرَ لَوْنِي وَنُحُولِي ، فاعتقدتُ أَنَّهُ مِنْ مُلَازِمَةِ تَبَدُّلِ ، وَمُقَاسَاةِ تَعَمُّلِ ، فَأَعَارِثَنِي شَفَقَتَهَا وَقَالَتْ : مَا الَّذِي بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورٍ ، أَيْ مِنْ أَثَرِ الْحَرُورِ . وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي السُّمُومِ وَالْحَرُورِ ، فَهُمْ مِنْ جَعَلَ السُّمُومَ بِالنَّهَارِ وَالْحَرُورَ بِاللَّيْلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ عَلَى الْعَكْسِ مَا ذَكَرْتُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : السُّمُومُ الرِّيحُ الْحَارَّةُ ، لَيْثًا هَبَّتْ أَوْ نَهَارًا . وَالْحَرُورُ : حَرُّ الشَّمْسِ . وَقَوْلُهُ « مَا شَفَّ جِسْمِي » يَقُولُ : أَحْبَبْتُهَا مُبْطِلًا اعْتِقَادَهَا ، وَمُكَذِّبًا ظَنِّهَا ، وَرَاحِمًا بِالْعُتْبِ عَلَيْهَا ، وَقُلْتُ : مَا أَنْحَلَ جِسْمِي وَلَا أَثَرَ فِي لَوْنِي إِلَّا حُبُّكَ ، فَاسْكَنِي عَنِّي وَسِيرِي . وَمَعْنَى سِيرِي هَوْنِي عَلَيْكَ الْأَمْرَ . وَعَلَى نَحْوِ مِنْ هَذَا يُجْمَلُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾ إِذْ لَمْ يَكُنْ [ثُمَّ ^(١)] مَشَى وَلَا انْطَلَقَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سِيرِي أَمْرًا بِالسَّيْرِ ، فَقَدْ قَالَ فِيمَا تَقْدِمُ :

= ابن المنذر ، وكان المنخل يتهم بالمتجردة امرأة النعمان ، وكانت فاجرة ، وكانت ولدت له غلامين يقال لهما ابنا المنخل . فذكر بعض من يحدث أن النعمان كان له يوم يركب فيه فيطيل ، وله إبان يعرف فيه مجيئه ، وأن المنخل كان يأتيها فيكون عندها حتى إذا جاء النعمان أخرجه ، فجاءها ذات يوم وقد ركب النعمان ، فلاعبته بقيد جعلته في رجله ورجلها ، فهما على حالهما تلك إذ دخل النعمان قبل إبانها الذي كان يجيء فيه ، فوجدها على حالهما ، فأخذه فدفعه إلى عكب صاحب سجنه - رجل من لحم ، صاحب الفرات - ليذبه .

وقال في تفسير البيت ٢٠ : « يقع في بعض النسخ . يجوز أن يكون في صفة النساء ، فيكون من قولهم . عكفت المرأة شعرها وعكفتها ، أي ألزمت بعضها بعضها وجعلته ضفائر . وإذا كان كذلك احتمل أسود التنوم وجهين : أحدهما أن يكون أراد هذا الشجر لأنه يسود كله ، والآخر يريد بالأسود جمع الأسود من الحيات ، لأن غداثر النساء تشبه بها . هذا إذا وقع هذا البيت عند وصفه النساء ، وإن وقع عند وصفه الخيل فمعناه أن الخيل تجيء بالعوارس فكأنها تمكفها كمكف الشعر ، وهي بمعنى مذكرات ، فهو محمول على إجماعات ، ويكون قد وصف الرجال بالأسود من الحيات ، لأن الرجل قد يوصف بأنه كالحية ، إذا كان شجاعاً غشى الشر » .

(١) هذه من م والتمورية .

فَدَفَعْتُهَا فَدَفَعْتُ مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْقَدِيرِ
 وقوله : وأحبتها وتُحِبُّنِي ، هو بيان تطاول الألفة بينهما ، وتواصل الصُّحبة
 في أيامهما ، حتى صارت لامتداد الملازمة كما حصل التحابُّ بينهما حصل التألف
 بين بعيريهما ، فإذا اتَّمَقَ التباعدُ والافتراق ، وأسَّطَطَ على كلٍّ واحدٍ منهما
 الاشتقاق ، أقبلَ البعيرانِ يتحابَّانِ ، ويتجاذبانِ الوَجْدَ والنزاعَ كما يفعل المتحابان .

١٧٥

وقال باعث بن صريم^(١) :

- ١- سَائِلُ أَسِيدٍ هَلْ تَأَزَّتْ بَوَائِلُ أُمِّ هَلْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ بَلْبَالِهَا
 - ٢- إِذْ أَرْسَلُونِي مَا حَمَّا بِدِلَالَتِهِمْ فَمَلَأَتْهَا عِلْقًا إِلَى إِسْبَالِهَا
- أَسِيدُ أراد به قبيلة^(٢) ، ولما مَنَعَهُ الصَّرْفُ . وهذا الاستشهاد هو
 تصويرٌ للحال وتطرُّقٌ إلى الإخبار . وإنَّما يفتخر بأنه قَتَلَ قَاتِلَ وائِلٍ ،
 وأدرك ثأره ، لما اعتمدَ في طَلَبِ دَمِهِ ، واعتقد أن إدراك شفاء النفوس من
 جهته وبه . والبَلْبَالُ : الحزن . وقوله « أُمِّ هَلْ » الاستفهام بأن دون هَلْ ،
 لأنَّ أُمَّ هَذِهِ هِيَ الْمُنْقَطِعَةُ ، ولا يجوز أن يكون^(٣) العاطفة . لأنَّ تِلْكَ تَجِبُ
 عَدِيلَةَ الْأَلْفِ . وقوله « شَفَيْتُ النَّفْسَ » يجوز أن يريد به نَفْسَهُ ، ويجوز أن
 يُريدَ به الكثرةَ والجِنْسَ ، كأنه يريد أنه شَفَى الْمُتَوَرِّينَ فِيهِ ، وَأَزَالَ مَا خَاَمَرَهُمْ
 مِنْ لَذَعِ الْمَصِيبَةِ ، وَالْمُ الْفَجِيعَةِ . وقوله « إِذْ أَرْسَلُونِي » إِذْ ظَرَفَ أَقُولُهُ تَأَزَّتْ ،

(١) شاعر جاهل ، ساق التبريزي نفسه : باعث بن صريم بن تميم بن ثعلبة بن عير
 ابن حبيب بن كعب بن يشكر . وانظر ما سيأتى من خبره في الشرح .

(٢) هم أسيد بن عمرو بن تميم . الاشتقاق ١٢٣ والمعارف ٣٧ ومختلف القبائل
 ومؤلفها ٤٥ .

(٣) كذا بالياء في النسخ بالنظر إلى الحرف . ونحوه كثير في كلام المرزوقي .

أَوْ لَقَوْلِهِ شَفَّيْتُ . والماتح : الذي يدخل البئرَ فيملاً الدَّلَوَ عند قلة الماء فيها ،
والحاجة إلى الغرف من قعرها . وإنما جعل نفسه مأخذاً لينبّه على أن طلب دم
الواترين كان متمسراً متمعدراً ، كما أن الاستقاء على الوجه الذي ذكره يكون
شاقاً مُتَمَبِياً . فهذا وجهُ عدوله عن المَتَجِّ إلى المَنِيح . وقوله « فلأنتها علقاً إلى
أسبأها » ، انتصبَ علقاً على التمييز . وأسبأها : أعاليها ، ومثله ^(١) الأضبار ،
وسبلة الرجل منه . واختار بعضهم أن يرويه « إلى إسبأها » بكسر الهمزة ،
مصدر أسبَل ، وليس بشيء . والمعنى : ملأت دلاءهم من دم واتريهم ^(٢) . وجعل ^(٣)
لهم دلاء لا اشتراكهم في الدم وطلبه ، ولنيابته عن كل أوليائه . ولما استعار
الدلاء والماتح لما ذكرته كفى عن فعله وتصرفه بالتلء .

وذكر بعضهم أن واثلاً الممتول هو واثل بن صريم الغبيري أخو باعث
الشاعر ، وله قصة . وهي أن عمرو بن هندٍ بَعَثَ سَاعِيّاً على بني نعيم ، فكان
جالساً على شفير بئر يجمع الصدقات ^(٤) ، فدفنوا في صدره وأسقطوه في البئر ،
ثم رَجَعُوهُ بالحجارة حتى قتلوه ، وأخذوا يرتجزون على طريق التهكم والاستهزاء :
* يَا أَيُّهَا الْمَاتِحُ دَلَوِي دُونَكَ * ^(٥)

فَاتَّصَلَ خَبْرُهُ بِأَخِيهِ بَاعِثٍ ، فَسَارَ فِي بَنِي غُبَرَ وَآلِي أَنَّهُ لَا يُنْسِكُ عَنْ
مَقَاتِلَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأَ دَلَوًا مِنْ دَمَاءِ بَنِي نَعِيمٍ ! فَفَعَلَ ^(٦) ، حَتَّى كَانَتْ الْمَرَأَةُ تَقُولُ :

(١) في الأصل والتمورية : « ومنه » ، صوابه في م .

(٢) م : « واتريهم » .

(٣) هذا الصواب من م . وفي الأصل : « وجعلت » .

(٤) كذا في م والتمورية . وفي الأصل : « بل جمع الصدقات » .

(٥) البيت من شواهد الخزانة (٣ : ١٥ - ١٨) . وروى البسداي عن

ابن الشجري في أماليه أن الرجز لرؤية . وبعده :

* إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ *

(٦) التبريزي : « فقتل ثمانين رجلاً وأسر جماعة وقتل رجلاً منهم يقال له قمامة فذبحه »

حتى أتى دلوهُ فخرجت ملأى دماً » .

« تَعَسَتْ غُبَرٌ ، وَلَا سُقِّيَتِ الْمَطَرُ ، وَلَا أُقِيَّتِ الظَّفَرُ ^(١) » . قال : فهذا معنى « إِذْ أَرْسَلُونِي مَائِحًا بِدَلَائِهِمْ » ، وهذا حَسَنٌ ، والأوَّلُ محمولٌ على طُرُقِهِمْ وعَادَتِهِمْ . ومثله قول الآخر :

تَحَضَّتْ بِدَلْوِهِ حَتَّى تَحْسَى ذُنُوبَ الشَّرِّ مَلَأَى أَوْ قُرَابَا
٣- إِيَّيْ وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ مَكَانَهَا وَالْبَدْرَ لَيْلَةً نِصْفِهَا وَهَلَالَهَا
٤- آلَيْتُ أَتَقَفُ مِنْهُمْ ذَا أَحْيَةٍ أَبَدًا فَتَنْظُرُ عَيْنُهُ فِي مَالِهَا

أَقَسَمَ بِنِ سَمَكِ السَّمَاءِ ، وهو الله عز وجل . ومعنى سَمَكَ رَفَعَ ، ومنه سُمِّيَ عَمُودُ الْبَيْتِ الْمِسْمَاكُ . وجواب الْقَسَمِ فِي آلَيْتُ أَتَقَفُ ، وهو خَبَرٌ إِنْ أَيْضًا . وقوله « لَيْلَةً نِصْفِهَا » أضاف النِّصْفَ إِلَى السَّمَاءِ لِتَا كَانَ اسْتِكْمَالُ الْبَدْرِ عِنْدَ اتِّصَافِ الشَّهْرِ فِي السَّمَاءِ ، فَلَاجْتِمَاعِهِمَا فِي ظُهُورِ الْبَدْرِ كَامِلًا فِي السَّمَاءِ سَاغَتْ الْإِضَافَةُ بَيْنَهُمَا ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ لِأَدْنَى مَنَاسِبَةٍ تَحْصُلُ بَيْنَهُمَا . وعلى هذا قول الآخر :

* ضَوْؤُهُ بَرَقَ وَوَابِلُهُ *

إِذْ كَانَ أَضَافَ الْوَائِلَ إِلَى الْبَرَقِ لِاصْطِحَابِهِمَا . وَأَبْعَدُ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :
نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا عَشِيَّةَ الْهَلَالِ أَوْ سِرَارِهَا ^(٢)
وَأَضَافَ السَّرَارَ إِلَى الْعَشِيَّةِ لاعتقاده أَنَّ استمرارَ الْقَمَرِ فِي الْعَشِيَّاتِ ، كَمَا أَنَّ طُلُوعَهُ فِيهَا . وعلى هذا الكلام فِي إِضَافَةِ قَوْلِهِ « وَهَلَالَهَا » وَإِنْ كَانَ إِضَافَةُ الْهَلَالِ إِلَى السَّمَاءِ أَجْزَأَ ، وَأَقْرَبَ مُتَصَوِّرًا . فَالْتَّعْدِيرُ لَيْلَةً كَامِلًا فِي نِصْفِ الشَّهْرِ ، وَلَيْلَهُ إِهْلَالُهُ . وَ « مَكَانَهَا » انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَالْمَعْنَى حَلَفْتُ بِاللَّهِ

(١) بعده عند التبريزي : « وعلمت النفر » .

(٢) بين الشطرين في المقاييس (سر) واللسان (سر) :

* جرّدا تعادى طرفى نهارها *

الذى رَفَعَ السماءَ فى مكانِها بلا عَمَدٍ - وَجَعَلَ البَدَرَ فيها كَامِلًا عند انتصاف الشهرِ ، وهَالَا لَا عند أولِهِ فى لَيْلَتَيْهِمَا - إِنِّى لَا أَتَقَفُّ من هؤلاءِ القَوْمِ مُلْتَحِيًا أَبَدًا نَاطِرًا عَيْنُهُ فى مَالِهِ ، وَرَاجِعًا من مَقْصِدِهِ إِلَى أَهْلِهِ وَدَارِهِ . أَى إِذَا تَقَفْتُهُ قَتَلْتُهُ حَتَّى لَمْ تَنْظُرْ عَيْنُهُ فى مَالِهِ ، وَلَمْ يَسْتَقِرَّ بَعْدَهُ فى دَارِهِ وَقَرَارِهِ . وَقَوْلُهُ « أَتَقَفُّ » هُوَ الجَوَابُ ، وَحُذِفَ مَعَهُ لِأَنَّهُ أَمِنَ التَّبَاسُخَ بِالوَاجِبِ ، إِذْ لَوْ أَرَادَ الْوَاجِبُ لِقَالَ لِأَتَقَفُّنَّ ، فَلَمَّا كَانَتْ صِغَةً الْوَاجِبِ بِمَا يَلْزَمُهَا مِنَ اللَّامِ وَإِحْدَى النُّونَيْنِ الثَّقِيلَةِ أَوْ الْخَفِيفَةِ لَمْ يُبَالٍ بِحُذْفِ حَرْفِ النُّنَى . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ ^(١) :

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَإِنْ ضَرَبُوا ^(٢)

لأنَّ الْمُرَادَ لَا أَبْرَحُ . فَإِنْ قِيلَ : إِذَا كَانَ الْقَسَمُ يَتناول مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَوْلِهِ لَا أَتَقَفُّ فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ آلَيْتُ ؟ وَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ إِنِّى حَلَفْتُ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ كَذَا ؟ قُلْتُ : إِنْ قَوْلُهُ آلَيْتُ دَخَلَ مُؤَكِّدًا لِلْقَسَمِ عَلَى أَحَدٍ وَجْهَيْنِ : (أَحَدُهُمَا) أَنَّهُ لَمَّا تَطَاوَلَ السَّكَّامُ بِالْيَمِينِ وَبَعْدَ مَا بَيَّنَّ إِنْ وَخَبِرَهُ ذَكَرَ آلَيْتُ ، ثُمَّ أَنِّى بِمَا هُوَ الْجَوَابُ ، لِيَكُونَ كَالْمُعِيدِ لِلْيَمِينِ ، وَلِلْمُجَدِّدِ لِمَا خَافَ مِنْ دُرُوسِ رَسْمِهَا . وَ (الثَّانِى) أَنَّهُ لَمَّا كَانَ آلَيْتُ لَوْ اكْتَفَى بِهِ مُغْنِيًا عَنْ ذِكْرِ الْمَقْسَمِ بِهِ صَارَ كَتَكَرُّارِ الْيَمِينِ ، فَجَرَّمِ تَجَرَّمِ قَوْلُهُ [لَوْ قَالَ ^(٣)] وَاللَّهِ وَاللَّهِ ، وَمَا أَشْبَهَهُ . فَأَمَّا قَوْلُهُ « فَتَنْظُرُ عَيْنُهُ فى مَالِهِ » فَلَفْظُهُ لَفْظُ الْجَوَابِ ، وَلِلْمَعْنَى مَعْنَى الْحَالِ ، وَالصَّمَّةُ لِلنَّكِرَةِ الَّتِى قَبْلَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا أَظْفَرُ أَبَدًا بِذِي لَحْيَةٍ إِلَّا لَمْ تَنْظُرْ عَيْنُهُ فى مَالِهِ . وَمِثْلُهُ مِنْ أَيْيَاتِ الْكِتَابِ ^(٤) قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

(١) هُوَ امْرُؤُ الْقَيْسِ . دِيوَانُهُ ٥٨ .

(٢) وَإِنْ ضَرَبُوا ، لَمْ تَرُدْ فى م . وَالْمَشْهُورُ فى رِوَايَةِ الْعَجْزِ :

* وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِى لَدَيْكَ وَأَوْصَالِى *

(٣) هَذِهِ مِنْ م .

(٤) كِتَابُ سَيَبَوِيهِ (١ : ٤٢٠) وَالْخَزَانَةُ (٣ : ٦٠٧) .

وما قامَ مِنَّا قائمٌ في ندبِنَا فينطبقُ إلّا بالذى هو أَعْرَفُ
لأنَّ المعنى ناطقًا . فإن قيل : هل يجوز أن يكونَ جوابًا ؟ قلت لا ، وذلك
أنَّ اللَّغْنَى يَفْسُدُ وَيَنْعَكِسُ ، لأنَّ التقدير حينئذٍ يكون لا أَثَقَنَهُ ، فكيف يَنْظُرُ ؟
أى لو نَفَقْتَهُ لَنَظَرَ ، لأنَّ في وَجْهِ الجوابِ بَتَمَلَّقُ وقوعُ الثانى بوقوع الأول ،
وتمتنع بامتناعه ، وفي هذا خروجٌ عما يَقْصِدُهُ المتكلمُ . ومثله في باب الواو :
لا تَنَّهُ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ [عارٌ عليك إذا فعلت عظيم ^(١)]
لأنَّ المعنى آتِيًا مِثْلَهُ .

٥ - وَخَمَارٍ غَانِيَةٍ عَقَدَتْ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مُنْشَرًّا بِشِمَالِهَا ^(٢)
تَبَجَّحَ في هذا البيت بأنه يغيث المذعورين فيؤمِّنهم . والغانية : التى
تَسْتَعْنِي بِجَالِهَا عن الحلَى ، وقد مَضَى القولُ مُسْتَقْصَى فيه . ومعنى البيت :
رُبَّ امرأةٍ تَبَرَّجَتْ متبرِّجةً من خِذْرِهَا حَاسِرَةَ الرَّأْسِ ، مُطَارَةَ القِنَاعِ ،
منشورة الخمار ، لِمَا اسْتَوَلَى عليها من الخوفِ ، وامتلكها من الرُّوعِ والغارةِ
الطالعةِ ، والخليلِ العاديةِ ، حتَّى كَانَتْ خَارَهَا طَوَّلَ نهارها منشورةً على شِمَالِهَا ،
وهى لا تَشْمُرُ أَنَّى أَنَا آمَنْتُهَا وَحَفِظْتُ عليها صِيَانَةً نَفْسِهَا ^(٣) ، رَدَدَتْ إليها
عَارِبَ عَقْلِهَا حتَّى اخْتَمَرَتْ وَأَمِنَتْ ما كانت تَمَلِّقُ لها ، وَسَتَرَتْ وَجْهَهَا .
ولمَّا قال أَصْلًا ، لأنَّ الغارةَ كَانَتْهَا وَقَعَتْ أَوَّلَ النهار ، وَلُحُوقُهُ للإغاثَةِ
والتَّدَارُكِ بِعَقِبِهَا ، فَحَصَلَ الأَمْنُ عَشِيَّةً . وفي طريقته لمنزلة :

(١) التكلة من م . والبيت لأبي الأسود الدؤلى . انظر شرح شواهد المعنى ١٩٤ .
ويروى بعض أبيات القصيدة للموكل الليثى . حاسة البحرى ١٧٣ .

(٢) التبريزى : « يقول : إنها سبيت فلهقها عشيًا بعد أن ينبت لأن الغارة تكون
بالغداة ، فلما رآته اطمأنت فلاثت خمارها برأسها . ومعلوم أن باعثًا لم يل عقد الخمار ،
ولمَّا كان السبب في أن عقدت المرأة » .

(٣) م والتيمورية : « وأذكرتها صيانة نفسها » .

وَمُرْقِصَةٍ دَفَعْتُ الْخَيْلَ عَنْهَا وَقَدْ هَمَّتْ بِإِلْقَاءِ الزَّمَامِ^(١)
 ٦ - وَعَقِيلَةٍ يَسْعَى عَلَيْهَا قَيْمٌ مَتَمَطَّرِسٌ أَبْدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِهَا
 لما قَدَّمْتُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ قَدَّمَ أَتَى فِي الثَّانِي بِمَا يُضَادُّهُ ، يُرَى أَنَّهُ كَمَا يَدْفَعُ
 الشَّرَّ وَالْبَلَاءَ يَوْفَعُهُ أَيْضًا ، حَتَّى يَكُونَ جَامِعًا لِلضَّرِّ وَالنَّفْعِ ، كَافِيًا فِي الدَّفَاعِ
 وَالْوِقَاعِ ، فَيَقُولُ : وَرُبَّ كَرِيمَةٍ حَتَّى ، بَعْلُهَا أَوْ ذُو نَحْرٍ مِهَا الْعَائِمُ بِأَمْرِهَا
 مُتَكَبِّرٌ أَيْفٌ ، يَرَى صِيَانَتَهَا عَنِ التَّكْشُفِ دِينًا ، وَحِفْظَهَا عَنِ التَّبْذِيلِ كَرَمًا ،
 أَنَا أَخْرَجْتُهَا مِنْ خِذْرَاهَا ، وَأَخَوَجْتُهَا إِلَى الْقُدُوِّ وَطَلَبِ التَّمَلُّسِ^(٢) مُشْمَرَةً
 عَنْ سَاقِهَا ، مُبْدِيَةً خَلْخَالَهَا ، مُذِبِلَةً مَصُونَهَا . أَيْ كَمَا آمَنْتُ خَوْفْتُ ، وَكَمَا
 سَكَنْتُ أَقْلَفْتُ .

٧ - وَكِتَبِيَّةٍ سَفَحَ الْوُجُوهُ بِوَاسِلِ كَالْأَسَدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِهَا

٨ - قَدْ قُدْتُ أَوَّلَ عُنفُوَانٍ رَعِيلِهَا فَلَفَفْتُهَا بِكِتَابِيَّةٍ أَمْثَالِهَا

يَذْكُرُ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ مَدْبُرًا لِهَمَّا ، وَمُرْسَلًا أَحَدَهُمَا عَلَى
 الْآخَرِ ، وَأَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ لِلتَّقَدُّمِ وَالْمُشَاهِدَةِ ، وَالْمُرْتَبِّ وَالْمُضَادِّ . فَيَقُولُ : رَبُّ
 كِتَابِيَّةٍ قَدْ تَعَوَّدَتْ الْفَارَاتِ وَالصَّبْرَ عَلَى الْإِبْعَادِ فِيهَا ، فَاسْوَدَّتْ أَلْوَانُهَا بِمَا تَقَاسِيهِ
 مِنَ التَّقَبُّ ، وَتُدْرِي لُبْسَهُ مِنَ الْأَسْلِحَةِ ، وَكَأَنَّهَا فِي بَاسِهَا وَنَجْدَتِهَا ، وَمَا تَأْوِي
 إِلَيْهِ مِنْ قُوَّتِهَا وَشِدَّتِهَا ، الْأَسَدُ إِذَا ذَبَّتْ عَنْ جِرَائِهَا ، وَدَفَعَتْ عَنْ خَيْسِهَا^(٣) ،
 أَنَا قُدْتُ أَوَّلَهَا فَخَلَطْتُهَا بِأَمْثَالِهَا ، وَقَابَلْتُهَا بِنَظَائِرِهَا مِنْ أَوْلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ ،
 وَالْجَلْدِ وَالشَّدَةِ . فَإِنْ قِيلَ : لِمَ قَالَ « أَوَّلَ عُنفُوَانٍ رَعِيلِهَا » وَالْعُنفُوَانُ هُوَ

(١) هذا ما في م والتميمورية . وفي الأصل : « ومرفضة » .

(٢) هذا الصواب من التيمورية . والتملس : التملص والتفلت . وفي الأصل : « التماس »

وفي م : « التلمس » كلاهما محرف .

(٣) الخيس ، بكسر الخاء : أجرة الأسد . وهذا الصواب من التيمورية . وفي الأصل

وم : « جنسها » .

الأول ، على ذلك قولهم فَعَلْتُ كَذَا فِي عُنْفُونِ الشَّبَابِ ؟ قلت : كأنه أراد قَدْتُ سَوَابِقَ أَوَائِلِهَا ؛ فأضافَ الأولَ إلى العُنْفُونِ لذلك . وكما قَادَ الأَوَائِلَ والسَّوَابِقَ فقد قَادَ الأَوَاخِرَ وَاللَّوَاخِقَ ، ولكن جَعَلَ القَوْدَ لِمَنْ وَلِيَهُ ، وجَعَلَ مَا بَعْدَهُم كَالتَّابِعِ . يُرِيدُ أَنَّهُ تَقَدَّمَ وَوُطِئَ عَقْبُهُ الأَعْيَانُ والأَفْرَادُ ، نِمَ احْتَفَّ بِهِمْ غَيْرُهُمْ . وحقيقة العنْفوان اعْتَنَفْتُ الشَّيْءَ ، أى اسْتَأْنَفْتُهُ . والزَّرْعِيلُ مِنَ التَّخِيلِ والرَّمَاخِ : أَوَائِلُهَا . وقَوْلُهُ « بِكُتَيْبَةِ أَمْثَالِهَا » ، لَوْ قَالَ مِثْلَهَا لَجَازَ ، وَلَكِنَّهُ جَمَعَ عَلَى مَعْنَى طَوَائِفِ الكُتَيْبَةِ ، لاختلافها .

١٧٦

وقال الفندُ الزماني^(١) :

١ - يَا طَعْنَةَ مَا شَيْخٍ كَبِيرٍ بِفَنٍ بِالِ

٢ - تُقِيمُ الْمَأْتَمَ الْأَعْلَى عَلَى جُهْدٍ وَإِعْوَالِ

مَا مِنْ قَوْلِهِ « مَا شَيْخٍ » زَائِدَةٌ ، أَرَادَ طَعْنَةَ شَيْخٍ ، وَهَذَا اللَّفْظُ لَفْظُ اللِّدَاءِ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى التَّعْجِيبِ وَالتَّعْجِيمِ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ : مَا أَهْوَلُهَا مِنْ طَعْنَةٍ ، وَيَا لَهَا مِنْ طَعْنَةٍ بَدَّرَتْ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ السَّنَّ ، فَإِنَّ الْقُوَى ، بِأَلِيِّ الْجِسْمِ . وَالْيَفَنُ : الشَّيْخُ الْهَرِمُ . [قَالَ الْأَعْمَشِيُّ^(٢)] :

وَمَا إِنْ أَرَى الْمَوْتَ فِيمَا خَلَا يُغَادِرُ مِنْ شَارِخٍ أَوْ يَفَنٍ

وَيَحُوزُ فِي قَوْلِهِ يَا طَعْنَةَ مَا شَيْخٍ ، أَنْ يَكُونَ الْمُنَادَى مُحَذَوْفًا ، فَيَكُونُ

التَّنْبِيهُ بِهِ « يَا » مُتَنَوِّلاً غَيْرَ الطَّعْنَةِ ، وَيَنْتَصِبُ عَلَى هَذَا طَعْنَةُ بِنَفْلِ مُضَمَّرٍ ،

كَأَنَّهُ أَرَادَ : يَا قَوْمٍ أَذْكَرُ طَعْنَةَ شَيْخٍ . كَمَا قَالَ :

(١) سبقت ترجمته في الحماسية الثانية بالقسم الأول .

(٢) التَّحْكَلة مِنْ م وَالتَّيْمُورِيَّةُ .

فيأشاعراً لا شاعراً اليومَ مثلهُ جريرٌ ولكن في كُتَيْبٍ تَوَاضَعُ^(١)
 وقوله « تُقِيمُ الْمَأْتَمَ الْأَعْلَى » من وَصَفِ الطُّعْنَةِ ، فَكَأَنَّهُ كَانَ تَقَاوَلَ بِهَا
 رِئِيسًا ، فَلِذَلِكَ وَصَفَ الْمَأْتَمَ بِالْأَعْلَى . وَالْمَأْتَمُ أَصْلُهُ أَنْ يَقَعَ عَلَى النَّسَاءِ يَجْتَمِعْنَ
 فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْأَتَمِّ ، وَهُوَ الضَّمُّ وَالْجَمْعُ ، وَمِنْهُ الْأَتُومُ وَهِيَ
 [الْمَرْأَةُ ^(٢)] الَّتِي صَارَ مَسَلَكُهَا مَسَلَكًا وَاحِدًا ، وَأَرَادَ بِالْمَأْتَمِ هُنَا الْاجْتِمَاعَ
 لِلرَّزِيئَةِ ، وَهُوَ بِبَنِيَّتِهِ مَصْدَرٌ وَصِفَ بِهِ . وَيُحْزَنُ أَنْ يُرَادَ بِهِ أَهْلُ الْمَأْتَمِ ،
 فَحُذِفَ الْمُضَافُ كَمَا يُقَالُ جَاءَ الْمَجْلِسُ ، وَالْمُرَادُ أَهْلُ الْمَجْلِسِ . وَقَوْلُهُ « الْأَعْلَى »
 يُرَادُ بِهِ الْأَفْظَحُ شَأْنًا . وَوَصَفَ الطُّعْنَةَ بِأَنَّهَا تُقِيمُ الْجَمْعَ عَلَى مُجَاهَدَةٍ وَبَلَاءٍ ،
 وَاسْرَافٍ فِي الصِّيَاحِ وَالْمَوَاءِ ، أَيْ تُدِيمُ ذَلِكَ لَهُ . وَالْعَوِيلُ وَالْعَوَلَةُ :
 صَوْتُ الْمَصْدَرِ .

٣ - وَلَوْلَا نَبْلُ عَوْضٍ فِي خَضْمَاتِي وَأَوْصَالِي^(٣)

٤ - لَطَاعَتُ صُدُورِ الْخَيْلِ طَعْنًا لَيْسَ بِالْأَلَى

يَعْتَذِرُ مِنْ رِضَا نَفْسِهِ بِتِلْكَ الطُّعْنَةِ الْوَاحِدَةِ . وَعَوْضُ اسْمٌ لِلدَّهْرِ مَعْرُفَةٌ
 مَبْنِيٌّ ، وَكَأَيْدِي عَلَى الْفَتْحِ فَقَدْ يُبْنَى عَلَى الضَّمِّ ، وَالضَّمُّ فِيهِ حَكَاهُ
 الْكُوفِيُّونَ^(٤) . وَيُقَالُ لَا أَفْعَلُهُ عَوْضَ الْعَائِضِينَ . وَإِنَّمَا يُبْنَى لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى
 الْإِلْفِ وَاللَّامِ وَالْخُصْمَةُ : مَا غَلِظَ مِنَ السَّاعِدِ وَالذَّرَاعِ ، وَيُبَدَلُ مِنْ مِيمِهِ
 الْبَاءُ ، فَيُقَالُ خُصْمَةٌ . وَقَدْ رَوَى هَذَا الْبَيْتَ ، وَهُوَ :

(١) الْبَيْتُ لِلصَّلْتَانِ الْعَبْدِيِّ . انْظُرِ الْخَزَانَةَ (١ : ٣٠٤ - ٣٠٨) .

(٢) هَذِهِ مِنْ مِ وَالْتِيمُورِيَّةِ .

(٣) وَقَعَ فِي مَتْنِ التَّبْرِيزِيِّ : « فِي حَظْبَايَ » لَكِنَّهُ فِي التَّفْسِيرِ يَفْسَرُ « خَضْمَاتِي »
 ثُمَّ يَعْقِبُ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّنْبِيهِ عَلَى رَوَايَةِ « حَظْبَايَ » . التَّبْرِيزِيُّ : « وَقَوْلُهُ حَظْبَايَ ، أَيْ جَسْمِي .
 وَيُقَالُ إِنَّ الْحَظْبِيَّ عَرِقَ فِي الظُّهْرِ » .

(٤) وَيُرْوَى بِالْكَسْرِ أَيْضًا كَمَا فِي اللِّسَانِ . وَكَلِمَةُ « عَوْضُ » فِي مَتْنِ الْبَيْتِ ضَبَطَتْ فِي
 الْأَصْلِ وَالْتِيمُورِيَّةِ بِالْفَتْحِ ، وَبِكَسَرَيْنِ تَغْيِيرًا لِأَجْلِ الشَّعْرِ فِي مِ . وَالْفَتْحُ أَعْلَى لُغَةً فِي اللُّغَاتِ الْثَلَاثِ .

يُذِرِي بِأَرْعَاشِ يَمِينِ الْمُؤْتَلِي خُضْمَةَ الدَّرَاعِ هَذَّ الْمُخْتَلِي^(١)

بالميم من « خُضْمَةَ » والباء جميعاً . ويعنى بنبئل الدهر تأثيره فى مفاصل الشيوخ . وعلى هذا قول الآخر :

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بَمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامٍ^(٢)

ومعنى البيت الأول : لولا رَمَيَاتُ الدهر فى مفاصل ومجاميع أعضائى ، ومُسْتَغْلَظُ عَضْدَى وذِرَاعِى ، لكان تأثيرى وبلائى فى الحرب أكثر مما كان ، ولشَفَفْتُ تلك الطعنة ولم أتركها وثرّاً . وقوله « لَطَاعَنْتُ صُدُورَ الْخَلِيلِ » أراد بالخليل الفرسان أى لولا ما قَدَّمْتُ من العُذْرِ لدَافَعْتُ بِالطَّعْنِ أوائل الخليل ، طعنًا لا تقصير فيه ولا قُصُور . وخَصَّ الأوائل منهم لتقدّمه . ويجوز أن يُرِيدَ بالصدور الرؤساء والأكابر . وهم يتَجَجَّحُونَ بِمَجَادِبَةِ الْعِلْمِيَّةِ . ألا تَرَى قول الآخر^(٣) :

مَنْ عَهْدٍ عَادٍ كَانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَسْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهَا وَقَتْلُهَا

وكما استعملوا الصُّدُورَ فى الأمانيل والجلَّةِ استعملوا فى الأراذل والسُّفَلَةِ الأهمَّاز . وهذا كما قالوا : الرُّءُوسُ والأَذْنَابُ ، وكما قال :

* وَمَنْ يُسَوِّى بِأَنْفٍ النَّاqَةَ الذَّنْبَا^(٤) *

(١) للمعراج فى ديوانه ٥٢ - ٥٣ . والسان (خضم) . والحد : سرعة القطع . وفى النسختين والسان : « هذا » ، صوابه فى الديوان والتميمورية . وفى اللسان : « المختلا » تحريف .
(٢) البيت لعمر بن قميئة . المعمرين ٦٢ ، ٨٩ ومعجم المرزبانى ٢٠٠ والخزافة (١ : ٣٣٨) . والمقاييس (٢ : ٣٠٦) . وفى الأصل : « ويمشى بنات » ، صوابه فى م التميمورية والمراجع السابقة .

(٣) هو بشامة بن حزن . انظر الحماسة ١٣٤ .

(٤) البيت من مشهور شعر الخطيئة . وصدده :

* قوم هم الأنف والأذنان غيرهم *

يقال : أَلَوْتُ فى الأَمْرِ آلُو ، أَى قَصَرْتُ . وَجَمَلَ التَّصْغِيرَ لِلطَّنِينِ عَلَى الْمَجَازِ .

٥ - تَرَى الْخَيْلَ عَلَى آثَارِ مُهْرَى فى السَّنَا الْعَالِ^(١)

٦ - وَلَا تُبْقِى صُرُوفُ الدَّهْرِ إِنْسَانًا عَلَى حَالِ

قوله « عَلَى آثَارِ مُهْرَى » مَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَالْمَعْنَى تَابِعِينَ لِي .
و « فى السَّنَا » فى مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِى لِتَرَى ، وَمَعْنَى فى السَّنَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
التَّوَرُّ الْعَالِ : يُرِيدُ بِهِ بَرِيقَ السَّلَاحِ ، كَأَنَّهُمْ يَقْدُمُونَهُ وَيَتَّقُونَ بِهِ . وَهَذَا مَعْنَى ،
وَأَجْوَدُ مِنْهُ وَأَعْلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : تَرَى الْفُرْسَانَ إِذَا تَبَعَتْ أَثَرِي وَوُطِئَتْ
عَقِي ، فى تَجَدُّدِ عَالٍ قَاهِرٍ ، لَهُ نُورٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ . وَيَكُونُ هَذَا فى طَرِيقَةِ يَتِ
الْأَعْمَى :

* كُلُّ سَيْرَاضَى بَانَ يُبْلَقِ لَهُ تَبَعًا^(٢) *

وَشَرَحَهُ بِأَنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بَرِيَا سَتَى عَلَيْهِمْ ، وَيَعُدُّونَ اتِّبَاعَهُمْ لِمَرَايِسِي ،
وَاحْتِذَاءَهُمْ لِأَثَارِي مِمَّا يَفْعَلُو بِهِ سَنَاهُمْ ، وَيَسْمُو بِهِ عَلَاهُمْ . وَقَوْلُهُ « وَلَا تُبْقِى
صُرُوفُ الدَّهْرِ » تَسْلِيَةٌ لِنَفْسِهِ فِيمَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ ضَعْفٍ بَعْدَ قُوَّةٍ ، وَهَرَمٍ
بَعْدَ شَبَابَةٍ ، حَتَّى رَضِيَ بِأَذْنَى الْمَزَلَتَيْنِ فى مُمَارَسَةِ الْحَرْبِ ، وَوَقَفَ عِنْدَ أَقْصَرِ
السَّمَيْنَيْنِ فى مُلَابَسَةِ الْقَرْبِ وَالطَّمَنِ . وَقَوْلُهُ « عَلَى حَالِ » فى مَوْضِعِ الصَّفَةِ
لِإِنْسَانًا ، وَتَعَلَّقَ عَلَى بُضْمَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا تُبْقِى حَوَادِثُ الدَّهْرِ إِنْسَانًا
قَائِمًا ، أَوْ ثَابِتًا عَلَى حَالٍ ، بَلْ تُبَدِّلُ وَتُحَوِّلُ ، وَكَأَنَّ تَفْعِلُ تَرْتَجِعُ .

(١) التبريزى : « ويروى : فى الثبا العالى . والأصل العالية ، ولكن ذكره على اللفظ
لأن ثبا مثل زلم ، وهى جمع ثبة وهى الجماعة . وقال بعضهم : الثبا هاهنا : مجالس الأشراف » .
(٢) صدره فى ديوان الأعمى ٨٦ :

* تَلَقَّى لَهُ سَادَةُ الْأَقْوَامِ تَابِعَةً *

٧ - تَفَتَّيْتُ بِهَا إِذْ كَرِهَ الشُّكَّةَ أَمْثَالِي^(١)

٨ - كَجَيْبِ الدَّفْنِسِ الْوَرَهَا ۝ رِبَعَتُ بَمَدِّ إِجْفَالٍ

الشُّكَّةُ : ما يُلبَسُ من السِّلَاحِ ، وقد شَكَ الرَّجُلُ في السِّلَاحِ ، إِذَا لَبَسَهُ
يَشْكُ شَكًّا ، وهو شَاكٌ . يقول : تَكَلَّفْتُ بِهَذِهِ الطَّعْنَةِ وَإِحْدَاثِهَا فَعَلَّ الْفِتْيَانِ
وَأَبْلَيْتُ بِهَا بِلَاءَ الشُّبَّانِ ، في وَقْتٍ يَكْرَهُ فِيهِ حَلَّ السِّلَاحِ أَمْثَالِي من الرِّجَالِ
الشُّيُوخِ ، فكيف استعملها . ومِثْلُ تَفَتَّيْتُ : تَشَجَّعْتُ وَتَكَبَّيْتُ . وقوله
« كَجَيْبِ الدَّفْنِسِ » شَبَّهَ اتِّسَاعَ الطَّعْنَةِ وَسُرْعَةَ خُرُوجِ الدَّمِ مِنْهَا بِاتِّسَاعِ جَيْبِ
المرأة الحَمَاءِ ، وَتَزْوِيهَا في رَوْعِهَا ، واضطرابِهَا في مَنَحَرِّقِ قِيصِهَا . والدَّفْنِسُ :
الْحُمُقَاءُ . والْوَرَهَا : المَسَاقِطَةُ الْعَقْلِ ، الضَّعِيفَةُ التَّمَاكُ ، ومعنى رِبَعْتُ أَفْرَعْتُ
بَمَدِّ اسْتِمْجَالٍ في الْقَدْوِ ، وإِسْرَاجٍ في السَّفَى . وَخَصَّ جَيْبَ الْوَرَهَاءِ لِأَنَّ
عَادَةً مِثْلَهَا أَنْ تَخْرُجَ الْيَدُ مِنْهُ ، فَيَنْسَحَ [خَرَقَهُ^(٢)] وَجَعَلَهَا مَرُوعَةً لَتَنْدَفِعَ
فِي الْإِجْفَالِ وَتَنْزَوُ . وَالْإِجْفَالُ وَالْجَفْلُ وَاحِدٌ ، وَكُلُّ هَارِبٍ مِنْ شَيْءٍ مُسْرِعٍ
مُجْفِلٌ وَجَافِلٌ . وَمِنْه بَاءُ جُفَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، أَيْ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مُسْرِعَةٍ .
وَيُشَبِّهُ هَذَا قَوْلَ الْآخَرِ^(٣) :

مُسْتَنَّةٌ سَنَنَ الْفُلُ مَرِشَةً تَنْفِي الثَّرَابَ بِقَاحِرٍ مُعْرُورٍ^(٤)

لأنَّ تَزْوِ الدَّمِ مِنَ الطَّعْنَةِ شَبَّهَهُ هَذَا بِنَزْوِ الْمَهْرِ وَاسْتِنَانِهِ ، كَمَا شَبَّهَهُ ذَلِكَ

(١) التبريزي : « ويدري : الشُّكَّةُ - أي بالفتح - وعنى بها طعنة انتظم بها رجلين
على فرس في حرب البسوس » .

(٢) الشُّكَّةُ من م والتميمورية .

(٣) هو أبو كبير الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ١١٠) والسان ، « رشش ،

فحز ، عرف » .

(٤) في الأصل : « معرورق » ، صوابه في م والتميمورية والمراجع السابقة .

يَعْدُوِ المَجْنُونَةُ عَنْ دُفْرِ . وقد سَلَكَ آخِرُ هذا الْمَسَلَكِ فقال في معنى هذا ولفظه :

كَجَيْبِ الدَّفَنِسِ الْوَرْهَاءِ رِيَمَتْ وَهِيَ تَسْتَفْلِي ^(١)

وَمَعْنَى تَسْتَفْلِي تَطْلُبُ فَلْيَ شَعْرَهَا ، وقد أَخْرَجَتْ يَدَهَا مِنْ جَيْبِهَا
فَذَعِرَتْ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ ، فلم تَصْبِرْ لَتَرَدُّ الْيَدَ إِلَى جَوْفِهَا ، ولم تَرْفُقْ بِجَيْبِهَا
فَرَفَقَتْهُ وَوَسَّعَتْهُ . وهذا كَأَنَّهُ لَمَّا قَصَدَ بَيَانَ سَمَةِ الطَّلَعَةِ جَعَلَ التَّشْبِيهَ بِالْجَيْبِ
فِي حَالَةِ إِخْرَاجِ الْحَقَاءِ يَدَهَا مِنْهُ مُسْتَفْلِيَةً ، فزَادَ عَلَى الْأَوَّلِ هذه الزِّيَادَةُ الغَامِضَةُ
الْمَأْخُذُ الْأَطْيَفُ الْمَوْقِعُ ، وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ « بَعْدَ إِجْفَالٍ » قد اخْتَصَّ بِمَا اخْتَصَّ .
وَيُسَبِّهُ هَذَا فِي الزِّيَادَةِ عَلَى الْمَعْنَى وقد اسْتَقَرَّ قَوْلُ امرئ القيس :

أَوْ تَيْسٍ أَظْبِ بِبَطْنٍ وَادٍ يَعْدُو وقد أَفْرَدَ الْفَزَالَ

لأنَّهُ زَادَ فِيهِ إِفْرَادَ الْفَزَالِ ، فَذَلَّ عَلَى شِدَّةِ الْخُوفِ وَخِفَةِ الْعَدُوِّ . فَأَمَّا
قَوْلُ أَوْسٍ :

وَفِي صَدْرِهِ مِثْلُ جَيْبِ الْفَتَاةِ تَفْهُقُ حِينًا وَحِينًا تَهْرِرُ
فَهُوَ وَإِنْ زَادَ التَّقْسِيمُ قَاصِرٌ عَنْهُمَا .

١٧٧

وَقَالَ رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ ^(٢) :

أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرَجُّو مَوَدَّتَهُ وَإِنْ دُعِيَ اسْتَجَابَا
قَوْلُهُ أَخُوكَ مُبْتَدَأٌ ، وَكَرَّرَهُ عَلَى وَجْهِ التَّأْكِيدِ ^(٣) ، وَمَنْ يَدْنُو فِي مَوْضِعٍ

(١) للفند الزماني ، أو امرئ القيس بن عابس الكندي . اللسان (دفنس)

(٢) سبقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ التَّاسِعَةِ .

(٣) ابن جني : « وإن شئت جمعت الثاني خبراً عن الأول . . . ثم أبدل من يدنو
وترجو مودته ، من أخوك الثاني » .

الخبير . ومعنى البيت : مَخَالِصُكَ فِي الْأُخُوَّةِ وَالْوُدِّ مِنْ يُقَرِّبُ مَكَانَهُ مِنْكَ ^(١) ، وَيَحْسُنُ شَفَقَتَهُ عَلَيْكَ ، وَتَطْمَعُ فِي إِثْمَارِ وَدِّهِ لَكَ ، وَإِنْ اسْتَفْتَيْتَ ^(٢) بِهِ لَمَلَمَةٍ تَنْزِلُ ، أَوْ نَائِبَةٍ تَطْرُقُ ، أَغَاثُكَ بِإِذْلَالِ مَقْدُورِهِ فِي نُصْرَتِهِ لَكَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ ، « مِنْ يَذْنُو » أَرَادَ بِهِ قُرْبَ النَّصِيحِ وَالشَّفَقَةِ ، لَا تَقَارُبَ الدَّارِ وَالْمَسَافَةِ ، كَمَا يُقَالُ فَلَانٌ أَذْنَى إِلَيْكَ مِنْ فَلَانٍ .

٢ - إِذَا حَارَبْتَ حَارِبَ مِنْ تُعَادِي وَزَادَ سِلَاحُهُ مِنْكَ اقْتِرَابًا

يجوز أن يكون هذا الكلام مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ ، وَالضَّمِيرُ فِي حَارِبَ لِأُخْوِكَ وَمِنْ تُعَادِي فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ مِنْ حَارَبْتَ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : إِذَا حَارَبْتَ مِنْ تُعَادِي حَارِبَ هَذَا الْوَأَخِي لَكَ مَعَكَ ، وَزَادَ نُصْرَتُهُ وَعُدَّتُهُ مِنْكَ قُرْبًا مَا دُمْتَ مُحَارِبًا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعًا مِمَّا قَبْلَهُ ، وَيَكُونُ مَثَلًا مَضْرُوبًا ، فَيَقُولُ : إِذَا كَاشَفْتَ عَدُوَّكَ وَأَبْدَيْتَ صَفْحَةً مَا تُضْمِرُهُ مِنَ الشُّؤْلِ لَهُ بِعَثَّةٍ ذَلِكَ عَلَى مَكَاشِفَتِكَ ، وَازْدَادَ عُدَّتُهُ مِنَ الْكَيْدِ وَغَيْرِهِ مِنْكَ دُنُوءًا . وَإِذَا جَاءَتْكَ وَدَاجِيَتُهُ بَقِيَ عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مَسِيرًا لَا مُجَاهِرًا .

٣ - وَكُنْتُ إِذَا قَرِينِي جَاذَبْتُهُ حِبَالِي مَاتَ أَوْ تَبَعَ الْجِذَابَا

هَذَا مِثْلُ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ :

مَتَى نَقْصِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ نَجْدُ الْحَبْلِ أَوْ نَقِصُ الْقَرِيفَا

وَجَعَلَ الْجِذَابَ لِلْحَبَالِ عَلَى الْحَازِ . وَقَوْلُهُ أَوْ تَبَعَ الْجِذَابَ « يَرِيدُ أَوْ يُجَذَّبُ » وَتَرَكَ الطَّمَّاحَ وَالْإِبَاءَ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِذَا جَاذَبَنِي قَرِينٌ لِي حَبْلًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ،

(١) نَظَرَ لَهُ التَّهْرِيذِيُّ بِقَوْلِ الْأَعَشِيِّ :

فَإِنَّ الْقُرُوبَ مِنْ يَقْرُبُ نَفْسَهُ لِمَعْرِ أَيْبَاكَ الْخَيْرَ لَا مِنْ تَنْسِبَا
(٢) م : استفتت .

فِيمَا أَنْ يَنْقَطِعَ دُونَ شَأْوَى فِي الْجَذَابِ فِيهِلِكَ ، وَإِمَا أَنْ يَتَّبِعَ صَاغِرًا فَيَقَادَ .
وَوَخْبِرُكَ كَانَ فِي إِذَا أَوْ جَوَابِهِ .

ع - فَإِنْ أَهْلِكَ فَذِي حَنْقٍ لَطَاهُ عَلَى يَكَاذُ يَلْتَهَبُ التَّهَابَا (١)

هذا الكلامُ تَسَلَّلَ عَنِ الْعَيْشِ بَعْدَ قَضَاءِ حَاجَتِهِ ، وَإِدْرَاكِ ثَأْرِهِ ، وَإِرْغَامِ
عَدُوِّهِ ، وَلَوْلَا مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَتَسَهَّلَ لَكَانَ لَا يَسْهَلُ عَلَيْهِ انْقِطَاعُ
الْعُمْرِ ، وَلَوْ مَاتَ مَاتَ بِقُصَّةٍ . فَيَقُولُ : إِنْ أُمْتُ قَرُبَ رَجُلٌ ذِي غَيْظٍ وَغَضَبٍ
تَكَادُ نَارُ عِدَاوَتِهِ تَتَوَقَّدُ تَوَقَّدًا ، أَنَا فَعَلْتُ بِهِ كَذَا . وَقَوْلُهُ «لَطَاهُ» فِي مَوْضِعِ
الْمَبْتَدَأِ ، وَ «يَكَاذُ يَلْتَهَبُ» فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَذِي
حَنْقٍ ، وَانْجَرَّ ذِي حَنْقٍ بِإِضْمَارِ رَبِّ ، وَالْجُرُورُ بِرُبِّ يَقَعُ مَوْصُوفًا فِي الْأَكْثَرِ
وَجَوَابُ رَبِّ فِيمَا بَعْدَهُ ، وَالْفَاءُ مِنْ قَوْلِهِ « فَذِي حَنْقٍ » مَعَ مَا بَعْدَهُ جَوَابُ
الْجِزَاءِ . فَإِنْ قِيلَ : إِنْ الْفَاءُ فِي جَوَابِ الْجِزَاءِ إِنَّمَا يَجِيءُ إِذَا خَالَفَ الْجُمْلَةُ الَّتِي
تَكُونُ جِزَاءً الْجُمْلَةُ الَّتِي تَكُونُ شَرْطًا بِأَنْ تَكُونَ مَبْتَدَأً وَخَبَرًا ، فَكَيْفَ يَكُونُ
تَقْدِيرُهُمَا بَعْدَ الْفَاءِ هَاهُنَا ؟ قُلْتُ : يَكُونُ التَّقْدِيرُ : إِنْ أَهْلِكَ فَلَا تُنْزِلْ وَالشَّانُ

(١) ابْنُ جَنَى : « ذِي مَجْرُورَةٍ بِرَبِّ مُضْمَرَةٍ ، أَيْ فَرَبِ ذِي حَنْقٍ ، وَحُفْنَهَا لِعَلِّمْ
بِمَوْضِعِهَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

رَسَمَ دَارَ وَقَفْتُ فِي طَلْعِهِ كَدْتُ أَقْصَى الْفِدَاءِ مِنْ جِلْهِ
أَيْ رَبِّ رَسَمَ دَارَ . وَهَذَا يَدْفَعُ قَوْلَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنَّ الْوَاوَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ :
* وَبَلَدٌ تَحْسِبُهُ مَكْسُوحًا *

هِيَ الَّتِي جَرَتْ بِلَدٌ لِمَا خَلَفَتْ رَبِّ وَكَانَتْ عَوْضًا مِنْهَا . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : فَذِي حَنْقٍ ،
أَيْ فَرَبِ ذِي حَنْقٍ . وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ إِنْ الْفَاءُ عَوْضٌ مِنْ رَبِّ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْمُهَلَّلِ :
فَحُورٌ قَدْ لَهَوْتُ بَيْنَ عَيْنِ نَوَاعِمٍ فِي الْمَرْوُوطِ وَفِي الرِّبَاطِ
وَقَالَ الْآخَرُ :

* بِلَ بِلَدٍ مَلَأَ الْفُجْجَاجَ قَتَمَهُ *

وَلَا أَحَدٌ يَدْعِي أَنَّ بِلَ عَوْضٌ مِنْ رَبِّ . فَلِذَا صَحَّ هَذَا وَثَبَتَ فِي الْفَاءِ وَبِلَ كَانَتْ الْوَاوُ
مَحْمُولَةً عَلَى حِكْمِهِ » .

رُبَّ ذِي حَنْقٍ بِهِذِهِ الصِّفَةِ قَمَلْتُ بِهِ كَذَا . فقوله « رُبَّ ذِي حَنْقٍ »
خَبَرٌ لِلْمَبْتَدَأِ الَّذِي أَظْهَرْنَاهُ .

٥ - مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّى تَحْسَى ذُنُوبَ الشَّرِّ مَلَأَى أَوْ قُرَابًا^(١)

هذا جوابُ رُبِّ . فيقول : رُبَّ إنسانٍ هكذا ، أنا حَرَّكَتُ بِدَلْوِهِ الَّتِي
أَدْلَاهَا فِي الْأَمْرِ الَّذِي خُضْنَا فِيهِ ، حَتَّى مَلَأْتُهَا . وَجَمَلَ الدَّلْوُ كُنْيَاةً عَنِ السَّبَبِ
الَّذِي جَاذَبَهُ فِيهِ ، وَالطَّمَعُ الَّذِي جَرَّاهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَتَحْسَى دَلْوُ الشَّرِّ مَمْلُوءَةٌ
أَوْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْإِمْتِلَاءِ . وَقُرَابُ الْمَلَأَ : أَنْ يُقَارِبَ الْإِمْتِلَاءَ ، وَيُقَالُ قُرَابٌ بِكَسْرِ
الْقَافِ وَقُرَابٌ بِضَمِّهَا . وَالْمَعْنَى : جَمَلْتُ شِرْبَهُ مِنْ الشَّرِّ شِرْبًا مُزَوِّيًا .

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ أَبُو تَمَّامٍ الدَّلْوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا رُبِيعَةُ فَقَالَ :

أَلْقُوا دِلَاءً فِي بُحُورِكَ أَسْلَمْتَ تَرَعَاتِهَا الْأَكْرَابُ وَالْأَوْذَامُ^(٢)
وَاسْتَعْمَلَ غَيْرَهُ دَلَوْتُ فِي مَعْنَى الْإِسْتِخْرَاجِ فَقَالَ :

(١) رَوَى التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ ، وَهِيَ :

٦ - بِمِثْلِي فَاشْهَدِ النَّجْوَى وَعَالِنِ بِي الْأَعْدَاءَ وَالْقَوْمَ الْغَضَابَا

٧ - فَإِنْ الْمُوَعْدَى يَرُونَ دُونِي أَسْوَدَ خَفِيقَةِ الْغُلْبِ الرَّقَابَا

٨ - كَأَنَّ عَلَى سَوَاعِدِهِنَّ وَرْسًا عَالًا لَوْنَ الْأَشَاجِعِ أَوْ خَضَابَا

وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ الْأَوَّلِ : « أَيْ جَاهِرَ بِمِثْلِ الْأَعْدَاءِ وَكَاشَفَهُمْ لِيَكْفُوا عَنْكَ ، فَتَلَّ
يَصْلِحُ لِدَفْعِ الْمَكَارِهِ ، وَكَشَفَ النَّوَائِبِ » . وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ الثَّانِي : « يُرِيدُ الْغُلْبَ رِقَابَا ،
وَانْتِصَابَهُ عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْفَضَارِبِ الرَّجْلِ » . قَالَ فِي الثَّلَاثِ : « أَيْ كَأَنَّ عَلَى سَوَاعِدِ هَذِهِ الْأَسْوَدِ
الْوَرْسِ أَوْ الْخَضَابِ ، مِنْ كَثَرَةِ مَا افْتَرَسَتْ الْفَرَائِسُ . وَالْأَشَاجِعُ : عُرُوقُ ظَاهِرِ الْكَفِّ ،
وَالْوَاحِدُ أَشْجَعٌ » .

(٢) التَّرَعَاتُ : الْمُتَمَلَّلَاتُ . وَفِي الْأَصْلِ وَدِيَوَانُ أَبِي تَمَّامٍ ٢٨١ : « نَزَعَاتُهَا » ، تَحْرِيفٌ .
وَفِي الْأَصْلِ : « وَالْأَوْذَامَا » ، صَوَابُهُ فِي مِثْلِ التَّيْمُورِيَّةِ وَالدِّيَوَانِ . وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي
حَدِّحِ الْمَأْمُونِ ، مَطْلَعُهَا :

دَمِنْ أَلَمٍ بِهَا فَقَدْ سَلَامَ كَمْ حُلَّ عَقْدَةَ صَبْرِهِ الْإِلَامَ

(٥ - حَامَةُ - ثَانِ)

فقد جَمَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ بِيَابِ دَارِكَ أَذْلُوها بِأَقْوَامٍ^(١)
فَكَانَ الْمُرَادُ أَنَّ هَذَا الْمُعَادِيَّ الْمُنْتَلَى غَيْظًا لَمَّا أَلْقَى دَلْوَهُ يَسْتَقِي بِهَا الْمَاءَ
مِنْ بَيْتِي مَلَأْتُهَا مَرًّا وَجَعَلْتُهُ سُمْيَا^(٢).

١٧٨

وَقَالَ سَلْمَى بْنُ رَبِيعَةَ^(٣) :

١- حَلَّتْ تَمَاضِيرُ غَرْبَةٍ فَاحْتَلَّتْ ، فَلَجَا وَأَهْلَكَ بِاللَّوَى فَاحِلَّتْ^(٤)

تَمَاضِيرُ : امراته وكانت قد فارقته عاتبة عليه في استئثاره المال ،
وَتَعَرَّضَ النَّفْسَ لِمَعَاطِبِ فَلَحِقَتْ بِقَوْمِهَا ، وَأَخَذَ هُوَ يَتَدَهَّنُ عَلَيْهَا وَيَتَحَسَّرُ
فِي أَثَرِهَا وَأَثَرِ أَوْلَادِهِ مِنْهَا ، فَيَقُولُ : نَزَلْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ بَعِيدَةً مِنْكَ ، فَاحْتَلَّتْ
فَلَجَا وَأَهْلَكَ نَازِلُونَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَضْعَيْنِ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَوْجِعٌ . وَفَاتِحٌ عَلَى
طَرِيقِ الْبَصْرِ ، وَالْحَلَّةُ : مَوْضِعٌ مِنَ الْحَزَنِ بِلَادُ ضَبَّةَ ، وَاللَّوَى : رَمْلٌ مُتَّصِلٌ بِهِ

(١) البيت لهما الرقاشي ، كما في البيان (٢ : ٣/٣١٦ : ٤/٣٠٢ : ٦٥) برواية :
« حتى جمعت » .

(٢) في الأصل : « أو جعلتها معناه » ، صوابه في م والتميمورية .

(٣) سلمى ، يفتح السين والميم ، كذا في الأصل والتميمورية ، وورد مهمل الضبط
في م . وكذلك ضبطه القالي في الأمالي (١ : ٨٢) وكذا ضبط في نوادر أبي زيد ١٢٠ قال :
« وقال سليمان بن ربيعة الضبي ، أو سلمى » قال أبو الحسن : هكذا وقع في كتابي : سلمى ،
وحفظي سلمى . وقال البكري في اللآلئ ٢٦٧ : « هكذا رواه أبو علي : سلمى ، ولم
يختلف الرواة أنه سلمى . وهو سلمى بن ربيعة بن زبان بن عامر ، من بني ضبة ، شاعر
جامل » . التبريزي وابن جني في التنبيه : « من بني السيد بن ضبة » . والأبيات في الخزائن
(٣ : ٤٠٢) ونوادر أبي زيد والأمالي . ونسبها الأصمعي في الأصمعيات ١٨ لعلاء بن أرقم .
ويفهم من صنيع الملاحظ في الحيوان (٥ : ٧٤) أنها لعمر بن قتيبة .

(٤) كذا رسمت بالتاء المبسوطة في الأصل والتبريزي ومعظم المراجع . وكتبت في م
والتميمورية بالتاء المعقودة ورسم إلى جوارها تاء مبسوطة . وضبطت في م والنوادر والتنبيه
لاين جنى بكسر الحاء .

رَقِيقٌ . وبين الموضع الذى ذَكَرَهَا تَبَاعُدٌ . إِنْ قِيلَ لِمَ قَالَ حَلَّتْ ، ثُمَّ قَالَ احْتَلَّتْ ، وَهَلَّا اكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا ؟ قُلْتُ : نَبَّهَ بِالْأَوَّلِ أَنَّهَا اخْتَارَتْ الْبُعْدَ مِنْهُ وَالتَّغَرُّبَ^(١) عَنْهُ ، وَبِالثَّانِي الْاسْتِقْرَارَ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : نَزَلْتُ فِي هَذِهِ الْغُرْبَةِ فَاسْتَوَطَنْتُ فَلَجًا . وَلَجٌّ بِفَتْحِ اللَّامِ : مَوْضِعٌ . وَلَجَّ بِسُكُونِ اللَّامِ : مَلَأَ .

٢- وَكَأَنَّ فِي الْمِثْنَيْنِ حَبَّ قَرْنَفٍ أَوْ سُنْبُلًا كُحِلَتْ بِهِ فَانْهَلَتْ

يقول : أَلِفْتُ الْبُكَاءَ لِتَبَاعُدِهَا ، فَسَاعَدَتِ الْعَيْنَانِ وَجَادَتَا^(٢) بِإِسَالَةٍ دَمْعِيهِمَا غَزِيرًا مُتَحَلِّبًا ، وَاصِفًا مُنْهَمِلًا ، فَكَأَنَّ فِي عَيْنَيَّ أَحَدَ هَذَيْنِ الْمُهَيَّجَيْنِ الْحَالِيَيْنِ لِلْعَيْونِ . وَقَوْلُهُ « كُحِلَتْ » إِنْخِبَارٌ عَنْ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ ، وَسَاغَ ذَلِكَ لِمَا فِي الْعِلْمِ مِنْ أَنَّ حَالَتَيْهِمَا لَا يَفْتَرِقَانِ . وَعَلَى الْمَكْسِيِّ مِنْ هَذَا قَوْلُ اسْمَاءِ الْقَيْسِ :
وَهَيْنُ لَهَا حَدَرَةٌ بِدَرَّةٍ شَقَّتْ مَا قَبِيهَا مِنْ أُخْرٍ^(٣)

لأن اسماء القيس وَحَدَّ فِي الْإِبْتِدَاءِ ثُمَّ ثَنَّى عِنْدَ رَدِّ الضَّمِيرِ ، عَلَى أَنَّهُ مَتَى اجْتَمَعَ شَيْئَانِ فِي أَمْرٍ لَا يَفْتَرِقَانِ فِيهِ اجْتَزَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ .
وَفِي طَرِيقَةِ هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ ابْنِ هَرَمَةَ :

وَكَاثِمًا اشْتَمَلْتُ مَوَاقِي عَيْنِيهِ يَوْمَ الْفِرَاقِ عَلَى يَبِيسِ الْخُمَيْمِ^(٤)

٣- زَعَمْتُ تَمَاضِيرُ أَتْنِي إِمَّا أُمْتُ يَسْدُدُ أَيُّنُوهَا الْأَصَاغِرُ خَلَّتِي

زَعَمَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ ، وَهَاهُنَا يَرِيدُ بِهِ الظَّنَّ . وَأَنْنِي مَعَ الْجَزَاءِ

(١) هذا الصواب من م والتميمورية . وفي الأصل : « والتقرب » .

(٢) في الأصل : « وجالتا » ، صوابه في م والتميمورية .

(٣) كذا في النسخ ، على الحرم في أول المعجز . ورواية الديوان ١٦ والتبريزي : « فشقت » على الإتمام .

(٤) المواق : جمع الماق ، وهي لغة في موق العين ، وهو حرفها الذى يلى الأنف .

وفي م : « ماق » وهذه جمع موق وماقى . اللسان (ماق) .

والجواب نائب عن مفعوليته . يقول : ظننت هذه المرأة أنه إن نزل بي حادث قضاء الله عز وجل ، سدد مكان وزم ما يتشعث من حالها بزواي أبنائها الأصاغر . ويريد بهذا الكلام التوصل إلى الإبانة عن محله ، وأنه لا يفتني غداؤه من الناس إلا القليل . وقوله « أبينوها » تصغير أبناء مقصوراً عند أصحابنا للبصريين^(١) ، وهو اسم صيغ للجمع كأزوى^(٢) ، وأناب^(٣) ، وأضحى^(٤) فهو على أفعّل بفتح العين . وعند الكوفيين هو تصغير ابن ، مثل أذل على أفعّل بضم العين . ويقال : سدد فلان مسد فلان ، وسدد خلته ، وناب منابه ، وشغل [مكانه^(٥)] بمعنى . فإن قيل : كيف ساغ أن يقول يسدّد خلتي ، وإذا مات لم تكن له خلّة . قلت : أضافها إلى نفسه لما كان يسدّها أيام حياته ، فكانه قال : الخلّة التي كنت أسدّها . وهذا من إضافة الشيء إلى الشيء على المعتاد فيهما . ومثله قولهم : شهاب القذف ، فأضيف الشهاب إلى القذف لما كان من رنّى الراى . ووجوه الإضافات واسعة كثيرة ، وكذلك متعلقاتها^(٦) .

٤ - تَرَبَّتْ بِذَلِكَ وَهَلْ رَأَيْتَ لِقَوْمِهِ مِثْلِي عَلَى بُسْرِي وَحِينَ تَعْلَمَتِي أَقْبَلَ عَلَيْهَا يَوْجُئُهَا وَيَخْطِي رَأْيَهَا ، وَيَكْذِبُ ظَنُّهَا ، وَيَقْبَحُ اخْتِيَارُهَا ، فِي إِفَاتَةِ نَفْسِهَا الْخَطِّ مِنْهُ ، وَيَدْعُو عَلَيْهَا بِالْفَقْرِ وَالْبَأْسَاءِ ، وَالْخِيْبَةِ فِي الرَّجَاءِ ، فَيَقُولُ :

(١) ابن جني : « ذهب سيبويه إلى أن الواحد المكسر من هذا الجمع أبني على وزن أفعّل مفتوح العين ، بوزن أعمى ، ثم حقر فصار أبين كأعم ، ثم جمع بالواو والنون » ، وساق بعد ذلك كلاماً مصححاً .

(٢) الأروى : اسم جمع الأروية ، وهي الأنثى من الرعول . قال ابن بري : « أروى تنون ولا تنون . فنونها احتمال أن يكون أفعلا مثل أرنب ... وأما أروى فيمن لا ينون فوزنها فعل » .

(٣) الأناب : جمع أنابة ، وهو ضرب من عظام الشجر .

(٤) أضحى هذه بالتنوين : جمع أضحاة ، وهي لغة في الضحية .

(٥) التكلة من م والتميمورية .

(٦) وكذلك متعلقاتها ، ساقطة من م .

صار في يَدِكِ الثَّرَابُ ، وهل رأيت لقومَه مَن يُمائلني في حَاتِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ
والْيُسْرِ والعُسْرِ ، والغِنَى والفَقْرَ ، حتَّى تُملِّقَ منك رجاءَك فيَّ بغيري إذا أُخْلِيتُ
مَكَانِي . وَتَرَبَّ يُسْتَعْمَلُ في الْفَقْرِ والخِيبَةِ لا غير ، وَأَتَرَبَّ يُسْتَعْمَلُ في الْغِنَى والفَقْرِ
جَمِيعًا ، فإذا أُريدَ به الْغِنَى فالمعنى صار له من المال بِعَدَدِ الثَّرَابِ ، وإذا أُريدَ به
الْفَقْرَ فالمعنى صار في الثَّرَابِ ، كما يُقال أُنْهَلَ إذا صَارَ في السَّهْلِ . وقد يجوز
أن يكون مثل أَقْلَ ، والمعنى : صار مَالُكَ قَلِيلًا من المَالِ . وأضاق : صارَ في
حالٍ ضَيِّقٍ . وقوله « حِينَ تَعَلَّيْ » المعنى وَحِينَ اعْتَمَدْتُ على إِقامَةِ الْعِلَّةِ
بمَحْصُولِ الْفَقْرِ . وعلى هذا قوله :

* قَلِيلُ ادِّخَارِ الْمَالِ إِلَّا تَعَلَّةٌ *

أَي قَدَّرَ مَا يُقَامُ بِهِ الْعِلَّةُ . وقوله « لِقَوْمِهِ » أَضْمَرَ قَبْلَ الذِّكْرِ ، لِأَنَّ
الْكَلَامَ يَحْتَمِلُ نِيَّةَ التَّحْدِيدِ وَنِيَّةَ التَّأْخِيرِ .

٥ - رَجُلًا إِذَا مَا النَّائِبَاتُ غَشِيَتْهُ أَكْفَى لِمُضِلَّةٍ وَإِنْ هِيَ جَاءَتْ
انْتَصَبَ « رَجُلًا » عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ مِثْلِي ، كَأَنَّهُ قَالَ : هَلْ رَأَيْتَ لِقَوْمِي
رَجُلًا أَكْفَى لِلشَّدَائِدِ وَإِنْ عَظُمَتْ عِنْدَ طُرُوقِ النَّوَائِبِ وَغِشْيَانِ الْحَوَادِثِ
مِثِّي . فحذفَ مِثِّي لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ . وَيُرْوَى « أَكْفَى لِمُضِلَّةٍ » وَهِيَ الدَّاهِيَةُ
الشَّدِيدَةُ ، يُقَالُ أُغْضِلَ الْأَمْرُ إِذَا اشْتَدَّ . يُرْوَى « لِمُضِلَّةٍ » وَهِيَ الَّتِي تَضُمُّ
الْإِضْلَاعَ بِالزَّفَرَاتِ وَتَنْفُسِ الصُّعْدَاءِ حَتَّى تَكَادُ تَحْطِبُهَا .

٦ - وَمُنَاخٍ نَازِلَةٍ كَفَيْتُ وَفَارِسٍ نَهَلَتْ قَنَايَ مِنْ مَطَاهُ وَعَلَتْ

أَخَذَ يُعَدِّدُ مَا كَانَتْ كِفَايَتُهُ مَقْسُومَةً فِيهِ ، وَمَعْرُوفَةً إِلَيْهِ . وقوله « وَمُنَاخٍ »
مَصْدَرٌ أَنْخَتُ . وَكَفَيْتُ بِتَعْدِي إِلَى مَفْعُولَيْنِ وَقَدْ حَذَفْهُمَا ، كَأَنَّهُ قَالَ : كَفَيْتُهُ

العشيرة . يقول : ورُبَّ نازلةٍ أناختُ ، أنا دَفَعْتُ الشرَّ فيها^(١) ، وكَفَيْتُ قَوْمِي الاهتمامَ بها ؛ ورُبَّ فارسٍ سَقِيتُ رَحَى من دم ظهره العَلَلَ بعد النَهْلِ . وخصَّ الظَّهرَ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ قد وَلَّى وأذْبَرَ^(٢) .

٧- وإذا العَذَارَى بالدُّخَانِ تَقَنَّنَتْ واستمَّتْ جَلَّتْ نَصَبُ القُدُورِ فَمَلَّتْ

أَقْبَلَ يَمُدُّ خِصَالِ الخَيْرِ المجموعَةَ فيه ، بعد أن نَبَّهَ على أَنَّهُ لَا يَقُومُ مَقَامَهُ أَحَدٌ ، فَكَيْفَ من طُمِعَ^(٣) في نِيَابَتِهِ عَنْهُ بَعْدَهُ . والعَذَارَى : جمع عَذْرَاءَ ، وَأَصْلُهُ العَذَارَى بِتَشْدِيدِ الياء ، فالياءُ الأُولَى مُبَدَّلَةٌ مِنَ المَدَّةِ قَبْلَ المَعْرَظَةِ ، كما تُبَدَّلُ في سِرْبَالٍ إِذَا قُلْتُ سِرَابِيلَ ، فلما انقَلَبَتِ المَدَّةُ ياءً لَانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا وَكَانَ الْأَصْلُ في هِزَةٍ التَّائِيثِ أَلْفَا عَادَ إِلَى أَصْلِهَا زَوَالِ الألفِ قَبْلَهَا ، فَأُبْدِلَ مِنْهُ ياءٌ ثُمَّ أُدْغِمَ الأُولَى في الثَّانِيَةِ فَقِيلَ عَذَارَى ، وكذلك في صحراء صحاري ، ثُمَّ حَذِفَتْ إِحْدَى الياءِ بِتَخْفِيفٍ فَقِيلَ عَذَارَى وَصَحَارَى ، ثُمَّ فُرِغَ مِنَ الكسرة وبمدها ياءٌ إِلَى الفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتْ أَلْفًا فَقِيلَ عَذَارَى وَصَحَارَى . ويقال : عَذَرَ المرأةَ وَأَعَذَرَهَا ، إِذَا ذَهَبَ بِعُذْرَتِهَا ، وَهُوَ أَبُو عُذْرَتِهَا وَأَبُو عُذْرَتِهَا . فيقول الشاعرُ : وَإِذَا أَبْكَارُ النِّسَاءِ صَبَرَتْ عَلَى دُخَانِ النَّارِ حَتَّى صَارَ كَالْقِنَاعِ لَوَجْهِهَا ، لِتَأْثِيرِ البَرْدِ فِيهَا ، وَلَمْ تَصْبِرْ عَلَى إِدْرَاكِ القُدُورِ بَعْدَ تَهْيِئَتِهَا وَنَضْبِهَا ، فَشَوَتْ فِي اللَّيْلِ قَدَرًا مَا تُعْطَلُ بِهِ نَفْسُهَا مِنَ اللَّحْمِ ، لِتَسْكُنَ الْحَاجَةَ وَالضَّرَّ مِنْهَا ، وَلِإِجْدَابِ الزَّمَانِ وَاشْتِدَادِ السَّنَةِ عَلَى أَهْلِهَا أَحْسَنْتُ . وَجَوَابُ إِذَا فِي الْبَيْتِ بِمَدِّهِ . وَخَصَّ العَذَارَى بِالذِّكْرِ لِفَرْطِ حَيَاتِهِنَّ وَشِدَّةِ انْقِبَاضِهِنَّ ، وَلِتَصَوْنِهِنَّ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَبْدَلُ فِيهِ

(١) م والتيمورية : « أنا دفعت شرها » .

(٢) م والتيمورية : « أَنَّهُ أَذْبَرَ عَنْهُ وَوَلَّى » .

(٣) م والتيمورية : « طُمِعَتْ » .

غَيْرُهُنَّ . وجعل نَصَبَ الْقُدُورِ مفعول استَعَجَلَتْ على الجازِ والسَّعةِ . ويجوز أن يكون المرادُ استعجلَتْ غَيْرَهَا بنصب الْقُدُورِ وفي نَصَبِهَا ، فَحَذَفَ .

٨- دَارَتْ بِأَرْزَاقِ الْعُفَاةِ مَغَالِقُ بِيَدَيَّ مِنْ قَمْعِ الْعِشَارِ الْجِلَّةِ

قوله « أَرْزَاقِ الْعُفَاةِ » كلامٌ شريفٌ ، وتقدير البيت : دَارَتْ بِيَدَيَّ مَغَالِقُ بِأَرْزَاقِ الْعُفَاةِ مِنْ قَمْعِ الْعِشَارِ الْجِلَّةِ ، فَفَصَّلَ بِالْفَاعِلِ بَيْنَ الْأَرْزَاقِ وَبَيْنَ مَنْ قَمَعَ الْعِشَارَ . وَالْعُفَاةُ : جمع العاني ، والجمعُ على فُعَلَةٍ يَخْتَصُّ بِالْمُعْتَلِّ دُونَ الصَّحِيحِ . يقول : وَإِذَا صَارَ الزَّمَانُ كَذَا دَارَتْ الْقِدَاحُ فِي الْمَيْسِرِ بِيَدَيَّ لِإِفَامَةِ أَرْزَاقِ الطُّلَّابِ مِنْ أَسِنَّةِ النُّوقِ الْمَسَانِّ السَّكْبَارِ الْحَوَامِلِ ، الَّتِي قُرِبَ عَهْدُهَا بِوَضْعِ الْحُلِّ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُضَنُّ بِهَا ، وَيُتَنَاقَسُ فِيهَا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الْقِدَاحُ مَغَالِقَ لِأَنَّ الْجَزْرَ تَنَلَّقُ عِنْدَهَا وَتَهْلِكُ بِهَا . وَالْقَمْعُ : قِطْعُ السَّيْفِ ، الْوَاحِدَةُ قَمْعَةٌ . وَالْقَمِيعُ : مَا فَوْقَ السَّنَاسِينِ مِنَ السَّيْفِ . وَبَعِيرٌ قَمِيعٌ : عَظِيمُ الْقَمْعِ . وَيُقَالُ سَنَامٌ قَمِيعٌ ، أَيْ عَظِيمٌ قَدْ تَمَكَّنَ فِيهِ الشَّحْمُ . وَالْعِشَارُ : جَمْعُ عُشْرَاءَ ، وَهِيَ الَّتِي قَدَّاتِي عَلَيْهَا مِنْ حَمَلِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ ، وَتَسْتَصْحِبُ هَذَا الْاسْمَ فَتُسَمَّى بِهِ بَعْدَ وَضْعِهَا الْحَمْلَ بِأَشْهُرٍ . كَأَنَّهُ نَبَأٌ عَلَى أَنَّهُ يَمْتَقِطُ صَاحَ الْإِبِلِ وَخِيَارَهَا ، لَا كَسِيرَهَا وَهَزْلَهَا .

٩- وَلَقَدْ رَأَيْتُ نَأَى الْعَشِيرَةِ بَيْنَهَا وَكَفَيْتُ جَانِبَهَا اللَّتْيَا وَالَّتِي

النَّأَى : الْفَسَادُ . يُقَالُ نَأَى الْجُرْحُ يَنْأَى نَأًى . وَالرَّأْبُ : الشَّعْبُ وَالْإِصْلَاحُ . يَقُولُ : وَكَأَنَّ ظَهَرَ غَنَائِي فِي تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَلَقَدْ سَعَيْتُ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ مِنَ الْعَشِيرَةِ ، وَرَدَّ التَّعَطُّفَ الذَّاهِبَ عَنْهَا إِلَيْهَا ، وَلَمْ شَعْبَهَا ، وَضَمَّ نَشْرَهَا ، وَكَفَيْتُ مَنْ جَنَّى مِنْهَا الْجَنَايَةَ الصَّغِيرَةَ وَالْكَبِيرَةَ ، بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ ، وَالْجَاهِ وَالْعِزِّ . وَقَوْلُهُ « جَانِبَهَا » إِنْ فَتَحْتَ الْيَاءَ كَانَ وَاحِدًا وَإِنْ أَدَّى مَعْنَى

الجمع ، وإن سَكَنْتِ الياء جاز أن يكون جمعا سالما وأن يكون واحداً قد حُذِفَتْ
فَتْحُهَا . وقوله « اللَّتَيَا » تصغير التى ، فجعلهما اسمين للكبيرة من الدواهي
والصغيرة ، ولهذا استغفنيّا عن الصلّة وانتقلا عن كونهما وُضِلَتَيْنِ . وبذهب
بعضهم إلى أن صلتيهما محذوفتان لدلالة الحال عليهما .

١٠- وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلٍهَا وَرَفَدْتُهَا نَضَحَى وَلَمْ تُصِبِ الْقَشِيرَةَ زَلَّتِي

١١- وَكَفَيْتُ مُوَلَايَ الْأَحَمَّ جَرِيرَتِي وَحَبَسْتُ سَائِمَتِي عَلَى ذِي الْخَلَّةِ

قوله « وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلٍهَا » ، يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْجَهْلِ مَعَهُمْ ، وَكَفَلَمُ
الْفَيْظُ فِيهِمْ ، وَمَنْعَ سَهْمَاتِهِمْ . يقول : وَعَفَوْتُ عَنْ جَاهِلِيهَا فَلَمْ أُؤَاخِذْهُ بِمَا بَدَرَ
مَعَهُ مِنْ هَفْوَةٍ أَوْ زَلَّةٍ ، ثُمَّ بَدَلْتُ نَضَحِي لَمَشِيرَتِي ، وَحَسَنْتُ لَمْ عِشْرَتِي
مِقْدَارَ جُهْدِي ، وَلَمْ أُجِرْ عَلَيْهِمْ جَرِيرَتِي ، وَلَمْ أُوسِنِهِمْ زَلَّاتِي . وقد أُلِمَّ فِي
هَذَا بِقَوْلِ الْآخِرِ ^(١) :

* إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْعَهَا *

وفى طريقته قول الآخر :

وَلَوْ شَاءَ قَوْمِي كَانَ حِلْمِي فِيهِمْ وَكَانَ عَلَى جُهُتَالِ أَعْدَائِهِمْ جَهْلِي

وقوله « وَكَفَيْتُ مُوَلَايَ الْأَحَمَّ جَرِيرَتِي » ، أى لم يؤاخِذُوا بِجُرَائِرِي ،
بَلْ كُنْتُ الْمُدَاوِي لَهَا وَالْخَارِجَ مِنْهَا . وَيُرْوَى : « الْأَحَمَّ إِصَاقَتِي » فَيَكُونُ
مِثْلُ قَوْلِ الْآخِرِ ^(٢) :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ

(١) هو السموءل بن عاديا . الحماسية ١٥ .

(٢) معجزة : * فليس إلى حسن النشاء سبيل *

(٣) هو المشتغل الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٣٠) .

والشاعرُ يقول : وكألم يشْمَلْ أباعدَ ذَوِي رَهْطِي زَلَّاتِي ، كذلك لم يَنْلُ
الأَدَانِي جِنَايَاتِي ؛ ثم إذا نِلْتُ خيراً أَشْرَكَتُ ذَوِي الْحَاجَةِ مِنْهُمْ فِيهِ وَحَبَسْتُ
مَالِي الرَّاعِيَّةَ عَلَيْهِمْ ، حتى لَا يَتَمَيَّزُوا عَنِّي فِي التَّصَرُّفِ وَالتَّنَاوُلِ . وقوله
« الأَحْمَ » ، يريد الأَخَصَّ والأَمْسَ ، وهو أَفْقَلُ من الحِمِّ ، ولهذا قال الشاعر
وإن كان في ضِدِّ هذا المَعْنَى :

• ومولَاكَ الأَحْمَ لَهُ سَعَارُ^(١) •

أى لَهَبُ الجُوعِ ، ومنه قولهم : كَيْفَ السَّامَةُ وَالْحَامَةُ .

١٧٩

وقال أبي بن ربيعة^(٢) :

١- وَخَيْلٌ تَلَا فَيَتْ رِبْعَانَهَا بِعِجْلَزَةٍ جَزَى الْمَدْخَرِ

رِبْعَانٌ كُلُّ شَيْءٍ : أَوَّلُهُ ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَفْعَلُ فِي الشَّبَابِ وَالْخَيْلِ . وَالرَّبْعُ
فَضْلُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمِنْهُ رِبْعُ الْحِنْطَةِ إِذَا زَكَّتْ ، وَرِبْعُ الدُّرُوعِ : فُضُولُ
أَكْمَامِهَا عَلَى الْأَنَامِلِ . وَالْعِجْلَزَةُ : الْفَرَسُ الشَّدِيدَةُ الْخَلْقِ ، وَرُبَّمَا وُصِفَتْ بِهِ
النَّاقَةُ . وَبَعْضُهُمْ يَحْكِي فِيهَا : عِجْلَزَةٌ ، بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ . يَقُولُ : رَبُّ خَيْلٍ
مُغِيرَةٍ تَذَارَكَتُ أَوَائِلَهَا طَارِداً لِلْوَسَائِقِ ، وَأَنَا عَلَى فَرَسٍ صُلْبَةٍ تَجْمَزُ فِيمَا تَذْخَرُ
مِنْ جَرِيهَا . وَمِنْ عَادَةِ عِتَاقِ الْخَيْلِ أَنْ تُتَبَّقِيَ مِنْ عَذْوِهَا بَقِيَّةَ لَوْثِ الْحَاجَةِ
إِلَيْهَا ، فَتَمَيَّ اسْتَحِثَّتْ بَعْدَ الْكَدِّ وَالْعَمَلِ أُعْطَتْهَا . وَلِذَلِكَ قَالَ كَلْحَبَةُ الْعَرَبِيُّ :

(١) صدره في اللسان (سعر) :

• تسميها بأختر حلبتها •

(٢) التبريزي : « أبي بن سلمى بن ربيعة بن زبان الضبي » وقد سبقت ترجمة أبيه في
الحاشية السابقة .

فَأَذْرَكَ إِبْقَاءَ الْعَرَادَةِ ظَلَعُهَا وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إَصْبَعًا^(١)
 فقوله إبقاء العرادة كقوله هاهنا « المذخر » . وَجَزَى مِنْهُ وَكَرَى وَهُوَ
 صِفَةٌ . وَجَعَلَ الْجَزَلَ لِمَذْخُورِ الْجَرَى عَلَى الْمَجَازِ ، لَأَنَّ الْجَمَزَ وَمَذْخُورَ الْجَرَى
 جَمِيعًا لِلْفَرَسِ . وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهَا تَجْمَزُ فِي مُدْخَرِ الْجَرَى . وَابْسَ هَذَا كَقَوْلِهِمْ هُوَ
 حَسَنُ الْوَجْهِ ، وَكَرِيمُ الْأَبِ ، إِذَا كَانَ الْحُسْنُ وَالْكَرَمُ فِي الْحَقِيقَةِ لِلْأَبِ
 وَالْوَجْهِ ، وَلَكِنْ هُوَ كَمَا يُقَالُ فَلَانْ ثَبَتُ الْغَدَرُ ، نَزَقَ الْمَجَالِ ، قَمُوصُ
 الْخَبَارِ ، وَمَا أَشْبَهَهُ .

٢- جُومُ الْجِرَاءِ إِذَا عُوقِبَتْ وَإِنْ نُوزِقَتْ بَرَزَتْ بِالْخَضِرِ
 يُقَالُ بَنَزَ جُومٌ ، إِذَا كَانَ مَاؤُهَا يَنْقَطِعُ وَيَعُودُ سَرِيعًا . وَمَعْنَى قَوْلِهِ « جُومُ
 الْجِرَاءِ إِذَا عُوقِبَتْ » أَيْ جَزِيَّتُهُ يَمْتَدُّ وَلَا يَنْقَطِعُ إِنْ طُلِبَ عَقْبُهَا لِمَسَابَقَتِهَا^(٢)
 فِيهِ ، فَكَأَنَّهُ لَا آخِرَ لَجَزِيَّتِهَا ، كَالْبَنْرِ الْجُمُومِ . وَ« إِنْ نُوزِقَتْ » أَيْ إِنْ
 غُولِبَتْ فِيمَا يُسْتَنَزَقُ مِنْ سِيرِهَا سَبَقَتْ بِمَذْوِهَا . وَكَأَنَّ سُمِّيَ آخِرُ الْجَرَى الْعَقْبَ
 سُمِّيَ آخِرُ الشَّهْرِ بِهِ ، فَقِيلَ جُنْتُ فِي عَقْبِ الشَّهْرِ ، إِذَا جُنْتُ بَعْدَ مَا مَضَى ،
 وَجُنْتُ فِي عَقْبِهِ وَعَقِيهِ ، إِذَا جُنْتُ وَقَدْ بَقِيََتْ مِنْهُ بَقِيَّةٌ . وَيُقَالُ : عَاقَبْتُ
 الْفَرَسَ وَنَازَقْتُهُ ، كَمَا يُقَالُ طَاوَلْتُ زَيْدًا وَفَاضَلْتُهُ ، وَذَلِكَ إِذَا غَالِبَتْهُ فِي
 الطَّوْلِ وَالْفَضْلِ . وَمَعْنَى بَرَزَتْ : تَقَدَّمَتْ . وَالْخَضِرُ : الْعَدُوُّ . وَيُرْوَى
 « عُوقِبَتْ »^(٣) أَيْ إِنْ طُلِبَ عَقْرُهَا ، وَلَيْسَ بِجَيِّدٍ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قِيلَ :
 « أَوَّلُ الْجَرَى نَزَقَةٌ ، وَآخِرُهُ عَقْبَةٌ » .

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ جَرِيمَةٍ » صَوَابُهُ فِي م وَالتَّيْمُورِيَّةُ وَالْمَفْضَلِيَّاتُ (١ : ٣٠) .

(٢) م : وَالتَّيْمُورِيَّةُ « بِمَسَابَقَتِهَا » .

(٣) لَمْ يَذْكُرِ التَّبْرِيزِيُّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ .

٣- سُبُوحٌ إِذَا اعْتَزَمَتْ فِي الْعِثَانِ مَرْوُوحٌ مُلَمَّسَةٌ كَالْحَجَرِ^(١)

أراد بها أنها تَسْبِيحٌ فِي جَرِيهَا إِذَا اعْتَزَمَتْ فِي الْعِثَانِ ، أَيْ انْتَحَتْ فِي الْعَدْوِ وَهِيَ مُلَمَّسَةٌ كَثِيرَةُ النَّشَاطِ ، مَجْتَمِعَةٌ الْخَلْقِ مُنَلَّبَةٌ كَأَنَّهَا حَجَرٌ . وَالْاعْتِزَامُ : لُزُومُ التَّمَسُّدِ فِي الْخَضِرِ وَغَيْرِهِ وَتَرْكُ الْإِثْنَاءِ . وَقَدْ اعْتَزَمْتُ الطَّرِيقَ . وَيُقَالُ اعْتَزَمَ الْفَرَسُ عَلَى الْجَرِيِّ إِذَا مَرَّ جَائِحًا . وَقَوْلُهُ « فِي الْعِثَانِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، كَمَا يُقَالُ : جَاءَ فُلَانٌ فِي جُبَّةٍ ، أَيْ وَعَلِيهِ جُبَّةٌ . وَاللَّمَسَةُ : جَمْعُكَ الشَّيْءَ ، وَهُوَ مِثْلُ اللَّحْمِ فِي الْمَعْنَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ لَفْظِهِ عِنْدَنَا . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ « إِذَا اعْتَزَمَتْ »^(٢) بِالرَّاءِ غَيْرُ مُعْجَمَةٍ ، وَجَمَلُهُ مِنَ الْمُرَامِ ؛ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

٤- دُفَعْنَ عَلَى نَعَمٍ بِالْبِرِّ قِي مِنْ حَيْثُ أَفْضَى بِهِ ذُو شَمِيرٍ

هَذَا جَوَابُ رَبٍّ إِذَا جَمَلَتْ قَوْلُهُ « تَلَاَقَيْتُ رَيْمَانَهَا » مِنْ صِفَةِ « وَخَيْلٍ » تَحَلَّى عَلَى مَا يَحْمِي عَلَيْهِ الْمَجْرُورُ بِرُبٍّ فِي الْأَكْثَرِ ، مِنْ لُزُومِ الْوَصْفِ لَهُ ؛ وَقَدْ جَاءَ غَيْرُ مَوْصُوفٍ وَإِنْ قُلَّ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ تَلَاَقَيْتُ الْجَوَابَ وَدُفَعْنَ مِنْ صِفَةِ الْخَيْلِ . وَالْمَعْنَى دُفِعَتْ هَذِهِ الْخَيْلُ وَأُرْسِلَتْ عَلَى إِبِلٍ وَاقِفَةٍ بِالْبِرَاقِ مِنْ حَيْثُ أَذَاهُ إِلَى الْفَضَاءِ ذُو شَمِيرٍ ، وَهُوَ مَكَانٌ^(٣) . قَوْلُهُ « أَفْضَى بِهِ » الضَّمِيرُ لِلنَّعَمِ ، وَهُوَ يُذَكَّرُ ، يُقَالُ هَذَا نَعَمٌ وَارْدٌ . وَالْبِرَاقُ : جَمْعُ بُرْقَةٍ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ فِيهِ حَجَارَةٌ بَيْضٌ وَسُودٌ ؛ وَمِثْلُهُ جَبَلٌ أَبْرَقَ . أَيْ لَمَّا حَصَلَ بِالْفَضَاءِ تُلَقَّيْتُ^(٤) بِالْخَيْلِ وَشَدَّتِ الْقَارَةُ عَلَيْهِ .

(١) ضُبِطَتِ الْكَلِمَاتُ بِالرَّفْعِ فِي الْأَصْلِ عَلَى الْقَطْعِ ، وَبِالْجُرْعِ عَلَى الْإِتْبَاعِ فِي مِ وَالْتِمُورِيَّةِ .

(١) رَوَايَةُ التَّبْرِيزِيِّ : « إِذَا اعْتَرَضَتْ » .

(٢) ذَكَرَهُ الْبَكْرِيُّ فِي مَعْجَمٍ مَا اسْتَعْجَمَ . وَرَوَى الْبَيْتَ وَأَخْطَأَ فِي نَسْبَتِهِ إِلَى سُلَيْمِ

ابْنِ رَبِيعَةَ .

(٤) كَذَا فِي النَّسَخَتَيْنِ . وَفِي التِّمُورِيَّةِ : « فَلَقَيْتُ » .

٥ - فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهُمَا لَطَارَتْ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ

رَجَعَ إِلَى صِفَةِ الْفَرَسِ لَمَّا رَكَضَهَا فِي إِثْرِ الْخَيْلِ الْمَغِيرَةِ عَلَى النَّعَمِ الَّذِي وَصَفَهُ ، يَقُولُ : لَوْ أَنَّ ذَوَاتِ الْحَوَافِرِ ^(١) جُعِلَ فِي قَدَرِهَا الطَّيْرَانُ بِأَلَةٍ تَخْضُبُهَا لَطَارَتْ هَذِهِ الْفَرَسُ ، وَكَانَتْ الْأَوَّلَى بِذَلِكَ ، لَمَّا فِيهَا مِنَ النِّجَابَةِ وَالْعَتَقِ ، وَلَكِنَّ الطَّيْرَانِ خَصَّ بِهِ ذُو الْجَنَاحِ .

٦ - فَمَا سَوْدَنِيْقٌ عَلَى مَرْبَاٍ خَفِيْفُ الْفَوَادِ حَدِيْدُ النَّظَرِ

٧ - رَأَى أَرْنَبًا سَنَحَتْ بِالْفَضَاءِ فَبَادَرَهَا وَجَلَّتِ الْخَمَرُ

يَقُولُ : مَا شَاهِدُنِ وَقَعَ عَلَى تَحْرِيسَةِ ذِكْرِ ثَنَمِ النَّفْسِ ، بِمَعْنَى النَّظَرِ حَدِيدُ الْقَيْنِ ، سَرِيعُ الْإِدْرَاكِ ، رَأَى أَرْنَبًا سَنَحَتْ . وَمَعْنَى سَنَحَتْ عَرَضَتْ ، يُقَالُ مِنْهُ سَنَحَتْ الْحَاجَةُ . وَالْأَرْنَبُ : الْأُنْثَى مِنَ الْأَرَائِبِ . وَالذِّكْرُ خُزْرٌ . وَالْكَلَامُ بَعْدُ مَشْغُولٌ بِصِفَةِ السَّوْدَنِيْقِ . أَيْ رَأَى أَرْنَبًا اتَّفَقَتْ بِالْعَرَاءِ وَاعْتَرَضَتْ فَسَاقَبَهَا إِلَى مَدَاخِلِ الْخَمْرِ ، ثُمَّ رَجَعَ عَلَيْهَا فِي طَرِيقِهَا لِثَلَاثَةِ تَفَوُّتِهِ - بِأَسْرَعٍ مِنْ فَرَسِي . وَالْوَجَلَاتُ : جَمْعُ وَجَلَةٍ ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْوُلُوجِ ، وَمَوْضِعُ وَجَلَاتٍ نَصَبٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولٌ بِأَدْرَاهَا . وَالْخَمَرُ : مَا وَارَكَ مِنَ الشَّجَرِ ^(٢) . وَيُقَالُ : بَادَرْتُ مَكَانًا كَذَا ، وَإِلَى مَكَانٍ كَذَا .

٨ - بِأَسْرَعٍ مِنْهَا وَلَا مِزْعَ يُقَمِّصُهُ رَكْضُهُ بِالْوَتْرِ

قَوْلُهُ « بِأَسْرَعٍ » خَبَرٌ « مَا » . يَقُولُ : مَا سَوْدَنِيْقٌ هَذَا وَصَفُهُ بِأَسْرَعٍ مِنْ فَرَسِي ، وَلَا يَنْزِيهِ رَكْضُ الْوَتْرِ بِهِ . وَالْمِزْعُ : السَّهْمُ . وَيُقَالُ : نَزَعْتُ فِي الْقَوْسِ نَزْعًا ، وَانْزَعْتُ لَهُ بَيْنَزِعَ ، وَنَزَعْتُ ، أَيْ بَسَمْتُ . وَفِي الْمَثَلِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْجَنَاح » صَوَابُهُ فِي م . وَفِي اللَّتِيمُورِيَّةِ : « الْحَافِر » .

(٢) م وَالَّتِيمُورِيَّةِ : « مِنْ شَجَر » .

« عَادَ السَّهْمُ إِلَى النَّزْعَةِ » فِي مَعْنَى رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ . وَيُقَمَّصُ ، أَيْ يُحْرَكُ . وَيُقَالُ قَمَّصَ الْبَحْرُ بِالسَّفِينَةِ ، إِذَا حَرَّكَهَا بِالْمَوْجِ ، حَتَّى كَانَتْهَا بِعِيدٍ يَقَمَّصُ . قَالَ :

• يُقَمَّصُ بِالْبُوصَى مُعْرُوفٌ وَرَدُ^(١) •

وَأِنَّمَا جَعَلَ الرَّكْضَ لِلْوَتْرِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَزُجُّ بِالسَّهْمِ وَيَذْفَعُهُ فَكَأَنَّهُ يَرْكُضُهُ^(٢) ، وَهَذَا يُشَبِّهُ الْقَلْبَ لِأَنَّ الرَّكْضَ لِلْوَتْرِ وَقَدْ جَعَلَهُ لِلْسَّهْمِ ، فَهُوَ كَقَوْلِ الْآخَرِ :

• مَا أَمْسَكَ الْحَبْلَ حَافِرُهُ •

وَمَا أَشْبَهَهُ . وَيُمْكِنُ أَنْ يُتْرَكَ عَلَى ظَاهِرِهِ ، فَيَجْعَلُ السَّهْمَ رَاكِضًا مِنْ حَيْثُ كَانَ رَاكِبًا لِلْوَتْرِ . وَالرَّكْضُ : تَحْرِيكُ الْفَارِسِ رِجْلَيْهِ عَلَى الْفَرَسِ عِنْدَ الْاسْتَحْثَاتِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَأَنَّ السَّهْمَ هُوَ الَّذِي يَرْكُضُ الْوَتَرَ . وَإِنْ كَانَ الْحَفْزُ لِلْوَتْرِ .

١٨٠

وقال زيد الفوارس^(٣) :

١- تَأَلَّى ابْنُ أَوْسٍ حَلْفَةً لِيَرِدَّنِي عَلَى نِسْوَةٍ كَأَنَّهُنَّ مَفَائِدُ

(١) للحطيفة في ديوانه ١٩ . وصدره :

• وَهَذَا أَقَى مِنْ دُونِهَا ذُو غَوَارِبِ •

(٢) هذا الصواب من م والتيمورية . وفي الأصل : « يرفضه » .

(٣) شاعر جاهل . وهو زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضببي ، كما هو عند التبريزي . ذكره الأندلسي في الموثلف ، ولم يرفع نسبه . وله ذكر في يوم بزاخة ، وشهد يوم القننين ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معه وهو فارسهم ، ولهذا قيل له زيد الفوارس ، وكان يقال له أيضاً « فارس الرباب » ، ويقال له « الرديم » أيضاً ، لأنه كان إذا وقف في الحرب ردم ناحيته ، أي سدها . انظر الخزائن (١ : ٥١٧) وبلوغ الأرب للأوسى (٢ : ١٢٧ - ١٣٨ ، ١٨٩) .

آلَى الرَّجُلِ وَاتَّسَلَى وَتَأَلَّى بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وهذه الأبنية من الآتية ، وهي
 اليمين . و« حَلَفَةٌ » انتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ غَيْرِ أَنْفَاضٍ . وَقَوْلُهُ « لَيْزِدُنِي »
 يُرَوَّى بفتح اللام وَضَمُّ الدَّالِ ، عَلَى أَنَّ يَكُونُ اللَّامُ لَامَ الْيَمِينِ . وَذَكَرَ
 سِيبَوَيْهِ أَنَّ لَامَ الْقَسَمِ يَلْزَمُهَا إِحْدَى النُّونَيْنِ النَّقِيلَةُ أَوِ الْخَفِيفَةُ ، وَقَالَ أَيْضًا :
 وَقَدْ يُحْذَفُ الثُّنُونُ فِي الشَّعْرِ . وَهَذَا الْمَوْضِعُ بِالرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ جَاءَ عَلَى
 مَا سَوَّغَهُ . وَقَدْ جَاءَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا وَأَبْعَدُ فِي الِاسْتِمَالِ ، وَهِيَ حَذْفُ اللَّامِ
 وَإِثْبَاتُ النُّونِ . قَالَ :

وَقَتِيلٌ مُرَّةً أَثَارَنَ فَإِنَّهُ فِرْعٌ وَإِنْ أَخَاهُمْ لَمْ يُقْصَدِ^(١)

والمفائد : جمع المفاد ، وهي المساعير والسفافيد . والمفاد في اللغة : التحريك ،
 وقيل إن الفواد منه اشتق ، لأنه يندبض . ومعنى البيت : حَلَفَ الرَّجُلُ حَلَفَةً
 لِيَأْسِرَنِي ثُمَّ يَمُنُّ عَلَيَّ فَيَزِدُنِي عَلَى نِسْوَةٍ كَانَتْهُنَّ مَسَاعِيرُ ، لاحتراقن وجداً بي
 وغماً علي ، ففعلتُ أنا به مثلاً ما هم به في . وقد قيل : إن ابن أوسٍ كان
 مأسوراً خلفاً أَنَّهُ يُنَجِّبُهُ زَيْدُ الْفَوَارِسِ وَيَبْكُ أُمِّرَهُ ، وَيَزِدُّهُ عَلَى نِسَاءِ هُنَّ مِنْ
 الْوَجْدِ بِهِ هَذَا الْمَحَلُّ ، فَاقْتَصَّ ابْنُ أَوْسٍ قِصَّتَهُ فِيمَا كَانَ يَرْجُوهُ مِنْ جِهَتِهِ . ثُمَّ
 ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِ ، وَأَنَّهُ حَقَّقَ أَمَلَهُ . وَيُمْكِنُ الْاسْتِشْهَادُ لِلْخَبَرَيْنِ
 وَالْمَعْنَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِهِمَا مِمَّا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ الَّتِي بَعْدَهُ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْوَجْهِ
 الْأَوَّلِ أَنَّهُ أَرَادَ بِالنِّسْوَةِ حُرْمَ ابْنِ أَوْسٍ ، وَأَنَّهُ شَبَّهَهُنَّ بِالسَّفَافِيدِ لِسُوءِ أَحْوَالِهِنَّ ،
 وَتَأْثِيرِ الضَّرِّ وَالْجَهْدِ فِيهِنَّ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ هَجْوًا وَتَبْيِيرًا لِبْنِ أَوْسٍ ، وَأَنَّ
 أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ مِنَ الْقَفْرِ بِهَذَا الْمَحَلِّ . فَأَمَّا مَنْ رَوَى « لَيْزِدُنِي » فَالْمَعْنَى حَلَفَ

(١) البيت لامر بن الطفيل في ديوانه ١٤٥ ، وهو من شواهد الخزنة (٤ : ٢١٦) .
 وقتيل ، يروى بالأوجه الثلاثة . وقتيل مرة هو أخوه - بنظرة بن الطفيل ، كما في شرح الديوان -
 ويروى « فرع » بفتح الفاء وآخره دين مهملة .

لهذا الأمر ، وجواب القسم يكون محذوقاً مقدّراً ، ويُستدلّ عليه بما ذكره .
وقال بعض المتقدّمين : تقول حَلَفَ لِيَفْعَلَنَّ ، فإذا حَذَفْتَ الفون كَسَرْتَ اللام
وأعملتها إعمال لام كنى ، والموضعُ موضعُ القسم والمعنى مَعْنَاهُ . وأنشد :
إِذَا قُلْتُ قَدْ نَى قَالَ بِاللَّهِ حَلَفَةً لِيُفْعَلَ عَنِّي ذَا إِنَانِكَ أَجْمَعًا (١)
وقيل مثل تألّى أبردنى : أراد ليفعل كذا . وفي القرآن : ﴿ يُرِيدُونَ ﴾
لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، كَانَ الْفِعْلُ دَلَّ عَلَى الْمَصْدَرِ ، واللام مع الاسم
الجرور به في موضع الخبر لذلك المصدر المبتدأ ، كأنه إرادتي كذا .

٢- قَصَرْتُ لَهُ مِنْ صَدْرِ شَوْلَةَ إِنَّمَا يُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ الْكَرِيمُ الْمُنَاجِدُ
أخذ يذكُر أنه كَذَبَ نَفْسَهُ فِيمَا حَدَّثَهَا بِهِ ، وأنه اسْتَعْمَلَ الْبَغْيَ فَنَصَرَ
عليه ، فقال : قَصَرْتُ عَلَيْهِ فَرَسِي شَوْلَةَ وَأَمَرْتُهُ ، لَأَنْ الْكَرِيمُ يُنَجِّي نَفْسَهُ ،
وَيُنْهَضُ حَيْلَتَهُ إِذَا جَدَّ جِدُّهُ (٢) وَكَادَ عَدُوُّهُ يَغْلِبُهُ وَتَعَلَّوْا عَلَيْهِ يَدُهُ . هذا إذا
جعلت ابن أوس هو الذي حَدَّثَ نَفْسَهُ وَأَكْثَرَ طَمَعَهُ وَيَعْنِيهِ بِأَنَّهُ سَيَأْمُرُ
الشاعرُ . فأما إِذَا جَعَلْتَ ابْنَ أَوْسٍ أَسِيرًا وَرَاجِيًا أَنَّهُ سَيُفَكُّ زَيْدُ الْفَوَارِسِ
إِسَارَهُ ، وَيَحْلُلُ عِقَالَهُ ، فالعنى في « قَصَرْتُ لَهُ مِنْ صَدْرِ شَوْلَةَ » أَنَّهُ بَيْنَ كَيْفِ
حَقِّقَ رَجَاءَهُ ، وَمِنْ أَيْنَ يَوْصَلُ إِلَى تَحْيَايِهِ . وفي قوله « إِنَّمَا يُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ
الْكَرِيمُ » أَنَّهُ خَلَّصَ نَفْسَهُ لَمَّا عَاقَى الرَّجَاءَ بِهِ ، وَجَعَلَ يَحْلِفُ أَنْ خَلَّصَهُ
بِسَعْيِهِ وَتَعَطُّفِهِ ، لِأَنَّهُ بَعَثَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ظَنِّهِ بِهِ .

٣- دَعَانِي ابْنُ مَرْهُوبٍ عَلَى شَنْ وَبَيْنِنَا فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الرَّمَّاحَ مَصَايِدُ
حَوْلَ كَلَامِهِ إِلَى قِصَّةٍ أُخْرَى فَقَالَ : اسْتَغَاثَ بِي هَذَا الرَّجُلُ عَلَى مَا بَيْنَنَا
مِنْ عَدَاوَةٍ وَبَغْضَاءٍ ، فَأَجَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ هَوَّأْتُ عَلَيْهِ مَا خَافَهُ أَوَّلًا ، وَصَغَّرْتُ فِي

(١) من قصيدة لحريث بن عتاب ، في مجالس ثعلب ٦٠٤-٦٠٧ ، والحزانة (٤) : (٥٨٣) .

(٢) في الأصل : « جاء جدّه » ، صوابه في م والتيمورية .

هاجِسِه ما أَكْبَرَهُ ثانياً ، وَبَيَّنْتُ أَنَّ الرِّمَاحَ حَبَائِلُ الرُّجَالِ الْكَرَامِ فِي
الْحَرْبِ وَمَصَائِدُهُمْ ، فَلَا تُبَالِ بِالْمَوْتِ إِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَتَمَقَّبُهُ عَارٌ ،
وَلَا يَصْحَبُهُ هَوَانٌ . وَكَأَجَمَلِ هَذَا الشَّاعِرِ الرُّمُوحَ آلَةٌ فِي صَنِيدِ الْأَبْطَالِ ،
جَعَلَ غَيْرُهُ الصَّيْدَ لَهُ لَا بِهِ ، فَقَالَ :

وَلِمَ لِمَنْ قَوْمٍ تَصِيدُ رِمَاحُهُمْ غَدَاةَ الصَّبَاحِ ذَا الْحُدُورَةِ وَالْحَرْدِ
وقوله « عَلَى شَنْءٍ بَيْنِنَا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، يَقَالُ شَنْئُهُ أَشْنَوُهُ شَنْئًا
وَمُشْنَأَةً وَشَنْئَانًا .

٤ - وَقُلْتُ لَهُ كُنْ شِمَالِي فَإِنِّي سَأُكْفِيكَ إِنْ ذَادَ الْمَنِيَّةَ ذَائِدُ
يقول : تَعَطَّفْتُ عَلَيْهِ وَأَخَذْتُ بِالْفَضْلِ مَعَهُ بَعْدَ اسْتِنْصَارِهِ ، وَإِظْهَارِ حَاجَتِهِ
وإِذْخَانِهِ ، وَرَمَيْتُ لَهُ السَّكُونِ فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنِّي ، وَاثِقًا بِحَسَنِ مُحَافَظَتِي ،
وَجَمِيلِ مُدَافَعَتِي ، وَمُفْتَتِدًا مِنْ جِهَتِي عَلَى أَنِّي سَأُكْفِيهِ الْحُدُورَ إِنْ دَفَعَ الْمَوْتَ
دَافِعٌ . وَالْمُرَادُ : إِنْ قَعَلَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مَا لَا يَطَاقُ مِنْ دَفْعِ الْحُتُومِ قَعَلْتُهُ أَنَا
مَمْلُوكٌ ، اعْتَنَاءً بِأَمْرِكَ ، وَإِثَارًا لَصِيَابَتِكَ ، وَتَحَرُّبًا لِلْحِمَامَةِ عَلَيْكَ . وَلِأَنَّمَا قَالَ
« كُنْ عَنْ شِمَالِي » لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْمُعَانِ الْمَنْصُورِ ، وَالْبَيْنُ مَوْضِعُ النَّاصِرِ .
يَقَالُ : أَنَا عَلَى يَمِينِكَ وَعَنْ يَمِينِكَ ، أَيْ نَاصِرُكَ .

١٨١

وَقَالَ الْوَقَّادُ بْنُ الْمُنْذِرِ (١) :

١ - لَقَدْ عَلِمْتُ عَوْذُ وَبُهْمَةٌ أَنِّي بِوَادِي حُمَامٍ لَا أَحُولُ مَغْنَمًا

(١) كَذَا فِي النُّسخِ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ وَابْنِ جَنِّي : « الْوَقَّادُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ ضَرَارِ
الضُّبِيِّ » . قَالَ ابْنُ جَنِّي : « هَذَا فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ قَدْ يَرْقُدُ وَقَّادًا ، وَدُخُولُ اللَّامِ عَلَيْهِ وَهُوَ عَامٌ
يُمْكِنُ فِيهِ حَالُ الصِّفَةِ كَالْحَارِثِ وَالطُّفَيْلِ . وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ عَلَى جَرِيَانِ الْمَصْدَرِ صِفَةٌ نَحْوُ قَهْ لَمْ هَذَا
رَجُلٌ رَقَادٌ ، أَيْ رَاقِدٌ ، كَقَوْلِهِمْ هَذَا رَجُلٌ عَدَلٌ ، أَيْ عَادِلٌ . » وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ .

بُهْتَةٌ مِنْ سُلَيْمٍ ، بَطْنٌ مِنْهُمْ ، وَالبُهْتَةُ فِي اللِّغَةِ : وَلَدُ الْبَنِيِّ . وَالبُهْتُ
الدِّشْرُ وَحُسْنُ اللَّفَاءِ . وَالْحَمَامُ ، بَضَمٌ الْحَاءِ : حُمَى الْإِبِلِ وَالذَّوَابِ . وَفِي طَرِيقَةِ
هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُ عَنَتَرَةَ :

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغَشَى الْوَغَى وَأَعَفَيْتُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
المعنى : وَاللَّهُ قَدْ عَلِمَ هَاتَانِ الْقَبِيلَتَانِ أَنِّي فِي هَذِهِ الْوَقِيعَةِ الْوَاقِعَةِ بِهَذَا الْوَادِي
لَمْ أَشْتَغِلْ بِاجْتِرَارِ الْمَنَافِعِ^(١) ، وَاحْتَوَاءِ الْمَغَانِمِ ، وَإِنَّمَا قَصَرْتُ سَعْيِي عَلَى طَلَبِ النَّارِ ،
وإِدْرَاكِ الْأَوْتَارِ .

٢ - وَلَكِنْ أَصْحَابِي الَّذِينَ لَقِيتُهُمْ تَعَادَوْا سِرَاعًا وَاتَّقَوْا بَابِنَ أَرْنَمًا
أَرَادَ بِالْأَصْحَابِ مِنْ لِقَاةٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ . وَمَعْنَى تَعَادَوْا سِرَاعًا : تَبَادَرُوا
مُسْرِعِينَ وَتَسَابَعُوا ، وَهَذَا مِنَ الْعَدُوِّ . وَبِحُوزِ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَادَى بَيْنَهُمَا ،
أَيَّ وَآلِي ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى تَوَالَوْا . وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ : تَعَادَى الْقَوْمُ ، أَيْ مَاتَ بَعْضُهُمْ
فِي إِثْرِ الْبَعْضِ . وَقَوْلُهُ « وَاتَّقَوْا بَابِنَ أَرْنَمًا » ، يَرِيدُ جَعْلَهُ بَنِي وَبَنِيهِمْ ،
وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي اسْتَجَبْنَا بِهِ كَأَنَّهُ كَانَ مِدْرَةَ الْكُتَيْبَةِ . وَإِنَّمَا ثَبَّتَ فِي وَجْهِ
الْقَوْمِ يَشْفَلُهُمْ لَيْسَلَمُ أَصْحَابَهُ ، وَيَأْخُذُوا الْمُثَلَّةَ فِي الْفِرَارِ . وَفِي الْحَدِيثِ : « كُنَّا
إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

٣ - فَرَكَبْتُ فِيهِ إِذْ عَرَفْتُ مَسْكَانَهُ بِمُنْقَطِعِ الطَّرْفَاءِ لَدُنَّا مُقَوْمًا
يقول : طَمَنَتْهُ لَسَاعَرَفَتْ مَحَلَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمَحَامَاةِ
فِيهِمْ ، بِرَمَحٍ لَيْنٍ مُنْقَطِعٍ ، عِنْدَ مُنْقَطِعِ الطَّرْفَاءِ . وَالطَّرْفَاءُ : شَجَرٌ . وَمُنْقَطَعُهُ :
الْمَكَانُ الَّذِي يَخْلُو مِنْهُ عَلَى اتِّصَالِهِ بِمَنَابِتِهِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَاحِدُ الطَّرْفَاءِ طَرْفَةٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : « بِاحْتِرَازِ » ، صَوَابُهُ فِي مِ وَالتَّيْمُورِيَّةِ .

كَقَصَبَةٍ وَقَضَبَاءَ . والباء من قوله « بِنَقَطَاج » يَتَعَاقُ بقوله « رَكِبْتُ » على ما فُسِّرَ نَاهُ . وكان لا يَمْتَنِعُ أن يكون معنى قوله عَرَفْتُ مكانَهُ ، عَرَفْتُ مَوْضِعَهُ وَمَقَامَهُ ، لأنَّ الرُّبْسَ يَخْفَى مكانَهُ وَيُخْذِلُ نَفْسَهُ كَثِيرًا ، وَحِينَئِذٍ يَتَعَاقُ الباء من قوله بِنَقَطَاج الطَّرْفَاءُ بقوله مكانَهُ ، وَاسْكِنَ قوله « وَاتَّقُوا بَابِنَ أَرْزَمًا » يَأْتِي إِلَّا الْقَوْلَ الْأَوَّلَ .

٤ - وَلَوْ أَنَّ رُبْعِي لَمْ يَخْفَى انْكِسَارُهُ جَعَلْتُ لَهُ صَالِحِي الْقَوْمِ تَوْءَمًا^(١)

نِسْبَةُ الْخِيَانَةِ إِلَى الرُّمُوحِ لَمَّا انْكَسَرَ كَنِسْبَةِ الْعَجَزِ إِلَى الْحَبْلِ إِذَا لَمْ يَصِلْ ، مِنْ قَوْلِهِمْ حَبْلٌ عَاجِزٌ . وَالتَّوْءَمُ ، زَيْنَتُهُ فَوَدَّلْتُ ، وَاشْتَقَاقُهُ مِنَ التَّوْءَمِ ، وَالتَّاءُ فِيهِ مَبْدَلَةٌ مِنَ الْوَاوِ ، وَكَأَنَّ الْوَلَدَ وَاءَ فِي الْإِتْيَانِ غَيْرَهُ ، أَمَى وَافَقَ . وَكَأَنَّ تَوْءَمُوا فِيهِ هَاهُنَا فَأَخْرِجْ إِلَى بَابٍ غَيْرِ بَابِ الْوَلَدِ وَالْوِلَادَةِ ، تَوْءَمَ فِيهِ فِي قَوْلِهِ :
قَالَتْ لَنَا وَدَعْمُهَا تَوْءَمٌ كَالدَّرِّ إِذْ أَسْلَمَهُ النَّظَامُ^(٢)

وَقَدْ أَحْكَمْتُ الْقَوْلَ فِيهِ وَفِي تَصْرِيفِهِ وَجَمْعِهِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْفَصِيحِ .
فَيَقُولُ : لَوْلَا أَنَّ رُبْعِي خَانَتَنِي حِينَ أَعْمَلْتُهُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَانْكَسَرَ ، لَجَعَلْتُ لَهُ نَظِيرًا مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَزُحُمَائِهِمْ حَتَّى يَصِيرَ مَعَهُ كَتَوْءَمَيْنِ . وَخَصَّ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُحُونَ بِقَتْلِ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ . فَإِنْ قِيلَ : لِمَ ذَمَّ الْإِجْرَارَ فِي الْعَطَنِ وَهُوَ يَحْمَدُونَهُ حَتَّى عَدَّ انْكَسَارَ الرُّمُوحِ خِيَانَةً مِنْهُ ؟ قَالَتْ :
الْإِجْرَارُ فِعْلُ الطَّاعِنِ ، وَهُوَ مَحْمُودٌ ، وَإِنَّمَا ذَمَّ مِنَ الرُّمُوحِ ضَمُّهُ وَقِلَّةَ ثَبَاتِهِ فِي الْعَمَلِ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْإِجْرَارِ فِي شَيْءٍ .

(١) التبريزي : « من صالح القوم »

(٢) الرجز في إصلاح المنطق ٣٤٥ واللسان (تأم) بدون نسبة .

٥- وَلَوْ أَنَّ فِي يُنَنَّى الْكِتَابَةِ شَدَّتِي إِذَا قَامَتِ الْعَوَجَاءُ تَبَعْتُ مَا تَمَّا

كَأَنَّهُ خَفِيَ عَلَيْهِ مَكَانُ وَاتِرِهِ فَلَمْ يَعْلَمْ أَهْوَى الْمَيَمَنَةِ أَمْ فِي الْمَيْسَرَةِ ، فَأَخَذَ يَطْلُبُهُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ . وَالشَّدَّةُ : الْخُمْلَةُ ، فَيَقُولُ : لَوْ اتَّفَقْتُ خَمْلَتِي فِي بُمْنَاهَا بَدَلًا مِنْ يُسْرَاهَا ، لَقَامَتِ أُمُّهُ وَقَدْ تَسَكَّلَتْهُ تَهَيُّجُ التَّمَأْنَمِ ، وَتَبَعْتُ عَلَى النَّوْجِ عَلَيْهِ النَّوَامِحُ ، وَلَكِنْ ذَهَابُ مَقَامِهِ عَنْ عِلْمِي هُوَ الَّذِي نَجَّاهُ مِنِّي . وَجَعَلَهَا عَوَجَاءَ إِمَّا عَلَى طَرِيقِ السَّبِّ ، كَمَا قَالَ :

كَمْ عَمِيَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٌ فَدَعَاءُ قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عِشَارِي^(١)

فَيَكُونُ الْعَوَجُ فِي تِلْكَ لَتَفَاوُتِ خَلْقَتَيْهَا ، وَزَوَالِهَا عَنْ سَنَنِ الْاسْتِقَامَةِ ، كَالْفَدَعِ فِي هَذِهِ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّهَا مَضْرُورَةٌ مُجْهُودَةٌ مُنَوَّجَةٌ الْوَجْهِ ، مَهْزُولَةٌ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْعَوَجَاءُ لَقَبًا لَهَا ، وَالتَّمَأْنَمُ ؛ أَصْلُهُ فِي الْاضْمِ وَالْجَمْعِ .

١٨٢

وَقَالَ أَيْضًا :

١- إِذَا الْمُهْرَةُ الشَّمْرَاهُ أَرْكَبُ ظَهْرُهَا فَشَبَّ إِلَهُ الْحَرْبِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ

رَوَى « أَرْكَبُ ظَهْرُهَا » . وَيُقَالُ أَرْكَبُ الْمُهْرُ ، إِذَا حَانَ أَنْ يُرَكَّبَ وَاسْتُصْلِحَ الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ . وَجَعَلَ الْفِعْلَ لِلظَّهْرِ عَلَى التَّوَشُّعِ إِذَا كَانَ مَوْضِعَ الرُّكُوبِ ، وَيَكُونُ أَرْكَبُ كَمَا يُقَالُ أَجَزَّ الْخَضِرُ ، وَأَخْصَدَ الزَّرْعُ . وَيُرْوَى : « أَدْرَكَ ظَهْرُهَا » الْمَعْنَى بَلَغَ حَدَّ الرُّكُوبِ وَالِاتِّفَاعِ بِهِ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ أَدْرَكَ الشَّمْرُ ، إِذَا امْتَكَنَ الْإِتِّفَاعُ بِهِ . فَيَقُولُ : إِذَا بَلَغَ قَرَسِي هَذَا الْخَدَّ فَهَيَّجَ اللَّهُ نَارَ الْحَرْبِ ، وَأَقَامَ سُوقَ التَّبَاوُرِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ ، حَتَّى أَتَوْصَلَ بِهَا إِلَى مَا كُنْتُ

(١) البيت للفردوق يهجو جريراً ، في ديوانه ٤٥١ .

أُرِيدُهُ وَأَنْتَظِرُهُ . وارتفاعُ الْمُهْرَةِ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ بَعْدَ إِذَا ، يَكُونُ الظَّاهِرُ تَفْسِيرَهُ .

٢- وَأَوْقَدَ نَارًا بَيْنَهُمْ بِضِرَامِهَا لَهَا وَهَجٌ لِلْمُضْطَلِّي غَيْرُ طَائِلٍ

هذا من جملة الدعاء . والكلامُ يَدُلُّ عَلَى استعجاله بِحُصُولِ الْحَالَةِ ائْتِمَانًا فيقول : وَأَجِيجْ بَيْنَهُمْ نَارَ الشَّرِّ بِمَا يُلْهِمُهَا حَتَّى يَصِيرَ لَهَا وَهَجٌ لَا خَيْرَ فِيهِ لِمَنْ يَدْنُو مِنْهُ وَيَضْطَلِّي بِهِ . وَخَصَّ الضَّرَامَ لِأَنَّهُ يُسْرِعُ ذَهَابُ النَّارِ فِيهِ فَيَعْمَلُو لَهَا بِهَا . إِنْ قِيلَ : لِمَ كَرَّرَ طَلِبَ ائْتِمَادِ النَّارِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ؟ قُلْتُ : الْأَوَّلُ أَرَادَ بِهِ نَارَ الْحَرْبِ ، وَالثَّانِي أَرَادَ بِهِ نَارَ الْخِلَافِ وَالشَّرِّ الْمُنْتَبِجِ عَنِ النَّأَمِ وَالْوِشَايَاتِ ، حَتَّى أَنْ مَنْ دَخَلَ فِيهِمْ طَالِبًا لِإِبْقَاعِ صُلْحٍ وَصَلَحَ بَيْنَهُمْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِزَالَتِهِ ، وَكَانَ خَلِيقًا بَأَن يَشْقَى شَقَاؤُهُمْ ، وَيَدْخُلُ مَدَاخِلَهُمْ . وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي طَائِلٍ ، وَأَنَّهُ مِنَ الطَّوْلِ . وَيَقَالُ : مَا حَلَيْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِطَائِلٍ .

٣- إِذَا حَمَلْتَنِي وَالسَّلَاحَ مُشِيحَةً إِلَى الرَّوْعِ لَمْ أَضْبِغْ عَلَى سِلْمٍ وَائِلٍ
الْمُشِيحُ وَالشَّامِحُ وَالشَّيْحُ وَاحِدٌ . قَالَ :

* مُشِيحٌ فَوْقَ شَيْحَانٍ ^(١) *

يَعْنِي رَجُلًا عَلَى فَرَسٍ . وَقَالَ :

* وَشَايَحَتْ قَبْلَ الْقَوْمِ إِنَّكَ شَيْحٌ ^(٢) *

فيقول : إِذَا جَالَ تَحْتِي وَعَلَى سِلَاحِي قَاصِدًا إِلَى الْحَرْبِ فَرَسٌ جَادَّةٌ ، لَمْ أَصَالِحْ وَائِلًا ، وَلَمْ أَرْضَ مِنْهَا إِلَّا بِالشِّفَاءِ وَالِاشْتِفَاءِ . وَالْمُشَايَحَةُ : الْمُحَادَرَةُ . وَالْمُشِيحُ : الْحَازِمُ .

(١) حِزْزُهُ فِي الْلسَانِ (شَيْح) :

* يَدْرُكَ كَأَنَّهُ كَلْبٌ *

(٢) لَأَبَى ذُوَيْبِ الْهَذَلِ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ (١ : ١١٦) وَالْلسَانُ (شَيْح) .

* بَدَرَتْ إِلَى أَوْلَايِهِمْ فَسَبَقَتْهُمْ *

وَصَدَرَهُ :

٤ - فِدَى لِقَى أَلْقَى إِلَى رَأْسِهَا تِلَادَى وَأَهْلِي مِنْ صَدِيقٍ وَجَامِلٍ
 قَوْلُهُ « أَلْقَى إِلَى رَأْسِهَا » أَيْ وَهَبَهَا لِي وَمَكَّنَنِي مِنْ قِيَادِهَا بِنَفْسِي . وَذِكْرُ
 الرَّأْسِ كَمَا يُقَالُ : هُوَ يَرْتَبِطُ كَذَا رَأْسًا وَكَذَا أَظْهَرَ . وَذِكْرُ الْإِلْقَاءِ كَمَا يُقَالُ :
 أَلْقَى إِلَيْهِ مَقَالِيدَ الْأُمُور . وَالْمَعْنَى : أَفْدَى بِمَالِي الْقَدِيمِ وَأَهْلِي الْمَصَادِقِينَ فَتَى
 مَكَّنَنِي مِنْ هَذِهِ الْمُهْرَةِ وَمَلَّكَنِيهَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ صَدِيقٍ وَجَامِلٍ » دَخَلَ مِنْ
 عَلَى طَرِيقِ التَّبْيِينِ ، قَالَ صَدِيقُ تَفْسِيرُ الْأَهْلِ ، وَالْجَامِلُ تَفْسِيرُ التَّلَادِ . وَكَانَ
 هَذَا الرَّجُلُ يَنْتَظِرُ إِمَّاكَانَ الْفُرْصَةِ مِنْ أَعْدَائِهِ لِيَنْتَهِزَهَا فِي وَقْتِهِ ، وَيَتَمَتَّى بِهَا
 الشَّرَّ فِي النَّاسِ وَتَدَاعَى الْقَبَائِلُ بِالْأَوْتَارِ ، وَتَنَاهَضُهُمْ لِلْقِتَالِ عِنْدَ تَكَامُلِ عُدَّتِهِ
 لِيَجِدَ طَرِيقًا إِلَى مَكَاشِفَةٍ مَنْ يُرِيدُ مُكَاشَفَتَهُ ، وَتَسْبِيًا إِلَى إِدْرَاكِ مَا يُرِيدُ
 إِدْرَاكَهُ ، فَهَذَا عَلَقَ الدُّعَاءَ بِإِرْكَابِ الْمُهْرِ ، وَأَجَّلَ الزَّمَانَ فِي ابْتِغَاءِ الْمَطْلُوبِ .
 وَخَصَّ الصَّدِيقَ مِنْ أَقَارِبِهِ وَذَوِيهِ لِأَنَّ النَّفْسَ أَضْنُ بِهِمْ ، كَمَا خَصَّ الْجَامِلَ
 وَهُوَ ذِكْرُ الْإِبِلِ وَإِنَانِهَا لِأَنَّهَا هِيَ الْمَالُ الْمُخْتَارُ مِنَ الْأَزْوَاجِ الثَّمَانِيَةِ . وَيُرْوَى :
 « مِنْ صَدِيقٍ وَجَامِلٍ » بِالْهَاءِ ، فَيَكُونُ مِنْ تَفْسِيرِ الْأَهْلِ خَاصَّةً ، كَأَنَّهُ
 يُرِيدُ وَأَهْلِي مِنْ مُصَادِقٍ لِي وَبَارٍ بِي . وَيَقَالُ : حَمَلَهُ عَلَى كَذَا مَرَكَبًا ، إِذَا
 أَعْطَاهُ . كَأَنَّهُ قَالَ : كُلُّ مَنْ حَمَلَنِي عَلَى فَرَسٍ مِنْ أَهْلِي فَهُوَ فِدَاءٌ لِمَنْ حَمَلَنِي
 عَلَى هَذَا الْمُهْرِ ؛ لِأَنَّهُ يَقَعُ دُونَهُ فِي الْقَدْرِ وَالْمَكَانَةِ .

١٨٣

وَقَالَ شَمْلَةُ بْنُ الْأَخْضَرِ (١) :

١ - وَيَوْمَ شَفِيقَةِ الْحَسَنِ لَاقَتْ بَنُو شَيْبَانَ آجَالًا قِصَابًا

(١) هُوَ شَمْلَةُ بْنُ الْأَخْضَرِ بْنِ هَيْرَةَ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ ضَرَارِ الضَّبْيِيِّ . شَاعِرٌ فَارِسٌ وَأَبُوهُ
 الْأَخْضَرُ أَحَدُ سَادَاتِ خُزَيْمَةَ وَفَرَسَانِهَا وَشِعْرَانِهَا . الْمُؤْتَلَفُ ١٤١ . وَالْأَبْيَاتُ التَّالِيَةُ رَوَاهَا
 الْأَمْدِيُّ فِي كِتَابِهِ .

الشقيقة: رملة تُشق من معاظم الرَّمْل، وهي في الأصل صفة فُجِئَتْ اسماً وأُلْحِقَ به الهاء. وقد قيل فيها إنها رملة بين رملتين، والحسنان قيل لها رملتان ببلاد بنى تميم، وقيل حسن كُثِيبُ ضَمَّ إليه قطعة أرضٍ تقربُ منه فقيل حسنان، كقولهم الكوفتان والخيرتان. وهذه الأبيات في مقتل بسطام ابن قيس، قيلت على طريق التشفي وإظهار الشَّامة. يُرِيدُ: لاقى بنو شيبان يوم اجتماعنا بهذا المكان أجلاً غير مُمتدَّة، متفصرة عن الغاية التي كانت آمالهم تنزعُ إليها، ويعدُّهم اغترارهم بها.

٢ — شَكَّنَا بالرَّماحِ وهنَّ زورٌ صِمَاخِي كَنَبِهِمْ حتى استدارا^(١)

الشَّكُّ: النَّظْم. يقول: انتظمتنا بالرَّماحِ والخيَلُ مُنَحْرِفَةٌ للطننِ صِمَاخِي رئيسِهِمْ — يَعْنِي بِسْطَامًا — حتى دِيرَ به فسقط. وكان بسطامٌ أغارَ في بنى شيبان على بنى ضَبَّة، واستاقَ إليها، وكان رجالُ الحَيِّ غائبين، فلما أَحَسُّوا بذلك رَكِبُوا إِثْرَهُ، فلما لَحِقُوهُ أَخَذَ بِسْطَامٌ يُعْرِقُ الْإِبِلَ، فقالوا: يا بسطام ما هذا السَّخَمُ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَنَا أَوْلَكُ! ثُمَّ أُصِيبَ صِمَاخُهُ — والصِّمَاحُ هو الخَرْقُ البَاطِنُ الَّذِي يُفْضَى إِلَى الرَّأْسِ — وَقَانِلُ بِسْطَامٍ هو عاصِمُ ابن خَلِيفَةَ الضَّبِّيِّ، ويقال إنه كان مضموفاً، وفي ذلك اليوم رَأَتْهُ أُمُّهُ يَسْنُ سِنَانٌ رُجِحَ فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ بِهَذَا؟ قال: أُرِيدُ أَنْ أَقْتَلَ بِهِ بِسْطَامًا! فقالت الأُمُّ مُتَعَجِّبَةً وَمُسْتَنْكِرَةً: «أَنْتُ أُمَّكَ أَضِيقُ مِنْ ذَاكَ!» . وَحُكِيَ أَنَّهُ أَذْرَكَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ، فَكَانَ إِذَا وَرَدَ بَابَ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: عَاصِمُ بْنُ

(١) بين هذا البيت وتاليه عند الآمدي:

تَرَى الشَّعْرَاءَ تَرْفُلُ فِي سَلَاهَا وقد صار الدِّمَاءُ لها إِزَارَا
كما رَفَلَتْ وَطَافَ بِهَا الْغَدَارَى فتَاءُ الْحَيِّ بُرْدَا مُسْتَعَارَا

خليفة، قاتل بسطام بن قيس الباب! مُفْتَخِرًا. ومعنى «استدار»، أخذه دوار الموت. وقوله «شككنا بالرماح» والشك كان من واحد منهم وبرئ منحه، على عادتهم في نسبة الفعل إلى القبيل وإن كان من أحدهم، لا شتراكيهم في الرضا به، وتجمعهم لإيقاعه. على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَعَمَرُوا النَّاقَةَ﴾ وما أشبهه.

٣ - فخر على الألاء لم يؤسد وقد كان الدماء له خمارا الألاء: شجرة حسنة المراءى، قبيحة المختبر، ولهذا شبه به كل من قصر مخبره عن منظره. قال:

فإنكم ومدحكُم بُمخِرًا أبا لجأ كما امتدح الألاء^(١)
براه الناس أخضر من بعيد وتمنعه الرارة والإباه

ومعنى خر على الألاء، أى مال عليها لما أصيب. والمراد بالبيت: سقط بسطام لما طعن على الألاء وهو غير مؤسد، قد غشي رأسه ووجهه بالدم. قوله «لم يؤسد» في موضع الحال، وهو بيان لكونه مقتولا، وأن خروره كان لذلك. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ وما أشبهه. والخمر والخمار: كل ما غطاك.

١٨٤

وقال حسيل بن سجيح^(٢):

١ - لقد علم الحى المصبح أننى غداة لقينا بالشريف الأحامسا
يقول: صبحته مشدداً ومحنفاً، إذا قصدته للغارة صباحا. وفي المثل:

(١) لبشر بن أبي خازم، كما في اللسان (ألا).

(٢) التبريزي: «حسيل بن سجيح الفدبي». وحسيل بالتصغير كما في النسخ والمهج وشرح التبريزي. وأما سجيح فبسط في النسخ بفتح السين، وفي المهج وشرح التبريزي بهيئة التصغير. قال التبريزي: «كان بنو ضبة انتجعوا أرض بني عامر بالشريف، فطلبهم يئسو عامر، فسار حسيل في أخريات بني ضبة فنع بني عامر من النيل منهم».

« صَبَحْنَاهُمْ فَغَدَوْا شَامَةً ^(١) »

والأَحَامِسُ لِقَبْ لِبْنِي عَامِرٍ ، وَجُمِعَ الْأَسْمَاءُ وَإِنْ كَانَ صِفَةً فِي الْأَصْلِ فَهُوَ كَالْأَبْطَحِ وَالْأَجْدَلِ وَأَشْبَاهَهُمَا ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ . وَالشَّاعِرُ يَقُولُ : تَيَقَّنَ الْحَيُّ الْمَفَارُ عَلَيْهِمْ صَبَاحًا أَنَّنِي غَدَاةً لَقِينَا بَنِي عَامِرٍ بِالشَّرِيفِ — وَهُوَ مَوْضِعٌ بِنَجْدٍ ، وَكَذَلِكَ الشَّرَفُ — أُيْلَيْتُ . وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ اسْتِشْهَادٌ بِمَنْ دَافَعَ عَنْهُمْ . وَخَبِرْتُ أَنَّ فِيهَا بَعْدَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « جَعَلْتُ لَبَانَ الْجَوْنِ » . وَغَدَاةً لَقِينَا ظَرْفًا لَهُ . فَإِنْ قِيلَ : هَلَّا جُعِلَتْهُ ظَرْفًا لَعَلِّمَ أَوْ لِلْقَيْنَا ؛ قُلْتُ : لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لَعَلِّمَ ، لِأَنَّهُ إِذَا جُعِلَ كَذَلِكَ صَارَ أَجْنَبِيًّا مِمَّا دَخَلَ فِي صِلَةِ أَنْ ، وَحَائِلًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَبَرِهِ ، وَالْفَضْلُ بَيْنَ الْمَوْصُولِ وَمَا فِي صِلَتِهِ بِالْأَجْنَبِيِّ مِنْهُ غَيْرُ جَائِزٍ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لِلْقَيْنَا ، لِأَنَّهُ مُضَافٌ إِلَيْهِ ، وَالْمُضَافُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَامِلًا فِي الْمُضَافِ .

٢- جَعَلْتُ لَبَانَ الْجَوْنِ لِلْقَوْمِ غَايَةً مِنْ الطَّمَنِ حَتَّى آصُ أَحْمَرَ وَارِسًا ^(٢)

جَعَلْتُ هَاهُنَا تَعْدَى إِلَى مَفْعُولَيْنِ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى صَيَّرْتُ . وَاللَّبَانُ : الصَّدْرُ مِنَ الْقَرَسِ . وَالْوَرَسُ : صَنِيعٌ أَحْمَرٌ مَعْرُوفٌ . وَتَوَبَّ وَرَسٌ وَوَارِسٌ . وَأَوْرَسَ الرُّمْتُ ، إِذَا اصْفَرَّ ثَمَرُهُ ، فَهُوَ وَارِسٌ ، وَهُوَ أَحَدُ الْحُرُوفِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى أَفْعَلٍ فَهُوَ فَاعِلٌ ؛ وَلَا يَقَالُ مُورِسٌ . وَرُبَّمَا ^(٣) فُسِّرَ الْوَرَسُ عَلَى الزَّعْفَرَانِ . يَقُولُ : ثَبَّتُ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ فَصَيَّرْتُ صَدْرَ قَرَسِي لِلطَّمَنِ وَمَوْفِعًا ، حَتَّى صَارَ لَسِيلَانِ الدَّمِ عَلَيْهِ أَحْمَرَ كَالْوَرَسِ .

(١) المثل عند الميذاني (١ : ٣٦٧) .

(٢) التبريزي : « وروى ، غابة . أَيْ صَارَ كَالْأَبْجَةِ مِنْ كَثْرَةِ مَا انْكَسَرَ مِنْهُ .

الرَّمَحُ فِيهِ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَإِنَّمَا » صَوَابُهُ فِي م وَالتَّيْمُورِيَّةِ .

٣- وَأَرْهَبْتُ أُولَى الْقَوْمِ حَتَّى تَنْهَنُوهَا كَمَا دُتَّ يَوْمَ الْوَرْدِ هِيَا خَوَامِسَا
يقول : خَوَفْتُ أَوَائِلَهُمْ حَتَّى كَفُّوا وَتَنَكَّسُوا ، كَمَا تَكْفُ إِبْلَاعِطَاشَا
وَرَدَّتْ لِحْنَسِ ، فَازْدَحَمَتْ عَلَى الْمَاءِ يَوْمَ الْوُرُودِ . وَالْهَيْم : الَّتِي بِهَا الْهَيْتَامُ ،
وهو داء يصعبه العطش الشديد . جَعَلَ أَوَائِلَهُمْ تَتْبَادِرُ وَتَزْدَحِمُ حِرْصًا عَلَى
الْقِتَالِ ، مِبَادَرَةِ الْهَيْمِ وَازْدِحَامِهَا عَلَى الْمَاءِ وَرَدَّتْ لِحْنَسِ . وَهَذَا التَّشْبِيهُ مِنْ
بَابِ التَّصْوِيرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي شَرْحِهِ . وَقَوْلُهُ : « تَنْهَنُوهَا كَمَا دُتَّ »
يَحْضُرُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ حَتَّى دُتُّهُمْ كَمَا دُتَّ ، فَوَضَعَ تَنْهَنُوهَا بَدْلَهُ وَدَالًا عَلَيْهِ .
وَيَحْضُرُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : كَمَا نَهَنَتْ يَوْمَ الْوَرْدِ إِذَا دُتَّ هِيَا ، فَوَضَعَ دُتَّ
مَوْضِعَهُ . وَيَحْضُرُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : أَرْهَبْتُهُمْ كَمَا أَرْهَبْتُ ، فَوَضَعَ دُتَّ مَوْضِعَ
أَرْهَبْتُ ، وَهَذَا أَقْرَبُ .

٤- بِمِطْرِدٍ لَدُنِ صِحَاحٍ كُؤُوبُهُ وَذِي رَوْنَقٍ عَضْبٍ يَقْدُ الْقَوَانِسَا

٥- وَيَبِضَاءُ مِنْ نَسِجِ ابْنِ دَاوُدَ نَثْرَةٍ تَخَيَّرْتُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ الْمَلَابِسَا

الباء من قوله « بِمِطْرِدٍ » تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ أَرْهَبْتُ . فَيَقُولُ : خَوَفْتُهُمْ بِالْبُرُودِ
لَهُمْ ، وَمَعَالِنَةُ ذَوَى الْحِشْمَةِ بِالتَّنَكُّرِ مَعَهُمْ ، وَالشَّدَّ عَلَيْهِمْ بِرُمَحٍ مَسْوَى لَبَنِ
صَحِيحِ الْكُؤُوبِ وَالْأَنَابِيبِ ، وَسَيْفِ ذِي مَاءٍ ، قَاطِئِ نَافِذٍ فِي الْقَوَانِسِ ، لَا يَنْبُو
وَلَا يَرْتَدِّعُ . وَمَعْنَى الْأَطْرَادِ فِي الرُّمَحِ تَقَوُّمُهُ وَتَوَافُقُ أَنْبَابِهِ عِنْدَ الْهَزِّ .
وَالْقَوَانِسُ : أَغْلَى الْبَيْضِ ؛ وَقَوْنَسُ الْفَرَسِ مِنْهُ ، وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي تَحْتَهُ
الْعُصْفُورَانِ . هَكَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ وَالْعُصْفُورَانِ بَوَاءُ ،
وَالْقَدُّ : الْقَطْعُ طَوْلًا ، فَإِنْ كَانَ عَرَضًا فَهُوَ الْقَطْعُ . وَقَوْلُهُ « وَيَبِضَاءُ مِنْ نَسِجِ
ابْنِ دَاوُدَ » فَإِنَّهُ عَنَى بِهِ دِرْعًا ، وَالْمُرَادُ تَمَدُّدُ عُذَّتِهِ وَاحِدًا وَاحِدًا . أَيْ
أَرْهَبْتُهُمْ بِدِرْعِ نَقِيَّةِ اللَّوْنِ مِنَ الصَّدَا دَاوُدِيَّةٍ وَاسِعَةٍ ، اخْتَرْتُهَا مِنَ الْمَلَابِسِ يَوْمَ

اللقاء . وإنما قال « من نَسَجَ ابن دَاوُدَ » كما قال الآخر^(١) :

* وَنَسَجُ سَلِيمٍ كُلُّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ^(٢) *

وللعرب عادةٌ معروفةٌ في إقامة الأب مقام الابن ، والابن مقام الأب ، وتسمية الشيء باسم غيره إذا كان من سببه . والأعلام لا يدخلها المجاز ، ولكن تُستعارُ إذا حصل بها القصدُ وأمن معها اللبسُ عند الذكر . وانتصب للملايس على المفعول ، لأنَّ الفعلَ بعد انحذف حرف الجرِّ منه وصلَّ إليه فنصبه . وأصلها تخيرتها يوم اللقاء من الملايس . ومثله قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ . والمراد : اختار موسى من قومه ، ومثله هذا من الحذف لا ينقاس .

٦- وَحَرَمِيَّةٌ مَنَسُوبَةٌ وَسَلَاجِمٌ خِفَافٌ تَرَى عَنْ حَدِّهَا السَّمَاءَ قَالِيسًا

يريد : وبِقَوْسٍ مُتَّخِذَةٍ مِنْ شَجَرِ الْحَرَمِ^(٣) ، لها نَسَبٌ لَجُودَتِهَا وَعِنَقِ نَجَارِهَا ، حَتَّى يُقَالَ فِيهَا : مَلَكَهَا فَلَانٌ ، وَوَرَثَهَا فَلَانٌ ، وَاتَّخَذَهَا فَلَانٌ ، وَهِيَ الْقَوْسُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَيَنْصَالُ طَوَالِ خِفَافٍ تَقْلِسُ حُدُودُهَا السَّمَاءَ وَتَرْشَحُهُ ، لِأَنَّهَا أُنْهِيَتْ بِهِ وَشُرِّبَتْهُ . وَالْقَلَسُ : الْقَيْءُ ، يُقَالُ قَلَسَ قَلْسًا ، ثُمَّ يُقَالُ لِلدَّسَمَةِ تَخْرُجُ إِلَى الْفَمِ الْقَلَسُ ، بِتَحْرِيكِ اللَّامِ . وَالسَّلَاجِمُ : الطَّوَالُ ، وَأَرَادَ بِهَا التَّنْبِيلَ كَمَا هِيَ ، وَيُقَالُ حَرَمٌ وَحَرَمٌ . وَاتَّصَبَ قَالِيسًا عَلَى الْحَالِ لِلسَّمِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَرَى السَّمَاءَ ذَا قَلَسٍ ، أَيْ تَمْجُوجًا بِهِ مُلْتَقًى مِنْ جَوَانِبِ حُدُودِهَا .

(١) هو النابغة الذبياني . ديوانه ٦٤ واللسان (قضض ، ذيل) .

(٢) صدره : * وكل صموت نثلة تبعية *

(٣) ياقوت : الحرم : أحد الحرمين ، وهما واديان ينبتان السدر والسلم يصبان في بطن الليث في أرض اليمن .

٧- فَمَا زِلْتُ حَتَّى جَنَنِي اللَّيْلُ عَنْهُمْ أَطَرَّفُ عَنْيَ فَارِسًا ثُمَّ فَارِسًا

يُرَوَّى « أَطَرَّفُ فُرْسَانًا وَالْحَقُّ فَارِسًا ». يقول : لم أزل بياض ذلك اليوم أدفعُ في جوانِبِ بَحَالِي وَأَطْرَافِ أَرْضِي ، الفارسَ بعد الفارسِ ، إلى أن تَشَتَّانِي الظَّلَامُ فَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، وَسَتَرَ كَلَامًا مِنَّا عَنْ صَاحِبِهِ . وَمَعْنَى أَطَرَّفُ أَجْمَلُهُ مَعْنَى فِي طَرَفٍ ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ نَصَبٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مَا زَالَ . وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ « فَارِسًا ثُمَّ فَارِسًا » الْمُدَاوِمَةَ وَالِاتِّصَالَ . أَيْ لَمْ أَقْضُ عَنْ دِفَاعِهِمْ وَقِتًا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : جَاءَنِي بَنُو تَمِيمٍ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، أَيْ تَوَالُوا أَفْرَادًا . وَمِنْ رَوَى « أَطَرَّفُ فُرْسَانًا وَالْحَقُّ فَارِسًا » قَالَمْنِي أَسُوقُ فُرْسَانًا وَأَذُودُهُمْ عَنِّي ، وَقَدْ الْحَقَّ فِي الطَّرْدِ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ فَاصْبِيهِ .

٨- وَلَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْكَرَامَ أَخَاهُمْ أَلَمْ يَتَيْدِ السَّلَاحَ عَنْهُمْ أَنْ يُمَارِسَا

هَذَا الْكَلَامَ تَبَرُّؤٌ مِنَ التَّحَمُّدِ بِمَا قَعَلَ إِلَى النَّاسِ ، وَتَرَكٌ لِلتَّبَجُّحِ بِالْدَّفَاعِ حِينَ دَافَعَ ، وَإِظْهَارٌ لِأَنَّ مَذْهَبَ الْكَرَامِ ذَلِكَ وَأَنَّ الْوَاجِبَ فِي اعْتِقَادِهِمْ أَلَّا يُحْمَدَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا قَاتَلَ دُونَهُمْ ، أَوْ مَارَسَ الشَّدَّةَ فِيهِمْ وَلَهُمْ ، مَتَى كَانَ تَامَ السَّلَاحُ ، مَزَاحَ الْعِلَلِ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُمْ وَدِينَهُمْ ، وَإِذْ كَانَ سَبِيلُهُ فِيمَا بَاتِيهِ كَمَنْ يُؤَدِّي الْفَرْضَ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّضْجِيعَ ، وَالْحَتْمَ الَّذِي لَا يَسُوعُ التَّجَوُّزَ فِيهِ وَالتَّأْوِيلُ . وَقَوْلُهُ « عَنْهُمْ » يَتَمَلَّقُ بِالْعَتِيدِ السَّلَاحِ ، وَلَا يَحْجُزُ أَنْ يَتَمَلَّقَ بِمَارِسَ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ فِي صِلَةٍ أَنْ ، فَلَمْ يَحْجُزْ تَقْدُّمُهُ عَلَيْهِ . وَيَكُونُ الْمَعْنَى : أَخَاهُمْ أَلَمْ يَتَيْدِ السَّلَاحَ عَنْهُمْ ، الْغَائِبُ مَقَابِلَهُمْ . وَمَعْنَى أَخَاهُمْ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ ، كَمَا يُقَالُ : يَا أَخَا بَكْرٍ أَوْ تَمِيمٍ .

١٨٥

وقال محرز بن المكعب^(١) :

١ - نَجَّى ابْنُ نَعْمَانَ عَوْفًا مِنْ أَسِنَّتِنَا إِيغَالُهُ الرَّكْضَ لَمَّا شَالَتِ الْجِذَمُ
 قال الخليل : الإيغال : الإيمعان في السير مع دخول فيما بين جبال أو في
 أرض العدو . وقال غيره : هو الإسراع في إيماع . يقول : أُنْقَذَ هَذَا الرَّجُلُ
 مِنْ رَمَاحِنَا اسْتِمْجَالَهُ فَرَسَهُ ، وَاسْتَحْثَالَهُ بِالرَّكْضِ إِيَّاهُ ، لَمَّا رُفِعَتْ بَقَايَا
 السَّوْطِ تُخَوِّفُ بِهَا الْخَيْلُ ، وَيُسْتَدْرُ مِنْهَا الْعَدُوُّ . وهذه إشارة إلى وقت
 الانهزام وجذ الطالبيين في اللحاق . والرَّكْضُ ينتصب على أنه مفعول من
 الإيغال ، كَمَا يُقَالُ أَبْعَدَ السَّيْرَ ، وَأَسْرَعَ السَّيْرَ . ويجوز أن يكون مصدرًا
 موضح الحال ، كَأَنَّهُ قَالَ إِيغَالُهُ رَاكِضًا . وَأَدْخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ عَلَى حَدِّ
 دخولهما في قوله :

* فَارْسَلَهَا الْعِرَاكَ^(٢) *

و : * أَوْزَكَهَا التَّقَرُّبَ وَالشَّدَّ مَتَهَلًا *

وما أشبهه . وجذم كل شيء : أضله ؛ يقال جذمت الشيء ، إذا قطعته .
 والجذمة : القطعة من الخبل وغيره .

(١) هو محرز بن المكعب الضبى ، من ولد بكر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سمد
 ابن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر . قال الأنباري : « ولم يلحق يوم الكلاب » وفي
 المعقد في يوم الكلاب الثاني : « وقال محرز بن المكعب الضبى ولم يشهدها » . والمكعب ضبط في
 أصول شرح المفصليات بكسر الباء ، ويقريده ما في اللسان : ويقال كعبه بالسيف ، أى قطعه .
 ومنه سمى المكعب الضبى ، لأنه ضرب قومًا بالسيف . وأجاز التبريزي تبعًا لابن جني فتح
 الباء وكسرها منه . وانظر المفصلية رقم ٦٠ .

(٢) قطعة من بيت للبيد في ديوانه ١٢١ والسان والمقاييس (عرك) . وهو بتمامه :

فأوردتها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نفس الدخال

٢ - حَتَّى أَتَى عِلْمَ الدَّهْنِا يُوَاعِيسُهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِالصَّامَانِ مَا جَسِمُوا
الدَّهْنِا ببلاد تَمِيمٍ . وقال الخليل : الدَّهْنِا موضعٌ رَمْلٌ كُلُّهُ ، والنَّسَبُ
إليه دَهْنَاوِيٌّ . ومعنى يُوَاعِيسُهُ يَسِيرُهُ فِي وَعَسَائِهِ ، وهى الرَّمْلَةُ اللَّيْنَةُ ، والسيرُ
فيها يَضُغُ . ويقال : وَعَسْتُ الْمَكَانَ وَعَسًا ، إِذَا وَطِئْتُهُ وَطَأً شَدِيدًا ، وَيُسْتَعَى
الْأَرُ الْوَعَسَ . وَسُمِّيَ ضَرْبٌ مِنْ سَيْرِ الْإِبِلِ الْمُوَاعِيسَةَ مِنْ هَذَا . وَحَقِيقَةُ قَوْلِهِ
« يُوَاعِيسُهُ » يُوَاعِيسُ إِلَيْهِ أَوْ فِيهِ ، أَيْ يَمْدُ سَيْرُهُ إِلَيْهِ فِيهِ . وَالصَّامَانُ :
الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ ، وَاحِدَتُهُ صَمَانَةٌ ، وَمَوْضِعٌ مِمَّنْ قَوْلُهُ مَا جَسِمُوا نَصَبٌ عَلَى
الْمَفْعُولِ مِنْ جَسِمُوا ، فيقول : أَوْغَلَ الرَّكْضَ حَتَّى بَلَغَ جِبَالَ الدَّهْنِا ، مُوَاعِيسًا
فِي رَمْلِهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَيْ شَيْءٌ تَكَلَّمَ بِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ السَّيْرِ فِي الصَّامَانِ .
وَمَوْضِعٌ يُوَاعِيسُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعٌ مِمَّنْ قَوْلُهُ
مَا جَسِمُوا نَصَبًا عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ فَعَلَ دَلَّ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ :
﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتِهِ ^(١) 》 . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ .

٣ - حَتَّى انْتَهَوْا لِيَلِيَاهِ الْجَنُوفِ ظَاهِرَةً مَالَمَ تَسِرْ قَبْلَهُمْ عَادٌ وَلَا إِرَمٌ ^(٢)

الْجَنُوفُ وَادٍ . وَظَاهِرَةٌ انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفٌ ، وَيُقَالُ : وَرَدَ الْمَاءُ
ظَاهِرَةً ، إِذَا وَرَدَ نِصْفَ النَّهَارِ ؛ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الظَّهِيرَةِ . وَأُظْهِرْنَا : صِرْنَا فِي
الظَّهِيرَةِ : وَقَدْ جُعِلَ انْتِمَاءً لِهَذَا الظَّمِّ . وَقَوْلُهُ « مَالَمَ يَسِرْ » أَرَادَ سِيرًا لَمْ يَسِرْهُ
قَبْلَهُمْ أَحَدٌ ، أَوْ انْتِهَاءً لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَا فِي مَوْضِعِ

(١) هَذَا مَا فِي م وَالتَّيْمُورِيَّةِ ، وَهُوَ الْوَجْهَ . انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٤٤١ س ١٢ .
وَبَدَلًا فِي الْأَصْلِ : « هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ » .

(٢) وَضُمْتَ نَقْطَتَانِ فَوْقَ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ مِنْ « يَسِرْ » وَنَقْطَتَانِ تَحْتَهُ لِيَقْرَأَ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ ،
وَذَلِكَ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ . وَأَمَّا فِي م وَالتَّيْمُورِيَّةِ وَالتَّبْرِيْزِيِّ فَالْروايةُ « تَسِرْ » بِالتَّاءِ .
التَّبْرِيْزِيُّ : « أَبْرَ هَلَالٌ : عَادَ وَإِرَمٌ وَاحِدٌ فُجِعْلُهُمَا اثْنَيْنِ . وَظَاهِرَةٌ ، أَيْ مَظْهَرَةٌ . وَيَجُوزُ
أَنْ يَجْعَلَ ظَاهِرَةً حَالًا لِلْيَاءِ » .

النَّصَبُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ حَتَّى انْتَهَوْا ، وَتَلْخِصُ الْكَلَامَ : حَتَّى سَارُوا إِلَى مِيَاهِ هَذَا الْوَادِي نِصْفَ النَّهَارِ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلُهُ وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْأُمْتِنَيْنِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ حَمَلَهُمُ الرُّعْبُ الَّذِي تَدَاخَلَهُمْ ، وَالْاجْتِهَادُ فِي الْخِلَاصِ مِنَ الْمَهِزِمَةِ لِلْمُسْتُولِيَةِ عَلَيْهِمْ ، عَلَى أَن يَقْطَعُوا مَا بَيْنَ الْمَكَانَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ بِالضَّمَانِ ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِالذَّهْنَا ، وَذَلِكَ شاقٌّ مُسْتَبْعَدٌ وَقُوْعُهُ .

١٨٦

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ شَقِيقٍ ^(١) :

١ - فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ وَلَنْ تَرِيهِ أَكْفَ الْقَوْمِ تُخْرَقُ بِالْقَيْنِينَا ^(٢)

بِمَخَاطِبِ امْرَأَةٍ مُنْظَمًا لِلشَّأْنِ الَّذِي مُنَّوَا بِهِ ، وَمُهِوَّلًا لِلْأَمْرِ الَّذِي دُفِعُوا إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ : لَوْ رَأَيْتَ وَلَا أَرَاكَ اللَّهُ مِثْلَهُ مَشْهَدَ الْقَوْمِ وَأَكْفَهُمْ تُخْرَقُ بِالرَّمَاكِ لَرَأَيْتَ امْرَأَةً هَانِلًا . وَجَوَابُ لَوْ مُحْذُوفٌ ، كَمَا يُقَالُ : لَوْ رَأَيْتَ زَيْدًا وَفِي يَدِهِ السَّيْفُ . وَقَدْ سَمِعَ الْقَوْلَ فِي أَنَّ تَبَقِيَّةَ الْإِنْهَامِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ بَرَكَ الْجَوَابُ أَبْلَغُ فِي الْإِنْهَامِ . وَقَوْلُهُ « وَلَنْ تَرِيهِ » دَعَاءٌ ، وَأَكْفَرُ مَا يَقَعُ الدَّعَاءُ يَقَعُ بِلَا ، وَيَلْنُ بِحَيٍّ . قَلِيلًا ، يَقُولُ : لَنْ يُبَارِكَ اللَّهُ فِي كَذَا وَتَرِيدُ الدَّعَاءَ ، كَمَا يَقُولُ لَا بَارَكَ اللَّهُ . وَفَسَّرَ قُطْرُبٌ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ

(١) ابْنُ جَنِّي فِي التَّنْبِيهِ : « عَامِرُ بْنُ شَقِيقٍ الضَّمِّي » . التَّبْرِيزِيُّ : « عَامِرُ بْنُ شَقِيقٍ ، مِنْ بَنِي كَوْزَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ بَجَالَةَ بْنِ ذَهْلَ بْنِ مَالِكٍ » .
(٢) رَوَى التَّبْرِيزِيُّ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

أَلَا حَلَّتْ هَنِيْدَةٌ بِطَنَ قَوْيَ بِأَقْوَاعِ اللَّصَامَةِ فَالْعَمُونَا

وَقَالَ : « قَوْيَ : مَوْضِعٌ . وَأَقْوَاعُ : جَمْعُ قَاعٍ . وَاللَّصَامَةُ : مَوْضِعٌ » . وَنَبِهَ التَّبْرِيزِيُّ عَلَى أَنَّهُ يَرَوِي : « تُخْرَقُ بِالْقَيْنَيْنَا » ، وَهُوَ جَمْعُ قَلَةٍ .

أَكُون ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿ على أَنَّهُ دَعَا . ويجوز أن يكون قوله « وَأَنْ تَرِيهِ » إخباراً بأنها وقد فاتها رؤية ذلك فيما مضى لا ترى مثله في المستأنف فظاعة وشناعة ، وأن الخطب بلغ حَدًّا خَرَجَ به عن المعتاد المستجاز . وقوله « تُخْرُقُ بِالْقَيْنَا » أى تُثَقِّبَ ، ومنه خَرَقْتُ الأرضَ واخترقتها ، وريحٌ خَرِيقٌ . ويروى : « تَخْرُقُ » بفتح التاء وضم الراء ، وله وجهان : أحدهما أن يكون من الخُرْقِ : ضدَّ الرَفْقِ ، كأنَّ الأَكْفَ كانت تَخْرُقُ في الطَّنِّ ولا تَرَفُقُ ، لشدة الأمر ؛ وهذا حسنٌ . والثاني : أن يكون من الخَرْقِ ، كأنها تُشَقِّقُ بالطعنِ مُلتئمِ الأحوالِ ومتواصلها وتمزقُها ، كما قال : ﴿ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ . وهذا الوجه أغربُ ويكون المفعول محذوفاً ، لأنَّ الكلام يدلُّ عليه . ومن روى « تَخْرُقُ » فالعنى تَنْظُمُ . وإن جمعتَ الفِعل للفاعل فرويت « تَخْرُقُ » جاز أيضاً على أن يكون المفعول محذوفاً ، والمرادُ كأنها تَنْظُمُ مطعونين في شِدَّةٍ وَخَلَّةٍ . والقَيْنِ : جمعٌ سالمٌ ، وهو نادرٌ ، وأكثر ما يجرى مثله في المنقوص كطَبْخَةٍ وَطَبَّينَ ، وَثَبَةٍ وَثَبَيْنَ ، كأنه يعمل هذا البناء في جمعه جَبْرًا له ^(١) مما نقص منه . ويجرى أيضاً كثيراً في أسماء الدواهي ، كالذَّرَبَيْنِ ، والأَقْوَرَيْنِ ، والفِتْكَرَيْنِ ^(٢) ؛ كأنه بلغ بها رتبة الناطقين تهويلاً . وقد حُكِيَ كَسْرُ القاف من القَيْنِ حينئذ يكونُ كَمَصًّا وَعِصِيٍّ ، ويكونُ وَزْنُهُ فَعُولًا والنونُ بدلٌ من لامِ الفِعل . ويُحْمَلُ على هذا الوجه سَنَيْنِ في جَمْعِ سَنَةٍ .

٢ - بذي فرقين يومَ بَنُو حَنِيبٍ نُبُوهُمْ عَلَيْنَا يَجْرُقُونَا
قوله « بذي فرقين » يجوز أن يتعلق بقوله لو رأيت ، ويجوز أن يتعلق
بقوله تُخْرُقُ بِالْقَيْنِ ، كذلك قوله « يومَ بَنُو حَنِيبٍ » يجوز أن يكون ظرفاً

(١) م والتمورية : « جبراً له » . (٢) الفتكرين ، بكسر الفاء وضمها .

لكل واحدٍ من الفعلين لأنهما ظَرَفَانِ : أحدهما للمكان والآخر للزمان .
وأضاف اليوم إلى الكلمة التي بعده لأنَّ الأزمنة تضاف إلى الجُمْل من الابتداء
والخبر ، والفعل والفاعل ، تبيننا لها . ويقال : هو يَحْرِقُ أُنْيَابَهُ ، إذا حَكَّ
بعضها ببعض تهديداً . ويقالُ أيضاً : هو يَحْرِقُ عليه الأَرَمَ ، وبِعْلُكُ عَلَى الأَرَمِ ،
أى يصْرِفُ بأُنْيَابِهِ تَغْيِظًا . وَحَكَى فِيهِ الأَرَمَ بالزَّاءِ أيضاً . والأَرَمُ : العَضُّ .
ويقالُ حَرَقَهُ بِالْمِرْدِ ، إذا بَرَدَهُ . وَحَكَى أَبُو حَاتِمٍ : فُلَانٌ يَحْرِقُ نَابُهُ عَلَى ،
برفع الناب . قال : لأنه هو الذى يَحْرِقُ . وبيتُ زهير ^(١) يَشْهَدُ لذلك . وأنشد :
أَبَى الضَّمِّمِ وَالنَّعْمَانُ يَحْرِقُ نَابُهُ عَلَيْهِ فَأَفْضَى وَالشُّيُوفُ مُعَاقِلُهُ

٣ - كَفَاكَ النَّأْيُ يَمْنَنُ لَمْ تَرَيْنِهِ وَرَجَّيْتَ الْعَوَاقِبَ لِلْبَيْنِنَا

كَانَهُ وَكَلَّهَا إِلَى الْإِعْتِبَارِ بَعْدَ مَا فَاتَهَا مِنْ مَشَاهِدَةِ الْحَالِ ، وَدَعَاهَا إِلَى
الِاسْتِدْلَالِ ، وَالْإِكْتِفَاءِ فِيهِ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا فِي أُعْزِزَتِهِ مَعَ غَيْبَتِهِمْ عَنْهَا .
فَيَقُولُ : أَغْنَاكَ بُعْدُكَ إِذَا نَظَرْتَ وَاعْتَبَرْتَ عَنِ الْإِسْتِكْشَافِ وَالسُّؤَالِ ، وَإِنْ
تَلَهَّفْتَ لِمَا تُذَكِّرُكَ مِنْ مَسَاقِطِهِمْ ، وَلَمْ تُشَارِفِهِ مِنْ مَصَارِعِهِمْ ، وَحَالُكَ أَنَّكَ
عَلَّقْتَ رَجَاءَكَ بِالْأَوْلَادِ ، وَبَانَ مُحْسِنَ اللَّهِ الْمُفْقِي لَمْ إِذَا بَلَّغُوا طَلَبَ الْأَوْتَارِ ،
وَرَأَوْا السَّمَى فِي دَرَكِ النَّارِ ، وَقَطَعْتَ طَمَعَكَ فِي الْآبَاءِ وَمَلَكَكَ الْيَأْسُ مِنْهُمْ .
وقوله « وَرَجَّيْتَ » قَدْ مَعَهُ مُضْمَرَةٌ ، لِأَنَّ الْمَاضِيَ بِتَقْدِيرِ قَدْ مَعَهُ يَقَعُ مَوْقِعَ
الْحَالِ . وَضَعَفَ عَيْنَهُ لِلتَّكْثِيرِ ، كَأَنَّهَا كَانَتْ تَكَرَّرُ الرَّجَاءَ وَتُجَدِّدُهُ مَعَ كُلِّ
حَادِثَةٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ مُهِمَّةٍ .

(١) م : « وبيت النابغة » . وليس كذلك . والبيت الناب في ديوان زهير ١٤٣ .

١٨٧

وقال أبو ثُمَامَةَ بن عارم^(١) :

١ - رَدَدْتُ لِبُضْبَةَ أُمُوهَا ، وَكَادَتْ بِلَادُهُمْ تُسْتَلَبُ

يقول : اعتذرتُ لبُضْبَةَ ، فأعنتها على مجاذبتها ومُنَازِعِها ، وحَفِظْتُ لها
وعليها مياهها وبِلادَها ، وسراعيها وسرادَها ، بعد أن شارفوا التسليم
والاستسلام ، والمُلابِنَةَ والانهياد ، حتى كادوا يُغَلَبُونَ عليها ، ويُمنَعُونَ من
حقوقهم فيها ، لما يَظْهَرُ على صنحات أحوالهم من التخاذُلِ ، ويَبْدُونَ أمورهم
عليه في التهاوُنِ والتَّوَاكُلِ .

٢ - بِكَرٍّ الْمَطِيُّ وَإِنَّمَا بِهِ وَبِالْكُورِ أَرْكَبُهُ وَالْقَتَبُ

الباء من قوله « بَكْرٌ » تَمَلَّقَ بَرَدَدْتُ . وَيُرْوَى : « بَكْرِي الْمَطِيُّ » ؛
وساغ الوجهان لأنَّ المصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل . ومُرَادُهُ
أنَّ يُبَيِّنَ كَيْفَ كانت نِيَابَتُهُ عنهم ، ومُدَافَعَتُهُ دُونَهُمْ ، وكيفَ جاذَبَ
أعداءَهُمْ وجادلَ عنهم ، حتى تَوَصَّلَ إلى قمعهم ، ونزع أيديهم عَمَّا أَنشَبُوا فيه
من أُمَلَّاكِهِمْ ، وردَّهم دونَ ما سَوَّغُوهُ من اهتِصائِهِمْ . والقَتَبُ أَخَفُّ من
الْكُورِ . وإنما ذَكَرَ هذه المراكبَ لِتُبَيِّنَ تَطَاوُلَ الأَمَدِ بينه وبينهم ، وتَحَمُّلَ
أنواعِ المشاقِّ اللاحقة في نزاعهم ، وليدُلَّ على كثرةِ مفاقاتِهِمْ^(٢) ، واختلافِ
التَّرَدُّدِ في مجالسِهِمْ وأما كَرِهَهُمْ .

(١) البريزي : « أبو ثُمَامَةَ بن عازب الضببي » . ثم قال : « وقيل ابن عارم ، وقيل
ابن غارب » .

(٢) غذا ما في م . وفي الأصل : « ملاقاتهم » . وفي التيمورية : « مناوالتهم » وهذه
صحيفة عما في م .

٣ - أَخَاصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِمًا وَأَجْتُمُوا إِذَا مَا جَثَوْا لِلرُّكْبِ

انتصب قائماً على الحال ؛ ونبه بما أوردته على امتداد المجاذبة ، وتكرّر الحَاجَّةُ ، وعلى اختلاف الهيئات وتغيّر الأوقات ، وكلّ ذلك بحسب اشتداد سَوَرَةِ الخصام وإينها ؛ وأنه تَكَفَّلَ بالأمر معهم تَكَفَّلَ من تَعَيَّنَ عليه الفَرَضُ في مُرَادِّهِمْ ، فابْتَدَلَ نَفْسَهُ معهم ، ووطَّئها على مُصَابِرَتِهِمْ^(١) ، فإن قاموا قامَ معهم ، وإن برَكوا بارأهم في بُرُوكِهِمْ ، لئلاَّ يَكُونَ مُحِلًّا بِمَعْرِضٍ يَخْرُجُونَ فِيهِ ، أو تاركاً لشيء من نَصَبِهِمْ . ويقال : جَثَا لِرُكْبَتِهِ ، إذا سَقَطَ .

٤ - وَإِنْ مَنَطِقٌ زَلَّ عَنْ صَاحِبِي تَعَقَّبْتُ أَخَرَا ذَا مُعْتَقَبٍ^(٢)

فَصَلَ بَيْنَ إِنْ وَالْفِعْلِ بقوله « مَنَطِقٌ » ، ولو ظَهَرَ تَأْيِيدُهُ بِالْجُزْمِ لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ فِيهِ . وَارْتَفَعَ بِفِعْلِ هَذَا الظَّاهِرِ تَفْسِيرُهُ . فَإِنْ قِيلَ : فَإِنْ فِي أَىِّ الْفِعْلَيْنِ عَمِلَ ؟ وَهَلْ تَقُولُ إِنَّهُ عَمِلَ فِيهِمَا جَمِيعاً ؟ قُلْتَ : أَمَّا عَمَلُهُ فِيهِمَا فَغَيْرُ سَائِعٍ ، لِأَنَّ أَدَاةَ وَاحِدَةٍ لَا تَجُزِّمُ شَرْطَيْنِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ، لَكِنَّ الْفِعْلَ الْمُضْمَرَ لِمَا لَمْ يَظْهَرِ صَارَ فِي حُكْمِ مَا لَمْ يُعْتَدَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ الْاسْمُ يَرْتَفِعُ بِهِ ، حَتَّى صَارَ التَّقْدِيرُ : وَإِنْ زَلَّ مَنَطِقٌ زَلَّ عَنْ صَاحِبِي . وَقَدْ رَوَى « تَعَقَّبْتُ » وَ « تَعَرَّقْتُ » ، وَمَعْنَى تَعَقَّبْتُ تَتَّبَعْتُ وَطَلَبْتُ عَقْبَهُ ؛ وَمِثْلُهُ اعْتَقَبْتُ . وَقِيلَ الْمُعْتَقَبُ أَخَذُ عَقْبَةِ الشَّيْءِ ، وَهِيَ آخِرُهُ . وَمَعْنَى تَعَرَّقْتُ : عَدَلْتُ عَنْهُ وَأَخَذْتُ فِي غَيْرِهِ . وَيُقَالُ تَعَرَّقْتُ الْفَرَسَ ، إِذَا رَكَبْتَهَا مِنْ خَلْفِهَا . وَعَرَاقِبُ الْأُمُورِ : التَّبَاسُاطُهَا وَطَلَبُ الْحِيلِ وَالْحُجَّجِ فِيهَا ، وَأُنْشِذْتُ :

(١) في الأصل والتهجيرية : « مصابيرهم » ، صوابه في م .

(٢) البريزي : « ومن روى : معتقب ، جعله من العتبة وهي الدرجة ، أى أخذ في طريق فيه درج . اعتقب فيها حتى أغلب . أى آخذة بحجة بعد حجة ، كما يرتقى في الدرجة عتبة بعد عتبة » .

فلا يَبْذَمَكَ عُزْرَقُوبُ لِلْأَيِّ إِذَا لَمْ يُبْطِكَ النَّصْفَ الْخَصِيمُ^(١)
 والمعنى : لا يَبْذَمَكَ حِيلَةٌ لالتواء خَصْمٍ عَلَيْكَ . وقال آخرُ :
 * إِذَا حَبَا قُفٌّ لَهُ تَعَرَّفْنَا *

أى عَدَلَ عَنْهُ فَالْتَوَى . وَمِثْلُ تَعَقَّبْتُ فِي إِفَادَتِهِ طَلَبْتُ عَقَبَهُ وَعُقْبَاهُ :
 تَفَقَّدْتُ الشَّيْءَ وَتَعَهَّدْتُهُ ؛ لَأَنَّ الْمَعْنَى طَلَبْتُ فَقَدْتُهُ وَعَهَّدَهُ ، أَيْ نَظَرْتُ هَلْ
 فَقَدْتُهُ وَهَلْ بَقِيَ عَلَى عَهْدِهِ . ومعنى البيت : إِنْ بَدَرْتُ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَلِمَةً لَمْ
 يَوْفُقْ فِيهَا لِلصَّوَابِ ، أَوْ خِفْتُ عَوْدَهَا بِغَيْرِ صَلاَحٍ عَدَلْتُ عَنْهَا وَطَلَبْتُ
 مَكَانَهَا أُخْرَى ذَاتَ مُتَنَبِّحٍ ، فَأَعَقَّبْتُهَا بِهَا .

٥ - أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ فِي رِخْوَةٍ فَكَيْفَ الْفِرَارُ إِذَا مَا اقْتَرَبَ

قوله في « رِخْوَةٍ » أى تَرَاخِيهِ . وهو رِخْوٌ ، أى مُسْتَرْخٍ . كأنه أراد :
 أَهْرُبُ مِنْهُ مَا لَمْ يَنْشُدْ . وَتَبَيَّنَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّهُ يَتَفَادَى مِنَ الشَّرِّ
 مَا أَمَكْنَ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَعْمِلُ الْبَقْيَ وَلَا يَبْتَدِي الْخَصْمَ ، فَإِنْ جَاءَ مِنْهُ مَا لَا مَعْدِلَ
 عَنْ اقْتِحَامِهِ وَرُكُوبِ الْبَلَاءِ فِيهِ ، وَلَا مُعَوَّلَ إِلَّا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى شِدَائِهِ
 وَتَوَسُّطِ الْأَذَى الْعَارِضِ لَهُ خَاصَّةً^(٢) مُتَلَاقِيًا لِمُكَارِهِهِ بِمُدَّتِهِ ، مُجَادِبًا لِلْمُزَاجِعِينَ
 بِأَقْصَى مَا فِي طَوْقِهِ وَقُوَّتِهِ ، إِلَى أَنْ يَتَحَصَّلَ لَهُ الْفَلَجُ وَالظَّفَرُ ، أَوْ يَتَحَصَّنَ عَنْ
 لَوْمِ اللَّائِمِينَ بِمَا يُقِيمُهُ مِنَ الْمُذَرِّ فِي الْمُجَاهِدَةِ وَالتَّنَبُّثِ . ومثله قول هُذَيْفَةَ
 ابْنِ خَشْرَمٍ :

وَلَا أَتَمَنَّيَ الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي وَلَكِنْ مَتَى أَتَحْمَلَ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبُ

(١) رواية اللسان (عزقب) : « لوى » بدل « للوى »

(٢) في جميع النسخ : « خاصة » ، تحريف .

١٨٨

وَقَالَ أَبُو ثُمَامَةَ أَيْضًا :

١ - قُلْتُ لِمُحْرِزٍ لَمَّا التَقَيْنَا تَنَكَّبَ لَا يُقَطِّرُكَ الزَّحَامُ

تَنَكَّبَ وَتَنَكَّبَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَيَقُولُ هُوَ أَنْكَبَ عَنِ الْحَقِّ ، وَمِنْهُ
الرَّيْحُ النَّكْبَاءُ ، لَعْدُوْلَهَا عَنْ مِهَابِ الرِّيَّاحِ الْأَبْعِ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَهَكُّمٌ
وَاسْتِهْزَاءٌ ، كَأَنَّهُ يَرْمِيهِ بِأَنَّهُ لَمْ يُبَاشِرِ الشَّدَائِدَ ، وَلَمْ يُدْفَعْ إِلَى مَضَائِقِ الْجَمَاعِ .
فَيَقُولُ : انْحَرِفْ مُتَمَاسِكًا لَا يُسْقِطُكَ تَزَاحُمُ النَّاسِ . وَالتَّقَطِيرُ : الْإِلْقَاءُ عَلَى أَحَدِ
الْقُطْرَيْنِ ، وَهِيَ الْجَانِبَانِ ، وَكَأَنَّهُ يَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يُدَاسَ بِالْقَوَائِمِ ، كَمَا يَخَافُ عَلَى
الصَّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ، لِقَلَّةِ غَنَائِهِ ، وَضَعْفِ ثَبَاتِهِ . وَهَذَا فِي بَابِهِ أَبْلَغُ مَا مَرَّ بِي .
وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ حَجَلِ بْنِ نَضَلَةَ :

جَاءَ شَتِيقٌ عَارِضًا رُنْحُهُ إِنْ بَنَى عَمَكَ فِيهِمْ رِمَاحُ

وَقَوْلُ سَبْرَةَ بْنِ عَمْرِو الْفَقْعَسِيِّ :

لَا شَيْءَ يَفْدِلُهَا وَلَسْكَنَ دُونَهَا خَرَطُ الْقَتَادِ تَهَابَ شَوْكَتُهَا الْيَدُ

وَفِي هَذَا تَعْرِيفٌ أَيْضًا . وَمِنَ التَّعْرِيفِ مَا أَنْشَدْتُهُ عَنِ الْبَرْيَدِيِّ [قَالَ (١)] :

أَنْشَدَنِي الْأَصَمِيُّ :

فَدَعَّ شَوْكَ السَّيَالِ فَلَا تَطَّأُهُ وَخُضْ إِنْ خُضَّتْ مَاءُ غَيْرِ عَمْرِ

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

فَأَرْضَكَ أَرْضَكَ إِنْ تَأْتَيْنَا تَنْمُ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمُ

(١) هذه من م والتميمورية .

٢ - أَسْأَلُ السَّوِيَّةَ وَسَطَ زَيْدٍ أَلَا إِنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ تُضَامُوا

بِخَاطِبِهِ مُقَرَّرًا وَمَتَوَعَّدًا . والتقرير بألف الاستفهام ولا حرف تنفي معه يكون فيما لا يُثَبَّتُ ولا يُسْتَجَازُ كَوْنُهُ . وَالسَّوِيَّةُ : الإِنْصَافُ ؛ وهي من الاسْتِواءِ كَالْجَرِيْمَةِ وَالذَّيْنَةِ وَالْخَطِيئَةِ . وَزَيْدٌ : قَبِيلَةُ الْمُخَاطَبِ . فيقول على وجه الإنكار والهزء : أَسْأَلُ إِنْصَافَكَ وَأَنْتَ وَسَطُ رَهْطِكَ وفيما بين عشيرتك ومحَلِّ عِزِّكَ . ثم قال : إِنَّ مِنَ السَّوِيَّةِ اهْتِصَامَكُمْ وَضَيْمَكُمْ ، وهذا من باب إبدال الشيء من الشيء . كقول الآخر (١) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ (٢) *

وَالضَّرْبُ لَا يَكُونُ تَحِيَّةً . والمعنى : أَنَّهُمْ يُعْطَوْنَ بَدَلَ الإِنْصَافِ الظُّلْمَ ، لَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ غَيْرَهُ ، وَلِأَنَّ النِّصْفَةَ لَا تُضْلِحُهُمْ وَلَا تَوَاقِعُهُمْ .

٣ - فَجَارَكَ عِنْدَ يَنْتِكَ لَحْمٌ ظَنِي وَجَارِي عِنْدَ يَنْتِي لَا يَرَامُ

يَصِفُهُمْ بِسُوءِ الْوَفَاءِ ، وَقَلَّةِ الْحَافِظَةِ عَلَى عَقْدِ الْجَوَارِ ، فيقول : جَارَكَ كَالصَّيْدِ لِمَنْ يَطْلُبُهُ ، وَبِعَرَضِ الْأَكْلِ وَالِاسْتِبَاحَةِ لِمَنْ يَرِيدُهُ ، وَهَذَا وَهُوَ فِي فَنَائِكَ ، وَغَيْرُ مُفَارِقٍ لِدَارِكَ ، لَضَعْفِ حِشْمَتِكَ (٣) وَسُقُوطِ هِمَّتِكَ ، وَاسْتِسْخَافِ النَّاسِ إِدْرِكَ وَوَزْنِكَ ؛ وَجَارِي لَا يَطْلُبُ وَلَا يَطْمَعُ فِيهِ لَتَحَضُّنِ مَكَانِهِ فِي فِنَائِي ، وَتَعَزُّزِهِ بِي ، مَا دَامَ مُتَمَسِّكًا بِحَبْلِي ، أَوْ مُعْتَصِمًا بِحِلْفِي . وَلِإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ التَّرَاعُ بَيْنَهُمَا كَانَ بِسَبَبِ جَارٍ . وَإِضَافَةُ اللَّحْمِ إِلَى الْفَاجِي فِي نِهَاسَةِ الْمَوَاقِفَةِ لِمَعْنَى الَّذِي يَفْصِدُهُ ، وَالْفَرَضِ الَّذِي كَانَ يَرْمِيهِ . وَقَدْ جَاءَ اللَّحْمُ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَى اسْمِ الصَّيْدِ فِي الْكُنَايَةِ عَنِ الذُّلِّ وَالِاهْتِصَامِ . عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ : هُوَ

(١) هو عمر بن معد يكرب الزبيدي . الخزائنة (٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٣) هذا ما في م والتيمورية . وفي الأصل : « جسمك » .

لَحْمٌ مُّوَضَّعٌ ، وَهُوَ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ . وَقَدْ اسْتَعْمِلَ الشَّخْمُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

* لِمَنْ كُنْتُ فِيهِ شَحْمَةً وَأَطَابِيَةً *

وقول الآخر :

فَلَا تَحْسَبْنِي يَا ابْنَ أُنْتُمْ شَحْمَةٌ تَزَرَّدَهَا طَاهِي شِوَاءُ مُنْهَوَجٍ
وقد قال آخر سالكاً هذه الطريقة في الكناية :

* وَلَسْتُ خَلَاةً لِمَنْ أَوْعَدَنُ ^(١) *

وقالوا في الدليل : هو قَتْعٌ ، وهو قَتْعٌ بِقَرَقَرٍ ، وهو بَيْضَةُ الْبَلَدِ .

١٨٩

وقال عبد الله بن عنة ^(٢)

١- أَبْلِغْ بَنِي الْحَارِثِ الْمَرْجُو نَضْرُمُ وَالْدَهْرُ يُحْدِثُ بَعْدَ الْمِرَّةِ الْخَلَا

قَوْلُهُ « وَالْدَهْرُ يُحْدِثُ » اعْتِرَاضٌ حَصَلَ بَيْنَ أَبْلِغْ بَنِي الْحَارِثِ وَبَيْنَ
مَفْعُولِهِ الثَّانِي : وَهُوَ قَوْلُهُ ، « إِنَّا تَرَكْنَا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلًا » .

وَمِثْلُهُ بِمَا قَدْ دَخَلَ الِاعْتِرَاضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَفْعُولِ قَوْلُ أَبِي النَّجْمِ :

وَبَدَّلْتُ وَالْدَهْرُ ذُو تَبَدُّلٍ هَيِّفًا دَبُورًا بِالصَّبَا وَالشَّمَالِ

وَفِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ

(١) للأعشى في ديوانه ص ٢٢ . وصدره :

* وَحَوْلَى بَكَرٍ وَأَشْيَاعِهَا *

(٢) التبريزي : « عبد الله بن عنة الضبي ، وهو من بني غيث بن السيد » . وعبد الله هذا من شمر المفضليات ، له المفضلية ١١٤ ، ١١٥ . وهو عبد الله بن عنة بن حوثان بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس ابن مضر . هكذا ساق البغدادى نسبه في الخزانة (٣ : ٥٨٠) ولعل فيما ذكر البغدادى خطأ أو نقصاً . وهو شاعر إسلامي مخضرم شهد القادسية . انظر الإصابة ٦٣٣٤ .

مَوْدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ، لَأَنَّ قَوْلَهُ يَا لَيْتَنِي مَعْفُولٌ لِيَقُولَنَّ ، وَكَأَنَّ لَمْ يَسْكُنْ اعْتِرَاضٌ . وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ ذُو تَبَدُّلٍ اعْتِرَاضٌ . وَقَوْلُهُ « الْمَرْجُو نَصْرُهُمْ » فِيهِ تَغْيِيرٌ وَتَقْرِيعٌ كَأَنَّهُ (١) فِي قَوْلِهِ « وَالدَّهْرُ يُحْدِثُ بَعْدَ الْمِرَّةِ الْحَالَ » هُزُوٌّ وَسُخْرِيٌّ . وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ كَانُوا تَرَكَوْا عَشِيرَتَهُمْ وَانْتَقَلَوْا عَنْهُمْ لِلْوَيْةِ حَصَلَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ طَمَعًا فِي نَيْلِ مَا يَفُوتُهُمْ مِنْهُمْ مِنْ جِهَتِهِمْ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوهُمْ عِنْدَ الظَّنِّ بِهِمْ تَنَدَّوْا ، فَأَخَذَ هَذَا الشَّاعِرُ مِنْهُمْ يَرْمِي بِهَذَا الْكَلَامِ مُعَيَّرًا وَمُتَلَهِّفًا ، فَيَقُولُ : أَيْلُغْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ رُجِيَ مَعُونَتُهُمْ وَطُمِعَ فِي نَصْرِهِمْ وَذَبَّاهُمْ — وَالدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ وَتَلَوْنِ ، فَيَتَعَقَّبُ فِيهِ الشَّدَّةَ لَيْنٌ ، وَالْقُوَّةَ ضَعْفٌ ، وَالْعِزَّةَ ذُلٌّ — رِسَالَتِي إِلَيْهِمْ . وَهُمَا تَبَيَّنَ مِنْ قَوْلِهِ الْحَالِ ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدَ الْأَحْوَالِ ، الضَّعْفُ ، وَالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْتُهُ لِقَوْلِهِ يُحْدِثُ بَعْدَ الْمِرَّةِ . وَحَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذَا كَمَا يُقَالُ تَرَكَتُهُ بِحَالٍ ، لِلْمُشْرِفِ عَلَى الشَّرِّ أَوْ الْمَلَائِكِ ، وَالْمُرَادُ بِحَالٍ سَوْءٌ ، فَكَذَلِكَ هُنَا يُرِيدُ وَالدَّهْرُ يُحْدِثُ الْحَالَ لِلنَّكَرَةِ بَعْدَ الْمِرَّةِ . وَقِيلَ أَيْضًا الْحَالُ : التَّرَابُ اللَّيْنُ وَالْحُمَاءُ ، فَاسْتَعَارَهُ لِلضَّعْفِ وَاللَّيْنِ .

٣ — إِنَّا تَرَكَنَا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلًا عِزًّا عَزِيزًا وَأَنْعَامًا وَأَخْشَوَالًا يَقُولُ : أَدَّ إِلَيْهِمْ أَنَا بِمُفَارَقَةِ قَوْمِنَا تَرَكَنَا أَقْرَبَ مِنْ جِهَةِ الْآبَاءِ وَالْأُمَمَاتِ ، مُتَنَاصِرَةً عَلَى دِفَاعِ حَوَادِثِ الدَّهْرِ مُتَعَاوِنَةً ، وَظَهَرًا ظَهِيرًا ، وَعِزًّا مُتَنَاهِيًا قَوِيًّا ، وَلَمْ نَعْتَضْ مِنْهُمْ مَا فِيهِ طَائِلٌ . قَوْلُهُ « وَأَنْعَامًا وَأَخْشَوَالًا » أَيْ تَرَكَنَاهُمْ وَهُمْ مِنَ الْبِرِّ وَالشَّفَقَةِ عَلَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ وَالْأَخْوَالُ ، وَفِيهَا يَرْجَى مِنَ الْوُقُورِ بِهِمْ وَالْقَائِدِ بِمَكَانِهِمْ . وَقَوْلُهُ « عِزًّا عَزِيزًا » ، مِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَشْتَقُوا

(١) فِي النُّسخِ « أَنْ » ، وَلَا يَسْتَقِيمُ لِأَعْرَابِ الْمُبَارَةِ .

من لَفْظِ الشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُونَ الْمُبَالَغَةَ فِي وَصْفِهِ بِنَاءٍ يُتَّبِعُونَهُ بِهِ تَأْكِيدًا وَتَنْبِيْهًا
عَلَى تَنَاهِيهِ فِي مَعْنَاهُ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : ظِلٌّ ظَلِيلٌ ، وَدَاهِيَةٌ دَهِيَاءٌ ،
وَشِعْرٌ شَاعِرٌ .

٣- قَدْ كُنْتُ أَخْذُ حَقِّي غَيْرَ مُهْتَضِمٍ وَشَطَّ الرَّبَّابِ إِذَا الْوَادِي بِهِمْ سَالَا
هَذَا الْكَلَامُ تَوْجَعٌ وَتَلَهْفٌ فِي إِثْرِ مَا فَاتَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، بِمَا حَصَلَ مِنْ فُسَادِ
ذَاتِ يَدِيهِمْ ، حَتَّى صَارُوا إِلَى التَّيْبَانِ ، وَالتَّمَايُزِ بِالْأَبْدَانِ وَالتَّهَاجُرِ . فَيَقُولُ :
كُنْتُ أَتَقَاضَى بِحُوقِي بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَأَقْتَضِيهَا وَأَسْتَوْفِيهَا غَيْرَ مَهْضُومٍ
وَلَا مَهِينٍ إِذَا جَاءُوا مُحْتَفِلِينَ تَمَلُّ مِنْهُمْ الطَّرِيقُ وَالْفِجَاجُ ، وَتَسِيلُ بِهِمُ الْمَذَانِبُ
وَالْتَّلَاعُ . وَمِثْلُ قَوْلِهِ « إِذَا الْوَادِي بِهِمْ سَالَا » قَوْلُ الْآخِرِ ^(١) :

* وَسَالَتْ بِأَغْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِيحُ ^(٢) *

٤- لَا تَجْمَعُونَا إِلَى مَوْتِي يَحُلُّ بِنَا عَقْدَ الْحِزَامِ إِذَا مَا لِبْدُهُ مَالَا
الْمَوْتُ فِي الْبَيْتِ : الْقَاصِرُ أَوْ الْوَلِيُّ لَا غَيْرُ . وَكَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى قَوْمِهِ بِسَمْعِطِهِمْ ،
وَيَشْكُو إِلَيْهِمْ مَا لَاقَوْهُ مِنْ غَيْرِهِمْ . فَيَقُولُ : تَلَاَفُوا أَمْرَنَا وَلَا تَسْكَوْهُ إِلَى نَاصِرٍ
يُؤْثِرُ صِلَاحَ حَالِهِ وَإِنْ فَسَدَ حَالُنَا ، وَبَرُّوْهُمُ انْتِمَاعُهُ وَإِنْ سَقَطْنَا ، وَيَسْوَوِي
لِبْدَهُ إِذَا اغْوَجَ وَزَالَ عَنْ مَقَرِّهِ بِنَا . وَهَذَا تَعْرِيفُ مَنْ كَانُوا انْتَقَلَوْا إِلَيْهِمْ .
كَأَنَّهُمْ كَانُوا بِهِمْ مَخْنَصٌ بِأَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ لَا يَحْفَلُونَ بِمَا يَحْتَلُّ مِنْ شَأْنِ
هَؤُلَاءِ أَوْ يَنْحَلُّ مِنْ عَقْدِهِمْ .

وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخِرِ :

(١) هُوَ كَثِيرُ عِزَّةٍ ، أَوْ يَزِيدُ بِنَ الْفُلْثَرِيَّةِ ، أَوْ عَقْبَةُ بْنُ كَعْبٍ بْنُ زُهَيْرٍ . مَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ .
فِي (شَوَاهِدِ الْإِسْتِمَارَةِ) .

(٢) صَدْرُهُ : * أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا *

وَكُنَّا فَوَارِسَ يَوْمَ الْهَرِيرِ إِذَا مَالَ مَرْجُوكَ فَاسْتَقْدَمَا^(١)
وَأَفْصَحُ مِنْ هَذَا قَوْلُ ابْنِ أَحْمَرَ :
فَإِنَّمَا زَالَ مَرْجُؤُ عَنْ مَعْدِي وَأَجْدِرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا

١٩٠

وقال ابن عنمة أيضا :

١- مَا لِنْ تَرَى السَّيِّدُ زَيْدًا فِي نُفُوسِهِمْ كَمَا يَرَاهُ بَنُو كُوزٍ وَمَرْهُوبٌ^(٢)
السَّيِّدُ : قَبِيلَةُ ، وكذلك كُوزٌ وَمَرْهُوبٌ . وقوله « مَا لِنْ » إِنْ زِيدَتْ
لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ . وَذَكَرَ سَيْبَوَيْهٌ أَنَّ مَا الْحِجَازِيَّةَ إِذَا قُرِنَ بِإِنْ هَذِهِ يَبْطُلُ عَمَلُهُ ،
يَقُولُ : بَنُو السَّيِّدِ لَا يَقْسِمُونَ لِزَيْدٍ مِنَ التَّعْظِيمِ ، وَلَا يُوجِبُونَ لَهُ فِي نُفُوسِهِمْ
مِنَ الْحُرْمَةِ وَالتَّعْجِيلِ ، مَا يُوجِبُهُ وَيَقْسِمُهُ بَنُو كُوزٍ وَمَرْهُوبٌ . وَالضَّمِيرُ عَلَى
هَذَا مِنْ قَوْلِهِ « فِي نُفُوسِهِمْ » يَكُونُ لِلْسَّيِّدِ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ
لِزَيْدٍ لِأَنَّهُ قَبِيلَةٌ أَيْضًا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : لَكَ فِي نَفْسِكَ حَقٌّ وَمَنْزَلَةٌ . كَانَ
زَيْدًا كَانَ لَهُ إِذَا رَاجَعَ نَفْسَهُ مِنَ التَّوَجُّهِ وَالْإِذْلَالِ ، وَالتَّخْصُّصِ وَالْاعْتِزَازِ فِي
بَنِي كُوزٍ وَمَرْهُوبٍ ، مَا لَا يَكَادُ يَجِدُهُ فِي بَنِي السَّيِّدِ .

٢- إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نَعْطِ الْحَقَّ سَائِلَهُ وَالذَّرْعُ مُحَقِّقَةٌ وَالسَّيْفُ مُقْرُوبٌ
يَقُولُ : إِنْ وَقَفْتُمْ عِنْدَمَا يُثْبِتُ مِنْ حَقِّكُمْ ، وَرَضِيتُمْ بِمَا لَا تَنْجِدُهُ مِنْ
وَاجِبِكُمْ ، وَلَمْ يُخَيَّلْ [إِلَيْكُمْ^(٣)] أَنْ طَلَبَ مَا فَوْقَهُ أَعْوَدَ عَلَيْكُمْ ، خَرَجْنَا مِنْهُ

(١) لاربيع بن زياد العبسي . الحماسة ١٦٣ .

(٢) هذه الأبيات هي المفضلية رقم ١١٥ . وانظر الخزانة (٣ : ٥٧٦ - ٥٨٠) .

(٣) للتكلمة من م والتميمورية .

إليكم من غير إباء ولا امتناع ، ولا احتياج حربٍ أو إعمالٍ سلاحٍ . وقوله « والدَرْعُ مُحَقَّبَةٌ » أى مشدودةٌ فى الحقائق ، لأنه أراد بالدَرْعِ الجِنْسَ . والاحتقَاب والاستحقَاب : شدُّ الحَقِيبة من خَلْفٍ . وكذلك قوله « والسَّيْفُ مَقْرُوبٌ » أى متروكةٌ فى قُرْبِهَا ؛ لأنه أراد الشُّيُوفَ . ويقال : قَرَبْتُ السَّيْفَ وأقربتهُ ، وعَمَدتهُ وأَعَمَدتهُ . وقال أبو زيد : القِرَابُ : غِشَالٌ يكون السَّيْفُ مُعَمَّداً فيه . واحتجَّ بقوله :

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّي إِلَيْكَ رِحَالِ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا^(١)

٣- وَإِنْ أُيِّنْتُمْ فَإِنَّا مَعْمَرٌ أَنْفٌ لَا نَطْعُمُ الْخُسْفَ إِنْ السَّمَّ مَشْرُوبٌ^(٢)

يقول : إن عدوئكم طَوْرُكُمْ ، وتجاوزتم فى الطَّلَبِ حَقَّكُمْ إلى ما ليس لكم ، فإن أنفَتنا نمنعُ من احتمالِكم ، والنزام شهوتِكم ، وَحَيِّئْنَا تَأْبَى الرِّضَا بِالْتَّحَكُّمِ ، والصَّبْرَ على الانقِصَارِ والتَّهَضُّمِ ، فلا نَطْعُمُ الْخُسْفَ وَإِنْ شَرَبْنَا السَّمَّ . والخُسْفُ : أن يَحْمَلَكَ إنسانٌ ما تَكَرَّهَهُ . ومن الصَّنْعَةِ الحَسَنَةِ مَقَابِلَتُهُ الطَّعْمَ بالشُّرْبِ ، واستعارتهُ إِبَاهَا فى تَجَرُّعِ المُصَّةِ ، وتوطِينِ النَّفْسِ على الْمَشَقَّةِ ، عند إِزَالَةِ الْمَذَلَّةِ ، وَرَدِّ الْكَرْبَةِ . وأنفٌ : جمعُ أَنْوَفٍ . والمَعْمَرُ : الجماعةُ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ ، ويقال : جاء الْقَوْمُ مَعْمَرٌ مَعْمَرٌ ، أى عَشْرَةٌ عَشْرَةً .

٤- فَازْجُرْ حِمَارَكَ لَا يَرْتَعَ بِرَوْضَتِنَا إِذَا يَرُدُّ وَقِيدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبٌ^(٣)

هذا مَثَلٌ . والمعنى : انْقِصُصْ عَنِ التَّمَرُّضِ لَنَا ، والدُّخُولِ فى حُرْمَتِنَا ،

(١) لمرة بن محكان . الحماسية ٦٧٥ .

(٢) المفصليات : « لا نطعم الذل » .

(٣) التبريزى عن أبي محمد الأعرابي : « إنما معنى قوله ازجر حمارك ، يعنى به فرس زيد الفوارس ، واسم عرقوب ، فكفى عنه بالحمار غل سبيل التهمك والخره . وقوله : وقيد العير مكروب ، أى إنهم يعقرونه ، والعقر أضيقت القيود » ، وانظر لإعراب هذا البيت الخزائن (٣ : ٥٧٦) وسيبويه (١ : ٤١١) .

وَرَعِي سَوَامِكَ رَوْضَنَا؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ ذَمَمْتَ عَاقِبَةَ أَمْرِكَ، وَعُدْتَ حَاسِرَ الصَّفْقَةِ وَخِيمَ الرُّتْعَةِ. جَعَلَ إِسْرَافَ الْحَارِ فِي حِمَائِهِمْ كِنَايَةً عَنِ التَّحَكُّكِ بِهِمْ، وَالتَّعَرُّضِ لِمَسَاءَتِهِمْ. وَلَا حَارَ ثُمَّ وَلَا رَوْضَ^(١). وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: أَرَادَ اكْتَفَى لِسَانِكَ. قَوْلُهُ «إِذَا» قَالَ سِيبَوِيهٌ: هُوَ جَوَابٌ وَجَزَاءٌ، فَلَا بَتْدَاءَ الَّذِي هُوَ جَزَاؤُهُ مَحذُوفٌ مُسْتَدَلٌّ عَلَيْهِ مِمَّا فِي كَلَامِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ فَإِنَّهُ إِنْ رَتَعَ رَجَعَ إِلَيْكَ وَقَدْ ضَيَّقَ قَيْدُهُ، أَيْ مُلِيَ قَيْدُهُ فَتَلَا حَتَّى لَا يَنْشَى إِلَّا بِتَقَبٍ، كَأَنَّهُ يُضْرَبُ أَوْ يُسْتَعْمَلُ حَتَّى يَرِمَ جِسْمُهُ وَيُؤْدَى الْوَجَعُ مِنْهُ إِلَى مَوْضِعٍ حَافِرٍ فَيَضِيقُ عَلَيْهِ الْفَيْدُ.

٥- إِنْ تَدْعُ زَيْدٌ بَنِي ذَهْلٍ لِمَغْضَبَةٍ تَغْضَبُ لِرُزْعَةِ إِنْ الْفَضْلُ مَحْسُوبٌ

يقول: إِنْ غَضِبَ بَنُو ذَهْلٍ لِرُزْدٍ وَامْتَقَضُوا مِنْ ضَيْمٍ يَرْكَبُهَا، وَأَغَاثُهَا إِذَا اسْتَجَارَتْهُمْ، غَضِبْنَا لِرُزْعَةٍ، وَانْتَقَمْنَا لَهُ مَنْ يَهْتَضِمُهُ، إِنْ الْفَضْلُ مَعْدُودٌ. فَاَلْمَعْنَى: إِنَّهُ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْنَا فَقَدْ عَدَدْنَا مَا لَكُمْ، فَلَمْ نَجِدْ زِيَادَةً لَكُمْ، وَلَا اسْتَظْهَارًا يوجبُ لَكُمْ التَّعَلِّيَّ وَالتَّقَلُّبَ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ بَيْنَنَا عَلَى التَّسَاوِيِ فَلَا اسْتِبْدَادَ وَلَا احْتِكَامَ. وَيُرْوَى: «إِنْ الْقَبِصَ مَحْسُوبٌ»^(٢)، وَهُوَ الْقَدَدُ الْكَثِيرُ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ مَثَلًا. وَيَقَالُ لَهُمْ إِنْ قَبِصَ الْقَدَدِ وَفِي قَبِصِ الْحَصَى، أَيْ فِي أَكْثَرِ مَا يُسْتَطَاعَ عَدُّهُ مِنْ كَثْرَتِهِ، وَالْمُرَادُ: إِنْ الْأَعْدَادُ الْكَثِيرَةُ تُضَبِّطُ وَتُحْصَرُ، فَكَيْفَ مَا بَيْنَنَا مِنْ تَفَاوُتٍ^(٣) وَتَفَاضُلٍ، أَوْ تَسَاوٍ وَتَعَادُلٍ.

٦- وَلَا يَكُونَنَّ كَمْجَرِي دَاحِسٍ لَكُمْ فِي غَطَفَانٍ غَدَاةَ الشَّعْبِ عُرُقُوبٌ

كَانَ التَّنَاوُعُ بَيْنَهُمْ فِي رِهَانٍ وَقَعَ عَلَى عُرُقُوبٍ، وَهُوَ قَرَسٌ لَهُمْ. فَيَقُولُ:

(١) انظر ما سبق في الحواشي. (٢) وهذه هي رواية المفضليات.

(٣) في جميع النسخ: «تقارب».

لا يَكُونَنَّ جَرَى عُرْقُوبٍ عَلَيْكُمْ فِي الشُّومِ كَجَرَى دَاحِسٍ فِي غَطَفَانٍ غَدَاةَ شَعْبِ الْحَيْسِ . بقوله « عُرْقُوب » ارتفع على أَنَّهُ اسمٌ لا يَكُونَنَّ ، وقد حَذَفَ لِلضَّافِ وَأَقَامَ المضافَ إليه مَقَامَهُ ، لأنَّ المراد : ولا يَكُونَنَّ جَرَى عُرْقُوبٍ كَجَرَى دَاحِسٍ . وقوله « غَدَاةُ الشَّعْبِ » غَرَفُ لقوله كَجَرَى . وجعل النَّهْيَ فِي اللَّفْظِ لِعُرْقُوبٍ وهو فِي الْمَعْنَى لَمْ . حَذَرَهُمُ اسْتِعْمَالَ اللَّجَاجِ لثَلَاثًا يَأْدَى الْأَمْرُ إِلَى مِثْلِ مَا تَأْدَى فِي رِهَانٍ دَاحِسٍ وَالْفُجْرَاءِ . ومثْلُ هَذَا مِنَ النَّهْيِ قَوْلُهُ : لَا أُرِيَنَّكَ هَاهُنَا .

١٩١

وقال الأخضر بن هبيرة^(١) :

١ - أَلَا أَيُّهَا النَّابِجُ السَّيِّدَ إِنِّي عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَبْسِلٌ مِنْ وَرَائِهَا^(٢)
وَصَفُّ أَيْ بَذَا غَيْرُ جَارٍ عَلَى سَنَنِ مَا يُجْلِبُ لَهُ الصِّفَاتُ ، لأنَّ الصِّفَّةَ شَرْحُ
الكَلَامِ وَتَبْيِينُهُ ، وَمُزِيلُ اللَّبْسِ عَنْهُ ، وَإِذَا كَانَ أَيْ وَذَا مُبْهِمِينَ فَلَا نَشْرَاحَ
غَيْرَ حَاصِلٍ بِهِمَا ، لَكِنَّهُمَا كَانَا الْمُعَوَّلَ عَلَى مَا يَتَّبَعُهُ مِنَ الْعَرَفِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ
صَارَ ذَاكَ أَنَّهُ لَا اعْتِدَادَ بِهِ فِي الشَّرْحِ . فيقول : أَيُّهَا الْمُتَعَرِّضُ لِبَنِي السَّيِّدِ
وَالْمُنْتَقِصُ لَمْ ، وَالْفَاحِثُ أَثْلَتَهُمْ ، إِنِّي عَلَى بُعْدِهَا مَنِّي مُدَافِعٌ عَنْهَا وَذَابٌ ، مَعَ
تَغْيِبِهِمْ دُونَهَا ، قَضَاءُ لِحَقِّ الشَّرَفِ ، وَذَهَابًا مَعَ النِّصْفَةِ . وَيُقَالُ بَسَلٌ وَاسْتَبَسَلَ
وَتَبَسَلَ بِمَعْنَى . وَقَالَ الْخَلِيلُ : اسْتَبَسَلَ الرَّجُلُ ، إِذَا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ

(١) هو الأخضر بن هبيرة بن المنذر بن أضرار بن عمرو بن مالك بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، والمتطوعة رواها التبريزي لولده الفضل بن الأخضر ، ثم نقل عن أبي هلال أنها للأخضر ، وانظر للأخضر المؤلف ٣٤ .

(٢) التبريزي عن أبي هلال : « من عادة كلاب الأعراب أن تنبج السحاب لأنه يؤذيها بمطره ، وإذا رأت القمر ظنته قطعة سحاب فتنبجته أيضاً ، وليست تضره ، فجعل هذا مثلاً للنهي ينال من الشريف ويقع فيه ولا يضره » .

وَاسْتَيْقَنَ بِهِ^(١) . وَقَدْ اسْتَعَارَ أَبُو ذُؤَيْبِ الثُّبَّاحَ لِلتَّمَرِضِ وَالْإِيْذَاءِ ، كَمَا فَعَلَ هَذَا ، فَقَالَ :

وَلَا هَرَّهَا كَلْبِي لِيُبْعِدَ قَفْرَهَا وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كِلَابُهَا
وَقَوْلُهُ « عَلَى نَأْيِهَا » مَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أُسْتَبْسِلُ مِنْ وَرَائِهَا بَعِيدَةً .

٣- دَعِ السَّيِّدَ إِنْ السَّيِّدَ كَانَتْ قَبِيلَةً تُقَاتِلُ يَوْمَ الرُّوْعِ دُونَ نِسَائِهَا
يقول : اَتْرُكْ ذِكْرَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَلَا تَطْلُبْ عَنْيِهِمْ ، فَإِنَّهَا قَبِيلَةٌ ذَاتُ أَنْفٍ وَإِبَاءٍ ، فَمَا لِحَقِّقَهُمْ مِنْذُ كَانُوا عَارِي حُرْمَةٍ ، وَلَا أَصَابَهُمْ سَبَابٌ عِنْدَ غَارَةٍ ، بَلْ كَانَتْ تَخْفِظُ عَلَى عِلَاتِهَا نِسَاءَهَا ، وَتُبْتَذِلُ عِنْدَ الْفَرْعِ مَصُونَاتِ نَفْسِهَا ، وَهَذَا تَعْرِيزٌ بِالْمُخَاطَبِينَ وَأَنْهُمْ بِمُخْلَافِ ذَلِكَ .

٣- عَلَى ذَاكَ وَذَوَا أُنْتَى فِي رَكِيَّةٍ تُجَدُّ قُوَى أَسْبَابِهَا دُونَ مَائِهَا
ذَاكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ لَا يُبْنَى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤَنَّثُ^(٢) ، وَيُشَارُ بِهِ إِلَى الْمُقْتَصِّ مِنَ الْحَالِ . يَقُولُ : وَعَلَى مَا ذَكَرْتُهُ فِيهِمْ ، وَمَعَ مُحَافَظَتِي عَلَى مَا يَجِبُ عَلَىَّ لَمْ ، لَيْسُوا إِلَى بَأْوِدَاءَ ، بَلْ يَتَمَنُّونَ أَنِّي فِي بَيْتٍ تُقَطِّعُ طَاقَاتُ حِبَالِهَا دُونَ الْوَصُولِ إِلَى مَائِهَا لِبُعْدِ قَفْرِهَا . وَهَذَا الْكَلَامُ إِعْلَامٌ بِأَن تَعَصُّبَهُ لَمْ ، لَيْسَ عَنْ مُصَادَقَةٍ بَيْنَهُمْ تَوْجِبُ إِعَارَةَ الشَّهَادَةِ فِيهِمْ ، أَوْ مُوَاخَاةَ تَوَلُّفِهِمْ وَتَعَطُّفِ أَوَاصِرِهِمْ عَلَيْهِمْ ، لَكِنَّهُ رَأَى حَقًّا فَقَالَ ، وَتَحَمَّلَ صِدْقًا فَأَذَاهُ . وَقَوْلُهُ « دُونَ مَائِهَا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِأَنَّ دُونََ لِلْقَاصِرِ عَنِ الشَّيْءِ . وَالتَّقْدِيرُ : تُجَدُّ الْقُوَى قَاصِرَةً عَنِ الْمَاءِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « إِذَا وَطِنَ عَلَى الْمَوْتِ وَاسْتَيْقَنَ » وَالتَّكْلُفَانِ مِنْ مٍ وَالتَّيْمُورِيَّةِ .

(٢) الْحَقُّ أَنَّ هَذَا أَحَدَ الْمَذَاهِبِ فِي اسْتِمَالِ كَافِ الْخُطَابِ الْمَصَاحِبَةِ لِأَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْمَلُهَا اسْتِمَالِ الْكَافِ الْأِسْمِيَّةِ فَتَطَابِقُ أَحْوَالِ الْخُطَابِ مِنْ أَفْرَادٍ وَتَثْنِيَّةٍ وَجَمْعٍ وَتَذْكِيرٍ وَنَأْنِيثٍ . انْظُرْ مَعَ الْمَوَاقِعِ (١ : ٧٦) وَشَرَحَ الْمَفْصَلَ (٣ : ١٣٥) .

١٩٢

وقال سنان بن الفحل^(١) :

١- وَقَالُوا قَدْ جُنِنْتَ فَقُلْتَ كَلَّا وَرَبِّي مَا جُنِنْتُ وَلَا انْتَشَيْتُ^(٢)

كان الواجب أن يقول قالوا جُنِنْتَ أَوْ سَكِرْتَ ، فاكنتي بذكر أحدهما لأن النفي الذي يتعقب في الجواب ينظمهما . ومثل هذا قول الآخر^(٣) :

فَمَا أَذْرِي إِذَا بَمَعَتْ وَجْهًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

لأن المراد أريد الخير وأجنب الشر أيهما يليني ، فاكنتي بذكر أحدهما لأن ما بعده يُبَيِّنُهُمَا : وإسكلاً موضعان : أحدهما أن يكون للردع والزجر ، وحينئذ يصح الاكتفاء به والوقف عليه . والثاني أن يكون للتنبيه كالألأ ، وحينئذ يحتاج ما بعده إلى ما يتم به . وسيدويه قصر تفسيره على أنه للردع والزجر . والشاعر أراد قال الناس في لما أظهرت إسكاري ، وتشددت في إبائي ، وتحفظت عند ما عرض وجشم ، واستفكفت مما يميم وكففت : إنه قد جن أو سكر . فزرتهم وردعتهم ، وحفت بالله نافياً لما نسبته إليه ووسمت به من الجنون والشكر جميعاً . ثم أخذ يبين كيف استنكر ما دُفِعَ إليه ، واشتاز بما عرض عليه حتى قيل فيه ما قيل . والانتشاء والنشوة : [الشكر^(٤)]

(١) التبريزي : « سنان بن الفحل أخو بني أم النكف ، من طيى » . وفي الخزانة

(٢ : ٥١٣) : « سنان بن الفحل شاعر إسلامي في الدولة المروانية » .

(٢) الخزانة : « قال أمين الدين الطبرسي في شرح الحماسة : قد عيب على أبي تمام إيراد مثل هذه الأبيات في باب الحماسة ، واليكاء على الظلم ضعف وعجز . والوجه فيه أن يكاده كان لمطليهم ما ليس لهم ولا سبيل له على الاعتناء والمغالاة فعل أهل الجاهلية ؛ إذ لا يرايب دين ولا يرهب سلطان » .

(٣) هو المثقب العبدى . المفضليات (٢ : ٩٢) .

(٤) التكملة من م والتمورية .

٢- وَلَكِنِّي ظَلَمْتُ فَكَدْتُ أَبْنِيكَ مِنْ الظُّلْمِ الْمُبِينِ أَوْ بَكَيْتُ
 لَكِنْ اسْتَدْرَاكَ بَعْدَ نَفْيِ . وَهَذَا الْكَلَامُ بَيَانُ مَا أَنْكَرَ مِنْهُ حَتَّى قِيلَ
 إِنَّهُ جُنٌّ . وَذَكَرَ الْبُكَاءَ يُرَى أَنْفَتُهُ وَامْتِعَاضُهُ ، وَإِنْكَارُهُ لِمَا أُرِيدَ ظُلْمُهُ فِيهِ
 وَاجْتِيَاضُهُ . فَأَمَّا الْعَرَبُ فَإِنَّهَا تَنْسُبُ أَنْفُسَهَا إِلَى الْقِسَاوَةِ ، وَتُعَيِّرُ مِنْ يَبْكِي لِذَلِكَ .
 [قَالَ مَهْلِيلٌ ^(١)] :

يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ
 يَقُولُ : لَكِنْ عُرِضَ عَلَى ضَيْمٍ لَمْ آفَهُ ، وَاسْتَنْزَلَتْ عَنْ حَقٍّ لِي طَالِ
 مُلَازِمَتِي لَهُ ، فَشَارَفْتُ الْبُكَاءَ أَوْ بَكَيْتُ . كُلُّ ذَلِكَ لِاسْتِنْكَافِي مِمَّا نَدَّبُونِي
 إِلَيْهِ وَتَعَجَّبِي مِمَّا رَاوَدُونِي عَلَيْهِ .

٣- فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءَ أَبِي وَجَدِّي وَبِئْرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوْبَتِ
 صَرَّحَ بِمَا أُرِيدَ غَضَبُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ : هُوَ مَاءُ مَوْرُوثٍ عَنِ الرِّسْلَافِ وَحِجِّي
 مَعْرُوفٌ بِي وَبِهِمْ ، سَلَّمَهُ النَّاسُ لَنَا عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ، وَبِئْرٌ تَوَلَّيْتُ اسْتِحْدَاثَهَا
 وَحَفَرَهَا وَطَبَّيْتُهَا . وَقَوْلُهُ « ذُو حَفَرْتُ » ذُو لُغَةٍ طَائِفَةٍ فِي مَعْنَى الذِّى . يَقُولُونَ :
 هَذَا ذُو قَالَ ذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ ذُو قَالَ ذَلِكَ ، وَصَرَرْتُ بِذُو قَالَ ذَلِكَ ، فَيَحْتَاجُ
 مِنَ الصَّلَةِ إِلَى مِثْلِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذِّى ، لَكِنَّهَا تَقَعُ فِي لُغَتِهِمْ لِلدَّكْرِ وَالْمَوْثِ
 وَلِهَذَا صَلَّحَ أَنْ يَقُولَ « وَبِئْرِي ذُو حَفَرْتُ » ، وَالْبِئْرُ مَوْثَةٌ .

٤- وَقَبْلَكَ رَبُّ حَضَمٍ قَدْ تَمَّالَوْا عَلَىٰ فَمَا هَلِفْتُ وَلَا دَعَوْتُ
 نَبِيَّةً عَلَى حُسْنِ ثَبَاتِهِ فِي وَجْهِ الْخُصُومِ ، وَتَمَرَّتْ بِهِ بِمَجَازِبِهِمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ،
 وَتَحَكَّكَ بِهِمْ عَلَى احْتِفَالٍ مِنْهُمْ فِي مَنَاوَاتِهِ سَالِفًا وَآفَاقًا ، فَيَقُولُ : وَقَدْ بُلِيتُ
 قَبْلَكَ بِقَوْمٍ لَدِي تَأَلَّبُوا عَلَيَّ وَتَعَاوَوْا ، فَلَمْ أَجْزَعْ إِمَامُيْتُ بِهِمْ جَزَعًا فَاحِشًا ،

(١) الكلمة من م والتميمورية .

ولا استنصرت عليهم غيري عند دفاعهم استنصارًا مكروهًا . والهلّعُ : الخشُّ الجزع . وتمّالوا ، هو تفاعلوا من قولهم هو مليّ بكذا . فإن قيل : كيف قال هَلِيتُ ، وقد قال فيما قبله : « فِكِدْتُ أبكى من الظلم المبيّن أو بكيتُ » وهل الهلّعُ إلا البكاء والجزع ؟ قلت : إنّ الهلّع هو الجزع الفاحش الذي يظهر فيه الخضوع والانقياد ، فهذا هو الذي انتضح منه ^(١) ، وزعم أنه لا يظهر عليه . والبكاء الذي ذكر أنه شارقه أو كاد يشارفه قد بينّا أنه كان منه على طريق الاستدكاف والامتعاض ؛ فإذا كان كذلك فإنه لم يكن عن تخشع وتذلّل ، ولا انقياد واستسلام ، وسلم الكلام من التناقض والفساد .

٥ - وَلِكِنِّي نَصَبْتُ لَهُمْ جَبِينِي وَأَلَّةَ فَارِسٍ حَتَّى قَرَيْتُ
يقول : وَلِكِنِّي صَبَرْتُ لَهُمْ ، وَانْتَصَبْتُ فِي وَجُوهِهِمْ ، وَهَيَأْتُ عُذَّتِي
وَسِلَاحِي لِدَفْعِهِمْ ، دَارِيًا فِي نُحُورِهِمْ ، مُحَلِّثًا لَهُمْ عَنْ وُرُودِهِمْ ، فَمَلَّ الْفَارِسُ الذَّابُّ
المانع يوم الحِيفَاز ، [حَتَّى ^(٢)] خَلَصْتُ مِنْ غَضَبِهِمْ حَتَّى ، وَقَرَيْتُ الْمَاءَ مِنْ
دُونِهِمْ فِي حَوْضِي . وَالْأَلَّةُ : الحربة ، وَجَمْعُهَا إِلَالٌ ، وَأَصْلُهُ الْبَرِيْقُ وَاللَّمَعَانُ .
وَالْقَرَى : الْجَمْعُ .

١٩٣

وقال جابر بن حريش

١ - وَلَقَدْ أَرَانَا يَا سُمَيُّ بِحَائِلٍ نَزَعَى الْقَرِيَّ فَكَا مِسًّا فَلَا صَفَرًا

(١) انتضح من الأمر ، بالضاد المعجمة : أظهر البراءة منه ، وفي جميع النسخ :
« انتصح » تحريف .

(٢) التكلة من م والتميمورية .

(٣) الظاهر أنه شاعر طائي .

- ٢- فالجزع بين ضباعة فرصافة فَعَوَارِضِ جَوِّ البَسَابِسِ مُقْفَرًا^(١)
 ٣- لَا أَرْضُ أَكْثَرُ مِنْكَ بَيْضَ نَعَامَةٍ وَمَذَانِبًا تَنْدَى وَرَوْضًا أَخْضَرًا^(٢)
 ٤- وَمُمَيَّنًا يَحْمِي الصُّورَا كَأَنَّهُ مُتَخَمِّطٌ قَطِمْ إِذَا مَا بَرَبَرًا^(٣)
 ٥- إِذْ لَا يَخَافُ حُدُوجَنَا قَذْفَ النَّوَى قَبْلَ الْفَسَادِ إِقَامَةً وَتَذِيرًا
 قوله « أَرَانَا » حكاية الحال ، وما يستمره ويتصل من الأفعال إذا أُريدَ
 فيه الإخبار عن الماضي قد بُوتى بلفظ المُستَقْبَلِ فيَوْضَعُ مَوْضِعَ بِنَاءِ الْمَاضِي .
 على ذلك قوله :

وَأَنذَ أَمْرُ عَلَى اللَّيْمِ بِسُبْنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ لَا يَغْنِينِي^(٤)

أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ أَمْرُ ، ثُمَّ قَالَ فَمَضَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ . كذلك هذا قال ولقد
 أَرَانَا ، ثم جاء في آخر الأبيات فقال : إِذَا لَا يَخَافُ حُدُوجَنَا قَذْفَ النَّوَى . فإن
 قيل : كيف جاز أن يقول أَرَانِي وَأَرَانَا ، وَأَنْتَ لَا تَقُولُ أَضْرِبُنَا وَلَا أَضْرِبُنِي ؟
 قلت : أفعال الشك واليقين يجوز ذلك فيها وإن امتنع في غيرها ، لأن تأثيراتها
 في المفعول الثاني من المفعولين ، إِذْ كَانَ الشَّكُّ وَالْيَقِينُ بَتَمَلُّقَانِ بِهِ لَا بِالْأَوَّلِ ،
 فصار لذلك المفعول الأول كأنه غير الثاني ، وكاللفظ الذي لا تأثير له في حصول
 الفائدة ، فَجَرَى الثَّانِي مِنَ الْأَوَّلِ لِذَلِكَ نَجَرَى الْأَجْنَبِيَّ . وَإِذَا قُلْتُ أَضْرِبُنِي
 أَوْ أَضْرِبْنَا لَمْ يَصِرْ أَحَدُ الضَّمِيرَيْنِ كَالْأَجْنَبِيِّ مِنَ الْأَوَّلِ لَا لَفْظًا وَلَا مَعْنَى ،
 والمعتاد في الفاعل والمفعول مغايرة الثاني للأول ، فلما كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ لَمْ

(١) التبريزي : « ويروى : رصافة ، بالضاد منتوحة » وأشار أيضاً إلى رواية :
 « حَوِّ البَسَابِسِ » ، قال : « والحَر : جمع أخوى ، وهو الأسود ، والمراد به البيت » .

(٢) م : « لَا رَوْضَ » .

(٣) التبريزي : « ويروى : مغيباً ، أَيْ ثَوْرًا لَهُ غَيْبٌ » . م : « يَحْمِي الصُّورَا » .

(٤) لرجل من بني سلول ، كما في الخزانة (١ : ١٧٣) .

يَجْزِي فِيهِ مَا جَازَ فِي الْأَوَّلِ . يُبَيِّنُ هَذَا أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ ضَرَبْتُ نَفْسِي أَوْ أَضْرَبُ نَفْسِي لَصَلَحَ ، لِتَغَايُرِ الْحَاصِلِ فِي اللَّفْظِ ، فَأَعْلَمَهُ .

وقوله حائل : اسم وادٍ . والقريئ : مجرى الماء إلى الروضة ، وكامس والأصفر : مكانان . وضباعه ورصافة : جيلان ، وكذلك عوارض^(١) . وجو البسائس أى داخل البسائس ، وهى الفاوز الباسعة الخالية . والجو : الهواء بين السماء والأرض أيضاً . والمقفر : الصائر فى القفر ، وهو المكان الخالي . وانتصب جو على الظرف ، ومقراً على الحال .

ومعنى الأبيات : كُنَّا نَرَى أَنْفُسَنَا يَأْتُمُّهَا بِهَذَا الْوَادِي ، وَنَحْنُ نَنْتَقِلُ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِعِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا ، وَنَتَحَوَّلُ^(٢) بَيْنَ هَذِهِ الْمَنَاجِعِ الَّتِي عَدَدْتُهَا الْحَاصِلَةُ [فِي] جَوِّ الْأَرْضِينَ لِلْمُسْتَوِيَةِ ، وَفِي أَثْنَاءِ الْأَرْضِينَ الْمُقْفَرَةِ ، وَلَا أَرْضَ أَكْثَرَ خِصْبًا مِنْ أَرْضِكَ وَخَيْرًا ، وَأَنْدَى مَذَانِبَ وَتِلَاعًا ، وَأُخْوَى لَبِيضِ النَّعَامِ ، وَأَجْمَعُ تُلُحُضِ الرِّيَاضِ الَّتِي يَسْتَوِطِنُهَا الْوَحُوشُ مِنَ الْبَقَرِ وَغَيْرِهَا ؛ وَتَوَزُّهَا بِحِفْظِ قَطِيعَةٍ وَكَأَنَّهُ لِنَشَاطِلِهِ إِذَا جَارَ فَلَاحِلٌ مُتَفَضِّلٌ أَبَاقًا أَمِنًا عَادِيَةً النَّوَى . وَبَاقَةُ الدَّهْرِ وَالْأَذَى ، وَلَمْ تَخَفْ نِسَاؤُنَا مِنْ تَرَاجِي الْفُرْبَةِ ، وَتَقَاذِفِ الشُّقَّةِ ، وَلَمْ يَفْعَ بَيْنَ الْعِشَائِرِ حَرْبُ الْفَسَادِ ، وَضُرَرُ التَّهَاجُرِ وَالْبِعَادِ ، وَنَحْنُ مُتَدَيِّرُونَ وَمَقِيمُونَ ، وَفِي أَنْوَاعِ النِّعْمَةِ وَالنِّعْمَةِ مُتَرَدِّدُونَ ، وَلِدَارِ السَّلَامَةِ وَالتَّخَفُّضِ مُسْتَوِطِنُونَ .

وهذا الكلام تحشُرُ في إثرِ أيامِ السَّلَامَةِ ، وَتَشَكُّ مِنْ أَيَّامِ الْفِتْنَةِ .
وقوله « إِذْ لَا يَخَافُ » ظرفٌ لقوله وتقدأرانا . وقوله « قَبْلَ الْفَسَادِ » بدلٌ منه ، وَالْمَذَانِبُ : مَسَابِلُ الْمِيَاهِ . وَمَعْنَى « أَكْثَرُ مِنْكَ بَيْضَ نِعَامَةٍ » أَكْثَرُ مِنْ أَرْضِكَ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ ، وَانْتَصَبَ « بَيْضَ » عَلَى التَّمْيِيزِ . وَقَوْلُهُ

(١) التبريزى : « وعوارض : جبل عليه قبر حاتم الطائي » .

(٢) نتحول ، الحاء المهملة فى جميع النسخ .

« ومذانباً » انتصب على أنه معطوف على بيض نعامه ، وتندى في موضع الصفة للذائب ، أى ندبة ، وكذلك « وروضاً » و « معيناً » . المعين : الثور الكبير العين ، والصَّوار : القطيع ، واشتقاقه من صُرته أى قطعته . والحدوج : المراكب ، ونسب الخوف إليها مجازاً ، لأن المراد بها النساء ، وقوله « متخبطٌ » شبه الثور بفعل له سورة وجلبة ، لاهتياجه وغضبه ، ومنه قيل للبحر إذا التطمّت أمواجه : هو سخط التيار . والقطم : الهائج . وبربر : صَوّت . وقذف النوى : رميه . وقوله « قبل الفساد » يريد قبل حرب الفساد ، وإنما سميت بهذا الاسم لأن بعضهم كان يشرب في قحف رأس صاحبه إذا قتله ، وبخصف نعله بأذنه ، إظهاراً للنشئ . وانتصب « إقامة على أنه مصدر لعله ، وبجوز أن يكون في موضع الحال ، فتقدير الأول : لا تخاف قذف النوى لإقامتنا وتدنا ، وتقدير الثانى : لا تخافه مقيمين ومتدبرين . ويقال ما بالدار دبارٌ ، ودارى ، ومنه قوله :

* لَبَّثْ قَابِلًا يَلْحَقِ الدَّارِيُونَ^(١)

والأصل فى تدبر الواو ولكنّه بنوّه على دبار ، لإلغائهم له بكثرة تردده فى كلامهم .

١٩٤

وقال إياس بن مالك^(٢) :

١- سَمَوْنَا إِلَى جَيْشِ الْحُرُورِ بَعْدَمَا تَنَازَرَهُ أَعْرَابُهُمْ وَالْمُهَاجِرُ

(١) الرجز فى المقابيس واللسان (دور) . وقد فسر الدارى بأنه رب النعم والمال ، سمى بذلك لأنه مقبم فى داره .

(٢) هو إياس بن مالك بن عبد الله بن خبيرة المعنى الطائى ، شاعر من شعراء صدر =

يقول: سَمَتْ أَبْصَارُنَا وَنَفُوسُنَا، وَارْتَفَعَتْ هِمَاتُنَا إِلَى مُحَارَبَةِ الْحُرُورِيَّةِ -
وَمِنْ فِرْقَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ - بَعْدَ اسْتِدَادِ شَوْكَتِهِمْ وَتَكَافُفِ عُدَّتِهِمْ، وَحِينَ
تَحَايَى جَيْشُهُمْ بَادِيَ النَّاسِ وَحَاضِرُهُمْ، حَذَرَ نَاحِيَتِهِمْ وَقَصَدَهُمْ عَرِيشُهُمْ
وَمُهَاجِرُهُمْ. وَأَرَادَ بِالْمُهَاجِرِ مَنْ تَرَكَ الْبَلَدَ وَانْتَقَلَ إِلَى الْأَمْصَارِ.

٢- بِجَمْعٍ تَظَلُّ الْأَنْكُمُ سَاجِدَةً لَهُمْ وَأَغْلَامُ سَلَمَى وَالْهَضَابُ النَّوَادِرُ^(١)
الباد من قوله «بِجَمْعٍ» تَعَلَّقَ بِسَمَوْنَا، يُرِيدُ قَصْدَنَا بِجَيْشٍ كَثِيفٍ
يَلْحِقُ الْحَزْنَ بِالنَّهْلِ، وَيُسَوِّي الْهَضَابَ بِالْأَرْضِ إِذَا سَارَ عَلَيْهَا إِكْتَرَتْهُ.
وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ:

* تَرَى الْأَنْكُمُ مِنْهُ سُجَّدًا لِلْخَوَافِرِ^(٢) *

وَأَصْلُ الشُّجُودِ الْخُضُوعُ، كَأَنَّهَا تَصِيرُ لَهَا تَرْابًا. وَالْأَنْكُمُ: جَمْعٌ، يُقَالُ
أَكْمَةٌ وَأَكْمٌ، وَإِكَامٌ وَأَكْمٌ^(٣). وَسَلَمَى: أَحَدُ جِبَلِي طَيْيٍّ. وَالْهَضَابُ: جَمْعُ
هَضْبَةٍ، وَهِيَ مَا انْبَسَطَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجِبَالِ. وَالنَّوَادِرُ: الْمُرْتَفَعَةُ، وَكُلُّ
شَيْءٍ زَالَ عَنْ مَكَانِهِ فَقَدْ نَدَرَ؛ وَمِنْهُ نَوَادِرُ الْكَلَامِ. وَجَمَلُ سَلَمَى أَعْلَامًا
لِامْتِدَادِهِ وَاتِّصَالِ جِبَالِهِ بِهِ.

٣- فَلَمَّا أَدْرَكَنَاكُمْ وَقَدْ قَلَصَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى الْحَيِّ خُوصٌ كَالْحَيِّ ضَوَائِرُ
أَدْرَكَ: أَفْتَعَلَ مِنَ الْإِدْرَاكِ، وَهُوَ فِي مَعْنَى أَدْرَكَ. وَقَلَصَتْ: ارْتَفَعَتْ.

الإسلام. وكان من خبر الشعر أن جيدها لنجدة الحروري عليهم رجل يقال له أبو عمرو كان
غير على العرب، وفعل ذلك بني أسد وطيب حتى مر بني من ففعلوا ذلك بهم ومضوا، ثم إن
بني من قدامروا، وحرضن بعضهم بعضاً على القتال، وأقبلوا في أثرهم ومعهم كتاب من النبي
صلى الله عليه وسلم فأخرجوه واستقبلوا القبلة وحلوا عليهم فهزمومهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة،
فذلك حيث يقول إياس هذه الأبيات. وقد زعموا أن قاتل هذه الأبيات مروان بن عبد الله
ابن حنبل. والأبيات ٥ - ٧ في اللسان (قدر) منسوبة إلى إياس.

(١) م والتيمورية والتبريزي: «ساجدة له».

(٢) أنشد هذا المعجز في اللسان (سجد). (٣) يقال بضم الكاف وسكونها.

وقد كُنِيَ عن طول القوائم بالتَّقَامِصِ قَظِيلٌ فِي وَصْفِ الْفَرَسِ مُقْلَصٌ ، وَلِلرَّادِ ذَلِكَ . وَيُقَالُ لِلشُّمْرِ : هُوَ مُقْلَصٌ أَسْفَلَ السَّرْبَالِ ، كَمَا قِيلَ هُوَ مَشْقُوقُ ذَيْلِ الْقَمِيصِ . وَالْحَيُّ : الْقَيْسِيُّ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَعْمَانِهَا ؛ فَهُوَ قَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ ، فَيَقُولُ : حِينَ لِحَقْفَانِهِمْ كَانَتْ خَفَّتْ بِهِمْ وَشَمَّرَتْ إِلَى الْحَيِّ خَيْلٌ غَائِرَةُ الْعِيُونِ ، لِاحِقَةِ الْبَطُونِ ، كَانَتْ فِي ارْتِفَاعِ جَنُوبِهَا قَيْسِيٌّ مَأْطُورَةٌ . وَلَمَّا يَقْتَضِي جَوَابًا ، وَهُوَ فِيمَا يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِ . وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ « وَقَدْ قَاصَتْ بِهِمْ » وَآوُ الْحَالِ .

٤ - أَنْخَنَّا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُمْ وَزَادْنَا جِيَادَ السُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ الْخَوَاطِرُ

يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى إِلَيْهِمْ عِنْدَهُمْ ، فَقَدْ حُكِيَ : لَا تَذْكُرْ فَلَانًا إِلَى بَسْوَةٍ ، أَيْ عِنْدِي . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْإِتْمَاءُ ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ : أَنْخَنَّا إِلَى فِتْنَتِهِمْ وَبِزَائِهِمْ . وَأَنْخَنَّا هُوَ جَوَابُ لَمَّا . يَقُولُ : لَمَّا أَدْرَكْنَاهُمْ ثُمَّ سَامَيْنَا جَيْشَهُمْ بِمِثْلِهِ عَدَدًا وَعُدَّةً ، وَجَازَيْنَاهُمْ بِأَشْبَاهِهِمْ فُرْسَانًا وَرَجَالَةً ، وَزَادْنَا سِيُوفَ مُنْتَخَلَةٍ^(١) وَرِمَاحَ لَذَّةٍ مُتَقَفَّةٍ . وَإِنَّمَا قَالَ « أَنْخَنَّا » لِمَا اسْتَمَرَّتْ بِهِ عَادَتُهُمْ مِنْ رُكُوبِ الْإِبِلِ وَقَوْدِ الْخَيْلِ إِلَى الْفَارِ ، لِإِبْقَاءِ عَايِلِهِمْ ، وَإِعْدَادًا لَوَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا . وَالْخَوَاطِرُ مِنَ الْخَطَرِ ، وَأَصْلُهُ التَّحَرُّكُ .

٥ - كِلَا ثَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرٌ

« كِلَا ثَقَلَيْنَا » أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ جَمَاعَتَيْنَا . وَالثَّقَلُ : الْجَمَاعَةُ . وَالثَّقَلَانُ : الْجُنُودُ وَالْإِنْسُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : ثَقُلَ الرَّجُلُ : حَشَمُهُ وَمَتَاعُهُ . وَقَوْلُهُ « بِغَنِيمَةٍ » ، أَيْ بِسَبَبِ غَنِيمَةٍ . وَالْمَعْنَى : كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَارِسَيْنِ^(٢) طَامِعٌ فِي اغْتِنَامِ صَاحِبِهِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « مُنْتَخَلَةٌ » وَفِي م : « مُنْتَخَلَةٌ » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتْنَا مِنَ التَّيْمُورِيَّةِ . وَالْمُنْتَخَلَةُ : الْمُخْتَارَةُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الصَّقِقِ ، فِي الْلسَانِ (فَرَسٌ) :

نَمْلُوهُمْ بِقَضْبٍ مُنْتَخَلَةٍ لَمْ تَعُدْ أَنْ أَفْرَشَ عَنْهَا الصَّقْلَةَ

(٢) الْفَارِ : الْجَمْعُ الْكَثِيرُ مِنَ الْفَارِسِ ، وَقِيلَ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ . وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَخْنَفِ :

« وَمَا أَسْنَعُ بِهِ إِنْ كَانَ جَمْعٌ بَيْنَ غَارَيْنِ مِنَ النَّاسِ » .

أَيَّ يَمْدُهُ غَنِيمَةً ، لِنَفْتِهِ بِبَاسِهِ وَنَجْدَتِهِ . وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَدَّرَ مِنَ الْإِظْفَارِ وَإِعْطَاءِ الْفَلَجِ وَالْقَلْبَةِ مَا قَدَّرَهُ ، لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ ، وَلَا مُعَقِّبَ لَأَمْرِهِ . وَيُقَالُ قَدَّرْتُ مِنَ التَّقْدِيرِ ، قَدَرًا وَقَدْرًا . و« مَا هُوَ قَادِرٌ » إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ مَا مَوْصُولًا بِمَعْنَى الَّذِي ، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ مَوْصُوفًا بِمَعْنَى شَيْئًا . وَعَلَى الْوَجْهِينِ وَجَبَ أَنْ يَقُولَ مَا هُوَ قَادِرُهُ ، خَذَفَ الضَّمِيرَ تَخْفِيفًا .

٦- فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَالِبًا وَمُسْتَلَبًا سِرْبَالَهُ لَا يُنَاكِرُ

قوله « كَانَ أَكْثَرَ سَالِبًا » مِنْ صِفَةِ الْيَوْمِ ، وَالْمُنْضَلُ مَحْذُوفٌ الذِّكْرُ ، كَأَنَّهُ قَالَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَانْتَصَبَ « سِرْبَالَهُ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ ثَانٍ مِنْ مُسْتَلَبًا . وَ« لَا يُنَاكِرُ » فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ وَأَكْثَرَ مُسْتَلَبًا ذَا صِفَتِهِ . وَمَعْنَى لَا يُنَاكِرُ : لَا يَقْدَرُ عَلَى الْامْتِنَاعِ . يُقَالُ نَاكَرَنِي ، أَيَّ دَا قَعَنِي وَمَا نَعَنِي . يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ يَوْمًا حَصَلَ فِيهِ مِنَ السَّالِبِينَ وَالْمُسْلُوبِينَ مِثْلُ مَا اجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا وَقْعَةً أَظْهَرَ حَالًا وَأَكْشَفَ أَمْرًا فِي قُوَّةِ غَالِبِيهَا وَضَعْفِ مَغْلُوبِيهَا ، وَاسْتِسْلَامِ الْمُقَهُورِ الْمُسْلُوبِ وَاسْتِعْلَاءِ الْقَاهِرِ السَّالِبِ ، مِنْ تِلْكَ الْوَقْعَةِ .

٧- وَأَكْثَرَ مِنَّا يَافِعًا يَنْتَفِي الْمَلَى يُضَارِبُ قِرْنَا دَارِحًا وَهُوَ حَايِرٌ

فِي هَذَا أَيْضًا خَذَفَ وَإِيجَازُ كَمَا كَانَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَلَمْ أَرِ قَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ شَابًّا يَطْلُبُ الصِّيتَ وَالذِّكْرَ ، وَيَفِيءُ عَنِ الْغَنِيمَةِ فِي الرُّوْعِ ، فَيُضَارِبُ نَظِيرًا لَهُ فِي الْبَاسِ مُسْتَلَبًا ، وَهُوَ يَنْزِلُهُ حَايِرًا مُتَجَرِّدًا - مِنْ قَوْمِنَا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ حَايِرٌ » حَالٌ لِلْمُضَمَّرِ فِي يُضَارِبُ ، وَيُضَارِبُ وَيَنْتَفِي جَمِيعًا صِفَتَانِ لِقَوْلِهِ يَافِعًا ، وَعَلَى هَذَا قَدْ خَذَفَ حَرْفَ الْعُطْفِ مِنْ قَوْلِهِ يُضَارِبُ ، لِأَنَّ الْجُمْلَةَ حَتْمًا إِذَا وُصِفَ بِهَا النَّسِكَرَاتُ أَنْ يُنْسَقَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِحَرْفِ

المطف . ويجوز أن يكون يضاربُ في موضع الحال مما في يبتغي . واليافع :
 الشابُّ المتناهي الشَّبَابَ ، والفعل منه أَيْفَعَ الغُلامُ وَتَيْفَعَ . وبابُ يَفَعَ مقصورٌ
 على الارتفاع والإشراف في الجبل والأرض وغيرهما . ويقالُ غُلامٌ يَفَاعُ وَيَفَعَةُ
 وَيَافِعٌ ، ولا يُقالُ مَوْفِعٌ . وجعلَ القِرْنَ دَارِعاً وصاحِبَه حاسِراً ، تفضيلاً له
 عليه . وقد يوصَفُ المدوح بلبس الدَّرْعِ ويُرادُ به حَزَامَتُهُ وتحرُّزُهُ ، كما يوصَفُ
 بِضِدَّةٍ وَيُرَادُ وَجُرْأَتُهُ .

٨- فَمَا كَلَّتِ الْأَيْدِي وَلَا أُنَاطَرُ الْقَنَا وَلَا عَثَرَتْ مِنَّا الْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ

نبه بهذا الكلام على تساعُدِ أحوالهم فيما تردّدوا فيه ، وتناصُرِ أسبابهم عندما
 لا يسوّه ونهضوا له . وإمكانُ الفرصِ فيما يُقَرَّبُ التمسُّكُ من العدوِّ ، وارتفاعُ
 العِللِ من مُوجِبَاتِ القَهْرِ والمَلَوِ . فيقول : قَوِيَتْ أَيْدِي المقاتلين منا فلم يَمَسَّهَا
 لُغُوبٌ ، وَوَقَّتِ الأسلحةُ بمواعيدها من البقاء فلم يَخْنُ رُمَحُ [منها ^(١)] بانكسارٍ
 وفُتُورٍ ، وَلَا سَيْفٌ يَنْبُوُّ وَكُلُولٌ ، وَلَا خَذَلْتَنَا جُدُودُنَا فَمَالَتْ إِلَى تَمَثُّرٍ
 أَوْ سَقُوطٍ . وإذا توارزت هذه الأسبابُ وتعاونتْ ، فحصل الجِدَّةُ والجَدَّةُ ،
 وانزاحت العِللُ في الدَّواعي والآلاتِ ، كان الكَمالُ في نَيْلِ المُرَادِ . وقوله
 « أُنَاطَرُ » في معنى انمطف وتَنَتَّى . يُقالُ أَطَرْتُهُ فَأُنَاطَرَ ، ومنه إِطَارُ ^(٢) البابِ
 والمُنْخَلِ . وقوله « وَلَا عَثَرَتْ مِنَّا الْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ » ، مثل قول الآخر ^(٣) :

* وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ ^(٤)

لأنه لم يُنَبِّتْ لأنفسِهِم جدوداً من شأنها أن تَزِلَّ وتَفْتُرَ ثُمَّ نَفَى ذلك عنها

(١) هذه من م والتميمورية .

(٢) في الأصل : « إِطَارَات » وأثبتنا ما في م والتميمورية .

(٣) هو ابن أحر . الخزاعة (٤ : ٢٧٣) .

(٤) صدره : * لَا تَفْزَعُ الْأَرْفَبُ أَمْوَالَهَا .

في ذلك اليوم ، بل أراد أنهم لا جدود لهم بهذه الصفة ، كما أن الشاعر الآخر
أراد لا ضب فينجحر . ومعنى الكلام : كان القلب لنا وتعثرت جدود غيرنا .

١٩٥

وقال الآخرم السنبسى^(١) :

١ - أَلَا إِنَّ قُرْطًا عَلَى آلَةٍ أَلَا إِنِّي كَيْدُهُ مَا أَكِيدُ^(٢)

يقال : فلان لى على حالة وعلى آلة ، إذا تنكّر وتغيّر عما كان يُفهمد عليه .
من قبل . وهذا يجرى مجرى الكنايات . ويُقال أيضا : حصل فلان لنا على
لون ، يراد على لون مذموم . فيقول : إن هذا الرجل تمول عما كان يجرى
عليه معى ، إلى أمر أنكره ولا أغرفه ، ألا إننى أكيد كيدَهُ ، أى أقابل
كيدَهُ لى بكيدٍ مثله . وما زائدة ، وتلخيصه : أكيد كيدا يماثل كيدَهُ لى .
وهذا كما يُقال ضربه ضرب غريبة الإبل . والمعنى : أفتدى به فيما تنطوى لى
عليه ويعاملنى به ، لا أبتدئه بمساءة ، ولا أعاجله بمكر وخيانة ، بل أقلده
البغى ، وأنتظر من جهته الخوول والنسك ، ثم أجازيه كليل الصاع بالصاع .

٢ - بَعِيدُ الْوَلَاءِ بَعِيدُ الْمَحَلِّ مَنْ يَنَأُ عَنْكَ فَذَاكَ السَّعِيدُ

يَذُمُّ قُرْطًا فيقول : هو بعيد النضرة والوالة ، أى بطيها ، بعيد الدار
والمسكن ؛ يعنى تفانيها . ثم قال : مَنْ بَعْدَ عَنْكَ فَقَدْ سَعِدَ جَدُّهُ . نقل الكلام
عن الإخبار إلى الخطّاب على عادتهم في افتنانهم ، وكأنه التفت إليه برّيه الزّهادة .

(١) الآخرم ، بالغاء المعجمة بعدها راء مهمله . وفي الأصل والتميمورية : « الآخرم » ،
وأثبتنا ما فى م والتبريزى . التبريزى : « قال أبو هلال : إن سنبس امرأة عمرو بن القوث
ابن طيسى ولدت له ثعل ونهبان ، فهم يسمون بها » وفي القداموس إن سنبس بن معاوية بن
جروول ، أبو حى من طيسى .

(٢) التبريزى : « قرط : جل من سنبس » .

فى مجاورته ، والاستغناء عن معونته ، واكتفاءهم بأنفسهم دونه ، فقال ذلك بعد ما أخذ فى وصفه .

٣ - وعِزُّ المَحَلِّ لَنَا بَاطِنٌ بِنَاءُ الإِلَهِ وَتَجْدُّ تَلِيدُ

الماء من قوله « بِنَاءُ الإِلَهِ » يجوز أن يكون لازماً ، ويجوز أن يكون للمحل . فإذا جعلته للعز فالأجود أن ينمطف تجدُّ على الإله ، كأن العزَّ حصل للمحلِّ بالله تعالى وبمجد الآباء . وإذا جعلته للمحلِّ يجوز أن يرتفع وتجدُّ بالابتداء ، ويكون الكلام منمطفاً والتجدرُ محذوفاً ، كأنه قال : ولنا تجدُّ تليدٌ . وبناء الإله فى موضع الحال للمحلِّ ، والأجود أن يضمَّ معه قد . وإنما يفتخر بأن بلادهم حصينة ، وديارهم عزيزة . وذلك أن بلاد طيِّئٍ يكتنفها جبالهم أجا وسلمى ، فلا تستطيرُ فهم القارات ، ولا تهجم عليهم سوابق الفلكنات والنزوات . فيقول : عزُّنا فى دارنا ظاهرٌ للناس غيرُ خافٍ ، أنزنا الله تعالى به ، ولنا تجدُّ متوارث . وأصلُ المجدِّ الكثرة . والتاليدُ والتليد : القديم .

٤ - وَمَأْثَرَةُ المَجْدِ كَانَتْ لَنَا وَأَوْرَثْنَاهَا أَبُونَا لَيْيْدُ^(١)

مأثرة : منمطة من أنثرت الحديث ، إذا رفته ونسبته . يريد : أن العزَّ اجتمع لهم مكتسباً وموروثاً ، وتالداً وطريقاً ، ومحولاً من عند الله تعالى تخويلاً ، فلم يذلَّ صيتٌ فى الناس بؤثر ، وذكرٌ على مرِّ الأيام يخلد ، وثباتٌ يتصل ولا ينقطع ، وسنلا يستمر ولا ينفُ ، كما كان لأبيهم لييد .

٥ - لَنَا بَاحَةٌ ضَبْسٌ نَابَهَا يَهُونُ عَلَى حَامِيَنِهَا الوَعِيدُ

الباحة : الساحة . والضبس : الشديد . ويقال هو ضبس شرس ، فى الحريص

(١) هو لييد بن سبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الفوث بن طييه .
نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) والأغانى (١٤ : ٩٠) .

الشديد . والناب : سيّد القوم . وأراد بالهاميين جبّليّ طيّ^(١) ، والضميرُ منها يعودُ إلى السّاحة . ويجوز أن يريد بالناب واحد الأنياب ، وجعله مثلاً للشّدّة . وذكر الباحة والمراد أهلها ، كما قال الآخر^(٢) :

وإن مُقَرَّمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ تَحَمَّطَ فِيْنَا نَابٌ آخَرَ مُقَرَّمٍ

يقول : لفساحة دار رئيسها والمدافع عنها شكس الخلق ، شديد الإباء على الأعداء ، يهون وعيد المتوعدين على النازلين في جوانب جبليّتها ، المانعين منها . وقوله « على حاميتها » حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

٦ - بها قُضِبَ هِنْدُوَانِيَّةٌ وَعِيصٌ تَزَارُ فِيهِ الْأَسْوَدُ

٧ - ثَمَانُونَ أَلْفًا وَلَمْ أَحْصِهِمْ وَقَدْ بَلَغَتْ رَجْمَهَا أَوْ تَزِيدُ

نبّه بهذا الكلام على أن ديارهم تحوى المدد والمدة ، فرجالهم أسود في مأسدتها تزير فيها^(٣) ، وسلاحهم الهندوانيّة يستعملونها^(٤) . والعيص : الأصل الكريم ، ومتاب كرائم الأشجار الملتفة ، ومنه قولهم « أغياص قريش » لكرامهم وقوله « ثمانون ألفا » هو تبين كميّة ما أشار إليه ، وتفصيل ثروتهم بعد الإجمال ، فقال : هو ثمانون ألفا ، ولست أقول هذا عن إحصاء وعدة ، أو ضبط بعد حصر ، لكنّه رجم منى وحّدس ، فهم يبلغونه أو يزيدون عليه . وتحقيق قوله « لم أحصها » ، لم اضبط كثرتها . والحصاة تستعمل في الكثرة والعقل . وقوله « وقد بلغت رجمها » ، أى رجمي لها ، أضيف المصدر إلى المفعول .

(١) التبريزي : « وقيل حامياها : جانبها الأيمن منها مثل حوامى الحصن ، وهى البروج . وقيل : حامياها : الخيل والسلاح .
(٢) هو أوس بن حجر . ديوانه ص ٢٧ .
(٣) يقال هذا للفعل من باب ضرب ومنع وسمع .
(٤) الهندوانية بضم الهاء وكسر ها ، مع ضم الدال : منسوبة إلى الهند على غير قياس .

١٩٦

وقال عبد الرحمن المعنى^(١) :

١ - قد قَارَعَتْ مَعْنٌ قِرَاعًا صُلْبًا

٢ - قِرَاعَ قَوْمٍ يُحْسِنُونَ الضَّرْبَا

٣ - تَرَى مَعَ الرَّوْعِ الْغُلَامَ الشَّطْبَا

٤ - إِذَا أَحْسَّ وَجَعًا أَوْ كَرْبَا

٥ - دَنَا فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبَا

٦ - تَمْرُسُ الْجُرَبَاءَ لَافَتْ جُرْبَا

أصلُ القَرَعِ الضَّرْبُ على الشَّيْءِ الصُّلْبِ . وَمَعْنٌ : قَبِيلَةٌ . يريدُ أنها ضَارَبَتْ أَعْدَاءَهَا ضِرَابًا شَدِيدًا ، ودَافَعَتْهُمْ دِفَاعًا مَرْضِيًّا ، ضِرَابَ قَوْمٍ لَمْ نَبْقِةً^(٢) حَسَنَةً فِي الْقِتَالِ ، وَأَخَذَةً مَجْبِيَّةً فِي الْلِقَاءِ ، يَهْتَدُونَ لِلْغِلَابِ وَالْإِعْتِلَاءِ أَحْسَنَ اهْتِدَاءٍ ، وَيَتَأَتَوْنَ لِلْقِرَاعِ مِنْ أَقْرَبِ غَايَةٍ وَإِلَى أْبَعَدِ انْتِهَاءٍ ؛ تَرَى عِنْدَ اهْتِجَاجِ الْفَزَعِ الْغُلَامَ التَّامَّ الْقَامَةَ مِنْهُمْ ، الْقَلِيلَ اللَّحْمِ ، الْمَطَاوِلَ عِنْدَ مِبَارَازَةِ الْخَصْمِ مَتَى أَذْرَكَ وَجَعًا ، أَوْ أَحْسَّ شِدَّةً وَضِيقًا ، يُقَدِّمُ وَلَا يُخَيِّمُ ، بَلْ يَزْدَادُ عَلَى حَدِّ الْحِذَابِ مُصَادِمَةً ، وَعَلَى طَوْلِ الْمِرَاسِ مَكَاغِحَةً وَمَكَاغِفَةً ، فَيَحْتَكُّ بِالْأَبْطَالِ فِي الْمَوَاقِفِ احْتِكَكُ الْإِبِلِ الْجُرَبِيِّ فِي الْمَعَاطِنِ .

(١) شاعر إسلامي ، قال هذه الأرجوزة في لقاء بني معن الحوورية ، كان نص التبريزي . وانظر أول الحماسة السابقة . التبريزي : « قال أبو هلال : هذا الشاعر يعرف بمقرس - بفتح الميم والقاف ، والسین غير معجمة - أحد بني معن بن عتود ، ثم أحد بني حنظل بن معن » .

(٢) النبقة ، بالكسر : اسم من التثوق بمعنى التأنيق . وهو التجود والمبالغة .

قوله « تَرَى مع الرُّوع » أى عند حصول الرُّوع لا يتأخر عنه ، فهو معه يَقُومُ بقيامه ، ويحتاج باهتياجه .

وقوله « إِذَا أَحْسَّ » ظَرَفَ لقوله دَنَا . وَاِنتَصَبَ « تَحَكُّكٌ »^(١) على أنه مَصْدَرٌ من فِعْلٍ دَلَّ عليه قوله « فَمَا زِدَادُ إِلَّا قُرْبًا » .

وقوله « لَأَقْتِ جَزْبِي » يجوز أن يكون جمع أَجْرِبَ وَجَرِبَ كَأَحَقِّ وَحَقِّ وَحَقَّى . ويجوز أن يكون مقصوراً من جَرْبَاء ، والشاعر أن يَقْصُرَ الممدود . أى تَحَكُّكُ الجَرْبَاءِ لَأَقْتِ جَرْبَاءَ مِثْلَهَا . ويجوز أن يُرْوَى « جَرْبَاءَ » بضم الجيم ، فيكون كَأَسْوَدَ وَسُودٍ ، وَأَقْلَفَ وَقُلْفَ .

١٩٧

وقال عبيد بن ماوية^(٢) :

١ - أَلَا حَى لَيْلَى وَأَطْلَالَهَا وَرَمَلَةَ رِيًّا وَأَجَبَ—الْهَآ

يَخَاطَبُ نَفْسَهُ مُظْهِراً لَتَجَلَّدَ ، وَتَبَجَّحاً بِأَنَّ الشَّدَائِدَ لَا تُنْسِيهِ الْأَحِبَّةَ وَلَا تَفْتَاكُهُ عَنِ النَّسْلِيمِ عَلَيْهَا ، وَالْوُقُوفَ عَلَى مَنَازِلِهَا وَمَسَائِلِهَا^(٣) ، وَأَنَّهُ مَتَى مُنِيَ بِهَا أَهْمُهُ أَمْرُهَا أَشَدَّ مِمَّا كَانَ قَبْلُ ، وَلَمْ يَلْهُ عَنْهَا ؛ فَيَقُولُ : سَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ وَعَلَى دِيَارِهَا ، وَعَلَى رِمَالِ رِيًّا وَالْجِبَالِ الْحَيْطَةِ بِهَا ، وَإِنْ طَرَفَكَ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا يَشْغَلُ عَنْ مِثْلِهِ .

٢ - وَأَنْعِمَ بِمَا أَرْسَلْتَ بِالْهَآ وَنَالَ التَّحِيَّةَ مَنْ نَالَهَا

قوله « بِمَا أَرْسَلْتَ » أى بَدَلًا مِمَّا أَرْسَلْتَ . وَمَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مَصْدَرٍ ، يَعْنِي بِإِزْسَالِهَا . وَتَقُولُ الْعَرَبُ : هَذَا بِذَلِكَ ، أَيْ عِوَضٌ مِنْهُ ، وَهَذَا لِكَانِ مِنْ ذَلِكَ

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخ . وَالْوَجْهَ « تَمَرَسَ » كَمَا هُوَ نَصُّ الشُّعْرَى فِي جَمِيعِهَا .

(٢) عبيد ، ضَبَطَ بَفَتْحِ الدِّينِ وَكَسَرَ الْبَاءَ فِي الْأَصْلِ . وَضَبَطَ بِالتَّصْنِيفِ فِي م وَالتَّبَرِيزِ .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ م وَالتَّيْمُورِيَّةِ .

في معناه . وعلى هذا قول الشاعر^(١) .

لَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهْيَانِ
أَيِ عِوَضًا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ . وَالْبَالُ وَالْخَلْدُ يُسْتَعْمَلَانِ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ،
يقولون : وَقَعَ فِي خَلْدِي كَذَا ، وَسَقَطَ عَلَى بَالِي وَخَطَرَ بِيَالِي . والمعنى : قل أنعم
الله بآلها ، جَوَابًا لِتَحِيَّاتِهَا ، وَجَزَاءً عَلَى مُرَاسَلَتِهَا . وَقَوْلُهُ « وَنَالَ التَّحِيَّةَ مَنْ نَالَهَا »
يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ . يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَأَصَابَ الْمُلْكُ مَنْ أَصَابَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ .
وَهَذَا الْكَلَامُ تَفْخِيمٌ لِشَأْنِ الْمَرْأَةِ وَتَعْظِيمٌ لَخَطِيئِهَا . وَيُقَالُ نِلْتُ كَذَا أَنْالُ نَيْلًا .
وَالْتَّحِيَّةُ : الْمُلْكُ ، وَمِنْهُ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ . وَقِيلَ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ^(٢) :

وَلَكُلُّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ

إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ تَحِيَّةَ الْمُلْكِ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ فِي مَخَاطِبَتِهِ : أَيْتَ اللَّغْنِ ، وَالْمَعْنَى مَعْنَى
وَاحِدٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَالَ بِمَعْنَى أَنْالَ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : يَقَالُ نُلْتُهُ أَنْوَلُهُ^(٣)
نَوْلًا وَنَوَالًا ، أَيْ أَعْطَيْتُهُ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ [دَعَاءٌ] . وَالْمَعْنَى : أَنْالَ
اللَّهُ التَّحِيَّةَ^(٤) [مِنْ أَنْالَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ تَحِيَّةً . كَأَنَّهُ يَدْعُو نَفْسَهَا إِلَى إِهْدَاءِ
التَّحِيَّةِ إِلَيْهَا عَلَى بُعْدِهَا . وَفِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ قَرِيبَةً .

٣ - فَإِنِّي لَذُو مِرَّةٍ مِرَّةٍ إِذَا رَكِبْتُ حَالَةً حَالَهَا

الْمِرَّةُ : الْقُوَّةُ وَالْقَتْلُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : اسْتَمَرَّتْ مَرِيرَتُهُ ، وَاسْتَمَرَّ عِذَارُهُ ،
فِي الْإِبَاءِ وَالتَّمَنُّعِ . وَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ مِرَّةً حَتَّى وَصَفَهَا بِأَنَّهَا مِرَّةٌ ، يَعْنِي
فِي فَمِ ذَاتِهَا ، وَعِنْدَ تَجَرُّبَةِ مُزَاوِلِهَا . وَهَذَا التَّجَنُّيسُ حَسَنُ الْمَوْزُونِ . وَالضَّمِيرُ مِنْ

(١) هُوَ الْأَحْوَلُ الْكِنْدِيُّ ، أَوْ يَعْلَى بْنُ الْأَحْوَلِ . انْظُرِ الشَّانَ (مطأ ، طه) وَمَعْنَى
الْبُلْدَانِ (طهيان) وَالْخِزَانَةِ (٢ : ٤٠٤) وَشُرُوحُ سَقَطِ الزُّنْدِ ٤٠ .

(٢) هُوَ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ الْكَلْبِيُّ . انْظُرِ الْمُعْجَرِينَ ٢٦ .

(٣) فِي الْأَصْلِ وَالتَّيْمُورِيَّةِ : « أَذَلَهُ » صَوَابُهُ فِي م .

(٤) الشَّكْلَةُ مِنْ م وَالتَّيْمُورِيَّةِ .

قوله « حالما » يعود إلى الحالة ، كأنه أضانه إليها لما كانت تليها ، وجعلها
 مسكونها . فيقول : أفعل ذلك وادبر فهلك إليها ، وإلى الدعاء لها ، وطلب
 الشقيا لديارها ، ولا تبال بما بين ويعرض من مزاحمة عدو ، أو مراغمة
 حشود ، فإني لذو قوة لا تستحجبها الفرق للمباذة ، إذا تراكمت الأمور ،
 وتراكبت الأحوال والوجوه ، فخفيت مواردها ومصدريها ، والتبست
 فصولها ووصولها .

٤ - أقدم بالزجر قبل الوعيد لتنهى القبائل جهالها
 يجوز أن يكون أقدم بمعنى أتقدم ، ويكون الباء من « بالزجر » في
 موضعه . ومثله نية بمعنى تنبئه ، ووجه بمعنى توجه ، وتككب بمعنى
 تنكب . ويجوز أن يكون قدّم ضد آخر ، ووجب أن يقول : أقدم
 الزجر ، فجعل الباء زائدة للتأكيد ، كما جاء في قوله : « تنبت^(١) بالذهن
 وصنيع للآكين^(٢) » لذلك . ومثله قول الشاعر^(٣) :

* سود الحاجر لا يقر أن بالشور^(٣) *

ومعنى البيت : أزر المتعرض لي قبل أن أتوعده ، وأعظه بالنهي
 والتحذير قبل تخشين الجانب له ، لكي ينهي حكام القبائل سفهاءها ،
 وليكون مني تدرج في مؤاخذتهم ؛ فابتدئ بالزجر ، ثم أرتقي إلى الوعيد ،
 ثم إلى الإيقاع .

(١) هذا رسم نسخة الأصل والتيدورية . وهي مهملة الضبط في م . وهذه القراءة هي
 التي يصح الاستشهاد بها على زيادة الباء ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وسلام ،
 وسهل ، وروين ، والجحدري . وقرأ الجمهور : « تنبت » بفتح التاء وضم الباء . انظر
 تفسير أبي حيان .

(٢) هو الراعي النيفري ، أو القتال الكلابي الخزاعة (٣ : ٦٦٧) .

(٣) صدره : * من الحرائر لا ربات أحرة *

٥ - وقافيةٍ مثلِ حَدِّ السَّنَانِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالَهَا

٦ - تجودتُ في مجلسٍ واحدٍ قَرَاها وتَسْمَعِينَ أُمْنَاهَا

القافية : آخر البيت المشتمل على ما يجب على الشاعر مراعاته وإعادته في كل بيت ، سُمِّيَ بذلك لِأَنَّهُ يَقَعُ مَا قَبْلَهُ . وهم يُسمُّون البيت بأمره قافيةً ، لاشتراكه على القافية ، والقصيدة بأبياتها قافية ، لاشتراكها على الأبيات المقفاة . وهذا توسُّعٌ منهم ، كما يسمُّون القصيدة كلمة ؛ والحقيقة ما قدَّمته . والأولى بهذا الشاعر عِنْدِي أن يربد بالقافية البيت ، لأنَّ نَظْمَ تسعين بيتاً غيرُ مسنَّفٍ في أنعرِف والمادة من المقنَّدين ، الجيدين المُفْلِقِينَ ، ذوى البدائن العجيبة ، والخواطير السريعة ، ولو أراد القصيدة لبعدَ عن المعتاد . فيقول : رَبُّ قَافِيَةٍ تَنْفُذُ نَقَازَ السَّنَانِ ، وتَرْوِيهِ لجودتها^(١) الرِّوَاةُ فلا تَخْأُقُ على مَرَّةِ الأَيَّامِ ، ولا تُنبِئُهُ^(٢) السُّنُونُ والأعوام ، بل تَبْقَى مع اللَّيْلِ والنَّهَارِ بقاء الظُّلَمِ والأنوار ، وإن دَرَجَ قَارِضُهَا ، وَمَضَى مُنْشِئُهَا ، أنا تَجَوَّدْتُهَا في مجلسٍ واحدٍ مع تسعين من نظائرها . يريدُ أَنَّهُ لسانُ قومِهِ ، ومِذْرَه عَشِيرَتِهِ . ومعنى تجودتُ : اخترتُ عند الجمع جَيِّدَهَا . وهذا كما يقال : تَنَقَّيْتُ الشَّيْءَ وتَحَيَّرْتُهُ . وقوله « تسعين » أراد مع تسعين ، فيكون انتصابه على أَنَّهُ مفعول معه كقوله تَعَالَى : ﴿ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وشركاءكم ﴾ ، لأنَّ المراد مع شركائكم . ويجوز أن تكون الواو عَاطِفَةً منه ، كأنه قال : قَرَّها وقَرَّي تسعين ثَمَانِلَهَا . وقَرَّي يجوز أو يكون من قَرَّيْتُ الماء في الحوضِ ، ويجوز أن يكون من قَرَّوْتُ الأرضَ إذا تَبَقَّعَتْ . ويجوز أن يكون القَرَّي ما يُطَقَّمُ الضَّيْفُ ، فاستماره كما قال :

(١) في الأصل : « وترويه بجودتها » وأثبتنا ما في م والتميمورية .

(٢) كذا في جميع النسخ . وكان المرزوقي أجرى الضمير مرة على الشئ ومرة على القصيدة .

* قَرَى الهمَّ إذا ضافَ الزَّمَاعَ *

كَانَ القَوَافِي لَمَّا تَوَارَدَتْ أَحْسَنَ القِيَامِ بِهَا ، وَجَوَّدَ القِرَى لَهَا .

١٩٨

وقال ابن رالان السنبسي^(١) :

١ - لَمَّا رَأَتْ مَغْشَرًا قَلَّتْ حَوَلَتُهُمْ قَالَتْ سَعَادُ أَهَذَا مَالِكُمْ بِجَلَا

الحمولة : الإبل التي يُحْمَلُ عليها . والحمولة بالضم : الأحمال . يقول : حين رأت هذه المرأة فقرنا وقلة إبلنا قالت منكيرة ومتمعجة : أهذا مالكم فحسب . و « بِجَلَا » في موضع الحال ، والمعنى أهذا مالكم مكنتني به . والأصل في يحمل البناء على السكون ، ودعت الضرورة إلى تحريكه فحرَّكُهُ بالفتح ، وكان الواجب إذا حُرِّك الكسرة فيه . ومثله قول الآخر^(٢) :

* وَنَعَمْ إِنْ قُلْتُمْ نَعَمًا^(٣) *

لأنَّ نَعَمْ أيضًا مبنية على الشكوك فحرَّك آخره للضرورة بالفتح كما ترى . وقد يُضافُ بِحَلٍّ لكونه اسمًا كما يضافُ قد إذا كان بمعنى حسب . قال :

* بِحَلِّي الْآنَ مِنَ الْعَشِيِّ بِحَلٍّ^(٤) *

(١) رالان بترك الهمز في النسخ . وهو جابر بن رالان ، سبقت له الحماسة ٥٩ ص ٢٣٤ .

(٢) هو الطائي الكبير ، كما ذكر ابن جني في التنبيه ، يعني بالكبير أبا تمام . والبيت التالي في ديوانه ٣٠٥ .

(٣) تمامه :

تقول إن قائم لا لا معالجة لأمركم ونعم إن قلتم نعمًا
وقبله :

فخروا بني مصعب بالمكرمات بكم عادت رعاونا وكانت قبلكم أكنما
(٤) للبيد ، كما في اللسان والمقاييس (يحمل) . وصدره :

* فقي أهلك فلا أخفله *

وفى قد جاء :

* قَدَنِي مِنْ نَضَرِ الْخَبِيدِينَ قَدِي ^(١) *

والمال عندم الإبل ، ولهذا يطلقون فيقولون : المال في الرعى ^(٢) ، لاشتهار لفظة المال عندم بها .

٢ - إِمَّا تَرَى مَالَنَا أَمْحَى بِهِ خَلَلٌ فَقَدْ يَكُونُ قَدِيمًا يَرْتُقُ الْخَلَلَا
الْخَلَلُ الْأَوَّلُ النَّقْصُ ، وَالْخَلَلُ الثَّانِي الْفُرْجَةُ بَيْنَ الشَّيْثِينَ حَتَّى يَصْحَ
الرَّتْقُ مَعَهُ . وَفِي الْكَلَامِ اخْتِصَارٌ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَجَبْنَاهَا بِأَنْ قُلْنَا : إِنْ كُنْتَ
تَرَيْنَ اخْتِلَالَ حَالِنَا وَانْتِقَاصَ مَالِنَا ، وَظَهَرَ الْفَاقَةُ وَالْفَقْرُ عَلَى [صَفَحَاتِ ^(٣)]
ظَوَاهِرِنَا ، فَقَدِيمًا كَانَ يُسَدُّ الْخَلَلُ بِمَالِنَا ، وَتُرْتُقُ الْفُتُوقُ بِهَا ، وَتُرَدُّ عَادِيَةُ
الشَّرِّ بِفَرِيقِهَا . وَقَوْلُهُ « فَقَدْ يَكُونُ » جَعَلَ اللَّفْظَ مُسْتَقْبَلًا وَإِنْ أَرَادَ الْمَضَى ،
لِاسْتِمْرَارِ الْحَالِ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَكَى
الْحَالِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَلَّمَهُمْ بَاسِطٌ دِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ .

٣ - قَدِ يَعْلَمُ الْقَوْمُ أَنَّا يَوْمَ نَجْدَتِهِمْ لَا نَنْتَقِي بِالْكِمَى الْحَارِدِ الْأَمَلَا
قَوْلُهُ « قَدِ يَعْلَمُ الْقَوْمُ » الْكَلَامُ فِي اسْتِعْمَالِ لَفْظِ الْمُسْتَقْبَلِ هُوَ عَلَى مَا قَدِمْنَاهُ
فِي قَوْلِهِ « فَقَدْ يَكُونُ قَدِيمًا » مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ . فَيَقُولُ : قَدِ اشْتَهَرَ مِنْ شَأْنِنَا
يَوْمَ الْبَأْسِ وَالشَّدَّةِ ، وَوَقْتَ احْتِمَاءِ الْوَطِيسِ وَالتَّهَابِ النَّائِرَةِ ، أَنَّا لَا نُخْجَمُ فَنَنْتَقِي
رِمَاحَ الْأَعْدَاءِ بِالشُّجْعَانِ ، وَلَكِنْ غَيْرُنَا يَنْتَقِي بِنَا فَنَتَقَدَّمُ إِذَا تَأَخَّرَ ، وَنَسْتَبْسِلُ

(١) لحَمِيدُ الْأَرْقَطِ . الْخَزَافَةُ (٢ : ٤٥٣) . وَالْحَبِيبَانِ هُمَا عَبْدُ اللَّهِ وَمُصْعَبُ ابْنِ الزُّبَيْرِ .
وَهُوَ تَنْلِيبُ سَمَاعِي ، إِذْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ يَكْنَى أَبَا خَبِيبٍ بِاسْمِ وَلَدِهِ . وَيُرْوَى : « الْحَبِيبِينَ
بِصِيفَةِ الْجَمْعِ كَالْأَشْعَرِينَ ، يُرَادُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَأَصْحَابُهُ .

(٢) الرعى ، فَعْلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، وَهُوَ مَا يُرْعَى .

(٣) هَذِهِ مِنْ مِ وَالْتِيْمُورِيَّةِ .

إذا تحرّز . والحارث : المجتمع الخلق الشديد المييب ، الذي يُحسب من عزّه غضبان .

٤- لكن ترى رجلاً في إثره رجل قد غادراً رجلاً بالقاع مُنجبلاً

هذا تصوير لما أثبتت من أفعالهم في الإقدام ، لما نفى عن أنفسهم الإحجام ، فيقول مخاطباً واحداً من الناس : لكننا تهافت وفتاب (١) حرصاً على القتال ، حتى تَرانا من بين طارِد وقَاتِل ، وكارٍ وفارٍ ، وطالب ومطلوب . وقد تَرَكا صريعاً ساقطاً على الأرض ، كأن أحدهما صرع قتيلاً والآخر يتبعه لينال منه . ويجوز أن يكون معنى « قد غادراً » قد غادر كل واحدٍ منهما رجلاً مصروعاً ، كما يقال : كسانا الأمير حُلّةً ، والمعنى كسا كل واحدٍ منا . وكقول الله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ . وفي هذه الطريقة قول الآخر (٢) :

وهل عمّرات اللوت إلا نزالك الكمي على لحم الكمي القطر
والقاع : المستوى من الأرض . والمنجدل : المصروع . والجدالة : الأرض ، كأن معنى جدلته : أصبت الجدالة به .

١٩٩

وقال قبيصة بن النصراني الجرمي (٣) :

١- لم أر خيلاً مثلاً يوم أدركت بني شمعى خلف اللهم على ظهر (٤)
أراد بالخيّل الفرسان لا الأفراس ، كما روى : « يا خيل الله اركبي » .

(١) كذا في جميع النسخ بالباء .

(٢) هو شريح بن قرواش العبسي . الحماسية ١٤٠ .

(٣) التبريزي : « قبيصة بن النصراني الجرمي من طيى » .

(٤) شمعى ، بفتح ش ، من بني النوث بن طيى . الاشتقاق ٢٣٥ .

وقوله « على ظهر » في موضع الصفة لقوله « خَيْلاً » ، كأنه قال لم أرَ فرساناً
تُمائلها على ظهر يوم أدركت هذه القبيلة خلف هذا الجبل . وقوله « على
ظهر » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المعنى لم أرَ خَيْلاً على ظهر الأرض ،
كما جاء في التنزيل : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ . والثاني أن يكون
المعنى : لم أرَ خَيْلاً على ظهور الدواب ، لكنه قصد الجنس فوحد كما يقال
هو يرتبط كذا رأساً من الدواب ، وكذا ظهرها منها . وذكر بعضهم أن
ظهراً اسم ماء ، كأنه قال خلف هذا الجبل على هذا الماء . وهذا إذا ثبت بسلم
للسماع . وذكر بعض أصحاب المعاني أن قوله « على ظهر » يجوز أن يكون في
موضع الحال للضمير في أدركت ، أي يوم أدركتهم قاهرة لهم ، وعلى ظهر
وغلبة فيهم ؛ من قولك ظهرت على فلان ظهوراً وظهرًا . وفي القرآن :
﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ .

٢ - أَبَرَّ بِإِيمَانٍ وَأَجْرًا مُقَدَّمًا وَأَنْقَضَ مِنَّا لِلَّذِي كَانَ مِنْ وَثَرٍ

ولما أراد بالخليل أصحابه وفرسان جيشه سأل أن يقول « وَأَنْقَضَ مِنَّا » .
ويشبه هذا ما يحى . من صلة الذي في مثل قوله :

* أنا الذي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَةَ ^(١) *

فقال سَمَّيْتُ وَالْوَجْهُ سَمَّيْتُ . وباب ^(٢) الصَّلَاتِ وَالصِّفَاتِ تَبَدُّلًا وَتَشَابُهًا .
فيقول : لم أرَ أَوْفَى بِاللَّذورِ وَالْأَقْسَامِ إِذَا عَقَّدْنَاهَا وَالتَّزْمِنَاهَا ، وَأَجْرًا إِقْدَامًا
وِثْبَاتًا فِي وَجْهِهِ الْأَعْدَاءِ إِذَا نَاصَبْنَاهَا وَكَاشَفْنَاهَا ، وَأَسْتَى فِي نَقْضِ الْأَوْتَارِ
وإِدْرَاكِ الدَّحُولِ بَعْدَ إِبْرَامِهَا وَتَعَقُّدِهَا مِنَّا . وَنَقْضُ الْوِثْرِ هُوَ حَلُّ عَقْدِهِ بِاشْتِفَاءِ

(١) لعل بن طالب ، كما سبق في ص ٤٠٧ وحواشي ص ١١٠ .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وهو جائز في العربية .

النَّفْسِ من الواتر الذي يُبْرِئُهُ . وكان الشَّرِيفُ الْأَنْفُ مِنْهُمْ إِذَا أُصِيبَ وَوُتِرَ
يَنْذُرُ أَنَّهُ لَا يَشْرَبُ خَمْرًا وَلَا يَقْرَبُ امْرَأَةً ، أَوْ لَا يَفْضُلُ رَأْسًا ، وَمَا يَجْرَى
هَذَا الْمَجْرَى مِمَّا يَكْثُرُ النَّفْسَ إِذَا أَحَلَّتْ بِهِ ، حَتَّى يَبَالَ الْوِتْرَ . لِهَذَا قَالَ
امْرَأُ الْقَيْسِ بَعْدَ تَأْثِيرِهِ فِي بَنِي أَسَدٍ وَتَبْلِيهِ مَنَى النَّفْسِ فِيهِمْ :

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ
فَالْيَوْمَ أَشْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ
فَأَمَّا قَوْلُ الْأَعَشَى :

فَأُظْمِنْتُ وَتَرَكْتُ فِي دَارِهِمْ وَوِتْرَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يُقِمْ^(١)
فهو في طريقة قوله نَقَضْتُ الْوِتْرَ مِنْهُ .

٣- عَشِيَّةَ قَطَعْنَا قِرَائِنَ بَيْنِنَا بِأَسْيَافِنَا وَالشَّاهِدُونَ بَنُو بَدْرٍ

أَضَافَ الْقِرَائِنَ إِلَى بَيْنِنَا لِأَنَّهُ جَعَلَهُ اسْمًا وَنَقَلَ مِنْ بَابِ الظُّرُوفِ . وَعَلَى هَذَا
قِرَاءَةٌ مِنْ قِرَاءِ : ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُنَاكُمْ^(٢)﴾ بِالرَّفْعِ ، وَالْمَعْنَى وَصُلُّكُمْ . وَلَكَ أَنْ
تُرَوِّى « قِرَائِنَ بَيْنِنَا » فَلَا تُضَيِّفُ وَتَتْرَكَ بَيْنِنَا فِي بَابِهِ ظَرْفًا ، كَمَا قَدْ قُرِئَ :
﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُنَاكُمْ﴾ بِالنَّصْبِ . وَيَعْنِي بِالْقِرَائِنِ الْأَرْحَامَ وَالْأَوَاصِرَ . وَانْتَصَبَ
« عَشِيَّةَ » عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ « يَوْمَ أَدْرَكْتُ بَنِي شَمْجَى » فَيَقُولُ :
لَمْ أَرْ خِيَلًا تَمَائِلُهُمَا عَشِيَّةَ أَرْسَلْنَا دَوَابَّنَا عَلَى أَعْدَائِنَا ، وَأَوْقَعْنَا أَنْفُسَنَا عَلَيْهِمْ ،
فَقَطَعْنَا بِاسْتِعْمَالِ السِّيُوفِ الْوُصْلَ الْجَامِعَةَ لَنَا ، وَالْأَسْبَابَ النَّاطِمَةَ لِسِتَاتِنَا ،
وَبَنُو بَدْرٍ حَاضِرُونَ لَنَا ، وَمَتَوَسِّطُونَ لِمَا نُثِيرُهُ بَيْنِنَا ، وَالْمَشَاهِدُونَ لِبَلَائِنَا ،
وَالْمَصْدُقُونَ لِمَا نَدَّعِيهِ مِنْ فِعْلِنَا .

(١) فِي الدِّيْوَانِ ص ٣٠ :

فَأُظْمِنْتُ وَتَرَكْتُ مِنْ دَارِهِمْ وَوِتْرَكَ فِي دَارِهِمْ لَمْ يُقِمْ
(٢) هَذِهِ هِيَ قِرَاءَةُ جُمْهُورِ الْقُرَاءِ . وَقُرَأَ نَافِعٌ وَالْكَسَائِيُّ وَحُفَصٌ : « بَيْنَكُمْ » بِالْفَتْحِ
عَلَى الْبِنَاءِ أَوْ عَلَى النَّصْبِ . تَفْسِيرُ أَبِي حَيَّانَ (٤ : ١٨٢) فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

٤- فَأَصْبَحْتُ قَدْ حَلَّتْ يَمِينِي وَأَذْرَكَتْ بَنُو مُعَلِّ تَبْلِي وَرَاجَعَنِي شِعْرِي
يقول : أتى على الصُّبْحِ ثَانِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وقد حَلَّ نَذْرِي ، وأَذْرَكَ
قَوْمِي ذَحْلِي ، وانطلق بالفخرِ إِسَانِي ، فصِرْتُ خَفِيفَ الظَّهْرِ بعد أن كُنْتُ
مُنْقَلًا بِمِيبِ الْوَتْرِ ، وكان الشَّعْرُ هَاجِرَنِي وفارقَنِي مُدَّةَ السَّعْيِ فِي نَيْلِ الْمَطْلُوبِ
من إمكانِ فُرْصَةٍ أَتَهَرَّهَا ، ثم رَاجَعَنِي . وهذا ضِدُّ قولِ الآخر (١) :
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ

٢٠٠

وقال أدهم بن أبي الزعراء (٢) :

- ١- قَدْ صَبَحْتُ مَعْنُ بَجَمْعِ ذِي لَجَبٍ
- ٢- قَيْسًا وَعُبدَانَهُمُ بِالْمُنْتَهَبِ
- ٣- وَأَسَدًا بِفَارَةٍ ذَاتِ حَدَبٍ
- ٤- رَجْرَاجَةٍ لَمْ تَكُ مِمَّا يُؤْتَشَبُ
- ٥- إِلَّا صَمِيمًا عَرَبًا إِلَى عَرَبٍ
- ٦- تَبْكِي عَوَالِيَهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَضِبِ
- ٧- مِنْ ثَغْرِ اللَّبَّاتِ يَوْمًا وَالْحُجُبِ

(١) هو عمرو بن معديكرب . الحماسية ٢٩ .

(٢) شاعر طاق معنى من شعراء مخضرمي الدولتين : وأبوه سويد بن مسعود بن جعفر بن عبد الله بن حارث بن حبي بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن متود . المؤلف ٣١ . يقول هذه الحماسية في وقعة « المنتهب » ، وهي قرية في طرف سلسل أحد جبل طيبي كانت عندها وقعة بين طيبي وحلفائهم بنى بدر بن فزارة بقيادة معدان بن عبيد بن عدى ، وبين قيس وأسد بقيادة أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فهزم القيسيون أقيح هزيمة .

يُرْوَى : « الألباب » .

قوله « قد صَبَّحَتْ مَعْنُ بِجَمْعٍ » ، الجَمْعُ : المُجْتَمِعُونَ : والجَمَاعُ : المُتَفَرِّقُونَ .
وَمَعْنَى صَبَّحَتْ ، أَيْ أَتَتْ قَيْدًا صَبَاحًا بِكُتَيْبَةٍ لَهَا جَلَبَةٌ وَصَوْتٌ ، لَكُنْزِيهَا .
وَالْعُبْدَانُ يُكْسَرُ أَوَّلُهُ وَيُضَمُّ ، وَهُوَ جَمْعُ عَبْدٍ ، يُقَالُ عَبْدٌ وَأَعْبُدْ وَعَبِيدٌ
وَعِبَادٌ وَعِبْدِي وَمَعْبُودَاهُ وَعُبدٌ ، فَمِعْدَانُ جَمْعُ عبيدٍ . وَالْمُنْتَهَبُ ، قِيلَ هُوَ اسْمُ
مَكَانٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ الْإِتِهَابُ أَوْ مَوْضِعُ الْإِتِهَابِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ
أَغَارَتْ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ وَقَصَدَتْ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ ، بَنَى قَيْسٌ وَعَبِيدُهُمْ هَذَا الْمَوْضِعَ .
وَيَعْنِي بِالْعَبِيدِ الرُّعَاةَ وَالْمُسَفَاءَ الَّذِينَ يَكُونُونَ مَعَ الْإِبِلِ . كَانَهُمْ فِي أَخْوِيَّتِهِمْ ،
وَفِي مَوْضِعٍ كَانَتْ أَمْوَالُهُمْ حَاضِرَةً ، غَيْرَ عَازِبَةٍ وَلَا غَائِبَةٍ .

وقوله « وَأَسَدًا بِفَارَةٍ » ، يَقُولُ : وَصَبَّحَتْ أَسَدًا بِخَيْلٍ ذَاتِ اعْتِلَاءٍ
وَمَوْجَانٍ ، تَتَدَافَعُ فِي سَبْرِهَا وَلَا تَسْتَقِيمُ ، لَكُنْزِيهَا ، وَلَمْ يَكُونُوا أَشَابَاتٍ وَفِرْقًا
جُمِعَتْ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ . وَقَوْلُهُ « ذَاتِ حَدَبٍ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ
الْأَحْدَبِ ، وَيَكُونُ وَصْفَ الْفَارَةِ بِالْحَدَبِ كَمَا قِيلَ آلَةُ حَدَبَاءَ ، وَعِزَّةُ قَعْسَاءَ ،
كَأَنَّهُ يُنْبِئُ ظَهْرُهَا عَمَّنْ يُرِيدُ كُوبَهَا وَاقْتِسَارَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الارتفاعُ
وَالكُنْزَةُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْحَدَبُ حَدُورٌ فِي صَدَبٍ ، يَعْنِي الْعَقَبَةَ . قَالَ : وَمَعَهُ
حَدَبُ الرِّيحِ وَحَدَبُ الرَّمْلِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ .
فَأَمَّا قَوْلُهُ « بِفَارَةٍ » فَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْخَيْلَ غَارَةً لِأَنَّهَا مِنْ قَبْلِهَا تَكُونُ ، وَهَذَا
مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِمَا يَكُونُ مِنْ سَبَبِهِ . وَالْفَارُ بِلَاهَاءٍ يَسْتَعْمَلُ فِي الْجَمْعِ
الكَثِيرِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « مَا ظَنَنْكَ بِرَجُلٍ جَمَعَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْفَارَيْنِ ^(١) » .
وقوله : « رَجْرَاجَةٌ » يَقَالُ كُتَيْبَةٌ رَجْرَاجَةٌ ، أَيْ تَضْطَرِبُ وَتَمُوجُ مِنْ

(١) فِي الْلسَانِ (غُور) : « وَمَنْهُ قَوْلُ الْأَخْنَفِ فِي انْصِرَافِ الزَّبِيرِ عَنْ وَقْعَةِ الْجَمَلِ :
وَمَا أَسْنَعُ بِهِ إِنْ كَانَ جَمْعُ بَيْنَ غَارَيْنِ مِنَ النَّاسِ ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَذَهَبَ » .

كثرتها . واسراة رَجْرَاجَةٌ ، أى تَتَرَجَّرُجُ من بُذْنِهَا وَنَعْمَتِهَا^(١) . وقوله « مما يُوتَسَّبُ » يقال أَشْبَتُهُ وَانْتَشَبْتُهُ ، أى جَمَعْتُهُ من وجوه مختلفة لا خَيْرَ فيها . وأصل الأَشْبِ الالتِفافُ . ويقال غَيْضَةُ أَشْبَةٍ . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : عِنْدَ فُلَانٍ أَشَابَةٌ مِنَ الْمَالِ ، أى مِمَّا كَسَبَهُ مِنَ الْحَرَامِ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ .

وقوله « إِلَّا صَمِيماً » ، يقال هو من صَمِيمٍ قَوْمِيهِ ، إِذَا كَانَ مِنْ خَالِصَتِهِمْ وَنَحْضِ أَصْلِهِمْ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : صَمِيمُ الرَّأْسِ وَالسَّاقِ ، لِلْعَظْمِ الَّذِي بِهِ قَوَامُ الْمَضْوِ ، وَتَوَسَّعُوا فَقَالُوا : جَاءَ فِي صَمِيمِ الصَّيْفِ أَوْ الشَّتَاءِ . وَانْتَصَبَ صَمِيماً عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ خَارِجٌ . وَجَعَلَ قَوْلَهُ « عَرَبًا إِلَى عَرَبٍ » بَدَلًا مِنْهُ . وَمَعْنَى إِلَى عَرَبٍ : مَعَ عَرَبٍ ، كَمَا يَقُولُونَ : هَذَا إِلَى ذَاكَ .

وقوله « تَبْكِي عَوَالِيَهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَضِبْ » فَعَالِيَةُ الرُّمَحِ وَغَيْرُهُ أَعْلَاهُ ، وَقِيلَ الْعَالِيَةُ الْقَنَاةُ الْمُسْتَقِيمَةُ . وَقَوْلُهُ « إِذَا لَمْ تَخْتَضِبْ » يُقَالُ خَضَبَ الرَّجُلُ شَعْرَهُ ، وَاخْتَضَبَ . وَلَا يُذَكَّرُ الشَّعْرُ مَعَهُ ، وَقَدْ يَكُونُ اخْتَضَبَ فِي مَطَاوِعَةِ خَضَبَ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : لَكُنْهُمْ كَانُوا خُلُصًا عَرَبًا مَعَ عَرَبٍ ، عَوْدُوا رِمَاحَهُمْ أَنْ تُسْقَى دِمَاءُ الصُّدُورِ وَالْقُلُوبِ ، فَإِذَا انْقَطَعَ شَرِبُهَا عَنْهَا تَبْكِي تَحَشُّرًا عَلَيْهِ ، وَوَجَدًا بِهِ . وَهَذَا مَثَلٌ .

وَبِعْنِي بِفُعْرِ اللَّبَّاتِ : هَزَمَاتِ التَّرَاقِي وَحُجُبِ الْأَفْنَدَةِ . وَيُقَالُ لَبَبٌ وَلَبَّةٌ ، وَلِذَلِكَ رَوَى : « مِنْ ثُغْرِ الْأَلْبَابِ » وَ« اللَّبَّاتِ » . وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ بَصَرَاهُ بِالطُّغْنِ فَلَا يَصِيبُونَ إِلَّا الْمَقْتَلَ .

(١) البدن ، بضم الباء وفتحها : البدانة ، وهى السنن والجسامة .

٢٠١

وقال بُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ الطَّائِي^(١) :

١ - إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ خَلِيلٍ أَوْدُهُ ثَلَاثَ خِلَالٍ كُلُّهَا لِي غَائِضُ

جَعَلَ شَكْوَاهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لِيَأْسَهُ مِنْ مَعُونَةِ الْمَخْلُوقِينَ فِيمَا يَتَأَلَّمُ مِنْهُ وَيَتَضَجَّرُ بِهِ . يَقُولُ : أَشْكُو ثَلَاثَ خِلَالٍ مِنْ صَدِيقِي لِي أَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَأُخْلِصُ الْوُدَّ لَهُ ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْخِلَالِ يَهْزِلُنِي وَيَنْقُصُ مِنْ لِحْي ، وَيَكْسِرُ مِنْ نَشَاطِي . وَيُقَالُ غَاضَ الْمَاءُ وَغَضَّتْهُ أَنَا ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾ فَهِيَ مِنْ بَابِ فَعَلْتُ الشَّيْءَ فَفَعَلْتُ^(٢) . قَالَ الشَّاعِرُ :

* فَلَا رَا كِدَّ يَجْرِي وَلَا هُوَ غَائِضُ *

٢ - فَمَنْنَ أَلَا تَجْمَعُ الدَّهْرَ ثَلَاثَةً بِيُوتَا لَنَا يَا تَلْعَ سَيْلِكَ غَامِضُ

يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « تَجْمَعُ » بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ ، فَإِذَا نَصَبْتَ فَلَانَ أَنْ قَبْلَهُ هِيَ النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ ، وَإِذَا رُفِعَ فَلَانَ تَكُونُ مُحْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ ، أَرَادَ أَنَّهُ لَا تَجْمَعُ ، وَالْمَاءُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّأْنِ . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ ، قُرِئَ يَرْجِعُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ ، خِلَافًا عَلَى الْوَجْهِينِ الْمَذْكُورَيْنِ . وَالثَّلَاثَةُ : أَرْضٌ مَرْتَفَعَةٌ يَتَرَدَّدُ فِيهَا السَّيْلُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي . وَيُقَالُ : فَلَانٌ لَا يُوَثِّقُ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٢٢ . قال أبو رياش : « كان سبب هذه الأبيات أن البرج بن مسهر بن جلاس بن الأرت الطائي - واسم الأرت خالد - كان هو وعه أبو جابر يشربان ، وكانت امرأة أبي جابر جالسة ، فانتدبى البرج فقبحها ، ثم رأى عه وقد رآه فاستحيا وكف وقال : « يا عمي غلبني الشراب ! قال : أو لم أرك حين رأيته كفت واستحييت ، ولو كان الشراب غلبك لم تستحي ! اذهب فوالله لا تجمعي وإياك محلة ولا غفوة ، ولا تجمعي في بلد ، ولا أكلمك أبداً . فقال هذه الأبيات » .

(٢) هذا . وقال ابن جني في التنبيه : « أى ناقص لى ونائل منى . من غضت الماء أهه فقضته . وقيل فى غائض : إنه أراد غائظ فأبدل الظاء ضادا .

بَسِيلِ تَلْعَتِهِ ، إِذَا كَانَ غَيْرَ صَدُوقٍ فِي أَخْبَارِهِ . وَبَابُ التَّلْعِ كُلُّهُ يَدُورُ عَلَى
الإِشْرَافِ وَالْإِرْتِفَاعِ . وَقَوْلُهُ « يَاتْلَعُ سَيْلُكَ غَامِضٌ » يُسَمَّى نَقَادُ الْكَلَامِ مِثْلَهُ
التَّفَاتَا ، فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ جَرِيرٍ فِيمَا حُسِكِي عَنْ الْأَصْمَعِيِّ :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بَذَى طُلُوحٍ سَقِيَتِ الْغَيْثُ أَيْتَمَهَا الْخِيَامُ
وَصَلَحَ تَرْخِيمُ تَلْعَةٍ وَإِنْ كَانَ نَسْكِرَةً ، لِأَنَّهُ قَصَدَ بِهَا فِي النَّدَاءِ إِلَى
وَاحِدَةٍ بِعَيْنِهَا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : مِنْ تِلْكَ الْخِلَالِ الَّتِي أَنَا لَمْ مِنْهَا أُنِّي وَإِيَّاهُ
لَا نَجْمُعُ طَوْلَ الدَّهْرِ فِي مَكَانٍ ، وَلَا يَحْوِي بُيُوتَنَا تَلْعَةً مِنَ التَّلْعِ . ثُمَّ
التَّمَتَ مُظْهِرًا النَّصَجَرِ ، وَمُبْدِيًا ، التَّوَجُّعَ إِلَى التَّلْعَةِ ، فَقَالَ : لَا جَرَى فَيْكَ
سَيْلٌ ، وَلَا ظَهَرَ بِكَ خِصْبٌ ، وَلَا سَقَى لَكَ عَهْدٌ . وَهَذَا كَأَنَّهُ لِمَوْضِعِ الَّذِي
لَا يَتَّفَقُ لَهُ مَعَ صَدِيقِهِ الْمَذْكُورِ فِيهِ التَّقَالُ عَلَى قُرْبِهِ وَجَوَازِ كَوْنِ ذَلِكَ فِيهِ —
ذَنْبًا ، فَأَقْبَلَ يَدْعُو عَلَيْهِ تَضَخُّرًا بِهِ . وَمِنْ عَادَةِ النَّاسِ النَّظَرُ فِي الدِّيَارِ وَمَا
يَسْنَحُ فِيهَا مِنْ اجْتِمَاعِ الْأَحِبَّةِ أَوْ افْتِرَاقِهِمْ ، وَانْتِظَامِ شَمْلِهِمْ فِيهَا أَوْ انْبِتَاتِهِ . وَقَدْ
وَرَدَ الْخَبَرُ بِمِثْلِ ذَلِكَ أَيْضًا .

٣- وَمِنْهُمْ أَلَّا أُسْتَطِيعَ كَلَامُهُ وَلَا وُدُّهُ حَتَّى يَزُولَ عُوَارِضُ

يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « أُسْتَطِيعُ » بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ .
وَقَوْلُهُ « وَلَا وُدُّهُ » إِنْ قِيلَ كَيْفَ قَالَ لَا أُسْتَطِيعُ وُدُّهُ ، وَقَدْ قَالَ فِي الْبَيْتِ
الْأَوَّلِ مِنْ خَلِيلٍ أَوْدُهُ ، فَأُبَيِّنُ الْوُدَّ ؟ قُلْتُ : إِنَّمَا يَعْنِي لَا أُسْتَطِيعُ مُقْتَضَى
وُدُّهُ وَمُوجِبُهُ ، فَحَذَفَ لِلضَّافِ . وَقَوْلُهُ « حَتَّى يَزُولَ عُوَارِضُ » ، مَعْنَاهُ حَتَّى
كَانَ مَا لَا يَكُونُ . وَالْمُرَادُ بِالْبَيْتِ : وَمِنْ تِلْكَ الْخِلَالِ مَا عَرَضَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنْ
إِعْرَاضٍ مُتَّصِلٍ وَهَجَرٍ دَائِمٍ ، فَلَا أَقْدِرُ عَلَى مَفَاوِضَتِهِ فِيمَا يَبِينُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ،
وَلَا أُطِيقُ مُبَاشَّتَهُ مَا يَنْتَقِلُ فِيهِ مِنْ مَحْبُوبٍ أَوْ مَكْرُوهٍ ، وَلَا أُسْتَطِيعُ مُوَادَّتَهُ

ومخالصته بحسب الأحوال المتشابكة بيننا ، ما ثبَّت عَوَارِضٌ - وهو جَبَلٌ -
ودامَ للدهْرِ مُتَّصِلٌ .

٤ - وَمِنْهُمْ أَلَا يَجْمَعُ الْغَزْوُ بَيْنَنَا وَفِي الْغَزْوِ مَا يُبْلِقِي الْعَدُوَّ الْمَبَاغِضُ

وَجْهٌ جَوَازِ الرَّفْعِ فِي يَجْمَعُ وَالنَّصْبِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وقد رَتَّبَ الشَّاعِرُ فِي
هذه الأبيات مسببات المودة وتناجها ، وما يوجبُه غِرَاسُ المِقَّةِ وآثارُها ، أحسنَ
ترتيبٍ ، فابتدأ عند ذكر انتفاها وامتناعها بتعذر الاجتماع بالأبدان في المجالس
والمجال ، لأنه الأول والأصل في انعقاد الوداد ، ثم أتبعه بما يصحب الاجتماع
للتألف ، حتَّى لا ينفك منه من التوائس والدساؤل ، والمخالقة والإلطاف ، لأنه
تلو الأول وثانيه . ثم أردف المقدمتين بنتيجتهما من التعاون والتساعُد ،
والاهتمام والشفقة عند ما يحدث ويتجدد من صغير وكبير ، ومزدود ومقبول ،
فيقول : ومن تلك الأحوال أنَّ التَّشَارُكَ فِي جَوَالِبِ الدَّهْرِ بَيْنَنَا رِفْضٌ ، والتَّائِبُ
على الأهداء من مقاصدنا سقط ، فلا يُؤْلَفُ بَيْنَنَا مِرَاعَاةُ عِزٍّ ، ولا عِمَارَةُ وُدٍّ ،
ولا بِنَظْمٍ نَوَانَا اجْتِذَا بٌ تَحْمِيدَةٍ ، ولا دِفَاعٌ مَظْلَمَةٍ . ثم قال : « وفي الْغَزْوِ
مَا يُبْلِقِي الْعَدُوَّ » ما صِلَةٌ ، والمعنى : وفي الْعِزِّ يُحْتَاجُ إِلَى الصَّدِيقِ الْمُخَالِصِ ، إذ
كان إِنَّمَا يُبْلِقِي فِيهِ الْعَدُوَّ الْمَبَاغِضُ . فهذا وَجْهٌ . ويجوز أن يكون المعنى : وفي
الْغَزْوِ قد يُلْقَى الْعَدُوَّ الْمَبَاغِضُ فكيف الصديق المُوَادُّ . والأوَّلُ أَشْبَهُ وَأَجُودُ .

٥ - وَيَتَرَكُ ذَا الْبَأْوِ الشَّدِيدِ كَأَنَّهُ مِنَ الذَّلِّ وَالْبِقْضَاءِ شَهْبَاءُ مَا خِصُّ

أَخَذَ يَبَيِّنُ مَسَاسَ الْحَاجَةِ فِي الْغَزْوِ إِلَى ائْتِلَافِ الْأَوْدَاءِ ، وتعاون
الأشْدَاءِ ، فيقول : وإذا كان الْغَزْوُ يَتَرَكُ الْمَتَكَبِّرَ الذَّاهِبَ بِنَفْسِهِ مَذَاهِبَ ذَوِي
الْجَبْرِِيَّةِ وَالْعِزِّ ، وكأنَّهُ لَزِمَهُ مِنَ الذَّلِّ وَالْبُقْضِ لِلْخِلَافِ وَالْحَرْبِ ، وتَنَاسَى
الاعْتِلَاءَ وَالْقَهْرَ ، نَاقَةً شَهْبَاءَ أَثَرٌ وَجِعُ الْوِلَادَةِ فِيهَا فَضَعُفَتْ وَسَقَطَتْ . وإِنَّمَا

خَصَّ الشَّهْبَاءُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَنْعَمُ الْإِبِلِ وَأَرْقَمُهَا ، وَأَقْلَمُهَا صَبْرًا وَأَضْمَفُهَا .
وَالْمَخَاضُ : وَجَعُ الْوِلَادَةِ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي أَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ . وَالطَّلَقُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي النِّسَاءِ .

٦ - فَسَائِلُ هَذَاكَ اللَّهُ أَيُّ بَنِي أَبِي مِنَ النَّاسِ يَسْعَى سَعْيًا وَيُقَارِضُ
أَخَذَ يَسْتَعِطِفُ الصَّدِيقَ الَّذِي شَكَاهُ ، وَيَسْتَمِيلُ بِقَلْبِهِ ، فَقَالَ : سَلْ أُرْسِدَكَ
اللَّهُ لِلْخَيْرِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَعَدَلْ بِكَ عَنْ سَبِيلِ الضَّلَالِ وَالْقَطِيعَةِ : أَيُّ قَوْمٍ مِنْ
النَّاسِ يَسْعَى فِي مَنَعِ قَوْمِي التَّشَابُكُ مِنَ الْأَنْبِتَاتِ ، وَصَوْنِ عُرَى التَّوَاصِلِ
عَنِ الْإِنْفِصَامِ ، سَعْيًا : أَوْ يُقَارِضُ ذَوِي الْقَرَابَاتِ ، وَإِخْوَانَ الْوُدَادِ وَالْمَصَافَةِ ،
فِي حَالَتِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، مُقَارَضَةً : ثُمَّ تَوَفَّرَ عَلَيْنَا بِمَثَلِ مَا يَمْتَنِيهِ الْخَبِيرُ
وَالْمَعْرِفَةُ ، وَعَلَى مَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ الْبَحْثُ وَالْمَسْأَلَةُ .

٧ - تُقَارِضُكَ الْأَمْوَالُ وَالْوُدَّ بَيْنَنَا كَأَنَّ الْقُلُوبَ رَاضِيَةً لَكَ رَاضٍ
فِي الْكَلَامِ الْإِنَّمَاءُ بِالْعُتْبِ^(١) ، وَإِظْهَارُ اللَّاسْتِجْفَاءِ : لِأَنَّهُ أَخَذَ يُبَيِّنُ تَمَامَ
مِيَاهِهِ إِلَيْهِ ، وَحُسْنَ احْتِمَالِهِ مِنْهُ ، وَأَنَّهُمْ عَلَى جَفَائِهِ لَا يَمْنَعُونَهُ مَالًا ،
وَلَا يَمْدُقُونَ لَهُ وُدًّا ، وَكَأَنَّ قُلُوبَهُمْ جُبِلَتْ عَلَى حُبِّهِ ، وَأَشْرَبَتْ مَوَدَّتَهُ ،
فَتَنِي رَامَتْ سَلَوَةً أَوْ نُبُوءًا أُدِيرَتْ إِلَى عَادَتِهِ^(٢) الْأُولَى ، وَعُطِفَتْ عَلَى
مَحَبَّتِهِ الْقُدَمَى .

٨ - كَفَنِي بِالْقُبُورِ صَارِمًا لَوْ رَغَيْتُهُ وَلَكِنْ مَا أَعْلَنْتَ بَادٍ وَخَافِضُ
قَوْلُهُ « بِالْقُبُورِ » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ كَفَنِي ، وَانْتَصَبَ
« صَارِمًا » عَلَى الْحَالِ أَوْ التَّمْيِيزِ . وَلَمَّا كَانَ الْقَصْدُ بِذِكْرِ الْقُبُورِ إِلَى مَا يُؤَدِّي

(١) م : « بِالْعُتْبِ » .

(٢) « هَذَا الصَّوَابُ مِنْ م وَالتَّيْمُورِيَّةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « إِعَادَتُهُ » .

إليها ، وهو الأجل المضروب ، صلح أن يقول « صارمًا لو رعيتُهُ » . ويقال
 رعيتُ النجوم وراعيتها ، إذا راقبتها . وقوله « وخافضُ » أراد به مُنخَفِضٌ
 لكنه أخرجَهُ تخرَج النسبة كأنه قال وذو خَفَضٍ ^(١) . يقول : لو انتظرتِ
 الموت ، وصبرتِ على المجاملة مُدَّة العيش ، لكان يكفيك عند حُصوله
 ما تعجَّلته من الشرِّم ، ولكن ما أظهرته من البُغْضِ تمكَّن من نَفْسِكَ
 وقلبك ، واستولى على فِعْلِكَ وقولك فلم تَمْلِكْ معه صَبْرًا ، ولم تُطِقْ بما يحجمنا
 رِفْقًا ، فهو باطنٌ ظاهرٌ ، مُسرٌّ مُعلنٌ . وإنما قال هذا لأنَّ الإنسان قد يُظهِرُ
 خِلافَ ما يَنْطَوِي عليه أو دُونه ، ما دام يَمْلِكُ زَمَامَ تَجَمُّلِهِ وتَسْتَرِهِ ، وصارَ
 الغَلْبَةُ لِعَقْلِهِ وإرادته . فإذا كان ما يَنْتَبِعُ منه عن مَعِينٍ ^(٢) في التَّلَبُّ كُنِينَ ،
 وعريقِ مَكِين ، قد اَمْتَلَكَ النَّفْسَ وَغَلَبَ الْمُسْكَةَ وَالصَّبْرَ ، فذلك النَّهَايَةُ
 لَا يُقَدَّرُ على سَتْرِهِ ، ولا يُهْتَدَى إلى دفعِهِ . وفي القرآن ما فيه هذا المعنى قوله
 تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ .

٢٠٢

وقال قبيصة بن النضراني ^(٣) :

١ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْوَرْدَ عَرَدَ صَدْرُهُ وَحَادَ عَنِ الدَّعْوَى وَضَوَّ الْبَوْرَاقِ ^(٤)

(١) ساق التبريزي هذه العبارة بدون نسبة على غالب عادته ، ثم قال : « هكذا ذكره بعضهم . والجيد ما ذكره أبو العلاء ، وهو أنه لم يذكر خافضًا مقابلًا به قوله باد ، ولكنه خبر معطوف على خبر ، كما يقال إن فلانًا مكرم لك وكثير المال . يريد : إن هذا الذي بدا منك خافض لنا عند الناس ، أي ناقص منزلتنا في الشرف والعز » .

(٢) هذا ما في م والتيمورية . وفي الأصل : « معبى » ، محرف .

(٣) سبقت له الحماسية ١٩٩ . لكن ذكر أبو محمد الأعرابي أن هذه الأبيات للأعرج المعنى . وكان من قصة الشعر أن الأعرج المعنى حاد به فرسه يوم قتلت بنو جديلة سبعة إخوة له يوم ناصفة ، وهو قوله :

وأخرجني من فتية لم أرد لهم فراقا وهم في مأزق متضايق
 (٤) التبريزي : « وروى : عَزَّ بِصَدْرِهِ . وهو أجود الروايين » .

التَّعْرِيدُ : تَرَكَ الْقَصْدَ وَسُرِعَ الْإِنْهَازُ^(١) . وَالْمُرَادُ بِالذَّغْوَى قَوْلُ
الْكُمَاةِ مَنْ يُبَارِزُ! وَخُذْهَا وَأَنَا فُلَانٌ! وَأَنَا الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ كَذَا! وَأَشْبَاهَهُ .
وَالْبَوَارِقُ ، جَمْعُ بَارِقَةٍ : الشُّيُوفُ وَسَائِرُ الْأَسْلِحَةِ .

وقائل هذه الأبيات يعتذر من إجحام اتفق ، وتأخير عن الزحف ظهر
للناس من فعله ، فأخذ يُورِّكُ بالذنب على فرسه^(٢) ، وإن نفرتة كانت
السبب في نكوصه ، فقال على طريق التلطف والتوجع : أما تعلم أن فرسي
الورْد انحرف عن القصد صدره ، وتولَّى إلى غير الوجهة التي أريدُها وجهه ،
لنفوره عن تداعي الأبطال ، ونكواه عن لمعان الشيوف والرماح .

٢- وأخرجني من فتية لم أريد لهم فرافقا وهم في مأزق متضايق
قوله « وأخرجني » معطوف على ما اعتلَّ به من نفور الفرس ، ومعذود
فيما أمَّه من جنابته عليه . والواو من قوله « وهم في مأزق » واو الحال ،
والأزق : الضيق في الحرب ، ومأزق مفعول منه . وقال « متضايق » لأن ضيق
المكر في المعارك يحصل شيئا بعد شيء . فيقول : فرَّق بيني وبين فتیان
أحببتُ الكون معهم ، وأوجبَّتْ على نفسي مُمالأتهم ومساعدتهم ، في وقت
كنتُ خليقا بالثبات معهم ، وإظهار البلاء في نصرتهم ، وكانوا مدفوعين منه
إلى ضنك بحالٍ مثلي يستدعي له ، ويستنهض للإعانة^(٣) فيه .

٣- وعَضَّ على فأس اللجام وعزني على أمره إذ ردَّ أهلُ الحقائق
هذا بيانٍ ججاج فرسه وتأبَّيه عليه ، فيقول : رَكِبَ رَأْسَهُ وَعَلَبَنِي عَلَى أَمْرِهِ ،

(١) التبريزي : « وقوله عرد صدره ، أي عرده ، كما تقول ولي وجهه . والتعريد :
العدو ، ومنه سميت العرادة لأنها ترى بالحجر المرمى البعيد » .

(٢) في اللسان : « ورك فلان ذنبه على غير توريكا ، إذا أضافه إليه وقرفه به » .

(٣) م : « للإغاثة » .

فلما كره أهل الحقائق لم أقدر على الكرم معهم^(١) ، ولا ملكت رد فرسي مع ردهم . وأهل الحقائق هم الذين يبلغون فيما يلونه ما يحق ويحب . ويقال حَقَّتْ العقدة ، إذا شددتها .

٤ - فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا بَلَوْتُ بِلَاءَهُ وَأَنْتَى بِمَتْعٍ مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقٍ يُرَوِّى : « وَأَبْنَا تَمَتَّعَ » . وله ، الضمير للفرس . كأنه كان يخاطبه متحسراً وبُيَّاتِهِ مُتَمَتِّعًا ، ويقول بعد أن مُنِيَ مِنْهُ بِمَا مُنِيَ ، وابْتُلِيَ مِنْ نَفَرَتِهِ وَزَكُوبِ رَأْسِهِ بِمَا ابْتُلِيَ : من أين لي الاستمتاع من خليل فارقته ، وكيف أساعده وأَحْمَلُ عَنْهُ ثِقَلًا وقد باعدت بيني وبينه . فقوله « وَأَنْتَى بِمَتْعٍ » في موضع المفعول لِقُلْتُ . ويقال مَتَّعَ بِكَذَا واستمتع ، وَمَتَّعَهُ اللَّهُ بِهِ وَأَمْتَعَهُ . ومن روى : « وَأَبْنَا تَمَتَّعَ » يدخل وأبنا في جملة ما اتصل بلمَّا ، ويكون المعنى : ولما بَلَوْتُ بِلَاءَهُ وَأَكْرَهَنِي عَلَى مَرَادِهِ ، فأنصرفنا من مقصدنا ، قُلْتُ لَهُ مُقَرَّرًا وَمُتَوَجِّعًا : الآن تَمَتَّعَ مِنْ أَجْلِ خَلِيلٍ بَعَدْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . كَانَ تَفَجُّعُهُ أَمْدًا أَوَّلًا وَآخِرًا ، وقبل الأوبة وبعدها وجواب لما في الوجهين قوله فقلت بما اتصل به .

٥ - أَحَدَّثُ مَنْ لَاقَيْتُ يَوْمًا بِلَاءَهُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّي غَيْرُ صَادِقٍ يَقَالُ حَدَّثْتُهُ كَذَا وَبِكَذَا ، فَيَحْمَلُ عَلَى خَبَرْتُهُ كَذَا وَبِكَذَا ، وَنَبَأْتُهُ كَذَا وَبِكَذَا . قال الهذلي :

* وَلَكِنْ خَبَّرُوا قَوْمِي بِلَائِي *

وقال الآخر :

* وَأَنْبَأْتُهُ أَنَّ الْفِرَارَ خَزَايَةٌ *

يقول : أبث في الناس قصتي وقصة فرسي ، وأخبر كل من لاقيته بجبايته

(١) التبريزي : « ولم أقدر على الكرم إذ رد أهل الحقائق خيلهم إلى القنا طائفة إذ مصافه »

عَلَى وَبَلَايِهِ مَعِيَ ، وَهُمْ بِحَسَدِهِمْ وَسُوءِ رَأْيِهِمْ يُوجِّهُونَ الظَّنَّ إِلَيَّ ، وَيُسَلِّطُونَ
الْثُّمَّةَ عَلَيَّ ، فَأَنَا بَيْنَ تَكْذِيبٍ وَتَعْيِيرٍ مَعَهُمْ وَفِيهِمْ .

٢٠٣

وَقَالَ أَيْضًا ^(١) :

١ - هَاجَرَتْنِي يَا ابْنَةَ آلِ سَعْدِ

٢ - أَأَنْ حَلَبْتُ لِقَحَّةً لِلْوَرْدِ

يُرْوَى « هَاجَرَتْنِي » عَلَى الْخِطَابِ ، وَالْكَلَامُ بِهِ ظَاهِرُ الْاسْتِغْنَاءِ .
وَيُرْوَى « هَاجَرَتْنِي » ، وَلِلْمَعْنَى أَنْتِ هَاجَرْتَنِي ^(٢) . وَقَالَ « يَا ابْنَةَ آلِ سَعْدِ »
يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ يَا ابْنَةَ سَعْدٍ فزَادَ الْآلَ كَمَا يُزَادُ لَفْظُهُ حَتَّى وَذُو . وَمِثْلُهُ قَوْلُ
الْآخِرِ ، أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

إِنْ ابْنُ آلِ ضِرَّارٍ حِينَ أَنْدُبُهُ زَبَدًا سَعَى لِي سَعْيًا غَيْرَ مَكْفُورٍ

أَرَادَ إِنْ ابْنُ ضِرَّارٍ . وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ مُخْتَلِفٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَهَا
ابْنَةُ الْآلِ إِعْظَامًا لَهَا ، كَمَا يُقَالُ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْآلِ وَحَقِيقَتِهِ .
وَالْقَحَّةُ : النَّاقَةُ الْحُلُوبُ ؛ وَيُوصَفُ بِهِ ، لَا يُقَالُ نَاقَةُ لِقَحَّةٍ ، بَلْ يَجْرِي بِجَرَى
الْأَسْمَاءِ . يَقُولُ : صَارَ مَعْنَى أَيْتَهَا الْمَرْأَةُ حِينَ آثَرْتُ فَرَسِي الْوَرْدَ بِابْنِ لَقُوحٍ ،
فَأَخْرَجَ قَوْلَهُ « أَأَنْ حَلَبْتُ » مَخْرَجَ التَّقْرِيمِ وَالتَّوْبِيخِ ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ
الِاسْتِغْنَاءِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ : أَلَا أَنْ حَلَبْتُ ، أَيْ أَيْدَى الشَّانِ كَانَ مِنْكَ الْهَجْرَانُ لِي .

٣ - جَهَلْتُ مِنْ عِنَانِهِ الْمُتَمَدِّدِ

٤ - وَنَظَرِي فِي عِظْفِهِ الْأَلَدِ

(١) كَذَا فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ وَالتَّبْرِيزِيِّ . وَفِي م : وَقَالَ خِفَافُ بْنُ نَدْبَةَ .

(٢) كَذَا . وَالْأَوْفَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : يَا هَاجِرَتْنِي .

٥ - إِذَا جِيَادُ الْخَيْلِ جَاءَتْ تَرْدِي

٦ - مَمْلُوءَةٌ مِنْ غَضَبٍ وَحَرْدٍ

قوله « جَهَلْتِ مِنْ عِنَانِهِ » يجوز على مذهب أبي الحسن الأخفش أن يكون زاد « مِنْ » في الواجب ، أراد جَهَلْتِ عِنَانَهُ ، ويكون قوله ، « وَنَظَرِي » في موضع النصب عطفاً عليه إن شئت . وتما حكاؤه من الحجة له القول بعضهم : « قَدْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ » ، « قَدْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ فَخَلَّ عَنِّي » . وعلى مذهب سيبويه يكون فيه وجهان : أحدهما أن يكون الكلام محمولا على المعنى ، لأن الجمل نفى العلم ، كأنه قال بدل جَهَلْتِ : مَا عَلِمْتِ وَمَا عَرَفْتِ . والثاني أن يكون حذف مفعول جَهَلْتِ كأنه قال جَهَلْتِ مِنْ عِنَانِهِ الطويل مدلوله من العنتي والتجابه ، لأن الذي جهلته ذلك ، إذ كان امتداد عُنُقِهِ يُدْرِكُ مُشَاهَدَةً . والشاعر أقبل يُبَيِّنُ عُذْرَهَا فيما أنكرته وعذر نفسه تَفَقُّدَهُ فِرْسَهُ فقال : جَهَلْتِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ كَرَمِهِ وَنَجَابَتِهِ ، وما أتبينه وأستدل عليه من امتداد عُنُقِهِ ولجاج جانبه ، واعتراضه في مشيه ، فلذلك استعظمت إثاري إِيَّاه . وذَكَرَ الْعِثَانَ وَالْقَصْدُ الْعُنُقُ لَأَنَّ طَوْلَهُ بَطَوَلَهَا ، وَاللَّدَدُ أَصْلُهُ فِي الْخُصُومَةِ ، يُقَالُ خَضَمْتُ الدَّ . وقوله « إِذَا جِيَادُ الْخَيْلِ » إذا ظرف لما دل عليه قوله « فِي » عِطْفُهُ الْأَلَدُّ . وقوله « تَرْدِي » في موضع الحال ، والعامل فيه جاءت . والرديان : ضَرْبٌ مِنَ الْمَشْيِ . قوله « مَمْلُوءَةٌ » في موضع الحال ، والعامل فيه تَرْدِي . والحرد : القصد ، وفي القرآن : ﴿ عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ ، أي على جِدٍّ مِنْ أَمْرِهِمْ ، والمعنى : إذا جاءت الخيل العناق قد حَمَيْتْ وَنَشِطَتْ فامتلأت غَضَبًا ، وصار مشيها رديانا ، كان في عطف هذا لدَدٌ واعتراض ، وفي مشيه

اقتسار والتواء . والعطفُ من كل شيء : جانبُهُ من لَدُنْ رَأْسِهِ إِلَى وَرِكَه .
ويقال : تَنَّى عِطْفُهُ ، إِذَا أَعْرَضَ وَجْهًا .

٢٠٤

وقال آخر^(١) :

١ - لَعَمْرُ أَخِيكَ لَا يَنْفَكُ مِنَّا أَخُو رِقَّةٍ يُعَاشُ بِهِ مَتَيْنٌ^(٢)

قوله « لَعَمْرُ أَخِيكَ » يجوز أن يُريدَ بِأَخِيكَ نَفْسَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ لَعَمْرِي .
وَجَعَلَ نَفْسَهُ أَخَاهُ عَلَى طَرِيقِ الاسْتِعْطَافِ وَتَلْطِيفِ الْحَالِ . ويجوز أن يَكُونَ
الْمُخَاطَبُ كَانَ لَهُ أَخٌ يَعِزُّ عَلَيْهِ وَيُقَسِّمُ بِحَيَاتِهِ ، فَافْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ إِعْظَامًا لَهُ
وَلِلْمُقَسِّمِ بِهِ . وَلَعَمْرُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ لَعَمْرُ أَخِيكَ قَسَمِي
أَوْ مَا أَقْسَمُ بِهِ . ومعنى لَا يَنْفَكُ : لَا يَزَالُ . وَلِامْتِنٍ : كُلُّ صُلْبٍ شَدِيدٍ ،
وَالْمَصْدَرُ الْمُنَانَةُ ، وَمَاتَنَتُ الرَّجُلُ مُمَانَةً ، إِذَا حَاكَيْتَهُ ففَعَلَتْ مِثْلَ مَا يَفْعَلُهُ
مِنَ الشَّدَّةِ . يَقُولُ : وَبَقَاءُ أَخِيكَ لَا يَزَالُ مِنَّا أَخٌ يُوَثِّقُ بَوَدِّهِ ، وَيُحَسِّنُ الظَّنَّ
بِنِيَابَتِهِ ، وَيُعَاشُ بِهِ فِي ظِلِّهِ ، جَلْدٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ .

٣ - مُفِيدٌ مُهْلِكٌ وَلِزَارُ خَصْمٍ عَلَى الْمِيزَانِ ذُو زِنَةٍ رَزِينٌ^(٣)

قوله « مُفِيدٌ مُهْلِكٌ » مثل قول الآخر :

* مُفِيدٌ مُفِيدٌ^(٤) *

وَيَكُونُ أَفَادَ مَتَعَدِّيًّا إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، وَقَدْ حَدَّثَهُمَا ، وَكَذَلِكَ مُفِيدٌ . ويجوز

(١) التبريزي : « وقال أيضاً » . فتكون الحماسية على هذا لقبيصة بن النصراني .

(٢) رواه التبريزي : « لعمر أهلك » ، ثم قال : إذا روى لعمر أخيك فإنه يجوز
أن يريد بأخيه نفسه . (٣) هذا البيت وشرحه الذي يليه ساقط من م .

(٤) لكعب بن سعد الغنوي في أمالي التتالي (٢ : ١٤٨) . وتماه :

مفيد مفيت المائدات معود لذهل الندی والمكرمات كسوب

أن يكون أفاد بمعنى استفاد، فيكون معنى مُفِيدٌ مُنْهِكٌ : كَسُوبٌ بِالْفَرْزِ وَمِنْفَاقٌ .
والأوّل أصْلَحَ في هذا . وقوله « لَزَاذُ خَصْمٍ » لَزَاذٌ كَالسَّنَادِ وَالْعِمَادِ وَمَا
أَشْبَهَهُمَا . وَاللَّزُّ أَصْلُهُ اللَّزُومُ وَالثَّبَاتُ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ لَزَاذُ الْبَابِ (١) . ثُمَّ
تَوَسَّعُوا فَقِيلَ هُوَ مِلَازٌ فِي الْخُصُومَةِ وَلَزَاذٌ ؛ وَهُوَ مُلَازُ الْخَلْقِ ، أَيْ مُجْتَمِعُهُ .
يَقُولُ : يَفِيدُ أَوْلِيَاءَهُ الْخَيْرَ وَالنِّعَمَ وَيُهْلِكُ أَعْدَاءَهُ ، ثُمَّ يَلْزَمُ خَصْمَهُ فَلَا يَفَارِقُهُ
أَوْ يَغْلِبُهُ . وَإِذَا وُزِنَ بغيره رَجَحَ عَلَيْهِ فِي السَّيْرِ وَالِاخْتِبَارِ ، فَإِذَا اسْتُخِفَّ
ذَلِكَ كَانَ هُوَ وَقَوْرًا رَزِينًا . وَيُقَالُ رَزِينٌ بَيْنَ الرِّزَانَةِ ، وَامْرَأَةٌ رَزَانٌ .

٣ - يَزِيدُ نَبَالََةً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَنَافِلَةٌ وَبَعْضُ الْقَوْمِ دُونُ
نَبَالََةٍ مَصْدَرُ نَبُلٍ . وَالنَّافِلَةُ : الْفَضْلُ . وَدُونُ ، حَقِيقَتُهُ الْقَاصِرُ عَنْ
الشَّيْءِ . وَيُقَالُ هُوَ دُونُكَ فِي الْحَسَبِ عَلَى التَّوَسُّعِ ، هَذَا إِذَا كَانَ ظَرْفًا .
وَيُقَالُ هُوَ دُونُ فِي الرِّجَالِ ، وَمَا هُوَ بِدُونٍ ، فَيُجْعَلُ اسْمًا ، وَالَّذِي فِي الْبَيْتِ
هُوَ عَلَى هَذَا . يَقُولُ : وَمَعَ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْخُصَالِ فِيهِ سَرُوءٌ وَنُبُلٌ ، وَحِجَّةٌ
وَعِزٌّ ، فَيَفْضُلُ عَلَى كُلِّ نَدِيلٍ ، وَيَعْلُو عَلَى كُلِّ ذِي شَأْنٍ نَبِيهِ ، وَبَعْضُ
الْقَوْمِ سَاقِطٌ قَاصِرٌ ، مُتَأَخِّرٌ نَاقِصٌ .

٢٠٥

وَقَالَ خُفَّافٌ بْنُ نُدْبَةَ (٢) :

١ - أَعَبَّاسُ إِنَّ الَّذِي بَيْنَنَا أَبِي أَنْ يَجَاوِزَهُ أَرْبَعُ

الْخَاطَبُ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ ، وَمُرَادُ الشَّاعِرِ أَنْ يَقُولَ : يَا عَبَّاسُ ، إِنَّ

(١) هِيَ الْحَشْبَةُ الَّتِي يَلْزَمُهَا .

(٢) هُوَ خُفَّافُ بْنُ عَمِيرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الشَّرِيدِ السُّلَمِيِّ . وَأُمُّهُ نُدْبَةُ سَوْدَاءُ وَإِلَيْهَا يَنْسَبُ =

الحُرُمَات الأربع التي تجمعي وإياك ، مَنَعْتَ أَنْ يَتَخَطَّاهَا مَا بَيْنَنَا مِنَ الشَّرِّ ، فهو يَقِفُ دونها ، وَيَقْصُرُ عن تجاوزها . وظاهرُ الكلام فيه قَلْبٌ ، لأنه جعلَ الفعلَ الذي هو المجاوزة للأربع ، والأربع هي الآبِيَّةُ من أَنْ يجاوزها ما حَدَثَ بينهما . وصَلَحَ ذلك لأنَّ المراد لا يَلْتَبِسُ من الكلام . وعلى هذا قول الآخر :

* كَمَا أَسَلَمْتَ وَخَشِيَّةٌ وَهَقَا *

لأنَّ الوَهَقَ يُسَلِّمُ الوَخَشِيَّةَ . ويـمكن أن يقال : إذا تَعَدَّى أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ صَاحِبَهُ فَقَدْ صَارَ الْآخَرُ كَأَنَّهُ تَعَدَّاهُ ، وإذا كان كذلك سَاغَ أَنْ يُجْعَلَ لِكُلِّ واحد منهما المجاوزة .

٢- عَلائِقُ مِنْ حَسَبِ دَاخِلٍ مَعَ الْإِلِّ وَالنَّسَبِ الْأَرْفَعِ

٣- وَأَنَّ تَنْبِيَّةَ رَأْسِ الْهَجَا هَ يَنْبِي وَبَيْنَكَ لَا تُطْلَعُ

هذا تفسير الخِصَالِ الأربع التي أَجْمَلَهَا . والعلائق ، جمع عِلَاقَة ، وهو ما يُتَعَلَّقُ به من الشَّيْءِ أو يُعَلَّقُ به الشَّيْءُ . وقوله « مِنْ حَسَبِ دَاخِلٍ مَعَ الْإِلِّ » ، فَالْحَسَبُ : الشَّرَفُ . وَالْإِلُّ : الْعَهْدُ . ومعنى داخلٍ مَعَهُ ، أَيْ مُخْتَلِطٌ بِهِ . وَالنَّسَبُ الْأَرْفَعُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يَعْنِي بِهِ النَّسَبَ مِنْ قَبْلِ الْأَبِ ، لِأَنَّهُ أَرْفَعُ النَّسَبِينَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَعْنِيَ النَّسَبَ الرَّفْعَ الْعَلِيِّ . وَقَدْ حَصَلَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ

= وهي بفتح النون وضمها . وهو أحد غريبان العرب ، ثانيهما عنتره ، وثالثهما السليك بن السلكة كل منهم أمه سوداء . وهو ابن عم خنساء بنت عمرو بن الشريد ، ويكنى أبا خراشة ، وله يقول عباس بن مرداس :

أَبَا خَرَّاشَةَ أَمَا كُنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنْ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّيْعُ

وقد أسلم خفاف وبقي إلى زمان عمر . انظر الإصابة ، وأسد الغابة ، والأغاني (١٦ : ١٣٤ - ١٣٩) والحزانة (٢ : ٤٧٠ - ٤٧٥) والاشتقاق ١٧٢ ، ١٨٨ والشعر ٣٠٠ .

من العلائق ثلاثٌ : حَسَبٌ ، ونَسَبٌ ، وعَهْدٌ بينهما ، والعلاقة الباقية هي مذكورة في البيت الذي يليه ، وهو قوله :

وَأَنْ ثَنِيَّةَ رَأْسِ الْهَجَا • بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَا تُطْلَعُ

كأنهما كانا تعاقداً أن لا يهجو أحدهما صاحبه ، لا يذكره في الشعر فاحتماً أثلته . وجعل لرأس الهجاء عقبةً ثنني بشقتهما من يريد قطعهما . ويقال طَلَعَ الثَنِيَّةَ واطْلَعَهَا ، إذا اشرفَ عليها . فإن قيل : وما الفصل بين الحَسَبِ والنَّسَبِ ؟ قلت : إنَّ الحَسَبَ ما يُعَدُّ مِنَ الْخِصَالِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَرَى الْحَسِيبَ يَرْجِبُ لِلْحَسِيبِ وَيَعْرِفُ لَهُ بِحَسَبِهِ مَحَلًّا وَقَدْرًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا قُرْبَى وَلَا قَرَابَةً . وَالنَّسَبُ يَرِيدُ بِهِ الرَّحْمُ وَالْقَرَابَةُ . فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى الْإِلَّ ، وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخِصْلَةِ الرَّابِعَةِ ، وَهِيَ التَّعَاقُدُ عَلَى تَرْكِ الْهَجَاءِ وَاطِّرَاحِهِ ؟ قُلْتُ : الْإِلَّ : الْعَهْدُ ، بِذَلِكَ فَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي حَوَالِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ . كَأَنَّهُمَا كَانَا تَوَاقَعًا عَلَى أَنْ لَا يُدْبِرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، وَلَا يَسْتَعِى فِي نَصَبِ الْمَكَائِدِ لَهُ — فَهَذَا مِيثَاقٌ بَيْنَهُمَا — ثُمَّ اتَّفَقَا أَيْضًا عَلَى أَنْ لَا يَتَهَاجِيَا . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْفَصْلُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ظَاهِرٌ ، كَمَا ظَهَرَ بَيْنَ الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ .

٤ - وَأَبْغَضُ إِلَيَّ يَا نِيَانِهَا إِذَا أَنَا لَمْ أُنْسَهَا أَذْفَعُ^(١)

قوله « وَأَبْغَضُ إِلَيَّ يَا نِيَانِهَا » اسْتَعِيرَ فِيهِ بِنَاءُ الْأَمْرِ لِلْخَبَرِ ، لِأَنْ مَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ وَالتَّعَجُّبُ خَبَرٌ ، وَهُمْ يَسْتَعِيرُونَ الْمَبْنَى لِلْمَعْنَى ، كَمَا يَسْتَعِيرُونَ الْجَمْلَ وَالْفُرْدَاتِ . وَهَذَا كَمَا يُسْتَعَارُ بِنَاءُ الْخَبَرِ لِلْأَمْرِ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَالْمُطَلَّعَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ . وَمَوْضِعُ يَا نِيَانِهَا رَفْعٌ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ بَغَضَ نِيَانِهَا إِلَيَّ جِدًّا . يَقُولُ : مَا أَبْغَضَ

(١) التبريزي : « لم آتها » .

إتيان عَقْبَةِ الهِجَاءِ وإِطْلَاعَهَا إِلَيَّ ، لِأَنِّي أَرَبُّا بِنَفْسِي عَنْهُ وَقَدَرِي ، وَأَصُونُ مِنْهُ دِينِي وَعِرْضِي ، وَأَتَنَاسَى فَعْلَ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ مِنْ هَمِّي . وَلَوْ لَمْ أَتْرُكْهَا تَأْتِمًا وَتَكَرُّمًا ثُمَّ أَرَدْتُ مُنَاقَضَتَكَ وَمَقَادَعَتَكَ ، لَكَانَ مَا تَعَاقَدْنَا عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِهِ يَدْفَعُنِي عَنْهُ ، وَيَمْنَعُنِي مِنْهُ . فَإِذَا ظَرَفْتُ لِقَوْلِهِ أُدْفَعُ^(١) .

٢٠٦

وَقَالَ بَعْضُ الْأَصُوصِ مِنْ طَيِّ^(٢) :

١ - وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ابْنَ شُمَيْطٍ بِسِكَّةِ طَيِّ^(٣) وَالْبَابُ دُونِي

٢ - تَجَلَّلْتُ الْعَصَا وَعَلِمْتُ أَنِّي رَهِينُ مُخَيَّسٍ إِنْ أَدْرَكُونِي

الشَّعْرُ لِبَعْضِ الْمُتَلَصُّصَةِ ، وَكَانَ أَنْهَى حَالِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ بِالْكُوفَةِ ، فَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ ابْنَ شُمَيْطٍ ، فَأَحْسَنَ ذَلِكَ وَرَكِبَ فَرَسَهُ

(١) روى التبريزي بعد هذه الحماسة مقطوعة أخرى لمعبد بن علقمة ونصها :

غِيِيْتُ عَنْ قَتْلِ الْخُتَاتِ وَلِيَنِي	شَهِدْتُ خُتَاتًا حِينَ ضُرِّجَ بِالْدَمِ
وَفِي الْكَفِّ مَنِي صَارُمٌ ذُو حَقِيقَةٍ	مَتَى مَا يُقَدِّمُ فِي الضَّرِيَّةِ يُقَدِّمُ
فِيَعْلَمَ حَيًّا مَالِكٍ وَلَقِيفُهَا	بَأَنْ لَسْتُ عَنْ قَتْلِ الْخُتَاتِ بِمَحْرَمِ
قَتْلَ لَزْهِيرٍ إِنْ شَتَمْتَ سَرَاتِنَا	فَلَسْنَا بِشَتَامِينَ لِمَنْ شَتَمَ
وَلَكِنَّا نَأْبَى الظَّلَامَ وَنَعْتَصِي	بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مَصْتَمِ
وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا	وَنَشْتَمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ
وَإِنْ التَّمَادَى فِي الذِّى كَانَ يَبْنِنَا	بِكَفِّكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهُ أَوْ تَقَدِّمِ

وقد روى ابن جني في التنبيه منها البيت الأول .

(٢) هو شبيب بن عمرو بن كريب الطائي ، كان يصيب الطريق في خلافة علي بن أبي طالب ، فبغت إليه أحرار بن شريط العجلي وأخاه في فوارس ، فأحس شبيب بذلك ، وركب فرسه العصا فنجوا به . انظر البيان (٣ : ٨٥) وشرح التبريزي للحماسة .

العصا فَنَجَّا به ، وذكر قِصَّتَهُ في هذه الأبيات . وقوله « والبابُ دوني » يعني بابَ البَلَدِ والمَسَالِحِ ^(١) . وقوله « تَجَلَّاتُ العَصَا » جوابُ لَمَّا ، أي رَكِبْتُهُ على جُلِّي ولم أَتَلَوِّمْ لإِسْرَاحِهِ ، خوفاً على نَفْسِي ، وعِلْمًا أَنِّي إِنْ تَوَقَّفتُ أودِغْتُ السَّجَنَ مُرْتَهِنًا بما كَسَبْتُ يَدِي . و « مُخَيِّسٌ » : اسمُ سَجَنٍ بِناءُ أمير المؤمنين عليه السلام . والتَّخْيِيسُ : التذليل ، وأصلُهُ في الكَدِّ . على هذا قال النابغة :

وخَيْسَ الجَنِّ إني قد أَذِنْتُ لَهُمُ يُيَنُّونَ تَدْمُرَ بالصَّفَّاحِ والعَمَدِ
ويقال في الشتم : خَيْسَ أَنفَهُ فِيمَا يَكْرَهُ ، كما يقالُ أَرْغِمَ أَنفَهُ .

٣- وَلَوْ أَنِّي لَبِثْتُ لَهُمُ قَلِيلًا لَجَرَّوْنِي إِلَى شَيْخِ بَطِينٍ ^(٢)
٤- شَدِيدِ مَجَامِعِ الْكَتِفَيْنِ بَاقٍ عَلَى الْحَدَثَانِ مُخْتَلِفِ الشُّثُونِ ^(٣)

قوله « قليلا » يجوز أن يكون ظَرْفًا ، يريد زمانًا قليلا ، ويجوز أن يكون صفةً لمُصَدَّرٍ محذوفٍ ، يريدُ لَبِثًا قليلا . فيقول : لم أُمَكِّثْ لِلطَّالِبِينَ لَمَّا عَرَفْتُ الحال ، ولم أَتَبَاطَأْ مَعْرَجًا على إِعْدَادِ شَيْءٍ ، ولو ظَنَرُوا بِي لَجَرَّوْنِي إِلَى حَضْرَةِ رجلٍ عَظِيمِ البَطْنِ شَيْخٍ ، وذلك صفةُ أمير المؤمنين عليه السلام . ولقد رَوَى عن النبي صلوات الله عليه في عِظَمِ بَطْنِهِ أَنَّهُ قال : « هُوَ لَكثرةُ عِلْمِهِ » . وقوله « شديد مجامع الكتفين » من صِفَتِهِ إِلَى آخر البيت . يريد أَنَّهُ شديدُ الظَّهِرِ ، قَوِي اللَّئْنِ ، مجتمِعُ الخَلْقِ ، وذلك خِلَقَةُ الأَسَدِ . وقوله « باقٍ على الحدَثَانِ » يعني صَبْرَهُ في حوادثِ الدَّهْرِ ، وانتصابه في وجوه بُغَاةِ الجَوَرِ ، لا يأخُذُهُ في

(١) م : « أو المسالِح » .

(٢) رواية الجاحظ :

ولو أنظرتهم شيئًا قليلا لساقوني إلى شيخِ بَطِينٍ

(٤) رواية الجاحظ : « شديد مجازل الكتفين صلب »

طلب الحق وإمضائه لومة لأثم ، واعتراضُ ممانع^(١) ، ولا يَلْفِتُهُ عن هَذِيهِ
وَسَنَنِهِ كَرَاهَةُ كَارِهِ ، وَقَمْعَدَةُ خَاذِلٍ . وقوله « مَخْتَلَفِ الشُّنُون » يعنى طرائقه
فى زُهْدِهِ وَعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ ، وبَأْسِهِ وإِقْدَامِهِ فى ذاتِ الله ، وَجُبْنِهِ عن محارِمِ الله ،
وتَعَفُّفِهِ عن احتِجَازِ المطامع ، وابتِداءِ المصانع ، مع قَلَّةِ الاحتِفَالِ باكتِسَابِ رِضَا
خَلْقِهِ ، إِذَا أَدَّاهُ إِلَى سَخَطِ رَبِّهِ ، إِلَى مَا لَا يَكَادُ يَجْتَمِعُ إِلَّا فى مِثْلِهِ ، وَيَطُولُ
الْكَلَامُ بَعْدَهُ وَضَبْطُهُ . وفى هذه الطريقة وإن اختلف الوصفان والموصوفان
قول الآخر^(٢) :

قَلِيلُ الذَّشَكِيِّ لِلْهُمِّ يُصِيبُهُ كَثِيرُ الْهُوَى شَتَّى الْفَوَى وَالْمَسَالِكِ

٢٠٧

وقال حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ^(٣) :

- ١- لَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ نَبْهَانَ تَارِكِي بِلْمَاعَةٍ فِيهَا الْحَوَادِثُ تَخْطِرُ
 - ٢- نُصِرْتُ بِمَنْصُورٍ وَبَانِي مُعَرِّضٍ وَسَفْدٍ وَجَبَّارٍ بَلِ اللَّهِ يَنْهَرُ
 - ٣- وَلِلَّهِ أُعْطَانِي الْمَوَدَّةَ مِنْهُمْ وَثَبَّتَ سَاقِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أُعْزُ
- لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ ، وَهُوَ لَوْ قَوَّعَ الشَّيْءَ لَوْ قَوَّعَ غَيْرَهُ ، وَجَوَابُهُ نُصِرْتُ .
وَأَرَادَ بَنَى نَبْهَانَ فَذَكَرَ الْجَدَّ وَالْمَرَادُ الْقَوْمُ ، وَسَمَّى نَبْهَانَ الْعَبْدَ تَهْجِيئًا لَهُ ،
وَرَمِيًا لِإِيَّاهُ بِاللُّؤْمِ . وَاللَّمَاعَةُ : الْمَفَازَةُ يَلْمَعُ فِيهَا السَّرَابُ . وَجَعَلَهَا مَحْوَفَةً لَا تُؤْمِنُ
فِيهَا نَوَائِبُ الدَّهْرِ ، وَحَوَادِثُ الْمَوْتِ . وَمَعْنَى تَخْطِرُ تَحْدُثُ وَتَعْتَرِضُ . وَيُقَالُ
رُمِخَ خَطَرًا ، أَيْ شَدِيدَ الْاهْتِزَازِ ، وَمِنْهُ خَطَرَانُ الْفَجْلِ بِذَنْبِهِ عِنْدَ الصِّيَالِ .

(١) فى الأصل والتميمورية : « وإعراض ممانع » وفى م : « وإعراض اعتراض ممانع » ،
والوجه ما أثبتنا .

(٢) هو تأبط شراً . انظر الحماسية ص ١٣ ص ٩٤ .

(٣) سبقت ترجمه فى الحماسية ٦٩ ص ٢٥٥ .

فيقول : لما وجدتهم متخلفين عني وتاركين لي بمفازة هذه صفتها ، استنصرت غيرهم فنصرني الله بالأقوام الذين ذكرتهم . ولا يمتنع أن يكون الجماعة كناية عن الأمر الشديد والداهية المنكرة . ويكون قوله « تاركى بلماعة » كما يقال تركته بحالة سوء ، وبآخر رمق ، وما يجري مجراه . وقوله « فيها الحوادث تخطر » جعله مثلاً لما لم يكن يأمنه من فنون الحوادث ، وصروف المتآلف . ثم أخذ يشكر الله على ما عطف عليه من منيل الأقوام الذين أغاثوه ، وثقى إليه من نصرهم ، وعلى تثبيت قدمه بعد ما كادت تزل به ، وتلافيه بحسن الاستمسك ، عند ما ظن من إشراف الهلاك .

٤- إِذَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ رَأَيْتَهُمْ أَهْمُ قَائِدٍ أَعْمَى آخِرُ مُبْعِرٍ

الضمير من قوله « لهم قائد أعشى » يجوز أن يكون لناصريه ، وهم الذين ستمهم ، ويكون الكلام مذحاً وما بعد هذا البيت يتلوه في ذلك ويتبع . ويجوز أن يكون لخاذايه بنى نهان ، ويكون الكلام ذمّاً ، وما بعده يطرد معه ويذهب . ووجه المدح أن يكون المراد بقوله « إذا ركب الناس الطريق » إذا انتوى الناس نياباتهم ، فسلكوا في مناجعهم ومزالفهم^(١) ، ومتصرفاتهم ومقافيلهم ، طرائقهم الآمنة ، رأيت هؤلاء القوم لعزهم ومنعتهم بسيرهم الليل والنهار ، وبقودهم الظلم والأنوار ، لا يخذرون منيعاً ، ولا يخافون مغيراً ، ولا يباي عنهم استباحة حتى ، ولا يعرض لهم حيناً توجهوا أذى . فالقائد الأعشى هو الليل ، والآخر للبصر هو النهار . ووجه الذم أنهم لجهلهم وسوء تأتيتهم ، إذا أبصر الناس مرآشدهم واستبصروا فيما يقدمون عليه أو يخجيمون عنه وجدت هؤلاء القوم يستضيئون برأى كل أحد ، ويستشيرون كل ذي نحلة ومذهب ، فيرشدهم جماعة وينفويهم آخرون ، على حسب اختلاف الآراء والمقاصد ، لا بصيرة

(١) المزالف : القرى التي بين الريف والبر .

تُمَسِّكُهُمْ ، ولا عزيمة تَغْلِبُهُمْ وَتَجْذِبُهُمْ ، فهم تَبَعَ لِكُلِّ نَاعِيٍّ ، وجواب
لكل نادِبٍ .

٥- لهم مَنَظِقَانِ يَفْرُقُ النَّاسُ مِنْهُمَا وَلِخَنَانٍ مَعْرُوفٌ وَآخَرُ مُنْكَرٌ

إذا جُمِلَ الكلامُ مَدْحًا على ما قَدَّمْتُهُ ورتبته يكون معنى « لهم مَنَظِقَانِ »
أنهم خطباء شعراء ، فالناسُ يَرْهَبُونَ نَظْمَهُمْ وَنَثْرَهُمْ ، ويهابون أَسَنَتَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ
في مجالسِ المُلُوكِ ، وأندية الاحتفال . ومعنى « وَلِخَنَانٍ مَعْرُوفٌ وَآخَرُ مُنْكَرٌ »
أنَّ لهم اصطناعاً لمَوَالِيهِمْ فَلَخَنُهُمْ فِيهِ لَحْنٌ مَعْرُوفٌ حَسَنٌ مَرْجُوءٌ ، واستنصالاً
لِمُعَادِيهِمْ فَلَخَنُهُمْ فِيهِ لَحْنٌ مُنْكَرٌ مُحْوَفٌ . وفي طريقة هذا الوجه قول نصيب :

يُحْيَوْنَ بِسَامِينٍ طَوْرًا وَتَارَةً يُحْيَوْنَ عَبَّاسِينَ شَوْسَ الْحَوَاجِبِ

واللَّحْنُ : المَعَارِضُ ، وفي القرآن : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ . وأصله
الْعُدُولُ وَاللُّبْلُ عن الظاهر . وإذا جُمِلَ ذِمًّا لِأَوَّلِيكَ الْقَوْمِ يكون المعنى أنهم
ذوو وجوه في لقاء النَّاسِ مُخْتَلِفَةٍ ، وأقوالٍ غَيْرِ صَادِقَةٍ ، فلكل منهم مَنَظِقَانِ :
أحدهما في التقوُّلِ والتَّنْفِيقِ ، والآخر في البُهْتِ والتَّخْرِصِ ، عَرَفَهُمَا النَّاسُ فهم
يَفْرُقُونَ مِنْهُمَا . ولهم تعريضان بَعْدَهَا : أحدهما يَفْتَادُونَهُ عِنْدَ نَكْثِ الْعَهْدِ
ونقض العُقود ، وقد عَرَفَهُ النَّاسُ فهو مشهور من أفعالهم ؛ والآخر يَتَعَاطَوْنَهُ
عِنْدَ إِمْعَالِ حِيلَةٍ ، وإمضاء غِيْلَةٍ ، فهو خَافٍ بَعْدَ مُنْكَرٍ .

٦- لِكُلِّ بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ رِبَاعَةٌ وَخَيْرُهُمْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرُّ بُحْتُرٌ

قوله « لِكُلِّ بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ رِبَاعَةٌ » ، أى لِكُلِّ واحد منهم أُمْرٌ
مُسْتَقِيمٌ ، وتديبٌ مرضي^(٣) ، وَأَفْضَاؤُهُمْ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ بُحْتُرٌ بَنِ عَتُودٍ .

(١) كذا في م والتبجورية والتبريزي . وفي الأصل : « مضى » أى مضى .

وَيُقَالُ : مَا فِي بَنِي فُلَانٍ أَحَدٌ يَضْطِطُ رِبَاعَتَهُمْ^(١) غَيْرُ فُلَانٍ ، أَيْ أَمْرَهُمْ
وَشَأْنَهُمْ . وَالنَّاسُ عَلَى رِبَاعَتِهِمْ^(٢) وَرِبَاعَتِهِمْ ، أَيْ عَلَى اسْتِقَامَتِهِمْ . وَحُكِّي :
تَرَكْنَاهُمْ عَلَى سَكِينَتِهِمْ وَرِبَاعَتِهِمْ ، أَيْ عَلَى حَالَتِهِمْ الْحَسَنَةِ . وَلَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي
غَيْرِ الْحَسَنِ . وَحُكِّي أَيْضًا : هُوَ عَلَى رِبَاعَةِ قَوْمِهِ ، وَهُوَ ذُو رِبَاعَةِ قَوْمِهِ ، أَيْ
سَيِّدُهُمْ وَمُدَبِّرُهُمْ . فَعَلِيَ هَذَا يَحْزُونُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى لِكُلِّهُمْ ذُو رِبَاعَةٍ ، فَحَذَفَ
الْمُضَافَ . وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ « وَخَيْرُهُمْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بُحْتُرُ » . وَقَدْ حُكِيَ^(٣)
فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَعَانٍ غَرِيبَةٌ فَتَعَهَّهْمَا^(٤) .

٢٠٨

وَقَالَ أَبَانُ بْنُ عَبْدَةَ [بِنِ الْعِيَّارِ^(٥)]

١ - إِذَا الدِّينُ أَوْدَى بِالْفَسَادِ قَعْلُ لَهُ يَدْعُنَا وَرَأْسًا مِنْ مَعَدِّ نَصَادِمُهُ
الدِّينُ يَحْزُونُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الطَّاعَةُ وَالْإِثْلَافُ هَاهُنَا . وَمَعْنَى أَوْدَى بِالْفَسَادِ :
هَلَكَ بِفَسَادِ ذَاتِ الْبَيِّنِ . وَيَحْزُونُ أَنْ يَرَادَ بِهِ دِينُ الْإِسْلَامِ ، وَمَعْنَى أَوْدَى
بِالْفَسَادِ أَوْقَعَ^(٦) بِمَا ظَهَرَ مِنْ وُلَاةِ الْأُمَرَاءِ ، جَعَلُوا الْخِلَافَةَ مُدْلَكًا ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ
مُدْلَكًا . وَقِيلَ أَرَادَ بِالْفَسَادِ الْحَرْبَ الْمَعْرُوفَةَ بِحَرْبِ الْفَسَادِ ، وَسَمَّيْتَ بِذَلِكَ لَتْنَاهِي
الشَّرِّ وَالْحَقْدِ بَيْنَ أَهْلِهَا ، وَيُقَالُ إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ كَانَ يُخَصِّفُ نَفْلَهُ بِأَذْنِ مَقْتُولِهِ
وَيَشْرِبُ الْمَاءَ فِي قِحْفِ رَأْسِهِ . وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِاللَّذِينَ فِي هَذَا الْوَجْهِ ائْتِلَافُ

(١) الرِّبَاعَةُ ، يَفْتَحُ الرَّاءَ وَتَكْسِرُ .

(٢) الرِّبْعَةُ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَيَفْتَحُ فَكْسِرُ ، وَيَكْسِرُ فَيَفْتَحُ .

(٣) م وَالتَّيْمُورِيَّةُ : « جَرَى » .

(٤) التَّبْرِيْزِيُّ : « وَقَالَ ابْنُ الْخِطَّابِ : يَقُولُ : لِكُلِّ هَؤُلَاءِ أَمْرٌ وَشَأْنٌ ، وَغَيْرُهُمْ يَحْزَرُ ،
وَلَا يَصْلُحُ لِلرِّيَاسَةِ وَالسِّيَاسَةِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِدَفِيٍّ » .

(٥) التَّكْلَةُ مِنَ التَّيْمُورِيَّةِ . وَذَكَرَ التَّبْرِيْزِيُّ أَنَّهُ فِي إِحْدَى النُّسخِ « أَبَانُ بْنُ عَبْدَةَ »
ثُمَّ قَالَ : « عَبْدَةُ بْنُ عِيَّارِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَزْءٍ » .

(٦) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ .

العشيرة ، لأن هذه الحرب كانت في أحياء طَيِّبٍ . والرأس : الجماعة الكثيرة . قال :

وَرَأْسِ أَعْدَاءِ شَدِيدٍ أَضْمَهُ سِرْنَا إِلَيْهِ إِذْ غَرَانَا أَغْظَمُهُ (١)

وقوله « نَصَادِمُهُ » أى نُدَافِعُهُ ونُصَافِكُهُ . فيقول : إذا ارتفعت دعوة الاتفاق والاتلاف من بين العشائر ، وبطلت طاعة بعضهم للبعض ، وسقط التعاون والتجمع [منهم (٢)] بما يجمعهم من المباينة ، ويظهر فيهم من أثر العموق والمشاقة ، فنزل له ليركنا وجيشاً عظيماً من قبائل مَعْدٍ نُدَافِعُهُ ونحاربُهُ . وإذا كان بيننا التوازر والتألف لم نُبَالِ بقبائل مَعْدٍ كُلِّهَا . قوله « نَصَادِمُهُ » في موضع الحال ، أى مُصَادِمِينَ لَهُ . وقوله « يَدْعُنَا » إن شئت قلت انجزم بلام الأمر وقد حُذِفَ ، كأنه قال : قل له ليدعنا . وإن شئت قلت انجزم على أن يكون جواب أمر محذوف ، كأنه قال : قل له دَعْنَهُمْ يَدْعُنَا . وعلى هذا قوله عز وجل : ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ، كأنه قال قل لهم افعلوا بفعلوا .

٣ - بِبَيْضِ خِفَافٍ مُرْهَفَاتٍ قَوَاطِجٍ لِدَاوُدَ فِيهَا أَثَرُهُ وَخَوَاتِمُهُ

الباء من قوله « بِبَيْضِ » تعلق بنصَادِمِهِ من البيت الأول . ويعنى بها الشيوف . وجعلها خِفَافاً لِسُرْعَةِ الضاربين بها في إعمالها . والمُرْهَفَاتُ : المُرَقَّعَاتُ الحَدُّ ، المَوَاضِي فِي الضَّرَائِبِ . وقال : لِدَاوُدَ فِيهَا خَوَاتِمُ ، يريد عَتَمَتَهَا . وداود عليه السلام إِنَّمَا سَرَدَ الدَّرُوعَ لَمَّا لَبَّى اللَّهَ الْحَدِيدَ لَهُ مُعْجِزَةٌ لَا الشَّيْفُ ، لكن القصد إلى العتق والقدم ، لا إلى الطبع والعمل . وقيل فيه إِنَّهُ قَدَّرَ أَنَّ الْأَمْرَ

(١) الرجز للمعاج في ديوانه ٦٤ .

(٢) هذه من م والتميمورية .

في نسبة الشيوف والدروع إلى داود على سواء، بلهله. والأثر: فِرْنْد السَّيْف .
وَذِكْرُ الْخَوَاتِمِ مَثَلٌ ، أَيْ هِيَ مِمَّا اتَّخَذَ فِي أَيَّامِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ تَحْتَ خَوَاتِمِهِ .

٣- وَزَرْقٍ كَسَتْهَا رِيَشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ أَثَيْتُ خَوَافِي رِيَشَهَا وَقَوَادِمُهُ

٤- بِجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ يَيْثِرُ أَخْرَاهُ وَبِالشَّامِ قَادِمُهُ^(١)

يَعْنِي بِالزَّرْقِ نِصَالًا مَجْلُوءَةً قُدِّذَتْ بِرِيَشِ صَفَرٍ . وَالْمَضْرَحِيُّ : الْكَرِيمُ
مِنَ الصُّقُورِ ، وَقِيلَ هُوَ مَا طَالَ جَنَاحُهُ مِنْهَا ؛ وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ لِلسَّيِّدِ السَّرِيِّ
هُوَ مَضْرَحِيٌّ . وَقَالَ « كَسَتْهَا رِيَشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ » عَلَى الْجَازِ ، لَمَّا كَانَ الْقُدُّ
مِنْ جَنَاحِهَا . وَجَعَلَ فِي الْقَوَادِمِ - وَهِيَ كِبَارُ الرِّيشِ - وَفِي الْخَوَافِي - وَهِيَ
صَفَارُهُ - أَثَانَةً وَجُثُولَةً ، نَفْيًا لِلْحَرَقِ^(٢) وَالْفَسَادِ عَنْهَا . وَذَكَرَ أَثِينًا لِأَنَّهُ
أَجْرِي يَجْرِي الْفَعْلُ ، وَتَأْنَيْتُ الْخَوَافِي لَيْسَ بِمَحْقِقَةٍ . وَقَوْلُهُ « بِجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ
فِي حَجَرَاتِهِ » يَصِفُهُ بِالكَثْرَةِ - أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ حَجَرَاتٍ ، وَهِيَ النَّوَاحِي ،
وَاحِدَتُهَا حَجْرَةٌ . وَفِي الْمَثَلِ « يَرِيضُ حَجْرَةٌ وَبِرَّتِي وَسَطًا » - وَأَنَّ الْبُلُقَ
مِنَ الْخَيْلِ عَلَى مُهْرَتِهَا إِذَا ضَلَّتْ عَنْ أَرْبَابِهَا فَذَهَبَتْ فِي جَوَانِبِهِ لَمْ يُهْتَدَ إِلَيْهَا .
وَقَوْلُهُ « يَيْثِرُ أَخْرَاهُ » يَعْنِي مَدِينَةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . يَرِيدُ أَنْ جَيْشُهُ
يَأْخُذُ مِنَ الْأَرْضِ ، لِكَثْرَتِهِ ، مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ .

٥- إِذَا نَحْنُ مِيرْنَا بَيْنَ مَرْقٍ وَمَغْرِبٍ تَحَرَّكَ يَقْظَانُ التَّرَابِ وَنَائِمُهُ

لَمْ يَرِضْ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ الْوَصْفِ فِي كَثْرَتِهِ ، فَزَادَ وَقَالَ : إِذَا مِيرْنَا بَيْنَ
مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا طَبَقْنَا الْأَرْضَ بِكَثْرَتِنَا ، فَتَزَلْزَلْنَا الطَّرِيقَ
لِلْمَسْلُوكَةِ وَغَيْرِ الْمَسْلُوكَةِ . وَالْيَقْظَانُ : مَا وُطِئَ بِالْأَرْجْلِ وَسُلِّكَ ، فَكَانَ تُرَابُهُ

(١) كلمة « الشام » كذا وردت بالهمز في الأصل فقط .

(٢) الحرق ، بالتحريك : النسل والتقطع .

مُنْتَبِهٌ . والنائم : الذي لم يُوطأ ولم يُسَلَّك ، فكانَ تَرْابُهُ نَائِمٌ . وقد أحسن ما شاء في الاستعارة ، والطَّباقِ بالنَّوم واليقظة . فأما قول زهير :
يَهْدُ لَهُ مَا دُونَ رَمَلَةٍ عَالِجٍ وَمَنْ أَهْلُهُ بِالْعَوْرِ زَالَتْ زَلَا زِلُهُ^(١)
فقد حَسَنَ التَّقْسِيمَ وإن كان شَأُوهُ مقصورًا عن شَأُو هذا .

٢٠٩

وقال أنيف بن حكيم النبهاني^(٢) :

١- جَمَعْنَا لَهُمْ مِنْ حَيٍّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ كَمَنَائِبِ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالَهَا
٢- لَهُمْ عَجَزٌ بِالْحَزَنِ فَالرَّمْلُ فَاللَّوَى وقد جَاوَزَتْ حَيٍّ جَدِيسٍ رِعَالَهَا
قوله « من حَيٍّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ » أراد من حَيٍّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ فاكْتَفَى
بالتوحيد عن التثنية . ومثل هذا الاكتفاء قوله في البيت الثاني « وقد جَاوَزَتْ
حَيٍّ جَدِيسٍ رِعَالَهَا » لأن المراد حَيٍّ طَسَمٍ وَجَدِيسٍ فاكْتَفَى بذكر أَحَدِهَا
عن الآخر ، لتجاورها في الذِّكْر ، واشتجارها في التَّعْرِف . وقوله « يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ
نَكَالَهَا » فالإفرافُ : هُجْنَةٌ تَدْحَقُ مِنْ قِبَلِ الْفَحْلِ . وَخَصَّيْهُمْ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمْ
عنده لا يَأْنِفُونَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْحَرْبِ وَالنُّكُولِ ، ولا يَتَمَعَّضُونَ مِنَ الْإِهْزَامِ
وَالنُّكُوصِ ، فالبلاءُ إِلَيْهِمْ أَسْبَقُ ، وَالنَّكَالُ فِيهِمْ أَبْسَطُ . وقوله « لَهُمْ عَجَزٌ
بِالْحَزَنِ فَالرَّمْلُ فَاللَّوَى » رَتَّبَ الذِّسْقَ بِالنَّاءِ لِمَا يُفِيدُهُ مِنَ التَّعْقِيبِ بِلا مُهْلَلَةٍ .
وفي الْأَسْرِ الْعَامُ يُقَطَّعُ الْحَزَنُ - وهو ما غَاطَّ مِنَ الْأَرْضِ - إِلَى مَا سَهَّلَ

(١) ديوان زهير ١٤٤ .

(٢) هذه الحماسة تكرر للحماسة رقم ٣٣ ص ١٦٩ مع تخالف يسير في الرواية . وهذا
سهو من أبي تمام . ومن عجب أن التبريزي لم ينتبه أيضا إلى ذلك . وقد سبق اسم الشاعر
« أنيف بن حكيم » . لكن ما ورد هنا في جميع النسخ يطابق ما في التبريزي .

من الرَّمْل ، وَيُقَطَّعُ الرَّمْلُ إِلَى اللَّوَى ، وهو مُسْتَرْقَه . وقوله « وقد جاوزت حَيَّ جديس » فإنه يعنى بلاد حَيَّ طَسَمٍ وجديس ، فحذف المضاف . والرَّعال : جمع الرِّعْلَةِ والرَّعِيل ، وهما الجماعة المتقدمة من الجيش . والمراد أنهم لكثرتهم شغلوا ما بين هذه المواضع . ومثله ما تقدّم من قوله :

* بِيَثْرَبِ أَخْرَاهُ وَبِالشَّأْمِ قَادِمُهُ ^(١) *

٣- وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَرَشَفُ رَجَلَةٍ تَتَّحُ لِفِرَاتِ الْقُلُوبِ نِبَاكُهَا

الحَرَشَفُ : الجماعة من الرِّجَالَةِ . ويقال راجِلٌ وَرَجُلٌ وَرَجَلَةٌ وَرَجَالَةٌ لِلْمَشَاةِ عَلَى أَرْجُلِهِمْ . وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ فِيهِمْ رُمَاةٌ وَأَنَّهُمْ عِنْدَ التَّغْيِيَةِ تَتَقَدَّمُ الرِّجَالَةُ الرُّمَاتُ ، وَخَلْفَهُمُ الْفُرْسَانُ كَالسَّيْدِ لَهُمُ الْإِيَادُ ^(٢) ، يَمْنَعُونَهُمْ مَا يُشَرِّدُهُمْ أَوْ يُغَيِّرُ نَظَرَهُمْ ؛ ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُتَّقَدَّرُ لِلْقُلُوبِ الْغَارَةُ ، لِأَنَّهُمْ حُدَّاقٌ يَصِيبُونَ لِلْقَاتِلِ . وَمَعْنَى « تَتَّحُ » تَهَيَّأُ . وَيُقَالُ تَاحَ يَتَوَحُّ وَيَتَبَيَّحُ ، لِفَتَانٍ . وَأَتَاحَ اللَّهُ لَهُ كَذَا . وَالْفِرَاتُ : جمع غِرَّةٍ ، يقال جاريةٌ غِرَّةٌ : غَرِيْرَةٌ . وَيُرْوَى « لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ » ، والمعنى ظاهر .

٤- أَبَى أَلَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا

يقول : مَنَعَ أَلَهُمْ التَّزَامَ الضَّيْمِ وَالرِّضَا بِالذَّنْبِ وَفَوْرُ عَدَدِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِزَّةَ فِي الْكَثَرَةِ . وَيُقَالُ نَتَقَتِ الْمَرْأَةُ وَالنَّاقَةُ فَهِيَ تَنْتَقُ نَتَوْقًا ، وَهِيَ كَثْرَةُ الْوَلَدِ سُرْعَةُ الْخَمْلِ . وَذَكَرَ الْعِيَالَ اسْتِعَارَةً فِي الْأَوْلَادِ ، وَاحِدُهَا عَيْلٌ ، يُقَالُ عِنْدَهُ كَذَا عَيْلًا . وَيُقَالُ عَيْلٌ وَعِيَالٌ ، وَهُوَ مُعِيلٌ مُعِيلٌ ، أَيْ كَثِيرُ الْعِيَالِ . وَفَاعِلٌ أَبِي قَوْلُهُ « أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ » ، وَأَنْ يَعْرِفُوا فِي مَوْضِعٍ وَبَاقِي الْأَبْيَاتِ قَدْ تَقَدَّمَ بِتَفْسِيرِهِ ^(٣) .

(١) انظر الحماسة السابقة . (٢) الإيادة : ما يؤيد به الشيء . ويقوى .

(٣) انظر ما سبق في الحماسة ٣٣ ص ١٧١ - ١٧٣ .

٢١٠

وقال الكروس بن زيد^(١) :

١- رَأَتْني وَمِنْ لُبْسِي الْمَشِيبُ فَأَمَلْتُ غَنَائِي فَكُونِي آمِلًا خَيْرَ آمِلٍ^(٢)

يقول : رأيتني هذه القبيلة، وقد قنعتني المشيب بحماره ، وَنَجَدَنِي الدَّهْرُ بِأَحْدَاثِهِ وَمَصَائِبِهِ^(٣) ، فَعَلَّقْتُ رَجَاءَهَا بِغَنَائِي وَكَفَايَتِي ، وَشَدَّتْ أَرْزَهَا لَمَّا تَفَرَّسْتُ فِي نَظْرِي وَشَهَامَتِي ، فَتَوَيْتُ أَمَلَهَا ، وَأَكَّدْتُ طَمَعَهَا ، وَقُلْتُ : كُونِي آمِلًا خَيْرَ آمِلٍ . وهذا الكلام يجوز أن يكون معناه دُومِي عَلَى أَمَلِكِ وَكُونِي خَيْرَ آمِلٍ ، فَأَصْدَقُ ظَنِّكَ وَأَحَقُّ طَمَعِكَ . ويجوز أن يكون دعاء لها ، كَأَنَّهُ قَالَ : جَعَلَكَ اللَّهُ خَيْرَ آمِلٍ . وخير الآملين مَنْ يُبْلَغُهُ اللَّهُ مَأْمُولَهُ ، وَبُيْنِيْلُهُ طَلِبَتُهُ وَسُؤْلُهُ . وإِنَّمَا قَالَ « كُونِي آمِلًا » وَلَمْ يَقُلْ أَمَلَةً ، لِأَنَّ الْمُرَادَ كُونِي حَيًّا آمِلًا ، فَلَمْ يَقْصِدْ قَصْدَهَا .

٢- لَيْتَ فَرَحَتَ بِي مَعْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي لَمَنْدَرَتْ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

٣- أَهْلٌ بِهِ لَمَّا اسْتَهْلَ بِصَوْتِهِ حِسَانُ الْوُجُوهِ لَيْثَاتُ الْأَنَامِلِ

يقول : إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْقَبِيلَةُ سُرَّتْ بِي عِنْدَ كِبَرَتِي^(٤) ، وَاسْتِكْمَالِ رَأْيِي

(١) شاعر إسلامي طائي . والكروس : الضخم الرأس : وهو الكروس بن زيد بن الأجدم بن مصاد بن معقل بن مالك بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خازجة بن سعد بن فطرة بن طيس . قال يخاصم ابن عم له إلى مروان بن الحكم ، وهو على المدينة :

قضى بيننا مروان أمس قضية فما زادنا مروان إلا تنائيا
فلو كنت بالأرض القضاء لعفتها ولكن أنت أبوابه من ورائيا
وهو أول من جاء بخبر الحرة الكوفة . وفيه يقول عبد الله بن الزبير الأحمدي :
لعمري لقد جاء الكروس كاظما على ذبا للمؤمنين وجميع
انظر المؤلف ٢٧١ ومعجم المرزباني ٣٥٦ وشرح التبريزي .

(٢) م : « غنای » .

(٣) م والتمورية : « ومصاير » .

(٤) م : « كبر » . وفي التيمورية « كبرقي » ، وهذه الأخيرة محرفة .

وَتَجَرَّبَتِي ، فَحَقَّ لَهَا ذَلِكَ ، فَقَدْ اسْتَبَشَّرْتُ بِي عِنْدَ وَلَادَتِي ، وَحِينَ هُنْتُ بِقَدَمَتِي . والقوايل : جمع القابله ، وهي التي تقبل الولد عند الولادة . واللام من قوله « لئن » دخلت موطنه للقسم ، وجواب القسم المنوي « لقد فرحت » . وهذا خلاف قول الآخر (١) :

وَهَيَّ بِي قَوْمِي وَمَا إِنْ هَنَانُهُمْ وَأَصْبَحْتُ فِي قَوْمِي وَلَيْسُوا بِمَنْبَتِي (٢)
وقوله « أهْلَ » به لَمَّا اسْتَهْلَ بِصَوْتِهِ « نَقَلَ اللَّفْظَ إِلَى الْغَيْبَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي حَدِيثِ نَفْسِهِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَصَارُيفِهِمْ . يقول : تَبَاشَّرْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ عِنْدَ مِيلَادِي ، فَرَفَعْنَ أَصْوَاتَهُنَّ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ وَالشَّاءَ عَلَيْهِ ، كَمَا يُهْلُ الْمَلِكُ فِي الْحَجِّ ، وَالنَّاظِرُ إِلَى الْهَلَالِ ، حِينَ وَقَعْتُ عَنْ أُمِّي (٣) ، وَاسْتَهَلْتُ بِبُكَائِي . وَإِنَّمَا وَصَفَ النِّسَاءَ بِحُسْنِ الْوُجُوهِ وَلِينِ الْأَبْدَانِ ، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهِنَّ رَبَائِبُ نِعْمَةٍ وَذَوَاتُ نِعْمَةٍ ، لَمْ يُقَاسِينَ شَقَاءَ عَيْشٍ ، وَلَمْ يَكْتَسِبِينَ جَلَابِيبَ فَقْرٍ .

٢١١

وقال قوال (٤) :

١ - قُولَا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءٍ سَاعِيَا هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِقَ الْفَرَانِضُ
قوله « ذُو جَاءٍ سَاعِيَا » ذو بمعنى الذي ، وهي لفظة طائفة تنجي به هذه الصورة في كل حالٍ ولا تُعَيَّرُ . وقوله « هَلُمَّ » لهم فيه طريقان : منهم

(١) هو الشنفرى الأزدي . المفضلية رقم ٢٠ .

(٢) رواية المفضليات « وهني بِي قوم » و« وأصبحت في قوم » . وهي الرواية الصحيحة ؛ لأنه يريد بهؤلاء القوم بنى سلامان بن مفرح الذين أسروه . والمنبت : الأصل ، ويقع مصحفاً في بعض الرويات : « بمثني »

(٣) م : « من أمي »

(٤) التبريزي : « قوال الطائي » . وهو شاعر إسلامي أدرك الدولة العباسية . وقد قال هذه الأبيات في ساع جاء ، يطلب إبلى الصدقة ، وهو أمية بن الله بن عمرو بن عثمان بن عفان . انظر الخزائن (٢ : ٢٩٦) وما سبق في ترجمة أدم بن أبي الرعاء . الحماسية ٢٠٠ .

من يجمله اسمًا للفعل فلا يغيّره عن حاله في المؤنث والتثنية والجمع ، وهم أهل الحجاز . وفي القرآن : ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ . ومنهم من يجمله هاء التثنية وقد رُكِبَ مع لمّ وهو فعلٌ ، فيثنيه ويجمعه ويؤنثه . وعلى الطريقتين جميعًا يكون ميمه مفتوحة ولا يُجرّيه تجرّى رُدّ وزرّ ، فيُكسّر آخره ويضمّ وإن كان ففلاً ، وذلك لأن التركيب قد غيّرهُ فسُلب بعض أحكامه . ومعنى البيت : أبلغا المرء الذي جاء واليًا للصدقات ومُستوفيًا لها : أقبل وتعال ، فإن الذي تُعطى بدلًا من الفرائض السَّيفُ . وهذا في جَدَلِهِ الْمَشْرِفِيّ هو الفرائض مجازًا ، كما قال الآخر ^(١) :

* تَحِيَّهٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ^(٢) *

والفرائض : الأسنان التي تَصْلُحُ لأن تؤخذ في الصدقات . والمَشْرِفِيّ : السَّيفُ نُسِبَ إلى المشارف : قرى لهم كانت تُطْبَعُ السُّيُوفَ فيها . وقد حُكِيَ في المرء « الامرؤ » وقد بقي ألف الوصل مع دخول الألف واللام ، إلا أنه قليل .

٢ - وَإِنْ لَنَا حُضًا مِنَ الْمَوْتِ مُنْقَمَا وَإِنَّكَ مُخْتَلٌ فَهَلْ أَنْتَ حَامِضٌ
العربُ تقول : « الْخُلَّةُ خُبْرُ الْإِبِلِ وَالْحُمْضُ فَكَيْهَتُهَا » . ومعنى مُنْقَمَا ثابتًا ، يقال « أَنْفَعَ لَهُ الشَّرُّ حَتَّى يَسْأَمَ » أى أدِنَهُ . والمُخْتَلُ : راعِي الْخُلَّةِ ، وكانت الْإِبِلُ إِذَا بَشِمَتْ الْخُلَّةَ ^(٣) وَسَمَمَتْهُ حَتَّى اتَّخَذَتْ مِنْهُ ، نَقْلُهَا إِلَى الْحُمْضِ لَتَشْتَهِيَ الْخُلَّةَ ثَانِيًا . وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِهَذَا السَّاعِي . يقول : إِنَّكَ

(١) هو عمرو بن معديكرب . الخزائن (٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٣) كذا في م والتميمورية . وفي الأصل : « شيمت » ، تحريف . والمعروف في « يشم » أن يتعدى بالحرف ، يقال بشم من الطعام ، أى اتخَمَ مِنْهُ ، وأبشمه الطعام .

مَلَّتِ العافية والسلامة ، فهمُّ إلى البلاء والشرِّ من الولاية .
 ٣- أَظُنُّكَ دُونَ الْمَالِ ذُو جِنَّتَ تَبْتَنِي سَتَلْقَاكَ بَيْضُ لِلنَّفُوسِ قَوَابِضُ
 قوله « دُونَ الْمَالِ » تعاقى بأظنُّكَ ، ولا يجوز أن يتعاقى بقوله جنتَ ، ولا
 تبتني ، لأن « ذُو » يطلب من الصَّلَاة ما يطلبه « الذي » وإذا كان كذلك فما
 في صِلَتِهِ لا يعمل فيما قبلَه . وقال « ذُو جِنَّتَ » وكان الأجودُ أن يقول :
 ذُو جَاء يَبْتَنِي ^(١) ، لأنه أُجْرِي يُجْرِي الذي ، فكما جُوزَ أن يقال أنت الذي
 فَعَلْتَ كَذَا ، و :

* أَنَا الَّذِي سَمَنْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ ^(٢) *

جُوزَ في ذُو أَيْضًا ، لأنَّ الْمَرَادَ بِهِ الْمُخَاطَبُ . والمالُ في الأكثرِ يطلقونه على
 الإبل ، على هذا قَوْلُهُمْ : المالُ في الرَّعْيِ . وَالشَّاعِرُ قَصَدَهُ فِي الْكَلَامِ إِلَى التَّهْكُمِ
 وَالشَّخْرِيَّةِ ، وَقَدْ خَاطَبَهُ التَّوَعُّدُ وَالاسْتِهَانَةُ ، لِذَلِكَ قَالَ أَظُنُّكَ . وقوله « ذُو جِنَّتَ »
 فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي ^(٣) وَتَبْتَنِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَمَفْعُولُهُ حُذِفَ . والمعنى
 أَحْسِبُكَ الَّذِي جَاءَ دُونَ الْمَالِ تَبْتَنِي صَدَقَاتِهِ ، سَتَرِي مَا أَعَدَّ لَكَ مِنْ سُيُوفٍ
 تَفْتَرَعُ الْأَرْوَاحَ وَالْمُهَاجَ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ اسْتِجَازَ تَكَرِيرَ مَعْنَى وَاحِدٍ فِي بَيْتَيْنِ
 عَلَى تَقَارُبِ بَيْنِهِمَا ، وَهَلَّا اكْتَفَى بِقَوْلِهِ « هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرِقِيَّ الْفَرَانِضُ » ؟ قُلْتُ :
 إِنَّ قَوْلَهُ أَظُنُّكَ دُونَ الْمَالِ ذُو جِنَّتَ تَبْتَنِي ، بِمَا دَخَلَهُ مِنَ التَّهْكُمِ وَالْوَعِيدِ ،
 وَتَكْشَفَ فِيهِ مِنَ الْفَرَضِ الْمَقْصُودِ ، صَارَ كَأَنَّهُ أَدَّى غَيْرَ مَا أَدَاهُ قَوْلُهُ « هَلُمَّ
 فَإِنَّ الْمَشْرِقِيَّ الْفَرَانِضُ » . ومثله قول عَيْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ :

(١) لَسْنَا نَدْرِي كَيْفَ يَكُونُ هَذَا أَجُودَ ، أَوْ كَيْفَ يَصِحُّ . فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَصِحُّ إِذَا كَانَ « ذُو »
 مَفْعُولًا ثَانِيًا لِأَظُنُّكَ ، فَتَكُونُ الْعِبَارَةُ : أَظُنُّكَ ذُو جَاءَ يَبْتَنِي . وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ
 لِلْفِعْلِ « الْمَالِ » . وَأَمَّا الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِأَظُنُّكَ فَهُوَ جِلَّةٌ « سَتَلْقَاكَ » . فَهَذِهِ زَلَةٌ مِنْ زَلَاتِ أَبِي عَلِيٍّ .
 (٢) لَعَلَّ يَنْ أَبِي طَالِبٍ . انْظُرْ ٤٠٧ ، ٦١١ وَحَوَاشِي ١١٥ .
 (٣) هَلُمَّ مَا فَهَمَهُ الْمَرْزُوقِي . وَالصَّوَابُ أَنَّهُ صِفَةُ الْمَالِ ، كَمَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ .

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ
 إِذَا شَابَ رَأْسُ الرَّءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدَّهِنٍ نَصِيبٌ
 يُرَدُّ نَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمَتْهُ وَشَرَّخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ
 أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَرَ الْمَنَى مُتَكَرِّرًا فِي الْبَيْنَيْنِ ، لِمَا كَانَ أَحَدُهُمَا يَشْتَمِلُ مِنَ
 الْإِسْتِيفَاءِ وَالْبَيَانِ عَلَى مَا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ الْآخَرُ .

٢١٢

وقال وضاح بن إسماعيل^(١) :

- ١- صَبَا قَلْبِي وَمَالَ إِلَيْكَ مَيْلًا وَأَرْقَنِي خِيَالُكَ يَا أُمَيْلًا
- ٢- يَمَانِيَّةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبْدِي دَقِيقَ تَحَاسِنٍ وَتُكِنُّ غِيَلًا

يَقَالُ صَبَا قَلْبِي يَصْبُو صَبُوءًا وَصُبُوءًا . وَالصَّبُوءَةُ : جَهْلُ الْفُتُوَّةِ . يَقُولُ :
 أَسْهَرَنِي خِيَالُكَ ، وَأَعْدَلَ قَابِي عَنْ وَجْهِهِ وَطَيْتِهِ ، ذَهَابًا فِيكَ ، وَمَيْلًا إِلَيْكَ .
 ثُمَّ أَخَذَ بِصَفِ الْخِيَالِ فَقَالَ : هِيَ تَأْتِنِي مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْنِ ، فَتَزُورُ زِيَارَةً خَفِيفَةً
 لَا لَبَثَ مَعَهَا وَلَا تَمَكُّثَ فَاتَمَتَّعَ بِهَا ، وَتُبْدِي لِي فِي إِمَامِهَا مَا دَقَّ مِنْ عَاسِنِهَا
 كَالْعَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْأَسْنَانِ وَالْقَمِّ ، وَتَسْتُرُ مَا جَلَّ مِنْهَا كَالْمِصَمِّ وَالسَّاعِدِ وَالسَّاقِ

(١) وضاح : لقب غلب عليه لجمال وبهاؤه ، ويقال له أيضاً « وضاح العين » . وفي
 الأغاني : « كان وضاح العين ، والمقنع الكندي ، وأبو زبيد الطائي يردون مواسم العرب مقنعين
 يسترون وجوههم خوفاً من العين وحذراً على أنفسهم من النساء ، لجمالهم » . واسمه عبد الرحمن
 ابن إسماعيل بن عبد كلال بن داذ بن أبي جعد ، وهو من شعراء الدولة الأموية . ويزعم الرواة
 أن أم البئين بنت عبد العزيز بن مروان - وهي زوجة الوليد بن عبد الملك - كانت تمسكه
 وأنها أرسلت إليه وإلى كثير في حجة لها أن ينسبها بها ، فأما كثير فهاب ذلك وامتنع ، وأما
 وضاح فنسب بها ، فبلغ ذلك الوليد فطلبه فقتله .

وهذه الحماسية التي يقرؤها وضاح هي من إحدى القصائد التي مدح بها الوليد بن عبد الملك
 قبل أن يحفوه الوليد . الأغاني (٦ : ٣٠ - ٤٤) .

وَالْفَخِذَ ، فَاسْتَهْرَ . كَأَنَّهُ رَأَاهَا فِي الْمَنَامِ عَلَى مَا كَانَ يَرَاهَا فِي الْيَقِظَةِ خَرَادَةً^(١) وَحَيَاءً . وَيُقَالُ مِقْصَمٌ غَيْلٌ ، وَسَاعِدٌ غَيْلٌ ، أَيْ مَمْتَلٌ مِنَ اللَّحْمِ غَلِيظٌ . وَالْحَاسِنُ قِيلٌ لَا وَاحِدَ لَهَا ، وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ الْمَسَاوِي وَالْمَذَاكِيرِ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : وَاحِدُهَا تَحْسِنٌ ، وَهِيَ الْمَوَاضِعُ الْحَسَنَةُ . يُقَالُ : امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الْحَاسَنِ .

٣ - ذَرَيْنِي مَا أَمْنَمَنْ بَنَاتٍ نَعَشٍ مِنَ الطَّيْفِ الَّذِي يَنْتَابُ لَيْلًا^(٢) بِسْتَعْفَى مِنْ خِيَالِهَا لِاسْتِغْفَالِ قَلْبِهِ بِالْفَزْوِ . وَالِاسْتِعْفَاءُ فِي الْحَقِيقَةِ مِنَ الْحُبِّ الَّذِي بِصُورُهَا فِي فِكْرِهِ حَتَّى يَحْلُمَ بِهَا . وَقَوْلُهُ « مَا أَمْنَمَنْ » الضَّمِيرُ لِلْخَيْلِ وَلَمْ يَجَزْ لَهَا ذِكْرٌ ، وَلَكِنْ الْمُرَادُ مَفْهُومٌ . وَمَوْضِعُ « مَا أَمْنَمَنْ » نَصَبٌ عَلَى الطَّرْفِ ، أَيْ مُدَّةَ أَمَّهَا ، لِأَنَّ مَا مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ مُصَدِّرِ حُذِفَ اسْمُ الزَّمَانِ مَعَهُ . وَبَنَاتٍ نَعَشٍ مِنَ السَّكَوَاكِبِ الشَّامِيَّةِ ، وَكَانَ غَزْوُهُ نَحْوَ رُومٍ . وَالْمَعْنَى : أَغْنَيْنِي مِنَ الصَّبَا وَاللَّهْوِ ، وَشُغْلِ الْقَلْبِ بِالْحُبِّ وَالْعِشْقِ ، مَا دُمْتُ فِي هَذَا الْوَجْهِ ، وَقَاصِدًا نَحْوَ الْفَزْوِ . وَلَيْسَ ، انْتَصَبَ عَلَى الطَّرْفِ ، كَأَنَّهُ كَانَ بِسِيرِ النَّهَارِ ، فَإِذَا نَزَلَ لَيْلًا وَنَامَ أَرَقَهُ الْخِيَالُ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « يَا نَابُ لَيْلًا » وَهُوَ يَفْعَلُ مِنَ الْأَوْبِ ؛ وَيَنْتَابُ أَوْجَهَ فِي النَّقْدِ وَأَحْسَنَ .

٤ - وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ فَهَيِّجِينَا إِذَا رَمَقْتَ بِأَعْيُنِهَا مُهَيَّلًا يَقُولُ : إِنْ أَرَدْتَ تَشْوِيقَنَا إِلَيْكَ ، وَتَذَكِيرَنَا بِكَ ، فَلْيَكُنْ عِنْدَ مُنْصَرَفِنَا مِنَ الْغَزْوِ ، وَقِفُّوْلِنَا مِنْ هَذَا الصُّنْعِ ، وَحِينَ تَنْظُرُ خَيْلُنَا إِلَى مُهَيَّلٍ . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ مُهَيَّلًا مِنَ السَّكَوَاكِبِ الْيَمَانِيَّةِ . لِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :
أَيْهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَّا مُهَيَّلًا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْتَ يَلْتَقِيَانِ^(٣)

(١) المعروف أخردت إخراداً ، بمعنى استحييت .

(٢) التبريزي : « ما أمت » ولكن في شرحه « ما أمن » كما هنا .

(٣) هذا تورية منه . والثريا هذه هي الثريا بنت عبد الله بن الحارث صاحبة عمر .

وسهيل هذا ، هو سهيل بن عبد العزيز . الأغاني (١ : ٩٠) .

هي شاميةٌ إذا ما استقلَّتْ ومُهَيْلٌ إذا استقلَّ يَمَانٌ
ومثل قولِ وضاحٍ ما قاله المتلمس ، وهو :

فَلْتَقَرُّ كَنَّهُمُ بِلَيْلٍ نَاتِي تَدَعُ السَّمَاءَ وَتَقْتَدِي بِالْفَرْقَدِ^(١)
وَالسَّمَاءُ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ ، وَالْفَرْقَدُ مِنْ قَبْلِ الشَّامِ .

٥ - فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتِ الْخَيْلَ تَعْدُو عَوَاسٍ يَتَخَذَنَّ النَّفْعَ ذَيْلًا

٦ - رَأَيْتِ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ جِنًّا تُفِيدُ مَغَانِمًا وَتُفِيْتُ نَيْلًا

يَصِفُ الْغَزْوَ وَمِلَاقَةَ الْعَدُوِّ ، وَأَنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ التَّصَابِيَّ وَالتَّبَطُّلَ ، وَلَا يَصَاحُ
لِلْمُسْتَفِيلِ بِهِ التَّشَوُّقُ وَالتَّنَزُّلُ ، فيقول : لو رأيتِ الدَّوَابَّ عَادِيَةً بِفُرْسَانِهَا وَقَدْ
تَكَلَّحَتْ لِاشْتِدَادِ الْحَالِ عَلَيْهَا ، وَسَحَبَتْ ذَيْلًا مِنَ الْغُبَارِ لِقَنَائِهَا شَدَّهَا ، لَرَأَيْتِهَا
كَأَنَّ عَلَيْهَا جِنًّا لَا رِجَالَ ، تَسْتَفِيدُ الْمَغَانِمَ مِنْ أَعْدَائِهَا . وَتُفِيْتُهُمْ نَيْلَ شَيْءٍ مِنْهَا .
وهذا كما قيل « يَسْبِقُ إِنْ طُلِبَ ، وَيَلْحَقُ إِنْ طُلِبَ » ، وَيَشْهَدُ لِأَفَادَ وَأَنَّهُ
يَكُونُ بِمَعْنَى اسْتِفَادَ قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُووُ الْغَنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

٢١٣

وقال آخر^(٣) :

١ - لَا قُوَّةَ قُوَّةِ الرَّاعِي فَلَا نَصَهُ بَأْوِي فَيَأْوِي الْكَلْبُ^(٤) وَالرَّابِعُ

٢ - وَلَا الْعَسِيفَ الَّذِي يَشْتَدُّ عُقْبَتَهُ حَتَّى يَبِيَّتَ وَبَاقِي نَعْلِهِ قِطْعُ

(١) في ديوان المتلمس ٦ مخطوطة الشنتيطي : « تذر السماء وتهدي » .

(٢) هو بشار ، أو ابن الخياط ، أو أبو العريان . سمط اللآلئ ٣١٠ . وقوله :

لمست بكفى بكفى أهنتى الفنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدى

(٣) لم يعرفه شرح الحماسة . وهو وضاح اليمن ، صاحب الحماسة السابقة . انظر الحيوان

(١ : ٢٦٥) وشروح سقط الزند ٢٠٦ .

(٤) رواية الجاحظ : « الراعى ركائبه » .

أَخَذَ أَبُو تَمَّامٍ هَذَا الْمَأْخَذَ فِي قَوْلِهِ :

وَالصَّبْرُ بِالْأُرُوجِ يُعْرِفُ فَضْلُهُ صَبْرُ الْمُلُوكِ وَلَيْسَ بِالْأَجْسَادِ

يقول : ليس غِنَائِي فِي الْأُمُورِ وَكِفَايَتِي غِنَاءَ الرُّعَاةِ الَّذِينَ سَغِيَهُمْ وَكَدَّهُمْ مَقْصُورَانِ عَلَى ضَمِّ الْقِلَاصِ وَحِفْظِهَا فِي مَرَاعِيهَا عِنْدَ مَرَحِهَا وَإِرَاحَتِهَا ، فَإِذَا أَوَى إِلَى مَوْضِعٍ أَوَى إِلَيْهِ كَلْبُهُ الَّذِي يَحْرُسُ بِهِ وَرُبْعُهُ . وَالرُّبْعُ : مَا تُنْتَجَى فِي الرَّبِيعِ . وَقَوْلُهُ « وَلَا التَّسْيِفِ » انمط على الرَّاغِي . يُرِيدُ : وَلَا قُوَّتِي قُوَّةَ الْمَسِيْفِ . فَالْمَسِيْفُ : الْأَجِيرُ وَالْعَبْدُ الْمُسْتَهَانُ بِهِ ، الْمُتَمَتِّنُ فِي الْعَمَلِ . يَقَالُ : كَمْ أَعْسَفُ عَلَيْكَ ، أَيْ كَمْ أَعْمَلُ لَكَ . وَقَوْلُهُ « يَشْتَدُّ عُقْبَتُهُ » انقصب عُقْبَتُهُ عَلَى الظَّرْفِ ، أَيْ وَقْتُ عُقْبَتِهِ ، كَأَنَّهُ يَمَاقِبُ الرَّاكِبَ غَيْرَهُ . يَقَالُ هَا يَتَمَاقِبَانِ لِلرَّاكِبِ بَيْنَهُمَا ، أَوِ الْأَمْرُ يَرَكِبُ هَذَا عُقْبَةً وَهَذَا عُقْبَةً . وَالْعُقْبَةُ قِيلَ فَرَسَخَانِ . وَيَشْتَدُّ : يَفْتَعِلُ مِنَ الشَّدِّ : الْقَدْوِ . وَبَعْضُهُمْ يَرَوِيهِ « تَشْتَدُّ عُقْبَتُهُ »^(١) بِالرَّفْعِ ، وَيَجْعَلُ تَشْتَدُّ مِنَ الشَّدَّةِ ، أَيْ تَشْتَدُّ عُقْبَتُهُ عَلَيْهِ ، وَالصَّوَابُ مَا قَدَّمْتُهُ . وَالْمَعْنَى : وَلَا غِنَائِي أَيْضًا غِنَاءَ الْأَجِيرِ الَّذِي يَمْدُو عُقْبَتَهُ وَوَقْتُ عُقْبَتِهِ ، وَلَيْسَ يَرِيدُ أَنَّ لَهُ عُقْبَةً فَيَتْرُكُهَا وَيَمْدُو ، لَكِنِ الْمَعْنَى إِذَا كَانَ لغيرِهِ نَوْبَةٌ فِي الرَّاكِبِ لِمَعَاقِبَتِهِ صَاحِبَهُ ، فَتَوَلَّيْتَهُ الشَّدَّ وَالْحِدْمَةَ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهِ الْمَسَاءُ وَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ حِذَائِهِ . وَقَوْلُهُ « وَبَاقِي نَفْلِهِ قَطْعٌ » فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ يَدِيدُ ، تَقْدِيرُهُ : حَتَّى يَبِيدَ مُنْقَطِعٌ بَاقِي الْفِعْلِ .

٣ - لَا يَحْمِلُ الْعَبْدُ فِينَا فَوْقَ طَائِفَتِهِ وَنَحْنُ نَحْمِلُ مَا لَا تَحْمِلُ الْقَلْعُ

يقول : الْعَبْدُ الْمُسْتَخْدَمُ فِينَا لَا نُكَلِّفُهُ إِلَّا دُونَ مَا يُطِيقُهُ ، إِبْقَاءً عَلَيْهِ ، وَتَرْكَاً لِاسْتِنْفَادِ وَسْعِهِ ، وَنَحْنُ نَحْتَمِلُ مِنْ مَشَاقِّ الْأُمُورِ ، وَمُثْقَلَاتِ الْأَعْبَاءِ

(١) وهي رواية الجاحظ أيضا .

٤- مِنَّا الْأَنَاءُ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَحْسِبُنَا أَنَّا بَطَلَاءٌ ، وَفِي إِبْطَانِنَا سِرْعُ الْأَنَاءَةِ : الرَّفْقُ . بقول : نَسْتَأْنِي فِي الْأُمُورِ فِعْلَ الْحَازِمِ ذِي الرَّأْيِ السَّدِيدِ ، وَالتَّائُلِ اللَّطِيفِ ، الَّذِي يَنْظُرُ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ ، فَيَدْرِي كَيْفَ يُورِدُ وَيُصْدِرُ ، وَيُبْرِئُ وَيَنْقُضُ ، وَلَا نَتَهَجَّمُ فِيمَا نَزَاوُلُهُ فِعْلَ الْعَجُولِ الْأَخْرَقِ الَّذِي لَا يَنْتَبِعُ الْمَوَاقِبَ ، وَلَا يَتَجَنَّبُ الْمَقَابِحَ ، فَلَا يُبَالِي أَيْبًا بِأَخْذٍ وَبِدَعٍ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ بِنَا تَبَاطُؤًا فِي الْمِهْمَاتِ وَتَسَاهُلًا ، وَالَّذِي يَعْدُوْنَهُ بُطْنًا فَهُوَ سَرْعَةٌ ، لِأَنَّا نَتْرُكُ كُلَّ مَا تَتَوَلَّاهُ مَفْرُوعًا مِنْهُ مُحْكَمًا ، لَا تَقَاوُتُ فِيهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى اسْتِثْنَاءٍ تَدَبَّرُ ، وَاسْتِحْدَاثٍ نَظَرُ وَتَدَبُّعُ .

218

وقال عمرو بن مخرمة الكلابي^(٣) :

١ - وَيَوْمَ تَرَى الرِّايَاتِ فِيهِ كَلْبًا حَوَاسِمُ طَائِرُ مُسْتَدِيرٌ وَوَاقِعُ

(١) يقال هذا بفتح الـام وإسكانها .

(٢) هذا ما في الأصل والتمورية . ونحوه في التبريزي : « ويقال أفلع فلان قلعة إذا بناها »
لكن في م : « إقلاعا » . وفي اللسان : « وأقلموا بهذه البلاد إقلاعا بنوها فاجعلوها كالقلعة » .

(٣) التبريزي : « الكلابي » ، والصواب أنه كلبى ، من بنى تيم اللات بن رفيدة ابن كلب . الطبري (٧ : ٤٢) والاشقاق ٣١٤ والأغاني (١٧ : ١١٢) . ويقال له « ابن خلعة الحمار » ، أيضا ، و « ابن مخلى » . وهو شاعر إسلامي جزري ، كما ذكر المرزباني في معجمه ٢٤١ . وكان مداحا لبنى مروان . والشعر يقوله في يوم مرج راهط وكان ذلك سنة ٦٥ . انظر معجم البلدان والأغاني (٩ : ٣٥ / ١٠ : ١٥٣ / ١٤ : ١١٦ ، ٢١٨ / ١٧ : ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ / ١٩ : ١٠٩) والميداني (٢ : ٣٦٧) وكتب للتاريخ في حوادث سنة ٦٥ . وأبيات هذه المقطوعة روى عنها أبو الفرج ١ ، ٣ ، ٥ ، ٥ . وزاد بيتين أحدهما بعد الأول ، وهو :

مضى أربع بعد اللقاء وأربع وبالمرج باق من ذم القوم نافع =

- ٢- أَصَابَتْ رِمَاحُ الْقَوْمِ بِشَرِّ أَوْنَابَتَا وَحَزْنَا وَكَلَّ لِلْعَشِيرَةِ فَاجِعٌ^(١)
 ٣- طَعْنَا زِيَادًا فِي أَسْتِهِ وَهُوَ مُذْبِرٌ وَتَوَزَّ أَصَابَتُهُ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ^(٢)
 ٤- وَأَدْرَكَ هَمَامًا بِأَبْيَضَ صَارِمٍ فَتَى مِنْ بَنِي عَمْرِو طُوالٍ مُشَايِعُ^(٣)
 ٥- وَقَدْ شَهِدَ الصَّفَيْنِ عَمْرُو بْنُ مُحَرَّرٍ فَضَاقَ عَلَيْهِ الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ وَاسِعُ^(٤)

الرايات: الأعلام. والحوائم: جمع حائمة، وهي العطاش من الطيور تحوم حول الماء. وحواماتها: دورانها؛ فكثرت استعماله حتى صار كل عطشان حائماً. ويُرْوَى: «عَوَاطِفُ طَائِرٍ». وقوله «مستديرٌ وواقعٌ» بدل من حوائم، وجعل الرايات بعضها جائل في الجوِّ دائرٌ، وبعضها ساقطٌ، لأنَّ النهرَ مِمَّنْ تَسْقُطُ أعلامهم فننخفض، والظافرين تثبت أعلامهم فتخفق. وقوله «وكلُّ للعشيرة فاجعٌ»، أي كل واحدٍ من المذكورين رئيسُ عشيرةٍ قد فجعوا به. والشاعر يذكُرُ وقعةَ المَرْجِ مَرْجَ رَاهِطٍ - وراهِطٌ رَجُلٌ من قِصَاعَةِ في الجاهلية الأولى - واجتمع به المروانية، وهم الذين دَعَوْا إلى مروان بن الحكم، وهم كلبٌ وعَبْسٌ وغيرهم من قبائل اليمن. والزبيرية، وهم الذين دَعَوْا إلى ابن الزبير،

- والآخر بعد الثالث، وهو:

ونجى حبيشا ملهب ذو علالة وقد جذ من يميني الأصابع
 وروى المرزباني البيت الخامس من هذه الحماسة فقط، وزاد بعده:

فلن ينصب القيمي للناس راية من الدهر إلا وهو غزبان خاشع

(١) في الأصل: «بالعشيرة» وأثبتنا ما في م والتميمورية.

(٢) هو زياد بن عمرو العقيلي، كما ذكر التبريزي، وكما سيأتي. وأما ثور فهو ثور ابن يزيد السلمي، كما ذكر الطبري. وروى المرزباني: «وهو هارب».

(٣) التبريزي: «عمرو بن محرز من أشجع» وقال أيضاً: «وضع طوال مع مشايح ردى في صنعة الكلام، لأن الطوال ليس من المشايخ بقريب».

(٤) الصفيين، مثنى صف، كما نص التبريزي، وهي تطابق رواية م والتميمورية. وفي الأصل: «الصفيين» بكسر الصاد والفاء المشددة، على أنها صفيين المكان المشهور. قال التبريزي: «وهو تصحيف».

وهم قَيْسٌ ومن تبعهم ، فافتتلوا قتالاً شديداً ، فكانت الدَّبْرَةُ^(١) على القَيْسِيَّةِ ورئيسهم زُفَرُ بن الحارث ، ومعهم الضَّحَّاكُ بن قَيْسٍ . ولهذا قال الشاعر :

فَمَنْ يَكُ قَدْ لاقى مِنَ الْمَرْجِ غَبِطَةً فكان لَقَيْسٍ فِيهِ خَاصٍ وَجَادِعُ^(٢)

وقوله « طلعنا زياداً في استه » ، فهو زياد بن عمرو المَقْبِلِي . وقوله « وهو مدبر » أى مُوَلِّ منزهٍ . ويجوز أن يكون من الإِدْبَار ، لَتَرْكِه الرَّأْيَ حَتَّى يُبْلَى بِمَا يُبْلَى . وعمرو بن مُحَرِّزٍ من أَشْجَعِ^(٣) . وقال : ضَاقَ عَلَيْهِ الْمَرْجُ عَلَى سَعَتِهِ ، لَأَنَّهُ كَانَ مَغْلُوباً مَطْلُوباً . ويقالُ ضَاقَ بَقُلَانِ الْفَضَاءِ . وَالْمُشَايِعُ : الْمُقَوِّ لِأَصْحَابِهِ الْمُتَابِعِ لَهُمْ . وَجَعَلَهُ طَوْالاً لَأَنَّهُمْ يَسْتَحْبُّونَ تَمَامَ الْخُلُقِ ، وَامْتِدَادَ الْقَامَةِ . وقوله « وَتَوَزَّ أَصَابَتُهُ الشُّيُوفُ الْقَوَاطِيعُ » ، رَفَعَ تَوَزَّ لَأَنَّ الْفِعْلَ بَعْدَهُ شُغِلَ عَنْهُ ، وَإِنْ نَصَبَهُ طَلَباً لِلطَّابِقَةِ إِذْ كَانَ فِي الْجُمْلَةِ الَّتِي قَبْلَهُ مَنْصُوبٌ كَانَ أَحْسَنَ .

٢١٥

وقال زُفَرُ بن الحارث^(٤) :

١- أَفِي اللَّهِ أَمَّا بَحْدَلُ وَابْنُ بَحْدَلٍ فَيَحْيَا وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَيُمَقْتَلُ
كان معاوية بن أبي سفيان لما جعل ابنه يزيد ولياً عَهْدِهِ بِأَيْمَةِ الْفَاسِ

(١) الدبيرة ، بالفتح : العاقبة السيئة ، أى الهزيمة . فى الأصل : « الدعوة » ، صوابه فى م والتميمورية .

(٢) جعل التبريزى هذا البيت من أبيات هذه الحماسة . لكن نسخ المرزوق يجعلها من الشواهد فحسب ، ولذلك لم يعلق عليه بشئ من التفسير أو التوضيح . والنسب أوجب هذا اللبس عند التبريزى موافقة هذا البيت لسائر الأبيات فى الوزن والروى والموضوع . والخاص : قاطع الحصية . والجادع : قاطع الأنف أو الأذن ونحوهما . والمراد بذلك الإذلال والقهر .

(٣) فى الأصل : « من أشجع الناس » وكلمة « الناس » مقحمة ، والصواب فى م والتميمورية . وذكر التبريزى من أولاده زياد بن عمرو بن محرز الأشجعى . وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان .

(٤) سبقت ترجمته فى الحماسة ٢٨ .

إِلَّا الْحَيَّ^(١) مِنْ قَيْسٍ ، فَأَتَاهُمْ قَالُوا : وَاللَّهِ ، مَا نُبَايِعُ ابْنَ السَّكَلَبِيَّةِ - وَذَلِكَ أَنْ أُمَّ يَزِيدَ مَيْسُونُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ بَجْدَلٍ السَّكَلَبِيَّةِ - فَصَارَ فِي نَفْسِ يَزِيدَ لَقَيْسٍ ذَلِكَ ضَعْفًا وَحَقْدًا ، وَابْتَدَأَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَلَمَّا هَلَكَ يَزِيدُ اسْتُخْلِفَ ابْنُهُ مَعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ ، وَأُمُّهُ سَكَلَبِيَّةٌ أَيْضًا ، وَصَارَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ بَجْدَلٍ أَخُو مَيْسُونَ وَخَالَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ كَالْمَلِكِ لِلأَمْرِ ، فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ أَيْامًا قَلِيلَةً ، وَتَحَرَّكَتْ فِتْنَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَاضْطَرَبَ حَسَّانُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْأَمْرِ اضْطِرَابًا شَدِيدًا ، وَصَارَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ تَارَةً وَإِلَى مَنْ يَخْتَارُونَهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أُخْرَى ، حَتَّى قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا بِجَدَلٍ عَلَى الْمَوَى وَإِلَّا زُبَيْرِيٌّ عَصَى فَتَزَبَّرَا

إِلَى أَنْ وَقَعَ الْاخْتِيَارُ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَلَمَّا قَامَ بِالدَّعْوَةِ صَارَتِ الْبَجْدَلِيَّةُ مَعَهُ ، فَسُئِلُوا مَرْوَانِيَّةَ ، وَصَارَ السَّبَبُ فِي حَرْبِ قَيْسٍ وَتَغْلِبِ أَنْ صَارَتْ قَيْسُ زُبَيْرِيَّةَ وَتَغْلِبُ مَرْوَانِيَّةَ ، فَيَقُولُ زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ رَئِيسُ قَيْسٍ « أَفِي اللَّهِ » بَرِيدُ : أَيْ ذَاتِ اللَّهِ وَمَرْضَى حَكَمِهِ أَنْ يُطْلَبَ حَيَاةُ ابْنِ بَجْدَلٍ وَالتَّمَصُّبَةُ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَمَرْوَانَ وَعَبْدَ الْمَلِكِ ابْنِهِ ، وَيُطْلَبَ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ فَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَسَابِقَتِهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَقْرِيعٌ لِلنَّاسِ وَإِكْبَارٌ لِلأَمْرِ . وَقَوْلُهُ « أَمَّا بِجَدَلٍ » حُكْمٌ أَمَّا أَنْ يَنْقَطَعَ عَمَّا قَبْلَهُ ، وَلِهَذَا عُذِّدَ مِنْ حُرُوفِ الْإِبْتِدَاءِ ، وَلِأَنَّهُ يَتَصَمَّنُ مَعْنَى الْجَزَاءِ وَالْجَزَاءُ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ ، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَأَنَّهُ قَالَ : أَيْ اللَّهُ هَذِهِ الْقِصَّةُ وَهَذَا الْأَمْرُ وَالشَّانُ . وَقَوْلُهُ « فَيَخَيَّا » فَأَخْبَرَ عَنْ أَحَدِ الْأَسْمِينَ لِمَا عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ فِي مِثْلِ جَالِهِ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ .

(١) وَكُنَّا فِي مِ وَالْتِمُورِيَّةِ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ حَيْثُ نَقَلَ كَلَامَ الْمَرْزُوقِيِّ بِدُونِ نِسْبَةٍ :

« إِلَّا هَذَا الْحَيَّ » .

٢- كَذَبْتُمْ وَيَبْتَ اللَّهُ لَا تَقْتُلُونَهُ وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمَ أَغْرُ مُحَجَّلُ

إنما قال « كذبتُم » لأن الذي أنكره منهم وقرَّعهم عليه كان خبرًا .
ويجوز أن يكون المعنى : كَذَبْتُمْ أَنْفُسَكُمْ حين حَدَّثْتُمُوهَا بما لَا يَنْبَغُ لَكُمْ .
وقوله « لَا تَقْتُلُونَهُ وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمَ » ، يقول : لَا تَقْدِرُونَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ
لَنَا عَلَيْكُمْ يَوْمٌ مشهورٌ على قَتْلِهِ ، وإذا عَجَزْتُمْ قَبْلَهُ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمانِ بَعْدَهُ
أَنْتُمْ عَجِزٌ ، وعن أَمْنِيَّتِكُمْ وَتَرْجِيمِ ظَنِّكُمْ أَمْعَدَ .

٣- وَلَمَّا يَكُنْ لِمَشْرِفِيَةِ فَوْقِكُمْ شُعَاعُ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حينَ تَرَجُلُ
قَرْنُ الشَّمْسِ : أوَّلُ ما ظَهَرَ مِنْهَا . والترجُل ، قالوا : إذا ارتفعت الضحى
وانبسطت الشمس ولم يشتدَّ حرُّها فذاك الترجُل . وقال ابن الأعرابي : الترجُل
قَبْلَ الْمُتَوَعِّ ، والمُتَوَعِّ قَبْلَ انْتِصافِ النَّهارِ ، وأنشد لُمَزُّدٍ :

فَأَصْبَحَ كَالدَّهْقَانِ لَمَّا بَدَأَ لَهُ مِنْ الشَّمْسِ إِشْرَاقٌ وَلَمَّا تَرَجَّلَ
بَيْنَ الشَّرْطِ الثَّانِي غَرَضُهُ فِي تَعْجِيزِهِمْ ، وَأَنَّ الَّذِي يَرِيدُونَهُ مِنْ قَتْلِهِ
لَا يَتِمُّ أَبَدًا لَهُمْ ، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِهِمْ ^(١) .

٢١٦

وقال حَسَّانُ بْنُ الْجَعْدِ ^(٢) :

١- أَبْلِغْ بَنِي خَازِمٍ أَنِّي مُفَارِقُهُمْ وَقَائِلٌ لِحِمَالِي غُدْوَةَ بَيْنِي

٢- إِنِّي أَمْرٌ غَرَضٌ مِنْ كُلِّ مَنَزِلَةٍ لَا شِدَّتِي تُبْتَغَى فِيهَا وَلَا لِيْنِي

(١) هذا ما توقعه الشاعر ، ولكن أنت الأقدار بخلاف ما قدر ، فقد لقي عبد الله
ابن الزبير حتفه بيد الحجاج ، إذ أسره وصلبه بمى منكوسا سنة ٧٣ .

(٢) شاعر إسلامي كما يتضح من ذكر علاقته بعبد الله بن خازم . وكان عبد الله بن خازم
أميراً خراسان ، ولحقها لبني أمية ، فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه ابن خازم بطاعته ،
فأمره على خراسان ، ثم ثار به أهل خراسان فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك ٧٢ .

هذا الشاعر خرج إلى عبد الله بن خازم راغباً في جواره والكون في جلته فلم يُحمِدهُ وانصرف عنه ، وقال : لِيُبَلِّغْ هذا الرجلُ ودَّووه أني مرتحلٌ ونافيضٌ يدي منه ، وحامِلٌ إلي على مفارقة أرضيه ، ومُظهِرٌ الزُّهد في مُحِبِّته ، لأنني أجتوي كلَّ منزلةٍ لا تمسُّ حاجتها إلى كوني بها ، وأتوى البعد عن كل جنبةٍ لا تشد رغبتها في إقامتي فيها ، كما أنني أضجرُ بجوار كل من اعتقد الغنى عن رأي وغنائى ، وخشونتي ولينى . ويقال : غرِضتُ من كذا ، إذا مللته ؛ وغرِضتُ إلى كذا ، إذا اشتقته . فهو كما يقال رَغِبْتُ فيه ورَغِبْتُ عنه .

٢١٧

وقال القتال الكلابي^(١) :

١ - إِذَا هَمَّ هَمًّا لَمْ يَرَ اللَّيْلَ غُمَّةً عَلَيْهِ وَلَمْ تَضُفْ عَلَيْهِ الْمَرَاكِبُ^(٢)

يصفه بالإقدام والتشيم ، وحسن النفاذ في الأمور ، وأنه متى ما وقع في نفسه أمرٌ فهمَّ به افتعدَّ الليل ولم يعدَّه حائلاً دون مُرادِه ولا مانعاً عن قصده ومُرادِه ، حتى يصير رُكوبُه غُمَّةً ، وما يتصوَّر من هوله شدةً تدفعُ في الصدر ، وتحلُّ عن الورد ، ولم يشقَّ عليه المراكب ، ولا يستكره فيه المصاعب . ويقال : هو في غُمةٍ من أمرِه ، أى حيرةٍ وظلمةٍ . وأصل الغم^(٣) التغطية .

٢ - قَرَى الْهَمُّ إِذْ ضَافَ الزَّمَاعُ فَأَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُ تَغْتَسُّ فِيهَا الشَّعَائِبُ

يقول : يَجْمَلُ قَرَى هَمِّ إِذَا اعْتَرَاهُ ، النفاذ والعزيمة ، والإجماع فيه

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٤٢ ص ٢٠١ .

(٢) هذا ما في م والتميمورية والتبريزي . وفي الأصل : « ولم يصعب » .

(٣) هذا الصواب من م والتميمورية والتبريزي . وفي الأصل : « الغمة » .

والعُرمية ، فترى مَنَازِلَه تَسْبَدِلُ بُسْكَانِهَا وَحَشًا تَعْتَسُ فِيهَا ، وَيَعْتَاضُ هُوَ
 مِنَ الدَّعَةِ وَالْخَفْضِ تَعَبًا يَمْتَطِيهِ ، وَدُءُوبًا يَسْتَمِرُّ فِيهِ . وَالاعْتِسَاسُ : الْاِخْتِلَافُ
 بِاللَّيْلِ . وَيُقَالُ : عَسَّ وَعَاسَ ، وَمِنْهُ أُخِذَ الْعَسَسُ . وَفِي الْمَثَلِ الْجَارِي « كَلْبٌ
 عَسَّ خَيْرٌ مِنْ أَسَدٍ رَبَضَ » .

٣ - جَلِيدٌ كَرِيمٌ خِيَمُهُ وَطِبَاعُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا تُبْنَى عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ
 يُقَالُ هُوَ جَلْدٌ وَجَلِيدٌ بِمَعْنَى . وَالْخِيَمُ : الطَّبِيعَةُ ؛ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : أَصْلُهُ
 فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ . وَالطَّبَاعُ : مَا طُبِعَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ وَسَائِرِ
 أَحْوَالِهِ . وَالضَّرَائِبُ : جَمْعُ الضَّرِيَةِ ، وَهِيَ الْخَلِيقَةُ . وَيُقَالُ : لَيْسَ لِفُلَانٍ
 ضَرِيبٌ ، أَيْ شَبِيبٌ ، وَهُوَ كَرِيمُ الضَّرِيَةِ . فَيَقُولُ : قَوِيٌّ الْجَاشِ ،
 مَرْضِيٌّ الطَّبِيعَةِ ، وَقَدْ جُبِلَ فِي كُلِّ مَا يُسْتَشْفَى مِنْ أُمُورِهِ عَلَى أَحْسَنِ مَا تُجْبَلُ
 عَلَيْهِ النُّفُوسُ وَالْأَخْلَاقُ .

٤ - إِذَا جَاعَ لَمْ يَفْرَحْ بِأَكْلَةِ سَاعَةٍ وَلَمْ يَبْتَئِسْ مِنْ فَقْدِهَا وَهُوَ سَاغِبٌ
 أَحْسَنَ سَاتِمٌ طَيِّبٌ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ حِينَ قَالَ :

غَنِينًا زَمَانًا بِالتَّصْمَلِكِ وَالْفَنَى فَكَلْتَاهُمَا يَسْقِي بِكَاسَيْهِمَا الدَّهْرُ (١)

فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غَنَانًا وَلَا أَرْزَى بِأُخْسَابِنَا الْفَقْرُ (٢)

وَالشَّاعِرُ يَصِفُ كَرَمَ نَفْسِهِ وَحُسْنَ صَبْرِهِ عَلَى تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ ، فَالشَّبْعَةُ
 لَا تَطْفِيهِ ، وَالْجُوعَةُ لَا تُؤْيِسُهُ فَتَزِدِيهِ . وَالسَّغْبُ : الْجُوعُ . وَأَضَافَ الْأَكْلَةَ
 إِلَى سَاعَةٍ تَقْصِيرًا بِهَا وَإِزْرَاءً ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ وَقْتًا لَهَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ فَقْدِهَا »

(١) رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي بَيْهَقِيٍّ مِنْ دِيْوَانِ حَاتِمٍ ١١٩ . وَهِيَ :

غَنِينًا زَمَانًا بِالتَّصْمَلِكِ وَالْفَنَى كَمَا الدَّهْرُ فِي أَيَّامِهِ الْعَمْرِ وَالْيَسْرِ

لَبَسْنَا صُرُوفَ الدَّهْرِ لِينًا وَغُلْظَةً وَكَلَّا سَقَمَانَاهُ بِكَاسَيْهِمَا الدَّهْرُ

(٢) فِي الدِّيْوَانِ : « فَمَا زَادَنَا بَأْوًا » وَالْبَأْوُ : الْفَخْرُ وَالْكِبَرُ .

يريدُ من قَدْرِ لها ، وَالصَّدْرُ يضافُ إلى الفاعل والمفعول جميعاً ، على هذا قَوْلُهُ تعالى : ﴿ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ .

٥- يَرَى أَنْ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَا يَرَى إِذَا كَانَ يُسْرًا أَنَّهُ الدَّهْرُ لَا زَبُ^(١) يُسْتَحْسَنُ لبَّشَار في هذه الطريقة قوله ، بل قد صار مَثَلًا :

خَلِيلِي إِنْ الْعُسْرَ سَوْفَ يُفِيْقُ وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدٍ لَحَقِيقُ
وما أنا إِلَّا كالزَّمانِ ، إِذَا صَحَا صَحَوْتُ ، وَإِنْ مَاتَ الزَّمانُ أُمُوتُ
يقولُ : يَعْلَمُ أَنَّ أسبابَ الدُّنيا وتصاريِفَها مَبْنِيَّةٌ على التَّغْيِيرِ والتَّبدُّلِ ،
فالْعُسْرُ والْيُسْرُ يتعاقبان ولا يَزَمان ، فمَتَى اسْتَفْنَى كَرْمٌ ولم يَبْطُرْ ، عِلْمًا أَنَّهُ
يَفْنَى فلا يَبْقَى ، وَإِذَا افْتَقَرَ عَفَّ ولم يَبْئَسْ ، ثِقَةً أَنَّهُ يَزُولُ ولا يَدُومُ . وقولُهُ
« يَرَى » من البيت يجرى مجراه من قولِهِ تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ ، لأنَّهُ
بمعنى يظنونه ، وليس كذلك في قولِهِ ﴿ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ لأنَّهُ بمعنى نعلمُهُ . وقد
يُسْتَعْمَلُ الْعِلْمُ في موضع الظَّنِّ أَيْضًا ، لذلك قال :

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْتَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلُ^(٢)

٢١٨

وقال أوس بن حنباء^(٣) :

١- إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهَوَانَ فَأَوَّلِهِ هَوَانًا وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَّاصِرُهُ^(٤)

(١) هذه رواية الأصل والتبريزي . وفي م : « إذا كان يسرا » ، والتمورية : « إذا كان عصرًا » .

(٢) لطرفة في ديوانه ٥٢ والشعر والشعراء ١٤٧ . ونسب في اللسان (حصي) إلى

كعب بن سعد الغنوي .

(٣) الظاهر أنه شاعر إسلامي ، ولعله أخو المغيرة بن حنباء الشاعر الإسلامي ، الذي ترجم

له البغدادي في الخزانة (٣ : ٦٠١) . وذكر : أن « حنباء » أم المغيرة ، شهر بالنسبة إليها

واسم أبيه حنين بن عمرو بن ربيعة الحنظلي التيمي ، لكن صاحب القاموس لم يذكره في إخوة

المغيرة . قال : « والحنباء : الفسخمة البطن ، وأم المغيرة ، ويزيد ، وصخر ، الشعراء .

وأبوهم عمرو بن ربيعة » .

(٤) روى الجاحظ هذه الأبيات في البيان (٢ : ٣٥٧ / ٣ : ٦١) بدون نسبة .

حقيقة أَوْلَاكَ كَذَا : جَعَلَهُ عَمَّا يَلِيكَ ، لكنه اشتهرَ في الإحسان ، وقد يُسْتَعْمَلُ في الإساءة ، كما فَعَلَهُ هذا الشاهر . ومثله بَشَرْتُهُ في معنى تناوُلِهِ الشَّرَّ ، وإن كان اشتهارُهُ في الخير . ألا تَرَى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . يقول : قابلُ مُعَامِلِكَ بمثل ما يَرِصُدُهُ لك ، فإنَّ الأفعالَ بين الناس قُرُوضٌ ، ومَشْرُطُ القُرُوضِ الوفاءُ بها ، والخروجُ من ذِمَّتِهَا ، فمن أَهَانَكَ فَأَهِنُهُ وإن قَرُبْتَ عَوَاطِفُ أَرْحَامِهِ ، وشَوَابِكُ أَسْبَابِهِ ، ولا تُوجِبُ له إلَّا مِثْلُ ما يوجِبُهُ لك . ويقال : بيني وبينه آصِرَةٌ ، أى عاطفةٌ ، والأَصْرُ : العَطْفُ . وقوله « قَرِيبًا » خبر كان ، وقَدَّمَهُ على اسمه ولم يُوْنِّثْهُ لأنَّه أراد النسبة فلم يَبْنِئْهُ على الفِعْل . ومثله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

٢ - فإنَّ أَنتَ لم تَقْدِرْ عَلَى أن تُهَيِّئَهُ فَذَرَهُ إلى اليَوْمِ الذى أَنتَ قَادِرُهُ يقول : إنَّ أعْجَزَكَ مَكافَأَتُهُ على إِسَاءَتِهِ إِلَيْكَ ، وأَعْوَزَكَ إِنْالَتُهُ مِثْلَ ما يُنِيْلُكَ في الحال ، فَأَنْظِرُهُ إلى الوقتِ المُسَاعِدِ لك من مُسْتَقْبَلِ أَتْيَامِكَ ، وانتظرْ نوبَتَكَ من الدهرِ ، فإذا أَمَكَّنْتَكَ الفُرْصَةَ فَاتَهَرِّزْهَا . وقوله « إلى اليوم الذى أَنتَ قَادِرُهُ » أراد أَنتَ قَادِرٌ فيه ، فَقَدَّرَ الظَّرْفَ تَقْدِيرَ المَفْعُولِ الصحيح لأنَّ الظَّرْفَ إذا أُضِيفَ إليه يخرجُ من أن يكون خَرَفًا كما يخرجُ منه إذا دَخَلَ عليه حرفُ الجرِّ . على هذا قولُهم :

* يا سَارِقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ (١) *

وقوله :

* طَبَّاحِ سَاعَاتِ الكَرَى زَادَ الكَسْلِ (٢) *

(١) الخزانة : (١ : ٤٨٥) وسيبويه (١ : ٨٩) ، ولم ينسبَ فيهما .

(٢) مجالس ثعلب ١٥٢ والخزانة (٢ : ١٧٢) وسيبويه (١ : ٩٠) والكامل .

١١٣ لبيك . وقد نسب في الكامل إلى الشماخ بن ضرار ، والصواب أنه لجبار بن جزم . وهو ابن أخى الشماخ ، كما ذكر البغدادى . وقد ساق قصة الرجز مفصلة .

٣- وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة وصمّ إذا أيقنت أنك عاقرة
يقول: أجر مع الدهر في تصرفه وتلونه، ودار عدوك وجامله إن أعياك
مكابلته ومحاسدته، فإذا انقضت أيامه وتيسر لك بعد مداجاتك له عقره
وإهلاكه فاثبت في الأزم عليه، والانتقام منه، ثبات السيف القاطع في
ضربته، وإيالك والغفلة عند بعد إيقاظك إياه، واللين معه وقد خشنته.

٢١٩

وقال آخر^(١):١- إني إذا ما القوم كانوا أنجية^(٢)٢- واضطرب القوم اضطراب الأرشية^(٣)

٣- وشد فوق بعضهم بالأزوية

٤- هنالك أوصيني ولا توصي بي

قوله « إني إذا ما القوم » خبر إن في قوله « أوصيني ولا توصي بي ». والمعنى : إني أهلك لأن يوصي إلي حينئذ في غيري ، ولا يوصي غيري بي . فتبين هذا من الكلام وإن كان على لفظ الأمر والنهي . وعلى هذا قول القائل زيد قم إليه ، أي هو أهلك لأن تقوم إليه . فبهذا التقدير وأمثاله جاز أن يقع الأمر موضع الخبر . وأنشد أبو زيد :

(١) هو سحيم بن وثيل اليربوعي ، كما في اللسان (نجا) . وسحيم شاعر مخضرم عاش في الجاهلية أربعين سنة وفي الإسلام ستين سنة . انظر الخزاعة (١ : ١٢٣ - ١٣٠) وابن سلام ١٢٩ والاشتقاق ١٣٨ والإصابة .

(٢) روى أيضاً : « أخيه » كما في اللسان (نجا) ، وفسره بقوله : « أي انتحوا عن عمل يعملونه » .

(٣) ويروى أيضاً : « واختلف القوم اختلاف » ، و « والتبس القوم التباس » و « واختلف القول » . انظر اللسان (٢٠ : ١٨٠) .

وكوني بالكارم ذكريني ودلّي دلّ ماجدة صناع^(١)

وقال: أراد كوني تذكريني، فوضع ذكريني موضع تذكريني. ومرجع هذا الذي قاله إلى مثل ما بيناه. وكأأنّ خبر إن فيما بيناه فكذاك جواب إذا، فأفهمه. وما من قوله «ما القوم» زائدة. وأنجيّة: جمع نجية، والنجى يقع للواحد والجمع. وفي القرآن: ﴿خَلَّصُوا نَجِيًّا﴾. ومعنى كانوا أنجيته، أي صاروا فرقا لما حَزَبَهُم من الشرّ، ودَهَمَهُم من الخوف، يَنْجَاوُنَ وَيَنْشَاوُرُونَ.

وقوله «واضطرب القوم» أي أخذهم القيسام والقعود، وفارقهم القرار والهدوء، فأقبل بعضهم يمشى إلى بعض، متعاونين في التهيؤ والارتحال، ومنساعدين على التيسر للانتقال. فشبه ميلانهم وترجّحهم في اختلافهم، بترجّح الأرضية عند الاستفتاء عليها من الآبار البعيدة القعر، وميلانها.

وقوله «وشدّ فوق بعضهم بالأروية»، يعني أنهم ركبوا الليل ودأبوا السير، فغلب النعاس على طائفة منهم حتى خيف عليهم الشقوق، لضعف استمسكهم، فشددت الحبال فوقهم. والأروية: جمع الرّواء وهو الحبل الذي يروى به، أي يستقى. ومنه قيل الرّاوية، ويمحور أن يكون الاضطراب الذي ذكره لا يتّصل التسيار وغلبة النوم، للإخلال بالنزول والقرار أيضاً. وصرفه إلى الأول أحسن.

وقوله «هناك أوصيني» هناك يُشار به إلى الزمان والمكان معاً، وموضعه نصبٌ على الظرف، والكاف منه كاف الخطاب، والعاقل فيه أوصيني. والمعنى: في ذلك الوقت يوجد الغناء والكفاية عندي، ويحصل الصبر والمداومة مني،

(١) لرجل جاهل من بني نهشل. نوادر أبي زيد ٣٠، ٣٢، ٥٨. وقبله:

ألا يا أم فارغ لا تلومي على شيء رفعت به سماعي

فاجعلني وصاتك إلى لابي ، واعتمدني على لابي غيري . وقال بعض القدماء :
معنى كانوا أنجيّة ، يريد قوماً نأثروا على رواحيلهم فرأوا في مقامهم كأنهم
يقنّاجون . والصواب عندي ما قدّمته .

٢٢٠

وقال المتلمس^(١) :

- ١ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ رَذْنُ مَنِيَّةٍ صَرِيحٌ لِمَا فِي الطَّيْرِ أَوْ سَوْفَ يُرْمَسُ
٢ - فَلَا تَقْبَلَنَّ ضَيْمًا مَخَافَةَ مَيْتَةٍ وَمُوتَنَّ بِهَا حُرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ

قال هذا فيما كان بين ضبيعة وبكر بن وائل ، ومعنى ألم تَرَ أعلم . يقول :
الإنسان مرّتَين بأجله ، فإما أن يموت حتف أنفه يُدفن ، وإما أن يُقتل في
معركة فيترك لقوا في السباع والطير . وجعل « رَذْنُ مَنِيَّةٍ » و « صَرِيحٌ لِمَا فِي
الطَّيْرِ » جميعاً خبرين لأنّ ، نعم أنى بأو الإباحة . ويجوز أن ينتصب صريح على
الحال ، وفي رفيع وجه آخر ، وهو أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه هو
صريح . وإن جعلت أو التي تكون للشك يكون الكلام مبنياً على اليقين
ثم يمتزج فيه الشك . والأصلح في مثل هذا أن يُجمل بإمّا ، ليكون بذية
الكلام على الشك ، إذ كان واحداً من الأمرين لا يُدَيّقن .

وقوله « فَلَا تَقْبَلَنَّ ضَيْمًا » يقول : اذفع عن نفسك خطّة الضيم والمضيمه ،

(١) التبريزي : (واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد) . وهو من
بنى ضبيعة ، وأخواله بنو يشكر . وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة ، وهو الذي كتب له
إلى عامل البحرين بيم طرفه بئله ، ويروون أنه دفع صحيفته إلى غلام بالحيرة ليقرأه ففطن
لما أريد به ، فألقى بها في الحيرة ونجا بنفسه . والمتلمس من أشهر المقلّين في الجاهلية . انظر
الأغاني (٢١ : ١٢٥ - ١٢٧) والخزادة (١ : ٤٤٦ / ٣ : ٧٣) والشعر والشعراء .

ولا تلتزم العار والدنيّة، إشفافاً من المنية . وانتصّب « مخافة » على أنه مفعول له . وقوله « وموتن بها » ، الضمير من بها يرجع إلى المخافة ، أى مُتْ بقلك المخافة حُرّاً لم يستعبدك الخضم ، ولم يستوطئك الظلم ، وجلدك نقي من العيب ، سليم من العار والشين . ويروى « واحين بها حُرّاً وجلدك أملس » والرواية الأولى أحسن ، ويكون « واحين » أمراً بالحياة وقد أدخل عليه النون الخفيفة . ومعنى يُرْمَسُ : يُدْفَن . والرّمس : الدفن . والرياح الروامس منه ، وتوسّعوا في الدفن فقليل ازِمْسُ هذا الحديث ، كما يقال اذفن . وعافى الطير : ما يعترى منه . ويقال فلان كثير العافية والعفاة ، ويراد الزوّار والمُجْتَدُونَ .

٣- فَمِنْ طَلَبِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ أَلَمُوتَ السَّيْفِ بَيْنَهُ

٤- نِعَامَةٌ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَتَّ، فِي أَثَوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ

قصير : صاحب جذيمة الأبرش . وقصة جذيمة وزبَاء الرثومية مشهورة . وإن قصيراً توصل بأن جدع أنف نفسه ، إلى أن استخذه زبَاء ثم استخلصته حتى تمكن فأدرك ثأره منها . وبينس هو الذى يلقب نعاماً ، وهو رجل من بنى غراب بن فزارة ، وكان يحمق ، فقتل له سبعة إخوة فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ، فإذا سُئِلَ عن ذلك قال :

الْبَسَ لِكُلِّ عِشَةٍ لَبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُؤْسَهَا^(١)

فتوصل بما صورّه من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته . وحديثه مشهور أيضاً . وكلام المتلمس بفتّ وتحضيض على دفع الضيم ، وركوب الإباء من التزام العار ، فلذلك أخذ يذكّر بحال من استضعف . فلم يزل يحتال حتى أدرك مبالغته من أعدائه .

(١) يروى أيضاً : « لكل حالة » ، وهى رواية التبريزى .

وقوله : « مَا حَزَّ أَنْفَهُ » ما زائدة . وارتفع « نَمَاسَةً » على أنه بَدَلٌ من قوله بَيْنَهُسُ . وموضع « كَيْفَ » نَصَبٌ على أنه مفعول تَبَيَّنَ ، والعاملُ في كيفَ يَلْبَسُ تَبَيَّنَ . كأنه قال : تَبَيَّنَ في أثوابه يَلْبَسُ أَيَّ لِبْسَةٍ .

٥ - وما الناسُ إلا مارأوا وتحدّثوا وما العجزُ إلا أن يضاموا فيجلسوا^(١)

قوله « مارأوا » مامع الفعل في تقدير مصدرٍ ، كأنه قال : وما الناسُ إلا رُؤيةً وتحدّث ، أي اعتباراً بالمشاهدة أو بما يُروى من أخبار الأمم البائدة ؛ فهو كقولك : ما زيدٌ إلا أكلٌ وشربٌ ، فيكون إما على حذف المضاف ، كأنه قال : ما زيدٌ إلا ذُو أكلٍ وشربٍ ؛ وإما أن يكون لكثرة ما منه ، وولوعه بهما ، كأنه نفسُ الأكل والشرب . فيقول : ما الناسُ إلا ذُو الاعتبار بما يشاهدونه أو يسمعونهُ من أخبار أسلافهم ، فيتيقنون بأنه لا بدّ من الفناء ، فلا ينبغي لأحد أن يحتمل ضياعاً أو يضرّ على مكروه ، وما العجزُ إلا أن يُظلموا ويُساموا الخسفَ فيرضوا به ، وينطووا عليه كاطمين وساكنين . ويجوز أن يريد بقوله « وما الناسُ » وما حَزَمُ الناسُ ، فحذف المضاف ، ويكون حينئذ ما وأوا في موضع الظرف ، كأنه أراد : ما حَزَمُهم إلا مدّة رؤيتهم وتحدّثهم ، أي إذا اعتبروا بالأمسين ، ويكون هذا في باب الإخبار كقولهم : الهلالُ اللَّيلةُ ، على تقدير حدوث الهلال أو طلوعه اللَّيلةُ . ويكون الدلالة على هذا الوجه أنه طابَقَهُ بقوله « وما العجزُ » .

٦ - أَمَ تَرَ أَنَّ الْجُنُونَ أَصْبَحَ رَاسِيًا تُطِيفُ بِهِ الْأَيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ

الجنونُ : حِصْنُ اليَمَامَةِ ، ويُقال إنه من مصانِعِ طَسْمٍ وَجَدِيسَ . فيقول : لا نوعِدُونَا فَإِنَّ حَصْنَنَا حَصِينَ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ ، ولا يُسْتَبَاحُ حِمَاهُ . ومعنى « تُطِيفُ »

(١) التبريزي : قال أبو هلال : الرواية الجيدة ما رواه أبو عمرو :

وما البأسُ إلا حملَ نفسٍ على السرى وما العجزُ إلا نومة وتشمس

به الأيتام « تَلِمْتُ به الأحداث وتَنَوَّبُه النَّوَابِ فلا يُطِيعُ . وقوله « لا يتأيس »
أى لا يلين . وأنشد الأضمعي :

إِنْ نَكَ جُلُودَ صَخْرٍ لَا أُوَيْسُهُ أَوْ قَدْ عَلَيْهِ فَاتِحِيهِ فَيَنْصَدِعُ^(١)
ومَوْضِع « تَطِيفُ به الأيتام » نصبُ إن شئتَ على الصفة ، وإن شئتَ
على أَنَّهُ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ . وموضع « ما يتأيس » نصبُ على الحال ، والعامل
فيه تطيفُ .

٧ - عَصَى تَبَعًا أَزْمَانَ أَهْلِكَتِ الْقَرْىَ يُطَانُ عَلَيْهِ بِالصَّفِيحِ وَيُكَلَّسُ
يُرْوَى :

... أَيَّامَ أَهْلِكَتِ الْقَرْىَ يُطَانُ عَلَى صُمِّ الصَّفِيحِ وَيُكَلَّسُ^(٢)
يقول : إِنْ تَبَعًا لِمَا غَزَا الْقَرْىَ وَالْمَدْنَ لَمْ يَصِلِ الْيَمَامَةُ لِلْحَصَنِ . وَذِكْرُهُ
الْعَصِيانَ كَمَا قَالَ غَيْرُهُ . « تَعَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ^(٣) » . وقوله « يُطَانُ عَلَيْهِ
بِالصَّفِيحِ » أَيْ يُجْعَلُ بَدَل طِينِهِ فِي الْإِصْلَاحِ وَالْعَارَةِ الْكِلْسَ بِالْحِجَارَةِ . وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ « بِالصَّفِيحِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ يُطَانُ وَيُكَلَّسُ بِصَفَائِهِ ، أَيْ
وَهُوَ مَبْنِيٌّ الْحِجَارَةِ .

٨ - هَلُمَّ إِلَيْهَا قَدْ أَثِيرَتْ زُرُوعُهَا وَعَادَتْ عَلَيْهَا الْمَنْجَعُونَ تَكْدُسُ
يُجَاطِبُ الثُّمَانُ . وَ « إِلَيْهَا » أَيْ إِلَى الْيَمَامَةِ . وَهَذَا الْكَلَامُ نَهْكَمٌ وَسَخَرِيَّةٌ .
يقول : إِنْ قَدَّرْتَ عَلَيْهَا فَاقْصِدْهَا فَإِنَّهَا أَخْصَبُ مَا يَكُونُ ، مُزْدَرَعُهَا مَثَارٌ

(١) نسب في اللسان (٥ : ١٣٣) إلى عباس بن مرداس . وهو في المخصص (١٠ :
٩٥) بدون نسبة . وانظر مقاييس اللغة (أيس) .

(٢) التبريزي : « ويروى : يطان على مثل الصفيح » .

(٣) قائله الزبابة نفسها ، وكانت قصدت ماردا - وهو حصن دومة الجندل ، والأبلاق -
وهو حصن السموأل بن عاديأ بأن تيماء ، فلم تقدر عليهما ، فقالت هذا القول ، فصار مثلاً .
مجمع الأمثال (١ : ١١٣) .

وداليتها تدور . ومعنى « تكدّس » يركب بعضها بعضاً في الدوران . ويُستعمل في سير الدوابّ وغيرها . وقال ابن الأعرابي : التكدّس أن يُجرّك منكبيه إذا مشى . وقال الأصمعي . هي من مشى القصار الغلاظ . ويقال كدّس به الأرض إذا ضربها به . وأنشدت :

وخيل تكدّس بالدارعي — نازلت بالسيف أبطالها^(١)

وروى بعضهم : « قد أبيّنت زروعها^(٢) » . والإبانة : الإنارة . وقوله « هلم إليها » كما يقال أقبل إليها . وقد مضى القول في هلم^(٣) .

٩ — وذلك أوان العريض حتى ذبابه زنابيره والأزرق المتلمس ويروى « جن ذبابه » أي كثرو نشط . والعريض : وادٍ من أودية البمامة ، فلَكَ أن تجرّه بإضافة الأوان إليه وهو مرفوع ، ولك أن تنصب الأوان فترفع العريض بالابتداء ، واسم الزمان يضاف إلى الجمل من الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل ، وكأنه قال : وهذا الذي ذكرت هو في هذا الأوان . وقوله « حتى ذبابه » أي عاش بالخضب فيه . و« زنابيره » يرتفع على أنه بدل من الذباب . وذباب الروض قد تُسمّى الزنابير . وقوله « والأزرق المتلمس » إشارة إلى جنس آخر غير الأول ، وهو ما كان أخضر ضخمًا . والمتلمس : الطالب ، ويقال إنه سُمّي المتلمس بهذا البيت ، واسمه جرير بن عبد العزى^(٤) .

١٠ — يكون نذير من ورأى جنة وينصُرني منهم جلي وأحمس

١١ — وجمع بني قرآن فاعرض عليهم فإن يقبلوا هاتاً التي نحن نوبس

(١) البيت للخنساء . ديوانها ص ٧٥ طبع ١٨٨٨ .

(٢) اللسان : « هلموا إليه قد أبيّنت زروعها » .

(٣) انظر البيت الأول من الحماسة ٢١١ .

(٤) أو ابن عبد المسيح ، كما سبق في ترجمته .

قوله « يَكُونُ نَذِيرٌ » قيل فيه هو نذير بن بهيمة بن وهب بن حرب . وقيل أراد بالنذير المُنذِر . والمعنى : إني أُرْصِدُ لَهُمْ مِنْ يُنْذِرُنِي بِهِمْ فَيُخْبِرُنِي بِمَجِيئِهِمْ إِذَا هُمُ وَا بَه ، فَأَتِي وَأَسْتَجِنُّ وَأَحْرَزُ . وَجَلِيَّ وَأَحْسُ مِنْ ضُبَيْعَةِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زِرَارٍ يَقُولُ : وَإِذَا جَاءَ وَقْتُ التَّجَادُوبِ وَالتَّدَافُعِ قَامَ بَنَصْرَى هَذَا الْبَطْنَانِ . وقوله « وَجَمَعَ بَنِي قُرَّانَ » النَّصَبُ فِيهِ عَلَى إِضْمَارٍ فَعَلَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : سُمِّ جَمَعَ بَنِي قُرَّانَ ، وَيَكُونُ الْفِعْلُ الظَّاهِرُ تَفْسِيرُ الْمُضْمَرِ ؛ وَالرَّفْعُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَجْرُونَا مَجْرَى نَظَرَانَا فَإِنَّا نَرْضَى بِهِمْ قُدُوءَ ، وَاعْرِضُوا مَا تَسُومُونَنَا عَلَى بَنِي قُرَّانَ ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ يَتَلَقَّوْنَهُ بِالْقَبُولِ ، وَيُوطِّنُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَنَا بِهِمْ أُسُوءَ ، وَإِلَّا فَلَا مَتْنَاعَ مِنْهُ وَاجِبٌ . وقوله « هَاتَا الَّتِي نَحْنُ نُوبَسُ » أَيْ هَذِهِ الْخُطَّةُ الَّتِي تُنْكِرُهُ عَلَيْهَا . وَالْأَبْسُ : الْقَهْرُ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : أَبْسَتْ الرَّجُلَ ، إِذْ لَقِيَتْهُ بِمَا يَكْرَهُ ؛ وَأَبْسَتْ مِنْهُ ، إِذَا وَضَعَتْ مِنْهُ بِاسْتِخْفَافٍ بِهِ وَإِهَانَةٍ لَهُ . وَجَوَابُ الْجَزَاءِ لَمْ يَجِئْ بِعَدُ .

١٢ - فَإِنْ يُقْبِلُوا بِالْوَدِّ تُقْبَلُ بِمِثْلِهِ وَإِلَّا فَإِنَّا نَحْنُ آبَى وَأَشْمَسُ
١٣ - وَإِنْ يَكُ عَنَّا فِي حُبَيْبٍ تَشَاوَلُ فَقَدْ كَانَ مِنَّا مِقْنَبٌ مَا يُعْرَسُ

قوله « فَإِنْ يُقْبِلُوا بِالْوَدِّ » أَعَادَ بِهِ الشَّرْطَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ « فَإِنْ يَقْبَلُوا هَاتَا الَّتِي نَحْنُ نُوبَسُ » ، وَلَمْ يَأْتِ لِلشَّرْطِ بِجَوَابٍ ، ثُمَّ قَالَ « فَإِنْ يَقْبَلُوا بِالْوَدِّ تُقْبَلُ بِمِثْلِهِ » ، فَاهْتَفَى بِجَوَابٍ وَاحِدٍ لاشْتِمَالِهِ عَلَى مَا يَكُونُ جَوَابًا لَهَا ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : إِنْ قَبِلُوا مَا نُوبَسُ تُقْبَلُ مِثْلُهُ ، وَإِنْ أَقْبَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَادِّينَ وَوَامِقِينَ أَقْبَلْنَا بِمِثْلِهِ ، وَإِلَّا فَنَحْنُ أَشَدُّ إِبَاءً ، وَأَبْلَغُ شِمَاسًا ، وَأَحْيَى أَنْفَا وَأَعَزُّ جَانِبًا ، وَالشَّمَّاسُ : الْامْتِنَاعُ ، وَمِنْهُ شِمَاسُ الدَّابَّةِ ، وَهُوَ أَنْ لَا يُمَكِّنَ مِنَ الْإِسْرَاجِ وَالْإِلْجَامِ . وَكَانَتْ بَنُو ضُبَيْعَةَ حُلَفَاءَ لِبْنِي ذُهْلَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ ،

فوقعَ بينهم نزاعٌ ، فماتَ بهمُ للتلّسُّ . وقوله « وإنَّ بك منَّا في حُبِّبٍ ثاقِلٌ »^(١)
 فإنَّه أرادَ حُبِّبَ نَخَفَ ، وهو حُبِّبُ بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل .
 يقول : إنَّ تكاسَلَ بنو حُبِّبٍ عن طلبِ دماننا ، وتناقلوا عن إدراكِ ثأرنا ،
 فقد كان منا من يدأبُ ويسهرُ ، فلا يرى^(٢) تعريسا وتلوّما وتعريجا في
 ذلك . والمُنْصَبُ : زُهاه ثلاثمائة من الخيل . والتعريس : نزولٌ في آخر الليل .

٢٢١

وقال سعدُ بنُ ناشِبٍ^(٣) :

١- تُفَنِّدُنِي فِيمَا تَرَى مِنْ شَرِّ امْرِئِي وَشِدَّةِ نَفْسِي أَمْ سَعْدٍ وَمَا تَذَرِي

٢- فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْحَلِيمَ وَإِنْ حَلَا لَيُلْفِي عَلَى حَالٍ أَمْرًا مِنَ الصَّبْرِ^(٤)

تُفَنِّدُنِي أَي تَجْهَلُنِي . والفند : إنكارُ العقل من هَرَمٍ . يقال شيخٌ مُفَنَّدٌ . وفي القرآن : ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون ﴾ ، أَي تَجْهَلُونِي ، وفُسرَ على تُكْذِبُونِي أيضا . والشَّرَاسَةُ : صُعُوبَةُ الْخُلُقِ وَخُشُوعَةُ الْجَانِبِ . فيقول : تُعَيِّبُنِي^(٥) هذه المرأة على ما تَرَى من عُسرِ الْخُلُقِ وإِباءِ النَّفْسِ وَفُظَاظَةِ الْقَلْبِ ، جاهلةً بأحوالِ الرِّجَالِ ، والفضل بين أوقاتِ الجِدِّ والمزَلِّ ، والشِدَّةِ واللَّيْنِ ، فأجبتها وقلتُ : إِنَّ الرَّجُلَ الْحَلِيمَ وَإِنْ لَانَ عِظْفُهُ وَسَهَّلَ خُلُقُهُ فَقَدْ يُوجَدُ فِي وَقْتِ الْغِلْظَةِ وَعِنْدَ حَالَةِ الْقَسْوَةِ أَمْرًا مَرَّارَةً مِنَ الصَّبْرِ ، وأشدَّ صِلَابَةً مِنَ الْحَجَرِ . وقوله « وما تَذَرِي » في موضع الحال . وفي هذه الطريقة قولُ الآخر^(٦) :

(١) م : « ترى » . والمعنى يتجه بكل منهما .

(٢) سبقَت ترجمته في الحماسة ١٠ ص ٦٧ .

(٣) التبريزي : « إن الكريم » . وقد أُشير في هامش الأصل إلى أنه كذلك في نسخة .

(٤) م : « تفتنني » ، التيمورية : « تعتني » .

(٥) هو الشنفرى الأزدي . المفضليات (١ : ١١٠) .

- وَأِنِّي لُحَلَوْتُ إِنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتِي وَمُرَّةٌ إِذَا نَفَسُ الْعَزُوفِ اقْتَضَمَتْ
- ٣- وفي اللّينِ ضَعْفٌ وَالشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ وَمَنْ لَا يُهَبُّ يُحْمَلُ عَلَى مَرْكَبٍ وَغَيْرِ
الواو من قوله « وَالشَّرَاسَةُ » عاطفةٌ لِحَمَلَةٍ عَلَى جَمَلَةٍ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُجَرَّ
الشَّرَاسَةُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى فِي اللّينِ ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُطْفِ عَلَى عَامِلَيْنِ
بِحَرْفٍ وَاحِدٍ^(١) . وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّ مِنْ اسْتِثْنَاءَيْنِ جَانِبَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ اسْتِثْنَاءٌ
وَاهْتِضَامٌ ، وَمِنْ اسْتِثْنَاءَيْنِ خُلِقَ هَيْبٌ وَتُحْوِي .
- ٤- وَمَا بِي عَلَى مَنْ لَانَ لِي مِنْ فُظَاظَةٍ وَلَكِنِّي فَظٌّ أَبِيٌّ عَلَى الْقَسْرِ
فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلِ الْآخِرِ^(٢) :

أَبِيُّ لَمَّا آبَى سَرِيعٌ مَبْأَتِي إِلَى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتِي
يَقُولُ : أَضْعُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْفُظَاظَةِ وَالشُّهُولَةِ ، وَالشَّرَاسَةِ وَالسَّلَاسَةِ ،
فِي مَوْضِعِهِ ، وَأَسْتَعْمَلُهُ مَعَ مَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، فَمَنْ جَرَى مَعِي وَانْقَادَ لِي لِنْتُ لَهُ ،
وَقَابَلْتُهُ بِمَثَلٍ فِإِلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَبَّى عَلَيَّ وَطَلَبَ مِنِّي مُتَابَعَتَهُ وَالْجُرَى مَعَ هَوَاهُ
أَبَيْتُ عَلَيْهِ ، وَخَالَفْتُهُ فِيمَا يَبْتَغِيهِ . وَالْقَسْرُ : الْقَهْرُ عَلَى الْكُرْهِ ، وَيُقَالُ قَسَرْتُهُ
وَاقْتَسَرْتُهُ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَسَدِ قَسْرَةً .

- ٥- أَقِيمُ صَفَا ذِي الْمَيْلِ حَتَّى أَرُدَّهُ وَأَخْطِئُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْقَدْرِ
- ٦- فَإِنْ تَعَذَّلَنِي تَعَذَّلِي بِي مُرْزَاً كَرِيمَ نَشَا الْإِعْسَارِ مَشْتَرِكِ الْيُسْرِ

(١) أى العطف على معمولى عاملين بحرف واحد . والمسألة خلافية . قالوا : إذا لم يكن
أحد العاملين حرف جر فإنه لا يميز العطف نحوى إلا الأختش ، وإذا كان أحدهما حرف جر
مؤخرًا نحو زيد فى الدار والحجرة عمرو ، أو وعمرو الحجرة فإنه لا يميز العطف إلا الأختش
أيضاً . وإن كان حرف جر مقدماً ، كما فى نص هذا البيت فإن المنع مذهب سيبويه ، وبه قال
المبرد وابن السراج وهشام ، وقد أجاز الأختش هذا العطف ، وبه قال الكسائى والفراء .
والزجاج . انظر آخر باب العطف عند الأثنوى .

(٢) هو الشنفرى الأزدي . المفصليات (١ : ١١٠) .

قوله « أقيم صَفا ذى اللَّيْلِ » ، تبجَّجَ فيه بأنه عارفٌ بأسرار الرِّجال ، لطيفُ التَّوصُّلِ إلى إنزالهم منازلهم ، بصيرٌ بمداواة أدوائهم ، لا يترُكهم سُدىً ، ولا يُخلِّبهم أهالا . والصَّفا : اللَّيْلُ والاعوجاج ، يقال صَفا فؤاده يَصْفَى وَيَصْفَوُ ، أى مال . وصِفوكَ مع فلانٍ ، أى مَيَّلَكَ . يقول : مَنْ مالَ عَنَّا فإني أقومُ اعوجاجه بما يُحوج إليه من قول وفعل ، حتَّى أرُدَّه إلى ما أريدُه ، فإن تبيَّنتُ فيه تعدُّيا لطوره ، وذهابا عن حمَّةٍ وحدَّة ، زَمَّمْتُهُ بزمامٍ مثله حتَّى يرجعَ إلى مرَّتبيته وقَدَرِه . وقوله « فإن تَعَذَّلِيْنِي » بصِفِ نَفْسَهُ بأنه سَمَّيْخٌ معطاء ، لا يُكفِّ عن البذل ، ولا يُرَدُّ عن الإعطاء والجود ، على تلؤن الزَّمان به ، وتغيُّر الأحوال عليه . ولرَّزَأَ : المُصابُ في ماله كثيرًا . وقوله « تَعَذَّلِي بِي مُرَّرًا » ، أى رجلاً مرَّزَأً ، وذلك الرَّجُلُ هُوَ هوكا يقال : لقيتُ بَزيدَ الأسد^(١) . والنَّشأ : الخَيْرُ ، ويُستعمل في الخير والشرِّ ، والثناء لا يستعمل إلَّا في الخير ، يقول : إن لُمتني على ما هو دأبى من الإفضال ، لُمت بى رجلا لا يفكرُ في عُقب الدَّهرِ ، وكُروِرِه بالغنى والفقر ، فإن نَابَهُ العُسرُ حَسَنَ بلاؤه وكُرمَت أخبارُه فيه ، وإن نالَه اليُسْرُ أضرَكَ الأقاربَ والأجانبَ في نفعه ، فَعَمَّتْ فواضِلُهُ لديهم .

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى . فمن ذلك قولُ الشَّمرِ دَل :

وَصُولٌ إِذَا اسْتَعْنَى وَإِنْ كَانَ مُقْتَرًا مِنْ الْمَالِ لَمْ تُخَفِ الصَّدِيقَ مَسَائِلُهُ
وقولُ المَرَّار :

إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَّارُ لَمْ يُرْ قَفَرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَّارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهُ
وأحسنُ من الجميع قول الآخر :

إِذَا افْتَقَرُوا عَضُّوا عَلَى الْفَقْرِ حِسْبَةً وَإِنْ أَيْسَرُوا عَادُوا سِرَاعًا إِلَى الْفَقْرِ

(١) وهذا ما يسميه البلاغيون « التجريد » .

٧- إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزَمَهُ وَصَمَّ تَصْمِيمَ الشَّرِيجِيِّ ذِي الْأَثَرِ
يَذْكُرُ مِنْ نَفْسِهِ الصَّرَامَةَ وَالنَّفَازَ ، وَفَضَلَ الْأُمُورَ ، وَالصَّبْرَ عَلَى مِمَارَسَةِ
الْخُطُوبِ . يَقُولُ : إِذَا عَزَمَ عَلَى الْأَمْرِ كَانَ جَمِيعُ الرَّأْيِ ، يَجْعَلُ الْمَهْمُومَ بِهِ نَصَبَ
عَيْنَيْهِ ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ ، وَنَفَذَ نَفَازَ السَّيْفِ الْخِلْدِمَ لَا يَتَوَقَّفُ فِي الضَّرْبِ ،
وَلَا يَكْتُمُ . وَالشَّرِيجِيُّ : مَنْسُوبٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَصِفَ بِذَلِكَ لِكثْرَةِ
مَائِهِ وَرَوْنَقِهِ ، حَتَّى كَانَ فِيهِ سَرَاجًا ؛ وَمِنْهُ قِيلَ : سَرَجَ اللَّهُ أَمْرَكَ ، أَيْ حَسَنَهُ
وَنَوَّرَهُ . وَالتَّصْمِيمُ : الْمَضِي فِي الْأَمْرِ ، وَيُقَالُ صَمَّمَ فِي عَصَّتِهِ ، إِذَا نَيْبَ . قَالَ :
فَأُطْرِقُ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا ^(١)
وَالْأَثَرُ : الْفِرْنَدُ وَالْمَاءُ ، وَيُقَالُ أَثَرٌ بِالضَّمِّ .

٢٢٢

وقال أيضاً :

١- لَا تَوَعِدْنَا يَا بِلَالُ فَإِنَّا وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَشْقُقْ عَصَا الدِّينِ أَحْرَارًا

يُخَاطَبُ بِهَذَا الْكَلَامِ بِلَالًا الْخَارِجِيَّ ، وَيَعْبُرُهُ خُرُوجُهُ مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
وَشَقِّهِ عَصَا الْإِسْلَامِ ، فَيَقُولُ : أَتُرْكُ تَوَعِدَنَا فَإِنَّا وَإِنْ لَمْ نُفَرِّقِ الْجَمَاعَةَ تَفْرِيقَكَ ،
وَلَمْ نُخَالِفِ الْمُسْلِمِينَ مَخَالَفَتَكَ فَإِنَّ فِينَا كَرَمًا وَإِبَاءً يَحْمِيَانَا مِنَ الْإِنْهَضَامِ ، وَيَحْرُمُ
عَلَيْنَا الصَّبْرَ عَلَى الْمَذَلَّةِ وَالْعَارِ ، فَلَا طَرِيقَ لَكَ إِلَى تَمَلُّكِنَا وَالتَّحَكُّمِ فِينَا . وَقَالَ
الْخَلِيلُ قَوْلُهُمْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ ، الْعَصَا : الْاجْتِمَاعُ وَالْإِتِّحَافُ . وَالْأَجُودُ عِنْدِي
أَنْ يَكُونَ مَثَلًا كَمَا يُقَالُ لِلرَّفِيقِ الْحَسَنِ السِّيَاسَةِ : هُوَ كَيْنَ الْعَصَا ، وَفِي ضِدِّهِ :

(١) للمتلهم في ديوانه ٢ نسخة الشنقيطي . ويروي : « لناها » بدلها على التزام
الألف . شرح الأثوني (١ : ٧٩) .

هو صُلْبُ الْعَصَا ، وكَفَّوْهُم : قَشَرْتُ لَهُ الْعَصَا ، إِذَا أَبْنَتْ لَهُ مَا فِي نَفْسِكَ ،
وكَمَا قِيلَ : « عَصَا الْجَبَانِ أَطْوَلُ » . وقال بعضهم ^(١) يصف الخوارج :
رَجَوْا بِالشَّقَاقِ الْأَكْلَ خَضْمًا فَقَدَرَضُوا أَخِيرًا مِنْ أَكْلِ الْخَضْمِ أَنْ يَأْكُلُوا قَضْمًا
فَأَنَّى بِالشَّقَاقِ وَأَصْلُهُ مِنْ شَقَّ الْعَصَا .

٢ - وَإِنْ لَنَا إِمَامًا خَشِينَاكَ مَذْهَبًا إِلَى حَيْثُ لَا نَخْشَاكَ وَالذَّهْرُ أَطْوَارُ
يَتَوَعَّدُهُ بَأَنَّهُ إِنْ أَعْيَاهُ مُقَارَنُهُ وَلَمْ يَقِفْ ^(٢) بِمَدَافِعَتِهِ ، فَارَقَ أَرْضَهُ
وَتَرَبَّصَ بِهِ مَا لَا يُؤْمَنُ مِنْ تَغْيِيرِ الزَّمَانِ ، وَتَحَوُّلِ الْأَحْوَالِ ، لِأَنَّ فِي سَمَةِ الْأَرْضِ
مَذْهَبًا لَهُ ، وَفِي التَّبَاعُدِ عَنْهُ رَاحَةً تُؤْمِنُهُ . وَقَدْ أَوْمَأَ بِقَوْلِهِ « وَالذَّهْرُ أَطْوَارُ »
إِلَى تَصَارِيفِ الزَّمَانِ ، وَتَلَوُّنِهِ بِالْخَيْرِ تَارَةً وَبِالشَّرِّ أُخْرَى . وَيَقَالُ لِلنَّاسِ
أَطْوَارٌ ، أَيْ أَخْيَافٌ عَلَى حَالَاتٍ شَتَّى . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ .
وَقَوْلُهُ « إِلَى حَيْثُ لَا نَخْشَاكَ » أَجْرَى حَيْثُ مَجْرَى الْأَسْمَاءِ ، وَجَعَلَ لَا نَخْشَاكَ
مِنْ تَمَامِهِ ، وَحَذَفَ الضَّمِيرَ مِنْهُ تَخْفِيفًا ، كَأَنَّهُ قَالَ إِلَى حَيْثُ لَا نَخْشَاكَ فِيهِ ، أَيْ
إِلَى مَكَانِ الْأَمْنِ مِنْكَ . وَيُرْوَى « فَإِنْ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحًا وَمَذْهَبًا » . وَالْمَزَاحُ :
الْمُبْعَدُ ، يُقَالُ : زَاحَ عَنِّي .

٣ - فَلَا تَحْمِلْنَا بَعْدَ تَمَعٍّ وَطَاعَةٍ عَلَى غَايَةٍ فِيهَا الشَّقَاقُ أَوْ الْعَارُ
يَقُولُ : لَا تُلْجِئْنَا بَعْدَ انْقِيَادِنَا لَكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ ، وَدُخُولِنَا تَحْتَ
هَوَاكَ ، وَتَلَقُّيْنَا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ أَمْرًا ، إِلَى غَايَةٍ تُضَيِّقُ نِطَاقَ صَبْرِنَا ، وَتَعْجِزُ
طَاقَتَنَا وَجُهْدَنَا ، فَتُفْضِي بِنَا الْحَالُ إِلَى أَحَدِ شَيْئَيْنِ ، إِمَّا مُشَاقَّتِكَ وَبِمَجَاهَدَتِكَ ،
وَرُكُوبِ كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ فِي الْخُرُوجِ عَنْكَ وَعَلَيْكَ ، وَإِمَّا الرِّضَا بِالذَّيْنَةِ

(١) هو أيمن بن خريم الأسدي ، يذكر أهل العراق حين ظهر عبد الملك بن مروان
على مصعب بن الزبير . اللسان (خضم ، قضم) . والرواية في اللسان : « القضم » .
(٢) م : « ولم يقف » .

والدَّخُولِ تَحْتَ الْعَارِ وَالْمُضِيْمَةِ ، فَلَا حَظَّ لَنَا وَلَكَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا . وَقَدْ مَضَى
الْقَوْلُ فِي الشَّقَائِ وَأَصْلِهِ . وَيَقَالُ هُوَ بِشَأْفِهِمْ خِلَافًا وَعِنَادًا .

ع — فَإِنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ أُلْقَتْ قِنَاعَهَا بِهَا حِينَ يَجْفُوها بَنُوها لِأَبْرَارٍ
قوله « إذا » ظرفٌ لخبر إنَّ ، وهو أبرارٌ . وكذلك قوله « حين يَجْفُوها ،
والتقدير : إِنَّا لِأَبْرَارٍ بِالْحَرْبِ إِذَا أُلْقَتْ قِنَاعَهَا وَجَفَّاهَا أَبْنَاؤُهَا . وقوله « أُلْقَتْ
قِنَاعَهَا » مَثَلٌ . يريد : إِذَا اشْتَدَّتْ فَتْكَشَفَتْ ، وزالت المساترة بين أولادها
فتبرَّجت ، في أَفْبَحَ زِيَّهَا وَأَفْظَعَ صَوْرَتِهَا . وتشبيه الحرب في ابتدائها بِالْفَتْيَةِ
الْمُخْدَرَةِ وَتَسْتَرِهَا ، وعند تفاقمها بالعجوز وأطراحها لقناعها ، مشهور في عاداتهم
وطرائقهم . ويرثُ أَبْنَاؤها بها : صَبْرُهُمْ عَلَى حَرِّهَا ، وتهيجهم لنارِها . وجفاؤهم
بها أن يكونوا على الصَّدِّ من ذلك .

ه — وَلَسْنَا بِمُحْتَلِّينَ دَارَ هَضِيمَةٍ خِيفَةَ مَوْتٍ إِن بَنَّا نَبَتِ الدَّارُ
هذا خِلَافُ قول الآخر :

إِذَا ارْتَحَلُوا عَنْ دَارِ ضَيْمٍ تَعَاذَلُوا عَلَيْنَا وَرَدُّوا وَقَدَّمِ يَسْتَقِيمِلُهَا^(١)
وانتصب « خِيفَةَ » على أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَالْمُضِيْمَةُ وَالْمُضِيْمَةُ وَاحِدٌ .

٢٢٣

وَقَالَ قُرَادُ بْنُ عَبَّادٍ^(٢) :

١ — إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْضَبْ لَهُ حِينَ يَفْضَبُ فَوَارِسٌ إِنْ قِيلَ أَرَكَبُوا الْمَوْتَ يَرَكِبُوا^(٣)

(١) لمعميرة بن جهم . المفضلية ٦٣ . وأنشده الجاحظ في البيان (٢ : ٣٤٧) .

(٢) التبريزي : قال أبو هلال : هكذا في الأصل ، وهو خطأ ، وإنما هو قراد بن العيار بن
عمر بن خالد بن أرقم بن قسب بن ناشرة بن سيار بن رزام ، وأبوه العيار أحد شياطين العرب .
ويؤيد ما قال أبو هلال أن الأمدى في الموثلف ١٥٩ ذكر أباه « العيار » ثم قال : « وكان
ابن قراد بن العيار شاعراً منكرأً شريراً بذيء اللسان ، وعمر دهرأً طويلاً ، وهلك في ولاية
محمد بن سليمان الأولى وقد بلغ من السن أكثر من مائة سنة » . وانظر معجم المرزباني ٣٢٨ .

(٣) الأمدى : « معاشر » بدل « فوارس » .

٢ - ولم يَنْجِبْهُ بِالنَّصْرِ قَوْمٌ أَعَزَّةٌ مَقَاهِمُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُتَهَيَّبُ
٣ - تَهَضُّمُهُ أَذْنَى الْعَدُوِّ وَلَمْ يَزَلْ وَإِنْ كَانَ عِضًا بِالظَّلَامَةِ يُضْرَبُ

يُخْبِرُ بِأَنْ عَزَّ الرَّجُلُ بِعَشِيرَتِهِ ، وَاعْتَلَاهُ بِذَوِيهِ وَأَقَارِبِهِ ، فَإِذَا لَمْ يَتَفَضَّبْ
لَهُ فُرْسَانٌ يَسْخَطُونَ لِسُخْطِهِ وَيَمْتَعِضُونَ مِنْ دُخُولِ الضِّيمِ عَلَيْهِ ، فَيَرْكَبُونَ حَدَّ
الْمَوْتِ فِي هَوَاهُ ، وَيَقْتَحِمُونَ الشَّدَائِدَ فِي نُصْرَتِهِ ، تَجَاسَّرَ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ ،
وَأَذْنَى مُخَافَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ مَنَكْرًا دَاهِيَةً لَا يُطَاقُ ، وَلَمْ يَزَلْ مَضْرُوبًا
بِالظُّلْمِ وَالْمُضْيِمَةِ ، مَقْهُورًا بِالْإِزْرَاءِ وَالْمُضْيِمَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَا يُؤْتَى مِنْ حَدِّ وَمُضَاءٍ .
وَالْعِضُّ : السَّيِّئُ الْخُلُقُ ، وَالْمُنْكَرُ الشَّدِيدُ اللَّسَانِ . وَيُقَالُ هُوَ عِضٌّ مَالٍ وَعِضٌّ
سَفَرٍ وَقِتَالٍ ، إِذَا كَانَ حَسَنَ الْغَنَاءِ فِي جَمِيعِهِمَا . وَجَوَابُ « إِذَا الْمَرْءُ » قَوْلُهُ
« تَهَضُّمُهُ » ، وَهُوَ الْعَامِلُ فِيهِ . وَالْمَقَاهِمُ : جَمْعُ الْمَقَامِ ، وَهُوَ الَّذِي يَخُوضُ
فِقُحْمَةِ الشَّيْءِ ، أَيْ مَغْظَمِهِ . وَمَعْنَى تَهَضُّمِهِ كَسْرُهُ وَأَذَلُّهُ . وَالْحِبَاءُ : عَطَا
بِلَا مَنٍّ وَلَا جَزَاءٍ . وَيُقَالُ : حَبَاهُ اللَّهُ بِكَذَا ، وَحِبَاهُ كَذَا أَيْضًا . وَخَبِرُ لَمْ يَزَلْ
« يُضْرَبُ » ، وَفِي الْجُمْلَةِ جَوَابُ « وَإِنْ كَانَ عِضًا » .

٤ - فَنَاحَ لِحَالِ السَّلَامِ مَنْ شِئْتَ وَاعْلَمَنْ بِأَنْ يَرَوْى مَوْلَاكَ فِي الْحَرْبِ أُجْنَبُ

٥ - وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ الَّذِي إِنْ دَعَوْتَهُ أَجَابَكَ طَوْعًا وَالدَّمَاءُ تَصِيبُ

٦ - فَلَا تَخْذَلِ الْمَوْتَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَإِنْ بِهِ تُتْلَى الْأُمُورُ وَتُرَابُ

يُحْتَمَى عَلَى اسْتِصْلَاحِ [بَنِي ^(١)] الْأَعْمَامِ ، وَيَنْبَغِي عَلَى أَنَّهُمُ الْمُعْتَمِدُونَ فِي
الشَّدَائِدِ ، يَقُولُ : وَالْإَيَّامُ ائْتَامُ ائْتَامَةٍ وَأَحْوَالُ الْمَوَادِعِ وَالْمُسَالَمَةِ مَنْ شِئْتَ ،
وَإِنْ لَمْ يَجْمَعْكَ وَإِيَّاهُ نَسَبٌ وَلَا سَبَبٌ ، عَالِمًا بِأَنَّهُ لَا يَصَاحُ لِلْحَرْبِ وَمَجَادِبَةِ
الْأَعْدَاءِ إِلَّا قَرِيبٌ ، وَأَنْ مِنْ سِرْوَاهُ فِيهَا غَرِيبٌ . وَقَوْلُهُ « وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ »

تَلَفَّى بِهِ تَحْقِيقَ مَا قَدَّمَهُ ، وَتَأَكِيدَ مَا أَطْلَقَهُ ، وَتَنَقَّى عَنْهُ تَسْلُطَ الْحِجَازِ وَالِاتِّسَاعِ .
 فيقول : مولاكَ في الحقيقة هو ابن عمِّكَ الذي إن استغثتَ به أبعدَ ما كان منك .
 أغاثَكَ عن حُنُوٍّ وشفقةٍ ، وإن دَعَوْتَهُ وَالْكَلِمُ يَقْطُرُ وَحِبْلُ الْأَلْفَةِ يَنْقَطِعُ ،
 أَجَابَكَ لَا بِتَصْنِيعٍ وَتَعْمَلٍ ، فَأَمَّا مَنْ وَلَاؤُهُ بِالْأَسْمِ دُونَ الْمَعْنَى ، أَوْ يَكُونُ مَدَاجِيئًا
 لَكَ يُجَامِلُكَ بِالْفِشِّ وَيَنْطَوِي لَكَ عَلَى الضَّغْنِ ، يَخْذُلُكَ أَخُوجَ مَا كُنْتَ إِلَيْهِ ،
 وَيَبْعُدُ عَنْكَ أَقْرَبَ مَا كُنْتَ فِيهِ ، فَلَا مَعْتَمِدَ عَلَيْهِ ، وَلَا اسْتِنَامَةَ إِلَيْهِ . وَانْتَصَبَ
 « طَوْعًا » لِأَنَّهُ مُصَدِّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدَعَيْهِ لِمَلِيَّةٍ يُجِبِّكَ وَإِنْ تَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ
 وَقَوْلُهُ « وَلَا تَخْذُلِ الْمَوْلَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا » يَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : لَا تَخْذُلْهُ
 وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا لَكَ ، وَيَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَنَاجٍ مَا جَاءَ فِي الْخَيْرِ : « انْصُرْ
 أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » . يَقُولُ : طَالِبُ نَفْسِكَ لِمَوْلَاكَ بِمِثْلِ مَا تُطَالِبُ بِهِ
 مَوْلَاكَ لِنَفْسِكَ ، وَانْصُرْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَفِي مِثْلِ طَرِيقَةِ الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ قَوْلُ الْآخَرِ ^(١) :

وَمَنْ لَا يَكُنْ ذَا نَاصِرٍ يَوْمَ حَقِّهِ يُغَلِّبُ عَلَيْهِ ذُو النَّصِيرِ وَيُضْهِدُ
 وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي لِذِي الظُّلْمِ زَاجِرٌ إِذَا خَطَرَتْ أَيْدَى الرِّجَالِ بِمَشْهَدٍ
 وَمَعْنَى « بِهِ تُنْشَأُ الْأُمُورُ وَتُرْتَأَبُ » يَرِيدُ بِالْمَوْلَى تَصْلُحُ الْأُمُورُ وَتُقَسَّدُ .
 وَيُقَالُ : رَأَيْتُ الثَّأْيَ ، كَمَا يُقَالُ رَفَعْتُ الْخُرْقَ .

(١) هو عدى بن زيد العبادي . حماسة البحترى ١٥٤ .

٢٢٤

وقال زاهر أبو كرام التميمي^(١) :

١ - لله تيم أي رُمج طراد لاقى الحمام به وتصل جلاذ

قوله « لله تيم » ، تيم : رجل من بني يشكر ، بارز أبا كرام فقتله ، وكان أحد الفرسان ، فأخذ أبو كرام يُقيم أمره ويعظم شأنه ، لأن ثنائه عليه وإكباره لمكانه راجع إليه ، إذ صار قتيله . واللام من « لله تيم » دخلت للتخصيص ، والتعجب دخل في الكلام أيضاً بقوله « أي رُمج طراد » . وعلى هذا قولهم : لله دَرَه . وهذا التخصيص باللام يجري مجرى الإضافة في قولهم : بنتُ الله ، وكعبةُ الله ، وإن كانت الأشياء كلها لله . وقوله « أي رُمج طراد لاقى الحمام به » الضمير في به لتيم ، والمعنى : لاقى الموت بتيم أي رُمج مطاردة ، وأي فصل مجالدة ، كأنه كان رُمحا ونصلا ، ومَحشَّ حرب . ويجوز أن يكون المراد : لاقى الموت به أي سلاح وعدة ، وأي مقاتل وبطل . ولك أن ترفع « الحمام » ، والمعنى : لاقى الموت بتيم أي رمح وأي راح ، وأي سيف وأي سائف . ودلَّ على صاحب السيف والرُمح قوله « ومَحشَّ حرب » في البيت الثاني .

٢ - ومَحشَّ حربٍ مُقدمٍ مُعرضٍ للموتِ غيرِ مُعَرِّدٍ حَيَّادٍ

يقال : حَشَشْتُ النارَ ، إذا جمعتَ الحطبَ إليها وهيئتها . كأنه جعله آلة في حَشَّ نار الحرب ، لأنَّ المِفْعَلَ والمِفْعَال للآلات . والتَّعَرِّدُ : تركُّ القصد وسرعة الانهزام . والحَيَّادُ : الذي يَحِيدُ عن موضع القتال كثيراً . يريد أنه

(١) أبو كرام ، كذا ضبط في الفسخ بكسر الكاف وتخفيف الراء . و « التميمي » نسبة إلى تيم . وعند التبريزي « أبو كرام التميمي » ، ثم قال : « ويروى : كدام » .

يُقدِّم ولا يُجِج . وانعطف « ومَحَشَ حربٍ » على « ونَضَلَ جِلَادٍ » .

٣ - كَاللَّيْثِ لَا يَشْنِيهِ عَنْ إِقْدَامِهِ خَوْفُ الرَّدَى وَقَمَاقِعُ الْإِبَادِ

٤ - مَذِلٌ بِمُهْجَتِهِ إِذَا مَا كَذَّبَتْ خَوْفَ الْمَنِيَّةِ نَجْدَةُ الْأَنْجَادِ

يقول : هو في بَأْسِهِ وإِقْدَامِهِ ، مِثْلُ اللَّيْثِ لَا يَصْرِفُهُ عَنِ الْوَجْهِ الَّذِي يَوْمُهُ ، وَالْأَسْرِ الَّذِي يَوْمُهُ ، مَا يَسْتَشْمِرُهُ الْجَبَانُ مِنْ خَوْفِ الْمَوْتِ ، وَقَمْعَةُ الْوَعِيدِ . وَالْقَمْعَةُ : صَوْتُ الْجِلْدِ الْيَابِسِ وَالْبَكْرَةِ ؛ وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : هَالًا فَلَانًا قَمْعَةُ الْوَعِيدِ . وَقَالُوا : تَقَعَّعَتْ مَفَاصِلُهُ أَيْضًا .

وقوله : « مَذِلٌ بِمُهْجَتِهِ » كَأَنَّهُ يَطُولُ تَعَرُّضُهُ لِلشَّدَائِدِ ، وَيَدُومُ ابْتِدَاؤُهُ لِمَا يَجِبُ صَوْنُهُ مِنْ كِرَاحِ النَّفْسِ ، فِعْلٌ مَنْ ضَجِرَ بِمُهْجَتِهِ فَاسْتَقْتَل ، وَاسْتَطَابَ الْمَوْتَ فَتَمَجَّلَ . وَيُقَالُ : مَذِلَ بَسْرُهُ ، إِذَا بَاحَ بِهِ . وَالْمُهْجَةُ : خَالِصَةُ النَّفْسِ ، وَمِنْهُ الْأَمْهُجَانُ فِي اللَّبَنِ ^(١) . وَانْتَصَبَ « خَوْفُ الْمَنِيَّةِ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَإِذَا مَا كَذَّبَتْ نَجْدَةُ الْأَنْجَادِ ، ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ مَذِلٌ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا خَافَتْ شِدَّةُ الْأَشْدَاءِ ، وَلَمْ تَفِ بِمَا تَعِدُ شَجَاعَةُ الشُّجْعَانِ ، لِاسْتَفْحَالِ الشَّانِ ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ يَمْذُلُ بِمُهْجَتِهِ ، فَكَأَنَّهُ يَمِيلُ إِلَى انْقِطَاعِ الْعُمُرِ . وَالْأَنْجَادُ : جَمْعُ النَّجْدِ . وَالنَّجْدَةُ : الْبَأْسُ . وَيُقَالُ : هُوَ صَادِقُ الْبَأْسِ ، كَمَا قِيلَ كَاذِبُ الْبَأْسِ .

٥ - سَاقِيَتُهُ كَأْسَ الرَّدَى بِأَسِنَّةٍ ذُلُقِ مُؤَلَّلَةَ الشِّفَارِ حِدَادِ

٦ - فَطَمَنَتْهُ وَالْخَيْلُ فِي رَهْجِ الْوَعَى نَجْلَاءَ تَنْضَحُ مِثْلَ لَوْنِ الْجَادِي

أَخَذَ بِقَمَضِ كَيْفَ قَتَلَ تَيْمًا . وَالْمَسَافَاةُ تَكُونُ مِنْ اثْنَيْنِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ :

(١) يُقَالُ : لَبَنٌ أَمْهَجَانٌ ، إِذَا سَكَنَتْ رَغْوَتُهُ وَخَلَصَ وَلَمْ يَخْتَرْ .

« بِأَسِنَّةٍ ذُلَّتِ » جَمَعَ ، وَلَمَّا كَانَ سِنَانٍ مِنْ رُتَحَيْنِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمَعَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الزُّجَّ وَالسِّنَّانَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا . وَالذُّلُّ : الْمُحْدَدَةُ . وَذُلُّ كُلِّ شَيْءٍ : حَدُّهُ ، وَمِنْهُ قِيلَ ذَلِيقُ اللِّسَانِ . وَلِلْمُؤَلَّلَةِ أَيْضًا : الْمُحْدَدَةُ . وَالشَّفَارُ ، أَصْلُهُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي السَّكَّيْنِ الْعَرِيضِ . وَكَأَنَّ جَمَلَ هَذَا الشَّفَرَةِ لِلرُّنْمِ جَعَلَهُ غَيْرَهُ لَسَيْفٍ فَقَالَ :

وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفَرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلٌ^(١)
 وَقَوْلُهُ « فَطَمَنْتُهُ وَالْخَيْلُ » الْوَائِي وَالْوَائِي ، وَالرَّهَجُ : الْغَبَارُ . وَقَوْلُهُ : « نَجْلَاءُ » أَرَادَ طَمَنْتُهُ طَعْمَةً نَجْلَاءَ أَيْ وَاسِعَةً ، تَنْضَحُ أَيْ تَرْتَشُ . وَالنُّضْحُ بِالْهَاءِ غَيْرُ مَعْجَمَةٍ يَسْتَعْمَلُ فِيمَا رَقَّ ، وَبِالْهَاءِ مَعْجَمَةٌ فِيمَا غُلِظَ . وَقَوْلُهُ « مَثَلُ لَوْنِ الْجَادِي » يَعْنِي بِهِ دَمًا ، أَيْ لَوْنُهُ مَثَلُ لَوْنِ الزَّعْفَرَانِ .

٧ - فَكَأَنَّمَا كَانَتْ يَدِي مِنْ حَتْفِهِ لَمَّا انْتَنَيْتُ لَهُ عَلَى مِيعَادِ

٨ - فَهَوَى وَجَائِشَهَا يَقُورُ بِمُزِيدٍ مِنْ جَوْفِهِ مُتْسَدِّرِكِ الْإِزْبَادِ^(٢)

قَوْلُهُ « فَكَأَنَّمَا كَانَتْ يَدِي مِنْ حَتْفِهِ » يَرِيدُ أَنَّهُ سَقَطَ لِأَوَّلِ طَعْمَةٍ ، فَكَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ جَائِئَةً نَافِذَةً إِلَى الْمَقْتَلِ ، فَكَانَ بَيْنَ حَتْفِهِ وَبَيْنَ يَدِي لَمَّا أَمْلَتْهَا لِلطَّعْنِ مَوْعِدَةً أَنْجَزَتْ ، وَخُطْفَةً اخْتِطَفَتْ . وَقَوْلُهُ « فَهَوَى وَجَائِشَهَا يَقُورُ » يَرِيدُ : سَقَطَ وَمَا يَجْشُ مِنْ نَجْوَاهُ بِسَيْلٍ وَقَدْ عَلِمَ الْبَدُّ لِكَثْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ ، فَهَوَى عَمُورُ وَلَا يَرْقَأُ وَلَا يَهْدَأُ . وَمَعْنَى « مُتْسَدِّرِكِ الْإِزْبَادِ » أَيْ مُتَابِعِهِ ، أَيْ إِزْبَادُهُ لَا يَنْقَطِعُ .

(١) البيت لمن بن أوس . ديوانه ٣٧ ليسك وأمالى القال (٣ : ٢١٩) .

(٢) التبريزي : « متابع الإزباد » .

٢٢٥

وقال عمرو القنا^(١) :

١ - القائلين إذا هم بالقنا خرجوا من غمرة الموت في حوماتها عودوا

الحومات : جمع حومة ، وهي في الأصل أكثر موضع في البحر ماء ، وكذلك في الخوض ، فاستعارها لشدة الحرب . وإنما يصف حرصهم على القتال ، وأنه لا يلحقهم السامة فيه والملا ، فتي خرجوا من غمرة منية ، وحومة كريمة ، مطاردين الأعداء ، دعهم أنفسهم إلى أن يتنادوا : عودوا ، فلا شفاء لننا ، ولا بواء من الأعداء أصبنا . وقوله « بالقنا خرجوا » أي خرجوا ومعهم القنا . وعودوا في موضع المفعول من القائلين ، وهو حكاية ما قالوا .

٢ - عادوا فمادوا كراماً لا تنابلة عند اللقاء ولا رُعش رعايد قوله « لا تنابلة عند اللقاء » مثله قول الهذلي^(٢) :

قد ظلت فيها معي شفت كأنهم إذا يشب سعي الحرب أرماع يقول : عادوا لاتفاق آرائهم واجتماع كلمتهم ، وهم كرام للواقعة ، شداد المناصب ، لا يتضاءلون عند اللقاء ، ولا يتقاصرون في جهد البلاء ، ولا يرتعشون في الدقاع ، ولا يتخاضعون أو ان الامتناع . والتنبالة : جمع التنبال ، وهو القصير . والرعايد : جمع رعيد ، وهو الذي لا يماسك جنيهاً وضعف قلب .

٣ - لا قوم أكرم منهم يوم قال لهم محرض الموت عن أحسابكم ذودوا

(١) في هامش التيمورية : « وهو أحد الفوارس الخوارج مع قطري » . وانظر خبر حربه مع المهلب وابنه حبيب في تاريخ الطبري ، في حوادث سنة ٦٥ . وهو غير عمرو القنا الجاهلي الذي ذكره لقيط بن يعمر في قوله :

كالك بن قنان أو كصاحبه عمرو القنا يوم لاق الحارثين معا (٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٥٠) .

دخل تحت قوله « أَكْرَمُ مِنْهُمْ » كلُّ خصلةٍ محمودَةٍ ، لأنه إذا تنهى
كرمهم إذا دعا الداعي وقت التحريض : أن ادفعوا عن أحسابكم ، فقد حصلوا
كلَّ منقبةٍ شريفةٍ ، وطلّعوا على كلِّ ثنيّةٍ من ثنایا المجد مُنيعةٍ ، واكتسبوا
من الأحداثِ الجميلةِ بما يظهرُ من بلائهم ما يقصُرُ عنه كلُّ أكرومةٍ نبیةٍ .

٢٢٦

وقال الفرزدق^(١) :

١- إِنْ تُنْصِفُونَا يَالَ مَرَّوَانَ تَقْتَرِبَ إِلْتِكُمْ وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِيَمَ—إِدِ

يقول : إِنْ حَلُمْتُمُونَا^(٢) فِي مجاورتِنَا لَكُمْ عَلَى السَّوَاءِ ، وَتَرْكْتُمْ^(٣) الْبَغْيَ
عَلَيْنَا وَالْعِلَاءَ ، اخْتَلَطْنَا بِكُمْ ، وَطَلَبْنَا مَوَافَقَتَكُمْ ، وَإِلَّا فاعلمُوا أَنَّ الْبِعَادَ مِنْكُمْ
هَمُّنَا وَهَمُّنَا ؛ لَأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَنَا صَبْرٌ عَلَى الْاهْتِضَامِ ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى الْإِنْتِقَامِ ،
فَلَا ثَالِثَ لَهَا إِلَّا الْإِنْتِقَالُ . وَيُقَالُ أَذْنْتُ بِكَذَا ، إِذَا عَلِمْتَ بِهِ فَاسْتَعْدَدْتَ لَهُ ؛
وَأَذَنْنِي فُلَانٌ ؛ وَمِنَ الْأَذَانِ بِالصَّلَاةِ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ أَذَّنَ .

٢- فَإِنْ لَنَا عَنْكُمْ مَرَّاحًا مَذْهَبًا بِمَيْسٍ إِلَى رِيحِ الْفَلَاةِ صَوَادٍ^(٤)

قوله « مَرَّاحًا » هُوَ مِنْ زَا حَ يَرْيَحُ ، إِذَا ذَهَبَ ؛ وَمِنْهُ أَزَحْتَ الْعَلَّةَ .
وَالْكَلَامُ خَارِجٌ عَلَى أَنَّهُ تَفْسِيرُ الْبِعَادِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَبَيَّأَنُهُ . يَقُولُ : إِنْ سُمِّمْتُمُونَا
خَسَفْنَا ، وَأَذَقْتُمُونَا فِي وَلَا يَتَكُمُ عَسَفًا ، فَإِنْ لَنَا عَنْكُمْ فِي الْأَرْضِ مَبْعَدًا وَمُتَنَائًا ،

(١) شهرة الفرزدق تفنى عن ترجمته . ولا يكاد مرجع من مراجع التراجم الأدبية يخلو
منها . وذكر ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٣٠٤) أن الأبيات للبرج بن غنزيير القمى
وكان الحجاج قد ألزمه البعث إلى المهلب لقتال الأزارقة ، فهرب منه إلى الشام . وذكر المبرد
في الكامل ٢٩٠ أن الأبيات للمالك بن الريب المازنى ، قالها حين هرب من الحجاج .

(٢) في الأصل : « إِنْ حَكَمْتُمُونَا » ، صوابه في م والتيمورية .

(٣) في الأصل : « وَتَرْكْتُمُونَا » ، صوابه في م والتيمورية .

(٤) رواية ياقوت : « مَرَّاحًا وَمَزَحَلًا » .

بإبلٍ بيضٍ كرامٍ ، ألفتِ المفاوِزَ ، فهي للتَّلَكُّو^(١) عنها نوازِعُ دونها ،
عَوَاطِشُ إلى ريحها . والصَّوَادِي : جمع صَادِيَّة ؛ والصَّدَى : العطش .

٣- مُخَيَّسَةٌ بُزِلَ تَخَايَلُ فِي الْبَرَى سَوَارٍ عَلَى طُولِ الْفَلَاةِ غَوَادٍ

التَّخْيِيسُ : حَبَسَ الْإِبِلَ عَلَى الْكَدِّ وَالْعَمَلِ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* وَخَيْسَ الْجِنِّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ ^(٢) *

أَيِ احْبَسَهُمْ وَاسْتَعْمَلَهُمْ ، وَإِنَّمَا وَصَفَ الْعَيْسَ لِيُرِيَ أَنَّهُ مُتَمَكِّنٌ مِنْ
مُرَادِهِ فِي التَّبَاعُدِ ، مُسْتَظْهِرٌ فِي الْعُدَّةِ لِلسَّفَرِ إِنْ اضْطُرَّ إِلَيْهِ . وَجَعَلَهَا بُرْلاً
لِتَكُونَ مَتْنَاهِيَةً فِي الْقُوَّةِ . وَقَوْلُهُ « تَخَايَلُ فِي الْبَرَى » أَيِ تَحْتَالُ فِي سَيْرِهَا
وَمِنْ مُبَرَّاةٍ تُطِيقُ وَضَلَ السَّيْرِ بِالشَّرَى ، عَلَى امْتِدَادِ الشُّقَّةِ وَطُولِ الْوِجْهِ .
وَقَوْلُهُ « فِي الْبَرَى » فِي مَوْضِعِ النِّصْبِ عَلَى الْحَالِ .

٤- وَفِي الْأَرْضِ عَنْ ذِي الْجَوْرِ مَنَآئِي وَمَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أُوطِنَتْ كِبِلَادِي

أَظْهَرَ فِي الْكَلَامِ طَيِّبَ نَفْسِهِ عَلَى السَّفَرِ ، وَسُئِلَهُ عَنْ بَلَدِهِ وَمَوْطِنِهِ ، فَقَالَ :
فِي الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ مُتَنَزِّحٌ وَمَتَوَجِّهٌ عَنِ الْجَائِرِينَ ، وَكُلُّ مَكَانٍ اتَّخَذْتَهُ ^(٣)
وَطْناً كَانَ كَمَسْقَطِ رَأْسِي ، وَمَقَرٌّ نَشْتِي ، إِذْ لَا قَرَابَةَ بَيْنَ الدِّيَارِ وَسَكَانِهَا وَلَا
مُشَاكَلَةَ ، وَإِنَّمَا يُخْتَارُ مِنْهَا مَا كَانَ إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبَ ، وَلِلْعِزِّ أَجْلَبَ ، وَمِنْ
الْمُهَانَةِ وَالذُّلِّ أَبْعَدَ .

٥- وَمَا ذَا عَسَى الْحِجَّاجُ يَبْلُغُ جُهْدَهُ إِذَا نَحْنُ خَلَفْنَا حَفِيرَ زِيَادٍ ^(٤)

كَانَ شَكْوُهُ مِنَ الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسَفَ ، وَتَأْذِيهِ بِسُوءِ مُعَامَلَتِهِ ، فَأَخَذَ يَسْتَهْجِي

(١) م وَالتيمورية : « للتأخر » •

(٢) عجزه : « يبتنون تدمر بالصفاح والعمد »

(٣) هذا ما في م والتيمورية . وفي الأصل : « أعدته » .

(٤) جهده ، بالنصب في الأصل ، وبالرفع في م والتيمورية والتبريزي .

به . يقول : إذا خرجتُ من مَلَكْتِهِ ، وفارقتُ أَرْضِي ^(١) مَلَكْتِهِ ، وتباعدتُ
عن حَوْمَةِ سُلْطَانِهِ ، ودارِ أَمْرِهِ ونَهْيِهِ ، وَخَلَقْتُ ورأى حَفِيرَ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ،
الذي هو حَدُّ عَمَلِهِ ، فإذا تَرَاهُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ مَنِّي ، أوِ يَسْتَطِيعُ اخْتِيَارَهُ مِنْ إِيْدَانِي
وَقَصْدِي . وعسى من أفعال المقاربة ، والفعلُ بعده يَضْحِكُهُ أَنْ فِي الْكَلَامِ . وفي
القرآن : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا
وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . إلا أنه في الشَّعْرِ قد يَشْبِهُ تَكَادُ ، وهو نظيره في أنه من
أفعال المقاربة ، فيَنْزِعُ منه أَنْ ، لأنَّ الْفِعْلَ بعده كاد يكون بغيرِ أَنْ . ومثله في
ذلك قول الآخر :

* عَمَى اللَّهُ يُفْنِي عَنْ تِلَادِ ابْنِ قَادِرِ *

ويعني بحفِيرِ زِيَادٍ نَهْرًا كان احتفَرَهُ زِيَادُ .

٦- فَبَاسَتْ أَبَى الْحِجَاجِ وَأَسْتَعْجُوزِهِ عَتِيدَ بِهِمْ تَرْتَعِي بِوَهَادِ

قوله « بَاسَتْ أَبَى الْحِجَاجِ » قال أبو زيد : الْقَصْدُ بمثل هذا القول أن
يُبَيِّنَ أَنَّهُ يَتَجَسَّرُ عَلَى ذِكْرِ السُّوءَةِ مِنْهُ . والباء من قوله « بَاسَتْ » متعلقةٌ
بمُضْمَرٍ ، كأنه لَحِقَ بِأَسْتِ وَالِدِيهِ كُلُّ خِزْيَةٍ وَعَارٍ ، وَمَنْقَصَةٍ وَشَنَارٍ . وقوله
« عَتِيدَ بِهِمْ » انتصبَ عَلَى الشَّئْمِ والاختصاص ، والعاملُ فيه فعل مضمرٌ ،
كأنه قال : أغني وأذكُرْ . وجعله بهذا الاسم أشهرَ وأعزَّفَ منه بِالْعِلْمِ لَهُ ،
والاسم الذي سُمِّيَ بِهِ . وهذا هو الْفَرَضُ فِي كُلِّ مَا يُنْصَبُ عَلَى اللَّحْظِ أَوِ الذَّمِّ ،
ولذلك كان أَبْلَغَ مِنَ الصِّفَاتِ النَّاعِيَةِ لِمَوْصُوفِهَا فِي الْمَعْنَى ، إذ كانت الصِّفَةُ
تَجِبُ لشرح الاسم وإزالة اللَّبْسِ عنه ، وبَابُ الْمَذْحِ وَالذَّمِّ يَجِبُ لِلتَّنْوِيهِ وَالرَّفْعِ

(١) أرضى جمع أرض مضافا إلى ما بعده ، وأصله أرضون . وهذا ما في الأصل
والتيمورية . وفي م : « أرض » .

أَوِ التَّهَجُّينَ وَالْحَطَّ . وَالْعَتِيدَ : تصغير عَتُود ، وهو ما رَعَى وَقَوَى من أولادِ
الْقَنَمِ . وَابْتَهَمَ : صفارُ أولادِ القنم . وقوله « تَرَنَّمِي » موضعه جرٌّ على أنه
صفة لقوله بهم . وَالْوِهَادَ : ضِدُّ النَّجَادَ . والمعنى : أنه في القِلَّةِ وَالْخِيسَةِ رَئِيسُ
أَشْيَاءٍ لَهُ هَذَا صِفَتُهُمْ فَمَا يَنَالُونَهُ مِنْ دُنْيَاهُمْ ، فهو فيهم كَعَتُودٍ مِنْ بَنِيهِمْ .
ذَلِكَ صِفَتُهَا .

٧ - فلولاً بنومروانَ كانَ ابنُ يوسفَ كما كانَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِ إِبَادٍ^(١)

يقول : لولا تقدُّمُ الحجاجِ ببني مهوان ، واستمالهم إِيَّاهُ ، وَجَذَبُهُمْ
بِضَبْعِهِ وَرَفْعِهِمْ خَسِيسَتَهُ ، وإبطاؤهم النَّاسَ عَقْبَهُ لكانَ حديثاً كما كانَ قديماً
ذليلاً مَهِيناً حقيراً ، قَمِيئاً بينَ أمثالٍ لَهُ مِنْ إِبَادٍ .

٢٢٧

وقال آخر :

١ - قَدْ عَلِمَ الْمُسْتَأْخِرُونَ فِي الْوَهْلِ

٢ - إِذَا السُّيُوفُ عُرِّيَتْ مِنَ الْخِلَالِ

٣ - أَنَّ الْفِرَارَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجْلِ

يقال استأخَّرَ بمعنى تأخَّر ، كما يقال استقدَّمَ بمعنى تقدَّم . وَالْوَهْلُ : الْفَزَعُ .

(١) روى بعده التبريزي :

زَمَانَ هُوَ الْعَبْدُ الْمَقْرُؤُ بِذَلَّةٍ يُرَاوِحُ صَبِيَّانَ الْقَرَى وَيُغَادِي

وقال في تفسيره : « قال ذلك لأن الحجاج كان معلماً بالطائف . وفي ذلك يقول الشاعر :

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلانة ما ترى وآخر كالقمر الأزهر »

ثم قال : « وكان الحجاج في صغره يسمى كليباً » .

وَالْخِلَالُ : بِطَائِنِ جُفُونِ السَّيْفِ ، وَالوَاحِدَةُ خِلَّةٌ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هَاهُنَا الْجُفُونَ .
 وَقَوْلُهُ « أَنْ الْفِرَارَ » سَدَّ مَسَدًا مَفْعُولًا عَلِيمًا . يَقُولُ : بَانَ وَظَهَرَ لِلَّذِينَ يَتَأَخَّرُونَ
 عَنِ الدَّفَاعِ ، وَيَتَعَامُونَ الْمَصَاعَ ، مُسْتَشْعِرِينَ أَنَّ الْإِحْجَامَ يَبْقِيهِمْ ^(١) وَيُبْقِيهِمْ ،
 وَظَانِّينَ أَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الزُّخُوفِ إِذَا انْتَضَيْتِ السُّيُوفُ يَزِيدُ فِي أَعْمَارِهِمْ — أَنَّ
 الْحَذَرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَأَنَّ الْمَرْبَ لَا يَزِيدُ فِي الْأَجَلِ . وَهَذَا كَلَامٌ مِّنْ
 ابْتَدَلَ نَفْسَهُ فَسَلِمَ وَصَارَ يُعَيَّرُ مِنْ كَانَ بِمُخْلَافِهِ .

٢٢٨

وَقَالَ شَبِيلُ الْفَزَارِيِّ ^(٢)

وَحَارَبَهُ بَنُو أَخِيهِ فَقَتَلَهُمْ

١ — أَيَا لَهْفَى عَلَى مَنْ كُنْتُ أَدْعُو فَيَكْفِينِي وَسَاعِدُهُ الشَّدِيدُ ^(٣)

يَتَنَدَّمُ عَلَى مَا أَجْرَى إِلَيْهِ وَجَرُّهُ الْقَدْرُ فِيهِمْ وَفِيهِ ، وَيَتَذَمُّ مِنْ نَسْكَائِهِ
 فِي ذَوِيهِ وَيَتَحَزَّنُ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ تَلَافِيهِ ، وَيَتَلَهَّفُ مِنْ فَقْدَانِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى
 فَاقَتِهِ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا حَسْرَتَاهُ عَلَى مَنْ كَانَ مَقْزَعِي فِي النَّوَائِبِ ، وَمُعْتَمِدِي
 فِي الشَّدَائِدِ ، أَسْتَنْصِرُهُمْ فَيَنْصُرُونَنِي ، وَأَسْتَكْفِيهِمْ فَتَحْصُلُ مِنْهُمْ كِفَايَتِي ،
 وَالْقُوَّةُ لَمْ وَبِهِمْ ، وَالنُّصْرَةُ بِجَتَلَبَةٍ مِنْ جِهَتِهِمْ . وَقَوْلُهُ « وَسَاعِدُهُ » الْوَاوُ
 وَوَاوُ الْحَالِ ، أَيْ يَكْفِينِي بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ بِأَسَ .

٢ — وَمَا عَنِ ذَلَّةٍ غُلِبُوا ، وَلَكِنْ كَذَلِكَ الْأَسَدُ تَقَرُّبُهَا الْأَسُودُ
 بَيْنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْتُوا مِنْ ضَعْفٍ ، وَلَمْ يُنْكَبُوا عَنْ وَهْنٍ ، وَلَكِنَّ الْأَشْدَاءَ إِذَا

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَفْنِيهِمْ » ، صَوَابُهُ فِي م وَالتَّيْمُورِيَّةِ .

(٢) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « شَبِيلُ » بِالتَّصْغِيرِ .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « وَسَاعِدُهُ » . أَيْ يَكْفِينِي الشَّدِيدُ بِسَاعِدِهِ » .

تلاقوا متدافعين ومتجاذبين ، فلا بُدَّ من حُصُولِ الْقَلْبِ فِي أَحَدِ جَانِبَيْهِمْ ، واحتِجَانِ الْقَهْرِ لِأَقْرَبِ طَائِفَتَيْهِمْ . على ذلك الأسودُ تَكْسِرُهَا الْأَسْوَدُ . وقوله : « كذاكَ الْأُسْدُ » الْأُسْدُ مَرْتَفِعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَنَفَرُهَا الْأَسْوَدُ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ ، وكذلك في موضع الحال ، والتقدير : ولكنَّ الْأُسْدَ تَفَرُّهُمَا الْأُسْدُ كَذَلِكَ ، أَىْ أَمْثَالاً لَمَنْ قَتَلَتْ ، ويجوز أن يكون أشار بذلك إلى الْقَلْبِ ، لِأَنَّهُ غَلِبُوا يَدُلُّ عَلَيْهِ ، ويجوز أن يكون ذلك خبراً مقدِّماً لِلْأُسْدِ ، وَتَفَرُّهُمَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ والتقدير : ولكن كما مثَّلهم الْأُسْدُ إِذَا فَرَسَتْهَا الْأُسْدُ ، ومثل هذا قول الآخر :

قَوْمُنَا بَعْضُهُمْ يُقَتِّلُ بَعْضًا لَا يَفْلُحُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ

ومن الأمثال : « النَّبْعُ يَقْرَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا » .

٣ - فَلَوْلَا أَنَّهُمْ سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ سَوَابِقُ نَبِلِنَا وَهُمْ بَعِيدُ

٤ - لِحَاسُونَا حِيَاضَ الْمَوْتِ حَتَّى تَطَايَرَ مِنْ جَوَانِبِنَا شَرِيدُ

هذا الكلام اعترافٌ مِنْهُمُ بِقُوَّتِهِمْ وَغَنَائِهِمْ فِي الْحَرْبِ وَاسْتِقْلَالِهِمْ ، فيقول : لولا أَنَّا رَشَقْنَاكُمْ بِالنَّبْلِ عَلَى بُعْدِهِمْ عَنَا ، وَقَبْلَ تَمَكُّنِهِمْ مِنَّا ، لَكَانَ الْإِتْيَانُ عَلَيْهِمْ مَتَعَذِّرًا ، وَالْفَرَاغُ مِنْ مُنَاوَشَتِهِمْ مَتَصَعِّبًا ، لما فيهم من الثَّباتِ فِي الدَّفَاعِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْوِقَاعِ ، ولأنَّهُمْ كَانُوا يُسَاقُونَا الْمَوْتَ مِنْ حِيَاضِهِ إِلَى أَنْ يَتَفَرَّقَ عَنَا ، وَيَذْهَبَ مِنْ جَوَانِبِنَا كُلِّ مَخْطِطٍ بِنَا ، يَأْسًا مِنَّا ، وَنَفُورًا مِنْ حَالِنَا ، لما يَسْتَشْنِعُهُ مِنْ جَهْدِ بِلَانِنَا ، وَيُبْشِمُهُ مِنْ عَسْرِ لِزَامِنَا ، لَكُنْهُمْ شَفَعُوا بِمَا دَهَمَهُمْ مِنْ ذَلِكَ . وقوله « وَهُمْ بَعِيدُ » بَعِيدٌ مِثْلُ الصَّدِيقِ وَالرَّسُولِ ، فِي أَنَّهُ يَقَعُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ . وقوله « شَرِيدُ » يُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ وَاحِدًا . وقوله : « لِحَاسُونَا حِيَاضَ الْمَوْتِ » فِيهِ تَوْشِيْعٌ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى مَا فِي الْحِيَاضِ .

٢٢٩

وقال قطري بن الفجاءة^(١) :

١- ألا أيها الباغى البراز تقرّبن أساقك بالموت الذعاف المقتسبا

يخاطب من طلب مبارزته . ومعنى « تقرّبن » أقبل وهلم . وقوله أساقك بالموت الذعاف « يجوز أن يكون معناه أساقك بسبب الموت ، ويجوز أن يكون على القلب أراد أساقك الموت بالذعاف ، والمعنى بأن أفعل بك ما يقوم مقام سقى الذعاف . وبذلك على هذا الوجه قوله فيما بعد : « فما في تساق الموت في الحرب سبة » . والذعاف : سئم ساعة ، ويقال طعام مذعوف . وموت ذعاف أى وحى . والمقتسب : الذى قد خلط به أدوية تقويه وتهيجه . وأصل القشب : الخلط ، حتى قيل رجل مقتسب ، أى مخلوط الحسب باللؤم .

٣- فافى تساق الموت في الحرب سبة على شارييه فاسقى منه واشربا^(٢)

التساق : أن يسقى بعضهم بعضا ، ولا يصح الأمر منه لواحد ، ولا يتمدى إليه . ومن هذا الوجه خالف تفاعل ، وإن لم يكن فعلهما إلا من اثنين فصاعدا . ألا ترى أنك تقول يا زيد ضارب عمرا ، ولا تقول تضاربته . والمراد بالكلام إظهار طيب النفس بالموت ، والنسلى عن الحياة ، وأنه لا يدخل العار على من شرب كأس الردى ، ولا منقصة على متنازعيها^(٣) ، فهاها وخذها .

(١) سبق ترجمته في الحاشية ٢٠ ص ١٣٦ . وقد ضبط في النسخ هنا بسكون الطاء والصواب فتحها كما سبق .

(٢) التيمورية : « على ساقبيه » وفي هامشها إشارة إلى الرواية الأخرى .

(٣) كذا في م والتيمورية ، وفي الأصل : « منازمها » .

٢٣٠

وقال دراجُ حين طَمِنَ :

١ - شُدِّي عَلَى اللَّصْبِ أَمْ كَهَمَسْ

٢ - وَلَا تَهْلِكِ أَذْرُعُ وَأَرْوُسُ

٣ - مُقَطَّعَاتُ وَرِقَابُ خُنَسْ

٤ - فَإِنَّمَا نَحْنُ غَدَاةَ الْأَنْحُسْ

٥ - هَيْمُ هَيْمُ طَلَيْتَ تَمَرَسْ

يقوئى قلبها على أسوأ جراحه ، وإحكام شد عصائبه ، ويقول : لا يهولنك ما ترين من أذرع مفصلة ، وأرؤس مقطعة ، ورقاب مقصرة ، فإن الموت يأتي لحينه وأوانه ، وقدره وميقاته ، ولا يقرُّ به شدة الجلاد ، ولا فظاعة الجراح ، واعلمي أن الذى أدانا إلى ما نشاهد ينه تنهى العداوات والضغائن ، وانطواه الصدور على الخزازات والسخائم ، وأن كلاً منا كان يكظم غيظه ، ويكتم حقه ، انتظارا لمقرب الأيام ، وفرص الإمهال ، فلما جمعا القدر لغداة الأنحس ، كننا كابل جربى طليت بالهناء لاقت مثلها فنحنا كئ متلذذة ، وتدافعت متشفية . الهيم : الإبل العطاش ، وإذا كانت جربى قد عطشت وطليت كان حماها أزيد ، وكربها أفطع ، وتحسكها أشد . وأنحس : جمع خانس ، كشاهد وشهد . وأنحوس : الانقباض والانحفاض . والباء من قوله « هيم » بتعلق بتمرَس ، وتمرَس صفة الهيم الأول ، وطليت صفة للثانى .

٢٣١

وقال الأرقط بن دعبل^(١) بن كلب العنبري :

١ — إِنِّي وَنَجْمًا يَوْمَ أَبْرَقِ مَازِنٍ عَلَى كَثْرَةِ الْأَيْدِي لِمُوتَسِيَانِ^(٢)

لَقِيَ هَذَا الرَّجُلُ وابنه قَوْمًا لُصُوصًا فَقَاتَلَهُمْ وَظَفِرًا بِهِمْ ، فَأَخَذَ يَقْتَصُّ الْحَالَ . وَنَجْمٌ : اسْمُ ابْنِهِ . يَقُولُ : إِنِّي وَابْنِي نَجْمًا فِي يَوْمِ الْإِلْتِقَاءِ مَعَ الْمُتَلَصِّصَةِ بِأَبْرَقِ مَازِنٍ — وَالْأَبْرَقُ مَكَانٌ فِيهِ حِجَارَةٌ سَوْدٌ وَبَيْضٌ ، وَمِنْهُ جَبَلُ أَبْرَقٍ ، إِذَا كَانَ طَائِفَاتُهُ ذَاتَ لَوْنَيْنِ سَوَادٍ وَبَيَاضٍ — عَلَى كَثَرَتِهِمْ وَقَلَّتِنَا ، لِمُوتَسِيَانِ ، أَيْ يُوَاسِي كُلُّ مَنْ صَاحَبَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، وَيُسَاعِدُهُ عَلَى مِرَاسِهِ . وَقَوْلُهُ « عَلَى كَثَرَةِ الْأَيْدِي » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ .

٢ — يَلُودُ أُمَامِي لَوْدَةً بِلَبَانِهِ وَتُرْهَبُ عَنَّا نَبْعَةٌ وَيَمَانٍ

الضَمِيرُ فِي قَوْلِهِ يَلُودُ لَنَجْمِ ابْنِهِ ، وَالْبَاءُ فِي بِلَبَانِهِ يَتَعَلَّقُ بِيَلُودُ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ لَوْدَةً ، لِأَنَّ الْفِعْلَ وَالْمَصْدَرَ إِذَا اجْتَمَعَا فَالْفِعْلُ بِالْعَمَلِ أَوْلَى . وَالْمَاءُ ضَمِيرُ الْفَرَسِ ، وَلَمْ يَجْرِ ذِكْرُهُ ، وَلَكِنْ الْمُرَادُ مَفْهُومٌ ، وَكَانَ الْأَرْقَطُ فَارَسًا عَلَى مَا يَدُلُّ الْكَلَامُ عَلَيْهِ ، وَالابْنُ رَاجِلًا . وَكَانَ لِيَاذُهُ مِنْ حَرِّ الْوِقَاعِ فِي الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ بِأَبِيهِ ، عَلَى عَادَةِ مُزَاوِلِي الْحُرُوبِ فِي تَسَانُدِ الرَّجَالَةِ إِلَى الْفُرْسَانِ ، ثُمَّ قَالَ « وَتُرْهَبُ عَنَّا نَبْعَةٌ وَيَمَانٍ » تَنْبِيْهَا عَلَى عُدَّتَيْهِمَا وَاسْتَظْهَارَهَا بِسَلَاحِهِمَا . وَيَعْنِي بِالنَّبْعَةِ قَوْسًا .

٢ — وَنَفْسِي فَنَفْسِي ثُمَّ نُرْمَى فَتَرْتَمِي وَنَضْرِبُ ضَرْبًا لَيْسَ فِيهِ تَوَانٍ

يَقُولُ : نَحْمِلُ عَلَيْهِمْ فَيَحْمِلُونَ عَلَيْنَا ، ثُمَّ يَرْمُونَنَا مِنْ بَعْدِ فَرَزْمِهِمْ . كَأَنَّهُمْ

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخ . وَعِنْدَ الْبَهْرِي زَيْ : « رَعِبِل » .

(٢) أَنَشَدَهُ يَاقُوتُ هَذَا الْبَيْتَ فِي (أَبْرَقِ مَازِنِ) مُسَبَّوْقًا بِقَوْلِهِ : « وَقَالَ الْأَرْقَطُ » .

طَارَدُوا أَرْلًا نَمِ نَاضَلُوا وَأَخْرُوا الْجَلَادَ . فَقَالَ : وَنَضْرِبُ ضَرْبًا لَا فُتُورَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ ، وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ (١) :

* عَنَّا طِعَانٌ وَضَرْبٌ غَيْرُ تَذْيِيبٍ (٢) *

فَالْتَذِيبُ يَذِيبُ الْمَذِيءَ كَالْتَوَانِي .

٢٣٢

وَقَالَ وَدَاكُ بْنُ نَمِيلٍ الْمَازِنِيُّ (٣) :

١ - نَفْسِي فِدَاؤُ لِبَنِي مَازِنٍ مِنْ شَمْسٍ فِي الْحَرْبِ أَبْطَالٍ

يَقُولُ : أَفْدَى مِنْ كُلِّ سُوءٍ بِنَفْسِي بَنِي مَازِنٍ ، مِنْ فُرْسَانٍ يَنْفِرُونَ مِنْ الضَّيْمِ ، وَيَشْمُسُونَ إِذَا التَّقَوُّا مَعَ الْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ ، شِمَاسًا لَا يُحْصِلُهُمْ (٤) عَلَى حَلْمٍ مُتَبَيِّحٍ ، وَلَا يُؤْدِيهِمْ إِلَى يَأْسٍ مُرِيحٍ ، بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَذَابِ ، فَلَا يَزَالُونَ مَعَهُمْ عَلَى مَرَاسٍ إِمْتَاعٍ لَا يَنْقَطِعُ ، وَلِإِزَامٍ شَرٍّ لَا يُقْلِعُ ، وَهَكَذَا يَكُونُ شُمُوسُ الْخَيْلِ فِي الْإِبَاءِ وَالْإِقْيَادِ . وَقَالَ لَقِيطٌ (٥) فَبَيَّنَ الْمَعْنَى وَأَوْضَحَهُ :

جَرَتْ إِمَا يَبْنِدُنَا حَبْلَ الشَّمُوسِ فَلَا بَأْسًا مُبِينًا نَرَى مِنْهَا وَلَا طَمَعًا

وَفِي طَرِيقَةِ بَيْتِ وَدَاكٍ قَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ :

وَمَآئِي مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ يَزِيدُهُمْ شِمَاسًا وَصَبْرًا شِدَّةَ الْحَدَثَانِ

(١) هُوَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ . الْمُفْضَلِيَّاتُ (١ : ١٢٠) .

(٢) صَدْرُهُ : * هَمْتُ مَعَدَّ بَنَاهُمَا فَتَهْنِئُهَا *

(٣) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْخَمَاسَةِ ١٧ ص ١٢٧ . وَكَذَا تَكَرَّرَتْ « نَمِيلٌ » هُنَا بِالنُّونِ . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « نَمِيلٌ » بِالثَّامِ .

(٤) هَذَا ضَبْطُ م . وَضَبُّهُ فِي الْأَصْلِ : « يُحْصِلُهُمْ » بِفَتْحِ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الصَّادِ ، وَكِلَاهُمَا مَا لَمْ يَرِدْ فِي الْمَعَامِجِ .

(٥) لَقِيطُ بْنُ يَعْمَرَ الْإِيَادِيُّ . وَقَصِيدَتُهُ أَوَّلُ مُخْتَارَاتِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ .

٢ - هَيْمٌ إِلَى الْمَوْتِ إِذَا خَيْرُوا بَيْنَ تَبِيعَاتٍ وَتَقِيَالٍ

الْهَيْمُ : الْعِطَاشُ ، وَالتَّبَاعَةُ وَالتَّبَعَةُ بِمَعْنَى . يَقُولُ : إِذَا خَيْرَ بَنُو مَازِنٍ فِيمَا يَزَاوِلُونَهُ بَيْنَ الصَّبْرِ عَلَى الْقِتَالِ وَبَيْنَ الرِّضَا فِيمَا يَلْحَقُهُمْ مَعَهُ تَبِيعَاتُ الْعَارِ ، وَجِدُوا يُؤَثِّرُونَ قُوَّةَ الرُّوحِ عَلَى التَّزَامِ الْهَضْمِ ، إِبْشَارَ الْعِطْشَانِ لِلْمَاءِ .

٣ - حَمَوَاحِمُهُمْ وَسَمَائِيَّتُهُمْ فِي بَاذِخَاتِ الشَّرَفِ الْعَالِي

يَقُولُ : مَنَعُوا حِمَاهُمْ مَنْ يُرِيدُ دُخُولَهُ ، وَيَرُومُ إِبَاحَتَهُ ، فَسَلِمَ عَلَى مَرَّةٍ الْأَيَّامَ ، وَصَارَ بَيْنَهُمْ مِنْ يَفَاعِ الشَّرَفِ الْعَالِي فِي أَعْلَى مَنَزِلَةٍ ، فَلَا يَرْتَقِي إِلَيْهِ هَمَّةٌ حَاسِدٌ ، وَلَا يَفَالُهُ أُمْنِيَّةٌ مُنَازِعٌ . وَالبَاذِخُ : الْجَبَلُ الطَوِيلُ ؛ وَمَعَهُ الْبَذَخُ الْكِبَرُ .

٢٣٣

وَقَالَ سَوَّارٌ^(١) :

١ - أَجْنُوبُ إِنَّكَ لَوِ رَأَيْتَ فَوَارِسِي بِالسَّيْفِ حِينَ تَبَادَرَ الْأَشْرَارُ

٢ - سَمَةَ الطَّرِيقِ تَخَافَةُ أَنْ يُوسَّرُوا وَالْخَيْلُ يَنْتَبَهُمْ وَهُمْ فُرَارُ

هَذَا الْكَلَامُ تَلْهُفٌ وَتَحَشُّرٌ ، وَإِخْبَارٌ بِحُسْنِ بَلَاثِهِ وَبِلَاءِ فُرْسَانِهِ فِيمَا مَنُوءَا بِهِ وَتَحَمُّدٌ . فَيَقُولُ : لَوْ شَاهَدْتَ فُرْسَانِي يَا جَنْجُوبُ بِالسَّيْفِ - وَهُوَ شَاطِئُ الْبَحْرِ - حِينَ تَسَابِقُ شِرَارَ الرِّجَالِ وَجُبْنَاؤُهُمْ إِلَى مُنْتَسَعِ الطَّرِيقِ ، خَارِجِينَ مِنْ مَنَافِذِ الْمَضِيقِ ، خَوْفًا مِنَ الْإِسَارِ ، هَامِّينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، وَالْخَيْلُ فِي طَلَبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَفْشِقُونَ بِي عِنْدَ احْمِرَارِ الْبَاسِ ، وَاشْتِدَادِ الْمِرَاسِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ مَعِي فِي الْكِرَائَةِ ، لَرَأَيْتَ أَمْرًا مُنْكَرًا . حَذَفَ جَوَابَ الْأَمْرِ ، وَإِبْهَامُ الْحَالِ فِي مِثْلِ

(١) سبقت ترجمة سوار بن المضرب في الحماسة ١٨ ص ١٣٠ .

هذا الكلام أبلغ من بيانها ، وقد مضى القول في مثله ، فيما تقدم . وسعة الطريق : مفعول تبادر ، وخافة انتصب على أنه مفعول له ، وأن يؤسروا مفعول من للخافة .

٣ - يَدْعُونَ سَوَّارًا إِذَا أَحْمَرَّ الْقَنَا وَلِكُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ سَوَّارِ
أحمرار القنا إنما يكون من الدَّم السائل عليه ، لكثرة الطَّنْ . وقد قيل :
موت أحمر ، ومنية حمره ، يراد الشدة ، حتى قيل سنة حمره ، وقالوا :
« الحسن أحمر » أى يُتَجَسَّمُ في طلب الجمال الشدائد . وقوله « ولكلِّ
يَوْمٍ كَرِيهَةٍ سَوَّارُ » أراد أن يُبين أن ذلك دأبهم عند الكريهة في دُعَايِ
ودأبى في الإجابة ، وأنه لم يكن يدعاهم منهم ومي ولا نُكْرَا .

٣٣٤

وَقَالَ أَبُو حَزَابَةَ^(١) [التميمي] :

- ١ - مَنْ كَانَ أَجْجَمَ أَوْ خَامَتْ حَقِيقَتُهُ عِنْدَ الْحِفَاطِ فَلَمْ يُقَدِّمْ عَلَى الْقَحْمِ
 - ٢ - فَعَقْبَةُ بْنُ زُهَيْرٍ يَوْمَ نَازَلَهُ جَمْعٌ مِنَ الثَّرَكِ لَمْ يُخَيِّمْ وَلَمْ يَنْخِرْ
- هذا للكلام يجرى مجرى التعريض لما يشتمل عليه من التعمير . وقوله
« فَعَقْبَةُ » مبتدا وخبره لم يخيم . فيقول : من كان كف في اللقاء عن الإقدام
وقت الحاجة ، وأعفى نفسه من الاقتحام أو ان الحفاظة ، راضيا بأقصور والتقصير ،
والانخزال والفتور ، أو سقطت همته ، وتختلرت حقيقته^(٢) ، فلم تبعثه أنفة ، ولم

(١) اسمه الوليد بن حنيفة ، وأحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .
شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوى ، حضر وسكن البصرة ثم اكتب في الديوان ، وضرب
عليه البعث إلى سجستان فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج
على عبد الملك ، قال أبو الفرج : وأظنه قتل معه . الأغاني (١٩ : ١٥٢) التبريزي :
« وقال أخو حزابة ، أو ابن حزابة . » والتكلمة بعده من التيمورية .
(٢) التخت : التفتت والاسترخاء . في الأصل : « وتخيبت » ، صوابه في م والتيمورية .

يهيئجه امتعاضاً وأبيسة، فعقبة بن زهير يوم منازلته للآثراك لم يتوقف في المدافعة، ولم يتكلم فيها دون أبعاد الغاية. والإحجام: ضد الإقدام. وقد مضى القول في موضوعه. وحقيقة الرجل: ما يحق عليه الدفع عنه من ذويه وحسبه، كما أن حقيقة الأمر ما يتيقن من وجوبه. واستعارة النوم فيها حسن، فهو كما يقال نام النوم إذا أخلق. وقحم الأمور والطرق: ما صعب منها. وقوله «لم يخيم» يقال خام عن قرينه، إذا نكل ونكص على عقبيه. ويقال أيضاً: خام في مكيدته يخيم، إذا لم يظفر فيها بخير. وقوله «فعقبة» جواب من كان أحجم.

٣ - مُشْمَرٌ لِلْمَنَابِتِ عَنْ شَوَاهِ إِذَا مَا الْوَعْدُ أَسْبَلَ ثَوْبِيهِ عَلَى الْقَدَمِ
يقول: كَشَفَ فِي الْمَجَاهِدَةِ عَنْ سَاقِهِ، وَتَشَمَّرَ لِلْبَلَاءِ عِنْدَ سِيَاقِهِ، إِذَا الدَّيُّ مِنَ الرَّجَالِ أُرْخِيَ ذَيْلَهُ، فَلَا يَتَشَمَّرُ لَتَلْقَى الْمُهْمَةَ، وَتَفْشَى غِطَاءَ عَجْزِهِ، فَلَا يَنْبَغُ لِدَفْعِ الْمُهْمَةِ، وَلَا بِتَحْرُكٍ لِمَنْعِ الْمَظْلَمَةِ. وَالشَّوَى: الْأَطْرَافُ. وَالْوَعْدُ مِنْ قَوْلِكَ: وَعَدْتُ الْقَوْمَ، إِذَا خَدَمْتَهُمْ. وَقَوْلُهُ «إِذَا مَا الْوَعْدُ» مَا زَائِدَةٌ، وَإِذَا ظَرَفُ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «مُشْمَرٌ» وَهُوَ جَوَابُهُ. وَفِي خِلَافِ قَوْلِهِ قَوْلُ الْآخِرِ (١):

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشْمَرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِزْرِي
٤- خَاضَ الرَّدَى فِي الْعِدَى قَدْ مَا بِمَنْصُلِهِ وَانْخِلُ تَعْلُكَ ثِنْيَ الْمَوْتِ بِاللَّحْمِ
يقول: دَخَلَ قَدِيمًا فِي مَكْشَفَةِ أَعْدَائِهِ الْهَلَاكِ بَسِيفِهِ، لَا يَنْقَبِضُ وَلَا يُحْجِمُ، وَانْخِلُ عَوَاضُ عَلَى جُلْمِهَا، تَعْلُكُهَا فِي أَثْنَاءِ الْمَوْتِ. وَالْعَلَاكَ: الْمَضْغُ، وَيُقَالُ: فِي لِسَانِهِ عَوْلُكَ، أَيْ يَمْضَغُهُ (٢). فَقَلَى هَذَا يَكُونُ «ثِنْيَ الْمَوْتِ»

(١) هو أبو جندب الهذلي. اللسان (نصف)، وقد سبق في ص ٢٩.

(٢) في الأصل «مضغة» تحريف، صوابه في التيمورية. وفي القاموس أن العولك بالجمة في اللسان. وفي مقاييس اللغة: «ويقولون: في لسانه عولك، إذا كان يَمْضَغُهُ وَيَعْلُكُهُ».

ظرفاً ، كما يقال جملته ثنى كذا . ويجوز أن يكون مفعولاً من تَمَلَّكُ . ويقال :
تَمَلَّكْتُ الشَّيْءَ ثَمَنًا ، ثم يُسَمَّى الثَّمَنُ ثَمَنًا . ويكون « بِاللَّجَمِ » في موضع الحال ،
كأنه قال : والخليل تَمَضُّعُ مُثَنَّى الموتِ ، أى مضاعفَه ، مُلْجَمَةٌ . وهذا حَسَنٌ .
وبعضهم رَوَى « وَالْخَلِيلَ تَمَلَّكُ ثَمَنَ الموتِ » ، والثَّنُّ : حُطَامُ الْيَبَسِ ، والختار
ما قَدَّمْتُهُ . وفي هذه الطَّرِيقَةُ قول الآخر :

خَضْنَا إِلَيْهِ الْمَوْتَ فِي أَيْمَانِنَا حُجِرَ الشَّفَارِ جُفُونُهُنَّ الْأُرُوسُ
٥ - وَهُمْ مِثُونُ الْوَفَا وَهُوَ فِي نَفَرٍ شَمَّ الْعَرَانِينَ ضَرَّابِينَ لِلْبُهَمِ

يقول : وَاقَعَ الْأَعْدَاءُ وَنَاجَزَهُمْ ، على كثرة عددهم ، وهو في رِجَالٍ كِرَامٍ .
يَسْتَنْكِفُونَ مِنْ تَقَبُّلِ الْعَارِ ، فَتَالَيْنَ لِبُهَمِ الرِّجَالِ . وقوله « مِثُونُ » جمع مائة
وهي من الْأَسْمَاءِ الْمَقْصُوصَةِ إِذْ كَانَتْ لَا مَهَا مَحْذُوقَةً ، بدلالة قولهم : أَمَأَيْتُ ،
ولذلك جُمِعَ عَلَى السَّلَامَةِ . وإنما أشار إلى جِنْسِ الثُّرُكِ كُلِّهِ فَقَدَّمَهُمْ أَعْدَاءَهُ ،
لَا أَنَّهُ حَارَبَ مِثِينَ الْوَفَا مِنْهُمْ . وَالْبُهَمُ : جمع بُهْمَةٍ ، وهم الشُّجْعَانُ الَّذِينَ
لَا يَذَرُونَ كَيْفَ يُؤْتُونَ ، لَا سِتْرَ لَهُمْ أَحْوَاهُمْ .

٢٣٥

وقال أوس بن تَمَلَّبَةَ (١) :

١ - جَذَامُ حَبْلِ الْهَوَى إِذَا جَمَلَتْ هَوَاجِسُ الْعَهْمِ بِمَدِّ النُّومِ تَغْتَكِرُ
يَصِفُهُ بِالنَّفَازِ فِي الْأُمُورِ ، واجتماع الرأى في الخطوب ، والمُضَى فَيَا يَعْرِضُ ،

(١) هو أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة . وكان
سيد قومه وأحد فرسان بكر بن وائل بخراسان ، ولحق خراسان أيام الدولة الأموية . وهو
صاحب « قصر أوس » ، وفيه يقول ابن أبي عيينة :

فيا حسن ذاك القصر قسراً ونزهة ويا فيح سهل غير وعراً ولا ضنك
كأن قصور القوم ينظرون حوله إلى ملك موفٍ على قنة المالك =

(١٤ - حاسة - ثان)

وَتَرَكَ التَّبَاطُؤَ عَمَّا يَبْنُ وَيَحْدُثُ ، وَأَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ رُكُوبِ الْأَسْفَارِ وَتَجَشُّعِ
الْمَشَاقِّ مَا يَدْفَعُ فِي صَدْرِ الْعِزْمِ ، وَيَبْنِي مِنْ حَدِّ الْقَصْدِ ، بَلْ يَقَطُّعُ عِلَاقِ
الْهَوَى ، وَيُبْعِدُ عَنْ نَفْسِهِ عَوَاقِقَ الْأُنَى ، فَيَمِضِي قُدُمًا إِذَا أَقْبَلَتْ عَوَارِضُ
الْمُحُومِ بِاللَّيْلِ ، تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْخَاطِرِ ، وَتَجُولُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ -
وَالْجُذْمِ : الْقَطْعُ . وَحَبْلُ الْهَوَى : الْوَصْلَةُ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّفْسِ . وَعَكَّرَ
وَاعْتَكَّرَ : عَظَفَ . [وَالْهَاجِسُ : مَا وَقَعَ فِي خَلَاكٍ . وَأَنشَدَ :

فَطَاطَأْتُ النِّعَمَاءَ مِنْ قَرِيبٍ وَقَدْ وَقَّرْتُ هَاجِسَهَا بِهَجْسِي ^(١)
النِّعَمَاءُ : اسْمُ فَرْسَةٍ ^(٢) .]

٢ - وَمَا تَجَهَّزَنِي لَيْلٌ وَلَا بَلَدٌ وَلَا تَسْكَاءُ دَنِي عَنْ حَاجَتِي سَمَرٌ
قوله « وَمَا تَجَهَّزَنِي لَيْلٌ » فِيهِ قَلْبٌ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى : مَا تَجَهَّزْتُ لَيْلًا
وَلَا بَلَدًا . وَيُقَالُ تَجَهَّزْتُ فُلَانًا وَفُلَانًا ، إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ بِوَجْهِ كَرِيمٍ . وَأَسَدُ
جَبْنِهِ الْوَجْهِ . فَيَقُولُ : لَا أَنْكَرُهُ زَمَنًا ، وَلَا أَسْتَصِيبُ مَرْكَبًا ، وَلَا أَسْتَبْعِدُ
بَلَدًا إِذَا سَنَحَ أَمْرًا أَوْ جَبَّ نُهُوضًا ، أَوْ سَفَرَ اقْتَضَى لِبُعْدِهِ صَبْرًا جَمِيلًا . وَيُقَالُ
تَسْكَاءُ دَنِي كَذَا ، وَتَصَعَّدَنِي كَذَا ، إِذَا شَقَّ عَايِكَ .

٢٣٦

وقال آخر ^(٣) :

١ - أَقُولُ وَسَيَنِي فِي مَفَارِقِ أَغْلِبٍ وَقَدْ خَرَّ كَالْجَذْعِ السَّحُوقِ الْمُشَدَّبِ
مفعول « أَقُولُ » أَوَّلُ الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ « بَكَ الْوَجْبَةُ » .

= وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ الطَّبَّاءِ السُّدُوسِيَّةِ ، الَّتِي اشْتَرَتْ بِشَارَ بْنَ بَرْدٍ بَدِينَارَيْنِ ثُمَّ أَعْتَقَتْهُ . مَعْجَمُ

الْبُلْدَانِ (٧ : ٩٩) وَالْأَغَانِي (٣ : ٢١) .

(١) أَنَشَدَهُ فِي اللِّسَانِ (هَجْعَن) .

(٢) الْفِكَلَةُ مِنْ مِ وَالنِّيمُورِيَّةُ .

(٣) التَّبْرِيْزِيُّ : « وَقَالَ آخِرُ وَقَدْ أَوْقَعْتُ مَازِنَ بَقْرَمَ مِنْ بَنِي عَجَلٍ فَقَتَلُوا مَنَّهُمْ »

فَعَدَّتْ بَنُو عَجَلٍ عَلَى جَارِ لَبْنِي مَازِنَ فَقَتَلُوهُ » .

وقال « في مفاريق » لأنه جمعه على ما حوله ، كما يقال دَعِمِدُ ضَخْمُ العِثَانَيْنِ ، كأنه جَمَلَ كُلَّ قِطْعَةٍ بِمَا بِلَى الْفَرْقَ مَفْرَقًا فَجَمَعَهُ . ومعنى خَرَّ سَقَطَ ، ومصدره الْخُرُورُ . وَالسَّحُوقُ مِنَ النَّخْلِ وَالْحُمْرُ : الطويل . يقال : أَنَانُ سَحُوقٌ ، نَخْلَةٌ سَحُوقٌ . يقول : لَمَّا تَمَكَّنْتُ مِنْ أَغْلَبَ قَنَمَتِهِ بَسَيْفِي فَسَقَطَ ، فَقُلْتُ مَذْشَفِيًا وَمُسْتَهَيِّنًا : أَنَاخَتِ الْوَجْبَةُ بِكَ لَا بِنَ كُنْتَ تَطْلُبُهُ لَهَا ^(١) ، وهذا كما يقال : للبدن والفرم . وقوله « كالجدع » في موضع الحال ، والعامل فيه خَرَّ ، وتشبيهه إِيَّاهُ بِالْجُدْعِ مِنْ قَدِيمِ التَّشْبِيهِ ، وفي القرآن : ﴿ كَانَهُمْ أَنْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ^(٢) ﴾ . وَجَعَلَهُ مُشْدَبًا لِيَكُونَ طَوْلُهُ أَظْهَرَ .

٢- بِكَ الْوَجْبَةُ الْعُظْمَى أَنَاخَتِ وَلَمْ تُنْدِخْ بِشُعْبَةٍ فَابَعْدَ مِنْ صَرِيحٍ مُلَحَّبٍ أَرَادَ بِالْوَجْبَةِ الْعُظْمَى الْمَنِيَّةَ . وفي القرآن : ﴿ فَإِذَا جَبَّتْ جُنُوبُهَا ﴾ . أَيْ نَزَلَ بِكَ الْمَكْرُوهُ الْأَعْظَمُ ، وَالبلاءُ الْأَفْظَعُ ، لَا بِشُعْبَةٍ . كَانَ هَذَا الْمَصْرُوعُ كَانَ يَتَوَعَّدُ شُعْبَةً بِالْقَتْلِ ، أَوْ يَرِيدُهُ لَهُ وَيَتَمَنَاهُ ، فَمَا ائْتَمَرَهُ ^(٣) بِهِ أَصَابَهُ وَحَقٌّ عَلَيْهِ . وقوله « فابعد » دُعَاءٌ عَلَيْهِ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِهَانَةِ بِمَا حَلَّ بِهِ . وَالْمُلَحَّبُ : الْمَذَلُّ ، وَمِنْهُ طَرِيقٌ لِأَحِبِّ أَيْ وَاضِحٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى مُلَحَّبٌ مَجْرُوحٌ مُقَطَّعٌ بِقَالٍ لَحَبْتُ اللَّحْمَ إِذَا قَطَعْتَهُ طَوَلًا .

٣- سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سَلَّ أَوْ مَضَتْ إِلَيْهِ ثَنَابًا لَمَوْتٍ مِنْ كُلِّ مَرَقَبٍ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ تَابُطُ شَرًّا .

إِذَا هَزَهُ فِي عَظْمٍ قَرْنٍ تَهَلَّلَتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَابِي الضَّوَّاحِكِ ^(٤) وَإِنْ كَانَ هَذَا أَبْلَغُ ؛ جَمَلَ ضَحِكِ الْمَوْتِ تَأَلَّقَ السَّيْفُ إِذَا جُرَّدَ مِنْ

(١) كَذَا فِي م وَالتَّيْمُورِيَّةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « تَظْلَمَهُ لَهَا » .

(٢) الْآيَةُ ٧ مِنْ سُورَةِ الْحَاقَّةِ . وَفِي الْآيَةِ ٢٠ مِنْ سُورَةِ الْقَمَرِ : « كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنَعَمٍ » .

(٣) ائْتَمَرَهُ بِهِ : هَمَّ بِهِ .

(٤) الْبَيْتُ ٨ مِنْ الْخَمَاسِيَةِ ١٣ .

الغِدِ سُرُوراً بِهِ ، وَقَلَّكَ جَعْلُهُ إِلَى الْمَضْرُوبِ بِهِ ثَقَّةً بَكُونِهِ لَهُ . وَيُقَالُ أَوْمَضَ
وَوَمَضَ ، إِذَا تَمَعَ . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « أَوْمَضَتْ إِلَيْهِ مَنَآيَا الْمَوْتِ » ،
وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

- ٤- وَيَا عِجْلُ عِجْلِ الْقَاتِلِينَ بِذَخْلِهِمْ غَرِيباً لَدَيْنَا مِنْ قِبَائِلٍ يَخْصُبُ^(١)
٥- جَنَيْتُمْ وَجُرْتُمْ إِذَا أَخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ زَعَمْتُمْ غَرِيباً مُزِمِلاً غَيْرَ مُذْنِبٍ^(٢)

قَوْلُهُ « عِجْلُ الْقَاتِلِينَ » هُوَ إِضَافَةُ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ ، وَكَرَّرَهُ تَوْكِيداً .
وَلَكَّ أَنْ تَضُمَّ عِجْلُ الْأَوَّلِ وَتَنْصِبَ الثَّانِي عَلَى الْبَدَلِ ، أَوْ عَلَى عَطْفِ الْبَيَانِ .
وَبَنُو عِجْلٍ كَانُوا مَوْتُورِينَ بِمَا ارْتَكَبَ مِنْهُمْ قَبِيلَةُ الشَّاعِرِ ، وَهُمْ بَنُو مَازِنٍ ،
فَلَمْ يَطْلُبُوا ذَحْلَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ ، وَلَا أَدْرَكَوا النَّارَ مِنْ كَاسِيهِ ، لَكِنْهُمْ أَخَذُوا
غَرِيباً كَانَ جَاوَرَ بَنِي مَازِنٍ فَقَتَلُوهُ ، فَقَالَ هَذَا الشَّاعِرُ فِي مَخَاطَبَتِهِمْ مَعِيباً ، وَهَازِئاً
مَتَهَكِّمًا : يَا عِجْلُ الْقَاتِلِينَ بَوْتَرَهُمْ غَرِيباً كَانَ عِنْدَنَا مِنْ بَنِي يَخْصُبَ ، لَمْ يَسْعَ فِي
اِكْتِسَابِ النَّارِ الَّتِي تَدْعُوهُ ، وَلَا أَعْمَلَ فِيهِ يَدُهُ وَسِفَانُهُ حَتَّى جَنَيْتُمْ وَعَدَلْتُمْ
عَنْ طَرِيقِ الرِّشَادِ ، إِذَا أَخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ - عَلَى زُعْمِكُمْ - غَيْرَ وَاتِرِكُمْ . فَقَوْلُهُ « إِذَا
أَخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ زَعَمْتُمْ » يَجُوزُ أَنْ يُضَعَّفَ بِالزُّعْمِ دَعْوَاهُمْ الْحَقَّ الْمَشَارَ إِلَيْهِ ، وَيَجُوزُ
أَنْ يُضَعَّفَ مَا تَوَهَّمُوهُ مِنْ دَرَكِ النَّارِ بِمَا فَعَلُوهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يُضَعَّفَ الْأَمْرَيْنِ
جَمِيعًا ، وَهُوَ الْأَشْبَهُ . فَإِنْ قِيلَ : أَيْنَ مَفْعُولَا زَعَمْتُمْ ، وَكَيْفَ سَاغَ حَذْفُهُمَا ؟ قُلْتُ :
الْحَذْفُ هُنَا كَالْحَذْفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ .
وَكَالْحَذْفِ فِي قَوْلِ الْكَمَيْتِ :

بَأَى كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيْكَ وَتَحْسِبُ^(٣)

(١) التبريزي : « فَيَا عِجْل » .

(٢) التبريزي : « غَرِيباً زَعَمْتُمْ » .

(٣) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسَخِ ، وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ كَذَلِكَ . وَمَشْهُورُ الرِّوَايَةِ كَمَا فِي الْهَاشِمِيَّاتِ

٣٨ : « عَارًا عَلَى » .

فكما حُذِفَ مفعولا تَحْسِبُ في بيت الكُمَيْتِ ، ومفعولا تزعمون في الآية ، كذلك حذف مفعولا زعتم من هذا البيت ، ويكون التقدير : إذ أخذتم بحَقِّكم - زَعَمْتُمُوهُ مأخوذاً - رجلاً هذا صِفَتُهُ ، وبحَقِّكم زَعَمْتُمُوهُ ثانياً ، فحذف ذِكْرَ الحقِّ لِمَا تقدَّمَ من ذِكْرِهِ ، ولما حذف المفعول الأول جاز حذف الثاني ، وهذا كما يُحذفُ المبتدأ والخبر من مسألة الكتاب^(١) ، وهي متى ظننت أو قلت زيدا مُنطَلَقاً . إذا أعمات الفعل الأول ساغ ذلك ، لأنَّ الفعل الثاني نقيضُهُما ، وقد حصل في الكلام ذِكْرُهُما . فاعلمه . والمُرْمِل : الفقير .

٦ - وما قَتَلُ جَارٍ غَائِبٍ عن نَصِيرِهِ لَطَالِبٍ أوتارٍ بِمَسَلِّكَ مَطْلَبٍ

٧ - فلم تَدْرِكُوا ذِخْلًا ولم تَذْهَبُوا بما قَعَلْتُمْ بنى عَجَلٍ إلى وجهِ مَذْهَبٍ^(٢)

يقول : الوَثْرُ مقيمٌ في موضعه ثابتٌ على حاله ، لم تَزِيلُوهُ ولم تُظْلِعُوهُ عن محله ، لأنَّ قَتْلَ جَارٍ لَوَاتِرٍ غَائِبٍ عن نَصَارِهِ ، بعيدٌ عن أرضه ودياره ، لَطَالِبِ النارِ ليس بطريقٍ يُوَدِّيهِ إلى نيلِ مُرادٍ ، ولا بسببٍ يوصلُهُ إلى اشتفاءٍ من داءٍ ، فأنتم لم تُصِيبُوا نَجْجًا في فعلكم ، ولا سَلِمْتُمْ فيما أتيتُم من عارٍ بحَقِّكم .

٨ - وَلَكِنَّكُمْ خِفْتُمْ أَسِنَّةَ مَازِنٍ فَسَكَنْتُمْ عَنْهَا إِلَى غَيْرِ مَنْسِكٍ

٩ - وقد دُقْتُمونا مَرَّةً بعد مَرَّةٍ وَعِلْمُ بَيَانِ الْمَرَّةِ عِنْدَ الْمُجَرَّبِ

يقال نَكَبَ بمعنى نَفَكَبَ ، ومثله قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ ؛ ومعناه انْحَرَفَ . ويقال هو أَنْكَبُ عن الحقِّ وَمِنْكَابٌ عنه ، إذا جَانَبَهُ فيصيرُ منه في شِقِّ . يقول : هَيْتُمْ أَعْدَاءُكُمْ عندما هَمَّكُمْ به من طَلَبٍ وَثَرِكُمْ ، واستشعرتُم منهم جُبْنًا ، فحذَرْتُمُوهم ، ثم عَدَّائهم عنهم إلى غيرِ مَعْدِلٍ فَقَبَّحَتْ صورَتُكم ، واختَرْتُم ذلك

(١) كتاب سيبويه (١ : ٤١) . ونصه : « وقد يجوز ضربت وضربني زيدا ، لأن بعضهم قد يقول : متى رأيت أو قلت زيدا مُنطَلَقاً . والوجه متى رأيت أو قلت زيد مُنطَلَقاً » .
(٢) كذا في م والتجويرية والتبريزي . وفي الأصل : « فلم تدرِكُوا ثارا » .

لأنكم خَبَرْتُمونا حالَةً بعد أُخرى ، والمرءُ يَقْبِئُ الشَّيءَ ، وَيَعْرِفُ الْخَصْمَ
عند تجربته .

٢٣٧

وقال بنثر بن لقيط الأسدي^(١) :

- ١ - أَمَا حَكِيمٌ فَاتَمَسَّتْ دِمَاغُهُ وَمَقِيلٌ هَامَتِهِ بِحَدِّ الْمَنْصُلِ
 - ٢ - وَإِذَا حُمِلَتْ عَلَى الْكَرْبَةِ لَمْ أَقُلْ بِمَدِّ الْعَزِيمَةِ لِيَتَنَى لَمْ أَقُلْ
- قوله « أَمَا » يتضمن معنى الجزاء ، وأكثر ما يحى مكرراً ، وقد جاء هنا غير مكرّر . فيقول : مهما كان من شيء فقد طَلَبْتُ دِمَاغَ هذا الرجلِ بِسِيفِي ، فَأَصَبْتُهُ غير مُتَدَمِّمٍ عَلَى مَا فَعَلْتُ ، وَلَا مُتَدَمِّمٌ مِنْهُ ، لِأَنِّي إِذَا حُمِلْتُ عَلَى خُطَاةٍ صَعِبَةٍ فَوَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَيْهَا ، وَقَرَّرْتُ عَزَمِي فِي تَجَشُّمِهَا لَمْ أَقُلْ بِمَدِّ الدُّخُولِ فِيهَا وَالْخُرُوجِ مِنْهَا بِوُدِّي أَلَّا أَكُونَ لَا بَسْتَهَا . وَأَرَادَ بِالْمَقِيلِ الْمَقَرَّ . وَالْهَامَةُ : رَأْسُ كُلِّ حَيَوَانٍ ، وَالْجَمِيعُ الْهَامُ . وَالْمَنْصُلُ ، مِنْ أَسْمَاءِ السِّيفِ . وَيُقَالُ : مَا لَهُ عَزِيمَةٌ أَيْ لَا يَنْبُتُ عَلَى مَا يَعْزِمُ عَلَيْهِ . وَرَأْيُهُ ذُو عَزِيمٍ . وَالْعَزَمُ : تَوَطُّنُ النَّفْسِ عَلَى الْمَرَادِ .

٢٣٨

وقال رجلٌ من بني نمير^(٢) :

- ١ - أَنَا ابْنُ الرَّابِعِينَ مِنْ آلِ عَمْرِو وَفُرْسَانِ الْمَنَابِرِ مِنْ جَنَابِ^(٣)
- ٢ - نُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعَرِّضُ لِلسَّبَابِ

(١) ذكر في القاموس (بنثر) أنه شاعر جاهل .

(٢) نسب المبرد في الكامل ٦٧ لبسك بيتين شبيهين بالأول والثاني إلى القتال الكلابي .

(٣) رواية المبرد للبيتين الشبيهين :

أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ بَنِي قَشِيرٍ وَأَخَوَالِي الْكَرَامِ بَنُو كَلَابِ
نُعَرِّضُ لِلطُّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعَرِّضُ لِلْسَّبَابِ

٣- فَأَبَائِي سَرَاةُ بَنِي نُمْيِرٍ وَأَخْوَالِي سَرَاةُ بَنِي كِلَابٍ

يَفْتَخِرُ بِأَنَ آبَاءَهُ رُؤَسَاءَ خُطْبَاهُ . والرابعُ : الرئيس الذي كان يأخذُ رُبْعَ الغنيمة في الغزو . ويقالُ رُبْعُ فُلَانٍ في الجاهلية وخَسَ في الإسلام . وذكر عُمرًا وجَنَابًا لِيُرَى أَنَّهُ كَرِيمُ الطَّرْفَيْنِ ، يدلُّ على هذا قوله فيما بعده :

فَأَبَائِي سَرَاةُ بَنِي نُمْيِرٍ وَأَخْوَالِي سَرَاةُ بَنِي كِلَابٍ^(١)

وقوله « نُرْعِضُ لِلطَّعْمَانِ إِذَا التَّقَيْنَا » يَصِفُ تَكْرُمَهُمْ وَتَصَوُّثَهُمْ فِي السَّلَمِ ، وَتَبَذُّلَهُمْ فِي الْحَرْبِ . وَيُشَبِّهُ هَذَا قَوْلَ الرَّاعِي :

وَيَبْتَذِلُ النَّفْسَ الْمُصُونَةَ نَفْسَهُ إِذَا مَا رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ ابْتِذَالَهَا^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

نُرْعِضُ لِلشُّيُوفِ إِذَا التَّقَيْنَا وَجُوهًا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وَسَرَاةُ الْقَوْمِ : خِيَارُهُمْ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : السَّرَوُ : سَخَالٌ فِي مَرْوَةٍ .
وَقَعْلَةٌ فِي جَمْعِ الْمُعْتَلِّ نَادِرٌ ، لِأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِالصَّحِيحِ ، نَحْوُ الْفَجْرَةِ وَالْكَفَرَةِ ،
وَيُزَادُ مِنْ الْمُعْتَلِّ قَعْلَةٌ نَحْوُ قُضَاةٍ وَغُرَاةٍ .

٢٣٩

وقال المهذلول بن كعب العنبري^(٤) :

حين رآته امرأته يطحن للأضياف ، فقالت : أهذا بعلي^(٥) ؟

(١) نمير وكلاب أخوان ، أبوهما عامر بن صعصعة ، فأبناؤهما أبناء عمومة .

(٢) سبق البيت بدون نسبة في الحماسة ٢١ .

(٣) هو الجريش بن هلال القريني . انظر الحماسة ٢١ .

(٤) ذكره المرزباني في المعجم ٩١ ؛ وقال : « ويقال المهذلول » ، أي بتقديم الذال .

(٥) المبرد في الكامل ٢٣ : « وما يستحسن ويستجاد قول أعرابي من بني سعد بن

زيد مائة بن تميم وكان ملكا ، فنزل به أضياف فقام إلى الرحا فطحن لهم ، فرث به زوجته في نسوة فقالت لمن : أهذا بعلي ؟ فأعلم بذلك فقال ... » . ملكا ، من الإملاك ، وهو عقد النكاح .

١ - تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَهَا يَمِينَهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَا الْمُتَقَاعِسِ^(١)

حكى ما قالته امرأته وهي تدق صدرها يمينها ، مستنكرة لما رأتها من طَحْنِهِ لضعيفه ، ومستفظة لما شاهدت من تَخَفِّفِهِ وتبذُّلِهِ ، وهو قوله : أَبْعَلِي هَذَا الْمُتَقَاعِسُ بِالرَّحَا . فإنها استشمنت هيئته وامتهانه نفسه فيما يُبْتَنُّ فِيهِ الخدم^(٢) ، ويأتف من تَوَلَّيْهِ ذُوو^(٣) الرِّزَانَةِ والعِزَّة . وإنما ابتداء كلامه بقول لأن القول يُحْكِي به ما كان كلاماً ، ويُعْمَلُ فيما كان قولاً . ولِلْمُتَقَاعِسِ : بنا لما يُفْعَلُ تكلفاً . على هذا قولهم تَخَازَرَ وتَمَاعَى . والقَّسُ : دخول الظَّهْرِ وخروج الصَّدر . وقوله « أَبْعَلِي » موضعه رفعٌ بالابتداء ، والألف لفظه لفظ الاستفهام ، ومعناه الإنكار والتفريع . وقوله « هذا » يكون في موضع الخبر ، والمُتَقَاعِسُ يتبعه على أنه عطف البيان له . وإن شئت جعلت هذا صفةً لِبْعَلِي والمُتَقَاعِسُ خبراً . وقوله « بِالرَّحَا » لا يجوز أن يتعلق بِالْمُتَقَاعِسِ ، لأنه في تعلُّقه به بصير من صِلَةِ الألف واللام ، وما في الصِّلَةِ لا يتقدَّم على الموصول ، ولكن تجعله تبيناً وتصوُّراً « الْمُتَقَاعِسُ » اسماً تاماً ، ويصيرُ موقعُ بِالرَّحَا بعده موقعَ بِكَ بَعْدَ مَرَحَبَا ، وَلَكَ بَعْدَ سَقِيَا وَحَدَا . وإذا كان كذلك جاز تقديمه عليه ، كما جاز أن تقول : بِكَ مَرَحَبَا ، وَلَكَ سَقِيَا . والمَازِنِي في مثل هذا طريقةً أخرى : وهو أن يجعل الألف واللام من الْمُتَقَاعِسِ للتعريف فقط ، ولا يؤدي معنى الذي ، كما تقولُ نِعِمَّ الْقَائِمُ زَيْدٌ ، وَبُئْسَ الرَّجُلُ عَمْرُو ، وإذا كان كذلك لم يحتج إلى الصلة ،

(١) التبريزي والمبرد : « تقول وصكت » . وعند التبريزي أيضاً « نحرها » موضع صدرها .

(٢) كذا في م والتمورية وفي الأصل : « يمتن الخدم » .

(٣) كذا في م والتمورية . وفي الأصل : « ذو » بالإنفراد .

فجاز وقوع بالرحا مُتَدَمِّماً عليه ومؤخراً بعده . وموقعُ الجملة التي حكاهما من كلام
للرأة نَضَبٌ على أنه مفعول لتقول . فأما ما يعمل في لفظه « قَالَ » ومتصرفاً فأنه
فهو ما يكون قولاً ووصفاً للجمل ، كقولك قلتَ حقاً أو باطلاً ، أو قلتَ صدقاً
أو كذباً وما أشبهه . والبعْلُ يقالُ للرجُل والمرأة ، وقيل بَعْلَةٌ أيضاً ، والفعلُ
منه بَعَلَ بَعَالَةً وبُعُولَةً . والبِعالُ : ملاعبةُ الرجلِ أهله . ويقال بنو فلانٍ
لا يُبَاعِلُونَ ، أى لا يُنْزَوِجُ إليهم ولا يُزَوِّجون .

٢ - فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَلِي وَتَبَيَّنِي بَلَانِي إِذَا تَفَتَّ عَلَى الْفَوَارِسِ
حَكَى مَا جَعَلَهُ جَوَاباً للرأة : كما حَكَى كلامها ، وهو قوله « لَا تَعْجَلِي »
مع مَا يَتَّبِعُهُ . ومعنى البيت : لَا تُسْرِعِي إنْكَارَكِ ، بل نَتَّبِعِي فِي حَكَمِكَ ، وَتَبَيَّنِي
بِرَأْعَتِي فِي فَعَالِي ، وَغَنَائِي عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَبَلَائِي ، إِذَا اجْتَمَعَ عَلَيَّ فِي حَوْمَةِ
الْحَرْبِ الْفُرْسَانُ ، وَأَحَاطَ فِي مَضَائِقِهَا بِبَنَى الْأَفْرَانِ ، فَإِنَّ نَجْدَةَ الْأَبْطَالِ تَظْهَرُ فِي
مِثْلِ تِلْكَ الْحَالِ . وَاعْلَمِي أَنَّ مَا يُسْتَنَكَفُ مِنْهُ هُوَ التَّخَلُّفُ عَنِ الْكِفَاحِ ، وَالرِّضَا
عَنِ النَّفْسِ بِمَا لَا يَجْعَلُهُ الْكَرِيمُ مِنْهُ بِيَالٍ ، فَأَمَّا خِدْمَةُ الضَّيْفِ وَامْتِنَانُ النَّفْسِ
فِي الْإِحْتِقَالِ لَهُ ، فَاقْبُولُ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ ، مَحْمُودٌ عِنْدَ تَجَارِبِ الرِّجَالِ .
وَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي شَذُودِ فَوَارِسَ وَحُكْمِهِ (١) .

٣ - أَلَسْتُ أُرْذُ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعُهُ وَفِيهِ سِنَّانٌ دُوْغَرَارِينَ يَابِسٌ (٢)
أَقْبَلَ يُقَرِّرُ الْمَرْأَةَ عَلَى زَكِيٍّ أَفْعَالِهِ ، وَرَضَى أَخْلَاقِهِ . وَأَلْفَ الْإِسْتِفْهَامِ إِذَا

(١) انظر ما سبق في ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) هذه رواية جميع النسخ والكمال ومعجم المرزباني . وانفرد التبريزي برواية
« فائس » ولكنه في الشرح اعترف بالرواية الأولى ضمناً قال : « ويقولون حديد يابس ،
ويارد ، يعنون الصلب . والفائس : المضطرب » . وقد روى في اللسان (ردع) هذا البيت
برواية « فائس » منسوباً إلى نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي .

انَّصَلَ بحرف النفي تَقَرَّرَ به فيما كان واجباً واقعاً ، وإذا انفردَ عن حرفِ النَّفْيِ تَقَرَّرَ به فيما كان منفيّاً مدفوعاً . يقول القائل مقررّاً : أَفَعَلْتُ هذا ؟ إذا لم يكن فَعَلَهُ فَأَنكَرَهُ . وألم أَفْعَلْ كذا ؟ إذا كان قد أتاه واكتسبه . والقِرْنُ : النَّظِيرُ في البأس . وموضع « يَرْكَبُ رَدْعَهُ » [نصب على الحال ، أى راكباً رَدْعَهُ ^(١)] . والرَّدْعُ : الدَّفْعُ والسَّكْنُ . وتحقيق الكلام : أدفعُ القِرْنَ وقد رَكِبَ رَدْعِي إِيَّاهُ فَسَقَطَ . وقال الخليلُ : رَكِبَ رَدْعَهُ وَرَدِيَمَهُ ^(٢) ، أى خَرَّ صَرِيحاً لَوَجْهِهِ . وذكرُ الرُّكُوبِ مَثَلٌ . ويجوز أن يكون المرادُ بالرَّدْعِ ما تَلَطَّخَ به من الدَّمِ ؛ ويقال ثَوْبٌ مَرْدُوعٌ ، إذا كان قد أُطِخَ بالزعفران ^(٣) أو غيره . وذكر بعضُ أصحابِ المعاني أن معنى « رَكِبَ رَدْعَهُ » أى إذا كُنْتُ لم يَرْتَدِعْ وَمَضَى لَوَجْهِهِ ، كأنَّهُ يَتَلَقَّى الرَّدْعَ بالرُّكُوبِ . وقال أبو العباس المبرد : « هو مِنْ ارْتَدَعَ السَّهْمُ ، إذا رَجَعَ النَّصْلُ فِي سِنْخِهِ متجاوزاً ^(٤) » . قال : « ويقال رَكِبَ البَعِيرُ رَدْعَهُ ، إذا سَقَطَ فدخل عُنُقُهُ فِي جَوْفِهِ . ومنه ارتدَعَ فلانٌ عن دِينِهِ ^(٥) » . والذي قاله تحصيلُهُ ما أوردته وكشفتُهُ . وقوله « وفيهِ سِتَانٌ » يريدُ أنه مطعونٌ بِسِنَانٍ ذِي حَدَّيْنِ صُلْبٍ . وموضع « وفيهِ » موضع الحال ، والعامِلُ فيه يَرْكَبُ ، كما أن يَرْكَبُ في موضع الحالِ والعامِلُ فيه أَرْدُ .

٤- وَأَحْتَمِلُ الْأَوْفَى الثَّقِيلَ وَأُمْتَرِي خُلُوفَ الْمَنَائِيَا حِينَ فَرَّ الْمُغَامِسُ

قوله « وَأَحْتَمِلُ » ينمطف على خبر ليس ، وهو أَرْدُ ، ويكون من مُجْمَلَةٍ

(١) الكلمة من م والتميمورية .

(٢) لم يذكر في اللسان والقاموس بهذا المعنى ، وذكر بدله في القاموس الرذاع ، كذا اب .

(٣) م والتميمورية : « إذا كان به لطح من الزعفران » .

(٤) فص الكامل ٢٣ - ٢٤ عند تفسير هذا البيت : « إذا رجع النصل متأخراً

في السنخ » .

(٥) هذه الجملة الأخيرة لم ترد في الكامل .

حَاقَرَهَا بِهِ^(١) . وَالْأَزْقُ : الثَّقُلُ . وَمَعْنَى « أَمْتَرِي » أَيْ أَمْسَحُ . وَالْخُلُوفُ : جَمْعُ الْخِلْفِ ، وَهُوَ مَا يَتَّبِضُ عَلَيْهِ الْخَالِبُ . وَقَوْلُهُ « حِينَ فَرَّ الْمُعَامِسُ » يُرْوَى « الْمُعَامِسُ » بِالغَيْنِ مَعْجَمَةً . فَمَعْنَى « الْمُعَامِسِ » بِالْعَيْنِ الَّذِي يَدْخُلُ فِي الشَّدَائِدِ وَيُدْخِلُ غَيْرَهُ فِيهَا . وَيُقَالُ : يَوْمَ عَمَاسٍ ، أَيْ شَدِيدٍ . وَيَكُونُ الْمُعَامِسُ كَقَوْلِهِمُ الْمُعَامِرُ ، وَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ فِي الْقَمَرَاتِ وَيُدْخِلُ غَيْرَهُ فِيهَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْعَمَاسُ : الْحَرْبُ الشَّدِيدَةُ وَكُلُّ مَا لَا يُقَامُ لَهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُعَامِسُ مِنْ قَوْلِهِمْ عَمَسْتُ الْأَمْرَ ، أَيْ أَخَفَيْتُهُ . وَرَجُلٌ عَمُوسٌ : يَتَمَسَّفُ الْأَشْيَاءَ بِجَهْلِهِ . فَيَكُونُ الْمَعْنَى : الَّذِي يَرْكَبُ رَأْسَهُ وَلَا يُبَالِي أُصِيبَ أَوْ أَصَابَ . وَمَعْنَى « الْمُعَامِسِ » بِالغَيْنِ مَعْجَمَةً : الَّذِي يَنْفَعِمُ فِي الشَّرِّ وَالْبَلَاءِ ، وَيَفْعِمُ غَيْرَهُ فِيهِمَا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَلَسْتُ الْمُتَجَمِّلَ لِلْأَعْيَاءِ النَّفِيلَةِ ، وَالْمُسْتَخْرِجَ مِنْ ضُرُوعِ الْمَنَآيَا وَأَخْلَافِهَا الشَّرِّ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَزِلُّ فِيهِ الْمُعَامِسُ أَوْ الْمُعَامِسُ ، فَلَا يَثْبُتُ . وَجَعَلَ مَرَى الْخُلُوفِ مَثَلًا لَتَهْيِيجِ الشَّرِّ ، وَاسْتِدْرَارِ الْمَوْتِ ، كَأَنَّهُ يَسْتَزِيدُ مِنَ الْبَلَاءِ وَلَا يَمَلُّهُ ، إِذَا لَمْ يَثْبُتْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ صِفَتُهُ .

٥ - وَأَفْرَى الْهُمُومِ الطَّارِقَاتِ حَزَامَةً إِذَا كَثُرَتْ لِلطَّارِقَاتِ الْوَسَاوِسِ

يُقَالُ : قَرَيْتُ الضَّيْفَ ، إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ وَأَعَدَدْتَ لَهُ قِرَاءَهُ . يَقُولُ : أَلَسْتُ أَفْرَى طَوَارِقِ الْهَمِّ ، وَعَوَاقِقِ الْبَثِّ ، حَزَمًا وَرَأْيًا ، وَجَلَدًا وَنَفَازًا ، إِذَا ارْزَحَمَتِ الْوَسَاوِسُ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَاعْتَلَجَتْ بَنَاتُ الصُّدُورِ ، فَارْتَبَكَتِ الْأَرَاهُ ، وَذَهَبَ مِنَ الرِّجَالِ الْغَفَاهُ .

٦ - إِذَا خَامَ أَقْوَامٌ تَجَحَّمْتُ غَمْرَةً يَهَابُ مُحْتِمَاها الْأَلَدُ الْمَدَاعِسُ^(٢)

(١) كَذَا فِي م وَالتَّيْمُورِيَّةُ عَلَى الصَّوَابِ . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْ جِلَّةٍ أَفْرَهَا بِهِ » .

(٢) رَوَايَةُ الْمُبَرَّدِ :

إِذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَحَّمْتُ هَوْلًا يَهَابُ حِمَاها الْأَلَدُ الْمَدَاعِسِ

خَامَ عَنْ قِرْنِهِ يَحْمِيْمٌ : هَابَ الإِقْدَامَ عَلَيْهِ . وَيَقَالُ خَامَ الرَّجُلُ ، إِذَا رَجَعَ عَلَيْهِ كَيْدُهُ ، فَضَرَّهُ ؛ فَيَجْرِي مَجْرَى خَابَ وَإِنْ كَانَ يَخْتَصُّ بِالسَّكِيدِ . فَيَقُولُ : إِذَا ضَعُفَ الْأَقْوَامُ عَنِ التَّدْبِيرِ ، وَعَثُّوا بِالْأُمُورِ فَلَمْ يَعْرِفُوا مَصَادِرَهَا وَمَوَارِدَهَا ، تَوَسَّطَتْ قُحْمَةٌ كُلُّ شَرٍّ يَهَابُ سَوَرَتَهَا الرَّجُلُ الْخَصِيمُ اللَّجْجُوجُ ، الْمُدَافِعُ لِلْأَقْرَانِ . قَوْلُهُ « مُحْتَيَاهَا » مُضَمَّرٌ لَا مُسَكَّرٌ لَهُ . وَالِدَّغْسُ : الطَّعْنُ وَالِدَّفْعُ وَشِدَّةُ الْوَطْءِ . وَيَقَالُ : طَرِيقٌ مِدْعَاسٌ ، أَيْ مُذَلَّلٌ .

٧ — لَعَمْرُ أَيْبِكَ الْخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لَضَيْفِي وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ قَوْلُهُ « لَعَمْرُ أَيْبِكَ » اسْتَعْطَفَ لَهَا ، إِذَا أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَبِيهَا لِمَا جَرَى فِي الْعَادَةِ مِنْ إِعْظَامِ الْمُقْسَمِ بِهِ ؛ وَلِإِكْبَارِ مَوْقِعِهِ . وَالْعَمْرُ وَالْعُمْرُ لَفْتَانٌ ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَسَمِ إِلَّا بِفَتْحِ الْعَيْنِ . وَإِضَافَةُ الْأَتْبِ إِلَى الْخَيْرِ ، كَمَا يَقَالُ هُوَ فَتَى صِدِّيقٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ كَرِيمٌ . وَقَوْلُهُ « إِنِّي لَخَلَايِمٌ لَضَيْفِي » اعْتِرَافٌ بِمَا عَدَّتْهُ ذَنْبًا ، وَبَيَانٌ أَنَّ التَّبَجُّحَ فِيهَا أَنْكَرَتْهُ ، وَأَنَّ التَّوَفُّرَ عَلَى الضَّيْفِ وَإِكْرَامَهُ فِي قِرَآنِ الْفُرُوسِيَّةِ ، وَمِنْ الْخِصَالِ الْحَمُودَةِ .

٨ — وَإِنِّي لَأَشْرَى الْحَمْدَ أَبْنَى رَجَائِي وَأَتْرَكُ قِرْنِي وَهُوَ خَزْيَانُ نَاعِسُ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : إِنِّي لَأَشْتَرِي الْحَمْدَ طَالِبًا رَجِيحًا ، وَمُجْتَنِّيًا [ثَمَرَةً . ^(١)] ثَمَرَةُ الْإِحْسَانِ الشُّكْرُ ، وَيَحْبَابُ الشُّكْرِ الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ وَالْأَحْدَوْتَةُ الْحَسَنَةُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَسْمَعُ بِالصَّنِيعِ . وَلَمَّا اسْتَعْمَلَ الشَّرَى فِي اكْتِسَابِ الْحَمْدِ جَمْلِيًّا لِمَعْنَى ، اسْتَعْمَلَ الرَّبْحَ فِيمَا يَتَسَبَّبُ مِنْهُ وَيَنْتَهِجُ . عَلَى مَا يُتَعَوَّدُ فِي الْمَتَاجِرِ ، وَيُتَطَلَّبُ مِنَ الْبَيَاعَاتِ . وَقَوْلُهُ « وَأَتْرَكُ قِرْنِي وَهُوَ خَزْيَانُ » أَيْ أَهْيَنُهُ وَأَكْسِرُهُ ، حَتَّى يَبْقَى مُطَرِّقًا خَجِلًا مَفْضُوضَ الطَّرْفِ

(١) التَّكَلُّفُ مِنَ التَّهْمُورَةِ .

مُتَنَدِّمًا ، كَمَنْ غَلَبَهُ الثُّعَاسُ . وَقِيلَ « نَاعِسُ » الرَّادُّ بِهِ أَنَّهُ مُشْرِفٌ عَلَى الْمَوْتِ . قَالَ : وَيُقَالُ طَمَعْتُ صَاحِبِي فَأَنَمْتُهُ ، أَيْ قَتَلْتُهُ . وَطَمَعْتُ صَاحِبِي فَأَنَعَسْتُهُ ، أَيْ رَنَحْتُهُ . وَالرَّيَّاحُ : مُصَدَّرٌ كَالرَّيْحِ . وَيُقَالُ لِلْفَائِزِ بِالْخَيْرِ : هُوَ رَاجِحُ الصَّفَقَةِ .

٢٤٠

وَقَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ شَمْلَةَ بِنُ بُرْدٍ الْمُنْقَرِيَّةُ^(١) :

١ - إِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِي بِشَمْلَةٍ يَحْبِسُهُمْ بِهَا مَحْبِسًا أَزَلًا
قد مضى الكلام في حذف النون من « يَكُ » في غير موضع . و مراد
كنزة من الكلام أن تجعل التفعي في مجاهدة القوم ، وبلوغ أبعاد الغايات
في طلب الثار من ابنها ببال ، فأقبلت تقول : ظني بابني كيت وكيت ، مذكرة
وموصية . والذي زعمت أنه في ظنها ، ومن أحاديث نفسها ، هو ما تقترحه على
ابنها ، وتتمنى أن يحتفظ به من وصاتها . وقولها « وهو » يجوز أن يكون للظن ،
والمعنى : إِنْ كُنْتُ أَلْمِئِيًّا^(٢) ، فَظَنِّي بِشَمْلَةٍ يَصْدُقُنِي لَا مُحَالَةَ ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ كَذَا .
والباه من قولها « بِشَمْلَةٍ » يجوز أن يكون متعلقًا بصادق ، أي وهو يصدقني بسبب
شمله ، وإن شئت يتعلق بظني . ويجوز أن يكون « هو » ضمير ابنه^(٣) شمله ،
واللغى : وهو فيما أنفرد فيه وأعتقده من شأنه ، يصدقني - ويكون « بِشَمْلَةٍ »
تبينًا لا صلة ، كما يكون بك بعد مرحبًا تبينًا - يحبس القوم بتلك المعركة

(١) التبريزي « من ولد قيس ، وكانت أمة لبني منقر اشترأها برد » . ويعني بقيس
قيس بن عاصم المنقري . وقيس بن عاصم صحابي محضرم .

(٢) الوجه : « إِنْ كُنْتُ أَلْمِئِيَّة » . ولكن المرزوق قصد جنس « الشاعر » .

(٣) الوجه : « ابنها » أيضًا .

تَحْبِسًا ضَيْقًا . ويقال أزلوا مالهم بأزْلُونَهَا^(١) أزلًا ، إذا حبسوها في الرعى ،
خفاة الأعداء عليها . فالأزلُ مصدرٌ وُصف به .

٢ - فَيَا شَمْلَ شَمْرٍ واطْلُبِ الْقَوْمَ بِالَّذِي أُصِيبَتْ وَلَا تَقْبَلِ قِصَاصًا وَلَا عَقْلًا

هذا يدل على ما قدمناه في البيت قبله ، فإنها رجعت إلى مخاطبة ابنها
بعد ما ذكرته هو اجس ظنونها ، وجردت القول له بمراها منه ، وأمرته
بالتشهير في طلب القوم كلهم بمن أصيب به ، واطراح التقصير فيما جمل له من
سلطانه في حقه ، وبأن لا يقبل الدية وإن غالوا بها ، ولا يرضى بالقصاص منهم
وإن مكثوا من الجاني عليه أيضاً ، بل يعم القوم كلهم بالقتل ، فإنه حينئذ
يكون مدركا تنبئه ، وناقضا وثره ، وقاضيا حق صاحبه . والقصاص : أخذ
الشيء بالشيء ، وأصله من القص : القطع .

١٢٤

وقالت أيضاً :

١ - لَهْنِي عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا بِذِي السَّيْدِ لَمْ يَلْقَوْا عَلِيًّا وَلَا عَمْرًا

٢ - فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِي بِشَمْلَةٍ يَحْبِسُهُمْ بِهَا تَحْبِسًا وَعَمْرًا

قد تقدّم القول في لهني ، وما يجوز فيه من نية الأفراد والإضافة^(٢) .

وإنما تحسرت الشاعرة على ما فات عليًا وعمراً من ملاقات القوم المجتمعين

بذِي السَّيْدِ المتخلفين للقتال . وإنما تلهفت إماما كانت تؤمل من تأثيرها فيهم .

وموضع « لَمْ يَلْقَوْا » نصبٌ على الحال ، والعامل فيه تجمّعوا . ثم قلت

كالستدرك برجائه . إن كنتُ صَادِقَةً الظَّنَّ بابني شَمْلَةَ - وهو بصدقني

(١) كذا في جميع النسخ ، استعمل المال استعمال الإبل .

(٢) انظر ما سبق في ص ٤٤ .

لا محالة — فإنه يحبسُ القومَ بتلك المعركة مخبِئًا صعبًا . تُريدُ أن ما فات المذكورين سيتلافاه ، فيما بعدُها به ظنُّها وأملُها فيه . والقولُ في « إن يكُ ظني صادقًا » على ما تقدّم . والصدقُ والكذبُ أصلهما في الكلام ، وتوسّعَ فيهما قليلَ برَدِّ صادقٍ ، والفجرُ الصادقُ والكاذبُ ، وهو فتىٌ صدقٌ ، وصدقُهم القتالُ . ويقالُ : طريقٌ وغرٌّ : بين الوعورة والوعارة ، أى غليظٌ . وقد تَوَعَّرَ وَوَعَرَ .

٢٤٢

وقال شبرمة بن الطفيل^(١) :

- ١- لَعَمْرِي لَرِيمٌ عِنْدَ بَابِ ابْنِ مُحْرِزٍ أَغْنَى عَلَيْهِ الْيَارِقَانِ مَشُوفٌ^(٢)
٢- أَحَبُّ إِلَيْنَا مَنْ يُيَوِّتُ عِمَادُهَا سَيُوفٌ وَأَرْمَاحٌ لَهُنَّ حَفِيفٌ^(٣)

الأصل في الرِّيمِ : الظَّيُّ الخالص البياض . وهذا الكلام يخصُّ به الشاعرُ واحدًا مُعيَّنًا كان يُقَصِّرُ في طلبِ الوترِ ، ويشغل عنه بالصِّبَا واللَّهْوِ ، ويؤثِّرُ المُقامَ بأطيبِ النِّزَلَيْنِ مِنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ، لا يَهْمُهُ إِلَّا الرَّقَاعَةُ وَالْخَلَاعَةُ ، خاليتين من التَّعبِ والنَّصبِ ، فأخذ يُعرِّضُ به ويقول على وجه التَّهْكُمِ والشَّخْريَّةِ منه : وبقائى ، لِقَاءِ امْرَأَةٍ كَانَتْهَا ظَبِيَّةٌ مَسْكَنُهَا فِي جَوَارِ هَذَا الرَّجُلِ فِي صَوْتِهَا غُنَّةٌ ، مُحَلَاةٌ بِيَارَقَيْنِ ، مُجْلُوَّةُ الْوَجْهِ ، أَحَبُّ إِلَيْنَا مَنْ

(١) لم نعثَر له على ترجمة . ولكن « ابن محرز » الذى ذكره ، من مشهورى المغنين أيام الدولة العباسية . وهو مسلم بن محرز ، مولى بنى محزوم . الأغاني (١ : ١٤٥ - ١٤٧) .

(٢) في اللسان (ي ق) : « لعمري لظبي » .

(٣) التبريزى واللسان : « أحب إليكم » . والكلام تهكم كما سيأتى في التفسير .

الأوى إلى بيوتٍ مستحدثةٍ بُنيتْ على عمدٍ مُتخذةٍ من رِماحٍ وسُيوفٍ .
وهذه البيوت للغزاة والمتصيِّدة أكثر ما تكون . ألا ترى قول امرئ القيس
بعد فراغه من الصيد :

ورُحنا إلى بَيْتٍ بَعْلِيَاءَ عَمَدَحِ سَمَاوَتُهُ مِنْ أَنْحَمِي مُشْرَعَبِ
وَأَوْتَادُهُ مَازِيَّةٌ وَعِمَادُهُ رُدَيْنِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةٌ قَعَصَبِ^(١)
وفي هذه الطريقة قول الآخر :

وَاللَّهُ لِلنَّوْمِ عَلَى الدِّيبَاجِ عَلَى الْحَشَايَا وَسِرِيرِ الْعَاجِ
مَعَ الْفَتَاةِ الطَّفَلَةِ الْمَغْنَجِ أَهْوَنُ يَا غَمْرُو مِنْ الْإِدْلَاجِ
وَزَفَرَاتِ الْبَازِلِ الْمَجْعَاجِ^(٢)

وقوله « مَشُوفٌ » من الشَّوْفِ ، وهو التَّجْلِيَّةُ ، يقال تَشَوَّفَتِ الْمَرْأَةُ ، إِذَا
تَزَيَّنَتْ وَطَرَّتْ^(٣) ، وَشَقَّتْهَا وَهِيَ مَشُوفَةٌ^(٤) . وقوله « لَهْنٌ حَفِيفٌ » ، فالحفيفُ :
صَوْتُ طَيْرَانِ الطَّائِرِ وَصَوْتُ الرَّمِيَّةِ .

٣ - أَقُولُ لِفَتَيَانِ ضِرَارِ أَبُوهُمْ وَنَحْنُ بِصَحْرَاءِ الطَّعَانِ وَقُوفُ
٤ - أَقِيمُوا صُدُورَ الْخَلِيلِ إِنْ نَفُوسَكُمْ لِيَمِيقَاتِ يَوْمٍ مَا لَهْنٌ خُلُوفُ
قوله « أَقِيمُوا صُدُورَ الْخَلِيلِ » في موضع المفعول لأَقُولُ ، والولد من قوله

(١) قعصب : رجل كان يعمل الأسنة في الجاهلية .

(٢) أنشد هذا الرجز الإسكافي في مبادئ اللغة ٤٨ والتبريزي في شرحه .

(٣) كذا على الصواب في م . وطرت : صارت طريرة . والطير : ذو الرواء والمنظر .
وفي الأصل والتمورية : « وظهرت » .

(٤) لم يفسر المزدوقي « الياق » . قال التبريزي : « فارسي معرب ، أصاه ياره ،
وهو السوار » . وقيد استينجاس في المعجم الفارسي الإنجائزي بأنه سوار هريض :
(Broad bracelet) .

« ونحن بصحراء الطَّمان » واو الحال . ويقال أقمته فقام بمعنى قَوَّمْتُهُ فَتَقَوَّم ،
فَيَتَعَدَّى . وأقت بالمكان إذا نبت فيه إفاة ، وأقمتُ من المكان إذا ارتحلت
عنه . قال امرؤ القيس :

* وفيمن أقام من الحيِّ هَرَّةٌ ^(١) *

فأما قول الشاعر :

أقول لأمَّ زِنْبَاعٍ أَقِيمِي صُدُورَ الْخَيْلِ شَطَرَ بَنِي تَعِيمٍ
فمعناه إقصدي وتوجَّهي بِعَيْسِكَ نَحْوَهُمْ . والشاعر أخذُ يُبَيِّنُ ما يأخذ به
نَفْسُهُ من حَثِّ الْقَوْمِ عَلَى الْقِتَالِ ، وتشجيعهم على اقتحامِ الْأَهْوَالِ ، وَيُرِي أَنَّهُ
مع تقصير مَنْ قَدَّمَ التَّعْرِيفَ بِهِ ، وَعَلَّقَ التَّقْرِيعَ بِإِهْمَالِهِ وَتَعْذِيرِهِ ، وَعَيْرَهُ
اشْتِغَالَهُ بِمَا لَا يَشْتَغِلُ الْمُوتَرُ بِهِ ، لَا يَدْعُ أَنْ يَقُولَ مُحَضَّضًا لَهُوْلَاءِ الْفِتْيَانِ وَقَدْ
وَقَعُوا فِي مِيدَانِ الطَّمانِ وَعَرْصَةِ الطَّرَادِ : اثْبُتُوا فِي وُجُوهِ أَعْدَائِكُمْ ، وَانصِبُوا
صُدُورَ خَيْلِكُمْ لَهُمْ ، وَاسْتَبْدِلُوا بِالْانْحِرَافِ تَقَحُّطًا ، وَبِالْأَزْوَاجِ تَهْجُمًا ، وَدَعُوا
الذَّهَابَ إِلَى مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ النَّشَلُ ، وَيَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ التَّهَافُوتُ وَالْكَسَلُ ، مُسْتَشْعِرِينَ
الْخُوفَ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ أَجَلًا لَا يُؤَخِّرُهُ الْإِحْجَامُ وَالنَّكَوصُ ،
وَلَا يَقْدُمُهُ الْإِقْدَامُ وَالنُّهُوضُ . وقوله « مَا لَهُنَّ خُلُوفٌ » ، أَيْ لَيْسَ لِلنَّفُوسِ
تَخَلُّفٌ عَنِ الْأَمْدِ الْمُسَمَّى ، وَلَا تَرَاوُجٌ عَنِ الْحَيْنِ الْمَوْحَى . وَالْمِيقَاتُ يُسْتَعْمَلُ فِي
الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، لِأَنَّ الْوَقْتَ الْحَدُّ . أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مِيقَاتُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ ،
يُرِيدُونَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يُقْبَلُ لَهُ الْحَبْجُ إِذَا ابْتَدَى بِالسَّيْرِ إِلَيْهِ مِنْهُ .

(١) عجزه : * أم الظاعنون بها في الشطار *

٢٤٣

وقال قبيصة بن جابر^(١) :١ - بِثَنِي هَضِيمٍ جَدُّ نَمَانِي بَطِيًّا بِالْمَحْـاولَةِ اِحْتِيَالِي^(٢)

رواه بعضهم « بُثْنِي هَضِيمٌ هُوَ جَدُّ نَمَانِي » و « أوجدتُماني » ، وليس بشيء ، لأنه بصير المعنى : يا بُثْنِي هَضِيمٌ أوجدتُماني بطيء الحيلة بالحلولة ؟ يريد : إني سريع الحيلة . وهذا كلامٌ مُتَّبِعٌ مُحْتَلٌّ^(٣) . وعلى روايتنا يقول : سَمَّا بِي جَدُّ عَالٍ بِثَنِي هَذَا الْمَكَانَ . وَالثَّنِي : مَا أَنْتَنِي مِنَ الْوَادِي ، أَيْ ائْتَمَطَفَ . وَيَقَالُ : ثَنَيْتُهُ ثَنِيًّا ، ثُمَّ يُسَمَّى لِلثَّنِي ثَنِيًّا ، وَمَا تُنِي بِهِ أَيْضًا ثَنِيًّا . عَلَى هَذَا قَوْلُ طَرَفَةٍ :

* لِكَالطَّوْلِ الْمُرَخِّي وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ^(٤) *

وقوله « بَطِيًّا بِالْمَحْاولَةِ اِحْتِيَالِي » ائْتَصَبَ بَطِيًّا عَلَى الْحَالِ ، فَالْعَامِلُ فِيهِ نَمَانِي . وَ « اِحْتِيَالِي » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ بِطِيٍّ ، وَقَدْ أَضَافَ

(١) هُوَ أَبُو الْعَلَاءِ قَبِيصَةُ بْنُ جَابِرِ بْنِ وَهْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمِيرَةَ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ ، لَهُ إِدْرَاكٌ وَصَحْبٌ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَهُوَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ أَخَا مَعَاوِيَةَ مِنَ الرِّضَاعِ ، سَأَلَهُ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَقِبَةَ : مَا كَانَ شَأْنُكَ وَشَأْنُ الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَوَّلِهِ وَصَلَّ الرَّحْمَ وَأَحْسَنَ الْكَلَامَ ، فَلَا تَسْأَلُنِ عَنِ الشُّكْرِ وَحَسَنَ الثَّنَاءِ ، ثُمَّ غَضِبَ عَلَى النَّاسِ وَغَضِبُوا عَلَيْهِ وَكَتَبُوا مِنْهُمْ ، فَأَمَّا ظَالِمُونَ فَتَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وَإِمَّا مَظْلُومُونَ فَغْفَرَ اللَّهُ لَهُ ، وَخَذَ فِي غَيْرِ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْحَدِيثَ يَنْسِي الْقَدِيمَ . قَالَ : وَلَمْ ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنَ السِّيْرَةَ وَبَسَطَ الْحَبِيرَ وَكَفَّفَ الشَّرَّ . قَالَ : فَأَنْتَ أَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ فَافْعَلْ . قَالَ : اسْكُتْ لَأَسْكُتَ . فَسَكْتَ وَسَكَّتِ الْقَوْمُ . قَالَ لَهُ : مَالِكُ لَا تَتَحَدَّثْ ؟ قَالَ : نَهَيْتَنِي عَمَّا كُنْتُ أَحِبُّ فَسَكْتُ . عَمَّا أَكْرَهُ . الْإِصَابَةُ ٧٢٧٠ وَالْأَغَانِي (٤ : ١٨٥) .

(٢) رَوَايَةُ الْأَصْلِ هَذِهِ نَصٌّ عَلَيْهَا التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِهِ ، وَهِيَ رَوَايَةُ يَاقُوتَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ (٨ : ٤٦٨) . وَرَوَايَةُ مِ وَالتَّبْرِيزِيُّ : « بُثْنِي هَضِيمٌ هُوَ جَدُّ نَمَانِي » ،

وَرَوَايَةُ التَّيْمُورِيَّةِ : « بِثَنِي هَضِيمٌ هُوَ جَدُّ نَمَانِي » .

(٣) الْمَشْجُ ، مِنَ التَّثْبِيجِ ، وَهُوَ التَّخْلِيطُ .

(٤) صَدْرُهُ : لِمَعْرُكِ إِنْ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى *

المصدر إلى المفعول ، لأن المعنى : يبطؤ احتيالُ الناس على إذا حاولوه والمعنى يتعذر وقوع ذلك منهم ، لقرط حزامتي ، واستحكام تجربتي . ومثل هذه الإضافة قوله تعالى : ﴿ وَآمَنَ انْتَصَرَ بِعَدُوِّهِ ﴾ ، لأن المعنى بعد ظلم الظالم له . هُضِمَ : فَعِيلٌ مِنَ الْهَضَمِ ، مِثْلُ حَذِمَ ، وهو اسمٌ لمكانٍ ضَيِّقٍ . وقيل فَرَسٌ أَهْضَمٌ ، إذا كان ضَيِّقَ الْجَوْفِ .

٢ - وعاجتُ الأمورَ وعاجتني كَأَنِّي كُنْتُ فِي الْأُمِّ الْخَوَالِي الْعَجْمُ : العَجْزُ فِي الْأَصْلِ ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْامْتِحَانِ ، لِأَنَّ النَّاضِرَ فِي الشَّيْءِ هَلْ هُوَ صُلْبٌ أَوْ لَا يَعْجُزُهُ وَبَعْضُهُ عَلَيْهِ . وَيُقَالُ عَجَمْتَنِي الْخَطُوبُ ، أَيْ ابْتَلَيْتُ بِهَا . وَفِيَا حُسْبَى عَنْ الْحِجَاجِ ^(١) : « إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَرَ كِنَانَتَهُ فَعَجَمَ عِيدَانَهَا عُدَا عُدَا » . وَإِنَّمَا اسْتُعْمِلَ فِي مَعَانَاةِ الشَّدَائِدِ وَمَزَاوِلِهَا كَمَا اسْتُعْمِلَ الْمُحَاكَاةُ وَالْإِحْتِكَاكُ فِيهَا . فَيَقُولُ : إِنِّي مُجَرَّبٌ مُدْرَبٌ ، زَاوَلْتُ النَّوَائِبَ ، وَعَارَكْتُ الْأَهْوَالَ وَالْعَجَائِبَ ، فَلَزِمْتُهَا وَلَزِمْتَنِي ، وَأَزَمْتُ بِهَا وَأَزَمْتُ بِي ، وَصِرْتُ لَطُولَ تَجَارِبِي وَامْتِدَادِ أَيَّامِ مُحَاكَاةٍ نِقَابًا مُحَدَّثًا ^(٢) ، أَبْلَغُ بَطْنِي مَا يَبْلُغُ غَيْرِي بِمُشَاهِدَتِهِ . هَذَا عَلَى قُرْبِ مِيلَادِي ، وَحَدَاثَةِ سِنِّي ، حَتَّى كَأَنِّي كُنْتُ فِي الْأُمِّ الْمَاضِينَ ، وَأَحَدَ الرِّجَالِ الْمَعْمَرِينَ ، فَأَدْرِكُ الشَّيْءَ قَبْلَ حَصُولِهِ ، وَأَنْصُورُهُ وَلَمْ يَجِئْ بِصُورَةٍ مَا فُرِغَ مِنْهُ وَقُضِيَ ، فَظَنَّنِي عِيَانٌ ، وَيَوْمِي دَهْرٌ .

٣ - فَلَسْنَا مِنْ بَنِي جَدَاءَ بِكُرٍ وَإِكْنَا بَنُو جِدِّ النُّقَالِ الْجَدَاءُ : الْمَقْطُوعَةُ النَّدَى . وَالْبِكْرُ : الْبَاقِيَةُ عَلَى حَالِهَا الْأُولَى . وَيُقَالُ

(١) انظر البيان (٢ : ٣٠٩) والكامل ٢١٥ والمقد (٤ : ١١٩) والطبري (٧ : ٢٩٠) وصبح الأعشى (١ : ٢١٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٣) وابن الأثير (٤ : ١٥٦) .

(٢) النقاب ، بالكسر : العلامة الفطن المبحث . والمحدث ، بفتح الدال المشددة : الملهم الصادق الظن .

رَحِمَ جَدَّاهُ ، إِذَا كَانَتْ غَيْرَ مُوصُولَةٍ . وَالشَّاعِرُ جَعَلَ الْجَدَّاءَ الْبِكْرَ كِنَايَةً
عَنِ الضَّعِيفَةِ الشَّرِّ ، الْقَلِيلَةِ الْأَهْلِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي جَعْلِ النَّتَاجِ لَهَا ، وَالْوِلَادِ
وَالرِّضَاعِ وَالْفِطَامِ إِذَا فَطَمُوا حَالَهَا^(١) . فَيَقُولُ : لَسْنَا أَبْنَاءَ الْحَرْبِ الْقَلِيلَةِ الدَّرِّ ،
الْيَسِيرَةِ الْأَذَى وَالشَّرِّ ، الَّتِي لَمْ يَتَكَثَّرْ مَوْقِدُوهَا ، وَلَمْ يَنْشَمِرْ لَهَا خُطَابُهَا وَمَوْلَدُوهَا
وَلَكِنَّا بَنُو الْمُنَاقَلَاتِ الشَّدِيدَةِ الْهِجَاجِ ، وَالْوَقَعَاتِ الصَّعْبَةِ الْمَرَّاسِ ، الَّتِي كَثُرَ
ذَرْوُهَا ، وَتَكَثَّرَ الْقِتَالُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ مِنْ أَهْلِهَا . وَقَوْلُهُ « بَنُو جِدِّ النَّقَالِ »
يُرِيدُ : بَنُو النَّقَالِ الْمُبْلَغِ الْمُنْتَهَى ، الَّذِي لَا مُسَاهَلَةَ فِيهِ وَلَا مِيَاسَرَةَ . وَيجوز أن
يكون المعنى : لَسْنَا أَصْحَابَ حَرْبٍ بَكْرٍ ، وَلَكِنَّا بَنُو حَرْبٍ عَوَانٍ . كَأَنَّهُ جَعَلَ
النَّقَالَ فِي الْوِلَادِ .

وقد اضطرب بعضُ المفسرين في هذا البيت ، فَأَنَّى بِمَا يَحْجُبُهُ السَّمْعُ ،
وَلَا يَبْعِيهِ الْقَلْبُ ، فَقَالَ : المعنى لَسْنَا بِمُعَمِّمْ لَمْ يَكْثُرْ أَوْلَادُنَا ، بَلْ فِينَا السَّكْرَةُ
وَالْعِزُّ . وَقَوْلُهُ « بَنُو جِدِّ النَّقَالِ » يَعْنِي بِهِ الْمُنَاقَلَةَ فِي الْكَلَامِ ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ
خُطْبَاءُ . قَالَ : فَالْمِصْرَاعُ الثَّانِي لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ فِي شَيْءٍ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
فَكَانَ أَبَا تَمَّامٍ ذَكَرَ الْبَيْتَ عَلَى رِدَائِهِ لِيَتَجَنَّبَ قَوْلَ مِثْلِهِ ، وَلِيَنْبِذَهُ عَلَى
الْمُتَرَدِّلِ مِنْهُ ، كَمَا نَبَّهَ عَلَى الْخِيَارِ الْمُسْتَحْسَنِ بغيره .

وهذا القائلُ لَمْ يَرْضَ بِذَهَابِهِ عَنِ الصَّوَابِ ، حَتَّى ظَنَّ بِأَبِي تَمَّامٍ مَا لَمْ
يَخْطُرُ لَهُ بِيَالٍ .

٤ - تَفَرَّيْ يَنْفُضْهَا عَنَّا فَكُنَّا بَنِي الْأَجْلَادِ مِنْهَا وَالرِّمَالِ^(٢)

تَبَجَّحَ فِيهَا مَضَى بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الظَّفَرِ بِالْأَعْدَاءِ ، وَتَوَحَّدَهُ بِهِ مِنَ الْفُطْنَةِ
وَالذِّكَاةِ ، وَالنَّكَارَةِ وَالذَّهَاءِ ، وَبَحَسَنَ الصَّبْرَ عَلَى مَدَارَسَةِ الْعَوَصَاءِ ، وَمَدَاوَسَةِ

(١) فِي جَمِيعِ النُّسخِ : « فَطَمُوا حَالَهَا » . (٢) م : « بَنِي الْأَجْبَالِ » .

الْعَمَاءُ ، وبمجانبة الهَيِّن من الحروب ، واقتحام أصعب الخطوب . وأقبل الآن
يفتخر بالكثرة ، إذ كان العزّ فيها ، فقال : « تفرّى بيضُها عنا » . والضمير في
بيضها الأرض ، كما يقال : من الأرض خُلِقْنَا وإليها عَوْدُنَا . وفي القرآن : ﴿ أَمْ
نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا . أَحْيَاءُ وَأَمْوَاتًا ﴾ . وساغ ذلك وإن لم ينجر لها ذِكْرُ لَمَّا
لم يكتسب ، لدلالة الكلام عليه . والمعنى : تشقّ ببيض الأرض عنا ، فنحن
بنو حُزُونٍ وسهولها . وإنما يعنى كثرتهم واتساع ديارهم ، إذ كان الأرض
لا تنقسم إلّا إليها . والأجلاد : جمع الجلد ، وهو الصُّلب من الأرض ، وذِكر
البييض مثْلٌ ، وقد تقدّم القولُ في بيضة البلد .

٥ - لَنَا الْحِصْنَانِ مِنْ أَجَاءٍ وَسَلْمَى وَشَرْقِيَاهُمَا غَيْرَ انْتِحَالٍ

٦ - وَتَيْمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادٍ جَمَيْنَاهُمَا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي

هذا كالبيان لما تقدّم ، والكشف عما أجمل ، لأنه أتبع ما وصف من
أخلاقهم وعزّهم ، بتحسّن بلادهم وتمنّع جبالهم ، فقال : لنا جبلا طيِّبٌ أَجَاءٌ
وسلمى ، ونواحي الشرقِ منهما ، دغوى صحيحة لا يصفقها انتحالٌ ، ولا يؤهّنها
كذابٌ . ويقال انتحلتُ الشيء ، إذا ادّعيته ولم يكن من شأنك . على هذا
قال الأعشى :

فكيف أنا وانتحالي القوا في بعدَ الشيبِ كفى ذاك عارا^(١)

ونُحِلَ الشاعرُ قصيدةً ، إذا رُويت عنه ولم تكن من قبله . وانتصب
« غير » على أنه مصدر أكد به ما قبله ، وعلى قولهم : هذا زيد حقًا ، وغير
شكّ . وقوله « وتيماء » أراد ولنا تيماء التي هذا صفتها وحظّها من عنايتنا بها .

(١) ديوان الأعشى ٤١ واللسان المقييس (نحل) . والقواف ، هي القواف ، مثل
ما جاء في قول الله : (وجفان كالجواب) ، أي كالجواب . وفي الديوان : « فإنا أم
ما انتحال القواف » .

وهي بلدة بناحية يثرب . وقوله « من عهد عاد » جعل من بدل مُنْذُ ، لأن مُنْذُ في الأزمنة بمنزلة من في الأمكنة ، فهو في موضع الظرف ، والعامل فيه حميناها . وقد ذكر امرؤ القيس [تيماء ^(١)] فقال :

وَتَيْمَاءُ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِدْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أُجْمًا إِلَّا مَشِيدًا بِمَجْدَلٍ ^(٢)

٢٢٤

وقال سالم بن وابصة ^(٣) :

١ - عليك بالقصد فيما أنت فاعله إِنْ التَّخَلَّقَ بِأَنى دُونَهُ اُخْلُقْ
قوله « عليك » مما أغرى به وحُضِّضَ ، وصار بذلك من أسماء الأفعال .
ويقال عليك كذا وعليك بكذا . والمعنى الزمه وخذ نفسك به . والقصد :
واسطة الأمور ، فما تعداه سرف وما انحط عنه قصور . ولذلك قيل لمن ليس
بجسيم ولا ضئيل ، وليس بقصير ولا طويل : هو قَصْدٌ ومَقْتَصِدٌ . ومعنى البيت :
عليك باستقامة الطريقة وملازمة الأعدل في القضية مما تُلَاحِظُهُ وتَفْعَلُهُ ، وأترك
تكلف ما ليس من شيمتك وسجيتك ، فإنك إن تجشمت صابراً على البلوى
فيه نَزَعْتَ نفسك قريباً عنه ، وعُدْتَ إلى مذهبيك الأول فلحقك الذم له .

٢ - وَمَوْفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قَتَبَهُ أَجْحَى الذَّمَّارِ وَتَرْمِينِي بِهِ الْحَدَقُ
يقال للمكان النابي بصاحبه ولا يمكنه الاستقرار به تشبيهاً : هو مثل حدِّ

(١) التكلة من م والتهمورية .

(٢) الأجم ، بالجيم : الحصن . والرواية المشهورة : « ولا أطعم كالأجم وزناً ومعنى .

(٣) سالم بن وابصة بن معبد الأسدي : شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن مروان ،

وهو تابعي كان غلاماً شاباً في خلافة عثمان ، وأبوه وابصة صحابي جليل ، وفد على الرسول

سنة تسع . الإصابة ٣٠٤٤ ، ٩٠٨٦ ، والمؤتلف ١٩٧ وشرح شواهد المغني للسيوطي ١٤٣ .

ونسبة الشعر إلى سالم هي كذلك في المؤلف وفوائد أبي زيد ١٩١ والبيان (١ : ٢٣٣) .

ونسب في الحيوان (٣ : ١٢٧) والمقد (٢ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٧٧) والشعراء

٥٥٧ إلى العرجي . ونسب في حماسة البحترى ٣٥٨ إلى ذى الإصبع . وبدون نسبة في مجالس

تطلب ٣٠٠ .

السيف ، وكقرن الأعقر ، وحذ السنان . وذمار الرجل : ما يجب عليه حفظه . ورجل ذمر^(١) ، وذمير ، إذا كان منكراً داهية . ويقال ذمرت الرجل إذا حَضَصَتْه ، وتذمرت القوم في كذا إذا تحاضوا . والمعنى : رُبَّ مكان ضيق دقيق ، لا تشبُّت عليه الأقدام ، أناقتُ به حامياً لما يحقُّ على حمايته ، والعيون ترمقني والنفوس تتطلع إلى ما يكون مني ، وتنسّم أخباري فيه وبلائي . وقوله « وترميني به الحدق » جمل الفعل على التوشع للحدق ، وإنما هو للناظرين بها . ألا ترى أنه يقال رماني القوم بأبصارهم . وموضع « أنحي الذمار » موضع الحال .

٣ - فما زلتُ ولا أبليتُ فاحشة إذا الرجال على أمثالها زلقوا^(٢) يقول : استقممتُ في فعلی ، وثبتتُ في موقفي ، ولم أتعثر فيما صرّفتُ القول فيه ، ولم أترأق عندما حاضرتُ به ودافعتُ عنه ، ولم أقدم على ما يُعدُّ سقطة متى أو يشينني ، إذا تحدثتُ به عني في وقتٍ تكثر زلاتُ الرجال في مطالعة أمثاله من المواقف ، وتبطل دعاويهم المتقدمة لما يظهر من مجزّم ، وسوء استمساكهم^(٣) . وجواب إذا فيما تقدّم . والمعنى : إذا زلق الرجال في أمثاله من المقامات ثبت أنا .

٢٤٥

وقال آخر^(٤) :

١ - إن أكُ قَصْداً في الرجال فإنني إذا حلّ أمره ساحتني لجسيم

- (١) ويقال أيضاً ذمر بفتح فكسر ، وذمر بكسر تين مع تشديد الراء .
(٢) يقال أبلأه جهده وفأله ، إذا أداه إليه . ورواية التبريزي : « ولا أبليت فاحشة » .
(٣) كذا في م والتميمورية . وفي الأصل : « ونبو استمساكهم » .
(٤) لم يرو التبريزي هذه الحماسة ذات البيت الواحد . والبيت في عيون الأغبار (٤ : ٥٤) مع نسبته إلى « أوفى بن موله » ، ولعل صوابه « أوفى بن مواله » فهو المعروف في أمثالهم .

قد تقدّم القول في حذف النون من أَلُ . ومعنى البيت إن كان في خِلَقِي
اقتصادٌ فلم أبلغ غايات الجِسام ، فإن غَنَائِي في النوائِبِ إذا نابت ، واهتدأت
لوجوه الخروج منها إذا حَزَبْتُ ، يَحْكُمَانِ لِي بِمِزَالَةِ الرَّأْيِ وَجَسَامَةِ النَّفْسِ ؛
لأنَّ الرَّجُلَ بقلبه ولسانه ، لا بجسمه وجنانه . وفي هذه الطريقة قوله :
إذا كنتُ في القومِ الطُّوالِ أَصْدَبْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلٌ^(١)
والسَّاحَةُ : فضاء بين دور الحَيِّ ، وكما قيل على التوشع نَزَلَ بِسَاحَتِهِ أَمْرٌ ،
قيل أيضاً نَزَلَتْ بِمَقْوَرَتِهِ خُطُوبٌ .

٢٤٦

وقال عامر بن الطفيل^(٢) :

١ - قَضَى اللَّهُ فِي بَعْضِ الْمَكَارِهِ لِلْفَتَى يَرْشِدُ فِي بَعْضِ الْهَوَى مَا يُحَازِرُ
٢ - أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي إِذَا الْإِلْفُ قَادَنِي إِلَى الْجَوْرِ لَا أَنْقَادُ وَالْإِلْفُ بَاجِرُ
معنى هذا يماثل قول الله تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ
لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ . وفي مثله قال غيره :
كَمْ فَرَحِيَّةٍ مَطْوِيَّةٍ لَكَ تَحْتَ أَثْنَاءِ النَّوَابِ
وَمَسَاءَةٍ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ حَيْثُ تُنْتَظَرُ لِلْمَوَاهِبِ

ويقال قَضَاءُ وَقَضَى بِهِ . وقوله « وفي بعض الهوى » أراد به : وقضى له في
بعض المحابِّ ما يحاذر ؛ فوضع الهوى موضع المحابِّ لأنَّ كُلَّ محبوبٍ يصحبُه
الهوى ، كما أن قوله « ما يحاذر » موضوعٌ موضع الفَوَايِدِ لكونه في مقابلة

(١) سيأتي البيت في حماسية في (ياب الأدب) منسوبة إلى أحد الفراريين . وأنشده
الجاحظ في البيان (٣ : ٢٤٤) بدون نسبة . والتبريزي : « وصلتهم بعارفة » : الجاحظ :
« فصلتهم » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٧ .

الرشد، إذ كان الغنى من حقه أن يُحاذر. وقوله «ألم تغلّ» تنبيه على مكانه من الرأى، وأن ظنه يقوم مقام عيان غيره. وألف الاستفهام إذا اقترن بحرف النفي يقرّر به فيما يجب ويحق، فيقول: أما عرفت من دأى وطبيعتى، أنى لا أتبع الغير، ولا أقاد لما يجانب العدل، فتى سامنى ألبى مطاوعته فيما لا أستوفقه أبيت عليه، وتركته وما يختار من الاعتساف وركوب الجور والضلال. وكان يجب أن يقول: لا أقاد وهو جائز، فوضع الظاهر موضع المضمّر.

٢٤٧

غزا مُجَمِّعُ بن هِلَالٍ

ابن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تميم الله^(١)، يريد بن سعد بن زيد مناة، فلم ينفهم ورجع من غزاته تلك، فرأى بماء لبني تميم عليه ناس من مجاشيع، فقتل فيهم وأسر، فقال في ذلك:

١- إن أمس ما شيخاً كبيراً فطال ما عمرت واسكن لا أرى العمر ينفع

قوله «ما شيخاً»، ما زائدة للتأكيد. يقول: إن صرت شيخاً طاعماً في السن، ضارعاً لفائدة الدهر، مُهدِفاً لإسهامه، مُقرّعاً بلباليه وأيامه، فحق ذلك واجب، لأن من يعيش يكبر ومن يكبر يهزم، وطول العمر لا يُجدي إذا كان مؤداه إلى الضعف، وقصاراه الموت. وقوله «طال ما عمرت» يجوز أن يكون مامع الفعل في تقدير المصدر، ويكون حينئذ حرفاً عند سيديويه، والتقدير:

(١) زاد السجستاني بعده في المعمرين ٣٢ : «بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن هلال بن بكر بن وائل». وذكر السجستاني أنه عاش مائة سنة وتسع عشرة سنة فقال هذا الشعر. وانظر الخزاعة (٤ : ٣٦٠ - ٣٦١).

فقد طال عمرى . وعلى هذا يُكْتَبُ طال مُنفصلاً من ما . ويجوز أن يكون ما كافةً للفعل عن العمل ، ونَحْرَجاً له من بابِه ، ولذلك جاز وقوع الفعل بعده ، وإن كان الفعل لا يدخل على الفعل ، وعلى ذلك يُكْتَبُ طال متصلاً بما لأنه منه ومن تمامه . ومعنى عَمِرْتُ : بَقِيْتُ وَحَيِّتُ . والعمر ، قال الخليل : هو الحياة والبقاء ، ومنه لعمرُ الله . وقولُ الشاعر^(١) :

وَعِمْرَتُ حَرَسًا قَبْلَ تَجْرِى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ
يشهد لذلك . وقوله « لا أرى العُمَرَ » أراد اتصال العمر وطولهُ ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وذكر بعضهم أن أبا تمام أخطأ في قوله :
مَا لِأَمْرِي خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمُرُهُ إِلَّا وَلِلْبَيْنِ مِنْهُ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
لأنَّ العُمَرَ اسمُ مُدَّةِ الْحَيَاةِ بِأَسْرِهَا لَا يَنْبَغُضُ ، فكما لا يُقال ما لَزِيذُ رَأْسٍ إِلَّا وَفِيهِ شَجَّةٌ ، كذلك لا يُقال ما له عُمُرٌ إِلَّا وَهُوَ قَصِيرٌ . قال : وليس قولم : مَا لَهُ عَيْشٌ إِلَّا مُنْقَصٌ ، وَلَا حَيَاةٌ إِلَّا مَكْدَّرَةٌ ، مثل قولك مَا لَهُ عُمُرٌ إِلَّا قَصِيرٌ . لو قلته ، لَأَنَّ عَيْشَ الْإِنْسَانِ لَيْسَ هُوَ مُدَّةُ حَيَاتِهِ بِأَسْرِهَا . أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : كَانَ عَيْشِي بِالْعِرَاقِ طَيِّبًا ، وَكَانَتْ حَيَاتِي^(٢) بِمَصْرَ لَذِيذَةً ، وَلَا تَقُولُ كَانَ عُمُرِي . وَالَّذِي قَالَهُ هَذَا الْمَعْتَرِضُ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ يَبْطُلُهُ مَا حَكِيَّتُهُ عَنْ الْخَلِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْعُمَرِ ، وَالْبَيْتُ الَّذِي أَنْشَدْتُهُ . أَلَا تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ « عِمْرَتُ حَرَسًا قَبْلَ تَجْرِى دَاحِسٍ » يَقْتَضِي تَبْعِيضَ عَمْرِهِ ، إِذْ كَانَ مَا بَعْدَهُ مِنْ عَمْرِهِ قَدْ أَفْرَدَهُ عَمَّا قَبْلَهُ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا جَازَ أَنْ يُقَالَ : كَانَ عُمُرِي قَبْلَ تَجْرِى دَاحِسٍ أَطْيَبَ مِنْ عُمُرِي بَعْدَهُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ﴾ أَي بَعْضُ عُمُرِي ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ .

(١) هو لبيد ، كما في المعمرين ٦٣ .

(٢) هذا ما في م والتيمورية . وفي الأصل : « وَكَانَ عَيْشِي » .

٢- مَضَتْ مِائَةٌ مِنْ مَوْلِدِي فَنَضَوْتُهَا وَخَمْسٌ تَبَاعُ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَرْبَعٌ^(١)
 هذا تفصيل لما أجمله من كبرته . يقول : أنت على مائة سنة من ميلادي
 فألفيتها^(٢) ورأى ، كأنني لبستها ثم خلقتها واستتبعْتُ بعدها تسعاً توالَتْ ، فلي
 عُذْرِي فِي ضَعْفٍ يَظْهَرُ ، أَوْ كَسَلٍ يَلْحَقُ ، إِذْ كُنْتُ غَابِرَ لِدَاتِ فَنَوَا ، وَمَتَمَرَّقَ
 أَعْوَامٍ بَادَ أَهْلُهَا فَنَسُوا . قَوْلُهُ « فَنَضَوْتُهَا » يُرْوَى « فَنَضَوْتُهَا » . وَيُقَالُ نَضَا
 قُوْبَهُ يَنْضُو وَيَنْضِي إِذَا نَزَعَهُ ، لَفْتَان . عَلَى هَذَا قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :
 * فَنُتُّ وَقَدْ نَضَتْ لَلْيَوْمِ ثِيَابَهَا^(٣) *

ويقال نَضَى سَيْفَهُ وَانْتَضَى بِمَعْنَى . وَقَوْلُهُ « بَعْدَ ذَلِكَ » إِنْ قِيلَ لَمْ يَلَمْ يَقُلْ
 بَعْدَ تِلْكَ ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى قَوْلِهِ مِائَةٌ ؟ قُلْتُ : لَمْ يُرَاعَ تَأْنِيثُ الْمَذْكُورِ وَتَذَكُّرُهُ ،
 بَلْ أَرَادَ مَا ذَكَرْتُ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ :

وَمِئَةٌ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًّا وَسَلَافَةً وَأَحْسَنُهُ قَدَّالًا

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ وَأَحْسَنُهُمَا . وَقَوْلُهُ « وَخَمْسٌ تَبَاعُ » يَقَالُ تَبِعَ
 تَبَاعًا ، فَهُوَ مُصَدَّرٌ وَصِفَ بِهِ . وَيُقَالُ أَيْضًا رَمِيَتْهُ بِسَهْمَيْنِ تَبَاعًا ، أَيْ زِلَاءً ،
 وَتَابَعَ بَيْنَهُمَا فَلَانَ تَبَاعًا .

٣- وَخَيْلٍ كَأَمْزَابِ الْقَطَا قَدْ وَزَعَتْهَا لَهَا سَبَلٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ^(٤)
 تَذَكَّرَ بِمَا كَانَ مِنْهُ عِدَّةُ تَعَالَى سِنِّهِ وَتَنَاهَى عُمرِهِ ، مَا كَانَ مِنْهُ فِي رِبْعَانِ
 شَبَابِهِ ، وَعِنْدَ اسْتِكْمَالِ قُوَّتِهِ وَتَرَامِي الْأَحْدَاثِ بِهِ ، فَيَقُولُ : رَبِّ خَيْلٍ تَمْتَدُّ

(١) رواية الممعرين : « وعشر وخمس بعد ذلك » . وهذا يوافق ما زعموا أنه عاش
 ١١٩ سنة .

(٢) فألفيتها ، بالعين المعجمة ، كذا وردت في جميع النسخ . وفي الخزائنات حيث نقل عن
 المرزوق « فألفيتها » بالفاء . ولعلها « فألفيتها » .

(٣) عجزه : * لدى السمر إلا لبسة المتفضل .

(٤) السجستاني : « فيارب خيل كالقطا »

وتتوالى مبادرة إلى الملتقى، وتسترسل استرسال فرق القطا عند اندفاعها للورود،
أنا بعثتها وهيجتها، ولها عارض يطر بالموت ويلع. والسبل: المطر. ورواه
بعضهم: «لها أسل» وهي الرماح. وقوله «قد وزعتها» يجوز أن يكون معناه
كففتها عن التمتع، ويجوز أن يكون قسمتها للتعيشة أو الفسادة، لأنه يقال
وزعت الشيء ووزعته جميعاً؛ وعنده أوزاع من الناس، أى فرق، وعلى
الوجهين فتدبيرها كان إليه. وقوله «قد وزعتها» من صفة الخيل، لأن جواب
رُبّ فيما بعده، ولها سبل في موضع الحال. وقوله «فيه المنيّة» من صفة السبل،
ويلع في موضع الحال للمنيّة، والعامل ما يدل عليه الظرف.

٤ - شهدت وغنم قد حوّيت ولذة أتيت وماذا العيش إلا التمتع^(١)

قوله «شهدت» جواب رب، فيقول: ربّ خيل على هذه الصفة حضرتها
مُدبراً لها، وربّ غنمة تغنمتها وتوليت قسمتها، وربّ لذة أتيتها ونلت مآلى
منها. ثم أقبل كالتلفت إلى غيره، فقال: وما العيش إلا التمتع بهذه الأشياء.
ارتفع «العيش» على أنه عطف البيان لذا، لأنه جعل العيش كالحاضر، فأشار
به إليه وإن كان القصد إلى الجنس. والتمتع: الانتفاع بالشيء زماناً طويلاً. ومنه
متع النهار: ارتفع، واستمتعت وامتتعت وتمتعت بمعنى.

٥ - وعائرة يوم الهيبة رأيتها وقد ضمتها من داخل الخلب نجزع^(٢)

يقول: ورب امرأة في هذا اليوم لتسكن الخوف منها، وتملك الجزع
قلبا، رأيتها تغرّ لوجها ولا تستقيم في مشيها، مخافة السباء لها، وقد ضمتها
نجزع، أى استولى عليها الحزن والقلق، حتى صار يضئها إليه ولا يدعها غيره.

(١) السجستاني: «أصبت وماذا العيش إلا تمتع».

(٢) ياقوت: «المهيما: اسم موضع كانت فيه وقعة لبنى تيم الله بن ثعلبة بن عكابة».

هل بنى مجاشع. وأنشد هذا البيت والبيتين ٧، ٨.

وقوله « من داخلِ الخَلْبِ » بَيَّنَّ به منشأ الجزع ومقره ، والخَلْبُ : حجاب القلب ، ومنه قولهم : خَلَبَتِ المرأةُ فلاناً ، أى أصابت خَلْبَهُ بلطفها وخَدَعَتْهُ ، خَلَبًا . ثم يقال : هو خَلْبُ نساء ، كما يقال هو زِيرُ نساء . وهذا على طريقتهم في النَّقْضِ والنَّقْضِ وما أشبهه .

٦ - لها غَلَلٌ في الصَّدْرِ لَيْسَ بِيَارِحٍ شَجَى نَشَبٌ والعَيْنُ بالماء تَدْمَعُ يجوز أن يكون قوله « لها غَلَلٌ » في موضع الجرِّ على أن يكون صفةً لعائِرةً ، ويجوز أن يكون في موضع المفعول الثاني لقوله رأيتها : وأصل الغَلَلِ هو الماء يَجْرِي بين الشجر ، فاستعاره لما تداخلها من الشَّجَى . وقال الخليل : الغَلَلُ : تغلُّلُ الماء بين الشجر . والغَلْلَةُ : سُرْعَةُ السير ؛ ومنه رسالة مُغْلَلَةٌ أى محمولة من بلد إلى بلد . ورواه بعضهم ^(١) « لها غُلَلٌ » بضم الغين ، جمع غُلَّةٍ . ولو كان كذا افعال ليست بيارحة ^(٢) . ومعنى « ليس بيارح » أى ليس بزائل ، وموضع قوله « شَجَى نَشَبٌ » رفعٌ على البدل من غَلَلٍ . ويريدُ فلانٌ أَنَّهُ عَلِقَ به كما ينشَبُ الصَّيْدُ في الحَبَالَةِ . وفي الكلام المروى : نَشَبَ فلانٌ مَنْشَبَ سَوْءٍ ، أى وَقَعَ فيما لا يتخلص منه . وقوله « والعين بالماء تَدْمَعُ » في موضع الحال ، ولا بدَّ من الواو فيه لِيَتِمَّاقَ بذي الحال . والعامل فيه قوله شَجَى نَشَبٌ . ولو كان في الجُمْلَةِ ضمير لَكُنْتَ في دخول الواو وسقوطه بالخيار ، إذ كان الضمير يُعَلِّقُ من الحال ما يُمَلِّقُه الواو .

٧ - تقول وقد أفرَدْتُهما من حَلِيلِهما تَمَسَّتْ كما أَتَمَسَّتَنِي يا مُجْمَعُ قوله « تقول » جواب رُبِّ . والمرادُ : رُبِّ عائِرة هذه صَفَتْها في يوم الهَيْبِما

(١) هو أبو هلال كما نص التبريزي .

(٢) التبريزي بعد أن ساق هذه الرواية « ليس بيارح ، أى بارحة ، فذكر لأن المؤنث

غير حقيقى » .

قالت لي بعد أن سببتُها وفرقتُ بينها وبين زوجها بالقتل سَقَعْتَ لَوْجَكَ ،
ولا انتَعَشْتَ من عَثْرِكَ يَا مُجَمِّع ، ولحقَكَ الانكسار والنَّكْسُ كما ألحقَهُمَا بي .
وسمى الزوجُ حليلاً والمرأة حليلاً لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يحملُ مع صاحبه .

٨- فَقُلْتُ لَهَا بَلْ تَعْسَ أُخْتِ مُجَاشِعٍ وَقَوْمِكَ حَتَّى خَذَكَ الْيَوْمَ أَضْرَعُ

يقول : أَجَبْتُهَا بِأَنْ قُلْتَ بَلِ التَّعْسُ لَكَ وَقَوْمِكَ حِينَ ضَيَعُواكَ ، وَقَعَلُوا
مَا أَدَى وَبَالُهُ إِلَى أَنْ صَارَ خَذَكَ الْيَوْمَ ضَارِعًا ، وَجَذَكَ سَافِلًا . وَقَوْلُهُ « بَلِ تَعْسَ
أُخْتِ مُجَاشِعٍ » تَذَارَكَ بَيْلَ دَعَاءِهَا عَلَيْهِ فَتَقَلَّهَ إِلَيْهَا ، لِأَنَّ بَيْلَ الْإِضْرَابِ عَنْ
الْأَوَّلِ وَالْإِثْبَاتِ لِلثَّانِي . وَأَجْرَى تَعْسًا فِي الْإِضَافَةِ تَجْرَى وَبِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ
الْمَصَادِرَ الَّتِي قَدْ اشْتَقَّ الْأَفْعَالُ مِنْهَا إِذَا دُعِيَ بِهَا تَسْتَعْمَلُ بِاللَّامِ لَا غَيْرَ ، تَقُولُ :
تَبُّ لَزِيدٍ وَخُسْرُ لَعَمْرٍو . وَمَا لَمْ يَشْتَقَّ الْفِعْلُ مِنْهُ وَهُوَ وَيْلٌ وَوَيْحٌ وَوَيْسٌ إِذَا
كَانَ مَعَهَا اللَّامُ رُفِعَتْ وَصَارَتْ بِاللَّامِ جُمْلًا ، وَإِذَا أَفْرَدَتْ عَنِ اللَّامِ أَضِيفَتْ
وَنُصِبَتْ . تَقُولُ وَيْلٌ لَزِيدٍ وَوَيْحٌ لَعَمْرٍو فَتَرْفَعُ ، وَوَيْلٌ لَزِيدٍ وَوَيْحٌ لَعَمْرٍو فَتَنْصِبُ .
وَهَذَا الشَّاعِرُ قَالَ : « بَلِ تَعْسَ أُخْتِ مُجَاشِعٍ » فَأَجْرَاهُ تَجْرَى وَيْلُ الْفِعْلِ
يُشْتَقُّ مِنْهُ . وَجَاشِعٌ : قَبِيلَةٌ . فَقِيلَ أُخْتِ مُجَاشِعٍ كَمَا يُقَالُ يَا أَخَا بَكْرٍ وَيَا أَخَا
تَمِيمٍ ، وَ« أَضْرَعُ » بِمَعْنَى ضَارِعٍ . وَيُقَالُ خَذَهُ ضَارِعٌ ، وَجَنَّبَهُ ضَارِعٌ .
وَالضَّرَاعَةُ : الْاسْتِغْفَالُ فِي خُضُوعٍ . قَالَ الْهَذَلِيُّ ^(١) :

* لِسَانِيكَ الضَّرَاعَةُ وَالْكُلُولُ ^(٢) *

٩- عَيَاتُ لَهُ رُمَحًا طَوِيلًا وَأَلَّةٌ كَانَ قَبَسٌ يُفَلِّي بِهَا حِينَ تُشْرَعُ

أَخْذُ يَبِينُ كَيْفَ تَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِ زَوْجِهَا ، وَمَاذَا أَعَدَّ مِنَ السِّلَاحِ لَهُ . وَيُقَالُ :

(١) هُوَ سَاعِدَةُ بَنِ جَوْيَةَ . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (١ : ٢١١) .

(٢) صَدْرُهُ : * أَلَا قَالَتْ أَمَامَةً إِذْ رَأْنِي *

عَبَاتُ الْخَلِيلِ وَعَبَاتُهَا، إِذَا هَيَّأَتْهَا لِلْحَرْبِ، وَعَبَّيْتُهَا أَيْضًا. وَعَبَاتُ الطَّيِّبِ
وَالْمَتَاعِ لَا غَيْرَ. وَالْمُرَادُ: هَيَّأَتْ لَهُ رُمُحًا طَوِيلًا، وَسِنَانًا لَمَاعًا بَرَّاقًا، كَأَنَّمَا
يُغَلَى بِهِ نَارٌ إِذَا أُشْرِعَ لِلطَّعْنِ. وَالْأَلَّةُ: تُسْتَعْمَلُ فِي الْحَرِيَةِ وَتَشْتَهَرُ بِهَا. وَأَصْلُ
الْأَلِيلِ الْبَرِيقِ. وَالْمُرَادُ بِهَا هَاهُنَا السِّنَانُ كَمَا ذَكَرْتُ. وَقَوْلُهُ «كَأَنَّ قَبَسَ»
يَحُوزُ فِيهِ الرِّفْعُ وَالْفَصْبُ وَالْجَرُّ، فَإِذَا رَفَعْتَ فَقَلَى الضَّمِيرُ، يَرِيدُ كَأَنَّمَا قَبَسَ
يُغَلَى بِهَا حِينَ أُشْرِعَتْ. وَالْقَبَسُ: النَّارُ. وَمَنْ نَصَبَ فَلَانَهُ أَعْمَلَ كَأَنَّهُ مُخَفَّفَةٌ
عَمَلُهَا مُثْقَلَةٌ. يَرِيدُ: كَأَنَّ قَبَسًا يُغَلَى بِهَا، وَيَكُونُ الْخَبَرُ يُغَلَى بِهَا. وَمَنْ
جَرَّ فَقَالَ كَأَنَّ قَبَسٍ، جَمَلَ أَنْ زَائِدَةً وَأَعْمَلَ الْكَافَ كَمَا زِيدَ فِي قَوْلِهِ: لَمَّا أَنْ
جَاءَ زَيْدٌ أُعْطِيَتْهُ، وَفِي قَوْلِهِ: وَاللَّهِ أَنْ لَوْ جِئْتَنِي لِأَكْرَمْتُكَ، يَرِيدُ وَاللَّهِ
لَوْ جِئْتَنِي.

١٠- وَكَأَنَّ تَرَكْتُ مِنْ كَرِيمَةٍ مَفْشَرٍ عَلَيْهَا الْخُمُوشُ ذَاتِ حُزْنٍ تَفْجَعُ

نَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ مَا حَكَاهُ مِنْ حَدِيثِ الْعَائِزَةِ يَوْمَ الْهَيْمَاءِ،
وَاقْتَصَصَهُ مِنْ شَأْنِ بَغْلِيهَا، لَمْ يَكُنْ بِدَعَا مَعَهُ وَلَا عَجَبًا، بَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُ مَعَ أَمْثَالِهَا
قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا. وَقَوْلُهُ «وَكَأَنَّ» لَفَةٌ فِي كَائِنٍ، وَهِيَ جَمِيعًا بِمَعْنَى كَمْ، وَهُوَ
لِلتَّكْثِيرِ. فَيَقُولُ: وَكَمْ امْرَأَةٍ كَانَتْ كَرِيمَةً عَشِيرَتِهَا تَرَكْتَهَا وَهِيَ تَخْمِشُ
وَجْهَهَا، وَتَتَفَجَّعُ جَزَعًا عَلَى قِيَمِهَا مِنْ بَغْلٍ أَوْ أَخٍ أَوْ ابْنٍ. وَالْمَعْنَى: كَانَ ذَلِكَ
مَنْ كَثِيرًا. وَقَوْلُهُ «عَلَيْهَا الْخُمُوشُ» الْخُمُوشُ فِي الْوَجْهِ وَفِي سَائِرِ الْبَدَنِ مِثْلُ
الْخَدَشِ. وَمَعْنَى عَلَيْهَا رَكِبَهَا وَعَلَاهَا^(١) كَمَا يَقَالُ عَلَى فُلَانٍ دَيْنٌ أَيْ
رَكِبَهُ وَعَلَاهُ.

(١) هَذَا مَا فِي مِ وَالتَّبْصِيرِ. وَفِي الْأَصْلِ: «وَمَعْنَى عَلَيْهَا وَمَعْنَى عَلَاهَا». وَالْكَلَامُ مِنْ مَبْدَأٍ
«كَمْ»، وَهُوَ لِلتَّكْثِيرِ «إِلَى» فِي ضَدِّهِ مِنْ شَرْحِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنَ الْهَاسِيَةِ التَّالِيَةِ سَاقِطٌ مِنْ مِ.

٢٤٨

وقال الأخنس بن شهاب^(١) :

١ - فَمَنْ يَكُ أُمْسَى فِي بِلَادٍ مُقَامُهُ يُسَائِلُ أَطْلَالَهَا لَا تُجَابُ^(٢)
يُرَوِّى « فِي بِلَادٍ مُقَامُهُ » وَالْمُرَادُ : مَنْ أُمْسَى مُقَامُهُ فِي بِلَادٍ مُسَائِلًا أَطْلَالَ
لَتلك البلاد . فَمُقَامُهُ اسْمُ أُمْسَى ، وَخَبْرُهُ فِي بِلَادٍ . وَيُرَوِّى « بِلَادٍ مُقَامُهُ »
عَلَى الْإِضَافَةِ ، وَيَكُونُ اسْمُ أُمْسَى ضَمِيرَ « مَنْ » الْمُسْتَكِنُ فِيهِ . وَالْمُقَامَةُ : الْإِقَامَةُ ،
وَالْمُرَادُ : مَنْ أُمْسَى فِي بِلَادٍ إِقَامَةً ، أَيْ بِلَادٍ مُسْتَصْلِحَةٍ لِلْإِقَامَةِ مُسْتَوْتَنَةٍ .
و « يُسَائِلُ » عَلَى الرَّوَايَتَيْنِ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَكَأَيُّقَالُ هُوَ بَلَدٌ مُقَامُهُ ، يُقَالُ
فِي ضِدِّهِ هُوَ بَلَدٌ قُلْعَةٍ . وَالْبِلَادُ : جَمْعُ بَلَدٍ ، وَهُوَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ اخْتِطَتْ
فِيهَا أَوْ لَمْ يَخْتِطْ . يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُ الرَّاجِزِ :

* قَدْ تَرَكَ الْبَرْئِيُّ فَاهُ بَلَدًا *

أَي لَا أَسْنَانَ فِيهِ . وَقَوْلُ الْآخِرِ^(٣) :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْثَمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ الْبِلَى أَبْلَادَهَا
وَمَعْنَى الْبَيْتِ : مَنْ كَانَ الْوَقُوفُ عَلَى دِيَارِ الْأَحَبَّةِ مِنْ هَمِّهِ ، فَأُمْسَى مُقَامُهُ
فِي بِلَادٍ مُسَائِلًا أَطْلَالَهَا فِيهَا لَا تُجَابُهُ ، فَأَمْسَى كُنَيْتٌ وَكُنَيْتٌ^(٤) . وَجَوَابُ
الْجُزْأِ فِيهَا بَعْدَهُ . وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي حَذْفِ النُّونِ مِنْ يَكُ .

(١) هُوَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَهَابٍ بْنِ شَرِيقٍ بْنِ ثُمَامَةَ بْنِ أَرْقَمَ بْنِ غَنَمٍ بْنِ حِزَابَةَ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ نَعْمِرَ بْنِ أَسَامَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ وَاثِلَ . وَهُوَ فَارَسٌ « الْعَصَا » ، وَالْعَصَا
غُرْسُهُ . وَانْظُرِ الْاِشْتِقَاقَ ٢٠٣ وَالْأَمَالَ (٣ : ١٨٥) ، وَهُوَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ قَبْلَ الْإِسْلَامِ
بَدْرُهُ . شَرَحَ الْأَنْبَارِيُّ لِلْمُفَضَّلِيَّاتِ ٤١٠ وَالْخَزَانَةَ (٣ : ١٦٩) . وَقَصِيدَةُ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ
يُرَقَمُ ٤١ فِي الْمُفَضَّلِيَّاتِ .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ لَمْ يَرَوْهُ الْمُفَضَّلُ . (٣) هُوَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ . اللَّسَانُ (بَلَدٌ) .

(٤) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى أَوَّلِ شَرْحِ الْبَيْتَيْنِ الْآخِرَيْنِ مِنَ الْحَاسِيَةِ ٢٤٩ سَاقِطٌ مِنْ م . وَمِنْ

هَنَّا تَبْدَأُ الْمَعَارِضَةَ عَلَى نَسْخَةِ (لَالِ لَ) الَّتِي أَشْرَفْنَا عَلَيْهَا بِالرَّمْزِ (ل) .

٢ - فَلَا بِنَّةَ حِطَّانَ بْنِ قَيْسٍ مَنَازِلَ كَمَا تَمَقَّى الْعُنْوَانَ فِي الرَّقِّ كَاتِبٌ^(١)

الغناء مع ما بعده إلى صدر البيت الذي يليه جواب الجزاء ، كأنه قال :
فلهذه المرأة منازل أنا وقفتُ بها ، وقضيتُ حقَّ الهوى فيها . والمعنى : مَنْ كان
الوقوف على الدِّيار من دينه في الهوى ومذهبه ، حتَّى صار يُسأل ما لا يُجيب ،
فلي في الوقوف على ديار ابنة حِطَّانَ ما يزيدُ على كل مذهب ، وبقِيَ على كل
عادة . وقوله « كَمَا تَمَقَّى الْعُنْوَانَ » من صفة المنازل ، ويروى « العُنْيَان »
و « العُلْوَان » . فأما العُلْوَان فهو فُعُول من عَلَنَ الأمرُ ، أى ظهر . وأما
عُنْوَانٌ فهو فُعُولٌ أيضاً من عَنَّ له كذا ، أى عَرَضَ . وأما عُنْيَانٌ فهو فُعْلَانٌ
من عَنَاهُ كذا يَعْنِيهِ . وفي هذا القدر من الكلام في هذا الموضع كفاية إذ
كُنَّا قد بَسَطْنَا القول في شرح كتاب الفصيح . وكان الواجب أن يقول كعُنْوَانٍ
نَمَقَّه كَاتِبٌ ، وتشبيه آثار الديار بالكتابة مألوفٌ في طرائقهم ، لكنّه طَوَّلَ
الكلام تحقيقاً للتشبيه ، فصار ظاهره كأنه شبه الآثار بتتبع الكاتب خطّه
إذا عُنْوَنَ كاتباً . ومثله قول الهذلي^(٢) :

هَبْطَنَ بَطْنٌ رُهَاطٍ وَاعْتَصَبَنَ كَمَا يَسْقَى الْجُدُوعَ خِلَالَ الدُّورِ نَضَاحُ
أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَرَادَ تَشْبِيهِ الْإِبِلِ وَقَدْ دَخَلَتْ فِي السَّرَابِ بِجُدُوعٍ نَخْلٍ
مُسْقِيَةٍ فِي أَصُولِهَا الْمَاءَ ، لِحَاجَةِ ظَاهِرِهِ كَأَنَّهُ شَبَّهَ الْإِبِلَ بِسَقَى النَّضَاحِ لِلجُدُوعِ ؛
لأنَّ معنى كَمَا يَسْقَى كَسَقَى ، كَمَا أَنَّ مَعْنَى كَمَا تَمَقَّى كَتَمَمَقَّى .

٣ - وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَأَشْمُرُ سُخْنَةً كَمَا اعْتَادَ نَحْمُومًا بِخَيْبَرٍ صَالِبٌ^(٣)

(١) المفضليات : « لابنة حطان بن عوف » .

(٢) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٤٦) .

(٣) بعده عند التبريزي ، ولم يرو في المفضليات :

خَلِيلِي عُوْجَا مِنْ نَجَاءِ شِمْلَةٍ عَلَيْهَا فَنَى كَالسَّيْفِ أَرُوعُ شَاخِبُ

يقول : وقفتُ بهذه الأطلال مقياً بها رَسْمَ من ثَبَّتَ عَهْدُهُ في الهوى ،
ولم يغيِّره تقادُفُ الأحبة والنوى ، ومظهِراً التلهُّف والتعذُّر في إثر ما تقادَمَ
من أيام الوصال بالبكا ، وقد أبْطُنتُ جَوَى اعتادني منه حُجَى سَخِنتُ منها
بَشَرَتِي ، وُحِّتَ لها رُوحِي ومُهْجَتِي ، كما يعتاد الصالِبُ — وهي الحُبَى التي معها
صداع — عموماً بخَيْر . وإنما قال ذلك لأنَّ خير نَحْمَةٍ ، وُحَّاهَا موصوفة
بالشدَّة . ويقال في المثل : « صالبي أشدُّ من نافِضِك » . وحسبى الأصمعي أن
أعرابياً ثَقَلَتْ عليه مُؤْنُ عِيَالِهِ لكثرتهم ، فحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بأنه لو نَقَلَهُمْ إلى خَيْرٍ
لنَقَصَهُمْ وبِأَرِهِ ، وأثر فيهم بالتقليل صالِبُهُ ، وأوردَهم خَيْرٍ ، وأنشأ يقول :

ويَحْكُ حُجَى خَيْرٍ اسْتَعِدَّتِي هَالِكِ عِيَالِي فَاذْهَبِي وَجِدِّي
وبَاكِرِي بَصَالِبٍ وَوَرِدِ أَعَانِكَ اللهُ عَلَى ذَا الْجُنْدِ

فَحُثُّوا بِأَجْمَعِهِمْ وَسَلُّوا ، ثُمَّ تَلَفَ هُوَ مِنْ بَيْنِهِمْ .

وقوله « وَأَشْعَرُ سَخْنَةً » يُرَوَى بضم السين وكسرها . فالسَخْنَةُ كالحُمْرة ،
والسَخْنَةُ كالجَلْسَةِ . ومعنى أَشْعَرُ جُعِلَ شِعَارِي . والشَّعَارُ : مَا يَلْبِي الْجَسَدَ مِنَ
الثِيَاب ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ أَشْعَرُ قَابِي هَمًّا . ويقال شَعَرْتُ الْمِرْأَةَ ، أَيْ نِمْتُ
مَعَهَا فِي شِعَارِهَا .

٤ — خَلِيلَايَ هَوَجَاهُ النَّجَاءِ شِمْلَةً وَذُو شَطْبٍ لَا يَجْتَوِيهِ الْمَصَاحِبُ
مَوْضِعُ قَوْلِهِ « خَلِيلَايَ » مع خَبَرِهِ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ قَوْلِهِ « وَقَفْتُ
بِهَا » ، وَاسْتَعْنِي بِالضَّمِيرِ فِيهِ عَنْ إِدْخَالِ الْوَاوِ الْعَاطِفَةِ لِأَنَّهُ يُعْلَقُ مِنَ الْحَالِ
بِالْأَوَّلِ مَا يُعْلَقُ الْوَاوِ . ومعنى قَوْلِهِ « هَوَجَاهُ النَّجَاءِ » نَاقَةٌ فِي نَجَاتِهَا وَسرعة
سَرَّهَا هَوَجٌ وَاضْطِرَابٌ . ويقال نَجَاءٌ أَوْجٌ ، كَمَا يَقَالُ عَذْوٌ وَاللهُ (١) . وقد

(١) من شواهد قول تأبط شرأ في المفضلية الأولى :

حتى نجوت ولما ينزعوا سلبى بواله من قبص الشد غيداق

تجاوزوا هذا الحد حتى قالوا غبارُ مجنونٍ، وزِمَامٌ سَفِيهٍ . والسَّمْلَةُ : الخفيفة .
وقوله « وذو شُطَبٍ » أراد به سيفاً ذا طرائق . « لا يَحْتَوِيهِ » أى لا يَكْرِهُهُ
متحمّله لجودته . وهذا الكلام إشارة إلى أن أصحابه خَذَلُوهُ ولم يروا مساعِدته
في الوقوف على الدار .

٥— وقد عِشْتُ دَهْرًا وَالْفَوَاةُ حَبَابِي أَلَيْكَ خُلْصَانِي الَّذِينَ أَصَاحِبُ
٦— قَرِيبَةً مِّنْ أَسْنَى وَقُلْدَ حَبَلُهُ وَحَاذَرَ جَرَاهُ الصَّدِيقُ الْأَقَارِبُ^(١)

يذكر ماتعاطاه من البطالة أَيْتَامَ صِبَاهٍ، فيقول : بقيت زماناً فيما مَضَى من
عُمُرِي طويلاً مُتَبَاعِداً الأطرافِ ، والذين أَصَاحِبُهُمْ وَأَوْرَثُ مَعَاشِرَتَهُمْ أَهْلُ
الْعَوَايَةِ ، وأربابُ البطالةِ والخسارة ، لا أُوَاحِي غيرَهُمْ ، ولا أَصَالِحُ سِوَاهُمْ .
وَالصَّحَابَةُ مصدرٌ في الأصل [وَصَفَ بِهِ الْخُلْصَانُ أَيْضاً مَصْدَرٌ كَالْكَفْرَانِ
وَالشُّكْرَانِ فِي الْأَصْلِ^(٢)] ، وَلِذَلِكَ صَاحَّ أَنْ يَقَعَ لِلوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ . يَقَالُ فُلَانٌ
خَالِصَتِي وَخُلْصَانِي ، إِذَا خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ . قَالَ :

* وَعَاشَ صَافِيَةً لِلَّهِ وَخُلْصَانًا *

ويقال : هُوَلَاءُ خُلْصَانِي ، أَيْ أَخِلَاتِي . وقوله « الَّذِينَ أَصَاحِبُ » أراد
أَصَاحِبُهُمْ ، وَحَذَفَ الضَّمِيرَ اسْتِصْلَالاً لِلْإِسْمِ بِصَلَاتِهِ . وقوله « قَرِيبَةً مِّنْ أَسْنَى »
فَالْقَرِيبَةُ الْحِقَّتِ الْمَاءُ بِهِ لِأَنَّهُ جُعِلَ اسْمًا ، فَهُوَ كَالْبَنِيَّةِ وَالذَّبِيحَةِ . وَمَعْنَى أَسْنَى :
دَخَلَ فِي السَّفَاءِ . وَالسَّفَاءُ مَمْدُودٌ : السَّفَهُ ، وَالرَّجُلُ سَفِيٌّ . وَمَعْنَى « قُلْدَ حَبَلُهُ »
خُلِّيَ وَاخْتِيَارَهُ ، وَأَصْلُهُ فِي الْبَعِيرِ إِذَا أُرْسِلَ فِي الْمَرْقَى وَجُعِلَ زِمَامُهُ عَلَى عُنُقِهِ
لِيَتَصَرَّفَ كَمَا يَشَاءُ ، ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى مَنْ وَعِظَ كَثِيراً حَتَّى أَهْلِ أَمْرُهُ تَبَرُّماً بِهِ .
وَيَقَالُ أَيْضاً : أَلْتَقَى حَبْلُهُ عَلَى غَارِبِهِ ، فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَمَعْنَى « وَحَاذَرَ جَرَاهُ »

(١) هذا البيت لم يرد في المنفصلات . (٢) التكلة من ل والتيمورية .

الصدقُ الأقاربُ » ، أى تبرّوا منه خوفاً من جرّاءه التى يحميها عليهم .
وكانوا يُستون مثله الخَلِيع . وعلى هذا قولُ الشَّنفَرى فى صفة نفسه :

طَرِيدُ جِهَايَاتِ تِيَامَرْنَ لَحْمَهُ عَقِيرَتُهُ لَا يَأْ بِمَا حَنَّ أَوَّلُ

ومعنى تِيَامَرْنَ [لحمه^(١)] اَقْدَسَمَنْ «لحمه» من الميسر^(٢) . وهذا من
فصيح الكلام . والصدق يوصفُ به الواحدُ والجمع . والبيت الثانى شَرَحُ
لقوله «والغواة صحابتي» ، ويُفيدُ من نهايات الغيِّ ما لا يُستفاد من ظاهره
ومُطْلَقه .

٧- فَادَيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصَّبَا فَلِلْمَالِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاجٍ وَكَاسِبُ

٨- تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بَيْوتِنَا كَمِغْزَى الْحِجَازِ أَعُوَزَتْهَا الزَّرَائِبُ

يقول : رَفَضْتُ الآنَ مَا كُنْتُ أَقْصُرُ وَقْتِي عَلَيْهِ ، وَأَصْرِفُ هَمِي إِلَيْهِ ، مِنْ
سُلُوكِ طَرَائِقِ الْجَهْلِ ، وَالْجَرَى فِي مِيَادِنِ اللَّهِ ، وَاسْتَبَصَّرْتُ حَتَّى عَرَفْتُ مِنْ
الرَّشَادِ مَا سَحَلَنِي عَلَى رَدِّ مُسْتَعَارِ الْغَيِّ ، وَاطَّرَاحِ^(٣) مُسْتَعَارِ الْبُطْلِ ، فَصِرْتُ
أَحْفَظُ مِنَ الْمَالِ مَا كُنْتُ أَضَيِّعُهُ ، وَأَضْحَبُ مِنْ الْحَزْمِ مَا صِرْتُ أَخْلُفُهُ ،
وَأَجْمَعُ مِنَ الْعُدَّةِ لِلْعَوَادِثِ مَا بَقِيَتْ أَهْمَاهُ وَأَفْرَقُهُ . وَقوله «أَدَيْتُ عَنِّي» حَقَّقَ
بَدْخُولَ عَنْ أَنْ الْمُؤَدَّى وَجِبَ عَلَيْهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ أَدَيْتُ كَذَا مِنْ دُونِ
عَنْ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ لِنَفْسِهِ أَدَّى مَا أَدَّى ، وَلَجَازَ أَنْ يَكُونَ لغيره . وَلَأنَّ مَعْنَى
أَدَيْتُ عَنِّي نَحَيْتُ عَنْ نَفْسِي . وَقوله «فَلِلْمَالِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاجٍ وَكَاسِبُ»
نَبَّهَ بِهِ عَلَى أَنَّهُ جَاعِلٌ لَهُ وَحَافِظٌ . وَلَمْ يُشِرْ بِقوله «الْيَوْمَ» إِلَى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ ،
لأنَّهُ أَرَادَ حَاضِرَ الْأَزْمَانِ وَمُؤْتَنَفَهَا . فَأَمَّا قَوْلُهُ «تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ» فَالْزَّرَائِدَاتُ

(١) التكلة من ل .

(٢) كذلك فى ل والتيمورية . وفى الأصل : « من الميسر » .

(٣) كذا فى ل والتيمورية . وفى الأصل : « واطراح » .

الختافات ، ومنه المثل : « الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ » . والمُرَادُ أَنَّ الَّذِي يَرْتَبِطُونَهُ مِنَ الْمَالِ وَيَقْتَنُونَهُ الْخَيْلُ ، لَا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ، وَأَنَّهَا تَخْتَلِفُ فِيمَا بَيْنَ بَيْوتِهِمْ أَكْثَرُهَا ، لِأَنَّهُمْ غَزَاءُونَ وَأَرْبَابُ غَارَاتٍ ، فَخِيُولُهُمْ مَرْبُوطَةٌ بِالْأَفْنِيَةِ لثَلَا تَبْعُدَ عَنْهُمْ أَوْ أَنَّ الْحَاجَةَ لِقَصْدٍ أَوْ مَتَعٍ ؛ وَهِيَ فِي اخْتِلَافِهَا وَكَثْرَتِهَا وَتَرَدُّدِهَا بَيْنَ الْبَيْوتِ كَمِعْزَى الْحِجَازِ وَقَدْ ضَاقَ عَنْهَا مُحَابِسُهَا وَمَرَابِضُهَا . وَقَوْلُهُ « كَمِعْزَى الْحِجَازِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ تَرَمَّى ، وَأَعُوزَتِهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَافُ مِنْ قَوْلِهِ كَمِعْزَى . وَالْأَجُودُ أَنْ يُضْمَرَ مَعَهَا قَدْ لِيَقْرُبَ بِنَاءُ الْمَاضِي مِنَ الْحَالِ . وَالتَّقْدِيرُ تَرَاهَا مُشَابِهَةً لِمِعْزَى الْحِجَازِ وَقَدْ عَدِمَتْ مُحَابِسَتَهَا ، فَهِيَ تَرُودُ . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ سَلَمَةَ بْنِ الْخُرْشُبِ :

يَسْدُونَ أَبْوَابَ الْقِيَابِ بِضُمِّ إِلَى عَيْنٍ مُسْتَوْتَاتِ الْأَوَاصِرِ
وَالزَّرْبِ وَالزَّرِيئَةِ وَاحِدٌ ، وَيُقَالُ أَعُوزَةُ الدَّهْرِ : أَفْقَرُهُ . وَأَعُوزُ الرَّجُلِ : سَادَتُ حَالُهُ .

٩- فَيُعْبَقْنَ أَحْلَابًا وَيُصْبَحْنَ مِثْلَهَا فَهِنَّ مِنَ التَّغْدَاءِ قُبَّ شَوَازِبُ
يُقَالُ غَبَقْتُهُ إِذَا سَقَيْتُهُ غُبُوقًا ، وَصَبَحْتُهُ إِذَا سَقَيْتُهُ صَبُوحًا . وَالصَّبُوحُ وَالْغُبُوقُ : يُشْرَبُ بِالْفِدَاءِ وَالْعَشَى ، لِأَنَّهُمَا كَالْفَطُورِ وَالذَّرُورِ وَالسَّحُورِ .
فَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهَا تُعْدَى فِي الْقَرَّاتَيْنِ^(١) ، وَيَكُونُ « أَحْلَابًا » بِمَعْنَى أَشْوَاطٍ وَأَطْلَاقٍ . يُقَالُ احْلُبْ فَرَسَكَ قَرْنًا أَوْ قَرْنَيْنِ ، وَاحْلُبْنَاهُ أَحْلَابًا وَحَلَبَاتٍ .
وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ « فَهِنَّ مِنَ التَّغْدَاءِ قُبَّ شَوَازِبُ » . وَتَحْقِيقُ الْكَلَامِ أَنَّهُ جُمِلَ صَبُوحُهُنَّ وَغُبُوقُهُنَّ أَنْ أُعْدِيَتْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ لِتَضُمَّرَ ، كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

* تَعْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِجْلَامُ^(٢) *

(١) القرتان : الغداة والعشي ، وذلك لما فيها من البرد .

(٢) صدره : بسواهم لحق الأباطل شرب .

وكما قال غيره^(١) :

* فَإِنَّ الْمُنْدَى رِحْلَةٌ فَرُكُوبٌ^(٢) *

والتَّندِيَةُ : أَنْ تُرْعَى فِي الْوَرْدِ بَعْدَ السَّقْيِ شَيْئًا لِيُعْرَضَ عَلَيْهَا الْمَاءُ ثَانِيَةً .
وَبِمُجُوزٍ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهَا تُسَقَّى اللَّبَنَ غَدُوءًا وَعِشْيًا ، كَمَا قَالَ :

* نَطْمِمْهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ^(٣) *

يُرِيدُ بِاللَّحْمِ اللَّبَنَ ، وَكَأَنَّ الْآخِرَ^(٤)

* يُعْطَى دَوَاءً قَفِيَّ الشُّكْنِ مَرَبُوبٌ^(٥) *

وَيَكُونُ الْأَحْلَابُ جَمَعَ حَلَبٍ ، مَصْدَرُ حَلَبْتُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْمَحْلُوبُ جَمْعُهُ
لَاخْتِلَافُهَا . وَيَكُونُ قَوْلُهُ « فَهَنْ مِنْ التَّعْدَاءِ » كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا
تُضْنَعُ وَتُضَمَّرُ ، فَتُتَفَدَّى بِكُلِّ مَا يُصْلِحُهَا وَيُقَوِّيْهَا وَيَعُودُهَا الْجِرَاءَ . وَالْقُبُ :
جَمْعُ أَقْبٍ وَقَبَاءٍ . وَالشَّوَاظِبُ : الضَّوَاوِسُ .

١٠- فَوَارِسُهُمَا مِنْ تَغْلِبِ ابْنَةِ وَائِلٍ مُجَاهَةٌ كُفَمَاةٌ لَيْسَ فِيهِمْ أَشَائِبُ

قَوْلُهُ « مِنْ تَغْلِبِ ابْنَةِ وَائِلٍ » أَخْبَرَ بِهِ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَكَثَرُوا بِغَيْرِهِمْ ، فَلَيْسَ
فِيهِمْ خُلُطَاءُ مِنْ سِوَاهُمْ وَلَا غُرَبَاءُ ، وَإِنَّمَا هُمْ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ . وَهَذَا كَمَا قَالَ
سَلَمَةُ بْنُ الْخُرَشَبِ .

وَأَمْسُوا حِلَالًا مَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ عَلَى كُلِّ مَاءٍ بَيْنَ قَيْدٍ وَسَاجِرٍ

وَهُوَ خِلَافُ قَوْلِ الْآخِرِ وَهُوَ يَهْجُو :

(١) هُوَ عَلَقْمَةُ بْنُ عَبْدِ الْفَحْلِ . الْمَفْضَلِيَّةُ ١١٩ .

(٢) صَدْرُهُ : * تَرَادَ عَلَى دَمَنِ الْخِيَاضِ فَإِنْ تَعَفَّ * .

(٣) أَنْشَدَهُ فِي اللِّسَانِ (لَحْمٌ) . وَأَنْشَدَ بَعْدَهُ :

* وَالْحَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ صَرَرُ * .

(٤) هُوَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلِ السَّمْعَدِيِّ . الْمَفْضَلِيَّةُ ٢٢ .

(٥) صَدْرُهُ : * لَيْسَ بِأَسْنَى وَلَا أَقْنَى وَلَا سَفْلٌ * .

ولما أن رأيتُ بنى جُوَيْنٍ جُلُوسًا ليس بينهم جَلِيسٌ^(١)
إذا ما قلتُ أيُّهُمْ لِيْئِي تشابهتِ المناكبُ والرؤوسُ

لأنّ هذا يصف أهل بيئتِ بأنهم لا يُرى فيهم نديم ولا مُعَاثِرٌ ،
ولا يَفْشَى فناءهم جَلِيسٌ ولا مُخَالِطٌ ، ولا يَقْصِدُهُمْ عَافٍ ولا يُجْتَدِرُ ، ولا يُؤْتَمُّهُمْ
راحٍ ولا مُقْتَفٍ ، إنّما اكتفى كلّ منهم بصاحبه ، وانفرد كلّ ذى بيئتِ
بذِيبِهِ . وعلى هذا الذى فسّرنا يكون « من تَغْلِبَ ابْنَةُ وائِلٍ » خبراً ،
وَحَمَاةٌ خبراً ثانياً . والتقدير : فوارِسُهَا تَغْلِبُيونَ حَمَاةً . ويجوز أن يكون من
تَغْلِبَ ابْنَةُ وائِلٍ فى موضع الحال ، وَحَمَاةُ الخبر ، والتقدير : فوارِسُهَا وهم من
بنى تَغْلِبَ حَمَاةً . وَحَمَاةٌ : جمع حَامٍ . وَكَلَمَةٌ : جمع كَيْمٍ . وهذا البناء من
المجوع لا يكون إلّا فى المعتل . والأشائبُ : جمعُ أَشَابَةٍ ، وهم الذين جُمِعُوا
من شَيْءٍ إلى شَيْءٍ ، على رداةٍ فيهم وهُجْنَةٍ تشوبُهُمْ .

١١- فَهَمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرِقُ بَيْضُهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمَاءِ سِبَائِبُ

١٢- وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَضْلُهَا خُطَانًا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنَضَارِبُ

وصفهم بأنهم يطلبون الرؤساء فى الحرب بالقتل والنكابة ، دون
الأوساط والعجزة والشقاط ، فهو كقول الآخر^(٢) :

من عهدٍ عادٍ كان معروفاً لنا أَمْرُ الْمُلُوكِ وَقَتْلُهُمَا وَقِتَالُهَا

وقوله « يَبْرِقُ بَيْضُهُ » فى موضع الحال من يَضْرِبُونَ ، و « على وجهه
من الدَّمَاءِ سِبَائِبُ » فى موضع الحال أيضاً من قوله يَبْرِقُ بَيْضُهُ . والسبائبُ :

(١) فى الأصل : « بنى جرّين » وأنبتنا ما فى ل والتيمورية .

(٢) هو بشامة بن الغدير . الحماسية ١٣٤ .

الطَّرْقُ^(١) ، الواحدة سَيْبَةٌ ، وقوله « وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا » مثل قول الآخر^(٢) :

* نَصِلُ الشُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا^(٣) *

وفي طريقته قول الآخر^(٤) :

إِذَا الْكُفَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلَمَاهَا بِأَيْدِينَا

١٣ - فَلِلَّهِ قَوْمٌ مِثْلُ قَوْمِي عَصَابَةٌ إِذَا حَفَلَتْ عِنْدَ الْمُلُوكِ الْمَصَائِبُ

قوله « فَلِلَّهِ قَوْمٌ » تعجُّبٌ وتحضيضٌ . والكلام في مثله قد تقدّم مشروحاً^(٥) . وانتصب « عَصَابَةٌ » على أنه تمييز . ويجوز أن يكون حالاً أيضاً . وقوله « إِذَا حَفَلَتْ » أى اجتمعت . وإذا ظَرَفُ لما دَلَّ عليه قوله « لِلَّهِ قَوْمٌ مِثْلُ قَوْمِي » ، أى ناهيك بهم من قَوْمٍ في ذلك الوقت . والمعنى أنه يظهر من عزِّهم وفخرهم في مجالس الملوك ما يستحقُّ به التعجُّبُ منهم .

١٤ - أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَخْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ

يصف عزَّهم وكرمهم وعظم حشمتهم في قلوب مَنْ سواهم ، وأنَّ أحدًا لا يتجاسرُ على التعرُّضِ لأسبابهم ، والتبشُّطِ في أحييتهم ، فإلَّهم وإنَّ عزَّبت في سرايعها محييةً ، وسرورهم آمنةً ، وإذا كانت الأقوامُ غيرهم يُقَيِّدُ فُخُولَهَا تقييدا مُقَارَبًا ، وتُحَفِظُ مَرَاعيها حِفْظًا مُلَاحِظًا ، خَافَةَ أَنْ تَسْرُبَ فِي الْمَرْتَعِ ، وَتَبْعِدَ عَنِ الْمَجْمَعِ ، وَتَتَبَعَهَا الْإِنَاثُ فَتَقْرُبَ مِنَ الْمَغِيرِ عَلَيْهَا ، وَتَمَكِّنَ الطَّامِعِ

(١) الطرق : جمع طرقة بالضم ، مثل غرفة وغرف ، وهى الطرائق .

(٢) هو كعب بن مالك . البيان (٣ : ٢٦) .

(٣) عجزه : * قدما ونلحقها إذا لم تلحق *

(٤) هو بشامة بن حزن النهشل . الحماسية ١٤ .

(٥) انظر ما سبق في ص ٦٧٢ .

فيها ، رأيتنا لا نبالي بشيء من ذلك ، فنُخِّلها وذَهاَبها حيثُ شاءت ، وأنَّى
اختلفت وتصرّفت ، لأنفنا عليها ، وعلمنا بأنَّ عِزَّنَا يجمعها ويذُبُّ عنها ،
ويَقْصُرُ الأيديَ دونها . والساربُ : الذَّاهِبُ في الأرض ، حتى قيل سَرَبَ الماءُ
وانسربَ ، ومنه اشتقاق المَرَّاب .

٢٤٩

وقال العدِيلُ بن الفرخ العجَلِيُّ^(١) :

١ - أَلَا يَا اسْمَى ذَاتَ الدِّمَالِيَجِ وَالْعَقْدِ ذَاتَ الثَّنَايَا الْغُرَّ وَالْفَاحِمِ الْجَعْدِ^(٢)

قوله « يا اسمى » يراد به يا هذه اسمى ، فحذف المنادى . ومعنى اسمى :
دُومى سائلة . وانتصب « ذَاتَ الدِّمَالِيَجِ » على أنه نداء ثان ، ويجوز أن
يكون انتصابه على إضمار فعل ، كأنه قال : أذكُرُ ذَاتَ الدِّمَالِيَجِ . وهذا يجرى
تجرى الكناية لما كرهه التنبيه على اسمها . والدِّمَالِيَجِ : جمع الدُّمْلُوجِ ، وهي
المِعْضَدُ . وقال الخليل : يقال دَمَاجَتُ الشَّيءُ ، إذا سَوِيَتْ صِيغَتَهُ ، كما يُصَاغُ
الدُّمْلُجُ . وقوله « وذاب الثنايا » كان وجه الكلام أن يقول : والثنايا الغُرَّ ،
لكنه أعاد لفظ ذات ليكون الخطابُ به أنعم وأجلَّ قَدْرًا ، ولشدة اتصال المضاف

(١) العدِيلُ بهيئة التصغير ، بن الفرخ بفتح الفاء ، وقيدته في الخزانة (٢ : ٣٦٨)
بفسها . ولقبه « العباب » كشدهاد ، وكان العباب كلبًا له . وهو شاعر إسلامي في الدولة
المروانية ، كان قد هجا الحجاج وهرب منه إلى قيصر ملك الروم ، فبعث إليه : لترسلن به
أو لأجهزن إليك خيلا يكون أولها عندك وآخرها عندي . فبعث به إليه وجرى بينهما حديث
انتهى بالمفوعة . الخزانة والأغاني (٢٠ : ١١ - ١٩) والاشتقاق ٢٠٨ والشعر والشعراء
٣٧٧ - ٣٧٥ .

(٢) قال أبو رياش : ليست هذه الأبيات للعدِيل ، وهي قصيدة طويلة لأبي الأخيل العجَلِي
قالها في آخر أيام بني أمية ، ووفد على عمر بن هبيرة الفزاري ف قيل له : إن أبا الأخيل العجَلِي
بالباب يستأذن . فقال : « إذن والله لا يأذن له غيري » . فقام من مجلسه حتى أتاه على الباب فأخذ
بيده وأقمنه معه على بساطه ثم قال : أنشدني منصفتك . فأنشده إياها ، فكساه وأعطاه ثلاثين
أنفًا . المنصفة : القصيدة ينصف فيها الشاعر عدوه . انظر ما سبق في ٤٤٠ .

بالمضاف إليه ، كأنه عَدَّهَا اسْمًا واحدًا لَا تَحْمَلُ بالحذفِ عليه . ويجرى هذا الجرى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ ﴾ ، ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ ﴾ . وقول الشاعر ^(١) :

أما والذي أَبْسَكَ وَأَصْحَكَ والذي أَمَاتَ وَأَحْيَا والذي أَمْرُهُ الْأَمْرُ
والعَمْدُ : القِلادة ، يقال عَمَدْتُ عَقْدًا ، ثم يُسَمَّى المَعْقُودُ عِقْدًا ، فهما
كالتَّقْصُصِ والنَّقْصِ . والفاحم : الشعر الأسود الحسن ^(٢) وقد فَحِمَ فُجُومًا .

٣ - وذات اللَّثَاتِ الْحُمُّ والعارضِ الذي به أَبْرَقَتْ عَمْدًا أَبْيَضَ كالشَّهْدِ
اللَّثَاتُ : مَغَارِزُ الْأَسْنَانِ . وَالْحُمُّ : جمع أَحْمَ وَحَمَاءَ ، وهو الأسود من كلِّ
شيء . وَيُرْوَى « الْحَوَّ » وهو جمع أَحْوَى وَحَوَاءَ . وَالْحَوَّةُ : نُحْرَةٌ تَضْرِبُ إِلَى
سَوَادٍ . والعارضُ : ما يَظْهَرُ مِنَ الثَّغْرِ عِنْدَ النُّطْقِ مِنَ الْجَانِبِينَ . ومعنى أَبْرَقَتْ
به : أَطْلَقَتْ الْبَرَقَ . وَالْبَرَقُ : وَمِيزُ السَّحَابِ أَصْلُهُ . ويقال : بَرَقَ السَّحَابُ
بَرَقًا وَبَرِيقًا ، وأبرق لغةً فيه ، كذلك قال الخليل . وقوله « عَمْدًا » مصدرٌ
في موضع الحال ، أى أَبْرَقَتْ عامدةً . ويريدُ بِالْأَبْيَضِ رُضَابَ الْفَمِ . والتشبيه
بالشَّهْدِ قَصْدٌ به إلى العذوبة .

٣ - كَانَ ثَنَايَاهَا اغْتَبَقْنَ مُدَامَةً ثَوْتُ حِجَابٍ فِي رَأْسِ ذِي قُنَّةٍ فَرَدِ
الْاِغْتَبَاقُ : شُرْبُ الْعَشِيِّ ، وَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الْقَصْدَ إِلَى أَنَّهَا عِنْدَ
السَّحَرِ بِطَبِيبٍ نَكَهَتْهَا ، فَإِذَا تَغَيَّرَتِ الْأَفْوَاهُ وَخَلَّتْ كَانَتْ هَذِهِ كَأَنَّهَا مُفْتَبِقَةٌ
خَفَرًا بَقِيَّتِ سَنِينَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ انْفَرَدَ عَنِ الْجِبَالِ وَرَعُوسِهَا ، بِحَصَانَتِهِ وَتَمَنُّعِهِ .
وهذا منه إشارةٌ إِلَى قَلْعَةٍ فِي قُلَّةِ جَبَلٍ شَاهِقٍ ، أَوْ قَصْرٍ أَوْ حِصْنٍ شَبَّهَهُ بِجَبَلٍ
هَذِهِ صِفَتُهُ .

(١) هو أبو صخر الهذلي . أمالي القالي (١ : ١٤٩) .

(٢) كذا في ل والتيمورية . وفي الأصل : « الشعر الأسود الأسود » ، تحريف .

٤- لَعَمْرِي لَقَدْ سَرَّتْ لِي الطَّيْرُ آفِئًا بما لم يكنْ إِذْ سَرَّتِ الطَّيْرُ مِنْ بُدٍّ كَانَ زَجَارًا^(١)، فَلِذَلِكَ قَالَ مَا قَالَ . وَخَبِرُ « لَعَمْرِي » مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ لَعَمْرِي قَسَمِي . وَلَقَدْ جَوَّابُ الْقَسَمِ مَعَ مَا بَعْدَهُ . وَالْقَسَمُ كَمَا يَقَعُ بِالْمُفْرَدِ يَقَعُ بِالْجُمْلَةِ . وَأَنْتَ الطَّيْرُ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْجُمَاعَةَ ، فَلِذَلِكَ قَالَ سَرَّتْ . وَآفِئًا انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَالْمَعْنَى فِيمَا انْتَفَيْتَ مِنَ الْوَقْتِ ، وَإِنَّمَا عَافَ هَذِهِ الْعِيَاةَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا فِيمَا دَارَ بَيْنَ قَوْمِهِ مِنَ الشَّرِّ ، وَكَأَنَّهُ آمَنَ بِمَا أَوْجَبَهُ مُرُورُ الطَّيْرِ فِي حُلِيِّهِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ بِمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ بُدٍّ . وَمِنْ بُدٍّ مَوْضِعُهُ اسْمٌ لَمْ يَكُنْ ، وَخَبِرُهُ مَحْذُوفٌ ، لِأَنَّ التَّقْدِيرَ بِمَا لَمْ يَكُنْ بُدٍّ مِنْ وَقْعِهِ إِذْ سَرَّتِ الطَّيْرُ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ مَا جَاءَنِي مِنْ رَجُلٍ فِي اللَّانِظِ ، وَإِنْ كَانَ التَّقْدِيرَانِ مُخْتَلِفَيْنِ . وَمَعْنَى قَوْلِ الْقَائِلِ لَا بُدَّ مِنْ كَذَا : لَا اتَّسَاعَ فِي الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ . وَيَقَالُ رَجُلٌ أَبَدٌ وَامْرَأَةٌ بَدَاهُ ، إِذَا تَبَاعَدَا إِحْدَى نَحْوِهِ عَنِ الْآخَرَى ، وَبَدَدْتُ الشَّيْءَ أَبَدُهُ ، إِذَا جَزَّأَنَّهُ أَجْزَاءً فِي الْقَسَمِ . وَيَقَالُ هَاتِ بُدِّي ، أَيْ نَصِيبِي ، وَمِنْهُ يَقَالُ اسْتَبَدَّ فُلَانٌ بِكَذَا إِذَا اخْتَصَّ .

٥- ظَلَلْتُ أَسَاقِي الْهَمِّ إِخْوَتِي الْأُولَى أَبُوهُمْ أَبِي عِنْدَ الْمِرْزَاحِ وَفِي الْجِدَّةِ يَقَالُ : ظَلَّ يَفْعَلُ كَذَا ، إِذَا فَعَلَهُ نَهَارًا ، ثُمَّ يَتَوَسَّعُونَ فِيهِ ، وَيَجْرِي تَجْرِي صَارَ يَفْعَلُ كَذَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ أَلَا تَرَى أَنَّ الْبِشَارَةَ بِالْأُنْثَى تَتَنَبَّأُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ لَيْلٍ وَنَهَارٍ . وَقَوْلُهُ « أَسَاقِي الْهَمِّ » يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ النِّعَمَ ، كَأَنَّهُ كَانَ يُبَيِّنُ إِخْوَانَهُ وَأَصْفِيَاءَهُ لِمَا كَانَ يَدُورُ عَلَيْهِمْ أَسْرُ عَشِيرَتِهِ مِنَ الْخِلَافِ الْمُؤَدِّي إِلَى التَّقَالِي وَالتَّحْزُبِ ، وَمَا كَانَ يَخَافُهُ مِنَ التَّفَانِي عَلَيْهِمْ عِنْدَ التَّجَارُبِ . وَالْأُولَى فِي مَعْنَى الَّذِينَ ، وَالْجُمْلَةُ الَّتِي بَعْدَهُ مِنْ صِلَتِهِ . وَقَوْلُهُ « أَبُوهُمْ أَبِي عِنْدَ الْمِرْزَاحِ وَفِي الْجِدَّةِ » يَجْرِي مَجْرَى التَّنَاكِيدِ لِلْأُخُوةِ ، وَالتَّحْقِيقِ لِلنَّشَابُكِ ، وَالْمَازِجَةِ بِالنِّسْبَةِ ، وَلِلْمَعْنَى : عَلَى كُلِّ

(١) كَذَا فَهْمُ الْمَرْزُوقِ ، وَلَيْسَ هَذَا بِإِلْزَامٍ .

حالٍ إذ لا ثالثَ لهما . وَوَضَعَ الْمُرَاحَ مَوْضِعَ الْهَزَلِ . ومثل هذا في معنى التأكيد ، وإن كان لفظه لفظَ البدل قولهم : جادني بنو تميم صغبرهم وكبيرهم ، صريحهم وهجينهم ، وما أشبهه . ويجوز أن يريدَ بالهم مصدرَ هَمَمْتُ بالشئ ، كأنه اجتمع مع إخوته لبوافقهم على رأي يَبْنُونَ أمرهم عليه مع الفساد^(١) الظاهر له بين ذويه وفصيلته . ويروى « المرّاح » بضم الميم فيكون اسماً ، والمرّاح بكسر الميم فيكون مصدرَ ما رَحْتُ .

٦ - كَلَّا نَأْيُنَادِي يَا نِزَارُ وَبَيْنَنَا قَنَا مِنْ قَنَا الْخَطِئُ أَوْ مِنْ قَنَا الْهِنْدِ كَلَّا اسم مفردٌ يؤكّد به المثني ، كما أن كَلَّا اسم مفردٌ يؤكّد به المجموع . والمراد به هنا كلُّ واحدٍ منا ، لذلك قال ينادي . والمعنى إن اعتزأ كلُّ واحدٍ من طائفتينا إلى أبٍ واحدٍ ، والشرُّ إذا وقع بين الأقارب كان في عُقول ساداتهم أشدَّ تأميراً ، وأبلغَ عند الاستعمال به تحذيراً ، إذ كان مُفاسدةُ النَّسِيبِ لِنَسِيبِهِ أَفْطَحَ ، وكان التقاطع حيث يجب التواصل أشنعَ ، لأنَّ عِزَّ السَّيِّدِ بتابعيه ، وليس الأقارب منهم كالأجانب . وقوله « وَبَيْنَنَا قَنَا مِنْ قَنَا الْخَطِئُ » الواو واو الحال ، وقد حَذَفَ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . والمراد : وبيننا اختلافٌ قَنَا خَطِيئَةٍ بِالطَّعْنِ ، أَيْ بَلَغَ جَهْدُ الْبَلَاءِ بَيْنَهُمْ هَذَا الْمِبْلَغَ وَاتَّهَى إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ . وقال « مِنْ قَنَا الْخَطِئُ » والمرادُ مِنْ قَنَا الْمَوْضِعِ الْخَطِئُ أَوِ الْمَكَانِ ، فَأَقَامَ الصِّفَةَ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ^(٢) . يدلُّ على هذا أنه قال بَمَدِّهِ « أَوْ مِنْ قَنَا الْهِنْدِ » . ويجب أن يكونَ القنا الأولُ وإن كان جمعَ قَنَاةٍ مُتَنَوِّلاً لِمَا هُوَ أَقْلُ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْقَنَا الثَّانِي حَتَّى يَحْصُلَ مَعْنَى التَّبْعِيضِ^(٣) بِمِنْ . وَالْخَطُ : جَزِيرَةٌ

(١) هذا ما في ل والتيمورية . وفي الأصل : « من الفساد » .

(٢) في التنبية : « وإن شئت قلت : أراد من قَنَا الخط ، فزاد ياء النسب لغير حقيقة الإضافة ، فكقولهم في الصفة أشقر وأشقرى ، وأحمر وأحمرى » .

(٣) كذا على الصواب في ل والتيمورية . وفي الأصل : « مع التبعض » .

عثمان . ويقال في الرِّمَاح هي الخطيئة ، كآته اسم لها .

٧ - قُرُومٌ تَسَامَى مِنْ نِزَارٍ عَلَيْهِمْ مُضَاعَفَةٌ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ وَالشُّغْدِ^(١)

القُرُومُ في الأصل : الفُحُولُ المصاعبُ التي أُعْفِيتُ من الحَمَلِ عليها وتُرِكَتْ لِلنَّحْلَةِ . ويقال أَقْرَمْتُ البعيرَ فَاسْتَقَرَمَ . ومعنى بها هاهنا الأبطالُ السِّكرامُ . وتَسَاى ، أى تَتَعَالى في التَّبارى^(٢) والتَّمارى . والأصلُ في تَسَامَى تَتَسَامَى فَيُحْذَفُ إِحْدَى التَّائِينَ اسْتِنْقَالاً لِاجْتِمَاعِهِمَا . وقوله « مِنْ نِزَارٍ » في موضع الصِّفَةِ لِقُرُومٍ ، والتَّقديرُ قُرُومٌ نِزَارِيَّةٌ تَتَسَامَى ، وقوله « عَلَيْهِمْ مُضَاعَفَةٌ » في موضع الحال والعاملُ فيه تَسَامَى . ومعنى المُضَاعَفَةِ : التي نُسِجَتْ حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ . و « مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ » في موضع الصِّفَةِ لِلْمُضَاعَفَةِ ، أَرَادَ مُضَاعَفَةَ دَاوُدِيَّةَ وَسُغْدِيَّةَ . وَارْتَفَعَ مُضَاعَفَةً بِالظَّرْفِ فِي الْمَذْهَبَيْنِ جَمِيعاً لَوْ قَوَّعَ الظَّرْفُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ . ومثله من مسائل الكتاب : مررتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَفَرٌ صَائِداً بِهِ غَدَاً^(٣) .

٨ - إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةً ثَبَتُوا لَنَا بِمَرْهَفَةٍ تُدْرِي السَّوَاعِدَ مِنْ صُعْدِ

٩ - وَإِنْ نَحْنُ نَازَلْنَاهُمْ بِصَوَارِمٍ رَدَّوْا فِي سَرَابِلِ الْحَدِيدِ كَمَا نَزَدِي

أَمَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَقَدْ أَلَمْ فِيهِ بِمَعْنَى قَوْلِ الْآخِرِ^(٤) :

فَلَمَّا قَرَعْنَا الْمُنْبِعَ بِالْمُنْبَعِ بِنَفْضِهِ بِنَفْضِ أَبْتِ عِيدَانِهِ أَنْ تُسَكَّرَا

وَالْمَرْهَفَةُ : الشُّيُوفُ الْمُرَقَّةُ الْحَدَّ ، وَسَيْفٌ رَهِيْفٌ ، وَقَدْ رَهَفَ رَهَافَةً . ومعنى

تُدْرِي تَسْقِطُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِمَرْهَفَةٍ . ومعنى « مِنْ صُعْدِ » مِنْ أَعْلَى .

وهذا كما قال غيره :

(١) لم يفسر هو ولا التبريزي السفد ، وهو بضم السين ويقال بالصاد المضمة مة

جيل من الناس ببلادهم بين بخارى وسمرقند .

(٢) كذا في ل والتيمورية . وفي الأصل : « في التماي » .

(٣) انظر كتاب سيبويه (١ : ٢٤١ - ٢٤٣) .

(٤) هو زفر بن الحارث الكلبي . الحماسية ٢٨ .

يُذِرِي بِارْعَاشٍ يَمِينِ الْمُؤْتَلِي خُضْمَةَ الذَّرَاعِ هَذَا الْمُخْتَلِي
 وقوله « وإن نحن نازلناهم » فالنزال يأتون به ويركبونه في المضابقي حيث
 لا يتسع المجال للخيل ، وإذا كان كذلك فالبيت الأول من صفة الفرسان ،
 والثاني من نعمت الرّجاله . وقوله « رَدَوْا فِي سَرَابِيلِ الْحَدِيدِ كَمَا تَرَدِي » ،
 الرّديان في الأصل عدو الحمار بين آريته ومُتَمَكِّكِهِ ، ولم يقصد تفضيلاً لأحد
 الفريقين على الآخر إمّا لقصدِهِ إلى الإنصاف في اقتصاص ما يجزى من
 الأحوال ، وإمّا لأنّ الفرقتين كانتا من أصل واحد جمعهما على سواء من البلاء .
 ١٠ — كَفَى حَزَنًا أَلَا أَزَالَ أَرَى الْقَنَا يَبْجُ نَجِيمًا مِنْ ذِرَاعِي وَمِنْ عَضْدِي
 لك أن ترفع « أزال » على أن يكون أن تخففه من الثقيلة ، والمراد أني
 لا أزال . ولك أن تنصبه على أن يكون أن هي الناصبة للفعل . وموضع أن
 لا أزال على الوجهين جميعاً رفع بكفى . وحزنا انتصب على التمييز . والمعنى :
 كفى من حزن أني لا أزال أرى الرّماح تصب دماً من ذراعي ومن عضدي ،
 أي من قومهم أبطش وأعتز ، فهم مني بمنزلة الذراع والعضد . وهذا في
 الاستعارة لمن يقوى به الرجل ويمتدّد أبلغ وأشبع وإن تساوت الطريقتان —
 من قول الآخر ^(١) :

فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَدِيلِي فَلَمْ أَفْطَحْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
 وقد قيل « أخ الرجل عضده » . والمج : إخراج الماء من الفم ، وتوسّوا
 فقالوا له طر : هو مجاج السحاب . والنجيع : دم الجوف . ويقال تنجّع
 الرجل ، إذا تلطّخ به .

١١ — لَقَمَرِي آئِنُ رُمْتُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ بِقَيْسٍ عَلَى قَيْسٍ وَعَوْفٍ عَلَى سَعْدٍ

(١) هو قيس بن زهير . الحماسة ٤٤ ص ٢٠٣ .

- ١٢- وَصِفْتُ عَمْرًا وَالرَّبَّابَ وَدَارِمًا وَعَدَوَانَ وَدَرَ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ وَدٍّ^(١)
- ١٣- لَكُنْتُ كَمُهْرٍ بَقِيَ فِي سِقَانِهِ لِرَقْرَقٍ آلٍ فَوْقَ رَابِيَةٍ صَلَدِ
- نَبَّهَ بهذا الكلام على قُرب القرابة بينهم ، وتأكد الالتحام فيهم ، وأن تمازج الأنساب ، وتواشج الأسباب ، يُوجب أن طوائف هؤلاء الجموع كطوائف تلك ، فإن أخذ يطلب الخروج عليهم ، والنكابة فيهم ، احتاج أن يخرج بقيس على قيس ، وبسعد على سعد ، لأن عوفًا هو ابن سعد . واحتاج أن يُرغم عَمْرًا والرَّبَّابَ وَدَارِمًا وَوَدًّا ، وأن يضيع حظوظهم وحقوقهم ، ويُفيت نفسه وذويه مأمول الخير من جهتهم ، والتكثير والتعزز بمكانهم ، وذلك أيسر نتائج التقاطع والتدابير ، والتنازع والتناذب ، والتجاذب والتعارب ؛ هذا إلى ما فيه من مجانبة الرشاد ، والتباعد في طرق الضلال والفساد . وقوله « كيف أصبر عن وَدٍّ » هو الذي يُسميه النقاد والبُصراء بصنعة الشعر وتمييز البديع فيه « الالتفات » . كأنه لما ذكر وَدًّا واختلاف عليه ، ونفض اليد مما يجمعه وإيأاه ، وكشف الرأس بالمعاداة معه ، رَقَّ للرحم قلبه ، وضاق بالحال المتصورة صدره ، والتفت إلى من بحضرته فقال : كيف يكون صبري عن مثله . ثم أخذ يمثل نفسه فيما يأتيه ، ويصور نفسه إن أخذ فيه ، فقال : لَعَمْرِي إن صورتي إذا ركبْتُ هذه الخطئة معهم ، ومثلي فيما اختاره من مُفاسدة الأقارب مع هذا التحقُّق والتداني ، والاستنامة إلى آمال متخيَّلة في الأجانب ، مثلُ رجل قد أعدَّ ماءً فيه لوقت حاجته ، وهو في مفازة متناثية الأرجاء ، فترقرق له السراب من مكان يتوصل إليه بمشقة تُشكِّف ، وزيادة تعبٍ تُتجشَّم ، فصَبَّ ما قد استصحبَه من الماء ، وتيقَّن النجاة به ، اغترارًا بما تراءى له وتظنَّاه ، وهو لا يدري هل يقدر على الوصول إليه ، وإذا جاءه هل يجد له حقيقةً أو لا .

(١) رواية التبريزي : « وعمر بن أد كيف أصبر عن أد » .

وقد ضرب الله المثل بالسراب لأعمال الكفار واغترارهم بها فقال : ﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَمَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ^(١) ۖ وَالرَّابِيَةُ : المكان المرتفع . وَالصَّلْدُ : الصُّلب الذي لَا يُنْبِتُ شَيْئًا . وَالرَّقْرَاقُ : مَا تَرَقَّرَقَ ^(٢) فِيمَا يَتَخَيَّلُ لِلْعَيْنِ وَلَمَعَ ، وَيُوصَفُ بِهِ الدَّمْعُ وَالْمَاءُ وَالْجَارِيَةُ الرَّائِقَةُ . يَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* رَقَارِقٍ لَا زُرْقَ الْعُيُونِ وَلَا رُمْدًا *

ولاسمى القيس يصف الدمع :

* أَوِ الدَّرَّ رَقْرَاقُهُ الْمُتَحَدِّرُ ^(٣) *

وقوله « لَكُنْتُ كَمُهْرِيْقِ الذِي » جواب القسم ، وبعضهم رواه : « فَكُنْتُ كَمُهْرِيْقِ » وعلى هذا يكون الجواب محذوفاً . وقد حَمَلَ الكلام على المعنى لظهور المراد منه دون اللفظ ، والأول أَكْشَفُ .

١٤ - كَمُرُضِعَةٍ أَوْلَادًا أُخْرَى وَضِيَعَتُ بَيْنِي بَطْنُهَا هَذَا الضَّلَالُ عَنْ الْقَصْدِ يجوز أن يكون المُرُضِعَةُ امْرَأَةً فَعَلَتْ ذَلِكَ فَضَرَبَ المثلُ بهذا ، وَيَشْهَدُ لذلك قولُ الآخر ^(٤) :

كَمُرُضِعَةٍ أَوْلَادًا أُخْرَى وَضِيَعَتُ بَيْنِيهَا فَلَمْ تَرَقِّعْ بِذَلِكَ مَرَقَعًا ^(٥) ويقال : النِّعَامُ تَفْعَلُ ذَلِكَ لِسُوءِ هَدَايَتِهَا ، فَتَتْرُكُ الْوَاحِدَةَ مِنْهَا بِيضَ نَفْسِهَا

(١) وردت « بحسبه » في نسخة الأصل ول ، على قراءة كسر السين . وكسر السين في هذا المضارع لغة أهل الحجاز ، وفتحها لغة تميم . وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين حيث وقعت في المصحف ، وقرأ باقي السبعة بكسرها . تفسير أبي حيان (٢ : ٣٢٨) .

(٢) كذا في التيمورية . وفي سائر النسخ : « تررقق » وكتب إزاهما في ل « تررقق » .

(٣) صدره : * فأسيل دمعى كفض الجمان *

(٤) هو ابن جندل الطعان الكنانى ، كما في الحيوان (١ : ١٩٧) وحاشاة

البحرئى ١٧٠ .

(٥) في ثمار القلوب ٣١٣ : « فلم تحسن بما فعلت صنعا » .

وَتَسْوُمُ فِي الْمَرْعَى ، فَإِذَا أَرَادَتِ الْعَوْدَ إِلَيْهَا لَمْ تَهْتَدِ ، فَتَجْتُمُّ عَلَى بَيْضِ غَيْرِهَا .
وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْوَجْهِ قَوْلُ الْآخِرِ (١) :

فَأَيُّ وَتَرَكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدْحِي بَكْفَى زَنْدًا شَحَاحَا
كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالْقَرَاءِ وَمُلْبَسَةٍ بَيْنَ أُخْرَى جَنَاحَا
وقوله « هذا الضَّالُّلُ عن القصد » يجرى مجرى قوله « كيف أضل عن
وَدَّ (٢) » ، في أنه من باب الالتفات . ومثاهما قول جرير :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سَقِيتِ الْغَيْثَ أَتَيْتُهَا الْخِيَامُ
والشاعر لم يقف على التشبيه الأول ولم يكتف به ، لأن الثاني أدل على الحال
فيما يروم تصويره ، وأشبهه بقصته إذا فعل فعلته . والقصد : الطريق المستقيم ،
وهو المقصود .

١٥- فَأَوْصِيكُمْ يَا ابْنَتِي زِرَارٍ فَتَابِعَا وَصِيَّةَ مُفْضِي النَّصِيجِ وَالصَّدِّقِ وَالْوُدِّ

١٦- فَلَا تَعْلَمَنَّ الْحَرْبَ فِي الْهَامِ هَامَتِي وَلَا تَرْمِيَا بِالنَّبْلِ وَبِحَكْمَا بَعْدِي (٣)

جَمَلُ وَصَاتِهِ شَامِلَةٌ لِقَبَائِلِ رِبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ ، وَهِيَ ابْنَةُ زِرَارِ بْنِ مَعَدٍ ، فَيَقُولُ :
أَبْذُلُ نَصِيحِي لَكُمْ ، وَأَبْسُطُ وَصِيَّتِي إِيَّاكُمْ فَيَكُمُ ، فَتَابِعُوهَا وَاعْمَلُوا بِمَحْسَبِهَا ، فَإِنَّهَا
مَمْحُوضَةٌ لَكُمْ عَنْ قَلْبِ رَجُلٍ سَاطِعِ الْقَيْبِ ، نَقَى الْجَنِّيبِ ، صَائِبِ الرَّأْيِ ،
صَادِقِ الْوَدِّ . وقوله « مُفْضِي النَّصِيجِ » أَيِ وَاصِلِ نَصِيحِهِ إِلَيْكُمْ ، وَصَائِرُ فِي
فَضَاءٍ وَسَعَةٍ . وَالْمَعْنَى انْكِشَافُهُ وَخُلُوصُهُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بِمَنْزُكِكُمْ
إِلَى بَعْضٍ ﴾ . وقوله « فَلَا تَعْلَمَنَّ الْحَرْبَ فِي الْهَامِ هَامَتِي » هَذَا صَرِيحُ الْوَصِيَّةِ

(١) هو ابن هزلة . الحيوان (١ : ١٩٩) . وانظر ثمار القلوب ٣٥٣ واللميرى

(٢ : ٥٠٢) والموشح ٢٢٧ .

(٢) في البيت ١١ من هذه الحماسة .

(٣) ويروى : « فَلَا تُعْلِنَنَّ الْحَرْبَ » ، كما أشار التبريزي .

التي دعا إليها ، وسامهم ارتسامها وحفظها . وجعل النهى لهامته ، والمخاطبون هم المنهثون ، فهو كقولك : لا أرينك هاهنا ، والمراد : لا تكن هاهنا فأراك . وتحقيق قوله « فلا تعلمن الحرب في الهام هامي » : لا تتحاربوا بعدى فتعلم هامي بين الهام الحرب بينكم ، أى عليكم بالتواصل والتعاقد ، وإياكم والتقاطع والتدابير ، فإن ذلك يؤدى ضعفكم ، واجترأ الخلع عليكم ، إن لم يؤد إلى التفانى والتهاك . وكانت العرب تقول : إن عظام المولى تصير هاماً فتعاير وتنسب أخبار الأحياء . وقوله « ولا ترمي بالنبل ونحكنا بعدى » ، يقول : دعوا التفاخر والتناحر ، والتجاذب والتحارب ، فإن ذلك من آكيد أسباب التقاتل والتهاجر . وهم يعملون المناضلة مثلاً للمفاخرة ، على هذه قول لبيد :

فانتضلنا وابن سلمى قاعد
كعتيق الطير يفيض ويجل

نم قال :

- فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رَشَقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْعُضَلِ وَلَا بِالْمُفْتَعَلِ
١٧- أَمَا تَرَاهِبَانِ النَّارَ فِي ابْنِي أَيْكَمَا وَلَا تَرَجُوانِ اللَّهَ فِي جَنَّةِ الْخَلْدِ
١٨- فَمَا تُرْبُ أَنْ تَرَى لَوْ جَمَعْتَ زُرَابَهَا بِأَكْثَرِ مِنْ ابْنِي زِرَارِ عَلَى الْعَدَا
١٩- هُمَا كَمَا الْأَرْضُ اللَّذَالَتُ زَعَرَا تَزَعَزَعَ مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّدَا

ذَكَرَهُمْ بِمَا فِي صَلَةِ الرَّحِمِ مِنَ الْأَجْرِ ، وبِمَا فِي قَطِيعَتِهِ مِنَ الْإِنْفِ ، فَأَخَذَ يُرْغِبُهُمْ وَيُحَذِّرُهُمْ ، فيقول : أَمَا تَخَافُونَ أَنْ يَحِقَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ إِذَا اسْتَهَنْتُمْ بِالْوَعِيدِ الْوَاردِ فِي الْقَطِيعَةِ وَاسْتِعْمَالِ الْبَنَى ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِسَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَجَاوُزِ مَأْمُورِهِ ، وَأَمَا تَرَجُونَ أَنْ يَحِلَّ الثَّوَابُ الْكَرِيمُ فِي الصَّلَةِ وَاسْتِعْطَافِ

أولى الحارم والقُرْبَةِ^(١) ، إِذَا رَعَيْتُمْ أَمْرَهُ ، وَالتَّزَمْتُمْ حَقَمَهُ ، وَاسْتَنْجَزْتُمْ مَوْعِدَهُ . وَإِنَّمَا أَخْرَجَ الْخِطَابَ بِلَفْظِ التَّنْذِيرِ ، وَإِنْ كَانَ الْوَعْدُ مُتَوَجِّهًا إِلَى جَمِيعِهِمْ ، لِأَنَّهُ قَالَ « فَأَوْصِيكُمْ يَا ابْنِي نِزَارٍ » .

وقوله « فَمَا تُرْبُ أَثَرِي » أَثَرِي وَالتَّرَى يُجْمَلَانِ اسْمَيْنِ لِلْأَرْضِ ، إِلَّا أَنَّ أَثَرِي جُمِلَ كَالْمَلَمَ لَهَا ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُصَرَف . وَالتَّرَى : النَّدَى . وَفِي الْمَثَلِ « التَّتَى التَّرِيَانِ » . وَفُسِّرَ قَوْلُهُ « وَمَا تَحْتَ التَّرَى » عَلَى مَا تَحْتَ الْأَرْضِ . وَيُقَالُ : تَرَى تَرَى ، فَيُرَادُ بِهِ التُّرَابُ النَّدِيُّ . وَفِي الْاسْتِكْثَارِ قِيلَ : هُمْ أَكْثَرُ مِنَ التَّرَى . وَالشَّاعِرُ وَصَفَ ابْنِي نِزَارٍ بِالْكَثَرَةِ ، لِأَنَّهُ فِيهَا الْعِزُّ وَالْقَلْبَةُ ، نَمَّ لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ حَتَّى قَالَ « هُمَا كَنَفْنَا الْأَرْضَ » . وَمَعْنَى « لَوْ جَمَعْتَ تُرَاهُمَا » لَوْ أَحْطَتْ عَلَمًا بِهِ وَضَبَطَتْهُ . وَمَعْنَى « بِأَكْثَرِ مَنْ ابْنِي نِزَارٍ عَلَى الْعَدَا » بِأَكْثَرِ مِنْهُمَا مَعْدُودِينَ ؛ فَوَضَّعَ عَلَى الْعَدَا مَوْضِعَ الْحَالِ . وَقَطَعَ هَمزة ابْنِي نِزَارٍ ضَرْوَةً ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

إِذَا جَاوَزَ الْإِنْسَانُ سِرًّا فَإِنَّهُ [بَنَتْ وَلَمْ كَثَارِ الْوُشَاةِ قَيْنُ]^(٣)
وَيَرْكَبُونَ هَذِهِ الضَّرُورَةَ فِي الْأَكْثَرِ الْأَعْمُ إِذَا كَانَتْ الْأَلِفُ فِي اسْمِهِ ،
وَذَلِكَ أَنَّ أَلِفَاتِ الْوَصْلِ بَابُهَا الْأَفْعَالُ دُونَ الْأَسْمَاءِ حَتَّى يُنْكَيَنَّ حَصْرُهَا^(٤) ،
إِذَا لَمْ تَكُنْ فِي مَصْدَرٍ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْمَعْتَادُ فِي أَلِفَاتِ الْأَسْمَاءِ الْقَطْعُ ،
فَعَلَى ذَلِكَ يُسْتَحْسَنُ قَطْعُهَا فِيهَا ، وَإِنْ كَانَتْ فِي الْوَصْلِ لِلضَّرُورَةِ .
وقوله « هُمَا كَنَفْنَا الْأَرْضَ » فَالْكَنَفُ : الْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ . وَمِنْهُ تَكْنَفُهُ
بَنُو فُلَانٍ . وَلِلْمَعْنَى أَنَّهُمْ مُخْذِقُونَ بِالْأَرْضِ . وَقَوْلُهُ « اللَّذَا لَوْ تَزَعَزَعَا » حَذَفَ

(١) القرية ، بضم وبضميتين : القرابة ، ومثلها القرب والقربي .

(٢) هو قيس بن الخطيم . ديوانه ص ٢٨ . واللسان (نث) .

(٣) التكلة من ل . وبدلها في التيمورية كلمة : « البيت » . وفي الديوان : وتكثير

الحديث « ، وفي اللسان : « وتكثير الوشاة » .

(٤) أي يمكن حصر ألفات الوصل في الأسماء ، وهي الأسماء العشرة .

النون استطالةً للاسم بصلته . وعلى هذا قوله :

أَبْنِي كَلْبِيَّ إِنَّ عَمِّيَ الَّذَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَا^(١)
والزَّعْرَعَةُ : التحريك ، ومنها ريحٌ زَعْرَاعٌ . وقوله « ما بين الجنوبِ إلى
الشَّد » يريد ما بين مَهَبِّ الجنوبِ إلى سَدٍّ بأجوج . ويقال سَدٌّ وَسَدٌّ لِقَتَانِ ،
وقيل السَّدُّ ما يفعله الآدميون ، والشَّدُّ بالضم ما لا صُنْعَ لِلآدَمِيِّ فِيهِ . ومُرَادُ
الشاعر أن مِسَاكَ الْأَرْضِ وجوانبها بَابُنِي تَزَارِ ، فإن تزعزعا تزلزلت الأرض .
وهذا الكلامُ نهايةٌ في بابه .

٢٠ - وَإِنِّي وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ وَجَفَوْتُهُمْ لَنَأْلَمَ مِمَّا عَصَّ أَكْبَادَهُمْ كِبْدِي

٢١ - لَأَنْ أَبِي عِنْدَ الْخَفَاطِ أَبُؤُهُمْ وَخَالَهُمْ خَالِي وَجَدُّهُمْ جَدِّي

يقول : أنا وإن كنتُ متفكراً لهم مُستجفياً ، وجافياً مَعَهُمْ معادياً ،
ومتعاملاً عليهم متعصباً ، فللعلائق الجامعة بيني وبينهم ، والأواصرِ العاطفةِ
ضميري عليهم ، ولأني أرى أطرافِي من السَّبَبِ والنَّسَبِ تَطَّارُنِي وتَأْبِي إِلَيَّ
التَّحَنُّنَ لهم ، وتَضَيُّعِي فتمنع من الانحراف عنهم - يسوؤني ما يسوؤهم ،
وأشكي لشكواهم ، وأنا ألمٌ مما يبالُهُمْ ، وبحسب ذلك أختارُ لهم ما أختاره
لنفسِي ، وأريد بهم ما أريدُ بِن لا يَتَمَيَّزُ عَنِّي ، فذلك هو الذي يدعوني إلى
استصلاحِهِمْ ، والوصاةِ بما يُؤدِّي إلى مصالحِهِمْ ، ففعلَ الْأَمْسِ سُهْمَةً ،
وَالْأَخَصَّ نُسْبَةً . وكيف لا أكون كذلك ، وإذا حافظنا الحقوق ، وراعينا
الوسائلَ والحظوظَ^(٢) تَنَاسَقَتِ الْأَبُوءُ بَيْنَنَا وَالْأُمُومَةُ ، وتلاحظت
الْبُنُوءَةُ وَالْأُخُوَّةُ .

(١) البيت الأخطل في ديوانه ٤٤ والخزانة (٢ : ٤٩٩ - ٥٠١) . وقد ذكر في

الخزانة خلافاً شديداً في تعيين اسمي عيه .

(٢) في الأصل : « والخصوص » ، صوابه في سائر النسخ .

٢٥٠

وقالت عائكة بنت عبد المطلب^(١) :١ - سائل بنا في قومنا وليكف من شر سماء^(٢)

٢ - قيساً وما جموا لنا في مجمع باقي شناعة

هذه الأبيات تناسب ما قبلها وتؤدي إلى مثل مؤداها، لذلك قالت «سائل بنا في قومنا» لأن ما تأملت منه كان في عشيرتها وذويها، وكان الخطب كان عظيماً، والشر كان مستفجلاً شديداً، فأخذت تبث على التسال^(٣) عنهم في قومهم، إذ كان البلاء لم يقدّم. ويموز أن يريد: سائل بنا وعن حالنا فيما بين قومنا، كأنه يدعي أن لم شأننا في قومهم ليس لغيرهم. وقولها «وليكف من شر سماء» توجع مما نالهم، واستفطاع لما أجروا إليه فيما أداروا أنفسهم عليهم^(٤). وظاهر لفظ الأمر للسمع، وهو في الحقيقة للمخاطب، لأن المراد: واكتف إذا

(١) هي عائكة بنت عبد المطلب بن هاشم، عم النبي صلى الله عليه وسلم، اختاف في إسلامها. الإصابة ٦٩٥ من قسم النساء.

(٢) التبريزي: «قال أبو هلال: لما قتل البراء بن عيس عروة بن عتبة الجعفرى كانت قريش بمكاظ، فاحتلموا نحو مكة، وأن هوازن قتل البراء عروة فأتبهم فادركهم بنخلة، فاقتلوا حتى دخلت قريش الحرم وجن عليهم الليل، فكفت عنهم هوازن، فقال خدش ابن زهير:

يا شدة ما شدة غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

والنبي في ذلك الوقت عشرون سنة ولأبي طالب ستون سنة، فقال البراء في ذلك:

نقمت على المرء الكلابي فخره وكنت قديماً لا أفر نخارا

علوت بنصل السيف قلة رأسه فأسع أهل الواديين جوارا

والإشارة بمكاظ في البيت الرابع إلى ما كان في أيام الفجار الآخر وكلها في عكاظ أو في مواضع قريبة منها. وكان مصرع عروة في أيام الفجار الآخر. انظر العقد (٥: ٢٤٥)، والأغانى (١٩: ٧٥).

(٣) هذا ما في ل، م والتميمورية. وفي الأصل: «التسائل».

(٤) أداروا، بتقديم الدال، كما في جميع الأصول. وقد سبق نحوه في ص ٤٥.

سألت من الشرِّ بالسمع دون العيان ، فهو في باب الأمر — أعني ليكشف —
 كقولهم في باب النقي : لا أَرَبَّنكَ هاهنا ، إذ كان المراد : لا تكن هاهنا فأراك .
 فإن قيل : لم نَكِرْ قوله من شرِّ ، والذي يوجبُ إليه يجب أن يكون معروفاً
 مشهوراً ؟ قلت : إن فائدة المنكر مثل فائدة المَعْرِف في مثل هذا المكان ، ألا
 ترى أنك تقول : فلان يلبسُ خَزاً وقَزاً ، والخز والقز ، فلا يختلف المفهوم منهما ؟
 وقوله « قَيْسًا وما جَمَعُوا لنا » انتصب قيسًا على إضمار فعلٍ ، كأنه قال : سائل
 قيسًا والجيش الذي جَمَعُوهُ لنا في تحنل أخباره تُتَحَمَّل وتُدشَّر على سرِّ الأحقاب
 والأيتام ، وشناعته تُستفطع وتُذكر في المشاهد والأقوام . والشناعُ والشناعةُ
 والشناع والشنوع : فُتِج الشيء الذي يطيرُ خبره ويعلو . ومنه شَنَعَ النجم ، إذا
 ارتفع في السماء . والشناعُ : الناقة الخفيفة . وشَنَعَت : تشمرت في السير وجَدَّت .
 وإنما قالت « وما جَمَعُوا لنا » لأنها أشارت بما إلى الجنس . ويجوز أن تريد :
 والذي جَمَعُوا من أنواع المَلَامات والجرائم . وإذا فسَدَ ذاتُ البين من قومٍ
 أخذوا يتجرَّمون وبعُدُّون ما لا يكونُ جِنَايةً جِنَايةً .

٣ — فيه السَّنَوْرُ والقَنَا والكَبْشُ مُلْتَمِعًا قِنَاعُهُ^(١)

أشار بقوله « فيه السَّنَوْر » إلى ما اشتمل عليه ذلك المَشْهُدُ من العَدَد
 والعُدَّة . وموضع « فيه السَّنَوْر » من الإعراب جَرٌّ على أنه صفةٌ لِمَجْمُوع . والمراد
 بالسَّنَوْر والقَنَا والكَبْشُ أجناسُها . والسَّنَوْر : الدَّرع ، وقيل هو جماعة الأسلحة
 والكَبْش : الرئيس . ومعنى « مُلْتَمِعًا قِنَاعُهُ » بارِقًا ، أي عليهم البيضُ .
 وانتصب مُلْتَمِعًا على الحال . ويجوز أن يُنَوَى الاستئنافُ بقوله « والكَبْشُ » ،
 وحينئذ يروى « ملتمِعٌ » بالرفع ، فيكونُ خبرًا عنه ، وموضعُ الجَلَّة يكونُ

(١) م والتبريزي : « ملتمِع » ، وهما روايتان .

نَصَبًا عَلَى الْحَالِ ، وَقَدْ سُمِّيَتْ الْبَيْضَةُ يَلْمَعًا لِبَرِيْقِهِ ^(١) ، كَمَا سُمِّيَ السَّرَابُ يَلْمَعًا . وَفِي اللَّذْلِ السَّائِرِ « أَكْذَبُ مَنْ يَلْمَعُ » .

٤ - بُمَكَاظَ يُعْشَى النَّاطِرِينَ إِذَا هُمْ لَمَحُوا شُعَاعَهُ

٥ - فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا قَسْرًا وَأَسْلَمَهُ رَعَاةُ

٦ - وَمُجَدَّلًا غَادَرَنهُ بِالْقَاعِ تَنْهَسُهُ ضِبَاعُهُ

قوله « بُمَكَاظَ » الباء منه تَعَلَّقَ بقوله في تَجَمُّع ، ويجوز أن يتعلَّقَ بِمَلْتِمَعًا . وشُعَاعُهُ يَرْتَفِعُ بِيُعْشَى ، والضميرُ منه يجوز أن يعودَ إِلَى عُمَاظَ لَكُونِ الشَّمَاعِ بِهِ ، ويجوز أن يعودَ إِلَى النِّفَاعِ لِأَنَّ اللَّعْمَانَ لَهُ . وَيُقَالُ أَشْعَتِ الشَّمْسُ ، أَيْ انْتَشَرَ شُعَاعُهَا . وَيُقَالُ لَمَحَهُ بِبَصَرِهِ وَلَمَحَ الْبَرْقُ ، وَبَرْقُ لَمَاحٍ . وَقَوْلُهَا « فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا » الضميرُ يعودُ إِلَى الْمَجْمَعِ ، ويجوز أن يعودَ إِلَى عُمَاظَ . وَمَعْنَى قَتَلْنَاهُ قَسْرًا ، أَيْ قَضْدًا ، لَا انْتِفَاقًا . وَالْقَسْرُ : الْقَهْرُ عَلَى كَرْهِهِ . وَيُقَالُ قَسَرْتُهُ وَاقْسَرْتُهُ . وَقَوْلُهَا « وَأَسْلَمَهُ رَعَاةُ » ، إِشَارَةٌ إِلَى لِفَائِفِ انْفِضُّوا إِلَيْهِ فَنَحَلُوهُ وَلَمْ يَقُولُوا . وَالرَّعَاعُ : سَنَلَةُ النَّاسِ وَسُقَاطُهُمْ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الرَّعَاعَةُ : الرَّجُلُ الَّذِي لَا فَوَادَ لَهُ ، وَمِنْهُ رَعَاعُ النَّاسِ . وَ « مُجَدَّلًا » انْتَقَصَ بِفَعْلِ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرُهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَغَادَرَنَ مُجَدَّلًا غَادَرَنهُ . وَالضَّمِيرُ فِي النِّفْعِ لِلْخَيْلِ . وَالْمُجَدَّلُ : الْمَصْرُوعُ عَلَى الْجَدَالَةِ ، وَهِيَ الْأَرْضُ . وَالْقَاعُ : الْمُسْتَوِيُّ مِنَ الْأَرْضِ . وَمَوْضِعُ « تَنْهَسُهُ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ غَادَرَنَ . وَالنَّهْسُ : أَخَذُ الشَّيْءِ بِمَقْدَمِ فَيْكٍ . وَيُرْوَى : « تَنْهَسُهُ » بِالشَّيْنِ مَعْجَمَةً . وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ : النَّهْسُ وَالنَّهْسُ سَوَاءٌ ، وَهُوَ أَخَذُ اللَّحْمِ بِالْفَمِ . وَخَالَفَهُ

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ ، أَيْ لِبَرِيْقِ الْبَيْضِ .

أبو زيد فقال : النّهنس بالستين أخذك الشيء بمقدّم فيك . والضمير في قوله « ضباؤه » يعود إلى القاع .

٢٥١

وقال عبد القيس بن خفاف^(١)

أحد بنى حفظة بن مالك ، البرجى^(٢) :

١ - صَحَوْتُ وَزَايَلَنِي بَاطِلِي ، لَمَعَرُ أَيْيَكَ زِيَالًا طَوِيلًا

يقول : وبقاء أيبك لقد أفقت من سُكر البطالة ، وفارقني ما كنت أتعاطاه من الصَّبَا والجهالة ، فإفاقاً ممتداً لا ينقطع بمعاودة تعرّض دونه ، أو بمواصلة تبطله وتزيله . فإن قيل : كيف وصّف الزّبال بالاطول ؟ قلت : الطول في الحقيقة لوقت الزّبال لاله ، لسكرته وصفه به على طريق التوشع . وهم يستعملون الطول والعرض على ضربين : أحدهما في المُجَسِّمات ، وذلك وصف لذهابها في الجهتين . والثاني أن يراد بهما الاتساع للشيء ، أو امتداد الوقت به . وهذا الوجه قد يستعمل في المُجَسِّم وغير المُجَسِّم . وأكثر ما يستعمل منه العرض من دون الطول . على هذا قولهم : نعمة عريضة وجاء عريض^(٣) . وقال الله تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ وقال : ﴿ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ . وربما جمعا

(١) شاعر جاهل من شعراء المفضليات ، قال أبو الفرج في الأغاني (٧ : ١٤٥) : « وأما عبد قيس بن خفاف البرجى فإن لم أجد له خبراً أذكره إلا ما أخبرني به جعفر بن قدامة » ، فذكر قصة في أنه حمل دماء عن قومه فأسلموه فيها ، وأنه أتى حاملاً الطق ومدمه ، فحملها عنه . انظر للقصة أيضاً أسالي القتالي (٣ : ٢١) ، وقد أشار إليها المرزبان في معجمه ٣٢٥ . (٢) البرجى : نسبة إلى البراجم ، وهم خمسة من أولاد حفظة بن مالك بن عمرو بن تميم : عمرو ، وقيس ، وغالب ، وكلفة ، وظليم ، وتحالفوا على أن يكونوا أكبر اجم الأصابع في الاجتماع . والبراجم : ما ينشز من الأصابع إذا قبضت اليد . (٣) الأبيات هي المغضاية رقم ١١٧ .

بينهما فقد قالوا : عَشْنَا زَمَنًا طَوِيلًا عَرِيضًا . والدَّهْرُ العَرِيضُ الطَوِيلُ ، يراد به الكَمَالُ والاتساع ، وقد قال كَثِيرٌ :

بَطَاحِيٌّ لَهُ قَسَبٌ مُعَصِّقٌ وَأَخْلَاقٌ لَهَا عَرْضٌ وَطُولٌ

فهذا على التَّشْبِيهِ بِالْمَجَسَّمَاتِ ، والقَصْدُ إلى السَّعَةِ ، لأنَّ الأخْلَاقَ تَوْصَفُ بالسَّعَةِ والضَّيقِ . وقد عَيَّبَ على أَبِي تَمَّامٍ قَوْلُهُ :

* بَيَّوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ ^(١) *

وقيلَ جَمَلٌ لَزَمَانَ عَرْضًا مَعَ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَيْهِ ، إِذْ كَانَ يَذْكُرُ الطَّوْلَ قَدْ اسْتَوْفَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ . وهذا من قائله ظَلَمٌ صَرِيحٌ لِأَنَّهُ سَلَكَ مِثْلَ طَرِيقَةِ كَثِيرٍ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْمَجَسَّمِ ، فَكَمَا قَالَ فِي الْأَخْلَاقِ لَهَا عَرْضٌ وَطُولٌ ، كَذَلِكَ قَالَ فِي الزَّمَانِ لَهُ طُولٌ كَذَا فِي عَرْضِ مِثْلِهِ ، وَلَا فَضْلَ . وقوله « وَزَايَلَنِي بَاطِلِي » قال سيمويه : يقالُ زَايَلْتُ بِمَعْنَى بَارَخْتُ ، ومنه قولهم مَا زَالَ يَفْعَلُ كَذَا ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ مَا يَبْرَحُ ، وَيُقَالُ زَالَ الشَّيْءُ مِنْ الشَّيْءِ بَرَزِيلَهُ زَيْلًا ، إِذَا مَازَهُ مِنْهُ ، وَزَالَ الشَّيْءُ بَرَزُولُ زَوَالًا ، إِذَا فَارَقَ . وَجَوَابُ الْقَسَمِ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ .

٢ - وَأَصْبَحْتُ لَا تَزِقًا لِلْحَاءِ وَلَا لِلْحُومِ صَدِيقِي أَكُولًا ^(٢)

٣ - وَلَا سَايَتِي كَأَشِحُّ نَازِحٌ بِذَحْلِ إِذَا مَا طَابَتُ الدُّحُولَا

أَجْرَى أَصْبَحْتُ تُجْرَى صِرْتُ . وَالتَّزِقُ : الطَّيَاشُ الْخَفِيفُ الْعَقْلُ . وَيُقَالُ تَزِقَ يَنْزِقُ نَزَقًا ، وَمِنْهُ تَزَقْتُ الْفَرَسَ ، إِذَا ضَرَبْتَهُ حَتَّى يَنْزِقَ وَاللَّحَاءُ : الْمَشَاتِمَةُ . بِقَوْلِ : اسْتَبَدَلْتُ مِنَ الْخِلْفَةِ وَقَارًا ؛ وَمِنْ الْمَجْلَةِ أَنَاةٌ وَسُكُونًا ، فَلَا يَسْتَخِفُّنِي النَّزَقُ إِلَّا لِحَالَةِ الرِّجَالِ ، وَثَلَبَ أَعْرَاضَ الْأَصْدِقَاءِ بِالْإِغْتِيَابِ . وَيُقَالُ

(١) من قصيدة له في ديوانه ٢٤٤ يمدح بها أبا المستنير الطائي . وعجزه :

* وَوَجَدِي مِنْ هَذَا وَهَذَا أَطُولُ *

(٢) المفضليات : « لَا تَزِقًا لِلْحَاءِ » .

لَهُ مُقْتَابٌ : هُوَ أَكُولٌ لِلْجُحُومِ النَّاسِ ، كَالسَّيِّعِ الضَّارِي ، وَلِلنَّمَامِ : هُوَ أَضْرَبُ
 مِنْ مَشَى بِشَفَةِ ، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَشَاءَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ . وَفِي الْقُرْآنِ :
 ﴿ أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ . وَقَوْلُهُ « صَدِيقِي » أَرَادَ بِهِ
 الْكَثْرَةَ لَا الْوَاحِدَ .

وَقَوْلُهُ « وَلَا سَابِقِي كَاشِحٌ نَارِحٌ » فَالْكَاشِحُ : الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ الْعَدَاوَةُ .
 وَالنَّارِحُ : الْبَعِيدُ الدَّارِ أَوِ النَّسَبِ . وَفِي الْبَيْتِ يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ . يَقُولُ : إِذَا سَمِعْتُ
 فِي طَلَبِ إِمَابَةِ الْأَوْتَارِ ، لَمْ يَفْتَنِي الْعَدُوُّ الْبَعِيدُ الدَّارِ ، لِأَنَّ الْمَسَافَاتِ لَا تَمْنَعُنِي
 عَنِ الطَّلَبِ وَإِنْ شَقَّتْ وَثَقَلَتْ .

٤- وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَاتِ عِرْضًا بَرِيئًا وَعَضْبًا صَقِيلًا
 ٥- وَوَقَعَ لِسَانِي كَحَدِّ السِّنَانِ وَرُمُحًا طَوِيلَ الْقَنَاقَةِ عَسُولًا^(١)

يَقُولُ : وَصِرْتُ كَمَا اسْتَنْكَفْتُ^(٢) مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ، وَأَخَذْتُ أَنْعَطَفَ
 عَلَى مَكَارِمِهَا ، أَعْدَدْتُ أَيْضًا لِحَوَاثِ الدَّهْرِ نَفْسًا نَفِيسَةً مِنَ الدَّائِيَّاتِ ، رَافِضَةً
 لِلْمُنْكَرَاتِ ، وَسَيِّفًا قَاطِعًا مَصْقُولًا . كَأَنَّهُ فِي وَقْتِ مَسَاعَدَةِ الْأَحْوَالِ لَهُ وَإِقْبَالِ
 الزَّمَانِ عَلَيْهِ ، يَعْلَمُ أَنَّ الْمَقْدُورَ كَمَا يُعْلَى يَرْتَجِعُ ، فَيَسْعَى فِيمَا نَسَلَمَ مَعَهُ النَّفْسَ
 وَيَطِيبُ بِهِ النَّشْرَ . وَإِنَّمَا قَرَنَ بِذِكْرِ الْعِرْضِ الْمَعْدِّ أَسْلِحَتَهُ لِيُرَى اكْتِفَاءُهَا
 إِذَا نَابَتِ النَّائِبَاتِ ، كَمَا قَالَ غَيْرُهُ^(٣) :

فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنْخَفْنَا خَالِفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ
 فَمَا أَسْلَمْتُنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهِةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَتَرٍ

وَقَوْلُهُ « وَوَقَعَ لِسَانِي » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ وَقَعْتُ الْحَدِيدَةَ بِالْمِطْرَقَةِ ، إِذَا

(١) ابْنُ جَنِّي فِي التَّنْبِيهِ : « فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقَنَاقَةَ غَيْرُ الرَّمْحِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « اسْتَنْكَفْتُ » وَالْوَجْهُ مَا أَثْبَتْنَا مِنْ ل ، م وَالتَّيْمُورِيَّةُ .

(٣) هُوَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورِ الْحَنْظَلِيِّ ، فِي الْخَمَاسَةِ ١٠٨ ص ٣٢٦ .

ضربتَها؛ ومنه حافرٌ وقيعٌ، إذا أثرت فيه الحجارة. ويجوز أن يكون من وقفتُ بهم وأوقفت؛ ومنه وقعاتُ الدهرِ ووقائعه. يقول: وأعدتُ لها لساناً مؤثراً تأثيراً شديداً، إذا اغترزَ في ركابِ القولِ نافذاً حديداً، نفاذَ السَّنانِ. وهذا كما قال:

ولساناً صَّيرَفيّاً صارِماً كحُسامِ السَّيفِ ما مَسَّ قَطَعُ^(١)

وقد قيل: «لَرَبِّهِ بِأَصْفَرِّهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ». وإذا تَنَفَّتِ الأعراسُ طالت الألسنة. وكانت الشعراء والخطباء عُدَّةً للقبائل كالرِّجال والأموال، بل كان الانتفاع بمكانهم، والدِّفاعُ بالسُّنَنِمِ أنتم وأكمل. وقوله «ورُحَّاحاً» أى وأعدتُ رُحَّاحاً، وجعله طويلاً الخَشْيَةِ لأنَّ مُسْتَعْمِلَهُ طويلاً أفرسٌ. والعسول: الشديداً الاهتزاز؛ ومنه عسلانُ الذُّب، وقولهم: عَسَلَ الدَّيْلُ في الطَّرِيقِ.

٦ - وسابغةٌ من حِيَادِ الدُّرُوعِ تَسْمَعُ للسَّيفِ فيها صَليلاً

٨ - كَمَتَنِ الْغَدِيرِ زَهَّتُهُ الدَّبُورُ يَجْرُ الْمَدَجِّجُ مِنْهَا فُضُولاً^(٢)

يقول: وأعدتُ لها أيضاً درعاً واسعةً من خيرِ أجناسِها، يَنْبُو عنها السيف فلا يعملُ فيها، لاستحكامِها وجودةِ مَرَدِّها، إلّا ما تَسْمَعُ من صليها عند إصابتها به، صافيةٌ كأنها صفحةُ الماء من غديرِ هَبَّتِ عليه ريحُ الدَّبُورِ، فخرُ كتفه واستخففته، فصار على ظواهرِه حَبَابٌ يتدافع. وإذا لَبِسَها المتدَجِّجُ في السَّلاح، المستعدُّ للكِفاح، فَضَّلَ عنه منها فواضِلُ يَجْرُرُها. وهذا كما قال الآخر^(٣):

* تُغَشِّي بَنَانَ الْمَرْءِ وَالْكَفَّ وَالْقَدَمَ^(٤) *

(١) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري في المفضلية ١٩٩.

(٢) رواية المفضليات: «زفته» بمعنى طردته ودفعته.

(٣) هو راشد بن شهاب اليشكري في المفضلية رقم ٨٦.

(٤) صدره: مضاعفة جداء أو حطمية.

وَالْقَصْدُ فِي هَذَا إِلَى صِفَةِ الدَّرْعِ وَجُودِهَا . وَلَوْ قَصَدَ مَذْحُ لَا بِسْمِهَا اسْكَنْ
يَحْمِلُهَا صِدَارًا أَوْ بَدَنَةً . عَلَى أَنْ كَثِيرًا لَمَّا أُنْشِدَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَوْلَهُ فِيهِ :
عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دِلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمُسَدَّى مَرَدَهَا وَأَذَالَهَا
قَالَ لَهُ : قَوْلُ الْأَعَشَى لَقَيْسِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِكَ :
وَإِذَا تَجَيَّ كَتِيبَةٌ مَلُومَةٌ خَرَسَاهُ بِخَشْيِ الدَّائِدُونَ نِيَاهَا
كَنتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَا بِسِ جُنَّةٍ ١ بالسيفِ تَضْرِبُ مُلِمًا أَبْطَالَهَا
فَقَالَ كَثِيرٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَفْتُكَ بِالْحَزَمِ ، وَوَصَفَ الْأَعَشَى صَاحِبَهُ
بِالْخُرْقِ .

وَلِقَائِلُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي الشُّمْرِ أَحْسَنُ مِنَ الْاِقْتِصَادِ ، وَالْأَعَشَى
أَعْطَى لِلْمُبَالَغَةِ حَقَّهَا ، فَهُوَ أَعْدَرُ (١) ، وَطَرِيقَتُهُ أَسْلَمُ .

٢٥٢

وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ (٢) :

١ - وَحَرْبٍ بَضِيجُ الْقَوْمِ مِنْ نَفْيَانِهَا ضَجِيجَ الْجِمَالِ الْجِلَّةِ الدَّيْرَاتِ
انْمَطَفَ قَوْلُهُ « وَحَرْبٍ » عَلَى مَجْرُورٍ تَقَدَّمَ ، وَلَيْسَ عَلَى إِضْمَارِ رُبِّ ،
بِدِلَالَةِ قَوَائِمِهَا « سَيَتَرُكُهَا قَوْمٌ » . كَأَنَّهُ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهَا لَمَّا رَأَتْ مِنْ أَمَارَاتِ
الشَّرِّ بَيْنَ قَوْمِهَا بِاسْتِعْمَالِهِمُ الْبَغْيَ ، وَاسْتِيطَاعَتِهِمُ الظُّلْمَ ، وَاسْتِقْبَالِهِمُ بِالْتَّحَابِ تَبَاغُضًا
وَبِالْتَّعَاطُفِ تَدَابُورًا ، وَبِالْتَّنَاضُرِ تَحَاذُلًا ، وَهُمْ مِنْ جُرْتُمِيَّةٍ وَاحِدَةٍ ، أَنَّهُ سَيَحْدُثُ
فِي مُؤْتَنَفِ الْأَحْوَالِ مِنْهُمْ أَحْدَاثٌ ، وَتَظْهَرُ عَلَى مَرُورِ الْأَيَّامِ لِدَوَاعِي الْهَلَاكِ آيَاتٌ
مِنْ كَذَا وَكَذَا ، وَحَرْبٍ يَنْشَاكُونُ مِنْ اشْتِمَالِهَا لَهُمْ ، وَتَتَنَاوَلُهَا بِالْمِشَارَكَةِ مَنْ

(١) كَذَا فِي لِ وَالتَّيْمُورِيَّةِ وَالتَّبَرِيزِي . وَفِي الْأَصْلِ : « أَغْرَزَ » ، وَفِي : « أَعَذَبَ » .

(٢) التَّبَرِيزِي : « وَقَالَ أَبُو رِيَّاشٍ : هِيَ مِنْ بَنِي قَشِيرٍ » .

عَدَاهُمْ مَعَهُمْ ، وَتَجَاوَزُ الْقُرْبَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْبُعْدَاءِ فِيهِمْ . وَهَذَا الْمَعْنَى اقْتِضَاهُ قَوْلُهُ « مِنْ نَفْيَانِهَا » لِأَنَّهُ أَصْلُهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهَا بِتَطَايُرٍ مِنَ الْقَطْرِ عِنْدَ سَيْلَانِ الْمَاءِ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ فِي جَوَانِبِ الْمَصَبِّ ، فَشَبَّهَ مَا يَتَدَافَعُ وَيَنْتَشِرُ مِنْ أَدَى الْحَرْبِ فِي جَوَانِبِ الْقَوْمِ بِهِ . وَالْجَلَّةُ : الْمَسَانُ مِنَ الْإِبِلِ . وَتَعْنِي الَّتِي مَعَ السَّنِّ أَضْرَبَهَا السَّكْدُ ، وَجَهْدَهَا الِاسْتِمَالُ ، وَأَزْمَنُهَا الدَّبْرُ ، فَقَالَتْ : تَضِجُ الْعَشِيرَةُ لِمَا يَقَاسُونَهُ مِنْ هَذَا الْحَرْبِ ضَجِيجَ تِلْكَ الْإِبِلِ عِنْدَ مَا تُقَاسِي مِنَ الْعَمَلِ . وَهَذَا التَّشْبِيهِ الصَّائِبُ الْمُنْتَهَى فِي الدَّلَالَةِ عَلَى حَالَةِ الْمَشَبِّهِ . وَقَدْ قَالَ الرَّاجِزُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ بِصِفِّ حَرْبًا :

وَأَغَشَّتِ النَّاسَ الضَّجْجَاجَ الْأَضْجَجَا وَصَاحَ خَاشِي شَرِّهَا وَهَجَجَهَا ^(١)
 ٢- سَيَّرَتْ كُفَّهَا قَوْمٌ وَيَصَلِّي بِحَرِّهَا بَنُو نِسْوَةٍ لِلشَّكْلِ مُصْطَبِرَاتِ
 تَبَيَّنَتْ بِهَذَا إِلَى اسْتِفْعَالِ الْحَرْبِ الَّتِي تَوَعَّدَتْ بِهَا وَتَقَاظَمَ الْخَطْبُ ،
 فَقَالَتْ : تَضَجَّرُ بِهَا فِرْقَةٌ مِنْهُمْ فَيَنْفُضُونَ الْأَيْدِيَ مِنْهَا تَفَادِيًا مِنْ مُلَابَسَتِهَا ،
 وَيَعْتَزِلُونَ عَنْهَا طَلِبًا لِلْأَمَانَةِ مِنْ عُقْبَاهَا ، وَحَذَرًا مِنْ امْتِدَادِهَا إِلَى غَايَةِ لَا تَنْلُكَ
 فِيهَا إِلَّا سَقَاةٌ مِنْهَا ؛ وَيَصِيرُ فِيهَا أُخْرَى ، وَهُمْ الْمُنْهَمِكُونَ فِي إِيقَادِ نَارِهَا ، وَالْأَصْطِلَاءُ
 بِحَرِّهَا ، الْعُنُونُ فِي إِثَارَةِ كَامِنِهَا ، وَإِذَاعَةُ وَاقِفِهَا ^(٢) ، الَّذِينَ لَا يَبَالُونَ بِمَا يَفْعَلُونَهُ
 أَوْ يَفْعَلُ بِهِمْ ، وَقَدْ تَعَوَّدَ الشَّكْلُ أَمَانَتَهُمْ فَلَا يَجْزَعُ عَنْ لِقَاتِهِمْ ، وَأَلِفَ الْأَيْمَةُ
 نِسَاؤُهُمْ فَلَا يَحْزَنُ لِمَوْتِهِمْ . وَمَعْنَى « لِلشَّكْلِ » أَيُّ مِنْ أَجْلِهِ ، وَهَذِهِ اللَّامُ فِي
 هَذَا الْمَوْضِعِ قَدْ تَوَدَّى مَعْنَى عَلَى ، فَاعْلَمْ .

٣- فَإِنَّ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِي بِكُمْ وَبِأَخْلَامِ لَكُمْ صَفِرَاتِ
 ٤- تُعَدُّ فِيكُمْ جَزَرُ الْجَزُورِ رِمَاحُنَا وَيُسْكُنُ بِالْأَكْبَادِ مُنْكَسِرَاتِ

(١) مِنْ أَرْجُوزَةِ الْمُعْجَاجِ فِي دِيْوَانِهِ ص ١٠ .

(٢) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَالْإِذَاعَةُ : الْإِفْشَاءُ وَالْإِظْهَارُ . وَيُقَالُ أَذَاعَ بِهِ ، أَيُّ ذَهَبَ بِهِ .

قولها « فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا » يجرى منها مجرى التحذير والوعيد ، وفيه
بعض الاستفاءة ، لأنها إذا رَهَبَتْ من القطيعة وآفاتها ، فَقَدْ رَغَبَتْ في الصلوة
وآياتها . وقد تَقَدَّمَ القولُ في صَادِقًا وَصَادِقِي ، وفي حَذَفِ الثَّوْنِ مِنْ يَكُ فِي
الْجَزْمِ مشروحا . وقولها « وَبِأَحْلَامِ اسْمِ صَفِرَاتٍ » ، أى لا خَيْرَ فيها ، وقد
زالت الْمُسْكَةُ^(١) عنها . ويقالُ صَفِرَ الْإِنَاءُ وَغَيْرُهُ صُفُورًا ، وإِنَاءٌ صِفِرٌ وَصَفِرٌ .
وقال الخليل : هو صَفِرٌ صَحِرٌ عَلَى الْإِتْبَاعِ ، أى خالٍ . وقولها « تُعِذُّ فِيكُمْ
جَزَرَ الْجَزُورِ » جواب الجزاء من قولها لا فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا ، كأنها ذَكَرَتْهُمْ
حالة مُنْكَرَةٍ تقدمت لهم ، فلذلك قالت : تُعِذُّ فِيكُمْ . والجزر : التَّطْع . وقبل
الجزور لأنها تُنْقَطَعُ وتُنْقَسَمُ . والجزرة : الشاةُ تُذْبَحُ . ويقالُ : تَرِكَ بَنُو
فُلَانٍ جَزَرَ الرَّمَاكِ ، أى قَتَلُوا واجتازرتهم السَّباع . وجعل الإعادة للرَّمَاكِ عَلَى
الانْتِشَاعِ . وقوله « وَيُمْسِكُن بِالْأَكْبَادِ » يروى بفتح السَّيْنِ ، أى يُضْبَطُن ؛
ويروى بكسر السَّيْنِ : وهو ظاهرُ المعنى . وانتصب « مِنْكَسِرَاتٍ » عَلَى الْحَالِ
والمُرَادُ أَنَّهُمْ يَجْرُؤُونَ الرُّمُحَ عِنْدَ الطَّمَنِ وَيَصِيدُونَ الْمَقَاتِلَ .

٢٥٣

وَقَالَ مَعْبِدُ بْنُ عُلْقَمَةَ^(٢) :

١ — عُيِّنْتُ عَنْ قَتْلِ الْحُمَاتِ وَلَيْتَنِي شَهِدْتُ حُمَاتًا يَوْمَ ضُرِّجَ بِالْدَمِ^(٣)

(١) في الأصل : « المسئلة » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) روى التبريزي هذه الحماسية متقدمة على هذا الموضع ، أى بعد الحماسية ٢٠٥
كما سبق التنبيه في ص ٦٢٩ . ومعبد بن علقمة ، هو معبد بن أخضر المازني ، وأخضر زوج
أمه فنسب إليه هو وأخوه عباد الذي نذبه عبيد الله بن زياد اقتتال الخوارج ، وقد قتل أخوه
عباد في حربهم تلك ، فتقدم للأخذ بشأره في جماعة من المازنيين ، فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعاً
لم ينج منهم إلا عبيدة بن هلال . وفي ذلك يقول معبد بن علقمة .

سأحي دماء الأخضرين إنه أبى الناس إلا أن يقولوا ابن أخضرا

الكامل ٥٩١ — ٥٩٢ .

(٣) انظر الآله ٤٤٣ . والحُتَاتُ هــذا ، هو الحُتَاتُ بْنُ يَزِيدَ الْجَبَلِيُّ وقد ذكر
الجاحظ في البيان (٢ : ٢٣٧) إلى أن بنى مازن — وهم رط معبد — هم الذين ضربوه .

- ٢- وفي السكف مئى صارم ذو حقيقة متى ما يُقدّم في الضريبة يُقدّم.
- ٣- فينم حيا مالك ولفيفها بأن لست عن قتل الحنات بمحرّم
- إنما قال هذا لأنه كان يُستبعد وقوع قتله من جهته ، إذ كان منه ذارحم محرّم . فجمع في كلامه هذا بين تلثف على فائنة ، وتمن على شرط عقده به له ، فيقول : أخرت عن قتل هذا الرجل يوم أصيب ولطخ بالدم ، فذهبت نفسه فيه وتغيّبت ، وكنت أودّ وأتتّى أن أكون حاضره ، ومشاهداً وقتله وحينه ، ومعى سيف قاطع ينفذ في الضريبة إذا أعمل بحقه من المضاء وحقيقته ، ويأتى على المضروب بحده وصرامته ، فيقتنّ الجيشان ومن لف لفهم^(١) وانضاف إليهم من أوباش تجمعوا لهم ، وقماش تكثروا بهم ، بأنى لست عن قتل هذا الرجل بذهب ولا تمتنع حتى كأنى فى حرّم . وقوله « بزم ضرج » فهو من الضرج^(٢) ، وهو الجمرة . والإضريج : ضرب من الخبز الأحمر . ويقال : ضرجت الثوب ، إذا صبغته بالجمرة خاصة ، وتضرج الخد عند الخجل . وقوله « ذو حقيقة » فالحقيقة ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه ، وتوسّعوا قليل : حاقت الرجل ، إذا جاذبته حقاً يمسكها . ويقال « هو نزق الحقائق » ، إذا جاذب فى صفار الأمور . وقوله « بمحرّم » يقال : أحرّم الرجل ، إذا دخل فى الحرّم ، أو فى الشهر الحرام . وفسر قول الراعى :
- * قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا^(٣) *

(١) لفهم ، وردت فى الأصل ، ل ، م بكسر اللام ، وهى صحيحة . يقال : جاء بنو فلان ومن لف لفهم وألفهم ، بفتح اللام وكسرها ، وفى لغة قليلة بضم اللام ، كما فى اللسان ، وقد عبر عن هذه اللفظة القليلة بقوله « وإن شئت رفعت » ، أى ضمنت .

(٢) لم ترد هذه الكلمة فى المعاجم المتداولة . وقد ضبطت فى نسخة الأصل بسكون الراء ، وفى ل ، م بفتحها .

(٣) عجزه كافى جمهرة أشعار العرب ١٧٦ والخزانة (١ : ٥٠٣) واللسان والمقاييس (حرّم) : * ودعا فلم أر مثله مقتولا *

على أنه كان له حرمة الإمامة والبلد والشهر ، لأنه قيل رضى الله عنه
في ذى الحجة . وانتصب « قَيْمَمَ » على أنه جواب التمتي .

٤- قُلْ لِّزُهَيْرٍ إِن شَتَمْتَ سَرَاتِنَا فَلَسْنَا بِشَتَائِمِ الْمُشْتَمِّ (١)

٥- وَلَكِنَّا نَأْتِي الظَّلَامَ وَنَعْتَعِي بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مُصْتَمِّ

يقول : أبلغ هذا الرجل أنك إن اعتمدت على ركوب السفه معنا ،
وتعمدت في مجاذبتنا سب خيارنا ، وتلب أعراضنا ، فإننا نربأ بأفسنا عن
مجارأتك في هذا الميدان ، ومكابلتك بمكيال السباب . ولتشم : المتحكك
بالشم والتمرض له . ويصلح أن يكون للجنس فيدل فيه زهير وغيره ،
ويصلح أن يراد به زهير خاصة . وقوله « وَلَكِنَّا نَأْتِي الظَّلَامَ » يريد :
لا نرضى بالدنيات ، ونمتنع من التزام الظلامات ، ونُدافع عن أحسابنا بكل
سيف رقيق الحدين ، نافذ في الضريبة . والظلام والظلمة والظلمة واحد ،
وهو ما تظلم الناس بسببها بينهم . وروى : « الظلام » بكسر الظاء ، مصدر
ظلمته مظامة وظلاما . وقوله « وَنَعْتَعِي » يقال عصيت [بالسيف (١)] ،
واعتصيت وعصوت بالعصا . ومرر يعنعي على العصا ، أى يتوكل عليها .
والتصميم : المضي في الأمر . ويقال صمم في عصيته ، إذا نيب .

٦- وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتَمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالْأَكْلَمِ (٢)

٧- وَإِنَّ التَّمَدِي فِي الذِي كَانَ بَيْنَنَا بِكَفَيْكَ فَاسْتَاخِرْ لَهُ أَوْ تَقَدِّمِ

أفعال بجملة الإنسان تُنسبُ إل جوارحهم على المجاز والسمة ، فلذلك

(١) التكلة من سائر النسخ .

(٢) نشم ، بكسر التاء في جمع النسخ . ويقال أيضاً : نشم . بضم التاء .

نَسَبَ الْجَهْلَ إِلَى الْيَدِي . وَلَمَعَنِي أَنَّ مَا يُذَمُّ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ لَا نَكْتَسِبُهُ
بُوجِهِ ، بَلْ فِينَا الرَّأْيُ الثَّاقِبُ ، وَالْوَقَارُ الْغَالِبُ ، وَالْأَنَاةُ وَالْحِلْمُ ، وَالسَّكِينَةُ
وَالْعِلْمُ ؛ فَأَمَّا الْيَدُ فَإِذَا بَطَشْنَا بِهَا بَطَشْنَا جَبَّارِينَ . أَيْ نَحْلُمُ بِجَهْدِنَا وَمَعْدَارِ طَاقَتِنَا
فَإِذَا أَحْرَجْنَا فَخَرَجْنَا عَنْ الْعَادَةِ كَانَتْ أَعْمَالُ أَيْدِينَا أَعْمَالُ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا رِعَاةَ
تَرَدُّعُهُمْ ، وَلَا رِقَّةَ تَضْيِطُهُمْ . وَقَوْلُهُ « وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ » ، يَقُولُ : نَجْمَلُ جِزَاءَ
الشَّتْمِ وَالْمُنْقَصَةِ وَالشَّلْبِ الْفِعْلَ لَا الْقَوْلَ ، إِذْ كَانَ الْقَوْلُ يَذْهَبُ أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ ،
وَالْفِعْلُ يَبْقَى أَثَرُهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ . وَقَوْلُهُ « إِنْ التَّمَادَى فِي الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
بِكَمْفَيْكَ » تَوْعُدٌ . يَقُولُ : أَسْرُ اللَّجَّاجِ وَالاسْتِمْرَارِ فِيمَا يَزِيدُ مَا بَيْنَنَا فُسَادًا أَنْتَ
قَادِرٌ عَلَيْهِ ، وَمَتَمَكِّنٌ مِنْ اخْتِيَارِهِ ، فَإِنْ شِئْتَ فَتَقَدَّمْ فِيهِ ، وَإِنْ شِئْتَ فَتَأَخَّرْ
عَنْهُ . وَيُقَالُ اسْتَأْخَرَ وَاسْتَقَدَّمَ ، وَتَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

٢٥٤

وَقَالَ أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ (١) :

- ١- غَذَوْنُكَ مَوْلُودًا وَعَمَلْتُكَ يَافِعًا تَعْمَلُ بِمَا أُذْنِي إِلَيْكَ وَتُنْهَلُ (٢)
- ٢- إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أَبْتَ لَشَكْوِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَعْمَلُ
- ٣- كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طُرِفْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِي تَهْمِلُ

(١) أمية بن أبي الصلت ، وأبو الصلت هو عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي ، شاعر
مخضرم ، أدرك الإسلام ولم يسلم . ولما أشهد النبي صلى الله عليه وسلم شعره قال : آمن لسانه
وكفر قلبه . وكان في الجاهلية ممن نظر في الكتب وقرأها ولبس المسحوق تبعداً ، وفي الإسلام
كان يحرص قريشاً بعد وقعة بدر ، ويرثي قتل المشركين ، وتوفي سنة تسع من الهجرة . الإصابة
والخزانة (١ : ١١٩ - ١٢٢) وابن سلام ٦٦ - ٨٦ والاشتقاق ١٨٤ والأغاني (٣ :
١٧٩ - ١٨٥ / ١٦ : ٦٩ - ٧٦) وابن قتيبة ٤٢٩ - ٤٣٣ .

(٢) هذه الحماسة اختلفت في قائلها . قال التبريزي . « وتروى لابن عبد الأعلى ، وقيل
لأبي العباس الأعمى ، قال أبو هلال : أوردها أبو عبيدة في أخبار العقبة والبردة » .
وأبو العباس الأعمى شاعر أموي ترجم له في الأغاني (١٥ : ٥٧) . واسمه السائب بن فروخ .
(١٨ - حماسة - ثان)

اعتدَّ عليه بما تجسَّمه فيه بعد أن كان السَّبَبَ في إبدائه وإنشائه ، وبما
أعدَّ له وتكفَّلَ به ، من ابتداء الطفولة إلى انتهاء الشباب واستكمال القوة ،
إذ كان جارِحَه ومربيَه^(١) ، والقائم بمؤنه على اختلاف سنينه^(٢) . ويقال غَدَوْتُكَ
غَدَوًا . والغذاء : الطَّعام والشراب . ويقال غلامٌ يافعٌ وبَفَاعٌ وبَفَعٌ ، وقد أَيْفَعَ
وأصله الارتفاع ، ومنه اليفاعُ من الأرض والجبل . وقوله « عَلِمْتُكَ » أى أنفقتُ
عليك . يقول : رببتُك لما وُلِدْتَ ، ومنْتُكَ حين أَيْفَعْتَ ، وفي تلك المدة
تُسْقَى العَلَلُ والنَّهْلُ ، وتُطْعَمُ الحارُّ والبارد ، وتُكْسَى اللَّيْنُ والخَشَنُ ، كُلُّ ذَلِكَ
بما أجمعه لك ، وأذنيه منك ، وبعد أن أقيمتُ من الحاذِرِ ، وأحفظك دونَ
للتَّالِفِ ، شَفَقَةً عليك ، واهتمامًا بِشَأْنِكَ ، فلنَ طَرَفْتُكَ لَيْلَةً بِشَكَاةٍ تؤذيك ،
أو عارضَ بُضْنِيكَ ، سهرتُ طولَ تلك اللَّيْلَةِ لا أهدأ قلبي ، ولا أستنمِضُ لدفعِ
ما أجده سَكَنًا^(٣) ، ولا أستلينُ مهادًا ، ولا أنثني لمقرِّ رأسي وسادًا ، بل أنلوى
وأضطربُ ، وأتملُّ على وِراشي وأتقلبُ ، حتَّى كَأَنِّي المختصُّ بما أشكاك ،
والمدَّهِ بِمَا دَهاكَ ، لا يَجِفُّ مَدْمَعِي ، ولا يَوطؤُ مضجعي . وقوله « تُعَلُّ بِمَا
أُذِنِي » يجوز أن يكونَ موضعُ تُعَلُّ صِفَةً لقوله بِافِعًا ، أى مَمْلُوءًا ؛ ويجوز أن
يكونَ خبر مبتدأ محذوف كأنه قال : وأنت تُعَلُّ وتُنَهِّلُ بما أذنيه . وقوله
« لَمْ أَبْتَ لِشَكْوِكَ » فالشَّكْوُ والشَّكْوَى والشَّكَاةُ واحدٌ . والتَّمَلُّ :
القلق وترك الهدو . ويروى « تُعَلُّ بِمَا أَجْنِي عَلَيْكَ » والمعنى أَجْنِي لَكَ -
وهذا كما يقال : سَتَى فلانٌ على ذَوِيهِ ، إذا سَتَى لهم في مصالحهم : ويقال جَنَى
النَّعْمَ يَجْنِي جَنْيًا وجَنَابَةً . قال الأخطلُ :

* دَانِي الْجِنَابَةِ مُوْنِعُ الْأَثْمَارِ^(٤) *

(١) الجارح : الكاسب . (٢) في نسخة الأصل : « سنة » .

(٣) السكن : كل . ما سكنت إليه واطمأنت ، من أهل وغيرهم .

(٤) صدره في ديوان الأخطل ٧٧ :

* وَكَأَن ظَنَنَ الْحَيَّ حَائِثَ قَرْيَةٍ *

٤- فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَرْمُلُ

٥- جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهَةً وَغِلْظَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

يقول : فَلَمَّا تَكَامَلَ مِنْكَ الشَّبَابُ ، وَتَمَلَّقتْ بِكَ الْأَمَلُ ، وَبَلَغْتَ الْمَدَى الْمُنْتَظَرَ لِلانْتِفَاعِ بِكَ ، وَالِاسْتِظْهَارِ بِمَكَائِكَ ، وَالِاضْطِلَاعِ بِكَيْمَاتِكَ ، وَصَلَحْتَ لِأَنْ تَكُونَ عُدَّةً وَدَدًا ، وَبَأْسًا مَخُوفًا ، وَطَمَعًا مَرْجُوءًا ، أَقْبَلْتَ تُجَازِيَنِي بِإِحْسَانِي إِسَاءَةً ، وَبِمَا اسْتَلَنْتَ مِنْ جَانِبِي غِلْظَةً ، وَبِمَا تَرَفَّرَفَ عَلَيْكَ مِنْ رَحْمَتِي وَرِقَّتِي نُبُوءًا وَقِسُوءَةً ، حَتَّى كَانَ مَا سَأَلَ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَتِي ^(١) كَانَ لَكَ ، وَمَا أَسْتَبَلَّ عَلَيْكَ مِنْ فَضْلِي وَإِفْضَالِي كَانَ مِنْكَ ؛ لَا مُرَاجَعَةً فِي الْأَوَّلِ تَرُدُّكَ ، وَلَا مُلَاحَظَةً لِقَبْالِكَ تَنِيهِكَ .

والجنبه : مقالة الإنسان بما يكرهه .

٦- فَلْيَبْتَكَ إِذَا لَمْ تَرْعَ حَقَّ أَبَوَيْ قَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْجَاوِرُ يَقْعُلُ ^(٢)

٧- تَرَاهُ مُعِيدًا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ يَرْدِي عَلَى أَهْلِ الصُّوْبِ مُوَكَّلٌ

يقول : وَدِدْتُ أَنَّكَ إِذَا لَمْ تُنَبِّئْنِي إِكْبَارَ الْآبَاءِ ، وَلَمْ تَرْعَ مَنَى حَقِّ الْوِلَادِ وَالْإِنْشَاءِ سِرَّتَ مَعِيَ بِسِيرَةِ الْمَجَاوِرِ لْجَارِهِ ، وَالْمُرَاقِ لِرَفِيقِهِ ؛ فَإِنْ ذَلِكَ إِذَا عُدَّ دَرَجَاتُ الْمُبَارَاةِ ، وَمُدَّتْ عِلَاقُ التَّحَابِ ، وَتَوَمَّلَ ذِمَّ الْقَرَابَةِ ، وَحُرِّمَ الصَّدَاقَةِ ، أَضْعَفُ الْأَوَاحِي ، وَأَدْوَنُ الْمُرَاقِي . ثُمَّ أَخَذَ يُنَبِّئُهُ عَلَى سُوءِ اخْتِيَارِهِ ، وَتَمَادَى تَجَاجِيهِ ، وَتَنَاهَى جِهْلَهُ وَالتَّوَانِيهِ ، فَقَالَ : « تَرَاهُ مُعِيدًا لِلْخِلَافِ » أَيْ جَعَلَ الْخِلَافَ عَلَى ذَوِي الرَّأْيِ وَأَرْبَابِ الْعَقْلِ ، وَأَوَّلَى الْحَزَامَةِ وَالْحِلْمِ ، عُدَّةً

(١) ل والتميمورية : « نعمة » .

(٢) أنشد التبريزي بين هذا البيت وتاليه :

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمَفْنَدِ رَأْيُهُ وَفِي رَأْيِكَ التَّعْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

فَكَانَتْهُ وَكَذَلِكَ بِرَدِّ صَوَابِهِمْ . واستقبح المَحْسَنِ عندهم . فإن قيل : بماذا دَخَلَ
 هذه الأبيات وما يتلوها - وهو في معناها - في باب الحماسة ؟ قلت : دخلت
 فيه بالمشاكلة التي بيّنها وبين ما تقدمها من الأبيات ، المنبئة عن المَفَاسِدِ
 بين العشائر ، وما يتولد فيها من الإحْن والضغائن ، المُنْسِيَةِ لِلتَّوَاشُجِ والتَنَاسُبِ ،
 المُنْشِئَةِ لِهَتِكِ المَحَارِمِ ، المبيحة لِسَفْكِ الدِّمَاءِ وقَطْعِ العِصَمِ ؛ إذ كان عُقُوقُ البَنِينَ
 للآباءِ ، وتَنَاسِيِ الحُرَمِ ، فيه مثلُ ذلك . وهو ظاهرٌ بَيِّنٌ .

٢٥٥

وقالت امرأة من بني هِزَانَ^(١)

يقال لها « أم ثَوَاب » في ابنِ لها عَقْمًا :

- ١- رَبَّيْتُهُ وَهُوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي جِلْدِهِ زَغَبًا
- ٢- حَتَّى إِذَا آخَ كَانَفُجَالٍ شَذَبَهُ أَبَارُهُ وَنَقَى عَنْ مَتْنِهِ السَّكْرَبَا
- ٣- أَنْشَأَ يُمِزُّقُ أَنْوَابِي يُوَدُّبُنِي أَبْعَدَ شَيْبِي عِنْدِي تَبْتَغِي الْأَدْبَا^(٢)

يقال رَبَّيْتُهُ وَرَبَّيْتُهُ بمعنى سَوَّعْتِي البيت : كَانَ ابْنِي حِينَ وَلَدْتُهُ فِي ضَعْفِهِ
 وَصِغَرِهِ ، وَتَسَاقَطَ قُوَّتُهُ ، وَتَخَلَّخَ بِنْيَتُهُ ، وَرَخَاوَةُ مَفَاصِلِهِ ، كَفَرَّخَ الْقَطَاةَ
 وَلَمْ يَسْتَبْدِلْ بَعْدُ بَزْغِيهِ شَسْكِيرًا ، وَلَا بِانْحِلَالِ عَقْدِهِ تَمَاسُكًا ، فَأَقْبَلْتُ أَرْبِيَهُ
 وَأَعْظَمُ شَيْءٌ فِيهِ بَطْنُهُ ، وَأَرْقِيهِ فِي مَدَارِجِ الذَّشِّ والتَرْشِيحِ وَهُوَ لَا يُمِيزُ مَا يَنْفَعُهُ
 حِمَا بِضَرِّهِ ، مَتَرَدِّدًا فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي تَجْرِي إِلَيْهِ ، وَتَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ ، بَيْنَ صِيَانَةٍ
 كَامِلَةٍ ، وَشَفَقَةٍ بَارِعَةٍ ، وَحِفْظٍ مُتَّصِلٍ ، وَإِشْفَاقٍ مُطَرِّدٍ . وَتَسْمِيَتُهُ الْبَطْنُ

(١) أم بنت هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن غزاة بن أسد بن ربيعة

الفرس بن معد بن عدنان . الاشتقاق ١٩٤ .

(٢) أشار التبريزي إلى رواية : « أبعد ستين » .

بِأَمِّ الطَّعَامِ ، كما قيل للجِلْدَةِ الرَّقِيقَةِ الْمُتَلَبِّسَةِ الدِّمَاغِ أُمُّ الدِّمَاغِ ، وكما سُمِّيَ الْمَجْرَةُ أُمُّ النُّجُومِ ، وكلُّ ذلك لما في المضاف والمضاف إليه من الانضمام والاحتواء . وقد سُمِّيَ الشَّنْفَرَى تَابُطاً شَرّاً بِأَمِّ عِيَالٍ ، فقال :

وَأُمِّ عِيَالٍ قَدْ شَهَدَتْ تَقْوَتَهُمْ إِذَا أَطْعَمْتَهُمْ أَوْ تَحَتَّ وَأَقَلَّتْ

لَمَّا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ أَسْرَ أَصْحَابِهِ وَيَتَكَفَّلُ بِهِ لَهْمٍ وَيُدَبِّرُهُ . وقولها « حتى إذا أَضَّ كَالْفُحَّالِ » حتى وَضِعَ لِلغَايَةِ ، وَأُضِيفَ إِلَى إِذَا وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْجُمْلَةِ الَّتِي انْشَرَحَ إِذَا بِهَا . والمعنى إلى هذا الوقت . وموضع « كَالْفُحَّالِ » نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ ^(١) . يقول : لم أَزَلْ أَجْرِي مَعَهُ فِي تَرْبِيَّتِهِ وَتَفَقُّدِهِ ، إِلَى أَنْ اسْتَكْمَلَ شَبَابُهُ ، وَتَرَعَّ نَبَاتُهُ ، وَامْتَدَّ قَوَامُهُ ، فَصَارَ كَفَجَلِ النَّخْلِ وَقَدْ قَطَعَ مُتَمَهِّدُهُ مِنْهُ شَذَبَهُ ^(٢) ، وَأَلْقَى عَنْ ظَهْرِهِ كَرْبَهُ ، لِيَكْمُلَ طَوْلُهُ ، وَيَتِمَّ غَرَّاسُهُ . وَالكَرْبُ : أَصُولُ الْأَعْدَاقِ تُنْزَعُ كَالْأَوْتَادِ إِذْ تَقَى بِهَا فِي النَّخْلِ . وَالْفُحَّالُ : فَخْلُ النَّخْلِ خَاصَّةً ، وَلَا يُقَالُ لِغَيْرِ فَخْلِهِمَا فُحَّالٌ . وَالْأَبَارُ وَالْوُؤْبَرُ : اللَّمَّحُجُّ لِلنَّخْلِ . وَالْفُحَّالُ لَا يُؤْبَرُ ، وَلَسَكَنٌ لَمَّا كَانَ يُؤْبَرُ بِهِ النَّخْلُ أَضَافَ الْأَبَارَ إِلَى ضَمِيرِهِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِهِ لِأَذْنَى تَفَلُّقٍ بَيْنَهُمَا . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ وفي موضعٍ آخَرَ : ﴿ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ ﴾ . ومعنى آضٍ ، قَالَ الْخَلِيلُ : الْإِبْضُ صَيْرُورَةُ الشَّيْءِ شَيْئاً غَيْرَهُ وَتَحْوِيلُهُ عَنْ حَالِهِ . وَقَوْلُهُ « أَنْشَأُ يُمَزَّقُ أَنْوَابِي » هُوَ جَوَابُ قَوْلِهِ حَتَّى إِذَا آضَ كَالْفُحَّالِ ، وَهُوَ الْعَامِلُ فِي إِذَا ، أَغْنَى أَنْشَأُ . وَيُقَالُ أَنْشَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، وَنَشَأَ فُلَانٌ حَدِيثًا ، ثُمَّ يُقَالُ : أَنْشَأُ يَفْعَلُ كَذَا وَيَقُولُ كَذَا . يَقُولُ : لَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ ابْتَدَأَ يَضْرِبُنِي وَيُحَرِّقُنِي بِي ، مُرْشِدًا

(١) هذا مذهب لبعض النحاة . وبعضهم يراه خبراً لآضٍ ، إذ يمدون « آضٍ » في الأفعال العشرة الملحقة بصار في العمل ، وهو مذهب ابن مالك . مع الموامع (١ : ١١٢) .

(٢) الشذب ، بالتحريك : قشر الشجر وقطعه .

ومؤدّباً ثم قالت وكأنّها أقبلت على إنسانٍ غيره بحضرتها تُخاطبه مُفكرةً ومتعجّبةً : أبعد المشيب يُطلبُ تأديبي . وهذا الكلام منها كالإشارة إلى المثل للضروب السائر في الأمّ : « من العناء رياضة الهرم » ، وهو مع ذلك يجرى مجرى الالتفات .

- ٤ - إني لأبصرُ في ترجيلِ لمتي وخطّ لحيّتي في خدّه عجباً
٥ - قالت له عرسه يوماً لتسميني مهلاً فإن لنا في أمنا أرباباً
٦ - ولو رأيتني في نارٍ مُسمّرةٍ ثم استطاعت لزادت فوقها حطباً
- قولها « إني لأبصرُ » ، يقال أبصرتُ الشيء وبصرتُ به . والبصر العينُ ونفاذُ القلب . وحكي أن معاوية قال لابن عباس وقد كفّ بصره : ما لكم يا بني هاشم تصابون بأبصاركم إذا أسدّنتُم ؟ فقال : كما تصابون ببصائركم عنده !! والترجيل : غسل الشعر ومشطه . وعجباً مفعول أبصرُ . ويقال أمره عجبٌ وعجيبٌ وعجائبٌ ، إذا تجاوز حدّ العجب . والاستعجاب : شدة التعجب . تقول : أرى بعد ما شاهدته من طُلولته وضمف حراكه وتذوّل الأحوال به وقتاً بعد وقت ، ونشأ بعد نشوء ، عجباً في لمتي ولحيّتي المختلطة ^(١) . أي أنه عجب كيف تحولَ عن تلك الحالة إلى ما أجده عليه الساعة . ثم قالت حاكية عن زوجته ما كانت تتفوّه به مُنمةً ورياءً ، وتقيمُ به سوقها حيلةً ونفاقاً ، إظهاراً لخلاف ما ينطوى عليه قلبها ، ويشتمل عليه ضميرها : كفّ عن إيذاء أمنا فإننا لا نستغنى عنها ، ولا تتمشّي أمورنا إلّا بها وبحياتها . ومعنى مهلاً رفقاً لا تمجّل . وأضلّ المهل والمهل السكينة والوقار ، ومنه الإمهال في الدين . والأرب : الحاجة . ثم صرّحت بما عرفته من سوء نيّتها فيها ، وحرصها على

(١) في الأصل : « المختلطة » ، صوابه في م ، ل والتميمورية .

الزيادة في مساوماتها ، فقالت : تَكَلَّمْتُ ذَلِكَ الْمَقَالَ مِنْهَا مَلَكًا مِنْهَا وَمَجَامِلَةً ، وَلَوْ
وَجَدْتُ فِي نَارِ مُخْرِقَةٍ ثُمَّ قَدَرْتُ لَزَادَتْ فِي وَقُودِهَا وَإِضْرَامِهَا . وَيُقَالُ . سَعَرْتُ
النَّارَ وَالشَّرَّ وَأَسَعَرْتُهُمَا ، وَإِنَّهُ لِسَعَرُ حَرْبٍ .

٢٥٦

وَقَالَ ابْنُ السَّلْمَانِي^(١) :

١ - لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ سَلَعٍ لِلْأَمِّ لِنَفْسِي وَلَكِنْ مَا يَرُدُّ التَّلَاوُمُ
سَلْعٌ : مَوْضِعُ أَضَافِ الْيَوْمِ إِلَيْهِ تَعْرِيفًا . وَحُكِيَ السَّلْعُ : شَقٌّ فِي الْجَبَلِ ،
وَمِنْهُ قِيلَ : تَسَلَعْتُ رِجْلَهُ ، إِذَا تَشَقَّقَتْ . وَكَانَ قَوْلُهُ : هَادٍ مِسْلَعٌ^(٢) مِنْ هَذَا ،
أَيُّ يَشُقُّ أَجْوَازَ الْفَلَاحِ شَقًّا . وَاللَّامُ مِنْ « لَعَمْرُكَ » لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَخَبَرُ الْمَبْتَدِإِ
مَحْذُوفٌ . وَلَا يَجِيءُ « تَعْمَرُو » فِي الْقَسَمِ إِلَّا مَفْتُوحَ الْعَيْنِ ، وَإِنْ كَانَ الْغَمُّ لُغَةً
فِيهِ ، وَمَعْنَاهُ الْبَقَاءُ . وَالتَّلَاوُمُ : تَكَافُؤُ الْأَوَمِ ، فَهُوَ كَالْتَلَاوُمِ . يَقُولُ : وَبَقَائِكَ إِنِّي
فِي هَذَا الْيَوْمِ لَعَاتِبٌ عَلَى نَفْسِي وَمُقَرَّعٌ لَهَا ، وَلَكِنْ مَاذَا يُغْنِي التَّعْتَبُ وَالْأَسْرُ
ظَائِتٌ . وَقَوْلُهُ « مَا يَرُدُّ » يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ مَا يَرْجِعُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى
مَا يَنْفَعُ . وَيُقَالُ : هَذَا أَرَدْتُ عَلَيْكَ ، أَيْ أَنْفَعُ . وَمَوْضِعُ « مَا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
مَنْفَعُولًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً .

٢ - أَلَمْ كُنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّي ضَلَّةً أَلْهَنِي عَلَى مَا فَاتَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
قَوْلُهُ « أَلَمْ كُنْتُ » لَفْظُهُ الْاسْتِفْهَامُ ، وَمَعْنَاهُ التَّقْرِيعُ وَالتَّوْبِيخُ . وَهَذَا

(١) شاعر إسلامي كان إبراهيم بن عربي والي النخاعة من قبل عبد الملك قد قبض عليه
وحمله إلى المدينة مأسورا ، فلما مر بسلع ، وهو موضع قرب المدينة ، قال هذه الأبيات .
معجم البلدان (سلع) . وابن السَّلْمَانِي ، كذا ورد في جميع النسخ ، ويميزه ما في معجم
البلدان . وعند التبريزي : « ابن السَّلْمَانِي » . والسَّلْمَانِي : نسبة إلى سلمان ، وهم حى من
مراد ، كما في الأنساب ٣٠٢ ب .

(٢) هو في قول سعدى الجهنمية ترضى أخاها أسعد :

سباق عادية ورأس سرية ومقاتل بطل وهاد مسلح

الكلام هو صريحُ لَوَمِهِ لِنَفْسِهِ ، فيجوز أن يكون حَذَفَ قبله لفظه قَائِلٍ ، كأنه قال : إِنِّي لَا أُمُّ لِنَفْسِي وَقَائِلُ الْأُمِّ كُنْتُ . ويجوز أن يكون استأنف عَدَلَ نَفْسَهُ مِنْ بَعْدُ أَيْضًا . وقوله « ضَلَّ » مصدر في موضع الحال ، ويجوز أن يكون مفعولاً له ، أى فَعَلْتُ ذَلِكَ ضَالًّا أَوْ لِإِضْلَالِي . وأصلُ الضَّلَالِ الذَّهَابُ عَنْ الْقَصْدِ . ويقال ضَلَّتُ مَكَانِي ، بكسر اللام وفتحها ، إذا لم تهتدِ إليه وأضَلْتُ بِعَيْرِي ، إذا شَرَدَ فذَهَبَ عَنْكَ . وقوله « أَلْهَنِي عَلَى مَا فَاتَ » تحسُّرٌ وتأسُّفٌ ، وهو كلامٌ مستقلٌ بنفسه . وقوله « لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ » تندُّمٌ على ما قَصَّرَ فِيهِ مِنَ النَّظَرِ وَالْفَحْصِ ، والكشفِ عن عُقْبَى الْأَمْرِ . وأَعْلَمُ مفعوله محذوفٌ ، وهو بمعنى أَعْرِفُ ، فيكتفى بمفعول واحد ، كأنه أراد : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَعْتَبِرَهُ ^(١) . وجواب لو محذوفٌ ، أى لو عَلِمْتُ مَا تَنْدَدُّمْتُ وَلَا شَقِيتُ ، وهذه اللفظة هِجْرِي كلُّ مَتَوَانٍ فِي الشَّيْءِ حَتَّى يَفُوتَهُ أَوْ يُسْكَابِدَ الْمَكْرُوهَ فِيهِ . والبيت على ثلاثة فصول ، كُلُّ فِصْلٍ مِنْهَا يَنْفَرِدُ بِمَبْنَاهِ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى سِوَاهُ . فالأَوَّلُ قوله « الْأُمِّ كُنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّي ضَلَّ » كأنه يستنكر ما اتَّفَقَ مِنْهُ ضَلَالًا ، فأخذ يستفهم تقرُّبًا وَعِتَابًا . والثاني « أَلْهَنِي عَلَى مَا فَاتَ » ، وقد تَقَدَّمَ القول في إعراب « أَلْهَنِي » ^(٢) . والثالث قوله « لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ » أى لو عَلِمْتُ لَتَحَزَّمتُ .

٣- لَوَ أَنَّ صُدُورَ الْأَمْرِ يَبْدُونَ لِلْفَتَى كَأَعْقَابِهِ لَمْ تُلْفِهِ يَتَنَدَّدَمُ
هذا معذرة فيما سَهَا عَنْهُ وَمَسْأَلَةٌ عَمَّا يُبْلَى بِهِ [فَتَحَزَّنَ لَهُ ^(٣)] . وقوله
« لَوَ أَنَّ صُدُورَ الْأَمْرِ » ، هو حذف المضاف ، والمراد : لَوَ أَنَّ مُؤَدِّياتِ صُدُورِ
الْأَمْرِ وَمُسَبِّبَاتِهِ تَظْهَرُ لِلْفَتَى كَمَا تَظْهَرُ لَهُ عِنْدَ أَعْجَازِهِ ، لَمْ تَرَهُ نَادِمًا عَلَى فَائِتِهِ ،

(١) ل والتيمورية : « مغيبه » ، أى عاقبته . وما في سائر النسخ أقوم .

(٢) انظر ما سبق في الحاشية ٤ ص ٤٤ .

(٣) التكلة من م ، ل ، وفى التيمورية : « فتحزَّنَ له » .

ولا جازعاً إثر هالك . وفي طريقته قول ابن الرقيات :

- في مُقْبِلِ الأَمْرِ تَشْبِيهُهُ وَمُذْبِرُهُ كَأَنَّمَا فِيهِ بِاللَّيْلِ الْمَصَابِيحُ
٤- لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ فِجَاجٌ عَرِيضَةً وَلَيْلٌ سُخَامِي الْجَنَاحَيْنِ أَذْهَمُ
٥- إِذِ الْأَرْضُ لَمْ تَجْهَلْ عَلَى فُرُوجِهَا وَإِذْ لِي عَنْ دَارِ الْهَوَانِ مُرَافِعٌ^(١)
هذا تذكرة لموارد مخلصه من الأمر الذي أُرِز به ، والبلاء الذي استأسر له ،
وتحشرت في عدوله عن مدارج الحزم فيه ، وانهماز الفرصة في الممكن منه ،
اغتراراً بما لم يجز السكون إليه ، وانتظاراً لما لم يصاح الاعتماد عليه ، حتى
يتمكن طالبه من مراده فيه ، وأنسدت الطرقات بينه وبين ما يرومه من بُعد
عنه ، واحتراز منه ؛ فقال متهافتاً : لعمري لقد كانت لي سبلٌ واسعةٌ يمكنني
سلوكها ، لا مُدَافِعَ دونها ولا ممانع ، وليلٌ أسودُ الطرفين مظلم ، يسترني إذا
ركبته ، ويساعدني على مجانبته ما أخذته ، لا مجاذب عنه ولا مُنَازِعَ . وكان
من قوله « لقد كانت فِجَاجٌ » هو كان الثامة المستغنية عن الخبر . وقوله
« وليلٌ سُخَامِي » فالسُخَامُ : الأسود ، كأنه يريد سِرَارَ الشَّهْرِ ؛ ومنه سَخِمَ
الله وجهه ، أي سَوَدَّهُ . والسُخَامِيُّ المنسوب ، في معناه ، ومثله الدَّوَارِيُّ
والدَّوَارُ من قوله :

* وَالذَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَارِيٌّ^(٢) *

ويموز أن يريد بالسُخَامِيَّ الجناحين ، اللين وقلة الآفات في جوانبه ؛
فإن السُخَامَ الریشُ اللين تحت الجناح ، لأن قوله أذم قد دلَّ على الظلمة .
وقوله « إِذِ الْأَرْضُ » إِذْ لَمَّا مَضَى ، وقد شُرح بالجملة التي أضيف إليها

(١) ابن جني : « قوافي هذه القطعة كلها مجردة غير مؤسسة ، إلا مراغم هذه ، فقد
ساند إذن . وقد استقصيت هذا في كتاب المغرب في تفسير قوافي أبي الحسن » .

(٢) للمعاج في ديوانه ٦٦ واللسان والمقاييس (دور) .

ومعنى « لم تجهل على فروجها »^(١) ، أى ثُفورها ومواضع الخافة منها كانت على ممالك لا بجاهل ، فأدرى كيف آتيتها ، وأنفذ في قطعها والخروج منها ، لا انهيب ولا أتحير . ويقال جهل فلان على ، إذا شق عليك ، قال الشاعر^(٢) :

جهلاً على وجبتنا عن عدوهم ليئست الخلتان الجهل والجهن

وقوله « وإذ لى عن دار الموان مراغم » الأصل فى المراغمة الهجران ، يقال فلان يراغم أهله أياتاً ثم يرجع . وفى القرآن : ﴿ يجذ فى الأرض مراغماً كثيراً ﴾ ، أى مُتسماً لهجرته .

٦- فلوشيت إذ بالأمر يسر لقلصت برحلى قتلاء الذراعين عنهم

٧- عليها دليل بالبلاد نهارة وبالدليل لا يخطى لها القصد منس^(٣)

يُخبر عن نفسه بأنه إنما أتى من تقصيره وتهاونه فيما وجب من جده وتشميره ، فيقول : لو أردت حين كان الخطب أيسر ، وأسباب المنع أقصر ، خلقت بى وشمرت فى الانتقال عن دار المذلة والهوان ، ناقة فى ذراعها قتل . والقتل هو تباعد المرفقين عن الخور ، لئلا يصير حاراً ولا ناكثاً ولا ضاغطاً . والتميم والتميم : الناقة الماضية ، وكذلك الميمامة ؛ وقيل هى الطويلة العنق ، الضخمة الرأس ، وذلك محمود فى صفاتها . وقوله « عليها دليل بالبلاد » فإنه يعنى به نفسه . وبالبلاد أراد به فى البلاد ، كما يقال فلان بالبصرة وفى البصرة . ويجوز أن يكون أجرى قوله « دليل » مجرى عارف وعالم ، فذلك أتى بالباء . وقوله « والدليل لا يخطى لها القصد منس » ، أى لبصره لا يخطئ

(١) يرى التبريزى أن هذا التعبير من باب القلب ، وينظر له بقوله تعالى : « فعميت عليهم الأنباء » ، أى هم عموا عنها .

(٢) هو قعنب بن أم صاحب ، من حامية ستأى فى باب الهجاء .

(٣) التبريزى : « دليل بالفلاة » .

مَنْسِمٌ بِبَعِيرِهِ قَبِيزِيعُ عَنْ الْقَصْدِ . وهذا وإن جَمَلَهُ من صفة البعير فالمراد به أَنَّهُ [هَادٍ ^(١)] خَرَّيْتُ . والدليلُ أصلُهُ فاعلُ الدَّلَالَةِ ، فهو كالدَّلِّ ، وقد تَوَسَّعَ فيه . والبلَدُ : الأرضُ وإن لم تُخْتَطَّ .

٢٥٧

وقال آخر :

- ١ - أَعْدَدْتُ بِيضَاءَ لِلْحُرُوبِ وَمَضَقُولَ الْفِرَارَيْنِ يَفْهَمُ الْحَلْقَا
 - ٢ - وَفَارِجًا نَبْعَةً وَمِلءَ جَفِيرٍ مِنْ نَصَالٍ تَخَالُهَا وَرَقًا ^(٢)
 - ٣ - أَرْيَحِيًّا عَضْبًا وَذَا خُصَلٍ مُخْلَوِقٍ لَلْمَتْنِ سَابِحًا تَنْقًا ^(٣)
 - ٤ - يَمْلَأُ عَيْنَيْكَ بِالْفَنَاءِ وَيُرِي ضِيكَ عِقَابًا إِنْ شِئْتَ أَوْ نَزَقًا
- تَبَجَّحَ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بَهْمَتُهُ فِي جَمْعِ آلَتِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ ، فَأَخَذَ يَذْكُرُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ مِنْ عُدَّتِهِ وَعَتَادِهِ ، عَلَى مَا يَسَّرَهُ لَهُ مَرَّةً الْأَيَّامَ فِي جِدِّهِ وَجِهَادِهِ ، فَقَالَ : هَيَّأتُ لِمُلَاقَاةِ الْأَبْطَالِ وَمِنَاوَشَةِ الرِّجَالِ دِرْعًا لَمْ يَشْنُهَا صَدْدًا ، وَلَمْ يَبْعِثْهَا فِي السَّرْدِ خَلَلًا ، وَسِنْفًا مَسْنُونِ الْحَدَيْنِ ، مَصْقُولِ الصَّفْحَتَيْنِ ، يَقْطَعُ الْبَيْضَ وَيَفْصِلُ الْحَلَقَ . وَالْفَضْمُ : الْكُسْرُ بِلَا بَيْنُونَةٍ ، وَالْقَصْمُ : الْكُسْرُ مَعَ بَيْنُونَةٍ . وَقَوْلُهُ « وَفَارِجًا » أَيْ وَأَعْدَدْتُ فَارِجًا ، وَهُوَ الْقَوْسُ الْمُتَبَاعِدَةُ ^(٤) الْوَتَرِ عَنِ الْكَبْدِ ، وَكَذَلِكَ الْفُرُجُ . وَقَوْلُهُ « نَبْعَةً » أَيْ هِيَ قَضِيبٌ وَلَيْسَتْ بِشَقَّةٍ .

(١) التكلة من ل ، م والتمورية .

(٢) كذا وردت ورقا بكسر الراء في جميع النسخ . وقد قيدها الإمام المازوني في الشرح بمعنى الفضة . لكن التبريزي رواها « ورقا » بفتح الراء . وفهرها بقوله : « والورق يريدون ورق الحواء ، وهو يشبه النصال المشاقص ، وهي العراض التي في وسط كل نصل منها هير » . والحواء ، كرماني : نبت يشبه لون الذئب ، كما في اللسان .

(٣) التبريزي : « سابقا تنقا » .

(٤) كذا في م ، ل . وفي الأصل والتمورية : « المتباعد » ، والقوس يذكر ويؤنث .

وَالنَّبْعُ أَجْوَدُ شَجَرٍ يُتَّخَذُ مِنْهُ الْقِسْيُ الْعَرَبِيُّ، وَجَعَلَهُ صَفَةً لِأَنَّهُ ضَمَّنَهُ مَعْنَى الصِّفَاتِ. وَعَلَى هَذَا أَسْمَاءُ الْأَجْناسِ، كَقَوْلِكَ هَذَا خَاتَمٌ حَدِيدٌ، مَقِيٌّ وَصَفَتْ بِهَا تَضَمَّنَ مَعْنَى فِعْلٍ. وَقَوْلُهُ «وَمِلْءٌ جَفِيرٌ» الْمِلْءُ: الْقَدْرُ الَّذِي يُمَلَأُ بِهِ الظَّرْفُ، وَالْمِلْءُ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ. وَالْجَفِيرُ: كِفَانَةُ النَّبْلِ إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً مِنْ خَشَبٍ، وَالْجَفَرُ فِي الْبُئْرِ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ «مِنْ نِصَالٍ» أَرَادَ بِهَا نِبَالًا رُكِّبَتْ فِيهَا نِصَالٌ يَبِيضُ تَقْلًا لَا فَتْخَسَبُ فِضَّةً^(١).

وَقَوْلُهُ «وَأَرِيحِيًّا عَضْبًا» يَعْنِي رَجُلًا يَرْتَاخُ لِلنَّفَازِ فِي الْأُمُورِ الصَّعَابِ وَالْمَضَاءِ وَبَهْتَزُ، وَالْمُرَادُ بِهِ نَفْسُهُ^(٢). وَالْعَضْبُ: الْقَاطِعُ. وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي تَصْرِيفِهِ^(٣). وَقَوْلُهُ «وَذَا خُصْلٍ» يَعْنِي بِهِ فَرَسًا لَهُ خُصْلٌ مِنَ الشَّعْرِ مُخْلَوِّقَ الْمَتْنِ، أَيْ مَصْنُوعًا أَمْلَسَ الْمَتْنَ شَدِيدَ الْمَلَأَةِ، لِأَنَّهُ مُفْعُولٌ عِلًّا مِنْ أُنْبِيَةِ الْمِبَالِغَةِ. عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ اعْشَوْشَبَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَعْشَوْشِبَةٌ. وَالتَّثْنُ: لِلْمَعْنَى نَشَاطًا. وَقَوْلُهُ «يَمَلَأُ عَيْنِيكَ بِالْفِنَاءِ»، فِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الْآخِرِ^(٤):

بَزَيْنُ الْبَيْتِ سَمْرُ بُوْطَا وَيَشْنِي قَرَمَ الرَّكْبِ

وَالْعِقَابُ: جَمْعُ الْعَقَبِ، وَهُوَ الْجَرَى بَعْدَ الْجَرَى. وَقَالَ الْخَلِيلُ: إِذَا كَانَ لِلْفَرَسِ جَمَامٌ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْجَرَى قِيلَ: عِقَابٌ. وَالنَّزْقُ: الْخِفَّةُ وَالْعَجَلَةُ وَيُقَالُ

(١) انظر الحاشية الأولى لهذه الحاشية.

(٢) كَذَا فُهِمَ الْمَرْزُوقُ، وَهُوَ مَعْنَى بَعِيدٍ. وَالْأَوْفَقُ مَا ذَكَرَهُ التَّبْرِيزِيُّ فَقُلَا عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ، قَالَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً السَّيْفِ بِأَرِيحَى لِأَنَّهُ يَهْتَزُّ فَكَأَنَّهُ يَرْتَاخُ لِلضَّرْبِ. وَقَدْ جَاءَ فِي شَعْرِ صَخْرٍ النَّفْيُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ نَسَبُوا السَّيْفَ إِلَى «أَرِيحٍ» وَذَلِكَ قَوْلُهُ:
وَصَارِمٌ أَخْلَصْتُ خَشِيَّتَهُ أَيْبُضٌ يَهْوِي فِي مَتْنِهِ رَبْدٌ
فَلَوْتُ عَنْهُ سَيْفٌ أَرِيحٌ إِذْ بَاءَ بِكَفَى وَلَمْ أَكِدْ أَجْدَ
قَوْلُهُ بَاءَ بِكَفَى، صَارَتْ كَفَى لَهُ مِبَاءَةٌ أَيْ مَأْوَى. وَلَمْ أَكِدْ أَجْدَ لِعَزَمَتِهِ. وَخَشِيَّتُهُ: طَبِيعَتُهُ وَهُوَ رَفِيقٌ. وَأَرِيحٍ: قَرْيَةٌ بِالشَّامِ.

(٣) انظر ما سبق في ص ٦٠، ١٤٢.

(٤) هُوَ عَقِبَةُ بَنِ سَابِقِ الْجَرَى، كَمَا فِي الْخُلُولِ لِأَبِي صَيْدَةَ ١٦٠.

تَزَفَّتُ الْفَرَسَ ، إِذَا ضَرْبَتَهُ حَتَّى يَنْزَقُ . وَمَعْنَى « يَمْلَأُ عَيْنَيْكَ » ، أَيْ يَشْفَلُهُمَا مُحَاسِنُهَا^(١) حَتَّى لَا تَنْدَسِعَ لغيرها .

٢٥٨

وَقَالَ قَتَادَةُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْهَنْفِيُّ^(٢) :

١ - بَسَكَرْتُ عَلَى مَنْ السَّفَاهُ تَلُومُنِي سَفَهًا تُعْجِزُ بَعْلَهَا وَتَلُومُ

الْبَيْتَ عَلَى كَلَامَيْنِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمِصْرَاعَ الْأَوَّلَ إِخْبَارٌ عَنْ زَوْجَتِهِ بِسَوْءِ عَشْرَتِهَا^(٣) ، وَتَوْجِيهًا الْعُقْبَ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ؛ وَالْمِصْرَاعُ الثَّانِي رُجُوعٌ مِنْهُ عَلَيْهَا فِيمَا أَنْكَرَتْ ، وَرَدٌّ لِلْعُقْبِ إِلَيْهَا لَمَّا تَجَرَّعَتْ . وَقَالَ « تَلُومُنِي » فِي الصَّدْرِ وَفِي الْعَجْزِ « تُعْجِزُ بَعْلَهَا » وَهِيَ وَاحِدٌ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَصْرِيفِهِمُ الْكَلَامَ عِنْدَ الْأَمْنِ مِنَ الْإِلْتِمَاسِ ، فَيَقُولُ : ابْسَكَرْتُ عَلَى تَلُومُنِي وَتَنْسُبُنِي إِلَى الْعَجْزِ ، مِنْ السَّفَاهِ ، أَيْ مِمَّا تَصَوَّرْتَهُ سَفَاهًا مِنْ أَحْوَالِي . ثُمَّ أَخَذَ يَحْجِجُهَا وَيُسْقِمُ قَوْلَهَا وَفِعْلَهَا فَقَالَ : سَنَهَا تُعْجِزُ بَعْلَهَا^(٤) ، أَيْ تَعْجِزُهَا لِي وَتَقْرِعُهَا لِإِيَّاي لِسَفَهِيهَا ، وَجَهْلِهَا بِمَوَارِدِ الْأُمُورِ وَمَصَادِرِهَا . وَالسَّفَهُُ وَالسَّفَاهُ وَالسَّفَاهَةُ : الْخِلْفَةُ وَالْإِضْطِرَابُ . وَيُقَالُ : تَسَفَّهَتِ الرِّيحُ الْفُصُونَ ، إِذَا حَرَّكَتْنَهَا . وَالْبُكُورُ ، أَصْلُهُ الْإِبْتِدَاءُ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِأَوَّلِ النَّهَارِ بُكُورَةٌ . وَتَلُومُنِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ بَسَكَرْتُ . وَانْتَصَبَ سَفَهًا عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ وَقَدْ قُدِّمَ . وَالْبَعْلُ ، أَصْلُهُ الذَّنْكَاحُ ، وَلِذَلِكَ

(١) الوجه : « محاسن » ، لأن النعت السابق كله المذكور .

(٢) قتادة بن مسleme الهمنفى ، شاعر جاهل ، هو الذى أجاز الحارث بن ظالم المرى حين قتل خاله بن جعفر بن كلاب : وخرج مستجيرا بالتبائل محتما بها وفى ذلك يقول الحارث بن ظالم :

قتادة الخير فالتنى حذيتة وكان قدما إلى الخيرات طلاعا

انظر الأغاني (١٠ : ٢٤ - ٢٦) .

(٣) فى الأصل : « بمشيرته » ، صوابه فى ل ، م .

(٤) ابن جنى : « أراد تعجيزنى فوضع الظاهر موضع ضمير المتكلم » .

قيل للمرأة بَعْلَةٌ أَيْضًا ، وقد ابْتَعَلَتْ وَتَبَعَلَتْ ، أى أطَعَتْ زَوْجَهَا .

٢ - لما رَأَتْنى قَدْ رُزِيتُ قَوَارِسى وَبَدَتْ بِجَنَسِى نَهْكَةً وَكُلُومُ
جوابُ لما تَقَدَّمَ ، وهو بَكَرَتْ عَلى . كَانَ هذا الشاعرَ لاقَى هو أَعْدَاءُهُ
وَمُنَادِيهِ ، بِأَحْبابِهِ وَمَعَاوِينِهِ ، فَكَانَتْ الدَّرْزَةُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ، فَجُرِحَ هو وَقُتِلَ
أُولَئِكَ ، فَقَدَّتْ أَمْرَانَهُ تِلْكَ الْفَعْلَةُ مِنْهُ وَمَا انْفَقَ عَلَيْهِ سَفَهًا وَذَنْبًا يَسْتَحِقُّ لَهَا
الْلُومَ ، فَطَفِئَتْ بِأَكْرَةِ عَلَيْهِ تُعْجِزُهُ وَتُؤَنِّبُهُ . وَالنَّهْكَةُ : التَّائِيْرُ ، يُقَالُ بَانَتْ
عَلَيْهِ نَهْكَةُ الْعِلَّةِ وَالْمَصِيْبَةِ . وَمَعْنَى رُزِيتُ : أُصِيبْتُ بِهِمْ . وَتَقَدَّمُ الْمَوْلَى فِي
مَجِيءِ الْقَوَارِيسِ جَمْعًا لَصِفَاتِ الْمَذَكَّرِ يُعْنِي عَنْ إِعَادَتِهِ (١) .

٣ - مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَصَابَ بِنَكْبَةٍ دَهْرٌ وَحَيٌّ بِإِلْوَنٍ صَمِيمٍ
قوله « من أصاب » نَكِيرَةٌ تُفِيدُ الْكَثْرَةَ ، وَالْمُرَادُ أَوَّلَ إِنْسَانٍ أَصَابَهُ
بِنَكْبَةٍ دَهْرٌ . وَهَذَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي نِسْبَةِ الْحَوَادِثِ إِلَى الدَّهْرِ ، كَمَا قَالَ
بَعْضُهُمْ (٢) :

يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَبَجَعْتَنَا بَسْرَانِنَا وَوَقَرْتَ فِي الْعَظْمِ
فَأَمَّا تَنْكِيْرُهُ لِلدَّهْرِ فَقَدْ حُكِيَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ وَيُونُسَ أَنَّ الدَّهْرَ
وَالزَّمَانَ وَالزَّمْنَ وَالْحَيْنَ ، يَقَعُ عَلَى مَحْدُوْدٍ وَغَيْرِ مَحْدُوْدٍ ، وَعَلَى عُمُرِ الدُّنْيَا مِنْ
أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْأَبْدُ الدَّهْرُ الْمَدْدُوْدُ ، وَيُجْمَلُ اسْمًا لِلنَّازِلَةِ .
وَيُقَالُ : دَهْرٌ مِنَ الدَّهْرِ ، لِبَعْضِهِ ، كَمَا يُقَالُ حَيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ . وَقَدْ اشْتُقَّ مِنْهُ
فَقِيلَ : إِنَّهَا لَدَاهِرَةُ الطُّوْلِ ، أَيْ طَوْبَةٌ جَدًّا . وَالشَّاعِرُ أَرَادَ بِمَا قَالَهُ التَّجَلُّدَ
لِلشَّامِتِ وَالتَّسَلَّى مِنَ الْمُصَابِ ، وَأَنْ يُظْهَرَ لِمَنْ أُلْقِيَ السَّمْعَ جَهْلَ أَمْرَانِهِ وَعُدُوْلُهُ

(١) انظر ما سبق في الحاشية ٣ ص ٣٩ .

(٢) هو الأعشى . ملحقات ديوانه ٢٥٨ والسان (وقر) والمقاييس (دهر) .

عن الصواب . وقوله « وَحَىٰ بِاسْلُوكِ صَمِيمٍ » ، فالبُسُولُ : عبوسة الشجاعة والفضب . ويقال بَسُلَ واستَبَسَلَ . والصَّمِيمُ : خالصة الشيء وما به قَوَامُهُ ؛ ومنه قيل صميم الصَّيف والشتاء . ويقال للرجُل : هو من صميم قَوْمِهِ ، أى من تخص أصليهم . ويوصف بالصَّمِيم الواحد والجميع ^(١) .

٤ - قَانَلَتْهُمْ حَتَّى تَكْفَأَ جَمْعُهُمْ وَالْخَيْلُ فِي سَبَلِ الدَّمَاءِ تَعُومُ
معنى تكفأ جمعهم : انكفؤوا فهزموا . وهذا من الكفء : قَلْبِكَ الشيء لوجهه . ومنه كفاتُ الإناء ، إذا قَلَبْتَهُ . ويجوز أن يكون من الكفء : النُّظِيرَ وَالْمَثَلَ ، ويكون المعنى تكافؤوا في مُدَافَعَتِي وَمُقَاوَمَتِي ، أى تَسَاوَوْا حتى لم يُفْضَلْ أَحَدُهُمْ عَلَى الْآخَرِ [فى ذلك ^(٢)] . وعلى هذا ما رَوَى فى الخبر : « الْمُسْلِمُونَ تَكْفَأُ دِيْنُهُمْ » . وَالسَّبَلُ : ما سال من المطر والدَّم ، ومنه أُسْبَلَ السُّتْرُ وَالْإِزَارُ ، إذا أُرْخَاهَا . ومعنى تَعُومُ : تَسْبِجُ ؛ وَيُسَمَّى الْفَرَسُ عَوَامًا لَسَبْجِهَا فى الجَرْى . وعلى التشبيه قالوا : النُّجُومُ تَعُومُ فى الْفَلَكَ . ومراد الشاعر اقتصاصُ الحال ، وأنه قد أدَّى ما كان إليه من الجاهدة ، فلا تَبِعَةً عليه .

٥ - إِذْ تَتَقَى بِسَرَاةٍ آلِ مُقَاعِسٍ حَذَرَ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ تَمِيمٍ ^(٣)

قوله « إِذْ تَتَقَى » ظرفٌ لقوله تَعُومُ . والانتقاء : أن تجعل بينك وبين محذورك شيئاً يقيك . وَالسَّرَاةُ : جمع سَرَى ^(٤) ، والفعلُ منه سَرَا يَسْرُو ، ولم يَجِئْ فى المعتلِّ فَعْلَةٌ فى الجمع إلا هذا ؛ لأنَّ هذا البناء يختصُّ بالصَّحِيح ،

(١) كذا فى الأصل والتبريزى . وفى سائر النسخ : « والجمع » .

(٢) لم ترد فى الأصل ، وإثباتها من سائر النسخ .

(٣) التبريزى : « حَذَرَ الْأَسِنَّةِ » .

(٤) قالوا : جاء على غير قياس ولا يعرف غيره أن يجمع فَعِيل على فَعَاة ، والقياس سَرَاة

بالضم مثل قضاة . ويقول سيبويه : لأنه اسم للجمع ، وليس جمعا .

نحو فَسَقَةٍ وَكَتَبَةٍ ، فهو يلزاهُ فُعَلَةٌ من المعتلِّ نحو قُضَاةٍ وَرُمَاةٍ . وانتصبَ
« حَذَرَ الْأَسِنَّةِ » على أنه مفعولٌ له ، وتيممُ بِرَفْعٍ بِفَعْلِهِمْ ، وهو تَتَقَّى ،
والتقدير : إذ تَتَقَّى وحين تَتَقَّى بِسَرَاةٍ هؤلاء القوم تيممُ حَذَرًا من الْأَسِنَّةِ
والشُّيُوفِ .

٦- لم أَلْقَ قَبْلَهُمْ فَوَارِسَ مِثْلَهُمْ أَنَحَى وَهُنَّ هَوَازِمٌ وَمَهْزِيمٌ

يجوز أن يكون عَنَى بالفوارس أصحابه الذين فُجِعَ بهم ، فَبَيَّنَ أَنَّهُمْ
لم يُؤْتَوْا فيما مُنُوا به من ضَفَفٍ ^(١) وَفَشَلٍ ، ولا من تقصير وكَسَلٍ ، بل حَامَوْا
عن أَحْسَابِهِمْ جَهْدُهُمْ ، ودافعُوا عن أَعْرَاضِهِمْ طاقَتَهُمْ ، حتَّى لم يُبَيِّقُوا غَايَةَ
يَتَمَلَّقُ بِهَا حُسْنُ الْحَافِظَةِ إِلَّا أَشْرَفُوا عَلَيْهَا ، ورأَوْا بِجَهْدِ الْمَارِسَةِ تَجَاوُزَهَا .
ويكونُ في وصفِ أَصْحَابِهِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ على الْخُذِّ الذي عليه في وصفِ نَفْسِهِ بقوله
« قَاتَلْتُهُمْ حَتَّى تَكَافَأَ جَمْعُهُمْ » وبقوله « يَمَمْتُ كِبَشَهُمْ بِطَمَنَةٍ فَيُفْصَلِ » .
وإِنَّمَا تَكَلَّفَ كُلٌّ ذَلِكَ لِتَقِيَمِ عُذْرَ نَفْسِهِ وَعُذْرُهُمْ فيما اتَّفَقَ عَلَيْهِمْ ، وَإِثْرِي
أَنْ مَا لَزِمَهُ وَإِيَّاهُمْ قَدْ أَدَّى بِنَآيِهِ ، وَإِنْ حَالٌ مَحْتَوَمٌ الْقَدَرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّجَاحِ .
ويجوز أن يكون المراد بهم فَرَسَانِ الْأَعْدَاءِ ، ويكونُ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِمْ على عَادَتِهِمْ
في الرِّفْعِ من الخِصْمِ عند اقتصاص الأحوال ، ونُسَبِّتُهُ فيما تَجَاوَزُوهُ إِلَى الْغَنَاءِ
وَالِاسْتِقْلَالِ ، وَكَمَالِ الشَّدَةِ وَالِاضْطِلَاعِ ، لِيَكُونَ صُورَتُهُ غَايَةً وَمَغْلُوبًا أَحْسَنَ ،
وَالِاعْتِدَادُ بِمَجَارَاتِهِ وَمَجَاذِبَتِهِ أَوْفَرَ وَأَبْلَغَ فَمَا قَوْلُهُ « أَنَحَى » فالمراد به أَنَحَى
منهم ، فَحَذَفَ . وهذا الْخُذْفُ من أَمْعَلَ الذي يَمُ بِمَنْ يَجُوزُ إِذَا وَقَعَ خَبَرًا
لَا صِفَةً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ . أَيْ لَمْ أَلْقَ فَرَسَانًا مِثْلَهُمْ قَبْلَهُمْ هُم أَنَحَى مِنْهُمْ
هَازِمِينَ وَمَهْزُومِينَ . وَقَوْلُهُ « وَهُنَّ هَوَازِمٌ » الواو واو الْحَالِ ، وَالضَّمِيرُ مِنْهُ لِفِرَقِ

(١) هذا ما انفرد به نسخة الأصل . والضنف ، بالتحريك : الضنف ، كما في القاموس ،

وفي سائر النسخ : « صنف » .

الخليل وطوائفها ، ولهذا قال هَوازِمٌ ، لَمَّا كان فَواعِلٌ يَخْتَصُّ بِجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ
إِلَّا فِي الْأَحْرَفِ الْمَعْدُودَةِ عِنْدَ الْكَلَامِ فِي فَوَارِسٍ ^(١) . ومثل هَوازِم قولهم
الخَوارِجُ — لأنَّ المراد به الْفِرْقُ — وما أَنشَدَنَاهُ أَبُو عَلِيٍّ الدَّجَوِيُّ الْفَارِسِيُّ
رَحِمَهُ اللَّهُ ، لِلْقُطَيْمِيِّ :

فَوَارِسُ بِالرَّمَّاحِ كَأَنَّ فِيهَا شَوَاطِينَ يَنْتَزِعُ عَنْهَا انْتِزَاعًا
قَالَ : وَجاءَ فِي شِعْرِهِ أَيْضًا :

* مَا يَنْتَامُ سَوَافِرُهُ ^(٢) *

ثُمَّ قَالَ : لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ سَوَافِرُ جَمْعِ سَافِرٍ الَّذِي هُوَ الْمَصْدَرُ ، كَمَا
قَالَ الْآخَرُ :

* فَقَدْ رَأَى الرَّادُونَ غَيْرَ الْبُطْلِ *

فَجَمَعَ بِاطِّلا عَلَى الْبُطْلِ ، وَالْبَاطِلُ مَصْدَرٌ ، تَقُولُ قَدْ قَلْتَ بِاطِلًا كَمَا تَقُولُ
قَدْ قَلْتَ حَقًّا . فَأَمَّا قَوْلُهُ « وَهُوَ هَزِيمٌ » فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٌ ، وَالْمُرَادُ بِهِ
الْكثرة لَا الْوَاحِدَ ، كَأَنَّهُ قَالَ وَهُنَّ مِنْ بَيْنِ هَازِمَةٍ وَمَهْزُومَةٍ .

٧- لَمَّا التَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا وَالْخَيْلُ فِي رَهَجِ الْعُبَارِ أَزُومٌ ^(٣)

٨- فِي النَّفْعِ سَاهِمَةُ الْوُجُوهِ عَوَاسٍ وَبَيْنَ مَنْ دَغَسَ الرَّمَّاحُ كُلُّوْمٌ ^(٤)

٩- يَتَمَنَّتْ كَبْشَهُمْ بَطْعَنَةً فَيَصِلُ فَهَوَى مُخَرَّ الْوَجْهِ وَهُوَ ذَمِيمٌ ^(٥)

لَمَّا هَذِهِ عِلْمٌ لِلظَّرْفِ ، وَهُوَ لَوْ قَوَّعَ الشَّيْءَ لَوْ قَوَّعَ غَيْرَهُ ، وَجَوَابُهُ يُجَىءُ مِنْ بَعْدُ ،

(١) انظر ما سبق في الحماسية ٣ ص ٣٩ .

(٢) البيت بنامه كما في ديوان القطامي ٢٢ :

تعارض براق المتون موقعا رضى الحصى لوست تنام سوافره

(٣) م والتبريزي : « فِي نَفْعِ الْعِجَاجِ أَزُومٌ » .

(٤) م : « وَالْقَوْمُ سَاهِمَةُ الْوُجُوهِ » .

(٥) التبريزي : « ذَمِيمٌ » بِالْدَالِ الْمَهْمَلَةِ .

وهو قوله « يَمْنَتُ كَبَشَهُمْ » . فيقول : لَمَّا تَوَاتَفَ الْفَتْنَانِ فِي مَصَافِهِمْ ، واشتجرت الرِّمَاحُ بِالطَّعْنِ بَيْنَهُمْ ، والدَّوَابُّ عَوَاضُ عَلَى جُلُمِهَا فِي الْقَتَامِ السَّاطِعِ ، متغيرةُ الألوانِ لاشتدادِ الشَّرِّ اللازمِ ، كوالسَّحُ الوجوهِ لما يقعُ بها من العَظْمِ الدَّرَاكِ ، والدَّفْعِ بِالرِّمَاحِ ، قصدتُ رئيسَهُمْ بِطَعْنَةِ رَجُلٍ يَقْضِي الْأَمْرَ ، وَيَفْصِلُ الْعُمَرَ ، فسقطَ لوجهه وهو مذمومٌ لِعُتُوِّهِ وَبَغْيِهِ . وقوله « أُزُومُ » جمعُ آزِمٍ ، والأزَمُ : الإِمْسَاكُ وَالْعَضُّ ، وكُنِيَ بِهِ عَنْ الْحُمِيَةِ فَقِيلَ : « نِعَمَ الدَّوَاءُ الْأَزَمُ » . وقوله « فِي النَّفْعِ » الأجودُ أَنْ يَكُونَ مُنْصَدِرَ نَفْعِ الشَّرِّ وَالصَّوْتِ وَالْمَوْتِ ، إِذَا كَثُرَ وَارْتَفَعَ ، وَأَنْ يُعْدَلَ بِهِ عَنِ الْغُبَارِ ، لِأَنَّهُ قَالَ : فِي رَهَجِ الْغُبَارِ . ومعنى رَهَجِ الْغُبَارِ : مَا أَثِيرَ مِنَ الْغُبَارِ . وقوله « سَاهِيَةُ الْوَجُوهِ » المشهورُ : تَغْيِيرُ اللَّوْنِ مَعَ هُزُلٍ وَيُبُوسٍ . والدَّعْسُ : الطَّعْنُ وَشِدَّةُ الْوُطْءِ . ويقالُ طَرِيقٌ مِدْعَاسٌ ، أَيْ مُدَّالٌّ ؛ وَرَجُلٌ مِدْعَسٌ شَدِيدُ الطَّعْنِ .

وقوله « فَهَوَى لِحُرِّ الْوَجْهِ » فَالْحُرُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَعْتَقَهُ ، وَقَالَ الْخَلِيلُ : حُرُّ الْوَجْهِ : مَا بَدَأَ مِنَ الْوَجْنَةِ . حُرَّةُ الدَّفْرَى : مَوْضِعٌ بِجَالِ الْقُرْطِ (١) .

١٠- وَمَعَى أَسْوَدٍ مِنْ حَنِيفَةٍ فِي الْوَعَى لِلْبَيْضِ فَوْقَ رَمُوسِهِمْ تَسْوِيمٌ

١١- قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ كَانَهُمْ فِي الْبَيْضِ وَالْحَلَاقِ الدَّلَاصِ نُجُومٌ

١٢- فَلَيْتَ بَقِيَتْ لَأَرْحَانٌ بَغْرُوقٌ نَحْوَ الْغَنَائِمِ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ

قوله « مِنْ حَنِيفَةٍ » فِي مَوْضِعِ الصَّلَةِ لِأَسْوَدٍ ، وَفِي الْوَعَى ظَرْفٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ أَسْوَدٌ ، وَتَقْدِيرُهُ مَعَى رِجَالٍ يُشَابَهُونَ الْأَسْوَدَ شَجَاعَةً وَإِقْدَامًا فِي الْحَرْبِ حَنْفِيُونَ . وَالْوَعَى أَصْلُهُ الْجَلْبَةُ وَالصَّوْتُ ، ثُمَّ صَارَ كَالْأَمِّ لِلْحَرْبِ . وَقَوْلُهُ :

(١) هذا أحد قولين ، والآخر أنها صفة ، يقال هي حرة الدفري ، أي حسنة الدفري أسيلتها . والدفري : العظيم الشاخص خلف الأذن .

« لِلْبَيْضِ فَوْقَ رَدْوَسِهِمْ تَسْوِيمٌ » ، فَالتَّسْوِيمُ : الْعَلَامَةُ وَالتَّائِيرُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : اَلْخَلِيلُ الْمُسَوَّمُ ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، وَيُقَالُ السَّيِّئَاتُ . وَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَطُولُ لُبْسِهِمُ لِلْبَيْضِ ، وَدَوَامُ مُمَارَسَتِهِمْ لِلْحَرْبِ ، قَدْ انْحَسَرَ الشَّعْرُ عَنْ جَوَانِبِ رَدْوَسِهِمْ . وَيُشَبِّهُ هَذَا الْمَصْرَاعُ قَوْلَ الْآخِرِ ^(١) :

قَدْ حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْيِي قَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْنِجٍ
وَقَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي :

عَبُوسٌ كَسَا أَبْطَالَهُ كُلَّ قَوْنَسٍ يُرَى الْمَرْءُ مِنْهُ وَهُوَ أَفْرَعُ أَنْزَعُ ^(٢)
وَقَوْلُهُ « قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ » ارْتَفَعَ قَوْمٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ أَسْوَدُ .
وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرَ مَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ كَأَنَّهُ قَالَ : هُمْ قَوْمٌ . وَإِنَّمَا يَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ
مُشَاهِرُونَ بِحَسَنِ الْبَلَاءِ ، مَتَمَيِّزُونَ عَنِ الْفُرْسَانِ إِذَا حَضَرُوا الْوَقَعَاتِ ، بِعَلَامَاتِهِمْ
وَمَعَارِضِهِمُ الَّتِي عُرِفُوا بِهَا وَفِيهَا ، فَلَا يَخْفَى آيَاتُهُمْ إِذَا تَدَجَّجُوا ، وَلَا يَلْتَبِسُ
أَحْوَالُهُمْ مَتَى تَطَلَّعُوا ، بَلْ كَانَتْهُمْ التُّجُومُ فِي الْمَنَاطِرِ وَالْقُلُوبِ . وَجَعَلَ الْحَدِيدَ
كِنَايَةً عَنْ أَنْوَاعِ الْأَسَاحَةِ . وَالِدَّلَاصُ : اللَّيْنَةُ الْمَلْسَاءُ ، يُقَالُ دِرْعٌ دِلَاصٌ
وَدَلِيصٌ ، وَدُرُوعٌ دُأَصٌ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : رَبَّمَا جَاءَ دِلَاصٌ فِي صِفَةِ الْجَمْعِ .

وَقَوْلُهُ « فَائِنْ بَقِيَتْ لِأَرْحَلَنْ بِغَزْوَةٍ » الْإِلَامُ مِنْ لَثْنٍ مُوْطَّئَةٍ لِلْقِسْمِ ،
وَلَا أَرْحَلَنْ جَوَابُهُ ^(٣) . وَقَوْلُهُ « نَحْوُ الْفَنَائِمِ » ظَرْفٌ لِأَرْحَلَنْ . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ :

(١) هُوَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ أَبِي الْأَسَلَتِ الْأَنْصَارِيُّ . الْمَفْضَلِيَّةُ ٧٥ .

(٢) أَيْ إِنْ بَيَضَ الْحَدِيدُ يَخْفَى شَعْرُ الْفُرْسَانِ ، فَنَ كَانَ مِنْهُمْ طَوِيلُ الشَّعْرِ بِدَا كَأَنَّهُ أَنْزَعَ
مَنْحَسَرُ الشَّعْرِ . وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « يَرَى الْمَوْتَ » وَفِي الدِّيْوَانِ ١٩١ : « تَرَى الْمَوْتَ » :
وَكَلَاهُمَا مَحْرُوفٌ عَمَّا أَثْبَتْنَا مِنْ سَائِرِ النُّسخِ .

(٣) ابْنُ جَنِّي : « لِأَرْحَلَنْ إِنَّمَا هُوَ جَوَابُ حَلْفٍ مَحْذُوفٍ ، أَيْ أَقِمُّ لِأَرْحَلَنْ . وَالْإِلَامُ
فِي لَثْنٍ زَائِدَةٍ وَمُوْطَّئَةٍ لِلَامِ الْجَوَابِ ، وَلَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ . أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : وَإِنْ
مُ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . وَصَارَ الْقِسْمُ وَجَوَابُهُ عَوْضًا عَنْ جَوَابِ الشَّرْطِ ،
أَيْ إِنْ أَبَقَ أَرْحَلُ » .

« تَحْوِي الْفَنَاءَ » ، وَيَكُونُ صَفَةً لَفَرْوَةٍ ، أَيْ حَاوِيَةً لِّلْفَنَاءِ . وَقَوْلُهُ « أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ » أَوْ بَدَلٌ مِنْ إِيَّاهُ ، وَيَمُوتُ يَنْتَصِبُ بَأَن مُضْمَرَةً ، كَأَنَّهُ قَالَ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ كَرِيمٌ . وَيَعْنِي بِالكَرِيمِ نَفْسَهُ . وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ لَبِيد :

* أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفُوسِ حِمَامُهَا ^(١) . *

٢٥٩

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ ^(٢) :

١ - أَلَا أُبَلِّغُ بَنِي ذُهْلٍ رَسُولًا وَخُصَّ إِلَى سَرَاةِ بَنِي النَّطَّاحِ ^(٣)
 ٢ - بَأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا بِالْمُشَى عُيَيْدَةً مِنْكُمْ وَأَبَا الْجَلَّاحِ
 ٣ - فَإِنْ تَرْضَوْا فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَإِنْ تَأْبَوْا فَأَطْرَافُ الرَّمَّاحِ
 ٤ - مُقَوِّمَةٌ وَيَيْضُ مُرْهَفَاتُ تُتْرُ جَمَاحًا وَبَنَانُ رَاحِ

قَوْلُهُ « رَسُولًا » أَرَادَ رِسَالَةً . وَقَوْلُهُ « وَخُصَّ إِلَى سَرَاةِ بَنِي النَّطَّاحِ » أَيْ تَوَصَّلَ إِلَى أَنْ تَخُصَّهُمْ بِأَدَائِهَا . وَالسَّرَاةُ تَقْدَمُ الْقَوْلُ فِيهِ ^(٤) .

وَقَوْلُهُ « بَأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا » الْبَاءُ زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ ، وَمَوْضِعُ بَأَنَّا نَصَبٌ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ رَسُولًا . وَمِثْلُهُ أَغْلِمَ بِكَذَا ، يُرِيدُ أُبَلِّغُ خِيَارَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَأَمَّا لَيْلَهُمْ أَنَا قَتَلْنَا بَدَلِ الْوَاحِدِ الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ مِنَّا اثْنَيْنِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ رَضِيتُمْ فَرَضَانَا مَعَ رِضَاكُمْ ، وَإِنْ أَيْبَيْتُمْ وَتَسَخَّطْتُمْ حَاكِمَنَا كَمَا إِلَى ظُلْمِي السُّيُوفِ وَقَدْ أُرْهِفْتُ ، وَإِلَى أَسْنَتِي

(١) صدره : * تَرَاكَ أَمَكْنَةُ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا *

(٢) زَادَ التَّبْرِيزِيُّ : « فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذُهْلٍ »

(٣) م : « وَخُصَّ بِهَا » ، أَيْ بِالرِّسَالَةِ . وَأَشَارَ التَّبْرِيزِيُّ إِلَى رِوَايَةٍ : « وَخُصَّ بِهِ » ، أَيْ بِالْقَوْلِ . وَرِوَايَةُ التَّبْرِيزِيِّ : « بَنِي النَّطَّاحِ » بِالْبَاءِ الْمَضْمُونَةِ ، وَفَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ : « النَّطَّاحُ حَالِكُ بْنُ عَامِرِ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ »

(٤) فِي الْبَيْتِ هـ مِنْ الْحَمَاسِيَةِ ٢٥٨ ص ٧٦٧ .

الرِّمَاح وقد قُوِّمَتْ . وهذا الكلام اعتلاء واققدار ، وتوَعَّد واستكبار . والفناء من قوله « فَأَطْرَافُ » بما بعدها جوابُ الجزاء ، وارتَفَعَ أطرافُ بالابتداء ، وخَبِرَهُ محذوف ، كأنه قال : فَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ وَبَيْضُ السِّبْوَفِ يَبْنُ . وَتَرَى فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِلْبَيْضِ ، وَمَعْنَاهُ تُسْقِطُ . وَالْمُرَهَقَاتُ : الْمُرَقَّاتُ الْحَدَّةُ . وَالرَّاحُ : جَمْعُ رَاة .

١٦٠

وَقَالَ جُرَيْبَةُ بْنُ الْأَشِيمِ الْفَقْمَسِيُّ (١) :

١ - فِدَى لَفَوَارِسِي الْمُعْلِمِيهِ ن تَحْتَ الْعَجَاجَةِ خَالِي وَعَمِّ

(١) هو جريبة بن الأشيم بن عمرو بن وهب بن دثار بن فقمس بن طريف الأسدي ثم الفقمسي . قال الأمدى : كان أحد شياطين بني أسد وشمرائها في الجاهلية ، ثم أسام فقال :

بدلت ديناً بعد دين قد قدم كنت من الدين كائن في حلم
يا قيم الدين أقمننا نستقم فإن أصادف مأثماً فلم ألم

الإصابة ١٢٨٠ والمؤتلف ٧٧ . وأخوه مطير بن الأشيم . وروى التبريزي من سبب الشعر ونسبته أن النعمان بن بجير العجل كان قد غزا بني فقمس ورئيسهم أهبان بن عرفة ، فلما بصر بنو فقمس بالخييل قالوا : هذه عبر عليها تمر . فابتدرونها خيلهم ، فلحق بهم جريبة بن الأشيم ويكنى أبا سعد ، فلما رآهم رجع واقتتل القوم فقتل أهبان ، قتله الحصيف بن معبد العجل ، وقال في ذلك هذه الحماسية . فتزعم هذه الرواية أن أبا تمام أخطأ في نسبة الشعر إلى جريبة ، وإنما هي للحصيف ، وليس لجريبة علاقة بهذا الأمر إلا أنه حضر الواقعة وفر منها وقال :

قالوا أبا سعد ألم تعرفهم تكلمت جريبة أمه من يعرف
والله ما منوا على وإنما مننت على شراف إذ تنحرف

شراف : اسم فرسه . وذكر التبريزي رواية أخرى تنسب الشعر إلى سيرة بن عمرو ، وهو فقمسي تقدمت له الحماسية رقم ٦٠ . يقول مناقضة الشاعر عجل قال شعرا في حرب شنتها بنو فقمس على بني عجل . ثم ذكر رواية ثالثة عن أبي محمد الأعرابي ، تؤيد أن الشعر لجريبة . قال : كان من قصة هذا الشعر أن سلهباً وأبا سلهب ، من بني ضبيعة بن عجل ، سارا في جمع من بكر بن وائل بطلبان ، وخرجت بنو فقمس في غزى لهم أيضاً يطلبون الغنائم ، فالتقى الجمعان ولا يريد منهم واحد صاحبه . فلما التقوا صاح بنو فقمس : نزال نزال ! فلم ينزلوا وقتلوا على الخيل ، فشد فروة بن مرثد الفقمسي على أبي سلهب العجل فاختلعا ضربتين ، فكلاهما قتل صاحبه ، وهزمهم بنو فقمس وقتلوا منهم . فقال في ذلك جريبة .

٢ - مُمُّ كَشَفُوا عَيْنَةَ الْعَائِبِينَ مِنْ الْعَارِ أَوْجُهُمْ كَالْحَمَمِ^(١)
 حَذَمَ لَمَّا ظَهَرَ مِنْ وَفَائِهِمْ وَبِلَائِهِمْ ، فَقَذَّاهُمْ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ . وَالْمُعْلَمُ : الَّذِي
 شَهَرَ نَفْسَهُ فِي الْحَرْبِ بِمَلَامَةٍ لَكِنِّي إِذَا أُبْلِيَ عُرِفَ بِهَا^(٢) . وَالْعَجَاجُ : الْغُبَارُ ،
 وَكَذَلِكَ الْعَجَاجَةُ . وَيُقَالُ لَفٍّ مَحَاجَّتُهُ عَلَى بَنِي فَلَانٍ ، إِذَا أَغَارَ عَلَيْهِمْ . وَقَوْلُهُ
 « خَالِي » فِي مَوْضِعِ الرُّفْعِ ، لِأَنَّهُ خَيْرُ الْمَبْتَدَأِ . وَقَوْلُهُ « مُمُّ كَشَفُوا عَيْنَةَ
 الْعَائِبِينَ » الْعَيْنَةُ : شِبْهُ الْخُرْبِطَةِ مِنَ الْأَدَمِ . وَهَذَا مَثَلٌ ، أَيْ أَظْهَرُوا مِنْ عَيْبِ
 مَنْ كَانَ يَطْلُبُ عَيْبَهُمْ مَا كَانَ خَافِيًا ، وَكَذَّبُوهُمْ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِقُونَهُ وَيَنْتَفِقُونَهُ
 بِهِ ، فَكَأَنَّهُمْ كَشَفُوا عِيَابَهُمُ الْمَنْطُوبَةَ عَلَى عِيُوبِهِمْ ، فَاسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ بِمَا
 غَشِيَهَا مِنَ الْعَارِ حَتَّى صَارَتْ كَالْحَمَمِ . وَيُقَالُ : « فَلَانٌ عَيْنُهُ عُيُوبٌ ، وَمِذْنَبُ
 ذُنُوبٍ » . وَيُقَالُ : عَابَ الْمَتَاعُ وَغَيْرُهُ ، إِذَا صَارَ ذَا عَيْبٍ ؛ وَعَيْنَتُهُ أَنَا ، أَيْ
 جَعَلْتُ فِيهِ عَيْبًا . وَعَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ . وَالْحَمَمُ :
 الْفَحْمُ . وَيُقَالُ جَارِيَةٌ تُحَمَّمُ ، أَيْ سَوْدَاءُ .

٣ - إِذَا الْخَيْلُ صَاحَتْ صِيَاخَ النَّسُورِ حَزَزْنَا شَرَاسِيفَهَا بِالْجِلْدِ
 يَقُولُ : إِذَا ضَجَّتِ الْخَيْلُ مِنَ الطَّعْنِ الْوَاقِعِ عَلَى نُحُورِهَا ، وَهَمَّتْ
 بِالْأَزْوَارِ أَوْ كَرِهْنَاهَا عَلَى الصَّبْرِ وَالْتِقَادِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ خِدَاشِ بْنِ زُهَيْرٍ :
 بَصِيحُونَ مِثْلَ صِيَاخِ النَّسُورِ مِنْ أَسْلٍ وَارِدٍ صَادِرٍ

(١) نَبِيُّ الْبَرِيذِيِّ عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ ، وَرَوَاتُهُ فِي الصَّلْبِ : « غِيْبَةُ الْعَائِبِينَ » . ثُمَّ قَالَ :
 « وَمَنْ رَوَى غِيْبَةَ الْعَائِبِينَ أَرَادَ : مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ فِي عَارٍ تَسْوَدُّ مِنْهُ وَجُوهُهُمْ أَدْرَكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
 ثَأْرَهُمْ فَفَسَلُوا ذَلِكَ الْعَارَ عَنْهُمْ ، فَكَأَنَّهُمْ بِذَلِكَ حَفِظُوا عَهْدَ مَنْ غَابَ عَنْهُمْ . قَالَ أَبُو هَلَالٍ :
 وَالْوَجْهَ الْأَوَّلُ - أَيْ عِيْبَةُ الْعَائِبِينَ - أَجُودُ ، لِقَوْلِهِ كَشَفُوا وَلَمْ يَقُلْ حَفِظُوا » .
 (٢) كَذَا وَرَدَّتِ الْعِبَارَةُ فِي جَمْعِ النِّسْخِ . وَلَهَا وَجْهٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ يُخْرِجُ عَلَى حَذْفِ الْمَنْصُوبِ
 يَكْنَى ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ : لَكِنِّي يَعْرِفُ ، إِذَا أُبْلِيَ عُرِفَ بِهَا . قَالَ صَاحِبُ التَّصْرِيعِ فِي
 الْكَلَامِ عَلَى (كَي) : « فَإِنْ ادَّعَا - أَيْ الْكَوْفِيُّونَ - أَنْ حَذَفَ الْمَنْصُوبُ وَبَقِيَ نَاصِبُهُ
 قَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي تَفْسِيرِ : وَجُوهٌ يَوْمُئِذٍ نَاصِرَةٌ : كَيْمَا فَيَعُودُ ، أَيْ كَيْمَا يَسْجُدُ .
 قُلْنَا : إِنْ ثَبَتَ حَذْفُ يَسْجُدُ فَهُوَ غَرِيبٌ لَا يَقَاسُ عَلَيْهِ » . فَالْحَذْفُ هُنَا عَلَى مَذْهَبِ خَمِيفٍ ،

ومعنى حَزَزْنَا قَطَعْنَا. والشر اسيف: مَنَاطُ الْأَضْلَاع: والجِذَم: السَّيَاط. وقوله «صَاحَتْ صِيَاخُ النَّسُور»، يريدُ صَاحَتْ صِيَاخًا يُشَبِّهُ صِيَاخَ النَّسُور^(١). وإذا ظرفَ لقوله حَزَزْنَا.

ع - إذا الدَّهْرُ عَضَّتْكَ أُنْيَابُهُ لَدَى الشَّرِّ فَأَزِمْ بِهِ مَا أَزَمَ هذا مَثَلٌ، والذي أشار إليه بالأنياب نُوبُ الدَّهْرِ وَحَوَادِثُهُ. وقوله «فَأَزِمْ بِهِ» أى اغضض به، والمعنى صَابِرُهُ. والتوشع في الأزمِ والقَضُّ على طريقة^(٢)، يقال: هذا عَضِيضٌ وَأَنَا عَضِيضُهُ، أى تشاكس في الأمر^(٣). وإنى لِعِضَاضُ عَيْشٍ، أى صَبُورٌ على شدته. و«مَا أَزَمَ» ما مع الفعل في تقدير المصدر، واسمُ الزَّمانِ محذوفٌ معه، فهو في موضع الظَّرْفِ^(٤). والمعنى: اغضض به مُدَّةَ عَضِّهِ بِكَ. ورواه بعضهم: «فَأَزِمْ لَهُ مَا رَزَمَ»، والمعنى: اثبت له ما ثبت لك. وإنما قال «فَأَزِمْ بِهِ» طلبًا للمطابقة والموافقة^(٥). على هذا قوله تعالى: ﴿مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾، والثاني ليس باعتداء، بل هو جزاؤه. وجوابُ إذا قوله «فَأَزِمْ بِهِ» وهو العامل فيه.

ه - وَلَا تُلَفْ فِي شَرِّهِ هَائِبًا كَأَنَّكَ فِيهِ مُسِرُّ السَّقَمِ في شرِّه، أى في سرِّ الدهر. يقول: لَا تَوْجَدَنَّ فِيمَا تُدْفَعُ إِلَيْهِ وَتُمْتَحَنُ بِهِ مِنْ نَوَائِبِ الدَّهْرِ خَائِفًا مَتَّهِبًا مُسْتَشْعِرًا لِلْيَأْسِ مِنَ النَّجَاحِ، وانقلابِ الأمرِ

(١) التبريزي: «صياح النسور، أى أصواتًا قصيرة... وقال أبو هلال: يقول إنها قد عودت ترك الصهيل في الغزو، فإذا صاحبت النسور لأمر يمرض لها - وهو صوت واحد ضربناها بالسياط، لنذكر العادة».

(٢) المصفيص فسر في اللسان بأنه القرن، وفي القاموس بأنه القرنين.

(٣) أى على طريقة واحدة.

(٤) هو ما يعبر عنه الإعرابيون بقولهم: ما مصدرية ظرفية.

(٥) هو ما يسميه البلاغيون المشاكلة.

إلى الخير والصلاح ، فتكون بمنزلة من به داء عضال لزمه ، فأعياء مداواته حتى يس من إقلاعه وذهابه ، فجعل يكتمه ويخفي أثره ، وهو خائف مما يتعقبه . ورواه بعضهم : « مُشِرُّ السَّعَمِ » . أى مُظهِرُهُ . وهذا كما روى يث اسرى القيس :

* لَوْ يُشِرُّونَ مَقْتَلِي ^(١) *

وأنشد فيه :

* وَحَتَّى أُشِرَّتْ بِالْأَكْفِ الْمَصَاحِفُ ^(٢) *

ومعناه تنتم لما تقاسيه ، وتخاف نزول أمثاله ، فتخزول وتنقطع ، فقل الوصيب المريض إذا اشتكى مما به .

٦ - عَرَضْنَا نَزَالٍ فَلَمْ يَنْزِلُوا وَكَانَتْ نَزَالٍ عَلَيْهِمْ أَطَمٌ

يقول : عَرَضْنَا عَلَيْهِمُ الْمُنَازَلَةَ فَقُلْنَا نَزَالٍ ، لَمَّا ضَاقَ مَجَالُ الْخَيْلِ عَنِ الطَّرَادِ ، فَتَكَرَّهُوا وَلَمْ يَنْشَطُوا لَهُ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْعَرَضَةُ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ وَأَغْلَبَ لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَلْفَاظِ التَّدَاعَى وَالتَّجَاذِبِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي لَفْظَةِ نَزَالٍ وَبَنَائِهِ وَتَأْنِيثِهِ وَحَقِيقَتِهِ مَا قَبْلَهُ كَفَايَةً ^(٣) . وَمَعْنَى « أَطَمٌ » يَقَالُ طَمَ الْبَحْرُ ، إِذَا غَلَبَ سَائِرُ الْبُحُورِ . وَالطَّائِمَةُ : الْخَصْلَةُ الَّتِي تَطُمُّ عَلَى مَا سِوَاهَا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِمَةُ الْكُبْرَى ﴾ ، يَرَادُ بِهِ الْقِيَامَةُ .

٧ - وَقَدْ شَبَّهُوا الْعِيرَ أَفْرَاسَنَا فَقَدْ وَجَدُوا مِيزَهَا ذَا بَشَمٍ ^(٤)

(١) والرواية المعروفة « لو يسرون » بالسين المهملة . وهو بتمامه :

تجاوزت أحراساً إليها ومعثراً على حراسا لو يسرون مقتل

(٢) لكعب بن جعيل ، أو الحصين بن الحزام المري ، يذكر يوم صفين . وصدده :

* فما برحوا حتى رأى الله صبرهم *

(٣) انظر ما سبق في الحماسية ٩ ص ٦٢ - ٦٣ .

(٤) يروى أيضاً : « ذا شيم » قال أبو رياش : الشيم البرد ومعناه صادفوا الموت :

العير : الإبل عليها الميرة وغيرها . وقال بمضمون : هو من قولهم : عار الشيء : ذهب ، يَمِيرُ ، وهي جماعات السفر ، ووزنه فُعل ، جمع عائر ، كعائذ وعوذ ، إلا أن العين كسرت لتدل على الياء^(١) . والمير : مصدر مارهم يَمِيرُهم ، إذا نقل إليهم الميرة . والمعنى : لجهلهم بخصمهم ، وثقتهم بأنفسهم وتمسك البغي من اختيارهم ونظريهم ، عدونا غنيمة تفتنهم ، وإبلا بأحاليها تساق وتفتنهم ، فقد استولوا عاقبة غنيمتهم وذاقوا وخامة ميرتهم . والبشم : الثقل ، يقال : بَشِمْتُ من الطعام ، وبِغَرْتُ من الماء .

٢٦١

وقال آخر^(٢) :

١ - أتاني عن أبي أنسٍ وعيمدٌ فسلَّ لِنَيْظِلِ الضحَّاكِ جِئِمِي^(٣)

٢ - ولم أعصِ الأميرَ ولم أربهُ ولم أسبقِ أبا أنسٍ بوعم^(٤)

هذه الأبيات إنما ختم بها الباب وإن لم تكن منه على عادته ، في إتيان المعنى بضده كثيرًا . والأغلب في الظن بقائلها أن يكون قصد بها الهُزء والتلح . وفي طريقتها قول الآخر^(٥) :

- والموت بارد ، والسلم بارد . ومنه قول خدش بن زهير :

بين الأملح والطرفاء تشدخهم زرق الأسنة في أطرافها شم

(١) هذا تصريح زادر لكلمة « العير » .

(٢) في معجم البلدان (٣ : ٤٧٤) « قال الأسدي » . التبريزي : « وقال شقيق

ابن سليك الأسدي » وهو شاعر إسلامي ، يقول هذا الشعر معتذراً إلى الضحَّاك . وهو أبو أنس الضحَّاك بن قيس بن خالد الشيباني الفهري . شهد صفين مع معاوية ، وغلب على دمشق ، ودعا إلى بيعة ابن الزبير ، ثم دعا إلى نفسه . وقتل بمرج راهط سنة ٦٥ . الإصابة ٤١٦٤ وتهذيب التهذيب .

(٣) التبريزي : « تغيض الضحَّاك » صوابه « تنيظ » ، كما في معجم البلدان .

(٤) التبريزي : « الأمير هو الضحَّاك بن قيس الفهري صاحب المرج » .

(٥) هو أبو دلالة ، كما في عيون الأخبار (١ : ١٦٤) والأغانى (٩ : ١١٩ - ١٢٠) .

إِنِّي أَعُوذُ بِرَوْحٍ أَنْ يُقَرَّبَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَيَخْزِي بِي بَنُو أَسَدٍ^(١)
 إِنَّ الْمُهَلَّبَ حُبُّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ وَلَمْ أُرِثْ نَجْدَةً فِي الْحَرْبِ عَنْ أَحَدٍ^(٢)
 إِنَّ الدُّنُوَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ تَغْلَهُ مِمَّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
 وَلِبَعْضِهِمْ :

بَاتَتْ تُسَخِّفُنِي هِنْدٌ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ^(٣)
 يَا هِنْدُ لَا وَالَّذِي حَبَّ الْحَجِيجُ لَهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهُ أَدَبُ^(٤)
 لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى أَهْوَالِهَا وَثَبُّوا^(٥)
 وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَرْضَى فَعَالَهُمْ مَا الْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ
 وَأَبْلَغُ مِنْهُ قَوْلِ الْآخَرِ :

اثنانِ مِنَّا يَفْلِبَانِ وَاحِدًا إِذَا تَعَاوَنَا وَكَانَ رَاقِدًا
 فَأَمَّا قَوْلُهُ « فَسُلٌّ لِفَيْظَةِ الضَّخَاكِ » فَالضَّحَاكِ اسْمُ أَبِي أَنَسٍ . وَمَعْنَى سُلٌّ :
 ذَابَ ، كَجِسْمٍ مِنْ بِهِ الشَّلَالُ ، وَهُوَ دَاءٌ مَعْرُوفٌ . وَقَالَ « غَيْظَةٌ » لِأَنَّهُ أَرَادَ
 الْمَوْتَ الْوَاحِدَةَ ، وَهَذِهِ الْمَاءُ تَدْخُلُ فِي الْمَصَادِرِ عَلَى اخْتِلَافِهَا لِهَذَا الْمَعْنَى كَالضَّرْبَةِ
 وَالخُرْجَةِ وَالْإِلْسَامَةِ وَالِاسْتِخْرَاجَةِ . وَقَوْلُهُ « وَلَمْ أَرِبُهُ » يُرْوَى بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ

(١) روح هذا ، هو روح بن حاتم المهلبى ، وكان أبودلامة قد شهد معه الحرب فقال
 له روح : تقدم وقاتل . الأغاني : « إلى البراز » .
 (٢) وكذا في الأغاني وشرح التبريزى . وفى م ، ل ، والتميمورية وعيون الأخبار :
 « ورثكم » .

(٣) الأبيات في عيون الأخبار (١ : ١٦٤) والعقد (١ : ١٦٦) وفى ل ، والتميمورية
 وعيون الأخبار والعقد : « تشجمنى » . وأشير فى هامش ل إلى رواية « تسخفنى » ولم تنص
 المعاجم على « التسخيف » فإن صحت كانت بمعنى النسبة إلى السخف وهو الضعف .

(٤) فى العيون : « لا والذى حجت الأنصار كعبته » . وفى العقد : « لا والذى منع
 الأبصار رؤيته » . وفى العيون : « من له أرب » أى من له عقل . وفى حواشى ل : « أرب
 بالراء محتمل أيضاً ، أى عقل » .

(٥) العيون : « إلى حوابها » ، العقد : « إلى فيرانها » .

وَضَمَّاهُ ؛ والفرق بينهما أنه يقال رَابَهُ الدَّهْرُ إِذَا قَصَدَهُ بِرَبِّهِ وَحَوَادِثِهِ ؛
وَأَرَابَهُ : أَنَاهُ بِرَبِّهِ . وَالْوَعْمُ : التَّرَةُ وَالذَّخْلُ .

٣- وَلَكِنَّ الْبُعُوثَ جَرَتْ عَلَيْنَا فَصِرْنَا بَيْنَ تَطْوِيحٍ وَغُرْمٍ^(١)

٤- وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ السُّفْدِ نَفْسِي وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ خُوَارِزْمٍ^(٢)

قوله « وَلَكِنَّ الْبُعُوثَ جَرَتْ عَلَيْنَا » يقالُ ضَرِبَ الْبَعْثُ عَلَى الْجَنْدِ ،
وَأَجْرَى الْبَعْثُ عَلَيْهِمْ ، أَيْ بُعِثُوا إِلَى الْعَدُوِّ . وَجَمَعَهُ فَقَالَ الْبُعُوثُ ، لاختلافه
وتكرُّره . وهذا كما يُجْمَعُ الضَّرْبُ عَلَى الضُّرُوبِ وَالْفَنُّ عَلَى الْفُنُونِ . وَالتَّطْوِيحُ :
والتَّبْعِيدُ فِي الْأَرْضِ ، وَالْحَمْلُ عَلَى رُكُوبِ الْمَهَالِكِ . وَيُقَالُ طَوَّحُوا وَطَيَّحُوا جَمِيعًا .

٥- وَقَارَعْتُ الْبُعُوثَ وَقَارَعُونِي فَقَازَ بِضَجْمَةٍ فِي الْحَيِّ سَهْمِي^(٣)

٦- فَأَعْطَيْتُ الْجِمَالَ مَسْتَمِيمًا خَفِيفَ الْحَاذِ مِنْ فِتْيَانِ جَرِمٍ

قوله « قَارَعْتُ الْبُعُوثَ » يريدُ به سَاهَمْتُهُمْ ، وَالْقَرَعَةُ الْأَسْمُ . وَيُقَالُ :
هُوَ قَرِيبِي أَيْ مُقَارِعِي ، كَمَا يُقَالُ هُوَ خَصِيمِي . وَقَوْلُهُ « الْبُعُوثَ » أَرَادَ أَصْحَابَ
الْبُعُوثِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَمَى الْمُبْعُوثَ بَعَثًا ثُمَّ جَمَعَهُ ، وَهَذَا
عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْوَصْفِ بِاسْمِ الْخَلْقِ . وَقَوْلُهُ « قَازَ بِضَجْمَةٍ فِي الْحَيِّ مَهْمِي »
أَيْ خَرَجَ^(٤) قَدَحِي بِاضْطِجَاعِي وَرَاحَتِي . وَيُقَالُ رَجُلٌ ضِجْجَعِيٌّ بِضَمِّ الضَّادِ

(١) التبريزي : « جنت علينا » ويبدو أنه تحريف في النسخة ، لأنه ذكر في التفسير :

« ضرب البعث على الجند ، وأجرى البعث عليهم » .

(٢) التبريزي : « ويروى خوارزم »

(٣) التبريزي وياقوت : « وقارعتني » .

(٤) في الأصل : « خرج » ، صوابه في سائر النسخ .

وكسرها ، وضُجَعَةٌ ، للماجز اللازم مَنْزَلَةٌ ، ومنه قيل للنُّجُومِ الثَّوَابِتِ الضَّوَّاجِعُ . وقوله «أُعْطِيتُ الْجَعَالَه» ، يريدُ أُعْطِيتُ الرِّشْوَةَ لِنَائِبٍ عَنِّي مِنْ بَنِي جَزَمٍ ، خَفِيفِ الْحَالِ فَقِيرٌ ، رَضِيَ بِالْمَوْتِ وَعَرَّضَ بِنَفْسِهِ لَهُ ، لَأَسْعَدَ بِالرَّاحَةِ وَالسَّلَامَةِ ، وَيَشَقِيَ هُوَ بِالتَّعَبِ وَالْهَلَكَةِ^(١) . ويقال : فلانٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ، أَيِ الْحَالِ وَالْمَوْنَةِ ؛ وَهِيَ بِحَاذٍ وَاحِدٌ ، أَيِ بِحَالٍ وَاحِدٍ .

تَمَّ بَابُ الْحَمَاسَةِ ، بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ وَلِيُّ الْحَمْدِ^(٢)

(١) ذكر التبريزي أنه في بالمستتميت حطان بن خفاف بن زهير بن عبد الله بن رهم ابن عرعة بن نهار .

(٢) في نسخة ل : « تم باب الحماسة بحمد الله وحسن توفيقه في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

بَابُ الْمِرَاثِ

بابُ المِرَاشِي

١٦٢

قَالَ أَبُو خِرَاشٍ الْمُهَذَلِيُّ^(١) :

١- حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشُّرَّاءِ هَوْنٌ مِنْ بَعْضِ خِرَاشٍ : مصدر خارشته ، أو جمع خَرَشٍ ، وهو الأثر كالتلذذ ؛ ومنه تَخَارَشَ الكلابُ : مزَقَ بعضها بعضاً . والخِرَاشُ : سِمَةٌ مستطيلة كاللذعة الخفيفة ، ويقال بغيرِ خروشٍ . والمِخْرَشُ : اسمٌ لما يُؤثرُ به ، خشبةٌ كان أو غيرها . فأما أبو خِرَاشَةَ من بيت الكتاب^(٢) :

أَبَا خِرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنْ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الصَّبْعُ^(٣)

فقد رُوِيَ بضم الخاء وكسرهما ، فخِرَاشَةُ يجوز أن يكون من خَرَشَ لِعِيَالِهِ ، أى كَسَبَ ، ويكون من باب عَمَالَةٍ وَمُجَالَةٍ وَصَبَايَةٍ وما أشبهها . وخِرَاشَةُ منه من باب وِلَايَةٍ وَنِكَايَةٍ^(٤) وما أشبههما .

(١) هو خويلد بن مرة ، أحد بني قرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه . ونزل به قوم من اليمن حجلاج ، واضطروه أن يستقى لهم تحت الليل ، فنهشته حية في طريقه ، ثم سقاها وأطعمهم ولم يعلمهم بما أصابه ، فأصبح وهو في الموت ، فلم يبرحوا حتى دفنوه ، فلما بلغ عمر غضب شديداً ، وقال : لولا أن تكون سنة لأمرت ألا يضاف يمان أبداً . انظر الأغاني (٢١ : ٤٧ - ٤٨) والإصابة والاستيعاب وأسد الغابة واللكل^٢ ٢١٦ - ٢١٧ والخزانة (١ : ٢١١ - ٢١٢) والاشتقاق ١١٠ والشعر والشعراء ٦٤٦ - ٦٤٨ .

(٢) كتاب سيبويه (١ : ١٤٨) وانظر الخزانة (٢ : ٨٠) .

(٣) البيت للعباس بن مرداس . وأبو خِرَاشَةَ هذا هو خفاف بن نذبة الصحابي الشاعر .

(٤) في جميع الأصول : « نكايه » بالياء ، وهو تحريف ، صوابه « نكايه » بالياء . وهي مصدر نكب هل قومه ينكب نكابة ، أى صار منكباً لهم وعريفاً ، والنكابة كالنقابة وزناً ومعنى .

وأبو خراش هذا كان خراش ابنه وعروة أخوه ، اصطحبنا في مُتَصَرِّفٍ لها^(١) فأسرهما بطنان من ثُمالة : بنو رزام وبنو بلال^(٢) ، وكانوا موتورين ، فاختلفوا في الإبقاء عليهما وقتلهما ، فقاتل بنو بلال إلى قتلهما ، وتفاقم الأمر بينهما في ذلك إلى أن صار يُؤدَّى إلى المقاتلة ، فتفرّد أولئك بعروة فقتلوه ، وتفرّد هؤلاء بخراش فخلّاه واحدٌ منهم متبيهاً للفرصة في الإساءة إليه ، فقال له : كيف دليلك^(٣) ؟ قال : قطاة^(٤) ! فالتقى عليه رداءه وقال : انجّه . فمرّ لطيفته ، فلما انحرفوا للنظر في أمره قال لهم مُمسِكُه : إنّه أفلت ! فطردوه فأعيأهم ، فلما رجّع خراش إلى أبيه وخبره بما جرى على عروة ، وبما اتفق من صاحبه في بابه ، اقتصص قصّته في هذه الأبيات .

وقد حُكي فيما روي عن الأصمعي وأبي عبيدة أنّهما قالَا : لا نعرف من مدح من لا يعرفه غير أبي خراش . وقد سلّك من شعراء الإسلام مسلكه أبو نواس في أبيات أوّلها :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَذَلُّجُوا بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزُّقَاقِ عَلَى النَّزَى وَأَضْعَافُ رَبِحَانٍ جَنِيٍّ وَبَابِسُ
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ لَهُمْ بِشَرْقٍ سَابَاطَ الدِّيَارِ الْبَسَابِسُ
وَمَرَّ بِي أَبْيَاتٌ لِبَعْضِ الْأَغْفَالِ فِيهَا :

سَقِيًّا لَهُمْ فَتِيَّةٌ تَدْنِي سَيُوفَهُمْ لَا عِلْمَ لِي غَيْرَ أَنَّ الْقَوْمَ أَخْرَارُ

(١) كذا فيما عدا الأصل . وفي الأصل : « منصرف » بالنون .

(٢) بنو بلال ، بفتح الباء وتشديد اللام ، كما في الخزانة (٢ : ٥٩) عند ذكر هذه القصة نقلاً عن الأغاني (٢١ : ٤٣) .

(٣) الدليل : الدلالة والعلم بها ، وهى الدليل الهادى أيضاً . وقال المبرد : « وقوله كيف دليلك ، فهى كثرة الدلالة . والفعل إنما تستعمل فى الكثرة ، يقال : التفتيت لكثرة التهمة . ويقال : الهجيرى لكثرة الكلمة المتكررة على لسان الرجل » .

(٤) عنى أنه فى دلالة وهدايته كالقطاة ، ويضرب بها المثل فى هدايتها إلى الماء .

فهذا ما رواه الناسُ

وقد حكى أبو العباس في الكامل^(١): أن خِراشاً كان في القِدِّ مأسوراً، وأن آسِرَهُ نَزَلَ به ضَيْفٌ فقام بِحَثِّدُهُ له، فنظر^(٢) ذلك الضيفُ إلى خِراشٍ وكان مُنْتَقِياً وراء البيت، فسأله عن حاله ونَسَبِه فشرح له قِصَّتَهُ وانْقَسَبَ، ففَطَعَ إِسارَهُ وَخَلَّاهُ، فلما رجع ربُّ البيت قال: أَسِيرِي أُسِيرِي !! وأراد السَّغَى في أَثَرِهِ، فوترَ قَوْسَهُ وحَلَفَ أنه إن تَبِعَهُ رماه.

وقد ذَكَرَ أن مُنْتَقِى الرِّدَاءِ كان يُجْتَازُ بِعُرْوَةٍ، فرآه بِادِي العُورَةِ مصروعاً، ففَعَلَ ذلك به^(٣). فهذا قِصَّتُهُ على الاختلاف فيه.

وقوله «سَحَدْتُ إلهي» رُوي: «سَحَدْتُ الإله»، وقلَّ ما يقع في الاستعمال الإله معرفةً باللام^(٤)، وقد أتى به على أصله، إذ كانت العادة جَرَتْ باستعمال لفظة الله بدله، حق جَرَى مجرى الألقاب في أن يكون مقدِّماً وسائر الصفات تتبعه. ومعنى اللفظة: الذي تَحَقَّقَ له العبادة. والحمد يَجْرِي بِجَرَى الشكر، إلا أنه يُستعمل في مُسَدِّدِ الإحسان، وفي مَنْ رُضِيَتْ أفعاله وإن لم يكن منه إحسان، فيقال: سَحَدْتُ فلاناً على اصطناعه لي، وسَحَدْتُه على بَراعته وفضله؛ والشكر لا يُستعمل إلا فيمن يكون منه إسداء معروفٍ وأخذٌ بإحسان. والمعنى

(١) الكامل ٣٣٧ ليسك.

(٢) في الأصل: «فَنَزَلَ»، صوابه في سائر النسخ وشرح التبريزي.

(٣) كان العرب كذلك يفعلون، يمر الرجل بالقتيل فيلقى عليه ثوبه يستره به. انظر المغضلية ٦٧ وقول متمم بن نويرة في البيت الثاني منها:

لقد كفن المنهال تحت رداثة فقي غير مبطان العشيات أروعا

(٤) ومن هذا القليل قول أمية بن أبي الصلت:

له ما رأت عين البصير وفوقه سماء الإله فوق سبع سمائها

سيبويه (٢: ٥٩) والخزانة (١: ١١٨). وقد سبق أيضاً قول عمرو بن كلثوم في الحماسة ١٦٠:

معاذ الإله أن تنوح نساؤنا على هالك أو أن نضج من القتل

أشكرُ اللهَ بعد ما اتَّفَقَ مِنْ قَتْلِ عُرْوَةَ ، على تَخْلُصِ خِرَاشٍ ، وبعضُ الشرِّ أخفُّ من الآخر . كأنه تصوّر قتلَهما جميعاً لو اتَّفَقَ ، فرأى قتلَ أحدهما أهون . وهذا الكلام ، أعنى « وبعض الشرِّ أهونُ من بعض » رَمَى به سَرَمَى الأمثال . فإن قال قائلٌ : ليس في الشرِّ هَيِّنٌ ، وأَفْعَلُ هذا يُستعمل في مُشْتَرَكَيْنِ في صِفَةٍ زاد أحدهما على الآخر ؛ لا تقولُ : زَيْدٌ أَفْضَلُ من عمرو ، إلّا وقد اشْتَرَكَا في الفضل ، فكيف جاز أن يقولَ : وبعض الشرِّ أهونُ من بعض ، ولا هَيِّنَ في الشرِّ ؟ قلتُ : إن للشرِّ مراتبَ ودرجاتٍ ، فإذا جُنْتُ إلى أحاديها ، وقد تصوّرتُ بُجْلَها ، ورُتَبَ الآحادِ فيها ، وجدتُ كُلَّ نوعٍ منها بِمُضَامَّةٍ للغير له حالٌ في الخِفَّةِ أو الثَقَلِ ، وإذا كان كذلك فلا يمتنع أن يُوصَفَ شيءٌ منه بأنه أهونُ من غيره . ولا يُشَبِّه هذا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَجْزَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ ؛ لأنَّكَ إذا تصوّرتَ حالَ أهلِ الجنةِ مع أهلِ النَّارِ لم تجدِ ثَمَّ مراتبَ متقاربةً يترقَّى الواصفُ في درجِها ، ويتصوّر اشتراكهم فيها ، إذ لم يكن ثَمَّ مشاركةُ البتَّةِ بوجهٍ من الوجوه . فالجامع بين الآية وبين هذا وأشباهه خارجٌ عن الطَّرِيقَةِ . والصَّوابُ أن يقالَ في الآية : إنَّ المعنى : أصحابُ الجنةِ يَوْمَئِذٍ أَحْسَنُ حالًا وأعظمُ شأنًا ، وأعلى درجةً ومكانًا ، وخيرٌ مستقرًّا وأفضلُ مَقِيلًا ، من أن يُشَبَّهَ بشيءٍ ، أو يُحَدَّ بِوصفٍ ، فحذفَ منه ما حُذِفَ . وعلى هذا يُحْمَلُ قولُ المسلمين : اللهُ أَكْبَرُ ، وما رَوَى عن النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلم أنه لما سَمِعَ الكُفَّارَ يقولون : أَعْلُ هُبَلٍ ! قال : « اللهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ » .

٢ - فوالله ما أنسى قَتِيلًا رُزِقَتْهُ بِجَانِبِ قَوْمِي ما مَشَيْتَ عَلَى الْأَرْضِ^(١)

(١) قوسى ضبطت في الأصول والتبريزى كذا في أصل ديوان الهذليين (٢ : ١٥٨) بضم القاف ، وضبطت في القاموس وشرحه وكذا في معجم البلدان عند إنشاد هذه الأبيات بفتح القاف ، قال ياقوت : « يجوز أن يكون فعل من القوس بالضم وهو معبد الراهب ، أو من القوس وهو الزمان الصعب ، أو من الأقوس وهو الرجل المشرف . قيل : بلد بالسرقة » .

تَمَلَّقَ الباء من قوله « بجانب » بقتيلاً ، كأنه قال : ما أنسى قتيلاً بجانب قوسى رزيتة . وموضع رزيتة وبجانب قوسى جميعاً صفة للقتيل ؛ وقد دخله بعض الاختصاص بذكرهما . وقوله « ما مشيت » ما مع الفعل فى تقدير مصدر حذف اسم الزمان معه ، كأنه قال : مُدَّةَ مَشْيِي على الأرض . وفى الكلام نية الشرط والجزاء ، كأنه قال : لا أنسى قتيلاً رزيتة إن مشيت على الأرض ، ومعناه إن بقيت حياً ، فلذلك وقع الماضى فيه فى موضع المستقبل ، لأن « ما مشيت » على الأرض « فى موضع ما أمشى على الأرض ، وإن أمشيت على الأرض . فأمّا تذكُّرُهُ له أبداً فالوجه أن يكون عامّاً فيما يتعلق بالمتوفى وبمن يرثيه ، كأنه لا ينسى أخلاقه وطيب العيش معه ، ولا الامتناع بمكانه وشدة الفاقة إلى حياته ، فلا ينسى ما يلزمه فى قضاء ذمامه وطلب دمه ، ومكافأة أعدائه وقاتليه ، إلى غير ذلك . يشهد لهذا الذى قلناه ما يحىء كثيراً فى هذا الباب من قولهم « هَوْنٌ وَجْدِي أنى لم أقفل كذا » و « يدكرنى من فلان كذا » ، وما يجرى هذا الجرى ، ويحوز أن يكون قال : لا أنساه ، تعظيماً للصبيبة به ، وتفضيلاً للحال المعترضة فيه ، وعلى عادة قول الناس عند الغازلة المائلة ، والمناوبة الكاربة : لا ينسبى هذا شئ ، وهو نصب عيني إلى أن أموت ، والمعنى : لا يرى أعظم منه .

٣ - على أنها تغفو الكلوم وإنما نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضى مثله قول الأحوص :

إنَّ القديم وإن جلت رزيتته ينضو فينسى ويبقى الحادث الأنف
وقوله « على أنها تغفو الكلوم » يجرى مجرى الاعتذار منه والاستدراك على نفسه فيما أطلقه من قوله : لا أنسى قتيلاً رزيتته مُدَّةَ حياتي . يكشف هذا أن موضع « على أنها تغفو الكلوم » من الإعراب نصب على الحال ، والعامل فيه

ما أنسى قتيلا . وهذا كما تقول : ما أترك حتى فلان على ظلمي ، كأن التقدير
أودَّيه ظالماً ، فعلى المثال الذي ذكرنا يحىء ما أنسى قتيلا رزئته على عفاء الكلوم ،
أى أذكره عافياً كلى كسائر الكلوم . ويعنى بالكلم : الحزرة عند ابتداء الفجعة .
ولمّا قال هذا لأن الإنسان بكونه مُهدِّفاً للأحداث ، غرضاً للعصائب والأرزاء ،
موزع الحال بين ما يتجدّد له أو يبلى ، مُقسِّم الصبر فى أثناء ذلك على ما يحدث
أو يتوَلَّى ، فلذلك قال « نَوَكِّلُ بِالْأَذَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمُضَى » فهذا بيان كون
الكلام اعتذاراً . وقوله « على أنها » الضمير للقصة ، وخبر أن الجملة بعدها ،
ولو قال : على أنه لجاز وكان الضمير للشأن والأمر . والمراد : على أن القصة
إذا اقتضت ، والصورة إذا تحققت ، أن الجروح تغفو ، وإنما الجزع للأقرب
منها فالأقرب يتسأط فيملو . وهذا كما سنل بعضهم : ما أشدّ الأدوية ؟ فقال :
ما يحضرك ، وإن برّح بك ما غاب ! ويقال عفا الشيء ، إذا درس عفا
وعفواً ، وتعفى أيضاً ، وعفّته الرّيح ، وعفا الشيء : كثّر عفواً وعفوته . قال
أبو زيد : يقال عفوت صوف الشاة ، إذا أخذته ، وعفوته إذا وفرّته ، فهو من
الأضداد . وأبلغ مما قاله قول الآخر^(١) :

فلم تُنْسِنِي أَوْفَى المصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنَّكَ القَرَحَ بالقَرَحِ أَوْجَعُ
ع - وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداءُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ نَحْضٍ^(٢)

ويجوز أن يكون « من » بمعنى الذى فيكون فى موضع المفعول ، « وألقى
عليه رداءه » صلته ، ويجوز أن يكون [مَنْ^(٣)] استفهاماً مبتدأً وألقى عليه
رداءه فى موضع الخبر ، ويكون الجملة فى موضع المفعول لـ « لم أدري » . وتحقيق

(١) هو مسعود أخو ذى الرمة يرثى ابن عمه أوفى بن دهم . انظر تحقيق هذا مسهباً فى
حواشى البيان (٢ : ١٩٢) .

(٢) كذا رواية الأصل والديوان . لكن فى سائر النسخ والتبريزى : « على أنه
قد سل » . (٣) التكملة ما عدا الأصل .

الكلام : لم أدر ما يقتضى هذا السؤال ، لأنّ الذى خفيّ عليه ذاتُ الملقى واسمهُ لا فعله . وموضع « على أنه » نصبٌ فى موضع الحال ، كأنّه قال : أدريه مسلولاً من ماجدٍ محض . ويروى : « سوى أنه قد سلّ » ويكون موضع سوى من الإعراب نصباً على أنّه استثناء خارجٌ ، ألا ترى أنه يأتى أن يجعل مكانه لكن ، والتقدير : لا أعرف اسمه ونسبه ، إلا أنه ولدَ كريمٍ بما ظهر من فعله . والمسننى قد انقطع عن الأول ، ألا ترى أنه قد عرفه بدلالته وإن لم يعرف نفسه وذاته . ومعنى البيت : ولا أعلم الذى اهتدى لهذه المكرمة فى بابِ ابنِ خراش ، ولكنّه كريم الأصل شريفُ الفرع ، مؤثرٌ لفعل الصنعة كيف اتفقت ، لا يُراعى وجوبها ولا زكائها . وأصل المجذبة الكثرة ، يُقال أجدت الدابة العلف ، إذا كثرت له . وأراد بالمحض صفاء النسب .

٥ - ولم يك مثلولج الفؤاد مهبجاً أضعاع الشباب فى الريلة والخلفض

قوله « ولم يك » حذف النون من يكُن لكثرته الاستعمال لهذه اللفظة ، ومضارعة النون لحروف المد واللين ، وقد مضى مثله . وقوله « مثلولج الفؤاد » أى بارد الفؤاد غير ذكى ولا حديد . والمهبج : المتورم ، يقال هبج بالعضا فهبيج وتهبيج ، إذا ضربته بها فانتفخ وتورم . والريلة ، أصلها الرطوبة والسمن . يقال : رجل ربل ، وبرر ذات رباله ، إذا كانت ناجمة الماء فى المشاية سمن عليه . والربل : ما تفرّط من الورق فى آخر الصيف يبرد الليل . يقال : هم يتربلون . والربال من أسماء الأسد إذا لم يهنم ، يجوز أن يكون فيما لا من هذا ، لتربله وعظمه . والخلفض : الدعة وترك السفر . ومعنى البيت : أنه رجّع إلى صفة عروة فقال : كان ذكّى الفؤاد شهماً ، نافذاً فى الأمور حى القلب ، لا آفة به فيمتورم جلده أو يتغير لونه ، ولم يكن ممن ضيع شبابه فى التودع

وصلاح البدن ، حتى كان يترك السفر واكتساب الأحدث بما يمتن فيه النفس ، ويتمرض من أجله للتلف .

٦- ولكنه قد نازعته مجاوع على أنه ذو مرة صادق النهض^(١)

لكن الحقة استدراك بعد نفي ، والمشددة وإن كان للتحقيق فيه معناه . فلما نفي عنه ما قدمه في البيت الذي قبله^(٢) ، استدرك على نفسه إثبات ما يتضمن هذا البيت له . ويروى « ولكنه قد لوحته مخاص » ، ومعنى لوحته غيرته ، والمخاص : جمع تخصة ، وهي خلاء البطن من الطعام جوعاً . وفي الحديث : « تغد الطير خصاصاً وتروح بطاناً » . والمجاوع مثل المخاص . والخصال التي تحمّل النفوس على الصبر على الجوع والخصاصة تخامص ومجاوع . فيقول : كما انتفى عنه تلك الأوصاف الذميمة جاذبته في مساعيه ومتصرفاته لمباغية الشريفة ومطالبه مجاوع أو تخامص ، يريد خصاصاً تجوع فيها النفس وتقطع فيها عن لذيذ الطعام ؛ وهو ذو قوة ، إذا نهض في الأمور صدق فيها ، ولم يكذب فقل من يأتي الشيء تعذيراً أو رياء . وقوله « صادق النهض » جعل الصدق للنهض وإن كان الفعلان له ولذلك كان نكرة تقديره : ذو مرة صادق نهضته ، وأصل النهوض البراح من الأرض ، ومنه الناهض : الفرخ الذي وفر جناحاه فنهض للطيران .

(١) الديوان : « قد نازعته مخامص » .

(٢) كذا في الأصل . وفي سائر النسخ : « الذي يليه » ، أي الذي يليه هذا ، فالمنى يستقيم بكل منهما .

٢٦٣

وقال عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ^(١) :

١ — عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

حيّاه بقوله : « عليك سلام الله ورحمته » وهكذا تحية الموتى ، بتقديم عليك ، والمعنى : عليك من الله السلامة ! وسلامته وقد مات ، في توفّر الرحمة عليه لذلك قال « ما شاء أن يترحّما » ، فاستدام له التحية بقوله : ما شاء أن يترحّم ؛ لأن الترحم من الله دائم ، لاتصال رحمته في خلقه ، فكأنه قال : توفّرت عليك الرحمة ما شاء أن يترحّم . وقوله « ما شاء » ماع الفعل في تقدير مصدر ، وهو في موضع الظرف ، والمصادر يُحذف معها أسماء الزمان كثيراً ، فالتقدير : مُدَّة مشيئته للرحمة . والسلام من أسماء الله تعالى ، مصدر في الأصل ، والمراد به ذو السلامة . وليس في أسمائه تعالى ما هو مصدر إلا هذا ، وقولهم إله ، والباقي كلّ صفات . وقوله « قيس ابن عاصم » هو على لغة من لا يُنَوِّن في غير النداء^(٢) ، ومن ينوّن يقول قَيْسُ فيبنيه على الضّم .

(١) التبريزي : « عبدة واحدة العبد ، وهو نبت ، وهو من بني عبشمس بن سعد بن زيد مائة بن تميم » . وعبدة هذا بسكون الباء ، وأما علقمة بن عبدة الفحل فيفتحها . والطبيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم . وعبدة شاعر مقل مجيد ، وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا الفرس بالمدائن . وكان عبدة أسود ، وهو من لموص الرباب . انظر الإصابة والأغاني (١٨ : ١٦٣ - ١٦٤) واللكل ٦٩ - ٧٠ والشعراء ٧٠٥ .

(٢) أي لا ينون الأعلام الموصوفة بالأبناء المضافة إلى الأعلام ، وهي اللغة الغالبة . وفي غير الغالب أن ينون ، فيقول في غير النداء : رحم الله قيساً ابن عاصم . والمعروف عند النحويين أن التنوين إنما يكون في الضرورة لا في الاختيار ، وذلك كقول الراجز :

جارية من قيس بن ثعلبة تزوجت شيخاً غليظ الرقبه

انظر مع المراجع (١ : ١٧٦) والتصريح (٢ : ١٧٠) .

٢- تَحِيَّةٌ مِنْ غَادَرْتُهُ غَرَضَ الرَّدَى إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا^(١)
 انتَصَبَ « تَحِيَّةٌ » عَلَى الْمَصْدَرِ مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
 أَحْيِيكَ تَحِيَّةً مِنْ غَادَرْتُهُ . وَ « مِنْ غَادَرْتُهُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْ مَعْرِفَةٍ فِي مَوْضِعِ
 الَّذِي وَغَادَرْتُهُ مِنْ صِلَتِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَكِيرَةً فِي مَوْضِعِ إِنْسَانٍ كَأَنَّهُ قَالَ : تَحِيَّةُ
 إِنْسَانٍ هَكَذَا ، فَيَكُونُ غَادَرْتُهُ صِفَةً لَهُ . وَانْتَصَبَ « غَرَضَ الرَّدَى » عَلَى الْحَالِ ،
 وَهُوَ فِي مَوْضِعِ النُّكْرَةِ وَإِنْ كَانَ مُضَافًا إِلَى مَا فِيهِ الْأَلْفُ وَاللَّامُ ، لِأَنَّ غَرَضَ
 يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الصِّفَةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ غَادَرْتُهُ مَنْصُوبًا لِلرَّدَى وَهَذَا قَالَهُ . وَقَوْلُهُ « إِذَا
 زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِمَنْ غَرَضَ الرَّدَى أَوْ حَالًا
 لَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ إِذَا جَعَلْتَ مَنْ مَعْرِفَةٍ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
 فِي مَوْضِعِ الْبَدَلِ مِنْ غَادَرْتُهُ إِذَا جَعَلْتَهُ صِلَةً . وَقَوْلُهُ « عَنْ شَحْطٍ » أَرَادَ بَعْدَ شَحْطِ
 أَيْ بُعْدٍ . يُقَالُ : شَحَطْتُ بِشَحْطٍ شَحْطًا وَشُحُوطًا . وَكَأَنَّهُ أَشَارَ بِهِ إِلَى بُعْدِ
 لِلزَّارِ وَالْتِمَهِدِ جَمِيعًا . وَقَوْلُهُ « سَلَمًا » جَوَابُ إِذَا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَحْيِيكَ تَحِيَّةً
 الرَّجُلِ الَّذِي غَادَرْتُهُ غَرَضَ الرَّدَى ، أَوْ تَحِيَّةً إِنْسَانٍ هَكَذَا ، عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ .
 أَيْ تَرَكْتُهُ مُهْدِفًا لِلْمَهَالِكِ وَالْمُعَاطِبِ ، وَبِمَدْرَجَةِ الْآفَاتِ وَالنَّوَائِبِ ، أَشَدَّ مَا كَانَ
 حَاجَةً إِلَيْكَ ، لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُلْتَجَأً ، وَلَا مُسْتَعَانَ ، وَإِذَا أَرَادَ قَضَاءَ

(١) التبريزي : « قَالَ أَبُو هِلَالٍ : عَرَضَ الرَّدَى بِالْفَيْنِ مَعْجَمَةٌ ، أَيْ هَدَفَ الرَّدَى صَبَاحَ
 مَسَاءٍ . وَهَذِهِ صِفَةُ لِمَجْمَعِ النَّاسِ ، وَلَيْسَ فِيهِ تَخْصِيسٌ لِأَحَدٍ . وَالْجِدُّ عَرَضَ الرَّدَى ، بِالْمَيْنِ غَيْرِ
 مَعْجَمَةٌ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : فَلَانٍ يَمْرُضُ الْأَمْرَ ، أَيْ يَجِثُّ يَنَالُهُ وَلَا يَخْطُهُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ عَاشَ
 حَيْثُ نَكْدَةٌ لَتَوَقَّعَهُ لَهُ ، لِأَنَّهُ بِصَدَدِهِ . أَيْ جَعَلَهُ هَذَا الْمَيِّتَ مَعْرُضًا لِلْأَعْدَاءِ يَنَالُونَهُ كَيْفَ يَرِيدُونَ .
 وَقَالَ الْفَرَرِيُّ : يَرُودُ بِالْمَيْنِ وَبِالْفَيْنِ ، فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ : هَذَا مَوْضِعُ الْمَثَلِ :
 أَعَيْتَكَ حَرَّ الْوَحْشِ أَنْ تَصْطَلِدَ أَعْيَابُ رَحِمَكَ لِلْحِمَارِ الْأَهْلِ

ذَكَرَ نَبْذًا مِنَ الْحُرُوفِ ، وَأَعْرَضَ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ إِذَا زَادَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمًا . وَمَعْنَى
 ذَلِكَ أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ كَانَ كَثِيرَ الْإِفْضَالِ عَلَى عَبْدَةَ بْنِ الطَّيِّبِ قَالِي عَبْدَةَ أَلَا يَخْرُجُ فِي سَفَرٍ
 إِلَّا بَدَأَ بِتَوْدِيعِهِ ، وَإِذَا قَدِمَ مِنْهُ بَدَأَ بِزِيَارَتِهِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُ فِي حَيَاتِهِ ، وَفِي
 زِيَارَةِ قَبْرِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

حَمَّكَ ، أو زيارَتَكَ لِلنَّسْلِ بِكَ ، فقطع المسافةَ بينه وبينك لم يَرَزَاكَ شيئاً إلاّ تسليماً عليك . وهذا الكلام تصريح باليأس منه ، وإظهار الحاجة إليه .

٣- فما كان قيسٌ هُلكهُ هُلكٌ واحدٍ ولكنهُ بُنيانُ قومٍ تَهْدِمُهُ (١)
يجوز أن يروى « هُلك » بالنصب والرفع ، فإذا نصبتَ كان هُلكهُ في موضع البدل من قيسٍ وهُلك ينصب على أنه خبر كان كأنه قال : فما كان هُلكٌ قيس هُلك واحد من الناس ، بل مات بموته خالقٌ كثير ، وتقوّضَ بينيته وعزّه بُنيانٌ رفيع . وإذا رفعته كان هُلكهُ في موضع المبتدأ ، وهُلك واحد في موضع الخبر ، والجملة في موضع النصب على أنه خبرٌ كان . ويُسبّه هذا البيت قولُ امرئ القيس :

فلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّمَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفَسًا
إِذَا رَوَيْتَ « تُسَاقِطُ » بضمّ التاء (٢) . ومثلُهُمَا وَإِنْ أَعْمَضَ قَوْلُ
الْهُذَلِيِّ (٣) :

مُطَاطَاةٌ لَمْ يُنْبِطُوهَا وَإِنَّمَا لِيَرْضَى بِهَا فُرْطَاهَا أَمْ وَاحِدٍ
لأنَّ المعنى أَن الفُرَاط لما حَفَرُوا القبرَ رَضُوا بأن يضعوا فيه وَاحِدًا ، فإذا هم يَدْفِنُون بدَفْنِهِ خَلْقًا كثيرًا .

وصَلَحَ قوله « ولكنهُ بُنيانُ قومٍ تَهْدِمُهُ » في مقابلةِ « فما كان قيسٌ هُلكهُ » لمعناه الموافق له ، وذلك أَنَّ البُنيان تَهْدِمُهُ لم يكن إلاّ موت أربابه .

(١) قال أبو عمرو بن العلاء : هذا البيت أَرثِي بيت قيل . وقال ابن الأعرابي : هو قائم بنفسه ، ماله نظير في الجاهلية ولا الإسلام .

(٢) الرواية الأخرى : « تُسَاقِطُ » ، أي تنساقط .

(٣) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ١٢٣) .

٢٦٤

وقال هشام أخو ذى الرمة^(١) :

١- تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بَنِيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَانٌ مُتَرَعٌ
هشام هذا فُجِّعَ بأخيه أوفى ، وأتى عليه زمانٌ مقاسياً لآلام الفجيجة به ،
ثم أُصِيبَ بعمده بنيْلان — وهو ذو الرمة — فيقول : تسليتُ عن الرزينة
بأوفى أخى ، بعد أن أُصِيبْتُ ببنيْلانَ عَقِيبَهُ ، وَجَفْنُ عَيْنِي مملوء دمعاً ، عَزَاءً .
وانتَصَبَ « عَزَاءً » على المصدر ، وهو موضوعُ موضعِ التَّعَزَّى ، والفعل من
الْعَزَاءِ عَزَى^(٢) وَعَزَى جَمِيعاً ، أى صَبَرَ . ويقال : هو حَسَنُ الْعِزْوَةِ ،
أى الْعَزَاءِ ، وبناء تَعَزَّى بناء تَكَلَّفٍ . والواو من قوله « وَجَفْنُ الْعَيْنِ » واو
الحال ، والعامل في موضع الجملة تَعَزَّيْتُ . وفائدة اقتران هذه الحال بما قبله هو
أن يَبَيِّنَ به ضَعْفُ الْعَزَاءِ الْمَشَارَ إِليه ؛ لِأَنَّ الْعَزَاءَ التَّكَلَّفَ إِذَا سَجَّيْتُهُ الْبُكَاءَ لَمْ
يَكُنْ عَزَاءً فِي الْحَقِيقَةِ ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْجُمْلَةُ الَّتِي هِيَ « وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلَانٌ »
فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِعَزَاءٍ ، لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ رَأَيْتُ رَجُلًا وَمَعَهُ غُلَامُهُ ، مَعْنَاهُ رَجُلًا
بِهَذِهِ الصِّفَةِ ، فَكَذَلِكَ يَكُونُ الْمُرَادُ عَزَاءً بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَهِيَ أَنْ يَصْحَبَهُ الْبُكَاءُ .
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَامِلُ فِي مَوْضِعِ قَوْلِهِ « وَجَفْنُ الْعَيْنِ » عَزَاءً إِذَا جُمِلَتْ حَالًا ؛
لِأَنَّ الْإِعْتِمَادَ عَلَى الْفِعْلِ ، وَعَزَاءً مَعْمُولُهُ ، وَلِلْمَصْدَرِ وَقَدْ تَبَيَّنَ الْفِعْلُ مَعْمُولًا لَهُ

(١) التبريزي : « وقال هشام بن عتبة العدوي أخو ذى الرمة يرقى أوفى بن دلم ،
وذا الرمة غيلان . وقال أبو هلال : كان لذي الرمة ثلاثة إخوة : أوفى ، وهشام ،
وجرفاس ، وكانوا يقولون الشعر ، فغلب ذو الرمة على شعرهم . وفى الشعراء ١٠٥٠ أن
إخوته أوفى وهشام ومسعود ، فات أوفى ثم مات بعده ذو الرمة ، فقال مسعود هذا الشعر فى
رثائهما . وفى الأغاني (١٦ : ١٠٧) أن هذا الشعر لمسعود أخى ذى الرمة يرقى به أخاه ذا الرمة
وابن عمه أوفى بن دلم .

(٢) رسمت فى ل والتمورية « عزا » بالألف . والذي فى المعاجم المتداولة « عزى »
كفرح فقط .

يؤكدُهُ لا يعملُ في غيره عمله ، ولا فِعْلَ ممه . وقوله « مُتَرَعٌ » أراد الامتلاء وزيادة ، وهو الانصباب . يقال أترعتُ الإناء ، إذا ملأته مَلَأً يَضِيقُ عَمَّا يحويه حتى يَنْصَبَ منه . ويقال ترعَ الإناء وأترعَ بما فيه . والمتَرَعُ : المتسرّع إلى الشرِّ المقتحم فيه ، منه . وجعل الامتلاء للجفن لأنه مُنْمِسِكُ الدَّمع ، وأصل الجفن الحبس ، لذلك قيل لقرباب السيف : جَفَن .

٢- نَعَى الرَّكْبُ أَوْ فِي حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا

٣- نَعَوًا بِاسِقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُقُونَهُ تَكَادُ الْجِبَالُ الصَّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ

اتَّبَعَ ما تقدّم باقتصاص نعى الرِّكْبَانِ لأَوْفَى ، كأنه أراد أن يذكر ابتداء المصاب به لينبئ كيف توفّر الجزع عليه ، وكيف انصرف ما انصرف منه إلى ما تعقبه من المصاب الثانى ، فيقول : ذكر الرِّكْبَانِ مَوْتَ أَوْفَى عند إياهم ، ولَعَمْرِي لَقَدْ ذَكُرُوا شَرًّا عَظِيمًا ، وأوجعوا قلوبًا سليماً . وقوله « نَعَوًا بِاسِقِ الْأَفْعَالِ » أعاد ذكر النَّعَى تَفْظِيمًا لِلشَّانِ . ويقالُ نَعَى نَعْمًا وَنَعْمًا ، أى خَبَرَ بِالْمَوْتِ . وقولهم : نَعَاءُ فَلَانًا ، لَفْظَةٌ يَشْهَرُونَ بِهَا مَوْتَ الرَّئِيسِ . ومعنى « بِاسِقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُقُونَهُ » أنهم ذكروا موتَ رجلٍ عَلَى الشَّانِ ، شَرِيفِ الْأَفْعَالِ ، رفيعِ الحِكمَةِ ، هم بأجمعهم لَا يَقُومُونَ مَقَامَهُ فَمَا كَانَ بِتَوَلَّاهُ فِي الْحَيِّ مِنْ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّحَمُّلِ عَنْهُمْ ، وَبَسْطِ الْخَيْرِ فِيهِمْ ، وَالبُسُوقِ فِي الْأَفْعَالِ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الطُّوْلُ وَالِاسْتِكْمَالُ ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ غَايَتَهَا ، فَكُلُّ فِعْلٍ يَقَعُ مِنْ غَيْرِهِ إِذَا قِيسَ إِلَى مَا يَأْتِيهِ يَتَضَعُ دُونَهُ ، وَيَحْطُ عَنْ رَتَبَتِهِ ، فَلَا يَعْلُو عُلُوَّهُ ، وَلَا يَكْمُلُ كَمَالَهُ . وعلى هذا قولهم : فَلَانٌ رَفِيعُ الْفَعَالِ عَلَى الْقَالِ . وَيجوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْبُسُوقِ امْتِدَادَ اللَّصِيتِ بِهَا ، وَصُعُودَهَا فِي دَرَجٍ تَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهَا إِلَى السَّمَاءِ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : قَوْلُكَ هَذَا يَرْتَقِي إِلَى اللَّائِ الْأَعْلَى . وَهَذَا الشَّمْرُ إِسْلَامِيٌّ ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُشِيرَ فِيهِ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ . وقوله « تَكَادُ الْجِبَالُ الضَّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ » مُنْقَطِعٌ مِمَّا قَبْلَهُ وَيَجْرَى جَرَى الْإِنْفَاتِ ، لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ « نَعَوَّا بِأَسْقِ الْأَفْعَالِ لَا يَخْلُفُونَهُ » كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : تَكَادُ الْجِبَالُ الضَّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ ، وَيَكُونُ الضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ مِنْهُ يَرْجِعُ إِلَى النَّعْيِ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ نَعَوَّا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ : مَنْ حَدَّ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ خَيْرًا لَهُ ، أَى كَانَ الْحَمْدُ خَيْرًا لَهُ . وَالْمُرَادُ بِالضَّمِّ الصِّلَابُ كَأَنَّهُ لَا خُرُوقَ فِي أَثْنَائِهَا وَلَا تَخَلُّلَ .

٤ - خَوَى الْمَسْجِدُ لِلْعُمُورِ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمٍ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمِهِ قَدْ تَضَعَضُوا

ابن دلهم كان السبب في عمارة المسجد الذي أشار إليه ، فلما مضى لسبيله صار المسجد خالياً إذ كان هو المُرَاعِي وَالمُتَّفَقِدُ لِصَلَاحِ أَمْرِهِ . وَأَوْفَى - يَعْنِي الَّذِي بَرْتِيهِ - كَانَ قِوَامُ أَمْرِ عَشِيرَتِهِ بِهِ ، وَانْتِظَامُ شُئُونِهِمْ بِمَكَانِهِ ، فَلَمَّا نُلِّ عَرْشُهُ وَأَصِيبُوا بِهِ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُهُمْ ، وَاتَضَعَّتْ رُتَبَاتُهُمْ ، فَصَارُوا بَعْدَهُ كَالْمَسْجِدِ الْعُمُورِ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمٍ . أَرَادَ أَنْ يَشْبَهَ تَضَعُّعَ الْقَوْمِ بِمَوْتِ أَوْفَى ، بِمُخْرَابِ الْمَسْجِدِ بِمَوْتِ ابْنِ دَلْهِمٍ فَلَمْ يَأْتِ بِلَفْظِ التَّشْبِيهِ إِذْ كَانَ مَعْنَاهُ مِنَ الْكَلَامِ مَفْهُومًا . وَالضَّعْضَعَةُ : الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ .

٥ - فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ

الْقَرْحُ وَالْقَرْحُ لُغَتَانِ فِي عَضِّ السِّلَاحِ وَمَا يَجْرَحُ فِي الْجَسَدِ . وَيُقَالُ إِنَّهُ لَقَرْحٌ قَرِيحٌ ، وَقَرِحَ قَلْبُهُ مِنَ الْحُزَنِ . وَنَبَأَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ الْجَزَعَ بِأَوْفَى لَمْ يُزِلْهُ مَا تَمَقَّبَهُ مِنَ الْمَصَائِبِ ، وَلَكِنَّهُ زَادَهُ اشْتِدَادًا ، ثُمَّ شَبَّهَهُ بِالْقَرْحِ وَهُوَ الْجَرَحُ ، وَقَدْ جَلَبَ وَيَبَسَ ، إِذَا نُسِكِي وَقَرِحَ ثَانِيًا ، أَى أَذِي وَقَشِّرَتْ جُلْبَتُهُ كَمَا أَنَّ الْقَرْحَ إِذَا فِيلَ بِهِ ذَلِكَ كَانَ إِجْمَاعُهُ أَشَدَّ وَأَبْلَغَ ، فَاتَّهَمَ بِمَوْتِ أَوْفَى وَقَدْ أَمِدَّ بِمُصَابٍ آخَرَ يَكُونُ أَنْتُمْ وَأَكْمَلُ . وَقَوْلُهُ « أَوْجَعُ » مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ أَشَدَّ إِجْمَاعًا .

فإن قيل: كيف صَلَحَ ذلك ، وأَفْعَلُ الذي للمبالغة والتفضيل يَنْبَغُ ما أَفْعَلَهُ وكذلك أَفْعِلْ بِهِ ، وفعل التعجب يجب أن يكون من الثلاثي لا غير: قَعَلَ وقَعَلَ وقَعِلَ ، وَأَوْجَعَنِي ليس منها ؟ قُلْتَ : ذلك سائغٌ على مذهب سيبويه ، إذ كان عنده أن فعل التعجب يكون من الثلاثي ومما كان على أَفْعَلَ خاصّةً ، على ذلك حُكِيَ قولهم : ما أعطاه للمال ، وما آتاه للخير ، وإنما هما من الإيتاء والإعطاء ، لا من الأتَى والعطاء ، وكذلك قولهم : ما أسداه للمعروف ، وذلك لكثرة وجوه الشَّبه بين قَعَلَ وأَفْعَلَ ، ألا تَرَى أَنَّهُما يَتَفَقَّانِ في معنَى ، وأنه يُقَالُ في مفعولها مفعولٌ ، وفي فاعلهما فاعلٌ ، وأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يقع في مطاوعة الآخر ، إلى غير هذا من الشَّبه . وكان أبو العباس المبرِّد^(١) يقول : ذلك جائزٌ على حذف الزوائد ، يعني ببناء التعجب من أَفْعَلَ ويشبَّه بقول الشاعر^(٢) :

* يَكْشِفُ عَنْ جَمَاهِ دَلْوُ الدَّالِّ^(٣) *

وقوله : * وَمِنْهُمْ هَالِكٌ مَنْ تَعَرَّجَا^(٤) *

ويقول الله تعالى : ﴿ وَأَوْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ﴾ . ويُجَوِّزُ مثلَ هذا في كل ما كان أصله ثلاثياً على أيِّ بناء حَصَلَ . وكان يَنْبَغُ مذهب الأخفش في ذلك ، فاعلمه^(٥) .

(١) تتفق نسخ الأصول على ضبطه بهذا الضبط حيثما ورد .

(٢) هو المعجاج . ملحقات ديوانه ٨٦ واللسان (دلا) .

(٣) رواية الديوان وسائر النسخ : « عن جماته » . والجمات : جمع جمة ، وهي المكان الذي يجتمع فيه ماء البئر ، والجمام ، بكسر الجيم هي كذلك جمع جمة . والشاهد فيه استعمال الدال بمعنى المدل . وقد رسم في الأصل « الدال » ، وهو تحريف . إذ أن أرجوزة المعجاج هذه مقيدة بالسكون غير مطلقة بحركة .

(٤) وهذا الشطر أيضاً للمعجاج في ديوانه ٩ واللسان (هلك) .

(٥) كلمة « فاعلمه » انفردت بها نسخة الأصل .

٢٦٥

وقال مُتَمِّمٌ بْنُ نُؤَيْرَةَ يَرثِي مَالَكًا أَخَاهُ^(١) :

- ١ - لَقَدْ لَأَمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لِيَتَذَرَفَ الدُّمُوعُ السَّوَابِكِ
٢ - فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ نَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالدَّوَانِكِ
٣ - فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

يقول : استسرف رفيقي بكائي عند القبور ، واستفزع سيلان الدموع من عيني فقال موبخاً : أَمِنْ أَجْلِ قَبْرِ لَكَ بَيْنَ اللَّوَى فَالدَّوَانِكِ تبكي عند كلِّ قَبْرٍ تَرَاهُ ؟ فأجبهته بأنَّ الحزن يُهَيِّجُ الحزنَ فاتركني ، فكلُّ قَبْرٍ أَنتَهِي إِلَيْهِ يَذْكُرُنِي قَبْرَ مَالِكِ ، إذْ ليس لي في قَبْرِ مَالِكِ إِلَّا مِثْلُ مَالِي فِي الْقُبُورِ كُلِّهَا .

(١) روى التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن هذا الشعر ليس لمتمم بن نويرة ، بل هو لابن جذل الطعان الفراءى ، من بني كنانة ، يرثي أخاه مالكا . وأول الأبيات :

ثني الحزن أرمام غشيناً بمنشد
فأسمدت أبكي مالكا وكأنه
ولا صاحبي لم يبك والناس ضاحك
وقال أنبكي كان رمس رأيت
فقلت له إن الشجا يبعث البكا
ألم تره فينا يقسم ماله
فأخسر آيات مناخ مطية
فلما استوى كاليدرين شعوبه
بعيني قطاي تأوب مرقبا
أطفنا به نستحفظ الله نفسه

ورملة قرى عن يمين الشنابك
بجشوتة بيني وبين الشوابك
سلى وبالك شجوز غير ضاحك
لرمس مقيم بالمالا والدوانك
فدعني فهذا كله قبر مالك
وتأري إليه مرملات الضرائك
ورحل علاقي على متن حارك
وأمت بهاديا فبجاج المهاالك
فبات به كأنه عيين فارك
فقول له مصاحبا غير هالك

ومتهم بن نويرة ، وأخوه مالك ، شاعران صحابييان من بني ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وقد قتل مالك في حرب الردة ، قتله خالد بن الوليد في ظروف مبهمة اختلف الرواة فيها ، فبعضهم يقول إنه قتله مرتدا ، وبعضهم يقول إنه أخطأ في قتله . واستتبع ذلك اختلافهم في تزوج خالد لامرأة مالك ، أو تسريه لها ثم ردها على أخيه متمم . وقد حقق ذلك الأستاذ الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر في مثال نشر بالمتقطف أغسطس سنة ١٩٤٥ وبالهدي النبوي شبان سنة ١٣٦٤ . وانظر الإصابة ٧٦٩٠ ، ٧٧١١ والشعراء ٢٩٦ - ٢٩٩ والأغاني (١٤ : ٦٣ - ٦٩) . وقد ساق التبريزي أيضاً خبر مقتلهم مفصلا .

يُرِيدُ أَنْ أَسْبَابَ الْحُزْنَ وَمَهِيَّاتِهِ تَنْشَابُهُ ، فَكُلُّ مِنْهَا يَقُومُ مَقَامَ الْآخِرِ وَلَا سِيَّامًا وَقَدْ تَوَاقَفَتْ فِي الْجِنْسِيَّةِ . وَقَوْلُهُ « لَتَذْرَافِ الدَّمُوعُ السَّوَاغُفِكِ » أَيْ مِنْ أَجْلِهِ ، بَعْدَ قَوْلِهِ « عَلَى الْبُكَاءِ » ، فِيهِ مِنَ الْفَائِدَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ التَّنْبِيهُ عَلَى إِجَابَةِ الدَّمُوعِ لَهُ ، وَانْصِبَابِهَا بِحَسَبِ مَرَادِهِ ، حَتَّى لَا جُودَ مِنَ الْحِجَاجِ ^(١) فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، وَلَا تَوَقَّفَ مِنَ السَّيْلَانِ فِي حَالٍ مِنَ الْحَالَاتِ ، وَلَيْسَ كُلُّ بَاكِ بِهَذِهِ الصُّفَةِ . فَكَأَنَّهُ لَامَهُ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ أَجْلِ مَا اسْتَنْكَرَهُ مِنْ إِجَابَةِ الدَّمُوعِ السَّائِلَةِ لَهُ ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ بِالضَّرَرِ عَلَيْهِ أَغْوَدَ ، وَإِلَى بَطْلَانِ الْعَيْنِ بِمَكَانِهِ أَدْعَى . وَقَالَ « السَّوَاغُفِكِ » وَالسَّفْكُ صَبُّ الدَّمِ وَالدَّمْعُ ، فَوَصَفَ الدَّمُوعَ بِهَا لِأَنَّهَا جَمْعُ سَافِكَةٍ ، وَلِلْمَرَادُ ذَوَاتُ السَّفْكِ . وَالسَّفْكُ أَيْضًا : نَثْرُ الْكَلَامِ . وَيُقَالُ : رَجُلٌ سَفَّكَ لِلدَّمَاءِ ، وَسَفَّكَ بِالْكَلَامِ ، أَيْ يُثِيرُ الْكَلَامَ وَيَصُبُّ الدَّمَاءَ .

وَقَوْلُهُ « بَيْنَ اللَّوَى فَالِدَوَانِكِ » ^(٢) اِكْتَفَى بَيْنَ بَالَوَى ، وَهُوَ مُسْتَرْقٌ الرَّمْلُ لَوْقُوهُ عَلَى أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ ، وَلَمَّا اِكْتَفَى بِهِ جَازَ أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ فَالِدَوَانِكِ . وَلَوْ رَوَى « وَالدَّوَانِكِ » كَانَ جَائِزًا ، إِلَّا أَنَّ اللَّوَى حِينَئِذٍ لَا يُتَصَوَّرُ شُمُولُهُ لِبِقَاعٍ كَمَا يُتَصَوَّرُ فِي أَسْمَاءِ الْجَمُوعِ شُمُولُهَا لِلْكَثِيرِ ، نَحْوُ الْقَوْمِ وَالرَّهْطِ وَالْعَشِيرَةِ . وَالشَّجَا : الْحُزْنُ . يُقَالُ شَجَاهُ يَشْجُوهُ شَجْوًا ، فَشَجْوِي يَشْجُو شَجَا . وَمَعْنَى يَبْعَثُ يَهَيِّجُ وَيُثِيرُ . عَلَى هَذَا قَوْلُكَ بَعَثْتَهُ مِنْ مَنَامِهِ ، وَالْبَعْثُ فِي الْجُنْدِ . وَقَوْلُهُ « فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ » أَشَارَ بِهَذَا إِلَى الْجِنْسِ كَمَا هُوَ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ جِنْسَ الْقُبُورِ ؛ يَدُلُّ عَلَيْهِ إِتْبَاعُهُ إِيَّاهُ بِمَا يُفِيدُ الْعُمُومَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ كُلُّهُ . وَيُقَالُ

(١) حجاج العين بكسر الخاء ، هو العظم المستدير حولها .

(٢) رَوَاهُ التَّبْرِيزِيُّ : « بَيْنَ اللَّوَى فَالِدَكَادِكِ » . وَقَالَ : « وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ اللَّوَى هَاهُنَا يَقَعُ عَلَى أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ . وَلِأَجْلِ ذَلِكَ جَازَ أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ فَالِدَكَادِكِ . وَإِذَا رَوَى : فَالِدَوَانِكِ ، لَا يُتَصَوَّرُ وَقُوعُ اللَّوَى عَلَى أَمَاكِنَ مُخْتَلِفَةٍ ، وَالدَّوَانِكُ عَامٌ لِلْمَوْضِعِ » .

ذَرَفَتْ عَيْنُهُ ذَرْفًا وَذَرْفَانًا وَذَرْيَفًا . فَأَمَّا قَوْلُهُ « تَذْرَاف » فَهُوَ مِنْ بَابِ
مَا تُكَثِّرُ فِيهِ الْمَصْدَرَ مِنْ فَعَلْتُ وَتَلَحُّقُهُ الزَّوَادُ وَتَبْنِيهِ بِنَاءِ آخَرٍ عَلَى غَيْرِ مَا يَجِبُ
لِلْفِعْلِ ، قَصْدًا إِلَى اللَّبَالِغَةِ وَالتَّكْثِيرِ . وَقَوْلُهُ « الدَّوَانِكُ » عَلَمٌ لِمَوْضِعِهِ .
[وَدَنَكَ ^(١)] فِيمَا أَظْنَهُ مُهْمَلٌ .

ومالك بن نويرة قُتل في الرِّدَّة أيام أبي بكرٍ رضى الله عنه .

٢٦٦

وقال أبو عطاء السُّنْدِيُّ ^(٢) :

- ١- أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجْذِيوْزِمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِحَارِي دَمْعِهَا جَلْمُودُ
 - ٢- عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِمَاتُ وَشُقِّقَتْ جُيُوبُ بَأَيْدِي مَا تَمَّ وَخُدُودُ
- افْتَتَحَ كَلَامَهُ بِأَلَا ، ثُمَّ أَخَذَ بِعَظَمِ أَمْرِ الْفَجِيعَةِ ، وَبَيَّنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ
النَّفُوسِ ، وَشَدَّةَ تَأْثِيرِهَا فِي الْقُلُوبِ ، وَاشْتِرَاكَ النَّاسِ كَافَّةً فِي الْجَزَعِ لَهَا ،
وَالهَمَلِ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَنْسَخْ بِدَمْعِهَا الْجَارِي عَلَى هَذَا الرَّثِيِّ يَوْمَ
وَاسِطٍ جَلْمُودُ الْحِجَابِ عَلَى الْمَصَائِبِ ^(٣) ، شَدِيدَةُ الْبُخْلِ بِمَا فِي شَتُونِهَا مِنْ
الذَّخَائِرِ . وَالْجُلُودُ : ضِدُّ الْقُدُوبِ ، وَاسْتِمَالُهُ فِي الدَّمْعِ مَجَازٌ .

(١) ليست في نسخة الأصل ، وهى في سائر النسخ .

(٢) هو أبو عطاء أفلح بن يسار السندى ، مولى بنى أسد ، شاعر من مخضرمى الدولتين
وكان فيه عجمة . وكان من شيعة بنى أمية ، توفى عقب أيام المنصور . الأغاني (١٦ : ٧٨ -
٨٤) والمرزبانى ٤٨٠ ، واللكى ٦٠٢ - ٦٠٣ والعينى (١ : ٥٦٠ - ٥٦١) والخزانة
(٤ : ١٧٠) . والشمر ٧٤٢ - ٧٤٦ . وهذه المراثية يقولها في مقتل يزيد بن عمر بن
هيرة ، قتله المنصور بواسط سنة ١٣٢ . الطبرى (٩ : ١٤٦) وابن خلكان (٢ : ٣٦٩)
واللكى ٦٠٢ . وذكر التبريزى أنه قتله غدرًا بعد أن آمنه ، فلما حل رأسه إليه قال
الحرسى : أترى إلى طينة رأسه ! ما أعظمها ! فقال الحرصى : طينة إيمانه أعظم من
طينة رأسه ! !

(٣) سبق مثل هذا التعبير في الصفحة السابقة س ٤ .

وقوله « عشيّة قام النائمات » بدل من قوله « يوم واسط » ، وأسماء الزمان تُضاف إلى الأفعال ، وهو توقيتٌ وتحديدٌ ، إلّا أن فيه بياناً لتفطيم الشأن . وعلى هذا ضَبَطُهم لمدى الأوقات في ترتيب النوائب ، والتنبيه على ما يتقدّم من الأحداث أو يتأخر . ومعنى قيام النائمات ، تهيتها للنوح . وعلى هذا قولهم : قامت السيوف ، وقوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ . وأصلُ التَّنَاوُح : التقابل ، يقال في الجبلين المتقابلين : هما يَتَنَوَّحَان . وقوله « شُقَّتْ جُيُوبٌ بِأَيْدِي مَأْتَمٍ وَخُدُودٌ » فالْمَأْتَم : النساءُ يَجْتَمِعْنَ في الخير والشرِّ ، وأصله من الأتَم ، وهو اتقاء المسلكين ، ومنه أيضاً الأَتُومُ في صفة النساء . وهذا الكلام وإن كان اقتصاصَ حالٍ ففيه دلالةٌ على تَمَكُّنِ الجزعِ بالمُصابِ من كافةِ الناس ، وتناهيهما فيما يُستدلّ به على شدةِ تأثيره فيهم .

٣- فَإِنْ تُمَسِّ مَهْجُورَ الْفَنَاءِ فَرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودَ
٤- فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَقْعَدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ
الرواية المختارة : « وَرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودَ » ، بالواو ، وذلك أن الشرطَ في قوله « فَإِنْ تُمَسِّ مَهْجُورَ الْفَنَاءِ » جوابه فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ ، وبصيرُ : « وَرُبَّمَا أَقَامَ » ببيان الحالِ فيما تقدّم من رياسته وقت توفّر الناس على قصده وزيارته . والمعنى : إن مُتْ وصرت مهجور الساحة مرفوض الخدمة - ورُبَّمَا كانت الوفود فيما مَضَى من حياتك تزدحمُ على بابك ، وتتلاقى في فنائك - فَإِنَّكَ السَّاعَةَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَنْ يَتَمَهَّدُكَ ، ويرى قضاء حَقِّكَ ، وإقامة الرّسم في واجبك ، ثم قال مستدركا على نفسه : بلى كلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ فَقَدْ بَمَدَّ عَنْ ذَلِكَ كُلَّهُ . ويعني بالوفودِ طُلَّابَ الحاجات والمؤدِّين لواجبات الشكر ، إذ كان في حياته للمقصود والمشار إليه ، والمُضْطَنِّعِ لطوائف الناس بما يتفرّق من إحسانه فيهم .

وقوله « على مُتَمَهَّدٍ » يريدُ مُتَدَبِّعَ اليهود بالحفظ لها ، ومنعها من الضياع والدروس . وكما يُقالُ : تَمَهَّدْتُ الشَّيْءَ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ هَلْ بَقِيَ عَلَى مَا عَهَدْتَهُ ، يُقالُ : تَفَهَّدْتُ الشَّيْءَ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ هَلْ لَحِقَهُ فَقُودٌ أَمْ لَا . وَإِذَا رَوَيْتَ « فربما أقام به بعد الوُفُودِ وفُودٌ » ، وجملته جزاء للشرط ، يصيرُ « فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ » استئنافُ كلامٍ ، ويكون الفاء رابطةً لجملةٍ على جملةٍ ، والمعنى : إِنْ هُجِرَ فَنَافُوكَ السَّاعَةَ لِمَوْتِكَ فَرَبَّمَا كَانَ مَأْلَفًا لِلْوُفُودِ أَيَّامَ حَيَاتِكَ . وفي طريقته قولُ الآخر :
فَقَدْ كَانَ يَخْشَاكَ الْكَمِيُّ وَيَتَنَبَّأُ أَذَاكَ وَيَرْجُو نَفْعَكَ لِلتَّضَمُّعِ
فَإِنْ قِيلَ : الشرط والجزاء لا يَصِحَّانِ إِلَّا فِيمَا كَانَ مُسْتَقْبَلًا ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ : إِنْ خَرَجْتَ أَمْسٍ أُعْطِيْتُكَ فِيهِ دِرْهَمًا ؛ لِأَنَّ الْوَقْتَ وَقَدْ انقَضَى لَا يَصِحُّ تَعْلِيلُ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ بِهِ ، وَإِنَّمَا يُتَلَفَّانِ أَبَدًا بِمَا يُسْتَأْنَفُ مِنَ الزَّمَانِ ، حَتَّى يَصِحَّ مِنَ الْفَاعِلِ إِبْقَاؤُهُ بِفِعْلِهِ بِهِ وَاسْتِحْقَاقُهُ الْجَزَاءَ عَلَيْهِ . قُلْتُ : إِنْ الْأَمْرُ فِي الشَّرْطِ عَلَى مَا ذَكَرْتَ إِلَّا فِي لَفْظِ كَانَ ، لِأَنَّهُمْ جَوَّزُوا أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ : إِنْ كُنْتَ خَرَجْتَ أَمْسٍ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا أُعْطِيْتُكَ الْيَوْمَ كَذَا ، وَالْمَعْنَى إِنْ ثَبَّتَ فِي عِلْمِي وَقُوعُ الْخُرُوجِ مِنْكَ أَمْسٍ . وَجَوَّزُوا هَذَا فِي لَفْظَةِ كَانَ بِقُوَّتِهِ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْأَحْدَاثِ ، فَأَمَّا الْجَزَاءُ فَلَا يَجُوزُ فِيهِ مِثْلُ هَذَا لَا بِلَفْظَةِ كَانَ وَلَا بِغَيْرِهِ . وَيَمْتَنَعُ أَنْ يُقَالَ : إِنْ تَجَنَّنِي الْيَوْمَ أُعْطِيْتُكَ أَمْسٍ ، عَلَى أَنْ تَكُونَ الْعَطِيَّةُ سَلَفًا فِي جِزْئِهِ عَلَى فِعْلِهِ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ جَازَ أَنْ تَقُولَ عَلَى هَذَا « فَرَبَّمَا أَقَامَ » وَأَقَامَ بِنَاءً ماضٍ ؟ قُلْتُ : إِنْ الْجَوَابُ فِي قَوْلِهِ « فَرَبَّمَا » لَيْسَ بِالْفِعْلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ بِجُمْلَةٍ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فَنَفَاوُكَ رَبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَوُفُودٌ فِيمَا مَضَى . وَالْفَاءُ فِي جَوَابِ الْجَزَاءِ إِنَّمَا تُجَلَّبُ إِذَا كَانَ الْجَزَاءُ غَيْرَ مُوَافِقٍ لِلشَّرْطِ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً وَخَبَرًا ، لَا فِعْلًا وَفَاعِلًا ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ

سَلِمَ اللَّفْظُ وَصَارَ الْمَعْنَى : إِنْ أَمْسَى فِنَاؤُكَ مَهْجُورًا السَّاعَةَ فَرُبَّمَا كَانَ مَأْلُوفًا
 مِنْ قَبْلِ : وَالْقَرْبُ يَقُولُ : هَذَا بِذَلِكَ . أَيْ عِوَضٌ مِنْ ذَاكَ . فَأَمَّا وَقُوعُ الْمَاضِي
 بَعْدَ إِنْ فَلَا نَّ إِنْ يَنْقُلُهُ بِكَوْنِهِ شَرْطًا إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ ، وَهَذَا كَمَا يَنْقُلُ « لَمْ » بِنَاءِ
 الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى الْمَاضِي . وَهَذَا ظَاهِرٌ .

٢٦٧

وقال آخر :

١- لو كان حَوْضٌ حِمَارٍ مَا شَرِبْتُ بِهِ إِلَّا بِإِذْنِ حِمَارٍ آخِرِ الْأَبَدِ (١)

حِمَارٌ اسْمُ أَخِيهِ ، وَكَانَ فِي حَيَاتِهِ يَتَمَرَّزُ بِهِ فَلَا يَمْتَرِضُ عَلَيْهِ أَحَدٌ فِيمَا
 يَفْعَلُهُ ، وَلَا يَطْمَعُ إِنْسَانٌ فِي اهْتِضَامِ جَانِبِهِ وَقَصْدِهِ فِيمَا يَخْتَصُّهُ ، فَلَمَّا أُصِيبَ بِهِ
 اسْتُلِينَ جَانِبُهُ ، وَاسْتُبِيحَ حَرِيمُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ جَبَى مَاءً فِي حَوْضٍ لِيَسْقَى إِلَيْهِ
 مِنْهُ ، فَجَاءَ مِنْ زَاوِيَّتِهِ فِيهِ وَاسْتَبَدَّ بِهِ دُونَهُ ، فَقَالَ مَتَاهِفًا : لَوْ كَانَ هَذَا الْحَوْضُ
 حَوْضَ حِمَارٍ أَخِي مَا جَسَرْتُ عَلَى شُرْبِ مَائِهِ ، وَلَا عَلَى امْتِنَانِهِ فِيهِ ، بَلْ كُنْتُ
 تَسْتَأْذِنُهُ ثُمَّ تُقَدِّمُ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « آخِرِ الْأَبَدِ » بِتَعَلُّقٍ بِقَوْلِهِ « مَا شَرِبْتُ بِهِ » .
 فَأَمَّا تَكْرِيرُهُ لَفْظَةَ حِمَارٍ فَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْأَعْلَامِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا ، وَفِي أَسْمَاءِ
 الْأَجْنَاسِ ، وَيَكُونُ الْقَصْدُ إِلَى التَّمْغِيزِ فِي التَّكْرِيرِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) أَنَشَدَ يَاقُوتُ هَذِهِ الْحَاسِيَةَ فِي رِسْمِ (حَوْضِ حِمَارٍ) ، وَقَالَ : « قِيلَ حِمَارٌ اسْمُ رَجُلٍ
 ضَمِيفٍ ، وَكَانُوا يَتِمَثَّلُونَ بِضَمْفِهِ . وَقِيلَ بَلْ أَرَادَ الْحِمَارُ بِنَفْسِهِ . يَقُولُ : لَوْ كَانَ حَوْضِي حَوْضَ
 حِمَارٍ مَا شَرِبْتُ مِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِ الْحِمَارِ ، لِضَمْفِكَ وَذَلِكَ وَقُلْتُكَ ، وَلَكِنْ أَعَزُّ مِنْكَ ، وَلَكِنْ
 وَجَدْتُ حَوْضِي حَوْضَ رَجُلٍ أَهْلَكَ الْدَّهْرَ قَوْمَهُ وَنَظَرَاهُ . فَطُمِعْتُ فِيهِ ، فَلَيْسَ مَا فَعَلْتُ دَلِيلًا عَلَى
 هُزْلِكَ ، وَلَكِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى ضَمْفِي . كَأَنَّهُ يَحْرُضُ قَوْمَهُ بِذَلِكَ » .

﴿رُسُلُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾^(١) وقول الشاعر^(٢) :
 لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءًا نَقَصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا
 وقد قيل إن حمارًا المذكور اسم رجلٍ كان يُضْرَبُ به المثل في الذلِّ ،
 فلذلك ذكره . ولا يجوز أن يُرادَ به واحدٌ من الحُمُرِ ، لأنه لو كان كذلك
 لوجب أن يقولَ في الثاني إلا بإذن الحمار ؛ لأن النكبة إذا أُعيدَ ذكرُها
 يجب تعريفُها بالألف واللام إشارةً إليه . على هذا كُتِبَ في أواخر الكتب وقد
 قُدِّمَ في أوائلها : سلامٌ عليك : والسلامُ عليك .

٢- لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أَوْدَى بِيَاخُوتِهِ رَبُّ الزَّمَانِ فَأَمْسَى بِيَضَةَ الْبَلَدِ
 هذا الكلام فيه تنبيهٌ إلى شِدَّةِ فاقته إلى من يَذُبُّ عنه ، وتأكُّدِ جَزَعِهِ
 لما فاتته من الصَّيَانَةِ بِبَاخُوتِهِ ، فيقول : لكنه حوضٌ رجلٍ فرَّقَ الدهرُ بينه
 وبين من كان يَعْتَرِّضُ به ، ويدفعُ الظلمَ والمُضْيِمَةَ عن نفسه بمكانه ، فأَمْسَى
 لا ناصرَ له ، ولا دافعَ دونه ، كَبَيْضَةِ الْبَلَدِ . وقد قيل في بيضة البلد : إنه أراد
 بِيَضَ النِّعَامِ ، لأنها سَيِّئَةُ الْهِدَايَةِ ، فَتَضَعُ بِيَضَهَا فِي مَوْضِعٍ ، ثُمَّ تَتْرَكَ ضَلَالًا
 عَنْهُ فَتَضِيعُ ، وربما تَذْهَبُ وَتَحْضُنُ بِيَضَ غَيْرِهَا تَظُنُّ أَنَّهَا بِيَضُهَا . وقد ضُرِبَ
 لِلنَّلْلِ بِهَا قَعِيلٌ :

كَتَارِكَةٍ بِيَضِهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبَسَةٍ بِيَضَ أُخْرَى جَنَاحَا^(٣)
 وقد قيل : إن بِيَضَةَ الْبَلَدِ هِيَ الْكِبَاءَةُ الْبِيَضَاءُ تَنْشَقُّ عَنْهَا الْأَرْضُ - وَهِيَ

(١) قرأ ابن كثير وحفص « رسالته » بالتوحيد ، وبقا السبعة « رسالاته » على الجمع .
 تفسير أبي حيان (٤ : ٢١٧) .

(٢) هو على بن زيد العبدي ، أو ابنة سواده ، الخزاعة (١ : ١٨٣) وكتاب
 سيبويه (١ : ٣٠) .

(٣) البيت لإبراهيم بن هرمة . الحيوان (١ : ١٩٩) وانظر ثمار القلوب ٣٥٣ ،
 والدميري (٢ : ٥٠٢) والموشح ٢٣٧ .

الْفَقْع — فَتَطَوُّهُ الْمَاشِيَّةُ ، وَتَذْمُرُهُ الْعَافِيَةُ^(١) ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : « أَذَلُّ مِنْ فَقْعٍ بَقَاعٍ » . وَكَأْضَرِبَ الْمَثَلُ بَبِيضَةِ الْبَلَدِ فِي الذَّلِّ ضُرِبَ الْمَثَلُ بِهَا فِي الْعِزِّ أَيْضًا . وَقَدْ مَضَى ذِكْرُهَا . وَأَنْشَدَنِي بَعْضُهُمْ لِأَخْتِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ^(٢) تَرْنَى أَخَاهَا ، وَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاتِلَهُ :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرِو غَيْرَ قَاتِلِهِ بَكَيْتُهُ مَا أَقَامَ الرُّوحُ فِي جَدِي
لَكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَبِيضَةِ الْبَلَدِ
وَالْمُرَادُ إِذَا مُدِحَ أَنَّهُ لَا نَظِيرَ لَهَا ، وَلَا أُخْتَ مَعَهَا ، فَالْنَّعَامَةُ تُطِيفُ بِهَا
إِشْفَاقًا عَلَيْهَا . وَمِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ فِي الذَّمِّ قَوْلُ الْآخَرِ :

إِنَّ أَبَا نَضْلَةَ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ ضَلَّ أَبَاهُ فَهُوَ بَبِيضَةُ الْبَلَدِ
وَبَبِيضَةُ الْإِسْلَامِ : جَمَاعَتُهُمْ . وَيُقَالُ تَفَرَّغَى بَبِيضَةُ الْأَرْضِ عَنْ بَنِي فُلَانٍ ،
إِذَا تَفَاسَلُوا وَكَثُرُوا . وَبَبِيضَةُ الْخَدْرِ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ^(٣) .

٣- لَوْ كَانَ يُشْكَى إِلَى الْأَمْوَاتِ مَالِقِي الْأَحْيَاءِ بَعْدَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْكَدِّ
٤- نَمِ اشْتَكَيْتُ لِأَشْكَانِي وَحَاكِمِهِ قَبْرٌ بِسِنِّجَارٍ أَوْ قَبْرٌ عَلَى قَهْدٍ
قَصْدُهُ إِلَى بَيَانِ بَرِّ أَخِيهِ بِهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، فَقَالَ : لَوْ جَرَّتِ الْعَادَةُ بِتَكْلُفِ
الْأَحْيَاءِ الشَّكْوَى إِلَى الْأَمْوَاتِ ، وَإِنْهَا مَا يُقَاسُونَهُ مِنَ الْجَزَعِ فِيهِمْ ، وَمِنْ
النَّوَابِ بِفَقْدِهِمْ وَبَعْدَهُمْ^(٤) ، نَمِ كَانَ يَنْفَعُ ذَلِكَ أَوْ يُثْمِرُ إِصْغَاءً وَإِجَابَةً ،

(١) الْعَافِيَةُ : طَلَابُ الرِّزْقِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْدَوَابِّ وَالطَّيْرِ . انْظُرْ ص ٨٢٣ م ٢ .

(٢) كَذَا عَلَى الصُّوَابِ فِي ل وَالتَّيْمُورِيَّةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرْبٍ » وَفِي
م : « عَمْرُو بْنُ وَدٍّ » كَلَاهِمَا مُحَرَّفٌ . وَكَانَ مَقْتُلُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ، قَتَلَهُ
عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَتَلَ كَذَلِكَ ابْنَهُ حَسَلَ بْنَ عَمْرِو . السَّيْرَةُ ٦٩٩ - ٧٠٠ جَوْتَنَجَن . وَوَدَّ
يَفْتَحُ الْوَاوُ : صَنَمٌ لَهُمْ ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

(٣) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي الْحَمَاسِيَةِ ١٦٧ ص ٥٥٥ .

(٤) كَذَا وَرَدَّ نَصْبُهَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ .

وجريتُ أنا على عادتهم في مُبائنةِ أخي ، والإفاضةِ في الشُّكْرِ إليه ، لأرضاني وأزال شكواي .

وقوله « أشكاني » يقال شَكَوْتُهُ فاشكاني ، كما يقال طَلَبْتُ منه كذا فاطْلُبْنِي ، وَعَتَبْتُ عليه فاعْتَبِنِي . وقوله « وساكنهُ قَبْرٌ بِسِنْجَارٍ أَوْ قَبْرٌ عَلَى قَهْدٍ » ، قَدَّمَ المَطُوفَ وهو ساكنهُ على المَطُوفِ عليه ، وهو قَبْرٌ بِسِنْجَارٍ . ومثله قوله :

* عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ ^(١) *

وإنما يَحْسُنُ هذا إذا كان العاملُ مُقَدِّمًا ، وهو في الفعل والفاعل أكثرُ منه في المفعول ، فأما الجُرُورُ فلا يجوز ذلك فيه ، لا يجوز أن تقولَ مَرَرْتُ وغمرُ ويزيدُ إذا كان فيه تقدُّمُ المَطُوفِ على المَطُوفِ عليه وعلى العاملِ فيه . والكَدُّ : حُزْنٌ وَهَمٌّ لَا يَسْتَطَاعُ إِضَاؤُهُ ، وقال الدُّرَيْدِيُّ : هو مَرَضُ الْقَلْبِ من الحزن . يقال كَمِدَ يَكْمِدُ كَمْدًا ، ورأيتُهُ كَامِدًا الْوَجْهَ وَكَمِدَ الْوَجْهَ ، إذا بان به أثرُ الكمد ؛ وأَكْمَدَهُ الحُزْنَ إِكْدًا .

٢٦٨

وقال رجلٌ من خثعم ^(٢) :

١ - نَهْلَ الزَّمانُ وَعَلَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مِنْ آلِ عَتَّابٍ وَآلِ الْأَسْوَدِ

(١) البيت لا يعرف قائله ، وقيل : هو للأخوص . الخزانة (١ : ١٩٢) صدره :

* أَلَا يَا نَحْلَةَ مِنْ ذَاتِ عَرَقٍ *

(٢) ابن جني في المبهج ٣٩ : وخثعم اسم قبيلة غير مصروف . وهو في الأصل اسم بغير . والخثعمة : تَلَطُّخُ الجسد بالدم . ويقال : إنما سميت بذلك لأنهم نَحَرُوا بغيراً فَنَلَطُوا بدمه وَتَحَالَفُوا . فنخثم على هذا في الأصل ماضٍ كد-رج ، نقل فسميت القبيلة به . ويجوز أن يكون مصدرًا حذف منه الهاء عند النقل ، وأصله خثعمة . وخثعم هو أقتل بن أعمار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يرب بن -

٢- من كُلِّ قِيَاضِ الْيَدَيْنِ إِذَاغَدَتْ نَكْبَاءُ تُلَوِي بِالْكَنِيفِ الْمَوْصَدِ
لِلنَّهْلِ: الشَّرْبُ الْأَوَّلُ. وَالْقَلْبُ: الشَّرْبُ الثَّانِي. وَالتَّصْرِيدُ: تَقْلِيلُ
الشَّرْبِ؛ يُقَالُ إِنَّا مَصَرَّدٌ، إِذَا كَانَ مَا يَحْوِيهِ دُونَ الرَّيِّ، وَيُقَالُ صَرَّدَ
عَطَاءَهُ إِذَا نَزَرَهُ. وَقَصَدَ الشَّاعِرُ إِلَى بَيَانِ تَأْثِيرِ الزَّمَانِ فِي الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ حَالاً
بَعْدَ حَالٍ، وَوَقْتاً بَعْدَ وَقْتٍ، وَأَنَّهُ اسْتَوْفَى مِنْهُمْ مَا أَرَادَ دَفْعَةً بَعْدَ أُخْرَى،
وِثَانِيَةً بَعْدَ أُولَى، غَيْرَ مُقَلِّلٍ وَلَا مُطَفِّفٍ.

وقوله « من كل قياض اليدين » بدل من قوله « من آل عتاب »، وقد
أعاد العامل فيه، وهذا يكثر في الجرور. على هذا قول الله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لَعْنٌ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ ألا تَرَى أَنَّهُ أَعَادَ اللَّامَ كَمَا
أَعَادَ هَذَا الشَّاعِرُ مِنْ. وهذا التكرير تأكيد للإبدال، وتنبيه على أن الثاني
من الأول. والقياض: الكثير السيلان، وهو بناء للمبالغة. والنكباء: ريح
تنكبت عن مهاب الرياح الأربع. وإذا كثرت النكبات واشتدَّ هبوبها
شمل التحط: ويقال: إِنَّهُ لَمِنْكَابٌ عَنِ الْحَقِّ، أي كثير العدول عنه، والأنكب
البعير كأنه يمشي في شق، ومعنى تلوي: تذهب به. والكنيف: الحظيرة من
الشجر؛ والموصد: الذي جعل له إصداً إحكاماً له، والإصا: عتبة الباب،
والجميع الأصد. وفسر قوله عز وجل: ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴾ أي مُطَبَّقَةٌ.
ويُهْمَزُ وَلَا يَهْمَزُ. وقيل: الوصيد الفناء. والمعنى أَنَّ الزَّمَانَ أَلْحَ عَلَيْهِمْ، وتناول
منهم الأفضل فالأفضل تناولاً لا تقليل فيه ولا تعذير، فذهب منهم بكل رجل

= قحطان. نهاية الأرب (٢: ٣١١ وما قبلها). على أن البيت الرابع من هذه الحماسة نسبة
ياقوت في رسم (البقيع) إلى عمرو بن النعمان البياضي، في أبيات أخرى قالها يرى قومه،
وكانوا قد دخلوا حديقة من حدائقهم في بعض حروبهم، وأغلقوا بابها عليهم ثم اقتتلوا، فلم
يفتح الباب حتى قتل بعضهم بعضاً. ونسب الجاحظ هذا البيت الرابع أيضاً إلى حارثة بن بدر،
في البيان (٣: ٢١٩، ٣٣٦). والبياض: نسبة إلى بياضة بن عامر بن زريق بن عبد بن
حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج. نهاية الأرب (٢: ٣١١).

سَخِيٍّ واسع المروف إذا اشتدَّ الزَّمانُ وأَسَنَتِ النَّاسَ . وقول الجفدي :
سَأَلْتَنِي عَنْ أَتَانِسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلَ^(١)
ليس مما قاله في شيء ، وإنما يريدُ سَمَّ عليهم دهرٌ مديد وزمانٌ طويل ،
فَشَرِبَ النَّاسُ بِمَدَمٍ وَأَكَلُوا وَنَسُوا أَوْلَئِكَ . وهذا مثل .

٣- فَالْيَوْمَ أَضْحَوْا الْعُنُونِ وَسَيْقَةَ من رَأَيْحِ عَجَلٍ وَآخَرَ مُقْتَدٍ
٤- خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مَدَافِعٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالشُّوَدِ^(٢)

قوله « فاليوم » أشار به إلى الزَّمانِ الحاضر المتَّصل بما بعده ، غير محصورٍ
بنهاية ، ولا مضبوطٍ بذكر غاية ، وهذا كما يُقال : فُلَانٌ بِالْأَمْسِ كان يفعلُ
كذا وهو اليومَ رئيسُ بَلَدٍ . فذكرُ الأَمْسِ واليومَ لا تُصال الوقتين ، وتقريب
المدى بين الماضي منهما والحاضر . والوسيقة : الطريدة . وثبته بهذا الكلام على
أن الدهرَ بعدُ جارٍ على عادته المستأنفة معهم في الأخذ منهم ، والذهاب بهم .
وقوله « من رَائِحِ عَجَلٍ وَآخَرَ مُقْتَدٍ » بيانٌ لذهاب الواحد منهم في إثر
الآخر . والعَجَل : المستعجل . ويقال عَجِلَ بكسر الجيم وعَجُلٌ ، ومثله
العَجَلان .

وقوله « خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مَدَافِعٍ » يُروى « غير مُسَوِّدٍ^(٣) » .

(١) وكذا جاءت نسبته في أمالي المرتضى (١ : ٦٦) واللسان (١٣ : ٢٢) ونسبه
المحافظ في الحيوان (٥ : ٢٨) إلى دهمان النهرى .

(٢) كذا في التيمورية ، وهو ما يقتضيه التفسير ما بعده . وفي سائر النسخ : « مسود » .

(٣) مسود ، كذا وردت في جميع النسخ بالتثنية في هذا التفسير وفي متن الأصل ، ل ، م .

وهو جارٍ على مذهب من لا يمتزف بالتصريح إلا في أول بيت من القصيدة . والحق أن التصريح
جائز في كل بيت . قال ابن رشيق في العمدة (١ : ١١٥) : « وقد كثر استعمالهم هذا
حتى صرعوا في غير موضع تصريح ، وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة » .

ومعنى « خَلَّتِ الدِّيار » مات الرؤساء الذين لكل واحد منهم بيت ودار يُنسبُ إليه ، ويُتَبَجَّحُ به . وإذا رَوَيْتَ « غير مُدَافِع » يكون حالاً ، كأنه سادهم ولا مُنازعَ له ولا مُتَأَنِّيَ عليه . وإذا رَوَيْتَ « غير مُسَوِّد » جاز أن يكون غير مفعولاً من سُدْتُ ، فيكون مثل قول الآخر :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرْكَةً فَأَرَاهُمْ لَمْ يُفَادِرْ غَيْرَ فَلَنْ

فيكون المعنى : سُدْتُ مَنْ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُنسَبَ إِلَى السِّيَادَةِ فِي حَالٍ ؛ لِأَنَّ مَنْ اسْتُصْلِحَ لَهَا ، أَوْ ذُكِرَ فِي عِدَادِ الرُّؤَسَاءِ إِذَا عُدُّوا ، مَاتُوا وَبَادُوا . وَجَاز أَنْ يَكُونَ حَالاً ، وَيَكُونَ الْمَعْنَى سُدْتُ قَبْلَ أَوَانِ سِيَادَتِي ، أَيْ سُدْتُ وَلَمْ أُسَوِّدْ بَعْدُ . وَقَوْلُهُ « وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّودَدِ » ، يؤكد المعنى الذي ذكرناه أولاً فِي غَيْرِ مُسَوِّد ، وَإِنَّمَا شَقِيَ بِزُرْعِهِ لِأَنَّهُ فُجِّعَ بِرُؤَسَاءِ عَشِيرَتِهِ ، وَفِي ذَلِكَ ضَعْفُهُ وَتَرَاجُعُ رِيَاثَتِهِ .

٢٦٩

وقال محمد بن بشير الخارجي^(١) :

- ١- نَعِمَ الْفَتَى فَجَعَتْ بِهِ إِخْوَانُهُ يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
- ٢- سَهْلُ الْفِنَاءِ إِذَا حَلَلْتَ بِيَابَهُ طَلْقُ الْيَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الْخُلَدَامِ

(١) هو أبو سليمان محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل الخارجي ، نسبة إلى بني خارجة ابن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر . شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية ، وكان منقطعا إلى أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشي ، وإلى يزيد بن الحسين وابنه الحسن . وقد رثى أبا عبيدة بقصيدة رائية في الأغاني . وكان يبدو في أكثر زمانه ، يقم في بوادي المدينة فلا يكاد يحضر مع الناس . الأغاني (١٤ : ١٤٢ - ١٥٥) والخزانة (٤ : ٣٧) . قال التبريزي : « في نسخة : يسير الخارجي ، وفيها يسير فصيل من اليمر ، وبشير هو الوجه » .

٣ - وإذا رأيت شقيقه وصديقه لم تذّر أيهما ذؤو الأرحام^(١)

الحمود : الذي يطلبه نعمَ بالاختصاص من بين جنسه محذوف ، كأنه قال نعمَ الفتى فتى فجمعت به إخوانه . والضمير من قوله « به » عائذ إلى المحذوف ، والجملة من الفعل والفاعل قد خصصته حتى صار كالمعرفة . ومثله قوله تعالى : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ كأنه قال : نعم العبد أيوب . والحذف في مثل هذا المكان يصلح إذا كان الحمود مشهور الشأن ، معلوماً أمره من القرائن في الكلام . وارتفع « حوادث » بفعلها وفعلها فجمعت ، وذكر الإخوان تنبيهاً على من آخاه من الأجانب والقرائب جميعاً .

وقوله « سهّلُ الفناء » ارتفع على أنه خبر مبتدأ مضمّر ، وجعل فناءه للزّوار والمجندين والعقاة سهلاً ، وذلك مثل لكثرة إحسانه إليهم ، وحسن توفّره عليهم . ومعنى « مؤدّب الخُدام » تنبيه على اقتدائهم بمولاهم في تفقّد الوُراد وإكرامهم ، والمبالغة في التّخفّف لهم والسّعى في مصالحهم .

وقوله « وإذا رأيت شقيقه وصديقه » فالشقيق إشارة إلى إخوان الولاد^(٢) ومن جرى مجراهم ، ممن شاركه في نسبه حتى كأنه شقّ منه . والصديق إشارة إلى إخوان المودة ومن صرّب بسهم في الانصباب إليه ، والاعتزاء إلى جنبته والاعتماد عليه . ثم قال « لم تذّر أيهما ذؤو الأرحام » تنبيهاً على تساويهما في الحلّ عنده ، وشمول حسن التّفقّد لهم ، حتى ترى كلاًّ منهم يُدِلُّ بمثل إدلال صاحبه ، لا تمايز ولا تباين . وفي طريقته قوله :

فإزال بي إكرامهم واقتفاؤهم وإطافهم حتى حسبتهم أهلي^(٣)

(١) التبريزي : « صديقه وشقيقه » .

(٢) هكذا وردت فيما عدا الأصل . وفي الأصل : « الولادة » وهما بمعنى واحد .

(٣) البيت لبكير بن الأخنس ، كما سبق في حواشي ص ٣٠٣ ، وهو من أبيات الحماسة .

وأشار بقوله : « شقيقه وصديقه » إلى الجنسين ، وفائدتهما الكثرة لا الوحدة . ألا ترى أنه قال : لم تدر أيهما ذؤو الأرحام ، أى أى الجنسين .

٢٧٠

وقال أيضا :

١ — طَلَبْتُ فَلَمْ أَذْرِكْ بَوْجِي وَلَيْتَنِي قَعَدْتُ فَلَمْ أُنْغِ النَّدَى بَعْدَ سَائِبِ
قوله « بوجي » تَعَلَّقَ الباء منه بِطَلَبْتُ ، والمعنى بِبَذْلِ وَجِي ، كأنه
تَوَلَّى الطَّلَبَ بنفسه ، وابتَذَلَ وَجَهَهُ وَجَاهَهُ فِيهِ ، فلم يُدْرِكِ المطلوب . ومفعول
« طَلَبْتُ » محذوف دلَّ عليه قوله « فلم أنغِ الندى » والتقدير : طلبتُ بعد
سائبِ الندى ببذلِ وجي فلم أنله ، وليتني قعدتُ فلم أنبغر ، ولا يمتنع أن يتعلّق
الباء من قوله بوجي بأذرك ، وهو المختار عند أصحابنا البصريين ، ويكون
التقدير : طلبتُ الندى فلم أذكره ببذلِ وجي . وقوله « بعد سائب » يجوز أن
يكون العامل فيه طلبتُ وكلُّ واحدٍ من الأفعال المجتمعة ، وهى : طلبتُ
وأذركُ وقعدتُ ولم أنغِ . والمعنى : بعد موت سائب .

٢ — وَلَوْ لَجَأَ التَّائِي إِلَى رَحْلِ سَائِبٍ ثَوَى غَيْرَ قَالَ أَوْ غَدَا غَيْرَ خَائِبٍ
ألم فى هذا البيت بقول الآخر^(١) :

حتى يكون عزيزاً من نفوسهم أو أن يبين جميعاً وهو مختار

لأن معنى « من نفوسهم » مقيماً فيهم ، وكالواحد منهم . يقول : ولو التجأ
العفأة هاربين من الزمان ، ونكّدت الحداثان ، إلى فناء هذا المرتى ، أقاموا
مُكْرَمِينَ مَعْظَمِينَ ، لا يَجْتَوُونَهُ وَلَا يُبْغِضُونَهُ ماداموا مقيمين ، وإذا أرادوا

(١) هو يزيد بن حان الكوفى ، من الحماسية ٩٣ ص ٣٠١ .

الانصراف عنه اغتدوا غير محرومين ولا يائسين . وانتصب « غير » على الحال وأشار بالعافى إلى الجنس ؛ ويقال عفاؤه واعتفاه ، إذا طلب معروفه ، فأعفاؤه أى أعطاه . ومنه عافية السباع والطير .

٣- أقول وما يدري أناسٌ غدوا به إلى اللحدِ ماذا أدرجوا في السبائب موضع « ماذا أدرجوا » نصبٌ على أنه مفعولٌ لأقول ، ويجوز أن يكون مامعٌ ذا بمنزلة اسمٍ واحدٍ وأدرجوا في موضع الخبر ، ويجوز أن يكون ما وحده اسماً وذاً خبره بمنزلة الذى وأدرجوا من تمامه . والمعنى : أقول مثلهما فقل من أعياء الأسماء فالتحف باليأس ، وتعلل بكلمة الحسرة بعد الفوات : أى رجلٍ أدرج في الكفن والغادون به إلى اللحد لا يعلمون . وهذا تفضيعٌ للشأن ، وتمظيم لحادث الرزء ، وقوله « أناسٌ » أشار به إلى الجماعة والطائفة ، والألف فيه زائدة بدلالة قولهم أنسٌ وأنسيٌّ وإنسٌ . وإذا كان كذلك فقوله ناسٌ منه أيضاً ، والألف زائدة ، وفاء الفعل محذوفة . ومن ذهب إلى أن لفظة الناس ليست من أناسٍ فى شيء ، وأن الألف فيه منقلبة عن حرفٍ أصلي فقد أخطأ . والسبائب : جمع سببية ، وهى الثوب الأبيض ، العائمٌ وغيرها . وكذلك السَّبُّ . قال الشاعر ^(١) :

* يَحْجُونَ سِبَّ الزُّبْرِ قَانَ الزَّعْفَرَا ^(٢) *

٤- وكلُّ أمرٍ يومَما سَيَرَّكَبُ كَارِهاً على النُّعْشِ اعْتِاقَ العِدَى والأقاربِ العِدَى : الغُرباء ، وانتصب كَارِهاً على الحال من سَيَرَّكَبُ ، وموضع على

(١) هو الخليل السعدي . إصلاح المنطق ٤١١ واللسان (سبب ، حجب) . وأنشد البيت في البيان (٣ : ٩٧) بدون نسبة .

(٢) صدره : * وأشهد من عوف حلولاً كثيرة *

النَّفْسِ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ تَمَّا فِي قَوْلِهِ كَارِهًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِكَارِهِ ،
كَأَنَّهُ قَالَ : يَرْكَبُ كَارِهًا حَاصِلًا عَلَى النَّفْسِ أَعْنَاقَ الْعِدَى يَوْمًا مَا . وَقَالَ الْخَلِيلُ :
قَوْمٌ عِدَى : بُعْدُ عَنْكَ وَغُرْبَاءُ وَيُقَالُ قَوْمٌ أَعْدَاءُ أَيْضًا بِهَذَا الْمَعْنَى . وَالْعِدَى :
الْبُعْدُ نَفْسُهُ .

٢٧١

وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ^(١) :

- ١ - نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمِ شُهْدَى^(٢)
 - ٢ - قُلْتُ لَمْ ظَنُّوا بِالْفَى مُدَجِّجٍ مَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ
- يُقَالُ نَصَحْتُهُ وَنَصَحْتُ لَهُ ، نَصَحًا وَنَصِيحَةً وَنَصَاحَةً وَنَصَاحِيَّةً ، وَهُوَ
نَاصِحُ الْجَنْبِ ، أَيْ نَاصِحُ الصَّدْرِ . وَقَوْلُهُ « وَالْقَوْمِ شُهْدَى » فَائِدَتُهُ أَنَّهُمْ

(١) دريد بن الصمة بن الحارث بن بكر ، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن
من فخذ منهم يقال لهم بنو غزية . ودريد تحقير أورد على الترخيم . والأردد : الذي كبر حق
سقطت أسنانه فصار يعض على ددره . والصمة : الشجاع ، وهو لقب لأبيه ، واسمه معاوية .
ودريد شاعر شجاع فارس من ذوى الطراى فى الجاهلية . وشهد يوم حنين مع هوازن وهو
شيخ كبير . وقال :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جُلْعٌ أَحَبُّ فِيهَا وَأَضْعُ

وقتل دريد يومئذ فيمن قتل من المشركين . المعمرين ٢١ - ٢٢ والاشتقاق ١٧٧ -
١٧٨ والأغانى (٩ : ٢ - ١٩) والآل ٣٩ - ٤٠ والمؤتلف ١١٤ والخزانة (٤ : ٤٤٢ -
٤٤٧ / ٣ : ٤٦١ - ٤٦٢) والسيرة ٨٤١ - ٨٤٢ جوتنجن والشعراء ٧٢٥ -
٧٢٩ .

(٢) أبيات هذه الحماسية ، هى من الأصمعية رقم ٢٨ (طبع المعارف) ، وكان من
خبر الشعر ما رواه التبريزى أن عبد الله - وهو اسم آخر لعارض وهو أخو دريد ، كان يسمى
مارضا ، وعبد الله ، وخالدا ، وكان يكنى أبا أوفى ، وأبا ذفاقة ، وأبا فرعان - كان عبد الله
هذا أسود لإخوته ، فغزا بنى جشم وبني نصر لبني معاوية بن بكر بن هوازن ، وغنم مالا عظيما ،
بمنعرج اللوى ، فغنه دريد عن اللبث وقال إن غطفان ليست بغافلة عنا ! فحلف أنه لا يرمي
حتى يقيم ، فالحقت بهم عيس وفزارة وأشجع ، وأوقعوا بعبد الله وأصحابه ، وقتل عبد الله ،
وجعل دريد يذب عنه وهو جريح . وهو قوله : « فجت إليه والرماح تنوشه » .

كانوا له حاضرين ومضطربين من كلامه وإشارته وبذله النصيح لهم ، إلى ما كان أدى إليه مراسلتهم في ذلك وهم غائبون ، إذ كان يبين لهم منه ما كان يبين وقت الحضور .

وقوله « ظنُّوا بالثَّيِّ مَدَجِّجٍ » يجوز أن يكون معناه : ظنُّوا كلَّ ظَنٍّ قبيحٍ بهم إذا غزَوْكم في أرضكم وعقر دياركم^(١) . ويجوز أن يكون معنى ظنُّوا أيقنوا ، لأن الظنَّ يستعمل في معنى اليقين . على ذلك قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ .

وقوله « سَرَاتِهِمْ » ، يعنى به رؤسائهم وخيارهم ، وقد مضى القول في بئانه^(٢) . والفارسي السرد ، يعنى به الدروع . والسرد : تتابع الشيء ، كأنه أراد في الدروع تتابع الخلق في النسج . لذلك قيل في الأشهر الحرم : ثلاثة سرْدٌ ، وواحد فرْدٌ . وقال الخليل : السردُ : اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الخلق ، لأنه يُسرَدُ فيُنْقَبُ طرفاً كلَّ حَلَقَةٍ بالمسار ، وفي القرآن : ﴿ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ ، أى اجعل المسامير على قدر خروق الخلق ، لا يغلف المسار فيتخرق ، أو يدق فيخلق . ومعنى البيتين : بذلت نصيحى لهؤلاء القوم بلسانى وقولى فيما صلح فيه الخطابُ ، وإشارتى وتعريضى ، وهم لى حاضرون ، يسمعون ويؤمنون ، وقلت لهم : إن الأعداء لكم مترصدون ، وإليكم قاصدون ، وعددهم وعددهم تامة ، فوسعوا مجال الظن السَّيِّئِ بهم إذا تمكسوا منكم ، أو أيقنوا بقصدهم ، على الطريقتين اللتين بيننا .

٣- فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنتى غير مهتد

(١) اتفقت الذخ على ضبط « ستر » بالفتح ، وهو يقال بالضم والفتح ، الضم لغة الحجاز ، والفتح لغة نجد . وعقر الدار : أصلها أو وسطها .

(٢) انظر البيت ٥ من الحاسية ٢٥٨ ص ٧٦٧ .

لَمَّا عَلِمَ لَظَرَفَ ، وَهُوَ لَوْ قَوَّعَ الشَّيْءَ لَوْ قَوَّعَ غَيْرِهِ ، فَيَقُولُ : لَمَّا أَصْرُثُوا
 عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَاطَّرَحُوا نُصْحِي وَمَشُورَتِي عَلَيْهِمْ ، تَبِعْتُ رَأْيَهُمْ وَلَمْ أَنْفَرِدْ
 عَنْهُمْ ^(١) وَأَنَا أَرَى جَهْلَهُمْ ، وَأَتَصَوَّرُ عَاقِبَةَ لَجَاجِهِمْ ، وَأَنَّى ضَالٌّ عَنِ الطَّرِيقِ
 عَادِلٌ عَنِ الصَّوَابِ فِي اتِّبَاعِي لَهُمْ ، لَكِنِّي لَمْ أَسْتَصْلِحْ لِنَفْسِي الْخُرُوجَ مِنْهُمْ ،
 وَالتَّبَاعُدَ عَنْهُمْ . وَقَوْلُهُ « كُنْتُ مِنْهُمْ » مِنْ هَذِهِ تُفِيدُ تَبْيِينَ الْوِفَاقِ وَتَرْكِ
 الْخِلَافِ ، وَأَنَّ الشَّائِنَ وَاحِدٌ لَا تَمَازٍ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَايُنَ . وَهُمْ يَقُولُونَ فِي النَّفْيِ
 أَيْضًا . لَسْتُ مِنْكَ ، أَيْ انْقَطَعَ مَا بَيْنَنَا ، فَلَا خِلَاطَ وَلَا اشْتِرَاكَ . عَلَى هَذَا
 قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(٢) :

* فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي ^(٣) *

فَأَمَّا قَوْلُهُ : أَنْتَ مِنِّي فَرَسَخَان ، قَالَ ^(٤) شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ [الْفَارِسِيُّ رَحِمَهُ
 اللَّهُ ^(٥)] هَذَا كَلَامُ الدَّلِيلِ مَعَ الْمُسْتَذِلِّ ، وَالْمَعْنَى : أَنْتَ فِي هِدَايَتِي مَدَى
 الْفَرَسَخَيْنِ . وَإِلَى غَايَتِهِمَا ، وَقَدْ خَالَفَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ حُصَيْنُ ^(٦) بْنُ الْمُنْذِرِ فَقَالَ :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَأَضْبَحْتَ مَسْلُوبَ الْإِمَارَةِ فَادِمَا
 فَمَا أَنَا بِالْبَاكِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَمَا أَنَا بِالْدَّاعِي لِتَرْجِعَ سَالِمًا
 ٤ — أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ الْأَوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
 قَوْلُهُ « أَمْرِي » يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ لِلْأُمُورِ بِهِ ، وَيَكُونُ الْأَصْلُ : أَمَرْتُهُمْ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي سَائِرِ النُّسخِ : « وَلَمْ أَنْفَرِدْ عَنْهُمْ » .

(٢) هُوَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي . دِيوَانُهُ ص ٧٩ .

(٣) صَدْرُهُ : * إِذَا حَاوَلْتُ فِي أَسَدٍ فَجُورًا * .

(٤) كَذَا سَقَطَتْ فَأَهَ الْجَوَابُ فِي جَمِيعِ النُّسخِ ، عَلَى مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ : « وَأَمَّا الَّذِينَ

أَسَدُوا وَجُوهَهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » .

(٥) هَذِهِ التَّكْلِيفَةُ لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ ، وَإِثْبَاتُهَا مِنْ سَائِرِ النُّسخِ .

(٦) كَذَا وَرَدَ فِي النُّسخِ بِالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، وَصَوَابُهُ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ ، انْظُرِ الْمُؤْتَلَفَ ٨٨ .

وَالْخِزَانَةَ (٢ : ٨٩ - ٩٠) وَالطَّيْرِي (٦ : ١٨) وَتَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ .

بأمرى ، فحذف الجار وصل الفعل بنفسه . ويجوز أن يكون مصدر أمرت ، وجاء به لتأكيد الفعل . وقوله « بمنعرج اللوى » تحديد وتوقيت ، وبيان أن ذلك كان من همّه حتى اختار له الموضع الذى كان أوفق عنده ، والوقت الذى كان أعود عليهم فيما أمرهم به . واللوى : مسترّق الرمل . ومنعرج : منعطف . وقوله « فلم يستبينوا الرشد » أى لم يتبينوه فى الحال حتى جاء الوقت المقدّر له . وذكر القدر يكثر فيما يتراخى من عواقب الأمور إذا أحيل عليه البيان والظهور فيه . والمعنى : فى المستأنف من الوقت . وهذا زاد عليه « ضحى » لأنه من النهار أضوا ، فكان المعنى : لم يبين لهم ما دعوتهم إليه إلا فى الوقت الذى لا لبس فيه ولا اعتراض شك . ومثله قول المتلس :

عَصَانِي فَلَمْ يَلْقَ الرَّشَادَ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ عَنْ أَمْرِ الْغَوِيِّ عَوَاقِبُهُ

هـ - وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشُدُ^(١)

يقال رَشِدَ بَرَشْدًا ورَشَادًا ، ورَشَدَ بَرَشْدًا ؛ فَلَمْ أَنْ تَضْمِ الشَّيْنِ مِنْ تَرَشْدٍ وَأَنْ تَفْتَحَهَا . وقوله « هل أنا » هو فى مذهب النفي وإن كان استفهامًا ولذلك تَبِعَهُ إِلَّا ، كأنه قال : ما أنا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ فى حَالَتِي الْغَىِّ وَالرَّشَادِ ، فَإِنْ عَدَلُوا عَنْ الصَّوَابِ عَدَلْتُ مَعَهُمْ ، وَإِنْ اقْتَحَمُوهُ اقْتَحَمْتُ بِهِمْ . وَغَزِيَّةٌ هُوَ رَهْطُهُ . فَإِنْ قِيلَ : إِنَّهُ كَرَّرَ مَعْنَى وَاحِدًا فى هَذِهِ الْآيَاتِ سَرَّ تَيْنِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ « إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ » قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ « كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْتَى غَيْرُ مُهْتَدٍ » . قُلْتُ : فى الْأَوَّلِ اقْتَصَصَ الْحَالِ الَّتِي دَارَ عَلَيْهَا مَعَهُمْ ، وَفى الْأَمْرِ بَقِيَّةً ، وَلِلنَّصِجِ تَوَجُّهً ، وَأَنَّهُ اجْتَهَدَ فى رَدِّهِمْ إِلَى مَا هُوَ أَرْدُّ عَلَيْهِمْ وَأَنْفَعُ لَهُمْ ، فَلَمَّا عَصَوْهُ فى ذَلِكَ أَمْسَكَ عَنْهُمْ جَارِيًا فى الطَّرِيقِ الَّذِى يَسْلُكُونَهُ وَإِنْ عِلِمَ

(١) غزية ، بفتح الغين . ابن دريد فى الاشتقاق ١٧٧ : « ومن قبائل بنى جشم بنو غزية - والغزية قمييلة من الغزو . والغزى : الجماعة من القوم يفتزون » .

الخطأ فيه . وقوله « وهل أنا إلا من غزبية » بيان لما دُفِعُوا إليه بعد تبين الرِّشَاد لهم ، وابتُئُوا به من مقاساة سوء العاقبة لسوء اختيارهم ، فقال : وما أنا إلا شريكٌ لم فيما أُمَرَ لهم جهلهم وغوايتهم كما كنتُ شريكاً لهم لو رَشِدُوا فيما كان يُبَيِّرُ لهم رشادهم . فهو في الأول ذكرُ اتِّباعه لهم بعد النصيح ناظراً من وراء رأيه ما يَدْفَعُونَ إليه ويمتحنون به ، وفي الثاني ذكر انغماسهم معهم فيما أغتَبَ لهم اختيارهم ، وأنه شَقِيَ بمثل ما شَقُوا به في عُقْبَى جهلهم أو بأشدَّ منه ، وإذا كان كذلك اختلف الحالتان والاتِّباعان . ثم أخذ يبيِّن محنته ، فقال :

٦- تَنَادَوْا فَقَالُوا ارْدَتِ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرِّدَى

٧- فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَاخُ تَنُوشُهُ كَوَقَعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُدَدِ

يعنى بالخييل الفرسان . يقول : نادى بعضهم بعضاً : أنقطت الخيلُ فَارِسًا ! فقلتُ : أعبُدُ الله ذلكم السَّاقط المالك ، وإنما دَعَاهُ إلى هذا القول أسران : أحدهما سوء ظنَّ الشقيق ؛ والثاني أنه عِلِمَ إقدامه في الحرب ، وابتدأه النفس وتعرَّضه للحتف ، فدعاه الشفقة والإشفاق إلى قصده لوقايته بنفسه ، فلجته والرماخ تناوله وتقع فيه وقع الصياصي ، وهي خشبة الحائك في نسجه الممدود إذا أراد تمييز طاقات السدى بعضها من بعض ، وكأنه سميت بذلك تشبيهاً بصيصية الذبك وهما مخليبان في ساقه ، وبصيصية الثور ، وهو قرنه . وقوله « أعبُدُ الله » ، وقد سماه مَعْبُداً أيضاً ، وهم يفعلون كثيراً في الأعلام مثل ذلك . ألا ترى حالهم في سليمان ، وأنهم يُسْمُونَهُ سَمَةً سُلَيْمًا وَسَمَةً سَلَامًا^(١)

(١) هو مماثل لما نصنعه في عصرنا هذا من تغيير بعض الأسماء للتدليل ونحوه . ومن شواهد قول الأسود بن يعفر :

ودعا بمحكمة أمين سكها من نسج داود أبي سلام -

وقول الآخر^(١) :

* صَبَوْتَ أبا ذَيْبٍ وَأَنْتَ كَبِيرُ^(٢) *

يعني أبا ذؤيب . وقوله : « تَنَوَّشُهُ » من التَّوَشَّحِ . وَالظَّنْبِيَّةُ تَتَوَشَّحُ الْأَرَاكَ وَتَتَنَاشَهُ ، أَيْ تَتَنَاوَلُهُ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَأَنْتَ لَهُمُ التَّنَاشُوشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ .
٨- وَكَفْتُ كَذَاتِ الْبَوْرِ بَعْتُ فَأَقْبَلْتُ إِلَى جَلْدٍ مِنْ مَسَكٍ سَقْبٍ مُقَدَّدٍ^(٣)
يَبَيِّنُ مَاذَا أَدْرَكَ مِنْ أَخِيهِ لَمَّا أَرَادَ وَقَايَتَهُ وَالذَّبَّ عَنْهُ فَقَالَ : كَفْتُ كِفَانَةً لَهَا وَلَدٌ فَأَفْزَعَتْ فِيهِ لَمَّا تَبَاعَدَتْ عَنْهُ فِي مَرَعَاهَا ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ ، فَإِذَا هُوَ بِجَلْدٍ مُقَطَّعٍ ، وَشُلُوٍّ مُبَدَّدٍ . كَأَنَّهُ انْتَهَى إِلَى أَخِيهِ ، وَقَدْ فُرِغَ مِنْ قَتْلِهِ وَمُزَّقِ كُلِّ مُمَزَّقٍ . وَالْبَوُّ ، أَصْلُهُ جِلْدٌ فَصِيلٌ يُحْشَى تَبَنَّا لَتَدِرُّ عَلَيْهِ ، فَاسْتَعَارَهُ لِلْوَلَدِ . وَكَذَلِكَ الْجِلْدُ هُوَ مَا جُلِدَ مِنَ الْمَسْلُوحِ وَالْبَسِ غَيْرَهُ لَتَشْمَهُ أُمُّ الْمَسْلُوحِ فَتَدِرُّ عَلَيْهِ . وَلِلسَّكِّ : الْجِلْدُ ، لِأَنَّهُ يُمَسِّكُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ . وَالسَّقْبُ : الَّذِي كَرَّ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ ؛ وَنَاقَةٌ مِسْقَابٌ ، إِذَا وَلَدَتْ الذَّكَرَانَ كَثِيرًا .

٩- فُطَاعِنَتْ عَنْهُ الْخَيْلُ حَتَّى تَبَدَّدَتْ وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدَ
١٠- قِتَالِ امْرِئٍ آمَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرَ مُخْلَدٍ
يقول : دَافَعَتُ الْخَيْلَ - يَعْنِي الْفُرْسَانَ - عَنْهُ حَتَّى انْكَشَفُوا ، وَإِلَى أَنْ جُرِحَتْ فَسَالَ الدَّمُ عَلَى ، وَكَانَ ذَلِكَ مَنَى دِفَاعِ رَجُلٍ جَعَلَ نَفْسَهُ إِسْوَةً لِأَخِيهِ ، وَاخْتَارَ لَهَا مِثْلَ مَا سَبَقَ إِلَيْهِ ، عَالِمًا أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَبْقَى ، بَلْ مَالُهُ إِلَى الْفَنَاءِ ، وَأَنَّ اسْتِمْتَالَهُ لِيَلْحَقَ بِأَخِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَبْقَى بِعَمْدِهِ فَيَشْقَى بِالْجَزَعِ لَهُ وَفِيهِ .

- وَكَأَمَّا قَالُوا فِيهِ « سَلَامٌ » قَالُوا فِيهِ أَيْضًا « سَلِيمٌ » . وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ فِي دِيْوَانِهِ ٦٤ :

وَكُلُّ صَمُوتٍ نَفْطَةٌ نَبِيْعِيَّةٌ وَنَسِجٌ سَلِيمٌ كُلُّ قِصَاصٍ ذَائِلٌ

(١) هُوَ أَبُو ذَوْيْبِ الْهَذَلِيِّ . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (١ : ١٢٧) .

(٢) صَدْرُهُ : * دِيَارُ الَّتِي قَالَتْ غَدَاةً لِقِيَّتِهَا *

(٣) انْفَرَدَتْ نَسْخَةُ الْأَصْلِ بِرَوَايَةِ : « فَكَفْتُ كَذَاتِ » .

ويقال : هو يَأْتِسِي بَقْلَانٍ ، أَيْ رَضِيَ لِنَفْسِهِ مَا رَضِيَ ذَاكَ لِنَفْسِهِ . وَالْمَوَاسَاةُ
وَالْتَأَسِّي وَالِاتِّسَاءُ وَاحِدٌ . وَقَوْلُهُ : « حَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ » ، فِيهِ
إِقْوَاءٌ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يُهَوِّنُونَ الْأَمَرَ فِي الْإِقْوَاءِ وَلَا يَعُدُّونَهُ عَيْبًا قَبِيحًا .
وَحُكِيَ عَنِ الْأَخْفَشِ أَنَّهُ قَالَ : مَا أَنْشَدَنِي الْعَرَبُ قَصِيدَةً سَلِمْتُ مِنَ الْإِقْوَاءِ
طَالَتْ أَوْ قَصُرَتْ . وَيُرْوَى : « وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ لَوْنُ أَسْوَدٍ » ، وَالضَّمْفُ
فِيهِ ظَاهِرٌ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ حَالِكُ وَهُوَ الشَّدِيدُ السَّوَادِ ، ثُمَّ قَالَ لَوْنُ أَسْوَدٍ .
وَفِي إِضَافَةِ لَوْنٍ إِلَى أَسْوَدَ مَا لَا يُرْتَضَى . وَأَجْوَدُ مِنْ هَذَا أَنْ يُرْوَى : حَالِكُ
الَّلَوْنِ أَسْوَدِيٌّ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَسْوَدِيٌّ ، كَمَا قِيلَ فِي الْأَحْمَرِ الْأَنْخَرِيٌّ ، وَفِي الدَّوَارِ
دَوَارِيٌّ ، ثُمَّ خَفَّفَتْ بِإِثْنَيْ عَشَرَ بِحَذْفِ أَحَدِهِمَا ، وَهُوَ الْأَوَّلُ ، وَجَعَلَ الثَّانِي صَلَةً .
١١ - فَإِنْ بَكَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ
قَوْلُهُ « خَلَّى مَكَانَهُ » أَيْ مَضَى لِسَبِيلِهِ . وَالْوَقَافُ : الْجَبَانُ الْمُتَوَقِّفُ فِيمَا
يَعْنِي لَهُ عَجْزًا وَضَعْفَ قَلْبٍ . وَيُقَالُ : وَقَافَةٌ أَيْضًا ، وَالْمَاءُ لِلْمَبَالِغَةِ ، وَالطَّائِشُ :
الْخَفِيفُ ، وَمِنْهُ الطَّيَّاشُ . وَيُقَالُ : هُوَ طَائِشُ السَّهْمِ ، إِذَا عَدَلَ سَهْمُهُ عَنْ
الْهَدَفِ وَلَمْ يَقْصِدْ قَصْدَهُ ؛ ثُمَّ يُقَالُ : هُوَ طَائِشُ الْيَدِ ، إِذَا كَانَ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مِنَ
الْأَعْمَالِ كَذَلِكَ . يَقُولُ : إِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ تَوَقَّى وَتَلَّى مَا كَانَ يَسُدُّهُ بِنَفْسِهِ
وَعَنَانِهِ مِنْ أَمْرِ الْعَشِيرَةِ وَسِيَاسَتِهِمْ ، فَلَقَدْ كَانَ مُقَدِّمًا صَائِبَ الرَّأْيِ ، حَلِيمًا فِيمَا
يَأْتِيهِ ، لَا يَطْلِيشُ زَهْوًا ، وَلَا يُؤَثِّرُ عَلَى الصَّوَابِ شَيْئًا .

١٢ - كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجُ نِصْفِ سَاقِهِ يَبْعِيدُ مِنَ الْآفَاتِ طَلَاعُ أَنْجَدِ
الْكَمِيشُ وَالْكَمِيشُ : الْخَفِيفُ السَّرِيعُ الْحَرَكَةِ . يُقَالُ : انْكَمَشَ فِي
حَاجَتِكَ ، أَيْ تَخَفَّفَ وَأَسْرَعَ . وَأَضَافَ الْكَمِيشَ إِلَى الْإِزَارِ عَلَى الْمَجَازِ كَمَا
يُقَالُ : عَفِيفُ الْحُجْرَةِ ، وَتَوَقَّى الْجَيْبِ . وَقَوْلُهُ « خَارِجُ نِصْفِ سَاقِهِ » يَصِفُهُ

بالتشمر . وقد قيل : هو عاري الظنوب ، في هذا المعنى . قال :

* عَارِي الظَّنَابِيْب مُمْتَدُّ نَوَاسِرُهُ ^(١) *

وقد يراد بهذا قلة اللحم والهزال . وقوله « بعيد من الآفات » يريد أنه لا داء به ولا غائلة ، فهو سايح الأعضاء متين القوى . ومعنى « طلاع أنجد » أنه يتصعد في درج السموم . ويقال طلاع أنجدة أيضا ، قال :

* طَلَّاعُ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِهِ هَضَمٌ ^(٢) *

فأنجدة جمع نجاد ، ونجاد جمع نجد . فأما أنجد ، فالأصل أن يكون لأدنى العدد وقد استعير للكثير ، لأنه كفنس وأفلس . وهم كما يضعون بناء القليل للكثير والكثير للقليل في أصل الوضع ، يستعمرون بناء القليل للكثير وإن كان بناء الكثير قد استعمل أيضا . يكشف هذا أيضا أنهم يقولون : رَسَنٌ وَأَرْسَانٌ ، فوضعوه للكثير وإن كان في الأصل للقليل ؛ وقالوا درهمٌ ودَرَاهِمٌ فوضعوه للقليل . وقال الله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي الْفُرْقَاتِ آمِنُونَ ﴾ يريد أهل الجنة . فوضع الفُرْقَاتِ موضع العُرف على الاستعارة .

١٣ - قليل التشكى للمصيبات حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غدير

يريد بقوله « قليل » نفى أنواع التشكى كلها عنه . على هذا قوله تعالى : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وقولهم : قل رجل يقول ذاك ، وأقل رجل يقول ذاك . والمعنى : أنه لا يتألم للنوائب تنزل بساحته ، والمصائب تتجدد عليه

(١) البيت لتأبط شراً في القصيدة الأولى من المفضليات وعجزه :

* مدلاج آدمى واهى الماء غساق *

(٢) البيت لزياد بن منقذ ، وهو المعروف بالمرار العدوى . وصدره في اللسان (نجد) :

* ينفدو أمامهم في كل مربة *

من أبيات أولها :

كم فيهم من فتي حلوشائله . جم الرماد إذا ما أخذ البرم

في ذويه وعشيرته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس في غده ، فهو نقي الأفعال من العيوب ، طيب الأخبار في أفواه الناس ، صبور على العزاء .

١٤ - تراه خبيص البطن والزاد حاضر عتيد ويغدو في القميص المقدد مثل الصراع الأول قول الآخر^(١) :

* يابس الجنبين من غير بوس^(٢) *

يصفه بقلة الطغم مع اتساع الحال ، وطاعة الزاد ، فيقول : ترى بطنه منطويا والزاد معد ، لأنه يؤثر به غيره على نفسه ، ولأنه لانهمة ثم ولا حرص على عارة البدن ، ولا على استسراء الثياب ، فهو يغدو في القميص الممزق ، إذ كان يبتدل نفسه فيما كان يكسبه فخرًا وعلوًا^(٣) . ويقال : عتد فهو عتيد عتادا ، وأعتدته أنا . ومنه سمي المتيدة التي يكون فيها الطيب ، والعقد بفتح التاء وكسرها : الفرس الممد للمهمات من الطلب والمرب وغيرها ، الذكور والأنثى فيه سواء .

١٥ - وإن مسه لإقواء والجهد زاده سماحا وإتلافا لما كان في اليد يقول : وإن اتفق عليه إعسار ونقاد زاد ، وجهد من نكد الزمان وإعواز زاده سخاء وإتلافا للمال ، جريًا على عادته التي ألفها ، لا يهضمه خسرًا ، ولا يكتفه فقر . ويقال : أفوى الرجل ، إذا نفذ زاده . ويقال : زاد الشيء ضد نقص ، وزدته أنا فازداد . وفي طريقته قول الآخر :

قد جعل الله فيك قلبا يابى على الشغل أن يضيقا

(١) هو تأبط شرًا ، من الخاسية ٢٧٣ .

(٢) عجزه : * وندى الكفين شهم مدل *

(٣) يكسبه ، ضبط في جميع النسخ بفتح الياء ، يقال أكسبه مالا ، وكسبه أيضا .

١٦- صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ اِبْعِدْ

يجوز أن يكون صبا الأول من الصَّبَا واللَّهْوِ ، وصَبَا الثاني من الصَّبَاءِ بمعنى الفتاء ، فيكون المعنى : تعاطى اللهو والصَّبَا ما دام صَبِيحًا ، فلما اكتمل وظهر في رأسه الشَّيْبُ فاشتغل نَحَى الباطل عن نفسه زهدًا فيه ، ورجوعًا إلى الحق ، ورغبةً فيما يكسبه الأحدثنة الجميلة من أبواب الصِّلاح والجِدِّ . ويجوز أن يكون المعنى : تعاطى الصَّبَا مانعًا طاه إلى أن علاه الشَّيْبُ ، فيسقط التجنيس من البيت ، وهو يَحْسُنُ به . وما صَبَا في موضع الظرف على الوجهين جميعًا ، أى مُدَّةَ الأمرين . وحتى للغاية . وقوله « اِبْعِدْ » مِنْ بَعْدَ بَعْدُ ، إذا هَلَكَ . ولو أَرَادَ البُعْدَ لَقَالَ اِبْعُدْ ، بضم العين . وجَرَى أبو نُؤَاسٍ في هذه الطريقة لما قال :

قَدْ عَذَّبَ الْحُبُّ هَذَا الْقَلْبَ مَا صَلَحَا فَلَا تَعْدُنْ ذَنْبًا أَنْ يُقَالَ صَحَا

١٧- وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْجَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

أَنَّنِي في موضع الفاعل لطيب ، وليس القصد إلى أنه لم يقل له كَذَبْتَ قَطُّ ، وإنما المراد أَنِّي لَمْ أَجْفُهُ بِأَذْوَنِ أَلْفَاظِ الْجَفَاءِ . على ذلك قولُ الله تعالى فِي الْوَصَاةِ بِالْوَالِدِينَ وَتَنْزِيهِهِمَا عَنْ قُبَاحِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ : ﴿ وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ فَأَنَّ الْأَصْلَ فِي صِيَاغَتِهِمَا عَنْ اخْلَاوِ وَفُحْشِ الْقَوْلِ ، وَالنَّهْرِ الْأَصْلُ فِي تَرْكِ إِيْذَانِهِمَا بِالْفِعْلِ وَالزَّجْرِ . فيقول : سَلَّانِي طَاعَتِي لَهُ وَاحْتِشَامِي مِنْهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ ، وَإِعْظَامِي إِيَّاهُ فِي الْقَوْلِ عِنْدَ مَخَاطَبَتِهِ ، وَالْفِعْلِ وَقْتَ مَجَالَسَتِهِ وَلَدَى مُعَامَلَتِهِ . وأشار إلى القول بقوله « لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ » وإلى الفعل بقوله « وَلَمْ أَبْجَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي » . والمعنى لَمْ أَبْجَلْ بِمَلِكِ يَدِي عَلَيْهِ ، فَخَذَفَ عَلَيْهِ كَمَا يَحْذَفُ الْمَفْعُولُ إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ .

٢٧٢

وقال أيضا :

١ — تقول ألا تبكي أخاك رقد أرى مكان البكا لـ كن بُذيت على الصبر

٢ — فقلت أعبدا لله أبكي أم الذي له الجُدث الأعلى فتيل أبي بكر^(١)

يقول : اجتمعت على المصائب والرهزايا فافترسمتني ، فإذا دُعيتُ إلى البكاء على أخي ، أرى البكاء يحقُّ له لفاقتي إلى حياته ، وتكامل فضله في نفسه ، لكنني وجدتُ صبورًا إذ كانت عليه بُذيتي ، وإذا صار ديدني ودأبي وقوله « مكان البكا » بيان استحقات أخيه البكاء عليه . وقد قصر البكاء ، وللشاعر أن يقصر المدود باتفاق من المذهبين . وفي طريقته قول الآخر^(٢) : ولو شئت أن أبكي بكاء لبكيتمه عليك ولكن ساحة الصبر أوسع^(٣)

وقوله « فقلت أعبدا لله أبكي » ، كُتِبَ به [عن^(٤)] توالي الرزايا ، وأنَّ جلده متوزع فيها ، فكأنه قال : إلى من أصرِف البكا ، ومن أخصَّ به أعبدا لله أم المدفون في القبر الأعلى فتيل أبي بكر بن كلاب . وقوله « الأعلى » يريد الأشرَف ، ويجوز أن يريد الأعلى في مكانه وموضعه . والجُدث : النبر ، وكذلك الجُدث ، وجمعه الأجداث . وفي القرآن : ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ . وانتصبَ عبدا لله بأبكي ، وفتيل على البدل من الذي .

(١) في الأغاني (٩ : ٢) : « وكان لدريد إخوة ، وهم عبدا لله الذي قتله نطفان » وعبد يغوث قتله بنو مرة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب ، وغالد قتله بنو الحارث بن كعب .

(٢) هو إسحاق بن حسان الحريري . معاهد التنصيص (١ : ٨٤) .

(٣) يروي : « أن أبكي دما » . (٤) هذه من م ، ل والتيجورية .

٣- وَعَبْدُ يَفُوثَ تَخْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وَعَزَّ الْمَصَابُ جَنُوءَ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ
 نَبْتَهُ بقوله « تَخْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ » على أنه ترك بالقراء ، وعوافي الطير
 تأكله ، فلم يذفن ، وإنما قال تَخْجُلُ إشارة إلى امتلاء حواصلها وثقلها ، فهي
 تَخْجُلُ حَوْلَهُ^(١) ولا تَطِيرُ . والحجل : مَشَى المُقْتَدِ ، وتوثب الإنسان على إحدى
 رجليه وقد رفع الأخرى . ونَزَوَانُ الْفُرَابِ حَجَلُهُ . وهذا الكلام تلهف وتحنن .
 وقوله « وَعَبْدُ يَفُوثَ » وإن استأنف الكلام به فهو في المعنى معطوف على ما قبله ،
 كأنه قال : أَيُّهُمْ أَبْكَى وقد كثروا . وقوله « وَعَزَّ الْمَصَابُ » يروى الْمَصَابُ
 بالرفع ويراد بالْمَصَابِ المصيبة ، ويرتفع « جَنُوءُ » على أنه بدل منه ، ويكون
 مفعولٌ عزَّ محذوفاً ، كأنه قال : وعزَّ الشاعر المصيبة جَنُوءَ قَبْرِ على قبر . وإذا
 رَوَيْتَ « وَعَزَّ الْمَصَابُ » بالنصب ، يكون الْمَصَابُ الشاعر ، وجَنُوءَ قَبْرِ هو
 الفاعل ، والمعنى غلبته تولى المصائب عليه . وقوله « جَنُوءَ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ »
 أي حصول الواحد في إثر الواحد . ويقال : جَنَّا لِرُكْبَتِهِ ، وفي القرآن : ﴿ حَوْلَ
 جَهَنَّمَ جُثِيًّا^(٢) ﴾ ، أي لازمين لرُكْبَتِهِم لا يستطيعون القيام . واستعمال الْجُنُوءِ
 مجاز هنا ؛ لأنَّ القبر لا يجنُّو . والجنوة من التراب وغيره : ما يجمع ، وبه سُمِّيَ
 القبر جنوة . وروى بعضهم : « حَنُوءَ قَبْرِ عَلَى قَبْرِ » فجعل الجنوة للقبر ، وإنما
 يُحْنَى عليه^(٣) ، كما قال :

(١) هذا ما في التيمورية وفي سائر النسخ « حولها » .

(٢) وردت الآية بهذه القراءة في جميع النسخ ، وهي قراءة جمهور القراء ما عدا حزة
 والكسائي . وكذلك يقرءون « عتياً » و « صلياً » كنها عندهم بضم أرائلها . وأما حزة والكسائي
 فيقرأون بكسر أرائلها . تفسير أبي حيان (٦ : ٢٠٨) .

(٣) كذا فهم المرزوقي ، أما ابن جني فقد قال في التنبيه : « حنو قبر على قبر ، أي
 حنو قبر عقيب حنو قبر . فعل هذا صفة لحنو ، كقولك ولد له عشرون ولداً رأساً على رأس ،
 أي تابلاً وتالياً » .

* وما مِن قَلِيٍّ يُخَنِّيَ عَلَيْهِ مِنَ التُّرْبِ *

وروى بعضهم «وعزّي» والمعنى سأل المصاب، أي نفسه، من البكاء والتعزّن، توالى الأرزاء عليه؛ فإنه تمرّن بها، فصار يصير عليها. ويكون في هذا ملماً بمعنى قول الآخر^(١) :

فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الصَّدِيقِ تَنَامُ
٤ - أَبِي الْقَتْلِ إِلَّا آلَ صِمَّةَ إِنَّهُمْ أَبَوْا غَيْرَهُ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
يقول: لم يَرْضَ القتلُ إِلَّا آلَ صِمَّةَ لأنهم الكرام، والدمر يأبى في الاختيار أن يكون حظه من غيرهم، كما أن آلَ صِمَّةَ لم يرضوا من أحداث الزمان فيهم إِلَّا بالقتل، إذ كان ذلك عندهم أحسن الميئات وأكرمها وقوله «أبي القتلُ إِلَّا آلَ صِمَّةَ يُشَبِّهُهُ قَوْلُ الْآخَرِ^(٢)» :

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَضْطَفِي عَقِيْلَةً مَالِ الْفَاحِشِ الْمُسَدِّدِ
وقوله «إنهم أبوا غيره» يشبهه قول الآخر^(٣) :

* وما مات مِنَّا مَيِّتٌ حَتَفَ أَنْفَهُ^(٤) *

وقوله «والقدر يجري إلى القدر» يريد كما قُدُّوا للقتل قُدَّرَ القتلُ لهم، لأنهم بما اجتمع فيهم من الخصال الشريفة التي يختارها الدهر لنوابه، كأنهم خلِقوا للدهر ولتأثيره الذي هو القتل، لأن القتل لما كان أشرف أسباب الختف عندهم فأحبُّوه ومالوا إليه، صاروا لذلك كأن القتل خاق لهم.

(١) هو عبد الصمد بن المذل، أو الحسين بن مطير، كما سبق في حواشي الحماصة

٧٧ ص ٢٧٣ .

(٢) هو طرفة بن العبد، في مملكته .

(٣) هو السموأل، كما سبق في الحماصة ١٥ .

(٤) عجزه : * ولا طل منا حيث كان قتيل *

٥ - فَإِنَّمَا تَرَبَّنَا لَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْتَعِي بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ

٦ - فَإِنَّا لِلَّحْمِ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ وَنُلْحِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِنَدَى نُكْرٍ

جواب إمّا أول البيت الذى يليه ، وهو فإننا . والقاء من فإننا رابطة ما بعدها بما قبلها ، ولا تزال دماؤنا إلى آخر البيت في موضع المفعول لترَبَّنَا ، ولدى واتر لفظه واحد والمُرَاد به الكثرة . وآخر الدهر : ظرف ، والماثل فيه « لا تزال دماؤنا » لأن المعنى إمّا ترَبَّنَا لا تزال دماؤنا أبد الدهر لدى واترين يَسْعَوْنَ بها . ولا يجوز أن يكون الماثل فيه يَسْعَى بها ، لأن فيه إيهاماً أنهم لا يَبْنُلُون الوتر من الواترين سريعاً ، ولكنهم يَسْعَوْنَ بدمائهم أبد الدهر . وهذا الكلام كالاغترار من كثرة القتل فيهم ، فيقول : إن اتَّصَلَ القتلُ فينا حتَّى نَرَى دماءنا أبد الدهر لدى واترين ، فإننا لَحَبْنَا للقتل طُعْمُ الشُّيُوفِ حَقّاً غَيْرَ ذَى إنكارٍ ولا امتراء ، وكأَنَّا نَطْعَمُ مِنَّا فَإِنَّا نَطْعِمُهَا أَيْضاً مِنْ غَيْرِنَا ، فَجَعَلْ أَعْدَاءَنَا لَحْمَةً لَهَا غَيْرُ ذَى شَكٍّ وَلَا مِرْيَةٍ . وقوله « غير نكير » انتصب على المصدر وأكثر ما يستعمل نكيرٌ بغير الهاء فالنكر والنكير ، كالغذير والغذير والمُذَرَى . ومثل هذا المصدر يؤكِّدُ به الكلام الذى قبله ، ويجرى مجرى حَقّاً وما أشبهه . ويجوز أن يكون الهاء من النكير للبالغة^(١) . وقوله « ونلحمه حيناً » فالحين اسمٌ للزمان المتصل ، فكأنه قال : ونلحمه فيما يتصل من الأوقات . وليس يُريدُ حيناً من الأحيان . وإن رُوِيَ « غير نكيره » على أن يكون الضمير منه يعودُ إلى السَّيْفِ كأنه قال : غَيْرَ مَنْكُورٍ لَهُ ، فيجعله حالاً لِلَّحْمِ ، فليس بجيد ؛ لأنَّ القصدَ إلى تأكيد الكلام بهذا المصدر ؛ فكأن

(١) زاد ابن جنى رأياً آخر انفرد به ، وهو قوله : « يجوز أن يكون غير هذا ، وهو أن يريد به النكرة التى هى ضد المعرفة ، ثم أشبع كسرة الكاف فأنشأ عنها ياء ، مثلها في الصياريف والمطافيل . »

في آخر البيت قوله « وليس بذى نُكْرٍ » تأكيد لما قبله ، كذلك يجب أن يكون غيرَ نَكِيرَةٍ هكذا ، ليتقابل الصَّدْرُ والعَجْزُ على حَدٍّ واحدٍ من التأكيد وحصول هاء التانيث في نَكِيرَةٍ لا يجب أن يُفكر ، كما لا يُنكرُ في قولهم نكرة ومعرفة ، وكما لا يُنكرُ الألف في آخر ذِكرى وعُذرى .

٧ - يُفَارُ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فَيَشْتَفِي بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نُفِيرُ عَلَى وَتِرِ

نَبَّهَ بقوله « فَيَشْتَفِي بِنَا » أَنَّهُمُ الثَّارُ الْمُنِيمُ ، فإذا أُصِيبَتْ دِمَاؤُهُمْ كَانَ فِيهَا لِلْأَعْدَاءِ الشِّفَاءُ . وانتصبَ على الحال من الضمير في علينا . وقوله « أَوْ نُفِيرُ عَلَى وَتِرِ » ، يربدُ على وَتِرِ لِنَا عِنْدَهُمْ ، فكأنه قال : أَوْ نُفِيرُ عَلَى وَاتِرِينَ لِنَا . وقد سَلَكَ الْأَعْمَشِيُّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، فلم يُؤَفِّ التَّسْمَةَ حَقَّهَا كما فعل هذا ؛ لِأَنَّهُ قَالَ :

فَاطْمَنَتْ وَتَرَكَ مِنْ دَارِمٍ وَوَتَرَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يُقِمِ

والمعنى أَرْجَحَتْ الْوَتَرَ الْقَدَى كَانَ لَكَ عِنْدَهُمْ مِنْ دَارِمٍ ، على عادتك مع سائر الناس من قَبْلِ فِي إِدْرَاكِ الثَّارِ سَرِيعًا ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ « وَوَتَرَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمْ يُقِمِ » إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُمْهِلُ وَلَا يَهْمِلُ فَوَتَرُهُ لَا يَتَأَوَّمُ عِنْدَ الْأَعْدَاءِ .

٨ - قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرِ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا قَمًا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ

أشار بقوله « ذاك » إلى ما تقدّم ذكره من تردّده في مجاذبة الأعداء طالِبِينَ سَرَّةً ، ومطلوبِينَ أُخْرَى . وانتصب « شَطْرَيْنِ » على المصدر ، كأنه قال : قَسَمْنَا الدَّهْرَ قَسْمَيْنِ . ويجوز أن يكون حالًا على مَعْنَى قَسَمْنَاهُ مُخْتَلَفًا ؛ فَوْقَ الْأَسْمِ مَوْقِعَ الصِّفَةِ لِمَا تَضَمَّنَ مَعْنَاهُ ، كما تقول : طَرَحْتُ مُتَاعِي بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ ، كَأَنَّكَ قُلْتَ مُتَفَرِّقًا . والمراد : جَعَلْنَا أَوْقَاتَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَعْدَائِنَا مَقْسُومَةً قَسْمَيْنِ ، فتراها لا يَنْقُضِي شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا وَنَحْنُ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ

الحَدِيثُ . إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَنَا الْكَرَّةُ عَلَيْهِمْ فَتُدَالُ مِنْهُمْ . وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ لَمْ
الْجَوْلَةَ عَلَيْنَا فَيُنَالَ مِنَّا .

٢٧٣

وَقَالَ تَأْبَطُ شَرًّا^(١) :

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَخَلَفَ الْأَنْحَرِ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ^(٢) .

١- إِنْ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتَيْهِ لَآ دَمُهُ مَا يُطْلُ

يجوز أن يكون ذكر الشعب الموصوف لأن قبر ذلك القتل كان فيه ،
ويجوز أن يكون ذكره لأنه قتل عنده ، وهو في اللغة ما انفرج بين جباين
ونحوها . والسَّاعُ بفتح السين وكسر هاء : شق في الجبل ، ومنه سَلَفَتْ رأسه ،
أي شققته . وقولهم هَادِ سَلْعٌ^(٣) ، أي يشق أجواز الفلاة . وقوله « دَمُهُ
مَا يُطْلُ » من صفة القتل ، والمعنى أني في طلب ناره ، فدَمُهُ لا يذهب هَدَرًا .
وَالطَّلُ : مَطْلُ الدَّمِ وَالذَّبَّةُ وَإِبْطَالُهُمَا . وَقَالَ :

* أَزْهَيْرُ لَيْسَ أَبُوكَ بِالْمَطْلُولِ *

(١) سبقَت ترجمته في الحماسية ١١ ص ٧٤ .

(٢) وعبارة التبريزي مطابقة لهذه ، وزاد : « وقيل : قال ابن أخت تأبط شرا . قال
الغزالي : وما يدل على أنها خلف الأحمر قوله فيها :
* جل حتى دق فيه الأجل *

فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا . قال أبو محمد الأعرابي : هذا موضع المثل : ليس
بمشك فادرجي . ليس هذا كما ذكره ، بل الأعرابي قد يتغلغل إلى أدق من هذا لفظاً ومعنى .
وليس من هذه الجهة عرف أن الشعر مصنوع ، لكن من الوجه الذي ذكره لنا أبو الندى .
قال : ما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سُلماً ، وهو بالديانة ، وأين تأبط شرا
من سلع . وإنما قتل في بلاد هذيل وري به في غار يقال له رخان . وفيه تقول أخته ترضيه :

نعم الفتى غادرتم برخان بثابت بن جابر بن حيان

* من يقتل القرن ويروى النديمان * .

والتصديده في المعتقد (٣ : ٢٩٨ - ٣٠٠) دسج لجنة التأليف ، بزيادة بعض أبيات وخلاف
في الرواية . (٣) انظر ما سبق في حواشي حماسية ابن السلمي ص ٧٥٩ .

٢ - خَلَفَ الْعِيبَ عَلَى وَوَلَّى أَنَا بِالْعِيبِ لَهُ مُسْتَقِيلٌ^(١)

أراد بالعيب طلب دمه والنيل من عدوه . وقوله «أنا بالعيب له مستقيل» تحقيق للوعد بإدراك الثأر ، وإظهار اقتدار على النكاية في الأعداء . وقوله «له» أى من أجل المرنى ، وإنما سُمي الثقل عيباً لأنه من عبات للتاع أعبؤه عيباً ، ثم يُسَمَّى للتاع عيباً ، فهو كالنقض والتفرض . وكثر استعماله حتى تسمَّحوا به فيما يدخل من الثقل على القلب ولا يحتمل على الظهر .

٣ - وَوَرَاءَ النَّارِ مِنِّي ابْنُ أُخْتٍ مَصِيعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ

أعطى فيما اجتمع من الوصف الترتيب حقه ، وذلك لأنه اجتمع مفرد وجمله في صفة «ابن أخت» فقدّم المفرد على الجملة ، وهذا وجه الكلام وحقه ؛ لأن الجملة إنما وُصِفَ بها لوقوعها موقع المفرد ، فإذا صاحبها مفرد كان الأولى تقديمه ، وإذا كان كذلك فمقدّمه ارتفع بالابتداء ، وما تحل خبره . والمصيع : الشديد المقاتلة الثابت فيها . ويعنى ب وراء هاهنا الخلف ، وإن كان يصلح للقدّام . وفي هذا الكلام ضرب من الوعيد ، كأنه يجري مجرى قول القائل : الله من ورائك . ويريد : وفي طلب الثأر من جهتي ابن أخت هذه صفته ، ويعنى به نفسه . ويجرى هذا المجرى قول الشنفرى :

همت وهمت وابتدرنا وأسدلت وشمر منى فارط متمهل

والفارط المتمهل هو الشنفرى . وقوله «عقدته ما تحل» يجوز أن يريد ما يعقده برأيه أو يخكمه لا ينقض . ويجوز أن يريد به قوته وجلادته ، وتكون العقدة راجعة إلى استحكام خلقه وصبره في الشدائد .

(١) في العقد : « قذف العيب » .

٤- مُطَرِّقٌ يَرْشَحُ مَوْتًا كَمَا أَطَا رَقَ أَفْعَى يَنْفِثُ السَّمَّ صِلَ^(١)

شَبَّهَ نَفْسَهُ فِي إِطْرَاقِهِ وَسُكُونِهِ ، مُنْتَظِرًا لِفُرْصَةٍ يَنْتَهِزُهَا فِي إِدْرَاكِ ثَارِهِ بِالْحَيَةِ ، وَأَنَّهُ فِي إِسْكَاهِ يَرْشَحُ بِالمَوْتِ لِمَدْوَّهِ كَمَا أَنَّ الْحَيَّةَ إِذَا أُطْرِقَ نَفَثَ بِالسَّمِّ . وَالرَّشْحُ كَالرَّقِ ، وَالنَّفْثُ ، كَالنَّقْذِ . وَالصَّلُّ مِنْ صِفَةِ الْأَفْعَى ، وَيُوصَفُ بِهِ الدَّاهِيَةُ وَكُلُّ خَبِيثٍ ، يُقَالُ : هُوَ صِلٌّ لِصَلَالٍ ، كَمَا يُقَالُ دَاهِيَةٌ دَوَاهٍ . وَأَسْمَاءُ الْحَيَّاتِ وَصَفَاتُهَا تُسْتَعَارُ فِي الدَّوَاهِي كَثِيرًا . وَالْأَفْعَى مُؤَنَّثَةٌ ، وَذَكَرُهَا الْأَفْعُوَانُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْأَفْعَى حَيَّةٌ قَصِيرَةٌ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَيُنَوَّنُ فَيُقَالُ أَفْعَى ، وَبَعْضُ طَبِيعٍ يَقْلِبُ أَلْفَهُ وَأَوَّافٍ يَقُولُ أَفْعَوُ^(٢) ، وَبَعْضٌ قَيْسٍ يَقْلِبُهَا يَاءً فَيَقُولُ أَفْعَى . وَمِنْهُ تَقَعَى فُلَانٌ ، إِذَا سَاءَ خُلُقُهُ . وَقَالَ سَيَبَوِيه : صَرَفَهُ أَكْثَرُ وَأَجُودَ . وَيَصْلَحُ لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى . وَالْأَفْعُوَانُ الذِّكْرُ لَا غَيْرَ .

٥- خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصَمِّئِلٌ جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ^(٣)

٦- بَرَزَنِي الدَّهْرُ وَكَانَ غَشُومًا بِأَبْنِي جَارُهُ مَا يُدِلُّ^(٤)

يَعْنِي بِالْخَبَرِ نَمِيَّ التَّوَفَّى ؛ وَقَدْ اسْتَعْظَمَهُ وَجَعَلَهُ دَاهِيَةً مُفَكِّرَةً حَتَّى عَلَا شَأْنُهُ وَجَلَّ عَنْ أَنْ يُضَيَّبَ بِوَصْفٍ ، أَوْ يُحَدَّ بِنَعْتٍ ، فَلِذَلِكَ قَالَ « جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ » . وَيُقَالُ دَاهِيَةٌ مُصَمِّئِلَةٌ ، إِذَا اشْتَدَّتْ . وَالْأَجَلُ تَأْنِيْهُهُ الْجَلِي ، وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْإِضَافَةِ النَّائِبَةِ عَنْ مَنِ فِي قَوْلِهِ : هُوَ أَجَلُ

(١) التبريزي والعقد « يرشح سما » .

(٢) هكذا ضبطت في ل هـ و « أفعى » التالية يسكون آخرها . وكذلك وردت « أفعو » ساكنة الواو في اللسان (فما) في حديث ابن عباس : « لا بأس بقتله الأفعو ، ولا بأس بقتل الحدو » ، ثم قال : « ومنهم من يقلب الألف ياء في الوقف ، وبعضهم يشدد الواو والياء » .

(٣) مصمئل ، وردت بضم التنوين في الأصل ، وبالتنوين في سائر النسخ . وانظر ما سبق في حواشي ٨٠٧ .

(٤) كذا ضبطت في ل . وكتب فوق الكلمة « معا » ، لتقرأ بالقراءتين .

من كذا ، ومعناه الجليل . وقوله « بَرَّني الدَّهْرُ » أى غلبنى واستأبني .
وقوله « بَابِي » الباء دخلت للتأكيد زائدة ، كأنه قال : بَرَّني الدَّهْرُ أَبِياً .
ومثله قول الآخر ^(١) :

* سُودُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالشُّورِ ^(٢) *

ويجوز أن يكون عَدَى بَرَّني بالباء لما كان معناه فَجَعَنِي ، ويكون من
باب ما عُدَى بالمعنى دون اللفظ ، كقوله :

إِذَا تَفَقَّى الْحَمَامُ الْوُزُقُ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أَمْ عَمَارِ ^(٣)
وقوله « جَارُهُ مَا يُذَلُّ » من صفة الأبي . والأبي المتعصبُ للمتَّعَب .
والغشمُ : الظلم والقهر . وقوله « وَكَانَ غَشُومًا » يعنى به الدَّهْرُ ، وهو اعتراضٌ
بين الفاعل والفعول ، ومثله يتأكَّد به الكلام . وقوله « يَذَلُّ » يُروى بفتح
الياء ، ويُذَلُّ على ما لم يُسَمَّ فاعله ، والمعنى ظاهر ، وصفه بأنه كان عزيز الجار
حمى الفناء ، وأنه كان له عُدَّةٌ على الدَّهْرِ ، وسلاحاً معه فاستلبه منه .

٧- شَامِسٌ فِي الْقُرِّ حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشَّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلُّ

٨- يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُوسٍ وَنَدِيُّ الْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ

وصفه بأنه كان يُنتفع به في كُلِّ حالٍ وزمان ، ، وأنه كان غنياً للناس في
حَاتِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، فكانَ الشَّمْسَ عند البرد ، والظِّلَّ عند الحرِّ . يقال :
ذَكَتِ النَّارُ تَذْكَو ، وأذكىتها ، وكذلك أذكىْتُ الحَرْبَ . ونَوَّهَ الشَّعْرَى

(١) هو الراعى النوى ، أو القتال الكلابى . انظر حواشى صفحة ٣٨٣ .

(٢) صدره : * هن الحرائر لا ربات أحره *

(٣) أى ذكرنى أم عمار . والبيت للناطقة الذبياني في معلقته برواية أبي زيد القرشى

في جمهرة أشعار العرب ص ٥٣ .

بشدة الحر يجمى . ويقال للشمس ذكاه من ذلك . وقد جاء مثل هذا في
النسب ، يقول ابن الرقييات :

سُخْنَةٌ فِي الشِّتَاءِ بَارِدَةُ الصَّيْفِ هِلَالٌ فِي اللَّيْلِ الظَّلْمَاءُ

واللغى أنها للضجيع في الصيف هكذا ، وفي الشتاء هكذا . وقد آتى الأعشى
بهذين المعنيين في بيتين ، وابن الرقييات أتى بهما مع ثالث لهما في بيت واحد .
وبيت الأعشى :

وَتَبْرُدُ بَرْدَ رِدَاءِ الْقَرُو مِ بِالصَّيْفِ رَقَرْتِ فِيهِ الْعَبِيرَا^(١)
وَتَسْخُنُ لَيْلَةً لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْبِجَ الْكَلْبُ إِلَّا هَرِيرَا^(٢)

وأما قوله « يابسُ الجنين من غير بُوس » يريد^(٣) أنه يُؤثِرُ بالزاد غيره .
على نفسه . وعادتهم التمدُّحُ بالهزال ، فهو كقول الآخر^(٤) :

تَرَاهُ خَيْصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَفْدُو فِي الْقَيْصِ الْمَقْدَرُ

وقوله « نديُّ السكفين » ، أراد أنه سخي . ويقال : هو يندى على
أصحابه ، أى يتسخى . والشهم : الذكي الحديد ، ومنه قيل للأقفذ انشيم .
والمُدِلُّ هو الواثق بنفسه وبآلاته وعُدته .

٩ - ظاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ

١٠ - غَيْثٌ مُزْنٍ غَامِرٌ حِينَ يُجْدَى وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْتَ أَبْلٌ

وصفه بأنه مستعملٌ للحزم وأخذ به ، ظاعنًا كان أو مقيمًا . وأشاد بقوله

(١) انفردت نسخة الأصل برواية : « عيرا » .

(٢) اتفقت النسخ على ضبط « ينبج » بكسر الباء ، وهما لفتان ، يقال بكسر
الباء وضمها .

(٣) كذا جاء جواب « أما » بدون الفاء ، وانظر ما سبق في حواشي صفحة ٨١٤ .

(٤) دريد بن الصمة . الحماسة ٢٧١ .

« ظاعنٌ » إلى غزواته ، وأسفاره وغاراته ؛ وبقوله « حَلَّ الحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ » إلى شدة حذره في إقامته ، ودوام اتقائه من الأعداء حتى لا ينسأهم ولا يغفل عنهم . وقوله « غَيْثُ مَزْنٍ غَامِرٌ حِينَ يُجْدِي » وصفه بأن منافقه عامة للخلق . والمزنة : السحابة البيضاء . والغامر : الشامل جدواه وعطيته . وقوله « وإذا بسطو فليثُ أبلٌ » ، الأبل : الفاجر المصمم الماضى على وجهه ، لا يبالي بما أتى . والمراد أنه في الإحسان بالغ أقصى الغايات ، وعند السطوة على الأعداء كالليث الكثير الإفساد ، الشديد الفكايه . والسَطْوُ : البسط على الإنسان تفهده من فوق . ويقال : سطا عليه وسطا به . وقال الخليل : سُمي الفرس ساطيا لأنه بسطو على سائر الخيل ، فيقوم على رجله ويرفع يديه .

١١ - مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَخَوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَنْزَوُ فِيهِ - مَعُ أَزَلٌ
١٢ - وَلَهُ طَمَمَانٍ : أَرَى وَشَرَى وَكَلَّا الطَّمَمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ

مفعول « مُسْبِلٌ » محذوف . وصفه بأنه في الحي - والحال سلامة - يُسْبِلُ إزاره خيلاء وكبرا ، وينبخر ذاهبا في الترفة إلى أرفع الدرجة ^(١) ، وأنه ذا غزا فهو كالسَّمْع ، وهو الولد بين الذئب والضبع ، وهو أخبث السباع وأعداها . والزَّلَلُ : خفة العجز ، وذلك خلقته ^(٢) .

وقوله « وَلَهُ طَمَمَانٍ أَرَى وَشَرَى » يريد به أنه للوالدين كالأزى - ويراد به العسل وإن كان في الأصل عمل النحل - وللمعادين كالشرى ، وهو الحنظل .

(١) التبريزي : « والوجه الآخر في مسبل أن يكون عاملا في أخوى ، ويراد به مسبلا شعرا أسوى ، أى أسود ؛ لأنهم كانوا يوفرون لمهم . ويصفو الشاب بحسن اللغة ويدل على توفيرهم الشعور أنهم كانوا إذا أسروا للفارس من المذكورين جزوا ناصيته ليفتخروا بذلك » .

(٢) التبريزي : « والأزل : الأرسح ، وهو الممسوح العجز . وهم يصفون الرجل بذلك ويكرهونه للمرأة » .

ثم قال : وَكَلَّا الطَّعْمِينَ قَدْ ذَاقَ كُلُّ ، أَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّعْمِينَ قَدْ ذَاقَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ قَبِيلِي الْأَعْدَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . ومفعول ذاق محذوفٌ إذا جعلتَ كَلَّا مبتدأ ، كأنه قال : قَدْ ذَاقَهُ كُلُّ . والأجودُ أنْ يُجْمَلَ كَلَّا مفعول ذاق ولا تجمله مبتدأ . ومثله : زَيْدًا ضَرَبْتُ أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُخْتَارُ عَلَى : زَيْدٌ ضَرَبْتُ . وَكَلَّا اسْمٌ مُوَحَّدٌ يُؤَكِّدُ بِهِ الْمُتَنَبِّئُ ، كَمَا أَنَّ كَلَّا اسْمٌ مُوَحَّدٌ يُؤَكِّدُ بِهِ الْجَمْعُ . وهو مقصورٌ كَرَبِئِي ، وألفه منقلبةٌ عن واو ، وهذا مذهبُ أصحابنا البصريين ، والكوفيون عندُهم أَنَّهُ اسْمٌ مُتَنَبِّئٌ .

١٣- يَرْكَبُ الْهَوَلَ وَحِيدًا وَلَا يَمْنَعُ حُبُّهُ إِلَّا الْيَمَانِي الْأَفْلَ
هذا كقول الآخر^(١) :

بِظَلِّ بِمَوَاةٍ وَيُمَسِّي بِفَيْرِهَا جَجِيشًا وَيَمْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ
والمعنى : أَنَّهُ لَا يَتَكَبَّرُ بِالْأَنْحَابِ إِذَا هُمْ بِاقتحامِ أَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَهَوَلَ شَدِيدٍ ، بل يَتَفَرَّدُ فِيهِ مُسْتَصْحَبًا سَيْفَهُ الْأَفْلَ ، وهو الذي قَدْ كَثُرَ قَوْلُهُ بِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ . وَانْتَصَبَ « وَحِيدًا » عَلَى الْحَالِ . وَقَوْلُهُ « وَلَا يَصْنَعُهُ » انْصَافٌ عَلَيْهِ ، وَهُوَ صِفَةٌ لِلْوَاحِدِ^(٢) وَتَأْكِيدٌ لِلْوَاحِدَةِ^(٣) .

١٤- وَفُتُوْهُ هَجَرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَابَ حُلُوْا

(١) هو تأبط شرا . الحماسة ١٣ ص ٩٥ .

(٢) أى صفة معنوية لا نحوية ، على أن الوجه أن تكون الجملة حالية مؤكدة معطوفة على الحال قبلها .

(٣) كذا وردت هذه اللفظة بفتح الواو في جميع النسخ ، وهو رد على من أنكر صحة هذا الضبط . ويؤيد صحته ما ورد في اللسان (٤ : ٤٦٢) : « وحكى سيويه الوحدة في معنى التوحيد » ، وقد ضبطت بفتح الواو .

١٥ - كُلُّ ماضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسَنَّا الْبَرْقَ إِذَا مَا يُسَلُّ^(١)
 فُتُوْ: جمع فتى، ولام فتى باء بدلالة قولهم فتیان، لكنّه بناءٌ على مصدره
 وهو الفتوة، وهذا المصدر إنما جاء على هذا عوضاً من حمل بنات الواو على
 الياء كثير، فكأنّهم أرادوا أن يحملوا ما هو من الياء على الواو أيضاً، وهو شاذ^(٢).
 ومعنى هَجَرُوا: ساروا في الهجرة. ويقال: جُبْتُ الظَّلامَ واجتبتُهُ فأنجَبَ.
 وجُبْتُ المفازة: قطعْتُها. يريدُ أنّهم وصلوا السَّيرَ بالسرّى، تَلَّما انكشَفَ
 للظَّلام نزلوا. وقد اشتمل هذا الكلامُ على جواب رُبَّ؛ لأنَّ قوله حَلُّوا
 - وهو جوابُ إذا انجَبَ - صار جواباً لِرُبَّ أيضاً. ويقال: مَرَى وأسرَى
 بمعنى واحد. وقوله «كل ماضٍ قد ترَدَّى بماضٍ» يريدُ أن كلَّ واحدٍ من
 هؤلاء الفتيان نافذٌ في الأعمال والفِرَوات، وقد تقلَّد سيفاً نافذاً في الصَّربيّات،
 وإذا انتزع من غمده لمع التلّاع البرق. ويقال: ارتدَّى بسيفه وتردَّى واعتطفَ
 به، وبسَّى السَّيفُ الرِّداءَ والعِطافَ.

١٦ - فاحقَسُوا أَنْفَاسَ نَوَيمٍ فَلَمَّا تَمَلَّكُوا رُعُوتَهُمْ فَاشْمَعَلُوا^(٣)
 قوله «رُعُوتَهُمْ» جواب لَمَّا، ومعنى اشمَعَلُوا اجِدُّوا في المضي. ويقال رجلٌ

(١) روى بعده التبريزي ١

فَادْرَكْنَا النَّارَ مِنْهُمْ وَأَمَّا بَنِي مُلْحَيْنٍ إِلَّا الْأَقْلُ

(٢) أما ابن جني فيرى أن واوه قد تكون أصلية فلا شذوذ، قال في التنبيه: «فتو
 طريق التصريف، وذلك أن لامة بدلالة قوله سبحانه: ودخل معه السجن فتيان. وفمول
 إذا كان مكسراً ولامه واو قلبت إلى الياء، وذلك نحو عصى ودلى وحق. فلما أن تكون ياء
 ثم تقلب في التفسير واوا فقلب القضية ونقض الطريقة. غير أن هذا متخرج على مذهب
 أبي الحسن الأخفش، وذلك أنه يذهب إلى أن لام فتى يصلح أن يكون واوا وأن يكون ياء،
 ولا قاطع عليه في فتية ولا فتيان، لأن له أن يقول إنه كصبية وصبيان.»

(٣) رواية التبريزي: «فلما هوموا».

مُسْمَعِلٌ، أى جادٌ خفيف . والمعنى أنهم ساروا يَوْمَهُم وليَتَهُم ، وكلٌّ يرجعُ من نفسه وسلاحه إلى ما يُرتَضَى ويُعتدُّ به ، ثم نزلوا وهوّموا ، وناموا نومةً خفيفةً مثل حَسْوِ الطَّيْرِ ماء الشَّمْد ، تَمَشَّتْ في يَقْظَتِهِمْ بقدر يبيها في عُروَقِهِمْ ، ومزاوتها لخفوتهم وسكونهم ، فلما صاروا منها كالشكاري أنبتهتهم وبعثتهم للارتحال ، نَفَخُوا وأطاعوا . ودلَّ بهذا الكلام على أن المرثى كان رئيسهم ومدبرهم ، على زيادة غنائه وذكائه ، وشهامته ومضائه ، وأنه لما بعثهم جدوا وخفوا غير مُتَوَقِّفِينَ في أمره ، ولا مُعْتَلِّين على رأيه .

١٧ - فَلَنْ فَلَْتَ هُذَيْلُ شَبَاةٍ لَبَا كَانَ هُذَيْلًا يَفْلُ

١٨ - وبما أبركهم في مُنَاخٍ جَمَعَجَ يَنْقَبُ فِيهِ الْأَظْلُ^(١)

يقول : إن كان هُذَيْلٌ قد تَمَكَّنَتْ منه فَكَسَرَتْ حَدَّهُ وَأَنعَسَتْ جَدَّهُ ، فهو بما كان يؤثّرُ من قَبْلِ في هُذَيْلٍ فِطْأً حَرِيْمًا ، وَيُكْثِرُ قَتِيلَهَا . والعربُ تقول : هذا بذاك ، أى هو عِوَضٌ منه . واللام من قوله « لَبَا » موطئة لقسم مضمر ، والتي في قوله « لَبَا » جوابُ ذلك القسم . والشَّابَّةُ حَدُّ الشَّيْءِ . ويقال : أشبى الرجلُ ، إذا آتى بأولادٍ نجباء يصيرُ له بهم حَدُّ حديدٍ كشَبَا الأَسِنَّةِ . ويقال أيضًا : أشبَّتُ الرجلُ ، أى وجدت له شَبَاةً . أحكاه أبو عمرو . ويجوز أن يكون « شَبَوَةٌ » وهو اسم العُقْرَبِ ، من الشَّبَا ، لإبرتها .

وقوله « وبما أبركهم » معطوفٌ على لَبَا كَانَ . والجمعُ : مُنَاخٌ سَوْدٌ ،

(١) التبريزى : « وبما أبركها » يرجع الضمير إلى القبيلة . وقد روى التبريزى بعده بيتاً آخر ، هو :

وبما صَبَّحَهَا فِي ذَرَاهَا مِنْهُ بَعْدَ الْقَتْلِ نَهْبٌ وَشَلٌّ

الذرى ، بالفتح : الكنف والتاحية . والشل : الطرد .

وهو الأرض الغليظة . والأطل : باطن خف البعير . ومعنى ^(١) يَنْقَبُ أى يَحْفَى .
والمُرَاد : وبما كان يقال منهم ويحملهم فيه على المراكب الصعبة ، ويُزَلِّمُ له
بالمنازل الحزنة ، التي تؤثر في أنفسهم وأموالهم . وهم يحملون مثل هذا الكلام
كنايةً عن التأثير القبيح . ويشبهه قول الآخر ^(٢) :

مَنْ يَذُقِ الْحَرْبَ يَجِدْ طَعْمَهَا مُرًا وَتَبْرِكُهُ بِمَجْجَاعِ
وقول الآخر ^(٣) :

لَقَدْ حَمَلْتُ قَيْسَ بْنَ عِيْلَانَ حَرْبُنَا عَلَى بَابِ السَّيِّئِ الْمُخْدَوِّبِ الظُّلَمِ
وقول الآخر ^(٤) :

وَحَمَلْنَاكُمْ عَلَى حَزَنِ نَهْلٍ نَ شِلَالًا وَدُمِّي الْأَنْسَاءِ

١٩ - صَلَيْتَ مِنِّي هَذَيْلٌ يَحْرِقُ لَا يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا

٢٠ - يُنْهَلُ الصَّمْغَةُ حَتَّى إِذَا مَا نَهَلَتْ كَانَ لَهَا مِنْهُ عَلٌّ ^(٥)

يقول : ابْتَلَيْتَ هَذَيْلٌ مِنْ جَهَنَّمَ بَرَجُلٍ كَرِيمٍ يَتَخَرَّقُ فِي الْعُرْفِ مَعَ
الْأَوْلِيَاءِ ، وَبِالنَّكَرِ مَعَ الْأَعْدَاءِ ، لَا يَفْتَرُ عَنِ النَّكَايَةِ فِيهِمْ ، وَعَنِ الْإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ
مَا دَامَ لَهُمْ ثَبَاتٌ وَكَانَ لِلْجَزَاءِ عَلَيْهِمْ تَحَمُّلٌ . وَقَوْلُهُ « حَتَّى يَمَلُّوا » يَرِيدُ حَتَّى
يَمَلُّوهُ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ قَعُودَهُمْ عَنْ مَكَافَاتِهِ ، وَمَتَارَكَتِهِمْ لَهُيْجِهِ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ أَنَّهُ
لَا يَكْفُ عَنْ الْإِيقَاعِ بِهِمْ ، وَلَا يُنْسِكُ عَنِ التَّأثيرِ فِيهِمْ ، حَتَّى يَبْشَمُوا الشَّرَّ ^(٦)
وَحَتَّى لَا تَبْقَى فِيهِمْ قُوَّةٌ وَلَا نُهْوٌ فَيُرَاصِدُوا أَوْ يَنْكَدُوا .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَمِنْهُ » ، صَدْرَهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(٢) هُوَ أَبُو قَيْسِ بْنِ الْأَسَلْتِ . الْمَفْضَلِيَّةُ ٧٥ .

(٣) هُوَ الْأَخْطَلُ . دِيَوَانُهُ ١٢٩ وَاللَّسَانُ (سِيس) . وَقَدْ سَبَقَ فِي ص ٤١٢ .

(٤) هُوَ الْحَارِثُ بْنُ حُلْزَةِ الْيَشْكُرِيِّ ، فِي مَعْلَقَتِهِ .

(٥) رَوَى التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ الْبَيْهَقِيُّ ٢٢ ، ٢٤ ثُمَّ ٢١ ، ٢٢ .

(٦) انْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالْحَاشِيَةِ ٣ مِنَ الصَّفْحَةِ ٦٤١ .

وقوله « يُنْهَلُ الصَّعْدَةُ » يريدُ الإبانة عن الحال التي أشار إليها من دوام الحرب ، وبَسَطَ القتل ، فيقول : يُرَوَّى الرَّمْحُ من دماهم بالسَّقِيَّةِ الأولى ، فإذا ما رَوِيَتْ^(١) لم يُرْضِهِ ذلكَ حَتَّى يُعَقِّبَهُ بِمِثْلِهِ من السَّقِيَّةِ الثانية . والمعنى اتِّصَالُ الوَقَعَاتِ ، وامتدادُ البلاء منه في صَبِّ الغارات . والصَّعْدَةُ : القَنَاةُ تَنْبَتُ مستويةً ، وجمعها صَعْدَاتٌ بفتح العين ، لأنها اسم . ثُمَّ قِيلَ في المِراءَةِ للمستوية القائمة ، والأَتَانِ الطَّوِيلَةِ : صَعْدَةُ ، وهى وصفٌ لهما ، ويُجمع حينئذٍ على صَعْدَاتٍ بسكون العين ، لكونها صَفَةً .

وقوله « صَلَّيْتُ مَنَى هَذَيْلٍ بِخَرْقٍ » ، مثل قوله من قَبْلُ : « وَوَرَاءَ النَّارِ مَنَى ابْنِ أَخْتٍ » في أَنَّ الْخَرْقَ هو هو لا غَيْرُهُ^(٢) . ويُقالُ صَلَّيْتُ بِكَذَا أى ابْتَلَيْتُ بِهِ وَمُنَيْتُ ، وأصله من صَلَاءِ النَّارِ ، يقالُ صَلَّيْتُ أَصْلَى صَلَاءً ، واصطَلَيْتُ أَصْطَلَى اصطلاءً .

٢١- تَضَحَّكَ الضَّعِجُ لَقَتَلَى هَذَيْلٍ وَتَرَى الذُّئْبَ لَهَا يَسْتَهْلُ

٢٢- وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَهْفُو بِطَانَا تَتَخَطَّأُهُمْ فَمَا تَسْ-تَقِلُّ^(٣)

استعمار الضَّحِكِ للضَّعِجِ ، والاستهلال للذُّئْبِ . وأصل التَهْلُلِ والاستهلال في الفَرَحِ والصَّيَاحِ ، والمراد رَغْدُ العَيْشِ لهما ، واتِّصَالُ طُفْمِهِمَا بِاتِّصَالِ قَتْلِهِ في هَذَيْلٍ . وليس قولُ من قال معنى تَضَحَّكَ : تَحْيِيزُ ، بشيء . وقوله « وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَهْفُو بِطَانَا » مثل قول الآخر^(٤) فيما تقدم :

* وَعَبْدٌ يَغُوثٌ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ^(٥) *

(١) أى الرماح المفهومة من الرمح .

(٢) هذا في سائر النسخ . وفي الأصل : « لا غير » .

(٣) التبريزى : « تفدو بطاناً » ، ثم نبه على رواية : « تهفو » .

(٤) هو دريد بن الصمة . في الحماسية ٢٧٢ .

(٥) عجزه : * وعز المصاب حشو قبر على قبر .

ويعني بالعِناق آكلة اللّحْمان وعافية الجيف منها . وقوله « تَهْفُو بَطَانًا »
أى لئِنْهَا قَدْ زَوَّرَتْ^(١) ، وامتَلَأَتْ حَوَاصِلُهَا فَنَقُلْتُ ، فإذا طَارَتْ نَحْطَنَهُمْ فِي
الطَّيْرَانِ فَلَا تَرْتَفِعُ فِي الْجَوِّ ، بَلْ تُسِفُّ لِنَقْلِهَا . وبِطَانٌ : جمع بَطِينٍ . وتهفو :
تطيرُ ؛ يقال : هَمَّتِ الصُّوْفَةُ فِي الْمَوَاءِ ، أَيْ ارْتَفَعَتْ . قَالَ الْخَلِيلُ : وَيَقَالُ
لِرَفَارِفِ الْقُسْطَاطِ إِذَا تَحَرَّكَتْ : تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ . ثُمَّ تُوسَّعُ فِيهِ ، فَيَقَالُ : هَفَا
الظَّلِيمُ ، وَهَذَا قَلْبُ فُلَانٍ فِي إِثْرِ كَذَا .

٢٣- حَلَّتِ الْخُمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا ١١ وَبَلَايَ مَا أَلَمْتُ تَحِلُّ^(٢)

٢٤- فَاسْتَقْنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو ١٢ إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي نَحْلُ

هذا على عادتهم في تحريم الخمر وما يجرى مجراها في ولوع النفس به والليل
إليه إذا قُتِلَ لَمْ قُتِلْ ، حَتَّى يُدْرِكُوا نَارَهُ ، أَوْ حَزَبَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُونَ
فِيهِ إِلَى مُنَافِضَةٍ وَمَزَاوَلَةٍ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَحْرَمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ تَنْظِيفَ الْبَدَنِ
وَالْأَخْذَ مِنَ الشَّعْرِ وَمَا شَاكَهُ ، وَذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مِيلِ الطَّبَاعِ وَإِثَارِ فِطْمِ
النَّفْسِ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا مَثْرَكَ لَهُ عِنْدَهَا . وَالْقَصْدُ فِي جَمِيعِهِ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ
الْمَطْلُوبِ وَتَذَكُّيرُهَا بِالْمَقْصُودِ ، لِئَلَّا تَنْفَاسَاهُ أَوْ تَشَاغَلَ عَنْهُ^(٣) . فَيَقُولُ : أَدْرَكَتُ
النَّارَ فَحَلَّتِ الْخُمْرُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً بِالنَّذْرِ عَلَى ، وَبِجَهْدٍ أَلَمْتُ حَلَالًا ،
إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى مَا قَاسَاهُ فِي طَلَبِ دَمِهِ . وَمَعْنَى بَلَايَ : بَعْدَ جَهْدٍ وَبِجَهْدٍ . عَلَى
ذَلِكَ قَوْلُهُ :

* فَلَا يَأِي بَلَايَ مَا حَمَلْنَا غَلَامَنَا^(٤) *

(١) أبوزيد : زور الطائر تزويراً ، إذا ارتفعت حوصلته .

(٢) سبق الذنبه على أن التبريزي روى هذا البيت وتاليه بين البيتين ٢٠ ، ٢١ .

(٣) كذا في الأصل . وفي سائر النسخ : « لئلا يتناساه أو يتشاغل عنه » .

(٤) لامرئى القيس في ديوانه ٨٤ . وعجزه :

* على ظهر محبوبك المرأة محنوب *

وفي هذه الطريقة لاصري القيس :

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرَيْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ
وقول الآخر^(١) :

فَيَا لَيْلَ إِنْ الْفِئْلُ مَا دُمْتُ أَيْمًا عَلَى حَرَامٍ لَا يَمْشِي الْفِئْلُ
وقوله « ما ألت » يجوز أن يكون ما صلة ، ويجوز أن يكون مع الفعل
بعده في تقدير المصدر . يريد : ويلأي ألت حلالاً . والإلام أصله في الزيادة
الخفيفة ، وتوسّع فيه فأجرى مجرى حصلت عندي . وقوله :

فاسقنيها ياسوداد بن عمرو إِنْ جِئْتَنِي بَعْدَ خَالِي تَلْخُ
أظهر التشقي بما ناله من الأعداء حتى دعا من خاطبته إلى ما كان يشوقه
من سقيبه له ، كما أظهر التوجّع لفقدته من أُصِيبَ به بقوله « إِنْ جِئْتَنِي بَعْدَ
خَالِي تَلْخُ » . والتلخ : المهزول . وقوله « ياسوداد بن عمرو » جمل سواد
— وقد رخمته عن سوادة — بمنزلة ما جاء تاماً ولم يُحذف منه شيء فجعل
سواد وابن بمنزلة شيء واحد ، وبناءً على الفتح . فافتحة في ابن للإعراب ،
والفتحة في سواد للبناء . ولك أن ترويه : « ياسوداد بن عمرو » والضمة
فيه ضمة المنادى المفرد ، فيكون كقولك : يازيد بن عمرو ويازيد بن
عمرو ، فأعلمه .

(١) هو عبد الرحمن بن دارة . إصلاح المخطو٦ - ٧ واللسان (غسل) .

٢٧٤

وقال سُوَيْدُ الْمَرَّائِدِ الْحَارِثِيُّ (١) :

- ١- لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ نَعْيُ سُوَيْدٍ أَنْ فَارِسَكُمْ هَوَى (٢)
 ٢- أَجَلَ صَادِقًا وَالْقَائِلَ الْفَاعِلَ الَّذِي إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى
 يُرْوَى : « أَنْ صَاحِبَكُمْ هَوَى » ، ومعنى صاحبكم رئيسكم ، كما أن معنى
 فَارِسَكُمْ أفرسكم ، ولهذا أقسم وعَظَّمَ الحال في نعي النَّاعِي حَتَّى جَعَلَهُ يُبَادِي
 بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ فِعْلَ النَّادِبِ الْمُتَحَسَّرِ ، ثُمَّ صَدَّقَهُ فِي ثَنَائِهِ وَخَبَرَهُ فَقَالَ : أَجَلَ صَادِقًا
 أَيْ قُلْتَ صَادِقًا . وَأَجَلَ هُوَ لِتَحْقِيقِ الْإِخْبَارِ ، كَمَا أَنَّهُ لَمَّا قَالَ : إِنْ صَاحِبَكُمْ
 أَوْ فَارِسَكُمْ سَوَى ، قَالَ : أَجَلَ أَنْتَ مُصَدِّقٌ ، ثُمَّ زَادَهُ ثَنَاءً فَقَالَ : وَإِنَّ الْقَائِلَ
 الْفَاعِلَ الَّذِي إِذَا قَالَ قَوْلًا أَنْبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى . وَقَوْلُهُ « أَنْ » صَاحِبَكُمْ ، أَرَادَ
 بِأَنْ صَاحِبَكُمْ ، فَحَذَفَ الْبَاءَ وَوَصَلَ الْفِعْلَ . وَانْتَصَبَ « صَادِقًا » عَلَى الْحَالِ ،
 وَالْعَامِلُ فِيهِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنْ مَعْنَى قُلْتَ . وَ « الْقَائِلُ الْفَاعِلُ » عَطَفَهُ عَلَى
 صَاحِبَكُمْ ، وَيَجُوزُ أَنْ تَرْفَعُهُ ، كَمَا أَنَّهُ قَالَ : وَهُوَ الْقَائِلُ الْفَاعِلُ ؛ وَالنَّصَبُ أَحْسَنُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَفِي سَائِرِ النُّسخ : « سويد الحارثي » فقط . النَّبَرِيُّ : « وَقَالَ سويد المرائد : الحارثي . أَبُو هِلَالٍ : وَيُقَالُ سويد المرائي . سويد تصغير أسود على الترخيم . والمرائد : جمع مرثد ، وهو في الأصل مصدر رثدت المتاع بعضه فوق بعض ، أَيْ نَفَذَتْهُ . » . وَقَدْ سَبَقَ فِي الْحَمَاسِيَةِ ١٦ عَنْ الْهَرَقِيِّ ذَكَرَ « سويد بن صميع المُرثَدِيُّ ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ » . فَهَذَا قَوْلٌ ثَالِثٌ فِي تَسْمِيَّتِهِ . انْظُرِ الْبَيَانَ (٢ : ١٨٦) وَحَوَاشِيهِ . وَالْأَبْيَاتُ رَوَاهَا الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ ٧٢٧ لَيْسَ بِمَنْسُوبَةٍ إِلَى أَعْرَابِيٍّ .

(٢) كَذَا فِي سَائِرِ النُّسخِ وَالنَّبَرِيُّ . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ صَاحِبَكُمْ » ، وَسَيَأْتِي أَنَّهَا رِوَايَةٌ أُخْرَى . وَيَبْدُو أَنَّ صَوَابَ رِوَايَةِ الْبَيْتِ هُوَ مَا رَوَاهُ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ : « نَعْيُ حَيٍّ » فَيَكُونُ اسْمُ الْمُرْتَفَعِ حَيًّا ، إِذْ أَنَّ سَوِيدًا اسْمُ الشَّاعِرِ ، وَأَنْ مَطَابَقَتُهُ اسْمُهُ لَاسْمِ الْمُرْتَفَعِ عَلَى رِوَايَةِ الْمُرْزُوقِيِّ وَالنَّبَرِيِّ أَمْرٌ بَعِيدٌ الْإِحْتِمَالِ .

وأجود ، ومعنى أنبَطَ الماء في الثرى : وَصَلَ القولَ بالفعلِ الجالب للخير ،
وَقَرَّبَ الغناء من الغناء اللاحق في الأثر ، وهو بعد ذلك مَثَلٌ لِتَحْقِيقِ قَوْلِهِ ،
وَصِلَةِ النَّجَازِ بوعده . ومعنى أنبَطَ الماء : أخرجهُ . ويقال نَبَطَ أيضاً ، فإن
قيل : هل يجوز أن يكون التصديق منه للناعي في قوله « هَوَى » لا غير لأنه
هو الخَبَرُ ، ويكون هذا كما قال دريد^(١) : « أعبدُ الله ذلِكَم الرِّدَى » جواباً
لقوله « أردتِ الخليلُ فارساً » ؟ قلتَ لا يجوز ذلك ، بدلالة قوله « والقائلُ
الفاعل الذي » ، لأن هذا العطف لا يكون إلا على « صاحبكم » . فكأنه
صدِّقه في الأمرين جميعاً ، وزاده من بعد ما زاده^(٢) . وكذلك قول دريد ،
لا يمتنع أن يثبتَ الفروسيَّة له مع الإرداء أيضاً في استنباته إياهم لما قالوا :
أردتِ الخليلُ فارساً .

٣- فَنِي قَبْلُ لَمْ تُعْبِسِ السَّنُّ وَجْهَهُ سَوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى^(٣)
وصفه بأنه مُقْتَبِلُ الشَّبَابِ لَمْ يَمَسَّهُ أَوَائِلُ الْكِبَرِ ، وَأَنَّ السَّنَّ لَمْ تَنْقُصْ
رَوْنَقَ شَبَابِهِ ، وَلَمْ تُرَنَّقْ مَاءَ بَشَرَتِهِ ، فَهُوَ طَائِقُ الْوَجْهِ غَيْرُ عَابِسٍ . وَالْعَبُوسُ :
ظُهُورُ الْغَضَبِ فِي الْوَجْهِ . وَيُقَالُ مِنْهُ : يَوْمٌ عَبُوسٌ ، أَيْ شَدِيدٌ . وَقَوْلُهُ « سَوَى
خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ » اسْتِنَاءٌ مِنْ قَطْعِهِ ، وَيَعْنِي أَنَّهُ ظَهَرَ مِنَ الشَّيْبِ فِي رَأْسِهِ شُعْلَةٌ ،

(١) انظر البيت ٦ من الحماسة ٢٧١ .

(٢) هذا ما في سائر النسخ . وفي الأصل : « وزاد من بعد ما زاد » .

(٣) في جميع النسخ : « لم تعبس » بالياء ، وصوابه بالنون ، كما في رواية التبريزي والاسان
(عنس) وكامل المبرد . وفيه صاحب الاسان أن رواية المبرد « تُعْبَسُ » . وقال : « قال
الأزهري : وهو أجود » ، أي أجود من رواية تُعْبَسُ . وأنشد في الاسان نظيره
لأبي ضب الهذلي :

فَنِي قَبْلُ لَمْ يَمَسَّنِ الشَّيْبُ رَأْسَهُ سَوَى خَيْطٍ فِي النُّورِ أَشْرَفَنِي فِي الدُّجَى
ورواية عجزه عند المبرد : « سَوَى وَضَحٍ فِي الرَّأْسِ » .

فهو كالبرق يلمع في سواد الليل . وأُخْلِصَ : بياض في سواد ، وقد أُخْلِصَ رأسه ، وشَعَرُ خَلِيس ، ومنه قيل للمولود بين الأسود والبيضاء ، والأبيض والسوداء : خِلَاسِيٌّ .

٤- أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ جَاءَهَا يُقَعِّقُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَنَى
٥- وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَرَثَتُهُ فَأَسَى وَأَدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى
قوله « أشارت له الحرب العوان » كأنه لم يصبر إلى أن دُعِيَ ، ولكن حين احتاجت الحرب جأها ، فكان الحرب أشارت إليه . والعوان : الحرب التي قُوتِلَ فيها مرة بعد أخرى ، تشبيهاً بالعوان من النساء ، وهي النصف . والفعل منه عَوْنَتْ وعَانَتْ . وقوله « يُقَعِّقُ بِالْأَقْرَابِ » يجوز أن يكون المعنى جاءها ونحواصره قمعقة ، أى صوت ، لشدة عذوه وحِرصه . وقد يُسْمَعُ من جوف العادى القجيل وصدره النهم والصوت الشديد ، إذا استمَجَل^(١) في الإدراك ويجوز أن يكون القمعقة التي ذَكَرَهَا من السلاح الذي كان عايه . وقوله « أَوَّلَ مَنْ أَنَى » يجوز أن يكون مَنْ نَكْرَةً ، كأنه قال : أَوَّلَ فَارِسٍ طَلَعَ ، فيكون أَنَى صفة له ؛ ويجوز أن يكون معرفة وَأَنَى صلة له ، كأنه قال : أَوَّلَ الْآتِينَ ، ويكون « مَنْ » مُوحِّدَ اللَّعْظِ مجموع المعنى . وانتَصَبَ أَوَّلَ على الحال في الوجهين جميعاً ، والعامل فيه جاءها أو يُقَعِّقُ . وقوله « وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَّاها وَرَثَتُهُ » يُحَقِّقُ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَظِرِ الْإِسْتِغَاثَةَ ، وَلَكِنْ لَمَّا طَلَعَتْ لَهُ أُمَارَاتُ امْتِحَانٍ وَلِيَهُ آسَاءُ بِنَفْسِهِ ، وَأَعْدَاءُ عَلَى مِحْنَتِهِ ، فَكَانَ كَالْجَانِي وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ جَنَايَةٌ ، بَذَلَ اجْتِهَادَ وَسُرْعَةَ إِنْجَادٍ . فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَمْ
طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُخْدَانَا

(١) هذا ضبط ل ، م ، وضبط في الأصل بالبناء للفاعل .

(٢) هو قريظ بن أنيف ، أو أبو الفول الطهوي . الحماسية الأولى ص ٢٧ .

والبيت الثاني كقول الآخر^(١) :

وَأَيُّ لَا أزالُ أَمَا حروبٍ إِذا لم أَجِنِ كُنتُ بِجَنِّ بَجانٍ

وقوله « آداه » أصله أعداه ، والألف الثانية همزة أبدات من العين في الأصل ، والمعنى أعانته . ويجوز أن يكون من الأداة ، أى جعل له أداة الحرب وعدتها . وأنشد الأصمعي قول الأسود بن يعفر :

ما بَعْدَ زَيْدٍ فِي فِتْأَةٍ فُرِّقُوا قَتَلًا وَسَبْيًا بَعْدَ حُسْنِ تَأْدٍ^(٢)

وقال : معناه بعد أخذ الدهر أدواته .

٢٧٥

وقال رجل من بني نصر بن قمين^(٣) :

١ - أَبْلِغْ قِبائِلَ جَعْفَرٍ إِنْ جِئْتَهَا مَا إِنْ أَحْوَلُ جَعْفَرِ بْنِ كَلابٍ^(٤)

(١) هو سوار بن المضرب السعدي . الحماسية ١٨ ص ١٣٢ .

(٢) جاء في شرح المفصلة ٤٤ : « كان المنذر بن ماء السماء خطب ابن امرأة تدهى أم كهف ، من بني زيد بن مالك بن حنظلة ، فأبوا أن يزوجه إياها ، فزاهم وأجلاهم من بلادهم وقتلهم » .

(٣) بنو نصر بن قمين ، بطن من بني أسد بن خزيمية بن مدركة بن الياس بن مضر . المعارف ٣٠ . وقمين يجوز أن يكون تصغير أقمن ، من القمن ، وهو قصر في الأنف فاحش . وهذا الرجل هو ربيعة - بضم الراء وفتح الباء وتشديد الياء المكسورة - بن عبيدة بن سعد بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قمين . قال أبو محمد الأعرجي : ليس في العرب ربيعة غيره . وهو أبرد ذؤاب الأسدي . وكان ولده ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي يوم خو ، وأمرت بنو يربوع في ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فأق ربيعة الربيع وافندي ولده ذؤابا بشيء معلوم يؤديه في سوق عكاظ ، فلما دخلت الأشهر الحرم وأق ربيعة بالإبل المومم وتحلف الربيع بن عتيبة لشغل عرض له يواف بالأسير ، فتدري ربيعة أن الربيع علم بأذه قاتل أبيه فقتله ، فرثاه بهذه الأبيات وسارت عنه وبلغت يربوعا ، فملسوا أن ذؤابا قاتل عتيبة فأقادوه به . انظر الحيوان (٣ ، ٢٤٦) ، وشرح التبريزي الحماسة ، وأمالى القالي (٢ : ٧٢ - ٧٣) والمؤتلف ١٢٥ .

(٤) قال التبريزي : « قبائل جعفر » ، يعنى جعفر بن ثعلبة بن يربوع ، رهط عتيبة . ورواية الأمالى : « قبائل جعفر مخصوصة » .

٢ - أَنْ الْهَوَادَّةَ وَالْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا خَلَقَ كَسَحَقِ الْيَمْنَةِ الْمُنْجَابِ

قوله « ما إن أحاول جعفر بن كلاب » يجرى مجرى الصفة في شرح الاسم الذي أراده وإزالة اللبس عنه . والهوادة : الحرمة والذمام والصلح . والمهاودة : المودعة . وتهودت إلى فلان تهوداً ، أى توسلت إليه بوسيلة ؛ من قولهم : بيننا هوادة ؛ ومنه هود الرجل إذا مشى مشياً ساكناً . فيقول : أنبلغ هؤلاء القوم إن زرتهم أن أسباب الصالح والمودة ، والذمام والحرمة ، قد خلقت بيني وبينهم ، وتغيرت عما عهدت ، فهى تزداد على سر الأتيام دروساً وهوداً كخلق البرود المنشق ، تزيد الأتيام بلى وانسحاقاً ، فلتامسك فيها ، ولا رجاء لصلاحها وعودها إلى ما كانت . والثوب السحق وُصف بالمصدر ، كأن البلى سحقه . واليمنة : ضرب من برود اليمن . والمنجاب : المنشق . وهذا الكلام وعيد ، ويشتمل على أن الطمع من رجوع الأمر إلى ما كان زائلاً ، وأن الفساد فى ذات بينهم متظاهر ، لا يقبل إصلاحاً ، ولا يلقى مزاوله فلا حـ . وقوله « أن الهوادة » فى موضع نصب على أنه مفعول ثانٍ لأبلغ .

٣ - أَذْوَابُ إِنِّ لَمْ أَهْبِكَ وَلَمْ أَقُمْ لِلْبَيْعِ عِنْدَ تَحْضِيرِ الْأَجْلَابِ^(١)

يُروى « لم أهبك » من الهبة ، أى لم أسمح بدمك كما يتواهب الناس الشيء بينهم ، وحكى ابن الأعرابي : وهبى الله فداءك . ومنه قولهم : هبة كذا ، أى أحسبه . ويروى : « لم أهبك » ، أى لم أتفاقل عن طلب دمك استهانة بك . وقوله « ولم أقم للبيع عند تحضير الأجلاب » ، يريد : إنى لم أجد الدية ، فسكنت بائعاً لدمك كما يباع الجلب من الأموال ، إذا سبقت

(١) انفردت نسخة الأصل برواية « لم أهبك » . وفى المؤلف :

أذواب إنى لم أبك ولم أهب بـ كما ظ حيث تجمع الأجلاب

إلى الحضرة . ولم يُرد بقوله « لم أقم » القيام الذي هو ضد الجلوس ، إنما المراد لم أترشح ولم أنتهياً . على ذلك قوله عز وجل : ﴿ إِذَا قُتِلْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ .

٤ - إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَاثَ عُرُوشِهِمْ بَعْتِيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ ^(١)

٥ - بِأَشَدِّهِمْ كَلْبًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعَزَّهُمْ فَقَدْ أَعْلَى الْأَصْحَابِ ^(٢)

الثالث : الهمد ؛ ويقال ثلّ عرش فلان ، إذا تضععت حاله واتضع عزه قال الأصمعي : وربما قيل ثلّ عرشه ، وإذا أريد به القتل فليس إلا بضمّ العين . قال ذو الرمة :

* وَقَدْ ثَلَّ عُرْشِيهِ الْحَسَامُ لِلذَّكْرِ ^(٣) *

والمرشان : لحيان مستطيلتان من جانبي العنق ، وفيهما الأخدان . وقوله « إِنْ يَقْتُلُوكَ » وقد كانوا قتلوه يريدون تبجّحوا بقتلك وصاروا يفرحون به ، فقد أثرت في عزهم ، وهدمت أساس تجددهم بما نلت من رئيسهم عتيبة ابن الحارث . وقوله « بِأَشَدِّهِمْ كَلْبًا » جعله بدلاً من قوله بعتيبة ، وقد أعاد حرف الجرّ فيه ، وقد مضى مثله ^(٤) ، وذكرنا الشاهد فيه من قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴾ ومعنى أشدهم كلباً أشدهم تأثيراً ونكابة في الأعداء . ومن كلام الحسن : « إِنْ الدُّنْيَا

(١) الأماي : « فقد هتكت بيوتهم » .

(٢) انفردت نسخة الأصل والتبريزي بهذه الرواية . وفي الموزن وسائر النسخ : « على أعدائه » . وفي الأماي :

بأحبههم فقدا إلى أعدائهم وأشدهم فقدا على الأصحاب
وقال التتالي : ويروى :

بأشدهم أوقا على أعدائهم وأجلهم رزاً على الأصحاب
(٣) صدره في ديوان ذي الرمة ١٣٦ واللسان والجمل والمقاييس (عرش) :

* وعبد يفتوت تحجل الطير حوله *

(٤) انظر البيت الثاني من الحماسية ٢٦٨ .

لما فتحت على أهلها كلبوا عليها أشدَّ الكلبِ ، أى حَرَصُوا أَشَدَّ الحِرصِ .
ويقال : دَهَرُ كِلْبٍ ، أى مُدِخٌ على أهله بما يسوؤهم . وقولم كَلْبٌ كَلْبٌ
يا كل لحوم النَّاسِ فيأخذُه منه شِبْه جنون . وقوله « وأعزَّم قعداً على الأصحاب »
يريدُ وأشدَّهم ، ومنه استَمَزَّ اللحمُ ، إذا صَلَبَ ؛ وبِعِزُّ عَلَى أن أرى كذا ،
أى حَقَّ واشتدَّ . ويقولون : اتَّحَبْنِي ؟ فيقال : لَعَزَّ ما ، أى تَلَقَّى ما .

٢٧٦

وقال الحرث بن زيد الخليل^(١)

- ١ - ألا بكر الذاعي بأوس بن خالد أخى الشنوة القبراء والزمن المخل^(٢)
٢ - فإن تقتلوا بالعدر أوساً فإنى تركت أبا سفيان ملتزم الرجل^(٣)

(١) فى جميع النسخ : « الحرث بن زيد الخليل » ، وإنما هو « الحرث » بالتصغير كما
فى التبريزى والأغانى (١٦ : ٥٦) ، والإصابة ١٦٧٣ والشعر والشعراء ٢٣٤ . وفى الإصابة
والشعر والشعراء أنه كان لزيد الخليل ولدان : مكثف وحرث ، أسماهما وصعباً رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وشهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد . وما يؤكد تصحيح اسمه ما أنشده ابن حجر له :
أنا حرث وابن زيد الخليل ولست بالنكس ولا الزميل

وأُنشد له الواقعة فى الردة أشعاراً منها :

ألا أباغ بنى أسد رسولا وهذا الحى من غطفان قيل
بأن طليحة الكذاب أمسى عذر الله حاد عن السبيل

وقد قتله عبيد الله بن الحر الجعفرى مجازرة فى حرب كانت بينهما من قبل مصعب بن الزبير .
وابيات الحماسية هذه فى الأغانى والشعر والشعراء .

(٢) قال أبو رياش : كان سبب هذه الأبيات أن عمر بن الخطاب بعث رجلاً يكنى أبا سفيان
ليس بالهاشمى ولا الأموى - إلى البادية يستقرهم ، فلم يقرأ شيئاً - أى شيئاً من القرآن -
ضربه ، فأنتموا إلى بنى نهبان ، فاستقرأ أوس بن خالد بن عمرو ، ابن عم لزيد الخليل ، فلم يقرأ
شيئاً فضربه فمات من ضربته ، فقامت ابنته وأم أوس تندبانه ، فأقبل حرث بن زيد الخليل - حى
دخل على أبي سفيان فقتله وأصحابه وقال هذه الأبيات . وزاد أبو الفرج فى روايته عن
أبي عمرو ، أنه هرب إلى الشام . وذكر أبو الفرج أيضاً أنه أوس بن خالد بن زيد .

(٣) الأغانى : « فإن يقتلوا أوساً عزيزاً » .

أبو سفيان مُصدِّقٌ وردَ حَيِّمٌ لاسْتِفَاءِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ ، فَأَتَاهُمُ أَوْسُ بْنُ خَالِدٍ
بأنه سَتَرَ بعضَ ماله طمعًا فيما يلزمه من الصَّدَقَةِ فيه ، واقْطَاعًا من الواجب عليه ،
فأخذه أبو سفيان بضربته ، وارْتَقَى ما بينهما إلى أن أدى إلى قَتْلِهِ ، فصاحت
أمُّ أَوْسٍ فأغاثها قاتل هذه الأبيات ، ورَمَى أبا سفيانٍ بسهمٍ نَفَذَ فيه فقتله .

وقوله « بَكَرَ النَّاعِي » ، يجوز أن يكون معناه ابتداءً بِنَعَاءٍ لأنَّ البُكَورَ
أصله ذلك ، ولذلك قيل في أوَّلِ النَّهَارِ : بُكْرَةٌ . ويجوز أن يكون بمعنى جاء
بُكْرَةً . فيقول : ابتكر المُنْخِرَ بقتل أَوْسِ بْنِ خَالِدٍ مَلْجَأِ الضُّمْفَاءِ ، وَثِمَالِ
الْأَيْتَامِ ، فِي الشَّتْوَةِ الْغَبْرَاءِ ، الْقَلِيلَةِ الْأَمْطَارِ ، الشَّدِيدَةِ الْإِمْحَالِ . وَالْمَحْلُ : يُبْسُ
الْأَرْضُ . وَيُقَالُ زَمَنْ مَاحِلٌ وَمَحْلٌ ، وَقَدْ اُنْحَلَّ النَّاسُ إِذَا اُسْتُتُوا . وقوله « فَإِنْ
يَقْتُلُوا بِالْعَدْرِ أَوْسًا » يريدُ أنْ أبا سفيان هذا كان انطوى على غِلٍّ لِأَوْسٍ ،
وعداوةٍ كامنةٍ له ، فتوصلَ بما ادَّعى من خيانتِهِ في مالِ الصَّدَقَةِ إلى ضربه
وقتلِهِ ، لذلك قال : « إِنْ تَقْتُلُوا بِالْعَدْرِ » . وقوله « فَإِنِّي تَرَكْتُ أبا سفيانٍ
مَلْتَزِمَ الرَّحْلِ » ، يريد : إِنِّي اتَّارْتُ مِنْ أَبِي سفيانٍ وجعلته ملتزمًا لرحله
لأَحْرَاكَ بِهِ ، أَيْ قَتَلْتُهُ بَدَلًا مِنْ صَاحِبِهِ .

٣ - فلا تجزعي يا أمُّ أَوْسٍ فإنه تُصِيبُ الْمَنَابِيَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَفْلٍ^(١)

أَخَذَ بَعْدَ اقْتِصَاصِ الْحَالِ يُسَلِّي أُمَّ أَوْسٍ عَنْ ابْنِهَا ، وَيَطِيبُ قَلْبَهَا ،
ويعرفها أن الموتَ طَرِيقٌ يَسْلُكُهُ النَّاسُ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا مَحِيدَ
عنه وَلَا مَعْدِلَ . وَحَسُنَ ذَلِكَ مِنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ النَّارَ لَهَا ، وَشَقِيَ نَفْسَهَا مِنْ
دَاءِ مَصِيبَتِهَا ، فَأَقْبَلَ يَبْرُدُ^(٢) غَلِيلَهَا بوعظه ، زِيَادَةً فِي الْإِهْتِمَامِ لَهَا وَالتَّوَفُّرِ عَلَيْهَا .

(١) فيما عدا الأصل : « تُصِيبُ الْمَنَابِيَا » . وفي الأغاني : « يلاق المنابيا » .

(٢) هذا ضبط جميع النسخ . يقال برد الطعام وبرده ، بالتضعيف ، وأبرده .

وكان يجب أن يقول : كل ذى حنّ وذى نعلٍ ، أو كلّ حافٍ وناعِلٍ ، لكنّه لما وجدَ اسمَ الفاعلِ يَنوبُ مَنابَ ذى كذا ، لم يُبالِ أن يكون أحدهما بذى . وهذا يبيّن ما يسلكه أصحابنا البصريّون فى مثل قولهم : طالقٌ وحائضٌ ، أنّه على طريقِ التَّسْبِةِ وفى معنى ذاتِ طَلانٍ وذاتِ حيضٍ ، ويؤكِّد صحّته .

٤- قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ الْقَوْمِ عُصْبَةً كِرَامًا وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ النَّخْلِ^(١)

٥- وَلَوْلَا الْأُمَيَّةُ مَا عِشْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ جَاؤَنِي مِثْلِي^(٢)

فى هذا الكلام دِلالةٌ على استفحال الشرِّ بينهم حتّى قُتِلَ من الجانبين عِدَّةٌ ، لذلك قال : قتلنا بدل قتلانا من القوم عصابة يرجعون إلى كرام . والعُصْبَةُ : القشرة من الرّجال ، وقيل ما بين العشرة إلى الأربعين ، وكذلك العصابة من النّاس والطّير والخيّل . وهذا تنبيهٌ على أن النار الذى أدركه منهم كان مُنيماً ، والاشتفاء من دائه به كان مُجيباً . وقوله « ولم نأكلْ بهم حَشَفَ النَّخْلِ » يريدُ : لم نشتغلْ عن طلب دمهم بالأكل . وذِكر الحشفِ إزراءاً بذلك الطّعام لو صُرِفَت النفوسُ إليه مع تضايق الوقت فى طلب الدّم . ويجوز أن يريدَ : لم نأخذ ديتهم . وجعل التمرَ حَشَفًا كما قال غيره^(٣) .

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكرًا وأنزك في بيتٍ بصعدةٍ مُظلمٍ
والإفالُ والأبكرُ لا تؤخذان فى الدّية^(٤) ، ولكن حَقَّرَ أمرها . وقوله : « ولولا الأُمَيَّةُ مَا عِشْتُ فى النَّاسِ بَعْدَهُ » يريدُ لولا التَّصَبُّرُ والتَّأَسُّى والاقْتداهُ بهم فى المصائب ، لَقَتَلْتُ نفسى ولم أعِشْ بَعْدَهُ - يعنى بعد أوس - فى النَّاسِ ،

(١) الأغاني ، « أصبنا به من خيرة القوم سبعة » و « ولم نأكل به » .

(٢) فى الشعراء ، « فى الناس ساعة » و « ساعدنى مثلى » .

(٣) هو كبشة أخت عمرو بن معديكرب . الحماسية ٥٢ ص ٢١٧ .

(٤) فى الأصل : « لا تؤخذ إلا فى الدّية » ، صوابه فى سائر النسخ .

ولكن متى شئت وجدت لنفسى نظائر ممن فقدوا أعزتهم . ويشبه هذا قول الخنساء :
ولولا كثرة البا كيف حو لي على إخوانهم لقتلت نفسي
وقوله « ما عشت في الناس بعده » جواب لولا ، ونابت عن خبر المبتدأ
وهو الأسى ، كأنه قال : لولا الأسى مانع لي ما عشت في الناس بعده . وقد
تقدم القول في لولا ، وفيما يقع فيه ^(١) .

٢٧٧

وقال البراء بن ربيع الفقمسي ^(٢) :

١ - أَبَعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى الْحَيَاةِ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجْزَعُ
قوله « أَبَعَدَ » لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى التوَجُّع . والاستفهام
يَطْلُبُ الْفِعْلَ . فيقول : أَرْجَى الْحَيَاةِ أَمْ أَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ بعد إخواني الذين
انقرضوا وذهب الواحد في إثر الواحد فدرجوا . والمعنى : ماذا يجوز أن يكون
مَنِّي : أَيَحْسُنُ الطَّمَعُ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُمْ ، أَمْ الْجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ عَقِبَ الْفَجْعِ بِهِمْ .
وأم هذه يجوز أن يكون أو بدلهما ، لأنها المنقطعة . ألا تَرَى أَنَّ الَّتِي تَكُونُ
عَدِيلَةَ الْأَنْفِ فِي الْعَاطِفِ مِنْ شَرِطِهَا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْأَسْرَيْنِ الَّذِينَ يَسْأَلُ عَنْهُمَا
الْمُسْتَفْهَمُ قَدْ وَقَعَ عِنْدَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيُّهُمَا هُوَ . يقول الفائل : أَرَأَيْتَ زَيْدًا
أَمْ عَمْرًا ، وهو لا يشك أن أحدهما رآه ، إلا أنه لا يدري أيُّهُمَا هُوَ . والذي
في البيت ليس كذلك فتأمل .

(١) انظر ما سبق في ص ٤٦٦ في الحماسية ١٥٧ .

(٢) التبريزي : « وقال أبو حبال البراء بن ربيع الفقمسي . البراء في اسم رجل يجوز
أن يكون مأخوذاً من قولهم : أنا براء منك ، أي برى ، أو من قولهم لآخر ليلة من الشهر
ليلة البراء ... والربيع : ما نبت في أيام الربيع ، ويكنى به عن ولد الرجل في شبابه ... قال
أبو هلال : أبو حبال هكذا رويناه في الأصل ، وهو تصحيف ، وإنما هو أبو الحناك بالنون
والكاف . وقد ذكره صاحب المؤلف ٨٦ وصاحب القاموس في (حنك) .

٢ - ثَمَانِيَّةٌ كَانُوا ذُوَابَةَ قَوْمِهِمْ يِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأُمنَعُ^(١)
 ٣ - أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ رُزِيَتْهُمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا لِاصْبِعٍ ثُمَّ لِاصْبِعٍ
 ذكر أن إخوانه كانوا ثمانية ، وأنهم كانوا رؤساء قومهم ، وأنه بعزهم
 ومكانهم من قبيلتهم كان يدفع عن نفسه ما يشاء ، ويقبل لها ما يشاء .
 وفي قوله « كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ » حَذَفُ ، ولو أتى على حذفه لكان : كُنْتُ
 أُعْطِي مَا أَشَاءُ إعطاءه وأُمنَعُ مَا أَشَاءُ منعه . والمفاعيل تُحذف كثيراً لأن القرائن
 تدل عليها . وإنما قال « ذُوَابَةُ قَوْمِهِمْ » ولم يقل ذَوَائِبُ قَوْمِهِمْ ، لأنه عدَّهم
 شيئاً واحداً ، لتناصُرهم واتفاق أهوائهم . والذُّوَابَةُ : اسمٌ في الأصل ، وقد
 وُصِفَ به ، وكأقيل هو ذُوَابَةُ قَوْمِهِ ، وهم ذَوَائِبُ قَوْمِهِ ، قالوا في الضد منه : هو
 ذُنَابَةُ قَوْمِهِ ، وهم ذَنَائِبُ قَوْمِهِ . وقوله « أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ » نَبَّهَ به على
 زوال الخلاف وسقوط المراء من بينهم ، وعلى خلوص نيَّة كل واحدٍ منهم مع
 صاحبه ، حتى كان ما يجمعهم تصافياً بلا كَدَرٍ ، وتوافقاً بلا حَسَدٍ ، وأنهم
 كانوا في التَّعاونِ والتَّظاهرِ كالكَفِّ الواحدة ، فكل واحدٍ منهم كالإصبع من
 تلك الكفِّ ، فلما تَحَرَّموا ومات الواحدُ بعد الواحد ، صارت الكفُّ
 تَرَجَّعُ بنقصان أصابعها حتى صارت لا تَغْنِي في البَطْشِ بِهَا ، ولا تَعْمَلُ عند
 القبض والبسط عَمَلَهَا .

٤ - لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَاجِبٌ لِمُفْجَعٍ
 ٥ - وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِيٍ وَلَا ضَائِرٍ فَقَدْ دَأَاهُ لِمُتَعٍ
 أقسم بأنه مُفْجَعٌ بمن تعرَّض حياته ويكرُم مقامه ، حتى يرى لنفسه تدلاً لا

(١) المؤلفات : « من أشاء » .

واجباً عليه ، وتمكّنا مكيفاً منه ؛ وُتمتّعُ بن لا رغبة له في العيش معه ، فليس في بقاءه نفعٌ له ولا في ذهابه ضررٌ عليه ، وكان الواجب أن يقول : ليس نفعي حياته أو وجدانه ، حتّى يكونَ في مُقابلةِ قوله « ولا ضائري فقداؤه » إلا أنّه لما ضاقَ نطاقُ البيتِ عنه لم يُبالِ بالاعتصارِ على نفعي ، إذ كان المرادُ بها مفهوماً ، وإذ كان ضميره في ليس يقومُ مقامَ حياته لو أتى به . وسُمّي من اشتدّت فاقته إلى حياته خليلاً لا اختصاصِ مكانه من قلبه ، وعلى عادتهم في تسمية المتمدّد عليه خليلاً ، حتّى سمّوا الفرسَ والسيفَ خليلاً . قال يعني الفرسَ :
 وأنقى بهاديه إني للخليلِ وصُول^(١)

وقال الآخر في السيف :

* ما سدّ كرتي خليلُها^(٢) *

وسُمّي القَبِيلَ الثّاني مَوَلًى إشارةً إلى أبناء عمّه الذين لا غناءَ عندهم ، ولا انتفاعَ له بمكانهم .

٢٧٨

وقال مُطيع بن إلياس ، في يحيى بن زياد^(٣) :

١- يا أهلِ بَكُوا لِقَابِي الْقَرْجِ وللدُّمُوعِ السَّوَائِبِ السُّفْحِ

(١) البيت لأبي الأبيض العبسي ، سبق في الحماسية ١٥٧ . وصدره :

* أقيه بنفسي في الحروب وأنقى *

(٢) سبق في ص ٤٦٩ : « ما شدّ » بالشين المعجمة . والبيت بتمامه :

وإني كما قالت نوار إن اجتلت على رجل ما شدّ كرتي خليلها

(٣) مطيع بن إلياس بن أبي سلمة الليثي الكناني ، من مخضرمي الدولتين ، كان ظريفاً خليعاً متبهماً بالزندقة ، ولد ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبة في الأغاني (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) وأمال المرتضى (١ : ٩٨) ، ولسان الميزان (٦ : ٥١ - ٥٢) . وكان يحيى بن زياد الحارثي صديقاً له هو وحماد الراوية ، وحماد عجرد ، وعارة بن حمزة ، وآخرون ، كلهم ظريف متبهم بالزندقة . انظر الحيوان (٤ : ٤٤٧ - ٤٤٨) . وكان المنصور يعجب بهذه الحماسية . الأغاني (١٢ : ٨٢) .

٢- راحوا يبخي ولو تطاوعني الأقدار لم تبتكر ولم ترشح

لم يرخص بتجرده لتلقى الأمر الذي دهمه ، وبتفرده في الجزع للخطب
للم به حتى طلب من ذويه وعشيرته إسماعده في البكاء لما نابته فأفرح قلبه ،
وأسال دمه . وإنما قل ذلك لأنه يمدد التعاون فيه والتشارك ، أدل على
تجليل الفجعة له ؛ والانتساء والنسوى ، أجلب للتخفيف مما به . ألا ترى
أن الله تعالى يقول في أصحاب النار : ﴿ وَأَنْ يَذَنَّقَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ
فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ، فأياهم من أن يكون اشتراكهم في العذاب يسليهم
أو يرجع بضرب من النفع عليهم ، على العادة في دار الدنيا . وقوله « قلبي القرح »
يقال . أقرحه ألم فقرح وهو قرح قريح . وقيل في القرح هو البئر إذا تراعى
إلى فساد . وقوله « السواكب » جمع ساكبة ، ووصف الدموع به على معنى
ذات سكوب ، كما قيل عيش ناصب ، أى ذو نصب على النسبة . والسفوح :
جمع سفوح ، والسكب والسفوح يراد بهما العصب إلا أن السفوح أبلغ من
السكب ، لذلك ارتقى من السواكب إليه . وحكى الخليل أن أهل المدينة
يقولون : اسكب على يدي . ويقال رجل سفاح للدماء ، ولم يقل سكب ،
لأن السكب لا يبلغ حد السفوح .

وقوله « راحوا يبخي ولو تطاوعني الأقدار » ، يقول منبهاً على مساس الفاقة
إلى بقائه ، وغلبة اليأس من الاعتياض منه : راحوا ولو أطاعني القدر ما فجعنا
بفراقه ، فكان لا يبتكر لا غادياً ولا راحاً . ومن روى بالتاء « لم تبتكر »
جعل الفعل منسوباً إلى الأقدار يريد : لم تبتكر الأقدار ولم ترشح به وأنا راض .

(١) ل : « لم يبتكر ولم يرح » بالياء ، وهذه هي الرواية التي تتلاءم مع مفهوم

التفسير فيما بعد .

وإنما قال « بَكَوا » لأنَّ فَعَلَ يفيد التكثير من الفاعلين . وتكرير الفعل من واحدٍ حالاً بعد حال .

٣ - ياخِرَ من يَحْسُنُ البكاءَ لَهُ الـ يَوْمَ ومن كان أَمْسٍ لِلدَّحِ

٤ - قد ظَفِرَ الحُزْنَ بالشُّرُورِ وقد أُدِيلَ مَكْرُوهُنا من الفَرَحِ

إنما ناداهُ لقوله « قد ظَفِرَ الحُزْنَ بالشُّرُورِ » ، كأنه يريدُ إعلامه تأثير المصابِ فيهم ، وأنهم قد استبدلوا بعده الشُّرُورَ حُزْناً دائماً ، وبالفَرَحِ مَكْرُوهاً راتباً . و « مَنْ » نَكِيرَةٌ . وقوله « يَحْسُنُ البكاءَ لَهُ اليَوْمَ » صفة له ، فيقول : ياخِرَ إنسان كان للدُّحِ فيما مضى من الزَّمانِ أَوْلَى به ، والبكاءُ عليه في الحال والاستقبال أحقُّ لَهُ ، قد تأدَّى حالنا بعدك إلى أن أَبَدَلنا القَدْرُ بالفَرَحِ تَرَحُّماً مُتَّصلاً ، وبالحُبوبِ مَكْرُوهاً لازماً .

ومعنى ظَفِرَ الحُزْنَ بالشُّرُورِ وأدِيلَ مَكْرُوهُنا ، أن الغالبَ لهما حتى لا ثباتٌ للشُّرُورِ والفَرَحِ معهما ، ولا انتِياشٍ منهما^(١) . يبين ذلك أنه قال « وقد أُدِيلَ مَكْرُوهُنا » أى جُعِلَ له على الفَرَحِ دَوْلَةٌ . وقوله « من الفَرَحِ » يريد من المقروح به ، وهو الحُبوبُ ؛ لأنه كما طابَقَ الحُزْنَ بالشُّرُورِ في الصدر ، طابَقَ المَكْرُوءَ بالحُبوبِ في التَّجَرُّ . وهذا كما يقال : لا يَسْرُني بهذا الأَمْرُ فَرَحٌ ومَفْرُوحٌ به ومُفْرِحٌ . والوصفُ بالمصدر ووضْعُهُ موضعَ الفاعلِ والمفعول مشهورٌ . وقد خرج في هذا الكلام جوابُ سائِلٍ يقول : ما الفرقُ بين الشُّرُورِ والفَرَحِ ؟ وكيف أتى بهما وما بمعنَى واحد ؟

(١) . الانتِياش : الاستغاذ ، يقال انتاشه ، أى استغذاه واستدركه وأخذَه من مَهْوَةٍ .

٢٧٩

وقال مطبع أيضاً^(١) :

- ١- قلتُ لِحَنَانَةٍ دُلُوحٍ تَسُحُّ من وابلٍ سَحُوحٍ
 ٢- أُمِّي الضَّرِيحُ الذِي أُسَمِّي ثُمَّ اسْتَهَلَّ عَلَى الضَّرِيحِ
 ٣- ليس من المَذَلِّ أَنْ تَشِحِّي عَلَى فَنَى لَيْسَ بِالشَّحِيحِ^(٢)

أراد أن يدعوَ لَلْقَبْرِ بِالشَّقِيَا لِحَمَلِ بَدَلِ الدَّمَاءِ سُؤلاً وَتَمْذِيّاً ، لأنَّ طَرِيقَةَ
 الْجَمِيعِ وَاحِدَةٌ فَقَالَ : قُلْتُ لِسَابِقَةٍ فِيهَا رَعْدٌ ، فَكَأَنَّهَا كَانَتْ تَحِنُّ بِرَعْدِهَا إِلَى
 شَيْءٍ كَحَبْنِ النَّاقَةِ إِلَى وَطَنِهَا أَوْ وَلَدِهَا . دُلُوحٌ ، أَيْ ثَقِيلَةٌ . يُقَالُ : مَرَّ الْبَعِيرُ
 يَذْنَحُ بِحِمْلِهِ ، أَيْ يَمْشِي مُتَثَقِلاً . وَالسَّحَابَةُ تَذْنَحُ مِنْ كَثَرَةِ مَائِهَا . تَسُحُّ
 أَيْ تَصُبُّ . وَابِلٌ : مَطَرٌ ضَخْمٌ الْقَطَرِ . سَحُوحٌ : كَثِيرُ الْإِنْصَابِ شَدِيدُهُ : إِنْ
 قِيلَ : كَيْفَ جَعَلَ السَّحَّ مَرَّةً لِلْحَنَانَةِ وَمَرَّةً لِلْوَابِلِ ، وَالْوَابِلُ يَكُونُ مُصْبِوْباً
 لِأَصَابِئِهِ ، وَمَا فَائِدَةُ مَنْ فِي قَوْلِهِ « مِنْ وَابِلٍ سَحُوحٍ » فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْكَثْرَةُ ،
 وَهُمْ يَجْعَلُونَ ، إِذَا قَصَدُوا إِلَى الْمَجْلُفَةِ ، الْفِعْلَ الْوَاقِعَ بِالشَّيْءِ لَهُ . أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ
 يَقُولُونَ : مَوْتُ مَائِتٍ ، وَشَرُّ شَاعِرٍ . وَهَذَا كَمَا قَالُوا : سَيْلٌ مُفْعَمٌ ، وَالسَّيْلُ

(١) كَذَا نَسَبَهُ أَبُو تَمَامٍ . وَفِي الْأَغَانِي (١٣ : ٧٩) أَنَّ الشَّعْرَ لِحَمَادٍ عَجْرَدٍ يَرْتِي الْأَسْوَدَ
 ابْنَ خُلْفٍ ، وَكَانَ يَمَاشِرُهُ وَلَا يَكَادَانِ يَفْتَرِقَانِ . وَمَا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ هُنَا أَنَّ حَمَادَ عَجْرَدٍ كَانَ مُعَاصِراً
 لِمَطَالِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَصَدِيقاً مُوَاصِلاً لَهُ . وَقَدْ رَوَى أَبُو الْفَرَجِ بَعْدَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ :

جَاءَتْ عَلَيْنَا ، لَهَا رِبَابٌ بِوَكَافٍ هَاطِلٍ نَفْسُوجٍ
 وَبَعْدَ الثَّانِي ، وَهُوَ مَا يُؤَيِّدُ نَسَبَهُ إِلَى حَمَادٍ عَجْرَدٍ فِي رِثَائِهِ لِلْأَسْوَدِ :
 عَلَى صَدَى « أَسْوَدَ » الْمَوَارِي فِي الْمَحَدِ وَالتَّرْبِ وَالصَّفِيحِ
 فَاسْتَقْبَاهُ رِيّاً وَأَوْطَنِيهِ ثُمَّ اغْتَدَى بَعْدَهُ وَرَوَحِي
 اغْتَدَى بِسَقِيَاهُ فَأَصْبَحِيهِ ثُمَّ اغْتَبِيهِ مَعَ الصَّبُوحِ
 وَكَلِمَةُ الصَّبُوحِ ، هِيَ فِي الْأَصْلِ « الْكُسُوحِ » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « عَلَى امْرَأَةٍ » .

لَا يُمْلَأُ إِنَّمَا يُمْلَأُ بِهِ الشَّيْءُ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالسَّحُّ مِنَ الْخَنَانَةِ حَقِيقَةٌ ،
وَالسَّحُّ مِنَ الْوَابِلِ مَجَازٌ ، وَالْمُرَادُ بِهِ مَا ذَكَرْنَا . عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ سَحٌّ
مِنْ بَابِ قَعْلَتِهِ فَقَعَلَ ؛ فَقَدْ حَكَّى الْخَلِيلُ : سَحَّ الْمَطَرُ وَالْدَّمَعُ ، وَقَالَ : هُوَ
شَدَّةُ انْصِبَايِهِمَا . وَيُقَالُ مِنَ السَّحِّ : فَرَسَ مِسْحٌ ، أَيْ يَصُبُّ الْقَدْوُ . وَأَرْضٌ
سَحَّاحٌ^(١) ، أَيْ تَسِيلُ مِنْ مَطَرٍ بِسِيرٍ .

وقوله « أَتَى الضَّرِيحُ الَّذِي أُسْمِيَ » يَرِيدُ الَّذِي أُنْصِتُ عَلَيْهِ وَأُبَيِّنُهُ بِذِكْرِ
اسْمِ صَاحِبِهِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لِلضَّرِيحِ اسْمٌ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْقُبُورِ ، فَكَأَنَّ بَيَانَ الْكَلَامِ :
أُسْمِيَ صَاحِبَهُ ، فَحُذِفَ اللَّضَافُ وَهُوَ صَاحِبٌ ، ثُمَّ أَقَامَ الْمُنَافَ إِلَى مَقَامِهِ ، فَجَاءَ
أُسْمِيَهُ ، ثُمَّ حُذِفَ الْمَفْعُولُ مِنَ الصَّلَةِ لَطَوْلُهَا فَبَقِيَ أُسْمِي . وَمَعْنَى اسْتَهْلَى : صَبَّى .
وَيُقَالُ هَلَّ السَّحَابُ بِالْمَطَرِ وَاسْتَهْلَّ وَانْهَلَ الْمَطَرُ انْهِلَالًا . وَالْأَهَالِيلُ : الْأَمْطَارُ
الشَّدِيدَةُ الْانْصِبَابُ^(٢) . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَهَا وَصْفَ السَّحَابَةِ بِالْخَنَانَةِ لِرَعْدِهَا
كَتْنَى عَنِ الطَّرِّ بِالِاسْتِهْلَالِ ، لِأَنَّهُ كَالْحَنِينِ ، وَهُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ وَغَيْرِهَا ،
فَيَكُونُ الْحَنِينُ وَالِاسْتِهْلَالُ لِلرَّعْدِ وَالْمَطَرِ كَالسَّوَالِ وَالْجَوَابِ . فَأَمَّا قَوْلُهُ « عَلَى
الضَّرِيحِ » فَتَكَرَّرَ تَنْبِيهُ عَلَى عِظَمِ شَأْنِهِ وَقَطَاعَةِ الْفَجْعِ بِهِ . وَالتَّنْفِخُ بِالتَّكْرِيرِ
يَحْصُلُ كَثِيرًا . وَالضَّرِيحُ : الْقَبْرُ بِلَا لُحْدٍ ، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، لِأَنَّهُ يُقَالُ
خَرَّ حَوَالَهُ ضَرِيحًا . وَقَالَ الدَّرِيدِيُّ : سَمِيَ ضَرِيحًا لِأَنَّهُ انْضَرَحَ عَنْ جَانِبِ الْقَبْرِ^(٣) ،
أَيْ انْدَفَعَ فَصَارَ فِي وَسْطِهِ . وَقَوْلُهُ :

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَشِجِّي عَلَى فَتَى لَيْسَ بِالشَّعِيجِ

يَرِيدُ : لَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ الْبُخْلُ بِمَائِكَ وَصَوْبِكَ عَلَى فَتَى كَانَ لَا يَبْخُلُ

(١) لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْمَعَاجِمِ الْمُنَادِلَةِ .

(٢) قِيلَ لَا وَاحِدَ لِلْأَهَالِيلِ ، وَقِيلَ وَاحِدُهَا هَلَالٌ وَاجْمَعُ سَمَاءً .

(٣) الْجَلَانُ : الْجَانِبَانِ ، يُقَالُ جَالٌ وَجُولٌ وَجِيلٌ ، وَهُوَ الْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ .

بِماله، وما يُجْتَدَى منه في جاهه وحاله. وهذا ظاهر. وفي طريقته قول أبي تمام :
وكيف احتمالي للغيوثِ صنيعةً بإسقامها قَبْرًا وفي لُحْدِهِ البَحْرُ

٢٨٠

وقال الأشجع السلمي^(١):

١ - مَفَى ابن سَعِيدٍ حين لم يَبْقَ مَشْرِقٌ ولا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحٌ^(٢)
يقول : فُجِعَ النَّاسُ بِابْنِ سَعِيدٍ حين كَدَلَ وَتَرَعَ وشِمِلَ نَفْعُهُ فَمَمَّ حتى
لم يَبْقَ بُقْعَةٌ من جوانب الشرق والغرب إِلَّا وَتَرَى فيها شاكرًا لِنَفْعِهِ ، حامدًا
لِنَعَالِهِ ، مادحًا لِفِرطِ إِحْسَانِهِ . وإنما يَعْظُمُ الرُّزْءُ باستكمال فضائل للرئي ،
وشمول فواضله .

٢ - وما كنتُ أَدْرِ ما فَوَاضِلُ كَفِّهِ على الناسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
قوله « ما فَوَاضِلُ كَفِّهِ » استفهامٌ ، وموضع الجملة من الإعراب أنه
مفعولٌ أَدْرِ وقد عُلقَ عنه ، والمعنى : ما أَدْرِ ما يقتضى هذا السؤالُ .
والفَوَاضِلُ : جمع فاضلة ، وهو اسمٌ لما يَفْضُلُ من نَدَى كَفِّهِ فيتجاوزها إلى

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي ، من ولد الشريد بن مطرود السلمي ، وكان يكنى أبا
لقوليد ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، نشأ بالبصرة وقال الشعر وأجاد وعد في الفحول ،
وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود ، فلما نجم أشجع وأجاد
افتخرت به قيس . ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاء مدحه فأعجب به ووصله
إلى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضاً فأثرى وحسنت حاله . الشعراء ٨٥٧ - ٨٦١ ، والأغاني
(١٧ : ٣٠ - ٥١) وتاريخ بغداد (٧ : ٤٥) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٣٣) والموشح ٢٩٥
وقال التبريزي : « قال أبو هلال : كان البحترى يقول : إنه يخجل . ومعنى الإخلاء أن يأتي
بألفاظ حسنة ليس تحتها كبير معنى » .

(٢) الأبيات رواها القالي في أماليه (٢ : ١١٨) والحصري في زهر الآداب (٣ :
٢٠٩) وروى صاحب العقد (٣ : ٢٨٧) بعض أبيات هذه الحماسة منسوبة إلى
منصور النخعي .

للناس . ويجوز أن يكون فاضلةً مصدرًا بمعنى فَضَّلَ أو إفضال ، فيكون كالعافية والقائم من قولهم قُمْ قائمًا ، والبالية من قولهم ما أباليه بالية^(١) ، ثُمَّ لا اختلافه بجمعه . والمصادرُ تجمع إذا اختلفت ؛ على ذلك قولهم العلوم والمَقُولُ وما أشبههما . وإذا جُعِلَ كذلك يكون قد عدَّى فواضِلَ وهو جمعٌ مَكْرُورٌ إلى قوله على الناس . وحصل من هذا الكلام أن قوله « على الناس » يتعلقُ بفواضل على وجهين : أحدهما أن يكون فواضل جمع فاضلة ، وهو اسم للفاعل ، والثاني أن يكون فواضل جمع فاضلة ، وهو مصدرٌ ، وتعدَّى مثله ليس بكثير .

وقوله « حتى غَيَّبَتْهُ الصَّفَاحُ » معناه إلى أن غَيَّبَتْهُ الصَّفَاحُ . والصفائح : أحجار عِراضٌ سُفِّفَ بها قَبْرُهُ . يقول : لم أَتَبَيَّنْ مقادير إحسانه عند الناس ، ومبالغ أياديه لديهم ، وفنون برِّهِ بهم ، وانصباب مِنِّهِ إليهم ، لا اختلاف مواقعها ، وغلفاء كثيرٍ منها على حَسَبِ قُصُودِهِ في الإفضال ، ولتباينِ مَوَاضِعِ الصنِيعَةِ في التفصيل والإجمال ، إلى أن خَلَّى مكانَه فظهرت الفاقةُ على متحملي نِعَمِهِ ، وتَظَاهَرَ الحمد والثناء من السكافة على اختلاف منازلهم وتباعدِ مَظَانِّهِمْ ، فحينئذ بان لى كثرتها وتوفرها .

٣- فَأَصْبَحَ فِي لَحْدِهِ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّخَاصِحُ^(٢)

قوله « في لَحْدِهِ » موضعه نصبٌ على أن يكون خبر أصبح ، وانتصب « مَيِّتًا » على الحال ، وكذلك قوله « حَيًّا » انتصب على الحال . ولا يجوز أن يكون « لَحْدِهِ » في موضع الحال ومَيِّتًا خبر أصبح ، لأنَّ مَيِّتًا من الصَّدْرِ في مقابلة حَيًّا من العَجْزِ ، ولا يكون ذلك إلا حالًا ، فكَذلك يجب أن يكون

(١) المعروف « البالية » مخفف البالية .

(٢) الأمال : « وكانت له حيا » .

ميتًا ، وإلاَّ اختلَفًا وفَسَدَ المعنى . يقول : أصبحَ وهو ميّتٌ يَنسَعُ له لَحْدٌ من الأرض ، وكانت الصَّحاحِصُ تَضِيقُ عنه وهو حيٌّ . فيجوز أن تكون تَضِيقُ عن جُيُوشِهِ وأصحابِهِ الذين كانوا يَحْيَوْنَ بِحَيَاتِهِ ، وَيَسْطُون على الدَّهْرِ بِعِزَّتِهِ ، ويجوز أن يُريدَ بالضِّيقِ ما كان يَبِثُّ من إحسانِهِ ، وَيَنْشِيرُ من جَدْوَاهِ في أهل الأرض ويشْمَلُهُم من المنافعِ بِمَكَانِهِ وَجَاهِهِ ، فيكون التَّقْدِيرُ أَنَّهَا لو جُسِّمَتْ لكانت الصَّحاحِصُ تَضِيقُ عنه . والصَّحَصَح والصَّحَصَحان : الأرضون المستوية الواسعة . وفي طريقته للبحرَى :

كانوا ثَلَاثَةَ أَبْحَرٍ أَفْضَى بِهَا وَاعَ الْمُنُونِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْبَرِ
٤- سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ نَفِضَ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ^(١)

ضَمِنَ له دوامَ البُكاءِ ما دامت الدُّمُوعُ تُجِيبُهُ وتُسَاعِدُهُ ، فَإِنْ تَجَزَّتْ وَنَفِضَتْ عن المُراد ، وانْقَطَعَتْ أوانِ الحاجة ، فَكَافِيهِ مَعَهُ ما تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ جَوَانِحُهُ ، وَبِتَضَمُّنِهِ صَدْرُهُ وَفُؤَادُهُ . وقوله « مَا فَاضَتْ » في موضع الظَّرْفِ ، أَيْ مُدَّةَ قِيَضِهَا . وقوله « حَسْبُكَ » مُبْتَدَأُ وَخَبَرُهُ « مَا تُجِنُّ » . وقد بَيَّنَّ حَسْبُكَ بِنَفْسِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى خَبَرٍ ، فَيُقَالُ حَسْبُكَ ، وَحِينَئِذٍ^(٢) يَتَضَمَّنُ معنى الأمر ، كَأَنَّهُ يَرَادُ بِهِ اكْتِفَاءُ ، وَلِذَلِكَ يَسْتَقِلُّ الْكَلَامُ بِهِ . ويقال : غَاضَ الْمَاءُ وَغِضَتْهُ . والجَوَانِحُ : الضُّلُوعُ ، سَمِّيتْ بِذَلِكَ لِانْحِنَائِهَا . والجُنُوحُ : اللَّيْلُ .

٥- وَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَا زِعٌ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ^(٣)

قوله « مَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ » تَبَرُّؤٌ مِنَ الْجَزَعِ عَلَى الرُّزْءِ ، أَيْ لَسْتُ لَهُ بِصَاحِبٍ

(١) هذا البيت لم يروه القائل . وفي زهر الآداب : « ما تكن الجوانح » .

(٢) هذا ما في سائر النسخ . وفي الأصل : « حقيقته » .

(٣) زهر الآداب : « بعد ما مات » .

وإن جَلَّ الفادِحُ ، كما أتى لستُ بسُرُورٍ به وإن عَظُمَ بفَارِحٍ . والمعنى : أن المنايا والعطايا تساوَت أقدارها عندِي بمدك ، لأنك كمتَ الرجُوَّ عندِي . والمخُوفَ عليه لدَيَّ ، فلما فاتني القدرُ بك أمنتُ من الجزع لحادثٍ شرٍّ ، ويشتت من القرح لنائبٍ خيرٍ . ولو قال بَدَلَ جازِعٍ وفَارِحٍ : جَزِعَ وفَرِحَ ، كان أفصحَ وأكثرَ ، لأنَّ فَعَلَ إذا كان غيرَ متَعَدٍّ فالأجود والأقْبَسُ في مصدره ^(١) فَعَلَّ ، وفي اسم الفاعل فَعِلَّ ، وإذا كان متَعَدِّياً فبأبهِ فاعِلٌ . وقد قيل في المربض مَارِضٌ ، وفي السليم سَالِمٌ ، لأنَّ البابين يتداخِلان . وقولُه « ولا بسُرورٍ » أي ولا بذى سُرورٍ فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

٦- كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَوَاحِ ^(٢)

٧- لَئِنْ حَسَنْتَ فِيكَ لِلرَّائِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسَنْتَ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الْمَدَائِحُ

قوله « كَأَنَّ » مخنَّف كَأَنَّ ، واسمه مُضْمَرٌ ، أراد كَأَنَّ الأَمْرَ أو الشَّانَ لم يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ . والخطبُ إذا وقعَ مستغرباً كان تأثيرُه أشدَّ ، ونكوهُ أوجعَ منه ، إذا أُلِفَ وقوعُه ، وتُمرَّنُ بتكرُّره . فيقول : إنَّ المصِيبَةَ عَظُمَ تأثيرُها في النُّفوسِ ، فكأن موتَكَ يدعُ فَعَلَاتِ الدَّمَرِ ، وكأنَّ النِّيَاحَةَ لم تَقُمْ على مَنْ سِوَاكَ ، إذ كانت طوائفُ النَّاسِ على تبايُنهم وتباعدِ أقطارهم ، واختلافِ مهمهم وأوطارهم ، تَشَارَكُوا في الجزعِ لك ، وتشابهُوا في استعظامِ الأَمْرِ والخطبِ بك ، فكأنهم لم يَرَوْا مفقوداً ، ولا قامتِ النِّوَاحُ فيهم عددَ بكائهم هالِكًا . وقوله « لَئِنْ حَسَنْتَ فِيكَ لِلرَّائِي وَذِكْرُهَا » مثله قولُ الآخر ^(٣) :

(١) في جميع النسخ : « في مصدرهما » .

(٢) رواية زهر الآداب : « كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاهُ وَلَمْ يَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْهِ » .

(٣) هو مطيع بن إياس . البيت الثالث من الحماسية ٢٧٨ ص ٨٥٣ .

يَا خَيْرَ مَنْ يَحْسُنُ الْبُكَاءَ لَهُ الْيَوْمَ وَمَنْ كَانَ أَمْسٍ لِلدَّجِ
وقد تقدم القول في لام لَيْنَ واليمينِ المضمرّة في الكلام^(١). والجواب لقد
حَسُنْتُ، وقوله حَسُنْتُ في موضع تَحْسُنُ، لأنَّ حرف الشَّرْطِ نَقَلَ الْأُضْيَ إِلَى
الاستقبال، وجواب الشَّرْطِ بالقاء هاهنا وقد حُذِفَ كَأَنَّهُ قَالَ: إنَّ يَحْسُنُ الرَّثَاءُ
لَكَ وَفِيكَ، الْآنَ وَفِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمانِ، فَلَمَّا دُمِحُ فَيَا مَضَى كَانَتْ حَسَنَةً فَيْكَ.

٢٨١

وقال يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ^(٢):

١ - نَعَى نَاعِيًا عَمْرٍو بِلَيْلٍ فَأَتَمَمَّا فَرَاتًا فُوَادًا لَا يَزَالُ مُرَوَّعًا^(٣)
يقول: خَبَرَ النَّاعِيَانِ بِمَوْتِ عَمْرٍو لَيْلًا، فَأَبْلَغَا الْخَبَرَ وَهُوَ فَطِيعٌ مُنْكَرٌ،
وَفَزَعَا قَلْبًا لَا يَزَالُ مُفَزَّعًا. وَإِنَّمَا قَالَ بِلَيْلٍ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَصْبِرَا إِلَى مَجِيءِ النَّهَارِ
اسْتِعْظَامًا لِلخَطْبِ؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ إِذَا كَانَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ صَارَ سَعْيُ النَّاعِيَيْنِ فِيهِ أَدْلَ
حَالِي اسْتِفْحَالِ الرُّزْءِ. وَقَوْلُهُ «أَتَمَمَّا» حَذَفَ مَقْصُولِيهِ لِأَنَّ الْمُرَادَ أَتَمَمَّا النَّاسَ
نَعِيَّةً، وَهُوَ بِتَجَرُّدٍ مِنَ الْفِعُولِ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَكْرُوهِ كَثِيرًا، وَلِأَنَّهُ إِذَا أُطْلِقَ

(١) مِنْهَا الْبَيْتُ ١٧ مِنَ الْحَمَاسِيَةِ ٢٧٣.

(٢) هُوَ أَبُو الْفَضْلِ يَحْيَى بْنُ زِيَادِ الْحَارِثِيُّ، قَالَ التَّبَرِيزِيُّ: «وَهُوَ خَالَ أَبِي الْعَبَّاسِ
السَّفَّاحِ». وَهُوَ خَطَأً، وَالصَّوَابُ أَنَّ أَبَاهُ زِيَادًا هُوَ خَالَ أَبِي السَّفَّاحِ. قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ
٤٩٧: «يَحْيَى بْنُ زِيَادِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَانِ - وَهُوَ عَمْرٍو - بْنُ الدِّيَانِ - هُوَ يَزِيدُ -
ابْنُ قُطَيْنَ بْنِ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ. وَزِيَادُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ
خَالَ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ، وَقَلَدَهُ الْمَدِينَةُ فِي خِلَافَتِهِ. وَيَحْيَى يَكْنَى أَبَا الْفَضْلِ». وَأَنشَدَ الْمَرْزُبَانِيُّ
لِبَيْتِ الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْثِيَةِ.

وَكَانَ يَحْيَى مُعَاَصِرًا لِمَطِيعِ بْنِ إِيَّاسَ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ٢٧٨ الَّتِي يَرْتِيهِ بِهَا
مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسَ. وَقَدْ سَجَّلَ مَطِيعُ أَنَّ يَحْيَى كَانَ خَطِيبًا أَدِيبًا، وَذَلِكَ فِي مَرْثِيَةٍ لَهُ فِي الْأَمَلِ
(١: ٢٧٠):

مَا لَلَّذِي غَلَكَ أَنْ تَحْمِيرَ جَوَابَا أَيُّهَا الْمَصْبِقُ الْخَطِيبُ الْأَدِيبُ

(٢) الْمَرْزُبَانِيُّ: «كَانَ قَدَمَا مَرُوعًا».

مُبهَمًا فَلإِطْلَاقٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ أَبْلَغُ ، وَإِنَّمَا قَالَ « مُرَوَّعًا » إِذْ نَاقَا بَانَ ذَلِكَ الرُّوعُ ثَبَتَ فِي الْقَلْبِ حَتَّى لَا إِفَاقَةَ مِنْهُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهُ مَرَزَأٌ فِي الْكِرَامِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ قَلِقٌ لَا يَسْكُنُ ، وَحَذَرٌ لَا يَأْمَنُ .

٢- وَمَادَنِيَ الثَّوْبُ الَّذِي زَوَّدَكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ الْبِلَى فَتَقَطَّعَا

الدَّانِسُ : لَطَخَ الْوَسَخَ وَنَحْوَهُ حَتَّى فِي الْأَخْلَاقِ . يُقَالُ : هُوَ دَنِسُ الرُّوءِ ، وَقَدْ دَنَسَ عِرْضُهُ . وَتَبَّعَ بِهَذَا الْكَلَامِ عَلَى أَنْ زَادَ الْمُتَوَفَّى مِنَ الدُّنْيَا كَفَنَهُ ، وَأَنْ مَا كَفَّنَ فِيهِ الْمُتَوَفَّى بَنَى طَاهِرًا لَطَاهَرَهُ نَفْسَهُ وَعُنْصُرَهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ بَقَاؤُهُ جَدِيدًا لَا يُوْثَّرُ فِيهِ الْبِلَى ، وَلَا تَسْبِقُ إِلَيْهِ الْخُلُوقَةُ ، وَأَنْ تَأْثِيرَ رَبِّ الدَّهْرِ فِيهِ بِالتَّقْطِيعِ خِيَانَةً مِنْهُ . وَكُلُّ هَذَا تَعْظِيمٌ لِلرُّبُوبِيَّةِ ، وَأَنْ حَالَهُ بِخِلَافِ أحوَالِ غَيْرِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا . وَمَعْنَى « خَانَهُ رَبُّ الْبِلَى » أَيْ نَزُولُ الْبِلَى ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يُقَالُ رَابَّ عَلَيْهِ الدَّهْرُ ، أَيْ نَزَلَ (١) .

٣- دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَنْتَ تُرِيدُكَ لَمْ نَسْتَطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا

يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْأَيَّامِ نَوَائِبَ الْأَيَّامِ وَأَحْدَاثَهَا فَخَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ الْأَيَّامَ أَنْفُسَ الْأَحْدَاثِ ، فَسَمَّاها أَيْتَامًا كَمَا تُسَمَّى الْوَقَعَاتُ بِهَا ، وَكَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ . وَمَعْنَى « حَتَّى إِذَا أَنْتَ تُرِيدُكَ » مَوْضِعُ تُرِيدُكَ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، أَيْ مُرِيدَةً لَكَ . وَفَائِدَةُ حَتَّى الْغَايَةُ : كَأَنَّهُ قَالَ : دَفَعْنَا الْأَيَّامَ بِكَ وَبِمَكَانِكَ إِلَى وَقْتٍ مَجْمُوعِهَا مُرِيدَةً لَكَ ، فَخِينِذَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهَا . وَقَوْلُهُ « لَمْ نَسْتَطِعْ » أَرَادَ نَسْتَطِعُ فَخَذَفَ مِنْهُ تَخْفِيفًا لِكَثْرَتِهِ فِي الْكَلَامِ . يُقَالُ اسْتَطَاعَ يَسْتَطِيعُ ، بِمَعْنَى اسْتَطَاعَ

(١) هذا نص لنوى نادر .

يستطيع ؛ وقد حكى أَسْطَاعَ بفتح الهمزة يُسْطِيعُ بضم الياء ، وليس هذا من الأول لأن هذا في معنى أَطَاعَ .

٤ - مَضَى فَمَضَتْ عَنِّي بِهِ كُلُّ لَذَّةٍ تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ فَانْقَطَعَا مَعًا يقول : مَضَى عَمَرُو لِسَبِيلِهِ فَانْقَطَعَتْ عَنِّي لَذَاتُ الدُّنْيَا ، وَفَارَقْتَنِي بِفِرَاقِهِ ، فَانْقَطَعَا مَجْتَمِعَيْنِ وَمَصْطَحِبَيْنِ . وموضع « تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ » جَرٌّ عَلَى أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِلذَّيَّةِ ، أَيْ كُلُّ لَذَّةٍ تَبْرُدُ لَهَا عَيْنَايَ لَهَا وَتُسَرُّ نَفْسِي بِمَحْصُولِهَا . وقوله « مَعًا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وقوله تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ ، قِيلَ هُوَ مِنَ الْقَرَارِ ، وَقِيلَ هُوَ مِنَ الْقَرِّ : التَّبَرُّدِ . وَهَذَا أَقْرَبُ لِأَنَّهُ يُقَالُ فِي ضِدِّهِ : سَخِنَتْ عَيْنُهُ ، وَهُوَ سَخْنَةُ الْعَيْنِ ^(١) .

٥- مَضَى صَاحِبِي وَاسْتَقْبَلَ الدَّهْرُ صِرْعَتِي وَلَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَايَ فَأُضْرَعَا هذا في طريقة قوله :

فَقَبَّرْتُ بَعْدَهُمْ بَعِيشٍ نَاصِبٍ وَإِخَالُ أُنَى لِاحِقٍ مُسْتَنْبَعٍ ^(٢) ومعنى « استقبل الدهرُ صرعتي » تَوَطَّيْتُ لِلنَّفْسِ عَلَى أَنَّهَا بِمَدْرَجَةِ الدَّهْرِ ، فَهُوَ يَنْتَظِرُ إِيقَاعَهُ بِهَا وَكَأَنَّ قَدْ . ومعنى استقبل الدهرُ صرعتي ، أَيْ إِمَامَاتِي ، كَمَا يُقَالُ « لِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ » ^(٣) . ومعنى « لا بد » : لَا مُحَالَةَ ، وَهُوَ مِنَ الْبَدَدِ : الْإِتْسَاعِ وَالتَّفْرِيجِ . كَأَنَّهُ تَضَايَقَ الْأَمْرُ فِيهِ فَلَا اتِّسَاعَ مَعَهُ ، وَيُقَالُ : لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَذَا ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَذَا ، وَ« أَنْ » يُحذف حرف الجرِّ معه كثيرا .

(١) السخنة ، بالضم : مصدر ، كالسخونة .

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين (١ : ٢) والمفضليات (٢ : ٢٢١) وجمهرة أشعار العرب ١٢٨ ، والخزانة (١ : ٢٠٢) وشواهد المفني ٩٢ .

(٣) من قول أبي ذؤيب الهذلي ، قيل البيت السابق :

سبقوا هوى وأعنتوا هواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

٢٨٢

وقال ابن المقفع^(١) يَرْتِي يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ^(٢) :

١ - رُزْنَا أَبَا عَمْرٍو وَلَا حَيَّ مِثْلَهُ فَاللهُ رَبُّ الْحَادِثَاتِ بَعْنُ وَقَع^(٣)
يقول : أَصْبَنًا بِأَبِي عَمْرٍو ، وهو مفقودُ النَّظِير ، معدومُ الشَّيْبَةِ . فوضع
« وَلَا حَيَّ مِثْلَهُ » نَصْبٌ عَلَى الْحَال ، وَالْعَامِلُ فِيهِ رُزْنَا . ثُمَّ قَالَ عَلَى وَجْهِ
الْتَمَحُّب : اللهُ رَبُّ الدَّهْرِ بِأَيِّ رَجُلٍ وَقَع . فَقَوْلُهُ « بَعْنُ وَقَع » مَنْقُطَعٌ مِمَّا قَبْلَهُ
وإِنْ كَانَ فَاعِلٌ وَقَعَ الضَّمِيرُ الْعَائِدُ إِلَى الرَّيْبِ الْمُسْتَكْنِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ « اللهُ رَبُّ
الْحَادِثَاتِ » كَلَامٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ فَيَأْتِيهِ مِنَ إِكْبَارِ الشَّانِ وَتَعْظِيمِ الْحَالِ .
وإِضَافَةُ الشَّيْءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَفْخِيمٌ وَتَعْظِيمٌ ، عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : بَيْتُ اللَّهِ
— وَإِنْ كَانَ الْمَسَاجِدُ اللهُ^(٤) — وَلِلَّهِ دَرَّةٌ . وَقَوْلُهُ « بَعْنُ وَقَع » مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ أَيْضًا
وَفِيهِ اسْتِمْعَابٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ الدَّهْرُ يَعْزِضُ لِمِثْلِهِ أَوْ يَهْتُمُّ بِهِ مَعَ نِخَامَةِ أَمْرِهِ ،
وَجَلَالَةِ نَفْسِهِ . وَلَوْ قَالَ : وَبَعْنُ وَقَع ، فَزَادَ وَادًّا ، لَكَانَ أَكْشَفَ فِي الْمَعْنَى

(١) هو عبد الله بن المقفع ، من أشهر كتاب العربية ، فارسي الأصل ، ولد بجوسيا في
العراق ، وأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ، وولى كتابة الديوان المنصور العباسي . واتهم
بالزندقة فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبى . والمقفع : لقب أبيه واسمه داذويه ، وكانه
الحجاج قد ولّاه خراج فارس فأخذ الأموال فعذبه فتقفعت يده . وقال ابن مكى : الصواب المقفع
بكسر الفاء ، لأنه كان يعمل القفّاع : جمع قفعة بالفتح ، وهو شيء يعمل من الخوص شبيه بالزنبيل
لا عروة له . أخبار الحكماء للقفطى ١٤٨ وابن خلكان (١ : ١٤٩ - ١٥١) في أثناءه .
تجمة الحسين بن منصور الحلاج ، والفهرست ١١٨ وخزافة الأدب (٣ : ٤٥٩) وأمالى
المرتضى (١ : ٩٣) .

(٢) التبريزى : « وقيل يرتى ابن أبي العوجاء عبد الكريم » .

(٣) مثله ، جاءت روايتها بالنصب في جميع النسخ ، وكذا التبريزى ، على أن تكونه
صفة لحى ، والخبر مقدر . وقال السيوطى في معجم المصنفين (١ : ١٤٦) : « حذف خبر هذا
الباب - يعنى باب لا - غالب فى لغة الحجاز ملتزم فى لغة تميم وطى ، فلم يلفظوا به أصلا » .

(٤) أى خصصت الكلمة باسم « بيت الله » تشريفا لها وإن كان كل مسجد لله . وقد
القرآن الكريم « وأن المساجد لله » . وفى نص التبريزى : « وإن كانت المساجد كلها لله » .

المُرَادِ بِهِ^(١) . ولا يمتنع أن يكون بمن وقع في موضع الحال ، كأنه قال : **لله رَبُّ** الحادثات واقِعًا بمن وَقَعَ ، ومؤثِّرًا مُوجِبًا ، ويكون حالا لـ **الرَّيْب** ، والعامل فيه ما دلَّ عليه **لله رَبُّ** الحادثات .

٢ - **فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَنَا وَتَرَكْتَنَا ذَوِي خَلَّةٍ مَا فِي أَسْدَادِهَا طَمَعٌ**

٣ - **فَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقَدْ نَالَكَ إِنَّا أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرِّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ**

حذف النون من **تَكُ** قد تقدّم القول فيه . والمعنى إن فارقتنا والوهى بك لا يُرَقَّع ، والخلَّةُ بك لا تُسَدُّ ، وحديث النفس بالطمع فيك لا يخطر بالقلب ولا يجول في الفكر ، فقد جلب إلينا فَنَدَكَ نَفْعًا ، وهو أَمْنُنَا من تسلط الجزع علينا لرزية مستأنفة ، أو نكبة معترضة ، إذ كان خوفنا عليك ، وحذرنا فيك . وقوله « ما في أسداد لها طمع » في موضع الجزع ، لأنه صفة خلقة . يريد ما لفا طمع في أسداد من أجلها وبغدها يحصل . وجواب إن **تَكُ** ، الفاء مع ما بعدها من قوله « **فَقَدْ جَرَّ نَفْعًا** » ، وإنما جلب الفاء لخالفه الجزاء للشرط بكونه مبتدأ وخبراً ، والمبتدأ محذوف كأنه قال : والأمر والشأن قد جر فَنَدُنَا لك نَفْعًا . وقوله « **إِنَّا أَمِنَّا** » إما كسرت الهمزة من إن يكون على الاستئناف ، ويكون جملة الكلام تفسيراً للنفع المستجد له ، وإذا رويت « **أَنَّا** » بفتح الهمزة يكون بمعنى لأننا أَمِنَّا ، فيكون الكلام بياناً لعلّة حصول النفع . ويجوز أن يكون موضع **أَنَّا** نصباً على البدل من نَفْعًا .

وقوله « **على كل الرزايا** » ، على تعلق بقوله **أَمِنَّا** ، يقال هو آمِنٌ على كذا ، وقد أمنتُ على مالى عند فلان من امتداد الأيدي إليه ، أى لا تمتد ، كذلك **أَمِنَّا** على كل الرزايا من الجزع ، أى لا نَجزع . وأنى بلفظة العموم فيه ،

(١) هذا ما في الأصل ، وفي سائر النسخ : « المراد منه » .

وهو كُنْ ، إبداناً بتساوي الخطوب عنده ، وانحطاطها عن درجة للصاب به وفيه ، حتى لا جَزَع يتجدد بعده لحادث يحدث ولا يجوز أن يتملق قوله « على كل الرزايا » بقوله : من الجزع ، لأنه لو كان كذلك لكان في صلته ، والصلة لا تتقدم على الموصول .

٢٨٣

وقال بمض بني أسد :

١ - بَكِّي على قَتْلِي العِدَانِ فَإِنَّهُمْ طالت إقامتهم يبطن بَرَام^(١)
٢ - كانوا على الأعداء ناراً مُحَرَّقٍ ولقومهم حَرَمًا من الأحرام
يخاطب امرأة والنساء كلهن عنده تلك المرأة ، فيقول : أ كثرى البكاء على المفتولين بهذا المكان - وقيل العِدَانُ^(٢) ساحل من سواحل البحر - والمدفونين ببطن بَرَام ، فقد طالت إقامتهم . والمراد أن اليأس منهم قد حصل وقوى ، وأن غيبتهم انصَلَّتْ فرُفِعَت الأطماع من عودهم والاجتماع معهم . ثم أخذ يصفهم فقال : كانوا على المنافذين والخالعين كفار هذا الملك ، لا تبقى ولا تذر - ومحرق هو عمرو بن هند ، وكان نذر أن يحرق مائة نفس ، ففعل ، فضرِبَ المثلُ بناره - وكانوا لقومهم حَرَمًا من الأحرام ، لا مخافة فيهم ولا هزيمة . يريد أن قومهم يأمنون نزول النوائب بهم في فنائهم ، فكانوا كمن

(١) العِدَان ، بالكسر في جميع النسخ ، ما عدا م والتبريزي ، فهي فيهما بالفتح ، وقد أنشد ياقوت هذه الحماسية في (عدان) بعد أن قال : « عدان النهر بالفتح : ضفته » . والعدان بالفتح هي عند التبريزي قبيلة من قبائل أسد . قال : « العدان من بني أسد ثم من بني نصر ابن قمين ، وأصل العدان في اللغة ساحل من السواحل . وبرام وخزام ببلاد بني عامر » . وقال ابن منظور في اللسان (عدن) : « والعدان قبيلة من أسد » . ثم أنشد هذا البيت .
(٢) اتفقت النسخ على ضبطها هنا بكسر العين .

حَصَلَ فِي الْحَرَمِ ، وَأَنْ أَعْدَاءَهُمْ كَانُوا يَحْتَرِقُونَ بِدَسَايَتِهِمْ فِيهِمْ ، فَكَانُوا عَلَيْهِمْ كِفَارَ هَذَا الْمَلِكِ .

وقوله « مُحَرَّقٌ » وإن كان صفةً في الأصل ، فصار بالاشتهار في رجل واحدٍ كالتَّعْلَمِ لَهُ . وعلى هذا جاء في قوله :

* عَلَيْهِنَ فِتْيَانٌ كَسَاهُمُ مُحَرَّقٌ ^(١) *

وقوله :

* إِلَيْكَ ابْنُ مَاءِ الْمَزْنِ وَابْنُ مُحَرَّقٍ ^(٢) *

وقوله « حَرَمًا مِنَ الْأَحْرَامِ » نَكْرُهُ لِاخْتِلَافِ الْأَحْرَامِ . وَهِيَ حَرَمُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَكَّةَ وَالشَّامِ ، وَحَرَمُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَدِينَةِ .

٣ - لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فَإِنِّي وَائِقٌ بِرِمَاحِنَا وَعَوَاقِبِ الْأَيَّامِ
هَذَا الْكَلَامُ تَسْلِيَةٌ لَهَا وَإِنْ كَانَ أَمْرُهَا بِالْبُكَاءِ ، وَإِذَا نَافَتْ أَنَّهُ سَيُدْرِكُ النَّارَ ، فَهُوَ يَنْتَظِرُ عُقْبَ الْأَيَّامِ وَاتِّهَازَ الْفُرُصِ . وَنَبَّهَ بِقَوْلِهِ « وَائِقٌ بِرِمَاحِنَا » عَلَى الْغَنَاءِ عِنْدَهُمْ ، وَأَنَّ الْعَنَاءَ مَتَوَفِّرَةٌ مِنْ جِهَتِهِمْ . وَانْتَصَبَ « جَزَعًا » عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ لِعَلَّةٍ ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ يُرِيدُ جَاذِعَةً ، وَهَذَا الْجَزَعُ الَّذِي نَهَاها عَنْهُ لَيْسَ يُرِيدُ بِهِ الْحُزْنَ لَفَقْدِهِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْحُزْنَ لِاسْلَامَةِ الْوَاتِرِ عَلَى مَرَةِ الْأَيَّامِ لَا غَيْرُ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : فَإِنِّي وَائِقٌ بِرِمَاحِنَا . وَقَوْلُهُ « عَوَاقِبِ الْأَيَّامِ » يُشِيرُ فِيهِ إِلَى تَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَاخْتِلَافِ الْحَدَثَانِ ، وَأَنَّ الدَّهْرَ

(١) لِلْحَصِينِ بْنِ الْحَمَامِ . الْحَمَاسِيَّةُ ١٣٣ ص ٣٨٩ . وَعَجَزَهُ :

* وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمَا *

(٢) ابْنُ مَاءِ الْمَنْذَرِ ، عَنَى بِهِ التَّعْمَانُ بْنُ الْمَنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ . وَنَحْوُهُ مَا وَرَدَ فِي شُرُوحِ

سُقُطِ الزَّيْنِدِ ١٣٩٨ مِنْ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ أَنَيْسٍ يَخَاطِبُ التَّعْمَانَ :

إِلَيْكَ ابْنُ مَاءِ الْمَزْنِ أَقْبَلْتَ بَعْدَمَا نَضَى لِي سَبْعٌ مِنْ دُخُولِ عَلَى أَهْلِ

كما يُعطى يرتجع . وكما يولّى ينتزع ، فغيره لا تؤمن ، وأحداثه على حالة واحدة لا تقف^(١) .

٢٨٤

وقال آخر :

١ - نعى إلى أبا المقدام فاسودَ منظرى من الأرض واستكّت على المسمع
٢ - وأقبل ماء العين من كل زفرة إذا وردت لم تستطعها الأضالع
يقول : خيّر الناعى بموت أبا المقدام فدير بى ، وأصبحت الدنيا مظلمة فى عيني ، وأورث خبره صمماً فى أذنى ، فلا الأذن تأذن للكلام على ما كانت تعمل ، ولا العين تدرك الرئيات إدراكها من قبل ، كل ذلك لتأثير نعيه فى الحواس التى هى طرق العلوم وتبين المشاهدات . وبعد ذلك أقبل الدمع يسيل فى إثر زفرات اتصلت وتعاقبت ، وكل واحدة منها لامتلاء الصدر بها كادت الضلوع تستقيم لورودها . والزفرة : أن يتردد النفس فى الصدر ثم يمتلئ منه ويرفّ به ، أى يرمى . وقد أوما أبو تمام إلى هذا المعنى وإن بصرح تصريحه فى قوله :

وما للدار إلا كل سنج بأدمعه وأضلمه سخي^(٢)

فأما أبو عبادة فى قوله :

وراءهم صعداء أنفاس إذا ذكر الفراق أقفن عوج الأضلع^(٣)
قد بالغ فى الإبانة كل المبالغة . وقوله « استكّت على المسمع » فالسمع :

(١) روى التبريزى بعد البيت الأخير من هذه الحماسية :

عادات طى فى بني أسد لهم رى القنا وخضاب كل حسام

(٢) البحرى ص ١٠٠ .

(٣) ديوانه ص ٢٤٣ .

جمع المِسمَع بكسر الميم ، وهو الأذن . والمِسمَع ، بفتح الميم : موضع السَّماع وقوله « استَكَّت » من قولهم بئر سَكوكُ ، إذا كانت ضيقة الخرق . فإذا أريد الصَّممُ وقيل استَكَّتْ أذُنُهُ لحقيقته ضائقَ صِمَاخُها ، وهو الخرق الباطنُ المُفَضَّى إلى الرأس .

٢٨٥

وقال آخر :

١ - قد كان قبلك أقوامٌ فُجِغَتْ بهم خَلَى لنا هُلُكُهم سَمًا وأبصارًا^(١)
٢ - أنت الذي لم يَدْعُ سَمًا ولا بَصَرًا إِلَّا شَفَا فَأَمَرَ العِيشُ إِسْرَارًا
قوله « فُجِغَتْ بهم » الجملة في موضع الصفة لقوله أقوامٌ . وخَلَى لنا هُلُكُهم ، في موضع خبر كان . والمعنى : قد فُجِغَتْ فيما مضى من الزمان بأقوامٍ جَزِغَتْ لهم بل هَلِغَتْ ، وأَقَمْتُ الرِّسَمَ في البكاء عليهم بل أَسْرَفْتُ ، فَبَقِيَ الفَجْجُ بهلاكهم لى ولمن تَبِعَنِي واقتَدَى بى ، السَّمْعَ والبَصَرَ بعدهم ، فزَجَّينا الوقتَ مستمِمين بما سَلِمَ من حواسِنَا ، وعائِشِينَ مع الناس في باقى عُمرِنَا ؛ فلما أُصِيبْنَا بك استَمَعَدْتُ قِوَانَا ، واستَبَزَلْتُنَا عن ذخائرِ صَدْرِنَا ، فَبَطَلَتْ طرائقُ العُلُومِ مِنَّنَا ، وتَنَاهَتْ في العَجْزِ عَنَّا حِوَامِلُنَا إِلَّا شَفَا ، فطالَتْ شِقْوَتُنَا ، وَأَمَرَ عَيْشُنَا . والشَّمَا : الباقي من الشيء القليل . ويقال : ما بَقِيَ من النهار إِلَّا شَفَا ، أى مقدار ما بين الليل والنهار حين غَرَبَت الشمس .

وقوله « لم يَدْعُ » بالياء ، هو أَقْدَسُ الروايتين ؛ لأنَّ الصَّلَاةَ جاءت على حَدِّها مع الموصول . وإذا رُوِيَتْهُ بالياء فعلى الخطاب ، وساغَ لأنَّ الخطاب

(١) البريزى : « لنا فقههم » .

والذي مرجعهما إلى شيء واحد ، وقد مضى مثله ^(١) ، فاعلمه . وقال المازني :
لولا كثرة مجيئه لرددته . ومثله :

* أنا الذي تَمَنَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَةً ^(٢) *

وقال تَمَنَّا وأبصاراً لأن السمع اسم الجنس ، فهو كالجمع .

٢٨٦

وقال نهشل بن حري ^(٣) :

١ - بِنَفْسِي خَلِيلَايَ اللَّذَانِ تَبَرَّضَا دُمُوعِي حَتَّى أُتَرَعَ الْحُزْنُ فِي عَقْلِي ^(٤)
تعلق الباء من « بنفسي » بفعل مضمحل عليه جليئة الحال ، وقربة
الكلام ، كأنه قال : أفدى بنفسي من أخاله . ومعنى « تبرَّضا » أفنيا دموعي
شيئاً فشيئاً ، وقليلًا قليلًا ؛ لأن التبرُّض التبُّغ والتطُّب من هاهنا وهاهنا . وماء
بَرَضٍ ، أى قليل . وَبَرَضَ لِي مِنْ مَالِهِ بَرَضًا ، إذا أعطاك القليل . قال :

(١) انظر ما سبق في ص ١١٥ ، ٤٠٧ .

(٢) لى بن أب طالب ، كما سبق في حواشي الموضعين السابقين .

(٣) اقتصرنا نسخ الموزون على هذه النسبة . ونص التبريزي : « وقال الشمردل بن شريك ، أو نهشل بن حري . » والنسبة إلى الشمردل هي الصواب ، فقد روى أبو الفرج في الأغاني أنه كان له أخ يدعى قدامة جاءه نعيه في يوم ، ثم تلاه نعي أخيه وأثل بعده بثلاثة أيام فرثاها بالقصيدة التي منها البيت الأول من هذه الحماسية . انظر الأغاني (١٢ : ١١٢ - ١١٣) .

وأما نهشل الذي تنسب إليه هذه المراثية خطأ فهو نهشل بن حري - كلفظ المنسوب إلى الحر بالفتح - بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم . شاعر شريف مخضرم بقى إلى أيام معاوية ، وكان مع علي في حروبه ، وقتل أخوه مالك بصفين وهو يومئذ رئيس بني حنظلة ، فرثاه نهشل بمرث كثيرة . وجده ضمرة بن ضمرة كان اسمه شقة بن ضمرة ، فسماه للزمان ضمرة باسم أبيه ، بعد أن قال فيه المثل السائر : تسمع بالمعدي لا أن تراه ! ابن سلام ١٣٠ والاشتقاق ١٥٠ والأغاني (٨ : ١٥٣ - ١١/١٥٤ : ١٣٤) والخزاعة (١ : ١٤٧ - ١٥٢) والإصابة والشعر والشعراء ٦١٩ - ٦٢١ ووقعة صفين ٢٩٩ - ٣٠٢ .

(٤) صدره في الأغاني : • سبيل خليلي الذين تبرضا •

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي وَطِلَّابٌ سَلَمَى لِكَلْمَتَبَرُّضِ التَّمَدِّ الظَّنُونَا^(١)

والمعنى فدایتُ بنفسى صديقَ اللذين نَضَبَ في البكاء لهما دموعى ، وتأدى إلى الحزن^(٢) إلى أن عَمِلَ في عَمَلِي فَأَزَالَهُ ، قَدَمَعِي وَصَبَرِي مُسْتَقْفَدَانِ لِتَأْثِيرِ الْفَجِيعَةِ بِهِمَا . وَجَمَلَ الْفِعْلَ فِي تَبَرُّضَا لِلْخَلِيلَيْنِ ، وَحَقَّقَ الْكَلَامَ تَبَرُّضُ الْحَزْنُ لهما والبكاء عليهما دموعى ، إلى أن أسرعا في عَمَلِي فَصَارَ وَالِهًا .

٢- وَلَوْلَا الْأَسَى مَا عِشْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا شِئْتُ أَسْعَدَنِي مِثْلِي^(٣)

قوله « ما عشتُ في الناس » أى مع الناس ومختلطاً بهم ، فوضعُ في الناس نَضَبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَالْكَلَامُ جَوَابُ لَوْلَا ، وَخَبَرُ الْمَبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ الْأَسَى مُحذَوْفٌ اسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِجَوَابِ لَوْلَا ، وَالْمَعْنَى لَوْلَا أَنْ لِي بِالنَّاسِ إِسْوَةٌ فِي مَصَائِبِهِمْ ، فَأَوْرَثَنِي ذَاكَ تَمَاسُكًا وَصَبْرًا ، لَقَتَلْتُ نَفْسِي فَلَمْ أَعِشْ سَاعَةً مِنْ عَمْرِي ، وَلَكِنْ مَتَى شِئْتُ وَجَدْتُ لِنَفْسِي أَقْرَانًا إِنْ دَعَوْتُهُمْ أَجَابُونِي ، وَإِنْ اسْتَسْعَدْتُهُمْ أَسْعَدُونِي . وَالْإِسْعَادُ ، قَالَ الْخَلِيلُ : يُسْتَعْمَلُ [فِي الْمُسَاعَدَةِ ^(٤)] عَلَى الْبُكَاءِ خَاصَّةً ، وَمِثْلُهُ :

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي^(٥)

٢٨٧

وقال أيضاً^(٦) :

١- أَغْرَأُ كَمِصْبَاحِ الدُّجْنَةِ يَتَقَيَّ قَذَى الزَّادِ حَتَّى يُسْتَفَادَ أَطْلَابِيهِ^(٧)

(١) أشده في المقاييس (برص) واللسان (تمد) بدون نسبة .

(٢) فيما عدا نسخة الأصل : « وتأدى الحزن » .

(٣) التبريزى : « في الناس ساعة » .

(٤) هذه من سائر الفسخ ، وهى ساقطة من نسخة الأصل .

(٥) البيت للخنساء . ديوانها ص ٥٠ .

(٦) زاد التبريزى : « والمرثى مالك بن حرى أخو نهشل : ويكنى أباً ماجد ، قتل بصفين

مع عل ، وكان شجاعاً » . واظفر بعض مرائيه في وقعة صفين ٢٩٩ - ٣٠٢ .

(٧) التبريزى : « حتى تستفاد » .

الدُّجَنَّةُ : الظُّلْمَةُ ؛ وَلَيْلَةُ مِدْجَانَ . والدَّجَنُ : لِباسُ الْغَيْمِ ؛ وَيُقَالُ : هُوَ يَوْمٌ دَجَنٍ . وأراد بقوله « أَغْرُ » إِنَّهُ كَرِيمٌ يُقَى الْعِرْضُ أَيْضُ الطَّلْعَةِ ، فَكَانَتْ فِي تَلَاؤُهُ وَنُورِ وَجْهِهِ وَتَهَلُّهُ مَصْبَاحُ الظَّلَامِ . ومعنى « يَتَقَى الزَّادَ » أَنَّهُ يَزْهَدُ فِي خَبَائِثِ الزَّادِ وَمَا يَشِينُ أَخْذُهُ وَتَطْعُمُهُ ، إِلَى أَنْ يَسْتَفِيدَ الطَّيِّبَاتِ مِنْهُ . وَيُشِيرُ بِقَدَى الزَّادِ إِلَى مَا يُفْنِيهِ عَلَيْهِ غَدْرٌ أَوْ غُلُولٌ ، أَوْ خَنَانَةٌ ^(١) أَوْ ابْتِدَالٌ . وَيُشِيرُ بِالطَّيِّبِ إِلَى مَا كَانَ مِنْ حِلِّهِ وَوَجْهِهِ ، لَا عَارَ فِي اكْتِسَابِهِ ، وَلَا بَذْلَهُ فِي احْتِجَانِهِ ^(٢) . وبعضُ النَّاسِ ^(٣) رَوَى : قَدَى الزَّادَ ، والقَدَى : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ، يُقَالُ قَدَرْتُ قَدِيَّةً ، إِذَا كَانَتْ طَيِّبَةً الرَّائِحَةُ . كَانَ الْمُرَادُ عَنْدهُ : لَا يَنْشَقُّ الزَّادُ وَرَائِحَتُهُ حَتَّى يَتَقَنَّه طَيِّبًا . وَالْأَوَّلُ الْأَصْحَحُ وَالْأَجُودُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ بِالْقَدَى الْخَبِيثَ ، وَقَدْ طَابَقَ الطَّيِّبُ بِهِ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(٤) :

* وما كان زادى بالخبيث كما زعم ^(٥) *

وذكر القدي مستبعمًا هاهنا ، ولا فائدة في إبقائه له ، وبغلب في ظني أَنَّهُ تصحيف .

٣ - وَهَوَّنَ وَجْدِي عَنْ خَلِيلِي أَنْنِي إِذَا شِئْتُ لَا قَيْتُ امْرَأَاتٍ صَاحِبَةٍ

(١) أى ما يكسبه بهذه الطرق الخبيثة . والهُانَةُ : الْخِيَانَةُ . وفى الأصل : « خِفَانَةٌ » ، صوابه فى ل . وهذه العبارة ساقطة من م . وفى ل : « غَدْرًا أَوْ غُلُولًا أَوْ خِفَانَةً أَوْ ابْتِدَالًا » بالنصب ، وله وجهه .

(٢) كذا على الصواب فى ل ، م والتميمورية . والاحتِجَانُ : الْجَمْعُ وَالْاِكْتِسَابُ . وفى نسخة الأصل : « فى احتِجَابِهِ » ، وليس بصواب وإن كان موافقًا للجمع .

(٣) هو ابن جنى فى التنبيه . وقال : « لَامَ الْقَدَا وَاو » ، وهو رائحة الطعام . بذلك على ذلك ما حكاه أبو زيد قداوة الطعام .

(٤) هو راشد بن شهاب اليشكرى . المفضلية ٨٦ .

(٥) صدره : * ولكن أنباء أتتني عن امرئ *

٣ - أَخْ مَاجِدٌ لَمْ يُخْزِ يَوْمَ مَشْهَدٍ كَمَا سَيْفٌ عَمِرُو لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهُ

يقول : خَفَّفَ وَجْدِي بِخَلِيلِي لَمَّا أَصِبتُ بِهِ اِثْنَسَائِي بِغَيْرِي مِنَ النَّاسِ ،
لَأَنِّي مَتَى شئتُ لَاقِيتُ مَنْ اِمتَحَنَ بِمِثْلِ مِحْنَتِي . ثم قال « أَخْ مَاجِدٌ » أَي خَالِي
وصاحبي أَخْ مَاجِدٌ ، لَمْ يُهَيِّ يَوْمَ حَفَلٍ وَلَمْ يَخْذُلْنِي عِنْدَ احْتِشَادٍ وَجَمْعٍ ، وَلَا جَلَبَ
حَلٍّ فِي مَشْهَدٍ مِنَ الْمَشَاهِدِ مَا أَسْتَحْيِي مِنْهُ أَوْ أَخْزَى لَهُ ، بَلْ كَانَ لِي عِنْدَ مَا أَدْعُوهُ
لَهُ مُجِيبًا ، وَفِي الشَّدَائِدِ عَوْنًا وَظَهِيرًا ، لَا يَتَغَيَّبُ عَنِّي وَلَا يَفْتَرُّ مَعِي ، كَصَمَامَةِ
عَمِرُو ^(١) ، لَهُ نَقَازٌ حَيْثُ أَعْمَلُهُ ، وَمَضَاةٌ عِنْدَ مَا يَهْزُهُ ، لَا يَخُونُ وَلَا يَرْتَدُّ ،
فكَذَلِكَ كَانَ صَاحِبِي . وَارْتَفَعَ قَوْلُهُ أَخْ مَاجِدٌ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُضْمَرٌ .
وقوله « كَمَا سَيْفٌ عَمِرُو » لَوْ رُوِيَ « كَمَا سَيْفٌ عَمِرُو » لَجاز ، تَجَعَّلُ مَا صَلَتْ
وَيَنْجَرُ السَّيْفُ بِالْكَافِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

كَمَا الْعَظَمُ الْكَسْبِرُ يَهَاضُ حَتَّى يَبْتَثَّ وَإِنَّمَا بَدَأَ اِنْصِدَاعًا ^(٢)

تَجَرُّ الْعَظَمُ بِالْكَافِ ، وَإِنْ رَفَعْتَهُ كَانَ مُبْتَدَأً ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَفَعْتَ
سَيْفٌ ، وَيَكُونُ مَا مِنْ قَوْلِهِ مَا الْكَافَّةُ ، وَيَكُونُ مِثْلُ مَا مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ رَبُّنَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ^(٣) ﴾ . وَالضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ
« لَمْ يَخُنْهُ » يَرْجِعُ إِلَى عَمِرُو ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى السَّيْفِ أَيْضًا .

(١) التبريزي : « وَكَانَ سَيْفٌ عَمِرُو لَا يَنْبُو ، فَاسْتَوْهَبَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ فَوَهَبَهُ لَهُ ،
فَقِيلَ لِعَمْرِو أَنَّهُ غَيْرُهُ وَإِنَّهُ ضَمِنَ بِالصَّمَامَةِ ، فَذَكَرَ هَرَّ ذَاكَ فَتَغَضَّبَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ وَقَالَ :
إِنَّمَا أَطْعَمْتُكَ السَّيْفَ لَا السَّاعِدَ ! » . وَفِي اللِّسَانِ (صَم) أَنَّهُ أَهْدَاهُ لِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ .

(٢) الْبَيْتُ لِلْقُطَامِي فِي دِيْوَانِهِ ص ٣٧ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا زُفَرَ بْنَ الْخَارِثِ .

(٣) الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ مِنْ سُورَةِ الْحَجَرِ . وَ« رَجْمًا » قَالَ أَبُو حَيَّانَ : « لَمْ تَقْعَ فِي الْقُرْآنِ
إِلَّا فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى كَثْرَةِ وَقُوعِهَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ » . وَقَالَ : « وَقُرَأَ عَاصِمٌ وَنَافِعٌ :
رَجْمًا ، بِتَخْفِيفِ الْبَاءِ ، وَبَاقِيَ السَّبْعَةِ بِتَشْدِيدِهَا ، وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو الْوُجْهَانِ . وَقُرَأَ طَلْحَةُ بْنُ مَرْصُوفٍ
وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ : رَجْمًا بِزِيَادَةِ تَاءٍ » . وَقَدْ جَاءَتْ « رَجْمًا » فِي الْأَصْلِ وَلَمْ يَمْ بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ .

٢٨٨

وقال أسود بن زمعة^(١) :

- ١- أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَعْنُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ
 - ٢- فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ
 - ٣- إِنْ لَقَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ وَلَوْ لَا يَوْمٌ بَذَرَ لَمْ يَسُودُوا
- كان السبب في قول الأسود هذا الشعر أن قريشاً كانت حرمت البكاء على أنفسهم لقتلى بدر ، لئلا يشمت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم ، وكان الأسود قد فجع بابنه زمعة ، إذ كان من قتلى ذلك اليوم ، فافتدى بالناس في ترك البكاء عليه ، فاتفق أن كانت له مشربة^(٢) فتزده ومضى إليها فسمع بكاء امرأة فقال لأصحابه^(٣) : انظروا فإن [كان^(٤)] البكاء قد حُلَّ ،

(١) كذا على الصواب في سائر النسخ . وفي الأصل : « سويد » ، تحريف . التبريزي « وقال الأسود بن زمعة بن المطلب بن نوفل يرثي ابنه زمعة بن الأسود وقتل يوم بدر مع قريش مشركا . وفي نسخة : المطلب بن أسد بن عبد العزى » . على أن الصواب أنه الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وهو الذي قال فيه الرسول صلوات الله عليه : « اللهم أمم بصره وأتكله ولده » . السيرة ٢٧٢ . والصواب في ابن زمعة : « أبو زمعة » وزمعة ولده .

(٢) المشربة : أرض ليثة لا يزال فيها نبت أخضر ريان . وهي بفتح الراء وضمة كما في التماسوس . وقد ضبطت في ل بضم الراء .

(٣) السيرة ٤٦١ - ٤٦٢ : « إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحل النحيب ، هل يكت قريش على قتلها لعل أبكى على أبي حكيمة - يعني زمعة - فإن جوف قد احترق . قال : فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكي على بغيرها أصلته . فذاك حين يقول الأسود : « وأنشد هذه الحماسة ، وزاد فيها بين الثاني والثالث :

على بدر سراً بني هصيص ونخزوم رطأ أبي الوليد
وبكى إن بكيت على عقيل وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكيتهم ولا تسمى جيماً وما لأبي حكيمة من نديد

(٤) التكلة من ل ، م .

حَتَّى نَبْكِي نَحْنُ أَيْضًا زَمْعَةً ، فَرُجِعَ إِلَيْهِ وَقِيلَ : إِنَّهُ بَكَاهُ اسْرَاقٌ ضَلَّ لَهَا بَعِيرٌ . فَقَالَ هَذَا الشَّعْرَ مُنْكَرًا لِبَكَائِهَا وَمُسْتَعْظًا .

وقوله « أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ » لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معنى الإنكار . وقوله أَنْ يَضِلَّ : أَرَادَ مِنْ أَنْ يَضِلَّ ، وهم يحذفون حرف الجرِّ مِنْ أَنْ كَثِيرًا . والشَّهْوُ : امْتِنَاعُ النَّوْمِ ؛ وَرَجُلٌ مُسَهَّدٌ ، إِذَا كَانَ قَلِيلَ النَّوْمِ . وَلَمْ يَرْضَ بِأَنْ أَنْكَرَ الْبُكَاءَ عَلَيْهَا ، وَتَرَكَ النَّوْمَ لِفَقْدَانِ بَعِيرِهَا ، حَتَّى نَهَاها فَقَالَ :

فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ

يُرِيدُ أَنْ الَّذِي يَجِبُ الْبُكَاءَ لَهُ مَا جَرَى عَلَى رُؤْسِهِ قَرِيشٍ وَأَرْبَابِ الْجُدُودِ فِيهِمْ بَبَذَرٌ ، وَأَنْ الْحَزِينَ الْعَظِيمَ وَالْخُسْرَانَ الْمُبِينِ وَالْعَيْنَ الشَّدِيدَةَ ذَلِكَ ، لَا فِي ضَلَالٍ بَكْرٍ . وَبَذَرٌ : اسْمُ بَيْتٍ اتَّفَقَتِ الْوَقْعَةُ عِنْدَهَا . وَقَوْلُهُ « تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ » مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ ، وَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ الْقُصُورِ وَالْعَجْزِ ، لَا الْقِصْرِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الطُّولِ ، كَأَنَّهَا تَبَارَتْ فِي الْقُصُورِ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُقَالُ قَصَرْتُ كَذَا عَلَى كَذَا ، إِذَا حَبَسْتَهُ عَلَيْهِ وَمَتَّعْتَهُ مِنَ الذَّهَابِ عَنْهُ حَتَّى صَارَ كَالْعَاجِزِ عَنْ غَيْرِهِ . وَيُقَالُ أَيْضًا قَصَرْتُهُ عَلَى كَذَا ، إِذَا رَدَدْتَهُ دُونَ مَا أَرَادَ . وَمِنْهُ الْقِصْرُ فِي الصَّلَاةِ . وَيُقَالُ تَقَاصَرْتُ إِلَى فُلَانٍ نَفْسُهُ ذُلًّا . وَقَصَرَ السَّهْمُ عَنْ الْمَهْدَفِ فَهُوَ قَاصِرٌ . وَلَا يَمْتَنِعُ — وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ هُوَ الْوَجْهُ — أَنْ يُجْعَلَ مِنَ الْقِصْرِ ، وَيَكُونَ ضِدًّا تَطَاوَلَتْ ، وَيَكُونَ عَلَى مَوْضِعًا مَوْضِعَ الْبَاءِ ، كَمَا يُقَالُ : هَمَّ عَلَى مَاءٍ كَذَا وَهَمَّ بِمَاءٍ كَذَا .

وقوله « أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ » يَرِيدُ أَنْ أَهْلَ السِّيَادَةِ انْقَرَضُوا وَبَادُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَعَادَتْ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحْتُمُهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بِأَهْلٍ ^(١) . وَمِثْلُ

(١) التبريزي في تفسير هذا البيت : « يعرض بأبي سفيان بن حرب ، لأنه رأس قريشاً

لما قُتِلَتْ أَشْرَافُهُمْ » .

هذا وإن كان أغمض منه قول الآخر :

* وَأَلْحَقْنَا لَمَّوَالِيَّ بِالصِّمِ *

٢٨٩

وقال الأسدى

وخبَّره في مُنَادَمَتِهِ معروف^(١) :

١ - خَلِيلِيْ هُبَّا طَالَ مَا قَدْ رَقَدْتُمَا أَجِدْ كُفَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا
قوله « طال ما » يجوز أن يكون ما الكافة وقد رُكِبَ مع طال تركيباً
واحداً حتى صاراً معاً كالشيء الواحد . ويجوز أن يكون ما منفصلاً من طال ،
وبكون مع الفعل الذى بعده في تقدير المصدر ، كأنه قال : طال رقودُكُما .
فإذا كُتِبَ المُرْكَبُ مع ما يجب أن يُوصَلَ أحدهما بالآخر ، وإذا كُتِبَ الثانى
يُفَصَّلُ بين طال وبين ما . و« أَجِدْ كُفَا » انتصب على المصدر ، ذكره سيبويه
في باب ما ينتصب من المصادر توكيداً لما قبله^(٢) . قال : ومثله في الاستفهام :

(١) التبريزى : « وذكروا أن رجلين من بنى أسد خرجا إلى أصهان ، فآخيا دهقاناً بها
في موضع يقال له راوند ، فأت أحدهما وغير الآخر . والدهقان ينادمان قبره ، يشربان كأسين
ويصبان على قبره كأساً . فأت الدهقان فكان الأسدى ينادم قبريهما ويترنم بهذا الشعر ، وكان
يشرب قدحا ويصب على قبريهما قدحين » . وروى أبو الفرج روايات في نسبة هذه الأبيات
إلى قس بن ساعدة ، أو عيسى بن قدامة الأسدى ، أو الحزبن بن الحارث أحد بنى عامر بن
صمصمة ، أو أحد الكوفيين الذين وجههم الحجاج إلى الديلم ، وكل هذه الروايات تشترك في
حديث الخمر والمنادمة ، إلا الرواية الأولى التى تمثل قسا وقد ابنى مسجداً بين قبر أخويه يعبد فيه
الله . الأغاني (١٤ : ٤٠ - ٤٢) . ونسب الشعر في معجم البلدان (رواوند) ومعجم
ما استعجم (خزاق) إلى الأسدى ، وحكى القصة التى رواها التبريزى ثم قال ياقوت : وقال
بعضهم : إن هذا الشعر لقس بن ساعدة في خليلين له كانا وماتا . وقال آخرون : هذا الشعر
لنصر بن غالب يرفى به أوس بن خالد وأنس بن خالد . وقد سبق ذكر أوس بن خالد في
الحماسية ٢٧٦ . وانظر الخزنة (١ : ٢٦١ - ٢٦٨) .

(٢) كتاب سيبويه (١ : ١٨٩ - ١٩٠) .

أَجِدْكَ لَا تَفْعَلْ كَذَا، كَأَنَّهُ قَالَ أَجِدْأ. غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافًا، فَهُوَ يَجْرِي فِي التَّأَكِيدِ تَجْرِي حَقًّا. وَفِي الْإِضَافَةِ: جَهْدَكَ، وَمَعَاذَ اللَّهِ، وَالْمَعْنَى: أَتَجْعَلَنَّ قِتْلَكَ جِدًّا. وَقَوْلُهُ «لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا» كَأَنَّهُ لَمَّا اتَّصَلَ رِقَادُهَا وَدَلَّ عَلَى حَالَيْهِمَا فِي امْتِدَادِهِ قَوْلُهُ هُبَّا، وَقَوْلُهُ طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا، جَعَلَ النَّفْيَ بَلَا، لِيَدُلَّ عَلَى اتِّصَالِهِ فِي الْاسْتِقْبَالِ، وَأَنَّ سُؤَالَ عَمَّا يَجِيءُ لَا عَمَّا هُوَ فِيهِ. وَلَوْ جُعِلَ بَدَلُ «لَا» مَا، كَانَ لِلْحَالِ. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: يَا خَلِيلَيَّ انْتَبِهَا فَقَدْ امْتَدَّ رِقَادُكُمَا. وَأَتَجِدَّانِ جِدًّا كَأَنَّهُ قَالَ كَرَّا كَمَا بَعْدُ لَا مُنْتَهَى لَهُ وَلَا انْقِضَاءَ، بَلْ يَتَّصِلُ وَيَدُومُ. وَقَوْلُهُ «طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا» يُكْتَفَى بِهِ إِذَا كَانَ الْمَقْدَمُ مِنَ الْكَلَامِ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا قَدْ اسْتَطِيلَ. وَعَلَى ذَلِكَ عَزَّ مَا، وَشَدَّ مَا.

٣ - أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَأَوْنَدَ كُلَّهَا وَلَا بِخُزْأٍ مِنْ صَدِيقٍ سِوَا كَمَا^(١) قَوْلُهُ «أَلَمْ» هُوَ لَمْ أَدْخَلَ عَلَيْهِ أَلْفَ الْاسْتِفْهَامِ، وَالْاسْتِفْهَامُ كَالنَّفْيِ فِي أَنَّهُ غَيْرُ مُوجِبٍ، وَنَفْيُ النَّفْيِ لِمُجِيبٍ، لِذَلِكَ قُرِّرَ بِأَلَمْ فِيمَا كَانَ وَاجِبًا وَاقِعًا، لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّثْبِيتِ فِي التَّقْرِيرِ، وَتَأَكِيدُ الْمَقَرَّرَ عَلَى الْمُخَاطَبِ، مِثْلَ مَا يَتَضَمَّنُهُ الْقَسَمُ لَوْ أَتَى بِهِ بَدَلُهُ لِذَلِكَ عَقِبَهُ بِمَا يُعَقَّبُ بِهِ الْقَسَمُ، وَهُوَ مَا النَّافِيَةُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ^(٢) فِي قَوْلِ الْقَائِلِ: اللَّهُ يَنْلُمُ وَيَنْلُمُ اللَّهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ؛ أَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ يُسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالُ الْإِيمَانِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَنَاتَيْنِ مَنِئِيَّةً مَا بَعْدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ وَلَا عَدَمُ
فَقَوْلُهُ «وَلَقَدْ عَلِمْتُ» جَارٍ مَجْرَى الْيَمِينِ فِيمَا ذَكَرْتُ مِنَ التَّأَكِيدِ، لَوْلَا

(١) فِي رَوَايَةِ أَبِي الْفَرَجِ:

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي بِسَمْعَانَ مُفْرَدٌ وَمَالِي فِيهِ مِنْ حَبِيبٍ سِوَاكَ
وَأَنْشَدَهُ يَاقُوتٌ فِي رِسْمِ (سَمْعَانَ) بِرَوَايَةِ أَبِي تَمَامٍ مَعَ تَغْيِيرِ «رَوَانَدَ» إِلَى «سَمْعَانَ»
وَذَكَرَ أَنَّ سَمْعَانَ جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي تَمِيمٍ. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ «سَمْعَانَ» اسْمُ رَجُلٍ نَسَبَ إِلَيْهِ عِدَّةُ أَدِيرَةٍ.

(٢) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ١٨٨ - ١٨٩.

ذلك لما عُقِبَ بما يكونُ جوابَ اليمين . وقوله « أَلَمْ تَعْلَمَا » أصله تَعْلَمَانِ ، ودخلت أَلَمْ للتقرير . وقوله « مَالِي بِرَأَوْنَد » في موضع المفعول لتَعْلَمَانِ ، لأن تَعْلَمَ هاهنا في موضع اِتْعَرَفَ ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ ، وكذلك : لَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ ، أصله لَتَأْتِيَنَّ ودخلت عَلِمْتُ لِيُؤَكِّدَ بِهَا ، لأنَّكَ أخرجْتَ الكلامَ بها من أن يكونَ على سبيلِ التظنِّي أو من خبرٍ يُخْبِرُ فيكونُ إحالةً عليه . واللام من « لَتَأْتِيَنَّ » له الصدر ، فيمنعَ علمت من العمل ، وإذا كان كذلك كان موضع لَتَأْتِيَنَّ نَصْبًا على أَنَّهُ مفعول عَلِمْتُ ، وَعَلِمْتُ بمعنى عَرَفْتُ . وقوله « مِنْ صَدِيقٍ » في موضع الرفع على أن يكونَ اسم ما . وفائدة من الاستغراق ، و« سَوَاكُمَا » في موضع غير ، وهو صفةٌ لصديق . والكلام هو استبطلاً في استمرارِ رُقَادِهَا عنده ، وغفلتهما مما هو بسبيله ، وباطنه تَكْلُفٌ وتَوَجُّعٌ .

٣- أَقِيمُ عَلَى قَبْرِيكُمَا لَسْتُ بَارِحًا طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمَا^(١)

٤- أَصُبُّ عَلَى قَبْرِيكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ فَإِنْ لَمْ تَذَوْقَاهَا أَبْلَثُ ثَرَاكُمَا^(٢)

يقول : أَصِلُ مُقَامِي على قبريكما باتِّصالِ اللَّيَالِي ودوامِهَا ، وَلَا أَبْرَحُ إِلَّا أَنْ يُجِيبَنِي صَدَاكُمَا . وقوله « لَسْتُ بَارِحًا » في موضع الحال ، كَأَنَّهُ أَرَادَ : أَقِيمُ مُلَازِمًا أَبَدًا . وَطَوَالَ انتصب على الظَّرْفِ ، والعامل فيه يجوز أن يكونَ بَارِحًا ، ويجوز أن يكونَ أَقِيمُ . فَأَمَّا قوله « أَوْ يُجِيبُ » فأو بدلٌ من إِلَى ، والفعل بعده انتصب بأنْ مُضْمَرَةٌ . والعربُ تقول : عَظَامُ المَوْتِ تُصِيرُ أَصْدَاءَ وَهَامَا ، لذلك قال : أَوْ يُجِيبُ صَدَاكُمَا .

(١) في رواية بالأغاني : « مقيم على قبريكما » .

(٢) في رواية بالأغاني : « فَلَا تَذَوْقَاهَا أَرَوْهَا » .

وقوله « أَصْبُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ » مِنْ أَفَادِ التَّبْعِيضِ ، وموضع من مُدَامَةٍ نَصَبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ أَصْبُ ، والمعنى أَجْرِيكُمَا فِي الْمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ تَجْرَاكُمَا وَأَتَمَّا حَيَّانَ ، فَإِذَا عَادَتِ الدَّوْبَةُ إِلَيْكُمَا أَصْبُ مَا نَابَكُمَا مِنَ الْمُدَامَةِ عَلَى قَبْرَيْكُمَا ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُبَلَّ رِبْقَتُكُمَا رَطَّبَ قَبْرَيْكُمَا . وقوله « أَبُلُّ » يَجُوزُ أَنْ تَبْنِيَهُ عَلَى الْفَتْحِ وَالضَّمِّ وَالْكَسْرِ ، لِأَنَّكَ تُدْغِمُ وَإِنْ كَانَ مُعْرَبًا ، فَيَلْتَقِي بِنَقْلِ الْحَرَكَةِ عَنِ الْعَيْنِ إِلَى الْفَاءِ سَاكِنًا ، ثُمَّ يُبْنَى عَلَى الْكَسْرِ لِأَنَّهُ أَصْلٌ فِي التَّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ، أَوْ عَلَى الْفَتْحِ خَلْفَتُهُ ، أَوْ عَلَى الضَّمِّ لِلِاتِّبَاعِ . وَلَا خِلَافَ فِي إِدْغَامِ الْمُعْرَبِ مِنْ كُلِّ الْعَرَبِ ، فَأَمَّا الْمَبْنِيُّ فَيَمُضُّ يُظْهِرُ التَّضْعِيفَ فِيهِ فَيَقُولُ : ارْزُدْ ، وَبَعْضٌ يَقُولُ رُدُّ فَيُدْغِمُ وَإِنْ كَانَ مَبْنِيًّا ، إِلَّا أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِدْغَامِ لِلْعَرَبِ ، ثُمَّ يُحْمَلُ الْمَبْنِيُّ عَلَيْهِ فَاعْلَمْهُ .

هـ - وَأَبْكِيكُمَا حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوَالٍ إِنْ بَكََا كَمَا (١)
قوله « وَمَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوَالٍ » يَجْرَى مَجْرَى الْإِنْفَاتِ . وقوله « إِنْ بَكََا كَمَا » إِذَا فَتَحَتْ الْهَمْزَةُ يَكُونُ مَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ الرَّفْعَ عَلَى أَنْ يَكُونَ فَاعِلٌ يَرُدُّ ، لِأَنَّ أَنْ مَعَ الْفِعْلِ فِي تَقْدِيرِ اللَّصْدَرِ ، وَإِنْ رَوَيْتَ إِنْ بَكَسَرِ الْهَمْزَةُ كَانَ شَرْطًا وَجَوَابُهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا تَقَدَّمَ ، وَفَاعِلُ يَرُدُّ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَبْكِيكُمَا مِنْ مَصْدَرِهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَمَا الَّذِي يَرُدُّ الْبُكَاءَ عَلَى ذِي عَوَالٍ إِنْ بَكََا كَمَا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : « مَنْ كَذَبَ كَانَ شَرًّا لَهُ ، وَمَنْ صَدَقَ كَانَ خَيْرًا لَهُ » يَرِيدُونَ كَأَنَ الْكَذْبُ شَرًّا لَهُ وَالصَّدَقُ خَيْرًا لَهُ . وَالْمَعْنَى : أَبْكِيكُمَا مَا اتَّصَلَ عَمْرَى . ثُمَّ قَالَ كَالْمَلْتَفَتِ إِلَيْهِمَا عَلَى طَرِيقِ الْيَأْسِ : وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءَ عَنِ الْمُنْعُولِ إِنْ بَكََا كَمَا . فَقَوْلُهُ « مَا » اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ لِلْإِنْكَارِ . وَالْعَوِيلُ : صَوْتُ الصَّدَرِ ، وَمِنْهُ الْعَوَالُ ، وَقَدْ أَغْوَلَتِ الْمَرْأَةُ .

(١) فِي رِوَايَةِ الْبَلَاغَانِ : « سَابْكِيكُمَا طُولَ الْحَيَاةِ » .

٢٩٠

وقال عبدُ الملك بنُ عبدِ الرحيم الحارثي^(١) :

١ - إِنِّي لِأَرْبَابِ الْقُبُورِ لَغَاطِبٌ لَسُكْنَى سَعِيدٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَقَابِرِ

٢ - وَإِنِّي لَمَفْجُوعٌ بِإِذْ تَكَاثَرَتْ عُدَاتِي وَلَمْ أَهْتِفْ سِوَاهُ بَنَاصِرِ

قوله « سُكْنَى » أن تُسْكِنَ إنساناً منزلاً بلا كِرَاءٍ ، والمنزل سَكَنٌ وَمَسْكَنٌ ؛ وهو مصدر كعُذِرِي وبُشِرِي . ومعنى البيت : إِنِّي أُغِيبُ للوثة لحصول سعيدٍ فيما بينهم ، فإنَّ الجمال الذي كانَ للأحياء بمقامه فيهم كأنه انتقل إلى الأموات عنهم ؛ وَإِنِّي لَمَتَبَيِّنُ تأثيرَ الفَجْعِ به ، وشِدَّةَ فاقتي إليه ، إذا تَزاحَمَ الأعداء وتبالَغُوا في قَصْدِي ، ولا يكون لي من أَسْتَنْصِرُهُ عليهم غيره . وقوله « سِوَاهُ » في موضع النَّصْبِ على أَنَّهُ استثناء مقدَّم . ويقالُ هَتَفَ هَتَفًا وَهَتَفَا . وَالهَتَفُ : الصَّوْتُ الشَّدِيدُ ، وقوسٌ هَتَفَى ، والحمامُ تَهْتِفُ . وَهَتَفَ به وصاح به ، إذا دَعَاهُ .

٣ - فَكُنْتُ كَمَنْزُوبٍ عَلَى نَضْلِ سَيْفِهِ وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَضْلُ حَرَّانٍ ثَائِرِ

النَّضْلُ : اسمُ حديدَةِ السَّيْفِ ، لذلك صَلَحَ إِضافَتُهُ إلى سَيْفِهِ وَإِنْ كانَ قد يُسْتَعْمَلُ استعمالَ السَّيْفِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قالَ : وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَضْلُ حَرَّانٍ . يقولُ : كانَ عُدَّتِي على الدَّهْرِ وسلاحِي على أعدائِي ، فلما فَقَدْتُهُ والأعداءُ بِالرَّصَادِ لي ، صِرْتُ كانَ غُلِبَ على سَيْفِهِ وسَيْفُ عَدُوِّهِ قد خَرَجَ عَلَيْهِ كطالِبٍ ثارٍ وكبَدُهُ حَرَمِي ، لشدَّةِ عداوَتِهِ واستحكامِ غِيظِهِ يَعمَلُ فيه ، وَيَنْفُذُ في الضَّرْبَةِ منه ،

(١) التبريزي : « يكنى أبا الوليد ، وهو شاعر كلامي شاعر » . وكلمة « كلامي » محرفة ، صوابها « كلامي » بفتح الكاف . قال السمعاني في الأنساب (١٤٨٢) : « هذه النسبة إلى قبيلة يقال لها كلاع نزلت الشام ، وأكثرهم نزل حمص » .

والمراد : كمتُ كمن غلبَ على عُدته أشدَّ ما كان حاجةً إليها ، وحين تمكَّن العدوُّ وهو تائم الآلة ، مَكِينُ القوى في المفاصلة .

٤ - أُنِينَاهُ زُورًا فأمَجَدَنَا قِرَى من البَثِّ والداءِ الدَّخِيلِ الْمُخَاصِرِ

٥ - وَأَبْنَا بَزْرِعٍ قَدْ نَمَّا فِي صَدُورِنَا من الوَجْدِ يُسْقَى بِالذُّمُوعِ البَوَادِرِ

يقول : جئناه زائرين فوسَّعَ قِرَانًا من الحُزْنِ والداءِ المتمكَّن من القلب ، المُخَاصِرِ له . والمُخَاصِرُ مأخوذٌ من الخَمَرِ ، وهو ما واركَّ من الشَّجَرِ وغيره . وإذا كان كذلك فهو أبلغ من قوله الدَّخِيلِ ، لأنه يُفِيدُ في الموصوفِ فائدةً أكثرَ من الدُّخُولِ ، إذ كان المرادُ به ديببُهُ في أثناء القلبِ وأطباقِهِ ، وذَهابِهِ في أجزائه وأضعافِهِ ، وليس في الدَّخِيلِ هذا المعنى . ويقال أُنَجِدْتُ الدَّابَّةَ العَلَفَ ، إذا أكَثَرَتْ له .

وقوله « وَأَبْنَا بَزْرِعٍ قَدْ نَمَّا فِي صَدُورِنَا » نَبَّهَ بهذا الكلام على أَنَّ حُزْنَهُ يَزِيدُ على سَرِّ الأَيَّامِ ، فهو كالزَّرْعِ النامي ، وَأَنَّ سُقْيَاهُ الذُّمُوعِ . ومعنى البوادرِ المُسْتَبَقَةُ لكَثْرَتِهَا وَغَلَبَتِهَا . وأصل الزَّرْعِ الإنبات . والزَّرْعَةُ : البَذْرُ . لذلك قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ . وازدروع ، إذا زَرَعَ أو أَسْرَ به لنفسِهِ خَاصَّةً . ويقال : زُرِعَ لفلانٍ بَعْدَ شَقَاءٍ ، إذا أَصَابَ مَالًا بَعْدَ الْحَاجَةِ . فإن قيل : كيف قال « أُنَجِدُنَا قِرَى » والميِّتُ لَا يَعْمَلُ شَيْئًا ؟ قلتَ : لما جَمَلَهُ مَمَرُورًا أَفَامَ لَهُ قِرَى لِزَائِرِهِ على عَادَتِهِ وهو حيٌّ . وهذا المعنى من كلامه أَيْبُنُ وَأَظْهَرَ من كلام عُبْدَةَ بْنِ الطَّيِّبِ لما قال :

* إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا ^(١) *

(١) من الحماسية ٢٦٣ . وصدره :

• نَحْيَةٌ مِنْ غَادِرَتِهِ فَرَضَ الرَّدَى •

٦- وَلَمَّا حَضَرَ نَا لِقْدَسَامِ تُرَائِهِ أَصَبْنَا عَظِيَّاتِ اللَّهِى وَالْمَآثِرِ
 ٧- وَأَسْمَعْنَا بِالصَّمْتِ رَجَعَ جَوَابِهِ فَأَبْلَغُ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاورِ
 اللَّهُى : أَفْضَلُ الْعَطَايَا وَأَجْزَلُهَا ، وَالوَاحِدَةُ لُتَيْةٌ وَلُتُوءٌ ؛ وَمِنْهُ اللُّهُوءَةُ الَّتِى
 تُتَلَقَّى فِي الرَّحَى . يَقُولُ : لَمَّا اجْتَمَعْنَا لِلْقَدَمِ تَرَكْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا لَمْ نَجِدْ لَهُ إِلَّا
 مَا كَسَبَهُ عَطَايَاهُ مِنَ الْمَآثِرِ الْكَرِيمَةِ . فَأُضَافُ عَظِيَّاتِ إِلَى اللَّهِى وَالْمَآثِرِ جَمِيعاً ،
 وَهِيَ جَمْعُ مَآثِرِيَّةٍ ، وَهِيَ مَا يُؤَثِّرُ مِنَ الْحَامِدِ وَالْمَعَالَى وَيُذَكِّرُ . وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ
 بِالْعَظِيَّاتِ الْمَفَاخِرَ الَّتِى أَدَّخَرَهَا لَهُ اللَّهُى ، وَيَكُونُ اللَّهُى هَيْنُذُ الْأُمُوالِ الْكَثِيرَةِ .
 وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمَآثِرِ الْأَعْلَاقَ الثَّمِينَةَ ، وَالنَّفَاسَ الْكَرِيمَةَ ، الَّتِى فَرَّقَهَا
 فِي حَيَاتِهِ ، وَآثَرَ غَيْرَهُ بِهَا . وَقَوْلُهُ « وَأَسْمَعْنَا بِالصَّمْتِ رَجَعَ جَوَابِهِ » أَيْ تَرَجَّعَ
 جَوَابِهِ ، كَمَا قَالَ غَيْرُهُ ^(١) : « اسْأَلِ الْأَرْضَ ، أَيْنَ مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ
 أَشْجَارَكَ ، وَجَعَى نِمَارَكَ ؛ فَإِنْ لَمْ تُجِبْ حِوَاراً أَجَابَتَكَ اعْتِبَاراً » ؛ وَكَأَنَّ
 الْآخِرَ ^(٢) :

* وَعَظَمْتُكَ أَجْدَثُ صُمْتُ ^(٣) *

ومثله :

وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا ^(٤)

(١) هو الفضل بن عيسى بن أبان . الحيوان (١ : ٣٥) . وانظر البيان (١ : ٨١)
 سوعيون الأخبار (٢ : ١٨٢) .

(٢) هو أبو العتاهية . ديوانه ٥٢ .

(٣) صجزه : * ونعتك أزمنة خفت *

(٤) البيت من مشهور شعر أبي العتاهية ، فى رثاء صديقه على بن ثابت . انظر البيان
 (١ : ٤٠٧ - ٤٠٨) والأغاني (٣ : ١٤٢) . وذكر الجاحظ أن أبا العتاهية أخذ هذا
 المعنى من قول أحد الخطباء حين قام على سرير الإسكندر وهو ميت : « الإسكندر كان أمس
 أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أودع منه أمس » . انظر أيضاً البيان (١ : ٨١) لتسمية
 هذا القول الأخير .

٢٩١

وقالت امرأة من بني شيبان^(١) :

١- وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذاك الرُمحُ يَكْلَفُ بالكريم

٢- بَعَيْنِ أَبَاغٍ قَاتَمْنَا الْمَنَايَا فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ

انتصب « ماجداً » على معنى أنه مفعول مُقَدَّم ، ومنكم في موضع الصفة له .
وموضع ماجداً منكم قتلنا الجملة موضع المفعول لقوله قالوا . وقوله « كذاك الرُمحُ »
جواب لهذا الابتداء ، كأنه قال : فأجيبوا : الرُمحُ يَكْلَفُ بالكريم كذاك ،
فأشير بذلك إلى الخبر الذي اقتضوه . والكاف من كذاك كاف الخطاب لا موضع
له من الإعراب . وتأخير الكلام : الرُمحُ يَكْلَفُ بالكرام كلفاً مثل ذلك
الكلف . والعامل في كذاك يَكْلَفُ . والمعنى : تنادوا : قتلنا ماجداً منكم ؛
فأجيبوا : الرُمحُ يمشق الكرام ويولع بهم مثل ذلك . وأكثر ما يحىء الجواب
في إثر السؤال من واحد في القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ اٰمِنْ اَلْمَلِكِ اَلْيَوْمَ اَللّٰهُ
اَلْوٰحِدِ اَلْقَهَّارِ ﴾ . وقد ألمّ في هذا البيت بقول طرفة :

أَرَى الْمَوْتَ يَتَنَامُ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيْلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمَشْدِدِ

وقوله « بَعَيْنِ أَبَاغٍ قَاتَمْنَا الْمَنَايَا » مثله قول الآخر :

* وَقَاتَمَنِي دَهْرِي بَنِي بَشَطْرِهِ *

(١) التبر بزي عن أبي محمد الأعرابي : « هذا الشعر لبنت فروة بن مسعود ، ترفى فروة
وقيسا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن أبي ربيعة ، وقتلا مع المنذر في القرنين يوم عين أباغ يوم
قتل المنذر ، وكان الذي قتل المنذر شمر بن عمرو الحنفي وكان مع الحارث بن أبي شمر النسائي .
وهو المنذر بن امرئ القيس ، وأمه ماء الذبابة الخيرية » . وقال ياقوت في (أباغ) : « وقالت
ابنة فروة بن مسعود ترفى أباه » وكان قد قتل بعين أباغ : واد وراء الأنبار حل طريق الفرات
إلى الشام وكانت منازل إياد بن نزار . وكان عندها في الجاهلية يوم بين ملوك الشام الغساسنة
وملوك الحيرة اللخمين ، وفيها قتل المنذر الحتمي » .

كَأَنَّهُ كَانَ لِلْمَنَآيَا نَصِيبٌ فِيهِمْ فَقَاسَمْتَهُمْ عَلَى نَصِيبِهَا فَوَقَعَ إِلَيْهَا خَيْرُ
النَّصِيبَيْنِ . والمعنى : اخْتَارَتْ مِنْهُمْ الْأَمْثَلَ فَلَا أَمْثَلَ ، وَغَادَرَتْ الْفُلَّ مِنْهُمْ
وَالْمُسْتَرْدَلَ . وقوله قَسِيمٌ يَكُونُ فِي مَعْنَى مَقْسُومٍ ، وَقَدْ يَكُونُ الْقَسِيمُ الْقَاسِمُ ،
وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ . وَلَكِ أَنْ تَرَوْى « قَاسَمْنَا الْمَنَآيَا » بِسُكُونِ الْمِيمِ ، وَيَكُونُ
الْمَنَآيَا فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ، وَلَكِ أَنْ تَفْتَحَ الْمِيمَ وَتَجْعَلَ لِلْمَنَآيَا فَاعِلَةً ؛ وَالْمَعْنَى فِيهِمَا
مُتَقَارِبٌ . وَكَانَتْ الْوَقْعَةُ بَيْنَ أَبَاغٍ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ ، وَقَاسَمَ يَقْتَضِي
مَفْعُولًا آخَرَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : قَاسَمْنَا الْمَنَآيَا النَّاسَ أَوْ الْأَصْحَابَ . وَقَوْلُهُ « قَسِيمُهَا » .
كَقَوْلِكَ نَصِيبُهَا . وَخَيْرُ الْقَسِيمِ كَقَوْلِكَ خَيْرُ الْأَنْصِبَاءِ . وَأَنْشُدْ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ
فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ :

إِذَا مَا الْمَنَآيَا قَاسَمَتْ بِابْنٍ مِسْحَلٍ أَخَا وَاحِدٍ لَمْ يَرْضَ نِصْفًا قَسِيمُهَا
فَأَبَّ بِلَا قَسَمٍ وَأَبَتْ بِقَسَمِهَا إِلَى قَسَمِهِ لَاقَتْ قَسِيمًا بِضِيمُهَا

كَأَنَّهُ كَانَ لِلْمَنَآيَا نَصِيبٌ فِي أَخِيهِ ، فَقَاسَمَتْهُ وَأَخَذَتْ نَصِيبَهُ إِلَى نَصِيبِهَا ،
وَأَبَّ هُوَ بِلَا نَصِيبٍ . ثُمَّ دَعَا عَلَى الْمُنْيَةِ^(١) فَقَالَ : قَيْضَ اللَّهِ لَهَا قَسِيمًا يَظْلُمُهَا
كَمَا ظَلَمْتَنِي .

٢٩٢

وَقَالَ عُتَّى بْنُ مَالِكٍ^(٢) :

- ١ - أَعْدَاءُ مَنْ لِلْيَعْمَلَاتِ عَلَى الْوَجَى وَأَضْيَافٍ لَيْلٍ يَتُّوْا لِنُزُولِ
- ٢ - أَعْدَاءُ مَا لِلْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ وَلَا لَخَلِيلٍ لِي بِهَجَّةٍ بِخَلِيلِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْمَوْتُ » ، وَالصَّوَابُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « عُتَّى بْنُ مَالِكِ الْعَقِيلِ » ، وَلَمْ أُعْثَرْ لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ .

٣ - أَعْدَاءُ مَا وَجَدِي عَلَيْكَ بِهَيْنٍ وَلَا الصَّبْرُ إِنْ أُعْطِيَتْهُ بِجَمِيلٍ
ناداه مُسَائِلًا له على طريق التوجُّع ^(١) : مَنْ خَلَفْتَ بِمَدَكَ لِلوَرَادِ ، وَعَلَى
مَنْ اعْتَمَدْتَ فِي تَفْقُدِ الْأَضْيَافِ . وَالْيَعْمَلَاتِ : التُّوقُ السَّرَّاعُ . وَالْوَجَى هُوَ
الْحَفَى . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْيَعْمَلَةُ لَا يُوصَفُ بِهَا إِلَّا التُّوقُ . وَقَالَ أَبُو سَمِيدٍ : يُقَالُ
لِلْجَمَلِ يَعْمَلُ ، اسْمٌ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ ، كَمَا يُقَالُ يَعْمَلَةٌ ، وَأَنْشُدُ :

إِذَا لَا أَزَالَ عَلَى أَقْتَادٍ نَاجِيَةٍ صَهْبَاءَ يَعْمَلَةٍ أَوْ يَعْمَلٍ جَمَلٍ

أَرَادَ أَوْ جَمَلَ يَعْمَلُ . وَمَوْضِعُ « عَلَى الْوَجَى » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، كَأَنَّهُ
فَنَاءٌ وَدَارُهُ كَانَ مَأْلَقًا لِلْعُنَاةِ وَتَجَمَّعًا لِلْأَضْيَافِ ، فَإِذَا أَرَادُوا مَنْ يُؤْوِيهِمْ
لَمْ يُؤْوُوا تَطَلُّبًا عَلَى قَصْدِهِ ، وَلَمْ يَجِدُوا تَطَلُّمًا وَتَوَفُّرًا إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ ، فَقَالَ عَلَى
طَرِيقِ التَّحَشُّرِ : مَنْ يُؤْوِي الْأَضْيَافَ وَقَدْ بَهَرَمَ السَّعْيُ وَأَنْعَبَهُمُ الطَّلَبُ غَيْرُكَ ،
وَمَنْ يُنْزِلُ السُّفْرَ وَقَدْ أَكَلَهُمُ التَّعَبُ وَأَمْلَهُمُ الدَّأْبُ حَتَّى حَفِنَتْ رَوَاحِلُهُمْ ، وَحَتَّى
يَسْتَوُوا لِنَزُولِ ، مَيَّالًا إِلَى نَيْلِ رَاحَتِهِمْ . وَيُقَالُ يَبْتَ الْأَمْرَ ، إِذَا دَبَّرَهُ بِاللَّيْلِ .
وَكُلُّ رَأْيٍ أَجَلَّتْهُ بَلِيلٌ فَهُوَ مُبَيَّتٌ . وَمَا بَيُّوتٌ ، إِذَا بَاتَ لَيْلَةً فِي الْإِنَاءِ .
وَبَيَّتُ الْقَوْمَ ، إِذَا أَرْقَعَتْ بِهِمْ لَيْلًا . وَيُقَالُ لَهُمْ : هُوَ بَيُّوتٌ ، وَلِلصَّقِيْعِ بَيُّوتٌ .
وَقَوْلُهُ « أَعْدَاءُ مَا لِلْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ » يَصِفُهُ فِيهِ بِأَنَّهُ كَانَ يَبْلِيغُ لُطْفَهُ
وَجَمِيلَ خُلُقِهِ ، وَسَهُولَةَ جَانِبِهِ وَرَحَابَةَ جَنَابِهِ ، بِطَيْبِ الْعَيْشِ مَعَهُ عَلَى مَا يَمْتَرِضُ
فِيهِ مِنْ مَسَاءَةٍ أَوْ مَسَرَّةٍ ، إِذْ كَانَ يَتَحَمَّلُ الْأَعْيَاءَ عَنْ مَجَاوِرِهِ ^(٢) ، وَيُخَفِّفُ
ظَهَرَ مَنْ يَنْصَبُ إِلَيْهِ ، أَوْ يَتَسَبَّبُ بِقَرَابَةِ لَدَيْهِ ، أَوْ يَتَوَكَّلُ لِمُخَالَةٍ عَلَيْهِ ، فَكَانَ
لِذَلِكَ الْحَيَاةِ يَوْجَدُ عِنْدَهُ ، وَصَفَى الْبَقَاءَ يَحْصُلُ مَعَهُ . وَقَوْلُهُ « وَلَا لَخْلِيلٍ بِهِجَّةٌ
بِخَلِيلٍ » يَعْنِي أَنَّ النَّاسَ وَقَدَرُوا مَالَ أَمْرِكَ إِلَى الْفَنَاءِ ، وَانْقِطَاعِ الشَّرُورِ عَنْهُمْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « عَلَى ظَهْرِ التَّوَجُّعِ » ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَتَحَاوَرُهُ » ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

بعد النماء ، صار لا ينتهج بعضهم ببعض ، فلا يسكن الصديق إلى صديقه ، ولا القريب مع قريبه ، لتلثة اليأس من الخير ، وارتفاع الطمع من الفرج .
وقوله « أعداء ما وجدى عليك بهين » كثر مناداته دلالة منه على لزوم التوجع ، وتنبيهاً على حصول العناء والاشتكاء بعد التودع . ثم قال : ليس جزع عليك بخفيف ، ولا وجدى عليك بطفيف ، ولا صبرى لو حصل بمجمل ، لأن الصبر على فقدك مفكر ، وهون الوجد وخفته مستفطع ، فليس لنا إلا الاستمرار فيما نحن بسبيله من اللهف والحسرة والاستسلام للشقاء والهلكة .

٢٩٣

وقال أيضاً :

١- كائن والعداء لم نسر ليلة ولم ننج أنضاء لمن ذميل
٢- ولم نأق رخلينا ببيداء بلاق ولم نزم جوز الليل حيث بيميل
أدخل الألف واللام في هذه المقطوعة على العداء لأنه صفة في الأصل ، فهو كالحسن والعباس وما أشبههما ، فإذا أتيت به ولا ألف ولا م فيه فلائك جعلته علماً ، فصار معرفة بالعلمية ، وإذا أدخلت الألف واللام عليه فلائك راعيت حاله وهو صفة ثم جمعتها نفس المسمى وأدخلت الألف واللام عليه .
فعل الأول لا يفيد الاسم [في ^(١)] المسمى شيئاً أكثر من تمييزه عن غيره ، وعلى الثاني أفاد معنى الوصفية فيه مع التمييز ، فصار كالصفات الغالبة الجارية تجري الألقاب في التخصيص .

وقوله « كائن والعداء لم نسر ليلة » يريد أن الشئ إذا انقطع فكأنه

(١) هذه من ل ، م والتهجورية .

لم يكن . والمعنى أنى وقد فقدته فكأنى وإياه لم نصطحب فى قطع مسافة ، ولم نشترك فى سوق أنضاء من الإبل لتحمل كلفة ، أو صبر على مشقة . ونبه بهذا الكلام على تبدله - كان - فيما يكسبه الأحدوثة الجميلة ، وإن تكلف فيه الأثقال العظيمة . والذميل : إسرار السير . والأنضاء : جمع النضو . وقال الدريدى : يقال : ذملت الناقة ذميلاً وذملاناً ، وهو ضرب من السير أعلى من العتي ، وناقة ذمول . والإزجاء : السوق .

وقوله « ولم نلقى رخلينا » لو قال رحالنا لكونهما اثنين من اثنين ، فجرى مثل قوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ كان أدخل فى الاستعمال ، لكفه أنى به على الأصل . والبيداء : المغارة . والبَلَقع : القفر الخالى . والمعنى على ما تقدم فى البيت الذى قبله ، من الصبر على الشدائد .

وقوله « ولم نزم جواز الليل حيث يميل » أراد حيث يميل الليل . وحيث هذا ظرف زمان . يريد فكأننا لم نزم بأنفسنا جواز الليل وقت ميله . يشير إلى جنوحه وإشرافه على تهوؤره ، لأن ميله على ذلك يكون . ومما جاء فيه وهو الزمان دون المكان عند أبى الحسن الأخفش قوله :

للفتى عقلٌ يعيشُ بهِ حيثُ تهدي ساقه قدمه^(١)
لأن المعنى : للفتى عقلٌ يعيش به مدةً سميه وحياته ؛ ونهوضه بساقه فى أمره . ويجوز أن يكون حيث ظرفاً لمكان ، ويكون المعنى : إننا نعتسف الطريق حيث مال الليل ملنا معه . ويجوز أن يكون فاعل يميل مادلاً عليه « ولم نزم » من المصدر ، ويكون المعنى حيث يميل الرعى ويذهب فيه .

(١) لطرفة فى ديوانه ١٩ .

٢٩٤

وقال أبو الحجناء ^(١) :

- ١- أَضَحَّتْ جِيَادُ ابْنِ قَعْقَاعٍ مُقَسِّمَةً فِي الْأَقْرَبِينَ بِلَا مَنٍّ وَلَا تَدَنٍ
 ٢- وَرَثَتَهُمْ فَتَسَلَّوْا عَنْكَ إِذْ وَرِثُوا وَمَا وَرِثْتُكَ غَيْرَ الْمَمِّ وَالْحَزَنِ ^(٢)
- القَعْقَاعُ وَالْقَعْقَعَانِيُّ : الذي إذا مَشَى سُمِعَ لمفاصله تَقَعُّعُ . وأراد بالأقربين
 وَرَثَتَهُ ، وبالجياد خيله . فيقول : أَضَحَّتْ خيله مُفَرِّقَةً فِي وَرَثَتِهِ ، وهم لَا يَعْتَدُونَ
 له بها وَلَا يَبْتَاعُونَهَا ، فَتَكُونُ له الْمِنَّةُ أَوْ الثَّمَنُ . ثم قال : وَرَثَتَهُمْ فَتَسَلُّوكَ
 اشْتِغَالًا بِالْإِرْثِ ، وَتَسَلُّيًا عَنْكَ بِالْمَالِ ، وَأَنَا بَاقٍ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ التَّحْزَنِ
 وَالْإِهْتِمَامِ لَا إِرْثَ لِي غَيْرُهَا . وهذا كلامٌ متأسِّفٌ ومستنكِرٌ من أقاربه مَا يَرَامُ
 عَلَيْهِ مِنْ نِسْيَانِهِ وَالشُّرُورِ بِمَا فَازُوا بِهِ مِنْ مَالِهِ . وَالسَّلُّ : طِيبُ النَّفْسِ عَنْ
 الشَّيْءِ . وَفِي تَسَلُّيٍّ مِنَ التَّكَلُّفِ مَا لَيْسَ فِي سَلَاةٍ .

٢٩٥

وقال آخر :

- ١- لَدِمَ الْفَتَى أَضْحَى بِأَكْنَفِ حَائِلٍ غَدَاةَ الْوَعَى أَكَلِ الرُّدْبِ ذِيَةِ الشُّمْرِ
 ٢- لَعَمْرِي لَقَدْ أُرْدِيتَ غَيْرَ مُزَلَّجٍ وَلَا مُفْلِقٍ بَابَ السَّمَاحَةِ بِالْمُذَرِّ
 ٣- سَأَبْكِيكَ لَا مُسْتَنْبِقِيًا فَيَضَعُ عَبْرَةَ وَلَا طَالِبًا بِالصَّبْرِ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ

(١) هو أبو الحجناء نصيب الأصغر ، مولى المهدي ، أقطعه المهدي ضيعة بالسواد ، وعمر
 بعده ، ومدح الرشيد والفضل بن يحيى . وكان شيبه بن الوليد العيسى وأخوه ثمامة يبرانه ،
 وكانا من وجوه قواد المهدي ، فلما مات شيبه دخل نصيب على ثمامة وهو يفرق خيل شيبه
 على للناس ، فأمر له بفرس ، فأبى أن يقبله وبكى ثم قال :

يَا شَيْبَةَ الْخَيْرِ إِمَّا كُنْتُ لِي شَجَنًا أَلَيْتَ بَعْدَكَ لَا أَبْكِي عَلَى شَجَنِ
 ثُمَّ الْبَيْتَيْنِ الْمَذِينِ أَنْشَدَهُمَا أَبُو تَمَامٍ هَذَا ، فَيَجْعَلُ ثَمَامَةَ وَمَنْ هُوَ عَنْده حَاضِرٌ مِنْ أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ
 يَبْكُونَ . الْأَغَانِي (٢٠ : ٢٨) .
 (٢) الْأَغَانِي : « فَتَعَزَّوْا عَنْكَ » .

الحمود محذوف، كأنه قال : نِعِمَ الْفَتَى فَتَى أَصْحَى وانتَصَبَ « أَكَلَ »
على أنه خبر أَصْحَى ، وبأَ كَنَافٍ حَائِلٍ ظَرْفُ مَكَانٍ . وغدَاةَ الْوَعَى ظَرْفُ
زَمَانٍ ، وَتَعَلَّقًا جَمِيعًا بِأَصْحَى . ويجوز أن يُجْعَلَ بِأَ كَنَافٍ حَائِلٍ الْخَبَرِ ، وَيَنْتَصِبُ
أَكَلَ عَلَى الْحَالِ . ولا يمتنع أن ينتصب غدَاةَ بِمَادِلٍّ عَلَيْهِ بِأَ كَنَافٍ حَائِلٍ مِنْ
الْفِعْلِ الْمَضْمَرِ . ويجوز أن يكون الْعَامِلُ فِيهِ أَكَلَ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَصْدَرٍ فَلَا يَعْمَلُ
مَا فِي صَلْتِهِ فِيمَا قَبْلَهُ . وَالْأَكْلُ : الطَّعْمُ ، وإضافته إِلَى الرُّدْبِيَّةِ لَمْ تُغْدِ فِيهِ
اِخْتِصَاصًا . أَلَا تَرَى أَنَّ فَائِدَتَهُ وَهُوَ مُضَافٌ مِثْلُ فَائِدَتِهِ لَوْ نَوْنٌ فَقَبِلَ أَكَلًا
لِلرُّدْبِيَّةِ . ومثله قَيْدُ الْأَوَابِدِ وَمَا أَشْبَهَهُ . ومعنى الْبَيْتِ : مَحْمُودٌ فِي الْفَتَيَانِ فَتَى
حَصَلَ بِجَانِبِ هَذَا الْوَادِي غَدَاةَ الْحَرْبِ طُغْمًا لِلرُّدْبِيَّةِ السُّمْرِ . وَأَصْلُ الْوَعَى
الْجَلْبَةُ وَالصَّوْتُ . وَاللَّامُ مِنْ « لَنِعْمَ » جَوَابُ قَسْمٍ مُضْمَرٍ .

وقوله « لَعَمْرِي لَقَدْ أُرْدِيتَ غَيْرَ مُرْآجٍ » أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِخِطَابِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ
يُخْبِرُ عَنْهُ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي افْتِنَانِهِمْ فِي الْكَلَامِ ، وَكَأَنَّ الْخُطَابَ أَدْلُّ عَلَى التَّحَسُّرِ
وَالْتَوَجُّعِ مِنَ الْإِخْبَارِ ، وَلِذَلِكَ عَدَلَ إِلَيْهِ . وَاللَّامُ فِي لَعَمْرِي لَامُ الْابْتِدَاءِ .
وُخْبِرَ الْمَبْتُدَأُ مُحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَعَمْرِي قَسَمِي . وَاللَّامُ مِنْ لَقَدْ جَوَابُ الْيَمِينِ ،
وَالْمَعْنَى : وَبَقَائِي لَقَدْ أَهْلِكْتَ غَيْرَ ضَعِيفٍ وَلَا جَبَانَ وَقْتَ الْمُدَاقَعَةِ وَالْمُتَانَعَةِ
فَتَضَيِّعَ مُحْفُوظًا ، وَلَا مَتَشَدِّدًا عَلَى تَزَاحُمِ الْمُجْتَدِينَ وَالسُّؤَالِ ، بِإِقَامَةِ الْمَعَازِيرِ
وَالْمِلَاتِ ، فَتُفَلِّقَ لِلِسَمَاحَةِ بِأَبَا مُفْتَوْحًا .

وقوله « سَابِكِيكَ لَا مُسْتَبَقِيًّا فَيَضَ عَبْرَةٍ » يَرِيدُ أَنْ يُبْكَأَهُ يُتَّصَلُ إِلَى
أَنْ يَسْتَنْفِدَ مَوَادَّ دَمْعِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَطْلُبُ بِتَكْلِفِ الصَّبْرِ مَا يَتَعَقَّبُهُ مِنَ النَّسْلِ . فَقَوْلُهُ
« بِالصَّبْرِ » أَرَادَ بِتَكْلِفِ الصَّبْرِ ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، وَذَاكَ
أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَصَبَّرَ فَمَا يَدُهُ مُدَّةً ، وَتَمَاسَكَ بِهِ بُرْهَةً ، أَدَاهُ مَرُورُ الْأَوْقَاتِ
إِلَى أَنْ يَتَسَلَّى ؛ فَمَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ هُوَ النَّسْلُ ، فَإِذَا تَسَلَّى ، عَادَ طَمَعُهُ فِيمَا يُرْجَى ،

وَحَذَرُهُ مِمَّا يُخَشَى ، إِلَى مَا كَانَ أَوْ أَشَدَّ ، وَذَلِكَ حَالٌ مِّنْ لَا مَمَّ لَهُ .

٢٩٦

وَقَالَ خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ^(١) :

- ١- أُعَاتِبُ نَفْسِي إِنْ تَبَسَّمتُ خَالِيًا وَقَدْ بَضَحَكَ الْمَوْتُورُ وَهُوَ حَزِينُ
انتصب خَالِيًا عَلَى الْحَالِ مِنْ أُعَاتِبُ . وَأَنْ تَبَسَّمتُ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ مَعْنَاهُ
لَأَنْ تَبَسَّمتُ ، وَمِنْ أَجْلِ تَبَشَّيْ . وَلَكِ أَنْ تَكْسِرَ الْهَمْزَةَ مِنْ إِنْ فَيَكُونُ شَرْطًا
وَيَكُونُ جَوَابُهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ أُعَاتِبُ نَفْسِي . وَالْمَعْنَى : إِذَا خَلَوْتُ بِنَفْسِي أَبْسُطُ
الْعُتْبَ عَلَيْهَا لِمَا يَتَّفِقُ مِنْهَا فِي الْمَلَأُ مِنْ مُتَابَعَةِ النَّاسِ عَلَى تَصَرُّفِهِمْ فِي الْمُوَاسَّةِ
وَالْمُضَاحِكَةِ ، وَطَلَبِ مُوَافَقَتِهِمْ عِنْدَ الْمَفَاكِهِ وَالْحَادِثَةِ . هَذَا وَلَيْسَ ذَلِكَ لِدَاعِيَةِ
سُرُورٍ ، وَلَا لِبَاعِثَةِ ابْتِهَاجٍ وَخُبُورٍ . ثُمَّ قَالَ « وَقَدْ بَضَحَكَ الْمَوْتُورُ وَهُوَ حَزِينُ »
يُرِيدُ أَنَّ الْمَوْتُورَ وَإِنْ تَنَاهَى حَزَنُهُ ، وَاشْتَدَّ قَلْقُهُ وَبَثُّهُ ، فَقَدْ بَضَحَكَ قَطْعًا
لِشِمَاتِهِ شَامِتٍ ، وَتَجَلَّدَ مَعَ عَدُوٍّ مَكَافِحٍ ، أَوْ جَرِيًا عَلَى عَادَةٍ ، أَوْ اسْتِمْرَارًا فِي
إِقَامَةِ مُوَافَقَةٍ ، وَلَا يَمُدُّ ذَلِكَ مِنْهُ إِخْلَافًا بِوَجَابِ الْمَلْعِ ، وَلَا إِغْفَالًا لِلْوَاظِمِ الْجَزَعِ ،
وَالضَّحْكَ أَبْلَغُ مِنَ التَّبَشُّمِ ، فَكَذَلِكَ أَنَا وَإِنْ تَبَسَّمتُ لَأُضْرِبَ مِنْ تِلْكَ
الضَّرُوبِ ، فَطَلَبُ الْوِتْرِ وَالْقِيَامِ بِسُنَّةِ الْحَزَنِ نَصَبٌ عَنِّي ، وَأَمُّ الْأُمُورِ إِلَى .
- ٢- وَبِالذِّيرِ أَشْجَانِي وَكَمْ مِنْ شَجٍّ لَهُ دُونِ الْمُصَلَّى بِالْبَقِيعِ شُجُونُ
- ٣- رَبِّي حَوْكًا أَمْنَالُهَا إِنْ أَتَيْتَهَا قَرَيْنِكَ أَشْجَانًا وَهَنْ سَكُونُ
- ٤- كَذَا الْهَجْرُ أَنَا لَمْ يَضْحَكْ لَكَ أَمْرُنَا وَلَمْ يَأْتِنَا عَمَّا لَدَيْكَ يَقِينُ

(١) كَانَ يُقَالُ لَهُ « الْأَقْطَع » ، لِأَنَّهُ قَطَعَتْ يَدُهُ فِي سَرَقَةٍ فَاسْتَعَاضَ عَنْهَا بِأَصَابِعٍ مِنْ جُلُودٍ ،
وَكَانَ مِنْ مُعَاَصِرِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ . وَفِيهِ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ :

هُوَ اللَّصُّ وَابْنُ اللَّصِّ لَا لَصَّ مِثْلَهُ لِنَقَبِ جِدَادٍ أَوْ لَطْرِ الدِّرَاهِمِ
وَقَدْ عَدَّهُ الْجَاهِظُ مِنْ شُرَاءِ الْمَوْلَدِينَ الْمُطْبُوعِينَ (١ : ٥٠) وَالشُّعْرَاءُ وَالشُّعْرَاءُ

الأشجان : جمع الشَّجَن ، وهو الحزن ، وفي أدنى العدد ، والشَّجون جمعه الكثير . وقوله « رُبِّي حولها أمثالها » موضعه رفع على أنه بدل من قوله شُجون . ويعنى بها القبور المسنمة . وحولها أمثالها صفة للرُّبِّي . وما أشار إليه من المائلة يعنى فى الصُّورة والفناء جميعا . وقد ألمّ فى هذا بقول الآخر^(١) :

فقلت له إنَّ الشَّجَا يبعث الشَّجَا فَدَعْنِي فـهَذَا كُلُّ قَبْرٍ مَالِكٍ

ولمّا يريد أنَّ قبور أحبته بالدير وقبور أحبة من يأتسى بهم من المفجوعين ببقيع الفرقد ، لأنَّ أولئك ماتوا حتف أنفهم وفى أما كنهم ، فدفنوا فى مقابرهم ، وأصحابُ الشاعر قُتلوا وتفرَّبوا فدفنوا ثمَّ . والكلامُ توجعٌ وتلَّهف . وقوله « دُونِ المصلى » تحديدٌ للمقبرة ، وتقريبٌ لها من المصلى ، لذلك قال دُونِ فصغر دُون . وعلى ذلك تصغيرهم لقبيل وبُعيد وفوق . وقوله « إنَّ أنيتها قريبك أشجانا » مثل قول الآخر^(٢) :

أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَجَحَّ—دَنَا قَرَى من البثِّ والدَّاءِ الدَّخِيلِ الْخَامِسِ

وأضاف إليه معنى البيت الآخر بقوله « وهنَّ سكون » وهو « وأسمعنا بالصَّمتِ رجع جوابه^(٣) » . وقوله « كذا الهجر » يجوز أن يُشير بذا إلى ما قدَّمه ، ويجوز أن يكون وضع حرف الإشارة والمشارُ إليه يحىء من بعدُ على طريق التفسير له ، والترجمة منه . والمراد ما بيننا من استمجام الأخبار ، وذهاب لالتقاء والاجتماع ، على اتصال التزاور إذا فُعلَ ، أشبه شىء بالهجران ؛ وذلك ما لم يدخل بيننا فى شىء من الأوقات والأحوال . وهذا تحشُّرٌ آخر جديد ، وتلَّهف شديد .

(١) هو مضمع بن فويرة . الحماسية ٢٦٥ ص ٧٩٧ .

(٢) هو عبيد الملك بن عبد الرحيم الحارثي . الحماسية ٢٩٠ ص ٨٨١ .

(٣) صدر البيت ٧ من الحماسية ٢٩٠ . وعجزه :

• فأبلغ به من فاطق لم يحاور •

٢٩٧

وقال عبد الله بن ثعلبة الحنفي^(١) :

- ١- لكل أناسٍ مقبرٌ بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد
- ٢- وما إن زال رُسْمُ دارٍ قد أخلقت وبنتٌ لَمِيتٌ بالفناء جديده^(٢)
- ٣- همُ جيرةُ الأحياء أمّا جوارهم فدانٍ وأمّا الملتقى فبعميد^(٣)

يقول على وجه التحزُّن والتفجُّع والتوجُّع : تساوت أحوالُ الناس في مقاساة البلاء ، ومعاناة الشقاء ، لا تفاضل فيما بينهم ولا تمايز ، يرون مصارعهم بأفئدتهم ، وجنود الموت والفناء متساطة على طوائفهم ، تختبرُ الواحدَ بعد الواحد منهم بلا حياء ولا رقية ، ولا استبقاء ولا رعة ، وقد رضوا بحكمه وأخذوه ، واختياره وقسمه ، فمُسِّفهٌ عندهم رفق ، وبطشه رحمةٌ وعدل ، يرون فِرَقَ أحيائهم^(٤) على مُرور الأَيَّام إلى تراجعٍ وتناقص ، ومصيرَ مصانِعهم ومساكنِهم قريبًا إلى البلى والتعطُّل ، ويجدون عددَ الأموات إلى تزايدٍ وتكاثرٍ ، ومقابرهم إلى عمارَةٍ وتوافُر . هذا وقد التزموا ما يجري عليهم التزامًا ، لا سُخْطَ فيهم ولا إنكار ، ولا كراهة ولا ملال ؛ فلا المجاورة بين الفريقين تنقطع ، ولا المهاجرة ترتفع ، ولا الأحوال تتبدل ، ولا العادة في جميعها تتغير ؛

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣ : ٢٩٠) في الطبقة السادسة من أهل البصرة ، وكان معاصراً لسفيان بن عيينة . وروى له ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٣٩٥) وكذا ابن الجوزي قوله : « تضحكك ولسل أكفانك قد خرجت من عند القصار !! » . وروى له ابن الجوزي هذه الأبيات في صفوة الصفوة .

(٢) صفة الصفوة : « دار حى قد اُخربت » .

(٣) صفة الصفوة . « هم جيرة الأموات » .

(٤) هذا ما في ل . م . وفي الأصل « أحبابهم » . وفي التيمورية : « أحبابهم » .

ففي كل قبيلةٍ حدوثٌ مصيبةٌ ، ونزولٌ بليةٌ ؛ وفي كل مجموعةٍ تأثيرٌ فجيعةٌ ، ونكايَةٌ منيَّةٌ . فإِذا نستمسك ونعتصم من الفناء ، وعلى ماذا نعول ونعتمد في الرِّخاء ، وكيف رَضِينَا بتدانٍ يُبْطِله فناء ، وتجاوزٍ يُبْنِي على تدابُرٍ ، وأنَّى يستقيم البناء والتَّشْيِيدُ ، لمن مَلَكَهُ التَّفَادُ والتَّشْيِيتُ ، ومتى يحصل السُّلُوكُ لمن هو مُرْتَهَنٌ بتجديد المُفْقُود .

٢٩٨

وقال آخر :

١ - لَا يُبْعِدِ اللَّهُ إِخْوَانًا لَنَا ذَهَبُوا أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبْدِ

٢ - نُدِثُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يَوُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ

معنى لَا يُبْعِدِ اللَّهُ لَا يَهْلِكُ اللَّهُ . يقال بَعِدَ الرَّجُلُ إِذَا هَلَكَ . فإِنْ قِيلَ : كَيْفَ قَالَ لَا يُبْعِدِ اللَّهُ وَقَدْ عَقِبَهُ بِقَوْلِهِ أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبْدِ ، وَهَلِ الْهَلَاكُ إِلَّا الْفَنَاءُ ؟ قُلْتُ : هَذِهِ اللَّفْظَةُ جَرَتْ الْعَادَةُ فِي اسْتِعْمَالِهَا عِنْدَ الْمُصَائِبِ ، وَلَيْسَ فِيهِ طَائِبٌ وَلَا سَوْأٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَنْبِيهٌُ عَلَى شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَفْقُودِ ، وَتَنَاهِي الْجَزَعِ فِي التَّجَمُّعِ بِهِ . فَلَا تَرَى أَنَّ الْآخَرَ ^(١) قَالَ :

يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَذْفِقُونَنِي وَأَبْنِ مَكَانَ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا

وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ « حَدَثَانِ الدَّهْرِ » إِلَى النَّوَائِبِ وَالنَّكَبَاتِ ، وَبِقَوْلِهِ الْأَبْدِ إِلَى نَفْسِ الدَّهْرِ ؛ لِأَنَّ مَنْ سَلِمَ مِنَ آفَاتِ أَذَاهُ مَرُورِ الْأَيَّامِ وَالْأَيَّامِ إِلَى الْفَنَاءِ وَالْهَرَمِ . أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاهٍ ^(٢)

(١) هُوَ مَالِكُ بْنُ الرِّيبِ . جُمُورَةُ أَسْمَارِ الْعَرَبِ ١٤٤ وَالْخَزَانَةُ (١ : ٣١٩) .

(٢) نَسَبُ الْمُبَرَّدِ فِي الْكَامِلِ ١٢٥ لِبَعْضِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَبْلَهُ كَأَنَّ الْكَامِلَ وَشُرُوحَ

مَقْطُوعِ الزُّنْدِ ٣٠٨ :

كَانَتْ قَتَايَ لَا تَلِينُ لِفَانَزٍ فَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِسَاءُ

والأموات على اختلافهم لا يخرجون من هذين الحكيمين . وقوله « نِيدُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا » مثل قوله :

* فهُمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ^(١) *

إلا أَنَّهُ زَادَ عَلَى مَا قَالَهُ ، حِينَ قَالَ : « وَلَا يَأُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدٌ » .
ويموز أن يُرِيدَ بقوله « مِنْ بَقِيَّتِنَا » من خيارنا . يقال : فلانٌ من بقية قومه ،
أى من خيارهم . ويكون مثل قوله :

* أَرَى الذَّمَّ بِعَتَامِ الْكِرَامِ وَيَصْطَفِي^(٢) *

٢٩٩

وقال النطمش الضبي^(٣) :

١- إلى الله أشكوا لا إلى الناس أني أرى الأرض تَبَقَى والأخلاء تذهبُ

٢- أخلاء لو غيّر الحمام أصابكم عَتَبْتُ ولكن ما على الموتِ مَعْتَبُ^(٤)

صَرَفَ شِكْوَاهُ عَنِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، بِأَنَّهُ مِنْ مَمُوتِهِمْ ،
وإشكاء يَحْصُلُ مِنْ جِهَتِهِمْ ، وَلَئِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَجْرَى الْمَقَادِيرَ بِمَا يَتَأَلَّمُ
مِنْهُ ، مِنْ بَقَاءِ الْأَرْضِ وَفَنَاءِ الْأَصْدِقَاءِ . ثُمَّ قَالَ « أَخِلَاءُ لَوْ غَيَّرَ الْحَمَامُ أَصَابَكُمْ » ،
كَأَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الذَّاهِبِينَ مَعْتَذِرًا إِلَيْهِمْ مِنْ اسْتِسْلَامِهِ لِلْحَكَمِ الْجَارِي عَلَيْهِمْ ،

(١) عجز البيت الأول من الحماسية السابقة .

(٢) اطرفة بن العبد في معلقته . وعجزه :

* عَتِيلَةُ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدَّدِ *

(٣) ابن جني في المنهج : « الغلمشة : أخذ الشيء قهراً . قالوا : ومنه اشتق النطمش في اسم رجل ، فهو على هذا اسم مرتجل . وقالوا : النطمش : الرجل الكليل البصر ، فهو على هذا منقول من الصفة » .

(٤) كذا في سائر النسخ والتبريزي ، وهو ما يناسب التفسير التالي . ورسم في الأصل :

« أخلاى » .

ومن عَجَز قَوَاهُ عَنْ نُصْرَتِهِمْ فِيمَا أَصَابَهُمْ فَقَالَ : لَوْ كَانَ الْقَاصِدُ لَكُمْ غَيْرَ الْمَوْتِ لَتَسَخَّطْتُ الْحَالَ وَلَمْ يَكُنْ مَعِيَ بِهَارِضًا ، وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ طَرِيقٌ لِلْعُتْبِ ، وَلَا فِيهِ لِي رَجَاءٌ لِإِعْتَابٍ ، وَرُجُوعٌ بِاعْتِدَارٍ . وَقَوْلُهُ « أَخِلَاءٌ » يُرْوَى « أَخِلَائِي » عَلَى قَصْرِ الْمَدُودِ . وَالْأَجُودُ أَنْ يُتْرَكَ مَدَّتهُ عَلَى حَالِهَا ^(١) ، وَتُحَذَفُ الْيَاءُ مِنْ آخِرِهِ فِي النَّدَاءِ ، لِأَنَّ الْكُسْرَةَ تَدُلُّ عَلَيْهِ . وَقَدْ أَلَمْ يَقُولِهِ :

أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَيْبِهِمَا تَتَوَجَّعُ وَاللَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ ^(٢)

٣٠٠

وَقَالَ أَرطَاةُ بْنُ سَهْيَةَ ^(٣) :

- ١- هَلْ أَنْتَ ابْنُ آيَلِي إِنْ نَظَرْتُكَ رَائِحٌ مَعَ الرَّكْبِ أَوْ غَادِ غَدَاةٍ غَدِ مَعِي
 - ٢- وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ آيَلِي فَلَمْ يَكُنْ وَقُوفِي عَلَيْهِ غَيْرَ مَبْكَىٍّ وَمَجْزَعٍ
 - ٣- عَنِ الدَّهْرِ فَاضْفَحْ إِنَّهُ غَيْرُ مُعْتَبٍ وَفِي غَيْرِ مَنْ قَدِ وَاوَرَتْ الْأَرْضُ فَاطْمَعٍ
- خَاطَبَ الْمُرْتِيَّ مُتَلَهِّفًا عَلَى مَفَارِقَتِهِ ، وَمُنَحْصِرًا فِي إِثْرِ الْفَائِثِ مِنْهُ ، فَقَالَ :
- هَلْ تَرَوْحُ مَعَ رُكْبَانِ الْإِبِلِ إِنْ أَنْتَظَرْنَاكَ ، وَهَلْ تَغْدُو غَدَاةً غَدِ مَعِي إِنْ أَقَمْتُ لَكَ . وَهَذَا تَحْزُنٌ وَإِظْهَارُ بَأْسٍ ، وَبَيَانُ انْقِطَاعِ مَا بَيْنَهُمْ مِنَ التَّائُفِ وَالْاجْتِمَاعِ ، وَالتَّعَاوُنِ وَالْإِصْطِحَابِ . وَمَنْ رَوَى « غَدَاتِيذٍ » فَالْمُرَادُ غَدَاةٌ إِذِ الْأَمْرُ كَذَا ،

(١) هَذَا مَا فِي التَّيْجُورِيَّةِ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَلَى حَالَتِهِ » وَفِي سَائِرِ النُّسخِ : « عَلَى حَالِهِ » .

(٢) لِأَيِّ ذَوَيْبِ الْهَذَلِ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ (١ : ١) ، وَهُوَ مَطْلَعُ الْمُفَضَّلِيَّةِ ١٢٦ .

(٣) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحِمَاسِيَّةِ ١٣٥ ص ٣٩٧ . وَرَوَى التَّبْرِيزِيُّ مِنْ سَبَبِ الشُّعْرِ أَنَّهُ كَانَ مَاتَ لَهُ ابْنٌ ، فَأَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَوْلًا يَأْتِيهِ كُلُّ غَدَاةٍ فَيَقُولُ : يَا عَمْرُ ، إِنْ أَقَمْتُ إِلَى الْمَسَاءِ فَهَلْ أَنْتَ رَائِحٌ مَعِي ؟ وَيَأْتِيهِ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْصَرِفُ . فَلَهَا كَانَ رَأْسُ الْحَوْلِ تَمَثَّلُ بِقَوْلِ لَبِيدٍ :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمِ السَّلَامِ عَلَيْكَ وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ

محذوف الجملة التي أضيف إذ إليها لينشرح بها ، لكون المراد مفهوما ، ثم أتى بالتنوين عَوْضًا من الجملة المحذوفة ليستقل إذ به .
وقوله :

وقفت على قبر ابن يسلى فلم يكن وقوفى عليه غير مَبْكى ومجزع
مثل ما تقدم من قول الآخر^(١) :
رُبِّي حَوَالَهَا أَمْنًا لَهَا إِنْ أَتَيْتَهَا قَرَيْتُكَ أَشْجَانًا^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأَنْجَدَنَا قَرَى من البَثِّ والدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَامِرِ
وقوله « عن الدهر فاضنح » رَجَعَ إلى نفسه وأقبل يُشِيرُ عليها بالرُّضَا
بالمقدور ، وترك التكلف للعتب على الدهر في ارتجاع الموهوب ، إذ كان ذاك
لا يُوَدَّى إلى زَجَرٍ وارعواء ، ولا إلى تَلَافٍ^(٤) من جهته أو إعتاب . وقوله
« وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع » تصويرٌ لليأس من المدفون ، وأنه
لا طَمَعَ في إِيَابِهِ إذ لم يكن حاله كغيبية الغائبين .
وكلُّ ما فيه من غريب وتصريف قد مرَّ القول فيه .

٣٠١

وقال آخر في أخ له مات بعد أخ :

١ - كَأَنِّي وَصَيْفِيًّا خَلِيلِي لَمْ تَقُلْ لِمَوْقِدِ نَارِ آخِرِ اللَّيْلِ أَوْ قَدِ^(٥)
٢ - فَلَوْ أَنَّهَا إِخْدَى يَدَيَّ رُزِيَتْهَا وَلَكِنْ يَدَيَّ بَأَنْتَ عَلَى إِتْرَاهَا يَدَيَّ

(١) هو خلف بن خليفة ، في الحماسية ٢٩٦ .

(٢) تمامة : « وهن سكون » .

(٣) هو عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي . في الحماسية ٢٩٠ .

(٤) التلافي : التدارك . وفي نسخة الأصل : « اثتلاف » .

(٥) هنا تنتهي نسخة دار الكتب المصرية التي رمزنا إليها بالرمز « م » .

٣ - فَأَقْسَمْتُ لَا آتِي عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ قَدِي الْآنَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى هَالِكٍ قَدِي
يقول : لَمَّا انقطع ما بيني وبين أخي صَيْفِيْ بِالْمَوْتِ صِرْتُ كَأَن لَمْ يَجْمَعْنِي
وإِيَّاهُ أُخُوَّةٌ وَوِصَالٌ ، وَلَا وَلَادَةٌ وَلَبَانٌ ، فَلَمْ نَتَرَفَّدْ عَلَى ابْتِنَاءِ مَكْرُمَةٍ ، وَإِيقَادِ
نَارٍ لَطَارِقٍ لَيْلٍ ، وَطَالِبٍ قَرِيٍّ وَضِيَاةٍ ، وَلَمْ نَتَعَاوَنَ عَلَى إِقَامَةِ مَرْوَةٍ وَإِسْدَاءِ
عَارِفَةٍ . ثُمَّ قَالَ « فُلُو أَنَّهُا إِحْدَى يَدَيِ رُزِيَّتِهَا » . وَمَوْضِعُ إِحْدَى مُبْتَدَأُ وَرُزِيَّتِهَا
فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ . وَالشَّاعِرُ إِنَّمَا يَرِيدُ بَيَانَ تَوَالِي الْمَصَائِبِ عِنْدَهُ وَعَلَيْهِ ، وَتَفَاقُمِ
الْخُطْبِ لَهُ فِيهِ فَقَالَ : لَوْ أَصِبتُ بِإِحْدَى يَدَيَّ لَكُنَّ فِي الْبَاقِيَةِ بَعْضُ الْاجْتِزَاءِ
وَالِاسْتِفْنَاءِ ، وَلَكِنْ تَبِعَتِ الْأُولَى الثَّانِيَةَ ، فَأَدَى فَقْدُهَا إِلَى انْقِطَاعِ الْحَيَاةِ ،
وَافْتِقَادِ الْعُدَّةِ فِي الْآلَاتِ . وَحَذَفَ جَوَابَ لَوْ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، فَهُوَ كَمَا تَقُولُ :
لَوْ رَأَيْتُنِي وَأَنْتَ شَابِتٌ ، وَلَوْ رَأَيْتَ زَيْدًا فِي يَدِهِ السَّيْفُ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى لِرَأَيْتَ
الْأَمْرَ بِمُخْلَافَةٍ . وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ « فُلُو أَنَّهُا » يَمْجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْقِصَّةِ ، وَيَمْجُوزُ أَنْ
يَكُونَ لِلْمَصِيبَةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : فُلُو أَنَّ الْقِصَّةَ وَالشَّانَ إِحْدَى يَدَيِ رُزِيَّتِهَا .

وقوله « فَأَقْسَمْتُ لَا آتِي عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ » مَعْنَاهُ حَلَفْتُ لَا أَتَحَزَّنُ لِقُتْمَةٍ
فِي هَالِكٍ بَعْدَ هَذَا تَتَجَدَّدُ ، لِأَنَّ حَذَرَ كَانَ عَلَيْهِمَا ، وَخَوْفِي كَانَ مِنْ فَقْدِهَا ،
كَأَنَّ كَانَ رَجَائِي فِيهِمَا ، وَطَمَعِي مُعَلِّقًا بِحَيَاتِهِمَا .

وقوله « قَدِي الْآنَ » مَعْنَاهُ حَسْبِي . وَقَدْ تَزَادَ النُّونُ عَلَيْهِ لِيَسْلَمَ السَّكُونُ
فِي دَالِهِ ، إِذْ كَانَ مُبْتَدِئًا عَلَيْهِ ، فَيُقَالُ قَدَنِي ، وَإِنْ جَعَلْتَ قَدْ غَيْرَ مُضَافٍ فِي
لِلْمَوْضِعِينَ جَازٍ . وَيَمْجُوزُ تَحْرِيكُ الدَّالِ فِي الْأَوَّلِ لِانْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ ، وَفِي الثَّانِي
لِأَنَّ كُلَّ سَاكِنٍ وَقَعَ رَوِيًّا يَمْجُوزُ إِطْلَاقُهُ بِالْكَسْرِ . قَالَ حُجَّةٌ فِي زِيَادَةِ
النُّونِ وَحَذْفِهِ :

* قَدَنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْنَيْنِ قَدِي ^(١) *

(١) الرجز لحميد الأرقط . الحزاة (١ : ٤٥٣) .

فَأَتَى بِالْجَوَهِينِ جَمِيعًا . وقوله « الآن » موضعه نصب على الظرف ، ولا يحىء إلا بالألف واللام ومبنيًا معه . « وَمِنْ وَجَدٍ » موضعه رفع على أنه خبر المبتدأ الذي هو قَدَى . وكرّر قَدَى على طريق التأكيد ، والثاني مبتدأ مثل الأول وخبره مضمّر وهو مثل ما ظهر وصار خبر الأول . ومعنى الآن أنه اسم للزمان الحاضر : وقال بعضهم : هو الزمان الذي هو آخر ما مضى وأول ما يأتي من الأزمنة ، وإنما بُنِيَ لأنها وقعت في أول أحوالها بالألف واللام . وحُكِمَ الأسماء أن تكون شائمةً منكورةً في الجنس ثم يدخل عليها ما يبرّقها من إضافة وألفٍ ولامٍ ، يخالف الآن سائر أخواتها بوقوعه معرفةً في أول الأحوال ، ثم لزم مع ذلك موضعًا واحدًا ، لأن لزومها في هذه الحالة لموضعٍ قد ألحقه بشبه الحروف ، إذ كان حُكْمُ الحروف لزومها لموضعها في أوليتها لا يزول عنها ، فُبُنِيَ لذلك ، واختبرت الفتحه خلقتها .

٣٠٢

وقال آخر :

١- هَوَى ابْنِي مِنْ عَلَى شَرَفٍ يَهُولُ عُقَابَهُ صَعْدُهُ

٢- هَوَى مِنْ رَأْسٍ مَرْقَبَةٍ فَزَلْتُ رِجْلَهُ وَيَدُهُ

يقول : سقط ابني من أعلى جبلٍ يَهُولُ الارتقاء إليه والصعود فيه عُقَابُهُ ، لسموّه وارتفاعه . أي إذا همت العقاب بالطيران إلى قلته تداخلها منه هَوْلٌ وهيبةٌ . وهذا تهويل وتفضيع للشأن . وأعاد قوله « هَوَى » تحشّرًا وتوجّعًا . والرقبة هو للخرسة . واللى هو الأعلى . ويقال صَعِدَ يَصْعَدُ صُعُودًا وَصَعْدًا وَصُعْدًا^(١) .

(١) ل : « وصعداء » ولم تعرف المعاجم إلا الصعود ، والصعد بضمين ، ذكرت لأخيرة في اللسان .

وهَوَى مصدره الهَوَى والهَوَى بالفتح والضم ، وقد تقدّم القول فيه^(١) .
والأهوية : البئر ، وما بين أعلى الجبل إلى مستقرّ بطن الوادى . وقيل الهاوية :
كلّ مهوأة لا يُدرَك قعرُها . وقوله « يَهُولُ عِقَابُهُ صَعْدَهُ » فى موضع الصّفة -
للشّرف . ومعنى زَلَّتْ رجله ، أى انخلعت وبانت منه .

٣ - فلا أُمّ فتبكيه ولا أخت فتفتقه دة

لم يجعل فتبكيه ولا فتفتقه جواباً للنفي ، لأنّ الجواب يكون منصوباً ،
لكنّه عطف على ما قبله ، وهو عطف جملة على جملة . ومثله فى القرآن :
﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، لأنّ للمعنى لا يؤذن لهم ولا يعتذرون . وكذلك
هذا ، معناه لا أُمّ له فلا تبكيه ، إلّا أنّ الجملة المعطوفة بما فى القرآن مواقفة للجملة
المعطوف عليها ؛ لأنّ كلّ واحدة منهما مترتبة من فعل وفاعل ، والى عطف
عليها هى من ابتداء وخبر . والجمل الخبرية إذا اختلفت مثل هذا الاختلاف
يسوغ عطف بعضها على بعض ، ألا ترى أن الله تعالى يقول : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ
أَدَعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ ، فمطف أنتم صامتون وهو ابتداء وخبر ، على
ما قبله وهو فعل وفاعل ، لأنّ للمعنى لا يختلف ، بل يصير كأنه قال : أدعوتهم
أم صمتتم . وقد جاء على العكس من هذا ، لأنّ الشاعر يقول :

* أُمُوفٍ بِأَذْرَاعِ ابْنِ طَيْبَةٍ أَمْ تُذَمُّ ^(٢) *

فمطف تُذَمُّ ، وهو من فعل وفاعل بأم على موف وهو ابتداء وخبر ، لأنّ
للمعنى أنت موف محمود أم غادر مذموم . والكلام فى لا أخت فتفتقه على .

(١) انظر ما سبق فى الحاشية ١٢ ص ٩١ .

(٢) فى الأصل : « بأذراع إم » تحريف ، صوابه فى سائر النسخ . وفى ل :
« ظلية » صوابه فى نسخة الأصل والتيبورية والمفضليات (٢ : ١٠٩) ، وهذا مجزئ .
لواشد بن شهاب اليشكرى . وحذره :

* أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد *

ذلك، كأنه قال لا أُخْتُ له فلا تفتقدُه . وقال الخليل : تفتدتُ أمرَ كذا : تعهدتُه ، وافتقدته : لم أره هلاكاً وغيبةً .

٤- هَوَى عن صَخْرَةٍ صَلَدٍ ففُتَّتْ تحتها كِبْدُهُ^(١)

٥- أَلَامٌ على تَبَكِّيهِ وَأَلْمُسُهُ فلا أَجْدُهُ

٦- وكيفَ يُلَامُ مَحْزُونٌ كَبِيرٌ فَاتَهُ وَلَدُهُ

أعاد قوله « هَوَى » استفظاعاً وتحشراً . وَعَدَى هَوَى هاهنا بعنْ لأنه أجراه مجرى زَلَّ وما أشبهه . وَالصَّلْدُ : ما لا يُنْبِتُ شيئاً من الحجارة . ومن الأَرْضَيْنِ . ومنه أَصْلَدَ الزَّندُ ، إذا لم يُخْرِجْ منه النارُ ولم يكن ورياً . ومعنى قوله « فُتَّتْ تحتها كِبْدُهُ » تَقَطَّعتْ كبده لما حَصَلَ على الأرض . ويُشِيرُ بالصخرة إلى المَرْقَبَةِ .

وقوله :

أَلَامٌ على تَبَكِّيهِ وَأَلْمُسُهُ فلا أَجْدُهُ

معناه أَنَّ للناسِ يستسرفون اتصالَ بكائي عليه ، ودوامَ التحشُّرِ في إثمه ، والحاجةُ إليه تدعوني إلى طَلَبِهِ فلا أَظْفِرُ به ، فعند كلِّ طَلَبٍ يَحْصُلُ يَأْسٌ ، ويتعمَّقُ ذلك اليأسَ مَنًى بكاءً وتحزُّنً . وقوله « أَلْمُسُهُ » بمعنى أَلَمَسَهُ . وَاللَّمْسُ وَاللَّسَ يَقْتَارِبَانِ في معنى الطَلَبِ والالتماسِ . أَلَا تَرَى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتِ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ﴾ ، وَأَنْ مُسْتَرْقَةً السَّمْعَ لَمْ يَلْمُسُوا السَّمَاءَ وَلَا طَلَبُوا ذَلِكَ مِنْهَا ، وَإِنَّمَا تَرَاقَوْا لِلسَّمْعِ لِيَسْتَرْقُوا السَّمْعَ

(١) التبريزي : « ففُتَّتْ تحتها » . والتفريث . والتفتيت . قال التبريزي : « وقال أبو العلاء : إذا روى ففُتَّتْ تحتها كِبْدُهُ ، فهو من قولهم أَفْزَرْتَهُ أَى أَزَعَجْتَهُ . . . كأنه يريد أَن كِبْدَهُ زَالَتْ من موضعها . وبعض الناس ينشد : ففتت . ومنهم من يقول : ففرت ، يريد فريت من تفرى الأديم ، ويحملة على لغة طبرى ، يقولون : المرأة دعت ، أَى دغيت . »

لا غير . وإذا كان كذلك فعنى لَسَ التمس وطلَّب . وكذلك قولُ الشاعر^(١) :
 مَسِسْنَا مِنَ الْآبَاءِ شَيْئًا وَكُنَّا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعٍ
 معنى مَسِسْنَا منه طلبنا وفَتَّشْنَا ونظرنا ، وليس هو من الْمَسِّ باليد في شيء .
 ويدلُّ على أن معنى قوله أَلْمُسُّ أطلبه أنه عَقَّبَهُ بقوله فلا أجده ؛ وهذا ظاهر .
 وقوله :

وكيف يُلام محزون كبيرُ فاته ولده

يريد : كيف يُلام على البكاء والتوجع محزونٌ قد مَسَّهُ الْكِبَرُ ، ومن كان
 أَعَدَّهُ لحياته ومماته ، واعتدَّه للنيابة عنه في عياله ومعاشه ، قد فاته حتَّى لا طمع
 في إياب له ، ولا في مَفُوتَةٍ من جهته وإن استغاث به .

٣٠٣

وقال آخر :

١- إذا مَادَعَتْ الصَّبْرَ بَعْدَكَ الْبُكَاءُ أَجَابَ الْبُكَاءُ طَوْنًا ولم يُجِبِ الصَّبْرُ

٢- فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

يقول : إذا مِيلَتْ الرَأْيَ بين تَحُلِّ النَّفْسِ على الاستمرار في الجزع ،
 وَالذَّهَابِ فِي التَّلَامُعِ ، وبين ضَبْطِهِ وإمساكه والأخذ بالصَّبْرِ فيه ، ثمَّ اسْتَدْعَيْتُ
 الصَّبْرَ من جانب والبكاء من جانب ، وجدتُ البكاءَ يستجيب سريعاً من غير
 تباطؤٍ واستكراه ، ووجدتُ الصَّبْرَ يَحْذُلُ ويتأخَّرُ ، فلا يكون منه دَنُوءٌ
 ولا مُسَاعَدَةٌ . وهذا الكلام تَلَهُفٌ وتوجع . ثمَّ أَقْبَلَ على المرثيِّ فقال : إن كان
 الأملُ فيكَ منقطعاً ، والرَّجاءُ من إيابك متأخراً مستبعداً ، فإنَّ الحزنَ يبقى

(١) هو يزيد بن الحكم . الحماسية ٥٨ ص ٢٣٢ .

عليك ويتصل باتصال الأبد ، لا يَفْتَر ولا يَتَغَيَّرُ . وقوله « طَوَّعًا » مصدر في موضع الحال ، أراد : أجاب طائماً غير مُجْبَر .

٣٠٤

وقال النابغة يرثي أخاه من أمه^(١) :

١ — لَا يَهْنِي النَّاسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلَالٍ وَمَا يَسْوَ قُونَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ مَالٍ

٢ — بَعْدَ ابْنِ عَاتِكَةَ النَّاويَ عَلَى أَبِي أَمْسَى بِلْدَةٍ لَا عَمَّ وَلَا خَالٍ^(٢)

دعاه الضَّجَرُ بموت من أُصِيبَ به إلى أن دَعَا على الناس كافةً بأن لا يهينهم الله ما يرعونهُ من حَمَى ، وما يحوزونه من مالٍ ولَهَى ، ويسوقون من أهلٍ وولَدٍ ، ويجمعونه من عَتَادٍ وذخيرة . وهذا يدلُّ على ثمانية من قومٍ حصلت عليه حين فُجِّعَ بأخيه ، فيجوز أن يكون الناس وإن كان لفظه عامًّا يختص^(٣) بمن مَنِي بعداوته ، وابتلى بشماتته . فقد قيل في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ إِنَّهُ كَانَ رَجُلًا وَاحِدًا . ولا يمتنع أن يكون اعتد في الناس كافةً أنهم نظروا بعين الحاسدين إليه أبانَ حياته ، لحسن توقُّره ، وكمال براعته . وهذا شأنٌ من أعجبَ بشيءٍ أوتيهِ ، فلما فقده ظنَّهم شتموا به ، وأدركوا مُراداً لهم في فقده ، لا اختصاص فيه ولا تباين ، فعظمهم بالدعاء عليهم .

(١) ل : « ورزئ أخاه من أمه » . التبريزي : « يرثي أخاه من أمه . وأمه عاتكة بنت أنيس الأشجعي » . والأبيات ليست في ديوانه المطبوع في خمسة دواوين ، بل في طبع بيروت ١٣٤٧ ص ٩١ . وأنشدها ثعلب في المجالس ١٣٨ وياقوت في معجم البلدان (أبوي) . واسم أخيه هذا « صهار » كما في ديوان النابغة .

(٢) روى التبريزي : « على أمر » . وقال : « ويروى الناوي على أبوي ، وهو موضع فيه قبره . وذو أمر : موضع بعينه » قال ياقوت : « أمر : موضع بالشام » . وقال في أبوي أيضاً : « اسم موضع أو جبل بالشام » . ورواية ياقوت وثعلب : « أخى ببلدة » .

(٣) هذا ما في ل والتميمورية . وفي الأصل : « علما تعريضا » .

وقوله « بعد ابن عاتكة » نسبة إلى أمه تنبيهاً على أن الجامع بينهما كانت الأمومة . وقوله « النಾಯى على أبوى » يدلُّ على أن قبره كان به . وقوله « ببلدة لا عم ولا خال » تنبه به على تباينه عن بلاده وأقاربه ، وأنه مات في غربة .

٣- سَهْلُ الْخَلِيقَةِ مَشْأَلًا بِأَقْدَحِهِ إِلَى ذَوَاتِ الذَّرَى حَمَالُ أَنْقَالِ

٤- حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأَى الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِأَلِ^(١)

وصفه بأنه كان سهل الجانب حسن الخلق ، جميل التعمُّط أوان التَّحْطِطِ والجذب على الفقراء والمساكين ، ضروباً بقداحه على الإبل السَّمان ذوات الأسنمة الكبيرة ، إذا حضر الأيسار ، لشدة الزَّمان ؛ وأنه كان يدخل تحت الأعباء الثقيلة فيحملها على جاهه وماله لذويه ، والعفاة الراجين له .

وقوله « حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأَى الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا » ، يعنى بالخليلين نفسه والفقود ، فيقول : حَسْبُنَا مِنَ الْبُعْدِ وَإِنْ كَانَ التَّدَانِي بِالْجَوَارِ حَاصِلًا أَنْ صَاحِبِي تَحْتَ التُّرَابِ يَنْبَلِي ، وَأَنْبَى عَلَى ظَهْرِهَا أَمْشَى وَأَحْيَا . وقوله « هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا » أشار إلى كلِّ واحدٍ منهما بما يُشارُ به إلى الحاضر ، تنبيهاً على التَّجَاوُرِ والتَّدَانِي فِي الدِّيَارِ ، وَأَنَّ الْبُعْدَ إِنَّمَا كَانَ فِي تَعَدُّرِ الْوِصَالِ ، وَسُقُوطِ النَّزَاوُرِ وَالْإِنْتِقَاءِ .

٣٠٥

وقال موبلك المزموم يرى امرأته :

١- أَمْرُزُ عَلَى الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَلَاءِ خِيَّهَا لَوْ تَسْمَعُ

٢- أُنَى حَلَّتْ وَكُنْتُ جِدَّ فَرُوقَةٍ بَلَدًا يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْزَعُ

(١) ثعلب في المجالس : « أخذ الناس كلهم هذا المعنى من النابتة . يعنى حسب الخليلين » .

٣ - صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يَلَاغُكَ الْمَكَانُ الْبَاقِعُ

يَخَاطِبُ نَفْسَهُ وَيُبْعَثُهَا عَلَى زِيَارَةِ الْمَفْقُودَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهَا ، قَضَاءً لِحَقِّهَا ، وَتَجْدِيداً لِلْعَهْدِ بِهَا ، فَقَالَ : أَمُرُّزْ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي دُفِنْتَ فِيهِ ، وَسَلِّمْ عَلَيْهَا إِنْ كَانَتْ تَسْمَعُ . وَهَذَا تَوْجُّعٌ وَتَأَلُّفٌ . وَيُرْوَى « فَيُهَا هَلْ تَسْمَعُ » ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ لَوْ هُنَا وَبَيْنَ هَلْ ، أَنَّ « لَوْ » فَائِدَتُهُ الشَّرْطُ هَاهُنَا ، وَالْكَلَامُ بِهِ كَلَامٌ مَن غَلَبَ الْقَنُوطُ عَلَيْهِ مِنْ إِذْ رَأَى كَمَا تَحْيَا مَن زَارَهَا ؛ وَ« هَلْ » مِنْ حَيْثُ كَانَ لِلِاسْتِفْهَامِ يَصِيرُ الْكَلَامُ بِهِ كَأَنَّهُ كَلَامُ رَاجٍ أَوْ طَامِعٍ فِي سَمَاعِهَا . وَيَكُونُ الْمَعْنَى : حَيْثُهَا وَانْظُرْ هَلْ تَسْمَعُ .

وَقَوْلُهُ « أَتَى حَلَاتٍ » مَعْنَى أَتَى كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ . وَفَرْقٌ بِنَاءِ الْمُبَالَغَةِ ، وَازْدَادَ تَنَاهِيًا بِدُخُولِ هَاءِ الْمُبَالَغَةِ عَلَيْهِ . فَيَقُولُ مَخَاطِبًا لَهَا : كَيْفَ تَأْتِي مِنْكَ الْإِسْطِيطَانُ وَالنُّزُولُ فِي قَفَرٍ إِذَا مَرَّ بِهِ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْقَلْبِ تَدَاخَلَهُ رُغْبٌ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ قَلْقٌ وَذُعْرٌ ، وَعَهْدِي بِكَ وَكُنْتُ أضعفُ النَّاسِ قَلْبًا وَأَشَدَّهُمْ مِنْ ذِكْرِ الْحَاذِرِ اسْتِيحَاشًا . وَقَوْلُهُ « كُنْتُ جِدًّا فَرُوقَةً » ، كَقَوْلِكَ كُنْتُ فَرُوقَةً جِدًّا لَا هَزْلًا ، وَحَقًّا لَا بَاطِلًا . وَالْبَلَدُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ اخْتُطَّ أَوْ لَمْ يَخْتُطَّ .

وَقَوْلُهُ « صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ » فَالصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الرَّحْمَةُ ، كَأَنَّهُ يَتَسَّ مِنْهَا فَأَقْبَلَ بِرَحْمَةٍ عَلَيْهَا ، فَيَقُولُ : إِنْ لَكَ فِي شَبَابِكَ وَقَرَبِ مِيلَادِكَ ، وَكَالِكَ فِي خِصَالِ أَمْثَالِكَ ، لَمْ يَلِقْ بِكَ فِقْدَانٌ ، وَلَا كَانَ لَوْ قَتَلَ بِحَيٍّ الْمَوْتَ بِطَلْبِكَ مَنِّي ائْتِنْتَظَرُ ، ثُمَّ كُنْتُ مِنَ الثَّرَفَةِ وَالنَّعْمَةِ ، وَمُسَاعَدَةِ الْقَدَرِ لَكَ ، بِحَيْثُ لَا يُوَافِقُكَ الْإِنْتِقَالُ إِلَى الْقَفْرِ ، وَالتَّوَحُّشُ عَنِ الْأَهْلِ .

وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ غَايَةٌ فِيمَا يُحَدِّثُ بِهِ الْمَفْجُوعُ نَفْسَهُ .

٤ - فَلَقَدْ تَرَكْتَ صَغِيرَةً سَرَحُومَةً لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعُ عَلَيْكَ فَتَجَزَعُ

٥ - فَقَدَتْ شَمَائِلَ مِنْ لَزَامِكِ حُلُوءَةً فَتَبَيَّتْ تُسَهِّرُ أَهْلَهَا وَتُفَجِّعُ^(١)

٦ - فَإِذَا سَمِعَتْ أُنَيْنَهَا فِي لَيْلِهَا طَفِقَتْ عَلَيْكَ شُؤُونُ عَيْنِي تَدَمَعُ^(٢)

قوله « لم تدرِ ما جَزَعُ عليك فتجزع » لم يجعل « فتجزع » جواباً ولا عطفاً على ما قبله ، وليس اللفظ على واحدٍ منهما ولا المعنى ، وإنما قوله « فتجزع » منويٌّ به الاستئناف ، كأنه أراد أنها من صَفَرها لا تعرف المصيبة ولا الجزع لها ، وهى على حالها لا تجزع ، لأنَّ ما تأتيه من الضَّجَر والبُكاء ، وتتركه من النُّوم والقرار ، فعلُ الجازعين ، وغايةُ الفاقدين . وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ قوله : ﴿ إِن تَبْذُودُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْضَعُوا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ^(٣) ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١

فيقول : كانت اعتادت منك توفراً ومداراةً وحُسنَ خلقٍ ، ولينَ عِطْفٍ وكرمَ مخالطةٍ ، وإيناساً في جمالة ، فلما انقطع عنها جميعُ ذلك بالفراقِ باتت لا تنام ولا تُنيم ، بل تَفَجَّعُ وتَوَجَّعُ ، ومهما أدركتُ شكواها وبكاءها أقبلتُ مفاصلُ رأسي تَسْمَحُ بالدمعِ فأبكي عليك ولها . ومعنى « طِفَقَتْ عليك شُؤْنُ عيني » كقولك : أقبلتُ تفعل كذا ، وجعلتُ تقول كذا .

٣٠٦

وقال حفصُ بن الأحنفِ الكنانى^(١)

- ١ - لا يَبْعَدَنَّ ربيعةُ بن مُكْدَمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبٍ^(٢)
 - ٢ - نَفَرَتْ قُلُوصِي مِنْ حَجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيَتْ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبٍ
- قوله « لا يبعَدَنَّ » لفظه لفظُ الدُّعاء ، والكلام فيه على ما تقدّم . وكما قيل : بُعْدًا لَهُ وَسُحْقًا لَمْ يُقَلَّ مِنْ بَعْدٍ بَعْدًا إِذَا هَلَكَ بَعْدًا لَهُ ، وكان استعمالُ هذا في الدُّعاء أقربَ فلم يَحْيَ . ومعنى « وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبٍ » أنه دعا

(١) التيمورية : « بن الأخيف » . قال التبريزي : « ويروى لسان » . وقال أيضاً : « ويروى : الأخيف ، وهو الصحيح ... وقال أبو العلاء : حفص مأخوذ من قولهم ازبيل من جلود : الحفص ، وقد قيل إن ولد الأسد يسمى حفصاً . وحفص بن الأخيف يختلف في لفظه ، فيقال الأحنف ، من حنفت الرجل ، وهو أن تقبل إحدى الرجلين على الأخرى ، وقيل الأحنف أن يمشي الإنسان على ظاهر قدميه ويروى : الأخنف ، بالخاء والنون ، وهو أن يكون أحد جانبي الجسم مخالفاً للآخر . ومن روى الأحنف فهو من الحنف ، أى الميل والظلم » .

(٢) كان من خبر هذا الشعر أن نيشة بن حبيب خرج في فرسان من بني سليم ، فلقوا ربيعة بن مكدم ، فظل يقاتلهم حتى حمل عليه نيشة فقطعه ، فاستمر يقاتلهم وهو طمون قد صعب طمته ، فلما وجد الموت انكباً على رجمه ، وأقبل المسلمون وهم يحجمون عنه يخالونه حياً وهو قد فارق الحياة ، فرمى أحدهم فرسه فنذر عنها ميتاً ، ودفن على رأس ثنية غزال فكان لا يمر به أحد من العرب إلا عقر عليه دابة أو بعيراً ، حتى مر به كرز بن خالد وهو شيخ كبير ، فقال : لا أعقر ناقى ولكن أرتيه مكان ذلك ، ويقال بل عمرو بن شقيق الفهري . ويقال حفص ابن الأحنف العامري .

له بالشقيا . والقوادى هى السحابات التى تنشأ غدوة . والذنوب : الدلو بما فيه من الماء ، قال :

* له ذنوبٌ ولنا ذنوبٌ^(١) *

وربما جعل الذنوب الخط والنصيب ، كما قال :

* وحقّ لشأس من نذاك ذنوبٌ^(٢) *

وفى القرآن : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَفْحَاهِهِمْ ﴾ . وفى البيت الذى نحن فيه يحتمل الوجهين .

وقوله : « فَمَرَّتْ قُلُوبِي مِنْ حَجَارَةٍ حَرَّةٍ » فإنه كان اجتاز بهر ربيعة وقد نُصِدَ عليه حجارة سود ، فَمَرَّتْ قُلُوبُهُ ، فأخذ يقتص ما كان اتفق ويُسكره . وقوله « بُنِيتُ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ » من صفة الحجارة . ومعنى طلق اليدين أنه سَخِيٌّ بَدَالٌ يُطْلَقُ يَدَيْهِ بِالْمَعْرُوفِ . والوهوب : الكثير الهبات .

٣ - لا تَنْفِرِي يَا نَاقَ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرَّابُ خَمْرٍ مِسْعَرٍ لِحُرُوبٍ^(٣)

٤ - لَوْلَا السَّفَارُ وَبَعْدُ خَرْقٍ مَمَمٍ لَتَرَكْتَهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرْقُوبِ^(٤)

جَمَلِ نِفَارٍ نَاقَتُهُ كَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَدْفُونِ ، فَنَهَاها عَنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَخَذَ بِصَفِهِ بِالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالنَّقْدُ فِي الشَّرْبِ وَالْبَطَالَةِ . وَالْمِسْعَرُ : الَّذِي كَأَنَّهُ آلَةٌ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ .

وقوله « لَوْلَا السَّفَارُ » كانت^(٥) العادة فى العرب أن الواحد منهم إذا اجتاز

(١) فى اللسان (ذنب) :

لها ذنوب ولكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب

(٢) لمعلقة بن عبدة فى المفضليات (٢ : ١٩٦) . وصدرة :

* وفى كل حى قد خبطت بنعمة *

(٣) التبريزى : « شريب خر » ، وفى الأصل كتب تحت « شراب » : « شريب »

إشارة إلى أنها رواية أخرى .

(٤) فى الأصل : « لتتركها تكبو » ، صوابه فى ل واليمنية والتبريزى .

(٥) بعده سقط فى اليمنية ينتهى قبيل الحماسية ٣٢٣ ، وسنجه على نهايته بعد .

بقبر كريم كان مأوى للأضياف ، ومقيماً لقراهم ، ينحر راحلته ويطعمها الناس إذا أعوز الزاد ولم يتسع ، يفعل ذلك نيابة عنه ، إلا أن يمنع مانع من بُعد السفر وتناهي المشقة وما يجري مجراه ، فقال هذا الشاعر معتذراً من إبقائه على راحلته ، لما خف الزاد الذي كان معه ، ونجّز عن الصّحْب على بُعد المسافة وطول المشقة ومِسَّاس الحاجة . ومعنى « لتركناها تحبوا على العُرقوب » أى لَعَرَقْتُمُهَا . والخبو : ما يفعله الصبيُّ من الزحف قبل القيام ، ويفعله البعير وهو يريد المشي . ومنه الخابي من السَّهام ، وهو الذى يسقط ثم يزحف إلى الهدف . ويقال : حبا للخمسين ، أى لم يبلغها وقد دنا منها ؛ وهو من فصيح الكلام . والخرق : المكان الواسع تتخرق فيه الرِّيح . والمُهمّة : الأملسُ الواسعُ .

٣٠٧

وقال آخر :

١ - أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ عَلَيْكَ وَلَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِبًا^(١)

٢ - أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسٌ مَيَّتْ فَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا

الصَّبَابَةُ : الوجد والحُبَّة ، والفعل منه صَبَبْتُ بكسر الباء أَصَبْتُ . وَرَجُلٌ صَبٌّ ، وامرأةٌ صَبَّةٌ . وقوله « أجارى » ، ليس بندية^(٢) ، لأن المندوب لا يكون إلا بيا وواً ، لكنه على العادة والرسم ناداه ورخمه . يقول : لا أزداد على مرور الأيام وتصرف الأوقات إلا شوقاً إليك ، وولوعاً بك ، وقوة أسفٍ عليك ، إذ لم يكن حالى حال المتحسر فى إثرِ فائتٍ ، والرافع طمعه من لقاء مائت ، فيعقبه الفوات يأساً ، ويورثه ما يشاهده من حال الفناء تناسياً أو تسلياً ؛ وأنت

(١) ل والتبريزي : « عليك وما تزداد » .

(٢) فى الأصل : « ليس يندبه » وأثبتنا ما فى ل والتبريزي .

لا تزداد إلا تناهياً في الانقطاع ، وتناثياً في الهجرة والإعراض . فقوله « تناثياً » لم يرد تباعد الأجرام وتراخي الزار ؛ لأن تجاور الديار وتصاقبها كان باقياً على ما كان في الأصل .

وقوله « أجارى لو نفس فدت نفس ميت » ، يريد : لو كان السبيل إلى التفادي بين الأحياء والأموات مسلوفاً ، وقبول الأبدال عند الاستعراض والدعاء مجاباً إليه مألوفاً ، لكنت السابق إليه ، والجاهل في فدائك النفس والمال ، وأنا مغتبط بذلك ومغتنم له ، لكن لا مانع لما طُلب ، ولا مغدٍ عما حُتم .

٣- وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُمْلَأَ حَقْبَةً فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِي

٤- أَلَا لَيْمْتُ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

قوله « أَنْ أُمْلَأَ » يقال مُلِيتُ فلاناً فتملّيته ، أى جعل لي أن أعيش معه ملأوة فيبقى لي ممتعاً به . والمألوان : الليل والنهار ، من هذا (١) . يقول : كنت أرجو أن أمتع بحياتك حقبة — وقال الخليل : الحقبة زمان من الدهر لا وقت له ، والجميع الأحقاب والحقب والحقب مثله — فحجز بيني وبين مرادى القدر الذى لا يملك معه إلا الاستسلام له .

وقوله : « أَلَا لَيْمْتُ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ » مثل قول الآخر :

* فَالَيْتَ لَا آمِي عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ (٢) *

وقول الآخر (٣) :

* أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ (٤) *

(١) أصرح منه قول ابن جني في التنبيه : « ولام أملاك واو ، وهو من الملونين ، وهما الليل والنهار » . (٢) البيت الثالث من الحماسة ٣٩١ . وعجزه :

* قَدَى الْآنَ مِنْ وَجْدَى عَلَى هَالِكٍ قَدَى *

(٣) هو عبد الله بن المقفع . الحماسة ٢٨٢ .

(٤) صدره : . فقد جر نفماً فقدنا لك أننا *

٣٠٨

وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعية^(١) :

١ - ياعين بكي عند كل صباح جودي بأربعة على الجراح
قوله « بكي » يجوز أن يريد به أكثرى البكاء ، ويجوز أن يريد
كررى البكاء ، لأنّ تضعيف العين إذا لم يكن للتعمدية مثل كرم — لأنّه
كأكرم لا فرق بينهما ، يكون للتكثير أو التكرير ، وذلك كقولك ضرب
وقتل . وإنما قال « عند كل صباح » لأنّه يريد اجعلي مبدءاً هارك لذلك ،
أو لأنّه يريد كان وقت نكايته في الأعداء ، وشن الغارات على المباذين ،
فاجعلي بإزاء فعله حينئذ البكاء عليه الساعة . وقوله « جودي بأربعة » أراد
بالأربعة قبائل الرأس . والدمع يخرج من الشئون . فأراد : جودي بدمع
كله . ولا تدخري منه شيئاً . وقوله « ياعين » حذف الياء لوقوعها موقع
ما يحذف في النداء وهو التنوين ، ولأنّ الكسرة تدلّ عليه . وباب النداء
باب حذف وإيجز .

٢ - قد كنت لي جيلاً أودّ بظله فتركتني أضحي بأجرّد صاح
أقبل مخاطب المرثى على عادتهم في الانتقال عن الإخبار إلى الخطاب ،
وعن الخطاب إلى الإخبار ، تفنناً واقتداراً . فيقول : كنت لي جبل عزيّ ، آوى
إليك في الشدائد ، وأعوّل على حسن دفاعك في الدواب ، وأستكن بظلك ،

(١) كان والدها الأحجم - ابن ذندنة - ويقال « الأحجم » أيضاً - أحد سادات العرب . وزوجته هي خالدة بنت هاشم بن عبد مناف . وقال السكري : الشعر لليل بنت يزيد ابن الصمق ، ترثي ابنها قيس بن زياد بن أبي سفيان بن عوف بن كعب ، وقال الأخفش : إنه لامرأة من كندة ترثي زوجها الجراح . انظر أمالي القالي (٢ : ١ - ٢) والتنبية ص ٨٧ . وقد ذكر القالي أن عائشة رضي الله عنها تمثلت بهذه الأبيات بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وَأَتَحَصَّنَ بِمَنْعِكَ ، فغادرني بارزاً للآفات ، ومعرّضاً للحوادث والنكبات^(١) .
لا مَقِيلَ لي مما يَدْهَمُ ، ولا مَلَاذَ عند ما يَهْجُمُ . والضاحي : البارز للشمس ،
واللفعل منه ضَحِيَ يَضْحِي ؛ وقد أتى بهما في البيت . والأجرد : الأملس .
يَضْرِبُ^(٢) ذلك مثلاً لكونه مُنَوِّراً لا وافي له ولا ساتر ، ولا مُحامي
ولا مدافع .

٣- قد كنتُ ذاتَ حِمِيَّةٍ ما عِشتَ لي أمشي البرازَ وكنتَ أنتَ جَناحي
٤- فاليومَ أخضعُ للذليلِ وأنتَ مِنهُ وأدفعُ ظالِمي بالراح
قوله « قد كنتُ ذاتَ حِمِيَّةٍ » يقال حِمِيْتُ من الشيء أَحْيَى حِمِيَّةً ، أي
أَنْفَتُ وغضبت . ورجل حَمِيَّ الأنف : لا يحتمل الضيم ، وحَيَّ أَنْفُهُ من كذا .
والمعنى : كنتُ في حياتك أَنْفُ مما أُسَامُ من الضِّيمِ فَأَسْخَطُهُ ، وتَنَسَّعَ للقدرةِ
لِدَفْعِهِ والإباءِ منه ، والآنَ صارَ بدلَ ذلك السَّخَطِ الرِّضا ، وبإزاء ذلك الانتقامِ
الاستسلام . و « ما عشت » في موضع الظرف ، أراد مُدَّةَ عَيْشِكَ لي . وقوله
« أمشي البرازَ » البرازُ : المكانُ القضاء من الأرض . وإذا خرجَ إنسانٌ إلى
ذلك الموضع قيل بَرَزَ . ومن ههنا قولهم : بَرَزَ على أَقرانِهِ ، أي صارَ في البرازِ
ظهوراً عليهم واقتداراً . وكما تصرّفوا في هذا على ما تَرى تصرّفوا في الظاهرة ،
وهي الضّاحيةُ العالية ، ففعل : ظهَرَ فلانٌ على فلانٍ ، أي علاهُ ، وأظهرهُ اللهُ
عليه^(٣) ، وفي القرآن : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ . وأصلهُ أمشي في البرازِ ،
فحذفَ الجارَّ ووصلَ الفعلُ فَعَمِلَ . والمعنى : كنتُ لأستترَ ولا أكتُمُ^(٤) تهيباً
وتحوثاً من شيء . وقوله « وكنتُ أنتَ جَناحي » فالجنّاح من الطائر والإنسان :

(١) ل : « والنكبات » .

(٢) ل : « وضرب » .

(٣) كذا في ل . وفي الأصل : « وأظهره ما فيه عليه » .

(٤) ل : « ولا أكتنم » .

يداهُ. والمعنى : كنتُ أظيرُ بقوّتكِ، وأنهمضُ في الأمور بصوّلتكِ ، وأبطلُشُ بالأعداء بيدك وأيدكِ .

وقوله « فاليومَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ » أراد باليومَ مُتَّصِلَ وَقْتِهِ من الحال والاستقبال ، والمعنى : صرتُ من طَلَبِ السَّلَامَةِ على الدَّهْرِ وأهلِهِ بِحَيْثُ يَطْمَعُ فِي الدَّلِيلِ ، وَيَسْتَلِينُ جَانِبِي الْمُهِينِ ، فَأَتَقَى ذَا الشُّوْكَهَ وَمَنْ لَا شُوْكَهَ لَهُ ، وَأَحْذَرُ مَنْ يُخَشِّي كَيْدَهُ وَمَنْ لَا كَيْدَ لَهُ . وقوله « وَأَدْفَعُ ظُلْمِي بِالرَّاحِ » يريد أَدْفَعُهُ بِالْأَيْنِ مَا أَجْدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ ، لَا خَشَوْنَةَ لِي فِي قَوْلِي ^(١) وَلَا مَزَاحَةً فِي رُكْنِي ، وَلَا اعْتِرَاضَ شَدِيداً مَنِّي فِي اهْتِضَامِهِ لِي ، وَلَا حَاجَةً قَوِيَّةً عَلَى جِدَالِهِ إِيَّايَ ، فِعْلٌ مَن لَا حَدَّ لَهُ وَلَا حَدِيدَةً ، وَلَا عُدَدَ وَلَا عَتِيدَةً ، وَلَا حَيَّةً وَلَا حَيَّةً .

٥ - وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنَّا لَهَا يَوْمًا عَلَى فَنَنِ دَعَوْتُ صَبَاحِي ^(٢)
٦ - وَأَغْضُ مِنْ بَصَرِي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ بَانَ حَدَّ فَوَارِسِي وَرِمَاحِي
قوله « وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنَّا » كَلَامٌ أُخْرِجَ عَلَى مَا فِي اعْتِقَادِهِمْ مِنْ بُكَاءِ الْحَمَامِ ، فَيَقُولُ : إِذَا نَاحَتْ حَمَامَةٌ عَلَى غُضْنِي وَهِيَ تَدْعُو حُزْنَهَا لِيهِتَاجَ بَكَوْهَا وَيَمْتَدُّ صَوْتُهَا ، فَإِنِّي أَشْجِي لَصَوْتِهَا وَأَجَابُهَا دَاعِيًا صَبَاحِي ، أَيْ قَائِلًا : وَاصْبَاحَاهُ !

وقوله « وَأَغْضُ مِنْ بَصَرِي » غَضُّ الْعَارْفِ مِنْ فِعْلِ الذَّلِيلِ الْمُنْخَزَلِ ، كَمَا

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « لَا خَشَوْنَةَ فِي قَوْلِهِ » .

(٢) ورد هذا البيت عند التبريزي متأخرا عن تاليه ، وهو الأوفق . وقال البكري في التنبيه على الأمالي ص ٨٧ : وأخبرني غير واحد عن أبي العلاء المعري - رحمه الله - أنه كان يرد هذه الرواية ويقول إنها تصحيف ، وكان ينشده : • وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَبَا لَهَا * بِكْسَرِ الْجَمِّ وَبِالْبَاءِ بَعْدَهَا ، يَعْنِي فَرَخَهَا الْهَالِكُ ، وَهُوَ الْهَدِيلُ . وَالشَّجْبُ : الْهَالِكُ ، وَالشَّجْبُ : الْهَالِكُ . وَأَخْلَقَ بِهَذَا الْقَوْلَ أَنْ يَكُونَ مَصْحُوحًا ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ .

أَنْ طُمُوْحَهُ فَعَلُ الْعَزِيزِ النَّاطِرِ مِنْ فَوْقَ . فَيَقُولُ : إِنِّي عَارِفٌ بِمَقْدَارِي بِمَدَكَ ،
وَمُتَيِّقُنْ نَكْوِصِي وَسُقُوطَ حَشْمَتِي بِذَهَابِكَ ، وَكَلَّةٌ ^(١) حَدَّيْ وَحَدَّ أَصْحَابِي
لِفَقْدَانِكَ ، فَأَغْمَضُ عَيْنِي فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَجْرِي عَلَى وَالِائِسَةِ ، خَافَةً أَنْ أَرَى مَا هُوَ
أَكْبَرُ مِنْهُ . وَقَوْلُهُ « وَأَعْلَمُ أَنَّهُ » الضَّمِيرُ ضَمِيرُ الْأَمْرِ وَالشَّانِ . يَرِيدُ : وَأَعْلَمُ أَنَّ
الْأَمْرَ انْفِلَالُ فُرْسَانِي ، وَتَفَلُّلُ أَسِنَّةِ رِمَاحِي . وَهَذَا مَثَلُ اسْقُوطِ الْقَوَى وَاسْتِعْلَاءِ
الْعِدَى ، وَذَهَابِ الْعُدَّةِ وَتَرَاجُعِ الْعِدَّةِ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَرِيدَ بِحَدِّ فَوَارِصِي نَفْسَ
الْمَفْقُودِ ، جَعَلَهُ لِفُرْسَانِهِ حَدًّا إِذَا كَانَ مَقْدَامَهُمْ وَمِدْرَهُهُمْ ، وَلِرِمَاحِهِ سَنَانًا إِذَا كَانَتْ
تَعْمَلُ بِقُوَّتِهِ ، وَتَنْفُذُ بِصِرَامَتِهِ .

٣٠٩

وقال آخر ^(٢) :

- ١- إِيْخُوْتِي لَا تَبْعَدُوْا أَبَدًا وَبَلَى وَاللّٰهِ قَدْ بَعِدُوْا
 - ٢- لَوْ تَمَلَّكْتُهُمْ عَشِيْرَتُهُمْ لَا قِتْنَاءَ الْعِمَزِ أَوْ وَلَدٌ ^(٣)
 - ٣- هَانَ مِنْ بَعْضِ الرَّزِيْثَةِ أَوْ هَانَ مِنْ بَعْضِ الذِّيْ أَجْدُ
 - ٤- كُلُّ مَا حَتَّى وَلِمَ أَمْرُوْا وَارِدُوْا الْحَوْضِ الذِّيْ وَرَدُوْا ^(٤)
- لَكَ أَنْ تَرَوْى « إِيْخُوْتِي » وَ « إِيْخُوْتَا » . فَمَنْ رَوَى « إِيْخُوْتِي » فَإِنَّهُ
يَسْكُنُ الْيَاءَ وَأَصْلُهُ الْحَرَكَةُ ، لِكَوْنِهِ عَلَامَةُ الضَّمِيرِ مُتَطَرِّقًا عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ

(١) الكَلَّةُ بِالْكَسْرِ : مُصَدَّرُ كُلِّ السِّيفِ وَنَحْوُهُ كَلَا وَكَلَّةً وَكَالَوْلَةَ وَكَالَوْلَا . إِذَا لَمْ يَقْطَعْ .

(٢) كَذَا وَرَدَ فِي ل . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « وَقَالَتْ أَيْضًا » ، أَيْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْأَحْجَمِ .
وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ جَنَى صَرِيحًا فِي التَّنْبِيْهِ : « وَقَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْأَحْجَمِ الْخَزَاعِيَّةُ » .

(٣) هَذِهِ رَوَايَةُ لِ وَأَشِيرُ فِي هَامِشِهَا إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةِ « أَوْرُلْدُوا » ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ
الْآخِرَةُ وَرَدَتْ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ وَالتَّبْرِيزِيِّ . وَمُقْتَضَى عِبَارَةِ الشَّرْحِ أَوْلَوِيَّةُ رَوَايَةِ لِ .

خوجب تقويته بالتحريك كما كان سبيل أختيه الكاف والماء لو وقما موقعه،
لكنهم آثروا الفتحة لخفتها، وبدل على أن الأصل الفتحة أنه لو كان ما قبله
ساكنًا كان لا يجرى إلا مفتوحا. وذلك قولك رَحَى وَعَصَايَ، إلا أنه لما
كان باب النداء باب حذف وإيجاز، لكثرة استعماله، سَكَنُوا الياء. ومن
قال «إخوتا» فرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة، فانقابت الياء ألفًا.
على ذلك قولهم باديةٌ وبداةٌ، وناصيةٌ وناصاةٌ، وقولك بأباها وأنت تريد
بأبيها. وقوله «لا تَبَعِدُوا» قد تقدّم القول فيه^(١). فأما استدراكه لقوله
«وبلى والله قد بَعِدُوا» فإنه تنبيه منه على أن لا تَبَعِدُوا وإن كان لفظه لفظ
النداء فهو جارٍ على غير أصله، وأنه إنما هو تحشُّرٌ وتوجُّع.

وقوله «لو تَمَلَّثْتُمْ عَشِيرَتَهُمْ»، يريد: لو بقُوا معهم مُلَاوَةً من الدهر
متمتعين بهم، ومقتنين العزَّ بمكانهم أو أولادهم بقُوا معهم فترَبُّوا في جُحورهم،
وتادَّبُوا بسياساتهم، واحتَبَّوْا بأردية السَّيَادَةِ في أُنْيَتِهِمْ ومَحَافِلِهِمْ—هنا بعضُ
الرزيئة. ولك أن تروى «أو ولدوا» على أن يكون فعلاً وواو الضمير بعد حرف
الروى تُجْعَلُ وصلًا، ويكون للمعنى: لو أَعْمَبُوا وخَلَّفُوا أولاداً يَرْتَوْنَ مجْدَمَ
ويُحْيُونَ أسماءهم، وَيَعْمُرُونَ مَعَالِي آبائِهِمْ بعدهم. وجواب لو أوَّل البيت الذي
بليه، وهو «هان من بعض الرزيئة» ومعناه: لو قُضِيَ الأمرُ على ذلك خَلْفَ
بعض ما على النَّاسِ لهم ومن أجلهم، أو خَفَّ بعضُ الذي أجده أنا من
الاكتئاب والاهتمام بقوتهم. وقوله «من بعض الرزيئة» الأخفش يجوز زيادة
«من» في الواجب، فعلى طريقته يكون المعنى هان بعضُ الرزيئة. وسيبويه
يَمْتَنِعُ من زيادة من إلا فيما ليس بواجب، كالاستفهام والنفي. فعلى طريقته
يكون المعنى: كَانَ ابْتِدَاءُ المَهْوَنِ بعضَ الرزيئة أو من بعض الرزيئة.

(١) انظر الحماسية ٢٩٨ ص ٨٩٢، و ٣٠٦ ص ٩٠٥.

وقوله « كلُّ ماحيٍّ » ما زائدة ، ويجوز أن يريد بالحيِّ القبيلة . ومعنى
أَسْرُوا كَثُرُوا . يقال أَسْرَ الشيء وأَمَرَهُ اللهُ له^(١) . ويجوز أن يريد بالحيِّ ضدَّ
الميت ، ويكون الضمير من أَسْرُوا عائداً إلى لفظ كل . فيقول : كل قبيلة وإن
تناسلتوا وتكاثروا فقال أَمَرَهُمْ إلى مثل ما آل أَسْرُ إخوتي ، ومَوْرِدُهُم من
الذهاب والفناء مثل مَوْرِدِهِمْ ، إذ كان الموت لا معدِّلَ عنه ، ولا مَنَجِيٍّ لأَحَدٍ
منه . وجواب الشرط في قوله وإن أَسْرُوا دلَّ عليه قوله « وَاَرِدُوا الحوض الذي
وردوا » ، والضمير العائد من الصلَّة إلى الموصول محذوف ، كأنه قل : الذي
وردوه ، لأنهم استطالوا الاسم بصلته .

٣١٠

وقالت امرأةٌ أخرى^(٢) :

١- طَافَ يَبْنِي نَجْوَةً مِنْ هَلَاكِ فَهَلَكَ^(٣)

٢- أَيْتَ شِعْرِي ضَلَّةً أَيْ شَيْءٌ قَتَلَكَ

النَّجاة والنَّجوة : ما ارتفع من الأرض حتى لا يصل إليه السَّيلُ
ولا يبلِّغه . قال :

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كُنْ بِعَقْوَتِهِ والمستكين كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاكِ^(٤)
فجعله هاهنا مثلاً لما كان يطلبه من وجه الخلاص من الآفات . وكأنَّ هذا

(١) كلمة « له » ليست في ل .

(٢) التبريزي : ويروى أنها لأم تأبط شرأ ، ويقال لأم السليك بن السلكة . ورجح
التبريزي أن الشعر لأم السليك بن السلكة بخبر طويل ساقه في شرحه . وفي المقد (٣ : ٢٦١) :
« خرج أعرابي هارباً من الطاعون فبينما هو سائر إذ لدغته حية فات ، فقال أبوه يرثيه » .

(٣) هذا وزن نادر من أوزان الشعر . قال التبريزي : « من مشطور المديد والقافية
متراكب . قال أبو العلاء : هذا الوزن لم يذكره الخليل ولا سعيد بن مسعدة . وذكره الزجاج
وجعله سابغاً للرمل . وقد يحتمل أن يكون مشطوراً للمديد » .

(٤) لأوس بن حجر في ديوانه ص ٤ ، ليسك ، أو عبيد بن الأبرص . اللسان (قرح) .

المرئي كان استشعر خوفاً من الموت فأخذ يتنقل في البلاد والبِقاع ويتطلب موضعاً يبعده من الآفات ، فبقى يتردد في ذلك ويحير ، فإذا الهلاك قد فاجأه من حيث لا يحتسب ولا يرتقب . وإنما انكر من هلاكه لأنه جمل كل نوع منه هلاكاً ، ولم يذر ماذا يصيبه .

وقوله « ليت شعري » موضع شعري نصب في معنى على . ويقال شعرت شعرة كما يقال فطنت فطنة ، إلا أنه لا يستعمل مع ليت إلا وقد حذف الهاء منه . وقوله « أي شيء قتلك » الجملة كما هي في موضع نصب ، لأنها نابت عن مفعوليه . وخبر ليت مضمّر لا نجده إلا كذلك ، فهو يشبه خبر المبتدأ بعد لولا إذا قلت لولا زيد لمخرجت ، لأن لمخرجت جواب لولا . وخبر المبتدأ محذوف لا يجيء إلا على ذلك . واستغناء ليت بمفعولي شعري عن خبره ، كاستغناء المبتدأ بعد لولا بجوابه عن خبره . و « ضلّة » ، انتصب على المصدر ، والعامل فيه فعل مضمّر . وهذا الضلال يجوز أن يكون لنفسه فيما استبهم عليها من حال المتوفى ، كأنه ضلّ عن العلم ضلّة ، ويجوز أن يكون للمتوفى نفسه ، كأنه عد غيبته وخفاء أمره ضلالاً له ، والمعنى : تمنيت أني أعلم أي شيء أهلكك ، وهذا الضلال عن معرفة حالك ، وذهابي عن العلم به . هذا على الأول ، وعلى الثاني يكون المعنى : ما الذي قتلك حتى ضللت هذا الضلال .

فإن قيل : خبر ليت كيف يجيء في التقدير وإن لم يظهر في الاستعمال ؟ قلت : تقديره ليت شعري واقع أي شيء قتلك ، أي ليتني علمت أو وقع على بما يقتضي هذا السؤال ، لأن الذي تمناه هو ما كان جوابه لا نفس السؤال .

٣ - أمريض لم تعد أم عدو خلتك^(١)

(١) بعده عند التبريزي :

أم توتى بك ما غال في الدهر الشلك

السلك ، كصرد : فرخ القطا ، وقيل فرخ الحجل .

٤ - كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلَمَّيْ أَجَلَكَ

٥ - وَالْمَنَایَا رَصَدٌ لِّلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ^(١)

٦ - أَيْ شَيْءٌ حَسَنٍ لِّفَتَى لَمْ يَكْ لَكَ

قوله «أمريض لم تعد» هو إعلام منها بأنه تغيب نفخي أمره فيما أصابه حتى لم يبين له أثر، ولا لمرضه نبأ. وهو يجري مجرى البيان لقولها «أى شيء قتلك» فنقول: أمريض كنت في غربته ووطن وحشة، فمت حثف أنفك لا يعودك مُشْفِق، ولا يتفقدك ممرض، أو اغتالك عدو فتوصل إلى الغيلة في بابك بإعمال الختل والحيلة. ويروى: «أو رصيد ختلكت»، والمعنى: أو خدعك عن حياتك من كان بالمرصاد لك من أعدائك. وقال الخليل: الختل: تخادع عن غفلة.

وقوله:

كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلَمَّيْ أَجَلَكَ

تريد الإخبار عن استواء أصحاب الموت في الأخذ والظفر، إذا دنا الأجل. وأن كل سبب ينوب مناب الآخر إذا انتهت المدة.

وقوله:

وَالْمَنَایَا رَصَدٌ لِّلْفَتَى حَيْثُ سَلَكَ

تريد به أن البقاع والتحول^(٢) فيها لا يغنى؛ لأن حكم الله تعالى يبحث وبنق عن المطوب حيث كان، فالموت رصد للفتى حيث استطرق وأنى توجه.

(١) روى التبريزي هذا البيت وبعده البيت السادس ثم الخامس.

(٢) كما بالحاء المهملة في جمع النسخ. يقال حال الرجل وتحول من موضع إلى موضع، أى انتقل.

وبعضهم يرويه : « والمنايا رُصد » كأنه جمع الراصد لكون المنايا جمعا .
والأوّل أفصح وأجود .

وقوله :

أَيُّ شَيْءٍ حَسَنٍ لَفَتَنِي لَمْ يَكُ لَكَ

بصفه ببراعته وتكامل تحاسنه ، واستتمام آلات الرياسة فيه ، فكأنه
لا يُستحسن من الفتيان شيء خالقا ولا خلقا إلّا وقد كان حصل له ، واجتمع
فيه . وقد تقدّم القول في حذف الثون من لم يك .

٧ - سَاعَزَى النَّفْسَ إِذْ لَمْ تُجِبْ مَنْ سَأَلَكَ

٨ - إِنَّ أَمْرًا فَادِحًا عَنْ جَوَابِي شَمَلَكَ

٩ - طَالَمَا قَدْ نِلْتَنِي غَيْرَ كَدِّ أَمَلَكِ^(١)

قوله « سَاعَزَى النَّفْسَ » أى ساءبها ، إذ كنت مع السائلين - وإن
اختلفوا - على حدّ واحدٍ في ترك مجاببتهم ، فعصمت ولم تخص . وهذا
التعزى الذى أشار إليه ليس لتسلّ عن المفقود ، ولا لتناسٍ منه ، ولكنّه^(٢)
طبيب النفس بتشارك الناس في إمساكه عن إجابته .

وقوله : « إِنَّ أَمْرًا فَادِحًا » اكتسب أمرٌ وهو نكرةٌ من النعت الذى
تبعه بعض الاختصاص ، فلذلك صلح الابتداء به حتّى دخل إن عليه . ألا ترى

(١) روى التبريزى هذا البيت بعد البيت الرابع ، ثم روى بعدهما الثامن فالسابع ، ثم
بيتين لم يروهما المرزوق ، وهما :

لَيْتَ قَابِي سَاعَةً صَبَرَهُ عَنْكَ مَلَكٌ

لَيْتَ نَفْسِي قَدَّمْتُ لِلْفَنَاءِ بِدَلَكِ

(٢) بعد ما فى الأصل كلمة « مهيا » وهى مقصودة .

أَنَّ فائِدَتَهُ مَعَ إِهْبَامِهِ كَامِلَةٌ فِي الْمِرَادِ ، وَالْمَعْنَى : إِنَّ عَظِيمًا مِنَ الْأُمُورِ صَرَفَكَ
عَنْ رَشْمِكَ وَدَأْبِكَ فِي مِبَاسَطَتِي وَمُبَائِثَتِي . وَلِأَنَّ السَّكْلَامَ قَدْ يُحْمَلُ عَلَى الْمَعْنَى
فِيمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : مَا صَرَفَكَ رَشْمَكَ عَنْ جَوَابِي إِلَّا أَمْرٌ عَظِيمٌ
فَادِحٌ ؛ إِذْ كَانَتْ الْعَادَةُ قَدُمْتُ مِنْكَ فِي حُسْنِ التَّوْفُرِ ^(١) عَلَى الْإِنْبَالِ ،
لِتَوَجُّهُ خَطَايَا نَحْوِكَ .

وقوله :

طَالَمَا قَدْ نَلْتَ فِي غَيْرِ كَدِّ أَمَلَكِ
إِذْ بَانَ بَأْتُهُ نَالَ مِنَ الدُّنْيَا كَثِيرًا مِنْ إِرَادَتِهِ وَأَمَانِيهِ ، حِينَ هَبَّتْ
أَرْوَاحُهُ ، وَسَاعَدَتْهُ أَيَّامُهُ وَحَالَاتُهُ ، وَأَنَّهُ طَالَمَا كَانَ يَتَحَصَّلُ لَهُ الْمُبَاغَى بِلَا كَدِّ
لِإِقْبَالِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ ، وَيَتَهَيَّأُ لَهُ الْمَطَالِبُ لِاقْتِرَانِ الْمُنَاجِحِ بِمَا لَدَيْهِ أَوْ إِلَيْهِ ،
وَفِي ذَلِكَ بَعْضُ النَّسْلِ لِلْجَازِعِينَ لَهُ ، وَالتَّوَجُّعِينَ لِقَنَائِهِ .
وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي لَفْظَةِ طَالَمَا وَبَيَّنْتَ مَعْنَاهُ وَهَجَاهُ فِي الْكِتَابِ ^(٢) :

٣١١

وَقَالَ الْمُجَبِّرُ السَّلُولِيُّ ^(٣) :

١ - تَرَكْنَا أَبَا الْأَضْيَافِ فِي لَيْلِيَةِ الصَّبَا بِمِرٍّ وَمِرْدَى كُلِّ خَصْمٍ يُجَادِلُهُ ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : « التَّوْفِير » ، وَالْوَجْهَ مَا فِي سَائِرِ النُّسخ .

(٢) انْظُرِ الْحَمَاسِيَّةَ ٢٨٩ ص ٨٧٥ .

(٣) الْعَجْبَرُ لَقِبَ لَهُ ، وَاسْمُهُ عَمِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ جَابِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
سَلُولٍ ، وَبَنُو سَلُولٍ هُمُ بَنُو مَرَّةَ بْنِ صَعْصَعَةَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ أُمَمُهُمْ فَسَمَوْا بِهَا . وَالْعَجْبَرُ شَاعِرٌ مَقْلٌ
إِسْلَامِيٌّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ . الْأَغَانِي (١١ : ١٤٦ - ١٥٣) وَالْخَزَائِنَةُ (٢ : ٣٠٩) ،
وَالْمَوْتَلَفُ ١٦٦ . وَكَانَ يَكْنَى أَبَا الْفَرَزْدَقِ بِاسْمِ وَلَدِهِ . وَالتَّوْلُفُ وَمَعْجَمُ الْمَرْزُبَانِيِّ ٢٣٢ .
كَأَنَّكَ كَانَ يَكْنَى أَبَا الْفَيْلِ فِيمَا قَالَ الْبَغْدَادِيُّ . وَقَدْ ذَكَرَ الْمَرْزُبَانِيُّ حَفِيدَهُ عَمْرِو بْنُ الْفَرَزْدَقِ بْنِ
الْعَجْبَرِ فِي الشُّعْرَاءِ .

(٤) تَلَبَّسَ بَعْضُ آيَاتِ قَصِيدَةِ هَذِهِ الْحَمَاسِيَّةِ بِآيَاتِ الشُّمْرُدَلِ بْنِ شَرِيكِ ، الَّتِي رَوَاهَا
أَبُو الْفَرَجِ فِي الْأَغَانِي (١٢ : ١١٣ - ١١٤) .

يُروى « تركنا أبا الحنفاء » وهو فيما أظنه كُنية المرتضى . وجعله أبا الأضياف لتوفره عليهم ، ولأن داره كانت مشوام . وهم يقولون : فلان أبو مشوامى ، وفى للمرأة : أم مشوامى ، لمن قرأهم . وأشار بليلة الصَّبَا^(١) إلى ليلة بعينها^(٢) اتفق فيها على هذا الرجل بمرّ ، وهو موضع ، اجتماع الخصوم حوله^(٣) . والمردى : صخرة يُكسّر بها النوى ؛ هذا أصله ، ثم يقال فلان مردى الخصوم ، أى يرمون به فيكسّروهم . وقوله « كل خصم » أراد بالخصم الكثرة ، كأنه حضره من كل قبيل من مخالفيه مردى لهم يجادلهم عنهم ويجاذبه . وقوله « بمرّ » منعه من الصّرف لأنّه جملته منّا معرفة ، ولو ذكره لصرفه . والواو من قوله « ومردى كل خصم » واو الحال^(٤) . والصَّبَا : ربح تستقبل القبلة ؛ والفعل منه صَبَا يصبو . وأضاف الليلة إلى الصَّبَا تعريفاً وتخصيصاً ، كأنه كان للصَّبَا شأنٌ فى تلك الليلة .

٢ - تركنا فتى قد أبتن الجوع أنه إذا ما ثوى فى أرض القوم فائتله

- وانظر بعض أبيات العجبر فى معجم البلدان (مر) وأمالى القالى (١ : ٢٧٥) . وذكروا أن العجبر كان له ابن عم يدعى « جابر بن زيد » ، وكان كريماً مفضلاً ، قال فيه العجبر : إن ابن عمى لابن زيد وإنه ليلال أيدى جلة الشول بالدم فكان إذا سمع بأضياف عند العجبر لم يدهم حتى يأتى بجزور كوماه فيطعن فى لبثها عند بيته ، فيبيتون فى شواء وقير . وكان الناس يقولون له : مالك لا تكثر إبلك ؟ ! فيقول : إن العجبر لم تدعها تكثر ! ! ثم سافر ابن زيد فأتى بمكان يقال له « مر » ، فرثاه العجبر بهذا الشعر . الأغنى ومعجم البلدان .

- (١) رواية ابن الفرّج : « فى كل شتوة » ، ورواية ياقوت : « فى ليلة الدجى » .
- (٢) الحق أنها ليست ليلة بعينها ، وأن الإطعام عند هبوب الصبا هو غاية الكرم ، وذلك لما يصاحبا من الجذب . وكان ليلى فى الجاهلية قد آلى ألا تهب صبا إلا أطعم . الأغنى (١٤ : ٩٤) . وانظر (مطاعم الريح) فى بلوغ الأرب (١ : ٩١ - ٩٢) .
- (٣) كذا فى المرزوقى . والحق أن « مر » موضع مات فيه ودفن .
- (٤) وبذا تكون جملة « يجادله » خبراً لكلمة « مردى » ، وهذا تفسير ضعيف . والأوفق فيما ترى ، أن تكون كلمة « مردى » معطوفة على « أبا الأضياف » و « يجادله » فى موضع الصفة لخصم . فيكون قد نعت بالكرم وقوة العارضة .

يقول : تركنا فى ذلك المكان فتى كان ربيعاً للفقراء ، ومألفاً للأضياف .
وإذا اشتد الزمان وأشدت الناس تيقن الجذب والقحط أنه لا يقارؤه ، بل يقتله
بما يفيضه على الناس من إحسانه ، وبشماهم من تفقده وبره . وقوله
« قد أيقن الجوع » إلى آخر البيت ، من صفة الفتى ، وفى طريقته قول الآخر^(١) :
يقاتل جوعهم بمككلات من الفرني يربعها الجبل^(٢)
وقوله « إذا ما نوى » ظرف لقاتله .

٣ - فتى قد قد السيف لا متضائل ولا رهل لباته وأباجله
معنى « قد قد السيف » أنه فى مضائه ونفاذه كالسيف . والقَد : القطع
طولاً . ويقال : هو حسن القد ، أى التقطيع ؛ وهو على قدّه ، أى على قدره .
وهو يفتد الأمور بالسيف ، إذا دبرها بالسيف . ومعنى لا متضائل : لا متخاشع .
والضؤولة : الدقة ، يقال : هو ضئيل الجسم . والرهل : المسترخى اللحم^(٣) من
السمن . يقال : فرس رهل الصدر . واللّبات : جمع اللّبة ، وهو الصدر ؛
وجمعه على ما حوّه ، أو جعل كل قطعة لبة . والأباجل : جمع أنجل ، وهو
عرق فى الساق ، والمعنى أنه ليس بكثير اللحم على الصدر غليظ الساق . وهم
يتمدحون بالهزال ويذئون السمن . ويروى « وبأدله » ، وهو ما بين العنق .
والترقوة . ومعنى البيت : أنه فى قد السيف ومضائه ، لا يشينه تخاضع ، ولا هو
سمين مسترخى اللحم على الصدر ولا على ما حوّه . ولا متضائل ، ارتفع متضائل

(١) هو أبو خراش الهدلى . ديوان الهدلين (٢ : ١٤١) والسان (جمل) . وانظر
إصلاح المنطق ٣٠٠ .

(٢) هذا تنظير المرزوقى ، أما التبريزى فقد نظر له بقول اللقائل :

هم المطعمون سديف السنم والقاتلو الليلة الباردة

(٣) فى نسخة الأصل : « المسترخى من اللحم » ، وأثبتنا ما فى سائر النسخ .

على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لا هو متضائل . ولباته ارتفع بفعله ، وفعله رَهْلٌ .

٤ - إِذَا جَدَّ عِنْدَ الْجِدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شَتَّ أَلْهَاكَ بَاطِلُهُ

٥ - يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلُّ الَّذِي حَمَلَتْهُ فَهُوَ حَامِلُهُ^(١)

يصفه بأنه كان مُسْتَضْلِحًا لِلْهَزْلِ وَالْجِدِّ ، فَإِنْ جَدَّ حَسُنَ جِدُّهُ وَتَنَاهَى الرِّضَا بِهِ وَالِاسْتِحْسَانُ لَهُ ، وَإِنْ هَزَلَ أَلْهَى هَزْلُهُ عَلَى اقْتِصَادٍ فِيهِ وَاسْتِطَابَةٍ لَهُ ، لِأَنَّهُ أَخَذَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِأَوْفَرِ النَّصِيبِ ، فَهُوَ يَنْخَرِطُ فِي كُلِّ سِلَكٍ ، وَيَدْخُلُ فِي كُلِّ شَأْنٍ وَأَمْرٍ .

وقوله « يَسْرُكُ مَظْلُومًا » انتصب مَظْلُومًا عَلَى الْحَالِ . يَقُولُ : إِنْ اهْتَضَمْتَ انْتَقَمَ لَكَ مِنْ ظَالِمِكَ ، وَإِنْ اهْتَضَمْتَ أَنْتَ غَيْرِكَ لَمْ يَبْعُدَ عَنْ نُصْرَتِكَ . وَهَذَا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ : « انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا^(٢) » . وَقَوْلُهُ « وَكُلُّ الَّذِي حَمَلَتْهُ فَهُوَ حَامِلُهُ » يصفه بِرَحَابَةِ الصَّدْرِ وَالْأَخْذِ فِي كُلِّ مَا يُدْعَى إِلَيْهِ بِالصَّبْرِ ، وَأَنَّهُ يَتَحَمَّلُ الْأَعْيَاءَ الثَّقِيلَةَ عَنْ ذَوِيهِ وَالْمُنْتَزِعِينَ إِلَيْهِ ، لَا يَضْجَرُ بِمَا يُحْمَلُ بِفَنَائِهِ ، وَلَا يَتَسَخَّطُ أَمْرًا يُفْتَرَحُ عَلَيْهِ ، أَوْ يُسْتَنْهَضُ إِلَيْهِ .

(١) روى التبريزى : بعده :

إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذُورًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهُ

العدور : السبيء الخلق ، كأنه يحتاج إلى أن يعتذر لسوء ما يفعل ، ومعناه أنه يسئ خلقه على خدمته وأصحابه ، لأنه يريد أن يعجل قري الأضياف .

(٢) حديث حسن ، رواه الدارمى وابن عساكر . الجامع الصغير رقم ٢٧٣٩ .

٣١٢

وقال أبو الحجناء^(١) :

١ - أَعَاذِلْ مَنْ بُرُزَا كَحَجْنَاءَ لَا يَزَلْ كَثِيبًا وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ

يقول : يا عاذِلُ ، مَنْ يُصَبِّ بِمِثْلِ مَنْ أُصِيبْتُ بِهِ بِتَّصَلِّ اِكْتِثَابُهُ ، وَيَدُمُّ زُهْدُهُ فِي عَوَاقِبِ أَطْهَارِ النِّسَاءِ وَمُبَاشَرَتِهِنَّ^(٢) عِلْمًا بَأَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ الْوَلَدِ لَا يُعْتَاضُ مِنْهُ . وَحَجْنَاءُ : ابْنُهُ . كَأَنَّ عَادِلَةَ آذَنَهُ بِتَكَرُّرِ الْوَصَاةِ عَلَيْهِ وَإِدَامَةِ الْوَعْظِ لَهُ ، وَأَنَّ مَا يَأْتِيهِ مِنَ التَّفَنُّجِ مُسْتَسْرِفٌ وَمُسْتَقْبَحٌ ، لخروجه^(٣) عن العادات ، فأقبل يحميها ويذكر عُذْرَهُ لَهَا . وقد صرح غيره^(٤) بهذا المعنى فقال :

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

٢ - حَبِيبًا إِلَى الْفَتَيَانِ صُحْبَةً مِثْلَهُ إِذَا شَانَ أَصْحَابَ الرِّحَالِ الْحَقَائِبِ

انتصب حبيبًا على الحال للضمير في قوله « بعده » . وَصُحْبَةً ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ قَامَ مَقَامَ فَاعِلٍ حَبِيبًا . وَيُرْوَى « حَبِيبٌ إِلَى الْفَتَيَانِ » فَيَكُونُ خَيْرًا مُقَدِّمًا ، وَالْمُبْتَدَأُ صُحْبَةً مِثْلَهُ . وَجَوَابُ إِذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ صَدْرُ الْبَيْتِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا بَحَلَ أَصْحَابُ الرِّحَالِ بِالزَّادِ فَشَانَهُمْ امْتِلَاءُ حَقَائِبِهِمْ وَقَلَّةُ إِنْقَاقِهِمْ مِنْهَا ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ

(١) التبريزي : « أبو الحجناء مولى بني أسد » . وأبو الحجناء هذا غير أبي الحجناء نصيب الذي تقدمت ترجمته في الحماسية ٢٩٤ . فتلک الحجناء ابنة نصيب ، وفيها يقول :
لقد أصبحت حجناء تبكي لوالد بدورة عين قل عنه غناؤها

والحجناء في هذه الحماسية اسم رجل هو ولد الشاعر ، وهي تسمية نادرة .

(٢) وقد تابع التبريزي المرزوقي في هذا الفهم متأثرين بالشاهد الذي سيأتي في نهاية تفسير هذا البيت . والأوفق أن يكون المراد عواقب الأيام والدمر .

(٣) في نسخة الأصل : « بخروجه » .

(٤) هو الربيع بن زياد ، اللسان (قوى) وشروح سقط الزند ١١٤٦ . والبيت في

العمدة (١ : ٩٤) بدون نسبة .

يَسْتَحِبُّ الْفَتَيَانُ حَبَّةَ مِثْلِ ابْنِي حَجْنَاءَ ، أَحْسَنَ تَوْفَرِهِ ، وَرَحَابَةَ صَدْرِهِ ، وَكَرَمَ صَحَابَتِهِ ، وَجَمِيلَ تَفَقُّدِهِ لِأَصْحَابِهِ . وَإِنَّمَا قَالَ « حَبَّةٌ مِثْلُهُ » وَلَمْ يَقُلْ صَحْبَتُهُ ، لِإِجْلَالِ لَهُ ، وَصِبَاةِ لَاسِمِهِ ، لَا لِإِثْبَاتِنَا لِنَظِيرِهِ لَهُ ^(١) . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ : مِثْلُ فُلَانٍ لَا يُؤَاوِي ، وَمِثْلُكَ لَا يَفْعَلُ كَذَا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

٣ - نِظَامُ أَنَاسٍ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُمْ وَيَصْدَعُ عَنْهُمْ عَادِيَاتِ النَّوَائِبِ ^(٢)

يُرِيدُ أَنْ دَارَهُ كَانَ مَجْمَعًا لِأَنَاسٍ هُوَ يَنْظِمُ شَمْلَهُمْ ، وَيُؤَلِّفُ جَمْعَهُمْ ، فَإِنْ حَزَبَهُمْ مِنَ النَّوَائِبِ عَادِيَاتُهَا فَرَّقَهَا عَنْهُمْ ، وَإِنْ حَلَّ بِفَنَائِهِمْ مِنْ أَثْقَالِ الزَّمَانِ مَا يَنْهَظُهُمْ ^(٣) آسَاهُمْ وَتَحَمَّلَ عَنْهُمْ . وَقَوْلُهُ « عَادِيَاتِ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَدَاءِ الظُّلْمِ ؛ يَقَالُ عَدَا يَعْدُو عُدُوًّا ^(٤) وَعَدَاءٌ وَعِدْوَانًا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَدُوِّ ، يَرِيدُ مَسْرَعَاتِ النَّوَائِبِ وَصَادِمَانَهَا . وَمَعْنَى بِصَدَعٍ يُفَرِّقُ ، وَمَعْنَى تَصَدَّعَتْ الْأَرْضُ بَقْلَانٍ ، إِذَا تَغَيَّبَ فَارًّا .

٤ - وَجَرَّبْتُ مَا جَرَّبْتُ مِنْهُ فَسَرَّيَ وَلَا يَكْشِفُ الْفَتَيَانُ غَيْرُ التَّجَارِبِ

يُرِيدُ أَنْ يَنْتَبِهَ عَلَى أَنَّ مَا وَصَفَهُ بِهِ لَا عَنْ تَقْلِيدٍ أَوْ شَكٍّ وَالْتِمَاسٍ ، وَلَا عَنْ تَخْمِينٍ أَوْ حَدْسٍ وَقِيَاسٍ ، بَلْ عَنْ تَجْرِبٍ وَاسْتِكْشَافٍ عَلَى مَرَّةِ الْأَيَّامِ . فَيَقُولُ : لَمْ أَرْضَ مِنْهُ بِمَقْوُوفِ أَعْمَالِهِ وَمَا يَخْتَارُهُ فِي مَقَاصِدِهِ ، بَلْ أَخَذْتُ أَسْتَدْرِجُهُ وَأَتَعَرَّفُ غَوْرَ ^(٥) مَقَالِهِ وَفَعَالِهِ بِالسَّيْرِ وَالنَّظَرِ ، فَلَمْ أَرَ إِلَّا مَا سَرَّ وَأَنَسَ ، وَزَادَ فِي الْعِلْمِ بِهِ فَأَبْهَجَ . وَقَوْلُهُ « وَلَا يَكْشِفُ الْفَتَيَانُ غَيْرُ التَّجَارِبِ » ، يُشَبِّهُ الِاتِّفَاتِ ،

(١) هذا ما في ل . وفي نسخة الأصل : « لَا لِإِثْبَاتِ النَّظِيرِ لَهُ » .

(٢) هذه رواية الأصل . وفي ل ، « يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا » . وَكُتِبَ فَوْقَهَا : « بَيْنَهُمْ » . وَرَوَايَةُ

التَّبَرُّيُّ « بَيْنَهُمْ » .

(٣) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . وفي نسخة الأصل : « يَتَحَفَّظُهُمْ » .

(٤) وَعَدُوا أَيْضًا ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الدَّالِ .

(٥) هذا ما في ل . وفي نسخة الأصل « غُرُ » .

كأنه أقبلَ بعد ما خبرَ ، على إنسانٍ فقال : إنَّ الفتیان تشابهُ ظواهرُ أمورهم ، ولم يخبرك عنهم مثلُ مجرَّب . ولهذا قيل في المثل السائر :

تَرَى الْفَتِيَانِ كَالنَّخْلِ وَمَا يُذْرِيكَ مَا الدَّخْلُ^(١)

٥ - بعيدُ الرضا لا يبتغى ودُّ مُذْبِرٍ وَلَا يَتَصَدَّى لِلضَّغِينِ الْمَغَاضِبِ

قوله « بعيد الرضا » يريد أنه ليس بسريع الفئنة إذا سخطَ ، لكنه يفرُّك أذى مجاذبه ومجاوره بحنبه ، ويصبر ما أمكن ، فإذا أظهر الفكير^(٢) ، وتلقى ما يزاوله بالضجر الشديد ، لم يرضه أدنى المعاذير ففعل من لاجية له ولا عنيفة . وقوله « لا يبتغى ودُّ مُذْبِرٍ » وصفه بأنه أخذ بالعزم إذا أحوج إليه ، غير راغب في الزاهد فيه . وهذا كما يقال : فلان وصَّالٌ صرُوم .

وقوله « ولا يتصدى للضغين المغاضب » معنى يتصدى أن ينظر إليه نظراً غير محتفل به ، وكالمعرض عنه ، حتى يخرجَه ذلك إلى ما يطلبه . يريد أنه لا يتعرض لعدوه والمضطفن عليه ، بل يتركه ينطوى على ما في صدره من غلٍّ وعداوة ، ولا يُخرجه^(٣) إلى مبادرة ومكاشفة ، بل يجري على المداجاة معه ، منتظراً ما يكون منه ، ومحاذراً ما يبتقى من جهته . وهذا كما قال الآخر^(٤) :

* أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ فِي رِخْوِهِ^(٥) *

(١) البيت لعنة بفت مطرود البجلية ، كما في أمثال الميداني (١ : ١٢٣) . وقد ضمنت

ابنة الخس شعراً لها في البيان (١ : ٢٢٠) واللسان (١٨ : ١٧٩ - ١٨٠) .

(٢) التكبير : الإنكار ، وفي الأصل : « التكبرة » وأثبتنا ما في سائر الفسخ . انظر لفظ « التكبرة » ما مضى في الحاشية ٢٧٢ ص ٨٢٥ .

(٣) ل : « يخرجه » بالحاء المهملة .

(٤) هو أبو نعمة بن حارم . الحاشية ١٨٧ ص ٥٧٩ .

(٥) سبق برواية : « رخوة » . وعجزه :

• فكيف الفرار إذا ما اقترب •

وقد ألمّ بقول الآخر^(١) :

إذا حاربتَ حاربَ من تُعادي وزاد سلاحه منك اقترابا
٦- وكنتُ إذا ما خِفْتُ أمراً جَنَيْتُهُ يُخَفِّضُ جَأشِي ضَبْنُكَ المِتراعِبُ^(٢)

يصفه بحسن المدافعة عن متسببٍ إليه ، ومبالغة النضرة لمن أوى إلى جنبته ، فيقول : إذا خفتُ جريرة ارتكبتها ثم لُذت بفنائك ، واعتمدتُ تعصبتك ، سَكَنَ من جأشي وأزال قلقي قَبْضُكَ الواسع ، ودَفَعَكَ الحَمايى ، وذُبُّكَ المِبالِغ^(٣) . وقوله « المِتراعِب » يُروى بالغين معجمة وبالقَيْن ، فإذا روى بالغين معجمة فهو من الرغابة . ويقال : وادِ رَغِيبٌ ، وحَوْض رَغِيبٌ ، أى واسع ؛ ورجلٌ رَغِيبُ البطن ، أى أَكُول . ومن رَوَى بالعين غير معجمة فهو من قولم سيل راعِبٌ : يملأ الوادى . ومنه حِشْيُ مِتراعِب . أى واسعٌ لا يملؤه شيء . ومعنى يُخَفِّضُ جَأشِي يسكِّنُ نفسى . ويقال : هو رابط الجأش ، أى قوى النفس ؛ وخافِضُ الجأش ، أى ساكنه . وانخفَضَ : ضدُّ الرفع . والتخفيض : مدُّك رأس البعير إلى الأرض . والضَّيْبُ : القبض الشديد ، ومنه يقال : ناقةٌ ضَبُوثٌ ، أى سميئة لا يُشَكُّ فى سِمَتِها ، كأنه فعول فى معنى مفعولة ، أى حيث ضَبِثَ منها باليد ملأت الكفَّ الحِما .

٣١٣

وقال آخر :

١- إذا ما أَسْرُوْهُ أُنْتِى بِأَلاءِ مَيِّتٍ فلا يُبْعِدُ اللهُ الوليدَ بنَ أَدَهَمَا

(١) هو ربيعة بن مقروم . الحماسية ١٧٧ ص ٥٤٣ .

(٢) أشار التبريزى إلى رواية : « ضَبْنُكَ المِتراعِب » . والضبن ، بالكسر : الكنف والذاحية .

(٣) ل : « البالغ » .

٢ - فما كان مفراحا إذا الخير مسه ولا كان متنا إذا هو أنما^(١)

٣ - لعمرك ما وارى التراب فعاله ولكنما وارى ثيابا وأعظما

الآلاء : النعم ، واحدها إلى . ويعنى بها صنائعه ومننه عند الناس .
فيقول : إذا ذكر مُنعمٌ عليه إحسان النعم عليه ، وأياديه لديه ، فشكرتم تجاوز الشكر إلى الثناء فأفرط ، فلا أبعد الله هذا الرجل . وهذا الكلام وإن كان دعاء في موضعه الذى استعمل فيه أبلغ من كل ثناء ، وأزيد من كل تقرير وإطراء . ولذلك اقتصر عليه ولم يخلط به غيره .

وقوله « فما كان مفراحا إذا الخير مسه » يصفه بأنه لا يطفئ الغنى فيكسبه كبراً وبأوا ، بل يزداد تواضعا فيما يقاله ، وتوددا إلى الناس على اتساع حاله ، حتى بشرهم في خيره . وقوله « ولا كان متنا إذا هو أنما » يصفه بأنه لا يكدر نعمه عند غيره بالمن والأذى ، بل يتناساها حتى يكون في صورة من لم يسد ولم يصطنع .

وقوله « لعمرك ما وارى التراب فعاله » يريد أن مكارمه لم تمت بهوته ، ولم تدفن في قبره ، بل هي منشورة في الناس لا تنسى ، وماثورة لا تنفى ، فعلى مر الأيام تزداد جدة ، وعند الناس طراءة ، لأنها تذكر وتتل ، ولأن ما سير فيه من الشعر والمدائح تُقرأ وتروى . وقوله « ولكنما وارى ثيابا وأعظما » الفعل للتراب ، وهذه إشارة إلى الكفن ونفس المتوفى ، وفيه من إظهار التواضع ما كفى وأغنى .

(١) روى التبريزي بين هذا البيت وباليه :

ونادى المنادى أول الليل باسمه إذا أبحر الليل للبخيل المذم
أجمعه : ألزمه بيته فلم يبرز لصيف أو طارق ليل .

٣١٤

وقال أبو الشغب العبسي^(١)

في خالد بن عبدالله^(٢)، وهو أسير في يدَي يوسف بن عُمر :

١- ألا إن خير الناس حَيًّا وهايكًا أسيرٌ ثَقِيفٌ عندهم في السَّلاسلِ^(٣)

قوله « حَيًّا وهايكًا » يجوز أن ينتصب على الحال والعامل فيه ما دلَّ عليه خير الناس ، ويكون الكلام ثناء على الخبر عنه بخير الناس ، ويجوز أن ينتصب على التمييز ، وحينئذ يكون تفصيلاً للناس ، كأنه قال : إن خير الناس من الأحياء والأموات أسيرٌ ثَقِيفٌ . وقوله « عندهم » يجوز أن يكون في موضع الحال ، ومعناه حاضراً لهم وقريباً منهم ، ويكون العامل فيه ما دلَّ عليه أسيرٌ ثَقِيفٌ ، ويكون فائدة الكلام أنه كان يجوز أن يكون أسيراً لهم ولم يكن عندهم ، فأفاد أنه أسيرٌهم وحاصلٌ بحضرتهم . وكذلك قوله « في السَّلاسلِ » يجوز أن يكون في موضع الحال ويكون العامل فيه ما عمل في الظرف ، فيكون تقديره بحضرتهم مقيداً ، ويجوز أن يكون العامل في عندهم ما دلَّ عليه قوله في السَّلاسلِ من الفعل .

(١) أبو الشغب العبسي : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، واسمه عكرشة ، كما سيأتي في الحماسة ٣٦٣ التي يرثي بها ابنه شغباً ، وكما في أمالي القالي (٢ : ٨٨) .
(٢) هو خالد بن عبد الله القسري ، كان والياً على العراق وما يليه من الأهواز وفارس والجهل ، وأخوه أسد بن عبد الله كان أيضاً والياً على خراسان ، وكان يده ولايتهما سنة ١٠٦ وعزلاً سنة ١٢٠ . وهذه الحماسة ليست من مرثي الأموات ولكنها تمجيد من أبي الشغب لخالد وتنويه به ، فهي من مرثي الأحياء . يقال : رثيت للحى رثياً ومرثاة ، أي توجعت له ورققت . وكان من خبر خالد أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك لمسا ولي الخلافة - وأمه أم الحجاج ابنة محمد بن يوسف الثقفي ، كما في التنبيه والإشراف - دفع بخالد إلى يوسف ابن عمر عامله على العراق ، فحمله إلى الكوفة وعذبه حتى قتله ، وذلك في سنة ١٢٦ - تاريخ الطبري .

(٣) رواية الجاحظ في البيان (٣ : ٢٣٦) :

ألا إن خير الناس قد تعلمونه أسير ثَقِيفٌ موثقاً في السلاسل

٢- لَعَمْرِي لَقَدْ عَمَّرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَاةَ الْمُتَشَاوِلِ^(١)

هذا الكلام تفضيخٌ للأمر الذي ركبه ، وإعلامٌ منه بأنهم أتوا قبيحا من الأمر مفكراً ، عمّ وبأله الناس وظهر تأثيره فيهم . فهذا فائدة اليمين وجوابها . وقوله « عَمَّرْتُمْ » أى أدمتم سجنه وأطلتم حبسه ، كأنهم جعلوا خالداً للسجن عُمره . والعمر : السُّنُونُ والحين ، ومنه قوله تعالى ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا ^(٢) ﴾ . وقوله « وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطَاةَ الْمُتَشَاوِلِ » يجوز أن يكون وَطَاةُ مصدرٍ من أَوْطَأْتُمُوهُ وإن لم يكن من لفظه ، وهذا كما يُجْعَلُ العطاء موضعَ الإعطاء ، والجابة موضع الإجابة . والمفعول الثانى محذوف ، كأنه قال : أَوْطَأْتُمُوهُ السَّجْنَ أَوْ الْأَرْضَ إِيْطَاءَ الْمُتَشَاوِلِ ، أى أُنْقَلِمْتُمُوهُ . ويجوز أن يريد : أَوْطَأْتُمُوهُ فَوْطِيَّ وَطَاةِ الْمُتَشَاوِلِ أى يَفْعَلُ فَعْلَ الْمُتَشَاوِلِ وإن لم يكن معه تشاؤل ، هو يَطَأُ عَقِبَهُ .

٣١٥

وقال مهلهل^(٣) :

١- نُبِّيتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ وَاسْتَبَّ بِمَدَكِ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسِ

(١) فى ل : « لئن عرتم » وكتب فوقها : « خ : لقد » ، أى هى كذلك فى نسخة . ورواية البيان : « لئن أعمرتم » . ورواية التبريزى تطابق رواية ل والبيان . وروى بعده التبريزى :

لَقَدْ كَانَ يَبْنِي الْمَسْكُرَاتِ لِقَوْمِهِ وَيُعْطِي اللَّهَى فِي كُلِّ خَيْرٍ وَبَاطِلٍ فَإِنْ تَسَجُّنُوا الْقَسْرَى لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقِبَائِلِ

ورواها الجاحظ ، لكن روى الأول على هذا الوجه :

لَقَدْ كَانَ نَهَاسًا بِكُلِّ مَلْعَةٍ وَمُعْطِي اللَّهَى غَمْرًا كَثِيرَ الدَّوَابِلِ

(٢) العمر ، بضمين : لغة فى العمر بضممة واحدة . وبالأخيرة انفرد الأعرش . تفسير

أبى حيان (٥ : ١٣٣) .

(٣) اسمه على بن ربيعة ، وقالوا : سمى مهلهلا لأنه أول من أرق الشعر وهلهله . وهو

أخو كليب بن وائل الذى هاجت بمقتله حرب بكر وتغلب ، وهو كذلك خال امرئ القيس -

٣- وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتَ شَاهِدُهُمْ بِهِمْ لَمْ يَنْبِسُوا
 كَانَ كَلِيبُ وَائِلٌ لَا تُوقَدُ مَعَ نَارِهِ لِلضَّيْفَانِ نَارٌ فِي أَحْمَانِهِ ، وَفِيمَا يَقْرُبُ
 مِنْ مَنَازِلِهِ وَأَوْطَانِهِ ، بَلْ يَتَفَرَّدُ بِذَلِكَ لَا مِبَارِيَّ لَهُ وَلَا مِشَارِكَ ؛ وَكَانَ إِذَا حَضَرَ
 مَجْلِسُ النَّاسِ لَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يُجَازِبَ غَيْرَهُ أَوْ يَفَاخِرَهُ أَوْ يَسَابَّهُ ، لِإِعْظَامَاتِهِ
 لِقَدْرِهِ وَإِجْلَالِ لِسَانِهِ وَأَمْرِهِ ، فَيَقُولُ عَلَى وَجْهِ التَّحَشُّرِ : خُبِّرْتُ أَنَّ نِيرَانَ
 الضِّيَافَةِ بَعْدَكَ أَوْقَدَتْ لِسُقُوطِ احْتِشَامِكَ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْمَجْلِسِ تَنَازَعُوا الْكَلَامَ
 بَعْدَكَ وَتَجَادَّوْهُ ، حَتَّى صَارَ بَعْضُهُمْ يَسِبُّ الْبَعْضَ وَيَصُكُّ فِي وَجْهِهِ الْكَلَامَ
 الْقَبِيحَ ، لَا رِقَّةَ تَرُدُّهُمْ ، وَلَا حِشْمَةَ تَدْفَعُهُمْ .

وقوله « وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ » ، يريد أن الكلام منهم فيما يدهمهم
 من الشؤون^(١) نُهَيْ ، لأنهم صاروا سُدى لا يبين التابع من المتبوع فيها ،
 ولا الرئيس من المردوس ، حتى صار تدير العظيمة بينهم فوضى فوضى ، يتناهبون
 لإدارة الكلام في دفعها ، ويتجادبون لإجالة الرأي في رفعها ، ولو كنت حاضراً
 ما جَسَرُوا أَنْ يَتَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْكَ بِارْتِجَالِ خُطَابٍ ، أَوْ رَجْعِ جَوَابٍ . ويقال :

= وجد عمرو بن كلثوم . الأغاني (٤ : ١٣٩ - ١٥١) والخزاعة (١ : ٣٠٠ - ٣٠٤)
 حوالمرزبانى ٢٤٨ واللائى ٢٦ - ٢٧ ، ١١١ - ١١٢ والشعراء ٢٥٦ - ٢٥٩ .
 وكان من خبر مقتل كليب أن كليباً بلغ من بفيه أنه كان يحصى من المرمى مدى صوت
 كلب فيختص به ، حتى قالت العرب « أعز من كليب وائل » . وكان قد تزوج جلييلة بنت
 مرة ، وأخوها جساس بن مرة كان له خالة تسمى « البسوس » جاوزته ولها ناقة يقال لها
 « سراب » فرت إبل كليب بسراب وهى معتمولة بفناء البسوس ، فلما رأت الإبل نازعت عقلاها
 وتبعته إبل كليب ، فلما رأى ضرعها فنقرت حتى بركت بفناء صاحبها فبرزت صارخة
 تصيح : وا ذلاه ! فلما سمع جساس صوتها سكنها وقال : والله ليقتلن غداً جل عظيم أعظم
 عتراً من ناقلك ! فرجساس بكليب وهو على غدير الذنائب منفرداً فقتله . انظر الخزاعة والعقد
 فى (أيام العرب) والأغاني .

(١) النوب ، كذا وردت مهموزة فى الأصل ، فيكون من همز المعتل . وفى اللسان :
 « والنائبة : النازلة ، وهى النوائب والنوب ، الأخيرة نادرة » .

كَلَمَّتْهُ فَمَا نَبَسَ ، أَى لَمْ يَشْكَمْ بِحَرْفٍ ، وَمَا سَمِعْتُ لِقَوْلِ نَبَسَةٍ وَلَا زَنْجَةٍ .
 وقوله « اسْتَبَّ » يقتضى اثنين فصاعداً ، وإِنَّمَا نَمَّ بِالْمَجْلَسِ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَهْلُ
 الْمَجْلَسِ ، فَحُذِفَ الْمُضَافُ وَأُقِيمَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَلِّ
 الْقُرْيَةَ ^(١) ﴾ ، وَقَوْلِ الْعَرَبِ : بَنُو فُلَانٍ يَطُؤُهُمُ الطَّرِيقُ .

٣١٦

وقال آخر :

- ١- لَقَدْ مَاتَ بِالْبَيْضَاءِ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى فَتَى كَانَ زَيْنًا لِلْعَوَاكِبِ وَانْتَشَرَبِ
 - ٢- تَظَلُّ بَنَاتُ الْعَمِّ وَالْخَالِ حَوْلَهُ صَوَادِي لَا يَرَوْنِ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
 - ٣- يَهْرَانُ عَلَيْهِ بِالْأَكْفِ مِنَ الثَّرَى وَمَا مِنْ قَلَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الثَّرَبِ
- الْحِمَى : اسمٌ للموضع الذى فيه الماء والكَلأ وقد دُفِعَ عَنْهُ النَّاسُ ^(٢) .
 ويقال : أَحْمَيْتُ الْمَكَانَ ، إِذَا جَعَلْتَهُ حِمًى . وقوله « بِالْبَيْضَاءِ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى »
 تَوْقِيتٌ لِلْمَكَانِ الَّذِى وَقَعَ فِيهِ الْحَادِثَةُ ، وَذَلِكَ إِعْظَامٌ لِحُطْبِهَا ، وَتَقْطِيعٌ لِأَشْنَاهَا .
 وقوله « كَانَ زَيْنًا لِلْعَوَاكِبِ وَالشَّرْبِ » يَصِفُهُ بِالرَّيَاسَةِ ، وَأَنَّهُ كَانَ بَرِّينَ
 الْعَوَاكِبِ خَلْفَهُ مِنْ حَيْثُ يَسْتَحَقُّ التَّعْظِيمَ وَالتَّقْدِيمَ وَالِاتِّبَاعَ ؛ لَمْ يَرِثْ ذَلِكَ
 فِيهِمْ عَنْ كِلَالَةٍ ^(٣) ، فَهُوَ كَمَا قَالَ الْأَعَشَى :

(١) هذه قراءة ابن كثير والكسافى وخلف ، وذلك بنقل حركة الهمزة إلى السين
 ثم حذفها فى أمر المخاطب إذا تقدمه واو أو فاء ، وسائر القراء بإثبات الهمزة فى ذلك .
 فإن لم يتقدمه ذلك فالكل متفقون على النقل نحو سل بنى إسرائيل ، وإن كان لغائب فالكل
 بالهمزة نحو وليسألوا ما أنفقوا ، إلا حمزة وقفاً . تفسير أبى حيان (٣ : ٢٣٦) وإتحاف
 فضلاء البشر ١٨٩ .

(٢) عينه ياقوت فى رسم (البيضاء) بأنه حمى الزبدة ، قال : « والبيضاء : موضع بقرب
 حمى الزبدة » ، وذلك حيث أنشد هذه الحماسية .

(٣) الكلاله : كل ما لم يكن من النسب لها .

* كُلُّ سَيْرَصَى بَانَ يُلَقَى لَهُ تَبَعًا ^(١) *

وقوله « والشرب » يريد أن مَنْ نادَمَهُ واختلط بأهل مجلسه زانه ذلك ولم يَشْنِه ، لِمَا سَلَّمَ له من الاعتلاء والفضل ، والسَّابِقَة في الرِّبَاسَة والطَّوْل .

وقوله « تظللُ بنات العمِّ واختال حوله صوادي » أراد أن غَلِيْلَمَنْ وَخَمَى أَكْبَادَهُنَّ لَا يَزُولُ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ مِنَ الْمَاءِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ عَطَشٍ ، وَلَكِنْ كَانَ لِمَا اِهْتِاجَ فِي صُدُورِهِنَّ مِنْ بَوَارِحِ التَّوَجُّعِ ، وَلَوَازِعِ الْغُومِ وَالتَّفَجُّعِ ، حَتَّى كُوبِتْ أَكْبَادُهُنَّ بِمَوَاسِمِهَا ، وَاحْتَرَقَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مِنْ لَفْحِ نَوَائِرِهَا .

وقوله « يَهْلَنُ عَلَيْهِ بِالْأَكْفِ مِنَ الثَّرَى » يريد أن النَوَائِحَ لِمَا هَانَ الثَّرَابُ عَلَيْهِ لَمْ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ عَنْ بُغْضٍ وَإِهَانَةٍ ، وَلَكِنْ إِظْهَارًا لِمَا أَفْضَى إِلَيْهِ أَحْوَالُهُنَّ مِنَ السَّقُوطِ فِي الثَّرَابِ وَالِاتِّزَاقِ بِهِ ، وَلِمَا شَمِلَهُنَّ مِنَ الصَّفَارِ وَالِابْتِدَالِ بِمَوْتِهِ . وَيُقَالُ : هَلَّتْ الثَّرَابُ وَغَيْرُهُ أَهْيَلُهُ هَيْلًا . وَفِي الْحَدِيثِ : « أَتَكِيلُونَ أَمْ تَهِيلُونَ ؟ قَالُوا : نَهِيلُ . قَالَ : فَكِيلُوا وَلَا تَهِيلُوا ^(٢) » وَحَثْوَتُهُ أَحْشَاؤُهُ حَثْوًا . وَالصَّوَادَى : اللَّعِطَاشُ ، وَالْفَعْلُ مِنْهُ صَدَى يَصْدَى صَدَى .

٣١٧

وقالت جارية

ماتت أُمُّهَا فَأَضْرَبَتْ بِهَا رَأْسَهَا ^(٣) :

١ - وَلَوْ بَيَّانِي رَسُولِي أَمْ سَمْعِي أَتَى أُمِّي وَمَنْ يَعْينِي حَاجِي

- (١) كَذَا وَرَدَ نَصُّهُ فِي جَمِيعِ النُّسخ . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ مِنْ بَيَانِ الرِّوَايَةِ فِيهِ ص ١٢١ .
(٢) نَصُّهُ فِي اللِّسَانِ (هِيل) : « وَفِي الْحَدِيثِ : أَنْ قَوْمًا شَكُّوا إِلَيْهِ سُرْعَةَ فَنَاءِ طَعَامِهِمْ ، فَقَالُوا : أَتَكِيلُونَ أَمْ تَهِيلُونَ ؟ فَقَالُوا : نَهِيلُ . فَقَالَ : كِيلُوا وَلَا تَهِيلُوا ، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِي الْكَيْلِ . وَذَكَرَ قَبْلَهُ : « الْجَوْهَرِيُّ : هَلَّتْ الدَّقِيقُ فِي الْجِرَابِ : صَبَبَتْهُ مِنْ غَيْرِ كَيْلٍ » .
(٣) الرَّابِعَةُ : امْرَأَةُ الْأَبِ . التَّبْرِيْزِيُّ : « فَأَضْرَبَتْ بِهَا امْرَأَةُ أَبِيهَا » .

٢- وَلَكِنْ قَدْ أَتَىٰ مَنْ بَيْنَ وَدَىٰ وَبَيْنَ قُوَادِهِ غَلَقُ الرِّتَاجِ
٣- وَمَنْ لَمْ يُؤْذِهِ أَلَمٌ بِرَأْسِي وَمَا الرُّثْمَانُ إِلَّا بِالنَّجَاحِ

كأنها لما ناكذتها رابتهما ، ولجأت في إهانتها والإضرار بها ، راسلت أباها تطلبه على ما تقاسى منها ، وتستمدد التعصب لها رجاء أن يجرها ، فلم ترَ من عطفه عليها ما يرضيها ، ولا من إنكاره فيها ما يردعها ، فلما استمرت الحال بها على طريقة واحدة اقتضتها شاكية فقالت : لو وردت رسالتى على والدتى ومن يهيمه أمرى لاقتضتها الشفقة الاعتناء بشأنى ، وعطفتها الأمومة على ما أقرحه من حاجى ، ولكن قد وردت على من صرف وده عنى ، وحبل بينه وبين الحنو على ، فانسدت طرق الأمل فيه ، وأغلقت أبواب الخبر من جهة ، فلا اهتزاز للاربة ، ولا انبعاث لدفع مضرة ، ولا توجع لشكوى تظهر ، ولا ترخم لبلى تذكرك . وما ذلك إلا لأن علائق الوداد تستحكم بالنجاج ، ومعاقدة الإشفاق تتوقق بالولاد ، فهذا انفصلت الأبوة عن الأمومة ، وضعفت الأسباب إلا عن الرضاع والحضانة .

وقوله « وما الرثمان إلا بالنجاج » فيه بعض ما فى المثل السائر ، وهو « ابْنُكَ مَنْ دَعَىٰ عَقَبَيْكَ » . يريد من قمت عنه وقد ولدته . وفى المثل الآخر : « ابْنُكَ ابْنُ بُوْحِكَ ^(١) » أى الناشئ فى باحة دارك . والباحة : عرصة الدار ، وجمعها بوح . والرثمان : العطف ، يقال رثمته أزمه رأما ورثمانا ، ثم يسى الولد رأما ، وهو المروم . قال أبو ذؤيب :

كَعُودِ الْمَطْفِ أَحْزَىٰ لَهَا بِمَصْدَرَةِ الْمَاءِ رَأْمٌ رَذِي ^(٢)

(١) الميدانى : « يقال البوح النفس ، فإن صح هذا فيجوز كسر الكافين وفتحهما . ويقال البوح الذكر ، فعل هذا لا يجوز الكسر » .

(٢) ديوان الهذليين (١ : ٦٦) .

٣١٨

وقالت أم الصريح الكندية :

- ١- هَوَتْ أَثْنَهُمْ مَا ذَابَهُمْ يَوْمَ صُرُّوا بِجَيْشَانٍ مِنْ أَسْبَابٍ تَجْدِ تَصَرَّمَا^(١)
 - ٢- أَبَوْا أَنْ يَفْرُوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلَمًا^(٢)
 - ٣- وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرَّوْا لَكَانُوا أَعِزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا^(٣)
- قوله « هَوَتْ أَثْنَهُمْ » أى هلكت . وَالْمَوَاةُ وَالْهُوَّةُ وَالْهَوَايَةُ وَالْأَهْوِيَّةُ وَالْمَوَاةُ عَلَى فُعَالَةٍ بِمَعْنَى ، وَهُوَ مَا بَيْنَ أَعْلَى الْجَبَلِ أَوْ الْبَرِّ إِلَى الْمُسْتَقَرِّ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فَأُثْمُهُ هَاوِيَةٌ ﴾ ، قِيلَ هِيَ اسْمُ الْجَهَنَّمَ ، أَيْ هِيَ مَاوَاهُمْ كَمَا تُتَوَى الْأُمُّ الْوَلَدَ ، وَقِيلَ هِيَ مِنْ هَوَتْ أَثْنَهُمْ ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ تُسْتَعْمَلُ عِنْدَ الدَّاهِيَةِ يُشْرِفُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ أَوْ يَقَعُ فِيهَا ، وَفِيهَا مَعْنَى لِلتَّعَجُّبِ وَالِاسْتِفْهَامِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :
- هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيَا وَمَاذَا يُوَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يَوُوبُ^(٤)
- وعلى الأوَّل قول الآخر^(٥) :

* كَفَتَ كَمَنْ تَهْوِي بِهِ الْهَوَايَةُ^(٦) *

وقيل : هَوَتْ أَثْنَهُمْ ، مَعْنَاهُ أُمُّهُمْ وَهُمْ هَوَايَةُ فِي الْهُوَّةِ أَوْ فِي النَّارِ . وَتَلْخِصُ الْبَيْتَ هَوَتْ أَثْنَهُمْ أَيْ شَيْءٌ تَصَرَّمُ بِهِمْ مِنْ أَسْبَابِ الْمَجْدِ يَوْمَ صُرُّوا

(١) جَيْشَان : مَخْلُوفٌ بِالْيَمِينِ . وَقَدْ أُنْشِدَ هُنَا الْبَيْتَ يَاقُوتٌ فِي رَسْمِهِ .

(٢) يَاقُوت : « فِي صُدُورِهِمْ » .

(٣) التَّبْرِيذِيُّ : « فُلُوْا أَنَّهُمْ »

(٤) الْبَيْتُ لِكَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ فِي الْلسَانِ (هَوَا) وَأَمَالِي الْقَتَالِ (٢ : ١٥٠) ،

وَالْخَزَائِنَةُ (٤ : ٣٧٣ - ٣٧٥) .

(٥) هُوَ عَمْرُو بْنُ مَلْقُطِ الطَّائِي . الْلسَانُ (هَوَا) .

(٦) صَدْرُهُ : * يَا عَمْرُو لَوْ نَالَكَ أَرْمَاحُنَا * .

بجيشان ، وهو علمُ البقعة^(١) انْفَقَت الوقعةُ بهم فيها . وماذا إن شئت جعلت ما اسماً مبتدأً وذا خبره ، وإن شئت جعلت ما مع ذا اسماً واحداً ويكون مبتدأً وتصرّهم في موضع خبره . وهذا الكلام مخرجه على الاستفطاع والتعجب .

وقوله «أَبَوَا أَنْ يَفْرُوا» يصف ثباتهم في وجه البلاء ، وصبرهم على الطمان والوقاع . والواو من قوله «وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ» واو الحال ؛ أى امتنعوا من الإحجام والنكوص فلم يطلبوا وجه المَهْرَب ، ولا سلكوا طُرُقَ الْمَخَاصِ ، مع الإمكان والتمسك ، وتمهّد المَعْدِرَة عند الناس فيما يأتونه والتنصّل ، ومع العلم باستظهار الأعداء عليهم ، وقعود العجز عن الوفاء بهم .

ثم قال «وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَغْزَى» أى لو تأخروا وكفوا لما لحقهم ذلٌّ فيه ولا غضاضة ؛ ولا تَسَلَّطَ على عِزِّهم نقيصةٌ وحقارة ، ولكن وجدوا الصبر على الموت ، والاستقتال بعد اللّناء أكرمَ في الأحداث ، وأنقى للعار والمذمة .

٣١٩

وقال الحسين بن مطير^(٢) .

١ - أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولًا لِقَبْرِهِ سَقَّتَكَ الْفَوَادِي مَرَبَّيَا ثُمَّ مَرَبَّيَا^(٣)

٢ - فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُمْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّاحَةِ مَضْجَعًا^(٤)

(١) ل : « علم لبقعة » .

(٢) هو الحسين بن مطير بن مكل ، مولى لبني أسد بن خزيمه ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وهو من مخضري الدولتين ، شاعر مقدم في القصيد والرجز فصيح ، قد مدح بني أمية وبني العباس ، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية . الأغاني (١٤ : ١١٠ - ١١٤) والخزانة (٢ : ٤٨٥ - ٤٨٨) . وعند ابن النديم ٢٣٠ أن شعره نحو مائة ورقة . والأبيات في الأغاني والخزانة والقال (١ : ٢٧٥) .

(٣) الأغاني والخزانة : « أَلِمَّا بِمَعْنٍ ثُمَّ وَقُولًا لِقَبْرِهِ » .

(٤) الأغاني والخزانة : « كُنْتَ أَوَّلَ حُمْرَةٍ » .

يخاطب صاحبين له ، يسألها زيارة قبرِ ممن وإبلاغه عنه أنه مقيمٌ على ما هو دأبه ووكده من طلب الشقيا له ، فواصل الله ذلك لك من الشُّحْبِ التي تنشأ غُدُوَّةً ، ربيعاً^(١) بعد ربيع . والمعنى : دامت النُّصارة والطَّراوة . وإنما خَصَّ الغواذى لأنَّ المراد حصوله له غداة كلِّ يوم . وقوله « سَرَبَقًا » يجوز أن يكون ظرفاً ، ويكون أن يكون مفعولاً ، ويكون الربع والربيع المطر نفسه . قال الخليل : وقد يسمَّى الوسمى ربيعاً . ويكون المعنى : سَقَتَكَ مطراً الغواذى بعد مطر . ويجوز أن يكون مصدرًا من قولهم رُبِعَت الأرضُ ، إذا أصابها الربيع ، فكأنه قال : رَبَعَتَكَ الغواذى سَرَبَقًا بعد سَرَبَعٍ ، أى سَقَتَكَ الغواذى سقيًا بعد سقى .

وقوله :

* فيا قبرِ ممن أنت أولُ حفرة *

يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون مثل قول الآخر^(٢) :

كَانَ لَمْ يَمْتَ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَامِصُ

ويكون الكلام تفضيلاً للحال ، وتنبيهاً على أن ما وقع لم تجرِ العادة بمثله ، فهو مُسْتَبْدَعٌ لِإِعْظَمِ مَوْقِعِهِ فِي النُّفُوسِ ، حتى كأنه لم يَرِ قَبْرٌ قَبْلَهُ دُفِنَ فِيهِ كَرِيم . والآخر أن يكون المعنى : أنت أولُ حَفِيرَةٍ اسْتُجِدَّتْ لِتُؤَارَى فِيهَا السَّمَاةُ وَالسَّخَاءُ وَالرُّوْدَةُ ، فتصير مضجعاً لها ، ويكون المعنى أن السَّمَاةَ مَاتَتْ بِمَوْتِ مَنْعِنٍ وَدَفِنَتْ بِدَفْنِهِ ، وأنت أَرَلُ خُطَّةٍ اخْتُطَّتْ لِلسَّمَاةِ نَفْسِهَا . وقوله « مضجعاً » انتَصَبَ على الحال .

(١) ل : « وربيما » .

(٢) هـ أشجع السلى . الحماسة ٢٨٠ ص ٨٥٩ .

- ٣- وَيَا قَبْرَ مَغْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرْ وَالْبَحْرُ مُتَرَعًا
٤- يَلِي قُدُوسِيَّتَ الْجُودِ وَالْجُودُ مُمَيَّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِفَّتَ حَتَّى تَصَدَّعَا
كَرَّرَ مَنَادَةَ الْقَبْرِ تَوْجَعًا وَتَحْمُصًا ، ثُمَّ أَخَذَ بِتَعْجَبٍ وَيَقُولُ مُسْكِرًا :
كَيْفَ سَتَرْتَ جُودَهُ ، وَقَدْ كَانَ مِثْلَنَا لِلْبَرْ وَالْبَحْرِ مَعًا . وَفِي طَرِيقَتِهِ
قَوْلُ الْآخِرِ ^(١) :

عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةٍ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرٌ

فَإِنْ قِيلَ : لَمْ قَالَ مُتَرَعًا فَوَحَّدَ وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْبَرْ وَالْبَحْرِ جَمِيعًا ؟ قُلْتُ :
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا وَحَّدَ لِأَنَّهُ نَوَى التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَقَدْ كَانَ
مِنْهُ الْبَرْ مُتَرَعًا وَالْبَحْرُ ، أَيْ وَالْبَحْرُ أَيْضًا مُتَرَعٌ ، فَيَرْتَفِعُ الْبَحْرُ بِالْإِبْتِدَاءِ ،
وَإِكْتَفَى بِالْإِخْبَارِ عَنِ الْأَوَّلِ إِذْ كَانَ الْمَعُطُوفُ كَالْمَعُطُوفِ عَلَيْهِ . وَمِثْلُهُ :

* فَإِنِّي وَقَيَّارًا لَغَرِيبٍ ^(٢) *

يُرِيدُ : إِنِّي لَغَرِيبٌ بِهَا وَقَيَّارٌ أَيْضًا غَرِيبٌ ، وَهُوَ اسْمُ فَرَسِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ لِمَا عَلِمَ أَنَّ الْمَعُطُوفَ حَكْمُهُ حَكْمُ الْمَعُطُوفِ عَلَيْهِ أَكْتَفَى بِالْإِخْبَارِ عَنِ
أَحَدِهِمَا ، نِقَّةً بِأَنَّ الثَّانِي عِلِمَ أَنَّهُ فِي حَكْمِهِ . وَمِثْلُهُ :

رَمَانِي بِأَمْرٍ كَفْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئًا وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي ^(٣)

(١) هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيُّوبَ التَّمِيمِيِّ . الْحَمَاسِيَّةُ ٣٢٧ .

(٢) لُضَابِيُّ بْنُ الْحَارِثِ الْبَرْجِيُّ . الْمُرَوَّاتُ (٤ : ٣٢٣) وَالْإِنْصَافُ ٦٥ وَصَبُوحُ (١) :

(٣٨) وَنَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ٢٠ وَالْكَامِلُ ١٨١ لَيْبَسُكَ وَالشُّعْرَاءُ ٣١١ . وَصَدْرُهُ :

* فَنِيكَ أَسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ *

(٣) الْبَيْتُ لِابْنِ أَحْمَرَ ، وَقِيلَ لِلْأَزْرَقِ بْنِ طَرْفَةَ بْنِ الْعُمَرِ الْفَرَّاسِيِّ ، كَمَا فِي السَّائِدِ
(جَوْل) . وَيُرْوَى : « وَمَنْ جَوْلَ الطَّوِيَّ » ، كَمَا فِي شَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ وَالْقَائِمِيِّ
(جَوْل) ، وَرَوَايَةُ الْمَرْزُوقِيِّ هُنَا هِيَ الصَّحِيحَةُ ، قَالَ ابْنُ بَرِّي : لِأَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
خَصْمِهِ حُكُومَةٌ فِي بَرْ ، فَقَالَ خَصْمُهُ إِنَّهُ لَصَ ابْنُ لَصَ ، فَقَتَلَ هَذَا الشَّعْرَ . وَبَعْدَ الْبَيْتِ :
دَعَانِي لَصًا فِي لَصُوصٍ وَمَا دَعَا بِهَا وَالِدِي فِيمَا مَغَى رِجْلَانِ

* بلى قد وسعت الجود والجود ميت *

بلى جوابُ استفهامٍ مقرونٍ بنفى نحو قولك أَلَمْ ، أليس ، وما أشبههما .
وهذا الشاعر لما قال متمجِّباً من مخاطبة القبر ومُفَكِّراً : كيف وارىتَ جوده على
كثرته ووفوره ، وشموله لأقطار البرِّ والبحر ، صار بما اعتبر وشاهد من الحال
كَانَ القبرَ قال له : أَلَمْ أَسْمَعْ ، أَلَمْ أَوَارِهِ ، أَلَمْ أَتَضَمَّنْهُ على ما به ؟ فقال مصدقاً
له ، ومتلهماً : بلى قد وسعته واشتملت عليه وهو ميت ، ولو كان حياً لَضِقتَ
عنه حتى تنقطع وتنشق^(١) ، والصَّدع : الشَّقُّ في الشيء الصُّلب . وصدَّعتُ
الغَلَاة والنَّهرَ قَطَعْتُهُمَا .

٥- فَتَى عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كما كان بَعْدَ السَّيْلِ تَجَرَّاهُ مَرْنَعَا
٦- وَلَمْ تُضَيَّ مَعْنَى الْجُودِ فَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَسْكَارِمِ أَجْدَعَا^(٢)

قوله « فَتَى عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ » موضعه نصبٌ على اللدح والاختصاص ،
والعامل فيه فعلٌ مضمر ، كأنه قال : أَذْكَرُ فَتَى هذا صفته . ويجوز أن يكون
موضعه رفعاً على الاستئناف ، ويكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو فَتَى ،
أَوْ مَنْ أَوْبَنَهُ فَتَى ، وقوله « عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ » يجوز أن يكون أراد
مَنْ اسْتَفْنَى بِهِ وبمعروفه مِنَ الْمُتَصَلِّينَ بِهِ ، والمفقطعين إليه ، والراجح له . ويجوز
أن يكون أراد من عاش من وقوفه وحبائسه بَعْدَهُ ، ويجوز أن يريد أنه عَلَّمَ
النَّاسَ الْجُودَ وَالْمَسْكَارِمَ ، فَمِنْ مُقْتَدِرٍ بِهِ أَخَذَ أَخْذَهُ ، وَمُسْتَتِرٍ بَسِطَهُ سَلَكَ مَسْلَكَهُ ،
فما يفعله هؤلاء صار كأنه هو الفاعل له . ثُمَّ شَبَّهَهُ بِالغَيْثِ يَصُوبُ فَيُحْيِي الْعِبَادَ ثُمَّ

(١) ل : « وتنشق » .

(٢) وكذا رواية التبريزي . وفي أمالي القالي (١ : ٢٧٥) : « وانقضى » . وروى
موضعه في الأغاني والخزائن :

أبي ذكرٍ معن أن تموت فعلاه وإن كان قد لاق حماماً ومصرعاً

يمشُّ النَّاسُ فِي آثَارِهِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ وَمُضِيِّهِ . وَقَوْلُهُ « كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ »
ارْتَفَعَ مَجْرَاهُ بِكَانَ ، وَكَانَ الْحَكْمُ أَنْ يَلِيَهُ فَلَمْ يَسْغُ لِأَنَّ الضَّمِيرَ فِيهِ يَرْجِعُ إِلَى
السَّيْلِ وَقَدْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَالِإِضْمَارُ قَبْلَ الذِّكْرِ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ لَا يَجُوزُ ، فَامْتَنَعَ
رُدُّهُ إِلَى رَتْبَتِهِ مِنْ وَلِيِّ الْعَامِلِ لَهُ ، لَشَيْءٍ يَرْجِعُ إِلَى الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِهِ لَا لَشَيْءٍ
يَرْجِعُ إِلَيْهِ . وَتَلْخِيصُ الْكَلَامِ : كَمَا كَانَ تَجْرِي السَّيْلُ سَرْتَعًا بَعْدَهُ .

وَقَوْلُهُ « وَلَمَّا مَضَى مَفْنٌ » لَمَّا يَجِيءُ لَوْقُوعِ الشَّيْءِ لَوْقُوعَ غَيْرِهِ ، وَهُوَ عِلْمٌ
لِلظَّارِفِ . فَيَقُولُ : حِينَ مَضَى مَفْنٌ لِسَبِيلِهِ وَانْقَطَعَتْ حَيَاتُهُ ، فَقَدْ الْجُودُ وَانْمَحَتْ
آثَارُهُ ، فَأَصْبَحَتْ الْمَكَارِمُ ذَلِيلَةً إِذْ مَاتَ مِنْ يَرُبُّهَا وَبَعْمُرُهَا ، كَمَنْ جُدِعَ أَنْفُهُ
مُثَلَّةً وَعَقُوبَةً ، وَإِرْغَامًا وَإِهَامَةً . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ : « مِثِّي أَنْفِي وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ » .
وَالْعَرَبِيُّنَ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَنْفِ وَالْأَرْضِ ، وَأَوَائِلُ الشَّيْءِ ، وَأَشْرَافُ الْقَوْمِ
وَسَادَتُهُمْ ، وَكَأُضْرِبَ الْمَثَلُ بِجُدْعِ الْأَنْفِ فِي الْإِذْلَالِ ، ضَرْبٍ بِهَلْمِ الْأُذُنِ فِيهِ
لِذَلِكَ . قَالَ :

• فَمَشُّوا بِآذَانِ النَّعَامِ الْمُصَلِّ^(١) •

٣٢٠

وَقَالَ آخِرُ :

- ١ - مَاذَا أَجَالَ وَتِيرَةُ بْنُ مِجَالٍ مِنْ دَمْعٍ بَاكِئَةٍ عَلَيْهِ وَبَاكِ^(٢)
- ٢ - ذَهَبَ الَّذِي كَانَتْ مُمْلَقَةً بِهِ حَدَقُ الْمُنَاةِ وَأَنْفُسُ الْهَلَائِكِ

(١) لكبة أخت عمرو بن معديكرب في الحماسة ٥٢ ص ٢١٨ . وصدده :

• فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَتَّارُوا وَاتَدَيْتُمْ •

(٢) التبريزي : « قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ يَرُوى : وَتِيرَةُ بِالْثَاءِ وَيَرُوى : وَتِيرَةُ . . . »

وَيَرُوى وَتِيرَةُ وَتِيرَةُ ، وَيَرُوى : أَحَالَ ، وَأَجَالَ ، وَأَسَالَ . فَأَجَالَ مِنْ جَوْلَانِ الدَّمْعِ ،
وَأَحَالَ بِالْهَاءِ : صَبَّ . وَرَوَايَةُ الْقَائِلِ (١ : ٢٧٦) : « مَاذَا أَحَالَ وَتِيرَةُ » .

يقول على وجه التمجُّب وإكبار الأُسَر : أئى دمع أراقه وتيرةُ بن سَمَّاكٍ من عَيْنٍ باكية عليه وبالكِ . يريد أنَّ المصيبةَ به أثَّرت في جماهير النَّاس وطوائفِ الخلق ، وأنَّهم لم يملِكوا فيما دَهِمهم إلَّا البكاءُ لطفاء لئلا الوجد ، وإراحة من تعب القلب ^(١) ، وماذا يُفنى القَويل ، وهو الرَّاحةُ المطلوبةُ من البكاء إذا حَمَّت الحقيقةُ ، إلَّا زيادةُ في اللوعة وإيجادُ للمصيبة . وقد تقدَّم القول في ماذا ، وشرَحنا أسره ^(٢) .

وقوله : « ذهب الذى كانت معلقة به » يريد أنه كان يَفك الأَسراء ، ويُنمِش النِّقراء ، حتَّى أن من ابتلي بأسر ، أو رُمي بفقر ، فإنه لم يُعَدَّ لفكهِ ولم يُرَجَّ لجبره غيره ، فأغنيهم كانت ممتدةً إليه ، وآمالهم كانت معلقة به ، وإذا قد مضى سبيله ، وانتقل إلى جوارٍ من هو أحقُّ به ، فقد استبدلوا بالطمع خيبةً ، ومن التمرُّز ذلةً ، وبَقُوا في مَلَكةٍ يحِمْهم لا انفكاك لهم منها ، ولا ارتياش ^(٣) من سقطاتها .

٣٢١

وقال أشجعُ بن عمرو السلمي ^(٤) :

١ - أُنْعَى فَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ مَا مِثْلُ مَنْ أُنْعَى بِمَوْجُودِ

(١) ل : « القلوب » .

(٢) انظر ما سبق في الحماسية ٢٧٠ ص ٨١١ و ٣١٨ ص ٩٣٤ .

(٣) كذا وردت في النسختين . يقال ارتياش : حسنت حاله . والوجه « انتياش » . والانتياش والاستنقاذ والاستدراك .

(٤) زاد التبريزي : « في محمد بن منصور بن زياد » . ونسبة الشعر إلى أشجع هي كذلك في الشعر والشعراء ٨٥٩ وقد رواها ابن قتيبة سبعة أبيات . لكن لاحظ في البيان (٣ : ١٢٣) بتحقيقنا قد نسبته إلى أبي الشيص . وترجمة أشجع مضت في الحماسية ٢٨٠ ص ٨٥٦ .

٢ - أَنْتَى فَتَى مَصَّ الثَّرَى بَعْدَهُ بَقِيَّةَ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ^(١)

قوله « أنتى فتى الجود » إنما أضافه إلى الجود إيداناً بأن الجود كان يمتلكه فهو فتاه . أو يريد أن الجود كان يتبجح بكون هذا الرجل من أمرته وأصحابه ، لأنه كان يتفتى فى الجود ؛ وهذا كما يقال : فلان فتى الحرب ، وكما قيل : « لا فتى إلا على فى الوغى » . فيقول : إنه الآن وقد مضى لسبيله فأنتى أنعاه إليه ، لتشارك فى فقدته والجزع عليه . ثم قال : « مامثل من أنتى بموجود » ، وهذا يشبه الالتفات ، كأنه أقبل على إنسان فقال : أذكر موت من كان معدوم النظير ، قليل الشبيه ، فلا الجود يمد من يخلفه ويلى ذكره ، ويقوم بأوده فيقيمه فيقال هو فتى الجود ، ولا نحن نعتاض منه من يجمع شملنا ، ويحبر كثرنا ، ويسد مفارقنا إذا أضر الزمان بنا .

وقوله « أنتى فتى مَصَّ الثرى بعده » ، يريد : تغيرت الأرض عما كانت عليه ، فبيست أشجارها واغيرت ساحاتها^(٢) بموت هذا المرتى ، فالذنيا مذبرة ، والأقطار مقشعة ، سوابس للبئس معانيق ، والخير بتوابعه من اللدى والتطوئل والخضب والترطب مفارق .

(١) أنشد بعده التبريزى ، وكذا أنشد ابن جنى البيت الأول من البيتين التاليين :

وَاتْلَمْ الْجُدُّ بِهٖ ثُلَّةٌ جَانِبُهَا لَيْسَ بِمَسْدُودِ
فَالآنَ تُخْشَى عَثَرَاتُ النَّدَى وَصَوْلَةُ الْبُخْلِ عَلَى الْجُودِ

(٢) كذا فى ل . وفى الأصل : « ساحتها » .

٣٢٢

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي^(١) :

١- رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارِ سَمْدَنَ لَهُ سُمُودًا^(٢)

٢- فَرَدَّ شُعُورُهُنَّ الشُّوَدَّ بَيْضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا^(٣)

الشُّمُودُ : الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه . ويقال للمأخوذ عن الشيء : اترك سُمُودَكَ . وفي القرآن : ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ ، أى ساهون لاهون . وقوله « رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارِ » فيه ما يجرى مجرى القلب ، لأنه لو قال رمى المقدار نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارٍ ، لكان أقرب في المعتاد ، وأجرب على طريق الدين . فيقول : جَرَّ المقاديرُ على نِسْوَةِ آلِ حَرْبٍ نَوْبَةً من نوائب الدهرِ أَثَرَتْ في عقولهن ، حتى غَمَلْنَ عن أسباب الدين والدنيا كلها ، وحتى

(١) هو عبد الله بن الزبير بن الأشم بن الأعشى بن بجرة ، ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمه ، والزبير هذا بفتح الزاى وكسر الموحدة . وهو شاعر كوفي المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصب لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيراً فن عليه ووصله ، فدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه ، ولم يزل معه حتى قتل مصعب ، وعمرى هو بعد ذلك ومات في خلافة عبد الملك . الأغني (١٣ : ٣١ - ٤٧) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٠٨ - ١١٠) والخزافة (١ : ٢٤٥ - ٢٤٦) . ولم يذكره الصفدي في نكت الهميان .

(٢) نسبت الأبيات في زهر الآداب (٢ : ٧) إلى ابن الزبير أيضاً . وفي عيون الأخبار (٣ : ٦٧) إلى فضالة بن شريك ، وفي أمالي القالي (٣ : ١١٥) إلى الكيت بن معروف . وانظر اللسان (سمدة) والأضداد لابن الأنبارى ٣٦ . ورواية ثعلب : « آل صخر » . وفي اللسان : « بأمر قد سمذن » . وفي عيون الأخبار : « بفادحة سمذن » .

(٣) روى بعدهما التبريزي :

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بَكَاءَ هِنْدٍ وَرَمَلَةَ إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودَا
سَمِعْتَ بَكَاءَ بَاكِيةٍ وَبَاكِ أَبَانَ الدَّهْرِ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا

شَيْبَتَهُنَّ وَلَفَحَتْ وَجُوهَهُنَّ^(١) ، فَرَدَّتْ لِلشُّوَدَّ مِنْ شَعُورِهِنَّ بَيْضًا ، وَالْبَيْضَ مِنْ وَجُوهَهُنَّ سُودًا .

وهذا كما حُكي عن العُريان بن الهيثم^(٢) ، لما سأله عبدُ الملك عن حاله ، فقال : « ابيضُّ مِنِّي ما كنتُ أحبُّ أن يسودَّ ، واسودُّ مِنِّي ما كنتُ أحبُّ أن يبيضَّ » في كلامٍ طويل . ثم قال :
وكنْتُ شَبَابِي أبيضَ اللَّونِ زاهرًا فصرتُ بُعَيْدَ الشَّيْبِ أَسودَّ حالكا

٣٢٣

وقال مُسلمُ بن الوليد^(٣) وماتت امرأته :

- ١- حَنِينٌ وَيَأْسٌ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ مَقِيلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ مُتَخِلِفَانِ
 - ٢- غَدَتْ وَالزَّيْ أُولَىٰ بِهَا مِنْ وَلِيِّهَا إِلَىٰ مَنْزِلِ نَاءِ لَعْنِكَ ذَانِ
 - ٣- فَلَا وَجَدَ حَتَّىٰ تَنْزِفَ الْعَيْنُ مَاءَهَا وَتَمْتَرَفَ الْأَحْشَاءُ لِلْخَفَقَانِ
- هذا الكلام شَكُوٌّ مِنْ حَالِهِ فِيمَنْ أُصِيبَ بِهِ ، فيقول : اليأس حاصلٌ منها إذ كان غائبُ الموتِ لا إِيَابَ لَهُ ، والشَّوْقُ إِلَيْهَا غَالِبٌ حَتَّىٰ كَأَنِّي مَافَقَدْتُهَا ؛

(١) لَمَّا هُنَا يَنْتَهِي سَقَطَ التَّيْمُورِيَّةُ الَّتِي بَدَأَ فِي ص ٩٠٦ .

(٢) وَكَذَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٣٢١) . وَفِي الْبَيَانِ (١ : ٣٩٩/٢ : ٦٩) أَنَّهُ « الْهَيْثَمُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْعُرَيَّانِ » .

(٣) مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ ، الْمُلَقَّبُ صَرِيحَ الْفَوَائِي ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، مَوْلَاهُ وَمِنْشُؤُهُ بِالْكُوفَةِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَشَاعَ الْبَدِيعَ فِي شَعْرِهِ ، وَتَبِعَهُ فِي ذَلِكَ أَبُو تَمَّامٍ . وَكَانَ مُسْلِمٌ مَدَاحًا جَلَّ مَدَائِحُهُ فِي يَزِيدَ بْنِ مَزِيدَ ، وَدَاوُدَ بْنِ يَزِيدَ ، وَابْرَاهِمَةَ ، وَصَافَا لَشْرَابَ ، وَكَثِيرَ مِنَ الرِّوَاةِ يَقْرُنُهُ بِأَبِي نَوَاسٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى . قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : وَلِيَ بَرِيدٌ جَرَجَانَ فِي خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ . الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٨٠٨ - ٨١٩ وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيسِ (٢ : ١٠ - ١٥) وَتَارِيخُ بَغْدَادَ (١٣ : ٩٦ - ٩٨) وَمُلْحَقُ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنَ الْأَغَانِي الْمَطْبُوعِ مَعَ دِيْوَانِهِ فِي لَيْدِنَ ١٨٧٥ .

فيا عجا كيف اجتمع مع اليأس رجاء مع اختلاف مقرّهما في القلب ، ومع تنافيهما عند التحصيل والكشف ، وهل يكون الإنسان فيما اعتيد وعُرف من أحوال الأزمان مُبتلى بأسباب الخيبة من الشيء ، ومتردداً معها بين علائق الطمع فيه . والمقيل الموضع من قِلت . وفي القرآن : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً ﴾ .

وقوله « غَدَتُ والثّرى أولى بها من وليّها » تحشر ، فيقول : ابتكرت وهي في ملكة الثّراب دون ملكة وليّها ، فالثّرى صار أولى بها . والانتقال من بين الأحياء إلى الأموات أخق وأوجب في أمرها . وقوله « إلى منزل ناء لعينك دان » مثل قول الآخر^(١) :

... أَمَا جِـ وَارْهُمُ فِدَانِ وَأَمَا الْمَلْتَقَى فَبَعِيد^(٢)

وقد أَلَمَ في قوله « غَدَتُ والثّرى أولى بها » بقول الآخر^(٣) :

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ مِنْ مَفْقُودَةٍ إِذْ لَا يَلَا تُمَكِّ الْمَكَانَ الْبَلَقَمُ

وقوله « فلا وجد حتى تنزف العين ماءها » يريد به : لا وجد يُعْتَدُّ به إذا ذُكِرَ المَلَع على مثله حتى تستنفد العين دمعها ، لا تُصَال البكاء بها ، وحتى تستمرّ الأحشاء في خفقان القلب فتذلّ له وتصبر عليه ، حتى يصير عادةً وسجّيةً ويقال : عَرَفَ فلانٌ لكذا واعترف له ، إذا صَبَرَ فيه واعتاده . على ذلك قوله :

* على عَارِفَاتٍ لَلْقَاءِ عَوَائِسٍ^(٤) *

ويقال : نَزَفَتُ البئرَ وأنزفتها جميعاً ، قال العجاج :

(١) هو عبد الله بن ثعلبة الحنفي ، في الحماسية ٢٩٧ ص ٨٩١ .

(٢) أوله : « مم جيرة الأحياء » .

(٣) هو مويك المزموم ، في الحماسية ٣٠٥ ص ٩٠٣ .

(٤) للنايفة في ديوانه ٥ . وعجز :

* بهن كلوم بين دام وجالب *

* وَأَنْزَفَ الْعَبْرَةَ مِنْ لَاقِي الْعَيْزِ *

وفي المثل « أَجَبْنِ مِنَ الْمَنْزُوفِ رَظًا » .

وقوله « لَا وَجْدَ » خبره محذوف ، كأنه قال : لا وجد حاصل أو موجود .
والخفقان في القلب والجناح : الاضطراب ، ومنه حَقَّقُ الْبُنُودِ والأعلام ،
حتى تُمَيَّ الأعلامُ خوافق . قال :

لقد تركتُ عَمْرَاهُ قَلْبِي كَأَنَّهُ جَنَاحُ عُقَابٍ دَائِمُ الْخَفَقَانِ^(١)

٣٢٤

وَقَالَ مُسْلِمٌ أَيْضًا^(٢) :

١ - قَبْرٌ بِحُلُوانٍ اسْتَسَرَ ضَرْيَحُهُ خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ

٢ - نَفِضَتْ بِكَ الْأَخْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ وَاسْتَزَجَمَتْ نَزَاعَهَا الْأُمُصَارُ

قوله « اسْتَسَرَ » بمعنى أَسَرَ ، ومثله استمعجب بمعنى سَجِبَ . وأكثر ما تَرَى

اسْتَسَرَ يَكُونُ فِي مَعْنَى اسْتَخَفَى وَتَوَارَى . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ اسْتَسَرَ

الْقَمَرُ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ ، فَهُوَ مِنْ طَلْسِرَارٍ ، وَهُوَ آخِرُ يَوْمٍ فِي الشَّهْرِ ، وَالْخَطَرُ :

ارْتِفَاعُ الْمَكَانَةِ وَالْحَالِ فِي الشَّرَفِ ، ثُمَّ يُقَالُ فِي الشَّرِيفِ : هُوَ عَظِيمُ الْخَطَرِ .

وَالضَّرِيحُ ، أَصْلُهُ الْقَبْرُ يُشَقُّ وَسْطُهُ وَلَا يُلْحَدُ . وَارْتَفَعَ « قَبْرٌ » بِالْإِبْتِدَاءِ لِأَنَّهُ

بِصِفَتِهِ وَهُوَ بِحُلُوانٍ قَرُبَ مِنَ الْمَعَارِفِ ؛ وَاسْتَسَرَ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ . وَالْمَعْنَى : قَبْرٌ

بِهَذَا الْمَكَانِ اشْتَمَلَ جَوْفُهُ عَلَى عَظِيمٍ مِنَ الْعِظَاءِ ، رَفِيعِ الْمَكَانَةِ جَلِيلِ الْخَطَرِ ،

يَتَقَاصِرُ عَنْهُ كُلُّ عَظِيمٍ جَلِيلٍ . وَقَوْلُهُ « خَطَرًا » أَرَادَ ذَا خَطَرَ ، فَخَذَفَ الْمُضَافَ ،

(١) البيت لعروة بن حزام في ديوانه مخطوطة الشنتيطي ، وأمالى القائل (٣ : ١٦٢) .

(٢) يقولها في رثاء يزيد بن يزيد . ديوان مسلم ٢٣٨ والبيان (٣ : ١٤١ ، ٢٦٠) .

وأمالى القائل (١ : ٢٧٦) .

وكذلك الأخطار ، أراد ذَوُو الأخطار . وقوله « تَقَاصَرُ » يجوز أن يكون من القصور : العجز ، أى تمعَّزُ أن تبلغ حَمْلَهُ الأخطار . ويجوز أن يكون خُذًا تطاول فيكون من القَصَر .

وقوله « نَفِضْتُ بِكَ الْأَحْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ » يريد أن العَفَاءَ قَعَدُوا عن الاجتداء بعد موتِكَ يَا سَامَنَ يُطْمَعُ فِيهِ ، أَوْ يُرْجَى خَيْرُهُ ، فَنَفَضُوا أَحْلَاسَ رَوَاحِلِهِمْ نَفْضَ مَنْ يقيم في بلاده وَيَطْرَحُ التَّرْحَالَ . وقوله « اسْتَرْجَعْتَ نَزَّاعَهَا الْأَمْصَارُ » معناه أن مَنْ كَانَ عَلَى بَابِهِ انصرفوا إلى أوطانهم نافضين أَيْدِيَهُمْ مَنْ يَتَعَطَّفُ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يَصْطَلِّهِمْ وَيَنْظُرُ لَهُمْ ، فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا وَدَائِعَ الْأَمْصَارِ عِنْدَهُ مَدَّةَ مَقَامِهِمْ بِيَابِهِ فَارْتَجَعَتْهُمْ . والنَزَّاعُ : جَمْعُ نَازِعٍ ، وَهُوَ الْبَعِيدُ وَالْغَرِيبُ جَمِيعًا ، وَكَذَلِكَ النَّزِيعُ وَالْجَمِيعُ النَّزَائِعُ . ويجوز أن يكون مِنْ نَزَعْتُ إِلَيْهِ نِزَاعًا ، أَيْ حَنَنْتُ . فيقول : المقيمُ فِي مَوْضِعِهِ رَفَضَ التَّرْحَالَ ، وَالْمَسَافِرُ عَادَ إِلَى مَقَرِّهِ يَا سَامَنَ كَسَبَ الْمَالَ .

٣- فَاهْبِ كَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْتَارُ

٤- سَلَكَتِ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعُلَى حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرِّدَى بِكَ حَارُوا

يقول : اذهب لَوَجْهِكَ وَالْأَوْتَارُ منشورة ، وصنائعك محمودَةٌ مشكورة ، وآثارك كَأَثَارِ الشَّجَبِ وَقَدْ أَغَاثَتِ النَّاسَ بِأَمْطَارِهَا ، فَإِذَا أَفْلَعَتْ تَرَى أَهْلَ السَّهْلِ وَالْوَعْرَ يُذْنُونَ عَلَيْهَا . والغَوَادِي : السَّحَابَاتُ الَّتِي تَنْشَأُ غُدُوَّةً ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَفْطَانًا مِنْهَا ، وَأَضَافَهَا إِلَى الْمَزْنَةِ لِأَنَّهَا تَجْمَعُ فَكَمَلَتْ مُزْنَةً . ويجوز أن يكون المراد بالغَوَادِي أَمْطَارًا تَصُوبُ غُدُوَّةً ، وَأَضَافَهَا إِلَى الْمَزْنَةِ .

وقوله « سَلَكَتِ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعُلَى » يريد أَنَّكَ هَادِي الْعَرَبِ وَدَلِيلُهُمْ فِي اكْتِسَابِ الْمَعَالِي وَابْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ ، فَأَنْتَ قَائِدُهُمْ وَهُمْ يَطَّوْنُ عَقِبَكَ ،

وَيَقْتَدُونَ بِكَ ، حَتَّى إِذَا فَقَدُوا إِمْرَاشَاكَ تَحَيَّرُوا فَلَمْ يَهْتَدُوا ، وَضَلُّوا فَلَمْ يَرْتُدُّوا .
ومعنى « سَبَقَ الرَّدَى بِكَ » كَأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَشَبَّهُونَ بِهِ وَيَلْزَمُونَهُ حَافِظِينَ بِقَاءَهُ
فَجَاءَ الرَّدَى يَطْلُبُهُ وَيَخْتَارُهُ ، فَاتَّهَزَ الْفُرْصَةُ فِي السَّبْقِ بِهِ وَاجْتَذَاهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ،
وَالْفَوْزَ بِهِ مِنْ دُونِهِمْ . وَمَفْعُولُ سَبَقَ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ سَبَقَهُمُ الرَّدَى ^(١) بِكَ .

٣٢٥

وَقَالَ حَنْشٌ ^(٢) فِي يَعْقُوبَ بْنِ دَاوُدَ :

١ - يَعْقُوبُ لَا تَتَّبِعْهُ وَجُنَّبْتَ الرَّدَى فَلَنَبْكِيَنَّ زَمَانُكَ الرَّطْبَ الثَّرَى

٢ - وَلَئِنْ تَعَمَّدَكَ الْبَلَاءُ بِنَفْسِهِ فَلَقِيَّتَهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لَيُثَنَّتْ لِي

لَمْ يَرْضَ بِالْجَرِيِّ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي قَوْلِهِمْ عِنْدَ الْمَصَابِ : لَا تَتَّبِعْهُ ، حَتَّى زَادَ
عَلَيْهِ « وَجُنَّبْتَ الرَّدَى » لِيَكُونَ الْكَلَامُ أَدْلَ عَلَى التَّوَجُّعِ ، وَأَوْفَى بِالْتَّنْبِيهِ عَلَى
حَاجَةِ النَّاسِ إِلَى بَقَاءِ الْمُتَوَقَّى . وَقَوْلُهُ « فَلَنَبْكِيَنَّ زَمَانُكَ الرَّطْبَ الثَّرَى » يُشِيرُ
فِيهِ إِلَى إِحْسَانِهِ الضَّائِقِ ، وَمَعْرُوفِهِ الْوَاسِعِ الْوَاقِي ، وَأَنَّهُ كَانَ لِلنَّاسِ كَاتِمَاتٍ
يُحْيِي الْأَرْضَ وَسُكَّانَهَا ، فَحِكَانَ تَرَى الْأَرْضَ بِهَ رَطْبًا ، وَزَمَانُهُ خِصْبًا .
وفيه إلمام بقوله :

(١) هنا تنقضي النسخة التيمورية . وتستمر المقابلة بين تـمـخـنـن : الأصل ، ل .

(٢) وكذا في ل . وعند التبريزي : « أبو حنش الهلالي » ، وهو الصواب . قال.
التبريزي : « قال أبو هلال : قال دعلج : اسمه خضير بن قيس النخيري . بصري ، كان يحفظ
القرآن ، وعاش مائة سنة ، وصحب يعقوب وزير المهدي ، فلما حبسه المهدي وقال منه ما نال .
قال . . . » . وذكره ابن النديم في الفهرست ٢٣١ عند ذكر دواوين بعض الشعراء :
« أبو حنش النخيري ثلاثون ورقة » . وكلان كما ذكر أبو الفرج في الأغاني (١٨ : ٧٤) على
صلة بابي محمد البريدي ، قال له يوماً يا أبا محمد : قل أبياتاً قافيتها على هـ . فقال أبياتاً منها :
أبلغ خضيراً عن أبي حنش عاترة نخوه أوجهها

وردت خضيراً في الأغاني بالخاء المهملة . وما يجدر ذكره أن الأبيات ليست رثاء في ميت ،
بل هي رثاء لحى ، كما سبق نظيره في الحماسية ٣١٤ ص ٩٢٧ .

* اذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ ^(١) *

وقوله « ولئن تمهّدك البلاء بنفسه » أفاد قوله « بنفسه » إكبار الأمر وتفظيع الشأن في موته وفقدانه ، كأنّ البلاء لم يرض في الذهاب به بأن يعتمد على نائبه ورسله ، بل جاءه بنفسه . وقوله « إنّ الكريم ليبتلى » تسليّة ^(٢) . ومعنى « تمهّدك » أى نظر هل أنت على ما عهدك ليرى فيك رأيه . وفي الكلام إلحاش بقول الآخر ^(٣) :

أرى الموت يعمّ السكّرام ويصطفى عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ لِلنَّشْدِ
ويعنى بالبلاء الموت ، وقد يكون في غير هذا الموضع النعمة والاختبار .
ومنه قوله تعالى : ﴿ لَيَبْتَلِيَّ اللَّهُ ﴾ ، أى يمتحن . وقوله « لئن » اللام موطنه
للقسم ، وهو مضمّر وجوابه « إنّ الكريم ليبتلى » .

٣- وأرى رجالاً ينهسونك بعدما أغْنَيْتَهُمْ مِنْ فَاقَةٍ كُلِّ الْغِنَى
٤- لو أنّ خيرك كان شرّاً كلّهُ عِنْدَ الَّذِينَ عَدَوْا عَلَيْكَ لَمَّا عَدَا
معنى ينهسونك يفتابونك ، وأصل النهس في العظم إذا عرق ما عليه من
اللحم . وانتصب « كلّ الغنى » على المصدر ، ووضع الغنى موضع الإغناء على
عادتهم في وضع الاسم موضع المصدر . والمعنى : أرى من أحسنت إليه وأنعمت به
وبعد الفاقة أغْنَيْتَهُ ، يتنقّص ويفتابك ، سوء محافضة منهم ، ولنداء أصلهم
ولؤم عرقهم .

ثم قال : لو أنّ خيرك عندهم كان كلّهُ شرّاً لما جاوز فعلهم بك ، ومكافأهم
لك ، ما نراه . ومعنى « عَدَوْا عَلَيْكَ » ظمرك . ومعنى « لَمَّا عَدَا » لَمَّا جاوز

(١) من الحماسة ٣٢٤ لمسلم بن الوليد . والنص هناك : « فاذهب » . وعجزه :

* أننى عليها السهل والأوعار *

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « يسليه » .

(٣) هو طرفة بن العبد ، فى معلقته .

ويقال عدا عليه عَدُوا وَعَدُوا وَعَدَاءُ وَعَدُوَانَا . وارتفع « كَلَهُ » على التوكيد للمضمر في كان ، ويجوز أن يكون اسم كان . وفي قوله « لَمَّا عَدَا » ضمير للشر ، ومفعوله محذوف ، كأنه قال : لَمَّا جاوز الشرُّ ، أى جزاء الشرِّ ، ما يأنونه في نقيصتك والوضع منك . والكلام تحشُرُ وتَشَكُّ من متحملي صنائع المفقود ، وذمٌ للدمرِ وأهله .

٣٢٦

وقالت صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةِ^(١) :

١ - كُنَّا كَفُضْنَيْنِ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَقَا حِينَا بِأَحْسَنِ مَا تَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ^(٢)

٢ - حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا فَطَابَ فَيْثَاهُمَا وَاسْتَنْظَرَ الثَّمَرُ^(٣)

قوله « سَمَقَا » أى طالا فى كمال . والجُرْثُومَةُ : الأصل فيقول : كنّا كَفُضْنَيْنِ خَرَجَا مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ فَنَمِيَا وَطَالَا ، وَاسْتَكْمَلَا زَمَانًا ، وَبَقِيَا يَزْدَادَانِ عَلَى أَحْسَنِ حَازِدَادِ لَهُ الْأَشْجَارُ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَا ، وَآتَتْ أَغْصَانُهُمَا وَبَرَغَا ، وَكَثُرَ وَرْقُهُمَا ، وَاسْتَطِيبَ ظِلُّهُمَا ، وَصَارَا يُنْتَظَرُ ثَمَرُهُمَا ، وَقَفَّ الْأَمْرُ بِهِمَا دُونَ الْغَايَةِ الْمَرْجُوءَةِ فِيهِمَا ، وَدُعِيَ أَحَدُهُمَا مَقْدَمًا عَلَى الْآخَرِ لِلْمَحْتَوَمِ لَهَا . وَالْفَرْعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : مَا تَفَرَّعَ مِنْهُ فِي أَعْلَاهُ . الْفَيْءُ مِنَ الظِّلِّ : مَا فَاءَ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ . وَمَعْنَى اسْتَنْظَرَ انْتَظَرَ . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « وَاسْتَنْصَرَ الثَّمَرُ » ، أَيْ وَجَدَ نَاصِرًا غَضًّا . وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ .

(١) هى إحدى الأعرابيات . وذكر ابن عبد ربه فى العقد (٣ : ٢٧٧) أن الأبيات رثاء لزوجها ، وذلك فى باب (من رثت زوجها) ، وابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ٦٧) أنها رثاء لأختها .

(٢) المقد : « سَمَقَا » ، عيون الأخبار : « سَمُوا حِينَا عَلَى خَيْرِ مَا يَنْبَغِي » ، التبريزى : « مَا يَسْمُو » .

(٣) المقد و عيون الأخبار : « وَطَابَ قَدْوَاهُمَا » .

٣ - أَخْنَى عَلَى وَاحِدٍ رَبُّ الزَّمَانِ وَمَا يُبْقِي الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَمَا يَذَرُ^(١)

٤ - كُنَّا كَأَنْجُمٍ أَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ^(٢)

قوله « أخنى » جواب إذا من قوله « حتى إذا قيل قد طالت فروعهما » ، وقوله « وما يُبْقِي الزَّمَانُ » اعتراض حَصَلَ بَيْنَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْقِصَّةِ ، مؤكِّدٌ لَهُ . فيقول : لَمَّا بَلَغَ الْأَمْرُ بِنَا ذَلِكَ الْمَبْلَغَ أَنَاخَ حَدَثَانُ الدَّهْرِ عَلَى أَحَدِهِمَا فَأَتْلَفَهُ وَأَفْسَدَهُ ، وَالزَّمَانُ هَذَا دَابُّهُ ، لَا يَسْلَمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، بَلْ يَرْتَجِعُ كَمَا يُعْطَى ، وَيَسْلُبُ كَمَا يَهَبُ .

نم قال : « كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ » ، وهذا تشبيه ثانٍ ، كأنها في الأول - وهو كُنَّا كَقُصْنَيْنِ - شَبَّهَتْ نَفْسَهَا وَصَاحِبَهَا بِقُصْنَيْنِ ، وَفِي الثَّانِي شَبَّهَتْ الْعَشِيرَةَ كَأَمَّا وَلِلْمَتَوَقَّى فِيهَا ، بِنَجُومٍ أَيْلٍ أَحَدَقَتْ بِقَمَرٍ اسْتِضَاءَ ظِلَامُ اللَّيْلِ بِنُورِهِ فَسَقَطَ ذَلِكَ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِهَا فَعَادَ اللَّيْلُ كَمَا كَانَ .

وهذا الكلام فيه تفضيلٌ للمتوقَّى على ذَوِيهِ كَلَّمَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَكْشِفُونَ ظُلْمَةَ حَوَادِثِ الدَّهْرِ مِنْ جِهَتِهِ وَمَكَانِهِ ، فَلَمَّا فَارَقَهُمْ عَادَ الشَّرُّ جَذَعًا^(٣) ، وَالضِّيَاءُ حِنْدَسًا .

(١) انفرد ابن قتيبة برواية « على واحدٍ » و « لا يبقِ » و « لا يذر » .

(٢) ابن قتيبة : « وسطنا قمر . . . من بيننا » . وقال : ومن هذا أخذ الطائي - يعني أبا تمام - قوله :

كَانَ بَنِي نَهْجَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومٌ سَمَاءَ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

انظر ديوان أبي تمام ٣٦٩ .

(٣) عاد جذعا ، أى جديداً كما بدأ ، وأصل الجذع من الدواب والآنعام الصغير السن قبل أن يثني بسنة ، وهو أول ما يستطيع ركوبه والافتقاع به .

٣٢٧

وقال التيمي^(١) في منصور بن زياد^(٢) :

١ - كَهَنَى عَلَيْكَ لِلْهَمَةِ مِنْ خَائِفٍ يَبْنِي جِوَارَكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ
« كَهَنَى » مبتدأ ، وهو كَهَفٌ مضاف إلى ضمير النفس ، ففرّ من الكسرة
وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفا . ولو روى كَهَنَى عَلَيْكَ ، لجاز ، ويكون
جارياً على أصله . و « عليك » في موضع الخبر . واللام من الهمزة متعلق بما دلّ
عليه كَهَنَى . فيقول : لي عليك حسرة شديدة من أجل حسرة رجل نابئ من
حوادث الدهر ما اختشى له فطلب جوارك ، والاستعاذة بفنائك ، وقت لا مجير له
ثم لا يجِدُكَ . وقوله « حين ليس مجير » ظرفٌ ليبنِي ، ويبني في موضع الصفة
لخائف . وخبر ليس محذوف ، كأنه قال : حين ليس مجير في الدنيا ، أو بعمشه ،
أو ما أشبه ذلك . وأضاف حين إلى ليس فبناؤه لأن المضاف إليه غير متمكن ،
فاكتسب البناء من جهته ، فالفتحة في حين فتحة بناء . ولا يمتنع أن يكون فتحة
إعراب ، كأنه أجرى حين على سلامته ولم يعتدّ بالإضافة فيه .

٢ - أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالذِّبَارُ قُبُورُ
٣ - عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَمَهَّ هَلَاكُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ

(١) التبريزي : « قال أبو هلال : هو عبد الله بن أيوب ، ويكنى أبا محمد ، عربي
من أهل اليمامة ، فصيح كلامي . وقال الفضل بن سهل لأبي سهل الخطاب الأزدي : من أشعر
من بقى ؟ قال : مسلم . قال : لا ، بل التيمي . ومن مشهور قوله :

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة وإن عظموا للفضل إلا ضائع
ترى عظماء الناس للفضل خشعاً إذا ما بدا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة وكل رفيع عنده متواضع »

(٢) منصور بن زياد : أحد وجوه الدولة العباسية ، وكان ابنه محمد بن منصور كاتباً
للبرامكة ، الشعراء ٨٣٠ .

يقول : فارقَت الأحياءُ وفي كلِّ فِرْقَةٍ من فِرْقَتهم غمٌّ شاملٌ ، وزفرةٌ متصلةٌ ،
فاختلطَت بالأموات ، فالأنسُ الذي كان في الأحياء انتقلَ بانتقالك إلى الأموات ،
خديارُ الأحياء ذاتُ وَحْشَةٍ ونُفُورٍ ، فهي كالقُبُورِ لَمَّا حَصَلَ فيها من الفَجْع بك ،
وفارَقَها من نَسيمِ الرُّوحِ والراحَةِ بفراقك . وقبورُ الأموات ذواتُ أنسٍ
وقرارٍ بمجاورتها لقبرك ، ولما يَفْدُو ويروح إليها من زُوارِك .

وقوله « عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ قَعَمٌ هَلَاكُهُ » يريد أن إحسانَهُ عَمَّ الخلق ، وصنائِعُهُ
شَمِلَتْهُمْ ، فبحسب ذلك عَمَّتْهم الفَجِيعَةُ بِهِ ، فالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُصَابُونَ مُاجِرُونَ ،
قد استوت أقدامُهُم وتفاضَلَت أحوالُهُم فيما نالَهُم من الحسرة فيك ، وأضرَّ بِهِم
من اتَّخَلَّوْا الواقع في عَيْشِهِم بك .

٤ - يُبْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لَأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرٌ
٥ - رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَفْشُورٌ

يقول : عَرَفَ النَّاسُ طَى اختلافهم وتبايُنِ أوطانهم ، فضلكَ وفواضلكَ ،
فاتَّفَقَت ألسنتُهُم في الثَّنَاءِ عَلَيْكَ والحمدِ لَكَ ، فَمَنْ لَمْ تُسَدِّ إِلَيْهِ خَيْرًا مِنْكَ ،
ولم تُشْرِكْهُ في النِّعَةِ عِنْدَكَ ، صار مقتدياً بغيرِهِ في إطرائِكَ ومدحِكَ ،
وتقريبِكَ وتزكيتِكَ ، لَأَنَّكَ عِنْدَهُمْ كُلُّهُمْ جَدِيرٌ بِذَلِكَ ، لا لِمُكَافَاةٍ عَلَى
إحسانِكَ ، وَلَا لشُكْرِ وَجَبَ عَلَيْهِمْ فِي تَحْمُلِ أَفْضَالِكَ .

وقوله « رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ » ، يقول : تَذَاكَّرَ النَّاسُ بِعَوَارِفِكَ
لديهم ، ونشروا محامدَكَ فيهم ، فكأنَّكَ حَيٌّ لَمْ يُوَارَكَ قَبْرٌ ، وَلَمْ يُفْزَ بِكَ
موت . ويقال أنشَر الله للوْتى ونَشَرهم جميعاً . وأنشَرَ أفضَح . وقوله
« من نَشَرها » أى من نَشَرَ النَّاس لها ، فأضيف المصدر إلى المفعول .

٦ - فَالنَّاسُ مَا نَمَهُمُ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرٌ

٧ - عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةِ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرٌ
أصل اللاتم النساء يجتمعن في الخير والشر ، وجعله هاهنا المصيبة نفسها .
والرئين : الصوت . والرئة الفعلة منه . وانتصب « عَجَبًا » على المصدر ،
والعامل فيه فعل مضمر ، كأنه قال : عَجِبْتُ عَجَبًا . وإنما قال أربع أذرع ، لأن
الذراع مؤنثة ، وفي خمسة لأنه أراد الأشبار . والشبر مذكر . ويشبه هذا قوله :
بَلَى قَدْ وَسِغَتِ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَمَّتْ حَتَّى تَصْدَعَا^(١)
والجبل الأشم : الطويل الرأس . ويقال عز أشم ، يراد به الارتفاع .

٣٢٨

وقال نهار بن توسعة^(٢) يرثي أخاه :

١ - عَيْتَانُ قَدْ كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبٌ حَتَّى رَزَيْتُكَ وَالْجُدُودُ تَضَعُضُ

٢ - قَدْ كُنْتُ أَشْوَسٌ فِي الْمَقَامَةِ سَادِرًا فَنَظَرْتُ تُصَدِّى وَاسْتَقَامَ الْأَخْدَعُ

يقول : يا عيتان ، كنت رجلاً كان لى ملاذ ألوذ به ، وجانب أستنم إليه ،
وأنعز بعزه ، إلى أن فقدتكَ ، والجُدود تنحط بعد الارتفاع ، وتعوّج عقيب
الاستواء . فقوله « والجُدود تضعضع » اعتراض ، لأن قوله « كنت أشوس »
متصل بما قبله . والشّوس هو النّظر في اعتراض كمنظر الغضبّان والكاره للشيء

(١) للحسين بن مطير ، في الحماسية ٣١٩ .

(٢) نهار بن توسعة بن تميم بن عرفجة بن عمرو بن حنم بن عدى بن الحارث بن تيم الله
ابن ثعلبة ، أحد شعراء بكر بن وائل هو وأبوه توسعة . وهو شاعر أموى . قال التبريزى :
« وكان أشعر بكبرى بخراسان » . وهو القائل ليزيد بن المهلب :

كانت خراسان أرضاً يذيزيد بها وكل باب من الخيرات مفتوح
فاستبدلت « قتباً » جمداً أقامه كأنما وجهه بالخل منضوح

يعنى قتيبة بن مسلم . المؤتلف ١٩٣ .

المرضى عنه والقامة : المجلس . والسادر : الذهاب عن الشيء ترفقاً عنه . ويقال
 أتى فلان أمره سادراً ، إذا جاءه من غير جهته . والسدر : ظلمة تنشى العين ،
 وكان السادر منه . وقوله « فنظرت قصدي » أراد نظرت حيث أقصد ، ومكان
 قصدي . وإعرابه يجوز أن يكون نصبا على الظرف ، وقد حذف اسم المكان معه ،
 ويجوز أن يكون مصدرأ ، كأنه قال : فنظرت أقصد قصدي ، أى قاصداً قصدي
 فدل المصدر على اللفظ بالفعل ، والواقع موقع الحال هو الفعل . ومعنى البيت : قد
 كنت بما فى نفسى من الكبر والتعالى على الناس أنظر إلى أهل المجلس نظراً
 المعترض عليهم ، المعرض عنهم المستهين بهم ، المأخوذ عن قصدي فيهم عجباً
 واستغناء ، فلما فقدت تلك الألفزؤانة عني ، واستقام عني من العصور العارض
 له ، كما اعتدل نظري فزال عنه الشؤس الذى كان فيه .
 ويستحسن لأوس بن حجر قوله :

* تشاوس يزيد إني من تأمل^(١) *

٣- وفقدت إخواني الذين بعينهم قد كنت أعطى ما أشاء وأمنع^(٢)
 خاطب عتيان فيما تقدم ، وشكا بئنه إليه ، على عادة الناس فى إظهار
 التألف عند مخاطبة للفقود ، والجري فى مباتته على عاداتهم معه فى حياته . وفى
 الثانى أخبر عن نفسه بأنه مرزأ فى إخوانه . كأن المصائب كانت متوافية إليه ،
 ملححة فى تكرير الفجائع عليه ، فأخوانه تفانوا واحداً بعد واحد ، وتدانوا فى
 التنازع سندا بعد سند ، فقال : ورزئت إخواني الذين كنت أعطى ما أشاء

(١) لم يروى ديوان أوس بن حجر . وأنشده فى مجالس ثعلب ١٥٥ والإنصاف ٣٤٤ .
 ورواية ثعلب : « تشاوس قليلا » وابن الأنبارى : « تشاوس رويداً » . وصدده فيهما :

• يقلب عينيه كما لأخافه •

(٢) سبق نظيره فى الحساسية ٢٧٧ فى قول البراء بن ربيع :

ثمانية كانوا ذؤابة قوهم بهم كنت أعطى ما أشاء وأمنع

إعطاءه ، وأمنع ما أهناه مفعه ، مدة عيشهم ، وزمن بقائهم . ويقال : عشت عيشاً ومعاشاً . والمعيش والمعيشة والمعاش . اسم ما يُعاش به . ويقال هو عائش أى حاله حسنة .

٤ - فلمن أقول إذا تلم ملية أرني برأيك أم إلى من أفزع

٥ - فليأتين عليك يوم مرة يمسكني عليك ممتعاً لا تسمع^(١)

قوله « فلمن أقول إذا تلم ملية » كلام من سلبه القدر لإخوانه ، وقص جناحه فأعياه طيرانه^(٢) ، فتى طرقة حادث أو ألم بساحته من الدهر نائب لم يكن له من يرجع إليه مستشيراً ، أو يقتبس من نور رأيه مستضيئاً ، ولا وجد من يستدفع به البلاء أو يستعديه على مهتضمه ، فيصرف بقوته عن نفسه العداء فيبقى أسير الغير ، وقيد الفكر^(٣) . ومعنى « أرني برأيك » أرشدني برأيك ، واهدني بنظرك . وقد حذف المفعول الثاني لقوله أرني ، وللمراد أرني الصواب أو وجه الأمر برأيك . ويقال : رأيت الشيء بمعنى رؤية ورأيا ، ورأيت بقلبي رأيا لا غير . فأما قول زهير :

فقال أميرى ما ترى رأى ما ترى أنختله عن نفسه أم نصاوله^(٤)

فالمراد به ما ترى رأى أى الأمرين ترى . فما ترى سؤال عن جملة الرأى ورأى ما ترى سؤال على طريق التفصيل ، وقد بينه بقوله أنختله أم نصاوله . وقوله « إلى من أفزع » يقال فزعت إلى فلان أفزع ، إذا التجأت إليه ؛ وهو

(١) أخذه من قول متم بن نويرة في البيت ٤٥ من المفضلية ٩ .

(٢) في نسخة الأصل : « فأعياه طيرانه » ، وأثبتنا ما في ل .

(٣) كذا في النسختين . والوقيد : المنشى عليه ، والذي يضرب حتى يشرف على الموت .

وقد ، فهو موقود ووقيد .

(٤) رواية الديوان ١٣٢ : « ما ترى رأى ما نرى » . وفي شرحه : « أميره : الذى يؤامره . ما ترى رأى ما نرى فى الصيد ، أى قد رأينا كذا وكذا فما ترى فيه » .

لنا مَفْرَعٌ ، أى نَفْرَعُ إليه . وفى ضده يقال : هو لنا مَفْرَعَةٌ ، أى نَفْرَعُ منه .
ويستوى فيه الواحد والثنية والجمع ، والمذكر والمؤنث .
وقوله « فليأتينَّ عليك يومٌ مرَّةً » خطابٌ لنفسه . وقد ألمَّ بقول الآخر (١) :
* وإِخَالُ أُنَى لَاحِقٌ مُسْتَنْبَعٌ (٢) *

يريد أن أجله قد قُربَ ولا بقاء للروح على ما يمارسه ويزاوله . وأشاد بقوله
« يومٌ » إلى وقت النَّازلة . ويقال فعل كذا مرًّا ومرَّتين كما تقول مرَّةً ومرتين ،
و « مقتما » انتصب على الحال من قوله « يُبَسِّغِي عليك » ومعناه مُسَجِّى مستور
الوجه . ولا نسمع فى موضع الصِّفة لقوله مقتما ، أى مقتما غير سامع عَولة الباكى .
و « ليأتينَّ » جواب يَمِينٍ مضمرة ، ويُبَسِّغِي عليك فى موضع الصِّفة ليومٌ ،
أى يومٌ يُبَسِّغِي عليك فيه ، أو يُبَكِّاهُ عليك إن قدرته تقدير المفعول به . ومثله :
﴿ وَأَنْقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ ، وقد مرَّ القول فيه (٣) :

٣٢٩

وقال يزيد بن عمرو الطائي (٤) :

١ - أَصَابَ الْغَلِيلُ عَبْرَتِي فَأَسَالَهَا وَعَادَ احْتِمَامٌ لِيَلْتِي فَأَطَالَهَا
٢ - أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي كَانِ رِجَالَهُمْ نَخِيلٌ أَتَاهَا عَاضِدٌ فَأَمَالَهَا (٥)

الغليل : حرارة الجوف ، يقال به غلَّة . والاحتام : التلقى والانزعاج ،
يقال أحتمنى الأمر إحماما . والعاضد : قاطع النخل ، والذي يُقَطَّعُ به يقال له

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٢) ، والمفضليات (٢ : ٢٢١) .

(٢) صدره : * ففبرت بعمهم بميش ناصب *

(٣) انظر ما مضى فى ص ٣٣ .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) التبريزي : « من رأى قوما » . وقال : « قال أبو العلاء : إذا ، ويت : أتاها

عاصف فأمالها ، فهى من عصف الريح » .

المُعْضَد . فيقول : تنَاهَى حَجَى جَوْفِي وَغَلَّةَ كَبْدِي ، فَاسَلْتُ دُمْعِي إِطْفَاءً لِنَافِثَتِهَا ،
وَعَادَ قَاتِي لَيْلَتِي ، وَطَارَ النَّوْمُ عَنِّي فَعَطَّالٌ لَهُ لَيْلَتِي . وقوله « احتام ليلتي » أضاف
الاحتامَ إلى ليلته لكونه فيها ، ولا اجتماع الوسوس عليه ، لتَفَرُّدِهِ عما يشغل
به . و يروى : « احتامى ليلتي » ، ويكون ليلتي في موضع الظرف ، يريد احتامى
في ليلتي . وإنما قال احتام ليلتي لما كان تقدّم من مصائبه في عشرينته .

وقوله « أَلَا مَنْ رَأَى قَوْمِي » لفظه استنهام ، والمعنى معنى التوجّع . وقد
يأتون به على الخطاب هل رأيت قومي ؟ كأن هذه الرثوية مستنكرة فهو
يَسْتَنْبِت . وقوله « كَأَنَّ رَجَالَهُمْ نَخِيلٌ » شبههم وقد صُرِّعُوا بنخيل معضودة .
وهذا التشبيه ورد مثله في القرآن ، في قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَجْدَارُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ ﴾ . وجملة المعنى كأنه يُبْكَرُ أن يكون قومه بهذه الصفة ، فقال مستنبتاً
على طريق التحسر : مَنْ رَأَى قَوْمِي مَقْتَلِينَ مُصْرَعِينَ كَأَنَّ فُرْسَانَهُمْ نَخِيلٌ
قَصَدَهَا عَاضِدٌ فَأَمَالَهَا . وفائدة أمالها ، على فصاحتها في هذا الموضع ، تصوير
حالة الرّجال حين تَرَكُوا بِالْعَرَاءِ كيف تَرَكُوا .

٣ - أَدْفَنُ قَتْلَاهَا وَأَسُو جِرَاحَهَا وَأَعْلَمُ أَنْ لَا زَيْنَ عَمَّا مَنَى لَهَا
٤ - وَقَائِلَةٌ مَنَ أُمُّهَا طَالَ لَيْلُهُ يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو أُمُّهَا وَاهْتَدَى لَهَا
وصف حالته وما مئى به في ذويه وعشيرته ، وكيف تَوَلَّى من المقتولين
دفنهم ، ومن الجرحين أسنوم ، لأنه إذا احتاج إلى تَوَلَّى ذلك منهم كان أشقى
له وأغود بالسكمد عليه . وقوله « وَأَعْلَمُ أَنْ لَا زَيْنَ عَمَّا مَنَى لَهَا » رضا منه
بمحتوم القضاء ، وإظهاراً للتصبر في البلاء ، وتحسر على ما فاتته من القوم في حالتي
الشدة والرخاء . ومئى لها ، يعنى قدر لها ، وأصله مئى ، فأخرجه على لفتيه ،
لأنهم يفرون من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ، فتقلب الياء ألفاً . والزَّيْنُ :

الليل والانحراف . وقوله « أن لا زَبْنِغ » أن فيه مخنفة من النقيلة ، أراد أنه لا زَبْنِغ . والضمير في أنه للأمر والشأن ، ولا زَبْنِغ في موضع خبر أن .

وقوله « وقائلة من أمها » من في موضع المبتدأ ، وطال ليله في موضع الخبر ، كأنه قال : الذي أمها طال ليله . ويزيد بن عمرو مبتدأ آخر وأمها في موضع الخبر ، وهو استئناف كلام منقطع عما قبله . ويعني بيزيد بن عمرو نفسه .

وروى الأثرم هذه الأبيات عن أبي عُبَيْدَةَ النَابِغَةِ الذُّبْيَانِي ، وأثبتها في ديوانه وقد غيّر أبياتَه ترتيباً ولفظاً ، وقال : إنما هو زياد بن عمرو ؛ لأن اسم النابغة زياد^(١) ، وزعم أنه قالها في وقعة طَيِّئِ يَوْمَ « شَرَّافِ »^(٢) ، غزاهم حصن بن حَذَبَفَة ومعه النابغة ، فالتفوا بشَرَّاف . والناسيون كالـكَلْبِيِّ والشَّيْبَانِي واليَرْبُوعِي والأصمعي ، ذكروا أن النابغة هو زياد بن معاوية بن جابر بن ضباب بن ربوع بن غَيْظ بن مُرَّة . وأبو تمام نسبها إلى يزيد بن عمرو الطائي . وفي ألفاظ هذه الأبيات على ما رواه أبو تمام شاهدٌ صدق على أنه ليزيد لالنابغة . والله أعلم .

ومعنى البيت : رَبِّ امْرَأَةٍ قَالَتْ مَتَوَجَّعَةً مَتَحَسَّرَةً : من قصّد هؤلاء المقتولين ، ووفّق في الاهتداء فقد أطيلَ ليله ، لأنه يردّ منهم على ما يجرّح القلب ويُطِيلُ السَّهْرَ . ثم قال يزيد بن عمرو : أنا الشقي الذي أمها واهتدى لها ، مجيباً للقائلة . وفائدة اهتدى أن الموضع الذي قُتِلوا فيه كان كالْمَلْتَبَسِ عليهم ، فصار هو الطَّالِبَ له ، والمهتدي إليه ، والمغبّه عليه . وانجر « وقائلة » بإضمار رَبِّ ، وجوابه من أمها ، والجملة في موضع المفعول لقائلة . وقد تعرّى قائلة من صفة لها ، وأكثر ما يجيء الجرور برُبِّ يجيء موصوفاً .

(١) انظر الحيوان (٥ : ٥٥٥) حيث أنشد الجاحظ البيت منسوباً إلى النابغة برواية :

وقائلة من أمها واهتدى لها زياد بن عمرو أمها واهتدى لها

(٢) يقال بالبناء على الكسر كقطام ، وبالإعراب مع التنوين وعدمه ، معجم ما استعجم .

٣٣٠

وقال قَسَامُ بْنُ رَوَاحَةَ السَّنْبَسِيُّ^(١) :

١- لَبِئْسَ نَصِيبُ الْقَوْمِ مِنْ أَخَوَيْهِمْ طِرَادُ الْحَوَاشِي وَاسْتِرَاقُ الْفَوَاضِحِ

٢- وما زال من قَتْلِ رَزَاحٍ بِعَالِجٍ دَمٌ نَاقِيعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحٍ

أخويهم يريد صاحبهم . والعرب تقول : يأخا بكر ، يريد^(٢) واحداً من

بنى بكر . والحواشي : صفار الإبل ورذالها . والنواضح : التي يُسْتَقَى عليها الماء ،

واحدتها ناضحة . وسميت بذلك لأنه جُمِلَ الفعلُ لها كأنها هي التي تنضح الزِّرَاعَاتِ

والنَّخِيلِ . وهم يسمون الأكار النَّضَاح . على ذلك قول الهذلي^(٣) :

هَبْطُنَ بَطْنِ رُهَاطٍ وَاعْتَصَبْنِ كَمَا يَسْقِي الْجَذُوعَ خِلَالَ الدَّوْرِ نَضَاحٌ

فيقول : مذمومٌ في اعتصابه القومِ مِنْ صَاحِبَيْنِ لَهُمْ يُقْتَلَانِ طَرْدُ الْإِبِلِ

وسوقها ، وسرقة البعران التي يُسْتَقَى عليها . وإنما جعل الطرائد حواشي الإبل

ونواضحها إزراء بها ، كما قالت كُبَيْشَةُ أُخْتُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ :

* وَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُمْ إِفَالًا وَأَبْكَرًا^(٤) *

يعنى في الدِّية . وهذا تعريضٌ بمن وجب عليه أن يُهْتَمَّ طلبُ دمِ صاحبهم

(١) التبريزي وابن جني : « قسامة » بالثاء . وقد ورد برواية المرزوقي في المؤلف ٢٢٧ ،

والمرزباني ٣٤٠ حيث رويا أبيات هذه الحماسة ، أي « قسام » . لكن البغدادى في الخزائن :

(٤ : ٨٨) قال : وهو في بعض نسخ الحماسة قسام بن رواحة ، وفي بعض آخر منها قسامة

بزيادة الهاء . ثم نقل نسبه من جمهرة الأنساب : قسامة الشاعر بن رواحة بن جل بن حق

ابن ربيعة بن عبد رضا بن ود بن ود بن معن بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن

الغوث بن طيس . قال البغدادى : « ولم أر في نسبه لاسبسا ولا عتبسا » وهو شاعر جادلي .

(٢) كذا في النسختين ، أي يريد القاتل .

(٣) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٤٦) .

(٤) من الحماسة ٥٢ ص ٢١٧ . وعجزه :

* وَأَتْرَكَ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةِ مَظْلَمٍ *

فأقتصر من الأعداء على الفارة عليهم ، وسرقة الإبل منهم . وفيه هُزُوٌ أيضاً ، وبَعَثَ على طلب الدَّم .

وقوله « وما زالَ مِنْ قَتْلَى رِزَاحٍ بعالجٍ دَمٌ ناقعٌ » فالناقع : الثابت ، مصدره الثُّقُوع . والماصحُ ، قال الخليل : هو الراسخ في الثرى ، وهو هاهنا الذليل ، والدارس . يقال مصَّعتِ الدَّار إذا دَرَسَتْ ، ومَصَّحَ الظَّلُّ ، إذا قَصُرَ . قال الأعشى :

* إذا الآلُ مَصَّحٌ ^(١) *

وهذا الكلام تذكيرٌ بدماء قتلاهم . ورملُ عالجٍ : موضعٌ معروف . ورزَّاح : قبيلة . فيقول : ولا يزال من مقتولِي هذه القبيلة بهذا المكان دَمٌ ثابت ، أو يابسٌ غير زائل . والمعنى أن دماءهم بحالها ما لم يثأروا بهم ؛ لأنَّ غَسَلَ تلك الدِّماء إنما يكون بما يُصَبُّ من دماء أعدائهم .

٣- دَعَا الطَّيْرَ حَتَّى أَقْبَلَتْ مِنْ ضَرِيَّةٍ دَوَاعَى دَمٍ مُهْرَاقُهُ غَيْرُ بَارِحٍ ^(٢)
لم يَرْضَ بما ذكره في البيت المتقدم من التذكير بدماء المقتولين حتى بسطَ القول فيه وجَنَحَهُ بأن قال : دعا دواعى دمائهم طيورَ الأماكنِ الثَّائِيَةِ والجبالِ الْمُطَلَّةِ ، حتى أَقْبَلَتْ مِنْ ضَرِيَّةٍ - وهو اسم بلادٍ تشتمل على جبالٍ - عَوَافِي سَبَاعِهَا وطيورها تَسْتَدِلُّ بها ، فوقعت عليها تأكل من جِيفِهَا . ويجوز أن يريد بالدَّواعَى للرياحِ الدَّاهِيَةِ في الأقطار . وقوله « مُهْرَاقُهُ غَيْرُ بَارِحٍ » أى هو مصبوبٌ موضعه لم يَحُلْ ولم يَزُلْ . وأعاد المعنى تفضيماً ، ويجوز أن يريد بقوله « مُهْرَاقُهُ » الموضعُ للمصبوبِ فيه الدَّم ، كأنه يستشهد به فقال : هو غير بارح . وقال مُهْرَاقُهُ والأصل

(١) البيت بتمامه في ديوانه الأعشى ١٦١ :

ولقد أجلم حبل عامداً بغفرناة إذا الآل مصح

(٢) في المؤلف : « غير نازح » .

مُهْرَاقٌ فِيهِ . وَإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا لِيَكُونَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ « دَمٌ نَاقِعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحٍ » فَضِلْ . وَالْكَلَامُ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا يُطَرِّى الْمَصِيبَةَ وَيَهَيِّجُ الْفَجِيعَةَ ، وَيَصَوِّرُ مَصْرَعَ الْقَوْمِ بِمَا يَأْتِيهِ مِنْ عَوَافِي الطَّيْرِ . وَفِيهِ بَعْثٌ شَدِيدٌ وَحُضٌّ بَلِيغٌ عَلَى طَلَبِ الدَّمِ .

٤ - عَسَى طَيِّبٌ مِنْ طَيِّبٍ بَعْدَ هَذِهِ سَتُطْفِئُ غُلَّاتِ الْكَلَى وَالْجَوَانِحِ عَسَى لَفْظُهُ وَضِعَتْ لِلتَّرَجِيّ وَالتَّأْمِيلِ ، إِلَّا أَنَّهَا تَوْذِيحٌ بِأَنَّ الْفِعْلَ مُسْتَقْبَلٌ مَطْمُوعٌ فِيهِ ، فَيَجِبُ أَنْ يُسْتَأْنَى لَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ الْقَارِبَةِ . وَبِهَذَا يَبِينُ عَنْ لَفْظَةِ « كَادَ » لِأَنَّ كَادَ لِمُشَارَفَةِ الْفِعْلِ فَهُوَ بِلَى الْفِعْلِ بِنَفْسِهِ تَقُولُ كَادَ زَيْدٌ يَفْعَلُ كَذَا ، وَعَسَى يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفِعْلِ أَنْ ، بِذَلِكَ عَلَى هَذَا أَنَّهُ قَالَ « سَتُطْفِئُ غُلَّاتِ الْكَلَى وَالْجَوَانِحِ » . لَمَّا كَانَ مِنْ شَرَطِ عَسَى أَنْ يَجْىءَ بَعْدَهُ أَنْ إِذَا نَاكَ بِالْأَسْتِقْبَالِ جَعَلَ هَذَا بَدَلَ أَنْ السَّيْنِ ، لِأَنَّهُ أَشْهَرُ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَسْتِقْبَالِ ، وَإِنَّمَا قَالَ « عَسَى طَيِّبٌ مِنْ طَيِّبٍ » لِأَنَّ الْجِذَابَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ وَالْقِتَالِ ، كَانَ بَيْنَ بَطْنَيْنِ مِنْهُمَا . وَقَوْلُهُ « بَعْدَ هَذِهِ » أَشَارَ إِلَى الْحَالَةِ الْحَاضِرَةِ ، الْجَامِعَةِ لِكُلِّ مَا ذَكَرَهُ . وَالْجَوَانِحُ : جَمْعُ جَانِحَةٍ ، وَهِيَ الضُّلُوعُ الْقِصَارُ . وَالْمَعْنَى : لِلْمَطْمُوعِ فِيهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الدَّمِ أَنْ يَطْلُبُوا الثَّأْرَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَإِنْ كَانُوا أُخْرَوْهُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، فَتَسْكُنَ نَفُوسٌ وَتَبْرُدَ قُلُوبٌ . وَقَدْ آتَمَ بِهَذَا الْكَلَامِ كُلَّ الْإِبْلَامِ ، لِمَا خَتَمَ بِهِ كَلَامَهُ الْمَقْدَمَ .

وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ ، وَهُوَ فِي طَرِيقَتِهِ :

وَلِإِنِّي لَرَأَجِيكُمْ عَلَى بُطْءِ سَمْعِكُمْ كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاهُ

٣٣١

وقال سليمان بن قتة العدوي^(١) :

١ - مَرَزْتُ عَلَى آيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَرَهَا أَمْثَالَهَا يَوْمَ حُلَّتِ

٢ - فَلَا يُنْمِدُ اللَّهُ الدَّيَارَ وَأَهْلَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْهُمْ بِرَغْمِي تَحَلَّتِ

الْأَلُّ عِنْدَ أَصْحَابِنَا الْبَصَرِيِّينَ وَالْأَهْلُ وَاحِدٌ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ تَصْغِيرَ

الْأَلِّ أَهْيَلٌ ، كَمَا أَنَّ تَصْغِيرَ الْأَهْلِ أَهْيَلٌ . وَأَخْبَرَنَا الْفَرَّاءُ عَنْ الْكَسَائِيِّ أَنَّهُ

قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا فَصِيحًا يَقُولُ : أَهْلٌ وَأَهْيَلٌ ، وَآلٌ وَأَوْيَلٌ ، قَالَ

أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ : فَقَدْ صَارَ أَصْلَيْنِ لِمَعْنَيْنِ ، لَا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ؛ وَحَكَى

أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ عَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّ الْأَهْلَ الْقَرَابَةَ ، كَانَ لَهَا تَابِعٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ ، وَالْأَلُّ :

الْقَرَابَةُ بِتَابِعِهَا . قَالَ : وَلِهَذَا أَجُودُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْضَلُهَا :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ : وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ التَّوْقِيفُ . رَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَاةَ اللَّهِ عَلَيْهِ : كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : « قُولُوا

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ » .

وقوله « فَلَمْ أَرَهَا أَمْثَالَهَا يَوْمَ حُلَّتِ » ، يريد أنها قد ظهر عليها من آثار

الْفَجَعِ وَالْمَصِيبَةِ مَا صَارَتْ لَهُ وَخَشًا ، فَخَالَهَا فِي ظَهْرِ الْجَزَعِ عَلَيْهَا لَيْسَتْ كَحَالِهَا

فِي الشَّرُّورِ أَيَّامَ حُلُوهَا . فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الْآخَرِ :

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ قَدَمِهِمْ فَتَهَلَّتْ دُمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِعِينَ أَلْوَمُ

(١) ذكره ابن قتيبة في مقدمة الشعراء ٦ باسم « سليمان بن قتة التيمي المحدث » . وفي حواشي بعض أصوله : « ابن قتة هذا عدوي ، وهو أول من رَفَى أَهْلَ الْبَيْتِ » . وذكره الطبري في تاريخه (٨ : ٢٤٨) باسم « سليمان بن قتة مولى بني تميم بن مرة » وذكر أنه كان صديقاً لأسد بن عبد الله القسري الذي توفي سنة ١٢٠ . وروى له أبو الفرج شعراً في (١٧ : ١٦٥) . وذكر للتبريزي أن البرقي روى هذه المقطوعة لأبي ربيع الخزاعي .

أُستعبرَ يبيكي من المون والبيلى أم آخرُ يبيكي شجوه وبهم
وقد سلك محمد بن وهيب مثل هذا في مديحة في المأمون أولها :
طَلَلَانَ طال عليهما الأمدُ دَرَسَا فلا عِلْمَ ولا نَصْدُ^(١)
لَيْسَا البلى فكأنما وَجَدَا بَعْدَ الأحيّةِ مثلَ ما أُجِدُ
وسلك أبو تمام هذا المسلك فزاد عليهم كلهم ، لأنه قال :
قد أَقْسَمَ الرَّبُّعُ أَنَّ التَّيْنَ فَاحِشُهُ أَنَّ لَمْ تَحُلْ بِهِ عَفْرَاهُ عَنْ عُفْرِ
وقوله « فلا يُبعد الله الديارَ وأهلها » فيه دلالة على أنه جعل الدار وحالها
كالفقودين وأحوالهم ، إذ كانت لفظة لا تَبْعُدُ ولا يُبعد الله يستعمل في
الفائت . وقوله « وإن أصبحت منهم برغى تخلت » تحشر على أهل الدار
والدار جميعاً .

٣- ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلت رقاب المسلمين فذلت
٤- وكانوا غيائنا ثم أضحوارزبة ألا عظميت تلك الرزايا وجلت
قتلى الطف^(٢) : الحسين ومن معه من ذويه عليه السلام . وقوله « أذلت
رقاب المسلمين فذلت » كأنها لم تاذلت ، بأن بُعِثَ لِعِرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وولده عليه السلام الفوائل ، واستحل منهم المحارم ، ونيل منهم
ما كان محظوراً من غيرهم من المسلمين ، فكيف منهم ، وقهرُوا على حقوقهم
واستبيحت دماؤهم وحُرِّمَهم - التزمت رقابهم ذلك الذل فأقرت به وخضعت ،
ولبسته لبسة من كان ذلك نصيبه من مواليه ، فصاروا كالراضين [به]^(٣) وإن
لم يكن ذلك رضا . وقوله « وكانوا غيائنا » يزيد أنهم كانوا للمسلمين غوناً

(١) من أبيات في الأغاني (١٧ : ١٤٧ - ١٤٨) .

(٢) الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية .

(٣) هذه من ل .

عندما ينزل بهم فلا يرجون لهم ديناً ودنياً غيرهم ، فلما نيل منهم ما نيل صاروا رزية لهم كلهم ، لأنه بحسب رجائهم كان فيهم ، وعلى مقدار مكاتهم من قلوبهم صار نوازل القم تنسكي فيهم ، وفواقير الرزء تكسير ظهورهم .
وقوله « ألا عظمّت تلك الرزايا وجلّت » النفات ، كأنه أقبل مكرهاً ومستغظاً على من حوله فقال : ما أعظم هذه الرزايا وما أجابها ، لقد بلغت مبلغاً شنيعاً ، وافترت عن البلايا افتراءً قبيحاً ، فيألها ما أنكأها وأقرحها .

٣٣٣

وقالت قتيلة بنت النضر بن الحارث^(١)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أباه صبراً^(٢) :

١ - يا راكباً إن الأثيل مظنة من صنيع خامسة وأنت موفق^(٣)

الأثيل : موضع كان فيه قبر النضر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم تأذي به فقتله صبراً ، وكان من جملة أذاه أنه كان يقرأ الكتب في أخبار المعجم على

(١) كذا في الإصابة ٨٨٤ من قدم النساء ومعجم البلدان (الأثيل) وحاسة البحري ٤٣٤ والعمدة (١ : ٣٠) . قال البحري : « وكانت حازمة ذات رأي وجمال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يتزوجها حتى كان من أبيها ما كان » . وذكر ابن إسحاق في السيرة ٣٥٩ وأبو الفرج (١ : ٩) والحصري (١ : ٢٧) أنها « قتيلة بنت الحارث » فهي على هذا القول أخت النضر لا بنته . وقال أبو الفرج في الأغاني : « فيقال إن شعرها أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه » .

(٢) هذا على القول بأنها بنت النضر . وأما على القول الآخر فإنها أخته . ومهما يكن فإن مقتل النضر بن الحارث كان يوم مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من بدر ، أمر علياً أن يضرب عنقه صبراً ، وهو بالصفراء .

(٣) نسب الجاحظ هذه الأبيات إلى ليل بنت النضر في البيان (٤ : ٤٣) وذكر أنها عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ، وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها ، قال صلى الله عليه وسلم : « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلتها » .

العرب ، ويقول : محمدٌ يأتيكم بأخبار عادٍ وثمود ، وأنا منبئكم بأخبار الأكاسرة والقيصرة . يريد بذلك القدح في نبوته ، وأنه إن جاز أن يكون ذلك نبياً لإتيانه بقصص الأمم السالفة فإنني وقد أتيت بمثلها رسولاً أيضاً . وذكر ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ ، أنها نزلت في النضر بن الحارث الداري^(١) ، وكان يشتري كتب الأعاجم فارس والروم ، وكتب أهل الحيرة ، فيحدث بها أهل مكة ، وإذا سمع القرآن أعرض واستهزأ به . وفتيلة ابنته لما جاءت إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وأنشدته هذه الأبيات رقت لها النبي صلى الله عليه وسلم وبكى . وقال : « لو جئتني من قبل المغفوت عنه » ، ثم قال : « لا يقتل قرشي بعد هذا صبراً » . فأثما قولها « يا راكباً » فإنها دعت واحداً من الركبان غير معين ، فسلط من كان يجيئها منهم كان هو المدعو . والمظنة : المنزل الغلم . وقولها « من صبيح خامسة » تريد من صبح ليلة خامسة ليلة التي تبتدئ في السير منها إلى الأنيل وأنت على الطريق غير عادلٍ منها . وإنما تريد أن تقول : إذا كان ابتداء السير من موضعها يكون انتهاؤه في أنيل من سيرٍ يحصل في صباح ليلة خامسة ليلتها . ومن قولها^(٢) : « إذا خرجت عن مكان كذا فوضع كذا منزل قمين منك ضحوة غدٍ » ، وموضع كذا مظنة من عشية يوم كذا . وعلى هذا الوجه قول الآخر : يسط البيوت لكي يكون مظنة من حيث توضع جفنة المسترفد

وإن كان الأول في الزمان وهذا في المكان .

(١) ذكر في الإصابة ٨٧٠٥ أنه النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار

لقريش العبدري .

(٢) ل : « ومن كلامهم » .

٢- بَلَّغْ بِهِ مَيْتًا فَإِنَّ تَحِيَّةً مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا الرَّكَائِبُ تَخْفِقُ
٣- مَنِّي إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ لِمَائِحِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ
هذا هو الرسالة التي تُريدُ أن تُحمِّلها الراكب، تريد: يارا كبا بَلَّغْ بهذا المكان، إذا أتيتَه، مقبوراً فيه تحييتي، فإنَّ التحيات أبداً تحفِقُ بها الرَّكائب وتُبَلِّغُ أربابها. والخفِقُ. الاضطراب. ومفعول بَلَّغُ الثَّانِي محذوف، لأنَّ قولها «فإنَّ تحيَّةً» يدلُّ عليه.

وقولها «مَنِّي إِلَيْهِ» يتعلَّق بفعلٍ مضمَرٍ قد دَلَّ عليه بَلَّغُ، كأنَّه قال: أوَصِلْ إِلَيْهِ مَنِّي تحيَّةً، وأدَّ مَنِّي تحيةً، لأنَّ جميعَ ذلك معناه بَلَّغْهُ عَنِّي. وقولها «وعبرةً مسفوحةً» معطوف على المفعول المضمَر الذي أظهرته. والمسفوحة: للصبوبة.
وقولها: «جادت لمائحها» أي أجابت داعيها وساعدت مُستقيها. وقولها «وأخرى تخنُقُ» معطوف على عِبْرَةٍ، كأنَّها قالت: وأدَّ إِلَيْهِ أيضاً عِبْرَةٌ قد خفقتني وهي في الطَّريق لم تُوجَد. وهذا الكلام يشتمل على اقتصاصِ حالها، وعلى ما في نفسها من الحسرات وآلام الفجيرة. والركائب: جمع رَكوبة، وهي مفردة عن الموصوف، لا يقال ناقة رَكوبة، وكذلك حَلوبة وقَتوبة.
وقولها «جادت لمائحها» في موضع الصِّفَةِ لعِبْرَةٍ، كما أنَّ تخنُقُ في موضع الصِّفَةِ الأخرى. والمعنى: بَلَّغْهُ عَنِّي تحيَّةً وأعلمه من حالي بكاءً يتَّصل ولا ينقطع، ودعماً يُساعد ولا يتخلَّل، فمن سائلٍ مسفوح، ومن خانيقٍ مدفوع. وجادت من الجود. ولك أن تروى «لمائحها» و«لمائحها». والمائح أبانغ، لأنَّ اللَّتَح الاستقاء، والمبيح أن تُدخَلَ البئرُ ليملاً الدَّلُو إذا قلَّ الماء. والذي يدلُّ على قلة الدَّمع والجهد في إيسالته يكون أجوداً في الرواية.

٤- فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيْتٌ أَوْ يَنْطِقُ

قولها « إِنْ نَادَيْتَهُ » شَرَطَتْ وجوابه ما دَلَّ عليه ليسمعَنَّ ، وكذلك قولها « إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ » شرط ثانٍ وجوابه يدلُّ عليه ليسمعَنَّ . وترتيب الكلام إذا جاء على وجهه . إِنْ نَادَيْتَ النَّضْرَ وَقَدْ أَتَيْتَهُ عَنِّي فَلَيْسَمَعَنَّ نَدَاءَكَ وَلَيَجِيبَنَّكَ إِنْ كَانَ الْمَيِّتُ يَسْمَعُ أَوْ يَنْطِقُ . وقولها « لَيْسَمَعَنَّ » جواب يمين مضرة ودَلَّ على ليجيبَنَّكَ أيضاً ، لِأَنَّ مَنْ صَحَّ فِيهِ السَّمْعُ إِذَا دُعِيَ صَحَّ مِنْهُ الْجَوَابُ . وقد يقول الإنسانُ وقد سُئِلَ شَيْئاً : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، والفهم فيه : إِنِّي أَجِيبُكَ إِلَى مَا تَسْأَلُ . ويريد به الفعل لا سماع سؤاله من دون الفعل .

٥ - ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامُ هُنَاكَ تَشَقَّقُ

٦ - أُمِّحَمَّدٌ وَلَأَنْتَ نَجْلُ نَجِيبَةٍ مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَخْلُ فَخْلُ مُعْرِقٍ

٧ - مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخَنَقُ

٨ - وَالنُّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبْتَ وَسِيلَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقُ يُعْتَقُ

قولها « ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ » تحسُّرٌ منها لما جَرَى عَلَى أَيْبِهَا^(١) ،

تريد : صارت سيوفُ إخوانه تَقْنَأُوهُ بعد أن كانت تَذُبُّ عَنْهُ ، وَتَضَعُ مِنْهُ بَعْدَ

أَنْ كَانَتْ تَرْفَعُهُ ، وَتَبْتَذِلُ حُرْمَاتِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَصُونُهَا . ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُسْتَعِظَةِ

وَالْمُتَعَجِّبَةِ . اللَّهُ أَرْحَامُ وَقَرَابَاتٌ فِي ذَلِكَ الدَّكَانِ قُطِعَتْ أَسْبَابُهَا ، وَهَتِكَتْ أَسْتَارُهَا .

وقولها « هُنَاكَ » ظَرْفٌ ، وَالْكَافُ كَافُ الْخُطَابِ ، وَيُشَارُ بِهِ إِلَى مَكَانٍ

مُتَرَاخٍ . وَإِذَا قِيلَ هُنَاكَ فَزَيْدٌ فِيهِ اللَّامُ كَانَ آكِدًا ، وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ أَبْعَدُ .

وَالْعَامِلُ فِي « هُنَاكَ » تَشَقَّقُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الصُّنَّةِ لِلْأَرْحَامِ . وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ

« اللَّهُ » لَامُ التَّعَجُّبِ . وَهِيَ إِذَا عَظَّمُوا شَيْئًا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ تَفْخِيماً لِأَمْرِهِ جَلٍّ شَأْنُهُ .

(١) الكلام بعد « هناك تشقق » ساقط من ل ، وسننبه على نهاية هذا السقط .

وقولها «أحمد» نَوَّتَ المُنَادَى المفردَ المعرفةَ ضرورةً ، ولورُدُّ إلى أصله
خفيل أحمدُ لجاز . وسيبويه يختار تركه على البناء في هذا المكان وإن نَوَّتَه
للضرورة ، لمشابهة البناء في هذا المكان الإعراب^(١) . ولذلك جاز حل الصفة
عليه . ومثل هذا قول الآخر^(٢) :

لَا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خُلَّةَ اتَّسَعَ الْخَرَقُ عَلَى الرَّاقِعِ

فنون خَلَّةَ ، والفتح فيه للبناء ، لأنه مبنى كمنسوب . وبعضهم روى :
«أحمد» ها أنت نَجَلُ نَجِيبةٍ ، فأدخل ها التنبيه على الجملة وقد تعرت من
حرف الإشارة . وقد جاء مثله . قال النابغة :

هَا إِنَّمَا عِذْرَةٌ إِلَّا تَكُنْ نَفَعَتْ فَإِنْ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي الْبَلَدِ

والواو من «ولأنت» عاطفة للجملة ومفيدة معنى الحال ، وكذلك الواو
من قوله «والفحل فحلٌ مُعَرِّقٌ» . والمعنى : أنت كريمُ الطرفين مُعِمٌّ مُخَوِّلٌ .
ويقال : هو عَرَبِيٌّ فِي السَّكْرَمِ ، إذا كان متناهياً فيه . وإنما نادته في هذا البيت
واستعطفته مَقَرَّظَةً ومُثْنِيَةً والمدعو له قولها : مَا ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ . وهذا الكلام
فيه اعترافٌ بِالذَّنْبِ ، والتزامٌ لِلنَّعْمَةِ وَالْمِنَّةِ فِي الْعَفْوِ لَوْ حَصَلَ . فتقول : أَيُّ شَيْءٍ
كَانَ بِضَرِّكَ لَوْ عَفَوْتَ وَالْفَتَى وَإِنْ كَانَ مُفَضَّبًا مُضْجَرًّا ، مَطْطَوِيًّا عَلَى حَتَّى
وَعْدَاوَةٍ ، قَدْ يَمُنُّ وَيَعْفُو . هذا إذا جمعت ما استغفهما . ويجوز أن تجعل ما نافية
والاستغفهام في مثل هذا الكلام يفيد معنى النفي . وإنما قالت «ربما» لأنَّ
الحالة التي أشارت إليها بقولها «الْمَغِيْظُ الْحَنَقُ» يقل فيها الْمَنُّ ، ورُبَّ القليل .

(١) التبريزي : «إذا نون المُنَادَى العلم فسيبويه يختار رفعه ، وهو مذهب عيسى بن
عمر والخليل بن أحمد . وكان أبو عمرو بن العلاء ينصبه . ومثل هذا الكلام عند ابن جني
في التنبيه .

(٢) هو أنس بن العباس بن مرداس ، أو أبو هاجر جد العباس بن مرداس . العنق
(٢ : ٣٥٢) .

وقولها « والنضر أقرب من أصبت وسيلة » تذكير منها بما يجمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وإياه من القربى والقربة . وإنما يدل ذلك على وجه الاستحقاق للصفح عن الخيانة ، لما يدل به من الأسباب المتواشجة ، والأرحام للتشابكة . وقولها « وأحقهم إن كان عتق يمتق » أرادت : وأحقهم بأن يمتق إن كان عتق ، أى إن وقع عتق ، فحذف الباء ، وحروف الجر مع أن تلتقى كثيراً ، ثم حذف أن ورفع الفعل ، فهو كقوله :

ألا أيهدا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخليدي^(١)

يدل على أن أن من أحضر محذوف أنه عطف عليه بأن فقال : « وأن أشهد اللذات » . وجواب الشرط ، وهو « إن كان عتق » ، ما يدل عليه « وأحقهم » و « أقرب من أصبت » . وكان هذه كان النامة فهذا استغنت عن الظير . وللفى : والنضر أقرب الأسراء الذين أسرتهم إليك ، وأحقهم بالعتق إن وقع فكأن وعنتق .

٣٣٣

وقال النابغة الجعدي^(٢) :

١- فقى كان بذنيه الفقى من صدقيه إذا ما هو استغنى ويبيعه الفقر^(٣)

(١) لطرفة بن العبد ، فى معلقته .

(٢) هو عبد الله بن قيس ، من بنى جمدة بن كعب بن ربيعة ، ويكنى أبا ليل . وهو من مخضرمى الجاهلية والإسلام . ويقال إنه كان أقدم من النابغة الذبياني . الذبياني نادم النعمان ، وهذا نادم أباه . قالوا : ومات بأصبهان وهو ابن مائتين وعشرين سنة . الشعراء ٢٤٧ - ٢٥٥ والمصريين ٦٤ - ٦٦ وابن سلام ٢٦ - ٢٨ والأغانى (٤ : ١٢٧ - ١٣٩) والخزانة (١ : ٥٠٩ - ٥١٥) والمؤتلف ١٩١ ومعجم المرزبانى ٣٢١ والموشع ٦٤ - ٦٧ ، واللائى ٢٤٧ والاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة .

(٣) كذا ورد هذا البيت . والحق أنه للأيبرد الرياحى كما فى الكامل ١٢٣ ليسك .

ولم يرو التبريزى هذه الحماسية .

هذا مثل قول المذلي^(١) :

أبو مالك قاصِرُ قَصْرَهُ على نَفْسِهِ ومُشِيعُ غِنَاءِ
وأحسن منهما قول الآخر :

إذا افتقرُوا عَضُوا على الفقرِ حِسْبَةً وإن أُبْسِرُوا عَادُوا سَرَاتًا إلى الفقرِ

٣٣٤

وقال أيضاً :

١ - فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا

٢ - فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا^(٢)

لما قال : « كان فيه ما يسرُّ صديقه » وعلم أن في الناس من يجمع الخير خالصاً من دون الشرِّ خشى أنه إن سكَّت على هذه الجملة ظنَّ به القُصُورُ عن التَّمام ، والوقوفُ دونَ الكمال ، فلا يكون فيه التَّكايُّفُ في الأعداء والإساءة إليهم ، وإذالهم وإرغامهم . ثمَّ وصفه بأن قال « على أن فيه ما يسوء الأعدايا » وهذا هو النِّهاية في الكمال ؛ لأنَّه إذا عرَفَ لأوليائه ما يُوجب عليه التوفُّرَ عليهم ، وجميلَ التَّفَقُّدِ لهم ، وعَرَفَ لأعدائه ما يُوجب التَّنَقُّصَ منهم وإذالهم ، كان في ذلك أكملُ الكمال .

وقوله « فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ » هذا استثناء في نهاية الحسن ، فهو كالتأكيد لأوَّلِ الكلام ؛ لأنَّ كونه جواداً لا يكون عيباً فيُخرجه من قوله « كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ » ، لكنَّه إذا كان عيبه المستثنى من الخيراتِ الجودَ الذي

(١) هو المتنخل . ديوان المذليين (٢ : ٣٠) .

(٢) البيتان من قصيدة رثى بها النابغة الجعدي أخاه ، وروى البغدادي في الخزانة

(٢ : ١٢ - ١٣) بعض أبياتها .

هو مؤثرٌ عند الله تعالى وعند الناس ، فخصاله المحمودة الباقية ماذا ترى تكون . فهو استثناء منقطع من الأول ، كأنه قال : كملت خيراته لكنه جواد . وإذا تأملت وجدت البيت الثاني مثل البيت الأول ، في أنه أتبع ثناء بثناء ، وأردف مديحاً بمديح ، فمجزئ كل واحدٍ منهما يؤكد صدره ، ويزيده مُبالغةً معني وتظاهراً مبدأً ومُنتهى . ومثلهما بيت النابغة :

ولا عيبَ فيهم غير أن سِيوفهم يَهِنٌ فلولٌ من قِراعِ الكتابِ

وموضع قوله « فتى » في البيتين جميعاً نصبٌ على الاختصاص ، كأنه قال أَدُكُرُ فتى هذه صفته . ولا يمتنع أن يكون موضعه رفعا على أن يكون خبر مبتدأ محذوف . فإن قيل : ما موضع « على أن فيه ما يسوء الأعاديا » من الإعراب ؟ قلت : هو يجرى وإن كان جمعا بين صفتين متضادتين على أن الثانية كالحال للأولى ، كأنه قال : فيه ما يسرُّ صديقه مرگبا على ما يسوء الأعاديا . وقوله « فما يُبقي من المال باقيا » تأكيد للجود . وانتصاب « باقيا » يجوز أن يكون على المفعول ، ويجوز أن يكون على المصدر ، وقد وضعه موضع الإبقاء . ومثله :

* كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءٍ كَافٍ^(١) *

وضع كافٍ موضع كفاية ، وهو مصدرٌ منصوب ، لكنه حذف فتحة الإعراب من آخره وإن كانت الفتحة مستخففة ، على طريقة مَنْ قال :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ^(٢) *

(١) البيت لبشر بن أبي خازم في مختارات ابن السجري ٧٥ . وعجزه :

* وليس لحبها إذ طال شاف *

(٢) الرجز في اللسان والمقاييس (قرق) وإصلاح المنطق ٤٦٤ .

٣٣٥

وقال (١) :

- ١- وأى فتى ودّغتُ يومَ طُوْبِلِجَ عَشِيَّةَ سَلَمْنَا عليه وسَلَمَا
٢- رَمَى بِصُدُورِ الْمَيْسِ مُنْخَرَقِ الصَّبَا قَلَمٌ يَذَرُ خَلْقٌ بَعْدَهَا أَيْنَ يَمْعَا
٣- فَيَا جَارِي الْفَتَيَانِ بِالنَّعَمِ اجْزِهِ بِنُفْعَاهُ نَعْمَى وَاعْفُ إِن كَانَ أَظْلَمَا (٢)

انتصب « أَيْ » بـودّغتُ ، والكلام فيه تعجبٌ على طريق التّفخيم للشأن ،
والتعظيم للأمر . وانتصب « عَشِيَّة » على البدل من يوم ، والمعنى : ما أجلّ
شأن فتى ودّعناه عَشِيَّةَ شَيْعِنَاهُ مِنْ يَوْمِ طُوْبِلِجَ ، وقَضَيْنَا فيما بيننا وبينه بَعْدُ
حقّ التوديع ، بأن سَلَمْنَا عليه وسَلَّم هو علينا ، أى قلنا : أَصْحَبَكَ اللهُ السَّلامَةَ ،
وحَفِظَكَ حيثُ كُنْتَ ! وقال لنا مثل ذلك . وهذا كأنه كان تَنْثِيَةً لِلوَدَاعِ
حينئذ ، وتذكّرةً مِنْ بَعْدُ مِنَ الشَّاعِرِ . وإرسالُ القول فيه تمحُّرٌ وتوجُّع .
وقوله « وسَلَمَا » يريد وسَلَّم علينا ، فحذفَ علينا ويجوز أن يكون أراد بـودّغتُ
الوَدَاعَ الذى لا تُلَاقِي بعده . ألا تَرَى أنه يقال لِلْمُفَارِقِ : غَيَّرَ مُودِّعٌ ! أى جَعَلَ
اللهُ بعده التّقاء . وقد كَشَفَ عن هذا المعنى طَرَفُهُ حيث يقول :

قِفِي ودّعينا اليومَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَغُوجِي عَلَيْنَا مِنْ صُدُورِ جَالِكٍ
قِفِي لَا يَكُنْ هَذَا تَعَلَّةَ سَاعَةٍ لِبَيْنٍ وَلَا ذَا حَظَّنَا مِنْ نَوَالِكِ
فإذا جعلتُ ودّغتُ على هذا ، انفصلَ معناه عن معنى سَلَمْنَا عليه وسَلَمَا .
وهذا ظاهر .

(١) يفهم من هذا الصنيع أن الشعر للنابغة الجعدي . وفي التبريزي : « وقال آخر »
فيكون غيره . وأنشد ياقوت هذه الأبيات في معجم البلدان (٦ : ٧٣) .
(٢) أظلم ، هذه الرواية التي يقتضيها الشرح . وقد كتبت بخط مخالف لخط الأصل :
« مجرما » وهذه الأخيرة هي رواية التبريزي ، قال التبريزي بعدها : ويروى إن كان أظلمًا .

وقوله « رَمَى بِصُدُورِ الْعَيْسِ مَنْخَرَقِ الصَّبَا » يريدُ أنه توجَّهَ في الْمَفَازَةِ حيثُ تَنْخَرِقُ الرِّيحُ ، وَرَمَى بِصُدُورِ رَوَاحِلِهِ نَحْوَهَا ، فلم يُعَرَفْ له بعد ذلك خَبَرٌ ولا أثر . وقوله « أَيْنَ يَمَّمَا » موضعُ الْجُمْلَةِ من الإعرابِ نَصَبٌ على أَنَّهُ مفعولٌ لم يَدْرُ ، كأنه قال : لم يَدْرِ خَاتَمٌ ما يَمْتَضِي هذا السُّؤال . وهذا الكلامُ نهايةٌ فيما يثيره الْجَزَعُ من المَشْفِقِ القَلِقِ ، وَيَدُورُ في شَكْوَى المتولِّهِ الحَدَبِ ، لأنه إذا لم يُمْكِنَهُ الرُّجُوعُ إلى شيءٍ بعد جَوْلَةِ الوداعِ والافتراقِ ، إلَّا إلى صَدْمَةِ اليأسِ والاكتئابِ ، فذاك أَجْلَبُ لِلْوَاذِعِ الرَّزِيئَةِ ، وأَجْمَعُ لِبَوَارِحِ الشَّكِيَّةِ .

وقوله « فَيَا جَازِيَّ الْفَتَيَانَ بِالْفَتَمِ اجْزِهِ » دعا له ، والمعنى أَحْسِنْ إِلَيْهِ بِذَلِكَ إِحْسَانَهُ إِلَى خَلْقِكَ ، وَجَزَّاءَ عَلَى إِنْعَامِهِ فِي عِبَادِكَ ، وَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ فِيمَا كَانَ فِيهِ ظَالِمًا ، وَعَنِ الْحَقِّ وَالنَّصْفِ عَادِلًا . وقوله « كَانَ أَظْلَمًا » أي كَانَ ظَالِمًا . وَأَفْعَلُ بِمعنى فاعِلٍ جاءَ كثيرًا . ومثله :

* فَتَلَكْ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ^(١) *

وجعل في الثاني شرطًا لأنَّه قال « وَاعْفُ إِن كَانَ » وفي الأوَّل لم يَأْتِ بِمثله ليدلَّ على سلامة طريقتِهِ من الجَّوْرِ والاهْتِصَامِ ، وبراءَةِ ساحته في غالب ظَنِّهِ ممَّا يستحقُّ به العقابَ والانتقامَ . والكلامُ وإن كَانَ فيه دعاؤه فهو تمحُّسٌ وتوجُّعٌ . وإِنَّمَا قُلْتُ هذا لأنَّ استعمالَ الدُّعَاءِ بِعَقْبِ ما ذَكَرَ طَرِيقٌ في إظهارِ الخيبةِ لا يَكَادُ يَعْفِيهَا تَعَاوُرُ الْأَحْوَالِ بِالسَّلَوةِ ، ولا يَحُولُ عَنْ سُلُوكِهَا تَعَاقُبُ الْأَرْمَانِ بِالسَّاءَةِ وَالْمَسَرَّةِ .

(١) سبق لإنشاده وتخرجه في ص ١٠١ . وصدره :

* تَمْنَى أَنَامِسُ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمِتْ *

٣٣٦

وقال شبيب بن عوانة^(١):

- ١ - لَتَبِكِ النِّسَاءَ لِلْمُعُولَاتِ بِعَوَلَةٍ أبا حُجْرٍ قَامَتْ عَلَيْهِ النِّوَانُحُ
 - ٢ - عَقِيلَةٌ دَلَاهُ لِلْحَدِّ ضَرْبِهِ وَأَثْوَابُهُ يُبْرِقْنَ وَالْخُمْسُ مَاتِحُ
 - ٣ - خِدَبٌ يَضِيْقُ السَّرْجُ عَنْهُ كَأَنَّمَا يَمُدُّ رِكَائِيهِ مِنَ الطُّوْلِ مَاتِحُ
- لَتَبِكِ النِّسَاءَ أَمْرٌ مِنْ فَعَلٍ بَدَلٌ عَلَى الْحَالِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ وَصَفَ النِّسَاءَ
لِلْمَأْمُورَاتِ بِأَنَّهُنَّ مُعُولَاتُ . وَالْأَمْرُ وَإِنْ كَانَ فِي الْأَكْثَرِ يُبْنَى عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ
يَصِحُّ أَنْ يُبْنَى عَلَى مَا لِلْحَالِ ، وَيَرَادُ بِهِ الْإِسْتِدَامَةُ وَالِاسْتِمْرَارُ فِي الْفِعْلِ . عَلَى
ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . وَقَوْلُهُ
« بِعَوَلَةٍ » تَعَلَّقَ الْبَاءُ مِنْهُ بِلَتَبِكِ ، وَالْمُرَادُ أَنْ يَكُونَ بِكَاءِ الْمُعُولَاتِ أبا حُجْرٍ
بِزِيَادَةِ عَوَلَةٍ . الْمُعُولَاتُ : الصَّامِتَاتُ ، وَالاسْمُ الْعَوِيلُ . وَ« قَامَتْ عَلَيْهِ النِّوَانُحُ »
فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَقَدْ مَضَمَرَةٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَتَبِكِ النِّسَاءَ فَقَدْ مَاتَ وَالنِّوَانُحُ يَنْحَنُ
عَلَيْهِ . وَهَذَا كُلُّهُ تَفْظِيعٌ لِلرَّزِيئَةِ ، وَتَنْبِيهٌُ عَلَى وَجُوبِ الْبُكَاءِ لَهُ ، وَأَنَّ الزِّيَادَةَ
فِي الْعَوَلَاتِ عَلَيْهِ مُسَوِّغَةٌ ، لِأَنَّ فَقْدَ اسْمِهِ غَيْرُ مُشَاهِدٍ مِنْ قَبْلٍ وَلَا مُعْتَادٍ .
وَقَوْلُهُ « عَقِيلَةٌ دَلَاهُ » اقْتِصَاصُ حَالِ التَّجْهِيزِ وَالذَّفْنِ ، وَأَنَّهَا وَقَعَتْ بِمِرْأَى
مِنْهُ وَمُسَمَّعٍ ، فَشَقِيَ بِمِزَاوَلَتِهَا ، وَكَدَّ لِمُشَاهَدَتِهَا . وَأَرَادَ بِالْأَثْوَابِ أَكْفَانَهُ ، فَجَعَلَهَا
تَبْرِقُ لِبَيَاضِهَا . وَالْمَاتِحُ أَصْلُهُ الَّذِي يَدْخُلُ الْبَيْتَ فَيَغْرِفُ الْمَاءَ فِي الدَّلَاءِ إِذَا قَلَّ
الْمَاءُ . وَهَاهُنَا أَرَادَ الَّذِي يَدْخُلُ الْقَبْرَ فَيَنْظِفُهُ وَيُصْلِحُ مَا يَجِبُ لِإِصْلَاحِهِ مِنْهُ .
وَدَلَّى ، أَصْلُهُ الْإِرْسَالُ ، وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقِيلَ : دَلَاهُ بِقُرُورٍ ، إِذَا خَدَعَهُ . وَتَدَلَّى

(١) العوانة : النخلة الطويلة ، أو دابة دون القنفذ ، وبها غنى الرجل .

على كذا بالحيل . فيقول : عقيلة هو الذى أرسله لآخذ القبر ، وأكفائه لبياصها ونظافتها تلح ، والخمس هو الذى تولى من القبر ما تولى . وسوق كل هذا تفجع وتألم ، وتذكر لما سخنت له العين ، وأحرقت له الكبد .
وقوله « خدب » هو الكامل اتلقت التام الأعضاء ، القوى السوى .
لذلك قال « يضيق السرج عنه » وقوله « كأنما يمد ركابيه » وصفه بامتداد القامة وطول البادين^(١) . ويحمد من الفارس ذلك . وقوله « كان مائحا » أى مستقيما ، يمد ركابيه من بر أطولها . والخدب : الطويل . يقال : إن فى ذلك تلذبا أى طولا . وبمعز خدب : ضخم شديد .

٣٣٧

وقال^(٢) :

- ١- أبا خالٍ ما كان أذهى مُصيبةً أصابت مَعْدًا يومَ أَصْبَحْتَ نَاوِيَا
 - ٢- لَعَمْرِي لَئِنْ سُرُّ الْأَعَادِي وَأَظْهَرُوا شِمَاتَا لَقَدْ مَرَّوا بِرَبِّكَ خَالِيَا
 - ٣- فَإِنْ تَكُ أَفْنَتُهُ الْيَالِي فَأَوْشَكْتَ فَإِنْ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي الْيَالِيَا
- خاطب المرثى فقال متلهفا : ما أعظم مصيبة أصابت بها قبائل معد يوم فوجت بك فأصبحت مقيما فى مكان لا تنبرح منه . يشير إلى القبر . ويقال : نوى بالمكان وأثنوى جميعا . وقوله « أذهى » يقال دهاه كذا يدهاه دهيًا ودهوا ، إذا أثر فيه تأثيرا شديدا وداهية دهياء ودهواء . والداهية : الفكرة من الأمر . فيقول : إن المصيبة بك ما أعظمها وأنكرها ، فيا أعمد فقد بليت بها . وقوله « لعمرى » مبتدأ وخبره محذوف ، و « لئن سُرَّ » شرط ، واللام

(١) البادان : مثنى باد ، وهو باطن الفخذ .

(٢) التبريزى : « وقال آخر » .

موطئةً للقسَم ، وجواب لعمري لقد مرّوا ، وجواب الشرط ما دلّ عليه هذا الجواب . والمعنى : وبقائى لئن كان الأعداى مسرورين بموتك ، شامتين بذويك وعشيرتك لفقدم لك ، فقد وقعت السماتة في وقتها وحينها ، ووافاهم الشرور لحادثٍ أمرٍ عَظُمَ موقعه ، لأنهم مرّوا بربمك خاليا . والمعنى : أن ما كان ممدودا على ذويك وأوليائك من نطاق الاعتزاز بمكانك ، والاعتلاء بجذك وجدوه قاصراً زائلاً منقطعاً . وانتصب « خاليا » على الحال . وقوله « فإن يك أفنته الليالى فأوشكت » معنى أوشكت . أسرعت . كأنه استقصر مدة بقائه . ويجوز أن يكون استقصر مدة علته . والكلام في حذف الثون من إن تك فقد تقدّم في مواضع . وقوله « فإن له ذكرًا سيُفنى الليالى » يريد : إن كان عمره قد انقطع فإن ذكره متصل بالأبد ، لا تفنيه الأيام ولا تقطعه الآماد ، بل هو يُفنى الأيام والآماد . ووشك البين : سرعة القطيعة . وتقول : لو شكّان ذا ، كما تقول : لمجلان ما كان كذا . ومثله قوله :

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا أسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل^(١)

٣٣٨

وقالت امرأة من كندة :

١- لا تخبروا الناس إلا أن سيّدكم أسلمتموه ولو قاتلتُم امتعّا

٢- أنمى فتى لم تدر للشمس طالعة يوماً من الدهر إلا ضرّاً أو نفعا

قوله « لا تخبروا الناس إلا » تهكم وسخرية ، يشوبه تعبير شديد . أى قد ارتكبتُم أمراً عظيماً بسلامتكم سيّدكم ، فاستروا أمركم ولا تنبئوا الناس به . وهذا مخاطبة لقوم خذلوا رئيسهم ولم يثبتوا معه ، حتى قتل . فيقول :

(١) البيت ٤ من الحماسة ٣١٤ ص ٩٢٨ .

لو ثبتوا وتابعوا الهداقع عن نفسه وعنهم . وقوله « إلاً أن سيّدكم » إلاً بمعنى غير ، فهو منقطع مما قبله . وهذا الاستثناء من المعنى ، كأنه قال : سلّمتم إلاً أن سيّدكم أسلّمتم .

وقولها « أنى فتى لم تدرّ الشمس طالعة » انتصب طالعة على الحال المؤكّدة لما قبله . والكوفّيون يقولون فى مثله : انتصب على القطع . وكما أن الحال يحىء مؤكّداً لما قبله تجىء الصّفة أيضاً مؤكّدة لما قبلها . ومثال الحال : رأيت فى الحتام عرياناً ، فمرّيان حالّ مؤكّدة . ومثال الصّفة أن تقول : فعلت كذا أمس الدّابر . وذُرور الشمس : انتشارها فى الجوّ . والمعنى : أذكرُ حوت فتى لم تطلّع الشمس يوماً من أيّام الدّهر عليه إلاً وهو ضارٌّ لأعدائه نالك فيهم ، أو نافع لأوليائه مُسَدِّ إليهم . وفى هذا ذهب إلى مثل ما قاله عدى : إذا أنت لم تنفّع بوّدك أهله ولم تنك بالبومى عدوك فابعد

٣٣٩

وقالت امرأة من بنى أسد :

- ١ - خَلِيلٌ عُوْجًا لِمَنَّا حَاجَةٌ لِيَا عَلَى قَبْرِ أَهْبَانٍ سَقَتُهُ الرُّوَاعِدُ
تخاطب صاحبين لها تسألها التعرّيج على قبرِ أهبان زائرَيْن له ، ومجدّدين الهدّ به . وقوله « سقته الرّواعد » دعاء للقبر بالشّقى . والرّواعد : السّحاب التى فيها الرّعد . وقولها « لِمَنَّا حَاجَةٌ لِيَا » حَشَوُ واعتراض ، وقد وقع موقفاً حسناً ، وفيه استعطافٌ للمخاطبتين واستلطافٌ فيما تُكلّمهُما . ويقال : ما عند فلان تعويج عليهم ، أى تعريج . وعُجْنَا بالمكان أشدَّ العِجاجِ والتموج ، أى عَطَفْنَا .
- ٢ - فَمَنْ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْجَى نَفَنَفٌ مُتَبَاعِدُ
قولها « كلُّ الفتى » مفيدٌ للتأكيّد ، وجامعٌ أسباب الفتوة كلّها

للموصوف ، فكأها قالت : ثمّ الفتى التأم الفتوة حتى لم يفادر شيئاً من علاقتها
وأسابها . وقولها « كان بينه وبين المَزَجِي » ، والمَزَجِي : الضعيف ، كأنه يُزَجِّي
الوقت في الاعتداد به بين الفتيان . ويجوز أن يكون سُمي الضعيف مَزَجِي
لتأخره وحاجتهم إلى ترجيته واستحثائه فيما يَعِن . وهذا كما قيل « المركب »
في الضعيف الفروسيّة . والنَّفَنَف : المَهْوَاة بين الجبلين ، والأَرْضُ بين الأرضين .
وهذا كما يقال : بين هذا وبين كذا بَوْنٌ بعيد . فتقول : بين هذا الفتى وبين
من يُزَجِّي في الفتيان مَهْوَاةٌ بعيدة ، حتى لا التقاء ولا تداني .

٣ - إذا انتضل القومُ الأحاديثَ لم يكنْ عِيِيًّا ولا عِيْنًا على مَنْ يُقَاعِدُ^(١)
أصل الانتضال والنضال في الرِّمَاء ، ثم يستعمل توسعاً في المفاخرة وقت
المفاخرة ، ومُجَانَاةُ الخصوم لدى المناقرة^(٢) . ألا تَرَى لبيداً يقول :
فانتَضَلْنَا وابنُ سَلَمَى قَاعِدٌ كَعَتِيقِ الطَّيْرِ بُغْضِي وَبُجَلٌ
ثم قال :

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رِشْقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْعُضَلِ وَلَا بِالْمُقْتَعَلِ
فيقول : إذا تجاذبَ القومُ أطرافَ السَّمَرِ والأخبار ، وتنازعوا قَصَصَ
الفرسان والأبيام ، ودَسُّوا في أنواء المسارّة روائع التبجّح والمكاثرة ، لم يكن
حاجزاً فيما بينهم فَدَمًا ، ولا ضعيفَ التعرُّفِ بِكَيْفٍ ، ولا كان ثَقِيلاً على جُلُوسِهِ ،
سَيِّئُ الْعِشْرَةِ^(٣) لخلاطائه ، بل كان حسن المجلس معهم ، مُسْتَحْلِي الْمَادَمَةِ بينهم ،
خفيف الوطأة عليهم .

ومن روى : « ولا ربّاً على من يقاعد » فإنه يريد : لا متكبراً على
جليسه فِعْلَ ذِي الْمَلَكَةِ وَالسُّلْطَانِ ؛ وَالْأَخِذِ عَلَى مُصْطَنِعِهِ بِالاعْتِلَاءِ وَالامْتِنَانِ .

(١) التبريزي : « ولا ربا » . وقال : « ويروى : عبثاً ... ويروى : لغبا ، أى ضعيفاً » .

(٢) المناقرة ، بالفاء : المفاخرة ، كأنها من كثرة النفر بمعنى العشرة . وبالقاف :

(٣) في الأصل : « العشرة » ، تحريف .

المنازعة ومراجعة الكلام .

٣٤٠

وقال كعبُ بن زُهَيْر^(١) :١ - لَقَدْ وَلَّى أَلَيْتُهُ جُؤَيْ^(٢) مَعَاثِرَ غَيْرِ مَطْلُولِ أَخُوها^(٣)

كان جُؤَيْ على ما دلَّ عليه الكلامُ حَلَفَ في وجوه ناكبيه والعازمين على قتله ، أنهم لا يستمرئون فِعْلَهُمْ ذلك ، وأن عشيرته وأصحابه سيطلبون دمه ويدركون ثأره ، فكانوا عند ظنِّه بهم من غير إهمال ولا تضييع . فيقول : جَمَلُ جُؤَيْ^(٢) وِلَايَةِ يَمِينِهِ التي أقسم بها إلى معاشِرَ لا يُبْطِلُ دَمُ صاحبهم ولا يُهْدَرُ ، بل لا ينأمون ولا يُذَيِّمون حتى ينالوا الوِثْرَ . وقوله « غير مطلول أخوها » أى دم أخيها ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . قال :

دماؤهم ليس لها طالب مطلولة مثل دمِ العُدْرَةِ

وقال :

تلكم هُريرة لا تجف دموعها أَهْرَيْرَ ليس أبوكِ بالمطلولِ

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ، من شعراء الصحابة ، نشأ في بيت كلهم شعراء ، فأبوه وجده ، وعمته سلمى والخنساء غير المشهورة ، وخال أبيه بشامة بن الندير ، وابنا عمته صخر والخنساء المشهورة ، وأخوه بجير وولده عقبة وحفيده العوام ، كلهم شعراء . أسلم بعد الفتح ، وعفا عنه الرسول وآمنه بعد كان قد أهدر دمه ، وكساه البردة . انظر كتاب الصحابة والأغاني (١٥ : ١٤٢ - ١٤٣) والشعراء ١٠٤ - ١٠٧ ومعجم المرزباني ٣٤٢ والخزانة (٤ : ١١) .

(٢) جؤى هذا هو جؤى بن عائد ، من مزينة . وكانت مزينة حلفاء الأوس ، فر جؤى على الأوس والخزرج وهم يقتتلون فدخل في الأوس فأصيب جؤى ، فر به ثابت الخزرجي والد حسان ، وقال له : لقد دخلت في قوم يحمونك ! فقال جؤى وهو يوجد بنفسه : أعطى الله عهداً ليقتلن في منكم خمسون ليس فيهم أعور ولا أعرج . وثارَت مزينة ، فاعملت القتل في الخزرج فقتل منهم عدة . شرح السكري لديوان كعب ٢٠٩ - ٢١١ وشرح التبريزي للحجاسة -

أى لا يُنسى دمه ولا يُبطل دينه . والأليّة : اليمين ، وجمعها أليّا .
والفعل منه آليتُ أولي إيلاء ، وائتلى . وفي بعض اللغات يقال الألوّة .

٢ - فإن تهلك جويّ فإنّ حرباً كظنك كان بعدك موقدوها
خاطب بعد أن أخبر على طريق التسلية ، فيقول : إن ذهبت لما دُعيت له
فإن الذين شبّوا نار الحرب بعدك في التقاضى بك كانوا كما ظفنتهم ، وعند أمك
فيهم . فقوله « موقدوها » ارتفع بكان ، وكظنك في موضع خبر كان وقد تقدّم ،
والجمله أعنى كان موقدوها بعدك كظنك خبر إن ، واسم إن وهو حرباً
نكرة غير موصوفة أيضاً ، وساغ ذلك لما كان المراد بها مفهوما معلوما .
ويجوز أن يجعل قوله « كظنك كان بعدك موقدوها » من صفة حرباً ،
ويجعل خبر إن محذوف ، كأنه قال : إن حرباً هذه صفتها وقعت . ويبت
الأعشى حجة في الوجهين جميعاً . وهو :

إنّ تحلاً وإنّ مرّتحلاً وإن في السفر إذ مضى مهلاً
الأنرى أنّ معناه إنّ لنا محلاً وإنّ لنا مرّتحلاً ، فحذف الخبر ، ومحلّ
ومرّتحل نكرتان .

٣ - وما ساءت ظنونك يوم تولى بأرماح وفي لك مشرعوها
٤ - ولو بلغ القتل فمال قوم لسرك من سيوفك منتضوها^(١)
٥ - كأنك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها^(٢)

(١) بعده عند التبريزي ، وهو في الديوان بعد البيت التالي :

لندرك والندور لها وقلاً إذا بلغ الخزابة بالغوها

(١) بعده عند التبريزي :

فما عثر الظباء بجى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها
صبحن الخزرجية مرهفات أبان ذوى أرومتها ذووها

قوله « وما شامت ظنونك » تشكرٌ للعشيرة وإن كان لفظه إعلالٌ جُويٍ ما كان منهم وثناءٌ عليهم ، فيقول : لقد حَسُنَ ظَنُّكَ بأرماحٍ وفي لك مهَيَّبُوها ومُعَلِّمُوها يوم حَلِيفِكَ ، فلا جَرَمَ أَنَّهُمْ صَدَّقُوا ظَنُّكَ بِهِمْ ، وَحَقَّقُوا اعتقادَكَ بِهِمْ ، وَجَدُّوا في طلب الأَمْسِ وانكشوا ، حَتَّى بَرَزَتْ يَمِينُكَ ، وطابت نفوسُ أَوْدَانِكَ والمفجوعين بك . وجعل الباء من قوله « بأرماح » متملِّقا بقوله ظُنُونِكَ ، وإِنَّمَا الظَّنَّ كان بأربابها ، مجازًا وانساعًا .

وقوله « ولو بلغ القَتِيلَ فَعَالَ قَوْمٍ » يريد لو أمكن إبلاغُ المقتولين ما يفعله الأحياء بعدَهم لَقُمْتُ في ذلك وَقَعَدْتُ ، علما بأن ما أتاه قَوْمُكَ إِذَا تَأَدَّى إِلَيْكَ سَرَّكَ وقوعه وحِدَتَهُمْ له . ويقال : فُضَا سَيْفُهُ وانتضاه ، إِذَا جَرَّدَهُ من غمده . وقال « من سيوفك » وأضافها إليه لما كان أربابها من أسبابه ، وما للسبب مثل ما للمسبب .

وقوله « كَأَنَّكَ كَفْتَ تعلم يوم بُرَزَتْ ثِيَابُكَ » أراد بالثياب السِّلَاحَ ، وهذا كما يُقال له البَرْزُ . قال الهذلي^(١) :

* فَوُقِّرَ بَرْزُ مَا هَذَاكَ ضَائِعٌ^(٢) *

يعنى به السَّيْفُ ، ومعنى وَقِّرَ وَقَّعَ وَقَرَاتٌ وَهَزَمَاتٌ فيه . ويقال بَرْزُهُ كَذَا وَابْتَرْزَهُ . وفي المثل : « مَنْ عَزَّ بَرْزٌ » ، أى من غَلَبَ سَلَبٌ . وقال الدَّيريدى : الْبَرْزُ السِّلَاحُ ، يدخل فيه الدَّرْعُ وَالْمَغْفَرُ وَالسَّيْفُ . وجعل تَعَلَّمَ بمعنى تَعَرَّفَ ، لذلك اِكْتَفَى بمفعولٍ واحد ، كقول الله تعالى : ﴿ لَا تَغْلِبْهُمْ اللَّهُ يُغْلِبُهُمْ ﴾ . و « ماسيلقى » ما بمعنى الذى ، وما بعده من صلته ، وحذَفَ المفعول من سَيْلِقَى

(١) هو قيس بن عيزرة . ديوان الهذليين (٣ : ٧٨) ، وانظر ماسياتى فى الاخماسية ٣٤٥ ص ٩٨٨ .

(٢) صدره : * فَوَيْلٌ لِّمَنْ بَزَجَرَ شَعْلٌ عَلَى الْحَصَى *

استطالة للاسم بصلته، أراد ما سيلقاه، ويعنى بذلك ما يصيبهم في مكافأة فعلهم، وعند الانتقام منهم.

٣٤١

وقال آخر :

١ - نَعَى النَّاعِي الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ تَنْعَى قَتَى أَهْلَ الْحِجَازِ وَأَهْلَ نَجْدٍ
٢ - خَفِيفَ الْحَاذِ نَسَّالَ الْفَيَافِي وَعَبْدًا لِلصَّحَابَةِ غَيْرَ عَبْدٍ
يقول : خَيْرَ النَّاعِي بِمَوْتِ الزُّبَيْرِ ، فَقُلْتُ مَعْظَمًا لَشَأْنِهِ ، وَمَفْخَمًا لِلتَّأْثِيرِ
بِمَكَانِهِ : إِنَّكَ تَذَكَّرَ مَوْتَ قَرِيبِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ نَجْدٍ وَمَخْتَارِهِمْ ، وَمَنْ لَا تَحْقُ
الْفَتْوَةَ بِالِاتِّفَاقِ إِلَّا لَهُ . وَقَوْلُهُ « خَفِيفَ الْحَاذِ » وَصْفُهُ بِخَفَّةِ الْعِجْزِ وَقَوْلُهُ اللَّحْمُ
عَلَى الْفَخِذِ ، وَذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ مِنَ الْفُرْسَانِ . قَالَ الْخَلِيلُ : الْحَاذَانِ : أَدْبَارُ
الْفَخِذَيْنِ ، وَالْأَحَاذِ الْجَمِيعُ ^(١) . وَقِيلَ هُوَ الظَّهْرُ . وَالْحَاذُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ :
الْحَالُ وَالْمُؤُونَةُ . وَقَوْلُهُ « نَسَّالَ الْفَيَافِي » أَرَادَ نَسَّالًا فِي الْفَيَافِي ، فَأَجْرَاهُ مَجْرَى
قَطَاعِ الْفَيَافِي . وَالنَّسَّانُ : مِشْيَةُ الذَّنَبِ إِذَا أَعْتَقَ وَأَسْرَعَ . وَيُقَالُ : نَسَلَ الْمَاشِي ،
إِذَا أَسْرَعَ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾
أَيِ يُسْرِعُونَ .

وقوله « عَبْدًا لِلصَّحَابَةِ غَيْرَ عَبْدٍ » يَصِفُهُ بِكَرَمِ الصَّحَابِ ، وَحُسْنِ التَّوَفُّرِ
عَلَى الرَّفَاقِ . وَالصَّحَابَةُ مُصَدَّرٌ فِي الْأَصْلِ ، يَقَالُ أَحْسَنَ اللَّهُ صَحَابَتَكَ ، ثُمَّ
اسْتَعْمِلَ صِفَةً ، وَقَوِيٌّ فِي الْوَصْفِيَّةِ حَتَّى جَرَى مَجْرَى الْأَسْمَاءِ ، وَتَقَرَّدَ عَنِ
الْمُوصُوفِ بِهِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ صَاحِبُ اسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ صَحَبَ ، تَقَرَّدَهُ بِنَفْسِهِ ،
قَوِيٌّ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ بِمُشْتَقٍّ مِنْ صَحَبَ ، لَا يَكَادُ يُقَالُ هُوَ صَاحِبُ زَيْدًا كَمَا

(١) المعروف في جمعه « أحواذ » ، كما في اللسان .

يقال هو ضاربٌ زيداً . ومعنى « غير عَبْدٍ » نفى لذلَّ العبودية ، لأنَّ قوله « عبداً للصحابة » أراد كرم الخلق وسهولة الجانب ، وتحمل الأعباء عن رفقائه . وقد ألم في هذا بقول الآخر^(١) :

* طَبَاخِ سَاعَاتِ السَّكْرِ زَادَ السَّكِلَ *

٣٤٢

وقال رُقِيَّةُ الْجَرْمِيُّ ، من طَيِّئ :

١- أَقُولُ فِي الْأَكْفَانِ أَبْيَضُ مَاجِدٌ كَفُضِنِ الْأَرَاكِ وَجْهُهُ حِينَ وَسَمَّا

٢- أَحَقَّاءَ عِبَادِ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ رَائِيَا رِفَاعَةَ طُولِ الدَّهْرِ إِلَّا تَوَهَّأَا

مفعول « أقول » هي جملة البيت الذي يليه ، والواو من قوله : « وفي الأكفان أبيض ماجد » واو الحال ، و « كفصن الأراك » في موضع الصفة لأبيض . شبه امتداد قامته به . و « وجهه » على هذا يكون مبتدأ وخبره حين وسما ، والجملة في موضع الصفة لما قبله . وظروف الأزمنة لا تتضمن الأشخاص والُجُثَّ ، لا تقول نزيد اليوم ، ولكن هذا مثل قولهم : الهلال الليلة ، فكما جاز هذا لأنَّ المراد طلوع الهلال الليلة ، كذلك قوله « وجهه حين وسما » لأنَّ المعنى : بقول وجهه^(٢) حين وسَمَّ . ومعنى وسَمَّ : خرج قليلاً ، وحقيقته أنه بمعنى توسم ، كما أن وجهه بمعنى توجه ، ونبهه بمعنى تنبهه ، وقدم بمعنى تقدم . ويقال لوّن الغلام^(٣) ، وطرَّ ، ووسَمَّ ، وبقل بالتخفيف ، في معني واحد . وأجاز أبو حاتم بقل بالتشديد ورواه الأصمعي ولم يُجزَّه غيره . والمعنى : أقول

(١) هو الشماخ ، أو جبار بن جزء أخى الشماخ ، أو أبو النجم ، أو ابن المعتز . الخزائن (٢ : ١٧٣ بولاق) و (٤ : ١٧٧ سلفية) .

(٢) بقول الوجه : خروج شعره . وفي الأصل : « يقول وجهه » ، تحريف .

(٣) استعمال مجازي لم يرد في المعاجم المتداولة .

مِثْلَهُمَا وَقَدْ كُفِّنَ بِمَرَأَى مَنَى شَابٌّ مَجْتَمِعٌ كَرِيمٌ شَرِيفٌ حَسَنُ الطَّاءِ^(١) ،
كَأَنَّهُ غُصْنٌ مِنَ الْأُرَاكِ وَوَجْهُهُ قَدْ وَسَمَّ حَدِيثًا . وَالْمَعْنَى : اِغْتَبِطَ وَلَمْ يُجْتَمِعْ
بِشَبَابِهِ ، وَلَا أَهْمِلَ لِاسْتِكْمَالِهِ وَاسْتِهَالِهِ . فَأَقُولُ : حَقًّا عِبَادَ اللَّهِ مَا أَرَى .
وَقَدْ أَلَمَ فِي هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِ النَّابِغَةِ :

* يَقُولُونَ حِصْنٌ نِمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ^(٢) *

كَأَنَّهُ يَكْذِبُ الْمَشَاهِدَةَ كَمَا كَذَّبَ النَّابِغَةُ الْإِخْبَارَ . وَكُلُّ ذَلِكَ لِاسْتَفْظَاعِ
الْحَالِ ، وَاسْتِعْظَامِ الْأَمْرِ وَالْخَطْبِ . فَأَمَّا قَوْلُهُ « أَحَقًّا » انْتَصَبَ^(٣) عِنْدَ سَيِّبِيهِ
عَلَى الظَّرْفِ ، كَأَنَّهُ أَفَى الْحَقِّ ذَلِكَ . فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ جَازَ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا ؟
قُلْتُ لَمَّا رَأَمَ يَقُولُونَ : أَفَى حَقِّ كَذَا ، أَوْ أَفَى الْحَقِّ كَذَا ، جَعَلَهُ إِذَا نَصَبُوهُ
حَلَى تِلْكَ الطَّرِيقَةَ ، قَالَ :

أَفَى حَقِّ مُوَاسَاتِي أَخَاكُم بِمَالِي نِمَّ يَظْلِمُنِي السَّرِيسُ^(٤)
وَقَالَ :

أَفَى الْحَقِّ أَنِّي مُفَرِّمٌ بِكَ هَائِمٌ وَأَنَّكَ لَا خَلَّ هَوَاكِ وَلَا خَزْرُ
وَقَوْلُهُ « أَنْ لَسْتُ رَائِيَا » أَنْ مَخْتَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ . وَالْمَعْنَى أَفَى الْحَقِّ لَسْتُ
رَائِيَا هَذَا الْفَتَى إِلَّا مَتَوَّهًا أَبَدَ الدَّهْرِ . وَقَوْلُهُ « تَوَّهَّا » مُصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ .

(١) الطَّاءُ بِفَتْحِ الطَّاءِ : الْحَالُ الْيَتِيَّةُ . قَالَ الْكَلْبِيُّ :

أَغْنَى الْمَكَارِهِ أَحْيَانًا وَيَحْمِلُنِي مِنْهُ عَلَى طَاةٍ وَالِدَهْرٍ ذُو نَوْبٍ

(٢) عَجَزَهُ كَمَا فِي شُرُوحِ سَقَطِ الزُّنْدِ ٢٦٢ ، ٨١٣ :

* فَكَيْفَ بِحِصْنِ الْجِبَالِ جَنُوحٌ *

(٣) جَرَى فِي حَذْفِ فَاءِ الْجَوَابِ عَلَى مِثْلِ مَا جَرَى عَلَيْهِ فِي ص ٨١٤ . وَهُوَ جَائِزٌ
حَلَّى-قَلَّةُ .

(٤) لِأَيِّ زَبِيدِ الطَّائِي ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (سرس) . وَالْمَرِيسُ : الْعَيْنُ ، أَوِ اللَّيْ
لَا يُولَدُ لَهُ .

وفائدة قوله « عباد الله » أنه رجع فيما كان لا يؤمن به ولا يسكن إليه شفاعته وقباحة ، إلى الناس كافة يستثبتهم ويستفتيهم .

٣- فَأَقْسِمُ مَا جَشَمْتُهُ مِنْ مُهِمَّةٍ تَوُودُ كِرَامَ الْقَوْمِ إِلَّا تَجَشَّمًا^(١)

٤- وَلَا قُلْتُ مَهْلًا وَهُوَ غَضَبَانُ قَدْ غَلَا مِنْ الْغَيْظِ وَشَطَّ الْقَوْمِ إِلَّا تَبَسُّمًا

بصِفِ رضاه وحسن طاعته له ، وقوة نهضته بكل ما يحمله من الأثقال المتعبة ، والآراب المثقلة ، ودوام صبره على جميع ما يسكلفه من المهمات الشاقة على كرام الناس الباهظة ، إلى ما كان يُوجب له وبمظم قدر كلامه ، فقال : ولم أقل له رفقا إذا احتسى غيظا إلا سكن وحسنت فيئته ، وكُرمَت عطفته ، حتى بدا لي مضحكه ، وتهللت في لقاء غرته . هذا ومجلسه مشهود ، والأقوام حوله قعود ، فلا يتداخله نخوة ، ولا تأخذه إلباء والتشدد عزة . وهذا كله تنبيه على تعالى لوعته ، وتعالى حرقة وفجته .

٣٤٣

وقال آخر :

١- أَلَا لَا فَتَى بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةِ الْفَتَى وَلَا عُرْفَ إِلَّا قَدْ تَوَلَّى فَأَذْبَرَا

٢- قَتَى حَنْظَلِيٍّ مَا تَزَالُ رِكَابُهُ تَجُودُ بِعَمْرُوفٍ وَتُنْكِرُ مُنْكَرَا

٣- لَحَى اللَّهُ قَوْمًا أَسْلَمُوا وَجَرُّدُوا عَنَّا جِيحَ أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ صُمْرَا

حذف الخبر من قوله « لا فتى » و « لا عرف » جميعا ، كأنه قال : لا فتى في الدنيا بعد ذهابه ، ولا عرف موجود بعد تولى عرفه . وفي وصفه المرتضى

(١) التبريزي : « من ملعة » .

بالتقى كأنه جَمَعَ له الفضائل كلها ، كما أن نفيه العُرف كأنه نفى به الحماد كلها ؛ لأن من شرط الفتوة أن يدخل تحتها خصال الخير ، كما أن العُرف والمعروف يدخل تحتَه كل ما عُرف في الإحسان والصَّلاح . ولك أن تدوّن « لا فتى » وإن كان الأول أشرف في المعنى وأبلغ ، فيكون في موضع الرفع بالابتداء ، وكذلك لا عُرف ترفعه وتدوّنَه ، لأنك تلقى حركة المدة من إلّا وهي كسرة على التنوين . والفصل بين الرفع والنصب أن النصب يفيد الاستغراق ، كأنه نفى قليل الجنس وكثيره ، إذا كان جواب هل من فتى ، ومن عُرف ؟ والرفع لا يكون فيه الاستغراق ، لسكونه جواب هل فتى وهل عُرف^(١) ، فلا يمنع أن يكون السؤال عن واحد من الجنس ويكون الجواب على حدّه . وقوله « ما تزال ركابه » من صفة فتى ، و « تجود بمعروف » خبر ما تزال .

وارتفع « فتى حنظلي » على أنه خبر مبتدأ محذوف ، ولو نصبه على المدح والاختصاص لجاز ، وقصده إلى أنه أمار بالمعروف ، ونهيا عن المنكر ، ولا يرضى بذلك فيما يليه من البلاد ، بل ترى الركبان تطوف به ، فيأتيهما في الأبعد مثل ما يأتيهما في الأقارب^(٢) . وقوله « ركابه » أراد أصحاب ريكابه .
يعنى رسله .

وقوله « لحي الله قوما أسلموك » تصريح بأن أصحابه خذلوه وتعاقدوا عن نصرته حتى تمكن منه الأعداء فقتلوه . وقوله « جردوا عناجيج أعطتها يمينك ضيبرا » بيان لأن الخيل التي جردوها للرّكض في الحرب مما سمعت به يده ، فلم يرأعوا ذمة ، ولم يحافظوا حرمة ، ولا راجعوا أنفسهم فيما تُنتجه الأحذوثة ، ونسير به الركب من سيّ القالة . والعناجيج : الخيل الطوال ،

(١) في الأصل : « هل من فتى ومن عرف » .

(٢) في الأصل : « فتأتيهما ... ما تأتيهما ... » .

واحدھا عُجُوج . ومعنى « لَحَى الله » يجوز أن يكون من الأَعَاء : السَّبِّ والذَّم . ويجوز أن يكون من اللَّحَى : القَشْر . وكيف جعلته فهو دعاء عليهم ، تسويداً لوجوههم ، وإلحاقاً للعار بهم ، وتقبيحاً لفعالهم ، وجزاء على صنعمهم . وقائدة قوله « ضَمَرَا » أنهم لم يُؤْتُوا من عُدَّةٍ ولا عَدَدٍ ، وإنما أُتُوا من عَجْزِهِم وجُبْنِهِم ، وسوء نياتِهِم ، وسُقوط همتِهِم .

٣٤٤

وقال آخر :

١- أَضْحَى أَبُو الْقَاسِمِ النَّاوِي بَبْلَقَةً تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا^(١)
قوله « أضْحى » هاهنا لاتصال الوقت ، والباء من قوله ببْلَقَةً تعلق بالناوى ، وخبر أضْحى تَسْفِي الرِّيحُ عليه ، والكلام تَوْجُعٌ وَتَحَشُّرٌ بأنه اسْتَبْدَلَ بِمَجَالِسِهِ الفُضَاء ، ومن نُدُمَائِهِ وَخُلَطَائِهِ الْخَلَاء ، ومن رَفِيع دَسْتِهِ وَنَبِيهِ فَرَشِهِ التُّرَاب ، والرِّيح السَّوَاوِي تَأْتِي بِهَا إِلَيْهِ ، وَتَجْمَعُ عَلَيْهِ^(٢) . وَالسَّفَا وَالسَّافِيَاء : التُّرَاب . وَيَقَال سَفَّتَ الرِّيحُ التُّرَابَ وَغَيْرَهُ تَسْفِيهِ سَفِيًّا ، وَالرِّيحُ سَافِيَةٌ ، وَالْجَمِيعُ السَّوَاوِي ، لِلتُّرَابِ وَالْوَرَقِ وَالْيَبِيدِ . وَقِيلَ السَّافِيَاء : الرِّيحُ تَحْمِلُ تَرَابًا كَثِيرًا تَهْجُمُ بِهِ عَلَى النَّاسِ . وَالسَّفَا : اسْمٌ مَا تَسْفِيهِ . وَالبَّلَقُ : الْمَكَانُ الْخَالِي .

٢- هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنْ لَا هُبُوبَ بِهِ وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يُبَارِيهَا
يقول : هَبَّتْ الرِّيحُ عَلَيْهِ رَافِعَةً الْحَشْمَةَ فِي ابْتِدَالِهَا إِيَّاهُ ، عَالِمَةٌ أَنَّهُ لَا هُبُوبَ

(١) أولها عند التبريزي :

كَانَتْ خُزَاعُهُ مِلءَ الْأَرْضِ مَا اتَّسَعَتْ فَقَصَّ مَرُّ اللَّيْلِ إِلَى مَنْ حَوَاشِيهَا
(٢) جعل ضمير التراب مرة مؤنثاً وأخرى مذكراً .

لريح دولته ، ولا نفاذ لأمره ، ولا استقامة لصولته ، وقد كانت إذا همت بمباراته تقف حسيراً بهيراً لا انخراق لها ، ولا تجرّ لذيلها . وقوله « أن لا هبوب » أن مخففة من الثقيلة ، كأنه قال : أنه لا هبوب به . والضمير للأمر والشأن ، وإن شئت كان المرثى . ولا هبوب في موضع خبر أن ، والجملة سدت مسد مفعولى علمت .

٣ - أضحى قرى المنايا رهن بلمعة وقد يكون غداة الرّوع يقرها يقول : صار طعمةً للمنايا هذا المفقود ومرتهناً في قبره ، لا انفكّ له ولا دفاع به ، وقد كان وهو حى غداة الرّوع يقرى المنايا من لحوم الأعدى ، ويحملهم قراها وطعمها . ويقارب هذا قول الآخر (١) :

ولمّا للحمّ السيف غيرةً نكيرةً ونلجّمه حيناً وليس بذى نُكر

٣٤٥

وقال عقيل بن علفة (٢) :

١ - لتغدّ المنايا حيث شاءت فإنها مُحلّةٌ بعد الفتى ابنِ عقيلٍ

٢ - فتى كان مولاه يحلّ بنجوةٍ فحلّ الموالى بعده بمسيل

٣ - طویلُ نجادِ السيفِ وهمّ كأننا تصول إذا استنجدته بقبيل

كأنه أذن لأنواع الموت أن تبسّكر حيث شاءت ، وتنال من الناس من أرادت ، فقد حلّ لها ذلك بعد أخذها الفتى ابن عقيل ، لأنه هو الذى كان

(١) هو دريد بن الصمة . الحماسية ٢٧٢ ص ٨٢٥ .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٣٦ ص ٤٠٠ . وساق التبريزى نسبه : « عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن خابر بن يربوع بن غيظ بن مرة » . والأبيات يقولها فى رثاء والده علفة بن عقيل ، وهو ولده الأكبر . الأغاني (١١ : ٨٨) .

يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْهَا، وَيُرْتَجَى يَوْمُهُ وَغَدُهُ، وَإِذْ قَدْ أَصِيبَ النَّاسُ بِهِ فَلَا خَطَرَ عَلَى الْمَنَایَا، وَلَا خَوْفَ مِنَ الرِّزَايَا. وَيُقَالُ: حَلَلْتُهُ مِنْ كَذَا تَحَالِيلاً، إِذَا أَطْلَقْتَهُ لَهُ.

وقوله «كان مولاه يَحُلُّ بَنَجْوَةَ» فالنجوة: اسم المكان المرتفع، والجمع الدَّجَاء. وقيل هو اسم لما إِذَا أُوتِيَ إِلَيْهِ نَجَوْتُ مِنْ مَحْذُورِكَ. وقد دَخَلَ تحت قوله «مولاه» ابنُ العَمِّ وكلُّ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ بِوَلَاءٍ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا أَعَاد ذِكْرَهُ قَالَ: «فَحَلَّ الْمَوَالِي بَعْدَهُ بِمَسِيلٍ». وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِأَجْمَعِهِمْ يَتَعَزَّزُونَ بِهِ وَيَسْتَظْهِرُونَ عَلَى الدَّهْرِ بِحَيَاتِهِ، فَلَمَّا أُصِيبُوا بِهِ تَمَكَّنَتْ الْأَقْدَارُ مِنْ التَّأْثِيرِ فِيهِمْ، وَتَسَلَّقَتْ الْأَفَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ عَلَيْهِمْ، وَصَارُوا بِمَنْزِلَةٍ مِنْ نَزَلٍ فِي مَسِيلٍ مِنَ الْأَرْضِ فَلَبِثَ الشَّيُولُ بِهِ، وَتَهَجَّمَتْ نُؤَبٌ^(١) الزَّيْمَانُ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلُ فِي بَفَاعٍ لَا يَرْتَفِعُ إِلَيْهِ إِلَّا تِيٌّ وَإِنْ طَمَأَ، وَلَا يَرْتَقِي إِلَيْهِ إِلَّا أَبْيٌّ وَإِنْ اسْتَعَلَى.

وقوله «طويل نجاد السيف» وصفه بامتداد القامة، وهذا كما أَنَّ الْفَرَسَ إِذَا وُصِفَ بِطُولِ الْخَدِّ قِيلَ: هُوَ طَوِيلُ الْعِذَارِ. ومثله قول أبي نُؤَاسٍ.

سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا احْتَبَى بِنَجَادِهِ غَمَرَ الْجَمَاحِمَ وَالسَّطَّاطُ قِيَامُ
وهذا المعنى مضادٌ لما وَصَفَ بِهِ بَعْضُهُمْ^(٢) تَأَبَّطُ شَرًّا، وَكَانَ يَلْقَبُ بِالشَّمْلِ، فَسَلَبَ بَزًّا قَتِيسِلٍ لَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ، وَكَانَ الْقَتِيلَ حَسَنَ الشَّطَّاطِ، وَتَأَبَّطَ شَرًّا قَصِيرَ الْقَامَةِ، فَطَالَ عَلَيْهِ حَمَائِلُ السَّيْفِ الْمَسْلُوبِ وَانْجَرَّ عَلَى الْأَرْضِ، فَقَالَ فِيهِ:
فَوَيْلٌمُ بَزْرٍ جَرَّ شَعْلٌ عَلَى الْحَصَى فَوْقَ بَزْرٍ مَا هُنَالِكَ ضَائِعُ
أَرَادَ بِالْبَزْرِ السَّيْفَ، وَمَعْنَى وُقِّرَ وَقُوعٌ فِيهِ وَقَرَاتٌ وَهَزَمَاتٌ، لِتَأْثِيرِ الْحَصَى

(١) وكذا وردت هنا كلمة «نؤب» بالهزرة. انظر ما مضى في ص ٩١٩.

(٢) هو قيس بن عيزارة. انظر حواشي الحماسية ٣٤٠ ص ٩٨٠.

فيها . وجعل البرَّ ضائعاً لِمَا لبسه غيرُ صاحبه . فأما قوله « يصول إذا استنجدته بقبيل » فإنه يصفه بفنائه إذا استغِيثَ به وكالِ آلاته ، حتى صار المستنصر له والمستغِيث به ، إذا أجابه واحتضره ، كأنه أجابه قبيل لا رجل . والرمم : العظيم التأم الخلق . ويقال : جمل وهم ، وهو القوي العظيم المنقاد ، المطيع لصاحبه .

٣٤٦

وقال مسافع العبيسي^(١) :

١ - أبعد بني عمرو أتمرُّ بمنيلٍ من العيشِ أو آتى على إثرِ مُذِيرٍ
٢ - وليس وراءَ الشيء شيءٌ يرُدُّه عليك إذا ولى سِوى الصَّبرِ فاصبر
قوله « أبعد بني عمرو أتمرُّ بمنيلٍ » كأنه قال منكراً مستقبِحاً . يريدُ أتمرُّ بعد أن فُجِعَت بهؤلاء القوم بقدرٍ يساعِدُ ، أو عيشٍ يُقبِلُ ، أو زمانٍ يُطَاوِعُ ، أو أحزنٌ في إثرِ فائتٍ ، أو أجزع لتوَلَّى مُذِيرٍ . والمعنى : أنَّ الشرورَ كان يتصل بحياتهم ، والغمُّ كان يُحذِرُ مخافةً أن يكونَ فيهم ، وإذا قد مضوا لسبيلهم فلا شيء من أعراض الدنيا يلحق له حبورٌ إذا نيلَ ، ولا شيء من أَعْلَاقِ المُنَى يُحْزَنُ له إذا أُفِيتَ .

وقوله « وليس وراءَ الشيء شيءٌ يرُدُّه عليك » أى^(٢) يرجعه إليك . فالاعتصام بجبل الصبر هو الأوَّلُ ؛ والأحبُّ ديناً ودُنْيَا ، فاصبر . وقوله « سِوى الصبر » موضعه من الإعراب استثناءً خارج ، لأنَّ الصبر ليس من الشيء الرَّادِّ الفائتِ فى شيء ، فقد انقطع مما قبله .

(١) هو مسافع بن حذيفة العبيسي ، كافى شرح التبريزي . قال البغدادى فى الخزائن (٢ : ٣٦٠) : « وهو شاعر فارس من شعراء الجاهلية » .

(٢) فى الأصل : « أو » .

٣- سلامٌ بنى عمرو على حيث هأمكم جمال الندي والقنا والسنور

٤- أولاك بنو خير وشر كليهما جميعا ومعروف ألم ومسكر

لما استسلم للجزع وما اعتاده من الهلع ، وصبر نفسه مسلّيا ، وتتبع أثر المصيبة معنيا ، حيّاهم فقال : عليكم التّحيّة من الله يا بنى عمرو حيث قرّت هامكم . و « هامكم » ترتفع بالابتداء وخبره محذوف ، كأنه قال : حيث هامكم حاصلة موجودة . والجملة أضيف إليها حيث لينشرح بها ، لأن حيث يقتضى جملتين ، فهى فى الأمكنة مثل حين فى الأزمنة . ثم قال « جمال الندي » أى أذكركم جمال المجلس يوم الحفل ، وزين السلاح غداة الروع ، فانتصب جمال على الاختصاص والمدح^(١) . وذكر الهام على عادة العرب ، فى زعمهم أن عظام الموتى تصير هامة تطير . والندي والنادى : المجلس . ويقال : نداهم المجلس ، أى جمعهم ، فانتدوه .

وقوله « أولاك بنو خير وشر كليهما » إيدان منه بأنهم كانوا مستصلحين لكل ما يعنى ويحدث من الشراء والضرء ، فكانوا بنى الخير لاستدرار المنافع من مالم وجاههم ، وبنى الشر لاستدفاع البلايا ببايهم . وكانوا يستمدون مواليتهم ببرهم وتفقدهم ، ويشقون مقاديرهم بحذم وسطوتهم . وقوله « كليهما جميعا » انجرا كليهما على البدل من خير وشر ، ولا يجوز أن يكون توكيدا لهما ، لأن توكيد ما لا يعرف لا فائدة فيه . والكوفثيون يجوزون توكيد ما يدخله التجزئة من النكرات ، يقولون : قرأت كتابا كله ، وأكلت رغيفا كله ، على التوكيد . وأصحابنا البصريون يميزون الكلام بمثل هذا ، ولكنهم يمتنعون من إجراء الآخر على الأوّل على طريق التأكيد ويعملونه بدلا ، كأنه قال بنو كلا الخير

(١) وقال التبريزى إنه منصوب على النداء .

والشَّرَّ. وانتصب « جميعا » على الحال . وكَلَّا يضاف إلى المثني ، إلا أن المعطوف والمعطوف عليه والحرف العاطف الواو بمنزلة المثني وقائدة قوله « معروف ألم ومنكر » أت يضرباً إلى التوازل الملمة والحوادث الطارئة ، فيكون الخبر والشر مقصودين على أفعالهما ، فلذلك قال « ومعرف ألم ومنكر » ليمتيز ما يكون من فعلهما عما يحدث من غير فعلهما .

٣٤٧

وقال الربيع بن زياد العبسي^(١)

في مالك بن زهير العبسي :

١ - إِنِّي أَرَقْتُ فَلَمْ أَغْمُضْ حَارٍ مِنْ سَيِّئِ النَّبَأِ الْجَلِيلِ السَّارِ^(٢)

٢ - مِنْ مِثْلِهِ تُمَسِّي النِّسَاءَ حَوَامِرًا وَتَقُومُ مُعْوَلَةً مَعَ الْأَسْحَارِ

يقول : لما تساقط الخبر الموجع الساري لبليلى ، العظيم في شأنه ، الفطيع عند وقوعه إلى ، سهرت فلم أغمض يا حار . كأنه ذكر ابتداء حاله لا ابتداء نعيه . والأرق : السهر . ويقال غمضت عيني بالتشديد ، وغمضتها ، واغتمضت . وأضاف السبي إلى النبأ لأنه جعل النبأ للجنس ، فهو كإضافة البعض إلى الكل .

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٦٣ ص ٤٨٤ .

(٢) كان من خبر هذه الأبيات فيما روى التبريزي أن مالك بن زهير العبسي كان متزوجاً في بني فزارة ، فبعث إليه أخوه قيس حين قتل ندبة بن حذيفة أن اخرج عنهم ليلاً . فبعث إليه مالك : مالي إلى بني بدر من ذنب ، وإنما ذنبك عليك ، وما أنا بتارك منزلي لما أحدثت أنت . وغير مالك في بني فزارة دهرأ ، ثم غدرت به فزارة ، وجه إليه حذيفة من يقتله فقتلوه ، وكان الربيع مجاوراً لحذيفة ، فجاء إليه وقال : يا حذيفة سير في فاني جاركم ، فديره ثلاث ليال ، فقال حل لحذيفة : بئس ما صنعت ، قتلت مالكا وخليت جبل الربيع ، والله ليضرب منها عليك نارا فدونك الرجل قبل أن يفوتك ولا أحسبك تدركه . ثم إن الربيع جمع بني هبس للقاء بني فزارة ، وجرت بسبب هذا حروب فيما بينهم .

ويقال: أساء ما صنع، فهو سيئ، وساء في الشيء مَسَاءَةً، وسُوِّتَنِي بما فعلت مَسَاءَةً وَمَسَائِيَةً. ويقال للسيئ والسيئة والشوئى. والسيئة كالخطيئة، وهو يِزَاء الحسنة، والشوئى يِزَاء الحسنى. والشوئ: الاسم الجامع للآفات والأدواء.

وقوله « من مثله تُسمى النساء حوامرا » أى يأتى عليهنَّ النساء وقد طَرَحْنَ خُمُرَهُنَّ فنهنَّ كاشفات الرؤوس، مسيلات الشعور، لا يَكْنِصِينَ ولا يَسْتَعْرَنَ، ويقمن مع السَّحَر صائحات عائدات إلى عاذنهنَّ من النياحة والبكاء. وقيل الإماء من الظَّهر إلى المغرب، وقيل بل إلى نصف الليل من الإماء. وروى بعضهم: « تَمَشَّى النِّسَاء » أى يمشين متبرِّجات لا يدفعهنَّ عن ذلك حشمة ولا يحجزهنَّ رِقَبَةٌ. والأوَّل أجود، حتى يكون المساء في مقابلة الصُّبَّاح، ويكون الشاعر قد ذكر طَرَفِي النَّهَار من أوقانين.

٣- أَقْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ^(١)

٤- مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِذَوِي الْقُوَى إِلَّا الْمَطَى نَشْدُ بِالْأَكْوَارِ^(٢)

هذا فيه ما في قول الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

وإلى هذا أشار أبو تمام في قوله:

لَبِيتَ صَوْتًا زِبْطِيًّا هَرَقَتْ لَهُ كَأْسَ الْكَرَى وَرَضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ

وقوله « أقبعد » لفظه الاستفهام، والاستفهام يطلب الفعل، فكأنه

قال: أترجو النساء عواقب الأطهار بعد مقتل مالك؟ وهو يفكر أن يكون ذلك

(١) أنشد ابن رشيق هذا البيت في العمدة (١ : ٩٤) شاهدا على ما سماه الخليل

« الإقعاد » وهو هنا حذف نون متفاعلة وإسكان ما قبله في آخر تفعيله من الشطر الأول،

وهو ما يسميه المتأخرون « القطع ». وانظر شروح سقط الزند ١١٤٦ .

(٢) التبريزي: لذوى النوى .

أَوْ يُسْتَجَازَ وَقَوْهُ . والمراد بعواقب الأطهار مراجعة البعولة إلى مضاجعة النساء
بعقب أطهارهن والتمتع بهن . والمعنى أَنَّ الأمر أقطعُ من أن يُتَوَهَّم ذلك ،
وَالْخَطْبُ فِي الْمَصَابِ بِهِ أَنْكَى فِي الْقُلُوبِ وَالتَّنْفُوسِ مِنْ أَنْ يُتَذَكَّرَ لَذَاتُ ،
أَوْ يُتَحَدَّثَ بِفَنَاسِلِ وَوِلَادَاتِ . وقوله « ابن زُهَيْر » جعل عروض الضرب الثاني
من الكامل مقطوعة^(١) ، ولو قال « زُهَيْر » لاستقام له وكان يكون متفاعِلُنْ .
وهم يُدْخِلُونَ عَلَى الْأَعْلَامِ التَّغْيِيرَ كَثِيرًا ، لَكِنَّهُ مَالٌ إِلَى هَذَا وَجَعَلَهُ فَعِلَاتُنْ .
وَقَدْ فَعَلَ فِي أَوَّلِ الْمَقْطُوعَةِ مِثْلَ ذَلِكَ ، لَكِنَّهُ فِي ذَلِكَ أَعْذَرَ لِأَنَّهُ جَعَلَهَا مَصْرَعَةً ،
وَلَمْ يَرْضَ بِأَنْ جَعَلَهُ فَعِلَاتُنْ حَتَّى سَكَّنَ الْعَيْنَ مِنْهُ وَجَعَلَهُ مَفْعُولُنْ ، وَيَسْمَى
مَقْطُوعًا مُضْمَرًا . وَقَعَلَ أَيْضًا مِثْلَهُ فِي قَوْلِهِ :

* وَجَنَّبَاتٍ مَا يَذْفَنَ عَذُوفًا *

وَالْعُذْرُ فِيهِ كَالْعُذْرِ فِي قَوْلِهِ « أَفَبِمَدِّ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ » وَلَوْ قَالَ
« عَذُوفَةً » لَاسْتَقَامَ لَهُ . وَرَبِّمَا مَالُوا إِلَى الْمَزَاحِفِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ . عَلَى ذَلِكَ
قَوْلُ الْمُتَنَخِّلِ فِي الطَّائِيَةِ :

أَبَيْتُ عَلَى مَعَارٍ فَاخِرَاتٍ بَيْنَ مُلَوَّبٍ كَدَمِ الْعِبَاطِ^(٢)

رَوَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَرَبِ تَرَوِيهِ « مَعَارٍ فَاخِرَاتٍ » بِالتَّنْوِينِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الضَّرْبِ
الْأَوَّلِ مِنَ الْعُرُوضِ الْأُولَى مِنَ الْوَافِرِ : مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ ، فُجِعْلُ مُفَاعَلَتُنْ
الثَّانِي مُفَاعِلَيْنِ بِالْعَصْبِ ، وَهُوَ فِي زِحَافِ هَذَا الْبَحْرِ جَائِزٌ ، لَكِنَّهُ لَوْ رَوِيَ
« مَعَارِي » بَفَتْحِ الْيَاءِ لَسَلِمَ ، وَلَمْ يَقْمَلْ . وَقَوْلُهُ « مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لَذِي الْقُوَى »

(١) أَيْ جَعَلَ الْعُرُوضَ الَّتِي ضَرَبَهَا الثَّانِي مَقْطُوعَةً مِثْلَهُ . وَهَذِهِ الْعُرُوضُ أَصْلُهَا
لِلْعُرُوضِ الثَّامَةِ .

(٢) دِيْوَانُ الْهَفْلِيِّينَ (٢ : ٢٠) : « عَلَى مَعَارِي » .

أضاف المصدرَ إلى المفعول والمراد في قتالهم لما لك ، ويعني بذوى القُوَى ذوى
الرأى والفعل^(١) ، والعدد والعُدّة ، فيقول : لا أرى لمن كان هكذا من أولياء
دمه وطلاب ثاره ، إلّا امتطاء الإبل وتَجَنَّبَ الخيول ، وركوبَ كلِّ صعب
وذلول ، إلى أن يُنالَ من العدو مثل ما ناله منهم ، فإن في ركوب الجِدِّ مساعدة
من الجِدِّ ، ولن ترى العزمَ أُصْرِحَ بالفعلِ إلّا وثمَّ مطاوعةً من القَدَر . وقوله
« تُشَدُّ بالأَكوار » يريد تُشَدُّ الأَكوار عليها ، فَرَمَى بالكلام .

٥ - وَجُنَبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفًا يَقْذِفْنَ بِالْمُهْرَاتِ وَالْأَنْهَارِ

٦ - وَمَسَاعِرَ اصْدَأَ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا تُطْلَى الْوُجُوهُ بِقَارِ

عَطَفَ قوله « وجُنَبَاتٍ » على « إلّا الملقى » والمراد أرى لهم أعدادهم مطاباً
مرحولة ، وخيلاً مجنوبة . وكذا كانت عادتهم في مَقْصَدِهِم الفارات ، وركوبهم
إلى الوقعات ، أن يركبوا الإبلَ ويَجْنُبُوا الخيلَ إلى أن ينتهوا إلى موضع الفارة ،
أو ملتقى القوم للمحاربة ، حينئذ يُنِخُون الإبلَ ويركبون الخيلَ وهى وادعةٌ
لم يلحقها كبير^(٢) تعب ، ولم يمتلكها سامةٌ ضَجَرٌ ، فيعملونها كما يحبون .

وهذا كما قال النابغة يصف خيلَ عمرو بن هند :

مُقَرَّنَةٌ بِالْأَذْمِ وَالْعَيْسِ كَالْقَطَا عَلَيْهَا الْخُبُورُ مُحَقَّبَاتُ الْمَرَاجِلِ^(٣)

وَيَقْذِفْنَ بِالْأَوْلَادِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ تَشْحَطُ فِي أَسْلَافِهَا كَالْوَصَائِلِ

ومعنى « ما يذُقْنَ عَذُوفًا » أى أدنى ما يُؤْكَل . وقال الخليل : يستعمل
في الطعام والشراب . ويقال : مَا ذُقْتُ عَذْفًا وَلَا عَذُوفًا وَلَا عَذُوفَةً وَلَا عَذْفًا^(٤)

(١) كذا في النسختين ، ومعناه صحيح .

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « كثير » بالثاء .

(٣) الخبور : جمع خبر ، بالفتح ، وهى المزاودة العظيمة .

(٤) ضبط فى النسختين بفتح العين . وفى اللسان بضمها ، وفى مادة (عذف) مهملة الدال

فى اللسان وإقاموس : « عذاف » بضم العين .

أى ذَوَاقًا. والفعل منه قد يُبَيَّنَ فيقال تعذَّفتُ عَذُوفَةً. وقوله «بالمُهرَّات والأُمُهار» أى لما يلحقهنَّ من الكلال، والتعامل عليه فى طيِّ المنازل بها والتَّرحال والسَّاعِر: جمع السَّعر، وهو كانه آلة فى إسطار نار الحرب وإيقادها. وإنما قال «صدأ الحديد عليهم» لاتصال لبسهم الدُّروع^(١)، و«كأنما تُطَلَّى الوجوه بقار» لأن المراد أن السَّموم والحرور قد لَفَحَتْ وجوههم، وغيَّرت ألوانهم، لأنهم تعودوا قَصَدَ الفارات، وقَطَعَ المشاق. وجعل الخليل كالفرسان والفرسان كالخيل فى الصَّبر والثَّبات.

٧ - مَنْ كان مسرورًا بمقتل مالكٍ فليأتِ ساحتنا بوجهِ نهارٍ^(٢)

٨ - يَجِدِ النِّساء حواسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَلْطَمُنَ أَوْجُهُنَّ بِالْأَسْحارِ

كانت العادة مستمرةً مستحكمةً فيهم، أنهم لا يَنْدُبُون القَتِيل أو يُدْرِكُ ثأره. فيقول: مَنْ كان فرحًا بمقتل مالك، شامتًا بأوليائه، فليَنزِعْ ملابسَ المسرة وليطْرِخْ أرديةَ الشَّماتة، فقد أدْرَكَتِ الأَنْتَارُ وأرَبِقَتِ الدِّمَاءُ، وشُفِيتِ الأدوية، وليحْضُرْ ساحتنا فى أوَّلِ النهار، ليرى أن ما كان مُحَرَّمًا من الرِّثاء قد حَلَّ، وأن الخطر الواقع ببيكائه قد رُفِعَ، ويجد النساء مكشوفاتِ الرؤوس يذكُرْنَ بما كان من فضائله، ويندُبْنَهُ بأشهر أوصافه، وأعلى مراتبه ومجآله، فإن ذلك متَّصلٌ من فعلهنَّ غير منقطع فى أطراف الليل والنهار، والأَسْحار، وبعضهم يرويه:

* مَنْ كان محزونًا بمقتل مالكٍ *

والمراد الموالون، كما كان المراد بالأوَّل المنايذين. وأكثر من رأبناهُ كان

(١) ل: «للدروع».

(٢) هذه أوجه من رواية التبريزي: «فليأتِ نسوتنا».

يروى « فليأتِ نسوتنا » ورأيت الأستاذَ الرئيسَ أبا الفضل ابنَ العميد يقول :
« إني لأتعبج من أبي تمام مع تكلفه رمَّ جوانب ما يختاره من الأبيات ^(١) ،
وغسله من درن بشع الألفاظ ، كيف ترك تأمل قوله فليأتِ نسوتنا . وهذه
لفظة شنيعة . وكيف ذهبَ عليه تأملُ قوله :

قلتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَئِيفِ تَرْوَحُوا عَشِيَةً بِنَا عِنْدَمَا وَإِنْ رُزِجَ ^(٢)
تَنَالُوا الْغَنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنَفْسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاكِجٍ مِنْ حِجَامٍ مُبْرِجٍ
حتى جمع بين كئيف ومستراج في يئتين . وتأمل أمثال ما ذكره ويئنه
من شرائط الاختيار .

٩ - قد كُنَّ بِحَبَانِ الْوُجُوهِ تَسْتُرًا فاليومَ قد أَبْرَزْنَ لِلنُّظَارِ ^(٣)
١٠ - يَضْرِبْنَ حُرَّ وَجُوهِنَّ عَلَى فَتَى عَفَّ الشَّمَائِلِ طَيِّبِ الْأَخْبَارِ
يصفهنَّ بأنهن ابتذلن أنفسهنَّ للمصيبة وقد كان من قبلُ سِتْرُ الصَّيَانَةِ
مُسْبِلًا عليهن ، لا يُظْهَرْنَ الْمَعَارِي مِنَ الْوُجُوهِ وَسَائِرِ الْأَعْضَاءِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ،
لِتَسْتُرَهُنَّ وَارْتِفَاعِ مَحَالَّتِهِنَّ وَمَنَاصِبِهِنَّ عَنِ التَّبَرُّزِ وَالتَّبَرُّجِ ، إِذْ كُنَّ بِيضَاتٍ خُدُورٍ
وَرَبَاتٍ حِجَالٍ وَسُتُورٍ . وقوله « فاليومَ قد أَبْرَزْنَ لِلنُّظَارِ » يريد الوجوه . وهُنَّ
وإن رَمَيْنَ قِنَاعَهُنَّ ، وَأَظْهَرْنَ مُحَيَّاَهُنَّ فَإِنْ أَحَدًا لَا يَطْمَعُ فِي الدُّنُوِّ مِنْهُنَّ ،
وَالنَّظَرَ إِلَيْهِنَّ ، فَيُخْرِجَ إِلَى حَدِّ الْمَنَكْرِ . وقوله « يَضْرِبْنَ حُرَّ وَجُوهِنَّ عَلَى
فَتَى » يريد ما يَكْنُنُ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ بِالضَّرْبِ وَالْإِهَانَةِ ، إِجْلَالًا لِلرَّزِيئَةِ ، وَاقْتِدَاءً
لِلْمَرْثَى ^(٤) . وَالْعَفَّ : الْعَفِيفُ ، وَمُضْدَرُهُ الْعِفَّةُ وَالْعَفَافُ . وَالشَّمَائِلُ : خَلِيقَةُ الرَّجُلِ

(١) انظر ما مضى في ١٣ - ١٤ ، ٨٤ .

(٢) من الحساسية ١٥٦ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٣) التبريزي : « حين برزن » . ويروى : « حين يدون » . انظر شروح سقط
للزركلي ٥٢ والمزهر للسيوطي (٢ : ٣٦٤) في (معرفة التصحيف والتجريف) .

(٤) هذا هو الوجه . وفي الأصل : « اقتداء بالمرثى » ، ل : « واقتداء بالمرثى » .

وطبيعته ، واحدها شمال . وقوله « طيّب الأخبار » أى حديثه حسن في الناس
لا يؤمن بدنية ، ولا يؤمن بنقيصة .

٣٤٨

وقال كعب بن زهير^(١) :

- ١ - أَعْمُرْكَ مَا خَشِيتُ عَلَى أَبِي مَصَارِعَ بَيْنَ قَوَّيْنِ فَالسُّلَى^(٢)
- ٢ - وَلِكِنِّي خَشِيتُ عَلَى أَبِي جَرِيرَةَ رُحْمِهِ فِي كُلِّ حَيٍّ
- ٣ - مِنَ الْفَتِيَانِ مُحَلُولٍ مُرٍّ وَأَمَّارٍ بِإِشَادٍ وَغَى
- ٤ - أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى وَلَهْفَ الْبَاكِيَاتِ عَلَى أَبِي

قوله « لعمرك » مبتدأ وخبره مضمر ، وفيه معنى اليمين ، وجوابها ما خشيت . فكان هذا التوفى مضى لسبيله لعارضٍ عَرَضَ له بين قَوَّيْنِ والسُّلَى . وإنما قال « مصارع » لأنه جعل كل قطعة مما بين هذين الموضعين كالمصارع لواحدٍ من الناس . فيقول توجُّمًا : وبقائك ما خشيتُ على هذا الرجل أن يصارع بين هذين الموضعين ، ولكِنِّي كنت أخشى عليه جرائره في الأحياء ، وتِرائِه في القبائل . وعلى ما يدلُّ عليه كلامه كان مات هذا المرثى حتفَ أنفه ، فلهذا قال : لم أحتس عليه القدر بين هذين المكانين ما خشيتُ عليه من جرائر رُحْمِهِ في الأحياء .

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٤٠ ص ٩٧٨ .

(٢) الأبيات الثلاثة الأولى في معجم البلدان (السل) ، والأول والثاني في مخاضرات الراغب (٢ : ٣٠٨) واللسان (سلا) والجمهرة (١ : ١٧٣) . والأول في معجم ما استعجم (السل) والثاني في الجمهرة (١ : ٦٥) . قال ابن دريد : « أنشده ابن الأعرابي في كتاب المراثي لامرأة ترضى أباه . والأبيات كلها في الكامل ٧٢٥ ليصاك مع خلاف في الرواية والترتيب قال المبرد : « فهذا الشعر من أجنى أشعار العرب ، ينبغي صاحبه أن تقدیره في المرثى أن تكون منيته قتلا ، ويتأسف من موته حتف أنفه » .

وقوله « من الفتيان مُحْلُولٌ مُمِرٌّ » تعلّق من بمحذوف ، كأنه قال : كان من بين الفتيان سهل الخُلُقِ ، وطىء الجانب . والمُحْلُولُ هو الذى تنأى حلاوته . قال الخليل : افْعَوْعَلْ : بناءً للمبالغة . على ذلك قولهم اعشَوْشَبَ المكانُ ، إذا تنأى عَشْبُهُ ؛ واحْلَوْلَى ، إذا تنأى حلاوته . والمُيِّرُ : الذى صار مُسْرًا . وليس هذا من قولهم : ما أَمَرَ وما أَخْلَى ، لأن ذلك معناه ما أنى بِمُحْلُولٍ ولا مُسْرٍ ، ولكن يجب أن يكون من أَمَرَ الشئ فهو مُمِرٌّ ، وفي بعض اللغات مُسْرٌ . قال :

* لئن مُسْرًا فى كِرْمَانٍ لَيْلَى لَطَالَمَا ^(١) *

حتى يكونَ مثلَ محلولٍ . وقوله « أَمَارٌ بِإِرْشَادٍ وَغَى » وضع إرشاداً موضعَ رشادٍ ، ألا ترى أنه قال وَغَى . وهم كما يستعيرون الاسم للمصدر يستعيرون المصدر للاسم ، وكما يوضع العطاء موضع الإعطاء فى قول القطامى :

* وبعد عطائك المسائة الرّثاعا ^(٢) *

بضمون الإعطاء موضع العطاء . فعلى هذا وضع الإرشاد موضع الرشاد . [وإذا كان كذلك فيجب أن يكون إرشاد هذا لا يتمدى ، لوقوعه موقع الرشاد ^(٣)] . وقوله « أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى » الصدر من البيت تحشّر لما أصاب الفقراء واليتامى بعد موته ، إذ لم يكن فى الدهر من يؤويهم أو يؤمنهم . والأرامل : جمع أرملة ، وهذه الصفة يشترك فيها المؤنث والمذكر ، واشتقاقه من أرملة القوم ، إذا نفدت نفقاتهم ، وحقيقته صاروا من الفقر فى الرّمْل ، كما يقال أترّب الرجل ^(٤) . والشهادة فى اشتراك الرجل والمرأة فى هذه الصفة قول جرير :

(١) انبئت للطرماح فى ملحقات ديوانه ١٣٥ والاسان (مرر) . وعجزه :

* حلا بين شطى بابل فالمضيق *

(٢) ويروى : « الرّباعا » . وصدره فى ديوان القطامى ٤١ :

* أكفراً بعد رد الموت عنى *

(٤) إذا قل ماله ، ويقال أيضاً لمن اغتنى .

(٣) التكلة من ل .

هَذِي الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتُ حَاجَتَهَا فَمِنْ لِحَاجَةٍ هَذَا الْأَرْمَلِ الذَّكْرُ
وقوله « وَلَهْفَ الْبَاكِيَاتِ عَلَى أَبِي » هذا العَجْزُ تَحْسُرٌ لِلْمُتَعَلِّقِينَ بِمَحَبْلِهِ ،
وَالرَّاجِينَ لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَالوَاصِلِينَ سَبَبَهُمْ بِسَبَبِهِ دُونَ أَوْلَئِكَ ، فَتَكَرَّرَ الْإِفْظُ
يَشْتَمِلُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى .

٣٤٩

وقال (١) :

- ١ - فِي بَعْضِ تَطَوَّافِ ابْنِ طُعْمَةٍ مَمَّةٌ أَمِينَا لَاقَى حِمَامَةً
- ٢ - وَصَدَا لَهُ مِنْ خَلْفِهِ يَنْتَرُهُ لَا بِلِ أَمَامَةٍ (٢)
- ٣ - غُرَّ امْرُؤٌ مَنَّتُهُ نَفْسُهُ سُنُّهُ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ
- ٤ - هِيَهَاتَ أَغْيَا الْأَوَّلِي نَ دَوَاهِ دَائِكَ يَا دِعَامَةَ

قوله « فِي بَعْضِ تَطَوَّافِ ابْنِ طُعْمَةٍ » قد أبرز اسمه ، بقول : يَا دِعَامَةَ . فهو
دِعَامَةُ بْنُ طُعْمَةٍ . وَتَطَوَّافٌ : بَنَاءٌ لِمَا يَشُوبُهُ فِي الْوُقُوعِ أَدْنَى تَكَلُّفٍ . فَكَأَنَّ
هَذَا الرَّجُلَ كَانَ جَوَالَةً ، فَانْفَقَ عَلَيْهِ أَنْ مَاتَ آمِنًا مَا كَانَ ، فَأَخَذَ يَقْتَصُّ حَالَهُ
وَيَتَحَزَّنُ لَهُ ، وَجَمَلَ التَّطَوَّافُ لِلْجَنَسِ ، وَأَضَافَ الْبَعْضَ إِلَيْهِ . وَانْتَصَبَ « أَمَامًا »

(١) يَنْهَمُ مِنْ هَذَا الصَّنِيعِ أَنَّ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةَ الْكُتُبُ بْنُ زُهَيْرٍ أَيْضًا . لَكِنْ فِي رِوَايَةِ
التَّبَرِيزِيِّ : « وَقَالَ آخِرٌ » .

(٢) رَوَاهُ ابْنُ جَنِّي وَالتَّبَرِيزِيُّ : « رَصَدًا لَهُ مِنْ خَلْفِهِ » . وَقَالَ ابْنُ جَنِّي : « لَكَ فِي مَنْ
هَذِهِ أَوْجُهُ : إِنْ شِئْتَ عُلِقَتْهَا بِنَفْسٍ رَصَدٌ ، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهَا صَفْعَةً لَهُ فَعَلِقَتْهَا حِينَئِذٍ بِمَحْذُوفٍ ،
وَإِنْ شِئْتَ عُلِقَتْهَا بِنَفْسٍ يَقْتَرُهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْفَاعِلِ فِي تَقْتَرِهِ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ حَالًا مِنَ الْمَاءِ . لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي تَقْتَرِهِ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ نَفْسِهِ ، فَالْمَعْنَى
إِذَنْ يَدْفَعُهُ » .

على الحال مِنْ لَاقَى حِمَامَهُ ، وإذا كان العامل في ذى الحال فِئلاً جاز تقديم الحال عليه .

وقوله « وَصَدَا لَهُ » خَفِيَ عَلَيْهِ كَيْفَ اتَّفَقَ مَصْرَعُهُ . ومعنى صَدَا لَهُ دَعَاهُ . ويجوز أن يكون قَعْلَ بمعنى تَقَعَّلَ ، كأن صَدَا بمعنى تَصَدَّى لَهُ قَائِداً . والتَصَدَّى تَعَرَّضٌ يُخْتَلَطُ بِأَزْوَارٍ وَإِعْرَاضٌ . على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾ . يقول : تَصَدَّى لَهُ الْخَيْنُ سَائِقًا لَهُ يَأْتِيهِ عَلَى غَرَّةٍ ، بل تَصَدَّى قَائِداً لَا سَائِقًا . كَأَنَّهُ لَمَّا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْ أَيْنَ أَتَى لَمْ يَقْطَعْ الْكَلَامَ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ ، بَلْ تَدَارَكَ وَانْتَقَلَ وَهُوَ بَعْدَ شَاكٍ ، وَلَكِنْ كَأَنَّهُ أَوْمَأَ إِلَى جَمَاعِ الطُّرُقِ . وقوله :

غُرَّ اسْرُوءًا مَنَّتَهُ نَفْسٌ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ

معنى غُرَّ خُدِعَ عَلَى وَجْهِهِ لَهُ فِي الْإِسْتِغْنَامَةِ إِلَيْهِ غَرَّرَ . ويقال : مَا غَرَّكَ بِفُلَانٍ ؟ أَيْ لِمَ اجْتَرَأْتَ عَلَيْهِ وَكَانَ الْوَجْهَ أَنْ لَا تَجْتَرِئُ . على ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ . ويقال : مَنْ غَرَّكَ مِنْ فُلَانٍ ؟ أَيْ مَنْ الَّذِي جَذَبَكَ عَنْهُ وَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، وَكَانَ الْوَجْهَ أَنْ تَكُونَ مُقْبِلًا عَلَيْهِ . ويقال : مَا غَرَّكَ مِنْ فُلَانٍ ؟ أَيْ لَمْ وَثِّقْ بِهِ وَكَانَ الْحُكْمُ أَنْ لَا تَتَّقَ بِهِ . فأما قوله « مَنَّتَهُ نَفْسٌ » فَإِنَّمَا نَكَّرَهُ لِفَرْضِ مَا (١) ، وَهُوَ أَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ فِيمَا يَهْمُهُ بِهِ أَوْ يَرْجُوهُ أَوْ يَخَافُهُ نَفْسَيْنِ : نَفْسٌ تَبْعُهُ عَلَيْهِ ، وَنَفْسٌ تَصْرِفُهُ عَنْهُ ، فَلِهَذَا قَالَ : مَنَّتَهُ نَفْسٌ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ ، أَيْ غَرَّتْ تِلْكَ النَّفْسُ اسْرُوءًا جَعَلَتْ مِنْ أَمَانِيهِ دَوَامَ السَّلَامَةِ . يشهد لهذا الذى قلناه قولُ الآخر :

شَاوَرَ نَفْسِي طَمَعٍ وَخِيْبَةٍ نقول هاتى : لا ، وهاتيك : بَلَى

نم قال :

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « فَإِنَّمَا نَكَّرَهُ لِفَرْضِ مَا » .

فَشَجَعَتْهُ نَفْسُ حِرْصٍ طَمِعَتْ وَحَذَرَتْهُ نَفْسُهُ الْآخَرَى الرَّدَى
وقوله :

هيهات أَعْيَا الْأَوَّلِينَ دَوَاهِ دَائِكَ يَا دِعَامَهُ
أَرَادَ بِالْأَوَّلِينَ الْأُمَّ السَّالِفَةَ ، وَقَدْ أَعْجَزَ دَوَاهِ الْمَوْتِ . وَقَوْلُهُ « هِيَهَات »
اسْتِبْعَادٌ لَوْ قَوَّعَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَهُوَ أَنْ تَدُومَ [له ^(١)] السَّلَامَةُ . وَهِيَهَاتُ :
اسْمٌ لِلْفِعْلِ وَهُوَ بَعْدُ ، وَفَاعِلُهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ ، وَكَأَنَّهُ قَالَ : بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ
يَكُونَ . عَلَى هَذَا قَوْلُهُ :

فِهِيَهَاتَ هِيَهَاتَ الْعَفِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهِيَهَاتَ خِلٌ بِالْعَفِيقِ تَوَاصِلُهُ ^(٢)

٣٥٠

وَقَالَ غُويَّةُ بْنُ سُلَيمٍ بْنِ رَبيعَةَ ^(٣) :

١ — أَلَا نَادَتْ أُمَامُهُ بِاخْتِمَالٍ لَتَحْزُنَنِي فَلَا بِكَ مَا أَبَالِي
٢ — فَسِيرِي مَا بَدَا لَكَ أَوْ أَقْبِي فَايَا مَا أَتَيْتَ فَعَنْ تَقَالَ
يقول : أَظْهَرَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ نَفْسِهَا ارْتِحَالًا عَنِّي لَتَجْلِبَ عَلَى حُزْنًا وَغَمًّا ،
وَنَادَتْ بِالْفِرَاقِ وَكَثَّرَتْهُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ . ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِ الْإِخْبَارِ عَنْهَا وَأَقْبَلَ
عَلَيْهَا يَخَاطِبُهَا فَقَالَ : لَا بِكَ مَا أَبَالِي . وَهَذِهِ الْيَمِينُ فِيهَا تَهْكُمُ وَسُخْرِيَّةٌ ، لِأَنَّ مَنْ

(١) هَذِهِ مِنْ ل .

(٢) الْبَيْتُ لِحُرَيْرٍ ، فِي دِيْوَانِهِ ٧٩ ؛ وَمُقَابِيصُ الثَّغَةِ (عَق) وَاللَّسَانُ (هِيَه) . وَرَوَايَةُ
الدِّيَّانِ « فَأَيَّاهُ أَيَّاهُ . . . وَأَيَّاهُ » . وَتَوَاصَلَهُ ، بِالنَّاءِ كَذَا جَاءَتْ أَيْضًا فِي رَوَايَةِ
الدِّيَّانِ ، وَفِي الْمُقَابِيصِ : « تَوَاصَلَهُ » بِالنُّونِ ، وَفِي اللَّسَانِ : « نَحَاوَلَهُ » .

(٣) ابْنُ جَنَى : « يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَحْقِيرُ غَاوِيَةٍ ، وَيَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَحْقِيرُ غَوِيَةٍ بَعْدَ التَّسْمِيَةِ
بِهَا » . وَفِي مَعْجَمِ الْمَرْزُبَانِيِّ ٣٠٧ - ٣٠٨ : « غَوِيَةٌ ، وَيُقَالُ غَوِيَةٌ بَيْنَيْنِ مَعْجَمَةٌ ، وَهُوَ غَوِيَةٌ
ابْنُ سُلَيمٍ بْنِ رَبيعَةَ بْنِ زُبَانَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ الضُّبِيِّ ، مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ ذُوَيْبٍ ، جَاهِلِيٌّ » .

يُحِلُّ مِنْ قَلْبِهِ امْرَأَةً مُحَلَّلًا لَا يَحْمِلُهَا أَهْلًا لِلْإِقْسَامِ بِهَا . فَقَوْلُكَ لَا بِكَ ، كَقَوْلِكَ لَا بِاللَّهِ . وَمَا أَبَالِي جَوَابُ الْقَسَمِ . وَقِيلَ : أَرَادَ لَا بِكَ أَبَالِي ، أَيْ لَا أَبَالِي بِكَ ، وَيَكُونُ مَا صِلَتْهُ ، وَلَا قَسَمَ فِي هَذَا الْكَلَامِ عَلَى هَذَا . وَرَوَى «فَأَبَاكَ مَا أَبَالِي» فَيَكُونُ دَعَاءً عَلَيْهَا . وَمَعْنَى آبَاكَ : أَبْنَدَكَ اللَّهُ ، وَالشَّاهِدُ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ :

وَحَيَّرْتَنِي يَا قَلْبُ أَنْتَ ذُو نَهْيٍ بَلَيْلَى فَذُقْ مَا كُنْتَ قَبْلُ تَقُولُ^(١)
فَأَبَاكَ هَلَّا وَاللَّيَالِي بِفِرَّةٍ تُلِمُّ فِي الْأَيَّامِ عَنْكَ غُفُولُ^(٢)

فَإِذَا رَوَيْتَ لَا بِكَ فَالْبَيْتُ عَلَى كَلَامَيْنِ ، لِأَنَّ لَا بِكَ يَنْفَصِلُ عَمَّا قَبْلَهُ ، وَيَصِيرُ مَا أَبَالِي مُتَّصِلًا بِهِ لِأَنَّهُ جَوَابُهُ . وَإِذَا رَوَيْتَ «آبَاكَ» فَالْكَلَامُ عَلَى فُصُولٍ ثَلَاثَةٍ . فَالْفَصْلُ الْأَوَّلُ أَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تُدْخِلَ عَلَيْهِ جَزْعًا بِالْفِرَاقِ ، فَكَأَنَّهُ أَقْبَلَ قُبْلَهَا^(٣) وَدَعَا عَلَيْهَا ، وَيَكُونُ الدَّعَاءُ حَشْوًا حَسَنًا ، وَمَا أَبَالِي كَلَامًا آخِرًا ، وَيَنْفَصِلُ مَا أَبَالِي عَنِ الدَّعَاءِ وَعَنِ الْأَوَّلِ .

وَقَوْلُهُ «فَسِيرِي مَا بَدَا لَكَ أَوْ أَقِمِي» اسْتَهَانَ بِهَا وَبِفِرَاقِهَا ، فَحَيَّرَهَا بَيْنَ السَّيْرِ مَا بَدَا لَهَا وَأَرَادَتْهُ ، وَبَيْنَ الْإِقَامَةِ ، ثُمَّ قَالَ : فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ اخْتَرْتِ فَقَنْ تَقَالِي لِي إِيَّاهُ . وَإِنَّمَا قَالَ تَقَالِي وَلَمْ يَقُلْ قَلِي ، لِأَنَّ فِي التَّقَالِي زِيَادَةً مَعْنَى ، وَهُوَ أَنْ يَحْدُثَ الْفِعْلُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَدَاعَى الْبِنَاءُ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَقَوْلُهُ «فَأَيَّا مَا أَتَيْتِ» أَيَّا انْتَصَبَ بِأَتَيْتِ ، وَمَا صِلَتْهُ ، وَمِنْ شَرَطِ أَيْ أَنْ يَحْيَى مَضَافًا ،

(١) فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ : «أَنْتَ ذُو عَرَى» .

(٢) فِي مَقَايِيسِ الْلُغَةِ (أَدَب) : «تَزُورُ» بَدَلُ «تَلِمُ» . وَفِيهِ أَيْضًا : «شَغُولُ» . وَأَنْشَدَهُ فِي السَّانِ وَأَسَاسِ الْبَلَاغَةِ (أَدَب) بِرَوَايَةِ «غُفُولُ» ، وَنَسَبَ فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ .

(٣) الْقَبْلُ ، بِالضَّمِّ : الْوَجْهَ . الْجَوْهَرِيُّ : «وَقَوْلُهُمْ إِذَا أَقْبَلَ قَبْلَكَ ، أَيْ أَقْصَدَ قَصْدَكَ وَأَتَوْجِهَ نَحْوَكَ» .

فأفرده هنا لما كان المضاف إليه معلوماً . على ذلك قوله تعالى : ﴿ أَيُّهَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَلَمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ . ألا ترى أن المعنى أي الأسماء تدعوا . ولما كان السير منها أحب إليه علقه بما وسع أمده فقال : ما بدا لك ، ولم يشترط في الإقامة شيئاً . وقوله « فعن تقال » ، عن تقتضي فعلاً مضمرأ ، كأنه قال : أي الأمرين أتيت أتيت عن تقال منى ، لحذف الثاني ، لأن الأول يدل عليه . وحذف منى أيضاً لأن في الكلام عليه دليلاً . وما بدا لك في موضع الظرف . وبدا هذا من البدؤ : الظهور ، وليس من البداء : التحول ، لأن المعنى سيرى مدة ظهور السير في رأيك . ففاعل بدا السير ، ودل عليه سيرى لأن الفعل يدل على مصدره كما أن المصدر يدل على فعله .

٣ - فكيف ترؤغني امرأة بيني حياتي بعمد فارس ذي طلال^(١)

٤ - وعمد أبي ربيعة عبد عمرو ومسعود وبمسعود أبي هلال

٥ - أصابهم حميد بن المنايا فدى عمي لمصباحهم وخالي

٦ - أولئك لو جزعتم لم لكانوا أعرز على من أهلي ومالي

أخذ يتمجب من نفسه ومن يظن به أنه يقف موقف من يفزعه امرأة بفراق ، فقال : كيف يكون ذلك مدة حياتي بعد أن أفجعت بفارس هذا القرس . وذو طلال كان اسم فرسه ، و « حياتي » انتصب على الظرف ، أي مدة حياتي ؛ لأنه حذف اسم الزمان معه . ثم عد بعد ذكر هذا الفارس من فجع به من عشيرته حالاً بعد حال ، ووقتاً بعد وقت ، ذكر أبا ربيعة ومسعوداً وأبا هلال ، وهؤلاء كانوا حاة العشيرة وفرسان الكتيبة ، فهذا خصهم

(١) ل والتبريزي : « وكيف » .

بالذكر وشهر نفسه بالتوُّجُّع لهم . ولو كانوا على غير هذه الصِّفة لما استحسن .
لنفسه الاعتداد بهم في الحالة التي ذكرها .

وقوله « أصابتهم حميد بن الناي » حميد بن انتصب على الحال ، يريد أن
أيامهم سَلِمَتْ من شوبِ العار ، وقباحة الذكر ، وأنهم أُصِيبُوا وهم مشكورون
محمودون بلسان القريب والبعيد ، والأجنبي والنسيب . وقوله « فِدَى عَمَى
لُصْبِحِهِمْ وَخَالِي » كلامٌ منقطع مما قبله ، وهو كالاتفات . كأنه أقبلَ على مخاطَبِ
فقال : أفدى مُسَاهِمُهم ومُصْبِحُهُمْ بأطرافِ العمومة والخوالة . وذكر المُصْبِحِ
وكانَ المُتَسَمَّى معه منوئى ، لأنَّ طرفي النَّهار مذكوران في الفارة والضِّيافة
وما يشبههما من الإساءة والإحسان . وقيل للمسى يتصل بأول حد الليل ،
وذلك المُصْبِحُ يبتدئ من أول حدِّ النَّهار . وقيل إنَّ المسى يستحقُّه الوقت
إلى أن ينقضى شطر من الليل ، وكذلك المصبح يستحقُّ إلى أن ينقضى شطرُ
من النهار . والقرض في التَّفدية التي تبرَّع بها هو إظهار اليأس والتنفُّج في
إنز أوقاتهم وأفعالهم فيها .

وقوله « أولئك لو جَزَعْتُ لهم لكانوا » إقراراً بأنه لم يوفَّ الجزعَ فيهم حقَّه ،
ولو وُفِّي لكان ذلك يُوجِبُ عليه الزَّهْدَ في العشيِّرة والأهل والمال ، وسائرِ
ما يطيب العيشُ به وله . فالشرط الذي ذكره ليس هو شرطاً فيما يوجبهُ التَّوَجُّعُ
في كونهم عزيزاً ، لأنَّهم أعزَّاء عليه في كلِّ حال ، وإنَّما هو شرطٌ فيما يوجبهُ
التَّوَجُّعُ للمتوفَّى لو تُكَلِّفَ على وجهه وكنَّهه ، لكانه قال : لو أُعْطِيتُ الجزعَ
حُكْمُهُ لكان حالي حينئذٍ بخلاف حالي السَّاعة ، ولَكانَ لى عذرٌ في ذلك ،
لأنَّهم أعزَّاء على من أهلى ومالى ، لكننى تركتُ ذلك اقتداءً بالناس في جَزَعِهِمْ
لُصْبَابِهِمْ . فذكر السبب في أن ما يُظْهَرُ منه ليس بمُدَّةٍ شيئاً مُغْنِياً مع

ما يستحقونه^(١) . وهم يكتفون بذكر السبب عن السبب وبذكر السبب عن السبب كثيرا .

٣٥١

وقال قراد بن غوية^(٢) :

١- أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَقُولْنَ مُخَارِقٌ إِذَا جَاوَبَ الْهَامَ الْمَصِيحَ هَامَتِي^(٣)
 ٢- وَدَلَّيْتُ فِي زَوْزَاءٍ يُسْنِي تَرَابَهَا عَلَى طَوِيلَا فِي قَرَاهَا إِقَامَتِي
 تقدّم القول في ليت شعري وأن خبر ليت يمحذف أبدا كما يحذف خبر
 المبتدأ بعد لولا ، وأن شعري بمعنى على ، ويصير ما بعده سادّا مسدّ مفعوليه
 كما يسدّ جواب لولا مسدّ خبر المبتدأ بعده . وإنّما تمّ أن يعلم موقع مُصَابِهِ
 من مخارق على حسن تربيته له ، وحميد تعطّفه عليه ، وميله مدّة عيشه إليه .
 وكيف يتجزع له ويقلّق لفراقه إذا حدّث به قضاء الله ودخل في جُملَةِ الأموات ،
 وجاوب صداه أصداءهم . وهذا على عادتهم فيما كانوا يقولونه من أن عظام الموتى
 تصير أصداء وهامّا ؛ حتّى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا عَدُوَى وَلَا هَامَةٌ
 وَلَا صَفَرٌ » . ويقال صاح يصيح ، فإذا أريد المبالغة قالوا صَيِّحٌ . ويقال :
 سمعت الصّيحة في الغارة وما أشبهها ، وسمعت الصّائحة ، في صّيحة المناحة . وقوله
 « مَا يَقُولْنَ مُخَارِقٌ » أدخل الثّون الخفيفة لتؤدّن بالاستقبال ، وموضع الثّونين

(١) ابن جنّي في التنبيه : « هم على كل حال أعز عليه من أهله وماله ، فواجه هذا الشرط ، ومن صفة الشرط أن يكون ما يتسلط عليه ؟ والجواب أنه ذكر السبب فاكثف به من المسبب ، فكأنه قال ، لو جزعت لهم لكننت معنوراً في ذلك لأنهم أعز على من أهلى ومالى » .

(٢) سبقتم ترجمة أبيه في الحماسية السابقة .

(٣) التبريزي : « ويروى : المصيح ، بالباء » .

الخفيفة والثقيلة الاستفهام وكل ما ليس بواجب ، وإذا ظرف ليقولن ، وجواب جملة مضاف إليها وشرح إذا بها .

وقوله « ودُلِّيتُ في زَوْرَاءِ يُسْنَى تَرَابُهَا » أى أَدْخِلْتُ فَأَرْسَلْتُ في حُفْرَةٍ معوجة ، بمعنى اللحد ، وقوله « يسنى تَرَابُهَا عَلَى » أى يَهَالُ تَرَابُهَا عَلَيْهِ إذا دَفِنَ فيها . وقد مضى القول في السافياء والسوافي ^(١) ، إلا أنه يقال سَفَتَ الرِّيحُ التُّرَابَ سَفْيًا ، ثم قالوا : سَفَى التُّرَابُ يُسْنَى ، والتُّرَابُ سَافٍ ، وهو من باب قَعَلَ وفَعَلْتُهُ . وقال بعضهم : كان يجب أن يقال في التُّرَابِ مَسْنَى فَعِيلٌ سَافٍ ، كقولهم عيشة راضية وإنما هي مرضية . وقال الخليل : السَّفَا : اسمٌ ما تَسْفِيهِ الرِّيحُ من التُّرَابِ وغيره . وطويلا : انتَصَبَ على الحال ، والعامل فيه دُلِّيتُ ، وإقامتى في موضع الرفع على أنه فاعل طويلا . والمقبور هكذا مُقَامُهُ في التُّرى . وهذا اقتصاصٌ حاله عند ما تمتى معرفته من جهة مخارجٍ إذا حصلت له من التلُّف والتوَجُّع . ثم استمر في ذكر الحال فقال :

٣ - وقالوا ألا لا يَمْدَنَ إِيَّاهُ وَصَوْلَتُهُ إِذَا الْقُرُومُ تَسَامَتِ

٤ - وما البعدُ إلا أن يكون مُغَيِّيًا عَنِ النَّاسِ مَنِّي نَجْدَتِي وَقَسَامَتِي ^(٢)

يريد : وقال الناس مكبرا ^(٣) ما يقع بي ، ومظهرا الفجعة لى : لا يبعدن إِيَّاهُ وَصَوْلَتُهُ ، بمعنى كَبُرَ وَحَمِيَّتُهُ ، وبأسه وبطشه ، إذا حَصَلَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، فتدافعت فُحُولَةُ الرِّجَالِ ، وتزاحمت أركانهم في القتال أو الجدال . وقد تقدم

(١) انظر ما مضى في ص ٩٨٦ .

(٢) ل : « وبسالى » وفي هامشها : « ويروى وقسامتى » . التبريزى : « وقسامتى » .

ثم قال : « ويروى : وبسالى » .

(٣) كذا في النسختين .

القول في لا يَبْعَدَنَّ وما أشبهه^(١). والقُرْم : جمع القَروم ، وهو الفَعْلُ أَقْرِمَ ،
أى تَرَكَّ حَتَّى اسْتَقْرَمَ ، وهو المَكْرَم لا يُحْمَلُ عليه شيء ، وإنما يُتْرَكُ للفِعْلة .
ويقال قَرَمَ ومُقْرَمٌ . على ذلك قوله :

إذا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدٌّ نَابِهٍ تَخَمَّطَ فِينَا نَابٌ آخَرُ مُقْرَمٍ^(٢)

ومعنى تسامت تبارت في السمو ذكرأ وحالا .

وقوله « وما البُعد إلا أن يكون مغيباً » يقول : إن الانتفاع بهذا القول
إعظماً للرزء ليس يقع ، لأنَّ البُعد كل البُعد في الموت ، الذى يتغيبُ به عن
الناس ما شملهم من معونتي ومفوتى ، وإحسانى وإفضالى ، ويقال رجل
نَجِدٌ^(٣) ، وهو ظاهر النجدة . ورجل قَسِيمٌ وسِيمٌ : ظاهر القَسامة والوسامة . كأنه
أراد بالقَسامة ما قُسِمَ فى الخلق من طوله . وكذلك قولهم : رجل مقسَّم الوجه ،
يرجع إلى هذا ، لأنَّ المعنى ما قُسِمَ فى أعضائه من الحسن ، فكلُّ عضوٍ يَمُتُ
بِمِثْلِ مائَةٍ صاحبه . والقَسامة : الجماعة يشهدون على الشيء ويقسمون مع الشهادة .

٥- أَيْبِكِي كَالوَمَاتِ قَبْلِي بِكَيْتِهِ وَيَشْكُرُنِي بِذَلِي لَهُ وَكَرَامَتِي^(٤)

٦- وَكَتُّ لَهُ عَمَّا لَطِيفًا وَوَالِدًا رَوْوفاً وَأُمًّا مَهْدَتْ فَأَنَامَتِ

(١) انظر ما مضى فى ص ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

(٢) لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٧ واللسان والمقاييس (قَرَم ، ذَرَا) وكذا اللسان .

(خط) .

(٣) بالفتح ، وبفتح فضم ، وبفتح فكسر ، ثلاث لغات .

(٤) رواه ابن جنى فى التنبية : « ويشكرنى » ، وقال : « يجوز أن يكون أراد : على
بذلى ، فعطف حرف الجر فنصبه بالفعل قبله ، على ما تقدم . ويجوز أن يكون بذلى بدلا من
ضمير المتكلم ، أى يشكر بذلى . وإنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير مخاطب إذا كان بدلا
البحض أو بدل الاشتمال ، نحو عجبت منك عقلك ، وضررتك رأسك . ومن أبيات الكتاب :
ذرىنى إن أمرك أن يطاعا وما ألفتينى حلمى مضاعا .

قوله «أيبي» هو بيان ما نمتى معرفته من أحوال مُخَارِقٍ عند مفارقتِهِ له ، فقال : ليتني علمتُ هل يوفِّي الجزعَ حقَّه ، كما لو أصبتُ به كنتُ أوفيه ، ويرثني لي بمثل ما كنتُ أرثيه ؛ وهل يشكر آلائي لَدَيْهِ ، وإقبالِي عليه ، وإحسانِي إليه مدة حياتي أم لا . لحذف لأن المراد مفهومٌ ، أنه يريد أياكون ذلك أم لا . وعلى ذلك قول القائل : ليتني علمتُ أزيدُ في الدار — إذا سكتَ عليه ، فلا بد من أن تريد أم لا .

وقوله «وكنْتَ له عَمَّا لطيفا» ، أي كنتُ جَمَعْتُ له مدَّةَ عمري وما اطرد في نفسي ، بين حَذَبِ الآباء وشَفَقَتِهِمْ ، ولُطْفِ العمومة وتوفُّرهم ، وتفقدُ الأمهات وإشبالهن^(١) . والمعنى : كنتُ أُنْقَلُ له في الأحوال بين ما يأتيه العمُّ في وقتِ لُطفِهِ أو يأتيه الوالد وقتَ رَأْفَتِهِ ، أو الأمُّ وقتَ تَرْبِيَتِهَا ولُطْفِهَا . وقد سارت هذه اللفظة ، وهي «أُمٌّ مَهَّدَتْ فَأَنَامَتْ» مثلاً فيما يُنْشَر من إحسان الغير إلى الغير . ويقال : ما امتَهَدَ فلانٌ عندِي مَهْدَ ذلك ، أي ما وَطَّدَ لنفسه . وقد أخرج في مِعْرَضٍ آخَرَ فقيلاً :

* كَمَا مَهَّدَتْ لِلْبَغْلِ حَسَنَاءُ عَاقِرٌ^(٢) *

وروى بعضهم : «وَيَشْكُرُنِي بَذْلِي لَهُ وَكَرَامَتِي» على أن يكون بَذْلِي بدلاً من المضمَر في يَشْكُرُنِي .

(١) الإشبال : التعطف والمعوذة .

(٢) البيت لدريد بن الصمة ، كما في الحيوان (٧ : ٣٧ - ٣٨) أو معقر بن حمار

لبارق ، كما في الأغاني (١٠ : ٤٥) والمزهر (٢ : ٣٤٨) . ومصدره :

* لها نافعٌ في الوكر قد مهدت له *

٣٥٢

وقال مسجاح بن سباع^(١) :

- ١ - لَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى بَلَيْتُ وَقَدْ أَتَى لِي لَوْ أُبِيدُ
- ٢ - وَأَفْنَانِي وَلَا يَفْنَى نَهَارٌ وَلَيْلٌ كُلُّمَا يَمْضِي يَعُودُ
- ٣ - وَشَهْرٌ مُسْتَهْلٌ بَعْدَ شَهْرٍ وَحَوْلٌ بَعْدَهُ حَوْلٌ جَدِيدُ
- ٤ - وَمَفْقُودٌ عَزِيزُ الْفَقْدِ تَأْتِي مَنِيتُهُ وَمَأْمُولٌ وَلِيْدُ

يقول : جُلْتُ في نواحي الأرض شرقها وغربها ، عافياً وطالِباً بما يَطْلُبُ به مثلي المالَ والجاء ، والعزَّ والفخر ، إلى أن مَسَّيَ السَّكْبَرُ ، وتسلَّطَ على البليِّ والهرم ، وضَعَفَ الأملُ في البقاء بحسب قُوَّةِ الخوفِ من الفناء ، فقد آن لي أن ألحقَ السابقين إن قَدَّرَ لي ذلك . وقوله « أُنِي لِي » يقال أُنِي وآن بمعنى ، وفاعله ما دلَّ عليه لو أُبِيدُ ، والمعنى أُنِي لِي الْيُودُ إن كَتَبَ وَقُضِيَ عَلَيَّ .

وقوله « وَأَفْنَانِي وَلَا يَفْنَى نَهَارٌ » جَمَعَ بين فِعْلَيْنِ ، على قوله نهار ، لَكِنَّهُ أَعْمَلَ الثَّانِي ، وهو المختار . والمراد : أثر في قَوَائِمِ مَضِيِّ نَهَارٍ لَا يَتَقَضَّى ، وتجددُ لَيْلٍ لَا يَتَهَرَّمُ ، بل كلما يَمْضِي واحدٌ عادَ بَدَلُهُ آخَرُ ، وكذلك أَفْنَانِي ، أَي أَفْنَى جِدَّتِي وَغَنَائِي ، شهر ينسلخ بعد استهلاله ، إلى وقت استكمالهِ ، وَسَنَةٌ يُتَبَعُهَا مِثْلُهَا ، فلا يُمرَفُ قضاؤها . ثمَّ ما يلحقني في أثناء تلك اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَالسَّنِينَ

(١) المرزباني في معجمه ٤٦٩ : « المسجاح - ويقال المسحاج - بن سباع بن خالد ابن الحارث بن قيس بن نصر بن عائدة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة . جاهلي » . وأُنشد له هذه الأبيات . وذكره السجستاني في المعمرين ٧٦ وأنه عاش حتى هرم ومل الحياة . وأُنشد له أيضاً هذه الأبيات ، ولكنه أسقط اسم أبيه « سباع » وزاد « ذهل » بين « عائدة » و « مالك » . وفي الاشتقاق ١٢١ : « ومنهم مسحاج بن سباع ، كان من المعمرين . ومسحاج مفعول من السحج ، والسحج : قشر الشئ » .

والأعوام ، مِنْ فَقْدٍ مِنْ أَعْتَمَدِهِ لِيَوْمِي وَعَدِي ، وَخِلَافَتِي بَعْدَ مَوْتِي وَأَسْتَكْفِلُهُ
وَلَدِي ، وَأَسْتَرْعِيهِ هَمَلِي . هَذَا مَعَ كَالِهِ فِي فَضْلِهِ ، وَبَرَاعَتِهِ وَطَوْلِهِ ، وَالْإِشَادَةِ
بِالتَّنْوِيهِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالتَّبَرُّيزِ مِنْ كُلِّ فَاضِلٍ . وَمِنْ
وِلَادَةِ طِفْلٍ يَمْلِكُ الرِّجَاءَ بِنَشْئِهِ ، وَتُجْمَعُ أَسْبَابُ الطَّعْمِ فِي حَيَاتِهِ ، وَيُسْفَلُ
الْوَقْتُ بِتَرْيُّقَتِهِ وَالتَّرْفُوفِ عَلَيْهِ عِوَضًا مِمَّا كَانَ لَهُ مِنْ كَاسِبِهِ وَكَافِلِهِ ، وَرَحْمَةِ
لِبْقَائِهِ بَعْدَ مَنْ كَانَ يَعْزُّهُ عَلَيْهِ ، وَعَقِبَ مَنْ هَيَّئَ فِيهِ فَلَمْ يَهْتَأُ .

وَإِذَا تَأَمَّلَ النَّاضِرُ مَا اقْتَصَصَهُ هَذَا الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَلَى قَلَنِّهَا ، مِنْ
امْتِحَانِهِ بِالْكِبَرَةِ وَالسَّنِّ ، وَتَرَاوُجِ الْقُوَّةِ بِمَا خِذَ الدَّهْرُ ، وَمَعَ التَّجَوُّلِ فِي
الْبُلْدَانِ ، وَمُقَاسَاةِ الشَّقَاءِ فِي الْحُلِّ وَالتَّرْحَالِ ، وَالتَّنَقُّلِ فِي الْأَحْوَالِ ، ثُمَّ سُورِ
الْأَبْيَامِ وَكُرُورِهَا بِمَا لَا يَسُرُّ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ رَفَعَ الطَّعْمَ عَمَّا كَانَ تَجْمَعُهُ يَدُهُ
وَنَفَضَ الْيَدَ مِمَّا كَانَ يَشُدُّهُ قَبْضُهُ ، ثُمَّ الْمَصَابِ فِي الْكَامِلِ الْبَارِعِ ، وَتَعْلِيْقِ
الرِّجَاءِ بِالطِّفْلِ الدَّارِجِ — وَجَدَّ عَيْشَهُ عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا وَصَفَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ :

أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا اللَّطَّلُ الْبَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي
وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ أَقْرَبُ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا أَوْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ (١)
وَهَلْ يَنْعَمَنَّ إِلَّا خَلَى مُحَمَّدٌ قَلِيلُ الْهُمُومِ مَا بَيْتُ بَأَوْجَالِ
فَتَأَمَّلْهَا فَإِنَّهَا عَجِيبَةٌ .

(١) رَوَايَةُ دِيوَانَ امْرِئِ الْقَيْسِ ٥٠ : « فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ » .

[خاتمة الجزء في نسخة الأصل]

تم الجزء الأول من شرح الاختيار للنسوب إلى أبي تمام الطائي ،
المعروف بكتاب الحماسة .

يتلوه في الجزء الثاني إن شاء الله تعالى : « وقال حران^(١) بن عمرو بن
عبد مناة يرثي زيد الفوارس وغيره من أبناء عمه :

تبكى على بكر شربت به سفها تبكيها على بكر
هلاً على زيد الفوارس زيد اللات أو هلاً على عمرو
تبكين لرقأت دموعك أو هلاً على سلفي بني نصر^(٢) »

(١) كذا في الأصل . وانظر ما سيأتي في تحقيقه .

(٢) في نهاية هذا الجزء من نسخة الأصل هذا النص :

قد وقف هذا الكتاب الجليل والأثر الجميل ، .والدة السلطان الأعظم ، والخاقان المفتح ،
السلطان عبد المجيد خان أدام الله أيام وعمر دولته إلى آخر الدوران . أعنى بها حضرت بزم عالم
سلطان ، عليّة الشان ، جعل الله سمي الواقعة مشكوراً ، وجزاءها جزاء موفوراً ، لسنة ست
وستين ومائتين وألف ١٢٦٦ .

المجلة
غفر الله له ولوالديه

شرح ديوان الحماسة

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي

تأليف

عبد السلام هارون

أحمد أمين

المجلد الثاني

دار الجيل

بيروت

المجلة
غفر الله له ولوالديه

المسيح رفع الحمل
غفر الله له ولوالديه

كلية آداب - بنين

شرح ديوان الحماسة

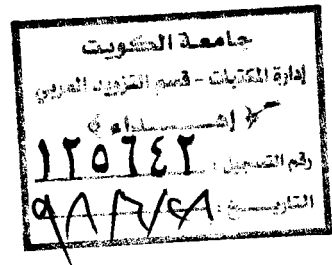
لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢١ -

نشرة

عبد السلام هارون

أحمد أمين



القيم الثالث

دار الحديث
بيروت

المسيح رفع الحمل
غفر الله له ولوالديه

٨١١,٢

جميع الحقوق محفوظة لدار الجليل

الطبعة الأولى

١٤١١م - ١٩٩١م

الجزء الثاني

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي
المعروف بكتاب الحماسة

صنعة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن
المرزوقي الإصفهاني

٤٢١ - ٠٠٠

وقال حَرَّانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ^(١) ،

يرنى زيد الفوارس^(٢) وغيره من أبناء عجمته :

١ - تَبْكِي عَلَى بَكْرِ شَرِبْتُ بِهِ سَفَهَا تَبْكِيهَا عَلَى بَكْرِ

٢ - هَلَّا عَلَى زَيْدِ الْفَوَارِسِ زَيْدِ دِ اللَّاتِ أَوْ هَلَّا عَلَى عَمْرِو

٣ - تَبْكِينَ لَا رَقَاتِ دُمُوعِكَ أَوْ هَلَّا عَلَى سَلَمَى بَنَى نَصْرِ

هذه امرأة ضايقت الشاعر - وهي من بطائه^(٣) - في بكرٍ باعته واشترى بثمنه خمرًا ، فبكت ، فأخذ يذكر حالها ويُفكر بكاءها ، فقال : تبكى هذه المرأة على بكرٍ شربت به ، أى شربت خمرًا سبأتُ بشفه . ويروى « شَرِبْتُ بِهِ » ، ويكون أظهر .

ثم قال ، بعد أن أخبر عنها بما أخبر ، كالتأقت إلى إنسان بحضرته : سَفَهَا تَبْكِيهَا عَلَى بَكْرِ . فانتصب سَفَهَا على المصدر ، وهو المفعول له . وتَبْكِيهَا في موضع رفع بالابتداء ، وعلى بكرٍ في موضع الخبر ، أى لسفها فعلت ذلك ، لأنه لم يبلغ

(١) كذا ورد اسمه في النسختين . وفي المصحح ٤٦ والتبريزي : « حزاز بن عمرو ، أخو بني عبد مناة » . وقال ابن جني : « حزاز : جمع حزازة ، وهي هبرة الرأس ، وهو ما ينتثر منه كالنخالة إذا سرحته » . ويبدو أنه شاعر جاهل .

(٢) سبق ترجمته في الحماسة ١٨٠ ص ٥٥٧ .

(٣) جمع بطاة . وفي ل : « بطائه » .

من قدر بَكْرٍ ما تكلفته . ولو روى : سَفَهُ تَبَكَّيْهَا على بكرٍ ، فجُمِلَ التَّبَكَّى هو السَفَهُ لم يمتنع ، وكان خبراً مقدّماً ، وعلى بكرٍ يكون لغوا .

وقوله « هَلَّا على زيد الفوارس » إلى آخر البيت ، هَلَّا حرف تحضيض وهو يطلب الفعل ، وذلك الفعل هو تبكين . يخاطبها ، أى هَلَّا تبكين على هؤلاء الجبال التي انهدت ، والبحور التي غاضت بزيد الفوارس أو عمرو . ثم دعا عليها فقال : لا أرقأ الله دمعك ، أم هَلَّا تبكين على سَلَفَى بنى نصر . وإِنَّمَا ثَنَّى السَّلَفَ لأنه أراد العمومة والخُلُوءة .

٤ - خَلَّوْا عَلَى الدَّهْرِ بِمَدَّهِمْ فَبَقِيَتْ كَالْمَنْصُوبِ لِلدَّهْرِ

٥ - إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ إِذَا هَزَّ الْمُخَالِيعُ أَقْدَحَ الْيَسْرِ^(١)

٦ - أَهْلُ الْخُلُومِ إِذَا الْخُلُومُ هَفَّتْ وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ وَالْأَسْكَرُ

يقول : مضوا لسبيلهم ، وانتقلوا إلى جوارٍ مَنْ هو أملكُ بهم ، وتركوا أعباء الدهر على ظهري ، فهي تثقل على وتعرضني لنوائبه وأحداثه ، فإنا كالغرض المنصوب له ، ليس لي من يتحمّل عني ، ولا من يوازرني أو يشدّ أزرى . ومعنى « خَلَّوْا عَلَى الدَّهْرِ » أى صرتُ فريسةً للدهر ، فكأنهم هم الذين أغروهم بي لما ذهبوا عني وأفردوني . وهذه اللفظة تُستعمل في إغراء الجوارح على الصيد .

وقوله « إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَا أَوْلَاكَ » إلى آخر البيت ، يريد : المصيبة كل المصيبة هم أولاك إذا اشتدّ الزّمان وأشدّت الناس ، واحتيج إلى مجاميع الأيسار ، لإصلاح أمر الفقراء والأيتام ، فلم يوجد من يرجع إليه أو يعتمد على إفضاله وتفقيهه . وقوله « مَا أَوْلَاكَ » ماصلة . ومعنى هَزَّ أَجَالَ . والمخَالِيعُ : المقامر .

(١) التبريزي : « هر » بالراء المهملة . وقال : « ورواية من روى هر بالراء أجود من رواية من روى : هز ، لأنها أبلغ في الملح » .

والخالمة : القمار . وقيل إنما سُمِّيَ مَخَالِمًا لأنه هو المولع باليسر ، فهو الذي يَخْلَع مَالًا غيره ويَنْخَلَع هو أيضًا من ماله ، مُنَافَسَةً وَحِرْصًا عَلَى الْمَيْسِرِ وَاكْتِسَابِ الْحَدِيثِ فِيهِ وَلَهُ . وقوله « إِذَا هَزَّ » هو ظرف لما دَلَّ عَلَيْهِ « مَا أَوْلَاكَ » . يريد أن الرَزِيْثَةَ افْتَقَارُ النَّاسِ إِلَى أَوْلَئِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ فَلَا يُنَالُونَ . وقوله « أَهْلُ الْحُلُومِ إِذَا الْحُلُومُ هَمَّتْ » يَصِفُهُمْ بِالرَّزَانَةِ فَيَقُولُ : إِذَا دَهَمَ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَهَفُّو فِيهِ الْعُقُولُ وَتَزَلَّ فِيهِ الْأَقْدَامُ ، فَهُوَ لَا لِأَصَالَةِ آرَائِهِمْ يَثْبُتُونَ عِنْدَ الْمَزَاوِلَةِ ، وَيُدَاوُونَ الْأُمُورَ بِدَوَائِهَا مِنْ غَيْرِ طَيْشٍ وَلَا سَفْوٍ ، وَلَا تَجَاوُزَ حَدٍّ وَعَفَتْ . وقوله « وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ » أَرَادَ : وَهُمْ أَهْلُ الْعُرْفِ وَالثُّكْرِ فِي الْأَقْوَامِ . يَعْنِي أَنَّهُمْ يُنْزِلُونَ الْأَقْوَامَ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْمُوَالَاةِ وَالْمُدَاجَاةِ ، فَنَدَاجَى كَانَ لَهُ الثُّكْرُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ وَآلَى كَانَ لَهُ الْعُرْفُ .

٣٥٤

وقال زويفر^(١) بن الحارث بن ضرار :

٢ - أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مُؤْتِرًا أَنَانِي صَرِيحُ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَ^(٢)
 يَرَوِي « صَرِيحُ الْمَوْتِ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ « لَوْ أَنَّهُ قَبِلَ » بِالْبَاءِ . وَمَعْنَى أَلَمْ تَرَ : أَعْلَمَ ذَلِكَ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَتَلْنَا رَبُّكَ بِأَفْحَابِ الْغَيْلِ » . وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرَ ذَلِكَ . فَيَقُولُ : أَعْلَمَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ هَذَا الرَّجُلَ وَرَدَّ عَلَيَّ مَا يَجْرِي تَجْرِي الْمَوْتِ الصَّرِيحِ الْخَالِصِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَنِي وَأَتَى عَلَيَّ ، وَلَكِنَّ الْقَدَرَ ثَبَّتَ قَدَمِي فِي الْأَحْيَاءِ ، فَلَمْ يُخَلِّئْ لِلْمَوْتِ . وَمَنْ رَوَى « صَرِيحُ » بِالْخَاءِ وَ « قَبِلَ » بِالْبَاءِ فَالمراد : أَنَانِي دَاعِي الْمَوْتِ . وَالصَّرِيحُ يَكُونُ الْمُسْتَفْعِيَّ

(١) التبريزي : « زويهر » .

(٢) صريح ، كتبت في الأصل لتقرأ بالمهملة والمعجمة ، مقرونة بكلمة « ما » .

وَالْفَيْثُ جَمِيعًا ، وَلِلرَّادِ أَتَانِي دَاعِي الْمَوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَبِلَنِي لَكُنْتُ لَا أَمْتَعُ . مِنْ
إِجَابَتِهِ لَمَّا اسْتَدْعَى ، وَإِغَائِثِهِ لَمَّا اسْتَغَاثَ ، لَكِنَّهُ لَمَّا بَقَانِي وَلَمْ يَأْخُذْنِي
فَكَانَتْهُ لَمْ يَقْبَلْنِي .

٢- وَكَانَتْ عَلَيْنَا عَرْسُهُ مِثْلَ يَوْمِهِ غَدَاةً غَدَتِ مِنَّا يُقَادُ بِهَا الْجَمَلُ
تَقْدِيرَ الْبَيْتِ إِذَا أُزِيلَ مَا فِيهِ مِنْ هُجْنَةٍ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ : وَكَانَتْ عَلَيْنَا
عَرْسُهُ غَدَاةً غَدَتِ مِنَّا يُقَادُ بِهَا الْجَمَلُ مِثْلَ يَوْمِهِ . وَالْمَعْنَى : كَانَتْ مَفَارِقَةً
عَرْسُهُ لَنَا غَدَاةً انْتَقَالُهَا عَنَّا ، وَقَدْ حُمِلَتْ الْجَمَالُ وَقِيدَ بِهَا ظَهْمِيَّتُهَا مِثْلَ يَوْمِ
فَقْدِهِ ، أَيْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . كَأَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفُوا مِنْ مُقَابَلَةِ أَيَّامِ
عِدَّتِهَا أَنْسَابُهَا ، وَبِيقَاءِ دَارِهَا عَلَى مَا كَانَتْ تُتَعَهَّدُ مِنْ قَبْلِ ، فَلَمَّا رَأَتْ مِنْ
التَّنْقُلِ مَا رَأَتْ ، وَخَلَّتِ الدِّيَارُ مِنْهَا وَمِنْ أَسْبَابِهَا وَتَغَيَّرَتْ ، عَادَتْ الْمَصِيبَةُ عَلَى
أَحْيَائِهَا جَذَعًا ، وَالشَّرُّ مُسْتَفْجِلًا .

٣- وَكَانَ عَمِيدَنَا وَبَيْضَتَهُ بَيْتَنَا فَكُلُّ الَّذِي لَا قِيَّتُ مِنْ بَعْدِهِ جَلَلٌ^(١)
أَيْ كَانَ رَئِيسَنَا وَالْمَصْمُودَ بِالْحَاجَاتِ فِينَا ، وَأَصَلَ بَيْتَنَا وَأَسَاسَ نَحْرِنَا . وَقَدْ
تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَيْضَةِ الْبَلَدِ^(٢) ، وَأَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ . فَمَا بَيْضَةُ الْخَلْدِ
وَبَيْضَةُ الْبَيْتِ فَلَا يَسْتَعْمَلَانِ إِلَّا فِي الْمَدْحِ . وَقَدْ صَبِغَ مِنَ الْبَيْضَةِ هَذَا فَعْلٌ ،
حَكَى ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : يُقَالُ اجْتِاحُومٌ وَابْتِاحُومٌ ، إِذَا اسْتَأْصَلُومَ . وَقَوْلُهُ
« فَكُلُّ الَّذِي لَا قِيَّتُ مِنْ بَعْدِهِ جَلَلٌ » أَيْ صَغِيرٌ هَيْئًا فِي جَنْبِ مَا لَا قِيَّتَ لَهُ
فِيهِ . وَالْجَلَلُ يُسْتَعْمَلُ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِلرَّادِ بَيْضَةُ الْبَلَدِ أَنَّهُ
الْمَعْرُوفُ الْمَوْضِعُ ، الْمَرْجُوعُ^(٣) ، إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَوْجِعٍ ، كَمَا يَرْجِعُ صَاحِبُ الْأُدْحَى إِلَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « الَّذِي حَمَلَتْ » ، صَوَابُهُ فِي لَوَاتِبِ يَزِيدٍ .

(٢) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٥٥٥ ، ٨٠٤ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْمَرْجُوعُ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

أُدْحِيَّةٌ^(١) كيف توجّه في المرعى ، وأنّى انتجع ورعى . والأجود أن يكون المراد به وقد أضيف إلى البيت ، وهو بيت الفخر والعز ، أنه الأصل والجُرثومة ، كما حكى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : « نحن عِترَةُ رسول الله التي خَرَجَ منها ، وبَيَضَتْهُ التي تَفَقَّأت عنه » .

٣٥٥

وقال ابن عنمة الضبي^(٢)

في مقتلِ بِسْطَامَ بنِ قَيْسٍ^(٣) :

١- لَأَمَّ الْأَرْضَ وَيَلُّ مَا أَجَنَّتْ بِحَيْثُ أَضَرَّ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ

يعظم شأن الأرض كيف ترشّحت لستر^(٤) بِسْطَامَ فيها ، ومن أين صارت يتّسع بطنها له ميّتاً وهي تضيق عن أفعاله وذِكْرِهِ حَيّاً . وقال الأصمى في تفسير وَيَلُّ إنه قُبُوحٌ^(٥) . ولك أن تقول « لَأَمَّ » فتنبّيع حركة الهمزة حركة اللام . وارتفع وَيَلُّ بالابتداء وإن كان نكرة ، لأنه عُلِمَ أنه دعاء ، فحصل به مثل فائدة المعارف . ومعنى « لَأَمَّ الْأَرْضَ وَيَلُّ » ثَبَتَ لَأَمَّ الْأَرْضَ وَيَلُّ ، فهو في لفظ ما وقع . وقوله « ما أَجَنَّتْ » ما استفهام ، وموضعه مفعول أَجَنَّتْ . يقول :

(١) هذا ما في ل وهو الأرفق ، وفي الأصل : « أدحيته » ، والأدحى والأدحية والأدحوة ، كلها بمعنى ، وهو مبيض النعام في الرمل .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٨٩ ص ٥٨٢ .

(٣) هو أبو الصهباء بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني . شروح سقط الزند ١٩٧٢ . وقال ابن دريد في الاشتقاق ٢١٥ : « وبسطام اسم فارسي ، وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا » . التبريزي : « قتله عاصم بن خليفة : وكان ابن عنمة مجاوراً في بني شيان ، فخاف على نفسه لما قتل بسطام ، فرثاه يستعمل بذلك بني شيان ، وهو من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة » . وعاصم ابن خليفة ضبي .

(٤) في الأصل : « لسير » ، صوابه دل .

(٥) يقال قبح الله فلاناً قبحاً وقبحاً ، أى أقصاه وباعده .

سَمَرَتْ رَجُلًا وَأَيَّ رَجُلٍ ، أَى سَمَرَتْ جَلِيلًا مِنَ الْأَمْلاكِ رَفِيعَ بِنَاءِ الْعِزِّ ، وَاسِعَ
بَاغِ الْفَخْرِ . وَقَوْلُهُ « بِمَيْتُ أَضَرَ » جَعَلَ حَيْثُ اسْمًا . وَمَعْنَى أَضَرَ : دَنَا .
وَالْحَسَنُ : جَبَلٌ ^(١) . وَالْمَعْنَى بِمَكَانِ أَضَرَ السَّبِيلُ بِالْحَسَنِ فِيهِ ، أَوْ أَضَرَ السَّبِيلُ
بِالْحَسَنِ ، حَتَّى نَكُونَ مِثْلَهُ عَلَى الْمَذْهَبَيْنِ جَمِيعًا .

٢ - نَقَسَمَ مَالَهُ فِينَا وَنَدَعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ

يَقُولُ : نَقَسَمَ فَوَاضِلَ مَا عِنْدَنَا مِنْ غَنَائِمِ غَزَوَاتِهِ وَمَا بَقِيَ وَلَمْ يَقْسِمِ فِينَا
لَوْ قَتَرَ يَخْتَارُهُ لَهُ ، فَبَقِيَ بَعْدَهُ . وَفِي اقْتِسَامِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مَا يَهْتِجُ الْحَمَرَاتُ ،
لَأَوْقَاتِ الْغَارَةِ فِي الْبُكْرَاتِ . ثُمَّ قَالَ « وَنَدَعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ »
يُشِيرُ إِلَى وَقْتِ الْأَضْيَافِ ، وَأَنَّ الْحَيَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَصِيرُ ضَجَّةً وَاحِدَةً ، تَلْهَفًا
فِي إِثْرِ الْفَائِتِ ، وَتَذَكُّرًا لَهُ ، وَتَوَجُّعًا لِمَا فَقَدَ مِنَ الْمُسْتَأْنَفِ مِنْ تِلْكَ الرُّسُومِ
وَاسْتِمْرَارِهَا . وَمَعْنَى نَدَعُوهُ نَنْدُبُهُ وَنَقُولُ : وَابْسِطَا مَاهُ ! وَإِنَّمَا قَالَ « مَالَهُ » لِأَنَّ
مَا اجْتَمَعَ بِسَعْيِهِ وَحَدِّهِ ، وَبَأْسِهِ وَسَطَوْتِهِ ، كَانَ لَهُ . وَمَعْنَى جَنَحَ مَالٌ . وَالْأَصِيلُ
الْعَشِيَّةُ . وَأَبُو الصَّهْبَاءِ : كَفِيَّةٌ بِسِطَامٍ .

٣ - أَجِدُّكَ لَنْ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخُبُّ بِهِ عُدَا فِرَّةٌ ذَمُولٌ ^(٢)

أَلَمْ فِي هَذَا بِقَوْلِ النَّابِغَةِ :

* يَقُولُونَ حِضْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ ^(٣) *

كَأَنَّهُ لَشِدَّةُ الْأَمْرِ عَلَيْهِ يَكْذِبُ الْمَشَاهِدَةَ وَيَدْعُ التَّصْدِيقَ بِهَا فِي الْوَقْتِ

(١) يَاقُوتُ : « الْحَسَنَانِ . . . : كَثِيبَانِ مَعْرُوفَانِ فِي بِلَادِ بَنِي ضَبَّةَ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا
الْحَسَنُ ، وَلِلْآخَرِ الْحَسِينُ » .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « لَا تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ رِوَايَةَ الْمَرْزُوقِ .

(٣) يَرْتَفِعُ حِصْنُ بْنُ حُلَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ ، كَمَا فِي شُرُوحِ سَقَطِ الزَّيْدِ ٨١٣ . وَحِجْرُهُ فِي

: ٢٦٢ ، ٨١٣

بعد الوقت ، إما استعظماً للحال ، وإما لآفة تلاحق العقل ، وضعف يتخلل التحصيل ، فكأنه بعد ما اقتصر من الحال ما اقتصر ، وشرح من الفجع ما شرح عاودته تلك الحالة وعادته ، فأقبل على نفسه يستثبثها وقال : أعلى جدك منك ، وأتجدد جدك ، أنك في مستقبل الأوقات لا تراه متمكناً منه قريباً ، على عادتك في حال الأمن معه ، ولا تراه أيضاً من بعيد في الغزو ونسير به الخلب راحلة قوية خفيفة .

وقد ظهر بما ذكرته فائدة تكرار حرف النفي في كلامه ، لأن لن نقي قول القائل أسيفل كذا زيد؟ فيقول : لن يفعل . فقوله لن تراه نفي الرؤية في حال السلم ، ولن تراه نقي لها في حال الغزو . وتنبه به في موضع الحال .

٤ - حَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَمَرْجٌ تَعَارِضُهَا مُرِيَّةٌ دَوُولٌ^(١)

٥ - إِلَى مِيعَادٍ أَرَعَنَ مُكْفَهَرٌ تَضَمَّنَ فِي جَوَانِبِهَا الْخِيُولُ^(٢)

يقول : تخبُّ به ناقة بهذه الصفة وقد شُدَّ في الحقيبة التي ارتدَّها درعٌ قدَّرُ كما يستر البدن ، ومَرْجٌ لِمَا جُنِبَ معه من فرسٍ تعارض هذه الناقة في السير ؛ وهي لزمها وكرمها على ربِّها^(٣) ، رُبَّتْ في البيوت ولم تُتْرَكْ هَمَلًا ، وسيرها الذميل . ويقال رَبَّبْتُه ورَبَّبْتُهُ بالتشديد بمعنى . والدالان : ضرب من السير . والاحتقاب : شدُّ الحقيبة من خلف ، وكذلك الاستحقاب .

وقوله : « إِلَى مِيعَادٍ أَرَعَنَ » يعني به جيشاً كأنه رَعَنُ جَبَلٍ . وقيل : جيشٌ

(١) في النسختين : « دَوُول » بنقطة فوق الدال ونقطة تحته مقرونة بكلمة « معاً » .
لتقرأ بالإجماع والإجمال ، واقتصر التبريزي على رواية الدال المهملة .

(٢) في الأصل : « في جوانبه » ، وهي مطابقة لرواية التبريزي في الصلب ، لكن للتفسير هنا يقتضى ترجيح ما أثبتنا من ل وتفسير التبريزي .

(٣) في الأصل : « أنها » صوابه في ل .

أرعن : له فضول . والرَّعْن : أنف يتقدّم من الجبل ، والجميع الرّعان والرّعون .
مكفهرٌ ، أى مرتفعٌ عالٍ . وقوله « تُضَمَّنُ في جوانبها الخيول » أى تُقرَن
الخيولُ بالإبلِ في جوانبها ، إذ كان لكلّ رجلٍ راحلةٌ وفرسٌ يقوده معه .
ومثل هذا قوله :

* خَصَفْنَ بَأَثَارِ الْمَطِيِّ الْخَوَافِرَ ^(١) *

يقول : تسير به راحلةٌ معها جَنِيْبَةٌ ، إلى ميعادِ أرعن ، أى جيش كثيرٍ
ضَمَّنَ جوانبُ رواحلها الخيول . ويروى : « تُضَمَّرُ في جوانبها » بالراء ، والمعنى
تُضَمَّنُ الخيولُ وتُمدَى في القَرَتَيْنِ ^(٢) في جوانبها . والمراد أن فرسان هذه
الكتيبة دأبهم ذلك .

٦ - لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالْغَشِيْطَةُ وَالْفُضُولُ

أَقْبَلَ بِمَخَاطِبِ الْمُرْتَى بَعْدَ الْإِخْبَارِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْكَلَامِ .
وقال أبو عبيدة : كان رئيسُ القومِ في الجاهليّةِ إذا غزا بهم فَعَمَّ أَخَذَ مِنْ
جماعةِ الغنيمةِ ومن الأسرى والسَّجَى على أصحابه المِرْبَاعَ ، وهو الرُّبْعُ ، فلذلك قال
« لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا » فصار هذا الرُّبْعُ الذي كان في الجاهليّةِ للرئيس في الإسلام
خُمْسًا . وكان له الصَّفِيُّ : واحد الصَّفَايَا مِنْ جماعةِ الغنمِ والأَسْلَابِ وَالكَرَاعِ
قبل القِسْمَةِ ، وهو أن يصطفي لنفسه شيئًا : جاريةً أو سيفًا أو فرسًا أو ما شاء ،
وبقى الصَّفِيُّ على حاله في الإسلام : اصطفى النبيُّ صلى الله عليه وسلم سيفَ مُنَبِّهٍ
ابن الحجاج ذا الفقار يومَ بدر ، واصطفى جُوَيْرِيَّةَ بنتَ الحارث من بنى المصطلقِ .

(١) البيت لمفاس المائل ، كما في اللسان (خصف) . وهو أول المفضلية ٨٥ . وصدره :

* أَوَّلُ فَأُولَى يَدَامِرُ الْقَيْسَ بَعْدَ مَا *

(٢) القرتان : الفداء والعثم .

يَوْمَ الرَّبِيعِ ، فَعَمَلَ صَدَقَتَهَا^(١) عَتَقَهَا وَتَزَوَّجَ بِهَا ، وَاصْطَفَى صَفِيَّةَ بَذَتْ حَتَّى فَعَمَلَ ذَلِكَ بِهَا .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَكَانَ لَهُ النَّقِيعَةُ أَيْضًا ، وَهُوَ بَعِيرٌ يَنْجَرُهُ قَبْلَ الْقِسْمَةِ فَيُطْعِمُهُ النَّاسَ كَذَلِكَ . قَالَ :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالشُّيُوفِ رُءُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةً الْقُدَامِ^(٢)
قَالَ : وَسَقَطَ فِي الْإِسْلَامِ النَّقِيعَةُ .

قَالَ : وَلَهُ حُكْمُهُ ، وَهُوَ أَنْ يَبَارِزَ الْفَارِسُ فَارِسًا قَبْلَ التَّقَاءِ الْجَيْشَيْنِ فَيَقْتُلُهُ وَيَأْخُذُ سَلْبَهُ . وَالْحُكْمُ فِيهِ إِلَى الرَّئِيسِ ، إِنْ شَاءَ نَفَلَهُ وَإِنْ شَاءَ رَدَّهُ إِلَى مُجْمَلَةِ الْمَغْنَمِ . وَهَذَا بَاقٍ فِي الْإِسْلَامِ .

وَلَهُ أَيْضًا « النَّشِيطَةُ » وَهُوَ مَا انْتَشِطَ مِنَ الْفَنَائِمِ وَلَمْ يُوجِفُوا عَلَيْهِ بِمُخْبِلٍ وَلَا رِكَابٍ . فَبَقِيَتْ فِي الْإِسْلَامِ . وَفَدَاكَ^(٣) مِنْ ذَلِكَ ، لَمْ يُوجِفُوا عَلَيْهِ فَكَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً .

قَالَ : وَكَانَ لِلرَّئِيسِ الْبَسِيطَةُ^(٤) ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّيهَا الْبِسْطَ^(٥) ، وَهِيَ الْفَاقَةُ

(١) كَذَا ضَبَطَتْ فِي النَّسَخَتَيْنِ . وَالصَّدَقَةُ بِالْفَتْحِ ، وَالضَّمُّ ، وَبِفَتْحَتَيْنِ ، وَبِضْمَتَيْنِ ، وَبِفَتْحٍ فَضْمٍ ، كُلُّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَهُوَ الْمَهْرُ ، كَالصَّدَاقِ بِفَتْحٍ الصَّادِ وَكَسْرَ هَا .

(١) الْبَيْتُ لِمَهْلَهْلٍ ، كَمَا فِي اللَّسَانِ (قَدَرٌ ، فَقَعَ ، قَدَمٌ) .

(٣) كَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ ، لَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْرِ قَنْفِ اللَّهِ الرَّحْبِ فِي قُلُوبِ أَهْلِ فَدَاكَ حِينَ بَلَغَهُمْ مَا حَلَّ بِأَهْلِ خَيْرٍ ، فَبِعَثُوا يَصَالِحُونَ عَلَى النِّصْفِ مِنْ فَدَاكَ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ ذَلِكَ . السِّيَرَةُ ٧٧٦ - ٧٧٧ . وَفَدَاكَ : قَرْيَةٌ بِالْحِجَازِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَانِ .

(٤) الَّذِي فِي الْمَعَاجِمِ الْمَتَادَوِلَةِ لَفْظُ « الْبِسُوطِ » ، وَلَمْ يَنْصُ فِيهَا كَذَلِكَ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ فِيهَا وَفِي الْبِسْطِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَبَعْضُهُمْ قَالَ الْبَسِيطُ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، وَقَدْ ضَبَطَتْ فِيهِ بِكَسْرِ الْبَاءِ ، وَهِيَ تُقَالُ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ .

أو الحِجْرُ معها ولدها، فتُجَمَلُ هي وولدها في رُبْعِ الرِّيسِ ولا يُعْتَدُّ عليه بالوَلَدِ .
وقال : وسَقَطَ البَسِيطَةُ في الإسلام .

وكان له « الفضُول » وهو ما فَضَّلَ بعد القِسْمَةِ وَيَعْجِزُ عن عَدَدِ الغُرَاةِ ،
أو لا يتناولُه القَسَمُ ، وهذا سَقَطَ أيضاً في الإسلام . قال أبو عبيدة : غيرَ أني
حَدَّثْتُ عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ
لِلَّهِ وَالرُّسُولِ ﴾ ، قال : هو ما شَذَّ من الغنائم ، كالفضول . وقيل إنها منسوخة .

٧ - أَفَاتَهُ بنو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو ولا يُوفِي بِبِسْطَامٍ قَبِيلُ
٨ - فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لم يُوسَّدْ كَانَ جَمِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ^(١)

قوله « أفاتته » فات يتمدَّى إلى مفعول . تقول : فاتني الشيء ، فإذا
أَدْخَلْتَ عليه حرفَ التَّمَدِّيَةِ تمَدَّى إلى مفعولين . فإذا كان كذلك فأحدُ
المفعولين محذوف ، كأنه قال : أفاتت الناسَ بنو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بِبِسْطَامًا ،
أى الانتفاعَ بِبِسْطَامٍ . وقوله « ولا يُوفِي بِبِسْطَامٍ قَبِيلُ » بالباء يروى ، والمعنى
لا يُوفِي بدمه قَبِيلُ ، كَأَنَّ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا مُطَالِبُونَ بدمه ووافون به إذا أُتِيَ
بهم كلُّهم . وهذه الرِّوَايَةُ أَقْرَبُ إلى ما يدلُّ عليه صدرُ البيتِ وأشبه . ويروى
« قَتِيلُ » بالتاء ، ويكون الكلامُ تَحْشُرًا ، والمعنى لا يُوفِي بدمِ بِبِسْطَامٍ دُمُ
قَتِيلٍ . ويقال وَفَى وَأَوْفَى بمعنى واحد .

وقوله « فخرَّ على الأَلَاءَةِ » ، [معناه^(٢)] سقط . والأَلَاءَةُ : شجرة . ولم
يُوسَّدْ ، يستعملونه كثيراً في القَتِيلِ ، وليس ذلك لأنَّ القتلى بعضهم يوسَّدون .
وقد يقال « وُسَّدَ فلانٌ يَمِينَهُ في ضريحه » ، وهذا أيضاً مثلٌ ؛ لأنَّ اللَّيْتَ

(١) التبريزي : « وخر » .

(٢) هذه من ل ، وقبلها في ل كلمة مطبوعة أيضاً .

لا يوسد يمينه ، وإنما يُرادُ : تجافى المكانُ به في حالتي الدفن والقتل وقوله
« كان جبينه سيفٌ صقيل » يريد وجهه وإشراق لونه .

٣٥٦

وقال الهذلول بن هُبَيْرَة (١) :

- ١- أَلِكْنِي وَفِرْلَابْنِ الْفُرَيْرَةِ عِرْضَهُ إِلَى خَالِدٍ مِنْ آلِ سَلَمَى بْنِ جَنْدَلٍ
 - ٢- فَمَا أَبْتَنِي فِي مَالِكٍ بَعْدَ دَارِمٍ وَلَا أَبْتَنِي فِي دَارِمٍ بَعْدَ نَهْشَلٍ
 - ٣- وَمَا أَبْتَنِي فِي نَهْشَلٍ بَعْدَ جَنْدَلٍ إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِيَ لِأَمْرِ مُجَلِّسٍ
 - ٤- وَمَا أَبْتَنِي فِي جَنْدَلٍ بَعْدَ خَالِدٍ إِطَارِقٍ لَيْلٍ أَوْ لِقَانٍ مُكَبَّلٍ
- قوله « أَلِكْنِي » أى أعنى على أداء ألوكنى ، وهى الرسالة . وقد تقدّم
القول فى هذه اللفظة ؛ وأن أصلها أَلِكْنِي ، فقلّبَ وقُدّم اللام على الممزة فصار
أَلِكْنِي ، ثم حذفت الممزة استخفافاً وألقيت حركتها على اللام فصار أَلِكْنِي .
وقوله « وَفِرْلَابْنِ الْفُرَيْرَةِ عِرْضَهُ » معناه أترك عِرْضَهُ وافرأ . يقال
وَفَرْتُهُ أَفْرُهُ وَفَرَأَ ، وهو موفور . والمراد : خُصّ برسالتى خالداً وأترك ابن

(١) كذا ورد فى النسختين . وعند التبريزى : « الهذيل بن هبيرة أحد بنى حرقة بن
ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب » . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٠٣ :
« ومن رجالهم الهذيل بن هبيرة ، قد رأسهم فى الجاهلية ، وكان جراراً للجيوش » . وكان من
خير الأبيات فيها روى التبريزى ، أن الهذيل أغار على بنى كوز وهاجر من بنى ضبة ، فأصاب
ثلاثين امرأة أطلق سراحهن ، إلا منصورة بنت شقيق أخت عامر بن شقيق ، واحتدل بها حتى
أتى أرض قومه ، فخرج أخوها وزوجها لاستنقاذها ، فتمكنا من ذلك بعد لئى ، ثم إن الهذيل
تبعتها نفسه فأغار ثانية على بنى ضبة فاستصرخ بنو ضبة ببني سعد بن زيد مناة فالتبوا وقتل من
بنى تغلب ناس وهزموا أسوأ هزيمة ، ووقع ابن الهذيل - واسمه مشول - أسيراً ، أسره
عبد الله وعبد الحارث ابنا ناشرة . ثم أتاهم الهذيل فى ابنه وطلب من ابن الفريرة - وهو أحد
جندل بن نهشل - أن يفاذى ابنه أو يمن عليه ، فوعده أن يفعل ، فلما طال عليه ذلك قاله
هذه الأبيات ، فأتى خالداً فأنشده ، فأعطى ابن ناشرة مائة من الإبل وأطلقه الهذيل .

الفريرة جانباً ، لا تذكر له قبيحاً ولا تُولِه مكرهاً . والرّسالة ابتداءها : « فـأ
أَبْتَنِي فِي مَالِك » . والشاعر رتب أنخازاً وبطوناً ، وذكر أن كل واحدٍ منها
كان له رئيسٌ يدور أمرُه عليه ، ويعتصم بأمره في الملمات . وأنه بعد افتقاد
ذلك فيهم فلا طائل ولا خيرَ عند واحدٍ منهم . ألا تراه قال : فـأ أَبْتَنِي فِي
بَنِي مَالِكِ بعد خروج بني دارمٍ منهم ، وما أَبْتَنِي فِي بَنِي دارمٍ بعد خروج
بني نهشلٍ منهم ، وما أَبْتَنِي فِي بَنِي نهشلٍ إِذَا صَرَخَ الصارخُ لأمرٍ عظيمٍ بعد
خروج جندلٍ منهم ، وما أَبْتَنِي فِي بَنِي جندلٍ إِسَارٍ يسرى ليليلٍ يطلبُ الضيافة ،
أو أسيرٍ مكبّلٍ يطلبُ مَنْ يَفكُّ أَسْرَهُ بعد افتقادِ خالد . كأنه [كان ^(١)]
يأخذ بعضهم بما يتماسك به البعض الآخر ، وذلك البعضُ يتماسكُ بآخرٍ إلى آخر
القصة . وهذا على ما رتبته في نهاية الحسن . وقوله « أَمْرٌ مُجَلَّلٌ » أي معظم .
والسكبلُ : التئيد ، ورجُلٌ مكبّلٌ .

٣٥٧

وقال إياسُ بنُ الأَرْتِ ^(٢) :

- ١- وَلَمَّا زَابَتْ الضُّبَيْحُ أَقْبَلَ وَجْهُهُ دَعَوْتُ أَبَا أَوْسٍ فَمَا إِن تَكَلَّمْنَا
٢- وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَخٍ لَكَ نَاصِحٍ وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ لِلْخَيْرِ تَوَّءَمَا

(١) هله من ل .

(٢) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٢٣٥ في رجال طيس ، من بني شحبي . وفي القاموس
(رتب) : « وإياس بن الأرت كرم شاعر » . وأُنشد له الجاحظ شعراً في الحيوان (٤ : ٣٥٩) .
ابن جني في المبهج : « هو مصدر أسته أؤوسه أوسا ، إِذَا أُعْطِيَتْهُ . وظنه السكري مصدر
أيست من كذا ، وليس كذلك ، ولا لا يست مصدر ، لأنه مقلوب من ينست ، ولو كان له
مصدر لم يكن كذلك مقلوباً ، ولكان أيضاً تعتل فاؤه وعينه ، فيقال إست وأأس .
والأرت : الذي في لسانه حجلة ، والأنثى رثاء » . ونظير إست أأس : هبت أهاب . التبريزي :
« وقال أبو العلاء : الأرت : الذي في لسانه حبة ، وهي الرقة . واسم الأرت خالد » .

لَمَّا عَلِمَ لِلظَّارِفِ ، وَهُوَ لَتَوَقُّعِ الشَّيْءِ لَوْ قَوَّعَ غَيْرُهُ ، وَلِذَلِكَ احْتِجَاجٌ إِلَى
الْجَوَابِ ، وَجَوَابُهُ هَذَا دَعَوْتُ . فَيَقُولُ : لَمَّا دَنَا الصَّبِيحُ وَأَقْبَلَ وَجْهَهُ بَنَفِلِقُ
هُوَ يُقْبَلُ ، دَعَوْتُ هَذَا الرَّجُلَ - يَعْنِي الْمُرْتِيَّ - فَمَا أَجَابَ . وَإِنَّمَا خَصَّ وَقْتُ
تَدَسُّمِ^(١) الصَّبِيحِ ، لِأَنَّ الْمَرِيضَ يَخْفُفُ فِيهِ ، فَكَأَنَّهُ عَلَى عَادَتِهِ فِي تَمْرِضِهِ ،
وَتَعَرَّفَ خَبْرَهُ ، وَتَحَدَّثَ بِهِ عَلَيْهِ فِي الْعَارِضِ لَهُ ، دَعَا فَوَجَدَهُ ثَقِيلًا ، لَا يُجِيبُ
وَلَا يَبْطَلِقُ لِسَانَهُ ، فَتَيَقَّنَ مِنْهُ قُرْبَ الْمَفَارِقَةِ ، وَالْبِعَادَ بَعْدَ الْمَفَارِقَةِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ : « وَحَانَ
خِرَاقٌ مِنْ أَيْخٍ لَكَ نَاصِحٌ » . وَمَعْنَى حَانَ : قَرُبَ . وَالنَّصَاحَةُ : صَفَاءُ الْوُدِّ ، وَخُلُوصُ
الْمُعَيَّدَةِ مِنَ الدَّلِيلِ . وَقَوْلُهُ « وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ » يَعْنِي مَعَ مَنَابِذِهِ وَمُشَاقِّبِهِ .
وَلَنْ يَكْمَلَ الْفَتَى حَتَّى يَكُونَ مُسْتَصْلِحًا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فَيُجِلَّ النَّاسَ سَحَابَهُمْ ،
وَيُؤَفِّهِمْ مُسْتَحَقَّاتِهِمْ ، إِنْ خَيْرًا خَيْرًا ، وَإِنْ شَرًّا أَفْشَرًا .

وَقَدْ عَمِلَ أَطِيفَةً فِي الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ « لِلْخَيْرِ تَوْءَمًا » فَجَمَلَ الْخَيْرَ وَلَدًا مَعَهُ
فَنَشَأَ^(٢) بَنَشْئُهُ . يُقَالُ : غَلَامٌ تَوْءَمٌ ، لِذِي وَلَدٍ مَعَهُ غَيْرُهُ . وَأَتَانَتْ الْمَرْأَةُ فَهِيَ
مُتَمِّمٌ . وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْوَأَمِ ، وَالتَّاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ ، كَالْتَّاءِ فِي تُسْكَاةٍ وَمَا شَبَّهَهَا ،
وَالْجَمْعُ تَوَأْمٌ ، وَقَوْلُ^(٣) فِي الْجَمْعِ قَلِيلٌ . كَانَ الْوَلَدُ وَامًّا غَيْرُهُ فِي الْإِتْيَانِ ، أَيْ وَافَقَ
وَفِي الْمَثَلِ : « لَوْلَا الْوِثَامُ هَلَكَ اللَّثَامُ^(٤) » . وَقَدْ اسْتَقْصَيْتُ الْقَوْلَ فِيهِ فِي شَرْحِ
كِتَابِ الْفَصِيحِ .

٣ - تَتَابَعَ قِرْوَانُ بْنُ أَيْلَى وَعَارِصُ^(٥) وَكَانَ الشَّرُّورُ يَوْمَ ذَلِكَ مُدْمَدِمًا^(٦)

(١) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « تَبَسُّمٌ » . (٢) ل : « يَنْشَأُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَيُقَالُ » ، صَوَّبَهُ فِي ل . وَقَدْ اخْتَلَفَ اللَّغَوِيُّونَ وَالنَّحْوِيُّونَ الْقَدَمَاءُ فِي
صِيغَةِ فَمَالٍ ، هَلْ هِيَ جَمْعٌ أَوْ اسْمٌ جَمْعٍ . وَقَدْ صَنَعَ الْأَدِيبُ جَبْرَانُ النُّحَاسُ بَحْثًا عَنْوَانَهُ « صِيغَةُ
فَمَالٍ لَيْسَتْ جَمْعًا » طبع في الإسكندرية سنة ١٩٤٧ بمطبعة البصير . وَاَنْظُرْ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ
تَلَابُنُ خَالَوِيهِ ص ٢٣ .

(٤) اَنْظُرْ تَحْقِيقَهُ مَهْبَأً فِي حَوَاشِي مَقَابِيسِ اللُّغَةِ (٦ : ٨٠) .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مَا خَصَّ لِلْبَعْضِ » .

يزيد : أنهم قد تداعوا في الذهاب ، وتقاطروا في الموت ، فمات الواحد بَقِيبِ الواحد ، كأنهم دُعُوا بلسان واحد فأجابوا ، وكان السرور يوم مات مُلَقِي مُهلكا غير باقي ، لأن كلَّ مَنْ سَمِعَ بِمَوْتِهِ أَخَذَ قِسْطًا من الجزع له نَفْيَ سرور الناس وظهرَ جزعُهم . وقوله « يوم مات » يعني أبا أوس . هذا من باب ما خَصَّ البعضُ بشيء من دون الجملة ، فأعيد ذكره . والدمدمة : الإهلاك والاستئصال . وفي القرآن : ﴿ فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ . ويروي : « وكان السرور يوم ذاك مُدَمَّمًا ^(١) » :

ع - هَمَّتْ بَأَن لا أَطْعَمَ الدَّهْرَ بِمَدِّهِمْ حَيَاةَ فَكَانَ الصَّبْرُ أَبْقَى وَأَكْرَمًا قوله : « بَأَن لا أَطْعَمَ الدَّهْرَ بِمَدِّهِمْ » انتصب أطعم بأن ، ولورُفَعَ لجاز على أن يكون أن مخففة من الثقلية ، ويكون اسمه مضمرًا ، والفعل مع ما بعده خبرٌ كأنه قال : همت بأن لا أطعمُ حياةَ بِمَدِّهِمْ ، أي كنت وطمنتُ نفسي على الزهد في الحياة ، وجعلتُ قَتَلَ نفسي من هَمِّي ، ثم نظرت فكان الانتساء بالناس في مصائبهم ، والصَّبْرُ على مقاساة البلاء معهم ، أبقى في الذِّكْر ، وأحسن في الأحداث ، وأكرم عند عدِّ الأفعال وعرضها على العقول . وروي : « أتقى » بالتاء المعجمة ، والمعنى أوتى ، لأن التاء مُبدلة من الواو ، أي أضوون للدين والارض .

٣٥٨

وقال قبيصة بن النصراني الجرمي ^(٢)

١ - ألا يا عينٍ فاحْتَفِلِي وبَكِّي على قرْمٍ لَرَيْبٍ الدهرِ كافٍ

(١) كذا على الصواب في ل . وفي الأصل : « مدمما » . وروي التبريزي رواية ثالثة : « مدمما » بالبدال المهملة ، وقال : « مدمم من دمت الشيء ، إذا طأطأه وغطيته » .
(٢) سبقت ترجمته في الخماسية ١٩٩ ص ٦١٠ .

١- وما للعين لا تبكي لحوطٍ وزيد وابن غمهما ذفافٍ

٣- وعبد الله يا أنهى عليه وما يخفى بزید مناة خافٍ

٤- وجدنا أهونَ الأموالِ هلكاً وجدك ما نصبت له الأثافي

يقول : يا عين جاء وقتُ البكاء فتبكي له ، وانجمي دموعك ثم فرقيها ، ولا مساغ لتقصير ، ولا تجال لتعذير . والحافلُ من الغم : التي جمعت اللين في ضرعها . ومعنى بكي : أكرهي البكاء أو كثره (١) . والقرم : الكريم من الرجال ، وأصله في الفحول ، وكذلك المكرم ، وقد تقدم ذكره (٢) .

وقوله « لربب الدهر كاف » قد حذف أحد مفعولي كفى ، كأنه كافٍ الناس ربَّ الدهر ، أى ما راب من أحداثه .

ثم عدّد من فجع به من أعزته فوجب البكاء له ، ليعلم عظيم شقائه وما أصيب به في أودائه .

وقوله « يا أنهى عليه » يجوز أن يكون المتأدى محذوفاً كأنه قال : وعبد الله أنهى عليه يا قوم . ويجوز أن يكون نادى اللَّهف ليرى عظيم حسرته ، وكال شقوته في فجعته

وقوله « وما يخفى بزید مناة خاف » ، يجوز أن يكون موضعه رفعاً على أنه يرتفع بيخفى ، فكأنه قال : ما يخفى خاف بزید ، أى زيد مناة لا يخفى ، لأن الخافى هو زيد ، وهذا كما تقول : لقيت بزید أسداً . ويجوز أن يكون قوله « بزید » هو الفاعل والباء فيه مثل الباء في قول الله تعالى : ﴿ وكفى بالله

(١) ل : « وكرهه » .

(٢) انظر ما مضى في ص ١٠٠٦ .

شَهِيدًا . والمعنى ما ينجي زيدُ مَنَاءَ خفاءً ، وخافٍ في موضع خفاء ، لكنه لم ينصبه كما لم يُنصب قوله :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ ^(١) *

ومثله :

* كَتَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءٍ كَافٍ ^(٢) *

وَقَتُّ قَاتِمًا ، وَعُذْتُ بِاللَّهِ عَائِذَا ^(٣) . وقد مضى مثله .

وقوله « وَجَدْنَا أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هُلُكًا » كأنَّه نَبَّهَ ^(٤) به على ما كانوا يُقيمونه من الضَّيْفَةِ ، ويُنفقونه من الأموال في العُفَاةِ وأبواب البرِّ والإحسان ، وأنَّ أَهْوَنَ الْأَمْوَالِ هَلَاكًا على نفوس السُّكَّامِ وأَحْفَهَا في الصُّدُورِ والقلوبِ . ما وُقِفَ على الأضيافِ ، وصُرِفَ إلى ما كلَّهم ، وكذلك مَنْ أشبه الأضيافَ . وانتَصَبَ « هُلُكًا » على التَّمْيِيزِ . ومعنى « وَجَدْتُ » وَحَقُّ جَدُّكَ .

وقوله « مَا نَصَبْتَ لَهُ الْأَثَافِي » في موضع المفعول الثاني لوجدنا . والأَثَافِي ، واحِدَتُهَا أَثْنِيَّةٌ . ويقال : نَفَيْتِ الْقَدْرَ وَأَثْنَيْتُهَا . فَأَثْنِيَّةٌ أَفْعُولَةٌ . ومن قال أَثْنَيْتُهَا فَأَثْنِيَّةٌ عِنْدِي فُفْلِيَّةٌ ؛ لأنَّ الهمزة أصلية . من ذلك قول النابغة :

* وَإِنْ تَأَثَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ ^(٥) *

(١) سبق قريباً في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤ .

(٢) سبق مع قرينه في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤ . وهو لبشر بن أبي خازم . وعجزه :

* وليس لحبها إذ طال شاف *

والشاهد فيها ترك إعراب المعتل المنصوب .

(٣) يعني وضع اسم الفاعل موضع المصدر .

(٤) ل : « يَنْبِه » .

(٥) صدره في الديوان ٢٦ :

* لا تَقْدَفِي بَرَكْنَ لَا كِفَاءَ لَهُ *

٣٥٩

وقال أبو صمتره البولاني^(١) :

١ - زُكَيْرَة وابنا أمه الهم واللنى وفى الصدرِ منهم كَمَا غَبْتُ هاجِسُ
٢ - أَوْدُهُمْ وُدًّا إِذَا خَاسَرَ الحِشَا أضاء على الأضلاع والليل دَامِسُ
٣ - بَنَى رَجُلٌ لَوْ كَانَ حَيًّا أَعَانَنِي على ضَرٍّ أَعْدَانِي الَّذِينَ أُمَارِسُ^(٢)
يعنى بزُكَيْرَة وأخويه أولاد أخيه ، وكان تُوفَّى والدُهم فصار هو كافِلهم .
فيقول : هم الذين أهتمُّ لهم ، وأتمنى خيرهم وبقاءهم ، وأقصرهم على ما تستقيم به
أحوالهم ، وتستنبث له أمورهم ، ومتى^(٣) غبت عنهم كان فى صدرى هاجسٌ من
الفكرِ فيهم ، وسألتُ من التوفّر عابهم ، يُحْوَلَانِ بَيْنِي وبين الدَّهَابِ عنهم ؛ فحسى
غائب عنهم ، وهو آتى حاضرهم . فهذه التى أشار إليها نتائجُ العناية بهم ،
ومسببات الرِّعاية فى النِّبَاة عن أخيه فيهم . ثم أخذَ يذكر ما غرَّسه الحبُّ فى
قلبه لهم ، ورعاه صدره من التحنُّن والشفقة فى بابهم ، فقال : أَوْدُهُمْ وُدًّا إِذَا
سَخَاطَ الحِشَا فى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ أضاء على الأضلاع . وإنما قال هذا لأنَّ الشَّيْءَ إِذَا
أَشْرَقَ بِاللَّيْلِ وعند التباس الظلام ، فهو بالنهار أولى بالأشراق . فكانَّ المعنى
أنَّ طلائع حبِّهم فى مكامن صدره مضيئة الأرجاء ، نيرة الأكثاف ، فى كلِّ
حالٍ ووقت .

وقوله « بنى رجلٍ » يعنى أخاه ، كأنه ذكر ما يقتضيه فى أمرهم بما يأتيه ،

(١) عبارة الإنشاد مطبوسة فى نسخة الأصل . وفى ل : « أبو صميرة » ، صوابه فى
التبريزى وشروح سقط الزند ١٢٤٣ حيث أنشد البيت الثانى ، والقاموس (صمتر) . وبولان ،
بالفتح : حى من طمى .

(٢) التبريزى : « بنو رجل » .

(٣) فى الأصل : « ومعنى » ، صوابه فى ل .

فأشارَ إلى الدَّوَاعِي القائمةِ بينه وبين أولادِ الأخ ، فقال : أذكُرُ بنِي رجلٍ لو كان في جُملة الأحياء لأعانتني على الأعداء ، وأنصفني من الزَّمان ، ودفع عني مِن مضرَّاتهم ومُنَّا كداتهم ما يخفُّ معه ظهري ، ويقوى فيه نُهوضى وجذابي .

٣٦٠

وقال الغَطْمَشُ ^(١) :

من بنى شَقِرَةَ بن كعب بن ثعلبة ^(٢) :

١ - أَلَا رَبُّ مَنْ يَفْتَابُنِي وَدَّ أَنْتَنِي أَبَوْهُ الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ

٢ - عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَفْيَةٍ فَيَغْلِبُهَا فَحُلُّ عَلَى النَّسْلِ مُفْجِبٌ

قوله « مَنْ يَفْتَابُنِي » من نكرة ويفتابني في موضع الصَّفة له ، و« وَدَّ أَنْتَنِي »

جواب رَبِّ . فيقول : رَبِّ إِنْسَانٍ يَا كُلُّ لَحْيٍ بظُهر الغَيْبِ وَيَنْقُصُنِي ، ومع

ذلك يَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ أَبَاهُ الَّذِي يُسَمَّى بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ ، وإنما يَبْعَثُهُ عَلَى ذَلِكَ

الحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ .

وقوله « عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَفْيَةٍ » فَإِنَّ عَلَى يَتَمَلَّقُ بِقَوْلِهِ أَنْتَنِي أَبَوْهُ ، كَأَنَّهُ

يُرِيدُ : وَدَّ أَبُوتَنِي سِوَاكَ كَانَ وَلَدًا حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ . والرَّشْدَةُ : اسمُ الهَيْئَةِ فِي الرَّشَادِ .

وَالْفَيْةُ : الفَعْلَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْفَعْيِ . وَهَكَذَا يُخْتَارُ أَنْ يُقَالَ هُوَ لِرِشْدَةٍ بِكَسْرِ

الرَّاءِ ، وَلَفْيَةٍ بَفَتْحِ الْغَيْنِ . وقوله « فَيَغْلِبُهَا » نَصَبُ جَوَابِ التَّمَنَّى بِالْفَاءِ ، وَالْعَامِلُ

فِيهِ أَنْ مَضْمُورَةٌ . وَهَذَا شَرْحُ الْفَيْةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ وَلَدِي عَلَى رِشْدَةٍ ،

أَوْ يَغْلِبُهَا فَحُلُّ مُفْجِبٌ عَلَى النَّسْلِ فَتَأْنِي بِهِ لَفْيَةٍ . وَأَرَادَ بِالْفَحْلِ الْمُنْجِبِ نَفْسَهُ ،

(١) سبقت له الحماسية ٢٩٩ ص ٨٩٣ .

(٢) التبريزي : « بن ثعلبة بن سعد بن ضبة » . وقد كرر أبو تمام في هذه الحماسية

البيتين ٤ ، ٥ وهما بيتا الحماسية ٢٩٩ . وقد سبق نظير هذا التكرار في الحماسية ٢٣ حيث

كررت في رقم ٢٠٩ .

ويعنى بيفعلها على الذلل غلبة الشبه ليزنه من هجفها . وإذا قال القائل وددت
أننى أجيئك فتكرمنى ، فقوله فتكرمنى انتصب ولم يعطف على أجيئك ، لخالفه
آخر الكلام أوله ، وذلك أن قوله أننى أجيئك متمنى غير واجب ،
وافتكرمنى ليس من التمنى^(١) بل هو واجب ، فلما خالفه نوى بالأول الاسم ،
وأضمر بعد الفاء أن ، لتكون الفاء عاطفة لاسم على اسم ، فسكاته قال : وددت
تجئى إليك فإكرامك لى . وكذلك إذا قال : ألا ماء فأشربه ، يراد : لو كان
لى مالا لشربته ، تقديره : ألا ماء فشر به .

٣ - فبالخير لا بالشر فازج مودتى وأى اسرى يقتال منه الترهّب

كانه أقبل على هذا المقتاب له ، الناحية أثلته ، الداجي له بعداوة كاملة
مستحكمة فى الصدر فقال له : هذه المودة التى تظهرها من نفسك لى ، أزعج
انتفاعك بالخير لا بالشر ، لأنك إن فعلت غير ذلك فإنما تحتاج إلى إصلاحه من
نفسك^(٢) ، فأما إذا كانت المودة صافية ، والعقيدة خالصة ، فإن صاحبها لا يرجو
سها إلا خيراً ، وكيف يرجو غيره من ثماره وهو يفرس الخير لا الشر . وقوله
« أزعج مودتى » أى أزعج مودتك لى ، والمصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى
الفاعل . وقوله « أى اسرى يقتال منه الترهّب » فعنى يقتال يمتك ، وهو يقتل
من القول ، يريد أى رجل يمتك عليه ومنه الترهّب ، التخوف ، وترك
الشكون والأمنة إليه . أى كيف يطلب ودّه على الرهبة منه .

٤ - أقول وقد فاضت بعينى عبرة أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

(١) ل : « من التمنى » .

(٢) كذا وردت العبارة فى النسختين .

٥- أَخِلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ قَوْلُهُ « وَقَدْ فَاضَتْ بِعَيْنِي عَبْرَةٌ » اعتراض بين الفعل ومفعوله . وقوله « أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى » متّصل بقوله « وَقَدْ فَاضَتْ بِعَيْنِي عَبْرَةٌ » ، وهو من جملة الاعتراض . ومفعول أقول البيت الثاني . فيريدُ : أقول وقد اتّصل بالبكاء مني ، وسالت التّهيراتُ من عيني ، إذ كنتُ أرى الأرضَ باقية ، والإخوان الخُلصَ ذاهبة ، وأنا لا أملكُ شيئاً : أَخِلَائِي إِنِّي مَغِيظٌ مَغْلُوبٌ ، مأخوذٌ عن عَزَائِي لِمَا أَتَاهُ الدَّهْرُ ، ولكنني إذا أَفْكَرْتُ^(١) وكان سببَ اخترايمكم الموتُ الذي تتساوى فيه الأقدامُ فلا يُبْقِي على شريفٍ ولا وضيعٍ ، ولا صغيرٍ ولا كبيرٍ ، صَدَّنِي ذَلِكَ عَنِ الْعَتَبِ ، لِأَنَّ الْمَوْتَ لَا مَعْتَبَ عَلَيْهِ ؛ ولو كان الجاني فيكم ، والسَّالِبُ لَكُمْ غير الموتِ لَمَعْتَبْتُ عَلَى الدَّهْرِ ، وَقُلْتُ وَأَكْثَرْتُ فِي مَوْضِعِ الْقَوْلِ ، وَانْتَصَفْتُ وَأَسْرَفْتُ فِي مَوْضِعِ الْفِعْلِ . وَيُقَالُ عَتَبْتُهُ فَأَعْتَبَ ، أَيْ لُتْمُهُ فَأَرْضَى . وَيُرْوَى « أَخِلَائِي » بِالْقَصْرِ وَإِثْبَاتِ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَ« أَخِلَاءُ » بِالْمَدِّ وَحَذْفِ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَهَذَا أَجْوَدُ .

٣٦١

وقالت امرأة^(٢) :

١- أَلَا فَاتِهِرِي مِنْ دَمْعِ عَيْنَيْكَ لَنْ تَرَى أَبَا مِثْلِهِ تَنْمِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ

(١) ل : « فكَرْتُ » . وَالْإِفْكَارُ وَالتَّفْكِيرُ بِمَعْنَى .

(٢) قَالَ أَبُو رِيَّاش : « وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ لِمُحَمَّدِ بْنِ بَشِيرٍ ، أَحَدِ بَنِي الْخَارِجِيَّةِ ، يَرَى بِهَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ » . وَأَبُو عُبَيْدَةَ هَذَا وَالِدُ هِنْدَ أُمِّ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ ، وَجَدَهُ زَمْعَةُ كَانَ أَحَدَ « أَزْوَادِ الرِّكَبِ » . فَذَكَرَ أَبُو رِيَّاشَ أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ دَعَاهُ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا قَدْ جَزَمْتَ عَلَى أَبِيهَا فَقُلْ آيَاتًا تَسْلِيهَا بَيْنَ هُنَّ . فَقَالَ : قَدْ قُلْتُ ، فَقَالَ : قُمْ فَادْخُلْ . فَدَخَلَ إِلَيْهَا وَهُوَ مَعَهُ فَقَالَ :

٢- وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ إِذْ يَنْدُبْنَهُ وَقَوَاصِرُ

تقول متسليّة ورافعة الطّمع من أن يكون الجزعُ يَرُدُّ فائتًا ، فقالت كُئِي من دمع عينيك ، وَنَهْنِيهِ عِبْرَاتِكَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى مَنْ تَعْتَاضِيَنَهُ مِنْ أَيْبِكَ الَّذِي كَانَ إِلَيْهِ يَنْتَمِي الْمَفَاخِرُ . ومعنى « تَنْتَمِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ » أنه غاية المفاخر ، فهي إِلَيْهِ تَنْتَمِي . وَيُرْوَى : « يَنْمُو إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ » بضم الميم ، والمعنى يَرْتَقِي إِلَيْهِ لِلْمَفَاخِرِ إِذَا نَافَرَ خَصَمَهُ وَجَاذَبَهُ .

وقولها « وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ » استشهدت بطوائف الأَقْوَامِ عَلَى اختلافها ، وَذَكَرْتُ أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ بَنَاتِ هَذَا الْمَتَوَفَّى فِيهَا يَنْدُبْنَ بِهِ أَبَاهُنَّ وَيَذَكُرْنَهُ مِنْ فَضَائِلِهِ وَإِفْضَالِهِ ، آتِيَاتٌ بِالصِّدْقِ غَيْرِ الْكَذِبِ ، وَعَاجِزَاتٌ عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ الَّتِي يَسْتَحَقُّهَا أَبُوهُنَّ الْمَرْتَى ، فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا يُحِيطُ بِمَجْدِهِ ، وَالْوَصْفُ لَا يَنْظِمُ كَمَنَهُ حَقُّهُ .

٣٦٢

وقال آخر (١) :

١- سَقَى جَدًّا وَارَى أَرِيبَ بْنَ عَسَمَسٍ مِنْ الْعَيْنِ غَيْثٌ يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلُهُ

= إذا ما ابن زاد الركب لم يمس باثنا
فقوى اضربي يا هند عينيك لن ترى
أبا مثله تنمى إليه المفاخر
وكنيت إذا ماشئت سنيت والدأ
يزين كما زان اليدين الأساور
وقد علم الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ إِذْ يَنْدُبْنَهُ وَقَوَاصِرُ

فقامت فصاحت هي وجواريتها وجعل يصيح معهن ، فقال له عبد الله : يا عدو الله دعوتك تعزيبها فهيجهتها على البكاء . فقال : وبما كنت عمى أن أعزى بنت [ابن] زاد الركب ، من يعزيني أنا عنه ، لا والله لا أعزى عنه ولكني أمر بالحزن عليه وأحس على ذلك .

(١) التبريزي : « وقال القلاخ . قال أبو هلال : في الشعراء ثلاثة يقال لهم القلاخ . أحدهم القلاخ الراجز بن حزن بن جناب بن منقر ، القائل :

• أنا القلاخ بن جناب بن جلا •

٢ - مُلِثٌ إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاءَهُ تَعَمَّدَ مَهْلَ الْأَرْضِ مِنْهُ مَسَابِلُهُ .
دَعَا لِقَبْرِ الْمَرْثَى بِالسُّقْيَا ، وَهُوَ أَرِيْبُ بْنُ عَسَمَسَ . وَمَعْنَى « مِنْ الْعَيْنِ »
مِنْ السَّحَابَاتِ الَّتِي تَنْشَأُ مِنْ عَيْنِ الْقَبْلَةِ ^(١) وَهِيَ أَغْزَرُ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهَا . وَقَوْلُهُ
« يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلَهُ » يَطْلُبُ بِهِ السَّكْرَةُ . وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الضَّخْمُ الْقَطْرُ ، وَإِذَا
سَبَقَ الْمَطَرُ الرَّعْدَ كَانَ النُّوْبَةُ أَغْزَرَ .

وقوله « مُلِثٌ » لم يرض بأن يكون سُقْيَاهُ عَارِضًا ، وَلَكِنْ جَعَلَ الْغَيْثَ
مُلِثًا ، وَهُوَ [بِمَعْنَى ^(٢)] مَقِيمٌ . وَقَوْلُهُ « إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاءَهُ » يَرِيدُ إِذَا جَاءَ
مَطَرُهُ عَلَى أَرْضٍ فَوَضَعَ أَثْقَالَهُ بِهَا امْتَلَأَتْ الْوَهَادُ ، وَتَعَمَّدَتْ الْمَسَابِلُ بِطَوْنِ
الْأَبَاطِحِ السَّهْلَةِ . وَالْبَعَاءُ : الدُّقْلُ ، وَالْجَهَّازُ . يُقَالُ : بَعَّ السَّحَابُ بَعَاءً وَبَعَاءَةً ،
إِذَا أَلْحَ بِمَكَانٍ فَأَلْقَى بَعَاءَهُ فِيهِ .

٣ - فَمِنْ فَتَى كُنَّا مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا بِهِ نَبْتَغِي مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ
٤ - لِيَوْمٍ حِفَاطٍ أَوْ الدَّفْعِ كَرِهِيَةً إِذَا عَيَّ بِالْحِمْلِ الْمَعْضَلِ حَامِلُهُ
قَوْلُهُ « فَمِنْ فَتَى » يَبْتَغِي فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَتَلْخِيصُهُ مُبِيدًا مُعَادًا كُلُّ
شَيْءٍ إِلَى مَوْضِعِهِ : فَمِنْ فَتَى مِنَ النَّاسِ كُنَّا نَبْتَغِي بِهِ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ ^(٣) .
فَعَلِيَ هَذَا قَوْلُهُ « مِنَ النَّاسِ » مِنْ صِفَةِ الْفَتَى ، وَبِهِ يَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَتَى .
وَالْمَعْنَى : كُنَّا بِسَبَبِهِ نَبْتَغِي وَاحِدًا مِنْهُمْ - أَيْ مِنَ النَّاسِ - عَمِيدًا ، مِنْ صِفَةِ

= وَالْآخِرُ الْقَلَاخُ بْنُ زَيْدٍ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

وَلَا يَسْتَوِي يَازَيْدُ دَرَجَ وَجَمْرٍ وَصَدْرُ سَنَانٍ فِي الْحُرُوبِ مُحَرَّبٍ
وَالْقَلَاخُ الْمُبْرَى ، ذَكَرَهُ دَعْبِلُ فِي شُرَاهِ الْبَصْرَةِ . وَهَذَا هُوَ : قَلَاخُ بْنُ حَزْنٍ . وَانْظُرْ
الْمَوْثَلَفَ ١٦٨ وَالِاشْتِقَاقَ ١٥٣ وَاللَّامِيَّ ٦٤٧ وَالشُّعْرَاءَ ٦٨٨ .

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْ السَّحَابِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنِ الْقَبْلَةِ » ، وَفِيهِ تَحْرِيفٌ .

(٢) بِمِثْلِهَا يَلِثُ الْكَلَامُ .

(٣) انْظُرْ مَعَاهِدَ التَّنْصِيصِ (١ : ١٦) . وَهُوَ فِي تَعْقِيدِهِ شَبِيهُ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مِثْلُكَ أَبُو أُمِّهِ حَى أَبَوِهِ يُقَارِبُهُ

الواحد ، لأننا جعلنا واحداً مفعولاً للبتنى . نُبادله ، أى نُبادِل به الناس ،
فحذف الجارَّ وقال نبادله . على هذا قول عاري الطائي :

* وليس من الفوتِ الذى هو سابقه^(١) *

أى سابق به . وخبر ما محذوف ، كأنه قال : ما فتى ذا صفته بموجود في
الدنيا ، وما أشبهه .

وقوله « ليوم حِفاظٍ » اللام تملق بقوله نبادله ، [أى نُبادِل^(٢)] به لهذا
الشان ، وهو أن يحافظ على حسبه محافظة الكرام ، أو يدافع الكرائه
والشدائد لدى الجدَل والخِصام ، في وقتٍ من الزَّمان يمزُّ من العِشر من يكفيه
المضيمة ، وترى الناهض بالاثقال لتضاغف المئون والبلايا بعميا بما يحمله فيمده
داه عَضَّالاً . وأصل العضل : المَنع والتضييق . ويقال عَضَلَت المرأة وعَضَلَتها ،
إذا منَعَتها من التزوُّج . وعَضَلَت ، إذا عَسَرَ ولأدها^(٣) .

٥- وذى تُدرًا ما لَيْثٌ في أصلٍ غابَةٍ بأشجع منه عند قرنٍ يُنازِلُهُ^(٤)

٦- قَبَضَتْ عَلَيْهِ الكَفَّ حَتَّى تُقِيدَهُ وَحَتَّى يَفِيَّ لِلْحَقِّ أَخْضَعَ كَاهِلُهُ

قوله « وذى تُدرًا » الواو عاطفة ، وانجرذى بإضمار رُب . وتُدْرًا : تُفَعِّل
من الدَّر ، وهو الدَّفْعُ بِشِدَّة . فيقول : رُبَّ رجلٍ هكذا ما الأسدُ في خِدره
بأقوى قلباً منه نظير له في بأسه وشِدَّتِه يَنازِلُهُ . فقوله « ما الليث » إلى آخر
البيت ، من صفة ذى تُدرًا . والغابة : الأجمة . وإنما قال « في أصل غابَةٍ »

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « من الموت » من حاسية تأتي في الرابع . وصدده :

* إل المنذر الخير بن هند تروده *

(٢) التكلة من ل .

(٣) الولاد : الولادة . وفي الأصل : « ولدها » ، صوابه في ل .

(٤) التبريزى : « في أصل غابه » .

إشارة إلى دخوله وتمكّنه من غايتها . والمفارقة إنما تكون عند تضايقي المجال وتَداني [أطراف^(١)] موضع الالتقاء ، عن الإقدام والإحجام .

وقوله « قبضت عليه الكف » يقول : جمعت عليه قبضتك ففعلته عن الانفصال عند الخروج من إسارك ، حتى أمكنتك من الاقتياد منه ، وحتى عاد كاهله خاضعاً للحق راضياً به . والخطاب بجميع هذا للرفي . وإنما يصفه بحسن الثبات في معاركة الخصوم ومزاوتهم ، وأنه باقى الصبر في استيفاء الحقوق عليهم . وقوله « كاهله » يجوز أن يرتفع بقوله يفي^(٢) . ويجوز أن يرتفع على البذل من المضر في يفي ، وحينئذ يحتمل ضميراً لذي تدرا . وأخضع ينتصب على الحال في الوجهين جميعاً ، ويجوز أن يرتفع أخضع فيكون خبراً مقدّماً ، وكاهله يكون مبتدأ . والأخضع : الذي في عنقه انخفاض وتطأطؤ .

٧ - فَنَّى كَانَ يَسْتَخِي وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ بِالْمَوْتِ وَيُذَكِّرُ نَائِلُهُ

[راجع الإخبار عنه ثانياً^(٣)] فيقول : هو فَنَّى كان الحياه يملكه فلا يتعاطى ما يقبُح في الأحدث ، ولا يسمع منكراً إلا أنفاه ، ولا رأى مستشعماً إلا رفضه وأقصاه ، لطيب مسمع ما يروى عنه ، ومنظاره فيما يشاهد منه . وقوله « ويعلم أنه سيلحق بالموت » يقول : تيقن أن الخلود لا مطامع فيه ، فإن الذي له من المال ما يقدّمه لِمَثُوبَةٍ ، وأدخاراً لأُكْرُومَةٍ ، إذا تحدّث عنه بها كان ذِكْرُهُ حَيّاً وإن كان الشخص فينا مغيباً .

(١) التكلة من ل .

(٢) ابن جنى : « أراد يفي » ، أى يرجع ، فعذف الهمة البتة ، كما حكى عنهم : جايى ،

وسايسو .

(٣) التكلة من ل .

٣٦٣

وقال الضبي :

- ١ - أُبَيُّ لَا تَبْعُدْ وَلَيْسَ بِخَالِدٍ حَتَّى وَمَنْ تُصِيبِ الْمُنُونُ بَعِيدُ
- ٢ - أُبَيُّ إِنْ تُصِيبْ رَهِيْنَ قَرَارَةٍ زَلَجِ الْجَوَانِبِ قَعْرُهَا مَلْحُودُ^(١)
- ٣ - فَلَرُبُّ مَكْرُوبٍ كَرَزَتْ وَرَاءَهُ فَمَنْعَتَهُ وَبَنُو أَبِيهِ شُهُودُ
- ٤ - أَنْفًا وَنَحْمِيَّةً وَأَنْتَكَ ذَائِدُ إِذْ لَا يَكَادُ أَخُو الْحِفَاطِ يَدُودُ
- ٥ - وَلَرُبُّ عَانٍ قَدْ فَكَّكَتْ وَسَائِلُ أَعْطَيْتُهُ فَقَدَا وَأَنْتَ حَمِيدُ
- ٦ - بُنِيْ عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَاءِهِ وَلَدَيْكَ إِمَّا يَسْتَرْذُكَ مَزِيدُ

البيت الأول يشتمل على أنواع ثلاثة من الكلام: فقوله «لَا تَبْعُدْ» ما يُندب [به^(٢)] الموتى على إظهار الفاقة إلى حياته ، وقد مرَّ القول فيه^(٣) . وقوله «وليس بخالدٍ حتى» تَبَيَّنَ^(٤) وإيمانٌ بمحتوم القدر ، وأنَّ ذلك يوجب على المصَّاب الصَّبرَ والانتِساءَ بفرِّق الخلق . وقوله «وَمَنْ تُصِيبِ الْمُنُونُ»^(٥) بعيدُ

(١) التبريزي : «زليخ» . والزليخ ، بالفتح : الدخض المزالة ، وهو وصف بالمصدر . ويقال مكان زليخ أيضاً بفتح فكسر . وكُتِبَتْ في ل لتقرأ «زليخ» و «زليخ» بنقطة في الأعلى وأخرى في وسط الجيم ، وهما بمعنى .

(٢) هذه من ل .

(٣) انظر ما مضى في ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

(٤) في الأصل : «تشك» ، صوابه في ل .

(٥) التبريزي : «قال أبو العلاء : قوله وَمَنْ تُصِيبِ الْمُنُونُ جزم بمن ، ولم يأت للشرط بالجواب . وهذا على إرادة الفاء ، كأنه قال : وَمَنْ تُصِيبِ الْمُنُونُ فهو بعيد . ومثله : من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلاًن أراد : فانه يشكرها . ومثله قول أبي ذؤيب : فقلت تحمل فوق طوقك إنها مطبوعة من يأتها لا يضرها» .

تبرؤ من الجرى على عادة الناس في المصائب واطراف بأن الموت يبتعد الالتقاء بين الأحياء والأموات ، فلا نزاور ولا تراسل ، ولا تخاطب ولا تكتب . فكل هذا تحسّر وتوجّع .

وقوله « أأبئ إن تُصبح رهين قرارة » جواب الشرط أول البيت الذي يابيه ، وهو قوله « فلرب مكروب » . والمعنى : إن خلّيت مكانك من الدنيا وصرت مرهوناً في قرارة قبر زلق الجوانب ، صريمه لا يُنقش ، ورهينه لا يُفك ، وأسيره لا يُتخلص بمن ولا فداء ، ولزيمه لا يتمأس^(١) لوقت وعداد ، فلربما فعلت كذا وكذا . وقوله « قمرها ملحود » ، تصويرٌ للقبر بلحده .

وقوله « فلرب مكروب كررت وراءه » يريد : ربّ مُضَيّقٍ عليه أسلمه بنو أبيه لما امتحن به حتى تمكن العدو منه ، أنت تَطَفّت عليه ، وصرفت عنايتك إليه ، تخففت ثقله ، وألقيت عنه وزره ، ودفعت من فوّرت^(٢) دونه ، ومواليه من بنى الأعمام وغيرهم حضوراً لا يرعون له إلا ، ولا يحفظون له عهداً .

وقوله « أنفأ ونحمة » انتصب على [أنه^(٣)] مفعول له ، وما بعده معطوفٌ عليه وفي معناه ، كأنه ذكر العلة الموجبة لما أتاه فقال : فمات ذلك حمية وأنفة ، وأن عادتك المدافعة عن كل من يتعلّق بك ، أو يتمسكُ بعروة من عرى عنايتك ، غريباً كان أو نسبياً ؛ وهذا تفعله في وقت يزهد

(١) التلص والتفتل . في الأصل : « التمسك » ، صوابه في ل .

(٢) المألوف في التعبير « من فوره » أى قبل أن يسكن . لكنه أراد المرة من الدور .

(٣) التكلة من ل .

الناس في الإحسان ، لشدة الزمان ، ويرى المحافظ ممسكاً والمراعي مهملاً .
وقوله « ولربّ عانٍ قد فككت » فالعاني : الأسير ، وأصله من عنا يعنو ،
إذا خضع . على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ . فيقول :
ربّ مأسورٍ أخرجته من ضيق الأسار إلى سعة الأمان ، فأطلقت كَبَلَهُ ،
ونزعت غُله ؛ وربّ سائلٍ اجتدّك فأغنيته ، وعن التجوال أقعدته ، فانصرف
عكّ وهو يُبْنِي عليك ويشكّر^(١) نعمتك ؛ وقد استحققت عليه ذلك بما
أسديته إليه ، ولو عاد إليك لوجد معاداً لا ضجر منك يلحقه ، ولا سامة فيك
تمحقّه ، وإن استزاد زِدته ، لا يُمنع من موجود ، ولا يُحال على مفقود .

٣٦٤

وقال عكرشة أبو الشغب^(٢)

يرثني ابنه شغباً :

١ - قد كان شغبٌ لو أن الله عمّره عزّاً تَزَادُ بِهِ في عزّها مُضَرٌّ
٢ - فارقت شغباً وقد قوشت من كبرٍ لِبَسْتِ الْخُلَّتَانِ : الشُّكْلُ وَالْكِبَرُ
يعظم شأن ابنه ، وذلك أنه كان قد برع في فضله ، وورد أبواب الملوك
فقبلته الميرون والقلوب نباهةً وحلاوةً ، وتوجّهاً وتقديماً . فقال : لو أن القضاء
أمهل ابني شغباً ولم يُعاجِلْهُ^(٣) عن استكمالهِ ، وعن الاستمتاع بما توحّد به من
فضائله ، لكان بقاؤه عزّاً مُستجِداً لِقَبَائِلِ مُضَرٍ كُلِّهَا ، تُضَيِّفُهُ إلى عزّها ،
وتتبيّج باستقرارها .

(١) هذا ما في ل . والتشكر : الشكر . وفي الأصل : « ويشكر » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٣١٤ ص ٩٢٧ .

(٣) في الأصل : « يعاجله » ، صوابه في ل .

وقوله « فارقَتْ شَقِيًّا » عاد إلى ما يخصُّ نفسه من الفجع بموته ، والجزع لفراقه ، فقال : فارقته واليكبرُ قد صاحني ، وحَتَّى ظهري ، وانتقصَ جَلْدِي ، وأوهنَ قُوَايَ ، ولا أَمَلٌ في إدراكِ مثله ، ولا استقْلالٌ بالثَّهْوِضِ بأعباءِ أهله . ثم قال متحسِّراً : بُنِيتِ الحَلَّتَانِ المَجْتَمِعَتَانِ لِي : تُكَلِّمُنِي لا يُعْتَاضُ مِنْهُ أَبَدَ الدَّهْرِ ، واليكبرُ المَقْصُرُ للأَمَلِ ، المَقْرَبُ لِيَوْمِ الأَجَلِ .

٣٦٥

وقال آخر يرثي ابنه :

١ - لِّلّهِ دَرُّ الدَّافِنِيكَ عَشِيَّةً أَمَّا رَاعَهُمْ فِي الْقَبْرِ مَثْوَاكَ أَسْرَدَا
٢ - مُجَاوِرَ قَوْمٍ لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَمَنْ زَارِمٍ فِي دَارِمٍ زَارٍ مُهْمَدَا
قوله « لِّلّهِ دَرُّ الدَّافِنِيكَ » ، فَدَرٌّ ، وإن كان في الأصل مصدرًا فقد أَرَمَ هذا الموضعَ وجرى الكلمةُ به لكثرة الاستعمال تجرى : لِّلّهِ خَيْرُكَ ، فلا يعمل في ظرفٍ ولا في حالٍ ؛ ولا في شيء مما يعمل فيه أمثاله من المصادر . فيقول على وجه التمتعُّبِ مِنَ الَّذِينَ تَوَلَّوْا دَفَنَهُ فِي عَشِيَّةِ يَوْمِهِ : لِّلّهِ دَرُّهُمْ ، أَمَّا أَفْرَعُهُمْ مُقَامُكَ فِي الْقَبْرِ عَلَى اسْتِقْبَالِ شَبَابِكَ ، وَنَضَارَةِ غُصْنِكَ وَقُرْبِ مِيلَادِكَ ، حِينَ لَمْ يَجْتَمِعْ نَفْسُكَ ، وَلَا تَوَجَّهَ وَجْهُكَ . وفي طريقته قولُ الآخر^(١) :

أَيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ^(٢)

(١) هو الفارعة ، أو فاطمة ، أو ليل بنت طريف ، أخت الوليد بن طريف . حماسة البحرى ٤٣٥ ووفيات الأعيان في ترجمة الوليد بن طريف .

(٢) أنشد القائل أربعة أبيات من قصيدة البهت في الأمالي (٢ : ٢٧٤) وفي المقصد (٣ : ٢٧٩) ستة أبيات منها ، على حين أنشد ابن خلكان القصيدة بأكملها .

وأبلغ منهما قول الآخر^(١) :

أَبْعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ بِهِ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِصَاهُ بِأَسْوَقِ
وَانْتَصَبَ «أَسْرَد» عَلَى الْحَالِ ، وَأَصْلُ التَّمَرُّدِ التَّمَلُّسُ وَالْانْجِرَادُ . يُقَالُ :
صَخْرَةٌ سَرْدَاءٌ ، إِذَا لَمْ يَبُتْ عَلَيْهَا شَيْءٌ .

وقوله «مُجَاوِرَ قَوْمٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ» هَذَا حَالُ الْأَمْوَاتِ فِيهِمْ ،
يَتَجَاوَرُونَ وَلَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَمَنْ زَارَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ مَتَا انْصَرَفَ عَنْهُمْ بِالْخَلِيَةِ ،
وَالزِّيَادَةِ فِي الْقُتْمَةِ وَالْحُسْرَةِ . وَالْهَمْدُ : جَمْعُ هَامِدٍ ، وَهُوَ الْمَيِّتُ ؛ وَأَصْلُهُ مِنْ هُمُودِ
الْفَارِ . وَيُقَالُ لِلثَّوْبِ إِذَا بَلَى : قَدْ هَمَدَ .

٣٦٦

وقال لبيد^(٢) :

١ - لَعَمْرِي لَنْ كَانَ الْمُخَبَّرُ صَادِقًا لَقَدْ رُزِئْتُ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ جَفَرُ^(٣)
٢ - أَحَا لِي أَمَا كُلُّ شَيْءٍ سَأَلْتُهُ فُيُعْطَى وَأَمَّا كُلُّ ذَنْبٍ فَيَغْفَرُ
يرى بهذا أربداً أحاه . وقوله «إِنْ كَانَ الْمُخَبَّرُ صَادِقًا» فَهُوَ قَدْ عَلِمَ صِدْقَ
الْحَدِيثِ ، لَكِنَّهُ لَا سَتْعَظَامَهُ لِلنَّبَأِ ، وَنَخَامَةَ أَمْرِ الْمَتَوَفَّى فِي النَفُوسِ وَعِفْدَهُ ،
يَرْجِعُ عَلَى الْمُخَبَّرِ بِالشَّكْذِيبِ ، وَيُدْخِلُ الشَّكَّ عَلَى الْمَشْهُودِ وَالْمَسْمُوعِ ، كَمَا قَالَ
الْآخَرُ^(٤) :

(١) هُوَ الشَّلَاحُ بْنُ ضَرَارٍ . وَسَيَأْتِي فِي الْحَمَاسِيَةِ ٣٨٨ .
(٢) هُوَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ الْعَامِرِيِّ ، الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، وَأَحَدُ مَخْضَرِي
الْجَاهَلِيَةِ وَالْإِسْلَامِ . ابْنُ سَلَامٍ ٤٨ ، وَالشُّعْرَاءُ ٢٣١ - ٢٤٣ ، وَالْأَغَانِي (١٤ : ٩٠ - ٩٨)
وَالْخُرَانَةِ (١ : ٣٣٤ - ٣٣٩) وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ (٦ : ٢٠) وَأَسَدُ الْغَابَةِ وَالْإِسَابَةُ
وَالِاسْتِيعَابُ .

(٣) الْأَبْيَاتُ فِي دِيْوَانِ لَبِيدٍ ٣ طَبْعَ ١٨٨١ .

(٤) هُوَ النَّابِغَةُ يَرْثِي حَصْنَ بْنَ حَذِيفَةَ بْنَ بَدْرٍ ، كَمَا فِي شُرُوحِ سَقَطِ الزُّنْدِ ٨١٣ .

(٢ - حَمَاسَةٌ - ثَالِثٌ)

* يقولون حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ^(١) *

واللام من « لَعَمْرِي » لام الابتداء ، ومن قوله « لئن » هي الموطئة للقسم ، ومن قوله « لقد » هي جواب القسم .

والمعنى : وبقي لئن وردَ هذا الخبرُ من صادقٍ برىء من الحسد والنزيد مؤدّر لما تحقّقه سماعاً أو عياناً . لقد أصيبت قبيلة جعفر بن كلاب فيما حدث من ريب الدهر بمرزبة عظيمة فظيمة .

وقوله « أخألى » انتصب عن « رُزِئتُ جعفر ، أى رُزِئتُ شقيقاً لى هذا صفته ، وهو أن سماخته وتكرّمه كانا يبعثانه على بذل كل حَسفة تُقترح عليه ، وأن سلاسته وسهولته تدعوانه إلى التجّافى عن كل سيئة تبدّر إليه .

٣٦٧

وقالت زينب بنت الطثرية^(٢) ترى أخاها :

١- أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بطنِ الْمُعْطِقِ بِجَاوِرِي مُعِيّاً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ^(٣)
الأثل : شجر . وإنما قالت ما قالت منكراً ومستوحشة ، إذ كان الحكم

(١) عجزه : * فكيف بحصن والجبال جنوح *

(٢) كلمة « بنت » ساقطة من النسختين .

(٣) الطثرية أمها ، وهى من الطثر ، بالفتح : حى من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الشاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . وهى ترقى بهذه الأبيات أخاها يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وكان يزيد جديلاً شريفاً متلواً ، توفى سنة ١٢٦ . وروى أبو الفرج فى الأغاني (٧ : ١١٦) أن الأبيات لأم يزيد ، وهى من الأزد . قال : ويقال إنها لوحشية الجرمية .

(٤) الأبيات فى حسانة البحرى ٤٣٣ والبيان للجاحظ (١ : ٢١٦) والأغاني وأمالى القالى (٢ : ٨٥) . والبيتان ٢ ، ٣ من هذه المقطوعة قد رويما فيما مضى فى الحماسية ٣١١ للمعجيز السلولى . قال القالى : « وفيها أبيات تروى للمعجيز السلولى ولها » .

عندها أن تتغير الأمور عن مقامها لموت أخيها، فتتحول الأحوال وتبدل الأبدال، وتتخضع الجبال، وتتقلع الأشجار؛ فلما جرى الأمر بخلافه أخبرتنا متوجمة ومتحسرة، فقالت: إن بطن العقيق ومنابت أثله بما تحويه أرى مقيا في جوارى على ما كان عليه، وأخي يزيد قد دعا محتوم القضاء فذهب به غوائله. ويقال: غالته الفوائل، أي أهلكته المهلكات، وهذا كما يقال: علقت به العلوق. وانتصب «مقيا» على أنه مفعول ثانٍ لأرى، ومجاورى في موضع الجر على أنه صفة لبطن العقيق.

٢ - فتى قد السيف لا متضائل ولا رهيل لباته وأباجله^(١) وصفه بأنه في خلقة السيف تجردا واقتضابا، وعلى خلقه مضاء ونفاذا. وقوله «لا متضائل» يريد أنه شهم حتى النفس والقلب، جرىء المقدم، لا يتخاضع لشيء ولا يماوت على حدث. والضؤولة، أصله الدقة. والرهيل: المسترخى. يصفه بقلة اللحم على الصدر والساق. والأباجل: جمع أبجل، وهو عرق^(٢). وذكر الأباجل وهو يريد مواضعها. وجمعه كما يقال هو ضخم العنانين، كأنه أراد ما حوله.

٣ - إذا نزل الأضياف كان عذورا على الحى حتى نستقل مرأجله العذور: السبيء الخلق، القليل الصبر فيما يطلبه ويهم به. وإذا ظرف لقوله «كان عذورا». وصفه بأنه يجمع الحى لأمره فيطاع، لسيادته وجلالة محله، وأنه إذا نزل به الأضياف قام بنفسه في إقامة القرى لهم، غير معتمد على أحد فيه، وأنه يعرض له وفي خلقه عجلة يركبها، وتشد في الأمر والدخى على جماعة الحى به بصرفها، حتى تنصب المراحل، ونهيا المطامع؛ فإذا ارتفع

(١) التبريزي: «وبادله»، وهي رواية البحرى والقال أيضا.

(٢) هو عرق في باطن الذراع، أو هو عرق غليظ في الرجل.

ذَلِكَ عَلَى مُرَادِهِ عَادَ إِلَى خُلُقِهِ الْأَوَّلِ . وَلِلْمَرَاغِلِ : جَمْعُ مِرْجَلٍ ، وَهِيَ الْقِدْرُ الْعَظِيمَةُ النَّحَاسِيَّةُ ، وَاسْتَعْلَاهَا : انْتَصَابُهَا عَلَى الْأَثَافِ . وَحَتَّى تَسْتَقِلَّ ، أَرَادَ لِنَسْتَقِلَّ وَكَيْ تَسْتَقِلَّ . أَيْ كَانَ عَذْوَرًا لِذَلِكَ الشَّانِ .

٤- مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا سَحَابِلُهُ يَقُولُ : أَجَابَ دَاعِيَهُ فُضِيَ لُوجُهُ ، وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ . فَانْتَصَبَ دَرِيسَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ ثَانٍ . وَيُقَالُ : وَرِثْتُهُ كَذَا وَوَرِثْتُ مِنْهُ كَذَا . فَعَلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ كَانَ أَصْلُهُ وَرِثْنَا مِنْهُ ، فَحُذِفَ الْجَارُ ، وَوَصَلَ الْفِعْلُ فَعْمِلَ . وَاللَّارِيسُ : الْخَلْقُ مِنَ الدَّرْعِ وَغَيْرِهِ ، لِأَنَّهُ كَأَنَّهُ فَعْمِلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ . وَاجْمَعِ الدَّرْسَانَ . وَالْمُفَاضَةُ : الدَّرْعُ الْوَاسِعَةُ . وَأَبْيَضَ ، أَيْ وَسِيفًا أَبْيَضَ . وَجَمَلُهُ طَوِيلَ الْحَامِلِ لَطُولِ قَوَائِمِهِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي مَا أَدَّخَرَهُ أَجْرًا ، وَنَشَرَ لَهُ مَخْذَاً وَشُكْرًا ، فَلَمْ يَكُنْ إِزْنُهُ إِلَّا مَا ذَكَرَ مِنَ السَّلَاحِ .

٥- وَقَدْ كَانَ يُرْوَى الْمَشْرِفِيُّ بِكَفِّهِ وَيَبْلُغُ أَقْصَى حَجَرَةِ الْحَيِّ نَائِلُهُ^(١)

وَصَفَّهُ بِأَنَّهُ كَانَ غَزَاءً شَدِيدَ النِّكَابَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، فَكَانَ يُعْطَى السِّيفَ حَقَّهُ إِذَا أَعْمَلَهُ ، وَيُرْوَاهُ مِنْ دِمَاءِ مُشَاقِّهِ وَمُنَابِذِيهِ إِذَا جَرَّدَهُ ، وَيَبْلُغُ أَعْيَادَ نَاحِيَةِ الْحَيِّ عَطَايَاهُ . وَإِنَّمَا قَالَتْ « يُرْوَى الْمَشْرِفِيُّ بِكَفِّهِ » لِأَنَّهُ تَرِيدُ أَنْ نَهَضْتَهُ فِي ذَلِكَ بِنَفْسِهِ خَاصَّةً مِنْ غَيْرِ اعْتِمَادٍ عَلَى حِمِيمٍ أَوْ غَرِيبٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَجُزُّ الْجَرَائِرَ عَلَى ذَوِيهِ ثُمَّ يَتْرَكُهُمْ لَهَا ، وَلَسْكَنَ كُلُّ مَا أَتَاهُ أَوْ تَجَشَّمَهُ فَبِنَفْسِهِ لَا بَغِيرِهِ .

٦- كَرِيمٌ إِذَا لَا قِيَّتُهُ مَتَبَسِّمًا وَإِنَّمَا تَوَلَّى أَشَمَّتُ الرَّأْسِ جَانِلُهُ

قَوْلُهَا « كَرِيمٌ » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدَأَ مُحَذُوفٍ . أَرَادَتْ : هُوَ كَرِيمٌ إِذَا لَا قِيَّتُهُ مَتَبَسِّمًا . فَانْتَصَبَ « مَتَبَسِّمًا » عَلَى الْحَالِ . وَجَوَابُ إِذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَرِيمٌ .

(١) هَذَا الْبَيْتُ وَتَالِيهِ وَتَفْسِيرُهُمَا سَاقَطٌ مِنْ نَسْخَةِ الْأَصْلِ ، وَإِثْبَاتُهُمَا مَعَ تَفْسِيرِهِمَا مِنْ ل .

فقول : إذا لقيته راضياً ما كنا متبئساً لاقيت منه طَلْعَةُ الكرام وأفعالهم ، وإن أعرضَ عنك وولّى وجدته أغبرَ الرأس كثير الشعر ، لا يهتبه أمرُ نفسه في اللباس والطعام ، وإنما به الفزؤ والسّنى في إصلاح أمر العشيّة ، وما يَكْسِبُهُ الجلال والشرف .

وقولها « أشعث الرأس » أى اغبرّ شعره وتلبّد . والفعل منه شعثَ شَعْتًا وشُعْوثَةً ، وهو أشعثُ وشَمِث . وقولها « جافله » من قولهم : أخذتُ جُفْلَةً من الصوف ، أى جُزَّةً منه . وفى كلام لم عن الضائنة : « أُجِرُّ جُفْلًا ^(١) » . ويقال : جافل ، ومُجْفِل .

٧ - إذا القومُ أمّوا بيته فهو عامِدٌ لِأَحْسَنِ ما ظَنُّوا به فهو فاعِلُهُ يجوز أن يريد بالقوم رجالَ الحىّ خاصّة ، ويجوز أن يريد به طوائفَ الرّجال ، ويكون المرادُ به الكثرة . وإنما وصفتهُ بأنه مدبّرُ المشيرة عندما يدّهمهم ، والمشيرُ عليهم فيما يَحْزُبُهُمْ ، فإذا قَصَدُوا حضرته قائلين ما نأمرُ وكيف نصنع ؟ أرشدَهم وهَداهم ، وتحَمَّلَ عنهم ما يَنْقُلُ عليهم . ثمّ بعد ذلك تَعَمَّدَ إلى أحسنِ ظنونهم به فيأتيه معهم لا متبرّماً ولا مُتَكَرِّهاً ، بل باسطاً من آمالهم ، وجامعاً الحسن ^(٢) فى كل بابٍ لم .

٨ - تَرَى جَارِيزَهُ يُرْعَدَانِ ونارُهُ عَلَيْنِهَا عَدَامِيسُلُ الهَشِيمِ وصامِلُهُ

٩ - يَجْرُانِ ثُنْيَا خَيْرُهَا عَظْمُ جَارَةٍ بصيراً بها لم تَفِدُ عنها مشاغِلُهُ ^(٣)

(١) هو مما وضعوه على لسانها . وفى اللسان : « أولد رخالا ، وأحاب كتباً ثقلا ، وأجز جفالا ، ولم تر مثل مالا » . قوله جفالا ، أى أجز بمرة واحدة ، وذلك أن الضائنة إذا جزت فلهى يسقط من صوفها إلى الأرض شئ حتى يجر كفه ويسقط أجمع .

(٢) ل : « الحسنى » .

(٣) التبريزى : « عظم جاره » .

جملت له جازرين على عادتهم في جملهم أصحاب المهن فيهم اثنين اثنين ، كالباين والمستغلي في الحلب ، والماتح والقابل في الاستقاء . وجملهما رُعدان لشدة البرد ، وإنما تعني وقت الجذب وعند إحمال الناس . والعداميل : العتيق من الخشب الغليظ ، واحدها عُدْمُولٌ على القياس وعُدْمِلِيٌّ . والصامل : اليابس . والمعنى : إذا اشتدَّ الزَّمانُ وشملَّ القَحْطُ واشتدَّ البرد ، كان له جازران ينحران ، ونارُهُ عظيمةٌ وقودها من الحطب الغلاظ العُتْق ؛ وترى العُفَاةَ والمُضْرُورِينَ^(١) بالفناء نازلين ، وذوى الحاجة من جوانب الحى يَقْعُزُونَ ، وهو يَقْدَسِمُ فيها ما يُرضيهم .

وقولها « يَجْرَانِ ثَنِيًّا » يعنى الجازرين . والثنى : التى ولدت بطنين ، وهى مما بَضَنُ بها . وقولها « خَيْرُهَا » تريد : خيرُ أبدائها ومفاصلها البدء الذى يُجْمَلُ لجارة له قد عَرَفَهَا ، فهو بصيرٌ بها وبجملها . وليست تعنى جارةً بعينها ، إنما المراد الكثرة ، فالجاراتُ على ذلك لا تتخطأها أشغاله المزدحمة ، ولا يَفُضُّ العناية بها الأسبابُ المتراكمة ، بل قد وصى بها وبأمثالها فيَتَفَقَّدَنَّ بأوفر الأنصاء عند قسمة الجزور . وقالت « بصيراً بها » والفعل للمرئى ، فجرى على غير من هوله ، لأنه تبع الجارة ، وإذا كان كذلك فالواجب كان عليها أن تظهر ضميره فتقول بصيراً بها هو ، لأن اسم الفاعل والصفة المشبهة إذا جرى واحدٌ منهما على ما قبله صفةً أو صلةً أو حالاً أو خبراً لم يحتمل الضمير كما يحتمله الفعل ، لِضَعْفِهِ وانحطاطِ منزلته . وأكثرُ أصحابنا على أنه لا بدَّ من ذلك ، حتى أن أبا الحسن كان يلحِّن الكلام إذا لم يجرِ على هذ السنن . والكوفيون وبعض أصحابنا يُجَوِّزون تركَ إظهاره . وهذه للشاعرة دعئها الضرورة إلى وَضْعِ المتصل موضعَ المنفصل ، فتركت التغير . وقولها « لم تَعُدْ »

(١) المضرور : الذى أصابه الضر . فى الأصل . « المصرودين » صوابه فى ل .

عنها « أی لم تصْرِف . يقال : عَدَّتْ بَيْنَنَا عَوَادٍ ، أی صَرَفَتْ صَوَارِفَ .

٣٦٨

وقال أبو حكيم المُرِّي^(١) :

- ١- وَكُنْتُ أَرْجَى مِنْ حَكِيمٍ قِيَامَهُ عَلَى إِذَا مَا النَّعْشُ زَالَ ارْتِدَانِيَا
 - ٢- وَقَدَّمْتُ قَبْلِي نَعْشَهُ فَارْتَدَيْتُهُ فَيَاوِيحَ نَفْسِي مِنْ رِدَاءِ عَلَانِيَا
- النَّعْشُ : شَبِيهٌ بِالْمَحَقَّةِ ، كَانَ يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَلِكُ إِذَا مَرِضَ ؛ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى سُمِّيَ النَّعْشُ الَّذِي فِيهِ الْمَيِّتُ نَعْشًا . يَقُولُ : كُنْتُ أَوْمُلُ فِي حَكِيمٍ ابْنِي أَنْ يُنْهَلَ وَيَنْفَسَ مِنْ عَمْرِهِ ، فَيَقُومَ عَلَيَّ إِذَا مِتُّ ، وَيَرْتَدِي نَفْسِي إِذَا حُلْتُ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَقْضِي فِيمَا أَخْلَفَهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْتَمِدُ عَلَى كِفَايَتِهِ وَخِلَافَتِهِ ، نَخَابَ أَمْلِي وَكَذَبَنِي ظَنِّي ، وَقَدَّمْتُ قَبْلِي ، فَارْتَدَيْتُ أَنَا نَعْشَهُ ، فَوَإِبْلَاءَ نَفْسِي مِنْ رِدَاءِ عَلَانِيَا بِنَعْشِهِ . وَقَوْلُهُ « ارْتِدَانِيَا » تَفْسِيرٌ لِقِيَامِهِ عَلَيْهِ^(٢) . وَقَدْ وَضَعَ الْمَاضِي مَوْقِعَ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ أَيْ يَرْتَدِينِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . وَلَوْ سَاقَ الْكَلَامَ عَلَى تِلَاوْمٍ لَقَالَ : قِيَامَهُ عَلَيَّ وَارْتِدَاءَهُ إِلَيَّ إِذَا مَا النَّعْشُ زَالَ ارْتِدَانِيَا ، أَيْ يَرْتَدِينِي ، فَيَكُونُ إِذَا مَا النَّعْشُ زَالَ ظَرْفًا ، وَارْتِدَانِي مَفْعُولٌ أَرْجَى . أَيْ أَرْجُوهُ يَرْتَدِينِي إِذَا مَا النَّعْشُ زَالَ .

(١) قال التبريزي : وكان أبو حكيم قد قال :

يقر بعيني وهو يقصر مدق مرور الهال أن يشب حكيم
مخافة أن يفتاني الموت دونه ويفشى بيوت الحى وهو يتيم

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « على » .

٣٦٩

وقال مُنْقِذُ الْهَلَالِي^(١) :

- ١ - الدَّهْرُ لَأَمَّ بَيْنَ الْفَتَنِ وَكَذَاكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ
 - ٢ - وَكَذَاكَ يَفْعَلُ فِي تَصَرُّفِهِ وَالدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وَتَر
- نَسَبَ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى مُحِبِّهِ إِلَى الدَّهْرِ، فَقَالَ: الدَّهْرُ جَمَعَ بَيْنَنَا وَسَوَّى الْفَتَنَةَ، فَلَمَّا أَرَادَ كُلُّ مَنَا أَنْ يَفْرَحَ بِصَاحِبِهِ كَمَا يَهْوَاهُ، وَيَتَمَتَّعَ بِهِ وَيَتِمَلَّاهُ، فَرَّقَ بَيْنَنَا وَشَقَّتْ شَمْلَنَا، فَمَادَ مَا كُنَّا نَأْمُلُهُ مِنَ التَّمَلُّ وَالِاسْتِمْتَاعِ تَبَايُنًا وَتَوَجُّعًا^(١).

ومعنى وكذلك فرَّق بيننا : ومثلُ ذلك . وأشار إلى ما دلَّ عليه لأمَّ من التَّأليف . يريد : وكتأليفه فرَّق أيضاً . وكرَّر لفظ الدَّهْر تَفْخِيماً . وموضع كذلك نصبٌ على الحال من فرَّق بيننا . وقوله « وكذلك يفعل في تصرُّفه » يريد أن الدهر في مصارفه فَعَالٌ لِمِثْلِ مَا فَعَلَ بِنَا ، يَهَبُ وَيَرْتَجِعُ ، وَيُوَافِقُ وَيُفَرِّقُ ، وَلَا يَتْرُكُ شَيْئًا عَلَى حَالِهِ إِلَّا رَبَّثَ مَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرَ . وقوله « والدهر ليس يناله وترٌ » يريد أنه يَتَرُّ غَيْرَهُ فَلَا يُوتَرُ ، وَيَنْكِى فَلَا يُجَارَى ، فَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا الْإِسْتِسْلَامُ لِحُكْمِهِ ، وَالرَّضَا بِمَحْتَوَمِهِ . وهذا الذي جمعه للدَّهْرِ ، الْفَاعِلُ لَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، تَعَالَى عَنِ الْأَشْبَاهِ .

- ٣ - كُنْتُ الضَّيْنِ بَيْنَ أَصْبَتْ بِهِ فَسَلَوْتُ حِينَ تَقَادَمَ الْأَمْرُ
- ٤ - وَالْخَيْرُ حَظُّكَ فِي الْمُصِيبَةِ أَنْ يَلْقَاكَ عِنْدَ نَزْوَاهَا الْمَصِيبُ

(١) هو منقذ بن عبد الرحمن بن زياد الهلال . قال المرزبانى فى المعجم ٤٠٤ : « يعمرى خليف ماجن ، متهم فى دينه ، يرمى بالزندقة ، كان فى صدر الدولة العباسية » . وأُشْد له هذه الأبيات ما عدا الثانى منها . وكان من أصحاب والبة ومطيع وبشار وابن المقفع وأبان . الأغنى (١٦ : ١٤٣) .

قوله « كُنتُ الضَّنِينِ » تشكُّ (١) من الفراق الواقع بينه وبين مَنْ يرثيه ، وإظهاراً لضننه كان به ، وتنافس فيه . فيقول : كنت لا أضبرُ عنه ، وأعدُّ الأوقات التي لا أراه فيها ككُلْمَةٍ في العيش ، ونقيصة من زَاكِي الحظِّ ، إذ كنتُ لا أرى طيبَ العيش إلّا معه ، ولا أعرف طعمَ الحياة إلّا في حُبِّبته فلما افترقنا وتقادمَ العهد بيننا سلّوتُ عنه ، حتّى كأنّني لم يجمعني وإياه حالٌ . وهذا الكلامُ منه استقصارٌ لجزعه ، واعترافٌ بأنّه لم يفعل كُنْهَ الواجب عليه عند الرّزية .

وقوله : « وَخَيْرُ حَظِّكَ » يريد : خير أنصبائك فيما تُصاب به وتمنّوه ، أن يتفكّك الصّبرُ عند الصّدمة الأولى لتصونَ به دينك ونفسك وعقلك ؛ لأنّ المرجع إليه ، فالأيسرُ الإنسانُ تسلّى البهائم أحسنُ وفي هذه الطريقة قول الحرّيمي : وإني وإن أظهرتُ صبراً وحسبةً وصانعتُ أعدائي عليك لهوَجُجٌ ولو شئتُ أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليك ولكن ساحة الصّبرِ أوسعُ

٣٧٠

وقالت ابنة ضرار الضبية (٢)

ترثي أخاها قبيصة بن ضرار (٣) :

١- لا تبعدن وكلُّ شيءٍ ذاهبٌ زَيْنُ المَجَالِسِ والنَّدَى قبيصة
« لا تبعدن » لفظة قد مرّ القولُ فيها فيما تقدّم (٤) . وقوله « وكلُّ شيءٍ ذاهبٌ »

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « تسل » .

(٢) التبريزي : « مية ابنة ضرار الضبية » .

(٣) كان قبيصة بن ضرار أحد فرسان ضبة . وكان قد شهد الكلاب الثاني حين اجتمعت مذبح لقتال تميم ، فهزمتهم تميم وقتلوا قائدهم عبد يثوث بن صلاة . وكان هذا الكلاب قبل الإسلام بقليل . الأغاني (١٥ : ٧٠ - ٧٢)

(٤) انظر ص ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

تَسَلَّى . كَانَتْهَا قَالَتْ مَتَوَجِّعَةً : لَا تَبْعَدَ ، ثُمَّ عَقَّبَتْهُ (١) بِالنَّسْلِ فَقَالَتْ : وَكُلَّ حَتَّى
مَنَا مَيْتٌ ، وَكُلَّ أَمْرٍ فِينَا مَتَغَيَّرَ يَازِينَ الْمَجَالِسِ وَالنَّدَى يَا قَبِيصَةَ . وَقَوْلَهَا « وَكُلَّ
شَيْءٌ ذَاهِبٌ » اعْتَرَضَ بَيْنَ الْمَقَادِي وَبَيْنَ الدُّعَاءِ لَهُ . وَالْجُلُّ الْمَعْتَرِضَةُ بَيْنَ أَنْوَاعِ
الْكَلِمِ تَفِيدُ فِيهَا التَّأَكِيدَ وَتَحْقِيقَ مَعَانِيهَا . وَقَوْلَهَا « زَيْنَ الْمَجَالِسِ وَالنَّدَى » ،
إِنَّمَا ذَكَرْتَهُمَا وَهِيَ وَاحِدَةٌ لِأَنَّهَا أَرَادَتْ بِالْمَجَالِسِ مَجَالِسَهُ خَاصَّةً إِذَا قُصِدَ لِإِنْزَالِ
الْحَاجَاتِ بِهِ ، وَاسْتِخْرَاجِ الْمَطَالِبِ مِنْهُ ، وَأَرَادَتْ بِالنَّدَى نَادَى الْحَيِّ . وَاتَّصَبَ
قَبِيصَةُ عَلَى أَنَّهُ عَطَفَ الْبَيَانَ لِيَا زِينَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَكْرِيرِ النَّدَاءِ وَقَدْ
رَخَّخَهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : يَازِينَ الْمَجَالِسِ يَا قَبِيصَةَ .

٣- بَطْوَى إِذَا مَا الشُّعْ أَهْبَمَ قُفْلُهُ بَطْنًا مِنَ الزَّادِ الْخَلِيطِ خَمِيصًا
يَصْفُهُ بِقِلَّةِ الشَّرِّهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَرْغَبُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِلَّا فِيمَا يَزِينُ
وَلَا يَشِينُ ، وَيُسْتَطَابُ وَلَا يُسْتَخْبَثُ . وَقَوْلُهُ « إِذَا مَا الشُّعْ أَهْبَمَ قُفْلُهُ » ،
يُرِيدُ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ فَصَارَ كُلُّ مَالِكٍ لَشَيْءٍ يَبْخُلُ بِهِ حَتَّى لَا يُمْكِنَ اتِّزَاعُهُ
مِنْهُ . وَإِذَا رَوَيْتَ « أَهْبَمَ قُفْلُهُ » عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعْلَمْ ، فَالْمَعْنَى أَحْكَمَ أَمْرُهُ
وَجُعِلَ كَالْفَرَضِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّجَوُّزَ . وَإِذَا رَوَيْتَ « أَهْبَمَ قُفْلُهُ » جَعَلَ
الْفِعْلُ لِلشُّعْ ، كَأَنَّهُ قُفْلًا يُبْهِمُهُ . وَإِبْهَامُهُ : أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى وَجْهِ لَا يُدْرَى
كَيْفَ يُفْتَحُ . فَيَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ بَطْوَى بَطْنًا لَهُ صَغِيرًا مُضْطَمِرًّا مِنَ الزَّادِ
السَّيِّيِّ ، إِذَا تَمَلَّكَ الْبَخْلُ النَّاسَ لِشِدَّةِ الزَّمَانِ ، فَجَعَلَهُمْ كَذَلِكَ .

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « عُلْقَتْهُ » .

٣٧١

وقال عكرشة الضبي^(١) يرئى بنيه :

١ - سقى الله أجداثاً ورائى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر^(٢)

٢ - مَضُوا لا يريدون الرّواحَ وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر^(٣)

الأجداث : القبور ، وكذلك الأجداث بالفاء . ويعنى بالأجداث قبور بنيه . ودعا لها بالشقيا وجعل موضعها بحاضر قنسرين ، إجلالاً لها وتنبيهاً عليها . وقوله « من سبل القطر » مفعول ثان لسقى الله . والمعنى : سقى الله هذه القبور التى وصفتها من ماء السحاب ما سأل على عجلة وبشدة . وخص ذلك لأنها أعذب المياه عندهم . والقصد فى طلب الشقيا لها أن تبقى عهودها غصة محمية من الدروس ، طرية لا يتسلط عليها ما يزِيل جدتها ونضارتها . ألا ترى أنه لما أراد ضد ذلك قال :

* فلا سقاهن إلا النار تضطرم^(٤) *

وقوله « مضوا لا يريدون الرّواح » يريد : ساروا لا يمرّجون على شيء ، فلا يريدون لبناً ولا مقاماً ، بل استمجلوا فتمجلوا ، وأهلكهم من أحداث

(١) التبريزى : « عكرشة العبسى » ، وهو الصواب ، وهو أبو الشغب العبسى الذى ترجم فى ص ٩٢٧ .

(٢) البيت ١ ، ٢ ، ٥ فى مجالس ثعلب ٢٤٢ . والبيت ٥ وقبله بيت آخر لم يروه أبو تمام فى اللآلى ٤٢٨ . وهذا البيت هو :

غطارفة زهر مضوا لسبيلهم ألحق على تلك الغطارفة الزهر
ورواية ثعلب : « فتينا ورائى تركتهم » .

(٣) ثعلب : « ثورا » .

(٤) صدره كما سبق فى ص ١٠١ :

* إذا سقى الله أرضاً صوب غادية *

الدَّهْرُ أَسْبَابٌ جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ ، فَكَأَنَّهُمْ كَمَا دُعُوا أَجَابُوا ، وَكَأَنَّهُمْ أَخَذُوا ،
لَا تَلَوُّمْ وَلَا اخْتَلَفْ ، وَلَا قُصُورٌ ^(١) وَلَا امْتِنَاعٌ .

٣- وَلَوْ يَسْتَطِيعُونَ الرِّوَا حَ تَرَوُّوْ حَا مَعِيَ وَغَدَوْا فِي الْمُصْبِحِينَ عَلَى ظَهْرِ
يقول : وَلَوْ قَدَّرُوا فِيمَا هُمُوهَا بِهِ مِنْ سَيْرِهِمْ عَلَى النَّزُولِ رَوَّاحًا لَتَرَوُّوْ حَا مَعِيَ ،
وَلَعَدَّوْا ^(٢) فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلَمْ يَصِيرُوا مَعَ الْأَمْوَاتِ فِي
بَطْنِهَا مَأْخُودِينَ عَنْ حَظْوَتِهِمْ ، لَكِنَّهُمْ اسْتَمَرُّوْا فِي الْمَفَارِقَةِ فَقُلَّ مَنْ لَا يَمْلِكُ
إِلَّا ذَاكَ ، وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ فِيمَا يَرْكَبُهُ .

وهذا الكلامُ منه تَوْجُّعٌ وَتَحَشُّرٌ ، حِينَ أَتَوْا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَشْعُرُوا ، وَطُولِبُوا
بِمَا لَا رَجْعَةَ فِيهِ وَلَا اسْتِيقَاءَ وَإِنْ اسْتَنْظَرُوا .

٤- لَعَمْرِي لَقَدْ وَارَتْ وَضُمَّتْ قُبُورُهُمْ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ بِالْأَسْلِ الشُّمْرِ
٥- يُذَكِّرُنِيهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٌّ فَمَا أَنْفَكُ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ

يقول : وَبَقَائِي ، لَقَدْ اشْتَمَاتَ قُبُورُهُمْ عَلَى فُرْسَانِ شُجْعَانٍ ^(٣) يَمْلِكُونَ
بِالطَّمَنِ أَكْفًا شِدَادَ الْقَبْضِ عَلَى الرَّمَّاحِ . وَإِنَّمَا قَالَ « وَارَتْ وَضُمَّتْ » لِأَنَّ
الْمُوَارِيَّ هُوَ السَّاتِرُ ، وَسَاتِرُ الشَّيْءِ يَكُونُ ضَامِنًا وَغَيْرُ ضَامِنٍ ^(٤) . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ
يَجْعَلَ الْقُبُورَ مُوَارِيَّةً وَضَامِنَةً ، فَلِذَلِكَ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ . ثُمَّ عَقَّبَ هَذَا بِأَنْ
قَالَ : يَذَكِّرُنِيهِمُ الْأُمُورُ الَّتِي أَتَتْهُ بِإِلَيْهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ
أَنْ تَكُونَ نَافِعَةً أَوْ ضَارَةً ؛ فَإِنْ كَانَتْ نَافِعَةً كَانَتْ خَيْرًا ، وَكَانَتْ عَمَلَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَصُور » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) هَذَا الصَّوَابُ مِنْ ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَأَخَذُوا » .

(٣) ضَبَطْتُ فِي الْأَصْلِ بِضَمِّ الشَّيْنِ ، وَفِي ل بِكَسَرِهَا . وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ حَكَاهَا اللَّحْيَانِي .

(٤) اتَّفَقَتْ النُّسخَتَانِ فِي التَّعْيِيرِ عَنِ الضَّامِّ بِالضَّامِّ ، وَهَذَا مَقَارِبٌ .

دِيمَةٌ^(١) مع مَنْ يَنْسَبُ إِلَيْهِ بِحُرْمَةٍ ، أَوْ يُدَلِّ بِأَصْرِقٍ . وَإِنْ كَانَتْ ضَارَةً كَانَتْ شَرًّا ، وَهُوَ الَّذِي يَشْقَى بِهِ مِنْ بُشَاقِهِ وَيَعَانِدُهُ ، حَتَّى لَا يُخْلِيَهُ مِنْهُ أَوْ مِنْ تَرْقِيهِ^(٢) سَاعَةً ، فَلَا أَزَالَ ذَاكَ لَهُ بِمَا أَعْتَبِرُهُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَحْوَالِهَا ، وَأَنْتَهَى إِلَيْهِ فَأَتَمَّمْلُهُ مِنْ مَسْئَلَاتِهِ فِي طَوَائِفِ النَّاسِ بَعْدَهُ . وَيُقَالُ : مَا أَنْفَكَ يَفْعَلُ كَذَا ، بِمَعْنَى مَا زَالَ . وَالذِّكْرُ ، بَضْمُ الذَّالِ ، يَكُونُ بِالْقَلْبِ ؛ وَالذِّكْرُ بِكَسْرِ الذَّالِ ، يَكُونُ بِاللَّسَانِ .

٣٧٢

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ^(٣) ،

بَرْنَى أَخَاهُ وَكَانَ مَرِيضٌ فِي غُرْبَةٍ ، فَسَأَلَ الْخُرُوجَ بِهِ هَرَبًا مِنْ مَوْضِعِهِ ، خَتَاتٍ فِي الطَّرِيقِ :

١ - أَبْعَدْتَ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ
٢ - لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذَرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْعَهْدُ
يُرْوَى : « أَبْعَطْتُ » ، وَالْإِبْعَاطُ وَالْإِبْعَادُ مُتَقَارِبَانِ . فَالْإِبْعَاطُ : الْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ . وَيُقَالُ : أَبْعَطْتُ مِنَ الْأَمْرِ ، إِذَا أَيْدَيْتَهُ وَهَرَبْتَهُ مِنْهُ . وَيُرْوَى : « أَسْرَعْتُ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ » وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ وَأَجُودُ ، لِأَنَّهُ مِنْ يَتَعَلَّقُ فِيهَا بِأَبْعَدْتَ .

(١) أَيْ دَائِمًا : وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا ذَكَرَتْ عَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : « كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً » ، شَبَّهَتْهُ بِالدَّيْمَةِ مِنَ الْمَطَرِ فِي الدَّوَامِ .
(٢) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ . وَالتَّرْقِي : التَّدْرِجُ ، وَلَيْسَ مِنَ الْحَتْمِيِّ أَنْ تَكُونَ « تَرْقِيهِ » .
(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « وَيُقَالُ لَهَا لَابِنْ كُنَاسَةٍ » . وَقَدْ نَسَبَهُ كَذَلِكَ ابْنُ خُلِكَانٍ فِي تَرْجُمَةِ حَمَادِ الرَّائِيَةِ ، وَذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ كُنَاسَةَ يَرْتَفِعُ حَمَادًا الرَّائِيَةَ بِهَذَا الشَّعْرِ . وَسَبَقَهُ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ١٣٥ . أَمَّا الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ (١ : ٢٥٧) فَأَتَى بِذَلِكَ مَبْهَمًا ، إِذْ قَالَ : « وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي بَعْضِ الْعُلَمَاءِ » . وَالْبَيْتُ الرَّابِعُ مِنْ هَذِهِ الْمُتَعَطُّوعَةِ يَنْطِقُ بِتَصْحِيحِ هَذِهِ النِّسْبَةِ .

والمعنى : فَرَرْتُ مِنْ أَجْلِكَ فِرَاراً بَعِيداً . ومعنى « من يومك » من آخر أَمَدِكَ . وإذا رويت « أسرع » احتجت إلى إضمار فعلٍ يتعلّق به من ، ولا يجوز تعلّقه بأسرعت ، ولا بالفِرار لأنه يكون من صلاته وقد قُدّم عليه . وقوله « فما جاوزت حيث انتهى بك القَدَرُ » يريد أنّ الحذر لا يُغنى من القَدَر ، وأنّك وإن تحزمت^(١) في تغيير الأماكن تباعدًا من الحذور ، وتقلّقت في المنازل هربًا من القدر المحتوم ، فما وجدت فيه واقيةً لنفسك ، ولا جاوزت الوقت المرصّد لحينك . وجعل قوله « حيث انتهى » اسمًا ، فهو في موضع المفعول لجاوزت . ومثله في القرآن : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾^(٢) . ومن تحكيّ كلامهم وفصيحه : « هي أحسن الناس حيث نظر ناظر » ، يعني وجهها .

وقوله : « لو كان يُنجى » جواب لو قوله « نجاك » . والمعنى : إلك لم تُؤت من تضجيع وقع منك ، أو إغفال اعترض دون طالبك ؛ فلو كان يخلص من الموت توقّ لوقاك ما أخذت به نفسك من الحذر الشديد ، والمهرب البعيد ؛ ولكن هو الموت الذي لا منجى منه ولا مهرب عنه . وكلّ هذا النوع توجّع وتحسّر ، واعتراف بالقصور والعجز لدى مُبرّم القضية .

٣ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ لَمْ يَلِكْ فِي صَفْوٍ وَدَّهِ كَدَرُ

٤ - فَهَكَذَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَيَفْنَى الْعِلْمُ فِيهِ وَيَذْرُسُ الْأَثَرُ

قوله « يرحمك الله » استسلام . والرحمة من الله : الإحسان والعفو . ومعنى

(١) التحزم : اتخاذ الحزم . وهذه رواية ل . وفي الأصل : « حرمت » وهذه محرفة

من « حزمت » .

(٢) هذه هي قراءة جمهور السبعة ، وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد .

انظر ما سبق في حواشي ١٤١ ، وكذلك ص ٥٧٣ .

« من أخى نفة » دخل من للتبيين ، أى من أخر يوثق بوده ، وبؤمن غله ووبال حسده ، وإذا صافى الوداد وافق باطنه ظاهره ، ولم يك ذا وجهين يُعطيك حَصْرَتُهُ خلاف ما يُعطيك غَيْبَتُهُ .

وقوله « فهكذا يذهب الزمان » يريد أن ما رآه وأصابه ليس بمستبدع من حدّثان الدهر ونوائبه ، بل استمراره قديماً وحديثاً على وجه واحد ينقرض أهلُه كما أمّاه ، ويفنى فيه كلُّ معلوم حواه ، ويدرس كلُّ أثر اقتناه ووعاه . وهذا الكلام إظهار اليأس من المفقود ، وتضعيف الطمع فى بقاء الوجود .

٣٧٣

وقالت أم قيس الضبية :

١ - مَنْ لِلْخُصُومِ إِذَا جَدَّ الضَّجَّاجُ بِهِمْ بعد ابن سعد ومن للضمير القود

قوله « إذا جدّ الضجاج بهم » أى صار ضجاجهم جدّاً . ويقال : ضجّ يضحجّ ضجيجاً ، والاسم الضجاج ، قال المعجاج يصف حرباً :

وَأَغَشَتِ النَّاسَ الضَّجَّاجَ الْأَضَجَّاجَا وصاح خائبي شرّها وهجها^(١)

وقوله « مَنْ لِلْخُصُومِ » لفظه استفهام ، والمعنى التوجع والاستغظاع . فيقول : مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخُصُومِ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ النِّزَاعُ ، وطال الجِدَالُ والدِّفَاعُ ، فَاحْتِيجُ إِلَى مَنْ يَرُدُّ الْجَامِحَ ، وَيُلِينُ الْكَامِحَ ، حَتَّى إِذَا رَجِعَ كُلُّ مَنْهُمْ إِلَى مَا يَقْرُبُ مَسْمَعَهُ ، وَلَا يَبْعَدُ عَنِ النَّحْصِ مُسْتَنْزَعَهُ ، أَنْفِذَ قَضِيَّتَهُ فَقَطَعَهَا ، لَا يَلْفِتُهُمُ عَنِ الْقَبُولِ مَرَاجِعُهُ ، وَلَا تَخْلِجُهُمْ عَنِ الْإِتِمَامِ مِمَّا تَنَنُّهُ وَمُدَافَعَةُ بَعْدِ ابْنِ سَعْدٍ . وَمَنْ لِلْضُّمَرِ الْقُودِ بَعْدَهُ ، أَى مَنْ أَصْحَابُ الْخَلِيلِ الضُّمَرَةِ . وتريد : مَنْ يَدْفَعُهُمْ عَنِ اشْتَطَاطِهِمْ إِذَا جَاءُوا

واترين أو مورتورين . ويجوز أن تريد أنه كان غزا بها قمن لها بعده . والضمر : جمع ضامر . والقود : الطوال الأعناق .

٢ - ومشهد قد كفت الغائبين به في مجمع من نواصي الناس مشهود

٣ - فرجته بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقلب غير مزهود

يقول : ورُبَّ مشهدٍ عظيم الشأن يُسأل عن حال حاضره ، ويُستمع إلى ما يُذشر عنه من حجاجٍ منافريه ، تكلمت فيه عن نفسك ونُبتت عن الغائبين من مُعتَلقي حَبْلِكَ ، واليومُ يومٌ مشهود ، ورؤساء الناس وأماثلهم فيه شهود ؛ ثم كَشَفَتِ الغُتَّةَ ، وأبَدَتِ الحُجَّةَ بكلامٍ فصيحٍ لا يلتبس ، وجدالٍ راجحٍ لا يُخِيل ولا يَغْتِمِضُ ، وقلبٍ ثابت لا يرتدع إذا استنهض ، ولا يَنْتَكِسُ إذا استَقْدِم . وقوله « نواصي الناس » أى أشراقتهم والمقدمين منهم . وهذا كما وصفوا بالذوائب ، يقال : فلان ذُؤَابَةُ قَوْمِهِ ، وناصيةُ عَشِيرَتِهِ . وقوله « بلسانٍ غيرٍ ملتبس » يريد بكلام . وفي القرآن : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ، وتُسَمَّى الرِّسَالَةُ لِسَانًا . وقال :

* إِنِّي أَتَنَفَّى لِسَانًا لَا أُسَرُّ بِهَا ^(١) *

وقوله « غير مزهود » فالزُّؤُدُ ^(٢) : الذُّعْرُ ، والفعل منه زُئِدَ فهو مزهود .

وقوله « عند الحفاظ » أى فملت ذلك كله عند المحافظة على الشرف ، والاحتماء من عار الهزيمة والعنت .

٤ - إذا قنأه امرئ أزرى بها خور هز ابن سَعْدٍ قنأه صُلْبَةً العود

(١) لأعشى باهلة ، يرثى المنتشرين وهب الباهل ، من قصيدة في الخزانة (١ : ٩٢)

- (٩٧) ، وهذا البيت أولها . وعجزه :

• من علولا عجب منها ولا سخر •

(٢) يقال بضمة وبضمتين ، ومثله الزأد ، بالفتح والتجريك .

ذِكْرُ الْقَنَاءِ مَثَلٌ لِلْإِبَاءِ وَالْامْتِنَاعِ ، وَأَنَّ الْمَكْرَهَ ^(١) لَا يُخْرِجُ مِنْهُمُ الْخُضُوعَ
وَالْانْقِيَادَ . أَلَا تَرَى قَوْلَ سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ :

وإِنَّ قَنَاتَنَا مَشِطٌ شَظَاهَا شَدِيدٌ مَدَّهَا عُنُقَ الْقَرِينِ
ويقال : مَشِطَتْ يَدُهُ تَمْشِطُ مَشْطًا . وَالشَّطِيَّةُ وَالشَّظَا مِنَ الْعَصَا كَاللَّيْطَةِ
مِنْهَا ، تَدْخُلُ فِي الْيَدِ فَتَمْشِطُ مِنْهَا . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ :

عَشَوْرَنَةً إِذَا غُمِرَتْ أَرَنْتُ تَشُجُّ قَفَا الْمُنْقَفِ وَالْجَبِينَا
وقال أيضًا :

وإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أُعْمِيَتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
وزاد الآخر عليهم فقال :

وَلَنَا قَنَاءٌ مِنْ رُدْبِنَةٍ صَدَقَةٌ زَوْرَاهُ حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَزُورُ

٣٧٤

وقال الجعدي ^(٢) :

١ - أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي رَزِزْتُ مُحَارِبًا قَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا ^(٣)
٢ - وَمِنْ قَبْلِهِ مَا قَدَّرُزْتُ بِوُخُوحٍ وَكَانَ ابْنُ أُمِّي وَالْخَالِيلَ الْمَصَاقِيَا
يُخَاطَبُ صَاحِبَتَهُ أُمُّ مُحَارِبٍ ، وَمُحَارِبُ ابْنِهِ . وَقَوْلُهُ « أَلَمْ تَعْلَمِي » ظَاهِرُهُ
تَقْرِيرٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَحْشُرٌ وَتَوْجُّعٌ . لِذَلِكَ قَالَ : « فَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا »
أَيُّ قَدْ فُحِفِفْنَا بِهِ فَأَصْبَحْنَا خِلَؤًا مِنَ الْاسْتِمْتَاعِ بِحَيَاتِهِ ، وَالْانْتِفَاعِ بِمَكَانِهِ . ثُمَّ

(١) ل : « المكروه » .

(٢) هـ . النابغة الجعدي . سبقت ترجمته في الحماسية ٣٣٣ ص ٩٦٨ .

(٣) البيتان ٣ ، ٤ سبقا في الحماسية ٣٣٤ ص ٩٦٩ ، فيكون مما كرره أبو تمام في

الاختيار . انظر مثيله في الحماسية ٣٣ كررت في ٢٠٩ ، و ٢٩٩ كررت في ٣٦٠ .

(٤ - حاسة - ثالث)

ذكر أنه قد فُجِعَ قبله بأخيه أيضاً ، وكان نسبياً قريباً ، وصديقاً مُصافياً حبيباً .

٣ - فتى كملت خيراؤه غير أنه جَوَادٌ فما يُبْقِي من المالِ باقياً

٤ - فتى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقه على أن فيه ما يَسُوهُ الأعداء

قوله « فتى كملت خيراؤه » يجوز أن يكون فتى في موضع النصب على المدح والاختصاص ، أى أذكُرُ فتى هذه صفته . ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو فتى . وقوله « غير أنه جَوَادٌ » استثناء منقطع ، وقد تقدم الكلام في مثله ، وأن من كان عيبه والمستثنى من خصاله المحمودة ما يُدْكَرُ بعد غير فناهيك به رجلاً كاملاً . وقوله « فتى تَمَّ فيه ما يَسُرُّ صديقه » مثله ، وقد تقدّم في مواضع وشرَحناه .

٣٧٥

وقال رجلٌ من بني هلال^(١)

برثني ابن عمّ له :

١ - أبعد الذى بالنّصف من آلِ ماعزٍ بُرّحني بمران القرى ابن سبيل

٢ - لقد كان للسايرين أئىّ مَعْرَسٍ وقد كان للغادين أئىّ مَقِيلٍ

٣ - بنى المخصّصات الغرّ من آل مالكٍ بُرّبين أولاداً إخيرٍ خليلٍ

يقول على وجه الإنكار : أبرّحني ابن السبيل القرى بمران بعد المدفون بالنّصف من آل ماعزٍ . أى لا يكون ذلك ، لأن من كان يشملُ خيره^(٢) وبرّتهجى الزّولُ به مُسْكراً ضيفه قد مات . والنّصف : ما ناعفك من الجبل ،

(١) كذا عند التبريزي ، ول . وفي الأصل : « من بني هذيل » .

(٢) كذا في ل . وفي نسخة الأصل : « يشتمل » .

أى استقبلك ، وقيل : هو ما انحدرَ عن السفح وغلظَ ، فكان فيه صمودٌ وهبوطٌ . ذكره الدريديُّ ، قال : وجمعه نَافٌ .

وقوله « لقد كان للسَّارينَ » جوابُ قَسَمٍ محذوف . والتَّعْرِيسُ : النزول عند الصُّبح . والمَقِيلُ : موضع القيلولة ، فيقول : مَنْ أسرى ليلةً ثم طلب من ينزلُ به ، كان هذا الرَّجُلُ مَعْرَسًا له كريمًا ، وأى مَعْرَسٍ . وهذا الكلام فيه تعجبٌ وتفخيم . وكذلك مَنْ ارتحل غُدُوًّا ثمَّ أرادَ الرَّواحَ كان فِناؤه له مَقِيلًا طَيِّبًا وأى مَقِيلٍ .

وقوله « بَنَى الْمُحَصَّنَاتِ » جَمَعَ إِلَى ذِكْرِهِ ذِكْرَ إِخْوَتِهِ ، فقال : أَذْكَرُ قَوْمًا كَرَامَ الْأَطْرَافِ ، أُمَّهَاتِهِنَّ مِنَ الْحَصَانَةِ وَالطَّاهِرَةِ فِي أَعْلَى مَحَلٍّ ، وَأَبْعَدِ رُتْبَةٍ ، وَبِرٍّ بَيْنَ^(١) أَوْلَادًا لِبِعُولٍ لَا يُوَازِي بِهِمْ ، عُلُوًّا مَنْصِبٍ ، وَزَكَاةً مَنْصِبٍ ، وَتَقَدُّمًا فِي الشَّرَفِ وَالْإِفْضَالِ . وَبَرَاعَةً فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

٣٧٦

وقال كَبِدُ الْحَصَاةِ الْعِجْلِيَّةِ^(٢) :

- ١ - أَلَا هَلَّاكَ الْمَكْسَرُ يَا لَبَكْرٍ فَأَوْدَى الْبَاعُ وَالْحَسَبُ التَّلِيدُ
- ٢ - أَلَا هَلَّاكَ الْمَكْسَرُ فَاسْتَرَا حَتَّ حَوَافِي الْخَلِيلِ وَالْحَيُّ الْحَرِيدُ

(١) ل : « ويربين » .

(٢) يرثى يزيد بن حنظلة بن ثُمالة بن سيار ، ولقبه « المكسر » . وقد ضبط بكسر السين المشددة عند التبريزي ، وبفتحها في الأصل ، ل . والمكسر هو الذى يقول يوم ذى قار : أنا ابن سيار على شكيمة من قر منكم فر عن نديمة وجاره وفر عن حريمه إن الشراك قد من أديمه وكانت طائفة من طيىء أغارت على بكر بن وائل فأخذوا منهم أخائهم ، فأغار المكسر على طيىء فاكتمح أموالهم وأصاب منهم سبايا ، فأغار زيد الخيل على بنى تيم الله بن ثلبة ، وقال : إذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا عركنا بتم الله ذنب بنى عجل

افْتَتَحَ كَلَامَهُ بِأَلَا ، ثُمَّ أَخَذَ يُعْظِمُ الْخَطْبَ وَيَفْطَعُ الشَّانَ ، فَقَالَ : مَاتَ هَذَا الرَّجُلُ فَمَاتَ بِمَوْتِهِ الْكَرَمُ الْعَمِيمُ ، وَالشَّرَفُ الصَّمِيمُ .

وقول « يَالْ بَكْرٍ » استفادة تَمَادَاهُ . وقد مرَّ القولُ في هذه اللامِ والفصلُ بينها وبين لامِ التَّعَجُّبِ من قولك يَالْبَكْرَ . ومعنى أَوْدَى : هَلَكَ . والباعُ هَاهُنَا الْكَرَمُ . ويقال : بَاعَ الرَّجُلُ يَبُوعُ بَوْعًا ، إِذَا مَدَّ بَاعَهُ ، وَتَبَوَّعَ . وكذلك تَبَوَّعَ الْبَعِيرُ ، إِذَا مَدَّ ضَبْعَهُ . وَالْحَسَبُ : الشَّرَفُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحِسَابِ ، لِأَنَّ الْحَسِيبَ يَمُدُّ لِنَفْسِهِ مَا تَرَفَّتْكَ الْمَأْتَرُ حَسَبُ . كَمَا يَقَالُ نَفَضْتُ نَفْضًا ، ثُمَّ يَسْتَعِي الْمَنْفُوضُ نَفْضًا . وَالتَّلِيدُ وَالتَّلَادُ : ضِدُّ الطَّرِيفِ وَالطَّارِفِ . وَالتَّلَادُ : مَا وُلِدَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِكَ . قَالُوا : وَأَصْلُ هَذِهِ التَّاءِ الْوَاوُ .

وقوله « أَلَا هَلَكَ الْمَكْسَرُ » كَرَّرَهُ لِنَفْطِيعِ الْأَمْرِ . ومعنى « استراحت حَوَافِي الْخَيْلِ » وصفه بأنه يُبْعِدُ الْغَزْوُ فَلَا يَبْقَى عَلَى الْخَيْلِ وَإِنْ حَفِيتَ ، فَلَمَّا مَضَى نَالَتِ الرَّاحَةُ وَتَوَدَّعَتْ . وَقَالَ « حَوَافِي الْخَيْلِ » عَلَى أَنْ بَصَفَهَا بِمَا كَانَ آلَ أَمْرُهَا إِلَيْهِ بَعْدَ الْغَزْوِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « الْحَيُّ الْحَرِيدُ » ، هُوَ الْمُنْفَرِدُ وَالتَّبَاعِدُ عَنْ غَيْرِهِ . كَأَنَّهُ لَا يَسْلُمُ عَلَيْهِ وَإِنْ حَذِرَ وَتَبَاعَدَ . وَيُقَالُ : كَوَكَبٌ حَرِيدٌ ، إِذَا طَلَعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مَتَنَحِّيًا عَنِ الْكَوَاكِبِ . وَرَجُلٌ حَرِيدٌ الْحَلِّ ، إِذَا لَمْ يُخَالِطِ النَّاسَ وَلَمْ يَنْزِلْ مَعَهُمْ . وَقَالَ :

* أَمَّا بِكَلِّ كَوَكَبٍ حَرِيدٍ ^(١) *

وقال آخر ^(٢) :

* حَرِيدَ الْمَحَلِّ غَوِيًّا غُيُورًا ^(٣) *

(١) لَنِي الرِّمَّةَ ، كَمَا فِي دِيْوَانِهِ ١٥٧ وَاللَّسَانَ (حَرْد) .

(٢) هُوَ الْأَعْشَى . دِيْوَانُهُ ٦٨ وَاللَّسَانَ (حَرْد) .

(٣) صَدْرُهُ : * إِذَا نَزَلَ الْحَيُّ حَلَّ الْجَحِيشِ *

٣٧٧

وقال ابن أهبان الفقهسى^(١)

يرئى أخاه :

١- عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ تَشْقُ جُوبَهَا وَتُعْلِنُ بِالنَّوْجِ النِّسَاءَ الْفَسَّادَاتِ
٢- فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ أَوْ يُرَى سِوَى الْحَيِّ أَوْ ضَمَّ الرَّجَالَ الْمَشَاهِدُ
يقول : عَظُمَ الرِّزْهَ بِمَوْتِ هَمَامٍ فَلَا مَحْبَأَ لِلْجَزَعِ وَلَا مُصْطَبِرٍ ، وَلَا إِسْرَارَ
لِللَّاتِياعِ وَلَا مُدَّخِرٍ . وَأَنْى يَكُونُ لِلسَّامِعِ بِهِ مَعْدِلٌ إِلَى التَّجَمُّلِ وَالتَّجَلُّدِ ، وَقَدْ
فُقِدَ بِهِ مَنْ يُسْتَبَاحُ فِي نُدْبَتِهِ كُلُّ مُحْظُورٍ ، وَيُسْتَجَازُ فِي الرِّثَاءِ لَهُ كُلُّ مَذْكُورٍ ،
فَلَا مَنَعَ مِنْ شِقِّ الْجُيُوبِ ، وَصَدْعِ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ ، وَإِعْلَانِ النَّيَاحَةِ ، وَامْتِدَادِ
الْمَاتِمِ فِي الْإِعْوَالِ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ . وَقَوْلُهُ « عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ » يَذْكُرُ الْمِثْلَ وَالْمَقْصُودُ
نَفْسَهُ لَا غَيْرُ صِيَانَةٍ لَهُ وَنِزَاحَةٍ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ : مِثْلُكَ لَا يَحْسُنُ بِهِ كَذَا
مَعْنَاهُ : أَنْتَ لَا يَحْسُنُ بِهِ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنَّ الْغَرَضَ مَا ذَكَرْتَهُ ، وَقَوْلُهُ « بِالنَّوْجِ »
يُرَادُ بِهِ مَصْدَرُ نَاحٍ . وَقَدْ يُرَادُ بِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ النِّسَاءُ الْفَاسِدَاتُ .

وقوله « فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ » جَعَلَ لَهُ الْفَتْوَى وَالرِّيَاسَةَ مَسْأَلَةً لَهُ فِي كُلِّ
حَالٍ ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : هُوَ الْفَتَى بَيْنَ رِجَالِ الْحَيِّ وَعِنْدَ
لِقَائِكَ إِبَّاهَ فِيهِمْ . فَعَنَى أَنْ تَلْقَاهُ ، هُوَ الْفَتَى لِأَنَّ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ ، وَوَقْتُ تَلْقَاهُ
فِي الْحَيِّ . وَقَوْلُهُ « أَوْ يُرَى سِوَى الْحَيِّ » أَيْ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَفِي قَوْمٍ آخَرِينَ .

(١) كلمة « الفقهسى » من ل والتبريزى .

بدلاً من الحى. لأنك إذا قلت: عندى رجل سِوى زَيْدٍ، معناه: عندى رجلٌ مكانَ زيدٍ، وبدلاً من زيدٍ.

وقوله «أو ضمَّ الرِّجالَ المُشاهدُ» معناه وهو الفَتى إذا حصَلَتْ وفودُ القِبائلِ وألسنتهم ورؤساؤهم فى مَجامع الملوك الأعظم، ومُشاهد السادة الأكابر. وقوله «أو ضمَّ» محمولٌ على المبنى. يريد: وهو الفَتى لأنَّ ضمَّ الرِّجالِ والقِسمةُ بما رتبته قد استوفت الأحوالَ كُلَّها.

٣- إذا نازَعَ القومَ الأحاديثَ لم يَكُنْ عَيْباً ولا عَيْباً على مَنْ يُقَاعِدُ
٤- طویلُ نِجادِ السيفِ يُصْبِحُ بَطْنُهُ خَمِيصاً وجادِيهِ على الزَّادِ حامِداً
وصفه بالبراعة وتمام الآلة، وأنه سهلُ الخلق، سهل الجانب، يباسِطُ مفازَته فى الأحاديثِ ويطاولُه، لا عِىَّ يَقْصُرُ حَدِيثُهُ، ولا كَبَرُ يُنْفَرُ قَعِيدُهُ، فهو طيِّبُ المجلس، خفيفُ الملتزم، وإذا تأملتُ خَلْقَتَهُ كانَ حَسَنَ القَوامِ، تامَّ الجِسمِ، طویلَ حائلِ السيفِ. هذا فى الحى ما أقام، وفى السَّفرِ تراه يُؤثِّرُ غيرَه بالزاد، فَبَطْنُهُ خَمِيصٌ، وَجُدَيْهِ والمَمُولُ عليه حامِداً له شكور. وأبْلَغُ مِنْ قوله «طویلُ نِجادِ السيفِ» قولُ مُسْلِمٍ:

يَطُولُ مع الرُّمَحِ الرُّدْبِيُّ قامةً وَيَقْصُرُ عنه طُولُ كُلِّ نِجادٍ

٣٧٨

وقال ابنُ عَمَّارِ الأسَدِيِّ يرثى ابنه:

١ - ظَلَلْتُ بِجَسْرِ سابورٍ مُقِيماً يُورِّقُنِي أُنَيْكُ يا مَعِينُ^(١)

(١) رَواهُ التَّبْرِيزِيُّ: «بَجَسْرِ سابورٍ» وقال: «خَسِر سابور: من بلاد المعجم نسب إلى خَسِر وسابور، وهما ملكان من الفرس. ويصحف هذا فيقال جسر سابور». وفى معجم البلدان: «خَسِر سابور. وإمامة تقول خَسابور: قرية معروفة قرب واسط بينهما فراسخ، معروفة بمجودة الرمان».

٢ - وناموا عَنكَ واستيقَظَت حتَّى دَعَاكَ الموتُ وانقطعَ الأَينُ
أصل الظلُّول المُسْكُ في النهار ، ولكنهُ يُتوسَّع فيه فيُجمل للأوقات
كلَّها . على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ۖ ﴾
وذلك لا يَخْنِصُ بالنهار دون الليل . وهذا الكلامُ اقتصاصٌ حالهِ معه في
تمرُّضه ، وتوليَّهِ منه ما تفرَّد به ، وفيه التشكُّي مما قاساه وتجرَّع الفُصص عنه ،
فيقول : بَقِيْتُ مقيماً بذلك المكانِ يُسهرُني تألُّمُك وأُنَيْتُك ، ونامَ كلُّ مَنْ
حُبَّتْهُ ^(١) فاستيقَظتُ أنا متجرِّداً فيك ، ومتحمِّلاً ما أمكن تحمُّلهُ عنك ، إلى أن
أُجِبْتَ داعيكَ ، وأطلقتَ من أَسْرِ الانتظارِ ناعيكَ ، فانقطعَ الأَينُ ، وجَدَّ
مَنى لفقدك التَّوِيل .

٣٧٩

وقال أبو وهب العبسي ^(٢) يرثي ابنه :

١ - أَرَايَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا وَأُجِلي في اليأسِ نَامٍ والقَزَاهُ بَجِيلُ
٢ - فَإِنَّ الذي تَبَكَّيْن قد حَالَ دُونَهُ تُرَابٌ وَزَوْرَاهُ الْمَقَامِ دَحُولُ
سلكَ فيما قاله مسلَكَ أوس بنِ حَجَرٍ ، حين قال :

أَيُّهَا النَّفْسُ أُجِلي جَزَعًا إِنَّ الذي تَحْذَرِينَ قد وَقَعَا
والمرأةُ الحَاطِبَةُ فيما نَظَن ^(٣) أُمُّ المَرْتَنِي . وقوله « مهلاً بعضَ هذا » انتصبَ
بعضَ بإضمار فعل ، كأنه قال : رِفَقاً كُفِّيَ بعضَ ما تَأْتِينَهُ ، وأحسِنِي القَزَاهُ ،
ففي اليأسِ مَن قد مضى نَاهٍ لَكَ عن الإسرافِ في الجَزَعِ ، والإفراطِ في الالتِياعِ

(١) ل : « صحبنا » .

(٢) التبريزي : « وقال طريف بن أبي وهب العبسي » .

(٣) ل : « فيما أظن » .

وَالْتَمَعَ ؛ وَالصَّبْرُ جَمِيلٌ كَيْفَ كَانَ ، فَإِنَّ مَنْ تَبَكَّيْنَهُ حِجَزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا تُرَابٌ
مَهِيلٌ ، وَلِخَدِّ قَعِيرٍ ، وَحَفْرَةٍ مَعْوَجَةٍ ، وَهُوَئِهِ مَهُولَةٌ ، فَلَا طَمَعُ فِي الْإِلْقَاءِ ،
وَلَا فِي الرُّجُوعِ وَالْإِنْكَفَاءِ .

وقوله « وَزَوْرَاءُ الْمَقَامِ » أى معوجة الموضع الذى يُقام فيه منها . وقوله
دَحُولٌ ، يقال بذر دَحُولٌ ، أى ذاتُ تَلَجْفٍ .

٣ - نَحَاهُ لِلْخَدِّ زِبْرَقَانٌ وَحَارِثٌ وَفِي الْأَرْضِ لِلْأَقْوَامِ قَبْلَكَ غُولٌ

٤ - فَأَيُّ فِتْنَى وَارَوْهُ ثُمَّتْ أَقْبَلَتْ أَكْثَمُهُمْ تَخَنَّى مَعَا وَتَهَيَّلُ^(١)

الأحد : مَا حُفِرَ فِي مُعْرَضِ الْقَبْرِ . وَيُقَالُ لِحَدَثِ الْقَبْرِ وَالْخُدَّتِهِ ، وَقَبْرِ
مَلْحُودٍ وَمُلْحَدٍ وَلاَحِدٍ ، أى ذُو لَحْدٍ . يَقُولُ : وَلَآءُ لِلْخَدِّ قَبْرِهِ هَذَانِ
الرَّجُلَانِ ، وَالْعَادَةُ مُسْتَمِرَّةٌ فِي فَنَاءِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ قَبْلَنَا ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو
مِمَّا يَفْتَالُ الْأَحْيَاءُ وَيُهْلِكُهُمْ . وَالْقَوْلُ : الْهَلَكَةُ ، وَيُقَالُ : غَالَهُ الْمَوْتُ . وَقَالَ
الشَّاعِرُ :

وَمَا مَيِّتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسَ غُولُهَا
وَالْكَلَامُ فِيهِ تَأْسِيرٌ وَتَمَزُّرٌ ، بَعْدَ أَنْ اقْتَصَرَ دَفْنُهُ وَمَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ مَعَهُ .

ثُمَّ قَالَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ : أَيُّ فِتْنَى غَيَّبُوهُ وَدَفَنُوهُ ؟ ! بَعْظَمَ أَمْرُهُ وَيُفْخَمُ
شَأْنُهُ . وَقَوْلُهُ « ثُمَّتْ أَقْبَلَتْ » التَّأَمُّ مِنْ ثُمَّتَ عَلَامَةُ التَّأْنِثِ ، وَهُوَ تَأْنِثُ
الْخَلِصَةِ . وَكَأَنَّ تَتَّصِلُ هَذِهِ الْعَلَامَةُ بِالْأَسْمِ نَحْوَ أَمْرِيٍّ وَأَمْرَاةٍ ، وَبِالْهَفْطَةِ نَحْوَ قَائِمٍ
وَقَائِمَةٍ ، تَتَّصِلُ بِالْفِعْلِ ، وَالْأَسْمُ وَالْفِعْلُ هُمَا مَوْضِعُهُمَا ، إِلَّا أَنَّهَا فِي الْأَسْمِ يُبْدَلُ
مِنْهَا الْمَاءُ فِي الْوَقْفِ ، وَيَنْتَقِلُ الْإِعْرَابُ عَنْ آخِرِ الْأَسْمِ إِلَيْهَا . وَفِي الْفِعْلِ يُسَكَّنُ
إِلَّا أَنْ يُلَاقِيَهُ سَاكِنٌ آخَرٌ ، وَيَكُونُ تَاءٌ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ جَمِيعًا . وَفِي الْحَرْفِ

بقل دخوله ، وإذا دخل حرك بالفتح ، نحو ربت وئمت ، وتبقى تاء في كل حال .

وقوله « تحني معاً » انتصب معاً على الحال . والحنى : أن ترفع يدك بالتراب أو غيره فتفترقه في الجو . قال :

الخصن أدنى لو تأبنته من حنك التراب على الزاكب^(١)
والحائيات : تراب يجمعه اليربوع ، من هذا : والهليل : أن تجرفه من غير أن ترفع اليد به . ويقال : هلت التراب وأهلت . وفي المثل « محسنة فهيلي^(٢) » ويقال : « جاء بالهليل والهليمان^(٣) » أى بالشئ الكثير ، ويجوز أن يكون من هذا ، لأن المعنى جاء بما اجتمع هيللاً لا كَيْلاً .

وفي الطريقة التي سلكها من اقتصاص الحال في الدفن والحنى ، قد أحسن من قال :

ألم ترني أبني على الليث بيته وأخني عليه التراب لا أتخضع
كأنني أدلى في الحفيرة بأسلاً عقيراً بنوه للقيام ويضرع
تخال بقاء الروح فيه ، لقربه بمهد الحياة ، وهو ميت مقنع
ألا تراه كيف صور التهيّب منه والإعظام له في تلك الحالة .

٥ - وظلّتني الأرض الفضاء كأنما تصعدُ بي أركانها وتَجُولُ

(١) ل : « لو تأبنته » . ويروى : « من حشوك التراب » . انظر المقاييس (٢: ١٣٧) .
(٢) قال الميداني : « أصله أن امرأة كانت تفرغ طعاماً من وعاء رجل في وعائها ، فبجاء الرجل فدهشت ، فأقبلت تفرغ من وعائها في وعائه ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : أهبل من هذا في هذا ، فقال لها : محسنة - أى أنت محسنة - فهيلي . ويروى : محسنة ، بالنصب على الحال ، أى أهبل محسنة . ويجوز أن ينصب على معنى أراك محسنة . يضرب للرجل يعمل العمل يكون فيه مصيباً » .

(٣) « الهيلمان » بفتح اللام وضمة .

٦ - وَشَدَّ إِلَى الطَّرَفِ مَنْ كَانَ طَرَفُهُ بِمَهْدٍ عُيِيدَ اللَّهُ وَهُوَ كَلِيلٌ

يقول : دِيرَ بِي لَمَّا شَاهَدْتُ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَنْكَرْتُ ، وَاسْوَدَّتْ الْأَرْضُ فِي عَيْنِي فَصَارَتْ عَلَى سَعَتِهَا كَأَنَّمَا جُمِعَتْ جَوَانِبُهَا ، فَأَصَمَّ دُفِهَا وَهِيَ تَجُولُ فَلَا تَهْدَأُ ، وَتَدُورُ فَلَا تَقْرُ .

وقوله « وَشَدَّ إِلَى الطَّرَفِ » أَيْ نَظَرَ إِلَى بَشْدَةٍ وَتَحْدِيقٍ . وَفِي الْحَدِيثِ : قِيلَ لِأَبِي مَحْذُورَةَ ^(١) وَشَدَّ أَدَانَهُ : « أَمَا خَشِيتَ أَنْ تَنْشَقَّ مِرْيَاؤُكَ ^(٢) » . وَيُقَالُ : شَدَّدْنَا عَلَى يَدِ فُلَانٍ وَشَدَّدْنَا يَدَهُ ، أَيْ قَوَّيْنَاهُ . وَالطَّرْفُ : تَحْرِيكُ الْجَفْنِ فِي النَّظَرِ . يَقُولُ ^(٣) : شَخَّصَ بَصْرَهُ فَمَا يَطْرَفُ . وَقَوْلُهُ « مَنْ كَانَ طَرَفُهُ » كَانَ هَذِهِ هِيَ الثَّامَّةُ . وَالْمَعْنَى مَنْ وَقَعَ طَرَفُهُ وَحَدَّثَ طَرَفُهُ فِي زَمَنِ عُيِيدَ اللَّهُ وَبِمَهْدِهِ وَهُوَ كَلِيلٌ ، يَرِيدُ : مَنْ كَانَ لَا يَمَلُّ عَيْنَهُ مَنًى فِي حَيَاتِهِ تَهَيُّبًا صَارَ يَنْظُرُ إِلَى شَرِّ رَأَى وَنَظَرًا شَدِيدًا . وَإِنَّمَا قَوَّاهُ تَجَاوَرُهُ وَمَا حَدَّثَ لَهُ وَفِي تَقْدِيرِهِ ، مِنْ مُنَّةٍ اسْتَجَدَّهَا ^(٤) ، وَقُوَّةٍ عَاوَدَتْهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهَا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ كَلِيلٌ » ، الْوَائِي وَوَائِي الْحَالِ .

٧ - آئِنَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ عَلَى حِينِ شَيْبِي بِالشَّبَابِ بَدِيلٌ ^(٥)

(١) هُوَ أَبُو مَحْذُورَةُ الْمُؤَذِّنُ ، وَاسْمُهُ أَوْسٌ - أَوْ سَمْرَةٌ - بْنُ مِصْعِيرٍ . عَلِمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَذَانَ بِالْجَمْعِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٩ وَبَقِيَ سَنَةَ ٧٩ ، الْإِسَابَةُ ١٠٠٨ ن . بَابُ الْكُنَى . وَالَّذِي قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، كَمَا فِي السَّانِ (مَرْط) .

(٢) الْمِرْيَاةُ : مَا بَيْنَ السَّرَةِ إِلَى الْعَافَةِ .

(٣) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « يَقَالُ » .

(٤) الْمُنَّةُ ، بِالضَّمِّ : الْقُوَّةُ .

(٥) التَّهْرِيزِيُّ : « قَوْلُهُ عَلَى حِينِ شَيْبِي . قَالَ أَبُو هَلَالٍ : لَا يَجُوزُ إِلَّا الْخَفْضُ فِي حِينٍ ، لِأَنَّ الَّذِي أَضْفَتْ إِلَيْهِ حِينٍ مُعَرَّبٌ ، فَإِنْ أَضْفَتْهُ إِلَى الْفِعْلِ جَازَ الْفَتْحُ وَالْكَسْرُ . أَمَّا الْكَسْرُ ، فَلِأَنَّهُ مَجْرُورٌ وَهُوَ اسْمٌ مُنْصَرَفٌ ، وَأَمَّا الْفَتْحُ فَلِإِضَافَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ مُعَرَّبٍ ، فَبَيْنَتْهُ عَلَى الْفَتْحِ لِأَنَّ الْمَضَافَ وَالْمُضَافَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَبَيْنَتْهُ لِذَلِكَ » . وَهَذَا الْمَذْهَبُ مَذْهَبُ الْبَصَرِيِّينَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُوجِبُونَ الْإِعْرَابَ فِي الظُّرُوفِ الْمُبْهَمَةِ إِذَا أُضِفَتْ إِلَى جُمْلَةٍ صَدَرَهَا مُعَرَّبٌ . وَأَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَيُرُونَ الْإِعْرَابَ فِي ذَلِكَ رَاجِعًا وَابْنًا مَرْجُوحًا . انْظُرْ هِجَاءَ (١ : ٢١٨) .

٨ - لَقَدْ بَقِيَتْ مَنَى قَنَافَةَ صَلَيبَةٍ وَإِنْ مَسَّ جِلْدِي نَهْكَةٌ وَذُبُولُ
٩ - وَمَا حَالَهُ إِلَّا سَتُضَرَفُ حَالُهَا إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى وَسَوْفَ تَزُولُ
اللام من « آئِن » موطنه للقسم المضمَر ، وجوابه « لَقَدْ بَقِيَتْ » . وخلق
مكانه ، أى تَرَكَ مكانه من العيون والقُلُوب خاليا . ويجوز أن يريدَ تَرَكَ
مكانه من دنياه لَنَ شاء . على حين شَيْبِي ، أى فى وقتٍ استبدلت بالشباب
شَيْبًا ، وبالقُوَّة ضَعْفًا ، لَقَدْ بَقِيَ مَنَى إِبَالًا شَدِيدًا ، وَجَلَّاحٌ عَلَى مَنْ يَقْصِدُ اهْتِضَامِي
بليغ ؛ فَقَفَانِي صَلَيبَةً عَلَى غَارِزِهَا ، مَمْتَنَّةٌ عَلَى مُتَقَفِّهَا ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَصِيبَةُ نَالَتْ
مَنَى فَتَحَلَّ جِسْمِي ، وَذُبُلَ جِلْدِي ، وَحَالَ لَوْنِي ، وَتَحَوَّلَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ
أمرى وشأنى . وقد تقدَّم القول فى القَنَافَةِ وطريقتهم فى استعمارها وجعلها مثلاً .
وقوله « وَمَا حَالَهُ إِلَّا سَتُضَرَفُ حَالُهَا » يُرِيدُ : وَمَا خُطَّةٌ إِلَّا سَتَحْوُلُ صَوْرَتُهَا
إلى صورةٍ أُخْرَى مَا بَقِيَتْ وَأُمْنِيَّتْ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدُ سَوْفَ تَزُولُ فَلَا تَبْقَى ،
وَتَحْوُلُ عَنِ الْمَعْهُودِ فَتَقْنَى . والمعنى : إِنْ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا وَأَعْرَاضِهَا لَا يَدُومُ
عَلَى حَدٍّ ، وَلَا يَسْتَمِرُّ عَلَى طَرِيقٍ وَوَجْهٍ ، لَسَكُنَ يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّبَدُّلُ ،
فَيَرْتَدُّ عَمَّا يَكُونُ عَلَيْهِ ، أَوْ يَتَرَاوَجُ هَذَا إِذَا سَلِمَ ، وَمِنْ بَعْدُ سَوْفَ يَكُونُ مُغَيَّرَهُ
مُهْلِكُهُ ، وَمَذْبَرُهُ مَذْمَرُهُ .

٣٨٠

وَأُنْشِدُ أَيْضًا^(١) :

١ - وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنَى بِشَطْرِهِ فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرَهُ عَادَ فِي شَطْرِي^(٢)

(١) كَذَا فى اللسخنين . وعند التبريزى : « وقال العنبي » . والعنبي هذا هو محمد
ابن عبد الله ، من آل عتبة بن أبي سفيان ، أديب أخبارى من أهل البصرة ، له شعر جيد
وتصانيف حسنة . قال ابن النديم : « كان العنبي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » . توفى سنة
٢٢٨ . ابن النديم ١٧٦ .

(٢) التبريزى : « بنى مشاطراً » .

٢- أَلَا لَيْتَ أُتِي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي سَبَقْتُكَ إِذْ كُنَّا إِلَى غَايَةِ نَجْرِي
كانت رواية الناس بُرْهَةً « وقاسمتني دهرى بِنِي بِشْطَرِهِ » مضافاً ، « فلما
تَقَضَى شَطْرُهُ » بالضاد ، وارتفاع الشَّطر به ، فجاء شَبَّخْ لَمَّا فرواه :
« بِشْطَرَةٍ * فلما تَقَضَى شَطْرُهُ »

وكان يقول : هذه ضالَّةٌ أنا وجدتها ، وهو بما حكاه أبو زيد من قولهم :
بنو فلان شِطْرَةٌ ، إذا كان ذكورهم بعدد إناثهم . يريد : ناصتني . ومعنى
« تَقَضَى شَطْرُهُ » بلغ أقصاه واستوفاه . والذي اختاره أن يُرَوَى « بِشْطَرِهِ »
على الإضافة . ومن الظاهر أن تَقَضَى أَحْسَنُ من تَقَضَى في اللَّفْظ ، وأبلغُ في
المعنى . ومعنى بِشْطَرِهِ كَأَنَّ الدَّهْرَ ادَّعَى أَنَّهُ قَسِيمُهُ فِي بَنِيهِ وَأَنَّ لَهُ مِنْهُمُ الشَّطْرَ ،
وهو النِّصْف ، فقامسه على ذلك ، فلمَّا استوفى حَظَّهُ أَقْبَلَ بِأَخْذٍ مِنْ نَصِيبِهِ الَّذِي
كَانَ أَقْرَبَ لَهُ بِهِ ، وسأهمه عليه . وإنما اخترتُ بِشْطَرِهِ على « شِطْرَةٍ » ، لأنَّ
شِطْرَةَ لَمْ يُسْتَعْمَلْ فِي الْأَنْصِبَاءِ وَالسَّهْمِ ، وَالشَّطْرُ فِي النِّصْفِ مَعْرُوفٌ وَمُسْتَعْمَلٌ ،
ومنه شاة شَطُورٌ ، إِذَا بَدَسَ أَحَدُ ضَرْعَيْهَا . وكذلك قولهم : حَلَبَ الدَّهْرَ
أَشْطَرُهُ ، إِذَا جَرَّبَ الْأُمُورَ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحَلَبِ ، أَيْ حَلَبَ شَطْرًا مِنَ الْخَيْرِ
وَشَطْرًا مِنَ الشَّرِّ ، حَتَّى تَبْصُرَ وَعَرَفَ مَوَاضِعَ النِّجَاجَةِ مِنْ مَوَاضِعِ الْعَطَبِ
وَالْهَلَكَةِ .

وقوله « أَلَا لَيْتَ أُتِي لَمْ تَلِدْنِي » تمنى السلامة بأن كان لا يُخْلَقُ ولا
يُخْتَرَعُ فينجو من الابتلاء ، وملازمة أنواع البلاء ، والتردد بين السعادة
والشقاء ؛ وتمنى بعد أن أُوْجِدَ وَخُلِقَ أَلَّا يَكُونَ فَائِدُهُ وَالْمَعْرَى فِيهِ ، بل كان
السابق له والمقدم عليه ، سَيِّئًا^(١) وها جاربان إلى غاية من العطب لا تحيى
عنها ، ولا مفر منها .

(١) كلمة « سيما » ساقطة من ل .

٣- وكنتُ به أكنى فأصبحتُ كلما كُنيتُ به فاضتُ دُموعي على نَحْرِي

٤- وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفْرٍ على العدى فأصبحتُ لا يَحْشَوْنَ نابِي ولا ظُفْرِي

جَرَى على افتقائهم في تحويل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب ، وصرفه عن العموم إلى تخصيص بعضهم بالذكر . ألا ترى أنه أَخْبَرَ في قوله « وقاسمني دَهْرِي بَنِي » ثم قال « ليتني سبقتك » فرجع إلى خطاب واحدٍ منهم ، ثم قال « وكنتُ به أكنى » فأخْبَرَ به عن أحدٍ بنيه . والمعنى : كنتُ اكنيتُ به حُبًّا لِدَكره واسمِهِ ، وتفاؤلاً ببقائه ودوامه ، فبقى الاسمُ والشخصُ مفقودًا ، فلا جَرَمَ أَنِّي متى كُنيتُ به تَجَدَّدَ لِي حُزْنٌ أَفاضَ عَبرَتِي ، وأغاضَ ماء عِشْتِي .

وقوله « وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفْرٍ على العدى » يُريد : إِنِّي كنتُ تامَّ السِّلَاحِ بهم ، موفور العدَدِ والعدَدِ بمكائهم ، مخشًى الجانبِ ، لا يُطْمَعُ في استنزالي عن حُجَّةِ أركبها ، أو شُبْهَةِ أُنْعَلُ بها . وذِكْرُ النابِ والظُفْرِ مَثَلٌ ضَرْبُهُ لِسلاحه وآلاته التي كان يدفع الخصومَ بها ، ويقهر الأعداءَ باستعمالها .

وقوله « لا يَحْشَوْنَ نابِي ولا ظُفْرِي » يريد لا ناب لي بعدهم ولا ظُفْر حُرْفِيخَشَى . فهو مِثْلُ : -

* ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ (١) *

١٣٨

وأنشد لامرأة ترضى أباها :

١- إذا مادَعَا الداعي عليًا وجدْتَنِي أَرَأُعُ كما رَأَعَ العَجُولَ مُهَيَّبُ

٢- وكَم من سَمِيٍّ لَيْسَ مِثْلَ سَمِيٍّ وإنْ كانَ يُدْعَى باسمه فَيُجِيبُ

(١) البيت لابن أحر ، كما سبق في حواشي ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ٥٩٩ . وصدده :

* لا تَفْزَعُ الأرنَبُ أُمُوالها *

يقول : متى قَرَعَ أُذنى دُعاه دَاعٍ باسمي وَلَدَى أَذْعَرِ وَأُفْلَقِ ، كما يَذْعَرُ
الشَّكْلَى مُهَيَّبٌ ، وهو الداعى . والشَّكْلَى تَفْرَعُ لِأُذْنَى صَبِيحَةٍ تَرَهَّقُهَا ،
أو قَرَعَةٍ تَضِدُّ قَلْبَهَا . ويجوز أن يريدَ بِالْمَجُولِ نَاقَةً فَقَدَتْ وَلَدَهَا بِنَحْرِ
أو مَوْتٍ ، فهى فى حَيْنِهَا تَنْفِرُ مِنْ أَخْفَضِ إِهَابَةٍ ، وأُذْنَى بَغْتٍ وَإِزَاعَةٍ .
ويقال لأمثالها من الذُّوق : المَعَاجِيلُ أَيْضًا . ووجدَها يَزِيدُ عَلَى كُلِّ وَجْدٍ .
لذلك قال :

فما وَجَدُ أَظْهَرَ ثَلاثِ رَوائِمٍ رَأَيْتُ مَجْرَّأً مِنْ حُوارٍ وَمَضْرَعاً^(١)
يُذَكِّرُنْ ذَا البَثِّ الحَزِينَ بِبَثِّهِ إِذَا حَنَّتِ الأُولَى سَجَفْنَ لَهَا مَما
بأَوْجَدَ مِنِّى^(٢)

وقوله « وكم من سمى » يقول : ليس التوافق فى الأسماء مما يوجب التَّعَادُلَ
والتَّشَابُهَ فى المِسمِيَّاتِ ، لأنَّ الأعلامَ لا تُفِيدُ فى المِسمِينَ شيئًا ، لكنَّ التَّشَابُهَ
إنما يكون بالأوصافِ الحاصلة ، والمعانى المتماثلة . وإذا كان كذلك فالتشاركُ
فى الأسماء وإن حصلتْ به الإجابةُ عند الدُّعاء لا يوجب تقاربَ المِسمِينَ
ولا تباعدَهم .

٣٨٢

وقال رجلٌ من كَلْبٍ^(٣) :

١- حَلَى اللهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ وَوَجَدَا بَصِيْفِي أُنَى بَعْدَ مَعْبِدِ

(١) الأبيات لمستم بن نويرة فى رثاء أخيه مالك ، من قصيدة فى المفضليات رقم ٦٧ ،
وانشدها المبرد فى الكامل ٧٥٦ - ٧٥٧ ليبسك .

(٢) البيت بتمامه :

بأوجد منى يوم قام بمالك مناد بصير بالفراق فأسمعا

(٣) سبق البيت الثالث والرابع من هذه الحماسة فى الحماسة ٣٠١ ص ٨٩٥ - ٨٩٦ .
وقد سبق التنبيه على مثل لهذا التكرار فى الحماسة ٣٦٦ .

- ٢ - بَقِيَّةُ إِخْوَانِي أَتَى الدَّهْرُ دُونَهُمْ فَمَا جَزَعِي أَمْ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي
٣ - فَلَوْ أَنَّهَا إِحْدَى يَدَيَّ رَزَيْتُهَا وَلَكِنْ يَدِي بَأَنْتَ عَلَى إِثْرِهَا يَدِي
٤ - فَالَيْتُ أَسَى بَعْدَهُمْ إِثْرَ هَالِكٍ قَدِي الْآنَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى هَالِكٍ قَدِي^(١)

لَحَّى اللَّهُ : دعاء على الدهر الذي وصفه ، وقد تقدّم القول في حقيقته . ومعنى « شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ » أى ما كان يُخَشَى من شرِّه في الأحيّة سَبَقَ ما كان يُرْتَجَى من خيره بهم . ثمّ دعا على وَجْدٍ تَعَجَّلَ له بصيفٍ بعد وَجْدٍ تَقَدَّمَ في مَعْبَدٍ ، كأنه كان لا يَأْمَنُ من أحداث الدهر فيما حَبَى وَأَنْعَمَ عليه في إخوة كرام . فَنَاسَتْهُوا في الولاد والوداد ، وتَقَابَلُوا في جَوَازٍ تعليق الرجاء بهم عند الحفاظ ، فَيَخَافُ . وعلى ذلك كان يَغْلِبُ في نفسه وعلى قلبه سلامتهم وبقاؤهم ، حُسْنُ ظَنِّ بالواهب ، وشِدَّةَ طَمَعٍ في الموهوب ، فيسكن ولا يهاب . فلَمَّا جَرَى الأمرُ على خلافِ ما ظَنَّ زَعَمَ أَنَّ شَرَّ الدَّهْرِ سَبَقَ خَيْرَهُ ، فدعا عليه . وقوله « وَوَجْدًا بصيفٍ » ، يقول : ولَحَّى أيضًا جَزَعًا تَجَدَّدَ بصيفٍ بعد مَعْبَدٍ . وهذا تبرُّؤ منه بما قَاسَى من الدهر ، وكابَدَ من جَزَعٍ بعد جَزَعٍ . وفيه إشارة إلى معنى قول الآخر^(٢) :

* نُوْ كَلُّ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَنْصِي^(٣) *

وقوله « بَقِيَّةُ إِخْوَانِي » يجوز أن يكون المرادُ به خيارَ إخواني ، كما يقال : فلانٌ من بَقِيَّةِ الناسِ . ويجوز أن يريدَ به أَنَّهُ كان في إخوانه وَفُورٌ فَقَدَ منهم عِدَّةً ، وجعلَ بَأَنْسِ بَقِيَّتِهِمْ ، فَاتَى الدَّهْرُ عليهم أيضًا . وقوله « فَمَا جَزَعِي أَمْ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي » كأنه كان لا يَمْتَدُّ بِالْجَزَعِ الواقعَ لهم وَمِنْ أَجْلِهِمْ ، لِقُصُورِهِ عن الواجب ، ووقوعِهِ دونَ اللازم ، ولا يَطْمَعُ مِنْ نَفْسِهِ في مُسْكَنَةٍ

(١) فيما سبق : « فأنست لا آسى على إثر هالك »

(٢) هو أبو خراش الهذلي . انظر الحماسة ٢٦٢ ص ٨٧٦ .

(٣) صدره : * على أنها تغفو الكلوم وإنما *

يَتَمَلَّقُهَا ، أَوْ سَلَوَةً يَتَكَلَّمُهَا ، إِذْ كَانَ الْخُلُطُبُ أَعْظَمَ ، وَالرُّزْءُ أَمْلَكَ .
وقوله « فلو أنها إحدى يدي رزيتها » جواب لو محذوف ، يريد : لو أصبتُ
ببعضهم لسهل ما تَعَذَّرَ أو خَفَّ مَا ثَقُلَ ، ولكنهم تجاوبوا للدعوة ، وتتابعوا
في الثقل ، فَتَدَحَّتِ الْمُصِيبَةُ ، وَجَلَّتِ الرِّزِيَّةُ ^(١) .

وقوله « فَأَلَيْتُ آسَى بَعْدَهُمْ » يريد : حلفت لا آسى ببعدهم في إثر هالك ،
فحذف لا ولم يَخَفِ التَّبَاسُّهُ بِالْوَاجِبِ ، إِذْ كَانَ لِلْوَاجِبِ صِيفَةٌ مَفْرَدَةٌ بِاللَّامِ
وإحدى التَّوْنِينَ الثَّقِيلَةِ أَوِ الْخَفِيفَةِ ، وَقَدْ مَرَّ مِثْلُهُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ خَوْفِي كَانَ فِيهِمْ ،
وَإِذْ قَدْ أَصِبتُ بِهِمْ فَأَيُّ لَا أَجْزَعُ لِفَائِتٍ ، فَخَسِبِي عَلَى الْهَلَاكِ مَا بِي خَسِبِي .
وقال « قَدِي » وَلَوْ قَالَ : قَدَنِي ، فَأَيُّ بَنُونَ الْعَمَادِ لَيَسْلَمَ سَكُونُ قَدٍ ، لَجَاز .
قال الشاعر ^(٢) :

* قَدَنِي مِنْ نَصْرِ الْخَبِيثِينَ قَدِي *

فَأَيُّ بِهِمَا جَمِيعًا .

وقوله « إِثْرُ هَالِكٍ » انْتَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ .

٣٨٣

وَأَنْشَدَنِي لِأَعْرَابِي ^(٣) :

١ - كَلَى اللَّهِ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنْ إِلَيْنَا التَّقَاضِيَا
٢ - فَتَيَّ كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسَهُ إِذَا انْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ فِي السَّرِّ خَالِيَا
قد مرَّ القولُ في بيان الدُّعَاءِ عَلَى الدَّهْرِ وَشَرْحِهِ ، وَفِي مَعْنَى « شَرُّهُ قَبْلَ

(١) ما سبق من شرح البيت في ص ٨٩٦ أقوى وأشمل مما هنا .

(٢) هو حميد الأرقط . الخزانة (١ : ٤٥٣) . وقد سبق في ٨٩٦ .

(٣) كذا في ل . وفي الأصل : « وَأَنْشَدَنِي لِأَبْنِ الْأَعْرَابِي » ، وهو تحريف . وعند

فلتبريزي : « وقال أعرابي » .

خبره^(١) ، فأما قوله « تَقَاضَى فَلَمْ يُحْسِنِ إِلَيْنَا التَّقَاضِيَا » فالمعنى طالبنا بردَّ ما مَنَحْنَا فَلَمْ يُحْسِنِ فِي التَّقَاضَى ، لإِمرافه فِي الفِعْلِ ، واستعجاله فِي الردِّ ، واعتسافه فِي الأخذ ، ولأنَّ العَوَارِيَّ قَدْ تُرْتَجِعُ ، والمَنَاحُ قَدْ تُسْتَرَدُّ ، عَلَى وَجْهِ لَا يُخْلَفُ فِيهِ بِالْإِجْمَالِ ، وَلَا يُفْسَدُ بِهِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِفْضَالِ .

وقوله « فَتَى كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسَهُ » يريد أَنَّهُ إِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدِي لَا يَرَى لِنَفْسِهِ أَنْ تَطْوِيَ عَلَى الْبُخْلِ وَالْإِمْسَاكِ ، وَالضَّنُّ بِمَا فِي يَدِهِ عَلَيْهِ ، إِذَا ائْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ ، أَى تَشَاوَرَتْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا ، فَأَقْبَلَتْ وَاحِدَةً تَأْمُرُ بِالْبَذْلِ ، وَالْأُخْرَى تُشِيرُ بِالْإِمْسَاكِ . ففِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَصْمُّ عَلَى تَرْكِ الْاِثْمَارِ لِلْأَمْرِ بِالْبُخْلِ ، وَيَخْرُجُ مِنْ طَاعَتِهِ إِلَى الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ . وَالْاِثْمَارُ : التَّشَاوُرُ هَاهُنَا . فَأَمَّا قَوْلُهُ :

* وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمُرُ^(٢) *

فالمراد به مَا يَجْعَلُهُ مِنْ أَمْرِهِ وَهَمِّهِ ، فَيَقُولُ : إِذَا ائْتَمَرَ الْمَرْءُ لغيره مَا لَيْسَ بِرِشَادٍ خِيَانَةً يَمْدُو عَلَيْهِ فَيَهْلِكُهُ . وَهَذَا كَمَا قِيلَ : مَنْ حَفَرَ مَهْوَاةً وَقَعَ فِيهَا .

٣٨٤

وقال الأبيرد اليربوعي^(٣) :

١- وَلَمَّا نَعَى النَّاعِي يَزِيدَ تَقَوَّلْتُ فِي الْأَرْضِ قُرْطَ الْحَزَنِ وَانْقَطَعَ الظَّنُّ^(٤)

(١) انظر الحماسة السابقة .

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٣ . وصدره :

* أَحَارَ بْنَ عَمْرٍو كَأَنِّي خَرُ *

(٣) هو الأبيرد بن المعذر بن عبد بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة التميمي . شاعر بدوي من شعراء صدر الإسلام وأول دولة بني أمية . الأغاني (١٢ : ٩ - ١٥) .

(٤) يزيد ، كذا وردت في النسختين . والصواب « بريدا » كما في الأغاني ورواية التبريزي . وبزيد هذا هو أخوه الأبيرد ، كما في شرح التبريزي والأغاني ، وأمالى القالي (٢ : ٣) .
وتنبيه البكري ٦٦ .

يقول : لما خَبِرَ الحَبْرَ بِمَوْتِ يَزِيدَ تَلَوْنَتْ الْأَوْضُ فِي عَيْنِي فَأَبْيَضَتْ تَارَةً
وَأَسْوَدَّتْ أُخْرَى ، لَشِدَّةِ حُزْنِي ، وَانْقَطَعَ ظَهْرِي ، وَتَسَاقَطَتْ قُوَايَ ، وَقَوْلُهُ
« تَفَوَّاتٍ » اشتقاقُهُ مِنَ الْقَوْلِ . وَهُمْ يَمْتَقِدُونَ فِي هَذَا الْقَبِيلِ مِنَ الْجَنِّ أَنَّهُمْ
يَتَصَوَّرُونَ بِمَا شَاءُوا مِنَ الصُّوَرِ . وَيُقَالُ : غَوَّاتُهُمُ الْقَوْلُ وَتَفَوَّاتُهُمْ ، إِذَا
تَوَهَّاتُهُمْ . وَانْتَصَبَ « فَرَطَ الْحُزْنِ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ . وَالْكَلَامُ تَسْلٍ مِنْ
غَيْرِ الدَّهْرِ وَتَأْثِيرِ الْمَصِيبَةِ فِيهِ ، حَتَّى انْكَسَرَ قَنَاءُ ظَهْرِهِ ، وَاخْتَلَّ مَا كَانَ
قَوِيماً مِنْ أَمْرِهِ .

٢ - عَسَاكِرُ تَفَشَى النَّفْسَ حَتَّى كَانَتْ أَوْسَكِرَةً دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ^(١)
العساكر : جمع عَسْكَرَةٍ ، وَهِيَ الشَّدَّةُ . قَالَ :

• ظَلَّ فِي عَسْكَرَةٍ مِنْ حُبِّهَا^(٢) •

فَيَقُولُ : غَشِيَتْ نَفْسِي أَنْوَاعُ الْبَلَاءِ ، فَزَالَ عَقْلِي لَهَا ، حَتَّى صَرْتُ كَأَنِّي
سَكْرَانٌ دَبَّتِ الْخَمْرُ فِي عَقْلِهِ وَدِمَاغِهِ ، حَتَّى دَارَتْ هَامَتُهُ ، وَزَالَ تَمَاسُكُهُ وَقُوَّتُهُ .
وَلَكِنْ أَنْ تَرَوِي : « دَارَتْ بِهَامَتِي الْخَمْرُ » لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَخُو السَّكَرَةِ نَفْسَهُ جَازِ
أَنْ يُجْعَلَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَيْهِ ضَمِيرَ نَفْسِهِ . وَهُمْ يَفْعَلُونَ فِي الصِّفَاتِ وَالصَّلَاتِ
هَذَا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

• أَنَا الَّذِي سَمَنْتُ أُمِّي حَيْدَرَةً^(٣) •

وَلَمْ يَقُلْ أُمُّهُ ، وَإِنْ كَانَ وَجْهَ الْكَلَامِ . وَإِنْ رَوَيْتَ « دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ »
فَهُوَ الصَّوَابُ الْمُخْتَارُ .

(١) فِي الْأَمَالِ : « أَخُو نَشْوَةٍ » .

(٢) الْبَيْتُ لَطْرُفَةٌ فِي دِيْوَانِهِ ٦٥ وَاللِّسَانُ (عَسْكَر) . وَصَجَزَهُ :

• وَنَأَتْ شَحَطَ مَزَارِ الْمَذْكَرِ •

(٣) لَعْلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، كَمَا سَبَقَ فِي حَوَاشِي ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ ، ٦١١ ، ٦٤٢ .

٣- فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَغْنَى تَخَرَّقَ فِي الْغَنَى وَإِنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ^(١)
٤- فَتَى لَا يَبْعُدُ الرُّسُلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَوْ تُنَحَّرَ الْجُرُزُ
البيت الأول يشبهه قولُ الهذلي^(٢) :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُسْتَعِثٌ غِنَاهُ
وقوله « تَخَرَّقَ فِي الْغَنَى » أى تَكَرَّمَ فِي غِنَاهُ وَتَوَسَّعَ . وَهُوَ تَفَقَّلَ مِنْ
الْخُرْقِ : الْكَرِيمِ مِنَ الرِّجَالِ ، الَّذِي يَتَخَرَّقُ بِالْمَعْرُوفِ .
وقوله « وَإِنْ قَلَّ مَالٌ » أَرَادَ مَالَهُ . وَمَعْنَى « لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » أَيْ لَمْ
يُورِثْهُ إِقْلَالُهُ تَخَضُّعًا وَتَحَشُّعًا حَتَّى تَطَاطَأَ ظَهْرُهُ وَانْخَفَضَ شَخْصُهُ . وَإِنْ رُوِيَ
« وَإِنْ قَلَّ مَالًا » بِالنُّصْبِ جَازٍ ، وَيَكُونُ فَاعِلُ قَلَّ مَا اسْتَكَنَّ فِيهِ مِنْ ضَمِيرِ
الْفَتَى ، وَانْتَصَبَ مَالًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاسْتَمَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ .
وقوله « فَتَى لَا يَبْعُدُ الرُّسُلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ » يَرِيدُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ بِهِ
لَا يَبْعُدُ اللَّبَنَ قَاضِيًا ذِمَامَ قِرَامٍ ، وَلَا كَافِيًا فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ لَمْ ، حَتَّى يَنْحَرَّ
جُرْزَهُ ، وَيُوسَّعَ مَطَاعِمَهُ . وَقَوْلُهُ « أَوْ تُنَحَّرَ » أَوْ بَدَلٌ مِنْ إِلَّا ، وَانْتَصَبَ
الْفِعْلُ بِإِضْمَارِ أَنْ^(٣) .

(١) الْقَالُ : « وَإِنْ كَانَ فَقْرٌ لَمْ يُوْدِ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » . الْأَخَايَ : « فَإِنْ قَلَّ مَالًا لَمْ يُوْدِ
مَتْنَهُ » . وَبَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ عِنْدَ الْبَرْزِي :
وَسَامَى جَسِيَمَاتِ الْأُمُورِ فَنَالَهَا عَلَى الْعُسْرِ حَتَّى أَدْرَكَ الْعُسْرَ الْيُسْرُ
(٢) هُوَ الْمُنْتَخَلُ الْهَذَلِي . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (٢ : ٣٠) . وَقَدْ سَبَقَ هَذَا الْبَيْتُ
فِي ٥٥٢ .
(٣) أُنْشِدَ الْبَرْزِي بَعْدَهُ هَذَا الْبَيْتُ :

أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَا قِيَا بُرَيْدًا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا لَا لَأَ الْفُتْرُ
وَقَالَ : الْغُفْرَ الطَّيْبَ الَّذِي تَعْلُو بِبَاضِحَاخِرَةٍ . وَلَا لَأَ الطَّبِي : حَرَكَةُ ذَنْبِهِ . وَمِنْهُ تَلَا لَأَ الْبَرْقِ ،
إِذَا تَحَرَّكَ . وَلَمَّا اسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ فِي الْبَرْقِ وَكَانَ مَعَ إِضَاءَةٍ اسْتَقْبَلُوا مِنْهُ اسْمَ الْوَلَوِّ .

٣٨٥

وَأَنشَدَ سَلَمَةَ الْجُعْفَى يَرَى أَخَاهُ لَأَمَّهُ (١) :

١- أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلَوْمُهَا لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ

٢- أَلَمْ تَعْلَمْ أَن لَسْتُ مَاعِشْتُ لَاقِيَا أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَوْصَالِهِ الْقَبْرِ

يقول : إِنِّي أَنَسَخْتُ مَا أَقِيمُهُ مِنَ الْهَلَعِ فِيمَنْ أَصَبْتُ بِهِ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى

نَفْسِي إِذَا خَلَوْتُ بِهَا بِاللَّوْمِ وَالتَّعْنِيفِ ، وَأَقُولُ حَلَّ (٢) بَكَ الْوَيْلُ ، مَا الَّذِي

يَظْهَرُ مِنْكَ مِنْ تَكْلُفِ الْجَلْدِ وَالصَّبْرِ فِيمَا بُلِيتُ بِهِ . أَمَّا عَلِمْتُ أَنِّي مَدَّةَ عَيْشِي

لَا أَلَاقِي أَخِي وَقَدْ حَجَزَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ النَّفْيُ ؟ !

وقوله « أَلَوْمُهَا » في موضع الحال ، « وَلَكَ الْوَيْلُ » في موضع المفعول

لأقول ، و « مَا هَذَا التَّجَلُّدُ » استفهامٌ على طريق التقرُّع والتوبيخ . وارتفع

التجَلُّدُ على أنه عطف البيان . وقوله « أَلَمْ تَعْلَمْ » تقرير فيما هو واجب ، لأنَّ

حرف الاستفهام قد ضامَّه حَرَفُ النِّفْيِ ، والاستفهام غير واجب فهو كالنفي ،

ونفي النفي إيجاب .

وقوله « أَن لَسْتُ » أن مخففة من الثقيلة ، واسمه يجوز أن يكون ضمير

الرجل ، أراد أَنِّي لَسْتُ ، ويجوز أن يكون ضمير الأمر والشأن . و « مَاعِشْتُ »

في موضع الظرف . و « لَاقِيَا » خبر ليس . و « إِذْ أَتَى » ظرف له . والأوصال :

(١) هو سلمة بن يزيد بن مشجعة بن الجميع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن

حريم بن جعفي . وجعفي : حى من مذبح نزل الكوفة . وكان من وفد على رسول الله صل

الله عليه وسلم وحدث عنه . الإصابة ٣٣٩٨ . وذكر ابن حجر أنه يرى أخاه شقيقه قيس بن

يزيد . وذكر النقال في الأمالي (٢ : ٧٣) أنه أخوه لأمه كما قال أبو تمام ، واسمه عنده :

« قيس بن سلمة » ، وصحح البكري في التنبيه ٩٧ أن أخاه لأمه هو « سلمة بن مغراء » .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « جل » بالجيم المعجمة .

جمع وَضَلٍ ، وهو اسمٌ للأعضاء المتَّصل بعضها ببعض . ويقال : وَضَلُ وَوَضَلَ ، بالفتح والكسر .

٣- وكنتُ أرى كالموتِ من بين ليلةٍ فكيفَ يبينُ كان ميعادهُ الحشرُ
٤- وهَوْنٌ وَجَدِي أَنِّي سوفَ أَعْتَدِي على إمره يوماً وإنْ نَفْسَ العُمرُ

قوله « كالموت » جعل الكاف وحده اسماً . وكان أبو العباس يتبع أبا الحسن الأخفش في جواز وقوعه اسماً في غير الضرورة ، وأنشد :

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ اللَّزِيْتُ وَالْقَتْلُ^(١)

ويجعل الكاف في موضع فاعل يَنْهَى . وسيبويه لا يرى ذلك إلا في الضرورة ، كأنه قال : أرى مثل الموت . ولا يمتنع أن يكون « كالموت » صفةً لموصوف محذوف ، كأنه قال : وكنتُ أرى شيئاً أو أسماً مثل الموت .

وقوله « مِنْ بَيْنَ لَيْلَةٍ مِنْ دَخَلَ لِلتَّبَيِّنِ^(٢) » ، والمعنى : كنتُ أَعُدُّ مفارقتي له في ليلةٍ كالموت ، أو أقاسى مثل الموت مِنْ أَجْلِ مفارقةٍ لَيْلَةٍ مِنْهُ ، فكيف يكون حالي وقد فرَّق بيني وبينه بَيْنَ مَوْعِدُ الالتقاء بعده يومُ القيامة . ومثل سر قوله « مِنْ بَيْنَ لَيْلَةٍ » قوله تعالى : ﴿ فَأَجْتَنَّبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ ﴾ . ولك أن تجعل مِنْ بَيْنَ ، في موضع المفعول لأرى ، وتجعل مِنْ زائدةً على طريقة الأَخْفَش في جواز دخوله زيادةً في الواجب ، فيكون التقدير : كنتُ أرى بَيْنَ لَيْلَةٍ ، أي فراق ليلةٍ ، كالموت . فيكون كالموت في موضع المفعول الثاني . وقوله « كان ميعاده » وَضَعَ الماضي موضعَ المستقبل أي يكون ميعاده ، والماء يرجع إلى البين ، كأنه وعدُّ الزوال والالتقاء معه مِنْ بعده في يوم الحشر .

وقوله « وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنِّي » موضع أنِّي رَفَعٌ ، لأنه فاعل هَوْنٌ

(١) البيت للأعشى من لاميته المشهورة . ديوانه ص ٤٨ .

(٢) في الأصل : « للتبوين » . صوابه في ل .

والمعنى : خَفَّفَ وَجْدِي وَقَلَّيْتُ أَنْتَى ذَاهِبٌ فِي إِثْرِهِ ، وَنُحِّلَ مَكَانِي فِي الدُّنْيَا بَعْدَهُ يَوْمًا ، وَإِنْ أُطِيلَ عُمرِي ، وَنُقِّسَ فِي أَجَلِي .

٥- فَتَى كَانَ يُعْطَى السَّيْفُ فِي الرُّوْعِ حَقَّهُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزُرُ

٦- فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَفْتَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

يريد أن المرئي كان إذا حضر الوغى تصوّر للسيف عليه حقًا ، فجاهد نفسه في توفير ذلك الحق عليه إذا أعاد الداعي وكرّر : يال فلان !! مراراً . والتثويب في الأذان معروف . وقوله « وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزُرُ » يريد وقت نزول الأضياف ، وأنه كان لا يُرضيه أقرب المنازل في نزل الضيف^(١) ، بل كان يرتقى إلى أعلاها . وهذا المعنى قد مضى قريباً ، وكذلك البيت الثاني قد مضى مثله^(٢) .

ومعنى يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ أَنَّهُ كَانَ يَمُدُّ الْفَرْدَ بِالْغَنَى لَوْثَمًا ، وَكَانَ يُشْرِكُ أَصْدَقَاءَهُ فِيهِ ، كَمَا يَمُدُّ فِي حَالِ الْإِضَافَةِ وَالْفَقْرُ مِلَابَسَةُ الْأَصْدِقَاءِ كَالْتَعَرُّضِ لَخَيْرِهِمْ ، فَيَمُدُّ عَنْهُمْ .

٣٨٦

وَقَالَتْ عَمْرَةُ الْخَنْعَمِيَّةُ ، تَرْنِي ابْنَيْهَا :

١ - لَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ : وَابَاها

الزَّعْمُ يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِيمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، لِذَلِكَ قَالَتْ فِيمَا حَكَّتْ عَنْ الْقَوْمِ : زَعَمُوا . كَأَنَّهَا لَمَّا اسْتَشْرَفَ^(٣) النَّاسُ جَزَعَهَا وَهَلَعَهَا ، فَتَذَاكَرُوا أَمْرَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَظْهَرَتِ الْإِنْكَارَ وَالتَّكْذِيبَ فِيمَا تَوَهَّمُوهُ ، فَقَالَتْ : وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ وَابَاها ،

(١) النزل بضمزة وبضمتين : ما يهبأ للضيف أن ينزل عليه .

(٢) انظر الحماسة السابقة .

(٣) في النسختين : « استشرف » بالشين المعجمة بعد التاء ، والوجه ما أثبت .

تَرَى أَنَّ مَا تَكَلَّفْتَهُ مِنَ التَّوَجُّعِ لَهَا عَلَى قَدَرِ قَوْلِ الْقَائِلِ : وَابْأَبَاهَا . وَلَفْظُهُ « وَابْأَبَاهَا » تَأْلُمٌ وَتَشَكُّمٌ ، وَهِيَ حَرْفٌ لِلتَّنْذِيرِ . وَ« بَابَاهَا » أَرَادَتْ : بِأَبِيهَا ، فَفَرَّ مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : بَادَاةٌ وَنَاصَاةٌ ، فِي بَادِيَةٍ وَنَاصِيَةٍ . وَقَوْلُهُمَا « وَهَلْ جَزَعٌ » ارْتَفَعَ جَزَعٌ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ مُقَدَّمٌ ، وَ« أَنْ قُلْتُ » فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ ، تَقْدِيرُهُ هَلْ جَزَعٌ قَوْلِي وَابْأَبَاهَا ، وَارْتَفَعَ هَا مِنْ وَابْأَبَاهَا عَلَى الْمُبْتَدَأِ ، وَبِأَبَا خَيْرِهِ . هَذَا عَلَى طَرِيقَةِ سَيَبَوِيهِ ، وَعَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ يَرْتَفَعُ بِالظَّرْفِ . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « بَأَنَاهَا » ، أَيْ أَتَذِيهْمَا بِنَفْسِي وَأَنَا هُوَ ضَمِيرُ الْمَرْفُوعِ ، وَقَدْ وَقَعَ مَوْضِعَ الْجُرُورِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَأَنَّا ، وَأَنَا كَهُوَ .

٣ - هُمَا أَخَوَانِ فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبَوَةَ فَرَعَاهُمَا أَلَمْتُ فِي هَذَا بِقَوْلِهِ (١) :

* إِذَا لَمْ أَجْنِ كَفْتُ بِحَنِّ جَانٍ (٢) *

تَقُولُ : كَانَا يَنْصُرَانِ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِذَا خَشِيَ نَبَوَةَ مِنْ نَبَوَاتِ الْفَرَسِ يَوْمًا فَاسْتَفَاتَ بِهِمَا . وَقَوْلُهُمَا « أَخَوَانِ فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ » فَصَلَتْ فِيهِ بَيْنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَالْمُضَافِ بِالظَّرْفِ ، فَلِذَلِكَ حَذَفَتِ النُّونُ مِنْ أَخَوَانِ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ يُبَاغِلُهُنَّ بِنَا أَوَاخِرِ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيِّجِ (٣)
فَفَصَّلَ بِقَوْلِهِ « مَنْ يُبَاغِلُهُنَّ بِنَا » . وَقَوْلُهُمَا « مَنْ لَا أَخَالَهُ » نَوَتْ الْإِضَافَةَ ثُمَّ أَدَخَلَتِ اللَّامَ تَأْكِيدًا لِلْإِضَافَةِ الَّتِي قَصَدَتْهَا ، لِذَلِكَ أُبَيِّنْتُ الْأَلْفَ مِنْ

(١) هُوَ سُورَةُ بَنِي الْمُضَرِّبِ السَّمْعِيُّ . الْحَاسِيَةُ ١٨ ص ١٣٣ .

(٢) صَدْرُهُ : * وَأَنْ لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبِ *

(٣) الْبَيْتُ لِلنَّبِيِّ الرَّمَا فِي دِيْوَانِهِ ٧٦ وَاللِّسَانُ (نَقْضُ) . وَيُرْوَى : « لِنَقَاضِ الْفَرَارِيِّجِ » .

لا أخوا ، لأن هذه الألف لا تثبت إلا في الإضافة إذ كان في الإفراد يُقالُ أخٌ .
وخبر لا محذوف كأنها قالت : لا أخوا موجوداً أو في الدنيا . ولو قالت : لا أخ
له ، لكان له خبراً للـ ، على قولهم : لا أب لك ، ولا أباً لك . وإنما قلت
أدخلت اللام لتوكيد الإضافة التي قصدتها ، لأن الإضافة غير معتد بها هنا ، فلا
تُعرفُ الأخ ، واللام تُبطلُ الإضافة في الأصل . وهذه اللام لا تدخل إلا في
بأبين : أحدهما باب النفي ، وهو ما نحن فيه ، والثاني باب النداء في مثل قولهم :

* يا بؤس للحرب ^(١) *

لأن المراد : يا بؤس الحرب .

٣ — هما يلبسان الجَدَّ أحسن لبسة شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما
وصفتها بأنهما يكتسبان المجد ويستمتعان به أحسن استمتاع وأجل
اكتساب ، وأنها يرضتان به حيثُ ظهر وطلع فلا يتركانه لأحد ماداما
يستطيعان كسبه والفوز به . وانتصب « أحسن لبسة » على أنه مصدر . وارتفع
« شحيحان » على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ « كلاهما » ، و « ما اسطاعا » في
موضع الظرف واسم الزمان محذوف معه . واسطاعَ منقوص عن استطاع .
وتقدير الكلام : كلاهما شحيحان به ما اسطاعا عليه ، أي ما قدرا عليه . ومعنى
« يلبسان المجد » ، أي يتملئانه ويمتعان به . قال :

لبستُ أبى حتى تملئتُ عيشه وبليتُ أعمامى وبليتُ خاليا
٤ — شهابان منا أوقدا ثم أخذَا وكان سنا للذليجين سناهما
ارتفع « شهابان » على أنه مبتدأ ، وجاز الابتداء به لكونه موصوفاً بمنّا .

(١) قطعة من بيت في الحماسة ١٦٧ . وهو بنامة :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراط فاستراحوا

وأوقداً في موضع الخبر . والمعنى : أنهما لم يُنْهَلاَ للتَّام والسَّكَّال ، بل كانا كعارين أوقدنا ثم أنبعثنا بالإخاد . والكلام توجعٌ وتلُفٌ . وقولها « وكان سناً للمدجلين سناها » تريد نارهما الموقدة للضيغان وللطراق بالليل ، وأنهم كانوا يستضيئون بها فيردون فناءه مستمسكين أرواقهم به ، ومتخلصين من سلطان البرد والجوع وشقة السفر إليه . ولا يمتنع أن يرتفع شهابان على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هما شهابان .

٥- إذا نزلت الأرض المخوف بها الردى يُخَفِّضُ من جأشيهما مُنْصَلَاهُمَا

تصفهما بالصبر في دار الحفاظ ، وأنهما إذا نزلتا مكاناً مخوفاً لا يؤمن الردى فيه يُسْكَنُ من قلقهما سيفهما . وهذا فيه إعلامٌ بأنهما كانا لا يعتمدان في الشدة نزل بساحتها على غيرهما ، وأنهما كانا يتحملان الأثقال بأنفسهما ، فلا صاحب لهما يُتَّكَل عليه ، ولا مُعِين يُسْكَن إليه ، إلاَّ السيف . فهو كقول الآخر^(١) :

* ولم يَرْضَ إلا قائمَ السيف صاحباً^(٢) *

٦- إذا استقنيتا حبَّ الجميع إليهما ولم ينأ عن نفع الصديق غناهما

تقول : وإذا نالا النفي وساعدهما الحالُ حبَّ جماعة الحى والمتلقين^(٣) بحبلهما ، فازداد توفراً عليهم ، وتفقداهم ، ولم يبتعد غناهما من انتفاع الغرباء والأجانب ، ومن ينسب بؤر وصدافة إليهما . فقولها « حبَّ الجميع إليهما » مقصود على النسب ، وآخر البيت مصروف إلى الصديق الغريب . وساغ أن يُراد بالجميع الحى كلهم لاجتماعهم حوله . والجمع والجمع : المجتمعون . والجماع : المتفرقون . قال :

(١) هوسد بن ناشب . الحماسية ١٠ ص ٧٤ .

(٢) صدره : * ولم يستشر في أمره غير نفسه *

(٣) ل : « والمتلقين » .

* من بين جَمْعٍ غَيْرِ جُمَاعٍ ^(١) *

٨- إذا افتقرَ لم يَجْتُمَا خَشْيَةُ الرَّدَى ولم يَحْشَ رُزْءُ مِنْهُمَا مَوَلِيَّاهُما

تريد أنهما إذا مسهما الفقر ، وضاق بهما الأمر ، لم يلزما بيوتهما تاركين للغزو والتجوال في طلب المال ، خوفاً من الهلاك ، وميلاً إلى الراحة عن التسيار لكنهما يسعيان نلاك تساب ، ويتحملان من المشاق ما يبالان به منأهما ، أو يقبان به العذر [عدد^(٢)] مَنْ رَاعَى أحوالهما . وقولها « ولم يَحْشَ رُزْءُ مِنْهُمَا موليها » تريد أنهما لا يستحملان مَوَلِيَّيهما عِبْتًا من فقرهما ، ولم يَصْصَا أنفسهما في موضع الارتزاء منهما ، وجَبَرِ الحالِ بِمالهما ويساريهما . وهذا كقول الآخر ^(٣) :

أبو مالكٍ قاصِرٌ فقِرَه على نفسه [ومشيْعٌ غِنَاهُ ^(٤)]

وقولها « لم يَحْشَا » مِنْ جَمِّ الطَّائِرِ . وهم يُسْئُونَ مَنْ رَضِيَ بِفقره وصار لبيته كبعض أحلامه : الضَّاجِعُ وَالضُّجْعِيُّ ^(٥) ؛ لَأَنَّ الضُّجْعَةَ خَفَضُ العِيشِ . وإلى هذا المعنى يشير القائلُ في ذمِّه قوماً :

أولئك مَفْشَرٌ كِبَنَاتِ نَفْسٍ ضَوَاجِعُ لَا تَسِيرُ مَعَ النُّجُومِ ^(٦)

يُرْوَى : « رَوَاكِدُ » . وَاِنتَصَبَ خَشْيَةُ الرَّدَى عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ . وقولها « موليها » ليس يراد به التثنية ، بل المراد به الكثرة . وعلى ذلك قولهم : لَيْتَيْكَ وَسَعْدَيْكَ .

(١) لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري في المفضالية ٧٥ . وصدرة :

* حتى تجلت ولنا غاية *

(٢) التكلة من ل .

(٣) هو المنتخل الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٣٠) .

(٤) التكلة من ل وديوان الهذليين .

(٥) بضم الصاد وكسرهما .

(٦) انظر الأزمدة والأمكنة للمرزوقي ٣٧٢ . وفي اللسان (ضجع) :

أولئك قبائل كبنات نمش ضواجع لا يفرن مع النجوم

٨ - لَقَدْ سَأَنِي أَنْ عَدَسَتْ زَوْجَتَاهَا وَأَنْ عُرِّيَتْ بَعْدَ الْوَجَى فَرَسَاهَا

٩ - وَلَنْ يَلْبَثَ الْقَرَشَانِ يُسْتَلُّ مِنْهُمَا خِيَارُ الْأَوَاسِي أَنْ يَمِيلَ غَمَاهَا

يقال : عَدَسَتْ الْمَرْأَةَ وَعَفَسَتْ بِاتِّشْدِيدٍ ، إِذَا قَعَدَتْ بَعْدَ بُلُوغِ النِّكَاحِ
أَعْوَامًا لَا تُنْكِحُ . وَيُسْتَعْمَلُ فِي الرَّجُلِ أَيْضًا . قَالَ :

* حَتَّى أَنْتَ أَشْمَطُ عَائِسُ *

كَاثِمًا كَانَا تَزَوَّجَا بِإِسْرَاتَيْنِ وَلَمْ يَحْمُولاها^(١) ، وَلَمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِمَا مَا اتَّفَقَ
بَقِيَّتَا عَلَى حَالِهِمَا زُهْدًا فِي النِّكَاحِ بَعْدَهَا ، وَعِلْمًا بِالْأَعْتِيَاضِ مِنْهُمَا . فَتَقُولُ :
زَادَ ذَلِكَ فِي مَسَآئِي ، وَزَادَ فِيهَا أَيْضًا تَغْرِيبَةً مِنَ الْإِسْرَاجِ وَالْإِلْجَامِ ، بَعْدَ أَنْ
كَانَا يُسْتَعْمَلَانِ عَلَى مَا يَعْتَرِضُ لُهُمَا مِنَ الْخَفَى فِي غَزْوِ الْأَعْدَاءِ وَغَيْرِهِ . وَإِنَّمَا سَاءَهَا
مَا حَصَلَ مِنَ الْأَمْنَةِ فِي الْجَوَابِ الَّتِي كَانَا يَقْصِدَانِ وَيُوقِعَانِ بِهَا بَعْدَ الرَّقْبَةِ
الشَّدِيدَةِ ، وَمَا عَلِمَ^(٢) أَنَّهُمْ وَجَدُوهُ وَلَزِمُوهُ مِنَ الشَّمَاتَةِ وَإِظْهَارِ الْفَرَحِ وَالْمُسَرَّةِ .

وَقَوْلُهَا : « لَنْ يَلْبَثَ الْقَرَشَانِ » جَعَلَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ عَرْشًا بِهِ كَانَ يَنْبَغُ
وَيَقُومُ ، فَيَقُولُ : الْقَرَشُ إِنَّمَا بَقَاؤُهُ بَعْدَهُ ، فَإِذَا انْتَزَعَ خِيَارَهَا مِنْهُ فَلَنْ يَلْبَثَ
أَنْ يَمِيلَ سَقْفَهُ فَيَسْقُطَ . وَهَذَا مَثَلُ ضَرْبَتِهِ لِمِزْ ذَوِيهِمَا ، وَإِذْ قَدْ مَضَى فَيُوشِكُ
أَنْ يَنْقَلِمَ وَيَنْخَفِضَ . وَالْأَوَاسِي : جَمْعُ آسِيَّةَ ، وَهِيَ الْأَسَاطِينُ . وَالنِّهَادُ ، بِكَسْرِ
الْعَيْنِ وَالْمَدِّ : سَقْفُ الْبَيْتِ . وَالْعَمَّا بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ لَفَةٌ .

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي لِنْسَخْتَيْنِ وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ ، وَلَمْ يَنْتَضِحْ لَهَا الْمُرَادُ بِالتَّحْوِيلِ .

(٢) لَ : « وَمَا عَلِمْتُ » .

٣٨٧

وقال الآخر :

١ - صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى صَفِيِّ مُدْرِكٍ يَوْمَ الْحَسَابِ وَتَجْمَعُ الْأَشْهَادُ

٢ - نَعَمْ الْفَتَى زَعَمَ الرِّفِيقُ وَجَارُهُ وَإِذَا تَصَبَّبَ آخِرُ الْأَزْوَادِ

يُرْوَى : « وَتَجْمَعُ الْأَشْهَادُ » تَجْرُهُ وَتَمُطِّفُهُ عَلَى الْحَسَابِ ، وَيَكُونُ تَجْمَعٌ فِي مَعْنَى جَمْعٍ . وَيُرْوَى « وَتَجْمَعُ » بِالنَّصْبِ ، وَيَكُونُ ظَرْفَ مَكَانٍ وَمَعْطُوفًا عَلَى يَوْمِ الْحَسَابِ . وَالصَّلَاةُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى : الرَّحْمَةُ . وَالْمُرَادُ : رَحِمَ اللَّهُ مُدْرِكًا صَفِيًّا فِي الْوَدِّ ، رَحْمَةً تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذُنُوبِهِ ، وَتُعْتَقَى عَلَى سَوَابِقِ فَرَطَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِذَا حَضَرَ الشُّهُودُ وَوُضِعَ الْحَسَابُ عَلَى تَحَاكُمِ الْخُصُومِ ، وَقَامَ الْجَزَاءُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْمُطِيعِينَ وَالْمُصْأَةِ .

وقوله : « نَعَمْ الْفَتَى » الْمُدْوَحُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ نَعَمْ الْفَتَى مُدْرِكٌ . قَالَ : وَلَيْسَتْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنِّي وَمِنْ جِهَتِي ، وَلَا مِنْ جِلَّةٍ مَذْحِي ، عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي تَأْيِينَ الْهَلَاكِ ، وَلَكِنَّهَا مِمَّا أَذَاهُ وَكَثَرَهُ رَفَقَاؤُهُ فِي السَّفَرِ ، وَجِيرَانُهُ فِي الْحَضَرِ ؛ فَهِيَ حِكَايَةُ أَسْنَتِهِمْ ، وَمُؤَدَّاةُ قَضِيَّتِهِمْ . وَقَوْلُهُ « وَإِذَا تَصَبَّبَ آخِرُ الْأَزْوَادِ » مَعْنَى تَصَبَّبَ قَرُبَ مِنَ النِّفَادِ . يَرِيدُ : وَنَعَمْ الْفَتَى هُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِأَنَّهُ يُوَثِّرُ غَيْرَهُ بِالطَّعْمِ عَلَى نَفْسِهِ . وَتَلْخِصُ الْكَلَامَ : نَعَمْ الْفَتَى مُدْرِكٌ فِي الْمُرَاقَبَةِ وَالْمَجَاوِرَةِ ، وَعِنْدَ نِفَادِ الزَّادِ . وَالْأَشْهَادُ : جَمْعُ الشُّهُودِ . وَاكْتَفَى زَعَمَ بِالْفَاعِلِ فِي اللَّفْظِ ، لِأَنَّ مَفْعُولِيهِ دَلَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِمَا .

٣ - وَإِذَا الرُّكَّابُ تَرَوَّحَتْ نَمَّ اغْتَدَتْ حَتَّى الْمَقِيلِ فَلَمْ تَتَجَّ لِحِيَادِ

يريد : ونعم الفتى هو إذا وصلت الرُّكْبُ السَّيْرَ بالشَّرَى ، فلم تَعْطِفْ
لا محرافٍ وازورار ، ولم تَعْرِجْ لإصلاح شأن ، لكنها استمرت ووجدت لِمَا
أَزَعَجَهُمْ وَبَعَثَهُمْ عَلَى اسْتِدَامَةِ التَّشْمِيرِ ، وتمجيل الحركة وترك التَّقْصِيرِ ، وطى
المنازل ، واستقصار المراحل . ومعنى تَرَوَّحْتَ راحت . والرواحُ : العشي .
وراحت الإبلُ رَوَّاحًا . والإراحة : رَدُّ الإِبِلِ عَشِيًّا مِنَ الْمَرْعَى . يقال : سَرَّحْتُهَا
بِالْفَدَاةِ^(١) وَأَرَحْتُهَا بِالْعَشِيِّ . ومعنى اغتدت حَتَّى الْقَيْلِ : سارت غُدُوًّا إِلَى وَقْتِ
الْقَيْلَةِ . أَيْ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَأْتِي بِمَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَذْحُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَرُفَقَائِهِ ،
لِكَرَمِ صَحَابَتِهِ ، وَحَسَنِ رِفَاقَتِهِ . ومعنى « لَمْ تَعْجُ » لَمْ تَعْطِفْ . يقال : عَاجَ
عَوَّجًا وَعِيَاجًا . وَالْحِيَادُ : الإِعْرَاضُ عَنِ السَّيْرِ لِلنُّزُولِ . وَالْفِعْلُ مِنْهُ حَادَ .
ويقال : مَالَتْ عَنْ هَذَا مَحِيدًا وَحِيدَانًا وَحِيَادًا .

٤ - حَتُّوا الرُّكْبَ تَوْبُوهَا أَنْضَاوَهَا فَزَهَا الرُّكْبَ مَغْنِيَانِ وَحَادٍ^(٢)

٥ - لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُحْسُوا مُذْرِكًا وَضَعُوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ

وصف وزاد فَنَانَهُ بَعْدَ فَنَانِهِ ، وَزَوَّارَ قَبْرِهِ طَلَبًا لِحَبَائِهِ ، فيقول : اسْتَمَجَلُوا
رَوَاحِلَهُمْ وَحَضُّوْهَا عَلَى قَصْدِهِ وَالْوَصُولِ إِلَى بَابِهِ ، وَمَهَازِيلُهَا الَّتِي قَدْ أَثَرُ بَعْدُ
الشَّقَّةِ فِيهَا فَأَنْضَاوَهَا ، تَوْبُوبُ إِلَيْهَا إِذَا نَزَلَتْ ، أَيْ تَسِيرُ الْهَارِ كُلُّهُ حَتَّى يَتَّصِلَ
سَبْرُهَا بِاللَّيْلِ ، طَلَبًا لِلتَّلَاحُقِ مَعَهَا ، فَاسْتَخَنَّاها وَنَشَطَّهَا مَغْنِيَانِ بِالْخُدَاءِ ، وَسَائِقُ
يَحْدُوها ، حَتَّى وَصَلُوا ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنْفُسَهُمْ قَدْ فَقَدَتْ مُذْرِكًا ، يَعْنِي الْمَرْثَى ،
أَمْسَكُوا عَلَى أَكْبَادِهِمْ خَوْفًا مِنْ تَصَدُّعِهَا ، إِذْ لَوْ أَدْرَكَوه حَيًّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
الْفَنَى إِلَّا مَا لَا يُعَدُّ حَاجِزًا وَلَا مَانِعًا .

(١) مَرَحَتِ الْمَاشِيَةَ تَسْرِحُ مَرَحًا وَمَسْرُوحًا ، وَسَرَحْتُهَا أَنَا مَرَحًا ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى .

(٢) التبريزي : « تَوْمَهَا أَنْضَاوَهَا » . قال : « وَيُرْوَى : تَوْدُوهَا »

إن قيل: لِمَ جاز لك رأوهم، والفاعلون هم المفعولون، وأنت لا تقول ضَرَبْتُني ولا ضَرَبْتُكَ، بل تأني بدل ضمير المنصوب بالنفس، تقول: ضربتُ نفسي وضربتُ نفسك؟ قلت: إن أفعال الشك واليقين جُوزَ فيها ذلك. تقول: حَسِبْتُني ورأيتُكَ وعلمْتُني، لمخالفتها سائر الأفعال في دخولها على المبتدأ والخبر. وقوله «تَوَوَّبهَا أَنْصَاوُهَا» في موضع الحال من الرُّكَّاب.

٣٨٨

وقال الشَّماخ^(١)

في عمر بن الخطاب رضى الله عنه^(٢):

- ١- جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ بِدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَرْقِ^(٣)
 - ٢- فَنَسَمَ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نَعَامَةٍ لِيُذْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسَبِّحُ
- يقول: جزاه الله عن الرعية خيراً من بين الأمراء، وباركت نعمته الله - تعالى جدُّه وإحسانه - في أديمه المرق، يعنى جلد عمر رضى الله عنه، حين طعنه أبو لؤلؤة فتى النيرة بن شعبة. وأصل البركة النماء والثبات. ومنه برك البعير بُرُوكاً. وبرأ كاه القتال: حيث يبتز كون، أى ينجحون على رُكبتهم.

(١) هو معقل بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة ابن سعد بن ذبيان. والشماخ لقب له. والشماخ مخضرم من أدرك الجاهلية والإسلام. وهو أحد من هجا عشرينه وأضيافه ومن عليهم بالقري. الأغاني (٨: ٩٧ - ١٠٤) والمؤتلف ١٣٨ واللائل ٥٨ - ٥٩ والخزانة (١: ٥٢٦) والشعر ٢٧٤ والاشتقاق ١٧٤، وكتب الصحابة.

(٢) يزعمون أن الجن ناحت على عمر قبل أن يقتل بهذه الأبيات. الأغاني. وقال التبريزي: «وقال أبو رياش: الذي عندي أنه لمزرد أخيه. وقال أبو محمد الأعرابي: هو لمزرد ابن ضرار أخيه». وقد نسبها الجاحظ في البيان (٣: ٢٦٤) إلى مزرد بن ضرار.

(٣) البيان: «عليك السلام من إمام». الأغاني: «عليك سلام من أمير».

وقوله : « فَنَ يَسَّخ » يريد أن شأوه في الإيلة واستصلاح الرعيّة وتفقد مصالحهم لا يُذكر ، فن أراد بلوغه والارتقاء إلى غايته بقى حسيراً مسبوقاً ولوركب جناح النعمة . يريد : لو أسرع إسرعها . وقوله « بالأمس » ذكره على طريق تقريب الأمد . وقوله « يُسَبِّق » هو جوابُ الجزاء .

٣ - قَضَيْتَ أُمُورًا نَمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِجَ فِي أَكْمَاهَا لَمْ تَفْتَقِ (١)
يقول : أَحَكَمْتَ أُمُورًا بِصَانِبِ نَظَرِكَ ، وَجَمِيلِ رَأْيِكَ ، وَحَسَنِ تَأْهِلِكَ (٢)
نَمَّ أَغْجَلْتَ فَتَرَكْتَ بَعْدَهَا دَوَاهِيَ وَخُطُوبًا عَظِيمَةً ، هِيَ فِي أَغْطِيَتِهَا لَمْ تَظْهَرْ وَلَمْ يُكْشَفْ عَنْهَا . وَالْفَتْقُ : ضِدُّ الرِّتْقِ ، وَكُلُّ مُتَّصِلٍ مُسْتَوْرِ رَتْقٌ ، فَإِذَا انْفَصَلَ وَانْكَشَفَ فَهُوَ فَتَقٌ . وَالبَوَائِجُ : الدَّوَاهِي الْعَامَّةُ . وَيُقَالُ : بَاجِمُ الشَّرِّ ، أَيْ عَمَّهُمْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

* فَبُجَّتْهُ وَأَهْلَهُ بَشَرٌ *

وَالْأَكَامُ : الْأَغْطِيَةُ ، مِنْهُ رَكْمُ الثَّمَرَةِ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شَجَرَةٍ مُشْرِقَةٍ كُفٌّ سَوْهُو بَزْعُومَتِهَا .

٤ - أَبَعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِصَاءُ بِأَسْوُقٍ
قوله « أَبَعَدَ قَتِيلٍ » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ ، وَمَعْنَاهُ التَّفْطِيعُ وَالْإِنْكَارُ . وَحَرْفُ الاسْتِفْهَامِ يَطْلُبُ الْفَعْلَ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : أَتَهْتَزُّ الْعِصَاءُ عَلَى أَسْوُقِهَا بَعْدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ . هَذَا عَجَبٌ .

وقوله « أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ مِنْ صِفَةِ قَتِيلٍ » . وَلِلْعَنَى أَنْ حَصُولَ هَذَا الْأَمْرِ

(١) البيان : « بَوَائِجُ فِي أَكْمَاهَا » . وَالبَائِقَةُ : لِلدَّاهِيَةِ .

(٢) التَّأْهِلُ : التَّنْصِيقُ وَالتَّعْبِيدُ .

وَجَرَّيَانَهُ عَلَى مَا كَانَ مُنْكَرٌ فُطِيعٌ ، بَعْدَ مَا انْتَقَى عَلَى قَتِيلٍ هَذَا صَفْتُهُ .
وَالْعِضَاءُ : شَجَرٌ ، وَاحِدَتُهَا عِضَةٌ . قَالَ :

* وَمِنْ عِضَةٍ مَا يَذُبُّنَّ شَكِيرُهَا ^(١) *

وقد مضى القول في مثل هذا البيت . وبشبهه قول الآخر ^(٢) :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

٥- تَظَلُّ الْحَصَانُ الْبَكْرُ يُبْلِقُ جَنِينَهَا نَثَا خَبَرَ فَوْقَ الْمَطَى مُعَلَّقٍ

٦- وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بَكْنِي سَبَنْتِي أَرْزِقِ الْعَيْنِ مُطْرِقِ

الْحَصَانُ : العفيفة وقد أحصنت وحصنت . وَالْبَكْرُ : التي حَمَلَتْ أَوَّلَ

حَمْلِهَا ، فَهِيَ بَكْرٌ وَالْوَلَدُ بَكْرٌ وَالْأَبُ بَكْرٌ . وَالنَّثَا ، يستعمل في الخير والشر .

يَقَالُ : نَثَوْتُ الْكَلَامَ أَنْثَوُهُ نَثْوًا ، إِذَا أَظْهَرْتَهُ . فَيَقُولُ : تَرَى الْحَامِلَ

يُسْقِطُ حَمْلَهَا مَا يُنْتَى مِنْ خَبَرٍ سَارٍ بِهِ الرَّكْبَانُ ، وَتَقَافَتُهُ الْأَفْطَارُ ، اسْتَفْظَاعًا

لَوْقُوْعِهِ ، وَاسْتَشْمَارًا لِكُلِّ بَلَاءٍ وَخَوْفٍ مِنْهُ .

وقوله «وما كنت أخشى» يقول : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَمِنْ الْحَدَثَانِ عَلَيْهِ ، وَصَرْتُ

أَرْقُبُ جَمِيعَ أَسْبَابِ الرَّدَى فِيهِ حَتَّى ظَنَنْتُ ظُنُونِ الْمَشْفِقَاتِ ، مُسْتَدْفِعًا لِلآفَاتِ

عَنْهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِهَالِي أَنْ يَكُونَ فِي جَلَالَتِهِ وَارْتِفَاعِ تَحَلُّهِ بِرُودِهِ عَبْدٌ جَسُورٌ

لِثِمِّ جَرَى ، أَرْزَقِ الْعَيْنِ ، مُسْتَرَخِي الْأَجْفَانِ . وَإِنَّمَا حَلَّى قَاتِلَهُ بِهَذِهِ الْحِلْمَةِ

تَنْبِيْهَا عَلَى حَقَارَتِهِ فِي نَفْسِهِ وَجَنَسِهِ ؛ وَذَنَّا لِأَصْلِهِ وَفِرْعِهِ ، وَإِعْلَامًا بِأَنَّ الصَّغِيرَ مِنْ

الرَّجَالِ يَجْنِي الْكَبِيرَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَأَنَّ مَا لَا يَتَّقِعُ فِي الْوَهْمِ اسْتِبْعَادًا لِكَوْنِهِ ،

يَشَاهِدُهُ الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ ، ثُمَّ لَا يَمْلِكُ إِلَّا اسْتِفْرَافَهُ وَقَضَاءَ الْعَجَبِ

(١) انظر اللسان (شكر) وشروح سقط الزند ١٥١١ .

(٢) هوليلى بنت طريف ، كما في حاشية ابن الشجرى ٨٩ وحاشية البحرى ٤٣٥ . وقيل

إِنَّ الشَّعْرَ لِلْفَارَةِ بِنْتِ طَرِيفٍ . وَالْمَرْثَى هَذِهِ الْقَصِيدَةُ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ طَرِيفِ الشَّارِى . وَقَدْ رَوَى
ابْنُ خُلِكَانٍ فِي تَرْجُمَتِهِ الْقَصِيدَةَ كَامِلَةً ، وَهِيَ نَادِرَةٌ .

منه والتزام الجزع فيه . والسببتي والسببدي ، أصله في النمر ، ويسعمل في الجريء المقدم . وقال الذريدي : المطرق : الغليظ الجفن الثقيله .

٣٨٩

وقال صخر بن عمرو^(١) أخو الخنساء :

١- وقالوا ألا تنجوا فوارس هائم - ومالي وإهداء الخفا ثم مالي

٢- أبا الهجر أتي قد أصابوا كريمي وأن ليس إهداء الخفا من شمالي^(٢)

يريد : قال الناس بأعثن لي على هجاء من أصابني في أخي معاوية ونحت أثمتهم ، وذكر أعراضهم : ألا تنتقم منهم بالقول إلى أن يستهل الفعل فتذكر معايبهم ، وتكشف عن مستور تحازهم ، ومجهول مقابحهم ومساوئهم ؟ فأجبتهم وقلت : مالي وذكر القبيح وإهداء الفواحي ثم مالي ؟ أما تعلمون أن ما بيني وبينهم أقذع من الهجاء ، وأن جزاء من أصاب كريمي أظع من الإهجار ، وأنه ليس قول القبيح وتنقص الناس من عادي وطبيعي ، إذ كنت أربأ من قدرتي عن الوقوف موقف المغتابين والطاعنين في الأنساب والأعراض . وقوله « ومالي وإهداء الخفا » انتصب إهداء بفعل مضمر ، وتكريره ليالي دلالة على استعجابها لما بُعث عليه ، ودُعي إليه . والخفا هو الفخس ، كأنه قال : مالي ألا يس الخفا وأتكلّمه . وقوله « أصابوا كريمي » فالكريمة أخرج لإخراج

(١) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد ، من أشراف بني سليم ، أخو الخنساء الشاعرة الصحابية ، وقد مات قبلها فرثته رثاء صادقا ، وضرب بجزئها عليه المثل . ويبدو أنه مات قبل الإسلام . وفي ذلك تقول الخنساء : كنت أبكي لصخر من القتل ، فأنا أبكي له اليوم من النار . انظر ترجمته مع الخنساء في الأغاني (١٣ : ١٢٩ - ١٤٠) والخرزاة (١) : ٢٠٧ - ٢١١) والشعر ٣٠١ - ٣٠٦ .

(٢) الكبريزي : « أبي الهجو » .

المصادر . وعلى ذلك ما رُوِيَ على النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أنا كرمُ كريمة قوم فأكرموه ^(١) » .

ويجوز أن تكون الماء للمبالغة . وقوله « وأن ليس إهداه الخنا » أن مخففة من الثقيلة ، واسمه مضمر ، والجملة التي بعده في موضع الخبر ، وموضع أن رفع بكونه معطوفاً على أني قد أصابوا ، وأنني فاعل أبي الهجر .

٣- إذا ما نزلوا أهدى ليمت تحية فحيالك رب الناس عني معاوية

٤- لنعم الفتى أدى ابن صيرمة بره إذا راح فخل الشول أهدب عارياً ^(٢)

يقول : إذا راجل حياً مية فتولى الله تعالى عني تحيتك يا معاوية .
والتحية من الله تعالى : الإكرام والإحسان ، والتفضل عليه بما هو أهله .

وقوله « لنعم الفتى » الحمود بهذا الكلام محذوف ، كأنه قال : لنعم الفتى الذي ذا صفته . وقوله « أدى ابن صيرمة بره » أراد سلاحه وسلبه . وقوله « إذا راح » ظرف لما دل عليه نعم الفتى . أى بجمد في هذا الوقت إذا اشتد الزمان وأجدبت الأرض ، وانصرف فخل الشول من مرعاه عارياً من اللحم مهزولاً ، لكثرة أفضاله ، وحسن تفقده واتصال بره بمن يجمعه إليه نسب أو سبب . والشول : الذوق القليلة الألبان ، واحدتها شائلة . وابن صيرمة المذكور يجوز أن يكون القاتل لمعاوية أو المعين عليه .

٥- وطيب نفسي أنبي لم أقل له كذبت ولم أنجل عليه بماليا

٦- وذى إخوة قطعت أفران بينهم كما تركونى واحداً لا أخاليا

(١) هو حديث أنه أكرم جرير بن عبد الله لما ورد عليه ، فبسط له رداءه وحمه بيده وقال : « إذا أنا كرم كريمة قوم فأكرموه » .

(٢) بعده عند التبريزي :

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة وحييت رنسا عند رية ثاوية

تَسَلَّى فِيمَا أَوْجَعَهُ مِنْ ارْزَاءٍ بَأَن لَمْ يَكُنْ جَنَاءَهُ وَهُوَ حَيٌّ قَوْلًا وَلَا فِعْلًا ، ثُمَّ
تَسَلَّى أَيْضًا بِأَنَّهُ كَمَا فُرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ وَتُرِكَ فَرِيدًا وَحِيدًا ، قَدْ تَوَلَّى مِثْلَ
ذَلِكَ مِنْ مُعَادِيهِ ، فَرُبَّ إِخْوَةٍ مُتَنَاصِرِينَ صَارَتْ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً ، وَأَهْوَاؤُهُمْ
مُتَّفِقَةٌ ، وَهُمْ فِي تَأَلُّفِهِمْ وَتَشَابُهُمْ ، وَتِلَاوَتِهِمْ وَتِرَافُدِهِمْ ، كَالْحَلْقَةِ الْمُفْرَغَةِ
لَا يُدْرَى أَيْنَ رَأْسُهَا ، أَنَا قَطَعْتُ عِلَاقَتِي بَيْنَهُمْ ، وَوَصَّلَ نِظَامُهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا
وَتَفَاقَدُوا حَتَّى صَارُوا فِي الذِّشَّةِ مِثْلًا ، كَمَا كَانُوا فِي التَّجْمَعِ مِثْلًا . وَهَذَا بِإِزَاءِ
مَا فَعَلَ بِي ، وَفِي مُقَابَلَةِ مَا نِيلَ مِنِّي . وَالْأَهْرُ تَارَاتْ ، وَ « مَن بَرَّ يَوْمًا
يُرَبِّهِ » . وَقَدْ سَمِعْتُ الْقَوْلَ فِي قَوْلِهِ « لَا أَخَالِيَا » . وَانْتَصَبَ « وَاحِدًا » عَلَى
الْحَالِ مِنْ تَرْكُونِي ، وَلَا أَخَالِيَا صِفَةً لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَرْكُونِي وَحِيدًا فَرِيدًا .
وَقَوْلِهِ « أَفْرَانِ بَيْنَهُمْ » أَيْ وَصَلَ بَيْنَهُمْ . وَأَصْلُ الْأَقْرَانِ الْحَبَالُ ، وَالوَاحِدُ
قَرْنٌ . يَرِيدُ : إِنِّي قَطَعْتُ الْأَسْبَابَ الْجَامِعَةَ بَيْنَهُمْ بِقَتْلِهِمْ وَتَفْرِيقِهِمْ . وَ « بَيْنَ »
جَعَلَهُ اسْمًا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ ﴾ .

٣٩٠

وَقَالَتُ أُخْتُ الْمُقْتَصِدِ (١) :

١ - يَا طَوَّلَ يَوْمِي بِالْقَلْبِ فَلَمْ تَكْذُ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ تُتَّقَى بِحِجَابِ

(١) اسمها « ميسون » كما ذكر التبريزي . وروى من خبر هذه الأبيات أن المقتصد
أخا بني الصموت ، من بني عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، خرج في أيام فتنة
ابن الزبير يصدق من مر به من الناس ، حتى أتى بني قنفذ من بني سليم ، بناحية هضبة القلب ،
فصدقهم ، ثم بعث إلى هلال أخى بني سمال بن عوف : أن ابعث إلى بابنتك . فقال هلال : إن
كان تزويجها فليأتنا فإنه كفء . قال : إنما أردت أن تمشط رؤوسنا وتحدث معنا . فضرب
هلال الرسول ، فركب المقتصد في فرسان ثلاثة حتى هجم على الحى ، فثاروا إليه ، وكان في
الذين ثاروا إليه مع هلال فتيان من بني قنفذ ، يقال لأحدهما المستوضح والآخر الحسن بن الأسود ،
فناوشوه قليلا . ثم إن المقتصد حمل على هلال فخاف هلال أن يطمئه وليس معه سلاح ، فوجد

٢- «مُرجَّم عَنْكَ الظُّنُونُ رَأَيْتَهُ وَرَأَاكَ قَبْلَ تَأْمُلِ الْمُرْتَابِ»
قوله «يا طُول يَوْمِي» لفظه نداء، ومعناه تعجُّب واشتكاء، وإنَّما استطالته
لأنَّه كان يومَ تحسٍّ ومكروه. فيقول: يَوْمِي بِالْقَلْبِ امتدَّ وطال حتَّى كادت
الشمس لا تحتجب عن الأبصار بحجابها المعلوم؛ فيأله من يومٍ ما أطوله.
والقلب: موضع^(١). وأضاف الشمسَ إلى الظَّهيرة كأنَّه لما قام قائمُ
الظَّهيرة وقفت حيرى فلم تكن تَجْنَحُ إلى اللَّغَيْبِ، ولا كانت تسير
فتموِّى للغروب.

وقوله «مُرجَّم عَنْكَ الظُّنُونُ» وصَّفه بأنَّ الآفاق على بُعدها كانت
قريبةً عليه إِمَّا أَبَدًا [به] من العزم وتَسَهَّلَ له وفي نفسه من عُورة السير، فيقول:
رَبِّ مُكْشَحٍ لَكَ كان على تفانيه عنك، وتحزُّمه معك، واستظهاره بإبعاد
الذَّارِ منك، برجِّم الظَّنَّ فيك، ويؤسوس إليه ما يبرِّفه من إبعادك في الغزو،
وقلة احتفالك فيما تركبه بلواحق التَّعَبِ، وعوارض الخطر — أَنَّكَ تقصده
وتوقِّع به آمَنَ ما كان منك، وهو في وسواسه لم يحدث نفسه بتأمل ما وقع
في خَلده، ولا بالكشف عمَّا ارتاب له، إذ أنت أُنَيْتُهُ من حيث لا يحسبُه،
واستَبَحَّتْ حريمُهُ، واستغنمت ماله. وقوله «قَبْلَ تَأْمُلِ الْمُرْتَابِ» يجوز أن
يريد به قبل تأمُّله، فيكون المرتاب هو المُرجَّم المكشَّح. ويجوز أن يكون
جَعَلَهُ مثلاً.

= أنفية مرتزة في الرِّماد فالتعلما ورماء بها، فركب رده ومات، وانهمز أصحابه ومروا على
جمعة بن عبد الله، أخى بنى غيظ بن مالك، فقتلوه قتال هلال:
أعددت للهيجا ويوم المشهد وللأحاديث التي بعد ألفد
• مستوحىً والحسن بن الأسود •

فركب أويلاء المخصص حين هدأت الفتنة إلى الحجاج فذكروا أمر صاحبهم وأمر
للغيطى، فأعذر دم المخصص وأقامم بالغيطى، فقالت أخت المخصص هذه الأبيات.
(١) في معجم البلدان: «هضب القلب بنجد. والهضب: جبال صغار. والقلب في
وسط هذا الموضع يقال له: ذات الإصَاد، وهو من أسمائها. وعنده جرى داحس والغبراء».

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام في قوله :

أَسْرَتْ لَكَ الْآفَاقَ غَزْمَةُ هِمَّةٍ جُبِلَتْ عَلَى أَنْ الْمَسِيرَ مُقَامٌ
 ٣ - فَأَفَاتَ أَدَمًا كَالْمِقْصَابِ وَجَامِلًا قَدْ عُدْنَ وَمِثْلَ عَلَائِفِ الْمِقْصَابِ^(١)
 ٤ - لَكُمْ الْمَقْصَصُ لَا لَنَا إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ ذُووْ أَحْسَابٍ
 يقول : غَزْوَتُهُ فُجِعَتْ مَالَهُ فَيَتَا وَغَنِيمَةً : نُوْقًا كَالْجِبَالِ سِمَانًا ،
 وَذِكُورَةً عِظَامًا ضِخَامًا ، عُدْنَ كَأَنِّي يَسْمُنُهَا الْجَزَارُ لِلنَّحْرِ .

وقوله : « لَكُمْ الْمَقْصَصُ لَا لَنَا » يقول : إِنْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ إِذَا طَلَبُوا النَّارَ
 طَلَبُوهُ عَنْ امْتِنَاعٍ وَشِدَّةِ أَنْفَةٍ ، وَجِدَةٍ فِي الْأَمْرِ وَاجْتِهَادٍ ، فِقْلَ الْحَسَابِ
 الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَفْتَضُّ عَلَى قَذَى ، وَلَا يَصْبِرُ فِيمَا يَحِقُّ لَهُ عَلَى أَذَى ، فَأَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ
 دَمِيهِ مِنْ دُونِنَا ، وَالْمَالُ كَوْنٌ لَهُ سَوَانَا . وَقَدْ تَرَكَنَاهُ لَكُمْ ، وَفَزُتُمْ بِمَا أَصَبْتُمُوهُ ،
 وَاسْتَمَرَّ أَنْتُمْ مَا طَعِمْتُمُوهُ . وَقَوْلُهُ « أَفَاتَ » مِنْ الْفَاءِ : الْغَنِيمَةُ ، لَا مِنَ الْفَاءِ
 الرَّجُوعِ . وَالْجَامِلُ مَوْحَدُ اللَّفْظِ مَصْوَغٌ لِلْجَمْعِ ، وَيراد به الإِبِلُ ، لَكِنَّهُ مُشْتَقٌّ
 مِنْ لَفْظِ الْجَمَلِ ، كَالْبَاقِرِ مِنَ الْبَقَرِ . وَالْعَلَائِفُ : جَمْعُ الْعَلُوفَةِ ، وَهُوَ مَا يَسْمَنُ فِي
 السَّيْبِ . وَيُقَالُ : شَاةٌ مُعْلَفَةٌ ، أَيْ مَسْمُومَةٌ . وَالْمِقْصَابُ ، بِنَاءٌ بِنَاءً مَا يَكُونُ
 آتَةً ، فَهُوَ كَالْفَتْحِ ، لَا بِنَاءً مَا يَكُونُ لِلْحِرْفَةِ وَالزَّوَالَةِ . وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ
 « الْقَصَابُ » ، وَهُوَ مِنَ الْقَصَبِ : الْقَطْعُ وَالْفَصْلُ ، لِأَنَّهُ يَقْصَبُ الشَّاةَ
 أَيْ يَقْطَعُهَا .

(١) رواية التبريزي : « المقصص » ، وقال في تفسيره : « المقصص : المزرعة التي
 تنبت القصب ، وهو القصب . فأرادت أنهم امن لخصب في روضة مستكة كاستكالك نبات القصب .
 وقيل : المقصص شبه منجل . تريد كأنها علائف سميت للنحر . والمقصص أيضاً : الرجل الكثير
 القطع . والقصاب : الذي صناعته ذلك . فإذا روى القصاب فعماء مثل علائف الذي ينحرف
 كثيراً . ومن روى المقصص بالصاد نسبة إلى القصب . ويعتدل أن يكون المقصص : الموضع
 الكثير القصب ، كما أن المشاب الموضع الكثير العشب » .

٥ - وأبو اليتامى يَنْبُتُونَ بِيَابِهِ نَبَتَ الْفِرَاحِ بِمُكَلِّيٍ مِفْشَابٍ^(١)

٦ - فَكِهْ إِلَى جَنْبِ الْخَوَانِ إِذَا غَدَتِ نَكْبَاهُ تَقْلَعُ ثَابِتَ الْأَطْنَابِ

قوله « وأبو اليتامى » أى كان يكفلهم ويؤولهم ، وبُشْفِقَ عليهم ويتحدث ، حتى كأنه أبوم . وارتفع « أبو » كأنه خبر ابتداء محذوف كأنها قالت : وهو لليتامى أب . ومعنى « يَنْبُتُونَ بِيَابِهِ » يروى « فناءه » ، وانتصابه على أنه أخرجه إلى باب الظُروف ، كما فُعلَ ذلك بِمَقْعَدِ الْقَابِلَةِ ، وَمَنَاطِ الثَّرِيَا وما أشبههما . والمعنى أنهم يترَّبون في فناءه وينفَعَمون ، تَرَبَّى فِرَاحِ الطَّيْرِ بِمَكَانٍ كثير العُشْبِ والكَلَا . ويقال : أَكَلَا الْمَوْضِعُ ، إِذَا صَارَ ذَا كَلَاٍ وَعُشْبٍ . والمِشَاب : الكثير العُشْبِ .

وقوله « فَكِهْ إِلَى جَنْبِ الْخَوَانِ » فالفكه : الكثير المزاح واللَّغَبُ^(٢) ، تَأْنِيسًا لِلضَّيْفِ وَبَسْطًا مِنْهُ ، كما قال الآخر^(٣) :

* أَحَدْتُهُ إِنْ الْخَدِثَ مِنَ الْقَرَى^(٤) *

وقوله « إِذَا غَدَتِ » ظَرَفٌ لِلْفَكِهِ . يريد : يفاكه الضيف عند الأكل بِمَلْحِ الْكَلَامِ ، كى يَسْتَأْنِسَ وَيَتَسَّعَ الْوَقْتُ لَهُ فَيَسْتَوْفَى . وإلى من قوله « إِلَى جَنْبِ الْخَوَانِ » تَعَلَّقَ بِفَعْلٍ مُضَمَّرٍ دَلٌّ عَلَيْهِ فَكِهْ ، كأنه مع قُرْبِ الْخَوَانِ يَفْكُهُ . و « إِذَا غَدَتِ نَكْبَاهُ » يريد وقت البَرْدِ وهبوبِ الرِّيحِ الْبَارِدَةِ الْمَرْغَرَةِ لِلْبُيُوتِ ، الْقَالِعَةِ لِأَوْتَادِهَا وَحِبَالِهَا . وَأَطْدَابِ الْبُيُوتِ : حِبَالُهَا . وَمَعَهُ إِطْلَابَةُ الْحَزْمِ وَالْقَسَى . وَالْجَمِيعُ الْأَطْنَابِ . قال :

(١) روى التبريزى هذا البيت بعد تاليه .

(٢) اتفقت اللسان في هذا الضبط .

(٣) هو عتبة بن بجير ، أو متكين الدارمى ، كما سيأتى في القسم الرابع من الحماسة .

(٤) عجزه : * وتعلم نفسى أنه سوف يهجع *

* بَرَكُضَنَ قَدْ قَلَعَتْ عَمْدُ الْأَطَانِبِ (١) *

٣٩١

وقالت عمرة بنت مرداس (٢) ترى أباها عباساً :

١ - أَعْيَنِي لَمْ أَخْتَلِكُكُمْ بِخِيَانَةٍ أَبِي الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ أَنْ تَنْصَبِرَا
٢ - وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ كَأَنِّي بَعِيرٌ إِذَا يُنْعَى أَخِي تَحَصَّرَا
٣ - تَرَى الْخَصْمَ زُورًا عَنْ أَخِي نَهَابَةً وَلَيْسَ الْجَلِيسُ عَنْ أَخِي بَازُورًا
تقول : يا عيني لا أقول إنكما لم تجزعا ولم تذرفا ، ولم تخلطاً بدمع دما ،
فأكون قد خدعتكما بخيانة استعملتها معكما . وكيف لا تكونان كذلك والأيام
والآيالي امتنعت عليكما أن تصبرا فيها ، إذ كانت تحلتكما من أعباء الرزية
ما استنفدت وسعكمما ، واستغفر طوقكمما ، حتى نزلت دموعكمما ، وتوقفت
عن الإجابة شؤؤونكمما ، فما بقي منكمما إلا شفا .

وقولها : « وما كنت أخشى » يقول : كنت قبل هذه الرزية واثقا بقوتي
وصبري ، ومُسَكَّتِي وعقلي ، حتى لا أخشى — إذا أخطرت بيالي أحداث الدهر
وتأثيرها في الأحبة والأهل — سوء احتمال فيها ، وضعف منة عنها ، إلى أن
نعمي أخى فورد له على نفسي ما أبدلني بالتأمسك تهالكاً ، وبالة تثبت تساقطاً ،
حتى صرت كأني بعير أريح عليه فتحسّر ورزح ، وعُيِّل في مبركه بالعجز
فما برح .

(١) البيت لسلامة بن جندل ، ولم يرو في ديوانه ولا في المفضليات . لكن نسب في
الأساس إلى النابغة ، ومع ذلك لم يرد في ديوان النابغة في قصيدته التي على هذا الروي .
وصدره في اللسان :

* حتى استغنن بأهل الملح ضاحية *

(٢) سبقت ترجمة أخيها في الحماسة ١٤٩ ص ٤٣٣ .

وقولها « تَرَى الْخَصَمَ زُورًا » جمعت الخضم للجمع فذلك قالت زوراً .
 والمصدر إذا وُصفَ به بُقِيَ على حاله فلم يُثنَّ ولم يُجمع . وقد قيل : خُعمان
 وخصُوم ، لما غلبت عليه الوصفية وكثر في الاستعمال أُجِرِيَ عليه حكم الصفة .
 والمعنى : تَرَى مُنَابِذِي أُخَيَّ منصرفين عنه وعن كلِّ متصل به ، مسالين له
 ولن أعلّق حبله بحبله ، إعظاماً له وتَهْيِئاً ، وإكباراً وتَخَوُّفاً . وترى جُلساءه
 ونُدماؤه مباسطين له ومستأنسين به ، لا يتدأخهم منه رُعبٌ ، ولا يقبضهم عنه
 تَجَبُّزٌ وكِبَرٌ . والتخلُّ : الكسر . وقال الخليل : هو تَخَادُعٌ عَنْ غَفْلَةٍ . وإنما قال
 الدهر والأيام ، لأنه أراد بالأيام الأحداث . وهذا كما قيل للوقعات : الأيام .
 وإنما صَغُرَت الأَخ لتلطيف المحل . هذا على قولهم صُدِّقَ . والتخسر : الضعف
 عن الإعياء . ويقال : الخسر والخسور أيضاً . وخَسَرَتِ الناقةُ فهي حسيْرٌ والجمع
 الخسرى . ولك أن تروى : « أُخَيَّ » وهو الأصل ، و « أُخَيَّ » فتحذف باء
 استنفالاً لاجتماع الياءات ، وتبنيه على الفتح لأنه أخف الحركات . وانتصب
 « مهابة » لأنه مفعول له .

٣٩٢

وقالت ربيعة بنت عاصم :

- ١- وَقَفْتُ فَأَبْكَنِي بَدَارِ عَشِيرَتِي عَلَى رُزْنٍ الْبَاكِاتِ الْخَوَايِرُ
 - ٢- غَدَا كُيُوفِ الْهِنْدِ وَرَادَحَوْمَةٍ مِنْ الْمَوْتِ أَعْيَا وَرَدَهُنَّ الْمَصَادِرُ
 - ٣- فَوَارِسُ حَامِوَاعِنِ حَرِيمٍ وَحَافِظُوا بَدَارِ الْمَسَايَا وَالْقَنَا مُنْشَاجِرُ^(١)
 - ٤- وَلَوْ أَنَّ سَلَمَى نَالَهَا مِثْلُ رُزْنِنَا لَهَدَّتْ وَلَكِنْ تَحْمِلُ الرُّزْءَ عَارِمُ
- تقول : دعاني ما أُصِيبْتُ به في عشيرتي إلى الوقوف بدارهم ، فشجيت

(١) التبريزي : « عن حريمي » .

بَشَجَى النَّسَاءِ النَّوَادِبِ الْجَوَاسِرَ ، حَتَّى بَكَيتُ لِبَكَائِهِنَّ عَلَى حَادِثِ الرِّزَاءِ ،
وَاقْتَفَرْتُ آثَارَهُنَّ فِي الْمَلْعِ وَالْحَزَنِ .

وقولها « غَدَوَا كَسِيفِ الْهِنْدِ » أَخَذَتْ تَصِفُ حَالَ عَشِيرَتِهَا فَقَالَتْ :
ابْتَكُرُوا وَهُمْ فِي خِلَتِهِمْ وَتَجَرَّدُوا ، وَصَفَائِهِمْ وَنَفَازِهِمْ ، كَسِيفِ الْهِنْدِ ، فَوَرَدُوا
حَوْمَةً مِنَ الْمَوْتِ أَعْجَزَهُمُ الصَّدْرُ عَنْهَا . وَالْحَوْمَةُ : مُعْظَمُ الْحَرْبِ وَغَيْرِهَا . وَحَوْمَةُ
الْبَحْرِ : أَكْثَرُ مَوْضِعٍ مِنْهُ مَاءٌ ، وَكَذَلِكَ حَوْمَةُ الْحَوْضِ . وَيُقَالُ : حَامَ الطَّائِرُ
عَلَى الْمَاءِ يَحْوُمُ حَوْمًا ، إِذَا دَارَ عَلَيْهِ فِي الطَّيَرَانِ .

وقولها « فَوَارِسُ حَامُوا عَنْ حَرِيمِ » وَصَّيَّتُهُمْ بِأَنَّهُمْ حَفِظُوا مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ
حِفْظُهُ مِنْ حُرْمِهِمْ . وَفِي الْمَثَلِ : « لَا بُقْيَا لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ » أَيْ عِنْدَ
الْحُرْمَةِ ، وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ لَكَ انْتِهَاكُهُ ، وَكَذَلِكَ الْمَحَارِمُ ، وَاحِدَتُهَا
مَحْرَمَةٌ . قَالَ :

* وَمَحْرَمَاتُ هَتَكُمَا بُجْرَى^(١) *

وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ : حَرِيمُ الدَّارِ ، لِمَا كَانَ مِنْ حَقِّهَا .

وقولها « وَحَافَظُوا بِدَارِ الْمَنَآيَا » أَيْ ثَبَّتُوا فِي دَارِ الْحِفَافِ ، وَدَافَعُوا
وَصَدُّوا ، وَلَمْ يَنْتَقِلُوا عَنْهَا طَلَبًا لِلسَّلَامَةِ ، وَحِرْصًا عَلَى نَيْلِ الْخِصْبِ وَالْأَمْنَةِ .
وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

وَتَحَلُّ فِي دَارِ الْحِفَافِ بِيُوتُنَا زَمَنًا وَيُظَنُّ غَيْرُنَا لِلْأَمْرِغِ
وقولها « وَالْقَنَا مُتَشَاجِرِ » الْوَاقِعُ مِنْهُ الْوَاقِعُ . وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى قِيَامِ الْحَرْبِ

(١) الْبَيْتُ لِلْمَعْجَاجِ فِي دِيَوَانِهِ ٦٨ . وَقَبْلَهُ :

* وَجَارَةُ الْبَيْتِ لَهَا حَجْرَى *

(٢) هُوَ الْحَادِرَةُ الذَّبِيلَانِي . الْمَفْضَلِيَّةُ ٨ .

بينهم ، وانتصاب الشر فيهم ، وأن لا طعن تلاحقاً كما أن للفتا في الاختلاف تداخلاً .

وقولها « ولو أن سلمى » فسلمى : أحد جبل طي . والمعنى : لو أن ما نزل بنا من الرزء مثله نزل بهذا الجبل لانهد ، ولكن الإنسان صبور شديد ، يتحمل كل ما حبل ؛ وإن ضوعف على وُسْمِهِ وثقل . وعاسر : قبيلتهم .

٣٩٣

وقالت عاتكة بنت زيد بن نفيل^(١) :

١- آليت لا تذكك عيني حزينه عليك ولا يذكك جـ لذي أغبراً

٢- فله عينا من رأى مثله فتى أكره وأحى في الهياج وأصبراً

٣- إذا أشرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الموت أحمرأ

روى بعضهم أن علياً عليه السلام استأذن عمر رضى الله عنه في مسكالة عاتكة بنت زيد ، وهى يومئذ زوجته ، فقال عمر رضى الله عنه : لا غيرة منك يا أبا الحسن ! فقال علي عليه السلام مازحاً : أنت القائلة :

آليت لا تذكك عيني قريرة عليك ولا يذكك جلدي أصفرأ^(٢)

(١) هى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل المدوية ، أخت سعيد بن زيد أحد العشرة . وقد أسقط المروزقى هنا اسم جدّها « عمرو » . وهى صحابية كانت زوج عبد الله بن أبي بكر الصديق ، ثم عزم عليه أبوه أن يطلقها لما شغلته عن مغازيه ، فطلقها ثم تبعها نفسه ، فسمعه أبوه يوماً يقول :

ولم أر مثل طلق اليوم مثلاً ولا مثلاً من غير جرم تطلق
فرق له أبوه وأذن له فارتجعها ، ثم لما كان حصار الطائف أصابه سهم فكان فيه هلاكه ، فات بالمدينة فرثته بهذه الأبيات . ثم تزوجها زيد بن الخطاب فاستشهد بالبيعة ، ثم تزوجها عمر ، فاستشهد فرثته بأبيات ستأتى فى الحماسية ٣٩٦ . انظر الإصابة ٦٩٢ من قسم النساء ، ونوادر المخطوطات ٦١ .

(٢) أصفر ، من استعمل العاييب والخلوق . وهو كناية عن المرور واطراح الحزن .

فقلت : لم أقل كذا . وعاودت حُزنها وجَزَعها . ومعنى « لا تنفك » لا تزال .

وقولها « فَلَلهِ عَيْنَا » تعجَّب ، وهي في تعظيم الشيء . ينسُبونه إلى الله عز وجل ، وإن كانت الأشياء كلها له تعالى وفي مدح كنهه .

وقولها « أكره » أى أكثر كرهاً . و« أنحى » يجوز أن يكون من الحماية ويجوز أن يكون من الحمية . والمعنى : لله عينا رجل رأى فتى مثله أكره منه وأنحى . وقولها « من » نكرة تريد رجلاً أو إنساناً . و« رأى مثله » صفة لمن . وقولها « إذا أشرعت فيه الأسنة » ، تريد : فى الهياج . ويجوز أن تريد فى الرنى ، أى قبلة . والهياج يجوز أن يكون مصدر هائج ، ويجوز أن يكون جمع هَيْج ، والمراد به الحرب وقد هاجت . فتريد : إذا هَيْدَت الرِّمَاحُ لطفة اقتحمها وتلقاها ، لا يحميد عنها حتى يخوض الموت بها ، فيتركه أحمر ، أى شديداً . ويقال : ميتة حمراء ، وسنة حمراء ، وسنون حراوات . ويقولون : « الحسن أحمر » ، أى طلب الجمال تُتَجَشَّم فيه المشاق .

٣٩٤

وقالت امرأة من طيء :

١ - تَأَوَّبَ عَيْنِي نُضْبُهَا وَاكْتِنَابُهَا وَرَجَيْتُ نَفْسًا رَثَ عَنْهَا إِيَابُهَا

٢ - أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْمُرْجَمِ غِيْبُهُ وَكَاذَبْتُهَا حَتَّى أَبَانَ كِذَابُهَا

أصل التأوب والتأويب : سِرَّ النهار كله حتى يتصل بالليل . وقد فسر ابن الأعرابي قول النابغة :

* وليس الذى يتلو النجوم بأيب (١) *

(١) صدره : * تطاول حتى قلت ليس بمنقض *

على أنه من هذا لا من الأوبة الرجوع . والنَّصْب ، من قولهم أنصَبَه المرضُ والحُزْنُ ، إذا أثَّر فيه . قال :

* تَعَنَّكَ نُصْبٌ مِنْ أَمِيمَةٍ مُنْصِبٌ *

وقال اللّريدي : يقال نَصَبَهُ أَيضاً . والاكتئاب : الحُزْنُ . والمعنى أنه ناب عيني ، وواظب عليها من السَّهرِ والكآبة والهمِّ النَّاصِبِ ، ما أثَّر فيها ، وعلقتُ رجائي بنفسٍ غائبةٍ عني قد استعجمت أخبارها عليّ ، فأبطأ رجوعها إليّ . وقولها « أعلل نفسي بالرجم غيبه » تريد : أزعجى وقتي وأرضى نفسي بظنِّ مَرَجُومٍ وأملٍ مَرَجُوءٍ ، وحديثٍ مؤلَّفٍ ، وتمنٍّ مَزْخَرَفٍ فيما لا حقيقة يعتمد عليها ، ولا أمانة يتأكّد الطَّامِعُ فيها . ويقال : رَجَمَ الرَّجُلُ بِالْغَيْبِ ، إذا تكلم بما لا يعلم .

وقولها « وكاذبتها حتى أبان كذابها » أي استعملت ملفق الأحاديث ومُموَّاة الأباطيل معها ، إلى أن برّح الخفاء ، وانكشف عن جليلة الأمر الغطاء ، وتعلّى رُغوة الكذب عن مصدوقة الخبر . والمكاذبة تكون من اثنين ، كأنه كان يكذب نفسه فتقريبه ^(٢) وتزيد عليه .

٣ - فَلَهْفَنِي عَلَيْكَ ابْنَ الْأَشَدِّ لِبُهْمَةٍ أَفَرَّ الْكُمَاةَ طَفَنُهَا وَضِرَابُهَا ^(١)

٤ - مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ فَإِنَّهُ سَمِيعٌ إِذَا الْآذَانُ صَمَّ جَوَابُهَا

٥ - هُوَ الْأَبْيَضُ الْوَضَّاحُ لَوْرُمِيَّتْ بِهِ ضَوَّاحٍ مِنَ الرِّبَّانِ زَالَتْ هِضَابُهَا

تتلهف على ما فاتت عشيرته منه من حسن الدِّفاع ، والثبات في وجه الشُّجاع الذي لا يدرى كيف يدفع ، وأني يؤنّي ويُقدِّع ، وقد طرد الشُّجعان وطرقهم

(١) التبريزي : « أفر الكأمة » بالراء المهملة ، قال : « ويروى أفر الكأمة بالزاي » ثم قال : « وأفر الكأمة - يعني بالراء - طردهم » .
(٢) تقريبه : تتبعه . وفي النسختين : « فتقريبه » .

ذُعْرًا، شِدَّةُ مُطَاعَنَتِهِ، وَقُوَّةُ مُضَارَبَتِهِ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: أَفْرَهُ: أَفْزَعَهُ. وَاسْتَفْزَعَهُ: أَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ وَخَدَعُوهُ حَتَّى الْقَوَّةِ فِي الْجَهْلِ. وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجَنَّكَ مِنْهَا﴾. وَالْبُهْمَةُ تَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهَاهُنَا هِيَ لِلوَاحِدِ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهَا «مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ» فَلَمْ تَقُلْ إِلَيْهِمْ، فَأَمَّا قَوْلُهَا «طَعْنُهَا وَضِرَابُهَا» فَالضَّمِيرُ جَاءَ فِيهِ عَلَى لَفْظِ الْبُهْمَةِ.

وَمَعْنَى «مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ»، أَنَّهُ إِذَا دَعَا الدَّاعِي لِمُبَارَاةِ هَذِهِ الْبُهْمَةِ وَمُنَازَلَتِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ وَيُجِيبُ، فِي وَقْتٍ تَسْتَكُفِيهِ السَّمْعُ لَشِدَّةِ الْأَمْرِ، وَالْبَاسُ الْخُوفُ. وَجَعَلَ الضَّمُّ لِلْجَوَابِ مُجَازًا، وَإِنَّمَا تَصَمُّ الْأَذَانُ عَنِ السَّمْعِ فَيَنْقَطِعُ الْجَوَابُ.

وقولها «هُوَ الْأَبْيَضُ الْوَضَّاحُ» تَرِيدُ خُلُوصَ النَّسَبِ وَزَكَاءَ الْمَنْصِبِ، وَاسْتِهْزَاءً لِدَّكْرِ فِي الْأَفْقِ.

وقولها «لَوْرُمِيَّتَ بِهِ ضَوَايِحُ» تَرِيدُ نَفَازَهُ وَحُسْنَ خُرُوجِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِيهِ وَشِدَّةَ صَدْمَتِهِ^(١) لِلْأُمُورِ، وَتَجَاجُعِهِ فِي إِبْرَامِهَا. فَيَقُولُ: لَوْرُمِيَّتَ بَوَارِزُ هَذَا الْجَبَلِ بِهِ لَزَغَزَعُهَا، وَهَذَا جَوَانِبُهَا.

٣٩٥

وَقَالَتِ الْعَوْرَاءُ ابْنَةُ سَبْعٍ:

- ١- أَبْنَى لَعْبِدِ اللَّهِ إِذْ حُشِنَتْ قُبَيْلَ الصَّبِيحِ نَارُهُ
- ٢- طَيَّانَ طَاوِي الْكَشْحِ لَا يُرْخَى لِمُظْلِمَةٍ إِزَارُهُ
- ٣- يَعْصِي الْبَخِيلَ إِذَا أَرَا دَ الْمَجْدَ مَخْلُوكًا عِزَارُهُ

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل. وَفِي الْأَصْلِ: وَنَدْمَتُهُ.

تريد أنها إذا تذكّرت حال المرنى فيما كان تجرى أموره عليه ، وبأخذ نفسه به ، عاودها البكاء والنحيب . ومعنى « حُشَّتْ نارُهُ » ضُمَّ ما تفرّق من الخطب إليها وأوقدت . وإنما تريد نار الضيافة .

ومعنى « طَيَّان » صغير البطن ، مهضوم الجنبين ، قليل الطعم . وقولها « طاوَى الكَشْح » أى يَمْضِي فى الأمور لَوَجْهِه لا يُعْرِج على شئ ولا يَنْتَفِي . ويقال : انطَوَى كَشْحًا ، فيصير من باب تصبّب عرقًا . قال :

* أَخْ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبَّ لِيْذَهْبًا ^(١) *

وقولها « لا يُرَخِّ لُظْلَمَةٍ إِزَارُهُ » تريد أنه إذا نابته النوائب تجرّد لها فيها وهو مشمّر الإزار ، مقلّص الذيل ، فدأواها بدوائها ، ونهض فيها نهضًا للفتد عليها ، الفاصل لها .

وقولها « يَمْعَى البُخِيل » تقول : وإذا أراد اكتساب المجد أهان ماله للفقراء والعفاة ، وفى إصلاح أمر المشيرة ، وعصى المشير عليه بالإمساك والبخل ، فخلع رِبْقَةَ طَاعَتِهِ ، وعذار احتشامه .

٣٩٦

وَقَالَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدٍ ^(٢) :

١ - مَنْ لِنَفْسٍ عَادَهَا أَحْزَانُهَا وَلِلْعَيْنِ شَفَقًا طُولُ السَّهْدِ ^(٣)

(١) كلمة « أَخ » ساقطة من ل . وكلمة « قد » ساقطة من الأصل . وإثباتهما من مجموع النصين ومن ديوان الأعشى ٨٩ ومقاييس اللغة واللسان والجدهرة . وصدده :

* صرمت ولم أصركم وكصارم *

(٢) سبقت ترجمتها فى الحماسة ٣٩٣ ص ١١٠٢ .

(٣) ضبطت فى النسختين وكذا عند التبريزى « السهد » بضمين ، والأوفق لمراعاة الشعر أن تضبط بفتحيتين ، وهى لفة فى الأول .

- ٢ - جَسَدٌ لُفَّ فِي أَكْفَانِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى ذَاكَ الْجَسَدِ
 ٣ - فِيهِ تَفْجِيعٌ لِمَوْتِي غَارِمٍ لَمْ يَدْعُهُ اللَّهُ يَمْشِي بِسَبْدٍ
 قولها « مَنْ انْفَسَ » تَوَجَّعٌ وَتَشَكُّرٌ وَاسْتِغْفَانَةٌ . وَعَادَهَا ، أَيْ اعْتَادَهَا . قَالَ :
 * عَادَ قَلْبِي مِنَ اللَّطِيفَةِ عَيْدُ *

والمعنى مَنْ يُؤْمِنُ نَفْسًا مِمَّا اعْتَادَهَا مِنَ الْأَحْزَانِ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا فِي رُزْمِهَا
 مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْآلَامِ ، وَمَنْ لَمِنَ آذَاهَا طُولُ الْأَرْقِ ، وَدَوَامُ السَّهْرِ .
 وقولها « جَسَدٌ لُفَّ فِي أَكْفَانِهِ » لُفَّ بِمَا بَعْدَهُ صِفَةٌ لِلْجَسَدِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ
 بِمَا بَعْدَهُ ، اعْتَرَضَ بَيْنَ الْأَوْصَابِ ، لِأَنَّ قَوْلَهَا « فِيهِ تَفْجِيعٌ » صِفَةٌ أَيْضًا .
 وَالْكَلَامُ تَحْشُرٌ وَتَلْهُفٌ . فَتَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ جَسَدًا جُهِّزَ بِمَا يَجْهِّزُ بِهِ الْمَوْتَى ،
 وَفُجِّعَ بِهِ مَوَالِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْيشُونَ فِي فَنَائِهِ ، فَإِذَا لَحِقَ أَحَدُهُمْ غُرْمٌ وَقَدْ
 ضَاقَتْ حَالُهُ عَنْ احْتِمَالِهِ وَسَّعَ لَهُ فِي جَنَابِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى دَهْرِهِ بِمَالِهِ . وَقَوْلَهَا « لَمْ
 يَدْعُهُ اللَّهُ يَمْشِي بِسَبْدٍ » تَرِيدُ أَفْقَرَهُ فَلَمْ يُبْقِ لَهُ شَيْئًا . وَيُقَالُ : « مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا
 لَبْدٌ » ، فَالسَّبْدُ : الشَّعْرُ ، وَاللَّبْدُ : الصَّوْفُ .

٣٩٧

وقالت امرأة من بني الحارث (١) :

- ١ - فَارِسٌ مَا غَادَرُوهُ مُلْحَمًا غَيْرَ زُمَيْلٍ وَلَا نِكْسٍ وَكَلٍّ (٢)

(١) من بني الحارث بن كعب ، كما في الخزاعة (٥ : ٥٢٢) وأما ابن السجري (١) :
 (٣٣٣ ، ١٨٧) .

(٢) ويروى أيضا كما في الخزاعة : « فَارِسًا » ، بالنصب : قال ابن السجري : « الرواية
 نصب فارس بمضمون يفسره الظاهر . وما صلة ، والمفسر من لفظ المفسر ، لأن المفسر متمد
 بنفسه إلى ضمير المنصوب ، ولكن لو تعدى بحرف جر أضمرت له من . معناه دون لفظه ،
 كقولك : أزيداً مررت به ، التقدير : أجزت زيدا . لأنك إن أضمرت مررت أضمرت الجار ،
 وذلك مما لا يجوز . فالتقدير إذن : غادروا فارساً . ويجوز رفع فارس بالابتداء والجملة التي هي =

- ٢ - لو يَشَا طَارَ به ذو مَيِّمَةٍ لَاحِقُ الْإِطَالِ نَهْدُ ذُو خُصَلٍ^(١)
- ٣ - غَيْرَ أَنَّ الْبَاسَ مِنْهُ شِيْمَةٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِي بِالْأَجَلِ
- قولها « فارسٌ ما غادروه » ماصلة ، والكلام فيه تفخيمٌ لأمر المرتني وتعظيمٌ لشأنه . تريد : تركوا فارساً رفيعَ المحل مُلحماً ، أى طُعْمَةً لِعَوَافِي السَّبَاعِ والطير . قال :

* قَدْ أَلْحَمْتَنِي النَّبَايَا السَّبْعَ وَالرَّخَمَا *

وقولها « غَيْرَ زُمَيْلٍ » فالزُّمَيْلُ والزَّمَالُ والزَّمْلُ : الضعيف ، كأنه زُمْلٌ في العجز كما يُرْمَلُ الرَّجُلُ في الثوب . وقولها « وَلَا يَنْكَسُ وَكَلٌ » فالتَّكْسُ : المقصّر عن غاية النجدة والكرامة ، وأصله في السَّهَامِ ، وهو الذي انكسرَ فجعل أسفلهُ أعلاه ، فلا يزال ضعيفاً . وَالْوَكَلُ : الجَبَانُ الذي يَتَّكِلُ على غيره فيضئع أمره .

وقولها « طَارَ بِهِ ذُو مَيِّمَةٍ » حَكَى الْحَالِ ، والمراد لو شاء أنجاهُ فرسٌ له ذو نشاط . وقال الخليل : مَيِّمَةُ الْحُضُرِ وَالذَّشَاطُ : أولُهُمَا وَجَدْتُهُمَا . وقولها « لَاحِقُ الْإِطَالِ » تريد : ضَامِرُ الْجَنَبَيْنِ . نَهْدٌ ، أى غليظٌ . ذُو خُصَلٍ ، أى من الشَّعَرِ .

وقولها « غَيْرَ أَنَّ الْبَاسَ مِنْهُ شِيْمَةٌ » : تقول ثَبَتَ ولم يَرَّ لنفسه الانقباضَ والإحجام ، لأنَّ الصَّبَرَ في الشَّدَّةِ وَالْبَاسُ عَادَةٌ مِنْهُ وَطَبِيعَةٌ ، ولأنَّ صُرُوفَ

= غادروه وصف له ، وغبر زميل خبره ولا موضع من الإعراب في وجه النصب للجملة التي هي غادروه ، لأنها مفعلة فحكها حكم الجملة المفعلة . وحسن رفعه وإن كان نكرة لأنه تخصص بالصفة . وإذا نصبته نصبت غير زميل وصفاً له . ويجوز أن يكون وصفاً للحال التي هي ملحماً .

(١) لو يَشَا ، ضبطت في ل بالجزم ، وهي رواية وشاهد في أن « لو » قد تجزم الفعل . انظر الخرافة وأمالى ابن السجري .

الدَّهْرَ تَجْرِي إِلَى النُّفُوسِ بِأَجَالِهَا ، وَلِكُلِّ حَيٍّ وَقْتُ مِنْ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ، فَإِذَا
انْتَهَى الْعُمْرُ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ انْقَطَعَ .

٣٩٨

وَقَالَ جَرِيرٌ ، يَرْتِي قَيْسَ بْنَ ضِرَارٍ ^(١) :

١- وَبَاكِيةً مِنْ نَأْيِ قَيْسٍ وَقَدْ نَأَتْ بَقَيْسٍ نَوَى بَيْنَ طَوِيلٍ بِعَادُهَا
٢- أَظُنُّ أَنْهَمَالَ الدَّمْعِ لَيْسَ بِمُنْتَهَى عَنِ الْعَيْنِ حَتَّى يَضْمَحِلَّ سَوَادُهَا
٣- وَحَقُّ لَقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْحَتَى وَأَنْ تُفَقَّرَ الْوَجْنَاهُ أَنْ خَفَّ زَادُهَا
قَوْلُهُ « وَبَاكِيةً مِنْ نَأْيِ قَيْسٍ » أَلَمْ فِيهِ بِقَوْلِ الْآخِرِ ^(٢) :

وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيِّنٍ كَانَ مِيعَادَهُ الْخَشَرُ
فَيَقُولُ : رَبُّ اسْرَأَتْ بِبَاكِيةٍ لُبْعَدِ قَيْسٍ عَنْ مَقَرٍّ عَزَّهْ ، وَمَسْكَنِ نَخْرِهِ ،
وَنَأْيِ قَيْسٍ السَّاعَةِ لِمُنْتَوَى بُعْدِهِ طَوِيلٍ . وَالنَّوَى : وَجْهَ الْقَوْمِ الَّتِي يَنْوُونَهَا ،
وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ . وَأَضَافَ النَّوَى إِلَى الْبَيْنِ - وَهُوَ الْفِرَاقُ - لِأَنَّ الْغُرُضَ فِي تِلْكَ
النَّوَى كَانَ مَفَارِقَةَ الْأَحْيَاءِ ، وَالتَّنْقُلَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، فَالْبَيْنُ سَبَبُهَا وَمَقْتَضِيهَا .
وَارْتَفَعَ « بِعَادُهَا » بِطَوِيلٍ ، وَالضَّمِيرُ مِنْهَا يَمُودُ إِلَى النَّوَى . وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ
« وَقَدْ نَأَتْ » وَارِ الْخَالِ .

وَقَوْلُهُ « أَظُنُّ أَنْهَمَالَ الدَّمْعِ » يَرِيدُ أَنْ أَوْقَاتَ الْبُكَاءِ مُتَّصِلَةٌ ، وَآمَادَ سِيلَانِ
الدَّمْعِ غَيْرُ مَنْقُطَةٍ ، وَالْعَيْنُ وَشُؤُونُهَا لَا تَنْتَبِثُ لِذَلِكَ وَلَا تَقْوَى بِهِ ، فَلَا شَكَّ

(١) التبريزي : « قيس بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة » . وهذه المراثية آخر
المراثي عند المرزوق ، لكن التبريزي روى بعدها ثلاث مرات ، سننبتها في الحواشي في نهاية
هذا الباب .

(٢) هو سلمة الجعفي . وقد مضى في الحماسة ٣٨٥ ص ١٠٨١ .

(٧ - حاشية - ثالث)

أَنْ سَوَادَهَا يَبْطُلُ . وذلك أَنَّ مَسَبِّاتِ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا تَقْوَى وَتَدُومُ بِقُوَّةِ أَسْبَابِهَا وَمُقْتَضِيَّاتِهَا ، فَمَا دَامَ سَبَبُ الْبُكَاءِ — وَهُوَ الْحُزْنُ وَالْمَلَحُ — يَمْلِكُ الْبَاكِيَ وَيَقْوُدُ زِمَامَهُ ، فَالذَّمَّ مَعِ سَائِلِ ذَارِفٍ ، وَسَوَادُ الْعَيْنِ مُشْفٍ عَلَى الْبُطُولِ هَالِكٌ ^(١) .

وقوله « وَحُقَّ لَقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْحِمَى » الْأَصْلُ فِي الْحِمَى الْمَاءُ وَالْكَلَاءُ ، وَلَمَّا كَانَ الْعَزِيزُ مِنْهُمْ يَسْتَمِيعُ الْأَحْمِيَّةَ وَيَحْفَظُ حِمَى نَفْسِهِ وَيَمْنَعُ مِنْهُ كُلَّ أَحَدٍ ، وَإِذَا قَالِ أَحْمِيْتُ هَذَا الْمَكَانَ ، أَيْ جَعَلْتُهُ حِمًى ، كَانَ يُتَجَنَّبُ وَيُتَحَاطَمُ إِجْلَالًا وَخَوْفًا مِنْهُ — اسْتَعِيرَ مِنْ بَعْدُ لِلْقَلْبِ وَمَا يَمْتَلِكُ مِنْهُ الْحُبُّ أَوْ الْحُزْنُ أَوْ غَيْرُهُمَا وَمَا لَا يُمْتَلِكُ مِنْهُ ، فَيَصِيرُ كَأَنَّهُ حِمَى الْعَقْلِ . فيقول : حُقَّ لَقَيْسٍ وَلِلْمَصَابِ بِهِ أَنْ يُبَاحَ لَهُ مِنَ الْقُلُوبِ مَا كَانَ حِمًى ، فَلَا يَنْزِلُ بِهِ غَمٌّ ، وَلَا يَمْتَلِكُهُ سُرُورٌ ، أَيْ حُقَّ لِلْجَزَعِ بِهِ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْقَلْبِ حَدًّا لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ شَيْءٌ . وقد أَخْرَجُوا هَذَا الْمَعْنَى فِي مَعَارِضَ لِأَنَّهُ مَعْنَى صَحِيحٍ حَكِيمٍ شَرِيفٍ ، فَقَالَ كُذِّبَ فِي الْحُبِّ يَصِفُ امْرَأَةً :

أَبَاحَتْ حِمَى لَمْ يَرْعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ
يريد : بَلَغَتْ مِنَ الْقَلْبِ هَذَا الْمَبْلَغَ .

وَأَخَذَهُ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّمَّةِ الْقَشِيرِيُّ ، فَقَالَ :

فَحَلَّتْ مَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ قَبْلَهَا وَهَانَتْ سَمَائِقُهَا لِرَبِّهَا وَذَلَّتْ
وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَّاسٍ فَقَالَ :

مُبَاحَةٌ سَاحَةُ الْقُلُوبِ لَهُ يَرْتَعُ فِيهَا أَطْيَابَ النَّعْرِ ^(٢)
وَأَخْرَجَهُ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ فَقَالَ بِنْفِي ^(٣) :

(١) يقال : بطل يبطل بطلا ، بالضم ، وبطولا ، وبطلانا : ذهب ضياعاً وخسراً .

(٢) ل : « يرتع منها » .

(٣) هذه الكلمة من ل .

بَصَحْنِ خَدَّيْ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهُ وَلَمْ يَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ^(١)
فَنَقَلَ إِلَى الْخَدِّ وَغَمَضَ كَمَا تَرَى .
وقال آخر يصف ناقة :

* حمراء منها ضَخْمَةُ الْمَكَانِ^(٢) *

يريد عظيمة المكان من القلب . ذكره الأصمعي . يريد أنها محببة . وقد قيل فيه غير هذا .

وقوله : « وَأَنْ تُعَقِّرَ الْوَجَنَاءُ إِنْ خَفَّ زَادُهَا » كان الواحد منهم إذا مرَّ بقبر رئيسٍ وهو في ضُحْبَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَنْوُبَ عَنِ الْمَقْبُورِ فِي الضِّيَافَةِ ، فَإِذَا لَمْ يَسَاعِدْهُ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ عَقَرَ نَاقَتَهُ ؛ إِنْ كَرَامًا لَهُ . لِذَلِكَ قَالَ « وَأَنْ تُعَقِّرَ الْوَجَنَاءُ إِنْ خَفَّ زَادُهَا » . وَالْوَجَنَاءُ : النَّاقَةُ الضُّلْبَةُ ، أَخَذَ مِنَ الْوَجِينِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ الضُّلْبَةُ . فَمَنْ رَوَى « أَنْ خَفَّ زَادُهَا » بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، فَالْمُرَادُ لِأَنَّ خَفَّ زَادُهَا . وَمَنْ رَوَى « إِنْ خَفَّ » بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ فَهِيَ لِلشَّرْطِ . وَقَدْ اعْتَذَرَ بَعْضُهُمْ^(٣) مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ فَقَالَ :

لَوْلَا السَّفَارُ وَبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَةٍ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرُقُوبِ
يعني ناقة .

وقد حكى ابن الأعرابي حكاية ما يهجه ، قال : كَانَ رَجُلٌ يُوَصِّلُ امْرَأَةً تَخْرُجُ فِي سَفَرٍ لَهُ وَعَادَ وَقَدْ اسْتَبَدَّكَتْ بِهِ ، فَأَتَاهَا لِإِعَادَتِهِ^(٤) ، فَقَالَتْ :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ بُدِّلَ حَاضِرًا وَأَنْ شِعَابَ الْقَلْبِ بَعْدَكَ حُلَّتْ

(١) تخضه ، بالياء في الأصل ، وبالتاء في ل .

(٢) الرجز لابن ميادة ، كما في أمالي القتالي (٣ : ٢٠٢) . وانظر معجم السبعين ص ٥٠٦ .

(٣) هو حفص بن الأحنف الكناني . سبق في الحاشية ٣٠٦ ص ٩٠٦ .

(٤) لإعادته ، باللام ، كما في الأصل و ل والتبريزي .

فأجابها :

فَإِنْ تَكُ حُلَّتْ فَالشَّعَابُ كَثِيرَةٌ وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهَا قُلُوصِي وَعَلَّتْ

ثم باب المرائى بحسن توفيق الله وجميل صنعه ، وله على تواتر نعمه ،
وتتابع أياديه ، أجزل الحمد^(١) .

(١) بعده في ل : « وأكثر الشكر ، وعلى النبي المصطفى ، محمد المجتبي خير الورى ، أوفى صلواته ، وأنمى بركاته ، وعلى آله الطيبين الظاهرين ، وسلم » .
هذا . وقد روى التبريزي بعد هذه المقطوعة ثلاث مقطوعات أخرى آثرنا إثباتها هنا ، وهي :
وقال آخر :

إِنَّ الْمَسَاءَ لِلْمَسْرَةِ مَوْعِدٌ اخْتَانِ رَهْنٌ لِلْمَشْيَةِ أَوْغَدِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِهَالِكٍ فَتَيَقَّنْ أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُهُ وَتَزَوَّدِ

وقال آخر يرثى أخاه :

أَخٌ وَأَبٌ بَرٌّ وَأُمٌّ شَفِيقَةٌ تَفَرَّقَ فِي الْأَبْرَارِ مَا هُوَ جَامِعُهُ
سَلَوْتُ بِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ مَا هُوَ تَابِعُهُ

وقال آخر يرثى ابنه :

ذَهَبَ عَلَى حِينٍ أَعْجَبَنِي وَوَلَّى الشَّبَابُ وَجَاءَ الْكِبَرُ
فَإِنْ أَبُكَ أَبُكَ عَلَى فَاجِعٍ وَإِنْ يَكُ صَبْرٌ فَمَنْ لِي صَبْرُ

بَابُ الْإِدْبِ

بَابُ الْأَدَبِ

٣٩٩

قال مسكين^(١) الدارمي :

١- وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَعُهُمَا
قوله : « وَفَتَيَانِ صِدْقٍ » أضافَ الفَتَيَانِ إِلَى الصَّدْقِ ، كما يقال فَتَيَانُ خَيْرٍ .
والمعنى أَنَّهُمْ يَصْدُقُونَ فِي الْوَدِّ وَلَا يَخُونُونَ . وقال الخليل : يُقَالُ رَجُلٌ سَوَّهٌ
وَإِذَا عَرَفْتَ قُلْتَ الرَّجُلُ السَّوَّهٌ ، وَلَمْ تُضِفْ ، بَلْ تَجْعَلُهُ نَعْتًا . وتقول : عَمَلٌ
سَوَّهٌ وَعَمَلُ السَّوَّهِ ، وَقَوْلُ صِدْقٍ وَقَوْلُ الصَّدْقِ ، وَرَجُلُ صِدْقٍ ، وَلَا تُقَالُ الرَّجُلُ
الصَّدْقُ ، لِأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الصَّدْقِ .

فيقول : رَبِّ فَتَيَانٍ هَكَذَا اسْتَنَامُوا إِلَيَّ وَاسْتَوْدَعُونِي أَسْرَارَهُمْ ، فَكُنْتُ
أَنَا نِظَامَهُمَا لَا يَفُوتُنِي مِنْ خَبِيرَاتٍ صُدُورُهُمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَفَرَدْتُ كُلًّا مِنْهُمَا بِالْوَقَاءِ
لَهُ ، وَكَتَمْتُ مَا أُوْدَعَنِي مِنْ سِرِّهِ ، وَلَا أُطْلِعُ بَعْضَهُمْ عَلَى مَا يَسْتَكْتُمُنِي الْبَعْضُ
الْآخِرُ ، بَلْ أَصُونُهُ مِنَ الْإِذَاعَةِ ، وَأَحْفَظُهُ مِنَ النَّشْرِ بِالطُّبَى وَالصَّيَانَةِ . وَذَاكَ لِأَنَّ
حِفْظَ السِّرِّ يَجْرِي بِجَرَى أَداءِ الْأَمَانَاتِ ، فَهُوَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَأْخُودٌ بِهِ وَمَبْعُوثٌ
عَلَيْهِ . وقوله « جَمَعُهُمَا » ، هُوَ كَمَا يُقَالُ نِظَامٌ ، لِأَنَّ النِّظَامَ اسْمٌ لِمَا يُنْظَمُ بِهِ الشَّيْءُ
فَهُوَ كَالْوِثَاقِ وَالرِّبَاطِ . وَكَذَلِكَ الْجَمَاعُ : اسْمٌ لِمَا يُجْمَعُ بِهِ الشَّيْءُ . وَالضَّمِيرُ مِنْ

(١) مسكين لقب له ، واسمه ربيعة بن أنيف الدارمي ، شاعر إسلامي هاجى الفرزدق ثم
كانه ، وكان له أثر ظاهر في ترشيح يزيد بن معاوية للخلافة . انظر تهجته في الأغاني (١٨) :
٦٨ - ٧٢) والخزانة (١ : ٤٦٥ - ٤٧٠) والذلال ١٨٦ - ١٨٧ ومعجم الأدباء
(٤ : ٢٠٤ - ٢٠٦) مرجليوث ، والشعر والشعراء ٥٢٩ - ٥٣٠ .

جَمَاعُهَا يَرْجِعُ إِلَى الْفِتْيَانِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ مِنْ ذِكْرِ الْأَسْرَارِ . وَانْتَصَبَ « غَيْرَ » عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ .

٢- لِكُلِّ أَمْرٍ شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارِغٌ وَمَوْضِعٌ نَجْوَى لَا يُرَامُ أَطْلَاعُهَا
٣- يَظْلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أَغْيَا الرِّجَالَ انْصِدَاعُهَا
قوله « لِكُلِّ أَمْرٍ » يريد لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ جَانِبٌ مِنَ الْقَلْبِ ، وَشِقٌّ قَدْ فُرِغَ لَهُ وَخُصَّ بِمَوْضِعٍ سِرِّهِ وَنَجْوَاهُ ، لَا يُطْلَبُ الْأَطْلَاعُ عَلَيْهِ وَالْكَشْفُ عَنْهُ ، لِمَا عُرِفَ مِنْ مَحَافِظَتِي وَوَفَائِي . وَالنَّجْوَى يَجْرَى عَلَى أَحْكَامِ الْمَصَادِرِ : الدَّعْوَى ، وَالْعَدْوَى ، وَالْفَهْ لِلتَّأْنِيثِ ، وَيُوصَفُ بِهِ الْأَمْرُ الْمَكْتُومُ . وَيُقَالُ : نَجَوْتُهُ فَهُوَ نَجِيٌّ ^(١) . وَقَدْ وَصِفَ بِالنَّجْوَى وَالنَّجَى الْوَاحِدَ وَالْجَمْعُ . [وَفِي ^(٢)] الْقُرْآنُ : ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ ، وَ ﴿ إِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ ، وَ ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ . وَيُقَالُ : تَنَاجَوْا وَانْتَجَوْا .

وقوله « يَظْلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ » يريد أَنَّهُمْ يُفَارِقُونَهُ فَيَتَفَقَّيُونَ فِي أَنْطَارِ الْأَرْضِ ، وَسِرُّهُمْ مَكْتُومٌ مُحْصَنٌ ، كَأَنَّهُ أَوْدَعَ صَخْرَةً أَغْجَزَ الرِّجَالَ صَدْعُهَا . وَيُقَالُ : شَتَّ الْأَمْرُ شَتًّا وَشَتَاتًا ، وَهُوَ شَتِيْتُ وَشَتَّ ، وَهُوَ أَشْتَاتٌ وَشَتَّى . فَأَشْتَاتٌ جَمْعُ شَتَّ ، وَشَتَّى : جَمْعُ شَتِيْتُ . وَيُرْوَى « أَغْيَا الْجِبَالُ انْصِدَاعُهَا » . وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الصَّخْرَةَ لِإِثْرَافِهَا وَثُبُوتِهَا فِي مَوْضِعِهَا لَوْ رَامَ الْجِبَالُ حَطًّا لَا يُعْجِزُهَا ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « إِلَى صَخْرَةٍ » أَيْ مَضْمُومٌ إِلَى صَخْرَةٍ . فَتَعَلَّقَ إِلَى بِفَعْلٍ مَضْمُورٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ .

(١) ل : « نَجِيٌّ » .

(٢) التَّكْلَةُ مِنْ ل .

٤٠٠

وقال يحيى بن زياد^(١) :

- ١- لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ يَاضُهُ بَمَفْرِقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبًا^(٢)
 ٢- وَلَوْ خِفْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتِي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا
 ٣- وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرُهُ فَسَاعَتُ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكَرهِ أَذْهَبِي

قوله « لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ » لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره . وجوابه « قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبًا » . وكان الواجب أن يقول : قُلْتُ لَهُ مَرْحَبًا وَلَكِنَّهُمْ يَكُرُّونَ الْأَعْلَامَ وَأَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ كَثِيرًا ، وَالْقَصْدُ بِالتَّكْرِيرِ التَّنْفِيمِ . والمعنى : لَمَّا وَجَدْتُ الشَّيْبَ اشْتَعَلَ رَأْسِي بَيَاضُهُ ، طَائِبَتْ نَفْسِي بِطُلُوعِهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَتَيْتَ رُحْبًا وَسَعَةً . وقوله « مَرْحَبًا » انْتَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ . وَيُقَالُ : رَحِبْتُ بِلَادَكَ رُحْبًا وَرَحَابَةً . وَحُكِيَ رَحِبْتُ بِلَادَكَ بِكَسْرِ الْحَاءِ تَرْحَبُ رُحْبًا . وَالرَّحْبَةُ وَالرَّحْبَةُ ، وَاحِدٌ وَهُمَا سَاحَةُ الْمَسْجِدِ .

وقوله « وَلَوْ خِفْتُ » يَرِيدُ بِخِفْتُ رَجُوتَ ، وَهُمْ يَضَعُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَاءِ وَالْخَوْفِ مَوْضِعَ الْآخَرِ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ ، أَيْ لَا يَخَافُونَ . وَقَوْلُ الْآخَرِ ، وَهُوَ الْهَذَلَى : « يَرْجُونَ لَسَعَةً^(٣) » . يَعْنِي النَّحْلَ . فَيَقُولُ : لَوْ رَجُوتُ أَنِّي إِذَا تَكَرَّهْتُ الشَّيْبَ وَتَسَخَّطْتُهُ ،

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٢٨١ ص ٨٦٠ .

(٢) كَذَا جَاءَ الْبَيْتُ بِالْخَرَمِ فِي النُّسَخَتَيْنِ ، وَجَاءَ تَامًا فِي التَّبْرِيزِيِّ : « وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ » .

(٣) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ . وَالْمَعْرُوفُ كَمَا عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « لَمْ يَرْجُ لِسْمَهَا » . وَهَذَا قِطْعَةٌ مِنْ بَيْتِ الْأَبِي ذُرَيْبٍ الْهَذَلِيِّ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ (١ : ١٤٣) ، وَهُوَ بِهَامِهِ :

إِذَا لَسَعْتَهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لِسْمَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبِ عَوَاسِلَ

وكففت عن إظهار الرضا به والشروع لطلعه فارقني وانحرف عني ، لرمت ذلك ، ولكن إذا حل ما يكرهه فطاوعت نفسه به ، وتلقاه بالصبر عليه ، كان ذلك أغون على زوال الكراهة فيه ، وإلا اجتمع وجهان مما يشق نزوله به ، واعتمائه له . وقوله « فساحت به النفس » أى ساهلت . ومنه قيل : عود سمح أى لا أبن فيه ^(١) . ومما يجرى مجرى المثل : « إذا لم تجد عزاً فسمح » أى لن وهن . وقوله « كان للكره أذهباً » كان الحكم أن يقول أشد إذهاباً ، لأن الفعل منه ليس بثلاثي . ولكن على طريقة سيبويه يحى أن يُبنى فعل التعجب مما كان على أفعل أيضاً ، وإن كان الباب على الثلاثي . وقد يمكن أن يقال : إنما قال « أذهباً » على حذف الزوائد . ألا ترى قوله :

فإننا وجدنا العريض أقر ساعة إلى الصون من برود يمان مسهم ^(٢)
والفعل لم يحى إلا افتقر ، فكأنه نوى حذف الزوائد وردّه إلى فقه ، وعليه جاء « فقير » وإن لم يستعمل الفعل .

وقوله « ولكن إذا » لكن جاء في هذا المكان لترك قصّة إلى قصّة ، وهى إذا جاءت عاطفة كانت لاستدراك بعد التثني . وجواب « لو » في قوله : لو خفت « رمت أن ينفكبا » ، وجواب إذا من قوله « إذا ما حل كره » : « كان للكره أذهباً » . ويوماً انتصب على الظرف ، والعامل فيه حل ، واسم كان ما دل عليه قوله ساحت ، كأنه قال : كان المساحة أذهب للكره .

(١) الأبن : جمع أبنة ، بالضم ، وهى العقدة فى العود ، والمعيب .

(٢) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٧ والسان (سهم) ، والرواية فىهما : « أحوج ساعة » .

٤٠١

وقال المزار بن سعيد^(١) :

١- إذا شئت يوماً أن تسودَ عشيرةً فبالحلم سُدْ لا بالتسرع والشم.
٢- وللحلم خيرٌ فاعلمنَّ مقتبةً من الجهل إلا أن تشمسَ من ظلم.
جواب وقوله « إذا شئت » قوله فبالحلم . والمعنى أن السيادة لها آلات ،
وإليها مراقي ودرجات ، فمن أتاها من وجهها ومأناها تمت له ؛ وذلك أن منها
استعمال الحلم ، وترك التعجل ، وكظم الغيظ ، وتسهيل الجانب ، والاحتمال
في النفس والمال والجاه ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره . فمن صبر في طلب
الرياسة وحصول سيادة العشيرة ، على هذه الخصال ، فهو حقيق بإدراكها ،
فإن أخذ يُحسِّنُ جانبَه ويقطُب وجهه ، ويفلظ كلامه ، ويوسعُ غيظه ويُفَظِّظ
قلبه ، ويعجل الطاعة له ، نفرت العشيرةُ منه ، وبانوا عنه . لذلك قال
من قال :

فإن كنتَ سيِّدنا سُدْنا وإن كنتَ للخلالِ فاذهبْ فخل^(٢)

وقوله « وللحلم خيرٌ فاعلمنَّ مقتبةً » انتصب مقتبةً على التمييز . وقوله
« فاعلمنَّ » حشو . فإن قيل : كيف اختيرَ هذا البيت بهذا الحشو ، والتسكُّم
إذا استعمل في كلامه مع المخاطب اعلم واسمع وما يجري مجراها ، عد ذلك معه
عياً ؟ قلت : إن هذه اللفظة في هذا المكان محتاجٌ إليها في عمدة المعنى المقصود ،

(١) هو المزار بن سعيد بن حبيب الفقمي الأسدي ، وهو من مخضري الدولتين ،
وقيل : لأنه لم يدرك الدولة العباسية : الأغاني (٩ : ١٥١ - ١٥٤) والخزانة (٢ :
١٩٣ - ١٩٧) والمؤتلف ١٧٦ والمرزبان ٤٠٨ - ١٠٩ والشعر والشعراء
٦٨٠ - ٦٨٣ .

(٢) البيت ٤ من الحماسة ٦٧ ص ٢٥٢ .

وإنَّ ما أشرتَ إليه إنما يكون زوائد وفُضُولاً لا يُحتاج إليه ، فإذا وَصَلَ التَّكَلُّمَ بها كَلَامُهُ مستمعيناً بها عُدَّ منه خطئاً وعيياً ، وهو في هذا المكان وصَّاه بالفكر فيما أوردَه والتبيين له ، وبمعرفة الحِلْمِ ووقته حتى يَدْرِى كيف يأخذُ به . فقوله : فاعلمن ، فاعرفن ، ومفعوله محذوف ، والمراد فاعلمن الحِلْمَ ومغيبته ، فأطلق . رجع فيما أشار به مطلقاً ، واستثنى في كلامه فقال : إلَّا أن تنفِرَ من ظلم يركُبُك ، وهضيمية تنالُك ؛ فإنَّ الجَهْلَ في ذلك الوقت أرجحُ في الاختيار من الحِلْمِ ، إذ كان صَدَمُ الشَّرِّ بالشرِّ أقرب ، ودفعُ الجَهْلِ بالجهلِ أحلم . ويقال : غَبَّتْ الأمور ، إذا صارت إلى أواخرها . وإنَّ لهذا الأمرِ كَمَغَبَّةٍ محمودة ، أى عاقبة . وقوله « تَشَمَّسَ » ، يقال إنَّه لَدُو شِمَاسٍ شديد ، إذا كان عِسرًا . وشَمَسَ لى فلانٌ إذا تنكَّرَ وهم بالشرِّ .

٤٠٢

وقال عَصَامُ بْنُ عُبيدِ اللَّهِ^(١) :

١ - أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَقَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةً بَيْنَ أَقْوَامٍ

٢ - أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي^(٢)

قوله « مُغْلَقَةً » أى رسالة يُغْلَقُها إلى صاحبها . وهو من قولهم : تَغْلَقُ الماء ، إذا دَخَلَ بَيْنَ الْأَشْجَارِ ، وَغْلَقَتْهُ أَنَا^(٣) . وقال الدَّريْدِيُّ : الْغَلَقَةُ : دُخُولُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ . وقال الخليل : الْغَلَقَةُ : سُرْعَةُ السَّيْرِ . يقال تَغْلَقُوا وَمَضُوا . ورسالة مُغْلَقَةٌ : محمولة من بلدٍ إلى بلد . وقوله « وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ »

^(١) التبريزي / : « عصام بن عبيد الزمان » . على أن الأبيات رواها الجاحظ في البيان

(٢ : ٣ / ٣١٦ : ٤ / ٨٥) منسوبة إلى همام الرقاشي .

(٢) الجاحظ : « أن يلجوا الأبواب » .

(٣) في الأصل : « وغلفه إياه » ، صوابه في ل .

بين أقوام « اعترض ، وقد مرّ القول في فائدة الاعتراضات . والمعنى أنهم ما داموا يتعاتبون فإن نيّاتهم تُعاود الصّلاح وتُراجعه ، وإذا ارتفع العتاب من بينهم انطوت صدورهم عن الإحْن والضغائن ، وظهَرَ الشَّرُّ على صَفحات أقوالهم وأفعالهم ، فاهتاجت الحِمِيّات ، وأنتجت مِن سُوء عقائدهم البَلِيّات . وفي طريقته قال أبو تمام :

* إن الدّمَ المفترَّ يحرّسه الدّمُ ^(١) *

وقال غيره : « القَتْلُ أَقْلٌ للقَتْل » ^(٢) . فأما قولُ الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ فإنّ بلاغة القرآن لا تُدانيها بلاغة ، وكلّ كلام وإن علا ينحطُّ دونه . والرّسالة قوله : أَدْخَلْتُ قَبْلِي قَوْمًا . والمعنى أنك قدّمت على في الإِذْن والدُّخُول قَوْمًا لم يكن من حقّهم أن يتقدّموا على إذا وردنا الأبواب ، ولا بَلَفَتْ من محالّهم ورُتّبهم أن تُرْفَعَ على ما يُقسم لى في مجالس الكِبَار . وقوله « أَنْ يَدْخُلُوا الأبواب » حقّه عند سيبويه أن يقال أن يَدْخُلُوا في الأبواب ، يجعله مما يتعدّى في الأصل بحرف الجرّ ثم يُحذف الجارّ من اللفظ تخفيفًا . ومسألة الكتاب ^(٣) : دخلت البيت . وغيره يذهب إلى أنّه مما يتعدّى تارة بنفسه وتارة بحرف الجرّ ، وفي أنّهم يقولون دخلت في الأمر فيُعديّ بى لا غير ، وأنّ ضده وهو خرجت يتعدّى بحرف الجرّ ، بيّان لصحّة قول سيبويه .

(١) في الأصل : « المعنى » ، صوابه في ل . والمفتر ، بالعين المعجمة : النافل . وفي ديوان أبي تمام ٢٧٤ : « المفتر » بالعين المهملة . وصدر البيت :

* وأخافكم كى تفعدوا أسيافكم *

وقبل البيت بيت سائر ، وهو :

فقسا لتزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرسم

(٢) كذا في النسختين . ويروى : « القتل أنى للقتل » .

(٣) أى كتاب سيبويه .

٣- لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مِثْنًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ^(١)

٤- فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ بِيَابِ دَارِكَ أَذْلُوهَا بِأَقْوَامِ^(٢)

[قوله^(٣)] : « لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ » المراد به والأصل فيه : لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ

قَبْرًا قَبْرًا ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَصَرَ الْكَلَامَ وَحَذَفَ الْقُبُورَ وَرَفَعَ قَبْرًا عَلَى أَنْ يَقُومَ مَقَامَ الْفَاعِلِ ، فَلَمَّا رَفَعَهُ وَأَزَالَهُ عَنْ سَنَنِ الْحَالِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ : بَعَثَ الشَّاءُ شَاءَ شَاءَ ، وَقَبَضْتُ الْمَالَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ يَوْمًا يَوْمًا ، رَدَّ حَرْفَ الْعُطْفِ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِأَنَّهُ مِنْ مَوَاضِعِ الْعُطْفِ ، لَكِنَّهُمْ اتَّسَعُوا فِي الْحَالِ لَمْ يَخَاطَبْ . وَقَالَ سِيبَوَيْهِ : إِنَّ الْغَالِبَ عَلَى هَذَا الْبَابِ كُلُّهُ أَنْ يَكُونَ اتِّصَابُهُ مِنْ إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ : الْحَالِ أَوْ الظَّرْفِ ، لِأَنَّ الْإِتْسَاعَ مِنْهُمْ عَلَى هَذَا الْحَدِّ وَالْجَوَازِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِيهِمَا . وَالظَّرْفُ كَقَوْلِهِ : لَقِيْتُهُ يَوْمَ يَوْمٍ ، وَصَبَّاحَ مَسَاءَ ، وَمَا جَانِسُهُمَا . قَالَ : وَالْإِفْرَادُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَحُوزُ حِمَايَةً عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَتَضَمَّنُهُ التَّكْرَارُ .

وإن قيل : هل يجوز على ما بينت : لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ قَبْرٌ وَقَبْرٌ ، عَلَى الْبَدَلِ ، وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ حِسَابُهُ بَابَ وَبَابٍ ؟ قُلْتُ : لَا يَحُوزُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ وَالْغُرْضَ مِنَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ أُجْرِيَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، التَّفْصِيلُ وَالتَّتَابُعُ ، وَمِنْ الْإِبْدَالِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَا يَبَيِّنُ ذَلِكَ . وَمَعَ ذِكْرِ الْقُبُورِ يُحَذَفُ الْوَاوُ مِنَ الْأَسْمِينِ الْمُتَرَجِّعِينَ عَنِ الْحَالِ بَعْدَهُ . لَا يَحُوزُ بَعَثَ الشَّاءَ شَاءَ وَشَاءَ ؛ فَكَذَلِكَ هَذَا ، عَلَى أَنْ بَابِي الْحَالِ وَالظَّرْفِ يَحْتَمِلَانِ مِنَ التَّوَشُّعِ مَا يَضِيقُ عَنْهُ أَكْثَرُ أَبْوَابِ الْإِعْرَابِ

(١) البيان : « كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ قَبْرًا » .

(٢) البيان : « إِذَا مَا حَاجَةٌ عَرَضَتْ » .

(٣) التَّكْلُفَةُ مِنْ ل .

وَيَمْجِزُ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَمْجِزْ تَجَاوُزُهَا بِالِاتِّسَاعِ فِيهِمَا إِلَى غَيْرِهَا . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ : لَوْ عُدَّ قَبْرَانِ كُنْتُ أَكْرَمَهُمَا مَيِّتًا ، لَمْ يَمْجِزْ ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ مِنْهُ ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْطُوفُ وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ إِذَا قُلْتَ جَاءَنِي رَجُلٌ وَرَجُلٌ بِمَثَابَةِ جَاءَنِي رَجُلَانِ .

ومعنى البيت : لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ مُنَوَّعَةً مَفْصَلَةً — وَإِنَّمَا يَعْنِي أَسْلَافَ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِ فِي الْإِذْنِ وَالْذُّخُولِ خُزُولَةً وَعُمُومَةً — لَكُنْتُ أَكْرَمَهُمْ أَبَا ، وَأَشْرَقَهُمْ بَيُوتًا . فَكَتَبَنِي عَنِ الْبَيْتِ وَالْمَنْصِبِ بِقَوْلِهِ « وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ » . أَيْ مِنْ مَنْزِلِ الْعَيْبِ ، لِأَنَّ الدَّامَ وَالذَّمَّ بِمَعْنَى . يُقَالُ : ذَامَهُ يَذِمُّهُ ، كَمَا يُقَالُ ذَمُّهُ يَذِمُّهُ ، وَحَيْثُ يَحْصُلُ الْعَيْبُ يَحْصُلُ الذَّمُّ ، أَظْهَرَ أَوْ لَمْ يُظْهَرْ .

وقوله « فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَاتٌ » يريدُ بِجَعَلْتُ طَفِيفَةً وَأَقْبَلْتُ . يُقَالُ : جَعَلَ يَفْعُلُ كَذَا . وَالْمَعْنَى : أَيْ قَعَدْتُ عَنْكَ وَتَرَكْتُ زِيَارَتَكَ ، وَإِذَا اتَّفَقَ مَا لَا يَدُلُّ عَلَى مَنْكَ وَمِنْ مَعُونَتِكَ مِنْ حَاجَةٍ أَوْ عَارِضٍ سَبَبٍ فَإِنِّي مُعْتَمِدٌ عَلَى غَيْرِي فِي التَّنَجُّزِ وَالِاسْتِسْعَافِ . وَمَعْنَى « أَدْلُوهَا » مِنْ قَوْلِكَ دَلَّوْتُ الدَّلْوُ ، إِذَا أَخْرَجْتَهَا مِنَ الْبُئْرِ ، أَيْ أَنْسَبَّ بِغَيْرِي ، وَأَصُونُ مِنَ التَّبَدُّلِ عِرْضِي .

٤٠٣

وقال شبيب بن البرصاء^(١) :

١ - وَإِنِّي لَتَرَّاكَ الصَّغِينَةَ قَدْ بَدَا نَرَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَمَا اسْتَشِيرُهَا^(٢)

٢ - مَخَافَةَ أَنْ تَجْنِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا يَهَيِّجُ كَبِيرَاتِ الْأُمُورِ صَغِيرُهَا

(١) هو شبيب بن يزيد بن جمره المولى . والبرصاء أمه . وشبيب شاعر إسلامي بلوي من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى عقيل بن علفه . الأغاني (١١ : ٨٩ - ٩٤) .
(٢) التبريزي : « فلا استشيرها » .

يقول: إِنِّي أَصَابَرُ مُوَالِيٍّ وَأَحْتَمِلُ أَذَاهُمْ، وَأَعْنِي عَلَى فَرَطَاتِهِمْ مَا وَجَدْتُ سَبِيلًا إِلَى الصَّبْرِ، فَاتْرَكَ ضَعْفَانَهُمْ تَبْدُو أَوَائِلُهَا، وَتَظْهَرُ نَحَائِلُهَا، وَلَا أَكْشِفُ عَنْهَا وَلَا أَطْلُبُ ثَوْرَانَهَا، خِيفَةَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ الشَّرُّ وَيَرْجِعَ الصَّغِيرُ مِنْهُ كَبِيرًا، وَسَهْلُهُ عَسِيرًا؛ فَإِنْ أَوَائِلُ الْأُمُورِ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ ضَيِّقَةٌ، فَإِذَا اتَّفَقَ لَهَا مَنْ يَهَيِّجُهَا وَيَزِيدُ فِي مَوَادِّهَا قَوِيَّتٌ وَاتَّسَعَتْ. وَالتَّرَاكُ: بِنَاءُ الْمُبَالَغَةِ، وَهُوَ الْكَثِيرُ لِلتَّرَكِ لِلشَّيْءِ، وَلَيْسَ هُوَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ تَرَكَ. وَالضَّغِينَةُ وَالضَّغْنُ وَالضَّغْنُ^(١) وَاحِدٌ، وَهِيَ الْحَقْدُ وَالْعِدَاوَةُ. وَيُقَالُ: ضَغِنَ عَلَى وَاضْطَمَنَ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الضَّغْنُ فِي الدَّابَّةِ: عَسَرُهُ وَالتَّوَاؤُهُ. وَدَابَّةٌ ضَغِنَةٌ، إِذَا نَزَعَتْ إِلَى وَطَنِهَا. وَالتَّرْيُ: التَّنْدِي، وَالْفِعْلُ مِنْهُ تَرَى. وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى كَامِنِ الْحَقْدِ. وَيُقَالُ: ثَارَ الْأَرْنَبُ مِنْ مَوْضِعِهَا، وَاسْتَثَرَتْهَا أَنَا.

وقوله «خِيفَةَ» انتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، وَ«أَنْ تَخْنِي» فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ مِنْهَا، وَقَدْ أَضَافَهَا إِلَيْهِ. وَقَوْلُهُ «صَغِيرَهَا» يَرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ، أَيْ صِفَاتُهَا.

٣ - لَمَعَرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةِ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا

٤ - تَبَيَّنَ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَبَضَّتْ وَتَقِيلُ أَشْبَاهًا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

قَوْلُهُ «عَلَى رَغْبَةٍ» أَيْ عَلَى مَرغُوبٍ فِيهِ، كَأَنَّهُ كَانَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ الْفُرْصِ فِي صَاحِبِهِ مَا لَوْ ائْتَهَزَّهَا وَلَمْ يَفْعَلْ عَنْهَا لَكَانَ فِيهَا الْاِشْتِفَاءُ مِنْهُ، وَدَرَكُ الْمَطْلُوبِ فِي بَابِهِ، فَلَمَّا لَمْ يَفْعَلْ وَأَصَرَ صَاحِبُهُ عَلَى مَسَاءَتِهِ أَخَذَ يَتَحَسَّرُ. وَقَوْلُهُ «لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا» يَرِيدُ: لَوْ قَوَّيْ نَفْسِي عَزِيمَتِهَا، وَحَصِيَّتُ رَأْيِهَا. وَالْمَرِيرُ: الْمَمَرُ الْحَكَمُ. وَوُصِفَ الْحَبْلُ بِهِ لِذَلِكَ. وَيُقَالُ: اسْتَمَرَّ مَرِيرُ فُلَانٍ، إِذَا اسْتَحْكَمَ رَأْيُهُ وَاسْتَحَصَفَ. وَعُنَيْزَةُ: مَوْضِعٌ^(٢).

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(٢) موضع بين البصرة ومكة، كما في معجم البلدان.

وقوله « تَبَيَّنُ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ » مثله قول القطامي :
 وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ اسْرُوءٌ قَبْلَ مَا يَرَى وَلَا الْأَمْرَ حَتَّى تَسْتَقْبِينَ دَوَابِرُهُ
 وَأَكْشَفُ مِنْهُ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ :

أَشْبَهُ غَيْبِ الْأَمْرِ مَا دَامَ مُقْبِلًا وَلَكِنَّا تَبَيَّنَانَهُ فِي التَّدْبِيرِ^(١)
 وَأَعْقَابُ الْأُمُورِ : أَوَاخِرُهَا . وَيُرْوَى : « تَبَيَّنُ أَدْبَارُ الْأُمُورِ إِذَا انْقَضَتْ »
 يُرَادُ بِهِ تَبَيُّنٌ . وَانْتَصَبَ « أَشْبَاهَا » عَلَى الْحَالِ .

٥- إِذَا افْتَخَرْتَ سَمْدُ بْنُ ذُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ سِوَى مَا ابْتَنَيْنَا مَا يَمُدُّ فَخُورُهَا
 ٦- أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُورُ قَوْزٍ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ فِي الظَّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا
 يَقُولُ : مَفَاخِرُ سَعْدٍ وَمَبَانِي مَكَارِمِهَا عَلَى مَا أَسَّسَهُ قَدِيمُنَا ، وَعَمَّرَهُ حَدِيثُنَا ،
 فَهَتَّى اسْتَعْرِضْتَ الْمَسَاعِي فِي مَنَافِرَةِ الْخُصُومِ لَمْ تَجِدْ بَنُو سَعْدٍ مَا يَعْتَمِدُهُ فَخُورُهَا ،
 وَيُكَاتِرُ بِهِ خَصِيمُهَا ، إِلَّا مَا شَيْدَنَاهُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ، وَتَعَاقَبِ الْأَحْوَالِ . فَقَوْلُهُ
 « سِوَى مَا ابْتَنَيْنَا » اسْتِنْدَاءٌ مُقَدَّمٌ . وَ« مَا » يَمُدُّ فِي مَوْضِعٍ مَفْعُولٌ لَمْ تَجِدْ .

وقوله « أَلَمْ تَرَ » تقرير لمن تصوَّره مخاطبًا فيقول : أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّا لِأَهْلِ
 قَوْزٍ^(٢) بِمَنْزِلَةِ النُّورِ لِلْأَبْصَارِ ، فَهَمَّ بِنَا يَهْتَدُونَ ، وَبِمَعَالِمِنَا يَقْتَدُونَ ، وَلِمَرَّاسِمِنَا
 يَقْتَفِرُونَ^(٣) ، وَبِسَنَارِئِنَا يَسْتَضِيئُونَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا يَتَوَقَّفُونَ^(٤) فِي مَرَّاشِدِهِمْ
 فَلَا يَقْضُونَ ، وَيَتَحَيَّرُونَ فِي آرَائِهِمْ^(٥) ، فَلَا يَمْضُونَ ، كَمَا أَنَّ النَّاسَ لَوْلَا مَا مِيدُ
 بِهِ النُّورُ أَبْصَارَهُمْ فِي رَوَاكِدِ الظُّلَمِ حَتَّى يَتَبَيَّنُوا الْمَرِئِيَّاتِ ، وَيَتَمَيَّزُوا أَشْبَاحَ
 الْمَدْرَكَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا ، لَوْ قَفُوا حَيَارَى لَا يَقْدَمُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ .

(١) البيت لم يرو في ديوان حميد ، ولا في ملحقات ديوانه .

(٢) قو : منزل للناصد إلى المدينة من البصرة .

(٣) الاقتفار : التتبع ، وأصله في تتبع الأثر .

(٤) ل : « يتوقفون » ، صوابه في نسخة الأصل .

(٥) في الأصل : « مراشدهم » ، صوابه في ل .

ومفعول « يُبَيِّن » محذوف ، والضمير من نورها يعود إلى الظلماء لما كان يتعقبا . وهم يُضَيِّفُونَ الشيء إلى الشيء لأدنى تناسب بينهما .

٤٠٤

وقال معن بن أوس (١) :

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيْتَانَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ
لمعرك مبتدأ ، وخبره مضمر ، وفيه معنى القسم ، وقد نُقِصَ القول فيه .
وقوله « إِنِّي لَأَوْجَلُ » مما جاء فيه أَفْقَلُ وَلَا فَعْلَاءُ له ، كأنهم استغنوا عن
وَجَلَاءِ بَوَجَلَةٍ . ويقال : وَجِلْتُ أَوْجَلُ وَآجَلُ وَجَلًّا ، وهو وَجِلٌ وَأَوْجَلُ .
وقلبى من كذا أَوْجَلُ وَأَوْجَرُ ، بمعنى . و يروى : « تَعْدُو الْمَنِيَّةُ » و « تَعْدُو »
ومعناها ظاهر . وأَوَّلُ ، بُنِيَ عَلَى الْقَمِّ ، كما فَعِلَ ذَلِكَ بَقَبْلُ وَبَعْدُ ، وذلك
أنه لما كان أصله أَفْعَلُ الذي يتم بمن ، وأضيف من بعد ، وجعل الإضافة فيه
بدلاً من من ، والمضاف إليه من تمامه ثم حذف المضاف إليه لِمِ الخطاب به ،
وجعل في نفسه غايةً ، وكان معرفة كما كان قبلُ وبعد كذلك وَجِبَ أَنْ يُبَيَّنَ
كما بُنِيَ . وموضعه نصبٌ على الظرف . ومعنى البيت : وبقائك ما أعلم أَيْتَانَا

(١) معن بن أوس : شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، له مدائح في جملة من الصحابة ، وعمر إلى زمان ابن الزبير ، وهو القائل له : « لعن الله فاقة حلتني إليك » . الإصابة ٨٤٤٥ والأغانى (١٠ : ١٥٦) . وفي الأغاني (١٠ : ١٦٢ - ١٦٣) أن القتال هو عبد الله بن فضالة . وفي الخزائن (٢ : ١٠٠) أن قاتلها عبد الله بن الزبير الأسدي ، وكذا في زهر الآداب (٢ : ١٦٤ - ١٦٥) . وانظر العقد (٦ : ١٧٦) . وروى التبريزي من سبب الشجر أن معن بن أوس كان له صديق وكان معن متزوجاً بأخته ، فاتفق أنه طلقها وتزوج غيرها ، فآلى صديقه ألا يكلمه أبداً . فأنشأ معن يقول يستعطف قلبه عليه ، ويستترقه له . وفي الأبيات ما يدل على القصة ، وهو قوله :

فلا تغضبني أن تستمار ظمينة وترسل أخرى كل ذلك يفعل

يكون المقدّم في عَذْوِ الموت عليه، وانتهاء الأجل إليه^(١)، وإني لخائفٌ مترقّب. فوضع « على أيّنا » نصب لأنّه مفعول ما أدري، والذي لا يدرّيه هو مقتضى هذا السؤال. وقوله « إني لأوجل » اعتراض.

٢ - وإني أخوك الدائمُ العهدِ لم أحلْ إن أبزأك خضمٌ أو نبأ بك منزل^(٢)

٣ - أحاربُ من حاربت من ذي عداوةٍ وأحبسُ مالي إن غرمت فأعقلُ يقول: إني وديك الذي يدومُ عهده، ويتصل على تقلب الأحوال وتبدل الأبدال، ولا يحول [إن تطاول^(٣)] عليك خضم، أو بطش بك عدو، أو ضاق عنك منزل، فاحتجت إلى التحول عنه والاستبدال به. وقال الخليل: يقال أبزيتُ بفلانٍ، إذا بطشت به وقهرته. وحكى اللّريدي: بزاه يبروه بزوا، إذا قهره. وأنشد:

جاري ومولاي لا يُبزي حريمهما وصاحي من دواء الشرِّ مضطحب^(٤)
وُيُبزي يكون مستقبل بُري وأبزي جميعاً. والله أعلم. ويموز أن يكون أبزي مفعولاً بالآلف عن بزي يُبزي بزي فهو أبزي، واسمأة بزوام؛ وهو دخول الظهر وخروج البطن. ويكون المعنى: إن خفض منك خضم، أو طأطأ من إشرافك عدو، وحملك من الثقل ما يبزي له ظهرك، فلا تطيق الثبات تحته، والنهوض به.

وقوله « أحاربُ من حاربت » هو تفسيرُ دوام عهده وثبات ودّه. والمعنى تجدني ذاباً عنك واقماً معك، أرصد الشرَّ لأعدائك، وأدافعهم دونك، وإن

(١) ل : « يته » .

(٢) التبريزي : « لم أكن » ، وثبه في شرحه على الرواية هنا .

(٣) تكله يفتقر إليها الكلام .

(٤) مضطحب ، بالحاء المهملة المفتوحة . وفي اللسان (بزأ) : مضطحب ، بالحاء

المعجمة المكسورة .

أصابك غُرْمٌ حَبَسَتْ مَالِي عَلَيْكَ ، واحتملت فيه الثَّقلَ عنكَ . وكان الواجب أن يقول : فَأَعْقِلْ عَنْكَ ، لأنه يقال عَقَلْتُهُ إِذَا أُعْطِيتَ دَيْتَهُ ، وعَقَلْتُ عَنْهُ إِذَا غَرِمْتُ مَا لَزِمَهُ فِي دَيْتِهِ . وقال الخليل : الْغُرْمُ لزوم نَائِبَةٍ فِي مَالٍ مِنْ غَيْرِ جُنَايَةٍ . وَالْمَالُ إِذَا أُطْلِقَ يراد به الإِبْل . ويحوز أن يكون معنى فَأَعْقِلْ : أَشَدُّهَا بِمُقْلَاهَا بِفَنَائِكَ ، لِنَدْفِعَهَا فِي غَرَامَتِكَ .

٤- كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَسُخْطِي وَمَا فِي رَيْبَتِي مَا تَعَجَّلُ^(١)
قوله « مساءتي » يريد مساءتك إليّ ، وكذلك « سُخْطِي » يريد سُخْطَكَ عَلَيَّ ، فأضافهما إلى المفعول . ويُقال : مساءة ومساينة . والسُّخْطُ والسَّخَطُ لغتان ، ومثله السُّقْمُ والسَّقَمُ ، والْعُدْمُ والعَدَمُ ، وهو نقيضُ الرِّضَا . ويقال : سَخِطْتُهُ وَتَسَخَّطْتُهُ ، إِذَا لَمْ تَرْضَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي التَّفَعُّلِ فَضْلٌ تَكَلَّفَ . ومعنى البيت أنك تستمرّ في إساءتك إليّ وسُخْطِكَ عَلَيَّ ، حتى كأن بك داءَ ذاك شفاؤه ، وما تطلبه من عَجَلَتِي لَا تَجِدُهُ فِي بَطْنِي ، أَي مَا تَقْدِّرُهُ يَتَعَجَّلُ لَكَ مِنَ الْمَكَاشِفَةِ يَبْنِي وَيَبْنِيكَ ، وَاسْتِنَارَةَ الْحَقْدِ الْكَامِنِ فِيكَ ، لَا يَحْصُلُ لَكَ مَنَى مُتَبَاطِنًا أَيْضًا . والمعنى أَنِّي أَصَابُكَ وَأَتْرُكُكَ عَلَى مَدَاجَاتِكَ .

٥- وَإِنْ سُوِّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ لِيُقَقِّبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُؤَبَّلٍ
٦- سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينُكَ فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبْدَلُ
قوله « وَإِنْ سُوِّتَنِي يَوْمًا » يقال : سُوِّتَ فُلَانًا ، وَسُوِّتَ [لَهُ^(٢)] وَجْهَهُ

(١) ترتيب سائر القصيدة عند التبريزي يخالف ترتيب المرزوقي . فالتبريزي يروي هذا البيت بعد البيت الخامس ، ويروي التبريزي بعد الخامس بيتاً لم يروه المرزوقي . وهو :

وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرَبَّيْتُ قَدِيمًا لَدَوْ صَفْحَ عَلَى ذَاكَ جُمِّلُ

ثم يروي بعده البيت السادس فالسابع إلى آخر المقطوعة .

(٢) هذه من ل .

مَسَاءً وَمَسَائِيَّةً . والمعنى : أُنِّي لَا أُؤَاخِذُكَ بِمَا يَظْهَرُ مِنْ مَسَاءِ تَك ، بَلْ أَقَابِلُهُ
بِصَفْحٍ جَمِيلٍ عَنْكَ ، اِنْتِظَاراً لَفَيْئَةٍ تَظْهَرُ مِنْكَ فِي مُقْتَبِلِ أَمْرِكَ ، وَمِرَاجَعَةٍ
تَعْنِي عَلَى قَبِيحِكَ ، فَإِنْ لَمْ يَتَّفَقْ مِنْكَ عُقْبَى حَسَنَةٌ تُدْسِي زِلَافَكَ ، بَلْ تَتَابِعُ
بَيْنَ مَسَبِّاتِ الْقَطِيعَةِ وَمَوْجِبَاتِهَا بِمَا تُظْهَرُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْعُقُوقِ فِيمَا يَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ ،
فَإِنَّكَ تَقْطَعُ أَخَاهُ فِي مُظَاهَرَتِكَ ، وَالْإِنْعَوَاءِ عَلَى مَسَاعِدَتِكَ ، وَالذُّخُولِ تَحْتَ
طَاعَتِكَ فِي كُلِّ مَا بَيْنَ وَيَعْرُضُ لَكَ ، بِمَنْزِلَةِ يَدِكَ الْبَيْتِ ، فَانْظُرْ مِنْ بَعْدُ
مَنْ تَعْتَاضُ مِنْهُ ، وَعَلَى مَنْ تَعَوَّلُ إِذَا صَارَ مِنْهُ . وَاتَّعَصَبَ « أَيْ كَفَرَ »
بِـ « تَبَدَّلَ » . وَقَوْلُهُ « لِيَعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » يَحْمِزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِ
أَعْقَبَ هَذَا ذَاكَ ، أَيْ صَارَ مَكَانَهُ ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : لِيَصِيرَ مَكَانَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ
مَذْمُومٌ يَوْمٌ آخَرُ مِنْهَا مُقْبِلٌ مَحْمُودٌ . وَهَذَا حَسَنٌ . وَيَحْمِزُ أَنْ يَكُونَ أَعْقَبَ غَيْرَ
مُتَعَدٍّ ، وَيَكُونُ مِنْ أَعْقَبِ الْأَمْرِ عُقْبَانًا وَعُقْبَى ، أَيْ صَارَ لَهُ عَاقِبَةٌ . وَبَرْتَفَعُ
« آخِرُ » يَمُتَقِبُ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ يَوْمًا مِنْكَ ظَرْفًا . وَالْمَعْنَى : لِيَصِيرَ مَا يُقْبَلُ مِنْ
أَمْرِكَ يَوْمًا ذَا عَاقِبَةٍ مَحْمُودَةٍ . وَيَحْمِزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْقَبَ فَلَانُ غَرْأً ، أَيْ أَبْدِلَ ،
وَيَكُونُ الْمَعْنَى : لِيُعْقِبَنِي يَوْمًا مِنْكَ مَحْمُودًا أَمْرٌ آخَرٌ مُؤْتَنَفٌ . وَرَأَيْتُ مِنْ
سُيُورِيهِ : « لِيُعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » بَفَتْحِ الْيَاءِ ، وَيَكُونُ مِنْ قَوْلِهِ عَقَبَ فَلَانُ
فَلَانًا إِذَا خَلَفَهُ ، وَهَذَا عَقِيبَانِ ، وَقَدْ اعْتَقَبَا وَتَعَاقَبَا . وَيَكُونُ الْمَعْنَى : لِيَخْلُفَ
يَوْمًا مِنْكَ يَوْمٌ آخَرٌ مُقْبِلٌ .

٧- وفي الناسِ إن رثتُ حبالَكَ واصلٌ وفي الأرضِ عَن دَارِ الْقَلَى مُتَحَوِّلٌ

٨- إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى شَرَفِ الْمَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَغْفِلُ

٩- وَبِرْكَبٍ حَدَّ السِّيفِ مِنْ أَنْ تُضَيِّمَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السِّيفِ مَرْحَلٌ

قوله « وفي الناسِ إن رثتُ حبالَكَ واصلٌ » إظهارٌ للزُّهْدِ فِي وِدَادِهِ إِذَا

لم يستقم معه . ويقال : رثَّ الثوبَ يَرِثُ رُثُوًا ورَثَانَةً . وقال أبو زيد
وأبو عبيدة : رَثَّ المتاعُ وأرَثَّ جميعاً . وأنشد لعدِي^(١) :
* أرثَّ جديداً الوصلِ من أمٍّ مَعْبِدٍ^(٢) *

وفي طريقة ما قاله قولُ ليبيد :

واحْبُ المَجَامِلَ بالجَزَلِ وُضْرُمُهُ باقٍ إِذَا ضَلَعَتْ وَزَاغَ قِوَامُهَا^(٣)
وقولُ أوس :

وإِن قال لي ماذا ترى يستشيرني يَحْذُنِي ابنُ عَمٍّ خِطَاطِ الأَمْرِ مِنْ بِلَا
فيقول : إِذَا رَغِبْتَ عَنْ مَوَاصِلِي ، وَتَقَطَّعَتْ حَبَالُ الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَنِي
النَّاسِ وَاصِلٌ غَيْرُكَ ، وَإِذَا نَبَأَ بِي جِوَارُكَ ، وَضَاقَ عَنِّي أَرْضُكَ وَدِيَارُكَ فَنِي
جَوَانِبِ الأَرْضِ سَعَةً وَمَزَحَلْ عَنْكَ ، سَيِّئًا وَالتَّحَوُّلُ عَنْ دَارِ الْبُغْضِ وَالنُّبُوْلُ
عَادَةً أَعْتَادُهَا ، وَسُنَّةٌ أَسِيرُهَا وَلَا أَعْدِلُ عَنْهَا . واعلم أَنَّكَ إِذَا لَمْ تُعْطِ أَخَاكَ
النِّصْفَةَ وَلَمْ تُوفِّرْ حَقَّوَهُ مَتَوَخَّيَا الْمَعْدِلَةَ ، وَلَمْ يُوْجِبْ لَهُ عَلَيْكَ مِثْلَ مَا تُوجِبُهُ
لِنَفْسِكَ عَلَيْهِ ، أَلْفَيْتَهُ هَاجِرًا لَكَ ، مُشَارَفًا قَطِيعَتَكَ ، مُسْتَبْدِلًا بِكَ وَبِمَوَاطِنِكَ
إِنْ كَانَتْ بِهِ مُسْكَنَةً ، أَوْ يَمْتَلِكُكَ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ ، نِمَ لَا يُبَالِي أَنْ يَرْكَبَ مِنْ
الأُمُورِ مَا يَطْعُمُهُ تَقْطِيعُ حَدِّ السَّيْفِ وَيُؤَثِّرُ تَأْثِيرَهُ فِيهِ ، خَافَةَ أَنْ يَدْخَلَ عَلَيْهِ
ضَيْمٌ ، أَوْ يُلْحِقَهُ عَارٌ وَاهْتِضَامٌ ، مَتَى لَمْ يَجِدْ عَنْ رُكُوبِهِ مَبْعَدًا وَمَعْدِلًا . وكما
قال هذا « دَارُ الْقَلَى » قال غيره^(٤) :

(١) كذا . والصواب أنه دريد الصمة ، كما في اللسان (رثث) . وقصيدة دريد هذه
في الأسمعيات ٢٣ ليسك وجمهرة أشعار العرب ١١٧ .

(٢) حجزه كما في المراجع السابقة ومقاييس اللغة (عقب) :

* بعاقبة وأخلفت كل موعِد *

(٣) كذا جاءت الرواية في النسختين ، وضلعت بمعنى مالت . والرواية المعروفة في
المعلقات « ظلمت » بالظاء .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمي . البيت ٩ من المفضلية ١١٦ والأسمعية ٨٧ طبع
المعارف ، وشواهد المعنى (٢ : ٢٠٢ - ٢٠٣) وشواهد المعنى ٩٥ وحاشية البحري ١٧٩ .

* دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَأَاهَا دَارَهُ ^(١) *

وقوله « مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ » معناه بدلاً مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ . ويجوز أن يريد
يركوب السيف الصَّبرَ على الحربِ والموت . وشفرة السيف : حذّه . والشَّفير :
حرف كل شيء ، منه .

١٠- وكنتُ إذا ما صاحبُ رَامَ ظَنَنْتِي وبَدَلُ سُوءٍ بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
١١- قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنُ فَلَمْ أَذْمُ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَ مَا أَتَحَوَّلُ
١٢- إِذَا انصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ إِلَيْهِ بَوَاجِيهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ
يقول : وإذا رأيتُ صاحبي يتجنى على ويتجرَّم ، ويتطلَّب على ما يُنتج
ظَنَنَهُ وبَوْلَدُ تُهْمَةٍ ^(٢) ، وطفقَ يَقْبِجُ آثَارِي ، ويبدلُ حسناتي ، اتَّخَذْتُهُ عَدُوًّا ،
وقلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْاِتِّسَاسِ مَتَقِيًّا مِنْهُ ، ومُدَقَّقًا لَهُ ، ولم أَذْمُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمَتَقَدِّمَةِ
مَعَهُ إِلَّا قَدْرَ مَا أَتَحَوَّلُ ، وبُطْءَ مَا أَتَنَقَّلُ . فقوله « رَامَ ظَنَنْتِي » أي رام ارتفاع
التَّهْمَةِ عَلَيَّ . وقوله « بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ » أي أفعله ، لحذف الضَّمِيرِ اسْتِطْلَافًا
لِصِلَةِ الَّذِي .

وقوله « إِذَا انصَرَفَتْ نَفْسِي » يريد أُنِّي أُمُدُّ نَفْسَ الصَّبْرِ مَا أَمَكُنْ ، فإذا
أَعْجَزَتْنِي الْحَالُ الْعَارِضَةُ عَنِ الْإِحْتِمَالِ انصَرَفَتْ مَالِكًا عِنَانِي ، ثُمَّ لَا يَنْتَبِهُنِي عَلَى
مَا أَعْرَضَتْ [عنه] ^(٣) شَيْءًا أَبَدَ الدَّهْرِ . « وَقَوَاهُ بَوَاجِيهِ » الباءُ تَعْلُوقٌ بِقَوْلِهِ تُقْبِلُ
أَي لَمْ تَكُنْ تُقْبِلُ إِلَيْهِ بَوَاجِيهِ مِنَ الْوَجْهِ ، وَعَلَى لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ .

(١) صجره : * أفرأحل عنها كن لم يرحل *

(٢) جاء في اللسان (وهم) : « التهمة فعله من الوهم ، والتاء بدل من الواو ، وقد
تفتتح الهاء » .

(٣) هذه من ل .

٤٠٥

وقال عمرو بن قميّة^(١) :

- ١- يا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أَفْقِدْ بِهِ إِذْ فَقَدْتُهُ أَمَّا
 - ٢- إِذْ اسْحَبُ الرِّبْطَ وَالْمُرُوطَ إِلَى أَدْنَى تِجَارِي وَأَنْفُضُ اللَّمَمَ
 - ٣- لَا تَغْبِطِ الْمَرْءَ أَنْ يَقَالَ لَهُ أَضْحَى فَلَانَ لِعَمْرِهِ حَكَمًا^(٢)
 - ٤- إِنْ سَرَّهُ طَوْلُ عَيْنِهِ فَلَقَدْ أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طَوْلُ مَا سَلِمًا
- يتحسّر على ما فاتته من الشباب وحسن أيامه ، ونضارة العيش به ، فقال :
- يا حسرة نفسي على متفضي الشباب ومتوليّه ، فإنّ ما فاتني منه لم أفارق به أسراً قريباً ، وشيناً هيناً ، لكنني فقدت به صحّة بدني ، وروعة وجهي ، وطيب عيشي ، وقوّة روحي ، حين كنت أجرب ربطتي (وهو الإزار الذي ليس بملفّق) ومروطي (وهو جمع مرط ، وهو ملحفة يؤتزّرها) إلى أقرب الخمارين إلى . وأنفض شعري رأسي إعجاباً به ، واستحساناً له ، وطرباً بدّاخلي في جميع أسبائي معه . ثمّ قال مزيّياً بالشيب وبما يكتسبه المرء إذا علاه ، من إكبار الناس له ، وتقديهم في المجالس إياه ، ومن الرجوع إلى قوله ، واستشارتهم فيما يعزّ من الخطوب رأيه ، فقال : لَا تَغْبِطَنَّ الرَّجُلَ وَلَا تَرْمُقَنَّ وَلَا تَجْمَلَنَّ^(٣) مُحْسِداً إِذَا

(١) قميّة : سهل قميّة . وقميّة أمه ، وهو عمرو بن قميّة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عل بن بكر بن وائل ، وهو جاعلي أقدم من امرئ القيس ، ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه ، فات معه في طريقه ، وسمته الغرب عمرأ الضائع ، لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب . الأغاني (١٦) : (١٥٨ - ٦٠) والخزانة (٢ : ٢٤٧ - ٢٥٠) والمعمرين ٨٩ والمؤتلف ١٦٨ والشراء . ٣٣٨ - ٣٣٦ .

(٢) ل : « لَا يَغْبِطُ الْمَرْءَ » بالبناء للمفعول . التبريزي : « أَضْحَى فَلَانَ لِسْتِهِ » .

(٣) ل : « لَا يَغْبِطَنَّ الرَّجُلَ وَلَا يَرْمُقَنَّ وَلَا يَجْمَلَنَّ » بالياء والبناء للمفعول .

قِيلَ فِيهِ : صار فلان حَكَمًا في عَشِيرَتِهِ لكَثْرَةِ تِجَارَتِهِ ، وامتدادِ عُمُرِهِ ، ودوامِ مُرَاقَبَتِهِ لِلأُمُورِ ، وَاِنْتِصَالِ لِقَائِهِ لِلنَّاسِ وَمَعَارَسَتِهِ لَهُمْ وَفِيهِمْ ، لِأَنَّهُ إِنْ سَرَّهَ امْتِدَادُ عُمُرِهِ ، وَتَنَفُّسُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ ظَهَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ضَعْفٍ وَانْحِنَاءٍ ، وَعَلَى وَجْهِهِ مِنْ ذُبُولٍ وَسُهُومٍ إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى طَوْلِ سَلَامَتِهِ الَّتِي هِيَ الدَّاءُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ (١) :

* وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ (٢) *

وقول الآخر (٣) :

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصَحِّي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ
وقوله « أَنْ يُقَالَ لَهُ » أَرَادَ لَا يُغْبِطُ لِأَنَّهُ يُقَالَ لَهُ ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ لَهُ .
وقوله « أَدْنَى تِجَارِي » (٤) « إِظْهَارٌ لَعُلُوِّهِ فِي سِبَاءِ الْخَمْرِ وَسُرْفِهِ ، ثُمَّ تَبْجِئُحُ بِإِضَافَتِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ .

٤٠٦

وقال إياس بن القائف (٥) :

١ - يُقِيمُ الرَّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْنِمِي النَّوَى بِالْمُقَاتِلِينَ الْمَرَامِيَا (٦)

(١) هو حميد بن ثور الهلالي . ديوانه ٧ والبيان (١ : ١٥٣) والحويان (٦ : ٥٠٣) .

(٢) صدره : * أَرَى بَصْرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ *

(٣) من شعراء الجاهلية ، كما في الكامل ١٢٥ ليسك .

(٤) كَذَا وَرَدَ تَفْسِيرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ هُنَا مَعَ أَنَّهَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ ، فَيَبْدُو أَنَّ الْمَرْزُوقَ أَضَافَهَا مُؤَخَّرًا .

(٥) التبريزي : « هُوَ مِنْ نَافٍ يَقُوفٌ إِذَا اتَّبَعَ ، مِثْلُ يَقُوفُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

كَذَبْتَ عَلَيَّ لَا تَزَالُ تَقُوفِي كَمَا قَافَ وَأَثَارُ الْوَسِيقَةِ قَائِفٌ

وَجَمْعُهُ قَافَةٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْوَلَدِ فَيَحْكُمُونَ مِنْ أَبَوَيْهِ : الْقَافَةُ ، لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الشَّبَهَ فِي الْأَعْضَاءِ » .

(٦) التبريزي : « تَقِيمُ الرِّجَالِ » .

بفضل الغنى على الفقر ويبعثه على طلبه وارتياحه . فقال : ترى المُوسرين يتودّعون ، وتطول إقامتهم في دُورهم وأرضيهم يمتعون ، والفقراء تراه ترمي بهم البلدانُ الثمائية ، وتقذف النوى بهم المقاذيف البعيدة ، والمهالك المستصعبة ، فلا يهدّون ولا يقرّون . والنوى : وجهه القوم التي يَبُونُهَا . والمرامى : جمع سمرى ، وهو المكان لا غيرُ هنا ، لأنه قابل الأغنياء بالمُعترين ، وأرض الأغنياء بمرامى الفقراء ، لأنهم لا تدّو بهم داراً أبداً ، فجال تساريم لكسبهم وتصرفهم كدور أولئك لهم . ومثّل يكون اسماً للحدث ، وزمانه ، ومكانه .

٢ - فأكرم أحاك الدهر ما دمتُ مماً كفى بالعماتِ فرقةً وتناثياً

٣ - إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها فقدتُ صديقي والبلادُ كما هيّا

يقول : أحسنُ حُبّة أخيك وصاحيك . وتناولوه بالإكرام طول الدهر ومُدّة العمر ، فإن المايا كفتك مفرقةً ومبعدة . وقوله « الدهر » انتصب على الظرف ، وما دمتما انتصب على أنه بدل من الدهر . وانتصب « ممّا » على أنه خبر ما دمتما . ومعنى ما دمتما ممّا : مدّة بقائكما ودوامكما مجتمعين . وقوله « كفى بالمايا » موضع بالمايا رفعٌ على أنه فاعلُ كفى . وانتصب « فرقة » على التمييز ، أو يكون في موضع الحال ، كأنه قال : كفى بفرقة المايا فرقةً . والتقدير : كفى فرقةً بالمايا من فرقة ، أو كفى المايا مفرقةً ومتناثية .

وقوله « إذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها » هذا الكلام توجّعٌ ونشكٌ من نوائب الدهر . يقول : أرى الإخوانَ تخترِمُهم المايا فهم يتفارقون ، وبلادهم وأروضهم على ما كانت عليه ، فتي زرتُ مكاناً بعد طول العهد به وجدتُ أصدقائي مفقودين ، وأما كنهم كما كانت . وقد تقدّم القول في إعراب « كما هيّا^(١) » . وقوله صديقي يرادُ به الكثرة لا الواحد .

٤٠٧

وقال ربيعة بن مقروم^(١):

١- وكنم من حاملٍ لي ضَبَّ ضِفْنٍ بَعِيدٍ قَلْبُهُ حَلَوِ اللِّسَانِ

٢- ولو أننى أشاء نَقَمْتُ منه بِشَفْبٍ أَوْ لِسَانٍ تَيْحَانٍ

كم لفظه وَضِعَتْ للتكثير، كما أن رُبَّ وَضِعَ للتقليل، إلا أنه اسم ورُبَّ حرف وله موضعان: الاستفهام، والخبر، وهو من باب الخبر هنا. والضَّبُّ: الحنقد. قال:

فَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسْلُ ضِفْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنَهَا ضِبَابِي^(٢)

وأضافه إلى الضفْنِ لأن الضفْنِ العَسْرَ، فكأنه حَقْدُ عَسْرٍ وِلْجَاجٍ. فيقول: كثيرٌ من الرِّجَالِ يحملون لي الضفَّانَ، وَيُسِرُّونَ لي البغضاءَ، وقد حَلَا مَنْطِقُهُمْ لي جَرِيًّا على سُدَّتِهِمْ في الدَّاجَةِ، وَبَعْدَ قَلْبِهِمْ مَقِيٌّ اسْتِمْرَارًا في طريق الشَّانِ لي والمُعَادَةِ، ولو شِئْتُ لَانْتَقَمْتُ منه بِالْفِعْلِ أَوْ بِالْقَوْلِ، فَإِنْ لَسَانِي عَرَبِيٌّ كَوَيْدِي عَالِيَةٌ، يَتَأَنَّى لَهُ مَكَافَاةُ كُلِّ النَّاسِ عَلَى مَقْدَارِ فِعْلِهِ، وبمثل ما يَنْطَوِي لي من خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. ويقال: نَقَمْتُ عَلَيْهِ أَيْ أَنْكَرْتُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ، وَنَقَمْتُ مِنْهُ بِمَعْنَى انْتَقَمْتُ. وَنَقَمَ وَنَقِمَ اخْتَانًا. وَالتَّيْحَانُ لَا يُكْسَرُ يَأْوُهُ، وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهِ^(٣).

(١) سبقَت ترجمته في الحماسية ٩ ص ٦١، وساق نسبته البريزي: ربيعة بن مقروم ابن خالد بن عمرو بن غيظ بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة.

(٢) ويروى: «من مضابئها». والبيت لكثير عزة، كما في الحيوان (٤: ٢٥٠)، (٦/٣٠٣: ١٠١) والموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢: ٦٣) وابن سلام ١٢٥ ليدن ١٨٥ مصر.

(٣) انظر ما سبق في الحماسية ١٨ ص ١٣١ - ١٣٢.

- ٣ - وَلَكِنِّي وَصَلْتُ الْحَبْلَ مِنِّي مُوَاصَلَةً بِحَبْلِ أَبِي بَيَّانٍ
 ٤ - وَضَمْرَةٌ إِنْ ضَمْرَةٌ خَيْرُ جَارٍ عَلِقْتُ لَهُ بِأَسْبَابٍ مِتَّانٍ
 ٥ - هِجَانُ الْحَيِّ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى صَدِيعَةٌ دِيمَةٌ يَجْنِيهِ جَانٍ

قوله « وَلَكِنِّي وَصَلْتُ الْحَبْلَ مِنِّي » يقول : أَبْقَيْتُ عَلَى مِنْ يَمَادِنِي وَلَمْ أَعْجَلْ مُوَاخَذَتَهُ بِإِسَاءَتِهِ وَإِصْرَارِهِ . وَتَمَادِيهِ فِيمَا أَكْرَهُهُ وَلِجَاحِهِ ، لِأَنِّي قَدْ وَاصَلْتُ أَبَا بَيَّانٍ وَعَلَقْتُ حَبْلِي بِحَبْلِهِ ؛ وَكَذَلِكَ احْتَشَمْتُ ضَمْرَةً لِأَنَّهُ خَيْرُ جَارٍ ، وَقَدْ اسْتَحْكَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَوْاصِرُ حِفْظُهَا عَنِ الْقَطِيعَةِ وَاجِبٌ ، وَلَأَنَّ الْعِصْمَ اللَّتَيْنِ الَّتِي تَجْمَعُنَا تُلْزِمُنِي الْوُقُوفَ فِيمَا يَكْرَهُانِي ، وَتَرْكُ مَا لَا يُؤْمِنُنِي اسْتِحْشَاشَهُمَا ، وَهَمَا مَعَ ذَلِكَ كِرَامُ الْحَيِّ لَا غَائِلَةَ لَهَا ، وَلَا شُبْهَةَ فِي مَصَافَاتِهِمَا وَحُسْنِ عَقِيدَتِهِمَا ، فَمَا وَدَّهَا إِلَّا كَابْرِيزِ الذَّهَبِ الْمُصَفَّى ، وَمَا يَظْهَرُ مِنْ مَعَادِنِ الذَّهَبِ صَبِيحَةً مَطْرَةً تَكْشِفُ عَنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ ، فَيَجْنِيهِ الْمُجْتَنُونَ ، أَيْ يَلْتَقِطُهُ الْمَلْتَقِطُونَ . وَهَذَا الَّذِي وَصَفَهُ يَقَالُ إِنَّهَا تَكَثُرُ فِي نَوَاحِي الْيَمَنِ وَالْيَمَامَةِ ، وَتُسَمَّى تِلْكَ الْمَعَادِنُ مَعَادِنُ اللَّقَطِ ، فَإِذَا مُطِرَتْ وَانْكَشَفَتِ الْهَبَوَاتُ وَالغُبَارُ عَنْ وُجُوهِ حَجَارَتِهَا يَظْهَرُ مِنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ فِي صَفَائِهَا مِثْلُ مَا وَصَفَهُ أَوْ أَحْسَنَ .

وقوله « هِجَانُ الْحَيِّ » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُبْتَدَأَ مُحَذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : هَمَّ هِجَانُ الْحَيِّ . وَهِجَانٌ جَمْعٌ ، وَوَاحِدُهُ هِجَانٌ أَيْضًا ، لِأَنَّهُ فَعِيلًا وَفِعَالًا يَشْتَرِكَانِ فِي الْجَمْعِ كَثِيرًا ؛ فَهِجَانٌ جَاءَ مِنْ هِجَانٍ وَاحِدًا كِظْرَافٍ مِنْ ظَرِيفٍ . وَقَوْلُهُ « كَالذَّهَبِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « يَجْنِيهِ جَانٌ » حَالٌ مِنَ الذَّهَبِ لِلْمُصَفَّى . وَقَوْلُهُ « مُوَاصَلَةً » يَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ مُوَاصِلًا ، وَيَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعًا مَوْضِعَ صِلَةٍ فَيَكُونَ مُصَدَّرًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ : وَقَوْلُهُ « يَجْنِيهِ جَانٌ » وَضَعَهُ مَوْضِعَ يَلْقَظُهُ .

٤٠٨

وقال سلم بن ربيعة^(١) :

- ١- إِنَّ شِـوَاءَ وَنَشْوَةَ وَخَبَبَ الْبَـازِلِ الْأُمُونِ
- ٢- يُجَشِّمُهَا الْمَرءُ فِي الْهَوَى مَسَافَةَ الْغَائِطِ الْبَطِينِ
- ٣- وَالْبَيْضَ يَرْفُلْنَ كَالذَّمَى فِي الرِّيطِ وَالْمَذْهَبِ الْمَصُونِ
- ٤- وَالْكَثْرَ وَالْخَفْضَ آمِنًا وَشِرْعَ الْمِزْهَرِ الْخُنُونِ
- ٥- مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ وَالْدَّهْرُ ذُو فَنُونِ
- ٦- وَالْيُسْرَ كَالْيُسْرِ وَالْغِنَى كَالْمُذْمِ وَالْحَيُّ الْغَمُونِ

هذه المقطوعة خارجة عن البحور التي وضعها الخليل بن أحمد، وأقرب ما يقال فيها أنها نجيء على السادس من البسيط^(٢)، وليس هذا موضعاً لبسط الكلام فيه .

والنشوة : الخمر والشكر^(٣) . والخبب والخبب : ضرب من السير . والبازل : التي قد استكمل لها تسع سنين فتناهى قوتها . والأمون : الموثقة المتلقت . وخبر إن في قوله « من لذة العيش » .

وقوله « يُجَشِّمُهَا الْمَرءُ » من صفة البازل ، والمعنى يكلفها صاحبها قطع المسافة البعيدة فيما يهواه . والمسافة مأخوذة من السوف ، وهو الشم . وكان الدليل إذا اشتد عليه الطريق يفعل ذلك . والغائط : المظن من الأرض . والبطين : الواسع الغامض .

(١) كذا في النسختين ، وصوابه كما في التبريزي : « سلمى بن ربيعة » . انظر ما سبق من التحقيق في حواشي ص ٥٤٦ .

(٢) يعني ما يسمى بخلع البسيط .

(٣) الخمر ، هنا : مصدر خمر الرجل خمرأ ، فهو مخمور .

وقوله « والبيض يرْفُلْنَ كالدُّمَى » يعنى به النساء . ويرْفُلْنَ : يَتَبَخَّرْنَ في الرِّيطِ ، وهى الملاء الواسعة ^(١) . والمذهب المصُون ؛ يُراد به الثياب الفاخرة المطرزة بالذهب . وتَعَلَّقَ فى من قوله « فى الرِّيطِ » بيزْفُلْنَ ، كالدُّمَى فى موضع الحال . والمعنى : والنساء البيض يتبخَّرنَ فى المصونات من الثياب الكريماتِ وهنَّ مُشَيَّهَاتٌ لِلْعُثُورِ .

والكُتْرُ انعطَفَ على البيض ، كما أن البيض انعطَفَ على « وخِيبَ البازلِ الأُمُونِ » . والمراد بالكُتْرِ كثرةُ المالِ ومساعدةُ الحال ، وضِدُّهُ القُلُّ . وقال الخليل : كُتِرَ الشَّيْءُ : أَكْثُرَ ، وكذلك قُلُّهُ أَقَلُّهُ . وانخفض : التَّوَدَّعَ . وانتصب « آمِنًا » على الحال ، وانعطَفَ « وشِرَعَ » على الخفض . فيقول : إِنَّ لَذَاتِ الدُّنْيَا مِنْ مَا كُولٍ وَمَشْرُوبٍ وَمَلْبُوسٍ ، وَمَرْكُوبٍ وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ صَاحِبُهُ فِيمَا يَهْوَاهُ ، وَكَذَلِكَ قَطَعَ الْمَسَافَاتِ فِيمَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَالنِّسَاءُ الْبَيْضَ بِالصِّفَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا ، وَالْغِنَى وَالرَّاحَةَ فِي الْأَمْنِ وَالْمَلَاهِي ، جَمِيعَ ذَلِكَ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ . وقوله « وشِرَعَ المزهر » أى الأوتار ، واحِدُهَا شِرْعَةٌ . والمِزْهَرُ : العود . والخُنُونُ : يُريد به الصَّبِيَّةُ مِنَ الْحَنِينِ ، فَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى الْمِزْهَرِ مَنْقُورًا يَنْقُرُهُ الْمَلْهُي ^(٢) . فَاَنْظُرْ فَإِنَّهُ جَمَعَ كُلَّ مَا يَلْتَذُّ بِهِ النَّفْسُ ، وَجَعَلَهَا تَامَّةً بِمَا قَرَنَ بِهِ مِنْ حَالِ الْأَمْنِ ، لِأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ إِذَا عَرِيَ مِنَ الْأَمْنِ لَمْ يُسْتَقْبَلْ وَلَمْ يُسْتَمَرَّ .

ثم قال : « والفتى للدهرِ والدهمُ ذو فنونٍ » الواو واو الحال ، وذو فنون أى ضروب . يريد : أن كلَّ ذلك مما يلتذُّ العائشُ به ، لكنَّ الفتى مُهَدَّفٌ للدهرِ ، والدهمُ ذو تاراتٍ : كما يَهَبُ بِرَتَجِيعٍ ، وكما يُسَلِّمُ بِعِلٍّ ، وكما يُودَّعُ بِتُعِيبٍ ، وكما يُصَنَّى بِكُدْرٍ . وبعد ذلك قال :

(١) كذا فى النسختين . والوجه « الملاء الواسعة » إذ أن « الريط » جمع لا مفرد .

(٢) الملهى : المشتغل بمتاع الغناء .

وَالْيُسْرُ كَالْعُسْرِ وَالْفَنَى كَالْمُذْمِ وَالْحَيُّ لِلْمُنُونِ
يريد أن شيئاً من هذه الأحوال لا يدوم إلا ربّ ما يُسلط عليه القواطعُ
والغيّرات ، فاليسار إذا حصل كالإعسار ، في أن واحداً منهما لا يبقَى ، وغنى
النفس كفقرها ، ثم انتهاء كل ذلك للحَيِّ منا إلى المَوْتِ الذي لا غاية وراءه ،
وليس يتخلّص منه بحيلة تنفُذ ، أو روية تُعمل .

٤٠٩

وقال آخر^(١) :

١- وَأَنْتَ اسْرُوْا إِمَّا ائْتَمَنْتُكَ خَالِيًا فَخَنْتُ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بَلَا عِلْمٍ
٢- فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ^(٢)
يقول : أنت رجلٌ إمّا وثقتُ بك في شيءٍ يُحتاج إلى أداء الأمانة فيه ، وقد
خلّوت معك وأظهرت الشكّونَ إليك فخفّنتي ، وإمّا أَسْتَنِيْمُ إلى ناحيتك في
الخير فكذّبت عليّ ، وخبّرت بما لا علم لك به ، فأنت ممّا بيني وبينك واقفٌ
في محلّ بَيْنِ الْخِيَانَةِ فيما ائْتَمَنْتَ فيه . والإِثْمِ فيما رَجَعْتَ إليك في الكشف عنه .
وقوله « ائتمنتك » هو افتعل من الأمانة ، ولك أن تخفف الهزمة وتبدّل منها
ياء ، ولك أن تعوّض من الهزمة تاء فتبدّعْه في التاء التي بعدها فتقول : ائتمنتك .

(١) التبريزي : « هو عبد الله بن همام السلولي من بني مرة بن صعصعة ، من قيس عيلان .
وبني مرة يعرفون ببني سلول ، وسلول أهم ، وهي بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وكان
عبد الله مكيناً عند آل مروان ، وهو الذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية في قوله :
تعزوا يا بني حرب بضمسبر فن هذا الذي يرجو الخلودا
خلافة ربكم حاموا عليها ولا ترموا بها الغرض البعيدا
تلقفها يزيد عن أبيه فخذها يا معاوية عن يزيدا »

وقد روى القالي في الأمالي (٢ : ٤٦) هذين البيتين وقصتهما .

(٢) رواية الأمالي : « فأبت » بالباء . وذكر محققه أنها في نسخة : « فأنت » . والمعنى
على كل صحيح .

وَحَالِيَا انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَذُو الْحَالِ يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّاعِرَ . وَالْمَعْنَى : جَمَلْتُكَ مَوْضِعًا لِلْأَمَانَةِ وَقَدْ خَلَوْتُ بِكَ لَثَلًا يَتَجَاوَزُنَا السَّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُكَ . وَيَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا لِمُخَاطَبٍ ، وَالْمَعْنَى مَفْرَدًا .

وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زُبَايدٍ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هَمَّامٍ السَّلُولِيَّ سَبَّهُ وَأَمْرَفَ جِهَارًا ، لَا حِشْمَةَ تَرَدُّعُهُ ، وَلَا رِقْبَةً تَمْنَعُهُ . فَأَرْسَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَى ابْنِ هَمَّامٍ وَاسْتَحْضَرَهُ لِيُقَابِلَهُ بِالرَّجُلِ ، وَيَتَّبِعِينَ مِنْ حُضُورِهَا صِحَّةَ الْخَبَرِ ، فَأَتَاهُ ابْنُ هَمَّامٍ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : يَا ابْنَ هَمَّامٍ ، إِنْ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّكَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا . فَأَقْبَلَ ابْنُ هَمَّامٍ عَلَى الرَّجُلِ وَخَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ : « أَنْتَ اسْرُؤْ إِمَّا ائْتَمْنْتُكَ خَالِيَا » ... الْبَيْتَيْنِ .

فَإِنْ قِيلَ : مَا مَوْضِعُ « إِمَّا ائْتَمْنْتُكَ » مِنَ الْإِعْرَابِ ؟ قُلْتُ : هُوَ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ صِفَةً لَاسْمٍ . وَإِمَّا هَذِهِ هِيَ الَّتِي تُعَدُّ فِي حُرُوفِ الْعُطْفِ ، وَالْكَلَامِ خَيْرٌ . يَرِيدُ : أَنْتَ رَجُلٌ لَا تَخْلُو مِمَّا تَصُكُّ بِهِ وَجْهِي مِنْ أَحَدِ الْأَسْرِينَ الَّذِينَ أَذْكَرُهَا . فَهُوَ كَمَا تَقُولُ : أَنْتَ رَجُلٌ إِمَّا صَالِحٌ وَإِمَّا حَالِحٌ . وَقَوْلُهُ « فَخُنْتُ » انْعُطِفَ عَلَى ائْتَمْنْتُكَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَنْتَ رَجُلٌ إِمَّا مُؤْتَمِّنٌ نَفْسًا ، وَإِمَّا قَائِلٌ قَوْلًا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ . وَقَوْلُهُ « وَإِمَّا » الْوَاوُ هِيَ الْعَاطِفَةُ . وَإِمَّا كَأَوْ فِي أَنَّهُ لِأَحَدِ الْأَسْرِينَ ، إِلَّا أَنَّ « أَوْ » يُبَيِّنُ الْكَلَامَ فِيهِ عَلَى الْيَقِينِ ، ثُمَّ يَعْطِضُ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنْهُ ؛ وَ « إِمَّا » يُبَيِّنُ الْكَلَامَ فِيهِ عَلَى عَيْنِ الْيَقِينِ . وَلِهَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ قَالَ حُذَّاقُ أَصْحَابِنَا : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ الْعُطْفِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْهَا وَهُوَ يَحْيَى قَبْلَ مَا يُعْطَفُ عَلَيْهِ أَوْ مَعَ حَرْفِ الْعُطْفِ . تَقُولُ : رَأَيْتُ إِمَّا زَيْدًا وَإِمَّا عَمْرًا . فِيمَا الْأَوَّلَى سَابِقُ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَهُوَ زَيْدٌ ، وَإِمَّا ثَانِيَةٌ مَعَهَا الْوَاوُ الْعَاطِفَةُ .

وقوله « فأنت من الأمر الذي كان بيننا » مبتدأ وخبره « بمنزلة » ، وبين الخيانة صفة المنزلة . والمعنى : أنت مما ^(١) بيننا في موقف يُشفي بك إما على الخيانة فيما اتُّمِنْتَ فيه ، وإما على الإثم فيما تُستشهدُ فيه ، فتقول بما لا علم لك به .

٤١٠

وقال شبيب بن البرصاء ^(٢) :

١ - قَتُّ لِفَلَّاقٍ بَعِرنَانٍ مَا تَرَى فَمَا كَادَ لِي عَنْ ظَهْرٍ وَاضِحَةٍ يُبْدِي
عِرنَانٌ : اسم وايد ^(٣) . وقوله « عَنْ ظَهْرٍ وَاضِحَةٍ » يجوز أن يريد عن ظهر خصلة بيّنة والمراد : لما استشرته وقد حصلنا بعِرنَانٍ ارتبك فلم يكذِّ يكشف لي عما يصح المرادُّ به ، ويمكن الاعتماد عليه . ويجوز أن يريد بالواضحة السن . والمعنى : لم يكذِّ يتهلَّل أو يكشف عن أسنانه به ضاحكا أو كاشرا . ويكون استعمال الواضحة كما قال طرفة :

كلُّ خليلٍ كنتُ عاهدته لَا تَرَكْ اللهُ لَهُ وَاضِحَةً

وقوله « تَبَسَّمَ كَرَهَا » بدل على الوجه الثاني .

٢ - تَبَسَّمَ كَرَهَا وَاسْتَبَيَّنْتُ الَّذِي بِهِ مِنَ الْحَزَنِ الْبَادِي وَمِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
٣ - إِذَا الْمَرْءُ أَعْرَاهُ الصَّدِيقُ بَدَا لَهُ بِأَرْضِ الْأَعَادِي بَعْضُ أَلْوَانِهَا الرُّبْدِ
انتصب كَرَهَا على أنه مصدر في موضع الحال . يقول : بَسَمَ لِي كَارَهَا غَتَبَيَّنْتُ الَّذِي بِهِ مِنْ حُزْنٍ ظَهَرَ عَلَيْهِ ، وَمِنْ وَجْدٍ اسْتَكَنَّ فِي قَلْبِهِ . ويقال استَبَيَّنْتُ وَتَبَيَّنْتُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَبَسَمَ وَابْتَسَمَ وَتَبَسَّمَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، إِلَّا أَنْ فِي

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « فيما » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسة ٤٠٣ ص ١١٢٣ .

(٣) وعن السكوني أنه جبل بين تيماء وجبل طي . معجم البلدان .

تبسم زيادة معنى التكلف ، كأنه تكلف منه ما تكلف على كراهية .
 وقوله « إِذَا المرء أعرأه الصديق » يريد به : إذا الرجل خذله صديقه
 وقعد عن نصرته ، وتركه بالعراء ، في أرض الأعداء ، بدا له من ألوان
 الأرض إذا اسودت بعضها . وهذا التفصيل والتبويض دل على أن اسوداد
 الأرض يكون من وجوه عدة ، وللحالة التي أشار إليها ما يختص بها ، ويجب
 أن يكون أشدها . وهذا لأن ما يرد على النفس من المكارة مراتب ، فاسوداد
 الأرض عليه لها على حسب مقاديرها في أنفسها .

٤١١

وقال سالم بن وابصة^(١) :

- ١- أَحِبُّ الْفَتَى بِنَى الْفَوَاحِشِ سَمْعُهُ كَانَ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَفَرَا
 - ٢- سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسِطٌ أَذَى وَلَا مَانِعٌ خَيْرًا وَلَا قَاتِلٌ هُجْرًا^(٢)
- يقول : أَحِبُّ من أخلاق الفتى أن يكون متكرماً إذا طرقت أذنه ذكر
 الفواحش ، فلا يبعيها ولا يجعلها من نفسه ببال ، حتى كأن به صمماً عن أنواع
 الفواحش كلها .

وقوله « سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ » ارتفع سليم لأنه خير مبتدأ محذوف ،
 كأنه قال : هو سليم ، ويكون ما بعده صفات له . ويريد بالدواعي ما يتعلق
 بالأغيار منه لا ما يخشيه في نفسه . ألا ترى أنه فسره بقوله « لَا بَاسِطٌ أَذَى وَلَا

(١) التبريزي : « سالم بن وابصة الأسدي » . وقد سبقت ترجمته في الحماسية ٢٤٤
 ص ٧١٠ . والأبيات في أمال القالي (٢ : ٢٢٤) .

(٢) التبريزي : « لَا بَاسِطاً ... وَلَا مَانِعاً ... وَلَا قَاتِلاً » . ومثله القالي ، لكن روايته
 في آخر البيت : « وَلَا نَاطِقاً هُجْرًا » .

مانعٌ خيرًا ولا قاتلٌ هُجرًا ، وكلُّ ذلك للغير لا للنفس . ويكشفُ هذا أنه إذا بسطَ أسبابَ الأذى عادَ الضررُ منها على المتأذى لا عليه . وإذا منعَ خيرَه كذلك عادَ الضررُ على المتنفع به وعلى هذا إذا قال هُجرًا . والهجر : الفحش . ويقال : أهجرَ الرجلُ ، إذا أذى به . وقد كان من فلانٍ هاجرةً . على ذلك قوله :

• إذا ما شئت نالكَ هاجرَاني ^(١) •

ولك أن تنصبَ « سليم » بما بعده ، فيكون في موضع الحال ، وما يتبعه صفات له ، وهو لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيرًا ولا قاتلاً هُجرًا .

٣ - إذا ما أنت من صاحبٍ لك زلةٌ فكن أنت محتالاً لِرأيتِه عذراً ^(٢)

٤ - غنى النفس ما يكفيك من سدِّ حاجةٍ فإن زاد شيئاً عادَ ذاك الغنى فقراً ^(٣)

يقول واعظاً ومُهدِّثاً : إذا اتفقت من صديقٍ لك زلةٌ ، أو وقوفٌ موقفٍ تهمه ، فحسن أمره في ذلك واحمله على ضروبٍ مما يَبْسُطُ عُذْرَهُ فيه ، بل كن أنت المحتالَ لعذره ، فلا تخرجْه إلى تكلف الاعتذار .

وقوله « غنى النفس ما يكفيك من سدِّ حاجةٍ » يقول : خذ من دنياك ما تسدُّ به فقرَكَ ، فإن غنى النفس ما يضمن الكفاية ، فإن زاد قليلاً عاد ذلك بزيادتك فيه الفقر ، وذلك أنَّ الدواعي إنما تكثر وتتوسع بتوسع الأسباب وكثرتها ، وما يفضل عن الكفاية يمتُّ كلُّ جزءٍ منه بماتةٍ صاحبه فلا يكاد يكتفى ببعضه

(١) مجزؤه في اللسان (هجر) :

• ولم أعملَ بهن إليك ساق •

(٢) قبله عند التبريزي : ولم يروه القالي :

إذا شئت أن تدعى كريماً مكرماً أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حُرّاً

(٣) التبريزي : « ما يكفيك من سدِّ خلة » . القالي : « ما يكفيه من سدِّ خلة

وإن زاد » .

إلا وما عَدَاهُ يَمْتُ بِمَثَلِ مَاتَتِهِ . وإذا صار الأمر على ذلك فشكل منزلة ينتهي إليها طلبُ الفضل تدعوه إلى ما فوقها ، فيبقى أبداً مُتَمَعِّباً فقيراً . وقوله « فإن زاد ، شيئاً » انتصب شيئاً على المصدر ، لأنه واقع موقع زيادة . وزاد هاهنا بمعنى ازداد ، فلا يتعدى . وانتصب فقراً على الحال .

٤١٢

وقال آخر^(١) :

- ١ - وَكَمْ مِنْ لَثِيمٍ وَدَّ أَنْ شَتَمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَتَمِي فِيهِ صَابٌ وَعَلَقَمٌ
 - ٢ - وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتَمِ اللَّثِيمِ تَكَرُّمًا أَضُرُّ لَهُ مِنْ شَتَمِهِ حِينَ يُشْتَمُ
- اللَّثِيمُ : الذي اجتمع فيه خصال مذمومة في نفسه وأبويه . فيقول : كم من رجل دنى النفس والأصل ، يتمنى أن أتخذه نظيراً لي أكايله وزناً بوزن ، وأكافيه لفظاً بلفظ ، وإن كان في هَجْوِي له وشَتَمِي إِيَّاهُ مَا يَجْرِي بِجَرَى الصَّابِ وَالْعَلَقَمِ فِي الْمَرَاة . وَالصَّابُ : شجرة لها لبنٌ فإذا أصاب العين حلبها . وَالْعَلَقَمُ : الحنظل . وقال الخليل : يقال : عَلَقَمَ الحنظلُ ، إذا اشتدت سوارته . ثم قال : لِمَسَاكِي عَنْ مُشَاتِمَةِ اللَّثَامِ آخِذًا بِالكَرَمِ ، أَصْنُونُ لِعِرْضِي ، وَأَعُوذُ عَلَيْهِم بِالضَّرَرِ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَهَجْوٍ . وانتصب « تَكَرُّمًا » على أنه

(١) التبريزي : « وقال المؤمل بن أميل المحاربي » . والمؤمل ، كذا ضبط بالميم المشددة المفتوحة عند التبريزي . وهو المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي ، نسبة إلى محارب بن خصيفة بن قيس بن عيلان بن مضر . شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين ، وكانت شهرته في العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم . وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه . وكان يهوى امرأة من أهل الحيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدته المشهورة :

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر
فيقال إنه رأى في منامه رجلاً أدخل إصبعه في عينيه وقال : هذا ما تمنيت . فأصبح أعمى .
الأغاني (١٩ : ١٤٧) ومجمع الأدباء (٧ : ١٩٥ مرجليوث) والخزانة (٣ : ٥٢٣)
ونكت البيان ٢٩٩ وسمط الأكل ٥٢٤ .

مصدر في موضع الحال ، أى متكرما ، ويجوز أن يكون مفعولا له ،
أى للتكرّم .

٤١٣

وقال عقيل بن علفة^(١) :

١- وَلِلدَّهْرِ أَثَوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كِلْبَسْتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقًا
٢- وَكُنْ أَكْبَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَقِّ فَكُنْ أَنْتَ أَهْمًا
ذِكْرُ الْأَثَوَابِ مَثَلٌ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ تَلَوْنُ الدَّهْرِ بِأَهْلِهِ ، وَتَصَرُّفُهُ بِأَحْدَاثِهِ
وَتَوَارَاتِهِ وَغَيْرِهِ . وَاللَّبْسُ : اسْمُ حَالَةِ اللِّبَاسِ . أَيْ اللَّبَسُ ثِيَابَهُ لِبَسْتَهُ مُجِدًّا
أَوْ مُخْلَقًا ، وَإِنْ أَجَدَّ أَوْ أَخْلَقَ ، لِأَنَّ الْحَالَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْجَزَاءِ . وَالْقَصْدُ إِلَى
تَوْصِيَةِ الْمُخَاطَبِ بِأَنْ يَطْلُبَ مَوَاقِفَ النَّاسِ فِي دَهْرِهِمْ ، وَيَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَمَعْنَى
أَجَدَّ : جَعَلَ ثَوْبَهُ جَدِيدًا . وَكَذَلِكَ أَخْلَقَ الثَّوْبُ نَفْسَهُ فَهُوَ مُخْلَقٌ ؛ وَهَذَا أَشْهُرُ
مِنْ الْأَوَّلِ . وَقَدْ قِيلَ فِي الدِّعَاءِ لِلْأَبْسِ الْجَدِيدِ : « أَبْلِي وَأَجْدِدْ » يَرَادُ بِهِ فِعْلٌ
مِثْلُهُ فِي الْمُسْتَأْنَفِ ، وَاتِّصَالَ عَمْرِهِ . وَقَدْ صَرَّحَ عَنِ الْمَعْنَى فِيمَا بَعْدَهُ ، لِأَنَّهُ قَالَ :
وَكُنْ أَكْبَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ . وَالْمَعْنَى : تَكَيْسُ مَعَ الْأَكْيَاسِ ،
بَلْ اجْتَهِدْ أَنْ تَفُوقَهُمْ فِي كَيْسِهِمْ وَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِحَقِّقٍ فَتَحَاقَقْ مَعَهُمْ . وَقَوْلُهُ
« كُنْ أَنْتَ » أَنْتَ تَوْكِيدٌ لِلْمُضْمَرِّ فِي كُنْ . وَفِي أَهْمًا « يَجُوزُ أَلَا يَرِيدُ بِهِ أَفْعَلَ
الَّذِي يَتِمُّ مِنْهُ وَيَكُونُ الْمَعْنَى تَحَاقُقَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَفْعَلَ الَّذِي يَتِمُّ مِنْهُ ،
وَقَدْ حُذِفَ مِنْهُ مِنْ لَأَنَّهُ خَبَرٌ فَجَازَ ذَلِكَ فِيهِ . وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُ قَالَ : كُنْ
أَكْبَسَ الْكَيْسَى . وَقَدْ قِيلَ : مَا أَحَقَّهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ الْخَلْقِ فِي شَيْءٍ . أَلَا تَرَى

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ١٣٦ ص ٤٠٠ . التبريزي : « وقال عقيل بن علفة المرى ،

مرة بن عوف بن سعد بن بغيض ، ويصح حذف با بن علفة . وعلفة تسمى لم يعرف اسمه ونسبه » .

أن صاحبه يُوجَّح على ما يأتيه منه . فأما قوله « الحَمَقَى » ففَعْلَى جَمْعٌ فيما يكون
بلاءً وزماناً . على ذلك الجرْحى والمرضى ، فشَبَّهت الحماقة به ، ثم حَمَلَ السَّكَنِي
عليه ، لأنهم يحملون النقيض على النقيض كثيراً .

٤١٤

وقال بعضُ الفَزارِيِّين :

- ١- أَكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لِأَكْرِمَهُ وَلَا أَلْقَبُهُ وَالسَّوْءَةَ اللَّقَبَا^(١)
 - ٢- كَذَاكَ أَذْبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي إِنِّي وَجَدْتُ مِلَاكَ الشَّيْمَةِ الْأَدْبَا
- يصف حُسنَ عِشرته لصاحبه وجليسه ، ومُواخذةَ نفسه بصيانتِه وإِكرامه
فيقول : إذا خاطبته خاطبته بأحبِّ أسمائه إليه ، وهو الكُنْيَةُ ، وأَعْدِلُ عن
نَبَرِهِ وَلَقَبِهِ^(٢) ؛ لأنِّي على هذا أَذْبْتُ ، حَتَّى به تَطَبَّعْتُ ، فصار خُلُقًا ثانيًا لي وإن
كان أصله تَخَلُّقًا ؛ إِنِّي وَجَدْتُ الْأَدبَ مِلَاكَ الْأَخْلَاقِ . والمِلَّاك : اسمٌ لما يُمْلَأُ
به الشيء ، فهو كالرُّبَاط والنَّظَام وما أشبههما . وقوله « وَلَا أَلْقَبُهُ وَالسَّوْءَةَ اللَّقَبَا »
بنصب السَّوْءَةِ ، فتَنَصَّبَ اللَّقَبُ مِنْ أَلْقَبُ ، وينتصب السَّوْءَةُ على أَنَّهُ مفعول
معه ، فيكون من باب : جاء التَّبَرُّدُ والطَّيَالِسَةُ . والتقدير : لَا أَلْقَبُهُ اللَّقَبَ مع
السَّوْءَةِ . ويَجْرِي هذا الجَرَى قوله تعالى : ﴿ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ ،
لأنَّ المعنى مع شركائكم . ويكون المراد : لَا أَجْمَعُ بين اللَّقَبِ وما يسوءه من
فُحْشِ الكلام . فهذا وجهٌ للنصب . ويجوز أن يكون انتصاب السَّوْءَةِ على

(١) يروى : « والسَّوْءَةَ اللَّقَبَ » على الابتداء والخبر ، كما يروى تأليه « ملك الشَّيْمَةِ
الأدب » ، على جمل الجملة مفعولاً ثانياً لوجدت ، ومفعوله الأول ضمير للشأن المحذوف ، أو على
أن « وجدت » معلق عن العمل في اللفظ بلام الابتداء المقدرة ، والجملة بعدها من المبتدأ والخبر
سدت مسد مفعول وجد . انظر الخزانة (٤ : ٥ - ٧) .

(٢) النَّبَرُ ، بالتحريك : اللَّقَبُ ، وجمعه أنباز .

المعنى ، كأنه قال : ولا آتى السوء ، فعمل فيه معنى لا ألقبه ، فيكون على هذا من باب :

يَا لَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا^(١)

و : * عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا^(٢) *

ويجوز أن يكون السوء مفعولاً به ، وقد عمل ما قبل الواو فيه ، كما تقول : مازلتُ وزيداً حتى فَعَلْ كذا ، أى مازلتُ يزيدٍ حتى فعل . وتقدير الباب فى هذه أَوْ كَشَفُ مَنْ تَقْدِيرِ مَعَ وَإِنْ تَقَارَبَ مَعْنِيَاهُمَا ، كأنه قال : لا ألقبه اللقبَ بالسوء . ويقال : سَمِيَتْهُ كَذَا وَبَكَذَا ، وَلَقَّبْتُهُ كَذَا وَبَكَذَا . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ . وَإِنْ رُفِعَ فَارْتِفَاعُهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِالْإِبْتِدَاءِ وَيَكُونَ الْخَبَرُ مَضْمَرًا ، كأنه قال : والسوءُ ذاك ، يعنى إِنْ لَقَّبْتُهُ فَالْفَحْشُ فِيهِ^(٣) . ويجوز أَنْ يَكُونَ مَبْتَدَأً وَخَبَرُهُ لَلْقَبَا ، وَيَكُونُ مَصْدَرًا كَالْجَمَزَى وَالْوَكْرَى وَمَا أَشْبَهُهُمَا . والمراد : وَالْفَحْشُ اسْتِمْعَالُ اللَّقَبِ مَعَهُ ، وَيَكُونُ تَفْظِيماً لِلْأَمْرِ لَوْ فَعَلَ . ويجوز أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ ، كأنه قال : لا ألقبه اللقبَ ، وهو السوء . وهذا أَقْرَبُ . والسوء : الْفَعْلَةُ الْقَبِيحَةُ . قال الشاعر :

(١) ويروى : « يَا لَيْتَ زَوْجِكَ » . ويروى : « يَا لَيْتَ بَعْلَكَ فِي الْوَغَى » . والبيت لعبد الله بن الزبعرى كما فى حواشى ابن القوطية على الكامل ١٨٩ . وانظر الكامل ٢٠٩ ، ٤٠٣ وأمالى المرتضى (٤ : ١٧٠) والإنصاف لابن الأثير ٣٥٧ ، وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٣٢١) والخزانة (١ : ٣٣٠) والمخصص (١ : ١٣٦ / ١٤ : ٢٣٢) .
(٢) أى وسقيتها ماء بارداً . والبيت لم يعرف قائله . وهو عند العيني (٤ : ١٨١) والمرتضى (٤ : ١٧٠) وابن الشجرى (٢ : ٣٢١) وشرح شواهد المعنى للسيوطى ٣١٤ والخزانة (١ : ٣٣٠ ، ٤٩٩) . قال البغدادى : « وأورد له العلامة الشيرازى ، والفاضل اليمنى ، صدرأ وجعل المذكور عجزاً هكذا :

لما حططت الرحل عنها وارداً علفتها تبناً وماء بارداً
وجعله غيرهما صدرأ وأورد عجزاً هكذا :

علفتها تبناً وماء بارداً حتى شنت همالة عينها » .

(٣) كذا فى ل ، وفى الأصل : « به » .

« (٤) هو أبو زيد الطائى ، كما فى مقاييس اللغة واللسان (سؤ) » .

* يَا لَقَوْمٍ لِّلسَّوَةِ السَّوَاءِ ^(١) *

ويسمى الفرج السوء، لقبه . وفي القرآن : ﴿ قَبِدَتْ لَهُمَا سَوَاتَهُمَا ﴾ .
ويقال : سَوَاءٌ لِفُلَانٍ ^(٢) ! دعاء عليه .

٤١٥

وقال رجلٌ من بني قُريِيع ^(٣) :

١ - مَتَى مَا يَرِ النَّاسُ الْغَنَىَّ وَجَارُهُ فَقَيْرٌ يَقُولُوا عاجزٌ وَجَلِيدٌ
٢ - وَلَيْسَ الْغَنَىَّ وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْغَنَىَّ وَلَكِنْ أَحَاطِ قُسَمَتٌ وَجُلُودٌ
أخرج هذا الكلام تخرج الإنكار لما تعودته الناس في الحكم على الأغنياء
والفقراء . فيقول : مَتَى يَقْضَى بِهِ النَّاسُ عَلَى الْغَنَىَّ وَإِلَى جَنْبِهِ فَقَيْرٌ ، أَنْ يَقُولُوا :
هذا من تَجَرُّه أُنَى ، وهذا لجلادته أُغْنَى . وهذا خطأ ، لأنَّ الْغَنَىَّ وَالْفَقْرَ مِمَّا
قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَجْرَى بِهِ قَسَمَهُ فِي خَلْقِهِ ، وَلَيْسَ الْمُعْتَمَدُ فِيهِ عَلَى احْتِيَالِهِمْ ، وَسَمِعِهِمْ
وَاجْتِهَادِهِمْ ، لَكِنَّمَا جُدُودٌ وَحُظُوظٌ دُرِّجُوا عَلَيْهَا ، وَخُلِقُوا لَهَا ، عَلَى مَا عَرَفَ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صَالِحِ خَلْقِهِ .

وجوابُ « متى ما يَرِ » قوله « يقولوا » . وارتفع عاجزٌ على أَنَّهُ خَيْرٌ مَبْتَدَأٍ
مَحْذُوفٍ ، كَأَنَّهُ : هَذَا عَاجِزٌ وَجَلِيدٌ .

٣ - إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَنَهُ الْمَرْءُ نَاشِئًا فَمَطْلَبُهَا كَهْمَلًا عَلَيْهِ شَدِيدٌ ^(٤)

(١) صدره : * لم يهب حرمة النديم وحقت *

(٢) في الأصل : « سومة فلان » ، صوابه في ل ، واللسان (سوا ٩١) .

(٣) هو المعلوم السعدي القريني ، كما في عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . وقريع ، من
بني كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الاشتقاق ١٥٥ ، ١٥٠ . وقد صرح به ابن جني في
التنبيه حيث قال : « قال المعلوم بن بدل القريني : إذا المرء أعينته » ، وأنشد البيت الثالث .
(٤) ابن جني : « أعينته السيادة » .

٤ - وكأئن رأينا من غنى مذمم وصغولك قوم مات وهو حميد
 قوله « إذا المرء أغيته » بمثّ وتحضيض على النهوض فى طلب المعالى فى
 ابتداء الذسء ، وحين كان فى القوّة فضلة ، وفى العمر مهلة ، حتى تتلاقى أوائل
 عمره وأخيره فى طلب الرياسة ، وإقامة المروءة ، وأنه إن دافع بما عليه فى ذلك
 وماطل انتظاراً لأحوال تجتمع [له ^(١)] ، فاكتهل ولما تساعده تلك الأحوال
 فإنه يتمذّر عليه طلبها ، ويشتدّ عليه إدراكها . وانتصب « ناشئاً » على الحال ،
 والعامل فيه أغيته . ويقال : فتى ناشئ ، أى شاب . قال الخليل : ولا يوصف
 به الجارية . والناشئة : أول الوقت ^(٢) ، من هذا . وينتصب « كنهلاً » على
 الحال أيضاً ، والعامل فيه مطلبها ، لأنّ المعنى مطلبه لما وهو كهل ، فالمصدر
 مضاف إلى المفعول ، أو مطلبه لما إذا كان كنهلاً ، ومثله : هذا تمرّاً أطيب
 منه بسرّاً .

وقوله « وكأئن رأينا » كأئن بمعنى كم . وكأنّه أخذ يفضل الفقير إذا جرى
 صاحبه فى محمود الطرائق من التجمل ، والاكتفاء والتعفف ، على الغنى وصاحبه
 يبظر ، ويطغى وبأثر ، ثم لا يؤدى حقّ النعمة عليه ، فقال : كم من غنى
 ساعدته الدنيا والأقدار ، ثم أصبح مذمماً حين لم يلتزم شروط محمود الغنى ، وكم
 من فقير قوم لما جرى فى ميدان العفاف والتجمل ، والرضا بمااله والتشكر ،
 مات وهو حميد الطريقة ، رضى السريرة . والصغولك : الفقير . ويقال :
 صعلكته ، أى ذهب بمااله كله .

(١) التكلّة من ل .

(٢) أى فى نحو قوله تعالى : « إن ناشئة الليل » .

٤١٦

وقال بعضهم^(١):

- ١ - وَأَضَعْتَ أُمُورَ النَّاسِ يَفْشِينَ عَالِمًا بِمَا يُتَّقَى مِنْهَا وَمَا يُتَمَمُّدُ
٢ - جَدِيرٌ بِأَلَا أُسْتَكِينَ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى مُدْبِرًا أَتَبَلَّدُ

قوله « يَفْشِينَ عَالِمًا » أى يفشين منى عالما ، لأن العالم هو هو ، فحذف منى .
والمعنى : إني باشرت الأمور العظيمة ، ولا بست الخطوب الجليلة ، فصرت يطول
تجربتي ، واتصال ممارستي ، عالما من أمور الناس إذا وردت أخبارها^(٢) على
بما يتحاشى منها ويحذر ، وما يتمنى منها فيطلب . فلا جرم أنى خليق بألا
أضرع عند نواب الدهر ولا أخضع ، ولا أرى إذا فاتنى أمرٌ أتحسّرُ فى إثره
وقد ولّى ، وأضربُ بِلْدَةٍ إحدى كفتى بالأخرى^(٣) ، ثوجعا وتلفنا ، إذا كنتُ
واثقا بأن الأمور يملكها التغير ، وأن الفائت يُتلافى ، فلا يدومُ شئٌ على حالٍ
إلا ريث ما يتسلط عليه انتقال .

وقال الدريدى : تَبَلَّدَ الرَّجُلُ ، إذا تحير فى أمره فأقبل يضرب بِلْدَةَ نحره
بيده . وَبِلْدَةُ النَّحْرِ : النُّفْرَةُ وما حوَّالها . وقال الخليل : التبدل : نقيض التجلّد
وهو استكانةٌ وخُضُوعٌ . وَبَلَدُ الرَّجُلِ ، إذا انكسر^(٤) فى العمل وضُفِفَ .

(١) التبريزى : « وقال آخر » .

(٢) ل : « أخبارهم » .

(٣) البلدة ، بالفتح : راحة الكف .

(٤) كذا فى ل ، وفى الأصل : « إذا نكس » .

٤١٧

وقال آخر :

- ١ - وإنَّكَ لا تَدْرِي إذا جاء سائلٌ أأنتَ بما تُعْطِيهِ أم هو أسعدُ
٢ - عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعتُهُ من اليوم سؤلًا أن يكون له غدُ
٣ - وفي كثرة الأيدي لذي الجهل زاجرٌ وللهِلم أبقِ للرجالِ وأعوذُ
هذه الأبياتُ تشبه قولَ الآخر :

وأكرم كريمًا إن أذاك لحاجةٍ لعاقبةٍ إن العضاة ترَوِّحُ^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

لا تُهِنَنَّ الفقيرَ علكَ أن تركعَ يومًا والدَّهرُ قد رَفَعَهُ
وقوله « أأنتَ بما تُعْطِيهِ أم هو أسعدُ » تقديره أأنتَ أسعدُ بما تُعْطِيهِ أم هو . وأم هذه هي المتصلة بالمادة لألف الاستفهام ، فانهطف هو به على أنت . وقد يحى الخبرُ في مثله مكرَّرًا ، كقول الشاعر^(٤) :

باتَ يقاسى أمرُهُ أمبرُمُهُ أعصَمُهُ أم السَّحِيلُ أعصَمُهُ

سـ فيكون التكرار فيه على طريق التأكيد . ويجرى « بين » هذا الجرى في نحو قولهم : بين زيد وبين عمرو خلاف ، ولولم يكرَّر بين لكان الوجه . والشاعر يقول : إذا زارك سائلٌ فتوقَّرْ عليه ، ولئن قولك وجانبك له ، فإنك لا تعلم أأنتَ أسعدُ بما يناله منك أم هو ، واعلم أن المحتاج إليك إن منعتَهُ سؤلُهُ وطَلِبَتَهُ فهو حقيقٌ بأن ينال ما منعتَهُ في غده . وقوله « أن يكون له غدٌ » في

(١) تروح النبت والشجر : طال . اللسان (٣ : ٢٩٤) .

(٢) هو الأضبط بن قريع السعدي . البيان (٣ : ٣٤١) والمعمرين ٨ ومجالس ثعلب ٤٨٠ والأمال (١ : ١٠٧) والأغاني (١٦ : ١٥٤) وحامسة ابن الجبري ١٣٧ والخزانة (٤ : ٥٨٩) والمثل السائر (١ : ٢٦٠) .

(٣) هو الراجز العجاج . ديوانه ٦٤ .

موضع خبر عسى ، والضمير من له يعود إلى السائل ، والمعنى : عساه إن منعتَه
سؤْلَه من يومٍ كان عليه ، أن يكون غدُ ذلك اليوم له ، ولهذا قال الله عزَّ
وجل : ﴿ وتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ، فقد يرتفع بيكون ، وله في
موضع الخبر .

وقوله « وفي كثرة الأيدي لذي الجهل زاجرٌ » يريد استبْق إخوانك
وذوبك ، واعلم أن في التكاثر بهم مَزَجَرَةٌ للجاهل ، ولتعاون أيديهم مدْفَعَةٌ
لأذى المقلب الخامل . ومع ذلك فالحلم أبقى شأنًا وأمرًا للرجال ، وأردُّ عليهم
وأَنْفَعُ لهم . وهذه الوصاة اشتملت على أمرين : أحدهما اكتسابُ مودَّات
الإخوان لكي يكونوا إذا احتيج إليهم عونًا . والثاني استعمالُ الحلم مع الأعداء ،
والجري معهم على حدٍّ لا يُخرجهم إلى المكاشفة ، ولا يُخوِّجهم إلى خرق الهيبَة .
وقوله « من اليوم سؤلا » ، يقال : أُعْطِيَ فلانُ سؤْلَه ، فيهمز ولا يهمز .

٤١٨

وقال آخر :

- ١ - إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَدَاخِلَهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ^(١)
 - ٢ - فَمَا حَسَنُ أَنْ يَعْدِرَ الْمَرْءَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ
- انتصب « والأمر » بفعل مضمر . وإِيَّاكَ ناب عن أحذرك ، فكأنه
قال : أحذرك أن تُتْلِسَ الأمر الذي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَوَالِجُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ
مَخَارِجُهُ . والمعنى : تأكل كلَّ ما تُتْلِسُه ، واعرف أواخره وإن اشتدَّتْ ،
كما تعرفُ أوائله وإن تَبَيَّنَتْ ، لأنه يَقْبَحُ بالمرء أن يكون فيما يفتحه عند
نفسه معذوراً ، وعند الناس ملوماً .

(١) التبريزي : « إِنْ تَوَسَّعْتَ مَوَارِدَهُ » .

وقوله « فإحسن أن يعذر المرء نفسه » في إعراب « أن يعذر » وجوه :
 أحدها أن يرتفع بالابتداء وخبره متقدم عليه ، وهو حسن ، لأن ما النافية إذا
 تقدم خبره على اسمه يطلّ عمله . ويجوز أن يكون موضعه رفعا بفعله وفعله حسن ،
 ويرتفع حسن بالابتداء ، ويستغنى بفاعله عن خبره ، وجاز الابتداء بحسن وإن
 كان نكرة لاعتماده على حرف النفي . والمعنى : ما يحسن عذر المرء نفسه فيما
 يتولاه وليس له من الناس عذر . ويجوز أن يرتفع « أن يعذر » بأنه خبر
 للمبتدأ الذي هو حسن ، وهذا أضعف الوجوه . ويروى : « إن توسعت مواردك
 ضاقت عليك المصادر » . وقوله « من سائر الناس » أى من باقى الناس ، وهو
 من الشؤر . ومن وضعه موضع الجميع فقد أخطأ .

٤١٩

وقال العباس بن مرداس^(١) :

- ١- تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثَوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرٌ^(٢)
 - ٢- وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَتَبَتْلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنَنَكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
- يذنب بهذا الكلام على أن الرجال ليسوا بجزير يطلب عظمها ويمتها ، لأن
 المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . فيقول : ترى الرجل النحيف للهزول الدقيق ،
 فتهتجره لضوئله ، وإذا فتشت عنه واستشفت ما وراء ظاهره وجدته أسداً
 مزيراً . والمزير هو الجلد الخفيف النافذ في الأمور . ويروى : « يزير » وليس
 بجيد من طريق المعنى ، فكأن أصله يزئر فنقلت الحركة إلى الزاء وأبدل من
 الهمزة ياء ، كما يقال المرأة والكفاءة ، في المرأة والكفاءة . وإنما ضعف من طريق

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٤٩ ص ٤٣٣ . قال التبريزي : « وقال أبو رياش : هذا
 الشعر لمعاوية بن مالك معود الحكماء الكلابي » .

(٢) التبريزي : « ويروى : مزير ، أى قوى القلب شديده » .

المعنى لأن تشبيهه إياه بالأسد لا فائدة لذكر الزئير معه ، إذ لا تدوم حاله على ذلك . ووجهه على ضعفه أن يكون مَوْرِدُ « يَزْزِرُ » تأكيداً للتشبيه ، كما يُستعارُ صفةُ المشبه به للمشبه وإن كان حصوله لو حصلَ دَئماً فيه ، تأكيداً للتشبيه . على ذلك قوله :

* أَرَلُّ إِنْ قِيدَ وَإِنْ قَادَ نَصَبٌ *

والرَّالُّ من صِفة الذئب . ومثله قول الآخر^(١) :

* صَكَّاءُ ذِغْلَبَةٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَا *

والصَّكَّاءُ من صِفة النعام .

وقوله « فَيُعْجِبُكَ الطَّيْرُ » فالطير : الشاب الناعم ذو الكِدْنَةِ . فيقول : ويتفق في الرجال من يُعْجِبُكَ خِلْقَتُهُ ، فإذا بلوئته وامتنحت أخلاقه وجدته لا يصدّق ظنك فيه ، بل يُخْلِفُ وَيُخَالِفُ في كل ما تعتمد عليه ، أو تكلّم إليه .

٣ - فَا عِظَمُ الرَّجَالِ لَمْ يَفْخَرِ وَلَكِنْ فَخَرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
٤ - ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا وَلَمْ تَقُلِ الْبُرَاةُ وَلَا الصَّقُورُ
٥ - يَفَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ^(٢)

صَرَّحَ عن الغرض المقصود فيما تقدّم فقال : إنما يُحمَدُ من المرء كرمه وفضله وكثرة محاسنه وخيره ، وكلّ ذلك يرجعُ إلى الأخلاق لا إلى الخلق ، فلا اعتبار بالعظم ، ولا فخر في البسطة إذا حصّلت في الجسم خاصّة من دون العلم . ثم أخذ يمثّل فقال : ترى الطير ضعاها كالكراتي وطيور الماء أطولها جُسُومًا ، وأمدّها أعناقًا وسُوقًا ، ثم كرائمها كالبراة والصقور ، وهي تصيد

(١) هو المسيب بن علس . الملف لية ١١ .

(٢) عجزه : * خرج إذا استقبلتها هلواع *

(٣) نسب هذا البيت في اللسان (قلت) إلى كثير عزة . والبغاث بثلاث الباء .

ما وزنه يتضاعف على وزنها . وما طوله وعرضه يتزايد على طولها وعرضها ، ثم بمائتها وهي صفارها ومصطادها أكثر فراخاً وأوسع نسلاً ، وأُم الصقر قليلة الفراخ مقلات لا يبقى لها أيضاً ما تُفرِّخه . وانتصب «جُسوماً» و«فراخاً» على التمييز . والمقلات : مِفعال من القلت ، وهو الهلاك . والنزور : القليلة الأولاد ، من النزر ، وهو القليل .

٦ - لقد عَظُمَ البعيرُ بغير لُبٍ فلم يَسْتَفِنِ بِالْمِظْمِ البعيرُ

٧ - يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ لِكُلِّ وَجْهِهِ وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرِ^(١)

٨ - وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوِي فَلَا غَيْرَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرَ

لما ضَرَبَ الْمَثَلَ بذوات الأجنحة والماشية على رجلين ، عادَ يذكر من ذوات الأربع مثلاً ذلك فقال : ترى البعير مع عِظْمه وقُوته ، وصبره على النهوض بالأعباء الثقيلة ، والأحمال العظيمة ، لما لم يَصْحَبْ عِظْمه اللَّبُّ ، وقُوته التمييز ، لم يستَفِنِ بما أُعْطِيَ من ذلك ، بل تراه مسخراً لأن يُدِيرَهُ الصَّبِيُّ على وجهه من وجوه التذليل ، ويَحْبِسُهُ زِمَامُهُ على كل خَسْفٍ وهَضْمٍ ، حتى أن الوليدة تضربه أوجع الضرب ، فلا إنكارَ منه ولا ذهابَ عنه ، ولا تغييرَ إليه ولا نكيرَ لديه .

وقوله « الهَرَاوِي » جمع هَرَاوَةٍ ، ووزنه فَعَائِلٌ هَرَأَى ، لأن فَعِيلَةً وفَعَالَةً يشتركان في هذا البناء من التكسير ، تقول : صحيفةٌ وصحائفٌ ، ورسالةٌ ورسائلٌ ، إلا أنهم فرَّخوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ، فصار هَرَاءُ ، فاجتمع همزة وألفان فكانه قد اجتمع ثلاثُ ألفات أو ثلاثُ همزات ، فأبدلوا من الهمزة واواً فصار هَرَاوِي . فإن قيل : هَلَّا أَبْدَلْتَ منه الياء ، كما فعلته في مطايا وما أشبههما ؟

(١) التبريزي : « بكل وجه » .

قلتَ : أرادوا أن يَظَهَرَ في الجمع الواوُ كما ظهر في الواحد لِيَتَمَيَّزَ بنات الياء عن بنات الواو .

٩- فَإِنْ أَكُ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرٌ

يقول : إِنْ كَثُرَ شِرَارُكُمْ وَأَرَادُكُمْ ، لوفور عدديهم وكوني واحداً فيهم ، فَإِنِّي أَكُثُرُ خِيَارِكُمْ وَأَغْلِبُهُمْ لِقَلَّتْهُمْ وَكَثُرَتِي ، وذلك أَنِي أَنُوبُ عَنْ جَمَاعَةٍ إِذَا عُدَّ الْأَخَايِرُ . ويجوز أن يريد أنه لا خيارَ لكم ، فَأَنَا وَإِنْ كُنْتُ وَاحِداً مِنْ حَيْثُ الْعِدَدُ ، كَثِيرٌ إِذَا طُلِبَ الْخِيَارُ مِنْكُمْ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ خِيَارٌ . وقد مَضَى الْقَوْلُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فِي حَذْفِ الْوَوْنِ مِنْ لَمْ أَكُ وَإِنْ أَكُ .

٤٢٠

وقال بمضمونهم :

١- أَعَاذِلُ مَا عُمِرِي وَهَلْ لِي وَقَدَأْتِ لِدَأَتِي عَلَى خَمْسٍ وَسِتِّينَ مِنْ عُمُرِي

٢- رَأَيْتُ أَخَا الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ خَافِضًا أَخَا سَفَرٍ يُسَرِّي بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي

٣- مُقِيمِينَ فِي دَارِ نَرُوحٍ وَنَفْتَدِي بِلَا أَهْبَةِ النَّارِ وَالْمَقِيمِ وَلَا السَّفَرِ

وقوله « ما عمرى » استفهامٌ على طريق التَّحْقِيرِ وَالِاسْتِقْلَالِ ، فَكَأَنَّ الْعَاذِلَةَ كَانَتْ عَتَبَتْ عَلَيْهِ فِي تَبْذِيرِ وَإِنْفَاقِ ، وَخَوْفَتُهُ الْعَوَاقِبَ وَمَا تَوَدَّى إِلَيْهِ بِاتِّفَاقٍ ، فَأَخَذَ يُجِيبُهَا وَيَقُولُ : يَا عَاذِلَةُ ، أَيْ شَيْءٍ عُمِرِي ، وَكَيْفَ يَدُومُ بَقَايِي حَتَّى أَخُوفَ بِالْفَقْرِ ، وَهَلْ لِي عُمُرٌ وَأَقْرَانِي يَعُدُّونَ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً . ثُمَّ أَخَذَ يَذُمُّ الْحَرِيصَ عَلَى الدُّنْيَا وَأَعْرَاضَهَا ، وَيَقْصُ مَا تَسْتَوِي فِيهِ أَفْدَامُ الْخَلَائِقِ مِنْ إِرْصَادِ الْفَنَاءِ لَهَا فَقَالَ : رَأَيْتُ صَاحِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَتَوَدِّعًا مُقِيمًا ، كَالسَّافِرِ يُسَارِ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَجَلًا يُسَاقُ إِلَيْهِ ، وَمُنْتَهَى مِنَ الْعُمُرِ يَحَالُ عَلَيْهِ ، فَلَا يَأْمُ تَأْخُذُ

منه ، وتنقص من عمره ، فهو كالمسافر وقد انتوى رَيْتَةً فما يقطعه من المسافة يُقَرِّبُهُ من مَقْصَدِهِ ، وَيُجْعِلُ وصوله إلى أمدِهِ .

وقوله « مقيمين في دار » انتصب على الحال من قوله « أخا الدنيا » ، لأنه أراد به الكثرة ، فهو كأسماء الأجnas . وقال : « نروح ونَتَعَدَّى » لأنه من إخوان الدنيا ، فأدخل نفسه فيهم . وقوله « بلا أُهُبَةِ الثَّأوى المقيم ولا السَّفَرِ » يريد : لا نأمل البقاء في هذه الدنيا ، ولا نأمن الفناء ، فلسنا كالثَّأوى فتتأهب أهُبَتُهُ ، ولا كالمسافر فَنُعِدُّ عُدَّتَهُ . وأراد بالثَّأوى المقيم الكثرة لا الواحد . وقد تقدّم القول في حقيقة العُمُر^(١) .

٤٢١

وقال بمضمون^(٢) :

١- لا تَعْتَرِضْ في الأَمْرِ تُكْفِي شُؤْوَتهِ ولا تَنْصَحَنْ إِلَّا لِمَنْ هُوَ قَابِلُهُ

٢- ولا تَخْذُلِ المَوْلى إِذَا ما مُلِمَّةٌ أَلَمْتُ وَنَازِلٌ في الوَغَى مَنْ يُنَازِلُهُ^(٣)

يوصي مخاطبته بأن يُعْرِضَ عن الأمر الذي لا يعنيه ، ويترك الاعتراض فيه ، وألا يتنصّح إلا لمن يرجو قبول^(٤) النصّح منه ، وبألا يخذل ابن عمه إذا

(١) كذا وردت هذه العبارة في هذا الموضع ، وحقها أن تكون تعليقاً على البيت الأول لا الأخير .

(٢) هو عبيد بن أيوب العبدي ، كما في مجموعة المعاني ١٤ . وعبيد بن أيوب : أحد بني العبدي بن عمرو بن تميم ، وكان جني جنابة فطلبه الساطقان وأباح دمه ، فهرب في مجاهل الأرض وأبعد ، لشدة الخوف . وكان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسحابة ، ويبايت الذئب والأناعى ، ويأكل مع الظباء والوحش . الشعر والشعراء ٧٥٨ واللكل ٣٨٣ .

(٣) بعده عند التبريزي ومجموعة المعاني :

ولا تحرم المولى الكريم فإنه أخوك ولا تدري لملك سائله

(٤) في الأصل : « تبرك » ، صوابه في م .

نزلت به نازلة ، بل يُفازِل مَنْ يَفازِلُه ، وبنّاوئ مَنْ يَنّاوئُه . وهذا على طريقتهم في قولهم : « انصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . وأصل الوغى هو الجلبة والصّوت . وقوله « في الأمر تُكفى شؤونه » يريد تُكفى أسبابه وجوانبه . والضمير من « قابله » لما دلّ عليه قوله لا تَنصَحَنْ ، وهو النصّح .

٤٢٢

وقال منظور بن سحيم^(١) :

- ١- ولستُ بهاج في القرى أهل منزلٍ على زادهم أبكى وأبكى البواكيا
 - ٢- فإمّا كرامٌ مؤسرونٌ أتيتهم فحسبي من ذى عندهم ما كفاني^(٢)
 - ٣- وإمّا كرامٌ مؤسرونٌ عذرتهم وإمّا لثامٌ فاذكرتُ حيائيا
- يصف نفسه بالمتعفف عن المطامع الدنيّة ، والمطاعم الذميمة ، فيقول : لا أجهو بسبب القرى ، وهو ما يُقدّم إلى الضيف ، ولا أشكو أهل دار فأبكي على ما يفوتني من زادهم وأبكي غيري معي . وقوله « أبكى وأبكى البواكيا » لا بُكاء ثمّ ، وإنّما أراد تفضيع التأشّف . فيريد : لا آسف لما أرى من الحرمان آسف من يبكي ويبكى غيره تهاككا على مالٍ غيره ، وتوجعاً لشدة نهيمته .

وقوله « فإمّا كرامٌ » فصل بين حرف الجزاء والفعل بقوله كرام ، فارتفع بفعلٍ مضمّر دلّ عليه الفعل الذي بعده . كأنّه قال : فإمّا يُقصدُ كرامٌ مؤسرون أتيتهم . وقوله « فحسبي » في موضع الابتداء ، و « ما كفاني » في موضع الخبر ،

(١) منظور بن سحيم النقمسي الكوفي ، إسلامي ، ذكره المرزباني في معجمه ٣٧٤ - ٣٧٥ . وفي الإصابة ٨٤٦٣ : « منظور بن سحيم بن نوفل بن نضلة بن الأشتر ابن جهمان بن قيس الأسدي النقمسي ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ، وقال إنه مخضرم » .
(٢) التبريزي والمرزباني : « من ذو عندهم » .

والفاء مع ما بعده جواب الشرط . وقوله « مِنْ ذِي عِنْدِهِمْ » أراد من عندهم .
والعرب تقول : هذا ذو زَيْدٍ ، يريدون : هذا زَيْدٌ . وهذا من إضافة المُسَمَّى
إلى الاسم . قال الكُمَيْت :

* إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعْتُ ^(١) *

يريد يا أصحاب ذا الاسم . وقال الأعشى :

فكذبوها بما قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ حَسَّانٍ يُزْجِي المَوْتَ وَالشَّرَّعَا
أَي العسكر الذي يقال له آل حستان .

ويروى : « مِنْ ذُو عِنْدِهِمْ » ويكون ذو بمعنى الذي ، وعندهم في صلته ،
وذو هذه طائفة . والمعنى : لا يخلو من أَقْصَدُهُ وَأَنْزَلُ بِهِ من وجوه : إِمَّا أَنْ
يَكُونُوا قَوْمًا يَرْجِعُونَ إِلَى كَرَمٍ وَيَسَارٍ ، فَيَتَوَفَّرُونَ عَلَى حَسَبِ مَا يَنْتَظِرُهُ كَرْمُهُمْ
وَأَكْفَى مِنَ الذِّى عِنْدَهُمْ لِي بِمَا يَكْفِينِي ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا كِرَامًا مُضِيْفِينَ ^(٢)
أَثَرُ الدَّهْرِ فِيهِمْ ، فَأَعْدَرَهُمْ لِإِضَاقَتِهِمْ ، وَعَلَى بِحَالِهِمْ . فقولُه « وَإِمَّا كِرَامٌ مَعْسُورُونَ »
بَيَانُهُ : وَإِمَّا قُصِدَ كِرَامٌ مُضِيْفُونَ عِذْرَتَهُمْ فِي تَقْصِيرِهِمْ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَوْمًا
مُطَاعًا فِي أَخْلَاقِهِمْ دَنَاءَةً ، وَفِي أَعْرَاقِهِمْ نَدَالَةً ، فَتَذَكَّرْتُ حَيَاتِي وَصِيَانَتِي لِنَفْسِي ،
فَلَمْ أَمْلِكْ لَهُمْ وَجْهِي ، وَلَمْ أَبْتَدِلْ بِتَقَاضِيهِمْ رُطَالَتِهِمْ جَاهِي .

٤- وَعِرْضِي أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِي أَطْوَاهِ كَطَيِّ رِدَائِيَا

قوله « أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ » ما في موضع الجر ، كأنه قال : عِرْضِي أَبْقَى شَيْءَ
ادَّخَرَهُ ذَخِيرَةً ، أَيْ اكْتَسَبَهُ ذَخِيرَةً . فعلى هذا ينتصب « ذخيرة » على الحال

(١) حجه كما في الهامشيات ٣٩ :

* نوازع من قلبى ظلماء وألبب *

(٢) مضيفين ، بالالف من الإضافة ، وهى العسر . وفى الأصل : « مضيفين » بالفاء
صوابه فى ن .

المؤكدة لما قبله . وادّخر : افتعل من الذخر لكنه أبدل من التاء دالاً فأدغم الدال فيه ، فلك أن تقول ادّخر ولك أن تقول ادّخر .

وهذا الكلام بيان ما يأخذ به نفسه من الصيانة والقناعة ، وسلوك طرائق الانقباض عما يشين ولا يزين من الانبساط إلى اللثام . فكأنه قال : أبقى على عريضي ، لأنه أعزُّ الذخائر لي ، وأطوى بطني عن المآكل المردية كما أطوى ردائي ، إذ كان التزهّد فيما يُخزى أولى عندي .

٤٢٣

وقال سالم بن وابصة^(١) :

١- وَنِيرَبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ يَبْقَتَاتُ لَحْيٍ وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ

٢- دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلَمْتُ أَظْفَارًا بِلَا جَلَمٍ

النيرب : النيمة والعداوة وقوله « ونيرب » أراد وذى نيرب ، والمصدر وما يجرى مجراه إذا وُصفَ به إيماناً أن يكون على حذف المضاف ، وإما أن يُجَمَلَ الموصوفُ نفسَ الحدثِ لكثرة وقوعه منه . فيقول ربّ ذى نيربٍ حَسَدٍ من موالى السُّوءِ ، يَبْقَتَانِي بظهِرِ الْقَيْبِ ، وبأكل لحي ولا يشفيه ذلك من قَرَمٍ . والقَرَم : شهوة اللحم . والمعنى أنه لا يكفيه ما يتناول مئى وإن كان لا يألو جهداً فى ثلبي . وجواب ربّ قوله « داويت » من البيت الثانى . ويقتات : يفتعل من القوت ، وهو فعل المطاوعة . ويقال : قاتَه كذا فاقناته .

ومعنى « داويتُ صدرًا طويلًا غمْرُهُ » أى صابرته على مُداجاته وانطوائه على حقدى ، فدفعته شرّه عن نفسه بطول مداواتى ، وفَلَّتْ حَدّه بترك

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٢٤٤ ص ٧١٠ .

مكشفتة حتى لم يجد إلى إثارة كامن غمره طريقاً ، فاحتاج إلى الإمساك عن أذاني ، لدوام تمسكي بهجاملته شاء أو أبى . وقوله حَقْدًا هو اسم الفاعل من حَقَدَ ، وهو لغةٌ في حَقَدَ . يقال حَقَدَ يَحْقِدُ فهو حَقُودٌ ، وَحَقَدَ يَحْقِدُ فهو حَقِذٌ .

٣ - بالحزم والخير أسديهِ وألحمهُ تقوى الإله وما لم يَزَعْ من رَجِيٍّ (١)

٤ - فأصبحت قوسه دوني مؤترّة يرمى عدوى جهاراً غير مُكْتَمٍ الباء من قوله « بالحزم » تعلّق بقلمت أو داويت من البيت المتقدم .

والخير : الكرم ، وقيل : هو الهيئة والطبيعة ، يقال : هو كريم الخيم والخير جيماً . وقوله « أسديهِ وألحمهُ » خبران لف أحدُهما بالآخر . فقوله « تقوى الإله » يرجع إلى أسديه ، و « ما لم يَزَعْ من رَجِيٍّ » يرجع إلى ألحمه . والمعنى : داويت صدره أى مكفون صدره ، وقلمت ظفّره باستعمال الحزم والخير معه ، ثم جعلت تقوى الله تعالى سدى ما بيني وبينه ، وألحمته رعاية ماضية من الرحيم ، فلا جرّم أنه كفّ من شأو شرّه وغرب عداوته ، وأقبل في الظاهر يُمَادِي من يُعَادِي ، فقوسه الآن مؤترّة دوني يرمى منها أعدائي بأسهم النّصرة . ، مجاهرة لا مكاتمة .

٥ - إن من الحلم ذلاً أنت عارفه والحلم عن قدرة فضل من الكرم

نبة بهذا الكلام على أن تحلّه عن أدانيه كان عن قدرة لا عن عجز وتقيصه ، ولو شاء لانتقم منهم . وأنه لم يكسبه إمساكه عن مجاذبتهم ذلاً ، ولو كان يُفَضِّي به الحال إلى ذلك لما قفل ، فتحلّه كرم ، وإبقاؤه على ما يجمعه وإلزام من قربى وقرابة تُتَقَّى وتفضل . وقوله « فضل من الكرم » يريد أنه نوع من الفضل يعدّ في خصال الكرم . ومثل هذا قول الآخر :

جَهُولٌ إِذَا أَرَزَى التَّحَلُّمَ بِالْفَتَى حَلِيمٌ إِذَا أَرَزَى بَذَى الْحَسَبِ الْجَهْلُ

٤٢٤

وقال بعضهم :

وَأَعْرِضْ عَنْ مَطَاعِمٍ قَدْ أَرَاهَا فَاتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطَوَاهُ
فَلَا وَأَبْيَكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ^(١)

يمثل هذا قول الآخر :

وَأَقْدَأُ بَيْتٌ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ اللَّطَمِ^(٢)
قوله « وَأَظْلُهُ » يريد أظْلُ عليه ، فحذف حرف الجر ، كما قال :

* لَوْلَا الْأُسَى لَقَضَانِي^(٣) *

أى لقضى على .

٤٢٥

وقال نافع بن سعد الطائي :

١- أَلَمْ تَعْلَمِي أُنِّي إِذَا النُّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَحٍ لَمْ أُنْسَ أَنْ أَتَكْرَّمَا
٢- وَأَنْتِ بِلَوَائِمٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْتَقَدَمَا

(١) بعده عند التبريزي :

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِحَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُمُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

(٢) المعروف في الرواية : « كَرِيمَ الْمَأْكَلِ » . وهذه الرواية المعروفة في بيت عنترة ، في
اللسان (ظلال) وديوان عنترة ١١٩ . وانظر مقاييس اللغة (٣ : ٤٣٠) .

(٣) البيت لأعرابي من بني كلاب ، كما في الكامل ٢١ ليسك واللسان (غرض ،

قضى) . وصدده :

* تَحْنُ فَتَبْدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ *

يقول : أما علمت من أخلاق الكفّ عن كثير من المتباغي الجالبة لقالة الناس وتصرفهم في الحكم عليه وله ، وأنتى إذا أسكنى الفوز بالطامع القرية والمآكل الهنيئة ، فأشرفت منها على تحصيلها لم أنس أخذ النفس بالنظر فيها ، واستعمال الكرم في ترك ما يجمع على عاراً منها . وقواه « على طمع » أى على مطموع فيه ، ومنه قيل لأرزاق الجند : أطعمهم .

وقوله « ولست بلوأم » يقول : إذا فانتى أسراً لا أرجع على نفسى باللوم الكثير تحسراً في إرهم ، لكننى حقيق أن أتقدم في تحصيله قبل فواته إن كان مما يهيم . وقوله « ولكن علّ » هو أصل لعلّ ، وهو حرف موضوع للطمع والإشفاق ، واسمه مضمّر كأنه قال ولكن لعلنى أن أتقدم . وهو يحىء بأن وبغير أن ، فإذا كان معه أن أفاد فائدة عسى ، وإذا جاء بغير أن كان الفعل أقرب وقوعاً ، لأن أن الاستقبال ، ولعلّ وإن كان حرفاً يبعد مع أفعال المقاربة وهى عسى وكاد ولوأم بقاء المبالغة ، وليس بمبني على لوأم لأن المبني عليه هو ملوأم .

٤٢٦

وقال بمض بنى أسد^(١) :

- ١ - إني لأستغنى فإبطر الغنى وأعرض ميسورى على مُبتغى قرضى
- ٢ - وأعسر أحيانا فنشتد عسرتى فأذك ميسور الغنى ومعى عرضى
- ٣ - وما نالها حتى تجلت وأسفرت أخو ثقة متى بقرض ولا قرضى^(٢)

(١) هو الحكم بن عبدل الأسدي ، كما في أمالي القائل (٢ : ٢٦٠) ، وقال : « اجتمع الشراء بباب الحجاج وفهم الحكم بن عبدل الأسدي ، فقالوا : أصاح الله الأمير ، إنما شعر هذا في الفار وما أشبهه . قال : ما يقول هؤلاء يا ابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير . قال : هات . فأشده . » وروى هذه القصيدة .

(٢) روى بعده التبريزي :

وأبدل معروفي وتصفو خليقتي إذا كدرت أخلاق كل فتى محض

يعدّد في هذه الأبيات عاداته في حالتي الغنى والفقر ، فقال : إِنِّي أَنَالُ الْغِنَى
فَلَا يَكْسِبُنِي أَشْرًا وَلَا بَطَرًا ، لكنني أشكر الواهب وأبقى على حالتي الأولى ،
بل ^(١) يقرّبني ما أناله من المتّصلين بي ، والمنضمّين إليّ بسبب من الأسباب ،
فأعريض ما يتيسر لي على طُلاب قرضي ، وأشرك من يمتّ إليّ في الخير المتّاح .
وقد يتعقّب الإيسار إعسار في الوقت بعد الوقت ، فأصبر وإن اشتدّ عُسري ،
وأُسبِلُ على نفسي جَنَاحَ ^(٢) تحملي وتعفّي حتى أدرك ميسور الغنى ونفسي
معي ، لم أبتذلها ولم أدنسها بتعريض أو تصرّح لفضل أطلب بهما عنده مطمعا ،
وأجتلب مرغبا .

وقوله : « وما نالها » يريد وما نال تلك العُسرة أخ لي يوثق بوده لا بعارية
ولا بعطية ، إلى أن انكشفت وفارقت .

وقوله « أَبْطَرُ الْغِنَى » معناه أَبْطَرُ في الغنى حتّى أذهب عن سنن الشكر
فأتجاوزّه وأخلّفه ورأى ، غَطَطًا للنعمة ، أوجهلا بحق الصّنيعة . وقال الله تعالى :
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ . وقوله « أَعْرِضُ ميسوري »
وضعه بلفظ المفعول للمصدر ، يريد اليُسْر . ومثله ماله معقول . وضده يُحِلُّ عليه
وهو العُسْر ، فليل معسور . وإنما قال « ومعى عريض » لأنّه إذا صانته عن القبايح
ولم يُسلّط عليه من يتملّكه بهيئة أو صلة ، فكأنّه معه لم يفارقه . ولو أجراه
على غير هذا لكان مفارقا له ، وداخلا في ملكة غيره .

٤ - وَلِكِنَّهُ سَيْبُ الْإِلَهِ وَرِخْلَتِي وَشَدَى حَيَازِمِ اللَّطِيفَةِ بِالْقَرَضِ
الماء من قوله « ولكنّه » يعود إلى ميسور الغنى . واستدرك النفي من قوله
« ما نالها حتّى تجلّت » بقوله لكنّ ، يريد : لكنّ الغنى المتجدّد ، وهو عطية

(١) في الأصل : « فلو » ، صوابه في ل .

(٢) في الأصل : « جزاء » ، صوابه في ل .

الله تبارك وتعالى ، وتقلبي وارتحالي ، وشدي حيازيم المطايا بالفروض . كأنه ذكر الأسباب التي بسّرت له الغنى ، وأنها لم تخرج من تفضل الله تعالى واجتهاده . وقوله « المطيّة » أراد بها الجنس ، لذلك قال « حيازيم » وجمعها . والسبب : العطاء ، والمعروف ، وكثر في الاستعمال حتى سُمي السكنوز سيوبًا ، وقيل لما تخرجه المعادن سيوب . والغرض والغرضة : البطان ، وهو للبعير بمنزلة الحزام للدابة . والغرض منه كالحزم .

٥ - وأستنقذ المولى من الأثر بعدما يزل كما زلّ البعير عن الدخض
٦ - وأمنّجه مالي ووُدّي ونُصرتي وإن كان محو الضلوع على بُغضى^(١)

يقول : إنني أتعطف على أبناء عمي ، فأخلصهم من الشدائد ، وأخذ بأضباعهم إذا زلت أقدامهم ، فأقيمهم بعد أن كانت زلتهم كزلة البعير عن المزلقة . وإنما خصّ البعير لأن سقطته أفظع وأسرع في الزل . يقال : مكان دخض ومدخضة . ودخضت رجل البعير ، إذا زلّته . قال :

* وحذت كما حاد البعير عن الدخض^(٢) *

(١) بعده عند التبريزي :

ويغمره حلمي ولو شئت ناله قوارع تبري العظام عن كلمي مَضّ
وأقضى على نفسي إذا الأمر نابي وفي الناس من يُقضى عليه ولا يقضى
ولست بذى وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضي
وإني لسهل ما تغير شيمتي صروف إياي الدهر بالقتل والنقض

(٢) البيت لطرفة في ديوانه ٤٨ : واللسان (دخض) . صدره في الديوان :

* أبا منذر رمت الوفاء فهتته *

وفي اللسان :

* رديت ونجى الشكرى حذاره *

ومنه : ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ أى لا تثبت . ودَحَضْتُ للشمسُ عن كبد السماء : زالت .

وقوله « وأمنحه مالى » يريد : أننى بعد استنقاذى إياه أتوفر عليه ببذل المال ، وإخلاص الود ، وتقريب الثمرة ، وإن كان منظوياً على العداوة والبغضاء .

وقوله « محيئ الضلوع » أى معطوفها . ويقال : حَيَّيْتُ الشيء وحنَوْتُهُ حَنِيًّا وحنَوًا ، فهو مَحْيِيٌّ .

٤٢٧

وقال حاتم الطائي ^(١) :

١ - وما أنا بالساعي بفضل زمامها لتشرب ماء الحوض قبل الركائب ^(٢)

٢ - وما أنا بالطاوى حقيبة رجليها لأبغمها خفاً وأترك صاحبي ^(٣)

يقول : لا أجتذب إلى نفسى الفضل مع خاطائى وشركائى فى الشرب وغيره فلا أنسرع فى الورد مستعجلاً براحتى لتشرب ماء الحوض قبل ورود ركائبهم . ومعنى قوله « بالساعي بفضل زمامها » السابق بما أعطى راحلتى من زمامها .

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي . وكان من شعراء الجاهلية ، وبه كان يضرب المثل فى الجود ، وأخباره فى ذلك كثيرة مشهورة . انظر الأغاني (١٦ : ٩٢ - ١٠٥) وشرح شواهد المغنى ٧٥ والخزانة (١ : ٤٩٤ - ٤٩٥) والشعراء ١٩٣ - ٢٠٣ . والبيتان من أبيات فى ديوانه ١١٨ .

(٢) فى الديوان : « ما فى المرض » .

(٣) فى الديوان : « لأركبها خفاً » . وبعده عند التبريزى :

إذا كنت رباً للقلوص فلا تدع رفيقك يمشى خلفها غير راكب

أنفها فأردفه فإن حملتكما فذاك وإن كان العقابُ فعاقب

للعقاب : أن يتنابو المسافران الدابة يركب كل منهما عقبته . والعقبه ، بالضم : النوبة .

وهذا مثل . والركائب : تجمع ركوب ، وهو اسمٌ يجمع ما يُركب ، ويقال : ركوبة ، فهي كاللوبة والحولة ، وتقع للواحد والجمع .

وقوله « وما أنا بالطاوي حقيبة رحلها » ، يقول : وإذا كان لي رفيق في السفر وسمت جنابي له ، ولا أنزكه عيشي وقد خففت حقيبة رحلي ناقتي طلباً للإبقاء عليها ، ولكي أردفه أو أنزكه . والحقيبة : ما يشد خلف الرجل . قال :
* والبر خير حقيبة الرجل ^(١) *

والفعل منه احتقب واستحقب . واستعير فقيلاً : احتقب إثمًا . قال :
فاليوم فاشرب غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل ^(٢)

٤٢٨

وقال آخر :

- ١ - وإني لأنسى عند كل حفيظة إذا قيل مؤلاك ، احتمال الضغائن
 - ٢ - وإن كان مؤلى ليس فيل بنو بني من الأمر بالسكافي ولا بالمعاونين
- يصف نفسه بأن الحقد ليس من طبعه ولا عادته ، فيقول : إني أشفق على مؤالي حتى إذا اتفق لواحد ما يحتاج مني إلى معونة نسيت سيئته ، ولم أحتمل في صدري له ضغنه ، فأخذت بيده وأعنته على دهره ، وإن كان فيما بنو بني ليس بكافي لي ولا معين ، إذ كدت أوجب له بكونه مؤلى ما يُنسى تباغضه وجفاءه . والحفيظة : الخصلة يُحفظ لها الإنسان ، أي يُفض . ويقال : « أهل

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ، كما في الشعراء ٦١ .

(٢) وهذا أيضاً لامرئ القيس في ديوانه ١٥٠ . ويروى : « فاليوم أسق » . ويروى أيضاً : « فاليوم أشرب » ببناء الفعل على السكون ، أو بتقدير علامة الإعراب . انظر الخزانة (٣ : ٥٣٠ - ٥٣٢) .

الحفاظ أهل الحفاظ ، لأنهم يُحامون من وراء إخوانهم . وانتصب « احتمال »
بأنسى . والضغائن : جمع الضغينة ، وقد مرَّ ذكرُها .

٤٢٩

وقال آخر^(١) :

وإني لَعَفٌّ عن مَطَائِمِ جَنَّةٍ - إذا زَيْنَ الفَحْشاءَ للنَّاسِ جُوعُهَا
قد مضى له نظائر .

٤٣٠

وقال آخر :

١ - وَمَوْلَى جَفَتْ عَنْهُ الْمَوَالِي كَأَنَّهُ مِنْ الْبُوسِ مَطْلَى بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ

٢ - رَأَيْتُ إِذَا لَمْ تَرَأَمْ الْبَازِلُ ابْنَهَا وَلَمْ يَلِكْ فِيهَا الْمُبْسِينَ مَحَلَبُ

يقول : رُبَّ ابنِ عمٍّ زهِدَ أَقَارِبُهُ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَأَطْرَحُوهُ وَاشْتَدُّوا عَنْ
النِّفْكَرِ فِيهِ وَالتَّوَفُّرِ عَلَيْهِ ، فَبُؤُوا عَنْهُ وَعَنْ اصْطِنَاعِهِ ، فَأَثَّرَ فِيهِ الْبُؤْسُ ، وَأَحَاطَ
بِجَوَانِبِهِ الشَّقَاءُ وَالضَّرُّ ، حَتَّى صَارَ كَالْبَعِيرِ الْجَرَبِ وَقَدْ دُلِّيَ بِالْقَارِ ، هَيْئَةً وَلَوْنًا ،
وَضُؤُولَةً وَانْخِزَالًا ، وَتَبَاعَدًا عَنِ النَّاسِ وَتَجَافِيًا ، أَنَا عَطَفْتُ عَلَيْهِ ، وَأَثَرُ كُنْتُهُ فِيمَا
وَهَبَ اللَّهُ لِي فِي وَقْتٍ مِنَ الزَّمَانِ لَا يُؤْوِي^(٢) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ غَيْرَهُ ، لِشُمُولِ
الْقَحْطِ ، وَغَلَبَةِ الضَّرِّ وَالْفَقْرِ ، حَتَّى أَنَّ الثُّوقَ تَوَثَّرَ التَّبَاعُدَ عَنْ أَهْلَاهَا فَلَا
تَرَأُمُهَا ، وَتَرَى الَّذِينَ يُبْسُونَ بِذَوَاتِ الْأَلْبَانِ عِنْدَ الْحَلَبِ ، لَا يَجِدُونَ فِي ضَرْعِهَا
خَيْرًا . وَيُقَالُ : بَسَّ بِالْمَاقَةِ وَأَبَسَّ ، إِذَا دَعَاهَا لِلْحَلَبِ . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « لَا أَفْعَلُ

(١) هذه الحماسية ذات البيت الواحد لم يروها التبريزي .

(٢) في الأصل : « يروى » ، صوابه في ل .

كذاما أبسَّ عَبْدٌ بِفَاقَةٍ^(١) ، أَى دَعَاها لَلْحَلَبِ . وَيَقَال : رَمَمَتِ الْفَاقَةُ رِثْمَانَا ، إِذَا عَطَفَتْ .

٤٣١

وقال عروة بن الورد^(٢) :

١ - دَعَيْتِ أَطَوَّفَ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أَفِيدُ غِنًى فِيهِ لِذِي الْحَقِّ مَحْمِلُ
٢ - أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُتْلِمَ مُلْكَةً وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقِّ مَوْعِلُ
يُخَاطَبُ عَاذِلَةً لَهُ فِيمَا هُمْ بِهِ مِنَ التَّرَّحُّالِ فِي طَلَبِ الْمَالِ ، فَقَالَ : أَتُرْكِينِي
وَمَا اخْتَارَهُ مِنَ التَّجَوُّالِ ، وَالتَّنَقُّلِ فِي الْبُلْدَانِ ، طَمَعًا فِي خَيْرِ اسْتِفِيدُهُ ، وَغِنًى
اسْتَجِدُّهُ ، لَكِنِّي إِذَا نَابَنَّا ذُو حَقٍّ وَجَدَ عَلَيْنَا مَحْمِلًا ، وَعَلَيْنَا فِي النِّزَامِ وَاجِبُهُ
مُتَّكِلًا ؛ لِأَنَّ مَنْ جَالَ نَالَ ، وَمَنْ قَرَعَ أَبَا وَجَدَ وَلُوجًا ، وَأَوَّلُ دَرَجِ الْحَرَمَانِ
الْوُقُوفُ عِنْدَ أَدْنَى الْهِمَمَتَيْنِ ، وَآخِرُهَا الرِّضَا بِأَوْدَعِ الْعَيْشَيْنِ .

وقوله « أليس عظيمًا » يريد تقريرها على فظاعة الفقر والفاقة ، وقباحة
إمساك الناس عن تعليق الرِّجاء بهم والطَّاعة ، فقال : أَلَا تَسْتَعْظِمُ^(٣) أَنْ تَنْوَبَ
الْحَقَّ نَائِبَةً فَلَا يُمَوِّلُونَ عَلَيْنَا فِي الْإِحْتِمَالِ عَنْهُمْ ، وَلَا يَرْتَجُونَ مِنَّا تَعَطُّفًا عَلَيْهِمْ ،
لَا تَضَاعُ حَالِنَا ، وَتَأْكُدُ الْيَأْسَ مِنْ نَيْانَا . وقوله « أفيد » بمعنى أستفيد . وأليس
يقرر به في الواجب الواقع ، وأن تُتْلِمَ في موضع الرفع بليّس .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « بفاقته » .

(٢) سبقته ترجمته في الحماسية ١٤٥ ص ١٢١ . والبيتان في ديوانه ١٠٦ .

(٣) هذا على الالتفات . والوجه « ألا تستعظمين » .

٤٣٢

وقال آخر :

تَثَاقَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدٍ أَسْتَفِيدُهَا وَخَلَّةٌ ذِي وَدَرٍ أَشَدُّ بِهِ أُرْزَى
 هذا في طريقة ما تقدم . والمعنى : أني أبتاطأ عن المطالب والمباغى كلها
 إلا إذا اتفق مصنع عند حُرٍّ ، فإني أَسْرِعُ إليه ، وأتخفف في تحصيله ، مخافة أن
 يفوز به غيري ، لأن اعتقاد المَنِّ في أعناق الرجال أعدّه غنيمة تُفْتَنَم ، وفائدة
 مُدَّخَر ؛ وإلاَّ صداقة أَيْحٍ وديدٍ أَعْتَمِدُهَا في مدافعة شرٍّ ، ولاشتدادِ أُرْزٍ ، فإني
 أجمعُ يَدِي عليها ، ولا أصبرُ على المزاحمة فيها . ويقال : شَدَّ فُلَانٌ أَرْزَهُ ، إذا
 شدَّ مَعْقِدَ إزاره . ويقال : آرزَه على أمره ، إذا ظاهره وعاونَه عليه .

٤٣٣

وقال عبد الله بن الزبير^(١) :

١- لَا أَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا إِلَّا يُفَارِقُنِي وَلَا أَحْزُ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا
 ٢- وَمَا نَزَلْتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنَزِلَةً إِلَّا وَتَقْتُ بَأْنَ أَلْقَى لَهَا فَرَجَا
 يصف حُسنَ ثِقَةِ رَبِّه ، وجميلَ ظَنِّه بفضله ، وأنه قد جَرَّبَ وتَبَعَّرَ ،
 وعَرَفَ من أعقاب الأمور ما جعله لَا يَذِلُّ لِنَائِبَةٍ ، وَلَا يَتَخَشَّعُ لِنَازِلَةٍ ، فلا
 يظُنُّ الشَّرَّ إِذَا بُلِيَ بِهِ ضَرْبَةً لَا زِمَ^(٢) لَا يُخَالِفُ ، وَجَارَ سَوَاءٌ لَا يُفَارِقُ . قال :
 وَإِذَا فَاتَنِي أَمْرٌ وَإِنْ جَلَّ لَا أَهْلِكُ أَسَى فِي إِثْرِهِ ، وَلَا أَقْتُلُ نَفْسِي جَزَعًا

(١) التبريزي : « عبد الله بن الزبير الأسدي » . وقد سبقت ترجمته في الحماسية

٣٢٢ ص ٩٤١ .

(٢) ل : « ضربة لازب » ، وهما سيان .

لَقَوْتُهُ ، وَلَا أُنْزِلُ مِنْ مَظَانِّ الْمَكَارِهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَتَقَى بَتَلَقَّى الْفَرَجَ وَتَعَجَّلَهُ عَلَى أَقْرَبِ مَسَافَةٍ مِنِّي . وَالْوَدَّجَانِ : عِرْقَانِ يَقْعُطُهُمَا الذَّابِحُ . وَيُقَالُ : وَدَّجْتُ الدَّابَّةَ ، إِذَا أَصَبْتُ وَدَّجَهَا .

٤٣٤

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ حَزِيمٍ ^(١) :

- ١ - أُنْبِيتُ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ
 - ٢ - بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيُنْثَى عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمٌ
 - ٣ - وَأَنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لِمَرَّةٍ مُفْسِدٌ يَحْزُ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ الْمُحَرَّمُ
 - ٤ - يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ
- قوله « وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ » اعتراضٌ وَقَعَ بَيْنَ أُنْبِيتَ وَمَفْعُولِيهِ ، وَهَذَا فِي قَوْلِهِ « بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ » لِأَنَّ أُنْبِيتَ وَنُبِّيتَ وَأَخَوَاتُهَا كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا سَمِعْتَعْدَى إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ . وَقَوْلُهُ « وَتُبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ » اعتراضٌ ثَانٍ وَإِنْ عُطِفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ تَفِيدُ أَرْبَابَهَا تَجَارِبَ بِمَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْحَوَادِثِ ، وَيَتَحَوَّلُ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَتُعْلِمُهُمْ بِمَا يَنْكَشِفُ عَنْهَا وَيَشْتَمِلُ

(١) هذا ما في الأصل . وفي ل : « حريم » . وفي شرح التبريزي والقاموس (حريم) ونوادر أبي زيد ٩٦ وأمالى القالى (٢ : ١٢٣) : « حريم » ، وهو مظهر من مظاهر اختلاف الرواة في اسمه . وفي سمط اللآلى ٧٤٨ : « واختلف في مالك بن حريم الحمداني ... فقال ابن النحاس : قال لي نبطويه : هو مالك بن حريم بالزاي . قال : وقرأت على أبي إسحاق في كتاب سيبويه في بيت أشده له : مالك بن حريم بالخاء المضمومة المعجمة والراء المهملة المفتوحة وكذلك كان محمد بن يزيد يقول مالك بن حريم . وقال الحمداني : هو مالك حريم » . ومالك بن حريم : شاعر جاهل إسلامي : كما في اللآلى . وهو مالك بن حريم بن مالك بن حريم بن دالان الحمداني .

عليها من غوامض الأمور وخفيتها، ما لا يخطر لهم ببال، ولا يؤديه إليهم رنم ولا مثال. فيقول: أخبرت الأيام هذه حالها أن كثرة المال، والتوشع في الحال، يَرِجِمان بالنفع على صاحبهما فيصورانه بصورة للشكور والمحمود، وإن كان عند التحقيق والتحصيل مشكوراً مذموماً؛ وأن في قلة المال مفسدة لحال المقل وجاهه ونفسه، حتى يبريه ويقطعه برئ السوط الجديد الذي لم يلين بعد، المضروب به، فتراه يبخع نفسه، ويتخشع للاقية والنظر إليه، ويلزم الشكوت في نادى الحى فلا يفسد تماؤناً وتصاعراً، إذ كان قد علم من نفسه أنه لا يستطيع الترقى في مدارج الفضل والإفضال، وأنه تقعد الحال به عن النهوض بما ينهض به أمثال الرُجال، فهو يسلم الأمر لهم، ويبرأ من التدبير إليهم. وقوله « بأن ثراء المال » تعلق بأنيت بأن الأمر كذا وأن الأمر كذا. والقطع: السوط. والمحرم: الذى لم يميز بعد.

٤٣٥

وقال محمد بن بشير^(١):

١ - لأن أزعجى عند المرى بالخلق وأجترى من كثير الزاد بالخلق

٢ - خير وأكرم لى من أن أرى مننا خوالداً للناس فى عنق^(٢)

يصف رضاه بيسير الخط من الدنيا، وعفاهة عن كثير ما يستغنى عنه فيتوقى، فيقول: لأن أنبلع عند التمرى باكتساء الخلق، وأكتفى من الزاد الكثير بما يمكن به سد الفاقة - أضون لى وأرد على من أن أرى مننا معقودة فى عنق، معلقة لظهرى، باقية على أعقاب الزمان للناس عندى. والعلق:

(١) سبقت ترجمته فى الخامسة ٢٦٩ ص ٨٠٨.

(٢) التبريزى: « مننا معقودة ».

جمع العُلقة ، وهى اليسير من الشيء يُدَبِّلُغُ به وَيَعْتَلِقُهُ المحتاجُ إياه . ويجوز أن يكون من عَلِقَ يَفْلُقُ ، إِذَا رَعَى . ومنه الحديث : « إِنَّ أرواحَ الشهداءَ لَتَفْلُقُ فى الجنة » وتكون العُلقة كالتُرْفَةِ والطُّفْمَةِ وما أشبههما . وقوله « لَأَنْ أَرْجَى » اللام لام الابتداء ، وأن أَرْجَى مبتدأ وخبره قوله « خَيْرٌ وَأَكْرَمُ بى » .

٣- إني وإن قصرت عن همتي جدتي وكان مالي لا يقوى على خلقي
٤- لتأرك كل أمر كان يلزمي عارا ويشرعني في المنهل الرني
نبة على تمام الظلف والعفاف إذا أخذ به الإنسان ، فيقول : أنا وإن عجزت غنيتي عما توجبه همتي ، وكان في حالي قصور عما يدعو إليه خلقي ، معرض عن كل أمر إذا نلت رجوع منه عاراً على أذكرك به ، ويوردني مشارع الكدر ، فإذا صدرت عنها لم أتهنأ بشرب منها . ولك أن تروى : « فى منهل الرني » فيكون المنهل مضافاً إلى المصدر ، ولك أن تروى : « فى المنهل الرني » بكسر النون فيكون صفة له . والمنهل : موضع النهل . والناهل : العطشان ، والريان جميعاً . والوجد والجدة : مصدر وجدت ، فى المال . ويقال : شرعت فى الماء ، إذا خضت . وأشرعني فيه فلانٌ وشرعني أيضاً . وفى المثل : « أهون الورد التشريع » .

٤٣٦

وقال أيضاً :

١- ماذا يكلفك الروحات والدجالا البر طورا وطورا تركب اللججا

٢- كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته ألفتته بسهام الرزق قد فلجنا

قوله « ماذا » لفظه استفهام ، والمعنى الإنكار ، ويجوز أن يكون « ما » مع

(١١ - حاسة - ثالث)

ذا بمنزلة اسم واحد مبتدأ ، ويكلفك خبره . ويجوز أن يكون وَخَذَهُ اسماً ،
 وذا في موضع الخبر ، ويكلفك من صلاته ؛ كأنه قال في الأول : أى شيء يكلفك ،
 وفي الثانى : ما الذى يكلفك السير فى الليل والنهار متصلاً ، لا تفتر تركب البر
 تارة ، والبحر أخرى . والروحات : جمع الروحة ، وهو يريد به السير رواحاً .
 والدَّجُجُ والدَّجَّةُ : السير بالليل . وقوله « طَوَّراً » انتصب على الظرف ، والبر
 انتصب بفعل مضمر دل عليه الفعل الذى بعده . واشتقاق الطَّوْرِ من قولهم :
 لا أطور به ، ومن طَوَّار الدَّار ، وهو ما كان مُتَمَدِّداً معها .

وقوله « كم من فتى » أفاد كم التكاثر ، والكلام خبر ، والمراد : كثير
 من النِّتْيَانِ تَوَدَّعُوا فى منازلهم ، وقصرت خُطواتهم للسَّعى فى طلب أرزاقهم ،
 أُلْفُوا قد نالوا ما غلبوا به الجِدِّ فى الطَّلب ، المتعب نفسه فى التَّنْقُل . ومعنى
 فَلَجَ : غَلَب . وسهام الرِّزْقِ ، يراد بها قِداح الرِّزْقِ ، كأنه فاز لما خرج له عند
 الإجمالة بما غلب به مُقَامِرُهُ وَمُزَاجِحُهُ . ويجوز أن يريد بسهام الرِّزْقِ ما حُظَّ له
 من الحظ ، وأسهم له وقسم فى الرِّزْقِ .

٣- إِنْ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلٌّ بِمَا ارْتَبَجَا
 ٤- لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ إِذَا اسْتَمَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا
 يقول : اسْتَمَنْتَ بِالصَّبْرِ فى كُلِّ مَا تَزَاوَلَهُ وَتَرَاوَدَهُ ^(١) ، فَإِنَّ الْأُمُورَ إِذَا
 انْسَدَّتْ طَرَفُهَا ، وَأَعْيَتْ الْحِيلُ فى تَحْصِيلِهَا ، فَإِنَّ الصَّبْرَ يَسْهَلُ مَدَارِجَهَا ،
 وَيُوسِّعُ مَوَالِجَهَا ، وَيَفْتَحُ مَا انْقَلَقَ مِنْهَا ، وَيَفْتَقُ مَا ارْتَبَعَ مِنْ أَسْبَابِهَا ،
 وَلَا يَنْسَاطُنْ عَلَيْكَ مِنَ الْيَأْسِ مَا يَفْتَرُّ عَزْمَكَ ، أَوْ يَقْصُرُ سَعْيَكَ ، وَإِنْ دَامَتْ
 مُطَالِبَتُكَ ، وَاتَّصَلَتْ مَوَاطِبَتُكَ . واعتقد أن الفرج يُلْقَاكَ ، والنَّجَجَ بأقرب

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « وترادفه » .

المنازل منك ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فُزْتَ بِكُلِّ مَا تَرَوْهُ ، وَتَجَلَّ لَكَ كُلُّ مَا تَهْوَاهُ . وقوله « أن ترى » في موضع المفعول من تَيَأَسَّنْ . وقوله « فالصبر يَفْتَقُ » جواب إذا ، وخبر إن الأمور في الشرط والجواب . ويقال رَتَجْتُ البابَ وَأَرْتَجُّهُ ، إِذَا أَغْلَقْتَهُ ، وَبَابُ مُرْتَجٍّ وَمُرْتُوجٍ . والرَّتَاجُ : البابُ نفسه .

- ٥ - أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ وَمُذْنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ
٦ - أَبْصِرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا قَمْنٌ عَلَا زَلْقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلْجًا^(١)

يقول : إن مُذْنِ الصَّبْرِ في الأمور ، ومُلازِمَ التَّثَبُّتِ والتَّلَوُّمِ عند الخطوب^(٢) حَقِيقٌ بَأَن يَظْفَرُ بِطَلَبَتِهِ ، وَيَنْجَحُ السَّيِّ فِي مَرَامِهِ وَبِقِيَّتِهِ^(٣) . كما أَنَّ مَنْ أَدَامَ قَرْعَ أَبْوَابِ مَدَاخِلِهِ ، وَغَمَزَ مَفَاصِلَ آرَائِهِ ، حَقِيقٌ بِوُلُوجِهِ وَوَصُولِهِ ، وَمَعْرِفَةِ مَتْنِجٍ مَا يَرْجُوهُ وَمُرِيحِهِ .

ثم قال : وَإِذَا سَمِعْتَ فِي أَمْرِ فَاعْرِفْ مَوَاطِئَ قَدَمِكَ قَبْلَ أَنْ تَمْلُوهَا ، وَمَوَاقِعَ خَطْوِكَ قَبْلَ أَنْ تَمْدُوهَا ، وَاقْسِمْهَا بَيْنَ نَظْرِكَ وَاخْتِبَارِكَ^(٤) ، وَتَحْقِيقِكَ وَحَدْسِكَ ؛ فَإِنَّ مَنْ رَكِبَ مَزَلَّةً عَنْ غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ ، يُوشِكُ أَنْ يَسْقُطَ لِيَدَيْهِ وَفِيهِ ، وَتَزَلَّ بِهِ قَدَمُهُ إِلَى قَرَارِ هَلَكَتِهِ وَحَيْثِهِ . وَالزَّلْجُ : الشَّرْعَةُ فِي الْمَشْيِ وَالسُّتُوطِ وَغَيْرِهِ . وَفَرَسٌ زَلُوجٌ : سَرِيعُ السَّيْرِ . وَكَذَلِكَ يُقَالُ قِدْحٌ زَلُوجٌ . وَمَزَلَجَ البابَ : الْخَشْبَةَ الَّتِي يُغْلَقُ بِهَا .

(١) التبريزي : « قدر لرجلك » . وبعده عنده :

وَلَا يَغْرُنْكَ صَفْوَةُ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مَمْتَزَجًا

(٢) التلوم : الانتظار والتلبث .

(٣) البقية ، بضم الباء وكسرهما . وضبطت في النسختين بالكسر .

(٤) ل : « واختيارك » .

٤٣٧

وقال آخر^(١):

١ - لِحِجَّتَنَا وَاجَّتْ هَذِهِ فِي التَّغَضُّبِ وَشَدَّ الْحِجَابِ بَيْنَنَا وَالتَّنْقِبِ^(٢)
 ٢ - تَلَوُّهُ عَلَى مَالٍ شَفَانِي مَكَانَهُ إِيَّاكَ فُلُوْمِي مَا بَدَا لَكَ وَاغْضِي
 كَانَ هَذَا الشَّاعِرَ أَطْلَعَ مِنْ أَحْوَالِ أَيْتَامِ أَخِيهِ عَلَى مَا سَاءَ وَأُنْفَ مِنْهُ ،
 ثُمَّ دَعَاهُ التَّحَنُّنُ وَالْإِشْفَاقُ ثُمَّ يَتَدَاوَلُهُ النَّاسُ فِي مَجَالِسِهِمْ مِنْ أَحَادِيثِ الْبِرِّ
 وَالْعُقُوقِ ، وَتَصْرِفُهُمْ فِي صَرْفِ الْمَقْتِ إِلَى مُسْتَحَقِّهِ ، وَالْحَدِّ إِلَى مَكْتَسِبِهِ ، إِلَى أَنْ
 أَمَرَ عَبْدِيهِ الرَّاعِيَيْنِ بِإِرَاحَةِ مَارِدًا إِلَى فَنَائِهِ مِنْ مَسَارِحِ إِبِلِهِ عَلَيْهِمْ^(٣) ،
 فَاعْتَاطَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرَتْ فِعْلَهُ ، وَخَوَّفَتْهُ فِي أَثْنَاءِ مَلَامَتِهَا بِالْفَقْرِ
 وَهَجْرَتِهِ ، فَأَخَذَ يَقْتَصِرُ مَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ فَقَالَ : تِمَادَتْ امْرَأَتِي فِي الْغَضَبِ
 وَالْمُهْجَرَانِ ، وَاللَّوْمِ وَالِاحْتِجَابِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهَا فِي مَالٍ شَفَانِي مَوْضِعُهُ الَّذِي
 وَضَعْتُهُ فِيهِ ، وَمَضَرِفُهُ الَّذِي صَرَفْتُهُ إِلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْتَهْبِئًا بِهَا وَبِفِعْلِهَا
 فَقَالَ : إِيَّاكَ فُلُوْمِي مَا بَدَا لَكَ . وَالْمَعْنَى : أَجْمَعِي أَمْرَكَ ، وَاسْتَمْرِي فِي عَتَبِكَ
 وَغَضَبِكَ مَا بَدَا لَكَ ، فَإِنَّ الرِّشَاقَ فِيمَا آتَرْتُهُ ، وَالصَّلَاحَ فِي قِرَانِ مَا اخْتَرْتُهُ .
 وَ « إِيَّاكَ » : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ هَذَا ، كَمَا يَكُونُ عَلَيْكَ ، وَعِنْدَكَ . وَلِذَلِكَ
 عَاطَفَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ « فُلُوْمِي » . وَ « مَا بَدَا لَكَ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ
 الْقَوْلُ فِي أَمْثَالِهِ .

(١) هو حجية بن المضرب . وفي التبريزي : « وحدث ابن كناسة أن حجية
 ابن المضرب كان جالساً بفناء بيته ، فخرجت جارية بقعب فيه لبن ، فقال لها : أين تريدان
 بالقعب ؟ فقالت : بنى أخيك اليتامى فوجم وأراح راعيها إبله ، فقال : اصفقاها نحو بنى أخى ،
 ثم دخل منزله فعاتبته امرأته فقال . . . » .

(٢) التبريزي : « ولط الحجاب دوفنا والتنقيب »

(٣) كتب بجوارها في ل بخط دقيق : « يعنى بنى أخيه » .

٣ - رَأَيْتُ الْيَتَامَى لَا تَسُدُّ فَقُورَهُمْ هَدَايَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشَقَّبٍ^(١)

٤ - فَقُلْتُ لِعَبْدِنَا أَرِيحَا عَلَيْهِمْ سَأَجْعَلُ بَيْتِي مِثْلَ آخَرَ مُغْرِبٍ

٥ - عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا خِصَاصَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقًا إِلَى حِينٍ نَكْسِي^(٢)

يعنى باليتامى أولاد أخيه المتوفى . يريد : رأيتهم لا تسد فقورهم ولا تقيم مختل أحوالهم ، تحف نوجه إليهم ، وهدايا تحمل نجوم في قعاب مشوبة . يشير بذلك إلى ما كانت امرأته تتولاه وتأتيه من برهم وتقدم قبل ذلك . وفي قوله : « هدايا لهم في كل قعب مشقب » إزراء بصنيعها ، وبالألبان المنقولة إليهم وظروفها . وجمع الفقور لا اختلاف وجوها .

وقوله « فَقُلْتُ لِعَبْدِنَا » يعنى راعيته الذين أمرًا بسوق الإبل المردودة من المراعى إلى فناء أولاد أخيه . وإنما تقي على عادتهم في تشية مزاولي أعمالهم ، كالباثن والمستمل في الحلب وما أشبههما . وقوله : « سَأَجْعَلُ بَيْتِي مِثْلَ آخَرَ » ، يريد مثل بيت آخر وقد عزبت إبله وتباعدت ، فإن عيالي ولم كاسب مثلي أحق بمزاولة الفقر ، ورثاة العيش ، والصبر على المشرب الرقيق ، إلى أن أكسب ما تعود به حالهم إلى ما ألفوه من الخضب والسعة ، والخفض والدعة . ويقال : أغزب الرجل إذا عزبت عنه إبله في المرعى .

٦ - ذَكَرْتُ بِهِمْ عِظَامَ مَنْ لَوْ أَتَيْتُهُ حَرِيْبًا لَأَسَانِي لَدَى كُلِّ مَرْغَبٍ^(٣)

٧ - أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِلْمَلَةِ يُجَبِّكَ وَإِنْ تَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ^(٤)

(١) ل : « لا يسد » . (٢) التبريزى :

بَنِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا سَقَابَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقًا لَدَى كُلِّ مَشْرَبٍ

(٣) التبريزى : « ويرى : حبوت بها قبر امرئ لو أتيت » .

(٤) التبريزى :

أَخِي وَالَّذِي إِنْ أَدْعَاهُ لِلْمَلَةِ يُجَبِّئِي وَإِنْ أَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ

قال أبو رياش : وفيها :

فَلَا تَحْسَبْنِي بُلْدًا إِنْ نَكَحْتِهِ وَلَكِنِّي حُجَّةٌ بِنِ الْمَضْرَبِ

يقول : تَذَكَّرْتُ بهؤلاء الأولادِ أباهم الذي لو أُنْبِتُهُ محزونًا مسلوبًا ،
ومُتَمَعًا بأعباء الفقر مبهورًا ، لَضَمَّنِي إلى صدره ، وشَمَلَنِي تضاعيفُ برِّه ، وجعلني
إِسْوَةً نَفْسِهِ فِي كُلِّ مَا أَرَكَبُهُ ، وَأُسْعَفَ بِطَلَبَتِهِ عِنْدَ جَمِيعِ مَا أَخْطُبُهُ ، لِأَنَّ
الْأَخَ الْكَامِلَ الْأَخْوَةَ هُوَ الَّذِي يَشُدُّ أَرْكَكَ ، وَيُحْيِي ظَهْرَكَ ، وَإِنْ دَعَوْتَهُ
إِفَاتِيَةً تَنُوبُ أَجَابَكَ سَرِيعًا ، وَإِنْ أَعْمَلْتَ سَيْفَكَ أَعْمَلَ سَيْفَهُ مَعَهُ حَيْثُ بَا.

٤٣٨

وَقَالَ لُفْتَعُ الْكِنْدِيُّ^(١) :

- ١ - يُعَايِنُنِي فِي الدِّينِ قَوِيٌّ وَإِنَّمَا دُبُونِي فِي أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ خَمْدًا
 - ٢ - أَسُدُّهُ مَا قَدْ أَخْلَوْا وَضَيُّعُوا ثَمُورَ حُقُوقِي مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا
 - ٣ - وَفِي جَفَنَةٍ مَا يُفْتَلَقُ الْبَابُ دُونَهَا مُكَلَّمَلَةٍ لَحْمًا مَدْفَقَةً مُرَدًّا
 - ٤ - وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ حِجَابًا لِيَبْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا
- كَأَنَّ قَوْمَهُ يَنْعَوْنَ عَلَيْهِ^(٢) بِرَفَرِهِ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَتَحَزُّقُهُ فِي الْإِفْضَالِ ،
وَتَجَاوُزِهِ مَا تُسَاعِدُهُ بِهِ حَالُهُ وَتَتَسَّعُّ لَهُ ذَاتُ يَدِهِ إِلَى الْاسْتِقْرَاضِ ، وَبَذْلِ الْوَجْهِ
فِي الْأَدْيَانِ^(٣) ، فَقَالَ : كَثُرَتْ لَأَتْمَتُهُمْ فِيمَا يَرْكَبُنِي مِنَ الدُّيُونِ ، وَإِنَّمَا هِيَ
مَصْرُوفَةٌ فِي وَجْهِهِ مُؤَنَّهُا عَلَى ، وَجَاهِلُهَا لَمْ ، وَقَضَاؤُهَا فِي أَنْفُسِهَا يَلْزُمُنِي ،

(١) اسمه محمد بن ظفر بن عميرة . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له
محل كبير وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته . ويزعم المؤرخون أن العلة في لزومه القناع
ما كان يخاف على نفسه من العين ، فقد كان أحسن الناس وجهًا ، وأدمهم قامة ، وأكلمهم
خلقًا ، فكان إذا سافر أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت . الأغاني (١٥ : ١٥١)
والشعراء ٧١٥ - ٧١٦ واللائق ٦١٥ - ٦١٦ .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « كان قوم يعيبون عليه » .

(٣) الأديان ، افتعال من الدين .

ومحامدُها موفِّرة عليهم . ثمَّ أخذَ يمدِّد فقال : من تلك الوجوه أنَّ ما يَنُوبُ من الحقوق فيُخَلَّون بها ويضَيِّعونها مجزاً عن الوفاء بواجبها ، أنا أسدُّ ثغورها ، وأقيم فروصها .

ومنها : أنَّ لى دارَ ضيافة قُدورها مُشَبَّعة موفِّرة ، وجفائُها ممدَّة منصوبة ، لا يُمنَع منها طالِبُها ولا يُحجَّب عنها رائدُها ، فلُحجائُها كالآ كاليل على رءوسها ، ورائدُها قد نُمِّقَ تدقيقُها .

ومنها : أنَّ بفنائى فرساً مربوطاً قد أُعِدَّ للهِمَّات ، على عادةِ أمثالى من الأكابر والرؤساء . ولكرمِهِ وما يتوفَّر عليه من إكرامى إِيَّاه قد صار كالْحِجاب لباب بيتى ، وقد شَمَلَتْ بخدمته عَبدًا يَتَفَقَّده بمرأى منى ، لا أَهْمُهُ ولا أَغْفُل عنه .

قوله : « مدققة » أى مملوءة . والأحسن أن يروى معه : « ثرداً » بضم الثاء . ويروى « مدققة ثرداً » بفتح الثاء . والمراد مثرِّدة ثرداً دقيقاً . والنهْد : الجسيم المُشْرِف من الخليل .

- ٥- وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمَخْتَلِفٌ جِدًّا^(١)
٦- فَإِنْ يَا كُلُّوا الْحَمِي وَفَرَّتْ لُحُومُهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا تَجْدِي بَنِيْتُ لَمْ تَجْدَا^(٢)
٧- وَإِنْ ضَيَّعُوا غَنِيِّي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هَمُّ هَوُوا غَنِيِّي هَوَيْتُ لَمْ رَشْدَا
٨- وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرِي بِنَخْسٍ تَمْرُئِي زَجَرْتُ لَمْ طَيْرًا تَمْرُؤُهُمْ سَعْدَا^(٣)
ذكر بعد ما عدَّد معاذيره^(٤) فيما أنكروه عليه ، أن إخوته وأبناء عمه

(١) هذا ما فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « فإن » .

(٢) التبريزى : « فإن أكلوا » .

(٣) كذا فى ل والأصل . وعند التبريزى : « وإن زجروا طيراً » .

(٤) ل : « معاذره » . والثلث : العيب . والإذالة : الإهانة .

يحمسونه ويأتمرون العداوة والفَوَايَةَ له ، وهو يُصَارِهُمُ وَيُجَامِلُهُمُ ، ويتغابى معهم ، فقال : إِنْ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي طَرَفِي نَقِيضٌ ، وَعَلَى لَوْنٍ مِنْ اخِلَافٍ حَجِيبٌ ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ اغْتَابُونِي وَتَطَعَمُوا لِحْيَ أَمْسَكْتُ عَنْهُمْ ، وَتَرَكْتُ أَعْرَاضَهُمْ مَوْفُورَةً ، لَمْ يَتَخَوَّنْهَا مِنِّي إِذَالَةً وَلَا تَذَبٌ ^(١) ، وَأَعْرَاضَهُمْ مَحْفُوظَةٌ لَمْ يَتَحَيَّفْهَا تَحَامُلٌ وَلَا غَضٌّ . وَإِنْ سَعَوْا فِي نَقْضِ مَا أُرْمَتْهُ مِنْ مَسْعَاةٍ كَرِيمَةٍ ، وَهَذِمَ مَا أَسَّسْتُهُ مِنْ خُطَّةٍ نَجْدٍ عَلَيْهِ ، جَازَيْتُهُمْ بِإِقْنَاءِ شَرَفٍ لَهُمْ مُسْتَحْدَثٍ ، وَإِعْلَاءِ شَأْنٍ لَهُمْ مُسْتَأَنَفٍ . وَإِنْ أَهْمَلُوا غَيْبِي فَلَمْ بُرَأْهُ بِحُسْنِ الدَّفَاعِ عَنْهُ ، وَإِسْبَاغِ ثَوْبِ الْحَمَامَةِ عَلَيْهِ حَفِظْتُ أَنَا غَيْبَهُمْ ، وَأَرَصَدْتُ الْفَوَائِلَ لِمَنْ اغْتَالَهُمْ . وَإِنْ أَحْبَبُوا لِيَ الْفَوَايَةَ ، وَالتَّسَكُّعَ فِي الضَّلَالَةِ وَالْبَطَالَةِ ، اخْتَرْتُ لَهُمُ الْمَرَاشِدَ ، وَهَوَيْتُ فِي مَبَاغِيهِمُ الْمَنَاجِحَ . وَإِنْ تَمَنَّوْا لِيَ الْمُنْحَسَةَ ، وَزَجَرُوا مِنْ بَوَارِحِ الطَّيْرِ وَسَوَاقِحِهَا فِي الْمَشَامَةِ ، جَعَلْتُ عِيَاثِي لَهُمْ فِيمَا يَمُرُّ بِي مِنْهَا الْمُسَعَّدَةُ وَالطَّيِّبَةُ الْحَمِيدَةُ . وَقَوْلُهُ :

« سَعَدَا » صفة لطيفرا .

٩ — وَلَا أَجْمَلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَآيِسَ رَيْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
١٠ — لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رِفْدَا
١١ — وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا

أثبت لنفسه الرياسة عليهم في هذا البيت . والمعنى أنه متى استعطفوه عطفت عليهم ، وإن استقالوه ^(٢) أقالهم وأمرع القبيضة لهم ، غير حامل الضغن واللجاج معهم ، ولا معتقدا انتهاز الفرص فيهم ، إما ا كتمن من عوادي الحقْد عليهم . وقوله : « وليس ريس القوم من يحمل الحقدا » مجرى مجرى الالتفات ، كأنه أقبل على مخاطب فقال : إِنِّي لَا أَجْمَلُ ^(٣) بترك مؤاخذتهم ، وأطراح الحقْد

(١) التخنون : التنقص .

(٢) ل : « وإذا استقالوه » .

(٣) ل : « لا أجمد » .

في مساوئهم ، فإنَّ الرَّئِيسَ يُحِبُّ لَتَبَعِهِ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي شُرُوطِ الرِّيَاسَةِ . وقوله : « لَمْ جُلِّ مَالِي » يريد أن تَوَاصَلَ الْغِنَى لِي أَشْرَكَتُهُمْ فِي مُعْظَمِهِ ، مِنْ غَيْرِ امْتِنَانٍ وَلَا تَكْدِيرٍ ، وَإِنْ تَحَيَّفَ مَالِي حَادِثٌ يُبْلِغُ ، أَوْ عَارِضٌ يُحْدِثُ ، لَمْ أَنْتَظِرْ مِنْ جِهَتِهِمْ مَعُونَةً ، وَلَا كَلَفَتْهُمْ فِيمَا يَخْفَ أَوْ يَنْقَلِ مَوْوَنَةً .

وقوله « وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ » أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ مَا عِنْدَهُ لِالْغَرِيبِ الطَّارِقِ ^(١) ، وَالضَّيْفُ الْفَازِلُ ، بَعْدَ أَنْ شَرَحَ حَالَهُ مَعَ مَوَالِيهِ ، وَخِصَالَهُ فِي مُرَاقَقَةِ ذَوِيهِ ، فَقَالَ : وَأَبْلُغُ فِي خِدْمَةِ الضُّيُوفِ مَبَالِغَ الْعَبِيدِ فِيهَا . ثُمَّ أَكَّدَ مَا حَكَاهُ بِقَوْلِهِ « وَمَا شَيْعَةً لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا » ، فَانْتَصَبَ « غَيْرٌ » عَلَى أَنَّهُ مُسْتَثْنَى مُقَدَّمٌ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا حَالَ بَيْنَ الْمُوصُوفِ وَالصِّفَةِ ، وَهِيَ شَيْعَةٌ وَتُشَبِّهُ ، وَتَقَدَّمُ عَلَى الْوَصْفِ صَارَ كَأَنَّهُ تَقَدَّمَ عَلَى الْمُوصُوفِ ، لِأَنَّ الصِّفَةَ وَالْمُوصُوفَ بِمَنْزِلَةِ شَيْءٍ وَاحِدٍ . وَقَوْلُهُ « تُشَبِّهُ الْعَبْدَا » يَرِيدُ : تُشَبِّهُ شَيْعَةَ الْعَبْدِ ^(٢) ، فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ .

فَلْيَتَأَمَّلِ النَّاطِرُ فِي هَذَا الْبَابِ وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَتَصَرَّفِ قَائِلُهَا فِيهَا بِلَا اعْتِسَافٍ وَلَا تَكْثِيفٍ ، وَسَلَاةٍ أَلْفَاظُهَا ، وَصِحَّةٍ مَعَانِيهَا ، فَهُوَ عَفْوُ الطَّنْبِ ، وَصَفْوُ الْقَرَضِ .

٤٣٩

وقال رجل من الفزاريين :

- ١ - إِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
- ٢ - وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَتُبْلَاهَا إِذَا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « الطائف » .

(٢) ل : « العبيد » .

٣- إذا كنت في القوم الطوال أصبتهم بعارفة حتى يقال طويل^(١)

يقول : إن لم يكن في طولى امتداد ، ولا في خلقى بسطة وكمال ، فإني لا أزال أصل نقص جسمي ، وأمدُّ قصر قامتي بما أتولاه من الأفعال الكريمة ، وأختاره من الخصال الحميدة ، حتى أحوِّ سمة الإزراء عن نفسي . ومن أوتي الفضل في خلقه ونفسه ، وعاداته وشيمه ، خيرٌ ممن أوتي العظم في خلقه ، والبراعة في جسمه ، فلا فضيلة لمن حسن وجهه ونبل منظره ، إذا لم يزينه عقلٌ وافر ، ونخبٌ رائق . ومتى حصلت بين أقوام طوال القامات ، قابلت طولهم بطول يدي فهم ، وأنلتهم معروفى حتى عظمت في أعينهم ، وامتلات من حبهم لى وميلهم إلى قلوبهم ، فأنسأهم طولٌ باعى بالمطية قصر قامتي بين قاماتهم . وقوله « حتى يقال طويل » ارتفع طويل على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو طويل . أى يسلمون له فضيلة الطول عندهم .

٤- وكم قد رأينا من فروع كثيرة تموت إذا لم تخين أصول

٥- ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه فحلو وأما وجهه فجميل

هذا مثل ضربته للخصال المجتمعة في الإنسان ، لا تعدّ فضائل إلا إذا اقترنت بخصال آخر ، وهى كالأصول لها . ومثال ذلك ماقدّمه من ذكر قبالة الخلق^(٢) إذا عريت من نباهة الخلق ، وماشاكها من صباحة الوجه إذا خلّت من صحابة العقل . ثم قال : ولم أر شيئاً كإسداء المعروف وبثّ العطاء والإحسان ، فإنّ من ذاقه استجلاه ، ومن رآه استحسّنه وارتضاه . وهذا تأكيد ما ذكر من قوله : « أصبتهم بعارفة حتى يقال طويل » .

(١) - التبريزي : « علوهم بعارفة » .

(٢) - القبالة ، بتثقيل اللام ، وتخفيفها لغة من الحياني ، وهى الثقل .

٤٤٠

وقال عبد الله بن معاوية ^(١) :

- ١ - أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَبْغُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي
 - ٢ - فَتَنْفَسِي لَا تَطْلُو عَنِّي بِبُخْلِ وَمَالِي لَا يَبْلُغُنِي فَعَالِي
- قد مضى له أمثال ^(٢) ، ومعناه ظاهر ، ويروى : « لَا يَقُومُ لَهُ فَعَالِي » .

٤٤١

وقال مضر بن ربيعي ^(٣) :

- ١ - إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ جَاهِلٍ قَوْمِنَا وَنَتَّبِعُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَضْيَدِ
 - ٢ - وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلِحُ وَإِنْ تَرَ صَالِحًا لُفْسِدِ
- يصف صفاء نيتهم لقومهم ، وأنهم يسلكون معهم طرائق ما يعود على الأسود بالصلاح ، وعلى السائد باستكمال الرئاسة والارتفاع ، فقال : إِذَا جَهِلُوا عَلَيْنَا صَفَحْنَا عَنْهُمْ ، وَأَبْقَيْنَا عَلَى الْحَالِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَاسْتَفَانَا إِقَامَتَهُمْ وَرَجَعَتَهُمْ . كلُّ ذَلِكَ لئَلَّا يَفِرُّوا فَيَزِدَادَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ تَفَاقُمًا . فَأَمَّا الْأَعْدَاءُ فَإِنَّا نَكْسِرُهُمْ وَنَسْتَلِ عَنْهُمْ كِبَرَهُمْ وَخُزُونَهُمْ ، وَلِنَلِيَنَّ أَعْنَاقَهُمْ حَتَّى يَنْقَادُوا عَلَى

(١) التبريزي : « عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر » . وهو عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان من فتيان بني هاشم وأجوادهم وشعرائهم . وكان يرمى بالزندقة ، وخرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله . الأغاني (١١ : ٦٣ - ٧٤) .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « مضى أمثالها » .

(٣) هو مضر بن ربيعي بن لقيط بن خالد بن فضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقمس ابن طريف بن عمرو بن قمين الأسدي . شاعر محسن متمكن ، كان معاصرا للفرزدق . المؤلف ١٩١ ومعجم المرزباني ٣٩٠ .

ضِغْنٍ مِنْهُمْ . وَالسَّالِفَةُ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ . وَالصَّيْدُ : مَيْلٌ فِي الْعُنُقِ مِنَ الْكِبَرِ كَمَا مَا يَكُونُ الصَّمَرُ فِي الْخَلْدِ ، وَكَأَنَّ الصَّادَ يَسْتَعْمَلُ فِي الْفَاضِلِ .

وقوله : « وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ » يريد : إِنَّا نَسَى فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَلَا نَدْعُهُمْ بِتَدَابُرٍ وَيَتَضَاغُنُونَ ؛ لِأَنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بِعَشِيرَتِهِ . ثُمَّ إِنْ رَأَيْنَاهُمْ عَلَى حَدٍّ مِنَ الصَّلَاحِ زِدْنَا فِي قُوَّةِ نِيَّاتِهِمْ ، وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى مَا يَزِدُّهُمْ بِهِ اسْتِقَامَةً وَاسْتِمْرَارًا .

٣ - وَإِذَا نَمَوْنَا صُمْدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنَّْا الْخَبَالُ وَلَا نُفُوسُ الْحُسَدِ

٤ - وَنُعْمِينَ فَاغْلَنَّا عَلَى مَا نَابَهُ حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ

يقول : وَإِذَا ارْتَقَوْا فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ وَنَبَوْا مَنَازِلَ الْفَضْلِ ، لَمْ نَحْضُدْهُمْ ، وَلَمْ نَضَيِّقْ عَلَيْهِمْ طَرَائِقَ مَتَاصِدِّمْ ، فَيُورِثُهُمْ ذَلِكَ خَبَالًا^(١) وَفُتُورًا . وَالسَّاعِي مِنْهُمْ إِذَا جَدَّ فِي إِقَامَةِ مَا يَنْبُوهُ مِنَ الْحَقُوقِ أَعْنَاهُ عَلَى إِيْتَامٍ مَا بِشَيْدِهِ ، وَالزِّيَادَةُ فِيمَا يُؤْيِدُهُ ، حَتَّى نَبْلُغَ بِهِ فِعْلَ السَّيِّدِ ، عَلَمًا بِأَنَّهُ رَفَعْتَهُمْ لَنَا ، وَجَاهَهُمْ بِجَاهِنَا .

٥ - وَنُحْيِبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبِ عَجَلِ الرُّكُوبِ لِذَعْوَةِ الْمُسْتَنْجِدِ

٦ - فَفَقُلْ شَوْكَتَهَا وَنَفَقْتُ خَمِيهَا حَتَّى تَبُوحَ وَحَمِينًا لَمْ يَبْرُدِ

٧ - وَنُحَلِّ فِي دَارِ الْخِفَافِ بِيُوتِنَا رَنَعَ الْجَتَائِلِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ^(٢)

قوله « وَنُحْيِبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ » ، يريد : وَإِنْ اسْتَعَانَ بِنَا مِنْ أُغْيَرٍ عَلَيْهِ صَبَاحًا مِنْ ذِي تَخَرُّمٍ أَوْ جَارٍ ، أَوْ مَتَسَبِّبٍ بِإِلٍّ وَقَرَابَةٍ ، أَجَنَّبَاهُ سَرِيعًا بِجَيْشٍ سَرِيعٍ الرُّكُوبِ لِلدَّعْوَةِ الْمُسْتَعْرِخِ ، فَتَكْسِرُ شَوْكَةَ الْغَيْرِينَ ، وَنُخَيِّدُ نَاثِرَتَهُمْ وَنَسْكُنُ حُتَاهُمْ حَتَّى تَبْرُدَ ، وَنُحَامِنَا لَمْ تَسْكُنْ وَلَمْ تَبْرُدَ^(٣) . وَجَعَلَ الشَّوْكَةَ كُنْيَاةً عَنْ

(١) ل : « خبالا » .

(٢) ل ، التبريزي : « وَتَحَلُّ فِي دَارِ الْخِفَافِ بِيُوتِنَا » .

(٣) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « يَبْرُدُ » وَ « يَسْكُنُ » .

السَّلاح والقُوَّة جميعاً . وقوله « نفثاً » هو من فَنَثَتُ القِدْرَ ، إذا سَكَّتْ غليانها . وقوله « حتى تَبُوخَ » يقال : باخَتِ النَّارُ إذا طَفِئَتْ .

ومعنى « ونُحِلُّ^(١) » في دار الحفاظ بيوتنا « نَصْبِرُ في دار المحافظة على الشَّرَفِ إذا اشْتَدَّ الزَّمان ، وإذا قَصَدَ غَيْرُنَا لَلْخِصْبِ أو طَلَبِ الاتِّجَاعِ أقمنا مُرْتَعِينَ في الدَّرِينِ مَالَنَا ، ولا نَمُكِّنُ أعداءنا من أرضنا وحرمانا . والدَّرين : اليابس من السَّكَلِ القديمِ القمَد . وجمله أسود لفساده وطولِ قِدَمِهِ . و يروى « وتَحُلُّ^(٢) » في دار الحفاظ بيوتنا . وانتَصَبَ « رثعَ الجائلِ » على أنه مصدر في موضع الحال . ومثله قول الآخر^(٣) :

ونُحِلُّ في دارِ الحِفاظِ بِيوتِنا زَمَناً وبَطْنُ غَيْرِنا للأَمْرِعِ^(٤)

٤٤٢

وقال المتوكلُ اللَّبْنِيُّ^(٥) :

١ - إني إذا ما انحلَّيلُ أُحْدِثَ لي صَرَمًا ومَلَّ الصَّمَاءُ أو قَطَمًا
٢ - لا أُحْدِثُ ماءهُ على رَنَقٍ ولا يَرَانِي لَبِينُهُ جَزَعًا
يقول : إذا عوجَّ صديقٌ لي والتَّوَى ، وطلبَ الخِلافَ عليَّ فأُحْدِثَ لي
نُبُوءًا وجَمَاءً ، وتبرَّمَ من مُصافاني فأَقْبَلَ بِتَجَنِّي عليَّ ، فإني لا أرومُ منه التَّوَدَّ ،
ولا أعرِضُ عليه الرُّجُوعَ ، بل أصارِحه ولا أجمِرعُ ماءَ الوُدِّ بيني وبينه على

(١) ل : « وتحل » .

(٢) ل : « ونحل » بالنون .

(٣) هو الحادرة الذبياني . المفضلية ٨ .

(٤) ل : « وتحل » . المفضليات : « ونقيم في دار الحفاظ » .

(٥) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن وهب بن عمرو بن لقيط الكناني ، وكان يكنى

أبا جهمة . وكان على عهد معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . الأغانى (١١ : ٣٧ - ٤١)

والمؤتلف ١٧٩ ومعجم المرزباني ٤١٠ .

كدر فأحتملُ مكروهه ، ولا أظهرُ جَزَعًا لاستحداثِ فراقِ منه ، أو تفكيرٍ
ينطوي عليه فأخبتُ له ^(١) ، لأنِّي وَصَّالٌ صَرُومٌ ، أصافي مَنْ يُصَافِينِي ، وأُجَامِلُ
مَنْ يُجَامِلُنِي ، وأُدَاجِي مَنْ يَدَاجِينِي .

٣ - أَهْجُرُهُ ثُمَّ تَنْقِضِي غُبْرُ الْـ هِجْرَانِ عَنِّي وَلَمْ أَقُلْ قَدْعًا ^(٢)
٤ - اخْذَرْ وَصَالَ اللَّثِيمِ إِنَّ لَهُ عَضَّهَا إِذَا حَبِلُ وَضَلِهِ انْقِطَعَا
الغُبْرُ ^(٣) : البقايا ، واحدها غُبْرَةٌ . ويقال : تَغَيَّرَتِ النَاقَةُ ، إِذَا احْتَلَبَتْ
غُبْرَتَهَا . وَغُبْرُ اللَّيْلِ : مَآخِرُهُ . قال :

فِيَا صُبْحُ كَمْشُ غُبْرِ اللَّيْلِ مُضْمِدًا بِمَيِّ وَنَبَّهَ ذَا الْعِفَاءِ الْمَوْشِجَ ^(٤)
وَالْقَدْعَ وَالْقَدَيْعَةَ : الْفُحْشُ . يقال : قَدَعْتُهُ ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالْقَدْعِ . وَأَقْدَعَ
الرَّجُلُ : أَى بِالْفُحْشِ . وَكَلَامُ قَدْعٍ . وَيُتَوَسَّعُ فِيهِ فَيُقَالُ لِلْقَدْرِ : الْقَدْعُ ، حَتَّى
يُقَالُ : قَدَعَ ثَوْبَهُ بِالْبَوْلِ وَغَيْرِهِ . يَقُولُ : أَقْطَعُ الْعِلَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَنْصَرِفَ عَنْهُ
هَاجِرًا ، وَتَنْقُضِي ^(٥) مُدَّةَ الْمَجْرَانِ عَمَّا وَلَمْ أُعْتَبِهِ وَلَا قُلْتُ فِيهِ فُحْشًا ، وَلَا ذَكَرْتُهُ
بِرْلَةٍ كَانَتْ مِنْهُ .

ثم قال : اخْذَرْ مُوَاصِلَةَ اللَّثِيمِ وَمُؤَاخَاتَهُ ، لِأَنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ حَبْلُ وَضَلِهِ ،
وَانْصَرَمَ مَا يَجْمَعُكَ وَإِيَّاهُ مِنْ وَدِّهِ بِتَكْذِبُ عَلَيْكَ ، وَيَخْلُقُ مِنَ الْإِفْكَ فَيُكْ
مَا لَمْ تَكْتَسِبْهُ لَا بِيَدِكَ وَلَا لِسَانِكَ ، وَهَذَا كَأَنَّهُ لَمَّا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ
مَا نَفَى بَيِّنَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ ، لِكَوْنِهِ مِنْ فِعْلِ اللَّثَامِ . وَالْعَضَّةُ :
ذِكْرُ الْقَبِيحِ كَذِبًا وَزُورًا . وَيُقَالُ : عَضَّتُهُ ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالزُّورِ . وَأَعَضَّةُ الرَّجُلِ

(١) أَعْبَتُ ، الْإِخْبَاتُ : التَّوَضُّعُ وَالْإِطْمِنَانُ .

(٢) التَّبَرُّزُ : « ثُمَّ يَنْقُضِي غُبْرَ الْمَجْرَانِ » .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ مُضْبُوطَةً فِي النُّسخَتَيْنِ فِي مَتْنِ الْبَيْتِ وَشَرَحَهُ .

(٤) الْبَيْتُ لِلطَّرْمَاحِ فِي دِيْوَانِهِ ٦٩ وَالْحَيَوَانُ (٢ : ٢٥٤ ، ٢٤٦ / ٧ : ٥٩)

وَالسَّانُ (وَشَح) . (٥) ل : « وَتَنْقُضِي » .

أنى بالعضية ، وهى الإفك . ومن كلامهم : يا لعضية ! ويا للأفكة !

٤٤٣

وقال بعضهم^(١) :

١- خَلِيلٌ بَيْنَ السَّلَسَلَيْنِ لَوْ أَنَّي بِنَعْفِ اللَّوَى أَنْكَرْتُ مَا قُلْتُمَا لِيَا^(٢)

٢- وَلَسَكُنِّي لَمْ أَنْسَ مَا قَالَ صَاحِي نَصِيْبِكَ مِنْ ذَلِكَ إِذَا كُنْتَ خَالِيَا^(٣)

النَّعْفُ : مَا نَاعَمَكَ ، أَى عَارَضَكَ مِنَ الْجَبَلِ أَوِ الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ . وَاللَّوَى : مُسْتَرْقُّ الرَّمْلِ . وَجَوَابُ لَوْ « أَنْكَرْتُ » ، وَكَانَ نَعْفَ اللَّوَى كَانَ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ ، فَيَقُولُ : لَوْ كُنْتُ فِي أَرْضِي وَمَعَى عَشِيرَتِي وَأَهْلِي ، نَمِ سُمْتُمَايَ مَا سُمْتُمَايَ لِأَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَقْبَلْهُ ، وَلَسَكُنِّي لَمْ أَذْهَبْ عَمَّا وَصَّانِي بِهِ صَاحِبِي مِنْ قَوْلِهِ : الزَّمِ نَصِيْبَكَ مِنَ الذَّلِّ إِذَا كُنْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ، وَمَتَبَاعِدَا عَنْ نُصَّارِكَ وَالْمُشْفِقِينَ عَلَيْكَ . وَانْتَصَبَ « نَصِيْبِكَ » بِإِضْمَارِ فِعْلٍ .

٤٤٤

وقال قيس بن الخطيم^(١) :

١- وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يَهَانُ بِهَا الْفَتْحَى إِلَّا بَلَاءٌ

٢- وَبَعْضُ خِلَاقِ الْأَقْوَامِ دَائِمٌ كَدَاءِ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

(١) . هو قتادة بن خزيمة الثعلبي ، من بني عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان . انظر البيان (٣ : ٢٤٩) . والبيتان وردا في معجم البلدان في رسم (المسلمين) بدون نسبة أيضاً .

(٢) في البيان : « بهر اللوى » .

(٣) وكذا روايته في المعجم . وفي البيان : « إذا كنت فائها » .

(٤) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٦ ص ١٨٣ .

٣- يُرِيدُ المرءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَبَابِي اللَّهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ

٤- وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيِّئًا نِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ

قوله « وما بعضُ الإقامة » إنما بعضها لأنه أشار إلى الإقامة التي أوائلها تنزاعُ معها العَمَلُ، ويسهل في اختيارها الانفصال والترحُّل، وأواخرها تتغير بما يعرض فيها حتى يشقَّ لها التلَوُّمُ والتَّائِبُثُ. وارتفع « بلاء » لأنه خبر المبتدأ، وهو بعضُ الإقامة، و« يهَانُ بها الفتى » في موضع الصِّفَةِ لقوله في ديار. فيقول : إذا أمكنَ الارتحالُ عن دارِ المَوانِ، ولا دافعَ ولا مانعَ يُوجبان الصَّبْرَ فالإقامة بها بلاءٌ، ويجبُ على الحرِّ طلبُ الانفكاك منه، ورومُ الخلاص من أذاه.

وقوله « وبعضُ خلائقِ الأقوامِ » يريد أن بعضَ ما يتخلَّق به النَّاسُ يتعذَّرُ مفارقتُهُ ومُداوأةُ إزالته، فهو كالدَّاءِ الذي يكونُ بالإنسان وقد استصحبه من بطنِ أمِّه. يريد أن ما اعتاده الإنسانُ من الأخلاقِ يصيرُ إذا أنت الأَيَّامُ عليه، وقوى الإلْفُ له، كالخِلَاقَةِ أو ما يجري تجراها.

وقوله « يريد المرءُ أن يُعطَى مِنْهُ »، معناه أن الإنسانَ يتمنى أن يحصلَ له^(١) ما يتعلقُ به شهوتُهُ، ويرتادُهُ هواهُ وإرادتُهُ، ويمنعُ اللهُ تبارك وتعالى إلا ما يكونُ بمشيئته، ويعرفهُ مِن مَصَالِحِ خَلِيقَتِهِ.

وقوله « وكلُّ شديدةٍ » يريد أن الشَّيءَ لا يدوم على حال، فالشدائدُ إذا نزلتْ يتعقَّبُها الخيرُ ورَخاءُ العيشِ وسَعَتُهُ، لأنَّ السَّكَلَ أمرٌ أمدًا يمدُّ له الوقت، فإذا تَنَاهَى انقطع.

٥- وَلَا يُعْطَى الْحَرِيبُ غَنًى لِحَرْصٍ وَقَدْ يَنْمِي إِلَى الْجُودِ النَّزَاهُ^(٢)

(١) هذا ما في ل. وفي الأصل : « يجمل له ».

(٢) ل : « فلا يعطى ». التبريزي : « على الجود ».

٦ - غِنَى النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غِنَى ۖ وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءَ

٧ - وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزِرٌ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ

٨ - وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاءُ ۖ وَدَاءُ الثُّوْلِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

قوله « ولا »^(١) يُعْطَى الحريص « يريد أن حرصَ الإنسان في طلب الغنى لا يُجْدِي عليه نفعا ، ولا يَقْرُبُ منه بعيدا ، لأنَّ ميسرَ اليُسْرِ والغنى هو مَنْ له الخلق والأمر ، وإليه الإبرامُ والنقض .

وقوله « وقد يَنْبِى إلى الجود » يريد أن الثروة والكثرة ما يَنْمِيان مع الجود . وإِنَّمَا يقدح بهذا الكلام في البخل والإمساك ، وأنَّ زيادةَ المال وبقائه لا يحصلان لهما وبهما . وقوله « إلى الجود » إلى بمعنى مع . تقول : هذا إلى ذاك .

وقوله « غِنَى النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غِنَى » ، يريد أن غِنَى النفس خيرٌ من كثرة المال ؛ لأنَّ مَنْ كان راضيا بماله ، غِنِيًّا عن غيره بما يحصل في يده ، تراه باكتفائه أغنى المومنين ، وفقيرُ النفس وإن ساعده المالُ ، وأطاعه القدرُ يزدادُ على مرِّ الأيام وزيادة الحال ، حرصًا ونَهْمًا وشَقَاءَ .

وقوله « وليس بنافع ذَا البخل مال » ، يريد أن البخل لا يَنْتفع بماله ، لأنه يَحْمِلُهُ ويتركه لغيره ، والسَّخَاءُ لا يُقَصِّرُ بصاحبه ، بل يَرْفَعُ منه ، ويَكْسِبُهُ الحمد والأحدوثة الجميلة .

وقوله « وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاءُ » ، جعل الداء للجنس فغاب عن الجمع فقال : بعضها يُعرف شفاؤه فيُطَلَّبُ إزالته ، وداء الحَدَقِ لا شفاء له ، ولا يحيد

(١) ل : « فلا » .

لصاحبه عنه . وقوله « شفاء » قصر المدود ، وهذا لا خلاف في جوازِهِ
على المذهبين .

٤٤٥

وقال يزيد بن الحكم ^(١) :

١- يا بَدْرُ والأمثالُ يَضُ رِبْها لِنِي اللَّبُّ الحَكِيمُ

٢- دُمٌ لِلخَلِيلِ بُوْدُهُ ما خَيْرُ وُدٍّ لا يَدُومُ

قوله « والأمثالُ يَضُرُّها » اعتراض دخلَ بين قوله « يا بدر » ، وبين دُمٌ للخليل
من البيت الثاني ، ونَبَّهَ بهذا الاعتراض على أن وصِيَّتَهُ وصِيَّةُ حَكِيمٍ ، وأنَّ
اللَّيْبَ العاقلَ يأخُذُ بها ويتأدَّب .

ومعنى قوله « دُمٌ لِلخَلِيلِ بُوْدُهُ » أي بُوْدُكَ له ، فأضافه إلى المفعول ، والمصدر
كما يضاف إلى الفاعل يُضاف إلى المفعول . وقوله « ما خير وُدٍّ » استفهامٌ على
طريق الاستثباتِ والقصدِ إلى التثني والمعنى : أنَّ الوداد إذا لم يَصْفُ ولم يَدُم
فلا خيرَ فيه . وقوله « لا يَدُومُ » صفة لودٍّ . تلخيصه : أي شيء خير وُدٍّ
غير دائم .

(١) التبريزي « ... يعظ ابنه بدرا » . وهو يزيد بن الحكم بن أبي العاص صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم . مر الفرزدق يوماً به وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من
هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم . فقال : نعم أشهد بأهله
أن عمي ولدته . ودعاه الحجاج يوماً فولاه كورة فارس ودفع إليه عهده بها ، ثم أنشده بعض
شعره فألقاه فيخربأبيه ، فنفس عليه ذلك واسترد العهد منه ، فخرج يزيد مغاضباً ولحق بسليمان
ابن عبد الملك فدهسه ، فأعجبته ذلك وقال له سليمان : كم كان أجرى لك لهامة فارس ؟ قال :
عشرين ألفاً . قال : فهي لك على ما دمت حياً . الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠١) والخزانة
(١ : ١١١) .

٣- واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم

٤- واعلم بأن الضيف يؤ ما سوف يحمّد أو يلوم

٥- والناس مَبْتَنِيَانِ مُمُودُ الْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمٌ^(١)

يقول : اعرف حق الجوار لجاورك ، فإن الكريم هو الذي يعرف حق مثله . وقوله « والحق يعرفه » الواو واو الحل ، وهو واو الابتداء . ولورويته بالغاء كان أجود ، والمعنى اعرف حق الجار لأنّ حقه تعرفه الكرام . فإذا رويته بالواو يكون حالاً لقوله حقه ، كأنه قال : اعرف حقه معروفاً للكرام ، وهو معروف للكرام .

وقوله « واعلم بأن الضيف » يقال علمت كذا ، وبكذا . وهذه الوصاة بالضيف قد علّما بقوله « سوف يحمّد أو يلوم » . والمعنى : أحسن إليه وتفقّده ، عالماً بأنّ نزوله بك يجلبُ حذراً إن أحسنت إليه ، أو لوماً إن أسأت إليه أو قصّرت في حقه .

وقوله « محمود البناية » أتى بالبناية غير مبني على مذكر حصل من قبل ، ثم أدخل تاء التأنيث عليه ، فهو كالتناية اسم الخيل ، والشقاوة والرعاية والغبابة . ولو كان مبنيّاً على مذكر لكان « البناية » لأنّ الواو والياء إذا كانا حرفيّين إعرابٍ بعد ألفٍ زائدة تُبدلُ منهما المهمزة . على ذلك : الرعاء والكساء والرءاء والبابُ كله .

ومعنى البيت : أن أفعال عقلاء الناس لا تخلو من أن تكون ممّا يستحقّ به حمدٌ أو ذمٌّ ، فهم يبيّنون مبادئهم ، ويؤسسون مكاسبهم على أحد هذين الركنين ، وذلك لأنّ الأفعال تابعة للأغراض ، وغرض العاقل إليهما ينقسم ،

(١) في ل ضبطت « البناية » بكسر الباء وضمتها مقرونة بكلمة « معا » ، تحقيقاً للضبطين .

فَانْظُرْ مَاذَا تَجَلِبُّ عَلَى نَفْسِكَ بِمَا تَبْتَنِيهِ مِنْ فِعْلِكَ ، وَتَدَّخِرُهُ مِنْ كَسْبِكَ .
وارتفع « محمود » على أنه بدل من « مبتنيان » ، أو خبر مبتدأ محذوف ،
كأنه قال : هما محمود البنية أو ذميم .

٦ - وَاَعْلَمَ بُنَى فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ

٧ - إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيْجُ لَهُ الْعَظِيمُ^(١)

٨ - وَالْتَبُّلُ مِثْلُ الدِّينِ تُقَدِّضَاهُ وَقَدْ يُلَوِّى الْغَرِيمُ^(٢)

٩ - وَالْبَعْنَى يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمُ

قوله « بنى » إن ضمته فهو منادى مفرد ، وإن كسرتة فهو منادى مضاف
وقد حذف ياء الإضافة^(٣) . وإذا كان ياء الإضافة في المنادى يُحذف في نحو يا غلام
لأن الكسرة تدل عليه ، وهو واقع موقع ما يُحذف في هذا الباب وهو التثنية
وباب النداء باب حذف ، لكثرة الاستعمال ، فهو في بنى أولى بالحذف ، لاجتماع
الياءات والكسرات . في آخرها وقوله « فإنه بالعلم ينتفع العليم » الماء ضمير
الأمر والشأن ، والجملة اعتراض بين أعلم ومفعوليه . والمراد باستعمال العلم ، وذلك
أن من علم طرق الرشاد ثم لم يسلكها كان معرفته بها وبالاً عليه .

وقوله « إن الأمور » مفعول واعلم ، ودقيقها مبتدأ وما بعده خبره ، والجملة
خبر إن . ولك أن تكسره فتقول « إن » على الاستثنا ، ويكون واعلم معلقاً

(١) كُتِبَ « أن » بكسرة وفتحة لتقرأ بالروايتين .

(٢) تقضاه ، كتبت في ل بالتاء والياء معا ، لتقرأ بالروايتين .

(٣) بنى ، كذا ضبطت في النسختين والتبريزي . وهما الوجهان الكثيران في العربية .
لكن الأكثر في الاستعمال المعاصر « بنى » بفتح الياء ، وهو استعمال صحيح وردت به قراءة .
عاصم في قوله تعالى : « يا بنى اركب معنا » ، وقرأ باقي السبعة بالكسرة اجتزاء بها عن الياء .
أما قاعة عاصم فهي اجتزاء بالفتحة عن الألف ، وأصلها « يا بنيا » كما في قولهم « يا حسرتا »
ويأهلاما . التصريح (٢ : ١٧٧) وتفسير أبي حيان (٥ : ٢٢٦) .

وللغنى : أن الشرَّ يبدؤه أصفره ، كما أن السَّيلَ أوله مطرٌ ضعيف . وهذا الكلامُ بُنِيَ على النَّظَرِ في ابتداءات الأمور وتصوُّرِ عواقبها .

وقوله « والتَّئِبِلُ مثلُ الدِّينِ » ، التَّئِبِلُ : الدَّخْلُ ، ومعنى يُلَوِي بِمَنْطَلٍ ، ومصدره اللَّوَى واللَّيَّانُ . وفي الحديث : « لَيْتَ الواحدِ يُحِلَّ عقوبته » . وقد روى « يُلَوِي » و « يُلَوِي » فإذا رويت يُلَوِي بالكسر ، فعناه يذهب بالحق ، يقال : ألوى بالشَّيء إذا ذهبَ به ، و « يُلَوِي » هو بناء ما لم يُسَمَّ فاعله ، لَوَى إذا مَطَلَ . والغريم : اسمٌ لمن لَه الدِّين ، ولِلَّذِي عليه الدِّين . وأصل الغرامة اللُّزوم ، وَلِكون كلِّ واحدٍ منهما ملازماً لصاحبه إلى أن ينقضى ما بينهما أُجْرِي الاسمُ عليهما . والمعنى أَنَّ الوِثْرَ والدَّخْلَ كالَّذِينَ على الوِثَرِ ، فهو بِعَرَضٍ للطَّالِبَةِ به كالغريم ثُمَّ ، قد يَقْضَى وقد يَمُطَّل ، فلا تكتسبه ، لأنَّ المداواتِ وخيمَةُ الأواخر ، سيئة المبادى .

وقوله « والبَنَى يُضَرِّعُ أهله » يقول : وإذا كان لك خَصَمٌ في شيء فلا تستهن به ، ولا تستعمل البنى معه ، فَإِنَّ من بُغِيَ عليه بِعَرَضِ الدُّفْعَةِ ، والباغى بِعَرَضِ التَّلَفِ والهِمَكَةِ ، ولا تَظْلِمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ذَمِيمُ المَرْتَعِ وبَيْلُهُ ، وقَطْعُ المَسَمِّ قَبِيحُهُ . ويقال : ظَلَمْتُهُ ظُلْماً بَفَتْحِ الظَّاء وهو المصدر ، وظُلْماً بِضَمِّ الظَّاء وهو الاسم .

١٠ - ولقد يَكُونُ لَكَ الغَرِيْبُ بُ أَخَا وَيَقْطَعُكَ الحَمِيمُ

١١ - والمرءُ يُكْرِمُ للغِنَى وَيُهْأَذُ لِلْعَدَمِ العَدِيمُ

١٢ - قد يُقْتَرُ الحَوْلُ التَّقْصِيُّ وَيُكْثَرُ الحَقُّ الأَثِيمُ

١٣ - يُمْنَلَى لِذَاكَ وَيُتَلَى هَذَا فَأَيُّهُمَا المَضِيمُ

قوله « ولقد يكون » معناه أن لوفاء قد يكون في الغريب إذا آخيته ،
والحيانة تتفق من القريب إذا صافيته ، فانظر لنفسك إذا اخترت ، ولا تعتمد
القربى والقراة ، فإن المواخاة مبينة على الأصول الزكية ، والنفوس الوفية ،
لا على الأنساب والأسباب .

وقوله « والمرءُ يُكرَّمُ » بقول : ادّخر المال واسع في جمعه ، وإبّاك
واستعمال التبذير فيه ، فإن اليسير منه مع حسن التدبير يتصل بقاؤه ، وكرامة
المرء متسببة عن غناه ، كما أن هوانه في قران فقره . وقوله « والمرء » ارتفع
بالابتداء ، وخبره يُكرَّم ، وقد عطف على هذه الجملة جملة مخالفة لها من
التقارب لما صلح ذلك . ومثله قول الآخر ^(١) :

* أموفٍ بأدراع ابن ظبيّة أم تدم ^(٢) *

على العكس من هذا قول الله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهم أَمْ أَنتم
صَامِتُونَ ﴾ ، لأن هذا عطف فيه المبتدأ والخبر على الفعل والفاعل .

وقوله « قد يُفْتَرِ الحَوَلُ » ، قال الحَوَلُ : الكثير الحيلة . وصُحِّحَ بناؤه ولم
يُقلَّ إخراجاً له على أصله ، وتبنيهاً أن ما عُلِّلَ من نظائره كان حكماً أن يجيء
على هذا . ومما جاء على القياس من نظائره : رَجُلٌ مَالٌ وصاتٌ وما أشبه ما .
وكذلك هذا كان يجب أن يقال حالٌ . والمعنى أن الكثير الحيل ، الخراج
الولاج ، وهو سديد في طرائقه ، قد يفتقر فيكون مُتَلًا ، وأن المائق الناقص
في عقله ، المكتسب بجهله ، المرتكب للأوزار بحر صيه ، قد يستغنى هو فيكون

(١) هو راشد بن شهاب اليشكري . انظر البيت ١١ من المفضلية ٨٦ .

(٢) ظبية ، كذا وردت في النسختين . وفي المفضليات : « طيبة » . وصدوره :

* أقيس بن مسعود بن قيس بن خاله *

مُكْتَرًا، إِذْ كَانَتْ الْقِسْمُ وَالْحُظُوظُ لَا تَقِفُ عَلَى كَيْسِ الْمَرْءِ وَخُرْقِهِ، وَلَا عَلَى تَقَاهُ وَفَسْقِهِ.

وقوله « يُبْتَلَى لِدَاكِ » أشار بذلك إلى الْحَقِيقِ الْأَثِيمِ، وبهذا إلى الْحَوِيلِ التَّقِيّ. وقد طابَقَ بِذَاكَ وَهَذَا^(١) فيقول: أُمْتَلِ لِدَاكَ الْجَاهِلِ وَأُرْخِي لَهُ الْحَبْلُ فَنَالِ مَا نَالِ، وَابْتُلِ هَذَا الْحَوِيلِ التَّقِيّ حَتَّى شَقِي وَحُرِمَ، فَأَيُّهُمَا الْمَظْلُومُ. وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قِسْمَةٍ مَن عَرَفَ مَصَالِحَ خَلْقِهِ، وَعَلِمَ مَا يَتَأَدَّى إِلَيْهِ حَالُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَاخْتَارَ الْأَحْكَمَ فِي التَّدْبِيرِ، وَالْأَصْلَحَ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ.

١٤ - وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحُقُوقِ قِ وَاللِّكَلَالَةِ مَا يُسِيمُ

١٥ - مَا يَبْخُلُ مَنْ هُوَ لِلْمَعْنُ نِ وَرَبِّهَا غَرَضٌ رَجِيمٌ

١٦ - وَبَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْمَشِيمُ

يقول: تَرَى الرَّجُلَ يُسَوِّفُ بِمَا يَلْزَمُهُ مِنْ أَدَاءِ الْحُقُوقِ، فَيَبْخُلُ بِإِخْرَاجِهِ وَأَدَائِهِ، فَيَمُوتُ عَمَّا يَجْمَعُهُ وَيَبْخُلُ بِهِ، وَيَتْرَكُهُ لِلْكَلَالَةِ. وَالْكَلَالَةُ هُمُ الْوَرَاثُ وَقَدْ خَلَوْا مِنَ الْوَالِدِ وَالْوَلَدِ. وَأَصْلُهُ مِنْ تَكَلَّلَ النَّسَبُ، إِذَا أَحَاطَ بِهِ. وَقِيلَ هُوَ مِنَ الْكَلَالِ: الْإِعْيَاءُ؛ كَأَن بُعِدَ النَّسَبُ أَكْلَهُ. وَقَوْلُهُ « مَا يُسِيمُ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا، كَأَنَّهُ قَالَ: فِإِسَامَتِهِ لِمَالِهِ لِلْغَيْرِ لَا لِنَفْسِهِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا بِمَعْنَى الَّذِي، وَقَدْ حُذِفَ الضَّمِيرُ الْعَائِدُ إِلَيْهِ مِنْ يُسِيمُ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلِلْوَرَثَةِ مَالُهُ الَّذِي يُسِيمُهُ. وَالْإِسَامَةُ: إِخْرَاجُ الْمَالِ إِلَى الْمَرْغَى. وَيُقَالُ: أَسَمْتُ الْبَعِيرَ قَسَامًا. وَمِنْهُ السَّامَةُ لِلْمَالِ: الرَّاعِيَةُ.

وقوله « مَا يَبْخُلُ مَنْ هُوَ » اسْتِفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْكَارِ. فَيَقُولُ: مَا يُغْنِي بَخْلُ مَنْ هُوَ لِلْحَوَادِثِ كَالْغَرَضِ الْمَنْصُوبِ لِلرَّغْبَى، فَإِذَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ غَيْرُ

(١) هَذَا مَا فِي ل. وَفِي الْأَصْلِ: « طَابَقَ هَذَا وَذَاكَ ».

مُحَلَّد ، بل هو منقول من دار الفناء إلى دار البقاء ، فلماذا يُمَسِّك ولا يُنْفِق ،
ويَجْمَع ولا يَفْرِّق . هذا وقد رأى الأمم الخالية قباه ماتوا وفنوا فعدوا رمياً ، كما
يَهْمَدُ النُّبَاتُ فيصيرُ بعد نضارته دَرَبَنَا هَشِيماً ، وهو اليباس المنهشم الأسود
لطول القِدَم . وللمُنُون يكون اسماً للدهر فيذكرُ ، ويرَادُ به المنيئة فيؤنث .
وهو من المَن : القطع . فلك أن تروى : « وَرَبِّهِ » « وَرَبِّهَا » جميعاً . ومعنى
« وَرَبِّهَا » نزولها ، قال أبو عبيدة : راب عليه الدهرُ ، أى نزل . وقد برأْدُ
رَبِّبِ الزَّمانِ أحداثه وصُروفه الرَّائبة .

١٧ - وَتُخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بَوسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمٌ^(١)

١٨ - كُلُّ امْرِئٍ سَتَنِيْمٌ مِنْهُ الْعَرِسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيْمٌ

١٩ - مَا عَلِمَ ذِي وَلَدٍ أَيُّ كَلَّةٍ أُمِّ الْوَلَدِ الْيَتِيْمِ

يقول : وإذا كانت الدنيا مبنية للفناء لا للبقاء ، والخراب لا للعارة ،
وكذلك أعراضها مخلوقة للزوال لا للدوام ، وقرب الأمد في الاستمتاع بالمتاع
لا الإملاء ، فلماذا يَفْرَحُ الإنسان بما يقال ، ويجزع لما يفوت ، وكلُّ بائِدٍ
غير ثابت ، ومُسْتَلَبٍ غير موفر .

وقوله « كُلُّ امْرِئٍ » ، يقول : إنَّ الأليفين فيها لا بدَّ من فقدان أحدهما
للآخر ، والبعْلُ يموتُ فتبقى العَرِسُ منه أَيْمًا ، لتقدم موته ، والعَرِسُ تموتُ
فيبقى هو منها أَيْمًا لتقدمها . ويقال : رجلٌ أَيْمٌ وامرأةٌ أَيْمٌ . وقد آمتَ تَتِيْمٌ
أَيْمَةً . وكذلك ذو الولد لا يدرى أيموتُ قَتِيْمَتُ الولد ، أم يهلك الولد فيشكل
الوالد ، فإنَّ سُكَّانَ الدُّنْيَا موعودون لآجالٍ منتظرة ، مدعوون لأحوالٍ مؤخرة .

(١) « تخرب » ضبطت في ل لتقرأ بالثاء والياء . تخرب مخفف تصخرب ، وتخرب هو

المبنى للمفعول من مضارع « خرب تخريباً » .

وقوله « ماعِلُمُ ذِي وَلَدٍ » استفهامٌ معناه النَّفْيُ ، والمراد : لا يَعْلَمُ الوالدُ ما يكون منه ومن ولده في الإهمال والاستمجال ، أى لا يَدْرِى أىَّ الأمرين يقع . وقد عطف قوله « أُمُ الولدِ اليَتِيمِ » وهو جملةٌ من ابتداء وخبر على « أَيْشَكُّهُ » وهو فعل وفاعل . وجازَ ذلك لما قدَّمته ^(١) .

- ٢٠- وَالْحَرْبُ صَاحِبُهَا الصَّلْبُ بُ عَلَى تَلَانِلِهَا الْعَزُومُ
 ٢١- مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا وَلَدَى الْحَقِيقَةِ لَا يَنْجِمُ
 ٢٢- وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْحَرْبَ لَا يَسْطِيعُهَا الْمَرْحُ السَّوْؤُومُ
 ٢٣- وَالْخَيْلُ أَجْوَدُهَا الْمَنَّا هِبُ عِنْدَ كَبَّتِهَا الْأَزُومُ
 الصَّلْبُ : الصُّلْبُ ذُو الصَّلَابَةِ . وَالتَّلَانِلُ : الشَّدَائِدُ ، وَيُقَالُ : تَلْتَلَهُ ، إِذَا حَرَّكَه . يَقُولُ : وَصَاحِبُ الْحَرْبِ هُوَ الصَّبُورُ عَلَى شِدَائِدِهَا ، الْقَوِيُّ الْعَزِيمُ فِي مَصَارِفِهَا ، الْحَامِي الشُّكَّةِ ^(٢) عَلَى نَوَائِبِهَا ، فَلَا يَمَلُّ عِضَاضَهَا ، وَلَا يَنْجِمُ عِنْدَ حَقَائِقِهَا . وَمَعْنَى يَنْجِمُ : يَجْتَنِبُ .

وقوله « مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ الصَّلْبُ . وَالضَّرْسُ : الْعَضُّ ، وَأَصْلُهُ إِصَابَةُ الشَّيْءِ بِضَرْسِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَرْبَ لَا يُطِيقُهَا الْمَلُولُ النَّزِقُ ، الْعَجُولُ الطَّرِفُ ^(٣) ، لِأَنَّ مَبَانِيهَا عَلَى الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ ، وَالتَّوْبِيرِ الشَّدِيدِ ، وَالْحَذَرِ الشَّدِيدِ ، وَاسْتِعْمَالِ الْإِقْدَامِ فِي وَقْتِهِ ، وَالْإِحْجَامِ لَدَى مُوجِبِهِ . وَقَوْلُهُ « لَا يَسْطِيعُهَا » يَرِيدُ لَا يَسْتَطِيعُهَا . وَالْمَاضِي مِنْهُ اسْتَطَاعَ يَسْتَطِيعُ بِكَسْرِ الْمِمْزَةِ ، وَأَصْلُهُ اسْتَطَاعَ .
 نَحْذِفُ التَّاءَ .

(١) انظر ما سبق في ص ١١٩٤ .

(٢) الشُّكَّةُ : السِّلَاحُ . وَفِي ل : « السَّكَّةُ » .

(٣) الطَّرِفُ : الَّذِي لَا يَثْبِتُ عَلَى حَالٍ . وَفِي الْأَصْلِ : « الطَّرْقُ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

وقوله « والخيل أجودُها » يريد : خير الخيل ما يذهب الأرضَ انتهاباً في سميّه . وقال الخليل : المناهبة : المباراة في الجرمي والحضر . ومعنى « عند كبتّها » أى حَمَلَتها . وسُئِلَ رجلٌ^(١) : كيف طعمتَ فتيلك ؟ قال : « طعمته في الكُبة ، طعمته في السِّبّة^(٢) » فأنفذتها من اللبّة . وكل ما جمعه فقد كبيتّه ومنه كُبة الغَزَل . والأزوم : العضوض . والأزُم : العض ، وكُنِيَ به عن الاحتماء ف قيل : « نِعَمْ الدَّواءُ الأزُم » ، فكأنّه أراد بالأزُم هنا الصَّبر والثَّبات .

٤٤٦

وقال مُنْقِذُ الْهِلَالِ^(٣) :

- ١ — أَيْ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كَفْتُ مِنْهُ بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشَكٍ رَحِيلِ
 - ٢ — كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بِمَنْ أَهْلِهِ بِدُحُولِ
 - ٣ — مَا أَرَى الْفَضْلَ وَالْقُسْرَ إِلَّا كَفَكَ النَّفْسَ عَنْ طِلَابِ الْفُضُولِ
 - ٤ — وَبِلَا حَلِّ الْأَيْدِي وَأَنْ تَنْ مَعَ مَنْ تَوَتَّى بِهِ مِنْ مُنِيلِ
- قوله « أَيْ عَيْشٍ » استفهام مبتدأ . والمعنى الإضرار به والذمُّ له . « وَإِذَا » تعلق بما دلّ عليه عَيْشِي . والمراد ؛ إِذَا كَفْتُ مِنْ عَيْشِي بَيْنَ سَفَرٍ وَمُتَوَاصِلٍ ، وَنَزُولٍ وَارْتِمَالٍ مُتَتَابِعٍ ، وَلَا أُنَالُ دَعَةً ، وَلَا أَحْصِلُ خَفَضًا وَرَاحَةً ، فَكَأَنَّهُ لَا عَيْشَ لِي . وقوله :

كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بِمَنْ أَهْلِهِ بِدُحُولِ

(١) السائل هو النعمان بن المنلو . انظر اللسان (سبب ٤٤٠) والأغانى (١٤ : ٨٧) .

(٢) السبة : الاست . وقيل لأبي حاتم : كيف طعمته في السبة وهو فارس ؟ فضعك وقال : انهزم فاتبعه ، فلما رجعته أكب ليأخذ بمعرفة فرسه فطعمته في سبته .

(٣) سبقت ترجمته في الحماسة ٣٦٩ ص ١٠٥٢ .

قد سَلَكَ مثلَ هذا المسلكِ أبو تمامٍ في قوله :

كَأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ الْأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
والعنى : أَنِّي لَا أَفْتَعِرُّ عَلَى قَصْدٍ مُنْتَوَى ، وَرَنِي نَفْسِي فِي جَانِبٍ مِنَ
الْأَرْضِ مُرْتَمَى ، وَلَكِنِّي أَتَنَقَّلُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَفَاقِهَا ، وَأَضْرِبُ فِي
أَعْرَاضِ الْبَسِيطَةِ وَأَعْمَاقِهَا ، كَأَنِّي أَطْلُبُ بَعْضَ أَهْلِهَا بِتَرَةٍ ، فَهُوَ فِي الْهَرَبِ وَأَنَا
فِي الطَّلَبِ .

وقوله « مَا أَرَى الْفَضْلَ » يَنْبَغِي بِهِ عَلَى أَنَّ سَعْيَهُ فِي إِصْلَاحِ عَيْشِهِ ، وَتَرْكِ
مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ شَأْنِهِ ، فَقَالَ : لَيْسَ الْفَضْلُ وَالْعَفَافُ ، وَحَبْسُ النَّفْسِ فِيمَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَ النَّاسِ عَلَى الذِّكْرِ وَالْكَفَافِ ، إِلَّا إِذَا زَمَمْتَ نَفْسَكَ عَمَّا يَتَجَاوَزُ رَمَّ
الْحَالِ^(١) ، وَوَقَفْتَ عِنْدَ مَا يُمَكِّنُ الْإِكْفَاءَ بِهِ مِنَ الْمَعَاشِ . فَمِنْ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ
تَحْمُلُ النِّعَمِ عَنِ الْمُفْضِلِينَ ، وَتَتَمَكُّ امْتِنَانُ النُّيُولِينَ . وَهَذَا دَأْبِي فِيمَا أَلْتَزِمُهُ مِنَ
التَّعَبِ ، وَأَحِلُّ عَلَيْهِ نَفْسِي مِنَ التَّجَوُّلِ فِي الْبِلَادِ وَالتَّقَلُّبِ . وَارْتَفَعَ « بَلَاءٌ »
عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُقَدِّمَ ، وَالْمُبْتَدَأَ حَمْلَ الْأَيَادِي . وَقَوْلُهُ « تُؤْتِي بِهِ » مِنْ صِفَةِ الْمُنَى .

٤٤٧

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شِحَّاذٍ^(٢) :

- ١ - إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى نِمَ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَلْفَيْتَ مَالَكَ حَامِدُ
٢ - إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرُكْ بِجَنَّتِكَ بَعْضَ مَا يَرِيبُ مِنَ الْأَذْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ

(١) رَمَّ الْحَالِ : إِصْلَاحُهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « مَرَّ الْحَالِ » ، وَاثْبَتَ مَا فِي ل .

(٢) الْبَهْرِيْزِيُّ : « مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شِحَّاذٍ الضَّبِّيُّ » . أَبُو الْفَتْحِ : شِحَّاذٌ عَلِمَ غَيْرَ مَنْقُولٍ .
قَالَ : وَأَجِيزٌ مَعَ هَذَا أَنَّ يَكُونُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ شَاحَذٍ يَشَاحْذُنِي شِحَّاذًا ، إِذَا رَاسَكَ
وَضَاهَاكَ فِي شَحْدِ السَّيْفِ وَنَحْوِهِ . وَفِي الْقَامُوسِ : « وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شِحَّاذٍ كَكِتَابِ شَاعِرِ ضَبِّي » .

قوله «إذا أنت» جوابه أُلْفِيَتْ ، وهو الفعل الواقع فيه ، لأن إذا بتضمينه للجزاء يطلب جواباً ويكون ظرفاً له ، فيقول : إذا نلت اليسار والغني ، ومكنت من أطاع الدنيا فملكته ، ثم لم تقسح بما بفضل من وجدك ، وجذت لا يُثني عليك حامد ، ولا يحفظ غيبك ذائد ، وفي الثناء الباقي على الدهر خلف من نفاد العمر ، فإن لم تكتسبه بما تناله لحقك الذم ممن ألحظهم سهام ، وألحظهم سهام .

وقوله «إذا أنت لم تعرك» جوابه رماك الأبعاد . وكما بعث في البيت الأول على الإفضال وذم الإمساك مع القدرة ، بعث في هذا البيت على مُصَابَرَةِ العشيّة واستبقائهم ، وترك مؤاخذتهم بما يتفق من هفواتهم ، وتدقيق محاسبتهم على بدواتهم وزلاتهم . فقال : لا يؤمنك إقبال الدنيا عليك إذ بارها عنك ، ولا دولة لك من إدالة منك . واعلم أنك إذا لم تعف عما يريبك من أذانيك ، ولم تحتمله في عفوك وحلك ، اجتراً عليك الأبعاد فرموك بما لا صبر لك عليه من أدام ومكروهم . ويقال : عركت كذا بجحشي ، أي احتملته وجملته متى بظهر . والعرك والدلك بمعنى واحد . وقال : « بعض ما يريب من الأدنى » ، إشارة إلى ما يكون فيه على الحلم تحمّل . لأنه ليس كل ما يريب يُعَدُّ التجافي عنه حسناً .

٣- إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل عليك بروق جمّة ورواعد

٤- إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل جنيباً كما أسنتلى الجنيبة قائد

قوله «إذا الحلم» جوابه لم تزل ، فيقول : تحلم في كثير مما يعرّك ويطرّك ، وانظر أن تكون لك الغلبة على جهلك ، والتمك لا احتدادك وصولك ، فإنك إن لم تستعمل الأناة في مقارضاتك ، وتسرعّت إلى المكافأة على ما يظهر لك ، ولم تعض بمن بلوته فمرفت مذاهبه ، وخبرت خلائقه ، وصار

مستمدّ رأيك ومُشتكى حزنك لم تنفع بغيره ، واجتمعت عليك البروق والرواعدُ بمن تعدد لك وعليك . وهذا مثل لأنواع الأذى والمكروه ، والتوعد بضروب القول ، وفنون الفعل .

وقوله « إذا العزم لم يفرج » جوابه لم تزل جنيباً . والمعنى : انظر لنفسك فيما تُشرف عليه طالبا للجزم ثم اعزم ، ودع التشكك والغلو فيما يُريك رأيك وإلا بقيت تابعا لغيرك ، متوقفا فيما يمشك ، كما يستتبع قائد الخيل مجنوبا له . وهذا بعث على افتتاح الأمور ، واستعمال الاستبداد فيها بعد النظر والتعزم في الظاهر ، وترك التعرج^(١) على قول مانع ، أو دفع مزاحم ، أو مذكّر بعاقبة . كما وصى في البيت الذي قبله بالرفق في الأمور التي تكسب العداوات ، واستعمال الصبر فيما يجلب الضغائن ويهيج الترات .

٥ - وَقَلَّ غَنَاءُ عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ إِذَا كَانَ مِيراثًا وَوَارَاكَ لِاحِدُ^(٢)

٦ - تَجَلَّاتَ عَارًا لَا يَزَالُ يَشُبُّهُ سَبَابُ الرِّجَالِ نَثْرُهُمُ وَالْقَصَائِدُ^(٣)

المراد بذكر القلة هاها التني ، لا إثبات شيء قليل . وانتصب « غناء » على الحال ، أي مُغنياً عنك . فيقول : لا يُبقى عنك مالٌ تجمعهُ إذا ذهبت عنه وتركته لورثتك ، فإن ما تملكه هو ما تنفقهُ أيام حياتك ، وتصرفهُ فيما يدّخرهُ لك أجراً ، أو بكسب لك سخداً ، فأما إذا سترك من يلحد قبرك ، فما تتركه لغيرك لا حظّ لك فيه ولا نصيب ، بل تكسب عاراً منه لا يزال يُوقد ناره ، [ويرفع في الحافل ذكركه سباب الرجال ، من النثر تارة^(٤)] ، ومن النظم

(١) ل : « التمريج » .

(٢) التبريزي : « إذا صار ميراثاً » .

(٣) انظر الكلام على هذا البيت في اللآلئ ٤٢٩ .

(٤) هذه التكلة من ل .

أخرى ، لأن الباخل مذمومٌ بكلِّ لسانٍ حيٍّ وميتٍّ ، وفي كلِّ زمانٍ موجوداً ومفقوداً ، ثم تراه كالجلاني على كلِّ مَنْ يعرفه ، فهم يذُئُونه بظَهْرِ الغيب ، ويَقْدَعُونه في الحضور ، فلا يزال مسبوباً ، ما كَوَلَ اللحمَ مدحوراً .

٤٤٨

وقال^(١) :

- ١- وَيَلْمُ لَذَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةً مَعَ السَّكْرِ يُنْظَاهُ الْفَتَى الْمُتَلِفُ النَّدَى
٢- وَقَدْ يَفْقِلُ الْقُلُ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقُلُ طَلَاعَ أَنْجِدِ

لفظة « وَيَلِ » إذا أُضِيفَتْ بغير اللام فالوجه فيها النَّصْب ، تقول : ويَلِ زيد ، والمعنى أَلَزَمَ اللهُ زيداً وَيَلَاً ، فإذا أُضِيفَتْ باللام فقليل : ويَلِ زيد ، فحكمه أن يُرْفَعَ فيصير مع ما بعده جملةً ، ابْتَدِئْ بها وهي نكرةٌ لأنَّ معنى الدعاء منه مفهوم . والمعنى : الويل ثابتٌ لزيد . كأنَّه عَدَّه مُحْصَلاً له ، كما يقال : رَحِمَ اللهُ زيداً ! فيجعلُ اللفظُ خبراً . وإذا كان حُكْمُ وَيَلِ هذا وقد ارتفع في قوله « وَيَلِ لَذَاتِ الشَّبَابِ » فمن الظاهر أن أصله وَيَلِ لأنَّ لَذَاتِ الشَّبَابِ ، فحذف من أمِّ الهمزة ، واللام من ويَلِ ، وقد أتى حركة الهمزة على اللام الجارّة ، فصار وَيَلِمْ . وقيل : وَيَلِمْ ، كما قيل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ و﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إِنْتِبَاحاً لِأَحَدِي الحركتين الأخرى ، وقصدُه إلى مَدْحِ الشَّبَابِ وتَحْدِيدِ لَذَاتِهِ بَيْنَ لَذَاتِ الْمَعَاشِ

(١) يفهم منه أن البيتين لمحمد بن أبي شحاذ . لكن قال التبريزي : « وقال آخر » . وفي الخزائن (١ : ٥٦٣) : « ونسبهما الأعلام الشنتمري في حماسته لحמיד بن سجار الضبي » . وما هو جدير بالذكر أن محمد بن أبي شحاذ يقال له « حميد » أيضا . وكلمة « سجار » محرقة من شحاذ . انظر حواشي اللالي ٤٢٩ . ونسبهما البغدادي أيضا إلى علقمة الفحل . وهما في ديه أنه ١٣٥ . ونسبا في اللسان (قلل) إلى خالد بن علقمة الدارمي ؛ وفي (نحد) إلى حميد بن أبي شحاذ الضبي .

وقد طاع لصاحبه الكثر، وهو كثرة المال، فاجتمع الغنى والشباب له وهو سخي مبدّر فيما يكسبه ذكراً جميلاً، وصيتاً عالياً. ثم قال: وقد يحبس قلة المال صاحبه دون ما يهتم له أو يهتم به. وقد كان لولا إضاقتة وقلة ذات يده طلاباً للترقى في درجات الفضل والإفضال، طلاعاً على عوالم الرتب في النهايات. وانتصب « معيشة » على التمييز.

٤٤٩

وقالت حرقه بنت النعمان^(١):

١ — بَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ مِنْهُمْ سُوقَةٌ نَنْصَفُ^(٢)

٢ — فَأَفِ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلُّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ.

بيننا: كلمة تستعمل في المفاجآت، وهي من ظروف الزمان. وقد يقال: بينما؛ كأنهم أرادوا أن يصلوه بدلاً مما كان يُضاف إليه من قبل بما أو بالألف. والمراد: بين الأزمنة التي تجري علينا ونحن نسوس الناس ونُدبر أمرهم بما نريد، وطاعتنا واجبة، وأحكامنا نافذة، إذا الأمر انقلب فانضمت الأحوال. وتسلطت الأبدال. وصرنا سُوقَةً نخدم الناس. والناسف في اللغة: الخادم. والسُوقَة: مَنْ دُونَ الْمَلِكِ. ومعنى « والأمر أمرنا »، أى لا يدفوق أيدينا.

(١) هي حرقه بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن نمار بن نهم. المؤتلف ١٠٣. التبريزي: « وحرقه. هذه وأخوها حرق ابن النعمان، وفيها يقول الشاعر:

نقسم باقه نسام الحلقة ولا حريقاً وأخته حرقه »

ومثله في اللسان لكن جعل اسم أعياها « حريق » كما في نص الشعر. ونبه التبريزي على أن الشاعر فتح لام « الحلقة » لضرورة الشعر.

(٢) كذا في النسختين. وفي التبريزي والمؤتلف واللسان (نصف) : « إذك

نحن فهم ».

والعامل في بينا ما دلّ عليه قولها « إذا نحن منهم سُوقة » . وإذا هذه ظرف مكان ، وهي المفاجأة ، وقد تقدّم القول فيه .

وقوله « فافٍ » فيه لغات عدّة ، يفتح ويكسر ويضم ، ويُنون في كل ذلك ويُترك التنوين فيه . وهو اسمٌ من أسماء الفعل ، وأسماء الفعل أكثر ما تقع في الأمر والنهي ، وفي باب الخبر تقع قليلا ، فمنها أفٍ هذه ، وواها ، وهيناه وأحرفٌ آخر . ومعنى أفٍ التّحقير . كأنه قال : حقارة لدنيا نعيمها يزول ، وحالها لا يدوم ، بل تقلّبُ بأهلها وتحوّل ، وتصرّفُ بطلّابها وتبدّل . فن فتح أفٍ فلخفّة الفتحة ، ومن كسر فلا لتلقاء الساكنين ؛ لأنّ الكسر فيه أولى ، ومن ضمّ فلا لنباع الضمة الضمة . والتنوين فيه أمانة للتّسكير ، وترك التنوين أمانة للتّعريف .

وقال الحكم بن عبدل^(١) :

- ١- أطلبُ ما يَطْلُبُ الكريمُ من الـ رزقِ بنفسى وأنجلُ الطلبُ
- ٢- وأحلبُ الثّرةَ الصّفيّ ولا أجهدُ أخلافَ غيرها حَلَبًا^(٢)

(١) هو الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي ، ينتمي نسبه إلى أسد بن خزيمه ، وكان رجلا خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية ، ومنزله ومنه وه الكوفة . وكان أعرج لا تقارقه العصا ، فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله فلا يجيب له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، وفي ذلك يقول يحيى بن نوفل :

عصا حكم في الدار أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذي لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تمصى ويحذر سخطها ويرغب في المراجعة منها ويرهب

الأغني (٢ : ١٤٤ - ١٥٣) والمؤتلف ١٦١ .

(٢) التبريزي : « أخلاف غيرها » ، ثم قال : « ويروي : الصفوف والصف ف : كفى يصف لها إناءان فحماؤهما . ومن روى الصفي فعناه الغزيرة . وبعض الناس ينشد : -

يَقُولُ : مَطَالِبِي مِنَ الدُّنْيَا وَمَرَاغِبِي عَلَى حَدِّهِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْكَرَمِ
وَالْتَعَفُّ ، لَا يَزِرِي بِي نَظَرُ النَّازِلِ إِلَيَّ ، لِأَنِّي إِذَا طَلَبْتُ أَجَلْتُ ، وَإِذَا
سُدَّتْ مَفَاقِرِي اكْتَفَيْتُ ^(١) ، ثُمَّ لَا أَعُوْلُ فِيمَا أَزَاوَلُهُ إِلَّا عَلَى نَفْسِي ، مُتَّهِمًا
سَفَى غَيْرِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ أَبَقَى عَلَى مِرَاعَاةِ الْعَفَافِ وَالْكَفَافِ .

وقوله : « وَأَحْلَبَ الثَّرَّةَ الصَّقَى » يقول : أَعْلَقَ طَمَعِي بَمَنْ إِذَا اسْتَدْرَجَ حَلَبُهُ
كَانَ غَزِيرًا ، لِأَنِّي لَا أَسِفُّ لِلْمَطَامِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَلَا أَضْعُ نَفْسِي فِي الْمَوَاضِعِ
الْخَسِيسَةِ . وَالثَّرَّةُ : الْغَزِيرَةُ . وَيُقَالُ : عَيْنٌ ثَرَّتَارٌ ^(٢) ، إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةَ الْمَاءِ .
وَالصَّقَى : الْجَمَاعُ بَيْنَ مَخْلَبَيْنِ فِي حَلَبَةٍ . وَقَوْلُهُ « وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غُبَرِهَا
حَالِبًا » انْتَصَبَ الْحَلَبُ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَالْمَعْنَى : أَنِّي لَا أَطْلُبُ
الزَّهْدَ الْحَقِيرَ الْقَدْرَ ، وَلَا أَسْتَدْرُجُ الْبَسْكَ الْقَلِيلَ الدَّرَجَةَ . وَالْحَلَبُ قَدْ يَرَادُ بِهِ
الْمَصْدَرُ ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ الْحُلُوبُ .

- ٣ - إِنْ رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا رَغَّبْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغِبًا
٤ - وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبًا
٥ - مِثْلُ الْحَارِ الْمَوْقِعِ السَّوِّءِ لَا يُخْصِنُ مَشْيَا إِلَّا إِذَا ضُرِبَا
قَوْلُهُ « إِنْ رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ » يَقُولُ : إِنْ مِنْ تَكَرُّمٍ عَرِيقَةٍ وَتَكُو
أَصُولُهُ ، إِذَا دَعَوْتَهُ إِلَى اصْطِلَاعِ صَنِيعَةٍ ، وَهَزَزْتَهُ لَا بَقْنَاءَ مَكْرُمَةٍ ، أَجَابَكَ

أَخْلَافَ غَيْرِهَا ، يَذْهَبُ إِلَى الْغُبَرِ الَّذِي هُوَ بَقِيَّةُ الْبَنِّ . وَقَدْ يَجُوزُ مِثْلُ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ الْكَلَامَ
يَكُونُ كَالْمَقْلُوبِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ : وَلَا أَجْهَدُ غَيْرَ أَخْلَافِهَا . وَمَنْ رَوَى : أَخْلَافَ غَيْرِهَا فَرَوَاهُ
أَحْسَنَ . يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَحْلِبُ إِلَّا ثَرَّةً ، كَأَنَّهُ يَصِفُ نَفْسَهُ بِطَلَبِ الرِّزْقِ فِي مَظَاهِرِهِ ، وَرَغْبَتِهِ إِلَى
الْكَرَامِ ، وَإِعْرَاضِهِ عَنِ الْآثَامِ .

(١) الْمَفَاقِرُ : وَجُوهُ الْفَقْرِ ، لَا وَاحِدَ لَهَا . وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ مَفْقَرٍ . وَأَنشَدَ :

لَمَالِ الْمَرْءِ يَصْلُحُهُ فَيَفْنَى مِمَّا قَرَأَهُ أَهْفَ مِنْ الْقُنُوعِ

(٢) كَذَا وَقَعْتُ فِي النُّسَخَتَيْنِ بِدُونِ النَّاءِ . وَفِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ : « ثَوَارَةٌ »

و « ثَوَارَةٌ » .

حريصاً على استغنامه . وتَرَى الدِّينَ الخَاسِيسَ الهِمَّةَ والنفس لا يَطلبُ ارتفاعاً ولا يَكسِبُ ادِّخاراً ، ولا يُسمَحُ بشيءٍ إِلَّا عن رَهْبَةٍ ، فَعَلَّ مَنْ لا يَبْتَغِي في مَصَارِفِهِ حَمْدًا ، ولا يَقْتَنِي لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ خَلًّا ، فهو كالحمار السَّوءِ ، الذي بظَهْرِهِ آثَارُ دَبَرٍ وقد ذُلَّ في العَمَلِ ، لا يُجِيبُ إِلَّا إِذَا اسْتُحِثَّ حَتَّى يُضْرَبَ ، بِلَادَةٌ مِنْهُ وَكَسَلًا . وقوله « لا يُحْسِنُ » موضعه من الإعراب نصب على الحال . وارتفع « مثل » على أنه خبر مبتدأ مضمرة .

وقوله « مثل الحمار الموقَّع » يجوز أن يُرادَ منه الذي في ظهره أثر الإِكَافِ أو الدَّبَرِ ، ويجوز أن يُرادَ به الدَّلَالُ ، كما يقال : طريقٌ موقَّع . ويجوز أن يكون من وَقَفَتُ الحديدةَ ، إِذَا ضَرَبَتْهَا بِالْمِيقَةِ ، كأنه لبلادته يُضْرَبُ كثيراً .

٦- ولم أَجِدْ عُروَةَ الخَلَائِقِ إِلَّا الدِّينَ لَمَّا اعْتَبَرْتُ وَالْحَسَبَ

٧- قد بُرِّزَ الخَافِضُ لِلْقِيمِ وَمَا شَدَّ بِمَنْسِي رَحْلًا وَلَا قَتَبًا

٨- وَيُحْزَمُ الْمَالُ ذُو اللَّطِيَةِ وَالرَّحْلِ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُفْتَرِبًا

قوله « لم أجِدْ » يريد أن مِسَاكَ الخَلَائِقِ الشَّرِيفَةِ ، ووثائق عُراها ، إنما هي إِذَا اعتَبَرَهُ المعتبر في الدِّينِ وعِمَارَتِهِ ، وفي الشَّرَفِ وتحصيله . كأنه جعلَ طلبَ الحَسَبِ لِلدُّنْيَا وأسبابِها والاعتلاء فيها ، وجعلَ الدِّينَ لِلآخِرَةِ وتقديم ما يَفُوزُ بِهِ مِنْ رِضَا اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، والثوابِ الجسيم .

وقوله « قد بُرِّزَ الخَافِضُ لِلْقِيمِ » سلك فيه مسلك الآخر^(١) في قوله :

مَاذَا يُكَلِّمُكَ الرُّوحَاتِ وَالذُّلُجَا الْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكَبُ الْأَجَجَا
البيتين ، وقد تقدَّما .

والخافض : الوداع الذي لم يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِتَجَوُّالٍ وارتحال . فيقول : قد

يَعَالُ الرِّزْقَ الوَاسِعَ مَنْ لَا يُؤْتِرُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي وَطْنِهِ شَيْئًا ، وَقَدْ تَرَى قَاطِعَ
الشُّقَّةِ الْبَعِيدَةِ ، وَصَاحِبَ الرَّحْلِ وَالْمَطِيَّةِ ، الصَّابِرَ عَلَى الْغُرْبَةِ ، مُحْرَمًا مَضِيقَ
الْقَيْشِ ، مَكْدُودَ الْعُمُرِ . وَالرَّحْلُ : مَرْكَبُ الْبَعِيرِ ؛ وَالرَّحَالَةُ نُحُوهُ ؛ وَهُوَ السَّرَجُ
أَيْضًا . وَالْقَتَبُ : إِكْفُ الْجَمَلِ ، كَذَا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ . وَقَوْلُهُ « ذُو الْمَطِيَّةِ
وَالرَّحْلُ » ، الرَّحْلُ : مَصْدَرُ رَحَلْتُ الْبَعِيرَ ، إِذَا شَدَدْتَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ .

٤٥١

وقال آخر :

١ - يَا أَيُّهَا الْعَامُّ الَّذِي قَدْ رَأَيْتَنِي أَنْتَ الْفِدَاءُ لِذِكْرِ عَالِمٍ أَوْ لَا

٢ - أَنْتَ الْفِدَاءُ لِذِكْرِ عَالِمٍ لَمْ يَكُنْ نَحْسًا وَلَا بَيْنَ الْأَحْبَةِ زَبَلًا

يَفْضُلُ أَيَّامَهُ الْمَاضِيَةَ عَلَى أَيَّامِهِ الْحَاضِرَةِ ، فَقَالَ كَالْمَخَاطِبِ لَهَا : أَيُّهَا الْعَامُّ

الَّذِي تَدَّأْتَنِي بِمَا يَرِيئُنِي ، جَعَلْتَ اللَّهُ فِدَاءَ لَعَالِمٍ أَوَّلَ مِنْ عَالِمِي ، تَقْضَى بِمَا سَرَّتَنِي .

وقوله « عَالِمٍ أَوْ لَا » مِمَّا أُتِيَ فِيهِ كَثْرَةُ الِاسْتِعْمَالِ ، فَوُصِفَ بِصِفَةٍ لَمْ

تُوصَفُ بِهِ نَظَائِرُهُ ، اعْتِمَادًا عَلَى التَّعَارُفِ . وَالْمُرَادُ بِهَذَا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَهْرٌ أَوَّلٌ وَلَا

حَوْلٌ أَوَّلٌ ، وَلَا سَفْعٌ أَوَّلِي ، وَإِنَّمَا خُصَّ هُوَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ ، وَلِأَنَّ

دَلَالَةَ الْحَالِ وَتَعَارُفَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِهِ سَوَّغَ الْخُذْفَ وَالْإِجْرَاءَ عَلَى مَا أُتِيَ فِيهِ .

وقوله « أَنْتَ الْفِدَاءُ » يَرِيدُ تَكْرِيرَ الدُّعَاءِ عَلَى التَّضَجُّرِ بِحَاضِرِ وَقْتِهِ وَعَالِمِهِ ،

والتَّنْبِيهِ عَلَى مَا رَأَاهُ مِنْهُ . فَيَقُولُ : جَعَلْتَ اللَّهُ فِدَاءَ لَذِكْرِ عَالِمٍ لَمْ يَعْذُ بِمَنْحَسَةٍ ،

وَلَا حَكَمٍ بَيْنَ الْأَحْبَةِ بِفَرْقَةٍ . وَإِنَّمَا قَالَ « لَذِكْرِ عَالِمٍ » لِأَنَّ الْعَامَّ وَقَدْ تَقْضَى

لَا يَصِحُّ فِيهِ التَّنْذِيرُ . وَالْفَحْصُ : ضِدُّ السَّعْدِ ، وَقَدْ وَصِفَ بِهِ الْفُتْرَةُ وَالْأَسْرُ

الْمُظْلَمُ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾ . وَيُقَالُ : رَجُلٌ مُنْهَسٌ أَيْ مُخْزُونٌ .

٤٥٢

وقال الفرزدق^(١) :

١- إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بآخرينا

٢- فقلْ للشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيئُوا سَيَلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا أَقِينَا

يقول : إذا صُرِفَ الدهرُ أناخت على قومٍ بإزالة نعيمهم ، وتكدير عيشهم ، فجرت عليهم أذيال الشرِّ والتَّغيير ، ودَرسَت آثارهم وتحت دِوَلهم^(٢) ، تراها تنقل إلى آخرين ، لأنها كما تهبُّ ترمج ، وكما تُولى تستلب .

ثم قال : قل لمن شئت بنا فيأراى من أثر الزَّمان فينا : انتبهوا من رقدتكم وانحُوا من شمانتكم ، فستلقون كما أقينا ، ومُتَّحِنون كما امتحنا ؛ لأنَّ حَيَاتنا وجميع ما في أيدينا عوَارٍ ، والعوَارِى تُستردُّ وإن طالَّت المَهلة .

(١) انظر ما سبق في الحماسة ٢٢٦ ص ٦٧٦ .

(٢) الدول ، كذا وردت في النسختين بكسر ففتح ، وهى و « الدول » بضم فتح : جمع الدولة .

٤٥٣

وقال الصَّلَتَانُ الْعَبْدِيُّ^(١) :

١- أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرَّ اللَّيَالِي وَمَرُّ الْعَمَى^(٢)

٢- إِذَا أَيْلَةُ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ بَنِي

٣- نَزُوحٌ وَتَمَدُّو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي

ذكر في هذه الأبيات ما تدور عليه دوائر الأيام ، وصروف الأزمان ،
وأنها لا تقف عند غاية ، ولا تعرف فيما تجري فيه مَقَرٌّ نهاية ، وأنَّ من عاداتها
تغيير الأمور ، وفي تقضيها وقضاياها تحويل الأحوال ، فقال : إنَّ كُرُور
الأيام ، ومُرُورَ الليالي والأوقات ، تراها نجعل الصَّغِيرَ كبيراً ، والكبير
حقيراً ، ونجعل الطَّفْلَ شاباً ، والشَّيْخَ قانِياً ، فكلَّما خَلَقْتَ جِدَّةً يوم جاء
بعدها يومٌ آخر فَنِيَّ جَدِيدٌ ، ونحن فيها ندأب في حاجاتنا ، فلا نحن نَمَلُّ ،
ولا حاجاتنا تَفْنَى أو تَقِلُّ ، ولا الوقتُ بنا يقف ، ولا واحدٌ منا يَنْتَظِرُ
أو يَتَوَقَّفُ ، إذ كان ذُو الْعَيْشِ مَآرِبُهُ مُتَّصِلَةً ، كما أنَّ أوقاته دائرةٌ متتابعة .

(١) كذا ورد في نسخ الحماسة . وفي الحيوان (٣ : ٤٧٧) : « وقال الصَّلَتَانُ
السَّعْدِيُّ ، وهو غير الصَّلَتَانِ الْعَبْدِيِّ » ، ثم أنشد الأبيات . لكن ذكر المرزباني في معجمه
٢٢٩ « الصَّلَتَانِ الْعَبْدِيِّ » ، ثم قال : « وله القصيدة التي يوصي فيها ابنه ، وهي طويلة حسنة
كثيرة الأمثال » . وأنشد الأبيات . والصَّلَتَانُ لقب لعدة شعراء أحدهم الصَّلَتَانُ الْفَهْمِيُّ . قال
الآمدي في المؤتلف ١٤٥ : « لست أعرفه في شعرائهم ، وأظنه متأخراً » . وثانهم الصَّلَتَانُ الْعَبْدِيُّ
أحد بني محارب بن عمرو بن ودبعة بن لكير بن أفعى بن عبد القيس ، وهو الذي قضى
بين جرير والفرزدق في قصة مشهورة ، واسمه قثم بن خبيبة . قال الآمدي : « شاعر مشهور
عجيب » . والثالث الصَّلَتَانُ الضُّبِّي ، قال الآمدي : « لست أعرفه في شعراء بني ضبة ، وأظنه
متأخراً » . والرابع « الصَّلَتَانُ السَّعْدِيُّ » الذي ذكره الجاحظ في الحيوان . انظر أيضاً الخزانة
(١ : ٣٠٨) والشعراء ٤٧٥ - ٤٧٩ واللائل ٧٦٦ .

(٢) وكذا وردت الرواية في الشعراء . وفي سائر المراجع والتبريزي : « كر الغداة » .

معنى هَرَمَتْ يَوْمَهَا : ضَعُفَتْهُ مُسَلِّمًا لِلزَّوَالِ . ويقال : هو ابن هَرَمَةٍ أَبِيهِ ، كما يقال : هو ابن عِجْزَةِ أَبِيهِ ، لِأَخِيرِ الْأَوْلَادِ ، كَأَنَّهُ مِنَ الْهَرَمِ . وَالْهَرَمَى مِنَ الْخَشَبِ : مَا لَا دُخَانَ لَهُ ، لِعِتْقِهِ وَذَهَابِ قُوَّتِهِ . وَالْفَتَى مُصْدَرُهُ الْفَتَاهُ ، وَضَدَهُ الْفَذَكَى . ويقال : فَتَاهُ فُلَانٍ كَذَّاءُ فُلَانٍ وَكَتَدَ كَيْتَةُ فُلَانٍ .

- ٤- تَمَوْتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَيَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(١)
٥- إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الْغَنَى^(٢)

يقول : تَمَوْتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ . يَرِيدُ أَنَّ الْمَرْءَ مَا دَامَ حَيًّا فَآرَبُهُ وَشَهَوَاتُهُ تَتَجَدَّدُ تَجَدُّدًا^(٣) الْأَوَاقَاتِ ، وَأَمَانِيهِ تَتَّصِلُ مَا اتَّصَلَ عَمْرُهُ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُ وَتَنَاهَى أَمَدُهُ ، انْتَهَتْ مَآرَبُهُ ، وَوَقَفَتْ مَطَالِبُهُ .

وقوله « إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى » يَرِيدُ : وَإِنْ سَأَلْتَ كُلَّ مَنْ تَقَعُ عَيْنُكَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُمَيِّزِينَ ، عَنْ سَرَاةِ الرُّجَالِ وَكِرَامِهِمْ ، أَحَالُوا عَلَى الْمُتَرِينَ وَإِنْ ضَعُفَتْ رَغْبَاتُهُمْ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرِ ، وَاسْتِعْجَالِ الْحَدِيدِ . وَالسَّرَوُ : سَخَالُ فِي مَرْوَةٍ . وَيُقَالُ : سَرَوُ الرَّجُلِ يَسْرُو ، وَهُوَ سَرِيٌّ مِنْ قَوْمِ سَرَاةٍ . وَكَأَنَّ هَذَا سَلَكٌ مَسْلُوكٌ الْآخِرُ^(٤) حِينَ قَالَ :

- وَأَنْ تَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيَبْنِي عَلَيْهِ الْخُنْدَ وَهُوَ مُذَمَّمٌ
٦- أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى بَنِيهِ وَأَوْصِيَتْ عُمْرًا وَنِعَمَ الْوَصِيِّ^(٥)
٧- بُنِيَ بَدَا خَيْبٌ نَجْوَى الرُّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبِّ النَّجِيِّ^(٦)

(١) في التبريزي وسائر المراجع : « وتبقى له » بالفاء .

(٢) وكذا في التبريزي والشعراء والخزائن . وفي الحيوان : « يوما لدى معشر » .

(٣) ل : « بتجدد » .

(٤) هو مالك بن حزم الهمداني . الحماسية ٤٣٤ ص ١١٧١ .

(٥) التبريزي : « فتم الوصي » . المرزبانى : « أوصى ابنه » .

(٦) انظر ما سبق في الحماسية ٤٤٥ ص ١١٩٢ .

٨ - وسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ أَمْرِي وَسِرُّ النَّـلَاثَةِ غَيْرُ الْخَصِي^(١)
 معنى « ألم تر » : اعلم . ويريد التنبية على أن له فى وصائه ابنه اقتداء
 بالحكماء قبله ، فكما ساغ للثمان أن يوصى ابنه ساغ للصلتان أن يوصى عمراً ولده .
 والمحمود فى قوله « نعم الوصى » محذوف ، كأنه قال : ونعم الوصى هو . وهذا
 ترغيب منه لعمرو فى الاحتذاء بما يرضى له . وقوله « بنى بدا خب نجوى
 الرجال » ، فالخب : المكر بكسر الخاء ، والخب بفتحها : المكار . ومثله
 رجل صب . والنجوى : مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على
 طريق السر^(٢) والكتمان . فيقول : إذا ناجيت صاحباً لك فكن خباً
 فيما تؤدعه من سرك ، فإن نجوى الرجال إذا بدا خبها ، ومكر أربابها فيها ،
 عادت وبالأ وفضيحة . والنجى يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النجوى .
 وفى القرآن ﴿ إِذْ تُمْ نَجْوَى ﴾ .

وقوله « وسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ » ذهب فيه مذهب من قال :

إذا جاوز الاثنين سِرٌّ فَإِنَّهُ بَيْتٌ وَتَكْثِيرُ الْوُشَاةِ قَبِيْنٌ^(٣)
 وقد قيل فى « الاثنين » من هذا البيت أراد به الشفتين . وكان من فسر
 هذا التفسير يريد : لا تفس سرك إلى أحد .

آخر باب الأدب ، والحمد لله وحده ، والصلاة على نبيه محمد وآله بعده .

(١) بعده عند التبريزى :

كَمَا الصَّمْتُ أَذْنَى لِبَعْضِ الرَّشَادِ قَبْضُ التَّكْلِمْ أَذْنَى لِنَفْسِ

(٢) ل : « السر » .

(٣) ل : « بنت » بالنون . والبيت لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٨ . وفى اللديوان :

« بنشر » .

بَابُ النَّسَبِ

باب النسيب^(١)

٤٥٤

وقال الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ^(٢) :

- ١ - حَنَنْتَ إِلَى رَبِّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَرَارَكَ مِنْ رَبِّا وَشَفَعَا كَمَا مَعَا
 - ٢ - فَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أُتَمَمًا
- الحنين : تألم من الشوق وتشكّر . وربّا ؛ اسمُ امرأةٍ^(٣) . فإن قيل : هَلَّا قِيلَ رَوًى ، لَأَنَّ قَتْلَى إِذَا جَاءَ اسْمًا مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ يَقْلِبُ بِأَوِّهِ وَآوًا ، عَلَى هَذَا الْفَتْوَى وَالشَّرْوَى وَالتَّقْوَى وَالبَقْوَى ؟ قلت : إنه سُمِّيَ بِهِ مَنْقُولًا عَنْ الصِّفَةِ ، وَقَتْلَى صِفَةً يَصْحَحُ فِيهِ الْيَاءُ ، عَلَى هَذَا قَوْلِهِمْ : خَزْبًا وَصَدْبًا وَرَبًّا كَأَنَّهُ تَأْنِيثُ رَبَّانٍ فِي الْأَصْلِ ، كَمَا يُقَالُ عَطْشَانٌ وَعَطْشَى ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْ بَابِ الصِّفَاتِ إِلَى بَابِ

(١) التبريزي : « النسيب : ذكر الشاعر المرأة بالحسن ، والإخبار عن تصرف هواما به ، وليس هو الغزل ، وإنما الغزل الاستهتار بمودات النساء والصبوة إليهن . والنسيب ذكر ذلك والخبر عنه » .

(٢) هو الصمّة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هيرة بن عامر بن سامة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر إسلامي بدوي مقل ، من شعراء الدولة الأموية ، وولده قرة بن هيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ووفادة . وكان من خبر الشعر ما روى التبريزي وأبو الفرج في الأغاني (٥ : ١٢٧) وياقوت في (البشر) والسيرطى في شرح الشواهد ٧٩ : أن الصمّة خطب ابنة عمه إلى أبيها ، فقال : لا أزوجهكها إلا حل كذا وكذا عن الإبل (في رواية التبريزي أنها خسون) . فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك ، وشكا إليه ما يجد بها ، فساق الإبل عنه إلى أخيه ، فلما جاء بها عدها معه فوجدها تنقص بغيراً ، فقال : لا آخذها إلا كاملة ، فغضب أبوه وحلف لا يزيد على ما جاء به شيئاً ، ورجع إلى الصمّة فقال له : ما وراءك ؟ فأخبره ، فقال : تالله ما رأيت قط أُم منكاً جميعاً . وإني لألأم أن أقمت بينكما . ثم ركب ناقته ورحل إلى ثغر من ثغور الشام فلق الخليفة فكلّمه ، فأعجب به وفرض له فريضاً ، وألحقه بالفرسان ، فأقام به حتى مات . وفي ذلك يقول هذا الشعر . والأبيات عند القائل (١) :
(١٩٠ - ١٩٢) .

(٣) هي ابنة عمه التي أراد للزواج بها .

التسمية بها فترك على بنائه . وقوله « ونفسك باعدت » الواو واو الحال ، وهي للابتداء ، ومعنى باعدت بعدت ، وهو كما يقال ضاعفت وضعت . وفي القرآن : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ،

والمزار : اسم مكان الزيارة . والشعب . شعب الحى ، يقال : التأم شعبهم ، أى اجتمعوا بعد تفرق ، وشت شعبهم ، إذا افرقوا بعد تجمع . وقوله « وشعبا كما معا » الواو واو الحال أيضا ، والعامل فى « ونفسك باعدت » حذت ، وفى قوله : « وشعبا كما » باعدت . ومعنى قوله : « معا » مجتمعان ومصطحيان ، وموضعه خبر المبتدأ .

وقوله « فما حسن أن تأتى الأمر طائعا » فى حسن وجوه : يجوز أن يكون مبتدأ ، وجاز الابتداء به وهو نكرة لاعتماده على حرف النفي ، و « أن تأتى » فى موضع الماعل لحسن ، واستغنى بفاعله عن خبره ، والتقدير : ما يحسن إتيانك الأمر طائعا . وانتصب طائعا على الحال من أن تأتى . ويجوز أن يرتفع حسن على أنه خبر مقدم ، وأن تأتى فى موضع المبتدأ . ويجوز أن يرتفع حسن بالابتداء . وأن تأتى فى موضع الخبر ، وهذا أضغف الوجوه لكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة . وقوله « وتجزع أن داعى الصبابة » أن مخففة من أن الثقيلة ، والمراد : وتجزع من أن داعى الصبابة أسمك صوته ودعاك .

ومعنى البيتين : شكوت شوقك إلى هذه المرأة ، وأنت آثرت البعد عنها بعد أن كان حيا كما مجتمعين ، وليس بجميل اختيارك الأمر طائعا غير مسكره . وجزعك بعده ، لأن داعى الشوق والمائد منه إليك أسمك وحرك منك .

٣ — قِفَاوَدًا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ انْجَدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا

٤ — وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَذَمُّعَا

يخاطب صاحبين له يستوقفهما ويكلفهما توديع نجد معه والنازل بالحى منه . ثم استأنف فقال ملتفتا : ويقل لنجد وساكنه التوديع منا ، لأن حقهما أعظم

من ذلك ، ولكننا لا نقدر على غيره . والحقى : موضع فيه مالا وكلاً يُمنع منه الناس . ويقال : أحميت المكان ، إذا جعلته حِمى . وحكى ابن الأعرابي أنهم يقولون للمكان وقد أبطل وأبيح ولم يُحَمَّ : بهزج . وأنشد :

فَخَصِرَتْ بَيْنَ رَحْمَى وَبَهَزَجٍ مَا بَيْنَ أَجْرَازٍ إِلَى وَادِي الشَّجَى ^(١)
وقوله « أن يُودَّعا » في موضع الفاعل لقل .

ومعنى قوله « وليست عشيات الحى برواجع » أنك وإن أفرطت في الجزع ، فإن أوقات المواصله بالحى مع أحبابك لا تكاد تعود ، ولكن آدم البكاء لها ، مع التوجع في إثرها ، تجذ فيه راحة . وفي هذا الملام بقول الآخر :
فَنَلْتُ لَهُ إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَلَّا تَلَأَقِيَا

وقوله « تدمعا » جواب الأمر . ولو قال تدمعان ، لكان حالاً للمعينين .

٥- ولما رأيت البشر أعرض دوننا وحالت بنات الشوق يحنن نزعاً ^(٢)

٦- بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجفيل بعد الحلم أشتلتا معاً ^(٣)

البشر : جبل ^(٤) . وأعرض دوننا : أبدى عراضه . وحالت : تحركت .

يقال : استحلت الشخص ، إذا نظرت له بتعريك . ومنه لا حول ولا قوة

إلا بالله والمعنى : لما تباعدنا عن نجد ؛ وحجز بيننا وبينه البشر ، تحركت

بنات الشوق نوازع كثيرة الحنين ، مظهرة ضعف المسير . وجواب لما قوله

« بكت عيني اليمنى » . وأراد بينات الشوق مسبباته . وهذا كما قال الآخر ^(٥) :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَاتُ

(١) أجراز : موضع بنجد .

(٢) الأمل والأغاني : « وجات » بالهم .

(٣) التبزي والأمال : « بكت عيني اليسرى » .

(٤) جبل في أطراف نجد من جهة الشام .

(٥) هو المجنون ، كما في اللسان (بنق) .

فأطفالُ الحبِّ كبناتِ الشوق . والنزَّع ، الأشهر فيه أن يكون جمع نازع بمعنى كافٍ ، فوضَّعَ موضعَ نوازِع ، واللفظانِ المتواخيتان لكونهما من أصلٍ واحد يُستَمار ما لإحداها الأخرى . وإنما قال « بَكَتْ عَيْنِي الْيَمْنَى » لأنه كان أعور ممتعا بعينه اليسرى^(١) . والعين العوراء لا تَدْمَع . فيقول : بَكَتْ عَيْنِي الصَّحِيحَةُ ؛ فَاجْتَهَذْتُ فِي زَجْرِهَا عَنْ تَعَاطِي الْجَهْلِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ تَحْمَلْتُ وَتَرَكْتُ الصَّبِيَّ ، فَلَمَّا تَكَلَّفْتُ ذَاكَ لَهَا أَقْبَلَتِ الْعُورَاءُ تَدْمَعُ مَعَهَا وَتَبْكِي . وَنَبَّهَ بِهَذَا عَلَى عِضْيَانِ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ ، وَقِلَّةِ اثْنَارِهَا لَهُ ، وَأَنَّهُمَا إِذَا زَجِرَا وَرُدَّا عَنْ مَوَارِدِهَا زَادَا عَلَى الْمَكْرِ مِنْهُمَا .

٧- تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْنَاءِ لَيْتًا وَأَخْذَعَا
٨- وَأَذْكُرُ أَبَايَ الْحَيَّ نَحْوَ أَنْتَنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
يقول : أَخَذْتُ فِي مَسِيرِي لَمَّا أَبْصَرْتُ حَالَ نَفْسِي فِي تَأْثِيرِ الصَّبَابَةِ فِيهَا ، مَلَفْتًا إِلَى مَا خَلَفْتُهُ مِنَ الْحَيِّ وَأَرْضِ نَجْدٍ ، حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْنَاءِ — وَهُوَ عِرْقٌ فِيهَا — لَطُولِ إِصْنَائِي ، وَدَوَامِ التَّفَانِي ؛ كُلُّ ذَلِكَ تَحَمُّسًا فِي إِثْرِ الْفَائِتِ مِنْ أَحِبَابِي وَدِيَارِهَا ، وَتَذَكُّرًا لِطَيْبِ أَوْقَاتِي مَعَهُمْ فِيهَا . وَقَدْ قِيلَ فِيهِ : إِنْ مِنْ رُمُوزِهِمْ أَنْ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَلَدٍ فَالْتَفَتْ وَرَاءَهُ رَجَعَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ . وَأَنْشَدَ فِيهِ أَيْبَاتُ مِنْهَا قَوْلُهُ :

عَيْلَ صَنِيرِي بِالنَّغْلِيَّةِ لَمَّا طَالَ لَيْلِي وَمَلَّنِي قُرْنَانِي^(٢)
كَلَّمَا سَارَتِ الْمَطَايَا بَنَاءً مِيْلًا تَفَنَّنْتُ وَالتَفَنُّتُ وَرَأَى

(١) كناية من أن عينه اليسرى هي الموراء . جاء في الكنايات للشاعبي ص ٣٦ س ٥ :

« وَيَكْنَى عَنِ الْأَعْوَرِ بِالْمَتْعِ » .

(٢) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « بِالنَّغْلِيَّةِ » تحريف . والنغلية : منزل

من منازل طريق مكة من الكوفة ، قالوا : نسبت إلى نغلية بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء .

قالوا : التفتَ لكي يُقضى له الرُّجوع ، لكونه عاشقاً .

وانتصب « لَيْتَا » لأنه تمييز ، وهذا من باب ما نُقِلَ الفعلُ عنه ، كأنَّ الأصل : وَجَعَ لَيْتَى وأخذَعِي ، فلما شُغِلَ الفعلُ عنهما بضميره أشبهَا للمفعولِ فصبَّهما . ومثله : تصبَّبتُ عَمَرًا ، وقررتُ به عَيْنًا .

وقوله « وأذكرُ أَيَّامَ الْحَيِّ ثُمَّ أَتْنِي » يقول : وأتذكرُ أوقاتي بِالْحَيِّ لَمَّا كَانَ من أسباب الوصال تَسَاعُدُ ، وبينَ دُورِنَا ودُورِ الْأَحِبَّةِ تَقَارُبُ ، ولِلتَّرَاسُلِ إِمْكَانُ ، ومع الحبيبِ في الوقتِ بعدَ الوقتِ تَلَاقٍ واجْتِمَاعُ ، ثُمَّ أَنْعَطَفُ عَلَى كَبْدِي وَأَقْبِضُ عَلَيْهَا خَافَةً تَشَقُّقِهَا ، وَخُرُوجِهَا من مواضعها ، شَوْقًا إِلَى أمثالها ، وحسرة في إِثْرِ مَنَقَطِهَا .

وقد ذكر هذه الأبيات أبو عبد الله المفعجُ رحمه الله ، في حَدِّ الْعَزَلِ من كتابه المعروف بِاللُّرْجَانِ ، فذكر بيتين منها في (باب الصبابة) ، وهما :

* حنفتُ إِلَى رَبِّيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ *

و : * فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمَرَ طَائِعًا *

وقال في تفسيرهما^(١) : « يقول : الحربُ بينَكَ وبين قومِكَ تَمْنُكَ مِنْ قُرْبِهَا وَلِقَائِهَا » . وذكرَ مع البيتين قولَ عنترة :

عُلَّقَتْهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمًا لَعَمْرُؤُ أَبْيَكُ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ

ثم جاء إلى (باب الحنين) ، فذكر ما في الأبيات ،

* وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَيِّ *

و : * وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَيِّ بِرَوَاجِعِ *

و : * بَكَتْ عَيْنِي الْيَمْنَى *

(١) نقل هذا النص موزعاً التبريزي في شرحه للحماسة . وما هنا أوفى وأتم .

الآيات ، وقال في تفسيرها : هذا كَانَ مجاوراً لأحبابه وهم منتجعون
بجَنُوبِ الْحِمْيِ^(١) فَنَشَأَتْ عَيْنٌ — والعَيْنُ : سحابةٌ تنحى من ناحية القبلة —
فَنَشَأَتْ مِنْ عَن يَسَارِ الْقِبْلَةِ ، فارتاعَ لذلك ، وَخَشِيَ الْفَرْقَةَ إِذَا اتَّصَلَ الْغَيْثُ ،
فذلك معنى قوله : بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى^(٢) ، كنايةً عن السحاب . وَجَهْلُهَا :
كثرة مَطَرِهَا . وَجَمَلَ ارْتِياعَهُ منها زَجْراً لها . ثُمَّ نَشَأَتْ أُخْرَى مِنْ عَن يَمِينِ
الْقِبْلَةِ ، فَأَبْقَنَ حِينُذٍ بِالْفِرَاقِ . فذلك معنى قوله : اسْبَلْنَا مَعَا . ثُمَّ قَالَ مُعْتَرِفاً
بِالْبَيْنِ : خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدَمُّعًا ، يَعْنِي السَّحَابَتَيْنِ . وقال جرير :

إِنَّ السَّوَارِيَّ وَالْعَوَادِيَّ غَادَرَتْ لِلرَّيْحِ مُنْخَرَفًا بِهَا وَجْهًا .

هذا كلامه في كتابه ، وقد حكيناه على ما أورده لا زيادة فيه ولا نقصان .
وأظن أنه تذكرَ آياتاً غيرَ هذه ، ثُمَّ تصرفَ في تفسيرها وذكرَ هذه الآيات
في أنشاءٍ تفسيرٍ ما ذكره ، ولم يأت بها . وقد أحسنتُ الظَّنَّ مُسْتَطَرِّفاً فَعَلَهُ .
والله أعلم .

٤٥٥

وقال آخر^(٣) :

- ١ — وَبُنْتُ لَيْلَى أَرْسَلْتُ بِشْفَاعِهِ إِلَى فَهْلًا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيئُهَا
 - ٢ — أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فَتَبْتَنِي بِهِ الْجَاهُ أَمْ كَدْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا
- نُبِّيَ بِمُتَاجٍ إِلَى ثَلَاثَةِ مَفَاعِيلَ ، وَقَدْ حَصَلَتْ إِلَى قَوْلِهِ «أَرْسَلْتُ بِشْفَاعِهِ إِلَى» .

(١) جنوب ، ضبطت بضم الجيم في النسختين . والجنوب : جمع جنب ، بمعنى الناحية .

(٢) يفهم من هذا أن رواية المفجع : « بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى » ، كما روى التبريزي
والقالى . انظر ما سبق في ص ١٢١٧ .

(٣) هو الصمة بن عبد الله القشيري صاحب المقطوعة السابقة . أو هو عبد الله بن الدمنة
صاحب المقطوعة اللاحقة ، وقيل : هو الهنوني . انظر شرح شواهد المغنى للسيوطي ٧٩ .

وقوله «هَلَّا نَفْسَ لَيْلٍ» هَلَّا : حرفٌ تَحْضِيضٌ ، وهو يَطْلُبُ الفعل ، وقد وَقَعَ في البيت بعده جملةٌ من مبتدأ وخبر . وفارق «هَلَّا» هذه أختها «لولا» في قوله :

تَعُدُّونَ عَقَرَ الثَّيِّبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا السَّكْمِيُّ الْمُفْتَمَا^(١)

وذلك لأنَّ تأثيرَ الفعلِ بالنصب بعد لولا من البيت دلٌّ عليه ، فأنزله في إضمارِ الفعلِ بعده قوى . وهذا لم يَصْلُحْ له أن يَنْصِبِ النَّفْسَ بعده هَلَّا ، فكانَ يَحِجُّ التَّغْدِيرُ : فَهَلَّا أَرْسَلَتْ نَفْسَهَا شَفِيعَةً ؛ لِأَنَّ القَوَاقِ مَرْفُوعَةٌ ، ففَعَلَ ما بعده مبتدأً لَمَّا لم يَتَأَتَّ له ما تَأَتَّى لذلك^(٢) . وقد يفعلون هذا في الحروف المختصَّة بالأفعال إذا كان في الكلام دَلَالَةٌ على المضمر من الفعل . ألا تَرَى أَنَّ مَنْ يَطْلُبُ الفعل . ثُمَّ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ . وعلى ذلك جَاءَ إنَّ الجائِزَةَ الدَّالَّةَ على الشرط في وقوع الاسمِ بعده ، وإنَّ كان يَطْلُبُ الفعلَ عاملاً فيه بالجزم ، وكذلك نحو : إنَّ زَيْدًا أَنَا أَوْ كَرُمْتُه . وقول الشاعر^(٣) :

• إِنَّ ذُو لُؤْلُؤَةٍ لَنَا^(٤) •

وما أَشْبَهَهُ . فَإِنْ قِيلَ : هَلَّا جَمَلَتِ الْمَضْمَرُ بعد هَلَّا فعلاً رافعاً فَيَرْتَفِعُ النَّفْسُ بِهِ لا بِالابتداء ، كَمَا يُفَعَّلُ ذَلِكَ فِي : إِنَّ زَيْدًا أَنَا أَوْ كَرُمْتُه ، فيصير هَلَّا

(١) هو جرير ، من قصيدة يهجو بها الفرزدق . الخزانة (١ : ٤٦١ - ٤٦٢) .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « لما يَتَأَتَّى لذلك » ، تحريف ونقص .

(٣) هو قريظ بن أنيف . انظر ص ٢٢ ، ٢٥ .

(٤) البيت بتمامه :

إذا لَقِيتُ بَنَصْرَى مَعْرُوشَتِي عند الحفيظة إن ذُو لُؤْلُؤَةٍ لَنَا

في ذلك أجرى في بابيه من أن يكون ارتفاعه بالابتداء ؟ قلت : إن قولك إن زيد أتاني أكرمته ، ارتفع زيد بفعل هذا الظاهر نفسه ، وأكرمته جوابه إن ، فساغ فيه ما لم يسغ هاهنا ، لأنه ليس هاهنا شيء يكون تفسيراً لذلك الفعل . وإنما جاء بدل الفعل المفسر شفيئها ، ويكون خبراً لا غير ، وإذا كان كذلك لم يمكن حمل هذا عليه .

ومعنى البيت : خبرت أن ليلى أرسلت إلى ذا الشفاعة^(١) في بابها ، تطأ به جاهاً عندي ، مستكفية^(٢) عن ذكرها في الشفر وعن إتيانها وما يجري مجراه . ثم قال : هلاً جعلت نفسها شفيئاً . فقوله « بشفاعة » حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، الفعل الذي يقتضيه هلاً دل عليه شفيئها ، لو قال : هلاً نفسها شفيئها — لكان أقرب في الاستعمال ، إلا أنه قصد إلى التفعيم بشكرير اسمها .

ثم قال : « أأكرم من ليلى علي » ، فأتى بلفظ الاستفهام ، والمراد التفريق والإنكار ، كأنه أنكر منها استعانتها بالغير عليه ، وطالب الشفيع فيما أرادت لديه . وقوله « ففتبني » في موضع النصب على أن يكون جواب الاستفهام بالنفاء . وقوله « أم كنت » هي أم المتصلة ، كأنه قال : أي هذين توهمت :: طلب إنسان أكرم علي منها ، أم اتهاها لطاعتي لها . وخبر أكرم علي محذوف ، كأنه قال : أأكرم منها موجود ، [أو^(٣)] في الدنيا .

(١) ل : « ذا شفاعة » .

(٢) ل : « مستكفة » .

(٣) التكلة من ل .

٤٥٦

وقال آخر^(١) :

- ١ - أَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ تَوْهُمُ صَيْفٍ مِنْ سُعَادَ وَمَرْبِيعٍ
٢ - أُخَادِعُ عَنْ أَطْلَالِهَا الْعَيْنَ إِنَّهُ مَتَى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنُكَ تَذْمُجُ
٣ - عَهْدْتُ بِهَا وَخَشَا عَلَيْهَا بَرِاقِعُ وَهَذِي وَحُوشٌ أَصْبَحَتْ لَمْ تَبْرِقِ

استفانق وأفاق بمعنى صحا . وانبرى : تعرض . وأراد بالصيف المصيف .
وقوله « من سعاد » أراد من دار سعاد وأرضها^(٢) . و « أما » هي ما النافية
أدخل عليها ألف الاستفهام تقريراً أو إنكاراً . والمراد : لا يحدث القلب بالسؤال
والإفاقة مما تدخله من علائق حب هذه المرأة ، وتشبث به فآلهاه عن كل
شيء ، إلا اعترض له تذكر مصيف ومرّيع من أرضها^(٣) بعد التوهم . كأنه
كان يقف على منازلها فيتوهمها بآياتها وعلاماتها ، ثم يعرفها . وأكثر
ما يذكر التوهم في الديار يعقبونه بالعرفان دون العلم . وهذا أحد ما تفصل
به بين العلم والمعرفة ، ولهذا وأشباهه نمتنع من أن نصِف الله تعالى بأنه عارف .
لذلك ، قال زهير :

(١) كذا في النسخين . وعند التبريزي : « وقال ابن الدمينية » . والأبيات في ديوان
ابن الدمينية ٢٥ . والدمينة أمه ، وهي الدمينية بنت حذيفة السلوية ، وهو عبد الله بن عبيد ،
أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن أقتل ، وهو
خشم بن أمار . وابن الدمينية : شاعر إسلامي رقيق النسيب ، اختار له أبو تمام في هذه الحماسة
ست مقطوعات ، وكفى ذلك شاهداً على منزلته . انظر الأغاني (١٥ : ١٤٤ - ١٥٠)
واللآلئ ١٣٦ والشعراء ٧٠٩ . وقد طبع ديوانه في مصر سنة ١٣٣٧ بتحقيق محمد
الهاشمي البندادي .

(٢) كذا في ل بالجمع . وفي الأصل : « بأرضها » بالافراد .

(٣) صدره : * وقفت بها من بعد عشرين حبة *

* فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ ^(١) *

وأشباهه كثير .

وقوله « تَوْهْمٌ صَيِّفٌ » حقيقة أنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : تَوْهْمٌ مَوْضِعٌ صَيِّفِيًّا ، فيكون الصَّيْفُ مصدر صِفَتًا بالمكان نَصِيْفٌ به صَيِّفًا . وقوله « مَرَبِعٌ » يجوز أن يَكُونَ اسم المكان .

وقوله « أَخَادِعُ عَنْ أَطْلَالِهَا الْعَيْنَ » يريد أني إذا وَقَفْتُ عَلَى آثارِ دَارِهَا ^(٢) وجوانِبِ مَحَلِّهَا رُمْتُ خَذَعَ النَّفْسِ وَالْعَيْنِ عَنْ تَأْمُلِهَا ، تفادياً مما يتسلط من الوجد بها ، ويتجدد لي من الصَّبَابَةِ نَحْوَهَا . ولئلا أتذكر بما أنفَرسُ فيها أحوالِ قَبْلِهَا ، لأنَّ العَيْنَ إذا عَرَفَتْهَا وَكَفَتْ بِالذَّمِّ ، وَالنَّفْسَ إِذَا تَبَيَّنَتْهَا أَشْقَيْتْ بِالْوَجْدِ .

وقوله « عَهْدْتُ بِهَا وَخُشَا » هذا تحسّرٌ فيما رأى الدَّارَ عَلَيْهِ مِنَ الاسْتِبدَالِ وَحُوشَا ، فقال : عَهْدْتُ بِهَا نِسَاءً مَبْرَقَةً — يشير بذلك إلى عَفَافِهَا وَقَلَّةِ تَبَرُّجِهَا — كالوَحْشِ كَالْأَوْحُسْتَا ، وَنُفُورًا عَنِ الرَّيْبِ ، وَأَرَى الْآنَ وَحُوشَا تَحْتَفِئُ فِيهَا غَيْرَ مَبْرَقَةٍ . وفي هذه الطَّرِيقَةِ قول الآخر :

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ يُرَى عِوَضَ الدَّمِيِّ بِمَخَافَتِهِ هَامٌ وَبُؤْمٌ وَهَجْرِسٌ ^(٣)

وقوله « عَلَيْهَا بَرِاقٌ » صفةٌ للوحش ، وكذلك « أَصْبَحْتُ لَمْ تَبْرُقْ » .

٤٥٧

وقال آخر :

١ — فَيَارَبَّ إِنْ أَهْلَكَ وَلَمْ تُرَوْ هَامَتِي بَلِيلِي أُمْتُ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِ

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ديارها » .

(٢) المهجرس : ولد الثعلب .

- ٢ - وإن ألك عن لَيْلَى سَلَوْتُ فَإِنَّمَا تَسَلَيْتُ عَنْ يَاسٍ وَلَمْ أَسْأَلْ مِنْ صَبْرٍ^(١)
 ٣ - وإن يكُ عن لَيْلَى غَنَى وَنَجْدٌ فَرُبَّ شَيْءٍ نَفْسٍ قَرِيبٍ مِنَ الْفَقْرِ

حذف الياء من « يارب » لوقوعها موقع ما يحدث في باب النداء ، البتة ، وهو التنوين ، ولأن الكسرة تدل عليه ، ولأن باب النداء باب حذف وإيجاز ، لكثرة تردده في الكلام ، وقوله « أمت » جواب الشرط . وقوله « لا قَبْرَ أعطشُ من قبري » الجملة في موضع الحال . وقد روي : « تَرَوْ » بفتح التاء ويكون الفعل للهامة ، « وتُرَوْ » بضم التاء والفعل لله عز وجل . فيقول متألماً من بَرَحِ الصَّبَابَةِ ، وعَطَشِ الاشتياق ، ومَشْكِيَا إلى الله تعالى : يارب إن مُتُّ ولم أنل شِفَاءً من دأى ، ورياً من عطشي إلى هذه المرأة مُتُّ ولا قَبْرَ لعاشقٍ أشدَّ عطشاً من قبري . وإنما قال : لم ترو هامتي ، لأنهم كانوا يزعمون أن عظام الموتي تصير هاماً فتطير . والأصلح في هذا المكان أن يكون جَمَلَ نفسه مُقْتَتلاً لحبها . ومعنى « ترو هامتي » لم تطلب دمي من قاتلي ، تبق هامتي أعطش من كل هام . وكانوا يقولون : إنه يخرج من رأس المقتول هامة فتصيح وتقول : اسقوني اسقوني ! إلى أن يدرك نأره .

وإنما آتَرْتُ هذا لتوحيد هامة . والروايتان في تُرَوْ وتُرَوْ معنيهما ظاهران .

وقوله « وإن ألك عن لَيْلَى سَلَوْتُ » قد تقدّم القول في حذف النون من أكن . وجواب الشرط قوله « فَإِنَّمَا » بما بعده والمعنى : إن ألك في الظاهر حَصَلَ لِي سُلُوءٌ عَنْهَا لَمِنْ بِتَأْمَلُ حَالِي ، فَإِنَّمَا تَسَكَّلْتُ مَا ظَنَنْتُ مَنَى سُلُوءِ لِفَكْبَةِ الْيَاسِ مِنْهَا عَلَى ، فَأَمَّا نَفْسِي فَهِيَ كَمَا كَانَتْ ، ذَاهِباً فِيهَا وَوُلُوعاً بِهَا . وقوله

(١) التبريزي : « من صبر » .

« سلوت » معناه طَبِّتَ نفساً . وتسَلَّيتَ معناه تكلَّفتَ ذلك ، والتَّغَلُّلُ لا يكون إلا عن تَكَلُّفٍ في أكثر الأحوال ، وكذلك التَّغَاوُلُ ، فأتى بسلوت بناءً على ظَنِّهم واعتقادهم ، وتسَلَّيتَ بناءً على حاله .

وقوله « وَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلٍ غَنَى » يريد : وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ أَمْرِي أُنِّي استغفيت عنها بخلو قلبي من حبها ، أو أُنِّي أَتَجَلَّدُ لِلْوَهْنِ العارض في الاشتياق إليها ، فَرُبَّ غَنَى نَفْسٍ يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ . والمعنى أَنَّ بَاطِنَ أَمْرِي بِخِلَافِ ظَاهِرِهِ . وإنما يُتَصَوَّرُ مَنِّي غَنَى يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ إِذَا حَصَلَ وَتَوَثَّلَ . ومن روى « أَمْرٌ مِنَ الْفَقْرِ » فالمعنى ظاهر والفاء من فرب بما بعده جواب للشرط . وفائدة ربَّ التقليل ، كأنه استقلَّ الحالات التي تشبه حاله ، فلذلك أتى برُبَّ .

٤٥٨

وقال آخر :

١ - يَوْمَ اِزْتَحَلْتُ بِرَخْلِي قَبْلَ بَرْدَ عَتِي وَالْقَلُّ مُتَّلِهٌ وَالْقَلْبُ مَشْغُولُ

٢ - نَمِ انْصَرَفْتُ إِلَى نِضْوَى لَأُبْمَثَهُ إِثْرَ الْخُدُوجِ الْفَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولُ

انتصب « يَوْمَ » بإضمار فعل ، كأنه أراد : أَذْكَرُ يَوْمَ هَذَا الْأَمْرَ وَالشَّأْنَ . وأضاف اليوم إلى الفعل تشهيراً له وتمظيلاً لما اتفق فيه ، وذلك أَنَّهُ بَاغَتْهُ حَدِيثُ الْفِرَاقِ وَمَا هَمَّ بِهِ الْمُجْتَمِعُونَ مَعَهُ فِي النُّجْمَةِ مِنَ الْارْتِمَالِ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَحْسِبْهُ وَلَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِهِ تَوَلَّاهُ وَخُوْلَطَ ، حَتَّى صَارَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَأْتِي عِنْدَ مَا هَمَّ بِهِ مِنْ تَشْيِيمِهِمْ ، وَالتَّهْيِئُ لِلْكَوْنِ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : أَذْكَرُ يَوْمَ أَقْبَلْتُ أَضْعُ الرِّحْلَ عَلَى الْفَاقَةِ قَبْلَ الْبَرْدِ ذَعَةً ، وَعَقْلِي فَاسِدٌ وَقَلْبِي مَشْغُولٌ بِمَا دَهَمَهُ مِنَ الْحَالِ . وقوله « مُتَّلِهٌ » هُوَ مُفْتَمِلٌ لِمَنْ الْوَلَهُ ، وَأَصْلُهُ مُؤْتَلِهٌ ، فَأُبْدِلُ مِنَ الْوَاوِ تَاءً كَمَا تَقُولُ

يروى « يَا كَبِدَا » والمرادُ يَا كَبِدِي على الإضافة، فقرّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة، فانقلبت ألفا. ويروى « يَا كَبِدَا » والمراد به كبده وإن نكرها، بدلالة أنّه وصفها بقوله « كَادَتْ عَشِيَّةٌ غُرَبٍ مِنَ الشُّوقِ » ... البيت . وهذه الصفة لم تحصل إلّا لها . والمراد أنّه تألم مما دهمه من أمر الفراق بعد الاجتماع الحاصل في مواضع الاجتماع ، وكأنّ المجتمعين تمزّبوا حزبين ، ارتحل أحدهما وصاحبته معهم ، وأقام أحدهما بالتهيو والاستعداد وهو فيهم ، فالمتقدّمون ليس فيهم متسرّع ، لا ينتظرون المتخلفين ، والمتخلفون لا يُقيم لهم لاستمجالهم اللّحاق بهم . فشكّا الحالة الواقعة في أثناء ذلك ، وهو مع ذلك يحزن وبشتاق . وغُرَبٌ : موضع ^(١) . وأضاف المشيّة إليه تخصيصاً . وفصل بين كاد وبين الفعل الذي تناوله بالظرف على ما اتصل به . و « إثر » انتصب على الظرف من الشوق ، و « عَشِيَّة » من البيت الثاني بدل من العشيّة الأولى . وكما أضاف الأولى إلى غُرَبٍ تبييناً أضاف الثانية إلى قوله « ما فيمن أقام غُرَب » تبييناً ، وهما عشيّة واحدة وإن اختلف مبنيهما .

٤٦٠

وقال الحسين بن مطير ^(٢) :

١- لَقَدْ كُنْتُ جُلْدًا أَقْبَلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى عَلَى كَيْدِي نَارًا بَطِينًا تُخَوِّدُهَا ^(٣)

(١) في معجم البلدان : « ماء بنجد ثم بالشریف من مياه بنى نمر » . ثم أنشد هذين البيتين .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسة ٣١٩ ص ٩٣٤ . وفي الأغاني (١٤ . ١١٣) عن التوزي قال : قلت لأبي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مطير ؟ فقال : والله لوددت أن الشعراء قاربته في قوله : مخصرة الأوساط « وأنشد هذا البيت والذي بعده . وقد ساق أبو علي اللّحالي أبيات الحسين بن مطير هذه في الأمالي (١ : ١٦٥) كاملة .

(٣) بين هذا البيت وتاليه عند اللّحالي :

وله تركت نار الهوى لتضرمت ولكن شوقا كل يوم يزهد

٢- وقد كنت أرجو أن نموت صباقتي إذا قدمت أيامها وعمودها
يقول: كنت قوئ النفس، ثابت القلب، راجع العقل، صبوراً في
الشدائد، قبل أن يلبت بفراق الأحبة، فلما أوقدت نيتهم التي انتووها نار
الصباية على كبدى فأبطأ سكونها ضعففت عن الثبات لها، وظهر عجزى عن
تحمل أعبائها، وقد كنت أومل إذا أتت الأيام على ما أفاقيه، واستمرت
النفس في التألم تارة وفي التصبر أخرى، أن يتنقص ذلك صباقتي، وأن قدم
الأيام وانحاء العهود يؤثر في تسكين نائرتها، ويبطل ما تسلط على من أذاها
ومكروها. وقوله «إذا قدمت» ظرف لثموت صابتي.

٣- فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهاد الهوى تولى بشوق يبعدها^(١)

يريد أن ما كان يرجوه من سكون صابته قد ازداد، لأنها صيرت في
حبة القلب وأحشائه أمطار الهوى، تجدد وتنبع بولي من الشوق يردها كما
كانت، وانتصب «عهد» على أنه مفعول أول لجلعت. وتولى بشوق في
موضع المفعول الثاني، وبعيدها في موضع الصفة للشوق. ومعنى «تولى»
تطهر الولي. والولي المطر الثانية لأن الأولى منها تسمى الوسمي. والعهد:
جمع العهد، وهو المطر الذي يجي دوماً تقدّمه عهدٌ باق لم يذهب. وحبة القلب
هي العلقة السوداء في جوفه. ويروى «عهد الهوى» بالرفع - يولى -
بالياء - بشوق يبعدها، بالياء^(٢)، فيكون معنى جعلت طفقت وأقبلت،
ويكون غير متعدي، ويرتفع عهد بجعلت، وبعيدها يقوم مقام فاعل يولى.
فيكون المعنى: فقد طفقت أوائل هواها يطرأ أبعدها بشوق يبعدها.

(١) يبعده في الأمال :

لمرتبة الأطراف هيف خصوصها عذاب ثناياها عجايف قبردها

(٢) التبريزي : « وتغلب يروى : يبعدها ».

- ٤ - بِسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحَرٍّ أَكْفُهَا وَصُنْفَرٍ تَرَاقِيهَا وَبَيْضٍ خُدُودُهَا
 ٥ - مُحْضَرَّةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَبَنْتَهَا عُقُودُهَا
 ٦ - يُمْنَيْنِنَا حَتَّى تَرِفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(١)

الباء من قوله « بسود نواصيها » يجوز أن يتعلق بقوله تموت صباقي ، ويجوز أن يتعلق بجعلت إذا ارتفع عهد الهوى به يريد : جعلت العهد تفعل هذا بسبب نساء هكذا . وإنما جاز أن يجمع سود وحر وغيرهما وإن ارتفع ما بعدها بها ، لأن هذه الجوع لها نظائر في هذه الأسماء المفردة^(٢) ، ولو كانت جوع سلامة أو ما لا نظير له في الواحد لما جاز جمعه . تقول : سررت برجال ظراف آباؤهم . ولو قلت : ظريفين آباؤهم ، لم يجوز .

وقوله « مُحْضَرَّةِ الْأَوْسَاطِ » يريد أنها دقيقة الخصور ، غير واسعة الجنوب وأن فلاندها وحليها تكتسب من التزيين بها إذا علقت عليها ، أكثر مما تكتسبه منها إذا تحلت بها .

وقوله « يُمْنَيْنِنَا » يصف لطافتهم في مواعيدهم ، وتقريبهم أمر الوصال بينه وبينهن ، وأنها لا تزال تمنى وتضمن من حسن الإجابة ما يصير للقلوب به بريق ونضارة ، كبريق الخزاعي إذا بقي ليلته يطل بالجود ، والرفيف كثرة الماء في النبات ونضارتها . ومعنى « حَتَّى تَرِفَّ » إلى أن ترف .

(١) بعده في الأمال :

وفيهن مقلق الوشاح كأنها مهابة بتربان طويل عقودها
 قال أبوعل : « يريد موضع العقود ، وهو العنق » .

(٢) ل : « في الأسماء المفردة » .

٤٦١

وقال أبو صخر الهذلي^(١) :

١- أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر
٢- أقدر تركتني أحسد الوحش أن أرى اليقين منها لا يروهما الذعر^(٢)
تكريره للذي ليس بتكثير للأقسام ، لأن اليمين يمين واحدة بدلالة أن
لها جوابا واحدا ، ولو كانت أيمانا مختلفة لوجب أن يكون لها أجوبة مختلفة ،
وفائدة التكرير التفتيح والتهويل . وعلى هذا إذا قال القائل : والله والله لقد
كان كذا ، فاليمين واحدة . وما في القرآن من قوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى .
وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَاقَ الذَّكْرَ وَلَا نُنْشَى . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ مثله . على
أن ما في البيت من اختلاف الأفعال الداخلة في الصلوات جعل الكلام أحسن ،
والتفتيح أبلغ . وجواب القسم « لقد تركتني » ، وفاعل تركتني ضمير المرأة
المستكنة فيه . والمعنى : أني إذا تأملت الوحوش وهي تأتلف في سرايعها
وتمتصفتها اثنين اثنين ، لا يفزعها رقيب ، ولا يدخل فيما بينها تنفير ،
حسدتها وتمنيت أن تكون حالي مع صاحبتى كحالها في آلفها .

وقوله « أحسد الوحش » في موضع الحال ، وأن أرى ، في موضع البدل
من الوحش . وقوله « لا يروهما » في موضع الصفة لليقين ، لأن أرى من
رؤية العين ، ويكتفى بمفعول واحد ، وهو اليقين .

(١) سبق ترجته في الحماسية ١٠٩ ص ٣٢٧ . وقصيدة أبي صخر رواها القالي في
أماله (١ : ١٤٨ - ١٥٠) .
(٢) القالي : « وقد تركتني أغبط الوحش » .

٣ - فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سُلُوءَ الْعُشَّاقِ مَوْعِدُكَ الْحُمْرُ^(١)
 ٤ - عَجِبْتُ لِسَعْفِي الدَّهْرِ يَبْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
 تَجَلَّدَ فِي الْهَوَى وَادَّعَى اللَّذَاذَةَ بِهِ ، حَتَّى اسْتَزَادَ مِنْ أَجْزَاءِ الْجَوَى الْحَاصِلِ
 لَهُ ، وَهُوَ دَاهِ الْجَوْفِ ، مَا يَتَضَاعَفُ بِتَجَدُّدِ الْأَوْقَاتِ ، وَاسْتَبَعَدَ النَّسْلَ مِنْهَا
 حَتَّى جَعَلَ الْمَوْعِدَ بَيْنَهُمَا يَوْمَ النَّشْرِ . وَهَذَا غَايَةُ التَّفَقُّيِّ فِي الْهَوَى ، وَالتَّصْبِيرِ
 عَلَى الرَّدَى .

وقوله « عَجِبْتُ لِسَعْفِي الدَّهْرِ » يجوز أن يريد به سُرْعَةَ تَقْضَى الْأَوْقَاتِ
 مُدَّةَ الْوَصَالِ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّهُ لَمَّا انْقَضَى الْوَصْلُ عَادَ الدَّهْرُ إِلَى حَالَتِهِ فِي الشُّكُونِ .
 وَهَذَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي اسْتِقْصَارِ أَيَّامِ السُّرُورِ وَالْأَنُوءِ ، وَاسْتِطَالَةِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ
 وَالْهَجْرِ . وَيجوز أن يريدَ بِسَعْفِي الدَّهْرِ سِمَايَةَ أَهْلِ الدَّهْرِ ، وَإِبْقَادَهُمْ نَارَ الشَّرِّ
 بَيْنَهُمَا بِالْمَنَامِ وَالْوِشَايَاتِ ، وَأَنَّهُ لَمَّا فَتَرَتْ أَسْوَاقُهُمْ بِالتَّهَاجُرِ الْوَاقِعَ مِنْهُمَا ، وَارْتَفَعَ
 مُرَادُهُمْ فِيمَا طَلَبُوهُ مِنَ الْفَسَادِ بَيْنَهُمَا ، سَكَنُوا . وَكَأَنَّ أَرَادَ بِسَعْفِي الدَّهْرِ سَعْفَى
 أَهْلِ الدَّهْرِ ، كَذَلِكَ أَرَادَ بِسُكُونِ الدَّهْرِ سُكُونِ أَهْلِ الدَّهْرِ .

٤٦٢

وقال^(٢) :

١ - بَيْدِ الَّذِي شَعَفَ الْفُؤَادَ بِكُمْ تَفْرِيجُ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَمِّ^(٣)
 ٢ - وَيُقِرُّ عَيْنِي وَهِيَ نَازِحَةٌ مَا لَا يُقِرُّ بَعَيْنٍ ذِي الْحِلْمِ

(١) كتب في الأصل تحت كلمة « العشاق » : « الأيام » . ورواية التبريزي والقالى :
 « وَيَا سُلُوءَ الْأَيَّامِ » .

(٢) أى أبو صخر الهذلي والابيات بهذه النسبة في الأغاني (٢٠ : ١٤٧ - ١٤٨)

(٣) الأغاني . « فرج الذى ألقى » . كما أن الرواية فيها « شغف » بالعين المعجمة .

الذي شَقَعَ القلب به من زعمه هو الله تعالى . ومعنى شَعَفَ الفؤاد : أصاب شَقَقَتْهُ . وشَعَمَةُ كُلُّ شَيْءٍ أعلاه . وقوله « بكم » أراد بِحَبْسِكُمْ ، ويقال : فلان مشعوف بكذا ، إذا شُغِلَ قلبه به وأُصِيبَ . وارتفع «تفريج» بالابتداء ، وخبره بيد الذي ، على طريقة سيبويه ، وعلى مذهب أبي الحسن الأخفش ارتفع تفريج بالظرف ، والمعنى : بيد الله الذي ابتلاني بكم ، وشَغَلَ قلبي بِحَبْسِكُمْ ، كَشَفُ ما أُلَاقِيهِ من الهمِّ . وهذا للشاعر في الهوى على الضدِّ ممن تقدَّم ذكره ، لأنَّ شكواه في نهاية القوة والمُلُو ، كما أنَّ التذاذ ذاك في نهاية الجِدَّة والغُلُو .

وقوله « ويُقرُّ عيني وهي نازحة » يريد أنه يسره فيها على بُعدها منه مالا يسره به عاقل . وإنما نَبَّه بهذا على شِدَّة تَمَنُّعِها ، وعلى قُوَّة بَاسِهِ منها ، حتَّى أنه مع البُعاد إذا أخطر بباله شيئاً من أحوالها التي يُشاركه فيها ، عدَّهُ مَرَزِيَّةً منها^(١) ، واستمتعاً بها . وقد شَرَحَ ذلك فيما بعده . وقد روى بعضهم : « بيمين ذى الحلم » بضم الحاء ، وليس بشيء .

٣ - إني أرى وأظنُّ أن سَتَرِي وَضَحَ النَّهَارِ وَعَالِي النِّجْمِ - لك أن تروى « أني » وتجعله في موضع الرفع بدلاً من « مالا يُقرُّ » ؛ ولك أن تكسر إن ، كأنك تستأنف شَرَحَ ماقدِّم ، وتفصل ما أنجل . ويكون للمعنى : يُقرُّ عيني أني أرى بياض النهار وعالي السكواكب بالليل ، وهو أضوؤها وأغلنُها^(٢) ، وأظنُّ أنها تُشارِكُنِي في رؤيتها ، فأفرحُ بذلك ، وهذا ممَّا لا يفرح به عاقل ، ولا يفتنُّه لَذَّة . ويروى والمعنى ما بيَّنته ، على غير هذا ، وهو :

إِنَّ الذي سَاطَنُ أَنْ سَتَرِي وَضَحَ النَّهَارِ وَعَالِي النِّجْمِ
فَيَرْتَفِعُ وَضَحُ على أن يكون خبر إن ، وأنِّي يَعالِي النِّجْمِ على أصلِهِ فضع

(١) رزاه مرزوة : أصاب منه خيرا .

(٢) ل : « وأغلها » .

الياء منها . والمعنى ذلك المعنى ، إلا أنه زاد الظن تراخياً بإدخال السّين عليه .
ويُروى :

إِنِّي أَرَى وَأُظُنُّ أَنَّ سَتْرِي وَضَحَ النَّهَارِ عَوَالِي النُّجْمِ^(١)

فينتصب وضح على الظرف ، وعوالى على أنه مفعول أرى . والمعنى : أرى
اللكواكب ظهراً ، فيما أفاسيه من بَرَجِ الهوى ، وأظنُّ أنها ستمتحن في
حُبِّها لي بمثل ما امتحنت في حُبِّي لها ، وأن أسباب الهوى تُفارقني وتعود إليها ،
فَتَرى مثل ما أرى ، فأفرح بذلك وتطيبُ له نفسى ، وهذا مما لا يفرحُ به عاقل .

٥ - وَلَلَّيْلَةُ مِنْهَا تَعُوذُ لَنَا فِي غَيْرِ مَا رَفَتْ وَلَا إِنَّمِ

٦ - أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحَتْ مِمَّا مَلَكَتُ وَمِنْ بَنِي سَمَرِ

نبّه بهذا الكلام على تهالكه في هواها ، وتذاهي صباهته بها ، وأن
البسير إذا عاد عليه منها عدّه كثيراً . وقد أظهر العفاف في بلواه ، وأنه يتمنى
ما يتمنى فيها حلالاً لا حراماً ، فيقول : وَلَلَّيْلَةُ مِنْ أَوْقَاتِهَا نَحْصُلُ لَنَا فِي غَيْرِ
فُحْشٍ تُذَكِّرُ بِهِ ، أو إِنَّمِ تَكْتَسِبُهُ ، أَلَّذِي إِلَى نَفْسِي وَأَطْيَبُ فِي قَلْبِي مِنْ
مِلْكِي كُلِّهِ ، ومن عَشِرتي بِأَمْرِهِمْ .

وقوله « أَشْهَى إِلَى نَفْسِي » في موضع المبتدأ ، وهو وليلةٌ منها . وقوله ولو
نَزَحَتْ شرطٌ فيما تمنى حصوله ، وقد فصل بها بين أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وبين مَامَلَكَتُ
أى وإن بَعُدَتْ تلك الليلة فعادت إلى أَوَّلَى أحوالها في التَّمَنُّعِ على والتفصّى منى .

٧ - قَدْ كَانَ صُرْمٌ فِي الْمَمَاتِ لَنَا فَمَجَلَّتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالضَّرْمِ

٨ - وَلَمَّا بَقِيَتْ كَيْبَقَيْنِ جَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضَرِّعٌ جِسْمِي

(١) هي رواية التبريزي ، لكن آخر البيت عنده : « وعالى النجم » .

٩ - فَتَمَلِّى أَنْ قَدْ كَلِيفْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِ مَا شِئْتَ عَنْ عِلْمِ

عاد إلى مخاطبتها ، بعد أن تألم مما تألم ، فقال يعتب عليها :

قد كان لنا في الموت قطيعةً وافتراق ، لكنك لم تصبرى إلى حين وقوعه ، ولم تنتظري نزوله ، فتعجلت الشرم قبل الموت ، فلا جرم أن بين جوانحي داء يبقئ مدةً بقائى فيها ، ويُذِيبُ جِسمى ، ويَكْسِفُ بالى .

وقوله « وَلَمَّا بَقِيتُ » أدخل اللام الموطئة للقسم على ما بقيت ، وهو مصدر في موضع الظرف ، إما يتضمن من معنى الشرط . وقوله « لَيَبْقَيْنَ جَوَى » جواب القسم المضمر ، والكلام كأنه : لنن بقيت لبيقين جوى ؛ لأن المعنى : ولمدةً بقائى لبيقين جوى . فحصول الكلام يعود إلى ذلك .

وقوله « فَتَمَلِّى أَنْ قَدْ كَلِيفْتُ بِكُمْ » يضمنون تعلم موضع اعلم ، إلا أن المخاطب ليس له في الجواب أن يقول تعلمت ، لكن يقول : علمت . والمعنى : اعلمى كلنى بكم ، وانخطاطى في هواكم ، وكنته ما أقاسيه في حبكم ، ثم آثرى في بابى ما أردت بعد علك بالحال ، لأن الذى أطلبه رضاك ، ثم لا أبالى بما يلحقنى من بقاء أو فناء ، أو سراء أو ضراء .

٤٦٣

وقال آخر^(١) :

١ - إِنْ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَمَّا خَلِقتَ هَوَاكَ كَمَا خَلِقتَ هَوَى لَهَا

٢ - بَيِّضَاهُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بَلْبَاقَةً فَادَّقَهَا وَأَجَلَمَهَا

يقول : إن المرأة التى ادعت عليك ملال قلبك منها ، وإعراضك عنها ،

(١) وكذا وردت الأبيات بدون نسبة في أمالي النقال (١ : ١٥٦) . وعند التبريزي :
« وقال آخر . قال أبو رياش : هي لابن أذينة » وابن أذينة هذا هو عمرو بن أذينة .

وَنَيْتَكَ فِي اسْتِبْدَالِكَ بِهَا ، خُلِقْتَ هَوَى لَكَ كَمَا خُلِقْتَ أَنْتَ هَوَى لَهَا .
وَالْمَعْنَى أَنَّ دَعَاوَهَا تَجَنَّبَ مِنْهَا ، وَتَسَخَّطَ لِمَا يَظْهَرُ مِنْ شَعْفِكَ بِهَا ، وَهِيَ لَكَ
لَا انْفِكَالَكَ لِقَلْبِكَ مِنْ عَشَقِهَا ، كَمَا تَدْعَى أَنَّهَا لَكَ بِهَذِهِ الْمَرْزَلَةِ ، فَأَنْتَ تَهْوَاهَا
كَمَا أَنَّ تِلْكَ تَهْوَاكَ ، لَا مَرِيَّةَ فِي ذَلِكَ وَلَا شَكَّ .

وقوله « بِيضَاءَ بَاكَرَهَا الذَّمِيمِ » يَرِيدُ أَنَّهَا نَشَأَتْ فِي النُّعْمَةِ وَالنَّعْمَةِ ، وَأَنَّ
خَفَضَ الْعَيْشَ رَبَّاهَا وَحَسَّنَ خَلْقَهَا بِحِذْقٍ وَلِبَاقَةٍ ، فَجَمَلَ مُحَاسِنَهَا مَرْتَبَةً بَيْنَ
مَا يُسْتَحَبُّ دَقَّتْهَا ، وَبَيْنَ مَا يُسْتَحَبُّ نَفَامَتُهَا . وَمَعْنَى « بَاكَرَهَا » سَبَقَ إِلَيْهَا
فِي أَوَّلِ أَحْوَالِهَا ؛ لِأَنَّ الْبَكُورَ : اسْمٌ لَا يَتَدَاوَى الشَّيْءُ ؛ عَلَى ذَلِكَ بَاكَورَةُ الرَّبِيعِ .
وَاللِّبَاقَةُ : الْحِذْقُ ؛ يُقَالُ : هُوَ لَبِيقٌ وَلَبِيقٌ ، أَيْ حَازِقٌ . وَمَعْنَى أَدَقَّتْهَا وَأَجَلَمَهَا :
أَتَتْ بِهَا دَقِيقَةً جَلِيلَةً ، فَمَا يُسْتَحَبُّ دَقَّتْهَا مِنْهَا مِثْلُ الْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَالْفَرْعِ
وَالْخَصْرِ جَمَلَهَا دَقِيقَةً ، وَمَا يُسْتَحَبُّ جَلَلَتِهَا مِنْهَا مِثْلُ السَّاقِ وَالْفَخِذِ وَالْعَجْزِ
وَالصُّدْرِ جَمَلَهَا جَلِيلَةً . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَغَرَتْ وَأَكْمَلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ
وَكَمَا قَالَ :

يَمَانِيَّةٌ تَلِمُ بِنَا فَنُبْدِي دَقِيقَ مُحَاسِنٍ وَتُكِنُّ غِيْلًا ^(٢)
٣ - حَبَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَمَهَا
٤ - وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ لَهَا إِلَى فَسَلَمَا ^(٣)
كَانَتْهَا لَنَا لَامَتُهُ فِي مَلَالِهِ وَظُهُورُ التَّسْلَى مِنْهُ ، هَجَرَتْهُ وَأَقْبَلَتْ لَا تَقْبَلُ
تَحِيَّةً ^(٤) وَلَا تَرُدُّ جَوَابَهَا . فَيَقُولُ : لِمَا أَعْرَضَتْ وَتَحَجَّجَتْ عَنْ رُسُلِي ، وَأَظْهَرَتْ

(١) هُوَ الشَّغْفَرِيُّ . لِلْبَيْتِ ١٢ . مِنَ الْمَفْضُولَةِ ٢٠ .

(٢) الْبَيْتُ لَوْضَاحِ الْبَيْنِ . سَبَقَ فِي ص ٦٤٣ .

(٣) التَّبَرُّيزِيُّ : « شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ » .

(٤) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « تَحِيَّةٌ » .

طَرَّاحٌ وَدَّى ، قُلْتُ مُتَأَسِّفًا وَمُتَمَجِّبًا : مَا كَانَ أَكْثَرُهَا لَنَا حِينَ كَانَتْ مَتَوَفَّرَةً عَلَيْنَا وَمَا أَقَلُّهَا لَنَا السَّاعَةَ وَقَدْ زَهَدَتْ فِيهَا هَذَا الزُّهْدُ الْمُسْرِفُ ، وَضَجِرَتْ بِنَا الضَّجَرُ الْمُفْرِطُ . وَالَّذِي اسْتَكْثَرَهُ وَاسْتَقَلَّهُ هُوَ نَيْيَاهَا وَمَيْلُهَا . هَذَا إِذَا جَعَلْتَ الضَّمِيرَ مِنْ « أَكْثَرُهَا » وَ « أَقَلُّهَا » رَاجِعًا إِلَى الْمَرْأَةِ ، وَبِحُزْنٍ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَى النَّحْيَةِ ، وَالْمُرَادُ : مَا كَانَ أَكْثَرُهَا لَنَا لَوْ حَصَلَتْ ، إِذْ كَانَ فِيهِ مِسَاكُ أَرْثَاقِنَا ، وَحَيَاةُ قُلُوبِنَا . وَمَا كَانَ أَقَلُّهَا فِي نَفْسِهَا . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

إِنْ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرُهُ مِمَّنْ يُحِبُّ الْقَلِيلُ

وقوله « وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاسَ سُلُوةٍ » يَبَيِّنُ بِهِ اسْتِحْكَامَ حُبِّهَا فِي قَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ كَلَّمَا تَدَاخَلَهُ ضَجَرُهُ بَدَلًا لَهَا وَتَأْيِيهَا ، فَخَدَّتْ نَفْسَهُ بِالتَّسَلِّيِ عَنْهَا وَالتَّصَبُّرِ دُونَهَا ، أَقْبَلَتْ دَوَاعِيَ اللَّيْلِ إِلَيْهَا ، وَالْأَسْبَابُ الْمَتَسَلِّطَةُ عَلَى قَلْبِهِ وَالْمَشْتَمَلَةُ عَلَى لُبِّهِ ، وَلَهَا تَشْفَعُ وَتَعَصَّبُ ، فَتَزْعَتُ مَا خَطَرَ ، بِالْبَالِ مِنْ ذَلِكَ ، وَصَارَتْ شَوَافِعُ الضَّمِيرِ أَغْلَبَ عَلَى تَدْيِيرِهِ ، وَأَمْلَكَ لِمَتَصَرَّفَاتِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ الْحُكْمُ لَهَا ، وَالغَلَبُ لِقَضَايَاهَا . وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ كَثِيرٍ :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

٤٦٤

وقال آخر :

١ - أَمَا الَّذِي حَبَّبَتْ لَهُ الْعَيْسُ وَأُرْتَمَى لِمَرْضَاتِهِ شُفْتُ طَوِيلٌ ذَمِيلُهَا

٢ - لَيْتَن نَائِبَاتُ الدَّهْرِ يَوْمًا أَدْلَنَ لِي عَلَى أُمِّ عَمْرِو دَوْلَةَ لَا أَقِيلُهَا

افْتَتَحَ كَلَامَهُ بِأَمَّا ، ثُمَّ أَقْسَمَ بِاللَّهِ ، لِأَنَّ الَّذِي قَصَدَتِ الْعَيْسُ بَيْتَهُ ، وَطَلَبَتْ الْحُجَّاجَ الْغُبْرُ الرَّجُوهَ الطَّوَالَ الذَّمِيلَ مَرْضَاتِهِ ، هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

واللام من «لئن» هي الوطئة للقسم، وجواب القسم «لا أقيلها». والمعنى: والله لئن جمعت نوائب الدهر لى دولة على أم عمرى ولعددت ذلك ذنباً لا أقيلها منه. فالضمير من لا أقيلها يرجع إلى الغائبات، كأن لذته كان فى الهوى، وأن يكون لتلك عليه البسطة فى الأمر، والتمكّن^(١) من التصريف فيما يسوؤه أو يسره، فإذا تغير الأمر عن ذلك عده شقاءً وضراً فادحاً. وهذا الوجه حسن. ويجوز أن يكون الضمير يعود إلى المرأة، فيكون المعنى: لئن إن صارت لى اليد عليها، وجمعت أملك من أمرها مثل ما تملك من أمرى جازيتها حينئذ بما تعاملنى به كئيل الصاع بالصاع، وتركته لا أنعشها من صرعها، ولا أقيلها عثرتها. وهذا المعنى إذا قايسته إلى ما تقدم ذكره كان منقطعاً عنه، وواقعاً دونه، وفيه إظهار المعجز عن مكابدة الصبابة، والتصریح بسوء الملكة. ومثل هذه الطريقة لا يرتضيها أرباب الهوى، والحكام على مدعى العشق ولهم. ومعنى «أدنتى» جعنان لى دولة. ويروى: أدن لى «فينتصب دولة على أنه مفعول به. والدائرات كالدائلات لا فضل. ومن روى «أدلى لى» انتصب دولة على أنه مصدر، فيكون موضوعاً موضع الإدالة. ويقال: أدالك الله من عدوك، أى جعل لك غايه دولة.

٤٦٥

وقال آخر:

- ١ - وكنت إذا أرسات طرفك رائداً لقلبك يوماً أتبعتك المناظر
٢ - رأيت الذى لا كُله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر^(٢)

(١) ل : والتمكّن .

(٢) ل : الذى ما كُله .

الرائد : الذى يتقدم القوم فيطلب لهم الماء والكلا ، ولذلك قيل فى المثل :
 « لا يكذبُ الرائدُ أهله » لأنه إن كذبهم هلك معهم . فيقول : إنك إذا
 جعلت عينك رائداً لقلبك تطلب له مصباً هوام ، ومقرراً لهوهِ وصباه ، أتعبتك
 مناظرها فى مطالبك ، وأوقعتك مواردُها فى أشقِّ مكارهك ؛ وذلك أنها تهجم
 بالقلب فى ارتياده لها على ما لا يصبر فى بعضه على فراقه مع مهيِّجات اشتياقه ،
 ولا يقدرُ على الشلْوَ عن جميعه مع تذكر غرائب الحسن منه ، فهو الدهر ممتحنٌ
 بيلوى ما لا يقدر على كله ، ولا يصبر عن بعضه . والجناية فيهما للعين ،
 لكونها قائداً للفؤاد إلى الردى وسائقاً ، وهادياً لدواعى الحب إليه وحادياً .

وقد أمَّ بهذا المعنى أبو تمام حيث يقول :

لم تطلُعِ الشمسُ المضيئةُ مذْ رَأَتْ عَيْنِي خِلَالَ الخِدرِ شمساً تَقْرُبُ
 لَأَعَذِّبَنَّ جُفُونِ عَيْنِي إِنَّمَا بِجُفُونِ عَيْنِي حُلٌّ مَا أتعَذَّبُ (١)
 وأبين من هذا قوله الآخر :

أَلَا إِنَّمَا العِيَانِ لِقَابِ رائدٍ فما تَأَلَّفِ العِيَانِ فالقلبُ يَأْلَفُ
 وقوله « رائداً » انتصب على الحال ، وجواب إذا أرسلت « أتعبتك
 للناظر » . وقد حصل خبر كمت فيه ومعه . وقوله « رأيت الذى » تفصيلٌ
 لما أجملة قوله « أتعبتك الناظر » .

(١) كذا فى ل . وفى الأصل : « حال ما أتعذب » .

٤٦٦

وقال الصمة بن عبد الله القشيري^(١) :

١ - أقول لصاحبي والعيس تهوى بسا بين المنيفة — فالضمار^(٢)

٢ - تمتع من شميم عرار نجد فسا بفد الشبية من عرار

العيس : بياض في ظلمة خفية . والعرب تجعله في الإبل العراب خاصة .
والمنيفة : موضع ، أو هضبة مرتفعة^(٣) . ومنه : أناف على كذا ، أى أشرف ،
وقولهم : مائة ونيف . والضمار : مكان أو وادٍ منخفض يضمر السائر فيه ،
لذلك قال الأعشى :

نراناً إذا أضمرتكَ البِلَا د نَجْفَى وَتَقَطَّعُ مِنَّا الرَّحِمُ

ومنه قيل للعدة المسوفة : الضمار ، وقيل لما لا يُزجى رُجوعه من المال :
الضمار . قال :

* وَعَيْنُهُ كَالسَّكَالِي الضَّامِرِ^(٤) *

يذمه بأن حاضره كفاثه . يقول : إني أجارى رفيقي وأبائه فصننا ،
والرَّواحِلُ تُسرِعُ بين هذين الموضعين ، وأقول في أثناء ذلك متلهفاً : استمتع
بشم عرار نجد ، فإننا نعدمه إذا أمسينا بخروجنا من أرض نجد ومنايته .

(١) التبريزي : « وقال آخر » . « الصمة هذا خير والد دريد . وقد سبقت ترجمة الصمة
ابن عبد الله في المقطوعة ٤٥٤ من ١٢١٥ .

(٢) اللالكى ١٤٠ : « تحدى » . والأبيات في زهر الآداب (٣ : ١٠٣) ومعجم
البلدان (الضمار ، المنيفة) بدون نسبة . ونسبت في معاهد التنصيص (٢ : ٨٥) الصمة ، ثم
قال : وقيل : الأبيات لبلعة بن معاوية بن حزم العقيلي . وفي الوساطة من ٣٤ نسخة أبيات
منها بلا غزو .

(٣) في معجم البلدان أنه ماء تميم على فاج ، بين نجد واليمامة .

(٤) انظر مقاييس اللغة (٥ : ١٣٢) .

والشِّمِيمُ : مصدر ، وأكثر ما يحىء فعليلٌ مصدرًا في الأصوات ، كالصَّهِيلِ
والشَّحِيجِ ؛ ومثله العَذِيرُ والنَّكِيرُ . ويقال : تَمَتَّعْتُ بكذا ومن كذا .
والعَرَّار : بقلَّةٍ صفراء ناعمة طيبة الرِّيح ، والواحدة عَرَّارَةٌ . قال الخليل :
العَرَّارَةُ البهَّارَةُ البرِّيَّةُ ، وقيل هو شجر . وقد شُبِّهَ لَوْنُ المَرَأَةِ بها . قال الأعشى :
بَيْضَاءَ صَخَوَاتِهَا وصفه راء العَشِيَّةِ كالعَرَّارَةِ

وقوله « مِنْ عِرَارٍ » من لاستغراق الجنس ، وموضع « من عرار » رفع
على أن يكون اسمًا . والواو من قوله « والعيس تهوى بنا » واو الحال ، وموضع
« تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمٍ » نصبٌ لأنه مفعول أقول . وقوله « بَيْنَ الْمُنِيفَةِ وَالضَّمَارِ »
أجود الروايتين « بَيْنَ الْمُنِيفَةِ وَالضَّمَارِ » ، لأنَّ بَيْنَ يدخلُ لشئَيْنِ يتباين أحدهما
عن الآخر فصاعدًا ، وإذا كان كذلك لا يكتفى بقوله المُنِيفَةُ فيرتب عليه الضمار
بالفاء العاطفة ، اللهم إلا أن تجعلَ بَيْنَ الأجزاء « المُنِيفَةُ » فتصير المُنِيفَةُ كاسم
الجمع ، نحو القوم والعشيرة وما أشبههما . وعلى هذا حُمل قول امرئ القيس :

* بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْتِلِ^(١) *

وكان الأصمى يرذِّه ويرويه بالواو .

- ٣ - أَلَا يَا حَبْدًا تَفَحَّاتُ نَجْدِي وَرَبًّا رَوْضِي غِبَّ الْقِطَارِ^(٢)
٤ - وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِ
٥ - شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَارِ^(٣)

(١) البيت أول معلقة امرئ القيس . وهو بتمامه :

قَنَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقَطِ الْوَيْ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْتِلِ

(٢) ل والتبريزي : « بعد القطار » .

(٣) ضبطت السين بالفتح والكسر في الأصل والتبريزي . وسيأتي في التفسير أن
الأنصح الفتح .

ألا : حرفٌ لافتتاح الكلام ، والمنادى في يا حَبْذا محذوف كأنه قال
يا قوم أو يا ناس ، حَبْذا نفحات نجد . وارتفع نفحات بالابتداء ، وخبره
حَبْذا ، كأنه قال : محبوبٌ في الأشياء نَفَحَاتُ نَجْدٍ ، وهو تَضَوُّعُ الرِّيحِ
بالنَّسِيمِ الطَّيِّبِ . ويقال : له نَفْحَةٌ طَيِّبَةٌ وَخَيْبَةٌ . وقوله « رَيَّا رَوْضِهِ » يراد
بها الرَّائِحَةُ هنا . وارتفع قوله « وَأَهْلُكَ » عَطْفًا عَلَى وَرَيَّا ، وهما جميعاً معطوفانِ
على « نَفَحَاتُ » وكأنه قال : وَحَبْذا أَزْمَانُ أَهْلِكَ حِينَ كَانُوا نَازِلِينَ بِنَجْدٍ
وَأَنْتَ رَاضٍ مِنَ الزَّمَانِ ، لمساعدته إِيَّاكَ بِمَا تَهْوَاهُ وَتُرِيدُهُ ، فَلَا تَعْيِيبُهُ
وَلَا تَشْكُوهُ . ويقال : زَرَيْتُ عَلَيْهِ ، إِذَا عَيَّبْتَ عَلَيْهِ ؛ وَأَزَرَيْتُ بِهِ ، إِذَا قَصَّرْتَ
بِهِ . وقوله « وَأَنْتَ » الواو واو الحال ، وارتفع « شهورٌ » على أنه مبتدأ ،
وهو تفسير الزَّمان الذي حَمَدَهُ وَتَلَمَّهْتَ عَلَى انْقِضَائِهِ . وقوله « يَنْقُضِينَ » خبره .
ويجوز أن يرتفع شهور على أنه خبر مبتدإ محذوف ، وما يَنْقُضِينَ حينئذ يكون
صفةً له . وقوله « وَمَا شَعَرْنَا » أى مَا عَلِمْنَا . يقال : شِعْرَةً وَشِعْرًا . ومنه
الشُّعْرُ . يقال : شَعَرَ الرَّجُلُ ، إِذَا قَالَ الشُّعْرَ ، فَشِعْرٌ بِكسر العين أى صار
شاعراً . وَسَرَّارُ الشَّهْرِ : آخِرُهُ ؛ لِأَنَّ الْقَمَرَ يَسْتَسِرُّ فِيهِ . وَقَدْ حُسِّبَ كسر
السين فيه ، وليس بكثير . والمعنى : يا قومُ ، محبوبٌ فيما تَقْضَى نَسِيمُ أرواح
نَجْدٍ وَرَوَائِحُ رِيَاضِهِ عِقَبَ إِيْتَانِ الْمَطَرِ عَلَيْهِ ، وَهَزَّ الرِّيحُ لِبَاتِهَا . ومحبوبٌ
أَيْضًا زَمَانُ أَهْلِكَ وَإِقَامَتُهُمْ بِنَجْدٍ ، حِينَ كُنْتَ تَشْكُرُ وَقَتَكَ وَتَرْضِيهِ ،
إِذْ كَانَتْ شَهْرُهُ وَأَيَّامُهُ تَنْقُضُ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ بِأَنْصَافِهَا ، وَلَا بِأَوَائِلِهَا
وَأَوَاخِرِهَا ، لَا شَتِغَالِكَ بِلَهْوِكَ ، وَذَهَابِكَ فِي غَفْلَتِكَ . وَهُمْ يَسْتَقْصِرُونَ أَيَّامَ
السَّلَامَةِ وَالسَّعَادَةِ وَمَوَاصِلَ الْأَحَبَّةِ ، وَعِنْدَ طَاعَةِ الدَّهْرِ وَالْأَقْدَارِ لَهُمْ ،
كَمَا يَسْتَطِيلُونَ مَا كَانَ عَلَى خِلَافِهِ مِنَ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ .

٤٦٧

وقال آخر :

- ١- وتماشجاني أنها يومَ أعرَضَتْ تولَّتْ وماء العينِ في الجفنِ حائرُ
٢- فلمَّا أعادتْ من بعيدٍ بنظرةٍ إلى التفاتنا أسلمته المحاجرُ
يقول مُلماً بالمعنى الذي شرحه أبو تمام حين قال :

لأودَّعَكَ ثُمَّ تَدَمَّعُ مُقَلَّتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
يقول: وتما حزنتي وصار نَضَبَ عَيْنِي وَحِلْفَ قَلْبِي^(١) تُذَكِّرُنِيهِ الْأَحْوَالُ
فلا أنساه، وتمثله لناظري الأوقات فلا أنغابه، أن صاحبتني يومَ الْفِرَاقِ عند
الوداع أعرَضَتْ لِي وَدَمَعُهَا يَتَرَقَّرُ فِي جَفْنِ عَيْنِهَا وَيَتَحَيَّرُ، لامتلائها به،
إلا أنها كانت تحبسه فلا تُسِيلُهُ، فلمَّا أعادت التفاتها إلى بعد إعراضها عني،
بنظرة جَدَّدَتْهَا، أسلمت محاجرُ عَيْنِهَا ما اجتمع فيها من الدَّمْعِ، فتحدَّرت في مدامعها؛
لأنَّ ذلك كوداع ثانٍ منها، وكمُتَمِّمةٌ مَتَّقَتْنِي بها وزِيَادَةً زَادَ فِي الْحُبِّ زَوْدُ تَذْنِيبِهَا.
وقوله « أنها » مبتدأ و « تماشجاني » خبره . ويقال : شجاه يشجوه شَجْوًا
فَشَجَى يَشْجَى ؛ فهو شَجِرٌ . وحرار الماء والدَّمْعُ ، إذا تحَيَّرَ في موضعه وقد
مَلَأَ فلا موضعَ له . وقوله « أعرَضَتْ » : أبَدَتْ عُرْضَهَا . وخبر أن تولَّتْ .

وقوله « فلما أعادت » يجوز أن يكون التفاتاً مفعولاً أعادتْ ، وموضع بنظرةٍ
حالاً ، كأنه قال : لما أعادت التفاتها ناظرةً من بعيدٍ إلى أسلمته . وجواب لما
« أسلمته » ، وإلى تعلق بنظرةٍ . ولا يجوز أن يتعلق بالتفاتا ، لأنه إذا جُعِلَ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « خلف قلبي » .

كذلك يكون صلة المصدر وقد قُدمت على للوصول . ويجوز أن يكون بنظرة في موضع المفعول لأعادت ، والباء إن شئت جماعها زائدة ، وإن شئت جعلتها مؤكدة ، كما جاء في قول الآخر^(١) :

* سَوْدُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالشَّوْرِ^(٢) *

ويصير « التفاتاً » مصدراً في موضع الحال ، والتقدير : لما أعادت نظرتها من بعيد إلى ملتقنة أسلته . والهاء من أسلته للدفع كما قدمته . والحاجر : جمع للخجر ، وهو ما يبدو من نقاب المرأة إذا تنقبت . والكيئة حول العينين^(٣) يقال لها : التعجير . ويقال : حَجَرَ القمُرُ ، إذا استدار حوله خط رقيق .

٤٦٨

وقال آخر :

- ١- وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكَاشِحِينَ تَتَّبَعُوا هَوَانًا وَأَبْدَوْا دُونَنَا نَظْرًا شَرًّا
 - ٢- جَمَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قِلٍّ أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا
- الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع ، والكاشح : العدو الباطن العداوة . ويقال : هو بين الكشاحة والكاشحة : ويقال : طوى فلان كشحه على كذا ، إذا استمر عليه . وهذا كلام مَبْقِي على المحبوب ، كاره لا انتشار القالة فيها ، مختار لاستتار الهوى بينهما . فيقول : لما رأيت الوشاة يتتبعون أحوالنا بالمخيمة وإفشاء أسرارنا ، وأخذوا ينظرون إلينا نظراً الأعداء بتخديق شديد ،

(١) هو الراعي الغيري ، أو القتال الكلابي . انظر ما سبق في حواشي ٣٨٣ .

٥٠٠ ، ٦٠٦ .

(٢) صدره : من الحرائر لا ربات أحرة .

(٣) ل : العين .

واستكشاف لما خفي من أمرنا بليغ ، أقبلتُ أحترزُ وأقصرُ أشواطهم فيما ينتحونه من مساءتنا ، والقعود والقيام بذكرنا ، فأتأخرُ عن زيارتكم شهراً وأوافيكم يوماً ؛ هذا ولا أقصدُ جفاء ولا أضمرُ بفضاً ، وإنما بي مضي أيماننا بالسلامة منهم ، وردُّ كيدهم في نحورهم ، ولثلاثاً يجدوا مقالا فيركبون عليه قصصاً وأنباء . وقوله « نظراً شزراً » يقال : هو يشزِرُ الطرفَ إلى ، إذا نظرَ نظراً مفكراً يقين فيه العداوة . قال أوس^(١) :

إِذْ بَشَّرُونِ إِلَى الطَّرَفِ عَنْ عُرْضٍ كَانَ أَعْيُنُهُمْ مِنْ بَفْضَتِي عُورُ
وقوله « جملتُ » لا يحتاج إلى مفعول لأنه في معنى طِفِئتُ وأقبلتُ . وانتصب يوماً وشهراً على الظرف ، و « تتبَّعوا هواناً » في موضع المفعول الثاني لرأيت .

٤٦٩

وقال بعض القرشيين^(٢) :

- ١- يَبْنِمَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالْقَا عِ سِرَاهَا وَالْعَيْسُ تَهْوِي هَوِيًّا^(٣)
- ٢- خَطَرَتْ خَطَرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكِّ رَاكِ وَهَنَا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا
- ٣- قُلْتُ لَبِيكَ إِذْ دَعَانِي لَكَ الشَّوْقُ وَلِلْحَادِيَيْنِ كُرًّا الْمَطْيَا^(٤)

(١) أوس بن حجر . ديوانه ص ٩ .

(٢) التبريزي : « وهو أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة ، خرج إلى الشام ، فلما كان ببعض الطريق ذكر امرأته صالحة بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير ، وكان شديد الحب لها ، فضرب وجوه رواحله إلى المدينة وقال : بينما نحن بالبلالكث . فلما رأت رجوعه من أجلها وسمعت الشعر قالت لا جرم والله لا أستأثر عليك بشيء ! فشاطرتة ما لها ، وكانت تضمن عليه بما لها » . وأنشد ياقوت في (البلاكث) بيتاً لكثير ، ثم قال : « وقال أيضاً » ، وأنشد الأبيات ، فهي عنده منسوبة لكثير .

(٣) ابن جني في التفتيح : « في بلاكث بالقاع » .

(٤) التبريزي وياقوت : « حشا المطيا » .

قد تقدّم القول في « بينا » و « بينا » جميعاً^(١) ، وأنهما يستعملان في المفاجأة . وانتصب « سراعا » على الحال ، لأنه جعل بالبلا كـث مستقراً . والواو من قوله « والميس » واو الابتداء وهو للحال أيضاً .

وقوله « خطرَتَ خَظْرَةٌ »^(٢) هي الحالة التي فاجأهم . وانتصب « وهنّا » على الظرف ، ومعناه بعد ساعة من الليل . وقوله « خطرَتَ خَظْرَةٌ » ، يقال : خَظَرَ بِيَالِي خُطُوراً ، وَخَظَرَ الْبَمِيرُ بِذَنبِهِ خَظَرَانًا . ويقال : سَنَحَ لِي سَاحَ ، وَجَسَ هَاجِسٌ ، وَخَظَرَ خَاطِرٌ . وكأنه أجرى خطرَتَ خَظْرَةٌ مجرى قوله : دَعَتْ دَعْوَةً مِنْ ذَكَرَاكَ ، لقوله : « قلتَ لَتَبِيكَ إِذْ دَعَانِي لَكَ الشُّوقُ » . والشاعر وَصَفَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ الْهَوَى ، وَأَنَّهُ فِي مَلَكَتِهِ ، إِذَا دَعَاهُ أَجَابَ حَتَّى لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . فيريد : بينما نحنُ بهذينِ الموضعينِ نسيرُ مُسْرِعِينَ ، وَالرَّوَاهِلُ تَهْوِي بِنَا فِي أَثْنَائِهِمَا وَمَعَاظِفِهِمَا ، وَتَقْطَعُ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُمَا ، خَظَرَتْ ذِكْرَةً بِيَالِي ، وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ ، فَتَحْيِرْتُ حَتَّى لَمْ أَقْدِرْ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي الْمَقْصِدِ الَّذِي كُنْتُ أَوْثَمُهُ ، وَحَتَّى لَمْ أَمْلِكْ إِلَّا إِجَابَةَ دَاعِي الشُّوقِ إِلَيْكَ بِالتَّلْبِيَةِ وَالْوَقُوفِ لَهُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قُلْتُ لِلْحَادِيَيْنِ : انْصَرِفَا وَاعْطِفَا بِرُؤُوسِ مَطْيَكُمَا ، فَقَدْ مَنَعَ مَا طَاعَتُهُ أَوْجِبُ ، وَدَفَعَ فِي صَدُورِنَا مَنْ أَمْرُهُ أَنْفَذُ .

وقد تقدّم الفرق بين الهوى والهوى^(٣) .

وقوله « بالبلا كـث فالقاع » رَتَّبَ الْقَاعَ عَلَى الْبَلَاكِ بِالْفَاءِ الْعَاطِفَةِ ، كَأَنَّهُ ارْتَقَى مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَبِحُزْزٍ أَنَّ الْبَلَاكَ اسْمُ لِبْقَاعٍ مُخْتَلَفَةٍ ؛ لِأَن بِنَاءَهُ بِنَاءُ الْجَمْعِ . وقوله « لَتَبِيكَ » هو من أَلَبَ بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ كَمَا أَنَّ سَبْحَانَ اللَّهِ لَا يَنْصَرِفُ . وَالْكَلِمَةُ مُثْنَاءٌ عِنْدَ سَبْيُوهِ ، وَالْمُرَادُ عِنْدَهُ إِقَامَةٌ

(١) انظر ما مضى في الحماسية ٤٤٩ ص ١٢٠٣ .

(٢) الكلام بعده إلى « خطرَتَ خَظْرَةٌ » التالية ، ساقط من ل .

(٣) انظر ما سبق في ص ٩١ .

لَدَاغِي تَتَّبِعُهَا إِقَامَةً وَدَوَامًا عَلَى طَاعَتِهِ وَمَتَابَعَتِهِ . وَيُقَرَّنُ بِهَا سَعْدِيكَ ، الْمَعْنَى :
مُسَاعَدَةً بَعْدَ مُسَاعَدَةٍ وَاسْتِمْرَارًا عَلَى مَشَايِعَتِهِ . وَحَصَلَ التَّكْنِيزُ وَالِاتِّصَالُ فِيهِ
بِالْتَّنْزِيَةِ ، كَمَا حَصَلَ بِالتَّكْرِيرِ فِي قَوْلِكَ : ادْخُلُوا الْأَوَّلَ فَلَا أَوَّلَ . قَالَ سَيَبَوَيْه :
أَخْبَرَنَا أَبُو الْخَطَّابِ أَنَّهُ يُقَالُ لِلْمُدَاوِمِ عَلَى الشَّيْءِ لَا يُقْلَعُ عَنْهُ وَلَا يَفَارِقُهُ : قَدْ
أَلْبَّ عَلَيْهِ . أَنْشَدَ لِلْتَّنْزِيَةِ فِيهِ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

دَعَوْتُ إِمَامًا نَابِيًا مِسُورًا فَلَبَّيْ فَلَئِنِّي يَدَيَّ مِسُورٌ ^(١)

هَكَذَا رَوَاتُهُ وَإِنْشَادُهُ عَنِ الْعَرَبِ بِهَذَا اللَّفْظِ . وَحُكِيَ أَيْضًا عَنْ بَعْضِهِمْ :
لَبَّ بِالْكَسْرِ ، يَجْعَلُهُ صَوْتًا مِثْلَ غَاقٍ . وَعِنْدَ يُونُسَ أَنَّهُ مُوَحَّدٌ آتِي ، وَانْقِلَبَ
أَلْفُهُ يَاءً كَمَا انْقَلَبَ فِي عَلَيٍّ وَلَدَيٍّ عِنْدَ الْإِضَافَةِ إِلَى مُضْمَرٍ . وَعَلَى مَذْهَبِهِ يَجِبُ أَنْ
يَكُونَ « فَلَبَّيَّ يَدَيَّ » كَمَا أَنَّ عَلَيٍّ وَلَدَيٍّ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى الظَّاهِرِ لَا يَتَغَيَّرُ
أَلْفُهُا . تَقُولُ : عَلَى زَيْدٍ وَإِلَى عَمْرِو .

٤٧٠

وَقَالَ آخِرُ ^(٢) :

١ - اسْتَذْبِقِ دَمْعَكَ لَا يُودِ الْبُكَاءُ بِهِ وَاسْكُفْ مَدَامَعَ مِنْ عَيْنَيْكَ تَسْتَذْبِقُ

(١) الْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ سَيَبَوَيْهِ الْخَمْسِينَ الَّتِي لَمْ يَعْرِفْ لَهَا قَائِلٌ . سَيَبَوَيْه (١ : ١٧٦) ،
وَالْخَزَائِفَةُ (١ : ٢٦٨) .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ » . وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَةَ بْنِ هَرْمَةَ الْفَهْرِيُّ ،
كَانَ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَعَاصِرِينَ لِحَرْبِرٍ . وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ : خَتَمَ الشُّعْرَاءُ بِابْنِ هَرْمَةَ ، وَحَكَمَ
الْحَضَرِيُّ ، وَابْنُ مِيَادَةَ ، وَطُفَيْلُ الْكَثَنِيِّ ، وَدَكَيْنُ الْعَذْرَى . وَفِي الْأَخَافِ (٤ : ١١٣) :
« وَلَدَ ابْنُ هَرْمَةَ سِتَّةَ تَسْعِينَ وَأَنْشَدَ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

إِنِ الْغَوَايِ قَدْ أَعْرَضْنَ مَقْلِيَّةً لَمَّا رَمَى هَدَفَ الْخَمْسِينَ مِيلَادِي

ثُمَّ عَمَرَ بَعْدَهَا مَدَّةً طَوِيلَةً » . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَنِّي فِي الْمَبْجُوعِ ٥٥ أَنَّ مَأْخِذَ هَرْمَةَ مِنَ الْهَرَمِ ،
بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ التَّنْبِتِ . وَانْظُرِ الْخَزَائِفَةَ (١ : ٢٠٣ - ٢٠٤) وَاللَّكْنَ (٣٩٨
وَالشُّعْرَاءُ ٢٧٩ - ٣١٧) .

٢ - ليس الشؤون وإن جادت ببقية ولا الجفون على هذا ولا الخلق قوله « لا يؤد البكاء به » يجوز أن يكون جواب الأمر ، ويجوز أن يكون نهياً وهو أحسن وإن لم يكن معه حرف العطف ، وذلك لأنه قد ذكر بعده « واكف مدامع من عينيك » ولم يأت له بجواب ، كأنه أمره باستبقاء الدمع ، ونهاه عن التهالك في البكاء فيفسد عليه آلته . ثم أمره بكف المدامع وهي تسبق . وإذا كان الكلام نهياً بعد أمر وأمرأ بعد نهى ، كان أبلغ . ومعنى أودى بكذا أهلكه . والاستباق في المدامع مجاز ؛ لأن الذى استبق فى التحدث هو الدمع . والدمع : تجرى الدمع ، ولا يمنع أن يكون الدمع اسماً لحدث الذى هو السيلان ، كأنه موضوع موضع الدمع ، وهو مصدر دمت ، ويكون المراد به أيضاً العين الذى هو الجارى ؛ لأن الاستباق لا يصح إلا فيه .

وقواه « ليس الشؤون وإن جادت ببقية » يريد : أنك إن أدمنت البكاء استهلكت منابع الدمع ومجاريها ، وأطباق العين وحمايقها ؛ لأن شيئاً من هذه الآلات وإن سمحت بالإجابة مدة لا يدوم على فعلك ، ولا يقوم لتكليفك . وقواه « على هذا » أشار بهذا إلى فعله ، وعلى تعلق ببقية ، وهو مضمّر دل عليه الباقية المذكورة ، كأنه قال : ولا الجفون باقية على هذا ، وجمل « لا » من قوله والجفون بدلاً من ليس ، والجفن فى اللغة : المنع والحبس ؛ لذلك سُمي غلاف السيف الجفن .

٤٧١

وقال آخر :

١ - قد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزَلْ بى النقص والإبرام حتى عسلانيا يقول : بقيت أزاوِلُ الحب وأجاذبه ، وهو معنى متردد بين أن أعلوه تارة

فأدفعه عن نفسه بجهدي ، وبين أن يعلوني فيغلبني على مرادي ، وبأخذ مفره من فؤادي ، فلم نزل بين النقص والإسار ، أنقض عليه وهو يُعِرُّ ، وينقض عليّ وأنا أُعِرُّ ، إلى أن صار القلب له .

وهذا الذي أشار إليه حالة الحب إذا لم يكن عن اعتراض . لذلك قال أبو تمام :

هَوَى كَانَ خَلْسًا إِنْ مِنْ أَبْرَحِ الْهَوَى هَوَى جُلَّتْ فِي أُنْيَانِهِ وَهُوَ جَائِلٌ^(١)
كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْمَحْبُوبَ فَيَسْكُرُ فِي مُحَاسِنِهِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَوَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ،
وَيَسْتَجْلِبُهَا^(٢) شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ ، إِلَى أَنْ يَصِيرَ لَهَا فِي قَلْبِهِ قَادِحٌ وَنَازِعٌ ، فَيُدْفَعُهُ
عَنْ نَفْسِهِ بِأَنْ يَزِيْفَ تِلْكَ الْحَاسِنَ ، وَيَتَنَاسَى وَيَذُرُّ فِي صَدْرِ ذَلِكَ الْقَادِحِ مِنَ
الْهَوَى وَيَتَأَنَّى^(٣) ، فَكَلَّمَا قَدَّرَ أَنَّهُ قَدْ تَحَلَّى عَاوَدَةَ الْوَسْوَاسِ جَدْعًا ، فَلَا يَزَالُ
بَيْنَ الْقَبُولِ وَالْامْتِنَاعِ ، وَالتَّيَاسُكِ وَالْإِنْهِيَارِ ، وَمَدَافِعَةِ الدَّاءِ بِالْذَّوَاءِ ، إِلَى أَنْ
يَصِيرَ الْقَلْبُ لِلْهَوَى .

والمعرض من الهوى هو الذي يقع عن أول وهله ، فيسبى القلب في دفعة واحدة ، إلا أن تركه أسرع ، كما أن أخذه أسرع . على ذلك قول الأعشى :

* عُلِّقْتُهَا عَرَضًا^(٤) *

وما يجري مجراه . وهم يشبهون مثل هذا الهوى بنار توقد بضرام أو بقرعج
وما يجري مجراه ، فترتفع سريعاً وترجع سريعاً . وأنشد ابن الأعرابي بيتاً

(١) في الديوان ٢٥٦ :

هوى كان خلساً إن من أحسن الهوى هوى جلت في أنيانه وهو غامل

(٢) ل : « ويستجلبها » .

(٣) ل : « ويتأنى » .

(٤) البيت بتمامه :

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً فغري وعلق أخرى غيرها الرجل

في قسمة [الموى] ^(١) زعم أنه لا ثانی له ، وأن قائله لا يعرف وهو :
ثلاثة أحبب فحبب علاقةً وحُبَّ تِمْلَاقٍ وحُبَّ هو القتل ^(٢)
يعنى ما يكون من تمثّل وطول تأمل .

٢ - ولم أر مثلينا خليلي جنابةً أشدَّ على رَغْمِ المدوِّ تصافياً
نبه بهذا الكلام على أنها مع المجانبة واستعمال الحذر ، واستدفاع شرِّ
الرقباء والحافظين بترك الورود والصّدْر ، وإكساد سوق الوُشاة والنّمامين
بإخماد نائرة الخبَر ، يُصافى كلُّ واحدٍ منهما صاحبه ، حتّى لا خلل في الموى
ولا فساد ، ولا استزادة في الحبِّ ولا هتَاب ، ولا تسلُّ شهمة ^(٣) لعارضٍ تسلِّ ^(٤)
وحؤولٍ عن عهد .

وإنما قال « على رَغْمِ المدوِّ » استهانةً بهم . وهو من الرّغام : التّراب .
وإذا قيل : أرغم الله أنفه فالعنى أذله الله وأسخطه . وانتصب « تصافياً » على
التمييز . وقوله « خليلي جنابةً » انتصب على أنه بدل من مثلينا ، وأشدّ مفعول
ثانٍ لأرى .

٣ - خَلِيلَيْنِ لَا تَرْجُو لِقَاءَ وَلَا تَرَى خَلِيلَيْنِ إِلَّا يَرْجُوَانِ التَّلَاقِيَا
ذكر أن اليأس قد استقرَّ في قلب كلِّ واحدٍ منهما من مُلاقاة صاحبه
والتّصافى بينهما هو أن ذلك من كمال البلاء ، إذ لا يُوجد خليلان غيرهما إلا وهما
على شفا الرّجاء في الاجتماع ، وقوّة من الطمع في الالتقاء والاستمتاع ، واليأس لدى

(١) التكلّة من ل .

(٢) كذا ضبط البيت في النسختين ، ويصح أن يقرأ بالإضافة ، بجر « علاقة » .
و « تملّاق » . وانظر مجالس ٢٩ . وفي إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه
ص ٨١ ، قال ثعلب : ومثله :

ثلاثة آيات فيت أحبه وبيتان إيسا من هوأى ولا شكلي

(٣) ل : « بهمة » .

(٤) في الأصل : « تشك » صوابه في ل .

أشار إليه كأنه لارتفاع منزلة محبوب عن منزلته : أولس كثرة أليائه وقوته
عشيرته أو لعفائه وتألمه ، وما يجرى مجراها .

٤٧٢

وقال آخر^(١) :

١ - وكلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمانِ رأيتها سِوى فُرقةِ الأحبابِ هَيْئَةُ الخَطْبِ^(٢)
موضع « سِوى فُرقةِ الأحبابِ » نصب على أنه مستثنى مقدم ، لأن
تقدمه على صفة المستثنى منه كتقدمه عليه نفسه . ومعنى البيت ظاهر .

٤٧٣

وقال الحسين بن مطير^(٣) :

١ - فَيَا عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْرِفُونَنِي كَأَن لَمْ يَرَوْا بَعْدِي مُحِبًّا وَلَا قَبِيلِي
قوله « يستشفونني » أى ينظرون إليّ ، وتطمعُ أبصارهم نحوى .
ويودّون أنى على شرف من الأرض ، لأكون معرّضاً لهم .

والشاعر أخذ يتعجب من أحوال الناس فيما رأوه عليه ، واستطرافهم
لحالته فى حُبِّه ، واستشفافهم لما يشاهدونه عليه ، حتى كأنه يدعُ من الحوادث
لم يشاهد مثله ، ولم يقع فى تقدير أحدٍ جواز صورته ، فقال : يا عجبا للناس فى حال
استشفافهم لى ، واستطلاعهم من جهتي ما أنا عليه ، وإفراطهم فى التعجب بما
يحدوننى مبتلى به ، ومرهوناً له كأنهم لم يشاهدوا قبل مشاهدتهم لى ، ولا بعد

(١) هو قيس بن ذريح ، صاحب لى . انظر مجالس ثعلب ٢٨٥ - ٢٨٧ وشرح
شواهد الغنى للسيوطى ١٨٣ والأغانى (٨ : ١١٢) .

(٢) رواية ثعلب والسيوطى عنه :

وكل ملأت الدهور وجدتها سوى فرقة الأحباب هيئة الخطب

وفى الأغاني : « وكل ملأت الزمان وجدتها » .

(٣) سبقت ترجمته فى الحماسة ٣١٩ ص ٩٣٤ .

مشاهدتهم لى محباً، وكان الحب شئاً أنا ابتدعته^(١)، وكان مسبباته لم توجد قط إلا فى . وليس الأمر كذلك ، لأن الدنيا وأهلها إذا توثقت أحوالهم فيها لم يؤوز تقديرًا أو تحصيلًا من حاله حال مثلى فيه زائدًا على ما أنا عليه ، أو قاصرًا عنه . هذا إذا جعلت « لم يروا » بمعنى لم يشاهدوا . فإن جعلته بمعنى لم يعلموا كان المعنى أكشف وأبين ، إلا أنه يكون بمعنى يعرف ، ويكتفى بمفعول واحد . وقوله « بعدى » أى بعد رؤيتهم لى ، فحذف المضاف ، وكذلك قوله « ولا قبلى » يريد ولا قبل رؤيتهم لى . وقوله « يا محباً » يجوز أن يكون مضافاً ، ويجوز أن يكون مفرداً ، وقد تقدم القول فيه فى أشباهه .

٣- يقولون لى اضرم برجع العقل كله وضرم حبيب النفس أذهب للعقل يقول : يشير الناس على بالتسلى عنها ، والأخذ فى مصارمتها ، وأخذ النفس على الانفكاك منها ، فإن فى ذلك بزعمهم إذا تدرجت فيه مراجعة العقل كاملاً ، وانزع ربة الذل عاجلاً . وإذا تأملت حالى فى قبول ما يشيرون به ، وركوب الجد فى قطيعتها ، والخيولة بين النفس وصرادها فيها ، وجدت ذلك أدعى إلى زوال العقل كله ، وإن كان الباقي معه شفاقة ، وأجلب للملاك النفس ، وخرج الصدر ، وإن كنت عائشاً بصُبابَةٍ . وقوله « أذهب للعقل » قد تقدم القول فى أن سيويته يجوز بناء فعل التعجب بعد الثلاثى مما كان على أقل خاصة ، فإذا جاز ذلك فبناء التفضيل يتبعه .

٣- وياعجباً من حب من هو قاتلى كائن أجزيه المودة من قتلى تعجب من حال نفسه فى مقاساة^(٢) ما يقاسى منها ، وبقائه^(٣) على حبها

(١) ل : « أبدعته » .

(٢) ل : « مقاساته » .

(٣) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « ويمانيه » .

فيقول : إني أداوم اعتقاد الجليل لها ، وقيام القلب بعمارة الهوى فيها ، حتى كآني أجازيها على قتلها إياي بأن أزيد في ودّها وإخلاص العقيدة لها . وقوله « من قتلى » أراد من قتلها لي . والمصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل ، وكذلك قوله « من حب من هو قاتلي » أي من حبّي من هو قاتلي ، لأنّ مَنْ في موضع المفعول . وقوله « يا عجباً » يجوز أن يكون الألف بدلاً من ياء الإضافة ويجوز أن يكون ألف التثنية وزيدت ليمتدّ الصوت به ، ويكون يا عجب منادى مفردا ، وامتداد الصوت يدلّ على عظم البلية ، وتفخيم أمر العجيبة .

ع - وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَيَّ قَابِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي يقول : وَمِنْ آيَاتِ حُبِّي الْبَيِّنَةِ ، وشواهد الصّادقة ، على تكامله لها ، وتناهيه في استحكامها ، أني أوثر أهلها على أهلي ، وأنّ رتبتهم في العين والقلب أعلى من رتبة عشيرتي عندي . وقد خلّص هذا المعنى عنثرة حيث قال :
عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمَا لِعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ^(١)
لأنّ في قضية الهوى والعقل أنّ حبّها مع عداوة أهلها ليس بمقتضى ولا متسبّب ، بل يُنافي كلّ واحدٍ صاحبه^(٢) ، وأنّ الواجب أنّها إذا كُرِّمت عليه فكلّ متسبّب إليها بسبب ، ومتسبّب [بنسب^(٣)] ، يجب أن يكون مؤثرا عنده ، مبيّلا في حكمه .

وأبين من ذلك كلّ قولٍ الآخر :

وَأُقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذِنَابَ الْفَلَا حُبَّتْ إِلَيَّ ذُنُوبُهَا^(٤)

(١) الزعم ، بالتحريك وبالفتح : الطمع . وهذا البيت شاهده .

(٢) ل : « بل ينافي صاحبه » . (٣) التكلّة من ل .

(٤) سيأتي هذا البيت في الحماسة ٥٣١ .

وقوله « أن كان أهلها » أن مخففة من الثقلية ، أراد أنه كان أهلها ، والماء من أنه ضمير الأمر والشأن ، وقد تقدم مثله . وموضع أن بما بعده رفع بالابتداء وخبره قوله ومن بينات الحب .

٤٧٤

وقال عمر بن أبي ربيعة^(١) :

- ١- وَلَمَّا تَفَاوَضْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْفَرَتْ وَجُوهُ زَهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّمَا^(٢)
 - ٢- فَقُلْتُ لِمَطْرِبِينَ وَيَحْكُ إِنَّمَا ضَرَرْتَ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَقْنَمَا^(٣)
- قوله « لما » يحتاج إلى جواب ، لأنه لوقوع الشيء لوقوع غيره ، إذا كان علما للظرف ، فيقول : لما تفاضنا الحديث ، واندفعنا فيه ، وأشرقت وجوه تلامذنا نورا ، استخفت أربابها الحسن الجائل في جوانبها ، ومنعها من أن يسقرها بفتح عجبها بها ، والتذاذاً بخوض عيون الناس في محاسنها ، قلت للمثنى عليهما : إن ثناءك يضركنا ، لتنبيهك على كثير مما اعله يخفى عليهما من دقائق الجمال ،

(١) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي ، أحد شعراء الغزل في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ولد في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣ ونفاه عمر بن عبد العزيز إلى « دهلك » لما شاع غزله وتعرضه للنساء ومنهن سكينه ، وابنة لعبد الملك ابن مروان ، ثم غزا في البحر ، فأحرقت السفينة التي كان فيها فاحترق ، وذلك في سنة ٩٣ . الأغاني (١ : ٢٨ ٩٤) والحزانة (١ : ٢٣٨ - ٢٤٠) ، ووفيات الأعيان والشعر والعشراء ٥٣٥ - ٥٤٠ .

(٢) بعده عند التبريزي :

تَبَاهَنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنِي وَقَلْنَ امْرُؤًا بَاحٌ أَكَلْ وَأَوْضَا

وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَتْسِمٍ يَقِيسُ ذِرَاعًا كَلَمًا قِشْنَ إَصْبَعَا

(٣) في الديوان ٣٣ وأمال القائل (٢ : ٤٩) : « لمطهرين بالحسن » . وفي الأصل : « ويلك إنما » ، والتفسير يقتضي ما أثبت من ل والتبريزي .

ولطائف الكمال . إذ كان ذلك يزيد في الإعجاب بأنفسهن ، ويُكسب^(١) السكبر في أخلاقهن ، فهل تقدرُ بذلك ذلك على ما ينفقنا معهن . وجواب لنا إن شئت جعلته « فقلت » على أن يكون الفاء زائدة ، وإن شئت جعلته محذوفاً ، كأنه قال : لما فعلنا ذلك كله توانستنا ، أو ما يجري مجراه . وقد تقدم القول في أن لو ولما وحتى يُحذف أجوبتها ، ويكون إنباهها لِحذفها أبلغ في المعنى . ويقال : أطرى فلانُ فلاناً ، إذا مدحه بأحسن ما قدر عليه . وقوله « تستطيع » منقوص عن تستطيع . ويصح ، قال الأصمى : هو ترخم ، فإذا أضيف بنير اللام بُنِصَبُ ، ويكون العامل فيه فعلاً مضمرًا ، كأنه قال : ألزمت الله ويحك ، وانتصَبَ فتتفعماً بأن مضرة ، وهو جواب الاستفهام . ومعنى « زهاها الحسن » استخفها ويقال : زهت الأمواج السفينة والرياح النبات . وقوله « أن تتفعماً » أراد من أن تتفعماً ، وهم يحذفون الجار مع أن كثيراً .

٤٧٥

وقال أبو الرئيس التغلبي^(٢) :

- ١ - هل تُبْلِغُنِي أَمْ حَرْبٍ وَتَقْدِفُنْ عَلَى طَرْبٍ بِيُوتَ مَمِّ أَقَاتِلُهُ
 - ٢ - مُبِينُهُ عِنِّي حُسْنٌ خَذِرٌ وَمِرْفَقًا بِهِ جَنْفٌ أَنْ يَفْرُكَ الدَّفَّ شَاغِلُهُ
- قوله « على طَرْبٍ » يجوز أن يتعلق بنبغائي ، ويجوز أن يتعلق بوقْدِفُنْ ،

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ويكتسب » .

(٢) كذا في النسختين واللسان (ريس) ونفس على أنه « من شعراء تغلب » . وصوابه « التغلبي » كما عند التبريزي ، وقال : « من ثعلبة بن سعد بن ذبيان » ، وهو يطابق ما في التكملة للصغاني . وفي القاموس : « وأبو الرئيس عباد بن طهمة التغلبي » ، وفي تاج العروس أنه يقال أيضاً « طهفة » ، وهـ شاعر إسلامي ، كما ذكر البغدادي في الخزانة (٢ : ٥٣٤) نقلًا عن ابن ماكولا . وذكر البغدادي في رواية أخرى أنه أبو الرئيس عباد بن عباس بن عوف ابن عبد الله بن أسد بن فاشب بن سيد بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

والفعلانُ جُمعا على قوله «مُبِينُهُ عِنِّي» وهي ناقةٌ . والاختيارُ عند أصحابنا البصريين أن يرتفع بالأقرب ، وهو تَقْدِفُنْ ، ويجوز أن يرتفع بتبْلَغُنِي ، وعلى هذا : جاءني وأكرمني زيدٌ . والطَّوْبُ : خِفَّةٌ تَلْحَقُ لِنَشَاطٍ وَجَدَلٍ ، واهتمامٍ وجزعٍ . وبُيُوتَ هَمْ ، فَعَوَّلَ من قولك : بات يبيت . كأنه هَمْ جَاءَهُ لَيْلًا فَلَا زَمَهُ . وعلى هذا قيل في الصَّمِيعِ : البَيُّوتُ . وانهصب «حُسْنُ خَدِّ» على التميز . والجَنَفُ : اللَّيْلُ . وَرَجُلٌ أَجَنَفُ : فِي خَلْقِهِ مَيْلٌ ، وقيل : هو الطَّوِيلُ المُنْحَنِي . والعَرَكُ : الدَّلَالُ والغَمَزُ . وقوله «بِهَ جَنَفٌ» في موضع النصب ، لأنه صفة لمرْفَقٍ . و«شَاغَلَهُ» صفةٌ لْجَنَفٍ . وإضافته على طريق التَّخْفِيفِ ، فهو نكرة والتدوين مَنَوِيٌّ ، كأنه شَاغَلَهُ . ويريد بقوله «بِهَ جَنَفٌ» أن المِرْفَقَ متباعدًا عن الزَّوْرِ ، لأنَّ الناقةَ فَتَلَاهُ ؛ وَلَوْلَا بُعْدُهُ [عنه^(١)] لَكَانَ يَكُونُ نَاكِتًا أَوْ حَازًا أَوْ ضَاغَطًا ، أَوْ نَاقِرًا^(٢) وذلك عَيْبٌ يَمْنَعُ مِنْ إِدَامَةِ السَّيْرِ . فيقول على وجه التَّمَنِّي : هَلْ أَرَانِي رَاكِبَ نَاقَةٍ تَوْصَلُنِي إِلَى هَذِهِ الْمَرَاةِ ، نَشِيطَةً طَرِيبَةً ، وَتَطْرَحُ عَنِّي زُنُلَ هَمْ أَزَاوُلُهُ وَأَدَافِعُهُ ، وَهِيَ تُتَلَازِمُنِي بِاللَّيْلِ وَلَا تُفَارِقُنِي . وَهَذِهِ النَّاقَةُ لَهَا شَوَاهِدُ تُوجِبُ عِتْقَهَا وَكَرَمَهَا ، مِنْ حُسْنِ الْخَدِّ وَالْمِرْفَقِ الْمُنْجَانِفِ مِنْ الزَّوْرِ .

٣ — مُطَارَةٌ قَلَبٍ إِنْ ثَنَى الرَّجُلَ رَبُّهَا بِسُلْمٍ غَرَزٍ فِي مُنَاحٍ تُعَاجِلُهُ

هذا يرجعُ إلى صفة الناقة ، والمراد أنها ذَكِيَّةُ الْفُؤَادِ ، شَهْمَةُ النَفْسِ ، فَكَأَنَّ بِهَا لِنَشَاطِهَا وَذِكَايَا جُنُونِهَا أَطَارَ قَلْبَهَا ، وَأَزَالَ مُسَكَّتَهَا . وقوله «إِنْ ثَنَى الرَّجُلَ رَبُّهَا» جوابُ الشَّرْطِ فِيهِ قَوْلُهُ «تُعَاجِلُهُ» وَأَصْلُهُ تُعَاجِلُهُ ، اللَّامُ

(١) الكلمة من ل .

(٢) الناكِت : أن يتحرف المرفق حتى يقع في الجنب فيؤثر ، فإذا حَزَ فِيهِ قِيلَ لَهُ حَازَ ،

فَإِذَا خَرَقَهُ فَذَلِكَ الضَّاعِطُ .

ساكنة للجزم ، ولكنه نُقِلَ إليها حركة الماء ، وهو ضمير يرجع إلى «رُبَّها» .
ومثله قول طرفة :

* لو أطيعُ النفسَ لم أَرُمهُ ^(١) *

يريد : لم أَرُمهُ ، فنقل . والمعنى أَنَّها خلقتها وحَدَّثتها ، متى مَّ صاحبُها
برُكوبها فتشَّى رجلها ، أى غطف بغيرِها الذى هو كالسَّلم ، وهو الرُّكَّاب ،
عاجلته فنهضت به قبل تمكُّنه من رُكوبها ، واستقراره على ظهرها .
وقد سلك هذا المسلك ذو الرُّمَّة فى البائية التى أولها :

* ما بال عينك منها الماء ينسكب ^(٢) *

حُدِّثَتْ عن الكِسْرى على بن مَهْدَى الإصفهاني ^(٣) عن شيوخه ، أن
ذا الرُّمَّة أنشد هذه القصيدة كثيرَ عَزَّة ، فلما انتهى إلى قوله :

* حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فى غَرَزِهَا تَنَبُّ ^(٤) *

قال له : أهلكَ واللهِ راكبها ، هَلَّا قُلْتَ كما قال الراعى :

تَرَاهَا إِذَا قُمْتَ فى غَرَزِهَا كَثِيلِ السَّفِينَةِ أَوْ أُوقِرُ

فهذا ما رَوَى لنا هو قد ذكر الراعى فى موضع آخر فقال :

وَكأنَ رِيضُهَا إِذَا يَاسَرَتَهَا كَأنْتَ مُعَاوِدَةَ الرَّحِيلِ ذُلُولًا

وحكى لى أن سعيد بن سلم الباهلي ، قال : قرأنا هذه القصيدة على

الأصمى من شعر الراعى ، فلما انتهينا إلى البيت رواه :

* وَكَأنَ رِيضُهَا إِذَا بَاسَرَتَهَا *

(١) صدره فى ديوان طرفة ١٦ :

• حابسى رسم وقفت به •

(٢) عجزه : • كأنه من كل مغرية سرب •

(٣) ل : « الإصفهاني » ، وإصهاني يقال بالباء وبالفاء ، ويفتح الهزة وكسرهما .

(٤) صدره : • تصنى إذا شداها بالكور جانحة •

قلت : ما معنى « باسرتها » ؟ قال : ركبتها ، من المباشرة . فسلنا ذلك أبا عبيدة عنه ، فقال : صحف والله ، إنما هو « إذا ياسرتها » أى لم أعازها ولم أفسرها . ومثله قوله .

إذا يومِرتَ كنت وفورا أدبيةً وتخبسها إن عوسرت لم تؤدب
٤ — يبارى بها القود التوافخ في البرى قليل النزول أغيد الخلق عاطله
٥ — مراجع نجد بعد فرك وبغضة مطلق بضرى أصم القلب جافله
يقول : يعارض بهذه الراحلة التى وصفها رواحل طوال الأعناق ، تنفخ فى بزاها لنشاطها ، رجل قليل النزول عنها ، ناعم الخلق عاطله ، معنى نفسه ، أى أنه يجتد فى السير ويديمه . وقوله : « مراجع نجد » أى أنه بعد أن فارق نجدًا وأبغضه خلوه من حبيبه يريد أن يراجعة وينتقل عن بضرى — وهى قرية بالشأم تطبخ فيها السيوف البصرية — ويحلبها . ومعنى أصم القلب : حديده . جافله ، أى مسرعه . ويقال : أجفل الظلم وجفل ، إذا نشر جناحيه وصرّ يمدو ، وكل هارب من شيء فقد أجفل عنه . والظلم مجفل وجافل جميعا . وذكر المراجعة والتطبيق ، واستعارة الانتقال والتخيلة .
وقد قل أبو تمام مثل هذا فقال :

* فيها وطلقت الشرور ثلاثا ^(١) *

إلا أن ما قاله هذا الشاعر أحسن ، حين زأج التطبيق بالمراجعة . وقوله « نوافخ فى البرى » النوافخ : المتنفسات نفخا لنشاطها . والبرى : الحقائق التى فى أنوفها . وقوله « أغيد الخلق » أى مثنيه ، وعاطله أى يعطله من الترفه ، ويفطمه عن النعمة . وكل مهمل متروك فهو معطل وعاطل .

(١) صدره فى ديوانه ٦٦ ،

• أرض خلعت الهر خللى خاتمى •

٤٧٦

وقال عبد الله بن عجلان النهدي^(١) :

- ١ - وَحُقَّةٌ مِسْكٍ مِنْ نِسَاءٍ لَبِسَتْهَا شَبَابِي وَكَاسٍ بَاكَرْتَنِي شَمُولُهَا
٢ - جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا مِيقَةٌ بَرَدِي نَمَتْهَا غُيُولُهَا
قوله « وَحُقَّةٌ مِسْكٍ » كناية عن امرأة جعلها لطيب ربها كظرف مِسْكٍ . ومعنى « لبستها » تمتعت بها . وقال ابن أحر :

لَبِسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عَيْشَهُ وَبَلَّيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا

وموضع قوله « شبابي » نصب على الظرف . والمعنى زمن شبابي ، ومُدَّةُ شبابي . والمصادر تُحذف منها أسماء الزمان كثيراً . وقوله « وكاسٍ » انعطف على قوله « وَحُقَّةٌ مِسْكٍ » والعامل فيها رُبٌّ ، والواو واو العطف ، وليست بنائية عن رُبٍّ ، بدلالة أنه لو كان كذلك لوجب أن يُدخل الحرف العاطف عليه ، فيقال وَوَحُقَّةٌ مِسْكٍ . والشُمُول : الحمرة التي لها عَصْفَةٌ كعَصْفَةِ السَّيَالِ . وقد قيل : هي التي تشتمل على العقل فتَمْلِكُه وتذهبُ به .

وقوله « جديدة سربال الشباب » أدخل الماء على جديدة ، والأكثر أن يقال : مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ . وطريقة سيدييه فيه أنه صفة مذكرة تبعث مؤنثاً ، ويُنَوَّى في ذلك المؤنث ما يكون لفظه مذكراً ، كأنه يَنَوَّى بالمِلْحَفَةِ إِزَاراً ، وما يجري هذا المجرى . وبعضهم يذهب إلى أنه فاعل في معنى فاعل ، فليحَقَّ الماء

(١) هو عبد الله بن عجلان بن عبد الحميد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، شاعر جاهل ، أحد المتبحرين من الشعراء ومن قتله الحب منهم ، وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجاً غيره . فأت أسفاً عليها . الأغاني (١٩ : ١٠٢ - ١٠٥) والشعراء ٦٩٦ وتزيين الأسواق لداود الأنطاكي ٧٦ - ٧٨ .

قياساً ، فهو كظريفٍ وظريقة ، لأن الفعلَ منه جَدَّ الثوبُ يَجِدُّ جِدَّةً . وبعضهم ذهبَ إلى أنه فعيلٌ في معنى مفعول ، كأن ناسجها جَدَّها قريباً ، أى قَطَعَهَا ، فلهذا يُستنكر إلحاقُ الهاء به . ومعنى « جديدة سربال الشباب » أنها في عُنفوان شبابها ، وأن عليها غَضَارَةَ الحدوث ، ونَضَارَةَ النِّشَاء ، فكانتْ سَقِيَّةً بَرْدِيَّةً . والسَّقِيَّةُ في معنى مَسْقِيَّةٍ ، جعلها اسماً ، فهي كالْبَيْئَةِ واللقطة . وشبهها بها لزيادة خِلْقَتِهَا وحُسْنِ بَنِيَّتِهَا . ألا تَرَى أنه قال : « نَمَتْهَا غُيُولُهَا » . والغُيُولُ : جمع الغِيلِ ، وهو الماء الذي يجري بين الأشجار . وقال الثَّريدِيُّ : الغِيلُ : الماء الذي بين الحجارة في بطن وادٍ . والغِيلُ ، بكسر الغين : الماء يجري بين الأشجار ، وربما سَمَّوا الشَّجَرَ الملتفَّ غِيلاً . ويُشبه هذا قول الآخر ^(١) :

بَرْدِيَّةٌ سَبَقَ النِّعِيمُ بِهَا أَقْرَانَهَا وَغَلَايَهَا عَظُمُ

وفي طريقته قولُ الآخر ^(٢) :

لَمْ تَلْتَفِتْ لِلدَّائِيهَا وَمَضَتْ عَلَى غُلَوَائِهَا

وإنما يكون ذلك من نتائج الترفُّ ، ولوائح النِّعْمَةِ . وقد ظهر معنى البتتين بما ذكرته ، لأنه تَبَجَّحَ بتعاطيه الصَّبَا واللَّهْو ، وشَرِبَ الخمرَ مَدَّةَ الصَّبَا [وَأَيَّامَ الشَّبابِ ^(٣)] .

٣ — وَنَحْمَلُهُ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونِ تَوْنِهَا تَطُولُ الْقِصَارُ وَالطُّوَالُ تَطُولُهَا ^(٤)

٤ — كَأَنَّ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ عَلَى مَتْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيلُهَا ^(٥)

(١) هو الخليل السعدي . المفضاية ٢١ .

(٢) هو ابن قيس الرقيات . اللسان (غلا) .

(٣) التكله من ل .

(٤) التبريزي : « ويروى : فروع عمامة ، يعين غير معجمة ، وهو أشب بالدمقس » .

(٥) بعده عند التبريزي :

قوله « وَنَحْمَلُ » من جملة صفاتها وإن عطفتها بالواو ، فعلى هذا لك أن تقول :
 صرّتُ برجلٍ فاضلٍ عاقلٍ أديب ، وأن تقول : برجلٍ فاضلٍ عاقلٍ وأديب .
 ومعنى « وَنَحْمَلُ » أن أعضاءها تساوت في رُكوب اللحم إتياءها ، وظهورِ
 السِّنِّ والبُذْنِ عليها ، فكان اللحم جُعِلَ خَمَلًا لها . وقائدة « من دونِ ثوبها »
 أنها مِلءٌ دَرِعِها ، فهي سميئةٌ للمرعى . وإلى هذا أشار الأعشى في قوله :
 * صِفَرُ الوِشَاحِ وَمِلءُ الدَّرْعِ بَهْكَنَةٌ ^(١) *

وقوله « تَطُولُ الْقِصَارَ » يريد أنها رُبْعَةٌ ، فإذا حَصَلَتْ في القِصَارِ طَالَتْهُنَّ ،
 وإذا حَصَلَتْ في الطَّوَالِ طُلُنَّهَا يُشِيرُ إلى التَّوَشُّطِ الَّذِي هو المختار في كلِّ عَقْلٍ ،
 ولذلك قيل : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » ولأنَّ القُلُوبَ والإفراطِ مذمومان ، كما
 أن القُصُورَ والتفريطَ مذمومان . و « تطول » في البيت مُعَدَّى ، لأنه بمعنى
 تَغْلِبُ في الطول ، فهو من طاولته فطُلَّتْهُ .

وقوله « كَانَ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ » الدِّمَقْسُ ^(٢) : الحرير الأبيض .
 وفروع الغمامة ، أشارَ إلى أطرافها وجوانبها والشمس تحتها ، لأن تلك الأطراف
 بشُعاعِ الشمسِ تُشْرِقُ أَبَدًا . والمعنى أنها لَيِّنَةُ المَجَسِّ بِرَاقَةِ اللون ، كأنَّ الحريرَ
 وأطراف غمامة استكفَّتْ الشمسُ تحتها على مَتْنِهَا . وقوله « حَيْثُ اسْتَقَرَّ »
 جَدِيلُهَا « تَخْصِيصٌ لِمَا عَمَّهُ قَوْلُهُ « عَلَى مَتْنِهَا » . والجَدِيلُ ، هو الوِشَاحُ ، وما
 تشدُّه المَرَأَةُ في حَقْوِهَا مِنَ الْأَدَمِ الْمَضْفُورِ . وليس هذا من عادات العرب . وإذا

= وَأَبْيَضَ مَنْقُوفٍ وَزَقٍ وَقِينَةٍ وَصِهْبَاءٍ فِي بَيْضَاءٍ بَادٍ حَجْوُهَا
 إِذَا ضُبَّ فِي الرَّأْوُوقِ مِنْهَا تَضَوَّعَتْ كَيْتٌ يَلْدُ الشَّارِبِينَ قَلِيلُهَا

(١) صجره : * إِذَا تَأَنَّى يَكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ *

(٢) هو معرب « دمس » الفارسية . استينجاس ٥٣٥ والألفاظ الفارسية ٦٦ . وانظر

حواشي تهذيب الصحاح للزنجاني (ديمقس) .

كان من لَوْنَيْنِ فهو البرِّيمُ . وهذا يُشَدُّ في أخقِي الصَّبِيانِ يُدْفَعُ به العين .

٤٧٧

وقال عبد الله بن الدمينه الخثعمي^(١) :

١ — وَاِنَّا لَحَقْنَا بِالْحُمُولِ وَدُونَهَا حَمِيصُ الْحَشَا تُوهِي الْقَمِيصَ عَوَاتِقُهُ
٢ — قَلِيلُ قَذَى الْعَيْنَيْنِ نَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تُلَوْ عَنَّا بَوَاتِقُهُ^(٢)
قوله « وَاِنَّا لَحَقْنَا » جوابه ما دلَّ عليه البيت الثالث ، وهو « عَرَضْنَا » . وأراد
بالحمول الظَّمانَ وأثقالها . وقوله « ودونها خيمص الحشا » يريد قِيمَمَهُنَّ . فيقول :
لَمَّا دَغَانَا الشَّوْقُ إِلَى الْأَحْقَاقِ بِالظَّامَانِ بَعْدَ تَشْيِيعِنَا لَهَا ، وَإِلَى تَجْدِيدِ الْعَهْدِ بَهَا ،
فَأَدْرَكْنَاهَا وَدُونَهَا رَجُلٌ قَلِيلُ اللَّحْمِ عَلَى بَدَنِهِ ، لَطِيفُ طَيِّ الْبَطْنِ ، مَدِيدُ
الْقَامَةِ ، حَتَّى إِنْ عَوَاتِقَهُ ، وَهِيَ النَّوَاحِي مِنْ عَاتِقِ الْإِنْسَانِ ، تَكَادُ أَنْ تُوهِيَ
قَمِيصَهُ . وهذا مما تتمدَّح به العرب ، لِأَنَّ السُّمْنَةَ^(٣) عَنْدهم مَذْمُومَةٌ .

وقد كشف عن هذا المعنى قول الآخر :

فَتَى لَا يُرَى قَذَى الْقَمِيصِ بِخَصَرِهِ وَلَكِنَّا نَفْرِى الْفَرَى مَنَاقِبُهُ
وقوله « قَلِيلُ قَذَى الْعَيْنَيْنِ » يصف امتعاضه وقلة صبره على دَرَنِ العار^(٤) .

- (١) التبريزي : « هذا البيت قد تكلم عليه الفري ، لأن فيه خلافا لما قبله ، إذ كان البيت المتقدم في صفة امرأة ، وهذا البيت يجب أن يكون في صفة فاقة ، ولا شك أنه قد سقط منه شيء يصله بما قبله . ولم يذكر ذلك أحد منهم ، وإنما يريد أنها ترفع ذنبها إلى متنها .
(٢) سبقت ترجمته في الحاشية ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .
(٣) التبريزي : « يُعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تَصْرَعْ عَنَّا » . وهى رواية الديوان ٤٣ .
يقال : صرعت الشيء ، إذا قطعته ومنعته .
(٤) كأنه جعل « السمنة » اسما للسنن ، والمعروف في المعاجم ، أن السمنة بالضم : دواء يتخذ للسنن .
(٥) هذا ما رواه المازوقي ، وأجود منه قول التبريزي : « يصفه بحدة النظر ، أنه ليس بعينه خميس ، فهو أحد لنظره » .

ويقال : فلان لا يُفْضَى على قَدَى ، إذا لم يحتمل ضيًّا . وقوله « نعلم أنه هو الموت » يصفه بشدّة الحية عند غضبه . وأنّ ناره لا يَصْطَلِي [بها^(١)] إذا غار على حُرْمِهِ . والمعنى أننا مع تعرضنا له نخذره مخافة أن يحتمى ، لتحققنا أن شره لا يَقيمُ له إذا سطا . والبوائق : جمع بائنة ، وهى الخصلة المنكرة فى شمولها ، فيقال : بائنتهم بائنة . والبوقه . الدفعة الشديدة من اللطّر ، منه . قال رؤبة .

* من بأكبر الوسمى نضاح البوق^(٢) *

وقو « تُلَوَّعَنَا » أى تُصْرَف . ويرى « تُلَقَّ عَنَا » من الإلقاء .

٣ — عَرْضْنَا فسلمنا فسلمَ كَارِهًا علينا وتبرّج من الفيظ خائفة^(٣)

٤ — فسايرته مقدار ميل وليتنى بكرهى له ما دام حيًا أرافقه^(٤)

يقول : لما لحقنا بالطعامن عَرْضْنَا لَهُنَّ ، وسلمْنَا على قيمهن والحامى دونهن ، فأجابنا جواب الكاره لنا ، والفكر لتسليمننا ، قد خفَعَهُ غَيْظٌ مُبْرِجٌ . ويقال : لَحِقْتُهُ وَلَحِقْتُ بِهِ . وانتَصَبَ « كَارِهًا » على الحال . والتبرّج : التشديد . ويقال : برّج بى كذا وكذا ، ومنه قول الأعشى :

* أْبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا^(٥) *

(١) التكلة من ل .

(٢) نضاح ، بالحاء المهملة فى الأصل واللسان . وفى ل والديوان ١٠٥ : « نضاح » بالحاء المعجمة ، وهما سيبان .

(٣) الديوان : « وقفنا فسلمنا » . التبريزى : « الرواية التى عليها الناس : من الفيظ . وفى شعر ابن الدمينه : الغنط ، الذى يراد به أشد الكرب . يقال غنطه غنطًا . قال الشاعر :

إذا غنظونا ظالمين أعانهم على غنظهم من الله واسع »

ابن جنى فى التنبيه : « هذا من نحو تسمية الثواب باسم العمل ، نحو قول الله سبحانه : « وجزاء سيئة سيئة مثلها ... فكذاك قوله فسلمنا فسلم ، أى فرد السلام . والأول فى العرف والاستعمال مسلم ، والثانى راد » .

(٤) الديوان :

فسايرته ميلين يا ليت أننى حل سخطه حتى المات أرافقه

(٥) صدره : * تقول ابنتى حين جد الرحيل *

ويقال : هو في بَرَحٍ من الشَّوقِ بَارِح . وقوله « خَانِقُهُ » يريدُ أَنَّهُ امتَلَأَ صدرُهُ من الغَيْظِ فارتَقى إلى ما هو فوقَهُ حتَّى خَنَقَهُ .

وقوله « فسَايرُتُهُ مقدارَ مِيلٍ » انتصب مقدارَ على الظَّرْفِ . ومعنى سَايرُتُهُ صَاحِبَتُهُ في السَّيْرِ ، ثم قال : ولِيتَنِي أرافقهُ ما دَامَ حَيًّا ، على كُرْهِ مَنِّي ، لأنَّهُ استطاب صحبَتَهُ لما له من اللذَّاة^(١) في النَظَرِ إِلَيْهِنَّ ، واستَكْرَهَ الكونَ مَعَهُ لما يخاف على نَفْسِهِ مِنْهُ ، إِلَّا أَنَّهُ غَلَبَ اللَّذَّاذَ . و « وما دَامَ حَيًّا » انتصب على الظرف ، و « أرافقهُ » في موضع خبر ليت . وقوله « بَكَرْهُى لهُ » نصب على الحال ، والعامل فيه أرافقهُ .

٥ - فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا وَصَالَ وَأَنَّهُ مَدَى الصُّرْمِ مَضْرُوبٌ عَلَيهَا سُرَادِقُهُ^(٢)

٦ - رَمَتْنِي بِطَرْفٍ لَوْ كَيْفَ ارْمَتْ بِهِ لَبَلَّ نَجِيمًا نَحْرُهُ وَبَنَاتِقُهُ

٧ - وَلَمَحَ بِمِيزَانِهَا كَأَنَّ وَمِيزَئَهُ وَمِيزُ الْحَيَا تُهْدَى لِجَدِّ شَقَائِقُهُ

قوله « أَنْ لَا وَصَالَ » أَنَّ فِيهِ خَفَقَةً مِنْ أَنَّ الثَّقِيلَةَ ، يريد أَنَّهُ لَا وَصَالَ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَظَفَ عَلَيْهِ « وَأَنَّهُ مَدَى الصُّرْمِ » . ووصال انتصب بِلَا ، وخبره محذوف ، كأنه قال : لَا وَصَالَ بَيْنَنَا . والجملة في موضع خبر أَنْ ، والضمير في أَنَّهُ الأولى والثانية ضمير الأُسر والشَّان . وقوله « مَدَى الصُّرْمِ » في موضع الابتداء ، و « مَضْرُوبٌ عَلَيهَا » خبرُهُ . وسُرَادِقُهُ ارتفع بِمَضْرُوبٍ ، لأنَّهُ قام مقام الفاعل . وقوله « رَمَتْنِي بِطَرْفٍ » جوابُ لَمَّا . كأنه لَمَّا تَأَمَّلَتْ حَالَهُ فِي مُسَايَرَتِهِ ، وَضِيقَ الْوَقْتِ عَنْ مَجَادَبَتِهِ ، لَمَّا كَانَ يَحُولُ بَيْنَهُمَا مِنْ مِرَاقَبَتِهِ ، ثُمَّ رَأَتْ تَغْفِيطَ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « اللذه » .

(٢) الديوان : « فَلَمَّا رَأَتْ أَلَا جَوَابَ وَإِنَّمَا » .

الريب وكراميته^(١) ، مع معرفتها بنتائج ضجره ، نظرت إلى الشاعر نظراً
إنكار استدل منه على ضلاله فيما يأتيه ، وسوء توفيقه فيما يبلح فيه ، فكانت
دمته بمنهم لو لم يكن نظراً ، بل كان سهماً رُمي به شجاعاً في معركة ، لأصيب
مقله ، فكان يبتلئ نحره وبناثق قميصه نجيعاً . والنجيع : دم الجوف . ويقال
تذجع به ، أى تلتطخ .

وقوله « وائمح بعينها » انعطف على قوله بطرف . والائمح : النظر ،
ويستعمل في البرق والبصر . وكذلك الطرف هو النظر [هنا^(٢)] ، كأن
الرعى بالطرف كان إنكاراً منها . واللمح بالعينين مواءمة وتوجيهٌ بحمِل
بعد تعذر المطلوب : والومض والوميض : اللمع . وأومضت له فلانة بعينها ،
إذا برقت . لذلك شبه وميض لَمَحِها بوميض الحيا ، وهو الفيث المحسي
للأرض وأهلها وقد هُذِبَت أى أُرشِدَت شقائقه ، وهى قطعُ سحابه ، لنجد .
كأنه جعلها قاتلةً في رميها ، تحييةً بلَمَحِها . والشقيقة : البرقة إذا استطارت في
عرض السحاب وتكشفت أيضاً .

(١) ل : « وكرامته » .

(٢) التكلة من ل .

٤٧٨

وقال أبو الطمّحان القيني^(١) :

١ - أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ صَدْحِ النَّوَائِحِ . وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَائِحِ^(٢)

٢ - وَقَبْلَ غَدِي يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدِي إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَاحٍ

يُرَوَّى « يَا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ غَدِي » . وَالصَّدْحُ : شِدَّةُ صَوْتِ الدَّيْكِ وَالْغَرَابِ
وغيرهما . وَالصَّيْدَحِيُّ : الشَّدِيدُ الصَّوْتِ . وَالْجَوَائِحُ : ضُلُوعُ الصُّدْرِ . وَارْتِقَاءُ
النَّفْسِ فَوْقَهَا ، كَمَا يُقَالُ : بَلَغْتُ نَفْسَهُ التَّرَاقِي . فَيَقُولُ : عَلَّلَانِي بِالْمَقْتَرَحِ عَلَيْكُمَا
قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ فَتَقُومَ النَّوَائِحُ عَلَيَّ بِنَدْبُنَنِي ، وَقَبْلَ مِيقَاتِ أَجَلِي . وَأَوَانٍ تَخْلُفِي
عَنْ أَصْحَابِي وَقَدْ رَاحُوا عَنِّي ، لِنُزُولِ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ بِي .

فإن قيل : كيف قدّم ذكر صَدْحِ النَّوَائِحِ على ذكر الموت ، وإنّما يكون
بعده ؟ قلت : إن العطف بالواو لا يوجب ترتيباً . أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ :
﴿ وَاسْجُدْ وَارْكَعْ ﴾ ، وَالرُّكُوعُ قَبْلَ السُّجُودِ فِي تَرْتِيبِ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ .
وقوله « إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي » يَمْحُوزُ أَنْ يَكُونَ إِذَا فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ بَدَلًا مِنْ غَدِي ،

(١) الطمّحان ، بالتحريك : فَعْلَانٌ مِنْ طَمَحَ بِأَنْفِهِ ، إِذَا تَكَبَّرَ . وَأَبُو الطمّحان هو حنظلة
بن الشرق ، أو ربيعة بن عوف بن غم بن كنانة بن القين بن جسر بن شيع الله بن الأسد بن
وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ،
أدرك الإسلام فأسلم ، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم . وكان معروفاً بالفسق ، قيل له : ما أدنى
ذنوبك ؟ قال : ليلة الدير . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : فزلت بديرانية فأكلت عندها
طفهشلاً بلحم خنزير ، وشربت من نحرها ، وزنيت بها وسرقت كساءها ومضيت . ويذكرون
أنه عمر مائتي سنة . وفي الشعراء أيضاً أبو الطمّحان الأسدي كان في زمن يوسف ابن عمر ،
وأبو الطمّحان النهشل ، وأبو الطمّحان الطائي . الخزانة (٣ : ٤٢٦) وشرح التبريزي للحماسة ،
والإصابة ٢٠٠٧ والمعمرين ٥٧ والمؤتلف ١٤٩ والاشتقاق ٣١٧ والثلاثي ٣٣٢ والأغاني
(١١ : ١٢٥ - ١٢٨) والشعراء ٣٤٨ .

(٢) التبريزي : « قبل نوح النوائح » ، ثم قال : « ويروى : قبل صدح الصوادر » .

والبديل إذا جاء مؤكِّداً للبديل منه ومفضلاً بجملة قد لا يستغنى عن البديل منه ،
 وإذا كان كذلك فليس لأحد أن يقول : من شرط البديل أن يُبَاقى البديل منه
 ويُجْعَل هو مكانه . وإذا كان كذلك لم يجوز أن يلي إذا العامل في غَدٍ ، وهو
 « على » أو « من » في الروايتين جميعاً . على أن أبا العباس قد جَوَّز وقوع
 إذا في موضع الجرور والرفع . ويجوز أن يكون نصباً بدلاً من موضع
 « من غَدٍ » أو « على غَدٍ » العامل والمعمول فيه جميعاً ، لأنَّ موضعهما نصبٌ
 على المفعول مما دلَّ عليه قوله يالُف نفسي ، وهو : أتلف من غَدٍ .

ولأنما جاز أن يُودَعَ البيتين باب النسيب لرفقتهما ولأنَّ المتعلَّ به كان لذَّةً
 من اللذات . وهذا عادته في أبواب اختياره ^(١) .

٤٧٩

آخر :

١ - هل الوجدُ إلَّا أن قلبي لودَّنا - من الجمر قيد الرُمنج لا حترق الجمرُ

٢ - أفي الحق أني مُسَرَّمٌ بك هائمٌ وأنك لا خلٌّ هــوَالك ولا خمرٌ

٣ - فإن كنت مطبوعاً فلا زلت هكذا وإن كنت مسحوراً فلا برأ السحرُ

قوله : هل الوجد « استفهامٌ لفظه ومعناه النفي ، بدلالة وقوع إلَّا بعده ،
 كأنه قال : ما الوجد ، أو ليس الوجد إلَّا هذا الذي بي ، وهو أن قلبي لو قرُب من
 الجمر حتَّى لا يكون بينهما إلَّا قدر رمح لقلَّب ناره نارَ الجمر ، وكان الجمرُ يحترق .
 وقوله « الوجد » مبتدأ وخبره إلَّا مع ما بعده . وانتصب « قيد الرُمنج » على
 الظرف . ويقال : بيني وبينه قابُ قوسٍ ، وقيدُ رُمنج ، وغلوةٌ منهم . وحكى

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « وهو عادته في باب اختياره » .

بعضُ أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أن لكل قوس قَابَيْنِ ، وهو ما بين المقيض والسية . وأهل اللغة على ما قدمته .

وقوله « أفي الحق أني مُغْرَمٌ بِكَ هائمٌ » فالمغرم : الذي قد لزمه الحب يقال : حُبُّهُ غَرَامٌ ، أي لا تفصى منه . ومنه عذابُ غَرَامٍ . والهائم : المتحير . والهائم كالجنون من العشق ، ومنه المَهْمُ : الذي يَهْدِي بِالشَيْءِ وَيُكْثِرُ ذِكْرَهُ . والمعنى أنه لا يدخل في الحق ووجوهه ، وأنواع قسيمه . أن يكون حُبِّي لَكَ غَرَامًا ، وحُبُّكَ لا يرجع إلى معلوم ، ولا يحصل على حدٍّ محصور . ويقال : ما هو بِحَلٍّ ولا آخِرٍ ، والمعنى أنه ليس بشيء يَخْلُصُ وَيَقْبِضُ .

وقوله « فَإِنْ كُنْتُ مَطْبُوبًا » فالطَّبُّ : السَّحَرُ والعلم جميعاً . وهو طَبٌّ ، أي عليم . وفي الحديث : « حِينَ طَبَّ » أي سَحَر . وهو مطبوبٌ ، أي مسحور . ومعنى البيت : إن كان الذي بي وأفاسيه داءً معلوماً يُعرف دواؤه ، فلا فارقي خائئاً ألتذُّ به — وهذا هو الفِتْيَانِيَّةُ في الموى ، والتجُلُّدُ على البلاء — وإن كنتُ مسحوراً ، يريد وإن كان الذي بي لا يُفْلَمُ ما هو ، وأعيان الوقوف عليه الأطباء ، والعلماء بالأدواء ، حتى يُسَلَّمَ لِلسَّحَرِ فلا فارقي أيضاً . وإنما قال هذا من عادة العامة ، لأنهم كذا يمتقدون في الأوصاف والعِلل . ولا يجوز أن يكون معنى مطبوباً مسحوراً ، لأنه يصير الصدرُ والعَجْزُ لمعنى واحد .

٤٨٠

آخر :

- ١ - تَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لِيَمْنَى تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَخَدِي
٢ - وَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلِّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي حُبٌّ وَلَا بَعْدِي (١)

(١) التبريزي : « فكانت » .

هذا كلامٌ مَنْ تَجَلَّدَ فِي الْهَوَىٰ وَادَّعَى التَّلَذُّدَ بِهِ وَإِنْ بَرَّحَ بِهِ وَأَثَرُ فِيهِ ،
 خَيْقُول^(١) : شَكَا الْمُحِبُّونَ جَنَابَةَ الصَّبَابَةِ عَلَيْهِمْ ، وَجَرِيرَةَ الْعَشَقِ لَدَيْهِمْ ، وَبِوَدِّي
 أَنِّي^(٢) تَحَمَّلْتُ أَعْبَاءَهَا كُلَّهَا وَحْدِي ، وَخَلَصْتُ لِلصَّبْرِ فِيهَا وَلَمَّا عَفَوِي وَجْهِي ،
 وَكَانَتْ نَفْسِي تَقَالُ لَذَّةَ مَجْمُوعِهَا وَمَفْرِقِهَا ، وَتَتَفَرَّدُ بِمَكَابِدَةِ مَجْهُولِهَا وَمَعْرِفِهَا^(٣) ،
 فَأَفُوزَ بِأَدْعَائِهَا ، وَتَسْقُطُ الْمَشَارَكَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَرْبَابِهَا مِمَّنْ سَبَقَنِي لِتَقَدُّمِ زَمَانِهِ ،
 أَوْ تَأَخَّرَ عَنِّي لِتَأَخَّرِ مِيلَادِهِ .

٤٨١

وَقَالَ شُبْرُمَةُ بْنُ الطُّفَيْلِ^(٤) :

١ - وَيَوْمَ شَدِيدِ الْحَرِّ قَصَّرَ طَوْلَهُ دَمُ الزَّرْقِ عَنَّا وَاصْطَكَكَ الْمَزَاهِرُ^(٥)
 ٢ - لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى أَرْوَحَ ، وَصُحْبَتِي عَصَاةٌ عَلَى النَّاهِيْنَ شُمُّ الْمُنَافِرِ
 ٣ - كَانَ أَبَارِقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً إِرْزُ بَأَعْلَى الطُّفِّ عُوجُ الْخَنَاجِرِ
 قَوْلُهُ « وَيَوْمَ » : أَنْجَرٌ بِإِضْمَارِ رُبِّ ، وَجَوَابُهُ قَصَّرَ طَوْلَهُ . يَقُولُ : رُبَّ يَوْمٍ
 مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ شَدِيدِ الْحَرِّ ، جَمَلَ طَوْلَهُ قَصِيرًا ، مَا اشْتَقَلْنَا بِهِ فِيهِ مِنَ الشَّرْبِ
 وَالْعَصْفِ . وَأَرَادَ بِدَمِ الزَّرْقِ الْحَرَّ . وَاصْطَكَكَ الْمَزَاهِرُ : مُدَافَعَةُ أَوْتَارِ الْبَرْبَطِ بِمَعْضَاهَا
 لِمَنْقُضٍ بِالضَّرْبِ . وَيُقَالُ : أَزْدَهَرَ الرَّجُلُ ، إِذَا فَرِحَ . فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْعُودُ
 سُمِّيَ مِزْهَرًا مِنْهُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَيَكُونُ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ » .

(٣) هَذَا مَا فِي ل ، وَهُوَ الْمَوَافِقُ لِمَوْسِقِ الْفَاصِلَةِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « وَمَعْرِفِهَا » .

(٤) الشُّبْرَمَةُ : وَاحِدَةُ الشُّبْرَمِ ، وَهُوَ نَبْتُ حَارٍ يَحْدَرُ الطَّبِيعَةَ . وَلَمْ ذَنْرُ لَشُبْرَمَةٍ عَلَى تَرْجُمَةٍ .
 عَلِ أَنْ الْأَبْيَاتِ نَسَبَتْ فِي الْخَيْرَانِ (٦ : ١٧٩) وَثَمَارُ التَّلُوبِ ٥٠٢ إِلَى ابْنِ الطَّوْبَرِيِّ .

(٥) التَّبْرِيزِيُّ وَالْجَاهِظُ وَالْثَمَالِيُّ وَاللَّكْنِيُّ ٩٣٨ : « وَاصْطَفَاكَ الْمَزَاهِرُ » . وَقَدْ أَشَارَ
 التَّبْرِيزِيُّ إِلَى رَوَايَةِ « وَاصْطَكَكَ » .

وقوله « لَدُنْ غُدْوَةٌ » انتصب غُدْوَةٌ عن اللون من لَدُنْ^(١) ، ولا ينتصب به غيره ، فهو شاذٌ . والمعنى : باكرنا الشرب ، فلما رُخنا كان أحمأى قد سكرُوا واكتسبوا كِبَرًا ونُبْلًا ، وذهابًا عما يُشيرُ به النَّاهِي والمسدَدُ^(٢) .

وقوله « كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشُّمُولِ عَشِيَّةٌ » شَبَّهَ أَوَانِيَ الْحَمْرِ وَقَدْ فُرِّغَتْ وَأُمِيتَ بِطَبِيرِ مَاءٍ اجْتَمَعَتْ عَشِيَّةً بِأَعْلَى السَّاحِلِ^(٣) ، معوجة الحناجر والحلق .

وأدخل هذه القطعة في باب النسيب لرقتها ودلائها على اللهو والخسارة .

٤٨٢

وقال جابر بن ثعلب الجرمي^(٤) :

١ - وَمُسْتَخِيرٍ عَنْ سِرِّ رَبِّا رَدَدْتُهُ بِعَمِيَاءٍ مِنْ رَبِّا بِغَيْرِ بَقِينِ
٢ - فَقَالَ انتصِخْنِي إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَمَا أَنَا إِلَّا خَبْرَتُهُ بِأَمِينِ
بروى : « انتصِخْنِي إِنِّي ذُو أَمَانَةٍ ، وهذا في كتمان سرِّ الحبوب ، والحفاظة على الدِّمَامِ والحَرَمِ . يقول : رَبِّا مُسْتَدْرِجٍ لِي فِيمَا بَيْنَ رَبِّا وَبَيْنِي ، طالبٍ للوقوفِ على المكتومِ من أمرها وأمرى^(٥) ، رَدَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي بِقَصَّةِ عَمِيَاءٍ لَا يَهْتَدِي فِيهَا لِمَطْلُوبٍ ، وَلَا يُرْجَعُ فِيهَا إِلَى يَقِينٍ ، فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنَهُ إِنْزَالِي عَمَّا دَاوَلَهُ قَالَ انتصِخْنِي ، أَيْ أَذْخِنِي فِي أَمْرِكَ ، وَأَجْرِنِي تَجَرِّي نَصَحَائِكَ ، إِنِّي أَمِينٌ لَا دَغْلَ فِي هَمِّي ، وَلَا خِيَانَةَ فِي شَأْنِي ، وَلَوْ خَبَرْتُهُ بِمَا التَّمَسَّ ، وَأَطْلَعْتُهُ عَلَى

(١) الأوضح منه ما ذكر التبريزي : « ينتصب غدوة مع لدن ، تشبه اللون منها بنون عشرين » ، يريد أن غدوة تصب على شبه التميز .

(٢) المسدد : الذي يوجه نحو السداد والصواب . وفي الأصل : « والمشدد » صوابه في ل .

(٣) أي ساحل الفرات . وفي معجم البلدان : « والطف مئذ الفرات ، أي الشاطئ » .

(٤) كذا في النسختين ، وهو المطابق لما مضى في ص ٣٠٤ . وعنه التبريزي : « جابر

ابن الثعلب الجرمي ، من طيبي » . ويقال أيضاً « ابن ثعلبة » . انظر حواشي ٢١٥ .

(٥) كذا في ل . وفي الأصل : « فيما بيني وبين ربا ، طلب الوقف من أمرها وأمرى » .

ما استشرح ، كنتُ أنا غيرَ أمينٍ ، فكيف أُصيرُ معه مؤتمناً ، وذلك أني إن بُحْتُ بِسِرِّها فقد ضَيَّعتُ أمانتها ، والسِرُّ إذا جاوزَ اثنينِ خرجَ من أن يكونَ سِرّاً . ومثلُ هذا قولُ جرير :

ولقد تَسَقَّطَ الوُشاةُ فصادَفُوا حَصِراً بِسِرِّكَ يا أَمِمْ ضَيْباً

٤٨٣

وقال نفر بن قيس^(١) ، وبنو نفرٍ رَهْطُ الطَّرِمَّاحِ :

١ - ألا قالتُ بهيْشَةَ ما لِنَفْرِ أراه غَيَّرَتْ مِنْهُ الأُهُورُ^(٢)

٢ - وأنتِ كذاكِ قد غَيَّرْتِ بَعْدِي وَكُنْتَ كَأَنَّكَ الشُّعْرَى العَبُورُ

كانَ المرأةُ ازدردته وأنكرتْ شُحوبَه وهُزالَه ، وتغيَّرَه عما عهدتَه ، فصَرَفَتْ ذلكَ إلى أَنه من مَقْضِيَّاتِ الكِبَرِ ، ومُسَبِّباتِ القَشَفِ^(٣) ، وقالتُ مستفهمةٌ : ما لِنَفْرِ ، أَرَى الأَيَّامَ أَثَرَتْ فِيهِ ، والأَحْداثُ أَضَنَّتَه وهَزَلَّتَه ، فأجابها مِن طريقِ إنكارها وقال : إن كانَ ذلكَ من عَقَبِ الأَيَّامِ فإنها لم تَغْفُلْ عَنْكَ ولم تُهْمَلِ تَغْيِيرَكَ أيضاً ، فما أنكرتِه مِنِّي موجودٌ فيكَ وظاهرٌ على سَحَنَتِكَ^(٤) ولولكَ ، فقد كنتِ كالشُّعْرَى العَبُورِ إِشراقاً وتلاؤماً ، وقد حلتِ وتغيَّرتِ - و « العَبُور » قيل فيه : هو من عَبَرْتُ النَهْرَ ، إِذا جُرَّتَه . وقيل : بل هو من عَبَرْتُ به ، إِذا شَقَقْتَ عَلَيْهِ^(٥) ، كأنها إِذا طَلَعَتْ تُعَبِّرُ لِلْمالِ الرَّاعِيَةَ بِحَرِّها ،

(١) هو الجَدُّ الثاني للطرماح ، إِذ هو الطرماح بن حَكِيم بن الحَكَم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رِضا بن مالك بن أَبان بن عمرو بن ربيعة بن جَرول بن ثعل بن عمرو بن الفوث بن طيى . وكان الطرماح نفسه يلقب « أَبان نفر » . انظر ما مضى من ترجمته في ص ٢٢٧ .
(٢) التبريزى : « بهيسة » بالسین المهملة ، وهما روايتان صحيحتان . انظر اللسان : (بهس ، بهش) حيث ذكر هاتين الروایتين .

(٣) القشف : يبس العيش وضيقه وسوء الحال .

(٤) في الأصل : « سجنك » صوابه فيل .

(٥) في القاموس : « وعبر به الأمر تعبيراً : اشتد عليه . وعبرت به : أهلكته » .

وإذا سَقَطَتْ فَبَرَدَهَا . وقوله : وأنتِ كذاكَ ، الكاف الأولى للتشبيه ،
و « ذا » أشار به إلى ما أنكرت منه ، والكاف الأخيرة للخطاب ولا موضع
له من الإعراب ، فهو حرف .

٤٨٤

وَقَالَ بُرْجُ بْنُ مُسْهِرٍ ^(١) :

١ - وَنَدَمَانِ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيْبًا سَقَيْتُ إِذَا تَعَرَّضْتَ النُّجُومَ ^(٢)

٢ - رَفَعْتُ بَرَأْسِهِ وَكَشَفْتُ عَنْهُ بِمُعْرِقَةٍ مَلَامَةً مَن يَلُومُ ^(٣)

النَّدَمَانُ والنَّدِيم : مَن يُنَادِيكَ عَلَى الشَّرَابِ ، ومثله في البناء سَلَمَانُ
وَسَلِيمٌ ، وَخَدَّانُ وَخَمِيدٌ ، وَرَحْمَنٌ وَرَحِيمٌ . ومعنى « يزيد الكأس طيباً » أى
يحسّن عِشْرَتَهُ ، وأدب بحالته يزداد شرب المدام وإدارة الكأس معه لذة .
والمعنى : رَبِّ نَدِيمٍ عَلَى مَا وَصَفْتَهُ سَقَيْتُهُ إِذَا تَعَرَّضْتَ النُّجُومَ ، أى أبدت
عُرْضَهَا لِلْغُيُوبِ . ويقال : تَعَرَّضْتُ الْجَبَلِ ، أى أَخَذْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فِيهِ ، ولم
أصتقم في الصُّمُودِ . قال :

تَعَرَّضِي مَدَارِجًا وَسُومِي تَعَرَّضَ الْجُوزَاءُ لِلنُّجُومِ ^(٤)

ومعنى قوله « رفعت برأسه » أنهبته من منامه ، وأزلت عنه ما كان يُدْخِلُهُ

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ١٢٢ ص ٣٥٩ .

(٢) التبريزي واللسان (عرق) : « إذا تفورت » ، ثم قال التبريزي في التفسير : « إذا
تعرّضت النجوم ، أى أبدت عرضها الغيب » . ورواية المؤلف ٦٢ تطابق رواية المروقي .

(٣) أنشده في اللسان والمقاييس (عرق) . ورواية المقاييس : « أخذت برأسه » .

(٤) الرجز لعبد الله بن الجهادين المزني دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر
اللسان (درج) . وأنشده في المقاييس (درج) بلون نسبة . وبمعناه :

• هذا أبو القاسم فاستقمي •

من النِّمِّ بلوم اللّاعين إِيَّاهُ على معاطاة الشُّرْبِ وإدماهِ اللهو ، بأن سقيته مُعْرِقَةً - وهى الصَّرْف من الخمر ، وقيل هى القليلة المزاج . ويقال : تعرقت الخمر ، إذا مزجتها . وأعرقه الساقى ، إذا سقاه مُعْرِقًا . وقوله « إذا تعرّضت النجوم » يشير به إلى الاصطباح .

٣ - فلما أن تَنَشَّى قامَ خِرْقٌ من الفتيانِ مُخْتَلِقٌ هُضُومٌ^(١)

٤ - إلى وَجْءٍ نَازِيَةٍ فَكَاسَتْ وَهَى العُرْقُوبُ منها والصِّمِيمُ

انتَشَى وَنَشَى وَتَنَشَّى بمعنى سَكِر . والنشوة : الشكر . وأراد بالخِرْق نفسه ، وهو الكريم المتخَرِّق بالمعروف . والمُخْتَلِق : التام الخلق . والهُضُوم ، قال الأصمى : هو المِنْفَاق فى الشتاء . وقال غيره : هو الكريم المِفْضال ، كأنه يَهْضِم ماله بأن يُخْرِجَ منه أكثر من الواجب فيه . والوجء ، هى الناقة الغليظة الوجنتين . وقيل بل هى الصَّلبة ، مأخوذة من الوجين ، وهى الأرض الغليظة . قال الخليل : وقلّ ما يقال للجمل أَوْجَنُ . والتَّأْوِيَة : السميّة .

وقوله « فكَاسَتْ » اختَصَرَ الكلام ، والمراد فعرّقها فكَاسَتْ . والكُوس : اللَّشَى على ثلاثِ قَوَائِم . وأراد بالصِّمِيم المَضُوع الذى به القِوَام ؛ يقال : هذا صِّمِيمٌ الوظيف ، وصميم الرأس . والعُرْقُوب : عَقَبٌ^(٢) موثّرٌ خلفَ الكعبين فَوَبِقَ العَقِب من الإنسان وبين مَفْصِلِ الوظيف والساق من ذوات الأربع . وعَرَقَتُهُ : قطعت عُرْقُوبَهُ . وقوله « وهى العُرْقُوب » إظهارٌ للعلة فى كَوْنِهَا . والوَهَى : الشَّقُّ والخِرْقُ . وفى المثل : « غَادَرَ وَهْيَةً لَا تَرْقَعُ » ، أى فَتَقَّةٌ

(١) روى التبريزى أيضا : « مختلق » بكسر اللام ، وفمره بأنه الكريم الأخلاق .
(٢) الذى فى اللسان : « عصب » . والعقب ، بالقاف وبوزن المعصب أيضا ، هو عصب المتنين والساقين والوظيفين ، يختلط بالحم ، يشق منه مشقا ويهذب وينقى من اللحم ويسوى منه الوتر .

لا يُطابق إصلاحها ورثتها. والمعنى: لما أُقيم رسم الاصطباح، وانقش النَّدمانُ، قام هو إلى ناقية بهذه الصفة فعرّفتها.

٥ - كهة شارف كانت لشيخ له خلق يحاذره الغريم^(١)

٦ - فاشبع شربة وجري عليهم بإبريقين كأههما رذوم^(٢)

٧ - تراها في الإناء لها حياء كمينتا مثل ما قفع الأديم^(٣)

٨ - ترنح شربها حتى تراهم كأن القوم تنزفهم كلوم

الكهاة: الناقة الضخمة كادت تدخل في السن، وكذلك الكهاة. والشارف: المسنة. وقوله « كانت لشيخ » كان الكريم منهم المحسان إلى عشيرته، المفضل على رفقاءه ونُدماؤه، يتعمد إذا نحر لهم في الشرب وعند السكر، أن يفعل ذلك في غير ملكه، يستام^(٤) مالك الجزور بها أغلى الأثمان فيغرّمه، ويعد ذلك الغرم غنا، والصبر على سوء خلقه وإنكاره التبسط في ملكه بغير إذنه كرمًا. لذلك قال: « له خلق يحاذره الغريم »، يريد البخل منه والاستقصاء.

وقد سلك هذا المسلك طرفة فقال ووفى المعنى حقّه، وكأنه صبّ في قالب هذا الشاعر:

وبرك هجود قد أثارت مخافتى نواديتها أنشئ بعضب مجرّد^(٥)

(١) لم يرو الأمدى هذا البيت.

(٢) التبريزي: « وسى عليهم »، ثم أشار إلى الرواية الأخرى.

(٣) الأمدى: « ويروى: نفع الأديم، أى روى. ويقال: أرجوان نافع، وهو الذى قد روى من الصبغ. فأما قفع فعناه أحر، ولذلك قيل: أحر قفاحى ».

(٤) ل: « ليستام ».

(٥) البرك: الإبل الكثيرة الباركة. النوادى: القواصى منها. العضب: السيف القاطع.

فَرَّتْ كَهَا ذَاتُ خَيْبٍ جُلَالَةٍ عَقِيلَةً شَيْخٍ كَلَوِيلٍ أَلْدَدٍ^(١)
 يقول وقد تَرَ الوظيفُ وساقها أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤَيِّدٍ^(٢)
 وقال أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدٍ
 فقال ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ وَإِلَّا تَكْفُوا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزْدَدِ
 فَظَلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلَنَ حُورَاهَا وَيُسَمِّي عَلَيْنَا بِالْإِدْفِ الْمُسْرَهْدِ^(٣)

قوله « فاشبع شرابه » بمعنى من الفاقة المعقورة . وجعل الجارى عليهم
 جَابِرَيْنِ وَالْكَأْسُ مَلَأَى تَقَطَّرَ ؛ لِأَنَّ شُرْبَهُمْ كَانَ بَدَارًا . ثُمَّ وَصَفَ الْخَمْرَةَ
 فَقَالَ : لَهَا سَوْرَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَلِلْوَنَاهَا خُمْرَةٌ مَقْنَاهِيَّةٌ . وَمَعْنَى فَقَعَ : حَسَنَ وَصْفًا
 وَيُقَالُ : أَحْمَرُ فَاقِعٌ . وَيُرْوَى : « مِثْلُ مَا نَصَعَ » وَالْمُرَادُ خَلَصَ . وَالْخَمْرِيَّاءُ مَصْفَرٌّ
 لَا مَكْبَرَّ لَهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي بَنَائِهِ . وَكُمَيْتٌ : مَصْفَرٌّ مَرَحَمٌ ، وَالْمُرَادُ بِهِ
 تَكْبِيرُهُ ، وَهُوَ أَكْمَتُ ، لِذَلِكَ جُمِعَ عَلَى كُمَيْتٍ . وَمِثْلُهُ فَرَسٌ وَزْدٌ ، ثُمَّ قِيلَ
 خَيْلٌ وَزْدٌ ، لِأَنَّهُ أُريدَ بِهِ أَفْعَلُ . وَمِمَّا جَاءَ مَصْفَرًّا قَوْلُهُمْ كُمَيْتٌ ، وَهُوَ طَائِرٌ ،
 وَجُمِلَ^(٤) ، وَالْثَرَيَّا ، وَالْغُبَيْرَاءُ ، وَالْمَرْبَطَاءُ ، وَاللَّجَيْنُ ، وَهُنَيْدَةٌ .

وقوله « تَرَبَّحَ شَرِبَهُمْ » أَيْ لَشَدَّتْهَا تُزِيلُ قَوَاهِمَ ، فَكَأَنَّهُمْ أُسَارَى تُزِفَتْ
 دِمَاؤُهُمْ . وَيُقَالُ : ضَرَبْتُهُ حَتَّى رَنَحَتْهُ ، أَيْ غَشِيَ عَلَيْهِ .

٩- فَقُمْنَا وَالرَّكَّابُ مُخَيَّسَاتٌ إِلَى قَتْلِ الْمَرَافِقِ وَهِيَ كُومٌ^(٥)

(١) الخيف ، بالفتح : جلد ضرع الناقة . العقيلة : كريمة المال . الوبيل : العصا
 الضخمة . والألدَدُ والبِلْدَدُ : الشديدان الخصومة .

(٢) تر : سقط . المؤيد : الداهية العظيمة الشديدة .

(٣) يمتلن ، الامتلال : جعل الشيء في الملة ، وهي الجمر والرماد الحار . وفي النسختين :
 « يمتلكن » ، تحريف . والحوار : ولد الناقة . السديف : قطع السنام . المسرهْد : السمين ،
 أو المقطع قطعاً . (٤) في اللسان : « سبويه : الجميل البليل ، لا يتكلم به إلا مصفراً » .
 (٥) هذا البيت وتاليه لم يروهما الآمدي .

١٠- كَأَنَّا وَالرَّحَالَ عَلَى صِوَارٍ بِرَمْلِ خَزَاقٍ أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ
يُرَوَّى « محبسات » أى معقولاتٌ مُنَاخَةٌ بِالْفَنَاءِ ، وهو الوجه . وَرَوَى
بعضهم : « غَيَّسَات » أى مَذَلَّلَاتٌ ، لَكِي إِذَا رُكِبَتْ لِلْهُوَ^(١) ، وفى حالة
الشُّكْرِ كما فعله هؤلاء ، لم تَغْشِفْ بُرُكْبَانَهَا ، ولم تَأْتِ الْعَرِضَةَ فى سِيرهَا .
وَالْقَتْلُ : جمع أَقْتَلَ وَقَتَلَاءَ ، وهى البعيدة المرفق عن الزَّوْر . وَالسَّكُومُ : العظام
الأسنة . وقال الخليل . السَّكُومُ ، الْعِظَمُ فى كُلِّ شَيْءٍ . وقوله « كَأَنَّا وَالرَّحَالَ »
شَبَّهَ رُكَّابَهُمْ بِقَطِيعٍ مِنَ الْبَقَرِ بِالرَّمْلِ الْمَذْكُورِ ، أَسْلَمَهُ الصَّرِيمُ إِلَى الصَّيَّادِينَ
وَالْكِلَابِ ، نَغَفَتْ وَوَعَدَتْ . وَالصَّرِيمُ اسْتَعْمِلَ فى الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ جَمِيعًا ، لِأَنَّ
كَرًّا وَاحِدًا مِنْهُمَا يَنْصَرِمُ عَنْ صَاحِبِهِ وَقْتَ السَّحَرِ . وَإِنَّمَا رَكِبُوا بَعْدَ الْإِصْطِبَاحِ
لِلنَّزْهِ أَوْ فى بَطَالَةٍ حَضَرَتْهُمْ^(٢) .

١١- قَبِمْنَا بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ مِسْكٍ فَيَا عَجَبًا أَعْيَشَ لَوْ يَدُومُ

١٢- وَفِيهَا مُسَمِّعَاتٌ عِنْدَ شَرْبٍ وَغَزْلَانٌ يُعَدُّ لَهَا الْحَمِيمُ^(٣)

تَبَجَّحَ بِأَنَّهُمْ نَالُوا أَكْثَرَ أَنْوَاعِ اللَّذَاتِ ، مِنْ شَرْبٍ وَقَصْفٍ ، [وَنَزْهِ^(٤)]
وَأَهْوٍ ، وَمَعَاشِرَةٍ وَطَرَبٍ ، وَتَسَخٍّ وَإِفْضَالٍ ، وَتَنَدُّعٍ عَلَى الْغَدَاءِ وَإِكْرَامٍ ،
وَتَتَرُّفٍ وَتَعَطُّرٍ ، وَتَمَتُّعٍ بِالنِّسَاءِ وَتَغَزُّلٍ . وقوله « فَيَا عَجَبًا » إِنَّمَا تَعَجَّبَ مِنْ اسْتِمْرَارِ
الْوَقْتِ بِمِثْلِ الْعَيْشِ الَّذِى وَصَفَ ، وَكَيْفَ سَمَحَ الزَّمَانُ بِهِ ثُمَّ غَفَلَ عَنْهُ حَتَّى اتَّصَلَ .
وَالْمُسَمِّعَاتُ : الْغَنَائِيَّاتُ . وَالسَّمَاعُ : الْغَدَاءُ . وَذَكَرَ الْحَمِيمَ لِنَقْصِهِنَّ ، وَلِأَنَّ بِلَادَهُنَّ
كَانَتْ صُرُودًا^(٥) . وَعَلَى هَذَا قَالَ عَمْرُو بْنُ كَثُومٍ :

(١) سبق نحو هذا التعبير فى ص ١١٦٩ س ٩ « لَكِي إِذَا فَايَبْنَا ذُو حَقِّ » .

(٢) البطالة : اتباع اللهو والجهالة .

(٣) هذا البيت لم يروه الآملى .

(٤) هذه من ل .

(٥) الصرود : جمع صرد ، وهو المكان المرتفع من الجبال ، وهو أبردها .

مُسْتَقْسَمَةً كَانَ الْحَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
قال ابن الأعرابي: سخينا حال بمعنى مُسَخَّنٍ، لأنَّ الْبَرْدَ اقْتِضَاهُمْ
بِذَلِكَ الْمَاءِ.

وقوله «فَبِتْنَا بَيْنَ ذَاكَ» يريد أن حاضروقتهم كان على ذلك ثم تَغَيَّرَ.

١٣ - نَطُوفٌ مَا نَطُوفٌ ثُمَّ يَأْوِي ذَوُو الْأَمْوَالِ مِنَّا وَالْقَدِيمُ

١٤ - إِلَى حُفْرِ أَسَافِلُهُنَّ جُوفٌ وَأَعْلَاهُنَّ صُقَّاحٌ مُقِيمٌ

يقول: يُكْتَرُ الْوَاحِدُ مِنَ التَّطَوُّفِ عَلَى اللَّذَاتِ، وَالتَّجَوُّلِ فِي الْأَطْرَافِ
لِطَلْبِ الْبَطَالَةِ، وَلَيْسَ مَالَ الْجَمِيعِ مُقْتَرِنًا وَغَنِيًّا إِلَّا إِلَى حُفْرِ، يَعْنِي بِهَا الْقُبُورَ.
ثُمَّ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا جُوفُ الْأَسَافِلِ لِلْحُودِهَا، وَأَنَّ أَعْلَاهَا نُصِبَتْ عَلَيْهَا حِجَارَةٌ
عِرَاضٌ كَالشُّتُوفِ لَهَا، وَهِيَ دَائِمَةٌ عَلَى هَذِهِ أَبَدًا.

وقوله «نَطُوفٌ مَا نَطُوفٌ» أَي مَدَّةٌ تَطَوُّفَانَا. وَيُقَالُ: أَوَى إِلَى
كَذَا أَوْيًّا.

٤٨٥

وَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ الْأَرْتِ^(١):

١ - هَلَمْ خَلِيلِي وَالنَّوَايَةَ قَدْ تُصْنِي هَلَمْ نُحَيِّ الْمُنْتَشِينَ مِنَ الشَّرْبِ

٢ - فَسَلِّ مَلَامَاتِ الرِّجَالِ بَرِيَّةٍ وَنَفَرِ شُرُورِ الْيَوْمِ بِاللَّهْوِ وَاللُّغْبِ

قوله «والنَّوَايَةَ قَدْ تُصْنِي» اعْتِرَاضٌ، وَكَرَّرَ هَلَمْ عَلَى طَرِيقِ التَّنَاكِيدِ.
وَالْفَائِدَةُ فِي هَذَا الِاعْتِرَاضِ تَحْقِيقُ الْفِصَّةِ الْمَدْعُوِّ إِلَيْهَا.

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٣٥٧ ص ٢٠٢٨. التبريزي: «إياس بن الأرت-
الطائي».

وللمرب في «هلم» طريقتان: منهم من يُحرِّبه مجرى أسماء الأفعال، وحينئذ يقع للواحد والجمع والمؤنث والمذكر على حالة واحدة، والقرآن نزل به، لأنه قال تعالى ذكره: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾. ومنهم من يحمل أصلها التثنية ضمَّ إليه لَمْ، وهو فِعْلٌ، جمعاً معاً كالشيء الواحد، فيثنيه ويجمعه ويؤنثه. وكان الفراء يقول: هو هل أم تركباً معاً. وليس إهل في الكلام إلا موضعان: أحدهما - وهو الأكثر - أن يكون للاستفهام؛ ولا معنى للاستفهام ها هنا. والثاني: أن يكون بمعنى قد، على ذلك فسَّرَ قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾، وليس لمعنى قد في هذا مدخل. وإذا كان كذلك فاقاله فاسدٌ.

وقوله «والغواية قد تُضَيِّى» يريد أن القى يدعو صاحبه إلى أمور كثيرة مختلفة، وقد يحمله على الصَّبَا واللَّهو في الوقت بعد الوقت. وطلب من صاحبه مساعدته على تحيِّته للشرب^(١)، والدُّخول في مُجَاهَتِهِمْ، وتسليَةِ النفوس عن مَلَامَاتٍ مَنْ يدعو إلى الرِّشَاد، ويَحْمِلُ على سُلُوكِ طُرُق الصَّلَاح والسَّدَاد^(٢)، بِشُرْبِ رِيَّةٍ، وهى الكأس الممتلئة خمرًا، وقطع وقت الشَّرِّ والغم باللَّهو واللعب. وقوله «نُسَلَّ» فى موضع الجزم، لأنه جوابُ الأمر. و«نَفَرٍ»، معطوف عليه. ويقال: فَرَيْتُ الأديمَ، إذا قطعته على جهة الصَّلَاح، وأَفَرَيْتُهُ إذا قطعته للفساد.

٣ - إذا ما تراخت ساعة فاجعلتها خَيْرٍ فَإِنَّ الدَّهْرَ اغْصَلَ دُوشَ شَب

٤ - فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ فَإِنَّكَ لَاقٍ مِنْ غُومٍ وَمِنْ كَرْبٍ

قوله: «إذا ما تراخت ساعة فاجعلتها» فى طريقته ما أنشده ابن الأعرابي:

إذا كانَ يَوْمٌ صَالِحٌ فَاقْبَلْنَهُ فَأَنْتَ عَلَى يَوْمِ الشَّقَاوَةِ قَادِرٌ

(١) ل: «تحية الشرب».

(٢) ل: «الرشاد والسداد».

وقوله « فَإِنَّ الدَّهْرَ أَعْصَلَ » ، المَصْلُ : اعوجاج الأنياب . قال الخليل : ولا يقال أَعْصَلَ إِلَّا لِكُلِّ مَعْوَجٍ فِيهِ صَلَابَةٌ وَكَرَازَةٌ . والمعنى : أَنْ مَا يَمُضُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ لَا يُمْكِنُ انْتِزَاعُهُ مِنْهُ ، كَمَا لَا يُمْكِنُ انْتِزَاعُ الشَّيْءِ مِنَ النَّابِ الَّتِي فِيهَا عَصَلٌ . والشَّعْبُ : تهيج الشر . ويقال : رَجُلٌ مُشْعَبٌ .

وقوله « فَإِنَّ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ » ، يريد أَنْ الدَّهْرَ لَا تَصْفُو أَحْوَالَهُ مِنَ الْكَدَرِ ، وَلَا عَطَايَاهُ مِنَ النَّعْبِ وَالْأَذَى ، فَلَا تُعِينُهُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَاجْتِهَدُ فِي إِصْلَاحِ مَا يُفْسِدُهُ ، وَإِلْقَاءِ مَا يَشُقُّ مِنْهُ . وقوله « فَإِنَّكَ لَا قِيَامَ مِنْ غُيُومٍ » من زائدة على مذهب الأخفش ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِنَّكَ لَا قِيَامَ غُيُومًا . وسيبويه لَا يَرَى زِيَادَةَ « مِنْ » فِي الْوَاجِبِ ، فَطَرِيقَتُهُ فِي مِثْلِهِ أَنَّهُ صَفَةٌ لِحَذُوفٍ ، كَأَنَّهُ خَالَ : إِنَّكَ لَا قِيَامَ مَا شئتَ مِنْ غُيُومٍ .

٤٨٦

وقال آخر :

١- أَحِبُّ الْأَرْضَ نَسْكُهَا سُلَيْمَى وَإِنْ كَانَتْ تَوَارَتْهَا الْجُدُوبُ

٢- وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تَرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بِهَا حَبِيبُ

يذكر حبيبته إلى محل سُلَيْمَى ومكانها ، وَمِثْلَهُ وَإِنْ كَانَ قَفْرًا^(١) مَرْدَدًا فِي الْجُدُوبَةِ مَتْنَاهِيًا أَفْطَارُهُ فِي الْيُبُوسَةِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ زَرَّ عَلَيْهِ لِكُونِهَا بِهِ ، فَأَمَّا حُبُّ الْأَرْضَيْنِ بِمَجْرَدَةِ فُلَيْسَ مِنْ دَابِّهِ وَعَادَتِهِ .

وقوله « وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تَرَابِ أَرْضٍ » جعلَ الْحُبَّ لِلدَّهْرِ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ : نَهَارُهُ صَائِمٌ ، وَلَيْلُهُ قَائِمٌ . والمعنى : لَيْسَ حُبُّ الْأَرْضَيْنِ مِنِّي بِعَادَةٍ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَقِيرًا » ، صَوَابُهُ فِي ل .

دهرى ، وقوله « ولكن من يحمل بها حبيب » يشبه قول الآخر :
 ألا يا بَيْتُ بالعلياء بَيْتُ وَلَوْ لَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ^(١)
 يريد أن البيوت في الموضع الذي جئت منه قد كثرت ، ولكننى قصدتُك
 لحبِّ أَهْلِكَ . وقوله « توارثها » أى تتوارثها . فحذف إحدى التاءين استنقلا .
 وقد مضى مثله .

٣ - أَغَاذِلُ لَوْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ حَتَّى يَكُونَ لِكُلِّ أَنْفَلَةٍ دَيْبٌ
 ٤ - إِذَنْ لَعَذَرْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنِّي بِمَا أَتَلَفْتُ مَنْ مَالِي مُصِيبٌ^(٢)
 كَانَ عَاذِلَةً أَفْرَطْتُ فِي لَوْمِهِ عَلَى مَا يُدْمِنُهُ مِنَ الشَّرْبِ ، وَيَذْهَبُ فِيهِ مِنْ
 طُرُقِ اللَّهِو ، فَقَالَ لَهَا : لَوْ شَرِبْتَ الْخَمْرَ فَأَخَذْتُ مِنْكَ ، وَدَبْتُ فِي عُزُوقِكَ
 وَمَفَاصِلِكَ ، وَجَمَعْتُ السَّارَّ لَكَ ، وَكَشَفْتُ أَنْوَاعَ الْغَمِّ عَنْكَ ، لَعَرَفْتُ مِنْ لَذَائِهَا
 وَمَنَافِعِهَا ، وَحُدُوثِ الطَّرَبِ وَالْجَذَلِ فِي النُّفُوسِ لَهَا ، وَاسْتِمْتَاعِ الرُّوحِ بِنَشْوَتِهَا
 وَقُوَاهَا ، مَا يَيْمَعُكَ عَلَى بَسْطِ عُذْرِي فِي الْوُكُوعِ بِهَا ، وَالثَّبَاتِ عَلَى هَوَاهَا ،
 وَلَعِلِمْتَ أَنِّي رَاكِبٌ ثَبَجَ الصَّبَابِ ، وَغَيْرُ عَادِلٍ عَنِ الْوَاجِبِ فِي إِفْتَاقِ الْمَالِ .
 معنى « لِمَا أَتَلَفْتُ » أى من أجل إيتلافى . وَيُرْوَى : « بِمَا أَتَلَفْتُ » والمعنى
 أَنِّي مُصِيبٌ بِسَبِيهِ وَمِنْ أَجْلِهِ .

(١) أنشده في اللسان (بيت) شاهداً على أن البيت فيه بمعنى المرأة .

(٢) ل : « لما أتلفت » ، وأشير في هامشها إلى أنها في نسخة « بما أتلفت » .

٤٨٧

وقال أبو صغرة البولاني^(١) :

١ - فَمَا نُظْفَةُ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ بِهِ حَسَنُ الْجُودَى وَاللَّيْلُ دَامِسُ^(٢)

٣ - فَلَمَّا أَقْرَنَهُ اللَّصَابُ تَنَفَّسَتْ شِمَالٌ لِأَغْلَى مَائِهِ فَهُوَ قَارِسُ^(٣)

٤ - بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلَكِنِّي فِيهَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ

قوله « حَسَنُ الْجُودَى » رواه البرقي : « به حُزْنُ الْجُودَى » ، وكثير من الناس يرويه : « به جَنَّبَتَا الْجُودَى » . وقيل في « حَسَنُ الْجُودَى » : إنه قطعة متصلة بالجوْدَى ، والجُودَى : جبل . وقال صاحب العين : حَسَنُ : اسم رمل لبني سعد^(٤) . وذكر البرقي أن الحَزْنََة والحَزْنَ من الأرض والدَّوَاب : ما فيه خُشُونَة ، والفعل منه حَزَنَ حُزُونَةً ، ورجل حَزَنٌ : شَرِسٌ ، وقومٌ حَزَنٌ . ومن روى : « به جَنَّبَتَا الْوَادِي » فالمراد به الكَدْفُ والنَّاحِيَة . وبعضهم استدلل على أن قولَ النَّاسِ : فُلَانٌ فِي جَنَبَةِ فُلَانٍ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وإنما الصواب في جَنَبَةِ فُلَانٍ ، بسكون الدون ، استدلالاً بهذا البيت .

وقد روى الأصمعي :

• وَالنَّاسُ فِي جَنْبٍ وَكُنَّا جَنْبًا •

فيقول : ما مالا اجتمع من حَبِّ مُزْنٍ - وهو البرْدُ ، لأنَّ الْمَزْنَ اسمٌ يجمع

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٥٩ ص ١٠٣٣ . وهذه المقطوعة من بحر المقطوعة وروياها ، فلعلهما من قصيدة واحدة .

(٢) هذا ما في ل وياقوت (٢ : ٢٧٩) ، وفي الأصل : « جنبتا الجودي » .

(٣) ل : « لأعلى مثته » .

(٤) ياقوت : « حسن ها هنا : جمع حسنة ، وهي مجارى الماء » . وضبطت الحسن فيه بكسر ففتح كما في النسختين هنا ، وضبط في اللسان بفتحيتين في الجمع والمفرد .

(٥) في اللسان : « الأصمعي : الحزن : الجبال الغلاظ ، الواحدة حزنة - أى بالضم - مثل صبرة وصبر » .

أنواع السحاب ، فهو كالنجم — ترامت به جوانبُ هذا الجبلِ والليلُ مظلمٌ إلى أن زالَ رَنَقُهُ ، وانقطعَ كَدْرُهُ . وخبر « ما » قوله « بأطيب » . ثم وصفَ الماءَ بأنه لما حصلَ في القرارات بعد تقطُّعه بنضدِ الحجارة ، وجوانبِ المذائبِ والأدوية ، فزالَ عنه أكثرُ شوبِهِ ، هَبَّتْ عليه شمالٌ لينةٌ فصقَّتْهُ وبرَدَتْهُ . يريدُ : ما ماء سارية بهذه الصِّفة بأعذبَ من رُضابِ فَمِ هذه المرأةِ ، ولا أقولُ هذا عن ذَواقٍ واختبار ، ولكن عن صِدقِ فِرَاسَةٍ ، واعتبارِ مُشاهدة .
وفي طريقته قول الآخر^(١) :

يا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُحْتَرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
واللَّصَابِ : جمع لَصِب ، وهو شقوقٌ في الجبل . والقارس : البارد . وقوله « فارس » أراد به المتفرِّس . ويقال : هو فارس على الخيل بين الفُرُوسَةِ^(٢) ، وإذا كان يتفرِّس في الأشياء ويُحَسِّنُ النَّظَرَ فيها قلت : هو فارسٌ بين الفِرَاسَةِ . والدَّامِس : الْمُظْلَم ، ويقال : دَمَسَ ، أى أَظْلَمَ ؛ وأتيتُهُ دَمَسَ الظَّلام .

٤٨٨

وقال الحارث بن خالد المخزومي^(٣) :

١ - إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَارِ تَوُودُهَا الْمُقْلُ
٢ - لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سِفْلًا وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَعْمَلُو

(١) هو بشار بن برد . أمالي القتالي (١ : ٢٢٨) والأغاني (١٨ : ١٩٢) .

(٢) ل . « الفروسية » ، وهما سيان .

(٣) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن كعب بن لؤي بن غالب : وهو أحد شعراء قريش المعدودين الفزاليين ، وكان يذهب لمنهج عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الفزل إلى المديح والهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بولاه عبد الملك بن مروان مكة . الأغاني (١٨ : ٩٧ - ١١١) .

٣- لَعَرَفْتُ مَمْنَاهَا لِمَا ضَمِنَتْ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
 أَقْسَمَ بِالْقَرَابِينَ الَّتِي يَنْحَرُّهَا الْحَجِيجُ عِنْدَ الْمُحَصَّبِ غَدَاةَ مَنِّي وَهِيَ مَعْقُولَةٌ
 أَنَّهُ لَوْ غُيِّرَتْ دِيَارُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ عَنْ خِطَطِهَا الْمَعُودَةِ ، وَرَسُومِهَا الْمَشْهُورَةِ ، حَتَّى
 جُعِلَتْ أَعَالِيهَا أَسَافِلَهَا ، وَأَسَافِلُهَا أَعَالِيهَا لَعَرَفَ مَغْنَاهَا الْمُخْتَصَّ بِهَا ، وَمَثْوَاهَا
 الْجَامِعَ لِأَسْبَابِهَا مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مَخَافَى ضُلُوعِهِ مِنْ وَدِّ أَهْلِهَا أَيَّامَ مُوَاسِلَتِهَا^(١) ،
 حَتَّى كَانَ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا . وَمَعْنَى « تَوَوَّدُهَا » تَنَقَّلَهَا . وَجَوَابُ الْيَمِينِ
 « لَعَرَفْتُ » . وَالْمَقْنَى : الْمَنْزِل . وَيُقَالُ : غَنِينَا بِمَكَانٍ كَذَا نَغْنَى بِهِ غَنًى .
 وَجَوَابُ « لَوْ بُدِّلَتْ » مَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ ، وَهُوَ لَعَرَفْتُ .

٤٨٩

آخر^(٢) :

- ١- مَرِيضَاتُ أَوْبَاتِ التَّهَادِي كَأَنَّهَا تَخَافُ عَلَى أَحْسَائِهَا أَنْ تَقْطَعًا^(٣)
 - ٢- تَسِيبُ أَسْيَابُ الْأَيْمِ أَخْصَرَهُ النَّدَى فَرَفَعَ مِنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَفَعًا^(٤)
- التَّهَادِي : الْمَشَى بَيْنَ اثْنَيْنِ ؛ يُقَالُ : رَأَيْتُهُ يَهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَيَتَهَادَى .
 يَصِفُهَا بِالنِّعْمَةِ وَالرِّقَّةِ وَضَعْفِ الْحَرَكَةِ ، لِثِقَلِ رَدْفِهَا ، وَدِقَّةِ خَصْرِهَا ، وَتُرْفَتِهَا
 الْمَتَمَلِّكَ لِأَعْضَائِهَا وَحَوَامِلِهَا ، فَيَقُولُ : إِذَا تَهَادَتْ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَمَقَطَاتُ حَرَكَاتِهَا
 مَرِيضَةٌ ، وَنَهَضَاتُ انْدِفَاعِهَا بَطِيئَةٌ ، فَكَأَنَّهَا تَجْذِبُ أَعَالِيهَا أَسَافِلَهَا ، تَخَافُ عَلَى

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَدَّ أَهْلُهَا لَهَا وَمَوَاسِلَتِهَا » .

(٢) هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدَ ، كَمَا فِي مَخَاضِرَاتِ الرَّاقِبِ (٢ : ١٣٩) . وَالْبَيْتَانِ رَوِيَا

أَيْضًا فِي الْحَيَوَانَ (٤ : ٢٥٩) وَمَجْمُوعَةُ الْمَعَانِي ٢٥٩ .

(٣) الْحَيَوَانَ : « مَرِيضَةٌ أَثْنَاءَ التَّهَادِي كَأَنَّهَا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ أَعْطَافِهَا » ، صَوَابُهُ فِي ل وَالتَّبْرِيزِيِّ وَسَائِرِ الْمُرَاجِعِ ، لَكِنْ قَدْ

الْحَيَوَانَ : « يَرْفَعُ مِنْ أَعْطَافِهِ » .

خَصَرَهَا التَّفْطُوعَ إِنْ تَبَسَّطَتْ فِي الْمَشْيِ ، أَوْ تَسَرَّعَتْ فِي الْقَصْدِ .

وقوله « تسبب انسياب الأين » فالأين : الجانبان من الحيات . ويروى « الأيم » أيضاً ، وهى الحية . والحيّة لا تصبر على البرد ، لأنه إذا أثر فيها ييسر جرمها فتكسرت . فيقول : هى تنساب أى تتدافع فى مشيها تدافع الحية وقد أثر فيها الندى فخسرت وأخذت من جرمها وأعطاها ما أطاعها وأمكنها . كأن الحية وقد خسرت شق عليها ما يذللها من خصر الندى وبرده ، فهى فى انسيابها تتجافى ^(١) عن الأرض جهدها . ويقال : ساب وانساب بمعنى واحد . وفى القرآن : ﴿ وَلَا سَابِيَةَ ﴾ . قال الثريدي : ساب الماء ، إذا جرى .

٤٩٠

آخر :

- ١- أَبَتِ الرّوَادِفُ وَالتَّنْدِي لِقَمَصِهَا مَسَّ البُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُوراً ^(٢)
 - ٢- وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْمَشْيِ تَفَاوَحَتْ نَبْهَنَ حَاسِدَةً وَهَجْنَ غَيُوراً
- لف فى البيت الأول الخبرين لقا ، ثم رعى بتفسيرهما جملة ، ثقة بأن السامع لكلامه يرُدُّ إلى كلِّ ماله ، وذلك لأنه قال « أَبَتِ الرّوَادِفُ وَالتَّنْدِي لِقَمَصِهَا » ، فجمع بين ما يكون خلفاً وقدّاما من الرّذف والتندي . وهو يريد أن يصرّحاً بأنها ناهدة التّدين ، دقيقة الخصر ، لطيفة البطن ، وأنها عظيمة الكفّل والرّذف ، فالتندي تمنع القمص أن تلتصق ببطنها ، والرّذف يمنعها أن تلتصق بظهرها ، فبين فى التفسير فى عجز البيت ما لقه فى صدره كما ترى .
- وقوله « وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْمَشْيِ تَفَاوَحَتْ » ، يريد : وإذا دنت الأصيل

(١) ت : « تتجافى » .

(٢) البيتان فى أمالى القالى (١ : ٢٣) .

وَهَبَتْ رِيَّاحُ الصَّيْفِ ، فَتَقَابَلَتْ رِيَّاحَانِ كَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ ، أَوْ الصَّبَا وَالذَّبُورِ ،
وَابْتَرَدَتْ هَذِهِ ، التَّصَقَّ مِنْ دَرْعِهَا بَبْطْنَهَا وَظَهَرِهَا مَا كَانَ يَمْنَعُ ثَدْيَهَا وَرِدْفَهَا
قَبْلَ هُبُوبِهَا ، وَظَهَرَ مِنْ تَحَاسِنِهَا مَا يَنْبَغِي الْحَاسِدَ وَيَهَيِّجُ الْغَيُورَ ، لِأَنَّ مَا خَفِيَ
مِنْهَا ظَهَرَ لِلْعَيُونِ وَالْمَنَازِرِ ، فَالْغَيُورُ يَكْرَهُ ، وَالْحَاسِدُ يَنْتَبِهَ . وَقَوْلُهُ « وَأَنْ تَمَسَّ »
جَازٌ انْتِطَافَهُ عَلَى « مَسَّ الْبَطُونِ » لِكَوْنِ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ فِيهِ فِي مَوْضِعِهِ وَمَعْنَاهُ .
وَالْبَطُونُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ، لِأَنَّ الْمَصْدَرُ يُضَافُ إِلَى الْمَفْعُولِ كَمَا يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ .
وَالْبَطُونُ مَعَ لَفْظِ مَسَّ ، كَظَاهِرٍ مَعَ أَنْ تَمَسَّ .

٤٩١

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ (١) :

- ١ - بِيضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ فَرْعِهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ وَخْفٌ أَسْحَمُ
٢ - فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ
وَصَفَّ شَعْرَهَا بِالطُّولِ ، وَكَثْرَةُ الْأَصُولِ ، فَإِذَا قَامَتْ سَحَبَتَهُ ، وَإِذَا أَرْسَلَتْهُ

(١) شاعر حنفي من بني حنيفة بن لحيم ، أو عجل من عجل بن لحيم وها أخوان . وكان
بكر بن النطاح صعلوكا يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك ، فجعله أبو دلف من الجند وجعل له
رزقا سلطانيا ، وكان شجاعا بطلا فارسا ، شاعرا حسن الشعر والتصرف فيه ، كثير الوصف
لنفسه بالشجاعة والإقدام ، وكان الرشيد قد غضب عليه فاختفى ، ولم يظهر حتى مات الرشيد ،
فلما مات ظهر . وهو القائل :

أَكْذِبْ طَرَفِي عَنْكَ فِي كُلِّ مَا أَرَى وَأَسْمِعْ أَذُنِي مِنْكَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
فَلَا كِبْدِي تَبْلُ وَلَا بَاكِ رَحْمَةً وَلَا عَنْكَ إِقْصَارٌ وَلَا فَيْكٌ مَطْعَمٌ
وَهُوَ مَا غَنَى بِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . غَنَتْهُ فِي عَصْرِنَا « أُمُّ كُلْثُومٍ » . وَالْقَائِلُ فِي غِلَامِ نَصْرَانٍ
كَانَ يَحْنُ بِهِ :

يَا مَنْ إِذَا دَرَسَ الْإِنْجِيلَ ظَلَّ لَهُ قَلْبُ التَّقَى عَنِ النَّزَّانِ مُنْصَرِفًا
إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوَى تَعَانَقِي كَمَا تَعَانَقُ لَامَ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا

الْأَغَانِي (١٧ : ١٥٣ - ١٦١) .

(١٨ - حَاة - ثَالِث)

سَتَرَهَا فَتَغِيبُ فِيهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ شَدِيدُ السَّوَادِ ، مُسْتَرَسِلٌ فِي جُمُودَةٍ وَارِدٌ فِي جُمُودَةٍ ، فَكَأَنَّمَا لَشِدَّةٌ بَيَاضُهَا إِذَا تَفَشَّاهَا ، نَهَارٌ يَسْطَعُ مِنْ خَلَلِ الظَّلَامِ ، وَكَأَنَّ شَمَرَهَا لَشِدَّةٌ سَوَادُهُ عَلَيْهَا ، لَيْلٌ مُظْلِمٌ تَغْشَى بَيَاضَ نَهَارِهِ ^(١) .

٤٩٢

آخر :

١ - تَأَمَّلْتُهَا مُتَمَتِّةً فَكَأَنَّمَا رَأَيْتُ بِهَا مِنْ سُنَّةِ الْبَدْرِ مَظْلَمًا

٢ - إِذَا مَا مَلَأْتُ الْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى أَزِفَ الدَّمْعَ أَجْمَعًا

يقول : نظرتُ إليها على غرّةٍ منها اختلستُها ، وغفلةٍ ترصدتُها ، فكأنني رأيتُ بها بدرًا طالما . وسُنَّةُ البدر ، أراد وجهه . ويقال : اغترّ فلانٌ ، إذا فوجئٌ عن غرّة .

وقوله « إِذَا مَا مَلَأْتُ الْعَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » يقول : إِذَا تَزَوَّدَتْ

عيني من حُسْنِهَا فَفَطَرْتُ فِي أُعْطَافِهَا ، امْتَلَأْتُ مُتَحَيِّرَةً مِنْ جَاهِلِهَا ، كَمَا يَتَحَدَّرُ ظَرْفُ الْمَاءِ إِذَا امْتَلَأَ مِنْهُ . وَإِنَّمَا قَالَ « مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِعُ وَصْلَ تَحْمُلِهِ ، وَتَفْحُلِ ^(٣) عَقْدِ نَجْلِهِ ، وَجَدَّابِهَا ، وَتَحْمُشَرَا فِيهَا . وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَظَرَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ اتِّفَاقٍ أَنَّهُ قَالَ : تَأَمَّلْتُهَا مُتَمَتِّةً ، وَمَعْنَى « أَزِفَ الدَّمْعَ » أَفْنِيهِ كُلَّهُ . يَقَالُ : تَزَفْتُ الْمَاءَ وَأَزَفْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : يغشى .

(٢) ل : « ينتطع » .

(٣) ل : « يتحلل » .

٤٩٣

وقال كثير^(١) :

- ١ - ودِدْتُ وما تُغْنِي الوِدَادَةُ أَنْتَى بما في ضميرِ الحَاجِيَّةِ عَالِمُ
٢ - فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّنِي وَعَلِمَتْهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَغْنِي أَلْوَامُ

يقول : تَمَنَّيْتُ أَنْتَى عَالِمٌ بما يَطْوِي عَالِيَهُ قَلْبُ هَذِهِ الْمَرَأَةِ لِي ، وما يَنْفَعُ التَّمَنَّى إِذَا لَمْ يُسَاعِدِ الْقَدَرُ . وقوله « وما يَغْنِي الْوِدَادَةُ » اعتراضٌ بَيْنَ وَدِدْتُ وَمَفْعُولِهِ ، وهو أَنْتَى . ويقال : وَدِدْتُ وَدَادَةً وَوِدَادَةً ، بفتح الواو وكسرها . وقوله « فَإِنْ كَانَ خَيْرًا » يريد : فَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرُهُ لِي وَدًّا صَافِيًا ، وَمِيلًا نَاصِعًا^(٢) سَرَّنِي ذَلِكَ وَسَكَنْتُ إِلَيْهِ ، فَلَا يَذْهَبُ مَا أَتَكَلَّفَهُ فِي هَوَاهَا بِاطِّلًا ، وَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرُهُ وَتَطْوِي عَلَيْهِ اعْتِرَاضًا خَالِصًا ، وَجَفَاءً مُرًّا ، قَتَلْتُ نَفْسِي وَأَرْحَتُهَا مِنْ لَوْمِ اللَّائِمَاتِ . وقوله « وَعَلِمَتْهُ » اِكْتَفَى بِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى عَرَفَتْهُ .

- ٣ - وَمَا ذَكَرْنَاكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَتْ فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَاذِرٌ لِي وَلَا تُؤْمُ^(٣)
يقول : مَا أَخْطَرْتُهَا بِبَالِي عَلَى مَا أَقَاسَى فِيهَا ، وَيُؤَافِيَنِي مِنْ اطِّرَاحِهَا وَزُهْدِهَا

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي ، صاحب عزة ، وأحد فحول شعراء الإسلام . وكان غالباً في التشيع معروفاً بالحق ، وكان من أتبه الناس وأذهبهم بنفسه . وكان المدور بن عبد الملك يقول فيه : « ما ضر من يروى شعر كثير وجهيل ألا تكون عنده مفتيتان مطريتان » . توفي كثير سنة ١٠٥ . الأغاني (٨ : ٢٥ - ٤٢) والشراء ٤٨٠ - ٤٩٩ وابن سلام ١٢١ - ١٢٥ والاشتقاق ٢٨٠ والموتلف ١٦٩ والمرزبان ٣٥٠ ، والخزائفة (٢ : ٣٧٦ - ٣٨٣) وابن خلكان ، ومعاهد التنصيص .

(٢) هذا في ل . وفي الأصل : « نافعاً » .

(٣) بعده عند التبريزي :

فريقٌ أبى أن يقبل الضيمَ عموةً وآخرٌ منها قابلُ الضيمِ راغِمٌ

إِلَّا تَفَرَّقَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ : ففريقٌ يَمَذِّرُنِي ويقول : إِنَّ مِثْلَهَا فِي كَالِهَا وَظَرْفَهَا
وَحَسَبَهَا وَمَنْصَبَهَا ، وشرفها وسَرُّوها ، يَصْبِرُ عَلَى كُلِّ أَذَى يَمْرُضُ فِي اكْتِسَابِهَا
وَيُفْتَلِقُ عَلَى جَمِيعِ عِلَالَتِهَا ، احتفالاً بِاسْمِهَا فِي اللُّشَاقِ ، وتكثراً بِمَكَانِهَا بَيْنَ
ذَوِي الْأَهْوَاءِ . وفريقٌ يُلومُنِي ويقول : إِنَّكَ جَاهِلٌ بِمَالِكَ وَعَلَيْكَ ، مَبْتَذِلُ
الرُّوحِ فِي هَوَى مِنْ لَا يُشْفِقُ عَلَيْكَ وَلَا يَرْفُقُ بِكَ ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا
تُؤْثِرُهُ ، وَإِنْ امْتَدَّ مَدَى ذَهَابِهَا عَنْكَ . وهذا قَالَهُ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِيمَا يَهْتُمُّونَ ،
وَتَرَدُّهُمْ بَيْنَ مَا يَقْوَى الْعِزَّمَ عَلَيْهِ وَبَيْنَ مَا يَضْمِغُهُ ، فَيَحْمَلُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
كَأَنَّهُ نَفْسٌ عَلَى حَيَالِهَا .

٤٩٤

وقال أيضاً :

١ - وَأَنْتِ الَّتِي حَبَيْتِ شَفْعًا إِلَى بَدَا إِلَيَّ وَأَوْطَانِي بِلَادٍ سِوَاهِمَا^(١)

٢ - وَحَلَّتْ بِهَذَا حَلَّةً ثُمَّ أَصْبَحَتْ بِهَذَا فُطَابَ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا

خاطبتها في البيت الأول مُفْتَدًّا عَلَيْهَا بِأَنَّهُ كَمَا آثَرَهَا عَلَى أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ،
آثَرَ بِلَادَهَا عَلَى بِلَادِهِ ، فذكر [طرفي محالها فقال : أَحَبُّ لَكَ وَفِيكَ شَفْعًا
إِلَى بَدَا ، وَبِلَادِي^(٢)] بِلَادٌ غَيْرُهَا . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ :
وَنَزَلْتُ بِهَذَا - يُشِيرُ إِلَى شَفْعٍ - نَزَلَةً ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بِبَدَا ، فَفَاحَ الْوَادِيَانِ
وَتَضَوَّعَا بِرِيَابِهَا . ومثله قول الآخر :

(١) بعده عند النبريزي :

إِذَا ذَرَفَتْ عَيْنَايَ أَعْتَلُّ بِالْقَدَى وَعَزَّةٌ لَوْ يَدْرِي الطَّيِّبُ قَدَّاهَا

(٢) الكلمة من ل .

استودعت نشرها الرياض فما تزداد إلا طيباً على القدم
ومثله أيضاً :

تضوّع مسكاً بطن ثمان أن مشّت به زينب في نِسوة خفّرات^(١)

٤٩٥

وقال نصيب^(٢) :

١- لقد هتفت في جنح ليل حمّامة على قنّ وهنا وإني لثائم^(٣)

٢- كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحائم

هتفت : صاحت . في جنح الليل^(٤) ، أى فيما مال من الليل . والفنّ :
الفضن . وهنا : بعد ساعة من الليل . يقول : جدّدت لى حمّامة بتغريدّها وجدّاً

(١) البيت لعبد الله بن نعيم الثقفى ، كما فى اللسان (ضوع) وإصلاح المنطق ٢٨٧ .
ويروى : « عطرأت » .

(٢) هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً فحلاً مقدماً فى
النصيب والمديح ، ونصيب هذا هو نصيب الأكبر ، القائل فى عبد العزيز :
لعبد العزيز على قومه وغيرهم نسم غامرة .

وأما نصيب الأصغر فهو شاعر عباسى مولى المهدي ، اشتراه فى حياة المنصور ، فلما سمع
شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بنى مروان . فأعتقه وزوجه أمة له يقال لها جعفرّة ،
وكناه أبا الحبناء ، وأطلقه ضيعة بالسواد ، وعمر بعده الأغاني (١ : ١٢٥ - ١٤٥ و ٢٠ :
٢٥ - ٣٤) وابن سلام ١٤١ وياقوت (٧ : ٢١٢ - ٢١٦) والعميق (١ : ٥٣٧ - ٥٣٨)
والشعراء ٣٧١ - ٣٧٤ .

(٣) بين هذا البيت وتاليه فى ديوان الحماسة بشرح الشيخ الدبلجوني :

فقلت اعتذاراً عند ذاك وإنتى لنفسى مما قد رأته للائم

أأزعم أنّي هائم ذو صبابة بسفدى ولا أبكى وتبكي الحائم

وهذان البيتان لم يروهما التبريزى ولا المرزوقى ، فهما ليسا من صلب الحماسة ، على أن
يبقى الحماسة هذين نسباً فى الأغاني (٢ : ٨) إلى المهنون ، ورواية أولهما :

لقد غردت فى جنح ليل حمّامة على إلفها تبكى وإنى لثائم

(٤) الجنح بالضم والكسر ، وقد ضبط فى النسختين والتبريزى بالكسر فقط .

وصباة . وهى على غُصْنٍ فيها مَالٌ من الليل ، وإنى لساكنُ نائمٌ ، ولو كنتُ عاشقاً وحقَّ بيتُ اللهِ لَمَّا سَبَقْتَنِي الحامُّ بالبكاء ، لكنى كاذبٌ فى دعوائى متزَيِّدٌ . وهذا كلامٌ مستقصِرٌ فيما هو عليه ، مستزِيدٌ لنفسه فيما يُجرى إليه ، يصوِّرها بصورةِ المُشْبَعِ بما ليس فيه . وهذه الطريقة زائدةٌ على طريقة الملتذُّ بالهوى . وقوله « لَمَّا سَبَقْتَنِي » ، على عادتهم فيما يمتقدون من شَجْوِ الحام . لذلك قال أبو تمام :

لَا تَشْجِنَ لَهَا فَإِنَّ بَكَاءَهَا صَحِيحٌ وَإِنْ بُكَاءُكَ اسْتِفْرَامٌ
وَسَلَكٌ مَسْلَكٌ نَصِيبِ عَدَى بْنِ الرَّقَاعِ فِيمَا أَظُنُّ فَقَالَ :
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بُلْبُنِي شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْدُمِ^(١)
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ
وقوله « لَمَّا سَبَقْتَنِي بالبكاء الحامُّ » اشتمَل على جواب اليمين ، وعلى جواب لو .

٤٩٦ .

وقال الشمايطُ الغطفاني^(٢) :

١ - أَرَارَ اللهُ نَحْكَ فِي السَّلَاحِ إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوُّقِنَا^(٣)

(١) فى الكامل ٥٠٤ ليسك : « بسعدى شفيت » .
(٢) ذكر فى الأغاني (٢ : ٨٦) أن « شمايط » كان معاصراً لابن ميادة . وأُشْد له فى الأغاني واللسان (شط) :

أنا شمايط الذى حدثت به متى أنه للفداء أنته

حتى يقال شره ولست به

وهذه الحاسية جاءت عند التبريزى غير منسوبة ، ونص إنشاده : « وقال آخر » .

(٣) التبريزى :

أَرَارَ اللهُ نَفِيكَ فِي السَّلَاحِ عَلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَعْمُولِنَا

٣ - فإني مثلُ ما تجدينَ وجدِي ولكنِّي أَسِرُّ وتُملِئِينا

٣ - وبِى مثلُ الذى بك غيرُ أنِّي أَجَالُ عنِ العِقالِ وتُملِئِينا

قوله : « أَرَا اللَّهَ » يخاطب ناقةً ووجدَها تحنُّ فقال داعياً عليها : جعلَ اللهُ حَنَكَ رِيأ . والرَّيرُ : الرقيق من اللخ . والقصدُ فى الدعاء إلى أن يجعلها اللهُ نِضْواً مهزولاً ، وخَصَّ السَّلامَى لأنها والعين آخرُ ما يَبْقَى فيه اللخُ عند الهزال ، لذلك قال الشاعر ^(١) :

لَا يَسْتَكِينُ أَلَمًا مَا أَتَقِينَ مَا دَامَ مُخٌّ فِي السَّلامَى أَوْ عَيْنُ

وقوله : « إِلَى مَنْ بِالْحَدَيْنِ تَشَوَّقِينَا » ، يجوز أن يكون إنكاراً منه على الناقة فى حينها ، ويجوز أن يريدَ تفخيمَ شأنِ المشتاق إليه ، كأنه قال : تَشَوَّقِينِي بِحَبِينِكَ إِلَى إِنْسَانٍ وَأَيُّ إِنْسَانٍ ، ويكون « مَنْ » اسماً نكرةً ، ويكون الكلامُ خبراً ، وفى الأوَّل يكون استفهاماً . وإِنَّمَا أَنْكَرَ ضَجَرًا بِهَا ، لأنَّه لم يذِرْ أحيانها إلى ولده أو وطن أو صاحب .

وقوله : « فإني مثلُ ما تجدينَ » يجوز أن يكون « وجدى » فى موضع النصب ، عل أن يكون بدلاً من المضمَر فى إتي ، ويكون مثلُ فى موضع خبر إنَّ ، فكأنَّه قال : إِنَّ وَجْدِي مِثْلُ مَا تَجْدِينَ ، ويجوز أن يكون وجدى فى موضع الرفع على الابتداء ، ومِثْلُ خبرٌ له مقدَّم ، والجملة فى موضع خبر إنَّ ، كأنَّه قال : إني وجدى مثلُ ما تجدين .

وقوله : « وَلَكِنِّي أَسِرُّ وتُملِئِينا » يريد أن عَقْلِي يُمَسِّكُنِي ، وإن كان وَجْدِي مِثْلُ وَجْدِكَ وَبَرِّحِي مِثْلُ بَرِّحِكَ ، عَن إِظْهَارِ التَّأَلُّمِ ، وفى القلب ما فيه ، وَأَنْتِ تُعْلِنِينَ وتُصِيحِينَ .

وقوله : « وبِى مثلُ الذى بك » يقول : إِنِّ نِزَاعِي مِثْلُ نِزَاعِكَ ، وَلَكِنِّي

(١) هو الراجز أبو ميمون الضرير بن سلمة ، كما فى اللسان (نق) . والرجز فى صفة خيل .

يُؤْمِنُ مَنِّي أَن أَهِيْمَ عَلَى وَجْهِ ، إِذْ كُنْتُ أَضِيطُ نَفْسِي بِمَا أُعْطِيتُ مِنْ تَمِيِزِي وَإِبْقَائِي ، وَأَنْتَ تُنْقَلِبِينَ مَخَافَةَ أَنْ تَبْدِيَ عَلَى وَجْهِكَ ، إِذْ لَا تُسَكِّتُكَ ، وَلَا رِقَبَةً لَكَ ، وَلَا حَيَاءً يَرُدُّكَ ، وَلَا رِعَةً تُنْمِسُكَ .

٤٩٧

وقال ^(١) :

١ - وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَاحًا فَوَادُهُ وَلَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
٢ - تَسَلَّى بِأُخْرَى غَيْرِهَا فَإِذَا الَّتِي تَسَلَّى بِهَا تُفْرِي بَلِيلِي وَلَا تُسْلِي
يقول : لَمَّا عَصَى قَلْبُهُ وَتَأَبَّى إِلَّا جَاحًا فِي لَجَاجَتِهِ ، وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَتِهِ ، وَلَمْ تَنْصَرَفْ نَفْسُهُ عَنْ لَيْلَى شَغْلًا بِقَتْمِيرِ مَالٍ ، وَتَرْقِيعِ عَيْشٍ ، وَلَا بِإِرْضَاءِ أَهْلٍ . وَاسْتِصْلَاحِ عَشِيرَةٍ ، أَخَذَ يَطْلُبُ الشُّلُوءَ عَنْهَا فِي مُوَاصَلَةٍ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ وَشَغْلِ الْقَلْبِ بِحُبِّهَا دُونِهَا ، فَإِذَا الَّتِي طَلَبَ التَّسَلَّى بِهَا تَبَعْتُ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى لَيْلَى ، وَتَحَضُّرُ عَلَى تَرْكِ الْإِثَارِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ زِيَادَاتِ مُحَاسِنِهَا ، وَأَنْوَاعِ مَا تَوَحَّدَتْ بِهِ مِنْ فَضَائِلِهَا ، مَا يَدْعُو إِلَى التَّشَبُّثِ بِهَا ، وَعِارَةِ هَوَاهَا . وَجَوَابَ لَمَّا أَبَى « تَسَلَّى » . وَالْجَاحُ مِنْ قَوْلِهِ : جَمَعَ الْقَرَسُ ، إِذَا جَرَى جَرَبًا غَايِبًا لِرَاكِبِهِ . وَقَوْلُهُ « فَإِذَا الَّتِي تَسَلَّى بِهَا » إِذَا هِيَ هَذِهِ الَّتِي الْمَفْاجَأَةُ ، وَمِنْ الظُّرُوفِ الْمَكَاتِيَةِ لَا الزَّمَانِيَةِ ، وَمَا بَعْدَهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ مُسْتَقَرًّا .

٤٩٨

آخر ^(٢) :

١ - عَجِبْتُ لُبْرِي مِنْكَ بِأَعَزِّ بَعْدَ مَا صَمِرْتُ زَمَانًا مِنْكَ غَيْرَ صَحِيحٍ

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) التبريزي : « وقال آخر ، وهو كثير » .

٢- فَإِنْ كَانَ بَرَهُ النَّفْسَ لِي مِنْكَ رَاحَةً فَقَدْ بَرَّتَ إِنْ كَانَ ذَاكَ مُسْرِحِي

٣- تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ عَنِّي وَلَمْ يَكُنْ غِطَاءُ فَوَادِي بَنَجَلِي لِسَرِيحِ

يقول : قضيتُ العجبَ من انصراف قلبي عنك ، وبرئي من الذاء فيك ، بعد ما بقيت زماناً مبتلى النفس في هوائك ، عليل القلب بوجدك ، مُبرِّحاً بي حبك ؛ فإن كان بره النفس يُعقبُ لي راحةً منك وفي هوائك فقد برئت والراحة منتظرة ، إن كانت من نتائجهِ ومسبباته . ثم قال « تجلَّى غطاء الرأس » يريد شئتُ واستبدلتُ بلون رأسي وسواد شعري لوناً آخرَ حديثاً ، فكان المتقدمُ كان كالغطاء على رأسي ، تكشف بالثاني ^(١) ، ولم يكن ما تعشى قلبي من حبك يكشف بالهويّتي .

فإن قيل : في ظاهر هذا الكلام تناقضٌ ، لأنَّ القائل إذا قال كذتُ أفعُلُ كذا معناه شافهتُ فعله وشارفته ، ولا يكون قد فعله ؛ وإذا قال : لم يكذُ فلانُ يفعلُ كذا ، معناه يترُفُّ وقوعُ ذلك منه . فإذا كان كذلك فقد نفى عن نفسه ما أثبتته بقوله « تجلَّى غطاء الرأس » ، لقوله : ولم يكذُ غطاء فوادي بنجلى لسريح ؟ قلت : لو أمسك عند قوله « ولم يكذُ غطاء فوادي بنجلى » لكان الأمرُ على ما قلت ، لكنه لما قال « لسريح » بين أنه لم يكن عن سهولة وبمَجَلَّةٍ ، وقلة تعبٍ ومشقةٍ ، فنفيه في الحقيقة لِقَلَّةِ التعبِ والسهولة لا للانجلاء ، وإذا كان كذلك يكونُ الغطاء قد انجلى عن القاب ، لكنه انجلى بعد طولِ مزاولة نصبٍ ، ومقاساةٍ كئيدٍ ، وعن شدةٍ تفاقمٍ ، وبلاءٍ مُلَازِمٍ . ويقال في الدعاء للمرأة إذا طُلقت عند الولادة : اللَّهُمَّ اجعله سهلاً سَرِحاً . فالسراح والتسريح والسريح كلها في طريق واحد ، وهو السهولة والمَجَلَّة . ويقال : سَرَّحَهُ اللهُ

تعالى للخير ، أى وقفه له وعجّله . وفى المثل : « السراح من النجاج » .

٤٩٩

وقال عروة بن أذينة^(١) :

١ - إِنْ أُنْجِسَ يَمِينُهُمَا لِلْبَيْنِ فُرْقَتُهُ وَلَا يَمْلَأَنَّ طُولُ الدَّهْرِ مَا اجْتَمَعَا^(٢)

٢ - مُسْتَقْبِلَانِ نَشَاصًا مِنْ شَبَابِهِمْ إِذَا دَعَا دَعْوَةَ دَاغِي الْهَوَى سَمِعَا

٣ - لَا يُعْجَبَانِ بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرُضٍ وَيُعْجَبَانِ بِمَا قَالَا وَمَا صَنَعَا

البين يقع على وجوه : أحدهما أن يكون مصدرَ بان يبين بيننا وبينونة .
والثانى أن يكون ظرفاً ، تقول : بين القوم كذا ، وهو لشيثين يتباين أحدهما عن
الآخر فصاعداً . والثالث أن يفيد معنى الوصل ، على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ
تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ ﴾ . ألا ترى أن معناه تَقَطَّعَ وَصْلُكُمْ ، ولا يصح أن يكون المراد
تَقَطَّعَ اقترافكم ، لفساد المعنى . وعلى هذا قولهم : سعى فلان لإصلاح ذات البين
من عشيرته ، لأن المراد إصلاح الوصل لا الافتراق . والذى فى البيت هو الثالث ،
لأن المعنى : هما متحابان قد أليف كل منهما صاحبه ، والذى يهتوما ويعنهما
للوصل ما يحشى تعقبه له من الفرقة ، نخوفهما منها وفكرهما فيها ، ولا يكتسبان

(١) هو عروة بن أذينة - وأذينة لقب لأبيه واسمه يحيى - بن مالك بن الحارث بن
عمر بن عبد الله الألبى الكناني ، فقيه محدث ، وشاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة ،
روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوى ، وكان محمد وفد على هشام بن عبد الملك ،
ووقفت عليه سكرينة بنت الحسين ومعها جوار لها فقالت له : أنت القاتل كذا وكذا ، وأنشدت
أبياتاً من النسب فقال لها : نعم . فالتفتت إلى جوارها وقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا
عن قلب سام قط . الأغانى (٢١ : ١٠٥ - ١٢١) ، وابن خلكان فى تربة سكرينة بنت
الحسين ، والمتوفى ٥٤٠ والشعراء ٥٦٠ - ٥٦٦ .

(٢) التبريزى : « تعنهما » .

مَلَّالاً من اتَّصَلَ الاجتماعُ طُولَ الدهرِ . [فقوله «طُولَ الدهرِ» يجوز أن يكون مفعول يملآن ، أى لا يملآن تطَوَّلَ الوقت إذا اجتمعما ، ومدة اجتماعهما . ويجوز أن يكون طول الدهر ظرفاً ، وما اجتماعهما مفعول يملآن ، أى لا يملآن الاجتماع طول الدهر^(١)] . وقوله «مستقبلان نَشَاصاً» فالنَّشَاصُ أصله السَّحَابُ إذا ارتفعَ من قِبَلِ العينِ حين^(٢) ينشأ ويعلو ، فاستعير هنا لما يُقْتَبَلُ من الشَّبابِ وأيام الصِّبَا واللَّهْوِ . كأنه يَمْطُرُهَا النَّشَاطُ والمُشْرُور كما يَمْطُرُ السَّحَابُ الغَيْثَ . وجعل ذلك فيهما بحيثُ يسمعان قريباً دُعَاءَ مُنَادِيِ اللَّهِوِ ومُحْيِيَانِهِ ؛ لأنَّ الوقتَ وقتُ النَّصَابِيِ والبَطَالَةِ . وإلى هذا أشارَ أبو نُوَاسٍ في قوله :

قَدْ عَذَّبَ الْحُبُّ هَذَا الْقَلْبَ مَا صَلَحَا فَلَا تَعْدُنْ ذَنْبًا أَنْ يُقَالَ صَحَا
وقوله « لَا يُعْجَبَانِ بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرُضٍ » هو من قولهم : نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَنْ عُرُضٍ ، أى عن ناحية . والمعنى أَنَّهُ لَا يُعْجَبَانِ مِنْ مَقَالِ النَّاسِ وَفِعَالِهِمْ شَيْئاً ، وَلَا يَأْخُذُ قَلْبُهُمَا وَعَيْنُهُمَا^(٣) حَدِيثٌ وَلَا إِبْلَغٌ مِمَّنْ كَانَ عَنْ نَاحِيَةِ وَشِقٍ ، لَكِنَّ الْحُسْنَ عِنْدَهُمَا فِيمَا يَتَفَاوَضَانِهِ أَوْ يَتَقَارِضَانِهِ ، وَالْإِعْجَابُ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَصْنَعَانِهِ وَيُورِثَانِهِ^(٤) ؛ إِذْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ صَارَ فِي مَلَكَتِ هَوَى صَاحِبِهِ ، وَفِي رِفَاقِ قَبِيلِهِ^(٥) ، فَلَا يُبْعِرُ إِلَّا بِعَيْنِهِ ، وَلَا يَسْتَمِعُ إِلَّا بِأُذُنِهِ .

(١) التكلفة من ل .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « حتى » .

(٣) ل : « وعينهما » .

(٤) كذا في ل . وفي الأصل : « ويورثانه » .

(٥) ل : « ميله » . والرفاق : مصدر رافق مرافقة ، وهو أيضاً حبل الدابة يشد

من الوظيف إلى العضد .

٥٠٠

وقال^(١) :

١- وَلَمَّا بَدَأَ إِلَىٰ مِنْكَ مِثْلُ مَعَ الْعِدَىٰ سِوَايَ وَلَمْ يَخْذُ سِوَاكَ بِدَيْلٍ
٢- صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّمِي تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ
قال سيبويه : معنى سِوَايَ بَدَلٌ ومكان تقول . عندي رَجُلٌ سِوَايَ زَيْدٍ ،
معناه وكان زَيْدٌ وَبَدَلُ زَيْدٍ ، وعلى ما فُسِّرَهُ يكون معنى البيت : وَلَمَّا بَدَأَ إِلَىٰ
مِثْلِكَ مَعَ الْأَعْدَاءِ بَدَلٌ مِثْلِكَ إِلَىٰ وَمَكَانَ مِثْلِكَ ، وَلَمْ يَخْذُ لِي بِدَيْلٍ مَكَانَكَ
وَعِوَضًا مِنْكَ أَعْرَضْتُ عَنْكَ إِعْرَاضَ الرَّمِي مِنَ الصَّيْدِ لِلصَّابِ بِسَهْمِ الصَّيَّادِ ،
وهو قَتِيلُهُ ، لِأَنَّ الْإِصَابَةَ عَمِلَتْ عَمَلَهَا ، لَكِنَّ الْمُدَّةَ تَطَاوَلَتْ بِهِ ، فَهُوَ رَهِينٌ
بِإِصَابَتِهِ . يريد : صَدَدْتُ عَنْكَ صَدُودَ يَأْسٍ لَا صَدُودَ مَقْلِيَةٍ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ
هَؤُلَاءِ قَاتِلِي كَهَذَا الرَّمِي الَّذِي لَا يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ قَتِيلًا وَإِنْ طَالَ نَفْسُ مُهْلَتِهِ ،
وَمُدَّةً مِنْ أَمَدٍ مَنِيتِهِ .

٥٠١

وقال آخر :

١- أَحِبَّا عَلَى حُبِّ وَأَنْتِ بِحِيلَةٍ وَقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَا يُحِبُّ بِحِيلٍ
٢- بَلَى وَالَّذِي حَجَّ الْمَلَكُوتَ بَيْتُهُ وَيَشْنِي الْهَوَىٰ بِالنَّيْلِ وَهُوَ قَلِيلٌ
٣- وَإِنْ بِنَا لَوْ تَمَلِّينَ لَمَلَّةً إِلَيْكَ كَمَا بِالْحَائِمَاتِ غَلِيلٌ
الألف من قوله « أَحِبَّا » لفظه الاستفهام ومعناه التوبيخ . وَاتَّصَبَ حُبًّا

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) ضبطت « يحب » في ل بالنصب والرفع مشفوعة بكلمة « معا » نصا على الروايتين .

باضمار فذل ، كأنه قال : أنجمين على حُبًا على حُبٍ ، أو أنزيدنني حُبًا بعد حُبٍ ، مع بُحْلِكَ وإينارٍ زهدِكَ ، وعند الناس وفي أحكامهم واعتقادهم أنَّ البخل لا يكون محبوبًا . كأنه عاتبها وقرَّعها من أمر الذي بينهما ، وأنهما من أجله في طَرَفٍ نقيض ، وفي لَوْنٍ من المشق طريف ^(١) ، وذلك أنَّ معاملتها له معاملةً من لا ينددُ عليه ولا يرحمه ، ولا يتسخن بشيء له ، وأنَّ جذبها إِيَّاه في الهوى جذبٌ من لا يكتفى معه بمفوه حتى يجهدهُ ويزيدهُ وجدًا على وجدٍ ، وألما بمد ألم . قال : هذا حالِي معك ، وفي زعماتِ الناس أنَّ القلوب جُبِلَتْ على حُبِّ المحسنين الباذلين ، لا المسيئين الباخلين ، ثم استدرك فقال : بلى والله الحجوج يئته ، المظلم حرمه ، المداوى من داء الهوى باليسير الخفيف من النبل ، إنَّ البخل ليحب . ودلَّ على المُقسَمِّ له بقوله « وإنَّ بنا لو تعلمين لعلَّة » وهي حرارة العطش ، كما يكون غلَّةُ الحامات ، وهي الطيور التي تحوم على الماء وتدور من شدة العطش ثم تقع عليه ، وقد تكون المطاش أنفسها . وقوله « وأنت بخيلة » الواو واو الحال . وقوله « ألاَّ يحب » إن شئت جعلت أنَّ الناصبة للفعل فنصبَت يُحبَّ به ، وإن شئت جعلته الخففة من الثقلية فيرتفع يُحبُّ ، يريد أنه لا يحبُّ . ثم قال : بلى ، وهو جوابُ استفهامٍ مقرونٍ بنفى . على ذلك قولُ الله عز وجل : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ . كأنه قيل له مُستفهمًا منه : أيجبُ البخلُ المُمسِكُ ؟ فقال : بلى وأقسمُ أيضًا ، تأكيدًا . والحبُّ : القصد . والنيلُ : مصدرُ نلته أناله . وقوله « لو تعلمين » كاللذر لها ، وقد أقامه مستعطفًا ، يُصوِّرُها بأنَّها لو علَّمت ما به كانت لا تستجيزُ ما يجري عليه .

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ظريف » .

٥٠٢

وقال آخر :

- ١- إذا كُنتَ لَا يُسْلِيكَ عَنْ مَنْ تَوَدُّهُ تَنَاءٌ وَلَا يَشْفِيكَ طَوْلُ تَلَاقي
 - ٢- فهل أنتَ إِلَّا مُسْتَعِيرٌ حُشَاةً لِمُهْجَةٍ نَفْسٍ آذَنْتَ بِفِرَاقِ
- يخاطبُ نفسه متوجِّعًا لها ، ومستوحشًا من الحالة التي مُنيَ بها ، فيقول : إذا لم تستوفِ مع من تحبُّه التباعِدَ عنه ، وأخذَ النفسَ بالتفصِّي منه ، ليُورِثَكَ سُلوًا ودونه ، ولم يقربْ شفاءَكَ من الداءِ فيه طولُ الاجتماعِ معه ، وانصَالَ التردُّدُ منه ، والبريضُ في العُرفِ والعادة إذا اشتكى من دواءٍ عُوِّجَ به نُقِلَ إلى ما يَصَادُهُ ، فإن لم يُغنِ سُلْمَ لعلته ، فكذلك أنتَ إذا لم ينفكْ فيما تقاسيه لا التَّنائي ولا التَّداني ، فما ذاك إِلَّا غَرَامٌ ، وما أنتَ فيه إِلَّا مُسْتَعِيرٌ حُشَاةً ، وهي رُوح القلب ، ورمقٌ من حياة النفس وقد آذنتَ بالمفارقة . والمُهْجَةُ : خَالِصَةُ النَّفْسِ ؛ ومعه كَبَنٌ أُمُجَّانٌ .

٥٠٣

وقال عبد الله بن الدمينه^(١) :

- ١- أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هَجْتِ مِنْ نَجْدٍ فَقَدْ زَادَنِي سَرَائِكَ وَجَدًا عَلَى وَجْدٍ^(٢)
 - ٢- أَلَا أَنْ هَتَفْتَ وَرَفَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى فَئِنِ غَضُّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّندِ
 - ٣- بَكَيتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَزَلْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي
- الصَّبَا : القَبُول . يقال : صَبَّتِ الرِّيحُ تَصْبُؤًا صُبُوءًا . ومتى هَجْتِ ، أى متى

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٢) التبريزي : « لقد زادني » .

ثُرْتُ وَاهْتَجْتُ . يقال : هاجَ الفحلُ والرَّيحُ هَيَاجًا . وهم يخاطبون الرِّيحَ والبرقَ إذا كانا من نحوِ أرضِ الحبوب . فيقول : متى اهتجت من أرضي نَجِدُ^(١) فقد زادني سَيْرُكَ شوقًا ، وَجَدَدَ لِي هُبُوبُكَ على ما كنتُ أكايدُهُ من الوجدِ وَجَدًا .

وقوله « أُنْ هَتَمْتُ » يخاطبُ نفسه مَبَكَّنًا فيقول . أَلَا نَ صاحتِ حمامةُ ورقاءَ في أوَّلِ الضحى واقعةً على غُصْنِ غُصْنٍ من شجرِ الرِّندِ بكيتَ بكاءَ الصَّبِيِّ إذا أعياه مطلوبُهُ ، وأظهرتَ العجزَ عما تُحْمَلُهُ ، وَعَهْدُ الناسِ بك فيما مضى من أياملك ولم تزل ثابتَ القدمِ فيما ينوبُك ، دائمُ الصبرِ على بلواك ، إِنَّ هذا منكر .

٤ - وقد زعموا أَنَّ المَحِبَّ إذا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الوجدِ

٥ - بَكَلٌ تَدَاوَيْنَا فلم يَشْفِ مَا بَنَا على ذاك قُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ

٦ - على أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بنافعٍ إذا كان مِّنْ تهوَاهُ ليس بذى ودٍّ^(٢)

يقول : زعم الناسُ أَنَّ الاستكثارَ من الحبوبِ والتَّدَانِي منه يُكسِبُ المَحِبَّ مَلَالًا ، وَأَنَّ الاستقلالَ من زيارته والتَّنَائِي عن محله وداره يُنتِجُ له سُلُوكًا ، فدأويتُ بكلِّ واحدٍ من ذلك فلم يَنْجَعْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ على الأحوالِ كُلِّهَا وجدتُ قُرْبَ الدَّارِ منه خيرًا من بعدها عنه ، لَمَّا تَوَسَّوسَ به النفسُ في الوقتِ بعد الوقتِ من طَمَعٍ فيه ، وَلَتَطَّلَعَ المجاورينَ له ، وَتَجَدَّدَ الحديثُ عنه ، إلى كثيرٍ مما يُعَدُّمُ في البعاد . ثُمَّ رَجَعْتُ فِيمَا أُعْطِيَ فقال : على أَنَّ تقاربَ الدَّيَّارِ لا يكادُ

(١) هذا ما في ل ، على الجمع ، وفي الأصل : « أرض نجد » .

(٢) هذا ما في ل ، وهو ما يتساقط مع الشرح ، وفي الأصل والتبريزي : « ليس » .

بنى مهد .

ينفع إذا كان المحبوب لا وُدَّ له ، ولا مِثْلَ له . ويُروى : « ليس بذى عهد » ،
أى لا يَبْقَى على ما عهد عليه .

٥٠٤

آخر :

١ - إذا ما شئتُ أن تسلى خليلاً فأكثر دونه عَدَدَ اليايلى

٢ - فما سلى خليلاًك مثلُ نأى ولا سلى جديداً كاجتدالٍ

معناها ظاهرٌ بما تقدّم ، ويقال : سَلَيْتُ ، بمعنى سلوت . قال :

• لو أشربُ الشُّلوانَ ما سَلَيْتُ^(١) •

٥٠٥

وقال آخر :

١ - ألا طَرَقْتُنَا آخِرَ اللَّيْلِ زَيْنَبُ عَلَيْكِ سَلامٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ

٢ - وقالت تَجَنَّبْنَا وَلَا تَقْرَبُنَا فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حَاجَتِي أَتَجَنَّبُ

يقول : أَتَدْنَانَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ سَحَرًا فَقُلْتُ مُسَلِّمًا عَلَيْهَا : عَلَيْكِ سَلامُ اللَّهِ هَلْ

لِمَا فَاتَ مِنْ أَيَّامِ الْوِصَالِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْإِحْسَانِ مَطْلَبٌ لِي فَأَسْأَلُهُ^(٢) . فقالت

لى مجيبةً : جَانِبُنَا وَلَا تَدْنُونَنَا . فقلتُ : أَنَّى يَكُونُ مِنِّى مَجَانِبَةٌ وَأَنْتُمْ فِى

الدُّنْيَا حَاجَتِى وَمُنَايَ ، وَلَا اخْتِيَارَ مَعَ الْغُرُورَةِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا غَنَى عَنِ الْفَاقَةِ . هَذَا

هُوَ ظَاهِرُ الْكَلَامِ . وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ يَفْسَرِهِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِآخِرِ اللَّيْلِ آخِرُ أَيَّامِ

(١) لِرُؤْيَا فِى دِيْوَانِهِ ٢٥ وَاللِّسَانُ (سَلا) .

(٢) كَلِمَةُ « الْإِحْسَانِ » لَيْسَتْ فِى ل .

«الشباب . وكان يروى : « عليك سلام » بفتح الكاف ، ويجعل الخطاب والتسليم من المرأة للرجل ، ويقول : إنما حيتته بتعنية الموتى لتوّل أيتامه ، وتفاهى عمره ، وقولها « هل لِمَا فات مَطْلَب » من كلامها معاتبته ، كأنها أنكّرت التعرّض لها وقد فاتته دالة الشباب ، وشفاعته النصارة والاقتيال . والأولى ما قدّمته .

٣- يقولون هل بعد الثلاثين ملعبٌ فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب^(١)
٤- لقد جلّ خطب الشيب إن كنتُ كلّمًا بدت شديدة يعزى من اللهو مرّكبُ
المضمر في « يقولون » المتعصبون للمرأة والناس . يريد : عيّروني بتعاطي الصبا واللهو واللعب ، بعد تقضى الثلاثين من أيام عمرى فقالوا : هل بعد الثلاثين ملعب ، أى لا ينبغى اللهو لمثلك . فقلت لهم : وهل قبل الثلاثين ذلك . والمعنى أن من عدّ ما دون الثلاثين فهو فى عداد الصبيان ، لا يعرف اللذات ، ولا يصلح للبطالات . ويجوز أن يكون المراد : وهل تسهل لى قبل الثلاثين شىء من مباحى اللهو واللعب فيه تكرّمتى طلبى إتياء بعده .

وقوله : « لقد جلّ خطب الشيب » لقد جوابُ يمين مضمرة ، ولك أن تروى « أن كنتُ كلّمًا » والمعنى لأن كنتُ كلّمًا . ولك أن تكسر الهزمة فتكون إن المفيدة للشرط ، والمراد : إن كنتُ كلّمًا بدت فى رأسى لُعبة من الشيب يلزم منها أن أعزى مرّكبًا من صراكب اللهو ، فلقد عظم خطب الشيب ، ويكون جوابُ إن فى قوله « لقد جلّ خطب الشيب » ، وكلّمًا فى موضع الظرف .

(٦) البيت وتاليه فى ميون الأخبار (٤ : ٥٣) .

٥٠٦

وقال كثير^(١) :١ - وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا فَتَنْتَنِي يَقُولُ يَحِلُّ الْفُضْمَ سَهْلَ الْأَبَاحِ^(٢)٢ - تَنَاهَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَغَادَرْتَ مَا غَادَرْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(٣)

يقول : توفرت على ولطفت لي القال والفعال ، على تطلقي من وجهك ،
 وهشاشة ظاهرة منك ، حتى أوقعتني في حبالتك ، وخيبت^(٤) قلبي بكلام .
 يقرب البعيد ، ويسهل المسير ، ويؤنس الزافر ، ويطعم اليأس ، فلما استكمل
 مرادك في ضمت أطرافك إليك ، وقبضت ما انبسط من أملي فيك . والضم :
 جمع أعصم وعصماء ، وهي الوعول الجبائية التي في قوائمها بياض . وجواب
 « إذا » تناهيت عني . والمعنى : بعد ما كسبتني خيالاً ، وجلبت على عافلي
 وقلبي فساداً ، كففت عني ، وتباعدت مني وقت أعينني الحيل في الانفكاك ،
 وتأبى تمارج الموى وتلاصقه من الانسلاخ ، وتركت بين جوانحي ما تركت
 من وجد متصل ، وحزن دائم .

فإن قيل : إن كثيراً علم في النسب ، فلم يرض بإظهار التوجع من
 المعاملة ، والتألم من التهاجر والقطيعة ، حتى اعتد على صاحبه ذنباً . ونسب إليها

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٤٩٣ ص ١٢٨٧ . والبيتان نسباً في الأغاني (٢ : ١٤)
 إلى المجنون .

(٢) التبريزي : « إذا ما ملكني » . وفي الأمل (٢ : ٢٢٨) : « إذا ما استبيتني »
 والأغاني (٢ : ١٤) : « إذا ما سبيتني » .

(٣) القالي : « توليت في حين لا لي مذهب » . الأغاني : « تناهيت عني »
 وخلفت ما خلفت .

(٤) خيبت ، من التخيب ، وهو الخدع . وفي الأصل : « خيبت » صوابه في ل .

خِيَانَةً وَوِزْرًا ؛ لِأَنَّ الَّذِي وَصَفَ مِنْ افْتِنَانِهَا فِي افْتِتَانِ الرَّجَالِ أَيْسَ مِنْ شَأْنِ
الْعَفَائِفِ ؟ قَالَتْ : إِنْ كَثِيرًا لَمْ يَصِفْ صَاحِبَتَهُ إِلَّا بِصِفَةِ الْعَفَائِفِ . أَلَمْ تَسْمَعْ
قَوْلَ الْآخِرِ :

بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَبَّ بِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
فَذُو الْحِلْمِ مُرْتَابٌ وَذُو الْجَهْلِ طَامِسٌ وَمَنْ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَيْدٌ نَوَاكِيلُ
كَوَّاسٍ عَوَارٍ ، صَامِتَاتُ نَوَاطِقٍ بِعَفِّ الْكَلَامِ ، بِأَذَلَّتْ بِوَاحِلُ
فَتَأْمَلْ مَا قَالَهُ فَإِنَّهُ غَايَةٌ فِي اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقَةِ ، وَإِنْ هَلَكَتْ نَفُوسٌ ،
وَحُبِّلَتْ عُقُولٌ .

وَحُدِّثَتْ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ رَاوِيَةٍ
كَثِيرٍ ^(١) قَالَ : كُنْتُ مَعَ جَرِيرٍ وَهُوَ يَرِيدُ الشَّامَ ، فَطَرِبَ فَقَالَ : أُنْشِدْنِي لِأَخِي
بَنِي مُلَيْحٍ ^(٢) ، بِعَنِي كَثِيرًا ، فَأُنْشِدْتُهُ حَتَّى اتَّهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ : وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا
مَا فُتِنْتَنِي ، الْأَبْيَاتِ ، قَالَ جَرِيرٌ : لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي النُّخَيْرَ لَنُخِرْتُ
حَتَّى يَسْمَعَ هَاشِمٌ عَلَى سَرِيرِهِ .

٥٠٧

وقال آخر :

- ١- تَعَرَّضْ مَنْ رَمَى الصَّيْدَ نَمِ رَمَيْنَا مِنْ النَّبْلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ
 - ٢- ضَمَائِفُ يُقْتُلْنَ الرَّجَالَ بِلَادِمٍ فَيَا تَجِبَسَا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ
 - ٣- وَلِلْمُهَيِّنِ مَلْهَى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَوْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ ^(٣)
- قَوْلُهُ « مَنْ رَمَى الصَّيْدَ » ، مَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ ، أَيْ تَعَرَّضْ لَنَا وَبَيْنَنَا

(١) - وَكَذَا فِي أَمَالِي الْقَالِي (٢ : ٢٢٨) بِدُونِ تَعْيِينِ لَهُ .

(٢) - مُلَيْحٌ ، كَزَبِيرٍ : سَمَى مِنْ خِزَاعَةٍ . الْقَامُوسُ (مُلَح) ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ (٢ : ٣١٨) .

(٣) - اللَّيْبَةُ فِي الْحَيَوَانِ (١ : ١٧٠) .

وَيَنْهَنَنَّ غَلَوَةُ سَهْمٍ، فِعْلَ الْمُتَعَرِّضِ لِلصَّيْدِ إِذَا أَرَادَ رَمْيَهُ . وَيُرَادُ بِالصَّيْدِ الْمَصِيدِ ، كَمَا يُرَادُ بِالْخُلُقِ الْمَخْلُوقُ . وَقَوْلُهُ « ثُمَّ رَمِينَا مِنَ النَّبْلِ » ، يَرِيدُ : ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَيْنَا وَعَرَضْنَا مُحَاسِنَهُنَّ عَلَيْنَا ، وَتِلْكَ نَبَاهُنَّ الَّتِي لَا تَخْفُفُ فَتَعْدِلُ ، وَلَا تَخْطَفُ فَيَقْصُرُ . وَالْخَاطِفُ مِنَ السَّهَامِ : الَّذِي يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَجْهَرُ إِلَى الْهَدَفِ كَأَنَّهُ يَخْطَفُ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا . وَالطَّائِشُ : الْخَفِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ ؛ وَمِنْهُ الطَّيْشُ وَالطَّيَّاشُ ، كَأَنَّهُ يُرَى خَفِيفَةً عَادِلًا عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ . وَمَفْعُولُ رَمِينَا الثَّانِي مَحْذُوفٌ كَأَنَّهُ قَالَ : رَمِينَا لَا بِالطَّائِشَاتِ ، وَلَكِنْ بِالصَّائِبَاتِ النَّاقِرَاتِ . وَالنَّاقِرُ : الَّذِي يَنْقُرُ الْهَدَفَ .

وَقَوْلُهُ « ضَعُفْتُ الرِّجَالَ بِلا دَمٍ » يَرِيدُ بِلَا تَرَةٍ وَذَخْلِ . وَالضَّعْفُ الَّذِي أُشِيرَ إِلَيْهِ يَرِيدُ فِي الْخَلْفَةِ وَالْخُلُقِ ، أَيْ يَقْتُلُنَ الرِّجَالَ وَإِنْ ضَعُفْنَ عَنْ جِذَابِهِمْ كَيْدًا وَقِتْلًا . ثُمَّ قَالَ : يَا مَجْبِيأُ مَنْ يَقْتُلُ الْقَوَى عَلَى ضَعْفِهِ . وَيَا عَجْبًا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى طَرِيقِ الثَّدْبَةِ ، وَيَكُونَ مُنَادَى مُفْرَدًا أَلْحَقَ بِهِ الْأَلْفَ لِمَتَدِّ بِهِ الصَّوْتُ ، وَبَدَلَ عَلَى فِرْطِ الشُّكُو . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُنَادَى مُضَافًا فَرَّ مِنْ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا يَاءٌ فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا . وَاللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ « لِلْقَاتِلَاتِ » هِيَ الَّتِي تَفْسِّرُ بِأَنَّهَا لَامُ الْعِلَّةِ ، كَأَنَّهُ عَلَّلَ تَعَجُّبَهُ بِقَوْلِهِ لِلْقَاتِلَاتِ ، فَارْتَفَعَ ضَعُفًا عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مَبْتَدَأًا مَحْذُوفًا .

وَقَوْلُهُ « وَلِلْعَيْنِ مَلْهَى فِي التَّلَادِ » ، يُرِيدُ أَنْ لِلْعَيْنِ لَهْوًا وَرَاحَةً إِذَا نَظَرَتْ فِي التَّلَادِ الرَّائِقِ الْمَعْجِبِ — وَالتَّلَادُ : مَا قَدَّمَ مِنْكَ — وَلَمْ يَجْذِبْ هَوَى النَّفْسِ شَيْئًا كَمَا يَجْذِبُهُ الطَّرَائِفُ ، وَهِيَ الْمُسْتَعْدَثَاتُ ، وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : « لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ » وَمَا أَشَبَّهُهُ . وَقَادَ وَاقْتَادَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالْمَلْهَى كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْحَدَثُ ، وَهُوَ اللَّهُو ، يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ مَوْضِعُ الْحَدَثِ وَوَقْتُهُ .

٥٠٨

وقال آخر: ^(١)

١- لَنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْبَاهِا الْعَلَى لِأَفْقَرٍ مِنِّي إِنِّي لَفَقِيرٌ
 قوله «يُهْدَى» يجوز أن يكون من الإهداء الإنحاف، ويجوز أن يكون من
 الهداء الزفاف. وقوله «أَنْبَاهِا الْعَلَى» يراد به الشريفة العلية الشأن. ويجوز
 أن يراد بالعلَى الأعلى من الأسنان، لأنها موضع القبل. ويعنى ببرد الأسنان
 عذوبة الرضاب عند اللذاق. وقوله «إِنِّي لَفَقِيرٌ» فعيل بناء المبالغة، ولا سيما
 إذا أُطْلِقَ إطلاقاً، فلا يقال فقيرٌ إلى كذا وكذا فيخصص. والمعنى: إن كان
 يتربص بمسئق مضحكها، وواضح مقبلها، وطيب رضابها، وبرد أسنانها،
 لمن هو أفقر مني إليها، فإنني الفقير مطلقاً. والمعنى: لا غاية وراء فقرى. ومما
 يجري مجرى فقير إذا أُطْلِقَ، قولهم سقيم. ألا ترى قول الآخر ^(٢):

لَنْ لَبَنُ الْمَغْزَى بِمَاءِ مُوَيْسَلٍ بَعَانِي دَاءِ إِنِّي لَسَقِيمٌ ^(٣)
 يريد المتناهى في السقم حتى لا غاية وراءه. وأفقر، كأنه بُني على فقر
 المرفوض في الاستعمال. وإنما قلت هذا لأن فقيراً كان حُكْمُهُ أن يكون فعله
 على فقر، ولم يحى منه إلا افتقر. وشرط فعل التعجب وما يتبعه من بناء
 التفضيل أن لا يحى إلا من الثلاثى في الأكثر، وما كان على أفعل خاصة،
 وإذا كان كذلك فأفقر لا يصح أن يكون مبنياً على افتقر ولكن على فقر؛

(١) هو عبد الله بن الدمينه. ديوانه ٢٥ - ٢٦.

(٢) هو واقد بن الطريف الطائي، أو زيادة بن جحدل الطريقى الطائي، كما في معجم البلدان (٨: ٢٠٣).

(٣) قبله: يقولون لا تشرب نسيئاً فإنه إذا كنت محموما عليك وخيم

هذا طريق . ولك أن تقول : بُنِيَ منه على حذف الزوائد ، كما جاء : رِيحٌ لَاقِحٌ والمراد مُلْقِحٌ ، وما أشبهه .

٢ - فما كَثَرَ الْأَخْبَارُ أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ قَهْلٌ يَأْتِيَنِ بِالطَّلَاقِ بَشِيرٌ قوله « أن قد تزوجت » ، أراد : بأن قد تزوجت . وحذف الجارَّ مع أن كثير ، وموضعه من الإعراب مفعول من قوله الأخبار . والأخبار : جمع خَبَرٍ ، ووضع خَبَرًا موضع الخبر ، كما يوضع الطاعة موضع الإطاعة ، ثم عداه وهو مجموع ، ومثله :

* مَوَاعِيدَ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ يَبْثُرُ^(١) *

الأنراه أنه انتصب أخاه عن جمع وهو مواعيد . ومعنى البيت : كثر في أفواه الناس الأخبارُ بزوجها ، واشتغالها ببيعها عن غيره ، فهل يأتي بَشِيرٌ بتطليقها . وهذا ليس باستفهام وإنما هو تمنٍّ .

٥٠٩

وقال آخر^(٢) :

١ - يُقِرُّ بَعِينِي أَنْ أَرَى رَمْلَةَ الْفَضَى إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لَعْنَتِي قِلَالُهَا^(٣)

(١) البيت للأشجى ، كما في أمثال الميداني (مواعيد عروقوب) . وصدده :

* وعدت وكان الخلف منك سجية *

وأشدد في الأغاني (١٥ : ١٤٤) للشماخ :

وواعدني ما لا أحاول ففمه مواعيد عروقوب أخاه ييثر

وعروقوب هذا رجل من المهاجرين أتاه أخ له يسأله ، فقال له عروقوب : إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها . فلما أطلعت أتاه للعدة فقال : دعها حتى تصير بلحاً . فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهواً . فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطباً . فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرًا . فلما أتمرت عمد إليها عروقوب من الليل فجذبها ولم يعط أخاه شيئاً . أمثال الميداني .

(٢) هو أحد الأعراب ، كما في معجم البلدان (٦ : ٢٩٥) .

(٣) في معجم البلدان : « إذا ظهرت يوماً » .

٢- ولست وإن أحببتُ مَنْ يَسْكُنُ الْغَضَى بِأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَةً لَا يَبَالُهَا
أضاف الرَّمْلَةَ إلى الغضى تشهيراً لها . وقوله « يُقَرَّ بعينى » ، هذه الباء
تزداد كثيراً مع أَقَرَّ ، والأصل يُقَرَّ عَيْنِي ، وزيدت الباء تأكيذاً . تقول قَرَرْتُ
عَيْنِي وَأَقَرَّهَا اللَّهُ . وقوله « أَنْ أَرَى » فى موضع الفاعل لِيقَرَّ ، والمراد : إذا بَدَتْ
يوماً لعينى قِلَالُ الْغَضَى - وهو جمع القُلَّةِ وهى أعلى الجبل - فقرةٌ عيني فى أن
أرى رمالها أيضاً وبطحاواتها . ثم قال على طريق اليأس من ذلك : ولستُ
بأَوَّلِ مَنْ رَجَا مَوْثِلاً . واثمر مُقَدَّرًا ، ثم لم يحصل منهما على طائل . يريد : ولا
غَرَوُ إن كنتُ أحببتُ سُكَّانَ الْغَضَى أن يكون هذا حالى معهم . كأنه كان
بين أهل الغضى وبين قومه عداوةً ، أو حالة مانعة من المزاورة والمواصله ،
فلذلك قال ما قال .

٥١٠

وقال آخر^(١) :

- ١ - سَلَى الْبَانَةَ الْغِنَاءَ بِالْأَجْرِ الَّذِى بِهِ الْبَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ^(٢)
٢ - وَهَلْ قَتْتُ فِي أَظْلَالِهَا عَشِيَّةً مَقَامَ أَخِي الْبِأَسَاءِ وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ^(٣)

(١) هو عبد الله بن الدمينه . والأبيات من قصيدة فى ديوانه ١٥ - ١٦ مظمها :

قفى يا أميم القلب نقض لباقه ونشك الهوى ثم افعل ما بدا لك

(٢) التبريزى : « البانة الغيناء » ثم ذكر الرواية الأخرى .

(٣) بين هذا البيت وتاليه أربعة أبيات عند التبريزى ، وهى :

وَهَلْ حَمَلْتُ عَيْنَايَ فِي الدَّارِ غُدْوَةً بِدَمْعٍ كَنَظَمِ الْأَوَّلِ الْمُتَمَلِّكِ

أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا رَبِيعِي الَّذِى أَرْجُو نَوَالَ وَصَالِكِ

أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السَّيِّئِينَ وَإِنَّمَا سَيِّئِي الَّذِى أَخْشَى صُرُوفِ احْتِمَالِكِ

ثَنَّنَ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنْى خَطَرْتُ بِبَالِكِ

٣- لَيْهِنِكَ إِمْسَاكِ بِكَفِّي عَلَى الْخَشَا وَرَقَرَأْتُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكَ

سَلِي ، أصله أسألى لحذف الهمزة تخفيفاً وأبقيت حركتها على السين فصار
إِسْلِي ، ثم استغنى عن همزة الوصل لتحرك ما بعدها فحذفت فصارت سَلِي .
وهذا كما تقول في الأحمر إذا خففته : أَخْمَر . ومن قال أَلْخَمَر يقول : إِسْلِي فَيُنْقِي
ألف الوصل . ويروي : « البانة الفيناء » والفناء : اللتفة الكثيرة الورق
والأغصان ، فإذا ضربتها الريح غَفَّت ^(١) . وهذا كما قال الآخر :

لَلتَّى تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلِلْمَا خَرِيرٌ وَلِلْمُصُونِ غِنَاءُ

والأجرع من الأماكن : السهل المختلط بالرمل . والفيناء ، هي العظيمة الواسعة ،
من قولم غان عليه كذا إذا سَتر ، وبه سَمِيَ السحاب الفين . وإنما قال « الذي به
البان » لأنه كان منبته . واستشهد بالبان على أنه هل قضى حتى منزل الأحيّة
لَمَّا وقف عليه ، وهل حَيًّا أطلاله تحية المتقرب إليها ، والقاضي لوازمها ، وهل
قام في أطلال البان بها مقام الضرير البائس ، والكسير الرّاح ، تذللًا لها ،
وتلوّمًا بها ؛ وهل ذلك كله عن اختيار وقصد أو كما اتفق .

ثم قال « لَيْهِنِكَ إِمْسَاكِ » كأنه لَمَّا وَقَفَ على الدار وتذكّر العهود
فتصور له ما كان درس من آياتِ هواه ، وتجدّد ما أخاق منها ، خشى على
كَيْدِهِ التصدّع فأمسك بكفِّهِ على حشاه ، تثبيتها لها وتقوية ، وبكى فترقّق
الدمع في عينه ثم سأل . فقال هَنَّاكَ اللهُ ذلك كله مني . وانتصب رهبة لأنه

(١) في هامش ل : « حاشية قال السيد الإمام أبو الرضا رحمه الله : رحم الله أبا علي ،
غلط غلطة ، وكيف يكون الفناء من الغناء في شيء ، وهذا من غ ن ن ، وذلك من غ ن ي .
إنما هو من قولم شجرة غناء كثيرة الأوراق ، وواد أغن أي كثير العشب تألفه ال [لمبان]
وفي أصواته غنة . فأما الغناء فبعيد منه » .

مفعول له . وهذا من باب التجلّد في الهوى . والزُّيَال : مصدر زأيل . وفي هذه الطريقة قولُ الآخر :

يَرْفَعُ يُمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ بِدَعْوِ وَفَوْقِ السَّكْبِدِ الْيُسْرَى

٥١١

وقال آخر :

- ١- تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ وَلَا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجِيّ فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ^(١)
 - ٢- وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا لِنَعِيرِكَ مِنْ خُلَانِهَا سَتَلِينَ^(٢)
 - ٣- وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِحُضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ
- يصف النساء وأخلاقهن في الانقياد والتأبّي إذا رُوِذْنَ ، واستعمالهنّ الوفاء من بعد غدرهنّ^(٣) ، ويوصي باستبقاء المقاربة معهنّ ، وترك تدقيق محاسبتهمّ ، والرضا باليسور من مصافاتهنّ ، فيقول : عليك في الاستمتاع بهنّ مدّة انقيادهنّ لك ، وإسفافهنّ بالمراد من جهتهنّ ، لا يشجّونك تشكّرهنّ لك ، وبينوتهنّ إذا عدّان عنك ، واعلم أنّ الواحدة منهنّ إذا لانت لك فهي بمرّضٍ أن تلين لنعيرك ، فلا تتمدّد عليهنّ وإن حلفت لك أنّها تقي وتنبّي على عهدها معك ، واعلم أنّه لا يمين لثلاثها يستوثق بها ، أو يستنأّم إليها ، وفي طريقته قولُ بشار :

لَا يُوَسِّنُكَ مِنْ مُحَبَّةٍ قَوْلُ تَغْلَظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاوَرَةِ وَالصَّغْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

(١) التبريزي : « في الحلق » .

(٢) ل : « فإن هي » .

(٣) في النسختين : « من بعد وغدرهن » ، والوجه ما أوثقنا .

٥١٢

وقال العباس بن مرداس^(١) :

- ١- قَلِيلَةُ لَحْمٍ النَّاطِرِينَ يَزِينُهَا شَبَابٌ وَغَفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدُ
٢- أَرَادَتْ لِتَنْتَاشَ الرُّوَاقَ فَلَمْ تَقُمْ إِلَيْهِ وَلَكِنْ طَاطَأَتْهُ الْوَلَانِدُ
٣- تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا أَخُو سَقَطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ

الناظران : عِرْقَانِ فِي مَدَمَعِ الْعَيْنَيْنِ : يَصِفُهَا بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَهْمَةِ الْوَجْهِ ،
لَكِنَّهَا أَسِيلَةُ الْخَدَّيْنِ ، وَيَزِينُهَا شَبَابٌ مُقْتَبِلٌ ، وَرِفَاقَةٌ مِنَ الْعَيْشِ وَدَعَةٌ ،
وَيُقَالُ : عَيْشٌ خَفِضٌ ، وَخَفِضْتُ عَيْشَهُ فَهُوَ مَخْفُوضٌ . وَالْبَارِدُ : الثَّابِتُ .
وَيُقَالُ : بَرَدَ لِي عَلَى فُلَانٍ حَقٌّ ، أَيْ ثَبَتَ .

وقوله « أَرَادَتْ لِتَنْتَاشَ الرُّوَاقَ » فالانتياش : التَّنَاولُ . يَصِفُهَا بِأَنَّهَا مَخْدُومَةٌ
لَا تَبْتَدِلُ نَفْسَهَا فِي مِهْنَةٍ ، وَلَا فِي عَارِضِ خِدْمَةٍ ، حَتَّىٰ أَنهَا إِذَا أَرَادَتْ تَنَاولَ
رِوَاقِ الْبَيْتِ - وَالرُّوَاقُ : مَا مُدَّ مَعَ الْبَيْتِ مِنْ سِتَارَةٍ - لَمْ تُتْرَكْ وَالْقِيَامَ
إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ قَدَّمَتْهُ الْوَلَانِدُ^(٢) ، وَأَمَلَنَتْهَا حَتَّىٰ نَظَرَتْ إِلَى مَا وَرَاءَهُ ، فَإِذَا
كَانَتْ فِي مِثْلِ هَذَا تَوَدَّعُ وَتُسَكِّفِي ، فَمَا هُوَ أَثْقَلُ مِنْهُ أَبَدُ مِنْ اسْتِمَالِهَا فِيهِ .
وَالطَّاطَأَةُ : خَفِضَ الرَّأْسِ وَغَيْرِهِ عَنِ الْإِشْتِرَافِ . وَيُقَالُ لِلْفَارِسِ إِذَا ضَبَطَ
فَرَسَهُ بِمَخْذَلِهِ ثُمَّ حَرَّكَهُ لِلْحُضُرِ : طَاطَأَ فَرَسَهُ .

وقوله « تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ » أَرَادَ أَنَّهَا تَنْصَبُّ مِنْ كُلِّ أَحْوَالِهَا إِلَى
الْأَلْهِوِ ، وَتَنْتَعِي إِلَيْهِ ، إِذْ كَانَ مَا عَدَا اللَّهَ وَقَدْ كُفِّيتْ ، فَهِيَ مُنْعَمَةٌ لَا تَتَعَلَّلُ

(١) عبارة الإنشاد هذه ساقطة من ل . وعند التبريزي : « وقال آخر ، وقيل هو عتبية
ابن مرداس » ، وقد سبقَت ترجمة العباس في الحاشية ١٤٩ ص ٤٣٣ .
(٢) ل : « قرهته الولاند » .

إِلَّا بِالْأَمْبِ وَالْمَزَلِ ، فَكَأَنَّهَا عَلِيلٌ يُتَرَفَّرُ عَلَيْهِ وَيُسْفَقُ ، حَتَّى يُتْرَكَ لَا يُهِمُّهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَسْفِلُهُ شَأْنٌ ، يَعْنِي أَنَّهَا فِي تَوْفُّرِهَا عَلَى الْحَدِيثِ وَالْمَلَاهِي عَلَى نَفْعَتِهَا وَكَسَلِهَا ، كَذَلِكَ الْمَلِيلِ فِي تَوْفُّرِهِ عَلَى مَقَاسَاتِهِ مَا بِهِ .

٥١٣

آخر^(١) :

- ١ - وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّتْ عَلَى وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَانِحُ^(٢)
 - ٢ - لَسَلَّتْ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَانِحُ^(٣)
 - ٣ - وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَالُهُ إِلَّا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
- يقول : لو أن هذه المرأة سَلَّتْ على وقد مُتُّ فخال بيني وبينها صفائح القبر ، وثَرَى الأحد ، لتسرَّعتُ إلى جوابها ، وقابلتُ سلامها ببشاشة مني لما وطلاقة وجه ، لتلقَّيها وإجابتها . فإن حصل منْعٌ دون المراد صاح إليها صَدَى لى من داخل قبري بَدَل جواب منِّي . وهذا على اعتقادهم كان ، أن عظام الموتى تصير هاماً وأضداداً .

وقوله « وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى » يقول : إِنِّي مَرَمُوقٌ وَمَحْسُودٌ مِنْذُ عُرِفْتُ بِلَيْلَى وَإِنْ لَمْ أَتَلَّ مِنْهَا مَطْلُوبًا ، وَلَا حَصَنَاتٌ مِنَ الشَّقَاءِ بِهَا طَانِلًا . ثم قال : « إِلَّا كُلُّ »

(١) هو توبة بن الحمير ، كما صرح التبريزي . والأبيات بهذه النسبة في الحيوان (٢ : ٢٩٩) وأمال القالي (١ : ١٩٧) والأغاني (١٠ : ٧٧) . وهو توبة بن الحمير بن حزم ابن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، من شعراء الدولة الأموية ، وأحد عشاق العرب . الأغاني (١٠ : ٦٣ - ٧٩) والاشتقاق ١٨٢ والمؤتلف ٦٨ ، ٩٣ والخزائن (٣ : ٣١ - ٣٤) والعيون (١ : ٥٦٩ - ٥٧١) واللكل (١١٩ - ١٢٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣) والأمال (١ : ٨٦ - ٨٩) وفوات اللوقيات والشعراء ٤١٢ - ٤١٥ .

(٢) الحيوان : « جندل وصفائح » .

(٣) التبريزي ، والملاحظ ، والقالي والأصبهاني : « من جانب القبر » .

مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ « يَرِيدُ أَنْ يُقْرِيرَ الْعَيْنَ بِأَنْ أَذْكَرَ بِهَا وَتُعَرِّفَ بِي دُونَ طَلَّابِهَا ، وَهَذَا الْقَدَرُ نَافِعٌ وَإِنْ تَجَرَّدَ مِمَّا سِوَاهُ .

٥١٤

وَقَالَ آخِرُ :

١ - فَإِنْ تَمَنَعُوا لَيْلَى وَحُسْنَ حَدِيثِهَا فَلَنْ تَمَنَعُوا مَنَى الْبُكَاءِ وَالْقَوَافِي

٢ - فَهَلَّا مَنَعْتُمْ إِذْ مَنَعْتُمْ حَدِيثِهَا خَيَالًا يُؤَافِي عَلَى النَّدَائِي هَادِيَه

بقول : إِنْ حُلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ لَيْلَى وَمَنَازَعَتِهَا الْكَلَامَ ، وَالتَّائِسِ بِحَدِيثِهَا ، وَحَبَسِ النَّفْسَ عَلَى التَّزَوُّدِ مِنْهَا وَمِنْ مَفَازِ لَتِهَا ، فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى مَا أَنَا بِصَدْدِهِ مِنَ الْبُكَاءِ لَهَا وَجَدًّا فِيهَا ، وَمِنْ قَرَضِ الشَّعْرِ فِي النَّسِيبِ بِهَا ؛ وَإِذْ قَدْ مَنَعْتُمْ حَدِيثَهَا وَالذَّنْوَّ مِنْهَا ، فَهَلَّا حَبَسْتُمْ عَنِّي خَيَالًا عَارِفًا بِالطَّرِيقِ عَلَى الْبُعْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، حَسَنَ الْإِهْتِدَاءِ إِلَى حَيْثُ ذَهَبَتْ عَنْهَا ، يَزُورُنِي فِي الْمَنَامِ فَيُطَرِّقُنِي مِنَ الشَّوْقِ مَا أَخْلَقَ ، وَيُعِيدُنِي مِنَ الْهَوَى مَا دَرَسَ . وَهَذَا الْكَلَامُ مُحْسِرٌ لَمْ ، وَتَشْبِيرٌ بِمَكَائِدَتِهِمْ^(١) ، وَتَذَكِيرٌ بِمَا يَسُوؤُهُمْ ، وَإِعْلَامٌ أَنَّ الْعَهْدَ بَيْنَهُمَا مَرَعِيٌّ ، وَالْهَوَى مِمَّا يَقْدَحُ فِيهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مُحْفُوظٌ ، بِدَلَالَةِ أَنَّهُ لَوْ اسْتَجَفَاهَا لَا مَتَمَّعَ خَيَالُهَا ، لِزَوَالِ نَوْمِهَا ، وَذَهَابِ هُدُوءِهَا . أَلَا تَرَى الْآخِرَ يَقُولُ :

وَكَانَ يَزُورُنِي مِنْهُ خَيَالٌ فَلَمَّا أَنْ جَمَعَا مَتَعَ الْخَيَالَا

٥١٥

وقال نُصَيْبٌ^(١) :

- ١ - كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى الْعَاصِمِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
٢ - قِطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ^(٢)

يقول : لَمَّا أَحْسَسْتُ بِاللَّيْلَةِ الَّتِي رُسِمَتْ بِوُقُوعِ الْفِرَاقِ فِي صَدِيحَتِهَا ، أَوْ فِي
وَقْتِ الرِّوَاكِ مِنْ غَدِهَا ، وَتَصَوَّرْتُ أَنَّ الْمُتَوَاعِدَ بِهِ حَقٌّ ، وَالتَّحَدُّثَ بِهِ وَاقِعٌ ،
صَارَ قَلْبِي فِي الْخَلْفَانِ وَالْاضْطِرَابِ كَقِطَاةٍ وَقَعَتْ فِي شَرَكٍ يَجْبُسُهَا ، فَبَقِيَتْ
لَيْلَتَهَا تُجَاذِبُهُ وَالْجَنَاحَ عَلِقَ لَا مُتَخَلِّصَ لَهُ ، نَشِبَ لَا مُتَنَزِّعَ مِنْهُ^(٣) ، وَكَمِثْلَ
ذَلِكَ قَلْبِي قَلِقَ فِي حَشَاءٍ ، غَلِقَ عِنْدَ بَلَوَاهُ .

وَارْتَفَعَ قِطَاةً عَلَى أَنَّهُ خَبَرَ كَأَنَّ ، وَعَزَّهَا^(٤) فِي مَوْضِعِ الصَّنَةِ لِقِطَاةٍ ، يَرِيدُ
غَلْبَهَا . وَانْتَصَبَ « لَيْلَةً » عَلَى الظَّارِفِ ثَمَّادِلَ عَلَيْهِ « كَأَنَّ الْقَلْبَ » مِنَ التَّشْبِيهِ ،
وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا بَقِيلَ ، لِأَنَّهُ بِمَا بَعْدَهُ مُضَافٌ إِلَيْهِ ، وَالْمُضَافُ إِلَيْهِ لَا يَعْمَلُ

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ٤٩٥ ص ١٢٨٩ . عَلَى أَنَّ الشَّعْرَ نَسَبَ إِلَى الْمُجَنُّونِ فِي
الْأَغَانِي (٢ : ٣ ، ١٤) وَالْأَمَالِ (٢ : ٦١) وَالْمَوْشِجِ ٢٥٠ . وَهَذِهِ النِّسْبَةُ أَوْ بَ إِلَى
الصَّوَابِ . وَنَسَبَ فِي دِيْوَانِ الْمَعَانِي (١ : ٢٧٠) إِلَى قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ .
(٢) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ :

لَهَا فَرَخَانٍ قَدْ تَرَكَا بَوَكْرٍ فَعُشِّمَا تَصَفَّقُهُ الرِّيحُ
إِذَا سَمِعَا هُبُوبَ الرِّيحِ نَصًّا وَقَدْ أَوْدَى بِهِ الْقَدْرُ الْمَتَاحُ
فَلَا فِي اللَّيْلِ نَالَتْ مَا تُرَجَّى وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَاخُ

نَصًّا ، أَيْ نَصَبَا أَعْنَاقَهُمَا .

(٣) ل : « لَا مُتَنَزِّعَ مِنْهُ » .

(٤) فِي الْحَيَوَانِ (٥ : ٥٧٧) : « غَرَّهَا » بِمَعْنَى خَدَعَهَا .

في المضاف . وقوله « تُجاذِبُه » والمفاعلة تكون في الأكثر من اثنين ، فلا تَهْ جَعَلَ مَنْعَ الشَّرْكَ لَلْقَطَاةِ مِنَ التَّخْلُصِ جَذْبًا مِنْهُ .

٥١٦

وقال أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِيُّ^(١) :

١ - رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَنَحْنُ بِأَكْنَافِ الْحِجَازِ رَمِيمٌ^(٢)

٢ - فلو أَنَّهَا لَمَّا رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنِّصَالِ^(٣) قَدِيمٌ

رَمِيمٌ : اسم المرأة ، وارتفع لأنها فاعلة ، وقد بُني على رَمَتْنِي . وأراد

بِسِتْرِ اللَّهِ الْإِسْلَامَ . فيقول : نظرت إلى رَمِيمٌ ، فكأنها رَمَتْنِي بِسَهْمٍ ، ونحن

مقيمون بأَكْنَافِ الْحِجَازِ ، وَالْإِسْلَامُ حَاجِزٌ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، يَمْنَعُ مِنْ مُفَازَاتِهَا

وصراودتها . ومثل هذا قول الهذلي^(٤) .

فليسَ كعهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ

وعادَ الفتى كالكمهل ليسَ بقاتلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَا حِ الْعَوَازِلُ^(٥)

كَنَى عَنِ الْإِسْلَامِ فِي مَنْعِهِ عَنِ الْقَبَاحِ وَأَنْوَاعِ الْفُحْشِ وَالظُّلْمِ بِالسَّلَاسِلِ فِي

الْأَغْلَالِ الْحِيطَةِ بِالْأَيْدِي وَالْأَغْنَقِ .

(١) هو الهيثم بن الربيع بن زورارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نمير

ابن عامر بن صعصعة ، شاعر راجز من مخضري الدولتين الأموية والعباسية ، ومدح الخلفاء فيها

جميعا ، وكان يسكن البصرة ، وكان أهوج جبانًا بخيلا كذابا معروفا بذلك أجمع . قال ذات يوم :

عن علي بن أبي طالب فرمته فراغ عن محمي ، فعارضه والله ذلك المهم ، ثم راغ فراوغه المهم حتى

صرعه ببعض الخبرات . الأغاني (١٥ : ٦١ - ٦٢) والخزانة (٤ : ٢٨٣ - ٢٨٥)

والمؤتلف ١٠٣ واللكل ٢٤٤ والشعراء ٧٤٩ - ٧٥٠ .

(٢) الأبيات بهذه النسبة في الكامل ١٩ ليبسك وبدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٩)

والبيان (١ : ٦٨ / ٣ : ٣٢٤) . ويروى : « عشية آرام الكناس » .

(٣) يروى بينه وبين سابقة :

رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ يَتِيهَا ضَمَمْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ بِهِمْ

(٤) هو أبو خراش الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ١٥٠) والأغاني (٢١ : ٤١) -

(٥) في الديوان : « سوى العدل شيئا فاستراح » .

وقوله « فلو أنها لما رمتني رمتها » جواب لو محذوف ، ولاراد لو تعرضت لها وقابلتها في عرض محاسنها بمثل ما يكون للشبان بمنزلة الشفاء عند النساء ، لحق الأمر وكان القدر يجري إلى القدر^(١) ، ولكن قد شخت وكبرت ، فعهدي بمفاضلة النساء قديم .

٥١٧

وقال آخر^(٢) :

- ١ - أُسِجَّنَا وَقِيدًا وَاشْتِيَاقًا وَعَبْرَةً وَنَأَى حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لِعَظِيمٍ^(٣)
 - ٢ - وَإِنْ أَمْرًا دَامَتْ مَوَائِقُ عَهْدِهِ عَلَى كُلِّ مَا قَاسَيْتَهُ لَكَرِيمٍ^(٤)
- انتصب « سِجَّنَا » بإضمار فعل ، كأنه قال : اتجمع على حبس وتقيد ، واشتياقاً إلى حبيب وبكاء ، مع بُعد بيني وبينه ، إن ذلك أمرٌ منكرفظيع ، يتضايق نطاق الصبر عن احتماله والبقاء معه ، وأشار بهذا إلى اجتماع هذه الأشياء عليه ، ونبه على عجزه في احتمالها لولا كرم عرقه ، واستحكام عقده . ألا ترى أنه تحمّد بحاله ، واعتدّ على حبيبه بقاءه على العهد له . ودوام ودّه على اجتماع هذه الأحوال عليه ، فقال : إن أمراً دامت موائيق عهده ، يريد : إن رجلاً ثبت على أوائيه شأنه ، ومبادئ موائيقه ، مع ما يقاسيه من تراحم هذه البلايا على قلبه ، لكريم التّهد ، نبيه الشأن ، وثيق العقيدة .

(١) كذا ضبط في النسختين . والقدر ، بسكون الدال لغة في القدر بفتحها . وأنشد :

كل شيء حتى أخيك متاع وبقدر تفرق واجتماع

(٢) هو أحد الأعراب كما هو في البيان (٤ : ٦٢) . ونسب في الحيوان (٤ : ١٥٩)

إلى بعض الصدوق .

(٣) الحيوان : « أقيّد وحبس واغتراب وفرقة وهجر حبيب » . البيان :

« أقيّد وسجنا واغترابا وفرقة وذكر حبيب » .

(٤) التبريزي : « على مثل ما قاسيته » . البيان : « على كل ما لاقيته » . الحيوان :

« على عشر ما بيّ أنه » .

ويُروى : « أُسِجِنَ وَقِيدٌ » بالرفع ، والمراد : أتجتمع هذه الأشياء على طريق التفتيح والتهويل .

٥١٨

وقال آخر^(١) :

١ - رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعُ^(٢)

٢ - يُذَكِّرُ نِيكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ

أشار بقوله « ضَمَانُ اللَّهِ » إلى ما في القرآن من قوله تعالى : ﴿ أَدْعُونِي ﴾ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، فقال : أنا أدعو بأن يَشْفِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣) يَا أُمَّ مَالِكِ ، وقد ضمن الإجابة للداعي فَرَعَاكَ ضَمَانُهُ . ثم قال : وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ ، فحذف حرف الجرِّ ، والجارُّ يُحذف مع أن كثيراً ، لأنَّ حَذْفَهُ أَظْهَرَ غِنَاءً وَأَوْسَعَ قُدْرَةً . وَنَبَّهَ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ فِي كَلِمَتِهِ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغَنَى الْقَادِرُ اعْتَمَدَ عَلَى مَا لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ .

وقوله « يُذَكِّرُ نِيكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ » يريد أنه لا ينساها في شيء من الأحوال والأوقات ، فما يَتَقَلَّبُ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ بِأَكْبَرٍ ، أَوْ شَرٍّ طَارِقٍ ، فهو يذَكِّرُهُ ، وكذلك ما يخاف وقوعه أو يرجوه ، وَلَمْ يَصِرْ مِنْهُمَا عَلَى يَقِينٍ يَذْكُرُهُ أَيْضًا ، وكذلك ما صار منه على يقين ، فهو يَتَوَقَّعُهُ ، يَذْكُرُ أَيْضًا . وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَوَادِثَ لَدُنْهِ وَجَدْتَهَا لَا تَنْقَسِمُ إِلَّا إِلَى قِسْمَتِهِ ، لِأَنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ مَحْبُوبَةً أَوْ مَكْرُوهَةً ، أَوْ وَاقِعَةً أَوْ مُنْتَظَرَةً ، أَوْ مَحْذُوفَةً أَوْ مَرْجُوءَةً .

(١) هو أعرابي من هذيل كما في الحيوان (٧ : ١٤٨) . وفي البيان (٣ : ٣٣٠) : « وقال أعرابي » .

(٢) في نسخة فيض الله من البيان : « أَرعى وَأَوْسَع » .

(٣) ل : « جل جلاله » .

٥١٩

وقال الحكم الخضرى^(١):

١ - تسام ثوبها فى الدّرع رادةً وفى المِرطِ لقاوانِ رذُفُهما عَبلُ
 ٢ - فوالله ما أدري أزيدت مَلاحةً وحُسنًا على النّسوانِ أم ليس لى عَقْلُ
 معنى تسام تقاسم ، ولذلك قيل : سُهْمَةُ فُلانٍ من هذا كذا ، أى قسمته
 بونصيبه . ويجوز أن يكون أصله من السّهام : القِداح التى تُجَالُ بين الخصوم إذا
 تقارعوا ليستبدّ كلٌّ بما يخرج له لِقِسمته وبِدَنِهِ . وفى القرآن : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ
 مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ، فكأنه استعمار - وإن كان أصله ما ذكرت - للتقاسم ،
 إذ كان يُفَعَّلُ للقسَم وما يشبهه لا غير ، فيقول : انقسمَ جسمُ هذه المرأةِ بين
 حِرْعِها وإزارِها ، فى دِرْعِها بَدَنٌ ناعمٌ وخَصَرُها دَقِيقٌ ، وفى سِرْطِها فَخِذَانِ
 غليظتان عليهما رِذْفٌ ضخم .

وقوله « فوالله ما أدري » يريد أن الخِزَرَةَ قد مَدَكَتْهُ فى أمرها ، إمّا
 يرى من مِثْلِ قلبه إليها ، وشدة افتقانه بها ، فهو لا يدري أزيدت حُسنًا ومَلاحةً
 على نساء الدنيا كلّها ، أم هو قائلُ الرأى فى الاختيار ، محبُولُ العقْلِ فى
 الاعتبار ، ضَعِيفُ التبصّر ، فى الارتياذ والتخيّر . والرادةُ والرؤدةُ : الناعمة .
 والأغناء : الكثرة اللحم . والعَبلُ : الضخم ، ومصدره العبالَةُ .

(١) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جماش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن
 محارب . وكان مالك بن طريف شديد الأدبة ، وكذلك خرج ولده ، فسموا الخضر ، وهم خضر
 محارب . وهو شاعر إسلامى ، كان معاصراً لابن ميادة ، وكان بينهما مهاجاة . الأغاني
 (٢ : ٩٤) ولللكلى ١٦ ومعجم الأدباء (١٠ : ٢٤٠ - ٢٤٥) .

٥٢٠

آخر :

١- أَرُوحٌ وَلَمْ أَحْدِثْ لِلنِّبْلِ زِيَارَةً لَيْبَسَ إِذَا رَاعَى الْمَوَدَّةَ وَالْوَصْلَ

٢- تُرَابٌ لِأَهْلِي لَا وَلَا نِعْمَةٌ لَمْ لَشَدَّ إِذَا مَا قَدَ تَعَبَّدَنِي أَهْلِي

كَانَ مَنْ صَحْبِهِ مِنْ أَهْلِهِ اسْتَعْجَلُوهُ عَنْ زِيَارَةِ لِبْلَى ، فَيَقُولُ مُنْكَرًا وَمَقْظَمًا : أَرُوحٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَقْضَى حَقَّهَا ، أَوْ أَجِدُّدَ الْإِلَامَ بِهَا ، لَيْبَسَ رَاعَى

الْمَوَدَّةَ وَالْمَوَاصِلَةَ أَنَا . حَذَفَ الْمَذْمُومَ بَيْتَسَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ :

﴿ نِعِمَّ الْقَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، وَالْمَعْنَى : نِعِمَّ الْعَبْدُ أَيُّوبُ ، فَحَذَفَ الْمَدْحُوحَ بِنِعْمَ ،

لِكَوْنِ الْمُرَادِ مَفْهُومًا . وَإِذَا جَوَابٌ وَجْزَاءٌ ، وَكَأَنَّهُ حَشَا بِهِ الْكَلَامَ يُثَقِّمُ أَنَّ

مَا يَقُولُهُ جَوَابٌ لِمَا سَمِعَ . وَاللَّامُ مِنْ « لَيْبَسَ » لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَارْتَفَعَ رَاعَى الْمَوَدَّةَ بِهِ .

وَقَوْلُهُ « تُرَابٌ لِأَهْلِي » دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ ، وَتَحْقِيرٌ لَهُمْ ، وَاسْتِخْفَافٌ بِهِمْ . وَجَازَ

الْإِبْتِدَاءُ بِقَوْلِهِ « تُرَابٌ » وَهُوَ نَكْرَةٌ ، لِأَنَّ مَعْنَى الدَّعَاءِ مِنْهُ مَفْهُومٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

• فَتَرْبُ لِأَفْوَاهِ الْوُشَاةِ وَجَنْدَلُ •

وَالْمُرَادُ فِي الدَّعَاءِ طَلَبُ الذَّلِّ لَهُمْ .

وَقَوْلُهُ « لَا وَلَا نِعْمَةٌ لَمْ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُنْفَى بِلَا الْأَوَّلَى حُذِفَ لِمَا دَلَّ

عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : لِأَهْلِهِ التُّرَابُ لَا عِزٌّ لَهُمْ وَلَا نِعْمَةٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

« لَا » رَدًّا لِمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ لِلْإِنْسَانِ . أَفْعَلْ لِفُلَانٍ كَذَا وَكَذَا ،

فَيَقُولُ : لَا وَلَا كِرَامَةً ، أَيْ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَا أَكْرِمُ مَنْ يَسْؤِمُنِيهِ . وَقَوْلُهُ

« لَشَدَّ إِذَا مَا قَدَ تَعَبَّدَنِي أَهْلِي » تَعَبَّدَهُ وَاسْتَعْبَدَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، أَيْ اسْتَذَلَّهُ ،

و« لَشَدَّ مَا » هُوَ كَمَا يَقَالُ : لَعَزَّ مَا . وَالْمَعْنَى الْإِنْكَارُ فِيمَا عُرِضَ عَلَيْهِ وَدُعِيَ إِلَيْهِ ،

وَأَنَّهُمْ تَجَاوَزُوا كُلَّ حَدٍّ فِي امْتِنَانِهِ حِينَ عَرَضُوا عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ . وَهَذَا الْكَلَامُ

مُشْتَمِلٌ عَلَى اِخْتِلَافِ وَقْلَةِ الْاِحْتِفَالِ . وَيَمْيُوزُ أَنْ يُجْرَى شَدَّ مَا ، يُجْرَى
رِثْمَ وَيُثَسَّ .

٥٢١

وقال أبو ذَهَبٍ الْجَلْحِيُّ^(١) :

١ - أَأَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ

قوله « أَأَتْرُكُ » لفظه لفظ الاستفهام والمغنى معنى الإنكار ، كأنه أنكر من نفسه أن يترك التعريج على ليلي وبينهما مسيرة ليلة ، فقال : أَأَخِلُّ بزيارتها وأداء واجبها مع قُرب المسافة بيني وبينها ؟ إِنِّي إِذَا لَمُنْتَمَاءٌ فِي الصَّبْرِ عَنْ الْأَحْبَابِ ، كَسُولٌ عَنْ الْبِرِّ بِذَوِي الْأَذِمَّةِ وَالْأَسْبَابِ^(٢) . وإنما قال هذا باعثاً لِصَخْبِهِ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ ، وطالبا منهم تمكينه من مراده . لذلك قال :

٢ - هَبُونِي إِسْرَأْ مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرُهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدِّمَامَ كَبِيرُ

٣ - وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بِبَعِيرُ

٤ - عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْفِدَاءَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلِيَتْ حَكْمًا عَلَى تَجَوُّرُ

قوله « هَبُونِي » معناه احسبوني واجعلوني ، وهو يتعدى إلى مفعولين .

وحكى ابن الأعرابي : وَهَبَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ بِمَعْنَى جَعَلَنِي فِدَاءَكَ . وقوله « أَضَلَّ بَعِيرُهُ »

يقال في الشيء الزائل عن مكانه إِذَا فُتِدَ : أَضَلَّتْهُ ، فَإِنْ ثَبَّتَ فِي مَكَانِهِ

(١) هو وهب بن زمة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن مهيص بن كعب بن لؤي ، كان رجلاً جليلاً شاعراً ، وكانت له جمة يرسلها فتضرب منكبيه ، وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب ، وبلغ معاوية وهب الله ابن الزبير ، وكان ابن الزبير قد ولاه بعض أعمال اليمن . الأغاني (٦ : ١٤٩ - ١٦٥)

والاشتقاق ٨١ والمؤتلف ١١٧ والشعراء ٥٩٦ - ٥٩٩ .

(٢) الأذمة : جمع ذمام ، وهو الحرمة والحق والعهد .

ولم يُهْتَدَ إليه قيل : ضَلَّتهُ . وقوله « إِنْ الذَّمَّامُ كَبِيرٌ » كالاتفات ، وقوله « أَضِلْ بِمِيزَةٍ » فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لَامِزاً ، وَكَذَلِكَ « لَهُ ذِمَّةٌ » صِفَةٌ أُخْرَى . وَمَعْنَى مِنْكُمْ مِنْ خَاصَّتِكُمْ وَبِطَانَتِكُمْ ، وَهُوَ يُفِيدُ مَعْنَى الْوَصْفِ أَيْضاً وَالْمَعْنَى : أَجْرُونِي بِجَرَى رَجُلٍ مِنْكُمْ نَدَّ لَهُ بِعِيرٍ ، وَلَهُ ذِمَامُ الصُّحْبَةِ وَالنَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ ، فَإِنَّ لِلذَّمَّامِ حَقَّهُ ، وَحُرْمَةَ الْمُرَافَقَةِ كَبِيرَةً ، وَدَعَوْنِي أَقْضِ مِنْ حَقِّ لَيْلِي وَاجِبِهِ ، وَلَا تَسْتَعِجِلُونِي فِي ذَلِكَ وَلَا تَنْمُونِي عَنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : فَإِنْكُمْ إِذَا تَرَكْتُمُونِي وَلَمْ تَوْفُّوْنِي عَلَى مَا أُمُّهُ بِهِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِي لَهَا ، كُنْتُمْ تَرَكْتُمْ رَفِيقاً لَكُمْ وَضِيْعَتُمُوهُ أَشَدَّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَيْكُمْ ، وَالرَّفِيقُ أَعْظَمُ حُرْمَةٍ فِي صَاحِبِهِ الْمَتْرُوكِ مِنْ ضَلَالٍ بِعِيرٍ . يُرِيدُ : وَإِذَا عُدَّ تَرَكَ الْاِسْتِئْذَانَ ^(١) بَعْنِ أَرَادَ نَشْدَانَ ضَالَّتِهِ ، تَجَوَّزَ فِي الْحَافِظَةِ ، وَتَعَدَّى فِي حُكْمِ الْمُرَافَقَةِ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ إِذَا فُعِلَ مَعَ مَنْ يَرُومُ تَجْدِيدَ الْعَهْدِ بِرُوحِهِ ، وَالِاسْتِئْذَانَ عَلَى لُبِّهِ ، أَعْظَمُ فِي الْجَنَابَةِ ، وَأَفْبَحُ فِي الْأَحْدُوثة .

وقوله « عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلِي الْغَدَةَ » تَشَكَّى وَتَأَلَّمَ مِنْ سُوءِ مَعَامَلَتِهَا وَأَنَّهُامَتِي حُكِّمَتْ فِيهِ وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ جَارَتْ وَلَمْ تُنْصَفْ . وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ إِبْذَانٌ بِأَنَّهُا تَسْتَعْظَمُ الصَّغِيرَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ ، بَلْ تَعُدُّهُ كَبِيرَةً وَتُعَلِّظُ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَاخَذَةَ بِهَا .

٥٢٢

وقال آخر :

١ - أَاخِرُ شَيْءٍ أَنْتِ فِي كُلِّ هَجْعَةٍ وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتِ عِنْدَ هُبُوبِي

٢ - مَزِيدُكَ عِنْدِي أَنْ أَفِيكَ مِنَ الرَّدَى وَوُدُّكَ كَمَا الْمُنْزِنِ غَيْرُ مَشُوبِ

قوله « فِي كُلِّ هَجْعَةٍ » الْعَامِلُ فِيهِ آخِرٌ ، وَكَذَلِكَ « عِنْدَ هُبُوبِي » الْعَامِلُ فِيهِ أَوَّلُ شَيْءٍ . يَقُولُ : لَا أَخْلُو مِنْ ذِكْرِكَ سَاعَةً ؛ لِأَنِّي إِنْ نِمْتُ كَانَ خِيَالُكَ

(١) هُوَ مَصْدَرُ اسْتِئْذَانٍ ، أَيْ تَأْنِي ، وَلَمْ يَمِجَلْ .

سميرى مدّة هجوعى، وإن أوقظت كنت لزيماً ذكراك مدّة يقظتى، فانت في النوم آخر شيء لى، ولا فاصل بين الحالتين. ثم قال: والذي يزيدك من عندى ألا أشهر بك، ولا أبوح بسرّك، ولا أعلن النسيب باسمك، إذ كان في جميعه تنفيرك، وتعريضك للرّدى: فضيحتك، فأنا أفيك من ذلك، وأنا أضنى لك الودّ حتى لا يشركك في قلبى أحد، فيصير ثاوى الود مشوباً، وصافى الهوى مكدرًا ويجوز أن يكون المراد: مزيدك عندى أن أدعو الله تعالى بالصّيانة لك، وتوفير الحياطة عليك من كل ما تكرهينه، أو يؤدّى إلى شينك فيما ترومينه.

والذى يشهد لقوله «من الرّدى» وأن المراد به الفضيحة قول امرى القيس: صرفت الهوى عنهن من خشية الرّدى ولست بمقلّ الخلال ولا قال ألا ترى أنه كان ملكاً لا يخاف معارضا له فيما يتعاطى من اللهو، ويختاره من الصّبا والبطالة مع من كان وفيمن اتفق، فكيف ما يتعداه من طلب الفوائل له، لكنّه عدّ انتشار الحديث فيه، وقيام الناس وقعودهم يذكره هلاكا وعطبا.

وقوله «أن أفيك» في موضع خبر المبتدأ وهو مزيدك، وانعطف عليه قوله «وودّك المزن».

٥٢٣

وقال آخر:

- ١ - ما أنصفت ذلفاء أمادئوها فهجرت وأما نأيتها ففشوق
- ٢ - تباعدت ممن واصلت فكانتها لآخر ممن لا تودّ صديق^(١)

(١) التبريزى: «وكانها».

يقول : جازت هذه المرأة على في حكم الموى ولم تنصف ، لأنى إن طلبت التّدانى منها هجرتنى وأطرحتنى ، وإن رمت التّنائى منها شوقتنى وهاجتنى ، وإذا كانت من مواصلها متباعدة ، ولموادّها مهاجرة ، فكانها تصادق معاديتها ، وتخالص منها بذها من دون مواصلها ومقاربتها ، وهذا عجب من مثالا .

وقوله « أَمَا دُنُوها فَهَجْرٌ » المعنى أَمَا في دُنُوها فَتَهْجُر . أَلَا ترى أَنَّهُ قال « وَأَمَا نَأْيُها فَيَشُوق » كأنه : وَأَمَا في نَأْيها فَتَشُوق . إِلَّا أَنَّهُ جُمِلَ فعلها مُسَوِّباً إلى دُنُوها وَنَأْيها .

٥٢٤

وقال عبد الرحمن الزهرى^(١) :

- ١ - وَلَمَّا نَزَلْنَا مِنْزِلًا طَلَّ النَّدى أَنيقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيًا^(٢)
 - ٢ - أَجَدُّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مَنَى فَتَمَنَيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
- جواب « لَمَّا » قوله أَجَدُّ لَنَا . فيقول : لَمَّا أخرجنا إلى ظاهر محالنا متزّهين ، ونزلنا موضعاً رياضه ركبها الطلُّ بالليل ، فتناثر عنها القطرُ بالغدوات ، ونباتهُ شَرِقَتْ بالرّى بعد الشمس ، وضاحكت الشمس بعد الشروق ؛ وبساتين تحلّت بالأزهار ، وتمحّلت من بركة الله بآثار الصنع ، دَعَتْنَا نفوسنا إلى أن نتذكّر لطيب المكان ، ومُسَاعَدَةَ الوقتِ والزّمان ، ما يكمل به الشرور ،

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « الزبيرى » . وعند التبريزى : « أبو بكر بن عبد الرحمن الزهرى » . وقد سبق لأبي بكر الخلماسية ٤٦٩ ص ١٢٤٥ . وأبوه عبد الرحمن بن المسور بن غرمة بن نوفل بن أهيب بن زهرة بن كلاب . وكان جده المسور من أدرك الإسلام صغيراً وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٧٩٨٧ .
(٢) روى التبريزى قبل هذه المقطوعة مقطوعة أخرى لحفص العليمى ، وستأتى مقطوعة حفص العليمى هذا بعد المقطوعة رقم ٥٣٦ .

وَتَمَنَّى مَا إِلَيْهِ تَفْنَاهُ فِي الْاِقْتِرَاحِ الْعُيُونُ وَالْقُلُوبُ ، فَوَجَدْنَا الْأَمَانِي كُلَّهَا لَا تَتَمَلَقُ إِلَّا بِكَ ، وَلَا تَحْمُومُ فِيمَا تُجَالُ فِيهِ وَتُرَاوِدُ عَنْهُ إِلَّا عَلَيْكَ ، ذَهَابًا بِكَ وَشَعْفًا بِكَ .

وَيُقَالُ : طَأَّتِ الْأَرْضُ فِي مَطْلُوَّةٍ . وَالْأَن يَقُ : الْمَعْجِبُ . وَيُقَالُ : حَلَّى بِكَذَا ، وَحَلَّى بِكَذَا .

٥٢٥

وَقَالَ مَعْدَانُ بْنُ مُضَرَّبٍ (١) :

- ١ - إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي فَلَا تَمَنِّي صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأُنَامِلُ
 - ٢ - وَكَفَنْتُ وَخَدِي مُنْذِرًا فِي رَدَائِهِ وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ أَعَادِي قَانِلُ
- قَدْ مَضَى تَفْسِيرُهُ فِي بَابِ الْحَمَاسَةِ .

٥٢٦

وَقَالَ آخِرُ :

- ١ - صَفَا وَدُّ لَيْلِي مَا صَفَا لَمْ يُطْعَمْ بِهِ عَدُوًّا وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ قِيلَ صَاحِبِ
- ٢ - فَلَمَّا تَوَلَّى وَدُّ لَيْلِي لَجَانِبِ وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ
- ٣ - وَكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلِي يَخَافُنِي عَلَى الْمُنْذِرِ أَوْ يَرْضَى بُوْدِي مُقَارِبِ

(١) الذي في معجم المرزبانى ٤٠٧ : « معدان بن جواس الكندى السكونى » . قال : له حلف في ربيعة ، مخضرم نزل الكوفة ، وكان نصرانياً فأسلم في أيام عمر بن الخطاب ، وقام للزبير بن العوام رضي الله عنه بأمره فدحه . وهو القائل :

ورثت أبا حوط حجية شعره وأورثني شعر السكون المضرب

أبو حوط هو حجية بن المضرب ، فخرهما . ثم أنشد له المرزبانى بيتي الحماسة هذين . وقد نسب أبو تمام هنا إلى أحد أجداده ، ونسبته في الإصابة ٨٤٣٥ : معدان بن جواس بن فزوة بن سلمة بن المنذر بن المضرب بن معاوية .

سلك في هذا مسلك ذى الرئمة حين قال :

فَيَا مَيَّ هَلْ يُجْزَى بُبْكَائِي بِمِثْلِهِ مِرَاراً وَأُنْفَاسِي إِلَيْكَ الزَّوْفِرُ
وقد زَيْفَ الثَّقَادَ هذا وقالوا : ذُو المَوَى لا يستدعى مَن يهواه المكفأة
على ما يتحملة فيه ، وقد عاب ابنُ أبي عَتِيْقٍ على كثيرِ قوله :

ولستُ براضي من خليلي ببائلٍ قليلٍ ولا راضي له بقايلٍ
وقال : هذا كلامُ مكافٍ لا كلامُ مُحِبٍ . فقوله « وَدُّ لَيْلَى » يجوز أن
يكون الودُّ مضافاً إلى المفعول ، والمراد وَدُّنا لليلَى ، فينتصب موضع قوله « ما صفا »
لكونه ظرفاً ، والمعنى : صفا وَدُّنا لليلَى مدَّةَ بقائه خالصاً بما يشوبه ويُفسده
من طاعة عدوِّ لها ، وإصفاء إلى قِيلٍ ناصحٍ ينتصحُ فيها . ويجوز أن يكون
المراد : صفا وَدُّنا لليلَى مدةَ صفاءِ وَدُّها لنا ، تخميناً من قَدَحِ الأعداءِ فيه ، والإصفاء
إلى قِيلِ اللّائمين وعَتِيْهِم له . ويدل على هذا التفسير قوله من بَمَدُّ :

فلما تولى وَدُّ لَيْلَى لجانِبٍ وقومٍ تولَّينا لقومٍ وجانبٍ
فإن قيل : كيف زعمتُ أنَّ المعنى ما صفا وَدُّها لنا ، وقد ذكرتُ أنَّ الودَّ
مضاف إلى المفعول ؟ قلت : إنَّ المضمر في الثانی هو وَدُّ لَيْلَى ، والمصدر كما يضاف
إلى المفعول يضاف إلى الفاعل أيضاً ، واللفظ لفظ واحد . وإذا كان كذلك
صَلَحَ أنْ يُنَوَّى في قوله « ما صفا » عَوْدُ الضمير إلى وَدِّ لَيْلَى ، ويكون ليلَى
فاعلة لأنَّ اللفظ ذلك اللفظ ، فيكون التقدير : صفا وَدِّ لَيْلَى ما صفا وَدُّ لَيْلَى .
والمعنى : صفا وَدُّنا لليلَى ما صفا وَدُّها لنا ، أى صافيناها ما دامت تُصافينا .
ويجوز أن يكون وَدِّ لَيْلَى أَضَافَ الودَّ إلى ليلَى ، وهى الفاعلة ، لكنّه حذف
لمضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، والمراد : صفا جَزَاءَ وَدِّ لَيْلَى مِنَّا ما صفا هو في
نفسه لنا . وقد رُوي : لم نُطْعِ بها عدوًّا « فيعود الضمير إليها ، وكذلك » ولم

نسمع بها . وإذا رويت « به » يعود الضمير إلى الوُد .

وقوله « فلما تولى ود لبللى » يريد : ود لبللى لنا . والمعنى : لما مالت إلى جنبة غير جنبتى ، وقوم غير قومي ، نفضت يدي من الاعتماد عليها ، وأخليت قلبي من هواها ، وصرفت نفسي إلى جنبة أخرى غير جنبتى ، وطائفة أخرى غير طائفتها ، لأنى كما أصل أقطع ، وكما أخاطب أزيل ، ولست بمن يقتل نفسه فى إثر من لا يريدنى إذا تولى عني . وقوله « تولى » يجوز أن يكون من التولى الإعراض والذهاب ، ويجوز أن يكون من الولاء والطاعة .

وقوله « وكل خليل بعد لبللى يخافنى » يريد أن الناس لما رأوا وكوعى بلبللى ، وصفاء عقيدتى فى الليل إليها والبقاء على العهد معها ، ثم رأوا بعده انصرافى عنها فى أقرب اللدد ، ولأذى السبب ، صار كل خليل فيما بينى وبينه يخافنى على الغدر ، ويتمنى فى الوُد ، فلا يطلب منى التناهى فيما يجمعنى وإياه ، خوفاً من الإعراض عنه ، أو يرضى معى ومن جوفى بؤى قريب لا سرف فيه ولا اشتطاط .

٥٢٧

وقال آخر :

١- ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة وذكرك لا يسرى إلى كما يسرى

٢- وهل يدع الواشون إفساد بيننا وحفر لنا الماثور من حيث لا ندري

هذا كلام متبرم بالهوى ، مستقيل من الوشاة وإفسادهم ، متفاد من محريشهم وألهم ، متدن أن تنقطع أسباب الهوى ، وتنقطع أغراس الوُد .

وقوله « ليت شعرى » موضع شعرى نصب لأنه اسم ليت . وقوله « هل »

أَبَيْتَنَ لَيْلَةً سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِي شِعْرِي ، لَأَن مَعْنَاهُ عَلِمِي ، وَبَتَعْدَى تَعْدِيَّةً ، وَخَبِرَ لَيْتَ مَضْمَرٌ لَا يَظْهَرُ . وَالتَّقْدِيرُ : لَيْتَ عَلِمِي وَاقِعٌ ، وَمَا يَجْرِي تَجْرَاهُ . وَالْمَعْنَى : أَتَمَنَّى أَنْ أَعْلَمَ هَلْ أَبْقَى أَنَا لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي الدَّهْرِ وَخَيَالُكَ لَا يَسْرِي إِلَيَّ كَمَا يَسْرِي السَّاعَةُ ، وَهَلْ أَرَى نَفْسِي سَلِيمَةً مِنْ رَمَى الْوَشَاءِ وَطَلَبِهِمْ إِفْسَادَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَحَفَرِ الْمُفْوَاةِ لَنَا ^(١) إِذَا غَبِنَا عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا نَشْعُرُ وَلَا نَدْرِي فَنَتَّقِيهِ وَنَحْذَرُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ جَازَ أَنْ يُكَنِّيَ عَنِ الْخَيَالِ بِالذِّكْرِ حَتَّى قَالَ : « وَذَكَرُكَ » لَا يَسْرِي إِلَيَّ ؟ قُلْتُ : إِنَّ الْخَيَالَ فِي الْمَذَامِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ التَّذَكُّرِ فِي الْيَقِظَةِ ، يَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي .

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفَكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ
وَهَذَا ظَاهِرٌ وَعَلَيْهِ مَبْنَى وَصْفِ الْخَيَالِ .

وَالْمَأْوَرُ : مَصِيدَةُ اللَّبَاهِمِ ، وَيُجْمَلُ اسْمًا لِلْمَتَالِفِ ، وَهُوَ فَاعُولٌ مِنَ الْعِثَارِ وَالْعُثُورِ ، وَكَذَلِكَ ^(٢) اسْتَعْمِرَ لِلنَّفْعِ وَالْحَسَبِ ، لِأَن صَاحِبَهُ يَمْتَرُ بِهِ عَنْ غَايَةِ السَّابِقِ . وَانْتَصَبَ قَوْلُهُ « الْمَأْوَرُ » مِنَ الْمَصْدَرِ الْمَنُونِ وَهُوَ حَقَرًا ، وَأَقْوَى مَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ فِي الْعَمَلِ إِذَا كَانَ مَنُونًا ، إِذْ كَانَ شَبَهَ الْفِعْلِ فِيهِ أَقْوَى .
وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَعَانِي : إِنَّمَا يَتَمَنَّى أَنْ يَمْلِكَهَا عَلَى حَدِّ يَنْسِقُ تَسْوِيقَ الْمَفْسِدِينَ فِيهِ ^(٣) ، وَيَأْمَنُ التَّجِبَةَ مَعَهُ ، وَيَرْتَفِعُ الْعَشْقُ وَالْهَوَى مِنْ بَيْنِهِمَا .

(١) المِوَاة : حَفْرَةٌ كَالزُّبْيَةِ تَحْفَرُ لِلْأَسَدِ .

(٢) ل : « وَلِذَلِكَ » .

(٣) التَّسْوِيقُ ، بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ فِي النُّسخَتَيْنِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ تَسْوِيقِ الْقَوْمِ ، إِذَا بَاعُوا وَاشْتَرَوْا .

٥٢٨

آخر

- ١ - إن كان هذا منك حقاً فإنني مُداوي الذي بيني وبينك بالتهجر
 ٢ - ومُنَصِّرٌ عَنْكَ انصراف ابن حُرَّة طوى ودّه والطى أبقى من النّشر
 يقول : إن كان هذا الذى يظهرُ منك موافقاً لما يَبْطُنُ ، وهذا الإعراضُ
 عن جَفَاءٍ وقلى لا دلالٍ وهوّى ، فإنى سأداوى ما بينى وبينك بالتهاجر ،
 وقاعدٌ عنك قعودٌ حُرٌّ لا يصبرُ على الجَفَاءِ والتدابرُ ، ولا يرضى من ودّيه
 بالمأذنة دون الصّفاء ، فأطوى ودّى معه وأصونه عن النّشر ، لأنّ الطى أوقى
 فيه ، وصيّاته عن الابتذال أوعى له (١) .

وإنما قال : « ابن حُرَّة » والقصد إلى الكريم من الرّجال ، الذى يَصُونُ
 نفسه ونفسَ صاحبه فلا يُوحِشُ مع التّهاجر ، ولا يُفحِشُ على التّفكّر والتّباغض ،
 لكنّه يلزم الجاملة والأساترة فى كلّ حال ، لأنّ الأمّ إذا كانت مملّكة تبعها
 الولد فى الرّق ، فيحصل الرّق والهجنةُ معاً ، ومتى كانت الأمّ حُرّة لم يَنْبِيع
 الولدُ أباه فى الرّق وإن كان عبداً مملوكاً ، ولكنه يكون هجيناً غيرَ عرقى
 خالص .

٥٢٩

آخر (٢) :

- ٢ - وفى أليّة الغادين من بطن وجرة غزال كحيل المقلتين ريب (٣)

(١) ل : « أرمى له » .
 (٢) هو بعض الأعراب ، كما فى معجم البلدان (٨ : ٤٠١) .
 (٣) ياقوت : « أم المقلتين » . و بطن وجرة : منزل لأهل البصرة إلى مكة ، بينه وبين
 مكة مرحلتان .

٢ - فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى
ولسكن من تفتأين عنه غريب
كان شغباً الشاعر وصديقه مجتمعين ببطن وجرة زماناً ، فوقعت الألفة
بينهما ثم افترقوا ، فقال متأسفاً في إثرها ، ومتأهلاً لما فاته من الاجتماع بينهما :
وفي الخلطاء الباكين من هذا المكان امرأة كأنها غزال مكحل العينين
مرَّبَّب في البيوت ، منعمٌ بالاعتناء ، ملك قاي . ثم قال مخاطباً لها : لا تُطَيِّ
أن الغريب من بُعد عن سكَّنه ، ونأى عن إلفه ووطنه ، ولسكن الغريب
هو من تبعدين عنه وفي يدك قياده ، فعلى البعد تجذبيته ، ومن مراده تمنعينه ،
وقد ضاق عنه مكانه حتى صار فيه كمن نأى عن أهله ، وحصل في غير
أرضه^(١) ومنزله .

٥٣٠

وقال آخر :

١ - بنفسى وأهلي من إذا عرضوا له
ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب^(٢)
٢ - ولم يمتدِّرْ عُذْرَ البريء ولم تزل به سَكْمَةٌ حَتَّى يَقَالَ مُصْرِبٌ
تعلق الباء من قوله « بنفسى » بفعل مضمر ، كأنه قال : أفدى بنفسى
وعشيري إنساناً - ويعنى به محبوبه - إذا اجتمع عليه اللوام ، وتصرَّفوا في
فنون الغض منه والعتب عليه ، فأذوا قلبه وضيقوا صدره ، ارتبك في الجواب
وحار ، ولم يدر لفرارته بماذا يجيب ، ولسوء اهتدائه بوجوه الحيل كيف
يتخلص ، فلا عُذْرُهُ عُذْرٌ مَنْ لَا جُنَايَةَ لَهُ ، ولا سكوته سكوتٌ مَنْ لَا احتفالَ بِهِمْ

(١) هذا ما في ل ، وفي الأصل : « أهله » .

(٢) عرضوا ، بالتشديد ، هو ضبط الأصل والتبريزي . وفي ل : « عرضوا »

بتخفيف الراء .

سمه ، فهو في إطراقه وخُتوته ^(١) إذا قضيتهم نفذت فيه بأنه مُريب ، مرتكب ، ولما رُمي به مُكذَّب ، استدلالاً بسكوته على الذنب ، وبإمساكِه عن إقامة المعاذير على صحّة القرف .

٥٣١

وقال آخر :

١- أرى كلّ أرضٍ دَمَنْتَها ، وإن مَضَتْ لها حَجَجٌ ، يَزْدَادُ طِيباً تَرابُها
٢- أَلَمْ تَعْلَمْ ياربُّ أن رُبَّ دَعْوَةٍ دَعَوْتُكَ فيها مُخْلِصاً لو أجاها
يقول : أرى كلّ مكانٍ أفاَمَتْ فيه هذه المرأة زَمَناً فاثَّرت فيه أثراً يزداد
على استمرار السنين والأحقابِ تَرابُهُ طِيباً ، وإن لم يكن لإقامتها أو أن تمتدَّ
بوزمانٍ متصل ، فقوله « يزداد » في موضع المفعول الثاني لأرى . ودَمَنْتَها :
فعلٌ مبنيٌّ من الدَّمَنة : أثر الدار وما سُودَّ بالرَّماد وغيره ، فكانَ معنى دَمَنْتَها
اثَّرت فيها بالإقامة . وانتَصَبَ « طيباً » على التَّمييز ، وقد نُقِلَ الفعل عنه لأنَّ
بالأصل يزداد طيبُ ترابها ، فجُعِلَ الفعلُ للتراب فأشبهه « طيباً » المفعول . وعلى
هذا : قررت به عَيْناً .

فإن قيل : هل في هذا دلالةٌ على صحّة قول المُخالفِ لسيبويه في جواز
تقديم التَّمييز إذا كان العامل فيه فعلاً ، وهل يُفصل بين هذا البيت وبين
ما استدلُّوا به من قول الآخر ^(٢) :

* وما كان نفساً بالفراق تطيب ^(٣) *

(١) هذا ما في ل . والخفوت : سكون الصوت . وفي الأصل : « وحتوته » تحريف .

(٢) هو الخليل السعدي ، أو أعشى همدان . شواهد المعنى (٣ : ٢٣٥) .

(٣) صدره : • أتبهج ليل للفراق حبيبها • •

قلت : لا دَلالة في هذا الذي نَعْنُ فيه وإن كان البيت الذي أوردته
أَمَكَنَّ التَّمَلُّقَ به ، حتى ذكر أصحابُ سيبويه أن الرواية على غيره ، وهو :
* وما كان نفسى بالفراق تطيبُ *

وذلك أن « طيباً » لم يُقدِّم على المامل وهو الفعل ، وإنما قدَّم على ما صار
فاعلاً ، وإذا كان كذلك لم يصحَّ الاحتجاج به له ، لأنَّ اللّوَضَعَ المختلَفَ فيه
هو جوازُ تقدُّمِهِ على العامل فيه وامتناعُهُ منه لا غير ، فأما مادام واقعاً بعد الفعل
فلا مُستدلٌّ به على موضع الخلاف .

وقوله « أَلَمْ تَعْلَمْ يَا رَبِّ أَنْ رَبُّ دَعْوَةٍ » ، أن مخففة من أن التَّغْيِيلَ ،
والتقدير : أنه ربَّ دعوة . وفي رَبِّ لَفَات : إحداها التَّخْفِيفُ ^(١) . وكأنه يتضرَّع
في هذا الكلام إلى خاتمه ومن يستفيث به فيما يُقاسيه ، ويقرِّر في الدُّعاء عليه
أنَّه قد ضَمِنَ الاستجابة في قوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فقال : إنَّكَ
تعلم يا رب أني قد أخلصت دُعاءك في أوقات كثيرة لَطَلَبَتِي لو اقترن بالدُّعاء إجابةً
وإسماعاً ، وضمانك الأُصْحَى الأَوْفَى ، فاستجِبْ . وفيه أيضاً ما يجرى مجرى
الاستزادة إذا توجه إلى غيره تعالى . وانتصب « مخلصاً » على الحال . وقوله
« لو أُجَابُها » يريدُ به لو أُجَابُ فيها .

٣ - وَأَقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذِنَابَ الْفَلَا حُبَّتْ إِلَيَّ ذُنَابُهَا

٤ - لَعَمْرُؤُا بِلَيْلٍ لَّيْنٍ هِيَ أَصْبَحَتْ بِوَادِي الْقُرَى مَا ضَرَّ غَيْرِي اغْتِرَابُهَا

قوله « أقسم » جملةٌ تنوب عن اليمين ، والجواب « حُبَّتْ إِلَيَّ ذُنَابُهَا »
متعلقاً بالشَّرْطِ المذكور ، وهو أن تكون مناسبة . وجواب لو هو ما صار جواباً

(١) في رب ست عشرة لغة : ضم الراء وفتحها ، وكلاهما مع التشديد والتخفيف ،
والأوجه الأربعة مع تاء التانيث ساكنة أو محرّكة ومع التجرّد منها ، فهذه اثنتا عشرة ، والضم
والفتح مع إسكان الباء ، وضم الحرفين مع التشديد ، ومع التخفيف ، فهذه أربعة أخرى ،
تكون كلها ست عشرة لغة .

للميمين ، وكذا يقع الشرط والجزاء بعدها . تقول : والله لئن جئتني لأكرمك
ويروى : « حَبَّتْ » بفتح الحاء والأصل حَبَيْت ، وقُلْ في المضغف قليل .
ويروى « حُبَّتْ » بضم الحاء ، وهو بناء لما لم يُسَمَّ فاعله . ويقال : حَبَبْتُهُ فهو
محبوب ، لفة في أَحَبَبْتُهُ .

وقوله « لَعَمْرُأى لَبَّى » إقسامه بأبيها تعظيم لها ، وتنبيه على محله من
قلبه ، وأنه منصبٌ إلى مَنْ يحمله وإياها عُلُقَةٌ وإن ضَمُتْ ، فكيف أبوها
والختمض بها . وفي هذا زيادةٌ على ما قاله الآخر^(١) ، وهو :
وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحَبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي^(٢)
واللام من « لئن » موطنٌ للقسم ، وجواب القسم ماضٍ ، والمعنى :
إن عادت هذه المرأة إلى موضعها من وادى القرى لم يضرَّ غيرى البعد منها ،
والاغتراب عنها . وقوله « اغترابها » يريد اغترابى عنها ، ويجوز أن يُريد تباعدًا

٥٣٢

وقال آخر :

- ١- لَعَمْرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنَيْكَ وَالْبُسْكَ بِدَارَاءٍ إِلَّا أَنْ تَهَبَّ جَنُوبُ^(٣)
- ٢- أَعَاثِرُ فِي دَارَاءٍ مَنْ لَا أَحِيَّةَ وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٌ إِلَى حَبِيبِ^(٤)

(١) هو الحسين بن مطير . الحماسة ٤٧٣ ص ١٢٥٣ .

(٢) ضبطت نون « عني » في ل بالفتح والكرم لتقرأ بالثنية والإنراد ، مشفوعة
بكلمة « معا » تحقيقاً للضبطين .

(٣) أنشد ياقوت في معجم البلدان هذه الأبيات في رسم (داراء) بعد أن ذكر أن
« داراء » من نواحي البحرين . ثم قال : « وهذا موضع استصحب علينا معرفته ، وكثر تفتيشنا
إياه ، وظنه شارحو الحماسة داراً التي ببلاد الجزيرة ، ففعلوا ، حتى وجده الوزير المصاحب
الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي ، أطال الله بقاءه ، بخط أبي عبد الله
المرزباني فيما كتبه عن الحسن بن خليل العنزي ، فأفادناه . »

(٤) ياقوت : « من لا أوده » . وستأتي هذه الرواية في الشرح .

٣- إِذَا هَبَّ عُلوِي الرِّيحِ وَجَدْتُني كَأَنَّي لَعْلُوِي الرِّيحِ نَسِيبُ
يقول : وَبَقَائِكَ مَا الْمَوْعِدُ بَيْنَ الْبُكَاءِ وَأَنْتِ بَدَارَاءِ إِلَّا عِنْدَ هُبُوبِ
الْجَنُوبِ ، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّ الْجَنُوبَ كَانَ مَهْطًا مِنْ أَرْضِ صَاحِبَتِهِ ، فَعَلَى
هَذَا التَّأْوِيلِ يَكُونُ « وَالْبُكَاءِ » فِي مَوْضِعِ الْجُرْ عَطْفًا عَلَى عَيْنَيْكَ . وَلَا يَمْتَنِعُ
أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ . مَا مِيعَادُ عَيْنَيْكَ مَعَ الْبُكَاءِ بِهَذَا الْمَكَانِ إِلَّا إِذَا هَبَّتِ
الْجَنُوبُ ؛ فَيَكُونُ مَفْعُولًا مَعَهُ . وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا تُهْدِي إِلَيْهِ أُرِيحَتَهَا ^(١) ،
أَوْ يَمْتَنِعُ أَنَّهَا رَسُولُهَا ، فَتُجَدَّدُ ذِكْرُهَا ، وَتَطْرُقُ الْوَجْدَ بِهَا ، فَيَبْكِي شَوْقًا إِلَيْهَا .
وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْمِيعَادُ لَا يَكُونُ إِلَّا وَقْتًا أَوْ مَوْضِعًا . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْمِيعَادُ مُبْتَدَأُ
وُخْبَرَهُ أَنْ تَهَبَّ ، وَالْمُرَادُ وَقْتُ هُبُوبِهَا ، حَتَّى يَكُونَ الْآخِرُ هُوَ الْأَوَّلُ ، إِلَّا أَنَّهُ
حَذَفَ الْمُضَافَ .

وقوله « أَعَاشِرُ فِي دَارَاءِ مَنْ لَا أَوْدُهُ » شَكُوهُ مِنَ الدَّهْرِ حِينَ جَمَعَ بَيْنَهُ
فِي دَارَاءِ وَبَيْنَ مَنْ لَا هَوَى لَهُ مَعَهُ ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ لَجْمَلِهِ بِالرَّمْلِ .
وقوله « إِذَا هَبَّ عُلوِي الرِّيحِ » يَرِيدُ : إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ عَالِيَةِ
نَجْدٍ ، فَكَأَنِّي ^(٢) يَجْمَعُنِي وَإِلَيْهَا نَسَبٌ ، لَاهْتِزَازِي لَهَا ، وَارْتِيَا حِي لَهْبُوبِهَا ،
فَأَنَا أَنْتَ ظَرُّهَا تَرْقُبُ الْمَسَافِرَ وَقَدْ دَنَا مَوَاقِفُهُ .

٥٣٣

آخر ^(٣) :

١- هَلِ الْحُبُّ إِلَّا زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وَحَرَّةٌ عَلَى الْأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ

- (١) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ وَالتَّبْرِيزِي . وَالْأَرِيحَةُ مِثْلُ الْأَرِيحِ : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْجَمْعُ
الْأَرَائِحُ .
(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ « وَكَانَ » .
(٣) هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّمِينَةِ . دِيْوَانُهُ ٢٦ .

٣- وفيض دُمُوجِ الْعَيْنِ بَاتَى كُلَّمَا بَدَأَ عِلْمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو^(١) الاستفهام هنا في معنى النَّفْيِ ، كَأَنَّهُ حَاجَتُهُ صَاحِبَتُهُ أَوْ إِنْسَانٌ لَا تَمُّ أَوْ غَيْرُهُمَا ، فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنَ الْحُبِّ ، فَقَالَ رَادًّا عَلَيْهِ حِينَ كَذَّبَهُ فِي دَعْوَاهُ : مَا الْحُبُّ إِلَّا تَتَابُعُ الزَّفَرَاتِ تَحْشُرًا ، وَالتَّهَابُ تَوَجُّدٌ^(٢) فِي الْحَشَا لَا يَتَعَقَّبُهُ ابْتِرَادٌ ، وَسِيلَانُ دَمْعٍ مِنَ الْعَيْنِ لَا يُرْقِئُهُ انْقِطَاعٌ ، فِي كُلِّ وَقْتٍ ظَهَرَ فِي مَرَأَى الْعَيْنِ لَهُ جَبَلٌ مِنْ أَعْلَامِ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو مِنْ قَبْلُ ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ أَعْتَادُهُ مِنْ نَفْسِي ، وَيُدْرِكُهُ مِنْ يَتَأَمَّلُ حَالِي ، وَتَصَدِّقُهُ لِلشَّاهِدَةِ مَنِّي .

٥٣٤

وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ^(٣) :

١- كَانَ فُؤَادِي فِي يَدِي ضَبَّتْ بِـ مُحَاذَرَةٍ أَنْ يَقْضِبَ الْخُبْلَ قَاضِيَةً
٢- وَأَشْفِقُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ وَإِنِّي أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ فَرَائِكِهِ
الضَّبْتُ : الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ ؛ وَمِنْهُ نَاقَةُ ضُبُوثٍ ، أَيْ لَا يُشَكُّ فِي مِيَمَتِهَا
إِذَا ضُبَّتْ عَلَى سَنَامِهَا . وَانْقَصَبَ « مُحَاذَرَةٌ » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَمَوْضِعٌ « أَنْ
يَقْضِبَ » نَصَبٌ مِنْ مُحَاذَرَةٍ . فَيَقُولُ : كَانَ قَلْبِي يُعَصِّرُ بِقَبْضٍ قَابِضٍ عَلَيْهِ ،
خُوفِي مِنْ أَنْ يَقْطَعَ الْوَصْلَ قَاطِعُهُ مِنَ الْبَيْنِ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَخَافُ مِنْ وَقْوَعِهِ
سَرِيعًا لِقُوَّةِ الْأَمَارَاتِ ، وَتَتَابُعِ الْحَذَرَاتِ الْمَذَرَاتِ . وَإِنَّمَا قَالَ « أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ

(١) فِي الدِّهَوَانِ : « غُرُوبُ الْعَيْنِ بِالْدمْعِ كُلِّهَا » .

(٢) لُ : « يَوْجِدُ » .

(٣) هُوَ الرَّمَاحُ بْنُ أِبْرَدَ . وَمِيَادَةُ أُمُّهُ وَكَانَتْ أُمُّ وَلَدٍ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي مِرَّةَ بْنِ عَوْفِ
ابْنِ سَعْدِ بْنِ ذُهَيْبَانَ ، وَهُوَ شَاعِرٌ مَخْضَرَمٌ مِنْ شُعْرَاءِ الدُّوَلَيْنِ ، وَكَانَ مِنْ مَدَحِ الْمَنْصُورِ ، وَمَاتَ
فِي صَدْرِ خِلَافَتِهِ . الْأَخْيَارُ (٢ : ٨٥ - ١١٦) وَالْخَزَائِنُ (١ : ٧٦ - ٧٧) وَالْمَوْئِلَفُ
١٧٤ وَالْإِسْتِغْنَاءُ ١٧٥ .

عليه ، والغائن معنى اليقين ، فهو مثل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ . وقوله « لَحْمُولٌ عَلَيْهِ » إيدانٌ بأنه ليس يقعُ عن اتفاقٍ معه أو مشاركةٍ في تدبيره . وأظنُّ مفعولهُ الأوَّل ، والثاني مستدلٌّ عليه ، لأنَّ المراد ذلك في ظنِّي أو عِلِّي ، فهو مُلْتَمَى . والقَضْبُ : القَطْعُ ، ومنه سيفٌ مِقْضَبٌ وقَضَابٌ . ووشكُ الفِرَاقِ : مُرعة القطيعة . ويقال أوشك هذا أن يكون ، أى أسرعَ .

٣- فوالله ما أدري أبغلبني الهوى إذا جدَّ جدُّ التَّينِ أم أنا غالبُه
٤- فإن أستطيع أغلب وإن يغلب الهوى فمثلُ الذي لا قيتُ يُغلبُ صاحِبُه
يقول : شارفتُ فِرَاقَ الأحبةِ بالدلائلِ اللائحةِ ، وأحلف بالله ما أعلمُ من حالى إذا وَقَعَ ، أأَجْزَعُ أم أصبر .

وقوله « إذا جدَّ جدُّ التَّينِ » يجوز أن يكون المراد : إذا ازدادَ جدُّه جدًّا ، كأنه يَظَاهِر من جَلِيَّةِ أمرِهِ ما يَزُولُ اللَّبْسُ والشُّبْهَةُ معه . ويجوز أن يريد : إذا صار هَزَلُهُ جدًّا ، فسماه بما يؤولُ إليه ، كما يقال : خرجت خوارجه ، وربيع رَوْعُهُ . والمراد أنه التَّيس عليه إذا باغتهُ الفِراقُ حاله معه ، فلا يدري أىُّ الأمرين يقعُ : أبغلبه الهوى فَيَسْلُبُهُ التَّجَمُّلَ ، ويُبايِسُهُ التَّهْتِكُ ، أم يغلبُ بدوامِ مُسْكِنَتِهِ وكَمالِ تَثْبِيتهِ الهوى فيستمرَّ حالُ السَّلامَةِ به . ثم قال كالنَّسْلِ والمنقادِ لخاتمةِ السَّكائنةِ : فإن أَلْقَتْ وكان فى مقدورى — إذا اجتهدتُ — غلبُ الهوى فهو للمراد ؛ وإن جرى التَّدَرُّ بِخِلَافِهِ فَمِثْلُ ما أقاسيه يَغْلِبُ مُعَانِيَتِهِ ، ويمتدِّبُه إلى ما يكرهه ، وعُذْرُه لا تُنَحِّ .

٥٣٥

وقال آخر:

- ١ - فيا أهل ليلى أكثر الله فيكم من أمثالها حتى تجودوا بها إيا^(١)
 ٢ - فامسّ جنبي الأرض إلا ذكرتها وإلا وجدت ريمها في ثيابها
 بنى الكلام على أن عسيرة والمالكين أمرها إنما ضنوا^(٢) بها لأنها
 معدومة النظير فيهم ، وأقبل يستعطفهم ويدعو لهم بأن يكثر الله أمثالها
 وأشباهها فيهم ، حتى يتركوا المفاسدة ، وتمتثل قلوبهم الجود له بها .

وقوله « فامسّ جنبي الأرض إلا ذكرتها » يريد : ما اضطجعت للمنام
 خالياً بنفسى إلا امتنع النوم فقام ذكرها مقام خيالها ، ثم صيرت من الشوق
 والتعقّب أنصورها معى ، وأجد رانحتها في ثيابي . وهذا المعنى هو مخالف لمعنى
 الأنس بالخيال .

٥٣٦

وقال آخر :

- ١ - تقول العدى لا بآرك الله في العدى قد أقصر عن ليلى ورثت وسائله^(٣)
 ٢ - ولواضبحت ليلى تدب على العصا لكان هوى ليلى حديثاً أوائله
 يروى : « وراثت وسائله » . المراد بالعدي الوشاة المفسدون . وأصل

(١) أشير في هامش ل إلى رواية أخرى في نسخة ، وهي « كثر الله فيكم شيها بلله
 كي تجودوا » .

(٢) في الأصل : « متوا بها » ، صوابه في ل .

(٣) للتبريزي : « يقول » .

البركة الثباتُ مقترنا بالثاء ومنه مَبْرَكُ الإبل ، وبرأكاه القتال . ويقال :
أَقْصَرَ عن الشيء ، إذا كَفَّ عنه وهو يقدر عليه ؛ وقَصَرَ عنه ، إذا عَجَزَ ؛ وقَصَرَ ،
إذا فَرَطَ . يقول : أدعى الوُشاةُ أني قد كَفَفْتُ عن ليلي وزال ولوعى بها ،
وأن سائلي لديها قد أَخْلَقْتُ وتَقَطَّعْتُ ، فلا بَارَكَ اللهُ فيهم فإنهم ادَّعَوْا باطلا ،
واختلفوا إفكاً ، وسُرادهم إفسادُ قلبها على ، وصرفها عن الانطواء على الجليل لي
وفي . ثم ذَكَرَ ما دَلَّ به على بقاءه على العهد ، واستمراره في عمارة الوُدِّ ، وعلى
بُطْلانِ قولهم فيما صَنَّفُوهُ ؛ وبَهْتِهِمْ وتمويههم فيما نَسَبُوهُ إليه ووضعوه ، فقال : لو
شاخْتُ ليلي حتَّى يصير مشيهاً ديباً وهي متوكئة على عُكَّاز ، لكان هواها في
قلبي جديداً أوائله ، شديداً أركانها وقواعده .

٥٣٧

وقال حفص بن عليم^(١) :

- ١ - أَقُولُ لِجِلْمِي لَا تَزْعُغْنِي عَنِ الصَّبَا وَلِلشَّيْبِ لَا تَذْعُرْ عَلَيَّ الْفَوَانِيَا^(٢)
 - ٢ - طَلَبْتُ الْهُوَى الْقَوْرِيَّ حَتَّى بَلَغْتُهُ وَسَيَّرْتُ فِي نَجْدِيَّةٍ مَا كَفَانِيَا
- يصف انهماكه في البطالة ، وتماديّه في النّوابة ، والنداذة للصبا واللّهو
والخسارة فقال : أَقُولُ لِجِلْمِي : تباطأ عني ، ولا تعاجلني فتكفني عما أهواه
وقصرت شغلي عليه ؛ وللشيب : تراخ ولا تُبادر فتروّع النساء وتنفر . وهذا
الكلام وإن كان ظاهره تلطفاً وسؤالاً فإنه يجرى مجرى التّمتي في استدماة
ما كان يشتهي ، ويورّع به .

وقوله « طَلَبْتُ الْهُوَى الْقَوْرِيَّ » يريد : تَفَنَّنْتُ فِي الْهُوَى فَانْجَدَ بِي طَوْرًا ،

(١) التبريزي : « حفص العليمي ، من جناب من كلب ، ويقال هم قريش كلاب » .

(٢) سبق التنبيه على ترتيب هذه الحماسية عند التبريزي في ص ١٣٢٢ .

وغار بي طوراً ، إلى أن تناهيتُ ، وبلغتُ أقصى الغايات فوقفتُ . وموضع « ما » من قوله « ما كفانيا » نصبٌ على المصدر من سَيَّرْتُ ، يريد : سَيَّرْتُ في نجديةً سيراً كفانيا . ومعنى سَيَّرْتُ أَكْثَرْتُ السَّيْرَ وَكَرَّرْتُهُ . والقَوَانِي من النساء : اللاتي تَسْتَفِنِي بِجَمَالِهَا عَنِ التَّحَلِّي . وقيل : الفانية : التي تستغني بزَوْجِهَا عن الرِّجَال .

٣ - فياربَّ إن لم تَقْضِها لي فلا تَدَعْ قَدْوَرَ لم واقْبِضْ قَدْوَرَ كما هيا ^(١)
٤ - ويا ليتَ أَنَّ اللهَ إن لم أَلْقِها قَعَى بين كلِّ اثنينِ أَلَّا تَلْقِيَا
البيت الأول دلَّ به على ضيق صدره بحاله ، وشِدَّةِ ضَنْهٍ بصاحبه ، فدعا ربَّه أن يَقْبِضَ قَدْوَرَ إليه إن لم يَقْدِرْ بينهما سُرافأةً والتحاماً ، ويتوقَّفاها بالموت ليَأْمَنَ أن يملكَ أَمْرَها غيره . وهذا يدلُّ على شِدَّةِ غَيْرةٍ فيه ، ومُضَابَقَةٍ للنَّاسِ كَافَّةً في شيء يَتَمَنَّاؤُهُ ثم يَقْصُرُ عنه . فأما قوله « كما هيا » فوضعه من الإعراب نصبٌ على الحال ، وما من قوله « كما » يجوز أن يكون بمعنى الذي ويكون هي خبراً لمبتدأ محذوف ، كأنَّه قال : كالذي هُوَ هِيَ . ويجوز أن يكون ما كَافَّةً الكافِ عن عمل الجرِّ ويكون هي في موضع المبتدأ والخبر محذوف ، والمعنى : اقْبِضْها كما هي عليه .

والبيت الثاني وهو « يا ليتَ أَنَّ اللهَ إن لم أَلْقِها » دلَّ به على حسدٍ شديدٍ منه ، وقِلَّةِ رِضاٍ بمساعدة القدر في شيء يَحْرُمُ المشاركة فيه . وقوله « يا ليت » يريد : يا قوم ليت ، والمنادى محذوف ، والكلام بعده تَمَنِّي في أَلَّا يَحْصُلَ الاجتماعُ بين متحابين إن لم يُرْزَقْ مثله في صديقه . وقوله « أَلَّا تَلْقِيَا » أن فيه تخفةً من التَّعْيِلَةِ ، والمعنى أَنَّهُ لَا تَلْقَانِي لَنَا ، نخبر لا محذوف ، والجملة في موضع خبر

(١) قنور : اسم صاحبه . والقنور من النساء : التي تنتزه عن الاعتذار . وهي أيضاً المنتحمة من الرجال .

أَنَّ ، والضمير للمقدّر ضمير الأمر والشأن ، وخبر أن الله « قَضَى » وقد حصل في الجملة جواب الشرط ، وهو إن لم أَلَاقَهَا ، وخبرُ أَيْتَ .

٥٣٨

وقال آخر :

- ١- وَقَفْتُ لِلَّيْلِ بِالْمَلَا بَعْدَ حَقْبَةٍ بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَتْ الْعَيْنُ تَدَمَعُ^(١)
- ٢- وَأَتَّبَعُ نَائِلِي حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعْتُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُودَعٌ
- ٣- كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقْوُدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرْتُ فَاتَّبَعُ

يقول : وَقَفْتُ مِنْ أَجْلِ لَيْلٍ وَمِنْ أَجْلِ مَنَازِلِهَا بِالْمَلَا ، بعد زمانٍ مُتَمَدٍّ ،
ودهرٍ مُتَّصِلٍ ، فَتَجَدَّدَ لِي مِنَ الْوَجْدِ مَا هَيَّجَ لِي بَكَاءً ، وَطَرَّيَ لِي عُهُودًا^(٢) ،
فَأَنِي أُسِيرُ هَوَاهَا ، وَتَبِيعُ الْبَلَوَى فِيهَا ، فَقَلْبِي مَعَهَا حَيْثُ ظَنَنْتُ وَأَقَامْتُ .
وقوله « وَدَّعْتُ » معناه تَوَدَّعْتُ . ثم قال : « وَمَا النَّاسُ إِلَّا آلِفٌ وَمُودَعٌ » يريد
أَنَّ النَّاسَ مِنْ بَيْنِ آلِفٍ لَهَا لِكَوْنِهِ مَسَافِرًا مَعَهَا وَمُرَاقِقًا لَهَا فِي طَرِيقِهَا ، أَوْ
مُنْصَرِفٍ عَنْهَا بَعْدَ تَوَدِّعِهَا وَتَشْيِيعِهَا ، وَأَنَا عَلَى خِلَافِهِمْ كُلِّهِمْ ، لِأَنِّي مُلَازِمُهَا فِي
كُلِّ حَالٍ .

وقد كَشَفَ عَنْ هَذَا الْغَرَضِ بِمَا بَيَّنَّهُ فِي قَوْلِهِ :

كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقْوُدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرْتُ فَاتَّبَعُ
يريد طاعة قلبه وانقياده لها . وَمِثْلُ « وَدَّعْتُ » و « مُودَعٌ » يُسَمَّى
التَّجْنِيسُ النَاقِصُ .

(١) الملا : موضع بعينه ، كما ذكر ياقوت .

(٢) في الأصل : « مجهودا » ، صوابه في ل .

٥٣٩

وقال وَرَدُ الْجُمْدِيُّ^(١) :

١ - خَلِيلٌ عُوْجًا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لَأَرْضِيَكُمْ قَصْدًا

٢ - وَقُولَا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا وَلَكِنَّا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَدَا^(٢)

يخاطب خليلين له متلفعا لهما ، وسائلا ترويحها على ديار هند وإن لم تكن
مُسامحة لقصدهما ، وأن يبلاغها إذا التقيا معها أنا تعمدا زيارتك طلبا لقضاء
خِمامك ، وتجديدا للعهد بك ، ولم يكن العدول إليك عن ضلال ملك قيادنا ،
وصرفنا عن وجه رشادنا ، ليقع الاعتداد منها بتحريرنا وفعلنا .

٥٤٠

وقال^(٣) :

١ - وما في الخلقِ أشقى من مُحِبِّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَدَاقِ

٢ - تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ حِينٍ تَخَافَةُ فُرْقَةٍ أَوْ لَاشْتِيَاقِ

٣ - فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ

٤ - فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

وفي هذه الأبيات حق القسمة ، وأقام شرط المقسوم على حده المألوف من
التجربة . فيقول : ليس فيمن خلقه الله من البشر أوفى شقاء ، وأعظم بلاء من

(١) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جمعة ، شاعر جاهلي ، وهو الذي قتل شراحيل
ابن الأصمب الحمقي ، في حديث طويل رواه أبو الفرج في الأغاني (٤ : ١٣٣ - ١٣٤) .
وذكر في الأغاني (١٠ : ١٢٢) أن الأبيات للمرقش الأكبر .

(٢) الأغاني « أجازنا . . . جزفا » ، بالزاي فيما .

(٣) التبريزي : « وقال آخر » قال أبو رياش : هي مولدة .

الحُبِّ ، وإن استَعَثَى ذَواقِ الحُبِّ واستَلانَ جَسَدَهُ ، إذ كَفَتْ تَجِدُهُ كُلَّ وَقْتٍ مُتَالِمًا مِنْ حَالِهِ ، ضَجِيرًا بَيْشَهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ إِحْدَى حَالَتَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُجْتَمِعًا مَعَ مَحْبُوبِهِ فَيَخَافُ الْإِفْتِرَاقَ ، أَوْ يَكُونُ بَعِيدًا مِنْهُ فَيَكْدُهُ الْأَشْفِيقُ ، وَلَا حَالَةَ ثَالِثَةً لِلْاجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقِ ، وَهُوَ سَخِينُ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا ، قَلِيلُ التَّوَدُّعِ فِي عَقِبِهِمَا .

وقوله « وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى » جواب الشرط منه في قوله « مَا فِي الْخَلْقِ أَشَقُّ مِنْ مُحِبٍّ » . وقوله « شَوْقًا إِلَيْهِمْ » انتصب على أنه مفعول له وكذلك قوله « خَوْفَ الْفِرَاقِ » و « خِيفَةَ فُرْقَةٍ » . أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ « أَوْ لَا شْفِيقَ » فجعل حرف الجز فيه اللام .

٥٤١

وقال ابن الطَّيْرِيَّة^(١) :

- ١ - عُقْبِيَّةٌ أَمَّا مَلَأَتْ إِزَارَهَا فَدَعَصُ وَأَمَّا خَمَرُهَا فَبَتْنَانٌ
 - ٢ - تَقِيظُ أَكْثَافَ الْحَمَى وَيُظِلُّهَا بِنَمَانٍ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلُ
- الْمَلَأَتْ : الموضع الذي يُدَارُ بِهِ الشَّيْءُ . وَيُقَالُ : لُتُّ عَلَى رَأْسِ الْعَامَةِ لَوْتًا . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

* كَانُوا مَلَاوِيثَ فَاحْتَاجَ الصَّدِيقُ لَهُمْ^(٢) *

(١) هُوَيْزِيدُ بْنُ سُلَيْمَةَ بْنِ صَمْرَةَ بْنِ سُلَيْمَةَ الْخَلِيرِ بْنِ قَشِيرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ هَامِرٍ ، وَالطَّيْرِيَّةُ أُمُّهُ ، وَهِيَ مِنَ الطُّرُقِ ، بِالْفَتْحِ : حَيٌّ مِنَ الْيَمَنِ . قَالَ ابْنُ خُلِكَانَ : « الطَّيْرِيَّةُ بِفَتْحِ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الشَّاءِ الْمَثَانَةِ » ، وَضَبَّاعُهَا صَاحِبُ الْقَامُوسِ بِالْتَّحْرِيكِ . وَكَانَ يُزِيدُ جَمِيلًا وَهَيَّا شَرِيفًا عَظِيمًا ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٦ . وَكَانَ مِنْ شُعْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ مُقَدِّمًا عَنْدهُمْ . الْأَخَافِيُّ (٧ : ١٠٤ - ١١٧) وَابْنُ سَلَامٍ ١٥٠ - ١٥٢ وَابْنُ خُلِكَانَ (٢ : ٣٩٥ - ٣٩٩) وَمُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ (٧ : ٢٩٩ - ٣٠٠) وَالشُّعْرَاءُ ٣٩٢ - ٣٩٣ وَحَوَاشِي الْحَيَوَانِ (٦ : ١٣٧) ، (٢) لَبِيتَ لِأَبِي ذُوَيْبٍ الْهَلْزِي فِي دِيَارِهِ ٤٤ وَاللَّسَانُ (لَوْتُ) . وَهَجَزَهُ :

* فَقَدَ الْبِلَادَ ، إِذَا مَا تَحْمَلُ ، الْمَطَرَا .

أى كانوا الذين يُدارُ بهم ، ويُطاف عليهم ، ويُرجى خيرُهم . والمراد
بالمَلَأَت هاهنا المعْجَز . وشبهها بالدَّعْص ، وهو الرَّمْل المجْتَمِع ، لكثرة اللحم
عليها واكتنازه . والبَقِيل : الهَضِيم الدَّقِيق ، وأصل البَقِيل القَطْع ، ومنه قول
الله تعالى : ﴿ وَتَبَقَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ . وَصَفَ المرأةَ بِالنِّعْمَةِ والنَّعْمَةِ ، ومطَاوَعَةِ
الخَيْرِ لها والسَّعَةِ ، نقول : هى دَقِيقَةُ الخَصْرِ ، قليلة المعْجَز ، وهى فى فصول
سَنَتِهَا تَنْتَقِلُ فى المواضع الطَّيِّبَةِ الْمُخَصَّصَةِ ، لا تُكابد ضيقاً ولا تُعانى جَهْداً .
وَتَقَيِّظُ بالمكان : أقامَ قِيظَه فيه ^(١) . ونَعْمَان : وادى الأراك . وأصل تَقَيِّظُ
تَقَيِّظُ ، خذف إحدى التاءين .

٣- أليسَ قليلاً نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ ، وَكَلَّآ ، لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ
٤- فَيَاخُلَةُ الْفَنَسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا إِنَّا مِنْ أَخِلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ
٥- وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطْعَمْ بِهِ عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ
٦- أَمَامَيْنِ مَكَانٍ أَشْتَكِي غَرَبَةَ النَّوَى وَخَوْفَ الْعِدَى فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ
قوله « أليس » يقرّر به فى الواجب الثابت ، وكذلك أَلَمْ وَالْأ ؛ وذلك
أنَّ حرف الاستفهام يُضَارِعُ حرف النّفى ، ونفى النّفى إيجاب ، فإذا قال القائل :
ألم أحسن إليك ؟ يجب أن يكون قد أحسن ، فتعريفه به فيما قد وقع وثبت .
وفى القرآن : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ . فكأنه قال مُدِلّاً بما يُقاسيه فيها ، ويتحمّله
من أجلها : أليس قليلاً نَظْرَةً مِنْكَ إِذَا حَصَلَتْ لِي . ثم استدرك على نفسه
راجعاً فيما أطلقه ، وناقضاً لما اعتقده ، فقال : « كَلَّا » - وهو حرف رَدْعٍ
ونفى - لا قليل منك . ومثلى هذا قول الآخر :

هَلْ إِلَى نَظْرَةِ إِلَيْكَ سَبِيلُ فَيَرَوَى الظَّامُ وَيُسْقَى الْقَلِيلُ
إِنْ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِنْ يُحِبُّ الْقَلِيلُ

(١) فى النسختين : « فيه » .

ف قوله « القليل » مبتدأ ، و « كثير من يحب » خبره .
 وقوله « فياخلة النفس » في هذا الكلام اعتداد في المعادة بما يتوخاه معها ،
 فيقول : يا صديقة النفس التي تفرّدت بملكها واجتذبتها من أيدي خطاياها
 فغارت بها ، فليس لذا خليل من يضاف المودة من دونها^(١) ، وبما من سترنا حبه
 عن الناس كافة ، صيانة له عن الانتشار والابتذال ، فلم نطع فيه واشياً
 فيفسد ذات بيننا ولا مضرّاً^(٢) ، ولم نأمن عليه دخيله يُزاحمه في حماه فيصير
 موضعه مشتركا ، أما عندك مقام لي فيه إليك سبيل أشتكى غربة النوى ،
 وخوف العدى . فالمنادى له قوله « أما من مقام أشتكى » .

٧ - فدبتك أعدائي كثير وشقتي بعيد وأشيعي لديك قليل
 ٨ - وكنت إذا ما جئت جئت بعلة فأفنيت علاتي فكيف أقول
 ٩ - فما كل يوم لي بأرضك حاجة ولا كل يوم لي إليك رسول^(٣)
 الشقة : بعد مسير أرض إلى أرض بعيدة ، وإنما لم يقل بعيدة ، لأن فعلاً
 كثيراً ما يقع للمؤنث والمذكر على حالة واحدة ، خلا على النسب أو على قول .
 يقول : تفديك نفسي ، في أعدائي بحضرتك وفي الطريق إليك كثرة ، وفي المسير
 بيني وبينك بُعد ومشقة ، وفي التصار لي بحضرتك قلة ، وكنت متى جئتك من
 قبل ، ولم تبلغ الحال منا هذا المبلغ ، أقيم معذرة وأنصب لفعلي علة . وقد
 كثر ذلك مني حتى فنيت المعاذير والعلل ، فلا أدري ماذا أقول ، ومن أين

(١) في الأصل : « من ذريها » ، صوابه في ل .

(٢) التضريب : الإغراء بين القوم .

(٣) بعده عند التبريزي :

صحائف عدي للعتاب طويتها ستُنشر يوماً والعتاب طويل
 فلا تحملي ذنبي وأنت ضميعة فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

أَتَوْصَلُ ، بِأَيِّ شَيْءٍ أُتْبَلِّغُ ، وَعَلَى مَاذَا أُعَوِّلُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْحَاجَاتُ بِأَرْضِكَ لَا تَسْكَدُ تَقَرِّضُ كُلَّ يَوْمٍ فَتُدْكَرُ ، وَالرُّسُلُ لَا تَوْجِدُ فَتَنْقَاطِرُ ، فَإِذَا تَوَمَّلَ حَالِي فَإِنِّي حَبِيسٌ عَلَى الْمَسْكَرَةِ ، أَسِيرُ فِي أَيْدِي النَّوَائِبِ ، ضَيِّقِ الْمَجَالِ وَالشَّأْوِ فِي الزِّيَادَةِ ، مَوْفُورُ الْحِظِّ مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَصَادَةِ ، عَظِيمُ الْمِحْنَةِ فِيهَا اجْتَمَعَ عَلَى مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ ، وَمَوَانِعِ الْقَضَاءِ . وَقَوْلُهُ « فَكَيْفَ أَقُولُ » ، يَرِيدُ : كَيْفَ أَقُولُ مَا أَقُولُهُ ، فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِأَقُولُ أَتَكَلَّمُ ، فَيَسْتَفْنِي عَنِ الْمَفْعُولِ ، كَقَوْلِ الْآخَرِ (١) :

بِحَاجَةٍ نَفْسِي لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُتْبَلِّغُ عُذْرًا وَلِلْمَقَالَةِ تُعْذِرُ
أَيُّ لَمْ تَتَكَلَّمْ فِي جَوَابِهَا .

٥٤٢

وقال آخر :

١ - أَبْعَدَ الَّذِي قَدْ لَجَّ تَتَخَذِينِي عَدُوًّا وَقَدْ جَرَّعْتَنِي السَّمَ مُنْقَعًا
٢ - وَشَفَّنْتَ مَنْ يَبْنِي عَلَيَّ وَلَمْ أَكُنْ لِأَرْجِعَ مَنْ يَبْنِي عَلَيْكَ مُشَفَّعًا
ألف الاستفهام تطلب الفعل ، وإن كان المراد به هنا التفريع (٢) والمعنى :
أَتَتَخَذِينِي عَدُوًّا بَعْدَ مَا لَجَّ مِنَ الْحُبِّ فِيكَ وَالْهَوَى ، وَغَلَبَ مِنْ عِصْيَانِ
الْقَلْبِ وَالْأَسَى ، وَبَعْدَ أَنْ سَقَيْتَنِي جُرْعَ السَّمِ الْمُنْقَعِ ، وَأَذَقْتَنِي سَمَارَةَ الْمُنْعِ
الْجَامِدِ ، فَوَجَدْتَنِي صَابِرًا عَلَى الْأَذَى ، مُنْصَبًّا إِلَيْكَ بِنَوَازِعِ الصَّبَا ، لَا يُخْلَى
وَرَدَّهُ وَإِنْ حُلِّيَ ، وَلَا يَكْدُرُ صَفَاءُ وَدَّهِ وَإِنْ دُوْفِعَ . وَالْمُنْقَعُ : الْمُنْتَبَتُ ، يَقَالُ :
« أَنْقَعْ لَهُ الشَّرَّ حَتَّى يَسَامَ » .

(١) هو عمر بن أبي ربيعة . ديوانه ٢ .

(٢) في الأصل : « هذا التفريع » ، صوابه في ل .

وقوله « وشفت من يبني على » أي رددت الباغي على مُشغفا بما جاء له في معنای وطلبه ، وبقیت أنا لا أقبل نُصح النُصّاح ، ولا أصدّق قول الوُشاة ، ولا أوحى الشفيع عني مُنجحاً ، ولا أضرف الباغي عليك مظفراً .

٣ - فقالت وما حمت برّجع جوابنا بل أنت أبينت الدهر إلا تضرّعه

٤ - فقلت لها ما كنت أول ذي هوى تحمّل خلاً فادحاً فتوجّعا

يقول : أجاقتي بعد أن كانت في صورة من لا يعبا بما يبدأ به فلا يُجيب ، ولا يرق لمن يشكو إليه فيستجيب : بل أنت تأتي إلّا ضراعة وتوجّعاً ، وانحزالا وتألماً . هذا عادتك والمألوف من طرائقك ، فإلى متى هذه الشكوى ، وأنى يكون مني في مقابلة عتبك المُتعب ؟ فقلت في جوابها : ما أنا بيدع في الهوى ، ولست بأول من حُلّ ما لا يطيقه ، أو ثقل عليه ما كلفه فنشكى . والقادح : المُثقل . يقال : دبنّ قادح ، وقد قدّحه الدين . والتضرّع : التّصاغر والتذلل . يقال : رجل ضرع وضارع وقوم ضرع . ويقال : خذه ضارع ، وجنبه ضارع .

٥٤٣

وقال آخر (١) :

١ - أبا القلب إلا أمّ عمرو وحُبها مجوزاً ومن يُحبب مجوزاً يُفند

٢ - كسحق الباني قد تقادم عهده ورقعته ما شئت في العين واليد (٢)

(١) التبريزي : « وهو أبو الأسود الدؤلي » . وهو أبو الأسود ظالم بن عمرو ، الذي يلقب إليه وضع النحو ، شهد مع علي بن أبي طالب صفين ، وولى البصرة لابن عباس ، ومات بها وقد أسن ، سنة ٩٩ في الطامون الجارف . وهو يمد في الشعراء ، والتابعين ، والمحدثين ، والبلغلاء ، والمفاليح ، والنحويين . انظر مصادر ترجمته مسجلة في الجزء الأول من لُباب الرواة بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٣ .

(٢) التبريزي : « كتوب الباني » : وأشار إلى الرواية الأخرى .

انْتَعَبَ «مَجُوزًا» عَلَى الْحَالِ . وَالتَّغْيِيدُ : التَّوْبِيخُ . وَالسَّخَقُ : انْخِلَاقُ
 مِنَ الشَّيْبِ . لَدَى قَدْ انْخَلَقَ وَانْجَرَدَ ، وَأَضَافَهُ إِلَى الْيَمَانِي إِضَافَةَ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ .
 هَذَا إِذَا جَمَلَتِ الْيَمَانِي الْبُرْدَ . وَلَئِكَ أَنْ تَجْمَلَ التَّاجِرَ صَاحِبَ الْبُرْدِ ، فَيَكُونُ
 الْإِضَافَةُ إِلَيْهِ . وَلِلْعَنَى : أَيْ قَلْبِي إِلَّا هَذِهِ الْمَرَأَةَ وَحُبُّهُ لَهَا فِي حَالِ تَعْجِيزِهَا ، وَمَنْ
 صَرَفَ وَدَّهَ إِلَى الْمَجَازِ وَنُحِ ، لَسَكُنَهَا فِي النِّسَاءِ كَخَلَقَ الْبُرْدَ الْيَمَانِي فِي الشَّيْبِ ،
 وَقَدْ قَدَّمَ عَهْدَهُ ، أَيْ مَعْبُودَهُ ^(١) ، وَإِذَا مَسِسْتَهُ أَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهِ وَجَدْتَ رَقْعَتَهُ
 زَائِدَةً عَلَى كُلِّ رَقْعَةٍ دَقَّةً وَمِثَالَةً ، وَمَنْظَرُهُ رَاجِعًا عَلَى كُلِّ مَنْظَرٍ حُسْنًا وَجُودَةً ،
 وَكَذَلِكَ مَنْظَرُ أُمِّ عَمْرٍو وَنَحْتَبَرُهَا . وَقَوْلُهُ «وَحُبُّهَا» أَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ .
 وَقَوْلُهُ «مَا شِئْتُ» يَرِيدُ مَا شِئْتُ ، فَخَذَفَ لِلْفِعْلِ مِنَ الصَّلَةِ تَخْفِيفًا . وَقَوْلُهُ
 «فِي الْعَيْنِ» يَرِيدُ فِي النَّظَرِ . وَ«فِي الْيَدِ» يَرِيدُ عِنْدَ اللَّيْسِ .

٥٤٤

وَقَالَ آخِرُ ^(٢) :

١ — هَجَرْتُكَ أَيَّامًا بِذِي الْغَمْرِ إِنِّي عَلَى هَجَرِ أَيَّامِ بِذِي الْغَمْرِ نَادِمٌ ^(٣)

٢ — وَإِنِّي وَذَلِكَ الْهَجَرُ لَوْ تَعَلَّمِينَهُ كَعَارِزَةٍ عَنْ طِفْلِهَا وَهِيَ رَائِمٌ

الْكَلَامُ اعْتِدَارٌ مِنْ إِيْخْلَالِهِ بِزِيَارَتِهَا ، وَهَجَرَانِهِ لَهَا لِعَارِضِ عَرَضِ بِذِي
 الْغَمْرِ ، ثُمَّ أَظْهَرَ تَعَدُّمَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ مُدَّةَ هَجَرِهِ فِي وَجْدِهِ بِهَا وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهَا
 وَتَشَوُّقِهِ لَهَا ، كَأَمْرِ حِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ طِفْلِهَا ، وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنْهُ بِنَفْسِهَا ، وَرِثْمَانِهَا
 — أَيْ عَظْمَانِهَا — مَتَوَفَّرٌ عَلَيْهِ . قَالَ : وَكَذَلِكَ كَفْتُ فِي انْقِطَاعِي بِالنَّفْسِ ،

(١) وَيُصَحُّ أَنْ يُرَادَ بِالْمَعْدِ الزَّمَانُ .

(٢) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الدَّمِينَةِ ، الْمُرْجَمُ فِي ١٢٢٣ . وَانْظُرْ دِيْوَانَهُ ص ١٩ .

(٣) فِي الدِّيْوَانِ : «أَيَّامٌ» .

وَتَوَفَّرِي بِالْقَلْبِ . شَبَّهَ نَفْسَهُ بِالْعَازِبَةِ ، وَلِلْمَجُورَةِ بِالْعُفْلِ .
فَإِنْ قِيلَ : إِنَّمَا قَالَ : وَإِنِّي وَذَلِكَ الْمَجْرُ ، فَيَقْتَضِي كَلَامُهُ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ
مُتَنَازِلًا لَهُ وَلِلْمَجْرِهِ ؟ قُلْتُ : يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ إِنِّي مَعَ ذَلِكَ الْمَجْرُ ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ :
إِنَّ الرِّجَالَ وَأَعْضَادَهَا ، أَيْ مَقْرُونَانِ ؛ وَإِنَّ النِّسَاءَ وَأَعْمَارَهَا ، أَيْ مَقْرُونَانِ ،
لَأَنَّ الْمُرَادَ مَعَ أَعْضَادِهَا وَمَعَ أَعْمَارِهَا .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْمَجْرِ الْمَجُورَ ، لِأَنَّ الْمَصْدَرُ يَوْصَفُ بِهِ ؛ وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ ذِكْرُ الْمَجْرِ لَمَّا كَانَ مِنْ سَبَبِهَا ، وَالْمُرَادُ تِلْكَ . وَقَوْلُهُ « لَوْ تَعْلِيْقُهُ »
الضَّمِيرُ مِنْهُ يَعُودُ إِلَى الْمَجْرِ ، وَالْمُرَادُ مَا ذَكَرْتُهُ . وَالْعَازِبَةُ : الْبَعِيدَةُ . وَيُقَالُ :
عَزَبَ عَنْهُ عَقْلُهُ . وَالْعَازِبُ أَيْضًا ، السَّكَلُ الْبَعِيدُ الْمَطْلَبُ .

٥٤٥

وقال آخر :

١ - مَا أَخَذْتَ النَّأْيَ الْمُفَرَّقُ بَيْنَنَا سُلُوءًا وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعٍ تَقَالِيًا

٢ - خَلِيلِي إِلَّا تَبَسَّكِي تَالِي أَسْتَعِينُ خَلِيلًا إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَيْكِي لِيَا

٣ - كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقِي وَلَسْكَنْ لَا إِخَالُ تَلَاقِيَا

قَوْلُهُ « مَا أَخَذْتَ النَّأْيَ » يَصِفُ أَنْ الْوَجْدَ الَّذِي بِهِ قَدْ صَارَ غَرَامًا ، فَلَا الْيَمْدَ .
مِنْهَا يُنْجَذُ سُلُوءًا عَنْهَا ، وَلَا الْاجْتِمَاعُ مَعَهَا يُوجِبُ مَلَالًا مِنْهَا ، لَكِنَّهُ فِي الْحَالَتَيْنِ .
جَمِيعًا عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبَيْنِ لَهُ يُخَالَهُمَا فَطَلَبَ
مِنْهُمَا إِسْعَادَهُ فِي الْبُكَاءِ ، وَأَنْهُمَا مَتَى لَمْ يُسَمِّعَا لَهُ بِمَطْلُوبِهِ اسْتِمَاعًا بِغَيْرِهَا ، حَتَّى
إِذَا تَزَفَ دَمْعُهُ بَيْكِي لَهُ نَائِبًا عَنْهُ .

وقوله « كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ » شَبَّهَ الْبَيْنَ إِذَا تَعَقَّبَهُ الْوَاصلةُ أَوْ الْاجْتِمَاعُ

بما لم يكن ، لكنّه زعم أنّه يائسٌ لا يظُنُّ تسهّلَ التّلاقى بينه وبين محبوبه واقعا . وقوله « ولا طول اجتماع » ارتفع بفعلٍ مُضمر ، كأنه قال : أحدث طولُ اجتماع .

وقوله « خليلي إلاّ تبكيالي » تألم وتَشكّر من زمانه ، حين لم يكن له من يساعده في شدّة أو رخاء ، ويتحمل عنه ثِقَلًا في مسرّة أو مَصْرّة .

وقوله « كأن لم يكن » كان هذه هي التّائمه ، والمراد : كأن لم يقعَ بين . وكأنّ مخفّفة من الثّقيلة ، وقَعَ على محذوفٍ ، كأنه قال : كأنّ الأمر والشّان لم يكن بين إذا حصل بعده التّقاء . وقوله « لا إخالُ تلاقيا » المفعول الثّاني محذوف كأنه قال : لا أحسب تلاقيا بعده . وساغَ ذلك لتقدّم ذكره ، فهو في حُكم المفلوظ به .

٥٤٦

وقال جميل^(١)

وقد حاربَ الفخذَ الذين منهم بُنيّة :

١ - تفرّق أهلانا بشينٍ فينهمُ فريقٌ أقامَ واستقلَّ فريقٌ

٢ - فلو كنتُ خوّاراً لقد باخَ ميسمي ولكنني صلبُ القنّاة عتيقُ

٣ - كأن لم نحاربَ يا بُشَيْنَ لو أنّها تَكشَفُ غمّاها وأنّ صديقُ

قوله « أهلانا » أراد شعبيهما . وقال الخليل : أهل الرّجل : أخصّ للناس به . وأهل البيت : سكّانه . وأهل الإسلام : من يدين به . وبُشَيْنَ : ندّاه

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ١٠١ ص ٣١٤ . وانظر بقصة الخلاف بين جميل وقوم بنيّة في الأغاني (٧ : ٨٨) .

مفردٌ صرَّخَ . وقوله فنهـم فـريق أقام ، تفصيل لما أجمـله في تفرّق . وإنـما افـتـرقوا حتّى ارتحل قومٌ وأقام قومٌ للخلاف الواقع كان بينهما .

وقوله « فلو كنتُ خوارًا » تنبيه على كراهيته لما حدّث ، وإظهارُ أنَّ ميـله مع أهل بُنيـنة ، فقال : لو كنتُ ضـميف المـسكّة مُنحَلّ المُقـدّة ، لكان ميسـى وقد بـخ ، أى زالت خـرارته ، وسكـتتُ نـحيته ، بما أقاسيه وأشاهدُه حالاً بعد حال ، من عوارض الدَّهرِ ونوائب الزمان ، ولكنني عتيق النّبع ، صايـب القنـاة . وهذا مثـلُ ضـربه لإيـائه ، وبقائه على طـريقة واحدة في العهد والوفاء . ثم اعـتذر بعد ذلك فقال : « كان لم نحارب يا بُنَيّين » يريدُ أنَّ جميع ما يجرى عليه يخفُّ ويهون إذا بقيت له على ما فارقهـا عليه ، وتعاقدـا له ، حتّى كأنّه لم يقع تجاذبٌ ^(١) بين الحَيَيْن ، ولا تحاربٌ بين الأهلَيْن ، إذا انكشفت ^(٢) الفياضة الحاصلة ، وارتفعت العماية الرّاكدة ، وتلك باقية على المصااة . ويقال : باخت النار بَوْخاً وبُؤوخاً ، إذا حَمَدَتْ . والفُى ، هى الخصلة المظلمة . ولك أن تروى « تكشّف » بالرفع ، يريد تتكشّف ، فحذفت إحدى التاءين استئقلا لاجتماعهما . وإنما عدل عن الإدغام إلى الحذف ؛ لأنّه كان يحتاج عند الإدغام لسكون أوّل الحرفين ، إلى جلب ألفِ الوصل ، وألفِ الوصل لا تدخل على الفعل المضارع . ولك أن تروى « تكشّف » على أن يكون التاء للماضى . وجواب لو فى قوله كان لم نحارب ، والواو من « وأنت » واو الحال . وذكر « صديق » لأنّ المراد ذات صداقة ، ولو قال صديقة لجاز . قال :

إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ بَغِيرَةٌ وَإِذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفٌ ^(٣)

(١) فى الأصل : « تحارب » ، صوابه فى ل .

(٢) ل : « تكشفت » .

(٣) ينهم من جميع الأسمان (سمن) أن البيت لأوس بن حجر ، وليس فى ديوانه فى القصيدة التى على هذا الروى ، وانظر نوادر المخطوطات ١ : ١٥٩ .

٥٤٧

وقال آخر :

- ١ - شَيْبَ أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي وَأُنْشَرْنَ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ
 بقول : أَثَرْتُ أَيَّامُ الْفِرَاقِ فِي فَأَبْدَلْتَنِي بِالشَّابِّ مَشِيئًا ، وَبِالْجِدَّةِ وَالْقُوَّةِ
 خُلُوقًا وَوَهْنًا شَدِيدًا ، وَأَزْجَحْتُ نَفْسِي مِنْ مَقَرِّهَا فَارْتَفَعَتْ مِنْ مَرْكَزِهَا إِلَى
 مَا فَوْقَهَا ، فَالشَّيْبُ وَإِنْ جَاءَ قَبْلَ حِينِهِ يُؤْذِنُنِي بِاقْتِرَابِ اللَّيْلِ ، وَنُشُوزُ النَّفْسِ
 يَبْشُرُنِي ^(١) بِدُنُوءِ الْأَجَلِ . هَذَا إِلَى مَا أَعَانِيهِ مِنْ حَوَادِثِ الْفِرَاقِ ، وَلَوْ أَدْعَى
 الْأَشْفِيَاكُ . وَقَوْلُهُ « فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ » جَعَلَ حَيْثُ اسْمًا وَأَضَافَ فَوْقَ إِلَيْهِ .
 وَحَيْثُ فِي الْأَمْكَنَةِ ^(٢) بِمَنْزِلَةِ حِينَ فِي الْأَزْمَنَةِ . وَلِذَلِكَ احْتِجَاجٌ إِلَى جَلَّتَيْنِ .
 « وَتَكُونُ » : مُسْتَقْبَلُ كَانَ التَّامَّةُ ، وَمَعْنَاهُ يَبْقَى وَيَحْصُلُ . وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا
 تَرَحَّفَ عَنْ مَجْلِسِهِ فَارْتَفَعَ فُوقَ ^(٣) ذَلِكَ : نَشَرَ نُشُورًا ، وَأَنْشَرْتَهُ لِإِنْشَاؤِهِ .
 وَقَوْلُهُ « أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي » بِسْمَى التَّجَنُّيسِ النَّاقِصِ . وَفَرَّقَ الرَّأْسَ وَمَقَرِّهُ وَاحِدًا .
- ٣ - وَقَدْ لَانَ أَيَّامُ اللَّوَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَيْشِ شَيْءٌ بَعْدَهُنَّ يَلِينُ
 ٣ - يَقُولُونَ مَا أَبْلَاكَ وَالْمَالُ غَايِمٌ عَلَيْكَ وَصَاحِي الْجِلْدِ مِنْكَ كَنِينٌ ^(٤)
- ٤ - فَقُلْتُ لَمْ لَا تَعْدُلُونِي وَانظُرُوا إِلَى الْفَارِغِ الْمُقْصُورِ كَيْفَ يَكُونُ
 حَمْدَ أَيَّامِهِ بِاللَّوَى إِذْ كَانَ فِيهِ اجْتِمَاعُ مَعَ الْأَحِبَّةِ ، وَمُسَاعَفَةٌ مِنَ الْقَدَارِ
 وَالْأَقْصِيَةِ . ثُمَّ تَعَقَّبَ بِزُغْمِهِ مَا صَغُبَ مِنْهَا وَخَشَنَ ، لَمَّا حَدَّثَ مِنَ الْبِعَادِ فِيهِ

(١) يبشرون ، من البشر ، بمعنى التبشير ، وهذا على التكميم ، كما في قوله تعالى :
 « فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » . وفي الأصل : « يبشرون » ، وصوابه في ل بهذا الضبط .
 (٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « الأماكن » .
 (٣) هذا ما في ل . وفي الأصل : « فوق » .
 (٤) التبريزي : « غامر لدهك » .

فاستنكر ، فلم يستوفى بعدها شيئاً من الأوقات ، ولا ارتضى حالاً من الأحوال ،
لعمش العيش ، ونكد الفراق .

وقوله : « يقولون ما أهلك والمال غامر » يريد أن الناس مُتَعَجِّبون من شأني
وأمرى ، مستدكرون ما يشاهدون من حؤولي وضمرى ، فيرجعون بالشُّوَالِ على ،
ويقولون : ما الذى بَلَكَ ، وهَزَلَكَ وأنْضَاكَ ، وفى مالِكَ وفُورٌ ، والصَّاحِى من
جلدِكَ بالكسوة مُسْتَوْرٌ ، فلا تَبْدَلْ للحرور اعتراك ، ولا إضافة فى المعاش
تَشَاكَ . قال : فأجبتهم بأن اصر فوا عنى العتبَ والمَلَامَ ، واعتبرُوا حالى بالنظر
إلى البعير الحانِّ إلى وطنٍ ، مع أنه أغلظ ما خلَّقه الله كِبْدًا ، وأثبت على الشدائد
نفساً وجلداً ، كيف بضجٍ ، ولو خلى كيف يهيم على وجهه ويند . واعلموا أن
ما يبلغ به تلك الحالة من النزاع على ما به من المُجْمة والقباوة ، حقيق بأن
يُكْمِدَ مثلى ما تَوَحَّدْتُ به من التَّمْيِيزِ والتَّحْصِيلِ ^(١) ، والفرق بين أحناء
الأُمُور وأحنائها .

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فذَّله إلى الدَّارِ وقد خَلَّتْ من الشُّكَّانِ فقال :
إن شئتَ ألا تَرَى صَبْرًا مُصْطَبِرًا فانظر على أى حالٍ أَصْبَحَ الطَّلُّ ^(٢)

٥٤٨

وقال أبو دهبيل الجمحي ^(٣) :

١- أقول والركب قد مات عمامهم وقد سقى القوم كأس النفس السهر

(١) يقال : توحده الله بمصنعه ، أى عصمه ولم يكله إلى غيره . اللسان (واحد ٤٦٦) .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٢٦ .

(٣) سبقت ترجمته فى الحماسة ٥٢١ ص ١٣١٩ . التبريزى : « وقال أبو محمد
الأصمعي : ليس قوله ياليت أنى بأنواي لأبى دعبيل ، إنما وقع فى ديوانه مع ثلاثة أبيات آخر ،
والصحيح أنها لمحمد بن بشير الخارجي ؛ وهذا البيت لا يكاد يعرف معناه البتة إلا بالآيات التى
تتقدمه ، وهى :

٢ - ياليت أني يأنوابي وراحيتي عَبدُ لأهلكِ هذا الشَّهرَ مؤنَّجَرُ
 أول البيت الثاني ، وهو « ياليت أني يأنوابي » في موضع للفعول لأقول .
 والواو من قوله « والرَّكْبُ » واو الابتداء ، وهو الحال . وقوله « وقد مآلت
 حمائمهم » يريدُ لَفَكِبَةِ النوم عليهم ، ومجاهدة السَّير والسَّرى فيهم ، ومزاوَلَتهم
 الشَّهرَ ، حتَّى كأنَّهم سَقَّام كَثُوس النَّعاس فسَكروا ، والمعنى أنَّ أقول ، على
 معاناة هذه الأحوال : يودِّي أني مُسْتَعْبِدُ لأهلكِ طُول الشَّهرِ الذي نحن فيه ،
 مؤنَّجَرُ بِكُسُوفِي وزادى وراحاتي ، لا أكفهم مؤونة ، ولا أتحلهم سمرزنة ، كل
 ذلك رغبة في التَّقَرُّبُ إليك ، والاستسعاد بخدمة أهلك ، والقوز بالتعريض على
 تحلكِ ومزاحك . وقوله « ياليت » ، للنَّادى محذوف ، كأنه قال : يا قوم
 ياليت أني .

٣ - إن كان ذا قدراً يُعطيكِ نافلةً مِنَّا ويَحْرِمُنا ، ما أنصفَ القَدَرُ
 ٤ - جَنِيَّةٌ أَوْ لَمَّا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبِ بِسَهْمٍ مَالَهُ وَتَرَ^(١)
 جواب الشَّرْطِ في قوله « ما أنصفَ القَدَرُ » على إرادة الفاء . وقوله
 « يعطيكِ نافلةً » في موضع الصِّفَةِ لِقَدَرًا . وأشار بـ « ذا » إلى ما بينه وبين
 محبوبه . والمعنى : إن كان ما يرى بيننا وبشاهد قَدَرًا قَدَّرَهُ اللهُ تعالى ، يُعطيكِ
 منا ما سَتَفَنِمِينَهُ وتستفضليهن ، ثمَّ يَمْعُزُنا مثلَ ذلك منك فلا يُوجِبُهُ لنا ، فما أعطانا
 النِّصْفَةَ في القُضِيَّة ، ولا سار بالسَّيرة المحمودَة^(٢) في الحكومة .

== يا أحسن الناس إلا أن نائلها قدما لمن يرغبى معروفا عمر
 وإنما دلما سحر تصيد به وإنما قلبها المشتكى حجير
 هل تذكرين ولما أنس عهدكم وقد يدوم لهد الخلة الذكر
 قول وركبك قد مالت حمائمهم وقد سقام بكأس النومة السفر
 (١) التبريزي : « بقوس مالها وتر » ، وهذه الرواية أجود .
 (٢) ل : « بالسيرة المحمودة » .

وقوله « جَنَّةٌ » يريدُ أنْ فِعلَها مُبَيِّنٌ لِفعلِ الإنسِ ، وكذلك شَكلُها وحُسْنُها ، فَإِذَا أنْ تَكونُ مِنَ الجِنِّ ، أوْهَا مِنَ الجِنِّ مِنْ يَعلُها اِختِتانَ الفِعلِ ، واِختِبالَ الأَفتَدَةِ فِي الصُّدُورِ . وقوله « بِسَهمٍ مَالِهِ وَتَرُّ » ، يَريدُ سَهمًا لَا يُتَرَّبُهُ الوَتَرُ عَلَى القِيسَى ، بَلْ تَهيئُهُ مُقَلُّ المَؤَيُّونَ ، وَتَوَاطُرَ القُتُونِ ، لِإِصَابَةِ حَبَّاتِ المَقْلُوبِ ، وَاتِّظَامِ غِرَّاتِ النُّفُوسِ .

٥٤٩

وَقَالَ تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرَّسِ^(١)

١ - يَقُولُ أَنَسٌ لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ الذُّفُوسَ يَضِيرُهَا

٢ - أَلَيْسَ بِضِيرُ الْعَيْنِ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءُ وَبُيْنَعٍ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا^(٢)

يَقَالُ : ضَارَهُ يَضِيرُهُ ، فِي مَعْنَى ضَرَّهُ يَضُرُّهُ . وَشَفَّ النُّفُوسَ ، أَيْ آذَاهَا وَأَذَابَهَا . وَالْعَنَى : أَنَّ النَّاسَ يَطَّيِّبُونَ قُلُوبَهُمْ بِوَمُونٍ بِمَحَاجِّمِهِمْ لِي تَسْلُبَنِي ، وَيَقُولُونَ إِنَّ بَعْدَهَا لَا يُورِثُكَ خَبَالًا ، وَلَا يَكْسِبُكَ ضَرَرًا وَوَبَالًا ، بَلْ يُفْقِطُكَ سَلَوَةً ، وَيُبَدِّلُكَ مِنَ النَّاسِ بِالْإِجْتِمَاعِ مَعَهَا تَفَرَّةً ، فَأَثْبِتْ مَا تَقْوَهُ ، وَأَبْطَلْتُ مَا أَلْقَوَهُ^(٣) ، وَقُلْتُ : بَلَى كُلُّ مَا يُذِيبُ النَّفْسَ وَيَهْزِلُهَا ، وَيَسْلُبُهَا الْقَرَارَ وَيُقْلِقُهَا ، فَهُوَ عَائِدٌ بِأَكْلِ الضَّرَرِ عَائِيهَا ، ثُمَّ رَدَدْتُهُمْ إِلَى الشَّاهِدِ مُسْتَدْلًا بِهَا ،

(١) عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « تَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ » ، وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْهَامِشَةِ ٥١٣ ص ١٣١١ . وَأَمَّا تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرَّسِ فَهُوَ تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرَّسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِبَادِ بْنِ مَحْرَثَ بْنِ سَعْدِ بْنِ حَزَامَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَافَةَ بْنِ تَمِيمٍ ، شَاعِرٌ مُحْسِنٌ ، قَتَلَ أَخُوهُ فَبَجَزَعَ عَلَيْهِمَا جَزَعًا شَدِيدًا ، وَكَانَ لَا يَزَالُ يَبْكِيهِمَا ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ الْأَخْفَافُ بْنُ قَيْسٍ أَنْ يَكْفَ ، فَأَبَى ؛ فَسَمَاهُ « الْحَذَّوْتُ » ، وَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُهُ الْفَيْظُ أَوْ الْبُكَاءُ مِنَ الْكَلَامِ . الْمُؤَنَافُ ٦٨ - ٦٩ .

(٢) « تَرَدُّ » هِيَ رَوَايَةُ الْأَصْلِ . وَفِي لِ وَالتَّبْرِيزِيِّ : « أَنْ تَكْثُرَ » ، وَأَشِيرُ فِي هَامِشَةٍ لِي إِلَى أَنَّهَا فِي نَسْخَةِ « تَرَدُّ » .

(٣) هَذَا مَا فِي لِ ؛ وَفِي الْأَصْلِ : « أَلْقَوَهُ » ، وَقَدْ أَشِيرُ إِلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى فِي هَامِشَةٍ لِي .

فقلتُ : أليس العين إذا أديم البكاء بها ، ومُنِعَ النومُ وما يُلْتَذُّ به من مَسَارحِ
الْهَوِ والشُّرُورِ منها ، يضرُّها ذلك ؟ كذلك النَّفْسُ إذا جُمِعَ عليها ما لا تهواه ،
وفُرِّقَ بينها وبين ما تُلْتَذُّه وترضاه .

٥٥٠

وقال ابن أبي دُباكِيلِ الخزاعي^(١) :

١ - يطولُ اليومُ لا أَلْقَاكَ فِيهِ وَحَوْلُ نَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ^(٢)

٢ - وقالوا لا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فَقَاتُ لَصَاحِبِي فَتَى يَضِيرُ^(٣)

يقول : إنَّ السَّنةَ الكاملةَ إذا اتَّصَلَ الالتقاءُ بيننا فيها ، استقصِرُها
وأخِرِصْ على الاستزادةِ منها ، التذاذُ بها وبُعْدُها من اللَّالِ لها ، وإنَّ اليومَ
الواحدَ إذا حِيلَ بيني وبينك فيه أَسْتَطِيلُهُ تَقَالِيَالَهُ ، وتقادياً منه ، وكرَاهِيَةً لامتدادِهِ
وَالنَّاسُ يقولون لي : إنَّ الشَّهْرَ لا يَجْلُبُ عَلَيْكَ ضَرَرًا ، فقلت لصاحبي : فتى
يَضِيرُ إذا ؟ استبعاداً للأجلِ المضروب . ويروى : « لصاحبي فن يَضِيرُ » .
والمعنى : إذا لم يَضُرَّنِي الْفَطْمُ عَمَّا لم أرتوِ منه فن المضرور إذا .

(١) التبريزي : « دباكل علم مرتجل ، وليس منقولاً من جنس » . وفي القاموس :
« وابن أبي دباكل ، بالفهم : شاعر خزاعي » . واسمه سليمان بن أبي دباكل ، كما في الأغانى
(٧ : ١٨ / ٢٩ : ١٩٥) شاعر أموي ، كان معاصراً للأحوص ، وقد صنع قصيدته التي
يقول في أولها :

يا بيت خنساء الذي أُنْجِبَ ذهب الشباب وحبها لا يلهب
فقال الأحوص في عروضا :

يا بيت عاتكة الذي أُنْجِلَ حذر العدى وبه الفؤاد موكل

(٢) ل : « وشهر نلتقي » . التبريزي : « ويوم نلتقي » . وفيه روى التبريزي هذا
البيت بعد تأليه هنا .

(٣) ل والتبريزي : « فن يَضِيرُ » ، وهما روايتان نص عليها في الشرح .

٥٥١

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(١) :

- ١ - شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَامَ الْفُطُورُ^(٢)
 ٢ - تَغْلُفَلْ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُورٌ
 يصف استحكام أنثر الهوى وشدة تسلطه على قلبه وتمسكه من عقله ،
 فيقول : شَقَقْتُ قَلْبِي ، وَجَعَلْتُ هَوَاكَ ذَرُورًا فِيهِ ، فَرَسَخَ فِي جَوَانِبِهِ بَعْدَ أَنْ
 دَبَّ فِي مَسَامِهِ وَمَوَالِجِهِ ، ثُمَّ جَمَعَتْ فُتُوقُهُ حَتَّى التَّامَتْ شَفُوقُهُ ، فَتَوَصَّلَ الْهَوَى
 مِنْهُ إِلَى حَيْثُ أَعْجَزَ كُلُّ سُورٍ وَحُزْنٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْهَوَى مَلَكَ مَجَامِعَ قَلْبِي فَاتَّحَى
 مِنْهُ مَا كَانَ مُحَرِّمًا عَلَى غَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ « إِيْمَ » أَصْلُهُ الْهَمْزُ فَأُبْدِلَ مِنْ هَمْزَتِهِ يَاءٌ
 وَانْكَسَرَ اللَّامُ لَهَا . وَالتَّغْلُفَلْ : التَّوَصَّلَ عَلَى مَقَاسَةِ تَعَبٍ وَشِدَّةٍ . وَلَا يُقَالُ
 لِمَنْ تَوَصَّلَ وَالْمَذْهَبُ سَهْلٌ : تَغْلُفَلْ . وَيُقَالُ : ذَرَّ الشَّيْءُ ، إِذَا فَرَّقَهُ ؛ وَذَرَّ
 الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ . وَقَوْلُهُ « التَّامَ الْفُطُورُ » ، أَرَادَ الْفُطُورَ مِنْهُ ، لِحَذَفِ تَخْفِيفًا ،
 لِأَنَّ الْمُرَادَ مَعْلُومٌ . وَالْفُطْرُ : الشَّقُّ ، وَمِنْهُ تَفَطَّرَ الْوَرَقُ .

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الجذلي التابعي ، وعم أبيه هو عبد الله
 ابن مسعود . كان عالماً ثقة فقيهاً ، كبير الحديث والعلم ، شاعراً . قال ابن عبد البر : كان
 أحد الفقهاء المشرة ثم السبعة الذين يدور عليهم الفتوى ، وكان عالماً فاضلاً مقدماً في الفقه ،
 فقيهاً شاعراً محسناً ، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا فيما علمت فقيه أشعر منه ، ولا شاعر أفقه
 منه ، وكان له زوجة يقال لها « عثمة » فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها ، وله فيها أشعار
 كثيرة ، منها هذا الشعر ؛ وأوله عند ثعلب في مجالسه ٢٨٤ :

تغلفل حب عثمة في فوداي فبأديه مع الخاف يسير

وانظر الأغاني (٩٣ : ٨) ومجموعة المعاني ١٦٢ . وتوفي عبيد الله سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) أنشد الصبريزي بين هذا البيت وتاليه البيت الذي ذكر في الحاشية السابقة ، فهي

هذه ثلاثة أبيات .

٥٥٢

وقال ابن ميادة^(١) :

١- وما أنسَ منَ أشياءَ لا أنسَ قولها وأدُمُّمها يُذَرِّينَ حَشَوَ المَكاكِيلِ
٣- تَمَتَّعَ بِذا اليَومِ القَصرِ فَإِنَّهُ رَمِينُ بَأيامِ الشُّهُورِ الأطاوِلِ

انجزم « أنسَ » بما ، وما موضعه نصب على المفعول من أنسَ . والمعنى :
إن أنسَ شيئاً من الأشياء لا أنسَ قولها . فلا أنسَ انجزمَ على أنه جوابُ الشرط
وقوله « ملَ أشياء » أصله من الأشياء ، وجعل الحذف بدلاً من الإدغام لَمَّا
تعدَّر إتيانه في المتقاربين ، وقد مرَّ مثله^(٢) . مستقصى . وقوله « يُذَرِّينَ » يريد
يُسْقِطُن حَشَوَ المَكاكِيلِ . أراد أنها كغلاء ، فكان الدَّمَع حين ذَرَفَ
حَجَبه الكحل .

وقوله « تَمَتَّعَ بِذا اليَومِ القَصرِ » موضعه من الإعراب نصبٌ على أنه
مفعولٌ من قولها ، أى لا أنسَ قولها ، وقد شافهنا الفِراق من يومِ التوديع
والتَّشْييع وهى تبكى : تَمَتَّعَ بيومِكَ القَصرِ^(٣) لكونه يومَ اجتماع ، فإنه مرَّتَينِ^(٤)
من الشُّهُور الطَّوِيلَةِ ، لكونها أيامَ التَّبَايُن ؛ أى مثل هذا اليَومِ لا يُفَكُّ من
الارتِهان ، ولا يَحْصُلُ إلَّا بعدَ تَقْضَى تلكَ الأيامِ المستطالة .

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٥٣٤ ص ١٣٣٣ .

(٢) ل : « ذكره » .

(٣) ل : « هذا اليَومِ القَصرِ » ، وأشير في هامشها إلى أنها في نسخة : « بيومِكَ القَصرِ » .

(٤) ل : « رَمِين » ، وأشير في هامشها إلى الرواية الأخرى .

وقال محمد بن بشير^(١) :

- ١ - بَيْضَاءُ آيَسُهُ الْحَدِيثُ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جَنَحَ لَيْلٍ مُتَبَرِّدٍ
 ٢ - مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَائِدٍ إِنَّ الْحَسَانَ مِظَنَّةٌ لِلْحُسْنِ
 ٣ - وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرْفِقُ مُقَلَّةً سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِيمَانِ
 وصف المرأة بإشراق اللون . ومعنى « آيسه » ذات أنس ، لأن الحديث
 يُؤْنِسُ وَلَا يَأْنِسُ ، كقولهم : هم ناصِبٌ ، والمراد مُنْصِبٌ . ثم شبهها بقمر
 توسط السماء فيما جَنَحَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ فِيهِ غَيْمٌ وَبَرْدٌ . والقمرُ إِذَا خَرَجَ مِنْ حَلَكِ
 الغمام فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ كَانَ أَضْوَاءً وَأَحْسَنَ . ويجوز أن يكون قوله « لَيْلٍ مُتَبَرِّدٍ »
 يُرَادُ بِهِ لَيْلٌ ذُو بَرْدٍ أَوْ بَرْدٍ ، ويكون من باب أَشْتَمَلْنَا ، أَيْ دَخَلْنَا فِي الشَّمَالِ ،
 وَأَشْتَمَلْنَا ، أَيْ دَخَلْنَا فِي الشَّتَاءِ . وَيُقَالُ : بُرِدَتِ الْأَرْضُ ، إِذَا مُطِرَتِ الْبَرْدَ ،
 فَعِيَ مَبْرُودَةً . وَأَبْرَدْنَا ، أَيْ دَخَلْنَا فِي الْبَرْدِ أَوْ الْبَرْدَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ شَمَلْنَا :
 أَصَابَنَا رِيحُ الشَّمَالِ ، وَأَشْتَمَلْنَا ؛ دَخَلْنَا فِي الشَّمَالِ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُقَالُ أَبْرَدَ
 الْقَوْمُ ، إِذَا صَارُوا فِي وَقْتِ الْقُرِّ فِي آخِرِ النَّهَارِ . وَالْأَبْرَدَانِ : طَرَفَا النَّهَارِ .
 وقال الشاعر^(٢) :

إِذَا الْأَرْضُ تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خُدُودُ جَوَازِي بِالرَّمْلِ عَيْنِ
 يصف بقرة وحشية بأنها تتوسد غصون الأرض التي تلي الغرب بالقداء .

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٢٦٩ ص ٨٠٨ . وعند التبريزي : « وقال آخره » .
 وقد نسب الشعر إلى محمد بن بشير أيضاً في الأغاني (١٤ : ١٤٧ - ١٤٨) ، ونسب
 في الأغاني (٢ : ١١) إلى مجنون ليل .
 (٢) هو الشهاخ بن ضرار . ديوانه ٩٤ والسان (جزأ) .

فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية الشرق ، فتوسّدت النُصُون التي ماتت الشمسُ عنها .

وقوله « موسومةٌ بالحسن » يريد أنه جُمِلَ سِياها الحسن ، فهي ممسوحةٌ به موسومةٌ . وأصل السَّمة العلامة ، ومنه السَّيّا . ومعنى « ذات حواسيد » أى . من براها من الناس يحسدها ، لأن الحسنان مَنَّمٌ للحسد . وهكذا كما يُقال : إنَّ الحسدَ ينبع النَّم .

وقوله « وترى مداً ترققُ مُقْلَةً » فالمدامع مَسَابِل الدَّمع من القبائل في الرأس . ومعنى « ترققُ مُقْلَةً » أى ترققُ الدَّمع في مقْلَةٍ . والرقراق : الدَّمع الذى يترقق في العين ولا يسيل . قال :

* أو الذرَّ رَقْرَاقُهُ لِلْمَحْدِرِ (١) *

والمنى أنها كغلاء ، وأن الدَّمع يتجمّع في مُقْلَةٍ لها مُسْتَفْنِيَةٌ عن سواد الكحل ، لكحلها .

٥٥٤

وقال آخر (٢) :

- ١- صَفْرَاهُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا تَرَكَ الْحَيَاءُ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمٍ .
 - ٢- مِنْ مُخْذِيَاتِ أَخِي الْهَوَى جُرْعَ الْأَسَى بِدَلَالِ غَانِيَةٍ وَهُقْلَةٍ رِيمٍ .
 - ٣- وَقَصِيرَةُ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا لَوْ دَامَ تَجَلُّسُهَا بِفَقْدِ حَمِيمٍ .
- وصفها بأنها دُرِّيَّة اللون ، وأن فيها مَشَابَهَ من بَقَرِ الْجَوَاءِ ، وأنها حَيِّيةٌ

(١) لاسرى القيس في ديوانه ٧ . وصدده :

* فأسبل دمي كفض الجمان *

(٢) هو مجنون ليل قيس بن معاذ . اللسان (ردع) .

قليلة الحركات لنعمتها، قليلة الكلام لقرط حياثها، فكان بها نُكْسٌ سقيم
لما أَلِفَتْهُ من الكسل. وقال الخليل: الرذع والرذاع: النكس؛ ورجلٌ
مردوع. وقيل: الرذاع: الوجع في الجسد. فأما قول الأعشى:

بيضاء ضَخَوَتْهَا وَصَفَرَا ۝ المَشِيَّةُ كَالْعَرَّارَةِ

فجعل لها لونين: بياضاً في أول النهار، وصفرة في آخره حتى لونها لَوْنُ
العَرَّار. وإنما يُريدُ أنها تَقِيلُ فيمتدُّ النَّوْمُ بها إلى آخرِ النهار، والقائم من
نومه أبداً يكون متميز اللون. ومثل قوله «ترك الحياء بها رذاع سقيم»
قول الآخر^(١):

كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًّا تَقْضُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تُكَلِّمُكَ تَبَلَّتْ

وقوله «مِنْ مُحْذِيَاتِ أَخِي الْمَوَى» يريدُ أنها من النساء اللاتي تَسْقِي
الشُّبَّانَ وأربابَ الموى جُرْعَ الأسى، يريد أنها تَفْتِنُهُمْ بحاسنها، ثم لا تُنْيَاهُم
شيئاً، وهى الحَذْيَا والحِدْوَةُ. والأسى: الحزن.

وقوله «بَدَلَالٍ غَانِيَةٍ» تعلق الباء منه بِمُحْذِيَاتٍ. والثانية: التي تَسْتَفِي
بِحِمَاها عن الخُلَى. والريمُ: البُغْيُ الخالص البَيَاض. والذي أنها تفتنه بعينها
وكلامها وغُنَجِها.

وقوله «وَقَصِيرَةِ الْأَيَّامِ» يريد أنها لا تُتِمِّلُ، فالأيام في مُلَازِمَتِها قصيرة،
حتى أَنَّ مُجَالِسَتَهَا يُوَدُّ أَنْ يَدُومَ مَجْلِسُهَا لَهُ وَإِنْ فَقَدَ أَقَارِبَهُ. والقَصْدُ إلى أنها
طَيِّبَةُ الحديث، مؤنِّسَةُ المجلس، مُصَرِّفَةُ الْمُلَازِمِ فِي أَصْنَافِ الْمَلَادِ حتى يَنْسَى
كُلَّ شَيْءٍ غَيْرِهَا، وَيَبْشُرُ جَمِيعَ الْمَنَاطِرِ سِوَاهَا.

وقوله «بِقَدْحِ حِمٍ» الباء فيه يُفِيدُ معنى الْعِوَضِ، فهو كما يقال: هذا لك
بكذا، أى عِوَضاً مِنْهُ.

٥٥٥

وقال آخر :

١- وفارٍ كسخر العود يرفع ضوءها مع الليل هبّات الرياح الصّوارد^(١)
٣- أضدّ بأيدى العيس عن قصد أهلها وقلبي إليها بالمودة قاصد
شبه النار في خمرتها وتضاعدها بسخر العود . والسخر : الرّنة وما تعلق
بالخلقوم . ويقال لمن نزلت به البيطة : انتفخ سخره ؛ كما يقال : عدا طوره .
وأكثر ما يقال ذلك لمن جئن عن شيء . والعود : الجمل المسن ؛ وقد عود ،
أى نيب ، والجميع العودة ، وفي لغة : العيدة . ويستعمل العود في السّودد
القديم ، والطريق المادى .

وقوله « يرفع ضوءها » يريد أن هبّات الرياح الباردة تهيجها ، فكأنها
ترفع من ضوءها في ظلام الليل ومعه . والصّوارد : البوارد ، وهى من صفة
الهبات .

وقوله « أضدّ بأيدى العيس » جواب ربّ .

ويشبه البيت الثانى قول الآخر^(٢) :

يا بيت عاتكة الذى أنزل
حذر العدى وبه الفؤاد موكّل
ومثل البيت الأول قوله :

تنوّزتها من أذرع أهلها بيثرب أدنى دارها نظر عال^(٣)

(١) التبريزى : « ترفع ضوءها » . وانظر الحيوان (٥ : ٦٣) وكتاب الزهرة
للأصفهاني ٢٣٥ .

(٢) هو الأحرص بن محمد الأنصارى . الأغاني (١٨ : ١٧٥ ، ١٩٦) ، وذكر
أبو الفرج أنه عارض بقصيدته قصيدة سليمان بن أبي دياكل وسطا عليها ، ومطلع قصيدة سليمان :
يا بيت خنساء الذى أتجنب ذهب الشباب وجهها لا يذهب

(٣) البيت لامرئ القيس فى ديوانه ٥٦ .

وهذا منهم على التشويق والتحقيق. ألا إنهم كانوا يتعَلَّلون بما كان من نحو
أرض الحبيب .

٥٥٦

وقال الحسين بن مطير^(١) :

- ١ - وكنت أذود العين أن ترد البكاء فقد وردت ما كنت عنه أذودها
 - ٢ - خليلي ما بالعيش عتب لو أننا وجدنا لأيام الحى من يعيدها
- يقول : كنت أصبر النفس فيما ركبها وثقل عايتها من الوجد ، وأحبس
العين مما تروم من البكاء ، فقد عيل الصبر ، وتسلط الحزن ، وغاب البكاء ،
فقد وردت عيني المورد الذى كنت أحلها منه ، وأدفعها عنه .

وقوله « خليلي ما بالعيش عتب » رواه بعضهم : « ما بالعيش عيب » ،
وذكر العتب أحسن هاهنا . والمراد أنه لا معتبة على العيش ، لأن صفاءه بأن
تتصل له أيام كأيام الحى ، فلو وجدنا من يعيد أمثالها فساد فيها قرب للزار ،
ولمكان الوصال ، لطاب وصفا كما كان من قبل فلا ذنب للعيش ، إنما
الذنب لما يكدره ويشحنه بالكاره .

٥٥٧

وقال آخر^(٢) :

- ١ - ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة تسكلى قد أصيب وليدها
- ٢ - هل الله عاف عن ذنوب تسلفت أو الله إن لم ينف عنها معيدها^(٣)

(١) سبق ترجمته فى الحماسة ٣١٩ ص ٩٣٤ .

(٢) كذا فى النسخين . أما التبريزى فقد جعل المقامعين مقطوعة واحدة .

(٣) التبريزى : « أم الله إن لم ينف عنها يعيدها » .

يقول : قَذَيْتَ عَيْنِي بِمَا حَصَلَ مِنْ صُدُودِ الْحَبِيبِ ، فَلَی نَظَرُهُ بَعْدَهُ لِحَاوِي
الْقَلْبِ وَالْجَوْفِ ، كَنَظَرَةِ أُمِّ أُصَيْبَتْ بَوَلِيدِهَا فَتَكَلَّمَتْهُ . ثُمَّ قَالَ مَتَمَّنِّيَا : هَلْ
يَعْفُو اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ لَنَا مِنْ ذُنُوبٍ ، أَوْ يَمِيدُ لَنَا تَسْهِيلَ أَمْنَالِهَا وَالتَّمَكُّينَ مِنْ
اِقْتِرَافِ مُشَابِهَاتِهَا إِنْ ضَاقَ عَفْوُهُ عَنْهَا . وَهَذَا كَلَامٌ مِنْ حَرَجِ صَدْرِهِ بِمُسْتَقْبَلِ
أَمْرِهِ ، وَامْتِلَأَ قَلْبُهُ مِنَ الدَّائِشِ فِي إِثْرِ مُسْتَدْبِرِهِ .

٥٥٨

وَقَالَ سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ ^(١) :

١ - بِأَيُّهَا الْقَلْبُ هَلْ تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ أَوْ يُحَذِّثُنَّ لَكَ طُولُ الدَّهْرِ نِسْيَانًا ^(٢)
٢ - إِنِّي سَأَشْتَرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاوَرُهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأُمَيْتُ السَّرَّ كِتْمَانًا
عَتَبَ عَلَى قَلْبِهِ فِي عَصْيَانِهِ لَهُ ، وَاطَّرَاحَهُ مَوَاعِظَهُ ، وَوَلَّوَعَهُ الْمُسْتَمِرَّ عَلَى
تَطَاوُلِ الدَّهْرِ ، وَتَقَادُّمِ الْأَمْرِ ، وَقَالَ : هَلْ لَبِنَ الْوَعْظُ مِنْكَ أَوْ أَحْدَثَ مَوَاصِلَهُ
الْأَيَّامَ وَاسْتَمَرَّارُهَا نِسْيَانًا لَكَ ، فَتَكْفُفُ عَمَّا يُكْرَهُ مِنْكَ ، أَوْ تَقَبَّلَ بَعْضُ مَا تَدْعَى
إِلَيْهِ مِنْ رُشْدِكَ .

وَقَوْلُهُ « أَوْ يُحَذِّثُنَّ » زَادَ الذُّنُوبَ الْخَفِيفَةَ فِي الْمَعْطُوفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ حَصَلَ فِي
الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ « يَنْهَاكَ » مِثْلُهُ ؛ وَسَاغَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَلْفَوْا زِيَادَةَ إِحْدَى
الثَّوْنَيْنِ فِيمَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَكَأَنَّهُ قَدَّرَ أَنَّ الْأَوَّلَ حَصَلَ فِيهِ الذُّنُوبُ
فَزَادَ فِي الثَّانِيَةِ ، لِتَوْحُّمِ مِثْلِهِ فِي الْأَوَّلَى ، وَاسْتِمْرَارِ الْعَادَةِ بِزِيَادَتِهِ . وَهَذَا كَمَا
عُطِفَ فِي بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

(١) التبريزي : « المضرب » بالراء المشددة المفتوحة ، وقد مضت ترجمته في الهامية

١٨ ص ١٣٠ .

(٢) في نسخة الأصل : « طول الليل » ، صوابه من ل والتبريزي .

فَظَلَ طُهُمَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفٍ شِوَاهُ أَوْ قَدِيرٍ مُمَجَّلٍ
قَوْلُهُ أَوْ قَدِيرٍ مُمَجَّلٍ ، وَهُوَ مَجْرُورٌ ، عَلَى صَفِيفٍ شِوَاهُ وَهُوَ مَنْصُوبٌ ، لِنَيْتِهِ
حَذَفَ التَّنْوِينَ ، وَجَعَلَ الْإِضَافَةَ بَدَلًا مِنْهُ فِي مُنْضِجٍ .

وقوله « إِنِّي سَأَسْتُرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتَرَهُ » ، وَصَفَ نَفْسَهُ بِحُسْنِ التَّمَاثُلِ فِيهَا
بِأَتِيهِ ، وَاسْتِمَالِ الْعَقْلِ فِي سِتْرٍ مَا يَجِبُ إِخْفَاؤُهُ مِنْ حَاجَاتِهِ ، وَضَبَطَهُ لِلسِّرِّ ،
وَقُوَّةَ كِتَابَتِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ السِّرُّ كَالْمَيْتِ الَّذِي لَا أَثَرَ لَهُ . وَيُشِيرُ بِذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى
دَوَامِ وَفَائِهِ ، وَاتِّصَالِ هَذِهِ ، وَكُنْتُمْ مَا يَجْرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَحْبُوبِهِ . وَاتَّصَبَ
« كِتَابًا » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
كَاتِمًا لَهُ .

٣- وَحَاجَةٌ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَحْتُهَا جَعَلْتُهَا لِأَنِّي أَخْفَيْتُ عُقُوبَاتَهَا^(١)
٤- إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ بَيْنَ النَّاسِ عُرْيَانًا^(٢)
يريد : رَبُّ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهَا وَأَظْهَرْتُهَا فِي النَّفْسِ خِلَافُهَا ، لِأَنِّي جَعَلْتُ
لِلظُّهْرِ فِي التَّوَضُّعِ بِهِ إِلَى الضَّمْرِ كَعُقُوبَاتِ الْكِتَابِ الَّذِي يَظْهَرُ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ
الْكِتَابُ مُسْتَوْرٍ . يَصِفُ نَفْسَهُ بِالذَّكَاءِ وَجُودَةِ الْفِطْنَةِ ، وَحُسْنِ التَّنَاقُصِ ،
وَالِاهْتِدَاءِ فِيهَا يَرُومُهُ لِلْحَيْلِ الْعَلِيْفَةِ . وَكُلُّ ذَلِكَ لِثَلَاثَةِ مَوَاقِفَ يُوَجِّهُ إِلَيْهِ
الظُّنُونُ السَّيِّئَةُ ، وَيَجْلِبُ عَلَيْهِ الْقَالَةُ الْمُنْكَرَةُ .

وَالْعُقُوبَاتُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فُعُولًا مِنْ عَنِّ لِي الشَّيْءِ ، إِذَا اعْتَرَضَ ؛ وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ فُعْلَانًا مِنْ عَنَاءٍ كَذَا . وَفِيهِ لَفَاتٌ وَكَلَامٌ طَوِيلٌ أَتَيْتُ عَلَيْهِ
فِي (شَرْحِ الْفَصِيحِ) .

(١) التبريزي : « قد سَنَحْتُهَا » .

(٢) التبريزي : « وسط القوم عريانًا » .

وقوله « إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ » يريدُ : مَنْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْحَيَاءِ ،
وَأَطْرَحَ حِشْمَةَ النَّاسِ ، رَعَرَعَ الْأَمَانَةَ لِلضَّيَاعِ ، وَالْمُرُوءَةَ لِلزَّوَالِ ، فَعُكِمَتْ
حُكْمٌ مَنْ أَظْهَرَ عَوْرَتَهُ ، وَهَتَكَ لِعَائِيهِ سِتْرَهُ ، وَرَضِيَ بِمَا نِيلَ مِنْهُ ، وَتُخِيفَ
مَنْ عَرَضَهُ وَدِينَهُ .

٥٥٩

وقال آخر^(١) :

١ - أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةً عَلَى وَاسِكِنْ مِلْهُ عَيْنٍ حَبِيْبُهَا
٢ - وَمَاهَجَرَكَ النَّفْسُ أَنْكَ عِنْدَهَا قَالِيلٌ وَاسِكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيْبُهَا
اتَّصَبَ « إِجْلَالًا » لَأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، جَعَلَهُ عِلَّةً فِي تَهْنِئَتِهِ لَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، فَيَقُولُ : أَحَشَشْتُكَ بِظَهْرِ الْعَيْبِ ، وَأَخَافُكَ لَيْسَ لِاقْتِدَارِ
سُلْطَانِي مِنْكَ عَلَى ، وَامْتِلَاكِ لَضَرْئِي وَنَفْعِي فِي يَدَيْكَ ، وَلَكِنْ رَفْعًا مِنْكَ ،
وَإِكْبَارًا لِقُدْرِكَ ، وَلِأَنَّ الْعَيْنَ تَمْتَلِي * مِمَّنْ تَحْبُوهُ اسْتِكْبَارًا . وَاسْتِعْظَامًا ، لَأَنَّهُ يَحْمَدُهَا .
وَالضَّمِيرُ مِنْ « حَبِيْبُهَا » لِلْعَيْنِ ، وَإِنْ جَمَلَتْهَا لِلرَّأَةِ ، أَيْ مَا تَحْبُوهُ وَتَرْضَاهُ يَمْلَأُ
الْعَيْنَ ، جَاز . وَالْمِلْهُ : الْقَدْرُ الَّذِي يَمْتَلِي * مِنْهُ الشَّيْءُ ؛ وَاللَّلْهُ ، بَفَتْحِ الْمِيمِ :
مَصْدَرٌ مَلَأْتُ .

وقوله « وَمَاهَجَرَكَ النَّفْسُ » يريدُ أَنْ الْإِخْلَالَ بِالزِّيَارَةِ ؛ وَالتَّأَخَّرَ عَنْ
إِقَامَةِ الْعَادَةِ لَيْسَ لَزْمُهُ وَلَا لاسْتِقْلَالُ الْحَالِ ، وَإِزْرَاهُ بِالْحَقِّ ، وَلَكِنْ قَلَّ حَظِّي
مِنْكَ ، وَدَامَ إِعْرَاضُكَ عَنِّي ، فَرُمْتُ رِضَاكَ فِي الْبُعْدِ عَنْكَ ، وَتَرَكَ التَّنَاقُلَ عَلَيْكَ
وقوله « مِلْهُ عَيْنٍ » جَازُ الْإِبْتِدَاءِ بِهِ وَإِنْ كَانَ نَكِيرَةً لِحَصُولِ الْفَائِدَةِ
فِي تَعْلِيْقِ الْخَبَرِ .

(١) هو نصيب : كما في سمط اللؤلؤ ٤٠١ .

٥٦٠

وقال ابنُ الدُّمِينَةِ (١) :

١- أَلَا لَأَرَى وادِي المِياهِ يُثِيبُ وَلَا النَّفْسَ عَنْ وادِي المِياهِ تَغِيبُ (٢)
 ٢- أَحِبُّ هُبُوطَ الوادِيَيْنِ وَإِنِّي كُشْتَهَرُ بالواديَيْنِ غَرِيبُ
 قوله « يُثِيبُ » أى يَحْمَلُ لى ثواباً ، وَيَقْسِمُ لى لتوفرى عليه رِذءاً ونفعاً .
 ويجوز أن يكون من قولهم : بَثَرْتُها ثاباً ، إذا كان ماؤها ينقطع أحياناً ثم يعود ؛
 فيكون أُنابٌ بمعنى صار لها ثابٌ ، كَأَنَّ الوادى كان اتَّفَقَ فيه مواصلةً بينه وبين
 محبوبه ثم انقطع ، فكان لا يَثُوبُ خَيْرُهُ . وهذا الذى قُلْنَاهُ فى أُنابٍ ذَكَرَهُ
 أبو زيد . ويجوز أن يكون ذِكْرُ الوادى كالـكناية عنها ، فيقول : ليست تَسْلُو
 نَفْسى عن وادى المِياهِ وما يتَّصل به وعن أَحَبَّتِ فيهما ، وأراه لا يُوجِبُ لى مثل
 ما أوجِبُهُ ، ولا يَرْضِخُ لى جَزاءً على ما آتَمَلُهُ ، وأنا أَحِبُّ النُّزولَ بالواديَيْنِ
 والانتعاشَ بزيارتِهما ، لكننى مُشْتَهَرُ بهما غريبٌ لا ناصِرَ لى فيهما ، فأحتاجُ
 أن أحاذِرَ الرُّقْباءَ خوفاً على نفسى ، وتَفادياً بما يُلْحَقُ صاحِبى من المكروه
 والإعناتِ بسببى .

٣- أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وادِياً ولا صادراً إلّا على رَقِيبُ
 ٤- ولا زائراً فَرْداً ولا فى جِماعَةٍ من الناسِ إلّا قيلَ أنتَ مُرِيبُ
 هذا شَرَحٌ للاشتهار الذى أَجَلَّهُ ، والاعتِراب الذى اشْتَكى منه . وقوله
 « أَحَقُّا » فى موضع الظَّرْفِ ، كأنه قال : أفى حَقٍّ . « وَأَنْ لَسْتُ » أنْ مَخْفَفةٌ
 من الثَّقِيلَةِ ، وموضعه بما بعده موضعُ الابتداء ، وأحَقُّا فى موضع الخبر . وقوله

(١) عبد الله بن الدمينه ، سبقت ترجمته فى الحماصية ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٢) ديوان ابن الدمينه ٧ - ١٤ .

« قَرَدًا » انتَصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ مَادِلٌ عَلَيْهِ « وَلَا زَائِرًا » مِنَ الْفَعْلِ ، خِيقُولُ : أَيْ حَقَّ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَى لَا أَرِدُ الْوَادِيَيْنِ ، يَعْنِي وَادِي الْمِيَاهِ ، وَمَا ذَكَرَهُ فِيهَا بَعْدَ مِنْ ذِكْرِ الْكَثِيبِ الْفَرْدِ ، وَلَا أَصْدُرُ عَنْهُمَا إِلَّا وَعَلَى رَقِيبٍ مُحَافِظٌ ، يَمُدُّ لِحَظَاتِي وَأَنْفَاسِي ، وَيَتَأَمَّلُ قُصُودِي وَإِرَادَاتِي ، وَلَا أَزُورُهُمَا مَنْفَرِدًا وَلَا فِي سَحَابَةٍ إِلَّا وَسُلِّطْتُ عَلَى الثَّهْمِ ، وَنُسِيتُ فِيهَا أَنْعَاطَهُ إِلَى الرَّيِّبِ ، حَتَّى ضَاقَ عَلَى الْحَالِ ، وَأَظْلَمَ لِي الْمَسْرَحُ وَالْمَطَافُ .

وقوله « إِلَّا قِيلَ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ لَا أَزُورُهُمَا إِلَّا مَقُولًا فِيهِ ذَلِكَ .
وموضع « أَنْتَ سَرِيبٌ » الْجُمْلَةُ رَفَعَتْ عَلَى أَنَّهُ قَامَ مَقَامَ فَاعِلٍ قِيلَ .

٥ - وَهَلْ رِيْبَةٌ فِي أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ إِلَى إِلْفِهَا أَوْ أَنْ يَحِنَّ نَجِيبٌ
٦ - وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْجَمَى إِلَى وَإِنْ لَمْ آتِهِ لِحَبِيبٌ
قوله « هَلْ رِيْبَةٌ » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ النِّفْيُ ، فَيَقُولُ : لَا رِيْبَةٌ فِي حَنِينِ أَحَدِ التَّائَلِّفَيْنِ الْكَرِيمِيَّ التَّهْدِيَّ إِلَى الْآخِرِ ، وَلَا اسْتِنْكَارَ فِيهَا تَطْلُوعِي عَلَيْهِ النَّفْسِ مِنَ الْهَوَى وَالْوَدِّ ، وَلَا مُحَاسَبَةَ فِيهَا يَوْجِبُ الْمُتَحَابَّانِ وَبُؤْثَرَانِهِ مِنَ الْمَصَافَاةِ عَلَى الْبَعْدِ ، وَإِنَّ مَوْضِعَ الْحَبِيبِ مِنْ جَانِبِ الْجَمَى قَلْبِي مُوَكَّلٌ بِهِ وَإِنْ لَمْ أَزُرْهُ ، إِذْ كَانَ مُجَانِبَتِي إِيَّاهُ ، وَتَأَخَّرَ عَنْهُ ، لِإِبْقَائِي عَلَى الْحَالِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَحْتَشُمُهُ ، وَلَا يَبْشَارِي صَيَانَتَهُ مِنْ تَحْدُثِ الْوُشَاةِ فِيهِ ، لَا لَغَيْرِهِ .

٧ - لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمُنِّي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبٌ^(١)
٨ - فَلَا تَتْرُكِي نَفْسِي شَعَامًا فَإِنَّهَا مِنْ الْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذَوُّبٌ
٩ - وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَى بَظْهِرِ الْقَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) بَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ :

وَأَخِذْ مَا أَعْطَيْتِ عَفْوَاً وَإِنِّي لَأَزُورُ عَمَّا تَكْرِهِينَ هَيَّوْبُ

قوله « لَكَ اللهُ » يجوز أن يكون دعاء لها، والمعنى : إحسان الله لك ، وحفظه مستعملٌ عليك . ويجوز أن يكون قَسَمًا ، كما يقال أُعْطِيكَ اللهُ ، وجوابه إني واصلٌ . وكأنه أقسم لها أو دَعَا لها بأنه يَبْقَى على العهد لها مُدَّةَ دوام مواسلتها وبقائها على المصافاة والإيثار له ، وأنه يوجبُ من إعظامها والثناء عليها ، ومكافأتها بالحسنى فيما تُسدى إليه وتُولى ما ينتفى عنه سِمَةُ التقصير والإقصار . وَوَجْهُ الدُّعَاء لها استعطافها وترقيقُ قلبها ، ويكونُ كالتشبيب من السائل .

وقوله « فلا تتركى نفسى شماعا » فالشَّمَاع : المنشر ، وكذلك الشَّعْ وَالْفعل منه شَعَّ . ويقال : تطايرَ القومُ شَمَاعًا ، أى متفرِّقين . فيقول : احفظى نفسى عن الانتشار والزَّوال ، فإنها شارفت الذَّوبَ والسَّيلانَ وَجَدًا بك ، وشافَهَتِ التَّلَفَ والبوار شَوْقًا إليك . ثم قال : وإني مستحي منك على البُعد ، إعظامًا لك ، وتهيبًا منك ، حتى كأنَّ لك رقيقًا معى فى كلِّ حال ، فأتعفَّفُ عن المنكرات ، وأنزَّهه عن ذمِّ المقالات ، فكونى لى على ما توجِّبه صورتى ، وتقتضيه قصتى . ومثل هذا قولُ الآخر ^(١) :

وإني لأستحي فُطَيْمَةً طَاوِيًا خَجِيصًا وأستحي فُطَيْمَةً طَاعِمًا
وإني لأدعجيكِ وألخرقُ بيننا مخافةً أن تلتقى أَخَالِي لائِمًا ^(٢)

٥٦١

وقال آخر :

- ١ - تَحَمَّلْ أَصْحَابِي وَلَمْ يَجِدُوا وَجْدِي وَلِلنَّاسِ أَشْجَانٌ وَلِي شَجَنٌ وَخَدِي
- ٢ - أَحْبَبْتُكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا فَإِنْ أُمْتُ فَوَا كَبِدًا مِّنْ بِحْبُكُم بَعْدِي

(١) هو المرقش الأصغر . المفضليات ٢٤٦ طبعة المعارف الثانية .

(٢) فى المفضليات : « صارما » .

الشَّجَن : الحاجة ، والجميع الأشجان والشجون . قال :

• وَالنَّفْسُ شَقَى شُجُونُهَا ^(١) •

وموضع « وَحْدَى » نصبٌ على المصدر ، وهو موضوعٌ موضع الإيحاد ^(٢) .
يقول : ارتحل أحبابي ولم يَنْلِهم من الوجد ما نالني ، وفي نفوس الناس حاجاتٌ
وقد أوحَدْتُ نفسي بحاجةٍ إيحاداً . ثم أَقْبَلَ على المحبوب مفسِّراً لشَجَنِهِ الذي
تفرَّد به ، فقال : أَحْبَبُّكُمْ مَدَّةَ حَيَاتِي ، وَإِذَا مِتُّ فَوَا كَبَدًا مِنْ بَلَى حَبِّكُمْ
بَعْدِي . وهذا تمثُّلٌ في إثر ما يفوته من الهوى إذا طارق الدنيا . وَيُرْوَى :
« مَنْ ذَا يَحْبُّكُمْ بَعْدِي » .

وقد عيب الشاعر بهذا فقيل : لم يَرْضَ أَنْ جَعَلَ لَهَا مُحِبًّا حَتَّى صَارَ
يَتَحَزَّنُ لَهُ . وقال بعضُ أصحاب المعاني : في هذا ظُلْمٌ للشاعر ، وذلك أَنَّ غِرْضَهُ
فِي التَّمَاثُلهِ مُحِبًّا لَهَا إِشَادَةً ذِكْرَهَا ، وَإِعْلَاءَ قَدْرِهَا ، وَتَشْهِيرُهَا عِنْدَ النَّاسِ حَتَّى
يَصِيرَ لَهَا الْجَأُ عِنْدَ السَّلَاطِينِ . قال : وكثيرٌ من نِسَاءِ الْعَرَبِ طَلَبْنَ التَّشْيِيبَ
مِنَ الشَّعْرَاءِ مَعَ الْعِفَّةِ ، كَعَزَّةَ ، وَلَيْلَى ، وَمَيْيَّةَ . وَلِخَلْفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَقْرَانِهَا مِنْ
الْأَمْرَاءِ مَعَهُنَّ مَحَاوِرَاتٍ .

وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ ^(٣) أَنَّهُ حَبِجٌّ ، فَلَمَّا قَضَى نُسْكَهَ قَالَ
لصاحبِهِ لَهُ : هَلُمَّ نَتَمَّ حَبِجَّنَا ! أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ ذِي الرُّثْمَةِ :

تَمَامُ الْحَبِجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءٍ وَاضِعَةِ اللَّثَامِ

(١) وكذا استشهد بهذه القطعة ابن فارس في المقاييس (شجن) . والبيت بتمامه كما
في اللسان :

ذَكَرْتُكَ حَيْثُ اسْتَأْمَنَ الْوَحْشُ وَالتَّقَتِ رَفَاقَ بِهِ وَالنَّفْسُ شَقَى شُجُونِهَا
(٢) انظر الكلام مل « وحده » و « وحدي » بتفصيل في شرح الأشموني وحاشيته -
الصبيان (باب الحال) .

(٣) هو الضبي ، أو محمد بن الحجاج الأسيدي ، أو الحجاج الأسيدي . الأغاني (١٦) :
١١٩ ، ٢٠ / ١٢٠ : ١٤٠ - ١٤١) .

والطريقة في نُصْرَتِهِ وتحسينِ قولِهِ ما قدَّمْتُهُ .

وأشنع من هذا قول الآخر ^(١) :

أهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمْتُ أَوْ كُلُّ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِي بِهَا بِعْدِي
وقد قيل في هذا أيضاً : إنه لو قال :

• فلا صَلَحَتْ دَعْدٌ لَدَيَّ خُلَّةٌ بِعْدِي •

لكان صواباً ، سالماً مما يهجنه .

٥٦٢

أبو حبة النميري ^(٢) :

١ - رَمَتْهُ أُنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةٍ عَامِرٍ رَقُودُ الصُّحَى فِي مَائِمٍ أَيْ مَائِمٍ ^(٣)

٣ - فَجَاءَ كَخُوطِ الْبَنَانِ لَا مَتَابِعُ وَلَكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمٍ

أُنَاةٌ أصله وَنَاةٌ ، لأنَّه من الوَنَى : الفتور والكسل .

والواو المفتوحة لم تُبدل منها الهمزة إلّا في أحرف قليلة ، وهي «أناة» في

صفة المرأة الثَّقِيلَةِ الناعمة ؛ و «أَحَدٌ» صفةٌ واسماً للعدد ؛ وما جاء في الحديث من

قولهم ^(٤) : «أَيُّ مَالٍ أَدْبَيْتَ زَكَاتَهُ فَقَدْ ذَهَبَتْ أَبْلَتُهُ» ، يُرادُ وبَّالُهُ . وقال

أبو زيد : الأَبْلَةُ في الطعام أصله الوَبْلَةُ . ويقال : «أَجِثُ أَجُومًا» في وَجِثُ .

فهذه الأحرفُ جاءت على ما ترى .

(١) هو الفهر بن تولب ، كما في الأغاني (١٩ : ١٥٩ ، ١٦٠) ، قال أبو الفرج :

« والناس يروون هذا البيت لنصيب ، وهو خطأ » . انظر أيضاً الأغاني (١١ : ١٨) .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسة ٤١٦ ص ١٣١٤ .

(٣) التبريزي : « نؤوم الضحى » .

(٤) هو حديث يحيى بن يعمر ، كما في اللسان (أبل) .

وقوله « رُقود الضحى » وصفها بالثرثرة ، وأنها مكفّية الخدمة ، فهي تنام القيلولة . وهذا كما قال امرؤ القيس :

• نَزُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ (١) •

واللآثم : الذنساء يجمعن في الخير والشر . يقول : نظرت إلى هذا الرجل امرأة طلعت عليه في جملة نساء ، مترفة منعمة سميعة ، تنام عن شؤونها أوقات الضحى ، لأن لها من يكفيها كل ما تهتم له ففتنته ، ثم اقتصر كيف نصبت الحباله له ، ومن أين وقع فيها حتى اصطادته ، فقال : جاء الرجل وكأنه غصن بان لحسن شطاطه وطراءة شابه ، لا متهافت في مشيه وتصرفه ، ولا خفيف طائش في وروده وصدّره ، ولكن بعلامة ذى سكون ، وميسم ذى صلاح وهذو . والتتابع يوصف به الخيران والسكران إذا رعى بنفسه . وتتابع البعير في مشيته ، إذا حرك أواحه حتى كأنه يتفكك . واللآثم أصله من الأثم ، وهو أن تلتقى الخرزتان فتصيرا واحدة . وموضع « كخطوط » نصب على الحال من جاء . وأخطوط : الذنن الناعم لينة . وقوله « لا متتابع » ارتفع لأنه خبر مبتدئ محذوف ، كأنه قال : لا هو متتابع . وقوله « ولكن » استدراك بعد نفي ، أى جاء غير متتابع ولكن بهذه السبب .

٣ — قُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُخْ صَحِيحًا وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِي

٤ — فَأَلَقَتْ فَيَاكَ دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَتَقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ : كَفَّ وَمِعْصَمٍ

٥ — وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَعْتَ فِي فُؤَادِهِ وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السَّحَرُ قُلْنَ لَهُ قُمْ

قوله « سِرًّا » يجوز أن يكون مصدرًا في موضع الأمر ، كأنه قال سارّيه .

مُسَارَّةً ، فوضع السّر موضع المسارة ، ويكون على هذا قوله « لا يرخ » جواب

الأمر الذى دلّ عليه سراً . ويجوز أن يكون سراً مصدراً فى موضع الحال ، ويكون لا يَرُحَ مجزوماً بلا النحر . وجَمَلَ النّهى فى اللفظ للرجل والمرأة هى للنهيّة ، كما يقال : لا أَرَيْنَكَ هنا . والمعنى : لا تكن هناك فأراك ، والمراد : لا تدعّيه يروح صحباً . يقول : قالت النساء المحتفّة بالأناة المذكورة لها : أشيرى إليه فى السرّ إشارة تفتّته ، واعرضى عليه محاسنك ما يُجَبِّلُ قلبه بعد تعرّضه لنا فى سمنته ووقاره حتّى لا يروح عنّا صحباً ، وإن لم تُبَالِغِ فى استغوانه وفتله عن رشاده ، وإهلاكه ، فكونى منه على أوفى بحل . فائتمرت لهنّ وألقت قناعاً وراءه الشّمس ، أى وجهه إشارة كإشراق الشّمس ، فعرضت وجهها ثم سترته فأبدت كنفها ومعضمها - وهو موضع السوار من يدها - أيضاً ، وتكلّمت بكلام كالمُنكرَةِ من نفسها ما اتفقَ عليها ، والمستعجِية المُقدّمة من حالها ، فلما عَلِمَ النّساء أنّها أفرغت فى فؤاده بالكلام ، وفى عينيه بالكفّ والوجه السّحر أى صبت - قلن للشّابّ المتعرّض : قم عنّا فانك ليا نابك^(١) وأنت لا تعلم . والسّحر : إخراجُ الشّئ فى أحسن معارضة حتّى يفتن ، لذلك قيل للرائق المُعجب : هو السّحر الحلال . يقال : سَحَرْتُ الفِضة ، إذا طليتها بالذهب .

إن قيل : أين مفعولُ قالت ؟ قلت : إنّه هنا فى معنى تكلّمت ، فاستغنى عن المفعول ، ومثله قولُ عمر بنِ أبي ربيعة :

• لحاجة نفسٍ لم تُقل فى جوابها^(٢) •

أى لم تتكلّم .

(١) فى النسختين : « فإنك لما بك » . التبريزى : « ويروى : قلن له انعم ، حل القلب أى احزن وتوجد من المشق » .

(٢) معجزة : • فتبلغ طردا والمقالة تعذر •

٦ - قَوْدٌ بِجَدْعِ الْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي الْمُنَاخِ لَهُ نَمٌّ
يقول : انصرفَ عنهم وهو يتمنى أن جدعَ أنفه في وقتٍ ما ثمَّ
بالخروج إليهم ، ويمتعه أصحابه من التعرضِ لهم ، وقالوا له : نَمٌّ في المُنَاخِ
ولا نبرح ، ويجوز أن يكون معناه : ودَّ أن يتركه صحبه ويقولوا له : نَمٌّ في
المُنَاخِ ولا تَتَّبِعْنَا ، وأنَّ أنفه قطع . والباء من قوله « بجَدْع » هو الذي يُفِيدُ
معنى العوض . تقول : هذا بذاك ، أى عوضٌ من ذلك .

وقوله « تنادوا » يجوز أن يكون معناه نجمعوا ، من الندى وهو المجلس ؛
ويجوز أن يكون من النداء ، أى تداعوا وقالوا له ذلك .

٥٦٣

وقال آخر (١) :

١ - نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرَطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
٢ - فَمِيفَايَ طَوْرًا تَفَرَّقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَاغْشَى وَحِيمًا تَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ
يقول : وقفتُ بدارِ الأُحْبَةِ فتوهمتُ آياتها ، ثم عرفتُها فتمثل لي مَنْ كان
بها ، وتطَرَّى ما كان دارِ بيني وبينها ، فاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَايَ مِنَ الدَّمْعِ تَحْسِرًا
وتوجُّعًا ، وبقيتُ إذا نظرتُ إلى الدَّارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ فَلَا أُبَيِّنُ
الآثَارَ ، وإذا انهملتُما بما فيهما عُدْتُ فِي صِحَّةِ الإدْرَاكِ بهما إلى ما كنتُ عليه
من قبل . وقد مرَّ القول في حقيقة النظر .

فأما « تحسران » فيجوز أن يكون من قولهم : حَسَرَ البحرُ ، إذا نَضِبَ

(١) ابن جني في التنبية : « وهو أبو حية » . وهذه النسبة أيضا في اللان ٢٦٥
وأمال المرتضى (٢ : ١٠٣) . ونسبت في زهر الآداب (٤ : ٨٢) إلى الهنون . والبيت
الأول قصة في الأغاني (٤١ : ١٠٣) .

الماء عن ساحله ؛ ويجوز أن يكون من حَسَرْتُ القِنَاع ، ويكون على هذا" مفعوله محذوفًا . والأوّل أحسن . ومن الثانى قولم : امرأةٌ حَسَفَةُ الْحَاوِيسِ ، كما يقال حسنة المَعَارَى . وتلخيص البيت الأوّل : كَأَنِّي مِنْ قَرطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ إِلَى الدَّارِ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ . وَالطَّوْرُ : النَّارَةُ . ويقال : النَّاسُ أَطْوَارٌ ، أى على أحوالٍ شَتَّى .

٥٦٤

وقال آخر^(١) :

١ - فَمَا شَدَّنَا خَرْقَاءَ وَاهِيَةِ الْكَلَى سَقَىٰ بِهِمَا سَاقٍ فَلَمْ يَتَبَلَّلَا^(٢)

٢ - بِأَضْيَعٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا نَوَّهْتِ رَبْعًا أَوْ تَذَكَّرْتِ مَنْزِلًا

الخرقاء : التى لا رِفْقَ لها فى الأعمال ولا بَصِيرَةٍ . وَالشَّنَّةُ ، أراد بها هنا الدَّلَوُ الخَلْقُ ، وهى السَّقَاءُ البالى فى الأصل . ويقال : لِقَطْرَانِ الْمَاءِ مِنَ الشَّنَّةِ - شيئًا بعد شيء : الشَّيْنُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ فى الدَّمْعِ . قال :

* يَا مَنْ لِدَمْعِ دَائِمِ الشَّيْنِ^(٣) *

ولم يَرْضَ بَأَن جَعَلَ الدَّلَوُ خَلْقًا حَتَّى جَعَلَهَا لَامِرَةً لَا تُحَسِّنُ عَمَلًا مِنْ خَرْزٍ وَغَيْرِهِ ، فَكَانَتْ تُصْلِحُهَا ، ثُمَّ جَعَلَ سَقَى الْإِبِلِ بِهَا قَبْلَ تَمَلُّلِهَا وَانْسِدَادِ خَرْزِهَا وَتَقَبُّهَا . فيقول : مَا دَلَّوْا نِ هَذِهِ صَفَتُهَا بِأَشَدِّ إِضَاعَةٍ لِلْمَاءِ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا نَوَّهْتِ دَارَ الْحَبِيبِ وَهِيَ مَاهُولَةٌ ، أَوْ تَذَكَّرْتِ مَنْزِلًا مِنْ مَنْازِلِ سَفَرِهَا وَهِيَ مُنْتَجِعَةٌ .

(١) هو غيلان ذو الرمة كما فى أمالى القالى (١ : ٢٠٨) وزهر الآداب (٤ : ٨٢) واللسان (١٩ : ١١٦) وملحقات ديوان ذى الرمة ٦٧١ . وانظر مجالس ثعلب ٤١٣ .
(٢) التبريزى : « وما شَدَّنَا خَرْقَاءَ وَاهِيَةِ الْكَلَى » . ويروى : « ولما تبَلَّلَا » .
(٣) أنشده فى المقاييس (٣ : ١٧٦) واللسان (شَنْز) .

وقوله « **بَاضِيعَ مِنْ عَيْنَيْكَ** » كان الواجب أن يقول : بأشدَّ إضاعةً للدمع ، فجاء به على حذف الزوائد ، أو على طريقة سيبويه في جواز بناء التعجب مما كان على أقل مما زاد على الثلاثي خاصة .

٥٦٥

وقال أبو الشيبص ^(١) :

— وَقَفَ الْهَوَىٰ بِحَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
٢— أَحَدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٍ حُبًّا لِدِكْرِكَ فَلْيَلْمُنِي اللَّوْمَ .

يقول : حبسني الهوى في الموضع الذي تستقرين فيه فالزمه ولا أفارقه ، فأنا مَعَكِ مقيمة وظاعنة ، لا أعْدِلُ عَنْكَ ولا أميلُ إلى سواك ، ومن لامي فيك أستلذ لومته محبةً لذكرك ، ووجدًا باسمك ، فليستمرَّ اللآثمون في أفوالم ، ولتدُم عِظَاتُهُمْ عَلَى وَإِنْكَارُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَنِيَّ اتِّبَاعًا وَلَا رُجُوعًا ، وَلَا مَلَاً فِي وَلَا قُصُورًا . وقوله « **حُبًّا لِدِكْرِكَ** » انتصب لأنه مفعول له ، وبيان لعلَّة لذته ، بما يجلب على غيره ضجرًا ، وهو اللوم .

ومثل هذا قول الآخر ^(٢) :

* وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي ^(٣) *

يريد ، أنه يستلذ ذكرها .

وقوله « **حيث أنت** » خبر المبتدأ وهو أنت محذوف ، كأنه قال : حيثُ

(١) اسمه محمد بن عبدالله بن رزين . وأصل معنى الشيبص : الردى من القهر . وهو ابن عم دعبيل الشاعر ، كان في زمن الرشيد معاصراً لأبي نواس ، وعمر في آخر عمره . وله مراث في عينيه قبل ذهابها . وبمعه . توفي سنة ١٩٦ . الأغاني (١٥ : ١٠٤ - ١٠٨) ونكت المبيان ٢٥٧ - ٢٥٨ والشعراء ٨٢٠ - ٨٢٥ ومعاهد التنصيص (٢ : ١٤٢) .

(٢) هو ابن هرم الكلابي ، كما سيأتي في المقتوعة ٥٨٨ .

(٣) صدره : * وأستخير الأخبار من نحو أرضها *

أنت واقفة ، لأن « حيث » في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة ، في حاجته إلى جملتين ، والمتأخر والمقدم بمنزلة التأخر والتقدم ، فهما مصدران .

٣- أَشْبَهْتُ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَحِبُّهُمْ إِذْ صَارَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ^(١)

٤- وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي صَاغِرًا مِمَّنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَكْرَمُ^(٢)

يقول : وافقت في مواصلي أعدائي أخذا فيما أكرهه وأنسخطه ، وذهابا عما أحبه وأرضاه ، ولأن حظي منك فيما أرومهُ يماثل حظي من أعدائي فيما أسومهم فأشرب قلبي حبهم ، وانتصب إلى جانبهم الميل معهم لمشابهةك لهم ، ومماثلة فعلا لك لفعالم ، وأذلتني فأذلت نفسي على صغر مني ، اقتداء بك ، ومجانبة للخلاف عليك ، ولأنني لا أرى كرامة من ترين هوانه ، ولا إرضاء من ترين إسخاطه . وانتصب « صاغرا » على الحال من أهنت . وقوله « ممن أكرم » العائد إلى الموصول محذوف ، كأنه قال : ممن أكرمهم . وقوله « حظي منهم » يريد به التشبيه ، كأنه قال : كحظي منهم ، ومنك في موضع الحال ، وكذلك منهم .

٥٦٦

وقال آخر :

- ١- وَلَا غَرَوَ إِلَّا مَا يُخْبِرُ سَالِمٌ بَأَنَّ بَنِي أَسْتَاهِمَا نَذَرُوا دَمِي^(٣)
- ٢- وَمَالِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلَيْهِ سِوَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ يَأْسَرُحُهُ أَسْلَمِي
- ٣- نَعَمْ فَأَسْلَمِي ثُمَّ أَسْلَمِي نُمْتُ أَسْلَمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمِي

(١) ل والتبريزي : « إذ كان حظي » .

(٢) في الأصل : « يا من يهون عليك » ، صوابه من ل والتبريزي . و « ما » في قوله

« ما من » هي النافية .

(٣) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « لا غرو » بالحرم

معنى « لا غَرْوَ » لا عَجَبَ ، وخبر لا محذوف ، كأنه قال : لا غَرْوَ في الدنيا ، أو موجود . وموضع « ما يَحْتَرُّ » رفعٌ على أنه بدل من موضع لا غَرْوَ . وإنما قال « بنى أَسْتَاهِهَا » لأنه يريد أنهم مَحْرُوثُونَ لا مولودون . فيقول متهاقاً^(١) : لا عَجَبَ إلا ما يُحْتَرُّ به سالمٌ ، بأنَّ سَقَاطَهَا والذين لا عَقُولَ لهم فيها ، قالوا : لله علينا سَمَكُ دَمِهِ . ثم قال : هذا اعتقادهم وأقوالهم ؛ ولا جنابة لى عليهم ، ولا ذَنْبٌ مِنِّي أَهْتَدَى إِلَيْهِ فِيهِمْ سِوَى قَوْلِي : يَا سَرْحَةُ أَدَامَ اللهُ لَكَ السَّلَامَةُ — وكان جَعَلَ « سرحة » ، [وهي شجرة^(٢)] ، كناية عن امرأة فيهم — نعمٌ قد قلتُ وأقولُه مكرراً : أسلمى أسلمى . يُفَايِظُهُمْ وَيُنَاكِدُهُمْ بهذا المقال . وقوله « سوى أننى » موضعه من الإعراب استثناء خارج . و« ياسرحة » إذا ضُمَّتْ فالضَّمَّةُ الأصل في استعمال المنادى المفرد للمعرفة ، وإذا فتحت فلاعتيادهم الترخيم في مناداة ما في آخره هاء التثنية ، أنموه ونووا الترخيم فجعلوا حركته حركة المَرْخَمِ منه . وهي الفتحة .

وقوله « نعم » وإن كان في الأصل حرفاً يُوجِبُ به ويُجَابُ في الاستفهام إلخ فقد يُتَوَصَّلُ به إلى بَسْطِ الكلام وصِلَتِهِ . وقوله « ثلاث نحيات » انتصب على المصدر من فعلٍ دلَّ عليه قوله أسلمى ، كأنه قال : أحْيِ ثلاث نحياتٍ ، وإن لم تَرْجِمْ الجواب إلى . والسَّرْحُ من المِضَاءِ ، ويكون دَوَّحَهُ مَخْلَلاً بِحُلِّ النَّاسِ تَحْتَهَا فِي الصَّيْفِ . وقال الفراء : كلُّ شجرةٍ لا شوكَ فيها فهي سَرْحَةٌ ، ذَهَبَ إلى السَّرْحِ ، وهو السَّهْلُ .

وقال ابن هرمة وكنى بها عن امرأة :

سَتَى السَّرْحَةِ الْمَحْلَلِ دُونَ سُوَيْقَةٍ نَجَّاهُ الثَّيَا سَرْمَعِنَّا هُطُولُهَا

(١) التهاق : التضاحك ، والضحك بالسخرية . وفي الأصل : « متهاقاً » تحريف .

(٢) التكلة من ل .

وقد نسمي المرأة « سَرْحَةً » .

٥٦٧

وقال خُلَيْدُ مَوْلَى الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ (١) :

- ١ - أَمَا وَالرَّاقِصَاتُ بِذَاتِ عِرْقٍ وَمَنْ صَلَّى بِنَعْمَانِ الْأَرَاكِ
 - ٢ - لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكَ فِي فُؤَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكِ
 - ٣ - أَرَيْتِ الْأَمْرِيكَ بِضَرْمِ حَبْلِي مُرِيهَمَ فِي أَحْبَبْتِهِمْ بِذَلِكَ (٢)
 - ٤ - فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاصُوكَ فَأَعِصِي مَنْ عَصَاكَ
- أفسمَ بالحجيج وبرواحلهم التي ترقص بهم في السير متوجهين بوادي عرفة وذات عِرْقٍ إلى بيتِ الله عزَّ وجلَّ . وأضافَ نَعْمَانَ إلى الأراكِ لكثرتها بها . وجواب اليمين قوله « لقد أضمرتُ حُبَّكَ » . والمعنى أنه أقسمَ أنَّ وُدَّهُ لها مكتومٌ انطوى عليه قلبه ، وخالصٌ فيها قد أكنَّه ضميره لا يُشارَ كما فيه عدل ، ولا يُجاذِبُها بسببه قَسَمٌ ، وإنما يتحمَّدُ عليها بحِفْظِ السِّرِّار ، وتخليصِ العقيدة ، وشغلِ القلبِ والعقلِ بِمِثَارَةِ الهوى لها . ثم أقبل عليها فقال مخاطبها : أعلتِ الدينَ يُشِيرُونَ عليكِ بِتَطِيعَتِي والتسكُّرِ لي ، وجدَّ الأسبابَ وللواثقِ بِيَدِي وَيَسْئَلُكَ ؟ كَرَّيْ عليهم مستدرجةً لهم ، وعاجمةً تنصِّعَهم ، وأمرِيهَمَ فِي أَحْبَبْتِهِمْ بِمَثَلِ مَا أَمْرُوكِ فِي ، فَإِنْ وَجَدْتِهِمْ سَامِعِينَ لَكَ ، وصائرينَ إلى القَبُولِ منك ، فَخُذِي أَنْتِ أَيْضًا مَا أَخَذْتَهُمْ ، والتزِمِي طَاعَتَهُمْ . وإنْ وَجَدْتِهِمْ مُتَأَيِّينَ عَلَيْكَ مَخَالِفِينَ لَكَ ، فَأَعِصِي مَنْ عَصَاكَ ، ودَعِي الاستِثْنَاءَ إِلَى رَأْيٍ مَنْ لَا يَرَى لَكَ

(١) التبريزي : « مولى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس » .

(٢) ل والتبريزي : « أطلعت الأمريك » .

مثل ما يراه لنفسه . وكان الواجب في قضية سياق الكلام أن يقول : وإن عاصوك فعاصيهم ؛ فعدل عن الإتيان بالضمير إلى ذكر الظاهر ، ليبين فيه ما يشع به عليهم ، وليظهر السبب الموجب للإغراء بهم ، والانصراف عن رأيهم . ولو قال : فاعصيهم لم يبين ذلك فيه .

وقوله « أَرَيْتِ » أصله أَرَأَيْتِ ، حذف الهمزة منه حذفًا كما حذف في بَرَى ، وترى ، ونرى .

٥٦٨

وقال أبو القمقام الأسدي :

— إقرأ على الوشل السلام وقل له كل المشارب مذ هجرت ذميم^(١)

٣— سقيًا لظلك بالعشي وبالضحى وأبرد مائك والمياه حميم

٣— لو كنت أملك منع مائك لم يذق ما في قيلاتك ما حيت لثميم

الوشل هاهنا : ماء معروف في أرض محبوبه . وقال الدربدي : الوشل :

موضع معروف بعينه . والوشل : الماء القليل يترقرق على وجه الأرض . وقال

صاحب العين : الوشل مُحَرَّكٌ : الماء القليل يتحلب من صخرة أو جبل ، يقطر

منه قليلاً قليلاً . والواشل : القاطر ، يقال : جَبَلٌ وَاشِلٌ : يقطر منه الماء .

والشاعر أهدى إليه التحية ، وراسله أن المشارب كلها مذبذومة عنده منذ تحول

هذه وترك وروده . ثم دعا لظله بالشقيا فقال : سقيًا لظلك بالعشي وبالضحى .

والظل يكون للشجرة وغيرها بالغداة ، والقيء بالعشي ، فكان في الواجب أن

(١) ياقوت : « الجوهري : وشل اسم جبل عظيم بناحية تهامة » . وأنشد ياقوت بين

هذا البيت وتاليه :

جبل يزيد على الجبال إذا بدا بين الربائع والجثوم مقبم
تسرى الصبا فتبيت في أكنافه وبيت فيه من الجنوب نسيم

يقول : سَمِيًّا لظَلِّكَ بِالْعَدَاةِ ، وَلَفَيْتِكَ بِالْعَشَى . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ ^(١) :
 فَلَا الظَّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى نَسْتِطِيعُهُ وَلَا النَّيَّءَ مِنْ بَرْدِ الْعَشَى نَذُوقُ ^(٢)
 إِلَّا أَنَّهُ سَمِيَّ النَّيَّءِ ظِلًّا لِنَشَابُهُمَا فِي مَنَظَرِ الْعَيْنِ وَالْغَنَاءِ ^(٣) . فَلَمَّا تَسَاوَيَا
 وَأَجْرَى عَلَيْهِمَا مَعًا لَفْظَةَ الظَّلِّ ، وَكَانَ الْوَاوُ يُفِيدُ الْجَمْعَ مِنْ دُونَ التَّرْتِيبِ — لَمْ
 يُبَيِّنْ أَنْ يَقُولَ بِالْعَشَى وَبِالضُّحَى ، فَيَقْدِّمَ بِالْعَشَى ، وَإِنْ كَانَ الظَّلُّ أَلْيَقَ بِأَنْ
 يَلِيقَ بِالضُّحَى لَوْ جُرِّدَ . وَلَمْ يُشَبِّهْ هَذَا قَوْلَ الْقَائِلِ : فَلَانَ أَشْعَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ،
 لِتَرْكِه فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْمَطُوفِ وَالْمَطُوفِ عَلَيْهِ طَلَبُ الْمَطَابَقَةِ وَالْمُوَافَقَةِ . أَلَا تَرَى
 أَنَّ الْوَجْهَ فِي هَذَا أَنْ يُقَالَ : فَلَانَ أَشْعَرُ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ لِيَصِحَّ لَفْظُ الْأَوَّلِ ،
 وَيُضَافَ أَشْعَرُ إِلَى مَا هُوَ بَعْضُهُ ثُمَّ يَجِيءُ الثَّانِي ؛ وَأَنْ قَوْلَكَ : سَمِيًّا لظَلِّكَ وَقَدْ
 نَوَيْتَ إِجْرَاءَ الظَّلِّ لِلْنَّيَّءِ أَيْضًا صَارَ حَكْمُهُ حَكْمَ اللَّفْظَةِ لِلْوَضْعَةِ لِشَيْئَيْنِ ، فَإِذَا
 كَانَ كَذَلِكَ فَأَيُّهُمَا أَوْلَيْتُهُ مِنَ الْعَشَى وَالضُّحَى فَقَدْ وَقَعَ إِلَى جَنْبِ
 مَا يَطَابِقُهُ وَيُوَافِقُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : لَوْ سُلِّمَ لَكَ مَا نَقُولُهُ وَتَدَّعِيهِ مِنَ الْاسْتِعَارَةِ لَمَّا سَلِمَ الْكَلَامُ الْمُتَنَازِعُ
 مِنْ أَنَّهُ جَاءَ عَلَى غَيْرِ حَدِّهِ ؛ وَذَاكَ أَنَّ الظَّلَّ يَكُونُ فِي الضُّحَى حَقِيقَةً وَفِي الْعَشَى
 تَجَازًا ، وَإِجْرَاءُ الْكَلَامِ عَلَى حَدِّهِ أَنْ يُقَدِّمَ مَا يَكُونُ حَقِيقَةً عَلَى الْجَازِ . قُلْتَ :
 إِنَّ الظَّلَّ فِيهَا حِكَاةُ الْخَلِيلِ ضِدُّ الضَّحَى ، وَيُقَالُ : أَطَاءَ الظِّلُّ وَتَفَيَّأَ . وَفِي الْقُرْآنِ :
 ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ^(٤) ﴾ ، فَهُوَ ظِلٌّ قَبْلَ التَّفَيُّؤِ وَبَعْدَهُ ،

(١) هُوَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ . دِيَوَانُهُ ٤٠ :

(٢) يَرُودُ : « نَسْتِطِيعُهُ » وَ « نَذُوقُ » بِالتَّاءِ فِيهِمَا ، حُلُّ التَّجْرِيدِ . وَقَبْلَهُ :

حَمِي ظِلُّهَا شَكَمُ الْخَلِيقَةِ خَائِفٌ عَلَيْهَا مُعْرَامُ الطَّائِفِينَ شَفُوقُ

(٣) الْأَصْلُ : « الْغَنَاءُ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَالْغَنَاءُ ، بِالْفَتْحِ : الْفَائِدَةُ وَالنَّفْعُ وَالْكَفَايَةُ .

(٤) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ وَابْنُ زَيْدٍ : « تَفَيَّأَ ظِلَالُهُ » ، وَبَاقِي الْقُرَاءَةِ : « يَتَفَيَّأُ » .

بِالْتَّكْسِيرِ ، لِأَنَّهُ تَأْنِيثُهُ مُجَازِي . إِنْجَافُ فَضْلَاهُ الْبُشْرَ . ٢٧٨ فِي سُورَةِ النَّحْلِ .

وإنما نسخته للشمس هو الذي صار به قتيلاً ، وإذا كان كذلك لم يكن من باب ما يكون حقيقة في شيء ، ومجازاً في آخر . وهذا بين .

وقوله « وللياء حميم » فالواو فيه الابتداء ، وهو واو الحال .

وقوله « لو كنت أملك منع مائك » جواب لو « هو قوله « لم يذق » . وهذا الكلام فيه إظهار الضنّة بالماء المذكور ، واستمراره في الحسد إلى كل حدّ معلوم بسببه ، حتّى كان يزعمه يمنع عنه اللثام مدّة حياته ، ويعنى به أربابه فيما أظنه ، لأنهم أعداؤه . والقلاّت : جمع القلّت ، وهى حفرة في الجبل يستنقع فيها ماء المطر .

٥٦٩

وقال ابن اللينة^(١)

وقد كتب بها إلى أمانة^(٢) :

- ١- وأنت التي كلّفتني دلاج الشرى وجون القطا بالجلهتين جشوم
- ٢- وأنت التي قطعت قلبي حزازة وقرّفت قرح القلب وهو كليم^(٣)
- ٣- وأنت التي أخففت قومي فكلهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم^(٤)

قوله « دلاج الشرى » ، فالشرى : سير الليل ، والدلاج : السير في بعض الليل . ويقال : سار دلجة ، أى ساعة من أوّل الليل ، فذلك أضاف الدلاج إلى الشرى ، فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل . والشاعر يمدّد عليها ما ناله

(١) سبقت ترجمته في الهامية ٤٥٦ ص ١٢٢٣ . والشعر في ديوانه ٣٦ - ٣٧ والحيوان (٣ : ٥٥) والأغانى (١٥ : ١٤٨) ومعاهد التنصيص (١ : ٥٨) .

(٢) هذه العبارة لم يذكرها الجبريزي .

(٣) يروى : « وقرّحت » . و « فهو كليم » .

(٤) الحيوان : « أسنطت قومي » .

حالاً بعد حالٍ من ضروب المشقات والمتآلف فيها ، فيقول : تَحَمَّلْتُ فَيْكَ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَبَلِيَّةٍ ، فَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي الشَّرَّ وَالسَّيْرَ ، وَرَكُوبَ الْخَطَرِ بِاللَّيْلِ وَالطَّيُورُ سَاكِنَةً فِي عِشَّتَيْهَا^(١) لَمْ تَبْرَحِ ، وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ جَوَانِحِي ، وَصَدَعْتَ جَوَانِبَ كِبْدِي حَزَازَةً بِدَوَامِ تَمَثُّمِكَ وَتَشَدُّدِكَ ، وَاتِّصَالَ جَفَانِكَ وَاطِّرَاحِكَ - وَالْحَزَازَةُ : وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ - فَتَكَاتِ الْكَلَمِ مِنْ قَلْبِي قَبْلَ انْدِمَالِهِ ، وَقَشَرَتْ جُلْبَتَهُ عِنْدَ صَلَاحِهِ وَالتَّثَامَةِ ، فَأَرَاهُ أَبَدًا دَائِمِي الظَّاهِرِ فَاسِدَ الْبَاطِنِ ؛ وَأَنْتِ الَّتِي أَغْضَبْتِ عَلَيَّ مَغْشَرِي ، وَأَفْسَدْتَ عَلَيَّ رَهْطِي وَأَعِزَّتِي ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِذَا خُبِرَ وَاسْتُكْشِفَ بِعِيدِ الرِّضَا عَنِّي ، قَرِيبُ الْحِجْرَانِ لِي ، مِمَّتِلِي الصَّدْرَ مِنْ بُمْفَضِي ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ تَجْمُلًا ، وَيُسِيرُ نُكْرَهُ تَصَدُّرًا .

وقوله « جُونُ الْقَطَا » ، جَمْعُ جُونِيَّةٍ . قَالَ :

* جُونِيَّةٌ كَحِصَاةِ الْقَسَمِ *

وَهَذَا كَمَا يَقَالُ عَرَبِيٌّ وَعَرَبٌ ، وَهَذَا الْجَمْعُ كَالْجَمْعِ الَّذِي لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ فِي اللَّفْظِ إِلَّا طَرَحُ الْمَاءِ نَحْوَ تَمْرَةٍ وَتَمَرٍ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَجُنُومٌ : جَمْعُ جَانِمٍ . وَجَرَّمُ الطَّائِرُ ، إِذَا أَلْصَقَ صَدْرَهُ بِالْأَرْضِ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي السَّبْعِ وَغَيْرِهِ ، وَمِنْهُ الْجُنَّانُ لِلْجِسْمِ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْجُنَّانُ الشَّخْصُ ، وَالْجُنَّانُ الْجِسْمُ . وَالْجَلْمَةُ : مَا اسْتَقْبَلَكَ مِنَ الْوَادِي . وَمَعْنَى قَرَفْتِ : قَشَرْتِ وَلَمْ يَكُنْ رَأً . وَيَقَالُ : كَلَّمْتُ غَيْظَهُ ، إِذَا جَرَّعَهُ . وَكَظَمَ الْبَعِيرُ جِرَّتَهُ ، إِذَا ابْتَلَمَهَا . وَالْكَظْمُ^(٢) : مَخْرَجُ النَّفْسِ . وَيَقَالُ لِلْمَحْزُونِ : إِنَّهُ لَمُسْكَطُومٌ وَكَظِيمٌ .

(١) جَمْعُ عَشْرٍ ، وَمِثْلُهُ عَشْرُوشُ وَأَعَشَاشُ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَشَشَهَا » .

(٢) بِالتَّحْرِيكِ ، وَجَمْعُهُ أَكْظَامٌ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ النَّخَعِيِّ : « لَهُ التَّوْبَةُ مَا لَمْ يُوْخِذْ بِكَظْمِهِ » .

فَإِنْ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ ، وَانْقِطَاعِ نَفْسِهِ .

٥٧٠

فأجابه أمانة^(١) :

١- وأنت الذي أخلفتنى ما وعدتني وأشت بي من كان فيك يلوم
 ٢- وأبرزتني للناس ثم تركتني لم غرضا أرحى وأنت سليم
 ٣- فلأن قولاً يكلم الجسم قد بدا بحسين من قول الوشاة كلوم
 أخذت تقابله بمثل الذي ابتدأها ، وتعدد من جفاياته عليها كفاء ما عدده
 وعصب به رأسها ، فقالت : إن ما ارتكبته متى أشفع ، وما سخلته وقتا بعد
 وقت أفلح ، لأنك الذي نكثت عهودي ، ونقضت مواعيدي ، وأشت بي
 كل ناصح فيك ، وصدقت مقال كل لائم بسبك ، فظنوني بك مكذبة ،
 وظنون النصاح واللوام مصدقة ؛ ثم جعلتني مضغة في أفواه الناس ، وأكلة
 لجمهم ، يتملأون بحديثي ، ويتبلمنون عند أعدائي بقصتي ، فقد صيرت
 كافرَض النصبو لكل قدح مبري ، والقلم المقصود لكل مشاء بنعيم ،
 يغترى بي من كان لي سلفا ، ويرق لي من آل لي حربا ، وأنت ساييم من
 المسكاره ، بعيد عن المتاع ، تغرك بحبيبك ما يمشي ، وتتقي جيلة الاكثراث
 ما ينضجني ؛ لأن نار الوشاية اعتمادها بالإحراق في النساء أبلغ منه في الرجال ،
 وعار الشناعة ألصق بجوانبهن منه بجوانب أمثالك ، فلأن كلاما كتم جينما
 لهدت بحسب ندوب ومنافذ وجروح بأنياب الغتابين ، ونبال الرماة المرصدين .
 وقد عدل في هذه الأبيات وفيما تقدمها في صلوات الذي والتي عن الإخبار

(١) التبريزي : « عل وزنها ورويا » . وفي الأغاني « أمانة » ، وأنها اتى قالت هنا
 الشعر في بادئ الأمر ثم أجابها هو بملقطوعة السابقة ، ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عنده .
 والشعر في المراجع المقدمة والبيان (٣ : ٣٧٠) .

إلى الخطاب، وقد مضى الفول في جوازه مشروحاً^(١)، ويبتنا كيف ساغ تَعَرَّى .
الصِّلَة من الضمير العائد إلى الموصول .

٥٧١

وقال المملوط الأسدي^(٢) :

- ١ - إِنْ الظَّمَانِ يَوْمَ حَزْمِ سُوَيْفَةٍ أَبْكَيْنَ عِنْدَ فِرَاقِنِ عُيُونَا^(٣)
 - ٢ - عَيْضُنَ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقُنَّ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا^(٤)
 - ٣ - بَلْ لَوْ يُسَاعِدُنَا الْغَيُورُ بَدَارِهِ يَوْمًا لَقَدْ مَاتَ الْهَوَى وَحَيِّفَ^(٥)
- الظَّمينة : المرأة ، لأنها تظن إذا ظمّن زوجها ، أى تشخص . وقيل :
الظَّمينة : الجمل لذي تركبه ، سُمِّيَتْ به كما قيل للغزاةِ راوية . والحزم : ما غُظَّ
من الأرض . وإنما وصفَ حالهم عند التوديع ووقت الفراق ، فيقول : إنهن
بكين وأبكين ، ويجهدين منهن كففن الدموع ، وخفضن ما علا من الشَّج ،
ثم قلن متحسرات : أى شيء لقيت أنت وقاسيت من أحداث الهوى وأسبابه ،
وقاسينا نحن ، ولو ساعدنا الغيور وداننا بدارِهِ يوماً لقضينا من أوطارنا ما نحيا به
نفوسنا وقلوبنا ، ويموت له كلفنا وهوانا .

(١) انظر ما مضى في ص ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ ، ٦١١ ، ٦٤٢ .

(٢) التبريزي : « المملوط بن بدل السعدي » ، وهو الصواب . والمملوط بن بدل القريني .
ثم السعدي شاعر إسلامي ، كما في اللام ٤٣٤ . ويروى أبو الفرج في الأغاني (١٥ : ٦٥) ،
وابن قتيبة في الشراء ١٢ أن جريراً أسطاع على بيتي المملوط وأدخلهما في شعره . وروى الأول :
إِنْ الذِي غَنَوْا بِلَبْلِكَ غَادَرُوا وَشَلَا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

(٣) التبريزي : « يوم جو سريقة » .

(٤) في الأغاني عن عبد المطلب بن عبد العزيز قال : أنشدت أبا السائب قول جرير هذا .
فقال : يا ابن أخي ، أتدري ما التفيض ؟ قلت : لا . قال : هكذا . وأشار بإصبعه إلى جفنه
كأنه يأخذ الدمع ثم ينفضه .

(٥) التبريزي : « بل يساعفنا » ، و « بدارة » .

وَذِكْرُ مَوْتِ الْمَوَى كَمَا قَالَ الْآخَرُ :
 فَلَمَّا أَلْتَقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْمَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
 وَقَوْلُهُ « غَيْضُنَ » أَيْ قَلْلَنَ . وَيُقَالُ : هَذَا مِنْ ذَاكَ غَيْضٌ مِنْ قَيْضٍ ،
 أَيْ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ . وَالْمَعْنَى مَسَحْنَهُ بِأَصَابِعِهِمْ نَسْتَرًا .
 وَأَخَذَ ذُو الرُّمَّةِ هَذَا فَقَالَ :

وَلَمَّا تَلَفَيْنَا جَرَتْ مِنْ عُيُونِنَا دُوعٌ وَزَعْنَا غَرْبَهَا بِالْأَصَابِعِ
 وَتَلْنَا سِقَاطًا^(١) مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مَمْرُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ
 وَمَعْنَى « يَسَاعِفْنَا الْغَيُورُ بَدَارِهِ » يَقَارِبُنَا بِمَحَلِّهِ . وَالْإِسْعَافُ : قَضَاءُ الْحَاجَةِ
 وَإِدْنَائُهَا . وَلَكَ أَنْ تَجْمَلَ « مَاذَا » بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ وَاحِدٍ ، فَيَنْتَصِبُ بِلَقِيَّتِ : وَلَكَ
 أَنْ تَجْمَلَ ذَا بِمَعْنَى الَّذِي يَكُونُ ضَمِيرُهُ الْعَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ بِمَحْذُوفًا ، كَأَنَّهُ قَالَ :
 لَقِيْتَهُ وَلَقِينَاهُ .

٥٧٢

وَقَالَ جَمِيلٌ^(٢) :

- ١- وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِرْوَى أَنْ يَقُولُوا إِنِّي لَكِ وَامِقٌ^(٣)
 - ٢- نَمَّ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ عَلَيْنَا وَإِنْ لَمْ تَصْفُ مِنْكَ الْخِلَاقُ^(٤)
- مَاذَا فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيُّ حَدِيثٍ عَسَى الْوَاشُونَ يَتَحَدَّثُونَهُ
 سِرْوَى قَوْلُهُمْ : إِنِّي لَكِ نُحِبُّ . فَهُوَ كَقَوْلِكَ : أَيُّ فَرْبٍ عَسَى زَيْدٌ أَنْ يَضْرِبَهُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَتَلْنَا سِقَاطًا » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) صَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ ١٠١ ص ٣١٤ .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « عَاشِقٌ » .

(٤) التَّبْرِيزِيُّ : « أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ » .

وسبيله سبيل المصدر والمضاف إلى المصدر إذا ابتدئ بهما . ولا يجوز أن ينتصب
بمتحدثوا ، لأنه في صلة أن ، فلا يعمل فيما قبل الموصوف ، ولا يجوز أن يكون
ذامنه بمنزلة الذي ، لأن عسى لا يصلح لكونه غير واجب أن يقع صلة له ،
وكذلك أخوات عسى . ألا ترى أن الاستفهام والنفي وأخواتهما لا يقعن
حالات ، إذ كانت الصلات إنما تكون من الجمل الخبرية الواجبة والمعنى أنهم
لا يقدرّون في وشابهم على أكثر من قطع القول بأنني لك محبٌ وعاشق .
ثم أوجب بنعم فقال : قد صدقوا فيما ادّعوا وأنفقوا ، أنت تَكْرُمِين علينا وإن
لم يَمُدَّ علينا منك خير ، ولا صادفنا من إحسانك صفلا ولين . كأنه يُبرئ
ساحتها ، ويرى أن ميله وهواه لا يشينها مع سلامة طريقتها ، واستحكام عقافها .

٥٧٣

وقال آخر :^(١)

- ١ - وإذا عتبت عليّ بثّ كائني بالليل مُختلس الرقادِ سليمُ
- ٢ - ولقد أردت الصبرَ عنك فماتني علقٌ بقلبي من هواك قديمُ
- ٣ - يَبْقَى على حَدَثِ الزمانِ وربِّيهِ وعلى جَفائكِ إنّه لا كَرِيمُ

يقول : البسيرُ من إنكارك ولؤمك بعظم عندي وبصُعب عليّ ، حتى
أبقى له ليلتي ساهرا مؤرقا ، وسادما قلقا ، كأنني لَدَيْغُ حَيَّةٍ ، أو مُسْلَمٌ إِمَارِضٍ
علة . ولقد رُمْتُ الدسليّ عنك ، والتصبرُ منك ، فدفعني عن المراد ما علق بقلبي
من هواك قديما وملأك قيادي لك ، حتى لا أجدُ دونك منصرفا ومحيا . ثم
وصف العلق اللازم له ، والحبّ الغالب عليه فقال : إنه يبقَى على تنغير الزمان ،

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : هي لابن الدمينية » .

وتلوثن الحدّثان ، فلا يَفرِضُ له فتورٌ ولا نكوصٌ ؛ وعلى ما يتجدّد عليه في كل حالٍ من جفاء فيكٍ شديدٍ ، وإعراضٍ أليمٍ ، فلا يُبدِّله قصورٌ ولا نُبوٌّ ؛ إنّ هذا القلقَ لكريمٍ المَجدِّدِ ، مُحْكَمِ القَدْرِ ، ثابت الأساس والبناء ، مقدّم الذِّكر في مُحفِّ الوداد والصفاء .

وهذا الكلام ، أعنى قوله « إنه لكريمٌ » يسمّى الالتفات .

٥٧٤

وقال آخر^(١) :

١ - أليمٌ على دَمِنٍ تقادَمَ عَهْدُها بالجِزَعِ واستَلَبَ الزَّمانُ جَمالَها
٢ - رَمَمٌ لِقائِلَةِ الفَرانِقِ ما بِهِ إِلَّا الوُحوشُ خَلَّتْ له وَخَلَّالَها
٣ - ظَلَّتْ تُسائِلُ بالمتَّيَمِ أَهلَهُ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أَفْعالَها
الإلام : الزَّيَّارة الخفيفة . يُخاطَبُ صاحبًا له ويسأله مساعدته في زيارة دار أحبَّته ، فقال : زرَّ آثارِ دارٍ متقدِّمةٍ التَّهدُّ بسُكَّانِها ، مسلوِّبةٍ الجَمالِ لتأثيرِ ثوابِ الزَّمانِ فيها ، بالجِزَعِ - وهو منعطف الوادى . وروى بعضهم : « جَلَّالَها » ، ويكره هذا لما حكاه الأصمعيُّ من أنه لا يقال أَلْجَلالُ إلا في الله تعالى ، ولأنه وإن جاء في غيره عزَّ وجلَّ فهو قليلٌ في العرف والاستعمال .

وقوله « رسمٌ لِقائِلَةِ الفَرانِقِ » ابتداء كلام ، أى هو رسمُ دارٍ لاسمِها كانت تصيدُ الفَرانِقَ وتَقْتَلُهُم بِالْحُبِّ . والفَرانِقُ : الشابُّ الفاعمُ الحَسَنُ ، بضم

(١) التبريزى : « قال أبو رياش : هو عمرو بن الأيهم ، وقيل الأهم » . وعمرو بن الأيهم بن أفاث التغلبى شاعر نصرانى إسلامى ، ويقال إن اسمه « حمير » . وقيل للأعطل وهو يموت : هل من تخلف قومك ؟ قال هل العميرين . يريد القطاى حمير بن شميم ، وحمير بن الأيهم . اللال ١٨٤ .

الفين ، وجهه الفرائق بفتحها ومثلها المرائع والمراير^(١) ، والجوائق والجوائق .
وقد استبدلت بأهلها وحوشاً فهي خالية لها ، وهي راتعة فيها ، لا تمذل عنها .
وقوله « ظلت تسائل » أى تبقى نهارها تسأل عشيرة العاشق عنه وعن
استهتاره وعلته ، وهي أعرف الناس بأخباره ، إذ كانت للتولية لفنتته وخباله .
والمتميم : المتعبد^(٢) ؛ يقال : تيمم الحب ، أى عبده واستعبده . وقوله « خلت له »
في موضع الصفة للرسم .

٥٧٥

وقال آخر :

١- وما برح الواشون حتى أرتموا بنا وحتى قلوب عن قلوب صوادي
٢- وحتى رأينا أحسن الوصل بيننا مساكنة لا يعرف الشر قارف
قد تقدم القول في « ما برح » وأنه في معنى ما زال . فيقول : لم ينفك
الشعاع عن الوشاية والتقاط الأحاديث للنميمة ، واستدراج الخنططين بنا ،
واستشفاف المتلبثين بأخبارنا وأخبار غيرنا ، حتى فرقوا بيننا ، فأقبلوا يرمي
بعضها^(٣) بعضاً بمصائر أمورنا ، وحتى صدقت القلوب ، قال كل من عسيرتنا إلى
الاستبدال بموضمه ، والانتقال عن جوار صاحبه ، وإلى أن رأينا أحسن المواصل
بيننا ملازمة السكوت ، وأطراح الإيحاء والرؤوس ، توقياً من فرقة تتوجه ،
وتقادياً من تهمة تتسلط . هذا إذا رويت « لا يعرف » بضم الفاء . ويروى
« لا يعرف » بكسر الفاء ، ويكون في موضع الجزم جواباً للأمر الذى يدل
عليه قوله مساكنة ، لأنه في هذا الوجه مصدر في معنى الأمر . والجملة في موضع

(١) المرائع : بضم العين الأولى : السيد ، والجمع عراعر ، بالفتح .

(٢) ل : « المتعبد » .

(٣) هذا ما في ل : وفي الأصل : « بعضنا » تحريف .

النَّصَبُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِقَوْلِهِ رَأَيْنَا . وَالْمَسَاكَةُ لَا تَكُونُ مُوَاصَلَةً تُجْمَلُ بَدَلًا مِنْهَا . وَيَكُونُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْآخِرِ ^(١) :

* نَحْيَةُ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ^(٢) *

وَيَكُونُ الْمَعْنَى : رَأَيْنَا أَحْسَنَ الْمُوَاصَلَةِ بَيْنَنَا تَوَاصِينَا بِأَنْ سَاكِتُوا الْأَحْبَةَ مِمَّنْ يَخْتَلِفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، لَا يَقْرِفُ الشَّرَّ قَارْفُهُ . وَفِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَكُونُ مَسَاكَةً مَفْعُولًا ثَانِيًا . وَالْمَعْنَى سَكُوتًا مِنَ الْجَانِبَيْنِ ، أَيْ كِفَافًا لَا يَقُولُ مِنْهُ قَرَفٌ وَلَا تَهْمَةٌ ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ « لَا يَقْرِفُ الشَّرَّ » تَفْسِيرًا لِلْمَسَاكَةِ ، وَبَيَانًا لِاخْتِيَارِهِمْ لَهَا . وَيُرْوَى « صَوَارِفُ » بِالرَّاءِ ، وَالْمَعْنَى قُلُوبٌ تَصْرِفُ الْوَدَّ بِمَا تَنَاقِيهِ وَتَسْتَعْمَلُهُ عَنِ الْقُلُوبِ الْآخَرِ .

٥٧٦

وقال آخر :

- ١ - فَإِنْ تَرَجَّعَ الْأَيْلَامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا بَذَى الْأَثْلَ صَيْفًا مِثْلَ صَيْفِي وَمَرْبَعِي
 - ٢ - أَشَدُّ بِاعْتِاقِ النَّوَى بَعْدَ هَذِهِ سَمَائِرَ إِنْ جَاذِبَتْهَا لَمْ تَقْطَعْ
- « رَجَعَ » هَذَا مُعْذَى ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى رَدٍّ . يُقَالُ : رَجَعْتُهُ رَجْعًا فَرَجَعَ رُجُوعًا . وَ« صَيْفًا » انْتَصَبَ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ قَوْلِهِ « تَرَجَّعَ » . وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ : صَيْفًا وَمَرْبَعًا مِثْلَ صَيْفِي وَمَرْبَعِي ، أَوْ يَقُولَ : بَذَى الْأَثْلَ صَيْفِي وَمَرْبَعِي ، أَيْ أَيَّامًا كَأَيَّامِهَا ، فَلَمَّا لَمْ يَلْتَبَسِ الْمُرَادُ قَالَ : صَيْفًا مِثْلَ صَيْفِي وَمَرْبَعِي .

(١) هُوَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ . الْخَزَانَةُ (٣٤ : ٥) .

(٢) صَدْرُهُ : * وَخَيْلٌ قَدْ دَلَفَتْ لَهَا بَخِيلٌ *

وقوله «أشدُّ بأعناق النوى» أشد في موضع الجزم، لأنه جواب الشرط .
ولك أن تضمّ الدالّ منه إنباعاً للضمّة الضمة، وأن تكسرهما لالتقاء الساكنين
وأن تفتحها، لأنّ الفتحة أخفُّ الحركات . والمعنى إن ردّت الأيام الدائرة بيني
وبينها ربيعاً مثل مرهبي، وصيفاً مثل مصيفي...إيها، استغفرتُ على النوى بأن
أوثق أواخيها، وأمر حبالها التي أربطها بها، حتى إن جاذبتها فأوثقتك فلم
تقطع . وهذا مثل . والمراد أنني أحكم أسباب التألف والتجتميع بما يؤمن معه
تعمُّب الآراء بالمزايلة والافتراق .

٥٧٧

وقال كلثوم بن صعب^(١) :

- ١ - دَعَا دَاعِيَا بَيْنِ قَمَنٍ كَانَ بَاكِيًا مَيِّ مِنْ فِرَاقِ الْحَيِّ فَيَأْتِي غَدَاً
 - ٢ - فَلَيْتَ غَدَاً يَوْمَ سِوَاهُ وَمَا بَقِيَ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلٌ يُجَدِّسُ النَّاسَ مَرَمَدًا^(٢)
 - ٣ - لَتَبُكِ غَرَانِيقُ الشَّبَابِ فَإِنِّي إِخَالُ غَدَاً مِنْ فُرْقَةِ الْحَيِّ مَوْعِدًا
- كان شغبهما متجاورين في التُّجعة، فلما تفضّى أيامهما وهما بالانصراف إلى
المزالف^(٣) وجوانب القرى، دعا داعي الفراق في كل شعب منهما، وبهشوا
على التمهؤ، لذلك ثنى فقال : دَاعِيَا بَيْنِ . وقوله « فمن كان باكياً »
يريد : فمن آلمه ما أحسَّ به من النوى، وأزعجه ما عزم عليه من شقِّ عصا

(١) قال المرزباني في معجمه ٣٥١ : « ذكره أبو تمام في حماسه ولم ينسبه » . ثم
أنشد هذه الأبيات بهذه الرواية . وضبط « بق » بفتح القاف يشير إلى أنه طاق . ولأبي تمام
ولوع بالاختيار للطائفتين .

(٢) ضبطت « بق » في ل بفتح القاف وكسرهما ، مقرونة بكامة « معاً » ، إشارة
إلى الروايتين .

(٣) المزالف : البلاد التي بين البر والريف .

الموى ، وأراد إسعادى على البسكا . فليحضرنى غداً ، فإنه اليوم الموعود ،
والشاهد المشهود .

وقوله « فليت غداً يومٌ سواه وما بقى » ، يقول : بوذى أن يكون بدّل
يومٍ غير يومٍ آخر غيره ، تفادياً مما يجرى ويحدث ، وليت بدل الليلة الحائلة بيننا
وبين غدٍ ما بقى من الدهر كله ، فحس الناس عن التزائل والافتراق دائماً .
« وما بقى » لغة طيحي ، كأنهم فرّوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة
فأقبلت الياء ألفاً .

وقوله « لتبكِ غرائيق الشباب » فالغرائيق جمع ، واحدها غرائق . وقال
الخليل : يقال : شاب غرائق . وأنشد :

ألا إن تطلاب الصبا منك زلةً وقد فات ريعان الشباب الغرائق^(١)
وقال أيضاً : الدُرُنوق : الشاب الأبيض الجليل ، والجمع غرائيق . ومراد
الشاعر : لتبكِ من استصاح للصبا من الشبان وأرباب الهوى ، [فإن غداً فيما
أظن أو أتقن يومٌ مواعدة الحى بالزوال]^(٢) . وانتصب سرمداً على الظروف ،
ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال : حبساً سرمداً .

٥٧٨

وقال زياد بن حمل^(٣) ، وقيل زياد بن منقذ :

١ — حبذا أنت يا صغءاه من بلدي ولا شعوب هوى مئى ولا قم

(١) رواه الأزهري : « ألا إن تطلاب لمثلك زلة » . السال (غرق) .

(٢) ل : « لتبكِ كل مستصاح للصبا » ، وتبكِ بالناء فيهما .

(٣) التكملة من ل .

(٤) التبريزي . « زياد بن حمل بن سعد بن عبيدة بن حريث » ، وفي اللالي ٧٠ :
« أحد بني العدوية ، وهم من بني تميم » . وقد اضطرب الرواة في نسبة هذه الأبيات وفي نسبة
من تنسب إليه الأبيات أيضاً . انظر حواشي ضبط اللالي والأغاني (٩ : ١٥٤) وزهر
الآداب (٤ : ١٩٥) ومعجم البلدان (أنى ، الأملح ، صغءاه) .

٣ - وَأَنْ أَحِبَّ بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا وَلَا بَلَدًا حَلَّتْ بِهِ قَدُمُ
صنماء : مدينة اليمَن . وشَمُوب ونُقْم : موضعان باليمن . وعَنَسٌ وقَدُم :
حَيَّان من اليمَن . وقوله « لَا حَبْدًا أَنْتِ » ذا أُشِيرَ به إلى لفظة الشيء ، والتقدير :
لا محبوب في الأشياء أَنْتِ يا صنماء من بين البلاد ، وكأَنْتِ استِ بمحبوب
إلى ، فكذلك شَمُوب ونُقْم ليسا بهَوَى مَنى ، أى لا أهواها ولا أحنُّ إليهما .
وقوله « وَلَنْ أَحِبَّ بِلَادًا » يريدُ : ولن أحبُّ أيضًا منازل هذين الحيتين .
كأنَّهُ كره المواضع بأهلها فاجتواها وذمَّها . وقوله « بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا »
ضمَّ إلى لفظة بلادٍ من الصِّفة ما يخصُّها .

وقوله « حَبْدًا » حَبٌ فِقْلٌ ، والأصل فيه حُبٌّ ، وذا أُشِيرَ به إلى الشيء ،
ولذلك وقع للمذكر والمؤنث على حالة واحدة فقلتُ : حَبْدًا زَيْدٌ ، وحَبْدًا هُنْدٌ ؛
لأنَّ لفظة الشيء يشتمل المدكَّر والمؤنث ، والواحد والجمع . فهو كـ « مَا » ،
وُضِعَ للجنس .

٣ - إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَادِيَةً فَلَا سَقَاهُنَّ إِلَّا النَّارَ تَضْطَرُّ طَرِمُ
لَمَّا كَانَ القصدُ في الدعاء باشقيا بقاء المدعو له على نصارته ، والزَّيادة
في طَرَاوته ، واستمرار الأيَّام به سالمًا ، ثمَّ يُوثر في عُنفوان حُسْنه ، أو يغيَّر
رونق مائه ، جَمَلَ عند الدعاء على المذموم عنده الشَّقِيَّا بالنار ، لكون النار
ضدًّا للماء ومميتًا لما يحييه . فيقول : إِذَا أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ تَنْمِيمَ أَرْضٍ بِمَا يُقِيمُ
من خضبها ، وَيُدِيمُ من رَفَاقَتِها ورَفَاهَتِها ، بتأني الأمطار عليها ، وتبكيرِ النوادي
نحوها ، فلا سَقَى هذه الدَّيَّارَ إِلَّا نَارًا يَهَيِّجُ ضِرَامُها ، ويُوَجِّعُ لَهْبُها وسَعَارُها ،
لتبديد خيرها ، وتُفَيِّتَ حُسْنُها وزَهْرَتِها . وقوله « تَضْطَرُّ » في موضع الحال للنار .

٤ - وَحَبْدًا حِينَ تَنْمِسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أَشْيٍ وَفَتَيَانٍ بِهِ هُضْمُ
٥ - الْوَاسِمُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمْ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرَّ مَوَا

٦ - وَالْمَطْمُونُ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ وَبَاكَرَ الْحَيَّ مِنْ صُرَادِهَا صِرْمٌ
قوله « وَحَبْذَا حَيْنَ تَمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً » ، جَمَلٌ مَا نَفَاهُ مِنَ الْحَبِّ وَالْحَدِّ
عَمَّا قَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنَ الْبُلْدَانِ ثَابِتًا لَوَادِي أُثْنَى وَأَهْلِهِ ، وَنَبَّهَ عَلَى أَنَّهُمْ فِي أَوَانِ
الْجَذْبِ وَالْقَحْطِ يُشِيرُ كَوْنُ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعَشِيرَةِ فِي خَيْرِهِمْ ، وَبَسْتَفِيدُونَ الْأَمْوَالَ
الَّتِي يُتَنَافَسُ فِيهَا فِيمَا يَجْلِبُ الْحَدَّ ، وَيُيَبِّبُ النَّشْرَ ، إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ بَارِدَةً ،
وَأَقْشَعَرَتِ الْبِلَادُ هَامِدَةً ، حَتَّى بِصِيرٍ وَسُوءِهِمْ مَبْذُولًا لَهُمْ يَتَوَسَّعُونَ فِيهِ إِذَا جَرَّ
غَيْرُهُمُ الْجَرَائِرَ عَلَى عَشِيرَتِهِ ، وَذَوَى لِحْمَتِهِ ، ثُمَّ مَنْ أَكْتَسَبَ جَرِيمَةً مِنْهُمْ
تَكْفَلُوا بِاسْتِنْقَازِهِ مِنْهَا ، وَأَفَاهُوا ظِلَّ الْحِمَاةِ وَالصِّيَانَةَ عَلَيْهِ فِيهَا .

وقوله « وَالْمَطْمُونُ » حَذَفَ مَفْعُولَهُ ، وَإِنَّمَا يَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ يُقِيمُونَ الْقَرَى
الْمَلَأْضِيافَ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ شِمَالًا ، وَغَادَى الْحَيَّ السَّحَابُ الْبَارِدَةَ طَوَائِفَ وَفِرْقًا .
وقوله « هُضُمٌ » جَمْعُ هَضُومٍ ، وَهُوَ الْمِنْفَاقُ فِي الشِّتَاءِ . وقوله « هَبَّتْ شَامِيَّةٌ »
انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ . وقوله « الْوَاسِعُونَ » مَاخُذٌ مِنَ الْوُسْعِ وَهُوَ الطَّاقَةُ ، وَيُقَالُ :
لَا يَسْمُكَ كَذَا ، أَيْ لَسْتَ مِنْهُ فِي سَعَةٍ . وَالصَّرْمُ ، أَصْلُهُ فِي أَقْطَاعِ الْإِبِلِ ،
فَأَسْتَمَارُهُ .

٧ - وَشَتْوَةٌ فَلَّلُوا أُنْيَابَ لَزَبَتِهَا عَنْهُمْ إِذَا كَلَحَتْ أُنْيَابُهَا الْأَزْمُ
٨ - حَتَّى انْجَلَى حَدُّهَا عَنْهُمْ وَجَارُهُمْ بَنَجْوَةٌ مِنْ حِذَارِ الشَّرِّ مُقْتَصِمٌ
فَلَّلُوا : كَسَرُوا . وَاللَّزَبَةُ : السَّيِّئَةُ الْمَجْدِبَةُ ، وَجَمَلُ الْأُنْيَابِ مَثَلًا لَشِدَائِهَا .
وَالْكُلُوحُ : بُدُوُ الْأَسْفَانِ عِنْدَ الْعُبُوسِ . وَالْأَزْمُ : جَمْعُ أَرْوَمٍ ، وَهِيَ الْقَوَاضِ ،
وقوله « وَجَارُهُمْ بَنَجْوَةٌ » أَيْ عِزٌّ وَمَنْعَةٌ . وَالنَّجْوَةُ : الرِّفْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَبْلُغُهَا
السَّيْلُ ، فَضَرَبَهُ مَثَلًا لِلَلَاذِ الَّذِي أَوْزَا إِلَيْهِ فِي فِتْنَانِهِمْ حِذَارًا مِنَ الشَّرِّ ، فَيَقُولُ :
رُبَّ شَتْوَةٍ دَفَعُوا أَذَاهَا وَمَعْرِتَهَا عَنِ الْعَشِيرَةِ أَشَدَّ مَا كَانَتْ ، بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ

إصلاح أمورهم ، وإزالة ضررها عنهم ، إلى أن انكشفَ حَدُّها عنهم ، وجارهم معْتَصِمٌ فيهم بأحى مكانٍ ، وأمنع عِزٍّ ومَلَاذٍ .

٩ - ثُمَّ الْبُحُورُ عَطَاءٌ حِينَ تَسْأَلُهُمْ وَفِي اللَّقَاءِ إِذَا تَلَقَّى بِهِمْ بُهُمٌ

١٠ - وَهُمْ إِذَا الْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَائِبِهَا فَوَارِسُ الْخَيْلِ لَا مِيلٌ وَلَا قَزَمٌ

انتصب « عطاء » على التمييز ، ويجوز أن يكون مفعولاً له . وارتفع

« بُهُمٌ » بالابتداء ، وخبره في اللقاء ، ومفعول تَلَقَّى محذوف ، كأنه قال : إذا

تَلَقَّى بِهِمُ الْأَعْدَاءُ . وَالْبُهُمُ : جَمْعُ بُهْمَةٍ ، وَهُوَ الشَّجَاعُ الَّذِي لَا يُدْرَى كَيْفَ

يُؤْتَى لَهُ ، لَا سَبْهَامُ شَأْنِهِ وَتَنَاهَى شَجَاعَتِهِ . وَالْمَعْنَى : هُمُ الْبُحُورُ إِذَا اجْتَدَاهُمُ

الْاجْتِدَى ، لِكثْرَةِ عَطَائِهِمْ ، أَيْ لَا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُمْ عَلَى كَثْرَةِ الْاجْتِدَاءِ ، كَمَا

لَا يَنْفَدُ مَاءُ الْبَحْرِ عَلَى كَثْرَةِ الْوُرَادِ ، وَهُمْ بُهُمٌ فِي اللَّقَاءِ إِذَا لَقِيتَ بِهِمُ الْأَعْدَاءُ ،

وَإِذَا رَكِبَ الْفُرْسَانُ الْخَيْلَ وَتَبَتُوا فِي كَوَائِبِهَا - وَالْكَائِبَةُ : قُدَّامُ الْمَنْسِجِ مِنْهَا -

فَقُرْسَانُهَا لِالثَّامِ ضَعْفُ صَفَارِ الْأَجْسَامِ ، وَلَا مَائِلُونَ عَنْ وَجْهِ الْأَعْدَاءِ . وَالْمِيلُ :

جَمْعُ أَمِيلٍ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْرِضُ عَنْ وَجْهِ الْكَتَيْبَةِ عِنْدَ الطَّعْمَانِ ، وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي

لَا يَثْبُتُ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ . وَيُقَالُ : حَالَ فِي ظَهْرِ دَابَّتِهِ ، إِذَا رَكَبَهَا . وَارْتَفَعَ

مِيلٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْطُوقًا عَلَى فَوَارِسِ الْخَيْلِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَبْتَدَأٍ

مَحْذُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَا هُمْ مِيلٌ وَلَا قَزَمٌ . وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِي فَوَارِسَ وَشَذُوذِهِ ^(١) .

١١ - لَمْ أَلْقَ بِمَدِّهِمْ حَيًّا فَأَخْبَرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ

١٢ - كَمْ فِيهِمْ مِنْ فَتَى حُلُوِّ شَمَائِلُهُ جَمَّ الرَّمَادِ إِذَا مَا أَخَذَ الْبَرَمُ ^(٢)

يقول : لَمْ أَخْلِطْ بَعْدَ فِرَاقِي لَمْ حَيًّا مِنَ الْأَحْيَاءِ نَفَرْتُهُمْ إِلَّا وَازْدَادُوا فِي

عَيْنِي وَرَجَّحُوا ، إِذَا قَسَّتْهُمْ بَنَ سَوَامِي فِي قِيَاسِي وَنَظَرِي ، كَالْآلَةِ وَتَنَاهَى رِيَاسَةِ

وتوفراً على من يفتابهم من متحرم بذمة^(١)، أو مُدِلِّ بقرابة. وارتفع «هم» الأخير بيزيد، وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل لأنه كان الوجه أن يقول: إلا يزيدونهم حباً إلى. وهذا كما يوضع الظاهر موضع المضمَر والمضمر موضع الظاهر إذا أُمين الاتِّباس. وانتصب «فاخبرهم» لأنه جواب النفي بالفاء، والفاعل أن مضمره بين الفاء والفعل.

وقوله «كم فيهم من فتى حلوا شمائله» فكم للتكثير، وموضعه رفع بلا ابتداء وخبره من فتى. ومعنى «جَمَّ الرماد» أي كثير الأضياف، لأن الرماد إنما يكثر بحسب اتساع ضيافته، وكثرة غاشيته. والبرم: الذي لا يدخل مع القوم في اليسر، ومفعول أخذ محذوف، والرأد ما أخذ البرم النار لبخله ولشدة الزمان وفكده. فجعل النفي حلوا الشمائل، وهي الطبائع؛ لأن الضيافة إنما تكثر وتشرَّف بحسن خلق المضيف وخِفَّتِه في الخدمة، وملاطفته لضيوفه، وتحفيته وبره بهم.

١٣ - تُحِبُّ زَوَاجَاتُ أَقْوَامٍ حَلَالَهُ إِذَا الْأُنُوفُ امْتَرَى مَكُونَهَا الشَّيْءَ وَصَفَ النِّسَاءَ مِنْهُمْ بِحُسْنِ التَّوَقُّرِ عَلَى أَشْبَاهِهِنَّ، وَكَمَالِ التَّفَقُّدِ بِمَا يَهْدِيْنَ إِلَيْهِنَّ إِذَا قَلَّتِ الْمَهَادِيَا وَاشْتَدَّ الزَّمَانُ، وَبَلَغَ الْبَرْدُ حَدًّا يَسْتَخْرِجُ مَكُونِ الْأُنُوفِ مِنَ الرِّعَامِ^(٢) فِيَقُولُ: زَوَاجَاتُ الْأَبْرَامِ وَمِنْ يَشْبَهُهُمْ مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ، أَوِ الْمَتَمَتِّعِينَ مِنَ اللَّيْسَرِ، يُخَيِّبْنَ أَزْوَاجَ هَؤُلَاءِ الْفَتَيَانِ إِذَا اْتَحَلَّ الزَّمَانُ وَاشْتَدَّ التَّحَطُّ وَالْجَذْبُ، لِحُسْنِ تَمَطُّفِهِنَّ عَلَيْهِنَّ، وَصَرَفِ الْعَنَائَةِ وَجَمِيلِ التَّفَقُّدِ إِلَيْهِنَّ. وَامْتَرَى: اسْتَخْرَجَ. وَالشَّيْءَ: الْبَرْدَ. وَأَرَادَ بِالْمَكُونِ الْخَطَا. وَالْحَلَالُ: النِّسَاءُ الْمُتَزَوِّجَاتِ

(١) في النسختين: «يخدمه»، وليس بشيء.

(٢) الرعام، بالضم: الخطأ. وفي النسختين: «الرمال»، تحريف.

مُتَمِّينَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُحَالُ أَزْوَاجُهَا ، أَى تَنْزِلُ مَعَهَا ؛ وَالوَاحِدَةُ حَالِيَةٌ وَفِعْلِيَّةٌ بِتَعْنِي .
مُفَاعَلَةٌ ، كَقَعِيدَةٍ ، وَجَالِسَةٍ .

١٤ - تَرَى الْأَرَامِلَ وَالْهَلَكَ تَتَّبِعُهُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَزْمٌ

١٥ - كَانَ أَصْحَابُهُ بِالْقَفْرِ يَنْطَرُهُمْ مِنْ مُسْتَحْجِرٍ غَزِيرٍ صَوْبُهُ دِيمٌ

الأرامل : جمع الأرملة والأرملة ، لأنه يقع الذكر والأنثى ، وهم الذين قد انقطع زادهم وضافت الأحوال بهم . والهلاك ، هم الفقراء الذين أشرَفُوا عَلَى الْهَلَكَ ، وَإِنَّمَا قَالَ « تَتَّبِعُهُ » لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَّبِعُونُ بظُلْمَةٍ ، وَيَعِيشُونَ فِي أَفْنِيَّتِهِ مِنْ خَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ « يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ » مَثَلٌ لِمَا كَانَ يَنْصَبُّ عَلَيْهِمْ وَيَجْرَى وَيَدُومُ ، مِنْ إِحْسَانِهِ لَهُمْ ، لِأَنَّ الْحَيَا يُحْيِي الْأَرْضَ ، كَمَا أَنَّ مَعْرُوفَ هَؤُلَاءِ كَانَ يَحْيِيهِمْ . وَالرَّزْمُ : السَّائِلُ . وَمَعْنَى : يَسْتَنُّ يَنْصَبُّ . سَنَنْتُ الْمَاءَ وَأَسْنَفْتُهُ بِمَعْنَى . وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ .

وقوله « كَانَ أَصْحَابُهُ بِالْقَفْرِ يَنْطَرُهُمْ » يَرِيدُ أَنَّهُمْ فِي دُورِهِمْ وَمَحَلِّهِمْ ذَلِكَ فِعْلُهُمْ مَعَ عَشِيرَتِهِمْ ، وَمَعَ رُؤَادِهِمْ وَمُؤَمِّلِيهِمْ ، فَإِذَا سَافَرُوا تَرَى الصَّحَابَةَ فِي الْمَسْكَنِ الْخَالِي يَنْطَرُهُمْ مِنْ نَوَالِهِ مَا يَجْرَى تَجْرَى الصَّوْبِ مِنْ سَحَابٍ مُتَحَيِّرٍ مَمْتَلِئٌ مَاءً ، غَزِيرٌ النَّوَى ، دَائِمٌ السَّيْلُ . وَالْدِيمُ : جَمْعُ دَيْمَةٍ ، وَهِيَ الْمَطَرُ يَدُومُ بِسُكُونٍ ، وَالْمُسْتَحْجِرُ وَالْمُتَحَيِّرُ . بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَهَذَا التَّحْيِيرُ إِنَّمَا هُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ الْاِمْتِلَاءِ . وَيُقَالُ : اسْتَحَارَ شَبَابُهُ .

١٦ - غَمْرُ النَّدَى لَا يَبِيتُ الْحَقُّ بِثَمْدُهُ إِلَّا غَدَاً وَهُوَ سَامِيُ الطَّرْفِ يَنْتَسِمُ

١٧ - إِلَى الْمَكَارِمِ يَنْبِذُهَا وَيَعْمُرُهَا حَتَّى يَنَالَ أُمُورًا ذُنُهَا قُعَمٌ

الغمر : الواسع العطاء . وَمَعْنَى يَنْثَمِدُهُ يَكْثُرُ عَلَيْهِ حَتَّى يُفْنِيَ مَا عِنْدَهُ . وَالْمَاءُ الْمَشْمُودُ : الْمَزْدَحَمُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْزَرُ نَزْزًا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ سَامِيُ الطَّرْفِ » ،

أى لا يكسبه امتداد العطاء منه ، ودوام الإحسان ، غضاضة طرف وانكسار نشاط ، بل يرى بعقبه تحوكا على النظر . وقوله : « لا يبيت الحق يشده . إلا غدا » ، يشتمل على معنى الشرط والجزاء ، أى كلما بات الحق يشد ما عنده . غدا سمي الطرف . بدسما .

وقوله « يبنينا ويعمرها » فى موضع الحال ، أى بانيا عامرا . وقوله « إلى الكارم » اتصل « إلى » بقوله « إلا غدا » . والقبح : الشدائد ، واحدها قُحمة ، والمعنى أنه بذال يخفى جم المعروف ، لا يبيت توردا الحقوقي نحوه . يستغرق ماله إلا ابتكر وهو ضحك على النظر إلى ابتناء الكارم ، جريا على العادة وإنما لها ، وهو يعمرها ويصل جوانبها بأمثالها حتى يصيب أمورا تحول بينها وبين من يريد^(١) نيتها والوصول إليها شدائد وتكاييف . وقبح الطريق : ما صمب منها ، وفى الحديث : « إن للخصومة قحما » ، أى بقمم على المالك .

- ١٨ - نَشَقِي بِكَ كُلَّ مِرْبَاعٍ مُودَّعٍ عَرَفَاءَ يَشْتَوِ عَلَيْهَا تَامِكٌ سَنِمٌ
١٩ - تَرَى الْجِفَانَ مِنَ الشَّيْزَى مُكَلَّلَةً قُدَّامَهُ زَانَهَا النَّشْرِيفُ وَالْكَارِمُ
٢٠ - بَنُوهُمَا النَّاسُ أَفْوَجًا إِذَا هَلَوْا عَلَوْا كَمَا عَلَّ بَعْدَ النَّهْلَةِ النَّعْمُ
- المِرْبَاع : الناقة التى من شأنها أن تضع ولدها فى الربيع ، وهى المحمود من التناج ، ولذلك قال :

* أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ^(٢) *

ومِرْبَاع : بناء المبالغة . والمودعة : المكرمة الموقرة على التنازل لا تعمل

(١) فى الأصل : « يريدك » ، صوابه فى ل .

(٢) لاكثم بن صبيح ، أو سعد بن مالك بن ضبيعة ، السان (صيف) .

ولأنَّه حَمَلٌ. والعرفاء: التي لِسَمِها صار لها كالْعُرْفِ. والتَّامِك: السَّامُ الشَّرِيفُ.
والسَّيْمُ: العَالِي، ويقال: بِعِيرٍ سَيِّمٌ، أى مشرف السَّام، والمعنى: تَبَقَّى
شَتَوَها سَمِيَةً لا يَمَيِّزُها الجَذْبُ والقَحْطُ، وإنما قال «تَشَقَّى به»، وهو يريد
الْفَتَى لأنَّ المراد لا يَنْحَرُ من الجُزُرِ إلَّا ما يُنْذِقُ فيه مِثْلَ نَاقَةٍ هذه صَفَتُها.
وقوله «تَرَى الجِفانَ من الشَّيْزَى مَكَلَّلَةً»، يريد أن الجِفانَ المَعْدَّةَ
للأضياف عليها كالْأُكُلِ من فَدَرِ اللَّحْمِ^(١)، وقد زَيَّنَها كَرَمٌ بَارِعٌ، وتشريفٌ
ظَاهِرٌ، وهذا بما يَسْتَعْمِلُه من اللَّعَافِ والتَّائِيسِ مع الأضياف، ومن تَوْفَّرِ خِدْمَةِ
الْخَدَمِ عليهم، ولِسَكَمِ بهاء المجلس وكونه مشحوناً بما يَرُوقُ وَيُجِيبُ.
وقوله «يَنْوِيها» أى يَنْتَابُونَهَا طائِفَةً بعد طائِفَةٍ، وفَوْجاً بعد فَوْجٍ،
فإذا تَنَاقَلوا النَّهْلَ رَجَعُوا فَأَعْقَبُوهُ الْعَلَلُ، كما يَفْعَلُ ذَلِكَ النَّعَمُ عِنْدَ وَرُودِهِ الْمَاءِ.
وانْتَصَبَ «أَفْوَاجاً» على الْحَالِ. والنَّعَمُ يَقَعُ على الأزواج الثَّمانية، والغالب
عليها الإِبِلُ.

- ٢١- زَارَتْ رُوبِقَةً شُفْنًا بَعْدَ مَا هَجَمُوا لَدَى نَوَاحِلَ فِي أُرْسَاعِهَا الْخَدَمُ
٢٢- وَقَتٌ لِلزَّوْرِ مَرْتَانًا وَأَرْقِي فَقُلْتُ أَهْيَ سَرَّتْ أُمُّ عَادَتِي حُلْمٌ^(٢)
٢٣- وَكَانَ عَهْدِي بِهَا وَالْمَشْيُ يَبْهَظُهَا مِنْ الْقَرِيبِ وَمِنْهَا النَّوْمُ وَالْأُمُّ
يصف الخيال فيقول: زارت خيال هذه المرأة قوماً غُيِّبُوا، أنضاء مَرَّهَا^(٣)،
بعد ما نَامُوا عِنْدَ إِبِلِ ضَوَامِرٍ مَهَازِيلٍ، شَدَّتْ فِي أُرْسَاعِهَا سُيُورُ الْقِدَّةِ، لَشَدَّةِ
سِرِّهَا وتأثير السَّكَلالِ فيها، فقامت من مَضْجَى الطَّيْفِ الزَّائِرِ خَائِفًا، وطار
الدُّومُ عَنِّي، وأخذني القَلَقُ، ووسَّوسَ النَّفْسُ والزَّعَمُ، فَيَلَّتْ الْفَكْرَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ.

(١) الفدر، بالفاء: جمع فدر، بالكسر، وهى القطعة المجتمعة من اللحم. وفى
النسختين: «قدر اللحم»، تحريف.
(٢) التبريزى: «فارقى».
(٣) جمع أمره ومراه، وهو من فسدت عنه تركه الكحل.

أحدها زيارتها بنفسها ، والثاني حُلْمُ نائمٍ اعتادَ فآرائها ، وصِرَتْ أراجِمُ
نفسى وأقول : كيف يجوز مجيئها ، وكفَتْ أعهدها وقطعُ المسافة القريبة كانت
تتكلفه يشقُّ النفس ، وتحمل الثقل والكُدَّ . هذا والغالب عليها اللالُ مما
يُنْتَعَبُ وإن خَفَّ ، وطلَبُ الراحة بالنوم ليسير الخطب منها ببالٍ ولو قَلَّ .
وانتَصَبَ « مرئعا » على الحال .

وقوله « أم عادتي حُلْمٌ » أم هذه هي المعادلة ، والمعنى أى هذين الأمرين
كان . وقوله « أهى سرت » أسكن المساء من هى مع ألف الاستفهام ، لأنه
أجراها تجرى وار العطف وفائه ، فكما يسكن معها لأنها لا تقوم بنفسها ولا
تستقل كذلك أشكن مع الألف . ومعنى يَبْهَظُها : يَنْفَلُ عليها ويشق .

وقوله : والمشي يَبْهَظُها « خبر كان فيه . وقوله : « وكان عهدي بها »
الواو واو الحال من قوله أهى سرت .

٢٤ - وبالتكاليف تَأْنِي بَيْتَ جارتها تَمْشِي الْهُوَيْنَا وما تَبْدُو لَهَا قَدَمُ
٢٥ - سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ تَرَائِبُهَا دُرٌّ مَرَّافِقُهَا فِي خَلْقِهَا عَمَمٌ
يقول : ومما عهدتها عليه أنها كانت تأتى بيتَ جارتها قضاءً لذِمَامٍ ،
أو أداءً لواجب حق ، بعد الجهد والشدة ، ومداورة النفس على أدنى الكلفة
والمشقة ، ومشيئتها الْهُوَيْنَا ، أى على رَفْقٍ لا استعجالٍ فيها ولا تهافت ،
ولا تفاذٍ في أعضائها ولا تتابع ، ولذيلها على الأرض سحبٌ وجَرٌّ ، فقدمها
لا تبدو ، ووقارها المنسوب من كبرها ومجيبها لا يَهْوُو . والهُوَيْنَا : تصخير الهوى
والهوى : تأنيث الأهون ، وموضعها من الإعراب نصبٌ على المصدر . وقوا
« تَمْشِي الْهُوَيْنَا » في ضمنه ما يُوصَفُ به مثيلها من الترفة وفرط الحياء ، كما قال :
كَأَنَّ لَهَا فِي الْأَرْضِ نِسِيًا تَقْصُهُ عَلَى أُمِّهَا وَإِنْ تَكَلَّمْتَ تَبَلَّتْ^(١)

(١) البيت للشنفرى الأزدى في المفضليات ١٠٩ .

وقوله «سُودَ ذَوَائِبُهَا» يصفها بأنها في عنفوان شبابها، ففرغها أسود، وصدرها بما حوَالِيه أبيض، ومرافقها لا حجم لها لكثرة لحمها، وخلقها تامٌ لاستكمالها.

٢٦ - رُوِيَ عَنِّي وَمَا حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ وَمَا أَهْلٌ بِمَجْنَبِي نَخْلَةَ الْحُرُمِ

قوله «وما حجَّ الحَجِيجُ لَهُ» يجوز أن يكون ما بمعنى الذي، كأنه أقسم بالبيت الذي حجَّ إليه الحجاج، وبإهلال الحُرُم، وهو رفعُ الصوت بالتلبية، بِمَجْنَبِي نَخْلَةَ، وهو مكانٌ بقرب مدينة الرسول عليه السلام يقال له بَعَانُ نَخْلَةَ. ويجوز أن يكون ما موضوعاً موضعٍ من، على ما حكى أبو زيد من قولم: «سبحان ما سَبَّحَ الرعد بحمده»، ويكون الله تعالى الْمُقَسَّمُ بِهِ.

وقوله «مَا أَهْلٌ» يراد به وما أَهْلٌ لَهُ، لحذفه لتقدم ذكره وطول الكلام به. ويجوز أن يكون «ما حجَّ» في موضع المصدر، كأنه أقسم بِحَجَّتِهِمْ وإِهْلَالِهِمْ، ويكون الضمير من له يعود إلى الله تعالى وإن لم يَجْرِ ذِكْرُهُ، لأن المراد مفهوم، أي حَجُّوا لَهُ إِمَامَةً لَطَاعَتِهِ، وابتغاء لمرضاته. وجواب القسم في قوله «لم يَفْسُقْ» . ويقال: أَحْرَمَ الرَّجُلُ بِالْحَيْجِ فَهُوَ مُحْرِمٌ، وَقَوْمٌ حَرَامٌ وَحُرُمٌ وَتُحْرِمُونَ.

٢٧ - لَمْ يَنْسِنِي ذِكْرُكُمْ مَذْلَمُ الْأَقِصَمِ عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدَمٌ

٢٨ - وَلَمْ تَشَارِكْ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةً لَا وَاللَّهِ أَصْبَحْتُ عِنْدِي لَهُ رِثَمٌ^(١)

حَلَفَ بِمَا حَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَشْغَلْهُ عَنْ ذِكْرِهِمْ مَذْلَمُ حَصْلِ الْفَرَقِ بَيْنَهُمْ، لَا عَيْشٌ اسْتِطَابَهُ لِمُسَاعَدَةِ الزَّمَانِ لَهُ بِمَا سَرَّهُ فَتَسَلَّى عَنْهُمْ، وَلَا بَلَى مَا كَانَ يَسْجُدُهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنَ الْوَجْدِ بِهِمْ وَتَذْكَارِ عَهْدِهِمْ تَقَادُّمِ أَيَّامِ فِتْنَتِهِمْ، وَلَا شَارِكِيهَا فِي

(١) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : «لم يشاركك» .

مُسْتَوْطَنٌ هَوَاهَا وَمَقَرُّ حُبِّهِ لَهَا امْرَأَةٌ غَانِيَةٌ ، فَتَضَاقُ عَنْهَا حَامَاهَا . ثُمَّ ثَنَى الْيَمِينَ
تَوَكِيدًا فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ الَّذِي أَصْبَحَتْ لَهُ عِنْدِي نَعْمٌ مُقَابَلَتُهَا بِالشُّكْرِ وَاجِبَةٌ
لِلْأَمْرِ كَمَا قُلْتُ ، فَحُذِفَ لِأَنِّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ .

وقوله « لَمْ يُنْسَى ذِكْرُكُمْ » يُجَابُ الْيَمِينَ مِنْ حُرُوفِ النَّفْيِ بِمَا ، وَلَكِنَّهُ
اضْطُرَّ فَوْضِعَ لَمْ يُنْسَى مَوْضِعَ مَا أَنْسَانِي . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَفْرِدَ الْقَسَمُ الْأَوَّلُ بِهِ
جَوَابًا ، وَيَكُونُ جَوَابُ الْقَسَمِ الثَّانِي : وَلَمْ تَشَارِكْ^(١) عِنْدِي ، لِأَنَّهُ خَبَرٌ
ثَانٍ ، فَقَدَّمَ الْمُقَسِّمَ لَهُ عَلَى الْمُقَسِّمِ بِهِ ، كَمَا تَقُولُ : مَا فَعَلْتَهُ وَاللَّهِ .

٢٩- مَتَى أَمْرٌ عَلَى الشُّقْرَاءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النَّفَا بِمَرْوَحٍ لَحْمُهَا زَيْمٌ
٣٠- وَالْوَشْمُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا وَقَابَلَهَا مِنَ الثَّنَائِيَا الَّتِي لَمْ أَقْلِهَا بَرَمٌ^(٢)

قوله « مَتَى أَمْرٌ » اسْتِغْبَادٌ وَاسْتِمْعَالٌ بِمَا يَتَمَنَّى مِنَ الْعَوْدِ إِلَى هَذِهِ الْأَمَاكِنِ
الَّتِي ذَكَرَهَا . وَرَاوَهُ بِمَضْمَنِهِمْ « حَتَّى أَمْرٌ » ، وَيَتَعَلَّقُ حَتَّى بِقَوْلِهِ « لَا وَالَّذِي
أَصْبَحْتُ عِنْدِي لَهُ نَعْمٌ » أَيْ حَصَلَتْ لَهُ نَعْمٌ عِنْدِي كَيَّ أَمْرٌ ، لِأَنَّهُ لِحَقِّ
مَوْضِعَيْنِ ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهُمَا مَنْصُوبٌ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى لِأَنِّ وَكَيَّ ، وَالثَّانِي
أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى إِلَى أَنْ ، تَقُولُ : جِئْتُكَ حَتَّى تُكْرِمَنِي ، وَالْمَعْنَى لِأَنِّ تُكْرِمَنِي ،
وَكَيَّ تُكْرِمَنِي . وَتَقُولُ : أَنْتَظِرُ حَتَّى تَخْرُجَ ، وَالْمَعْنَى إِلَى أَنْ تَخْرُجَ . وَالشُّقْرَاءُ ،
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يَعْنِي فَرَسَهُ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الشُّقْرَاءُ وَالْمَرْوُوحُ فَرَسًا وَاحِدًا .
وَالْبَاءُ مِنْ « بِمَرْوَحٍ » ، يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ مُعْتَسِفًا ، وَعَلَى الشُّقْرَاءِ بِأَمْرٍ ، وَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ
الْحَالِ ، أَيْ رَاكِبًا الشُّقْرَاءَ . وَانْتَصَبَ مُعْتَسِفًا عَلَى الْحَالِ . وَالْإِعْتِسَافُ : الْأَخْذُ

(١) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « وَلَمْ يَشَارِكْ » .

(٢) الْبَرْبَرِيُّ : « خَرَجَتْ مِنْهُ » . وَالْوَشْمُ ضَبَطَتْ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكُسْرِهِ
مَصْبُوبَةً بِكَلِمَةِ « مَاءٌ » .

على غير هداية ولا دراية . ويقال : فلان يتمسّف الناس ، أى يأخذهم بغير الحق . والخَلّ : الطريق فى الرمل . والنّقا : الرمل . والرّوح : النّشيط . ومعنى زَيْمٌ : متفرّق . ووِشْمٌ وَبَرَمٌ : موضعان . والثنايا : العقاب . ويروى : « من العقاب التى لم أقلها تُرْمُ » ، وهى جمع تُرْمَةٍ ، وهى صدع يكون فى الثنية . ومنه قولهم : فلان أنرَمُ ، إذا سقط بعض ثناياه فصارت بينهما فُرْجَةً . ولم أقلها : لم أبفضها . وقد قيل فى الشقراء : لاه موضع أو هضبة . وانعطف « الوشم » عليه ، وبمَرُوحٍ حينئذ يتعلق الباء منه بحتى أمرٌ . وعلى الوجه الأوّل تنصب الوشمَ وتنعطف على خَلّ النقا .

- ٣١- ياليت شعرى عن جنبى مكشحةً وحيث يُبنى من الحناء الأطم^(١)
 ٣٢- عن الأشاة هل زالت مخارمها وهل تغير من آراسها لارم
 ٣٣- وجنة ما يذمّ الدهر حاضرها جبارها بالندى والحنل مخزّم

قوله « ياليت شعرى » يا حرف النداء ، والمنادى محذوف . وهذا الكلام تحشّر فى إثر ما فاتته من أمر الأرضين المذكورة . وشعرى اسم ليت ، وخبره محذوف لا يظهر البتة ، ومفعولا شعرى قوله « هل زالت مخارمها » .

وقوله « عن جنبى مكشحة » بيان ما تمنى عليه ، وفى أى جانب هو . ويروى : « عن جزعى مكشحة وحوث » . والجزع : جانب الوادى . ومكشحة : أرض . وحوث لفة فى حيث ، لأن فيه أربع لغات : حيث ، وحيث ، وحوث ، وحوث . فالضم تشبيها له بالغايات قبل وبعد ، والفتحة خلفته . والحناءة : أرض . والأطم : الحصن وكل بناء مرتفع ، والجمع أطام . وقوله « عن الأشاة » ، فإن كان الأشاة موضعا وبعض ما يقع عليه

(١) التبريزى : « تبنى » .

مكشحة فإنه بدلٌ من عن جنبتي مكشحة ، وقد أُعيد حرفُ الجرِّ معه . وإن كان النخلة فإنه يجوز أن يريد بقمتهَا ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ولا يمتنع أن يكون أراد : وعن الأشاءة ، فحذف العاطف كما تقول : رأيت زياداً ، عمرًا ، خالدًا . وأنشدنا أبو عليٍّ الفارسيُّ :

كيف أصبحت كيف أمسيت مِمَّا يزرعُ الحبُّ في فؤادِ الكريم^(١)
فيقول : ليت على كان واقفًا بأحوال هذه المواضع ، وهل هي باقيةٌ على ما عهدتها من قبل ، أو هل تغيرت أعلامها وزالت تحاريمها . وإنما يدلُّ على حبيبه إليها ، وتأشفه على البعد عنها .

وقوله « وجنة » يريد وعن جنةٍ حاضرُها يرَضَى عن الدهر ويحمده ، فلا يتسخط أبائُه ، ولا يذمُّ عوارضه . والجبار من النخل : ما قات اليدَ طولًا .

وقوله « بالندى والحمل محترم » تنبيهٌ على الخصب فيها ، وعلى غضارة عيش سكَّانها . والاحتزام كالالتفاف^(٢) ، ويروى « جبارُها بالندى والخير » .

٣٤- فيها عقائلُ أمثالُ الدُّمَى خُرْدٌ لم يَفْذَهُنَّ شَقَا عَيْشٍ وَلَا يُمْ^(٣)

٣٥- يَنْتَابُهُنَّ كِرَامٌ مَا يَذُومُهُمْ جَارٌ غَرِيبٌ وَلَا يُؤْذِي لَمْ حَسَمُ

٣٦- مُخْدَمُونَ ثِقَالٌ فِي تَجَالِيهِمْ وَفِي الرُّحَالِ إِذَا صَاحَبَتْهُمْ خَدَمٌ^(٤)

قوله « فيها » أي في الجنة . عقائل ، أي نساء كريمات ، كأنهن العُشُورُ المنقوشة حُسْنًا ، منعَّماتٌ لم تَمْسِهنَّ قَاقَةٌ وفقر ، ولا جُهْدُنَّ بِأَيَّامٍ أَدْبَرَتْ عَنْهُنَّ ،

(١) في باب المعطف من شرح الأشموني للألفية : « ما يفرس الود » .

(٢) في النسخين : « كالالتفاف » ، تحريف . وعند التبريزي : « والاحتزام :

الالتفاف » .

(٣) ضبطت في التبريزي « يَم » بالتحريك ، وهي لغات ، يقال يتم بضم الياء وفتحها وبالتحريك . القاموس ، واللسان . وتحريك التاء بالضم هنا للشعر .

(٤) يقتضى شرح التبريزي أن يضبط « خدم » بضمين . إذ قال : « خدم ، وهو جمع خدوم ، ليقابل مخدومون في المعنى ، لأن كل واحد منهما يدل على المبالغة » .

ولا شَقِيقَ بِمَكَدَةِ عَيْشِهِمْ ، ولا أُصَيْنَ بِمَوْتِ كَافِلِهِمْ أَوْ قِيَمِهِمْ ، عَفِيفَات ،
حَيَات ، لا يَعْرِفْنَ مَنَكِرَ الْأَخْلَاقِ ، ولا مَا يَشِينُ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَهِنَّ رَبَائِبُ
النِّعَمِ ، وَغَرَائِرُ الزَّمَنِ ، وَمُدَلَّلَاتُ الْعِشَائِرِ وَالسَّكَنِ ^(١) .

وقوله : « يَنْتَابُهُنَّ كِرَامٌ » مَدَحَ الرِّجَالَ عَطْفًا عَلَى مَدَحِهِمْ فَقَالَ : يَدْبُرُ
هَؤُلَاءِ النِّسْوَةَ رِجَالُ كِرَامٍ أَعِزَّاءَ ، بِمَحَمَّدُومِ الْجَارِ الْغَرِيبِ ، لَوْفَاتِهِمْ لَهُ بِالْعَقْدِ ،
وَحُسْنِ تَعَطُّفِهِمْ عَلَيْهِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالْجَهْدِ ، وَيَرْضَى عَنْهُمْ الْخَلِيطُ النَّسِيبُ لِلْجَالِ
عِشْرَتِهِمْ ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِمْ ، لَا كِبَرُ فِيهِمْ ، وَلَا تَرْفَعُ مَعَهُمْ ، ثُمَّ تَرَى حَشَمَهُمْ
يَسْأَلُهُمْ ^(٢) الْهَدَانِي وَالْقَاصِي ، لِعِزِّهِمْ وَتَحَمُّلِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ ، وَذَهَابِ صِيَتِهِمْ ، وَهُمْ
فِي مَجَالِسِهِمْ فِي الْحَضَرِ رِزَانٌ سَادَةٌ يَخْدُمُهُمْ مَنْ يَفْشَاهُمْ ، وَفِي السَّفَرِ خِفَافٌ لِطَافِ
يُكْرَمُونَ الصَّحَابَةِ وَالْمُرَافِقَةِ ، وَيَخْدُمُونَ الْفَاشِيَةَ وَالْجَاوِرَةَ ، وَيَتَعَمَّلُونَ فِي أَحْوَالِهِمْ
الْمُؤَنِّ الْجَحِيفَةِ ، وَفِي أَمْوَالِهِمِ الثُّوبُ الْمُثْقَلَةُ . وَالْحَشَمُ : خَدَمُ الرَّجُلِ وَمَنْ يَحْشَمُ
لَهُ ، أَيْ يَفْضُضُ عِنْدَ النَّازِلَةِ ، وَيُدَافِعُ دُونَهُ لَطَرُوقِ الْكَائِنَةِ . وَقَوْلُهُ « يَنْتَابُهُنَّ » ،
يُرْوَى : « بِأَنَابُهُنَّ » يَفْتَعِلُ مِنَ الْإِبَابِ .

٣٧- بَلْ أَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَغْدُو تُعَارِضُنِي جَرَدَلَهُ سَابِحَةً أَوْ سَامِحَةً قُدُمُ

٣٨- نَحْوُ الْأُمَيْلِحِ مِنْ سَمْنَانَ مُبْتَكِرًا بِفَتْنَةٍ فِيهِمُ الرَّرَارُ وَالْحَكَمُ ^(٣)

٣٩- لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَفْدُونَ أَرْضِيَّةً إِلَّا جِيَادُ قَيْسٍ النَّبْعِ وَاللُّجُمُ

بل : حرفٌ يَدْخُلُ لِلإِضْرَابِ عَنِ الْأَوَّلِ وَالْإِثْبَاتِ لِلثَّانِي ، كَأَنَّهُ لَمَّا صَرَفَ

الْكَلَامَ عَمَّا كَانَ فِيهِ وَشَفَلَهُ بِغَيْرِهِ أَيْ بَيَّلَ ، إِذْ ذَاكَ بِذَلِكَ . فَيَقُولُ : لَيْتَ عَلَيَّ

وَأَقْعُ بِمَا يَقْتَضِي هَذَا السُّؤَالُ ، وَهُوَ مَتَى ابْتَكَرَ مِنْ سَمْنَانَ نَحْوُ الْأُمَيْلِحِ — وَهَذَا

(١) السَّكَنِ : كُلُّ مَا سَكَنْتَ إِلَيْهِ وَالطَّمَانَتُ مِنْ أَهْلِ وَغَيْرِهِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يَسْأَلُهُمْ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٣) الْبَتَرِيزِيُّ وَيَقُوتُ فِي مَعْنَى الْبُلْدَانِ : « أَوْ سَمْنَانَ » .

موضعان - وتعارضني في السير حَجْرٌ قصيرة الشعر، تَسْبَحُ في عَذُوها، أو ذَكَرْتُ سابقٌ بِسَبْقِ أَصْحَابِهِ^(١) ويتقدّمها من حيث جَرَى ، ومعنى فِتْيَانٌ فيهم هذان المذكوران ، ثم وصفَ الفِتْيَانِ بأنَّهم لَا يُهْمُهُم إِلَّا الْفُرُوسِيَّةُ وَرَكُوبُ الْخَيْلِ ، وإعدادُ آلاَتِ الْحَرْبِ ، وَالصَّيْدِ وَالطَّرْدِ . وقوله « إِلَّا جِيَادُ » رَفَعَهُ وَالْوَجْهَ الْجِيدَ النَّصَبَ ، لِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ مِمَّا قَبْلَهُ ، لَكِنْ بَنَى تَمِيمٌ يَرْفَعُونَ مِثْلَ هَذَا عَلَى الْبَدَلِ . وَهَذَا يُشَبِّهُ بِدَلِّ الْغَلَطِ ، لِهَذَا ضَمُّهُ فِي الْإِعْرَابِ .

والبيت يشبه قولَ لبّيد :

* فَرُطٌ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ إِجْمَاهُ^(٢) *

وانتصب « مَبْتَكِرًا » عَلَى الْحَالِ . وَقِيْسِي مُقْلَبٌ ، وَأَصْلُهُ قُوْسٌ ، وَبُرُوى : قِيَاسِ النَّجْعِ^(٣) . وَالْمَرَارُ قَيْلٌ هُوَ أَخُوهُ^(٤) . وَالْحَكَمُ : ابْنُ عَمِّهِ ، كَذَا ذَكَرَهُ الْأَصْمَعِيُّ .

٤- مِنْ غَيْرِ عُدْمٍ وَلَكِنْ مِنْ تَبَذُّلِهِمْ لِلصَّيْدِ حِينَ يُصَيِّخُ الْقَانِصُ اللَّحْمَ
٤١- فَيَفْزَعُونَ إِلَى جُرْدٍ مُسَحَّجَةٍ أَفْنَى دَوَابِرَهُنَّ الرِّكْضُ وَالْأَكَمُ^(٥)

قوله « مِنْ غَيْرِ عُدْمٍ وَلَكِنْ » ، تَعَلَّقَ مِنْ بَقَوْلِهِ « لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَفْعَدُونَ أَرْدِيَّةً » . وَلِلْعَنَى أَنَّ إِخْلَالَهم بِلُبْسِ الْأَرْدِيَّةِ وَاسْتِذْصَارِهَا وَالتَّائِقِ فِيهَا ، لَا لِقَفْرِ وَفَاقَةٍ ، لَكِنْ لَوَلُوعِهِم بِالصَّيْدِ ، وَتَبَذُّلِهِمْ لَهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَسْتَمِعُ الصَّائِدُ الْقَرْمُ

(١) فِي الْأَمَلِ : « صَاحِبِهِ » ، وَالصَّوَابُ مِنْ ل .

(٢) صَدْرُهُ : * وَلَقَدْ حَيْثُ الْخِي تَحْمِلُ شَكْنِي * .

(٣) وَالْقِيَاسُ : أَحَدُ جُوعِ الْقَوْسِ ، وَيُقَالُ قَوْسٌ وَقَسِي وَقَسِي - بِضَمِّ الْقَافِ وَكَسْرِهَا وَأَقْوَامُ ، وَقِيَاسٌ .

(٤) الْمَرَارُ الْعَدُوُّ شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ مَشْهُورٌ ، كَانَ مُعَاَصِرًا لِلْجُرَيْرِ ، وَقَدْ هَاجَ الْهَجَاءَ بَيْنَهُمَا . وَهُوَ الْمَرَارُ بْنُ مَنَظَلٍ بْنِ عَبْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ صَدَى بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمِ الْحَنْظَلِيِّ . انْظُرِ الْمَفْضَلِيَّاتِ ٧٢ .

(٥) التَّبَرُّزِيُّ : « إِلَى جُرْدٍ مَسُومَةٍ » .

إلى اللحم إلى أصحابه ، في اختيار مواضع الصيد ، وافتقاره لقلته . ويرى :
« حين يُنادى السائفُ اللحمُ » . قال الأصمعي : يريد يرتدون بقسيهم ولجهم
خيَلهم إذا ابتكروا ، لا هم لم غيره . والسائف : الذي يحوش الصيد على
أصحابه ^(١) ، أي ينادى أصحابه باعنا على الأخذ ، وعذرنا من القوت .

وقوله « فيفزعون إلى جريد مسحجة » أي يلتجئون إلى خيل قصيرة الشعر ،
نشيطة ، قد سحج بعضها بمضاً بالعض والاستنان . ويجوز أن يريد أن العمل
والسكد سحجها ، ألا ترى أنه قال : أفنى ماخير حوافرهن ركض الفرسان
لها ، واستعثنهم إياها ، وتأثير الإكام في حوافرها ، لأن جريتها كان عليها .
ويقال : أكمة وأكم ، وإكام وأكم .

٤٢- يضرخن صم الصفا في كل هاجرة كما تطايح عن مرضاحه المعجم ^(٢)
٤٣- ينفذو أمانهم في كل مرتبة طلاع أنجدة في كشحه هضم ^(٣)
أصل الصرح الرمي . وإنما وصف الخيل بصلابة الحوافر ، وأنها تكسر
ما تقوؤه من صلاب الصفا إذا سارت في الهاجرة . ثم شبه ما يتطاير من حوافرها
من الحصى بما يتطاير من النوى عن مرضاحه . والمرضاح : الحجر الذي يكسر
عليه النوى أو به . ومعنى تطايح : تطاير .

وقوله « ينفذو أمانهم » يعني في التصيد . والمرتبة : المحرسة . وقوله
« طلاع أنجدة » جمع نجدة كفرخ وأفرخة ، ولا يمنع أن يكون أنجدة جمع
نجد ، ونجد جمع نجدة ، فيكون أنجدة جمع الجمع . ويقال : طلع الجبل ، إذا
علاه . والهضم : انضمام الضلوع . يصف خفته وشهامته ، وابتذله نفسه
في الصيد والفروسية .

(١) لم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى في المعاجم المتداولة .

(٢) التبريزي : « يرضخن » ، و « مرضاخه » .

(٣) ينفذو ، بالنون المعجمة ، كما في اللسخين والتبريزي .

٥٧٩

وقال عمرو بن ضبيعة الرقائشي^(١) :

- ١- تَضِيقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبْرَاتِهَا فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّابِرِ
 - ٢- وَغُصَّةٌ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَقَّتْ حَزَازَةٌ حَرٍّ فِي الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
- العبرة : الدمعة ، وقد استعبر ، أى جرى عبرته ، ويقال : لأمة العبر ، وأراه غير عينه ، أى سُخِنَتْ عَيْنُهُ وَمَا أَبْكَاهُ . فيقول : تَمَلَّأُ الْعَيْنَ دَمْعًا حَتَّى تَتَضَاقُ جَفُونُهَا عَنْ احْتِبَاسِهِ ، فَتَصُبُّهَا بَعْدَ تَجَلُّدٍ مِنْهَا فِي الْإِخْفَاءِ ، وَتَصْبُرُ عَلَى مَدَافِعَةِ الْبُكَاءِ .

وقوله « وَغُصَّةٌ صَدْرٍ » يريدُ غَمَّةً اغْتَصَّ بِهَا الصَّدْرُ فَأَظْهَرَتْهَا ، بعد أن كانت لَا تَسُوغُ بِنَفْسِ الضَّعْدَاءِ ، فَسَكَّتْ تَفْطِيعَ لَوْعَةٍ تَمَسَّكَتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ . وَالْحَزَازَةُ : وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَذَى يُصِيبُهُ . وَالْجَوَانِحُ : الْأَضْلَاعُ الْقَصِيرَةُ ، الْوَاحِدَةُ جَانِحَةٌ . وَقَوْلُهُ : « رَفَّتْ » : وَسَمَتْ ؛ وَعَيْشٌ رَافَةٌ .

٣- أَلَا لَيَقُلَنَّ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُبْلِغُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأُمْرِ

٤- قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِ كَيْتَةً فَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ

أَلَا : افْتِتَاحُ كَلَامٍ . وَاللَّامُ مِنْ « لَيَقُلَنَّ » لَامُ الْغَائِبِ ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي فِعْلِ الْحَاضِرِ ، عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا^(٢) ۝ ﴾ . وَقَوْلُهُ « مَا شَاءَ » أَرَادَ مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَهُ ، فَحَذَفَ لِلْفِعُولِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « مَنْ شَاءَ » مُحَذُوفُ الْمَفْعُولِ ، أَيْ مِنْ شَاءَ الْقَوْلُ ؛ فَإِنَّ الْمَلَامَ يَسْتَحِقُّهُ الْفَتَى

(١) ذكره المَرْزُبَانِيُّ فِي مَجْمَعِهِ ٢٢٥ - ٢٢٦ وَسَاقَ لَهُ هَذِهِ الْاِبْيَاتَ .

(٢) هِيَ قِرَاءَةُ أَبِي وَابْنِ الْفُعَيْقَاعِ وَابْنِ هَامِرٍ وَالْحَسَنِ . تَفْسِيرُ أَبِي حَيَّانَ (٥ : ١٧٢)

وَجُمْهُورُ الْقُرَاءِ بِالنَّاءِ عَلَى الْخَطِّابِ .

فَمَا يُطِيقُهُ وَيَدْخُلُ نَحْتِ مَقْدُورِهِ ثُمَّ لَا يَفْعَلُهُ ، فَأَمَّا مَا لَا يَطِيقُهُ فَقَدْ سَقَطَ اللَّوْمُ فِيهِ عَنْهُ .

وقوله « قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ » ، يريد حَتَمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَوْجِبَهُ ، فَتَكَلَّفَ الصَّبْرَ فِيهِ ، فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ ، أَيْ عَلَى تَقْدِيرٍ ، تَضَيَّقَ الشَّبْلُ عَنْ الْإِنْفِكَالِكَ مِنْهُ ، فَلَا حِيلَةَ فِيهِ إِلَّا التَّزَامُهَا . وَهَذَا نَسْلِيَةٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ وَبَعَثَ لَهَا عَلَى الرِّضَا بِمَا قُسِمَ لَهُ ، وَقُضِيَ عَلَيْهِ .

٥٨٠

وَقَالَتْ وَجِيهَةٌ بِنْتُ أَوْسٍ الضَّبِّيَّةُ :

١ - وَعَاذِلِي تَفْنَدُوا عَلَى تَلَوْنِي عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَنْعُ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي ^(١)

٢ - فَمَا لِي إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَبْغَضْتُ طَرْفَاءَ الْقَصْبِيَّةِ مِنْ ذَنْبٍ ^(٢)

تقول : رَبِّ لَا نِمَةَ مَعَهَا مَقْصُورٌ عَلَى لَوْحِي وَعَتْبِي ، فَمَا أَهْوَاهُ وَأَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَأَعِدْ نَفْسِي بِهِ فَتَشْوُقُهُ ^(٣) ، فَلَا يُوَدِّ عَتْبُهَا إِلَى طَائِلِهَا ، لِأَنَّ تَنْصَحَهَا مَرْدُودٌ ، وَوَعْظُهَا مَدْفُوعٌ ؛ وَلَا إِلَى طَائِلِ لِي ، إِذْ كَانَ لَا تَزْدَادُ الصَّبَابَةُ فِي قَلْبِي إِلَّا تَمَكَّنَا وَثَبَاتًا ، وَلَا الْإِشْتِيَاقُ اللَّازِمُ لِي إِلَّا أَزْدَادًا وَدَوَامًا ؛ وَأَنَا إِذَا أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَرَهْطِي ، وَوَطَنَ أَحِبَّتِي وَأَهْلِي ، وَمَسْتَقَطَ رَأْسِي ، وَحَيْثُ حَلَّ الشَّبَابُ نَمِيصِي ، وَأَبْغَضْتُ الْقَصْبِيَّةَ مَنَبَتِ الطَّرْفَاءِ ، أَرْضًا لَمْ أَقْضِ مَارِبَةً فِيهَا ، وَلَا أَوْجِبْتُ مَذْمَةً لَهَا ، فَلَا ذَنْبَ لِي أَلَامُ فِيهِ ، وَلَا جَرِيرَةَ مَكْتَسَبَةً فَأَعْتَبَ عَلَيْهَا .

وقوله « مِنْ ذَنْبٍ » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ ، لِأَنَّهُ اسْمٌ مَالِي ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ مِنْ قَوْلِهِ

(١) أَشَدُّ يَاقُوتُ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي (الْقَصْبِيَّةِ) ، وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ بِرَوَايَةٍ : وَعَاذِلِي هَبْ لَبِيلَ تَلَوْنِي .

(٢) الْقَصْبِيَّةُ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَخَيْبَرَ .

(٣) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « فَتَشْوُقُهُ » . يُقَالُ : تَشَوَّقُ إِلَى الشَّيْءِ ، أَيْ تَطْلُعُ ، وَتَشَوَّقُ إِلَى الشَّيْءِ : إِشْتِيَاقٌ .

« إن أحببت أرضَ عَشيرتي » في قوله « مالى من ذنب » ، وجواب رَبِّ في قوله « لم تمنح الصبابة » .

٣- فَلَوْ أَنَّ رَبِّمَا أَبْلَغْتَ وَحَى مُرْسِلٍ حَفِيٍّ ، لَنَاجَيْتُ الْجَنُوبَ عَلَى النَّقْبِ

٤- فَقُلْتُ لَهَا أَدَّى إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي وَلَا تَخْلِطِهَا ، طَالَ سَعْدُكَ ، بِالْقُرْبِ

٥- فَإِنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالًا سَأَلْتُهَا هَلْ أَزْدَادَ صَدَّاحُ الثَّمِيرَةِ مِنْ قُرْبِ

الوَحَى : مصدر وَحَيْتُ لك بخير ، أى أجبرت ؛ ويستعمل أَوْحَى وَوَحَى في

معنى التبث والإلهام . والإيماء : الإيماء والإشارة . فيقول : لو أن ربما أدت

خَبَر مُرْسِلٍ ، أَوْ بَعَثَ مُلَحٍّ مُنْفِذًا لِسَارَزَتْ رِيحَ الْجَنُوبِ عَلَى الطَّرِيقِ - والحفي

يكون المُلَحُّ ، ويكون اللطيف ، ومصدره الحفاية . والنقب : الطريق في الجبل -

وَلَقُلْتُ : يَارِيحُ بَلِّغْهُمْ تَحِيَّتِي ، وَصُونِيهَا عَنِ الْإِذَالَةِ ، وَخَلِطِهَا بِالْقُرْبِ ، أَطَالَ

الله سعادتك . وقوله « طَالَ سَعْدُكَ » دعاء لها ، وهو من الاعتراضات المستحسنة ،

ومثله قول الآخر :

فَمَا مَسَكْنَتُنَا دَامَ الْجَمِيلُ عَلَيْكَا بَهْلَانٍ إِلَّا أَنْ تَزِمَ الْأَبَاعِرُ^(١)

وقول الآخر^(٢) :

إِنِ الشَّامِنِينَ وَبَاغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

وقوله : فَإِنِّي إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ شَمَالًا ، انتصابه على الحال . وساغ ذلك فيه

لكونه صفة لا اسمًا . وعلى هذا الجنوب والقبول والدبور ، يجوز في جميعها أن

تقع أحوالاً لكونها صفات . وكان الجنوب كانت تهبُّ من نحو أرضه مستقبلَةً

لديار أحبته ، فلذلك جعلها رسوله . وكانت الشمال تهبُّ من ناحية أرض حبيبه

(١) ل : « فاما مكثها » . وعلماء البديع يروونه : « دام الجمال عليك » ويمثلون في البيت

جناساً معنوياً بين الجمال بفتح الجيم وبين « الأباير » لأن الأباير جمال بكسر الجيم . فعلى

قائل البيت ، وهو امرأة من بني عقيل ، هن الجناس اللفظي إلى الجناس المعنوي .

(٢) هو عوف بن محم الخزامي . من قصيدة في أمال القائل (١ : ٥٠ - ٥١) .

مستقبله بلادَه ، فلذلك زعم أَنَّهُ يسألها عما استعجمَ عليه من أخبارهم .
وقال ابن الأعرابي : مَهَبُ الْجَنُوبِ يَمَانٍ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ ، وَقَلْبًا تَسْرِي
بِالْليل ، وهى مباركة . وَالشَّمَالُ شَامِيَةٌ ، فهى أَكْثَرُ الرِّيحِ هبوبًا ، وهى
صاحبة الشَّتَاءِ .

و «صَدَاخُ النَّمِيرَةِ» الصَّدَحُ: الصَّوْتُ^(١) ، يقال : صَدَحَ الدِّيكُ والغُرَابُ ،
إِذَا صَوْتَا . وَيَعْنِي جَلْبَةَ الصَّوْتِ وَنِدَاءَ دَاعِيهِمْ . وَالْمُنَادِي بِالرَّحِيلِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ
يَنْتَظِرُهُمْ لِحُضُورِ وَقْتِ انْتِجَاعِهِمْ وَنَهَضَاتِهِمْ ، وَكَانَ يَتَعَرَّفُ ذَلِكَ لِيَسْتَبْشِرَ^(٢) بِهِ .

٥٨١

وقال مرداس بن هماس الطائي^(٣)

- ١- هَوِيْتُكَ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُنِي الْهَوَى وَرُزْتُكَ حَتَّى لَأَمَنِي كُلُّ صَاحِبِ
 - ٢- وَحَتَّى رَأَى مِنِّي أَدَانِيكَ رِقَّةً عَلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتِ مَا لَانَ جَانِبِي^(٤)
 - ٣- أَلَا حَبْدًا لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَرُبَّمَا مَنَعَتْهُ الْهَوَى مَا لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ^(٥)
 - ٤- بَأَهْلِي ظَلَمًا مِنْ رَبِيعَةٍ حَامِرٍ عَذَابُ الشَّنَائِيَا مُشْرِفَاتُ الْحَقَائِبِ
- يقول : بَلَغَتْ الْغَايَةَ الْقُصْوَى فِي كُلِّ مَا كَانَ فِيكَ وَلَكَ ، فَحَمَلْتُ نَفْسِي مِنْ

(١) التبريزي : « وقيل المراد بصداخ النميرة الديك ، وقيل : أهلها ، وقيل :
حادي لبهلها ، وقيل : صداخ النميرة موضع » .

(٢) هذا ما فى ل . وعند التبريزي : « وكانت تتعرف ذلك لتستبشر به » . وفى
الأصل : « ليستبشر به » تحريف .

(٣) وكذا فى ل . وعند التبريزي : « مرداس بن همام الطائي » ، وفى معجم المرزبانف
٤٧٤ : « مرار بن مياس الطائي » ، وأنشد الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٤ . وروى التبريزي عن
أبي العلاء أن الأبيات نسبت إلى « مرار بن هماس » .

(٤) التبريزي والمرزبانى : « رقة حلیم » ، وأشير فى هامش ل إلى رواية التبريزي
فى إحدى النسخ .

(٥) التبريزي : « ويروى : من ليس بالمتقارب » .

أعباء الهوى وطلب التناهى فيه ما كاد يأتى هلى ، أعذ ذلك واجبالك أوديه ،
وفرضاً من حقوقك أقيمه وآتيه ، ثم أذمنت الزيارة خادماً ، وترددت في
التعرف والاستعطاف متقرّباً ، حتى توجه إلى اللوم من أحماني ، واستسرفني
في البرحيرتي وأودائي ، وإلى أن ظهر لأفاريك شفقتي عليك وريقتي ، ووضح
ما اشتهر به أسرى غدم وعُرف . ولولا أنت لبقيت هلى ما وجدت عليه قديماً
من صيانة النفس وإكرامها وتبعيدها^(١) عن المراكب الشائنة المؤدية إلى
ابتذالها ، فلم يزل جاني ، ولم يزل جاحي وصعوبي .

وقوله « ألا حَبْذا » المحبوب محذوف ، كما حذف الحمد في قوله تعالى :
(نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ، والمراد حبيب إلى التثبّت في الهوى ، وتجاوز
المألوف فيه إلى المستشع القبيح ، لولا الحياء ، على أنني ربّما منعت هوى
حالا مطمّح في بلوغه ودنوّه . وهذا كما قال أبو تمام :

غَالِي الْهَوَى ، مِمَّا يُرَقِّصُ هَامَتِي أَرْوِيهُ الشَّمْفِ الْقِي لَمْ تُسْهِلِ^(٢)

وقوله « بأهلى ظبلاء » رجوع منه إلى استلذاذ الهوى وإظهار التجلّ فيه ،
فيقول : أؤدى بأهلى نساء من ربيعة عامر ، عذاب المباريم ، حسن الشفور
والمضاحك ، عظائم الأكفال ، مشرقات الأرداف .

والحقائب : جمع الحقبة ، وهي عجز الرجل والمرأة جميعاً . ويقال : امرأة
نُفِّجُ الحقبة . والقصْدُ بالتقدمة في قوله « بأهلى ظبلاء » إلى صاحبه ، وإن كان
لفظه عائلاً لها ولغيرها .

(١) هذا للصواب من ل . وفي الأصل : « وتبعدها » .

(٢) بدواية الديوان ٢٣٣ : « على الهوى بما تعذب مهجتي » ، أي من أجل تعذيب
أروية الشف لمهجتي . والشف : جمع شفة ، وهي رموس الجبال . لم تسهل : لم تصر
إلى السهل .

٥٨٢

وقال بمض بني أسد^(١) :

- ١- تَبِعْتُ الْهَوَىٰ يَا طَيْبُ حَتَّىٰ كَأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ مَضْرُوسُ الْجَرِيرِ قَوْودُ
- ٢- تَمَجَّرَفَ دَهْرًا نُمُّ طَاوَعِ أَهْلَهُ فَصَرَّفَهُ الرُّوَاضُ حَيْثُ تُرِيدُ
- ٣- وَإِنْ زِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ وَقَدْ بَدَتْ لِعَيْنِي آيَاتُ الْهَوَىٰ لَشَدِيدُ

يقول : أعطيت الهوى مقادتي فيك ، فتبعته حيث جرّني ، لا أمتنع عاياه ، ولا أطلب معدولاً إليه ، حتى صرتُ كأنني بميرٍ قد عضّه الجرييرُ فلان وانقاد . والجرييرُ : حبل مضمور من آدم . والغرسُ : الغرض . والقوود : فعول في معنى مفعول ، فهو كالقُتوبِ والرُّكوب ، والممزة فيه بدلٌ من العين .

وقوله « تَمَجَّرَفَ » ، أي أخذ غير القصد زماناً ، لأنه كان صعباً ثم تذلل ودخل في طاعة مداوريه ، وهذا مثلُ ضربته للنفس في ابتداء هواه ، وأنه تأبى عليه مدة ، فتردد بين حده وهزله ، واقتساره وليانه ، حتى ركب منه كلَّ مركب ، واستوطاً ظهره كلَّ استيطان . فهذا معنى « وصرفه الرّواضُ حيث تُريدُ » .

وقوله « وَإِنْ زِيَادَ الْحُبِّ عَنْكَ » ، يريد أن دافع حبه عنها وصرفه عسرُ صعبٍ وقد بدت آيات الهوى . والمعنى أن للهوى علاماتٍ حيث مالت بالإنسان ذهبَ معها ، فيعدُّ الغنى رُشدًا ، ويرى التهالك فيه حياةً ، ولو رام دَفَعَ حبه عنه ، ولّى نفسه دونه ، لتعذّر وامتنع .

٤- وما كُلُّ ما في النَّفْسِ لِلنَّاسِ مُظْهَرٌ وَلَا كُلُّ ما لَا تَسْتَطِيعُ تَذَوُّدُ^(٢)

(١) الأبيات رويت في معجم البلدان (غصنود) ، وهي بلدة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة .

(٢) التبريزي : « وما كل ما في النفس لى منك مظهر » ، وأشار إلى الرواية الأخرى .

وروى التبريزي أيضاً : « ما لا نستطيع نلود » .

٥- وَإِنِّي لَأَرْجُو الْوَصْلَ مِنْكَ كَمَا رَجَا صَدِي الْجُوفِ مِرْتَادًا كُدَاهُ صَلُودُ

يقول : ليس جميع ما يشتمل عليه صدرى ، ويشقى فى الموى بتحملة جوانحى ، يمكننا إظهاره ؛ ولا كل ما تطيقه النفس ، أو لا تنهض به ، يسهل دفعه ؛ فأننا أسير الموى وتبنيعه ، متردد فى بلواه ، لا أجده منه مخلصا ، ولا أستطيع عنه ملجأ ومناصا .

وقوله « وَإِنِّي لَأَرْجُو الْوَصْلَ مِنْكَ » يقول : وصلى ما أصفه من حالى فيك أرجو وصالك رجاء إنسان شديد العطش ، يطلب للماء من موضع حفره فأكدى ، أى بلغ كد يته ، وهى حجرة يعرض فى البئر عند الاحتفار فيمتنع قطعها بالماول ، وجمعها كدى . وهذا مثل ، وللعنى أن رجائى فى خيرك مع حاجتى رجاء رجل عطشان يطلب الماء ويرجوه من بئر هكذا . والصود : اليابس ، ويقال للبخيل : أضلد وضلد وصلود ، تشبيها به ، وكذلك زند وصلود إذا لم يور . والمتراد : الطالب ، ومنعوله محذوف ، ويموز أن يعنى بالمتراد المطلوب ، ويراد به الماء ، وقد أقام الصفة مقام الموصوف ، وعلى الوجه الأول ينتصب على الحال .

٦- وَكَيْفَ طَلَابِي وَصَلْ مَنْ لَوْ سَأَلْتَهُ قَدَى الْعَيْنِ لَمْ يُطْلِبْ وَذَلِكَ زَهِيدُ

٧- وَمَنْ لَوْ رَأَى نَفْسِي تَسِيلُ لَقَالَ لِي أَرَأَيْكَ صَحِيحًا وَالْفَوَادُ جَلِيدُ

يصف بخلها وتمتعها فيقول : كيف أستعجز طلب وصال إنسان لو سأله إزالة قذى العين لم يجبنى إليه ، وذلك قليل فيما يسأل ويلتمس . فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ، كما قال الآخر (١) :

يَا صَخْرُ وَرَادَ مَا قَدْ تَفَاذَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِى وَرْدِهِ عَارُ

(١) هو الخنساء من قصيدة فى ديوانها . وانظر الكامل ٧٣٧ ليسك .

يريد: ما في ترك وروده عارٌ، غَدَف المضاف . ويجوز أن يريد لو سأله
ألا يُقْدَى عيني ، كما تقول : سألت فلاناً ضربَ فلان ، أى استوهبته صرَّبه
لم يُطْلَبْنِي . ويجوز أن يريد من لو سأله تافهاً لا خطر له ولا اعتداد به ،
فصرَّبَ المثل بالقْدَى ، والمعنى : لو سأله ما يُقْدَى العين .

وقوله « مَنْ لو رأى نفسى » عَطَفَهُ عَلَى مَنْ لو سأله ، يريد : ولو رأى
دَمِي يَسِيلُ لَقَالَ لِقِسْوَةِ قَلْبِهِ عَلَى : أَرَأَيْكَ صَحِيحاً لَا دَاءَ بِكَ وَلَا آفَةَ ، وَقَلْبُهُ
جَلِيدٌ ، أَيْ يَرِقُّ لِي وَلَا يَرْحَنِي ، والمراد على هذا بالقلب قلبُ المرأة ، ويكون
« الوافى » والفؤاد « واو الحال ، ويجوز أن يكون من تمام الحكاية ومن كلام
المرأة ، والمعنى أَنَّهَا تقول مع ما تَرَى من سَيِّلانِ دَمِي : أَرَى نَفْسَكَ صَحِيحَةً ،
وَقَلْبَكَ ثَابِتاً مَاضِياً ، لَا آفَةَ بِكَ وَلَا غَائِلَةً .

٨ - قَبَائِهَا الرِّيمُ الْمُحَلَّى لَبَانُهُ بَكَرْمَيْنِ كَرَمِي فَضَّةٌ وَفَرِيدُ
٩ - أَجِدِّي لَا أُمْسِي بِرَمَّانٍ خَالِيَا وَغَضُورَ إِلَّا قِيلَ أَيْنَ تُرِيدُ^(١)

كَأَنَّهُ اسْتَعْطَفَهَا وَذَكَرَ إِشْتِهَارَ بَهَا ، وَتَوَجُّهُ الشَّهْمِ إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا ، حَتَّى ضَلَّقَ
بِهَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ تَجَالَهُ ، وَتَعَسَّرَ عَلَيْهِ وَإِنْ تَفَرَّدَ فِيهَا بِمِثْلِهِ .

وَالرِّيمُ : الظَّبْيُ الْخَالِصُ الْبَيَاضُ . وَالْمُحَلَّى لَبَانُهُ ، أَيْ تَرَاتِبُهُ . بَكَرْمَيْنِ ،
أَيْ بِقِلَادَتَيْنِ . وَالْفَرِيدُ : الدَّرُّ . وَاللَّبَانُ : الصَّدْرُ . وَقَوْلُهُ « وَفَرِيدُ » إِنْ جَعَلْتَهُ
مَعْلُوفاً عَلَى فَضَّةٍ يَكُونُ إِقْوَاءً ، وَلَوْ أَنَّ تَرْفَعَهُ بِالْإِبْدَاءِ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ
قَالَ : وَفَرِيدُ فِيهِمَا . وَيُرْوَى : « كَرَمًا فَضَّةٌ وَفَرِيدُ » ، فَيَنْعَطِفُ الْفَرِيدُ عَلَى
« كَرَمًا » وَيَكُونُ الْكَلَامُ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ لَا الْإِبْدَالِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : هَا كَرَمًا
فَضَّةٌ وَفَرِيدُ . وَهَذَا أَصَحُّ وَأَجُودُ .

(١) التبريزي : « لَا أُمْسِي » ، تَمَّ قَالَ : « وَيُرْوَى : لَا أُمْسِي » .

وقوله « أَجِدِّي » يريد: أعلى جِدِّي مَنِي هذا الأمر، وهو أُنِّي لا أُنسِي
عنفرداً بنفسى بَرَمَانٍ وَغَضُورٍ إِلَّا قِيلَ: أَيْنَ مُرَادُكَ. و « أَجِدِّي » في موضع
المصدر، والفعل العامل فيه محذوف، وذكر الإساء والمراء الإساء والإصباح
جميعاً، لكنه اكتفى بذكر أحدهما لعلم الناس بأن حاله فيما ذكره يستوى فيه
الليل والنهار.

٥٨٣

وقال رجل من بني الحارث:

١- مَنِي إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنِي وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا

٢- أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى حِسَانًا كَأَمَانَا سَقَمْتُكَ بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَمًا بَرْدًا^(١)

المَنِي: جمع مُنِيَّةٍ، وموضعها من الإعراب رَفَعٌ على أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف،
كأنه قال: هِيَ مَنِي. فيقول: هذه الخصال التي تَمُدُّ بِهَا أَنْفُسَنَا فِي هَذِهِ الْمَرَاةِ
وَتَعْدِنَا بِهَا، لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ صَادِقَةً أَوْ كَاذِبَةً؛ فَإِنْ جَاءَتْ صَادِقَةً مُحَقَّقَةً
فَعَى أَحْسَنَ الْأَمَانِي وَأَوْفَقَهَا لِلنَّاسِ، وَإِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَإِنَّا نَعِيشُ بِذِكْرِهَا
نَنْتَظِرِينَ لَهَا زَمَنًا مَمْدُودًا، وَعِيشًا وَاسِعًا رَافِعًا.

وقوله « أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى » نَصَبٌ بِإِضْمَارِ فَعْلٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَذْكَرُ أَمَانِيٍّ
مِنْ سُعْدَى. وَكَرَّرَ لَفْظَ سُعْدَى تَلَذُّذًا لِاسْمِهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي أَنَّ الْأَعْلَامَ
وَأَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ يُفَعَّلُ بِهَا ذَلِكَ. والمعنى: أَذْكَرُ أَمَانِيٍّ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاةِ جَبَلَةً تَرْجَى
أَوْقَاتِنَا، وَكَأَنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ قُلُوبِنَا مَوْقِعُ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ ذِي الْفُلَّةِ الصَّادِي. وقوله
« زَمَنًا رَغَدًا » الرَّغْدُ: السَّعَةُ فِي الْعِيشِ. ويقال: عِيشَ رَاغِدًا وَرَغِيدًا. وانتصاب
رَغَدًا على أَنَّهُ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: عِشْنَا عِيشًا رَغَدًا بِهَا زَمَنًا.

(١) التبريزي: « من سعدى رواء »، مع رفع « أمانى » و « رواء ».

ولا يتمتع أن يكون صفة لقوله زَمَنًا ، كَأَنَّهُ قَالَ عَيْشًا وَاسِمًا . وقوله « على ظلمي برؤا » يريد ماء ذا برد .

٥٨٤

آخر (١) :

- ١- وَخَبَرْتُ سُودَاءَ الْقُلُوبِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِ بَيْضَرَ أَعُوذُهَا
 - ٢- فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا أَتَبَرَّيْتُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا
- قوله « خَبَرْتُ » تتمدَّى إلى ثلاثة مفاعيل ، ومريضةً للفعول الثالث .
 وقوله « أَعُوذُهَا » في موضع الحال من أَقْبَلْتُ . ويجوز أن يريد بقوله « سوداء القلوب » أنها تحلُّ من القلوب محلَّ الشويداء منه ، كأنَّ القلوب على اختلافها

(١) هو العوام بن عقبة بن كعب بن زهير . وكاف من سبب الشعر ما روى التبريزي عن أبي محمد الأعرابي أن صواب رواية البيت الأول : « سوداء الغميم » ، وأنَّ سوداء الغميم امرأة من بني عبد الله بن غطفان ، اسمها ليلي ولقبها سوداء ، وكانت تنزل الغميم من بلاد عطفان وكان عقبة بن كعب بن زهير ينسب بها ، ثم علقها بدمه ابنه العوام بن عقبة وكلف بها ، وكانت تجده به كذلك ، فخرج إلى مصر في ميرة فبلغه أنها مريضة ، فترك ميرته وكرنحوها وأنشأ يقول :

نبئت سوداء الغميم مريضة	فأقبلت من مصر إليها أعودها
فيا ليت شعري هل تغير بعدنا	ملاحة عيني أم يحسى وجيدها
وهل أخلفت أثوابها بعد جسة	ألا حبذا أخلاقها وجديدها
ولم يبق يا سوداء شيء أحبه	وإن بقيت أعلام أرض وبيدها
فوالله ما أدري إذا أنا جئتها	أأبرئها من دائها أم أزيدها
نظرت إليها نظرة ما تصرفي	بها حر أنعام البلاد وسودها
ولو أن ما أبقيت مني معلق	بعود ثمام ما تأود عودها

فلم يزل يلطف حتى رآته ورآها ، فأومأت إليه أن ما جاء بك ؟ فقال : جئت حائداً حين علمت حلتك . فأشارت إليه أن ارجع فإنني خافية . فرجع لميرته واستعز بها المرض ، فبجعت تنوله إليه حتى ماتت . فبلغه الخبر فقال :

سقى جسداً بين الغميم وزلفة
وفيها يقول :

وإن تك سوداء الدحية فلارقت
فقد مات ملح للغانيات وفورها

تميل إليها وتنطوي على حبها . ويجوز أن يكون كان اسمها سوداء وأضافها إلى
القلوب ، كما قال ابن الدُمَيْنَةِ :

فِي يَا أُمِّمِ الْقَلْبِ نَقْضِ نَحِيَّةَ ونشكو الهوى ثم أقبل ما بدالكِ

ويجوز أن يكون أراد أنها قاسية القلب سوداؤه ، فجمع القلب بما حوله
فقال القلوب ، أو لأنها كأن لها مع كل مُتِمِّم بها قلباً ، فقال القلوب على ذلك .
فيقول : نُبِّيتُ أنها تألمت لعارض علة ، فأقبلت من أهلى بمصر عائداً لها ،
والله أحلف ما أدرى إذا حصلت عندها أصبر شفاء مما بها ، أو أزيد في
شكواها لتبترها بي ؛ كأنه ظن بها تنكراً وحؤولاً عن المهد . وقوله « أم
أزبدها » يريد : أم أزبدها داءً ، فحذف لأن المراد مفهوم .

٥٨٥

وقال آخر :

١- إني وإباك كالصّادى رأى نهلاً ودونه هوةٌ يخشى بها القلقا

٢- رأى بيمينيه ماءً عزّ موزدهُ وليس يملك دُونَ الماءِ مُنصرفاً

يقول : مثلى ومثلك فى مِساسِ حاجتى إليك ، وتناهى رغبتى فى وصلكِ
والنَّيل منك ، وفى احتجازك عني وامتناعك مني ، مثلى رَجُلٌ عطشانٌ شاهد
ماءً ، وقد حال بينه وبين ورودهِ وهدةٌ عميقةٌ يخشى من اقتحامها الملاك ، فلام
بمرأى معه ، وقد غلبه المانع عنه ، ليس يقدر على انصرافه من دونه ، فلغلبه
العطش عليه ، وشدة الفاقة إليه ، فكذلك أنا وأنتِ . وقوله « رأى نهلاً »
فى موضع الحال ، وقد مقدّرة فى الكلام ، لأن رأى ببناءً للماضى . والنَّهْلُ
وَالْمَنْهَلُ : اللام ، وموضع الماء . وقوله « ودونه هوةٌ » فى موضع الصفة للنَّهْلُ ،
كما أن عزّ موزدهُ فى موضع الصفة للماء . وإلما قال « رأى بيمينيه » فذكر

العَيْنَ بَأَكِيداً لِلرُّؤْيَةِ . ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِمِخَانِهِ﴾ وما أشبهه .

٥٨٦

وقال آخر :

١- أَلَا بِأَيْدِنَا جَعْفَرٌ وَبِأَمِينِنَا نَقُولُ إِذَا الْهَيْجَاهُ سَارَ لَوَاؤُهَا
٢- وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ مَا خَوْفِ قَوْمِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَطُولَ بِقَاؤُهَا
قوله « أَلَا بِأَيْدِنَا » ، الجملة في موضع المفعول لقوله نقول . والباء من « بِأَيْدِنَا »
تعلق بفعل مضمر ، والمراد : نفدي بأيدينا وأممنا جعفرًا إذا سار الجيشُ وحمل
لواء الجيش قاصدًا إلى الهيجاء . وأضاف اللواء إلى ضمير الهيجاء لحاجتها إليه .
وقوله « وَلَا عَيْبَ فِيهِ » يريد أن جعفرًا يرى من العيوب إلا من مخافة
قومه على نفسه ألا تطول مدتها ، ولا يتنفّس أهلها . وليس ذلك بعيب ، وإنما
يُسَفِّقون مما ذكر تنافسًا في حياته ، ورغبة في الانتفاع به وبمكانه ، لكنه
أراد أن من ذلك معيبه ، فكيف يكون مريضه .

فإن قيل : إِمَّ أَدْخَلَ هَذَا فِي جَمَلَةِ النَّسِيبِ وَإِسْهُوَ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : لَطَافَةُ
الْفُظْهِ وَحِلَاوَةُ مَعْنَاهُ ، وَمُنَاسِبَتُهُ بِذَلِكَ لِلنَّسِيبِ ، أَدْخَلَتْهُ فِي هَذَا الْبَابِ . وَقَدْ
فَعِلَ لِمِ هَذِهِ الْعَلَّةِ مِثْلَ هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ ، وَتَبَيَّنَ عَلَيْهِ (١) .

٥٨٧

وقال آخر :

١- وَإِنِّي عَلَى هِجْرَانِ بَيْتِكَ كَالَّذِي رَأَى نَهْلًا رَبًّا وَلَيْسَ مِنْهَا
٢- يَرَى بَرْدَ مَاءٍ ذَبَدَعْنُهُ وَرَوْضَةً بَرُودَ الصَّحَى فَيَنَاقَةُ بِالْأَصَانِلِ
يقول : إِنِّي عَلَى مَا أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ تَمَرُّلِي لِبَيْتِكَ ، وَمَهَاجَرَتِي لِمَنَّاكَ ، وَلَمَّا

(١) انظر ما سبق في ص ١٢٦٧ .

أتقَى به من مكاشفة الرُقباء على ترشدهم بالسكروه لى ولك ، واختلافهم فى التقاط
 حديتى وحديثك ، لكالمطشان وقد رأى ماء مُزَوِّجاً كثيراً ، بارداً شهيماً ،
 مُمنِع منه ، وشافه^(١) روضةً باردة الظل عند الصُحَاء ، كثيرة الأفنان والغُصون ،
 إذا هبَّت رياح العِشاء فحِيل بينه وبينها . والنَّهْلُ : الماء . والنَّاهِلُ : الرِّيان هاهنا ،
 ويكون العطشان أيضاً فى غير هذا . وذِيْدَ عنه ، أى مُنِع منه . والفيئانة :
 الكثرة الأفنان ؛ وهو قِيَمَالٌ . والفَنَن : المُصَن . والأصائل : العِشِيَّات .
 وقوله « يرى برْد ماء » ، يقول : يرى ماء بارداً ، لأنَّ البرد لا يُدرَك
 بالعين . وإن شئت قلت : جملة المبالغة فى الوصف كالحسوس .

٥٨٨

ونال آخر :

- ١ - فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْغَضَى إِنَّ بِالْغَضَى رَقَارِقَ لَا زُرْقَ الْعُيُونِ وَلَا رُمْدًا^(٢)
 - ٢ - أَكَادُ غَدَاةَ الْجِرْجِزِ أَبْدَى صَبَابَةً وَقَدْ كُنْتُ غَلَابَ الْهَوَى مَاضِيًا جَلْدًا
- يخاطب صاحبتين له يسألهما أن يجوزا بأهل الغضى ، لأنَّ فيها نساء يترقق
 ماء الشَّبَاب فيهن ، لا زُرْقَ فى عيونهن ولا رَمْد . ويقال : فتى رَقَارِقُ ، وفتاة
 رَقَارِقُ ، وللرَّاد به ابتداء الشَّبَاب . وذكر بعضهم أنَّ المراد بالرقارق مياه رقيقة ،
 وأنَّ الزُّرْقَ الصَّفِيَّة ، والرَّمْدُ التَّغْيِيرُ الألوان ، والأوَّل أقرب ، لأنَّ الرَّمْدَ
 لا يُستعمل إلَّا فى الحاسية ، ولأنَّ الفائدة فى كون مياه الغضى على هذه الصِّفَّة
 قليلة . وقصدُ الشاعر فيما كَلَّفَ صاحبتيه أن يحدِّدا عهداً بأهل الغضى ، ويتعرَّفا
 من أخبار محبوبته ، ما تسكن نفسه إليه . وفى قوله « إِنَّ بِالْغَضَى رَقَارِقَ » ، إذا
 جمعت الرَقَارِقَ نساءً ، تَسِيَّبُ بها وبصواحبها : وقوله « لَا زُرْقَ الْعُيُونِ » ،

(١) كذا فى النسختين ، ويعنى بها المقاربة . (٢) ل وانتبريزى : « مرا » ، بالخرم .

قَبِلَتْ لَهُنَّ كَحَلِّ الْعَبُودِ وَسَلَامَتَهَا مِنَ الْآفَاتِ ، بِفِي الْأَضْدَادِ عَنْهَا ، وَهَذَا كَتَحْدِيدِ الشَّيْءِ بِالسَّلْبِ .

وَقَوْلُهُ « أَكَادَ غَدَاةَ الْجِزْعِ » يَصِفُ مَا نَالَهُ غَدَاةَ يَوْمِ الْبَيْنِ ، وَأَنَّهُ مَعَ ثَبَاتِهِ فِي الشَّدَائِدِ ، وَصَبْرِهِ عَلَى النَّوَائِبِ ، وَحُسْنِ تَمَاسُكِهِ عَنْ جَوَابِ الْهَوَى ، يَفْتَضِحُ وَيُظْهِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْاِكْتِنَابِ وَالْوَجْدِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مُسْتَكِنَاتِ صَبَابَتِهِ ، وَخَزَائِنَاتِ أَحْوَالِهِ .

٣ - فَلِلَّهِ دَرَى أَى نَظَرَةٍ ذِي هَوَى نَظَرْتُ وَأَيْدِي الْعَيْسِ قَدْ نَكَبَّتْ رَقْدًا^(١)

٤ - يُقَرَّبُنْ مَا قَدْ آمَنَّا مِنْ تَنُوفَةٍ وَيَزْدَدُنْ يَمْنُ خَلْفَهُنْ بِنَا بُقْدًا

قَوْلُهُ « اللَّهُ دَرَى » يَجْرِي بِجَرَى : اللَّهُ خَيْرِي . وَمِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَنْسُبُوا مَا يُعْجِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَهُ . وَقَدْ فَارَقَ دَرَى بِالِاسْتِعْمَالِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لِلْمَصَادِرِ ، فَلَا يَتَمَلَّقُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِهَا . وَقَوْلُهُ « أَى نَظَرَةٍ ذِي هَوَى » تَعْجِبُ ، وَانْتَصَبَ أَى بِنَظَرْتُ . وَكَأَنَّهُ لَمَّا صَبَرَ عِنْدَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ الْفِرَاقِ وَلَوَازِعِ الْبَيْنِ ، وَصَارَ بِمَرَأَى مِنْهُ وَبَسَمَعٍ ، مِنَ التَّهَيُّؤِ لِلْارْتِمَالِ ، وَمِنْ تَدْبِيرِ عَوَارِضِ السَّعْرِ ، عَدَّ ذَلِكَ مِنْ نَظَرِهِ وَجَلَدَهُ شَيْئًا عَجِيبًا . وَمَعْنَى « نَكَبَّتْ رَقْدًا » وَهُوَ مَوْضِعُ كَانَ يَجْمَعُهُمْ . وَبِمُجُوزِ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ نَظَرَهُ فِي إِثْرِ الظُّمَأْنِ تَحْشُرًا وَصَاحِبَتُهُ مَعْنَى ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

بَعِثَنِي ظُفْنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا وَقَوْلُهُ^(٣) :

وَلَمَّا بَدَا حَوْرَانُ فِي الْآلِ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بِمِثْلِكَ مَنظَرًا^(٤)

(١) التبريزي : « أَى نظرة ناظر » ، وأشار إلى الرواية الأخرى .

(٢) هو امرؤ القيس . ديوانه ٩٠ .

(٣) هو امرؤ القيس . ديوانه ٩٥ .

(٤) يروي أيضًا : « والآن دونه » .

ويكون على هذا قوله « نَكَبْتُ رَقْدًا » معناه انحرفن عنه وتركته ،
لكونه مفرق الطارق .

وقوله « يقرَّبُنا ما قدَّ آمنا من تنوفة » وصف العيس بالشرعة . والتنوفة :
المنافذة . والمراد أنَّ ما يقطعها غيرها في يومين تقطعها هذه في يوم . والكلام
تحشُّرٌ وتوجُّع ، لتباعدِه عن هواه معهم . ومثله قول الآخر :

إذا نحنُ قلنا وردُّهُنَّ ضُحَى غَدٍ تَمَطَّيْنِ حَتَّى وَرِدُّهُنَّ طُرُوقُ
وتعلَّق الباء من قوله « بنا » بقوله يَرَدِّدُن . وبعداً ، انتصب على التمييز .

٥٨٩

وقال ابنُ هَرَمٍ الطَّائِي (١) :

١ - إِنِّي عَلَى طُولِ التَّجَنُّبِ وَالْقَوَى وَوَاشٍ أَتَاهَا بِي وَوَاشٍ بِهَا عِنْدِي (٢)

٢ - لِأَحْسِنُ رَمِّ الْوَصْلِ مِنْ أَمِّ جَمْفِرٍ بِحُدِّ الْقَوَايِ وَالْمُنَوَّقَةِ الْجُرْدِ

يصفُ حَسَنَ تَأْتِيهِ فِي عِمَارَةِ الْهَوَى وَالْحَبِّ ، وَبَلِيغَ لُطْفِهِ فِي تَلَاْفِي مَا يَخَافُ
انْقِطَاعَهُ مِنْ عِلَاقِ الْوَصْلِ ، وَانْتِكَائِهِ مِنْ وَثَاقِ الْعَهْدِ ، لَوْ شَاءَ وَاشٍ ، أَوْ
تَضْرِيْبُ مُفْسِدٍ ، أَوْ قَذَحِ سَاعٍ بِالنَّمَامِ مُتَزَيِّدٍ . فيقول : إِنِّي عَلَى مُطَاوَلَةِ الْبِعَادِ ،
وَمُعَاوَنَةِ الْوُشَاةِ بِالتَّحْرِيشِ وَالْإِفْسَادِ ، لِأَحْسِنُ عِمَارَةَ الْحَالِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، وَرَمِّ
مَا يَسْتَرِيْمُ مِنْ جَوَانِبِ وَصَالِهَا ، بِمَا أَنْظِمُهُ مِنَ الشَّعْرِ ، وَأَحْكِمُهُ مِنْ عُقْدِ السَّحَرِ
فِي رَسَائِلِي ، وَأَرْدُدُهُ مِنَ الرُّسُلِ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَيْهَا عَلَى رَوَاحِلِي . وقيل في الحُدِّ : إِنَّهَا
الْأَبْيَاتُ لِلْمُنَافَذَةِ ، وقيل : هِيَ الْخَفِيْفَةُ الْوِزْنِ ، اللَّطِيْفَةُ السَّنْبَكِ . وقيل : إِنَّهَا
الْمُسْتَقَلَّةُ بِأَنْفُسِهَا ، وَيُقَالُ : بَيْتٌ أَحَدٌ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مُضْمَنًا . وَالْمُنَوَّقَةُ : الْمَرْوُضَةُ

(١) التبريزي : « الكلاب » .

(٢) التبريزي : « التجنب والهوى » و « لما عندي » .

المُذَلَّلَة من الثوق . كذا قال الخليل . والجُرد : السَّراع . ويقال : نَجَاء
أَجْرَدُ . قال الشاعر :

* جَذَبَ الْقَرِينَةَ لِلنَّجَاءِ الْأَجْرَدِ ^(١) *

وخبر إن في قوله « لَأُخْسِنُ رَمَّ الْوَصْلِ » .

٣- وَأَسْتَخْبِرُ الْأَخْبَارَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرُّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي

٤- فَإِنْ ذُكِرَتْ فَاصْتُ مِنَ الْعَيْنِ عَهْرَةً عَلَى لِحْيَتِي نَثْرَ الْجُمَانِ مِنَ الْعَقْدِ

قوله « وَأَسْتَخْبِرُ الْأَخْبَارَ » ، يجوز أن يكون على حذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه . والمراد : وأسْتَخْبِرُ ذَوِي الْأَخْبَارِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا . ويجوز أن
يريد أرجعُ فيما أعرف من أخبارها فيما بيني وبين نفسي حالاً بعد حال ، طالباً
لاستخراج زيادة فيها ، ومستمتعاً بما يكون حاصلها فيها ، فكأنني أسْتَخْبِرُ نَفْسَ
الخبير . وقوله « وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرُّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي » مثله قول الآخر .

* وَذِكْرُكَ مِنْ بَيْنِ الْحَدِيثِ أُرِيدُ *

استحلاء لاسمها ، وتلذذاً بذكرها .

وقوله « فَإِنْ ذُكِرَتْ » يقول : وإذا قرعَ سَمِي ذِكْرُهَا بِكَيْتٍ شَوْقاً إِلَيْهَا ،
ووجدأبها ، فسأل اللامعُ من عيني ، وانقثر ما غشي ليحيتي منه نَثْرَ الْجُمَانِ مِنْ
قِلَادَةٍ لَمْ يُتَقَدَّ نِظَامُهَا ، وَخَانَ سِلْكُهَا ، وَتَنَاقَرَ حَبَاتُهَا . وانتصب « نَثْرَ » على
المصدر من غير لفظه ، فهو كقولك : تَبَسَّمتُ وَمِیْضُ اللَّبْرِقِ . وقوله « عَهْدُهُمْ
عَهْدِي » ، الجملة في موضع الحال من أسأل .

(١) النجاء : السرعة . والقريضة : الناقة تشد إلى أخرى .

٥٩٠

وقال عمرو بن حكيم^(١) :

١- خَلِيلٌ أَمْسَى حُبَّ خَرْقَاءَ عَامِدِي فِي الْقَلْبِ مِنْهُ وَقَرَّةٌ وَصُدُوعٌ

٢- وَلَوْ جَاوَرْتَنَا الْقَامَ خَرْقَاهُ لَمْ نُبَيِّلْ عَلَى جَدْنِنَا إِلَّا يَصُوبَ رَيْبِعُ

جمل « أَمْسَى » لاتصال الوقت . وخَرْقَاءَ : اسم امرأة . وقوله عَامِدِي :

مُفْرَضٌ ، يقال : أَيُّ شَيْءٍ يَمْدُكَ ، أَيُّ يُوْجِعُكَ . والوَقَرَةُ : الهَزْمَةُ وَالْأَثَرُ .

يقال : وَقَرْتُ لَشَيْءٍ ، إِذَا جُعِلَ فِيهِ وَقَرَاتٌ . قال الهذلي^(٢) :

* فَوَقَّرَ بَرٌّ مَا هُنَالِكَ ضَامِعٌ^(٣) *

يَعْنَى بِالْبَرِّ سَيْفًا .

يقول : يَا خَلِيلَ ، إِنَّ حُبَّ خَرْقَاءَ أَمْسَى يَقْدَحُ فِي قَلْبِي ، فَقَدْ صَارَ فِيهِ مِنْ

أَجَلِهِ صُدُوعٌ ، وَأَثَارٌ وَشَقُوقٌ ، وَلَوْ اتَّفَقَ فِي هَذَا الْعَامِ مَعَهَا اجْتِمَاعٌ لَمْ نُبَيِّلْ وَإِنْ

أَجَدْنَنَا إِلَّا يَبْقَعُ مَطَرٌ ؛ إِذْ كَانَ التَّبَرُّكُ بِهَا ، وَالِاسْتِسْمَادُ الشَّامِلُ بِمَكَانِهَا ، يَقُومُ

مَقَامَ كُلِّ خِصْبٍ . وقوله « لَمْ نُبَيِّلْ » جَزَمَهُ مَرَّتَيْنِ لِأَنَّهُ كَانَ نُبَالِي ، فَدَخَلَ

الْجَازِمُ عَلَيْهِ فَحَذَفَ لَهُ الْيَاءَ فَصَارَ لَمْ نُبَالٍ ، ثُمَّ أَسْكَنَ اللَّامَ بَعْدَ أَنْ طَلَبَ تَخْفِيفَهُ

لِكَثْرَتِهِ فِي الْكَلَامِ ، فَالْتَقَى سَاكِمَانِ : الْأَلْفُ وَاللَّامُ ، فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ لِالْتِقَاءِ

السَّاكِمَيْنِ ، فَصَارَ لَمْ نُبَيِّلْ ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَنْقَاسُ . وقوله « عَلَى جَدْنِنَا » فِي مَوْضِعِ

الْحَالِ ، تَقْدِيرُهُ مُجْدِبِينَ . وَيُقَالُ : صَابَ الْمَطَرُ يَصُوبُ ، إِذَا وَقَعَ . وَالرَّيْبِعُ :

(١) التبريزي : « عمرو بن حكيم » . وفي معجم المرزباني ٢٤١ : « عمرو بن حكيم

ابن ممية التيمي ، من ربيعة الجوح ، إسلامي » . وأُنشِدَ لَهُ الْبَيْتَانِ .

(٢) هو قيس بن عيزارة الهذلي . ديوان الهذليين (٣ : ٨٧) . وانظر ما سبق

في ١٤١ ، ٣٩٠ .

(٣) صدره : • فَوَيْلَ امْ بَزْ جَرِ شَمْلٍ عَلَى الْحَصَى •

المطر . ويقال : ما باليتُ بكذا وكذا بالة وبالية . أى لم نُبالِ بأن تقطع الأمطارُ على ما بنا من جذب .

٥٩١

وقال آخر^(١) :

١ - أَلَمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا بِهَا أَهْلَهَا مَا كَانَ وَخْشًا مَقِيلَهَا
٢ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلَهَا
يأمرُ صاحبه بزيارة دار حبيبه ، ولو كان ساعة . وخصَّص الدار بقوله « التى لو وجدتُها بها أهلها » ، والمعنى التى لو وجدتُها مأهولة ما كان موضعها وَخْشًا ، أى خاليًا مُوحِشًا ، لكثرة أهلها وكثرة غواشي النعم فيها . وفى الحديث . « أن قريشًا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا لأكرمُ مقامًا وأحسنُ مَقِيلًا » ، أى موضعًا ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ - يعنى النبي عليه السلام وأصحابه - ﴿ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ . ويقال : بات فلان وَخْشًا ، أى خالى البطن ؛ وتوخَّشَ للدَّواء^(٢) .

وقوله « وإن لم يكن إلا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ »^(٣) ، يريدُ إلا تعريجَ ساعة ، وعطفَ ساعة . ولم يرضَ بأن أضافَ المُعَرَّجَ إلى السَّاعةِ حتَّى وصفه بقوله قليلًا ، وهذا على هذا التقدير يكون من الصفات المؤكَّدة ، لا المُفيدة^(٤) ، كما يحىء الحالُ كذلك . ولا يمتنع أن يريد تعريجًا [قليلًا^(٥)] فى ساعة ، فيكونُ الصَّفةُ مفيدة .

(١) قال أبو ريش : البيت الثانى لذى الرمة فى قصيدته التى أولها :

• أخرقاء لبين استقلت حوفا •

والبيت الثانى بنسبته إلى ذى الرمة فى ديوانه . ٥٥٠ وأمالى القالى (٢١٦ : ٣) والفتية لابن جنى ،

(٢) يراد بالدواء المسهل . وتوخَّشَ للدَّواء ، إذا أخل معدته ليكون أسهل لخروج الفضول .

(٣) فى الديوان : « فإن لم يكن إلا تعلل ساعة » .

(٤) المفيدة ، بالغاء فى الفسخين والتبريزى .

(٥) التكلة من ل .

وقوله « فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا » يجوز أن يرتفع قليلها بنافع ، ونافعٌ خبر إن ، كأنه قال : فَإِنِّي بنفعي قليلها . ويجوز أن يكون قليلها مبتدأ ونافعٌ خبر له مقدم عليه ، والجملة في موضع خبر إن ، والتقدير إني قليلها نافعٌ لي ، وانتصب مَرَجٌ على أنه خبرٌ لم يكن ، أراد : وإن لم يكن الإلامُ إلا مَرَجٌ ساعة .

٥٩٢

وقال آخر :

١ - مَاذَا عَلَيْكَ إِذَا أَخْبَرْتَنِي دَنَفًا رَهْنَ اللَّيْتَةِ يَوْمًا أَنْ تَعُودِينَا^(١)
 ٢ - أَوْ تَجْعَلِي نُظْفَةً فِي الْقَبِّ بَارِدَةً وَتَقْمِيسِي فَآكِ فِيهَا ثُمَّ تَسْقِينَا
 قوله « دَنَفًا » أي مُشْرِقًا على الهلاك ، وانتصابه على أنه مفعول ثالث لخبر . وقوله « ماذا عليك » لفظه استفهام ومعناه تقريع وبمث . وانتصب « رهنَ الليتة » لأنه صفة لدنفا ، ومعناه في ضمن الليتة ومَلَكَتِهَا ، وكالرهن عندها ، إن شئت أغلقتة ، وإن شئت فَكَّكْتُهُ . والراد : أي شيء عليك من أن تعودينا ، إذا أَخْبَرْتَنِي عليلاً . فقوله « عليك » يقتضي فعلاً ، وذلك الفعل يعمل في أن تعودينا ، وقد حُذِفَ حرفُ الجرِّ منه ، أي لا عارَ عليك ولا ضررَ من عيادتنا ، ولا من مداواتنا بماه هذه صفته ، فهلاً فعلت . وقوله « يَوْمًا » ظَرَفٌ لخبرتي . وقد تقدم القول في « ماذا » في مواضع^(٢) .

(١) دنفا ، بفتح النون وكسرها ، كما ضبطت في النسختين مقرونة بكلمة « ما » فيها .

(٢) انظر ص ٨١١ ، ٩٣٤ .

٥٩٣

وقال جميل^(١) :

- ١- بُدِّيْنُهُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبْصَّرَتْ عَمَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا تُسَبَّتْ أَشْبُ
٢- لَهَا النَّظَرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ وَإِنْ كُرَّتِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقَبُ^(٢)
٣- إِذَا ابْتَدَلَتْ لَمْ يُزْرِهَا تَرْكُ زِينَةٍ وَفِيهَا إِذَا اِزْدَانَتْ لِذِي نَيْقَةٍ حَسْبُ
تُبْصَّرَتْ ، أَى اسْتَقْصَى النَّظَرُ إِلَيْهَا ، وَالْكَشْفُ عَنْ حَالِهَا . وَالْعَمَابُ :
الْعَمِيبُ . وَالْأَشْبُ : اِخْلَاطٌ : يَقُولُ : إِنَّهَا عِنْدَ السُّبْرِ وَالنَّظَرِ ، وَالْكَشْفُ وَالنَّائِلُ ،
نَقِيَّةٌ مِنَ الْعَمِيبِ ، بَرِيَّةٌ مِنَ الشَّوْبِ ، فَلَهَا عِنْدَ اللَّبَالِغَةِ فِي الْبَحْثِ النَّظَرَةُ الْأُولَى ،
وَلَهَا الْبَسْطَةُ وَهِيَ النَّظَرَةُ الثَّانِيَّةُ ، وَبِمَعْنَى بِهَا أَنْ يُبَسِّطَ التَّمْيِيزُ عَلَى مَا يَتَجَلَّى
مِنْ أَمْرِهَا ، وَيُسَلِّطَ التَّنْقِيرَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا يَخْفَى مِنْ أَحْوَالِهَا . قَالَ : وَلَهَا الْعَقَبُ
أَيْضًا ، وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ النَّظَرِ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ الْجَرْمَى بِمَدِّ الْجَرْمَى . وَالْعَرَبُ
تَقُولُ : « النَّظَرَةُ الْأُولَى حَقَاءُ » فَهَذَا قَالَ : لِهَذِهِ الْمُرَآةِ النَّظَرَةُ الْأُولَى ، وَلَهَا
الْكَشْفَةُ الثَّانِيَّةُ وَهِيَ الْبَسْطَةُ ، وَلَهَا الْبَحْثَةُ الثَّالِثَةُ ، وَهِيَ تَعْقِبُ التَّجَرُّبَتَيْنِ
بِتَجَرُّبَةٍ ثَالِثَةٍ .

وقوله « إِذَا ابْتَدَلَتْ » يَقُولُ : إِذَا تَرَكْتَ التَّزْيِينَ وَاکْتَسَتْ الْمُبَادِلَ
لَمْ يَقْصُرْ بِهَا ذَلِكَ ، وَإِنْ تَزَيَّنَتْ كَانَ فِيهَا لِلتَّنَاقُقِ الْكَفَايَةُ مِنْ جَمِيعِ مَا بَطْلَابُ
فِيهَا نَفْسًا وَخُلُقًا ، وَمُتَنَسِّبًا وَخُلُقًا . وَقَوْلُهُ « لَمْ يُزْرِهَا » أَى لَمْ يُزْرِ بِهَا ، يَقَالُ :
زَرَيْتُ عَلَيْهِ وَأَزَرَيْتُ بِهِ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ الْجَارَ . وَقَوْلُهُ « حَسْبُ » أَى كَافٍ ،

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ١٠١ ص ٣١٤ .

(٢) التبريزي : « ويروى : لها النظرة الأولى عليهن بسطة » .

فهو مبتدأ . على هذا نقول : حَسْبِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ ^(١) ، ومثل هذا قول جرير :
إِذَا حُيِّتْ فَالْحَلَىٰ مِنْهَا بِمَقْدَرٍ مَلِيحٍ وَإِلَّا لَمْ يَشْنِهَا عَوَاطِلُهُ

٥٩٤

وقال الحارثي ^(٢) :

١ - سَلَبْتُ عِظَامِي لِحِمَا فَنَزَكْتُهَا مُجَرَّدَةً تَضْحَى لِمَالِكٍ وَتَخْصُرُ ^(٣)

٣ - وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ نُحْمَا فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ ^(٤)

يقول : أَذْبَنِي هَوَاكِ ، وَأَحْمَسَ اللَّحْمُ مِنْ عِظَامِي وَتَعَرَّتْ ، فَعَى بَارِزَةً
فِي النَّهَارِ لِلشَّمْسِ ، وَعِنْدَ اللَّيْلِ لِلْبَرْدِ ، إِذَا أَوْبَتُ إِلَيْكَ وَأَسْأَدَتْ . و « لِمَالِكٍ »
موضعه بالفعل الذي يقتضيه نصبٌ على الحال ، وإنما قال هذا لأنَّ الميزول الحرَّ
والبردُ إليه أسرع وأشدُّ تميزاً فيه . ويقال : ضَحَى بَضْحَى ضَحَى ، أَصَابَهُ حَرُّ
الشَّمْسِ ، وَلُفَةُ : ضَحَا يَضْحُو ضُحُوًا وَضُحُوًا .

وقوله « وَأَخْلَيْتَهَا مِنْ نُحْمَا » ، يريد أنها أذهبت النُّقَى من العظام أَيْصاً
ورَقَّتْهَا ، نَخَلَتْ مِنْ نُحْمَا وَاسْتَشَفَّتْ ، فَهِيَ كَالْقَوَارِيرِ الْخَالِيَةِ لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ
لَصَفَرَتْ بِمَا يَتَخَلَّلُهَا مِنَ الرِّيحِ صَفِيرَهَا .

وقوله « فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ » الجملة في موضع الصِّفَةِ للقوارير ، وموضع
تَصْفِرُ نصبٌ على الحال إن جملت الرِّيحَ ترتفع بِالظَّرْفِ ، وكذلك مجرَّدة في
موضع الحال . وروى : « فَكَأَنَّهَا أَنَايِبُ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحِ » ، وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ

(١) ابن جني في التنبيه : « ليس حسب هذه هي التي في قولك في الأمر : حسبك يتم
الناس . تلك اسم للفعل ، أي اكفف ، ولذلك جزم يتم كما يجزم جواب الأمر . لكن حسب
هنا هي التي في قول الله تعالى : فإن حسبك الله ، أي كافيك . وأصلها جيماً من قول الله
سبحانه : عطاء حساباً ، أي كافياً . »

(٢) كذا في النسختين والتبريزي . والأبيات منسوبة إلى الهنوني في أمالي القتال (١ : ١٦٢) .

(٣) الأمالي : « معرفة تضحى لديك » .

(٤) وكذا في الأمالي . وعند التبريزي : « فتركتها أنايب »

٣- إِذَا سَمِعْتَ بِأَسْمِ الْفِرَاقِ تَقَفَّقَتْ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلٍ مَا تَنْتَظَرُ^(١)
 ٤- خُذِي يَدِي ثُمَّ أَنْهِي بِي تَبَيَّنِي بِي الْفَرْقِ إِلَّا أَنْتِي أَنْتَرِ^(٢)
 جمل الإخبار عن العظام ، وإن كان ما وصفه حالاً للجملة لا لها وحدها .
 لقوله : سَلَبْتَ عِظَامِي لَهَا . والمعنى إن ذكر الفراق يبلغ منها هذا المبالغ العظيم .
 وهي أنها لا رتمادها تتداخل مفاصلها ويحتك بنضها ببعض حتى تسمع لها
 قمعقة ، وذلك لهول ما ينتظره من وقوعه في نفسه ، واستمطامه للخطاب .
 وفيه وله .

وقوله « خُذِي يَدِي » أراد أن يُرَبِّهَا ما تستبعده من وصف حاله بالخبر
 مشاهدة ، فقال: خُذِي يَدِي مَسْتَهْضَةً لِي يَبِينَ لَكَ أَمْرِي ، ويظهر للكون
 فيك من ضربي ، والجلوبُ على من هزالي ، والمستورُ عنك من سوء حالي ،
 وقوله « إِلَّا أَنْتِي أَنْتَرِ » استثناء منقطع من الأول ، كأنه أراد : لَكُنِّي أَنْتَرُ
 بتجلدٍ أظهِرُهُ ، وبصبرٍ أتقِ الناسَ به . وفي البيت طابق بقوله تَبَيَّنِي وَأَنْتَرِ .
 وأصل تَبَيَّنِي تَبَيَّنِي ، فحذف إحدى التاءين .

ثم باب النسب ، والحمد لله على تظاهر آلائه ، وتوالي نعمائه ،
 والصلاة على سيدنا محمد وآله^(٣) .

(١) القائل :

إِذَا سَمِعْتَ ذَكَرَ الْفِرَاقِ تَقَطَّتْ عِلَاقَتُهَا مِمَّا تَخَافُ وَتَحْذَرُ

(٢) التبريزي : « ثم ارفعي الثوب فانظري » . وأشد بعده هذين البيتين ولم
 يروهما القائل :

فَإِذَا حِيلَتْ لِي لَمْ تَكُنْ لَكَ رَحْمَةً عَلَى وَلَا لِي عَنْكَ صَبْرٌ فَاصْبِرْ
 فَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِيمَا أَظُنُّهُ رِضَاكَ ، وَلَكُنِّي مُحِبٌّ مَكْفُورٌ

(٤) الكلام من أول « ثم » إلى هنا لم يرد في ل .

بَابُ الْفَجَاءِ

بابُ الهجاءِ^(١)

٥٩٥

قال موسى بن جابر^(٢) :

٢- كَانَتْ حَنِيفَةً لَا أَبَالَكَ مَرَّةً عِنْدَ اللَّقَاءِ أَسِنَّةٌ لَا تَنْكَلُ
٣- فَرَأَتْ حَنِيفَةً مَارَاتُ أَشْيَاءِهَا وَالرَّيْحُ أَحْيَانًا كَذَاكَ تَحَوَّلُ

هذا الكلام تهكم وسخرية . ولا أَبَالَكَ : بعث وتمضيض ، وليس بنفي للأبوة ، وخبر لا محذوف ، لأن النية في لا أَبَالَكَ الإضافة ، ولذلك أثبت الألف في أبا ؛ فـ كَانَهُ قَالَ لَا أَبَالَكَ موجوداً أو في الدنيا . وقد مضى القول فيه مشروحاً^(٣) . فيقول : كانت هذه القبيلة فيما مضى من الأيام ، وتَقَعَّى من المرار ، عند لقاء الأعداء وفيما تباشره من الأمور والأحوال ، أَسِنَّةٌ لَا تَكْبُو وَلَا تَضْفُفُ ، فَمَاذَا فِي الدَّرَائِمِ وَمَضَاءِ ، وَلَا تَذْبُو وَلَا تَقِفُ ، كُؤُلَا فِي الْعَمْرَانِمِ وَنُكُولَا ، فقد عادت الآن مقتديةً بأشياءها ، وآخِذَةً إِخْذَمُ فِي الْإِرْتِدَادِ وَالنُّكُوصِ ، وَالْإِحْجَامِ وَالنُّبُو ؛ وَالرَّيْحُ تَتَحَوَّلُ أَحْيَانًا [كَذَلِكَ ، مَرَّةً تَكُونُ شَمَالًا وَمَرَّةً

(١) التبريزي : « الهجاء هو الوقية في الأنساب وغيرها ، ورمى الإنسان بالمعابه ، وأصله التسكرين ، من قولهم : هجا غرثه وجوعه وأهبي ، إذا سكن . فكانه إذا رمى الإنسان بالعيوب سكن من إشرافه . وقيل : بل معناه التفصيل ، ومنه حروف الهجاء ، وهجا فلان الكلمة ، إذا فصل حروفها . فكان للشاعر إذا هجا غيره مزقه وفصله . »

(٢) سبقت ترجمته في المحاسنة ١٢٣ ص ٣٦٣ . قال التبريزي رواية عن يمرف المبرية : « إنما سمى موسى لأنه لما رفع من بين الماء والشجر قالوا : موسى ، كان معناه منشول ، أي غشوه كما ينشل اللحم من القدر » . وهذا يطابق ما ورد في سفر الخروج ٢ : ١٠ .

(٣) انظر ص ٥٨٠ - ٥٨١ .

جنوباً . وقوله « كذا » موضعه من الإعراب نصبٌ على المصدر من تحوّل .
أراد : والريح تتحوّل أحياناً^(١) [تحوّلًا كذلك . أى كما عرفت .

٥٩٦

[وقال قراد بن حنشل الصاردي^(٢) :

- ١- لقومى أرعى للعلى من عصابة من الناس يا حار بن عمرو تسودها
- ٢- وأنتم سماء بمحب الناس رزها بأبدية تنحى شديد وثيدها
- ٣- تقطع أطناب البيوت بحاصب وأكذب شيء برقتها ورعودها
- ٤- فويلها خيلاً بهاء وشارة إذا لاقى الأعداء لولا صدودها

يقول : لقومى أحسن رعاية وتفقدًا ، وأوفر عناية وتكشيبًا لأسباب العلّى وحفظ أواخيها وموادها ، من طائفة من الناس أنت تسوسها وتدبرها ، وما أشبهكم فى كثرة دعاويكم وقلة فعائلكم إلا بسحابة تكثر بروقها ورعودها ، ويحب متائمها ومستمتعها ربائبها وهديرها ، بريح تمعد أبدًا - أى أجوبة أوداهية تبقى على الأبد - شديدة الخفيف ، قطاعة لحبال البيوت بما يحى منها بالحصباء ، ثم تراها مخلفة^(٣) فيما وعدت من المطر ، فأكذب شيء برقتها

(١) التكلة من ل .

(٢) التكلة من التبريزى وابن جنى فى التنبية . وقال المرزبانى فى معجمه ٣٢٧ : « قراد ابن حنشل بن عبد الله بن عبد العزيز بن صبيح بن سلامة بن الصارد بن مرة ، جاهل من شعراء غطفان المشهورين . وهو قليل الشعر جيد . قال أبو عبيدة : كانت غطفان تنغير هل شعره فأخذوه وتدعيه ، منهم زهير بن أبى سلمى ، ادعى الأبيات التى أولها :
إن الرزية لارزية مظلها ما تنجى غطفان يوم أضلت

وهم بنو الصارد بن مرة بن عوف بن غطفان . الاشتقاق ١٧٦ قال التبريزى :
الصارو : النافذ : صرد السهم يصرد صردا .

(٣) كذا فى ل . وفى الأصل : « مخالفة » .

اللَّمَاع ، ورغذها للَنَّبَاح . والباء من قوله « بأبدة » تعلقت بقوله « يُعَجِب »
الذاس « أى يعجب رزها بأبدة ، أى ومعها أبدة » .

وقوله « قَوِيلُهُمَا خِيَلًا » انتصب خيلاً على التمييز ، وحذفت الهمزة من
أَم في قوله « ويلتهما » لكثرة الاستعمال ، وليس الحذف هذا بقياس . والألفظة
تفيد التعمُّب . و « بهاء » انتصب على أنه مفعول له ، فيقول ساخرًا : ويلهما
من خيل ، لسكمال بهائهما ، وحسن شارتهما ، عند لقاء الأعداء ، لولا انهزامهما
وإعراضهما .

وروى : « لَقَوِيْمِي أَدْعَى لِلْعَلَى » بالدال^(١) ، والأوّل أحسن وأصوب .

والعصابة : الجماعة . وقوله « يا حارِبَ بْنَ عمرو » الترخيم في قول من يقول
في النداء يا حارث بن عمرو ، فيَضُم وينوّن في غير النداء ، فيقول : هذا زيدُ بنِ
عمرو^(٢) . وأحسن منه في قول من يقول : يا حارثَ بْنَ عمرو ، فيفتح ويجعل
الأول والثاني بمنزلة شيء واحد ، وذلك أنه يُخرج آخر الاسم إذا جُعِلَ مع
الصِّفَةِ شيئًا من أن يكون آخرًا ، والترخيم يدخل الأواخر لا الأوساط .

وقوله « وأنتم سماء » يُسْثَوْنَ السحابَ سماءً ، وكذلك المطر . ألا
ترى قوله :

(١) التبريزي : « المراد أكثر دعله إلى العل » .

(٢) هذا نص نحوي نادر . وقال ابن جني في التنبيه : « كان القياس ألا يجوز ترخيم
الاسم الموصوف بابن ، من قبل أن العلم إذا وصف بابن فلان فقد جعل مع كالاسم الواحد ،
ولذلك قالوا يا زيد بن عمرو ، ففتحوا الأول لفتحة التاني ، وإذا كانا كالاسم المفرد فقد
حصل جزء الاسم الأول حشوا إذن لا طرفا ، وإذا كان حشوا لم يتطرق عليه حذف الترخيم .
فهذا وجه قياس امتناعه ، غير أنه جاز فيه الترخيم من حيث كان الموضع موضع إيجاز
واختصار ، ولذلك حذف التنوين من الأول ، فلما جاز حذف تنوينه بغير إضافة جاز أيضا
حذف آخره للترخيم » .

إذا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(١)
والرَّزُّ والوَيْدُ جميعاً : الصَّوْتُ . ومعنى تُنْجِي تُقِيلُ . وقوله « لولا
صدودُها » جواب لولا في صدر البيت ، وقد تقدّم القول في المبتدأ بعده وبحيثه
بلا خبر^(٢) .

٥٩٧

وقال عمارة بن عقيل^(٣) :

- ١ - مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَقِيلًا رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ حَرْبٍ عَلَى كَرِيمٍ
 - ٢ - أَلَمْ تَعْلَمْ الْأَيَّامَ إِذْ أَنْتَ وَاحِدٌ وَإِذْ كُلُّ ذِي قُرْبَى إِلَيْكَ مُلِيمٌ^(٤)
 - ٣ - وَإِذْ لَا يَقِيكَ النَّاسُ شَيْئًا تَخَافُهُ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ تَضْمِيمُ
- نمى أن يتفق من يبلغ عقيلاً عنه رسالته ، فأنى بلفظ الاستفهام ، والرسالة
« إنك من حربٍ على كريم » وما بعده . وبني كلامه على الاستمطاف ، ثم
أخذ في التقريع . ومعنى قوله : « إنك من حربٍ على كريم » إنك تكرّم
على من جملة من ينسب إلى بني حرب^(٥) .

(١) لمعود الحكماء معاوية بن مالك ، كما في اللسان (سما) .

(٢) انظر ص ٢٨٣ .

(٣) كذا في النسختين . وعند التبريزي وابن جني : « علس بن عقيل بن علفة » .
وقد سبقت ترجمة عقيل بن علفة في ص ٤٠٠ . وفي الأغاني (١١ : ٨٤) نسبة الأبيات إلى
علفة بن عقيل بن علفة ، وعلفة بن عقيل أخو علس بن عقيل . وأما عمارة فهو عمارة بن بلال
بن جرير بن عطية بن الخطمي ، وكان شاعراً مقدماً نصيباً ، يسكن بادية البصرة ويزور
الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون سلته ، ويمسح قوادهم فيحظى بكل فائدة . وكان النحويون
بالبصرة يأخذون عنه اللغة . الأغاني (١٠ : ١٨٣) . ونسبة الشعر إلى عمارة نسبة خاطئة .
وللأبيات قصة في ترجمة عقيل بن علفة من الأغاني (١١ : ٨٤) .

(٤) التبريزي : « ألا تعلم الأيام » . الأغاني : « أما تذكر الأيام » و « ذم » .

(٥) وقد تابعه التبريزي في هذا الفهم ، وليس لعقيل بن علفة علاقة ببني حرب . وإنما
الحرب هنا العداوة والمشاكة التي كانت مستمرة بين عقيل بن علفة وبنيه ، يعني أنه مع ذلك
يمكن له إكراماً واحتراماً .

وقوله « أَلَمْ تَعْلَمْ الْآيَامُ » تذكير له بخذلان عشيرته إياه ، وتفرد به بما كان يقاسيه ، فيقول : أُنْذِرْ حِينَ كُنْتَ فَرْدًا وَحِيدًا لَا نَاصِرَ لَكَ ، وَإِذْ كَانَ كُلُّ قَرِيبٍ وَنَسِيبٍ لَكَ مُلِيمًا عِنْدَكَ - وَالْمِيمُ : الذي يأتي بما يُبْلَمُ عليه - وَحِينَ لَا وَاقٍ لَكَ مِنْ شَيْءٍ تَخَافُهُ إِلَّا الَّذِينَ أَنْتَ تَظْلَهُمُ السَّاعَةُ . فقوله « إِلَّا الَّذِينَ » استثناء بدل ، ويجوز أن يكون في موضع النصب على الاستثناء المطلق ، والضمير المائد إلى الذين من الصلة محذوف ، استطالة الاسم ، والتقدير : تَضِيئُهُمْ ، أَيْ تَظْلَهُمْ .

وقوله : « أَلَمْ تَعْلَمْ الْآيَامُ » ، أَلَمْ : يقرّر به فيما ثبت ووقع . ويروى « الْآيَامُ » بالرفع ، و « الْآيَامُ » بالنصب . فإذا رويت الْآيَامُ بالنصب يكون الخطاب لتعقيل ، ويكون تَعْلَمُ بمعنى تعرف . والمعنى : أَمَا عَرَفْتَ الْآيَامَ الَّتِي كَانَ حَالُكَ فِيهَا مَا ذَكَرْتَ ، وَأَتَنَسَّى تِلْكَ الْآيَامَ . والمراد بالآيام حوادث الدهر . وقوله « إِذْ أَنْتَ ظَرْفٌ لَهَا » ، وَإِذَا رَفَعْتَ الْآيَامَ يكون للمعنى : أَلَمْ تَعْرِفِ الْآيَامَ حَالَتِكَ وَقَصَّتِكَ - والمعنى أَهْلُ الْآيَامِ وَأَصْحَابُ الْآيَامِ - حِينَ كُنْتَ كَذَا وَكَذَا . فيكون الكلام على حذف المضاف .

٤- أَرْتَقِعْ وَهَى الْأَبْعَدِينَ وَلَمْ يَقُمْ لَوْهِيكَ بَيْنَ الْأَقْرَبِينَ أَدِيمٌ^(١)

٥- فَأَمَّا إِذَا عَضَّتْ بِكَ الْحَرْبُ عَضَّةً فَإِنَّكَ مَمْلُوفٌ عَلَيْكَ رَحِيمٌ

٦- وَأَمَّا إِذَا آتَيْتَ أَمْنًا وَرِخْوَةً فَإِنَّكَ لِلْقُرْبَى أَلَدٌ خَصُومٌ^(٢)

وقوله^(٣) : أَرْتَقِعْ لفظه استفهام ، ومعناه التقريع ، فيقول : إِنَّكَ تَسَى فِي

(١) رواية الأغاني :

تناول شار الأبعدين ولم يقم لشؤك بين الأقربين أديم

(٢) التبريزي : « خصيم » لكن شرحه يدل على أن الكلمة محرفة ، فهو يقول نقلا

عن المرزوقي ، وإن لم يصرح كمادته : « والخصوم بناء للمبالغة ، وهو أبلغ من خصيم لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين » . وانظر ما سيأتي في الحواشي من كلام ابن جني .

(٣) هذا ما في ل ، وفي الأصل : « يقول » .

استمطاف الأبعاد وإدنائهم ، وإصلاح الفاسد من أحوالهم ، رجاء الثام أمرك بهم ، وقد أفنت نفسك حظك من أقرارك ، ومن تحدث بهم عليك ، لتعنيك في إفساد أحوالهم ، ونحت أثلتهم ، وتضييع غيبتهم . وهذا رأى فائل ، وتوفيق سي .

وقوله « لم يبق لوهيك » ، يريد بالوهي الذي يحصل بك وبشريك واغتيالك . وذكر الأديم مثل ، أى لا يبقى أصله لتمزيقك ، ولا يثبت صحته لتخريبك . ويقال : فلان صحيح الأديم ، وفلان تغل الأديم . وفى المشل : « أوشعت وهيا فارقة » .

وقوله « فأما إذا عصت بك الحرب عصّة » يريد : أنك إذا نابتك نائبة ، وأصابتك من أزمت الزمان وعصاته أزمة ، وأجأتك من مصارف الحرب ضغطة فإنك تستعطف عليك ذوبك وعشيرتك ، وتعتمد رحمتهم لك ، وتطلب شفقتهم والأخذ بالفضل فيك . وقوله « رحيم » هو فاعل فى معنى مفعول ، أى إنك معطوف عليك مرحوم .

وقوله « وأما إذا آنت » ، يقول : أما إذا أميت ووجدت من مضايقت رخاء ، ومن شدائدك ليناً ، على حسب عادة الدهر فى تلونه ، فإنك تخرج خصماً ألهم ، تطلب إلقاء الحجج عليهم ، وتسد أبواب الخير دونهم ، وتصرف مفايح الرشد عن وجوههم وطرقهم ، وهذا غاية للأزم وسوء الاختيار . والألد : الشديد الخصومة ، العسير الانقياد . وهو اليلندد والألندد . والخصوم : بقاء المبالغة ، وهو أبلغ من خصيم ، لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين (١) .

(١) ابن جنى : « خصوم أشد مبالغة من خصيم » ، لأنها أقرب إلى الأصل الذى هو فعول ، أمضى المصدر . فإن قلت : فإذا كانت فعول أشد مبالغة من فعيل فهلا جاءت الآية بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قيل : قد حصلت المبالغة بالرحمن ، لأن فعلاً من أبنيتها . وقد قال ابن عباس : إنهما اسمان رقيقان من الرحمة أحدهما أرق من الآخر ، يعنى الرحيم ، فلما كانت الرحمة فى الأصل من بنى آدم رقة ولينا وكانت هنا رافة وتمطفاً ، كان فعيل أليق لها لفظاً من فعول .

٥٩٨

وقال أُرطاة بن سُهَيْبَةَ المَرِي^(١) :

- ١ - تَمَنَّتْ وَذَاكُم مِّن سَفَاهَةِ رَأْيِهَا لِأَهْجُوهَا لَمَّا هَجَّتْنِي مُحَارِبُ
 ٣ - مَعَاذَ الإِلهِ ، إِنَّنِي بِقَبِيلَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَاكَ لِلْقَامِ لَرَاغِبُ
 ارتفع قوله « محارب » بفعلها وهو تَمَنَّتْ . فيقول : تَمَنَّتْ هذه القبيلة لما
 تحكَّكت بي وهجنتني ، وتشبَّت مقابلي إياها بمثل ما فَعَلْتُ ، وذلك لِخِفَةِ رَأْيِهَا ،
 ونهاى جهلها . فقوله « وذاك » الواو واو الابتداء ، وهى للحال ، وذاك ابتداء ،
 ومن سفاهة خبره . وتلخيص البيت : تَمَنَّتْ مُحَارِبُ لَمَّا هَجَّتْنِي لِأَن أَهْجُوهَا ،
 وذاك مِّن سفاهة رَأْيِهَا . والمراد : حَدَّثَتْ مُنْيَتُهَا لهجوى لها . ومثله :

* أَرِيدُ لِأَنَّنِي ذِكْرَهَا^(٢) *

وفى القرآن : ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ^(٣) 》 .

وقوله معاذ الإله انتصب على المصدر ، أى أعوذ بالله معاذاً من أن آتَى
 ذلك ، لأننى أرغبُ بنفسى وأربأُ بأصلى عن الوقوف فى ذلك المقام ، وأصون
 شرفى وأرفع عقلى عن مُساوَقَتهم لفظاً بلفظ ؛ وفعللاً بفعل .

(١) سبقَت ترجمته فى الحماسية ١٣٥ ص ٣٩٧ .

(٢) قطعة من بيت لكثير فى أمالى القائل (٣ : ١١٩) . وهو بتمامه :

أريد لأننى ذكرها فكأنما تمثل لى ليسل بكل سبيل

(٣) التبريزى : « فإذا جعلت تمنت من الأمانى المعروفة فالمنى ودت أنى أهجوها لتفخر
 بذلك ، ويكون الفعل واقعاً على مضمر محذوف ، كأنه قال : تمنت أموراً لأهجوها ، وأكثر
 الكلام تمنوت أن يكون كذا ، فيصل الفعل إلى أن وصلتها من غير حرف متوسط ... وإذا
 جعل قوله تمنت فى معنى كذبت فالمراد أنهم تكذبوا على فى الهجو لأغضب فأهجوهم » .

٥٩٩

وقال زميل^(١) :

١- إني امرؤ أطوى لمولاي شيرتي إذا أثرت في أخذ عيكت الأنايل

٢- خلقت على خلق الرجال بأعظم خفاف تطوى بيتهن الأنايل

٣- وقلب جلت عنه الشؤون وإن تشأ يخبرك ظهرك القيب ما أنت فاعل

يصف نفسه في البيت الأول بأنه يكف أذاه عن مولاه ، وأنه إذا أجمع أهل الرأي على نسبة مخاطبه إلى القدر ، والحيانة والشر ، فأشاروا بأصابهم إذا ولى إلى قفاه ، فقالوا : هذا قفا غدير ، فإنه ينطوى شيرته في ذلك الوقت عن مولاه ومكروهه ، فلا بُعِثَ نسيبا ، ولا يؤذى جاراً قريبا ولا غريباً .

وقوله « خلقت على خلق الرجال » تبجح في هذا البيت بأنه شخت من الرجال قليل اللحم ، مديد القامة ، فخلقه خلق الرجال لا خلق النساء ، فلا يشينه سُمْنَةٌ^(٢) ولا قسْلٌ ، ولا يقعد به آفة ولا كسل ، فأعظمه خفاف ، ومفاصله بينها مطوية ممحصاة لطاف .

وقوله « وقلب » عطفه على بأعظم ، يريد : وقلب هذبه الأمور ، وكشف عنه الطبع والرين مزاوله الشؤون ، فهو بتجاربه يتصور ما لم يكن بصورة ما قد كان ، ومتى شئت أخبرك بخبره ومعرفته ، وفرط شهامته وتمييزه ،

(١) التبريزي وابن جني : « وقال زميل بن أبيير » ، وزميل وأبير بهجة التصغير ، ويقال في اسم أبيه أيضا « دبير » و « دبير » . وهو من غضرمي الجاهلية والإسلام ، أحد بني عبد الله بن عبد مناف وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان ، ويقال فيه أيضا « زميل بن أم دينار » منسوباً إلى أمه . المؤلفات والمختلف ١٢٩ والإصابة ٣٩٧٣ والخزانة (١ : ٢٩٣ - ٢٩٤) ، وكان بينه وبين أرطاة بن سمية مهاجرة .

(٢) المعروف في السمنة أنها دواء السمن .

وَحِدَّةٌ نَفَرَهُ وَبَصِيرَتِهِ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ بَعْدَ الْغَيْبِ . وَانْتَصَبَ « ظَهَرَ الْغَيْبِ » عَلَى الظَّرْفِ ، وَ « مَا أَنْتَ » مَا فِيهِ بِمَعْنَى الَّذِي ، وَأَنْتَ فَاعِلٌ مِنْ صِلَتِهِ ، وَقَدْ حَذَفَ حَرْفَ الْجَرِّ مَعَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يُخَبِّرُكَ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ . وَيُقَالُ : خَبَّرْتُهُ كَذَا وَخَبَّرْتَهُ بِكَذَا ، وَحَدَّثْتُهُ كَذَا وَحَدَّثْتُهُ بِكَذَا .

- ٤ - وَلَسْتُ بِرَبْلِ مِثْلِكَ احْتَمَلْتُ بِهِ عَوَانَ نَأَتْ عَنْ فَحْلِهَا وَهِيَ حَافِلٌ^(١)
٥ - فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ وَلَمْ تَجِدْ إِصْهْرِكَ إِلَّا نَفْسَهَا مَنْ تُبَاعِلُ^(٢)

كَانَ رِوَايَةُ النَّاسِ قَبْلُنَا « احْتَمَلْتُ بِهِ » وَالصَّوَابُ « احْتَمَلْتُ بِهِ » ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ « فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ » . وَالرَّبْلُ : السَّمِينُ الرَّطْبُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَتَصَارِيفُهُ^(٣) . وَالْعَوَانُ : النَّصْفُ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَوَّانَتْ ، وَيُقَالُ : عَانَتْ الْبَقْرَةُ عَوْنًا ، صَارَتْ عَوَانًا . وَحَرْبُ عَوَانَ : قَوْلٌ فِيهَا سِرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَيَقُولُ : لَسْتُ بِرَطْبٍ مُسْتَرْخٍ مِثْلِكَ ، احْتَمَلْتُ بِهِ امْرَأَةً عَوَانَ بَعْدَ عَهْدِهَا بِفَحْلِهَا ، وَهِيَ مَمْتَنَّةٌ شَبَقًا ، فَحَمَلَتْ فَجَاءَتْ مِنْ احْتِلَامِهَا بِكَ . وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَا وَالِدَ لَكَ إِلَّا مَا رَأَتْ أُمُّكَ عِنْدَ شِدَّةِ غَلَّتِهَا مِنْ احْتِلَامِهَا ، فَأَنْتَ شَرٌّ مِنْ حَيٍّ ، لِزَيْنَةٍ . وَمَعْنَى « وَلَمْ تَجِدْ إِصْهْرَكَ » أَيْ لَمْ تَصَاهِرْهُ فَيْكَ ، أَيْ تَخَالُطَهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الصَّهْرُ حُرْمَةُ الْخَتَنِ . وَخَتَنُ الْقَوْمِ : صِهْرُهُمْ . وَحُكِّي عَنْ أَبِي الدَّقْنِيشِ^(٤) : أَضْهَرَ بِهِمُ الْخَتَنَ ، أَيْ صَارَ فِيهِمْ صِهْرًا . فَيَقُولُ : لَمْ تَجِدْ خَتَنًا

(١) التبريزي عن أبي محمد الأعراي : « ليس لزميل ، بل هو لأرطاة بن سمية يهجو زميلا . ونظام البيت أيضا غنخل ، والصواب :

ولست بربل مثلك احتملت به
فجئت ابن أحلام النيام ولم يكن
عوان نأت عن بعلها وهي حائل
لبضعك إلا طهرها من تباعل

(٢) التبريزي : « لظهرك » وقال : « أي للظهر الذي حملتك فيه . ومن روى : لظهرك ، فالمعنى للظهر الذي خرجت منه » .

(٣) انظر ما سبق في ص ٧٨٨ .

(٤) أبو الدقنيش القناني الننوي ، أحد الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة =

إِلَّا نَفْسَهَا ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْاِحْتِلَامُ لَمْ يَتَجَاوَزْهَا ، وَإِذَا كَانَ مِبَاءَةَ النَّفْسِ عَلَى مَا وَصَفَهُ إِنْدًا حَصَلَتْ عَنْ شَبَقٍ وَلِزُومٍ ذِكْرِ الْجَمَاعِ فِي الْيَقِظَةِ ، وَإِلَّا نَفْسَهَا :
مُسْتَنْثَى مُقَدَّم . وَقَوْلُهُ « ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ » نَجَبٌ عَلَى الْحَالِ ، لِأَنَّ أَحْلَامَ
النَّيَامِ لَا يَتَخَصَّصُ ، فَلَا يَصِيرُ لِلضَّافِ إِلَيْهِ مَعْرِفَةٌ ^(١) .

٦٠٠

وَقَالَ خَارِجَةُ بْنُ ضِرَارٍ الْمُرِّي ^(٢) :

- ١- أَحَارَجَ هَلَّا إِذْ سَفِهَتْ عَشِيرَةً كَفَفْتُ لِسَانَ السُّوءِ أَنْ يَتَدَعَّرَا ^(٣)
٢- وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا حَوْنَكِيَا أَلَا قَهُ بَنُو عَمِّهِ حَتَّى بَنَى وَتَجَبَّرَا
٣- فَإِنَّكَ وَاسْتِبْضَاعَكَ الشُّعْرَ نَحْوَنَا كَسْتَبْضِيعَ تَمْزَا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَا ^(٤)

قَوْلُهُ « سَفِهَتْ عَشِيرَةً » ، قَالَ يُونُسُ : سَفَهَ لَفَةً فِي سَفَهٍ ، وَعَلَى هَذَا تَنْصِبُ
عَشِيرَةً عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا يُقِلُّ عَنْهُ الْفِعْلُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : سَفِهْتُ
عَشِيرَتُكَ فَتَقِلَّ السَّفَهَةُ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ : سَفِهْتُ ، فَأَشْبَهَ عَشِيرَةَ الْمَفْعُولِ ، فَتَنْصِبُ
نَصْبَ التَّمْيِيزِ . وَقَوْلُهُ « يَتَدَعَّرُ » أَيْ يَحْبُثُ وَيَفْجُرُ . يَقَالُ : رَجُلٌ دَاعِرٌ بَيْنَ

== فِهْرَسْتُ ابْنَ التَّدِيمِ ٧٠ . وَقَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي شَرْحِ الْحُمَاسِيَةِ ٦٠٠ : « قَالَ الْاِيْثُ : قُلْتُ لِأَبِي
الدَّقِيْثِ : مَا الدَّقَشُ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي . فَقُلْتُ : فَا الدَّقِيْثُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَا هَذَا أَدْرِي .
قُلْتُ : فَالْكُنْيَةُ بِمَا لَا تَدْرِي مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا الْأَسْمَاءُ وَالْكُنْيَةُ عَلَامَاتُ » .

(١) أَوْضَحَ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ جَنِّي فِي التَّنْبِيْهِ ، « فَإِنْ قُلْتُ : فَإِنَّهُ مَعْرِفَةٌ . قِيلَ : لِمَا كَانَ
مَثَلًا لَا حَقِيْقَةً تَحْتَهُ عَادَ بِهِ الْمَعْنَى إِلَى التَّكْبِيْرِ » .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ : وَنَالَ زَمِيْلٌ لِّخَارِجَةَ بِنِ ضِرَارٍ » . وَأَنْشَدَ صَاحِبُ
الْاِسَانِ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ مَنْسُوبَةً إِلَى خَارِجَةَ بِنِ ضِرَارِ الْمُرِّي ، وَفَقَلَ عَنْ ابْنِ بَرِّ أَنَّهَا تَرْوِي لِّزَمِيْلِ
ابْنِ أَبِي رِيْحٍ خَارِجَةَ . وَالشُّعْرُ عَلَى رِوَايَةِ الْمَرْزُوقِ يَنْطَلِقُ بِأَنَّ قَائِلَهُ غَيْرُ خَارِجَةَ . وَيَفْهَمُ مِنْ
هَذَا أَيْضًا أَنَّ « خَارِجَةَ » كَانَ مُعَاصِرًا لِّزَمِيْلِ بْنِ أَبِي الْمَرْجَمِ آنِفًا .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « أَخَالَدُ » وَبِذَا تَقَرَّبَ نِسْبَةُ الشُّعْرِ إِلَى خَارِجَةَ . وَرَوَى فِي الْاِسَانِ مَرَّةً :
« أَخَالَدُ » وَمَرَّةً : « أَخَارَجَ » .

(٤) التَّبْرِيزِيُّ : « أَرْضُ خَيْبَرَا » .

الدَّعَارَةُ . وَحُكِّي : فِي خَلْقِهِ دَعَارَةٌ ، فِي مَعْنَى زَعَارَةٍ ، وَعَلَى زَنْتِهِ . وَمِنْهُ عُودُ دَعِيرٍ ، أَيْ كَثِيرِ الدُّخَانِ . وَالْحَوْتَكِيُّ : الضَّأْوِيُّ الضَّعِيفُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الْحَوْتَكُ وَالْحَوْتَكِيُّ : الْقَصِيرُ الضَّعِيفُ . وَمَعْنَى الْأَلْفُ : أُلْصَقُهُ وَصَمَّهُ أَبْنَاءَ عَمِّهِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَبَنَى لَمَّا رَأَى ذَلِكَ . وَاسْتَبْضَعَ السَّلْمَةَ : أَنْ تَحْمَلَهَا بِنَفْسِكَ ؛ بِإِبْضَاعِهَا : بَعَثُهَا ، وَكَأَنَّ قِيلَ فِي الْمَثَلِ : « كَسْتَبْضَعُ ثَمَرًا إِلَى أَهْلِ خَيْرٍ » لِكثَرَةِ نَحْلِهَا ، قِيلَ أَيْضًا « كَسْتَبْضَعُ الثَّمَرَ إِلَى أَهْلِ هَجَرٍ » ، وَهَذَا كَمَا قِيلَ « كَسْتَبْضَعُ الْمَلْحَ إِلَى بَارِقٍ » .

وَمَعْنَى الْآيَاتِ : هَلَا إِذْ كَفَتَ سَفِيهِةَ الْعَشِيرَةِ لثِمَ الْفَصِيلَةِ ، أَسْكَتَ عَنِ الْخُلَا وَالْفُحْشِ ، وَصُنَّتْ نَفْسُكَ وَلَمْ تَعْرِضْهَا لِلْهَجَاءِ الْمُبْضِ : هَذَا وَمَا كَفَتَ إِلَّا حَقِيرًا قَلِيلًا ؛ قِيَمًا صَغِيرًا ، رَقَّ لَهُ أَقَارِبُهُ بَعْدَ مَا كَانُوا يَنْفُونَهُ وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْهُ ، فَالْصَّقُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَطَعَنِي مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَعْلَى . وَأَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ وَخَلَاكَ الْمَجَاءُ إِلَيْنَا فِي النَّدَمِ وَالْخُسْرَانِ ، وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ ، كَمَنْ حَمَلَ الثَّمَرَ إِلَى خَيْرٍ يَتَجَرَّ فَيَهِي ، فَرَجَعَ نَادِمًا ، وَحَصَلَ خَاسِرًا .

٦٠١

عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ^(١) :

- ١- بَنِي مُنْقِذٍ لَا آمَنَ اللَّهُ خَوْفَكُمْ وَزَادَكُمْ ذُلًّا وَرِقَّةً جَانِبِ
 - ٢- فَمَنْ يَرْجِيكُمْ بَعْدَ نَائِلَةِ الَّتِي دَعَتْ وَيَبْلَاهَا لَمَّا رَأَتْ ثَارَ غَالِبِ
 - ٣- دَعْتُهُ فِي أَنْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهَا خَلْبًا دَمٍ مِنْ نَوْبِهِ غَيْرِ ذَاهِبِ
- نَائِلَةٌ : امْرَأَةٌ زُوِّجَتْ قَاتِلَ أَبِيهَا أَوْ أَخِيهَا ، لِحَمْلِ عُمَارَةَ بِعَدَمِهِمْ ذَلِكَ .

(١) سَمِعْتُ تَرْجُمَتَهُ فِي الْهَمَاسِيَةِ ٥٩٦ ص ١٤٣٢ .

والعرب تقول : دُمُ فلانٍ في ثوبِ فلان ، إذا كان قاتله .

قال أوس بن حجر :

نُبِيتُ أَنْ دَمًا حَرَامًا نِلْتُهُ فَهَرِيقَ فِي ثَوْبِ عَلِيكَ مُحَبَّرِ

وقال الفرزدق :

تَمْشَى حَرَامٌ بِالْبَقِيعِ كَأَنَّهَا نَشَاوَى فِي أَثَوَابِهِمْ سَالِمٌ^(١)

فيقول : أَيْدَاكُمْ اللهُ يَا بَنِي مُنْقِذِ الْأَمْنِ خَوْفًا لَا يَفَارِقُكُمْ ، وَزَادَكُمْ عَلَى مَرَّةِ الْأَيَّامِ ذُلًّا وَخُضُوعًا ، وَلَيْنَ تَجَسَّسَ وَتَقَوَّطَا ، فَإِنَّهُ لَا يُتَمَلَّقُ الرَّجُلَ بِكُمْ ، وَلَا يَسْتَنْبِهُ أَحَدٌ إِلَيْكُمْ ؛ بَعْدَ نَائِلَةٍ الَّتِي دَعَتْ بِالْوِيلَاتِ لَمَّا رَأَتْ ثَارَ غَالِبِ أَخِيهَا أَوْ أَبِيهَا ، وَقَدْ مَلَكَتُمُوهُ أَسْرَهَا ، وَجَعَلْتُمُوهُ بِالتَّزْوِيجِ قَيْمَهَا ، ثُمَّ قَالَ : دَعَتْ نَائِلَةُ الْوَيْلِ فِي أَثَوَابِ زَوْجِهَا لَهَا خَلِيطًا دَمٌ هَا دُمُ أَبِيهَا أَوْ أَخِيهَا ، بِقَتْلِهِ لَهُ ؛ وَالثَّانِي دَمٌ عُدْرَتِهَا ، تَزَوَّجَ بِهَا ، فَهِيَ لَا زِمَانَ لِثَوْبِهِ لَا يَفَارِقَانَهُ . وَبِرُوى « شَرِيحًا دَمٍ » . وَكُلُّ لَوْبَيْنِ اجْتَمَعَا فَمَا شَرِيحَانِ . وَقَوْلُهُ « غَيْرُ ذَاهِبٍ » ، غَيْرُ صِفَةٍ لِذَمٍّ ، وَيُرْوَى : « مُهْرَاقُهُ غَيْرُ ذَاهِبٍ » ، وَيَكُونُ الْجُمْلَةُ صِفَةً لِذَمٍّ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ « مَنْ يَرْجِيكُمْ » اسْتَفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيبِ ، وَفِيهِ مَعْنَى النَّفْيِ ، أَيْ لَا يَرْجُوكُمْ أَحَدٌ . وَمَعْنَى « دَعَتْ وَبَلَّهَا » صَاحَتْ بِالْوَيْلِ لِي . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) حرام : قبيلة ، وهم بنو حرام بن سمال بن سليم بن منصور . الاشتقاق ١٨٧ والمعارف ٣٨ . والبيت من أبيات في هجاء عبد الله بن خازم السلمى ثم الهراوى ، وكان قتل مولى ابني يربوع بنجراسان يقال له سالم . ورواية الديوان ٧٧٦ : « كَأَنَّهَا حَبَالٌ » .

٦٠٢

وقال طرفة بن العبد^(١) :

- ١- وفَرَّقَ عن بَيْنَيْكَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وَعَمْرًا وَعَوْفًا مَا تَشَى وَتَقُولُ
 - ٢- وَأَنْتَ عَلَى الْأَذَى شِمَالٌ عَرَبِيَّةٌ شَامِيَّةٌ تَزِي الوُجُوهَ بَلِيلُ
 - ٣- وَأَنْتَ عَلَى الْأَفْصَى صَبَا غَيْرُ قَرَّةٍ تَذَابَّ مِنْهَا مُرْزِغٌ وَمُسِيلُ
 - ٤- وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَائِلُ^(٢)
- قوله « ما تشى » فى موضع الفاعل لفرَّق . و « ما » إن شئت جملة بمعنى الذى ، وصِلته تشى ، والضمير المائد من الصلّة إليه محذوف كأنه قال : ما تشيه وتقول . وإن شئت جملة ما حرفاً ويكون مع الفعل فى تقدير مصدر ، ولا يحتاج إلى ضمير من الصلّة يعود إليه ، لكونه حرفاً ، ويكون التقدير وشابئك وقولك . وبمعنى بَيْنَتَيْكَ : أخواله وأعمامه . فيقول : فرَّقَ عن بَيْنَيْ أَهْلِكَ وذَوِيكَ من قَبْلِ أَيْكَ وَأُمَّكَ ما تأنيه من إِبْلَاجَاتٍ تَتَفَوَّهًا ، ونَمَائِمٍ تَحْلَقُهَا وَتَهْنَأُهَا : سعد بن مالك وعمرًا وعوفًا ؛ وإنما يعنى بهم أخفادًا وبعطونا كان

(١) طرفة بن العبد : أحد شعراء الجاهلية الذين تنسب إليهم المملقات ، وطرفة لقب له ، واسمه عمرو . والطرفة بالتحريك : واحدة الطرفاء ، وهو الأثل . وقال طرفة الشعر صغيراً ، يروون أنه قتل وهو ابن عشرين فيقال له : ابن العشرين . وقيل : وهو ابن ست وعشرين ، وفى ذلك تقول أخته فى رثائه :

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفىها استوى سيداً ضحماً

وخاله المتلمس الضمى صاحب الصحيفة . انظر الخزانة (١ : ٤١٢ - ٤١٧) والشعراء ١٣٧ - ١٤٩ والأغاني (٢١ : ١٢١ - ١٣٢) .

(٢) الأبيات من قصيدة فى ديوانه ٥٠ - ٥٣ . يهجو بها عبد عمرو بن بشر بن عمرو ابن مرثد . وأنشده التبريزى :

وإنَّ لسانَ المرءِ ما لم تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَائِلُ

ضَلَمَهُمْ مَعَهُمْ^(١) ، فلم يَزَلْ يَسْقَى بالتَّعْرِيشِ ، وَيَمْشِي بِالنَّمِيمِ ، حتى فَرَّقَ جَمْعَهُمْ ، بما أَوْقَعَ من الشرِّ فيهم .

وقوله « وأنت على الأدنى شَمَالٌ عَرَبِيَّةٌ » فالعَرَبِيَّةُ : الباردة ، ومنه قولهم : عُرِواءُ الحُمَى . فيقول : أنتَ على أَقاربِكَ في -وءِ اعتقادِكَ لهم ، وسَوِّفَكَ للشرِّ إليهم ، وجَرَّكَ الجرائرَ عليهم ، بمنزلة الريح الشَّمَالِ الباردة ، الحارقة للوجوه ، إِذَا هَبَّتْ في الشتاء ، ويَضْحَبُهَا بَلَلٌ من المطر ، ونَدَى يُفَبِّضُ الجلدَ ، ويُجَفِّفُ المَفْصِلَ والوجه . وإنما قال شامية ، وإن كان الشَّمَالُ لا تَهَبُ إِلَّا من ناحية الشَّامِ تأكيداً . وللصفات كاتجىء مفيدة مميَّزة^(٢) تجىء أيضاً مؤكدة لا تُفِيدُ في اللوصوف أكثر مما عُرِفَ فيه . وعلى هذا قد تجىء الأحوالُ أيضاً ، لكونها صفاتٍ في الأصل .

وقوله « وأنت على الأفصى صَبَاً غيرُ قَرَّةٍ » يريد أنه على الأُجَانِبِ في تعطفه عليهم ، والانطواء على الجليل لهم ، بمنزلة رِيحِ الصَّبَا تَهْبُ ولا بَرَدَ معها . وقد تَذَاعَبَ منها ، أى تَسَهَّلَ واضطربَ من أجلها . والذَّئِبُ فيمن هَمَزَ منه اشتق ، لأنه كلما طُرِدَ من جانبٍ يَتَسَهَّلُ ويحصل من جانبٍ آخر ، لوقاحتِهِ . والمُرَزِغُ : الذى يَأْتِي بالرَّزْغَةِ ، وهى الوَحْلُ . والمُسِيلُ : المُذِيبُ للجماد . والمعنى : أنت للأجانب بمنزلة القَبُولِ التى تُرَزِغُ الأرضَ فى مهابتها ، وتُسِيلُ التَّلَاعَ ، وتَبْتُ الخَيْرَ ، وتُوسِّعُ الخِصْبَ .

وقوله « وأعلم علماً ليس بالظن » لما كان لفظُهُ العِلْمِ قد يُطَاقُ على الظنِّ الغالب ، لقيامه مقام ما هو عِلْمٌ فى الحقيقة ، أَكَّدَ قوله وأعلم بقوله ليس بالظن ، وَبَيَّنَ بهذا الكلام الخطأ فيما يَأْتِيهِ المخاطَبُ ، وأنه إِذَا أَقَاتَ نَفْسَهُ حَظَّهُ من

(١) الضلع ، بالفتح : الميل والهوى .

(٢) فى الأصل : « لا مميَّزة » صوابه فى ل .

أقاربه وعشائره بسوء معاملته ، فإنه لا يستفيد من الأجانب ما عند الحاجة يُغْنِي ، وإذا ذَلَّ أتباعه ولم يستبقِهم لنفسه فالذلُّ لاحقٌ له ، ومُحتَفٌّ به . وبهذا الخطاب نفى عليه فعله ، وبَيَّن له سوء التقدير فيما اختاره ، وفعل القَوَايِة فيما اعتقده واعتاده . والضمير من قوله « إنه » للأمر والشأن ، كأنه قال : وإن الأمر الحق إذا ذَلَّ ابنُ عمِّ المرء فهو ذليل .

٦٠٣

بُشَيْرُ بْنُ أَبِي جَذِيمَةَ^(١) :

- ١- أَتَخْطِرُ لِلْأَشْرَافِ يَا قِرْدَ حَذِيمٍ وهل يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِلْخَطَرِ^(٢)
 - ٢- أَيْ قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَخْطِرُوا بِهَا وَلَوْمْ بَنَى قِرْدٌ بَكْلًا مَكَانَ^(٣)
 - ٣- أَلْقَدِ سَمِنْتَ قَفْدَانُكُمْ آلَ حَذِيمٍ وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانٍ^(٤)
- قوله « أخطِر » لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى التبكيت . ولما كان المخاطب من بني قِرْدٍ^(٥) جعله قرداً في الحقيقة . والخطر : أصله إشالة الذنب من الفعل عند هياجه ومساوئته لفعل آخر ، فاستعاره لفعل هؤلاء الخطابين لما حدثوا أنفسهم بمباراة الأشراف ومساجلتهم . فيقول : أتحدث نفسك على بائلك

(١) البريزي : « بشير بن أبي بن جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة » . وهو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبي جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة العبدي . ذكره الأمدى في المؤتلف والمختلف ٦١ .

(٢) أنشد الجاحظ هذه الأبيات في الحيوان (٤ : ٦٧) . ورواية هذا البيت عنده : « أخطِر للأشراف حذيم كبرة » . والكبرة بالكسر : التجبر والكبر .

(٣) البريزي : « أن يخطروا بها » . الجاحظ : « ولؤم قرد وسط كل مكان » .

(٤) الجاحظ : « لقد سمنت قردانكم » . والقردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهي دويبة تلزم الإبل وماعظها . وسئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : « كفى بالقردان هاهنا عن القمل ، أي سمنت أحسامكم ودقت أحسابكم ولؤمت . ويقال في المثل للإنسان إذا سمن : دب قله » .

(٥) البريزي : « قيل : بنو قرد تبرز نيزوا به » .

الضئيق ، وذَنَبِكَ القصير ، بمجاذبة الأشراف ومخاطبتهم ، حتى تفعل ما يفعله
الفعل في صياله ؟ أنى لك ذلك ، والقرد لا ذنب له يُشاولُ به ويخطر ؟ وهذا
مثلٌ ، وفيه مع الإزراء تهكمٌ .

وقوله « أبنَى قِصَرُ الأَذْنَابِ أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا » رجع الضمير إلى القبيلة
بأسرها . وقوله « ولَوْمْ بَنَى قِرْدٌ » الواو للابتداء ومفيدة للحال ؛ والمعنى اشتهاهم
باللؤم حتى لا يخفى أمرهم في جوانب أرضهم ، وعند أعلام معارفهم .

وقوله « أبنَى قِصَرُ الأَذْنَابِ » تفسيرٌ لما أنكره بقوله : « وهل يستعدُّ
القرد للخطرآن » ، وتفصيلٌ لما أبهمه .

وقوله « لَقَدْ سَمِنَتْ قِمَدَانُكُمْ » فالقِمَدَان : جمع القِمَد ، وهى الناقة
تَقْتَمِد ، أى تُرْكَب ^(١) .

وقوله « آلَ حِذِيمٍ » إضافته لآل ^(٢) إلى حِذِيمٍ إضافة البعض إلى الكل .
وكذلك فى قوله « يَا قِرْدَ حِذِيمٍ » ، يكشف لك أنه قال : ولَوْمْ بَنَى قِرْدٌ
بكلِّ مكان . وإنما ينسبهم إلى حُسن تفقدهم لأمورهم ، وسوء إعمالهم لحسبهم ،
فقد سَمِنَتْ إبلهم بحُسن رِغيتهم لها ، وتوفّرهم على إصلاحها ، وترقيق عيشهم
بقنميرها وتكثير نسلها ، وأن أحسابهم مضيعة مهلة ، متروكة من التفقد باثرة ،
لا تُرْمُ فروعها ، ولا تُضبط أصولها ، ولا يُحفظ بحُسن المراقبة من السقوط
والرُزوح هزبها .

(١) التبريزى : « ويقال : للقعود : الذكر ، والقلموس : الأنثى من شواب الإبل .
وإنما جعل قِمَدَانهم سمينة لأنهم يؤثرونها بالابن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان لأنهم
يضمعون الحقوق فلا حسب لهم يمدحون به » . وانظر ما سبق من الكلام على رواية هذا البيت
وتوجيهه فى الحواشى السابقة .

(٢) ل : « للآل » .

٦٠٤

وقال أبو منازل^(١) في ابنه :

- ١ - جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازِلٍ جَزَاءُ كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدِّينُ طَالِبُهُ^(٢)
 - ٢ - تَرَبَّيْتُه حَتَّى إِذَا آخَصَ شَيْظَلًا بِكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الْفَحْلِ غَارِبُهُ^(٣)
 - ٣ - تَمَقَّدَ حَتَّى ظَالَمًا وَلَوَى يَدِي لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ^(٤)
- قوله « جَزَتْ رَحِمٌ » دعاء على ابنه منازل . وجعل فعل الجزاء للرحم .
والجأزي هو الله تعالى ، لأنه السببُ في الجزاء ، ولتكون الشكوى أبلغ ،
فيقول : جَزَى الله مُنَازِلًا على الرحم التي بيني وبينه وقد قَطَمَهَا ولم يَقم بِمَحَقِّهَا ،
جزاءً يَسْتَوْفِي له وعليه مَا يَحِقُّ ، كما يَسْتَنْزِلُ طَالِبُ الدِّينِ مِنْ عَلَيْهِ الدِّينُ حَقَّهُ .

(١) التبريزي : « وقال فرعان بن الأصرف في ابنه منازل » . وهو أحد بني مرة بن
عبيد بن الحارث بن عمرو بن مقاصس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر لص مخضرم ،
وله مع عمر بن الخطاب حديث في حقوق ابنه منازل . المؤتلف ٥١ والمرزباني ٣١٦ والإصابة
٧٠٠٩ . وفرعان أخ يسمى « منازل » أيضاً ، ومن يجب أن يروى له الأمدى في المؤتلف
٥١ شعراً يذكر فيه حقوق ابنه له . لكن هذا الشعر رواه أبو رياش منسوباً إلى منازل بن
فرعان بن الأصرف يشكو فيه حقوق ابنه المسمى « خليج » . فكان هذه الأسرة عيقة في أن
يقع الولد منهم أباه .

(٢) الأبيات في معجم المرزباني والإصابة . وفي معجم المرزباني : « سواء كما يستنجز » .

(٣) المرزباني وابن حجر : « وأطعمته حتى إذا صار » .

(٤) المرزباني وابن حجر : « تحون مالي ظالماً ولوى يدي » . وأنشد بعده التبريزي :

وكان له عِدى إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى من الزَّادِ أَحلى زَادِنَا وَأَطايِبُهُ
وَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُهُ أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَفَنَى عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
وَجَمَعْتُهَا دُهْمًا جِلَادًا كَانَهَا أَشَاءَ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيْبًا كَانَنِي حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقْتُهُ مَضَارِبُهُ
أَنَّ أُرْعِشْتَ كَفَا أَيْبِكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدَيَّ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهُ

ثم أخذ يقتص ما دار بينهما ، وما أوجب عليه الفرض الذي ضيعه فقال :
 تربيته طفلاً وناشئاً ، حتى إذا صار شاباً طويلاً القائمة يكاد غاربه يساوي غارب
 الفحل ، أى بلغ قامته قامة الفحل . والفارب : مُقَدَّم السَّنام . والشَّيْظَم : الطويل
 الغليظ . وىروى : « لرَبَّيْتُهُ » ، ويكون اللام جوابَ قَسَمٍ انطوى عليه
 الكلام . ويقال : رَبَّيْتُهُ ورَبَّيْتُهُ وتربَّيْتُهُ بمعنى واحد . حتى إذا آضَ ، أى إلى
 أن صار . وإذا جوابه قوله « تَفَعَّدَ حَتَّى » يريد : لما بلغ هذا المبلغ سَرَّ حَتَّى
 ولم يَفْ به ، متمدِّباً طَوْرَهُ ، وباخِسا ما استوجِبْتُهُ عليه بالولادة والتربية ،
 فلما جاذبته بلساني مدَّ يده فلوى يدي ، أى فتَلَّها وأزَلَّها عن حالمها وهيئتها
 ثم قال داعياً عليه : لَوَّى يده الله ، أى أَسَلَّها وأبطلها ، وهو القادرُ على ذلك
 معه ، والغالب له وعليه ^(١) .

٦٠٥

وقال طارق الطائي ^(٢) :

- ١ - والله لو كان ابنُ جَفْنَةَ جارِكم لَكسا ألُوجُوهَ غَضاضَةٍ وهَوَانِه
- ٢ - وسَلَسِلاً يُنْتَنِنُ في أعناقِكُم وإذا لَقَطَعَ مِنْكُم الأَفْرانِه
- ٣ - وَلَكانَ عادَتُه على جارائِه مِسْكا ورِبْطاً رادِعا وجِفانِه

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « له عليه » .

(٢) هو قيس بن جروة بن سيف بن وائلة بن حمرو بن مالك بن أمان بن ربيعة بن جرول .
 ابن ثعل الطائي الأجدى ، نسبة إلى أجداء : أحد جبل طيى ، وهما أجداء وسلى . وهو شاعر جاهل .
 وعارق لقب له ، قالوا : سمى به لقوله :

لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم لأنتمحين للعظم ذو آنا عارق

افطر الخزانة (٣ : ٣٣٠ - ٣٣١) والأغاني (١٩ : ١٢٧) ، والمزهر (٢ : ٤٣٨)
 وقال أبو ريان : ليس هذا الشعر لعارق ، إنما هو لثرملة بن شحات الأجدى ، قاله على
 لسان عارق . وذكر التبريزي سبب هذه الأبيات مقارباً لما رواه المروزي ، ولكنه نسب هذه
 الأبيات النوفية إلى ثرملة ، وذكر أنه قالها على لسان عارق لينبج عارقاً من كيد عمرو بن المنذر .

لهذه الأبيات قصّة طريفة ، وأنا أذكرها بما عَرَضَ من السَّهْوِ فيها .
 ذكر هشامُ الكلبي أن عمرو بنَ اللدّر بن ماء السَّماء - وأمه هند بنت
 الحارث المَلِك - كان عاقِدَ طَيْئًا أَلَّا يُغْزَوْا وَلَا يُفَاخَرُوا ، فَاتَّفَقَ أَنْ غَزَاهُ
 عَمْرُو الْيَمَامَةِ فَرَجَعَ مُنْفِضًا^(١) ، فَرَّ بَطِيئًا ، فَقَالَ زُرَّارَةُ بْنُ هُدُسٍ : أَيْبَتَ اللَّعْنُ ،
 أَصِيبَ مِنْ هَذَا الْحَيِّ شَيْئًا . فَقَالَ : وَيْلَكَ ، إِنْ لَمْ عَقِدًا ! قَالَ : وَإِنْ كَانَ ،
 فَإِنَّكَ لَمْ تَكْتُبِ الْعَقْدَ لَمْ كُلِّهِمْ . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَصَابَ نِسْوَةً وَأَذْوَادًا ، فَقَالَ
 فِي ذَلِكَ قَيْسُ بْنُ جِرْوَةَ الْأَجَبِيُّ :

أَلَا حَيٌّ قَبْلَ الْبَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ وَمَنْ أَنْتَ مُشْتَقٌّ إِلَيْهِ وَشَاقُّهُ
 - وَسَتَجِيءُ الْأَبْيَاتُ فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْاِخْتِيَارِ مِنْ بَعْدُ ، لَكِنْ فِي
 آخِرِهَا قَوْلُهُ :

لَنْ لَمْ تُتَبَيَّرَ بِمَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لَا تَنْتَحِينَ لِمَعْظَمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ
 فَلَقَّبَ يَوْمَئِذٍ بِعَارِقٍ - فَلَمَّا بَلَغَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ هَذَا الشَّعْرُ قَالَ لَهُ زُرَّارَةُ :
 أَيْبَتَ اللَّعْنُ ، إِنَّهُ لَيَتَوَعَّدُكَ عَلَى انْتِقَامِهِ بِزُنْعِهِ . فَقَالَ عَمْرُو لَتُرْمَلَةَ بْنُ شُعَاثٍ
 الْأَجَبِيُّ : أَيَهْجُونِي ابْنُ عَمِّكَ وَيَتَوَعَّدُنِي ؟ فَقَالَ : وَافِّهِ مَا هَبَّكَ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ :
 وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارَكُمْ مَا إِنْ كَسَاكُمْ غَضَّةً وَهَوَانًا
 وَسِلَاحًا يَنْزُقْنَ فِي أَعْنَاقِكُمْ وَإِذَا لَقِطَعَ مِنْكُمْ الْأَهْرَانَا
 وَلَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ ذَهَبًا وَرَيْطًا رَادِعًا وَجِفَانًا^(٢)
 يَعْنِي بَابِنِ جَفْنَةَ عَمْرُو بْنِ الْحَارِثِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تُرْمَلَةَ أَنْ يُقَبِّحَ عَلَيْهِ^(٣)

(١) أَنْفَضَ الْقَوْمَ : لَقَدْ طَعَامَهُمْ وَزَادَهُمْ . وَالْإِنْفَاضُ : الْمَجَاعَةُ وَالْحَاجَةُ وَهَلَاكُ الْمَالِ -

(٢) وَكَذَا هُنَا التَّبَرُّيُّ . وَفِي لَ : مَسَكَ وَرَيْطًا .

(٣) لَ : إِلَيْهِ .

فَقَلَّتْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُذْهِبُ سَخِيمَتَهُ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ ، فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ لَا أَقْتُلْتَهُ !
فَبَلَغَ ذَلِكَ عَارِقًا فَقَالَ :

مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّ بِهَا الْعِيسُ تُنْفَضَى مِنَ الْبُغْدِ
وَسُتَجَىءُ مِنْ بَعْدُ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا اقْتَصَصْتُ ، بَانَ لَكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الَّتِي أَوَّلَمَّا : « وَاللَّهِ
لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ » ، لَيْسَ بِهِجُو لَابِنِ جَفْنَةَ وَإِنَّمَا هُوَ مَدْحٌ لَهُ ، وَقَدْ عُبِّرَ
بِذِكْرِهِ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ ، وَأَنَّهُ لَوْ تَوَلَّى مِنْ طَيْئٍ مَا تَوَلَّاهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ كَانَ
مَعَامَلَتُهُ إِيَّاهُمْ بِخِلَافِ مَا عَامَلَهُمْ بِهِ هُوَ ، فَتَصَوَّرَ ^(١) أَنَّهَا هَجْوٌ لِابْنِ جَفْنَةَ ،
وَجُمِلَ بِدَلٍّ « مَا إِنْ كَسَاكُمْ » : لَكَسَا الْوُجُوهُ ، وَبَدَّلَ قَوْلَهُ « إِذَا لَقِطَّعَ
تَمْلِكُ الْأَقْرَانَا » : مَعَكُمْ الْأَقْرَانَا ، وَبَدَّلَ قَوْلَهُ « وَلَكِنْ عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ » :
عَلَى جَارَاتِهِ ، وَمَعَ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ لَيْسَ يَخْلُصُ هَجْوًا .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَأَنَا أَعُودُ إِلَى عَادَتِي مِنْ تَفْسِيرِهَا وَشَرْحِ مَعَانِيهَا :
قَوْلُهُ « غَضَّةٌ » قَوْلَةٌ مِنْ غَضٍّ ، وَالنُّضَاضَةُ وَالنُّضُّ : الْفُتُورُ فِي الطَّرْفِ .
وَنَصَبَ قَوْلَهُ « وَسَلَاسِلًا » عَلَى الْمَعْنَى ، فَهُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِ الْآخَرِ ^(٢) :

يَا لَيْتَ بَغْلَاكِ قَدْ غَدَاَ مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

لَأَنَّ السَّلَاسِلَ لَيْسَ مِنْ كُسُوةِ الْوُجُوهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : مَا إِنْ كَسَاكُمْ
غَضَّةٌ وَلَا قَلْدَكُمْ إِذَا غَلَّكُمْ سَلَاسِلٌ تَبْرُقُ فِي أُنَاقِكُمْ . وَقَوْلُهُ « يُنْتَنِينَ » مَعْنَاهُ
يُفْطِنُونَ وَيُؤَيِّنُونَ . وَ « إِذَا لَقِطَّعَ تَمْلِكُ الْأَقْرَانَا » فَلَا أَقْرَانَ الْحَبَالِ ، وَالْوَاحِدُ

(١) الفهرست في هذا لأبي تمام مختار الحماسة ، والتغييرات التي نص عليها المرزوقي هي
تغييرات أبي تمام ، كما هي عادته ، انظر ما سبق في مقدمة المرزوقي ص ١٤ .

(٢) هو عبد الله بن الزبير . الكامل ١٨٩ ليبسك . وانظر ما سبق في حواشي ١١٤٧

قَرَنَ . وَإِذَا رَوَيْتَ « يَبْرُقَنَ » فاعلمنى ظاهر . ويشيرُ إلى ما لحقهم من جهة
 هَمْرُ بنِ هِنْد . وقوله « إِذَا » أَجَابَ لَوْ إِذَا كَمَا أَجَابَهُ بِاللَّامِ مِنْ قَوْلِهِ « اكْسَا »
 وبما على الأصل الأول^(١) . ومعنى « لَقَطَعَ تَلَكُمُ الْأَقْرَانَا » أى لو كنتم
 مأسورين لكان بفقكم ، ويقطع تلك الحبال التي صارت إسراراً لكم . وإذا
 رَوَى « وَإِذَا لَقَطَعَ مَعَكُمْ الْأَقْرَانَا » كان معنى البيت : يشدكم فى السلاسل
 ويبدد جمعكم . وقوله « وَلَكِنْ عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ » ، يريد أنه يفعل خلاف
 ما فعله عمرو بن هند ، لأن عادته فى الجيران أن يموتهم وبصاتهم ، ويبرهم
 ويخلع عليهم ، ويقرهم ويموتهم . وعلى الرواية الثانية يرميه ويقذفه بالجارات ،
 ومعنى ذلك ظاهر . والرادع : المتغير اللون بالطيب والخلوق . ويقال : تَرَدَّعَ
 بالخلوق ، إِذَا تَلَطَّخَ .

٦٠٦

وقال آخر^(٢) :

١- ذَمَّمْتُ أَنْ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهْمُ إِنْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافٌ

٢- أُولَئِكَ أَوْمِنُوا جُوعًا وَخَوْفًا وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

يخاطب بنى أسد ويكذب دعواهم فى انتمائهم إلى قريش ، وتنشئهم بالقربى
 والقرباة منهم ، فقال : ادَّعَيْتُمْ أَنْ قُرَيْشًا إِخْوَتُكُمْ ، وسماه الكذب ظاهرة
 على هذه الدعوى ، لأن قريش إبلافا فى الرّحلتين للمروءة وللتجارة ، وليس
 لكم ذا ؛ وقد آمنهم الله تعالى من الجوع والخوف ، وأنتم خائفون جائعون .

(١) أى على رواية : « ما إن كساكم غصة » .

(٢) هو مساور بن هند بن قيس بن زهير ، يهجو بنى أسد ، كما قال التبريزى ، وكافى

السان (ألف) . وقد سبقت ترجمة « مساور » فى الحماسة ١٤٨ ص ٤٣٠ .

وإنما يُشير إلى الشورة المنزلة : ﴿ لِإِبْلَافٍ قُرَيْشٍ إِبْلَافِهِمْ . رَحَلَةَ الشَّعَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ ... إلى آخرها . ويقال : أَلِفَ بِأَلْفٍ إِلْفًا وَإِلَافًا ، وَأَلَفَ يُولِفُ إِبْلَافًا .

٦٠٧

وقال آخر^(١) :

١- إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مِثِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

٢- صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

٣- جَهْلًا طَلَى وَجُنُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَيْسَتْ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

انتصب «فرحاً» على أنه مفعول له ، وكان الواجب أن يقول : يطيروا بها فرحاً ، لأنه لا يجوز أن يُمَلَّ حرفُ الشرط في الشرط بالجزم ويُجْعَل الجوابُ فعلاً ماضياً في الكلام ، وإن كان يجوز في الشعر . ومعنى البيت الأول أنهم إذا رأوا حسنةً كتبوها ، وإذا رأوا سيئةً أظهروها . وقوله «مِثِّي» أراد من جئني . ومعنى «طاروا بها» أي كثروها في الناس وأذاعوها ، ووصلوا القِيَامَ بالقعود في نشرها . وهذا ضدُّ ما ذكره من الدفن في قوله «وما سمعوا من صالحٍ دفنوا» في المعنى .

وقوله «صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا» ارتفع صُمٌّ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هم صُمٌّ ، أي يتصامتون عما أنسب إليه من الخصال الصالحة . ويقال للمعرض عن الشيء : هو أصمُّ عنه . على ذلك قوله :

* أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ *

(١) هو قعنب بن أم صاحب ، وهي أمه ، واسم أبيه ضمرة ، أحد بني عبد الله بن هظفان . وكان في أيام الوليد بن عبد الملك . والقصب : الصلب الشديد من كل شيء . عن شرح التبريزي ، والتنبيه لابن جني .

قال : ومتى ذُكِرْتُ بِشَرِّ أَدْرَكُوهُ وَعَلِمُوهُ . ويقال : أُذِنَ يَأْذِنُ
أُذْنًا . قال :

• بِسَمَاعٍ يَأْذِنُ الشَّيْخُ لَهُ ^(١) •

ويحوز أن يكون اشتقاقه من الأذن الحاسة . وانتَصَبَ « جهلا » لأنه
مصدر لعلَّة . ينسُبُهُم إلى أنهم مع الأقارب يستعملون الجهل والحسد عليهم
ومعهم ، وأنهم جبناء عن الأعداء ضمفاء عَجَزَةٌ إِذَا طُلِبَ كِفَايَتُهُمْ ،
لا يصلحون لدفع مكروهه ، ولا لجلب محبوب . ثم سَوَّأَ عليهم فعلهم فقال
يَنْسَتِ الْخَصْلَتَانِ جَهْلُهُمْ عَلَى أَقَارِبِهِمْ ، وَجُبْنُهُمْ عَنْ أَعَادِيهِمْ . وهذا تأكيد في
التمبير ، ومبالغة في التقرير .

٦٠٨

وقال منصور بن مسجاح ^(٢) :

١- نَأَزْتُ رِكَابَ الْعَيْرِ مِنْهُمْ بِهَجْمَةٍ صَقَايَا وَلَا بُنْيَا لِمَنْ هُوَ نَائِرٌ ^(٣)
٢- مِنَ الصُّهْبِ أَثْنَاءَ وَجْدًا كَأَنَّهَا عَذَارَى عَلَيْهَا شَارَةٌ وَمَعَاصِرُ
قوله « رِكَابَ الْعَيْرِ » يُرْوَى « رِكَابَ الْقَوْمِ » . وأراد بالعير السيد ، وكان
استيقَ لرئيسهم إبلٌ فارتجعَ بدلاً منها على ما وصفه . ومعنى « نَأَزْتُ رِكَابَ
الْعَيْرِ » أى أدركت الثَّارَ فيها منهم بَأَن أَخَذْتُ هَجْمَةً مِنَ الْإِبِلِ - وهى المائة
وما داناها - غِزَارًا سَمِيفَاتٍ ، وَلِلثَّائِرِ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُبْنَى ، وَالْأَصْلُ فِي
الْثَّائِرِ الْقَاتِلِ ، فَوْضَمُهُ مَوْضِعَ الْوَائِرِ لِلتَّقِيمِ . يقال : نَأَزْتُ فُلَانًا وَثَارَتْ بَفُلَانٍ ،
إِذَا قَتَلْتَ قَاتِلَهُ .

(١) لعدى بن زيد العبَّادى ، كما فى اللسان (أذن) . وصحَّه :

• وحديث مثل ماذى مشار •

(٢) هو منصور بن مسجاح - ويقال مسجاح بتقديم الحاء على الجيم - بن سباع

الضبى : شاعر جاهل . معجم المرزبانى ٣٧٣ .

(٣) كذا فى ل والقيريزى والمرزبانى . وفى الأصل : « ضمه بهجمة » .

وقوله « من المذهب أثناء وجذعا » ، هذا تفسير للمَجَنَّة ، وتفصيل
للجملة ، يريد : من الإبل المذهب . والصَّهْبَة : حمرة يملوها بياض . وتعلق من
بقوله هَجَمَة . وأثناء : جمع تَفِي . والجذع : جمع جذع ، وهو كخشب وخشب .
والحجة في أن العَيْرَ السَّيِّدُ قوله :

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْرَ رَ مَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَلَاءُ^(١)
وهذا أحد الوجوه التي قيل فيه . وقوله « كأنها عذارى » بمعنى حُسْنهَا ،
والمعاصِر : جمع المَعِصِر ، وهي من النساء التي شارفت الإدراك والبُلُوغ . قال :
* قد أَعَصَرَتْ أَوْ قَدْ دَنَا إِعْصَارُهَا^(٢) *

والشَّارَة : الهَيْئَة . ويقال : رَجُلٌ شَيِّزٌ صَيِّزٌ ، من الصُّورَة والشَّارَة .

٣ — فَإِنْ نَلَقَ مِنْ سَعْدٍ هَنَاتٍ فَإِنَّا نُكَارِبُ أَقْوَامًا بِهِمْ وَنُفَاحِرُ^(٣)
٤ — لَقَدْ كَانَ فِيكُمْ لَوْ وَفَّقْتُمْ لَجَارِكُمْ لِحَى وَرِقَابٌ عَرْدَةٌ وَمَنَاخِرُ^(٤)
بَيِّنَ أَنَّ الدِّينَ أَدْرَكَ مِنْهُمْ مَا أَدْرَكَ هُمُ بْنُ سَعْدٍ . وهذا الكلام تهكم
وسُخْرِيَّة . كأنه يريد : إن اتَّفَقَ مِنْ سَعْدٍ الزَّوْلَةُ بَعْدَ الزَّوْلَةِ ، والسَّطْعَةُ لِلنَّكَرَةِ
بَعْدَ السَّطْعَةِ ، فَإِنَّا عَلَى ذَلِكَ نُكَارِبُ بِهِمُ الْأَعْدَاءَ . وَنُفَاحِرُ بِمَكَانِهِمْ . ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَيْهِمْ وَقَدْ نَقَلَ الْكَلَامَ عَنِ الْإِخْبَارِ إِلَى الْخُطَابِ ، فَقَالَ : لَوْ رُمْتُمْ الْوَفَاءَ لَجَارِكُمْ ،
وَلَمْ تَطْلَعُوا فِي مَالِهِ لَقَرَّبَ ذَاكَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ آلَاتِ الْوَفَاءِ مُعَدَّةٌ فِيكُمْ : لِحَى
مَوْفُورَةٌ ، وَرِقَابٌ غَلِيظَةٌ ، وَمَنَاخِرُ وَاسِعَةٌ مُنْتَفَخَةٌ .

(١) البيت للمعاصِر بن حلزة اليشكري في معلقته .

(٢) الرجز لمظفور بن مرثد الأسدي ، في اللسان (عصر) . وقوله :

جارية بسفوان ذارها تمشى اهوينى ساقطا خارها

(٣) المرزبانى : « بها ونفاخر » .

(٤) بعمه عند التبريزى :

قَهْرًا لِمَنْ غَرَّتْ كِفَالَةٌ مَنُفَرٍ وَإِنْ كَانَ عَقْدٌ بَيْنَهُمْ مَظَاهِرُ

٦٠٩

وقال حَوَّاسُ الضَّبِّيُّ لَامْرَأَةٍ (١) :

- ١- والله ما أَخَشَى حَكِيمًا وَرَفَعَهُ وَلَكِنَّمَا يَخْشَى أَبَاكَ حَكِيمٌ (٢)
- ٢- وَجَذَتِ أَبَاكَ تَابِعًا فَتَبِعْتِهِ وَأَنْتِ لَعْمَارِ الرِّجَالِ لَزُومٌ رَمَى الْمَرْأَةُ الْمُخَاطَبَةَ وَقَذَفَهَا بِحَكِيمٍ ، فَقَالَ لَهَا مُعَيَّرًا وَمُشَهِّرًا بِهَا : إِنِّي لَا أَخَافُ صَاحِبَكَ حَكِيمًا وَلَا عَشِيرَتَهُ ، وَلَا أَحْتَشُمُهُمْ فِيكَ ، وَلَكِنْ حَكِيمٌ يَخْشَى أَبَاكَ لِاجْتِمَاعِهِ مَعَكَ عَلَى الْفَاحِشَةِ . ثُمَّ قَالَ : تَعَاطَيْكَ لِلْفُجُورِ وَرِاثَتُهُ ، لِأَنَّكَ وَجَدْتِ أَبَاكَ فِي الْأُبْنَةِ تَابِعًا لِسَلَفِهِ فِيهَا ، فَاقْتَدَيْتِ بِهِ ، فَهُوَ يَطْلُبُ مَنْ يَشْفِيهِ مِنْ دَائِهِ ، وَأَنْتِ أَيْضًا شَدِيدَةُ الزَّامِ لِلزُّنَاةِ وَالْفُسَاقِ ، وَالْوَلَدُ يَنْقَتِلُ أَبَاهُ (٣) .
- ٣- عَلَى كُلِّ وَجْهِ عَائِدِي دِمَامَةً يُؤَافِي بِهَا الْأَحْيَاءَ حِينَ تَقُومُ (٤)

(١) هو جواس بن نعيم ، أحد بني حرثان بن ثعلبة بن فزيب بن السيد بن مالك بن بكر ابن سعد بن ضبة . المؤتلف ٧٥ وشرح التبريزي . وهذه الأبيات يقولها ردا على أبيات قالتها امرأة من عائدة بن مالك ، وأنشدها التبريزي . وهي :

مَتَى تَلَقَّ جَوَاسًا وَإِنْ كَانَ مُحَرِّمًا يَقُلُّ لَكَ هَلْ تَخْشَى عَلَى حَكِيمًا
وَمَا لِي لَا أَخْشَى عَلَيْكَ مُحَرِّبًا أَخَا ثِقَةٍ يَنْعَى قَتِيلًا كَرِيمًا
مَتَى تَلَقَّهَ يَمْدُودُهُ الْوَرْدُ جَانِلًا يَشْكَتُهُ تَلَقَّ الْأَلَدَّ الْفَسُومًا

(٢) التبريزي : « قيل إن الصحيح من الروايات : ولكنما يهواك أنت حكيم . وعلى هذا يحمل حكيماً صاعراً ورماعاً به . وإذا قلت : ولكنما يخشى أباك حكيم ، فمعناه لأنه منك بسبيل » .

(٣) يتقيل أباه : ينزع إليه في الشبه .

(٤) التبريزي : « حين يقوم » ، أي حين يقوم في الص المملوك .

٤ - وَأَوْرَثَهَا شَرَّ التَّرَاثِ أَبُومُ قَمَاءَ جِسْمِهِ وَالرَّدَاءَ ذَمِيمٌ^(١)
 تمدّاها إلى فصيلتهما بل قبيلتهما فقال : على وجه كل رجل من بني عائذة
 قُبْحٌ وَخِزْيٌ ، إذا قامت أحياء العرب في أسواقهم ومجامعهم يوافيهم به . وللعنى
 أنهم مشهورون باللؤم ودناءة النفوس ، فوجوههم مسودة بالعار ، مشحونة
 بسوء الفعّال عند القبائل ، فتى وافوا يوماً مجموعاً فيه الناس وجد آثار الخزي ،
 وغضاضة الطرف للخزابة ، تلوح على صفحات وجوههم . ودماثة الوجوه
 خسرهما مثلاً لذلك .

وقوله : « وأورثها » ، يريد أن اللؤم فيهم وراثته ، وقد عرّفوا ذلك من
 أنفسهم واعترفوا به ، فترى أجسامهم في الحافل والمشهد قمينة تصاغراً وتذللاً ،
 وتقاصراً وتخشعاً . وقد ردّاهم الله برداء أعمالهم من الغدر والخيانة ، والقلول
 والسفاهة ؛ فرادؤهم مذموم في الألسنة عند الخاصة والعامة . ويجوز أن يكون
 المراد أن سيّاهم كارداء عليهم ، فهم مذمومون لها وعليها ، ويروى : « والرّوّه
 ذَمِيمٌ^(٢) » ، يعني قُبْحُ الطَّلعة . وديم : اسم الفاعل من دَمَمْتُ دَمَامَةً . وفُكُلْتُ
 في المضاعف قليل . والرّوّه يجوز أن يكون فعلاً من الرّوْية ، ويجوز أن يكون
 من الرّوى .

٥ - كَانَ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُؤْسِهِمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَعًا وَتَمِيمٌ
 ٦ - مَتَى تَسْأَلِ الضَّبِّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ يَقُلْ لَكَ إِنَّ الْعَائِذِيَّ لَيْتِمٌ
 لما كان يوصف الوقور المتنبّث في الأمور إذا حصل مع أشباهه من أهل

(١) ل : « أورثهم » ورسم فوقها « فغ ثها » أى أنها في نسخة « أورثها » . وفي
 التنبيه لابن جني : « قال أبو علي - يعني للفارسي - كتبنا منذ أربعين سنة : يحصل الرواء
 أمرين : أحدهما أن يكون فعلاً من رأيت لأنه يدركه الناظر ، غير أنه اجتمع على تخفيفه .
 والآخر أن يكون فعلاً من الرى . قال : وذلك لأن الريان نضارة وحسناً . فقوله اجتمع على
 تخفيفه يدلك على أنه غير مهموز العين . ومنهم من يهزه » .

(٢) هي رواية التبريز .

الأناء والرفق والرزانة وسكون الجأش في متددى لهم ، وتناجوا وتشاوروا ،
أو حضروا في مجلسٍ مُخْتَصِمٍ فتجادبوا وتناظروا ، بقولهم : كان على رؤوسهم الطير ،
وهذا التشبيه إنما حصل على أنهم من الشكون ومفارقة التمتع بمنزلة من على
رأسه طيرٌ فيخاف في تحركه ذهابها وطيرانها ؛ ولما كان هذا الشاعر يهجو
بنى عائذة ويهزأ بهم ، جعل بدل ذلك القول « كان خروء الطير فوق رؤوسهم » .
وقوله « إذا اجتمعت قيسٌ ممّا وتميم » بيان لاختلاطهم بأهل الحلّ والعقد من
وجوه القبائل ، ورؤساء المحافل . وكان الحكم أن يقول : إذا اجتمعت قيسٌ
وتميمٌ ممّا ، فقدّم « ممّا » لأنّ اللماطف يُنبّه على موضع المطفوف .

وقوله « متى نسال الضبي عن شرّ قومه » ، يروى : « عن سِرّ قومه » ،
وهو حسنٌ ، والمعنى أنهم لثامٌ باعترافٍ من قومهم به ، واتفاقٍ منهم عليه ،
لكنهم يسرون أمرهم ويخفونّه .

٦١٠

وقال محرز بن المكعب الضبي^(١) :

- ١- أبلغ عدياً حيث صار بها النوى وليس لدهرٍ الطالينَ فتاه
- ٢- كسالى إذا لاقيتهم غير منطوق يُلغى به المتبول وهو غناه^(٢)
- ٣- أخبر من لاقيت أن قد وقيتهم ولو شئتُ قال المنبتون أساموا

(١) يقولها لبني عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، كما ذكر التبريزي .
وقد مضت ترجمة « محرز » في الحماسية ١٨٥ ص ٥٧٢ . قال التبريزي : « كان
محرز بن المكعب جاراً لبني عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، فأغار بنو عمرو
ابن كلاب على إبله فذهبوا بها ، فطلب إليهم أن يسعوا له ، فوعده أن يفعلوا ، فلما طال
ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئاً ألقى الحمارق والمساحق ابني شهاب المازنيين ، وهما من
بني خزاعة ، فسعى له بإبله فرداها عليه » .

(٢) كسالى في النسختين بفتح الكاف ، وفي التبريزي ونفسها . وهما جهمان
صحيحان لكسلان .

يقول: أَدَّ إِلَى بَنِي عَدِيَّ رَسَالَتِي حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى^(١) بِأَنْ زَمَنَ
 طَلَابِ الْأَوْتَارِ فِيمَا عَلَيْهِمْ مِنْ إِدْرَاكِ النَّارِ قَدْ انْتَصَلَ وَامْتَدَّ، فَلَيْسَ بِنَقْطَعُ لِكَسَلِهِمْ
 عَنْ السَّعْيِ فِي رِذَاءِ الْمَغَارِ عَلَيْهِ^(٢)، وَاسْتِيطَائِهِمْ صِرَاحَ كَبِّ الْعَجْزِ عَنْ نُصْرَتِهِ،
 غَيْرَ مَوَاعِيدَ خَالِيَةٍ مِنَ الْفِعْلِ بِقَرَّبُونِهَا، وَأَقْوَالٍ مُزْخَرَفَةٍ عِنْدَ الْإِتْقَانِ يَبْدُلُونَهَا،
 إِذَا اعْتَمَدَهَا الْمُتَوَرِّعُ أَنْصَرَفَ بِهَا مَفْرُورًا، فَكَانَتْ عِنْدَ السَّامِعِينَ لَهَا ضَلَالًا
 وَبُورًا، وَعَنَاءً لِلْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ، لَا يُحْتَلَى مِنْهُ بِطَائِلٍ، وَلَا يَرْجِعُ عَلَى أَحَدٍ
 بِعَائِدٍ. هَذَا وَأَنَا أَحْسَنُ أَمْرَكُمْ، وَأَقُولُ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنْ أَخْبَارِنَا وَأَخْبَارِكُمْ: إِنَّا نَحْمَدُ
 قَدْ وَفَّوْا بِالْعَهْدِ، وَأَدَّوْا مَا لَزِمَهُمْ مِنَ النُّصْرَةِ بِحَقِّ الْجَوَارِ وَالْعَقْدِ، لَكِنْ لِلْأُمُورِ
 أَوْقَاتٌ، وَلِلْأَقْصِيَةِ أَجَالٌ وَأَمَادٌ، فَيَنْتَنِي الذَّمُّ عَنْكُمْ، وَيَنْحَطُّ الْعَارُ دُونَ فَنَائِكُمْ،
 وَلَوْ شِئْتُ لَقَالَ السَّائِلُ وَالسَّامِعُ: أَسَاءُوا حِينَ بَدَّلُوا الْخُفَارَةَ بِالْإِخْفَارِ، وَضَيَّعُوا
 الْحُقُوقَ بِالْتَّقْصِيرِ وَالْإِقْصَارِ: وَقَوْلُهُ «أَنْ قَدْ وَفَّيْتُمْ» أَنْ فِيهِ خَفِيفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ،
 وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ، وَهُوَ ضَمِيرُ الْأَمْرِ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ. وَقَوْلُهُ «غَيْرَ مَنْطِقٍ»
 انْتَقَصَ عَلَى أَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ خَارِجٌ. وَ«يُلْهَى بِهِ» مِنْ لَهَوْتُ عَنْ كَذَا وَلَهَيْتُ،
 أَلْهُو لَهْوًا، وَأُلْهِيَ لَهْيًا، إِذَا انْصَرَفَتْ عَنْهُ. وَالتَّجْبُولُ: الْمَصَابِ بِذَحْلِ وَتَبَلٍ.
 ٤ - لَهُمْ رَثِيئَةٌ تَعْلُو صَرِيحَةً أَمْرِهِمْ وَلِلْأَمْرِ يَوْمًا رَاحَةً فَقَضَاءُ^(٣)
 ٥ - وَلَئِنْ لَرَأَيْتُمْ كَلَى بَطْءَ سَفِيحِكُمْ كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ
 الرَّثِيَّةِ: الضَّعْفُ. وَالصَّرِيحَةُ: مَا يُقْطَعُ مِنَ الْعَزِيمَةِ وَيُجْزَمُ لِإِمَّاؤِهِ بَعْدَ
 الْعَقِيدَةِ، فَيَقُولُ مَصُورًا حَالِمٌ فِي التَّفْرِيطِ وَالْإِهْمَالِ: مَتَى هُمْوَا بِإِنْفَازِ عَزَائِهِمْ،
 وَتَشْدِيدِ شَكَاؤِهِمْ، وَإِنْجَازِ مَا يُتَنَجَّزُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَوَاعِيدِهِمْ، أَوْ يَهْتَنُونَ لِرَحْضِ

(١) ل: «بِهِمِ النَّوَى».

(٢) الرَّدء: الْعَوْنُ.

(٣) التَّبْرِيْزِي: «رَثِيئَةٌ»، بِتَقْدِيمِ الْيَاءِ. وَقَالَ فِي شَرْحِهِ: «رَثِيئَةٌ: إِطْعَامٌ».

وَرَثِيئَةٌ ضَعْفٌ.

حَدَّثَنَا الْعَارِ عَنْ شَيْمِهِمْ وَأَخْلَافِهِمْ ، وَلَيْسَ طَرِيقُ الْعَارِ^(١) وَالتَّعْيِيرِ عَنْ مَذَاهِبِهِمْ
وَأَفْصَالِهِمْ ، عَلَامَتُهُمْ وَهَمَّتُهُمْ وَهَنْ وَفَشَلٌ ، وَمَلَكَ قِيَادَهُمْ وَمَقُودَهُمْ ضَعْفٌ
وَكَسَلٌ . ثُمَّ أَخَذَ بَتَهُمْ وَبِهِزًّا فَقَالَ : وَلَمَرَهُ فِي أَمْرِهِ بِمَضَى يَوْمًا وَيَكْفُ يَوْمًا ،
فَمَا يَجْبُرُ كَسْرَ التَّعَبِ إِلَّا مَا يَتَعَبُّهُ مِنَ الرَّاحَةِ .

وقوله « فَإِنِّي لَرَأِجِيكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعِيكُمْ » ، يريد أنهم على تباطلهم وتأخر
فعلهم عن مقامهم مرجوون ، كما أن الحملات على تأخر وضمهم مرجوون ،
فأنا ناظرٌ في أعقاب الأمل متى يتحقق .

وقوله « قضاء » أى قضاء يوماً آخر . وقوله « كما فى بطون الحملات
رجاء » أى أرجوكم مثل ذلك الرجاء .

- ٦ - قَهْلًا سَعَيْتُمْ سَمَى عُصْبَةً مَازِنٍ وَهَلْ كَفَلَانِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءِ
٧ - لَهْمُ أَذْرُعٍ بَادٍ نَوَائِرُ أَحْمِهَا وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْجُرُوبِ غَنَاءِ
٨ - كَأَنَّ دَنَائِرًا عَلَى قَسَمَانِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهَ لِقَاءِ

هذا الكلام بمث و تحضيض . وهلا : حرف إغراء و تحضيض . وذ كر بنى
مازن تحريكاً منهم ، وليوجهم بتفضيل غيرهم عليهم . وقوله « وهل كفلاى » ،
فالكفيل : الضامن للشيء : وهذا المصراع التفاتٌ ، كأنه لما هجن فملهم وقرعهم ،
وأطرى غيرهم مؤثراً عليهم . التفات إلى من حوله فقال : وهل ضمتائى مستوون فى
الوفاء فأجريهم مجرى واحداً . وهذا أبلغ من كل نكير ، ومن كل هجو فظيع .
و « سواء » وإن كان فى الأصل مصدرًا ؛ فقد صار هنا كأسماء الفاعلين لثباته عنها ،
لذلك صح أن يعمل فى الظرف قبله وهو قوله « فى الوفاء » ، لأن المصادر لا تعمل
فيما قبلها إلا إذا أمر بها ، كقوله : صرَبًا زَيْدًا ، أو إذا أجري هذا المجرى^(٢) .

(١) هذا ما فى ل ، وهو الموافق لما بعده . وفى الأصل : « العاب » بمعنى العيب .

(٢) ابن جنى : « الظرف متعلق بسواء لا بكفلاى . ألا ترى أن معناه : وهل من
يكفلاى متساوون فى الوفاء . »

وقوله «لم أذرُع» صفة للمصبة المازنية. وهم يتمدحون بالهزال. والنواشر: عروق ظاهر الذراع. وقوله «وبعض الرجال في الحروب غناء»، تعويض بالآخرين، وهم بنو عدى. والغناء: ما يعلو السيل من الغر والزبد. والمعنى: بعضهم لا غناء عنده ولا كفاية، فتراهم كيبيس النبات وقد احتمله الماء.

وقوله «كان دنائرا على قسائمهم»، القسائم: الوجوه، وقيل هي تجارى الأومع. ويقال: وجه مقسم، أى حسن، والقسامة: الحشن. ومرجعه إلى القسمة، كأنه مسح كل جزء من الوجه بقسم من الجمال، فتعادت الأجزاء وحسنت. وقوله «وإن كان قد شفت الوجوه لقاء» تعريض أيضا، والمعنى: أن وجوههم تشرق في الحرب وتضيء، إذا صارت وجوه غيرهم مشفوفة مضيئة. ويقال: شفت المرض، إذا أذابه وهزله. وذكر الدنانير في إثبات ماء الوجه ونضارة الحشن قد جاء في النسب، ألا ترى قوله:

النشر منك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عمن^(١)

٦١١

وقال شملة بن الأخضر^(٢)

- ١ - وَضَعْنَا عَلَى الْمِيزَانِ كُوزًا وَهَاجِرًا فَالَتْ بَنُو كُوزٍ بِأَبْنَاءِ هَاجِرٍ
 - ٢ - وَلَوْ مَلَأْتُ أَعْفَاجَهَا مِنْ رَثِيئَةٍ بَنُو هَاجِرٍ مَالَتْ بِهَضْبِ الْأَكَادِرِ^(٣)
 - ٣ - وَلَكِنَّا اغْتَرُّوا وَقَدْ كَانَ عَقْدُهُمْ قَطِيبَانِ شَتَّى مِنْ حَلِيبٍ وَحَازِرٍ
- هذا الكلام هزل وسخرية. فيقول: نظرنا ما بين كوز وهاجر بالقياس

(١) البيت للمرقش الأكبر. وهو البيت ٦ من المفضلية ٥٤.

(٢) التبريزي: «وقيل: منذر بن الرقاد بن ضرار بن عمرو الضبي». وقد سبق

ترجمة «شمعة» في الحماسة ١٨٣ ص ٥٦٥. وأما منذر بن الرقاد فلم نعلم له على ترجمة.

(٣) ل والتبريزي: «ولو ملأت».

القائم ، والميزان الحاكم ، فوجدنا كِفَّةَ بنى كُوزٍ أَرْجَحَ وَأَوْزَنَ ، وَلَوْ عَلِمَتْ
بِنَا وَبِفَعْلِنَا لَمَلَّتْ بُطُونُهَا مِنَ الرَّثِيثَةِ ، فزادت زَنَتْهَا عَلَى هِضَابِ الْأَكَادِرِ ،
لَكِنَّهَا أَصِيبَتْ غَفْلَتُهَا ، وَفُوجَتْهَا بِالْوَزَنِ قَبْلَ الشَّرْبِ وَالِامْتِلَاءِ ، وَالتَّجَرُّدِ
لِلْأَمْرِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، وَكَانَتْ الْحَالُ مُسَاعِدَةً ، وَأَنْوَاعُ الْحَلِيبِ مُمَكِّنَةً ، وَذَلِكَ
أَجْلَبُ لِحُسْرَتِهِمْ ، وَأَدْعَى إِلَى نَدَامَتِهِمْ .

والأعجاج : الأمعاء ، والواحد عَفْجٌ^(١) . ويقال : اغْتَرَّ فلانٌ ، أى أَخِذَ
على غِرَّةٍ . والقَطِيب : الممزوج . والحازِرُ : الجامض . والرَّثِيثَةُ : المجموع من
الحازِرِ والحليب . وقد رماهم بأنَّ طعامَهُمْ ذَلِكَ لا غير .

٦١٢

وقال قرواش بن حوط الضبي^(٢) :

- ١ - نُبِئْتُ أَنَّ عِقَالاً ابْنَ خُوَيْلِدٍ بِنِعَافِ ذِي غُدْمٍ وَأَنَّ الْأَعْلَى^(٣)
 - ٢ - يَنْبِى وَيَعِيدُهُمَا إِلَى وَبَيْنِنَا شُمْ قَوَارِعُ مِنْ هِضَابِ يَوْمَرَمَا
- الأجود فى العلم وقد وُصِفَ بالابن أو الابنة ، إذا كانا مضافين إلى علم ،
أو ما يجرى مجراه ، تَرَكُ التَّنْوِينَ فِيهِ . وقد نَوَّنَ هَذَا الشَّاعِرُ عِقَالاً ، وَإِذْ قَدْ
فَعَلَ ذَلِكَ فَالْأَجُودُ فِي ابْنِ خُوَيْلِدٍ أَنْ يَجْعَلَ بَدَلًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ صِفَةً عَلَى
اللُّغَةِ الثَّانِيَةِ^(٤) .

(١) العفج ، بالفتح ، وبالكسر ، وبالتحريك : وككتف .

(٢) ذكره المرزبانى فى المعجم ٣٣٩ وقال : قرواش بن حوط بن أنس بن صرمة بن
زيد بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن ضبة . جاهل .

(٣) الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ ، فى معجم البلدان (غدم) و ١ ، ٤ ، ٥ ، ٣ فى الحيوان
(٢٨٣ : ٦) و ٣ ، ٤ ، ٥ فى معجم المرزبانى . التَّبْوِيزُ : جَلَمَ . بالعَيْنِ المَهْمَلَةِ ، تَحْرِيفٌ .
وَذُوْهُلَمٌ : مَوْضِعٌ مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ .

(٤) أضف لى هذا ما ورد فى الحماسة ٥٩٥ ص ١٤٣١ ، وهو نص نادر .

والذئاف : جمع نَعَفٍ ، وهو المكان المرتفع في اعتراضٍ ، وأعلى كل شيء ؛ ومنه مَنَافُ الجبل . والأعلم : اسم رجل ، وأعاد «أن» معه تأكيداً ، والخبر قوله « ينسى » ، والعامل فيه أن الأولى ، لأن الثانية لا يُعْتَدُّ بها عاملاً وإن كان مؤكداً . ومثل هذا قولُ الحطيئة :

* إِنَّ الْقِرَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غَلَبَا ^(١) *

ويكون على هذا الألف في «غَلَبَا» ضمير المثنى . والشَّمُ : الجبال المرتفعة . والفوارع : العوالى . وَيَلْسَمَ : عَلَّمَ لجلل ^(٢) ، ويروى : « يَرْمَزُ » .

٣ - غَضًا الْوَعِيدَ فَأَوْ كُنْ لِمَوْعِدِي قَنَصًا وَلَا أَكْلًا لَهُ مُتَخَفًا ^(٣)

٤ - ضَبًّا مُجَاهَرَةً وَلَيْثًا هَذَنَةً وَثُمَيْلَبًا حَمْرًا إِذَا مَا أَظْلَسَا

٥ - لَا تَسْأَلِي مِنْ دَسِيسٍ عَدَاوَةٍ أَبَدًا فَلَيْسَ بِمُسْتَيْحِي أَنْ تَسْأَلَا

يقول : أَقْصِرَا إِلَيْكَا مِنْ تَهْدِيدِكَا ، فَإِنِّي لَا أُحْتَفَلُ بِكَمَا وَلَا بِوَعِيدِكَا ، وَلَا أَصْطَادُ بِإِرْعَادِكَا وَإِبْرَاقِكَا ، وَلَا أَصِيرُ مَا كُتِبَ لِأَحَدٍ فَيَا كُنِّي بِفِيهِ كُلَّهُ خَفَا كَمَا يُؤْكَلُ الرُّطْبُ اللَّيْنُ ، لَا قَضَا . ثُمَّ أَخَذَ يُعَدِّدُ مَخَازِيَهُمَا فَقَالَ : عِنْدَ الْكَاشِفَةِ وَالْمَلَاقَةِ تَخْبُثَانِ وَتَحْمَقَانِ ، خُبْثَ الضُّبُعِ وَحِمَاقَتِهِ ، وَعِنْدَ الْإِصْطِلَاحِ وَالْهُدُوءِ تَشْجَعَانِ وَتُقَدِّمَانِ إِقْدَامَ الْأَسَدِ وَشَجَاعَتِهِ ، وَفِي ظِلَامِ اللَّيْلِ تَسْرِقَانِ وَتَحْتَالَانِ عَلَى النَّاسِ ، وَتُرَاوِغَانِ مُرَاوَعَةَ الثَّغْلِبِ وَسَرِقَتِهِ . وَالْخَمْرَ : مَا وَارَاكَ مِنْ شَجَرٍ

(١) صدره في ديوان الحطيئة ص ٥ :

• قَالَتْ أَمَامَةٌ لَا تَجْزِعُ فَقُلْتُ لَهَا •

(٢) حل ليلتين من مكة .

(٣) روى بعده الجاحظ في الحيوان .

فَتَى أَلَايَكُمَا الْبِرَازُ تُلَاقِيَا عَرِيكًَا يُفْلُ الْهَدَى شَاكًَا مُفْلِمَا

وغيره . و « إذا ما أظلمنا » أى دَخَلَا فى الظلام . والعاملُ فى إذا ما دلَّ على جوابه وقد تقدّمه .

وقوله « لا نسأما » يقول : لا تَمَلًا مُدَاجَانِي وَطَلَبِ الْفَوَائِلِ لِي فِي السَّرِّ وَبُظْهِرِ الْغَيْبِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ لِكَمَا عَلَى مِثْلِ حَالَتِكَا لِي ، وَلَا تَفْتَرَا عَنْهُ فَإِنِّي لَا أَفْتَرُ وَلَا أَمَلُ وَإِنْ مَلَانَا أَيْضًا ، فَإِنْ مَلَا لِكَمَا لَا يُكْسِبُنِي فَتُورًا وَلَا إِسْكَاءً . وَاللَّسْ : إِدْخَالُكَ شَيْئًا تَحْتَ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْإِخْفَاءُ ^(١) . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ . وَاللَّسْ : وَالدَّسُّوسُ وَالْجَاسُوسُ يَتَقَارَبَانِ . وَيُرْوَى : « مِنْ رَسِيْسٍ عِدَاوَةٍ » ، وَيَكُونُ مِثْلَ رَسِيْسِ الْحُمَى وَالْهَوَى وَرَسْمِهِمَا ، لَمَّا يَبْدَأُ مِنْهُمَا . وَهُوَ مَوْضِعُ « أَنْ نَسْأَمَا » مِنْ الْإِعْرَابِ رَفْعٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ اسْمٌ لَيْسَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ بِمِسْمِي سَامَتُكَا فَهُوَ كَقَوْلِكَ : لَيْسَ بِمَنْطَلِقِي غَمْرُو .

٦١٣

وقال سويد بن مشنوء ^(٢) :

١- ذَرِيْ عَنْكَ مَسْعُودًا فَلَا تَذْكُرْنَاهُ إِلَى بِسْوَءٍ وَاعْرِضِي لِسَبِيلِ

٢- نَهَيْتُكَ عَنْهُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى وَلَا يَنْتَهِي الْعَاوِي لِأَوَّلِ قَبِيلِ

قوله « ذَرِي » ؛ أى دَعَى . وَالْأَسْرُ يُبْنَى عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ ، وَهُوَ يَذَرُ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ . فَأَمَّا وَذَرَفِنِ الْمَرْفُوضِ اسْتِعْمَالُهُ اسْتِغْنَاءٌ عَنْهُ بِتَرْكِ . وَقَوْلُهُ : « لَا تَذْكُرْنَاهُ إِلَيَّ » كَسَرَ الرَّاءَ مِنْهُ لِأَنَّهُ مَخَاطَبَةٌ مُؤَنَّثٌ ، وَالْأَصْلُ تَذْكُرِيْنِي ، فَحَذَفَ النُّونَ الْأَوَّلَى لِلْجَزْمِ ، ثُمَّ حَذَفَ الْيَاءَ لِاتِّقَاءِ السَّاكِدِينَ ، فَصَارَ تَذْكُرْنَاهُ .

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « وهو فى غمما » .

(٢) ذكره أبو الفرج فى الأغاني (١٦ : ٢٨) فى خبر مع الحطيئة . وقال : إذ حليف بنى على بن جناب الكلبيين .

والمعنى : لا ينتهين ذكره إلى ، ولا يتجاوزن ذكره إلى بسوء . فعدي
تذكرن تعدياً تتجاوزن إلى ، حملاً على المعنى . ومما جاء على هذا قوله :
إذا تَعَفَى الحَمَامُ الوُرُقُ هَيَّجَنِي ولو تَعَزَّيْتُ عنها ، أُمَّ عَمَّارٍ^(١)
عَدَى هَيَّجَنِي تعدياً ذكّرني ، لأنه في معناه . وهذا كما يحملون في التعديـة
النقيض على النقيض ، كقوله :

إذا رَضِيتَ عَلَى بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أعجبنى رضاها^(٢)
عَدَى رَضِيتَ تعدياً غَضِبْتَ لأنه نقيضه ، كما عَدَى هَيَّجَنِي تعدياً
ذكّرني لأنه نظيره . وكما حُكِيَ :

* قد قَتَلَ اللَّهُ زِياداً عَنِّي *^(٣)

عَدَى قَتَلَ تعدياً صَرَفَ .

وقوله « نَهَيْتُكَ عَنْهُ » ، يقول : كنت أحوذرك عنه فيما سلف من الزمان .
وتقضى ، لسنن الجاهل لا يرتدع للزجر الأولى حتى يردع مرة بعد أخرى .
وهذا مَثَلٌ ، أعنى قوله :

* ولا ينتهى الفأوى لأوّل قيل *

وقوله « واعرضى لسبيل » أى اعرضى إلى طريق غيره ، واذكره بسوء ..
ويقال : لا تعرّض عِرْضَهُ ، أى لا تذكره بسوء .

(١) للناطقة الذيباني في جهرة أشعار العرب ص ٥٣ وكتاب سيوبه (١ : ١٤٤) ..
وقد سبق في ٣١٥ .

(٢) للقحيف العقيلي في الكامل ٣٤٢ ، ٤٨٨ .

(٣) للفرزدق في ديوانه ١٨١ ، واللسان (قتل) ، قاله حين خرج من المدينة بعد
موت زياد ، وكان زياد قد نفاه وآذاه ونذر قتله . وقد سبق في ٣١٥ .

٦١٤

وقال معدان بن عبيد^(١) :١- عَجِبْتُ لِعَبْدَانَ هَجَوْنِي سَفَاهَةً أَنْ اصْطَبَحُوا مِنْ شَاهِمٍ وَتَقَيَّلُوا^(٢)

٢- بِجَادٍ وَرَيْسَانٍ وَفَهْرٍ وَغَالِبٍ وَعَوْنٍ وَهَذَمٍ وَابْنِ صِفْوَةَ أَخِيلٍ

٣- فَأَنَا الَّذِي يُخَصُّ بِهِمْ فُمُكَّدْتُ وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِهِمْ فُمُقَلِّلُ

يقال : عَبْدٌ وَأَعْبَدُو عَبْدًا وَعَبِيدٌ وَعَبِيدِي وَعَبْدَانٌ وَمَعْبُودٌ وَمَعْبُودَةٌ وَعَبْدٌ .

فبعض هذه الأسماء مما صيغ للجمع ، وبعضها جمع في الحقيقة . وانتصب

« سَفَاهَةً » لأنه مفعول له . وهم يَكُونُونَ عن اللثام بالعبيد والعبدان ، والقزم

والقزمان^(٣) . و « أَنْ اصْطَبَحُوا » يريد لأن اصطَبَحُوا ، أى شَرَبُوا الصُّبُوحَ ،

وهو ما يُشْرَبُ صباحا . والقَيْلُ ، وهو شرب نصف النهار . وكما قال تَقَيَّلُوا ،

يقال تَصَبَّحُوا أيضا . والمعنى عَدَوْا طَوْرَهُمْ فَهَجَوْنِي ، لأنهم رأوا بأنفسهم ما لم

يعهدوه . فَطَعَنُوا عِنْدَ الْغَنَى ، وأصابوا مِنْ شَاهِمِ الصُّبُوحِ والقَيْلِ ، بعد أن

كانوا كَلَالًا على غيرهم . ثم ذكرهم بأسمائهم تخضيعا^(٤) وتشنيعا . ويرتفع بجادٌ

إن شئت على الاستئناف ، يريد : هم جِيَادٌ وَرَيْسَانٌ ؛ وإن شئت على البدل

من المضميرين في قوله اصطَبَحُوا .

وقال من بعد : مَنْ يَمُدُّهُمْ يُكَدِّرُ لَوْفُورَ عَدَدِهِمْ ، ومن يُثْنِي عَلَيْهِمْ يَقْلِّلُ

أقله من يستحق الثناء فيهم ومنهم . ويجوز أن يكون أن من قوله أن اصطَبَحُوا

أن المفترسة ، كأنه فُسِّرَ لَمْ طَعَنُوا فَهَجَوَا .

(١) هو معدان بن عبيد بن عدى بن عبد الله بن خيرى بن أفلت الطائى ثم المعنى .

شرح التبريزى ومعجم المرزبانى ٤٠٧ .

(٢) ضبطت « عبدان » في النسختين والتبريزى بكسر العين ، ويقال فيها أيضا

« عبدان » بظم العين .

(٣) لم تذكر المعاجم المتداولة هذا الجمع . والمعروف أقزام : وقزاي ، وقزم بضمين .

(٤) ل : « تخضعا » :

٦١٥

وقال يزيد بن قنافة^(١) :

- ١- لَمَعَرِي وَمَا عَمَرِي عَلَى بَهَيْنٍ لَيْسَ الْفَتَى الدَّعُو بِاللَّيْلِ حَاتِمٌ^(٢)
 - ٢- غَدَاةُ أَنَّى كَالثَّوْرِ أُخْرِجَ قَاتَتْنِي بِجَبْهَتِهِ أَقْبَالُهُ وَهُوَ قَاتِمٌ
 - ٣- كَانَ بِصَحْرَاءَ الْمَرْبِطِ نَمَامَةً تُبَادِرُهَا جِنَحُ الظَّلَامِ نَعَامٌ
 - ٤- أَعَارَنَكَ رَجُلَيْهَا وَهَافِي لُبَّهَا وَقَدْ جُرَدَتْ بِيضُ الْمُتُونِ صَوَارِمٌ
- قد مضى الكلام في قوله لَمَعَرِي . وقوله « وما عَمَرِي عَلَى بَهَيْنٍ » تحقيق لليمين ، وأنَّ عَمَرَهُ ليس بِهُونٍ عليه فيحلف به كاذبا . وفي الكلام إزارا بالمُخْبَرِ عنه . وقوله « الدَّعُو بِاللَّيْلِ » كثير من النحويين يذهبون في مثله إلى

(١) التبريزي : « وقال يزيد بن قنافة بن عبد شمس العدوي ، من بني عدى بن أكرم ابن أبي أكرم ، من ثعل بن عمرو بن القوث ، ربط حاتم بن عبد الله » . وقال ابن جني : « القنف صغر الأذنين وغلظهما ، رجل أقنف وامرأة قنفاء ، وبه سمى الرجل قنافة ، إذا كان ضخم الأذن ، ويقال : هو الطويل الجسم . فقد يجوز أن تكون الهاء في قنافة لحقت للبالغة ، ويجوز أن يكون أيضا لحاقها ضربا من ضروب تغيير الأعلام ، كما أن الهاء في راحة قد يجوز أن تكون كذلك . وقد يجوز أن يكون قنافة علما مرتجلا من غير طريق الصنعة التي ذكرت » .

(٢) قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أنه عمد رجل من بني السيد بن مالك ابن بكر بن سعد بن ضبة ، يقال له زيد بن ثابت ، فجاور في طي وكانت له نعمة فيهم ، وكان جيرانه منهم بنو مومن ، فقتلوه وأخذوا ماله : فبلغ ذلك بني السيد فركبوا فيمن تيمهم من بني ضبة حتى لقوا رجلا من طي فقالوا له : من أنت ؟ فكتهم فمروا لفته ، فقالوا له : أنت آمن إن دلتنا حل أقرب أبيات بني مومن منك . فدلهم على بني ثور بن ود من بني مومن ، وذلك من العشي ، فقتلوه إلا قليلا ، وانفلت منهم رجل حتى أتى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، وهو حاتم طي ، وهو في قبة له آدم في دار ليس معه فيها أحد غير أهل بيت أو بيتين من بني عدى ، فيهم يزيد بن قنافة ، وهو بمكان يقال له صحراء المريط ، فأخبره الخبر فأمر أمته أن توقد في قبة واحتمل تحت الليل فجاء ، وبقي يزيد بن قنافة لم يعلم الخبر حتى صبحته الخليل غدوة ، وكانت امرأته لا تكلمه فدعته باسمه فأخبرته الخبر ، فثار إلى قوسه فبع بناته وابنيه وامراته وذهب بحاله . وإنما كان القوم أرادوا حاتما فأفلت . وفي ذلك يقول يزيد بن قنافة هذا الشعر هاجيا .

أنه بدل لاصفة ، لأنَّ نِعمَ وبئسَ يرفعان من المعارف ما فيه الألف واللام ودلَّ على الجنس ؛ وما يدلُّ على الجنس [لا^(١)] يتأتَّى فيه الوصفية . والصواب عندي تجويز كونه وصفاً ، بدلالة أنه يثنى ويُجمع ، فيقال : نعم الرجلان الزَّيدانِ ، ونعمَ الرَّجَالُ الزَّيْدُونَ ، والتثنية والجمع أبعد الأشياء من أسماء الأجناس ، إلا إذا اختلفت ، فسكنا يجوز تثنية هذا وجمعه لدخول الاختلاف فيه ، كذلك يجب أن يجوز وصفه لمثل هذه العلة ، ولا فصل . وإذا كان كذلك كان قوله المدعوُّ بالليل صفةً للفتى ، كأنه قال : مذمومٌ في الفتيان المدعوِّين بالليل حاتم . وهذا ظاهرٌ .

وذَكَرَ اللَّيْلَ لشدَّةِ الهولِ فيه .

وقوله « غداةً أتى كالنَّور » يعني حاتماً ، وإنما يهزأ به . ومعنى أخرج : ضيق عليه وأخرج من عادته فأخرج إلى أن يبعث . والأفتال : الأقران والأعداء ، والواحد قتل . فيقول متهمكماً : جاء كالنَّور الهاجِّ غضباً وحجَّةً ، وقد بَانَ له من طُلَّابِهِ تَرْكُ الإبقاء عليه ، فجعل بينه وبين أقرانه قرْنِيه يتقيهم بهما ، ويصدُّهم الشرَّ بإعمالها ، فهو ثابتُ القدم متهيئٌ للقتال . هذا كان حاله في الحجة ، فلما جاء وقتُ الدِّفاعِ والمصادمة ، والقراعِ والمكافحة ، انهزمَ فكانَ نعمةً سابقها حينَ جَنَحَ الظَّلامُ نَعَامُهم إلى أداحيها ، أعارت حاتماً رجلها وطائرَ قلبها ، وهو يقدُّو مذعوراً ، ويطلب النِّجاءَ مفلولاً ، وقد جُرِّدت السيوفُ من أغادِها ، وصار الأمرُ في الطُّلبِ والهَرَبِ جدًّا . وإنما قال « أعارتكَ رجلها » لأنَّه نقلَ الكلامَ عن الإخبار إلى الخطاب .

(١) التكملة من ل والتبريزي .

٦١٦

وقال عَارِقٌ، وهو قَيْسُ بْنُ جِرْوَةَ الطَّائِي^(١) :

- ١ - من مُبْنِغٍ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّبَهَا الْعَيْسُ تُنْضَى مِنَ الْبُعْدِ
 - ٢ - أَبُو عِدْنِي وَالرَّمْلُ يَبْنِي وَيَبْنِي تَبَيَّنَ رُؤَيْدٌ مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدٍ
 - ٣ - ومن أَجَارٍ حَوْلِي رِعَانٌ كَانَهَا قَنَابِلُ خَيْلٍ مِنْ كَمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدٍ
- كان عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ غَزَا الْيَمَامَةَ عَلَى مَا حَاكَيْتُ مِنْ قِصَّتِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ^(٢) ، فَأَخْفَقَ وَرَجَعَ مُنْفِضًا . فَمَرَّ بِطَيْئٍ ، وَكَانُوا فِي ذِمَّتِهِ بِكِتَابِ عَقْدٍ أَكْتَتَبَهُ لَهُمْ ، وَعَهْدٍ أَحْكَمَهُ مَعَهُمْ ، فَقَالَ زُرَّارَةُ بْنُ عُذْسٍ لَهُ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، أَصِيبَ مِنْ هَذَا الْحَيِّ شَيْئًا . قَالَ : وَبِلَاكَ إِنْ لَمْ عَقْدًا لَا يَجُوزُ لَهَا تَخْطِئُهُ . فَأَخَذَ زُرَّارَةُ يَهُوَّانَ أَمْرَ الْعَهْدِ عَلَيْهِ ، وَيَحْسُنُ الْإِقْبَاعَ بِهِمْ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يَفْتِلُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ مَعَهُ لَشَيْءٍ كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى طَيْئٍ حَتَّى أَصَابَ أَذْوَادًا وَنِسَاءً ، فَهَجَا عَارِقٌ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ بِأَبْيَاتٍ يَعْصِبُ رَأْسَهُ فِيهَا بِالْمَدْرِ الَّذِي كَانَ مِنْهُ ، فَوَقَعَتِ الْأَبْيَاتُ إِلَى عَمْرُو بْنِ هِنْدٍ ، فَتَوَعَّدَ عَارِقًا وَحَلَفَ أَنَّهُ يَقْتُلُهُ ، فَاتَّصَلَتْ مَقَالَتُهُ بِعَارِقٍ فَقَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ . وَمَعْنَى « اسْتَحَقَّبَهَا » حَمَلَتْهَا فِي الْحَقَائِبِ . وَجَمَلَ الْفِعْلُ لِلْعَيْسِ اتِّسَاعًا . وَمَعْنَى تُنْضَى : تُهْزَلُ ، لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ .

وقوله « أَبُو عِدْنِي » استفهام على طريق التَّزْيِينِ لِعَمْرُو ، وَاسْتِعْظَامٌ مِنْهُ لِلْأَمْرِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَبْنَالِي مَعَ حَصَانَةِ حَنْبَلِي وَدَارِي ، وَلَا يَتِمَكَّنُ مِنِّي عَلَى بُعْدِ طُرُقِي وَأَرْضِي ، فَلْيَنْظُرْ بَرْفِي ، وَلْيُمِيلْ بَيْنَ أُمِّهِ وَأُمِّي ، وَلْيَكُنِ التَّعْلَى وَالتَّوَعُّدُ

(١) حُبَّتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْخَمَاسِيَةِ ٦٠٤ ص ١٤٤٦ .

(٢) فِي الْخَمَاسِيَةِ ٦٠٣ ص ١١٤٧ .

بمقدار فضله وقدرته . وذكر الأُمّ إظهار لقلة المبالاة ، وأنه يجسر على تناول
الحرم منه باللسان .

وقوله « ومن أجأ حولي رعان » أجأ : أحد جبلَيْهم ^(١) . والرعان : جمع
رغن ، وهو أنف يتقدم من الجبل . والمراد بيان حال جبلي طيٍّ في وثاقهما
وحصانتهما ، وأمن من ينزل بهما ، وأن رعانه كأنها جماعات خيل أحاطت
بالجبل وأحذقت ، فهي تدب عنها ^(٢) كمنما ووردا ^(٣) . وذكر القنابل في
التشبيه ، والعزُّ بأربابها يحصل .

٤- غدرت بأمرٍ كنت أنت اجتذبتنا إليه ويئس السيمه الفدر بالهد
٥- وقد يترك الفدر الفتى وطعامه إذا هو أمسى جلُّه من دم الفضد
يُروى : « أنت اجتذبتنا » ، وهو افتعل من الخلو : السوق . واجتذبنا ،
من الجذب . ويروى : « أنت دعوتنا » .

والشاعر يشير إلى ما كان في يد طيٍّ من عقد الجوار وكتاب العهد ،
فيقول : كفت أنت الباني لذلك ، والمؤسس لِمماره ، فأبيت إلا أن تنقضه ،
وبئس العادة الفدر مع العقود ، ونكت عرى العهود . والفتى قد يؤثر الإقامة
على الوفاء مع الإضافة ، وشدة الفاقة ، ويطلب اكتساب الحمدة ، وإن كان
مسكيناً ذا مزية ، حتّى إذا أمسى يكون جلُّ طعامه فصيدة الدم . ويروى :
« إذا هو أمسى حلبة من دم الفضد » ؛ والأول أحسن . ويرتفع « جلّه » على

(١) والآخر « سلمى » .

(٢) أى من طيى القبيلة .

(٣) التبريزي : « وجعلها مختلفة الألوان لاختلاف أنوان الجبال » .

أنه مبتدأ ثان ، والجملة خبر للمبتدأ الأول ، وهو طعامة . وينتصب إذا من قوله « جُلّه من دَمِ الفَصْدِ » ، لأنه الدالّ على جوابه ^(١) .

٦١٧

وقال آخر :

- ١- لَعْمَرِي وَمَا عَمَرِي عَلَى بَهَيْنٍ لَقَدْ سَاءَنِي طَوْرَيْنِ فِي الشَّعْرِ حَاتِمٌ
 - ٢- أَيْقَظَانُ فِي بُغْضَانِنَا وَهَجَانِنَا وَأَنْتَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ نَائِمٌ
 - ٣- بِحَسْبِكَ أَنْ قَدْ سُدَّتْ أَخْزَمَ كُلَّهَا لِكُلِّ أَنْاسٍ سَادَةٌ وَدَعَائِمٌ
 - ٤- فَهَذَا أَوَانُ الشَّعْرِ سُلَّتْ مِهَا مُهْ مَعَايِلُهَا وَالْمُرْهَقَاتُ السَّلَاجِمُ
- أقسم بحياة نفسه ، وخبر المبتدأ محذوف ، والمراد : لعمري ما أقسمُ به ؛ لأنّ اللامَ منه لامُ الابتداء ، وجواب القسم لقسّم ساءني . وقوله « مَا عَمَرِي » اعتراض ، وقد مرّ القول في فائدته ^(٢) . والطَّوْرُ : التَّارَةُ . أَيْ تَعَرَّضَ لِي مِمَّتَيْنِ بِمَا سَاءَنِي . ثم أقبل عليه فقال : أَيْقَظَانُ ؟ والمعنى : أأنت يقظان ، أَيْ مُنْتَبِهٌ فِي هَجُونِنَا وَبُغْضَانَا وَعِدَاوَتِنَا ، وَنَأْتِمُ عَنِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ وَالْإِفْضَالِ ؟ ثم أخذ يهزأ به فقال : بِحَسْبِكَ . والمراد حَسْبُكَ ، لَكُنْهُمْ يَزِيدُونَ الْبَاءَ فِي الْمَبْتَدَأِ ، نَحْوُ قَوْلِكَ : بِحَسْبِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا ، وَفِي الْخَبَرِ أَيْضًا يَزِيدُونَ ، نَحْوُ قَوْلِهِ : وَمَنْعُكُمَا بَشَى . يُسْتَطَاعُ ^(٣) .

(١) ابن جني : « يصح أن ينتصب إذا شيء مما قبلها ، طعامة ولا غيره ، من حيث كان الشرط لا ينتصب ما قبله ، لكن العامل ما دلت عليه حلقة » أي إذا هو أسمى يحلب له من دم الفصد . ولا يجوز أن يتعلق بحلقة ، من حيث كان مصدرا فلا تتقدم صلته عليه . يعني أن المصدر لا يعمل فيما قبله - فإن قلت : فإن الحلقة هنا بمعنى المحلوبة واسم المفعول يتقدم عليه ما عمل فيه ، فذلك وجه مستقيم ، يجوز انتصاب إذا عليه بنفس الحلقة .

(٢) انظر البيت الأول من الحماسية ٦١٤ ص ١٤٦٤ .

(٣) لعبيدة بن ربيعة بن قحطان ، كما سبق في حواشي الحماسية ٤٨ ص ٢٠٩ . وضدّه :

• فلا تطمع أبيت الأمن فيها •

وانظر الخزانة (٢ : ٤١٣) .

أى شيء يُستطاع . وهذا أحد ما قيل فيه ، وقال آخر ^(١) :
 بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ ^(٢)
 وللغنى : كافيك أن ترأست على أخزم ، وأخزم : رَهْطُ حاتم . ثم أزرى
 برياسته وبهم ، فقال : ولكل طائفة من طوائف الناس رؤساء وعمد ، وهذا
 يجرى تجري الالتفات . كأنه بقْد ما قال ذلك التفت إلى من حوله يؤنسهم
 ويقول : ليس ذا بمنكر ، فلكل قوم من يسوسهم ويدعمهم .
 وقوله « فهذا أوان الشعر سلت سهامه » ، يعنى شعره . فيقول : لكل
 زمان شئ ، يظهر فيه وبغيب ، وزماننا هذا مع قرضك للشعر زمان الشعر ،
 وقد انتزعت سهامه من كنانتها بعد أن نثرت ، فجردت للرعى بها معايلها ،
 وهى العراض ، وسلاجها وهى الطوال . والمرهقات : المرققات الحد . والمراد
 بهذا التنويع فنون الشعر وأساليبه . أى أنت فيه ذو فنون ، والمُعْبَل ^(٣) : الذى
 معه معايل ^(٤) . وعَبَلْتُهُ : أصببته بمُعْبَلَةٍ .

٦١٨

وقال رجل من طيء :

- ١ - إِنْ أَمْرًا يُعْطَى الْأَسِنَّةَ نَحْرُهُ وَرَاءَ قُرَيْشٍ لَا أَعُدُّ لَهُ عَقْلًا
 ٢ - يَذْمُونَ لِي الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا بِهَا فَمَا تَرَكُوا فِيهَا أُمْلَسًا مُغْلًا ^(٥)

(١) هو الأشعر الرقيبان الأسدى . اللسان (ضرر) .

(٢) المضر : الذى له قطعة من الإبل أو الغنم .

(٣) وردت فى القاموس ، ولم ترد فى اللسان .

(٤) فى الأصل : « فيه معايل » ، صوابه فى ل .

(٥) مثل هذا المعنى لعبه الله بن همام السلولى ، قال يهجو العلماء فى شعر يخاطب به النعمان

ابن بشير الصبحي :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويق حتى ما يدر لها ثمل

السان (٩ : ٤٨٤ / ١٣ : ٨٨) والأغاني (١٤ : ١١٦) . وانظر مجالس ثعلب

٥١٥ ومقاييس اللغة (٢ : ٤٠١) .

وَصَفَ الْأَسْمَاءَ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِسُوءِ الْحَافِظَةِ ، وَذَهَابِهِمْ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّقِ وَمِصْرَاعَاتِهَا ، وَإِنْزَالِ الْمَوَالِينِ مَنَازِلَهُمْ فِيهَا فَقَالَ : إِنْ مَنْ يَعْتَرِ بِكُمْ بَعْدَ هَذَا الْوَقْتِ وَاعْتَمَدَكُمْ ، فَبَذَلَ نَفْسَهُ وَرَاءَكُمْ لِلْمَتَالِفِ ، وَرَكِبَ فِي هَوَاكُمْ الْمَعَاطِبَ ، لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا رَأْيَ .

ثُمَّ بَيَّنَّ مَا أَشْكَاهُ مِنْهُمْ ، وَسُوءَ مَعَامِلَتِهِمْ فَقَالَ : يَذْثُونَ الدُّنْيَا لِي ، وَيَزْهَدُونَنِي فِيهَا وَفِي الْأَخْذِ مِنْهَا ، وَقَدْ فَازُوا بِهَا حَتَّى لَمْ يُبَقِّوْا فِيهَا فَضَالَةً لِأَحَدٍ ، أَيْ تَغَيَّرُوا كُلَّ مَحَلُوبٍ فِيهَا ، وَلَمْ يُبَقِّوْا فِي ضَرْعِهَا شَيْئًا حَتَّى لَمْ يَبْقُ كَوَاثِلًا فِيهَا . وَهَذَا مَثَلٌ ، وَالثَغْلُ هُوَ الطُّبْيُ الزَائِدُ ، وَالسَّنُّ الزَائِدَةُ . وَيُقَالُ : قَعَلَتْ سِنُّهُ . وَشَاةٌ ثَمُولٌ : لَهَا ثَغْلٌ^(١) . وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْلُغَةِ أَنَّ الثَّغْلَ مَوْلُودٌ مِنَ الشَّاءِ : الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يُحَلِّبَ مِنْ ثَغْلَيْهَا أَيْضًا .

وَقَوْلُهُ « وَرَاءَ قُرَيْشٍ » يَكُونُ وَرَاءَ بَعْضِ خَلْفٍ وَقَدَّمَ ، وَالْأَوَّلَى بِهِ هُنَا أَنْ يَكُونَ بَعْضِ قَدَّمَ . وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ .

٦١٩

وَقَالَ رُؤَيْشِدُ^(٢) :

- ١ - وَمَوْقِعُ تَنْطِقِ غَيْرِ السَّدَادِ فَلَا جِيْدَ جِزْعِكَ يَا مَوْقِعُ
- ٢ - فَمَا فَوْقَ ذَلَّتِكُمْ ذِلَّةٌ وَلَا تَحْتَ مَوْضِعِكُمْ مَوْضِعُ مَوْقِعٍ^(٣) : قَبِيلَةٌ . يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالْفُحْشِ وَغَيْرِ الْعَوَابِ ، لِسَفْهِهَا

(١) يُقَالُ ثَغْلٌ ، بِالضَّمِّ ، وَبِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحْرِيكِ .

(٢) هُوَ رُؤَيْشِدُ بْنُ كَثِيرٍ الطَّائِي ، الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ الْحَاسِيَةُ ٣٢ ص ١٦٦ .

(٣) مَوْقِعٌ ، بِضَمِّ الْمِيمِ ، كَمَا فِي الْأَصْلِ وَالتَّبْرِيزِيِّ وَفِي الْقَامُوسِ : « مَوْقِعٌ بِالضَّمِّ :

قَبِيلَةٌ » لَكِنْ ضَمُّطٌ فِي لَ يَفْتَحُ الْمِيمَ وَالْقَافَ .

وسوء تمييزها ، ثم دَعَا عليها ، فقال : لا مُطَرَّ جَانِبُكَ وَفَنَاءُ وَاْدِيكَ بِالْجَوْدِ ،
ولا أَصَابَكُمْ خِصْبٌ .

وقوله « فما فوق ذَلَّتْكُمْ » طَابِقَ بَتَحْتَ وَفَوْقَ فِيهِ ، وهو غَرِيبٌ حَسَنٌ .
يريد : لا مَرْتَبَةً فِي الذَّلِّ أَعْلَى مِنْ مَرْتَبَتِكُمْ ، فَإِنَّهَا الْغَايَةُ الْقُصْوَى ؛ وَلَا مَوْضِعَ
أَشَدُّ تَأْخُرًا وَانْحِطَاطًا فِي الْعِزِّ مِنْ مَوْضِعِكُمْ ، فَإِنَّهُ الْمَنْزِلُ الْأَخْسَرُ الْأَدْنَى . وقوله
« غَيْرَ السَّدَادِ » ، يريدُ به تَنْطِيقَ النَّطْقِ غَيْرَ السَّدَادِ . ويقال : جَيِّدٌ جَوْدًا ،
فِي الْمَطَرِ ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ :

* وَجُودٌ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى ^(١) *

ويقال جَيِّدٌ جَوَادًا ^(٢) ، إِذَا عَطِشَ .

٦٢٠

وقال جَابِرٌ ^(٣) :

١ - أَجِدُّوا النَّعَالَ بِأَقْدَامِكُمْ أَجِدُّوا فَوَيْهًا لَكُمْ جَرَوُلُ

٢ - وَأَبْلِغْ سَلَامًا إِنْ جِئْتَهَا فَلَا يَكُ شَيْهًا لَهَا الْمَفْزَلُ

٣ - يُكْسَى الْأَنَامُ وَيُفْرَى اشْتَهُ وَيَنْسَلُ مِنْ خَلْعِهِ الْأَسْفَلُ

يقول : اسْتَجِدُّوا النَّعَالَ لِأَقْدَامِكُمْ ، أَوْ فِي أَقْدَامِكُمْ اسْتَجِدُّوْهَا يَا جَرَوُلُ ،
وَيْهًا لَكُمْ . وَإِنَّمَا كَرَّرَ الْأَمْرَ تَأْكِيدًا لِلْقَوْلِ عَلَيْهِمْ . وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ : أَبْلِ
وَأَجِدْ . وَوَيْهًا : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ يُعْرَى بِهِ ، وَلَا يُحَى إِلَّا مُنَوَّنًا ،

(١) البيت للبيد في اللسان (جود) . وصجزه :

* عاطف الفمرك صدق المبتذل *

(٢) وجودة أيضا بفتح الجيم ، وفيه قول ذى الرمة :

تماطيه أحياناً إذا جيد جودة . رضابا كطعم الزنجبيل المسل

(٣) كذا ورد اسمه بدون نسبة .

وذلك علامة لتذكيره . وإنما قلنا هذا لأن في أسماء الأفعال ما يُنكر ويعرف .
ومنه ما لا يحى إلا منكورا . ومثل ونها إيهآ ، ويستعمل في الكف ، وآها
وهو فتعجب ، وكل ذلك يحى منونة منكورة . وجزول : اسم رجل .
وجعل أول الكلام خطابا لجماعتهم ، ثم خص بالتداء واحدا منهم وجعله
المأمور بما أراد . ألا ترى أنه قال : « وأبليغ سلامان إن جئتها » .
وسلامان : قبيلة . ومثل هذا التخصيص قول الهذلي^(١) :

* أحيآ أبأكن ياليلى الأماديج^(٢) *

قال : أبأكن ، ثم قال : ياليلى ، وهذا التخصيص مثل التخصيص الذى
في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ، وما أشبهه . وقوله
« فلا يكُ شيهآ لها المفزل » ، لو قال لكم لساغ ، لأنهم يفتنون في مثل هذا
الموضع بين الخطاب والإخبار ؛ على هذا قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ، قرئ : ﴿ لَا يَعْبُدُونَ ﴾ بالياء والتاء^(٣)
فالتاء للخطاب ، والياء للإخبار . والرأسالة التى يريد إبلاغها قوله :

* فلا يكُ شيهآ لها المفزل *

والمعنى لا يكونن سبيلكم سبيل من ينبع الغير ويضر نفسه ، كالمفزل
الذى يكسى الخلق ويجعل اسمه عريان . وهذا مثل . وكما ضرب المثل بالمفزل
ضرب أيضا له بالسراج ف قيل :

ولا تكونن ذبالة نصبت نضي للناس وهى تحترق

فأما قوله « وينسل من خلعه الأسفل » ، فإنه كان يروى : « من خلفه »

(١) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ١١٣) . وقد سبق في ٢٤٨ .

(٢) صدره : • لو كان مدحة حى أنشئت أحدا •

(٣) قرأ بالياء التحتية ابن كثير وحمة والكسائى . وقرأ أبى وابن مسعود :

• لا يعبدوا • ، على النهى . تفسير أبى حيان (١ : ٢٨٢) .

وليس يصح له معنى . والمستقيم كما روينا : « من خَلَعِه الأسفل » . وذلك أنَّ
 المغزَلَ يَنْسَلُ أسفله بأن يُخْتَلَم كُتِبَتْهُ ، وهذا ظاهر . وكان سَلَامَان كانت تَقْتَحِم
 أهوالاً غَظَمُهَا بِصِيرُ لَغِيرِهَا ، وَغَرَمُهَا بِكَوْنُهَا ، فذلك جَعَلَ المغزَلَ مثلاً له .
 ٤ - فَإِنَّ بُحَيْرًا وَأَشْيَاعَهُ كَمَا تَبَحَثُ الشَّاةُ إِذْ تَذَالُ^(١)
 ٥ - أَثَارَتِ عَنِ الْحَنْتِ فَافْتَالَهَا فَمَرَّ عَلَى حَلَقِهَا الْمَقُولُ
 ٦ - وَآخِرُ عَهْدِهَا مُوْتَقٍ غَدِيرٌ وَجَزَعٌ لَهَا مُنْقِلُ
 قوله « كَمَا تَبَحَثُ الشَّاةُ » محمولٌ على المعنى ، لأنَّ المعنى أَنَّ بَحَثَ بُحَيْرِ
 وَأَشْيَاعِهِ كَبَحَثِ الشَّاةِ فِي ذَائِلِهَا ، وَهُوَ جِنْسٌ مِنْ عَذْوِهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ
 الْحَدِيثُ بِالْحَدِيثِ ، وَالذَّاتُ بِالذَّاتِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَوْلُهُ إِنَّ بُحَيْرًا حَذَفَ
 الْمُضَافَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ تَشْبِيهُ الْبَحَثِ بِالْبَحَثِ . وَفِي الْمَثَلِ : « حَتَمَهَا تَحْمِلُ
 ضَانٌّ بِأُظْلَافِهَا » ، وَ« كَمَا تَبَحَثُ الشَّاةُ عَنْ مُذْبِحَتِهَا » وَ« لَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ
 عَنِ الشَّفَرَةِ » ، وَإِنَّمَا يَبْهَى بِهَذَا مَنْ يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا بَأْتِيهِ ، وَيَسْعَى فِي
 إِهْلَاكِهِ بِرِجْلِهِ ، فَيَقُولُ : لَا يَكُونُ سَبِيلُهُ سَبِيلَ الشَّاةِ الَّتِي كَشَفَتْ عَنِ الْمُدِيَةِ ،
 وَقَدْ اسْتَتَرَتْ عَنِ الذَّائِحِ ، بِظَلْفِهَا ، حَتَّى ذُبِحَتْ بِهَا . وَمَعْنَى أَثَارَتِ عَنِ الْحَنْتِ ،
 أَثَارَتِ عَنِ الْمُدِيَةِ ، ثُمَّ كَانِ الْحَنْتُ فِيهَا . فَفِيهِ تَوْشَعٌ . وَهُمْ يُقِيمُونَ السَّبَبَ
 مَقَامَ الْمُسَبَّبِ كَثِيرًا . وَاعْتَالَ : افْتَعَلَ مِنَ الْقَوْلِ ، وَهُوَ الْهَلَاكُ . وَالْمَقُولُ :
 السَّكِينُ ، وَقَدْ اشتهرت بِهَا إِذَا جُمِلَتْ فِي وَسْطِ السُّوْطِ فَصَارَ كَالْغِلَافِ لَهَا .
 وَقَوْلُهُ « وَآخِرُ عَهْدِهَا مُوْتَقٍ غَدِيرٌ^(٢) » ، بِمَعْنَى الشَّاةِ بَعْدَ إِثَارَتِهَا السَّكِينِ .

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « وَأَشْيَاعُهَا » ، صَوَابُهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ . قَالَ : « بِحَيْرِ :
 اسْمُ رَجُلٍ » .

(٢) ابْنُ جَنِّي : « أَرَادَ أَنْ يَقُولَ غَدِيرٌ مُوْتَقٍ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدَّمَ وَصَفَ النُّسَكَةَ عَلَيْهَا
 فَأَعْرَبَهَا إِعْرَابَهَا وَأَبْدَلَهَا مِنْهَا ، كَقَوْلِكَ : مَرَّتْ بِظَرِيفِ رَجُلٍ . وَلَوْ نَصَبَهُ لِأَنَّهُ نَكْرَةٌ
 قَدَّمَ عَلَيْهَا فَتَنْصِبُ حَالًا مِنْهَا لِحَازِ عَلَى قَوْلِكَ : فِيهَا قَائِمًا رَجُلٌ . غَيْرَ أَنَّ سَيِّبِيَّهَ قَالَ : هَذَا كَلَامٌ
 أَكْثَرُ مَا يَجِيءُ فِي الشُّعْرِ وَقَلْبًا يَجِيءُ فِي الْكَلَامِ » .

وهو إظهارها إياها . فيقول : كان آخرُ عهدِها المُعْجِبُ لها روضةٌ قد أبقَلَتْ ،
وغديرًا امتلأ ماءً وكان شِيعَهُ وريبه منهُما ، فَبَطِرَتْ وأثارت عن حَتَمِها حتَّى
هَلَسَتْ . ولك أن تروى « مُونِقٌ » بالرفع ، فيكون صفة لآخرُ عهدٍ ،
و « مُونِقٍ » بالجرِّ فيكون للعهد . وجَمَلُ الإيْناق للعهد لأنَّ المراد بالعهد
المعهد ، وهو المَرْغَى المُعْجِبُ . ويجوز أن يجعل المُونِقُ من صفة الغدير وقد
قُدِّمَ عليه ، وجَمِلَ هو بَدَلًا منه ، ويكون التَّقدير : وآخرُ عهدٍ لها غديرٌ
مونِقٌ وجِزَعٌ مُبْقِلٌ . ويقال : أبقَلَ المكانُ فهو باقِلٌ ومُبْقِلٌ . وأفْعَلُ فهو
فَاعِلٌ شاذ ليس بكثير .

٦٢١

وقال إياس بن الأرت^(١) :

- ١ - كَأَنَّ مَرْغَى أُمَّكُمْ إِذْ بَدَتْ عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانُ
 - ٢ - إِكْدِيلُهَا زَوْلٌ وَفِي شَاوِلِهَا وَخَزْ أَلِيمٌ مِنْ لُ وَخَزِ السَّنَانُ
 - ٣ - كُلُّ عُذْوٍ مُبْتَقٍ مُقْبِلًا وَأُمَّكُمْ سَوَزَتْهَا بِالْعِجَانُ
- قوله « كَأَنَّ مَرْغَى أُمَّكُمْ » ، يجوز أن يكون « مَرْغَى » اسمًا لها ،
وأُمَّكُمْ بَدَلًا منه ، ويجوز أن يكون لِقَبِها الشاعر به . وسُئِلَ الأحنف عن شئ
من أمور النساء ، فقال : « الرَّجَالُ حَتَّى وَالنِّسَاءُ مَرْغَى » ، فَعُدَّتْ من سَقَطَاتِهِ .
ومثل قوله « عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانُ » قولُ الآخر :

كَالْجُعْلَيْنِ رَكَبْنَا دُخْرُوجًا دَمَامَةً وَمَنْظَرًا سَمِيجًا

والعُقْرُبَانُ : ذَكَرُ العقارب . والسَّكُومُ : السَّفَادُ . وقوله « إِكْدِيلُهَا زَوْلٌ »

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٣٥٧ ص ١٠٢٨ .

(٢) انظر الحيوان (٢ : ٤/٢٨٦ : ٢٥٩ - ٢٦٠) .

كنى عن قرْنِي العقرية بالإكليل . والزَّوْل : الخفيف الظريف . وقوله « وفي شولها وَخَزَّ » أى فيما تَشُولُ العقرية من ذنبها . وزاد الهاء في عقرية تأكيداً للتأنيث . وهذا كما قالوا : جمل وناق ، وكبش ونعجة ، ووعل وأزوية ألحقوا الهاء تأكيداً وتحقيقاً للتأنيث ؛ ولو لم تلحق لم تحتج إليها . وحكى : عَجُوزَةٌ . والوَخَزُ : الطَّمن الشديد المَوْجِع . وإنما بمعنى شوكتها إذا ضَرَبَ بها ، فشبه تأثيرها بتأثير السنن .

وقوله « كلُّ عَدُوٍّ يُتَقَى مُقْبِلًا » ، أراد أن يذكر السَّوءَةَ فيها استهزاء واستهانة بذكرها ، فقال : كلُّ عَدُوٍّ يُتَقَى شَرُّهُ إذا أَقْبَلَ ، وأنكُم يُتَقَى شَرُّها إذا أَذْبَرَتْ . والعِجَان يريدُ القَبْرَ به (١) . وهو فى الأصل ما بين الحصىة إلى سَمِّ الدُّبْرِ . والسَّوْرَةُ : الوُفْة .

٦٢٢

وقال أدهم بن أبي الزعراء (٢) :

١ - بَنِي خَيْبَرِي نَهْنَهُوْا مِنْ قَنَازِجٍ أَنْتَ مِنْ لَدُنْكُمْ وَانْظُرُوا مَا شُؤْنُهَا (٣)

٢ - فَكَانَ بَهَا مِنْ فَاشٍ قَدْ عَلِمْتُ إِذَا نَفَرَتْ كَانَتْ بَطِيئًا سُكُونُهَا

هذا الكلام منه توعُّدٌ واستهزاء . فيقول : يا بني خيبري ، كُفُّوا عن آيات هجاء وفخرٍ جاءتنا من عندكم ، وانظروا كيف تُرْسِلُونَهَا وماذا شؤنها حتى اهتمجت وجاءت . والقَنَازِجُ ، أصله الفُحْشُ . ويقال للديوث : القُنْدُجُ .

(١) ل : « يزيد به الهمز » .

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسة ٢٠٠ ص ٦١٣ .

(٣) التبريزي : « عن قناذع » .

وقوله « فكاثن » بناء كائن لغة في كم . و « بنا » أى عندنا .
 « ناشيص » أصله في المرأة ، يقال : نَشَصَتِ المرأةُ على زوجها ونَشَزَتْ ، إذا
 تَمَنَعَتْ . فاستعاره للشعر والمجو . يريد : كم من قافية إذا نَفَرَتْ كانت بطيئاً
 سكونها . وهذا توعد ، وللمراد : إنما نُمِسِكُ عن القول ما أمكن ، فإذا تكلّمنا
 استمرّ القول بنا فيبطؤ سكوننا ؛ لأنّ للاحتمال غاية وللسكون نهاية ، إذا
 بلغناهما فقد أَقْمَنَّا العُدْرَ ، وما وراء ذلك نبلغ فيه الأقصى ، ولا نَرَضَى بالمنزل
 الأدنى . والسيناية عن القصائد والقوافى بالهدى والقرووس مشهورة . وقد
 قيل : المراد بالناشيص الحرب ، وقيل : أراد به امرأة سيئة الخلق والعشرة ،
 لمحبها بنفسها . كأنه لما جاءهم خاطباً زهدم في نساءهم ترفقاً عنهم . والعَوَاب
 فيما بدأت به .

٣ - وبالجلجَلِ المنصورِ حَوْلَ بِيوتِنَا نَوَاشِي كَالْفِزْلَانِ نُجَلُّ عُيُونَهَا^(١)

٤ - وإِنَّا لَمَخْفُوقُونَ حِينَ غَضَبْتُمْ بِأَيِّمَةِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ سَنِيْنَهَا^(٢)

٥ - فَلَسْتُ لِمَنْ أَدْعَى لَهُ إِنْ تَفَقَّاتُ عَلَيْهَا دَمَامِيلُ اسْمِهِ وَحُبُونَهَا

الجلجل : جمع حجلة . وللمصور : المرسل عليه الشطور . والنواشي : النساء
 الشواب . وقصد الشاعر إلى أن يحسّرهم ويقصّر بشأنهم ويهينهم حين عدّوا
 طولزهم ، فخطبوا غير كفوم ، فقال : إن عندنا نساء كالفيزلان في جيديها ،
 وبقر الوحش في عيينها^(٣) ، مخدرات في الجبال ، مُتَمَنَعَاتُ حِوَالِي بِيوتِنَا ، نربأ
 بأقدارها عن مواصلة لكم بهن ، فنحسروا وارجموا عنا مقذوعين مذللين ؛ فإننا

(١) التبريزي : « خلف ظهورنا » .

(٢) التبريزي : « ويرى : حين غضبت بلحية عبد الله » .

(٣) الجيد ، وبالتحريك : طول العنق وحسنه . والعين ، وبالتحريك أيضاً : سمة

العين وحسنها .

أَحِقَاءَ حِينَ غَضِبْتُمْ بِسَبِّ أَيْمَةِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَرْفُئِنَا عَنْ مَنَاكِحِهِ ، بَأْنَا لَا نَسْتَعْمَلُهَا
بَلْ نَهْوُهَا^(١) ، وَنُقِلُّ فِكْرَنَا فِيهَا . وَقَوْلُهُ « أَنْ سَنُهِينُهَا » أَنْ نَخَفِّفَ مِنْ
النَّقِيلَةِ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَمُتَّقُونَ بَأْنَا سَنُهِينُهَا لَا تَحَالَةَ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ^(٢) :

فَا أَكْبَرُ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي حَزَازَةٌ بَأْنُ أَبْتُ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزَارِيَا

وقوله « فلست لمن أَدْعَى لَهُ » يَجْرِي بِمَجْرَى الْبَيْنِ ، أَيْ لِلْوَالِدِ الَّذِي أَنْسَبَ
إِلَيْهِ ، أَنْ أَنْكَحَ عَبْدُ اللَّهِ فِينَا ، وَتَشَقَّقَتْ خُرَاجَاتُ اسْتِئْثَارِهَا . وَهَذَا الْكَلَامُ
إِزْرَاءٌ بِهِ ، وَاحْتِقَارٌ لَهُ ، بِذِكْرِ السَّوَاءِ مِنْهُ . وَذِكْرُ الدَّمَامِيلِ تَشْنِيعٌ لِلْحَالِ ،
وَأَنَّ الْعُزْبَةَ^(٣) بَلَّغَتْ بِهِ هَذَا الْمَبْلَغَ لَزْهُدِ النَّاسِ فِي مَنَاكِحَتِهِمْ . وَقَالَ « دَمَامِيلُ »
لَأَنَّهُ أَشْبَعَ كَسْرَةَ الْمِيمِ فَأَحْدَثَ عَنْهَا يَاءً . وَمِثْلُهُ :

* نَفَى الدَّرَاهِمَ تَفْقَادِ الصَّيَارِفِ^(٤) *

وَالْأَصْلُ الدَّرَاهِمُ وَالصَّيَارِفُ .

٦٢٣

وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ عَتَّابٍ^(٥) :

١ - بَنِي ثَمَلٍ أَهْلُ الْخَفَا مَا حَدِيثُكُمْ لَكُمْ مَنَطِقٌ غَاوٍ وَلِلنَّاسِ مَنَطِقُ

(١) ل : « بَلْ نَهْوُهَا » .

(٢) هو جزء بن كليب الفقعسي . والبيت في الحماسة ٦٢ ص ٢٤٢ .

(٣) العزبة بالضم : العزوبة .

(٤) للفَرَزْدَقِ ، فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ (٢ : ٢٥٥) وَكُتَابُ سَيَبَوِيهِ (١ : ١٠) . وَالْبَيْتُ
جَاءَ شَاهِدًا عَلَى الْفَصْلِ بَيْنِ الْمُتَضَايِقِينَ بِالْمَفْعُولِ ، فَإِنْ أَصْلُهُ « نَفَى تَفْقَادِ الصَّيَارِفِ الدَّرَاهِمِ » ،
وَرَوَى أَيْضًا بِمَجْرَى الدَّرَاهِمِ عَلَى الْإِضَافَةِ وَرَفْعِ تَفْقَادِ ، فَيَكُونُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى مَفْعُولِهِ .
وَرَوَى أَيْضًا بِرَفْعِ الدَّرَاهِمِ وَنَصْبِ تَفْقَادِ عَلَى الْقَلْبِ .

(٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسَةِ ٦٩ ص ٢٥٥ . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « عَتَّابٌ » ، صَوَابُهُ
فِي التَّبْرِيزِيِّ .

٢ - كَانَهُمْ مِغْزَى قَوَاصِعُ جِرَّةٍ من العي أو طَيْرٌ بِخَفَّانٍ تَنْفِقُ^(١)

٣ - دِيَاْفِيَّةٌ غُلْفٌ كَانَ خَطِيبُهُمْ سَرَاةَ الضُّحَى فِي سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ^(٢)

قوله « بنى ثعل أهل الخفا » يجوز أن يكون أهل الخفا انتصابه على الذم والاختصاص ، كأنه قال : يا بني ثعل ، أذكرُ أهل الخفا . وقوله « ما حديثكم » يريد : ما لفتكم . ويفسره قوله بعده « لكم منطلق غارٍ وللناس منطلق » ، ينسبهم إلى أنهم نبطٌ ، وأن لقتهم ذات غواية وزئجر . ويعنى بقوله « وللناس منطلق » العرب . ويجوز أن يكون معنى ما حديثكم : ما شأنكم للمستحدث وما أمركم ؟ ينسبهم إلى أنهم لا قديم لهم ولا حديث .

وقوله « كَانَهُمْ مِغْزَى قَوَاصِعُ جِرَّةٍ » ، بقول : إِيَّاهُمْ إِيَّاهُمْ إِذَا تَكَلَّمُوا كَانَهُمْ مِغْزَى تَجَمُّزٍ ، أو طَيْرٌ بِخَفَّانٍ^(٣) تَنْفِقُ . يعنى بالطير الغراب ، ليكون أشام ، والقلوب من ذكرها أنقر . ويقال : قَصَعَ البعيرُ بجرته ، إِذَا دَقَّعَهَا مِنْ جَوْفِهِ .

وقوله « دِيَاْفِيَّةٌ » ، دِيَاْفٌ : أرضٌ بالشام . وقصده إلى أن يخرجهم من أن يكونوا عرباً ، وجعلهم غُلْفًا إلخافاً لهم بالتجَمُّزِ وَالْمُغْلَفَةِ وَالْمُزَلَّةِ وَالْقُلْفَةِ تتقارب . ورجلٌ أغرل وأغلف وأقلف . وقوله « كَانَ خَطِيبُهُمْ » أى الفصيح منهم ، والمعد يوم فخارهم ، والنباية عنهم فى نفارهم ، كأنه يتمطق فى سَلْحِهِ . والنمطق : تَذَوُّقُ الشئ . بضم إحدى الشفتين على الأخرى مع صوتٍ بينهما . وجعلهم كذلك فى سَرَاةِ الضُّحَى ، أى إنهم يتباطؤون فى كلِّ حالٍ ، حتَّى لا يقوموا من فرُشهم إلَّا فى ذلك الوقت .

(١) التبريزى : « كَانَهُمْ » . و « مِغْزَى » يجوز أن ينون وألا ينون ، يجعل ألفه لإلحاق أو للتأنيث .

(٢) التبريزى : « قُلْف » ، بدل « غُلْف » .

(٣) خفان : أجرة قريبة من مسجد سيد بن أبى وقاص بالكوفة .

٦٢٤

وقال شعيبٌ ، من كِنَانَةٍ (١) :

١- أَرْجُو حُجِّيَّ أَنْ تَحْيَى صِفَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا عَلَيْنِكَ كِبَارُهَا (٢)
 ٢- إِذَا النَّجْمُ وَافَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ أُجِجَتْ مَقَارِي حُجِّيَّ وَاشْتَكَى الْقَدَرُ جَارُهَا
 أجود الروایتین « أَرْجُو حُجِّيَّ » ، كأنه يخاطب إنساناً ويلومه في تعليقه
 الرجاء برشاد صِفَارِ حُجِّيَّ ، وقد أَعْيَاهُ كِبَارُهَا . والمعنى أنهم لا يُفْلِحُونَ أبداً ،
 وإذا كان رؤسائهم وأهل الحلِّ والمقدِّ منهم معجزين في دُعَائِكَ إِيَّاهُمْ إِلَى
 الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ فَرُدَّاهُمْ أَوَّلَى بِذَلِكَ . وإذا رُوِيَ « أَرْجُو حُجِّيَّ » كأنه جعل
 الفعلَ للقبيلة بأسرها ، أى إنَّهم وحالمٌ ذلك في ضَلَالٍ إذا رَجَوْا مِنْ صِفَارِهِمْ
 فَلَا حَا وَحَالُمْ مَعَ كِبَارِهِمْ ذَلِكَ .

وقوله « إِذَا النَّجْمُ وَافَى » أشار بالنَّجْمِ إِلَى الثَّرِيَّا . وهم يقولون :

طَلَعَ النَّجْمُ غَدِيَّةً وَابْتَغَى الرَّاعِي شُكِّيَّةً

فهذا يكونُ فِي الصَّيْفِ وَعِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ .

و : طَلَعَ النَّجْمُ عِشَاءً وَابْتَغَى الرَّاعِي كِسَاءً

(١) التبريزي : « وقال شعيب بن عبد الله ، وهو من كِنَانَةِ بَلْقَيْن ، يهجو رجلاً من
 بَلْقَيْن يقال له عقال بن هاشم . وعقال يقول فيهم :

فَا كِنَانَةٌ فِي خَيْرٍ بِخَانِثَةٍ وَلَا كِنَانَةٌ فِي شَرٍّ بِأَشْرَارِ

وشعيب : تحقير شعث ، وإن شئت كان تحقير أشعث حل الترخيم .

(٢) التبريزي : « وروى أبو هلال : أَرْجُو حُجِّيَّ ، قال : حُجِّي : قبيلة :

وروى غير أبي تمام هذه الأبيات لحريث بن عتاب ، أحد بني ثبهان بن عمرو بن الفوث
 من طيِّئ . وأخذ الفرزدق منه فقال :

أَرْجُو رِيحَ أَنْ تَحْيَى صِفَارُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رِيحَا كِبَارُهَا

وأخذه أيضاً البصير فقال :

أَرْجُو كَلِيبَ أَنْ يَحْيَى حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كَلِيبًا قَدِيمُهَا

فقال الفرزدق :

إِذَا مَا قُلْتَ قَافِيَةً شَرُوداً تَنْحَلُّهَا ابْنُ حِمْرٍ الْعَبَّانُ .

وهذا يقال في شدة البرد . فيقول : إذا طَلَعَ النِّجْمُ عند غُرُوبِ الشَّمْسِ ،
 — يشير إلى تَجَرُّدِ اللَّحْلِ ، وتكشُّفِ الجَدْبِ — أُخِّرْتُ مَقَارِي هذه القَبِيلَةِ
 وَشُتِرْتُ ، تفادياً من الضَّيَافَةِ ، وهرباً من الضَّيْفَانِ . وَالْمَقَارِي : جمع مِقْرَافَةٍ ،
 وهي ما يُطْعَمُ فِيهِ الضَّيْفُ مِنَ الْجَفَانِ . والمراد أَنَّهُ لَا مِقْرَافَةَ نَمَّ ؛ لِأَنَّهُمْ فِي الشِّتَاءِ
 يُضَيِّفُونَ وَيَسْتَضَيِّفُونَ ، فَإِذَا عَطَلَتْ جِفَانُهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَلَأَنَّهُ لَا قِرَى
 عندهم وَلَا مَقَارِي . وقوله « واشتكى القَدَرَ جَارُهَا » ينسبهم إلى أن إساءتهم
 مقصورة على الجار ، وطعمهم فيه وفيمن جَرَى تَجْرَاهُ ؛ فَعِنْدَ الْحَاجَةِ لَا يَشْقَى بِهِمْ
 إِلَّا جَارُهُمْ . وجواب إذا النِّجْمِ « أُجْحِرْتُ » . و « مَغْرِبَ الشَّمْسِ » يجوز
 أن يكون مفعولاً ، وأن يكون اسماً لمَوْضِعِ الْغُرُوبِ ، ويكون وَاقٍ من
 الموافاة . ويجوز أن يكون ظرفاً^(١) ، ويكون معنى وَاقٍ طَلَعَ .

٦٢٥

وقال آخر^(٢) :

فَمَا كِنَانَةٌ فِي خَيْرٍ بِخَائِرَةٍ وَمَا كِنَانَةٌ فِي شَرٍّ بِأَشْرَارِ

يقال : خَائِرَتُهُ فَيْخَرْتُهُ خَيْرًا . وَأَنَا خَائِرُهُ ، إِذَا كُنْتُ خَيْرًا مِنْهُ .
 وَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ نِفَارًا لِي . وهذه خَيْرَتِي^(٣) ، أَيْ الَّتِي أَخْتَارُهُ . وَالْمَعْنَى
 لَا يَرْجِعُونَ إِلَى حَالٍ يُعْتَدُّ بِهِمْ لَهَا ، وَيُعْتَمَدُ بِمَكَانِهِمْ عَلَيْهَا ، فَلَا عِنْدَ الْخَيْرِ
 وَتَعْدَادِ أَهْلِهِ يَفُوزُونَ بِسُوءَةٍ ، وَلَا فِي الشَّرِّ وَتَعْدَادِ أَهْلِهِ يَحْصُلُونَ عَلَى خُطَّةٍ .

(١) ويجوز أن يكون ظرفاً ، ساقط من ل .

(٢) هو عقاب بن هاشم ، كما سبق في حواشي الحاشية السابقة . وهذا البيت لم يعهده

الزهري في عداد الحاشيات ، بل ذكره استطراداً كما سبق في النقل عنه .

(٣) يقال بكسر ففتح ، وبكسر فسكون ، والأول أنصح .

٦٢٦

وقال حريث بن عتاب^(١):

- ١ - قولاً لصخرة إذ جدّ الهجاء بها عوجي علينا يحميك ابن عتاب
٢ - هلاً نهيتهم عونجاً من مفادعني عبد المقتد دعياً غير ضياب
٣ - مستحقين سليمي أم منتشير وابن المكفف ردفاً وابن خباب
قوله « يحميك » ، يجوز أن يكون في موضع الحال ، أي عوجي محيياً لك هذا ، ومثله : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِنِّي وَرَيْثُ ﴾ أي وارثا . ويجوز أن يكون في موضع الجزم جواباً لقوله عوجي ، وأجرى المقتل تجري الصحيح .

ومثله :

- ألم يأتيك والأنباء تنني بما لاقت لبون بني زياد^(٢)
وهذا الكلام تهكم وسخرية . وإنما يخاطب صاحبين له يبعثهما^(٣) على أن يبلغا بني صخرة ويبعثاها وقت تهيجها بالهجاء وكون تصرفهم فيه جداً منهم ومهما لم على أن يمدطفوا عليهم ، لبستم عليهم ابن عتاب ، يعني نفسه . وذكر النحية ها هنا هزلاً منه . وهذا كما قال الآخر^(٤) :
* تحية بينهم ضرب وجيع^(٥) *
إلا أن هذا في الأفعال ، وابن عتاب جعلها في الأفعال .

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٦٩ ص ٢٥٥ .

(٢) لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، في الخزائن (٥٣٦ : ٣) وكتاب سيويه

(١ : ١٥ - ٢ : ٥٩) .

(٣) ل : « فبعثهما » .

(٤) هو عمرو بن معديكرب . الخزائن (٤ : ٥٣) .

(٥) صدره : • وخيل قد دلفت لها بخيل •

وقوله « هَلَّا نَهَيْتُمْ » تفریعٌ وَلَوْمْ وتذكيرٌ بِسُوءِ تَأْتِيهِمْ ، وَقُبْحِ فِعْلِهِمْ .
 فيقول : هَلَّا كَفَفْتُمْ عَنْ مَفَاحِشِي عُيُونِيًّا — وهو رجل منهم — وجعله عَبْدَ
 الْمَقْدُ ، أَيْ لَيْثِيًّا وَدَعِيًّا فِيهِمْ غَيْرَ خَالِصِ النَّسَبِ . الْمَقَادَعَةُ : الْمَفَاحِشَةُ . ويقال :
 أَقْدَعَ الرَّجُلُ ، إِذَا أَتَى بِفَحْشٍ . وانتصاب « عَبْدَ الْمَقْدُ » يجوز أن يكون على
 الْبَدَل ، ويجوز أن يكون على الذَّم ، ويجوز أن يكون على الْحَال . والمَقْدُ ؛
 مَبِيتُ الشَّعْرِ مِنْ مَقْدَمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ . ويقال : فلانُ عَبْدُ الْقَفَا ، وَعَبْدُ الْمَقْدُ ،
 ويراد بِالْمَقْدُ الْقَفَا . وهذا كما يقال في ضِدِّهِ : هو حرُّ الْوَجْهِ ، وَكَرِيمُ الْحَيَا .
 وَالضُّيَّابُ : الْخَالِصُ ، كَأَنَّهُ يَهْجُنُهُ . وقال الْخَلِيلُ : الضُّيَّابُ وَالضُّيَّابَةُ : أَصْلُ
 كُلِّ قَوْمٍ . وقال أيضًا : الضُّيَّابُ : الْخِيَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ^(١) . وأنشد :

* يَحْتَلُّ مِنْ كِنْدَةَ فِي الضُّيَّابِ *

وقوله « مستحقين سُلَيْمِي » ، أَفْحَشَ فِيهِ ؛ أَيْ جِئْتُ لِمَاجَانِي وَقَدْ
 اسْتَحَقَبْتُمْ هَذِهِ الْمَرَأَةَ وَابْنَ الْمَكْفَفِ مَعَهَا رَذْفًا وَابْنَ خَبَابٍ . كَأَنَّهُ بَرِي سُلَيْمِي
 بَهِمَا أَوْ يَمْلَأُهُمْ جَمِيعًا مِنْ خَازِيهِ . فَبِذَا هُزُّهُ أَيْضًا . أَيْ جَازِيَتُمُونِي بِمَنْ هُوَ
 شَيْنُكُمْ ، وَجَمَلْتُمْ عِيُونََكُمْ بِرَأْيِي وَمَسْمَعٍ إِذَا كَانَ غَيْرُكُمْ يُخْفِي أَمْرَهُ وَيَسْتُرُهُ .
 يريد : اسْتَهْدَقْتُمْنِي بِهِؤُلَاءِ . وَسُلَيْمِي كَانَتْ لَهَا قِصَّةٌ . وَالِاسْتَحْقَابُ : شِدَّةُ الْحَقِيقَةِ
 مِنْ خَلْفٍ ، وَكَذَلِكَ الْاِحْتِقَابُ : وَكَفَى عَنِ الْعَجْزِ بِالْحَقِيقَةِ لِذَلِكَ .

٤ — يَا شَرُّ قَوْمٍ بَنِي حِصْنٍ مُهَاجِرَةٍ وَمَنْ تَعَرَّبَ مِنْهُمْ شَرُّ أَعْرَابٍ
 ٥ — لَا يَرْتَجِي الْجَارُ خَيْرًا فِي بَيْوتِهِمْ وَلَا مَحَالَةً مِنْ شَتْمٍ وَأَلْقَابٍ
 يَنْسُبُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ شَرُّ قَوْمٍ هَاجَرُوا إِلَى الْأَمْصَارِ أَوْ بَقُوا فِي الْبَدْوِ . وَ« بَنِي

(١) ابن جني : « وذلك أنها فمال بن صاب يصوب ، أي اطمأن واستقر . يقولون :
 فلان من صيابه قومه ، أي ثابت راسي القدم فيهم . وقياضه صوابه ، غير أنهم آذروا البياض
 استحساناً لا وجوباً » .

حصن « يجوز أن يكون انتصب على النداء ، كأنه قال : يا شر قوم يا بني
حصن . وانتصب « مهاجرة » على الحال ، ناداهم في هذه الحالة . أى أنتم شر
قوم في مهاجرةكم . ومثله :

* يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام^(١) *

ويؤنسُ بوقوع الحال بعد النداء قولهم : يا زيدُ دعاء حقاً . فإذا ساغ أن
يقع المصدر بعده تأكيداً ، فكذلك الحال . قوله « ومن تعرب » فيه معنى
التكلف ، لأن تفعل يحى . لذلك كثيراً . وصرف الكلام عن السّن الأول
وجمله استئناف خبر . ويجوز أن يكون انتصب بنى حصن على القدم
والاختصاص .

وقوله « لا يرتجى الجار » يريد أن جارهم مبتذل فيهم ، يأس من خيرهم
حادام معهم ، وملئ من جهنهم بالاستخفاف والتقليب^(٢) ، والشتم القبيح .
وأجرى قوله « لا محالة » مجرى قولهم لا بد ، كأنه أراد : الجار لا يرجو خيراً
فيهم ، ولا بد له من شتم يقصد به ، ولقب يُعرف بذكره . وقال الخليل :
« يقولون في موضع لا بد : لا محالة » . ويقال : حال حولاً وحيلة ، أى احتال .

٦٢٧

وقال آخر :

- ١ - بني أسدٍ إلا تنحّوا تظاًكم مناسيم حتى تخطموا وحوافرو
٢ - وميماد قوم إن أرادوا إقاءنا ميماء تحامتها تميم وعامر

(١) للناينة الذبياني في ديوانه ٧١ واللسان (خلا) والشمر ٤٢ ، ١٢٥ والخزاعة
(١ : ٢٨٥) . وحدره :

* قالت بنو عامر خالوا بني أسد *

(٢) أى الرمي باللقاب . وهذا ما في ل . وفي الأصل : « والتقليب » ، تحريف .

٣ - وما نَامَ مَيَّاحُ الْبِطَاحِ وَمَنْعَجٍ . ولا الرَّسَّ إِلَّا وَهُوَ عَجَلَانُ سَاهِرُ
يقول : يا بني أُسْدٍ ، خَلُّوا الطَّرِيقَ وَتَبَاعَدُوا عَنْهَا ، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
ذَلِكَ وَطِئْتُمْ الْإِبِلُ وَالْخَيْلُ فُطِمَتْكُمْ . يَنْسُبُهُمْ إِلَى الْقِلَّةِ وَالضَّعْفِ ، وَيَتَهَكَّمُ
مَعَ ذَلِكَ بِهِمْ .

وقوله : « وَمِمَّا ذُقُوا » بمعنى بنى أُسْدٍ وَأَنْصَارَهُمْ ، وَالْمِيمَادُ وَالْوَعْدُ
وَاحِدٌ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ الْمَعْنَى : وَمَوْضِعُ الْوَعْدِ إِنْ أَرَادَ الْإِلْتِقَاءَ مَعَهَا
مِيَاءَ تَتَحَامَاهَا بَنُو تَمِيمٍ وَبَنُو عَامِرٍ - يَعْنِي أَحِبَّيْتَهُمْ - فَلَا تَجَسَّرُ عَلَى وُرُودِهَا
وإِنْ كَثُرُوا . خَذَفَ الْمُضَافَ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ .

وقوله « وَمَا نَامَ مَيَّاحُ الْبِطَاحِ وَمَنْعَجٍ » ، فَالْمَيَّاحُ : الَّذِي يَمِيحُ مَاءُ
الرَّكِيَّةِ . وَأَرَادَ بِالْبِطَاحِ وَمَنْعَجٍ وَالرَّسَّ مَوَارِدَ الْمَاءِ . وَالرَّسَّ : الْبُئْرَ الْقَدِيمَةَ .
جَعَلَ الْمُسْتَقَى مِنْ هَذِهِ الْآبَارِ يَمِيحُ . وَأَرَادَ بِمَيَّاحِ الْكَثْرَةِ ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ مَوْضِعٍ
مِنَ الْمَوَاضِعِ الْمَذْكُورَةِ مَاحَةً . وَالْمَيَّاحُ : الدُّخُولُ إِلَى أَسْفَلِ الْبُئْرِ لِيُغْرِفَ الْمَاءَ
فِي الدَّلَاءِ ، إِذَا قَلَّ الْمَاءُ . وَالْمَيَّاحُ : الْاسْتِقَاءُ ، يُرِيدُ : مَتَّحُوا أَوَّلًا ثُمَّ مَاحُوا ،
لِكَثْرَةِ الْوَارِدَةِ . وَإِنَّمَا وَصَفَ سُكَّانَ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ - وَهُمْ جَيْشُهُمْ - بِوُفُورِ
الْعَدَدِ ، وَأَنَّ سَقَاتِهِمْ بِهَذِهِ الضَّفَّةِ مِنَ الْعَجَلَةِ وَالسَّهْرِ . وَقَوْلُهُ : وَمَا نَامَ إِلَّا وَهُوَ
عَجَلَانُ سَاهِرٌ ، يُرِيدُ : نَوْمُهُمْ تَرَكَ النَّوْمَ ، وَالْإِسْتِعْجَالُ فِي السَّقَى . وَهَذَا كَمَا
قَالَ الْآخِرُ (١) :

* فَإِنَّ الْمُنْدَى رِحْلَةً فَرُكُوبٌ (٢)

وكقول أبي تمام :

* تَطْلِقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ (٣)

(١) لعلامة الفعل في المفضلية ١١٩ واللسان (نذرى) .

(٢) صدره : * تَرَادَى عَلَى دَمَنِ الْحَيَاضِ فَإِنْ تَعَفَّ * .

(٣) صدره في ديوانه ٢٨١ :

* بِسَوَامٍ لِحَقِّ الْإِيْطَالِ شَرْبُ *

٤- تضاءلتم منّا كما ضمّ شخصه أمام البيوت الخارئة المتقاصر
 ٥- ترى الجون ذ الشمراخ والورد يبتقى ليالى عشرًا وسطنا وهو عائر^(١)
 قوله « تضاءلتم » أن تصاغرت منّا وانزويتم ، لقشلكم وذهاب منتكم ،
 كما يفعله المتفوط أمام البيوت إذا استولى عليه الخجل لما يريد من قضاء
 الحاجة ، فهو يتقاصر ويخفي شخصه لئلا يرى . وهذا التشبيه في المنخزل
 وقد مسّه الحياء والخجل غاية .

وقوله « ترى الجون ذ الشمراخ » يريد به ذا الغرة السائلة على الأنف ،
 والشمراخ من الجبل : المستدق الطويل ، على التشبيه . والمائر : الخفاف ،
 والسهم المائر من هذا . يقول : إنا لكثرتنا واتساع منادحنا وأنطارنا ،
 لو أفلت فينا فرس أذهم ذو غرة سائلة - وجعله كذلك ليكون أشهر أمرًا
 وأقل خفاء - وفرس وزد أغرًا أيضًا ، ثم طلب عشر ليال فيما بيننا لما ظفر به .
 ٦- ولما رأيناكم لثامًا أدقة وليس لكم مولى من الناس ناصر
 ٧- ضمناكم من غير فقر إليكم كما ضمت الساق الكسير الجائر
 وصف حالهم القديمة معهم ، وكيفية اتصالهم بهم وانعطافهم عليهم حتى
 أبطروهم ذلك ، فاستغصوا عليهم ، ووسوست نفوسهم إليهم بالاستغناء عنهم ،
 والاكتفاء من دونهم . فيقول : لما رأيناكم أدنياء في أنفسكم ، أدقاء في أحوالكم
 لا ناصر لكم ، ولا مدافع دونكم ، تعطفنا عليكم لترفع خسيستكم ، رحمة لكم ،
 وضمناكم إلى أنفسنا من غير حاجة إليكم ولا تكثير بكم ، لنجبر كسركم ، ونوفر
 نقصكم كما تظم المصاب التي يمتص بها الكسر ، والجائر التي يسوى بها
 العظم الكسير الجبور . وهذا من التشبيه المصائب ، والكلام المنصير . والأدقة :
 جمع الدقيق ، وهو الرجل القليل الخير . والفعل دق دقة . وقال : الكسير ،

(١) التبريزي : « عشرًا بينا » .

وَالسَّاقُ مُؤَنَّثَةٌ لِأَنَّهُ فَعِيلٌ فِي مَعْنَى مَفْعُولَةٌ . وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا الْبَصَرِيُّينَ هَذَا لَا يَنْقَاسُ ، بَلْ يُذْنِبُ فِيهِ الْحَكِيُّ عَنْهُمْ .

٦٢٨

وَقَالَ أَبُو صَعْتَرَةَ ^(١) :

١ - أَتَهْجُونَا وَكُنَّا أَهْلَ صِدْقٍ وَتَنْسَى مَا حَبَّكَ بَنُو بَرَاءٍ
٢ - هُمْ نَتَجُوكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقَبًا خَيْثَ الرِّيحِ مِنْ خَمْرِ وَمَاءٍ
٣ - وَهُمْ جَهَلُوا عَلَيْكَ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَبَلَّوْا مَنْكِبَيْكَ مِنَ الدِّمَاءِ
يَخَاطَبُ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ ، وَيَقْرَأُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ ثَلْبِهِ وَهَجْوِهِ ،
فَيَقُولُ : أَتَذُنُّنَا مَعَ إِحْسَانِنَا إِلَيْكَ ، وَكُونِنَا أَهْلَ صِدْقٍ لَكَ ، وَرَهْطَ صَفَاءٍ
وَوِدَادٍ مَعَكَ ، وَتَنْسَى مَا كَانَ مِنْكَ حَتَّى تَعْرِضْتَ لِبَنِي بَرَاءٍ بِمَنْثَلِ تَعْرِضِكَ
لَنَا ، وَمَا قَابَلُوكَ بِهِ مِنْ عَطِيَّةٍ وَحِبَاءٍ ، وَحُسْنِ مَكَافَاةٍ وَجَزَاءٍ عَلَى فِعْلِكَ ، وَقَدْ
كَانَ فِي الْحُكْمِ أَنْ يُوَدِّبَكَ ذَلِكَ وَيَرُدَّكَ ، وَيَنْبَهَكَ عَلَى رَشَادِكَ وَصَلَاحِكَ ،
وَيَمْنَعَكَ مِنْ مُعَاوَدَةِ شَيْئِهِ وَيَقْمَعَكَ . نَحْمُ أَخَذَ يَصِفُ الْحَبَاءَ الْوَاصِلَ إِلَيْهِ مِنْ
جَهَنَّمِ ، وَالْجَزَاءَ الْمَعْدِي لَهُ ، فَقَالَ : هُمْ نَتَجُوكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقَبًا ، أَيْ وَلَدُوكَ لَيْلًا
سَقَبًا خَيْثًا . وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْمَذْكُورُ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ . وَيُقَالُ : اسْتَقْبَتِ النَّاقَةُ
وَهِيَ مِسْقَابٌ . وَالْمَعْنَى : ضَرْبُكَ حَتَّى سَلَحْتَ شَيْئًا مَنَكْرًا . وَالذَّكَرُ أَرْدَلُ
النَّتَاجِينَ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ . وَقَالَ « تَحْتَ اللَّيْلِ » لِأَنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلْوَيْلِ .

وَقَوْلُهُ « وَهُمْ جَهَلُوا عَلَيْكَ [بِغَيْرِ جُرْمٍ] ^(٢) » ، يَعْنِي أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ بِكَ ،
وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَانُوا أَسْلَفُوكَ ، بِإِلْغَايَةِ كَانَتْ مِنْكَ عَنْدَهُمْ ، وَلَا جَرِيرَةَ سَبَقَتْ
عَنْكَ إِلَيْهِمْ ، أَنْ جَرَحُوكَ حَتَّى بَلَّوْا مَنْكِبَيْكَ مِنَ الدِّمَاءِ السَّائِلَةِ عَلَيْكَ .

(١) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْهَامِيَةِ ٣٥٩ ص ١٠٣٣ .

(٢) التَّكْلَةُ مِنْ ل .

٦٢٩

وقال الطرماح^(١) :١ - إِنَّ بَمَعْنٍ إِنْ فَخَرْتُ لَمَفْخَرًا وفي غيرها تُبْنَى بُيُوتُ الْمَكَارِمِ^(٢)٢ - مَتَى قُدْتُ بِأَبْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ عَضْبَةً مِنْ النَّاسِ تَهْدِيهَا فِجَاجُ الْمَخَارِمِ^(٣)

هذا الكلام هُزْلٌ وسخرية ، يقول : لك أن تفتخرَ ببني مَعْنٍ ، فإنهم في موضع ذاك ، لكونهم يجمع الفضائل ، لكن مباني الكرم تؤسس في غيرهم .
 ثم أقبل عليه فقال : أخبرني متى حدثتَ نفسك بأن تكون قائد طائفة من الناس فتقدمهم^(٤) وتهديهم الطُّرُق ، وهم يطؤون عقبك ، ويدورون على مُرادك ؛ لقد رأيت ما لم تؤمله ، ونلت ما لم ترني إليه همتك .

والفجّاجُ : الطُّرُق . والمخارِمُ : جمع نحرٍ ، وهو مُنقطع أنفِ الجبل .
 وهذا مثلٌ ، أي تُصرِّفهم حيث أردت ، وتوجههم كيف شئت .

٣ - إِذَا مَا أَبْنُ جَدٍّ كَانَ نَاهِزَ طَيِّبٍ فَإِنَّ الدَّرَى قَدْ صِرْنَ تَحْتَ اللَّيَامِ

٤ - فَقَدْ بَزِمَامٍ بَظَرَ أَمْكٌ وَأَحْتَقِرَ بِأَيْرِ أَيْكَ الْفَسَلِ كُرَاثَ عَاسِمٍ^(٥)

« ابن جدّ » يريدُ به صاحب جدّ وحظّ في الدنيا . فيقول : إذا اتفق

(١) التبريزي : « وقال الطرماح بن جهم السبسي ، لنافذ بن سعد المعني » . وهو أحد بني سبسي بن معاوية بن جرويل بن ثعل بن عمرو بن القوث بن طيبي ، كما في المؤلف ١٤٨ . وهو غير الطرماح الشاعر المشهور ، فذاك الطرماح بن حكيم بن نضر ، الذي سبقت ترجمته في الخامسة ٥٦ ص ٢٢٧ .

(٢) أنشد ياقوت هذه الأبيات في معجمه في رسم (عامم) ، وهو رمل لبني سعد .

(٣) ياقوت : « يا ابن العنبرية » .

(٤) ل : « تتقدمهم » .

(٥) قال ياقوت : « قيل : كان أحد جديهِ جالوا الآخر حراثا ، فلذلك قال : فقد بزمام بظُر أَمْكُ واحتقر السكراث » .

لمتقدّم بنفسه مجدود ، لا أوليّة له ، خارجيّة ، أن يكون ناهز طيّب ، أى
مذرهمهم وكبيرهم والذي ينهز الدّلو من البئر ، أى ينزعها ، كأنه أراد : الذى
يقوم بأمرهم عند السلطان ، ويتنجز عليه حاجاتهم ومهماتهم ، فقد انقلب
الدهر ، وانحطّ الأعالى ، وصارت الأشراف أذلاء ، لأنه لا يتقدّم الوضيع
إلا بتأخر الرّفع . وحكى غير واحد من أهل اللغة أنّه يقال : هو ناهز القوم ،
أى كاسبهم والساعى لهم .

وقوله « فقد بزمام » استمزلا وإذرا بهم ، وقلة احتفال ، بتناول القبيح
من ذكركم . لذلك سمى السوء من طرفيه^(١) . والفشل : الرذل . والفشل :
الضعيف ، وهما روايتان . وعاسم : موضع .

٦٣٠

وقال الكروّس بن زيد^(٢) :

- ١ - أَلَا لَيْتَ حَفْطَى مِنْ عَطَانِكَ أَنْتَى عَلِمْتُ وَرَاءَ الرَّمْلِ مَا أَنْتَ صَانِعُ
 - ٢ - فَقَدْ كَانَ لِي عَمَّا أَرَى مُنْزَخَزَحٌ وَمُنْتَسِعٌ مِنْ جَانِبِ الْأَرْضِ وَاسِعٌ
 - ٣ - وَهَمْ إِذَا مَا الْجَبَسُ قَعَصَرَهُمْ طُلُوعٌ إِذَا أَعْيَا الرُّجَالُ الْمَطَالِيعُ^(٣)
- يقول : تمنيت أن يكون الذى حفّيت به من عطائك لى أنى علمت وأنا
وراء الرمل ما أنت صانعه وقد قدّمت عليك . فقوله « وراء الرمل » ظرف
لعلمت ، وأننى علمت خبر لى ، كأنه ودّ أن يكون بدل حفّ من العطاء علمه
بما يفعله ، فكان اختياره بحسبه . ولا يجوز أن يكون وراء الرمل يمتلئ بصانع ،

(١) أى صرح بذكر سوءه طرفيه : أبيه وأمه .

(٢) التبريزى : « وقال الكروس بن زيد بن حصن بن مصاد بن مالك بن معقل

ابن مالك . . وقد سبق ترجمته فى الحاشية ٢١٠ ص ٦٣٩ .

(٣) التبريزى : « قصر نفسه » .

لأنك إن جعلت ما موصولا فالصلة لا تتقدم هي على الموصول ، ولا شيء مما يتعلق بها^(١) . وإن جعلت ما موصوفا فالصفة لا تتقدم على الموصوف ولا ما يتعلق بها ، وإن جعلت ما استفهاما فما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله . وإذا كان كذلك ظهر فساد تعلقه به على الوجوه كلها ، من طريق الإعراب ومن طريق المعنى^(٢) ، فالصحيح ما قدمته . ألا ترى أنه قال : فقد كان لي عما أرى مُنزعزحٌ ومتسع . والمتزعزح : المتباعد . أى كان لي جانبٌ من الأرض واسعٌ أترشح فيه عما أراه وأرد عليه ، وكان لي همٌ طويلٌ ممتدُّ الشاؤ يذهب صمداً ، إذا كان همُّ الجنس قصيراً . طلوعٌ إلى أعلىٍّ للهمز وذراءُ إذا أعجز الرجال مطالعُ العز . والجنس هو الثقيل الجاني . أى يقهرهم نفسه خيرضى بالحاصل له . وقوله « إذا ما الجنس » ظرفٌ لما دلَّ عليه همٌ ، و « إذا أعيا » ظرفٌ لطلوع . ولا يمتنع أن يكون إذا ما الجنس ظرفاً لطلوع ، ويجمل إذا أعيا بدلاً منه ؛ لأن المعنيين يتقاربان . والأول أقرب وأجود .

(١) أى ولا شيء مما يتعلق بالصلة يتقدم على الموصول . وفي النسختين : « ولا على شيء مما يتعلق بها » وليس بصواب . وعبارة ابن جني في التنبيه : « لاستحالة جواز تقديم الصلة أو شيء منها على الموصول » .

(٢) أما ابن جني فيرى أن التعليق صحيح من جهة المعنى ويقول : التقدير ما أنت صانع وراء الرمل . وأما التعلق من جهة الإعراب فيراه غير جائز في الأوجه الثلاثة المتقدمة . ثم يقول : « فإذا كان المعنى عليه - أى على التعليق - وسبيل الإعراب ضيقه عنه - أى لا تحتمله في الصناعة - أضمر له ما يتناول ما يدل الظاهر عليه » ، فيرى أن الظاهر تفسير لعامل متدر يشبهه . ثم قال بعد أن ذكر هذا الوجه : « ويجوز أن يكون وراء الرمل متعلقاً بنفس ، أى علمت علمت في هذا الموضع كذا وكذا ، على صغر معناه ويجوز وجه ثالث غير هذين ، وهو أن ينصب وراء نصب المفعول به بعلمت ، أى لئني عرفت هذا الموضع ، وتبدل منه ما أنت صانع ، أى الذى أنت صانع فيه ، كقولك : عرفت هذا الذى تجد من أمرها . ويجوز إذا أبدلت ما أنت صانع أن تجمل ما استفهاماً ، كقولك : قد عرفت زيدا أبو من دو ، فيدل أبو من هو ، من زيد ، فتصير إلى أنك كاذب قلت ، قد عرفت أذن من زيد . ويجوز أيضاً إذا جعلت وراء مفعولاً به أن تجمل علمت المتعدية إلى مفعولين وتجمل ما بعدها من الاستفهام في موضع المفعول الثاني ، كقولك علمت زيدا كم ما له » .

٦٣١

وقال وضاح بن إسماعيل^(١) :

- ١- مَنْ مُبْلِغُ الْحَجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنْ شِئْتَ فَاقْطَعْنِي كَمَا قُطِعَ السِّلَا^(٢)
 - ٢- وَإِنْ شِئْتَ أَقْبِلْنَا بِمُوسَى رَمِيضَةً جَمِيعًا فَقَطِّعْنَا بِهَا عَقْدَ الْعُرَى^(٣)
 - ٣- وَإِنْ قُلْتَ لَا إِلَّا التَّفْرِقَ وَالنَّوَى فَبَعْدُ أَدَامَ اللَّهُ تَفْرِقَةَ النَّوَى^(٤)
 - ٤- فَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مُفْرَضًا وَتَعْجَبُ أَنْ أَبْصُرْتَ فِي عَيْنِي الْقَذَى^(٥)
- هذه أبياتٌ ذهبَ النَّاسُ مِنْ طَرِيقِ الرَّوَايَةِ وَالْمَعْنَى فِيهَا مَذَاهِبٌ طَرِيفَةٌ ،
وَالصَّحِيحُ مَا أَوْرَدَهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُ رَتَّبَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَجَّاجِ مَرَاتِبَ ثَلَاثًا ،
خَبَّرَهُ فِيهَا بِالشَّرْطِ الْمَبْتَنِيَةِ :

(١) التبريزي : « وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي أحمد » . والصواب « بن داود بن أبي جند » . كما أسلفنا في ترجمته في الحماسة ٢١٢ ص ٦٤٣ . يؤيد ذلك ما رواه أبو الفرج في الأغاني (٦ : ٣١) من قوله في بنات عمه :

من بنات السكريم داود في كند دة ينسبن من أباة اللمن
وقوله يفخر بجد أبي جند :

بني لي إسماعيل مجدا مؤثلا وعبد كلال بعده وأبو جند
(٢) في الأغاني (٦ : ٤٢) أن هذه الأبيات يقولها وضاح في أخيه « سماعة » وقد عتب عليه في بعض الأمور . وقد روى البيهقي الأول هكذا :

فن صباغ عني سماعة ناهيا فَإِنْ شِئْتَ فَاقْطَعْنَا كَمَا يَقْطَعُ السِّلَا
(٣) التبريزي وابن جني : « فاقطننا بموسى » و « فقططنا » بصيغة الأمر . وقال التبريزي في تفسيره : « ونسب عقد العرى على المصدر ، أي فقططنا تقطع عقد العرى ، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه » . نحو هذا الكلام لابن جني .
(٤) الأغاني :

وإن شئت صرما للتفرق والنوى فبعدا أدام الله تفرقة النوى
(٥) مقتبس من قول عيسى عليه السلام : « لماذا تنظر القلبي الذي في عين أخيك »
وأما الخشبة التي في عينك فلا تقطن لها » . إنجيل متى ٧ : ٣ ولو ٦ : ٤١ . وفي عيون الأخبار (٢ : ٢٧١) : « كيف تبصر القذاة في عين أخيك ولا تبصر السارية في عينك » .

فالشَّرْطُ الأولُ قوله « إن شئت فاقطعني كما قُطِعَ السِّلَا » وهذا يحتمل معنيين : أحدهما أن يريد إن شئت خُصِنِي بقطيعة لا وصالَ بتمعُّبها ، كما أن السِّلَا ، وهو الجِلْدَةُ التي يلتفُّ فيها الولد عندَ خروجه من بطنِ أمه ، إذا قُطِعَ عنه لم يُعَدَّ إليه . ويجوز أن يكون المعنى : اقطعني قطيعةً لا يُرَجَى معها وصالٌ ؛ لأن السِّلَا إذا انقطعَ في بطنِ الحامل لم يمكن استخراجه ، ولا يُرجى الخلاصُ معه . ولهذا ضُرِبَ المثلُ به في الشَّدائدِ ف قيل : « انقطع السِّلَا في البطن » . والمراد في هذه القطيعة المذكورة أن تبقى العلائقُ التي بينهما على ما حَصَلَتْ وثبتت لا يُعَيَّرَ منها شيء .

والشَّرْطُ الثاني : « وإن شئت أقبلنا بموسى رَمِيضَةً » ، يقول : وإن شئت أخذَ كلٌّ مِنَّا موسىَ محدَّدةً ، فقطَّعنا بها الأوصارَ التي بيننا . وهذا مثل ، والمعنى أن لنا الأسبابَ التي تَوَاصَلْنَا بها فصارتِ مثلَ الأنسابِ ، وحلَّلتنا عُقدَ العُرى الوثيقةِ فيما تَوَاشَجْنَا فيه حتى نصيرَ كالأجانبِ لا وصالَ تجمعُنا ، ولا أواخِيَّ نَنظِمُنا ، إلَّا ما طَوَى البعادُ بيننا من قُربِ الجِوارِ والدَّارِ .

والشرط الثالث : « وإن قلتَ لا إلَّا التفريقَ بالأبدانِ معها ، فيكونُ للنَّوى مُبَدَّدَةٌ شملنا ، فلا نلتقي في شُعْبٍ وَمَسَلَكٍ ، ولا نتعاذى في منزلٍ وتجمع ، ولا نتجاورُ في محلٍّ وَمَقَرٍّ ^(١) ، فَإِنَّا نَبْعُدُ بُعْدًا كَمَا نَخْتَارُ ؛ وَأَدَامَ اللَّهُ تَفَرُّقَهُ النَّوى بيننا ولا جَمْعَ ما نشئتُ منها »

ويقال : سِكِّينَ رَمِيضٌ : حادٌّ . وكل حادٍ رَمِيضٌ ، ومنه ارتدَّضَ مِنْ كَذَا ، إذا اشتدَّ عليه وأغضبته .

وقوله « فَإِنِّي أرى في عينك الجذع » ، يقول : إن العداوة بيننا رسختْ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « وسفر » .

وَبَقِيَ واستحكمت من جهتك ، فلا استبقاء معك ، ولا صبر على أذى مضى منك ، حتى تعجب لأدنى شيء يحول ، وتستعظم أصغر ما يحدث ويدور ، وأنا أرى الجذع يمرض في عينك فلا أنكر ، ولا أحاسب عليه ولا أضيق . وهذا كما يقال في المثل : « تبهر القذاة في عين أخيك ، وتدع الجذع المعترض في حلقك »^(١) .

٦٣٢

وقال جواس الكلبي من بني عدي بن جناب^(٢) :

- ١- ضَرَرْنَا لَكُمْ عَنْ مَنِيرِ الْمَلِكِ أَهْلَهُ بِجَيْرُونَ إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَنِيرًا
 - ٢- وَأَبَاءَ صِدْقٍ كُلِّهَا قَدْ عَلِمْتُمْ نَصَرْنَا وَيَوْمَ الْمَرْجِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا^(٣)
 - ٣- فَلَا تَكْفُرُوا أَحْسَنَ مَضَتْ مِنْ بِلَانِنَا وَلَا تَمْنَحُونَا بَعْدَ لَيْنٍ تَجَبَّرَا
- يخاطب بهذا الشعر بني مروان ممتنًا عليهم ، وذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما هلك استعمل ابنه يزيد ، فتابعه الناس ما خلا بني قيس فإنهم قالوا : لا نبايع ابن الكلبية ، فوقعت الحرب بين أمية وقيس . وجيرون : باب من أبواب دمشق ، وأولئك كان مستقرهم بالشَّام . ويعني بقوله « أهله » بني هاشم ، وبالملك الخلافة .

وقوله « إِذْ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَنِيرًا » ، أي ارتقاء منير وصعوده ، خذف المضاف . والمراد : إِنَّا نَصَرْنَاكُمْ فِي طَلَبِ أَمِيرٍ كَانَ لَكُمْ بِجَيْرُونَ ،

(١) أصله من كلام عيسى عليه السلام . لتجمل متى ٧ : ٣ - ٤ ولوقا ٦ : ٤١ ، ٤٢ . وانظر ١٤٩٠ .

(٢) التبريزي : « وقال عمرو بن مخلاة الحمار الكلبي » . وقد سبقت ترجمة عمرو بن مخلاة الحمار في الحماسية ٢١٤ ص ٦٤٧ . وأما جواس ، فهو جواس بن القمطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن هدي بن جناب الكلبي . وهو شاعر إسلامي كان معاصرا ليزفر بن الحارث الكلبي . المؤلف ٧٤ .

(٣) التبريزي : « قد عرفت » .

حين لا تقدرون على صمود منبر ، ولا تستقيم لكم قنأة ملك ونصرنا أيضاً^(١) يوم مَرْجِ رَاهِطٍ ، وأياماً آخرَ قبله وبعده ، صادَقْنَاكم فيها ونَصَرْنَاكم نصراً قوياً ، فلا تجحدوا نِعْمَنَا فيها ، فكُفِّرَانِ النِّعَمِ ذَمِيمٌ ، ولا تَكْتَبِرُوا علينا بعد ملاينتكم لنا ، فإنَّ التَّكْبِيرَ مِنْكُمْ عَظِيمٌ . وقوله « حُسْنَى مُضَتْ » مصدر فى معنى الإحسان ، وليست بتأنيث الأحسن ، لأنَّ تلك تلزمه الألف واللام .

- ٤- فكم من أميرٍ قبلَ مروانَ وأبنه كَشَفْنَا غِطَاءَ النِّعَمِ عَنْهُ فَأَبْصَرَ
٥- ومُسْتَسْلِمٍ نَفْسَ عَنْهُ وَقَدْ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ حَتَّى أَهْلٌ وَكَبَرَا
٦- إِذَا افْتَحَرَ الْقَيْسِيُّ فَأَذْكَرُ بِلَاءُهُ بِزَرَاعَةِ الضَّحَّاكِ مَرْقِيَّ جَوْبَرَا
٧- فما كان فى قيسٍ من ابنِ حَنِيفَةَ يُعَدُّ وَلَكِنْ كُلُّهُمْ نَهَبُ أَشْقَرَا
- قوله « كم من أمير » أراد به معاويةَ وأشياعه . أى ذَبَبْنَا دُونَهُ وَأَزَلْنَا ما كان تراكم عليه من رواكِدِ الظُّلَمِ حَتَّى أَبْصَرَ رُشْدَهُ ، وعادت إليه بصيرته ، بعد أن كان تحيَّرَ فى أمره ، والتبسَ عليه ما ينتقل فيه ، فلا يعرف ما عليه ممَّاله .
- وقوله « ومستسلم » عطفه على « من أمير » ، والضمير فى « نَفْسَ » للخليل ولم يجزِ لما ذكر ، ولكن عُرِفَ منه المراد . يريد : وكم من مُقَدِّدٍ لما دَهَمَهُ ، مُسْتَسْلِمٍ لِلشَّرِّ الْمَفَاجِئِ لَهُ وَالْمُحِيطِ بِهِ ، نَفَسَتْ خَيْلُنَا عَنْهُ بعد أن يَدْبَسَ رِيقَهُ ، وَتَقَلَّصَتْ شَفَتَاهُ فَظَهَرَتْ نَوَاجِذُهُ ، لما مَنِيَّ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ ، وَجَهْدِ الْبَأْسَاءِ ، حَتَّى أَهْلٌ ، أى رَفَعَ بِالْحَدِّ لِقُدْرَةِ صَوْتِهِ ، وَأَظْهَرَ شُكْرَهُ ، وَعَظَّمَهُ وَكَبَّرَهُ لما أعْقَبَ مِنَ الْأَمْنِ عَقِيبَ الْخَوْفِ ، وَالسَّلَامَةِ بعدَ الْهَلَكِ . ويروى : « كَشَفْنَا غِطَاءَ الْمَوْتِ » . ويروى : « وَمُسْتَلَحِمٍ نَفْسَ عَنْهُ وَقَدْ بَدَتْ مَقَاتِلُهُ » والمعنى فيهما ظاهر .

(١) هذا ما فى ل ، وهو الأوفى . وفى نسخة الأصل : « ونصرنا نصراً » .

وقوله « إذا افتخر القيسي فأذكر بلاءه » ، يعيّرهم ما كان منهم من
التقصير والقصور في ذلك الموضع . وأخرج الكلامَ مخرجَ الهُزءِ ، لأنهم قصّروا
ولم يُبلّوا ؛ لذلك قال : اذكر بلاءه . والزّراعات : مواضع الزرع ، كالملاحات .
والزّريع : العتري الذي يُسقى من السماء ، فكلُّ ناعم زريعٌ تشبيهاً به .
وجوّبرُ : نهر . وانتصب « شرقي » على الظرف ، بمعنى ما وليّ المشرق منه .
والضحّاك^(١) كان على شرطة معاوية ، ثم صار مع ابن الزبير بعد موت يزيد^(٢) .
وفي جملة هذه الأبيات :

فلو كنتُ من قيسِ بنِ عيلان لم أجد فخاراً ولم أعدِلْ بأن أنقصراً
بقيح صورتهم كما نرى .

وقوله : « فما كان في قيس من ابنِ كريمة بعدُ » و يروى : « فما كان في
قيس بن عيلان سيّد بعدُ » ، وبني بنهب أشقر فرس طفيل بن مالك ، وكان
فراراً^(٣) . يقول : كأنما انتهبهم طفيل في ذلك اليوم . وكان اسمُ فرسِ طفيل
قُرْزُلاً ، لذلك قال الآخر^(٤) بصف قومٍ منهزمين :

بعدوهم قُرْزُلٌ ويستمعُ النّسا من لايهم وتنفقُ اللّهم
جعل فرس كلّ منهم كقُرْزُلٍ لما هربوا .

(١) هو الضحاك بن قيس النهرى ، ولد في زمان الرسول بعد الهجرة ، وولاد معاوية .
الكوفة ثم هزله ، ثم ولاد دمشق ، ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله
مروان بن الحكم ، فقتل بمردج راحط سنة ٦٤ . الإصابة ١٦٤ ؛ والغبري (٧ : ٣٧ - ٤١) .
(٢) الحق أنه كان يتظاهر بالعودة لابن الزبير ، واستغل هذا في استعداد أنصار ابن الزبير
ليقوى بهم على محاربة مروان .

(٣) وقال ابن الكلبي : أشقر : رجل من كلب ، أصاب صندوقاً في إغارة لكتاب على
إياد ، فظن أن فيه خيراً كبيراً ، فإذا فيه عظام ، فضرّبه العرب ملائماً لا خير فيه . وقيل :
إنه أراد بالأشقر العبد . والعرب تسمى العجم والحمراء لأن الغالب على ألوان الفرس العصبية .
وعلى هذا معناه : كلهم نهب من لا قدرة له ولا هبة . عن شرح التبريزي .

(٤) هو الجهميخ الأسدي . المفضليات ٤٩ الطبعة الثانية بالمعارف .

٦٣٣

وقال جواس الكلبى أيضا :

١- أَعْبَدَ الْمَلِيكَ مَا شَكَرْتَ بِلَاءَنَا فَكُلْ فِي رَحَاءِ الْأَمْنِ مَا أَنْتَ آكِلٌ
 ٢- بِجَاهِيَّةِ الْجَوْلَانِ لَوْلَا ابْنُ بَحْدَلٍ هَلَكْتَ وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلٌ
 يعاتبُ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ ، وذلكَ أنه لما قُتِلَ ابنُ الزُّبَيْرِ وسَكَتَ الحَرْبُ
 وصفاله الأمرُ : أَقْبَلَ يَتَأَنَّفُ قَيْسًا وَهَمَّ أَعْدَاؤُهُ ، وَيُوحِشُ بَنِي كَلْبٍ وَهَمَّ أَنْصَارُهُ ،
 حَتَّى انْتَهَى الْحَالُ بِهِ إِلَى أَنْ عَزَلَ كَثِيرًا مِمَّنْ اسْتَعْمَلَهُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى أَعْمَالِهِ ،
 وَجَمَلَ أَبْدَالَهُمْ مِنْ قَيْسٍ ، فَقَالَ جَوَّاسٌ : يَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، مَا حَدَّثَ بِلَاءُنَا فِي
 نُصْرَتِكَ ، وَلَا قَابَلْتَ انْقِطَاعَنَا إِلَيْكَ وَسَمِعْنَا لَكَ بِيَعُضٍ مَا وَجِبَ لَنَا عَلَيْكَ ،
 فَكُلْ مِنْ دُنْيَاكَ فِي سَعَةِ الْأَمْنِ وَظِلِّ الْهُدُوءِ مَا أَنْتَ آكِلُهُ ، لَا مُدَافِعَ لَكَ
 وَلَا مُعْتَرِضَ عَلَيْكَ ، فَلَوْلَا ابْنُ بَحْدَلٍ وَقِيَامُهُ بِأَمْرِكَ بِجَاهِيَّةِ الْجَوْلَانِ لَهَلَكْتَ
 وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلٌ ، أَيْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ خَلِيفَةٌ يَخْطُبُ عَلَى مَنبَرٍ فَيَدْعُو وَيُدْعَى
 لَهُ . وَتَمَلَّقَ قَوْلَهُ « بِجَاهِيَّةِ الْجَوْلَانِ » بِقَوْلِهِ مَا شَكَرْتَ بِلَاءَنَا . وَهَلَكْتَ
 جَوَابَ لَوْلَا ، وَخَبَرَ الْبَتْدَأَ مَحْذُوفٍ ، وَقَدْ مَرَّ أَمْثَالُهُ .

٣- فَلَمَّا عَلَوْتَ الشَّأْمَ فِي رَأْسِ بَاذِخٍ مِنَ الْعِزِّ لَا يَسْطِيعُهُ الْمُتَعَاوِلُ
 ٤- نَفَعَتْ لَنَا سَجَلُ الْعِدَاوَةِ مُعْرِضًا كَأَنَّكَ مِمَّا يُحَدِّثُ الدَّهْرُ جَاهِلُ
 يقول : فَلَمَّا مَلَكَتِ الْمَطْلُوبَ وَأَدْرَكَتِ الْأُمُومَ ، وَاسْتَوَيْتِ عَلَى الشَّأْمِ فِي
 عِزٍّ بَاذِخٍ وَجَدْتِ صَاعِدٍ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى تَعَاوُلِ مِثْلِهِ أَحَدٌ بِأَمَلٍ أَوْ هِمَّةٍ ، أَطْرَحْتِنَا
 وَأَعْرَضْتَ عَنَّا ، مُعْطِيًا سَجَلَ الْعِدَاوَةِ لَنَا ، كَأَنَّكَ جَاهِلٌ بِالْأَهْرِ وَقَعَلَاتِهِ ،
 وَحَوَادِثِهِ وَمُلِكَاتِهِ . وَمَنْ رَوَى : « كَأَنَّكَ مِمَّا يُحَدِّثُ الدَّهْرُ » ، يَرِيدُ كَأَنَّكَ مِمَّا
 أَحْدَثَهُ الدَّهْرُ لَكَ مِنَ الرَّيَاسَةِ جَاهِلٌ . أَيْ اغْتَرَرْتَ فَكَأَنَّكَ اسْتَعْدَدْتَ جَهَالَتهُ .

وَيُرَوَّى : « كَأَنَّكَ عَمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ [غافل^(١)] » فجاهلٌ يجرى مجرى غافلٍ .
وهذا يجرى مجرى تجرى الوعيد . أى لا تأمن غير الأيام ومعاودتك ما يَحْتَمُ عليك
بالفقر إلينا ثانياً .

وفى هذه الطريقة ما أنشدته لمحمد بن غالب :

ففى مِسْمَعٍ أَنْتَ مِنْ مِسْمَعٍ بِمِثِّ السُّوَيْدَاءِ وَالنَّاطِرَانِ
مَلَكْتَ فَاسْجِجْ وَزُغْ بِالزَّمَامِ وَخَفْ مَا يَدُورُ بِهِ الدَّائِرَانِ
٥- وَكُفْتَ إِذَا أَشْرَفْتَ فِي رَأْسِ رَامَةٍ تَضَاءَلْتَ إِنَّ الْخَائِفَ لِلتَّضَائِلِ^(٢)
٦- فَلَوْ طَاوَعُونِي يَوْمَ بَطْنَانَ أَسْلَمْتَ لِقَيْسٍ فُرُوجٍ مِنْكُمْ وَمَقَاتِلِ^(٣)
رَامَةٍ : هضبة . يذگره ضيقَ أَقْطَارِ الأرضِ عليه ، فيقول : إناك حينئذٍ
متى أَشْرَفْتَ فِي رَأْسِ هذه الهضبةِ تَخَاشَعْتَ وتَذَلَّتْ ، لاستشعارك الخوفِ
الشديد ، واستظهارك بالانتماء من أعدائك البليغ . والخائف هذا دأبه وعادته .
على أنهم — بمعنى أصحابه — لو طَاوَعُونِي فِي هذا اليوم وقَبِلُوا نَصَحِي ، وعَمِلُوا
برأى ، لَأَسْلَمْتَ لِقَيْسٍ فُرُوجُكُمْ ، وهى مواضعُ الْمَخَافَةِ ، وَمَقَاتِلُكُمْ . والمعنى :
كُنَّا نَخْذُلُكُمْ وَنُسَلِّمُكُمْ حَتَّى يَتِمَّ الْقَتْلُ مِنْكُمْ ، وَتَمْلَوْا بِمِثِّ الدَّلِّ عَلَى أَحْوَالِكُمْ .
وإنما قال هذا لأن القيسية كانت تدعو إلى ابن الزبير ، وكلبٌ تدعو إلى
المروانية ، وكان الناسُ يومئذٍ إنما يُمرَفون بِالْبَيْحَدَلِيَّةِ أصحاب مروان ،
والزبيرية ، وهم أنصار ابن الزبير . لذلك قال عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان :
وما الناسُ إِلَّا بِحَدَلِيٍّ عَلَى الْهَدَى وَإِلَّا زُبَيْرِيٌّ عَصَى قَتَرًا

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وبدلها في ل : « جاهل » ، والوجه ما أثبتنا ،
لما يقتضيه سياق الكلام .

(٢) التبريزى : « من رأس هضبة » .

(٣) التبريزى : « ويروى : أسلمت فروج نساء منكم » .

(٤) سبق البيت محرفاً بدون نسبة في ص ٦٥٠ .

٦٣٤

وقال جَوَّاسٌ أَيْضاً :

- ١ - صَبَّتْ أُمِّيَّةٌ بِالْدِّمَاءِ رِمَاحَنَا وَطَوَتْ أُمِّيَّةٌ دُونَنَا دُنْيَاهَا
 - ٢ - أُمِّيُّ رُبَّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةٍ صَيْدِ الْكُفَاةِ عَلَيْكُمْ دَعَاوَاهَا
 - ٣ - كُنَّا وَلَاةَ طِفَانِهَا وَضِرَابِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمْ غُمَاهَا
- يقول : استنصرتنا أُمِّيَّةٌ ودافعَ الأعداءَ بنا ، وعرضنا للقتل والقتال ، والضَّرَابِ والطَّمان ، حتى رَوَيْتَ قَتَانَا مِنْ دِمَاءِ مُجَادِيهِمْ ، وللتَّكْرِهَيْنِ لَأَيَّامِهِمْ وَدِيُولِهِمْ^(١) ، فلما وَضَعْتَ الحربُ أوزارَها ، وارتفعَ الهَيْجُ وَالْفِتْنُ مِنْ أُنْحَائِهَا وَمَقَاصِدِهَا ، اسْتَبَدُّوا بِطُلَى الدُّنْيَا وَزِيَّهَا^(٢) ، وَالْفُوزِ بِهَا وَبِأَعْرَاضِهَا مِنْ دُونِنَا . نَمِ اخْذْ بِمَاطِلِهَا فَقَالَ : يَا أُمِّيَّةُ^(٣) ، رُبَّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةِ الشَّانِ ، لَمْ نَذَرِ كَيْفَ يُدْفَعُ فِي وَجْهِهَا . وَلَا مِنْ أَيْنَ يُصْرَفُ شَرُّهَا ، مُتَكَبِّرِي الْأَبْطَالِ ، بِهِمُ الشُّجْعَانِ ، دَعَاوَاهَا عَلَيْكُمْ لَا لَكُمْ ، وَدَفَاعُهَا فِيكُمْ لَا عَنْكُمْ ، تَوَلَّيْنَا مَطَاعَتَهَا وَمُكَاحَتَهَا ، وَافْتَرَضْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا دَفْعَهَا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ «مَجْهُولَةٌ» أَنَّا لَا نَعْرِفُهَا ، وَلَا مُجَادِبَةً بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَلَا مُعَامَلَةً ، فَهِيَ مَجْهُولَةٌ لَنَا ، اتَّخَذْنَا كَالْأَعْدَاءِ لَنَا فِي هَوَاكُمُ وَنُصْرَتِكُمْ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ «صَيْدِ الْكُفَاةِ» فَإِنَّمَا جَمَعَ فَقَالَ صَيْدًا ، حَمَلًا عَلَى مَعْنَى الْكَتِيبَةِ ، وَلَوْ حَمَلَ عَلَى اللفظ لَقَالَ : رُبَّ كَتِيبَةٍ صَنِدَاءِ الْكُفَاةِ .

وَالصَّيْدُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى وَجْهَيْنِ : يَقَالُ : مَلِكٌ أَصِيدٌ ، أَيْ مُتَكَبِّرٌ لَا يَلْتَفِتُ

(١) كَذَا ضَبَطْتُ فِي النُّسخَتَيْنِ بِكسر فَفَتْح . وَيُقَالُ أَيْضاً «دَوْلٌ» بِضم فَفَتْح ، كَلَامُهُ جَمْعُ دَوْلَةٍ .

(٢) الطُّلَى ، بِالْكَسْرِ : وَاحِدُ الْأَطْلَافِ ، وَهِيَ مِنَ الثَّوْبِ وَالشَّعْرِ طَرَفُهُ وَمَكَاسِرُ طَيْهِ .

(٣) ل : «أُمِّيَّةٌ» .

إلى الناس يمينًا ولا شمالًا. وحكى الخليل أن الصَّيْدَ ذُبابٌ يدخلُ في أذن البعير فيَقْتُلُهُ ، فيظلُّ رافعًا رأسه . فشبه الملكُ ذو الزَّهْوِ به . فهذا وجهه . والوجه الآخر : أن يرادَ بالأصيدِ الذي لا يستطيع الالتفات من دأته .

وقوله : « حتى تَجَلَّتْ عَنْكُمْ غَمَّاهَا » ، يقال : هم من أمرهم في غمَّاهُ ، أى في شِدَّةٍ والتباسٍ شديدٍ عليهم . ومعنى حتى : إلى أن . والولاء : جمع الوالى ، وهو المتولَّى للشيء والفاعل له . ولا يمتنع أن يريدَ به المَلَأَ ، كأنهم مَلَكُوا تدبيرَ الحى فصاروا كالولاء لها وفيها .

٤ - وَاللَّهُ يَجْزِي لَا أُمِّيَّةُ سَعِينَا وَعَلَى شَدَدْنَا بِالرَّمَا حُورَاهَا^(١)

٥ - جَنَّتُمْ مِنَ الْحَجَرِ الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ وَالشَّامُ تُنْكِرُ كَهْلَاهَا وَفَتَاهَا

٦ - إِذْ أَقْبَلَتْ قَيْسُ كَانَ عُمُونَهَا حَدَقُ الْكِلَابِ وَأُظْهِرَتْ سِيَاهَا

يقول : الآن وقد جَحَدَتْ أُمِّيَّةُ نِعْمَتَنَا عِنْدَهَا ، وَبُعَدَتْ عَنِ الصَّلَاحِ بِكُفْرَانِهَا ، فَإِنَّ الْاعْتِمَادَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ فِي أَنْ يَقُولَ جَزَاءَ سَعِينَا ، وَيَعْرِفَ لَنَا مَا أَنْكَرْتَهُ أُمِّيَّةُ مِنْ بَلَاءِنَا ، وَعَلَى مَعَالٍ أَحْكَمْنَا وَثَاقَتَهَا ، وَشَدَدْنَا عَقْدَهَا وَعِلَاقَتَهَا ، فَتُوجِبَ لَنَا مِنْ إِثَابَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَكُونُ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ كُلِّ فَائِتٍ .

وقوله « جَنَّتُمْ مِنَ الْحَجَرِ » أرادَ بالحجر الجنس . والمراد : جَنَّتُمْ مِنَ الْمَكَانِ الْكَثِيرِ الْحَجَرِ ، وَمِنْ بِلَادِ الْحَجَرِ ، يَعْنِي الْحِجَازَ . وَمَعْنَى « الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ » الْبَعِيدِ مُعْلَقُهُ . وَيُقَالُ : نُطْتُ الشَّيْءَ أَبْطَلَهُ نِيَاطًا وَنَوَطًا ، إِذَا عَلَّقْتَهُ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ :

(١) التبريزي : « فاقه » .

« من الحَجَز » ، بالزاء ، وقال : يريد الحِجَاز . فهذا كما قيل في تِهامة : التَّهَم . قال :

* نظرتُ والعَيْنُ مُبَيِّنَةُ التَّهَمِ ^(١) *

والحاجز والحِجَاز والحَجَز ، واحد . قال : وسُمِّي الحِجَازُ حِجَازاً ، لأنه يَفْصِلُ بين القُور والشام وبين البادية . وقوله « والشَّامُ تُكْرِ كَهَلْها وفتاها » ، أى لم يكونوا من أهلها فاستغفروا عنهم . وهذا كما قال في المقطوعة الأولى ^(٢) : « رَبُّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةٍ » .

وقوله « إِذْ أَقْبَلْتُ قَيْسٌ » ، إِذْ ظُرِفَ لقوله جِئْتُ من الحَجَر ، أى جِئْتُ وقتَ إقبال قيس . ويجوز أن يكون ظرفاً لقوله « تُنْكِرُ كَهَلْها » أى تنكر فى ذلك الوقت . ويروى : « وَتَزَبَّرْتُ قَيْسٌ كَأَنَّ عِيُونَهَا » ، أى صار هواها زَبِيرًا . وقوله « كَأَنَّ عِيُونَهَا حَدَقُ الْكَلَابِ » وأظهرت سِيَّها « قَصَدُهُ إِلَى الذَّمِّ » وإلى أن نظرم نظراً الكلاب ، لكنَّه جَرَّدَ التَّشْبِيهَ أولاً ، ثم قال : « وَأُظْهِرَتْ سِيَّها » أى أظهرت سِيَّ الكلاب فى إقبالها ، فَتَرَكَ لَفْظَ التَّشْبِيهِ ، وصار كأنه يُخْبِرُ عن حقيقة .

٦٣٥

وقال عبد الرحمن بن الحكم ^(١) :

١- لَحَا اللَّهُ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ إِنِّهَا أَضَاعَتْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ وَوَلَّتْ

(١) بعده فى اللسان (تهم) :

إلى سنا نار وقودها الرتم ثبت بأعل عاندين من إضم

(٢) كفا . وإنما يعنى ما ورد فى البيت الثانى من نفس هذه المقطوعة .

(٣) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، شاعر إسلامى ، وهو

القاتل لمعاوية حين استلحق زيادا :

أد أبلغ معاوية بن حرب مغلفة من الرجل الهجان

أنغصب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان

٢- فشاوِل بَقِيْسٍ فِي الرِّخَاءِ وَلَا تَكُنْ أَخَاهَا إِذَا مَا لَأَشْرِفِيَّةُ سُلَّتْ^(١)

قوله «لخا الله»، يجوز أن يكون بمعنى قشر الله، ويجوز أن يكون بمعنى سب الله. وقوله «لأنها أضاعت ثنور»، يروى بفتح الهمزة، والمعنى لأنها، ويروى بالكسر على الاستئناف. ومعنى وَلَّتْ انهزمت وأهزمت.

وقوله «فشاوِل بَقِيْسٍ»، أى خاطِرٌ غيرك ورافِغهم بهم في الرِّخَاءِ والسَّعة، والأمن والدَّعة، وإياك والاعتماد عليهم ومؤاخذتهم في الحرب وعند استلال الشيوف؛ فإنهم يُسلُّونك وينهزمون، ويخذلونك ولا يَبْصُرُونَ. ويقال: شَاوِلَ الفحل وخاطره، إذا هابجه.

٦٣٦

وقال أبو الأسد^(٢) في الحسن بن رجا^(٣):

١- فَلَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَإِلَى مَنَابِرِهَا بِطَرْفٍ أَخْزَرَ^(٤)

٢- مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَائِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ النَّبْرِ

= الأغانى (١٢ : ٦٩ ض ٦٣/٧٣ : ٩٤٤ - ١٤٨). وفي تاريخ الطبرى (٧ : ٤٢):
أن هذه الأبيات يجيب بها زفر بن الحارث في قوله :

أبى الله أما بجدل وابن بجدل فيجدا وأما ابن الزبير فهقتل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونهم ولما يكن يوم أعر محجل
وهى الحماسية ٢١٥. انظر ص ٦٤٩.

(١) التبريزى : « بقميس في الطمان ». الطبرى : « فباء بقميس في الرخاء » .
(٢) هو أبو الأسد نباتة بن عبد الله الحماني ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيبا مليح النوادر مداحا خبيث الهجاء . الأغانى (١٢ : ١٦٧) .
(٣) التبريزى : « الحسن بن رجا ابن أبى الضحاك » . وهو أحد ولاة الدولة العباسية كان واليا على الجبال ، وكان هذا علما لما بين أسبهاان إلى زنجان وقزوین وهمدان والدينور وقرميسين والرى وما بين ذلك . وهو ممن مدحهم أبو تمام ومحمد بن وهيب . الأغانى (١٧ : ١٤٢) .
(٤) البیتان مع ثالث برواية أخرى في البيان (١ : ٢٩٦) بدون نسبة .

قوله « بطرفٍ أخزر » تعلق الباء منه بقوله فلا نظرن ، والمراد بنظري بميلٍ إلى ناحية ، أى نظارٍ بفضٍ وشفانٍ ، لكونه متوالياً لها والمعنى : هانت في عيني وصغر قدرها عندي ، فصرتُ أتكرهها ، وأبغضُ أهلها وكورها ، ومواضع الدعوة منها ، مذ صيرتُ أميرها ومُدبرها .

وقوله « ما زلتُ تركب » معناه ظاهر .

٦٣٧

وقال آخر^(١) :

- ١- تَجَبَّتُ مِنَ السَّارِبِينَ وَالرَّيْحِ قَرَّةً إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةٍ وَالرَّحَى^(٢)
 - ٢- إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقَدَّ أَهْلُهَا وَقَدْ يُكْرِمُ الْأَضْيَافُ وَالْقَدُّ يَشْتَوِي
 - ٣- فَلَمَّا أَتَوْنَا فَاشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمْ بَكُوا وَكَلَّا الْحَيَيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَى
 - ٤- بَكَى مُعَوِّزٌ مِنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقٌ يَشُدُّ مِنَ الْجُوعِ الْإِزَارَ عَلَى الْحَشَا
- يقول : تَجَبَّتُ مِنَ الْعُصْبَةِ الَّتِي سَرَتْ لِيلاً إِلَى ضَوْءِ نَارٍ أَوْقَدَتْ فِي مَكَانٍ يَتَوَسَّطُ فَرْدَةً وَالرَّحَى ؛ وَهِيَ مَوْضِعَان . وَالرَّوَايَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ : « بَيْنَ فَرْدَةٍ فَالْرَحَى » وَهَذَا هُوَ مَا كَانَ الْأَصْمَعِيُّ يُنْكِرُهُ فِي بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَهُوَ * بِسْفَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَخُولِ^(٣) *

وقد مرَّ للقول فيه وفي أشباهه^(٤) ، وفي حكم بَيْنَ ومقتضاه أن الاسم الذي

(١) هو الراعي ، كما ذكر التبريزي . وقد بقيت ترجمته في الحماسة ٨٠ ص ٢٧٥ . قال التبريزي : « ونزل بالراعي التبري رجل من بني كلاب في ركب معه ليلاً في سنة مجدية وقد عزبت عن الراعي إبله ، فنحر لهم ناقة من رواحلهم ، وصبحت الراعي إبله فأعطى رب الثأب ناباً مثلها وزادها ناقة ثنية ، فقال ... » .

(٢) التبريزي : « فالرحى » .

(٣) صدره مشهور ، حتى قيل : « أشهر من قفا نباك » .

(٤) انظر ما سبق في ص ٧٩٨ ، ١٢٤١ .

بليه يجب أن يكون كاسم الجمع في تناوُلِه أكثر من واحد، حتَّى يصحَّ ترتيبُ
الفاء عليه في المعطف .

وقوله «والريح قَرَّةٌ» أى تهبُّ شَمَالاً ببردٍ شديد. والواو منه واو الحال .
وقوله «إلى ضوء نارٍ يَشْتَوِي القِدَّ أهلُها»، أبدلَ إلى ضوء نارٍ بما في البيت
الأوّل بإعادة حرف الجرِّ معه . ويعنى ناراً لقومٍ مضطرينّ مجهودين لا خيرَ
عندهم، ولا طعامَ بفنائهم، مضطرينّ إلى شئٍ للقِدِّ، لأنهم أعوزَهم ما هو خيرٌ منه .
فتمجَّبَ وقد استضافهم هؤلاء السَّارون، ثمَّ قال : وقد بُكرَم الأضيافُ مع
مجاهدة الفقر، ومزاولة الضَّرِّ، إذا كان المضيفُ لطيفَ الحيلة، رفيعَ الهمة .
ويقال : شويتُ اللحمَ واشتويته، فانشوى هو . وحكى سيديويه في بناء
المطاوعة اشتوى أيضاً . ومثله نظمتُ الشئَ وانتظمتُه فانتظمتُ هو .

وقوله «فلنا أنونا» يقول : فلما حصلوا عندنا تباثُننا وتباكينا، وكلُّ
واحدٍ من الحَيِّين شكاً إلى الآخر دهره وأنهى إليه في إضاقتِه أمره .

وقوله «بكى مُعَوِّزٌ»، هذا بيانُ وجهِ المِلَّةِ في البُكاء . يقول : بكى فقيرٌ
مخافة أن يُبتهم ولا يُصدَّقَ ظاهِرُ حالِه فيما يَنطِقُ به من ضُرِّه، وأن تُلحقَ به
اللامَّةُ إذا ذُكِرَ واجباتُ ضيفِه ؛ والضيفُ الطارقُ بكى لما مَسَّه من نائباتِ
دهره، وإِما يظهر من مِساس حاجته، ويُقيم به المُتَرَفِّى إلى سامه، حتَّى شدَّ
حَشاؤه تَلْلاءَ جوفه

- ٥- فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَى مِنْ تَمِينَةٍ وَوَطَنْتُ نَفْسِي لِلْفَرَامَةِ وَالْقِرَى
- ٦- فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتِ عَرِيكَةٍ هِجَانًا مِنَ اللَّائِي تَمْتَعْنَ بِالصَّوَى
- ٧- فَأَوْمَأْتُ إِمَاءَ خَفِيًّا لَحْبَرٍ وَلِلَّهِ عَيْنًا حَبْرٌ أَيْمًا فَتَى
- ٨- وَقُلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بِأَيْدَسٍ سَاقِهَا فَإِنْ يُجَبِّرَ الْمُزْقُوبُ لَا يَرْقَأَ النَّسَا

قوله « أَلَطَفْتُ عَيْنِي » أى نظرتُ بعيني نظراً لطيفاً ، هل أرى فى إِبْلِ
 الْمُسْتَضِيئينَ ورواحِلِهِمْ نَاقَةً سَمِيَّةً أَنْحَرُهَا لَهْمٌ ، وإِذَا رَدَّتْ إِبِلِي إِلَى مَبَاءِهَا
 أَهْوَضُ صَاحِبَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، وَأَغْرَمُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَهَا مَا أَرْضِيهِ بِهِ . ويقال :
 أَلَطَفْتُ أَخِي بِكَذَا ، إِذَا أَمَحَفْتَهُ بِمَا يُعْرِفُ بِهِ بَرِّكَ وَلُطْفِكَ . وَأَلَطَفْتُ الْأُمَّ
 بِالْوَلَدِ ، وَأُمٌّ لَطِيفَةٌ ، أَى أَكْرَمَتْهُ وَبَرَّتْهُ .

وقوله « أَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءً » ، الْكَوْمَاءُ ؛ الطَّوِيلَةُ السَّنَامُ الْغَايِظَةُ ، وَقِيلَ :
 الْكَوْمُ : الْعِظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : وَالْعَرِيكَ : السَّنَامُ إِذَا عَرَكَهُ الْحِجْلُ . وَنَاقَةٌ
 عَرُوكٌ : لَمْ يَكُنْ فِي سَنَامِهَا إِلَّا الْيَسِيرُ مِنَ الشَّحْمِ . وَالْهَجَانُ : الْكَرِيمَةُ . وَيُقَالُ :
 نَاقَةٌ هِجَانٌ وَنُوقٌ هِجَانٌ . وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي وَقْعِهِ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ عَلَى صُورَةٍ ^(١) .
 وقوله « تَمَتَّنَ بِالصَّوَى » فَالصَّوَى : الْأَعْلَامُ وَالْحِجَارَةُ . أَى رَعَتْ الْحَزْنَ
 وَالسَّهْلَ . وَمَعْنَى تَمَتَّنَ ، أَى أَقْنَنَ بِهَا وَيَقِينُ حَتَّى اسْتَمْتَعَنَ . وَيُقَالُ : تَمَتَّعَ
 الْمَاءُ الشَّجَرَةَ ، إِذَا أَنْشَأَهَا . وَنَحْلَةً مَاتَعَةً ، أَى طَوِيلَةً .

ويروى :

..... مِنْ سَمِيَّةٍ تَدَارَكَ فِيهَا نَى عَامِينَ وَالْعَرَى
 وَالنَّيْ ^(٢) : الشَّحْمُ . وَالْعَرَى : حَبْسُ الْإِبِلِ فِي الرِّغَى ^(٣) ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمَاءُ الَّذِي
 قَدْ طَالَ إِنْقَاعُهُ فِي مَوْضِعٍ : الْعَرَى . وَيُرْوَى : « وَالصَّوَى » ، وَهُوَ الْإِحْسَانُ
 إِلَيْهَا وَالْإِبْقَاءُ عَلَيْهَا .

وقوله « فَأَوْمَاتُ إِيْمَاءٍ خَفِيًّا لِحَبِيرٍ » لِحَبِيرٍ : اسْمُ ابْنِهِ ، وَإِنَّمَا رَسَمَ لَهُ

(١) انظر ما سبق فى ص ٩٤ .

(٢) النى ، بفتح النون وكسرهما ، وضبط فى النسختين بالفتح ، وهما لفتان فيه .

(٣) الرعى ، بالكسر : الكَلَا والمرعى . وفى ل : « المرعى » .

عَرَفْتَهَا فِي السَّرِّ بَعْدَ أَنْ اخْتَارَهَا مَخَافَةً أَنْ يَمْتَنِعَ صَاحِبُهَا عَمَّا مُمْ بِهِ فِيهَا . وَقَوْلُهُ « عَيْنَا حَبْتَرٌ » اعْتِرَاضٌ . وَانْتَصَبَ « أَيْمًا فَتَى » عَلَى الْحَالِ ، كَأَنَّهُ اتَّخَذَهُ حِينَ حَسُنَتْ فُطْنَتُهُ وَتَسَرَّعَ إِلَى مُرَادِهِ . وَيُقَالُ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلٍ ، فَتَجَمَّلَهُ صِفَةً لِلتَّكْرَةِ ؛ وَبَزِيدٌ أَيْ رَجُلٌ ، فَيَصِيرُ حَالًا الْمَعْرِفَةِ . وَعَلَّقَ الْمَدَحَ بِعَيْنِيهِ ، لِأَنَّهُ بِهِمَا أَدْرَكَ إِيمَاءَهُ . وَإِذَا عَظَّمُوا الشَّيْءَ نَسَبُوا إِلَيْكَ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ .

وَقَوْلُهُ « أَصْبَحَ بِأَيْبَسِ سَاقِيهَا » الْأَيْبَسُ : مَا قَلَّ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنَ السَّاقِ وَغَيْرِهَا . وَالسَّيْفُ أَعْمَلُ فِيهِ . وَقَوْلُهُ « فَإِنْ يُجَبِّرَ الْعُرْقُوبُ » الْعُرْقُوبُ : عَقَبٌ مُؤْتَرٌّ خَلْفَ الْكَعْبَيْنِ فَوْقَ الْعَقَبِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهُوَ مُوَصَّلُ الْوُظُفِ وَالسَّاقِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ . وَالْمَعْنَى : أَصِْبْ سَاقِيهَا فَإِنَّ الْعُرْقُوبَ إِنْ أَمَكَّنَ التَّلَافِي مِنْهُ بِالْجَبْرِ وَالْعِلَاجِ وَالشَّدِّ ، فَإِنْ نَسَاهُ لَا يَنْقَطِعُ الدَّمُ مِنْهُ ، فَصَاحِبُهَا يَنْتَسُ مِنْهَا عِنْدَ ذَلِكَ . وَالْمَعْنَى : اضْرِبْهَا ضَرْبَةً لَيْسَ فِي الْبَرِّ مِنْهَا مَطْمَعٌ ، لِيَرْضَى صَاحِبُهَا بِالْتَّمَوِيزِ مِنْهَا ، وَبِاسْتِقَامَةِ أَمْرِ الضَّيْفِ وَالضِّيَافَةِ ، وَإِنْ لَحَقْنَا غُرْمَ فِيهَا .

٩ - فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْتَرٍ إِنْ حَبْتَرًا مَضَى غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصَلِّهِ انْتَضَى

١٠ - كَأَنَّ وَقَدْ أَشْبَقْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا جَاءَتْ غِطَاءَ عَنْ فَوَادِي فَانْجَلَى

١١ - فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هَزَقٍ لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَالٌ وَمُضْطَلَى

قَوْلُهُ « غَيْرَ مَنْكُوبٍ » أَيْ غَيْرَ مَدْفُوعٍ فِي صَدْرِهِ . وَيُقَالُ : حَافَرْتُ مَنْكُوبًا وَنَكِيبًا ، إِذَا أَثَرُ فِيهِ مَا يَطْوُهُ مِنْ حَصَى أَوْ حَجَرٍ . وَقَوْلُهُ « وَمُنْصَلِّهِ انْتَضَى » أَيْ جَرَّدَ سَيْفَهُ . وَانْتَصَبَ مُنْصَلِّهِ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ . وَقَوْلُهُ « جَاءَتْ غِطَاءَ » ، يَقُولُ : كُنْتُ مُهْتَمًّا قَلْقًا ، فَلَمَّا شَبِعُوا مِمَّا أَعْدَدْتُ لَهُمْ وَتَحَلَّتْ مِنْ أَجْلِهِمْ سَكَنَتْ فَكَأَنَّهُ كَانَ عَلَى قَلْبِي غِطَاءٌ مِنَ النِّعَمِ رَانَ عَلَيْهِ ، فَانْجَلَى وَذَهَبَ .

وَقَوْلُهُ « فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا » خَبَرَ بِتْنَا قَوْلَهُ « لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَالٌ » ،

وشوآ ارتفع بالابتداء . يريد : بِنْتَنَا لَنَا قَبْلَ مَا أودع القِدْرَ شوآ واصطلا .
بالتار ، كأنه طال عليهم انتظار القِدْر ، فعَمِدَ إلى أطايب الجزور وشوآ .
وقوله « ذاتِ هِزَّةٍ » خبر بانت قدرنا ، أى لها هزيرٌ بالقلبان . ويجوز أن
يريد : لِقَدْرِ اللَّحْمِ فيها اهتزازٌ واضطراب ، كما قال :

• قُرْشِيَّةٌ يَهْتَزُّ موكبها •

وهذا الذى اقتصه من حاله وحالمه ، بيانُ اهتمامه بأمر الضيف وحسن
النأى فى تفقده .

١٢ - وَأَصْبَحَ رَاعِيْنَا بُرَيْمَةً عِنْدَنَا يَسْتَيْنَ أَنْقَتَهَا الْأَخِلَّةُ وَاتْلَلَا
١٣ - فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْهَا ثَنِيَّةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحَيَا
يقول : أَصْبَحْنَا وَرَاعِيْنَا بُرَيْمَةً رَدَّ إِلَيْنَا مِنْ مَرَعَاهَا ، وَهِيَ سَتُونٌ قَدْ أَنْقَتَهَا
— أى جعل لها نَقِيًّا — الْأَخِلَّةُ ، وَهِيَ جَمْعُ خِلَالٍ ، وَهِيَ مَا اخْتَلَّ وَاجْتَزَّ مِنْ
الْعُشْبِ وَهُوَ أَخْضَرُ . وَاتْلَلَا : الرُّطْبُ . وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَعَانِي : لَا يُقَالُ
أَنْقَتِ النَّاقَةُ ، إِذْ سَمِنَتْ ؛ وَلَكِنْ لَمَّا سَمِنَ مِنَ الْحَشِيشِ ، وَكَانَ الْحَشِيشُ وَاتْلَلَا
سَبَبٌ يَمْتَنَّا جَعَلَ الْفِعْلُ لَهَا عَلَى سَمَةِ الْكَلَامِ ، وَالْأَصْلُ أَنْقَتَ هِيَ . قَالَ :
لَا يَشْتَكِيَنَّ الْمَا مَا أَنْقَيْنَ مَا دَامَ مُخٌّ فِي سُلاَمَى أَوْ عَيْنٍ^(١)

وقال غيره : يجوز أن يكون أنقى ها هنا مُعَدَّى ، ويكون على غير
ما فسرتموه ، وهو أنه يقال : أنقيته فأنقى ، كما يقال : أمأنت الدرهم فأمأنت
هى^(٢) . والمعنى سَمِنَتْهُ وَجَعَلَتْ لَهُ نَقِيًّا فَسَمِنَ واحتمل .

قال البرقي : الرواية الصحيحة عندي : « أَبَقَتْهَا الْأَخِلَّةُ » ، أى أَبَقَتْهَا عَلَى
الْبَرْدِ وَالْجَذْبِ ، لِأَنَّا كُنَّا نَهَا وَخَلِيفًا لَهَا . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « الْأَجَلَّةُ » بِالْجِيمِ .

(١) الرجز لأبي ميمون النضر بن سلمة ، كما فى اللسان (نى) . وانظر مقاييس اللغة
(١ : ٢٠٦) .

(٢) أى صارت مائة .

قال : ويقال : جُلٌّ وجِلَالٌ وأَجِلَّةٌ ، أى لم نَدَعُها ولم نُهَيِّئها ، بل أَلْبَسناها وتَفَقَّدناها .

وقوله « وقلتُ لربِّ الباب خُذْها ثَنِيَّةً » ، أى حَكَمْتُ صاحبَ الدبِّ التى عَقَرْتُها فى أن يختار من إبلى ثَنِيَّةً على ما يشتهيه ، وتصطفيه عينه وتنفقيه . وقلتُ مُضِيقاً إلى المَوْضِ الواجب له : لك علينا نَابٌ مثل نَابِكَ فى السَّمَنِ . والحيا من باب ما سُمِّيَ باسم غيره إذ كان منه بسبب . قالهيا : للمطر ، لأنه يُحْيِي العباد والبلاد ، ثم يَسْمَى النَّبْتُ حَيًّا لأنه بالمطر يكون ، ويُسَمَّى الشَّجَرُ حَيًّا لأنه عن النَّبْتِ يكون . وهذا البابُ كثيرٌ واسع ^(١) .

٦٣٨

فقال فى [ذلك ^(٢)] خَنَزَرُ بن أقرم ^(٣) :

- ١ - بَنِي قَطَنِ ما بَالُ نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ نَعْمَشُونَ منها وفى مُلْقَى قَتُودُها
 - ٢ - غَدَا ضَيْفِكُمْ يَمْشِي وَنَاقَةُ رَحِلِهِ عَلَى طُنْبِ النَّقَمَاءِ مُلْقَى قَدِيدُها
 - ٣ - وَبَاتِ الْكِلابِيُّ الْقَدَى يَبْتَغِي الْقَرَى بَلِيلَةَ نَحْسٍ غَابَ عَنْهَا سُعُودُها
- أخذ يسألهم عما غيَّروا به تهكمًا [وسُخْرِيَّةً ^(٤)] . ومعنى الكلام الإنكار . يقول : لِمَ تَنَعَشُونَ من نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ ؟ وكيف استَجَزْتُم ذلك حتى صارت قد

(١) التكملة من ل والتبريزن ، وهذا نص على علاقة هذه الأبيات بسابقتها .

(٢) قال التبريزي فى آخر شرحه لهذه القصيدة : « وليس هذا من ألجوز فى شيء ، وإنما أوردته أبو تمام لما يتبعه من قصيدة خنزِر بن أقرم » .

(٣) كذا فى نسخة الأصل . وفى ل والتبريزي « أقرم » [وأشير فى ل إلى أنه فى نسخة « أقرم » . وخنزر ، قال التبريزي : « واسمه الحلال ، وهو أحد بنى بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نعيم . والراعى من بنى قطن بن ربيعة » ، فهما بنو عمومة . وقد سبقت ترجمة الراعى فى الحماسية ٨٠ ص ٢٧٥ .

(٤) التكملة من ل .

أَلَيْقَى قَتُودُهَا وَهِيَ مَطْبُوخَةٌ مَا كَوَلَتْ؟ وَالْقَتُودُ لَا وَاحِدَ لَهَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا
الْبَصَرِيِّينَ. ثُمَّ قَالَ مَقْبَحًا لِلصُّورَةِ: ابْتَكَرْ ضَيْفَكُمْ يَمْشِي وَرِاحَلَتُهُ قَدْ نُحِرَتْ
وَقُدِّدَتْ لِحُومُهَا، وَتُسَمَّتْ عَلَى طُنُبِ الْفَقَاءِ. وَهَذَا تَفْطِيعٌ لِلشَّانِ. وَالطُّنُبُ:
حَبْلٌ مِنْ حَبَالِ الْخِيَمَةِ. وَالْفَقَاءُ يَعْنِي بِهَا امْرَأَةُ الرَّاعِي، لِقَبْلِهَا بِذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ «وَنَاقَةُ رَحْلِهِ»، رَوَاهَا الْمَفْضَلُ: «وَنَاقَةُ رِجْلِهِ» كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ
غَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي، قَالَ: وَنَاقَةُ رِجْلِهِ، يَرِيدُ النَّاقَةَ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ رِجْلَهُ.
وَمَنْ رَوَى: «وَنَاقَةُ رَحْلِهِ» لَهُ أَنْ يَقُولَ: كَمَا قَالَ (١): وَهِيَ مُلْتَقَى قَتُودُهَا، قَالَ:
وَنَاقَةُ رَحْلِهِ، أَيْ الرَّحْلُ الْمُلْتَقَى.

وَقَوْلُهُ: «وَبَاتَ الْإِسْكَالَابِيُّ» يَعْنِي بِهِ بَاتَ الْمُسْتَضِيفُ الطَّالِبُ لِلْفِرَى عِنْدَكُمْ
بِأَيْلَةٍ شَوْمٍ قَدْ فَازَ قَهْمَا السُّعُودِ، لِأَنَّكُمْ غَضِبْتُمْ نَاقَتَهُ، وَلَمْ يَنْتَلِ الْفِرَى عِنْدَكُمْ.

٤- أَمِنْ يَنْقُصُ الْأَضْيَافُ أَكْرَمُ عَادَةٍ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا

٥- كَأَنَّكُمْ إِذْ قُتِمْتُمْ تَنْجَرُونَهَا بَرَازِينَ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا

٦- فَمَا فَتَحَ الْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءَةٍ بَنِي قَطَانَ إِلَّا وَأَنْتُمْ تُهْـوِدُهَا

يَقَرَّرُ عَلَى تَقْبِيحِ مَا كَانَ مِنْهُمْ، فَيَقُولُ: خَبِّرُونِي أَيْ الْعَادَتَيْنِ أَقْرَبُ إِلَى

الْكَرَمِ، وَآخَرَى (٢) فِي وَفَاءِ الشَّيْمِ: أَعَادَةُ مَنْ يَسْتَنْزِلُ الْأَضْيَافَ عَنْ أُمُومِهِمْ

وَيَنْقُصُ مَا تَوَفَّرَ لَهُمْ، أَمْ عَادَةُ مَنْ يَزِيدُهُمْ وَيُسَمِّرُ حَظْوَهُمْ.

وَقَوْلُهُ «عَادَةٍ» انْتَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ. وَإِذَا نَزَلَ ظَرْفٌ لِقَوْلِهِ «أَمِنْ يَنْقُصُ

الْأَضْيَافَ». وَكَرَّرَ لَفْظَ الْأَضْيَافِ وَلَمْ يَأْتِ بِالضَّمِيرِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَكَرُّرِ

الْأَعْلَامِ وَالْأَجْنَسِ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ.

وَقَوْلُهُ «كَأَنَّكُمْ إِذْ قُتِمْتُمْ تَنْجَرُونَهَا بَرَازِينَ» شَبَّهَهُمْ فِي الْعَجْزِ وَالثَّقَلِ وَقِلَّةِ

(١) ل: «لَمَّا قَالَ».

(٢) هَذَا مَا فِي ل. وَفِي الْأَصْلِ: «أَجْرَى» بِالْجِيمِ.

الفناء ، والتباطؤ والبلادة ، بالبراذين ، وهم يضربونها مثلاً للذموم . وجعلها شُدَّتْ الأبودُ عليها تقيحاً لصورها .

وقوله : « فما فَتَحَ الأقوام من بابِ سَوَاءٍ » ، يريد : لا يسبقُ طوائفُ الناس وفِرَقُهُم إلى خَصْلَةٍ مذمومة أو سَوَاءٍ مشوهة منكرة إلا وبنو قُطْنٍ حضُورُها ؛ أى لا يمكن الإغراب في المخازى عليهم ، لأنهم السابقون في البِدَارِ إلى كلِّ عار ، والأوّلون عند الولوج في كل باب ، والحاضرون لكل مُنْكَرٍ وعاب .

٦٣٩

فأجابه الراعي (١) :

- ١- ماذا ذكّرتم من قُلُوصِ عَقَرَتِهَا بِسَيِّفِي وَضِيْفَانِ الشِّتَاءِ شُهُودُهَا (٢)
 - ٢- فقد عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا فَرَّاحٌ عَلَى عَنَسٍ بِأُخْرَى يَقُودُهَا
 - ٣- قَرَّبْتُ الْكِلَابِي الَّذِي يَبْتَغِي الْقَرَى وَأَمَّكَ إِذْ تَخْدِي إِلَيْنَا قَعُودُهَا (٣)
- الرواية الجيدة : « ماذا نكّرتم » . ويقال : نَكِرْتُ الشَّيْءَ وأنكرته واستنكرته بمعنى . فأما « ذكرتم » فراده ماذا عيّرتم فذكّرتم من ناقةٍ لغيري عقرتها حين عَزَبْتُ إِبِلِي لَضِيْفَانِ الشِّتَاءِ بِحَضْرَتِهِمْ ، وبمَرَأَى مِنْهُمْ . وقد جرى رسمُ الْكِرَامِ بمثل ذلك إِذَا دَعَتِ الْحَالُ إِلَيْهِ ، موْطِنِينَ أَنْفُسَهُمْ لِلْفَرَامَةِ ، وَرَدَّ الْاِثْنَيْنِ بَدَلَ الْوَاحِدِ عَلَى اتِّخَاصِهِ فِيهِ .

وقوله « فقد علموا » يستشهد بالضيفان فيقول : حضروا وتيقنوا أَنِّي وَفَيْتُ

(١) سبقت ترجمة في الحماسة ٨٠ ص ٢٧٥ .

(٢) التبريزي : « ويرى : من كزوم عقرتها » . والكزوم : الناقة المسنة التي مشقرها الأعلى أطول من الأسفل .

(٣) التبريزي : « يهدي إلينا » .

لربها بمثلها وزدته أخرى، فراح راكباً إحداها وقائداً الأخرى معها. ثم اقتصد ما دعاه إليه فقال: قَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الْمُبْتَغَى لِلْقِرَى وَقَرَيْتُ أُمَّكَ، بمعنى أُمَّ خَنْزَرِ بْنِ أَرَمٍ^(١) لِلْمَيْزِ الْمُسْكِرِ. وَالْخَذَى: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ. وَالْقَمُودُ: الْبَكْرُ إِذَا بَلَغَ الْإِنْدَاءَ؛ وَالَّذِي يَقْتَعِدُهُ الرَّاعِي فَيَرْكُبُهُ وَيَحْمِلُ زَادَهُ عَلَيْهِ قَمُودٌ أَيْضاً. وَفِي ذِكْرِ الْأُمِّ وَأَنَّهُ أَضَافَهَا مَعَ الْكِلَابِيِّ بَعْضُ الْفَضْلِ وَالْإِيهَامِ.

٤- رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تُثَقِّبُ لِلْقِرَى وَلِقِحَّةَ أَضْيَافٍ طَوِيلًا رُكُودَهَا
٥- إِذَا أُخْلِيَتْ عُودُ الْهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ جَوَانِبُهَا حَتَّى نَبَيْتَ نَدُودَهَا
٦- إِذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسْبَتُهَا نَعَامَةٌ حِزْبَاءَ تَقَاصَرَ حَيْدُهَا
ويروى: «رفعنا لها مشبوبة يهتدى بها». ومعنى «تثقيب» تذكى وتضاء.
وقيل: للكوكب الثاقب والحسب الثاقب، للضوء والتلاؤ. ومعنى «للقرى»
الإقامة القرى، و«اللقحة» يراد به القدر ها هنا، وأصله في الناقة الخلوب.
وجعل ركودها طويلاً لثقلها وكبرها، ولأنها لا تنزل^(٢) إلا للفصل ثم تعود
والجفنة الركون: الثقل المثلثة.

وقوله «إِذَا أُخْلِيَتْ» أى جُعِلَ الحطب لها بمنزلة الولد، فهو لها كالولد،
وهى له كالناقة الخلية^(٣)، وهى التى تمط على ولدها وترأمة. والهشيمة:
اليابس من الشجر وغيره. وَأَرْزَمَتْ: صَاحَتْ بِفَلْيَانِهَا، لِكِبَرِهَا، حَتَّى نَبَيْتَ
نُسْكَنَّ مِنْهَا. وَإِذَا نُصِبَتْ عَلَى الْأَثَافِي لَزُورِ اللَّيْلِ - بمعنى الأضياف -
حَسْبَتُهَا لِإِشْرَافِهَا نَعَامَةً حِزْبَاءَ^(٤). الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ الْمَرْتَفَعَةُ: شَبَّهَ الْقَدِيرُ

(١) ل: «أرم» ، وقد سبق التنبيه .

(٢) فى الأصل : « تترك » ، صوابه فى ل .

(٣) التبريزى : « إذا أُخْلِيَتْ ، أى جعل الحطب لها بمنزلة الخلا للناقة فأوقد تحبها .

ويروى : إذا خلّيت ، أى جعل الحطب لها بمنزلة الولد ، فهو لها كالولد وهى له كالناقة الخلية .

(٤) هى جمع حزباء .

بالنعماء ، لأنها تُكثِرُ رَفْعَ رَأْسِهَا وَوَضْعَهُ ، لِحُبْنِهَا وَنُفُورِهَا ، فَكَذَلِكَ الْقِدْرُ تَرْفَعُ الْحَالَ وَتَخْفِضُهَا ، لِشِدَّةِ غَلِيَانِهَا . وَقَالَ « تَقَاصَرَ جِيدُهَا » لِتَبَيَّنَ وَجْهُ النَّشِيْبِ مِنْهُ وَيَصْحَحَ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخِرِ ^(١) :

* غَضُوبٌ كَحَبْزِومِ النَّعَامَةِ أَحْمَشَتْ ^(٢) *

٧ - تَبَيَّتُ الْحَالَ الْغُرُّ فِي حَجَرَاتِهَا شَكَارَى مَرَاها مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا

٨ - بَمَثْنَا إِلَيْهَا الْمُنْزِلَيْنِ فَحَاوَلَا لَكِنِّي يُنْزِلَاهَا وَهِيَ حَامِرٌ حَيُودُهَا

٩ - فَبَاتَتْ تَمُدُّ لِلنَّجْمِ فِي مُسْتَحْيِرَةٍ سَرِيعَ بَأْيِدِي الْآكِلِينَ جُودُهَا ^(٣)

الْحَالَ : فِقرُ الظَّهْرِ ، وَالوَاحِدَةُ مَحَالَّةٌ . وَجَعَلَهَا غُرًّا لِسِمْنِهَا . وَالْحَجَرَاتُ : التَّوَاحِي ، وَجَعَلَهَا شَكَارَى لِامْتِلَائِهَا وَدَكَاً . وَيُقَالُ : شَاءَ شَكْرَةً ، إِذَا كَانَتْ غَزِيرَةً اللَّحْمِ ، وَضَرَّةً شَكَرَى ، أَيْ مَمْلُوءَةً . وَشُكْرُ النِّعَمِ مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ بِهِ تُسْتَدَامُ وَتُتَمَتَّى الزُّيَادَةُ ^(٤) . وَيُرْوَى : « سَكَارَى » بِالسِّينِ غَيْرِ مَعْجَمَةٍ ، وَالْمُرَادُ مِثْلُ ذَلِكَ لِأَنَّ الشُّكْرَ مِنَ الْامْتِلَاءِ يَكُونُ . وَمَعْنَى مَرَاها اسْتَخْرَجَ دَسَمَهَا . مَاؤُهَا ، أَيْ مَرَقَتُهَا . وَحَدِيدُهَا أَيْ مِفْرَقَتُهَا .

وقوله « بَمَثْنَا إِلَيْهَا الْمُنْزِلَيْنِ » إِنَّمَا تَنَبَّأَ لِيُرَى أَنَّ الْوَاحِدَ لَا يُطَبِّقُهَا وَلَا يَنْهَضُ بِتَحْرِيكِهَا لِيَقْلِبَهَا . وَالْإِلَامُ مِنْ قَوْلِهِ « لَكِنِّي يُنْزِلَاهَا » يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ بَمَثْنَا ،

(١) هُوَ الْفَرَزْدَقُ ، كَمَا فِي الْحَيَوَانَ (٤ : ٣٣٢) وَمَا سَبَقَ فِي الْحَمَاسِيَةِ ٧٥٣ .

(٢) عَجْزَةٌ : • بِأَجْدَالِ خَشَبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا •

(٣) بَعْدَهُ عَنْهُ التَّبْرِيْزِيُّ :

فَلَمَّا سَقَيْنَا الْعَكِيسَ نَمَلَّاتٍ مَذَاخِرُهَا وَارْفَضَ رَشْحًا وَرِيدُهَا

وَلَمَّا قَضَتْ مِنْ ذِي الْإِنَاءِ لُبَانَةً أَرَادَتْ إِلَيْهَا حَاجَةً لَا تَرِيدُهَا

وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا مَنسُوبٌ فِي اللَّسَانِ (عَكْسٌ) إِلَى أَبِي مَنْظُورِ الْأَسَدِيِّ . وَالْعَكِيسُ : الْحَلِيبُ تَحْسِبُ عَلَيْهِ الْإِهَالَةَ وَالْمَرْقُ ثُمَّ يَشْرَبُ .

(٤) ابْنُ جَنَى فِي التَّنْبِيْهِ : • وَالشُّكْرُ مَوْضِعُ زِيَادَةِ اللَّفْظِ الْإِطْنَابُ فِي حَسَنِ الْقَوْلِ ..

وَمِنْهُ الشُّكْرُ لِمَنْزَارِ الْوَرَقِ وَالرِّيشِ ، وَفَكَأَنَّ زِيَادَةَ عَلَى الْجَسْمِ .

كَأَنَّهُ قَالَ : بَعَثْنَا الْمُنْزِلَيْنِ إِلَيْهَا لِكَيْ يُنْزِلَاهَا خُجُولًا ، وَحَذَفَ مَفْعُولَ حَاوَلَ .
وَكُنِيَ هَذِهِ هِيَ النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ ، لِذَلِكَ دَخَلَهَا اللَّامُ الْجَارَةُ . وَالْحَاوَلَةُ : مَطَالِبَةُ الْأَمْرِ
بِالْحَيْلِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِحَاوَلًا . وَالْحَيُودُ : الْجَوَانِبُ ، أَيْ إِذَا أَرَادَ إِنْزَالُهَا
وَفِي جَوَانِبِهَا بَعْدُ حَتَّى ، اسْتِمْجَالًا .

وقوله : « فَبَاتَتْ تَعْدُ النُّجُومَ » إخبار عن أم خنزر بن أفرم^(١) . والمستحيرة :
المتحيرة لامقلتها . أَيْ فِي مَرَقَةٍ أَوْ قِدْرِ قَدْ تَحْمِرَتْ ، فَهِيَ مِنْ صَفَاتِهَا وَكَثْرَةِ
دَسَمِهَا تَرَى فِيهَا نُجُومَ السَّمَاءِ . وَقِيلَ : شَبَّ الرَّاعِي النَّفَّاحَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى
رَأْسِهَا مِنْ كَثَرَةِ الدَّسَمِ بِالنُّجُومِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّ هَذِهِ الْقِدْرَ مَرْتَفَعَةٌ
الشَّانَ ، عَالِيَةُ الْأَمْرِ ، فَأَنَّهَا كَانَتْ تَعْدُ النُّجُومَ فِيهَا لَمَّا أُطْعِمَتْ مِنْهَا كَأَنَّهُا بَلَفَتْ
النُّجُومَ فِي عُلُوِّهَا ، لِأَنَّهَا لَمْ تَرَ مِثْلَهَا قَطُّ^(٢) . وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ عِنْدِي ، أَيْ كَوْنُ قَدْ
غَضِبَ مِنْ أُمَّه جَزَاءً عَلَى مَا قَالَهُ وَأَنْكَرَهُ . وَقَوْلُهُ « حَيُودُهَا » ارْتَفَعَ بِحَامٍ ،
وَكَذَلِكَ « جُودُهَا » ارْتَفَعَ بِسَرِيعٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرُودَ : « سَرِيعٌ » بِالرَّفْعِ عَلَى
أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لِمَبْتَدَأٍ وَقَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَلِمَبْتَدَأٍ جُودُهَا .

٦٤٠

وقال رجلٌ من بني أسد :

- ١ - دَبَبَتْ الْمَجْدُ وَالسَّاعُونَ قَدْ يَلْفُوا جَهْدَ النَّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ الْأَزْرَا
- ٢ - فَكَابَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَأَ كَثْرَتُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدُ مَنْ أَوْقَى وَمَنْ صَحِيحًا

(١) فِي هَذِهِ اتَّفَقَتِ اللَّسَخَتَانِ . وَانْظُرِ الْحَاشِيَةَ الْأُولَى لِهَذِهِ الْحَمَاسِيَةِ .

(٢) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَمْرِيُّ : « لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النُّجُومُ هُنَا إِلَّا الثَّرِيَا ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي الْبَيْتِ
خَبِيثَةً لَمْ يَخْرِجْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي الْفَرَى - وَذَلِكَ أَنَّ الثَّرِيَا لَا تَكَادُ تَرَى فِي قَمَرِ الْجَفْنَةِ
وغيرها من الأواني إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَمَرُ الرَّأْسِ ، وَلَا يَكُونُ قَمَرُ الرَّأْسِ إِلَّا فِي صَمِيمِ الشَّتَاءِ ، وَيُقَالُ
حِينَئِذٍ : أَقْمَرُ النُّجُومِ ... وَقَوْلُهُ تَعْدُ النُّجُومَ . أَيْ لَصَفَاءِ الْوَدَكِ فِي الْجَفْنَةِ تَعْرِفُ عِدَدَ الثَّرِيَا فِيهَا .
وَهَذَا مَعْنَى مَلِيحٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ نَجُومَ الثَّرِيَا لَا تَكَادُ يَمُدُّهَا إِلَّا ذُو بَصَرٍ حَدِيدٍ ، وَلِلذَلِكَ يَقُولُ الْقَائِلُ :
إِذَا مَا الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ يَرَاهَا حَدِيدُ الْعَيْنِ سَبْعَةَ أَنْجُمٍ » .

٣- لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْقَى الصَّبْرَ يقول: تباطأ سعيك للمجد، ولما سعت كان سعيك ديباً وطلاّب المجد قد جهدوا أنفسهم، وألقوا الأزرّ دونه، تخفيفاً عن أنفسهم، وتشهيراً في طلبهم وهذا مثل. والمراد أن ما يفعله الساعي في سعيه إذا طلب شيئاً من التجرد والتخفف ليذكر مطلوبه [قد فعلوه^(١)]. ثم أخذ يفصل مجهودهم من بعد، فقال: كابرُوا المجد، أي جاهدوه ليبلغوه قسراً لا ختلاً، فمن صبر وأوفى ناله واحتواه ظافراً به، معانقاً له، ومن ملّ وقصر - وهم الأكثر - خاب وأخفق ورجع نادماً لا هياً عنه.

وقوله « لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ » تفریع، والمراد: لا تظنّ المجد يُدرك بالسمي القصير، واستعمال التعذير، وعلى ملازمة الراحة دون توطين النفس على الكد الشديد والمجاهدة؛ فإنه لن يُنال إلا بتجرع المرارات دونه، واقتحام المعاطب بسببه. ويقال: لعنت الصبر لفتاً. واسم ما يُلحق هو اللعوق.

٦٤١

وقال آخر:

- ١- وَمُسْتَمَجِلٌ بِالْحَرْبِ وَالسُّلْمِ حَظَّهُ تَلَمَّا اسْتَدْبِرْتَ كُلَّ عَنْهَا مُحَافِرُهُ
 - ٢- وَحَارِبٌ فِيهَا بَارِئٌ حِينَ تَمَرَّتْ مِنْ الْقَوْمِ مِفْجَازٍ لَتِيمٍ مَكَايِرُهُ
 - ٣- فَأَعْطَى الَّذِي يُعْطَى الدَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَنَى صِدْقٍ قَدَمَتُهُ أَكَايِرُهُ
- يقال: استمجل بالشئ، إذا طلب مجلته ولم يصبر إلى وقته وإناءه. فيقول: ربّ امرئ يُمجلك في هتيج الحرب له، ونصب الشر بينك وبينه، فقراه يرتقي في الإيذاء والمكاشفة إلى أعلى درجات القصد، وحظه في أن يسالم،

(١) التكلة من ل.

لكنه بسوء تآتیه ونقص اختياره، أبى لنفسه إلا تعريضها لما يستوخم عاقبته، ويتمجّل شره، فلما هُيجت الحرب له وأُجيب في إثارتها، وإيقاد نائرتها، إلى مراده منها، عجز فيها عن الإبقاء والاستيفاء، وكلّ عن مباشرة الورد والصدر، واستعان فيها برجلٍ رَكَّابٍ لرواحل العجز، لثيم المكسر والخنبر، ضيق العطن والمبرك، ويعنى به نفسه، وهذا كما يقال: لقيتني لقيت بي قرناً باسلاً. ويعنى بالقرن نفسه. وقوله «حين شمّرت» يريد حين كشفت الحرب عن ساقها، وأبدت أعجازها وهوادبها، ففعل فعل الذليل، وأعطى من الاتقياد ما يُعطيه الضعيف الفريد، ولم يكن سغيه سعيًا مصدوقًا فيه، ولا وقوفه وإسأكه إمساكًا يُمذّر له، فتراه عند الأمائل من جملة الأراذل، وعند طلاب الخيز مفتحة في الشر. ومعنى «قدمته أكابره» أسلافه وأمائل قومه.

٦٤٢

وقال إسماعيل بن عمار^(١):

١- بَكَتْ دَارُ بَشْرِ شَجْوَهَا إِذْ تَبَدَّلَتْ هَلالَ بَنٍ مَرْزُوقٍ بِبِشْرِ بَنٍ غَالِبٍ

٢- وَهَلْ مِثْلُ مِثْلٍ عَرَسٍ تَحَوَّلَتْ عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ فِي مُحَارِبٍ^(٢)

«شجّوها» انتصب على أنه مفعول له، والشاعر يفضل بشرًا على هلال، ويقول: إن الدار التي كان يستوطنها بشرٌ لسا ارتحل عنها وصار فيها بدلًا منه هلالٌ بكت وتعمّست، وحُقّ لها ذلك، فاهى في استبدالها إلا كمروسٍ زوّجت

(١) التبريزي: «إسماعيل بن عمار الأسدي» ثم قال: «قال دعبل بن علي: «في أوليد بن كعب قالها لما مات بشر بن غالب واشترى داره هلال بن مرزوق».

وإسماعيل بن عمار الأسدي: شاعر مهمل مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية. وأخباره في الأغاني (١٠: ١٢٨ - ١٣٥).

(٢) التبريزي: «مثل عرس تبدلت».

في هاشم ، ثم انتقلت إلى محارب . ومُحاربُ قبيلة فيها ضَمَّةٌ وخول ، حتى قال
بعض الشعراء وهو يخلف :

* فَصَيَّرَنِي رَبِّي إِذَا مِنْ مُحَارِبٍ *

٦٤٣

وقالت امرأة قُتِلَ زوجها^(١) :

- ١ - مَتَى تَرِدُوا عُكَاظَ ثَوَاقِفُوهَا بِأَسْمَاجٍ تَجَادِعُهَا قِصَارُ
 - ٢ - أَجِيرَانِ ابْنِ مَيَّةَ خَبَّرُونِي أَعَيْنَ لَابِنِ مَيَّةَ أَمْ ضِمَارُ
 - ٣ - تَجَلَّلَ خَزِيئَهَا عَوْفُ بْنُ كَغْبٍ فَلَيْسَ لَخَلْفِهَا مِنْهُ اعْتِدَارُ
 - ٤ - فَإِنَّكُمْ وَمَا تُخْفُونَ مِنْهَا كَذَاتِ الشَّيْبِ لَيْسَ لَهَا خِارُ
- عُكَاظ : وادٍ للعرب فيه سوقٌ لم يجتمع فيها طوائفُ الناس من [جميع^(٢)]
الأحياء ، فيتعارفون فيها ويتعلّقون بالأخبار بعد التذاكر بها والتنسّم لها ، وبينهم
المواعِدات والمفايضات ، والإحْنُ والترات ، والمناقراتُ والمناقضات ، فكلُّ فرقةٍ
تتجملُ للأخرى^(٣) وتودُّ أن تسمع فيها ما ليس عندها من حسنٍ وقبيح ، وعمود

(١) التبريزي : « قتل زوجها في جوار الزبرقان فلم يطلب بثاره ... وخبر هذه الأبيات
أن رجلاً من عبد القيس كان يقال له ابن مية ، وكان جاراً للزبرقان بن بدر ، قتله رجل من بني
عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة في جوار الزبرقان ، وكان الذي قتله يقال له هزان ، قتله
بموضع يقال له ذو شبرمان ، فحلف الزبرقان ليقتلن هزالا . وقالت امرأته هذه الأبيات . ثم
سمعت بنو سعد في القصة حتى أصلحوها وفدى ابن مية ، ثم مكثوا هنية . من الزمان وخطب هزال
إلى الزبرقان أخته خلودة فزوجه إياها ، فلما حاجاه المخبل نى ذلك عليه فقتل :

وأنكحت هزالا خلودة بعدما زعمت برأس العين أنك قاتله

وأنكحته وهوى كأن عجانها مشق إهاب أوسع السليخ فأجله

بلاها تحت الفرائش وجاركم بذي شبرمان لم تزيل مفاصله .

(٢) التكملة من ل . (٣) هذا ما في ل . وفي الأصل : « تتحمل الأخرى » .

ومذموم ، إلى غير ذلك من الأنباء السائرة ، والأوابد العائرة ^(١) ، التي يُتهدى بها ، ويُستطرف وقوعها ، ويُبلَّغُ باستماعها وأدائها . فيقول : متى وردتم عكاظ وافيتموها أذلاءً قد اكنسيتم عاراً يُخزيتكم ويُلَازِمكم ، فتصير كالمثلة عليكم ، فكان آذانكم قد استوعبَ صلتها ، عقوبة لكم بما علمتم به جاركم من إحقار وإسلام ، حين ^(٢) قُتل في جواركم ، واستُبيحَ تحرماته في ذِمَّتكم . ثم قال مستهزئاً ومعيّراً : يا جيران ابن مية ، أنبتوني أنصرتكم له عين أم صمار ، ووقاؤكم بما عقدتم له حق أم كذاب . والعين : ما يُحضر ويُشاهد ، لذلك قيل في المثل : « يدع العين وينبع الأثر » . والصمار : الغائب الذي لست منه على ثقة . قال الأحمسي :

نرانا إذا أضمركتك البلاد نُجفَى وتُفطَع منا الرحِمُ

وقوله « تجلَّل خزيها عوف بن كعب » ، يريد : ليس خزي هذه القدرة وتغطى بذمتها قبائل عوف بن كعب كلها لا أتم فحسب ، فليس لأحقابها بعدها عذر يُقبل ، ولا تنصل يُسمع .

وقوله « وإنكم وما تُخفون منها » ، يريد مثلكم في سترك أمرها ، وتقديركم لإخفاءها ، على انتشارها وذهابها في الناس ، وعلى تمشيتكم بدرتها ، واستقذار الناس لكم لو سخما ، مثل امرأة شاب رأسها ولا يخار لها فتختبر ، مع ميلها إلى أن لا يُرى شيبها . والمعنى : الأصمُ أظهر من أن يُكتم أو يُدفن .

(١) الدائرة : السائرة .

(٢) ل : « حتى » .

٦٤٤

وقال آخر :

٥- تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَدَةَ الْعَيْشِ وَانْقَتَ بِهَا كُلُّ فَجٍّ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا

٦- فَلَيْتَ قُرَيْشًا أَصْبَحَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ تَوْثُمُ بِهَا مَوْجًا مِنَ الْبَحْرِ أَكْذَرَا

هذا كلامُ رَجُلٍ قد بَجَرَهُ الْوَالِي ^(١) ، وَتَبَرَّمَ بِقُرْبَتِهِ ، وَشَقِيَ بِالتَّبَاعُدِ مِنْ أَهْلِهِ وَوُطْنِهِ ، فَيَقُولُ : تَفَرَّدَ قُرَيْشٌ بِالتَّنْمِ والتَّلَذُّذِ ، وَاسْتَأَثَرَ بِالْعَيْشِ الطَّيِّبِ وَالرَّيْثَةِ الْهَنِئَةِ ^(٢) ، وَرَمَتْ بِنَا مَرَامِي مُنْكَوَرَةٍ لَا رَاحَةَ مَعَهَا ، وَلَا طَائِلَ فِيهَا ، وَسَدَّتْ طُرُقَ الْمَفَاوِزِ الْغَيْرِ الَّتِي لَا تُسَلِّكُ وَلَا تُغْبِرُ ، يَبْنِيهَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ ، وَبَوَدَّي ^(٣) أَنْ ثَبَتَ قُرَيْشٌ عَلَى لَيْلَةٍ تُفْضِي بِهَا صَبِيحَتَهَا إِلَى أَنْ تُسَلِّمَهَا إِلَى مَوْجٍ أَكْذَرٍ ، يَجْرُفُهَا إِلَى الْبَحْرِ وَيَهْتِكُهَا . وَهَذَا مِثْلُ ، وَالْمَعْنَى : أَلَمْ تَنْتَ أَنْ تَسْلِمَهَا بِلَيْتَةٍ تُفْضِيهَا وَتُرِيحُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْهَا . وَالْكَدَرُ : نَقِيسُ الْعَفَاءِ . وَيُقَالُ : عَيْشٌ أَكْذَرُ ، وَقَدْ كَدِرَ . وَجَمَلَ الْمَوْجِ كَذَلِكَ تَهْوِيلًا ، وَتَكْثِيرًا لِمَاءِ بَحْرِهِ . وَقَوْلُهُ « ذَاتَ لَيْلَةٍ » يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا اللَّيْلَةُ الْمَطْلُوبَةُ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُكَ : فَمَلْتُ كَذَا ذَاتَ الْعِشَاءِ ، يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي فِيهَا الْعِشَاءُ . وَالْمَعْنَى : أَصْبَحَتْ مِنَّا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ قُرَيْشٌ ، أَيْ حَصَلَتْ مِنْ لَيْلَتِهَا عَلَى صَبَاحٍ هَكَذَا .

(١) تَجْمِيرُ الْجَنْدِ : أَنْ يَحْبِسَهُمْ فِي أَرْضِ الْقُدُورِ وَلَا يَقْلِبُهُمْ مِنَ الشَّعْرِ .

(٢) لُ : « وَالنَّعْمَةُ الْهَنِئَةُ » .

(٣) كَذَا ضَبَطَتْ بِالْفَتْحِ فِي النُّسخَتَيْنِ . وَالْوُدُ وَالْوُدَادُ مِثْلَانِ ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

٦٤٥

وقالت امرأة^(١) :

- ١- حَلَفْتُ وَلَمْ أَكْذِبْ وَلَا فَكُلُّ مَا مَلَكَتُ لَيْبَتِ اللَّهِ أَهْدِيهِ حَاقِيَهُ
 - ٢- لَوْ أَنَّ النَّايَا أَعْرَضَتْ لَأَقْتَحَمْتُهَا خَافَةً فِيهِ إِنْ قَاهُ لِدَاهِمِيهِ^(٢)
 - ٣- فَمَا جِيفَةُ الْخَنْزِيرِ عِنْدَ ابْنِ مُغْرِبٍ قَتَادَةَ إِلَّا رِيحُ مِسْكِ وَغَالِيَةٍ
 - ٤- فَكَيْفَ اصْطَبَارِي بِاقْتَادَةِ بَعْدَمَا شِمْتُ الَّذِي مِنْ فَيْكِ أُنْأَى صِمَاحِيَةٍ
- قولها « ولم أكذب » في موضع الحال أى حلفتُ صادقَةً في خبري ، وإلا فما أملكه لبيتِ الله — تعني لمن حول بيت الله ، فحذف المضاف — أهديه إليه بنفسى حافية لا حياءً لي . فقولها « أهديه » ، يجوز أن يكون في موضع خبر للبتدأ ، كأنها قالت : وإلا فما أملكه أهديه لبيت الله حافية ، أى في هذه الحال . ويقال : أهديتُ إلى البيتِ ولبيتِ هدياً ، إذا تقرَّبتَ فيه بقرْبان . واللام من « لبيت الله » على هذا يتعلّق بأهديه . ويجوز أن يكون لبيت الله خبر المبتدأ . وأهديه إن شئتَ كان مستأنفاً ، وإن شئتَ كان خبراً ثانياً ، وإن شئتَ كان بدلاً .
- وقولها « لو أَنَّ النَّايَا أَعْرَضَتْ » أى مكنتُ من النَّظَرِ إلى عُرْضِهَا ، أى إلى الجانب الذي نجيء منه « لاقتحمتُها » ، أى لوَقَعْتُ فيها وصرت في قُحْمَتِهَا . وانتصب « خَافَةً فِيهِ » على أَنه مفعول له .

وقولها « فاجيفة الخنزير » تُريد : ما رائحة جيفة الخنزير إلا ريحُ مِسْكِ لأنَّ الحدَث يشبّه بالحدَث ، والمعين بالعين .

(١) التبريزي : « وقالت امرأة تهجو قتادة بن مغرب البشكري ، وهو زوجها » .
وقتادة بن مغرب : شاعر من شعراء الدولة الأموية كان معاصراً لزيد الأعجم ، وكانت بينهما
مهاجاة . انظر الأغاني (١٠ : ١١٢ / ١٤ : ١٠٠ ، ١٠٣) والشعراء ٣٩٦ . ومغرب
بضم الميم وسكون النون ، ويقال بفتح الفين وكسر الراء المشددة ، كما ذكر ابن قتيبة في الشعراء .
(٢) التبريزي : « إن فيه » ، فإن صحت كان معناها إن في فيه .

وقولها « فكيف اصطباري يا قتادة » ، يريد : كيف أتكلف صبراً على مجاورتك والسكون معك . بعد ما بُليتُ به من بحرِكَ وتنتِ فمك ، الذي أفسد على آلة الشَّم والسمع . ومعنى أنأى صمّاخيه ، أى أفسده . والسمّاخ : ثقب الأذن الذي يُفِضُ إلى الرأس . وآلة الشَّم الأنفُ دون الأذن ، ولكن تريد أنه فسَدَ بمجاورته .

٦٤٦

وقال عبد الله بن أوفى الخزاعي^(١) :

- ١ - نَكَحْتُ ابْنَةَ الْمُتَنَصِّي نَكْحَةً عَلَى الْكَرْهِ ضَرَّتْ وَلَمْ تَنْفَعِ^(٢)
 - ٢ - وَلَمْ تُنْزِلْ مِنْ فَاقَةٍ مُفِيدَةً وَلَمْ تُجِدْ خَيْرًا وَلَمْ تَجْمَعْ^(٣)
 - ٣ - مُنْجَذَةً مِثْلُ كَلْبِ الْهَرَّاشِ إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ تَهْجَعْ
 - ٤ - مُفَرَّقَةً بَيْنَ جِيرَانِهَا وَمَا تَسْتَطِيعُ بَيْنَهُمْ تَقْطَعُ
 - ٥ - بِقَوْلٍ رَأَيْتُ إِمَّا لَا تَرَى وَقِيلَ سَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ
- قوله « على الكرهِ » في موضع الحال من نَكَحْتُ . وقوله « ضَرَّتْ » من صفة نَكْحَةٍ ، وكذلك ما في البيت الثاني من الجُمْل كلٌّ في موضع الصِّفَة

(١) التبريزي : « في امرأته » . ثم قال في نهاية تفسير الأبيات : « ويقع في بعض النسخ هذه الأبيات منسوبة إلى أبي الهندي ، قالها في امرأته . وأول البيت :

• نَكَحْتُ بِشَهْبِيزٍ نَكْحَةً •

وشهبينق ، ذكرت في القاموس ، ولم تذكر في اللسان ولا في معجمي البلدان ، قال في القاموس : « شهبينق : بلد » . وعبد الله بن أوفى الخزاعي لم نثر له على ترجمة . والأبيات ٣ - ٧ ، ٩ في اللسان (قد) منسوبة إلى عبد الله .

(٢) التبريزي : « المنتصى » بالصاد المهملة . و « ولم تنفع » هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « فلم تنفع » .

(٣) ولم تنن ، كذا في ل والتبريزي . وفي الأصل : « فلم تنن » .

لها . فيقول : نَكَحْتُ هذه المرأة مُكْرَهاً نَكْحَةً ضارَّةً غير نافعةٍ في شيء من الوجوه ، فما أَغْنَتْ من عُدْمِ عديما ، ولا أَنالت خيراً ، ولا جَمَعَتْ شيئاً . وحذَفَ مفعول « ولم تجمع » ، لأنَّ المراد مفهوم .

وقوله « منجدة » من الناجذ ، وهو ضِرْسُ الْحِلْمِ . واللواجز : أربعة أضراس ، وقال بعضهم : هي الضَّواحك ، محتجاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم « أنه ضحك حتى بدت نواجذه » . ويقال : نَجَذَ فلاناً الخطوبُ ، إذا أحكمته . وقال :

* وَنَجَذَنِي مَدَاوِرَ الشُّوْنِ (١) *

فيقول : إنها قد جُرِّبَتْ ومُلَّ منها ومَلَّتْ . وقوله « مثل كلب الهراش » يعني في خلقها وخلقها . ومعنى « إذا جمع الناس لم تجمع » ، يصفها بأنها تمشي بالنائم . وذلك قال الآخر (٢) :

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ حَدَجُوا قَنَافِدَ الْبَنِيْمَةِ تَمَرَعُ
لأنَّ الْقُنْفُذَ لا ينام بالليل . فيقول : هي بوشابتها تفرق بين الخلطاء ، وتُقطع الوصل والأواصر بينهم .

ولك أن تنصب « منجدة » و « مفرقة » على الحال ، ولك أن ترفعهما على الاستثناف . وقوله « وما تستطع » شرطٌ وجزاء ، وللأفعال محذوف ، فهو كقولك : ما تُطِيقُ تفعل .

فإنما قوله : يقول رأيتُ وقيل سمعتُ ، فالباء تتعلق بقوله تقطع . والمعنى أنها بُهايتُ وتكابر ، وتزِيدُ في القول وتُجاهر ، فتدعي مشاهدة ما لا تشاهده ،

(١) لسجيم بن وثيل الرياحي في الأسميات ٦ طبع المعارف .

(٢) صدره : أخو خمسين مجتهداً أشد .

(٣) هو عبدة بن الطبيب ، في المفضلية ١٤٧ .

وَسَمَاعٌ مَا لَا تَدْرُكُهُ . وَهَذَا زَائِدٌ عَلَى مَا قَالَهُ الْآخَرُ حِينَ نَقَى هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، وَهُوَ :
وَلَيْسَتْ مِنَ اللَّائِي يَكُونُ حَدِيثُهَا أَمَامَ بُيُوتِ الْحَيِّ إِنْ وَإِنَّمَا^(١)
وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ :

تَقُولُ رَأَيْتُ لَمَّا لَا تَرَى وَقَالَتُ سَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ
وَالَّذِي رَوَيْتَاهُ أَحْسَنُ تَلَاوُثًا وَأَقْرَبُ .

- ١ - فَإِنْ تَشْرَبِ الزُّقَّ لَا يُرْوَاهَا وَإِنْ تَأْكُلِ الشَّاةَ لَا تَشْبِجَ
- ٧ - وَلَيْسَتْ بِتَارِكَةٍ مَحْرَمًا وَلَوْ حُفَّ بِالْأَسْلِ الشَّرْعُ^(٢)
- ٨ - وَلَوْ صَعِدَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ تَزَلُّ بِهَا الْعُصْمُ لَمْ تُضَرَّعْ^(٣)
- ٩ - فَبِئْسَتْ قِمَادٌ لِلْفَتَى وَحَدَّهَا وَبِئْسَتْ مُوقِفَةٌ الْأَرْبَعِ
مَحْرَمًا ، أَى حَرَامًا . وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ اتِّهَاكُهُ ، وَكَذَلِكَ الْحَارِمُ .
وَفِي الْمَثَلِ « لَا بُقْيَا لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ » أَى عِنْدَ الْحُرْمَةِ . وَهُوَ ذُو مَحْرَمٍ
وَحُرْمَةٍ فِي الْقَرَابَةِ . وَالشَّرْعُ : جَمْعُ شَارِعٍ ، وَيُقَالُ : أَمْرَعْتُ الرُّمَحَ قَبْلَهُ
فَشَرَعَهُ . وَصَفْنَاهَا بِالنِّيمَةِ وَشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى تَنَاوُلِ الْمَحْرَمِ وَلَوْ انْتَزَعْتَهُ مِنْ بَيْنِ
الْأَسِنَّةِ . ثُمَّ وَصَفْنَاهَا بِالتَّجْلِيلِ^(٤) ، وَحُسْنِ التَّنْقِيحِ^(٥) ، وَالْحَذَقِ فِي التَّوَسُّلِ إِلَى
الْمَنْعُوعِ ، وَلَوْ احتَاجَتْ إِلَى أَنْ تَتَرَقَّى فِي مَصَاعِدِ الْجِبَالِ ، وَمُدَارِجِ الْمَضَابِ
الْمُعْجِزَةِ لِلْعُصْمِ .

وَقَوْلُهُ « فَبِئْسَتْ قِمَادٌ لِلْفَتَى وَحَدَّهَا » انْتَعَبَ قِمَادَ وَمُوقِفَةَ عَلَى التَّمْيِيزِ ،

(١) حميد بن ثور ، في ديوانه ١٨ طبع دار الكتب .

(٢) في اللسان : « المشرع » .

(٣) بها ، أَى بِالذُّرَى . وَفِي الْأَصْلِ : « نَزَلَ بِهِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي ل وَالتَّبَرُّيزِ .

(٤) التَّجْلِيلُ : الْإِقْدَامُ الشَّدِيدُ ، وَالتَّصْمِيمُ فِي الْأَمْرِ وَالْمَقْصُودِ .

(٥) في اللسان : « كُلُّ مَا نَحَيْتُ عَنْهُ شَيْئًا فَقَدْ نَقَحْتُهُ » . وَالتَّنْقِيحُ أَيْضًا : الْإِصْلَاحُ

وإِزَالَةُ الْعُيُوبِ . وَهَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَحَسَنُ التَّنْقِيحِ » .

لأنه وإن كان معرفة في اللفظ ، فلا اختصاص فيه . ويروى بالرفع في
الموضعين . فإذا نصبت فهو كقولك : بنست ربة البيت هند . وإذا رفعت
فهو كقولك : بنست دار الكافر النار . وفي القرآن : ﴿ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
والمذمومة بنست في الوجهين محذوفة . وانتصب « وحدها » على المصدر . فيقول :
هي مذمومة في النساء تفردت أو اجتمعت مع ثلاثٍ آخر . والقعاد والقعيدة
واحدة ، ويقال : ليست له قعيدة تقمده ، أى امرأة تغزبه ، أى تزيل غزبه .

وحكى أن الأصمى ألقى على أصحابه يوماً هذا البيت ، وهو :

واحدةً أعضلكم شأها فكيف لو قمت على أربع

[أربع ^(٣)] بمعنى النساء .

٦٤٧

وقال بعض آل المهلب ^(٣) :

١ - قومٌ إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوقفوا من رتاج الباب والدار

٢ - لا يقبس الجار منهم فضل نارهم ولا تكف يد عن حرمة الجار ^(٤)

معناها ظاهر ولا إعراب فيهما . والقبس : الشعلة من النار . والقابس
طالب النار وآخذها ، ويقال : قبست النار واقتبستها وأقبستها وأقبسنيها فلان .
والمقياس نحو من القبس . والرتاج : العلق . ويقال : رتجت الباب وأرتجته .

(١) ابن جى : « وذلك تعريف الجنس ، لا يخص واحداً بعينه ، فصارح بشياعه النكرة ،
ولأجل ذلك ما كان أحد وهو نكرة كإسامة وهو معرفة ، وغلوة وهو معرفة كغداة وهى نكرة
وكذلك ثعلت وثمالة . وهو كثير فاعرفه لطيفاً » .

(٢) التكلة من ل . وفي التنبيه لابن جى : « أى لو تزوجت أربع نسوة » .
واقطر مجالس العلماء ٣٣ وطبقا ، الزبيدى ٢١٦ والمزهر ٢ : ٣٧٩ .

(٣) اسم عبد الله بن عبد الرحمن ، وقبه أبو الأنواء ، كما ذكر البريزى رواية عن
دعبل . (٤) تكف ، يائنا فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « يكف » بالياء .

٦٤٨

وقال آخر :

- ١ - كَاثِرٌ بِسَفْدٍ إِنْ سَفَدًا كَثِيرَةً وَلَا تَبْغِرْ مِنْ سَفْدٍ وَفَاءً وَلَا نَصْرًا
 - ٢ - وَلَا تَدْعُ سَفْدًا لِلْقِرَاعِ وَخَلَّتْهَا إِذَا أُمِنَتْ وَنَفَتْهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا
 - ٣ - يَرُوعُكَ مِنْ سَفْدَيْنِ عَمْرٍ وَجُسُومُهَا وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرًا
- كَاثِرٌ : أصغر من كَاثِرُهُ ، إذا غلبته بالكثرة ، ويقال : كَاثِرُهُ فَكَثَرَتْهُ أَكْثَرُهُ بضم العين . وعلى هذا يحىء هذا البناء ، سواء كان مفتوحاً في الأصل أو مضموماً أو مكسوراً ، إلا أن يكون البناء معتلاً ، فإنه يُترك على حاله . يقال : بَاكِيتُهُ فَبَاكِيتُهُ أَبْكِيهِ لِأَغِيرَ . وذلك اثلاً يلبس بنات الياء بينات الواو . وقوله : « وَنَفَتْهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا » ، يصفهم بالسَّلامَةِ في حال الأَمْنِ ، وبِحُسْنِ تَصَرُّفِهِمْ فِي فُنُونِ الْقَوْلِ ، وَأَنْ لَمْ الْمُنْظَرَ الْحَسَنَ دُونَ الْمَخْبَرِ ، ثُمَّ لَا وَفَاءَ لَمْ فِي الذَّمِّ وَالْمَقُودِ وَلَا نَصْرَةَ فِي الدَّفَاعِ عِنْدَ الْحُرُوبِ . ومعنى يَرُوعُكَ يُعْجِبُكَ . يريد : اعطوا البَسْطَةَ فِي الْأَجْسَامِ ، فَإِذَا خَبَرْتَهُمْ صَفَرْتَهُمُ الْخُبْرَ ، فَأَوْرَثَكَ الزُّهْدَ فِيهِمْ .
ويقال : لِي بِهِمْ خُبْرٌ وَخَبْرَةٌ .

٦٤٩

وقال آخر :

- ١ - أَطَارِبُ ذُو فَخْرٍ بِإِفْكِ وَالسِّنَةِ لِطَافٍ فِي الْمَقَالِ
 - ٢ - رَضُوا بِصِفَاتٍ مَاعَدٍ وَهَجْهَلًا وَحُسْنُ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفَعَالِ
- يقول : إنهم يفتخرون بمفاخر مافوكة مكذوبة^(١) ، ولم السنة بلطفون بها .

(١) مأنوكة ، من الإنك ، وهو الكذب .

وَيَصُورُونَ الْبَاطِلَ مِنْ مَفَاخِرِهِمْ بِصُورَةِ الْحَقِّ ، فَهُمْ أَصْحَابُ مَقَالٍ لَا فِعَالٍ ،
وَأَرْبَابُ كَذِبٍ وَزُورٍ ، لَا حَقَّ وَصِدْقٍ ، وَلِجْهَلِهِمْ يَرْضَوْنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَهَا
يَأْنُ يَصِفُوهَا بِمَا هُوَ مَعْدُومٌ فِيهِمْ ، وَقَدِّعُوا بِحُسْنِ الصِّفَاتِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِمْ ،
وَأِنْ عَدِمُوا شَهَادَةَ الْأَشْهَادِ عَلَى دَعْوَاهُمْ ، اعْتِقَادًا مِنْهُمْ أَنَّ الْقَوْلَ يَفْنَى عَنِ
الْفِعْلِ ، وَأَنْ الْخَبَرَ يُكْتَفَى بِهِ عَنِ الْخَبْرَةِ ، وَأَنَّ الْكَرَمَ فِي الدَّعَاوِي لَا فِي الْحَقَائِقِ .

٦٥٠

وقال مالك بن أسماء^(١) :

- ١- لَوْ كُنْتُ أُحْمِلُ خَمْرًا حِينَ زُرْتُكُمْ لَمْ يُنْكِرِ الْكَلْبُ أُنَى صَاحِبِ الدَّارِ^(٢)
 - ٢- لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحُ الْمِسْكِ تَفْقَمُنِي وَعَنْبَرُ الْهِنْدِ مَشْبُوبًا عَلَى النَّارِ^(٣)
 - ٣- فَأُنْكِرُ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزَّقِّ وَالْقَارِ
- قوله « تفقمني » ، أى تسد خياشيمي وتملؤها . ويقال : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ تَفْقَمُ
الْمَرْكُومَ^(٤) . وقوله « مشبوبا على النار » ، يقال : رَأَيْتُ شَبَّةَ النَّارِ ، أى اشتعلها ،
وقد شَبَّتْهَا . وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : فَلَانَةٌ بِشُبِّهَا قَرَعُهَا ، إِذَا أَظْهَرَ بَيَاضَ وَجْهِهَا
سَوَادُ شَعْرِهَا . وَانْتَصَبَ « مشبوبا » على الحال . ومعنى الأبيات ظاهرٌ .

(١) قال دعبل : بل قالها عيينة بن أسماء بن خارجة ، وكان زار صديقا له فلما بلغ باب
دار بيته شد عليه كلب صديقه فعضه . عن شرح التبريزي . والشعر ورد في الحيوان (١) :
(٣٨٠) والبغلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة ، وفي البيان (٣ : ٣١١) لبعض الحجازيين .
ومالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الغزاهي : شاعر إسلامي غزل ، وأخته
هند بنت أسماء ، زوج الحجاج ، وهو من عرف بالجمال في العرب . ترجم له الأغاني (١٦) :
(٤٠ - ٤٦) ومعه المروزي في ٣٦٤ - ٣٦٥ واللاي ١٥ - ١٨ والشعراء ٧٥٦ -
٧٥٨ .

(٢) التبريزي والجاحظ : « يوم زرتكم » .

(٣) التبريزي والجاحظ : « والنبير الورد أذكيه » .

(٤) الريح بمعنى الرائحة مؤنثة .

٦٥٠

وقال آخر :

- ١- هجوت الأذعياء فداصبتني معائيرُ خلتها عرباً صبحاً
 - ٢- فقلت لهم وقد نبجوا طويلاً على فلم أجب لهم نباحاً
 - ٣- منهم أنتم فأكف عنكم وأدفع عنكم الشتم العسراً^(١)
 - ٤- وإلاً فاحمدوا رأيي فإني سأنفي عنكم الشتم القباح
 - ٥- وحسبك تهمة بيري قوم يضم على أخي سقم جناحاً
- هذه الطريقة في ذم الأذعياء غريبة حسنة جداً . وفيما قال أبو العتاهية

في والبة بن الحباب ما هو مستبدع أيضاً ، وهو :

- ما بال من آباؤه عربٌ ۝ ألوان أصبح من بني قيسر^(٢)
 أكذا خلقت أبا أسامة أم لوئت سالفتيك بالعصر^(٣)
 وأخذه أبو نواس^(٤) فقال أيضاً :

وابن الحباب صليبة زعموا ومن المحال صليبة أشقر

ومصدر الدعى الدعوة والدعوة . وناصبتني ، أى عادتني ؛ ويقال :
 ناصبت فلاناً الحرب والمداوة ، ونصبنا لهم حرباً . ويقال : العرب العاربة

(١) في نسخة الأصل : « فأكف عنهم » ، تحريف .

(٢) في الأغاني (١٦ : ١٤٤) : « بحسب من بني قيسر »

(٣) أبو أسامة : كنية والبة بن الحباب ، وفيه يقول علي بن ثابت :

بكت البرية قاطبه جزعا لمصرع والبه

قامت لمدرت أبي أسامة في الرفاق الناديه

وكلمة « أبا » ساقطة من الأصل ، وهى والكلمة التى بعدها ساقطتان من ل . والتحقق

يقتضى ما أثبتنا .

(٤) كذا . والبيت التالى في الأغاني منسوب إلى أبي العتاهية مع البيتين السابقين وأبيات

أخرى .

والعرباء ، أى الخُلص . والعرب المستمرة : الذين دخلوا فيهم بعد .
 وقوله « عَرَبُ الألوان » مثل قولهم : سُرُوجُ خَزْ الصُّفَاتِ ^(١) .
 و « عَرَبًا صِحاحا » أى صِحاحَ الأنساب . والتباج يُستعمل فى صوت
 التيس عند السِّفاد ، وفى الهدُّد والظُّنى . ويستعمل فى الشاعر على طريق الهمز .
 ويقال : نَبَحَهُ وَنَبَحَ عَلَيْهِ . قال الهذلي ^(٢) :
 * ولو نبحتني بالشكاةِ كلابها ^(٣) *

والمراد بقوله « لَمْ تُبَاحا » : لم أُجِبْ بُبَاحا . « ولم » تبين .
 وقوله « أَمِنْهُمْ أَنْتُمْ » فى موضع المفعول من قلت ، وانتصب « فَأَكُفَّ »
 بإضمار أن ، وهو جواب الاستفهام بالفاء . والعُراخ : الخالص من كل شئ ،
 وكذلك الصَّرِيحُ والعُراخُ . ورجلٌ صريحٌ : ضد هجين ، من قومٍ صُرَحاء .
 ونَحَرَ صُرَاحٌ : لم تُشَبَّ بمزاج
 وقوله « حَسْبُكَ نُهْمَةٌ » ارتفع على الابتداء ، ويكتفى به لأن فيه معنى
 الأمر ، أى اكْتَفِ . وانتصب نُهْمَةٌ على التمييز ، ومعنى الأبيات ظاهرة .

٦٥٣

وقال مُدْرِكٌ ^(٤) :

- ١ - لقد كنتُ أَرْمِي الْوَحْشَ وَهِيَ بَغِيرَةٌ وَتَسْكُنُ أَحْيَانًا إِلَى شَرُودِهَا
 ٢ - فقد أمكنتني الوحشُ مُدْرَثَ أَمْنِهِم وما ضرَّ وحشًا قَانِصٌ لا يَصِيدُهَا

(١) الصفة للسرّج بمنزلة الميثة من الرجل .
 (٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٨٠) ، وقد سبق فى ص ٣٧٦ .
 (٣) صدره : * ولا هرما كلبى ليعبد ثمرها *
 (٤) التميمي : « مدرك ، أو مفلس بن حصن الفقمي » . وفى معجم المرزبانى ٣٩١ :
 « مدرك أو مفلس بن حصن الفقمي إسلامي » . قال أبو محمد الأدراسي : « وليس لواحد
 منهما ، وإنما هو لحامد بن الحلف - وهو الربيع - بن عبد الله ، أبو مائل الأيربوعي . يقول
 لبي زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي » .

٣- فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى وَقُلْتُ لَصَاحِبِي سَوَاءٌ عَلَيْنَا بُخْلُ سَلَمَى وَجُودُهَا
جَمَلَ الْوَحْشِ كَنَابَةِ عَنِ النِّسَاءِ . وَإِنَّمَا يَذْكُرُ أَيَّامَ شَبَابِهِ ، وَوَقْتَ صِبَاةِ
وَلَهْوِهِ ، فيقول : كُنتُ أَمْرَضُ لِلنِّسَاءِ وَهِيَ مَغْتَرَّةٌ وَفِي غَفْلَةٍ عَنِّي ، فَأَصِيبُهَا
بِمَحَاسِنِي وَأَصْطَادُهَا . وَالشَّارِدَةُ مِنْهَا الْغَافِرَةُ مِنَ الرَّيْبِ تَسْكُنُ إِلَيَّ وَتَمِيلُ
نَحْوِي وَقَتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ . هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْ حَرِي ، وَالْآنَ قَدْ
شِخْتُ فَسَهَايَ قَدْ رَأَيْتُ ، وَآلَاتِي كَلَّتْ . وَإِنَّمَا يَرِيدُ مَحَاسِنَهُ عِنْدَهُنَّ مِنْ
قَبْلُ ، وَأَنَّهُ قَدْ بَارَتْ ، وَمَا كَانَ يُنْفِقُهُ عِنْدَهُنَّ مِنْ نَفَقَةِ نَصَالِهِ عِنْدَ الرِّمَاءِ
فَبَيْنَ كَلَّتْ . قَالَ : فَالْوَحْشُ تُمْكِنُنِي وَأَنَا لَا أُرْمِيهَا وَتُكْشِبُنِي وَأَنَا غَافِلٌ
دُونَهَا . وَمَعْنَى تُمْكِنُنِي أَنَّ النِّسَاءَ تَنْبَسِطُ إِلَيَّ فَلَا تَنْقَبِضُ ، وَتَسْتَنِيمُ فَلَا تَفِرُّ
لَأَمْنِهَا مِنْ تَوَجُّهِ الرَّبِّيبَةِ . قَالَ : وَالصَّائِدُ لَا يَضُرُّ الْوَحْشَ إِذَا لَمْ يَصِدَّهَا ، بِعَنَى
نَفْسِهِ . وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرِي بِجَرَى الْأَمْثَالِ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُنَّ لَا يَفِرُّنَّ مِنِّي ،
وَقَدْ سَكَنَ إِلَيَّ وَأَمِنَ رَمِيَّ .

وقوله « فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلَمَى » ، يقول : تَرَكْتُ صَاحِبَتِي الَّتِي كُنتُ
أَوَّلَعُ بِهَا ؛ وَأَسْتَلْذِذُ كَرَاهَا ، زَاهِدًا فِيهَا ، وَقُلْتُ لِقَرِيبَتِي وَأَلِيفِي : بُخْلُهَا وَجُودُهَا
يَسْتَوِيَانِ عَلَيَّ مَعَ إِعْرَاضِي وَضَمْفِ حَاجَتِي ، وَكَلَالِ حَسَدِي ، وَعَجْزِ قُدْرَتِي ،
وَنَسْلُطِ رَقَبَاتِ الشَّيْبِ عَلَيَّ ^(١) ، وَتُمْكِنِ أَبْدَالِ اللَّهِو مِنِّي . وَقَوْلُهُ « سَوَاءٌ عَلَيْنَا »
سَوَاءٌ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ ، وَقَدْ وُصِفَ بِهِ .

٤- فَلَا تَحْسُدَنَّ عَبْسًا عَلَى مَا أَصَابَهَا وَذُمَّ حَيَاةَ قَدْ تَوَلَّى زَهِيدُهَا
٥- تَشَبَّهَ عَبْسٌ هَاشِمًا أَنْ تَسْرَبَلَتْ سَرَائِيلَ خَزَا أَنْكَرْنَهَا جُلُودُهَا
كَانَ الْوَلِيدُ وَسَلَيَانِ ابْنَا عَبْدِ الْمَلِكِ أُمَّهُمَا عَبْسِيَّةٌ ^(٢) ، فَارْتَفَعَ شَأْنُ بَنِي عَبْسٍ

(١) الرثية : الضعف ، وانحلال الركب والمفاصل .

(٢) وكذا قال المرزباني في معجمه ٣٩١ . قال أبو محمد الأعرابي : « هذا غلط ، لأن

أم الوليد وسليمان هي ولادة بنت خليل بن جزء بن الحارث بن زهير » .

بها ، واختلطوا بمُدَبَّرِي الخِلافة وسُوَّاس الرعيّة ، والدَّابَّيْن عن المملِكة . فيقول مخاطباً لصاحب له : لا تَحْسُدَنْ بِنِي عَبْسٍ على ما نالته من المَلِكِ والرَّياسة ، وَدُمَّ زَمَانًا سَاعَدَهَا على ذلك وأَهْلَهَا له ، وحيَاة قد تَوَلَّى زَهِيدُهَا في الشَّقَاءِ بها ، ومكَايِدَةُ الأوابد منهم فيها . والزَّهِيدُ : القليلُ الخَيْرِ ، ويقال : رَجُلٌ زَهِيدٌ وامرأة زَهِيدَةٌ ، وهما القليل الطَّعْمُ ، يريد أنَّ أَسْرَمَ خُلُصَةً من خُلَسِ الدهرِ ، وسينقطع منكروهُ ويعود إلى دونِ ما يَجِبُ له .

وقوله « تَشَبَّهَ عَبْسٌ هاشمًا » ، يُقال : شَبَّهْتُهُ كَذَا وبكذا ، وَتَشَبَّهَ زيدٌ بكذا وكذا . يقول : تَنَمَّعُوا بِلَذَاتِ الدُّنْيَا وزخارفها ، وشاركُوا أَرْبابَ الخِلافة وولايتها في ملابسهم التي تُفَكِّرُهَا جُلُودُهُمْ ، وَمَطَاعِيَهُم التي لم تَذُقْهَا لَهَوَاتِهِمْ ، خَدَّتُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ أَمْثَالَهُمْ ، ووسوسَ الشَّيْطَانُ إِلَيْهِمْ بِمِثْلَةِ حَالِهِمْ لِأَحْوَالِهِمْ عِنْدَ الْحَمَلِ ، وفي الْخَلَوَاتِ . وقوله « أَنْ تَسْرَبَلَتْ » يريد : لِأَنْ تَسْرَبَلَتْ . كَأَنَّهُمْ لِمُسَاعَدَةِ الْأَحْوَالِ لَهُمْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا . وَإِنَّمَا قَالَ « أَنْ كَرَّهَتْهَا جُلُودُهَا » لِأَنَّهَا لَمْ تَعْتَدَهَا مِنْ قَبْلُ . ومثله قولُ الْآخَرِ :

بَكَى الْخَزَنُ مِنْ عَوْفٍ وَأَنْكَرَ جِلْدُهُ وَضَجَّتْ ضَجِيحًا مِنْ جُدَامِ الْمَطَارِفِ

٦ — فَلَا تَحْسِبَنَّ الْخَيْرَ ضَرْبَةً لَا زِبٍ لِعَبْسٍ إِذَا مَا مَاتَ عَنْهَا وَلِيدُهَا

٧ — فَسَادَةُ عَبْسٍ فِي الْحَدِيثِ نِسَاؤُهَا وَقَادَةُ عَبْسٍ فِي الْقَدِيمِ عَيْدُهَا

هُوَ ذَا يُسَلَّى صَاحِبُهُ عَمَّا تَدَاخَلَهُ مِنَ الْغَيْظِ عَلَى زَمَانٍ بَلَغَ بِنِي عَبْسٍ مَا بَلَغَ ، فيقول : لَا تَظُنَّنَّ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ تَجْرِي عَلَى مَا تَشَاهِدُهَا سَلِيمَةً مِنَ الْحَوَادِثِ ، وَأَنَّ الدَّوْلَةَ تَمْتَدُّ لِبَنِي عَبْسٍ وَتَصِيرُ كَالْوَجِبِ لَهَا ، بِرِيثَةٍ مِنَ الْعَوَارِفِ ، نَقِيَّةٌ مِنَ الشَّوَائِبِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ بِعَرَضِ الزَّوَالِ وَالتَّغْيِيرِ ، مَتَى مَاتَ مَنْ تَقْدُمُوا بِهِ ، وَهُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَحَكِي عَنْ الْحَضَنَيْنِ ^(١) بِنِ الْمُنْذِرِ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ تَنَازَعَا فِي شَيْءٍ : « إِنَّمَا أَنْتُمْ يَا بَنِي عَبْسٍ بِحَرٍّ ^(٢) ، فَإِنْ ابْتَلَأْتُمْ ، وَإِنْ يَبْسُ يَبْسُتُمْ » .
 وقوله فسادَ عَبْسٍ نساؤُها ، يعني أُمَّ الواليد والمُتَصَلَاتِ بِهَا . هذا في الحديث زَعَمَ . قال : وفي القديم كانوا بالعبيد ، يعني به عَنَتَرَةُ بَنِ شَدَّادَ ، لِأَنَّهُ عَبْسِيٌّ ، وكان هِيفًا ، ولذلك قال :

لَمَنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنَصِبًا شَطْرِي وَأَخْيِي سَانِي بِالْمُنْصُلِ
 وقال أيضا :

أَنَا الْهَجِينُ عَنَتَرَةُ كُلُّ امْرِيٍّ يَحْنِي حِرَّهُ ^(٣)
 أَسْوَدُهُ وَأَحَرَّهُ

وهو أَحَدُ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ جَلَّ امْرُؤُهُمْ ، وَعَظُمَ شَأْنُهُمْ .

٦٥٣

وقال آخر :

١ - أَقُولُ حِينَ أَرَى كَغَبًا وَإِخِيَّتَهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي بَضْعٍ وَسِتِّينِ
 ٢ - مِنَ السَّيِّئِ تَمَلَّاهَا بِلاَ حَسَبٍ وَلَا حَيَاءٍ وَلَا قَدَرٍ وَلَا دِينَ
 أَجْرِي جَمَعَ السَّلَامَةَ فِي أَنْ أُعْرِبَ آخِرُهُ تَجْرِي جَمُوعِ التَّكْسِيرِ ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ كَثِيرًا . عَلَى هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ ^(٤) :

* وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ ^(٥) *

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « الْحَصِينُ » بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ ، وَصَوَابُهُ بِالْمُهْمَلَةِ ، كَمَا فِي التَّبْرِيزِيِّ وَالْمَوْتَلَفِ ٨٧ وَتَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ، وَالْخَزَانَةِ (٢ : ٨٩ - ٩٠) وَالْقَاوُسِ (حَضَنُ) .

(٢) يَعْنِي أَنَّ قَدْرَهُمْ وَمَنْزِلَتَهُمْ ، إِنَّمَا هُوَ بِنِسَائِهِمْ وَصَدْرِهِمْ فِي الْخُلَفَاءِ .

(٣) الْحَرُ : حَرُّ الْمَرْأَةِ . وَالرَّجَزُ فِي اللِّسَانِ (حَرَجَ) .

(٤) هُوَ سَجْمُ بَيْنِ وَثِيلِ الرِّيَاحِ . الْأَصْمَعِيَّاتُ ٦ طَبَعَ الْمَعَارِفِ .

(٥) صَدْرُهُ : * وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي * .

وقوله :

* وابنُ أبيّ أبيّ من أبيّين^(١) *

وقوله « من السنين » تملق بقوله في بضع . والبضعُ مختلفٌ فيه ، فمنهم من يقول : يتناول ما بين الثلاثة إلى العشرة كُله ، ومنهم من يجعله متناولاً لنصف من ذلك . والأول هو الصحيح . وقيل في قوله : { بضع سنين^(٢) } إنها سبعة ، وقد حكى الفتحُ في الباء منه أيضاً ، وأصله من القطع .

وقوله « تملّاها » عاش مُلاوتها . والملاوة تُكسر ميمه وتُضم . ومنه اللَّعَلُّ من الدهر ، وقولهم : تملّيتُ حبيباً .

٦٥٤

وقال عُوَيْفُ القَوَافِي^(٣) :

١ - وما أمّكُمُ نَحْتَ الخَوَافِي والقَنَا بِشَكْلِي وَلَا زَهْرَاءَ مِنْ نِسْوَةِ زُهْرٍ

٢ - أَلَسْتُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِنْدَ لَوَائِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقَذْرِ

وصفهم بأنهم يتصوّنون ، فلا يبتذلون أنفسهم في الحروب ، فأدّبهم تشكّلهم تحت الأعلام إذا خفّفت ، والرّماح إذا أشرّعت . وقوله « ولا زهراء » ، أي ليست هي بكريمة في نفسها . وهذا ضدُّ قول الآخر^(٤) :

* أمّك بيضاء من قضاة^(٥) *

(١) البيت لدى الإصح المدوّاني في المغضليات ١٦٠ طبعة المعارف الثانية . وصدره :

* إلى أبيّ أبيّ ذو محافظة *

(٢) من الآية ٤٢ في سورة يوسف : « فأنساه الشيطان ذكر ربّه فلبث في السجن

بضع سنين » .

(٣) سبق ترجمته في الحماسية ٧٢ ص ٢٦٢ .

(٤) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٨٣ . وقد سبق في ١٥٠ ، ٤١٩ .

(٥) تمامه : أمّك بيضاء من قضاة في الد * بيت الذ يستكن في طنبه .

يريد بياض السكرم لا بياض اللون .

وقوله : « أَلَسْتُمْ أَقْلُ النَّاسِ » ، وَيَقَرُّرُهُمْ عَلَى لُؤْمِهِمْ وَتَأْخِرُهُمْ فِي الْحُرُوبِ ، وَقَلَّتْهُمْ عِنْدَ خَفَقِ الْبُنُودِ ، وَعِنْدَ عَقْدِهَا لِلرِّيَّاسَاتِ ؛ وَعَلَى أَنَّهُمْ يَكْثُرُونَ فِي الْمَادَبِ ، وَيَنْزَاحُونَ عَلَى الذَّبَائِحِ . وَإِنَّمَا يُقَرَّرُ بِالْأَيْسِ وَالْأَمِّ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي الْوَاجِبِ ، لِأَنَّ الاسْتِفْهَامَ كَالنَّفْيِ ، وَالنَّفْيُ إِذَا دَخَلَ عَلَى النَّفْيِ صَارَ وَاجِبًا ، وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ فِيمَا تَقَدَّمَ .

٦٥٥

وقال آخر :

١ - وَنُبِيتُ رُكْبَانِ الطَّرِيقِ تَنَازَرُوا عَقِيلًا إِذَا حَلَّوْا الذَّنَابَ فَصَرَّخَا
٢ - فَتَى بِجَمَلِ الْمَخْضِ الصَّرِيحِ لَبَطْنِهِ شِعَارًا وَيَقْرَى الضَّيْفَ عَضْبًا مُهِنْدًا
قوله « تناذروا » ، أَيْ أَنْذِرْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ نَعْبَسُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَالِثًا لِنَبَّيْتُ . وَالذَّنَابُ وَصَرَّخَا : مَوْضِعَان . وَالْمَعْنَى أَنَّ السَّفَرَ وَالسَّابِلَةَ وَالْمَارَّةَ قَدْ عَرَفُوا عَقِيلًا بِالْقَدْرِ وَالْخِيَانَةِ ، وَالطَّمْعِ فِي مَالِ الضَّيْفِ وَالْجَارِ وَالْحَلِيفِ ، فَإِذَا نَزَلُوا هَذِينَ الْمَوْضِعَيْنِ وَهَمَّ بِمَا يَقَارِبُ مُحَلَّ عَقِيلٍ وَمَأْوَاهُ ، حَذَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَتَوَاصَوْا بِالْإِحْتِرَازِ مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : هُوَ فَتَى يَمْلَأُ بَطْنَهُ مِنْ خَالِصِ الْحُضِّ ، فَالْحُضُّ شِعَارُ بَطْنِهِ ، يَلِيهِ وَيَشْحَنُهُ وَيَلْتَبَسُ بِهِ ، وَيُمِدُّ لِقَرَى ضَيْفِهِ سَيْفًا قَاطِمًا . وَالْأَصْلُ فِي الشَّمَارِ مَا يَلِي الْجَسَدَ مِنَ الثِّيَابِ ، ثُمَّ تَوَسَّعَ فِيهِ فَقِيلَ : أَشْعَرَ قَلْبِي هَمًّا أَيْ أَبْطَنَهُ . وَحَكَى بَعْضُهُمْ : هَنَدْتُ السَّيْفَ : شَحَذْتُهُ وَأَحْدَدْتُهُ . وَالْمَشْهُورُ نَسَبَتُهُ إِلَى هِنْدٍ ^(١) .

(١) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ . وَفِي اللِّسَانِ أَيْضًا : « وَهِنْدُ : اسْمُ بِلَادٍ » . وَمِنْ عَجَبِ أَنَّهُ

لَمْ يَمْتَدِّ لِلْهِنْدِ رِسْمٌ فِي مَعْجَمِي الْبِلَادَانِ .

وقد استعمل القرى على هذا غيره فقال ، وهو أبو وَجْزَة :
 ذَاكَ الْقَرْىَ لَا قَرْىَ قَوْمٍ رَأَيْتُهُمْ يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلُوءَةَ الْجُدْدَا^(١)
 يعنى السَّيَّاط .

٦٥٦

وقال آخر :

١- أَنَاخَ اللَّوْثُ وَسَطَ بَنِي رِيَّاحٍ مَطِيَّةً فَاقْتَمَ لَا يَرِيمُ
 ٢- كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ مُقِيمٌ
 يقال : أَتَخْتُ البعير فبرك ، ولا يقال ففأخ . وهذا من باب ما استعنى به
 عن غيره ، ومعنى لا يريم لا يبرح .

وقوله « كذلك » فى موضع الحال ، لأن « كُلُّ ذِي سَفَرٍ » مبتدأ ،
 ومُقِيمٌ خبرُهُ ، كأنه قال ، وكلُّ مسافرٍ إِذَا مَا انتهى إلى غايته يُقِيمُ عَصَاهُ ،
 ويَحْطُ رَحْلَهُ . كذلك ، أى مثل إقامة اللّوْث فىهم .

وهذا المعنى قد نقله البحرئى إلى اللدح فىهم :
 أَوْ مَا رَأَيْتَ الْجَدَّ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلٍ طَلْحَةٍ نَّمْ لَمْ يَتَحَوَّلِ^(٢)

٦٥٧

وقال آخر :

١- إِذَا بِكَرْبَةٍ وَلَدَتْ غُلَامًا فَيَا أَوْمًا لِذَلِكَ مِنْ غُلَامٍ
 ٢- يُزَاحِمُ فِي الْمَادِبِ كُلِّ عَبْدٍ وَلَيْسَ لَدَى الْخِفَاطِ بِذِي زِحَامٍ

(١) كذا فى ل والكامل ١٠٧ ليساك ، وهى جمع جديد . وفى الأصل : « الحددا » .

(٢) فى الأصل : « طلحة لم يتحرك » ، صوابه فى ل .

قوله « يا لؤمًا » لفظه لفظ التداء وللمعنى معنى التعجب ، أى ما أشده من لؤم . ومثله : « يا حَمْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ » ، وقولُ الشَّاعِرِ^(١) :

فيا شاعراً لا شاعِرَ اليَوْمَ مثله جَرِيرٌ وَلَكِنْ فِي كَلْبِيبٍ تَوَاضَعُ

وقوله « يُزاحم في المآدب » يشبه قول مُوَيْفَ :

أَلَسْتُ أَقْلَ النَّاسِ هُنْدَ لَوَائِمِهِمْ وَأَكْثَرُكُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقِدْرِ^(٢)

وإن كان زاد عليه لما جَلَّ مزاحمته على الطعام مع العبيد . وقوله « من غلام » أى لذلك الغلام من بين الغلمان . وواحد المآدب مأذبة^(٣) ، والفعلُ منه أَدَبْتُ .

٦٥٨

وقال آخر :

- ١- رِدَى ثُمَّ اشْرَبِي نَهْلًا وَعَلًّا وَلَا يَفْزُرُكَ أَقْوَالُ ابْنِ ذِيبِ^(٤)
 - ٢- فلو كان القلبُ على إِحَامٍ لَأَنْهَلَ وَطُؤُهَا شَفَةَ الْقَلِيبِ
- يشجعهما على الورود والصَّدر ، وشرب اللعل بعد النهل . وعلى ألا تحفل بهتُّد ابنِ ذئبٍ وإِرْعَادِهِ وإِبْرَاقِهِ ، فإنه قولٌ لا فِعْلَ معه ، وقعقةٌ لا وَقَعَ بَعْدَهَا . وكان التَّخَاصُّمُ في بئرٍ ، فلذلك قال ما قال .
- وقوله « فلو كان القلبُ على إِحَامٍ » استخفافٌ بهم وإهانة . ومعنى أَنهَلَ : وجدها سهلاً ، ويعنى بوطئها وطء الإبل ، ولم يَجْرِ لها ذكر ، ولكن المراد مفهوم : وللمعنى : كانت تجدُ حَرْفَ البئرِ سهلاً لا حَزَنًا . يقول : لو كان موضع البئر

(١) هو الصلتان العبدى . الحزافة (١ : ٣٠٤ - ٣٠٨) . وقد سبق في ٥٣٨ .

(٢) البيت الثانى من الحماسية ٦٥٣ ص ١٥٢٩ .

(٣) المشهور فى « المأذبة » ضم الدال ، وأجاز بعضهم الفتح .

(٤) التبريزى : « ولا تغررك » .

لِحَاثِمٍ مَا جَسَرُوا عَلَى النِّع ، وَلَا عَلَى التَّمَانِع ، وَلَا كَانَ يَتَعَقَّبُ وَرُودَهَا إِنكَارًا
وَلَا وَبَالَ .

٦٥٩

وقال آخر :

- ١- إِنْ تُبْغِضُونِي فَقَدْ أَسْخَفْتُ أَعْيُنَكُمْ وَقَدْ أَتَيْتُ حَرَامًا مَا تَظُنُّونَا^(١)
 - ٢- وَقَدْ ضَمَمْتُ إِلَى الْأَخْشَاءِ جَارِيَةً عَذْبًا مُقَبَّلَهَا مِمَّا تَصُونُونَا
- يقول : لَا مَلَامَ عَلَيْكُمْ فِي بَغْضَائِكُمْ لِي ، فَقَدْ نِلْتُ مِنْكُمْ مَا اسْتَحَقَّقْتُ بِهِ
ذَلِكَ . وَانْتَهَبَ « حَرَامًا » عَلَى الْحَالِ مِنْ أَتَيْتُ ، وَمَا تَظُنُّونَا فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ ،
وَالضَّمِيرُ الْمَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ مَحذُوفٌ . وَقَوْلُهُ « مِمَّا تَصُونُونَا » وَلَمْ يَقُلْ مِمَّنْ ، لِأَنَّ
الْقَصْدَ إِلَى الْجِنْسِ وَ« مَا » لِلصِّفَاتِ وَالْأَجْنَاسِ وَلِمَا دُونَ النَّاطِقِينَ . فَأَمَّا قَوْلُهُ
« تَظُنُّونَ » فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَالِبِ الظَّنِّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْيَقِينِ .

٦٦٠

وقال آخر :

- ١- يَا قَبِّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهْطَ اللُّؤْمِ وَالْعَارِ
 - ٢- قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوَاءٍ وَلَجُوا فِي سَوَاءٍ لَمْ يُجِئُوهَا بِأَسْتَارِ
- الْمُدَادِي فِي قَوْلِهِ « يَا قَبِّحَ اللَّهُ » مَحذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يَا قَوْمَ ، أَوْ يَا نَاسُ
قَبِّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا ، أَيْ أَبْغَضَهُمُ اللَّهُ . وَ« بَنِي عُمَيْرَةَ » انْتَهَبَ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ
أَقْوَامًا ، وَلِلْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ « إِذَا ذُكِرُوا » أَيْ وَقْتُ ذِكْرِهِمْ وَأَبْغَضَهُمُ اللَّهُ . وَرَهْطُ

(١) تَبْغِضُونَ ، هُوَ مَا فِي لِ وَالتَّبْرِ يَزِي . وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « تَبْغِضُونَا » .

اللَّؤْمُ « انتصبَ على الذمِّ والاختصاص ، والعامل فيه فِعْلٌ مُضَمَّرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ :
أَذْكُرُ رَهْطَ اللَّؤْمِ .

وقوله « قومٌ » ارتفعَ على أَنَّهُ خبر المبتدأ ، أى هم قوم إذا خَرَجُوا مِنْ
سَوْدَةٍ وَخَزِيَّةٍ ، أى من اكتسابهما وفعلهما ، دَخَلُوا فِي مِثْلِهَا أَوْ أَسْوَأَ مِنْهَا
وَأُخْرَى لَا يَتَسْتَرُونَ فِيهَا وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنْهَا .

٦٦١

يَهْجُو الْحَضْرَى وَيَمْدَحُ الْبَدْوَى :

وقال آخر :

- ١ - جَوَابُ بَيِّنَاتٍ بِهَا عَرُوفٌ^(١)
- ٢ - لَا يَأْكُلُ الْبَقْلَ وَلَا يَرِيفُ
- ٣ - وَلَا يُرَى فِي بَيْتِهِ الْقَلِيفُ
- ٤ - إِلَّا الْحِمْتُ الثَّمَعُ الْمَكْشُوفُ
- ٥ - لِلجَارِ وَالضَّيْفِ إِذَا يَضِيفُ
- ٦ - وَالْحَضْرَى مُبْطَنٌ مَمْلُوفٌ^(٢)
- ٧ - لِلْفَسْوِ فِي أَنْوَابِهِ شَفِيفُ
- ٨ - أَعْجَبُ بَيْتِيهِ لَهُ الْكَسِيفُ
- ٩ - أَوْطَايَةٌ مُبْقَلَةٌ وَصِيفٌ^(٣)

(١) رواه التبريزي : « عزوف » ، وقال : « يقال رجل عزوف وعزوفة وعزيف » .

وفي اللسان (ريف) : « غروف » ، تحريف .

(٢) التبريزي : « بطنة مملوف » .

(٣) التبريزي : « أوطانه » ، ثم قال : « ويروى : أوطاية مبقلة وريف » .

قوله « جَوَابُ بِيْدَاءٍ » يصف به البدوى ، أى قَطَّاعَ المَفاوز بليغ المعرفة بها . ويقال : رجل عَرُوفٌ وعَرُوفَةٌ وعَرِيفٌ ، أى عَارِفٌ . ويقال من العَرِفِ بكسر العين ، وهو الصبر : عَارِفٌ وعَرُوفٌ أى صَبُورٌ ؛ فيجوز فيه الوجهان . وبرُوى : « جَوَابُ بِيْدَاءِ عَرُوفٌ » ، والأَيَّةُ : الصَّيِّتُ المتيقظ الحى القلب والنفس : والبيد : جمع بِيْدَاءٍ .

وقوله « لا يَأْكُلُ البَقْلَ » ، أى هو قَوِيٌّ صُلْبُ الرُّوقِ ، لَأَنَّ البَقْلَ ترخى الأعصاب . و « لا يَرِيفُ » أى لا يدخل الحَضَرَ . والرَّيْفُ : الخُضْرَةُ . وقال الدَّرِيدِيُّ : الرَّيْفُ : مَا قَارَبَ السَّوَادَ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَالْجَمِيعُ أَرِيْفٌ وَرُيُوفٌ . وَتَرِيفَ الْقَوْمُ وَرَافُوا : دَنَوْا مِنَ الرَّيْفِ .

وقوله : « وَلَا يَرَى فِي بَيْتِهِ الْقَلِيفُ » أى طَعَامُهُ طَعَامُ الْبَدَوِيِّينَ : الْبَنُ وَالْتَمَرُ ، لَا الْخُبْزَ . وَقُلَافَةُ الْخُبْزِ وَقَلِيفُهُ : الَّذِي يَلْزَقُ مِنْهُ بِالْتَمُورِ .

وقوله : « إِلَّا الْحَمِيْتُ » بدلٌ مِنَ الْقَلِيفِ ، وَهُوَ نَحْيُ السَّمَنِ . وَالْمَقَمُ : الْمَلُوءُ . وَجَمَلُهُ مَكْشُوفٌ لِلْجَارِ وَالضَّيْفِ لِيَدُلَّ عَلَى سَخَايَةِ مَا فِيهِ ، وَلَا سِتْرَ عَلَيْهِ وَلَا حِجَابَ دُونِهِ ، فَالْإِلَامُ مِنْ قَوْلِهِ لِلْجَارِ بِتَعَلُّقٍ بِالْمَكْشُوفِ .

وقوله « وَالْحَضَرِيُّ مُبْطِنٌ مَعَاوِفٌ » ، أى يُطِئُهُ مَا بِأَكْلِهِ ، وَيَرْتَعُ فِيهِ فَيَنَهُمُ فِيهِ وَيَتَجَاوَزُ حُدُودَ أَكْلِ النَّاسِ حَتَّى يَصِيرَ مَمْلُوقًا كَمَا تُعَلِّفُ الدَّوَابَّ لِلسَّمَنِ . وَالْمُبْطِنُ : الْمَوْسَعُ الْبَطْنُ . وَقَدْ بَطِنَ بَطْنًا ، أَيْ عَظُمَ بَطْنُهُ ، وَأَصَابَتْهُ الْبِطْنَةُ . وَفِي الْمَثَلِ : « الْبِطْنَةُ تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ » ، أَيْ كَثْرَةُ الْأَكْلِ تُحْدِثُ الْبِلَادَةَ ، وَرَجُلٌ بَطِينٌ وَمِْبْطَانٌ : عَظِيمُ الْبَطْنِ . وَالْمُبْطِنُ : الْخَمِيصُ الْبَطْنُ . قَالَ : * فَأَنْتَ بِهِ حُوشَ الْفَوَادِ مُبْطِنًا ^(١) * .

(١) البيت لأبي كبير الهذلي ، كما سبق في ص ٨٨ . وعجزه :

* سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْمَوْجِلِ *

وقال مُتَمُّ :
 * فَنَّتِي غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا ^(١) *

والشَفِيفُ : بَرَدٌ رِيحٌ فِي نُدُوءٍ ، وَاسْمُ تِلْكَ الرِّيحِ الشَّفَانُ .
 وقوله « أَعْجَبُ بَيْتَيْهِ » أَيِ الَّذِي يَأْكُلُ فِيهِ وَالَّذِي يُحَدِّثُ فِيهِ .
 وَالكَنِيفُ جَمَلُهُ أَعْجَبَ إِيَّاهُ لِكَثْرَةِ أَطْيَافِهِ ^(٢) .
 وَالطَّايَةُ : الْأَرْضُ الْفَضَاءُ الْوَاسِعَةُ . وَالسَّيْفُ : سَاحِلُ الْبَحْرِ . وَأَبْقَلَ
 الْمَكَانُ : كَثُرَ بَقْلُهُ .

٦٦٢

وقال رَبَّعَانُ :

١ - إِذَا كُنْتَ عَمِّيًّا فَكُنْ قَقْعَ قَرَقَرٍ وَإِلَّا فَكُنْ إِنْ شِئْتَ أُبْرَ حَارٍ ^(١)
 ٢ - فَمَا دَارُ عَمِّيَ بِدَارٍ خَفَّارَةٍ وَلَا عَقْدُ عَمِّيَ بِعَقْدِ جَوَارٍ
 بِعْنَى بِالْقَقْعِ الْكَمَاءُ . وَيَضْرِبُ الْمَثَلُ بِهَذَا فِي الذَّلِّ فَيَقَالُ : « أَذَلُّ مِنْ
 قَقْعٍ بِقَاعٍ » ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَحْتَنِيهَا مِنْ يَشَاءُ ، وَأَضَافَهُ إِلَى قَرَقَرٍ مِنْبِتِهِ . وَيَقَالُ :
 قَاعٌ قَرَقَرٌ ، أَيِ مُسْتَوٍ . وَأَتَى بِالصُّفَةِ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا كُنْتَ
 عَمِّيًّا فَكُنْ ذَلِيلًا كَالْقَقْعِ ، أَوْ شَيْئًا يُتَحَامَى ذِكْرُهُ وَمَنْظَرُهُ كَذَلِكَ الْمَوْضُوعِ .
 وَأَخْفَرْتُهُ ، إِذَا نَقَضْتَ عَهْدَهُ . وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ . وَجَعَلَ لَا مِنْ قَوْلِهِ « وَلَا عَقْدُ »
 بَدَلًا مِنْ مَا ، وَلِذَلِكَ أَدْخَلَ الْبَاءَ فِي بَعَقْدٍ .

(١) صدره في المفضليات ص ٢٦٥ طبع المعارف :

* لَقَدْ كَفَنَ الْمَمَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ *

(٢) أَطَافُ يَطَافُ أَطْيَافًا : تَفَوُّطٌ وَذَهَبٌ إِلَى الْبَرَّازِ .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « وَقَالَ رَيْعَانُ ، وَيُقَالُ رَبَّعَانُ » .

(٤) الْعَمَى : نَسَبَةٌ إِلَى بَنِي الْعَمِّ ، وَهُمْ بَنُو مَرَّةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ . اللَّسَانُ (م) .
 وَانْظُرِ الْأَغَانِي (٣ : ٧٤) .

٦٦٣

وقال آخر :

١ - أَرَانِي فِي بَنِي حَكَمٍ غَرِيْبًا عَلَى قُتْرِ أَزُورُ وَلَا أَزَارُ

٢ - أَنَأْسُ يَا كَلُونَ اللَّحْمِ دُونِي وَتَأْتِنِي الْمَعَاذِرُ وَالْقُتَارُ

قوله « على قُتْرٍ » أى على حرف . ويقال قُتْرٌ وَقُتْرٌ . يقول : ليس فيهم تمسكن ، لغربتي . والقُتْرُ والقُطْرُ والحَرْفُ والجانب تتقارب . وقد استعمل الحرف استعمال القُتْرِ ، بل هو أشهر في هذا المعنى ، وأكثرُ تصريفًا ، يقال : هو على حَرْفٍ من أمره ، أى انحراف ، وانحرَفَتْ بهم دُنيَاهم ، ومالَى عن كذا تَحَرَّفَ ، أى مَصْرِفٌ وَمُتَحَرِّجٌ . وفي القرآن : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ : وإنما وصفهم بأن من جاورهم يسبون عِشرته ولا يرون له ما يراه لهم مِنْ قِضَاءِ ذِمَّتِهِمْ ، وإيجاب حق ، بل بطَّرحونه ويُهملونه . وقوله « وتأتيني المعاذِرُ » ، أراد ربح عذراتهم وأفنيتهم ، لحذف المضاف . « والقُتَارُ » ، أى وتأتيني ربحُ اللحم المشوى . وقيل في المعاذِر : إنها جمع مَعْدِرَةٍ . والأوَّلُ أبلغ . والمعاذِرُ والمَعْدِرَةُ : الحَدَّثُ ، وقد أَعْدَرَ ، أى أحدث . ويرتفع أناسٌ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه أراد : هم أناس ، وقد وُصفوا بجمليتين . وقد كان يجب أن يقول : وتأتيني المعاذِرُ والقُتَارُ منهم ، لحذف الضمير ، وبحوز أن يكون « وتأتيني » على الاستئناف .

٦٦٤

وقال آخر :

١ - مَا إِنْ فِي الْحَرِيشِ وَلَا عُمَيْلٍ وَلَا أَوْلَادٍ جَمْدَةٍ مِنْ كَرِيمٍ^(١)

(١) كذا بالحرم في النسختين . وفي التبريزي : « وما إن » .

٢ - ولا لبُزْصِ الفِقَاحِ بَنِي نُعْمِرٍ ولا العَجَلَانِ زَائِدَةُ الظَّلِيمِ
 ٣ - أوْ أَوَّلُكَ مَعْشَرُ كَبَنَاتِ نَعَشٍ رَوَاكِدَ لَا تَسِيرُ مَعَ النُّجُومِ
 يعنى بزائدة الظلیم أُلُفَتْ ، لأنّه لا يكون للطّير . أى هم زيادة فى الناس
 بمنزلة تلك الزائدة فى الظلیم .

وقوله «أوْ أَوَّلُكَ مَعْشَرُ كَبَنَاتِ نَعَشٍ» ، يريد أنهم لا ينهضون لا كتساب
 مَكْرُمَةٍ . ولا يقومون لاجتلاب مَنْقَبَةٍ ، فهم لا خيرَ فيهم يازيمون مضاجعهم
 كسلاً وقصرَ همّةٍ ، ورضى بأدنى الهِمَّتَيْنِ وأسقطَ العِشَّتَيْنِ . والعرب تسمّى
 مَنْ كان كذلك ضاجِعاً وضُجِعِيّاً^(١) . وبنات نعش ليست من النُّجُومِ
 السَّيَّارة ، فلذلك شبهه بها .

٦٦٥

وقال رجلٌ من بني جَرِمٍ^(٢) :

١ - دَأَفْتُ إِلَى صَمِيمِكَ بِالْقَوَافِي عَشِيَّةً تَحْفَلُ فَهَمَّتْ فَكَأ
 ٢ - وَصَدَّقَ مَا أَقُولُ عَلَيْكَ قَوْمٌ عَرَفَتْ أَبَاهُمْ وَتَقَوَّا أَبَاكَ
 الصَّمِيمُ : الخالصُ من النسبِ والفخر . وجعل له ذلك على طريق الهُزءِ ،
 فهو كقول الله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ . يقول : ما كان
 مِنْ حَسَبِكَ خَالِصاً ، وَمِنْ نَسَبِكَ صَافِياً لَا شَوْبَ فِيهِ وَلَا لَبَسَ دُونَهُ ، أَبْطَلْتَهُ
 بِقَوَائِي ، وَزَيَّفْتَهُ حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي الْمَجْمَعَةِ بِمَرَامِيٍّ ، فَهَمَّتْ أَسْفَالُكَ ، وَأَخْرَسَتْكَ
 فِي دَعَاوِيكَ . وَالْهَمُّ : كسْرُ الثَّنَائِيَةِ مِنَ الْأَصْلِ ، وَجَعَلَ الْهَمَّ كنايةً عن الأسفان .

(١) بضم الصاد وكسر ها . ومثله «القمدى» بكسر القاف وضمها .

(٢) التبريزي : « وقال رجل من جرم لزياد الأعجم ، وقبلى إنه لزياد الأعجم » .

وستأنى ترجمة زياد الأعجم .

أى جعلتُك بحيث لا مَعَصَّ لك ، ومَشْهَدُنا مشهود^(١) ، وأهل التمييز حضورٌ ،
وصَدَّقَني مَنْ له القِدْمَةُ والسَّابِقَةُ عليك ، وأنت تعرفهم وتعرف أوْلِيَّتهم ،
وهم ينكرون سلفَكَ ، ويُبطلون دعاوِيكَ .

٦٦٦

وقال زيادُ الأَنْجَمُ^(٢):

- ١ - وَمَنْ أَنْتُمْ إِمَّا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيْ رِيحِ الْأَعَاصِرِ
- ٢ - وَأَنْتُمْ أَوْلَى جِثْمُكُمْ مَعَ الْبَقْلِ وَالذَّبَا فَطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ
- ٣ - فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بَنَ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تُدْرِكُوا إِلَّا مَدَقَّ الْحَوَافِرِ

قوله « إِمَّا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ » يجوز أن تجعل مَنْ استفهاماً ، وقد كرّره ،
وعَلَى نَسِينَا قبله ، وإن لم يكن من أفعال الشَّكِّ واليقين ، لأنّه أجراه بحرى
نقيضه ، وهو عَرَفْتُ وَذَكَرْتُ ؛ وهم يحرون النظير [بحرى النظير^(٣)] ،
والتَّنْقِيزَ بحرى التَّنْقِيزِ . وقد مرّ له نظائر . ويجوز أن نجعل مَنْ بمعنى الذى .
وقد حُذِفَ صلاته^(٤) ، كأنه قال : إِمَّا نَسِينَا الَّذِينَ هم أنتم . والأوّل أَوْجَهُ . ونظائِرُ
الأوّل^(٥) عند أصحابنا البَصْرِيِّينَ قوله تعالى : ﴿ لِنَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا
لَبِثُوا ﴾ . وفى باب الذى قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ^(٦) ﴾ لأنّ المعنى مَنْ

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « لا يشهدنا مشهود » .

(٢) زياد الأعجم : أحد شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبى موسى
الأشعري وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ١٠١ هـ الكلام على
عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضا :
زياد بن سلميان . انظر البيان (١ : ٧١) والخزانة (٤ : ١٩٣) ومعجم المرزبانى ١٣٣
والشعراء لابن قتيبة والأغاني (١٤ : ٩٨ - ١٠٥) . (٣) التكلة من ل .

(٤) كذا فى النسختين . والمراد « حذف صدر صلاته » .

(٥) فى النسختين : « الثانى » والتنظير الأول ، وهو التعليق بالاستفهام .

(٦) هذه قراءة يحيى بن يعمر ، وابن أبى إسحاق ، وهى القراءة التى يستقيم بها الاستشهاد
وقراءة الجمهور : « أحسن » بفتح النون ، على أنها فعل . وقال بعض نحاة الكوفة فى =

هو أحسن . وقوله « مِنْ أَى رِيحِ الْأَعَاصِرِ » ، والأعاصير : جمع الإعصار ، وهو الفُيَّار السَّاطِعُ المستدير ، وفي المثل : « إِنْ كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَاراً » . وإِنَّمَا خَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا تَسُوقُ غَنِيئاً ، وَلَا تَدْرُسُ سَعَاباً ، وَلَا تُنْقِحُ شَجَرًا ، فَضُرِبَ الْمَثَلُ بِهَا لِقَلَّةِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِمْ . وهذا كما قال الآخر ^(١) :

وَأَنْتَ عَلَى الْأَدْنَى شِمَالُ عَرَبِيَّةٍ شَامِيَّةٌ تَزْوِي الْوُجُوهَ بَلِيلُ

وهم يحملون الرِّيحَ كنايةً عن الدَّوْلَةِ ، فيقال : فلانُ هَبَّتْ لَهُ رِيحٌ ، فكأنه جعل دولتهم لا تُجْدِي ولا تَرُدُّ نفعا ، بل تُتَوَّى ^(٢) وتجرُّ شرًّا ، وقوله « وَأَنْتُمْ أَوَّلَى جِئْتُمْ » ، يريد الذين جِئْتُمْ مَعَ الْبَقْلِ . والمعنى أَنَّ شَرَفَكُمْ حَدِيثٌ . ومثله قول الآخر :

تَمُوتُونَ هَزَلَى فِي السَّنِينَ وَأَنْتُمْ أَسَارِبُ تَحْمِيَا كَلَّمَا نَبَتَ الْبَقْلُ

وقوله « فطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرَ طَائِرٍ تَضْجُرُ بِهِمْ وَتَعْجَبُ مِنْ بَقَائِهِمْ ، وَعَتَبٌ عَلَى الزَّمَانِ فِي اسْتِبْقَائِهِمْ .

وقوله « فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » يريد أَنَّ كُلَّ مَنْ يُذَكَّرُ لَكُمْ ^(٣) وَعِنْدَكُمْ فَهُوَ سَابِقٌ لَكُمْ ، مُقَدَّمٌ عَلَيْكُمْ بِالزَّمَانِ وَالْفَضْلِ ، فَأَنْتُمْ عَلَى السَّاقَةِ لَمْ تُذَكِّرُوا مَنْ أُخْرَزَ قِصَبَاتِ السَّبْقِ إِلَّا مَدَقَّ الْحَوَافِرِ ، وَمَوَاطِيءُ الْأَقْدَامِ . جَمَلَهُمْ فَسَاكِلَ ، وَمَتَأَخَّرِينَ عِنْدَ الْفَضَائِلِ .

— تخريجها : يصح أن يكون أحسن هذه أسما ، وهو أفنل تفضيل مجرور بالفتحة صفة للذي وإن كان نكرة ، من حيث قارب المعرفة إذ لا يدخله « أَل » ، كما تقول العرب : مروت بالذي خير منك ، ولا يجوز مروت بالذي عالم . تفسير أبي حيان (٤ : ٢٥٥) .

(١) هو طرفة بن العبد ، كما سبق في الحماسة ٦٠١ من ١٤٤١ .

(٢) أنواه : أهلها . وفي الأصل : « تنوى » تحريف . وفي ل : « توبى » .

(٣) في الأصل : « من يذكركم » ، صوابه في ل .

٦٦٧

وقال عمرو بن الهذيل^(١):

١- نحنُ أقمنَا أمرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَأَنْتَ بِشَاحٍ مَا تُعِيرُ وَمَا تُحْلِي^(٢)

٢- وَمَا تَسْتَوِي أَحْسَابُ قَوْمٍ يُورَثُ قَدِيمًا وَأَحْسَابُ نَبْتَيْنِ مَعَ الْبَقْلِ

فَإُجَّحُ : اسم ماء . وما تُعِيرُ وما تُحْلِي ، أى لا تأتى تجلو ولا مَرٍ . بصف
عَجْزَه وَضَعْفَه ، وقعودَه عن المعونة أَوَّانَ الحاجة . وقول زهير :

* عَلَى صَيْرِ أَمْرِ مَا يُبِيرُ وَمَا يَحْلُو^(٣) *

فَأَمْرٌ فِيهِ بَعْنَى صَارَ مَرًّا . ويقال فى هذا مَرًّا أَيْضًا . وقولهم فى المثل :
« مَا أَمْرٌ فَلَانٌ وَمَا أَحْلَى » فهو مثلُ المعنى الذى فى البيت . والمعنى : ما أتى بجلو
ولا مَرٍ . ومرادُ الشاعر فى هذا البيت ظاهر ، وهو المعنى المتقدم .

وقوله « وَمَا تَسْتَوِي أَحْسَابُ قَوْمٍ » تستوى بمعنى تُساوى وتُمَازِل ، وقد
يكون استوى بمعنى استعلى . على ذلك قولهم :

* قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ^(٤) *

(١) التبريزى : « وقال عمرو بن الهذيل العبدى . وقال أبو رياش : هو لرجل من بني
صبل » . وفى مجمع المرزبانى ٢٤١ « عمرو بن الهذيل الربعى » . قال المرزبانى : « يقوله
لأبى غسان مالك بن مسمع حين فر أيام النصبية ، فنزل بأجأ حتى تجأت الرحبية » .
(٢) المرزبانى : « لا تتمر ولا تحل » . وقوله هند التبريزى :

لَا تَرْجُ خَيْرًا عِنْدَ بَابِ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا كُنْتَ مِنْ حَيٍّ حَنِيفَةً أَوْ مَجْلٍ

(٣) ثانى بيت له من القصيدة التى مطلعها :

صَحَا الْقَلْبُ عِنْدَ سُلْمَى وَقَدْ كَادَ لَا يَسْلُو وَأَنْفَرُ مِنْ سُلْمَى التَّعَانِيقِ وَالثَّقْلُ

وصدره : * وَقَدْ كُنْتُ مِنْ سُلْمَى سَنِيًّا ثَمَنِيًّا *

(٤) بعله فى اللسان (سوى) :

* مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ *

٦٦٨

وقالت كنزة في مية^(١) :

- ١ - أَلَا حَبْدًا أَهْلُ الْمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيَّ فَلَا حَبْدًا هِيَا
 - ٢ - عَلَى وَجْهِ مَيَّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَيَّةٍ وَتَحْتَ الثَّيَابِ الْجَزَى لَوْ كَانَ بَادِيَا
 - ٣ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلِفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيَا^(٢)
 - ٤ - إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا
 - ٥ - كَذَلِكَ مَيَّ فِي الثَّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَتَوَاهُ يُخْفَيْنِ مِنْهَا الْمَخَازِيَا
 - ٦ - فَلَوْ أَنَّ غَيْلَانَ الشَّقَى بَدَتْ لَهُ مُجَرَّدَةً يَوْمًا لَمَا قَالَ ذَا لِيَا
 - ٧ - كَقَوْلٍ مَضَى مِنْهُ وَلَكِنْ لَرَدَّهُ إِلَى غَيْرِ مَيَّ أَوْ لِأَضْبَحَ سَالِيَا
- قوله ذا من لفظة «حبذا» أشير به إلى الشيء، وهو مع حب بمنزلة الرجل من نعم الرجل، إلا أنه أجري معه مجرى الأمثال، لا يغير ولا يفصل بينهما. والمعنى: محبوب في الأشياء أهل الملا غير مَيَّ، فإنها إذا ذكرت لا تستعق مدحاً ولا اختصاصاً، ولا ثناء ولا إطراء، فلا تعطى هذا القول، ولا تُذكر عند الدعاء بالشقيا، ولا تدخل عند الحمد أو العجب في الذكرى. وقولها «فلا حبذا هي» جعل ألف ذا على انفصالها تأسيساً، لأن الروي من اسم مضمير وهو مَيَّ.

(١) للبريزي: «كنزة» شيلة المنقري في مية صاحبة ذي الرمة. وقيل: هي لذى الرمة، وذلك أنه كان يشبه مية وكانت من أجل الناس ولم تره قط، فجلت له عليه أن تنحر بدنة أول ما تراه. فلما رآته رأت رجلاً دميماً أسود، فقالت: واسومتاه! فقال ذو الرمة فيها: «وقد سبقت ترجمة «كنزة» في الحماسة ٢٤٠ ص ١٠١. وفي الأغاني (١٦): (١١٤) وأما للزجاجي ٥٧ أن تلك الأبيات قبلت حل لسان ذي الرمة بنية الإفساد بينه وبين صاحبه. وانظر ملحقات ديوان ذي الرمة ٩٦ - ٩٧.

(٢) للبريزي: «أبيض صافيا».

وقولها « على وجهه مَسْحَةٌ » تريد أن ظاهرها حسن، كأن الله عز وجل قد مسحها بالجمال مسحاً، ويكون أصله من المسح باليد، وقد استعمل في الدعاء فقيل المبيض: مسح الله ما بك من آفة، وقيل أيضاً: هو ممسوح الوجه أى مستوى الخلق. وقولها « وتحت الثياب الخزي » تريد أن ما سوى المصارى منها مما هو مؤاثر من بدنها، ومستور بثيابها، قبيح. وقولها « لو كان بادياً » جواب لو مُقَدَّم عليه. أرادت: لو ظهر الخلق منها كان خزيًا. ثم شبهتها بالماء ينفاهى صفاؤه ولونه، ويتراعى للناظر زرقته، ويخسب عذبا سلسالاً فإذا هو مانح أجاج، حتى إذا ورد الوارد فنظر إليه صار كأنه يمدّه من نفسه بظاهره عذوبة، فإذا طعمه يُخَفِّف ولا يثني، بل يُعطيه سرارة. هذا إذا روي « يُخَفِّف » لأنه من الخلف في الوعد، وقد روي « يُخَفِّف » فيكون من الخلوف: التثني. وفي الحديث « خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » والمراد أن ظاهر هذه المرأة كظاهر هذا الماء، وباطنها كباطنها فكما أن وارد هذا الماء وقد اضطربه العطش وساقه حرارة الجوف والغلة يصدر عنه وقد تضاعف ظمؤه وتزايدت حرته، كذلك هذه المرأة للكاشف عن أمرها، والذائق بعد الاغترار بها. وقولها « بأضعاف الذي جاء »، [تريد جاء^(١)] عليه، لحذف حرف الجرّ وَوَصَلَ الْفِعْلُ بنفسه، فصار جاءه، ثم حَذَفَ الضمير من الصلة استنقالات واستطالة لكون أربعة أشياء شيئاً واحداً: الموصول، والفعل، والفاعل، والمفعول. ومن جَوَزَ حَذَفَ الجار والمجرور من الصلة فالأمرُ عنده أقرب. وانتصب « ظامنا » على الحال.

وقولها « فلو أن غيلان الشقي » تعنى به ذا الرثمة، لأنه كان يفسبُ بمية^(٢)، وكان يسميها مرة ميا ومرة مية. فتقول: لو أنها تجرّدت له لتبرأ منها وتقدم

(١) التكلة من ل.

(٢) في الأصل: « يشبهها » صوابه في ل.

على ماسيرُهُ من النَّسِيبِ فيها . وانتَصَبَ « مُجَرَّدَةٌ » على الحال . وأشارت بذا
من قولها « لما قال ذالِياً » إلى مُجَرَّدِ مَيَّةَ ، أى ما حَدَّثَ نَفْسَهُ بأنه له . ويُرْوَى :
« لما قال آلياً » وهذا يتعلَّقُ بما بعده . أرادت : لما قال كقولهِ فيما سَلَفَ ذالِياً .
وآلياً ، أى مقصِّراً عندَ نَفْسِهِ فى دَعْوَاهُ ، وأَهْرَفَ تشبيهُهُ^(١) إلى غيرها ،
وَلَدَسَلَى من النَّسَاءِ رأساً . وزَهَدَ فيهنَّ استنبشاً لهاً . وآلياً ، من قولك : لا آلو
فى كذا ، أى لا أقصِّر ، وينتصب على الحال . وقولها : « لَرَدُّهُ » ، اللام جواب
يمين مضمره . وذكر بعضهم أن معنى آلياً حالفاً ، أى كان لا يُقْسِمُ بها ، وهذا
خطأ ، لأنَّهُ كان يجبُ أن يكون مُوَلِّياً . ألا تَرَى أَنَّهُ يقال : آليتُ فى اليمين
إيلاءً . وقيل : آا : توجَّعُ فهو كَأَوْهٍ ، والمعنى : لم يَقُلْ لما يَسْتَجِدُّ من الزُّهْدِ فيها
آالى ، متأوِّهاً ومتوجِّهاً — وهذا كما يُقال فى الأمر وقد نكأ فى متولِّيه : شقاء
لى ، بكاء لى ، وأشقى لى ، وأبكى لى — وجداً بها ، فعلى هذا يكونُ آالى
حكاية صوتٍ موضعه رفعٌ بالابتداء ، ولى خبرُهُ ، والأوَّلُ أقربُ عندى .

٦٦٩

وقال أبو العتاهية^(٢) :

- ١ — جُزِيَ البَخِيلُ عَلَى صَالِحَةٍ عَنَى بِحَقَّتِهِ عَلَى ظَهْرِى
- ٢ — أَعْلَى وَأَكْرَمَ عَنِ يَدَيْهِ بَدَى فَعَلَتْ وَنَزَهَ قَدْرُهُ قَدْرِى
- ٣ — وَرَزَقْتُ مِنْ جَدَّوَاهُ حَافِيَةً أَلَّا يَضِيقَ بِشُكْرِهِ صَدْرِى
- ٤ — وَغَنَيْتُ خِلَواً مِنْ تَفَضُّلِهِ أَحْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْمُذَرِّ
- ٥ — مَا فَاتَنِ خَيْرُ امْرِئٍ وَضَعَتْ عَنَى يَدَاهُ مَوْثُونَ الشُّكْرِ

(١) ل : « نسيبه » .

(٢) لقب له ، واسمه إسماعيل بن المقاسم ، شاعر حبسى منشؤه بالكوفة . وأكثر
شعره فى الزُّهْدِ . توفى سنة ٢٠٥ . الأغاني (٣ : ١٢٢ - ١٧٦) والشعر ٧٦٥ - ٧٦٩ .

يَقُولُ : جَزَى اللَّهُ الْبَخِيلَ عَلَى بِمَالِهِ خَصَلَةً صَالِحَةً ، فَقَدْ خَفَّ نَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِي ، لَسَقُوطِ مِثْقَةِ عَنِّي ، وَذَاكَ أَنَّهُ أَجَلَنِي عَنْ صَنِيعَتِهِ ، وَأَكْرَمَ نَحْمَلِي إِذْ أَخْلَانِي مِنْ عَارِفَتِهِ ، وَصَانَ قَدْرِي حِينَ لَمْ يَبْتَذِلْهُ لِعَطِيَّتِهِ ، وَرَفَعَ يَدِي وَكَرَّمَهَا حِينَ لَمْ يَشْنُهَا بِمَرْزِيَّتِهِ ، فَرَزَقَنِي اللَّهُ عَافِيَةً مِنْ ضَيْقِ الذَّرْعِ بِشُكْرِهِ ، وَالتَّطَوُّقِ بِأَفْضَالِهِ ، وَاسْتَفْنَيْتُ عَنْهُ خَالِيًا مِنْ بَرٍّ ، مُنْصَرِفًا مِنْ تَفَضُّلِهِ ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِ يَبْسُطُ عُذْرَهُ حِينَ لَمْ يَجِدْ عَلَيَّ ، وَلَمْ يَتَلَقَّ إِقْبَالِي عَلَيْهِ بِقَبُولِهِ لِي .

وَلَمَّا قَالَ : أَعْلَى يَدِي فَعَلْتُ ، كَانَ الْأَحْسَنُ فِي مَقَابَلَتِهِ أَنْ يَقُولَ : وَنَزَرَهُ قَدْرِي فَزَرَهُ . وَيَقَالُ : فَلَانْ نَزِيهُ كَرِيمٌ ، إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنَ اللَّوْمِ . وَقَوْلُهُ « أَلَا يَضِيْقُ » لَكَ أَنْ تَرْفَعَهُ وَأَنْ تَنْصِبَهُ ، فَالْتَّصِبْ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَنْ النَّاصِبَةَ لِلْأَفْعَالِ ، وَالرَّفْعَ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَنْ مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَيَكُونَ اسْمُهُ مُضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَنَّهُ لَا يَضِيْقُ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُهُ . وَالْعَافِيَةُ : مُصَدَّرٌ كَالْعَاقِبَةِ ، وَمِثْلُهُ مَا أَبَالِيهِ بِالِيَّةِ ، وَقَدْ قَامَا ، لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ أَسْمَ الْفَاعِلِ يَكُونُ اسْمًا لِلْمُصَدَّرِ وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي بِنَاءِ الْفِعُولِ . وَمَوْضِعُ « أَلَا يَضِيْقُ » نَصَبٌ بِكَوْنِهِ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ عَافِيَةً . وَانْتَصَبَ « خِلَوْا » عَلَى الْحَالِ . وَجُمْلَةُ الْمَعْنَى : أَنَّهُ لَمْ يَقْنَنِي لِإِحْسَانِ رَجُلٍ لَمْ يَلْزَمْنِي لَهُ شُكْرُ إِفْضَالٍ ، وَلَمْ يَجِبْ بِفَعْلِهِ بِي عَلَى اعْتِدَالِهِ .

٦٧٠

قال ابن عبدل الأسدي^(١) :

- ١ - أَضْحَى عُرَاجَةً قَدْ تَعَوَّجَ دِيبُهُ بَعْدَ الْمَشِيبِ تَعَوَّجَ الْمِصَارِ
 - ٢ - وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عُرَاجَةِ خِلَتِهِ فَرِجَتْ قَوَائِمُهُ بِأَيْرِ حِمَارٍ
- أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ يَجْسُرُ عَلَى تَشْبِيهِهِ بِالسُّوءَةِ . وَضَرَبَ الْخَفَاءَ وَالْفُحْشَ مَثَلًا

(١) سبقت ترجمة الحكم بن عبدل في الخصائص ٤٥٠ ص ١٢٠٤ .

له في جهوه ، فأما المعنى فظاهر ، وإنما شبه تموّج ديبه على كثرتيه وسينه بتموّج
المسار في العمل ، وقد مجزّ عَمَّا حُلَّ ، فإن أُكْرِه على النفاذ انكسَرَ ؛ وإن
طَلِبَ نَزْعُهُ لِيُجْعَلَ أَقْوَى مِنْهُ بَدَلَهُ تَعَسَّرَ ، فكذلك عُرَاهُ في احوجاج
ديبه والتوائه ، لا صَرَفَهُ وَرَدْعَهُ ممكن ، ولا احتمالُهُ عليه مُسَوِّغٌ

٦٧١

وقال أم عمرو بنت وقدان :

- ١ - إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَطْلُبُوا بِأَخِيكُمْ فَذَرُوا السَّلَاحَ وَوَحِّشُوا بِالْأَبْرِقِ
 - ٢ - وَخَذُوا الْمَكَاحِلَ وَالْمَجَازِدَ وَالْبَسُوا نَقَبَ النَّسَاءِ فَيَنْسَ رَهْطُ الْمُرْهَقِ
 - ٣ - أَلْهَاكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا بِأَخِيكُمْ أَكْلُ الْخَزِيرِ وَلَفَقُ أُجْرَدَ أَتَحَقُّ
- تقول : إِنْ ضَيَّعْتُمْ دَمَ أَخِيكُمْ ، وقعدتم عن الانتقام له ، لتقصيركم في طلب
ثأره ، فضعوا السِّلَاحَ وأطرحوه بالأَبْرِقِ . ويقال : وَحَّشَ بَثْوَبه وبسيفه ، إذا
رَمَى به بعيداً . وفي الحديث : « وَحِّشُوا بِرَمَاحِهِمْ »^(١) ، أى رَمَوْا بِهَا . ويجوز
أن تريد تَوَحِّشُوا ، أى صَيَّرُوا مَعَ الْوَحْشِ حَيَاءً مِنْ فِعْلِكُمْ ، وهاجِرُوا النَّاسَ
وحائبوهم . والعرب تقول : إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ تَأَنَسَّ كُلُّ وَحْشِيٍّ ، وتَوَحَّشَ كُلُّ
إِنْسِيٍّ . يريدون بِتَأَنَسَّ اسْتَأْنَسَ ، وتَوَحَّشَ اسْتَوْحَّشَ . ومثْلُ وَحَّشَ بِمَعْنَى
تَوَحَّشَ قَدَّمَ بِمَعْنَى تَقَدَّمَ ، وَتَبَّ بِمَعْنَى تَنَبَّ . وعلى هذا يَحْمَلُ قولُ امرئ القيس :
وَأَنَا اللَّئِيَّةُ بَعْدَ مَا قَدْ تَوَّعَمُوا وَأَنَا الْمَعَانِ صَفْحَةَ الذُّؤَامِ
لأنه إِنْ لَمْ يَجْعَلْ مَقْبَهُ بِمَعْنَى مَتَبَّهُ بصير عَجْزُ الْبَيْتِ كَصَدْرِهِ فِي أَنَّهَا بِمَعْنَى

(١) هو من حديث علي رضي الله عنه ، أنه لقي الخوارج فوحشوا برماحهم واستلوا
السيف . اللسان (وحش) . وفيه أيضاً : « ومنه الحديث : كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خاتم من حديد ، فوحش به بين ظهراني أصحابه ، فوحش الناس بخواتمهم » .

واحد . وقال بعضهم : وحشوا معناه اطلبوا صيد الوحش وتقوتوه . وهذا يرجع معناه إلى ما ذكرناه ؛ لأن معناه فارقوا الناس والكون معهم .
وخَصَّتِ الأبرق لأنه كان مما وليهم ، وهو المكان فيه حجارة سود وبيض .
وبقال : جبل أبرق ، إذا كانت طاقاته سوداً وبيضاً .
وقولها « وخذوا الكاحل » ، تريد : اجعلوا بدل السلاح آلات النساء :
والمجاسد : جمع المجسد ، وهو الثوب المشبع صبغاً . والجساد : الزعفران .
والثقب : جمع ثقبية ، وهي إزار تجعل له حُجْزَةً كحُجْزَةِ السراويل تلبسه المرأة . قال :

بيضاء مثل القلب^(١) في ثقبية وإنث
والإنث : القميص .

والغنى : إن لم تتأروا لصاحبكم فتربوا برئ النساء فإنكم إناث ، وبئس رهط المُرْهَق : المضييق عليه أتم . وحذف المذموم بئس ، وهو أتم ، لأن المراد مفهوم . وهذا الكلام بمتّ وتحضيض على طلب الدم ، فهو كقول أخت عمرو حين بمنتّ غمراً على طلب دم أخيه عبد الله فقالت :

فإن أنتم لم تتأروا بأخيكُم فشؤا بأذان النعمان المصلم^(٢)
ولا تردوا إلا فصول نساءكم إذا ارتملت أعقابهن من الدم .
وقولها « ألهاكم أن تطلبوا » تهيج وإغراء . والخزير : حساء يحمى .
والأجرد : الأحمق ، يراد به نحى أوزق ديس . والأحمق : القليل ، كأن بصير لكم تحقاً لا يبارك الله فيه ، وأحمق من باب أفعّل الذي لا فلاء له ، والأفق ، هو لما في اللحي لاله ، فتوسّع فيه .

(١) القلب ، بتطليث القاف : قلب النخلة ، وهو جارها .

(٢) سبق البيتان في الحماسية ٥٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

٦٧٢

وقالت امرأة من طي^(١) :

١ — فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي قَتَلَتْهُمْ عِمَارَةً مِنْ السَّرَوَاتِ وَالرُّهُوسِ الذَّوَابِ^(٢)

٢ — صَبَرْنَا لِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ عَامِدًا وَلَكِنَّمَا أَثَارُنَا فِي مُحَارِبِ

٣ — قَبِيلِ لَثَامٍ إِنْ ظَفِرْنَا عَلَيْهِمْ وَإِنْ يَمْلَبُونَا يُوجَدُوا شَرًّا غَالِبِ^(٣)

العِمَارَةُ : الحى العظيم يطبق الانفراد ، وقد يُفتح العين منه فيقال : العِمَارَةُ ،

لُعَّةٌ . ومثله العَمِيرَةُ ، وقيل : هما جميعاً البطن . والسَّرَوَاتُ : الرؤساء .

والذَّوَابِ : الأعلى ، وهو جمع ذَوَابَةٍ ، واستعملوا الذنائب فى خلافه ، وهو جمع

ذُنَابَةٍ ، وهما اسمان فى الأصل وَصِفَ بهما . وَأَثَارٌ : جمع الثَّارِ . يقول : مُمٌ

الذين أصابونا عن ذلتهم وخسرتهم ، فالتبلاء أعظم ، وقَرَحُ القلبِ أوجع ،

ولو أصابنا غيرهم كان الخطبُ أيسرَ ، والصبرُ عليه أوسع . وهذا كما يقال

فى المثل السائر : « لو ذاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي » .

وقولها « قَبِيلُ لَثَامٍ » ، هو تفصيل ما أجمله . وقولها « إِنْ ظَفِرْنَا عَلَيْهِمْ »

عَدَى ظَفِرْنَا تعديّةً عَلَوْنَا ، لأنه فى معناه ، وهم يحملون الضمير على الضمير .

وللمنى : لا اشتفاء فى الانتقام منهم إِذَا نِيلُوا ، وَلَا يُنِيمُونَ طَلَابَ الأوتارِ

إِذَا ثَارُوا . وجواب الشرط ، وهو قوله إِنْ ظَفِرْنَا ، متقدّم يشتمل عليه قوله

« قَبِيلُ لَثَامٍ » ، لأن فيه معنى الفعل .

(١) للتبريزى : « وهى عاصية البولانية » .

(٢) روى قبله التبريزى :

أعاصى جُودى بالذموم السَّوَاكِبِ وَبَكَى لك الويلاتُ قَتْلَى مُحَارِبِ

(٣) التبريزى : « إِنْ ظَهَرْنَا » .

ومثل قولها « وَإِنْ يَغْلِبُونَا يَجِدُوا شَرًّا غَالِبٌ » قولُ امرئ القيس :

* وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مَغْلَبٍ ^(١) *

إلا أنه في النسب .

٦٧٣

وقال آخر ^(٢) :

١ - إِذَا مَا الرِّزْقُ أَحْجَمَ عَنْ كَرِيمٍ فَالْجَاءُ الزَّمانُ إِلَى زِيَادٍ ^(٣)

٢ - تَلْقَاهُ بوجهٍ مُكْفِهَةٍ كَأَنَّ عَلَيْهِ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ

الإحجام : النكوص عن القرن هيبة له . وقد توسَّع به هنا . وضده الإقدام . ويقال : نكصَ على عَقَبَيْهِ . والمكفِهَة : المستقبل بكراهة وتفضُّن وجهه . ويقال : سَحَابٌ مُكْفِهَةٌ ، إِذَا تَرَاكَمَ ، وَوَجْهٌ مُكْفِهَةٌ . ويروى : « بوجهٍ مَقْشَمَةٍ » ، والأصل في الاقشعرار تقبُّض الجِلْد وانتصاب الشَّمَر ، ثم يُتوسَّعُ فيه فيقال : اقشعرت الأرضُ والنباتُ والسَّنة . والمعنى ظاهرٌ ، وهو أَنَّ الْعَاقِبَ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ تَلْقَاهُ بِعُبُوسٍ ، كَأَنَّهُ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ لَوُرُودٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَرْزَاقُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ . وجوابُ إِذَا « تَلْقَاهُ » .

٦٧٤

وقال أبو محمد الزيدى ^(٤) :

١ - عَجَبًا لِأَحَدٍ وَالْمَعْجَانِبُ جَمَّةٌ أَيْ يَلُومُ عَلَى الزَّمانِ تَبَذُّلِ

(١) تمامه :

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

(٢) التبريزى : « وقالت غيرها » .

(٣) التبريزى : « وأجاء » .

(٤) هو يحيى بن المبارك بن المنيرة العدوى ، أبو محمد الزيدى النحوى المقرئ اللوى =

- ٢ - إِنَّ الْعَجِيبَ لِمَا أَبْثَكَ أَمْرَهُ مِنْ كُلِّ مَثْلُوجٍ الْفَوَادِ مُهْبَلٍ
 ٣ - وَغَدٍ يَلُوكُ لِسَانَهُ بِلَهَانِهِ وَتَرَى ضَبَابَةَ قَلْبِهِ لَا تَنْجَلِي
 ٤ - مُتَصَرِّفٍ لِلشُّوكِ فِي غُلُوءَانِهِ زَمَرِ الرُّوءِ جَامِحٍ فِي الْمِسْخَلِ
 ٥ - وَإِذَا شَهِدْتَ بِهِ تَجَالِسَ ذِي الشَّعَى وَبَلَّتْ سَحَابَتُهُ بُنُوكَ مُسْهِلٍ^(١)
 ٦ - غَلَبَ الزَّمَانُ بِجَدِّهِ فَمَا بِهِ وَكَتَبَ الزَّمَانُ لَوَجْهِهِ وَالْكَلْكَلِ

قوله « والعجائب جمة » اعراض بين أحد وقصته التي عجب منها .
 ويقال : أمر عجب وعجاب وعجيب وعاجب . وأبلغ هذه الأنبية العجائب .
 وانتصب « عجبا » على المصدر . يقول : أنه عجب لأحد كيف أنكر خلق
 وطريقتي ، حتى لامني في تبدلي على تنكر الأيام وتغيرها ، ومن أين استطرف
 مارأي من حالي وقصتي ، ومقتضى الوقت وموجب حكمه لا بدعوان إلى غيره .
 ثم أقبل يخاطب أحد بعد الإخبار عنه فقال : إن العجب ما أطلعك عليه
 وأبائك فيه ، وأكشفت لك مستوره وخافيه ، من كل رجل بطيء الفهم ، مئيت
 الخاطر ، مدغور عليه بالهبل لنقله وعجزه غبي ، عيبي ، إن حدث أدار لسانه
 في فيه يمتصغ كلامه ، وإن أثتمن خان ، وكان ذا لونين ليفاقه ، وكان قلبه
 قد رين عليه لما يضره من غل ، فعليه لكل أحد ضبابه ، فلا تصفو
 نيته ، ولا تخلص طويته ، متصرف في غلواء ألحق وارتفاعه وانتهائه ، قليل

= مولى بنى عدى بن عبد مناة . بصرى سكن بغداد ، وحدث عن أبي عمرو والخليل ، وأدب
 أولاد يزيد بن منصور الحميري خال المهدي ، ونسب إليه ، ثم أدب المأمون . قال المازني :
 « وكانت مرتبته أن يدخل إليه مع الفجر ، ويصل معه ، ويدرس عليه المأمون ثلاثين آية » .
 وسأله مرة عن شيء فقال : لا وجعلني الله فداك ! فقال المأمون : لله درك ، ما وضعت الواو
 في مكان أحسن من موضعها هذا ! توفي بخراسان سنة ٢٠٢ . بنية الوداعة ١٤ - ١٥
 ومعجم الأدباء (٢٠ : ٣٠ - ٣٢) وابن خلكان (٢ : ٢٣٠ - ٢٣٣) ومعجم
 المازني ١٩ : ٧٣٦٥ . وقار يخ بغداد ٧٣٦٥ .

(١) هذا ما في الأصل . وفي الأصل : « بنوه » .

المروءة، زمر الحميمية، يركب رأسه فيما بين، وبغفل عن القصد فيما فيه
يحد، ويمضى قدماً في الشر فلا يرتدع، ويعلو على زاجره فلا يرجع، ولا
يقف وإن كبح بلجام المنع، ولا يزعوى وإن أودن بالهلك؛ ثم إن
حضرت به مجالس الفضل والعقل، سألت سحابة جهله يحقني تلتطم أمواجه،
وتندفع بصوته أركانه؛ وعلى ما به من النذالة والجهالة رزق جداً فحظي،
وغلب على أهل زمانه بما قسم له قعلي، وذل له الدهر فكبا صدره ووجهه
ضارعاً، وانقاد لأمره ونهيه صاغراً، حتى أدرك ما شاء ممتداً في شأوه، مستترفاً
في شأنه، آخذاً قصب السبق في ميدانه، فإن تمجبت فالعجيب هذا، وإن
استفكرت فالنكير هذا.

وبروى :

غلب الزمان بجده وسمّا به فكبا الزمان

فيجعل الفعل لازمان ويكون معنى سمّا به رفعه . ثم أخذ يدعو على الزمان
فقال : سقط لوجهه وكله ، حين اختار مثله لإحسانه ، وهذا حسن جداً .
والوعد : الدئي ، من قولك : وعدت القوم إذا خدمتهم ^(١) . والنهي :
القول ، والواحدة نهية . والنوك : الحق . والمسحلان : حلقاً شكيماً اللجام ،
والجميع للساحل . ومعنى « على الزمان » ، على تصارييف الزمان ؛ فحذف
المضاف .

وموله « أثبتك أمره » أى أجعل أمره مما تبث وتخزن له . والمثلوج
الغزاد : البليد الخالي من الذكاء والحدة . واللوك : المضعف .

(١) في الأصل : « إذا دنوتهم » ، صوابه في ل . وفي اللسان : « والوعد : خادم
القوم ، وقيل الذى يخدم بطعام بطنه » .

- ٧ - ولقد سَمَوْتُ بِهَيْتِي وَسَمَّا بِهَا طَلَبِي الْمَكَارِمَ بِالْفَقَالِ الْأَفْضَلِ
 ٨ - لِأَنَّا لَ مَسْكُومَةُ الْحَيَاةِ وَرُبَّمَا عَثَرَ الزَّمَانُ بِذِي الدَّهَاءِ الْخَوَلِ
 ٩ - فَلَنْ غَلَبْتُ لَتُمْضِينَ ضَرْبَتِي كَلَبَ الزَّمَانِ بِعَفَّةٍ وَتَجَمَّلِ
- رجع إلى صفة نفسه على تنكير^(١) الزمان له ، فقال : إني وإن لم تساعدني الحال ، ولا يقوم لما أنويه المال ، فلي همة رفيعة ، ونفس أتيّة ، يسمو بهما ارتقائي في درجات الفضل ، وطلبي المعالي بأحسن الفعل ، لأعيش مكرّماً مَصُونًا ، فلا يفوتني سلامة الدين والروء ، وإن فاتتني الزيادة في الحال والمقدرة ؛ والدَّهْرُ قد يَمُتُّ بِالرَّجُلِ لِلتَّامِ الثَّكْرِ ، المبرر القوة والخول ، لجهله بموضع الصّليمة ، فإن غلبني على حظي ، وتخطاني عند القسم إلى غيري ، فطبيعتي تُسَلِّني وتُرْضيني ، ومعرفتي بمن عنده المال والعتاد تُصْرِفُ الْمَهْمَ عَنِّي ، فتَنَمِّحِي آثَارَ الْخُدَّانِ ، وَهَرَامَةُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ^(٢) ، بعفافٍ أَسْتَعْمِلُهُ ، وتَجَمَّلِ أَنْزِمُهُ ، أَثَلًا يَشْمَتَ عَدُوٌّ ، أَوْ يَفْرَحَ حَسُودٌ .

ثم باب الهجاء بحمد الله وعونه^(٣)

والحمد لله على تظاھر آلائه ، والصلاة على سيّدنا محمد وآله .

[تم القدم الثالث . من شرح المَرْزُوقِ للحماسة]

(١) في الأصل : « شكوا » ، صوابه في ل .

(٢) المرامه : الشدة والشراسة . وفي ل : « غرامة » تحريف .

(٣) ل : « ومنه » ، وما بعده من الكلام ليس في ل .

المسرح رفع همل
غفر الله له ولوالديه

شرح ديوان الحماسة

لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

٤٢٦ - —

نشره

عبد السلام هارون

أحمد أمين

القيم الرابع

دار الجيد
بيروت

المسرح رفع همل
غفر الله له ولوالديه

بَابُ الْأَضْيَافِ

(١)
بَابُ الْأَضْيَافِ

٦٧٤

قال عُثْبَةُ بن بُجَيْرٍ الحارثي^(٢) :

١- وَمُسْتَنْبَحِ بَاتِ الصَّدَى يَسْتَبِيحُهُ إِلَى كُلِّ صَوْتٍ فَهُوَ فِي الرَّخْلِ جَانِحٌ
يعنى بالمستنبح ضيفاً ألباه الضلالُ عن الطريق ليلاً ، أو دَعَاءُ ضَيْقِ الوقتِ
وجَهْدِ المسيرِ مُنْفِصاً إلى أن يتكلف نُبَاحُ الكَلْبِ وحكايتَه ، لتُجَاوِبَهُ كَلَابُ
الحَيِّ المتوهمُ نزولهم في سَمْتِهِ ووجهته فيَهْتَدِي إليهم بصياحها ، ويستعين بهم على
ضُرِّهِ وحَيْرَتِهِ . وهكذا كان يفعلُه الضالُّ والمقرور في ظلام الليل . وكانوا إذا
قَرُبُوا من البيوت المظنونِ دنوُّها ، أو المعلومِ حُلُولُها ، ربما حملوا وراحِلَهم على
الرُّغَاءِ أو البُغَامِ ، إيداناً بأنفسهم . ولذلك جاء في الأمثال السائرة : « حَسْبِي
بِرُغَائِهَا مُنَادِيَا » . وأصله أن بعضَ المتعمِّرين للقرى أَرْغَى نالته فلم يُعْلَقْ
بالاستئزال ، لجلل يذمُّ ، فقيل : لو نَادَيْتَهُمْ ليعلموا بك ؟ فقال : « كَفَى بِرُغَائِهَا
مُنَادِيَا » . وقال مثم^(٣) :

وَضَيْفٍ إِذَا أَرْغَى طُرُوقًا بَمِيرَهُ وَعَانَ ثَوَى فِي الْقِدِّ حَتَّى تَكُنَّمَا
وقوله « بَاتِ الصَّدَى يَسْتَبِيحُهُ » ، الصدى : صوتٌ يَرَجِعُ إليك من
الجبلِ أو مما يجرى بجراه في ردِّ الصوتِ . يريد : أنه لما استنبَحَ صارَ الصوتُ

(١) وكذا عند ابن جنى في التنبية . وعند التبريزي : « باب الأضياف والديع » .
(٢) التبريزي : « اللزني ، من بني الحارث بن كعب » . ويبدو أن « اللزني » تحريف ،
(٣) في الأصل : « تميم » ، صوابه في ل . وقصيدة متم بن نويرة في الفضليات
برقم ٦٧ .

الراجعُ إليه يَحْمِلُهُ على أن يَنْتَهِيَ إلى كُلِّ صوتٍ يَدْرِكُهُ مُتَبَيِّنًا للصَّدى من غير الصَّدى لَكِي يُوَدِّيهِ مَا يَبِينُ لَهُ إِلَى مَطْلُوبِهِ مِنْ حَتَّى أَوْ مَا سَبِيلُهُ سَبِيلُهُمْ . وجعلَهُ في الرَّحْلِ مَائِلًا لَغَلْبَةِ النَّوْمِ عَلَيْهِ ، أَوْ لَتَهَيُّئَتِهِ لِإِدْرَاكِ الصَّوتِ . ويقال : جَنَحَ يَجْنَحُ جُنُوحًا ، إِذَا مَالَ . ومعنى « يَسْتَبَيِّنُهُ إِلَى كُلِّ صَوْتٍ » جعلَ الفعلَ مضافًا إلى الصَّدى لَغَلْبَتِهِ عَلَيْهِ ، واعتقاده في كُلِّ صوتٍ أَنَّهُ هُوَ ، فقد صارَ تَأْنِيًا إِلَيْهِ .

٢ — قُلْتُ لِأَهْلِي مَا بُغَامٌ مَطِيَّةٍ وَسَارٍ أَضَافَتُهُ الْكَلَابُ النَّوَاجِ
٣ — فَقَالُوا غَرِيبٌ طَارِقٌ طَرَحَتْ بِهِ مُتُونُ الْقِيَايِ وَالْخُطُوبُ الطَّوَارِحُ
رجعَ إلى أَهْلِهِ في التَّعْرِيفِ لِمَا غَشِيَهُ بُغَامٌ بِعَبْرِ الطَّارِقِ ، فقالَ سَائِلًا :
مَا بُغَامٌ مَطِيَّةٍ . و « مَا » يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَمَّا دُونَ النَّاظِقِينَ ، وعن صِفَاتِ النَّاظِقِينَ .
فَكَانَتْ سَأَلَ عَنْ صِفَاتِ السَّارِي وَعَمَّا أَدْرَكَهُ مِنْ صَوْتِ الْمَطِيَّةِ . وجعلَ الْكَلَابَ مُضَيِّفَةً لِّلْسَارِي لِاسْتِنْبَاحِهِ وَلِإِجَابَتِهَا لِأَيَّاهُ .

وقوله « غَرِيبٌ طَارِقٌ » هُوَ بَيَانُ مَا سَأَلَ عَنْهُ مِنْ صِفَةِ السَّارِي ، وَكَفَى بِوصْفِهِ لِأَنَّ الْبُغَامَ وَإِنْ سُئِلَ عَنْهُ أَيْضًا فَهُوَ مِنْ تَوَابِعِ السَّارِي . ومعنى « طَرَحَتْ بِهِ » رَمَتْ بِهِ . وَمُتُونُ الْقِيَايِ : جَمْعُ مَتْنٍ ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ وَغَلُظَ مِنَ الْأَرْضِ . وَكُلُّ صَلْبٍ غَلِيظٍ مَتِينٌ . ويقال : مَا تَنَفَّتُ الرَّجُلُ ، إِذَا فَعَلَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ . وَمَتْنٌ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ . وقوله : طَرَحَتْ بِهِ الْمُتُونُ وَالْخُطُوبُ ، فِيهِ دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى ضَلَالِهِ وَضُرِّهِ وَإِنْفَاضِهِ . وَيُرْوَى : « طَوَّحَتْ بِهِ » و : « الْخُطُوبُ الطَّوَّاحُ » . وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ : وَالْخُطُوبُ الْمُطَوَّحَاتُ فِي الْجَمْعِ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ ، لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ مِنْ طَوَّحَ مُطَوَّحٌ ، وَلَسَكَنَهُ أَخْرَجَ الطَّوَّاحُ عَلَى حَذْفِ الزِّيَادَةِ مِنَ الْفِعْلِ . ومثله قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ﴾ ، لِأَنَّ أَصْلَهُ أَنْ

يحمى على مَلَايَحٍ أَوْ مُلْقِحَاتٍ ، لكونها مُلْقِحَةٌ للأشجار . والفعل منه أَلْقَحَ ، فأخرجَه على حذف الزوائد فصار لَقَحَ ولَوَاقِح . وكذلك « الطوايح » قياسه أن يكون إذا عُدِلَ عن الجمع بالناء : مَطَاوِحُ . وارتفع « غريب » على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو غريب طارق . ومعنى طَوَّحَتْ به : حملته على ركوبِ المهالك . والطامحُ : المهالك ، والذاهبُ الغاني . ويقال : تطاوحننا الأمرَ بيئنا ، كما يقال تطارحننا .

٤ - قُمْتُ ولم أَجِمْ مَكَانِي ولم تَقُمْ مع النَّفْسِ عِلَاتُ الْبَخِيلِ الْفَوَاضِحُ
٥ - وَنَادَيْتُ شَبِلًا فَاسْتَجَابَ وَرُبَّمَا ضَمِنًا قَرَى عَشْرٍ لِمَنْ لَا نَصَافِحُ^(١)

يقول : لما بَانَ لِي أَمْرُ الضَّيْفِ الطَّارِقُ قَتُّ مِنْ مَكَانِي مُسْتَعْجِلًا غَيْرَ مَتَلَوِّمٍ ، حِرْصًا عَلَى إِصْلَاحِ أَمْرِهِ ، وَتَوَطِيدِ مَحَلِّهِ . ويقال : جَمَّ مَكَانُهُ وَفِي مَكَانِهِ بِمَعْنَى . وَالْجُنُومُ ، أَصْلُهُ إِلْصَاقُ الصَّدْرِ بِالأَرْضِ وَلِزُومِهَا ، وَيُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِي الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ . وَالْجُنَانُ : الشَّخْصُ مِنْهُ اشْتَقَّ . وَمَعْنَى « لَمْ تَقُمْ مَعَ النَّفْسِ عِلَاتُ الْبَخِيلِ » يَرِيدُ أَنَّ نَفْسِي لَمَّا تَهَيَّأَتْ لِلإِضَافَةِ وَتَشَمَّرَتْ لَمْ تَقُمْ مَعَهَا الْعِلَاتُ الَّتِي تَفْضَحُ أَرْبَابَهَا ، وَالْمَعَاذِيرُ الَّتِي تَحْسُنُ التَّفْرِيطَ فِي اللَّوَاظِمِ عِنْدَ مُسْتَعِدِّهَا . وَجَمَلُ الْعِلَاتِ تَفْضَحُ لَمَّا يَتَعَقَّبُهَا مِنْ ذَمِيمِ الْقَالَةِ ، وَتَضْيِيقِ الْمَعْدَرَةِ ، وَتَجَاوُبِ النَّاسِ فِي الْإِنْكَارِ إِذَا كَانَتْ الْعِلَلُ كَاذِبَةً ، وَوَجْهُهُ التَّنْظِيلُ مَسْوَدَّةً . وَقَوْلُهُ « وَنَادَيْتُ شَبِلًا » يَعْنِي بِشَبِلِ ابْنَهُ ، يَسْتَعِينُ بِهِ فِيمَا يُقَامُ مِنْ خِدْمَةِ

(١) التبريزي : « قال أبو العلاء : أشبهه ماروي في هذا البيت : قري عشر لمن لا نصافح ، بفتح العين ، أى عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصالحة . وبضم الناس [يرويه] بضم العين ، وله وجه ، أى ربما ضنا قري عشر أموالنا لمن لا نعرف . وقد يمكن أن يكون عشر جمع عشير ، وهو الذى يباشره من الغرباء أو يكون من عشيرته ، مثل ما يقال : صديقٌ وصديقٌ ، وكريمٌ وكريمٌ . ومن روى : عسر ، بالسين غير معجمة ، فالغنى أنا تهرى الضيف وإن كنا معسرين » .

الذئيف ، فذكر أنه استجابَ وتَخَفَّ معه . وذكر استجابَ ها هنا أحسنُ من
أجاب ، وذلك أن قول القائل : دعوتُ زيدًا فأجابني ، كقوله : أمرته فأطاعني .
وقوله : دعوتُهُ فاستجاب لي ، أي تقبل ما قلته وطاوعني فيه . وعلى هذا يفسرُ
أصحابُ المعاني قوله تعالى : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ . وكذلك يثبتُ
كعب بن سعد :

وداعٍ دعا يامنُ يجيبُ إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيبُ
أي لم يُدعِ لدعائه أحد . ويقال : استجبه واستجبتُ له . وقوله « وربما
ضمينًا قرى عشر » أي التزمنا قرى عشر نسمة ، ولا معرفة بيني وبينهم
سابقة ، ولا ما يوجبُ عند الالتقاء مصافحة . والقصد بقوله « ضمينًا » إلى
توطئهم النفسَ على توسيع القرى لمن لا حرمةَ له سوى حرمة الضيافة . ولا
يجمع أن يريد بقوله « قرى عشر » قرى عشر ليالٍ ، وهم إن أرادوها بأيامها
يفلّون التآنيث . قال سيبويه : « وتقول : سار خمس عشرة من بين يوم وليلة ،
لأنك أقيمت على الليالي ، فكأنك قلت خمس عشرة ليلة . وقوله : من بين يوم
وليلة ، تأكيدٌ بعد ما وقع على الليالي ، لأنه قد علم أن الأيام داخلة مع الليالي .
وعندم أن الليل قبل النهار ، فهذا يؤرخون بها . وتقول : أعطاه خمسة عشر
من بين عتد وجارية ، لا غير ، لاختلاطهما » . قال سيبويه : « وقد يجوز في
القياس خمسة عشر من بين يوم وليلة ، وليس على حد كلام العرب » .

وقوله « لمن لا نصافح » يجوز أن يكون من المصافحة المعروفة ، ويجوز أن
يكون من صفحت الناس ، أي نظرت في أحوالهم .

٦- ققام أبو ضيف كريم كأنه وقد جد من فرط الكاهية ما زج

٧- إلى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواني محتاج

يعنى بابي الضيف نفسه ، وهذا كما يقال : هو أبو متوأي ، وهي أم متوأي .
وجعله كالمازح لما ظهره من التطلق والبشاشة ، وإظهار السرور بما
يأتي من توفير الضيافة والاحتفال فيه ، وإيناس الضيف والبسط منه ، مُحَضّاً
بالضيافة^(١) . وارتفع « مازح » على أنه خبر كأن . وموضع « وقد جَدَّ »
موضع الحال ، كأنه قال : يُشَابِهُ المازح من فرط الفكاهة^(٢) وهو جاذ ،
لأنه قاضى ذمام ، وباني مكارم . ويقال : فَاكْهَنَهُ بَمَلَحِ الكلام ، وهي
الفكهة والفكاهة^(٣) .

وقوله « إلى جذمٍ مالٍ » تعلق إلى بقاء ، ويريد بالقيام غير الذي هو ضدُّ
الْقُعُود ، وإنما يريد به الاشتغال له بما يؤنسه ويرحبُ منزله ويطيّب قلبه .
على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ ، لأنه لم يرد القيام المضاد
للقعود ، بل أراد النهيؤ والتشمر له . والجذم : الأصل . ومعنى « نَهَكْنَا
سَوَامَهُ » أثّرنا في الساعمة من المال بما عودناها من النحر والتفريق . ويقال :
نَهَكَهُ المرضُ ، إذا أضرَّ به .

وقوله : « وأعراضنا فيه بَوَاقٍ صحاحُ » ، أى نفوسنا باقية على حَدِّها من
الظلف والصيانة ، لم تشنّها الأفعالُ الذميمة ، ولا كسرتها التكاليفُ المَبْخَلَةُ ،
فهي سليمةٌ لا آفةٌ بها ، ولا عارٌ يَكْتَفِيهَا ، وإن كانت أموالنا مشفوعةً
مُفَرَّقةً^(٤) .

٨- جعلناه دون الذم حتى كأنه إذا عُدَّ مالُ الكثيرين المنافع

٩- لنا حذرُ أربابِ الميتين ولا يرمى إلى بيننا ماله مع الليلِ راحٍ

(١) ل : « بالصيانة » . (٢) ل : « الصيانة » .

(٣) الفكاهة ، بالضم : الاسم ؛ وبالفتح : المصدر .

(٤) المشفوعة الغليلة . وأصل للمفوه الماء تكثر عليه الشفاء فيعمل .

الضمير من قوله « جعلناه » ، المال ، أى وقينا به أنفسنا من لَوْنِ اللّثَمِ ،
وَدَرَنِ العائب . وقوله : كَأَنَّهُ الْمَنَاحُ ، يريد أنْ لِبَلْنَا ، وإن كانت مِلْكَا لَنَا ،
فهي كالمواري عندنا ، لِمَا يَتَسَلَّطُ عليها بأفعالنا من الثَّقَلِ والغِيَرَاتِ . والمنافع :
جمع الْمَنِيحَةِ ، وهي النافعة تُدْفَعُ لِيُنْتَفَعَ بِلِهَا ما دام بها ابْنٌ ، فإذا انقطع لبُّهَا
رُدَّتْ . و « إِذَا عُدَّ مَالُ الْمَكْثَرِينَ » ، أشار به إلى قِلَّةِ مَالِهِ . والمكثِرُ :
صَاحِبُ الكثير من المال ، أى ما لَنَا في جَنَبِ مَالِ الْمَكْثَرِينَ كذلك .

وقوله « جعلناه دُونَ الدِّمِّ » ، يريدُ صَيَّرْنَاهُ دُونَ الدِّمِّ ، فعلى ذلك يحتمل
أن يكون ظرفاً ، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً ، فيكون معنى دُونَ الدِّمِّ قَاصِراً
عَنِ الدِّمِّ ، فَيَبْعُدُ الدِّمُّ عَنَا وَلَا يَلْحَقُنَا ، لَأَنَّ مَالَنَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الدِّمِّ .
ومعنى « لَنَا خَمْدُ أَرْبَابِ الْمِثْنِ » ، أى نَكْتَسِبُ بِمَالِنَا الْقَلِيلِ خَمْدَ أَرْبَابِ
المال الكثير ، أى الحمد الذى يكسبه أولئك هذا ولا يُرَى مَالٌ يَرُوحُ إِلَى بَيْتِنَا
مع الليل لأنها على قَلْبِهَا بَارَكَةٌ بِالْفَنَاءِ ، مَمْدَّةٌ لِلنَّوَابِ والحقوق ، ولم تبلغ ما يصير
منها سَارِحَةٌ وَرَائِحَةٌ ، وباركةٌ بِالْفَنَاءِ وَسَائِعَةٌ .

٦٧٥

وقال مُرَّةٌ بنُ مُحَكَّانٍ^(١) :

١ - يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضَعْنِي إِلَيْكَ رِحَالُ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا^(٢)

(١) مرة بن محكان : أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر مقل إسلامي من شعراء
الدولة الأموية ، وكان في عصر جرير والفرزدق فأخلا ذكره لنباهتهما في الشعر . وكان مرة
شريفاً جواداً ، وهو أحد من حبس في الناحرة والإطعام ، أنهب ماله الناس مرة فحبسه زياد لذلك
فقال في ذلك الأبيد الرياحي :

فإن أنت طأقت ابن محكان في الندى فعاقب هـذاك الله أعظم حاتم
الأغاني (٢٠ : ٩ - ١١) ومعجم المرزباني ٣٨٣ والشعراء ٦٦٧ والاشتقاق ١٥١ .
ومحكان ، بفتح الميم ، فعلان من محك . ومن محب أن يقول المرزباني إنه أحد اللصوص . وقال
ابن قتيبة : كان مرة سيد بني ربيع .

(٢) انظر الأغاني (٣ : ١٠٢) ، ومراجع الفرجة حيث أنشدت هذه الأبيات .

٢ - في ليلةٍ منْ جُمَادَى ذاتِ أُنْدِيَةِ لا يُبْصِرُ السَّكْبُ مِنْ ظُلُمَائِهَا الطُّنْبَا
 ٣ - لا يَنْبِجُ السَّكْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَلْفَ عَلَى خُرْطُومِهِ الدَّنْبَا^(١)
 خَاطَبَ اسْرَأْتَهُ ، وَبَعَثَهَا عَلَى الْقِيَامِ لِلْإِحْتِفَافِ بِالنَّازِلِينَ مِنَ الْأَضْيَافِ .
 وَقَوْلُهُ : « غَيْرَ صَاغِرَةٍ » ، يُقَالُ : صَغِرَ يَصْغُرُ صَغَارًا ، إِذَا ذَلَّ وَهَانَ ؛ وَصَغُرَ
 يَصْغُرُ صِغْرًا : ضَدَّ كَبِيرَ . وَالْقُرْبُ : جَمْعُ قَرَابٍ ، وَهُوَ جَرَابٌ وَاسِعٌ يُصَانُ
 فِيهِ السَّلَاحُ وَالشِّيَابُ^(٢) .

وَقَوْلُهُ « فِي لَيْلَةٍ » ، إِنْ شئتَ جَعَلْتَ الْجَارَ مُتَعَلِّقًا بِضَعْفَى ، وَإِنْ شئتَ
 جَعَلْتَهُ مُتَعَلِّقًا بِقَوْمَى . وَالْأَجُودُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْفَعْلَيْنِ فِي بَابِ الْأَمْرِ أَنْ يَدْخُلَ الثَّانِي
 حَرْفَ الْعَطْفِ ، كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ ، وَادْنُ
 فَاسْكُنْ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَهَذَا قَالَ : قَوْمَى غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضَمِّيَ إِلَيْكَ ، وَلَمْ يَأْتِ
 بِالْعَاطِفِ فِيهِ ، وَهُوَ جَائِزٌ . وَانْتَصَبَ « غَيْرَ » عَلَى الْحَالِ . وَجَعَلَ اللَّيْلَةَ مِنْ
 لَيَالِي جُمَادَى لِأَنَّهَا مِنْ شَهْرِ الْبَرْدِ ، وَالْمُرَادُ فِي لَيْلَةٍ [مِنْ لَيَالِي^(٣)] جُمَادَى ذاتِ
 أُنْدَاءٍ وَأَمْطَارٍ . وَكَانُوا يَجْعَلُونَ شَهْرَ الْبَرْدِ جُمَادَى وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جُمَادَى فِي الْحَقِيقَةِ ،
 كَأَنَّ الْأَسْمَاءَ وَضَعَتْ فِي الْأَصْلِ مَقْسَمَةً عَلَى عَوَارِضِ الزَّمَانِ ، وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ ،
 وَالرَّيْحِ وَالْمَطَرِ ، وَتَبَدَّلَ الْفُصُولُ ، ثُمَّ تَغَيَّرَتْ فَصَارَتْ تُسْتَعَارُ .

وَقَوْلُهُ « ذاتِ أُنْدِيَةِ » ، تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهِ ، لِأَنَّ جَمْعَ النَّدَى أُنْدَاءٌ . قَالَ
 الشَّاعِرُ^(٤) :

(١) فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَاجِعِ وَكَذَا عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « عَلَى خَيْشُومِهِ » .

(٢) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : « كَانَ الضَّيْفُ إِذَا نَزَلَ بِالْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ضَمُوا إِلَيْهِمْ رَحْلَهُ وَبَقِيَ
 صَلَاحُهُ مَعَهُ لَا يَأْخُذُ خَوْفًا مِنَ الْبَيَاتِ ، فَقَالَ مَرَّةً يَخَاطَبُ اسْرَأْتَهُ : ضَمِّيْكَ إِلَيْكَ رَحَالَ هَؤُلَاءِ
 الضَّيْفَانِ وَصَلَاحَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ عِنْدِي فِي عِزٍّ وَأَمْنٍ مِنَ الْغَارَاتِ وَالْبَيَاتِ ، فَلْيَسُوا مَنْ يَحْتَاجُ أَنْ
 يَبْتَئِيَ لَابَسًا سَلَاحَهُ » . الْأَغَانِي (٢٠ : ١٠) .

(٣) التَّكْمِلَةُ مِنْ ل .

(٤) هُوَ الشَّيْخُ . دِيَوَانُهُ ص ٥٠ .

إذا سقط الأنداء صيدت وأُشعرت حَيِّراً ولم تُدرَج عليها المَعاوِزُ
فكان أبو العباس المبرّد يقول : هو جمع نَدَى المجلس . وكان أمثالُ الناسِ
وأغنيائهم إذا اشتدَّ الزَّمانُ وجدَّ القمَطرُ والجَدْبُ يجلسون مجالسَ يدبُّرون أَمْرَ
الضُّعفاء ، ويفرِّقون فيها ما حصل عندهم من فضل الزَّاد ، وينصبون الميسرَ ،
ويتعرون الجزُرَ مُتبارِين فيها ومُتباهِين . فيريد : في ليلةٍ تُوجب ذلك وتقضى
به . وقال غيره : هو جمع نَدَى ، كأنه جمع فَعَلًا على فِعال ، ثم جمع فَعَلًا على
أفْعَلَة ، كأنه نَدَى ونِدْلاً ، ثم جمع النَّداء على الأندية ، ككساء وأَكسية ،
ورِواق وأزِوقَة . وقيل أيضاً : هو شاذٌّ استُعير ما للمدود للمقصود . وهم يفعلون
ذلك في المباني كما يفعلون في الأفاظ . قالوا : ومثله قَمًا وأَقِيَّةٌ ، ورَحَى وأَرَحِيَّة .
وهذا مما حكاه الكوفيُّون . وقال بعضهم : هو أفْعَلَةٌ بضم العين ، كأنه جمع
فَعَلًا على أفْعَلٍ ، كما قيل زَمَنٌ وأَزْمَنٌ ، نجاء نَدَى وأَنْدٍ ، ثم ألحق الهاء
لتأنيث الجمع ، كما تقول بُعُولَةٌ وحجارة ، فصار أنديةً ، ويكون في هذا الوجه
شاذًّا أيضاً .

وقوله : « لا يُبصر الكلبُ من ظلماتها الطُّنُبَا » ، فيه مبالغةٌ في وصف
الظلمةِ وتراكمها . والطنُب : حَبْل البيت . والكلب قويُّ البصر ، فإذا بلغَ
أمرُهُ إلى ما وصفه فذاك لشكاملِ الظلام وامتداده . لذلك قال الآخر :
أَناسٌ إذا ما أنسكرَ الكلبُ أهلهً سَحَّوا جارهم من كلِّ شَئْءٍ مُفْضِلٍ ^(١)
وقد قيل في هذا البيت وجهٌ آخر . وموضع الجملة على الصِّفة لليلة ، فهو جَرَّةٌ ،
وساغ ذلك فيها لاحتماها ضميرها ، وكذلك قوله « لا يَلْبِغُ الكلبُ فيها غير

(١) كذا في النسختين والتبريزي . وقد سبق بحريف آخر في ص ٣٧٦ برواية
« مظلم » وكلاماً تحريف . وصواب الرواية : « مضلع » ، كما في الأمالي (١ : ٥٥) والآل
٢١٠ ، أو : « مضطع » ، كما في الحيوان (٢ : ٧٠) .

واحدة . وانتصب « غير » على أنه مصدر ، وأراد غير نَبَحَةٍ واحدة ، ولما لم يجر إلا مُضافاً ولم يكن له معنى إلا مخالفة ما يضاف إليه جاز أن يجر فاعلاً ، ومنعولاً ، وحالاً ، وظرفاً ، ووصفاً ، واستثناءً ، ومصدراً .

وقوله : « حَتَّى يَلْفٌ » انتصب الفعلُ بِإِضْمَارِ أَنْ . وحتى بمعنى إلى ، كأنه قال : إلى أن يلفَ الذنبَ على خُرطومه ، أى لا ينبج إلى أن يلفَ الذنبَ على خُرطومه ، أى لا ينبج إلى أن يلفَ الذنبَ إلا نَبَحَةً . ولو رفعتَ الفعلَ فقلت : « حَتَّى يَلْفٌ » لجازَ ذلك ، ويُراد به الحال ، والمعنى أن يكونَ الفعلُ الثانى متصلاً بالأول ، أى لا ينبج إلا نَبَحَةً فهو يلفُ الذنبَ . وعلى هذا قولك : سِرْتُ حَتَّى أَدْخُلُهَا ، فقرَنَ السَّيْرَ بالدخول ، ومعناه أنه خرجَ من السَّيْرِ إلى الدخول ، إلا أنه يُخبر أنه فى حال دخولٍ ، فعناه كعنى الفاء إذا قلت : سِرْتُ فَأَنَا أَدْخُلُهَا ، أى هذا متصل بهذا .

٤ - ماذا تَرَيْنَ أُنَدِنَهُمْ لَأَرْحِلُنَا فى جانبِ البيتِ أَمْ نَدِينِ لَهُمْ قُبَيْبًا
٥ - لِمُرْمِلِ الزَّادِ مَعْنَى بِحَاجَتِهِ مَنْ كَانَ يَكْرَهُ ذِمًّا أَوْ يَبْقَى حَسْبًا
أقبل يشاورها ويستقى الراى من عندها ، وبيعنها على تعرف الحال منهم فيما يوافقهم ولا يخرج من ^(١) مرادهم ورضاهم .
وقد تقدم القول فى لفظة « ماذا » مشروحاً ^(٢) .

وترين : أصله تَرَأَيْنَ ، لأنه تَفَعَّلِينَ ، فحُذِفَ الهمزة استخفافاً بعد أن أُلْقِيَ حركتها على الراء ، فصار تَرَيْنَ ثم قُلِبَت الياء الأولى ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان ، وحذفت الألف منهما فصار تَرَيْنَ .
والمعنى : أخبرينى بعد رجوعك إليهم ماذا نأتية فى شأنهم ، وما الذى

(١) ل : « عن » .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٨١١ ، ٩٣٤ .

يَرَوْنَهُ فِي إقامتهم وظعنهم ، فإن أرادوا إطالة اللَّبث بنينا لهم قباباً يتفرّدون فيها ، فذاك آنس لهم ، وأبقى لحشمتهم ؛ وإن أرادوا تخفيف اللَّبث خلطناهم بأنفسنا ، وأدنيناهم من رحالنا في جوانب بيوتنا ، لأن الصبر مع خفة البلوّم منهم على ما يعتز من أحوالهم ممكن .

وقوله : « لمرمل الزّاد » تعلّق اللام بقوله : ماذا ترين ، كأنه أعاد الذّكر فقال : وذا السؤال والاستشارة من أجلهم ، ولما كانهم . والمرمل : الذي قد انقطع زاده . ويجوز أن يكون « لمرمل الزّاد » بدلا من المضمّرين في « بنى لهم » ، وقد أعاد حرف الجرّ معه .

وقوله : « من كان يكره » موضعه رفعٌ بمعنى ، كأنه قال : ذاك متى لمنقطع به ، يعنى بحاجته ، من كان كارهاً لذمّ الناس ، أو صائداً لشرفه . كأنه بين العلة في العناية به .

- ٦ - وقت مُسْتَبْطِنَ سَيْفِي وَأَعْرَضَ لِي مِثْلُ الْمُجَادِلِ كَوْمٌ بَرَّكَتْ عُصْبَا^(١)
٧ - فِصَادَفَ السَّيْفُ مِنْهَا سَاقٌ مُثَلِّبَةٌ جَلَسَ فِصَادَفَ مِنْهُ سَاقُهَا عَطْبَا
٨ - زَيْفَافَةُ بِنْتِ زَيْفَافٍ مُذْكَرَةٌ لَمَّا نَعَوْهَا لِرَاعِي مَرْحِنَا أُنْتَحَبَا

انتصب « مستبطناً » على الحال من قت ، والمعنى : شغلت ربة بيتي بما رتبت من أمرهم ، وقت أنا حامل سَيْفِي ومتقلداً له . ويقال : استبطنت فلاناً دونك ، أى خاصصته ؛ وتبطنت كذا : دخلت فيه حتى عرفت باطنه .

وقوله : « وأعرض لي » أى أبدى عرضها لي نوق كأنها قصور ، كالـ جسم وبلوغ سمن . والكوم : جمع أكرم وكوماء ، وهى العظام الأسنة . وقوله : « برّكت » إنما صغف عين الفعل على التكثير أو التكرير .

(١) التبريزى : « فأمرض لى » .

وجعل إبله فرقا بركة لشدة البرد ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :
وَأَعَصَوْصَبَتْ بَكْرًا مِنْ حَرْجَفٍ وَلَهَا وَسَطُ الدَّيَّارِ رَذِيَّاتٌ مَرَايِحُ^(١)
وَانْتَصَبَ «عَصَبًا» على الحال ، وهو جمع عُصْبَةٍ .

وقوله : « فصادف السيف منها ساق مُتَلِيَّة » أراد : عَرَقَبَ ناقةً منها .
والمُتَلِيَّةُ هي التي لها ولدٌ يتلوها ، وقيل هي الحامل . والجلَس : الصُّلْبَةُ المَشْرِفَةُ
وقيل هي الواسعة الأخذ من الأرض . ومعنى : « صادف منه »^(٢) ، أى من
السيف^(٣) . والمعنى أن السيف والساق تصادما ، فأبان السيف الساق منها .
والزَيَّافَةُ ، هي التي تزيفُ في مشيتها وتنبختر . جعلها بنت زَيَّافٍ
استكراما لعرقها وجوهرها . والمذكَّرة : التي تشبه الذكورة في خلقها .

وقوله : « لما نعوها » ، الفاعلون هم الناس ولم يحجر لهم ذكر ، لكن المراد
منهم فاضمره . أى لما ذكر الناس ما جرى عليها لرأى سرحنا ، أى رأى
مالنا السارحة بكى بكاء فيه نحيبٌ وصوت ، ضنا بمثلها^(٤) ، ونحزنا لما فات
منها ، ولأن لبنها كان يبق على مُحارَدة الإبل ، وشدة اللزبة .
والعَطَبُ : الهلاك ، ويقال : عَطِبَ البعيرُ ، إذا انكسر .

٩ - أَمْطَيْتُ جَازِرَنَا عَلَى سَنَامِهَا فَصَارَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا قَتَبَا
١٠ - يُنْشِنُشُ اللَّحْمَ عَنْهَا وَهِيَ بَارِكَةٌ كَمَا تُذْشِنُشُ كَفًّا قَاتِلِ سَلْبَا
يقال : أَمْطَيْتُ البعيرَ ، إذا ركبتَ مطاءً ، وهو الظَّهر ، وَأَمْطَيْتُهُ غَيْرِي .
وإنما يَصِفُ إشرافَ الناقة التي وصَّماها ، فيقول : ركبها جازرنا لما نحرها ،

(١) ديوان الهذليين (١ : ١٠٨) . وبكرا بمعنى بكرة . والحرجف : الريح الشديدة .

(٢) كذا في النسختين . والوجه « منها » .

(٣) والوجه بناء على الوجه السابق أن يكون معنى « منها » من الكوم ، أى تلك الإبل .

(٤) ضنا بكسر الصاد في النسختين ، وهي تعال بالكسر وبالفتح أيضا .

إذ كان أعلى سنامها لم تصل إليه يده فصار منها لها علاها فكان القتب حتى
كانها مقتبة . والبنايس : أعالي السنام والخارج من فقار الظهر ، واحتها
سيسة . ومعنى ينشش يكشف ويفرق . وقيل : النششة معاصرة الشيء
حتى تأخذه كما تريد . يقول : ركب مطاها لها لم يبلغ سنامها لعظمها ولم يمكنه
أن يكشط الجلد عنها ، فأقبل يقطع اللحم عنها وينزعها منها ، فصل القاتل
السلب لثياب المقتول وسلاحه . وهذا تشبيه حسن جاء على حقه . ورواه
بعضهم : « كما تُنشش كفاً فاتل سلباً » ، وقال : شبه نشش بنششة
فاتل الحبل من السلب ، وهو نبات يخرج على صورة الشمع وعلى قدره ، فيجرب
ويقتل منه الحبل . وبائعها ومتخذها السلاب .

هكذا حكاه أبو حنيفة الدينوري . والرواية الأولى أجود وأكثر مشابهة .

١١- وقلت لما غدوا أوصي قعيدتنا غدي بئيك فإن تلقبهم حقبا

١٢- أذعي أباهم ولم أقرن بأهم وقد عمرت ولم أعرف لهم نسبا

١٣- أنا ابن نجان أخوالي بنومطر أنبي إليهم وكانوا مفسرا نجبا

قوله : « لما غدوا » أي هموا بالارتحال غدوا ، لأن « لنا » علم للظرف .

و « أوصي » في موضع النصب على الحال ، وتقديره : موصيا قعيدتنا . ومفعول

قلت قوله « غدي بئيك » . والمعنى بالني في تفقد أضيافك في هذه النداء ،

فإن لقاءهم سيتأخر زمانا ممتدا . والحقب : السنون ، واحتها حقة . والمعنى

عدي الإحسان إليهم نهزة تفرصينها ، وزادا من الإحسان تدخرينها ، فإنه

لا يدري متى تظهرين بأمثالهم ، وهل يكون فيما بقي من الزمان لم عودة إلينا .

وإنما قال : « أذعي أباهم » ، لأنه يقال للمضيف : أبو اللئوي ، وللمضيفه :

أم اللئوي .

« ولم أقرف بأثمهم » أى لم أتهم . والقِرْفَةُ : التهمة . ومعنى « عَمِرْتُ » : بقيت حَيًّا . وقصدُ الشاعر أن ينبّه على أنه لا عواطف بينهم ، ولا أواصر تجمعهم ، وقد التزم ما التزم لم تكررهما واصطناعا . ثم نبّه على طرفيه فقال : أخوالى بنو مطر أنتهى إليهم وهم مُنْجِبُونَ ، وأعمامى بالفضل والإفضال معروفون ، و « نَجَلُ الجَوَادِ جَرِيَهُ يَتَقِيلُ »^(١) .

٦٧٦

آخر :

١- « مُسْتَنْبِحِ قَالَ الصَّدَى مَثَلُ قَوْلِهِ حَضَاتُ لَهُ نَارًا لَهَا حَطَبٌ جَزَلُ
٢- فَعَمْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعًا فَفَنِمْتُهُ مَخَافَةَ قَوْمِي أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلُ
٣- فَأَوْسَعَنِي حَمْدًا وَأَوْسَعْتُهُ قِرَى وَأَرْخِصَ بِخَمْدٍ كَانَ كَاسِبَهُ الْأَكْلُ
قوله « مستنبح » يريد به رجلاً ناكده الزمان في سفره ، أو لم تساعده الحال فيه على مؤنّه ، فاستنبح كلاب الأحياء ليتهدى إليهم ، فأقبل الصدى يُحَاكِيه ، ويؤدّي إليه مثل صوته . ومعنى « حضأت له ناراً » فبحث عينها لترفع وتلتهب وقد أوقدت بفلاظ الحطب وكبارها ، فعمت إلى الضيف متمجّلاً ، واستغنمت خدمته مُسَارِعًا لئلا أبادر إليه فيغتنمه غيري ، ويفوز به سابقاً لى . وقوله « حضأت له ناراً » ، جواب رب .

وانتصب « مسرعاً » على الحال ، و « مخافة قومي » مفعول له ، أى فعلت ما فعلت لهذه العلة فأكثر الضيف من إطرائى وتزكىتى ، وشكركى وتقريظى ، وأكثرت القرى له محتفلاً ومتكثراً ، ومتودّداً ومتكرماً ، وما أرخصَ حمداً جالبه أكل ، وكاسبه لإطعام . وقوله « كان كاسبه أكل » جعل الفكرة اسم

(١) تقيل الولد أباه : نزع إليه في الشبه .

كان ، والمعرفة خبراً . والإيهامُ الحاصل من التذكير في هذا الموضع أبلغ في المعنى
الاستفهام . ومثله قول الحماني^(١) :

كَانَ مُدَامَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَرَاجِبَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ
وَإِنْ شئتَ رَوَيْتَ : « وَأَرْحَصُ بِحَمْدِهِ كَانَ كَأَسْبُهُ الْأَكْلُ » ؛ وأمره
ظاهر .

٦٧٧

آخر :

١ - زَكَتُ ضَأْنِي تَوَدُّ الذَّنْبُ رَاعِيَهَا وَأَنْهَا لَا تَرَانِي آخِرَ الْأَبَدِ

٢ - الذَّنْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً وَكُلُّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدَيَّةً بِيَدِي

قوله « تَوَدُّ الذَّنْبُ رَاعِيَهَا » ، لك أن تقول : عُدِّي تَوَدُّ إِلَى مَفْعُولَيْنِ ،
وَيَسُوِّغُ ذَلِكَ فِيهِ أَنَّهُ صُلِفَ عَلَى مَفْعُولِهِ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ « وَأَنْهَا لَا تَرَانِي آخِرَ الْأَبَدِ » ،
وَيَكُونُ التَّعْدِيرُ لِمَكْشَفِهِ : وَتَوَدُّ أَنَّهَا لَا تَرَانِي أَبَدًا . وَيُشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوَدَادَةُ أَنْتِي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيِّ عَالِمٌ

أَلَا تَرَى أَنَّ وَقُوعَ « أَنْ » بَعْدَهُ يَقْرُبُ الْأَمْرَ فِي تَعْدِيهِ إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، وَأَنَّ
يُجْرَى بِمَجْرَى أَفْعَالِ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ ، كَمَا تَقُولُ ظَنَنْتُ أَنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقًا ، وَأَصْحَابُنَا
النَّحْوِيُّونَ بِمَثَلِ هَذَا الِاسْتِدْلَالِ حَكَمُوا عَلَى زَعْمَتِ بَأَنَّهُ يَقْعُدُ إِلَى مَفْعُولَيْنِ .
وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ « رَاعِيَهَا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْمُرَادُ رَاعِيًا لَهَا ، وَيَقْعُدُ تَوَدُّ
حِينَئِذٍ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّ ضَأْنِي تَتَمَتَّى نَ يَكُونُ مَذْبُوحًا فِي الرَّغِيَّةِ

(١) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ . وَالصَّوَابُ أَنَّهُ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ . دِيَوَانُهُ ص ٣ وَمَعْجَمُ الْبُحْدَانِ
(بَيْتُ رَأْسٍ) . وَبَيْتُ رَأْسٍ : مَوْضِعٌ بِالشَّامِ . وَيُرْوَى : « كَانَ سَبِيحَةً » .

(٢) هُوَ كَثِيرُ عِزَّةٍ . الْحَمَاسِيَّةُ ٤٩٣ ص ١٢٨٧ .

أَعَدَى عَدُوِّ لَهَا ، وَتَخْرُجُ مِنْ مِلْكَتِي وَمِلْكِي ، حَتَّى لَا أَرَاهَا آخِرَ الدَّهْرِ ، وَذَلِكَ أَنْ عَدُوَّهَا يَنْفَعُ مَعَهُ الْحَذَرُ ، بَلْ لَا [يَكَادُ ^(١)] يَتِمَكَّنُ مِنَ الْإِضْرَارِ بِهَا طَوْلَ الدَّهْرِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَذَلِكَ لِمَارَضِ إِهْمَالِ ^(٢) أَوْ اتِّفَاقِ سَيِّئٍ وَإِغْفَالٍ ، أَوْلَمَا هُوَ عَادَةُ الزَّمَانِ فِي انْتِهَاءِ الْأَمَادِ مِنَ الْإِرْصَادِ ، وَهِيَ لَا تَحْتَرِزُ مَتَى إِذَا أُرْدَتْهَا وَإِنْ احْتَفَلَتْ ، وَلَا تَطِيقُ دَفْعَهَا لِي وَإِنْ احْتَفَلْتُ .

وقوله « الذئب يطرقها » هو بيان سبب نتميتها وكشف العلة في تغاديبها من أن تكون في ضمن سياسته ^(٣) لها . وانتصب واحدة على الظرف ، مرة واحدة ، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف ، كأنه أراد طرقة واحدة . وقوله « وكل يوم » هو ظرف لقوله « تراني مديّة بيدي » ، وموضع مديّة بيدي نصب على الحال ، أي تراني حاملاً مديّة لها ، ومتهمياً بآلة ذبحها . ولأن شئت رويت « مديّة » ، ويكون بدلاً من المضمير في تراني ، وهذا البديل هو بدل الاشتغال ، أي ترى مديّة . فأما وجه الرفع ، فالضمير الذي بيدي استغنى عن الواو المعلقة لجعل بما بعدها وهي صفات أو أحوال ، لأن الضمير يعلّق كما يعلّق العاطف ، وفي الوجه الثاني وهو للبديل مثله قول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ^(٤) ﴾ .

(١) التكلة من ل .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « لمارض لإهمال » .

(٣) ل : « سياسته » .

(٤) قراءة الجرمي قراءة الجمهور . وقرأ ابن عباس والربيع والأعمش : « عن قتال

فيه » بإظهار هـ ، وهكذا هو في مصحف عبد الله . وقرأ بهاذا : « قتال فيه » بالرفع . وقرأ عكرمة : « قتل فيه قل قتل فيه » بغير ألف فيهما . تفسير أبي جيان (٢ : ١٤٥) .

٦٧٨

آخر :

- ١ - ما أنا بالسَّاعِي إلى أمِّ عاصِمٍ لِأَضْرِبَهَا إِنْ إِذَا لَجَّوُلٌ^(١)
 ٢ - لَكَ الْبَيْتُ إِلَّا قَيْنَةً تُحْسِنُهَا إِذَا حَانَ مِنْ ضَيْفٍ عَلَى نَزُولٍ

قوله « لِأَضْرِبَهَا » اللام منها لام كي . فإن قيل : كيف يكون كذلك وفي صدر الكلام ما النافية ، ولم لا يكون لام الجحود ؟ قلت : لام الجحود تقع بعد ما كان وما تصرف منه ، كقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَمْدَّ بِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ . وكقولك : ما كنت لأشْتِمَكَ ، لأنه جواب قول قائل : كنت ستشتمني ، فأجيب : ما كنت لأشْتِمَكَ ، ولهذا لم يظهر معه أن الناصبة للفعل وإن جاز ظهوره مع لام كي . و « إِذَا » وقع لَنَوْا لافتقار ما قبلها إلى ما وَقَعَ بَعْدَهَا . والجهول : الكثير الجهل وبناءة للمبالغة^(٢) . وهذا الكلام خارج على سبب ، كأنه رأى إنساناً يضرب امرأته ويحول بينها وبين تدبيرها دارها ، فنفى عن نفسه مثل ذلك بعد أن اعتقد فيه أنه يقتدى به حتى كأنه أجاب مَنْ قال له : أ كنت لتضرب أمِّ عاصِمٍ ؟ فقال : ما أنا بالسَّاعِي لذلك . وبَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ يَفْعَلُهُ الْمُتَنَاهِي فِي الْجَهْلِ وَالْعَبَاوَةِ .

وقوله « لَكَ الْبَيْتُ إِلَّا قَيْنَةً » حكى أبو زيد أن قولهم قَيْنَةً بما يعقب عليه تعريفاً : أحدهما بالوضع ، والآخر بالألف واللام . ومثله شعوبُ والشعوبُ ، والمراد به المنية ، كما أن المراد بالقينة الوقت . كأنه أقبل على امرأته فقال : إليك تدبيرُ البيت ولك الأمرُ فيه نافذاً إلا وقتاً تُحْسِنِينَ فيه ، وهو وقتُ حين نزولِ الضيف فيه على ، لأنه من أجله يجب أن تُحْسِنِي إليه فيه ، وتدبري له لا عليه ،

(١) كذا بالحرم في النسختين . وعند التبريزي : « وما أنا بالسَّاعِي » .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « وبناءة للمبالغة » .

لأن البيت كأنه له ونحن من خوله . وقوله «تحسينها» قدر الظرف تقدير المفعول الصحيح ، كما قال :

* ويوم شهدناه^(١) *

وما أشبهه . وروى بعضهم : « إلا فينة تحسبها^(٢) » أى تظنين فيها أنه لغيرك لا لك ، ويكون على هذا قد حذف مفعولاً يحسب وشغل بضمير الفينة . والمعنى فى ذلك : تجعلين النظر له والتجمل ، والاحتفال بسببه . وانتصب « إلا فينة » على الاستثناء من واجب^(٣) ، كأنه قال : لك البيت كل وقت وساعة إلا ساعة كذا . وهذا الاستثناء من معنى لك البيت ، ومما انطوى عليه غوى الكلام . وقوله « إذا حان من ضيف على نزول » موضعه نصب على أنه بدل من فينة . وإنما قال إذا حان لأن الاستعداد والاحتشاد يتقدمان النزول .

٦٧٩

وقال بعض بنى أسد :

١ - وسوداء لا تكسى الرقاع نبيلة لها عند قرأت العشيات أزمَلُ

٢ - إذا ما قريناهما قرأها تَضَمَّتْ قَرَى مَنْ عَرَانَا أو تَزِيدُ فَيُفْضِلُ

(١) البيت بتمامه كما فى الكامل ٢١ ليسك :

ويوم شهدناه سلياً وطامراً قليلاً سوى الطعن التهام نوافله

(٢) التبريزى : « وروى تحسينها ، أى تتخلفين فيها عن تيسيرك طعام الضيف . قال أبو العلاء : وإذا رويت فينة احتمل وجهين : أحدهما أن يكون الفينة الأمة ، أى أنت الحكمة فى البيت غير حبسك الفينة عن القيام بما يجب للضيف . والآخر أن تكون الفينة بمعنى الفقارة من الظهر . أى وفرى قرى الضيف عليه ولا تحبسى من الطعام شيئاً عندك فإن تقديمه إليه وهو كثير أجل . »

(٣) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « على استثناء واجب » .

أراد بالسوداء قِدرًا ، و « لا تُكسَى الرِّقَاع » في موضع الصفة لها .
وفي طريقته قول الآخر^(١) :

* إذا النيرانُ ألبست القنَاعَا^(٢) *

وجعلها مكسوة قنعا لأن الرقعة والرقعتين لا تَكْنِي في سَتْرِها لمَظْمَها .
وإنما نُسِرَ القُدُورُ لشدة الزَّمان ، بل تَعَطَّل وتُرفَض لضيق الأحوال ، وقصور
الأيدي عن المراد ، مع اتساع الغاشية وتورُّد الطُّلاب .
ويشبه ما ذكره من جمع الرِّقَاع لعظم القِدر قول الأعشى ، وقد وصف
امرأة بعظم العَجِيْزة :

* تَشُدُّ اللَّفَاقَ عليها إزارًا^(٣) *

أى تُنَلِّق بين ثوبين حتى يتسع إزاراً لها .
ويجوز أن يريد أنها كبيرة لا يمكن سَتْرُها بالرِّقَاع ، أولا نُسِرَ ، كما قال :
* ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ^(٤) *

والمعنى لا ضَبَّ هناك فينجحِر .

وقوله « نبيلة » أى عظيمة الشأن ، وخَصَّ قِرَات العَشِيَّات لأنها وقتُ
الأضياف . والمراد : لها عند العَشِيَّات القِرَّةُ أَرْمَلٌ ، وهو الصَّوت ، والمراد
غليانها . والقِرُّ والقُرُّ والقِرَّةُ : البرد .

(١) هو أبو زياد الأعرابي السكابي ، كما سيأتي في الحاشية ٦٩١ .

(٢) صدره : * له نار تشب على يفاع *

(٣) ديوانه ٣٨ . وصدره :

* فيارب ناعية منهم *

(٤) لمرو بن أحر ، كما سبق في حواشي ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ٥٩٩ ، ١٠٧٣ . وصدره :

* لا تنزع الأرب أموالها *

وقوله « إذا ما قرينها قراها » ، يريد إذا ملأناها فدرأ وأوصالا تضمنت لنا الكفاية لمن ^(١) نابقا من حق ، وأنانا من ضيف ، أو تزيد عن المطلوب فتفضل على غيرهم ممن لا يمد في الوقت ولا يذكر . ويروي : « فتفضل » بفتح التاء ، وهو ظاهر المعنى ، والأول أحسن . وجعل المطبوع في القدر قرى ليطابق قوله : تضمنت قرى من عرانا . وعادتهم في طباق الألفاظ ^(٢) ووقاها في النظام معروفة .

٦٨٠

وقال آخر ^(٣) :

١ — سَلِي الطَّارِقِ الْمُعْتَرِّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إذا ما أناني بين قِدرِي ومَجْزِي
٢ — أَيْسَفِرُ وَجَعِي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى وأَبْدُلُ معروفٍ لَهُ دُونَ مُنْكَرِي
الطارق : الآتي ليلا . وسلي أصله أسألى فحذفت الهمزة وأتت حركتها على السين ثم استغنى عن الهمزة المجتلية ، لتحرك السين بالفتحة ، فحذفت . والمعتز : المتعرض ولا يسأل . يقال : عَرَّه واعتَرَّه بمعنى . وفُسِّرَ في التنزيل قوله تعالى : ﴿ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ على ذلك ، لأنَّ القانع قيل هو السائل ، والمعتز الذي يتعرض ولا يتكلم . وقال الأصمى : عراه واعتراه وعَرَّه واعتَرَّه ، إذا أناه طالبا لمعروفه . وقوله « إذا ما أناني بين قدري ومجزي » يريد إذا أناني في موضع الضيافة ودارها بين مَسَقَطِ الْجَزْرِ وَمَنْصِبِ الْقُدُورِ . والمعنى : سَلِي أضيافِي عن أخلاقي معهم ، وكَيْفِيَّةِ إِكْرَامِي لَهُمْ فِي مَثْوَاهُمْ ، وهل أُنْدرِجُ في

(١) كذا في النسختين . كأنه نظر إلى قوله « وأنانا من ضيف » .

(٢) في الأصل : « اللفظ » ، صوابه في ل .

(٣) هو عمرو بن الورد . ديوانه ٩٩ . وقد شيلت ترجمة عمرو في ص ٤٢١ . وعند

التبريزي : « وقال آخر ، عمرو بن الورد » ، وقد تكون زيادة ناسخ .

مدارج الخدمة وأتوصل بأنواع التودد والقربة من ابتداء نزولهم ، إلى انتهاء ذهابهم عني وخوفهم . وإنما خاطب امرأة على عادتهم في نسبة اللامات بسبب التبذير والإسراف والتوسع في الإنفاق إليهن ، وإقامة الحجاج والجِدال في الانصباب إلى جوانب الخسارات معهن . ويموز أن يكون التبجح عندها بما يُحمد من خِصاله ، فلذلك خصها بالخطاب .

وقوله « أَيْسَفِرُ وجعي » في موضع المفعول الثاني لسلي ، وقد اكتفى به لأن في الكلام إضماراً أم لا . وساغ حذفه لما يدل عليه من قرائن اللفظ والحال . وقال سيبويه : « لو قلت علمتُ أزيد في الدار لا كُتِفِي به من دون إضمار . ولو قلت : سواء عليّ ، أو ما أبالي ، لم يكن بُدٌّ من ذَرٍّ رَأْمٍ لا بعدها » .

ومعنى قوله « أَنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى » ، يريد أن إظهار البشاشة للضيف وتطليق الوجه معه ، وإظهار السرور بقصده ومتواه من أوائل قراءه . ثم الترحيب به وإيناسه من بعدُ حتى كان يُنتظر كما ينتظر الغائب الآيب ، ثم المبالغة^(١) في الإنزال وخطُّ الأتقال ، وإظهار سَمَةِ الرَّحْلِ والمكان إلى غير ذلك — بما يَبْسُطُ منه ، ويُزيل الحِشْمَةَ والانقباض عنه ؛ لذلك قال :

* وأبذل معروفٍ له دون منكري *

لأن قوله « معروف » دخل تحته كلُّ محمودٍ من الأفعال والرُسوم ، كما أن قوله « دون منكري » اشتمل على نقي كلِّ مذموم من الخصال والأُمور . وقيل : إن المنكر هو أن يسأل عن حاله ونسبه ، وقصده في سفره ، وكيفية أماته حين نزل به ؛ لأن جميع ذلك مما يجلب عليه حياء ، ويُوسِّعه نفوراً وإمساكاً^(٢) . والضمير من قوله « أَنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى » لما يدلُّ عليه قوله « أَيْسَفِرُ وجعي » ؛ لأن

(١) في الأصل : « ثم أمانيه » ، سواء في ل .

(٢) ل : « إمساكاً ونفوراً » .

القول يدل على مصدره . والمراد أن الإسفار أول القرى ، وعلى هذا قولهم : من كذب كان شرًّا له ، وما أشبهه .

٦٨١

آخر :

١ - وإنا لمشاؤون بين رحالنا إلى الضيف منا لاجف ومُنيم^(١)

٢ - فذو الحلم متجاهل دون ضيفه وذو الجمل منا عن أذاه حليم

قوله « إنا لمشاؤون » إبانة عن حسن خدمتهم للضيف ، وعن قرب محطه من رحالم ومقارم^(٢) . وقوله « منا لاجف ومُنيم » يريد : ومنا مُنيم ، لحذف

لأن المراد مفهوم . وفي القرآن : ﴿ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ . واللاجف والمُنيم إنما ينهضان بعد تقضى الإطعام والإيناس . ألا ترى قول الآخر^(٣) :

أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

وقوله « فذو الحلم متجاهل دون ضيفه » في هذا البيت بعض ما في قول الآخر :

* وأبذل معروف له دون منكري^(٤) *

وإنما يتجاهل الحليم دون ضيفه إذا أودى عند طلب ثأر من جهته أو تخشين جانب له بكلام أو فعل .

وقوله : « وذو الجمل منا عن أذاه حليم » ، يريد به وإن أخذ الضيف يؤذينا ترى الجهول يحتمله ، ويغفر زلته ، ولا يطلب مؤاخذته ومكافاته .

(١) ل : « إنا لمشاؤون » بالحرم .

(٢) ل : « ومقارمهم » . ونراها : « ومقارمهم » .

(٣) هو حنيفة بن حبيب ، أو مسكين الهارمي ، كما سيأتي في الحاشية ٧٦٢ .

(٤) حيز البيت الثاني من الحاشية ٦٨٠ . وفي الأصل : « فأبذل » صوابه في ل .

٦٨٢

وقال ابن هرمة^(١) :

- ١- أَغْشَى الطَّرِيقَ بَقِيَّتِي وَرَوَّاقَهَا وَأَحْلَى فِي نَشْرِ الرُّبِيِّ فَأَقِيمُ^(٢)
 ٢- إِنْ أَمْرًا جَعَلَ الطَّرِيقَ لَيْتِنَهُ طُنْبًا وَأَنْكَرَ حَقَّهُ لَلْتِيمِ
 يقارب ما قاله قول الآخر :

يَسِطُ الْبُيُوتَ لَكِي يَكُونُ مَطْنَةً مِنْ حَيْثُ تَوْضَعُ جَفْنَةُ الْمُسْتَرْفِدِ^(٣)
 وقول الآخر^(٤) :

وَيَأْتِي الذَّمُّ لِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَنْ مَحَلِّي الْقَبْلُ الْبِفَاعِ^(٥)
 وذلك أَنَّ الْكَرَامَ يَنْزِلُونَ الرَّوَابِي وَالْإِكَامَ^(٦) ، وَيَتَوَسَّطُونَ النَّاسَ فِي أَيَّامِ
 الْجَلْدِ ، وَعِنْدَ اشْتِمَالِ الْقَحْطِ ، لَكِي تَهْتَدِيَ إِلَيْهِمُ السَّابِلَةُ وَالْمَارَّةُ ، وَيَشْتَرِكُ فِي
 خَيْرِهِمُ الدَّانِي وَالْقَاصِي . وَاللَّثَامُ يَنْزِلُونَ الْأَهْضَامَ وَبَطُونَ الْأُودِيَةِ ، وَيَتَفَرَّدُونَ عَنْ
 النَّاسِ إِبْقَاءً عَلَى زَادِهِمْ ، وَضِيًّا بِطَعَامِهِمْ ، وَتَفَادِيًّا مِنْ أَنْ تُعْرِفَ أَمَا كُنْهُمْ فَيَكْثُرُ
 قَصْدُ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ لَهُمْ ، وَوَطْؤُهُمْ إِيَّاهُمْ ، وَتَنْضَمُّ الطَّوَائِفُ وَالْفِرَقُ إِلَيْهِمْ . لَذَاكَ
 قَالَ الْمَرْقَشُ :

* وَعَادَ الْجَمِيعُ نُجْعَةً لِلزَّعَانِفِ^(٧) *

- (١) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٧٠ ص ١٢٤٧ .
 (٢) التبريزي : « ويروى : في قلل الربي » .
 (٣) سبق في ص ٩٦٤ . وهو في اللسان (وسط ٣٠٩) محرف .
 (٤) هو ربيعة بن مقروم . البيت ٧ من المفضلية ٣٩ .
 (٥) كلمة « لي » ساقطة من الأصل ، وإثباتها من ل والمفضليات . والهيل ، بفتحين :
 ما استهلك من الجبل .
 (٦) ل : « والآكام » . وتجمع الأكمة على أكم بالتحريك ، والأكم على إكام ، والإكام
 على أكم بضمين ، والأكم على آكام مثل عنق وأعنق .
 (٧) البيت ١٢ من المفضلية ٥٠ . وصدره :

* وَكَانَ الرِّفَادُ كُلُّ قَدَحٍ مَقْرَمٍ *

أى تأوى الفرق القليلة إلى الجُنع^(١) ، لتعيش بعيشهم . فيقول : إني أنزل على الطريق وأبنى عليها قُبَّتِي ، وقد مدَّ رواقها ورُفِعَ سَمَكُها لتمتدَّ العيون إليها ، ويفشاني ذَوُو الحاجاتِ فيها . وكذلك أحلُّ التَّلَاعِ والنَّشَارَ تشهيراً لمكاني ، وتعرضاً لتعليق الآمال بي إذا اشتدَّ الزمان ، وأوثرَ الخُمُولُ والاندِفَان . والقِيَابُ يتخذها الرؤساء ، فلذلك خَصَّها بالذكر ، ولم يرض بذلك حتى جعل لها رواقاً ممدوداً ، وموضعاً له من الطريق مَفْشِيّاً موطوءاً .

ولمثل ذلك قال أبو تمام :

لولا بنو جُشَمِ بن بكرٍ فيكمُ رُفِعَتْ خِيَامُكُمْ بغير قِيَابٍ^(٢)
والنَّشَرُ : ما ارتفع من الأرض . والرُّبَى : جمع رِبْوَةٍ . ولم يَرْضَ بالحلول حتى وصله بالإقامة .

وقوله « إنَّ اسراً جعلَ الطريقَ لبيته طُنْباً » ، أراد جعلَ الطريق موضع طُنْبِ بيته ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ويجوز أن يكون على القلب ، أراد : جعل طُنْبَ بيته للطريق ، أى عما يليه ، ثم لم يقم بحقه ولم يلتزم ما يجب عليه فيه ، للثيم . وإنما أعاد هذا الذكر تأكيداً لما يأتيه ، واعترافاً بالواجب فيه . والأطْنَاب : حبال البيوت ، قال الشاعر :

* تَقَطَّعُ أَطْنَابَ البُيُوتِ بِحَاصِبٍ^(٣) *

وقد تسمَّى عروقُ الشَّجَرِ أطْنَاباً على التشبيه ، وهذا كما سُمِّيت أذنانا وأسطنانا . قال :

..... نستقي بأذنانها قبل استيقاء الخناجرِ

(١) ل : « الجميع » .

(٢) من قصيدة له في ديوانه ١٨ - ٢١ يمدح فيها مالك بن طوق التغلبي .

(٣) في الأصل : « بحاصبة » ، صوابه في ل .

وقال آخر :

* أَشْطَانَهَا فِي عَذَابِ الْبَحْرِ تَسْتَبِقُ *

٦٨٣

وقال آخر^(١) :

١- وَمُسْتَنْبِحٌ يَسْتَكْشِطُ الرِّيحَ ثَوْبَهُ لِيَسْقُطَ عَنْهُ وَهُوَ بِالثَّوبِ مُعْصِمٌ^(٢)
 ٢- عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ
 كَشَطَ وَاسْتَكْشَطَ بِمَعْنَى ، فَهُوَ كَمَحَبٍ وَاسْتَعَجَبَ . وَالْكَشَطُ يَقَارِبُ
 الْكَشْفَ . وَيُقَالُ : كَشِطَ الْجِلْدُ عَنِ الْجَزُورِ ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْجَزُورِ خَاصَّةً
 كَثِيرًا وَإِنْ أُجْرِيَ عَلَى غَيْرِهِ أَيْضًا . وَالْجِلْدُ يُقَالُ لَهُ الْكِشَاطُ ؛ يُقَالُ : ارْفَعْ
 عَنْهُ كِشَاطَهُ . وَالْمُعْصِمُ وَالْمُسْتَعْمِمُ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْمُسْتَمْسِكُ بِالشَّيْءِ . وَإِنَّمَا أَرَادَ
 أَنْ يَصَوِّرَ حَالَ الْمُسْتَنْبِحِ وَمَا هُوَ مَعْنُوثٌ بِهِ مِنَ الْبَرْدِ وَالرِّيحِ^(٣) .

وقوله « عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ » أَيْ نَبَحَ وَصَاحَ . وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ : « لَوَلَاكَ
 عَوَيْتُ لَمْ أَغْوِ^(٤) » . وَأَصْلُهُ الْمُسْتَنْبِحُ أَجَابَهُ الذَّنْبُ . وَيُقَالُ « فَلَانٌ مَا يُعْوِي
 وَلَا يُنْبِحُ » إِذَا اسْتَضَمَّ . وَيُقَالُ لِلدَّاعِي إِلَى الْفِتْنَةِ : عَوَى ، تَشْبِيهًا لَهُ بِالْكَلْبِ
 وَإِزْرَاءَ بِهِ . فَأَمَّا قَوْلُهُ لِلْحَازِمِ : « مَا يُنْهَى وَلَا يُعْوَى » ، فَالْمَعْنَى لَا يُنْثَنَّى وَلَا يُرْدُّ .
 وَعَوَيْتُ الشَّيْءَ وَلَوْ يَتَّبِعُهُ بِمَعْنَى . وَالْإِخْذُ فِي الطَّرِيقِ عَلَى غَيْرِ هِدَايَةٍ . وَإِنَّمَا
 قَالَ « أَوْ لِيَفْزَعَ نَوْمٌ » لِأَنَّهُمْ إِذَا انْتَبَهُوا لَصَوْتِهِ أَجَابُوهُ أَوْ تَلَقَّوْهُ أَوْ رَفَعُوا النَّارَ لَهُ^(٥)

(١) هُوَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هَرْمَةَ . الْبَيَاتُ (٣ : ٢٠٠) . وَالْأَيَاتُ بِدُونِ نِسْبَةٍ فِي الْحَيَوَانَ

(١ : ٣٧٧ - ٣٧٨) .

(٢) التَّبْرِيزِيُّ وَالْحَيَوَانُ : « تَسْتَكْشِطُ » .

(٣) يُقَالُ مِنْهُ بِالْفَاءِ يَمْنُوهُ وَيَمْنِيهِ ، أَيْ اجْتَلَاهُ ، فَهُوَ وَادِي بَاقِي .

(٤) انْظُرِ الْعَمْرِينَ لِلْسَّجِسْتَانِي ١٤ فِي كَلَامِ أَكْثَمِ بْنِ صِفِي .

(٥) هَذَا الصَّوَابُ مِنْ ل . وَفِي الْأَصْلِ : « رَفَعُوا النَّارَ لَهُ » .

وذلك على حَسَبِ مكانِهِ منهم في القُرب والبُعد . وجوابُ رَبٍّ : عَوَى .

٣ — فجاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ إِنْيَانِ الْمُهْبِّينَ مَطْمٌ

٤ — يكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وهو أنجمٌ

يعنى بمستمع الصوت : الكلب . ويقال : استسمع بمعنى سمع ، فهو

كاستمعجب وعجب . وإنما قال « مع إنيان المهبين مطعم » لسعة هيش الكلب

فما يُنحَرُ للضيف . والمُهْبُّون : الأضياف . ويقال : هَبَّ من منامه ، وأهبيته .

وقوله : « يكاد إذا ما أبصرَ الضيفَ مُقْبِلًا يكَلِّمُهُ » ، أى يكاد الكلبُ

يكلمُ الضيفَ حُبًّا له إذا أَقْبَلَ ، على مُجمَعته . وانتَصَبَ « مقبلا » على الحال ،

والكلبُ ممَّا يُوصَفُ به حُبُّه للضيف ، لذلك قال الآخر :

حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ مُنَاخُهُ يَفِيضُ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَلْبُ أَبْصَرُ^(١)

وحبُّه للظَّاعن ، لذلك قيل في المثل : « أحبُّ أهل الكلب إليه الظَّاعن »

وحبُّه لوقوع الآفات في المال ، لذلك قيل في المثل : « نعيمُ كلبٍ في بُؤْسَى

أَهْلِهِ^(٢) . واللام من قوله « للقرى » يجوز أن يتعلَّقَ بقوله جاوَبَهُ ، أى لهذه

المِلةِ جاوَبَهُ ، ويجوز أن يتعلَّقَ بقوله مستسمع الصوت .

٦٨٤

وقال سالم بن قُحْفَانَ^(٣) :

١ — لَا تَفْذِلْنِي فِي الْعَطَاءِ وَيَسِّرِي لِكُلِّ بَعِيرٍ جَاءَ طَالِبُهُ حَبْلًا

(١) البيت من الحماسة ٧٢٠ .

(٢) انظر المعرین للسجستاني ص ١٤ .

(٣) سالم بن قحطان الغنبري ، كما عند التبريزي والقال (٢ : ٤) والآل ٦٣١ .

وكان من خبر الشعر أن سالم بن قحطان أمّاه أخو امرأته فأعطاه بعيراً من إبله وقال لامرأته : هاتي حبلاً يقرن به ما أعطينا إلى بعيره ، ثم أعطاه بعيراً آخر وقال : هاتي حبلاً ، ثم أعطاه ثالثاً فقال : هاتي حبلاً . فقالت : ما عندى حبلاً . فقال : على الجمال وعليك الجبال . فرمت إليه خارها وقالت : اجعله حبلاً لبعضها . فأنشأ يقول هذه الأبيات . انظر للقصة المراجع السابقة .

٢ - فَإِنِّي لَا تَبْكِي عَلَى إِفَالْهَا إِذَا شَبِعْتَ مِنْ رَوْضِ أَوْطَانِهَا بَقْلًا
٣ - فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْإِبِلِ مَالًا لُمَقَّتَيْنِ وَلَا مِثْلَ أَيَّامِ الْمَطَاءِ لَهَا سُبُلًا^(١)

كانت امرأته طابته وأنكرت منه تبذير المال ، وقلة الفكر في عواقب الأمور وحاضر العيال ، وقال لها احطري اللوم معي فيما تمودته وأجرى عليه من البذل والسَّخَاء ، وهيئ لي لكلِّ بعير جاء طالبٌ له حبلاً يقياده به ، حتى تكوني شريكاً لي في المطاء ومُعِيناً ، واعلمي أنني إن أبقيتُ على مالي وسميت في توفيرها وتثميرها ، وأهنتُ نفسي بإعزازها ، فإنها لا تبكي على إفالها إذا ميتٌ وقد طاع لها الترتع من قبلُ فشِبت من بُقول الرِّياض ، وسمعت بالتوديع وحسن الإرعاء ، ولا تذكريني بحميل ، وإنما يفعل ذلك من أحسنتُ إليه في حياتي واصطفيته^(٢) بإسدائي ، وآثرته باتخاذ الأيادي إليه ، وإكمال النعم عليه .

وقوله « لم أر مثل الإبل مالا لُمَقَّتَيْنِ » فالْمَقَّتَيْنِ : الذي يتخذها قنينةً للنسل ، وللمراد أنها إذا لم يوجد للاقتناء خيرٌ منها ، فلا طريقَ تُصرف إليه أصابعُ من طُرُق^(٣) الحقوق الزانية فيها . وانتصب « بَقْلًا » على التمييز . وإنما قال « لا تبكي على إفالها » وهي الصغار منها ، والواحد أفيلٌ ، إزاء بها إذ صارت

(١) التبريزي : « أيام الحقوق » . وسنده عند التبريزي : « فأجابته امرأته :

حلفتُ يميناً يا ابنَ قحطان بالنبي تكفل بالأرزاق في السَّهْلِ والجَبَلِ
تزالُ حِبَالُ مُحَصَّدَاتٍ أَعْدُهَا لها ما حَشَى منها على خَفِّه جَلْ
فأعط ولا تبخل لمن جاء طالباً فعنلى لها خُطْمٌ وقد زاحت العللُ

فولما تزال ، أي ما تزال . وجاز حذفها لدلالة اليمين عليها . وزاحت بمعنى زالت . مؤزحتها : أزالتها .

(٢) ل : « واصطفته » .

(٣) ل : « من طريق » .

إِذَا^(١) ، ولم تدخل تحت ما فَرَّقَهُ فِي النَوَائِبِ الطَّارِقَةِ ، والفُرُوضِ الْوَاجِبَةِ^(٢)

٦٨٥

وقال آخر :

١ - أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي عَذْلًا ماذا من البُعْدِ بَيْنَ الْبُخْلِ وَالْجُودِ
٢ - إِلَّا يَسْكُنُ وَرَقِي غَضًا أَرَاخُ بِهِ لِلْمُعْتَفِينَ فَإِنِّي لَأِنُّ الْمَوْدِ
يخاطب امرأة ويقرر لها على ما أنكرت عليه في السَّخَاءِ والبَذْلِ ، ويرىها
أنَّ للصَّوابِ فيما يختاره ويمرّ عليه من اكتساب الحمد ببذل ما تملكه يده ،
وابتناء المكرمات بالتخرف في العطاء ، فيقول : قد قَطَعْتَنِي لَوْماً ، وحرَقْتَنِي
توبيخاً وعذلاً ، ومتى راجعت نفسك ، وناجيت عقلك ، وخايرت تجربتك
عرفت التفاضل بين الإمساك والبذل ، وبين اللسخي والبخل ، وبأن لك أن
الصواب فيما اختاره ، وعلى تنبُّر الأحوال أراجمه وأعتاده ، وأن الخطأ فيما تبعين
عليه ، وتسوقين إليه . ثم قال : إن كان في مالي قصورٌ عن المراد ، وقعود عند حضور
المرئاد ، فإن نفسي سَمَّحَةٌ مجيبة ، وعلى ما تقصر الحال عنه متعسرة ، وسيعود
عودي ورياقاً ، فينبذ أرتاحاً للعفاة بورقي غَضاً طرياً ، وأزلُ معروفي موفوراً
هنيئاً . ويقال : رِخْتُ لَهُ أَرَاخُ ، أى الرتختُ . وقيل : الأريحي أفضلي من
هذا . وذكر الوريث كنايةً عن اللال الكثير في كلامهم . قال زهير :

وَلَيْسَ مَا نَسِخَ ذِي قُرْبَى وَلَا رَحِمٍ بوما ولا مُقْدِماً من خَابِطٍ وَرَقاً

(١) ل : ولداً منها إذا صارث إرداً .

(٢) ذكر البكري أن البيت الثاني من هذه القطعة مأخوذ من قول ضمرة بن ضمرة :

أرأيت إن صرخت بلبل هامق وخرجت منها جلياً أثواب
هل تحشن إبل على وجوها أو تعصن رهوسها بسلاب

لما استعار الورق للمال وصله بالخابط تشبيهاً^(١) للفظه ، وتحسيناً لكلامه ، وكذلك هذا لما كنّى عن معروفه بالورق وصله بالعود . وإذا لان العود اهتز ، وعن الاهتزاز للخير يحصل التندى ويكرّم الطبع .

٦٨٦

وقال قيس بن عاصم^(٢) :

- ١ - إني امرؤ لا يفتري خلقى دَسَّ يُفَنِّدُهُ ولا أفن^(٣)
 - ٢ - من منقرٍ في بيتٍ مكرمةٍ والفرعُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الفُضنُ^(٤)
 - ٣ - خطباء حينَ يقومُ قائلهم بيضُ الوجوهِ مصاقيعُ لُسنُ
 - ٤ - لا يَفْطُنُونَ لعيبِ جارهمُ وهمُ لحِفظِ جوارِهِ فُطنُ^(٥)
- قوله « يفنِّدُهُ » أى يفحّشه ، والفنّد : الفحش . ويقال : أفنّد الرجلُ ، إذا أتى بالفحش . والأفنُّ أصله فى استخراج اللبن من الضرع حتى يخلو منه ، ثم قيل : أفنّ الرجلُ فهو مأفون ، إذا زال عقله . والمعنى : إني رجلٌ لا ينسلط على خلقى ما يدنسّه ويفحّشه من تغيّر وتبدّل ، وتسرع إلى الشرّ وتلوّن ، وزوالٍ عن السنن المهدود ، وذهابٍ فى طريق^(٦) المأفون المعتوه ، ولكننى أبقي

(١) فى الأصل : « تشبيهاً » ، صوابه فى ل .

(٢) هو أبو على قيس بن عاصم بن سنان النقرى التميمي ، شاعر فارس شجاع ، وكان سيداً فى الجاهلية والإسلام ، محب النبي فى حياته وحاش بعده زمانا ، وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية بل يزعمون أنه أول من وأد . الإصابة ٧١٨٨ والأغانى (١٢ : ١٤٣ - ١٥١) . وروى ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٨٦) أنه أنشد الشعر التالى حينما علم أن ابن أخيه قد قتل ابنه .

(٣) فى أمالى الغال (١ : ٢٣٩) : « لا يعترى حسبي » .

(٤) التبريزي : « والنفسن » . البيان (١ : ٢١٩) : « والأصل » .

(٥) فى أحد أصول البيان : « وهم لحسن جواره » . وفطن يقال من باب فرح ونصر

وكرم .

(٦) ل : « طرائق » .

على حالة واحدة عمودة ، لا أحول ولا أزول . ثم إنني من بني منقر في بيت من الكرم قد فرغته ، والقرع من شأنه أن يلتف بأغصانه الثابتة حوله . وهذا مثل ضربته للمحتفين به من أقاربه ، والآخذين إياه في طبائعه ومذاهبه . ثم وصفهم فقال : هم خطباء إذا قام قائلهم يُبين عن نفسه وعن عشيرته ، كرام لا يسود وجوههم عار في الأصل ، ولا شين مكتسب على وجه الدهر . المصايع : جمع مصنع ، وأصل الصنع الضرب ، وكما وصفت به اللسان وصفت بالسنن والصلن فليل : خطيب مصنع مصنق مسلق سلاق . وفي القرآن : ﴿ سَلَقُوا كُومَ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ . واللسن : جمع اللسن . ويقال : لسن يلسن لسنًا ، إذا تنهى في البلاغة والفصاحة . ويقال لسنن فلانًا ، إذا ضايقته فيما يجاذبه من الكلام . على هذا قوله :

* وإذا تلسنني ألسنها (١) *

وقوله : « لا يفتنون لبيب جارم » ، يقول : هم يلابسون الجار على ظاهر أمره ، لا يتجسسون عليه ، ولا يتطلّبون مشايته ومقايحه ، وإن اتفق له ما يوجب عليهم حفظه لمقد الجوار فطنوا له ، وحافظوا عليه . وإنما قال هذا لِمَا سار في الناس وجري تجرى الأمثال ، من أن التكرّم مكيال ثلثاء بحسن الفطنة وحدة الذكاء في العارضات ، وأن اللؤم مكيال ثلثاء سوء الفطنة واستعمال التجويز في الواجبات . الفطن : جمع فطن وهو كعشرين وخشن .

(١) لطرفة بن العبد في ديوانه ٦٥ طبع طازان . ومجزة :

* إنني لست بموهون فقر *

٦٨٧

وقال ابن عنقاء الفزاري^(١) :

١ — رَأَى عَلَى مَابِ عُمَيْلَةٍ فَاشْتَكَى إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَ كَمَا جَهَرَ

٢ — دَعَانِي فَاسَانِي وَلَوْ ضَنْ لَمْ أَلَمْ عَلَى حِينٍ لَا بَادٍ يُرْجَى وَلَا حَضَرَ^(٢)

٣ — قُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأُثْبِتُ فَعَلَهُ وَأَوْفَاكَ مَا أَسْدَيْتَ مَنَ ذَمٍّ أَوْ شَكَرَ^(٣)

يقول : رَأَى حَالِي عُمَيْلَةٍ وَتَأَمَّلَهَا عَلَى مَا بَهَا ، فَأَنْهَى رِثَائَتَهَا وَاجْتِلَاهَا إِلَى مَالِهِ ، مَبْحُولًا الشَّكْوَى مِنْهَا عَلَى قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَمُسِيرًا وَمُعِلَّنَا ، لَا يَشُوبُهُ مُدَاجَاةٌ وَلَا نِفَاقٌ ، وَلَا يَتَخَلَّلُ قَمَلُهُ مَخَاطَلَةٌ وَلَا رِيَاءٌ ، بَلْ اعْتَنَى بِهَا عَلَى خُلُوصِ نِيَّةٍ^(٤) ، وَاهْتِمَامٍ بِإِحْسَانٍ مَعَ نَقَاءِ طَوِيَّةٍ .

وقوله « دَعَانِي فَاسَانِي » ، يقول : ابْتَدَأَ فِي تَغْيِيرِ حَالِي ، وَإِزَالَةِ مَا مَسَّنِي

(١) اسمه أسيد بن عنقاء ، كما في الصحاح (سوم) وأمالى القالي (١ : ٢٣٧) .

وكان من سبب الشعر ما رواه التبريزي ، قال أبو ريش : صر عُمَيْلَةُ الْفَزَارِيُّ عَلَى ابْنِ عَنْقَاءَ الْفَزَارِيِّ وَهُوَ يَحْتَشُّ لَفَنِهِ ، وَقِيلَ يَحْفَرُ عَنِ الْبَقْلِ وَيَأْكُلُهُ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ عَنْقَاءَ ، مَا أَصَارَكَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَنْقَاءَ : تَغْيِيرُ الزَّمَانِ ، وَتَعَذُّرُ الْإِخْوَانِ ، وَضَنْ أَمْثَالِكَ بِمَا مَعَهُمْ . فَقَالَ عُمَيْلَةُ : لَا جَرَمَ وَأَنْتَ لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ غَدًا إِلَّا وَأَنْتَ كَأَحَدِنَا . ثُمَّ انْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانَ عُمَيْلَةُ غَلَامًا حِينَ بَقَلَ وَجْهَهُ ، فَبَاتَ ابْنُ عَنْقَاءَ يَتَمَلَّلُ عَلَى فِرَاشِهِ لَا يَأْخُذُهُ النَّوْمُ اشْتِغَالًا بِمَا قَالَ لَهُ عُمَيْلَةُ ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ فَقَالَتْ : قَدْ خَرَفْتَ فَذَهَبَ عَقْلُكَ حَتَّى تَعْلُقَ تَقْسَكَ بِكَلَامِ غُلَامٍ حَدِيثِ السِّنِّ لَا يَحْفَلُ بِمَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ . وَبَحَى أَنَّهُ لَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ : لَوْ أَثْبِتَ عُمَيْلَةُ ، فَقَدْ وَعَدَكَ أَنْ يَفَاسِمَكَ مَالَهُ . فَقَالَ : يَا بَنِيَّةُ ، إِنْ لَقِيتُكَ كَانَ سَكْرَانًا ، وَلَا أُدْرِي لِمَ لَمْ يَقُلْ مَا قَالَهُ . فَبَيْنَا هِيَ تَرَاجِعُهُ الْكَلَامَ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ كَالْبَلْبَلِ مِنْ أَيْلٍ وَغَنٍّ وَخَيْلٍ ، وَإِذَا عُمَيْلَةُ قَدْ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا ابْنَ عَنْقَاءَ ، أَخْرِجْ إِلَيَّ . فَفَرَّجَ إِلَيْهِ نَهْلًا : هَذَا مَالِي أَجْمَعُ ، هَلُمَّ تَقْسِمُ . فَفَاسَمَهُ إِيَّاهُ بَعِيرًا وَبَعِيرًا ، وَفَرَسًا وَفَرَسًا ، وَشَاةً وَشَاةً ، وَجَارِيَةً وَجَارِيَةً ، وَغُلَامًا وَغُلَامًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ . فَقَالَ ابْنُ عَنْقَاءَ هَذِهِ الْآيَاتُ .

ومثل هذا الخبر في أمالي القالي .

(٢) التبريزي والقالي : « عَلَى حِينٍ لَا بَدُو » .

(٣) القالي : « وَأَوْفَاكَ مَا أَبْلَيْتَ » . والبيت آخر الأبيات عند التبريزي .

(٤) ل : « عَنْ خُلُوصِ نِيَّةٍ » .

من قَرَى من ذات نفسه ، فَجَبَرَنِي وانتاشني ، ولو سَتَى سَتَى غيره من البُخْلَاء لم يَلْعَنَهُ مَنِّي عَيْبٌ في وقتٍ قد تساوى النَّاسُ في التَّمَنُّعِ وأَطْرَاحِ الحَقوقِ حَقٌّ لا ذُو الْبَدْوِ يُرَجَّى ولا ذُو الْحَضَرِ . وقوله « ولا حَضَرَ » حَذَفَ المضافَ وأقام المضافَ إليه مقامه . وهذا كما يقال : الجُودُ حَاتِمٌ ، يراد جُودُ حَاتِمٍ . وكان الوجه أن يقول : ولا حاضر ، مع ذكر البَادِي ، ليكون الكلامُ أشدَّ التَّثَامَا ، أو يقول : فلا بَدْوٌ يَرَجَّى ، مع قوله ولا حضر .

وقوله « فقلت له خيراً » ، يقول : شكرته على اصطناعه ، وأُثْنَيْتُ على فعله ، وكَثَرْتُ في النَّاسِ ما تَكَلَّفَهُ لِي وتَبَرَّعَ به ونَشَرْتُهُ . وقد وفَّاكَ حَقَّكَ في الإِسْدَاءِ مِنْ حَمْدِكَ ، كما وفَّاكَ في المَكافأةِ مَنْ أَسَاتَ إليه إذا ذَمَّكَ . وكان وجه الكلام أن يقول : وأوفَّاكَ ما أُسَدَيْتُ أو أَسَاتُ مِنْ ذَمٍّ أو شُكْرٍ ، فاقْبَضَر على ذكر الإِسْدَاءِ وإن كان يستعمل في الخير لا غير . وأصله من السَّدَى وهو نَدَى اللَّيْلِ خاصَّةً . يقال : سَدَيْتُ لَيْلَتُنَا ، إذا كَثُرَ نَدَاها ، ولا يكاد يُستعمل في النَّهَارِ . قَالَ :

* فَأَنْتَ النَّدَى فِيمَا يَنْوَبُكَ وَالسَّدَى *

وقيل أصله من السَّدْوِ ، وهو التَّدْرُعُ في المَشْيِ اتِّسَاعَ الْخَطْوِ . يقال : سَدَى البَعِيرُ وأَسَدَيْتُهُ ، والأوَّلُ هو المَوَاب .

ومثل قوله « وَأَفَّاكَ ما أُسَدَيْتُ مَنْ ذَمٍّ أو شُكْرٍ » قولُ الآخر^(١) :

فما أَدْرِي إذا يَمَمْتُ أَرْضاً أريدُ الخيرَ أيُّهما يَلْبِي

لأنَّ المراد أريدُ الخيرَ وأَجْتَنِبُ الشرَّ ، فاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِما ، أَلَّا تَرَى

أَنَّهُ قال مِنْ بَعْدُ :

أَلْخَيْرَ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرَّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِي

(١) هو الملقب المبدى . البيت ٤٤ من المفضلية ٧٦ .

وقوله « وَأَنْتِ قِئْلَهُ » أصله على فِئْلِهِ ، فحذف الجار ووصل الفعل بنفسه .

٤ - غلامٌ رماه الله بالخير مُقْبِلًا له سِيمِيًا لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ^(١)

٥ - كَانَ الثَّرِيَا عُلِقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ وَفِي أَنْفِهِ الشَّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ^(٢)

٦ - إِذَا قِيلَتِ الْمَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ ذَلِيلٌ بِلَا ذَلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَا انْتَصَرَ^(٣)

قوله « رماه الله بالخير » معناه كساه الخير ومسحه به مُقْبِلًا فيه لا مُدْبِرًا .

وقد كشف معنى الرمي بقوله : « له سِيمِيًا لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ » ، يريد ما عليه

من حسن القبول والتمكّن من النفوس والقلوب ، حتّى إنّ المبصرين له يحدّون

راحةً في النَّظَرِ إليه ، فلا تملأها العيون ، ولا تنطبق دونها الجفون . ومثل قوله :

رماه الله بالخير في باب الاستعارة ، قوله تعالى : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ .

والسِّيَمِيَاءُ أصله العلامة ، ومنه الخليل المُسَوِّمة . ويقال سِيَمَاءٌ وَسِيَمِيَاءٌ

جميعًا . واتَّصَبَ « مُقْبِلًا » على الحال . وتحقيق معنى سيمياء أى قد رسمه الله

تعالى بسيمياء حسنة مقبولة ، يلتذ الناظرُ بالنظر إليها .

وقوله « كَانَ الثَّرِيَا عُلِقَتْ فَوْقَ نَحْرِهِ » [يريد أنّه قد غشّى من كل جانبٍ

بما ينوره ، فالثَرِيَا فَوْقَ نَحْرِهِ^(٤)] ، والشَّعْرَى ، يعنى القَبُورُ ، مُرْكُزَةٌ فِي أَنْفِهِ ،

والقمر مثلاً في خَدِّهِ ، فهو نورٌ على نور .

وقوله « إِذَا قِيلَتِ الْمَوْرَاءُ أَغْضَى » ، كأنّه يصف فيه اجتواءه للخنا والنمّش ،

وأطراحه لقبح القول ، ورفّضه لأنواع الهجر ، فحقُّ ذِكْرَتِ عِنْدَهُ فحشاء أطرق

(١) التبريزى : « بالخبر يافماً » .

(٢) ل : « عُلِقَتْ بِجَبِينِهِ » ، وأشير في هامعها إلى أنّها في نسخة : « فوق نحره » .

التبريزى : « عُلِقَتْ بِجَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمَرُ » .

(٣) بعده عند التبريزى :

وَلَا وَأَيُّ الْجَدِّ الْمُتَعَمِّدِ ثِيَابُهُ تَرَدَّى رِدَاءٌ وَاعِ الذَّلِيلِ وَانْتَزَرَ

(٤) التكملة من ل .

منفضياً ، عارِكاً بمنجبه متحلماً ، فكأنه ذليلٌ لتغاييه ، وتركِ المحاسبة فيه ، ولو شاء لا يفتنم . وهذا غايةُ ما يكون من حُسن الاحتمال ، ومُصَابرة الناس على أذام ، مع التعرُّز والافتدَار .

٦٨٨

آخر^(١) :

- ١ - سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي أَيَادِي لَمْ تُنَمِّنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ^(٢)
 - ٢ - فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبٍ الْفَنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرٍ الشُّكُوفَى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ
 - ٣ - رَأَيْتُ زَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يُخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتْ
- يقول : إني سأشكر آلاء عمرو ونعمته عندي إن أنف من عمري ، وتراخت غايةُ المقدار من منيتي ، فإنها صافية من التمنُّ والأذى على جلالتها ونخامتها . وقوله « لم تمنن » يجوز أن يكون المراد ولم تُنقطع وإن عظمت ، وقال ذلك لأن الأيادي السننية لا تكاد تنفاسق . ويقال : حَبِلَ^(٣) مَنِينٌ وممنون . وفي القرآن : ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ . ويجوز أن يكون المراد به لم يخلط بمن . وقوله « فتى غير محجوب الفنى » ، أخذ يصفه . وارتفع فتى على أنه خبر مبتدأ

(١) هو محمد بن سعد الكاتب التميمي ، شاعر بحدادي . معجم الشعراء للرزباني ٤٢١ . وفي رسائل الجاحظ ٢٣ ساسى أنه « محمد بن سعيد » . وقيل : لأبي الأسود الدؤلي وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص ، فبينما هو يحدث إذ ظهر كم قيصة من تحت جيبه وبه خرق ، فلما انصرف بعث إليه بعمرة آلاف درهم ومائة ثوب فقال هذا الشعر . وقيل : الشعر لمحمد بن الزبير الأسدي ، وأنه أتى عمرو بن أبان بن عثمان فسأله فأعطاه . اللآلي ١٦٦ . وقيل : لإبراهيم ابن العباس الصولي . مجموعة المعاني ٩٦ ومعجم ياقوت (٥ : ١٥٨ مرجليوث) وابن خلدكان (٢ : ٢٤٧) . وقيل : لعمر بن كليل يمدح عمرو بن ذكوان ، وكان قد رآه وعليه جبة بلاقيص ، فتشفع له ، حتى ولى الحرب بالبصرة فأصاب في ولايته مالا عظيما . أو هو رجل من أشرف المدينة أنهم عليه عمرو بن سعيد بن العاص وكان قد ظهر كم قيصة من تحت جيبه . شرح التبريزي .

(٢) ويروي : « ما تراخت » ، وهو أوفق .

(٣) في الأصل : « جبل » ، صوابه في ل .

محدوف ، والمعنى هو فنى يُشرك صديقه فى غناه مدّة مساعدة الزّمان له ، فإنّ
تَوَلَّى الأُسْرُ وزَلَّتْ النُّعْلُ تراه لا ينشكى^(١) ولا يتألّم . وهذا مثل قول الآخر^(٢) :
أبو مالكٍ قاصرٌ فقره على نفسه ومُشيعٌ غناه
ويقال فى السكناية عن نزول الشر وامتحان المرء : زَلَّتْ القدم به ، كما يقال :
زَلَّتْ النُّعْلُ به .

وقوله « رأى خَلَّتْ من حيث يحفى مكانها » زائد على ماتقدم من قول ابن
عنقاء الفزاري^(٣) ، وهو :

رَأَى عَلَى مَا بَى عُمَيْلَةَ فَاشْتَكَى إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرًا كَمَا جَهَرَ
وَذَاكَ لِأَنَّ هَذَا قَالَ : « رأى خَلَّتْ من حيث يحفى مكانها » ، فكانه أدرك
الحال ، من طريق الاستدلال ، والاهتمام بالبعوث من جودّة التفطن ، وإن كان
صاحبه يتعمّف عن السّؤال ويتجمل ، وابنُ عنقاء شاهد الحال عياناً ، فاشتكى
إلى ماله سرّاً وجهراً ، وقال هذا بإزاء الاشتكاء : فكانت قَدَى عينيه ، أى من
حسن الاهتمام ما جعله كالذاء للملازم له ، حتى تلافاه بالإصلاح ، وإذا كان كذلك
فوضعُ الزّيادة فى كلامه وقصده ظاهر .

٦٨٩

آخر^(٤) :

١ - إِنْ أَجْزِ عَاقِمَةَ بَنَ سَيْفٍ سَعِيهِ لَا أَجْزِيهِ بَيْلَاءُ يَوْمٍ وَاحِدٍ

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « ينشاكى » وإنما يقال تشاكى القوم : شكا بعضهم إلى بعض .

(٢) التنبخل المذلى . انظر ٥٢٢ ، ٩٦٩ ، ١٠٧٩ .

(٣) فى الحماسة السابقة .

(٤) هو فذكى بن أعبد البهراني ، كما عند التبريزي واللسان (لم ٢١ - ٢٢) . وروى

المرزبانى فى معجمه ٤٧٥ البيت الأول وتاليه منسوين إلى الرناق الطائي . والأبيات بدون =

٢ - لأَحَبَّنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمَنِي رَمَّ الْهَدْيِ إِلَى النَّفْيِ الْوَاجِدِ

٣ - وَلَقَدْ نَضَحْتُ مَلِيْقِي فَمَيِّتَتْ عَنْ آلِ عَتَّابٍ بِمَاءِ بَارِدٍ^(١)

يقول : إِنْ رُمْتُ الْقِيَامَ بِوَاجِبِ سَفْيٍ عُلْقَمَةً لِي ، وَأَدَيْتُ الْمَفْرُوضَ لِحُسْنِ بِلَانِهِ عِنْدِي ، لَمْ أَقَابْهُ عَلَى صَنِيعَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَا جَازِيَتَهُ لِبِلَاءِ نِمَةٍ فَارِدَةٍ ، لِأَنَّ أَيْدِيَهُ عِنْدِي كَثِيرَةٌ مَتَظَاهِرَةٌ^(٢) ، وَأَلَاءَهُ لَدَيَّ مَتَوَاتِرَةٌ مُتَنَاصِرَةٌ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَحَبَّنِي كَمَا يُحِبُّ الصَّبِيُّ ، وَأَصْلَحَ مِنْ أُمُورِي مَا يُصْلَحُ مِنْ شَأْنِ الْقُرُوسِ إِذَا زُفَّتْ إِلَى الْمُوَسِّرِ النَّفْيِ ، فَتَضَاعَفَ مُؤَنُّهَا ، وَتَزَايَدَ التَّكَالِيفُ فِي هِدَائِهَا وَتَحْوِيلِهَا . فَقَوْلُهُ لِأَحَبَّنِي ، اللَّامُ جَوَابٌ بِمَنْ مَضَرَّةٌ ، وَإِنَّمَا قَالَ : « حُبَّ الصَّبِيِّ » لِأَنَّهُ يَخْلَطُ بِمَحَبَّتِهِ زِيَادَةُ الشَّفَقَةِ ، وَكَفَالَةُ التَّرَفِّفِ عَلَيْهِ وَالْمَرَحَةِ .

وَسُئِلَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ^(٣) عَنْ أَحَبِّ أَوْلَادِهِ إِلَيْهِ فَقَالَ : « الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَالْغَائِبُ حَتَّى يَقْدَمَ ، وَالطَّيْلُ حَتَّى يَبْرَأَ » .

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ وَجَدْتَ خَالَ الْغَائِبِ وَالطَّيْلِ كَخَالَ الصَّغِيرِ فِيمَا ذَكَرْتُ ، فَلِذَلِكَ جَعَمَهَا فِي قَرْنِ الذِّكْرِ .

وقوله : « وَلَقَدْ نَضَحْتُ مَلِيْقِي » يريد . وَلَقَدْ رَشَشْتُ غَلِيلِي مِنْ آلِ عَتَّابٍ وَمَا امْتَلَأَ نَارُ وَجَدِي مِنْ أَحْشَائِي وَصَدْرِي بِمَاءِ بَارِدٍ ، فَسَكَنْتُ وَزَالَ حَجِيمُهَا ، حَتَّى

== نسبة في الحيوان (٣ : ٤٦٨) والبيان (٣ : ٢٣٣) .

وكان من خبر الشعر أن فديكاً كان مجاوراً لعلمقة بن سيف العنابي ، وكان له إبل فسرق ، سرقها حنش بن معبد أحد بني ثعلبة بن بكر بن حبيب ، فلما علم علمقة بذلك سعى في استردادها من خارجها فلم يوفق . فأخرج هو من ماله مائة بعير وساقها إلى فديك عوضاً ، فقال هنا الشعر بمدحه .

(١) الحيوان والبيان :

ولقد شفيت غليلي وقعتها من آل مسعود بماء بارد

(٢) هذا ما في ل ، وهو الأوفق ، وفي الأصل : « ظاهرة » .

(٣) هو غيلان بن سلمة الثقفي ، وكان قد وفد إلى كسرى فسأله : أي ولدك أحب

إليك ؟ الأغانى (١٢ : ٤٥ - ٤٦) ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٥) .

كأنها لم تكن . وإنما قال ذلك لأنَّ آلَ هَتَّاب كانوا وترَّوه فاشدَّ بَرَحَ حَيِّفَةٍ
وَأَسْعَ قَرْحٍ وَتَرَّه ، فأعانه على إدراك النَّارِ عُلْقَمَةُ بْنُ سَيْفٍ ، وَشَفَاءُ مِنْ دَائِهِ .
وإذا تَوَمَّلَ مَا عَدَّه مِنْ أَيَادِيهِ لَدَيْهِ حَصَلَ فِيهِ الْمِيلُ وَالْإِكْرَامُ ، وَالْبِرُّ وَالْإِنْعَامُ ،
وِإِصْلَاحُ الْحَالِ ، وَالْمُوَاسَاةُ بِالْمَالِ ، وَالشَّفَاءُ مِنَ الدَّاءِ ، وَالْإِتْقَامُ مِنَ الْأَعْدَاءِ ،
وَذَلِكَ مَا لَا سَنِيْدَ عَلَيْهِ . وَمَعْنَى تَمَيُّنَتْ تَذَلَّلَتْ وَتَذَوُّبَتْ . وَيُقَالُ : مَيَّنْتُ
الشَّيْءَ ، إِذَا مَرَّسْتَهُ . وَالتَّضْعُ بِالْهَاءِ الْمُجْمَعَةِ أَيْ بَلَغَ مِنَ التَّضْعِ .

٦٩٠

وقال أبو زياد الأعرابي^(١) :

- ١ - له نَارٌ تَشَبُّ بِكُلِّ وَادٍ إِذَا النَّيِّرَانِ أُلْبِسَتْ الْقِنَاعُ^(٢)
 - ٢ - وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَتْ أَرْحَمَهُمْ ذِرَاعًا
- فوله « تَشَبُّ » أَيْ تَوْقَدُ ، وَمَوْضِعُ الْجُمْلَةِ مِنَ الْإِعْرَابِ رَفْعٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ
صِفَةً لِلنَّارِ^(٣) ، وَالْمَعْنَى أَنَّ نَارَ ضِيَافَتِهِ تَوْقَدُ بِكُلِّ وَادٍ يَنْزِلُ بِهِ إِذَا النَّيِّرَانِ فِي
الْأَفَاقِ سَتَرَتْ وَحُجِبَتْ عَنِ الْاسْتِدْلَالِ بِهَا ، مَخَافَةَ طُرُوقِ الْأَضْيَافِ . وَجَوَابُ إِذَا
مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِذَا النَّيِّرَانِ جُمِلَتْ كَذَلِكَ فَلَهُ نَارٌ تَوْقَدُ بِكُلِّ وَادٍ .
وَيَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ أَوْقَدَتْ نَارَهُ فِي جَوَانِبِ مَحَلِّهِ وَفِي كُلِّ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ فَنَائِهِ وَدَارِهِ

(١) هذا ما قول . وعند التبريزي : « الأعرابي السلابي » . وفي نسخة الأصل :
« أبو زياد الأعجمي » ، تحريف . والبيتان بدون نسبة في الحيوان (١٣٥ : ٥) . وأبو زياد :
أحد الأعراب الذين كانوا يقدون من البادية . واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر . قدم بغداد أيام
المهدي حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطعة العباس بن العباس بن محمد فأقام بها أربعين سنة
وبها مات . وكان شاعراً من بني عامر بن كلاب . وله من الكتب : النوادر ، الفرق ، الإبل ،
خلق الإنسان . ابن النديم ٦٤ .

(٢) التبريزي : « تشب على يفاع » ، ثم أشار إلى الرواية الأخرى .

(٣) ل : « صفة النار » .

وإذا أُخِدتِ نيرانُ النَّاسِ ، فلذلك قال : تُسَبُّ بكلِّ وادٍ ، وهذا يُكون منه
 كلامهم الأيسار ، ونيايتهم عن غيرهم إذا غُدم الشركاء .
 وقوله « ولم يك أكثر الفتیان » قد تقدم الكلام في حذف النون من يكُ
 في غير موضع . وانتصب « مالا » على التمييز ، وكذلك « ذراعا » . والمعنى :
 أن ما تحمله وتكلفه لم يك السبب فيه اليسار ، وكثرة المال . ولكن كرمه
 الفائض ، وعِزُّه الزَّائِرُ ^(١) .

٦٩١

وقال المرنّس

أحد بنى أبى بكر بن كلاب ^(٢) :

- ١ - هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيسارَ ذَوُو كَرَمٍ سَوَاسُ مَكْرُمَةٍ أبناءِ أيسارٍ
 - ٢ - إن يُسألُوا الخَيْرَ يُعطَوْهُ وإن خُبِرُوا في الجَهْدِ أَدْرِكْ منهم طَيْبُ أخبارٍ
 - ٣ - وإن تودَّذَهم لَانُوا وإن شُهِمُوا كَشَفَتْ أَدَمَارَ شَرٍّ غَيْرِ أَشْرَارٍ
- المرنّس في اللغة : الأسد العظيم ، وكذلك الجمل . ويقال : هو هَيْنٌ لَيْنٌ

(١) عرفه ، بالعين المهملة والقاف في النسختين .

(٢) عند التبريزي يمدح بنى عمرو الغنويين ، وكان أبو عبيدة إذا أشدهما يقول : « هذا والله حال ، كلابي يمدح غنويا » . قال البكري في التنبيه ٧٣ في تعليل ذلك : « ولأنما أنكر أن يكون كلابي يمدح غنويا لأن فزارة كانت قد أوقمت بنى أبى بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، فلما قتلت طي قيس النداءى الغنوى وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوى ، استغاثت غنى بنى أبى بكر ومحارب ليكافئوهم ييدم عندهم ، ففقدوا عنهم فلم يجيبوهم فلم يزلوا بعد ذلك متدابرين » . وقيل : إن الشعر لأبى المرنّس . معجم الرزبانى ٣٠٦ . وفى الكامل ٧ : أنه عبيد بن المرنّس السكلابي يصف قوماً نزل بهم . وفى الكامل أيضا قال : قصد رجل من الشعراء ثلاثة إخوة من غنى وكانوا مقلين فامتدحهم فجلوا له عليهم فى كل سنة ذودا ، فكان يأتي فيأخذ الذود . ثم أشد الشعر فى قصيدة طويلة . والأبيات بدون نسبة فى الحيوان (٢ : ٨٩) وديوان المعاني (١ : ٤١) .

وَهَيِّنْ لَيْنْ ، والتَّشْدِيدُ الْأَصْلُ ، والتَّخْفِيفُ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْحَرْبِ مِنْ ثَقَلِ
التَّضْعِيفِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ . وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُلْزَمُهُمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي مَجَالِسِهِمْ .
وَيُقَالُ : جَاءَ يَمْشِي هَوْنًا ، وَهُوَ الْمَصْدَرُ . وَالْأَيْسَارُ : جَمْعُ الْيَسَرِ ، وَهُمُ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ
فِي الْمَيْسَرِ عَلَى الْجَزْوَرِ عِنْدَ الْجَذْبِ وَالْقَحْطِ ، فَيُجِيلُونَ الْقِدَاحَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ يَفْرُقُونَهُ
فِي الْفُقَرَاءِ وَأَرَبَابِ الْحَاجَةِ وَالضَّرَاءِ . وَيُقَالُ : يَسَرَ الرَّجُلُ إِذَا أَجَالَ قِدَاحَهُ ، فَهُوَ
يَاسِرٌ وَيَسَرُّ . قَالَ :

إِذَا يَسَرُّوا لَمْ يَوْرِثِ الْيَسَرُ بَيْنَهُمْ فَوَاحِشَ يُنَمِّي ذِكْرُهَا بِالْمَصَافِي^(١)
وَقَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ :

فَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرُّ يُفَيْضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ
وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى سَجَاحَةِ خُلُقٍ^(٢) ، وَسَلَاسَةِ طَبْعٍ ، مُوَقَّرُونَ
فِي مَجَالِسِهِمْ ، مُتَكَرِّمُونَ فِي عَادَاتِهِمْ وَشُؤُونِهِمْ ، مُتَعَطِّفُونَ عَلَى الْفُقَرَاءِ زَمَنَ
الْجَذْبِ بِمَيْسَرِهِمْ ، يَسُومُونَ الْمُسْكَارَ وَيَعْمُرُونَهَا بَعْدَ ابْتِنَائِهَا ، وَلَا يَفْقُلُونَ عَنْهَا ؛
وَأَنَّ هَذِهِ الْخِلَصَالَ لَمْ يَرِثُوهَا عَنْ كَلَالَةٍ ، وَأَنَّ آبَاءَهُمْ عَلَى ذَلِكَ دَرَجُوا وَتَقَضَّوْا .
ثُمَّ قَالَ : « إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطَوْهُ » ، يَرِيدُ أَنَّهُمْ لَا يَتَقَاعَدُونَ عَنِ الْبَذْلِ فِي
الْحَقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ، وَلَا يُحَوِّجُونَ إِلَى اسْتِخْرَاجِ ذَلِكَ مِنْهُمْ بِالْعَنْفِ وَالِاسْتِقْصَاءِ
بَلْ يُخْرِجُونَ مِنْهَا إِلَى أَصْحَابِهَا ، وَالْمُطَالِبِينَ بِهَا ؛ وَإِنْ جُرِّبُوا عِنْدَ جَهْدِ الْبَلَاءِ ،
وَاشْتِمَالِ الشَّدَّةِ وَالْبَأْسَاءِ ، وَحُلُّوا أَكْثَرَ مِمَّا يُلْزَمُهُمْ ، وَأَثْقَلَ مِمَّا يَنْهَضُ بِهِ حَالُهُمْ ،
طَابَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وَحَسُنَتْ أَنْبَاؤُهُمْ^(٣) ، وَالْأَحَادِيثُ عَنْهُمْ . وَمَنْ انْتَمَى بِتَقَرُّبٍ
إِلَيْهِمْ ، أَوْ تَوَدَّدَ لَهُمْ ، لَا تُؤَالِهِ ، وَانْقَادُوا لِمَا يَرِيدُهُ مِنْ جِهَتِهِمْ . وَإِنْ أَوْذَا

(١) الْبَيْتُ لِلْمُرْنَسِ . فِي الْمَفْضِلَةِ ٥٠ .

(٢) سَجَاحَةُ الْخُلُقِ : لَيْتُهُ وَسَهْوَلَتُهُ . وَفِي الْأَصْلِ : « شَجَاحَةُ خُلُقٍ » صَوَابُهُ فِي ل .

(٣) هَذَا الصَّوَابُ مِنْ ل . وَهُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ « طَبِيبُ أَخْبَارٍ » . وَفِي الْأَصْلِ : « ابْتِلَاؤُهُمْ » .

وأخرجوا انكشفوا عن أذمار شرّ - وهو جمع الذمّر، وهو الشديد لا يطاق - وإن كانوا في أنفسهم وسجايام غير أشرار، إلا أنهم إذا جذبوا إلى الشرّ وألجئوا زادوا على الأشرار.

وقوله «شهموا» أي هيّجوا، ويقال: فرس شهم، أي حديد نشيط ذكي؛ ومنه الشّهم^(١). ويقال شهم الرجل، إذا ذعّر أيضاً، ويرجع في المعنى إلى الأوّل^(٢).

٤ - فيهم ومنهم يمدّ الخَيْرُ مُتِلِدًا ولا يمدّ نَمًا خِزْيٍ ولا عَارٍ^(٣)

٥ - لا ينطقون على الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا بكثارة^(٤)

٦ - من تلق منهنّ نقل لا قيت سيّدنّ مثل النجوم التي يسرى بها الساري

وصفهم بأن الخير مزجج من جهتهم، ومعدود في خصالم قديماً وحديثاً،

وسلفاً وخلفاً، ولا يمدّ في أفعالهم ما ينجزي ذكره، والتحدث به، أو يجلب

عاراً عليهم لدى الكشف عنه والتأمل له، وذلك لخلوص مناقبهم عما يشين

ولا يزين، وحسن قصودهم فيما يتصرفون فيه فيتناولونه بالنقض والإبرام، ثم

إن تكلموا فليس عن فحشاء يضرّونها، ولا عن نكراء ينطوون عليها،

فكانت الأقوال توافق الضمائر وتقفوها، والظواهر تطابق السرائر وتتلوها، بل

يؤلّون الكلمة الموراء إذا أدركوها المفعول عنها، والإغضاء على القذى فيها، تحملاً

وترفعاً. وإن جاذبوا غيرهم وحلّوا على لجّاج في نزاعهم عرفت نهاية جدالهم،

ونكسّوا فيما يذّلون به من حجاجهم، فقولهم فصل، وإسّاكم قصد وعدل،

(١) الشهم: الذكر من الكناز.

(٢) قال ابن فارس في مقاييس اللغة: «لأنه إذا تفرّج بدا ذكاء قلبه».

(٣) التبريزي والمبرد: «يمد المجد».

(٤) وكذا عند المرزباني. وفي التبريزي: «عن الفحشاء». وبديله عن المبرد:

«لا يظنون على المبياء إن ظنوا»

لا إِكْثَارَ ولا إِسْرَافَ ، إِذْ كَانَ مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ ، وَمَنْ أَسْرَفَ أَخْشَ ؛ وَلَئِنْ عَادَتْهُمْ الْانْتِصَادُ فَمَا يَخَافُونَ أَدَاءَهُ إِلَى الْقَبِيحِ ، وَالِامْتِدَادُ إِلَى أَبْعَدِ الْغَايَاتِ فَمَا يَحْسُنُ مَسْمَعُهُ عِنْدَ ذَوِي التَّحْصِيلِ .

وقوله « مِنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ » ، يَرِيدُ أَنْ النِّهَايَةَ أَشْمَلُهُمْ ، فَكُلُّ مَنْهُمْ يَنْتَسِمُ بِسَيِّمَةِ الرِّيَاسَةِ ، وَيَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ السِّيَادَةِ ، وَهُمْ فِي الْأَشْهَارِ وَالْتَّمِيزِ عَنْ طَوَائِفِ النَّاسِ كَالنَّجُومِ الْمَعْرُوفَةِ النَّيِّرَةِ ، الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا السَّابِلَةُ وَالْمَارَّةُ ، وَيَتَفَقَّدُ الْمَعْرِفَةَ بِهَا فِي طُلُوعِهَا وَأَفْوِجِهَا أَوَّلُو النَّحْلِ وَالْمُمَارِسَاتِ .

وقوله « فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْخَيْرَ مَجْلِدًا » يَرِيدُ مَا يَلْزَمُهُمْ مِنَ الْخِصَالِ وَمَا يُعَدُّهُمْ . وَاتَّعَصَبَ « مَجْلِدًا » عَلَى الْحَالِ . وَيُقَالُ : تَلَدَ وَأَتَلَدَ بِمَعْنَى . وَالنَّشَأَ يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَالتَّنَاءُ يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ لَا غَيْرَ ، وَيُقَالُ : نَشَأَ الْخَبَرُ يَنْشُؤُ نَشْؤًا .

٦٩٢

آخر :

١- رَهَنْتُ يَدَيَّ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرِّهِ . وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِشُكْرِ مَزِيدٍ

٢- وَلَوْ أَنَّ شَيْئًا يُسْتَطَاعُ اسْتِطْفَافُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدٌ

يقول : عَمَّرَنِي بَرُّهُ وَعَجَّزَ حَوَامِلِي نَعْمَهُ ، فَاعْتَرَفْتُ بِالْعُصُورِ ، وَالْقُودِ عَنْ الْوَفَاءِ بِأَدَاءِ الْفُرُوضِ ، وَجَعَلْتُ يَدَيَّ مَرْهَنَةً بِالْعَجْزِ ، وَلَسَانِي مَقُولَةً عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الشُّكْرِ ، وَإِنْ كَانَ لَا مَزِيدَ عَلَى مَا أَتَوَلَّاهُ مِنْهُ لِمُبَالِغَةِ فِي الْحَدِّ ، وَلَا فَوْقَ اجْتِهَادِي غَايَةً يَرْتَقِي إِلَيْهَا فِي الذَّنِّ وَالنَّشَاءِ مَرَّتَيْنِ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَوْتَ مِنْ تَقْصِيرٍ يَلْزُمُنِي ، أَوْ إِقْصَاءٍ مَعَ قُدْرَةٍ يَدْفَعُنِي ، وَلَكِنْ لَكُونُ مِنْهُ مُعْجِزَةً غَيْرَ دَاخِلَةٍ تَحْتَ اسْتَطَاعَتِي ؛ وَمَا لَا يُطَاقُ تَحْمُلُهُ مَنِيْعٌ ، وَالنُّهْوضُ بِهِ عَسِيرٌ شَدِيدٌ .

٦٩٣

وقال الحسين بن مطير^(١):

- ١- له يومٌ بؤسٍ فيه للناسِ أبؤسٌ ويومٌ نعيمٍ فيه للناسِ أنعمٌ
 - ٢- فيمطرُ يومَ الجودِ من كَفِّهِ الندى ويمطرُ يومَ البأسِ من كَفِّهِ الدَّمُ
 - ٣- ولو أنَّ يومَ البأسِ خَلَّى عِقَابَهُ على الناسِ لم يَصْبِحْ على الأرضِ جُجْرُمٌ^(٢)
 - ٤- ولو أنَّ يومَ الجودِ خَلَّى يَمِينَهُ على الناسِ لم يَصْبِحْ على الأرضِ مُعْدِمٌ
- يقول: أيامُ هذا المدحِ مُقتَسمةٌ بينِ إنعامٍ وانتقامٍ، من إحياءٍ وإهلاكٍ، وإفضالٍ وإعدامٍ، فله يومٌ بؤسٍ يشقى به أعداؤه، ويومٌ نعيمٍ يحيا به ويسعدُ أولياؤه، فيومٌ جوده يعمُّ نداءً مؤمليهِ وخفاته، ويومٌ بؤسه يعمُّ إهلاكَهُ مُناذيه وحُسادَهُ، ولو أرادَ في اليومِ المخصوصِ بالانتقامِ أن يَحْمَلَ عِقَابَهُ مُخْلِياً يَتَنَاوَلُ طبقاتِ الناسِ، لم يبقَ في الأرضِ مجرمٌ ولا حَسودٌ يُضِرُّ سِوَاهُ، ولكنْ أبى عَفْوُهُ إِلَّا إِبْقَاءَ؛ كما أَنَّهُ لو خَلَّى يومَ جوده مَنَافِعَ يَمِينِهِ طَوَائِفَ الخَلْقِ لم يَبْقَ في الأرضِ فقيرٌ، ولكنْ أبى ذلكَ بُعْدُهُ عَنْهُمْ، وقُصُورُ مَعْرِفَتِهِ بِهِمْ.
- ويمحُوزُ أن يكونَ المرادُ بقوله «لم يَصْبِحْ على الأرضِ مجرمٌ»، أَنَّهُ كانَ يُبْنِي الخَلْقَ حَتَّى لا يَبْقَى مجرمٌ وَغَيْرُ مجرمٍ.

(١) التبريزي: «الأسدي». وقد سبقت ترجمته في الخامسة ٣٩٩ من ٩٣٤.

(٢) التبريزي: «خلى يمينه».

٦٩٤

وقال أبو الطمحان^(١) :١ - إذا قيل أيُّ النَّاسِ خيرُ قبيلةٍ وَأَصْبَرُ يوماً لا تُوَارَى كواكبُهُ^(٢)٢ - فإنَّ بَنِي لَأَمٍ بنِ عمرو أرومةً سَمَتْ فوقَ صَنْعٍ لا تُنَالُ مَرَاتِبُهُ^(٣)

٣ - أضاءت لهم أحسابُهُم ووجوهُهُم دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزَعُ نَاقِبُهُ

يقول : لو سَمَّ النَّاسُ بالسُّؤال عنهم فقيل أيُّهم خير أصلاً وسلفاً وأيُّهم أصبر يوماً ومشهداً ترى كواكبُهُ ظُهرًا ، لكان يَحْيَى في جواب هذا السؤال : بنو لَأَم بن عمرو ؛ ولأنَّ لَمْ مَنصِبًا علا شرفًا باذِخًا ، وعِزًّا اشاعًا لا تُدرك مَرَاتِبُهُ ، ولا تُنَالُ مَطَالِعُهُ . والفَرَض من الجملة تفضيلُهُم على جميع الخلق . والأرومة : الأصل الثَّابِت الراسي . وانتصب « قبيلة » على التمييز ، وكذلك « يوما » . ويعني بذكر اليوم الوقعات والحروب . وعلى ذلك قولهم : يوم جبلة ، ويوم الكلاب وما أشبههما . وقوله « لا تُوَارَى كواكبُهُ » إن شئت فتحت فرويت : « لا تُوَارَى كواكبُهُ » ، والمعنى لا تتوارى كواكبُهُ ، فحذف إحدى التاءين تخفيفًا . ومعنى « لا تُوَارَى » بضم التاء لا تُستر ، والأصل في هذا ، وهو يجرى مجرى الأمثال ، يوم حليمة ، وذلك^(٤) أنَّهُ سُدَّت عين الشمس في ذلك الغبار النَّاتِر في الجوِّ فرُمِيت الكواكب ظُهرًا ، فقيل : « ما يوم حليمة بِمِثَرٍ » ، وصار الأمر إلى

(١) سبقت ترجمته في المحاسنة ٤٧٨ ص ١٢٦٦ . وعند التبريزي : « واسمه شرقى بن حفظة » . ونسبة الشعر إلى أبي الطمحان هي كذلك في الكامل ٣٠ لبسك والوساطة ١٥٩ . ونسبه الجاحظ في الحيوان (٣ : ٩٣) إلى لقيط بن زرارمة .

(٢) كذا ضبط بضم التاء في النسختين ، ويصح أن يقرأ بفتحها على حذف إحدى التاءين كما سيأتي في المرح .

(٣) في الأصل « منالته » ، صوابه في ل والتبريزي .

(٤) ل : « وذاك » .

أن قيل في التوعد : لا ريبك السكواكب ظهرا . وأصل الصبر حبس النفس على الشر ، لذلك قيل : قُتِلَ فلان صبرا .

وقوله : « سَمَتْ فوق صَعْبٍ » ، يريد : فوق جبلٍ صعبٍ يَشُقُّ الارتقاء إليه . والمَرَاقِبُ هي المَحَارِسُ ، واحداً مَرَقِبَةٌ ، وكلُّ ذلك أمثال .

وقوله « أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم » ، يريد طهارة أنفسهم ، وزكاء أصولهم وفروعهم ، فهم يَبْضُ الوُجُوهَ نَبْرُو الأحساب ، فَذَجَى ليلهم تَنَكْشِفُ مِنْ نور أحسابهم ، حتَّى أن ثاقِبَهُ يُسَهِّلُ نَظْمَ الجَزَعِ فيه لناظِمِهِ ، وهذا مَثَلٌ أيضاً . والماء من « ثاقبه » يعود إلى ما دلَّ عليه قوله « أضاءت لهم أحسابهم » ، والثَّقُوبُ : الإضاءة ، ويقال : نار ثاقبة ، وكوكب ثاقب ، [وَحَسَبَ ثاقب^(١)] ، وقد ثَقَّبَ أى اشتدَّ ضوءه وتلألأ^(٢) . ومعنى نَظَّمَ حمل على النَظْمِ وأَقْدَرَ ، فهو بمعنى أنظم . ومثله كَرَّمَ وأكرم . والضمير من « ثاقبه » يدل على ظاهره صدر البيت ، فهو مثل قولهم : مَنْ كَذَبَ كان شرًّا له ، ومن صدَّقَ كان خيرًا لله ، يريد كان الكذب وكان الصدق ، فكذلك هذا ، كأنه قال : حتَّى نَظَّمَ ثاقبُ حَسَبِهِم الجَزَعَ لناظِمِهِ .

٦٩٥

وقال آخر^(٣) :

١ - بَأْيُهَا الْمُتَنَبِّئُ أَنْ يَكُونَ فَنَى مثل ابن زيدٍ لَقَدْ خَلَى لَكَ الشُّبُلَا^(٤)

(١) السكلة من ل .

(٢) التبريزي : « وتروى لحمد بن بشير الخارجي » . وقد سبقت ترجمته في الخامسة

٢٦٩ ص ٨٠٨ .

(٣) في الأصل : « أن تكون » ، والوجهان صحيحان .

٢ - اَعِدُّ نَظَائِرَ اخْلَاقٍ عُدِدْنَ لَهُ هَلْ سَبَّ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سُبَّ أَوْ بَخِلًا^(١)
 يقول : يا من يَوَدُّ وَيَشْتَعِي أَنْ تَكُونَ فُتُوهُ مِثْلَ فُتُوِّ عُرْوَةَ بْنِ زَيْدٍ
 الْخَلِيلِ ، لَقَدْ خَلَّى لَكَ الطَّرِيقَ فِي اكْتِسَابِ مَنَاقِبِ الْقُوَّةِ وَادِّخَارِ أَسْبَابِهَا
 وَمُوجِبَاتِهَا ، فَاسْعَ وَاطْلُبْ ، لَأَنَّ مَبَاغِيكَ إِنْ قَدَرْتَ مُعْرِضَةً لَكَ ، وَغَيْرُ مَمْتَنِمَةٍ
 عَلَيْكَ ، وَسُئُلُهَا غَيْرُ مُنْسَدَّةٍ وَلَا مَحْجُوبَةٍ عَنْ ذَهَابِكَ وَاخْتِرَاقِكَ ، ثُمَّ قَالَ : هَاتِ
 خَصَالِكَ وَاعِدُّ نَظَائِرَ اخْلَاقِهِ الْمَعْدُودَةِ لَهُ ، وَانْظُرْ هَلْ أَنْتَ فِي اشْتِمَالِ الْكَرَمِ
 وَالْحِفَافِ الْعِزِّ بِحَيْثُ لَا نَسْبُ أَحَدًا تَعَلِّيًّا وَارْتِفَاعَ مَنْزِلَةٍ ، وَفِي نَقَاءِ الْجَبِّينِ
 وَطَهَارَةِ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ بِحَيْثُ لَا يَسُبُّكَ أَحَدٌ نَوْقِيًّا وَتَعَقُّفًا ، وَهَلْ تَقِفُ مَوْفَقًا
 تَبْعَدُ فِيهِ وَتَتَنَزَّهُ عَنْ أَنْ يُقَالَ : مَا بَخِلَ بِمَا فِي يَدِهِ ، وَلَا مَنَعَ أَحَدًا عَلَى رَجَائِهِ بِهِ ،
 فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَبِينُ لَكَ تَفَاوُثُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ .

٦٩٦

وقال آخر:

- ١ - لَمْ أَرْ مَعْشَرًا كَبَنِي صُرَيْمٍ تَلْفُهُمُ التَّهَامُ وَالنُّجُودُ^(٢)
 ٢ - أَجَلَ جَلَالَةٍ وَأَعَزَّ فَقْدًا وَأَقْضَى لِلْحَقُوقِ وَهَمُّ قُمُودُ^(٣)
 ٣ - وَأَكْثَرُ نَاشِئًا غِرَاقَ حَرْبٍ يُعِينُ عَلَى السِّيَادَةِ أَوْ يَسُودُ

(١) قال التبريزي : وفيها :

إِنْ تَفَقَّ الْمَالُ أَوْ تَكَلَّفَ مَسَاعِيَهُ يَصُغَّبُ عَلَيْكَ وَتَفْعَلُ دُونَ مَا فَعَلَا
 لَوْ يُبْعَثُ النَّاسُ أَذْنَانَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ فِي سَاحَةِ الْأَرْضِ حَتَّى يَجْرُتُوا الْإِبِلَ
 كَيْ يَطْلُبُوا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ الَّذِي غَيَّبُوا فِي بَطْنِهِ رِجَالًا
 وَفِي الْإِنْسَانِ : « حَرَّتِ الْإِبِلُ وَالْخَيْلُ وَأَحْرَثَهَا : أَحْرَثَهَا » .

(٢) الأبيات رواها الثعالبي في أماليه (٢٣: ١) ورواية الأول : « فلم أرَ هالكًا كَبَنِي صُرَيْمٍ » .

(٣) الثعالبي : « وَأَقْضَى لِلْأُمُورِ » .

قوله « تَلْفَهُمُ التَّهَامُ » أى تجمعهم ، وانتصب « جَلَالَة » على التمييز ، وكذلك قوله « قَدَّأ » ، ولا يجوز أن يكون مصدرا ، أعنى قوله جَلَالَة ، لأنَّ أفعِل هذا لا يؤكِّدُ بالمصدر ، فهو من باب شِعِرَ شَاعِرٌ وَمَوَتْ مَائَتْ ، لأنَّ أصله مأخوذ من جلالٍ جليل . وانتصب « أَجَلٌ » بفعلٍ مضمر ، كأنه قال : لم أرَ أَجَلٌ جَلَالَة منهم ، لكنّه اختَصَرَ وحَذَفَ . وقوله « تَلْفَهُمُ التَّهَامُ » موضعه نصبٌ لأنَّه صفة لقوله مَفْشَرًا ، والتقدير : لم أرَ معشراً تَلْفَهُمُ الأغوار والأنجاد كبنى صُرَيْمٍ ، ولم أرَ أَجَلٌ جَلَالَة منهم أيضا . وتهامة من النور ، بل هو أعمقها . ثمَّ بَيَّنَّ ما فضَّلَهُم فيه بعد أن أبهم ، وفَصَّلَ ما أَجَل ، فقال : هم آتَهُم رِيَاةٌ وَأَخْمَهُمُ لُخَامَةٌ ، وأشدُّهم على النَّاس قَدَّأ ، وأحسنُهم في قضاء الحقوق الواجبة عليهم أداء ، هذا وهم قعود . وإنما قال ذلك لأنَّ الرئيس ينفذُ أمره في مطالبه وإن لم يبرح مكانه . و « أَعَزَّ قَدَّأ » ، يريد شدة حاجة النَّاس إلى حياتهم ، لو فور فضائلهم وإفضالهم .

وقوله « وأكثر ناشئا » يريدُ به الشابَّ المبتدئ في اكتساب ما يفتلِي به وَيَقُوقُ أفرانه . وانتصاب « ناشئا » على التَّمييز . والمِخْرَاق : بناء الآلة ، فهو كالْمِفْتَاح ، يريد أنه يتخرق في الحرب ويسعى سعيًا بليغًا . وأصل المِخْرَاق هو ما يَتَلَاعَبُ به الصَّبَّان مِن منديلٍ يَفْتِلُونَهُ ، أَوْزَقٍ ينفخونه ، أو ما يجرى سحراجا . وسُيِّ مِخْرَاقًا لأنَّه يَخْرِقُ الهواء في استعماله إِيَّاه . لذلك قال :

* كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقٌ لَاعِبٌ ^(١) *

وقوله « يُعِينُ عَلَى السِّيَادَةِ أَوْ يَسُودُ » جمع بين الأمرين ، وذلك لأنَّ

(١) في الأصل : « كأنه مِخْرَاق لَاعِب » صوابه في ل . والبيت لقيس بن الخطيم في ديوانه ١٣ ليبيك . وصدره :

* أجالدم يوم الحديقة حاسرا *

الفضلاء إذا قَسَمُوا وَدُرِّجُوا فِي مَرَاتِبِهِمْ هُمْ [من ^(١)] بَيْنَ سَيِّدٍ يَقُومُ بِنَفْسِهِ
وَيَكْمُلُ بِخَصَالِهِ ، وَمِنْ بَيْنِ مُعِينٍ عَلَى السَّيَادَةِ يَصْلُحُ لِأَنْ يَكُونَ تَابِعًا لَا مَتَبُوهًا ،
وَمَسُودًا لَا سَيِّدًا .

٦٩٧

وَقَالَ شَقْرَانُ مَوْلَى سَلَامَانَ ^(٢) :

١- لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسٍ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمًا ^(٣)
٢- وَلَكِنِّي مَوْلَى قُضَاعَةَ كَلِمًا فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أَدِينَ وَتَغْرِمًا
يقول : لو كان ولائي في قيس عيلان لا اقتديت بهم ، واستجنت بسقمتهم
في الكف عن الإنفاق ، وحبس للنفس على شرائط الانقباض والإمسك ،
فكنت أرى خفيف الظهر في جميع ما يعرض ، فسيح الصدر بكل ما يعين
ويسنع ، لم يركبني دين فاستنزل ^(٤) ، ولا عيب على قلب من متفاض فأتضجر ،
لكن ولائي في قضاة كلها فأتبسط في أخذ القروض إذا استغرقت ملك يميني ،
وأوسع في إضافة ما يغيري إلى مالي ثقة بأنهم يتحملون عني الأثقال إذا استحلتهم ،

(١) هذا من ل .

(٢) التبريزي : « مولى سلمان من قضاة . شقران علم مرتجل ، وقد يمكن أن يكون
جمع أشقر كأحر وحران ، وأصلح وصلحان ، غير أنا لم نسمعه إلا علما ، فأما سلمان فشعر
واحدته سلاماة . وأما فضلة فلم مرتجل ، وهو من قوتك هضج اليوم ، لها فرقوا » .
وشقران : شاعر كان معاصراً لابن ميادة من شعراء الدولتين ، وكان بينهما مناجاة . الأغاني
(٢٠٢ : ١٠٤) .

وم بنو سلمان بن سعد هذيم بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة .
والآيات نسبها الجاحظ في البيان (٣ : ٣٠٩) إلى مروان ، أو ابن مروان مولى لبني
هذرة . وأشدما في (١ : ١٠٨) بدون نسبة . ووردت في شروح سقط للزبد ٥٩٦
منسوبة إلى شقران .

(٣) في البيان (١ : ١٠٨) : « على الخلق » .

(٤) المراد بالاستنزال المطالبة بالدين ، في الأصل : « نجستزل » . والأوفى ما أثبتنا من ل .

وَأَنَّهُمْ يُعَذِّبُونَ النَّفْسَ غُنَمًا إِذَا أَحَلَّتْ عَلَيْهِمْ ^(١) ، فَلَا أَبَالِي كَيْفَ تَخَرَّقْتُ ،
رَبِّ أَى وَجْهٍ مِنْ وَجْهِهِ الْبَرِّ أَنْفَقْتُ ، وَإِنْ كَانَتْ مَعْلُومَةً مِنْ لَازِمِ حَقِّ أَوْدِيهِ ،
وَعَارِضِ مَسْكُومَةٍ أَوْفِيهِ ، إِلَى كُلِّ مَا يَكُونُ التَّبَجُّحُ بِهِ مُشْتَرَكًا ، وَاكْتِسَابُ
الْفَخْرِ وَالْأَجْرِ فِيهِ مُشْتَبَلًا .

وقوله « فَلَسْتُ أَبَالِي » أصله من البلاء النعمة ، وقد تقدّم القولُ في شرحه
وما حَصَلَ بالاستعمال عليه ^(٢) .

٣ - أُولَئِكَ قَوِيٌّ بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا عَفَتْ وَأَكْرَمًا ^(٣)
٤ - نِقَالُ الْجَفَانِ وَالْحُلُومِ رَحَاهُمْ رَحَى الْمَاءِ يَكْتَالُونَ كَيْلًا غَذًا مَذْمًا
٥ - جُفَاءَ الْمَحْزَرِّ لَا يُصَيِّبُونَ مَفْصِلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذَّمَا
أشار بقوله « أُولَئِكَ قَوِيٌّ » إلى قُضَاعَةٍ ^(٤) ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ كَثُرُوا
وَطَابُوا وَنَمَوْا بِمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الْبَرَكَةِ فِيهِمْ ، فَازْدَادُوا . وقوله « عَلَى كُلِّ حَالٍ »
تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ « بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ » ، وَمَوْضِعُهُ مِنَ الْإِعْرَابِ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ ، أَى
بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ مَتَحَوِّلِينَ فِي إِبْدَالِ الدَّهْرِ وَتَصَارِيفِهِ مِنْ عُسْرٍ وَيُسْرٍ ، وَسَعَةٍ
وَضَيْقٍ ، وَقِلَّةٍ وَكَثْرَةٍ ، وَانْحِطَاطٍ وَارْتِفَاعٍ . ثُمَّ قَالَ مُسْتَأْنَفًا : مَا عَفَّيَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ ،
أَى تَمَّتْ عَقَّتُهُمْ ، وَكُمِلَتْ أَكْرَمَتُهُمْ فِي حَالَتِي الْإِعْسَارِ وَالْإِسَارِ ، وَالْإِضَاقَةِ
وَالْإِسَاعِ ، وَالْإِقْلَالِ وَالْإِكْثَارِ .

وقوله « نِقَالُ الْجَفَانِ » أَى هُم مَطَاعِيمٌ فِي الْخِصْبِ وَالْجَذْبِ ، لِحَفَانِهِمْ
ثَقِيلَةً ، وَأَفْنِيَتِهِمْ بِالْوُرَادِ وَالطَّرَاقِ مَاهُولَةٌ مَعْمُورَةٌ ، وَحُلُومُهُمْ نَابِتَةٌ قَائِمَةٌ ، لَا يَسْتَخْفُهَا

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « أَحَلَّتْ عَلَيْهِمْ » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٧١ ، ٢٠١ .

(٣) البيان : « أُولَئِكَ قَوِيٌّ » ، وَأَشِيرُ فِي هَامِشٍ لِسُخْفَةِ فَيْضِ اللَّهِ مِنْهُ إِلَى رَوَايَةِ « قَوِيٌّ » .

(٤) هذا ما في ل . وفي الأصل : « أَى قُضَاعَةٍ » .

جَزَع ، وَلَا يُطْفِئُهَا فَرَحٌ ؛ وَتَرَى رَحَامَهُمْ لَكثْرَةِ غَاشِيَتِهِمْ وَحَشَمِ دُورِهِمْ ، رَحَى الْمَاءِ ، إِذْ أَنَّى ^(١) الْكَفَاءُ يَسِيرُ الزَّادُ مَعَ الْعَدَدِ الْجَمِّ ، وَالْخَوِيرُ الدُّنَى ، وَالنَّعْمُ الْقَمَرُ ، وَإِذَا كَانَ سَائِرُ الْأَرْحَاءِ لَا يُسْتَفْنَى بِهَا ، وَلَا يَبْقَى بِالْمَطْلُوبِ [مِنْهُ ^(٢)] دَوْرَانُهَا ؛ ثُمَّ إِذَا كَانُوا أَكْتَالُوا وَاسْعًا لَا اسْتِقْصَاءَ فِيهِ وَلَا مَضَاقِقَ ، فَهُوَ يَجْرَى بِجَرَى مَا يَهَالُ هَيْلًا ، أَوْ يُؤْخَذُ جُزَافًا لَا كَيْلًا . وَالْقَدَمُ : الْأَكْلُ بِسُرْعَةٍ ، وَمِنْهُ الْقَدَمَذَمُ . وَإِنْ حَضَرُوا مَقْسِمَ الْجُزْرِ وَتَكَرَّمُوا بِتَوَلَّى قَسَمِهَا ، وَجَدْتَهُمْ يُوسِمُونَ الْحَزَّ ، وَيُحْطِثُونَ الْمَفْصِلَ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ ذَلِكَ مِنْ عَادَتِهِمْ وَطِبَائِعِهِمْ ، لِكُونِهِمْ مَلُوكًا ، وَلَأَنَّهُمْ مَتَى تَأَخَّرَ الْخَدَمُ عَنْهُمْ لَمْ يُحْسِنُوا التَّصَرُّفَ فِي شَيْءٍ مِنْ وَجْهِ الْمَهَنِ ، وَلَا دَرَوْا كَيْفَ تُسْلَخُ الْجُزُرُ وَتُقْتَسَمُ الْأَبْدَاءُ ^(٣) ، وَإِذَا أَكَلُوا اللَّحْمَ عَلَى مَوَائِدِهِمْ لَمْ يَتَنَاوَلُوهُ إِلَّا قَطْمًا بِالسَّكَاكِينِ ، لَأَنَّهُمَا بِالْأَسْنَانِ ، إِقَامَةً لِلْمَرْوَاتِ ، وَذَهَابًا عَنْ شَنِيعِ الْعَادَاتِ .

وقوله « إِلَّا تَخَذُّمًا » انتصب تَخَذُّمًا على أَنَّهُ مصدرٌ في موضع الحال .
والخَذْمُ : سُرْعَةُ الْقَطْعِ ، وَفِي التَّخَذُّمِ زِيَادَةُ تَكْلُفٍ . وَيُقَالُ : سِيفٌ خَذُومٌ وَتَخَذُّمٌ . وَقَوْلُهُ « يَكْتَالُونَ كَيْلًا » وَضَعُ كَيْلًا مَوْضِعَ الْاِكْتِيَالِ ، كَمَا وَضَعَ النَّبَاتَ مَوْضِعَ الْإِنْبَاتِ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ .

٦٩٨

وقال أبو دهب الجمحي ^(٤) :

١ - إِنَّ الْبُيُوتَ مَعَادِنَ فَنَجَّارُهُ ذَهَبٌ وَكُلُّ بُيُوتِهِ ضَخَمٌ

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « إِذْ أَنَّى » تَحْرِيفٌ .

(٢) التَّكْمَلَةُ مِنْ ل .

(٣) الْأَبْدَاءُ : جَمْعُ بَدَأَ ، بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ النَّصِيبُ مِنَ الْجُزُورِ . ل : « وَتُقْتَسَمُ » . وَقَالَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ : يَقُولُ : « هُمْ مَلُوكٌ وَأَشْبَاهُ مَلُوكٍ ، وَلَهُمْ كِفَاةٌ ، فَهُمْ لَا يَحْسِنُونَ إِصَابَةَ الْمَفَاصِلِ » .

(٤) زَادَ التَّبْرِيزِيُّ : « قَالُوا : يَمْدَحُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ أَبِي دَهَبٍ فِي الْحَاسِيَةِ ٢١٠ ص ١٣١٩ .

- ٢ - عَقِمَ النِّسَاءَ قَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمَنْثَلِهِ عَقِمُ
 ٣ - مَهْلَلٌ بِنَعْمَ ، بِلَا مُتَبَاعِدٍ سَيَّانٍ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ
 ٤ - نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ ضَمِيمًا وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سَقْمُ

المعادن : جمع المعدن ، وهو من معدن بالمكان إذا أقام عدنا وعدونا ،
 وقيل : بل هو من قولهم عدنت الحجر ، إذا قلعته ، لأن المعدن يُقْلَعُ منه
 ما ضَعْنُ ، ويُرتَجَعُ منه ما أودع . وفي القرآن : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴾ ، أى جنات
 إقامة . والمراد أن بيوت الناس وأصولهم مختلفة المسير ، متفاوتة المخبر ، تتفاضل
 تتفاضل المعادن ، وينجار هذا الرجل أفضل النجر فهو كالذهب الأيريز . ويقال :
 هو من نجر كريم ونجار كريم ، أى أصل كريم . وقوله « وكل بيوته ضخم »
 أى [هو ^(١)] من أطرافه : أعمامه وأخواله ، عظيم الشأن نبية . وإنما قال ضخم
 لأن المراد بكل الاتحاد ، أى كل واحد من بيوته . ومثل كل « كَلَا » لأن
 كَلَا يراد به مرة الجميع ومرة الاتحاد ، وكذلك كَلَا يراد به مرة الثانية ومرة
 الاتحاد . وقد ذكرت أمرها مشروحاً في غير هذا الكتاب .

وقوله « عَقِمَ النِّسَاءَ » أصل العقم المنع ، ويقال : عَقِمَتِ الْمَرْأَةُ وَعَقِمَتْ
 الرَّحِمُ عَقْمًا بضم العين فَعَقِمَتْ ، وهى معقومة بناء على عَقِمَتْ ، وعقيم بناء على
 عَقِمَتْ ، ولهذا يجمع عقيم على عقم ، لأنه فعيل بمعنى فاعل ، ولم يلحق به الماء
 للمؤنث لأن المراد به النسبة ، فهو كقولهم طالق وحائض . ولو كان عقيم كجريح
 وصريع فى أنه فعيل بمعنى مفعولة لوجب أن يقال فى الجمع عَقَمَى ، كما قيل جَرَحَى
 وصَرَعَى . ويقال : رجل عقيم ، وريح عقيم ، والدنيا عقيم ، والمَلَكُ عَقِيمٌ .
 ومعنى البيت أن هذا الرجل لا شبيه له فضلاً وتفضلاً ، وكالاً وتبرُّعاً ،

لأنَّ النساءَ مُفَنِّنَاتٌ أَنْ يَأْتِينَ بِمِثْلِهِ فَمَقْنَنَ ، أَيْ صَرْنَ كَذَلِكَ .

وقوله « متهلل بنعم » ، يريد بلفظ نعم . وجعل نعم اسماً ، أَيْ هُوَ بَشْرٌ طَلَّقَ الْوَجْهَ قَرِيبَ الْمَأْخَذِ ، مُجِيبٌ فِيمَا يُسْأَلُ ، وَعِنْدَ كُلِّ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ وَيُقْتَرَحُ عَلَيْهِ ، بِقَوْلِهِ نَعَمْ ، وَهُوَ مُتَهَلِّلٌ ، أَيْ ضَا حَكٌ مُسْتَبْشِرٌ . وقوله « بلا متباعد » أَيْ يَتْبَاعِدُ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَصُكَّ فِي وَجْهِهِ فِيمَا يُطْلَبُ نَيْلُهُ مِنْهُ بِأَنْ يَقُولَ لَا ، وَ « لَا » جَمْعُهُ كَالْأَسْمِ . فَتَنَمَّ كَأَنَّهُ اسْمُ الْإِسْعَافِ ، وَلَا كَأَنَّهُ اسْمُ الْمَنْعِ وَالِدَفَاعِ . وقوله « سَيَّانٌ مِنْهُ الْوَقْرُ وَالْعُذْمُ » أَيْ مِثْلَانِ عِنْدَهُ الْغِنَى وَالْفَقْرُ لَا يَخِلُّ بِالْمَعْهُودِ مِنْهُ ، وَلَا يَتْرُكُ عَادَتَهُ فِيهِ

وقوله « نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ » ، أَيْ هُوَ قَلِيلُ الْكَلَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مُلْجَمٌ لِقَلْبَةِ الْحَيَاءِ عَلَيْهِ ، وَحَتَّى يَظُنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ أَنَّهُ لَاقَةٌ يَتْرُكُ الْكَلَامَ ، وَلَا آفَةٌ نَعَمْ ، إِنَّمَا مَا نَعُهُ مَا يَمْتَلِكُهُ مِنْ حَيَاءٍ مَمْتَزَجٍ بِالْكَرَمِ ، وَلَقَلَّةِ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فِي كُلِّ مَا يَرْتَنِيهِ أَوْ يَأْتِيهِ ، إِذْ كَانَتْ طَبَاعُهُ لَا تَرْضَى عَنْهُ بَشْيَءَ يَبْلُغُهُ ، فَالْحَيَاءُ يُنْسِكُهُ ، وَالْكَرَمُ يُسْكِنُهُ ، لَا تَحْمَدُهُ مِنْهُ وَلَا تَبْجِشُ ، وَلَا تَسْخَبُ وَلَا تَعْلَى . ومثل هذا قول الآخر^(١) :

* راحوا تخالهم مرضى من الكرم^(٢) *

وَالضَّمْنُ : الزَّيْمُنُ ، وَبَصْدَرُهُ الضَّمَانَةُ .

(١) هُوَ الشُّمْرُودُ . الْحَيَوَانُ (٣ : ٩١) .

(٢) صَدْرُهُ : إِذَا جَرَى الْمَسْكُ يَنْدَى فِي مَفَارِقِهِمْ *

٦٩٩

وقالت لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةُ^(١) :

١ - يَا أَيُّهَا السَّدِيمُ الْمُلَوَّى رَأْسَهُ لِيَقْوَدَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَارِ بَرِيحاً^(٢)
 السَّدِيمُ والسَّادِمُ : النَّادِمُ الحَزِينُ ، وَقِيلَ بِلِ السَّادِمِ مَأْخُودٌ مِنَ الْمِيَاهِ الْأَسْدَامِ ،
 وَهِيَ الْمُنْفِرَةُ لَطُولِ الْمَسَكْتِ . وَالسَّدِيمُ أَيْضاً : الْفَعْلُ الْمُعْظِمُ^(٣) الْمُنْجِ . وَالسَّدِيمُ
 أَيْضاً : الْقَهْجُ بِالشَّيْءِ . وَحَكَى أَبُو حَاتِمٍ قَالَ : قَالَتْ لِلأَصْمَعِيِّ يَوْمًا : إِنَّكَ تَحْضَلُ مِنَ
 الرَّجَزِ مَا لَمْ يَحْفَظْهُ أَحَدٌ . فَقَالَ : « إِنَّهُ كَانَ مَعَنَا وَسَدَمْنَا » . وَالْبَيْتُ يَحْمَلُ
 الْوَجْهَ الثَّلَاثَةَ فِيهِ . وَ « الْمُلَوَّى رَأْسَهُ » يَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ قَوْلِ الْآخَرِ^(٤) :
 غَارِزًا رَأْسَهُ * فِي مِسْنَةٍ^(٥)

والمُرَادُ : كَلِمَةُ مَلَكُ التَّحْيِيرِ فَهُوَ يُلَوَّى رَأْسَهُ . وَتَقْرِئَةُ الرَّأْسِ كَمَا يَكُونُ
 مِنَ الْفِكْرِ وَالتَّحْيِيرِ فَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْكِبَرِ وَالتَّعَجُّبِ ، وَقَوْلُهُ الْإِحْضَالُ بِالْمُحْتَضِرِ^(٦)

(١) هِيَ لَيْلَى بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّحَالَةِ بْنِ كَعْبِ بْنِ دَعَاوِيَّةَ ، وَصَلَاوِيَّةُ هِيَ الْأَخْيَلُ بْنُ عَبَادَةَ ،
 مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ . وَكَانَتْ أَشْعَرُ النِّسَاءِ لَا يَقْدُمُ عَلَيْهَا غَيْرُ الْخَنَسَاءِ ، وَهِيَ صَاحِبَةُ تَوْبَةِ بْنِ
 الْحَمِيرِ ، وَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّابِغَةِ الْجَمْدِيِّ الصَّحَابِيِّ مَهَابَةً ، وَلَهَا رِثَاءٌ فِي عُمَانَ بْنِ عِفَانَ . وَدَخَلَتْ
 عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صِهْرَانَ وَقَدْ أَسْنَتْ فَقَالَ لَهَا : مَا رَأَيْتُ فِيكَ تَوْبَةً حِينَ مَوْتِكَ ؟ قَالَتْ : مَا رَأَى
 النَّاسُ فِيكَ حِينَ وَلَوْكَ ! فَضَحَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ . وَسَأَلَتْ الْمَجْلَجَ أَنْ يَحْمِلَهَا إِلَى قَتِيْبَةِ بْنِ مُسْلَمٍ
 بِخُرَاسَانَ ، فَحَمَلَهَا عَلَى الْبَرِيدِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَتْ مَاتَتْ بِسَاوَةِ قَهْرَتِ بَهَا . الْقُمْرَاءُ ٤١٢ - ٤٢٠
 وَالْحِزَانَةُ (٣ : ٣١ - ٣٤) وَقَوَاتُ الْوَفَايَاتِ (٢ : ١٧٥ - ١٧٧) وَالْأَفَاغِي (١٠ : ٧٩ - ٧٩) .

(٢) كَذَا فِي النُّسخِ ، وَوَجْهُهُ « الْقَطِيعَةُ » . انْظُرِ الْبَاسَانَ (سَلَامٌ) .

(٣) فِي أَمَالِ الْقَالَ (١ : ٢٤٨) أَنَّ الْأَصْمَعِيَّ كَانَ يَرْوِيهِا لِحَمِيدِ بْنِ ثَوْرٍ الْمَدَلَالِ .
 وَانْظُرِ تَنْبِيْهَ الْبَكْرِيِّ ٧٨ .

(٤) هُوَ ابْنُ زَيْبَةِ التَّيْمِيِّ . انْظُرْ ص ١٤٢ .

(٥) قِطْعَةٌ مِنْ بَيْتٍ هُوَ مُطْلَعٌ حَاسِيَةُ ابْنِ زَيْبَةِ . وَهُوَ بَتَامَةُ :

نَبَتْ عَمْرًا غَارِزًا رَأْسَهُ فِي سَنَةِ يَوْعَدُ أَخُوهُ

(٦) الْمُحْتَضِرُ : الْحَاضِرُ ، يُقَالُ حَضَرَ وَاحْتَضَرَهُ وَتَحَضَّرَهُ . وَهَذَا مَا فِي ل . وَفِي
 الْأَصْلِ : « بِالْمُحْتَضِرِ » ، تَحْرِيفٌ .

كقوله تعالى : ﴿ فَسَيُنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ﴾ فَالْتَفِضُ كَالْتَلَوِيَّةُ وَإِنْ كَانَ التَّفْضُ أَقْرَبَ إِلَى الْحَقِيقَةِ .

وقولها « لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرِيماً » ، فأصل البريم خَيْطٌ يُقْتَلُ مِنْ قُوًى بَيْضٍ وَسُودَ . ويقال : قَطَّيعَ بَرِيمٍ ، إِذَا كَانَ فِيهِ خِلْطَانِ ضَائِلٌ وَمِغْزَى . وقال اللُّرَيْدِيُّ : كُلُّ لَوْنَيْنِ اجْتَمَعَا مِثْلَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فَهُوَ الْبَرِيمُ ، وَإِنَّمَا يَتَّخِذُونَ الْبَرِيمَ مِنَ الْخِلْيُوطِ لِيُشَدَّ فِي أَحْقَى الصَّبَّانِ فَيُدْفَعُ بِهِ الْعَيْنُ . والمراد به هنا جَيْشٌ مُتَفَاوِتُونَ أَدْنِيَاءَ ، كَالْبَرِيمِ وَهُوَ الْخِلْيُوطُ الْمُبْرَمُ مِنْ عِدَّةِ أَلْوَانٍ . وَالْقَصْدُ فِيهَا ذِكْرَتُهُ إِلَى الْإِنْكَارِ عَلَى الْمُخَاطَبِ فِيمَا يَأْتِيهِ ، وَتَوْبِيخُهُ فِيمَا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ قُوْدِ جَيْشٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَلِيعِ ، كَمَا وَصَفْتِهِ .

٢ - أَزِيدُ عَمْرُو بْنُ الْخَلِيعِ وَدُونَهُ كَقَبٌ إِذَا لَوَجَدْتُهُ سَرَّهَومَا

٣ - إِنَّ الْخَلِيعَ وَرَهْطُهُ فِي عَامِرٍ كَالْقَلْبِ الْبَيْسِ جُوجُورًا وَحَزِيمًا

تقول مقرَّعة ومقبَّحة لما أنكرته من مُخَاطَبِهَا وَمُؤَبِّخَةٍ : أَنْقَصِدْ بِمَا هَمَمْتُ بِهِ مِنْ جَمْعِ الْجُوعِ الْحِجَازِيَّةِ عَمْرُو بْنُ الْخَلِيعِ وَحَوْلَهُ بَنُو كَعْبٍ ، إِذَا لَوَجَدْتَهُ مَعْطُوفًا عَلَيْهِ ، مَحْرُوسًا مِنْكَ وَمِنْ لَقِيفِكَ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْخَلِيعَ وَعَشِيرَتَهُ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بِمَكَانِ الْقَلْبِ مِنَ النَّفْسِ ، قَدْ التَفَّ بِهَ الصَّدْرُ وَالْحَزِيمُ ، وَحَمَاهُ الْحِشَاءُ وَالْجَوْفُ .

والحزيم والمخزيم : موضع الحزام من الصدر . يقال للرجل إذا أريد تشمُّرُهُ : شَدَّ حَزِيمَكَ لِلأَسْرِ ، وَحِيَازِيْمَكَ وَحَيَزُومَكَ . وَالْحَيَزُومُ : وَسَطُ الصَّدْرِ . وَالْمَعْنَى : أَنَّ مَكَانَهُ مِنَ الْحَيِّ مَكِينٌ ، وَمَحَلُّهُ مِنْ جَانِبِ الْمَنَعِ مِنْهُ وَالِدَفَاعِ دُونَهُ عَزِيزٌ مَصُونٌ . وَيُقَالُ : رَأْمَتُهُ أَرَأْمُهُ رَأْمًا وَرِيْمَانًا . وَالْمَعْنَى : كَيْفَ يَقَعُ فِي نَفْسِكَ نَزَائِعُهُمْ ، أَوْ يُتَصَوَّرُ فِي وَهْمِكَ غَلَبُهُمْ .

نَمْ أَخَذْتُ تَحْذِيرَ فَقَالَتْ : لَا تَقْرُؤْنَهُمْ وَلَا تَسْتَشْعِرَنَّ ذَلِكَ فِيهِمْ .

- ٤ - لا تَفْزُونِ الدَّهْرَ آلَ مُطَرَفٍ لا ظالِمًا أبدًا ولا مَظْلُومًا^(١)
- ٥ - قومٌ رِبَاطُ الخَيْلِ وَسَطَ بيوتِهِمْ وَأَسِنَّةُ زُرْقٍ يُخْلَنَ نَجُومًا
- ٦ - ومُخَرَّقٌ عَنْهُ القَمِيصُ تَحَالَهُ وَسَطَ البُيُوتِ مِنَ الحَيَاءِ سَقِيًا
- ٧ - حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوَاهُ رَأَيْتُهُ تَحْتَ اللَّوَاهِ عَلَى الخَمِيصِ زَعِيمًا
- نَهَتْهُ عَنْ غَزْوِهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ . وانتصب « ظالما » على الحال . فيقول
لا تَقْصِدْهُمْ طامعًا فيهم ومحاربًا لهم ، لا منتقمًا ولا مبتدئًا ، فإنك لا تطيقهم ،
إذ كان هُهمُ الفَزْوِ ، ومَرَبُطُ خيولهم وَسَطَ بيوتهم ، يضمرونها ويفترسون على
ظهورها^(٢) ، ولا يَأْمَنُونَ عليها في سياستها وصنعتها^(٣) إلا أنفسهم ، فلا ترى
إلا مَنْ يَهْدُبُ آلِيَهُ للحَرْبِ ويُصْلِحُهَا ، فمَرْكُوبُهُ صَنِيعٌ ، وسِنَانُ رُحْمِهِ تَجْلُوسَتَيْنِ ،
ونَفْسُهُ مُبْتَدَلَةٌ قِيَمًا يَحْصُلُ بِهِ أَكْرَمَةٌ ، لا يهْمُهُ مَطْعُومٌ ولا مَلْبُوسٌ . ثم لَقَرَطَ
حياته وتناهى كرمه تحسبه وسطَ بيوتِ الحَيِّ سَقِيًا ، قَلَّةُ كلامٍ ولينَ جانبٍ ،
وضَعْفَ مجاذبةٍ ، فإذا نُصِبَ لَوَاهُ الجيشِ مَجْهَزًا اِطْلَبَ وَثِرٌ ، وانتبأ غَزْوٌ ،
أو محاماة على وَلِيٍّ ، أو سَدٌّ ثَغَرٍ ، رَأَيْتُهُ مُهَيَّأً لِلزَّعَامَةِ ، معتمدًا للرِّيَاسَةِ والسِّيَاسَةِ ،
غَيْرَ مَزَاحِمٍ ولا مَدَافِعٍ .

٧٠٠

وقال آخر^(٤):

- ١ - نَحْنُ الْأَخَائِلُ لَا يَزَالُ غَلَامُنَا حَتَّى يَدِبَّ عَلَى الْعَصَا مَذْكَورًا^(٥)

(١) سيبويه (١ : ١١١) والعيني (٢ : ٤٩) : « لا تهرين » . واستظهر البكري في التنبيه ٧٩ أن يكون صواب الرواية : « لا ظالماً فيهم » .
(٢) يقال : هو يفرس ، إذا كان يرى الناس أنه فارس على الخيل .
(٣) صنعة الخيل : حسن القيام عليها وتعليقها وتسميتها . في الأصل : « ومنعتها » ،
سواء في ل .
(٤) هو ليلي الأخيلية ، كما في البيان (٣ : ٨٧) والأغانى (١٠ : ٧٦) . وفي
اللسان (خيل) : « ويقال : البيت لأبيها » .
(٥) في الأغاني : « مفعوراً » .

٢ - نبكى الشيوفُ إذا قَدُنَا كَفْنَا جَزَعًا وَتَعَلَّمْنَا الرِّقَاقُ بُحُورًا^(١)
وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صُدُورِ نِسَائِكُمْ يَنْكُمُ إِذَا بَكَرَ الصَّرَاخُ بُكُورًا
الأخايل جمع ، وهى قبيلتها . ويقال للشاهين الأخيل ، والجميع الأخايل .
فأما قول الشاعر :

* لَهُ بَعْدَ إِذْ لَاجِ سِرَاحُ وَأَخِيلُ *

فهو الخيلاء ، والفعل منه اختال . ومراد الشاعر : نحن المعروفون المشهورون ،
كما قال أبو النجم :

* أَنَا أَبُو النِّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي *

أى أصحاب هذا الاسم التَّيْبَةُ الخطيرة . ولا يزال غلامنا أى الغلام مِنَّا وفينا ،
مِنْ وَقْتِ تَرَعْرُعِهِ إِلَى وَقْتِ دَيْبِهِ ، معتمداً على عُكَّازِهِ ، رَفِيعَ الذِّكْرِ عَلَى
الشَّانِ تَقْدُمًا وَتَكَرُّمًا . والشيوفُ إِذَا قَدَّتْ أَيْدِينَا بَكَتْ حَنِينًا إِلَيْهَا ، وَجَزَعًا
عَلَى مَا يَفُوتُهَا مِنْهَا . والمرافقون فى الأسفار لنا تَعَلَّمْنَا بُحُورًا ، لِمَا يُقَسَّمُ لَهُمْ مِنْ
إِفْضَالِنَا ، وَيَعْمَهُمْ مِنْ تَفْضِيلِنَا ، وَلِحَسَنِ تَوْفُرِنَا عَلَى الرُّوَادِ وَالْمَدَادِ ، وَيُغْنِي
صُحْبَتُنَا عَلَى الْأَدَانِي وَالْبُعْدَاءِ .

وقوله « وَلَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صُدُورِ نِسَائِكُمْ » ، يريد أَنَّهُ إِذَا صُبَّحْنَ
بِالْفَارَةِ فَارْتَمَعَ لَمَّا يَتَدَاخِلُهُنَّ مِنَ الرَّغْبِ الصَّرَاخُ ، لَأَنَّهُنَّ خِفْنَ السَّيَاءَ وَمَا يَلْحَقُ
مِنَ الْعَارِ ، فَقُلْنَ : وَاصْبَاحَاهُ أَوْ وَاوَسُوهَا صَبَاحَنَا ! وَاسْمِ ذَلِكَ الصَّوْتِ الصَّرَخَةُ
وَالصَّرَاخُ . وَفِي الْمَثَلِ : « لَمْ صَرَّخَةُ الْخَيْلِ » .

ومعنى البيت أَنَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَوْثَقُ فِي اعْتِقَادِ النِّسَاءِ ، وَفِيَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ

(١) الأغاني :

نبكى الرماح إذا قدن أ كفنا جزعاً وتعلمنا الرقاق بحورا

ظَنَنْ وَيَحِيدُهُ اسْتَغَامَتْ مِنْكُمْ ، لَمَّا حَرَفْنِ مِنْ ذَبْنَا وَحَيَاتِنَا ، وَاشْتَهَرْنَا بِهِ
مِنْ هَيَرْتَنَا وَحَيَاتِنَا .

٧٠١

آخر^(١):

١ - يُشَبَّهُونَ سَيُوفًا فِي صَرَائِمِهِمْ وَطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَالْأُتَمْرِ^(٢)
٢ - إِذَا غَدَا الْمِسْكُ يُجْرَى فِي مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا تَخَالَهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ
يقال : شَبَّهَهُ كَذَا وَبِكَذَا ، كَمَا يَقَالُ نَصَحْتُكَ وَنَصَحْتُ لَكَ . وَالصَّرَامُ :
العزائم ، والواحدة صريمة . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الصَّرِيْمَةُ إِحْكَامُكَ الْأَمْرَ وَعِزْمُكَ
عَلَيْهِ . وَكَانَ أَصْلُهُ مِنَ الصَّرَمِ : الْقَطْعُ . وَالْأَنْضِيَّةُ : جَمْعُ النَّضِيِّ ؛ وَهُوَ مَرْكَبُ
النَّصْلِ فِي السَّيْفِ فِي الْأَصْلِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا مَرْكَبُ الرَّأْسِ فِي الْعُنُقِ . وَنَضِيُّ
السَّهْمِ : قَذْحُهُ ، وَهُوَ مَا جَاوَزَ مِنَ السَّهْمِ الرِّيشَ إِلَى النَّصْلِ . وَأَنشَدَ الْخَلِيلُ
فِي ذَلِكَ :

فَرَّ نَضِيُّ السَّهْمِ تَحْتَ لَبَانِهِ وَجَالَ كَلَى وَخَشِيَّهُ لَمْ يُعْتَمِرْ^(٣)
وَالْأُمُ : جَمْعُ أُمَّةٍ وَهِيَ الْقَامَةُ ؛ يَقَالُ : مَا أَحْسَنَ أُمَّتَهُ . وَقَوْلُهُ « رَاحُوا
تَخَالَهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ » ، أُمَى مِنَ الْحَيَاءِ . وَصَفَّوهُمْ بِالصَّرَامَةِ وَالنَّفَادِ فِي

(١) هو الشمر دل بن شريك البربومي ، شاعر من شعراء الدولة الأموية ، كان في زمان
جرير والفرزدق . الحيوان (٣ : ٩١) والشعراء ٦٧٥ والأغاني (١٢ : ١١٦) واللسان
(نضا) . والبيتان بدون نسبة في الكامل ٣٥ ليبسك والأُمالي (١ : ٢٣٨) والقمه (٦ : ٢٢٨) .
(٢) الحيوان والشعراء : « يشبهون ملوكاً من تحتهم » ، الأُمالي والكامل : « في
علمهم » . الأغاني : « يشبهون قريشاً من تكلمهم » . الكامل والأغاني والقده : « والهم »
الشعراء : « والقم » .
(٣) الحيوان : « لذا جرى المسك يندى » . الشعراء : « إذا جرى المسك يوماً » .
الكامل : « إذا بدا المسك يندى » . وفيها عدا الحامسة : « راحوا كأنهم » .
(٤) للأعشى في ديوانه ٩٣ واللسان (نضا) .

الأمر ، فكانهم الشيوف ؛ وبطول القوام وحسن الشطاط ، وباستعمال العطر وكرم النفس وشدة الحياء بعد الشرب ، وبتام الأبهة والمروءة في مجالس الأنس . وهذا وإن لم يصرِّح به فهو متبين من فحوى : إذا غدا المسك راحوا وكانهم مرضى . على ذلك رسم الاصطباح ، وعادة كرام شراب الراح .

٧٠٢

وقال آخر :

١ - فإن تكن الحوادث حرقني فلم أر هالكا كابن زياد

٢ - هما رنحان خطيان كانا من الشعر المثقفة الصماد

٣ - تهال الأرض أن يطنأ عليها بعثلها تسالم أو تضادي

يقول : إن كانت نوائب الزمان أثرت في وأزالت تحمل بالصبر^(١) ، وتجلدى لربب الدهر ، فإني لم أر فيمن شاهدتهم هالكا كهذين الرجلين ؛ وابنا زياد لم يكونا منه بسبيل ، لا قرني ولا قرابة ، ولا أسرة ولا وسيلة ، فيكون الكلام تأنيبا والشعر مرثية ؛ وإنما كان من جملة من تأذى بهم ، وساقوا الشر إليه بسعيهم ، لكنه شهد لهما بما شهد ، مورد الحق ، وتابعا الصديق ، فهو بالمدح أشبه منه بالمرأى ، إذ كان الرثاء من شرطه التوجع والتحرُّن وقد عُدما هنا ، والثناء على العدو ثناء على نفسه . ويموز أن يكون المراد : لى بهما على فضلها ونفاذها وتقديرها ، أسوة في الرضا بما قدر لى ، والصبر على ما حُكم به على ، ولأن الأرض لو هابت ماشيا على ظهرها ، لكانت تهاب هذين لما أوتيا من قدرة ، وأبلغنا من عز وقوة . وشبههما برُحمين استواء خلقه وامتداد قامه ، وسرعة

(١) ل : د تحمل الصبر .

نفاذٍ وحُسنَ توجه . والشُّمْرَةُ في ألوان الرِّمَاحِ محمودة . والصَّعْدَةُ : القناة تنبت مستوية . وقوله « من الشُّمْرِ المُنْقَنَةُ الصَّعَاد » ، سوَّى بينهما في التشبيه حتَّى لا مخالفةً ، تنبيهاً على ما يُقصد من المبالغة وتناهي البراعة .

وقوله « نُهَالُ الْأَرْضُ أَنْ يَطْتَأَ عَلَيْهَا » أى لأن يَطْتَأَ عليها ، فحذف حرف الجر . يريد : أن قُوَّتَهُمَا بالغة ، ومَشِيَّتُهُمَا شديدة ، والأَرْضُ لشدة وطْنُهَا لها في هَوْلٍ عظيم ، وزَلْزَالٍ فظيع . ويجوز أن يريد بالأَرْضِ [أهل الأرض^(١)] فحذف المضاف . ثم قال : وبمثلها تَسَالِمُ أو تُعَادِي ، يريد أنهما أهلُ الصَّلاحِ والقَسَادِ والخير والشرِّ ، والعداوة والصداقة . و « أو » من قوله « أو تُعَادِي » أو الإيابة وقد نُقِلَ إلى الْخَبَرِ .

٧٠٣

آخر :

١ - كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضَلَ حَيَاةٍ وَيَدْنُو أَطْرَافَ الرِّمَاحِ دَوَانٍ^(٢)

٢ - وَكَالسَيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَأَنَّ مَسَّهُ وَحْدَاهُ إِنْ خَاشَنَتْهُ خَشِنَانٍ^(٣)

يصفه بأن خصال الكرم قد اجتمعت فيه ، فليتناهى حيائه تراه يَكْسِرُ طرفه عند النظر ، ففعل^(٤) مَنْ عَمِلَ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ ، أَوْ لَزِمَهُ مِنْهُ مُنْعِمٌ تَوَالَى نِعْمُهُ عَلَيْهِ ، أَوْ قَصَرَ فِي أَدَاءِ وَاجِبٍ فَيَخَافُ عَثْبَهُ فِيهِ ؛ وَلِكَمَالِ حَمِيَّتِهِ فِي الْحَرْبِ يَقْتَحِمُ عَلَى الشَّرِّ ، فَلَا يَزْدَادُ وَالرِّمَاحُ شَارِعَةً تُنَحْوُهُ إِلَّا قُرْبًا مِنْهَا ، وَتَهْجُمًا عَلَيْهَا ،

(١) التكملة من ل .

(٢) البتان أنشدما الجاحظ كذلك بدون نسبة . البيان (٢ : ١٧١) . ورواية

الجاحظ : « عند حيائه » .

(٣) البيان : « لأن مثته » .

(٤) ل : « نظر » .

ثم هو فى طباعه كأنه للسيف متى لا يلقه وجدت الأين فى صفحته^(١) عند ملهه ،
ومتى خاشقته وجدت القلع والخشونة فى حديه ومضربه .
ومثل هذا قول الآخر^(٢) :

ضرباً ترى منه للفلام الشطبا^(٣) إذا أحسن وجعا أو كزبا
حنا فـا يزادُ إلا قزبا تحكك الجرباء لاقَتْ جربا
وقد صرّحت مستقصى شرحها فى باب الحاسة .

٧٠٤

وقال المعجيز السلولى^(٤) :

١ - إن ابن عَمّى لابن زید وإنه لبَلالُ أیدی جِلّة الشولِ بالدم
٢ - طلوعُ الثنايا بالمطايا وسابقٌ إلى غايَةٍ مَنْ يبتدِرُها يُقدّم
افتخرَ بانِ عمه ، وبمكانه من قرابته ، ذا كرا اسمَ أبيه ، ومكتفيا به
لاشتهاره ، ثم وصفه بأنه أوانٌ تجذب والقحط ، وعند إنسان الناس ، ووقت
طروق الأضياف ، يُعْرِقُ الإبلُ الثمان فيبذلُ أيديها من دماء عرقبيها .

وقد أحسن ليبدى كل الإحسان فى قوله لما سلك هذا المسلك :
مُذْمِنٌ يَجْلُو بِأَطْرافِ الدُرَى دَنَسَ الْأَسْوَمِي بِالْعَضْبِ الْأَقْلِ
وقوله « طُلُوعُ الثَّنَايا بِالْمَطَايا » يريد أنه يعملو العقاب ويُسْرِفُ عليها

(١) ل : « صفحته » ، بالإنفراد .

(٢) هو عبد الرحمن المني . سبق فى ص ٦٠٣ .

(٣) روايته فيا سبق :

* ترى مع الروع الفلام العطبيا *

(٤) ل : « وقال آخر ، وهو المعجيز السلولى » . وقد مضت ترجمة المعجيز فى الخامسة

ص ٩١٨ .

مرتبتاً فيها ، أو نافعاً طرق التصيد عليها . ومثله قولهم : طَلَّاعٌ سَرْمَقِيَّةٌ ، وَطَلَّاعٌ
أَنْجِدِيَّةٌ . إِلَّا أَنْ هَذَا زَادَ عَلَى مَا قَالُوا الْقَوْلَ « بِالْمَطَايَا » .

وقوله « وَسَابِقٌ إِلَى غَايَةٍ » مثله قولُ تَابِطُ شَرًّا :

* سَبَّاقِي غَايَاتِ نَجْدٍ فِي عَشِيرَتِهِ ^(١) *

وقوله « مَنْ يَبْتَدِرُهَا يَقْدَمُ » في موضع الصفة لغاية ، والمعنى : من يبتدر
مثل تلك الغاية قَدَمٌ في أقرانه ونُظْرَانِهِ ، وَسَلَّمَ السَّبْقُ لَهُ .

٣ - مِنَ النَّفَرِ الْمُدْلِينَ فِي كُلِّ حُجَّةٍ بِمُسْتَحْصِدٍ فِي جَوَلَةِ الرَّأْيِ مُحْكَمٍ

٤ - جَدِيرُونَ الْأَيْدِ كُرُوكَ بَرِيَّةٍ وَلَا يُفْرِمُوكَ الدَّهْرَ مَا لَمْ تَفْرَمَ

يقال : أدلى بِحُجَّتِهِ ، إِذَا أَظْهَرَهَا وَقَامَ بِهَا ؛ وَأَدْلَى رِدَاءَهُ فِي الْبَثْرِ لِيَبْتَلَّ ،
وَدَلَّاهُ عَلَى كَذَا فَتَدَلَّى . وَقَالَ الْمُدْلَى ^(٢) :

* تَدَلَّى عَلَيْهَا بَيْنَ سَبَبٍ وَخَيْطَةٍ ^(٣) *

وَتَوَسَّعُوا فِيهِ فَقَالُوا : دَلَّاهُ بَغُرُورٍ . فيقول : هَذَا الرَّجُلُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا
أُورِدُوا حُجَّةٌ قَوْمُوهَا بِرَأْيٍ مُحْكَمٍ الْفَتْلَ فِيمَا يَحْتَمِلُ مِنَ الرَّأْيِ مُحْصَفٍ . وَالنَّفَرُ
يَقَعُ عَلَى مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ ، وَلِذَلِكَ صَلَحَ أَنْ يُقَالَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ وَأَرْبَعَةٌ
نَفَرٍ . وَنَافَرَةُ الرَّجُلِ : بَنُو أَبِيهِ الَّذِينَ يَفْضَحُونَ لِعَضْبِهِ . قَالَ :

لَوْ أَنَّ حَوَّلِي مِنْ عَلَمِي نَافَرَهُ مَا غَلَبَتْنِي هَذِهِ الضَّيَاطِرَةُ

وقوله « جَدِيرُونَ الْأَيْدِ كُرُوكَ بَرِيَّةٍ » ، يَرِيدُ أَنَّهُمْ أَحِقَّاهُ بِالْأَيْدِ بِغَايَةِ
إِذَا غِيَتَ عَنْهُمْ ، لِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ مِنَ الدَّغْلِ ^(٤) وَالْفِشِّ وَالْخِيَانَةِ ، وَلَا يَقْدِرُوكَ

(١) البيت ١١ من المفضلية الأولى . وعجزه :

* مرجع الصوت هذا بين أرفاق *

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان المذليين (١ : ٧٩) والسان (سبب ، خبط ، وكبت) .

(٣) عجزه : * يجره مثل الوكب يَكْبُو فَرَاخًا *

(٤) الدغل ، بالتحريك : الفساد . في الأصل : « الوغل » ، جوابه في له .

بريبة تَشِينُكَ أَوْ يَقْبُحُ فِي الْأُحْدُوثَةِ بِهَا عَنْكَ ، وَبِالْأَيِّ يُجْرُؤُا عَلَيْكَ أَبَدًا جَرِيرَةً
يَنْقُلُ وَطَأْتَهَا عَلَيْكَ فَتَحْتَاجُ أَنْ تَغْرَمَ لَهَا مَا لَا تَطِيبُ نَفْسُكَ بِهِ ، وَلَا تَسْمَحُ
بِحَمْلِهَا فِي مَالِكَ .

٧٠٥

وله أيضاً :

- ١ - أَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ وَهَنًا وَدُونَنَا . مُنَاخُ الْمَطَايَا مِنْ مَنَى فَالْحَصْبُ
- ٢ - لَكَ الْخَيْرُ عَلَّلْنَا بِهَا عَلَّ سَاعَةً تَمُرُّ وَسَهْوَانٌ مِنَ اللَّيْلِ يَذْهَبُ^(١)
- ٣ - فَقَامَ فَأَدَّ مِنْ وَسَادِي وَسَادَهُ طَوِيَّ الْبَطْنِ تَمَشُّوقُ الذَّرَاعَيْنِ شَرَحَبُ
- ٤ - بَعِيدٌ مِنَ الشَّيْءِ الْقَلِيلِ احْتِفَازُهُ عَلَيْكَ وَمَنْزُورُ الرِّضَا حِينَ يَفْضُبُ
- ٥ - هُوَ الظَّفِيرُ الْمَيُّونُ إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا بِهِ الرَّاكِبُ وَالتَّلْعَابَةُ الْمُتَحَبِّبُ

وَهَنًا ، أى بعد ساعةٍ من الليل ؛ ومنه المَوْهِن . ومفعول أقول أوَّل
البيت الثانى ، وهو « لك الخير » ؛ وموضع « ودوننا مناخ المطايا » موضع
الحال . فيقول : أخطبُ عَبْدَ اللَّهِ وقد تقضى من اللَّيْلِ بعضُهُ ، ومَبْرَكُ
الْإِبِلِ مِنْ مَنَى فَمَوْضِعُ الْجَارِ مِنْهُ بِقَرَبٍ مَنَا^(٢) : مُدَكَتُ الْخَيْرِ وَلَقِيتُ
السَّعَادَةَ ، عَلَّلْنَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ بِأَحَادِيثِكَ لَعَلَّ سَاعَةً تَمُرُّ تَرْجِعُ إِلَيْنَا نَفْسُنَا
وَطَائِفَةً مِنَ اللَّيْلِ تَمْضِي نَطْوِيهَا عَلَى بَعْضِ مَرَادِنَا ، وَلَأَن التَّحَلُّلَ بِالْأَحَادِيثِ
وَقَطَعَ الْأَوْقَاتَ بِهِ ، لِلنَّفْسِ فِيهِ رَاحَةٌ ، وَلَهَا بِهِ اعْتِبَارٌ . وَقَوْلُهُ « وَسَهْوَانٌ »^(٣)
أى طَائِفَةٌ . وَيُرْوَى : « وَسَهْوَا » وَيُقَالُ : لَقِيتَهُ بَعْدَ سَهْوَاءٍ مِنَ اللَّيْلِ ، أى بعد

(١) كتب فوق النون من « سهوان » فى ل : « نا » مع قرنها بكلمة « معا » لتقرأ
بالرفع والنصب أيضاً .

(٢) كذا فى ل . وفى الأصل : « بهرب منى » .

(٣) ل : « وسهوانا » .

مُضَى صَدْرِهِ . ويجوز أن يكون فَعْلَاء من السَّهْو ، وتكون همزتها ملحقة ، ويجوز أن يكون فَعْوَالاً ويكون همزتها مبدلةً من الواو . فأما سهوان فسكانه أُريد به الوقت الذى يسهو فيه الناسُ عن مَبَاغِيهِمْ ، وعلى ذلك يُحْمَلُ السَّهْوَاءُ . وفى المثل : « إِنْ الموصِّينَ بنو سَهْوَان » ، أى الذين يسهون عن الحاجة يُحتاج معهم إلى التَّوصِيَةِ . ولا يمتنع أن يكون السَّهْوَانُ فى الوقت مأخوذاً من السَّاهِيَةِ ، وهو ما استطال وأنسع من الأرض من غير حَرٍّ يردُّ العين ؛ فنُقِلَ من المكان إلى الزَّمان ، أى طائفة من اللَّيْلِ ممتدة واسعة .

وقوله : « فقام فأدنى من وِسَادِي وساده » جمعَ بين فَعْلَيْنِ قام وأدنى . فيجوز أن يكون « طَوَى البطن » يرتفع بالأول منهما ، وهو قام ، ويجوز أن يرتفع بأدنى وقد أضمر فى قام على شريطة التفسير فاعله . والمعنى : فقام به أو منه رجلٌ هكذا فترَّبَ مجلسه من مجلسى . الشَّرجب : الطويل . والطَوَى البطن : الصغيرُ خلقَةً . والممشوق : الطويل القليل اللحم . وجاريةٌ ممشوقة : حسنة القوام قليلة اللحم .

وقوله « بعيد من الشَّيء القليل احتفاظه » أى غضبه ، يريد أنه سهلُ الجانب لا يكاد يحتمى من الشَّيء القليل الخطر والموقع من النفوس ، لكنَّه قليل الرضا إذا غضب ، لا يكاد يرجع إذا ذهبَ عنك بالهويناً . وذِكْرُ البعد هاهنا يريد النَّفى ، وهذا كما يُستعمل القليل والأقلُّ ويراد بهما النَّفى . والمعنى لا يحتفظ بالشَّيء القليل ولا يؤاخذ بصغائر الذنوب .

وقوله « هو الظَّفر الميمون » يصفُ إقباله فى متصرفاته ، وأنَّ المُنَاجِحَ والسَّمَادَاتِ فى رِفاقِهِ ولاحقةً لمطالِبِهِ ومَبَاغِيهِ ، والمَيَّامِينَ تترَفرف على جوانبِ آرائِهِ وأهوائِهِ ، ثم هو حَسَنُ البِشْرِ ^(١) ، لَيِّنُ العَرِيكَةِ ، ضَحَّاكُ لَعُوبٍ . والاحتفاظ :

(١) فى نسخة الأصل : « النسر » ، وما أثبتناه من ل . وأشير فى هامش ل إلى أنها فى نسخة « النسر » .

افتعالٌ من الحَفِظَةِ^(١) والحَفِظَةُ : النَّصَبُ . والتَّلْعَابَةُ على بنائه التَّقْوَالَةُ والتَّلْقَامَةُ والماءُ في آخره المبالغة . ويقال : نَزَرْتُ الشيءَ نَزْرًا ، ثم يقال للمنزور هو نَزَرْتُ .

٧٠٦

وقال أبو دهبيل^(٢) في الأزرق^(٣) :

١ - ما ذارُزِينَا غَدَاةَ الْخَلِّ مِنْ رِمْعٍ عند التَّفَرُّقِ مِنْ خِيَمٍ وَمِنْ كَرَمٍ

٢ - ظَلَّ لَنَا وَاقْفًا يُعْطَى فَأَكْثَرُ مَا قُلْنَا وَقَالَ لَنَا فِي وَجْهِهِ نَعَمْ^(٤)

الخل : الطريق في الرَّمْل . ورمع : موضع ، وقيل هو جبل باليمن . يقول :
أَصْبَنَّا وَفُجِعْنَا غَدَاةَ اجْتِمَاعِنَا لِتَوْدِيعِ الْفِرَاقِ ، بَعْظِيمُ نَبِيهِ مِنَ الْكِرَمِ وَالْخِلِمِ ،
وهو سَمَةُ الْخَلْقِ .

وقوله « ظَلَّ لَنَا وَاقْفًا يُعْطَى » يعنى الأزرق . أى يَبْقَى نَهَارَهُ وَاقْفًا وَنَحْنُ
مَحْتَفُونَ بِهِ وَمَجْتَمِعُونَ حَوْلَهُ ، وَأَكْثَرُ مَا قُلْنَاهُ فِي وَجْهِهِ وَخَاطَبْنَاهُ بِهِ ، وَقَالَ لَنَا فِي
جَوَابِهِ « نَعَمْ » . كَأَنَّ الْقَوْمَ الْمَعْتَرِّينَ اكْتَفَوْا بَعَرَضِ نَفْسِهِمْ عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ
حَاجَاتِهِمْ لِتَمَامِ كَرَمِهِ ، وَكَمَالِ فِطْنَتِهِ ، وَهُوَ يَعِدُّهُمْ الْخَيْرَ وَيَقْرَبُ لَهُمُ الْإِسْعَافَ

(١) الحَفِظَةُ ، بكسر الحاء وسكون الفاء ، مثل الحَفِظَةُ . وفى ل : « افتعال من الحَفِظَةِ
ومى النصب » ، ومى عبارة ناقصة عما فى الأصل .

(٢) سبقَت ترجمته فى الخامسة ٥٢١ من ١٣١٩ .

(٣) التبريزى : « الأزرق الخزوى » . وفى معجم البلدان (رمع) : « الأزرق بن
عبد الله الخزوى » : وفى الأغاني أن الذى يعدحه أبو دهبيل إنما هو « ابن الأزرق » ، واسمه
عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، كان
يقال له « ابن الأزرق » ، و « الهبرزى » ، وكان حاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن . الأغاني
(٦ : ١٥٧) ومعجم البلدان فى رسم (الحل) . وأنشد أبو الفرج أيضاً لأبى دهبيل يمدح ابن
الأزرق ، وكان وفد عليه وهو ممزول فأعطاه مائتي ألف دينار :

أعطى أميراً ومزروعاً وما نزعَتْ عنه المسكارم تشاه وماتزعا
(٤) الأغاني : « سَمَى وَقَالَ لَنَا فِي قَوْلِهِ » .

والبذل ، ويقول لكلٍ منهم : نَمِّ ، عالماً بما يقترحه ، وضامناً لما يطلبه ،
وماء الوجوه في مواضعها لم تَهْرَق .

ونَمِّ : حرف إيجاب ، و « يُعْطَى » موضعه نصبٌ على الحال .

٣ - نَمِ انْتَحَى غَيْرَ مَذْمُومٍ وَأَعْيَدُنَا لِمَا تَوَلَّى بَدْمَعٍ سَافِعٍ سُبْحُ^(١)

٤ - تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءَ مَعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلَى لَيْلَةَ الظَّلَمِ

٥ - وَكَيْفَ أَنْسَاكَ لَا نَعْمَاكَ وَاحِدَةً عِنْدِي وَلَا بِالَّذِي أَسْدَيْتَ مِنْ قَدَمٍ^(٢)

يقول : اعْتَمَدَ ، بعد الوقوفِ لَنَا والنَّظَرِ فِي مَا رُبْنَا ، لوجهته ، وهو مُدَّحٍ
بِالْأَسْنَةِ ، مَحَبَّبٌ فِي الصُّدُورِ وَالْأَفْئِدَةِ ، وَأَعْيَدُنَا لِنَزَاعِ نُفُوسِنَا لِمَا وَلَّى ، سَيَّالَةً
بَدْمُوعَهَا . ومعنى سَافِعٍ : ذُو سَفْعٍ ، أَيْ ذُو انْصَابٍ . وَالسُّجْمُ : جَمْعُ سَجُومٍ .

وقوله « تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءَ مَعْتَجِرًا » ، يريد ملتفًا . والاعتجار : لفٌّ
المِعْجَر ، وهو العِمامة ، في الرُّأْسِ مِنْ غَيْرِ إِدَارَةٍ تَحْتَ الْحَنَكِ . وقيل : بل المِعْجَرُ
ضَرْبٌ مِنْ ثِيَابِ الْيَمَنِ . وشبهها بالبدر في تَلَأُلَيْهِ وَنُورِهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ :
« جَلَى لَيْلَةَ الظَّلَمِ » .

وقوله : « وَكَيْفَ أَنْسَاكَ » ، يريد أنْ أَيْدِيَهُ عِنْدَهُ تَذَكْرَهُ لِأَنَّهَا كَثُرَتْ
وَعَمَتْ وَغَمَرَتْ^(٣) فَلَا يَرُوحُ عَلَى مُنْفَسَةٍ إِلَّا كَانَتْ مِنْهُ ، وَلَا يَرُدُّ نَظْرَهُ فِي
ذَخِيرَةٍ إِلَّا وَكَانَ السَّبَبُ فِيهَا ، وَلَمْ تَأْتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ عَلَيْهَا فَتَقَادَمَ عَهْدُهَا ، وَحَالَ
النَّسْيَانُ دُونَهَا ، بَلْ هِيَ غَضَّةٌ طَرِيَّةٌ تُنَادِي عَلَى نُفُوسِهَا ، وَتُلَوِّحُ الْجِدَّةَ عَلَى
صَفَحَاتِهَا ، وَتَحْمِي مِنَ الدُّرُوسِ ذِكْرَ مُوَلِّيَيْهَا .

(١) الأغاني : « بدمع واكف » .

(٢) الأغاني : « لا أيديك واحدة . . . بالذي أوليت » .

(٣) في النسخين : « وعمرت » .

وقوله « لا تُمَّاكَ واحدة » في موضع الحال من « لا أنساكَ » . وقد تقدَّم القول في الإسداء وأصله .

٧٠٧

وقال أيضاً فيه :

- ١ - مازِلْتَ في العَفْوِ للذُّنُوبِ وإِطْلَاقِ لِقَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ
 - ٢ - حَتَّى تَمْنَى البرَّاءَةَ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَمْسَوْا في القِدِّ والحَلَقِ
- قوله « في العفو » في موضع النصب على أنه خبر مازال ، والجائر منه تعلق بمضمر ، كأنه قال : مازلت آخذاً في العفو وداخلاً فيه ، إلى أن تمضي من لا جرم له أن يكون جارماً عليك حتى يتوفر عليه نظرك وإحسانك .
- والم أبو تمام بهذا المعنى فقال :

وَنَكْفَلَ الأَيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أَنَّا أَيْتَامٌ^(١)

فعده كثير من أصحاب الماني خطأ فيه ، وقالوا : جعله لا يعرف مواضع الصنعية إذ صار الناس يتمنون منزلة الأيتام عنده وحرمانهم لديه حتى ينالهم إفضاله ، ولو ساغ هذا القول فيما قاله أبو دهبيل ، وهو تمنى البراءة أن يكونوا أسراء مصفدين لديه حتى يلحقهم إحسانه ، إذ لا فرق بين الموضعين . ولم يُنكر أحد من المتقدمين والمتأخرين ما قاله أبو دهبيل ولا قدحوا فيه . وقد أحكمت القول في النسوية بينهما في « رسالة الانحصار » ، من ظلمة أبي تمام ، وبيّنت أن المعنى الذي انتحاه سليم من القيب صحيح .

والقائ : الأسير . والفلق : المتروك لا يفك .

(١) من قصيدة له في ديوانه ٢٧٩ - ٢٨٢ يمدح بها الأمون .

٧٠٨

وقال الفرزدق يمدحُ عليَّ بن الحسين بن عليٍّ^(١) بن أبي طالب

كرم الله وجوههم :

- ١ — إذا رآتهُ قرَيْشٌ قال قائلُها إلى مكارمِ هذا يَنْتَهِي السَّكْرُ
- ٢ — هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
- ٣ — يُكَادُ يُنْسِكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

فائدة إلى في قوله « إلى مكارم هذا » الانتهاء ، والجملة في موضع المفعول لقال .
والمعنى أن الكريم إذا انتهى إلى درجة مكارم هذا وَقَفَ^(٢) ، لأنها الغاية السَّامِيَّةُ ، والمرتبة التي لا تُتَجَاوَزُ منها إلى ما هو أعلى . ثم قال : « هذا » ، يعني عليَّ بن الحسين [بن علي^(٣)] صلوات الله عليه « الذي تعرف البطحاء وطأته » من بين وطأت الناس إذا مشوا عليها وفيها . والبطحاء : أرض مكة المنبسطة ، وكذلك الأبطح . وبيوت مكة التي هي للأشراف بالأبطح ، والتي هي في الروابي والجبال

(١) بدمه في ل : « صلوات الله عليهم » ، التبريزي : « وقال الحزبن الليثي في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام . والحزبن السكتاني هو عمرو بن عبد بن وهيب بن مالك بن حريث بن جابر بن راعي الشمس الأكبر بن يعمر بن عبد بن عدى بن الذيل بن بكر بن عبد مناة بن خزيمه . ويقال : إنها للفرزدق ، قالها حين قال الشامي لهشام بن عبد الملك : من هذا الذي أعظمه الناس وفرجوا له عن استلام الحجر الأسود ؟ فقال : لا أدري . فقال الفرزدق : لكنني أعرفه . فقال الشامي : من هذا يا أبا فراس ؟ فقال ... » . ونسبة الشعر إلى الفرزدق في هشام هي كذلك في أمالي المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . ونسب إلى الفرزدق في علي بن الحسين عند ابن رشيقي (٢ : ١١٠) وأمالي المرتضى أيضاً ، وللمعنى المنقرى عند ابن رشيقي أيضاً ، ولكن بن كثير السهمي في محمد بن علي بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . ولداود بن سلم في ثم بن العباس ، عند ابن رشيقي أيضاً . وهو مثل ظاهر لمقدار اختلاف الرواة في نسبة الشعر . وحسب الجاحظ في الحيوان (٣ : ١٣٣) والبيان (١ : ٣٧٠ / ٤ : ٤) وابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ / ٢ : ١٩٦)

(٢) كلمة « درجة » ليست في ل .

(٣) هذه من ل .

للفُرَبَاءِ وَأَوْسَاطِ النَّاسِ . وَالْحَطِيمُ : الجِدَارُ الَّذِي عَلَيْهِ مِيزَابُ السَّكْبَةِ ، فَكَأَنَّهُ حُطِمَ بِمَعْضِ حَجَرِهِ . وَالْأَبْطَاحُ وَالْبَطْحَاءُ وَإِنْ كَانَا صَفَتَيْنِ فَإِنَّهُمَا قَدْ لَحِقَا بِالْأَسْمَاءِ ، لَذَلِكَ جُمِعَا عَلَى الْأَبَاطِحِ وَالْبَطْحَاوَاتِ . وَانْتَصَبَ « عِرْفَانٌ » عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ^(١) أَيْ يَكَادُ يُمْسِكُهُ رُكْنُ الْحَطِيمِ لِأَنَّهُ عَرَفَ رَاحَتَهُ . وَيَسْتَلِمُ ، بِمَعْنَى يَلْسُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ . يَرِيدُ : أَنَّهُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي شَرُفَ بِهِ هَذِهِ الْمَوَاضِعُ ، فَعَى عَارِفٌ بِهِ ، وَإِذَا جَاءَ إِلَى الْمُسْتَلَمِ يَكَادُ يَتَمَسَّكُ بِهِ الرُّكْنُ تَمِيزًا لِرَاحَتِهِ عَنْ رَاحَةِ غَيْرِهِ . وَأَصْلُ يَسْتَلِمُ ^(٢) تَنَاوَلَ الْحَجَرَ بِالْيَدِ أَوْ بِالْقُبْلَةِ أَوْ مَسَحَهُ بِالْكَفِّ ، فَكَأَنَّهُ مِنَ السَّلَامِ : الْحِجَارَةِ . قَالَ الْخَلِيلُ : وَلَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا يَفْرُدُهَا .

- ٤ - أَيْ الْقَبَائِلُ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لَأَوَّلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نِعْمُ
 ٥ - يَكْفُهُ خَيْرٌ رَأَى رِيحَهُ عَبَقٌ مِنْ كَفٍّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِيْنِهِ نَيْمٌ ^(٣)
 ٦ - يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْبَسِمُ
 يَرِيدُ : أَنَّ طَوَائِفَ النَّاسِ مَغْمُورُونَ بِنِعْمِهِ أَوْ نِعَمٍ سَأَلَهُ ، يَعْنِي النَّبِيَّ وَالْوَصِيَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، لِأَنَّهُمَا اهْتَدَوْا بِدَعَائِهِمْ ، وَفَارَقُوا الْهَلَكَ وَالضَّلَالَةَ بِإِرْشَادِهِمْ وَذَلَالَتِهِمْ فَلَا قَبِيلَ إِلَّا وَرِقَابُهُمْ قَدْ شُغِلَتْ بِمَا قُلْدَتْ مِنْ مِفْنِهِمْ ، وَذِمَّتْهُمْ قَدْ رُهِنَتْ بِمَا حُجَّتْ مِنْ عَوَارِفِهِمْ .

وَقَوْلُهُ « بِكَفِّ خَيْرٌ رَأَى » يَعْنِي بِهِ الْمَخْصَرَةَ الَّتِي يُمْسِكُهَا الْمُلُوكُ بِأَيْدِيهِمْ

(١) ابْنُ جَنِّي فِي التَّنْبِيهِ : « يَجُوزُ فِيهِ أَوْجُهُ : أَحَدُهَا نَصَبُ الْعِرْفَانِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَرَفْعُ رُكْنِ الْحَطِيمِ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ يَكَادُ ، أَوْ فَاعِلٌ يُمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ لِرُكْنِ الْبَيْتِ ، وَيَجُوزُ رَفْعُهُمَا جَمْعًا ، أَيْ يَكَادُ يُمْسِكُهُ أَنْ مَرَفَ رَاحَتَهُ رُكْنُ الْحَطِيمِ ، فَيَرْفَعُ الْعِرْفَانُ يَكَادُ أَوْ يُمْسِكُهُ ، وَرَفْعُ رُكْنِ الْحَطِيمِ بِأَنَّهُ الْعَارِفُ ، وَإِذَا نَصَبَتْ عِرْفَانُ رَاحَتَهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ كُنْتُ غَضَبًا فِي نَصْبِهِ إِنْ شَتَّتَ يَكَادُ وَإِنْ شَتَّتَ يُمْسِكُهُ ، وَلَا يَجُوزُ نَصَبُ الْعِرْفَانِ وَالرُّكْنِ جَمْعًا لِثَلَاثِ يَتَّبِقُ الْفِعْلُ بِلَا فَاعِلٍ » .

(٢) لَ : « اسْتَلَمَ » وَكُتِبَ فِي هَامِشِ لَ : « نَخَ : الْاسْتِلَامُ : تَنَاوَلَ الْحَجَرَ » .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « رِيحُهَا » . وَيُرْوَى : « فِي كَفِّ أَرْوَعِ » .

يَتَعَبِّثُونَ بِهَا^(١) . وقوله « رِيحُهُ عَبِثٌ » ، إذا فُتِحَ الباءُ فخرجَ نَحْرُجُ المصادرِ ، كأنه نفسُ الشيءِ ، أو على حذفِ المضافِ ، والأصلُ ذاتُ عَبِثٍ . وإذا كسرت فهو اسمُ الفاعلِ ، ومعناه اللاصِقُ بالشيءِ لا يفارقه . يريد أن راحته تبقى فهي تُشَمُّ الدَّهْرَ من كَفِّ أَرْوَعٍ ، وهو الجميلُ الوجه . والشَّمُّ : الطُّولُ . والعَرِينُ : الأنفُ وما ارتفعَ من الأرضِ ، وأوَّلُ الشيءِ ، وتُجَمَلُ العرائنُ كنايةً عن الأشرافِ والسادة . وإذا قُرِنَ الشَّمُّ بالعَرِينِ أو الأنفُ ، فالقصدُ إلى الكَرَمِ . لذلك قال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ :

* شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ^(٢) *

وقوله « يُغْفِضِي حَيَاءً » ، أى احْيَايَاهُ يُغْفِضُ طَرَفَهُ ، فهو فى مَلَكَتِهِ وَكَالْمَنْخَزِلِ^(٣) له . و « يُغْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ » أى وَيُغْفِضِي مَعَهُ مَهَابَةً لَهُ ، فَمِنْ مَهَابَتِهِ فى مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ لَهُ ، كما أَنَّ قَوْلَهُ « حَيَاءً » اتَّصَبَ لِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَالْمَفْعُولُ لَهُ لَا يَقَامُ مَقَامَ الْفَاعِلِ ، كما أَنَّ الْحَالِ وَالْتِمِيزَ لَا يُقَامُ وَاحِدُهُمَا مَقَامَ الْفَاعِلِ .
فإن قيل : إذا كان الأمرُ على هذا فأين الذى يرتفع بِغُفْضِي ؟ قلت : يقوم مقامُ فاعِلِهِ المصدرُ ، كأنه قال : وَيُغْفِضِي الْإِغْضَاءَ مِنْ مَهَابَتِهِ . والدال على الإغضاء يُغْفِضِي ، كما أَنَّكَ إذا قلتَ سِيرَ بَرِيدٍ يَوْمِينَ ، لك أن تجعلَ القائمَ مقامَ الفاعلِ المصدرِ ، كأنه قيل : سِيرَ السَّيْرِ بَرِيدٍ يَوْمِينَ ، وهو أحدُ الوجوه التى فيه ، فاعلمه .

(١) وكذا عند التبريزي . ولم نجد « تعبت » فى المعاجم المتداولة .

(٢) صدره فى الديوان ٣١٠ :

* يبيض الوجوه كريمة أحسابهم *

(٣) كذا فى ل . وفى الأصل : « وكللتهم » .

٧٠٩

آخر:

١ - إِذَا انْتَدَى وَاحْتَبَى بِالسَّيْفِ دَانَ لَهُ شُوسُ الرِّجَالِ خُضُوعَ الْجُرْبِ لِلطَّالِي
 ٢ - كَأَنَّمَا الطَّيْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ هَامِهِمْ لَا خَوْفَ ظَلَمٍ وَلَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ
 انتدى : جلسَ في نادى القوم ، وهو مجتمعهم . وقوله « احْتَبَى بِالسَّيْفِ » ،
 أى خَصَرَ لَعَنَدَ جَوَارٍ ، أو فَصَلَ أَمْرَ حَرْبٍ ، أو إيقاعَ حِلْفٍ ، أو تَسْوِيدَ رُئُوسِ
 أو مَا يَجْرَى هَذَا الْمَجْرَى وذلك أن السيف في أمثال هذه الأحوال رَبَّمَا مَسَّتِ
 الحاجةُ إليه ، لذلك قال جرير :

وَلَا يَحْتَبِي عِنْدَ عَقْدِ الْجَوَارِ بَغْيَرِ السُّيُوفِ وَلَا يَرْتَدِّي
 وفي غير هذه الأحوال إنما يَحْتَبُونَ بالأردية وأشباهاها . ودان له ، أى خضع .
 وشُوسُ الرِّجَالِ : جمع أشوس ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه عداوةً أو كِبَرًا .
 وانتصب « خُضُوعَ الْجُرْبِ » على أنه مصدرٌ من غير لفظه ، لأن معنى دان له ،
 أى خَضَعَ لَهُ . ومثله :

* وَرُضْتُ فَذَلْتُ صَعْبَةً أَيْ إِذْلَالًا ^(١) *

لأنَّ معنى رُضْتُ أَذَلْتُ . وانتصب أَيْ إِذْلَالًا عنه .
 وَخَصَّ الْجُرْبَ لِأَنَّهَا إِذَا هُنْتُ بِالطَّلَاءِ طَابَ لَهَا وَطَاءَتْ لَطَالِبَهَا . لذلك قال
 امرؤ القيس :

* كَمَا شَفَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي ^(٢) *

وقوله « كَأَنَّمَا الطَّيْرُ مِنْهُمْ فَوْقَ هَامِهِمْ » ، أراد أن مجالستهم مَهِيبَةٌ ، وأنَّ

(١) لامرؤ القيس في ديوانه ٥١ . ومصدره :

* وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا *

(٢) صدره : * أَيْقَتَلَنِي أَنَّى شَفَفْتَ فُسْؤَادَهَا *

حاضريها لا يمجون ولا يتخففون ، بل يتوقرون ويسكنون فكان على رءوسهم
الطيرة فإن حركوا رءوسهم طارت إعظاماً لها وتبعيلاً لصاحبها . وقوله
« لا خوف ظلم » ، أى يخافونه لا خوف ظلم وانتقام ، ولكن خوف جلاله
واحشام ، وتوقير وإعظام . ودل على يخافونه حتى انتصب عنه لا خوف ، قوله
كانما الطير منهم فوق هامهم . ولما كان غير هذا الشاعر أراد التهكم والسخرية
قال في وصف قوم :

* كأن خروء الطير فوق رءوسهم ^(١) *

وقد مر ذلك .

٧١٠

وقالت ليلي الأخيلية ^(٢) :

١ - فإني لم أكذ آتيك تهوى برحلي رادة الأَصْلَابِ ناب ^(٣)

٢ - قريح الظهر يفرح أن يراها إذا وضعت وليستها الغراب

قولها « لم أكذ آتيك » ، من قولهم : أعطاني الأمير ما لم يكذب يعطى ،

وسمح بما لم يكذب يسمح . تقول : لم أكذ أزورك وقد زرتك تطير برحلي راحلة

وثيقة الظهر لئنته ، قد أخذت من السن والقوة بالنصيب الأوفر ، ديرة الظهر

يفرح الغراب إذا وضعت عنها برذعتها فنظر إلى ظهرها ، لأنه ينقره ويدنيه

إن ترك .

(١) البيت ٥ من الحماسة ٦٠٨ ص ١٤٥٤ . ومجزه :

* إذا اجتمعت قيس معاً وتميم *

(٢) صبت ترجمتها في الحماسة ٦٩٩ ص ١٦٠٧ .

(٣) ابن جني في الغنية : « لو نصب رادة الأصلاب على الحال لأنها وصف نكرة قدمت عليها لكان وجها » .

وقولها « رَادَةٌ » من راد يرود ، إذا جاء وذهبَ لِلَّيْنِ ؛ والأصل رائدة ،
 غذفت الممزة تخفيفاً ، كما قيل ^(١) في شَائِكِ شَاكُ السَّلَاحِ . ويجوز أن يكون
 فَعْلَةٌ بُنِيَتْ منه ، وعلى ذلك قولهم : رجلٌ مَالٌ ، كأنه مَوَلٌ . ورواه بعضهم :
 « رَارَةُ الْأَصْلَابِ » . وزعم أن عينه ياء ، واحتجَّ له بقول الآخر :

* وَالسَّاقُ مَنَى بِأَدْيَاتِ الرَّيْرِ ^(٢) *

وَالرَّارُ وَالرَّيْرُ : الْمُخْ . وليس الصَّابُ بموضعٍ مَخٍ ، فاعلمه . ومثله على الوجه
 الأول قوله :

* فِي صَلْبٍ مِثْلِ الْعِنَانِ الْمُؤَدَمِ ^(٣) *

الْأَثَرُ أَنَّهُ شَبَّهَ بِالْعِنَانِ لِلَّيْنِ .

٧١١

وقال المريان ^(٤) :

١- مَرَزْتُ عَلَى دَارِ امْرِئِ السَّوْدِ حَوْلَهُ لَبُونٌ كَعَيْدَانٍ بِحَاظِطٍ بُسْتَانِ ^(٥)

(١) ل : « كما تقول » . .

(٢) قبله في اللسان (رير) :

أقول بالسبت فويق الدبر إذ أنا مغلوب قليل الفير
 وإنما قال : « باديات » والساق واحدة لأنه أراد الساقين ، والثنية يجوز أن يخبر عنها
 بما يخبر به عن الجمع ، لأنها جمع واحد إلى آخر ، عن اللسان .
 (٣) لمعاج في ديوانه ٩٩ واللسان (صلب ، آدم) .

(٤) التبريزي : « وقال المريان لسهلة وذم غيره » ، يعني أنه يمدح « سهلة » .
 لكن في نوادر أبي زيد ٦٥ وكذا في الخزانة (٢ : ٥٢٢) نقل عنها ، أن اسم الشاعر هو
 « المريان بن سهلة الجرمي » ، أحد شعراء الجاهلية .

(٥) في النوادر والخزانة : « عنده لبوث » . قال أبو زيد : « يقال ناقة لبثة » .
 وفي الخزانة : « واللبوث جمع لبث وهو الأسد ، أراد به الشيطان . وقال الجرمي : هو جمع
 لبثة ، يقال ناقة لبثة » . ولم يفسروا ناقة لبثة ، ومأخذها من اللبث وهو الشدة والقوة .
 وجمع لبثة على لبوث من الشاذ ، نظيره صخرة وصخور ، وشعبة وشعوب ، وقنة وقنون .
 انظر مع المواع (٢ : ١٧٧) .

٢ - فقال ألا أضحت لبوني كما ترى كأن على لبتاتها طين أفدان
 ٣ - فقلت عسى أن يحوي الجيش مزر بها ولا واحد يسقى عليها ولا اثنان
 يعنى بامرى سوء المبخل الملوّم ، الذى لا هم له إلا تدمير ماله وحفظها
 ومنعها من الحقوق الواجبة فيها . واللّبون ، أراد بها الجنس ، لذلك قال « حوله
 لبون » . وأصل اللّبون الإبل ذوات [الألبان ^(١)] . والعيدان : النخل الطوال ،
 واحد عِيدَانَةٌ ، وهو فيعالة من عدن بالمكان ، إذا أقام . ومثله غِيدَاقٌ من
 غَدَق . ويعنى بها الراسيات الثابتات على ممر السنين . وعنى بالحائط موضع
 شجر . والبستان : النخل . والأصل فى الحائط أنه اسم الفاعل من حاط ،
 واستعمل استعمال اسم الفاعل الذى لم يشتق من الأفعال ، ومثله من جنسه قولهم
 والد صاحب ، ومن المصادر : لله درك . وشبه الإبل العيدان لطولها ، ومثل
 هذا قول الآخر :

طَيِّبَةُ الأنفُس بالدرّ نَعْس ^(٢) كأنها حائط نخل مُلتَبِس

وقوله « فقال ألا أضحت لبوني كما ترى » أخذ يقبّح عنده بوفور ماله
 وسمّنها ، وتراكم اللحم والشحم على ظهورها ، فأخذ يمجّبه منها ، ثم شبه اللحم
 للسمن على لبتاتها بطين قصور طيّنت به ، فالإبل كالقصور ، وما قذِفَ به من
 زيادة اللحم كالطين . وهذا كقول القطامي :

* كما بطّنت بالقدن السياعا ^(٣) *

(١) موضع هذه الكلمة يابى فى الأصل ، وإثباتها من ل .

(٢) نعس : جمع نعوس ، ومى الناقة تنعس إذا حلبت ، أو تمض عينها عند الحلب .

(٣) صدره فى الديوان ، واللسان (سيج) :

* فلما أن جرى سمن عليها *

ورواية « بطنت » نابتة فى شرح التبريزى واللسان ، وكذا فى الصحاح والعياب ، كما
 ذكر صاحب التاج ، ويروى أيضاً : « كما طينت » .

وقوله « قللت عسى أن يحوي الجيش » ، هذه أمنية تمنّاها . أراد كأيّدته
وقلت عسى أن يقيض الله لها جيشاً يحويها ، ويحول بينك وبين التمتع بها ،
فلا يسقى عليها مالكٌ واحد ولا اثنان ، لكنها تصير مقسمة في الفيرين ، وزعة
في السالين . ويجوز أن يريد : لا يتفقدّها مُصلحاً لها لا واحدٌ ولا اثنان ،
لكنّها تُساق وتُدال بالغارة وتُهان .

- ٤ - ورحتُ إلى دار امرئ الصدق حوله مرابط أفراسٍ وملتبُ فتیان^(١)
٥ - ومنحَرُ مِثْثاتٍ يُجرُّ حوارها وملتبُ إخوانٍ إلى جنبِ إخوان^(٢)
٦ - قللتُ له إني أتيتك راغباً بدِغليّةٍ تَدعى وإني امرؤٌ عانٍ
٧ - فقال ألا أهلاً ومَهلاً ومرحّباً جعلتُك مِنّي حيثُ أجعلُ أشجاني
٨ - قللتُ له جادتْ عليك سحابةٌ بنوٌّ يُندى كلٌّ فَنوٍّ ورِيحانٍ
٩ - وقلتُ سَقاك الله خمرَ سُلَافَةٍ بماءِ سحابٍ حائرٍ بين مُصدّانٍ

قوله « دار امرئ الصدق » ضدّ قولهم : امرئ السوء ، والمعنى فيهما نعم
الرجل وبئس الرّجل . وإذا قصد إلى الوصف به فتُفتح فقيّل الصدق . يقال :
رَجُلٌ صَدَقٌ ونساء صدقات . والسوء يُوصَف به فيقال الرّجل السوء . وقال
الخليل : الصدق بفتح الصاد : الكاملُ من كلِّ شيء . فتقول : عدلتُ راحماً
إلى دار الرجل الكريم الممدّح بالألسنة ، المَرْضِيّ المحبَّب إلى كلِّ طائفةٍ ، المرزأ

(١) رواية أبي زيد « وصهرت على دار » ، وفيه الخزم ، بالزاي المعجمة ، وهو زيادة
بعض الحروف في أول البيت ، انظر أمثال ذلك في العمدة لابن رشيق (٢ : ٩٢ - ٩٤) ،
وم لا يمدون الخزم عيباً . ولم يرو أبو زيد إلا البيت الأول من هذه الحماسية ، ثم هذا البيت ،
ثم بيتاً ثالثاً لم يروه أبو تمام ، وهو :

فقال مجيباً والذي حجّ حاتمٌ أخونك عهداً إني غيرُ خوان

(٢) الفريزي : « وموضع إخوان » .

في ماله ، المنفاق على أضيافه وزوّاره وحوله مرابطٌ أنّحيل ، وفناؤه مَلْعَبُ الفَتَيَانِ ،
إذْ كَانَ هُمُ الشَّغَالِ بِالْفُرُوسِيَّةِ وما يَكْتَسِبُ به فُنُونَ الذِّكْرِ الجليل وضروبَ
المُخَمَّدة ، وندماؤه الفَتَيَانُ ذُوو السَّكْرَمِ والحريّة ، والافتنان في اللَّعِبِ والشَّطْرَةِ ،
وبُقُرْبِ دارِهِ مَدَارِجُ السَّكْرَامَاتِ ، ومُبَوِّأُ الضِّيَافَاتِ ، وَتَجَزَّرُ الثُّنُوقُ العِشَارِ
الصَّحِيحَاتِ الرَّائِعَاتِ ، فَتَجَزَّرُ حِيَرَانُهَا إِذَا بُعِجَتْ عَنْهَا بِطُونِهَا لِكِبَرِهَا^(١) . يريد
أَنْ مَا يُضَنُّ بِأَمْسَالِهَا وَيُتَنَافَسُ فِيهَا ، هُوَ يَذْتَنِدُهَا وَيَسْتَهِينُ بِهَا ، وَلَهُ دَارُ نِدَامَةٍ^(٢)
ووفادة ، تُنصَّبُ فِيهَا المَوَائِدُ ، وَقَدْ رُتِّبَ عَلَيْهَا الإِخْوَانُ عَلَى سَنَنِ الدَّوَامِ ، وَلَا يَقَعُ
فِيهِ خَلَلٌ وَلَا تَجَوُزُ ، وَلَا فَتُورٌ وَلَا تَخَوُّنٌ .

وقوله : « فقلت له إني أتيتك راغباً » يريد تعرّضتُ له وأريته رغبتي في
مَعْرِفَتِهِ ، وَعَرَفْتُهُ أَنِّي قَصَدْتُهُ عَلَى نَاقَةٍ سَرِيعةٍ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، فَقَسَدَ دَمِيتُ
أَخْفَافُهَا وَخَفِيتُ ، وَأَنِّي رَجُلٌ مُضْطَرَّرٌ ، أُسِيرُ فَاقَةً وَفَقِيرٌ ، مُحْتَاجٌ مِنْ جِهَتِهِ إِلَى
تَفْقُدِ وَمُؤَاوَسَةٍ . فَقَالَ فِي جَوَابِي : أَتَيْتَ أَهْلًا لَا غُرَبَاءَ ، وَنَزَلْتَ سَهْلًا مِنْ
الجَوَانِبِ لَا حَزَنًا ، وَاخْتَرْتَ رُحْبًا لَا ضِيقًا ، فَأَنْتَ فِي قَلْبِي وَصَدْرِي بِمَحِثُ
أَجْمَلِ مُهِمَّاتِي وَحَاجَاتِي ، تَشْمَلُكَ عَنَابَتِي ، وَيَسَعُّكَ إِفْضَالِي ، فَكُنْ كَالشَّرِيكِ
فِيَا لَنَا ، لَا تَمَازِرَ وَلَا تَبَايِنَ ، وَلَا تَمَانَعَ وَلَا تَضَائِقَ . فقلت له في مَقَابَلَةٍ مَا أَوْرَدَهُ
دَاعِيًا وَشَا كَرَأً : هُنَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ ، وَمَطَرُ أَرْضِكَ وَمَأْوَاكَ ، بِجُودٍ مِنْ سَحَابَةٍ
نَشَاتٍ بِنُوءٍ يُحْيِي كُلَّ نَبْتٍ وَرِيحَانٍ ، بِكُلِّ أَرْضٍ وَمَكَانٍ . وَقُلْتُ أَيْضًا :
دَاعِيًا لَهُ بِالشُّقْيَا : سَقَاكَ اللَّهُ خَمْرَةَ صَافِيَةٍ رَقِيقَةٍ ، مَمْزُوجَةٍ بِمَاءِ مَطَرٍ حَاطِرٍ بَيْنَ
الْمَنَاقِعِ وَالْغُدْرَانِ ، بَعْدَ أَنْ تَقَاضَتْهُ الْمَدَافِعُ وَالْمُسْلَانُ^(٣) ، وَتَقَطَّعَ بِأَنْضَادِ الْحَجَرِ ،

(١) التبريزي : « يجر حوارها لأنها تجزر وهو في بطنها فيجره من بطنها » .

(٢) ندامة ، كذا وردت في النسختين . والمعروف « ندام » بدون هاء مصدر
نادمه منادمة .

(٣) المسلان : جمع مسيل ، وهو مجرى الماء ، وذلك على توهم ثبوت الميم أصلية . انظر
اللسان (مسل) .

وتَفَلَّقَ في جوانب الخمر . والمُصْدَان : جمع مَصَاد ، وهي شقوق الجبال . وقال الخليل : المُصْدَان : المضاب^(١) ، واحدها مَصَادٌ ، وفي أدنى القَدَوِ أمِصْدَة ، ومنه سُمِّيَ المَعْقِلُ مَصَادًا . والفَقْو : ماله رائحة طَيِّبَة من النَّبَات ، وكذلك الفَاغِيَة . والدَّغْلِيَّةُ يُوصَفُ بها التَّعَامَة والنَّاقَةُ الشَّدِيدَة السَّرِيعَة . ويقال : اذْأَسَبَ البعيرُ إِذَا أُسْرِعَ . وسَلَاةُ الخَمْرِ : أولُ ما يخرج من عَصِيرِهَا . وإِضَافَةُ الخَمْرِ إِلَيْهَا على طريق التَّيْيِين . وهذا كما يفيدُه « من » من قوله : ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ .

٧١٢

وقال آخر^(٢) :

١ — لَمَسْتُ بِكَفِّيْ كَفَّهُ أَبْتَنِي الْغَنَى ولم أذِرْ أَنْ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
٢ — فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغَنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي
قوله « أَبْتَنِي الْغَنَى » في موضع الحال ، وأفدت بمعنى استفدت . يقول : لَمَّا زُرْتُهُ صَاحَفْتُهُ وَاضْعًا كَفِّيْ فِي كَفِّهِ ، وَملِئْتُمَا الْغَنَى مِنْ عِنْدِهِ ، وَرَاجِعًا نَبِيلَ الْخَيْرِ فِي قَصْدِهِ ، وَلَمْ أَعْلَمْ أَنَّ السَّخَاءَ يُعْدِي مِنْ يَدِهِ ، فَلَا أَنَا اسْتَفَدْتُ مِنْ جِهَتِهِ مَا اسْتَفَادَهُ الْأَغْنِيَاءُ مِنْهُ ، وَأَعْدَانِي لَمَسُوا كَفَّهُ الْجُودَ فَأَهْلَكَتُ مَا عِنْدِي أَيْضًا . وقوله « مَا أَفَادَ » في موضع المفعول من قوله أفدت .

(١) في الأصل : « النصاب » ، صوابه في ل . وفي البيان : « الصاد المظنية العالية الحمراء » ، وقيل : هي أعلى الجبل .
(٢) التبريزي : « قال أبو حلال : هذا الشعر لمبداه بن سالم الحياطي » ، مولى هذيل ، دخل على المهدي فأثبته هذين البيتين ، فأمره به بخمسين ألف درهم فترفها ولم يرجع إلى منزله منها بقية . : والبيتان منسوبان كذلك إلى ابن الحياطي في الوساطة لجرجاني ١٧٢ . وذكر أن أبا تمام أخذ هذين البيتين في قوله :

على جودك السماح أجهت شيئاً لدى من صلتك
ونسب أبو الفرج البيهقي إلى بشار بن برد . الأغانى (٣ : ٢٦) .

٧١٣

وقال آخر^(١) :

١ - إذا لَاقَيْتَ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرًا^(٢)
 ٢ - هَلْ أَعْنُو عَنْ أُصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَسِرَتْ وَأَفْطَطُ الصُّدُورُ^(٣)
 يتبجحُ قائله عند المرأة التي خاطبها ، بسهولة جانبه ، وترك المناقشة
 في استخراج حقوقه ، وسماحة نفسه بما يملكه ، فيقول : إذا رأيت قومي
 فارجمي إليهم سائلة عني ، ومستخيرة حالي ومعتمدة على ما تسمعيه من قصي
 وأمرى ، فكفى بقومي علما بى وبأخلاقى . وقوله « كفى قوماً بصاحبهم » مقلوب
 وكان الواجب أن يقول : كفى بقومي خيراً بصاحبهم ، ويعنى بصاحبهم نفسه .
 والخبير : ذو الخبرة الباقية والمعرفة الكاملة . وانتصابه على الحال إن شئت ، وإن
 شئت على التمييز وقد وضع خبيراً موضع خبراً ، ومثله فى القرآن : ﴿ وَحَسَنَ
 أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ . وفاعلُ كفى قبل القلب « بقومى » وهذا كقوله تعالى : ﴿ كَفَى
 بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ والباء زائدة .

وقوله : « هَلْ أَعْنُو عَنْ أُصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ » يريد سألهم هل أسمعُ
 بما يجب لى من أصول حق ، وهل أترك الاستقصاء فى استخراجها ، وهل أعنفُ
 بهم إذا عسرت عندهم ، وهل أجيبُ^(٤) صَدَرَ ما يحل لى ويحب راضياً به ،

(١) التبريزى : « قال أبو هلال : هو لجثامة بن قيس ، وهو أخو بلعاء بن قيس » .
 وقد سبقت ترجمة بلعاء فى الحماسة ٨ من ٥٩ .

(٢) كذا فى النسختين . وعند التبريزى : « كنى قومى » وقال التبريزى : « وىروى :
 قوم وقوما » .

(٣) عمر ، يقال من باب فرح وإكرم . وضبطت فى النسختين بكسر السين ، وفى نسخة
 التبريزى بضمها .

(٤) يقال جبت الشيء ، إذا خلصته لنفسك . فى الأصل : « أحيى » ، صوابه فى ل .
 ولولا اتفاق النسختين على هذا القدر من الحروف لكان صوابها « أجب » بمعنى أقطع .

وغير معرّج على أواخره وأعجازه ، لئلا أكون مناقشاً في الاستقصاء مضيقاً ،
ويكون هذا مثل قول الآخر :

إنّا إذا شاربنا شريباً له ذنوبٌ ولنا ذنوبٌ
فإنّ أبى كانت له القلب (١)

وقيل معنى « أقطع الصدور » أراد (٢) به مودّات الصدور ، حذف
المضاف . وقيل : بل أراد بالصدور الرؤساء . والمراد من البيت أني أسامح في
معاملة أوساط قومي لأمتلئكم بذلك ، وأجعل رؤسائهم منصّبين إلى ومائلين
نحوي ، لأنّي أقطعهم (٣) عن غيري ، وأعدل بهم عن سيواي .

٧١٤

وقال عمرو بن الإطنابة (٤) :

- ١ — إني من القوم الذين إذا أنتدوا بدّءوا بحق الله ثمّ النّائل
- ٢ — المانعين من أنلنا جاراتهم والحاشرين على طعام النّازل
- ٣ — والخالطين فقيرهم بغنيهم والباذلين عطاءهم للسائل
- ٤ — والضاربين السكبش يبرق بيضه ضرب المجهج عن حياض الآبل (٥)

(١) القلب : البئر العادية القديمة التي لا يعلم لها رب ولا حافر ، تكون بالبراري ، تذكر
وتؤنث . ل : « كان له » .

(٢) ل : « الصدور يراد به » .

(٣) ل : « أقطعهم » .

(٤) الإطنابة أمه ، ومعنى الإطنابة سير الحزام يكون عوناً لسير آخر إذا قلق ، وسير يمشي
في وتر القوس العربية . وهو عمرو بن عامر بن زيد مناة الخزرجي ، شاعر فارس من فرسان
الجاهلية . معجم المرزبانى ٢٠٣ — ٢٠٤ . وذكر أبو الفرج في الأغاني (١٠ : ٢٨) أنه
كان ملك الحجاز .

(٥) ل : « الضاربين » بدون واو . التبريزي : « ضرب المهجع » .

يفتخر بأنه من القوم الذين إذا عَقَدُوا مجلساً لِنَظَرٍ في أحوال الجيران لِشِدَّةِ الزمان ، ولِإصلاح الأمور في جوانب الحى عند فسادها ، وكان اليوم مشهوراً ، والتوفّر على المصالح في الأبعد بعد الأقارب شديداً ، ابتدأوا بإخراج حقِّ الله تعالى جدّه الواجب عليهم في أموالهم ، ثم كرّثوا على النَّاتِلِ مِنْ بَعْدُ . ويريد بالنَّاتِلِ العطايا التي لا تَجِبُ في فرائض الدّين ونوافلها^(١) ، وإنما يُقيمون بها المروءات ، ويتطلّبون بفعلها وجوه التَّحَنُّدِ والتَّشْكُرِ .

وقوله « المانعين من اخنا جاراتهم » قَصَدَ فيه إلى تعداد خِصَالِهِمْ ، ورواتب سَيْرِهِمْ ، مع الإفضال التام ، والبرِّ العام ، فقال : يَمْنَعُونَ جاراتِهِمْ [من الفُحْشِ^(٢)] ويصونونَهُنَّ من دَرَنِ الرِّيبَةِ وقُبْحِ القالة ، وإذا نَزَلَ بِهِمْ نازلٌ شَدُّوا الطَّعامَ له — والحشد : ما لا تكلف فيه^(٣) — ذلك ليكون أدنى لانبساطه ، وأدعى إلى إقامته . ولو قال بَدَلَ الحاشد محشد أو مُتَحَشِّدٌ لكان لا بدّ من اقتران الكلفة بما يأتون به . وتعلّق « على » من قوله « على طعام النازل » بالحاشد ، كأنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ على إعداد الطَّعام له ، ويتعاونون في إزالة الوم في أنه زيدَ على المحاضر منه ، ليكون أهناً ، وعلى المجموع له أخفّ .

وقوله « والخالطين فقيرهم بنبيهم » ، يريد أنهم يسوون بين طوائف الأقارب فترى الفقير منهم لا يتميَّز عن الغنى ولا ينحطّ في الإكرام عنه ، فينقبض أو يمتنع ، ثم يبذلون^(٤) للأجانب والغرباء قُرْاطِهِمْ ووُرَادِهِمْ^(٥) ،

(١) كذا في النسخين ، والوجه « ونوافله » .

(٢) النكلة من ل .

(٣) في الأصل : « ما لا يكلف من » ، والوجه ما أثبتنا من ل . وكلة « ذلك » ليست في ل .

(٤) هذا الصواب من ل : وفي الأصل : « يتذللون » .

(٥) القراط : جمع فارط ، وأصل معناه القوم يتقدمون الورد فيهبثون لهم الأرسان والدلاء وعلّوون الحياض .

لَا يَذْخَرُونَ مَقْدُورًا عَلَيْهِ ، وَلَا يَعْتَلُونَ بِمَا يَكُونُ سَبَبًا فِي حِرْمَانِهِمْ . وَالْمَعْنَى أَنَّ حِرْمَانَهُمْ لَيْسَ بِمَقْصُورٍ عَلَى مَنْ يُبْذِلُ بَقَرَتَيْنِ وَقَرَابَةً ، بَلْ تَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَافَّةُ . وَقَوْلُهُ « وَالضَّارِبِينَ الْكَبِشَ » ، وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ الرُّؤَسَاءَ مُتَدَجِّجِينَ فِي السَّلَاحِ ، فَيَضْرِبُونَهُمْ ضَرْبَ الْمُدَافِعِ غَرَائِبِ الْإِبِلِ عَنْ حِيَاضِ الْآبِلِ . وَالْآبِلُ : صَاحِبُ الْإِبِلِ الْكَثِيرَةِ . وَقَوْلُهُ « يَبْرِقُ بِيضُهُ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَلِلْجَهْجَهَةِ وَالْمَهْجَهَةِ : الزَّاجِرُ بِقَوْلِهِ : هَجْجَ هَجْجَ ، وَجَهْ جَهْ . وَقَدْ حُذِفَ مَفْعُولُ قَوْلِهِ ضَرْبَ الْمَجْهَجِ .

وَيَقَالُ : فَلَانٌ آتِلٌ مِنْ فَلَانٍ ، أَيْ أَحَذَقَ بَرَعَى الْإِبِلَ وَتَشْمِيرَهَا .

٥ - وَالْقَاتِلِينَ لَدَى الْوَعَى أَقْرَانَهُمْ إِنَّ النَّسِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ الْوَائِلِ

٦ - خَزَرُ عِيُونِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ يَمْشُونَ مَشَى الْأُسْدِ تَحْتَ الْوَائِلِ

قَوْلُهُ « وَالْقَاتِلِينَ لَدَى الْوَعَى أَقْرَانَهُمْ » ، أَصْلُ الْوَعَى هُوَ الْجَلْبَةُ وَالصَّوْتُ ، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فَصَارَ كَنَاءَةً عَنِ الْحَرْبِ ، فَيُرِيدُ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ نَظَرَاءَهُمْ مِنَ الْكُفَّةِ وَالْأَبْطَالِ فِي الْوَعَى ، وَمَنْ وَأَلَّ مِنْ أَعْدَائِهِمْ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فَالْمَنِيَّةُ مِنْ وَرَائِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يُنْمِلُونَ وَلَا يَهْمِلُونَ ، وَيَطْلُبُونَ أَوْتَارَهُمْ وَلَا يَضْيَعُونَ .

وَقَوْلُهُ « خَزَرُ عِيُونِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ » ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ يَتَخَاذَرُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى أَعْدَائِهِمْ ، فَقَالَ الْمُتَكَبِّرُ الْمُتَوَعَّدُ ، فَلَا يَمْلُؤُونَ أَعْيُنَهُمْ مِنْهُمْ ، وَلَا يُسَوُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِمْ ، بَلْ يَتَبَيَّنُ فِي نَظَرِهِمْ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا مَشَوْا رَأَيْتَهُمْ كَالْأُسْدِ تَحْتَ الْمَطَرِ الشَّدِيدِ وَهِيَ تُبَادِرُ إِلَى مَوَاضِعِهَا مِنَ الْعَرِيِّنَ .

٧ - وَالْقَاتِلِينَ فَلَا يُعَابُ كَلَامُهُمْ يَوْمَ الْقَامَةِ بِالْقَضَاءِ الْفَاصِلِ

٨ - لَيْسُوا بِأَنْكَاسٍ وَلَا يَمِيلُ إِذَا مَا الْحَرْبُ شُبَّتْ أَشْعَلُوا بِالشَّاعِلِ

أَجْرَى قَوْلُهُ : « الْقَاتِلِينَ » مُجْرَى قَوْلِهِ الْمُتَكَبِّرِينَ وَالنَّاطِقِينَ ، لِذَلِكَ عُدَّاهُ

بالباء فقال « بالقضاء الفاضل » . ومثله قول عُمر بن أبي ربيعة :
 بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتَنْبَلِغَ عُذْرًا وَالْمَقَالَةَ تُعْذِرُ
 أَى لَمْ تَتَكَلَّمْ . ومما يدلُّ على ذلك قوله « فلا يُعَابُ كلامهم » ولم يَقُلْ
 قولهم . ويقال : فلان يقول بالإمامة ، أى يدين بها ويعتقدها مذهبا . فيجوز أن
 يكون قوله على هذه الطريقة . وإنما وصفهم بأنهم مفوهون خطباء يفصلون
 الأمور عند الجامع بالحُكم العَدْل ، والقضاء الفَضْل ، ولا يُتَجَاوَزُ مرسومهم ،
 ولا يُعَابُ مَقْضِيَّتُهُمْ ؛ ثم إذا حضروا الحرب وأوقِدَ نارها فليُسُوا فيها
 بضعاف العَقْد .

والأنكاس : جمع النكس ، والنكس أصله فى السَّهام ، تنكسر فيجمل
 أسفلها أعلاها فتضمف . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا يستقيم على الدَّابة .
 وقوله « أشعلوا بالشَّاعِل » يقول أوقدوا وهيجوا . والشاعِل يجوز أن يُراد به
 سير الإيقاد ، والإشعال له تقويته ، والباء مُفحمة ، والمراد أشعلوا الشَّاعِل وقوَّزه
 وزادوا فيه . ويجوز أن يُراد بالشَّاعِل ذا الشَّعْلِ أو الإشعال أو الاشتعال ، ويكون
 معناه المُشْعِل ، كما يقال : لابنٌ وتامرٌ ، حينئذ يكون الباء داخلا على حدِّه .
 والمعنى أشعلوها بالمُشْعِل . ويقال : أشعلتُ الخليلَ فى الغارة فشعلت وهى شاعِلَةٌ ،
 وأشعلتُ النارَ فى الحطب فاشتعلت .

٧١٥

وقالت حبيبة ابنة عبد العزى^(١) :

١ — ألى الفتى برّ تَلَكَّا نَأْفَتِي فَكَسَا مَنَايِمَهَا النَّجِيمُ الْأَسْوَدُ

٢ — إِنِّى وَرَبُّ الرَّاغِصَاتِ إِلَى مَنِّى بِمُحْنُوبٍ مَكَّةَ هَدِيْنُهُنَّ مُقَلَّدُ

(١) التبريزي : « حبيبة بنت عبد العزى الموراء » . وواضح من اسمها أنها لاحدى
 شاعرات الجاهلية .

٣ — أولي على هلك الطعام أليّة أبدأ ولكفى أيبف وأنشد
 تريد أنهلكا ناقتي ، أي أتعجبس وتتباطأ ، فحذف إحدى التاءين تخفيفاً ،
 لأن الإدغام ممنوع هنا . وبرّ : اسم المدح . والمعنى الإنكار والاستهزاء ،
 وإن كان اللفظ على الاستهزاء . وانجرّ برّ على البدل من التقي ، والمراد أن فلك
 لا يكون ، ثم دعت على ناقتها بالقرقة فقالت : إن تأخرت أو تلومت في المسير
 فقمرها الله حتى يسيل دم أسود نخين على مناسمها فيصير كاللباس لها . والتجميع
 في الأصل دم الجوف ، ويقال : تنجع به ، أي تلتطخ .

وقولها « إني وربّ الرّاقصات إلى منى » أقسمت بالله مالك رواحل الجميع
 وهي تسير إلى منى من جوانب الحرم وفيها الهدى المقلد . والهدى : ما يهدي
 إلى البيت ، وكانوا يقدّونه ويحملون في عنقه إحصاء الشجر أو الصوف المفقول
 ليكون علامة لإهدائها .

وقولها « أولي على هلك الطعام أليّة » هو جواب القسم ، أي لا أولي ،
 فحذف حرف اللغى ولم يخف الالتباس ، لأنه لو أريد الإيجاب لوجب أن يقال :
 لأولين باللام وإحدى التونين ، والمعنى لا أحلف على أن أصون طامى
 ولا أطعم الناس ، مدعية أنه قد نفذ وهلك ، ولكفى أظهره وأنشد من أطعمه .
 ويموز أن يريد بأنشد : أقول لازائر والماربي : أنشدك الله أن تفارق حتى
 تطم . وقولها « هذين مقلد » في موضع الحال للراقصات ، واكتفى بضميرها
 في الجملة عن إدخال العاطف عليه ، لأن الضمير يملق الحال بما قبله كما يملق حرف
 العطف . ومثله في القرآن : « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ » ، والمراد
 بهذين التكثير لا الواحد . و « أبدأ » في المستقبل بإزاء قط في المضى .

٤ — ومى بها جدى وعلىنى أبى نفص الوعاء وكل زاد ينقد

٥ — فاحفظ حبيتك لا بألك واحترس لا تخزقنه قارة أو جذجد

تريد أن هذه الأفعال التي ذكرتها هي موروثة عن الأسلاف ، وبأخوذة
عن عاداتهم ، جدّي وصّي بها أبي ، وأبي علمنيها فهم فِدَوِي ، وهذه دأبي
وسجيتي ، أصبُّ الزَّادَ صَبًّا ، وأنفُضْ وعاءه بعد أن أخْلِيَهُ نَفْضًا . والزَّادُ كلُّه
لا يبقى وإن بُحِلَ به ، فلماذا يُكْتَسَبُ الدَّمُ فيه . ثم أقبلت على من تَدَثُّه وتبخله
فقلت متهمكة وساخرة منه : احفظْ نِحْيَ سَمْنِكَ لا أَبَالَكَ - وهذا بعث
وتحريض - واحذرْ عليه النار والجُدْجُد لا يقطعُه^(١) .

وقد مرَّ القول في قولم « لا أَبَالَكَ » وإعراجه . والنار مهموز ، ويقال مكان
فَيْرٌ ، إذا كثر فأَرُهُ .

٧١٦

وقال مالك بن جمدة^(٢) :

- ١ - وأبلغ صلحبا عني وسعداً نحيات مآثرها سفور^(٣)
 - ٢ - فإنك يوم تأتيني حريبا تحل علي يومئذ ندور
 - ٣ - تحل علي مفرمة سناد على أخفافها علق يور
 - ٤ - لأملك ويلة عليك أخرى فلا شاة ثنيل ولا بيمير
- يقول على وجه الإزراء بالمخاطب والنص منه : أبلغ عني^(٤) هذين الرجلين
نحيات ما يؤثر منها وعضها ، ويُحدث بها ، تتسع لها وتستغريها سفور إذا

(١) التبريزي : الجدد صرار الليل ، واسمه شبيه بصوته . وفي مثله قول الراجز :

ما أنت بالسمج ولا بالماجد فاحفظ سقاءك من الجدائد

(٢) التبريزي : « مالك بن جمدة الثعلبي » ، وفي معجم المرزباني ٣٦٤ « الثعلبي » ،

وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية ، هجا المختار بن أبي عبيد فرد عليه الطرماح .

(٣) التبريزي : « فأبلغ » .

(٤) ل : « دني » .

اَكْتَبَيْتَ وَنُسِخْتَ . وَالشُّفُورُ : جمع سِفْر ، وهو الكتاب . ويقال : سِفْرُ
وَأَسْفَارٍ وَسُفُورٍ . وفي القرآن : ﴿ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ . والمآثر ، واحداثها مآثرَةٌ ،
ويجوز أن يريد مكارمها التي تؤثر ، أى تروى وتُنسَب ، واضحة كسُفُور الضُبح .
ويقال : سَفَر الضُّبْحُ وَأَسَفَر ، وكان الأصمى يابى إلا أسَفَر .

وقوله « فَإِنَّكَ يَوْمَ تَأْتِنِي [حَرِيْبًا ، أَيْ سَلِيْبًا ، وانتصابه على الحال .
و « يَوْمَ » مضاف إلى « تَأْتِنِي » ^(١) [على وجه التبيين ، وهو ظرف لقوله
« تَحِلُّ عَلَى يَوْمَيْهِ نَذُورٌ » . وانتصب « يَوْمَيْهِ » على البدل من يَوْمَ تَأْتِنِي ، وكأنَّ
الشاعر عَمَّاه سائلًا فحَرَمَهُ ، ووَعَدَهُ بما لم يَفِ به له فقال : [إِنَّكَ ^(٢)] إِنْ أَتَيْتَنِي
حَرِيْبًا وَجَدْتَنِي لَكَ بِخِلَافٍ مَا كُنْتُ لِي ، وَعَلَى نَذُورٍ يَلْزَمُنِي الْوَفَاءُ بِهَا مَتَى
احْتَجَجْتَ إِلَيَّ وَرَأَيْتَكَ عَلَى الْحَالَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْإِلْمَامِ بِي ، والقصد لى ^(٣) . ومعنى
« تَحِلُّ عَلَى » « تَجِبُ تَحِلًّا » . وَالْمُفْرَهَةُ : النَّاقَةُ الَّتِي تَلِدُ الْفُرَّةَ مِنَ الْأَوْلَادِ .
وَالسَّنَادُ : الْقُوَّةُ . ويقال للمرتفع في قُبُلِ جَبَلٍ ^(٤) سَنَدٌ وَسِنَادٌ . أَيْ أَغْرِقُ فِي جُمْلَةٍ
النَّذُورُ لَكَ نَاقَةً هَكَذَا ، فَيَمُورُ أَيْ يَسِيلُ الْعَلَقُ ، وهو الدَّمُ على أخفافها .

وقوله « لَأَمُكَّ وَبِلَةٌ » دُعَاءٌ عَلَيْهِ مُصَرَّحًا بِالذَّمِّ وَذَا كَرَأَ الْحَرَمَةَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ
لَأَمُكَّ وَبِلَةٌ . وقوله « وَعَلَيْكَ أُخْرَى » أَيْ وَبِلَةٌ أُخْرَى . وَاللَّامُ وَعَلَى هُنَا
مُقَارَبَانِ فِي الْمَعْنَى . وقوله « فَلَا شَأْنُ تُنِيلُ » لَكَ أَنْ تَنْصَبَ شَاءَ بُتْنِيلٍ ، وَيَرْتَفِعُ
« وَلَا بَعِيرُ » عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ ، كَأَنَّهُ قَالَ وَلَا بَعِيرٌ مَطْمُوعٌ فِيهِ مِنْكَ وَمَنْوُولٌ .
وَلَكِ أَنْ تَرْفَعَهُمَا جَمِيعًا ، وَيَكُونُ مَفْعُولُ تُنِيلُ مَحْذُوفًا ، وَالْمُرَادُ لَا يُرْجَى مِنْ

(١) التكملة من ل .

(٢) ل : « إِلَى » .

(٣) قبل الجبل : سفحه . وفي اللسان : « السند ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل

أو الوادى » .

جِهَتِكَ شاةٌ ولا ما فوقها . ويقال : نِلْتُ الشَّيْءَ فهو مَنِيْلٌ نَيْلًا ، إذا كَفَتْ تَتَنَاولُهُ بيدك ، وليس هو من التَّنَاول ، لأنَّ التَّنَاول من النَّوال ، ويقال منه نُلْتُ أَنْوَل . ومن الأوَّل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا ﴾ ، ومن الثَّانِي : نَوَلْتُ أَنْ تَفْعَلَ كَذَلِكَ .

٧١٧

وقال عَبْدُ اللَّهِ الْحَوَالِيُّ^(١) :

١ - لَمَّا تَعَمَّيَا بِالْقُلُوصِ وَرَخِلَهَا كَفَى اللَّهُ كَفْبًا مَا تَعَمَّيَا بِهِ كَفْبُ
٢ - دَعَوْنَا لَهَا قَيْنًا رَفِيقًا بِمُدْيَةٍ يُجَزِّمُهَا فِينَا كَمَا يُجَزِّزُ النَّهْبُ
يقال : عَيَّيْتُ الْأَمْرَ وَعَيَّيْتُ بِالْأَمْرِ . وَالْقُلُوصُ فِي الْإِبِلِ ، بِمَنْزِلَةِ الْجَارِيَةِ فِي النَّاسِ . يَقُولُ : لَمَّا أَعْيَا كَفْبًا مَزَاوِلَةَ الْقُلُوصِ وَشَدُّ الرَّحْلِ عَلَيْهَا كَفَّاهُ اللَّهُ أَمْرَهَا ، لِأَنَّا دَعَوْنَا لَهَا جَزَّارًا حَازِقًا بِسَكِينٍ لِيَنْحَرَّهَا وَيَقْسِمَهَا فِينَا كَمَا يُقْسِمُ النَّهْبُ ، أَيْ لِلْمَالِ الْمُنْتَهَبِ . وَالْقَيْنُ : الْخِلْدَادُ فِي الْأَصْلِ ، وَاسْتِمَارُهُ : وَهُم فِي ذَوِي الْمِئَةِ وَأَسْمَاءُ الصُّنَّاعِ يَفْعَلُونَ هَذَا . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ^(٢) :

* وَشُعْبَتَا مَيْسِ بَرَاها إِسْكَافُ^(٣) *

وَالرَّخْلُ : مَصْدَرُ رَحَلْتُ الْبَعِيرَ ، وَإِنَّمَا أَعْيَا كَعْبًا مَا أَعْيَاهُ مِنْهَا لِنَشَاطِهَا وَعَرَضَتْهَا فِي سِيرَتِهَا^(٤) . وَالضَّمِيرُ مِنْ قَوْلِهِ « مَا تَعَمَّيَا بِهِ » رَاجِعٌ إِلَى مَا . وَيُقَالُ :

(١) التبريزي : « عبد الله الحوالى ، من الأزد » . وبنو حوالة ، كسابة : حى من العرب ، وهم بطن من الهنو بن الأزد ، من الطحانية .

(٢) هو الفصاح . ديوانه ١٠٣ والمقاييس (٣ : ٩٠) .

(٣) قال ابن فارس في مقاييس اللغة : « أراد القواس » .

(٤) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « وعرضتها » وقرأ بكسر الميم وفتح الراء وتشديد الضاد ، وما بمعنى واحد ، وهو الاعتراض فى السير من النشاط .

تعايا عليه كذا ، أى أعياه ، قال أوس :

..... كلما تعايا عليه طولُ مَرْنَقٍ تَوَصَّلَا^(١)

٣- لَعَمْرِي لَقَدْ ضَيِّعْتُ يَا كَعْبُ نَاقَةً يَسِيرًا عَلَيْهَا أَنْ يُضِرَّ بِهَا الرَّكْبُ

٤- مُوَكَّلَةٌ بِالْأَوَّلَيْنِ فَكَلَّمَا رَأَتْ رُقَّةً فَلَاؤُلُونَهَا نَصْبُ

أَقْبَلَ عَلَى كَعْبٍ يُوَجِّهُ فِي أَمْرِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ كَثُرَ شَكْوَاهُ مِنْهَا ،

فيقول : وَبَقَائِي لَقَدْ ضَيِّعْتُ نَاقَةً يَا كَعْبُ [يَخْفُ^(٢)] عَلَيْهَا وَيَقِلُّ فِي قُوَّتِهَا

إِضْرَارُ الْقَوْمِ بِهَا فِي الْحُلِّ وَالرَّكُوبِ وَالِاسْتِحْثَاتِ فِي السَّيْرِ ، فَلَا تُبَالِي بِمَا تَحْمِلُ

أَوْ تُكَلِّفُ ، حَتَّى أَتَى أَنَّهَا كَانَتْ كَالْمُوَكَّلَةِ بِالسَّابِقِ الْمَقْدَمِ ، فَكَلَّمَا رَأَتْ رُقَّةً

فَالْمَوَادِي مِنْهَا نَصَبُ عَيْنَيْهَا^(٣) حَتَّى تَلْحَقَ بِهَا أَوْ تَهْدِمَهَا . وَمَعْنَى التَّضْيِيعِ أَنَّهَا

لَمْ تَكُنْ سَمِينَةً وَلَا مُسْتَصْلِحَةً لِلنَّخْرِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ لِلْعَمَلِ لَا غَيْرَ .

٧١٨

وَقَالَ حُجْرُ بْنُ خَالِدٍ^(٤) :

١- سَمِعْتُ بِفِعْلِ الْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ كَيْثِلَ أَبِي قَابُوسَ حَزْمًا وَنَائِلًا

٢- فَسَاقَ إِلَهِي الْغَيْثَ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ إِلَيْكَ فَأَضْحَى حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلًا

٣- فَأَضْبَحَ مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَالَتَهُ مِنْ الْأَرْضِ مَسْفُوحَ الْمَذَانِبِ سَائِلًا

يقول : بَلَّغْنِي سَعَى طَالِبِي الْحَمْدِ ، وَمَذْخِرِي الشَّرَفِ وَالْجَدِّ ، وَمَا عَلَيْهِ مُلُوكُ

(١) صدره في ديوان أوس ٢١ :

* وَقَدْ أَكَلْتُ أَظْفَارَهُ الصَّخْرَ كُلًّا *

(٢) التَّكْلِمَةُ مِنْ ل .

(٣) ضَبَطْتُ « نَصَبَ » بِفَتْحِ التَّوْنِ فِي النَّسْعَتَيْنِ مَعًا فِي هَذَا الْبَيْتِ وَشَرْحَهُ ، وَهِيَ لَفَةٌ ضَعِيفَةٌ ،

وَفِي الْلسَانِ : « الْقَتْبِي : جَعَلْتَهُ نَصَبًا عَيْنِي بِالضَّمِّ ، وَلَا تَقُلْ نَصَبَ عَيْنِي » .

(٤) بَعْدَهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « يَمْدَحُ النَّمَانَ بْنَ النَّضْرِ » . وَقَدْ سَبَقَتْ تَرْجُمَةُ حُجْرٍ فِي

الْحِمَاسِيَةِ ١١٨ م ٣٥١ . وَرَوَى الْمُلَاحِظُ الْآيَاتُ فِي الْمَيُونِ (٣ : ٥٨ - ٥٩) .

الأرض في مصارفهم ومباغيهم ، وحزمهم ومسايعهم ، فقيست بعضها ببعض ، فلم أجد كحزم أبي قابوس حزمًا ، ولا ككناثله ناثلاً . ثم دعا له بالسقياء ولمحله بالخضب والحقيا فقال : جمع الله لك وفي فنائك ما هو مفرق في أطرار الأرض^(١) ، وجوانب الأفق ، من سواكب الغيث ، فصار حوالياك ، فأى وادٍ نزلته من الأرض جعله ممتور التلّاع والمذانب ، منحصب المسایل والمدافع ، سائلا بصوبه ، مغموراً بندا وبَرَكته .

وانتصب « حزمًا » على التمييز ، والكاف من « كئل أبي قابوس » زائدة ، ومثله :

* لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَلَقِ^(٢) *

أراد فيها الملق ، كما أن هذا يريد : لم أر مثل أبي قابوس . وفي القرآن : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، ويروى : « فسيق إليه الغيث في كل بلدة إليك » . وكأنه أخبر في صدر البيت ثم خاطب على عادتهم . وقوله « من كل بلدة إليك » أى إليك أمرها وتديرها ، فصرت تقولها . وهذا كما يقال : جمل بلد كذا إلى فلان . والمراد من البيت على هذه الرواية : جعل الله الدنيا تحت أمرك ، ومنوطة بتدبيرك ، ثم ساق الغيث من آفاقها وأطرارها كلها إلى ما حولك فصار محتفًا ببيتك . ومشتغلًا على محلك . فأين تنقلت ونزلت صخبك الخير وانساق معك الغيث . وعلى هذا يكون قوله « من كل بلدة » عامًا في أقطار الأرض^(٣) وأبلادها . وروى أيضًا : « فسيق النمام النمر من كل بلدة » وهو ظاهر المعنى . وقوله « فأصبع منه » ، أى من الغيث . وقوله « كل وادٍ » وصفه بقوله « حلالته »

(١) أطرار ، كذا وردت في النسختين هنا وفي س ١٥ ، وفي الشان : « وطرة الأرض : حاشيتها » . ثم ذكر أن الطرة تجمع على طرر كطرف ، وطرار بكسر الطاء :

(٢) لرؤية في ديوانه ١٠٦ والاسان (مقن) .

(٣) ل . « أقطار الأرض » .

وانتصب « مسفوح الذائب » على أنه خبر أصبح .

٤- متى تُنفع يُنفع البأس والجود والندى وتُصبيح قُلُوصُ الحُرْبِ جَرباءَ حائلاً^(١)

٥- فلا مَلِكٌ ما يَدْرِ كَنَّاكَ سَعِيَهُ ولا سُوْقَةٌ ما يَمْدَحَنَّكَ باطلا

يقول : بقاء السخاء والمروءة وتقوى الإله والشدة ، مقصّل ببقائك ، لأنها شيمك وطبائعك ، فأنت تُقيّمها وتربّها ، وتحفظها عن الذهاب والدّروس وتحرسها فإن هلكت فقد هلك جميعها ، ويُصْبِحُ الاستسلام والانتقاد للهزيمة والشر شاملين للناس ، فلا يكون بهم دونها دفاع ، ولا إبالا منها ولا امتناع ، وتصير قُلُوصُ الحرب سيئة الحال يَقْطِطُهَا الحِيَالُ عن اللّاقاح ، ويمتلكها ما بَنَفْسِهَا من الجُرب والضعف عن التزو والجذاب . وهذا مَثَلٌ لما يفارق الناس من العز والاعتدار ، ويُلازمهم من الدّلّ والاكتئاب . وضدّ هذا قول زهير :

وَتَلْقَخَ كِشَافاً ثُمَّ تَحْمِلُ فُتَيْتُمُ^(٢)

فَتُجْتَبِجُ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلِّهِمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تَرْضِغُ فَنَنْظِمُ وقوله « فلا ملكٌ ما يدركنك سعيه » يصفه بأنه لا غاية وراء غايته لمزّتي ولا فوق نهايته نهاية لمُمتلٍ ، فكلُّ سارع من الملوك يَقِفُ دونها ، وينحط عن درجتها ، وأن السُّوقَ وإن أسرفوا وأفرطوا في التفريط والإطراء ، يَقْصُرُونَ عن بُلُوغِ حَدِّهِ بالوصف ، وتصوير كُنْهِهِ عند النّمت ، بل أحسن أحوالهم أن يقولوا بعض ما قيل من الحق .

وأدخلَ الثّونَ الثّقيلةَ في « يمدحنك » و « يدركنك » لما في الكلام من معنى النّفى ، ولأن ما الزائدة للتأكيّد لفظه لفظ ما النافية . ومثله :

(١) ل : « والجود والندى » . التبريزي : « الجود والبأس والندى » .

(٢) صدره : * فتمركم مرك الرعى بفالمها *

* في عِصَّةَ مَا يَنْبَغُ شَكِيرُهَا^(١) *

و بِالْمِ مَا تَحْتَدِنَهُ . وقوله « ما يمدحك باطلا » أراد مدحا باطلا ، فانتصب
باطلا على أنه صفة لمصدر محذوف .

ومثل البيت الأول قول النابغة :

فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ
وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظُّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَفَامُ
وقول الآخر^(٢) :

فَإِذَا وَلَّى أَبُو دَلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَنْزِهِ^(٣)

٧١٩

وقال آخر :

- ١ - وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ بِشَقْرَاءٍ مِثْلِ الْفَجْرِ ذَاكِ وَقُودُهَا
 - ٢ - فَقَلْتُ لَهَا أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا بِمُقَدِّ نَارٍ مُخَيِّدٍ مَنْ بَرُّودُهَا
 - ٣ - نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبَابَةٍ مِنَ الدُّهْمِ مِبْطَانًا طَوِيلًا رُكُودُهَا
 - ٤ - فَإِنْ شِئْتَ أَتُوَيْنَاكَ فِي الْحَيِّ مُكْرَمًا وَإِنْ شِئْتَ بَلَّغْنَاكَ أَرْضًا تُرِيدُهَا
- يعنى بالمستنبح طالب ضيافة ، وقد تقدم الكلام فيه^(٤) . ومعنى « دعوته
بشقراء » أى رفعت له نارا شقراء حتى اهتدى بها ، فكأنى دعوته . وجعل
النار شقراء ، وربما قيل صفراء ، لأنها أوقدت خالية من طَرَحِ اللّحم عليها

(١) تمام إنشاده : « وفي عِصَّة » . وصدره في الخزانة (٢ : ٨٣) :

* إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ سَرَقَ ابْنُهُ *

وأنشد سيويه عجزه في (٢ : ١٥٣) .

(٢) هو على بن جبلة . الشعراء ٨٤٠ والأغانى (١٨ : ١٠٣ - ١٠٤) .

(٣) قوله : إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحضره

(٤) انظر ما سبق في ص ١٥٥٧ .

فاشتهلّت شعراء ، ولو كُتِبَ عليها اللحمُ لانتَهبتَ كميتَ اللون من أجل دُخانها .
لذلك قال الأعشى :

وأوقدَتْهَا صَفراءُ في رأسٍ تَنْضُبُ وَلَلَكُمْتُ أَرْوَى لِلزَّيْلِ وَأَشْبَعُ ^(١)
وَذَلِكَ وَقُودُهَا ، أَيْ مُضَيٌّ ، انْقَادَا . فقلتُ له أَهْلًا ، انْتَصِب « أَهْلًا »
بفعل مضمرٍ . والباء من قوله « بِمُوقِدِ نارٍ » تعلق بفعل مضمر ، كأنه قال : يُنَالُ
ذلك كُلُّهُ بِمُوقِدِ نارٍ يُحْمِدُهَا مَنْ يَرُودُهَا . ومعنى « مُنْحِدٍ مَنْ يَرُودُهَا » أَيْ
مصادِفِ الحدِّ مَنْ يطلبها . ويقال : أَحَدْتُ فُلَانًا ، كما يقال أَجَبَنْتُهُ وَأَنْجَلْتُهُ .
وقوله « نَصَبْنَا لَهُ جَوَاءً » يعنى به قِدْرًا كثيرة الأُخْد ، واسعة الجوف .
والضَّبَابَةُ : مَا يَتَعَمَّقُ الطَّرَ من الظُّلْمَةِ الرِّقِيقَةِ والسَّحَابِ الرِّكِيكَ . وَذِكْرُهَا
هَاهُنَا مِثْل . وَيُرْوَى : « ذَاتَ صُبَابَةٍ » ، وَهِيَ الْبَقِيَّةُ ، أَيْ يَفْضُلُ مَا فِيهَا عَنْ
الْآكِلِينَ لِعَظَمَتِهِ . وَالذُّنْمُ : الشُّوْد . وَالْمِيطَانُ : الْعَظِيمُ الْبَطْنُ . وَمِفْعَالٌ بِنَاءُ الْمِبَالْفَةِ .
وَجَعَلَهَا طَوِيلَةَ الرُّكُودِ لِأَنَّهَا إِذَا نُصِبَتْ لَمْ تُنْزَلْ إِلَّا بَعْدَ لَأْيٍ لِكِبَرِهَا ، وَلِأَنَّهُ
لَا يَحْتَفُ بِحَمْلِهَا فَيَتَنَاوَلُ كُلَّ وَقْتٍ .

وقوله « فَإِنْ شئتُ أَنُوِيْنَاكَ » ، هَذَا تَخْيِيرٌ مِنْهُمْ لِلضَّيْفِ بَعْدَ إِطْعَامِهِ ، وَيَقَالُ :
ثَوَى بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ ؛ وَأَثَوَاهُ غَيْرُهُ . وَانْتَصَب « مُكْرَمًا » عَلَى الْحَالِ .
وَالْمَعْنَى : إِنْ أَرَدْتَ الْمَقَامَ أَقِمْتَ مُكْرَمًا مُعْظَمًا ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّوَجُّهَ فِي مَقْصِدِكَ ،
وَالْإِرْتِحَالَ إِطِيعْتِكَ ، بَلِّغْنَاكَ مَقَرَّكَ مُحِمِّيًّا مُشِيمًا .

(١) كذا . والبيت لم يرد في ديوان الأعشى . ونسبه الجاحظ في الحيوان (٥ : ٦٣)
إلى الأزرق الهمداني .

(٢) هذا ضبط الأصل في « أوقدتها » بفتح التاء ، وضبطت في ل بضمها . وعند
الجاحظ : « ونوقدها » .

٧٢٠

وقال آخر :

- ١ - وَمُسْتَنْبِحٌ تَهْوَى مَسَاقِطُ رَأْسِهِ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ فَهُوَ لِلسَّمْعِ أَصْوَرُ
 ٢ - يَصَفُّهُ أَنْفٌ مِنَ الرِّيحِ بَارِدٌ وَنَكْبَاهُ آيِلٌ مِنْ جُدَادَى وَصَرَصَرُ
 ٣ - حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ مُنَاخُهُ بَفِيفٌ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَلْبُ ابْقَرُ

يعنى بالمستنبح ضيفاً . وَمَسَاقِطُ رَأْسِهِ : جمع مَسَقِطٍ ، ويعنى به المصدر
 لا اسم المكان . ومعنى تَهْوَى تَقْصِدُ وتُسْرِعُ . ويقال فى الفرس : إِنَّهُ يُسَاقِطُ
 الْعَدُوَّ سِقَاطًا . واسْقُط علينا ، أى اقْصِدْنَا . وقال :

يُسَاقِطُ عَنْهُ رَوْقُهُ ضَارِيَاتَهَا . سِقَاطُ حَدِيدِ الْقَيْنِ أَخْوَلُ أَخْوَلًا^(١)
 أى يُزِيلُهَا وَيُبْعِدُهَا . ومعنى « تَهْوَى مَسَاقِطُ رَأْسِهِ » ، أى يُسَاقِطُ رَأْسُهُ
 الشَّخْصُ سِقَاطًا سَرِيعًا . وقوله « فَهُوَ لِلسَّمْعِ أَصْوَرُ » أى مَائِلٌ . . . وَالسَّمْعُ :
 مصدر سَمِعَ . ومعنى البيت : رُبَّ مُسْتَضِيفٍ بِذُبَاحِهِ يَتَسَرَّعُ مَيْلُ رَأْسِهِ وَمَهْوَاهُ
 إِلَى كُلِّ شَخْصٍ يَمْتَلُ لَهُ ، فَهُوَ مَائِلٌ لِلسَّمْعِ ، وَمُنْتَظَرٌ مَتَى يُجِيبُهُ الْكَلَامُ^(٢)
 أَوْ يَتَلَقَّاهُ مَنْ يُنْزِلُهُ .

وقوله « يَصَفُّهُ » أى يَضْرِبُهُ . وَالْأَنْفُ مِنَ الرِّيحِ : أوله . ومنه اسْتَأْنَفْتُ
 الْأَمْرَ . وَكَلَّا أَنْفٌ ، إِذَا لَمْ يُرْمَعْ . وقوله « وَنَكْبَاهُ آيِلٌ » يريد : وَرِيحٌ تَنْكَبُ
 عَنْ مَهَابِّ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ ، فِى لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي جُدَادَى . وَصَرَصَرٌ ، أى وَبَرْدٌ
 شَدِيدٌ . وَالصَّرَّ وَالصَّرَصَرُ بِمَعْنَى ، وَلَيْسَ مِنْ بِنَاءٍ وَاحِدٍ ، لِأَنَّ صَرَصَرُ رُبَاعَى
 وَذَلِكَ ثَلَاثَى . وَجُدَادَى ، يريد به شهرًا مِنْ شُهُورِ الشِّتَاءِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جُدَادَى

(١) البيت لضابى البرجى يصف الكلاب والثور . الاسان (خيل) .

(٢) الكلام ، باليم فى آخره ، كما فى النسختين .

في الحقيقة . وإنما وصف ما قد أشرف عليه المستنبح من أذى الريح والبرد والمطر ، ليكون ذلك عُذراً في الاستنباح وطلب النزول .

وقوله « حبيبٌ إلى كَلْبِ الكَرِيمِ مُنَاخُهُ » ، يجوز أن يرتفع حبيبٌ على أنه خبرٌ مقدّم ، والمبتدأ مُنَاخُهُ . ويجوز أن يكون صفةً للمستنبح . وقد جُعِلَ خبرٌ مبتدأً مضمراً ، فيرتفع مُنَاخُهُ على أنه مفعولٌ لم يسمَّ فاعله من حبيب . ويقال : أُنَحَّتُ البعيرَ إناخةً ومُنَاخاً فبُزِكَ . واستغنى بَبْرَكَ عن ناخ . وإنما حُبِّبَ مُنَاخُ الضَّيْفِ إلى الكَلْبِ لأنه يَسْعَدُ بِنُزُولِهِ وَيَشْرَكُهُ فِي الْقِرَى الْمَهِيَا لَهُ . وأضاف الكلب إلى الكريم ، لأنَّ كَلْبَ اللَّثِيمِ يَمْقِرُ السَّابِلَةَ وَالْمَارَّةَ ، ولا يَعْرِفُ الاستضافة والاستئزال .

وقوله « بغيضٌ إلى الكَوَماءِ » لأنها تُنَجَّرُ . والكَوَماءُ : العظيمة السَّنام .

وقوله « والكَلْبُ أَبْصَرَ » مما وَقَعَ في أحسنِ موقعٍ وشَرُفٍ للغي بهِ وجاد البيت .

٤ - حَضَاتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وما كَادَ أَوَّلَا حَضَاةُ النَّارِ يُبْصِرُ

٥ - دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمِهِ هَلُمَّ إِلَى الْقِرَى فَأَمْرِي يَبُوعُ الْأَرْضَ وَالنَّارُ تَزْهَرُ

٦ - فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ تَرَحَّبًا هَلُمَّ وَالْحَصَايِنَ بِالنَّارِ أَبْشِرُوا

قوله « حَضَاتُ لَهُ نَارِي » جواب ربِّ المضمرة في قوله ومستنبح . ومعنى

حَضَاتُ النَّارِ رَفَعَتْهَا وَهَيَّجَتْهَا لَهُ فَأَبْصَرَهَا وَاسْتَدَلَّ بِهَا ، ولولا رَفَعِي النَّارَ

وَتَهَيَّجِي إِيَّاهَا لَكَانَ لَا يُبْصِرُ الطَّرِيقَ وَلَا يَرَى مُسْتَدَلًّا بِهِ . وفصل بين

كَادَ وَخَبْرَهُ بقوله « لولا حَضَاةُ النَّارِ » ، وفي كَادَ ضمير المستنبح ، لولا ذلك أَمَا جاز

أن يقال : زيد كَادَ يخرج ، لأنَّ الفعل لا يلي الفعل .

وقوله « حَضَاةُ » ارتفع بالابتداء وخبره محذوف استغنى بجواب لولا [عنه ،

وجواب لولا^(١)] في قوله : وما كَادَ يُبْصِرُ لولا حَضَاةُ النَّارِ .

وقوله « دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ » يريد : دعت الضَّيفَ النَّارُ ، كَأَنَّهُ سَمَّى اسْتِدْلَالَهَ
بِهَا وَتَصَوَّرَ النَّارَ لَهُ دُعَاءَ مِنْهَا وَإِجَابَةً مِنَ الضَّيْفِ . وقوله « بِغَيْرِ اسْمٍ » إِنَّمَا
نَكَّرَهُ وَلَمْ يَقُلْ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، لِأَنَّ الْمَدْعُوَّ قَدْ يُدْعَى بِاسْمِهِ ، وَبِكُنْيَتِهِ ، وَبَلَقِبِ لَهُ ،
وَبِاسْمِ جَنْسِهِ ، وَبِصِفَةِ لَهُ ، كَقَوْلِكَ يَا رَجُلُ ، وَيَا فِتَى ، وَيَا مُقْبِلَ ، وَيَا رَاكِبَ ،
وَيَا فُلَانًا ، وَيَا بَا فُلَانًا . وَالنَّارُ لَمْ تَدْعُ الضَّيْفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَلِذَلِكَ قَالَ بِغَيْرِ
اسْمٍ ، أَيْ بِغَيْرِ اسْمٍ يُدْعَى بِهِ مِثْلُهُ . وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ دَعْوَتَهَا لَمْ تَكُنْ
بِكَلَامٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَامَةً وَاسْتِدْلَالًا ، كَمَا أَنَّ الْإِجَابَةَ كَانَتْ قَصْدًا وَإِسْرَاءً .
وكَذَلِكَ قَوْلُهُ « هَلُمَّ إِلَى الْقَرَى » مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ النَّارَ لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهَذَا الْكَلَامِ .
وَهَلُمَّ بِجُوزِ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ هَاءُ التَّنْبِيهِ وَلَمْ يَقُلْ فِعْلٌ ، وَعَلَى هَذَا يُنْتَنَى وَيَجْمَعُ . وَبِجُوزِ
أَنْ يَكُونَ اسْمًا لِلْفِعْلِ ، وَحِينَئِذٍ لَا يُنْتَنَى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤَنَّثُ ، وَهَذَا أَفْصَحُ الْفَتْحَيْنِ .
وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ . وَقَوْلُهُ أُسْرَى ، يُقَالُ سَرَى
وَأُسْرَى بِمَعْنَى . وَيَبْشُرُ الْأَرْضَ أَيْ يَقْطَعُهَا بِحُطُوبٍ وَاسِعَةٍ وَحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ . يُقَالُ :
بُعْتُ الشَّيْءَ أَبُوْعَ بَوْعًا فِي هَذَا . وَفَرَسٌ بَيْعٌ : وَاسِعٌ الْخَطْوُ . وَكَأَنَّ اسْتِعْمَالَ
- الْبَوْعِ فِي هَذَا اسْتِعْمَالَ الذَّرْعِ أَيْضًا . وَمِنْهُ قِيلَ نَاقَةٌ ذَرَعَةٌ ، إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً
الْخَطْوُ . وَقَوْلُهُ « وَالنَّارُ تَزْهَرُ » الْوَاوُ وَالْحَالُ ، وَتَزْهَرُ أَيْ تَضِيءُ فِي صَعُودِ .
وقوله « فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قَلْتُ مَرْحَبًا » ، أَيْ لَمَّا دَنَا مِنِّي وَتَرَأَى لِي
شَخْصُهُ بِضَوْءِ النَّارِ تَلَقَّيْتُهُ بِالتَّرْحِيبِ وَالْاسْتِدْنَاءِ ، وَقُلْتُ لِمَنْ حَوْلَ النَّارِ مِنْ
أَصْطَلِينَ وَمِنَ الْأَهْلِ وَالْخَوْلِ : اسْتَبْشِرُوا بِالضَّيْفِ فَقَدْ طَرَّقَ ، وَبِمُرَادِنَا فَإِنَّهُ
حَصَلَ . وَيُقَالُ صَلَّيْتُ بِالنَّارِ ، أَيْ دَنَوْتُ مِنْهَا ، أَصْلَى صَلِيًّا ^(١) . وَقَوْلُهُ : مَرْحَبًا ،
هَلُمَّ : كَلَامَانِ ، وَلَمْ يَتَوَسَّطْهُمَا الْعَاطِفُ ، لِأَنَّ مَرْحَبًا نَسْلِمَ عَلَيْهِ ، وَهَلُمَّ أَمْرٌ بِالذَّنْوِ ،

فكأنه استأنف هذا الكلام بعد التسليم بهذا الكلام ، ولم يجمعهما اللفظ به في حالة واحدة .

٧ - فجاء ومحمود القرى يستغفره إليها وداعى الليل بالصبح يصغره^(١)

٨ - تأخرت حتى لم تكذ تصطفي القرى على أهله والحق لا يتأخر

يقول : جاء الضيف وما هي له من القرى المحمود يجذب به ويهديه إلى النار الموقدة والديك يصغره مؤذنا بإصباح الليل . وإنما قال « ومحمود القرى » لأن طعنا الكرام لا يستنكف منه ، ويستطيعه كل متناول ويستمره ، كما يستكرم المتوى عندهم كل نازل بهم .

وقوله « تأخرت » استبطلا من القارى للضيف . والمراد أنك تأخرت عن أول الليل حتى كأنك لم تكذ تطلب اختيار صفو القرى على النازلين ، ونحن وإن فمات ذلك فلك الواجب من حقمك ، والمفروض من قسطنك ، ولن يتأخر إن تأخرت . والمعنى أنا نستأنف لك ونحتفل ، ونقيم الرسم وتكلف^(٢) ، ونفردك بما يجب لك وإن تقدمك من تقدم . والماء من قوله « على أهله » يعود إلى القرى .

٩ - وقمت ينصل السيف والبرك هاجد به أزره والموت في السيف ينظر^(٣)

١٠ - فأغضضه الطولى سناما وخيرها بلاء وخير الخير ما يتخير

(١) التبريزي : « ويروى وراعى ، فن روى داعى بالذال أراد ما بصوت سحراً نحو الديك وغيره ... ومن روى : وراعى الليل ، أراد أن الليل مدبر ، أى جاء في آخر الليل . والأصل في ذلك أن الراعى إذا أراد سوق الماشية صفر بها فتساق لصغيره ، فكأنه قال : والليل قد سبق وطرده .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) في النسختين : « بهازرة » ، صوابه في التبريزي ، وهو ما يقتضيه الشرح من أن في الكلمة ضميراً يعود إلى معنى البرك .

يقول : قُمْتُ مَجْرَدًا السَّيْفَ وَمَتَجَرِّدًا لَعَقْرِ نَاقَةٍ ، وَالْإِبِلُ الْبَارِكَةُ بَفَنَائِي
 نَاعِمَةٌ سَاكِئَةٌ ، عِظَامُ سِمَانٍ ، وَالْمَوْتُ يَنْظُرُ فِي سِنِي : أَيُّهَا الْمَعْدُ وَالْمَوْعُودُ بِهِ .
 وَإِنَّمَا قَالَ « وَالْبَرْكَ هَاجِدٌ » وَلَمْ يَقُلْ هَاجِدَةٌ ، رَدًّا عَلَى لَفْظِهِ ، لِأَنَّ لَفْظَهُ لَفْظُ
 الْوَاحِدِ وَإِنْ أُريدَ بِهِ الْكَثْرَةُ . وَرُدُّ « بِهَازِرُهُ ^(١) » عَلَى الْمَعْنَى لَا عَلَى اللَّفْظِ .
 وَالْهَجُودُ : النَّوْمُ ، وَقَالَ الْخَلِيلُ : هَجَدُوا ، أَيُّ نَامُوا ، هَجُودًا ؛ وَتَهَجَّدُوا :
 اسْتَقْبَلُوا ، تَهَجَّدًا . وَالْبَهَازِرُ ^(٢) : السِّمَانُ الصَّفَايَا ، وَاحِدَتُهَا بِهَازِرٍ فِي الْقِيَاسِ ^(٣) .
 وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ « وَالْمَوْتُ فِي السَّيْفِ يَنْظُرُ » وَآوِ الْحَالِ . وَقَدْ حَسَّنَ مَوْقِعَ هَذَا
 الْعَجْزُ مِنْ صَدْرِ الْبَيْتِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَالْمَوْتُ الْمَرْكَبُ فِي السَّيْفِ
 يَنْتَظِرُ مَاذَا يَكُونُ مَتًى .

وقوله « أَعْضَضْتُهُ الطُّوْلَى سَنَامًا » أَيُّ عَرَقْتُهَا بِهِ ، وَجَمَلْتُهُ يَمَضُّ عَلَيْهَا .
 وَانْتَصَبَ « سَنَامًا » عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَكَانَ الْوَاجِبُ فِي مَقَابَلَةِ الطُّوْلَى أَنْ يَقُولَ :
 وَالْخُورَى بِلَاءٌ ، أَوْ خُورَاهَا بِلَاءٌ ، فَمَدَّلَ بِهِ الْوَزْنَ عَنْ تَحْيِيرِ الْمَقَابَلَةِ . وَمَعْنَى
 « خَيْرَهَا بِلَاءٌ » يَعْنِي فِي الْعَمَلِ وَالْوِلَادَةِ وَغَزَاةِ الدَّرِّ . وَقَوْلُهُ « وَخَيْرِ الْخَيْرِ
 مَا يُتَخَيَّرُ » يَرِيدُ أَنْ الْبَرْكَ كُلُّهَا خِيَارٌ ، ثُمَّ إِنِّي اخْتَرْتُ مِنْ بَيْنِهَا خَيْرَهَا ، إِكْرَامًا
 لِلضَّيْفِ ، وَخَيْرِ الْخَيْرِ مَا يُتَخَيَّرُ مِنَ الْخَيْرِ .

١١- فَأَوْفَضَ عَنْهَا وَهِيَ تَرَعُو حُشَاشَةً بِذِي نَفْسِهَا وَالسَّيْفُ عُرْيَانٌ أَحْمَرُ

١٢- فَبَاتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِنْ لِحَامِهَا وَفُوهَا بِمَا فِي جَوْفِهَا يَتَغَرَّغُرُ

قوله « أَوْفَضَ عَنْهَا » يَرِيدُ أَنْ الْبَرْكَ لَمَّا جَرَى مَتًى عَلَى صَاحِبَتِهَا الَّتِي اخْتَرْتُهَا
 مَا جَرَى مِنَ الْعَرَبَةِ نَفَرْنَ وَتَفَرَّقْنَ عَنْهَا ، وَهِيَ ، يَعْنِي الْمَقْمُورَةُ ، تَرَعُو بِرُوحِهَا

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « بِهَازِرَةٍ » ، وَانْظُرِ التَّنْبِيْهَ السَّابِقَ .

(٢) فِي النُّسخَتَيْنِ : « الْبَهَازِرَةُ » ، وَانْظُرْ مَا سَبَقَ .

(٣) التَّبْرِيزِيُّ : « بِهَزُورَةٍ وَبِهَازِرَةٍ فِي الْقِيَاسِ » .

حُشاشة ، وقال « بذى نفسها » يريد خالصة نفسها . والحُشاشة : البقيّة من ذمائها ، وقال الخليل : رُوح القلب ، وهو رَمَقٌ من حياة النفس . واختصابه على الحال ، ويجوز أن ينتصب على التمييز ، فيكون مَمَانُقِلُ الفعل عنه ، كأنه كان وهى ترفعو حُشاشتها ، فنُقِلَ الفعلُ إليها ، فصارت تميزاً كقولك طَبِيتُ نفساً وما أشبهه . وقوله « والسيفُ عُريانُ أحر » يريد أنه متجرد من غده . ولم يصرف عُريانُ ضرورةً ، وجعله أحرَّ ممَّا تُلطخ من دمها .

وقوله « فباتت رُحَابٌ » يعنى القدر . ويقال : رحيبٌ ورُحَابٌ ، كما يقال : طويل وطُوال ، وعجيب وعُجَابٌ ، وهى الواسعة . والجُؤنة : السوداء . وقوله « من لحامها » خبر باتت ، كقولك أنت مئى . والمعنى : باتت مملوءةً من لحامها . وقوله « وفوها يتغرغر » أى : يسيل ما فى جوفها ، يعنى عند غليانها على النار . ومثله :
إِذْ لَا تَزَالُ لَكُمْ مُقَرَّغَرَةً تَنْفِي وَأَعْلَى لَوْنِهَا كَثْرًا^(١)

والكثرة : السنام ، ويكون أبيض اللون .

٧٢١

آخر :

١ - وَمَا يَكُ فِي مِنْ حَيْبٍ فَإِنِّي جَبَّانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ^(٢)
إنما قال « جَبَّانُ الْكَلْبِ » لأنه عُوْدٌ أَنْ يُسَالِمَ الْهَرَّاقِ لثَلَا يَتَأَذَى بِهِ الضُّيُوفُ إِذَا وَدَّوْا ، فقد أَدَّبَ لَكَ وَدَّرَبَ عَلَيْهِ ، ولأنه يطول اعتياده لنزول السَّابِلَةِ بِهِمْ أَلْفَهُمْ ، فصار لَا يَسْتَنْفِرُ مِنْهُمْ . وقال « مَهْزُولُ الْفَصِيلِ » لأنه

(١) البيت لعنزة فى اللسان (غرر) برواية : « وأعلى لونها صهر » ، وصهر أى حار وضع المصدر موضع الاسم ، وكأنه قال : أعلى لونها لون صهر .
(٢) أنشد الجاحظ هذا البيت فى الحيوان (١ : ٣٨٤) .

يُؤَثِّرُ بَابَنَ أُمَّهُ غَيْرُهُ أَوْ تُنَحَّرَ عَنْهُ . ومثله قولُ الآخر :

رَئَى فُضْلَانَهُمْ فِي الْوَرْدِ هَزَلَى وَتَسْمَنُ فِي الْمَقَارِي وَالْحِبَالِ^(١)

٧٢٢

وقال آخر :

١ - سَأَفْدَحُ مِنْ قَدْرِي نَصِيبًا لَجَارَتِي وَإِنْ كَانَ مَا فِيهَا كِفَافًا عَلَى أَهْلِي

٢ - إِذَا أَنْتَ لَمْ تُشْرِكْ رَفِيقَكَ فِي الَّذِي يَكُونُ قَلِيلًا لَمْ تُشَارِكُهُ فِي الْفَضْلِ

سَأَفْدَحُ ، أَيْ سَأُغْرِفُ مِنْ قَدْرِي نَصِيبَ الْجَارَةِ وَإِنْ كَانَ مَا فِيهَا كِفَافًا عَلَى أَهْلِي ، أَيْ لَا يَفْضُلُ عَنْهُمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ حَاجَتِهِمْ . وفي طريقته قولُ الآخر :

نُقَسِّمُ مَا فِيهَا فَإِنْ هِيَ قَسَمَتْ فَذَلِكَ وَإِنْ أَكْرَتْ فَقَدْ أَهْلَاهَا تُكْرِى^(٢)

قَسَمَتْ بِمَعْنَى تَقَسَّمَتْ ، ومثله نَبَّهَ بِمَعْنَى تَنَبَّهَ ، وَوَجَّهَ بِمَعْنَى تَوَجَّهَ . ومعنى أَكْرَتْ نَقَصَتْ ، يريد أنه يوفِّرُ نَصِيبَ الْغَرِيبِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ ، بَلْ يَجْعَلُ النُّقْصَانَ فِي نَصِيبِ الْعِيَالِ . وكذلك قولُ الآخر^(٣) :

لَيْسَ الْمَطَاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلُ

يريد : والذي لديك قليلٌ وقال الراعي :

إِنِّي أَقْسَمُ قَدْرِي وَهِيَ بَارِزَةٌ إِذْ كُلُّ قَيْدٍ عَرُوسٌ ذَاتُ جُلْبَابٍ

أَيْ مُسْتَوْرَةٌ مَغْطَاةٌ ، لِشِدَّةِ الزَّيْمَانِ .

(١) أنشده في اللسان (قرا) شاهدا على أن المقاري بمعنى القدور . وقال : د قوله وتسمن في المقاري والحبال ، أَيْ أَنَّهُمْ إِذَا نَحَرُوا لَمْ يَنْحَرُوا إِلَّا سَمِينًا ، وَإِذَا وَهَبُوا لَمْ يَهَبُوا إِلَّا كَذَلِكَ .

(٢) أنشده في اللسان (قسم ، كرا) .

(٣) هو المفتح السكندى ، كما سيأتى في المحاسنة ٧٧٢ . وانظر المضمون به على غير أهله ٥٦ . وأنشده ابن فارس في أبيات الاستعهاد (نوادير المخطوطات ١ : ١٤٠) :
لَيْسَ الْمَطَاءُ مِنَ الْكَرِيمِ سَمَاحَةً حَتَّى يَجُودَ وَمَا فِيهِ قَلِيلُ

٧٢٣

وقال عمرو بن الأهتم^(١) :

١ — ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّحَّ يَا أُمَّ هَيْتَمَ لِيَصَالِحَ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ^(٢)
 ٢ — ذَرِينِي وَحُطِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي عَلَى الْحَسَبِ الزَّائِكِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ
 يقول : اتركيني على أخلاقي وإن أنكرتها فإن ما تبعتهن عليه من الإمساك
 والإبقاء على المال هو البخل ، والبخل مزر بأخلاق الرجال الكريمة ، ومستهلك
 متحيف لها ، وواضع من عوالي رتبها .

« ذريني وحطّي » أي اتركيني واخفضي من كلامك ووصاتك فيما أهواه
 وأوتره . وكرر « ذريني » على طريق التأكيد ومظهراً للتبرّم بإفراطها . والمراد :
 انزلي عن سراكبك في اللوم واتبعي هواي ، فإنني مُشفق على الحسب الذي
 رفعتُ بناءه ، إذ كانت الأحساب متى لم تُنفَقْذ بالعارة استقرّ بناؤها وشيكاً ،
 وتهدّمت وبارت أخيراً .

٣ — ذَرِينِي فَإِنَّ ذُو فَعَالٍ تَهْمُنِي نَوَائِبُ يَنْقَشِي رُزُؤَهَا وَحُقُوقُ
 ٤ — وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الذَّمَّ بِالْقِرَى وَلِلْحَقِّ بَيْنَ الصَّالِحِينَ طَرِيقُ
 يقول : اتركيني واختياري ، فإنني قدّمت مساعي تقبضيني سراعاتها ،
 وأسستُ مباني تدهو إلى استكمالها وتبعثُ على الزيادة فيها ، وعودتُ الناسَ
 مِنِّي عَادَاتٍ تُوجِبُ عَلَى الصَّبْرِ لَهَا وَعَلَيْهَا ، وَتَنْقُشَانِي نَوَائِبُ تَنْوِبُنِي ، وَحُقُوقُ
 يُلْزِمُنِي الْخُرُوجَ مِنْهَا . ثم إن الكرام يتقون ببذل القرى وإقامته على أشرفِ

(١) هو عمرو بن سنان بن سمى التيمي . والأهتم لقب أبيه سنان . وقد عمرو إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في وفد تميم . وكان سيداً خطيباً شاعراً . الإصابة ٦٧٦٥
 ومجمع المرزباني ٢١٢ .

(٢) الآيات من قصيدة طويلة في الفضليات م ١٢٥ — ١٢٧ وهي المفضلية ٢٣ .

وُجُوهِهِ ذَمُّ النَّزَالِ ، وَشَكْوُ الطَّرَاقِ . وَلَقَضَاءُ وَاجِبَاتِ الْحَقُوقِ فِي الْكُرمِ
وَالْمَرْوَةِ طَرِيقَةً مَسْلُوكَةً مَعْرُوفَةً ، مَتَى أُخِلَّ بِهَا وَلَمْ تُعْمَرْ بِاسْتِطْرَاقِهَا وَالنَّظَرِ فِي
مَصَالِحِهَا وَالْإِنْفَاقِ فِي اسْتِيقَاقِهَا ، دَرَسَتْ وَخَفِيتْ . وَيُرَوَّى : « وَالْحَمْدُ بَيْنَ
الصَّالِحِينَ طَرِيقٌ » ، وَالْمَعْنَى وَلِكَسْبِ الْحَمْدِ . وَمَعْنَى « يَغْفِي رُزُومَهَا » أَيْ
يَغْفِي رُزُومَهَا ، فَخَذَفَ الْمَفْعُولَ ، أَيْ إِصَابَهُ النَّاسَ وَاتْتَفَاعَهُمْ بِهِ . وَيُقَالُ مِنْهُ :
هُوَ مُرَرٌّ ، إِذَا كَانَ سَخِيًّا يَنَالُ النَّاسَ إِفْضَالَهُ .

٧٢٤

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ^(١) :

١ - إِنِّي اسْرُوْتُ عَافِي إِنَائِي شِرْكَةً وَأَنْتَ اسْرُوْتُ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدُ
٢ - أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَى بَوَجْهِي شُحُوبَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ
٣ - أَقْسَمُ جِنْسِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَخْشُو قَرَّاحَ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدُ
قَوْلُهُ « عَافِي إِنَائِي شِرْكَةً » أَيْ يَا كُلَّ مَعِي عِدَّةٍ يَشَارِكُونِي فِيهَا فِي الْإِنَاءِ ،
وَأَنْتَ رَجُلٌ تَأْكُلُ وَحْدَكَ فَعَافِي إِنَائِكَ وَاحِدٌ . وَأَصْلُ الْعَافِي مِنَ عَفَاهُ وَاعْتَمَاهُ ،
إِذَا طَلَبَ مَعْرُوهً ، فَأَعْفَاهُ أَيْ أَعْطَاهُ ، كَمَا يُقَالُ : طَلَبَ مِنْهُ فَأُطْلِبَهُ ، وَمِنْهُ عَافِيَةُ
الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ . وَأَنْشُدْ بَعْضَهُمْ فِيهِ :

لَعَزَّ عَلَيْنَا وَنِعْمَ الْفَتَى مَصِيرُكَ يَا عَمْرُو لَعَافِيهِ^(٢)

أَيْ السَّبَاعِ وَالطَّيُورِ ، وَقِيلَ : بَلْ أَرَادَ الْعَوَادَ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ حَاتِمٍ :

يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

(١) سبغت ترجمته في الحماسية ١٤٥ ص ٤٢١ . والأبيات في ديوان عروة ٨٨ يرد

بها على قيس بن زمير .

(٢) أنشده في اللسان (صفا) .

لأنَّ قوله « سبيل المال واحدة » يريد إنفاقه على نفسه دون غيره .
 وقوله « أتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ » أى لأنَّ سَمِنْتَ ولأنَّ تَرَى بوجهي
 شُحوبَ الحق . وأضاف الشُحوبَ إلى الحق لأنَّ سببه كان توفُّره على إقامة
 الحقوق وأدائها في وجوها . وهم يُضَيِّفون الشَّيء إلى الشَّيء لأدنى مناسبة بينهما ،
 فكأنَّه قال الشُحوب الذي كان سببه توفُّرى على الحق ، وتوفُّرى الأزواد على
 طلبها . وقوله « والحقُّ جاهد » يريد القيام بالحق في الشَّدائد وأدائه يَجْهَدُ
 النفوسَ ويغيِّر الألوانَ ويُنْضِي الأبدانَ .

وقوله « أَفَسِّمُ » أراد قوتَ جِسمي وطُعْمَهُ ، لأنِّي أُوْثِرُ به الغير على
 نفسي وأَجْزَى بِحَسْبِ الماءِ القَرَّاح ، وهو البَحْتُ الذي لا يُحَالِطُهُ شَيْءٌ من اللَّبَنِ
 وغيره ، والماء بارد ، أى والشَّيْء شاتٍ والبردُ مُقْتَنَاهُ . وقال بعضهم : المهزول
 يحدُّ بَرْدَ الماء أكثرَ ممَّا يحدُّهُ السَّمِين . وأنشد :

عَافَتِ الْمَاءُ فِي الشِّتَاءِ فَقُلْنَا بَلْ رَدِيهِ تُصَادِفِيهِ سَخِينَا .
 أى سَمِنْتَ فَرَدِيهِ تُصَادِفِي حَارًّا مَا صَادَفْتِهِ بَارِدًا . قال : وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَتَبَ
 عن الهَزَالِ بَرْدَ الْمَاءِ قَوْلُهُ :

أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ وَأَنْ تَرَى بوجهي شُحوبَ الحقِّ والحقُّ جاهدُ

٧٢٥

وقال آخر :

١ - أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغَنَى وَكُلَّ غَنَى فِي الْقُلُوبِ جَلِيلٌ (١)

٢ - وَلَيْسَ الْغَنَى إِلَّا غَنَى زَيْنِ الْفَقَى عَشِيَّةً يَفْرِى أَوْ غَدَاةً يُنِيلُ

يقول : لما اسْتَفْزَنْتَ عَظُمْتَ فِي عَيُونِ النَّاسِ فَأَجَلُّوا قَدْرَكَ وَرَفَعُوا مَكَانَكَ ،

(١) بين هذا البيت وتاليه بيتان أنشدهما ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٢٤١) .

وكذا الأغنياء مواقعهم من النفوس عظيمة ، ومحالهم في الأفئدة والقلوب جليلة رفيعة ، وأقدارهم موقوفة على سمة أحوالهم ، وسردودة إلى مقادير قدرهم ، لكن الغنى المحمود المتفق على فضله عند التحصيل هو ما يزين الفتى فلا يشينه ، ويكسب له الحمد والذخر فلا يذميه ، عشيّة ينزل الأضياف فيكرم منوam ، أو غداة يُزيل العفاة ويوسع في فئانه مأوام .

٧٢٦

وقال المثلث بن رياح ^(١) :

١ - بَكَرَ العَوَازِلُ بِالسَّوَادِ يَلْمُنِي جَهْلًا يَقُلْنَ أَلَا تَرَى مَا تَصْنَعُ

٢ - أَفْنَيْتَ مَالَكَ فِي السَّفَاهِ وَإِنَّمَا أَمْرُ السَّفَاهَةِ مَا أَمَرَكَ أَجْمَعُ

يقول : بَكَرَ اللوام في سواد الليل ، ولم تصبرِ إلى وقت الإصباح ، حِرْصاً من نفوسهن على تقرّبي وتوبيخي ، لجهلن وضعف رأيهن ، وقصور بصائرهن عن معرفة ما لهن وعليهن ، يَقُلْنَ لي مستعظمت لما آتية ، ومُستنكرات لما أنفقه وأفرقه : أَلَا تَرَى مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ . وإنما صلح أن يقول بَكَرْنَ بالسَّوَادِ لِأَنَّ البُكُورَ الابتداء في الشيء ، ومنه باكورة الربيع ، والبكر في النساء . وهذا كما قال غيره :

* أَلَا بَكَرْتَ عِزِّي بَلِيلٍ تَلَوْنِي *

وقوله « أَهْلَكْتَ مَالَكَ » هو تفسير ما أجهمة قوله « أَلَا تَرَى مَا تَصْنَعُ » والمعنى : صرفت مَالَكَ فيما هو سَفَهٌ وضلال ، وغباوة وضياح . ثم قال : وإذا تُؤمِّلُ الحالُ فيما يُراوِدُكَ عليه فالأمرُ بالسَّفَاهَةِ مَا أَمَرَكَ كُلُّهُ . جل مخاطبُ

نفسه بذلك . ويقال : أمرتك كذا وبكذا . قال الشاعر ^(١) :

* أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ ^(٢) *

لجمع بين الوجهين . وفي القرآن : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ . ويجوز أن يكون معنى أمر السفاهة الأمر الذي تولد عن السفاهة ، ويكون الإضافة فيه إضافة المسبب إلى السبب ، كأنه جعل السفاهة فيهن ومنهن . وقوله « ما أمرتك » مامع الفعل في تقدير المصدر ، وأجمعُ تأكيد له . والسفاهة والسفاهة ^(٣) والسفة : الخلفة والطيش . ويقال : زمامٌ سَفِيهٌ كما يقال زمامٌ عَيَّارٌ ^(٤) . وَسَفَهَتِ الرِّيحُ الفصنَ : حرَّكَته . وَسَفَهَتِ الرِّيحُ : اضطربت . و « يلغنى » في موضع الحال . و « جهلا » يجوز أن تكون مفعولاً [له ^(٥)] ، ويجوز أن تكون في موضع الحال . و « أَلَا تَرَى [ما تصنع ^(٥)] » في موضع مفعول يَقْلُنَ . وما من قوله « ما تصنع » يجوز أن يكون بمعنى الذي ، وقد حذف المفعول من صِلته ، يريد تصنعه . ويجوز أن يكون مفعولاً مُقَدِّماً لتصنع ، والمعنى أىَّ شئ تصنع .

٣ - وَقَتُّودُ نَاجِيَةٍ وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ وَالطَّيْرُ غَاشِيَةٌ الْعَوَافِي وَقَعُ

٤ - بِمُهَنْدٍ ذِي حِلْيَةٍ جَرَّدَتْهُ يَبْرِى الْأَحْمَمُ مِنَ الْعِظَامِ وَيَقْطَعُ

قوله « وَقَتُّودُ نَاجِيَةٍ » انجرَّ بإضمار رُبَّ ، وجوابه وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ ، والواو من قوله والطيرُ واو الحال . فيقول : رَبَّ رَحْلٍ نَاقَةٍ سَرِيمةٍ وَضَعْتُهُ بِمَكَانٍ خَالٍ وَتَرَكْتُهُ ، لِأَنِّي عَمَرْتُ قَبْتَهَا ، والطير عوافيها تغشاها وتقع عليها . وأكثراً يجرى .

(١) هو أعشى طرود ، أو عمرو بن معديكرب ، أو العباس بن مرداس ، أو زرعة بن السائب ، أو خفاف بن نذبة . الخزانة (١ : ١٦٥ - ١٦٦) .

(٢) مجزؤه : * قَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَسَبٍ *

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٤) عيار : كثير الحركة والتردد . وهذا ما في ل . وفي الأصل : « جبار » ، ولا وجه له .

(٥) التكملة من ل .

المجروح ربّ يحيى موصوفاً ثم يحيى الجواب ، وهاهنا لم يَصِفْهُ . وقوله « غاشية العوافى » وجب أن يكون فيه ضميرٌ للناقاة ، حتّى يكون بين ذى الحال وبينه تعلقٌ ، فحذف ذلك الضمير لأن المراد مفهوم ، ولو أتى به لكان والطير غاشية العوافى إيّاها وُقِعَ عليها . والعوافى : جمع عافية ، وهو من قولهم عَفَاهُ واعتفاه ؛ وقد مرّ ذكره ^(١) .

وقوله « بهتد » تعلق الباء منه بقوله وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ ، لأنه لم يحطّ الرَّحْلُ عن النَّاحِيَةِ ولم يَضَعْهَا [بالقفرة ^(٢)] إلا وقد عَرَفَهَا ، فكأنه [جَعَلَ ^(٣)] وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ دلالةً على العَفْرِ والعَرَقَةِ .

وقوله « ذى حِلْيَةٍ » يريد أنه كان ملطّخاً بالدم ، فجعل ذلك الدم كالحلية لها . وقوله « يَبْرِى الأَصْمُ » من العظام ويقطع « يعنى بالأصم ما ليس بأجوف ، وذلك أصلب ، فإذا برى الأصم فهو للمجوف أبرى .

٥ - لَتَنُوبَ نَائِبَةٌ فَتَعْلَمَ أَنِّي مِمَّنْ يُغَرُّ عَلَى الثَّنَاءِ فَيُخْدَعُ
٦ - إني مُقَسَّمٌ مَا مَلَكَتْ لِي جَاعِلٌ أَجْرًا لآخرَةٍ وَدُنْيَا تَنْفَعُ
قوله « لَتَنُوبَ » تعلق اللام بفعل مضمر دلّ عليه ما تقدّم ، كأنه قال : فعلت ذلك لكى إذا ^(٣) نابت نائبة عِلِمْتُ أَنِّي أَنَهَضُ فِيهَا ، وَأَطْلُبُ الأُحْدُوثَةَ الْجَمِيلَةَ فِي دَفْعِهَا ، وَأَنِّي أُحِلُّ عَلَى الْفَرَرِ ، وَأُخْدَعُ عَنِ الْمَالِ بِالثَّنَاءِ وَالشُّكْرِ . ثم قال : إِنِّي أَقِسُّ مَا أُمْلِكُهُ بَيْنَ أَسْرَيْنِ : مُدْخِرٍ لِلآخرَةِ ، وَمُنْتَفِعٍ بِهِ فِي الدُّنْيَا . وجعل قوله لآخرَةٍ وَدُنْيَا نَكْرَتَيْنِ ، وقد جاء في غير هذا المكان دُنْيَا فِي صورة المعرفة ، قال :

* فِي سَفْيِ دُنْيَا طَالَ مَا قَدْ مُدَّتِ ^(٤) *

(١) انظر ماضى فى ص ١٦٥٣ .

(٢) التكملة من ل .

(٣) سبق مثل هذا التعبير فى ص ١١٦٩ ، ١٢٢٦ .

(٤) للمعاج فى ديوانه ص ٥ .

ووجه التنكير فيها وفي آخرة أن يراد أجرٌ عائدٌ في أمدٍ من آحاد الآخرة ،
ومنفعةٌ في مثله من الدنيا ، وكان الواجب أن يقول ومنفعةٌ لدنيا ، حتى يكون
لفق الأول فيما ساقه من الكلام ، وتفسيراً لما قسمه من مصارف المال ، إلا أنه
رمى بالكلام على ما ترى لما لم يلقئس .

٧٢٧

وقال أبو البرج القاسم بن حنبل^(١) :

- ١ - أَرَى الْخُلَّانَ بَعْدَ أَبِي خُنَيْبٍ وَخُجِرَ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءً^(٢)
- ٢ - مِنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَنِي سِنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا
- ٣ - لَهْمُ شَمْسِ النَّهَارِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ وَنُورُهُ مَا يُغَيِّبُهُ الْعَمَاءُ
- ٤ - هُمْ حُلُومٌ مِنَ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا

الجناب : ناحية القوم . ويقال : فلان رخبُ الجناب ، كأنه استعجب
نُبُوهُمْ^(٣) فعتب عليهم ، ثم أخذ يمدحهم ويستعطفهم ، فيقول : أجدُ الأصدقاء
بعد هذين الرجلين يَجفَوُ جَنَابَهُمْ عَنِّي وَيَنْبُو جَانِبَهُمْ ، وهم من القوم الكرام الغرُّ
الوجوه ، أذكر بني سِنَانٍ . فقوله « بني سِنَانٍ » يجوز أن ينتصب على المدح
والاختصاص ، ويجوز أن يحمل مجروراً على البدل من البيض الوجوه . وإنما

(١) عبارة الإنشاد مطبوسة في الأصل . وفي ل : « أبو الفرج » ، صوابه في المؤلف
٦٢ ومعجم المرزباني ٣٣٣ والقاموس (برج) . وهو شاعر إسلامي ، وهو من بني سهم
ابن صرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . وقال هذا الشعر في مدح زفر بن أبي هاشم بن مسعود بن
سنان ، عامل اليمامة ، وكان زفر يكنى أبا حبيب .

(٢) خيب ، بالخاء المعجمة في الأصل ، وفي ل « حبيب » وأشير إلى أنه في نسخة أخرى
حبيب . وهي بالخاء المهملة عند الأمدى والمرزباني والتبريزي .

(٣) في الأصل : « بنوهم » ، صوابه في ل .

وَصَفَّهِمْ بِنَفَاةِ الْحَسَبِ وَاتَّقَاءِ الْعَارِ وَالْعَيْبِ مِنَ الذَّمِّ . قَالَ : فَلَوْ اسْتَضَاءَتْ بَنُورُ
وُجُوهِهِمْ لِأَضَاءُوا فِي بُهِمِ الظُّلَمِ ، فَلَهُمْ مِنْ نُورِ الْكَرَمِ مِثْلُ شَمْسِ النَّهَارِ إِذَا
ارْتَفَعَتْ وَعَلَتْ ، وَمِثْلُ نُورِ اللَّيْلِ الَّذِي لَا يَسْتُرُهُ ظَلَامٌ ، وَلَا يُخْفِيهِ عَمَلٌ ، وَهُوَ
الْفَيْمُ الرَّقِيقُ ، وَهُمْ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الَّذِي اكْتَسَبُوهُ ، وَبَحَّيْدُ أَعْمَالِهِمْ شَيْدُوهُ ، الْمُعَلَّى
يَعْنِي الْمُرْفَعُ ، إِلَى أَعْدِ الْغَايَاتِ ، وَأَقْعَى النَّهَائِيَّاتِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ
الْقِدْحَ الْمُعَلَّى ، لِأَنَّهُ أَشْرَفُ الْقِدَاحِ وَأَكْثَرُهَا أَنْصِبَاءً ، فَجَعَلَهُ مِثْلًا لِأَرْفَعِ الْمَدَارِجِ
وَأَسْنَى الْمَرَاتِبِ . وَقَوْلُهُ « وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ » يَرِيدُ بِهِ الْمُتَوَارِثَ ، أَيْ نَزَلُوا مِنْهُ
حَيْثُ اخْتَارُوهُ وَأَحْبَبُوهُ . وَسِرَّادُهُ أَنَّهُ جَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ الْمُكْتَسَبِ وَالْمُتَوَارِثِ مِنَ
الشَّرَفِ وَالْحَسَبِ . وَأَضَافَ الْحَسَبَ إِلَى الْعَشِيرَةِ لِأَنَّهُمْ شُرَكَاءُ فِي التَّلِيدِ مِنْهُ .
وَأَزِيدُ مِمَّا قَصَدَهُ فِي قَوْلِهِ مِنَ « الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَنِي سِنَانٍ » قَوْلُ الْآخِرِ (١) :

- ٥ - مُبْنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةُ كَلِمٍ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ
٦ - فَأَمَّا يَتُّكُمُ إِنْ عُدَّ يَنْتُ فَطَالَ السَّمَكُ وَاتَّسَعَ الْفِتَاءُ
٧ - وَأَمَّا أُشُهُ فَعَلَى قَدِيمٍ مِنَ الْعَادِيَّ إِنْ ذُكِرَ الْبِنَاءُ
٨ - فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ

الْبُنَاءُ : جَمْعُ بَانٍ . وَالْأَسَاءَةُ : جَمْعُ آسٍ ، وَهَذَا الْجَمْعُ يَخْتَصُّ بِالْمُعْتَلِّ ، كَمَا أَنَّ
فَعْلَةً نَحْوَ كَفَرَةٍ وَظَلَمَةٍ يَخْتَصُّ بِالصَّحِيحِ . وَالْأَمْسَى : مُدَاوِي الْجِرَاحَاتِ . وَالْكَلْمُ :
الْجُرْحُ . وَهَذَا مِثْلُ لَشَدَّةِ الْأَهْوَالِ وَاضْطِرَابِ الْأَحْوَالِ . وَالْمَعْنَى : إِذَا تَفَاقَمَتِ
الْأُمُورُ ، وَحَرِجَتْ بِمَا اجْتَمَعَتْ فِيهَا الصُّدُورُ ، فَإِنَّهُمْ يَتَلَفَتُونَهَا بِمُغْنَمِهِمْ أَوْ لُطْفِهِمْ ،
وَهُمْ مُلُوكٌ فِي دِمَائِهِمْ شِفَاءً مِنْ عَضِّ الْكَلْبِ الْكَلْبِ ، وَهُوَ الَّذِي يَسْكُنُ الْكَلْبَ
بِأَكْلِ لَحُومِ النَّاسِ ، فَيَأْخُذُهُ مِنْ ذَلِكَ شِبْهُ الْجُنُونِ ، فَلَا يَعْصِي إِنْسَانًا إِلَّا كَلْبًا .

(١) هُوَ أَبُو الطَّبَّحَانِ الْقِنِّي . وَقَدْ سَبَقَ فِي الْحَاسِيَةِ ٦٩٤ س ١٥٩٨ .

ويقال : إن مَنْ عَصَهُ يَنْبَحُ نَبِيحُ الْكَلَابِ فَيَنْظُرُ بِهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، فَإِنْ بَالَ هُنَاكَ ^(١) عَلَى خِلْقَةِ الْكَلَابِ بَرَأً ، وَإِلَّا مَاتَ بِزَعْمِهِمْ . ويقولون : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهُ أَنْجَعُ مِنْ شُرْبِ دَمِ مَلِكٍ . ومثله قول الفرزدق :

وَلَوْ تَشْرَبُ الْكَلْبِيُّ الْمِرَاضُ دِمَاءَنَا شَفَفْنَا وَذُو الْخَبْلِ الَّذِي هُوَ أَذْنَفُ

وقوله « فَأَمَّا بَيْتُكُمْ [إِنْ عُدَّ بَيْتٌ ^(٢)] » فَإِنَّهُ يَرِيدُ : إِذَا عُدَّتِ الْبُيُوتُ قَبَيْتُكُمْ طَوِيلُ السَّمَكِ ثَابِتُ الْأُسِّ ، فَسِيحُ السَّاحَةِ وَالْفَنَاءِ ، وَاسِعُ الْأَقْطَارِ وَالْأَرْجَاءِ . وَالسَّمَكُ : أَعْلَى الْبَيْتِ الدَّخَلِ ، فَأَمَّا أَعْلَاهُ الْخَارِجُ فَإِنَّهُ الصَّهْوَةُ . وَالْعَادِيُّ : الْقَدِيمُ ، نُسِبَ إِلَى عَادٍ . فَيُرِيدُ : بِنَاءَ شَرَفِكُمْ قَدِيمٌ ، وَمَكَانُهُ وَسِيعٌ ، وَسُمُوقُهُ رَفِيعٌ ، وَرَسُوخُهُ عَمِيقٌ .

وقوله : « فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدِي » ، يَرِيدُ لَوْ مَلَكَتِ السَّمَاءُ الدُّنْيَا وَالْأَعْطَاطُ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي سُمِكَ فِيهِ لِيَرْتَقِيَ إِلَيْهَا مَجْدُهُمْ ، أَوْ لِيَشَارَكَ الْأَرْضَ فِي إِقْلَامِهِمْ وَإِيْوَانِهِمْ ^(٣) ، وَالْإِحْتَوَاءُ عَلَى مَكَارِهِمْ ، لَفَعَلَتْ ذَلِكَ ، وَلَسَكُنْهَا عَاجِزَةٌ غَيْرُ مَالِكَةٍ .

٧٢٨

وَقَالَ أَرْطَاةُ بْنُ سُبِيَّةَ ^(٤) :

- ١ — لَوْ أَنَّ مَا نُعْطَى مِنَ الْمَالِ نَبْتَنِي بِهِ الْحَمْدَ يُعْطَى مِثْلَهُ زَاخِرُ الْبَحْرِ
 - ٢ — أَظَلَّتْ رَأْفَتُهُ صَيَامًا بظَاهِرٍ مِنَ الضَّحْلِ كَانَتْ قَبْلُ فِي لُجَجٍ خَضِرٍ
- قوله « نَبْتَنِي » مَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَمَوْضِعُ « يُعْطَى مِثْلَهُ » الْجُمْلَةُ رُفِعَ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ أَنَّ ، وَقَدْ حُذِفَ الضَّمِيرُ الْعَائِدُ إِلَى مَا مِنْ قَوْلِهِ نَعْلَى ، كَأَنَّهُ

(١) فِي الْأَسْل : « هَيْثَات » ، صَوَابُهُ فِي ل . (٢) التَّكْمَلَةُ مِنْ ل .

(٣) الْإِقْلَالُ : مَصْدَرُ أَقْلَهُ بِمَعْنَى حَمْلِهِ . وَقَدْ جَعَلَ الْمَرْزُوقُ الضَّمِيرَ الْعَائِدَ إِلَى « السَّمَاءِ » مَرَّةً مَذْكَرًا وَآخَرَى مُؤَنَّثًا ، لِمَا أَنَّ « السَّمَاءَ » تَذْكَرُ وَتؤنث .

(٤) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَمَاسِيَةِ ١٣٥ ص ٣٩٧ .

قال : لو أنَّ الذي نُعطيه من المال مُبْتَفَيْنٌ به الحمدُ يُعطى مثله طامى البحر ومرتفعه
 لظَلَّتْ سفنٌ راكدةً وواقفةً بظاهرٍ من الماء قليلٍ ، كانت من قَبْلُ في معَظِمِ
 من البحر خُضِرَ كثيرة . وقوله « لظَلَّتْ » جواب لَوْ . وقوله « كانت قبل »
 من صفة القراير ، وهى السفن ، والواحدُ قُرْقُورٌ . وقد فَصَلَ بين الصفة
 والموصوف بـخبر لظَلَّتْ وهو قوله « صِيامًا » . يريدُ أنَّ السفنَ التى كانت فى الماء فى
 بحرٍ تَعُودُ بِمثل العطايا منه إلى أن تكون واقفةً فى تَحَلٍّ ، إذ كان ماؤه لا يقوم
 مع الاعتراف منه لما يقوم له ماألنا على الإسراف العظيم منه . والضَّحَل : الماء
 القليل ، والجميع الضُّحُول . وَأَتَانُ الضَّحَلِ : صخرة بعضها فى الماء مغمور وبعضها
 ظاهرٌ مكشوف ، فيضُلب وَيَمْلَأُ . والأَجَج : جمع تَجَّة ، وهى مُعْظَمُ الماء .
 ويقال : التَّجُّ البحرُ . والصَّيَام : القِيَام . والزَّأخر من البُحور : الطامى الماء ،
 المرتفعُ الموج . وإذا جَاشَ القومُ لِنَفِيرٍ أو حَرْبٍ ، قيل زَخَرُوا .

٣- ولَا نَكْسِرُ الْعَظْمَ الصَّحِيحَ تَعْدُّرًا وَنَفَنَى عَنِ الْمَوْتَى وَنَجْبُرُ ذَا الْكَسْرِ

٤- غَلَبْنَا بَنِي حَوَاءَ نَجْدًا وَسُودَدًا وَلَكِنَّا لَمْ نَسْتَطِعْ غَلَبَ الدَّهْرِ

يصفُ كَرَمَهُم فى عَشِيرَتِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ يَتَعَطَّفُونَ عَلَى الضَّعَافِ الْفُقَرَاءِ مِنْهُمْ
 وَيَتَحَدَّبُونَ ، فَيَجْبُرُونَ كَسْرَهُمْ ، وَيَسُدُّونَ مَفَاقِرَهُمْ ، وَيُظْهِرُونَ الْغَنَى عَنْ
 مَوَالِيهِمْ ، فَلَا يُضْلِحُونَ أَحْوَالَ أَنْفُسِهِمْ بَلْ يُوَفِّرُونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِ أُمُورِهِمْ ،
 وَيُخْلُونَهُمْ وَاخْتِيَارَاتِهِمْ فِي مَبَاقِيهِمْ وَمَكَاسِيهِمْ ، وَمَنْ كَانَ مُسْتَقِيمَ الْأَمْرِ وَاسِعَ
 الْمَرَادِ يَقُومُ بِرَمِّ عَيْشِهِ ، وَيَنْهَضُ بِتَدْيِيرِ تَجْمُلِهِ ، لَا يُلِحُّونَ عَلَيْهِ فِي نَوَائِبِهِ ،
 وَلَا يُضَاعِفُونَ لِلْوَنِّ فِي مَصَارِفِهِ ، مُتَوَصِّلِينَ بِذَلِكَ إِلَى الْفَضْلِ مِنْهُ وَالْحِطِّ مِنْ
 قَدْرِهِ ، وَجَلَالِهِ وَمَكَانِهِ ، لِحَسَدِهِمْ وَاسْتِعْلَاهُمْ .

وقوله « غَلَبْنَا بَنِي حَوَاءَ » ، يريدُ أَنَا قَهَرْنَا النَّاسَ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَتَبَايُنِ مَنَازِلِهِمْ
 رِيَاسَةً وَشُرْفًا ، فَلَمَّا جَاءَ الدَّهْرُ يَغْلِبُنَا عَلَى مَا نُرِيدُهُ مِنْ اسْتِبْقَاءِ وَبَقَاءِ ،

واستصلاح وصلاح ، لم نَسْتَطِيعْ دَفْعَهُ ، ولم نَطِيقْ غَلَبَتَهُ وَمَنْعَهُ . وانتصب قوله « تعزُّزًا » على أنه مصدر في موضع الحال ، ولا يمتنع أن يكون مفعولاً له .

٧٢٩

وقال حُجْر بن حِيَّة :

١ — ولا أدومُ قِذْرِي بَعْدَ مَا نَضِجَتْ بُخْلًا لَتَمْنَعَ مَا فِيهَا أَثَافِيهَا
٢ — لا أُحْرِمُ الجَارَةَ الدُّنْيَا إِذَا اقْتَرَبَتْ ولا أَقُومُ بِهَا فِي الْحَيِّ أُخْزِيهَا
٣ — ولا أَكَلِّمُهَا إِلَّا عِلَاقِيَّةً ولا أَخْبِرُهَا إِلَّا أَثَادِيهَا

قوله « لا أدوم » يريد لا أطيل إدامة قِذْرِي بعد إدراكها على الأثافي ، بَخْلًا بما فيها ، ولتَمْنَعَهَا عن طلبها أَثَافِيهَا . جعل المنع للأثافي ، لأنها لما لم تُغْرِفْ ما دامت منصوبةً على الأثافي جَعَلَ الفِعْلَ لها ، كأنها هي المانعة . وانتصب « بَخْلًا » على التمييز أو على الحالِ إِنْ شِئْتَ . ويقال : أَدَمْتُ الشَّيْءَ ، إِذَا سَكَّنْتَهُ وَدَوَّمْتَهُ أَيْضًا . والماء الدَّائِمُ : الساكن الذي لا يَجْرِي ، وَكَأَنَّ الْبَخِيلَ مِنْهُمْ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِيَرَى أَنَّ الْقِدْرَ لم تُدْرِكْ . وَأَنَّ مَا فِيهَا لم يَنْضَجْ ، انتظرًا لمن تأخر عنه وَيُوجِبُ الْحَالُ حُضُورَهُ .

وقوله « لا أُحْرِمُ الجَارَةَ الدُّنْيَا إِذَا اقْتَرَبَتْ » ، يريد أنه يُشْرِكُهَا فِي فَضْلِ نَعْمَتِهِ ^(١) بعد دنوّها من داره ، وأنه لا يطلب عَثَرَاتِهَا ولا يَقْبِحُ آثَارَهَا ، فلا يقومُ بِذِكْرِهَا فِي الْحَيِّ مُخْزِيًا لها . وقال بعضهم : أراد لا أحكى عليها قبيحًا . يقال : قام بِي فُلَانٌ وَقَعَدَ ، أَيْ نَشَأَ ^(٢) عَنِّي قَبِيحًا . وقوله « أُخْزِيهَا » يجوز أن يكون أَلْفُ النَّقْلِ دَخَلَ عَلَى خَزِيٍّ خَزِيًّا مِنَ الْهَوَانِ ، ويجوز أن يكون دخل على خَزِيٍّ

(١) في الأصل : « نعمتها » ، صوابه في ل .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « وقعد بي ثنا » .

خَزَابَةٌ مِنَ الاسْتَحْيَاءِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا إِذَا ذُكِرَتْ بِالْقَبِيحِ أَوْ شُهِرَتْ بِمَا تَسْتُرُهُ وَكُشِفَتْ ، فَقَدْ تَسْتَحْيِي كَمَا تَذِلُّ ، أَوْ تَذِلُّ كَمَا تَسْتَحْيِي .
 وقوله « وَلَا أَكَلَمُهَا إِلَّا عِلَانِيَةً » انتصب علانيةً على أنه مصدرٌ في موضع الحال ، وكذلك قوله « إِلَّا أَنْادِيَهَا » ، الجلة في موضع الحال ، ونظام الكلام يقتضيه أن يقول : وَلَا أَخْبَرُهَا ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْفَرَضُ إِلَّا مُنَادِيًا لَهَا ، نَابَ الْفَعْلُ عَنْ الْمَصْدَرِ ، وَلَا يَجُوزُ فِي عِلَانِيَةٍ أَنْ يَكُونَ تَمَيِّزًا ، بِدَلَالَةِ أَنَّ الْمَصْدَرَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَكْمَهُ حَكْمُ الْعَجْزِ ، وَمِنْ الظَّاهِرِ أَنَّ أَنْادِيَهَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَالْمَعْنَى [اللَّهُ ^(١)] لَا يَقِفُ ، لِسَلَامَةِ طَرِيقَتِهِ وَتَكَامُلِ هِفَّتِهِ ، الْجَارَةِ فِي مَوَاقِفِ اللَّتْمَةِ ، فَلَا يُخْفِي مُكَالَمَتَهَا ، وَلَا يُخَاطِبُهَا غَيْرًا لَهَا إِلَّا بَرْفَعِ صَوْتٍ وَنَدَاءٍ عَالٍ . كُلُّ ذَلِكَ مُرَبِّيًا مِنْ قِرْفَةٍ تَحْصُلُ ^(٢) ، أَوْ نَهْمَةٍ تَتَوَجَّهُ ، وَهَذَا هُوَ الْغَايَةُ فِي الْعَنَافِ ، وَالْمَدْرَجَةُ الْقَاصِيَةُ فِي التَّوَقُّفِ مِنَ الْعَارِ .

٧٣٠

وقال المساور بن هند بن قيس بن زهير ^(٣) :

١ — فِدْيَ لَبْنِي عَبْدٌ خَدَاةٌ دَعَوْتُهُمْ بِجَوْ وَبَالَ النَّفْسِ وَالْأَبْوَانِ ^(٤)

٢ — إِذَا جَارَةٌ شُلْتُ لَسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ لَمْسًا لَابِلٌ شُلْتُ بِهَا لِابِلَانِ

خبر المبتدأ الذي هو « فِدْيَ » قوله « النَّفْسِ » ، و « وَجَوْ وَبَالَ » أضاف الجوّ إلى وبال ، وهو اسمُ ماء . وإنما دعا لبني عبْدٍ بالتعديّة لآلِه وَجَدَمَ عِنْدَ الْفَلَنِّ [بِهِمْ] لَمَّا اسْتَنْصَرَمَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِجَوْ وَبَالَ .

(١) هذه من ل .

(٢) القرفة بكسر القاف : التهمة .

(٣) سبقت ترجمته في الخامسة ١٥٥ من ٤٥٨ .

(٤) التبريزي وياقوت في رسم (وبال) : « لبني هند » .

وقوله « إذا جارة » ظرف لقوله « شئت به إبلان » ، وهو جوابه .
وتلخيص الكلام : إذا شئت إبل الجارة لسعد بن مالك شئت بسببها ولمكانها
إبلان ، وذلك لكرم محافظتهم ، وللمرء اللاحق في معاقدة جوارهم . ومعنى
شئت : طردت ، شلاً . وقد فصل بين المرتفع به ^(١) وهو إبل ، وبينه بقوله
« لسعد بن مالك » ، ولولا أن حكمه حكم الظروف وقد توسعوا فيها ، لكان
ذلك غير جائز ، لأن الفصل بين الفعل وبين المبنى عليه بأجنبي لا يجوز
عندنا . ألا ترى أنهم امتنعوا من جواز قول القائل : كانت زيدا الحى تأخذ ،
وإن جوزوا : كان في الدار زيد واقفاً ، لكون الحائل هنا ظرفاً وفي ذاك غير
ظرف . وأما قوله « لما إبل » فوقع لها أن يكون بعد إبل ، لأنه صفة لها ،
والصفة لا تتقدم على الموصوف ، كما أن الصلة لا تتقدم على الموصول ، لكنها
قدّمت على أن تكون حالاً ، والحال كما يتأخر يتقدم إذا لم يمنعه مانع ، فهو
كقول الآخر ^(٢) :

لَمِيَّةٌ مُوَحِّشًا طَلَلُ كَأَنَّ رُسُومَهَا اِخْلَلُ ^(٣)
وتقدم « لها » على « إبل » كتقدم موحشاً على طلل .

وقوله « إبل » ، اسم صيغ للجمع ، ويتناول الكثير دون القليل . وقد
نُتِيَ ها هنا على معنى فرقتان ، فقل إبلان . وهذا كما يقال قومان وعشيران
وأهلان . وقوله « شئت بها » ، أى من أجلها وبسببها . ويروى : « شئت لها
إبلان » ، ويرجع معناه إلى معنى الباء ، وذلك لأنه في معنى المفعول له ، أى
شئت عوضاً عما شئت منها ، فيكون « لها » الأولى في موضع الحال كما قلت ،
لكونه صفة متقدمة ، وضميرها يرجع إلى الجارة لا غير ، أى إبل متملكة

(١) في الأصل : « بين ما لم يقع به » ، صوابه في ل .

(٢) هو كثير عزة . شوهد البقي (٣ : ١٦٣) .

(٣) الرواية المشهورة : « يلوح كأنه خلل » .

لجارة لقبيلة سعد بن مالك . و « لها » الثانية تكون في موضع المفعول له ،
والضمير منها يعود إلى الإبل إن شئت ، وإن شئت إلى الجارة . فأعرف الفصل
بينهما إن شاء الله .

٣ — إذا عقدت أمانك سعد بن مالك لها ذمة عزت بكل مكان

٤ — إذا سئلوا ما ليس بالحق فيهم أب كل نجني عليه وجان

٥ — ودار حفاظ قد حلتهم مهانة بها ينبكم والضيف غير مهان^(١)

قوله « إذا عقدت أمانك سعد بن مالك » ، يصفهم بحسن التعاون والترافد
فيما بينهم ، وانتفاء التخاذل والتباين عن سيرهم وأخلاقهم ، فإنهم يد واحد على
من سوام ، لا استبداد للكبير فيهم ، ولا انحطاط للصغير منهم ، بل كل يرضى
فيل صاحبه ، واختصاص النفر^(٢) منهم في الأمور كفضل الجمهور ، فتى دخل
واحد من أفتانهم في الأمر العظيم وتكفل به ، أعانه الرؤساء حتى يخرج منه ،
لا يهملون أمره ، ولا يستهينون بشأنه . وإن عقدت أوساطهم أو المتأخرون
منهم ذمة لها عزت تلك الذمة وغلبت في الأما كن كلها ، وجب الوفاء فيها عليهم
- بأشرم ، لا اختلال^(٣) منهم في دفعها ، ولا انفكاك لهم من ملازمتها .

وقوله « إذا سئلوا ما ليس بالحق فيهم » ، يريد أنهم إذا سيموا خطئة
الضيم اجتمعوا على اجتوائها والتسخط لها ، وإيرين كانوا أو متورين ، وطالبين
كانوا أو مطلوبين ، لما يفرضونه على أنفسهم من إباء الدنية ، والتشارك في
طروق البلية ، إلى أن تنقضي بمدافعتهم لها ، وبالاتقام من جالبيها .

وقوله : « ودار حفاظ قد حلتهم » ، يعنى أنهم إذا نزلوا دار المحافظة على

(١) في الأصل : « قد حلت ... بها ينبكم » ، صوابه في ل والتبريزي .

(٢) في الأصل : « النظر » ، صوابه من ل .

(٣) ل : « لا اعتلال » .

لشرف رأوا مراغة الأعداء لدى الصبر على الكلف ، وحسن ثباتهم ^(١) ،
وكرم بلائهم ، وطابت أخبارهم ، وكثرت غاشيتهم ، لأنهم يهينون كرائم
أموالهم ، ويعززون مقار ضيوفهم . وهذا كما قال الآخر ^(٢) :

ودار سفاظٍ أطلنا المقام بها فحللنا محلاً كريماً ^(٣)
إذا كان بعضهم للهوانٍ خليط صفاً وأما رهوماً

٧٣١

وقال ^(٤) :

١- جزى الله خيراً غالباً من عشيرة إذا حدثان الدهر نابت نوائبه
٢- فكم دافعوا من كربة قد تلاحمت على وموج قد علتني غواربه
يقول منسكراً وداعياً : جزى الله غالباً من بين العشائر خيراً أشد
ما كان حاجة إلى ^(٥) من يكافئه على مستحدث بلائه الحسن في أصيق أوقات
الثوب ، فكم مرة دافعو ادوني واشتلونى ^(٦) من كرب انضمت على ، وأطبقت
لها الدنيا بظلامها لدى ، فكأنني غريق تلاحب الأمواج بي ، وتقامسني ^(٧) في
غمارها ، وترادني في لججها .

(١) في الأصل : « نياتهم » ، ووجهه من ل .

(٢) هو ربيعة بن مقروم الضبي . للفضلية رقم ٣٩ .

(٣) للفضليات : « ودار هوان أقمنا المقام » .

(٤) هذا بضمير بأن قائل هذا الشعر هو قائل سابقه . لكن عند التبريزي :

« وقال آخر » .

(٥) ل : « إليه » .

(٦) هذا الصواب من ل . يقال اشتلاه ، إذا استنقذه من الخطر . وقال حميد الأرقط :

* قد اشتلانا عفوه وكرمه *

وفي الأصل : « عواستلونى » مع ضبط التاء واللام بالفتح .

(٧) تقامسني بمعنى تقامسني . والقمس : القمص . وفي الأصل : « تقامسني » ، تحريف

صوابه من ل . وفي حاشية ل : « خ : تقامسني » إشارة إلى أنها كذلك في نسخة أخرى .

وقوله : « حَدَّثَانِ الدَّهْر » ، مصدر حَدَّثَ . والكَرْبَةُ : الاسم من الكَرْب ، وهو النَم الذي يأخُذُ بالنَفْس . والمُفْلَاح : الملازم بعد أن كان متبايناً . ويقال : التَّعَمَّ وتَلَاخَمَ بمعنى . والغَارِبُ : أعلى الموج ، وأعلى الظَّهر . ومنه قولهم : حَبَلَكِ عَلَى غَارِبِكِ . وكم موضعه من الإعراب نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ ، والمعنى فراراً كثيرة دافعوا دوني .

٣- إذا قلتُ عُرِدُوا عَادَ كُلُّ شَمْرَدِلٍ أَشْمٌ من الفَتَيَانِ جَزَلٍ مَوَاهِبُهُ^(١)
 ٤- إذا أَخَذْتَ بُزْلُ الْمَخَاضِ سِلَاحَهَا تَجَرَّدَ فِيهَا مُتَلِفُ الْمَالِ كَاسِبُهُ
 يقول : إذا عُرِضَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي غَالِبٍ مُعَاوِدَةُ الْحُرُوبِ وَالسَّكْرُورِ فِيهَا عَادَ مِنْهُمْ كُلُّ رَجُلٍ تَامَ الْخَلْقَةُ مِمَّا الْقَامَةُ ، كَرِيمِ النَّفْسِ ، كَثِيرِ الْعَطِيَّةِ . وَأَصْلُ الشَّمِّ ارْتِفَاعُ الْأَنْفِ . وَلَكِ أَنْ تَرَوْى : أَشْمٌ جَزَلٌ ، وَأَشْمٌ جَزَلٌ ، فَالَرْفَعُ عَلَى كُلِّ وَالْجُرُّ عَلَى شَمْرَدِلٍ . وَالشَّمْرَدِلُ : الطَّوِيلُ . وَالشَّمُّ [كُنَايَةٌ^(٢)] عَنِ الْكَرَمِ .

وقوله « إِذَا أَخَذْتَ بُزْلُ الْمَخَاضِ سِلَاحَهَا » فالمراد بِسِلَاحِهَا مُحَاسِنُهَا وَأَعَارَاتُ عَيْتِهَا وَكَرَّيْهَا ، كَأَنَّهَا تَحُلِّيُ بِتِلْكَ الْمَحَاسِنِ فِي عَيْنِ أَرْبَابِهَا حَتَّى تَحُلِّيَ ، فَيَصِيرُ ذَلِكَ سَبِيلاً لِلضَّنِّ بِهَا . وَقَوْلُهُ « مُتَلِفُ الْمَالِ كَاسِبُهُ » هُوَ قَوْلُهُمْ : مُفِيدٌ مُفِيدٌ ، وَمِخْلَافٌ مِثْلَافٌ ، وَمُخْلِفٌ مُخْلِفٌ . وَالْبَزْلُ : جَمْعُ بَازِلٍ ، وَهُوَ الْمُتَنَاهِي قُوَّةً وَشَبَاباً . وَأَصْلُ الْبَزْلِ الشَّقُّ . وَالْمَخَاضُ : الشُّوقُ الْحَوَاسِلُ ، وَهُوَ اسْمٌ مَصْرُوعٌ لِلْجَمْعِ كَالْقَوْمِ وَالنِّسْوَةِ . وَمَعْنَى « تَجَرَّدَ فِيهَا » أَيْ تَشَمَّرَ فِي عَقْرِهَا وَنَحْرِهَا ، يَرِيدُ أَنْ تَحْمُسَهَا بِسِلَاحِهَا فِي عَيْنَيْهِ لَا يُجِدِي عَلَيْهَا نَفْعاً ، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا مَكْرُوهاً ، لِمَا بِهِ مِنْ إِكْرَامِ الضُّيُوفِ ، وَيُوجِبُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَضَاءِ الْحَقُوقِ .

(١) التبريزي : « وَلَكِ أَنْ تَرَوْى أَشْمٌ وَجَزَلٌ ، وَأَشْمٌ وَجَزَلٌ . فَالَرْفَعُ عَلَى كُلِّ ، وَالْجُرُّ عَلَى شَمْرَدِلٍ » .

(٢) التكملة من ل .

٧٣٢

وقال آخر^(١) :

- ١ - أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
 - ٢ - إذا ما صنعت الزاد فالتبسي له أكيلا فإني لست آكله وحدي
 - ٣ - أخا طارقا أو جارا بنت فإني أخاف مذمات الأحاديث من بعدى
 - ٤ - وإني لعبد الضيف مادام نازلا وما في إلا تلك من شيم العبد
- حسن تكرير ابنة وإن كان المراد واحدة لاختلاف المضاف إليه ، والقصد إلى تفخيم أمرها وتعظيم شأنها . والذي يدل على أن المراد واحدة قوله « إذا ما صنعت الزاد فالتبسي » . ويعني بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهذلة . وكان من حديث البردين حتى لقب به ، أن وفود العرب اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء - وهو المنذر بن امرئ القيس ، وماء السماء أمه نسب إليها لشرفها . وقيل : ماء السماء لقبت به لصفاء نسبها ، وقيل لنقاء لونها ، يراد أنها كماء السماء لم يَحْتَمِلْ كدورة - فأخرج للمنذر بردين يوما يبلو الوفود ، وقال : ليُم أعز العرب قبيلة فليأخذها . فقام عامر بن أحيمر فأخذها وانزرها بأحدهما وارتدى بالآخر ، فقال له المنذر : بم أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال : العز والعدد في معدة ، ثم في زرار ، ثم في مُصر ، ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في عوف ، ثم في بهذلة ، فن أنكر هذا فليأفرني ! فسكت الناس ، فقال المنذر : هذه عشيرتك كما تزعم ، فكيف أنت في أهل بيتك وفي نفسك ؟ فقال :

(١) هو حاتم الطائي يخاطب امرأته ماوية بنت عبد الله . كما ذكر التبريزي . ولم ترد الأبيات في ديوان حاتم .

أنا أبو عشرة ، وخالُ عشرة ، وعمُّ عشرة^(١) ؛ وأما أنا في نفسي فشاهدُ العِزِّ شاهِدِي . ثمَّ وضع قدمه على الأرض فقال : مَنْ أزالها عن مكانها فله مائةٌ من الإبل ! فلم يَقمْ إليه أحدٌ من الحاضرين ، وفازَ بالبُرْدَيْنِ .

وقوله « إذا ما صنعتِ الزاد » ، يريدُ إذا فرغتِ من اتِّخاذِ الزاد وإعداده فاطلبي من أجله من يؤاكلني ، فإني لم أعود نفسي التفرّد في الأكل . وهذا الذي أُنِفَ منه حتّى تبرأ من الرضا به قد وردَ^(٢) في الخبر ما يقوّي استقباح العربِ له ، وتزييفهم إيّاه فيما يختارونه من كرم الطّباع ، وإقامة المروءات . ألا ترى أنّه قال صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عنه : « ألا أخبركم^(٣) بِشَرِّ النَّاسِ ؟ مَنْ أَكَلَ وَحده ، ومنعَ رِفْدَهُ ، وضربَ عبده » .

وموضع « وحدي » من الإعراب نصبٌ على المصدر ، والتقدير لست آكله وقد أوحدت نفسي في أكله إيماداً ، فوضع وحده موضع الإيحاد . والكوفيون يعملون وحدي في موضع الحال ، وإن كان لفظه معرفةً ، يعملونه من باب : جاءوا قَضَمَهُمْ بَقَضِيضَهُمْ ، وكلمته فاهٌ إلى فيّ ، وما أشبهه .

وجواب إذا قوله « فالتيمسي له أكيلاً » . وأَكِيلُ الرَّجُلِ وشريبه ونديمه وجليسه ، يقال كلٌّ مِنْهَا فيمن عُرِفَ بالصفة . لا يقال لمنْ أكلَ مع صاحبه مرةً واحدة هو أكيله ، ولا لمن شربَ معه مرةً واحدة هو شريبه . وعلى ذلك قولهم : هو جليسه ، لا يُطلق إلّا على من عُرِفَ بهذه الصفة فتكرّرت منه .

فإن قيل : كيف نسكّره وقال التمسى له أكيلاً ؟ وهلا قال أكيلى ؟ قلت : لا يمتنع أن يكون قد عُرِفَ بمواكلته عدّةً ، فأراد التمسى من أجله بعد ما هيأته

(١) وكذا عند التبريزي . وفي حواشي ل : « نغ : عشرة في الثلاثة المواضع » ، إشارة إلى أنها في نسخة « عشرة » بدل « عشرة » في المواضع الثلاثة .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « حتى تبرأ من الرضى فقد ورد » .

(٣) هذا ما في ل . وفي الأصل : « ألا أخبركم » .

واحدًا من المعروفين بمواكفي ، ألا ترى أنه قال مفصلاً لما أنجله ، وشارحاً لما أبهمه : « أخاً طارقاً أو جار بيت » ، فأبدل من الأول وهو أكيلاً ما أبدل . والمراد : التمسى أكيلاً من أحد هذين النوعين طارقاً آخيفه ، أو جار بيت يلحظناه . وقوله : « فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدى » ، بيان علّة اجتناعه من الثغر في الأكل . يريد : أخشى ما يلحق من العار في الأكل منفرداً إذا اقتضت أو ذكرت أحوال الناس ، واستعرضت عاداتهم ، فاستهجن الهجين منها ، واستكرم الكريم . والمذمة بالفتح : الذم ، وجمعها مذمات . والمذمة بالكسر : الدمام . وأضاف المذمات إلى الأحاديث ليرى أن خوفه مما يبقى من الذم فيما يتحدث به بعده .

وقوله : « وإني لعبد الضيف مادام ناويا » ، يروي : « نازلاً » . ويقال : نوى بالمكان وأثوى بمعنى . يريد أنى أنكف من خدمة الضيف ما يتكلفه الصبيد ، لا أسفكف ولا آنف ، وليس لي من أخلاق العبيد وطباعهم إلا تلك ، يريد إلا تلك الخدمة ، أو تلك الخليفة . وموضع « مادام » نصب على الظرف أى مدة دوام ثوابه عندي . وموضع « من شيم العبد » رفع على أن يكون اسم ما ، وخبره « في » و « إلا تلك » استثناء مقدم ، وفائدة « من » التبيين فهو كمن الذى فى قوله : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » ، لأن الأوثان كلها رجس ، وليس يريد التبعض بذكر من ، لكن المراد اجتنبوا الرجس من الضرب ، إذ كان الأهم فيما يجب اجتنابه .

٧٣٣

وقال آخر :

١ - لَيْسَ فِى الْفِتْيَانِ مَنْ كُلُّهُمْ صَبُوحٌ وَإِنْ أَمْسَى فَفَضْلُ غُبُوقٍ^(١)

(١) التبريزى : « وليس » بالتمام ، وفى النسخين : « ليس » بالحرم .

٣- وَلَكِنْ فَتَى الْفَتَيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدَا لَضَرْ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ
يقول . ليس الاختار من الفتيان والكامل الفتوة فيهم من إذا أصبح كان
معظم همه ما يشربه صباحا ، وإذا أمسى كان معظم همه ما يشربه مساء . والصَّبُوحُ :
ما يُصْطَبَحُ به ، اسماء له . والفَبُوقُ : ما يُغْتَبَقُ به . يريد أن الفتوة ليس في إعداد
الأطعمة والأشربة ، وإعطاء النفس منهاها منها ، لكن الفتوة هو السعى
غَدَا ورَوَّاحًا في جَرٍّ ضررٍ على مُنَايِدِ مُدَاجٍ ، أو جلب نفعٍ إلى ناصحٍ مُوَاعٍ .
٧٣٤

وقال حَزَّازُ بْنُ عَمْرٍو ، من بنى عبد مناف^(١) :

١- لَنَا إِبِلٌ لَمْ تُهِنْ رَبَّهَا كَرَامَتُهَا وَالْفَتَى ذَاهِبٌ

٢- هِجَانٌ تَكَافَأَ فِيهَا الصَّدِيقُ وَيُذْرِكُ فِيهَا الْمُنَى الرَّاعِبُ^(٢)

٣- وَنَطْمُنُ عَنْهَا نُحُورَ الْمَدَى وَنَشْرَبُ مِنْهَا الشَّارِبُ

قوله « لَنَا إِبِلٌ لَمْ تُهِنْ رَبَّهَا كَرَامَتُهَا » ، يريد : أَنَا نُؤْتِرُ إِكْرَامَ لِلنَّفُوسِ^(٣)
وصيانتها على إكرام اللال وصيانتها ، لأن الأموال إذا لم تُجَمَلْ واقيةً للنفس
جلبت العارَ وكسبت الشنارَ ، فنحن نهينها ونهذلها صَوْنًا لِلنَّفْسِ ، ولئلا يكون
المال كالمالك لنا ، إذ كان عُزْرُ الْفَتَى عَارِيَّةً مُسْقَرَّةً ، فهو هالكٌ وإن أُهِلَّ مَدَّةً ،
وما يُقَدِّمُهُ يَذْكُرُ بِهِ ، فصيانةُ سرٍّ تَلَمَّزُ أَنْ تَرِثَ أَوْ تَهُونَ ، أَجْدَى وَأَوْجَبُ
من صيانة المال وتسميرها والضنُّ بها^(٤) . وقد اعترض بقوله « وَالْفَتَى ذَاهِبٌ »

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٣٥٣ ص ١٠١٧ .

(٢) التبريزي : « يكافأ منها الصديق » ، ولكن نص شرح التبريزي لأبياسر نص منه ،
إذ يقول : « ومعنى يكافأ منها الصديق يماثل ، من الكف : التل في المال والحسب وغيرها » .

(٣) ل : « قوسنا » .

(٤) ل : « وتسميره والضن به » . والمال يذكر ويؤنث . وأُنهد لحسان :

المال تدرى بأقوام ذوى حسب وقد تسود غير السيد للمال

بين الصِّفة والموصوف ، لأنَّ قوله هِجَانٌ من صِفَةِ الإِبل ، كما أنَّ « لم تُهِن رِبَّهَا » من صِفَتِهَا أيضًا . ولولا تأكُّدُ الجملة به لكان يَقْبَحُ ما فعلَ ، لكون الاعتراضِ أَجْنَبِيًّا مما قبله وبعده . والهِجَانُ يَقَعُ على الواحد والجميع ، وذلك أنَّ فِعْلاً كما يكون جمعا لفعيل ، نحو ظريف وظراف ، وكريم وكرام ، وكبير وكِبار ، كسروا عليه فِعْلاً أيضًا ، فقالوا : دِرْعُ دِلَاصٍ وأذْرُعُ دِلَاصٍ ، وبمِثْرِ هِجَانٍ وإِبل هِجَانٍ ، لأنَّ فِعْلاً وفِعْلاً مُتَوَاخِيَانِ في أَنَّهُما من الثلاثي ، وفي موقع الزَّائِدِ مِنْهُمَا ، وفي عدد حُرُوفِهِمَا ، فيتَشَارَكَانِ في أَحْكَامِهِمَا ، وإذا كان كذلك فِهِجَانٌ وهو للواحد ، كضِنَّاكِ وكنَّاز وما أشبههما ، وهِجَانٌ وهو للجميع ، كظراف وكِبار . قال : سيويوه : يَدُلُّكُ على أَنَّ هِجَانًا ليس كالمصادر التي وُصِفَ بها نحو ضَيْفٍ وَجُنُبٍ وَزُورٍ وما أشبهها ، أَنَّكَ تقول هِجَانَانِ فَتَنْتِيهِ ، وإذا كان مُرْصَدًا لِلتَّنْيَةِ فهو للجمع كذلك . ومعنى « تَكَاثُرَ فِيهَا الصَّدِيقُ » تَمَثَّلَ ، من الكُفِّ المَثَلِ في المال والحَسَبِ وغيرهما . والمراد بالصَّدِيقِ الجَنَسُ ، يريد يتساوون فيها ، لا استئثار مَنَّا بشيء منها دُونَهُمْ ولا تَفَرُّدَ ، بَلْ كُلُّ مِثْلٍ مِنَّا وَمِنَ الْأَصْدِقَاءِ يَتَصَرَّفُ فِيهِ عَلَى مَرَادِهِ نَافِذًا أَمْرُهُ ، وَبِالْمَا حُكْمُهُ . وقوله « وَيُذَرِّكُ فِيهَا الْمَنَى الرَّاغِبُ » ، أَرَادَ الرَّاغِبِينَ . أَيْ إِنْ الْمُنَافَاةَ وَطُلَّابَ الْخَيْرِ إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِنَا ^(١) نَالُوا أَمَانِيَهُمْ مِنْهَا كَامِلَةً لَا يَتَخَلَّلُهَا حَزْمٌ ، وَلَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا تَلَمٌ .

وقوله « وَنَطْعُنُ عَنْهَا نُحُورَ الْعِدَى » ، لَمَّا عَدَّدَ الْوُجُوهَ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهَا يَصْرِفُونَ أَمْوَالَهُمْ إِلَيْهَا ، وَيَقْتَسِمُونَهَا فِيهَا ذَكَرَ فِي أَثْنَائِهَا أَنَّهَا يُدَافِعُونَ عَنْهَا الْأَعْدَاءَ فَعَلِيهَا حَافِظٌ مِنْ مَحَافِظَتِهِمْ ، وَدُونَهَا دَافِعٌ ^(٢) مِنْ مَدَافَعَتِهِمْ ، لَا يَطْمَعُ الْأَعْدَاءُ فِي الْإِغَارَةِ عَلَيْهَا ، وَلَا فِي احْتِجَابِ شَيْءٍ مِنْهَا ، بَلْ يَمْتَلِكُهَا وَجْهَانٌ : مَثُوبَةٌ أَوْ صَنِيعَةٌ

(١) ل : « بساحتنا » .

(٢) ل : « ودونها مانع » .

وقوله « وبَشْرَبَ مِنَّا الشَّارِبُ » ، أراد أنهم يَسْتَوُونَ بها الخمر ويحطونها في أثمانها . فهو في هذا وفيما سلكه كقول الآخر^(١) :

نَعَائِي بِهَا أَكْفَاءُنَا وَنُهَيْيَهَا وَنَشْرَبُ فِي أُثْمَانِهَا وَنَقَائِمُ

٤ - وَنَوَلُّهَا فِي السَّنِينَ الْكُلُولَ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَكْسَبًا كَاسِبُ

٥ - وَلَمْ تَكُ يَوْمًا إِذَا رُوِّحَتْ عَلَى الْحَيِّ يُنْفَى لَهَا جَادِبُ

٦ - حَبَانًا بِهَا جَدُّنَا وَالْإِلَهُ وَصَرَبُ لَنَا خَدِيمُ صَائِبُ

قوله : « وَنَوَلُّهَا فِي السَّنِينَ الْكُلُولَ » يعنى بالسنين الأعوام التى تقلُّ

الأمطار فيها وتشملُ الناسَ الآفاتُ لها . يقال : أصابهم السنة . وقد أشنت

الرجلُ ، إذا أصابه القحطُ والجذب . وأراد بالكلول مَنْ كان كلاً على صاحبه

وعياً لا لمعيه ، لا يُحْسِنُ التَّوَجُّهَ لكسبٍ ، ولا يهتدى لارتزاء خيرٍ وترقيع

عيش ، كالأيتام والأرامل وذوى العاهة . وقوله « إِذَا لَمْ يَجِدْ مَكْسَبًا كَاسِبُ »

بذلك من قوله فى السنين . أى إذا اشتدَّ الزمان وتضايقت الخطوب بما يعمُّ من

القحط ، وأغوز الكاسبين كسبهم فلزموا مقارَّهم آيسين من إقبال الزمان

وأهلِه ، جعلنا إبلنا يألفها كلُّولُ الناس فينالون منها ، ويعيشون فيما يعود عليهم

من ألبانها ومنافعها .

وقوله « وَلَمْ يَكُ يَوْمًا إِذَا رُوِّحَتْ » ، يريد رُدَّتْ فى سراعيها رَوَّاحًا

فوردت على الحى لم يوجد لها عائبٌ يعيها ، أى لم يوجد لأربابها مَنْ يعيهم

فيرميهم بالبُخل والإمساك . وإنما قال « يُنْفَى لَهَا » لأنه يريد يُنْفَى مِنْ أَجْلِهَا .

والجاذب : العائب . كان^(٢) المراد اتفاقُ الناس على خدَمهم ، ونفى [العيب على^(٣)]

العَلَلِ كُلِّهَا عَنْ أَخْلَاقِهِمْ ، وتسليم الفضل والإفضال لهم .

(١) هو سيرة بن عمرو الفقمي . انظر الحاسية ٦٠ ص ٢٣٩ .

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « لَأَنَّ » . (٣) التكلفة من ل .

وقوله « حبانها جَدُّنا والإله » أشار بالجَدِّ إلى استسعادهم بالزمان ، فهم محظوظون فيه ، وأن الله عز وجل خَصَّهم بالغنى لما عرَّفه من استحقاقهم ، ومن طَوْلهم إذا مُكِّنُوا ومُلِّكُوا . وقال « والإله » فأتى به على الأصل ، وقَلَّما يَعْدِلون عن لفظة الله تعالى إلى الإله ، إذ كان جارياً مجرى الأعلام بعد لزوم الألف واللام له عَوْضاً من المحذوف منه .

وأشار بقوله « وضرب لنا خِذْمٌ صائب » إلى ما نالوا من الأعداء وإيقاع للغارات بهم . والخِذْمُ : القِطْع . ويقال : سيفٌ خِذْمٌ وخِذْمٌ . ومعنى صائب ذو صَوَاب ، وأخرجه تخرج النسب . ويجوز أن يكون من صَابَ المطر ، إذا وَقَعَ ، صَوْباً . فإن جعلته من الصَّوَاب كان المعنى ضربٌ يقع على حَدِّه من الاستحقاق والقصد ، وإذا جعلته من الصَّوْب فالمعنى واقعٌ موقَّعة عند الحاجة إليه .

وهذه الأبيات يزيد تفاصيلها على جُمْلها عند الفحص عنها . وقد وقع دُونَ غايتها قول الآخر^(١) وقد سَلَكَ مَسْلَكَه في تعداد مصارفِ أموالهم :

ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ فَأَمْنُنْ خَيْلَنَا وَأَقْوَاتُنَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْقَتْلِ
وإن اختلفت الطريقتان . . وكُلٌّ يَدْعُو إلى نَفْسِهِ في حُسْنِهِ ومُثْمُولِهِ واستيفائه .

٧٣٥

وقال منصور بن مسجاح^(٢) :

١ — وَمُحْتَبِطٍ قَدْ جَاءَ أَوْذَى قَرَابَةٍ فَا أَعْتَدَرْتُ إِنِّي عَلَيْهِ وَلَا نَفْسِي
٢ — حَبَسْنَا وَلَمْ نَسْرَحْ لَكِي لَا يَلُومُنَا عَلَى حُكْمِهِ صَبْرًا مُعَوَّدَةَ الْجَنَسِ

(١) هو عمرو بن كلثوم . الحماسية ١٦٠ من ٤٧٦ .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٦٠٧ من ١٤٥١ .

٣ - فطافَ كما طافَ المصدِّقُ وسَطَها يُخَيِّرُ منها في البَوَازِلِ والسُّدُسِ أصلُ الاختِباطِ في الورقِ . يقال : خَبِطْتُ الورقَ واختَبِطْتَهُ ، إذا نَفَضْتَهُ من الشجرِ ؛ والمنفوضُ خَبِطٌ ومُخَبِّطٌ . وكما يستعمارُ الورقَ فيُكْنَى به عن المالِ يستعمارُ الخَبِطِ فيُكْنَى به عن طلبِهِ . على ذلك قولُ زهير :

وليسَ مانعَ ذِي قُرْبَى ولا رَحِمٍ يَوْمًا ولا مُعْدِمًا من خَاطِبٍ وَرَقًا
وكانَ الاختِباطُ يَخْتَصُّ بفعلٍ من يسألُ عن عُرضٍ ، ولا يَقِفُ على تحرُّمِ
أو توسُّلِ أو تذرُّعٍ ، ولكنَّ يكونَ به السُّؤالُ وبَذلُ الوجهِ كيف جاء . وفي
الافتعالِ زيادةُ تَكَلُّفٍ ، فلذلك اختَصَّ هذا الاختصاصُ . وعلى هذا قولُ
الاكتسابِ والكسْبِ . وقوله « أو ذِي [قِرابَةٍ] » ، خصَّ من يمتُّ بالنسبِ
أو السَّببِ فيقول : رَبِّ سائِلٍ تَعَرَّضَ لَنَا ، أو ذِي ^(١) [نَسَبٍ اعْتَمَدْنَا ، فلا نفسِي
احتجَزَتْ عنه يَمْنَعُ ، ولا إبلى اعتذرتُ عليه بِمُدَّرٍ . كانَ عُدْرَ الإِبْلِ تَأخَّرُها
عن مَباءِها ، أو ذِكْرُ وقوعِ آفَةٍ فيها أو تسلُّطِ جَدبٍ عليها . واحتجازُ النفسِ :
مُحَلِّها بها ، وإقامةُ المُعاذيرِ الكاذبةِ دونها ، وما يَجْرِي هذا المجرى .

وقوله « حَبَسْنَا ولم نَسْرَحْ » جوابُ رَبِّ مُخَبِّطٍ ، وبيانُ ما تلقاهُ به عند
استقباله من القَبولِ . ويقال : سَرَحْتُ الماشيةَ بالغداة ، إذا أخرجتها إلى
مراعِها ، وأَرَحْتُها إذا رددتها رَواحًا إلى أَفئِتها . ومفعولُ « حَبَسْنَا » قوله
« مَمُودَةُ الحَبْسِ » ، ومفعولُ « لم نَسْرَحْ » محذوفٌ ، أى لم نَسْرَحْها .

وقوله « على حُكْمِهِ » تعلقٌ بِحَبَسْنَا . وانتصبُ « صَبْرًا » على أنه مصدر
من غيرِ لفظه ، لأنَّ معنى حَبَسْنَا وصَبَرْنَا واحدٌ . وتقديرُ البيت : حَبَسْنَا على
حُكْمِ هذا الخَبِطِ العاقِ أو النَّسِيبِ إبلاً جُعِلَ من عاداتِها الحبسُ بِالفِئاءِ صَبْرًا ،
ولم نُخْرِجْها إلى المَرعى لِئلا يَجِدَ طريقًا إلى لَوْنِها فيما يقدِّره عندنا . ويموز أن

ينصب « صبراً » على أنه مصدر لعلّة ، أى لصبرنا على ما نمونه ونتحمّله للعبادة فعلنا ذلك . ويجوز أيضاً أن يكون انتصابه على الحال ، لأن المصادر تقع مواقع الأحوال ، أى صابرين على ذلك لهم .

وقوله « فطاف كما طاف المصدّق » ، يريد أن هذا الطالب مكفّاه من إبلنا المحبوسة في الفناء فطاف فيها متخيّراً منها في خيارها وكرامتها ، وإذا كان متخيّراً في بوازرها وسُدسها وهى أكرم الإبل وأقواها ، فما دونها أولى أن يكون غييراً فيها . وتشبيهه إياه بالمصدّق وهو طالب الصدقة تحقيقاً لتحكمه وتبشّطه وتسجبه^(١) . يريد أن إدلاله إدلال من يستخرج حقاً واجباً لله تعالى .

وقوله « يخيّر منها » ، إعرابه نصب في موضع الحال من طاف الأول . ومعنى يخيّر ، يُجمل له الاختيار منها . وهذا تحكيم ثانٍ سوى ما سوّغت له نفسه بإدلاله .

٧٣٦

وقال عامر بن حوط ، من بنى عامر^(٢) :

- ١ - ولقد علمتُ لبتائينَ عَشِيَّةً ما بَعْدَهَا خوفٌ حَلَى ولا عَدَمَ
- ٢ - وأزورُ بيتَ الحقِّ زُورَةً ما كَثِ فَلَامَ أَحْفَلُ ما تَقَوَّضَ وَأُنْهَدَمَ
- ٣ - فَلَا تُرْكَنُ السَّامِلِينَ حِيَاضَهُمْ ولَأَحْبِسَنَّ حَلَى مَكَارِمِي النِّعَمِ^(٣)

قوله : « ولقد علمت » يجرى على النعم ، ولذلك أجابه بلبتائين . وبمعنى بالعشيّة آخر النهار من يوم موته . فيقول : تيقنتُ والله أنه يأتى على عشيّة من

(١) تسحب عليه تسجياً : أدل عليه إدلالاً . وهو يتسحب عليه ، أى يتدلل .

(٢) التبريزى : « من بنى عامر بن عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبة » .

(٣) التبريزى : « ولأتركن للساملين » ثم قال : « ويروى : فلا تركز الساملين » .

يومٍ قد تخلّيت فيه من الدنيا وانقطعت الأسبابُ بيني وبينها ، فلا أكونُ من
 الفقر على رِقبة ، ولا من حوادث الدهر على خيفةٍ ، وأزور القبرَ الذي هو «بيتُ
 الحقِّ» . وأضاف البيت إلى الحقِّ لأنّه لا سُكنى بَعْدَه ، فكانتِ الموضع الذي
 يُؤوِي إليه الحقُّ ويُفَضِّى إليه مَنْ أُنزِلَ الموتُ ناقلًا من دار إلى دار . وقوله «زُورَةُ
 ماكث» أى أزوره زيارةً المُقيم المنتظر الذي لا هجرةَ به ، فلماذا أبالي بما تقوِّضُ
 منه أو اتهدم . والمعنى أن تدبيرَ أمرِهِ بصيرَ إلى غيرِهِ فلا يهتمُّ لما واهُ اهتمامه له أيامَ
 حياته . ويقال : لا أخفِلُ كذا ، ولا أخفِلُ بكذا . و «عَلَام» ما فى الاستفهام إذا
 اتَّصل بحرف الجر يُحذف الألف من آخره . وقد مضى مثله مشروحاً أمره^(١) .
 وهذا الاستفهام هو على طريق الإنكار ، أى لم أخفِل . والأحوالُ فى كونِ البيت
 عامراً أو غامراً تتساوى عندى .

وقوله «فلا تُرْكَنَّ السَّامِلِينَ حِيَاضَهُمْ» السَّامِل : المُصْلِح . والمعنى : إنى
 أرفضُ حالَ مَنْ هَمَّتْهُ مقصورةٌ على تشييدِ ماله ، وِعِمارة حياضِهِ ، والفكرِ فى
 مَوَارِدِ إبلِهِ ومصادرِها . ومن سَمِلَ الخوضُ سُمى الماء الذى يَبقى فى أسفلِ الخوضِ
 السَّمَلَة . قال :

مَمْفُوتَةٌ أَغْرَضُهُمْ مُمَرِّطَلَةٌ فى كُلِّ ماءٍ آجِنٍ وَسَمَلَةٌ

والمراد : أَهْجُرُ مَنْ هذا هَمَّتْهُ من عَيْشِهِ ، وَأَخْبِسُ نَعْمِي على عِمارة المكارم
 وتَفَقُّدِ ما تَشِيدُ لى من المعالى . والنَّعَم يقع على الأزواج الثمانية ، والغالب عليه
 الإبل ، وهو مذكَّر ، يقال : هذا نَمَ وارد . وَحَبْسُهُ على المكارم هو أن يَصْرِفَ
 منافقته إلى المستحقِّين من الوَرَاد والزَّوَار ، مقصورةً عليهم ومشغولةً بهم .

(١) انظر ما مضى فى ص ٦٣ .

٧٣٧

وقال زيد بن حصين^(١) :

١ - أَقْبَلِي عَلَيَّ الْيَوْمَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ وَنَامِي فَإِنْ لَمْ تَشْتَعِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي

٢ - أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ إِذَا الدَّهْرُ مَسَّنِي بَنَانِي — زَلَّتْ وَلَمْ أَتَقَرَّرِ

يخاطب لائمة له تبرم بلومها فقال : قللي من لومك علي ونامي عني ، فإن

تعذر النوم عليك ضجراً^(٢) بالحالة التي تجتمعنا فاسهري ، فليس لك من عتبك

ما يبرؤ نفعاً علي ولا عليك . ثم أخذ يقررها على قلة احتفاله بما يأتي به الدهر ،

فقال : أما علمت أن الزمان إذا مسني بحدثاته ذهب عني ولم أزد في حيرته ،

ولم أنتكس في لواحق شره ونوائبه ، بل أعضي قدماً علي ما يمشي منه

ويخصني ، راضياً بما يقسم لي من عفوهِ ، وملئزماً ما يعرض منه عند جهده .

وقوله « زَلَّتْ » استعارة حسنة . كأن صبره على الشدة ، وثباته في وجه

المحنة ، تزل الثوب عنه كما يزل الماء اللدنس عن الصخور ، ويقال : قدح

زُلُول ، كما يقال للشيء السريع الدوران : دَرُور . والتقرئ : القجلة ، فكان

المراد : زَلَّتِ النائبة ولم تستخفي فكنت أجعل أو أحوّل عما كنت عليه .

٣ - يُرَانِي الْعَدُوُّ بَعْدَ غَيْبِ لِقَائِهِ خَلِيًّا نَعِيمَ الْبَالِ لَمْ أَتَفَيَّرِ

يقول : وإذا قاسيت من العدو مضارة ومناكدة فيما يتجاذبه ومجاحشة ،

يراني بعد يوم لقائه بيوم وكأنه ما مسني أذى ، ولا نائي مكروه ، لأنه يجدني

خلياً منعم البال ، لم أتعير عما عهدت عليه قبل الامتحان به ، ولم أنبذل . وقوله

« نعيم البال » هو من الضوال التي وجدت الآن ، وذلك لأن فيملاً في معنى

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ١٨٠ من ٥٥٧ .

(٢) في الأصل : « منجزاً » ، صوابه في ل .

مُفْعَلٍ معدود محصور، وقد ذكرته في غير هذا الموضع وتقصيته . ونعم البال من ذلك ، يقال : أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْكَ ، وَبَالَ مُنْعَمٍ وَنَعِيمٍ . ولا يمتنع أن يكون نَعِيمٌ فِعْلاً من نَعَمٍ أو نَعِمَ عَيْشُهُ ، وأكثر ما يُسْتَعْمَلُ مصدرًا . يقول : هو في نعيمٍ لا ينول ، وإذا كان كذلك فهو غريبٌ إن جعلته اسمَ الفاعل ، كَقَدَّمَ فهو قديمٌ أو حَزَنَ فهو حزينٌ ؛ أو فِعْلاً في معنى مُفْعَلٍ ، كَفَرَسٍ حَبِيسٍ وَمُحْبَسٍ ، وبَابِ تَرْبِيسٍ وَمُتَرْبِصٍ . وانتصب « خَلِيًّا » على الحال من بَرَأَ ، وهو الذي لأمَّ له . وفي المثل . « وَيُلْ لَشَيْءٍ مِنْ الْخَلِيِّ » وقد يكون في غير هذا المكان الْمُخَلَّى .

٤ - ورا كِدَّةَ عَتَبِي طَوِيلٍ صِيَامُهَا قَسَمْتُ عَلَى ضَوْءٍ مِنَ النَّارِ مُبْصِرٍ^(١)

٥ - طُرُوقًا فَلَمْ أَفْحِشْ وَقَسَمْتُ لَحْمَهَا إِذَا اجْتَنَبَ التَّافُونَ نَارَ الْقُدُورِ

يعنى بالرا كدة قدرًا لا تنصابها وبقائها على الأثافي . ويقال : ماء را كد ، أى ساكن . وجعلها « عَتَبِي » لفليانها كأنها تَعْتَبُ وتَشْكُو . وهذا من حَتَبٍ عليه من التوجدة . يقال : عَتَبْتُ عَلَيْهِ فَأَعْتَبَ . ويروى : « غَيْرِي » فيكون من الغيرة ، لأن صاحبها يَحْتَدُّ ، فشبه غليانها بغليان الغيرى . وفي الحديث : « رُدُّونِي إِلَى أَهْلِ غَيْرِي نَفَرَةً^(٢) » . والصَّيَامُ : القيام . ووصفه بالطول ، فقال : « طَوِيلٌ صِيَامُهَا » لكبرها . كأنه لا تُنْزَلُ قَرِيبًا إِذَا نُصِبَتْ .

وقوله « قَسَمْتُ عَلَى ضَوْءٍ مِنَ النَّارِ مُبْصِرٍ » ، جعل الضوء مبصرًا لما كان الإبصار فيه ، على ذلك قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً » . وجعل قِسْمَةَ الْقُدْرِ وهو يريد قِسْمَةَ مَرَقِهَا وما احتوت عليه ليلًا ، بوضوء من النار ، لشدة الزمان ، وتناهي البرد ، ولأنه وقت طُرُوقِ الضيف . وقوله « لَمْ أَفْحِشْ »

(١) البريزي : « ورا كدة عتدي » . ثم قال : « ويروى : عتي ، وغضي . وجعلها عتي لفليانها . ويروى : غيري ، فيكون من الغيرة . شبه غليانها بغليان الغيرى » .
(٢) انظر لهذا الحديث اللسان (نفر) .

أى لم آتِ بفحشٍ لا فِعلاً ولا قولاً ، ولم أقترِفْ ما يقبُح من الذِّكرِ ويُسْتَنَكِرُ في السَّمعِ . وقوله « إذا اجتنب العاقون » ظرفٌ لقوله لم أفحش ، و « طروقاً » ظرفٌ لقَسَمْتُ على ضوء ، ويكون تقدير البيتين : ورا كدةً طويلةً القيام قَسَمْتُ مَرَقَهَا ظَلاماً وقتَ طُرُوقِ العَقَاةِ والأضيافِ ، وبدَدْتُ لَحْمَهَا ، ولم آتِ بفحشاء ، في وقتٍ يتسرع الضَّجَرُ مِنْ كثرةِ الوُرَادِ وازدحامِ الأشغالِ إلى مَنْ كان سَيِّئُ الخلقِ ، سريعَ التَّغَيُّرِ ، حتَّى اجْتَنِبَ نَارَهُ ، وزُهِدَ في ضيافته . وجَعَلَ انْفِسَهُ قِسْمَيْنِ كان أحدهما للَرَقِ على الثُّرْدِ ، والثاني لِفَدْرِ اللَّحْمِ . وعلى الأول قول الآخر : * وَسَعِ بِمَدَّكَ ماءَ اللَّحْمِ تَقْسِمُهُ ^(١) *

٧٣٨

وقال الهذيلُ بن مشجعة البَوْلَانِي :

١ - إني وإن كان ابنُ عَمِّي غائباً كَمَقَازِفٍ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَائِهِ
٢ - ومُفِيدُهُ نَصْرِي وإن كان امرأً مُتَزَحِّزِحاً في أرضِهِ وَسَمَانِهِ
يصف كَرَمَ محافظته وحُسْنَ نيابته عَنْ غِيَابِ أَهْلِهِ وذَوِيهِ ، فيقول : إني لَمَدَافِعُ مَرَامِ دُونَ ابنِ عَمِّي إذا غَابَ عَنِّي ، فأذُبُ مِنْ قُدَّامِهِ وخَلْفِهِ . والمعنى : أني أقاتِلُ دُونَهُ كنتُ هادياً له وقد تخَلَّفَ عَنِّي ، أو حادياً له وقد تقدَّمَنِي . فقوله « من ورائه » ، من البَيِّنِ الظَّاهِرِ أَنَّهُ بمعنى القُدَّامِ ، وقد ذكر معه خَلْفُ . واشتقاقه من السَّوَارَةِ وهي المُسَاتِرَةُ ، ولذلك صَلَحَ وقوعُهُ موقعَ الخَلْفِ والقُدَّامِ . وفي القرآن : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ﴾ . وموضع « من خلفه » نصبٌ على الحال أى متخلفاً أو متقدماً .

وقوله « ومُفِيدُهُ نصرى » أى لا أُمْسِكُ عن معونته وإن تباعدَ عَنِّي في

(١) البيت الأول من الحماسية ٧٤٥ . وعجزه :

* وأكثر الشوب إن لم يكنك ابن *

أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ . والمعنى : أُنِّي بظهور الغيب لا أُنْخِذُهُ وَإِنْ اشْتَغَلَ عَنْهُ بِمَصَارِفِ حَيَاتِهِ فِي بِلَادِهِ وَأَوْطَانِهِ . وَعَطَفَ عَلَى أَرْضِهِ السَّمَاءَ تَأْكِيدًا لَتَنَائِيهِ عَنْهُ ، وَاشْتَغَالِهِ دُونَهُ بِمَبَاقِيهِ ، كَأَنَّهُ لَمَّا جَعَلَ لَهُ أَرْضًا مُبَايِنَةً لِلْأَرْضِ ، جَعَلَ لِأَرْضِهِ سَمَاءً مُبَايِنَةً لِسَمَاءِ أَرْضِهِ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ ذَلِكَ مَثَلًا لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ ، كَمَا يُقَالُ نَفَضْتُ نَهَائِمَ فُلَانٍ وَتُجُودَهُ . والمعنى : مَهَرَّبْتُهُ وَكَشَفْتُ عَنْ أَسْوَائِهِ . وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ : خَبَرْتُ ضُحَى فُلَانٍ وَدُجَاهُ ، وَالْمَعْنَى سِرَّهُ وَإِعْلَانَهُ .

٣ — وَمَتَى أَجِئْتُ فِي الشَّدِيدَةِ مُزْمِلًا أُنِّي الَّذِي فِي مِرْزَدِي لَوْعَاتِهِ ^(١)

٤ — وَإِذَا تَثَبَّتِ الْجَلَائِفُ مَالَنَا خُلِطَتْ هَمِيحَتُنَا إِلَى جَزْبَانِهِ ^(٢)

يقول : وَمَتَى زَرْتُهُ فِي شِدَائِدِ الزَّمَانِ فَوَجَدْتُهُ مُنْقَطِعًا بِهِ لَمْ أَخُوجْهُ إِلَى السُّؤَالِ وَبَذَلَ الْوَجْهَ وَاسْتَحْمَالَ الْفَالِكِ عَنْهُ ، لَكِنْ أَلْقَيْتُ فِي وَعَائِهِ مَا كَانَ فِي مِرْزَدِي . أَيْ أَرُمُ حَالَهُ فِي السُّرِّ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَلْحَقَهُ حَجَلٌ ، أَوْ يَمْسَهُ نَعَبٌ .

وقوله « وَإِذَا تَثَبَّتِ الْجَلَائِفُ » ، يَقُولُ : وَإِذَا تَعَاوَنَتِ الْآكَاتُ وَالسُّنُونُ عَلَى أَمْوَالِنَا ، وَتَنَابَهَتِ الْأَزْمَاتُ مَمْتَرِضَةً فِي أَحْوَالِنَا ، فَقَشَرَتْهَا وَخَشَتْهَا ، وَأَثَرَتْ بِالْقَوَدَى فِيهَا ، خُلِطَتْ قَا سَلِمَ مِنْ مَالِنَا بِالْقَمِيبِ مِنْ مَالِهِ : وَذِكْرُ الصَّنِيعَةِ وَالْجُرْبَاءِ مَثَلٌ . وَالْمَعْنَى : أَصْنَعْنَا قَانِدَ حَالِهِ بِضَالِحِ حَالِنَا ، وَتَحَمَّلْنَا أَوْزَارَ الْآيَامِ السَّيِّئَةِ عَنْهُ بِمَا خَفَّ مِنْ ظُهُورِنَا . وَالْجَلَائِفُ : بَجْعٌ جَلِيفَةٌ ، وَهِيَ الْأَعْوَامُ الْمُجْدِبَةُ . وَأَصْلُ الْجَلْفِ الْقَشْرُ . يُقَالُ : جَالَفْتُ الدَّنَّ ، إِذَا قَشَرْتَ الطَّيْنَ عَنْهُ .

٥ — وَإِذَا أَتَى مِنْ وَجْهَةٍ بِطَرِيفٍ لَمْ أَطْلِعْ مِمَّا وَرَاءَ خِيَابِهِ

(١) التبريزي : « فِي الشَّدَائِدِ » ، التبريزي : « وَبِرُوحِ بَوَاعَاتِهِ ، أَيْ مَعَ وَعَائِهِ ، وَلَوْعَاتِهِ أَيْ إِلَى وَعَائِهِ » . وَفِي حَاشِيَةِ ل : « د خ : بَوَاعَاتِهِ » . إِنْشَارُهُ إِلَى أَنَّهُ كَذَلِكَ فِي لِسَانِهِ .

(٢) التبريزي : « يَرُوى : الْجَلَائِفُ وَالْخَلَائِفُ » . قَالَ أَبُو النَّوَالِ : إِذَا زَوَيْتِ الْخَلَائِفَ بِالْحَاءِ فَهُوَ جَمْعُ خَلِيفَةٍ ... وَإِذَا رَوَيْتِ الْجَلَائِفَ بِالْجِيمِ فَهُوَ جَمْعُ جَلِيفَةٍ » . وَفِي حَاشِيَةِ ل : « ن خ : مَالَهُ » .

يروى : « من وَجِيهِ » ، والمعنى من حيث ما تَوَجَّهَ له كاسباً للمال . وقوله « من وَجِهَة » وهو اسمٌ وليس بمصدر ، ولذلك سَمَّ قَاوُهُ . والمصدر الجِهَة ، أَعْلَّ كما أَعْلَفَ لَهُ ، على ذلك العِدَّة والزَّنة ، والوَغْدَة والوَزْنَة إذا بَنَيْتَ اسماً .
والطَّرِيفَة ، أراد ما اسْتَطَرَفَ من المال واستُحْدِثَ ، لكنَّ القصدَ هنا إلى ما يُسْتَحْسَن من الأعراض ، لكونه طُرْفَةً . وقوله « لم أَطْلِعْ بما وراء خِيَابِه » أى لم أَعْرِضْ له تعرَّضَ الْمُتَتَبِعُ لِحَالِهِ ، الْمُتَطَلَّعُ عَلَى سَرَائِرِ أَمْرِهِ . ووراء ها هنا بمعنى خلف . ويجوز أن يكونَ المعنى : لم أَغْرِضْ نَفْسِي عَلَيْهِ مَقَرِّفًا ما جاء به لِيُشِيرَ كُنِّي فِي طَرَفِهِ ، وَيَحْمَلَنِي إِسْوَة نَفْسِهِ .

٦ — وإذا اكْتَسَى ثوباً جَمِيلاً أَقْلَنَ يَا لَيْتَ أَنْ عَلَيَّ حُسْنِ رِداه
يصف طَيْبَ نَفْسِهِ بما يَنَالُهُ صاحِبُهُ من الخَيْرِ ، ويفرِدُ به من زِيَادَةِ تَجَمُّلِ ،
أو ظُهُورِ أَثَرِ نِعْمَةٍ ، وَقِلَّةِ حَسَدِهِ لَهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَشْتَمِلُ صَدْرُهُ فِيهِ عَلَى غِلٍّ ،
وَلَا يَنْطَوِي قَلْبُهُ [لَهُ ^(١)] عَلَى مَكُونِ حَقْدٍ لَمَّا يَرَى بِهِ مِنْ ظُهُورِ غِنًى ، وَاتَّسَاعِ
أَمْرٍ ، حَتَّى يَتَمَنَّى مَكَانَتَهُ ، وَيَخْتَارُ الاسْتِبْدَادَ بِمَا أُوتِيَ ، أَوْ مِشَارَكَتَهُ فِيهِ .

وقوله « ياليت » المُنَادَى مَحْذُوفٌ ، وَمَوْضِعُ يَالَيْتَ نَصَبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ
لَمْ أَقْلُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : لَمْ أَقْلُ يَا نَاسُ ، لَيْتَ أَنْ عَلَيَّ رِداهُ الْحَسَنَ .

٧٣٩

وقال حَسَّانُ بْنُ حَنْظَلَةَ ^(٢) :

١ — تِلْكَ ابْنَةُ الْعَدَوِيِّ قَالَتْ بِاطِلًا أَزْرَى بِقَوْمِكَ قِلَّةُ الْأُمِّ وَالِ

٢ — إِنَّا لَعَمْرُ أَبِيكَ يَحْمَدُ ضَعْفَنَا وَيَسُودُ مُقْتَرِنًا عَلَى الْإِفْلَاقِ

(١) هذه من ل .

(٢) التبريزي : « حسان بن حنظلة بن أبي رهم بن حسان بن حية بن شعبة الطائي » .

انتصب « باطلا » على أنه مفعول قالت . ومن شرط القول أن يحكى ما بعده إذا كان جملة ، تقول : قال زيدٌ عمرٌو خارج . فإن كان ما بعده معنى جملة ولم يكن جملةً كاملة انتصب على أن يكون مفعوله ، كقولك قال زيد حقاً وقال كذباً وصدقاً . وموضع قوله « أزرى بقومك قلةُ الأموال » نصبٌ على البدل من قوله باطلا . ويجوز أن ينتصب باطلاً على أنه صفةٌ لمصدر محذوف ، كأنه قال قالت قولاً باطلاً ، ويكون أزرى بقومك في موضع المفعول لقالت وقد حكاها لكونه جملة . وقوله « قالت باطلا » رفعٌ على أنه خبر المبتدأ ، وابنة العدوى ارتفع على أنه عطف البيان لتلك .

ومعنى البيت : قالت ابنة العدوى زوراً من القول وباطلاً : لقد قصر بقومك فقرهم وقلة ما لهم ، وإعراض الدنيا عنهم فأجبتها بقولي : إنا لعمري أهلك بحمدنا الضيف ، ويشكرنا الزائر والهجّاز . والمعنى : ليس الاعتبار بكثرة المال واتساع الحال ، فإننا وحق أهلك بحمدنا ضيوفنا إذا نزلوا بنا ، فينصرفون ماديحين لنا ، ونرى مقلتنا ينال السيادة على إقلاله ، ولا يؤخره ذلك عن رتبة أمثاله . وحذف من قوله « إنا لعمري أهلك » فأجبتها أو قلت لها . ومثل هذا يحذف في الكلام كثيراً . على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسودَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۖ أَمْ يَقَالُ لِمَ : أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ .

٣ - غَضِبْتُ عَلَى أَنْ اتَّعَلْتُ بَطِيئِي وَأَنَا اسرودُ مِنْ طَيِّئِ الْأَجْبَالِ

٤ - وَأَنَا اسرودُ مِنْ آلِ حَيَّةٍ مَنَصِي وَبَنُو جُوَيْنٍ ، فَاسْأَلِي ، أَخْوَالِي

يقول : أنكرت مني هذه المرأة انتساباً إلى طيئ ، وتأثلي فيهم ، واعتزائي إليهم ، وتفَضَّبْتُ لتَجَرُّنِي إلى تميم وتَحَوَّلَنِي فيهم ، وذلك بعيدٌ لا يقع في الوهم كونه ، ولا يُستَجَاز حصوله ، وذلك أتى رجلٌ من طيئ خرجت ، وفي عُسْهَا

درجت ، وعلى طرائقهم وشيئهم تخرّجت ، إذ كانوا الأصل الذي منه تفرّعت ،
وعليهم إذا ذُكرت المناسبُ نسي أدّرت . وقوله « وأنا اسرؤ من آل حية »
منصبي ، ذكر طريقه فزعم أن آل حية عمومته التي تؤويه ، وأن بني جوين
خؤولته التي تُدنيه ، والقصد إلى صراغة تلك وتشهير نفسه بما تُنكره منه .
وقوله « من طيُّ الأجنال » يعنى سَلَمَى وأجأ . وهذه الإضافة على طريق
التبخيص والتبيين ، وذلك لأن طيًّا فرقتان : فرقة تنزل السفل^(١) من
جبالهم ، وفرقة تنزل الفلو . وقوله « منصبي » يجوز أن يكون مبتدأً ومن آل
حية خبره ، والجملة في موضع الصفة لاسرى ، ويجوز أن يكون « من آل حية »
في موضع الصفة ، ومنصبي في موضع الرفع على البدل من اسرؤ ، كأنه قال :
أنا لمنصب من آل حية . وقوله « فاسألى » [اعترض^(٢)] ، وقد توسط المبتدأ
والخبر ، ومفعوله محذوف .

٥ - وإذا دعوتُ بنى جديلةَ بجادني مُمرّد على جُسرِ المُنونِ طوالِ
٦ - أحلامنا تَرِنُ الجبالِ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جاهِلُنَا على الجَهْلِ
بنو جديلة : من طي . أراد أن يبين أنه كما يقتزى إليهم يقبلونه
ويجتاحون بكونه منهم وينصرونه ، ففى استعاث بهم واستعانهم على دهره
أو عدوه أعانه رجال مُمرّد ، على خيلٍ جُرْد ، وانضموا له وانصغوا من أعدائه .
وقوله « أحلامنا تَرِنُ الجبالِ » ، مدّح نفسه وقبيلته ، والمراد أنهم من
الوقار والشكون والرزانة والهدوء في المنزل الأهل ، والمكان الأقصى ، لا يتحملون
للنواب ، ولا يتعضضون للشدائد . هذا مالم يُمرجوا أو يُموجوا ، فإن
استجبلوا من بعد ، واستجبروا إلى الشر ، وجد جاهلهم يزيد على الجهل

(١) في الأصل : « الفعب » ، سواه في ل والتبريزى .

(٢) التكلّة من ل .

قهرًا وتأييًّا ، واشتطاطًا في الحكم وتصعيبًا . وإنما افتخر بأن حِلْمَهُم موجودٌ ثابت
مالم يُسَامُوا خَسَفًا ، فإنَّ عُدِلَ بِهِمْ عن طريق النِّصْفَةِ ، وأُرُوا في معاملتهم عَسَفًا ،
كان جهلُهُم مُعَدًّا ، وزائدًا على كلِّ ما يُقَدَّرُ فَيُعَدُّ عَدًّا .

وقوله « تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً » الوزنُ : مثقالُ كلِّ شيءٍ ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى
قِيلَ : [هو ^(١)] رَاجِعٌ لِلوِزْنِ ، أى راجع الرأى والعقل ؛ وهو يَزِنُ كَذَا ، أى
هو على وَزْنِهِ ؛ وهو أَوْزَنُ قَوْمِهِ ، أى هو أَرْجَحُهُمْ وَأَوْجَهُهُمْ .

٧٤٠

وقال إياس بن الارت ^(٢) :

١ - إني لَقَوْلِ إِعَافِي مَرْحَبًا وَلِلطَّالِبِ الْمَعْرُوفِ إِنَّكَ وَاجِدُهُ ^(٣)

٢ - وَإِنِّي لَيَمَّا أَبْسَطُ الْكَفَّ بِالنَّدَى إِذَا شَجِبَتْ كَفُّ الْبَخِيلِ وَسَاعِدُهُ ^(٤)

قوله « عَافِي » أصله عَافُونِي ^(٥) ، لكن الواو والياء إذا اجتمعا فأثبما سبقَ
الآخر بالشكون يُقَلَّبُ الواو ياءً ، ثم يَدْغَمُ الأول في الثاني ، وكُسِرَ الياء لمجاورته
الياء . وانتصب « مرحبا » على المصدر ، وقد وقع وهو يَجْرِي مجرى الجمل مسكان
العامل فيه معه مَوْقِعَ المفعول من قوله قَوْلِ . وانمطف عليه قوله « وللطالب
المعروف إنك واجدُهُ » كأنه قال : وقَوْلِ للطَّالِبِ المعروف إنَّكَ واجدُهُ . فقوله
إِنَّكَ واجدُهُ واقعٌ في مثل قوله مَرْحَبًا . والمعنى أَنَّ العُفَاةَ وطُلَّابَ العُرْفِ إِذَا
نَزَلُوا بِي تَلَقَّيْتُهُمْ بِالترحيب والإكرام ، وتلطيف القول في الإيزال ، وأقول :
إِنَّكُمْ تَجِدُون ما تطلبون ، لا مَنَعَ ولا حِزْمَان ، ولا دِفَاعَ ولا مِطَال ؛ لأنِّي إِذَا

(١) التكملة من ل .

(٢) سبقت ترجمته في الخامسة ٣٥٧ من ١٠٢٨ .

(٣) كذا بالحرم في النسختين . وعند التبريزي : « وإني لقوال » .

(٤) في حاشية ل : « خ : لمن » .

(٥) هذا التقدير قبل حذف النون للإضافة . وعند التبريزي : « عافوي » بالهذف .

تَقَبَّضَتْ أَكْفُ الْبُخْلَاءِ فَلَمْ تَنْبَسِطْ ، وَقَصُرَتْ سَوَاعِدُهُمْ عَنِ الْإِمْتِدَادِ فِي الْبَذْلِ
فَلَمْ تَطُلْ ، تَنْدَبْتُ وَعَلَتْ عَلَى أَكْفِ الشُّؤَالِ كُنْتُ فَبُسِطَتْ ، لِأَنَّ مَعْرُوفِي دَارُ
وُخَيْرِي مَبْذُول . وَقَوْلُهُ : « لِمَا أَبْسُطُ الْكَفَّ » أَيْ لِمَنْ الْأَمْرُ أَنِّي أَبْسُطُ
الْكَفَّ بِاللَّدَى ، ذ « أَبْسُطُ » شَرَحَ الْمُبَهَمَ بِلَفْظَةِ مَا . وَ « إِذَا شَنِجَتْ » ظَرَفَ
لِأَبْسُط ، وَيُشِيرُ إِلَى زَمَانِ السَّوِّ ، وَشُمُولِ الْمَحَلِّ ، وَظُهُورِ الْبُخْلِ .

٣ - لَعَمْرُكَ مَا تَذَرِي أُمَامَةً أَنهَا ثِنْتِي مِنْ خِيَالٍ مَا أَرَاكَ أَعَادُهُ
٤ - فَشَقَّتْ عَلَى صَحْبِي وَعَنْتَ رَكَائِي وَرَدَّتْ عَلَى اللَّيْلِ قِرْنًا أَكَابِدُهُ (١)

لَعَمْرُكَ : مَبْتَدَأُ وَخَبْرُهُ مَحْذُوفٌ ، وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهِ فِيمَا تَقْدَمُ . فَيَقُولُ :
وَبَقَائِكَ ، مَا تَعْلَمُ هَذِهِ الْمَرَأَةُ أَنَّ خِيَالَهَا يَأْتِينِي ثِنْتِي ، أَيْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَفِي
الْحَدِيثِ : « لَا ثِنْتِي فِي الصَّدَقَةِ » ، أَيْ لَا تَوْخِذُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ . وَقَوْلُهُ « مَا أَرَاكَ
أَعَادُهُ » يَرِيدُ أَنِّي مِمْتَحَنٌ بِمَجِيئِهَا ، لِأَنَّهَا تُرَاجِعُنِي فَتَقْصِرُ فَنِي عَنْ أَسْبَابِي ،
وَتَعُوقُنِي عَنْ مُهِمَّاتِي . وَالْمَعْنَى أَنَّهَا غَافِلَةٌ عَمَّا أَكَابِدُهُ مِنْ خِيَالِهَا فِي الْمَنَامِ ،
وَمِنْ مُلَازِمَةِ ذِكْرِهَا لِي عِنْدَ الْإِنْتِبَاهِ ، لِأَنَّهَا لَا تَجِدُ مِثْلَ وَجْدِي ، فَلَا
الَّذِي كُرِيَ بِهِيْجُ الشُّوقِ ، وَلَا الْفِكْرُ يَجِدُّ الطَّيْفَ . وَهَذَا الْكَلَامُ تَشَكُّيٌّ مِنْهُ
وَتَعْيُوبٌ عَلَى صَاحِبَتِهِ ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ « فَشَقَّتْ عَلَى صَحْبِي » ، يَعْنِي الْخِيَالِ ؛ وَذَلِكَ
لِأَنَّهُ لَمَّا سَهَرَ بِمَثَاحِبِهِ عَلَى النَّهْوِضِ مَعَهُ (٢) وَالْإِنْبَعَاثِ فِي السَّيْرِ مُسَاعِدِينَ
لَهُ ، فَهَذَا مَعْنَى الشُّقَّةِ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « وَعَنْتَ رَكَائِي » جَمْعُ رَكُوبَةٍ ، وَهِيَ تَجْرِي
تَجْرَى الْأَسْمَاءِ فِي انْفِرَادِهَا عَنِ الْمَوْصُوفِ ، لَا يُقَالُ نَاقَةٌ رَكُوبَةٌ . وَالْمَعْنَى :
أَتَعَبْتُ رَوَاحِلِي ، لِأَنَّ أَرْجَحَتُهَا لِلْسَّيْرِ ، وَبَعَثْتُهَا مِنَ الْقَرَارِ ، وَحُلَّتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
الرَّاحَةِ . وَقَوْلُهُ « وَرَدَّتْ عَلَى اللَّيْلِ قِرْنًا أَكَابِدُهُ » أَيْ جَعَلَتْنِي مَمْتَطِيًا لِلَّيْلِ ،

(١) التبريزي : « فشقت على ركبتي » .

(٢) في الأصل : « معهم » ، صوابه في ل .

وَمُتَّخِذًا قِرْنًا لِي أَزْوَاجِهِ وَأَجَازِيهِ ، أَيْ أَشَاقِهِ وَأُنَاصِيهِ . وَأَصْلُهُ مِنَ الْكَبَدِ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ ، أَيْ فِي شِدَّةٍ وَمَشَاقَّةٍ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : يُقَالُ كَابَدْتُ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ بِكَابِدٍ شَدِيدٍ ، أَيْ مُكَابَدَةً شَدِيدَةً . وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ تَبَجُّعٌ مِنْهُ عِنْدَهَا بِأَنَّهَا تَمْلِكُهُ عَلَى غَفْلَتِهَا عَنْهُ ، وَانْفِرَادِهِ بِالْبُثِّ فِيهَا ، فَخَيَّالُهَا يَصْرِفُهُ التَّصْرِيفَ الَّذِي وَصَفَ . وَانْتَعَصَبَ « قَرْنَا » عَلَى الْحَالِ .

٧٤١

وقال آخر :

١ - أَثْنِي عَلَىَّ بِمَا لَا تُكْذِبِينَ بِهِ يَا بَكْرُ أَيْ فَقَى لِلضَّيْفِ وَالْجَارِ (١)

٢ - إِنِّي أَجَاوِرُ مَا جَاوَزْتُ فِي حَسْبِي وَلَا أَفَارِقُ إِلَّا طَيِّبَ الدَّارِ

قَوْلُهُ « بِمَا لَا تُكْذِبِينَ بِهِ » أَيْ لَا تُصَادَفِينَ بِذِكْرِهِ كَاذِبَةً . يُقَالُ : خَبَّرَنِي فَلَانٌ فَأَكْذَبْتُهُ ، أَيْ وَجَدْتُهُ كَاذِبًا . وَالْمَعْنَى : لَيْكُنْ ثَنَاؤُكَ عَلَيَّ حَقًّا ، وَبِمَا لَا يَسْتَسْرِفُهُ سَامِعُهُ وَلَا يَسْتَنْكَرُهُ مُخْبِرُهُ . ثُمَّ عَلَّمَهَا فَقَالَ : قَوْلِي يَا بَكْرُ ، أَيْ فَقَى كُنْتُ لِلْجَارِ إِذَا اسْتَجَارَ ، وَالضَّيْفِ إِذَا اسْتَضَافَ .

وقوله « إِنِّي أَجَاوِرُ مَا جَاوَزْتُ فِي حَسْبِي » ، يُرِيدُ أَنْ مَنْ صَاحَبْتُهُ بِجَاوِرًا لَهُ يَجِدُنِي حَسْبِيًّا فِي فِعَالِي ، كَرِيمًا عِنْدَ مَقَالِي . هَذَا مَدَّةُ الْجَوَارِ ، ثُمَّ إِنَّ فَارِقَتَهُ فَارِقَتُهُ وَالْدَّارُ تَنْطِقُ بِالنَّشَاءِ عَلَيَّ ، فَأَخْبَارِي تُسْتَطَابُ فِي السَّمَاعِ إِذَا غَبْتُ ، كَمَا أَنَّ أَخْلَاقِي تُسْتَمَاحُ إِذَا شَهِدْتُ . وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الْآخَرِ :

إِذَا كُنْتُ فِي دَارٍ لَخَاوَلْتُ تَرْكَهَا فَدَعَّيْتُهَا وَفِيهَا إِنْ رَجَعْتُ مَعَادُ

وقوله « فِي حَسْبِي » أَيْ مَعِي حَسْبِي ، فَوَضَعَهُ نَصْبًا عَلَى الْحَالِ . وَإِذَا جَاوَرَ وَمَعَهُ حَسْبُهُ مَنَعَهُ مِمَّا لَا يَحْسُنُ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ وَإِذَا جَاوَرَ

(١) التبريزي : « يَا طَلِيبُ أَيْ فَقَى » ، ثُمَّ قَالَ : « وَيُرْوَى : يَا بَكْرُ » .

مَرَوْا بِاللَّغْوِ مَرَّوَا كِرَامًا ، أَيْ الْكَرْمُ مَنَعَهُمْ مِنَ التَّعْرِيجِ عَلَى الْغَوْرِ . وَيُقَالُ :
جَاءَنَا فُلَانٌ فِي دِرْزَعٍ ، أَيْ عَلَيْهِ ^(١) دِرْزَعٌ ، وَالْعَامِلُ فِي مَوْضِعٍ « فِي حَسْبِي »
أَجَاوَرُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « إِلَّا طَيِّبَ الدَّارِ » انْتَصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ
لَا أَفَارِقُ . وَقَوْلُهُ « أَيُّ فَتًى » مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ مُضْمَرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيُّ فَتًى أَنْتَ ؟
وَقَدْ جِئِلِ الطَّيِّبَ كِنَايَةً عَنِ الْكَرِيمِ ؛ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طَيِّبُ فَاذْخُلُوهَا ﴾ ، أَيْ كَرُمَتْ .

٧٤٢

وقال آخر :

١ - كَمْ مِنْ لَثِيمٍ رَأَيْنَا كَانَ ذَا إِبِلٍ فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ لَانْطِطٍ وَلَا قَارٍ ^(٢)

٢ - وَلَوْ يَكُونُ عَلَى الْخُدَّادِ يَنْبَلِكُهُ لَمْ يَسْقِ ذَا غَلَّةٍ مِنْ مَائِهِ الْجَارِي ^(٣)

كَمْ مَوْضِعُهُ نَهَبٌ عَلَى الْمَفْعُولِ مِنْ رَأَيْنَا . يُرِيدُ : رَأَيْنَا كَثِيرًا مِنَ اللَّثَامِ
بِمِلْكُونِ نَهَائِسِ الْأَمْوَالِ وَكِرَامَتِهَا ، ثُمَّ مَا تَوَاعَاهَا أَوْ أُزِيلَتْ نِعْمَتُهُمْ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَهَا ، فَصَارُوا مِنْ بَعْدُ لَا هُمْ مُعْطُونَ وَلَا قَارُونَ ، أَيْ عَادُوا وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُهُمْ ،
فَلَا يُرْجَى ذَلِكَ مِنْ جِهَتِهِمْ . وَقَوْلُهُ « فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ » وَ « كَانَ ذَا إِبِلٍ » ، كُلُّ
ذَلِكَ مُرَدُّهُ عَلَى لَفْظِ لَثِيمٍ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى يُفِيدُ الْكَثْرَةَ .

(١) ل : « أَيْ وَعَلَيْهِ » .

(٢) ابْنُ جَنَى فِي التَّنْبِيهِ : « لَكَ فِي مَعَطٍ وَقَارٍ أَمْرَانِ : إِنْ شَتَّتَ كَانَا فِي مَوْضِعٍ نَسَبَ ،
أَرَادَ لَا مَطْلَبًا وَلَا قَارِيَا ، إِلَّا أَنَّهُ أَجْرَى الْمَنْصُوبِ جَرَى الْمَجْرُورِ وَالْمَرْفُوعِ تَغْيِيهَا لِلْيَاءِ بِالْأَلْفِ
كَقَوْلِهِ :

* يَادَارُ هُنْدَ عَفَتْ إِلَّا أَنَا فِيهَا *

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْفَرْقِ *

وَقَوْلُهُ : سَوَى مَسَاحِيْنٍ تَقْطِيطُ الْحَقِّ تَفْلِيلُ مَا قَرَعْنَ مِنْ سِمَرِ الطَّرْقِ

وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ عَلَى : فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ لَاهُو مَعَطٍ وَلَا قَارٍ ، كَقَوْلِهِمْ فِي الصِّفَةِ :

وَتَرَبَّكْ وَجْهًا كَالْجَهِيْفَةِ لَا ظِلْمَانَ مَخْلُجٍ وَلَا جَهْمَ

(٣) الْخُدَّادُ بَضْمُ الْمَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَيُرْوَى أَيْضًا بَضْمُ الْجِمِّ الْمَجْمُوعَةِ كَمَا ذَكَرَ يَاقُوتُ .

وَأَنْتَدِ الْبَيْتَ .

وقوله « ولو يكون على الحداد » ، يريد : ولو وُلِّيَ قَيْضَ الحداد ، وهو اسم بحري ، ممتلكاً له أيام غناه لما برّد غليل رجل جرّان ، ولا سقاء ماء لفيه ، لبخله وقسوة قلبه . ومعنى « على الحداد » ، أى متولياً له ومدبراً أمره ، يقال : مَنْ عليكم ؟ أى مَنْ يأمرُ عليكم ويحكم . وإذا كان كذلك فقوله على الحداد يتم الكلامُ به ، لأنّه خبر يكون ، ويملكه في موضع النصب على الحال . وقوله « لا مُعْطٍ » مُعْطٍ في موضع خبر المبتدأ كأنّه قال : لا هو مُعْطٍ . والكلامُ بعت على البذل والسّخاء ، وأنّ المالَ في الدنيا بمرَضِ الحوادث مُلْتَقَى ، وعلى طريق النّوائب ، فلا يَبْقَى لِلْمَالِكِ ، كما أنّ مالِكَه لا يبقى له ، فاقْدُمه في اجتلاب شُكْرِ واكتساب أجرٍ هو الباقي له ، دون ما يخلّقه فيقتسمه الوراثُ بعده فائزين به ، وذائمين له .

٧٤٣

وقال حسان بن ثابت (١) :

- ١ - الْمَالُ يُفْشِي رِجَالاً لَا طَبَاخَ لَهُمْ كَالسَّمِيلِ يَفْشَى أَصُولَ الدَّنْدَنِ الْبَالِي (٢)
 - ٢ - أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أَدْنَسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
 - ٣ - أَحْتَمِلُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمَحْتَمَلٍ
- قوله « لا طَبَاخَ لَهُمْ » ، أى لاخير عندهم . ويقال : هذا لحمٌ لا طَبَاخَ له ،

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الصحابي ، أحد غفري الجاهلية والإسلام ، قالوا : عاش في الجاهلية ستين وفي الإسلام مثلاً ، ومات في خلافة معاوية ، وعمره في آخر عمره . وهو أحد شعراء الرسول والمناجحين عن الإسلام . وترجمته في كتب الصحابة والأفاني (٤ : ٢ - ١٧) وابن سلام ٥٢ - ٥٣ والخزانة (١ : ١٠٨ - ١١١) وغيرهما .

(٢) التبريزي : « لا طباخ بهم » ، وطباخ ، ضبطت بفتح الطاء في النسختين . وفي اللسان : « ووجد بخط الأزهرى : طباخ بضم الطاء . ووجد بخط الإيادى : طباخ بفتح الطاء . على أن الشعر روى أيضاً لحية بن خلف الطائي يخاطب امرأة من بني ضحى بن جرم ، كما في اللسان . ولكن القصيدة لحسان بن ثابت طويلاً في ديوانه ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

أى لا دَسَمَ له . وشابَّ مُطَبَّخٌ ، أملاً ما يكون شاباً وأرواه . وطَبَّخَ الفُلامُ ،
إذا ترعرعَ وعَمِلَ^(١) . والدُّنْدِنْ : المسودُّ من الكلالِ لِقَدَمِهِ وَيُسَبِّهِ . والمعنى
أنَّ المرءَ لا يُؤْتَى الغنى لفضلٍ فيه وغناءٍ لديه ، وإنما ذلك لمقاديرٍ قُدِّرَتْ على^(٢)
حَسَبِ ما عرَفَهُ اللهُ تعالى جَدُّه ، وهو الذى يُغْنِي وَيُغْنِي مِنْ مَصَالِحِ خلقه . وإذا
كانَ كذلك فقد يَتَّبِقُ حصولُ المالِ عندَ مَنْ لا يَسْتَحِقُّه بفضلِ أُوتِيهِ ، أو ذِمَامِ
وَجَبَ له ، بل يكون كالسَّيْلِ يَمْتَدُّ مِنَ الْمَذَانِبِ وَالْجَلَالِ حَتَّى يَقِفَ حَاصِلاً فى
أُصُولِ يَابِسِ الكلالِ وَمُسَوِّدَةٍ ، فى أَنَّهُ لا يُنْتَفَعُ به ولا يَرُدُّ خيراً على جَانِبِهِ ،
كما لا يَنْتَفِعُ الدُّنْدِنْ البالى بما يَفْشَى أُصُولَهُ من ماءِ الطَّرِّ . وفى مثل هذا
قولُ الرَّاعِي :

وخَادَعَ المَجْدَ أَفْـوَاهُ لَمْ وَرَقْ رَاحَ العِضَاهُ بهِ والعِرْقُ مَدْخُولُ^(٣)

وقد أخذ أبو تمامٍ هذا المعنى فقالَ وأَحْسَنَ :

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي
وقوله « أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي » ، يريدُ أَنِّي أَجْعَلُ المَالَ واقِيةً لِحَسْبِي ونَسْبِي ،
فأَصُونُهُ ولا أَدْنِسُهُ بِتَمْيِيرِهِ وتَوَفِيرِهِ ، وإنْ تَقَلَّدْتُ العَارَ له واكْتَسَبْتُ الإِثْمَ
الفاحشَ فيه ، فلا بَارَكَ اللهُ فى المَالِ بعدَ النَّفْسِ ، لأنَّ المَالَ يُحْتَاجُ إِليه لِتَنْتَفِعَ بهِ
النَّفْسُ ، ولِتَنْتَزِعَ عنِ المعايِبِ والمَقَادِرِ يانِفَاقِهِ . فأما قوله « بَارَكَ » فأصله من
اللزوم ، ومنه بَرَكَ البعيرُ ، إذا أَرِمَ مكانَهُ . فعنَى بَارَكَ اللهُ فيه : بَقَاهُ اللهُ . وعلى
ذلك قولُ المسلمين : تبارك اللهُ : أى بَقِيَ ودامَ ، فهو تفاعلٌ فى معنى فَعَلَ
لا تَكَلَّفَ فيه ، تعالى اللهُ عن ذلك .

(١) كذا فى النسختين . وفى اللسان : « وعقل » .

(٢) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « وعلى » .

(٣) انظر البيت ورواياته فى اللسان ومقاييس اللغة (روح) .

وقوله « أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَهُ » ، يريد أن المال إذا استهلكه مُنْفِقُهُ أَمَكْنَ الْعَيْتَاضُ مِنْهُ ، ونفذ الاحتيال في جَمْعِهِ وتشميره ، وإذا هَلَكَ الْعَرَضُ فَلَا طَرِيقَ إِلَى رَدِّهِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، وَلَا اسْتِطَاعَةَ فِي تَنْقِيَّتِهِ مِنْ دَرَنِ الْعَارِ وَقَدْ جُعِلَ وَقَايَةُ لِلْمَالِ .

٧٤٤

وقال عبد الميز بن زرارَة الكلابي^(١) :

- ١ - دَعَوْتُ إِلَيْهَا فَنِيَّةً بِأَكْفِهِمْ من الْجَزْرِ فِي بَرْدِ الشِّتَاءِ كُلُّومُ
 - ٢ - إِذَا مَا اسْتَهَوَّ مِنْهَا شِوَاءُ سَعَى لَهُمْ بِهِ هِذْرِيَانُ لِلْكَرَامِ خَدُومُ^(٢)
 - ٣ - فَإِلَّا أَكُنْ عَيْنَ الْجَوَادِ فَإِنِّي عَلَى الزَّادِ فِي الظُّلُمَاءِ غَيْرُ شَتِيمِ
 - ٤ - وَإِلَّا أَكُنْ عَيْنَ الشَّجَاعِ فَإِنِّي أَرْدُ سِنَانَ الرُّمَحِ غَيْرُ سَلِيمِ
- « إِلَيْهَا » ، يعني إلى راحلته . وجعل الفتيمة مَكْلُومِي الْأَكْفِ عِنْدَمَا يَقُولُونَهُ مِنْ قِسْمَةِ الْجَزُورِ وَتَفْصِيلِ أَوْصَالِهَا ، لِأَنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْمَفَاصِلِ ، وَلَمْ يُجَاوِلُوا نَحْرَ الْإِبِلِ وَجَزَرَهَا قَبْلَ ذَلِكَ . فيقول : جَعَلْتُ عَلَى قِسْمَةِ نَاقَتِي فَنِيَانًا قَدْ تَكَلَّفُوا مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ تَكْرُمًا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَلَا صَارَ مِنْهُمْ بِيَالٍ ، لَكِنْ شِدَّةُ الزَّمَانِ ، وَتَنَاهَى الضَّرُّ فِي الْجِيرَانِ وَطَوَائِفِ النَّاسِ فَرَضَ عَلَى أَمْثَالِهِمْ تَجَشُّمَ فِعْلِهِ لَمْ ، وَحُسْنَ تَوَلِّيهِ فِيهِمْ .

(١) هو أحد أشراف العرب وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعراً في الحيوان (٨٤: ٣) والبيان (٤ : ٥٤) ، وقص خبراً له مع معاوية في البيان (٢ : ٧٥) ، كما أنشد لبعض الشعراء مديحاً فيه ، في الحيوان (٦ : ٣٢٩) . وذكر أبو الفرج في الأغاني (١ : ٦٨) أنه الذي تكفل بدفن توبة بن الحمير في أيام مروان بن الحكم .

(٢) إلى هنا تنتهي المقطوعة عند التبريزي ، وفصل بين هذين البيتين وبين تاليهما بقوله : « وقال آخر » . لكن المرزوقي جعلهما جميعاً مقطوعة واحدة على مافي البيتين الأخيرين من إقواء ظاهر .

وقوله « إذا ما اشتَهَوْا مِنْهَا شَوَاه » ، يريد : وإذا انبسطوا للتناول وتواضعوا وأظهروا في المعاونة اهتزازهم فنشطوا ، سعى في اتخاذ الشَّوَاه لهم وتهيبته رجلٌ خفيفُ السَّعى ، كثيرُ الأَطاف ، حسنُ الخِدْمَةِ للكرام ، عارفٌ برُؤسومهم في اكتساب المكرمات . ويعنى به نفسه .

وقوله : « فَإِلَّا أَكُنْ عَيْنَ الْجَوَاد » ، يريد إن لم أكن كَلَّ الْجَوَادِ والجامع لأسبابِ السَّخَاءِ ، فَإِنِّي لَا أَشْتَمُ فِي الظُّلْمَاءِ بَعْلَةَ الزَّادِ وَحَبْسِهِ عَنْ مَرِيدِهِ ؛ وإن لم أَكُنْ حَقَّ الشُّجَاعِ ، وَالنَّجَامِ الْآلَاتِ فِي الْمَصَاعِ^(١) ، فَإِنِّي أَجِرُّ الرُّمَحَ فِي الْمُطْعُونِ وَأُرْدُّ سِنَانَهُ كَسِيرًا . وليس الجود ولا الشجاعة إلَّا ما ذكره ، ولكنه أراد أن تكون دعواه قاصرة عن الغاية المرموقة ، ليكون أجسَنَ في الأحدونة ، وأدخلَ في العقل ، وأقربَ في الذِّكْر . وقد مرَّ القولُ في مثله في باب الحماسة أشبعَ من هذا .

والهذريان والهيدار : الكثير الكلام فيما يُحمد . والهذر والمهذار : الكثير الكلام في كلِّ باب .

٧٤٥

وقال آخر :

- ١ - وَسَّعَ بِمَدِّكَ مَاءَ اللَّحْمِ تَقْسِيمُهُ وَأَكْثَرَ الشُّوبِ إِنْ لَمْ يَكُنْ اللَّبَنُ
 - ٢ - وَسَّعَ بِهِ وَتَلَفَتْ حَوْلَ حَاضِرِهِ إِنْ السَّكْرِيْمَ الَّذِي لَمْ يُخْلِهِ الْفِطْنُ
- قوله « بِمَدِّكَ » مصدر مددت القدر ، إذا أكَثَرْت مَرْقَهَا . ويقال : مددت الدَّوَاةَ أَيْضًا ، إذا أكَثَرْت مَاءَهَا . وَأَمَدَدْتُ الْجَيْشَ ، إذا أَتْبَعْتَهُ بِمَدِّ يَكْثُرُهُ وَيَقْوِيهِ . فيقول : كثر مَرَقُ قِدْرِكَ لِيَتَسَعَ لِفَاشِيَتِهَا ، وَأَكْثَرَ خَلْطَ اللَّبَنِ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَتَسَعَ لَوُرَّادِهِ . والشُّوبُ : مصدر شاب يشوبُ ، إذا خَلَطَ . وهذا مِثْلُ

(١) المصاع والمصاعة : القاتلة والمجالبة بالسيوف .

ما سار به المثل ، وهو «مثل الماء خير من الماء» . وأصله أن رجلاً استسقى غيره لبناً ، فقال : إنه مثل الماء ، أى فضلة بقيت من لبن مشروب . فقال المستسقى : مثل الماء خير من الماء . يريد أن المشروب من اللبن خير من الماء القراح . ومثله قول الآخر :

نمذ لم بالماء من غير هونهم ولكن إذا ما ضاق شئ يوسع
وقوله «وسع به وتلفت حول حاضره» يريد كثرة التفت فيمن حولك من جار ومحتاج ، ولا تنتظر بما تفرقه السؤال والطلب ، ولكن ليكن من نفسك باعث على تمييز المحتاج ، والنظر له ، والإفضال عليه ؛ لأن الكريم هو الذى لا يخليه فطمه ، والتفاته ونظره . واللوم : سواه التناقل ؛ وهذا كما قال الآخر :

إن الكريم من تلفت حوله وإن اللئيم دائم الطرف أفود^(١)

٧٤٦

وقال آخر^(٢) :

١ - إذا همى لم تمنع برشل لحومها من الصيف لاقى حده وهو قاطع
٢ - ندافع عن أحسابنا بلحومها وألبانها إن الكريم يدافع
٣ - ومن يقترف خلقاً سيوى خلق نفسه يدعه وترجفه إليه الرواجع
قوله «إذا همى لم تمنع» ، يعنى الإبل . فيقول : إذا لم يكن فى النوق لبن تحمى نفوسها به من القفر عند نزول الصيفان لاقى حد الصيف وهو يجرها ويقطعها . ومثله قول الآخر :

وإن تعذر بالمخل من ذى ضرورها على الصيف يجرخ فى عراقيها نصلي

(١) أنشده فى اللسان (قود) شاهداً على أن الأقود الذى إذا أقبل على الشئ بوجهه لم يكده بصرف وجهه عنه .

(٢) هو المخضع القيسى ، من عبد القيس . معجم الرزبانى ٤٧٥ .

وَأَبَاحُ مِنْهُمَا قَوْلُ الْآخِرِ^(١) :

فَتَى لَا يَمُدُّ الرُّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَوْ تَنَحَّرَ الْجُزُرُ
وقوله « نُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِنَا بِلَحُومِهَا » ، يريد بإطعام لحومها ، وسقَى ألبانها
لأنَّ عَادَتَنَا تَقْرِضُ عَلَيْنَا الْمُدَافِعَةَ عَنِ الْكَرَمِ ، وَالْحَمَامَةَ عَلَى الشَّرَفِ ، وَذَلِكَ خُلُقُنَا
الَّذِي نَنْشَأُ عَلَيْهِ ، وَنَنْبُتُ فِيهِ ، وَمَنْ يَتَعَاطَى خُلُقًا مُسْتَجَدًّا مُخَالِفًا لِمَا أَلْفَهُ وَتَعَوَّدَهُ
يَفَارِقُهُ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ الْخُلُقُ الْأَوَّلُ . ومثله قول الْآخِرِ^(٢) :

كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِشِمَّتِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ
وَالْقَرَفُ يَكُونُ مِنَ الذَّنْبِ وَالْجُزْمِ ، يَقَالُ : هُوَ يَقْتَرِفُ ذَنْبًا ، أَى يَأْتِيهِ
ويفعله ، ويقال أيضا : هُوَ يَقْتَرِفُ لِعِيَالِهِ ، أَى يَكْتَسِبُ . واقتَرَفَ حَسَنَةً ، أَى
اكتسبها . وقوله : « وَتَرْجِمُهُ إِلَى الرَّوَاجِعِ » ، يَقَالُ : رَجَعَ فَلَانٌ مِنْ كَذَا
رُجُوعًا ، وَرَجَمْتُهُ أَنَا رَجْمًا ، ومثله صَدَّ وَصَدَدْتُهُ ، وَكَسَبَ وَكَسَبْتُهُ .

٧٤٧

وَقَالَ مُضَرُّ بْنُ رَبِيعٍ^(٣) :

- ١- وَإِنِّى لَأَدْعُو الضَّيْفَ بِالضُّوءِ بَعْدَمَا كَسَا الْأَرْضَ نَضَاحُ الْجَلِيدِ وَجَامِدُهُ
 - ٢- لَأَكْرِمَهُ إِنِ الْكَرَامَةُ حَقُّهُ وَمِثْلَانِ عِنْدِي قُرْبُهُ وَتَبَاعُدُهُ
 - ٣- أَيْبَتُ أَعَشَّيْهِ السَّدِيفَ وَإِنِّى بِمَا قَالِ حَتَّى يَنْزِلَكَ الْحَيَّ حَامِدُهُ^(٤)
- يقول : إِنِّى أَدْعُو الضَّيْفَ بِإِقَادِ النَّارِ وَإِعْلَاءِ ضَوْئِهَا ، عِنْدَ اشْتِدَادِ الْبَرْدِ ،

(١) هو الأبيرد البربوعى . انظر ص ١٠٧٩ .

(٢) هو ذو الإصبع العدوانى . البيت ١٠ من المفضلية ٣١ .

(٣) سبق تَرْجِمَتُهُ فِي الْحَاسِيَةِ ٤٤١ ص ١١٨٣ .

(٤) التبريزى : « بما نال » ، وفى حاشية ل : « خ : بما نال » ، إشارة إلى هذه الرواية فى إحدى النسخ .

واكتساء الأرض من جامد الماء ، ومتنضج الجليد ، أى نداه الذى يبسه البرد ،
لأقصى حقه بإكرامه وإطافه . والتنضج كالنضج ، إلا أن النضج له أثر .
والعين تنضج بالماء ، وكذلك الكوز . والنضيج : العرق ، لأن جرم الإنسان
ينضج به . وسمى أبو ذؤيب الهذلي ساقى النخل نصاحا ، كما سُمي البعير الذى
يُسقى عليه الماء : الناضح ، فقال :

..... كما يسقى الجذوع خلال الدور نصاح^(١)

وقوله « ومثلان عندى قر به وتبأهده » ، يريد فى النسب . أى يتساوى
عندى تمازجه وتواشجه ، وتنايه وتباينه ؛ لأن الواجب له على أقيم لا أحمد
بذلك عليه ، لأن إكرام الضيف فرض على ذى المروءة ، ومسقط الفرض عن
نفسه لا يستحق من الناس اعتداداً .

وقوله « أبيت أعشيه السديف » فالسديف : شخم السنام . والمراد : أبقي
ليلتى مطعماً له خيار ما عندى ويحضرنى من شطب السنام ، ثم إن اقترح على
شيئاً أعدته نعمة تتجدد له يستوجب منى حمداً وشكراً عليها ، وذلك له طول
مقامه إلى أن يفارقنى ، ويترك عشيرتى .

٧٤٨

وقال حماس بن ثامل :

- ١ - ومُسْتَنْبِحٍ فى لُجٍّ لَيْلٍ دَعَوْتُهُ بِمِشْبُوبَةٍ فى رَأْسِ صَمَدٍ مُقَابِلِ
- ٢ - قُلْتُ لَهُ أَقْبِلْ فَإِنَّكَ رَاشِدٌ وَإِنَّ عَلَى النَّارِ النَّدى وَابْنَ ثَالِ^(٢)

(١) صدره فى ديوان الهذليين (١ : ٤٦) :

* هبطن بطن رهاط واعتمبن كما

(٢) التبريزى : « قلت له » .

المشوبة : النار ، وتوسعوا فقليل : شَبَبْتُ الحرب ، كما قيل شَبَبْتُ النار .
ولُجَّ اللَّيْلِ : مُعْظَمَ ظُلُمَتِهِ ، وكذلك لُجَّ البحر . والصَّنْدُ : الجَبَلُ أو الأرضُ
المرتفعة . جعل نَارَهُ فِي يَفَاعٍ مُقَابِلٍ لَسَمْتِ الضَّيْفِ ، فدَعَاهُ بِهَا لِمَا أَعْلَاهَا
ورَفَعَهَا حَتَّى اهْتَدَى لَهَا . وهذا مِثْلُ مَا قَدْ شَرَحْتُهُ .

وقوله « فقلتُ له أَقْبِلْ فَإِنَّكَ رَاشِدٌ » أى قَوَّيْتُ نَفْسَهُ فِي التَّزْوِلِ ، وَأَرَيْتُهُ
استبْشَارِي لَهُ وَانتَظَارِي إِيَّاهُ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : « وَإِنَّ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَابْنَ
بَابِلَ » . ولولا اشتهارُهُ بِالطُّوْلِ وَالْإِفْضَالِ لَمَا قَالَ ذَلِكَ . وهذا مِثْلُ قول الأعشى :
* وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ ^(١) *

٧٤٩

وقال النمرى ^(٢) ، ويقال إنها لرجلٍ من باهلة :

١ - وَدَاعَ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوِّ كَأَنَّمَا يُقَاتِلُ أَهْوََالَ الشَّرَى وَتُقَاتِلُهُ
٢ - دَعَا بِأَنَسَا شَبَهَ الْجُنُونِ وَمَا بِهِ جَنُونٌ وَلَكِنْ كَيْدُ أَنْصَرٍ يُحَاوِلُهُ
يَعْنِي بِالدَّاعَى مُسْتَنْبِحًا طَلَبَ بَعْدَ أَنْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ قِطْعَةً مِّنْ يُمُيْتُهُ
وَيَسْتَنْقِذُهُ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ ، وَبَلَاءِ الضَّرِّ ، حَتَّى كَأَنَّمَا كَانَ يُقَاتِلُ أَسْبَابَ الشَّرَى
لَشِدَّةِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ ، وَتَقَاتِلُهُ ، أَى بَلَغَ الْحَالُ بِهِ حَدًّا رَأَى الشَّرَى تُفَالِحُهُ عَنْ
نَفْسِهِ ، وَتُصَارِعُهُ عَنْهَا .

(١) صدره في الديوان ١٥٠ :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

(٢) المصهور بهذه النسبة من الشعراء منصور النمرى ، وهو منصور بن سلمة بن الزرقان
من النمر بن قاسط ، وكان مقدما عند الرشيد ، وكان يمت لآية بأُم العباس بن هبذ المطلب ومي
نعمية ، ومات في خلافة الرشيد . الشعراء ٨٣٥ وتاريخ بغداد (١٣ : ٦٥ - ٦٩)
والأغانى (١٢ : ١٦ - ٢٤) :

وقوله « دعا بائساً » يعنى كلباً ذا بؤسٍ لَفَرَرِ التَّحْطُطُ ، ويكون على هذا مفعولاً . ويجوز أن ينتصب على الحال للداعى ، أى دعا وهو ذو بؤسٍ . ويجوز أن يريد دعاً دعاءً عن بؤسٍ يشبه الجنون . فإما تكريره للدعاء فهو تهويل الأمر وتَفْطِيعُ الشَّانِ . وانتصب « شِبْهُ الْجُنُونِ » أى دعا يشبه الجنونَ ، فهو صفةٌ للمصدر المحذوف . قال : وليس به جنون ، لكنه يُكَايِدُ أَمْرًا^(١) ، وىمانى مَشَقَّةٌ وَضُرًا ، فهو يطلب الخلاص من مِحْنَةٍ لا طريقَ لِلْمَخْلَصِ منها إلا على ذلك الوجه . وتحقيق الكلام : ليس به جنون ، ولكن به كَيْدٌ أَمْرٍ يَطْلُبُ دَفْعَهُ وَالسَّلَامَةَ مِنْهُ .

٣- فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتَ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتِ كَرِيمِ الْجِدِّ حُلُوِّ شِمَائِلِهِ
٤- فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَتَقَبْتُ ضَوْءَهَا وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهُوَ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهُ
يقول : جَمَعْتُ فِي تَلْقِيهِ وَإِغَائِثِهِ بَيْنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الضَّيْفُ ،
وَيُسْتَقْبَلُ بِهَا الْجِيرَانُ ؛ لِإِشْمَالَتِهِ مِنْ صَرَغَتِهِ ، وَاشْتِلَانِهِ مِنْ مِحْنَتِهِ ، فَنَادَيْتُهُ
بِنَفْسِي عَلَى رَفِيعٍ مِنْ صَوْتِي ، وَهُوَ صَوْتُ رَجُلٍ كَرِيمٍ الْأَصْلِ ، حُلُوِّ الطَّبَائِعِ ،
مَسْهَلِ الْجَانِبِ ، حَسَنِ الْإِشْمَالِ عَلَى الضَّيْفِ ، وَجَعَلْتُ نَارِي فِي بَرَّازٍ ، وَهُوَ الْمَرْتَفِعُ
مِنَ الْأَرْضِ . وَمِثْلُ الْبَرَّازِ الْبَرَزُ . قَالَ :

* يَظْلُءُ عَلَى الْبَرَزِ الْيَفَاعُ كَأَنَّهُ *

قال : ثُمَّ أَيْدَتْهَا بِمَقْبُوبٍ يَرْتَفِعُ الضَّوْءُ لَهُ ، وَيَقْوَى بِهِ ، وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي
مِنْ مَقَرَّتِهِ ، وَهُوَ لَشِدَّةِ الْبَرْدِ مَلَاذِمٌ لِلْبَيْتِ لَا يَخْرُجُ ، كُلُّ ذَلِكَ فَعَلْتُهُ تَقْرِيْبًا
لِلأَمْرِ عَلَى الضَّيْفِ ، وَتَسْهِيْلًا لِهِدَايَتِهِ . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهُ » فِي الْبَيْتِ

(١) أَمَّا بِفَتْحِ الْمُهْزَةِ فِي الْمُسَخَّنِ ، وَاخْتَصَرَ الْعَبَّارَةُ التَّبْرِيزِي كَمَا دَرَسَ فَقَالَ : « يَكَايِدُ
أَمْرًا يَطْلُبُ الْخَلَاصَ مِنْهُ » . وَلَوْ قُرِئَتْ « إِمْرًا » بِكَسْرِ الْمُهْزَةِ لَوَافَقَتْ طَرِيقَتَهُ فِي التَّسْجِيعِ .
وَالْإِمْرُ : بِالْكَسْرِ الشَّدَّةُ وَالْأَمْرُ الْعَظِيمُ الشَّيْءُ . لَكِنْ فِي نَصِ الْبَيْتِ : « كَيْدُ أَمْرٍ بِجَاوِلِهِ » .

موضعه خبر الابتداء وليس بلفظٍ ، وداخله^(١) خبر ثانٍ ، والهاء من داخله يعود إلى البيت كأنه قال : وهو مستقر في البيت داخل فيه ، ولا يمتنع أن يكون داخله^(١) في موضع البدل من قوله في البيت ، ويكون كقولك زيد داخل البيت وخارجة .

٥ - فَلَمَّا رَأَى كَبِيرَ اللَّهِ وَخَدَهُ وَبَشَرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بَلَابُهُ

٦ - فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَمَهْلًا وَمَرْحَبًا رَشِدْتَ وَلَمْ أَقْمُدْ إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ^(٢)

يقول : لَمَّا رَأَى هذا الضيف قال : الله أكبر ! استبشاراً واعتباطاً بما تعجل له من الفرح ، وفرح قلباً كانت غموه مجتمعة عليه يأسا من الخير في مثل مكانه ، وطمعاً فيما يستقبله من حياته ؛ فقلت له : أتيت أهلاً لا غرباء ، ووردت سهلاً من الألفية لا حزناً ، وتممذت رُحبا من الأماكن لا ضيقاً ، وصحبت الرشاد في عدولك إلى لا الضلال ، ورافقت السعادة لا الشقاء والهلكة ، ولم أقمذ إليه مسائلًا عن أخباره وعما آذاه إلى أرضي في انتقالاته ، بل عمدت إلى الاحتفال له ، وقصرت سعيي على ما يقتضى إنزاله ، وعلى تهئية القرى والأنزال له^(٤) . وانتصب « وحده » على المصدر ، لأنه موضوع موضع الإيجاد ، أى أوحده الله إيجاداً .

٧ - قَعَمْتُ إِلَى بَرِّكَ هِجَانٍ أَعَدُّهُ لَوْجِبَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنَا فَاعِلُهُ^(٣)

٨ - بِأَبْيَضٍ خَطَلْتُ نَفْلَهُ حَيْثُ أَدْرَكْتُ مِنَ الْأَرْضِ لَمْ تَخْطُلْ عَلَى حَمَائِلُهُ

يقول : وقتُ إلى إبلٍ باركة بالقناء ، كريمة بيض ، أعدت لواجب حق ينزل بي . وزاد الهاء في « وجبة » للمرّة الواحدة ، ويجوز دخولها لهذا المعنى في

(١) ما بين هذا الرقم ومثله ساقط من ل .

(٢) يقال رشد يرشد ، من أبى نصر وفرح . وضبط في الأصل بفتح الشين وكسرهما مع قرن ذلك بكلمة « ممأ » ، إشارة إلى تحقيق الضبطين .

(٣) التبريزى : « وقت » .

(٤) الأنزال : جمع نزل ، بالضم ، وهو ما يهبأ للضيف .

المصادر كلها ، وقد شرحتُ القولَ فى لفظة هجان ووقوعه بلفظه للواحد والجمع ^(١) .
 وقوله « بأبيض » تعلق الباء منه بقوله قت . واللام من قوله « لوجبةٍ
 حقٍ » متعلق بقوله أعذه ، وموضع الجملة صفة للبرك ، كما أن قوله « أنا فاعله »
 صفة للحق . والمعنى : قت وقد تقلدت سيفنا مصقولا ، تحط حديدته جفنه فى
 الأرض إذا أدركتها خطأ ؛ وليس ذلك لأن حائله اضطربت على أو قصرت
 قامتى عن ارتدائها لطولها ، ولكن تختط حيث تدرك ، لارتفاع أرض أو عارض
 حال . والمحائل : جمع الحماله . وإذا طال النجاد خطل على لاييه واضطرب .
 وافتخارهم بامتداد القامة وطول الحماله معروف . والنعل : الحديده التى يُغشى
 بها أسفل الجفن . وعلى ذلك قوله :

* طويل نجاد السيف ليس بجيدر ^(٢) *

٩ - فجال قليلاً واتقانى بخيره سناماً وأملأه من التى كاهله ^(٣)

١٠ - بقرم هجان مصعب كان فحلها طويل القرى لم يمد أن شق بارله

قوله « جال قليلاً » انتصب قليلاً على الظرف ، أى زمناً قليلاً . وفاعل
 جال هو البرك . ويجوز أن ينتصب قليلاً على أنه صفة لمصدر محذوف ، كأنه
 قال : جال جوالاً قليلاً ؛ فأقام الصفة مقام الموصوف ، لأن المراد مفهوم .
 والمعنى : لما بصر البرك بى ثارت من مباركها ، لما يفسهاها من الخوف المعتاد لها

(١) انظر ماضى فى ص ١١٣٦ والحاسية ٧٣٤ ص ١٦٧٢ .

(٢) الجيدر ، بفتح الجيم : القصير .

(٣) ابن جنى فى التنبيه : « الماء فى خيره وأملأه ضمير البرك المذكور قبله . وارفع
 كاهله بأملأه ، وعملت أفعل هذه فى المظهر فرفته ، وهى فى ذلك أمثل حالا منها إذا اتصلت
 بها من فى نحو أفعل من ، وذلك أن من تباعدها بما يكسبها من التخصيص من الفعل ، والإضافة
 فى كثير من هذه الواضع فى تقدير الانفصال . ولذلك قلت مررت برجل ضارب أخيه زيد .
 هذا هو الظاهر . وإن شئت رفعت كاهله بمضمر دل عليه أملأه ، أى امتلأ من التى كاهله » .

واضطربت، ثم انتفتى - أى جعلت بينى وبينها - بأنتمكها سناماً^(١)، وأملأها من التنى كاهلاً. والتنى: الشحم واللحم. وانتصب «سناماً» على التمييز. وارتفع قوله «كاهله» بفعلٍ مضمر دلّ عليه وأملأه، كأنه لما قال وأملأه من التنى قال امتلأ كاهله. ويشبه هذا قول الآخر فى إضمار الفعل، وإن كان هذا ناصباً وذاك رافعاً، وهو:

* وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا^(٢) *

وانتصاب القوانس بفعلٍ مضمر دلّ عليه وأضرب منا، كما أن ارتفاع الكاهل بفعلٍ دلّ عليه: وأملأه.

وقوله «بقرم هجان» أعاد حرف الجرّ فيه، وهو بدل من قوله: «بخيره سناماً». ومثله فى إعادة حرف الجرّ فى المبدل قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾. والهجان، وصيف به الواحد هاجناً، فهو فى زنة قولهم: ناقة دلائث، وإزار وخار. وفى قوله برك هجان^(٣) وصيف الجمع به، فهو كظراف وحسان. والمضعب: الفعل الكريم الذى لا يُبتذل فى العوارض، بل يُقصر على الفحلة. وقال الخليل: هو الذى لم يُركب قط ولم يمسسه حبل. ويقال أصيب الفعل فهو مضعب، وبه سُمى الرجل إذا كان مسوداً مضعباً. وقوله «كان لخلها» رجع الضمير إلى البرك، أى كان هذا القرم فحل هذه البرك، وهو طویل الظهر لم يتجاوز بازله أن انشق اللحم عنه. يعنى أنه كان فى غاية ما بُرّاعى من شبابه وقوته. والبرزول:

(١) أنتمكها سناماً، من قولهم تمك السنام تمكاوتعوكا: طال وارتفع.

(٢) البيت ٢ من الحماسة ١٥١ من ٤٤١ وهو للباس بن مرداس. وصدره:

* أكر وأحمى للحقيقة منهم *

(٣) أى فى البيت السابع من هذه الحماسة.

في السنة التاسعة . والمعنى أنه لم يَمُدْ هذه الحالة إلى ما وراءها ، فكان يَضْمُف .
 ١١ — فَخَرَّ وَظِيفَ الْقَرَمَ فِي نِصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عِقَالٌ لَا يُنَشِّطُ عَاقِلَهُ
 ١٢ — بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَبِمِثْلِهِ كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيمًا أَوَائِلُهُ
 خَرَّ : سَقَطَ ، يَخِرُّ خُرُورًا . وَخَرَّ الْمَاءُ يَخِرُّ خَرِيرًا . فِي الْكَلَامِ إِضْمَارٌ ،
 كَأَنَّهُ قَالَ اتَّقَانِي بِخَيْرِهِ فَمَرَقَبْتُهُ فَخَرَّ وَظِيفَهُ . وَيُرْوَى : « فَخَرَّ وَظِيفَ الْقَرَمَ فِي
 نِصْفِ سَاقِهِ » ، وَفَاعِلٌ خَرَّ يَكُونُ السَّيْفُ ، أَيْ عَقَرْتُهَا فَعَمِلَ السَّيْفُ فِي وَظِيفِهِ
 وَأَنْدَرَهُ مِنْ نِصْفِ سَاقِهِ ، وَذَلِكَ شَدُّ عَاقِلِهِ لَا يَنْشِطُ ، أَيْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِحْكَامِهِ
 وَإِبْرَامِهِ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا مُبَرِّمًا . وَيَقَالُ نَشَطْتُ لِلْعَقْدِ تَنْشِيطًا ، إِذَا أَحْكَمْتَهُ ؛
 وَأَنْشَطْتُهُ ، إِذَا حَلَلْتَهُ . وَعَقَدَ عَلَيْهِ بِأَنْشُوطَةٍ ، إِذَا جَعَلَهُ مَهِيئًا لِلْحَلِّ مَقْرَبًا أَمْرُهُ
 فِيهِ . وَمَا يَجْرِي تَجْرَى الْمَثَلُ : « كَأَنَّمَا أَنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ » . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ ^(١) أَنَّ الشَّاعِرَ
 مَتَاهَا فَوَضَعَ نَشَطَ مَوْضِعَ أَنْشَطَ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ ذَاكَ عِقَالٌ عَاقِلُهُ لَا يَحُلُّهُ وَلَا يَنْقُضُ
 مَا يُبْرِزُهُ مِنْهُ . وَكَلَامُ الشَّاعِرِ سَلِيمٌ مِنَ الْعَيْبِ قَوِيمٌ . وَالْمَعْنَى فِيهِ مَا ذَكَرْتُ .
 وَقَوْلُهُ « بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي [وَبِمِثْلِهِ] » ، يَعْنِي فِي أَمْرِ الضَّيْفِ أَنِّي ، بِذَا الْفِعْلِ
 الَّذِي وَصَفْتَهُ وَصَّانِي أَبِي ^(٢) [وَبِمِثْلِهِ] . ثُمَّ قَالَ : كَذَلِكَ أَسْلَفُهُ أَوْصَوْهُ
 قَدِيمًا . وَمَوْضِعُ « كَذَلِكَ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ . وَاتَّعَصَبَ « قَدِيمًا » عَلَى الظَّرْفِ ،
 وَالْمَعْنَى أَنِّي لَمْ أَرِثْ ذَلِكَ عَنْ كَلَالَةٍ ، وَإِنَّمَا وَرِثْنَاهُ أَبَا عَنْ أَبِي وَخُلُقًا عَنْ سَلَفٍ .

٧٥٠

وقال النابغة الذبياني :

- ١ — لَهُ بِفِنَاءِ الْبَيْتِ سَوْدَاهُ فَخْمَةٌ تَلَقَّمُ أَوْصَالَ الْجَزُورِ الرُّعَايَةِ ^(٣)
 ٢ — بَقِيَّةُ قَدْرِ مِنْ قُدُورٍ تَوُرَّتْ لَالِ الْجَلَّاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرٍ

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) هذه الكلمة من ل .

(٣) التبريزي : « ويروى : دماء جونة » .

٣ - تَظَلُّ الإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَهَا كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِيَاهَ قُرَاقِرٍ
 أراد بالسوداء قِدْرًا . والفَخْمَةُ : الضَّخْمَةُ . تَلَقَّمُ : تَحْتَوِي وَتَبْقِلِعُ لِعَظْمِهَا
 أعضاء الجزور مُوَفَّرَةٌ . والعُرَائِرُ : الضَّخَمُ السَّمِينُ ، وجمعه عَرَائِرُ ، بفتح العين .
 ومثله جَوَالِقُ وَجَوَالِقُ . وَعُرْغُرَةُ الْجَبَلِ : مُعْظَمُهُ . فيقول : لهذا الرَّجُلِ بِلَازِاءِ
 الْقَوْمِ وَفِنَاءِ الدَّارِ مِنْهُمْ ، قِدْرٌ [هذه صفتها من الْعِظَمِ ، وتضمن أعضاء الجزور
 موزونة لم تُنْقَصْ ، وهي بَقِيَّةُ قِدْرٍ ^(١)] مِنْ قُدُورٍ تَوُرَّتْ مِنْ أَسْلَافِهِمْ آلِ
 الْجُلَاحِ كَبِيرًا بَعْدَ كَبِيرٍ ، وَرَثَسًا بَعْدَ رَثِيسٍ . ولم يوجد كَابِرٌ فِي مَعْنَى كَبِيرٍ إِلَّا فِي
 هَذَا الْمَكَانِ . وَقَدْ بَيَّنَّ بِذِكْرِ لَفْظَةِ « بَعْدَ » أَنَّ « عَنْ » فِي قَوْلِهِ ^(٢) « كَابِرًا »
 عَنْ كَابِرٍ بِمَعْنَى بَعْدٍ . وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ قَوْلَهُمْ كَابِرًا لَيْسَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ ،
 كَالْقَاعِدِ وَالْقَائِمِ وَالْجَالِسِ ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ صَيِّغٌ لِلْجَمْعِ ، كَالْبَاهِرِ وَالْجَامِلِ . وَالْمُرَادُ
 كَبَرَاءَ بَعْدَ كَبَرَاءٍ .

وقوله « تَظَلُّ الإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَهَا » ، يريد وقت القسمة ، أى يَسْتَبِقْنَ
 طُولَ النَّهَارِ إِلَيْهَا ، وَإِلَى تَنَاوُلِ الْفُرُفَاتِ مِنْهَا ، اسْتِيقَاقُ بَنِي سَعْدٍ مِيَاهَ هَذَا الْمَكَانِ .
 وَقُرَاقِرٍ : مَوْضِعٌ فِيهِ مَاءٌ لِقَضَاعَةٍ ، وَهُوَ فِرَاطَةٌ بَيْنَ أَحْيَائِهِمْ ، أَيْ شَرَعَ لَا تَنَاقُوبَ
 فِيهِ ، بَلْ يَفُوزُ السَّابِقُ إِلَيْهِ . فَشَبَّهَ تَبَادُرَ الإِمَاءِ نَحْوَ الْقِدْرِ بِتَبَادُرِ بَطُونِ سَعْدٍ
 إِلَى تِلْكَ الْمِيَاهِ . وَالْقَدِيحُ : فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، وَهُوَ الْمَرْقُ الْمَقْدُوحُ .

٧٥١

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ ^(٣) :

١ - وَدَاعٍ بَلَحْنِ الْكَتَبِ يَذْهَبُ وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ سِجْنًا ظُلْمَةً وَعُيُومًا

(١) الكلمة من ل .

(٢) أى فى قول الفائل من العرب أو من الشعراء . وجاء فى قول الأعشى :

ساد وألنى قومه سادة وكابرا سادوك عن كابر

(٣) شهرته تفى عن ترجمته . والأبيات ماعدا الخامس منها فى ديوانه ٨٠٣ معرفة =

٢ - دَعَا وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يُنَبِّهَ إِذْ دَعَا فَتَى كَابِنٍ لَيْلٍ حِينَ غَارَتْ نُجُومُهَا

٣ - بَعَثْتُ لَهُ دَهْمَاءَ لَيْسَتْ بِلِقْحَةٍ تَدُرُّ إِذَا مَا هَبَّ نَحْسًا عَقِيمُهَا

قوله « دَاعٍ بِلَحْنِ الْكَلْبِ » ، يعنى مستنبحاً تكلفَ نَبِيحَ الْكَلْبِ فِي صَوْتِهِ ، وَلَحْنَ لَحْنَهُ ، وفعلَ ذَلِكَ إِذْ حَالُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ الْمُنَظَرِ مِنَ اللَّيْلِ سِتْرَانِ مِنَ الظُّلَمِ ، وَالتَّبَاسُ الْغُيُومِ . وَإِنَّمَا قَالَ « سَجَفَا ظُلْمَةً وَغُيُومُهَا » تَأْكِيداً ، كَمَا قِيلَ : ﴿ ظَلَمَاتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ وَلِهَذَا لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ حَتَّى أَضَافَ إِلَيْهِ ظُلْمَةَ السَّحَابِ أَيْضاً الْمَفْطِيَّةَ لِلْكَوَاكِبِ .

وقوله « دَعَا وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يُنَبِّهَ إِذْ دَعَا » ، يَقُولُ : اسْتَنْبَحَ ، وَهُوَ يُؤْمَلُ أَنْ يُنَبِّهَهُ لِدَعَائِهِ وَيَبْعَثَ فَتَى كَغَالِبٍ ، حِينَ غَارَتْ النُّجُومُ بِاللَّيْلِ ، وَالْأَهْوَالُ مِتْرَا كَمَةً ، وَظُلَمَ اللَّيْلِ وَالسَّحَابُ مِتْرَا كِبَةً ، وَاسْتَبَدَّتْ فُرُجُ السَّمَاءِ وَأَفَاقُ الْجَوِّ . كَانَ الضَّيْفَ تَمَنَّى أَنْ يَتَّفِقَ لَهُ إِجَابَةٌ كَأَجَابَةِ غَالِبٍ ، وَهُوَ ابْنُ لَيْلٍ ، فَاتَّفَقَ أَنْ هُمَا لَهُ إِجَابَةُ الْفَرَزْدَقِ . يَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ : « بَعَثْتُ لَهُ دَهْمَاءَ » ، يَعْنِي بِهَا قَدْرًا . وَكَشَفَ عَنْ مُرَادِهِ بِقَوْلِهِ « لَيْسَتْ بِلِقْحَةٍ » ، أَيْ لَيْسَتْ هِيَ بِنَاقَةٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ قَدِيرٌ تَدُرُّ مَرَقَتَهَا إِذَا هَبَّ عَقِيمُ الرِّيَّاحِ بِالنَّحْسِ . وَيَعْنِي بِهِ الدَّبْرُورُ ، لِأَنَّهَا لَا تُنَلْقِحُ ، وَبِهَا هَلَكْتَ الْأُمُّ السَّالِفَةُ . وَجَوَابُ رَبِّ الْمَضْمَرَةِ فِي قَوْلِهِ « دَاعٍ » (١) قَوْلُهُ « بَعَثْتُ لَهُ دَهْمَاءَ » . وَقَدْ اعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا بَيْتٌ .

== ورواها جميعا المرتضى فى أماليه (٤ : ٢٩) منسوبة إلى الفرزدق ، والبيت الخامس فى الحيوان (٤ : ٣٣٢) منسوب إلى الفرزدق ، وفى محاضرات الراغب (١ : ٣١٤) منسوب إلى مضرس . قال الراغب تعليقا على هذا البيت الخامس : ولما سمع ذلك زهād الأعمش قال : وما حيزوم النعامة ؟ لمن الله هذه من قدر ، فأحسبها تشبىح آل مضرس ! فقيل له : فكيف تقول أنت ؟ قال : أقول :

وقدر كجوف الليل أحشت غليها
لو أن بنى حواء حول رمادها
(١) كذا بدون واو فى النسختين .

ترى النمل فيها طائفا لم يفصل
لما كان منهم واحد غير مصطل

- ٤ - كَأَنَّ الْمَحَالَ الْفَرْ فِي حَجَرَاتِهَا عَذَارَى بَدَتْ لَمَّا أُصِيبَ حَمِيمُهَا
 ٥ - فَضُوبٌ كَعِزُّومِ النَّمَامَةِ أُحْمِشَتْ بِأَجْوَارِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا^(١)
 ٦ - مُحَضَّرَةٌ لَا يُجْمَلُ السُّتْرُ دُونَهَا إِذَا الْمُرْضِعُ الْعَوْجَاءُ جَالَ بَرِيْمُهَا
 جعل المحال، وهي فقر الظهر، والواحدة محالة، في نواحي القدر وجوانبها
 لِسَمَنَها وبياضها مع تضامن القدر السوداء لها، وإحاطتها بها، كأبكار النساء،
 وقد لبسن ثياب السلاب لما أُصِيبْنَ بِحَمِيمِهِنَّ، فيَبْدُونَ بِيضَ الوجوه، سودَ
 الثياب. وقد أحكم القول في أصل «عذاري» في غير هذا الموضع^(٢).
 وقوله «غضوب»، يريد غلبانها وهزتها، ثم شبه إشرافها بميزوم النعامه،
 كما قال الآخر^(٣):

* نَعَامَةٌ حِزْبَاهُ تَقَاصَرَ جِيدُهَا^(٤) *

وجعلها قد أوقد تحتها النارُ بمحطَبِ جَزَلٍ أَفْرَدَ عنها دُقَاتِمَها وما تَهَشَّمَ مِنْ
 وَرَقِها، والقصدُ في هذا إلى تَعَظِيمِ النارِ الموقدةِ تحتها لِكِبَرِها.
 وقوله «مُحَضَّرَةٌ» أي لا يُمنَعُ منها أَحَدٌ وَلَا تُنْفَعُ بِمَا يَسْتُرُها عن العيون
 إِذَا أُنْحَلَتِ الزَّمانُ، واشتدَّ القَطْعُ، وصارت المرأةُ المُرْضِعُ قد اعوجَّ خَلْقُها
 فَجَالَ عليها وشاحُها، لانحسارِ اللحمِ عنها، وتأثيرِ الهزالِ فيها. والبريم: خيط
 يُفْتَلُ من صُوفٍ أبيضٍ وأسودٍ يُشَدُّ في أَحْقَى الصَّيَّبانِ لِيُتَدَفَعَ الْعَيْنُ بِهِ عنها.
 ومثل ما وَصَفَ قولُ الراعي:

لَمَّا أَقْسَمُ قِدْرِي وَهِيَ بَارِزَةٌ إِذْ كُلُّ قِدْرٍ عَرُوسٌ ذَاتُ جِلْبَابٍ
 وقوله: «إِذَا المُرْضِعُ العَوْجَاءُ جَالَ بِرِيمِها» ظرفٌ لقوله مُحَضَّرَةٌ، أو لقوله

(١) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت. ورواه المرتضى: «فضوبا».

(٢) انظر ص ٥٥٠.

(٣) هو الراعي. في المحاسية ٦٣٨ ص ١٥٠٩.

(٤) صدره: * إِذَا نَصَبْتُ لِلطَّارِقِينَ حَسْبَتِها *

« لا يُجَمَّلُ الشَّرُّ دُونَهَا » وفيها جواب إذا . والحجرات : التَّوَاحِي ، واحداًها حَجْرَةٌ ، ويقال : قعد حَجْرَةً ، فيُجَمَّلُ ظَرْفًا . وإحماش النَّار : إلهاؤها . وأَحْمَشْتُ القِدْرَ ، إذا أَشْبَعْتُ وَقُودَ النَّارِ نَحْمَتَهَا حَتَّى تَغْلَى ، ومنه حَمَشَ الشَّرُّ وَالْفَضَبُ ، إذا اشْتَدَّ . وقوله « بأجواز خُشْب » ، جَوَزَ كُلُّ شَيْءٍ : وَسَطَهُ . وإنما أراد الفِلاظ من الحَطَب .

٧٥٢

وقال شُرَيْحُ بْنُ الْأَحْوَصِ ^(١) :

١ - وَمُسْتَنْبِحٍ يَبْنِي اللَّيْتَ وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ سِجْنًا ظُلْمَةً وَكُسُورَهَا

٢ - رَفَقْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا زَجَرْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرَ عَقُورَهَا

٣ - فَبَاتَ وَإِنْ أَسْرَى مِنَ اللَّيْلِ عُقْبَةً بَلِيَّةً صِدْقٍ غَابَ عَنْهَا شُرُورُهَا ^(٢)

يريد : ربَّ مُسْتَضِيفٍ بِالنَّبَاحِ يَطْلُبُ لِنَفْسِهِ مَكَانًا يَبِيتُ فِيهِ ، وقد سَقَطَ عَنْهُ كَلْفُ السَّيْرِ ، وَأَسْبَابُ الْجُهْدِ ، وَحَجَرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّيْلِ سِجْنًا ظُلْمَةً وَكُسُورَهَا . وَالسَّجْفُ : الشَّرُّ ، وَتَكْسَرُ السَّيْنُ مِنْهُ وَتَفْتَحُ . وَالْكُسُورُ : جَمْعُ الْكِسْرِ ، وَهُوَ جَانِبُ الْبَيْتِ . قَالَ الْخَلِيلُ : الْكِسْرُ وَالْكِسْرُ : الشَّقَّةُ الشُّغْلُ مِنَ الْخِطَاءِ ، يُرْفَعُ أحيانًا وَيُرْخَى أحيانًا ، وَكَذَلِكَ مِنْ كُلِّ قُبَّةٍ وَغِشَاءٍ ، حَتَّى يَقَالَ لِنَاحِيَتِي الصَّحْرَاءَ كِسْرَاهَا . وَلَمَّا اسْتَمَارَ السَّجْفُ لَتَرَأَوْكُمْ الظُّلْمَةَ اسْتِمَارَ الْكُسُورَ لَهَا أَيْضًا ، كَأَنَّهُ جَعَلَ اللَّيْلَةَ كَالْبَيْتِ لِظُلَامِهَا وَقَدْ أَرْخَى سِجْنَاهُ وَالْبَيْسَ كِسْرَاهُ ، فَظَلَمَ دَاخِلَهُ . وَجَوَابُ رَبِّ قَوْلِهِ « رَفَقْتُ لَهُ نَارِي » ، وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ « وَدُونَهُ » وَآوِ الْحَالِ .

(١) التبريزي : « شرح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب » . وكان شرح أحد فرسان يوم رحرحان ، وهو قاتل لبيط بن زرارعة في يوم جبلة . الأغانى (١٠ : ٣٢ ، ٣٨) .
(٢) ل : « فارغها » ، وفي حواشيها : « خ : « غاب » .

وقوله « فلما اهتدى بها » يريد لئلا رفعت النار فأبصرها وأقبل نحوى منعت كلابي من أن يهرى في وجهه عقورها . والعقور ، يريد به السيئة الخلق منها ، المولمة بالعقر .

فإن قيل : ولم جعل في كلابه العقور حتى احتاج إلى زجره عن ضيفه ؟ قلت : كأنه كان في الكلاب ما لم يكن يلزم الفناء ، وإنما يكون مع الراعى في السرح للحفظ ، فاتفق أن حضر مع كلاب الحية ، فلذلك احتاج إلى زجره . وقوله « فبات وإن أسرى من الليل عُقبة » خبر بات « بليلة صدق » وجواب إن الجزاء ما اشتغل عليه البيت . فيقول : مكث الضيف عندي في ليلة صدق لا نخس فيها ولا شر ، والراحة تعاوده ، والسلامة تزرمه وتبلقاه ، وإن كان قد سرى عُقبة منها ، أى طائفة . وانتصب « عُقبة » على الظرف ، وأصلها أن يتعاقب اثنان على البعير ، فإذا ركب أحدهما مشى صاحبه ، ثم كثر استعماله فأجرى مجرى النوبة والفرصة ، فيقال : سار عُقبة كما يقال سار نوبة . وقال الخليل : المُقبة فرسخان ؛ وهما يتعاقبان الركب كوب بينهما . وقوله « أن يهرى » في موضع النصب على البذل من كلابي . وقد تقدم القول في ليلة صدق وما أشبهه^(١) .

٧٥٣

وقال مسكين الدارمي^(٢) :

- ١ - كأن قدور قومي كل يوم قباب الـثركِ مُلبسة الجلال
- ٢ - كأن الموقدين لها جمال طالها الزفت والقطران طال^(٣)
- ٣ - بأيديهم مغارف من حديد أشبهها مقبرة الدوالي

(١) انظر ما مضى في ص ١٦٢٨ .

(٢) سبقت ترجمته في الخامسة ٣٩٩ من ١١١٥ .

(٣) ويروى : « كأن الموقدين لها » بالقاف . التبريزي : « من فواك : أوقد لعدوك ، أى تحتها » .

جعل قدور قومه متبجحاً بها ، منصوبة في كل وقت . وجعلها لكبرها
مشبهةً بخز كاهات^(١) الترك وقد جُلَّتْ وألِست أعطية سوداء^(٢) .

وقوله « كأن الموفدين لها » ، يريد المزاويلين لها في نصيبها وإنزالها ، وطبخها
وتهيتها . والموفد : المشرِفُ على الشيء العالى له . وانتصب « مُلبسة الجلال »
على الحال . وشبه الموفدين في سواد ثيابهم وتدئسها بالقمير وتلطُّخها بالدرن
بجمال مطلية بالقطران . والزفت ، هو القار ، وقال الدردي : أصله معرب ،
وقد تكلمت العرب به كثيراً ، وفي الحديث : « نهي عن الذبأ واللزفت » .
ويقال : طلاه كذا وبكذا ، فهو مطلى .

وقوله « بأيديهم مغارف من حديد » جعل القدور كالأنهار أو البحور ،
والمغارف لها كالدوالي المقيرة ، لاحتماها الماء من الأنهار وصبها إلى أعاليها .
وجعل المغارف سوداً إما علق بها في المارسة من سواد القدور والنار ، ومن
زهومة اللحم والشحم . وقوله « أشبهها مقيرة الدوالي » ، يقال : شبهته
كذا وبكذا . [وموضع^(٣)] الجملة رفع على الصفة للمغارف .

٧٥٤

وقال آخر^(٤) :

- ١ - أعاذل بكيفي لأضياف ليلة نزور القري أنست بليلاً شملها
 - ٢ - أعاسر مهلاً لا تلثي ولا تكن خفياً إذا التغيرات عُدت رجالها
- بكيفي ، أى أكثرى البكاء لى وكرّره ، من أجل أضياف ليلة قليلة

(١) جمع « خركاه » ، ولفظه بالفارسية « خَرگاه » . انظر معجم استينجاس ٤٥٦ .

(٢) كذا ضبطت في الأصل . وفي ل : « سودا » .

(٣) التكملة من ل .

(٤) التبريزي : « وقال المكي » .

القرى ، لإمسك الناس عن الإنفاق ، وإعوازم الزاد ، وقد أُمست ريح الشمال
فيها ذات بللٍ وشفانٍ للفسدى والبرد ، فإذا وَرَدُوا فَقَدُوا حُسْنَ تَفْقِدِي لِمَ ،
وتوفري عليهم .

وقوله « أعاسرُ مهلا » جَمَعَ على نفسه لائمةً ولأئماً ، فيقول : يا عامرُ رِقْطاً
في عثبك على ، ولولمك إيتاي ، واقتدي في طلب السُّمِّ والاستملاء على الأفران .
فأما انتقاله عن ذكر اللائمةِ إلى مذكّرٍ ، فثله قولُ تَابِطٍ شراً :
يَا مَنْ لِعَذَّالَةٍ خَذَّالَةٌ أَشِيبُ حَرَقَ بِاللُّومِ جِلْدِي أَيَّ تَحْرَاقِ (١)
ثم قال :

عَاذِلَتَا إِنْ بَعْضَ اللَّوْمِ مَعْنَفَةٌ وَهَلْ مَتَاعٌ وَإِنْ أَبْقَيْتُهُ بَاقٍ (٢)

والمراد بيان تعاون المشيرة في اللوم والإنكار ، وتَسَاعُدِ رجالهم ونسائهم
على الوعظ والإنذار . وقوله « ولا تكن خفتياً » ، يريد اتَّخِذْنِي إِسْوَةً وَاعْمَلِي
على أن تكون سَامِيَةً الذِّكْر ، عَالِيَةً الصَّبِيَّة ، حَتَّى لَا يَخْفَى إِذَا عُدَّتْ رِجَالُ
الخليات أسْرُك ، وَلَا يَنْمُجِي إِذَا بَانَتِ آثَارُ الصَّالِحِينَ أَثْرُك . وأشار بالخليات
إلى الخصال الصالحة والخلال الشريفة . وواحدتها خَيْرَةٌ . وليست هذه التي تكون
في موضع أَقْلٍ مِنْ كَذَا وَمَعْنَاهُ ، كقولك فلانٌ خَيْرٌ مِنْ فلان ، بل هي الواردةُ
في قوله عز وجل : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ ، وفي قول الشاعر :

وَأَمَّا خَيْرَةُ النِّسَاءِ عَلَى مَا خَانَ مِنْهَا الدَّحَاقُ وَالْأَنْثَى (٣)

٣ - أَرَى إِلَى تَجْزِي تَجَازِي هَجْتَةٍ كَثِيرٍ وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلاً إِقَالَهَا
٤ - مَثَاكِيلُ مَا تَنْفَكُ أَرْحُلُ جُعَةٍ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ نُوقَهُمَا وَجَاهَلَا

(١) البيت ٢٠ من المفضلية الأولى . ومصدره فيها : « بل من لعذالة » .

(٢) في المفضليات : « عاذلني » .

(٣) ل : « إذا ما خان » . والبيت في مقاييس اللغة (دحق) بدون نسبة ، وبرواية :

« وأمم خير النساء » .

قوله « أرى إلى تجزى » يقول : أجد إلى تقضى عني وتمحصل في النيل منها وتورّد الحقوق إياها محاصيل هجّة ، وهي القطعة من الإبل بين السّتين إلى المائة . والجزيّة من هذا ، وهي الخراج الموضوع ، لأنها قضاء لما عليه أخذ . وفي القرآن : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ ، أى لا تقضى ولا تُتقى . وفي الحديث : « كان رجلٌ يداينُ الناسَ »^(١) ، وله كاتب ومُتجازٍ . وقوله : « وإن كانت قليلاً إفاؤها » ، يريد وإن كانت ضعيفة النّسل ، قليلة العدد . والإفال : صغار الإبل واحداً أفيل ، وإنما قلت إفاؤها لذهاب التّشهير والزّكاء عنها ، ولكونها محبسةً بالأفنية ، مقصورةً على الحقوق ، مصروفةً إلى أرزاق الثّغاة . يشهد لذلك قوله « مثاكيل » ، وهي جمع مثكال : التى تشكّل أولادها كثيراً ؛ لأنّ ربّها يفصل دائماً بينها وبين أولادها بالنّحر تارةً وبالهبة أخرى . وقوله « ما تنفك أرخلُ جُحّة » ، أى لا تزال أرخلُ جماعةٍ من الناس ، وهو جمع الرّخل ، أى مشوام ومقيلمهم . ويقال : عادَ إلى رحله أى منزله . وفي الحديث : « إذا ابتلّت النّعالُ فالصّلاةُ فى الرّحال » . أى لا يزال مأوى جماعةٍ تُصرف إليهم إذا وردوا ذكورها وإناثها . أمّا إناثها فللحلب ، وأمّا ذكورها فللنّحر . وأصل الجُمّة الجماعة تردُّ فى سؤالٍ تحمّل الديّات عنهم إذا ثقّلت ، أو السّعى فى صلحٍ أو الدّم بين عشائر . قال :

* وَجُمّةٌ تسألنى أعطيتُ^(٢) *

وجعله اسم الجماعة من الناس وإن وردوا لغير ذلك القصد .

(١) فى الأصل : « يداين الناس » ، صوابه فى ل واللسان (جزى ١٥٧) .

(٢) الرجز لأبى محمد الفقهى ، كما فى اللسان (جم) . وبعده :

وسائل عن خبر لويت فقلت لا أدري وقد دريت

٧٥٥

وقال جابر بن حَبَاب^(١) :

- ١ - وإنْ يَقْسِمَ مَالِي بَنِيَّ وَنِسْوَتِي فلنْ يَقْسِمُوا خُلُقِي الْجَمِيلَ وَلَا فِعْلِي
 - ٢ - أَهْيُنُ لَهْمُ مَالِي وَأَعْلَمُ أَنَّنِي سأورثه الأحياء ، سيرةً مَنْ قَبْلِي
 - ٣ - وما وَجَدَ الأضيافُ فِيمَا يَنْوِبُهُمْ لهمْ عِنْدَ عِلَاتِ الزَّمانِ أبَا مِنِّي
- يقول : إن اقتسمَ مالى أولادى وأزواجى وبناتى ، وقازوا بما أخلفه فيهم
فلنْ يَقْسِمُوا ما تفرَّدتْ به من خُلُقِ كريم أعده لزُوارى ، وفَعَالٍ شريفٍ أَقيمه
لُعَمائى ، وأديمه لمن يمتلِق حبلً ، أو يتصل سَبَبُه ونَسَبه بسببى ونسبى .

وقوله « أَهْيُنُ لَهْمُ مَالِي » ، يريد أنى أبذله وأبتذله ، لعلنى بأنَّ ما أبقيه
للأحياء^(٢) سيرةً مَنْ تَقَدَّمَنِي فليس بمالٍ لى ، وأنَّ الذى يَخْصُصُ بملكى هو
ما أنولتُ تفريقه وإنفاقه فى الوجوه المحمودة عندى . وانتصب « سيرة » على
المصدرِ ممَّا دلَّ عليه قوله « سأورثه الأحياء » ، كأنه قال : أسيرُ فيما أنركه من
مالى سيرة أسلافى والناسِ قبلى . يقال : سارَ سيرةً حسنةً ؛ يُشارُ بها إلى الحالِ^(٣)
فى السيرة المعتمدة . نعمَّ أَجرىَ تجرى الشِّيمَ والعادات . وقال القطامى :

وسارتْ سيرةً تُرضيكَ منها يكاد وسيجها يشفى الصدأعا^(٤)

وقوله « وما وَجَدَ الأضيافُ فِيمَا يَنْوِبُهُمْ » ، يريد بيانَ مكانه من مآرب
أضيافه ، وأنهم لا يعْتَاضُونَ فيما ينوبهم عند الزَّمانِ وتغيُّره وإمكانِ العِلَاتِ فى

(١) التبريزى : « جابر بن حيان » .

(٢) فى الأصل : « بأنى أبقيه للأحياء » ، صوابه من ل ، لأنه يوازن بين مابين .

(٣) ل : « الحالة » .

(٤) الوسيج والوسج : ضرب من سير الإبل .

البخل وأهله أبا مثله إذا قَدَّره . وجعل نفسه أبا على عاداتهم في تسمية المضيف
أبا التثوى . على ذلك قال أبو العيال الهذلي :

أبو الأضياف والأيتام مـ ساعة لا يُعَدُّ أب^(١)
ويجوز أن يكون المراد [بِلَات الزَّمان ^(٢)] تَعَوَّله وتبدَّله .

٧٥٦

وقال حاتم^(٣) :

١ - وعاذلة قامت على تلومني كأنني إذا أعطيت مالى أضيئها^(٤)

٢ - أعاذل إن الجود ليس بمهلكي ولا يُخلد النفس الشحيحة لومها^(٥)

قوله « وعاذلة » انجر يا ضمير رب ، وجوابه يجوز أن يكون قامت على
وتلومني في موضع الحال ، ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً ، كأنه قال : قلت
لها : أعاذل إن الجود ليس بمهلكي ، لأن « قامت على » من صفة العاذلة .
وقوله « كأنني إذا أعطيت مالى أضيئها » اعتراض وقع بين رب وجوابه .
والجور بر رب أكثر ما يحمى موصوفاً . ويجوز أن يكون قوله « كأنني إذا
أعطيت مالى أضيئها » الجواب .

ثم أقبل عليها يخاطبها ، وهذا تشبيه يجري مجرى تصوير الحال في إخراج
الخافي إلى البيان ، فيقول : رب لائمة قامت على تعيب وتوبخ ، كأنني أبخس

(١) ديوان المزدلين (٢ : ٢٤٤) .

(٢) التكملة من ل .

(٣) سبق ترجمته في الحماسة ٤٢٧ ص ١١٦٦ . والأبيات لم ترد في ديوانه .

(٤) التبريزي : « إنما قال هبت بليل تلومني ، لأنها لا تتمكن بالنهار ، لا شغاله بخدمة
الأضياف ، فانهزت الفرصة ليلا لتلومه على بذل ماله » .

(٥) التبريزي : « ولا يخلد » .

حفظاً لها إذا بذلتُ مالى ، أو أغصبتها حقاً من حقوقها ، لتتأهى ظلامتها - قلت لها : إن ما أعتدّه^(١) من البذل والسَّخاء لا يُقرب مني عن أمدِّها ، ولؤم النفس البخيلة ، لا يُديمُ بقاءها في دُنْيائها ، فإذا كان الجودُ يُفنى والبخلُ لا يُبقي ولا يُقنى^(٢) وكان في السَّخاء إقامة المروءة واكتساب الأكرامة ، وادِّخار الشكر واقتناء الأجر ، فالعللُ يُوجب الأخذَ به ، والحزمُ يقتضى الزَّهْدَ في غيره .

٣ - وتذكَّرْ أخلاقَ الفَقِي وعِظَامُهُ مُغْيِيَّةٌ فِي اللَّحْدِ بِأَلِ رَمِيمِهَا
٤ - وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا
يقول : إنَّ أخلاقَ الفَقِي مذكورةٌ بمدِّ موته ، ومترددةٌ في المجالس مع اسمه ، فَإِنْ حَسُنَتْ عِنْدَ الْفَحْصِ حُمِدَتْ ، وَإِنْ قُبِحَتْ فِي السَّمْعِ ذُمَّتْ . هذا وعِظَامُهُ بِأَلِيَّةٍ قَدْ صَارَتْ رِيَّةً فِي لَحْدِهِ ، وَمُغْيِيَّةٌ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ ضِئْنِ قَبْرِهِ . وَمَنْ تَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ خُلُقِهِ ، أَوْ اسْتَبَدَعَ خِيَمًا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، فَارَقَهُ الْمُسْتَحْدَثُ ، وَعَاوَدَهُ الْمُسْتَقْدَمُ . ومثله :

وَمَنْ يَبْتَدِعْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدَعُهُ فَتَرْجِعُهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِعُ^(٣)
ويقال . فلانُ كريمُ الخُلُقِ ، أى الطَّيِّبَةِ . وقال أبو عبيدة : هو فارسيةٌ معربةٌ .

٧٥٧

وقال آخر :

١ - أَكْفُ يَدِي عَنْ أَنْ يَنْتَالَ التَّمَاثُهَا أَكْفُ صِحَابِي حِينَ حَاجَتُنَا مَعًا^(٤)
٢ - أَيْتُ هُضِيمِ الْكَشْحِ مُضْطَمِرٍ الْحَشَا مِنْ الْجُوعِ أَخْشَى الذَّمَّ أَنْ أَنْتَضِلَا

(١) في حاشية ل : « نغ : أعتاده » .

(٢) كذا في ل . وفي الأصل : « لا يبقى ولا يبقى » .

(٣) البيت للمخضغ القيسي . كما سبق في حواشي الحاشية ٧٤٦ ص ١٦٩٣ . ونسب في حاشية البعثرى ٣٥٨ إلى المخضغ النبهاني .

(٤) ل : « حاجتنا » .

يقول : إذا اجتمعت مع أصحابي على طعامٍ لم تَزاحم كَفَى أكَفَهُمْ ، بل آثَرْتُهُمْ بما يروقُ من الزَّادِ قَبْلَتَهُ العَيْنُ ، واصطفاه القَصْدُ ، وانقبضتُ لِيَسْتَأْثِرُوا به دوني إذا كانت حاجتنا^(١) متوافقة ، وأيدى الآكلين متواردة ؛ وأبقى لِيَلْتَقِي صَفِيرَ البطن ، ضامرَ الجَنْبِ ، والزَّادُ بِمِكن ، والمُسْتَهْيَ مُسَاعِدٌ ، فلا أَتَضَلَّعُ شِبَعًا خَشِيَةً مِنْ دَمٍ يَلْحَقُ ، أو عَارٍ يَلْزَمُ . وقوله « أَنْ أَتَضَلَّعَا » ، أى مخافة أن أَتَضَلَّعُ . ويقولون : « هو الحِصْنُ أَنْ يُرَامَ » ويراد : هو الذى يحصَّن من أَنْ يُرَامَ . قال لبيد :

* وَهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْ يُبْطِئُ حَاسِدٌ^(٢) *

أى تعاشرُوا وتعاونُوا مخافة أن يبطئهم حاسد .
وحذفُ حرفِ الجرِّ يَكْثُرُ مع أن .

وقوله « حين حاجتنا معاً^(٣) » حاجتنا مَبْثُوداً ، وَمَعَا سَدَّ مَسَدَّ الخَبَرِ ، وإن كان فى موضع الحال ، لأنَّ المَصادر إذا ابْتَدِىَ بها وقعت الأحوالُ أخباراً لها ، كقولك : ضَرَبَنِى زَيْدًا قائماً . وكذلك المضافُ إلى المصدر تقول : أَكْثَرُ ضَرْبِى زَيْدًا قائماً . وانتصب « حين » على الظرف وقد أُضِيفَ إلى الجملة بِمَدَدِهِ^(٤) ، والعامل فيه أَكْفَى يَدَى .

٣ - وإِنِّى لَأَسْتَخِي رَفِيقِى أَنْ يَرَى مَكَانَ يَدَى مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَفْرَعًا
٤ - وإِنَّكَ مَهْمَا تَمُطِّ بِطَنَكَ سُوْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعَا
وصَفَ حُسْنَ أَدَبِهِ فى مُوَاسَلَةِ رَفِيقِهِ وَلَقَّه^(٥) ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَأْثِرُ بِمَا يُعْجِبُ

(١) كذا باهق النسخين .

(٢) آخر بيت فى مملته . وعجزه :

* أو أن يميل مع العدو لثامها *

(٣) كذا باهق النسخين ، وإن اختلفا فى إنشاء اللت سابها .

(٤) ل : « هذه » ، تحريف .

(٥) الف : الأكل . وهذه الكلمة ساقطة من ل .

من الزَّادِ ، ولا تَظْهَرُ مِنْهُ نَهْمَةٌ وَحِرْصٌ ، بل يَسْتَحْجِي مِنْ أَنْ بُرِيَ مَا بِيَلِي يَدَهُ
من الزَّادِ خَالِي الْمَكَانِ . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّ انْقِبَاضَهُ يُوَدِّي إِلَى انْقِبَاضِ
أَكِيلِهِ ، وَذَلِكَ مَذْمُومٌ ، وَإِنَّمَا الْحَمْدُ أَنْ يَبْسِطَ فِي الْأَكْلِ وَيَبْسِطَ مِنْ أَكِيلِهِ
وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ بَيَّنَّ الْفَرْضَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ ، لِأَنَّهُ قَالَ :

وَإِنَّكَ مِمَّا تُعْطِ بِطَنِكَ سُؤْلَهُ وَقَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ ...
فَبَيَّنَّ أَنَّ إِبْقَاءَهُ جَانِبَهُ مِنَ الزَّادِ مَشْغُولًا لَيْسَ مَعَ حَاجَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَا عَنْ
إِمْسَاكِ يُوَدِّي إِلَى مَا ذَكَرْتُهُ ، فَيَصِيرُ ذَلِكَ سَبَبًا فِي انْقِبَاضِ مَنْ يُؤَاكِلُهُ ، وَإِنَّمَا
يُرِيدُ مَا يَجْرِي بِهِ عَادَةُ النَّاسِ مِنْ إِظْهَارِ الشَّرِّهِ وَالذَّهَابِ فِيهِ إِلَى حَدِّ السَّرَفِ ،
سَمَّى يَمْدَ يَدِهِ إِلَى مَا بِيَلِي غَيْرَهُ ، وَيَعْطِي أَيْدِيَ النَّاسِ . وَهَذَا ظَاهِرٌ . وَمَوْضِعُ
« أَجْمَعُ » مِنَ الْإِعْرَابِ جَرٌّ عَلَى أَنْ يَكُونَ تَأْكِيدًا لِلذَّمِّ ، وَهُوَ إِلَى التَّأْكِيدِ
أَحْوَجُ مِنْ قَوْلِهِ « مُنْتَهَى » ، لِأَنَّهُ مُقْتَنَلٌ لِلْجِنْسِ وَالْمُؤْمُومِ ، وَمَا يَفِيدُهُ فِي الْجِنْسِ
أَوَّلَى . وَقَوْلُهُ « نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ » ، كَانَ الْأَجُودُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمُضَارِعِ ^(١) فِي جَوَابِ
الشَّرْطِ ، وَقَدْ حَصَلَ مُضَارَعًا وَظَهَرَتِ الْجُزْمِيَّةُ فِيهِ ، لَكِنَّهُ أَتَى بِهِ مَاضِيًا
لِلضَّرُورَةِ .

وقد ألمَّ بهذه الطَّرِيقَةِ الْمُرْقَّشُ فَقَالَ فِي الْفَرْزِ :

وَإِنِّي لَأَسْتَحْجِي فُطَيْمَةً جَائِعًا خَمِيصًا وَأَسْتَحْجِي فُطَيْمَةً طَائِعًا
وَإِنِّي لَأَسْتَحْجِيكَ وَالْخَرْقُ بَيْنَنَا مَخَافَةَ أَنْ تَلْتَقِيَ أَخَا لِي لَأَمَّا
أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَجْمَلُ مَا فَصَّلَهُ هَذَا الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ : أَسْتَحْجِي طَائِعًا ، وَجَائِعًا .
هَذَا مَعَ الْبُعْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبَتِهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِقَوْلِهِ « مَكَانَ يَدِي مِنْ
جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعًا » ، أَنَّهُ يَكْثُرُ الزَّادُ حَتَّى يَسْمَهُ وَجَاعَتُهُمْ وَيَفْضُلَ أَبْضًا ،
وَالأَوَّلُ أَحْسَنُ . وَأَصْلُ الْقَرَعِ ذَهَابُ شَعْرِ الرَّأْسِ مِنْ دَاهٍ . وَحُكِيَ أَنَّهُ قَلَّ

نَعَامَةٌ تُسِنَّ إِلَّا قَرَعَتْ ؛ لذلك قيل : نَعَامٌ قُرْعٌ . والسُّوْلُ يجوز أن يكون من
سِلْتُ أَسَالُ ، لغة هذيل في سأل . ويجوز أن يكون لين همزته وأصله الهمزة .
ويجوز أن يكون من سوَّلت له نفسه كذا ، إذا زَيَّنَتْ له . وسوَّل له الشيطان
كذا ، إذا أَرْخَى حبله فيه وفي القرآن : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ .
وقال الهذلي^(١) :

* سَخَّ نَجَاءَ الْحَمَلِ الْأَسْوَلِ^(٢) *

فوصف السحاب بالسَّوْل لتدليه واسترخائه ، لكثرة مائه .

٧٥٨

وقال آخر :

١ - أما والذي لا يعلم السرَّ غبرُهُ وبُحِي العِظَامِ الْبَيْضَ وَهِيَ رَمِيمُ
٢ - لقد كنتُ أختارُ القِرَى طَاوِي الْحَشَا مُحَافَظَةً مِنْ أَنْ يُقَالَ لَيْسَ^(٣)
٣ - وإني لأستحيي يَمِينِي وَبَيْذَهَا وَبَيْنَ فَيِّ دَاجِي الظَّلَامِ بِهِمْ
أقسم بالله تعالى المطلع على الضمائر ، العالم بمخفيات الأمور ، والمحبي
للأموال بعد أن رمت عظامها وبليت يوم النشور ، بأنه يختار إطعام الضيف
وإيثاره بالزاد وهو محتاج إليه قد اضطرَّ حشاه من الجوع ، لثلاً يُنسب إلى
اللؤم ، وليحافظ على الشرف القديم . ويروى : « لقد كنتُ أختارُ الخَوَى » .
والخَوَى : خلاء الجوف من الطعام ، وخلاء الدار من الشكَّان . فأما من
روى : « أختارُ القِرَى » فعناه ظاهر ، يريد أختار إقاة القِرَى ، لحذف
المضاف . وبعضهم رواه : « لقد كنتُ أختار القَوَى » وزعم أنه مقصور من
القواء ؛ وليس بشيء .

(١) هو التنخل الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ١٠) والسان (سول)

(٢) صدره : * كالسحل البيض جلا لونها *

(٣) التبريزي : « ويروى : محاذرة » .

وقوله : « وإني لأستحيي يميني وبينها وبين قبي داجي الظلام » ، فقد زاد فيه على ما تقدم في المقطوعة قبله ، لأنه ذكر أنه يستحيي من نفسه ويديه وهو لا ثاني له ، في الليلة الظلماء ، وإنما يريد تعوذه ما يستحسن في الأكل ، ويختار في الإطعام ، فإذا تفرّد جرى على عادته إذا تجمّع . وانتصب « محافظة » على أنه مفعول له . و « طاوى الحشا » ، انتصب على الحال ، ويجوز أن يريد إن لم يرني الضيف فيما آتية عند الأكل للظلام الشامل ، ولم يبين [له] ^(١) ما أترك ، فإني أستحيي من يدي فلا أحتجج ولا أستأثر . والأول أحسن . والبهيم : أظلم ، وأصله الذي لا شية فيه ولا وضح ، أي لون كان ، وأراد به هنا تأكيد السواد ، لأن قوله « داجي الظلام » أفاد الإظلام .

٧٥٩

وقال رجل من آل حرب ^(٢) :

- ١- باتت تلوم وتلحاني على خلقي عودته عادة والجود تعويد
 - ٢- قالت أراك بما أنفقت ذا سرفي فيما فعلت فهلاً فيك تضريد
 - ٣- قلت أتر كني أبغ مالي بمكرمة يبق ثنائي بها ما أوزق السود
 - ٤- إنا إذا ما أتينا أمر مكرمة قالت لنا أنفس حريبة عودوا
- يقول : بقيت هذه المرأة ليلتها تعيب علي وتذمني في عادة نشأت عليها ، وخليفة تخلقت بها ، والجود عادة وإلف . وقوله « الجود تعويد » اعتراض دخل في أثناء الحكاية عنها ، فقالت لي : أراك تسرف في الإنفاق ، وتجري

(١) التكملة من ل .

(٢) التبريزي : « ذكر المدائني أن السفاح أمر بقتل رجل من بني أمية ، فبعتته امرأته وابنه الصغير ، فجعل يفرق أمواله وامرأته تقول : ولدك ولدك ! فقال ... » .

إلى ما لا يقوم له مالٌ في التقدير ، ولا يَنفِي به وَجْدُكَ عندَ التحصيل ، فهَلَا
فَطَمَنْتَ نَفْسَكَ عنها ، وَجَرَيْتَ عَلَى سَنَنِ يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ حَالُكَ ، وَلَا تَمَجِّزُ عَنْهُ
مَقْدَرَتَكَ . وَالْأَصْلُ فِي التَّصْرِيدِ تَقْلِيلُ الشَّرْبِ . يُقَالُ : سَقَاهُ سَقِيَّةً مُصَرَّدَةً .
وقوله « قُلْتُ أَتْرَكْنِي » ، أَيُ أَجْبَتْهَا بِأَنْ خَلَّيْنِي وَابْتِيَاعَ الْمَكَارِمِ بِمَالِي ، لِيَبْقَى
ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَى أَبَدِهَا ، وَمُدَّةَ إِبْرَاقِ الشَّجَرِ . فَمَا أَوْرَقَ الْعُودُ ، فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ .
وقوله « ثَنَانُ بِهَا » أَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْمَفْعُولِ ، وَالْمُرَادُ ثَنَاءُ النَّاسِ عَلَى . وَقَالَ
« أَبْنِعْ مَالِي » ، وَالْمَالُ ثَمَنُ الْمَبِيعَاتِ ، لِأَنَّ الْمَتَابِعَ يَمِينُ كُلِّ مِنْهَا يَبِيعُ وَيَشْتَرِي .
وقوله « إِنَّا إِذَا مَا أَتَيْنَا أَمْرَ مَكْرُومَةٍ » ، يَقُولُ : مِنْ شَأْنِنَا أَنْ لَا نَرْضَى فِي
اِبْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ ، وَإِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ وَالصَّنَائِعِ بِالْإِيْمَادِ فِيهَا ، وَالْأَكْتِفَاءِ بِالْوِثْرِ عِنْدَ
فِعْلِهَا ، وَلَكِنَّا نَشْفَعُ وَنَعَاوِدُ ، وَنَتَّبِعُ الْأَكْرُومَةَ بِأَخْتِهَا فَنُطَاقِي .
وقوله « عَوْدَتُهُ عَادَةً » انْتَصَبَ « عَادَةً » عَلَى الْمَصْدَرِ ، لِأَنَّهَا وَضِعَتْ مَوْضِعَ
التَّعْوِيدِ ، كَمَا يَوْضَعُ الطَّاعَةُ مَوْضِعَ الْإِطَاعَةِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ قَوْلُهُ
« وَالْجُودُ تَعْوِيدٌ » . وَيُقَالُ : تَعَوَّدْتُ كَذَا وَاعْتَدْتُهِ وَاسْتَعَدْتُهِ وَأَعَدْتُهِ بِمَعْنَى ،
- وَفَعَلْتُ مُعِيدٌ وَمَعَاوِدٌ ، أَيُ مَعْتَادٌ لِلضَّرَابِ ، وَإِنَّمَا قَالَ « أَنْفَسُ حَرِيَّةٍ » تَبْجُحًا
بِأَسْلَافِهِ ، وَإِظْهَارًا بِأَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَا يَأْنِي عِرْقُهُ وَنَجْرُهُ إِلَّا الْكَرَمُ ^(١) .

٧٦٠

وقال أبو كنداء المجلي ^(٢) :

- ١ - يَا أُمَّ كَنْدَرَاءَ مَهْلًا لَا تُلَوِّمِينِي إِنِّي كَرِيمٌ وَإِنَّ اللَّوْمَ يُؤْذِي
- ٢ - فَإِنْ بَخِلْتُ فَإِنَّ الْبُخْلَ مَشْتَرِكٌ وَإِنْ أَجْدُ أَجْطِ عَفْوًا غَيْرَ تَمْنُونٍ

(١) ل : « مَنْ كَانَ مِنْهُمْ يَأْبَى عِرْقَهُ وَنَجْرَهُ إِلَّا الْكَرَمُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَبُو كَبِيرِ الْمَجْلَى » ، صَوَابُهُ فِي « ل » وَالتَّبْرِيزِي . وَفِي الْمُؤْتَلَفِ لِلْأَمْدِيِّ

١٧١ : « فَأَمَّا أَبُو كَنْدَرَاءَ فَهُوَ زَيْدُ بْنُ ظَالِمٍ ، أَحَدُ بَنِي مَالِكِ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ لَيْمٍ » .

يخاطب امرأته^(١) وقد تضجّر بعلامتها ولذعة^(٢) إنكارها وعتابها ،
 فيقول : رفقا فيما تسلكينه ، وكفا عما أولمت به ، فإنني نشأت على الكرم
 فلو لمك يؤذيني ولا يُغني عنك شيئا ؛ لأنني لا أقابله بالقبول ، وقد يؤدّي الإقراط
 في القول إلى الزيادة في الولوع ، ولأنني إن بخلت فالبخل يؤذي به مشترك بيني وبين
 ورثتي ، وإن أجذ أعطيت مالي عفواً ، أي تسمح نفسي به فلا أكون مجهداً ،
 ولا أمتن على من يأخذه ، لأنني أفضي بالتبذل لذة ومأربة^(٣) ، وأمضي هوى لي
 في مصارفي ومُنيسة ، مستخلصاً من شراكة غيري ، ومقتسماً في وجوه
 إرادتي وبذلي .

وقوله « فَإِنَّ الْبُخْلَ مُشْتَرِكٌ » إن شئت جعلته على حذف المضاف ، ويكون
 المراد : فإن ذا البخل . وإن شئت جعلته المفعول ، كما يقال الخلق والمراد الخلق ،
 وهم ضرب والمراد مضروب .

والمنون يجوز أن يكون من التمن ، وهو القطع ، أي أديم ذلك إدامة من
 يتصرف في ملكه لا من يتصرف في مشتركه . ويجوز أن يكون من التمن
 والأذى . وقال بعضهم : أراد بقوله إن البخل مشترك ، أن الناس أكثرهم
 بُخَال ، فيكون لي شركاء . وهذا كلام معتذر من البخل لا كلام دَامٍ له .
 ومع ذلك فعجز البيت يئبئد عنه ولا يلائمه ، وقد أبان عما ذكرته فيما يليه ،
 لأنه قال :

٣ - لَيْسَتْ بِيَاكِيَةً إِلَّا إِذَا قَدَدْتُ صَوْتِي وَلَا وَاوَرَيْتِي فِي الْحَيِّ يَبْكِي
 ٤ - بَنَى الْبِنَاءَ لَنَا مَجْدًا وَمَكْرُمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْآجِرِ وَالطَّيْنِ

(١) ل : « حليلته » .

(٢) ل : « ولذعة » ، وتقرأ على أنها فعل فاعله « إنكارها » .

(٣) المأربة ، مثقلة الراء ، بمعنى الأرب ، وهو الحاجة .

يقول : إني لا أبقى على إيلي ولا أبقى منها ما يفضلُ عن إفضالي ، فإذا متُّ عنها وقعدت صوتي في زجرها والأمر بتفريقها ، فإنها لا تبكيني ؛ وكذا وارثي لا يحصل شيئاً من إرثي فلا تراه يندُبني . ثم قال : إن أسلافي بنوا لي نجداً وكرماً ، فأحتاج أن أقتدي بهم وأعمرَ خططهم ، وإن لم يكن كالبناء المبني من الطين والآجر ، لأن السكارم تسترَّم فتدعو إلى تفقدها ، بخلاف ما تُتفقَد به المصانع إذا استرمت .

٧٦١

وقال عتبة بن بجير^(١) :

١ - إحيائي لحاف الضيف والبيت بيته ولم يُلْهِني عنه غزالٌ مُقَنَّعٌ
٢ - أحدهُ إن الحديث من القرى وتعلمُ نفسي أنه سوف يهجعُ
يقول : إذا نزل الضيف بي فإني أؤثره بأشرف مكان من بيتي ، وأهزُّ فراشي لي ، ولم يشغلني عنه لا الأهل ولا الولد ، فأخذته وأؤنسه ، وأبسطُ منه وأخرِّفه^(٢) ، وكلُّ ذلك من شرط القرى وإن لم يكن طعاماً ؛ ومع ذلك تعلمُ نفسي وقت هُجوعه فلا أمله ولا أتميه ، ولا أشغله عن راحته ولا أضجيره .
فإن قيل : كيف تحمّد بقوله « أحدهُ إن الحديث من القرى » ، وقد قال غيره في إنزال الضيف « ولم أقمُدْ إليه أسائله^(٣) » ؟ قلت : ليس قوله أحدهُ ممّا اتقى منه ذلك في قوله ولم أقمُدْ إليه أسائله ؛ لأن ذاك أشار إلى ابتداء النزول ، وذلك وقت الاشتغال بالاحتفال له أولى . وهذا يريد أنه يحدّثه بعد الإطعام ،

(١) التبريزي : « وقيل إنه لسكين الدارمي » . وانظر ما سبق في ١٥٥٧ .

(٢) كذا وردت الكلمة بهذا الضبط في النسختين . والتي في اللامج : خرفت فلانا بأخرفه ، إذا قطعت له النهر . وأخرفه نخلة : جعلها له خرفة يخترقها .

(٣) قطعة من بيت للنمري ، سبق في الخامسة ٧٤٩ من ١٦٩٨ .

كَأَنَّهُ يَسَامِرُهُ حَتَّى تَطْيِبَ نَفْسُهُ ، فَإِذَا رَأَاهُ يَمِيلُ إِلَى النَّوْمِ بِخَلِّهِ .
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مِنْ سُنَّةِ الْعَرَبِ أَنَّ الْغَرِيبَ مِنْهُمْ إِذَا نَزَلَ فِصَادَ هَشَاشَةٍ
 وَفِكَاهَةٍ أَيقَنَ بِالتَّكْرُمِ وَحُسْنِ التَّجَفُّدِ ، وَإِنْ رَأَى إِعْرَاضًا وَالْإِوَاءَ عَرَفَ
 ابْتِدَاءَ وَجَرٍ مَانَا . فَلِذَلِكَ قَالَ « إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى » .

٧٦٢

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ الْبَاهِلِيُّ^(١) :

١ - وَدُفْمُ تُصَادِيهَا الْوَلَانِدُ جِلَّةٌ إِذَا جِهَلَتْ أَجْوَاهُهَا لَمْ تَحْلَمْ
 ٢ - تَرَى كُلَّ هِرْجَابٍ لَجُوجٍ لِهَمَّةٍ زَفُوفٍ بِشِلْوِ النَّابِ هَوَاجٍ غَيْلِمٍ
 أَرَادَ بِالْذَّمِّ قُدُورًا سُودًا . وَمَعْنَى « تُصَادِيهَا » تَدَارِيهَا وَتُمَارِيهَا فِي النَّضْبِ
 وَالْإِنزَالِ وَإِعْدَادِ الْأَلَاتِ لَهَا . وَالْوَلَانِدُ : الْجَوَارِي . وَالْجِلَّةُ : الْكِبَارُ الْعِظَامُ .
 وَقَوْلُهُ « إِذَا جِهَلَتْ أَجْوَاهُهَا » ، يَرِيدُ إِذَا غَلَّتْ وَأُزْزِمَتْ . فَعَدَّ ذَلِكَ جَهْلًا مِنْهَا .
 وَقَالَ « أَجْوَاهُهَا » جَمْعًا عَلَى مَا حَوَّلَهُ . وَقَوْلُهُ « لَمْ تَحْلَمْ » أَرَادَ لَمْ تَسْكُنْ
 بِالْهُوَيْنِيِّ لِعِظَمِهَا .

وَقَوْلُهُ « تَرَى كُلَّ هِرْجَابٍ » ، فَالْهِرْجَابُ : الضَّخْمُ الثَّقِيلُ . وَاللَّجُوجُ هِيَ
 الَّتِي إِذَا اسْتَعْرَتْ النَّارُ تَحْتَهَا لَجَّتْ . وَاللَّهْمَّةُ : الْكَبِيرَةُ الَّتِي تَلْتَهُمُ الْأَوْصَالُ
 الْمَوْفَرَةُ ، وَالْأَعْضَاءُ الْمَوْرَبَةُ . وَقَوْلُهُ « زَفُوفٍ بِشِلْوِ النَّابِ » أَيْ لَسَعَتَهَا تَرَى
 جَوَانِبَهَا بِأَسْلَاءِ النَّابِ وَتَرَفُّ بِهَا . وَالزَّفَيفُ : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ . وَالْهُوَاجُ :
 الَّتِي كَأَنَّهَا هَوَاجًا وَجُنُونًا . وَالْعَيْلِمُ : الْوَاسِعَةُ الْكَثِيرَةُ الْأَخْذُ مِنَ الْمَرْقِ ،
 كَالْعَيْلِمِ مِنَ الْآبَارِ .

(١) هُوَ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ بْنِ الْعَمْرِدِ الْبَاهِلِيُّ ، مِنْ شُعْرَاءِ الْمَاجَلِيَّةِ الَّذِينَ أُدْرِكُوا الْإِسْلَامَ ،
 أَسْلَمَ وَغَزَا مَغَازِي فِي الرُّومِ ، وَتُوفِيَ عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ . الْإِسَابَةُ ٦٤٦٠ وَالْمُؤْتَلَفُ ٣٧ وَابْنُ سَلَامٍ
 ١٧٩ وَالْحُرَازَةُ (٣: ٣٨) وَاللَّالِيُّ ٣٠٧ .

٣ - لَهَا لَفَطٌ جِنَحَ الظَّلَامِ كَانَهَا بَحَارِفُ غَيْثٍ رَائِحٍ مَتَهَزِّمٍ

٤ - إِذَا رَكَدَتْ حَوْلَ الْبُيُوتِ كَانَمَا تَرَى الْآلَ يَجْرِي عَنْ فَنَائِلِ صُبِّمٍ

اللفظ : الصوت ، يعنى هزتها في الغليان . وانتصب « جِنَحَ الظَّلَامِ » على الظرف ، يريد أنها تغلي إذا جَنَحَ الظَّلَامُ بالعشى ، وذلك وقت الضيافة ، وكان لفظه صوت رعدٍ من غَيْثٍ ذى تعجرفٍ . والعجارف : شدة وقوع المطر وتتابعه ، يريد أنه هبت^(١) الريح فيه وصار له هزمة أى صوت . شبه صوت القدر في غليانها بصوت الرعد من سحبٍ هكذا .

وقوله « إِذَا رَكَدَتْ حَوْلَ الْبُيُوتِ » رجع إلى صفة القدر كلها ، فيقول : إذا نَصَبَتْ فَتَبَيَّتْ عَلَى الْأَنَافِ حَوْلَ الْبُيُوتِ وَقَدْ أَشْبِهَتْ وَحُفَّتْ بِاللَّحُومِ وَالْدُّسُومِ ، تَرَاهَا تَبْرُقُ إِهَالَتُهَا ، وَتَتَلَأَلَأُ تَلَأُلُؤَ الْآلِ ، وَقَدْ جَرَى عَلَى مُتُونِ خُيُولٍ وَاقِعَةٍ ، فَسَاعَدَهُ بَرِيقُ السَّلَاحِ . والقنابل : الجماعات من الخيل ، حدها قنبلة^(٢) . والصُّبِّمُ : جمع صائم ، وهو القائم . والصَّوْمُ قيامٌ بلا عمل . وصام الفرس على المِعْلَفِ ، إذا لم يعتلف .

٧٦٣

وقال المرارُ الفقمسي^(٣) :

١ - آلَيْتُ لَا أُخْفِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَنِي سَنَا النَّارِ عَنْ سَارٍ وَلَا مُتَنَوِّرٍ

٢ - فَيَا مُوقِدِي نَارِي أَرْفَعَا هَامِلَهَا نُضِيءُ لِسَارٍ آخِرَ اللَّيْلِ مُقْتَرٍ

(١) في الأصل : « إنه إذا هبت » ، صوابه في ل .

(٢) كنا ضبطت في النسختين بضم القاف والباء . وضبطت في اللسان والقاموس بفتحهما .

(٣) هو المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن فضة بن الأشتر بن جحوان بن فقمس ،

شاعر إسلامي . المؤتلف ١٧٦ والمرزبانى ٤٠٨ والأغانى (١٥١٤٩ - ١٥٤) والحزانة

(١٩٣ : ١٩٧) والشراء ٦٨٠ - ٦٨٣ .

يقول: أَخَذْتُ حُلِي نَفْسِي مُوَلِّيًا وَمُقْسِمًا ، أَنِّي لَا أَخْفِي إِذَا اللَّيْلُ سَتَرَنِي
بِظِلَامِهِ ضَوْءَ نَارِي عَنْ سَارِي يَبْنِي مَبِيتًا ، وَلَا نَاطِرٍ [إِلَى نَارٍ ^(١)] لِيَهْدِي بِهَا ،
ثُمَّ تَرَكَ الْإِخْبَارَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَقْبَلَ يَخَاطِبُ مَوْقِدِي نَارَهُ فَقَالَ ارْضَاها ،
أَيِ اجْعَلَاها فِي يَفَاعٍ وَسَكَانٍ مُشْرِفٍ ، فَسَيُؤْنِصُ لِيَسَارِ مُرْمِلٍ فَقَهْرِي فِي
آخِرِ اللَّيْلِ ، وَقَدْ كَابَدَ مَا كَابَدَ مِنْ أَوَّلِهِ ، فَخَلَّصَ إِلَيْنَا ، وَاهْتَدَى بِهَارِنَا . وَالْمُتَنَوِّرُ :
الْمُنَاطِرُ إِلَى النَّارِ . وَإِنَّمَا قَالَ « فَيَا مَوْقِدِي نَارِي » عَلَى عَادَتِهِمْ فِي جَعْلِ مَزَاولِي
الْأُمُورِ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْآخِرِ ^(٢) :

* تَرَى جَازِرِيَهُ يُرْعَدَانِي ^(٣) *

وَكَمَا قَالُوا فِي الْجَلَبِ الْبَائِنِ وَالْمُسْتَعْلِي ، وَفِي الْإِسْتِقَاءِ الْقَابِلِ وَالْمُسْتَقِي .
و « لَعْلٌ » بِمَعْنَى أَضَالِ الْمَقَارِبَةِ وَإِنْ كَانَ حَرْفًا . وَالْمُقْتَرِ الْفَقِيرُ . وَيُقَالُ
قَتَرٌ وَأَقْتَرُ بِمَعْنَى . وَقَدْ يُجْعَلُ لِلْمُقْتَرِ نَقِيضُ الْمُسْكِرِ .

- ٣ - وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ يُوَاجِهَ نَارَنَا كَرِيمُ الْحَيَا شَاحِبُ الْمَحْضَرِ
٤ - إِذَا قَالَ مَنْ أَنْتُمْ لِيَتَرَفَّأَ أَهْلُهَا رَفَعَتْ لَهُ بِاسْمِي وَلَمْ أَتَنَكَّرْ
٥ - فَبِتْنَا بِخَيْرٍ مِنْ كَرَامَةِ ضَيْفِنَا وَبِتْنَا نُهْدَى طُفْمَةً غَيْرَ مَنِيَسِرٍ ^(٤)

قَوْلُهُ « وَمَاذَا عَلَيْنَا » ، أَيِ أَيُّ ضَرَرٍ يَلْحَقُنَا فِي أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى نَارِنَا رَجُلٌ
كَرِيمُ الْوَجْهِ ، هَزِيلُ الْمَرْءِ ، قَدْ ظَهَرَ أَثَرُ الضَّرَرِ حُلِي مُتَحَسِّرِهِ ، أَيِ حَيْثُ
يَتَحَسَّرُ الثُّوبَ عَنْهُ ، كَالْوَجْهِ وَسَائِرِ مَا لَا يَنْطَلِئُهُ . وَقَوْلُهُ « كَرِيمُ الْحَيَا » ضِدُّ قَوْلِهِ :
لَيْسَ الْمَقْدُّ ، لِأَنَّ الْحَيَا هُوَ الْوَجْهِ ، فَأَضْيَفَ الْكِرْمُ إِلَيْهِ . وَالْمَقْدُّ : مُنْتَعَى الشَّعْرِ

(١) الصَّكَّةُ مِنْ ل .

(٢) هُوَ زَيْبُ بِلْتِ الطَّافِيَةِ . انظر من ١٠٤٩ .

(٣) تَمَامُهُ : تَرَى جَازِيَهُ يَرْعَدَانِ وَنَارَهُ عَلَيْهِمَا عِدَامِيلُ الْمُحْسِنِ وَسَابِلُهُ

(٤) التَّبْرِيزِيُّ : « وَبُرُوِي : « نُهْدَى هَدِيَّةً » .

من القفا ، فأضيف اللوم إليه ، وقد قيل : حُرُّ الوجه ، وعهد القدِّ ، وعهد القفا .
 وقوله « إذا قال من أنتم » ، يريد أنه يعرف لينظر هل على النار من
 يكرّم قراه ويطيّب النزول عليه . وقوله « رفعت له باسمي » جواب إذا ، أى
 عرفته اسمي إذا سأل ، ولم ألبس نفسي خوفاً ، ثقة بأنه يرّضاني لنزوله ، ولأنهم
 كانوا يرؤزون المستضاف بالكلام^(١) ، لينظروا ماذا يكون منه من استهلال
 واهتزاز ، أو زورارٍ وانقباض .

وقوله « فبئنا بخير من كرامة ضيفنا » ، يريد : احتفلنا لضيفنا فشرّ كناه
 في التحير المحدث له ، وبقيتنا لياقتنا نهدى إلى الجيران من فواصل الطعام والزاد عنا
 وعن ضيفنا ، وذلك « غير متيسر » ، أى لم يكن مما ضرب عليه بالقداح وتياسرناه
 أى اقتسمناه ، بل كان مما نجشم للضيف لا يشرّكنا أحد فيه .

٧٦٤

وقال عروة بن الورد^(٢) :

١ - أرى أم حسان المداة تلومنى تخوفنى الأعداء والنفس أخوف^(٣)
 ٢ - لعل الذى خوفتنا من أماننا يصادفه فى أهله المتخلف
 يقول : لما هممت بالسفر جعلته منى ببال اعترضت هذه المرأة على وأقبلت
 تلومنى وتحذرنى الأعداء فى الوجه الذى أردت تيميمه ، ونفسي أشد خوفاً لأنها
 حساسة حذرة ، لكنتى تجلّدت لها وأجبتها بأن الذى أندرته من قدّامنا ،
 والسمة الذى هو نيتنا وطيقنا ، لعله يلقاه المتخلف من السعى فى طلب الرزق

(١) رازة يروزه : اختبره .

(٢) سبقت ترجمته فى الحماسية ١٤٥ ص ٤٢١ . والآيات فى ديوانه ٢٠١ وبعدها
 فيه ثلاثة أخرى .

(٣) أم حسان هذه امرأة عروة ، وكانت قد نهته عن الغزو ، كافى الديوان .

المقيم في أهله راضياً بأذون العيش ؛ لأنَّ الحذر لا يُغني عن القدر ، وقد بُوتى
الإنسان من ناحية أمنه ، ويصادف فيه ما لا يصادفه الخائف من ناحية خوفه .
وقوله « خَوَّفْتِنَا » حذف الضمير العائد إلى الذي منه ، استطالة للاسم بصلته .
وقوله « مِنْ أَمَانِنَا » ، يريد من حيث نأتمه ، والوجه الذي نتوجه إليه ، وذلك
قدَّامه لا شك . وموضع « يصادفه » رفع على أن يكون خبر لعل ، و « في أهله »
تعلق الجار منه بفعل مضمر وموضعه نصب على الحال ، أى يصادفه المتخلف
مقيماً في أهله ومستقراً .

٣ - إذا قلتُ قد جاء الغنى حال دونه أبو صينية يشكو المفاقر أعجبُ
٤ - له خلَّةٌ لا يدخلُ الحقُّ دونها كريمٌ أصابته حوادثٌ تجرِفُ^(١)

يقول : إذا اتفق لى في مقصد من مقاصدى ما أفدَّر فيه حصول الغنى
وجواز الاعتماد عليه في مَبَاغى الدنيا ، ووعدتُ نفسى له ومن أجله بالاكتفاء
عند الفكر في مؤن العيال ، حال بينى وبينه اجتداه صاحب عيلة ، ووالد
صينية ، ظاهر الفقر ، سبب الحال ، يشكوزماته وتأثير الضر فيه ، وعليه مما يتألم
منه شواهد تمنع دخول حق دون خلته ، وتأبى أن يقال فى شيء من المفاقر هو أولى
منه . [فسكانه^(٢)] يعنى بالحق نسبياً أوجاراً أو متحرماً بجرمة ، لأنه متى قوبل
حاله بحال من ذكره لم يوجب تقديمه عليه ، ولم يستحق العدول عنه إليه . هذا
من طريق الوجوب له ، ثم هو فى نفسه يرجع إلى كرم ومروءة ، ويستظهر
بمنوان نعمة وترفة ، وقد نابتة نوائب تجرف المال ، أى تنويه جلة لا تزيله
شيئاً بعد شيء ، كما يكال الشيء أو يؤزن ، فعهده به قريب ، والتوفر عليه
متعين مفروض ، فإذا التزمت له واجبه ، وآثرته بصرف مافى يدي إليه ، عدتُ

(١) الديوان : « أصابته خطوب » .

(٢) التكملة من ل .

محتاجاً كما كنتُ ، وساعياً في الطلب كما ابتدأت . وقوله « كريم » من صفة أبو صبيّة ، وقد تابع بين صفات من مفرد وجمله .

٧٦٥

وقال يزيد بن الطثيرة^(١) :

١ - إذا أرسلوني عند تقدير حاجة أمارس فيها كنتُ عين الممارس
٢ - ونفمي نفع الموسرين وإنما سوامي سوام المقترين المفايس
يقول : إذا أرسلني عشرين في مهم لم يُقدِّرون ارتفاعه بي وبسمعي ،
ويؤثِّلون انتفاعهم به عند اجتهادي ، فاعتمدوا مُزاوَلتي ، ووثقوا بالنجاح لدى
ممارستي ، كنتُ فيه حقَّ الممارس ، لا أضجع فيه ولا أفرط ولا أقصر ، بل زدتُ
على ظنهم بي ، وتجاوزتُ الغاية التي يَقفون فيها من رجائي ، فنفعي نفع الكثيرين
وإن كان مالي الراعية مال المُفلسين^(٢) المقترين . وقوله « المفايس » ، الإفلاس :
لفظة عربية وإن كثر التداول لها في ألسنة العامة . وكان الأصل في أفلس الرجل
أن يصير صاحب فلوس بعد أن كان صاحب أموال . وتفنيس الحاكم معروف ،
وهو من هذا ، كأنه ينسبُه إلى ذلك ، فهو كالتعديل والتنسيق . والسوام من
قولهم : سامتِ الماشية نسوم ، وهي سائمة . والمِرَاس : مُزاوَلَة الشيء ، ويقال :
مَرَسَ الحبلُ ، إذا نَشَبَ في البكرة عند الاستقاء . ويقال لمن يرده إلى موضعه
أمرَسَ فهو مُمرَس . على ذلك قوله :

* بنس مقام الشيخ أمرِس أمرِس^(٣) *

(١) سبقت ترجمته وتحقيق نسبه في الخامسة ٥٤١ م ١٣٤٠ .

(٢) ل : « المفلين » .

(٣) أنشده في مجالس ثلث ٢٥٦ واللسان (مرس) . وبعده :

* إما على قمو وإما اقمنس *

ثمَّ يقال في الصَّبور على طَلَبِ الشَّيءِ القويِّ : هو مَرَسٌ ، وشديدُ المارَسةِ .
واليرَاس . وقوله « أمارش فيها » في موضع الجرِّ على أن يكون وصفاً لحاجة .

٧٦٦

وقال سالم بن قحطان^(١) ، وقد جاتته امرأته :

- ١ - لَقَدْ بَكَرَتْ أُمُّ الْوَلِيدِ تَلَوْنِي وَلَمْ أَجْتَرِمْ جُرْماً قُلْتُ لَهَا مَهْلاً^(٢)
 - ٢ - فَلَا تُعْرِفِينِي بِالتَّلَامَةِ وَاجْعَلِي لِكُلِّ بَعِيرٍ جَاءَ طَالِبُهُ حَبْلاً^(٣)
 - ٣ - فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْإِبِلِ مَالاً لَمَقَّتَنِ وَلَا مِثْلَ أَيَّامِ الْعَطَاءِ لَهَا سُبْلاً
- يقول : ابتكرت هذه المرأة لأئمة لي وعانية علي من غير جنابة جنيتها
واكتسبتها ، ولا جريمة اجتريتها وقدمنتها ، فقلت لها : رفقاً في قولك لا خرفاً ،
وصبراً على مضضك^(٤) واقتصاداً ؛ ولا تعْرِفِينِي بناري عَتَبِكَ ، وسُلْطَانِ غِيْظِكَ ،
ولكن اتَّبِعِي^(٥) مُرَادِي ، واهْتَدِي بهَدْيِي ، واثقة بأنَّ الصَّوابَ في فعلي
وقولي ، وجوامع الخير مقرونة بعقوى وجهدي ، واجْعَلِي لِكُلِّ بَعِيرٍ نَصَصْتُ
عليه لسائل حَبْلاً ، ليقْتَادَهُ به ، مشارَكَةً لي في الكرمِ وإبْغَاءَ الصَّلاحِ ،
وموافقةً فيما أُوْثِرُهُ من وجوه الاصطناع ، لا يَظْهَرُ مِنْكَ تَكَرُّهُ ، ولا اشتغاطُ
وتَسَخُّطُ . واعطِي أني لم أرمالاً مثلَ الإبلِ لمن يَفْتَنِي خيراً ، ويدْخِرُ أجراً ،
ولا مثلَ أوقاتِ العطاء سبيلاً لها وممرّاً . ويجوز أن يريد بقوله « مَالاً لَمَقَّتَنِي »

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٦٨٤ من ١٥٨١ .

(٢) سبقت هذه الخامسة برقم ٦٨٤ مع إسقاط البيت الأول هنا وزيادة بيت بين
الثاني والثالث .

(٣) التبريزي : « جاء سائله » .

(٤) كذا في ل . وفي الأصل : « على خصمك » ،

(٥) في الأصل : « اتبني » ، صوابه في ل .

أى لمن يجمع^(١) ما يفتنيه ويحمله الأصل فى يساره وغناه . وبعد ذلك لتحويلها إلى العفاة برمتها أعود عليهم وأرد ، وأبقى فى حالهم وأغنى . والافتناء ؛ اتخاذ الشيء للنفس لا للبيع . ويقال : هذه إبل قنية ، وهذه مال قنيان ، لما يتخذ للنسل لا للتجارة . ويقال فكا يفتو ، وقني يفتى ، لغمان ، ومن الشانه قولم : أفتنى حياك . ومن الأولى قوله :

* كذلك أفتو كل قطر مفضل^(٢) *

٧٦٧

فرمت إليه امرأته بخمارها وقالت : صيرة حبلأ لبعضها

وأنشأت تقول :

- ١ - حلفت يمينا يا ابن فحنان بالذى تكفل بالأرزاق فى السهل والجهل
 - ٢ - تزال جهال مبرمات أعدها لها ما مشى يوما على خفه جهل
 - ٣ - فأعط ولا تبخل إذا جاء سائل فمندی لها عقل وقد زاحت الملل
- يقول : أقسمت يمينا بالله الذى تضمن الأرزاق لمرزقيها ، وفطر الخلق الذى اخترعهم فى سهل الأرض وحرزها ، لا تزال من جهى جهال مستحصدة ممددة لإهلك التى صرقتها فى مصارف بذلك مددة الدهر ، اقتداء بك ، ودخولا تحت طاعتك . فالتكفل بالأرزاق هو الله تعالى فى أقطار الأرض ، وقد وثقنا بفضله والتعيش من فضله .

(١) فى الأصل : « ولن يجمع » ، صوابه فى ل .

(٢) البيت للمسلم فى ديوانه ٤ مخطوطة الشنيطى ، والعمراء ١٣١ . وصدره :

* فألفيتها بالئى من يجنب كافر *

وقولها « تَزَالُ » حذفَتْ حرفَ النَّفْيِ منه لأَمْنِهَا مِنَ الِالْتِبَاسِ ، وقد مرَّ القول فيه في غيرِ موضع .

وقولها « فَأَعْطِ » ترغيبٌ منها وتحضيض ، أى توسُّعٌ فى البَذْلِ منها ، ودَعِ البُخْلَ بها ، فلا اعتراضَ عليك ، ولا مُرَادَّةَ معك ، والمُقْلُ من جَهَتْ مَعْدَّة ، والعللُ معى مرتفعة . ويقال : أَرَحْتُ الْعِلَّةَ فى كَذَا فَرَأَحَتْ ، أى أزلْتُهَا فَرَأَلَتْ . وحكى الدُّرَيْدِيُّ : زاح الشئُ يَزِيحُ وَيَزُوحُ زِيحًا وزِيحَانًا ، أى تحركَ عن مكانه . وزُحْنُهُ فَانْزَاحَ ، وَأَزَحْتُهُ فَرَزَاحَ ، وهو مَزُوحٌ ومَزَاحٌ . وقولها « ما مشى يومًا » فى موضع الظَّرْفِ ، والعامل فيه لا تزال حِبَالٌ .

٧٦٨

وقال الأقرع بن معاذ^(١)

- ١ - إِنْ لَنَا صِرْمَةٌ تُتْلَى مُحَبَّسَةً فِيهَا مَعَادٌ وَفِي أَرْبَابِهَا كَرَمٌ
 - ٢ - نُسَلِّفُ الْجَارَ شِرْبًا وَفِي حَائِمَةٍ وَلَا تَبِيْتُ عَلَى أَغْنَائِهَا قَسَمٌ^(٢)
 - ٣ - وَلَا نُسَفِّهُ عِنْدَ الْخَوْصِ عَطَشَتَهَا أَحْلَامَنَا وَشَرِيبَ السَّوَةِ يَحْتَدِمُ^(٣)
- الصِّرْمَةُ : القليل من المال ، ويريد بالحَبْسَةِ أَنَّهَا مُنَافَخَةٌ بِالْغِنَاءِ لَا تُسَامُ فى اللراعى . وقوله « فِيهَا مَعَادٌ » أى أَنَّهَا تَحْتَمِلُ مَا تَحْمِلُ مِنْ مُؤْنِ الْعُقَاةِ عَوْدًا عَلَى بَدءِ . وقوله « فى أَرْبَابِهَا كَرَمٌ » أى فى مُلَّاكِهَا سَعَةٌ صَدِرَ وَحُسْنُ صَبَرٍ عَلَى مَا يَعْتَرِيهِمْ مِنْ حُقُوقِ السُّؤَالِ وَالْمُجْتَدِينَ .

(١) اسمه الأشيم بن معاذ بن سنان بن عبد الله بن حزن بن سلمة بن قصير ، كان فى أيام هشام بن عبد الملك . الرزبانى ٣٨٠ .

(٢) التبريزى : « نُسَلِّفُ » بالتاء ، و « يَبِيْتُ » بالياء .

(٣) فى الأصل : « وشروب » ، صوابه فى ل والتبريزى .

وقوله « نَسَلْتُ الْجَارَ شِرْبًا وَهِيَ حَامَةٌ » الحَامَةُ : العِطَاشُ ؛ يقال : هو يَحْمُومُ حَوْلَ الْمَاءِ ، إِذَا دَارَ حَوْلَهُ . وهو حَامٌ لَائِبٌ ، إِذَا اشْتَدَّ عَطَشُهُ وَحَامَ حَوْلَ الْمَاءِ . فيقول : نَقَدْتُ الْجَارَ عَلَى أَنْفُسِنَا عِنْدَ سَقَى الْإِبِلِ وَإِنْ كَانَتْ إِبِلُنَا عِطَاشًا ، كَأَنَّا نَجْمِلُ الزِّيَادَةَ عَلَى نَصِيبِهِ كَالسَّلَفِ عِنْدَهُ . ويقال : أَسْلَفْتُ كَذَا وَسَلَفْتُ جَمِيعًا . وقوله « وَلَا تَبَيْتُ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَسَمٌ » يعنى الْإِيمَانُ الَّتِي يُوَكِّدُ بِهَا لِلْعَازِرِ (١) وَالْعِلَلُ عِنْدَ الْمَنَعِ وَالْبُخْلِ . فيقول : لَا تَبَيْتُ صِرْمَتُنَا وَقَدَّرَ مَهَا كَفَارَةٌ يُبَيِّنُ احْتِجَازَتُ بِهَا عَنِ الْبَذْلِ . وَلَكِنْ أَنْ تَرَوْى : « نَسَلْتُ الْجَارَ » بِالتَّاءِ ، حَقٌّ يَكُونُ الْإِخْبَارُ فِي الْمَجْزُ وَالصَّدْرِ عَنِ الْإِبِلِ ، وَالْحَالُ لَا تَلْتَبِسُ فِي أَنْ ذَلِكَ كُلُّهُ لِأَرْبَابِهَا . وقوله « وَلَا تُسَفِّهِ عِنْدَ الْحَوْضِ عَطَشَتُهَا » ، أَيْ لَا تَسْتَخَفْ حَاجَتُهَا إِلَى الْمَاءِ أَحْلَامُنَا فَنَبْطِشَ بِشُرْكَائِنَا فِي الْوَرْدِ ، وَنَفْعَلْ مَا يَفْعَلُهُ لِلتَّمَرُّزِ وَالْمَقْتَدِرِ مِنَ الْهَضِيمَةِ فِي الشَّرْبِ ، لِأَنَّ شَرِيبَ السَّوْءِ هُوَ الَّذِي يَتَحَفَّظُ وَيَغْضَبُ فَيَحْتَدِمُ . والاحتدام : شدة الإحماء (٢) . قال الأعشى :

* وَهَاجِرَةٌ حَرُّهَا مُحْتَدِمٌ (٣) *

٧٦٩

وقال يزيد بن الجهم الهلالي (٤) :

١ - لَقَدْ أَمَرْتُ بِالْبُخْلِ أُمُّ مُحَمَّدٍ فَقُلْتُ لَهَا حُنًى عَلَى الْبُخْلِ أَحْمَدًا

(١) ل : « الَّتِي تُوَكِّدُ لَهَا الْعَازِرِ » .

(٢) ل : « وَالْإِحْتِدَامُ : الْإِحْمَاءُ » .

(٣) صدره في ديوانه ٣٠ :

* وَإِدْلَاجٌ لَيْلٍ عَلَى خَيْفَةٍ *

(٤) التبريزي : « وَبُرُوِي لِحَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ » . وَقَدْ نُسِبَتْ فِي مَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ (١١ : ١١)

لِحَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ ، وَفِي السَّانِ (سَقَطَ) لِيَزِيدَ بْنِ الْجَهْمِ . وَانْظُرْ دِيوانَ حَمِيدِ ٧٦ طبع دار الكتب المصرية .

٢ - فَإِنِّي أَسْرُو عَوِذْتُ نَفْسِي عَادَةً وَكُلُّ أَمْرِي جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
 يقول : أَسْرَتْنِي هَذِهِ الْمَرْأَةُ بِالْإِمْسَاكِ عِنْدَ الْبَذْلِ ، وَالْإِبْقَاءِ ^(١) عَلَى الْمَالِ ،
 فَقُلْتُ لَهَا حَتَّى عَلَى الْبُخْلِ وَابْعَثِي عَلَيْهِ إِنْسَانًا أَحْمَدُ لَكَ وَأَرْضِي بِوَعْظِكَ مِنِّي ،
 فَيَكُونُ أَحْمَدُ مَفْعُولًا ، وَقَدْ نَابَتِ الصَّفْةُ عَنِ الْمَوْصُوفِ . وَيُرْوَى : « حَتَّى عَلَى
 الْجُودِ أَحْمَدًا » وَيَكُونُ قَوْلُهُ « أَحْمَدُ » مُنْتَصِبًا بِإِضْمَارِ فِعْلٍ ، كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ حَتَّى
 عَلَى الْجُودِ نَوَى أَنْتَى مَا هُوَ أَحْمَدُ لَكَ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ : وَرَأَيْكَ أَوْسَعَ لَكَ ،
 وَاتَّقِ اللَّهَ أَغْوَدَ لَكَ . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ اُنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾ وَمَنْ رَوَى « حَتَّى
 عَلَى الْبُخْلِ » ، يَحْزُنُ أَنْ يَكُونَ أَحْمَدُ اسْمًا عَلَمًا لَوْلَا مَا أَوْ قَرِيبٌ مِنْهَا ، فَقَالَ :
 أَبْعَثِي ذَلِكَ عَلَى الْبُخْلِ مِنْ دُونِي ، لِأَنِّي لَا أَصْنَعِي إِلَيْكَ وَلَا أَتَتَبِعُكَ لَكَ ، فَقَدْ
 تَعَوَّدْتُ مِنْذُ كُنْتُ عَادَةً فَطَمِنِي عَنْهَا وَمَنْعِي مِنْهَا يَتَعَذَّرُ وَيَبْعِدُ ، وَكُلُّ رَجُلٍ
 سَيَجْرِي عَلَى عَادَتِهِ ، وَمَا هُوَ مِنْ هِجْرَاهُ وَمَتْنِهِ ^(٢) .

٣ - أَحِينَ بَدَأَ فِي الرَّأْسِ شَيْبًا وَأَقْبَلَتْ إِلَى بَنُو غَيْلَانَ مَثْنَى وَمَوْحَدًا
 ٤ - رَجَوْتُ سِقَاطِي وَاعْتِلَالِي وَنَبَوْتِي وَرَأَيْكَ عَنِّي طَالِقًا وَارْحَلِي غَدًا
 أَلْفَ الْإِسْتِفْهَامِ وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهَا التَّوْبِيخُ وَالتَّقْرِيعُ ، يَطْلُبُ الْفِعْلُ وَهُوَ
 رَجَوْتُ . فَيَقُولُ : أَرْجَوْتُ مِنِّي بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ فِي رَأْسِي اتِّبَاعِي لَكَ ،
 وَقَبُولِي مِنْكَ ، وَبَعْدَ أَنْ أَلِفَ النَّاسُ مِنِّي طَرِيقَةً أَجْرِي عَلَيْهَا وَقَدْ أَقْبَلَتْ
 بَنُو غَيْلَانَ شُرْعًا نَحْوِي اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ ، وَوَاحِدًا وَاحِدًا ، مِنْ طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
 وَوُجُوهِ مُفْتَرِقَةٍ ، وَقَدْ عَلَّقُوا آمَالَهُمْ بِي ، يَكُونُ مِنِّي نُبُوٌّ عَنْهُمْ ، وَاعْتِلَالٌ عَلَيْهِمْ ،
 وَزَوَالٌ عَنِ الشُّنَّةِ الْمَعْرُوفَةِ فِيهِمْ وَمَعَهُمْ ، إِلَى غَيْرِهَا . وَقَوْلُهُ « سِقَاطِي » ، يَقَالُ

(١) فِي الْأَسْلِ : « وَالْبَقَاءُ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) الْمَجْعِيُّ ، بِكسر الهاء وتشديد الجيم المكسورة : الدَّابُّ وَالشَّانُ وَالْعَادَةُ .

لمن لم يأت مأتى الكرام : هو يُسَاقَطُ ، قال الشاعر^(١) :

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَ مَا جَلَّلَ الرَّأْسَ مَشِيبٌ وَصَلَعٌ

والمعنى : كيف أملت مساقطى عن هذا الدَّأْبِ مع اجتماع هذه الأحوال ، ومع تجربتى وكالى ، اذهبى عني بآئنة^(٢) منى وارحلى غداً . وقوله « وراءك » ظرفٌ فى الأصل ، وقد جملة اسماً للفعل . والمراد : ابعدى عني . وعطف عليه « وارحلى » وهو فعلٌ ، وهذا يبين قوَّةَ الظروف إذا جُمِعَت أسماء للأفعال ، لأنه لولا ثباتها فى النِّبَاةِ عن الأفعال والاستغناء بها عنها ، لَمَا جاز عطفُ الفعل عليها ؛ وذلك أنَّ المعطوفَ والمعطوفَ عليه فى حكم المثنى ، والثَّنية لا تَحْسُنُ إلَّا بين متوافقين ، فكذلك العطف . ومثْنَى وَمَوْحَدٌ مَّا عُدِلَ فى النِّكْرَةِ ، فلا ينصرف فى المعرفة والنِّكْرَةِ جميعاً ، لكونه معدولاً عن أسماء الأعداد وعن الأفراد إلى التكرير . و « طالقاً » انتصبَ على الحال من قوله « وراءك عني » ، ولم يقل طالقةً لأنه أخرجَه تَخْرُجُ النَّسَبِ^(٣) .

٧٧٠

وقال آخر :

١ - إني وإن لم ينلْ مالى مدى خلقي فيأض ما مَلَكَتْ كَفَّائِي مِنْ مَالٍ

٢ - لا أَحْبِسُ الْمَالَ إِلَّا رَبِّتْ أَنْفَهُ وَلَا تُفَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ

يقول : أنا وإن كان مالى لا يقوم بمؤنّى ، وكان عاجزاً عن غاية خلقي ، وقاصراً دون مدى بذلى وإفضالى ، فإنى أصبُّ ما تملكه يداى فيفيض فيضاً

(١) هو سويد بن أبي كاهل . انظر البيت ٧٩ من الفضلية ٤٠ .

(٢) كذا فى ل . وفى الأصل : « نائبة » .

(٣) ل : « النسبة » .

لا أمنعهُ طالبا له كيف يتوسَّل ، وبماذا يتوصَّل ، إذ كنت لا أحبس المال ولا أخزُنه إبطاءه إلا قَدَّرَ الوقتَ في إنلافه وتفرقه ، ولا تَنفُقُنِي ^(١) حَالَهُ تعرض عن حالي الأولى فيما أعتاده وآلفه . يريد أنه مستمرٌّ فيما يجرى عليه كيف واثاه الزمان ، وأداره الأحوال . وقوله « إلا ريث » في موضع الظرف من لا أحبسُ .

٧٧١

وقال سَوَادَةُ اليربوعي :

- ١ — لقد بَكَرْتُ مَيَّ عَلَى تَلَوْنِي تقولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ ^(٢)
- ٢ — ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ الْفَتَى وَلَا يُهْلِكُ الْمَرْفُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهُ يقول : اغتدَّتْ هذه المرأةُ إِلَى لائِمَةٍ وَقَائِلَةٍ : لقد أَهْلَكْتَ مَنْ تَكْفُلُهُ وتمُونَهُ ، إذْ كَدْتَ بِعَرَضِ الْفَقْرِ ، لِتُضْيِعِيكَ مَا تَمْلِكُهُ ، وَسَرَفِكَ فِيمَا تَبْذُلُهُ . فأجبتها وقلت : أَنْزُكِنِي عَلَى عَادَتِي ، فَإِنَّ الْبُخْلَ بِالْمَالِ لَا يُبْقِي صَاحِبَهُ ، وَالبَذْلُ لَا يُبَيِّتُ مُعْتَادَهُ . وقد مضى مثل هذا

٧٧٢

وقال حُطَّائِطُ بْنُ يَمْفَرٍ أَخُو الْأَسْوَدِ ^(٣) :

- ١ — تقولُ ابْنَةُ الْعَتَابِ رُحْمٌ حَرَبْنَا حُطَّائِطُ لَمْ تَتْرَكَ لِنَفْسِكَ مَقْعَدًا ^(٤)

(١) هو تفسير قوله : « تغيرني حال إلى حال » . وفي النسختين : « تنفلي » ، تحريف .
 (٢) التبريزي : « ألا بكرت مي » .
 (٣) أخوه الأسود بن يعفر ، شاعر مشهور من شعراء الجاهلية ، قال ابن قتيبة في الشعراء ٢١١ : « ولا عقب للأسود ولا لأخيه خطاط » . وانظر الاشتقاق ١٤٩ .
 (٤) العتاب ، كذا وردت في النسختين بالناء . وعند التبريزي وأبي الفرج في الأغاني (١١ : ١٣٣) : « العباب » بالياء . قال التبريزي : « ابنة العباب كانت زوجته ، ومي امرأة من بني عجل » . وفي الأغاني أن رهم بنت العباب أمهما ، أي أم خطاط وأخيه الأسود .

٢ - إذا ما أقدنا صرمةً بعد هجمةً تكون عليها كابن أمك أسوداً
 رُفْمٌ ارتفع على البدل من ابنة العتاب ، وحطائط منادى مفرد . ويقولون :
 ما ترك فلان لك مقاماً ولا مقعداً ، أى لم يُبْقِ لك ما يُمكنك الإقامة والعود
 له به . والصرمة : الغليل من الإبل . والهجمة أكثر منها ، لأنها تقع على
 الثلاثين أو الأربعين . فيقول : عانبتنى هذه المرأة في إغناقي وإفضالي ، وقالت :
 أفقرتنا يا حطائط ، وأزلت تحمّلنا ، وجنيت على نفسك أيضاً ، إذ لم تترك من
 المال ما تكفى به ، وتستغنى عن السعى والتجول معه ، فتريح نفسك من الحُلِّ
 والترحال في طلبه ، وتقمّد عن التصرّف وتحمل الشاق في حوزة واحتجانه ،
 لأننا متى استغننا^(١) قليلاً من الإبل بعد ما تفتننا الكثير منها تعود علينا سالكاً
 طريق أخيك الأسود بن يعفر ، فتفنيه وتخليها منه . وإنما قال « تكون عليها »
 لأنه لما لم يسع في تشيرها كان عليها لا لها . وقد جمع الشاعر بين سَيْرَيْنِ في
 خُرْزَةِ في قوله « تكون عليها كابن أمك » .

٣ - قُلْتُ وَلَمْ أَغَى الْجَوَابَ تَبَيَّنِي أَكَانَ الْهَزَالُ حَتْفَ زَيْدٍ وَأَرْبَدًا^(٢)
 - أَرَبِنِي جَوَادًا مَاتَ هَزَالًا لَقَلْنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخْلَدًا
 قوله « ولم أغى الجواب » ، يقال : عَيَّتُ الأمرَ وعييت به عيًّا ، ورجلٌ
 عَيِيَّ وعِيٌّ ، وعِيٌّ عن حجه عيًّا . يريد : أجبته ولم أعجز عن محاجتها : تأمل
 وانظري ، هل كان الفقر والهزال سبب موت من مات من عشيرتنا ، وأربنى
 سخياً أمانه الضرُّ ، منّا أو من غيرنا ، لعلني أهتدي بهديك واعتقد مذهبك ،
 وأتبرك لك فيما ترينه رشاداً ، أو بخيلاً بقي في الدنيا وعاش ما أراد ليطلب

(١) في الأصل : « استغننا » ، صوابه في ل .

(٢) الأغاني : « تأمل » ، بدل : « تبني » . وقال التبريزي : « وليل إن نهما

- كذا وصوابه زينا - وأريد كانا أخوين لحطائط » .

بموافقته ما حصل له من الدوام ، وانصرف عنه من الشقاء والفناء .
 وقوله « أرى جواداً » أى دُلِّينى عليه وعرفينى مكانه . وقال أبو عبيدة
 فى قوله : « أَرِنَا مَنَاسِكَتَنَا » المراد علمنا ، ويروى : « لَأَتَى أَرَى مَا تَرَيْنِ » ، وهو
 بمعنى لعلنى . يقال : ائْتِ السُّوقَ لَأَنَّكَ تَشْتَرِى لَنَا شَيْئاً ، أى لعلك . ويقال أيضاً :
 أَنَّكَ تَشْتَرِى ، وهذا كما تقول : عَلَّكَ وَلَعَلَّكَ . ويقال فى هذا المعنى : لَعَنَّكَ .
 ويُنشد بيتُ أبي النجم :

* وَاغْدُ لَعْنًا فِي الرَّهَانِ نُرْسِلُهُ *

وبعضهم ينشده : « لَأَنَا » أى لعلنا . وإبدالُ الهمزة من العين والعين من
 الهمزة كثيرٌ لا يُنكر .

٧٧٣

وقال المُقْنَعُ الكِنْدِيُّ^(١) :

١ - نَزَلَ الْمَشِيبُ فَأَيْنَ تَذْهَبُ بَعْدَهُ وَقَدْ ارْغَوَيْتَ وَحَانَ مِنْكَ رَحِيلُ

٢ - كَانَ الشَّبَابُ خَفِيفَةً أَيَّامُهُ وَالشَّيْبُ ثَقِيلَةً عَلَيْكَ قَبِيلُ

٣ - لَيْسَ الْعَطَاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلُ

يَعْظُ نَفْسَهُ وَيَذْكُرُهُ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَالُهُ فِي عَيْشِهِ وَتَصَرُّفِهِ ، فيقول : قد
 مَسَّكَ الْكِبَرُ ، فأىَّ طريقٍ تَسْلُكُ ، رَأَى مَذْهَبٍ تَذْهَبُ ، وقد رَجَعْتَ عَنْ
 جِهَالِكَ ، وارتدعت عن كثيرٍ مما كنت تُتَلَاسِسُهُ بَغَاوَتِكَ ، وَقُرْبُ مِنْكَ التَّحَوُّلُ
 مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، وقد كَانَ أَيَّامُ الشَّبَابِ طَيِّبَةً الْمَرَّةَ ، خَفِيفَةً الْمُسْتَقَرَّ ،
 وَأَيَّامُ الشَّيْبِ الْبَادِي كَرِهَةً الظُّهُور ، ثَقِيلَةً الْأَعْيَاءِ وَالْحُمُولُ ؛ فَعَلَيْكَ بِمَا يَجْمَعُ

(١) سبقت ترجمته فى الخامسة ٤٣٨ من ١١٧٨ .

لَكَ إِلَى الْحَدِّ ذُخْرًا ، وَإِلَى ثَنَاءِ النَّاسِ وَشُكْرِهِمْ أَجْرًا . وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَذْلَ مَا يَفْضُلُ عَنْكَ لَيْسَ بِسَمَاحَةٍ ، إِنَّمَا الْجُودُ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ قَلِيلِكَ ، وَتُنْفِقَ مِنْ كِفَايَتِكَ . وَقَوْلُهُ « وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلٌ » ، يَحُوزُ أَنْ يَرِيدَ وَالَّذِي لَدَيْكَ ، وَيَكُونُ مَا مَبْتَدَأَ وَلَدَيْكَ صِلَتُهُ وَقَلِيلُ خَبْرِهِ ؛ وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا نَافِيَةً وَقَلِيلُ اسْمِهِ ، وَلَدَيْكَ خَبْرُهُ . وَالْمَعْنَى حَتَّى تَجُودَ بِكُلِّ شَيْءٍ لَكَ فَلَا يَبْقَى قَلِيلُهُ أَيْضًا .

٧٧٤

وَقَالَ جُوَيْهَرُ بْنُ النُّضَرِ :

١ - قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَتَّبِعِي دَرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خُرْقُ

٢ - إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتُمْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طَرُقِ الْمُرُوفِ تَسْتَبِقُ (١)

يقول : اشتكت هذه المرأة الحال في سرعة نفاد ما يحصل عند من الورق والمال ، وم لا يسرفون في الإنفاق ، ولا يخرقون في الإنفاق ، وقالت : لا بركة مع سوء التدبير ، ولزوم التبذير والتفريق . وتنسب نلة تلويها وخفة بقاءه إلى ضعف النظر وعجز التدبير ، وإرهاق التمجيل ونقص التفسير . فقلت لما : إن دراهمنا إذا اجتمعت تسابقت إلى منافذ المروف ، وتلاحقت في مصارف الإحسان المألوف ، فذلك سبب سرعة فناها ، وعجلة ذهابها لا غير . فقوله « إذا اجتمعت » ظرف لقوله « ظلت إلى طروق المروف تستبق » . ويوما ظرف لاجتمعت .

(١) بعده عند البريزي :

بَايَأَلْفُ الدَّرْهِمِ الصِّيَاحُ صَرْتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ

حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلِ بِحُلْدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ لِيَأْتِيَ بِنَمْرِقُ

٧٧٥

وقال زُرْعَةُ بَنِ عَمْرٍو^(١) :

١ — وَأَرْمَلَةٌ تَنْوَى عَلَى يَدَيْهَا مِنْ الْفَرَّاءِ أَوْ قَصَصِ الْهَزَالِ

٢ — خَلَطْتُ بِغُثَّائِهَا سَمْنِي فَأَضَعْتُ شَرِيكَةً مَنْ يُمَدُّ مِنَ الْعِيَالِ

يقول : رَبُّ امْرَأَةٍ مَنْقَطِعٍ بِهَا سَيْئَةُ الْحَالِ^(٢) ضَعِيفَةِ الْحَرَكَ ، إِذَا أَرَادَتْ

النَّهْوضَ تَعْتَمِدُ عَلَى يَدَيْهَا ، لِتَأْثِيرِ الضَّرِّ فِيهَا ، أَوْ لِإِقْصَاصِ الْهَزَالِ إِيَّاهَا ، وَهُوَ

دُنُوُّ الْمَوْتِ مِنْهَا — وَيُقَالُ : أَقْصَهُ كَذَا مِنْ الْمَوْتِ ، أَيْ أَدْنَاهُ — أَنَا خَلَطْتُ

بِفَقْرِهِا غِنَايَ ، وَبِمَا رَقَّ مِنْ حَالِهَا كَثَافَةَ حَالِي ، فَصَارَتْ تُعَدُّ فِي جَمْلَةِ الْعِيَالِ ،

وَمُشَارِكَةٍ فِيمَا أَقْنِيهِ مِنَ الْمَالِ ، لَا تَمَازُ يُظْهَرُ لَهَا ، وَلَا تَبَازُّ يُوجِبُ انْقِبَاضَهَا .

وقوله « تَنْوَى عَلَى يَدَيْهَا » ، أَيْ تَنْهَضُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لِأَرْمَلَةٍ . وَجَوَابُ

رُبِّ « خَلَطْتُ بِغُثَّائِهَا سَمْنِي » . وَيُقَالُ لِحَمْ غُثٍّ بَيْنَ الْغُثَّائَةِ وَالْفُثُوتَةِ ، إِذَا كَانَ

مَهْزُولًا . وَقِيلَ : كَلَامُ غُثٍّ ، عَلَى التَّشْبِيهِ ، أَيْ لَا طُلُوءَ عَلَيْهِ .

٣ — وَأَفْتَنِي اللَّيَالِي ، أُمَّ عَمْرٍو وَحَلِّي فِي التَّنَائِفِ وَارْتِعَالِي

٤ — وَتَرَبِّيتِي الصَّغِيرَ إِلَى مَدَّاءٍ وَتَأْمِيلِي هِلَالًا عَنْ هِلَالٍ

يقول : أَفْنَى قَوَايَ نَوَائِبِ الزَّمَانِ ، وَتَصَارِيفِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَتَنَزُّلِي فِي

التَّفَاوُزِ وَالْتِفَارِ ، وَتَنَقُّلِي فِي مَخْتَلِفَاتِ الْأَسْفَارِ ، وَتَرَبِّيتِي الطِّفْلَ الرَضِيعَ إِلَى أَنْ

يَبْلُغَ وَيَجْتَمِعَ ، وَالْيَافَعَ الْكَبِيرَ إِلَى أَنْ يَبْلُوَ وَيَسْتَكْمَلَ ، وَتَعْلِيقِي الْأَمَلَ بِشَهْرِ

مُسْتَهْلٍ بَعْدَ شَهْرِ^(٣) ، وَحَوْلَ مُؤَنَّفٍ بَعْدَ حَوْلٍ . وَإِنَّمَا يَصِفُ مَا عَانَاهُ ،

(١) هُوَ زُرْعَةُ بَنِ عَمْرٍو بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ قَبِيلٍ . كَانَ فَارِسًا شَجَاعًا ، وَكَانَ مِنْ شَهْدِ

يَوْمِ رَحْرَحَانَ . الْأَغَانِي (١٠ : ٣١) .

(٢) كَذَا فِي ل ، وَفِي الْأَصْلِ : « سَيْئَةُ الْحَالِ » .

(٣) كَذَا ضَبَطَ فِي النُّسخَتَيْنِ بِفَتْحِ الْمَاءِ ، وَيُقَالُ بِكَسَرِهَا أَيْضًا ، فَهَلْهُ مَبْنِي لِلْفَعُولِ

وَالْفَاعِلِ .

وامتحن به حالاً بعد حال ، وتردد فيه فقاها وقتاً بعد وقت ، إلى أن تقضى عمره ، ونفدت قوته .

وبشبه هذه الأبيات قول الآخر^(١) :

لَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى بَلَيْتُ وَقَدْ أَنَى لِي لَوْ أُبِيدُ
وَأَفْئَابِي وَلَا يَنْفِي نَهَارٌ وَلَيْلٌ كُلَّمَا يَمْضِي يَمُودُ
وَشَهْرٌ مُسْتَهْلٌ بَعْدَ شَهْرٍ وَحَوْلٌ بَعْدَ حَوْلٍ جَدِيدُ
وَمَقْفُودٌ عَزِيزُ الْفَقْدِ تَأْتِي مِنْبِئُهُ وَمَأْمُولٌ وَلِيدُ
وإن كان هذا أحسن استيفاء .

وقوله « وتأملي هلالاً عن هلال » ، أى بعد هلال . وما جاء فيه « عن » بمعنى بعد قولهم : « سادوك كابر عن كابر »^(٢) ، لأن معناه كبيراً بعد كبير . والمراد : شغل أمه بما يحتاج له في مؤنن الأيام من الخير ، والتمكن من المراد .

٧٧٦

وقال عبد الله بن الحشرج^(٣) :

١ - أَلَا كَتَبْتَ تَلُومَكَ أُمِّ سَلَمَ وَغَيْرُ اللَّوْمِ أَذْنِي لِلْسَّدَادِ^(٤)

(١) هو مسباح بن سباع ، الخامسة ٣٥٢ ص ١٠٠٩ .

(٢) منه قول الأعشى في ديوانه ١٠٥ :

ساد وأناى قومه سادة وكابراً سادوك عن كابر

(٣) هو عبد الله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كان سيداً من سادات قبس وأميراً من أمراءها ، ولأكثر أعمال خراسان ومن أعمال فارس وكرمان . وكان جواداً ممدحاً ، مدحه زياد الأعجم ، وفيه يقول البيت السائر :

إن الساحة والرودة والنسدى في قبة ضربت على ابن الحشرج

الأغاني (١٠ : ١٤٤ - ١٤٨) . والحشرج : الحسى من الأحياء .

(٤) كذا : وهو الموافق لما سيأتى في شرح البيت الخامس . لكن في ل والتبريزي :

« الأبركت » . وفي هامش ل : « نغ : كتبت » .

- ٢ - وما بذلي تِلَادِي دُونَ عِرْضِي بِإِسْرَافٍ ، أَمِيتَ ، ولا فَسَادٍ يقول : خاطبتني هذه المرأة تَعْتَبُ عَلَيَّ ، واستعمالُ غيرِ اللومِ أقربُ في تسديدي وإرشادي ، إذ كان اللومُ ربّما يعودُ إغراءً ، ولا سيما إذا تُكَلِّفُ فيما لا يُسْتَحَقُّ فيه ، فإعطائي مالى القديم في وقاية نَفْسِي بإسرافٍ فَيُنْكَرُ ، ولا يَافِسادَ فَأُعْتَبُ . وقوله « تَلَوْمُكَ » في موضع الحال ، أى لاثمة لك . وخاطَبَ نَفْسَهُ في البيت الأول ، ثُمَّ نَقَلَ الْخُطَابَ إِلَى الْإِخْبَارِ ، على عادتهم في كلامهم .
- ٣ - فَلَا وَأَيُّكَ لَا أُعْطِيَ صَدِيقِي مُكَاشَرَتِي وَأَمْنَعُهُ تِلَادِي
- ٤ - وَلَكِنِّي أَسْرُوْ عَوَّدْتُ نَفْسِي عَلَى عِلَاتِيهَا جَزَى الْجِيَادِ
- ٥ - مُحَافَظَةً عَلَى حَسْبِي وَأَرْعَى مَسَاعِي آلٍ وَزِدِ الرِّفَادِ
- أخَذَ يَخَاطِبُهَا مَجِيئًا عَنْ كِتَابِهَا ، وَخَبْرًا عَنْ طَرَاتِقِهِ وَأَخْلَاقِهِ ، فيقول : أنا وَحَقُّ أَيُّكَ لَا أَرْضِي صَدِيقِي بَأَن أَكْثَرَ فِي وَجْهِهِ إِذَا لَقِيْتَهُ - وَالْكَثْرُ : إِبْدَاءُ الْأَسْنَانِ بِالضَّحِكِ - ثُمَّ أَمْنَعُهُ مَالِي وَأَحْرِمُهُ خَيْرِي . وقوله « وَأَمْنَعُهُ » عَطَفَ عَلَى أُعْطِيَ ، فَرَفَعَهُ . والمعنى : لَا أَكْثِرُ لِلصَّدِيقِ وَلَا أَمْنَعُهُ تِلَادِي ، يريد لا أَضَاحِكُهُ بِاسْطِطَاءٍ مِنْ أَمَلِهِ ، وَقَابِضًا يَدِي عَنْ بَذْلِهِ . ومثله في القرآن : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، لأنَّ المعنى لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ وَلَا يَعْتَذِرُونَ . ولو رَوِيَ « وَأَمْنَعُهُ » بِالنَّصْبِ كَانَ جَائِزًا ، وَيَكُونُ انْتِصَابُهُ بِأَن مَضْمُرَهُ ، وَيَكُونُ كَقَوْلِهِ : لَا يَسْعَى [شَيْءٌ ^(١)] وَيَعْجِزُ عَنْكَ . والمعنى : لَا يَسْعَى شَيْءٌ عَاجِزًا عَنْكَ ، فَكَذَلِكَ هَذَا ، وَتَقْدِيرُهُ : مَا أُعْطِيَ صَدِيقِي مُكَاشَرَتِي مَا نَعَا لَهُ تِلَادِي ، أَيْ لَا يَجْتَمِعُ هَذَانِ فِي شَيْءٍ : الْعَجْزُ لَكَ وَالسَّعْيُ لِي ، فَكَذَلِكَ لَا يَجْتَمِعُ عَلَى صَدِيقِي مَنِ الْكَثْرُ وَالنَّمْعُ . وَيَجُوزُ فِي رَفْعِ « أَمْنَعُهُ » وَجْهٌ آخَرُ ، وَهُوَ

(١) هذه من ل ، وموضعها في الأصل يياض .

أن يكون على الاستئناف والانقطاع مما قبله ، ويكون المعنى لا أعطى صديق مُكاشَرَتِي وأنا أَمْنُهُ تِلَادِي ومثله قولُ القائل : ما تَأْتِينِي وتَحْدُثُنِي ، والمراد : ما تَأْتِينِي وَأَنْتِ الْآنَ تَحْدُثُنِي . والرفعُ أجود ، ألا تَرَى أن القائل إذا قال : ما جاءني زيدٌ وعمرو ، كان دون قوله ما جاءني زيد ولا عمرو ؛ لأنَّ الأوَّلَ يجوز أن يريد أنهما لم يجتمعا في المَجْمَعِ ، ولكن تفرَّد كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه فيه ، وفي الثاني إذا قال « ولا » جَمَعَهُمَا التَّنْفِي ، فلا يجيء على حالٍ من الأحوال . وكذلك البيت ، لو كان فيه حرفُ التَّنْفِي لكان يمتنع حصولُ الكثرة والنوع جميعاً على كلِّ وجه ، ووجهُ الرفع عليه يدور .

وقوله « ولَسَكُنِّي اسرؤُ عَوْدَتُ نَفْسِي » ، يريد أنِّي جَعَلْتُ من عَادَتِهَا على ما يَعْرِضُ لها من حوادث الدهر أن تَجْرِي في مَكْرُمَاتِهَا ، أي في اكتساب مَكْرَمَاتِهَا ، جَرَى الْجِيَادِ الشَّبَقِ ، لا الْكَوَادِنِ الْبِطَاءِ ^(١) . وقوله « محافضة » انتصبَ على أنه مفعولٌ له . فيقول : أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَحْفَظَ شَرَفِي ، وَأَرَعَى مَكَارِمَ آبَائِي وَأَسْلَافِي .

وقوله « أَرَعَى » حَمَلَهُ على المعنى فحُطِفَ على ما قبله وإن اختلفا ، أي أَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَحْفَظَ وَأَرَعَى ، محافضةً على الشَّرَفِ وَرَعِيًّا لِمَسَاعِي آلِ وَرَدٍ . و « الْمَسَاعِي » واحدتها مَسَاعَةٌ ، وهي السَّعْيُ في تحصيل الكَرَمِ والجود . ويقال : هو يسعى لِعِيَالِهِ ، أي يكسب لهم . وقيل : السَّعْيُ الْعَمَلُ في الكسب .

٧٧٧

وقال رجلٌ من بني سعد :

١- أَلَا بَكَرَتْ أُمُّ الْكِلابِ تَلُومُنِي تقولُ أَلَا قَدْ أَبْكَأَ الدَّرُّ حَالِيَهُ ^(٢)

(١) الكوادن : جم كودن ، وهو البرذون المجين ، وقيل هو البغل .

(٢) في الأصل : « أَبْكَأَ الدَّمَرُ » ، صوابه في له والتبريزي .

٢- تقول: أَلَا أَهْلَكْتَ مَالَكَ ضَلَّةً وهل ضَلَّةٌ أَنْ يُنْفِقَ الْمَالَ كَاسِبُهُ
يقول: لَا مَنَى هَذِهِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ: قَدْ قَلَّلَ اللَّبَنَ مَنْ يَحْلُبُ الْإِبِلَ - وَمَعْنَى
أَبْكَاءُ الدَّرِّ: أَنِّي بِهِ بَكِيئًا. وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ صَادَفَهُ بَكِيئًا، كَمَا يَقَالُ: أَحَدْتُ
فُلَانًا. وَالتَّبَكُّ: قِلَّةُ اللَّبَنِ. يَقَالُ: نَافَةٌ بَكِيئَةٌ، وَهِيَ ضِدُّ الْغَزِيرَةِ - فَأَنْتَ فِي
ضَلَالٍ مَا دَامَ تَضْيِيعُ الْمَالِ مِنْكَ بِيَالٍ. فَاجْتَبِهَا وَقُلْتُ مُسْكِرًا عَلَيْهَا، وَرَادًّا
لِكَلَامِهَا: وَهَلْ يُسَمَّى جَامِعُ الْمَالِ إِذَا فَرَّقَهُ ضَالًّا، وَكَاسِبُهُ إِذَا أَثَقَّهُ فِيهَا يَرِيدُهُ
وَيَهْوَاهُ مُضَيِّعًا. وَانْتَضَبَ «ضَلَّةٌ» عَلَى الْمَصْدَرِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِدَلِيلَةٍ، فَيَكُونُ مَفْعُولًا لَهُ. وَإِنَّمَا أَعَادَ قَوْلَهُ «تَقُولُ» إِذَا نَا
بِتَفْنِنِهَا فِي اللَّامِ، وَتَوَشَّعَ بِجَاهِهَا فِي الْكَلَامِ. وَقَوْلُهُ «هَلْ ضَلَّةٌ» خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَأَنْ
يُنْفِقَ الْمَالَ فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ. وَالتَّقْدِيرُ: وَهَلْ إِنْفَاقُ كَاسِبِ الْمَالِ لَهُ ضَلَالٌ.

٧٧٨

وَقَالَ مُزَعْفَرٌ:

- ١- وَإِنِّي لِأُسْدِي نِعْمَتِي ثُمَّ أَبْتَنِي لَهَا أُخْتَهَا حَتَّى أُعْلِيَ فَأُشْفَعَا^(١)
 - ٢- وَأَجْعَلُ نِعْمَتِي مَا فَعَلْتُ ذِمَامَةً عَلَى وَآتِي صَاحِبِي حَيْثُ وَدَّعَا
- قَوْلُهُ «وَإِنِّي لِأُسْدِي نِعْمَتِي»، يَقُولُ: إِذَا اصْطَلَفْتُ عِنْدَ إِنْسَانٍ صَنِيعَةً،
وَأَوَّلِيَّتُهُ لَاتِّصَالِ رَجَائِهِ بِي عَارِفَةً، لَمْ أَرْضَ بِإِفْرَادِهَا، لَكِنِّي أَطْلُبُ لَهَا تَوَابِعَ
وَلَوَاحِقَ، حَتَّى تَصِيرَ النِّعْمَةُ عِنْدَهُ شَفْعًا لَا وَتْرًا، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ مَكْرَرًا لَا يَدْعَا،
كُلُّ ذَلِكَ تَلَذُّذًا بِالْإِفْضَالِ، وَشَهْوَةٌ فِي إِسْدَاءِ الْعُرْفِ وَالْإِجْمَالِ. وَيَقَالُ: شَاءَ
شَافِعٌ، إِذَا كَانَ مَعَهَا وَلَدُهَا. وَالْعَلَلُ: الشَّرْبُ الثَّانِي. وَالتَّهْلُ: الشَّرْبُ
الْأَوَّلُ، فَاسْتَمَارَ لِاتِّبَاعِ الصَّنِيعَةِ بِمِثْلِهَا.

(١) التَّبْرِيزِيُّ: «وَأُشْفَعَا».

«وَأَجْعَلُ نَفْعِي مَا فَعَلْتُ ذِمَامَةً»، أَجْعَلُ : أَسْمِي ، من قول الله عز وجل :
 ﴿وَجَعَلُوا التَّمْلَإِ كَتَّةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَا﴾ . ويجوز أن يكون بمعنى
 أصير ، كأنه يعتقد في الإحسان أنه إساءة . والذِّمَامَةُ : الذِّمُّ^(١) . والذِّمَامُ ،
 بكسر الدال : الحُرمة . والمعنى : أُنْذِمَ من نَفْعَائِي^(٢) عند غيبي ، لأنِّي بالغا
 ما بَلَفْتُ أكونُ لِنَفْسِي مُسْتَقْصِراً ، ولِفَعْلِي مُسْتَزِيداً ، فلا أَعْتَدُ بما أُسَدِّيه ،
 ولا أُنَحِّدُ بالإِنْعَامِ فيه ، وَلَكِنَّهُ^(٣) أَعُدُّهُ كَالْوَصْنَةِ الَّتِي يُتَذَمَّرُ مِنْهَا .

وقوله «وَأَنِّي صَاحِبِي حَيْثُ وَدَّعَا» ، يريد أن من يستغيث بي أُجِيبُهُ
 وَأُغِيثُهُ أَشَدَّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَى حِينَ وَدَّعَ أَهْلَهُ وَعَشِيرَتَهُ ، لِأَسِهِ مِنَ الدُّنْيَا
 وَتَوَطُّيْنِهِ النَّفْسَ عَلَى الْهَلَاكِ وَالرَّدَى ، فَاتِيهِ مُسْتَنْقِذاً وَمُحَامِياً ، وَمُنْتَعِشاً وَمُسْرِمِياً .
 وقوله «حَيْثُ وَدَّعَا» ، يجوز أن يكون لِلزَّمانِ وَالْمَكَانِ جَمِيعاً . وقد تَقَدَّمَ
 الْقَوْلُ فِيهِ^(٤) . وقد جَعَلَ «وَدَّعَ» بمعنى مَاتَ ، وَبَيْتُ مُقْتَمِرٍ يَشْهَدُ لَهُ ، وَهُوَ :
 * فَقَدْ بَانَ مَحْمُوداً أَخِي حِينَ وَدَّعَا^(٥) *

٣ - وَإِنِّي بِمَا يَكْفِي مِنَ الزَّادِ أَهْلَهُ أَقَابِلُ بَذْلَ الْمَالِ حِلْسَاهُ أَجْمَعًا^(٦)
 - يقول : إِنِّي أَقَابِلُ بِمَا يَكُونُ فِيهِ كَفَايَةُ الْأَهْلِ مِنَ الزَّادِ بَذْلَ حِلْسِي الْمَالِ
 كُلَّهُ . فقوله «حِلْسَاهُ» في موضع الجرِّ على أن يكون بدلاً من المال ، ويكون
 على لغة من يجعل الثنَّى بالألف في موضع النصب والجر . و«أَجْمَعًا» في موضع

(١) كذا . والقى في اللسان أن «الذِّمَامَةَ» : الحياء والإشفاق من الدم والووم . وهذا هو الأوفق .

(٢) ل : «نَفَائِي» .

(٣) ل : «وَلَكِنِّي» .

(٤) انظر ما سبق في ص ٨٨٦ .

(٥) في الأصل : «قد» ، وصواب لإنشاده من المفضلة ٦٧ : ٢٢ . وصدوره :

* فَإِنْ تَكُنَّ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا *

(٦) هذا البيت لم يروه التبريزي . وفي الأصل : «وما يَكْفِي» والأوفق ما أئتمناه من ل .

الجر، ويكون تأكيذاً للمُضمر المتصل بحِلْسَاهُ. ولك أن تجعله تأكيداً للمال. وأجود من هذا أن يجعل حِلْسَاهُ مرتفعاً بقوله بَذَلْ، فيكون فاعلاً. وقد أضاف المصدر إلى المفعول، كقولك: أعجبني ضربُ زيدٍ عمرو. وجعل الحِلْسَ باذلاً^(١) وإن كان الفعلُ لصاحبه، على السَّعة، ويكون التقدير: أني أقابلُ بما يُمكنني به من الزَّاد أن يَبْذَلَ حِلْسًا المالَ جميعَ ما يَحْوِيَانِهِ، ويكون على هذا أجمع تأكيذاً للمضمر المتصل بحِلْسَاهُ لا غير. والمعنى: إذا حصلت الكفاية لأهل الزَّاد فإنني أنقض الوعاء الجامع للمال، وأفرِّق كل ما فيه، أي أقصرُ على الكفاية، وما تعداه أعدُّه فضلاً. والحِلْسُ: الواحد من أخلاس البيت. قال الخليل: وهو ما يُبَسِّط تحت حرِّ التمتع من مسحٍ وجوِّالِقٍ ونحوهما.

٧٧٩

وقال عارق الطائي^(٢):

١ — أَلَا حَيَّ قَبْلَ الْبَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ وَمَنْ أَنْتَ مُشْنَقٌ إِلَيْهِ وَشَاقِقُهُ

٢ — وَمَنْ لَا تَوَانِي دَارُهُ غَيْرَ فَيْنَةٍ وَمَنْ أَنْتَ تَبْكِي كُلَّ يَوْمٍ تَفَارِقُهُ

افتتح كلامه بالآ، ثم قال: جَدَّدَ عَهْدَكَ بِصَاحِبِكَ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، قبل أن تَحُولَ النَّوَى بَيْنَكَ فِيهِ يَجَّ شَوْكَ تَشْقُكَ لَهُ، وَبُعْدُ الدَّارِ مِنْهُ، وَتَهْيِجُ شَوْقَهُ لِمِثْلِ ذَلِكَ، لَأَنَّ جَمِيعَ مَا أَقُولُهُ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ صَفَاءِ الْمَقَّةِ، وَاسْتِحْكَامِ الْحُبَّةِ.

وقوله « وَمَنْ لَا تَوَانِي دَارُهُ غَيْرَ فَيْنَةٍ » الأَحْسَنُ أَنْ تَرْفَعِ الدَّارَ بِتَوَانِي، يَرِيدُ مَنْ لَا تَقَارِبُكَ دَارُهُ إِلَّا سَاعَةً لَا تَطْوَعُكَ الزِّيَارَةَ إِلَّا فِيهَا. وَالْفَيْنَةُ:

(١) ل: « فاعلاً ».

(٢) سبقت ترجمته في المحاسية ٦٠٤ من ١٤٤٦.

الوقت ، ويكون معرفةً ونكرةً ، وقد مرَّ القول فيه^(١) ، وأنه يجري مجرى الصفات في ذلك إذا جُمِلت أعلاماً كالخارث والمعباس . ولك أن تنصب « داره » . والمعنى تبكيه أو تبكى عليه ، وكذلك قوله « تفارقه » أريد تفارق فيه فحذف مفعول الفعلين ، ولا يمتنع أن يُحمل « كل يوم » مفعول تبكى . والمعنى تناسف على كل يومٍ تفارقه فيه ، فتبكيه شوقاً إليه ، إذ كان التوديع جمعك وإياه فيه . ويُكتفى في هذا الوجه بالضمير العائد من تفارقه ، فأما إضمار « فيه » في « تفارقه » فلا بد منه . وقوله « من » وقد كرره في البيتين جميعاً سراراً ، يجوز أن يكون بمعنى الذي ، والجمل بعده في صِلته ، كأنه قال : حتى الذي أنت عاشقته والذي أنت مشتاقٌ إليه وشائقه والذي أنت كذا . ويجوز أن يكون نكرةً في معنى إنسان ، ويكون الجمل بعده صفاتٍ له . يريد : حتى إنساناً هذه صفاته . فأما تكريره له فهو على طريق التعظيم والتفخيم . وهكذا العادة فيما يهول أسره من سرجورٍ أو مخوفٍ .

٣ - تَخُبُّ بِصَحْرَاءِ الثَّوِيَّةِ نَاقِيَةً كَعَدُوِّ رِبَاعٍ قَدْ أَمَخَّتْ نَوَاهِقَهُ^(٢)

٤ - إِلَى الْمُنْذِرِ الْخَيْرِ بْنِ هِنْدٍ تَزُورُهُ وَلَيْسَ مِنَ الْقَوْتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهُ^(٣)

يقول : تسيرُ ناقيةً الخلب - وهو ضربٌ من العدو - في هذه الصحراء تحقّي ، عدوً فارس ، أو غيرِ قد أربع . والإرباعُ بينه وبين القُرُوحِ سنةٌ ، فكأنه أراد استحكامَ شبابه وقوته ، إذ ليس بينه وبين النهاية وهي القُرُوحُ إلا سنةٌ . ومعنى « أَمَخَّتْ نَوَاهِقَهُ » أي قد أطاعه الخلفُ أو المرتع^(٤) فصار

(١) انظر ما سبق في ص ١٥٧٢ .

(٢) الثوية ، بهيئة التصغير ، كما هنا ، وقال أيضاً بوزن غنية ، وهو ضبط نسخة التبريزي . قال ياقوت : « موضع قريب من الكوفة » .

(٣) التبريزي : « تزوره » .

(٤) ل : « والمرتع » .

لِعِظَامِهِ مُخٌ ، وَالتَّوَاهِقُ : عَظْمَانِ فِي السَّاقِ ، وَفِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ مَا يَكْتَفِ
الْخِيَاشِيمَ مِنَ الدَّابَّةِ ، وَالوَاحِدَةُ نَاهِقَةٌ .

وقوله « إِلَى الْمُنْذِرِ » تَعَلَّقَ بِتَخْبُؤٍ وَالتَّخْيِيرِ مِنْ صِفَتِهِ ، وَهُوَ الَّذِي تَأْنِيثُهُ
خَيْرَةٌ . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مَخْفُفًا مِنَ الْخَيْرِ ، كَمَا يُقَالُ لَيْنٌ وَلَيِّنٌ ، وَهَيِّنٌ وَهَيْئٌ .
و « نَزَر » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَيُرِيدُ الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ . وَقَوْلُهُ « وَلَيْسَ مِنْ
الْقَوْتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهُ » أَرَادَ سَابِقُ بِهِ ، وَفِي الْكَلَامِ وَعِيدٌ .

ولهذا الشعر ^(١) قصّة ، وَهُوَ أَنَّ الْمَلِكَ كَانَ غَرَا أَرْضًا فَأَخْفَقَ ، وَفِي مُنْصَرَفِهِ
عَثَرَ بِطَائِفَةٍ مِنْ طَبِئِيٍّ كَانُوا فِي ذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ ، فَأَرَادَ تَجَاوُزَهُمْ فَقَالَ بَعْضُ نَدَمَائِهِ
لَهُ : اسْتَفْنِمْنَهُمْ وَأَوْقِعْ بِهِمْ . فَقَالَ : إِنَّهُمْ فِي ذِمَّتِي ! فَلَمْ يَزَلْ يَقْرُبُ الْأَمْرَ
فِيهِ مَعَهُ حَتَّى اسْتَبَاحَهُمْ . لَكَذَا تَوَعَّدَ فَقَالَ : مَا سَبَقَ بِهِ لَا يَفُوتُ تَدَارُكُهُ .

٥ - فَإِنَّ نِسَاءَ غَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ غَنِيمَةٌ سَوَاءٌ وَسَطُهُنَّ مَهَارِقُهُ
٦ - وَلَوْ نِيلَ فِي عَهْدٍ لَنَا لَنَحْمُ أَرْزَبٍ وَفِينَا وَهَذَا الْعَهْدُ أَنْتَ مُعَاَلِقُهُ
٧ - أَكُلْ خَمِيسٍ أَخْطَأَ الْغَنَمَ مَرَّةً وَصَادَفَ حَيًّا دَائِمًا هُوَ سَاتِقُهُ

قوله « غَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ » ، يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِنِسَاءٍ . وَقَوْلُهُ « غَنِيمَةٌ
سَوَاءٌ » يَرْتَفِعُ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبَرٌ مُبْتَدَأً ، كَأَنَّهُ قَالَ : هُنَّ غَنِيمَةٌ سَوَاءٌ ، حِكَايَةً
لِلْكَلامِ الْقَائِلِ الَّذِي ذَكَرَهُ . وَإِضَافَةُ الْغَنِيمَةِ إِلَى السَّوَاءِ يَكُونُ عَلَى طَرِيقِ
الْإِزْوَاءِ وَالِاسْتَحْقَارِ . وَقَوْلُهُ « وَسَطُهُنَّ مَهَارِقُهُ » ، الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ خَبَرٍ إِنْ ،
فَيَكُونُ الْمَعْنَى إِنْ نِسَاءً مُخَالَفَةً صِفَتُهَا لَمَّا قَالَ قَائِلٌ ، يَعْنِي مَنْ حَسَنَ فِي عَيْنِ الْمَلِكِ
الْإِقْيَاعَ بِهِنَّ هُنَّ غَنِيمَةٌ سَوَاءٌ مَعَهُنَّ كُتِبَ الْعَهْدُ وَالذِّمَّةُ لِلَّذِينَ يُخْرِجُنَّ بِهِمَا عَنْ
كُونِهِنَّ غَنِيمَةً . فَهَذَا وَجْهٌ ، وَيَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ « غَنِيمَةٌ سَوَاءٌ » خَبَرًا ، وَ « وَسَطُهُنَّ »

(١) فِي الْأَصْلِ : « الشَّاعِر » ، سِوَاهُ فِي ل .

مهارقهُ « من صفة النساء ، وقد فصل بين الصفة والموصوف بخبر إن ، وغير ما قال قائل يلتصّب على المصدر ، فيكون مؤكّداً لقصة ، والتقدير : إن نساء وسطهنّ مهارقهُ غنيمةُ سوء ، غير قول القائل المحسن الإيقاع بهنّ . ويجرى هذا مجرى قولهم : هذا ولا زعمائك . أي هذا هو الحق لا ما تزعمه . ويكون المعنى : إن نساء معهنّ عهدك ، ولا أقول ما قاله قائل حسن الإيقاع بهنّ ، غنيمةُ سوء لا غنيمةُ صِدق . والمهاري : جمع المهرق ، وهو فارسية معربة . وكانت العرب تتصلّق الثياب البيض وتكتب فيها كتب اليهود وما أرادوا إبقاءه على الدهر ، وقوله « ولو نيل في عهد لنا لم أرب وفيها » يفتح هذه ما ارتكبه منهنّ . فيقول : ولو أصيب لم أرب فيما تشكّله أذمتنا لو قينا به . ثم أنت أيها الملك تغالقي هذا العهد ، وتستعجز تخطيه ، وتستحسن نقضه وترك الوفاء به . وقوله « لم أرب » ذكره تحقيراً وأنه صيدٌ مُستباح .

وقوله « أنت مُعاليقه » لك أن تروى « مُعاليقه » بالمين . والمعنى : وهذا العهد الذي معهنّ متعلّق بذمتك وفي رقبته حتى تخرج منه . ومن روى « مُعاليقه » بالنين معجمة ، يكون من غلّي الرهن ، أي أنت مُفسده ومُختبسه تاركا للوفاء به .

وقوله « أكلّ خميس » لفظه استفهام ومعناه تقريع . فيقول : أكلّ جيش أخفق في وجه قدر الغنم فيه ، وصادف في مُصرفه حياء في طاعته يسؤفه ويوقّع به . أي إن ذلك غير مُستجاز في السياسة والدبلوماسية ، ولا مُستحسن في المروءة ؛ والقدر مغبته ذمية ، وعاقبته قبيحة ذمية .

٨ - وكُنّا أناساً دائنين ببنيطة يسيل بنا تلح الملاء وأبارقهُ

٩ - فأقننت لا أحتل إلا بههوة حرّام عليك رملهُ وشقايقهُ^(١)

(١) في الأصل : « لا أحلك » ، صوابه في ل والتبريزي .

قوله « دائنين » ، أى آخذين بالطاعة ، مغتبطين بما لنا من الذمة . ويكون
« بِنِبْطَةٍ » فى موضع الحال . ورُوى : « دائبين » ، وهو أقرب ، ويكون من
الدُّؤْب . والمعنى إِنَّا كُنَّا نَسِيرُ مغتبطين آمنين فرحين حيثُ شئنا . ويدلُّ على
هذا قوله « يسيلُ بنا تلُعُ اللَّلاَ وأهْرِقُهُ » . وإنما يَقْتَضِى حالمٌ قبل معاقدته لم ،
ومعاقدته الذمة بينه وبينهم . والمَلَا : الصَّخْرَاء . والتَّلْعَةُ : مسيل ماء ، وجمعها
تَلْعٌ ، كَجَوْزَةٍ وَجَوِزٍ . والأَبَارِقُ : جمع الأَبْرِق ، وهى المواضع التى قد أَلِيسَتْ
حجارة سوداً . ومنه جَبَلُ أَبْرِقٍ ، إذا كان ذا لونين سوادٍ وبياضٍ .

وقوله « لا أحتل إلا بصهوة » ، يقول : حَلَفْتُ لا أَنْزِلُ إلا بعيداً من
أَرْضِكَ ، وخارجاً من مَلِكْتِكَ ، فى صَهْوَةٍ أو فى مكان عالٍ تَحْرُمُ عليكِ
جوانبه وآفائه . والشَّقَاتِقُ : جمع شَقِيقَةٍ ، وهى رَمْلَةٌ بين أَرْضَيْنِ . و « رَمْلُهُ »
ترتفع بحرام ، أى يحرمُ عليك . ولك أن تروى « حرامٌ عليك رَمْلُهُ » فيكون
خبراً مقدماً ، ورملهُ مبتدأ ، والجملة فى موضع الصَّمة للصهوة .

١٠ — حَلَفْتُ بِهَذِي مَشْمَرٍ بَكَرَاتِهِ تَخْبُ بِصَخْرَاءِ النَّبِيطِ دَرَادِقُهُ

١١ — لَئِنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدَصَنْعْتُمْ لَا تُنَحِّينَ لِلْعَظَمِ ذُو أُنَا عَارِقُهُ (١)

يقول : أقسمت بقرايينِ الحَرَمِ وقد أَعْلَمْتُ بَكَرَاتِهِ بعلامات الإهداء .
والإشعار ، هو أن يُطَقَّنَ فى أَسْمَتِهَا قَيْسِيلُ الدَّمِ عليها ، فَيُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ على
كونه هَذِيًا . وجَمَلُ الهَذِي دَالٌّ على الجِنْسِ وما بعده صِفَتُهُ . وقوله « تَخْبُ »
بصَخْرَاءِ النَّبِيطِ دَرَادِقُهُ ، يريد سَوَّقَهَا نحوَ البيت . والدَّرَادِقُ : صفار الإبل .
والتَّخْبُ : ضَرْبٌ من السَّيْرِ . وجواب القسم « لَا تُنَحِّينَ لِلْعَظَمِ » ، ولئن فيما
بين القسمِ والمَقْسَمِ له موطنٌ للقسم . فيقول : آليتُ إنْ لَمْ تُغَيِّرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ بَعْضَ

(١) التبريزى : « لم تغير بعد » ثم قال : « ويروى : يغير بعض » .

صنيعك ، ولم تتدارك ما قاتنا من عدلك ووفائك ، لأقصِدَنَّ في مقاتلتك كسَرَ
العظم الذي صرتُ أعرْفُهُ فَيَنْزَعُ العَظْمُ مِنْهُ . جعلَ تَقْيِيصَهُ لما أتاه وشكواه^(١)
كالعرقِ ، وهو انتزاعُ اللحمِ وما بعده ، إن لم يغيَّرْ معاملته ، تأثيراً في العظم
نفسه . وقد أحسنَ في التوعُّدِ ، وفي الكناية عن فعله وعمايهمُ به بعده . وقوله
« ذواأنا » لُفَّتْهُمْ^(٢) وهو في معنى الذي ، وأنا عارقهُ من صلته ، وقد مضى الكلام
في مثله .

٧٨٠

وقال بُرْجُ بنُ مُسْهِرٍ^(٣) :

- ١- مَرَّتْ مِنْ لَوَى الْمَرُوتِ حَتَّى تَجَاوَزَتْ إِلَى وَدُونِي مِنْ قَنَاةٍ شُجُونُهَا
 - ٢- إِلَى رَجُلٍ يَرْجِي الْمَطَى عَلَى الْوَجَى دِقَاقًا وَيَشْقَى بِالسَّامِ سَمِينُهَا
 - ٣- فَلِلْقَوْمِ مِنْهَا بِالْمَرَّاجِلِ طَبْنَخَةٌ وَلِلطَّيْرِ مِنْهَا فَرْتُهُا وَجَنِينُهَا
- اللَّوَى : مسترقُّ الرَّمَلِ . وَالْمَرُوتُ : فَعُولٌ مِنَ الْمَرْتِ ، وهو الأرض التي
لا تُنْفِتُ شَيْئًا . وقال الذُّرَيْدِيُّ : هو المكان القفر . وقناة : موضع . وشُجُونُهَا :
جوانبُها المتقاربة ، ونواحيها . والشُّجُونُ أيضاً : الأشجار الملتفة المتداخلة . والشواجن ،
واحدتها شاجنةٌ ، وهي المواضع التي فيها [الشُّجُونُ^(٤)] . ومن التَّدَاخُلِ والالتفاف
قولهم : « الحديثُ ذو شجون » . وإنما يُخْبِرُ عن خَيَالٍ زارَهُ .
- وقوله « إِلَى رَجُلٍ » ، تعلَّقَ إِلَى بَسَرَتْ . ويعني بِالرَّجُلِ نفسه ، وَيَرْجِي

(١) ل : « جعل شكواه وتهيجه لما أتاه » .

(٢) أي لغة الطائيين .

(٣) سبغت ترجمته في الحماسية ١٢٢ من ٣٥٩ .

(٤) التكله من ل .

الطّيّ ، أى يسوقها . والوَجَى : الحفّا ؛ أى ^(١) لا يُبْقَى عليها ولا يرفق بها ،
لكنّه يُدِيم السّير عليها ولا يَبْقِيها مع الحفا ولا يُبْقِي عليها ممّا يُهْلِكُها .
و « دِقَاقًا » انتصب على الحال ، أى ضوايرَ مهازيل . وَيَشْقَى بالسّنان سمينها ،
أى بالسّنان له ، فحذف الضمير لأنّه لا يُخَيَّلُ . والمعنى أنّه لا ينحر سِمَانُ الإبل
للعمّة والضيوف . وقوله « فللقوم منها بالمراجل طَبْخَةٌ » منها رَجَعَ الضمير إلى
قوله سَمِينها ، لأنّه أراد بها الجنس ، وهذا إخبارٌ عن حالتها وقد جُزِرَتْ . فيقول :
للورّاد منها طَبْخَةٌ في المراحل ، وللطير فرثها والولد الذى فى بطنها .

٧٨١

وقال مُلْحَةُ الْجَرْمِيِّ ^(٢) :

- ١ - فَتَى عُرِلَتْ عَنْهُ الْفَوَاحِشُ كُلُّهَا فَلَمْ تَخْتَلِطْ مِنْهُ بِلَحْمٍ وَلَا دَمٍ
٢ - كَانَ زُرُورُ الْقُبْطُرِيَّةِ عُلِقَتْ عِلَاقَتُهَا مِنْهُ بِجَذَعٍ مُقْوَمٍ

يمدحه بالرزانة والعقل ، ونقاء الجسم من العيب ، وصفاء السبب والنسب
من الفحش . ومعنى عُرِلَتْ نَحِيَتْ منه فى جانب . ويقال : هو بمزَلٍ عن هذا
الأمر والأصحاب ، فيقول : بُقِدَتْ عنه الفواحشُ كُلُّها وصُرِفَتْ ، وجُعِلَ بينه
وبينها حاجزٌ حتّى لا تَمَازِجَ ولا تَخَالُطَ ، ولا تَدَانِيَ ولا تَشَابُكَ . والقُبْطُرِيَّةُ :

(١) فى الأصل : « القى » ، صوابه فى ل .

(٢) ذكره الرزبانى فى المعجم ٧٣ ؛ وأُنشد له البيتين الأول والرابع . وأُنشد فى اللسان

(فرد) البيت الخامس ، وبينين بعده ، وما :

إذا شئت أنت تلقى فى البأس والندى وهذا الحسب الزاكي التليد للقدم

فكن عمرا ثاقبى ولا تمدونه إلى غيره واستغبر الناس تفهم

ونسبها إلى عدى بن الرقاع يمدح عمر بن هبيرة ، ثم قال : « وقيل هو ملحّة الجرمي » .
وأُنشد الأزهرى البيت الخامس ونسبه لابن ميّادة يمدح بعض الحفّاء . و « ملحّة » ضبطت فى
النسخين واللسان (زور) بضم الميم ، ويفهم من التبريزى أنها بالكسر .

جنس من الثياب رفيع . ومعنى البيت أنه طويل القامة مديد الجسم ، فكان زُرُور القمص من هذا الجنس من الثياب علقت منه على جذع مقوم . أراد أن طوله طول جذع هكذا . وهم يمدحون بامتداد القوام ، والبسطة في الأجسام .

٣ - عَمَلَسُ أَسْفَارٍ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ لَهُ سَمُومٌ كَحَرِّ النَّارِ لَمْ يَتَلَمَّ (١)

٤ - - إِذَا مَا رَمَى أَصْحَابُهُ بِجَبِينِهِ سُرَى لَيْلَةِ الظُّلَمَاءِ لَمْ يَتَهَكَّمْ

٥ - كَانَ قُرَادَى زَوْرِهِ طَبَعَتُهُمَا بَطِينٍ مِنَ الْجَوْلَانِ كُتَابٌ أَغْجَمَ

العمَّلس : الجريء المقدام ، ويوصف به الذئباب ، وكذلك السَّلَمَع ويوصف به الخبيث من الذئباب والكلاب . ويقال : هو عمَّلس دلجات ، أى قوئى على السير . وزاد اللام في قوله « إِذَا اسْتَقْبَلَتْ لَهُ » تأكيذاً ، والأصل استقبلته . وجواب إذا « لَمْ يَتَلَمَّ » وهو العايل فيه . فيقول : هو في السفر بهذه الصفة مبتذلاً نفسه لا يتوقى من السَّائم ، ولا يتخشى من أنواع المهلك ، فإذا قابَلَتْهُ السَّمُومُ الْمُحْرِقَةُ إِحْرَاقَ النَّارِ لَمْ يَصْنُ وَجْهَهُ مِنْهَا ، وَلَا جَمَلَ عَلَى حَيَّاهُ لِنَأَمًا . وَاللَّثَامُ : رَدُّ الْمَرَأَةِ قِنَاعَهَا عَلَى أَنْفِهَا ، وَقَدْ تَلَثَّمَتْ ، وَتَلَثَّمَتِ الرَّجُلُ بِمَا مَتَتْ . وَالْمَلَثَمُ مَا حَوْلَ الْقَمِّ ، وَقِيلَ الْأَنْفُ وَمَا حَوْلَهُ . وَاللَّغَامُ : رَدُّ الْقِنَاعِ عَلَى الْقَمِّ ، وَقِيلَ أَيْضًا : هُوَ مِثْلُ اللَّثَامِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا .

وقوله « إِذَا مَا رَمَى أَصْحَابُهُ بِجَبِينِهِ » أراد أنهم إذا قدَّموه ليهتدوا به وهم يَسْرُونَ في ليلة شديدة الظلام هائلة لم يجبن ولم يتكذب ، ولكن تقدَّمهم وقادهم على عادته .

وقوله « كَانَ قُرَادَى زَوْرِهِ طَبَعَتُهُمَا » وصفهما بالصغر ، ثم شبههما بظاهيتين من طين الجَوْلَانِ ، ويقال إنه أسود ، تولى طبعهما كاتب من كُتَّاب العجم .

(١) في متن التبريزي : « لَمْ يَتَلَمَّ » ، ولكن آتى في التضميد على الصواب كما هنا .

وخصهم لأنهم حينئذ كانوا أخذوا بالكتابة وأسبابها . وهم يتمدحون بالهزال
وقلة اللحم . والطبع : الختم . والطابع : الخاتم . وحكى : هذا طبعان
الأمير^(١) ، أى طينه الذى يتختم به .

٧٨٢

وقال بمضهم :

- ١ - إناك يا ابن جعفر نيم الفتى^(٢)
- ٢ - ونيم مأوى طارق إذا أتى
- ٣ - ورُبَّ ضيف طرَق الحى سرى
- ٤ - صادف زاداً وحديثاً ما اشتغى
- ٥ - إن الحديث جانب من القرى
- ٦ - ثم اللحاف بعد ذاك فى الذرى

يخاطب بهذا الكلام عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهم ،
فيقول : نيم الفتى أنت ، أى محمود فى الفتيان أنت ومحمود دارك وفناؤك ، مأوى
الطراق إذا وردوا . وقوله « مأوى طارق » أضافه إلى التكررة لأن القصد
بطارق إلى الجنس ، واسم الجنس فى مثل هذا المكان وأن تنكر فائدته فائدة
للمعارف ، وإذا كان كذلك كان قولك « مأوى طارق » بمنزلة مأوى الطراق .
والحمود هو المخاطب . ويجب أن يكون فى نيم ضمير يعود إلى المخاطب ، وقد

(١) هذا مما ذكر فى الفاموس ولم يذكر فى اللسان .

(٢) الأشطار ما عدا الأخير منها رواها الجاحظ فى البيان (١ : ١٠) .

اشتمل عليه قوله نِعمَ القَتَى ونِعمَ مأوى طَارِقٍ ، لأنَّ فائدة نِعمَ الرَّجُل ، محمودٌ في الرجال . فكأنَّه قال : إنَّكَ محمودٌ في الفتیان یا ابنَ جعفر . وقد قيل في قول القائل : زيدٌ نِعمَ الرجل : إنَّه لما كان القصدُ بالرَّجل إلى الجنس ، وكان زيد منهم ، اكتفى بكونه منهم من ضمير يعود إليه .

وقوله « وربُّ ضيفٍ طَرَقَ الحى سُرَى » ، يريد ليلًا ؛ لأنَّ السُرَى لا يكون إلا بالليل ^(١) فالسُرَى في موضع ظرف ، واسمُ الزَّمانِ محذوف معه ، وهو كقولك : جِئتُكَ مُقَدِّمَ الحاجِّ وما أشبهه . فيقول : ربُّ ضيفٍ أُنَى الحى راجيًا وجودَ القرى عنده ، أنزلته فصادفَ في فنائك زادًا عتيدا ، وحديثًا مؤنسًا ، وإكرامًا مُبرًّا . وقوله « ما اشتغى » في موضع الظرف ، فهو كقوله : أحدثه إنَّ الحديثَ من القرى وتعلمُ نفسى أنَّه سوفَ يهجع ^(٢) لأنَّ في قوله « ما اشتغى » المعنى الذى اشتمل عليه قوله « تعلمُ نفسى أنَّه سوفَ يهجع » .

وقوله « إنَّ الحديثَ جانبٌ من القرى » ، يقول : تأنيسُ الضيفِ بملحٍ من الحديث من أسباب القرى وشرائطه ، وخِصَالِهِ التى تكملُه وتفضله . وقوله « ثُمَّ اللَّحافُ بعد ذاك في الذرى » ، إشارة إلى إكرامه بما يُفترش له ويمهد به موضعه . والذرى : الكنف .

(١) ل : « في الليل » .

(٢) البيت لعتبة بن جبير ، أو مسكين الغامى ، كما سبق في المحاسنة ٧٦١ ص ١٧١٩ .

٧٨٣

وقال الشماخ^(١):

- ١ - وَأَشْعَثَ قَدْ قَدَّ السَّفَارُ قَمِيصَهُ وَجَرَّ شِوَاهَ بِالْمَصَا غَيْرَ مُنْضَجٍ^(٢)
- ٢ - دَعَوْتُ إِلَى مَا نَابَنِي فَأَجَابَنِي كَرِيمٌ مِنَ الْفَتَيَانِ غَيْرُ مُزَلَّجٍ
- يصف مُضَيِّفًا . والأشعث : الذي يبتذل نفسه ولا يصونها عن العمل ، فيصير مقطوعَ القميص في السفر ، لتحمله عن أصحابه أثقالَ اليهن ، حتى يتشعث ظواهره ، ويغبر شعره ، وترث ثيابه ، ويختل أمره . وقوله : « وَجَرَّ شِوَاهَ » إشارة إلى تَوَلَّيْهِ من خدمة الرُفقاء والأصحاب ما لا يكون من عمله . وجعل الشواء غيرَ مبركٍ لتعجُّله وحرصه على تقديم أمرهم والتسرع في إطعامهم . ويجوز أن ينتصب « غير » على أن يكون حالاً للنكرة - وهو أجود الروايتين - حتى لا يكون قد فصل بين الصفة والموصوف بالأجنبيّ منهما ، وهو قوله بالمصا ، لأنَّ التعلُّق بينهما يقارب التعلُّق بين الصلة والموصول .

وقوله : « دَعَوْتُ إِلَى مَا نَابَنِي » ، أى استغثت به وطلبت منه الإغاثة على ما نابني من حدّثان الدهر فأجابني منه كريمٌ من الفتيانِ غيرُ ضعيفِ المنة ، ولا مؤخّرٍ عن الغاية البعيدة . وأصل التزليج من قولهم قدح زلوج ، أى سريع في الإجابة . أى إذا وقفَ على حدِّ مكرمةٍ وأشرف على الفوز بمنقبةٍ لم يزليج عنه ولم يدفع منه ، لأنَّ الزليج السرعة في المشي وغيره . وكلُّ زالٍ سريع ، ومنه مزلاجُ الباب للخشبة التي يُفلق بها .

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٣٨٨ ص ١٠٩٠ . والأبيات في ديوانه ٩ - ١٠ .

(٢) في الديوان : « وجر الشواء » .

٣ - فَقِي يَمْلَأُ الشَّيْزَى وَيُرْوِي سِنَانَهُ وَيَضْرِبُ فِي رَأْسِ الْكَيْمِ الْمَدَجِّجِ

٤ - فَقِي لَيْسَ بِالرَّاضِي بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ وَلَا فِي بَيْوتِ الْحَيِّ بِالْمُتَوَلِّجِ^(١)

يقول : هذا^(٢) المدعو المستغاث به فقي يملأ الجفان المتخذة من الشيزى للضيوف والرفقاء ، ويروي سنان رحيه من دماء الأعداء ، وإذا بارزه في الحرب القرن الثام السلاح ، الكيم بين الصحاب ، غلبه وركبه ، وأتى عليه فأسقطه ، وهو فقي لا يرضى لنفسه في دنياه بأقرب الممتنين ، وأدون المبيشتين ، ولكن يطلب غايات الكرم ونهايات الفضل ، ولا يدخل بيوت الحي والمجاورة ، ولا يخاط النساء للرؤية والمغازلة . يصفه بالعفة والجد ، وصيانة النفس ، وارتفاع الهمة والهيم عما يزيل الحشمة ، ويدنس المروءة .

وقوله « ولا في بيوت الحي » ، جعل في بيوت تبييناً ، وقد حصل الاكتفاء بقوله المتولج ، فيكون موقعه منه كوقع بك بعد سرحباً ، لئلا يحصل تقديم الصلة على الموصول ، وإن شئت جعلت الألف واللام في قوله « المتولج » لتعريف ، لا بمعنى الذي ، فلا يحتاج إلى تقدير الصلة في الكلام . وقد مرّ نظائره .

(١) الديوان : « أبل فلا يرضى » .

(٢) هنا ما في ل . وفي الأصل : « هو » .

بابُ الْمَدْحِ

باب المدح^(*)

٧٨٤

وقال يزيد الحارثي^(١) :

- ١ - وإذا الفتى لاقى الحيتام رأيتَه لولا الشناء كأنه لم يولد
 - ٢ - وأتيتُ أبيضَ سابقاً سرباله يكفي المشاهد غيبَ مَنْ لم يشهد
- يقول : إذا أخلى الفتى مكانه من الدنيا وانقضى عمره ، فانتقل من الأولى إلى الأخرى ، فلولا ثناء الناس عليه ، وذكره بالجميل الذي يقدمه ويسديه ، لنسي وقته وأمدّه ، وصار حكمه حكمَ مَنْ لم يولد فيعرف يومه وغده ، لكنّ باقى الذكر ونامى العهد والرسم ، بما يُنشر من حديث حسن وقصة ، ومحمد من عادة وسنة ، هو الذى يصير به فى حكم الحى الذى لم يمُت ، والمشهود الذى لم يفت . وقد توصّل بهذا الكلام إلى إطرانه من يتشكره والثناء عليه ، وهو قوله « وأتيتُ أبيضَ سابقاً سرباله » ، يريد : وزرت رجلاً كريماً حُرّاً ، نقيّ الحسب من العيوب ، واسع العطف والقميص ، لباسه لباسُ الرؤساء والسادة . وقوله « يكفى المشاهد » يريد أنه ينوب فى مجالس الكبار عن لا يحضرها ، فيحسن المحضر ، ويُقصر لسان المقتاب . ومثله قول الآخر :

إنّا لنذكركم والرّماحُ تنفوشنا تحت المجاجة ما يقال ضحى القدر

(*) ورد هذا العنوان فى ل قطع . أما التبريزى فقد جمل « باب الأضياف والمدح » باباً واحداً ، كما سبق .
 (١) يزيد بن عزم بن حزن بن زياد الحارثي ، من بني الحارث بن كعب ، هامر جاهل .
 معجم للرزائي ٤٩٤ .

٧٨٥

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ^(١) :

١ — تَرَاهُ نَحِيصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدَّدِ
وقد مرَّتْ هذه الأبيات مشروحة^(٢) .

٧٨٦

وقال آخر :

١ — كَرِيمٌ رَأَى الْإِقْتَارَ عَارًا فَلَمْ يَزَلْ أَخَا طَلَبٍ لِلْمَالِ حَتَّى تَمُوتَ لَا
٢ — فَلَا أَفَادَ الْمَالَ عَادَ بِفَضْلِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَرْجُو جَدَاهُ مُؤَمَّلًا
الإقْتَارُ : نقيض الإكثار . يقال فلان مُكَثِّرٌ ، وفلان مُقْتَرٌ . وكذلك
التفتير عقيب التّكثير . ويقال : قَتَرَ عَلَى أَهْلِهِ وَأَقْتَرَ ، إِذَا ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ فِي
الْإِنْفَاقِ ، وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ ، قَرِئُ
جُزْءِ الْيَاءِ وَفَتْحُهَا عَلَى الْفَتَنِ . يقول : لَمَّا رَأَى فِي مَالِهِ الْقُصُورَ وَالْمَعْجَزَ عَنْ مَدَى
هَمِّهِ ، رَأَى ذَلِكَ عَارًا وَمَنْقَصَةً ، فَلَمْ يَزَلْ يَمْتَطِي الْمَرَاكِبَ الشَّاقَّةَ^(٣) طَالِبًا لِلْمَالِ ،
وَيَدِيمَ الْحَلَّ وَالْتِّزَالَ فِي كَسْبِهِ وَجَمْعِهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَغْنَى وَنَالَ مِنْهُ ، لَمْ يَفْرِذْ
بِهِ دُونَ مُؤَمَّلِيهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَقْصُورًا عَلَى لَذَائِهِ وَمُبَاغِيهِ ، وَلَكِنْ عَادَ يُفْضِلُ

(١) وردت هذه القطوعة في الأصل بيتا واحدا كما هنا ، وعند التبريزي أربعة أبيات ،
فبعد هذا البيت عنده :

وإن مسه الإقواء والجهد زاده سماحا وإتلافا لما كان في اليد
قصير الإزار خارج نصف ساقه صبور على الغزاء طلاع أنجد
قليل النشكي للخصيات حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

(٢) انظر الحاشية ٢٧٢ ص ٨١٨ — ٨٢٠ .

(٣) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « المتناقة » .

عليهم ، وأقبل يُسرِّهم فيه ويعطيهم . ويقال أفاد بمعنى استفاد . والجداً والجدوى : العطية .

٧٨٧

لَمَّا أَتَى يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَالَ الْمُهَلَّبِ ^(١) قَامَ (كَثِيرٌ) بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ :

- ١ - حَلِيمٌ إِذَا مَا نَالَ عَاقِبَ مُجْمَلًا أَشَدَّ الْعِقَابِ أَوْ عَمَّا لَمْ يُثْرَبْ
 - ٢ - فَمَفُوءًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحِسْبَةً فَمَا تَحْتَسِبُ مِنْ صَالِحٍ لَكَ يُكْتَسَبُ ^(٢)
 - ٣ - أَسَاءُوا فَإِنْ تَغَفَّرَ فَإِنَّكَ أَهْلُهُ وَأَفْضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمٌ مُغْضَبٍ
- يَصِفُهُ بِكَرَمِ النَّفْسِ وَكَطَمِ الْفَيْضِ ، وَاسْتِعْمَالَ الْحِلْمِ فِي وَقْتِهِ ، وَالِاتِّقَامَ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِأَشَدِّهِ فِي إِبَانَةِ وَجْهِهِ . فيقول : إِذَا نَالَ الْجَانِي عَلَيْهِ ، أَوِ الْعَدُوُّ الْمَكَاشِحُ لَهُ ، عَاقِبَهُ وَهُوَ مُجْمَلٌ ، أَيْ لَا يَشْتَبُهْ وَلَا يُسْرِفُ ، وَلَكِنْ يَنْتَهِجُ طُرُقَ الْعَدْلِ فِي الْإِتِّقَامِ ، وَيَقْصِدُ الْحَقَّ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ عِنْدَ التَّمَكُّنِ وَاللِّزَامِ ، وَذَلِكَ أَشَدُّ مَا يُعَاقَبُ بِهِ مِثْلُهُ ، أَوْ عَفَا عَنْهُ غَيْرَ مُوجِّحٍ عَلَى ذَنْبِهِ ، وَلَا مُكَدِّرٍ نِعْمَتِهِ فِي عَفْوِهِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ : لَا تَخْلِطَ وَلَا إِفْسَادَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : لَا تَعْيِيرَ وَلَا تَوْبِيخَ .

وقوله « فَمَفُوءًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » طَلَبَ وَسُؤَالَ ، وَانْتِصَابَ عَفْوًا عَلَى الْمَصْدَرِ . فيقول : اغْفُ وَفَدَّ قَدَّرْتَ ، وَاحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ بِمَا تَأْتِيهِ ، فَهُوَ مَكْتُوبٌ لَكَ إِلَى يَوْمِ فَاغْنِكَ ، وَمُدَّخَرٌ إِلَى وَقْتِ مَجَازَاتِكَ ، فَكَمَا تَغْفُو يُغْفَى عَنْكَ .

وقوله « أَسَاءُوا فَإِنْ تَغَفَّرَ » ، اعْتِرَافٌ بِالذَّنْبِ ، وَاسْتِعْطَافٌ بِالْغَفْرِ . فيقول

(١) كَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ قَدْ خَرَجَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَعْلَنَ خُلْعَهُ ، وَانْقَلَبَ جَبِوشُهُ بِجَبِوشِ الْخَلِيفَةِ فِي الْعَمْرِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ ، وَكَانَ الْقِتَالُ شَدِيدًا قَتَلَ فِيهِ ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَانْهَزَمَ جَيْشُهُ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ١٠٢ .
(٢) التَّبْرِيزِيُّ : « فَا تَكْتَسِبُ » .

إن تجافيت عن إساءتهم واستعملت ما أنت أهله من الغفو عنهم ، فإنّ ذاك هو
المرجو منك ، والمتأد من نظرك ، وأفضل الجمل احسباً وأجراً جلم الغيظ ،
والمضجر المبتك (١) .

فروى أن يزيداً لما قرع سمعه هذه الأبيات قال : لولا أنهم قدحوا في الملك
لغفوت عنهم (٢) .

٧٨٨

وقال يزيد بن الجهم :

١ - تسائلني هوازن أين مالى وهل لي غير ما أنفقت مالى

٢ - فقلت لها هوازن إن مالى أضرب به الملمات الثقال

٣ - أضرب به نعم ونعم قديماً على ما كان من مالى وبالى

يقول : تباحثنى هذه القبيلة عن حالى ، وتسألنى عن وجوه غناى ،
ومصارف مالى . وهذا إخبار عنهم وعن مباحثهم واستكشافهم فى إنكارهم .
وقوله « وهل لي » استفهام على طريق النفي ، كأنه قال : ومالى مالى إلا ما أنفقت
ووضعت حيث اخترته . وهذا اعتراض بين الابتداء من هوازن فى السؤال وبين
ما أتى به فى الجواب ، وهو قوله « فقلت لها هوازن » . وانتصب غير على أنه
استثناء مقدّم ، كأنه لم يعتد بما فضل له عن مآربه ، وبقي عنده فى جواب مطالبه .
والمعنى أنه لا مالى له إلا ما أنفقه وقدمه لا ما يسأل عنه .

وقوله « فقلت لها هوازن » ، يريد أجبتهم وقلت : مالى أفناه ما نزل بي

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « المبتل » .

(٢) التبريزى : « فقال له يزيد : أملت بك الرحم ! أى عطفتك عليهم . ولولا أنهم
قدحوا فى الملك لغفوت عنهم » .

من المِلَاتِ القادحة ، والنَوَائِبِ المحزنة ، وأَضَرَ به قولي في جواب الشُّؤَالِ
والوُرَادِ : نَمَ ، إيجاباً لهم ، وإسعاداً بمقترحاتهم . وهذه اللفظة وَبَالَ على الأموال
معروفٌ فيما تقدّم من الأزمان . وانتَصَبَ « قديماً » على الظُّرفِ ، والعامل فيه
ما اشتمل عليه قوله « على ما كان من مالٍ وَبَالَ » .

ونَمَ : حرفٌ وضع الإيجاب ، ونقيضه لا . وقد جعله الشاعر على هيئته
منقولاً إلى باب الأسماء ، فهو فاعلٌ لِأَضَرَ ، ومبتدأ في قوله « ونَمَ قديماً »
والخبر وبال .

فأما قول أبي تمام :

تقولُ إن قُلْتُمُ لا لا مسلّةً لأمرِكُم ونَمَ إن قُلْتُمُ نَمّا^(١)

فقد عيِبَ عليه قوله نما ، وليس كما ظنَّ ، لأنّه إمّا نقلها وجعلها اسماً نصبها
بقُلْتُمُ ، على حدِّ قولك : قلتُ خيراً وقلتُ شراً .

ويموز أن يكون « قديماً » انتصب على الصّفة المتقدّمة ، أى نَمَ وَبَالَ
قديم على الأموال ، فلما قدّمه نصبه . ومثله :

* لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ^(٢) *

٧٨٩

وقال أعرابي :

١ - أَلَا فَتَى نَالَ الْمَلَا بِهِمَّ

٢ - لَيْسَ أَبُوهُ بِابْنِ عَمٍّ أُمِّهِ

٣ - تَرَى الرِّجَالَ تَهْتَدِي بِأُمِّهِ

(١) في الديوان ٣٠٥ : « مسلّة لقولكم » .

(٢) البيت لكثير غزاة ، كما سبق في حواشي ١٦٦٤ .

قوله « أَلَا فَتَى » تمنى ، وألف الاستفهام دخل على لا النافية لهذا المعنى ، ولذلك حذف التَّنوين من فتى . ومعنى « نال العُلا بهمة » أى صرف همه ، وشغل نفسه بما اهتم به العُلا ، وعمر به مكارم قومه وذويه .

وقوله « ليس أبوه أبنٌ مُمٌّ أمُّه » ، هو المعنى الذى ورد به الخبر : « اغترَبُوا لأنهم كانوا يعتقدون أن الولد إذا حصل بين متشاركين فى النسب متقاربين ، جاء ضاويًا .

وقوله « تَرَى الرُّجَالَ تَهْتَدِي بِأُمِّه » ، أى ترام يطؤون عقبه ويقدمونه فيهدون بقصده ، ويقتدون برسمه ، لرياسته وقضله .

٧٩٠

وقال ابن المولى^(١) ، ليزيد بن حاتم^(٢) :

- ١ - وإذا تَبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ نَشْتَرَى فِسْوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمَشْتَرَى
- ٢ - وإذا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرٍ^(٣)
- يقول : إذا قامت سوقُ المكارم ، وثارَ رهجُ المغام بين طلابِ المعالي وتُجَارَ المحامد ، فتبهرُك من حاضريها يزهد فى حوزِ المكرومات ، ويرفعُ يده عنها ، فكأنه يبيعها ؛ وأنتَ تحصلها وتجمع يدك عليها ، وتفوز بابتياعها وإن كان بأعلى الأثمان ، وأثقل السِّمِّ^(٤) ، فلا رغبة إذا نظرنا فى تجماعِ الجدد ، واعتبرنا

(١) هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى ، من الأنصار . شاعر متقدم مجيد من غضنرى الدولتين ومداى أهلها ، وقدم على المهدي وامتدحه بمدة قصائد ، فوصله بصلات سنية . الأغانى (٣ : ٨٥) .

(٢) هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن الهلب .

(٣) التبريزى : « لم تكن » . والسبيل تذكر وتؤنث .

(٤) يكسر ففتح : جمع سيمة بالكسر ، وهو الاسم من السوم فى البيع .

فيها دَواعِي طُلَّابِ الثَّناء والحد، كَرغبتِكَ . وقوله : تُبَاعُ أو تُشْتَرَى ، أو بمعنى الواو ، فهو كما يكتب في المقود : « وكلُّ حقٍّ له داخلٌ أو خارجٌ » .

وقوله « وإذا تَوَعَّرَتِ المسالك » ، يريد وإذا اشتدَّ الزَّمان وانسَدَّتِ الطُّرُق إلى من يتندَّى ويَشْتَهَر بفعل المعروف ، لَشُمُولِ القَحْطِ وإحمالِ الناس ، فَادَّتْ مسالكُ الجُودِ وَغَرَّةً لا يُمكن قطعُها ، ولا الوصولُ إلى أسبابِ الخيرِ منها ، كنتَ قَريبَ المآخِذِ ، سَهْلَ الفِناء ، حَسَنَ الإقبالِ على مُجْتَدِيكَ ، جَمِيلَ الاشتغالِ على قُصَادِكَ وزائريك ، فلا تُسَعِّزَنَّ أرضُكَ ، ولا يُسَتَوِعَنَّ جنابُكَ . وتَوَعَّرَتِ ، من قولم : طريقٌ وَغَرٌّ ، أى غليظ . وقد وَعَرَ يَوَعِّرُ . وطريقٌ أَوْعَرُ ، من هذه اللَّغَةِ .

٣ - وإذا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أُنِمَّتْهَا يَبْدِينَ ليس نَدَاهَا بِمَكْدَرٍ

٤ - وإذا هَمَمْتَ لِمُعْتَفِيكَ بِنَائِلٍ قَالَ النَّدَى فَاطْمَنَتْ لَكَ أَكْثَرُ

٥ - يا وَاحِدَ العَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مُقَصِّرٍ

قوله « وإذا صَنَعْتَ صَنِيعَةً » ، يقول : وإذا اتَّخَذْتَ عندَ إنسانٍ بَدَأً

وَأَزَلَّتْ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ ، فَإِنَّكَ لَا تُخْذِلُهَا وَلَا تَتْرَكَ تَرْيِئَهَا ، لَكِنَّكَ تَكْمُلُهَا

وتقوم بعمارتها ، مَصُونَةً مِنَ التَّنِ والتَّكْدِيرِ ، صَافِيَةً مِنَ الشَّوَابِ والتَّعْذِيرِ ؛

ومنى نويت لمُجْتَدِيكَ الإِفْضَالَ عليه اقْتِضَاكَ كَرَمُكَ والنَّدَى [الَّذِي ^(١)] هُوَ

هَمُّكَ وَسَدَمُكَ ، وَقَالَا وَأَنْتَ تُطِيعُهُمَا وتوجب مَرَسُومَهُمَا : أَكْثَرُ لَهُ لَيْسَتْغْفَى

عَنْ غَيْرِكَ ، وَيَتَخَلَّصَ مِنَكَ .

وقوله « يا وَاحِدَ العَرَبِ » ، يجوز أن يَتَّصِلَ بقول النَّدَى ^(٢) ويكونَ

الشَّاعِرُ حَاكِيًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَّصِلَ بِمُخَاطَبَةِ الشَّاعِرِ ، وَالْقَصْدُ فِي الدُّعَاءِ التَّخْصِصُ

(١) التَّكْلَةُ مِنْ ل .

(٢) يريد أنه مقول لقال الندى . وفي الأصل : « بقوله الندى » ، صوابه في ل .

والإطراء . والمعنى أنه واحدُ العرب لا نظيرَ له فيهم ، فهو المنظور إليه ^(١) من بينهم ، فلا مَعدِلَ عنه في المُهمَّات ، ولا مَقْصَرَ دونه في المُلِمَّات . والمَقْصَر : الكفُّ والإمساك .

٧٩١

وقال المَعْدِلُ ^(٢) :

١ - جَزَى اللَّهُ فِتْيَانَ الْعَتِيكِ وَإِنْ نَأَتْ بَيْنَ الدَّارِ عَنْهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا

٢ - هُمْ خَلَطُونِي بِالْثَنُوسِ وَأَكْرُمُوا صَحَابَةَ لَمَّا حُمَّ مَا كُنْتُ لَاقِيَا ^(٣)

كان المَعْدِلُ أَخِيذَ بَجْرَمٍ ، فكفل عليه النَّهْسُ ^(٤) بن رَيْيَمَةَ الْعَتِيكِ ،

وكان حيثُ كَفَلَ عليه : دَفِيعَ إِلَيْهِ لِحْمَلِهِ عَلَى فَرَسٍ وَبَقْلٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْجُوَ

بِدَمِهِ ، وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ مَكَانَهُ ، فَقَالَ الْمَعْدِلُ : اخْتَرْتُ أَنْ أَمْتِدِحَكَ أَوْ أَمْتِدَحَ قَوْمَكَ .

فاختار امتداح قومه ، فقال : تَوَلَّى اللَّهُ عَنِّي جَزَاءَ فِتْيَانِ الْعَتِيكِ ، فَقَابَلَهُمْ بِخَيْرٍ

مَا يُجَازِي بِهِ مُسْتَحِقًّا لجزاء ، وَإِنْ بَعُدَتْ عَنْهُمْ ، وَتَنَاءَتْ دَارِي عَنْ دَارِهِمْ .

ثُمَّ أَخَذَ يَقْتَصُّ مَا عُوْمِلَ بِهِ فَذَكَرَهُمْ وَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ خَلَطُونِي بِأَنْفُسِهِمْ ،

وَأَسْقَطُوا الْحِشْمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، فَجَعَلُونِي أَشَارَكُهُمْ فِي خَيْرِهِمْ ، وَلَا أَتَفَرَّدُ بِالضَّرِّ

فِيهِمْ ؛ ثُمَّ إِنَّهُمْ صَاحِبُونِي مَصَاحِبَةً كَرِيمَةً لَمَّا قُدِّرَ لِي مَا كُنْتُ أَكِيدُهُ ،

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « كالمنظور إليه » .

(٢) هو المذل بن عبد الله الليثي ، كما ذكر التبريزي . وقال الرزباني في معجمه ٣٨٨ :

« المذل البكري أحد بني قيس بن ثعلبة ، إسلامي » ثم قال : « وقدم على المهلب بخراسان فقال لمن حضره : يا معشر الأزد ، هو الذي يقول ... وأنشد هذه الأبيات . فجمعوا له خمسين وصيفاً ، وأعطاه المهلب مثلها » . وانظر خبراً عنه في الشعراء ٢٩ ، ٨٣ .

(٣) الرزباني : « ما كان آنياً » .

(٤) وكذا عند التبريزي . وعند الرزباني : « النهاس » .

فَضَّوْنِي إِلَى أَنْفُسِهِمْ مُتَكَلِّفِينَ بِي ، وَصَابِرِينَ عَلَى الْمَكْرُوهِ دُونِي ، ثُمَّ فَكَّرُوا أَسْرِي وَأَبْلَغُونِي مَأْمَنِي .

فَإِنْ قِيلَ : مَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ « وَإِنْ نَأَتْ بِي الدَّارُ عَنْهُمْ » ؟ قَالَتْ : أَرَادَ أَنَّهُ لَا يَشْكُرُهُمْ مُقَارِضًا وَلَا طَامَعًا فَيُؤَثِّرُ فِيهَا هُوَ الْغَرَضُ فِيهِ قُرْبُ الدَّارِ وَبُعْدُهَا ، بَلْ يُوَدِّي حَقَّ نِعْمَةٍ ، وَيَقْضِي لَازِمَ فَرِيضَةٍ . وَقَوْلُهُ « لَمَّا حُمَّ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ظَرْفًا لَا كَرَمًا . وَمَعْنَى حُمَّ قُدِّرَ .

- ٣ - هُمْ يُفَرِّشُونَ اللَّبْدَ كُلَّ طَيْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبْدُ الْمُغَالِيَا
٤ - طَعَامُهُمْ قَوْضَى فَضًا فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يُحْنِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَنَادِيَا
٥ - كَانَ دَنَانِيرًا عَلَى قِسْمَانِهِمْ إِذَا الْمَوْتُ لِلْأَبْطَالِ كَانَ تَحَاسِيَا

ذَكَرَ مَا شَاهَدَهُمْ عَلَيْهِ فِي مُجَاوَرَتِهِمْ ، وَيَجْرُونَ عَلَيْهِ فِي عَادَاتِهِمْ وَمَصَارِفِهِمْ ، وَيَنْتَقِلُونَ فِيهِ أَوْقَاتَ حَفْلِهِمْ ، وَعِنْدَ خَلْوَتِهِمْ ، وَفِيهَا يَنْوِبُهُمْ مِنْ نَائِبَةٍ تَخْصُمُهُمْ أَوْ تَعْمُهُمْ . فَقَوْلُهُ « يُفَرِّشُونَ اللَّبْدَ » بَضَمَ الْيَاءِ ، أَيْ يَجْعَلُونَ اللَّبْدَ فِرَاشًا لظَهْرِ كُلِّ رَسَكَةٍ وَثَّابَةٍ ، وَكُلُّ فُحْلٍ كَرِيمٍ سَبَّاحٍ فِي عَذْوِهِ ، غَلَابٍ لِمُبَارِيهِ فِي الْعُلُوِّ ، سَبَّاقٍ فِي الرِّهَانِ يَحُوزُ قَصَبَ التَّقَدُّمِ وَالْمَلُوقِ .

وَيَقَالُ : فَرَشْتُ الْفِرَاشَ وَأَفْرَشْتَنِيهِ فَلَانٌ ، وَافْتَرَشْتُ الْأَرْضَ وَالْمِرَاةَ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ : « هُمْ يُفَرِّشُونَ » بَفَتْحِ الْيَاءِ ، وَقَالَ : أَرَادَ يُفَرِّشُ اللَّبْدَ عَلَى كُلِّ طَيْرَةٍ ، لِيُخَفَّ الْجَارُ . قَالَ : وَيَقَالُ فَرَشْتُ سَاحَتِي الْأَجْرَ وَالْأَجْرَ .

وَقَوْلُهُ « يَبْدُ الْمُغَالِيَا » إِنْ ضَمَّتِ الْمِيمُ جَازَ أَنْ يُرَادَ بِهِ السَّهْمُ نَفْسَهُ أَوْ فَرَسٌ يُغَالِيهِ . وَجَازَ أَنْ يُرَادَ بِهِ الرَّافِعُ بَدَهُ بِالسَّهْمِ يَرِيدُهُ بِهِ أَقْصَى الْغَايَةِ . وَقَالَ : بَنِي وَبَيْنَهُ غَلَوَةٌ سَهْمٌ ، كَمَا يُقَالُ قَيْدُ رُمْحٍ وَقَابُ فَوْسٍ . وَإِنْ فَتَحَتِ الْمِيمُ يَكُونُ جَمْعًا لِلْمِغْلَاةِ ، وَهِيَ السَّهْمُ يُتَّخَذُ لِلْمِغْلَاةِ . وَالْمَعْنَى يَسْبِقُ السَّهْمُ فِي غَلَوَتِهِ .

ومُرَاد الشاعرُ أَنَّ سَمِيحَهُمْ مَقْصُورٌ عَلَى تَفَقُّدِ الْخَلِيلِ وَخِدْمَتِهَا ، وَالتَّفَرُّسِ عَلَى ظَهْرِهَا .

وقوله « طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضًا » فَوْضَى مِنْ فَوَضْتُ الْأَمْرَ إِلَيْكَ . وَالْفَضَا مِنْ فَضَّتِ الْأَرْضُ ، إِذَا اتَّسَعَتْ ؛ وَمِنْهُ الْفَضَاءُ ، وَأَفْضَيْتُ إِلَيْهِ بِكَذَا . وَالْمَعْنَى أَنَّ الطَّعَامَ عِنْدَهُمْ وَفِيهِمْ لَا يُكَالُ وَلَا يُوزَنُ ، وَلَا يُقْتَسَمُ وَلَا يُفَرَزُ ، بَلْ يَأْكُلُهُ فِي رِحَالِهِمْ كُلُّ مَنْ احتَاجَ إِلَيْهِ ، غَيْرَ مَمْنُوعٍ عَنْهُ . وَقَوْلُهُ « وَلَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ إِلَّا تَنَادِيًا » ، أَيْ لَا رِيْبَةَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ فَيُخَفِّضُوا الصَّوْتَ بِمَا يَتَخَاطَبُونَ بِهِ ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ تَنَادِيًا مُسْتَثْنَى ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ : لَا يُحْسِنُونَ السَّرَّ لَكُنْهُمْ يَتَنَادُونَ . وَيَحْزَنُ أَنَّ يَكُونُ « تَنَادِيًا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَيَكُونُ مِنْ بَابِ :

* تَحِيَّةُ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ ^(١) *

و : * أُعْتَبُوا بِالصَّغِيرِ ^(٢) *

وَمَا أَشْبَهَهُمَا .

وقوله « كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسِمَاتِهِمْ » فَاتَّقَسِمَةُ : الْوَجْهَ . وَيُقَالُ : وَجْهُ مُقَسَّمٌ ، إِذَا وَفَّى كُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ حَظَّهُ مِنَ الْحَسَنِ يَرِيدُ أَنَّ الشَّدَائِدَ لَا تَكْسِرُ شَوْكَتَهُمْ وَلَا تَفْضُ أَبْصَارَهُمْ وَلَا تَفِيضُ مِيَاهَ وَجُوهِهِمْ ^(٣) ، بَلْ يَزْدَادُونَ عَلَى طَوْلِ الْمِرَاسِ وَالْجِدَابِ حُسْنًا وَنَشَاطًا . فَكَأَنَّ سَحَنَاتِهِمْ غُشِّيَتْ بِالْذَّنَانِيرِ إِشْرَاقًا وَنُورًا ، فِي وَقْتِ تَتَحَامَى ^(٤) الْأَبْطَالُ فِيهِ الْمَوْتُ . وَهَذَا مَثَلٌ لِالشَّدَّةِ وَقَدْ وَطَّنَتِ النُّفُوسَ عَلَيْهَا ، وَذُلَّتْ لَهَا . أَيْ تَشْرَبُ الشَّجْعَانُ كُؤُوسَ الْمَوْتِ حَسَوَاتِ .

(١) البيت لعمر بن معد يكرب ، كما سبق في حواشي ٢٤٦ ، ٥٨١ ، ٦٤١ ، ١٣٨٧ . ومصدره : * وخيل قد دلفت لها بنجمل *

(٢) قطعة من بيت لبشر بن أبي خازم في اللسان (صلم) . وهو بتمامه :

غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النار فأعتبوا بالصَّغِيرِ

(٣) ل : « ماء وجوههم » . وغاض من الأفعال التي تلزم وتعمد . يقال غاض الماء ، كما يقال غاضه ، أي قصه .

(٤) في الأصل : « تتحاسى » ، صوابه في ل .

٧٩٢

وقال بعضهم :

- ١ - وزادِ وَصَفْتُ الْكَفَّ فِيهِ تَأْنَسًا وما بي لولا أَنَسَةُ الضَّيْفِ مِنْ أَكْلِ
 - ٢ - وزادِ رَفَعْتُ الْكَفَّ عَنْهُ تَكْرُمًا إذا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ الْقَلِيلَ مِنَ الثُّغْلِ
 - ٣ - وزادِ أكلناه ولم نَنْتَظِرْ بِهِ غَدًا إنْ بَخَلَ الْمَرْءُ مِنْ أَسْوَأِ الْفِعْلِ
- يصف وفورَ عقله وحسنَ تأتّيه في تقلّب الأحوال به ، وذهابه مع الكرم
أنّي اعتمدَ ، ومعَ مَنْ تصرفَ . فيقول : رَبِّ زَادِ وضعتُ كُفِّي فيه إيناسًا
للمجتمعين عليه ، وتأنّسا بمؤاكلتهم ، ولكن يَنْشَطُوا^(١) بكوني معهم ، ويطرّحُوا
الحشمةَ لانغماسي إليهم ، لولا ذلك لكنتُ غيرَ محتاجٍ إليه ، ولزهدتُ في التناول
منه . وقوله « أَنَسَةُ الضَّيْفِ » ، يقال أنسَ وأنسَهُ كما يقال بُعِدَ وبُعْدَهُ ،
وشقاء وشقاؤُهُ ، ومَنْزِلَ ومنزلة ، ودار ودارة .

وربَّ زَادِ أَسَكْتُ عَنْ أَكْلِهِ ، وانقبضتُ عن الاجتماع مع آكلِهِ مؤثرا
لغيري به ، وتوسيعاً على متناوليهِ ، في وقتٍ من الزمان يُرَى القومُ يَسْتَبِقُونَ
إلى القليل من سَقَطِ الزاد ، لمرزته وشدة حاجتهم إليه ، وبعد عهدِهِمْ^(٢) بأطاييهِ ،
وربَّ زَادِ أَفْنِيَاهُ وتوسّعنا فيه ، غير مفكرٍ في مستأنف الزمان ، ولا خائفٍ من
عواصف الحدّثان^(٣) ، ولو بَقِيْنَاهُ لَمُدَّ ذَلِكَ مِنْ فَمِلْنَاهُ بَخْلًا به ، والبخل من أسوأ
أفعال المرء وأقبحها . وانتصب « تَأْنَسًا » على أنّه مصدر في موضع الحال . وقوله
« مِنْ أَكْلِ » في موضع الرفع لأنّه اسم ما ، والنفي بما تناوله من حديث لولا .
وكذلك قوله « تَكْرُمًا » في موضع الحال ، و « إذا ابتدر » ظرف لرفعت ، وهو

(١) ل : « يَنْشَطُوا » . (٢) ل : « عهدِهِمْ » .

(٣) في النسخين : « من عواطف » .

جوابه . وقوله « لَمْ نَنْتَظِرْ بِهِ غَدًا » أى لم نَنْتَظِرْ باستيفائه غداً ، أى مجيء الوقت الذى نُسَمِّيه غداً .

٧٩٣

وقال بعضهم :

١ - لَقَلَّ عَارًا إِذَا ضَيَّفْتُ تَضَيَّفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتُ مُجْهُودِي
٢ - جَهْدُ الْمُقِلِّ إِذَا أُعْطَاكَ نَائِلُهُ وَمُكْثِرُ فِي الْغَنَى سَيِّئَانِ فِي الْجُودِ
اللام من « لَقَلَّ » جواب يمين مضرة ، وفاعل قلَّ ما كان عندي .
و « عَارًا » انتصب على التمييز ، وهو مأخوذ من قِلَّ الفعلُ عنه ، كأنه كان لَقَلَّ ما كان عندي ، فنقل قلَّ وجعله لقوله ما كان ، وأشبه عارًا المفعولَ فنصبه . وقوله « إِذَا أُعْطِيتُ » [ظرفٌ لقوله : « قلَّ » ما كان عندي] . وإِذَا ضَيَّفْتُ تَضَيَّفَنِي ، ظرف لقوله : « إِذَا أُعْطِيتُ »^(١) [مجهودى] . وتلخيص الكلام : لقد قلَّ عَارُ ما كان عندي إِذَا أُعْطِيتُ منه مجهودى إِذَا ضَيَّفْتُ تَضَيَّفَنِي . والمعنى : لا عَارَ في القليل الذى عندي إِذَا أُعْطِيتُ مجهودى في الوقت الذى يتَضَيَّفُنِي الضيف .
ومثل هذا البيت فيما اجتمع فيه من الظرفين قول الآخر^(٢) :

عَلَامَ تَقُولُ الرِّيحُ يُنْقِلُ سَاعِدِي إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الْخَيْلُ كَرَّتِ

وقوله « جَهْدُ الْمُقِلِّ » مبتدأ ، وعطف مُكْثِرٌ على الْمُقِلِّ ، وقد حذف المضاف منه ، والمراد وَجْهٌ مُكْثِرٌ فِي الْغَنَى ، فاكتفى بالأول عن الثاني ، وسَيِّئَانِ خبر للبتدأ ، كأنه قال : جَهْدُ الْمُقِلِّ إِذَا أُعْطَاكَ ما عنده وَجْهٌ مُكْثِرٌ فِي الْغَنَى مِثْلَانِ فِي أَحْكَامِ الْجُودِ وشرائطه ، لأنَّ كَلًّا منها قتل مجهودَه . وإنما قلنا هذا لأنَّك

(١) التكلة من ل .

(٢) هو عمرو بن معديكرب ، سبق في ص ١٥٩ .

إن لم تضمر في قوله « ومكثر » المضاف تكون قد جمعت بين الحدث وهو جهد المقل ، وبين الذات وهو مكثر فجعلتهما سيتين . والشرط أن يضم الحدث إلى الحدث ، والذات إلى الذات . وقوله « في الغنى » في موضع الصفة لمكثر ، كأنه قال ومكثر غني . وهذا كما تقول : جاءني رجل في جبة ، تريد وعليه جبة ، وتحقيقه : جاءني رجل لا بس جبة .

وقد تبين من البيت الثاني معنى البيت الأول ، واعتذاره من القليل الذي يعطيه إذا ضاف ضيف^(١) .

٧٩٤

وقال خلف بن خليفة^(٢) :

- ١ — عدلت إلى فخر العشيرة والهوى إليهم وفي تعداد مجديهم شغل
 - ٢ — إلى هضبة من آل شيبان أشرفت لها الذروة العليا والكاهل القبل
 - ٣ — إلى النفر البيض الأولاء كأنهم صفائح يوم الرزع أخلصها الصقل
 - ٤ — إلى معدن العز المؤيد والندي هناك هناك الفضل وأخلق الجزل
- قوله « والهوى إليهم » مبتدأ وخبره قد اعترض بين صدر البيت وعجزه ، والواو واو الحال . والمعنى : وهوى معهم ؛ لأن إلى بمعنى مع ، كما يقال هذا إلى ذاك . ويموز أن يعطف والهوى على فخر العشيرة ، فيكون المراد عدلت إلى الافتخار بهم ، وإلى الهوى معهم . فيقول : صرفت همي إلى ذكر مفاخر العشيرة ، وهوى معهم ، وتركت غيره لأن في عد مجديهم وإحصائه ما يشغلني عن غيره . ثم كرر « إلى » مفتحاً ومعظماً ، فقال : إلى هضبة من شأنها كذا ، وإلى النفر الذين من

(١) ل : « ضافه ضيف » .

(٢) سبقت ترجمته في المحاسنة ٢٩٦ ص ٨٨٩ .

شأنهم كذا ، وإلى معدن العزّ الذي من أسره كذا . والمراد بجميع ما ذكر العشرة وإن اختلفت العبارات عنها .

وقوله « أشرفت لها الذروة العليا » ، يعنى هضبة العزّ . فيقول : علّت لهذه الهضبة ذروة شامخة وكاهل ضخم ، يريد عظم الهضبة وموقها واتساع جوانبها .

وقوله « إلى الثغر البيض » يعنى آل شيبان . ذكر عزّم وكفى عنه بالهضبة ، والقصد إلى أنهم اللجأ والمقل . « والأولاء » فى معنى الذين ، وما بعده من صلته ، ويمدّ ويُقصر ، يقال الأولاء والأولى . وأراد بالبيض الكرام المتقى الأحساب . وقوله « كأنهم صفائح يوم الرّوع » ، يجوز أن يضيف صفائح إلى يوم الرّوع ، ويريد تشبيههم فى نفاذهم وقُدودهم بالشيوف المدة ليوم الرّوع ، لا للماضيد^(١) وما يُبتدل فى العوارض سوى الخرب . ولك أن تنصب « يوم » على الظرف . يريد صفائح مصقولة جرّدت يومَ الرّوع ، وأعلت وأنفذت . وعلى الوجهين جميعاً يكون « أخلصها الصقل » من صفة الصفائح .

وقوله « إلى معدن العزّ المؤيد » معنى المؤيد المقوى بمواده التى تُصرف إليه ، لحسن مراعاتهم وحفاظتهم على المجد . ولك أن تروى « المؤبد » بالباء ، ويكون المعنى العزّ الدائم الثابت على سرّ الأيّام . وقوله « والندى » لك أن تجرّه معطوفاً على العزّ وتصير هناك مكرّراً ، والفضل مبتدأ وهناك خبره ، وقد كرر الخبر تفخيماً وتعظيماً . وكما يكرّر الخبر يكرّر المبتدأ ، تقول : زيدٌ زيدٌ عاقل ، وزيدٌ عاقل عاقل . ولك أن تجعل « والندى » مبتدأ ويكون هناك الأول خبره ، والواو واو الحال ، ويكون « هناك الفضل » مستأنفاً .

وقوله « أُلخِلق الجزل » الجزالة مستعملة فى الرأى وأُلخِلق ، وفى القرآن :

(١) جمع مضد ، كمنبر ، وهو السيف المتهن فى قطع الشجر .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، فاستعمل العِظَمَ أيضاً .

- ٥- أُحِبُّ بَقَاءَ الْقَوْمِ بِالْمِضَرِّ إِنَّهُمْ مَتَى يَظْلَمُوا عَنْ مِصْرِهِمْ سَاعَةً يَخْلُو^(١)
 - ٦- عَذَابٌ عَلَى الْأَفْوَاهِ مَا لَمْ يَذُقْهُمْ عَذْوٌ وَبِالْأَفْوَاهِ أَسْمَاؤُهُمْ تَخْلُو
 - ٧- عَلَيْهِمْ وَقَارُ الْحِلْمِ حَتَّى كَانُوا وَلِيدُهُمْ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ
 - ٨- إِذَا اسْتَجْهَلُوا لَمْ يَعْزُبِ الْحِلْمُ عَنْهُمْ وَإِنْ آثَرُوا أَنْ يَجْهَلُوا عَظُمَ الْجَهْلُ
- قوله « أُحِبُّ بَقَاءَ الْقَوْمِ بِالْمِصَرِّ » يصف به كثرة خيرهم وعموم النفع بمكانهم في مقامهم ، وسكون الناس إليهم ، وقيام مروّاتهم وسياساتهم في أوطانهم ومظالمهم ، فيقول : أُحِبُّ لِبَثِّهِمْ فِي دُورِهِمْ وَمَوَاضِعِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ مَتَى ارْتَحَلُوا عَنْ مِصْرِهِمْ سَاعَةً خَلَا وَصَارَ فِي حُكْمٍ مَا لَمْ يُخْتَضَ مِنَ الْبِلَادِ وَلَمْ يُؤْهَلْ بِالْقُطَّانِ وَالشُّكَّانِ ، لِأَنَّ عِمَارَتَهُ كَانَتْ بِهِمْ ، وَدَخَلَ فِي عِدَادِ الْأُمُصَارِ بِسُكْنَانِهِمْ^(٢) .
- وانجزم « يَخْلُو » لِأَنَّهُ جَوَابُ الشَّرْطِ ، وَهُوَ مَتَى يَظْلَمُوا ، لَكِنَّهُ أَطْلَقَ فَزَادَ مَا يَلْحَقُ لِلْإِطْلَاقِ فِي قَوْلِهِ تَخْلُو . قَالُوا : وَهَاهُنَا لَيْسَتْ الَّتِي كَانَتْ لِأَمِّ الْفَعْلِ ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْوَاوِ الَّتِي فِي قَوْلِكَ :

* أَيْتُهَا الْخِلْيَامُ^(٣) *

وبمثل هذا تقول في لم نرِ ، ولم يَخْشَى ، إِذَا وَقَعْتَ فِي الْقَافِيَةِ ، فَيَصِيرُ الْأَلْفُ كَأَلْفِ « الْجَرَعَا » ، وَالْيَاءُ كَيَاءِ « الْأَيَّامِ » . وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فِي :

* أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي^(٤) *

(١) التبريزي : « من مصرهم » .

(٢) هذا الصواب من ل . ولى الأصل : « بسكانهم » .

(٣) قطعة من بيت لجرير في ديوانه ١٢٠١ والمعدة (٢ : ٣٨) . وتماه :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سَقَيْتِ الْغَيْثَ أَيْتُهَا الْخِيَامُ

(٤) لاسرى القيس في مطلقته . ومجزه :

* بَصِيحٌ وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَمْثَلِ *

الياء فيه للإطلاق ، فأمّا من قال

* ألم يأتيك والأنباء تنفي^(١) *

* [و] * ولا ترَضّاها ولا تَمَلّق^(٢) *

* ومن هَجَوَ زَبّان لم يَهْجُو ولم يدع^(٣) *

فالياء والواو والألف لاماتٌ بُقيت في موضع الجَزْم ، لأنّ المحذوف للجزم عنده من هذه الأفعال وأشباهاها حركاتٌ كانت في النّية استنْقِل اللفظُ بها في موضع الرفع مع حروف المدّ ، ثم حُذِفَتْ حروفُ المدّ ليكونَ الفعل مجزوماً أنقصَ لفظاً منه وهو غير مجزوم ، فعند الضرورة أثبتّها ولم يكن مخطئاً ، إذ لم يكن سقوطها إعراباً ، ويكون الياء على هذا القول في قوله « أَلَا انجِلِي » لام الفعل أيضاً .

وقوله « عذابٌ على الأفواه ما لم يَذُقْهُم » ما في موضع الظرف . أراد أن طعمهم خلواً إلّا على أفواه العُداة ، لأنّ أخلاقهم تشمّسُ عند الأعداء فيخشن جانبهم لهم ، ويمرّ مذاقهم على أفواههم إذا ذاقوم . وقد جمع بين الطعم والذّكر ، لذلك أعاد ذكر الأفواه فقال : وبالأفواه ، كأنّه قصد في الأوّل الإنباء عن كرم طبعهم ولين أخلاقهم عند التجربة ، وفي الثاني أنّه يُستَحَلّ ذِكْرُهم فيطيب في المسمّعة ، لشمول إحسانهم ، وكثرة محاسنهم ، فتقوم الشهاداتُ بفضلهم في الحالتين . وقوله « عليهم وقار الحِلْم » ، أراد أنّهم يحلمون في المعاملة ، ويتوقّرون

(١) لقيس بن زهير ، وهو من الشواهد النحوية المشهورة . وعجزه كما في سيبويه (١ : ٢ / ٥٩) والخزانة (٣ : ٥٣٤) والعمدة (٢ : ٢١١) :

* بما لاقت لبون بن زياد *

(٢) لرؤبة بن المعجاج في الخزانة (٣ : ٥٣٤) . وقوله :

* إذا المجوز غضبت فطلق *

(٣) صدره كما في الإنصاف ٩٥ :

* هجوت زبان ثم جئت معتذراً *

وكذا ورد في النسختين . وفي الإنصاف : « لم تهجو ولم تدع » .

مع من يجرّ الجرائر عليهم ، فصغارهم لميتهم في النفوس كالكمول من غيرهم ؛ وإن حُلوا على جهل في وقت ، بأن يصير مجاذبهم عادياً طوره ، لم يفارقهم الجلم أيضاً ، بل يكافئون المسىء على قدر إساءته . ثم إن آثروا استعمال الجهل لأمرٍ يُوجب ذلك فاستمرّوا فيه واشتغلوا عظم البلاء بهم فلم يُطافوا .

ويقال أُنزِتُ الشيء وآثرتُ بمعنى .

- ٩ - ثمّ الجبلُ الأعلى إذا ما ناكرتُ مُلوكُ الرجالِ أو تخاطرتِ البُزُلُ
١٠ - ألم ترَ أن القتلَ غالٍ إذا رضوا وإن غَضِبوا في موطنٍ رخصَ القتلُ
١١ - لنا فيهم حصنٌ حصينٌ ومَقِيلٌ إذا حَرَكَ الناسَ المخاوفُ والأزُلُ
١٢ - لَعَمْرِي لِنَنَمُ الحى يذُعُوصِرِيحُهُمْ إذا الجارُ والمأ كُولُ أرهقه الأكلُ

وصفهم بملو الشان وارتفاع المكان ، فقال : هم الرُكن الأرفع ، والطود الأمنع ، وقت مداواة الرجال بعضهم بعضاً ، ومناكدة الأملاك حالاً لحالاً ، فلا يُغالبُ رأيهم ، ولا يُجَلَلُ^(١) عقْدُهم ، ولا يُبلَغُ غورهم ، ولا يُستَقَصَرُ مكرمهم .
فقوله « تناكرت » تفاعل من النكر الداهية ؛ وهو حسن . ويجوز أن يكون تفاعل من الإنكار ، فيكون تناكرت ضدّ تعارفت ، أى ينكر بعضهم بعضاً ، لما ينطوى عليه كلٌ لصاحبه من سوء الراى وإضرار الشر .

وقوله « أو تخاطرت البُزُل » هو تفاعل من الخطران ، وهو إشالة الأذئاب وإدارتها عند الهياج . وهذا إشارة إلى المتحاربين المتجاذبين إذا تدافعوا بأركانهم ، كما أن قوله « تناكرت ملوك الرجال » ، يريد إذا تداهوا^(٢) بمكايدهم .
فيريد أنهم يعلون رؤساء الناس قولاً وفعلًا ، ومكرًا ودَهْيًا .

وقوله « ألم تر أن القتلَ غالٍ إذا رضوا » ، يريد أن من أوى إليهم واستنم

(١) كذا بك الإدغام في النسختين . (٢) ل : « تباهاوا » .

إلى جانبهم ، فاستعطف هواهم وحصل رضاهم ، آمِنَ وعَزَّ فلا يلحقه قَصْدٌ ،
وسَلِمَ على الدهر فلا يجري عليه جَوْرٌ ؛ وَمَنْ عَدَلَ عنهم واستنَّ في سَنَنِ غَضَبِهِمْ ^(١) ،
عَرَّضَ بنفسه وتمَجَّلَ الطمعَ من كلِّ أَحَدٍ فيه ، فقتله يَسْهُلُ وَيَرْخُصُ إذا قَتَلَ
المتعزِّزَ بهم يصعبُ أو يفلو . ثم قال : « لنا فيهم حصنٌ حصينٌ » ، [يصف
ما عمَّهم من الأمانة فيهم وبمكانهم . فيقول : هم لنا معقلٌ حريزٌ وحصنٌ
حصينٌ ^(٢)] ، في وقتٍ يَقلقُ الناسُ فيه ، لاستيلاء الخوفِ عليهم ، واستملاء
القحطِ والبلاءِ فيهم . والأزلُ : الضيقُ .

وقوله « لعمرى لنعم الحىء » ، الحمدُ بنعم محذوفٌ ، كأنه قال : إذا استغاثَ
بهم الصريحُ وهو المستغيثُ فاستصرخهم أجابوه ونصروه ، فنعم الحىءُ هم وقد
دُعوا ، إذا الجارُ مأْكولٌ ومطموعٌ فيه ، وإذا اشتدَّ الزَّمانُ فَقَتَى الزَّادُ وعَزَّ
الطعامُ . وقوله « الجار » مبتدأ وأرهمه الأكلُ في موضع الخبر . واكتفى
بالإخبار عنه وإن كان عَطَفَ المأْكولَ عليه ، كأنه قال : إذا الجارُ أرهمه الأكلُ
والمأْكولُ كذلك .

ويشبهه قولُ الآخر في الإخبار عن المعطوف عليه دون المعطوف :

* فَإِنِى وَقِيَّارًا بِهَا لَغَرِيبٌ ^(٣) *

وقد مرَّ مثله .

ومعنى أرهمه الأكلُ ضَيَّقَ عليه وغَشِيه . وقد قيل : أَكَلْتُ فُلَانًا ، إذا

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « في سننهم غضبهم » .

(٢) التكملة من ل .

(٣) لضابي بن الحارث البرجمي ، كما سبق في حواشي ص ٩٣٦ . وصدره :

* فَن يَكْ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلَهُ *

غلبته وقهرته . وكُنِيَ عن المستضعف باللحم والشحم فقيل : تَرَكَ فلانُ لحمًا على وضْمٍ ، وفلان شحمةً للبتلج^(١) . قال الشاعر :

فلا تحسبني يا ابنَ أزنَمٍ شحمةً تَزَرَّدُها طاهى شِواءٍ مَلْهوجٍ^(٢)

١٣- سُعَاةٌ على أفناء بَكْرٍ بنِ وائلٍ وتَبِلُ أَقاصِي قومِهِمْ لَهُمْ تَبِلٌ

١٤- إِذَا طَلَبُوا ذَخْلًا فَلَا الذَّخْلُ فَاثٌ وَإِنْ ظَلَمُوا أَكْفَاءَهُمْ بَطَلَ الذَّخْلُ

١٥- مَوَاعِيدُهُمْ فَعَلٌ إِذَا مَا تَكَلَّمُوا بَتْلِكَ الَّتِي إِنْ سُمِّيتَ وَجَبَ الْفِعْلُ

١٦- بُحُورٌ تُتْلَقُ بِهَا بُحُورٌ غَزِيرَةٌ إِذَا زَخَرَتْ قَيْسٌ وَإِخْوَتُهَا ذُهْلٌ

قوله « سُعَاةٌ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرٍ » ، السُّمَّى يُسْتَعْمَلُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَكَذَلِكَ السُّعَايَةُ .

وَيُقَالُ لِلْمَصْدُقِ السَّاعِي ، وَالْمَصْدَرِ السُّعَايَةُ . وَهُوَ يُسَمَّى عَلَى قَوْمِهِ ، إِذَا قَامَ

بِأُمُورِهِمْ . وَالْمَسْعَاةُ فِي الْكِرَامِ وَالْجُلُودِ . وَالشَّاعِرُ يَرِيدُ أَنَّهُمْ يَذُبُّونَ عَنْهَا وَيَسْقُونَ

فِي مَصَالِحِهِمْ وَحِفْظِ ذِمَّتِهِمْ . وَقَوْلُهُ « وَتَبِلُ أَقاصِي قَوْمِهِمْ » تَبِلٌ يُوَكِّدُ مَا قَبْلَهُ .

وَالْمَعْنَى دَخَلَ الْأَبَاعِدُ مِنْ قَوْمِهِمْ كَذَخْلِ الْمُخْتَصِّ بِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ يَتَشَمَّرُونَ فِي الْإِتْقَامِ وَالْإِتْقَارِ فِيهِمَا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ .

وقوله « إِذَا طَلَبُوا ذَخْلًا فَلَيْسَ بِفَاثٍ » ، يُقَالُ : طَلَبْتُ عِنْدَ فُلَانٍ ذَخْلًا ،

إِذَا رُمِتْ مَكَافَاتُهُ عَلَى عِدَاوَةٍ مِنْهُ أَوْ جِنَايَةٍ . وَأَرَادَ أَنَّهُمْ إِنْ وَتَرُوا لَا يَفُوتُهُمْ

إِدْرَاكُ الْوَتْرِ ، وَإِنْ وَتَرُوا غَيْرَهُمْ مِنْ أَكْفَائِهِمْ وَظَلَمِهِمْ لَمْ يُنْتَصَفْ مِنْهُمْ ، وَلَمْ

يُدْرَكَ الثَّأْرُ مِنْ جَهْتِهِمْ .

وقوله « مَوَاعِيدُهُمْ [فَعَلٌ] » ، أَرَادَ أَنَّهُمْ يَنْجِزُونَ الْوَعْدَ وَيَصْدُقُونَ الْأَقْوَالَ

بِالْفِعْلِ ، وَأَنَّ^(٣) [هَذَا دَأْبُهُمْ فِي الْخِصَالِ الَّتِي إِذَا سُمِّيتْ مَوْعُودًا بِهَا وَذِكْرُهَا ،

(١) تَبِلٌ بِكَذَا ، أَيْ أَكْتَفَى بِهِ . وَفِي ل : « للبتلج » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٨٢٢ .

(٣) التكملة من ل .

قال الناس يجب مع القول فعلها ، استبعاداً للوفاء .

وقوله « بحور تُلاقيها بحور غزيرة » ، يريد أنهم في أنفسهم كالبحور كثرة
وسماحة^(١) ، واتساعاً وعِزَّةً ، فإذا لاقتها بحور قيس وذُهل زاهرة فقد كمل الأمر
وتناهى العِزُّ ، واطرد الماء ، وطما التيار حتى لا يُطاق .

٧٩٥

وقال آخر :

١ - عَادُوا مَرُوءَةً وَتَنَّا وَضَلَّلَ سَعِيهِمْ وَلِكُلِّ بَيْتٍ مَرُوءَةٍ أَغْدَاهُ^(٢)

٢ - لَسْنَا إِذَا ذُكِرَ الْفَعَالُ كَمَشَرٍ أَرَزَى يَفْعَلُ أَبِيهِمُ الْأَبْنَاءُ
يشبهه قول الآخر :

لَا يَمْلِكُونَ عِدَاوَةً مِنْ حَاسِدٍ وَحِذَاءٍ كُلِّ مَرُوءَةٍ حُسَّادُهَا

وقول الآخر :

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلَقَّاهَا مُحْسَدَةً وَلَا تَرَى لِلنَّاسِ حُسَّادًا^(٣)

وقوله « وضلل سعيهم » أى نسب إلى الضلال لما لم يلحقوا شأوم .

وقوله « لسنا إذا ذُكرَ الفَعَالُ كَمَشَرٍ » يريد : لا نعتد على مناسبتنا ،
وعلى ما قدّمه أسلافنا من المفاخر والمسابح ، لكنا نغمّر ما شيدوه ، ونستحدث
بأفعالنا ما يقويه ويكثره ، ولا يصير مُزرياً به .

(١) ل : « وسماحة » . والسماح والسماحة : الجود .

(٢) ل : « مروءة » و « بيت مروءة » . التبريزى : « فضل سعيهم » .

(٣) عرانب القوم : سادتهم وأشرافهم .

٧٩٦

وقال أعشى ربيعة^(١)

يمدح عبد الملك بن مروان :

ويقال إنه دخل عليه فقال : يا أبا المغيرة ، ما بقي من شعرك ؟ فقال : لقد بقي منه وذهب . قلّ أني أنا الذي أقول . ثم أنشد هذه الأبيات :

١ - وما أنا في حقّي ولا في خُصومي ، بمهتضمٍ حقّي ولا قارعٍ قرني^(٢)
 ٢ - ولا مُسلمٍ مولاى عند جنابةٍ ولا خائفٍ مولاى من شرٍّ ما أجنى
 قوله « في حقّي » أى فيما استحقّه من الناس كافةً ، من الصّيانة والتمييز ، لما تُوحّدتْ به من فضلٍ ومزية . وقوله « بمهتضمٍ حقّي » ، يريد به حقوقه عند الناس . فيقول : إني فيما أُجاذبُ فيه الغير وأنازعُه ، وفي طلب حقوقى إذا حَلَّتْ لى عندهم ، وفيما يجبُ لى عند المزاوَلات والمحامكات من التّججيل عليهم ، لا أنبَحسُ ولا أظلمُ ، ولا أدفعُ ولا أهان . وقوله « ولا قارعٍ قرني » ، يريد أنّه لا يأمننى فيشتغلَ عني بأسبابه ومصارفه ، ولكن يكون أبدأ خائفاً مني ، ومشغولاً بى وحذراً من الإيقاع به .

وقوله « ولا مُسلمٍ مولاى عند جنابةٍ » يريد بقوله مولاى أجناس ما يسمّى مولى من حليفٍ ونسيب ، ومنتمٍ بولاءٍ بعيدٍ أو قريب . فيقول : إني لا أخذلُ

(١) هو عبد الله بن خازجة بن حبيب بن قيس بن عمرو بن حارثة بن ربيعة بن ذهل بن شيبان . شاعر إسلامي من ساكني الكوفة ، وكان مهوياً المذهب عديد التصب لبي أمية . وفي الأغاني أن الأعشى لما أنشد عبد الملك هذه الأبيات قال : من يلومني على هذا ؟ وأمر له بمسرة آلاف درهم ، وعشرة نخوت ثياب ، وعشر فرائض من الإبل ، وأقطعه ألف جريب ، وأجرى له على ثلاثين عيلاً . الأغاني (١٦ : ١٥٥) والمؤتلف ١٢ - ١٣ . التبريزي : « وهو من بني شيبان ثم من بني ربيعة من بطن منهم يقال لهم : بنو أمامة » .
 (٢) كذا أوله في ل والتبريزي . وفي الأصل : « ولا أنا » . التبريزي : « ولا قارع سني » ، أى لا أندم على شيء أفعله .

أحداً منهم عند جنايةٍ يحتنبها ، أو جريمةٍ يحترمها ، بل أنصُرهُ وأستنقذه كيف ما أمكن ، سهّل أو تعذّر ، ثم إنّي لا أجُزّ الجرائر عليهم فيؤاخذوا بي وبما تكتسبه يدي ، لأنّ ما يرجع إلّي من التّوائب أقومُ في وجهه ، وأحتال في نقضه^(١) ودفعه ، سواء على حقّ ذلك في مالي أو في نفسي .

٣ - وإنّ فؤاداً بينَ جنبيّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني

٤ - وفصلني في الشّعير واللبّ أنّي أقول على علمٍ وأعرف من أعني

٥ - وأصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وابنه على النّاس قد فضلتُ خيرَ أبٍ وابنٍ

يقول : إنّي اكتسبت من مشاهداتي والأخبار الواقعة إلّي ، الصّادقة في مواردّها ، المتواترة على السّن حَمَلَتها بما صار قلبي به عالماً ومتميّزاً ، فلا يلتبس على وجهه الحقّ وحدوده ، ولا صنوف الصّدق وفنونه ، فإذا قلت الشّعير قلته على علمٍ بمراقبته وأساليبه ، ومعرفة المَقول فيه ومستحقّه ، فلا أكذبُ في الأخبار ولا أتزيّد في الأوصاف ، ولكن أعطى كلّ منعتٍ حقّه من القول والوصف ، وأقسمُ لكلّ منوّه به قِسطه من التّقرّيب والمدح ، فن أجل ذلك أصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وابنه عبدَ الملك على النّاس قد فضلتُ خيرَ والدٍ وولد ، فلا يقال كذب أو أخطأ ، أو اشتبّه عليه أو شبّه له ، فلم يأتِ بالحقّ ، ولم يقتصر على الصّدق . وقوله « وإنّ فؤاداً » جملة نكرة لأنّه باتّصال قوله « بين جنبيّ » به اختصّ ، حتّى علم أنّه قلبه من بين القلوب .

٧٩٧

وقال في سليمان بن عبد الملك :

١ - أتينا سليمان الأمير نزوره وكان امراً يُحبي ويكرّم زائرته

(١) في هامش ل : « نخ : في كفه » .

٢ - إذا كنتَ في النَّجْوَى به مُتَفَرِّدًا فلا الجُودُ يُجْلِيهِ وَلَا البُخْلُ حَاضِرُهُ^(١)

٣ - كَلَّا شَافِقَى سُؤَالِهِ مِنْ ضَمِيرِهِ عَنْ الْجَهْلِ نَاهِيهِ وَبِالْحِلْمِ آسِرُهُ

يقول : قصدتُ هذا الرجل ، وكانَ لحُسْنِ تَعَطُّفِهِ وَكِرَمِ تَأَلُّفِهِ ، وَكَمالِ احتشافِهِ بَزَائِرِهِ ، وَجَمالِ إقبالِهِ على عُفَاتِهِ وَتُجَنُّدِهِ ، يُنْزِلُ الحَبَاءَ مُؤَمِّلِيهِ عَلَى أْبْلَغِ ما تَعَلَّقَ الرَّجَاءُ بِهِ وَفِيهِ .

وقوله « إذا كنتَ في النَّجْوَى به مُتَفَرِّدًا » فالنجوى : المسارة . فيقول : إذا وَقَمْتَ في خَاطِرِهِ ، وَتَفَرَّدْتَ بِمَنَاجَاتِهِ ، فَالْجُودُ نَصَبُ عَيْنِيهِ ، وَالبُخْلُ غَائِبٌ عَنْ هِمَّتِهِ ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَاعِثٍ وَلَا شَافِعٍ ، وَلَا مَذَكَّرٍ وَلَا عَاطِفٍ .

وقوله « كَلَّا شَافِقَى سُؤَالِهِ مِنْ ضَمِيرِهِ » جعل السُّؤَالَ مِنْ سَانِحِ فِكْرِهِ^(٢) وَجَانِلِ صَدْرِهِ شَافِقَيْنِ ، وَزَعَمَ أَنَّ كَلًّا مِنْهُمَا يَنْهَاهُ عَنِ البُخْلِ ، وَيَأْمُرُهُ بِالْإِفْضَالِ وَالبَذْلِ . وَهذا على طَرِيقَتِهِمْ فِي أَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ نَفْسَانِ عِنْدَما يَحْضُرُهُ مِنَ الْفَعَالِ وَالْفَعَالِ ، فَأَحَدُهُمَا يَأْمُرُهُ بِالْفِعْلِ ، وَالْآخَرُ يَنْهَاهُ وَيَبْعَثُهُ عَلَى التَّرْكِ ، فَقَالَ هَذَا الشَّاعِرُ : إِنَّ نَفْسِي هَذَا الْمَدْوَحُ هَا يَشْفَعَانِ لَوْ رَأَدَ حَضْرَتُهُ ، وَرُوَادَ سَيِّلُهُ وَمَطَرُهُ ، فَكُلٌّ يَدْعُو إِلَى الْإِسْدَاءِ إِلَيْهِ ، وَيَبْعَثُ عَلَى الْإِفْضَالِ عَلَيْهِ . وَمِثْلُهُ :

* إِذَا اثْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ فِي السَّرِّ خَالِيَا^(٣) *

وَالنَّجْوَى مَصْدَرٌ ، وَيَسْتَعْمَلُ وَصْفًا فَيَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ فِيهِ^(٤) ..

(١) التبريزي : « بالنجوى » . ل . والتبريزي : « مخليه » .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « ذكره » .

(٣) مجز البيت الثاني من الحماسة ٣٨٣ ص ١٠٧٦ . وصدره :

* فَنِي كَانَ لَا يَطْوِي عَلَى الْبُخْلِ نَفْسَهُ *

(٤) انظر ما سبق في ص ١١١٦ .

٧٩٨

وقال المتوكل الليثي^(١) :

١- مَدَحْتُ سَعِيداً وَاصْطَفَيْتُ ابْنَ خَالِدٍ وللخير أسبابٌ بها يُتَوَسَّمُ
٢- فَكُنْتُ كَجَنَسٍ بِمِحْفَارِهِ الثَّرَى فصادفَ عَيْنَ الْمَاءِ إِذَا يَتَرَسَّمُ
يقول : اخترتُ من بين الناس ابنَ خالد ، وقرَّظتُ في شعري سعيداً ، وللخير حدودٌ ووجوهٌ بها يُتَبَيَّنُ رسمُه وعلامته ، فكنتُ في اصطفاي إياها ، وصرفي ثنائاً إليهما ، كرجلٍ يتطأب الماء بمحْفارِه من تَرَى الأرض ، فصادفَ عينَه ومنبَعَه ، إذ تتبَّع أثرَه ورسمه . والمعنى : أصبتُ في القصد والاختيار ، ووضعتُ الشئاً موضعه من الإيثار ، فـيَقَ الخيرُ إلىَّ من مطلبي ، وحُصِّلَ التوفُّرُ علىَّ من مقصدي . فأما من روى « مُخْتَسِرٌ » فهو مُفْتَعِلٌ من الحَسَنِ . والمحْفارُ : اسمُ الآلة التي يُحْفَرُ بها ، كالقول وما أشبهه . وهذا مَثَلٌ واستعارة . ومن روى « كَجَنَسٍ » بالجيم ، فهو مُفْتَعِلٌ من اجْتَسَ . والنَّجَسُ والتَّجَسُّسُ يتقاربان . ومعنى يَتَرَسَّمُ : يَتَّبِعُ رسومَه .

٣- فَإِنْ يَسْأَلِ اللَّهُ الشُّهُورَ شَهَادَةً تُنَبِّئُ بِجَادَى عَنْكُمْ وَالْحَرَمِ
٤- بَأَنَّكُمْ خَيْرُ الْحِجَازِ وَأَهْلِهِ إِذَا جَمَلَ الْمُعْطَى بِمَلٍّ وَيَسْأَمُ
يصف دوامَ بذلهم في فصول السنة ، واتصالَ جَدْوَاهم في شهور الضيق والسَّعة ، وفي الجَدْبِ والخُصب ، وعند شمولِ الحرِّ والبرد . وجادى من أزمان القحط والضرِّ ، والمحرم من الأشهر الحرم . فيقول : إن استشهد الله تعالى أوقاتَ السَّنة وأهله الشُّهور شهيدتَ لكم ، وأخبرتْ عنكم بأنكم خيرُ أهلِ الحِجَازِ بَذَلًا وإفضالًا ، وحُسنَ تفقُّدٍ وإحسانًا ، في الوقت الذي تَرَى الْمُعْطَى بِمَلٍّ

الإعطاء ، ويتبرّم بالسؤال ، فيصيرُ ذلك داعيةً له إلى الإمساك والكف .
 وقوله « إذا جعلَ المعطى » إذا ظرفٌ لما دَلَّ عليه قوله « خيرَ الحجاز » .
 وجعلَ بمعنى طَفِقَ وأَقْبَلَ ، فلا يتعدى . والسامة فوق اللال .

٧٩٩

وقال نصيب في عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ :

١ - والله ما يدري اسرؤ ذو جنابةٍ ولا جارُ بيتِ أى يومئِكَ أجودُ
 ٢ - أيومُ إذا أُلْفِيَتْه ذَا يَسَارَةٍ فَأَعْطَيْتَ عَفْوَاً منك أم يومَ تُجْهَدُ
 أقسمَ بالله عز وجل أنه لا الغريب المجاب ولا القريب المجاور يعلمُ
 أى يومئذٍ هذا المدوحِ أكثرُ سخاءً وأنتم إفضالاً . وجعلَ الجود لليوم على
 طريقةٍ قوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ لما كان فيهما . وعلى حدِّ
 قولِ الناس : نهاره صائمٌ ، وليله قائمٌ .
 وقوله « أيومُ إذا أُلْفِيَتْه » تفصيل لما أجمله . ومعنى أُلْفِيَتْه أُلْفِيَتْ فيه ،
 فحذف الجارَ وجعلَ اليومَ مفعولاً على السعة .
 وقوله : « ذَا يَسَارَةٍ » ، يقال يَسَارَ ويسارة ، كما يقال ذِكْرٌ وذِكْرَى ،
 ومكان ومكانةً .

وقوله « أم يوم تُجْهَدُ » ، يريد أم يومَ تُجْهَدُ فيه ، فأضاف اليوم إلى
 الفعل وأوصلَ الفعلَ بنفسه . والمعنى : لا يعلم الغريبُ المتناهى عنك ، ولا
 القريب المتدانى منك ، أى وقتئذٍ أكثرُ سخاءً وخيراً ، أيومٌ تلقى فيه مُوسِراً
 فتعطى ما تعطيه عفواً ، أم يوم توجد فيه مُصِيراً فتعطى ما تعطيه مجهوداً متعباً .
 يريد : أنه لا يبين أحدٌ وقتئذٍ من الآخر ، كما لا يبين إحدى حالتيه

من الأخرى . و يروى : « أيومًا إذا أُلْفِيَتْهُ ذَا يَسَارَةٍ ... أم يومَ تُجْهَدُ » ويكون هذا مردوداً على المعنى ، لأنه لما أراد بقوله أي يوميك أجودُ أي جوديك أفضل ، قال : « أيومًا » ، أي أجودك في يومٍ إذا أُلْفِيَتْ فيه مؤسراً أم جودك في يومٍ تكون فيه مجهوداً مُفسِراً .

٣ - وإن خَلِيْلَيْكَ السَّاحَةَ وَالنَّدَى مُقِيَانِ بِالْمَعْرُوفِ مَا دُمْتَ تَوَجَّدُ
٤ - مُقِيَانِ لَيْسَا تَارِكَيْكَ لِخَلَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى يُفْقَدَا حِينَ تُفْقَدُ
جَمَعَ بَيْنَ السَّاحَةِ وَالنَّدَى ، لَأَنَّ السَّاحَةَ هُوَ سَهْلَةُ الْجَانِبِ فِي الْإِعْطَاءِ ، وَطِيبُ النَّفْسِ بِهِ .

وقوله « مقيان » أي ثابتان ، من قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ . ومنه أقام بالمكان ، أي جعلَ لنفسه ثباتًا . ومنه قَوَامُ الْأَمْرِ ، أي دوامه . وما دُمْتَ ظَرْفٌ . فيقول : السَّاحَةُ وَالنَّدَى يَقِيَانِ بِسَبَبِ مَعْرُوفِكَ وَلَهُ ، وَيَدُومَانِ مَا دُمْتَ ثَابِتًا وَقَائِمًا . وإنما قال بالمعروف كما يُقال : فلانٌ مقيمٌ بمكان كذا ، أي يحملُ قِيَامَهُ بِهِ وَثْبَانَهُ . فكذلك جعل قِيَامَهُ بِالْمَعْرُوفِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ .

وقوله « مقيان ليسا تاركيك لِخَلَّةٍ » ، يريد : هما مقيان بسبب معروفك ، وثابتان لك ولمكانك ، لا يفارقانكِ لِخَلَّةٍ مِنْ خَلَّاتِ الدَّهْرِ تَعْرِضُ ، وَلَا لِقَرٍّ يَحْصُلُ ، إِلَى أَنْ يُفْقَدَا وَقْتَ فَقْدِكَ .

٨٠٠

وَقَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ (١) :

١ - أَأَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَّايَ حَيَاؤُكَ إِنِّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاةَ

(١) سبقت ترجمته في المحاسبة ٢٥٤ ص ٧٥٣ . قال التبريزي : « أمية تحفيرة أمية ، وهي فلة ولاها واو . والصلت : البارز المشهور » .

٢ - وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمَهْدَبُ وَالسَّهَاءُ
 ٣ - خَلِيلٌ لَا يَغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
 قوله «أأذكر حاجتي أم قد كفاني». يقول: أي الأمرين أعتد منك؟
 لأن أم هذه هي المعادلة لألف الاستفهام والمفسرة بأى. فيقول: أبقى حاجتي
 قبلك إليك، وأنهى قصتي المرفوعة إليك، أم أعتد أكتفاني بكرم فطنتك،
 وذكاء معرفتك، وحسن التماثل إلى المتعلقين بحبك، والراجين لخبرك وفضلك،
 لأن ممالك خلقك الحياء، فإذا توصل تابعت^(١) بعرض وجهه عليك، صار ذلك
 مهمباً لحياتك، وداعياً إلى الفكر فيما أحوجك إليك، وسائفاً إلى قضاء مأربته
 لديك؛ ولأن محافظتك على أولي الموات^(٢) والحرم، تبعثك على صيانتهم،
 وتحميمهم من ابتذال يلحقهم، إذ كنت الفرع لأصل يجمع إلى الحسب المنق،
 والمجد المزكى، علو همة وارتفاع منزلة.

وقوله «خليل» ارتفع بأنه خبر مبتدأ مضمرة، كأنه [قال^(٣)]: أنت
 خليل لا يغيره الأوقات عما ألف من بره، وعهد من كرمه. وأشار في قوله:
 الصبح والمساء، وهما طرفا النهار ووقتاً [الغارة^(٣)] والضيافة، إلى أنه لا يتغير
 على علات الزمان ولما يتغير له الإنسان من عارض ملال حادث، أو تضجر
 بمصارف أمر ساه.

٤ - وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَلَّتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
 ٥ - إِذَا أَنْنَى عَلَيْكَ الْمَرْهَ يَوْمًا كَفَاءُ مِنْ تَعَرُّضِهِ النَّهَاءُ

(١) ل: «توصل تابعت»، وكتب في هامشها: «نخ: توصل سائلك».

(٢) الموات، بتشديد التاء: جمع مائة، وهي الحرمة والوسيلة.

(٣) التكملة من ل.

قوله « وأرضك » ، يريد ما توطّد له من مَبَانِ المَجْدِ والشَّرَفِ بقومه وفصيلته ، فجعله كالأرض له ، وجَمَسَ سراعاته له من بَعْدُ وتوفّره على ما يُشِيدُه بنفسه كالسَّاء له ، وقد عَلِمَ أَنَّ حَيَاةَ الأرضِ وإضاءتها بِمَا يَأْنِي عليها من حَيَا السَّاءِ وبنورها . فيريد أنْ عَمَارَةَ مَسْكَارِمِ آهَانِهِ كانت بِرَمِّهِ لها ، وبالموادِّ الذي يُمِدُّها بها ، فلذلك زَكَّتْ ورَبَّتْ ، وثَبَّتَتْ على مَرَّةٍ الأَيَّامَ وعلت .

وقوله « إذا أُنْتِنِي عليك المره يوماً » ، يقول : إنَّ المُشَنِّيَ عليك لا يحتاجُ إلى قَصْدِكَ به ، لأنَّه متى تَأَدَّى إليك ثَنَاؤُهُ أَثْلَتْهُ إِحْسَانُكَ ، وأَغْنَيْتَهُ عن التَّعَرُّضِ والقَصْدِ ، وقطع المسافة دُونَكَ وحمل ^(١) المشاقَّ والجَهْدَ .

٦ - تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَتَجْدَأُ إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْجَرُهُ السَّتَاهُ يقول : يَدُومَ عَطَاؤُكَ وَيَتَّصِلُ ، فَكَأَنَّكَ تُبَارِي الرِّيحَ فِي هُبُوبِهَا ^(٢) وَأَنَّ الْجَذْبَ وَالْفَحْطَ ، وَحِينَ يَقِلُّ صَبْرُ الْكَلْبِ عَلَى الْإِعْتِسَاسِ وَالطُّوفِ ، حَتَّى يَصِيرَ رَابِضًا فِي الْبُيُوتِ ، وَمُسْتَدْفِنًا بِجَوَانِبِ الْأَخْيَةِ وَالْكُسُورِ . وقوله « إذا ما الكلب » ظَرَفُ لُتْبَارِي أَيْ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ . هو « مَكْرُمَةً » ، انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ لَهُ ، وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ .

٨٠١

وقال ابن عبدل الأسدي ^(٣) :

- ١ - بَيْنَنَا هُمْ بِالظَّهْرِ قَدْ جَلَسُوا يَوْمًا بَحَيْثُ يُنَزَّعُ الذَّبِجُ
- ٢ - فَإِذَا ابْنُ بَشِيرٍ فِي مَوَاكِبِهِ تَهَوَّى بِهِ خَطَّارَةٌ سُرُحٌ ^(٤)

(١) ل : د وتحمل .

(٢) ل : د الريح وهبوبها .

(٣) هو الحكم بن عبدل . سبقت ترجمته في الحاشية ٤٥٠ ص ١٢٠٤ .

(٤) مواكبه ، في ل والتبريزي . وفي الأصل : « مهاكبه » .

٣ - فَكُنَّا نَنْظُرُوا إِلَى قَمَرٍ أَوْ حَيْثُ عَلِقَ قَوْسُهُ قَزَحُ
 بينا يستعمل في المفاجأة ، وكذلك بينا . وكان شيخنا أبو علي - رحمه
 الله - يقول : هو ظرف زمان ، كَانَ الأصل كان : بين أوقات ، فحذف
 للمضاف إليه . والظاهر : موضع ^(١) . ويوماً انتصب على البدل من بينام ، ويريد
 به المتصل من الأوقات ، كما يقال : فلان يفعل كذا وكذا ، وكان بالأس
 يفعل كذا . والدُّبَّح : نبت له أصل يُفْتَشُّ عنه ويُخْرَجُ كالجَزَر ، ويُقَشَّرُ عنه
 جِلْدٌ أَسْوَد ، وهو حُلْوٌ يُوْكل . وهذا أغنى قوله « بحيث ينزع الدُّبَّح » ، بيان
 للميقات المشار إليه .

وقوله « فَإِذَا ابْنُ بَشْرِ فِي مَوَاقِبِهِ » ، الفاء زائدة ، لأنَّ بينا وبيننا يميّزان
 ولافاء فيما يقع فيهما . على ذلك قوله :

فَبَيْنَا يَمْشِيَانِ جَرَتْ عُقَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ خَائِئَةً طُلُوبٌ ^(٢)
 فَأَمَّا « إِذَا » فقد ذكر سيبويه خاصةً أَنْ إِذْ تَقَعُ بَدْمَاهُ وَلَمْ يَذْكُرْ إِذَا .
 تقول : بينا نحنُ نسيرُ إِذْ أَقْبَلَ زَيْدٌ . وكثيرٌ من النحويين والأصمعيُّ يُنْكِرُونَ
 هذا ويقولون : لا حاجة إلى إِذْ وَإِذَا ، ويستشهدون بقول أبي ذؤيب :

بَيْنَا تَعْنِيهِ الْكُمَاةَ وَرَوْغِهِ يَوْمًا أُتْبِعَ لَهُ جَرِيٌّ سَلْفَعُ
 وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَوْجُودِ فَمَا يَخْتَارُونَهُ هُوَ الْأَكْثَرُ . واستشهد سيبويه بقوله :

بَيْنَا نَحْنُ بِالْكُتَيْبِ ضَحَى إِذْ أَنَّى رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ

والبيت الذي نحن فيه جاء بإذا ، فهو أغرب .
 ومعنى تهوى به : تُسرِع . والخطارة : الناقة تَخْطِرُ بذَنْبِهَا نشاطاً ففعل

(١) ياقوت : « موضع كانت به وقعة بين عمرو بن تميم وبين حنيفة » . وأنشد البيت
 هناك محرفاً .
 (٢) الحائنة : التي لجناحيها صوت عند الانقضاء .

الفحولة ، أو تَخْطِرُ في مَشِيهَا . والشرُح : السهلة اليدين . فيقول : بينَ أوقاتِ
النَّاسِ جالسونَ بهذا المكان ، حيثُ يُقْتَلَعُ هذا النَّبْتُ ، إذا ابنُ بَشِيرٍ وخَلَفَهُ
مواكبُهُ^(١) ، تُسْرِعُ به نَجِيبةٌ هَكَذَا ، فَكأنَّما نَظَرُوا إلى قَرٍ ، أَى لَمَّا
اجتازَ بهم شَبَّوهُ في إِشراقِهِ ونُورِهِ ، وبِهَاءِ مَوَكِبِهِ ، بِالْقَمَرِ ، أَوْ نَظَرُوا إلى
حيثُ يَتَرَاءَى لِلنَّاظِرِينَ قَوْسُ قُرْحٍ . فقوله « أَوْ حيثُ » يجوزُ أن يكونَ معطوفاً
على قَرٍ ، فيكونُ المعنى : نَظَرُوا إلى قَرٍ أَوْ إلى مكانِ قَوْسِ قُرْحٍ . وَنَسَكَّرَ قَرًا
لأنَّ فائدةَ المعرفة والنسكرة إذا وَقَعَ في مثل هذا المكان لا تَغْيِرُ . ويجوزُ أن
يكونَ « حيثُ » في موضعِ الظَّرْفِ ، كأنه قال : نَظَرُوا إلى قَرٍ ، أَوْ نَظَرُوا حيثُ
عَلِقَ قَوْسُهُ قُرْحٍ . وجعلَ قُرْحَ فاعلاً على اعتقادِ مَنْ يَعتقدُ أنَّ قُرْحَ اسمُ
شَيطَانٍ ، لهذا أَخْبَرَ عن المضافِ إليه من قولهم قَوْسُ قُرْحٍ . وقد ورد في الخبرِ
النَّحْيُ عن هذا ، وهو مشهور ، وقال الخليل حكايةً عن أبي الدُّقَيْشِ : تَقْزِيحُهُ :
طَرِيقُهُ ، واحدهُ قُرْحَةٌ ، والجمعُ قُرْحٌ . وَذُكِرَ في الخبرِ أنَّ فيه أماناً من الغَرَقِ .
وَيُروى : « عَلَى قَوْسِهِ قُرْحٌ » من الملوِّ . وعند النحويِّين أنَّ قولهم قَوْسُ قُرْحٍ
كحِمَارِ قَبَّارٍ وما أَشَبَّهُهُ . وإذا كان كذلك لم يَصْلُحِ الإخبارُ عن المضافِ
إليه . وَذَكَرَ بعضهم أَنَّهُ يُقالُ لقَوْسِ قُرْحٍ : قَوْسُ قُرَيْعٍ ، و [هو من^(٢)] تَقْزِعُ
الفرسُ ، إذا تَشَمَّرَ للعدُوِّ وخَفَّ .

(١) هذا ما قيل . وفي الأصل : « مواكبهُ » ، وإنما المراد الموكب كما سيأتي قريباً .

(٢) التكلة من ل .

٨٠٢

وقال حاتم طي^(١) :

- ١ — متى ما يجي يوماً إلى المالِ وارثي يَجِدُ جُمعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلأى ولا صِفِر^(٢)
 ٢ — يَجِدُ فَرَساً مِثْلَ العِنانِ وصارماً حُسَاماً إذا ما هُوَ لَمْ يَرْضَ بالهَيَرِ^(٣)
 ٣ — وأُسْمَرَ خَطِيئاً كَانَ كَعُوبَةٍ نَوَى القَسْبِ قَدَّارِئِي ذِرَاعاً عَلَى القَشْرِ^(٤)

قوله « جمع كف » هو القدر الذي يجمع عليه الكف من المال وغيره .
 ويقال للمرأة الحامل : هي بجمع ، وكذلك للبكر منهن . والصفر : الخالي من الشيء . فيقول : متى جاء وارثي بعد موتي يجد قدراً من المال لا يوصف بالكثرة ولا بالقلّة ، يَجِدُ فرساً ضارماً كالعنان في إدماجه وضمره ، سيفاً قاطعاً إذا حرك في الضريبة لم يرض بالقطع ، ولكن يتجاوزّه ويخرجُ إلى ما وراءه ، ورُحماً أسمرَ في لونه ، وذاك أصلبُ ، محولاً من الخطّ ، وهو اسمُ جزيرة يُجلب منها الرّماح . والكعوب : المقد . شبهها في صلابتها بنوى القسب . والقسب : ضرب من التمر رديء غليظ النوى صلبها . وقوله « قد أربى »^(٥) ذراعاً على القشر ، وصفه بأنه لم يكن طويلاً ولا قصيراً حتّى لا يكون مضطرباً ولا قاصراً ، بل يجري مع الاعتدال . وقال الدريدي : القسبُ البُسْر اليابس . ونوى القسب يشبه به أيضاً ما في جوف الحافر من النُسر . قال :

له بينَ حوامِيهِ — نُسُورٌ كَنُوى القَسْبِ^(٦)

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٢٧ ص ١١٦٦ .

(٢) في الديوان ١٢١ : « متى يأت يوما وارثي يبتنى النقي » .

(٣) الديوان : « مثل القناة » .

(٤) أربى ، هو ما في ل . وهو ما اتفقت النسختان عليه فيما سيأتي في الشرح . لكن

في الأصل والتبريزي والديوان : « أرمى » . ومعناها واحد .

(٥) كذا بالباء باضاف النسختين ، وانظر ما سبق في الحواشي .

(٦) لعبة بن سابق ، أو يزيد بن ضبة ، كما في كتاب الخيل لأبي عبيدة ٨٣ .

وقصد الشاعرُ إلى أنَّ ما يحصلُ له يجود به ، فإذا ماتَ لم يَبْقَ له إلَّا ما ذَكَرَهُ من آلاتِ الحربِ والفَزْوِ .

٨٠٣

وقال آخر :

١ - آلُ المَلَبِّ قومٌ خُوِّلُوا شَرَفًا ما نالَهُ عَرَبِيٌّ لَّا وَلَا كَادًا
٢ - لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ حِذْنُهُمْ وَخَالِهِمْ بما احتَكَمْتَ من الدنيا لما حَادَا
٣ - إِنَّ الْمَكَارِمَ أرواحٌ يَكُونُ لها آلُ المَلَبِّ دُونَ الناسِ أَجسادًا
وصَفَهُم بأنهم أُعْطُوا مَجْدًا لم يَنْلَهُ قَبْلَهُم عَرَبِيٌّ ، وَلَا قَرُبَ من أن يَنالَهُ ،
فهم مَتَفَرِّدون به ، لَا يَنْبَغِي لغيرِهِمْ . ثمَّ قال : لو قِيلَ لِلْمَجْدِ حِذْنُهُمْ . يريد
أنهم لِلْمَجْدِ موضعٌ ومَقَرٌّ حتى لو كان يَعْقِلُ ثم سِيمَ تَرْكُهُ إِيَّاهُمْ ، وإِخْلَالَهُ بِهِمْ
بما يَحْتَكِمُ من الدنيا ، وَيَقْتَرِحُهُ من أَعْرَاضِهَا ^(١) ، لما تَجَنَّبَهُمْ ، وَلَا عَدَلَ
عَنْهُمْ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَجْدَ رِضِيَهُمْ مَحَلًّا ، وَرَضُوا لَهُمْ بِسُكْنَاهِ أَهْلًا . وَالْقَدْرُ
يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ . وَقَدْ أَلَمَ بِهَذَا الْمَعْنَى الْبُخْتَرِيُّ فِي قَوْلِهِ :

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ
ويقال : خَالَى فَلَانٌ قَبِيلَتَهُ ، إِذَا تَرَكَهُمْ وَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ . قال النابغة :

قَالَتْ بَنُو عَاصِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ يَابُوسَ لِلْجَهْلِ ضَرَارًا لِأَقْوَامِ
معناه تَارِكُومَ وَفَارِقُومَ .

وقوله « إِنَّ الْمَكَارِمَ أرواحٌ » جعلَ آلَ المَلَبِّ كالأجسادِ ، والمَكَارِمُ لها
كالأرواحِ ، كما جَعَلَهُمْ فِي الْأَوَّلِ دَارًا ، وَالْمَجْدَ سُكْنًا ، وَالرَّوْحَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا فِي

(١) ل : د أعواضها .

جسمه على صفة، كما أن الجسم لا يتصرف إلا بالروح الحاصل فيه مع القدرة .
فيريد أنهم متقارن للمكارم ، مصروفون في اكتساب العالي ، فالمكارم بهم
ثبت وتبقى ، كما أن تصرفهم واقتدارهم من بين الأجسام بها ولها .

٨٠٤

وقالت أخت النضر بن الحارث^(١) :

١ - الواهب الألف لا ينفي به بدلاً إلا الإله ومُعرفاً بما اصطفاً
تقول : إنه يفرق ما يفرق من ماله لا لطلب عوض ، ولا اجتذاب نفع
واجتلاب محمّدة ، ولكن يريد به التقرب إلى الله تعالى ، وأن يفعل المعروف
بما يصنعه ، فهو يتلذذ بفعل المعروف ، وباحتساب الأجر عند الله .

٨٠٥

وقالت صفيّة بنت عبد المطلب^(٢) :

١ - أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشًا فَيَمِ الْأَمْرُ فِينَا وَالْإِمَارُ^(٣)
٢ - لَنَا السَّافُ الْقَدَمُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَلَمْ تُوقَدْ لَنَا بِالْقَدْرِ نَارُ
٣ - وَكُلُّ مَنَاقِبِ الْخَيْرَاتِ فِينَا وَبَعْضُ الْأَمْرِ مَنَقَصَةٌ وَعَارُ
الرسالة التي تطلب إبلاغها ، وترتاد من تضمنها على لسانه فيحتملها ، قولها
« فَيَمِ الْأَمْرُ فِينَا » ، وما في الاستفهام إذا اتصل بحرف الجر يُحذف الألف
من آخره ، تقول : فيم ويم . وقد تُقضى القول فيه من قبل . كأن هذه المرأة

(١) انظر ما سبق ق م ٩٦٣ .

(٢) في الأصل : « بنت عبد الملك » ، تحريف ، صوابه في ل والتبريزي . وهي صفيّة
بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدة الزبير بن العوام .

(٣) ل : « فَيَمِ الْأَمْرُ فِينَا » وكتب فوقها : « فِينَا » مقرونة بكلمة « معا »
إشارة إلى أنها روايتان . وعند التبريزي : « فِينَا » .

تستبطئ قبيلتها قريشاً . فنقول : مَنْ يَبْلُغُهُمْ عَنِّي لِمَاذَا كَانَ الْأَمْرُ فِيهِمْ
وَالْتَّشَاوُرُ ، وَالْإِفْتِدَاءُ وَالتَّرَافُعُ ، حَتَّى صَارَ النَّاسُ تَبَعًا ، وَمَا لَكُمْ تَنْقَبِضُونَ فِيهَا
يَجِبُ عَلَيْكُمُ السَّمْعُ فِيهِ ، وَلَنَا الشَّرَفُ الرَّفِيعُ وَالسَّلَفُ الْقَدِيمُ ، وَقَدْ عَلِمْتُمُوهُ
عِلْمًا خَالِيًا مِنَ الشَّكِّ ، بَرِينًا مِنَ الشُّبْهَةِ ، وَلَمْ يُعْرِفْ غَدْرُ لَنَا بِجَارٍ ^(١) أَوْ ذِي مُحَرَمٍ ،
وَقَدَّتْ مِنْ أَجْلِهِ لَنَا نَارٌ ^(٢) . وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا أَرَادَتْ تَشْهِيرَ غَدْرٍ غَادِرٍ حَتَّى
يَتَجَنَّبَهُ النَّاسُ أَوْ قَدَّتْ نَارًا فِي تِفَافِ هَضْبَةٍ ، وَنَصَبَتْ لُؤَاءَ عِنْدَ مَجْمَعٍ لَمْ أَوْسُقِ
عَظِيمَةً ، وَبَنَادُونَ : هَذِهِ نَارُ فُلَانٍ الْغَادِرِ وَلُؤَاؤُهُ ! ! يَشْهَرُونَ أَسْرَهُ وَيَقْبَحُونَ
صُورَتَهُ عَلَى هَذَا يُحْمَلُ قَوْلُ زَهِيرٍ :

وَنُوقِدَ نَارُكُمْ شَرَرًا وَيُرفَعُ لَكُمْ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ لُؤَاءٌ ^(٣)

وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَرَادَ بِإِيقَادِ النَّارِ قِيَامُ النَّاسِ وَقُعُودُهُمْ ، وَتَفَاوُضُهُمْ لِلْقُدْرَةِ إِذَا
ظَهَرَتْ مِنَ الْغَادِرِ ، وَمَا يَثُورُ مِنَ الْفَضِيحَةِ وَالذُّرِّ الْقَبِيحِ ، فَيَكُونُ هَذَا مِثْلَ
قَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ ^(٤) :

* تُحَرِّقُ نَارِي بِالشَّكَاةِ وَنَارُهَا ^(٥) *

وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ .

وقوله «وكلُّ مناقب الخيرات فينا» ، تريد أن معال الخير ومواسم الفضل
فيهم ، لا يدفعها دافع ، ولا يخلط بها تنقص من عائب . وَمَنْقَبَةٌ : مَفْعَلَةٌ مِنَ النِّقَابَةِ

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ولم يعرف لنا غدر الجار » .

(٢) ل : « فأوقدت من أجله لنا نار » .

(٣) و بروي : « شرراً » كما في الديوان ٨٥ . قال ثعلب : « أي تطير في الناس ، أي
يطير لها شرر في الناس ، أي شهرة » .

(٤) ل : « من الغادر » ، فيكون هذا مثل قول أبي ذؤيب فيما يثور من الفضيحة
والذكر القبيح » .

(٥) صدره في ديوان الهذليين (١ : ٢١) :

* أبيض القلب إلا أم عمرو وأصبحت *

وهي المعرفة . فتقول : فينا أنواع الخير والشر ، معلومة للناس ، وبعض ما يذكر من الأمور عاراً على صاحبه ونقص في شأنه ، إذ كان لا يسلم على المجاذبين .

٨٠٦

وقال المتوكل الليثي^(١) :

- ١ - لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرَّمَتْ يَمِّنَ عَلَى الْأَحْسَابِ يَتَّكِلُ^(٢)
 - ٢ - تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
- يقاربه قول الآخر :

لَسْنَا إِذَا ذُكِرَ الْفَعْلُ كَعَشِيرٍ أَزْرَى بِفِعْلِ أَبِيهِمِ الْأَنْبَاءُ
وقد مضى القول فيه مشروحاً .

٨٠٧

وقال طريح بن إسماعيل^(٣) :

- ١ - طَلَبْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا فَعَلْتَنِي فَقَصَّرْتُ مَغْلُوباً وَإِنِّي لَشَاكِرٌ^(٤)
- ٢ - وَقَدْ كُنْتُ تَطْمِئِنِّي الْجَزِيلُ بِدَيْهَةٍ وَأَنْتَ لَمَّا اسْتَكْثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرٌ
- ٣ - فَأَرْجِعْ مُغْبِوْطاً وَتَرْجِعْ بَالِي لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرٌ

(١) سبقت ترجمته في الحاشية ٤٤٢ ص ١١٨٥ .

(٢) في الحيوان (٧ : ١٦٠) والأمل (٣ : ١١٧) : « يوما على الأحساب تتسكل » . والبيتان في الحيوان منسوبان إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . وبدون نسبة في الأمل .

(٣) طريح بهيئة التصغير . وقال التبريزي : « يجوز أن يكون تصغير طرح من قولك طرحت الشيء طرحاً ، أو طارح ، أو طروح ، أو طرح ، ونحو ذلك » . وطريح بن إسماعيل الثقفى نشأ في دولة بني أمية وأكثر من مدح الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بني العباس ومات في أيام المهدي . الأغاني (٤ : ٧٧) والشعراء ٦٦٠ واللائق ٧٠٥ .

(٤) التبريزي : « فيما صنعت بي » .

يقول : غفرتي إحسانك ، وغلبني برك واعتناؤك ، لا جرم أن لما طلبتُ مقابلتك بالشكر على صنيعك بي ، صيرتُ كالمفرط مغلوباً وأنا مجتهدٌ في الشكر ، بالغٌ إلى أقصى الغايات في النشر ، لكن إحسانك كثرتني وخلفتني بالبعد من غايته ، لأنك كنت تُعطيني الكثير من المال مبتدئاً لا عن سؤال تقدم ، ولا عن ذكري^(١) في نفسك تردّد ، ومع ذلك كنت تستحقّ عطاياك وتزدرىها ، وأنا استكثرها وأعجز نفسي عن ضبطها وإحصائها ، وأبلغ بها مبالغ الكثيرين المتكلفين ، ثم أرجع مغبوطاً عنك مرموقاً ، ومُحسّداً في الناس مذكوراً ، وترجعُ بخصل^(٢) الكرم والسبق إلى الغاية المطلوبة ، التي لها عند طلاب الكرام أولٌ يُبتدأ به ، وآخرٌ يذتَمى إليه .

٨٠٨

وقال حبيب بن عوف^(٣) :

١- فتى زاده السلطان في الحمدر غيبة إذا غير الساطان كل خليل^(٤)

يقول : لم يُبَطِّرك الذنى ولا أطفنتك السلطنة^(٥) ونيلُ أسباب العلى في الدنيا ، لسكها زادتك رغبة في الخير واكتساب الحمد بين الناس^(٦) إذا غير مُساعداً القدر ، ومطارقة الجدة والجدة كل خليل لصاحبه .

والسلطان في غير هذه : الحجة ، وقيل اشتقاقه من السليط : الزيت .

(١) ل : « فكر » .

(٢) الحصل : الغلبة والسبق في النضال .

(٣) كذا . ونسب في الحصان (٧ : ١٥١) إلى زياد الأعجم .

(٤) قال الجاحظ : شبيه بقول الآخر :

فتى زاده عز الهابة دلة وكل عزيز عنده متواضع

(٥) هذه اللفظة مما لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٦) ل : « من الناس » .

٨٠٩

وقال ابن الزبير^(١)، يمدح محمد بن مروان :

١ - لا تَجْمَعَنَّ مُبَدَّنَا ذَا سُرَّةٍ ضَخْمًا سُرَادِقَهُ وَطِيءَ الْمَرْكَبِ

٢ - كَأَغْرٍ يَتَخَذُ السُّيُوفَ سُرَادِقًا يَمْشِي بِرَايَتِهِ كَمْشَى الْأَنْكَبِ

قوله « مُبَدَّنَا » ، أى سمينا عظيمَ البدن ، وُبروى « مُتَدَّنَا » ، وهو العظيم التَّنْدُوة . وعلى ما يقتضيه بناء الفعل يكون تَنْدُوءٌ مقلوبة والأصل تَدُوءٌ ، فَعَلُوءٌ ، فأما تَنْدُوءٌ بضم الأول والهمز فهو بناء آخر . فكأنه يخاطب إنساناً فقال : لا تَجْمَعَنَّ صاحباً لك هِمَّتُهُ فى الأكل وتسمين البدن ، وتحسين الهيئة والسَّخْنَةَ ، فترى مركبته وطيباً ، وسُرَادِقَهُ ضَخْمًا ، وجهاله باهراً ومنظره رائعا ، كرجل كريم سُرَادِقَهُ ظلالُ السُّيُوفِ ، وقد غُشِّيت بما تُفنى عليه ، ثم يَمْشِي قَدَامَ أَتْبَاعِهِ وأصحابه برايته مَشَى الْأَنْكَبِ . والأنكب : الذى أَحَدُ مَنْكَبَيْهِ أَشْرَفُ من الآخر . وهذا تصويرٌ فى التشبيه . وإنما يتحمل الرأية بنفسه إذا لم يأمن عثره حامله وإسقاطه إياها عند ما يفشاه من الدُّعْر ، فهو يَمْشِي بها لينظر أصحابه إليها فيُتَبَتُّونَ معه ، ويحاربون على مُرادِهِ وهواه .

٣ - فَتَحَ الْإِلَهُ بِشَدَّةٍ قَدْ شَدَّهَا مَا بَيْنَ مَشْرِقِ أَهْلِهَا وَالْمَغْرِبِ

٤ - جَمَعَ ابْنُ مَرْوَانَ الْأَغْرَ مُحَمَّدٌ بَيْنَ ابْنِ الْأَشْتَرِ وَبَيْنَ الْمُضْعَبِ

يقول : فتَحَ الله تعالى على يده بما تَوَحَّدَهُ به مِنْ فَضْلِهِ ، وسعيه وجده ، ما بَيْنَ أَقْصَى الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ ، بِحِمْلَةٍ حَمَلَهَا فى جوانبها ، ثم جَمَعَ بَيْنَ قَتْلِ الْأَشْتَرِ وَمُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَأَرَاخَ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْهَا ، وَأَرَاخَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ شَرَّهَا وَفِتْنَتَهَا . وإنما قال « بِشَدَّةٍ » لِمَا تَجَلَّلَ وترادف من الأمور

(١) هو عبد الله بن الزبير الأسدى ، تقدمت ترجمته فى الحماصة ٣٢٢ ص ٩٤١ .

في نهضاته ، وتسرع وترافد من كسر الجمهور عند ما تكلف من مداراته ^(١) .
وقوله «أشترم» أضافه إلى من كان يدين له ، ويدخل تحت طاعته وهواه .

٨١٠

وقال الكميّ ^(٢) في مسلة بن عبد الملك :

١ - فَاغَابَ عَنْ حِلْمٍ وَلَا شَهِدَ الْخَلَا لَا وَلَا اسْتَفْذَبَ الْقَوْرَاءَ يَوْمًا فَقَالَهَا

٢ - يَدُومُ عَلَى خَيْرِ الْخِلَالِ وَيَتَّقِي تَصَرُّفَهَا مِنْ شِيمَةٍ وَانْفِتَالِهَا ^(٣)

٣ - وَتَفْضُلُ أَيْمَانَ الرِّجَالِ شِمَالَهُ كَمَا فَضَّلْتُ يُمْنِي يَدَيْهِ شِمَالَهَا

يقول : ما أخلّ هذا المدح بالأخذ بالحلم ، وترك السّفة والجليل في مشهد
من المشاهد ، وعند حضور أمر من الأمور ، ولا استحسن الفاحشة فرضي بها
أو تولّاها ، ولا استطاب اللفظ بالكلمة القبيحة فتفوّت بها يوماً أو توخّاها ،
لكنّه يدوم على الخصال الحمودة ، والأخلاق الشريفة ، ويتقّى انصرافه عن
شيمة زكيّة عرف بها ، وذهابه عن طبيعة رضية فيقال تسخطها أو رفضها ،
فهو في درجات المجد يسمو ويصعد ، وعلى مطالع الشرف يعلو ويغلب .

والانفتال : مطاوعة فتلتته فتلاً ، وهو الانصراف والالتواء . والعوراء :
الكلمة القبيحة . والقورة : السوءة وكل ما يستحيا منه .

وقوله : «وتفضل أيمان الرجال شماله» ، يقول : تزيد في الفضل

(١) ل : « بدراته » .

(٢) الكميّ بن زيد الأسدي : شاعر معروف من شعراء الدولة الأموية ، كان
صديقاً لاطرماع على ما كان بينهما من تباعد في الدين والرأى ، وكان أحد الملّين . الأغاني
(١٥ : ١٠٨ - ١٢٤) والحزاة (١ : ٦٩ - ٧١) والمؤتلف ١٧٠ والمرزبان
٣٤٧ - ٣٤٨ وابن سلام ٤٥ - ٤٦ والشعراء ٥٦٢ .

(٣) ل : « تصرّفها » .

والإفضال شمالُ هذا الرجلِ على إيمان الرجالِ كلِّهم وتعلو عليها ، كما غلبت اليمنى من يديه الشمال . والضمير من « شمالها » يرجع إلى اليمنى ، أى كما غلبت يمينه شماله غلبت شماله إيمان الرجالِ كلِّهم . ويكون هذا كقول الآخر :

وما فضل الجوادِ على أخيه إذا اجتهدا وكلٌّ غيرُ آل
فبرزَ سابقاً إلا كفضلِ الـ يمينِ من اليدينِ على الشمال

فهذا وجه ، والأجود أن يُجمل الضمير من الشمال عائداً إلى الرجال ، فيكون المعنى : كما فضلت يميناهُ شمال الرجالِ كلِّهم . يريد أن زيادةَ شماله على إيمانهم في الظهور مثلُ زيادةِ يمينه على شمالهم في الظهور .

٤ - وما أجمَ المعروفَ من طولِ كَرِّهٍ وأمرًا بأفعالِ الندى وافتتاحها

٥ - ويتبدل النفس المصونة نفسه إذا ما رأى حقاً عليه ابتذالها

قوله « ما أجم » ، أى ما كرهه فعل المعروف حتى كان ينصرف عنه وإن طال تكرُّره على يديه ، ودأب اكتسابه له ، بل يزداد على مرِّ الأيام رغبةً فيه ، ووُلوعاً به . ويقال : فلان أجم من الطعام ^(١) ، إذا عافه وانصرفت نفسه عنه . وقوله : « وأمرًا بأفعالِ الندى » عطفه على المعروف ، ويريد : ولم يأجم الأمر بفعل الندى واكتسابه له ، كأنه كان يبعث الغير عليه ، ويتولى فعله بنفسه .

وقوله « ويتبدل النفس المصونة نفسه » . نصب « نفسه » على البدل من النفس . ويكون المعنى أنه إذا رأى ابتذال نفسه المصونة واجباً عليه ، وحقاً ملازماً له ، يتبدلها ولا يصونها . وإنما يريد أنه يفعل ذلك في الشدائد وعند احتماء البأس . وهذا كما روى في الخبر : « كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا رَسُولَ

(١) ل : « من طعام كذا » .

الله صلى الله عليه وسلم . ويُرْوَى « نفسه » بالرفع ، ويكون فاعل تبذل . ويريد بالنفس المصونة كرائم أصحابه وأمواله ، فالعنى أنه لا يبقى ذخيرة من ذخائره إذا وجب إنفاقها ، ولا يصون نفساً عزيزة عليه من كرائمه إذا وجب ابتذالها .

٦- بلوناك في أهل الندى ففضلتهم وباعك في الأبواع قدماً فطالما

٧- فانت الندى فيما ينوبك والسدى إذا انحود عدت غيبة القدر مالها

يقول : خبرناك في جملة من يدعى الندى وزمرتهم ، فقلبتهم وسبقتهم ، كما بلونا بسط يدك ، واتساع باعك عند البذل في الأبواع كلها قديماً ، فقلبتا في الطول . وقوله « فضلتهم » ، هو للمبالغة ؛ يقال : فاضلته ففضلته أفضله .

ولذلك تعدى وإن كان فضل الشيء إذا زاد لا يتعدى . ومن شرط فعل في المبالغة أن يحمل مستقبله على يفعل إذا كان صحيحاً ، وإن كان في الأصل يحى مفتوح العين أو مضمومه أو مكسوره . وكذلك قوله « فطالما » إنما تعدى وطال الذى هو ضد قصر [لا يتعدى ^(١)] لأنه من طاولته فطالته أطوله . والمعتل في هذا المعنى يجرى على أصله ، يقال : باكيته فبكيته ، إذا غلبته في البكاء ، وطاولته فطالته ، إذا غلبته في الطول . وإنما لم يغيروا المعتل لثلايلتبس بنات الواو بينات الياء . ولا يحى هذا في كل فعل .

وقوله « فانت الندى فيما ينوبك والسدى » ، يريد ترطبه للمعروف وتندى كفه في العطاء عند يوبس المخل ، واشتداد الجذب . والندى والسدى هما بمعنى واحد . وقد قيل الندى بالنهار والسدى بالليل .

وقوله « إذا انحود عدت » ، يريد أنه يفعل ذلك في الوقت الذى تمث عقيمة الحى وكريمة القوم مالها الذى تعيش منه وتعتمد ، ما يرث عليها من المرق في القدر إذا استميرت . وهذا كانوا يفعلونه في تنهى القحط ، وفي شدة الزمان ،

(١) التسكعة من ل .

وعند إسنان الناس . وكما يسمى المردود في القدر عُقْبَةً سُمِّيَ عَافِيَا . قال الكُمَيْت :
وجاءت الرِّيحُ من تِلْقَاءِ مَقَرِّهَا وَضَنَّ من قَدْرِهِ ذُو الْقَدْرِ بِالْعُقْبِ
وقال آخر (١) :

فلا تسأليني واسألني ما خَلِيقِي إِذَا رَدَّ عَافِي الْقَدْرِ مَنْ يَسْتَمِيرُهَا
وخصَّ الخُودَ لَكْرَمِهَا وَنَعَمَتِهَا وَكَرَامَتِهَا فِي ذَوِيهَا . وقال الخليل : الخُودُ :
المرأة الشابة ما لم تصِرْ نَصَبًا . وقال الدُّرَيْدِيُّ : الخُودُ : الفتاة الناعمة ؛ ولم يَنْ
منه فَعَلَ .

٨١١

وقال الأعجم (٢) ، يمدح عُمر بن عبيد الله (٣) :

١ - أَخْ لَكَ لَيْسَ خُلُقُهُ يَمْدُقُ إِذَا مَا عَادَ فَقَرُّ أَخِيهِ عَادَا
٢ - أَخْ لَكَ لَا تَرَاهُ الدَّهْرُ إِلَّا عَلَى الْعِلَاتِ بَسَامًا جَوَادَا
الْمَذْقُ : اللبنُ وقد خُلِطَ به الماء ، فاستماره للمودة . ويقول : فلانٌ يَمْدُقُ
الوَدَّ ، وهو يُمَادِقِي . فيقول : صدأته هذا الأخ صافية من الشوائب ، لأنه
لا يَنْطَوِي لك على غِلٍّ ولا حِقْدٍ ، ولا سوء دِخْلَةٍ ، ولا فساد طَوِيَّةٍ ، وإذا
أعطى راجيَه أغناه ، فإن راجعه الفقر لكثرة مؤنّه ، وتزايده غاشيته ، أو لتعامل
نوائب الزمان عليه ، وَجَدَّ على خُلُقِهِ (٤) وماله تَحْمَلًا ، فعاد بالإحسان إليه . ثم
لا تراه على تغيّر الزمان ، واختلاف الأحوال ، إِلَّا ضُحُوكًا طَلَقَ الْوَجْهَ ، جَوَادَا

(١) هو عوف بن الأحوس . البيت ٣ من المفضلية ٣٦ .

(٢) هو زياد الأعجم . ترجم في المحاسبة ٦٦٥ ص ١٥٣٩ .

(٣) التبريزي : « عمر بن عبيد الله بن معمر » . وفي النسختين : « عمر بن عبد الله » ،

تحرير . واظنر الأغاني (١٤ : ١٠٠ - ١٠٣) .

(٤) هذا ما في ل . وفي الأصل : « وجد عليه خلقه » .

طبيب النفس . وبَسَام : بناء المبالغة ، ولم يُبَيِّن على بَسَمَ ، لأن البناء على بَسَمَ باسمٍ . ويقال : بَسَمَ ، وابْتَسَمَ ، وتَبَسَّمَ .

٨١٢

وقالت امرأة من بنى مخزوم :

- ١ - إن تَسْأَلِي فالجَدُّ غَيْرُ البَدِيعِ قَدْ حَلَّ في تَيْمٍ ومَخْزُومٍ^(١)
 - ٢ - قَوْمٌ إِذَا صَوَّتَ يَوْمَ النَّزَالِ قَامُوا إِلَى الجُرْدِ اللَّهَامِ
 - ٣ - مِنْ كُلِّ مَحْبُوكٍ طَوَالِ القَرَى مِثْلَ سِنَانِ الرُّمَحِ مَشْهُومٍ
- قولها « غير البديع » انتصب على الحال ، وإنما تُخاطب امرأة . فنقول : إن سألت الناس عن مَقَرِّ المجدِّ ومَسْكَنِهِ ، فقد حَلَّ غير مُسْتَبَدِعٍ^(٢) ولا مُسْتَنْكِرٍ ، في بنى تَيْمٍ ومَخْزُومٍ ، وهم قَوْمٌ إِذَا تَدَاعَى الأبطالُ يَوْمَ النَّزَالِ ، وصاحَ المستغيثُ بناصره عند القِرَاعِ ، قَامُوا إلى خيلِ قِصارِ الشعورِ عِرابٍ ، كِرَامٍ سِرَاعٍ . ولهاميم الإبل : غزارها . ولهاميم الناس : أسخياؤهم .

وقولها « مِنْ كُلِّ مَحْبُوكٍ طَوَالِ القَرَى » ، تريد : مِنْ كُلِّ قَرَسٍ مُخَكَّمٍ انْخَلَقَ ، مُشْرِفٍ طَوِيلِ الظَّهْرِ ، خَفِيفٍ نَافِذٍ في القُدُو ، كَأَنَّهُ سِنَانُ رُمَحٍ . والمسهوم : الذي قد أثر الغزو فيه ولوَّحَهُ سَمُومُ الحربِ والحَرْ . هذا إذا رويته « مَسْهُومٌ » بالسين غير معجمة ، ومن رواه « مَشْهُومٌ » بالشين معجمة فعنناه حَدِيدُ القَلْبِ ؛ ومنه الشَّيْهَمُ : اسمُ القُنْفُذِ ، للشَّوْكِ الذي في ظهره .

(١) بجره السريع ، والبيتان الأول والثاني يزيدان على الثالث حرفاً . وهذا الحرف لا بد من إسكانه عند الوقف عليه ، ويجوز تحريك المين من « البديع » واللام من « النزال » إذا وصلتا بما بعدهما في القراءة .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « مبتدع » .

٨١٣

وقالت أخرى :

- ١ - أَلَا إِنَّ عَبْدَ الْوَاحِدِ الرَّجُلُ الَّذِي يُنْفِلُكَ مَا طَالَبْتَ وَالْوَجْهَ وَافِرٌ^(١)
 تقول : يُعْطَى قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ وَيُبْذَلَ الْوَجْهَ لَهُ . ويشبهه قولُ الآخر :
 أَهْنَأُ الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ يُبْتَذَلَ فِيهِ الْوُجُوهُ
 ويقال : نِلْتُ الشَّيْءَ أَنَا لَهُ نَيْلًا ، وَأَنَا لِنَيْهِ فَلَان . والنَّيْلُ والنَّوْلُ بَقَارِبانِ
 فِي الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ بِنَاءً اِمَّا مُخْتَلِفَيْنِ ، يُقَالُ : نَيْلُهُ أَنْوَلُهُ نَوْلًا ، فَهَذَا مِنَ النَّوَالِ ،
 وَنَوْلَتُهُ وَتَنَاوَلَ الشَّيْءَ ، وَمَا كَانَ نَوْلُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا ، أَيْ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَكَ .

٨١٤

وقالت الْخَنْسَاءُ^(٢) :

- ١ - دَلَّ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَجْهُهُ بُورِكَ هَذَا هَادِيًا مِنْ دَلِيلٍ
 ٢ - تَحْسِبُهُ غَضَبَاتٍ مِنْ عِزِّهِ ذَلِكَ مِنْهُ خُلِقَ لَا يَحُولُ^(٣)
 ٣ - وَيَنْلُ أُمُّهُ مِسْمَرَ حَرْبٍ إِذَا أُلْقِيَ فِيهَا وَعَلَيْهِ الشَّلِيلُ
 قولها « دَلَّ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَجْهُهُ » ، تَرِيدُ طَلَاقَةَ وَجْهِهِ وَتَهْلُلَهُ عِنْدَ تَعَرُّضِ
 السَّائِلِ لَهُ ، وَفَرَحَهُ وَبِشَاشَتِهِ بِهِ إِذَا حَصَلَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ فِي هَذَا
 الدَّلِيلِ مِنْ بَيْنِ الْأَدْلَاءِ ، يَعْنِي وَجْهَهُ . وَأَصْلُ الْبَرَكَةِ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ ، وَقِيلَ هُوَ

(١) التبريزي : « والعرض وافر » .

(٢) الخنساء لقب لها ، واسمها تماضر بنت عمرو بن العريد . وهي شاعرة صحابية من شعراء المرأى ، وقد شهرت برثاء أخيها صخر . انظر كتب الصحابة والأغاني (١٣) : ١٢٩ - ١٤٠) والخرزانه (١ : ٢٠٧ - ٢١١) والشعراء ٣٠١ - ٣٠٦ .

(٣) التبريزي : « ما يحول » .

من اللزوم والثبات ، ومنه بَرَكَ البعير . وانتصب « هادياً » على الحال .

وقولها « تحسبه غضبان من عِزّه » ، هم — أعنى العرب — يشبهون الحيَّ الكريم بالمتشكى من عِلَّة ، والعزير المنيع بالمتغضب من عِزَّة . ولا غضبَ في هذا كما أنه لا عِلَّةَ ثَمَّ ، وإنما يراد في العزيز إياه النفس وأبهة النبل ، كما أنه يُراد في الحيَّ لين الجانب ، والانخزال من الكرم . وقولها « ذلك منه خلق لا يحول » ، يريد أنه طبع على ذلك ، فلا يزول عنه ولا يتحول منه .

وقولها « ويل أمه مسعر حرب » انتصب مسعر على التمييز ، وقد مرَّ القول في ويل أمه ^(١) . والكلام تعجب وتعظيم . والمِسعر من أبنية الآلات ، يراد أنه كالآلة في إيقاد نار الحرب إذا أُلقيَ فيها وقد تدجج في السلاح . والشليل : الذرع .

٨١٥

وقالت امرأة من إباد :

١ - الخيلُ تعلمُ يومَ الرُّوعِ إذْ هُزِمَتْ أنْ ابنُ عمرو ولدى الهيجا يَحْيِيها ^(٢)

٢ - لم يُبْدِ فُحْشاً ولم يُهْذِ لِمُعْظَمَةٍ وكلُّ مَكْرُمَةٍ يُبْلَى بِسَامِيها

تعنى بالخيال الفرسان . تريد : قد تيقنوا أنه إذا انفق عليهم كسر ، وأثر فيهم رذع في يوم حرب ، لا يدفع عنهم ولا يدبُّ دونهم إلا ابنُ عمرو ، فهم ساكنون إليه ، ومُعْتَمِدُونَ عليه عند استعمار ^(٣) نار الرُّوع والاصطلاء بحرَّها ، لأنه جابرٌ كسَرهم ، ومُخَمِّدٌ جَرَّهم .

(١) انظر ما سبق في ص ١٢٠٢ .

(٢) ل : « إن هزمت » .

(٣) هذا ما في ل . وفي الأصل : « إسفار » .

وقولها « لم يُبَدِّ فُحْشًا » تريد أنه لا يعرف القبيح ، فلا يظهر في أفعاله وأقواله ما يستهجن أو يستفحش ، ثم إذا مَنِي بخصلة فظيمة لا يهدأ لها ، ولا يحار فيها ، بل يصبر ويثبت ، ويحسن حديثه في أفواه الناس لخروجه منها ويعذب ؛ وكل مكرمة تمنح ، ومأثرة على القرب والبعد تنفيق وتعرض ، تراه تطلع عنه إليها ، وتحرص نفسه على جمع يده عليها ، لعلو همته ، وكال خصاله .
وقولها « يساميا » في موضع الحال أى مساميا لها ، ولك أن تروى « يلتقى » بالشاف ، و « يلتقى » بالفاء ، ومعناها قريب .

٣ — المستشار لأمر القوم يحزبهم إذا الهنأت أمم القوم ما فيها
٤ — لا يرهب الجار منه غدره أبداً وإن أثبت أمور فهو كافيا
وصفته بجزالة الرأي ، وبراعة النفس والعقل ، وأن الرجوع فيما يذم القوم إليه ، والمعتمد عند ما يهجم فيهم عليه ، فهم يستضيئون بتدبيره في ظلم الخطوب ويستكشفونه ما يتغشاهم من دواهي الأمور . والهنات : جمع هنة ، وهى كالكناية عن المنكرات ، ولا تستعمل فى الخير البتة . وقولها « أمم القوم » ، أى جعل من همهم . وموضع يحزبهم نصب على الحال .

وقولها « لا يرهب الجار منه غدره » تصفه بحسن الوفاء فيما يعقد الجار من ذمة ، ويعطيه من عهد وموثقة . فيقول : جاره آمن لا يخاف ختلا ولا مكرًا وإن نزلت به أمور خارجة من الجوار فهو يقوم بها ويتكفل بالكفاية فيها . واتعصب « أبداً » على الظرف ، وهو فى المستقبل بمنزلة قط فى الماضى .

ثم الباب بمون الله وحسن توفيقه ، والصلاة على نبيه محمد وآله من بعده .

بَابُ الصِّفَاتِ

بَابُ الصِّفَاتِ

٨١٦

قال بعضهم ^(١) :

- ١ - وهاجِرَةٌ تَشْوِي مَهَا سَمُومَهَا طَبَخْتُ بِهَا عَيْرَانَةً وَشَتَوَيْتَهَا ^(٢)
 - ٢ - مُفَرَّجَةٌ مَنفُوجَةٌ حَضْرَمِيَّةٌ مُسَانَدَةٌ سِرِّ الْمَهَارَى انْتَقَيْتَهَا
- أراد بالهاجرة الوقت الذي يهجر السير له إذا قام قائم الظهيرة وغلب الحر فيه ، وهي فاعلة بمعنى مفعولة . والمها : بقر الوحش . فيريد أن حرها يشوي الوحش ويطبئها . وقوله « طَبَخْتُ بِهَا عَيْرَانَةً » يعني بتلك الهاجرة . والمَيْرَانَةُ : الناقة تشبه العير . و « شَوَيْتَهَا ^(٣) » أي سرت عليها حتى أنضأها المواهر وحسرها وأذهب لحمها ، فصارت كالحترقة . والمُفَرَّجَةُ : هي التي بَعُدَتْ مرافقتها عن زورها واتَّسَمَتْ آباطها وفرَّجَتْ ما بين قوائمها ، فهي فتلاء المِرْفَقِ لا يصير حازًا ولا ناكثًا ولا ضاغطًا . والمنفوجة : الواسعة الجنبين . والحضرمية هي التي حَصَلَتْ من نسلِ إِبِلِ حَضْرَمَوْت ، وهي قرية بالشَّام ^(٤) . والمُسَانَدَةُ : القويَّة الظهر . ومِرِّ الْمَهَارَى ، أي خيَارُهَا . والمهاري : جمع مَهْرِيَّةٍ وهي المنسوبة ^(٥) إلى

(١) التبريزي : « قال البيهقي الحنفى » . وقد سبقت ترجمته في الخامسة ١٣٠ ص ٣٧٦ .

(٢) هذا ما فى ل والتبريزي . وفى الأصل : « وشويتها » .

(٣) كذا باتفاق النسخين .

(٤) كذا . والمعروف أنها بلاد فى جنوب الجزيرة شرق اليمن .

(٥) ل : « منسوبة » .

مَهْرَةَ بَن حَيْدَان ، أَى مِنْ نِتَاجِهِ . وَانْتَقَيْتُهَا ، أَى اخْتَرْتُهَا . وَالْمَرَادُ أَنَّهُ قَطَعَ
لِلْمَقَاوِزِ فِي الْمَوَاجِرِ ، مَبْتَذِلٌ لِنَفْسِهِ وَرَاحِلَتِهِ لَا يُبْقِي عَلَيْهِمَا فِي حَرٍّ ، وَلَا يَقِيمُهُمَا
مِنْ سَمُومٍ وَتَعَبٍ . وَقَوْلُهُ : « تَشْوِي مَهَاهَا سَمُومُهَا » فِي مَوْضِعِ الصَّمَّةِ لِلْهَاجِرَةِ .
وَقَوْلُهُ « طَبَخْتُ » جَوَابُ رَبِّ .

٣ - فَطَرْتُ بِهَا شَجْعَاءَ قَرَوَاءَ جُرْشُمًا إِذَا عُدَّ نَجْدُ الْعَيْسِ قَدَّمَ بَيْتُهَا
٤ - وَجَدْتُ أَبَاهَا رَاضِيَةً وَأُمَّهَا فَأَعْطَيْتُ فِيهَا الْحُكْمَ حَتَّى حَوَيْتُهَا
قَوْلُهُ « فَطَرْتُ بِهَا » قِيلَ أَرَادَ بِهِ حَثَّتُهَا وَاسْتَعْجَلْتُهَا فِي السَّيْرِ ، فَيَكُونُ
طَرْتُ بِهَا بِمَعْنَى أَطَرْتُهَا عَلَى هَذَا ، كَمَا يُقَالُ ذَهَبَتْ بَزِيدَ وَأَذْهَبَتْهُ بِمَعْنَى ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ أَنِّي انْتَزَعْتُهَا مِنْ عَيُونِ الْبَاعَةِ وَالْمَشْتَرِينَ ، وَاخْتَلَسْتُهَا وَفُزْتُ بِهَا ،
بِدَلَالَةِ أَنَّهُ قَالَ « وَأَعْطَيْتُ فِيهَا الْحُكْمَ حَتَّى حَوَيْتُهَا » . وَالشَّجْعَاءُ : الْجَرِيئَةُ
الْقَلْبُ ، وَانْتَعَصَبَ عَلَى الْحَالِ . وَالْقَرَوَاءُ : الطَّوِيلَةُ الظَّاهِرُ . وَالْجُرْشُعُ : الْمُنْتَفِخَةُ
الْجَنْبَيْنِ .

وَقَوْلُهُ « إِذَا عُدَّ نَجْدُ الْعَيْسِ » يَرِيدُ إِذَا ذُكِرَتْ مَفَاخِرُ الْعَيْسِ وَمُنَاسِبُهَا
قَدَّمَ نَسْلَهَا وَقَبِيلَهَا الَّذِي يُؤْوِيهَا .

وَقَوْلُهُ « وَجَدْتُ أَبَاهَا رَاضِيَةً وَأُمَّهَا » فَصَلَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ
بِمَفْعُولٍ وَجَدْتُ الثَّانِي ، وَالْمَعْنَى : وَجَدْتُ أَبَاهَا وَأُمَّهَا رَاضِيَيْنِ لَهَا ، كَأَنَّهَا نَتَبَّجَتْ
سَرُوضَةً مُؤَدَّبَةً ، فَأُمْجِدَ مِنْهَا حَصَلَ لَهَا وَرِاثَةً لَا تَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ « أَعْطَيْتُ فِيهَا » أَى بَذَلْتُ فِي تَمْلِكِهَا مَا احْتَكَمَ بِأَتَمِّهَا وَاقْتَرَحَهُ
وَاسْتَأْمَرَ بِهَا ، حَتَّى حَصَلَتْهَا .

٨١٧

وقال عنتره بن الأخرس ^(١) :

١ — أَمَلَكْتُ نَمْنَى مِنْ أَرَاغِمٍ أَرْضِنَا بِأَرْقَمٍ يَسْقِي السَّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطَفٍ ^(٢)
 ٢ — تَرَاهُ بِأَجْوَاكِ الْهَشِيمِ كَأَنَّمَا عَلَى مَنَيْنِهِ أَخْلَاقُ بُرْدٍ مُقَوِّفٍ
 الأَرَاغِمُ : الحَيَّاتُ . وَالْكَلامُ دَعَاءٌ عَلَى الْخَاطَبِ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ تَرْجِيئًا وَتَأْمِيلًا . وَمَعْنَى تُمْنَى تُمْتَحَنُ . يُقَالُ : مُنِيَ بِكَذَا ، أَيْ بُلِيَ بِهِ وَقَامَى شَرَّهُ .
 وَمَعْنَى « يَسْقِي السَّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطَفٍ » يَرِيدُ مِنْ كُلِّ مَقْطَرٍ ، لِأَنَّ نَطْفَ الْمَاءِ مَعْنَاهُ قَطَرٌ . وَسُمِّيَ الْمَاءُ نَطْفَةً لِذَلِكَ . يَرِيدُ أَنَّهُ يَرْشَحُ بِالسَّمِّ ، فَسُومٌ جِلْدُهُ تَقَطَّرُ بِهِ . وَلَعَلَّ : طَمَعُ وَإِشْفَاقٌ . كَذَا قَالَ سِيبَوِيهِ . وَيُسْتَعْمَلُ بَأَنْ وَبِفِرْ أَنْ .
 يُقَالُ : لَمَلَكْتُ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا ، كَمَا تَقُولُ لَمَلَكْتُ تَفْعَلُ كَذَا .

وقوله « تَرَاهُ بِأَجْوَاكِ الْهَشِيمِ » فَالْهَشِيمُ : الْيَابِسُ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتِ ، وَالْقَصْدُ إِلَى النَّبَاتِ هُنَا . يَقُولُ : تَرَاهُ يَتَخَلَّلُ الْهَشِيمَ وَيَتَوَسَّطُ أَثْنَاءَهُ ، فَكَأَنَّهُ عَلَى مَقْنَعِهِ بِجِلْدِهِ الَّذِي سَلَخَهُ قِطْعَ بُرْدٍ وَشَيْءٍ كَالْقُوفِ ، وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يَظْهَرُ فِي أَظْفَارِ الْأَحْدَاثِ . وَجَعَلَهُ سَائِلًا لِيَكُونَ أَخْبَثَ .

٣ — كَأَنَّ بِضَاحِي جِلْدِهِ وَسِرَاتِهِ وَتَجَمُّعَ لَيْتِنِهِ تَهَاوِيلَ زُخْرُفٍ
 أَرَادَ أَنَّهُ مَلَوْنُ الْجِلْدِ . وَالضَّاحِي : الْبَارِزُ لِلشَّمْسِ فِي الْأَصْلِ ، وَالرَّادُ بِهِ هُنَا ظَاهِرُ الْجِلْدِ . وَالتَّهَاوِيلُ : مَا يُعْلَقُ مِنَ الْعُمُونِ عَلَى الْإِبِلِ ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ، وَالْقِيَاسُ تَهَاوُلٌ ، كَمَا يُقَالُ تَجَمُّافٌ وَتَجَامِيفٌ ^(٣) . وَالزُّخْرُفُ : كُلُّ

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٥٣ ص ٢٢٠ .

(٢) يسقى ، ضبطت بالبناء للعلوم في النسختين . ويصح أن تقرأ بالبناء للمجهول كما ضبطت في نسخة التبريزي . والبيت أنشده الجاحظ في الحيوان (٤ : ٣٠٧) .

(٣) التجفاف ، بالكسر : ما يجبل به القرس ، وآلة تهيء الجراح .

ما حُسِّنَ به شيء ، وأصله الذهب . فشَبَّهَ بَارَزَ جِلْدِ الحَيَّةِ وظهوره وتجمع صفحتي عُقْنِهِ لاختلاف ألوانها بالتهاول التي تَزُخَرَفُ بها الإبل .

٤ — كَانَ مُنْتَنًى نِسْفَةً تَحْتَ حَقْفِهِ بِمَا قَدْ طَوَى مِنْ جِلْدِهِ الْمُتَفَضِّفِ

٥ — إِذَا نَسَلَ الحَيَّاتُ بِالصَّيْفِ لَمْ يَزَلْ يُشَاعِرُ بَاقِيَ جُلْبَتِهِ لَمْ تُقَرَفِ

شَبَّهَ غُضُونَ حَقْفِهِ لِمَا انطوى مِنْ جِلْدِهِ الْمُتَكَثِّرِ لِكُونِهِ فَاضِلًا عَنْ لَحْمِهِ ،

وذلك لِكَثْرَةِ سَمِّهِ بِنِسْفَةٍ مُثْنِيَّةٍ جُمِلَتْ تَحْتَ حَقْفِهِ ، وَيُقَالُ : إِنَّ الحَيَّاتِ إِذَا

اجْتَمَعَتْ سَمُومُهَا وَكَثُرَتْ دَقَّتْ وَهَزَّتْ ، لِأَنَّ سَمَهَا يَنْقُصُ لَحْمَهَا ، فَلِذَلِكَ يَفْضَلُ

جِلْدُهَا عَنْ حَجْمِهَا فَيَتَفَضَّفُ ، أَيْ يَنْتَنِي ، وَالْفَضْفُ : انكسارُ فِي الأُذُنِ .

وقوله « إِذَا نَسَلَ الحَيَّاتُ » يَرِيدُ أَنَّهُ بِخُبْنِهِ بِقَاتِلِ سَائِرِ الحَيَّاتِ ، سُوءُ

خُلُقٍ مِنْهُ وَعَرَامَةٌ ، فَإِذَا انْتَشَرَتِ الحَيَّاتُ فِي الصَّيْفِ لَا يَزَالُ يَمَارِسُ وَيُطَاوِلُ

بَوَاقِيَ جُلْبِ مِنْهُ لَمْ تُقَشَّرْ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ فِي مُقَاتَلَةِ الحَيَّاتِ يَحْصِلُ عَلَى جُرُوحِ طَوْلِ

الصَّيْفِ وَتَيَبَّسَ عَلَيْهِ جُلْبُهَا . وَقوله « يُشَاعِرُ بَاقِيَ جُلْبَتِهِ » ، وَيُرْوَى « يَسَاعِرُ »

بِالسَّيْنِ ، مِنْ قَوْلِهِمْ كَلَبَ سَعِيرٌ ، أَيْ كَلَبَ . وَفِي الْقُرْآنِ فُتِرَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ ، أَيْ جُنُونٍ . وَمِنْهُ نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ : لَا تَسْتَقِرُّ قَلْقًا ، وَمِنْ

قَوْلِهِمْ : عُتِقَ مِسْعَرٌ ، أَيْ طَوِيلٌ . وَأَنْ تَرَوِي « يَشَاعِرُ » بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ أَحْسَنُ ،

تَجْعَلُهُ مِنَ الشُّعَارِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الدُّنَارِ . وَيُقَالُ : جَلَبَ الْجُرْحُ وَأَجْلَبَ ،

إِذَا يَبَسَ الدَّمُ عَلَيْهِ .

٨١٨

وَقَالَ مُلْحَةُ الْجَرْمِيِّ^(١) :

١ — أَرِقْتُ وَطَالَ اللَّيْلُ لِلْبَارِقِ الْوَمَضِ حَبِيْبًا سَرَى مُجْتَابَ أَرْضِ إِلَى أَرْضِ

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٧٨١ ص ١٧٤٨ .

٢- نَشَاوِي مِنَ الْإِدْلَاجِ كُدْرِيٌّ مُزْنِيهِ يُقَضِّي بِجَذْبِ الْأَرْضِ مَا لَمْ يَكْدَ يَقْضِي (١)

٣- تَحْنُ بِأَجْوَارِ الْفَلَا قَطْرَاتُهُ كَمَا حَنَّ نَيْبٌ بَفَضْنُهُ إِلَى بَعْضِ

قوله « أَرِقْتُ » ، يريد سهرت ، ولا يكون الأرق إلا بالليل . فيقول :
فَارَقْنِي النَّوْمُ وَطَالَ لَيْلِي مِنْ أَجْلِ سَحَابٍ فِيهِ بَرَقَ يَوْمُضٌ ، أَسْرَى لَيْلًا وَقَدْ
قَطَعَ أَرْضًا إِلَى أَرْضٍ . وَالْوَمْضُ : مَصْدَرُهُ كَالْوَمِيضِ ، وَهُوَ لَمَعَانُ الْبَرَقِ . وَقَدْ
وَصَفَّ بِهِ . وَيُقَالُ : وَمَضَ وَأَوْمَضَ . وَاتْتَصَبَ « حَبِيئًا » عَلَى الْحَالِ ، وَهُوَ
الْمَشْرَفُ . وَالْعَامِلُ فِيهِ إِنْ شَتَّ الْبَارِقُ ، وَإِنْ شَتَّ الْوَمْضُ . وَ« مُجْتَابٍ
أَرْضٍ » ، أَيْ قَاطِعَهَا ، وَاتْتَصَابَهُ عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ سَرَى .

وقوله « نَشَاوِي مِنَ الْإِدْلَاجِ » (٢) رَدَّهُ عَلَى قِطْعِ السَّحَابِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ
قَالَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ « لِلْبَارِقِ الْوَمْضُ » ، ثُمَّ قَالَ « نَشَاوِي مِنَ الْإِدْلَاجِ » .
وَهُوَ جَمْعُ نَشْوَانٍ . يَرِيدُ أَنْ أَقْطَاعَهُ لِسُرَّاهُ صَارَتْ كَالشَّكَارَى تَمِيلُ مِنْ جَانِبٍ
إِلَى جَانِبٍ ، وَتَنْعَطِفُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ . كَأَنَّهُ جَعَلَ حَالَ السَّارِي مِنَ السَّحَابِ
كَحَالِ السَّارِي مِنَ الْإِنْسَانِ . وَقَوْلُهُ « كُدْرِيٌّ مُزْنِيهِ » مُبْتَدَأٌ ، وَ« يُقَضِّي بِجَذْبِ
الْأَرْضِ » فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ ، وَ« مَا لَمْ يَكْدَ » مَفْعُولُ يَقْضِي . وَجَعَلَ فِي لَوْنِهِ
كُدْرَةً لَكثْرَةِ مَائِهِ وَارْتَوَائِهِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْكُدْرِيَّ مِنْهُ يَحْكُمُ لِلْمُجَذَّبِ مِنَ
الْأَرْضِ ، وَيَقْسِمُ مِنَ الْمَطَرِ لَهُ مَا لَمْ يَكْدَ يَقْضِي بِهِ لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْ قَسْمِهِ لَهُ
كَأَنَّهُ يَصُبُّ لَجَذْبِ الْأَرْضِ (٣) أَكْثَرًا مِمَّا يَحْتَكِمُ بِهِ لَوْحُكُمُ ، وَيَخْتَارُهُ لَوْ خَيْرٌ .
وَلَكَّ أَنْ تَرَوِي « مَا لَمْ تَكْدَ تَقْضِي » بِالتَّاءِ ؛ تَرَدُّهُ عَلَى الْأَرْضِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

(١) رَوَاهُ أَبُو الْعَلَاءِ : « نَشَاوِي مِنَ الْإِدْلَاجِ » ، أَيْ يَسَابِقُ ، مِنْ الشَّوَى ، أَيْ الطَّلَقِ ؛
يُقَالُ شَاءَ شَاءً ، إِذَا سَبَقَهُ .

(٢) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى كَلِمَةِ « الْإِدْلَاجِ » التَّالِيَةِ سَاقِطَةٌ مِنْ ل .

(٣) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى كَلِمَةِ « الْأَرْضِ » التَّالِيَةِ سَاقِطَةٌ مِنْ ل .

هذا كما يقال : أعطاني الأميرُ ما لم يكذب عليه لأحدٍ ، وسمح لي بما لم يكذب
يسمع به لأحد . والأول أحسن وأغرب . وقال بعضهم : أخبر أن هذا السحابُ
إذا أتى على أرضٍ مُجْدِبَةٍ لم يفارقها مطرُها حتى يَهْرِيْقَ ^(١) بها من الماء ما يكون
فيه عهدٌ ووليٌّ ^(٢) في دَفْعَةٍ واحدة ، وفراغُه من هذا لا يكون سريعاً هيئاً .
كانَّ حاجةَ السحابِ في الأرضِ المُجْدِبَةِ إحياءُها وإخصابُها من مطرَةٍ واحدة ،
فلما قتلَ قَصَى وطَرَه ، ولم يكذبَ يَقْضِيهِ إلا بعد بَطْء .

وقوله « تَحِنُّ بأجواز الفلا قُطْرَاتُهُ » أي نواحيه . والقطر : الجنب .
ويقال : قَطَّرَه ، إذا ألقاه على قُطْرِهِ . ويقال في معناه قُتِرَ أيضاً بالهاء . يريد
أن جوانبه تتجاوبُ بالرَّعد ، فكأنَّها تَحِنُّ إلى مواضع لما قد أَلْقَتْها ، فهي
تشتاقُها وتتشوّف . ثُمَّ شَبَّهَ حنينها بحنين الإبل وقد فُرِّقَتْ بعد اجتماع ،
فبحانَّت وتهاذرت .

ويقرب من هذا قولُ الهذلي ^(٣) :

يَجْشُرُ رَعْدًا كَهَذَرِ الْفَحْلِ يَنْتَبَهُ أَذْمٌ تَعَطَّفَ حَوْلَ الْفَحْلِ ضَخْضَاحٌ ^(٤)

٤ — كَانَ الشَّارِخَ الْأَوَّلَى مِنْ صَبِيرِهِ شَمَارِخٌ مِنْ لُبْنَانَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ ^(٥)

٥ — تُبَارِي الرِّيحَ الْخَضِرِمِيَّاتِ مُزْنُهُ بِمُنْهَمِرِ الْأُرَاقِ ذِي قَرْعٍ رَفُضٍ ^(٦)

الشارخ : الأعلى . والصَّيِير : السحاب الأبيض . ولُبْنان : جبل . شَبَّهَ

(١) ل : « يهريق » .

(٢) العهد : المطر الأول . والولي : ما يليه من المطر .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلي . ديوان الهذليين (١ : ٤٨) .

(٤) قال خالد بن كلثوم : ضَخْضَاح في لغة هذيل : كثير ، لا يعرفها غيرهم . يقال : عنده

إبل ضَخْضَاح . اللسان (ضَخْضَاح) .

(٥) في هامش ل أن الصواب « الصَّارِخِ البلي » ، وهي رواية التبريزي .

(٦) التبريزي : « يباري » .

أَعَالَى السَّحَابِ بِأَعَالَى هَذَا الْجَبَلِ وَأُنُوفِهِ الَّتِي تَتَقَدَّمُ مِنْهُ ، وَقَالَ « الْأَوَّلَى »
تَخْصِيصًا لِمَا كَانَ مِنْ صَبِيرِهِ خَاصَّةً ، وَقَالَ « بِالطُّولِ وَالْعَرْضِ » لِيَبَيِّنَ وَجْهَ التَّشْبِيهِ .
وَقَوْلُهُ « تُبَارِي » أَيْ تُحَاكِي وَتُسَامِي الرِّيحَ الشَّامِيَّةَ سُحْبُهُ بِمَطَرٍ سَامِي
الْأَعَالَى . وَيُقَالُ لِلْسَّحَابَةِ إِذَا أَلْعَتِ بِالْمَطَرِ فِي مَوْضِعٍ : أَلْعَتَ عَلَيْهِ أُرَوَاقُهَا .
وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَلْقَى هَمَّهُ عَلَى الشَّيْءِ وَنَفَسَهُ : أَلْقَى عَلَيْهِ أُرَوَاقَهُ . لَذَلِكَ قَالَ
تَأْبِطُ شَرًّا :

* أَلْقَيْتُ لَيْلَةَ خَبَتِ الرَّهْطِ أُرَوَاقِي ^(١) *

وَالْقَزَعُ : قِطْعٌ مِنَ السَّحَابِ مَتَفَرِّقَةٌ ، وَالوَاحِدَةُ قَزَعَةٌ . وَقَالَ الْخَلِيلُ :
الْقَزَعُ قِطْعٌ مِنَ السَّحَابِ رَقِيقَةٌ كَالظِّلِّ . وَعَلَى مَا قَالَهُ يَكُونُ الْإِشَارَةُ مِنَ الشَّاعِرِ
إِلَى السَّحَابِ إِلَى وَصْفِهِ وَقَدْ هَرَّاقَ مَاءَهُ فَرَّقَ . قَالَ الْخَلِيلُ : وَلِذَلِكَ قِيلَ : شَعَرَ
مُقَزَّعٌ ، أَيْ خَفِيفٌ . وَالرَّفَضُ : الْمُرْفُضُ الْمَتَفَرِّقُ ، وَكَأَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ الرَّفَضُ ،
مُحَرَّكَ الْفَاءِ ، وَالْجَمِيعُ الْأَرْفَاضُ ، فَسَكَنَ . وَبِمُحْزَافٍ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا بِالْمَصْدَرِ ، لِأَنَّهُ
يُقَالُ رَفَضْتُ الشَّيْءَ رَفَضًا ، وَالْمُرْفُوضُ رَفَضٌ . وَالْمَعْنَى أَنَّ مُرْزَنَهُ وَهُوَ السَّحَابُ ،
تُجَاعِي الرِّيحَ الْهَابَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّامِ — يُشِيرُ إِلَى الشَّمَالِ — بِمَطَرٍ ذَا صِفَتِهِ مِنْ
سَحَابٍ كَذَلِكَ .

٦ — يُنَادِرُ تَحْضَ الْمَاءِ ذُوهُوَ تَحْضُهُ عَلَى إِثْرِهِ إِنْ كَانَ الْمَاءُ مِنْ تَحْضٍ

٧ — يَرُوءِي الرُّوْقَ الْهَامِدَاتِ مِنَ الْبَلَى مِنَ الْعَرْفَجِ النَّجْدِيِّ ذُو بَادٍ وَالتَّخْمِضِ

أَصْلُ التَّخْمِضِ اللَّبَنُ الْحَامِضُ بِلَا رَغْوَةٍ ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الْحَسْبِ وَفِيهِ ،
يَقُولُ : يَرُوكَ خَالِصَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ خَالِصَةُ السَّحَابِ وَصَافِيَّتُهُ ، وَيُخَلِّقُهُ فِي مَسَائِلِ
الْأُودِيَةِ عَلَى إِثْرِهِ . وَإِنَّمَا يُشِيرُ إِلَى مَا تَقَطَّعَ وَرَقٌ مِنْ مَاءٍ لِلطَّرِيقِ بِنَصْدِ الْأَحْجَارِ ،

(١) عجز البيت ٤ من الفضلية الأولى . وصدره :

* نَجُوتٌ مِنْهَا نَجَائِي مِنْ بَيْتِي إِذْ *

وأصول الأشجار ، حتى صفا من شوائب الكدورة ، وقرّ في الناقع
وقرارات الأودية .

وقوله « إن كان الماء من تحض » ، لأنّ ماء المطر جنس واحد إذا لم
يختلط به غيره لا يختلف . وقد مرّ القول في ذواته بمعنى الذي في لغة طي^(١) ،
قوله : « ذو باد » ، أي الذي باد ، وهو في موضع الجرّ ، لكنه لا يغيّر
عن بنيته .

وقوله « يرؤى العروق الهامدات من البلى » ، يريد أنه أحيا ما أشرف
على اليأس من عروق الشجر البالية خلّتها وخمضها ، وأعادها غضةً مرتوية .
والهُمودُ أبلغ من الخمود .

٨ — وبات الحبيّ الجوّنُ ينهضُ مُقَدِّمًا كنهضِ المدائن قَيْدُهُ المَوْعِثِ النَّقْضِ
الحبيّ من السحاب : المشرف المتراكم . والجوّن ؛ الأسود هنا ، وجعله
كذلك لارتوائه وكثرة مائه . وقوله « ينهض مُقَدِّمًا » انتصب مُقَدِّمًا على
الحال ، يريد أن سير السحاب لثقله وحركاته مثل سير هذا البعير وحركته ؛ ثمّ
وصفه . والمدائن قَيْدُهُ : الذي قَصَرَ عَقْلُهُ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ قَيْدُهُ . ولم يرّضَ بذلك
حتى جملة سائرًا في الوَعْثِ ، وهي الأرض اللينة الكثيرة الثراب والرمل ؛
والسير فيها يَصْنُبُ . ويقال في الدعاء : « اللهم إني أعوذ بك من وَعْثَاءِ السَّفَرِ » ،
يراد شِدَّتُهُ وصُعوبته . ويقال : أَوْعَثَ ، إذا صارَ في الوَعْثَاءِ ، كما يقال أسهلَ
إذا صارَ في السهل . ثمّ لم يرّضَ بعد ذلك أيضًا حتى جملة نقضًا ، وهو المهزول
الضعيف . ويقال نَقَضْتُ البعيرَ نَقْضًا ، والنقوض نَقْضٌ .

وقد زاد في هذا الوصف على الأعشى لما قال - وإن كان الأعشى يصف
امرأةً بالنّعمة والثّروة ، وهذا يصف سحابةً ثقيلة - :

* تَنْشِي الْهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجِلُ ^(١) *

لأن هذا جبل البعير مُدَانِي التّئيد أيضاً .

تم الباب بحمد الله تعالى ومنه ، وحسن توفيقه وعونه .

(١) صدره في الديوان ٤٢ :

* غراء فرعاء مصقول عوارضها *

بَابُ السَّيْرِ وَالنَّجَاسَةِ

بَابُ السَّيْرِ وَالتَّنَاسُ

٨١٩

وقال حَظِيمٌ^(١) :

- ١ - وقال وقد مالت به نشوة الكرى نُمَاسًا وَمَنْ يَفْلَقُ سُرَى اللَّيْلِ يَكْسِلُ
 - ٢ - أُنْفِخْ نَفْطٍ أَنْضَاءُ التَّنَاسِ دَوَاءَهَا قَلِيلًا وَرَفَّةً عَنْ فَلَائِصَ ذُبُلٍ
 - ٣ - فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ الْإِنَاخَةُ بَعْدَهَا حَدًّا اللَّيْلِ عُرْيَانُ الطَّرِيقَةِ مُنْجَلِي
- مفعول قال أول البيت الثاني ، وهو « أُنْفِخْ نَفْطٍ » . وقوله : « وقد مالت به نشوة الكرى » ، الواو واو الحال . والنشوة : الشكر . والكرى : النوم . وانتصب « نُمَاسًا » على أنه مصدر في موضع الحال .

وقوله « وَمَنْ يَفْلَقُ سُرَى اللَّيْلِ يَكْسِلُ » اغتراضٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَمَعْمُولِهِ . وَيَفْلَقُ فِي مَعْنَى يَتَعَلَّقُ . وَالسَّرَى : سَيْر اللَّيْلِ خَاصَّةً ، وَأَضَافَهُ إِلَى اللَّيْلِ فَقَالَ سُرَى اللَّيْلِ ، تَأْكِيدًا . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : وَقَالَ رَفِيقِي وَقَدْ انْتَشَى مِنَ الْكَرَى وَصَارَ يَتَمَيَّلُ وَلَا يَسْتَقِيمُ وَهُوَ نَاعَسٌ ، وَمَنْ يُمَارِسُ السَّيْرَ وَيُهَاجِرُ النَّوْمَ يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ الْكَسَلُ : أُنْفِخْ رَاحِلَتَكَ نَدَاوِ الْمَطَايَا الَّتِي أَنْضَاءُ التَّنَاسِ وَهَزَلَهَا الْجُهْدُ ، دَوَاءَهَا مِنَ الرَّاحَةِ وَالنَّوْمِ ، وَسَكَنٌ مِنْ فَلَائِصَ مَهَازِيلَ ، وَوَشَّعَ مَا ضَيَّقَتْ عَلَيْهَا مِنْ أَوْقَاتِهَا . وَالْقُلُوصُ فِي الْإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ الْجَارِيَةِ فِي النَّاسِ . وَالذُّبُلُ : جَمْعُ ذَابِلٍ . وَالتَّرْفِيَةُ : التَّوْسِيعُ وَالتَّنْفِيسُ . وَيُقَالُ : رَفَّهْتُ الْبَحِيرَ ، إِذَا تَرَكْتُ الْحَمْلَ عَلَيْهِ ، وَعِشْ رَافَةً وَرَفِيَةً : فِيهِ رَفَاهَةٌ وَخِصْبٌ . وَانْتَصَبَ قَلِيلًا عَلَى الظَّرْفِ ، وَبِجُوزِ

(١) كَذَا فِي النُّسخِ بَابِ الْمَهْلَةِ . وَعِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ : « الْحَطِيمُ » بِالْحَاءِ الْمَجْمُوعَةِ .

أن يكون صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال نُعْطِهَا دواءها إعطاء قليلا ، أو وقتا قليلا .
والأنضاء : جمع النَّضْو ، وهو المهزول .

وقوله « قلت له كيف الإناخة » ، يريد كيف الوصول إلى النزول وقد أصبحنا وساق الليل صُبْحٌ واضحُ الطريقة ، متكشِّفُ الشريعة ، يَجْلِي الظَّلامُ فيه ويفرِّق . يريد أن الرأي وقد انصرم الليل أن تنبِّغ إلى الماء الذي تقصده ثم نزل .

٨٢٠

آخر :

١ - وَفَتَيَانِ بَنَيْتُ لَهُمُ رِدَائِي عَلَى أَسْيَافِنَا وَكَلَى الْقِيسِ

٢ - فَظَلُّوا لَا يُذِينَ بِهِ وَظَلَّتْ مَطَايِمُهُمْ صَوَارِبَ بِالْحَيِّ

٣ - فَلَمَّا صَارَ نِصْفُ الظِّلِّ هُنَا وَهَنَا نِصْفُهُ قَسَمَ السَّوِيَّ

يقول : رب فتيان أثر فيهم الحر ، ومالوا إلى النزول ، فبنيت لهم ما أظلمهم على الأسياف والقسي ، وقد غشيت بردائي فظلوا من نهارهم مُلَجَّثِينَ إليه ولائذين من الحر به ، وبقيت مطاياهم لتأثير أواره فيها ، وإحراقها بتوقد الهاجرة عليها ، تضرب بلحيتها على الأرض ، فلما زال قائم الظهيرة ، وصار الظل نصفين لاشطط في انقسامه ، ولا اعوجاج في سويته . وجواب لنا مُنَظَّر .
وقوله « هُنَا » انتصب على الظرف ، وقد وقع موقع خبر صار .

وسمعت شيخنا أبا علي الفارسي رحمه الله يقول : ليس هُنَا من لفظ هُنَا في شيء ، ووِزْنُهُ قَفْلَلْ مثل جعفر ، فهو رباعي ، وهُنَا ثلاثي . كَانَ أَصْلُهُ هَنَنْ ، فَأَبْدَلُوا مِنْ إِحْدَى نَوَانِهِ الْأَلْفَ هَرَبًا مِنَ التَّضْعِيفِ ^(١) .

(١) نظيره إبدال التوت ياء في قولهم « التظلى » و « التقصى » في « التظنن » و « التقصص » .

وقوله « قَسَمَ السَّوَّى » انتصب على المصدر ، والمراد وقد قَسَمَ قَسَمَ
الإنصاف . ودلَّ على الفعل قوله « نِصْفُ الظِّلِّ هُنَا » .

والسَّوَّى أكثر ما يجيء في آخره هاء التانيث : السَّوِيَّة ، قال الشاعر :

* أَلَا إِنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ تُضَامُوا ^(١) *

ويجوز أن يريد بالسَّوَّى السَّوَّى ، كما جاء في الخبر : « لَا تَحْمِلُ الصَّدَقَةُ
لَفَنِي ، وَلَا لَذَى مِرَّةٍ سَوَّى » .

٤ - دَعَوْتُ فَتَى أَجَابَ فَتَى دَعَاهُ بَلَبَيْتُهُ أَشَمَّ شَمْرَدَلِي

٥ - قَامَ يُصَارِعُ الْبُرْدَيْنِ لَدُنَا يَقُوتُ الْعَيْنَ مِنْ نَوْمٍ شَمِيٍّ

٦ - قَامُوا يَزْحَلُونَ مَنَفَهَاتٍ كَانَتْ عُمُونَهَا نَزْحُ الرِّكِيِّ

قوله « دعوت » جواب لما من قوله « فلما صار نصف الظل » ، وهو العامل
فيه ، لكونه علماً للظرف . وقوله « أجاب فتى دَعَاهُ » يريد أجابني ، لأنه هو
الداعي له . وقوله « بَلَبَيْتُهُ » أراد أجاب بالتلبية ، أضاف كَبَى إلى ضمير الجيب ،
وحكى ما لُفِظَ به . وَلَبَيْتِكَ ، من قولم : أَلَبَّ بِالْمَكَانِ ، إذا أقام به ، وهذه اللفظة
مثنى ، والتثنية فيها إيدانٌ بأن المراد إلبابٌ بعد إلباب ، لأنَّ تد تقييد التكرير ،
فكَانَ المراد : دَوَامٌ على طاعتك ^(٢) ، وإقامةً عليها مرَّةً بعد أخرى . قال
سيبويه : انتصابه على المصدر كانتصاب سبحان الله ، ولا ينصرف كما لا ينصرف
سبحان . وقال يونس : إنه واحدٌ غير مثنى ، والياء فيه كالياء في عليك ولديك ،
وأنشد الخليل وسيبويه عن العرب ، قول القائل ^(٣) :

(١) لبراء بن عازب رضي الله عنه ، كما في اللسان (سوا) . وصدوره :

* أَنَسَأَلِي السَّوِيَّةَ وَسَطَ زَيْدٍ *

(٢) في النسختين : « طَلَعْتُكَ » ، تحريف .

(٣) غير معروف . والبيت من أبيات سيبويه المحسن التي لم يعرف لها قائل . انظر

سيبويه (١ : ١٧٦) والحزاة (١ : ٢٦٨ - ٢٦٩) .

* فَلَبَّى فَلَبَّى يَدَيَّ مِسُورٍ ^(١) *

وموضع الحجة أنه لو كان كَلَدَى وعلى لكان يجرىء بالألف إذا أضيف إلى الظاهر ، كما تقول لَدَى زَيْدٍ وعلى عمرو ، والشاعر قال : لَبَّى يَدَيَّ .

وقوله « أَشْمٌ » في موضع الجر على أن يكون بدلاً من الضمير المتصل بلبينه . وأصل الشَّم الطُّول في الأنف ، لكنّه جعل لفظه أَشْمَ كناية عن الكريم . والشَّردل : الطَّويل . وزاد ياء النسبة في آخره توكيداً للوصفية ، فهو كقول رؤبة :

أَطْرَبَا وَأَنْتَ قِنْسِرِيٌّ والدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَارِيٌّ

يريد قِنْسِرَا ودَوَارَا ، فزاد الياء لمثل ذلك .

ومراد الشاعر : لما انقسمَ الظِّلُّ هذا الانقسام ، وخفَّ احتدامُ الوقت واشتدَّ أمرُ الحرِّ على مُوَاصِلِ السَّيرِ والشرى ، دعوتُ فتى أجا بنى بلبيك ، كريمٍ مديدِ القامة ، تامَّ الخلقه ، فقام ولمَّا لحقه من التَّعب والكلال وترك النوم يتمايلُ ، فكأنَّه يصارع بُرْدِيه . وهو لئن الأعطاف ، يهتزُّ اهتزاز الرمح اللدن ، وهو ينفى عن عينه نوماً لذيذاً تمكَّنَ [منها ^(٢)] ، فهو لها قوتٌ وقوام [وينفضها منه شيئاً بعد شيء . وإنما قال ذلك لأنه لم يكن استوفى من الراحة والنوم ما يكتفى ويتماسك له ^(٣)] إذ كان هيجَه وبسته للارتحال قبل ذلك . وقوله « وقاموا ^(٣) يرحلون » يريد : قامَ هو وأصحابه يرحلون رواحِلَ لم قد أسقطها واستنفذَ قواها السَّير المتصل الحثيث ، فهي غائرةُ العيون ، ساقطةُ القوى ، قد دخلت مُقلُّها في ألقائها ، فكأنَّ عيونها آبارٌ نَزَحَتْ مياهها . ويقال : نَفِهَتْ نَفْسُهُ وَنَفَّهْتُهَا أَنَا . والنُّزُح : جمع نَزِيج .

(١) صدره : * دعوت لما نابى مسوراً *

(٢) التكلة من ل .

(٣) كذا في اللسخين . وهو في المتن « فقاموا » بالفاء .

٨٢١

آخر^(١) :

١ - وَلَقَدْ هَدَيْتُ الرِّكْبَ فِي دَيْئُومَةٍ فِيهَا الدَّلِيلُ يَمْعُزُ بِالْخُمْسِ

٢ - مُسْتَفْجِلِينَ إِلَى رَكِيٍّ آجِنٍ هَيْهَاتَ عَهْدُ الْمَاءِ بِالْإِنْسِ

يريد أنه يتمتف البلاد ، وبركبها بأصحابه ، وهو هاديهم ، وأنه ورّاد للمياه التي انقطع الناس عنها فلا يردها إلا السباع والطير . ولا خلاف بينهم أن القطا أهدى الطير ، وأن الذئب أهدى السباع ، وما السابقان إلى المياه ؛ لذلك وصفهما الشعراء وضربوا الأمثال بهما . والرَّكْبُ : رُكبان الإبل . والدَيْئُومَةُ : المفازة ، واشتقاقه من دَمَهُ ، أى أهلكه ، وهو يجرى مجرى مَهْلَكَةٍ ومفازة ، والياء فيه زائدة . وقوله « يَمْعُزُ بِالْخُمْسِ » ، يقال عَضَّ كَذَا ، وعَضَّ على كذا ، وعَضَّ بكذا ، قال :

* فَمَعْزُ يَابِهَامِ الْيَمِينِ نَدَامَةٌ *

وقال غيره :

* عَضَّ عَلَى شِبْدَعِهِ الْأَرِيبُ^(٢) *

وفي القرآن : ﴿ عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأُنَامِلَ مِنَ الْفَيْظِ ﴾ . وإنما جعل الدليل يفعل ذلك لخوفه الهلاك والضلال على نفسه ومن معه . ويريد بالخُمْس ، الأصابع ، وهى مؤنثة ، لذلك قيل : السَّبَابَةُ ، والدَّعَاءَةُ ، والوُسْطَى .

وقوله « مُسْتَفْجِلِينَ إِلَى رَكِيٍّ آجِنٍ » ، أراد : مُبَادِرِينَ إِلَى بَرٍّ مَغْيِرَةٍ

(١) التبريزى : « وقال رجل من بني بكر » .

(٢) الشبدع بكسر الشين وكسر الهمزة أو فتحها : اللسان . وبعده فى (الداخل) لفلام

* فظل لا يلحق ولا يحوب *

* طلب :

الماء ، فلما وَرَدُوهَا بَعِيدَةَ الْعَهْدِ بِالْإِنْسِ ، لِأَنَّ الْمَفَازَةَ الَّتِي يَقْصِدُهَا بِالْوَصْفِ كَانَتْ غَيْرَ مَسْلُوكَةٍ لَمْ إِلَّا فِي الْفَادِرِ ، وَإِنَّمَا يَرِدُ الْمَاءُ بِهَا الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ . وَارْتَفَعَ « عَهْدُ الْمَاءِ » بِقَوْلِهِ هِيَهَاتَ ، وَهُوَ اسْمٌ لِبَعْدٍ . وَالْمُرَادُ رَكْبٌ مُتَغَيِّرٌ بَعْدَ عَهْدٍ مَائِهِ بِالْإِنْسِ . وَقَدْ رَوَى عَهْدُ الْمَاءِ بِالْأَمْسِ « وَيَكُونُ عَلَى هَذَا عَهْدُ الْمَاءِ مَرْتَفِعًا بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَبِالْأَمْسِ خَبْرُهُ . وَأَنَّى بِلَفْظَةِ « هِيَهَاتَ » عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِعْبَادِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِلَى رَكْبٍ آجِنٍ بَعْدَ الْمَطْلُوبِ وَالْمُبْتَغَى . ثُمَّ قَالَ « عَهْدُ الْمَاءِ بِالْأَمْسِ » ، أَيْ كَانَ الْمَاءُ فِي وَقْتٍ مُتَقَادِمٍ . وَالرَّوَايَةُ الْأُولَى أَصَحُّ وَأَجْوَدُ وَأَحْسَنُ . وَفِي طَرِيقَتِهِ قَوْلُ الشَّيْخِ :

وَمَاءٌ قَدْ وَرَدَتْ لَوْحْلٍ أَرَوَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْوَرَقِ اللَّحِينِ
ذَعَرَتْ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذَّنْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ
وَقَالَ ذُو الرُّؤْمَةِ :

وَمَاءٌ بَعِيدِ الْعَهْدِ بِالنَّاسِ آجِنٍ كَأَنَّ الدَّبَّاءَ مَاءَ النَّصَافِيهِ يَنْصُقُ
وَرَدَتْ اِعْتِسَافًا وَالثَّرِيًّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلِّقُ
٣ - مَسْتَعْجِلِينَ فُشْتَوِ وَمُعَالِجُ نَقَبًا بِخُفِّ جُلَالَةٍ عَنَسِ
٣ - وَمُهُوْمٌ رَكِبَ الشَّمَالَ كَأَنَّمَا بِفُؤَادِهِ عَرَضٌ مِنَ الْعَسِّ

أَعَادَ لَفْظَ « مُسْتَعْجِلِينَ » تَأْكِيدًا ، وَالْأَوَّلُ مِنْهُمَا حَالٌ لِلرَّكْبِ . وَقَوْلُهُ « فُشْتَوِ » مُبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ مُضْمَرٌ . كَأَنَّهُ قَالَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ : فَهُمْ مُشْتَوٍ وَمِنْهُمْ مُعَالِجٌ نَقَبًا ، وَمِنْهُمْ مُهُوْمٌ . وَذِكْرُهُ لِلْمُسْتَوِ وَغَيْرِهِ لِيُرَى ضَيْقُ الْوَقْتِ ، وَأَنَّ أَرَابَهُمْ لَمْ تُقْضَ فِيهِ عِنْدَ نَزْوَلِهِمْ : مِنَ الْأَكْلِ وَإِصْلَاحِ عَوَاضِ السَّفَرِ^(١) ، إِلَى سَائِرِ مَا أَحَاطَ التَّعَدُّادُ بِهِ وَدَلَّ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ أَرَعَجَهُمْ وَهَيَّجَهُمْ لِلارْتِحَالِ . وَالنَّقَبُ : الْحَفَى . وَالْجُلَالَةُ : النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ الْجِسْمِ . وَالْعَنَسُ : الضَّلْبَةُ .

(١) ل : « عَارِضُ السَّفَرِ » . فَلَمَلَهَا « عَوَارِضُ » .

وقوله « ومهّوم » أراد: وربّ رجلٍ نائمٍ لما نُبّه رَكِبَ شِمَالَهُ لَغَلَبَةِ النّومِ عليه ، وكأنما بقلبه عَرَضٌ مِنَ الجنون . والمراد بقوله « رَكِبَ الشَّال » أنه أخطأ في القصد . من قولم رَكِبَ شُومَهُ ^(١) وركب الشَّقَّ الْأَشْأَمَ ، للعادل عن سواء السبيل ، وللمنهزم والخطي . ويجوز أن يريد بقوله : « ركب الشمال » شِمَالَ نفسه ، والراكب إذا لم يَزِغْ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَرْكَبَ مِنْ يَمِينِ نَفْسِهِ وَشِمَالِ مَرْكُوبِهِ ، ومتى ركب من شِمَالِ نَفْسِهِ وَيَمِينِ مَرْكُوبِهِ كَانَ مَعكُوسَ الرُّكُوبِ . ويجوز أن يريد : ركب الشمال مرّةً واليمينَ أخرى ، فاكْتَفَى بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا . والمعنى : لا يُبَالَى عَلَى أَيِّ جَنْبِيهِ سَقَطَ ، لَغَلَبَةِ النُّعَاسِ عَلَيْهِ .

وفي هذه الطريقة قولٌ لبيد :

قَلَّا عَرَسَ حَقِي هِجْتُهُ بالتبشير من الصبح الأول
يَلْسُ الْأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ يَيْدِيهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصَلِّ
يَتَارَى فِي الذِّى قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَتَّى هَلْ

٨٢٢

آخر :

١ - وَهْنٌ مُنَاخَاتٌ بِمَآذِرِنَ قَوْلَةٍ مِنْ الْقَوْمِ أَنْ شُدُّوا قُتُودَ الرَّكَائِبِ

٢ - تَكَادُ إِذَا قَمْنَا يُطِيرُ قُلُوبَهَا تَسْرُبُنَا وَلَوْثُنَا بِالْمَصَابِ

قوله « هُنَّ مُنَاخَاتٌ » ، يريد الإبل . و« بِمَآذِرِنَ » في موضع الصفة أى خائفةٌ محاذرة . وقوله « مِنَ الْقَوْمِ » اتصل بقوله . و« أَنْ شُدُّوا » في موضع المفعول لقوله . وَأَنْ مَخَفَتْهُ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهُ مُضْمَرٌ . والمراد أَنَّ الْأَمْرَ وَالشَّأْنَ

(١) ل : « شُومًا » .

شُدُّوا فُتُوْدَ رُكَّابِكُمْ . و « شُدُّوا » بما بعده في موضع الخبر . ويريد أن مطاياهم وهي منافخة في ركائبها خائفات قول مُنادى القوم تهيئوا للانفصال وشُدُّوا على رواحلكم الرُّحال .

ثم قال « تكادُ إذا قُنا يُطِيرُ قُلُوبَهَا » أى قلوبَ الإبل ، أى لأنها لما استشمرت من هَوْل السَّير ولما تخوَّسَهَا وأثر في قُواها من الكلال والتعب ، إذا رأَنا نفسَربلُ ونَلَفُ عمامنا على رءوسنا ، تكاد تطيرُ قُلُوبُها انزعاجا وخوفا ، لعلها بما تُكابدُه وتُعانِيه .

٨٢٣

آخر :

- ١ - حُبِسْنَ فِي قُرْحٍ وَفِي دَارَاتِهَا
- ٢ - سَبَعَ لَيْالٍ غَيْرَ مَعْلُوقَاتِهَا
- ٣ - حَتَّى إِذَا قَضَيْتُ مِنْ بَنَاتِهَا
- ٤ - وَمَا تُقْضَى النَّفْسُ مِنْ حَاجَاتِهَا
- ٥ - حَمَلْتُ أَثْقَالِي مُصَمَّمَاتِهَا
- ٦ - غُلِبَ الذَّفَارَى وَعَفَرَ نِيَاتِهَا

قُرْح : موضع ^(١) . ويريد بالداراتِ داراتِ الرَّمْلِ . ودارات العرب نَيْف وعشرون ، قد ذكرناها في موضع آخر . وانتصب « سبع ليال » على الظرف . و « غير معلوقاتها » في موضع الحال ، والمراد : غير معلوقاتِ فيها ، لكنه قدّر

(١) هو سوق وادي القرى ، كما في معجم البلدان .

الظرف تقدير المفعول الصحيح ، وحذف في . والبتات : المتاع . والمصمات
 هي التي لا ترغو . والغلب : الغلاظ الأعناق . والدفاري : جمع الدفري ، وهي
 الحيد الثاني عن يمين الثقرة وشمالها . والمقرنيات : الصلبة السريعة ،
 والواحدة عفناة . فيقول : حُبست هذه الإبل في هذا الموضع ، وفي دارات رمالها
 ليالي سبعة غير مستوفية من علفها حظوظها وكفايتها ، حتى إذا أصلحت
 أحوالها ، وفرغت من قضاء حاجات نفس فيها وفي غيرها ، من رفيق وصاحب ،
 حملت أثقال صابراتها في السير ، وهي التي لا ترغو ولا تشكو ، وقد غلظت
 أعناقها ، وعادتها أن تخف في السير وتسرع .

والبتات : المتاع . والبتات ، بكسر الباء : جمع البت ، وهو الكساء .
 وانمطف « وما تُقضى النفس » على بتات ، يريد : وما تقضيه النفس من مهماتها .
 وقوله « حملت أثقال » جواب إذا ، والمصمات : الصابرات على السير
 الماضية ، وهي لا ترغو .

وغلب الدفاري ، انتصب على البذل من مصماتها .

٧ - فأنصلت تعجب لأنصلاتها

٨ - كأنما أغناق سامياتها

٩ - بين قروري ومرورياتها

١٠ - قسي نبع رد من سياتها

١١ - كيف ترى مر طلاحياتها

١٢ - والحمضيات على علاتها^(١)

(١) الحمضيات قال بفتح الميم كما هنا ، وقال أيضاً بإسكانها كما في اللسان (معرض ٤٠٩) .

١٣ - يَبْتَنَ يَنْقُلْنَ بِأَجْزَاتِهَا

١٤ - وَالْحَادِي اللَّاعِبَ مِنْ حُدَاتِهَا

قوله « فأنصلت » أى مضت جادةً حتى تمجّب لمضيّها ، وكان أعناق اللّات تسمو بأغيّنها ، وترفع رءوسها ، وتمتدّ في المسير أضباعها ، بين هذه المواضع قرورى وما حولها ، من الأرضين التى لا نبات فيها ، فى طولها وتجردها - قسوّ نبمّة رُدّ ما عطف من أطرافها .

ثم قال : « كيف ترى مرّ طلاحياتها » على طريق التمجّب منها ، والإعجاب بها . وطلاح بكسر الحاء : جمع طلحة ، ويقال لإبل طلاحية ، إذا ألقت الطلح وأكلته ، وقياسه إذا كثرت الطاء طلاحية ، لأنّ الجمع يُردّ إلى واحد ، وهو صفة فى النسب . قال الفرّاء فى طلاحى إذا نسب إلى الطلح : هو بمنزلة أذانيّ [رؤاسي] ، و^(١) أنافى ، وإنما هذه النسبة تكون للأعضاء ، فشبه طلاحى به إذ كان ملازماً له ، فصار كأنه منه . وقال غيره : قيل طلاحى كما قيل بُكايطى ، وهو منسوب إلى النبط ، وكيفما كان فإنه لم يجرى على القياس الأكثر ، وما هو الأصل . وقال الكسائى : إذا اشتكت الإبل بطونها عن أكل الأراك قيل : إبل أراكى ، وإن كان من الطلح قيل طلاحى بفتح الحاء مقصوداً .

وقوله « والحمضيات » ، أراد ومرّ الحمضيات على علاتها ، أى على ما يعترض لها من الأسباب الباعثة والمانعة ، والأحوال المهيّجة والمبطّنة . وحرك الميم من الحمضيات لأنّ هذا ممّا غيّر فى النسب ^(٢) . وقال أبو العباس المبرد : يقال حمضٌ وحمضٌ ، وإذا صحّ هذا فقد جاء على وجهه .

وقوله « يَبْتَنَ يَنْقُلْنَ بِأَجْزَاتِهَا » أى يَنْقُلْنَ أجزأتها ، فزاد الباء تأكيداً ،

(١) التكلفة من ل . (٢) انظر ما سبق فى حواشى الصفحة السابقة .

وهو جمع الجمع ، يقال جَهَّازٌ وأجهزة وأجهيزات ، وهي الأمتعة .
 وقوله « والحادي اللاغب » عطف الحادي على موضع « بأجهزاتها » ،
 أي وينقلن الحادي والمُنْبِي لدوام حَدَاثِهَا . ويروى « بالقصويّات » ، وهي
 التي ترعى الفضا . قال :

فَمَا وَجَدُ مِلْيَاحَ الْهَوَى غَضُوبِيَّةٍ يَلَوِّذُ الشَّرَى فِي غُلَّةٍ وَهِيَامِ

٨٢٤

وقال حكيم بن قبيصة^(١) :

١- لَعَمْرُ أَبِي بَشِيرٍ لَقَدْ خَانَهُ بَشِيرٌ عَلَى سَاعَةٍ فِيهَا إِلَى صَاحِبٍ فَقَرُ
 ٢- فَاجْتَنَى الْفِرْدَوْسَ هَاجَرَتْ تَمْتِنَتِي وَلَكِنْ دَعَاكَ الْخُبْرُ أَحْسَبُ وَالْبُخْرُ
 ذكر للدائني^(٢) (في كتاب العققة^(٣)) ، أن هذا الشعر لحكيم بن ضرار الضبي ،
 قاله لابنه وكان غزا وترك أباه . وذكر غيره أنه حكيم بن قبيصة ، وأن ابنه
 كان فارقه مهاجراً البدو إلى الأمصار . يقول : وبقاء أبي بشرٍ — يعني نفسه —
 لقد خانه بشر ، يعني ابنه ، في وقت كان يشتد فقره إليه . يشير إلى أوان كبره
 وضعفه ، وتعليقه الرجاء بالانتفاع به وتحمله أعباء المون عنه في ظمئه وإقامته .
 فقوله « على ساعة » في موضع الحال ، وتعلق على بفعل مضمر ، كأنه قال :
 مُشْرِقاً على وقتٍ هكذا . وقوله « إلى صاحب » في موضع النصب على الصفة
 المتقدمة ، لأن المراد : فيها فقر إلى صاحب ، وصفة النكرة إذا قدمت عليه
 صارت حالا . على هذا قوله^(٤) :

* لَيْتِيَّةٌ مُوحِشًا طَلَّلُ^(٥) *

(١) التبريزي : « وقال حكيم بن قبيصة بن ضرار لابنه بشر وقد هاجر » .

(٢) جمع هاني ، وهو أديب والد به .

(٣) هو كثير عزة ، كما سبق في حواشي ١٦٦٤ .

(٤) جزءه : * كأن رسوماً الخلل * .

وقوله « فاجئة الفردوس » جنة انتصب على أنه مفعول تبتنى ، وتبتنى في موضع الحال ، والتقدير : ما هاجرت مبتغياً جنة الفردوس . ووجه هذا الكلام نحو الابن مُعَيَّرًا . يريد أن الذي دعاك إلى الهجرة ^(١) نَهْمَةٌ بَطْنِكَ ، ورغبتك في أطعمة الحضرة ، لا الدين وطلب الآخرة ، إذ كان ذلك يفرض عليك طاعة أبويك ، وطلب رضاها . وقوله « أحسب » قد حُذِفَ فيه مفعولاه ، فهو كقول الآخر ^(٢) :

* تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَى وَتَحْسِبُ ^(٣) *

وفي الكلام مع التعمير تفرغ وتهكم وسخرى .

٣ — أَفْرُصٌ تُصَلِّي ظَهْرَهُ نَبْطِيَّةٌ بِتَنْوَرِهَا حَتَّى يَطِيرَ لَهُ قِشْرُ

٤ — أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ لِقَاحٌ كَثِيرَةٌ مُعْطَفَةٌ فِيهَا الْجَلِيلَةُ وَالْبَكْرُ

هذا الاستفهام آتٍ به على طريق التبسكيت ، وإبراه الخطأ فيما اختاره من الحضرة على البدو ، ومن ترك والده والعصيان له أشد ما كان حاجة إليه . فقال : أَفْرُصٌ تُنْضِجُهُ فِي التَّنْوَرِ امْرَأَةٌ خَبَازَةٌ نَبْطِيَّةٌ حَتَّى يَصِيرَ لَهُ قُرَافَةٌ تَنْقَشِرُ عنه ، أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نُوقٌ حَوَامِلُ كَثِيرَةٌ قَدْ عُطِفَتْ عَلَى أَوْلَادِهَا ، وفيها الجلالة الكبيرة والأفقاء القوية . يريد أن فعله فعل من لا يفرق بين هاتين الخصلتين ، ولا يميز الرُجْعَانَ فِي أَىِّ جَانِبِهِمَا يَكُونُ فَيَخْتَارُهُ . ويقال : صَلَّيْتُ الشَّوَاءَ ، إِذَا شَوَيْتَهُ . وَأَصْلِيَّتُهُ وَصَالِيَّتُهُ ، إِذَا أَقْبَيْتَهُ فِي النَّارِ . وَيَقَالُ أَيْضًا صَلَّى عَصَاهُ ، إِذَا أَدَارَهَا عَلَى النَّارِ ، فهو مثل أكرمته وكرّمته ، وأفرحته وفرّحته . وفي القرآن : ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴾ . ويقال : تَصَلَّيْتُ حَرَّ النَّارِ وَاصْطَلَيْتُهُ .

(١) ل : « المهاجرة » .

(٢) هو السكيت بن زيد الأسدي . الهاشميات ٣٨ .

(٣) صدره : * بأي كتاب أم بأية سنة *

- ٥ — كَانَ أَدَاوَى بِالْمَدِينَةِ عُلِّقَتْ مِلَاءً بِأَحْقِيهَا إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ^(١)
- ٦ — كَانَ قُرَى نَمْلٍ عَلَى سَرَوَاتِهَا يُبَلِّدُهَا فِي لَيْلٍ سَارِيَةٍ فَطَرُ^(٢)
- استمر في وصف اللقاح ، لأن تفخيم أمرها يزيد في بيان الخطأ فيما اختاره .
- وشبهه ضروعها بمزاد مملوء . والأحقى : جمع حق ، وهو من الإنسان معقد الإزار من كل ناحية ، ومن غيره مما يُجلب مواضع الضروع . والمعنى أنها بالفدوات وقد حفلت من الليل ، كأنما عُلِّقَتْ بمواضع ضروعها أَدَاوَى مملوءة ماء .
- وانتصب « ملاء » على الحال .

وقوله « كَانَ قُرَى نَمْلٍ عَلَى سَرَوَاتِهَا » يشبهه قول الآخر :

إلى سراة مثل بيت النمل غَنِيَّةٍ مِنْ وَبَرٍ وَخَلٍ
والسَرَوَات : الأعلى . وقريّة النمل ربما تَرَى كأعظم جنوة ، ولذلك
شبه ارتفاع أسنمتها وكثرة اللعْم والشعم عليها بها . ومعنى يبلِّدُهَا يصلبُهَا .
والسَارِيَةِ : السَّحَابَةِ تسري ليلاً .

٨٢٥

وقال واقد بن الفطريف^(٣)

وكان مريضاً فحُمِيَ الْمَاءُ وَاللَّبَنُ :

- ١ — يَقُولُونَ لَا تَشْرَبْ نَسِيئًا فَإِنَّهُ وَإِنْ كُنْتُ حَرَّانَا عَلَيْكَ وَخِيمٌ
- ٢ — لَيْتَ لَبَنُ الْمَغْزَى بِمَاءِ مُوَيْسَلٍ بَغَانِي دَاءٍ إِنِّي لَسَقِيمٌ
- النَّسِيءُ : الرِّثِيَّةُ . وَالْحَرَّانُ : الشَّدِيدُ الْمَطْشُ . وَعَلَيْكَ مِنْ صَفَةِ وَخِيمٍ ،

(١) هذا البيت في ل متأخر من تاليه .

(٢) التبريزي : « واقد بن الفطريف بن طريف بن مالك بن طي » . ونسب في معجم البلدان (٨ : ٢٠٣) إلى واقد بن الفطريف ، أو زيادة بن محمد الطريفي الطائي .

وقد قدّمه فانتصب على الحال . ومُوسى : تصغير مَأْسَلٍ الذى ذكره امرؤ القيس
في قوله :

* وجارتها أمّ الرّباب بمَأْسَلٍ ^(١) *

فما أظنّ . يريد : قال النَّاسُ وهم يَحْمُونِى الماء واللّبن : لا تشرّبهما وإن
اشتدّ حَمِي كَبِدِكَ ، وغليل جوفِكَ ، فإنه يثقل عليك ، ويزيد فى أَلَمِكَ ^(٢) من
العارض لك . فقلتُ مجيباً لهم : إن كان اللَّبن ممزوجاً بماء هذه العين يُورِئُنى
خبالاً ، ويَكْسِبُنِى إنخاماً ، وهو غذائى ومِسَاكُ قُوَّتِى منذُ كنتُ ، إنَّنى لمتناهى
الشّقْمُ والله . فأطلق لفظة سقيم ، والمراد المبالغة ، وفَعِيلٌ من أبنيتها .

ومثل هذا ممّا رُمى به هذا المرعى قولُ الآخر ^(٣) ، وقد مرّ فى باب النّسب :
لَئِنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْيَابِهَا الْعَلَى لَأَفْقَرُ — رَمِئْتُ إِنِّى لَفَقِيرٌ
فهذا إزاء ذلك ، وهو على منهاجه . ومعنى « بَغَايَ دَاءٍ » كَسْبُنِى وَأَنْزَلَ بى .
وقوله « بماء مُوسى » ، الباء أفادَ الجمع والاختلاط . ويقولون : خذْ كَذَا
بكذا ^(٤) ، والمعنى مجرّعاً إليه ومخلوطاً به .

٨٢٦

وقال حنّـج بن حنّـج ^(٥) :

١ — فى لَيْلِ صُورٍ تَنَاهَى الْعَرَضُ وَالطُّولُ كَأَنَّمَا لَيْلُهُ بِاللَّيْلِ مَوْصُولٌ ^(٦)

٢ — لَأَفَارِقُ الصُّبْحَ كَفِّى إِنْ طَفِرْتُ بِهِ . وَإِنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ

(١) صدره : * كدأبك من أم الحويرث قبلها *

(٢) ل : « تألمك » .

(٣) هو عبد الله بن الدمينه ، كما سبق فى حواشى ١٣٠٥ .

(٤) فى النسختين : « كذا وبكذا » ، صوابه عند التبريزى .

(٥) التبريزى : « حنّج بن حنّج المرى . الحنّج : الكتّيب أصفر من النقا » .

(٦) الأبيات أنشدتها ياقوت فى رسم (صول) .

٣ - لسا هر طال في صول تملله كانه حية بالسوط مقتول
 جمل الليل كالمجسمات حتى صار ذا طول وعرض عنده . وقال : « تنامي
 العرض والطول » لأنه قد علم أنهما لليل ، كما أنك تقول : زيد حسن الوجه ،
 لأنه علم أنه لم يرد إلا وجهه . والمعنى أن في ليل هذا المكان بلغ الطول والعرض
 نهايتهما وغايتهما ، حتى وقفا لا مستزاد فيهما ، فكأنما ليل صول^(١) موصول
 بجنسه كله ، فليس ينقطع ولا ينكشف .
 وقد قال أبو تمام الطائي مستطيلًا ليوم :

* بيوم كطول الدهر في عرض مثله^(٢) *

ومن كلام الناس : عشنا زمانًا طويلًا عريضًا ، والدهر الطويل العريض .
 وكل ذلك تشبيه بالأجسام . وعلى ما فسرناه يتعلق الجار من قوله : في ليل
 صول بتناهي^(٣) . وقد استعمل العرض منفردًا عن الطول والمراد به السعة ؛ على
 ذلك قوله تعالى : ﴿ فذود دعاء عريض ﴾ ، وقوله عز وجل : ﴿ وجنة عرضها
 السموات والأرض ﴾ .

وقوله : « لا فارق الصبح كفى » ، يجوز أن يكون دعاء ، يريد : إن
 ظفرت بالصبح فلا فرق الله بيني وبينه ، كما يقال : لا بارك الله في الكفار ،
 ويجوز أن يكون إخبارًا . والمعنى أنه يتشبه به فلا يحلّيه للزوال . وهذا على
 التشويق له والتبرؤم بليله . والليل في الاستعمال بإزاء النهار على الإطلاق ، واليلة
 بإزاء اليوم . وهذا يدل على أنه لم يقصد إلى ليلة واحدة ، وإنما أراد : الليل
 في صول هكذا على .

وقوله « إن بدت غرة منه وتمجيل » ، يريد تباشيره ممتزجة بالظلام .

(١) صول ، قال ياقوت : مدينة في بلاد المزر في نواحي باب الأبواب .

(٢) صدر بيت له في ديوانه ٢٤٤ . ومجزه : * ووجدى من هذا وهذا أمول *

(٣) في الأصل : « يتعلق الجار من صول تنامي » ، صوابه من ل .

كَأَنَّهُ جَرَى عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي قَوْلِهِ لِلْمَتَشَوِّفِ الْمَتَوَقَّعِ : إِنْ ظَفِرْتُ بَزِيدٍ أَوْ رَأَيْتُ وَجْهَهُ فَعَلْتُ كَذَا ، وَالْمُرَادُ إِظْهَارُ الْفَاقَةِ إِلَيْهِ وَشِدَّةِ النَّشَوِّفِ لَهُ ، وَطَوَّلِ الْمُلَازِمَةِ لَهُ إِذَا ظَفِرَ بِهِ . وَالْفُرْقَةُ وَالتَّحْجِيلُ مَعْرُوفَانِ . وَقَدْ قِيلَ : صُبْحُ أَفْرَحُ ، مَأْخُوذٌ مِنَ التَّرْحَةِ ، لِأَنَّهُ بَيَاضٌ فِي سَوَادٍ . وَقَوْلُهُ : « لِسَاهِرٍ » ، اللَّامُ تَعْلَقُ بِقَوْلِهِ « وَإِنْ بَدَتْ » . وَيَعْنِي بِالسَّاهِرِ نَفْسَهُ ، كَمَا أَرَادَ بِذِكْرِ الْفُرْقَةِ وَالتَّحْجِيلِ نَفْسَ الصَّبْحِ . وَالتَّمْلِيلُ : التَّمَلُّقُ وَالْإِزْعَاجُ . وَإِنَّمَا تَقَلَّقَ عَلَى فِرَاشِهِ لِأَرْقِهِ وَاسْتِطْلَانِهِ لِلَّيْلِ ، ثُمَّ شَبَّهَ نَفْسَهُ فِي التَّوَانِهِ وَاضْطِرَابِهِ بِحَيَّةٍ قُتِلَ بِالسُّوْطِ فَطَالَ اضْطِرَابُهُ لَطَوْلَ ذِمَائِهِ .

- ٤- مَتَى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ نَحَائِلُهُ وَاللَّيْلُ قَدْ مَزَّقَتْ عَنْهُ السَّرَائِلُ
٥- لَيْلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ مَشْكُولُ
٦- نُجُومُهُ رُكْدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ كَأَنَّمَا هُنَّ فِي الْجَوِّ الْقَنَادِيلُ
- قَوْلُهُ « مَتَى أَرَى الصُّبْحَ » لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ التَّمَنَّى وَالتَّطَلُّعُ ، وَاسْتِعْبَادُ الْمُنْتَظَرِ الْمُرْتَقِبِ . وَنَحَائِلُهُ : مَا يَتَّبِعُنَّ بِهِ دُنُوءَهُ . كَأَنَّهُ ^(١) أَظْهَرَ مَا عَلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ ضَجَرِهِ بِاللَّيْلِ وَاسْتِرَاحَتِهِ لِلصُّبْحِ . وَلَكَ أَنْ تَرَوْى « وَاللَّيْلَ » بِالنَّصْبِ ، وَيَكُونُ مَرْدُوداً عَلَى الصُّبْحِ وَدَاخِلاً تَحْتَ مَتَى أَرَى . وَلَكَ أَنْ تَرَوْى « وَاللَّيْلُ » بِالرَّفْعِ وَيَكُونُ الْوَاوُ لِلْحَالِ ، وَيَرْتَفِعُ اللَّيْلُ بِالْإِبْتِدَاءِ . وَ« قَدْ مَزَّقَتْ » فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ ، وَيَعْنِي بِالسَّرَائِلِ الظُّلَامَ .

ثُمَّ جَعَلَ اللَّيْلَ لَا مَبْدَأَ لَهُ وَاتِّصَالَ دَوَامِهِ كَالْمُنْجَبِ الْوَاقِفِ كَوَاكِبُهُ عَنِ الْمَرِيرِ ، الْقَائِمِ عَلَى حَدٍّ لَا يَزُولُ عَنْهُ [وَلَا يَحُولُ ^(٢)] ، وَلَا يَجْنَعُ وَلَا يَمِيلُ .

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « كَمَا أَنَّهُ » .

(٢) التَّكْمَلَةُ مِنْ ل .

والتشكول : المقيّد . وهذا المعنى هو الذى يؤمّه امرؤ القيس فى قوله :
 كأنّ الثريا علقت فى مصامها بأمراس كئان إلى صمّ جندل
 وشبه النجوم فى إضاءتها بالقناديل ، وإنما يعلو ضوه الكواكب ويظهر
 عند تراكم الظلام واستحكامه . والرؤ كد : جمع الراكد . وجعل الكواكب
 فى الجوّ لأنّه توهمها كالقناديل المعلقة .

٧ - ما أقدر الله أن يُدنى على شحطٍ من دأره الحزن من دأره صول
 ٨ - الله يطوى بساط الأرض بينهما حتى يرى الربع منه وهو مأهول
 قوله « ما أقدر الله » لفظه تعجب ومعناه الطلب والتمنى . وكان الواجب
 أن يقول : ما أقدر الله على أن يُدنى ، فحذف الجار ، ومثل هذا الحذف يكثر
 مع أن طولّه بصليته . والشحط : البُمد ، شحط شحطاً وشحوطاً . قال :
 * والشحط قطع رجاء من رجاء^(١) *

لكنه حرّك الحاء . ويقال : منزل شاحط وشحيط . وموضع « على
 شحط » نصب على الحال .

وقوله « الله يطوى بساط الأرض بينهما » البساط : الأرض الواسعة .
 وجعل الكلام لما يتمناه ، ويطلب قرّبه ويتشّاه ، على أنّه إخبار عن الشيء
 وقد وقع . وكلّ ذلك تحقيق لما يؤمّه ويسأله . وهذا كما يجعل الدعاء على لفظ
 الخبر ، كأنّه لقوة الأمل يحمل المطلوب فى حكم ما قد حصل . وقوله « حتى
 يرى الربع منه » ، يعنى الربع بالحزن من هو مقيم بصول .

(١) الججاج فى ديوانه ٨ . وقوله :

من آل لبل قد عفون حببا منازلا هيجن من تهيجا

٨٢٧

وقال حميد الأرقط^(١) :

١ — قَدْ أَغْتَدَى وَالصَّبْحُ مُحْمَرُّ الطَّرَرِ

٢ — وَاللَّيْلُ يَحْدُوهُ تَبَاشِيرُ السَّحَرِ

٣ — وَفِي تَوَالِيهِ نُجُومٌ كَالشَّرَرِ

٤ — بِسُحْقِ الْمَيْعَةِ مَيَّالِ الْمَذَرِ

الطَّرَرُ : جمع الطَّرَّة ، وهي النَّاحِيَّة والحرف ، ومنه أطرار الوادي . وفي المثل : « أَطِرْتِي فَإِنَّكَ نَاعِلَةٌ » ، أى اركبى أطرار الطريق . والبغداديون يروونه : « أَطِرْتِي » بالغاء معجمة ، والمعنى اركبى الطَّرَر ، وهى حجارةٌ محدَّدة يصعب المشى عليها . فيقول : أَبْتَكِرُ — والصبح محمَّرُ الأرجاء والنواحي ، واللَّيْلُ قد تجلَّى بما يطرده مقدماتُ السَّحَرِ وعلاماته ، وفي ماخِيره ومدارسِ آثاره من الظَّلام نُجُومٌ تتوقَّدُ كأنها شَرَرُ النَّارِ — بفرس^(٢) بعيد غورِ النَّشاط ، يضطرب عَذْرُهُ على خَدْيِهِ وَجَبْهَتِهِ . والمَيْعَةُ : النَّشاط . وجعلَهُ سُحْقًا لانتصاله ودوامه . والسُّحْقُ : البُعد . ونَخْلَةُ سُحُوقٍ ، منه ، أى طويلةٌ . والمُذَرُ : الخُصَل من الشَّعْرِ . والمُذَرُ أيضًا : علامةٌ تُعَقَّدُ فى ناصيةِ الفَرَسِ السَّابِقِ مِنَ الْعَيْنِ ، والواحدة

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان معاصرا للعجاج . وهو حميد بن مالك بن ربيع بن غاشن ، ينتهى نسبه إلى زيد مناة بن تميم . وسمى الأرقط لأنار كانت بوجهه . الخزانة (٢ : ٤٥٤) . وكان أحد بغلاء العرب الأربعة ، وهم الحطيئة ، وحميد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلى ، وخالد بن صفوان . الأغاني (٢ : ٤٤) .

(٢) أى أجكر بفرس . وقد سبق فى ص ١٧ من التقديم الإشارة إلى طول الجبل التى يفصل بها المرزوقي بين أثناء الكلام .

عُذْرَةٌ . وقال الخليل : المَيْعَةُ : مَيْعَةُ الشَّبَابِ وَالْحَضَرُ ^(١) أَوَّلُهَا . وروى
الشَّكْرِيُّ : « بِمُشَقَّلِ الْمَيْعَةِ » وهو من إشعال النَّارِ والقصب ^(٢) .

٥ - كَأَنَّهُ يَوْمَ الرَّهَانِ الْمُحْتَضَرِ

٦ - وَقَدْ بَدَأَ أَوَّلَ شَخْصٍ يُنْتَظَرُ

٧ - دُونَ أَثَابِيٍّ مِنَ الْخَيْلِ زُمَرُ

٨ - ضَارِغَدَا يَنْفُضُ صِبْثَانَ الْمَطَرِ

قوله « كَأَنَّهُ يَوْمَ الرَّهَانِ » ، يريد : كَأَنَّ هَذَا الْفَرَسَ يَوْمَ السَّبَاقِ وَقَدْ حَضَرَهُ
النَّاسُ فَصَارَ يَوْمًا مَشْهُودًا . وَالْمُحْتَضَرُ : الَّذِي يَحْضُرُهُ النَّاسُ . وَيُرْوَى « يَوْمَ
الرَّهَانِ الْمُبْتَدَرِ » . وَالْأَثَابِيُّ : الْجَمَاعَاتُ ، وَلَيْسَ لَهَا وَاحِدٌ ، وَقِيلَ وَاحِدَهَا أَثْبِيَّةٌ ،
أَفْصُولَةٌ مِنَ الثَّبَةِ ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ ؛ وَمِنْهُ تَبَيَّنَتِ الثَّنَاءُ ، إِذَا أَكْثَرَتْهُ .
وَالْمَعْنَى : كَأَنَّهُ وَقَدْ جَاءَ فِي هَذَا الْيَوْمِ سَابِقًا وَأَوَّلَ طَالِعٍ يُنْتَظَرُ دُونَ جَمَاعَاتٍ مِنَ
الْخَيْلِ [جَاءَتْ ^(٣)] زُمَرَةٌ بَعْدَ زُمَرَةٍ ، صَفَرَتْ قَدْ ضَرَى بِالصَّيْدِ ، ابْتَكَرَ وَقَدْ
مُطِرَ اللَّيْلُ ، فَهُوَ يَنْفُضُ صِبْثَانَ الْقَطَرِ وَكِبَارَهُ عَنْ رِيشِهِ ، وَهُوَ شَدِيدُ الْإِلْحَاحِ فِي
طَلَبِ الصَّيْدِ بَعْدَ ^(٤) الْانْقِضَاضِ عَلَيْهِ ^(٥) .

(١) الحضر : ارتفاع الفرس في عدوه . في الأصل : « والحضرة » صوابه في ل . وفي
اللسان : « وميعة الحضر والشباب والسكر والتهار وجرى الفرس : أوله وأنشطه » .

(٢) ل : « والغصب » .

(٣) التكهلة من ل .

(٤) ل : « بعيد » مع ضبط الباء بالفتح .

(٥) وصيثان ، قال التبريزي : « قال أبو العلاء : إذا روى بكسر الصاد فهو جمع صائب
مثل حائط وحيطان . ويجوز أن يكون مصدرًا مثل حرمان . وإذا قيل صبيان بالفتح فالمراد به
ما صاب من المطر . وليس يتمتع ظهور الباء فيه لقولهم صاب يعسوب ، لأن له نظائر ، منها
ريحان من الروح ، وعيدان للنخل الطوال من العود . وقال غيره : شبه ما عليه من الرذاذ
بالصيثان ، وهو جمع صواب » .

- ٩ - عَنْ زِفٍّ مِلْحَاحٍ بَعِيدِ الْمُنْكَدَرِ
 ١٠ - أَفَنَى يَطْلُ طَيْرُهُ عَلَى حَدَرِ
 ١١ - يُلْدَنَ مِنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ الشَّجَرِ
 ١٢ - مِنْ صَادِقِ الْوَقْعِ طَرُوحٍ بِالْبَصَرِ^(١)
 ١٣ - بَعِيدِ تَوْهِيمِ الْوَقَاعِ وَالنَّظَرِ
 ١٤ - كَأَنَّمَا عَيْنَاهُ فِي حَرْقِ حَجَرِ
 ١٥ - بَيْنَ مَا قِي لَمْ تُخَرِّقْ بِالْإِبَرِ

قال الدُرَيْدِيُّ : الزَّفُّ صِنَارُ الرَّيشِ كَالزَّغَبِ ، وقال قومٌ : لا يكون الزَّفُّ إِلَّا لِلنَّمَامِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ . وَلِلْمِلْحَاحِ : بِنَاءُ الْمُبَالَغَةِ مِنْ أَلَحَّ . أَيْ يُبْلَغُ فِي الصَّيْدِ عَلَى نَفْسِهِ . وَبِحُزْمٍ أَنْ يَكُونَ مِنْ لَحَتْ عَيْنُهُ وَلَحِحَتْ ؛ إِذَا التَّصَقَّتْ أَجْفَانُهَا بِالرَّمَصِ ، كَأَنَّهُ يَلْتَصِقُ بِالصَّيْدِ التَّصَاقًا شَدِيدًا . وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ : هُوَ ابْنُ عَمِّي لَحَا ، أَيْ لَاصِقُ النَّسَبِ . وَقَوْلُهُ « بَعِيدِ الْمُنْكَدَرِ » يَقَالُ : انْكَدَرَ ، وَانْصَلَّتْ ، وَخَاتَ ، وَانْقَضَ بِمَعْنَى . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ^(٢) :

ضَارٍ يُضَرِّى بِطَرَى اللَّحْمِ أَكْدَرُ كَالْجُلُودِ يَوْمَ الرَّخْمِ
 إِذَا تَقَضَّى مِنْ أَعَالِي النَّجْمِ^(٣) ضَمَّ جَنَاحِيهِ انْخِرَاطَ السَّهْمِ
 وَقَوْلُهُ « أَفَنَى » الْقَنَاءُ يُسْتَجَبُّ فِي الصُّقُورَةِ وَالشَّوَاهِينِ ، وَكَذَلِكَ طَوْلُ الْمُنْسَرِ ، وَقَصَرُ الذَّنْبِ ، وَغُزُورُ الْعَيْنَيْنِ ، وَبُعْدُ مَا بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ . وَقَالَ « تَطْلُ طَيْرُهُ عَلَى حَدَرِ » ، أَرَادَ مَا عَرَفَهُ مِنَ الطَّيْرِ أَوْ رَأَاهُ ، فَلِذَلِكَ أَضَافَ إِلَيْهِ . وَالْمَعْنَى

(١) التبريزي : « من صادق الودق » .

(٢) هو رؤية . ديوانه ١٤١ .

(٣) في الديوان : « الجم » .

يَخَافُهُ فَيَحْذَرُهُ ، وَيُلَوِّذُ مِنْهُ بِفُصُونِ الْأَشْجَارِ فَيَسْتَخْفِي فِيهِ ، وَهُوَ صَادِقُ الْوَقْعِ ،
أَي لَا يَكْذِبُ فِيهِ ، بَعِيدُ الْمَطْلَبِ وَالنَّظَرِ ، شَدِيدُ الْمَوَاقِعَةِ وَالْبَنْتِ . وَيُقَالُ طَرَفٌ
مِطْرَحٌ ، أَي بَعِيدُ النَّظَرِ ، وَرُمُوحٌ مِطْرَحٌ ، أَي طَوِيلٌ ، وَفَعْلٌ مِطْرَحٌ : بَعِيدُ
مَوْجِعِ الْمَاءِ فِي الرَّحْمِ .

ومثل قوله « يَلْذَنَ مِنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ الشَّجَرِ » قولُ الآخر :
رَأَى أَرْنَبًا سَنَحَتْ بِالْقَضَاءِ فَبَادَرَهَا وَلَجَاتِ الْخَمَرِ^(١)
وقوله « كَأَنَّمَا عَيْنَاهُ فِي حَرَقِ حَجَرٍ » ، أَي فِي جَانِبِي حَجَرٍ ، يَعْنِي رَأْسَهُ ،
وَنَفْسَهُ بَيْنَ مَا قِيْلَ لَمْ تُخْطِ ، أَي لَمْ يُضْطَدَّ فَكَانَ فِي التَّعْلِيمِ تَخَاطُ عَيْنَاهُ . وَالْمَآقِ
جَمْعُ مُوقٍ مِثْلُ مُعْقٍ ، وَبَعْدَ الْقَافِ يَاءُ زَائِدَةٌ ، فَهُوَ مِنَ الْفَعْلِ فُعْلُو ، نُقِلَتْ إِلَى
فُعْلٍ^(٢) . وَفِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ لَنَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَقَدْ عَمِلَتْهَا مَسْأَلَةٌ وَشَرَحْتُهَا .

تم الباب^(٣) بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنِّهِ^(٤) وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَعَوْنِهِ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِهِ
مَنْ خَلَقَهُ مُحَمَّدٌ وَآلُهُ مِنْ بَعْدِهِ

(١) سبق مجزؤه في ص ١٠٣ .

(٢) توضيحه ما ذكر في اللسان أن أصله « مُوقُوْ بزيادة الواو للإلحاق كمنصوة ،
إلا أنها قلبت كما قلبت في أدل . » وأدل : جمع دلو .

(٣) ل : « باب السير والناس » .

(٤) إلى هنا تنتهي خاتمة هذا الباب في ل .

بَابُ الْمَلَجِ

بَابُ الْمِلْحِ

٨٢٨

لبعضهم^(١) :

١ - يقولُ لي الأميرُ بغيرِ نُضحٍ تقدّمَ حينَ جدّ بنا المِرَاسُ^(٢)

٢ - وما لي إن أظنّك من حياةٍ وما لي بعدَ هذا الرّاسِ راسُ^(٣)

ذكر أبو العباس المبرّد^(٤) أن المهلب بن أبي صفرة قال يوماً وقد حثّت

فأثرة الحرب بينه وبين الخوارج ، لأبي علقمة اليمحمدي^(٥) : أمددنا بنجلى

اليمحمدي^(٦) وقل لم : أعيرونا جماعكم ساعةً . فقال : أيها الأمير ، إن جماعهم

ليست بفخار فتعار ، وأعناقهم ليست بكراثٍ فتنبئت^(٧) . وقال لحبيب^(٨)

كرّ على القوم !! فقال : « يقول لي الأميرُ بغيرِ نُضحٍ » .

وقوله « جدّ بنا المِرَاس » أى اشتدّ . والمِرَاس : المجاذبة والمدافعة .

(١) التبريزي : « بغير جرم » . الكامل : « بغير علم . . . به الراس » .

(٢) هو حبيب بن أوس كما في الكامل . وعند التبريزي أنه حبيب بن المهلب . وفي حبيب هذا يقول زياد الأجم :

وماها حبيب بن المهلب رمية فأنبتها بالسهم والسهم يغرب
الأغانى (١٤ : ١٠٠) . وقال التبريزي أيضاً : وقيل البتان للأحور الضيق قالها للمهلب
بن أبي صفرة .

(٣) في الكامل : « المبدى » .

(٤) هم بطن من الأزد من القحطانية .

(٥) الكامل : « وليست أعناقهم كراوى فغبت » . قال أبو الحسن الأفش : « هول
العرب لأعدائهم كراوى » . وهو فارسي أهرب .

(٦) الكامل : « لحبيب بن أوس » .

٨٢٩

وقالت امرأة :

- ١ - فَقَدْتُ الشُّيُوخَ وَأَشْيَاءَهُمْ وَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَقْوَالِيهِ
- ٢ - تَرَى زَوْجَةَ الشَّيْخِ مَغْمُومَةً وَتُنْسِي لَصُحْبَتِهِ قَالِيهِ
- ٣ - فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي عَرْدِهِ وَلَا فِي غُضُونِ اسْتِهِ الْبَالِيهِ
- ٤ - وَإِنَّ دِمَشْقَ وَفَتِيَانَهَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْجَالِيَةِ^(١)
- ٥ - نَكَحْتُ الْمَدِينِيَّ إِذْ جَاءَنِي فَيَالِكَ مِنْ نَكْحَةٍ غَالِيهِ
- ٦ - لَهُ ذَفَرٌ كَصُنَّانِ الثِّيُوسِ أَعْيَا عَلَى الْمِسْكِ وَالنَّعَالِيهِ

الكلامُ دعاء على الشيوخ وإظهارُ القِلَى لصُحبتهم والكونِ معهم .
وأرادت بالأشياء مَنْ يرضى مُناحتهم ، أو يتمصّبُ لهم ، أو يهوى هَوَاهُمْ .
وقولها « وذلك من بعض أقواله » إيدانٌ منها بأن لها في الشيوخ وذمّهم طرائقَ
من القول ، وألواناً من الوصف . وما أظهرته جزاءً من تلك الجملة . والعردُ :
الفرج . وقال الخليل : هو الشَّدِيدُ المنتصب من كل شيء ، ومنه وَتَرَّ عُرْدٌ .
وقولها : « تَرَى زَوْجَةَ الشَّيْخِ مَغْمُومَةً » بيانٌ للعلة في الدُّعَاءِ والذَّمِّ .
وَالْغُضُونُ : جمع غَضَنٍ ، وهو تكسر الجلد وثقني فُضُوله على الشَّيْخِ لِبِلَاءِهِ .

وقولها « وَإِنَّ دِمَشْقَ » ، كَانَ هَوَاهَا نَمَّ . وكان يجب أن تقول :
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْجَالِيَةِ وَفَتِيَانَهَا ، فَكَيْفَتْ بِمَا ذَكَرْتُ ، إِذْ كَانَ
مِرَادُهَا مَفْهُومًا .

(١) إِلَيْنَا ، فِي ل وَالتَّبْرِيْ . وَفِي الْأَصْلِ : « لِي » .

وقولها « يَا لَكَ مِنْ نَكْجَةٍ غَالِيَةٍ » لفظها لفظُ النداء ، والمعنى للوجوب .
 وإنما قالت من نَكْجَةٍ غَالِيَةٍ ، لطبيخ أنها مكروهة كما يُكْرَهُ ما يُعْتَمَرُ بفلاء .
 والذفر : شِدَّةُ الثَّنِ هنا ، ويكون الطيب أيضا . والذفر ، بالذال غير معجمة ،
 لا يكون إلا للثَّنِ . والسنانف : ربيع الإبط ، ومنه الصن : بول الوبر^(١) .
 قال جرير :

* بِصِنِّ الْوَبْرِ تَحْسِبُهُ الْمَلَابَا^(٢) *

وقولها : « أَغْيَا عَلَى السَّك » موضعه من الإعراب نصب على الحال
 للمضمر في أعيا . ومفعول أعيا محذوف ، أي أعجز ذلك الذفر ما يستعمل
 من الطيب .

٨٣٠

وقال آخر :

١ — مِنْ أَتَيْنَا تَضَحَّكَ ذَاتُ الْحِجْلَيْنِ

٢ — أَبْدَلَهَا اللَّهُ بِلَوْنٍ لَوْنَيْنِ

٣ — سَوَادَ وَجْهِهِ وَبَيَاضَ عَيْنَيْنِ

الجمل : الخلل . وفي الكلام همز وإزراء ، ثم دَعَا عليها بأن يغير
 الله لونها ويبدلها منه لونين . وقال بعضهم « بلون لونين » هو كقولك مُدِّلَتْ
 بالشبابِ هَرَمًا وَضَعْفًا ، وبالعزَّ خضوعًا وَقَلَّةَ نَاصِر . وشرح هذا أنه جعل

(١) الور ، يسكون الباء : دوية على قدر السنور . انظر الحيوان (٣٤٩ : ٦ ، ٣٦٩) .

(٢) صدره في ديوان جرير ٧٣ :

* تَطْلَى وَهِيَ سَيْتَةُ الْمَرَى *

(١٩ — حاسة — رابع)

اللون منتظماً للألوان ، ثم أبدل منها السواد والبياض . ويجوز أن يريد بقوله « بلون » لونها المعروف ، أى أبدلها مما خلقت عليه من لون لونين آخرين ، ثم فسرهما .

٨٣١

آخر^(١) :

- ١ - أعوذ بالله من ليل يقرئني إلى مضاجعة كالدلك بالمسد
 - ٢ - لقد لست ممرأها فما وقعت مما لست يدي إلا على وتد
 - ٣ - في كل عضو لها قرن تصك به جنب الضجيع فيضحي وأهى الجسد
- الدلك : الفمز والقرن . يقال : دلكت السنبلة فانفرك قشره عن حبه . والمسد : الحبل ، وأصله من القتل . ويقال : مسدت الحبل مسداً ، والحبل ممسود ومسد ، كما يقال نفضت الشيء نفصاً ، والشيء منفوض ونفض . قال :

* ومسد أمر من أياق^(٢) *

أى أحبل فتل من جلود الثوق . فأما قوله تعالى : ﴿ في جيديها حبل من مسد ﴾ . فقيل : المسد : ليف القتل . ولا يمتنع أن يكون الليف مسداً بما يؤول إليه من القتل عند اتخاذ الحبل ، ثم استمر الاستعمال به فقيل له المسد وإن لم يمسد .

(١) التبريزي : « وقال أبو الحنديق الأسدي . وقيل إنه لمعبل » .

(٢) لهارة بن طارق ، وقيل لقبه المجيب . وقيل :

* فاعجل بنرب مثل غرب طارق *

انظر اللسان (مسد) .

وقوله « لقد لَمَسْتُ مُعَرَّاهَا » يريدُ مَسَحْتُ ظاهراً بَدْنِهَا فما وَقَعَتْ يَدِي
عَمَّا مَسَحْتُهُ عَنْهَا إِلَّا عَلَى الْأَوْتَادِ . يَصِفُهَا بِالْهَرَالِ وَتَعْرِى الْعِظَامَ مِنَ اللَّحْمِ ، حَتَّى
صَارَ لَهَا حُجُومٌ فَأَشْبَهَتْ الْأَوْتَادَ . وقوله « فى كُلِّ عُضْوٍ لَهَا قَرْنٌ » العِضْوُ وَالْعُضْوُ
لِغَتَانِ ، والمراد بِالْقَرْنِ نَتْنُ عِظَامِهَا . وَالصَّكُّ : الدَّفْعُ . يقال : صَكَّهُ ، إِذَا
ضَرَبَهُ بِحَجَرٍ أَوْ غَيْرِهِ . وَصَكَّ الْبَازِي صَيْدَهُ ، إِذَا ضَرَبَهُ بِكَفِّهِ يَحْطُهُ ، قَالَ :
إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى فَعْلٍ عَنَى وَعَنْ بَازٍ يَصُكُّ حُبَارِبَاتٍ

٨٣٢

آخر^(١) :

- ١ - وَإِذَا مَرَرْتُ بِهِ مَرَرْتُ بِقَائِمٍ مُتَشَمِّسٍ فِي شَرْقَةٍ مَثْرُورٍ
 - ٢ - لَقَعْلٍ حَوْلَ أَبِي الْعَلَاءِ مَصَارِعُ مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَبَيْنِ عَقِيرٍ
 - ٣ - وَكَأَنَّهُنَّ لَدَى دُرُودٍ قَمِيصِهِ فَذُو تَوْنٍ سِنِيمٍ مَقْشُورٍ
 - ٤ - ضَرَجَ الْأَنَامِلِ مِنْ دِمَاءٍ قَتِيلِهَا حَنِقٍ عَلَى أُخْرَى الْعَدُوِّ مُغِيرٍ
- تَشَمَّسَ : جَلَسَ فِي الشَّمْسِ . وَيُقَالُ شَمَسَ يَوْمُنَا وَأَشْمَسَ ، إِذَا اشْتَدَّتْ
شَمْسُهُ . وَالشَّرْقَةُ وَالْمَشْرُفَةُ بِمَعْنَى ، وَهِيَ الْمَكَانُ الَّذِي يُتَشَرَّقُ فِيهِ . وَالْقَذُّ
الْقَرْدُ . وَالتَّوْنُ : انْتَانٌ . وَقَدْ بَسَطْنَا الْقَوْلَ فِيهِ فِي شَرْحِ النَّصِيحِ .

وَيُقَالُ ضَرَجْتُ التَّوْبَ ، إِذَا صَبَغْتَهُ بِالْحُمْرَةِ خَاصَّةً ، فَضَرَجَ وَانْضَرَجَ .
وَمِنْهُ قِيلَ تَضَرَّجَ الْخَذُّ عِنْدَ الْخَبَلِ ، إِذَا احْمَرَّ . وَالْحَنِقُ : الْمَغْطَاظُ الشَّدِيدُ الْفَيْظُ .

(١) فى الحيوان (٥ : ٣٧٨) : « وقال بمض القيليين ومر بأبى العلاء العليل وهو
يفلى » . وكذا فى نهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ١٣٣) .

٨٣٣

آخر^(١) :

- ١ - خَبَرُوهَا بِأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ فَظَلْتُ تُكَاثِمُ الْغَيْظَ سِرًّا
 - ٢ - ثُمَّ قَالَتْ لِأَخْتِهَا وَلِأُخْرَى جَزَعًا لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
 - ٣ - وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءِ لَدَيْنَهَا مَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلسُّرِّ سِتْرًا
 - ٤ - مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَعِظَايَ أَخَالُ فِيهِنَّ قِتْرًا^(٢)
- يقال : خَبَرْتُهُ كَذَا وَبكَذَا . وَالتَّكَاثُمُ : تَقْيِضُ الْإِعْلَانِ . وَيُقَالُ : كَاتَمْتُ ، إِذَا كَانَ السَّكْمَانُ مِنْ اثْنَيْنِ . وَقَدْ حُذِفَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مِنْ تُكَاثِمُ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تُكَاثِمُ بِمَعْنَى تَكْتُمُ ، فَلَا يَكُونُ مِنْ اثْنَيْنِ ، وَلَكِنْ كَمَا يُقَالُ : قَاتَلَهُ اللَّهُ . وَالتَّكْتُمُ فِي النَّاقَةِ : الَّتِي لَا تَرْغُو ، وَفِي الْقَوْسِ الَّتِي لَا شَقَّ فِي نَبِيحِهَا . وَ« سِرًّا » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ ، لِأَنَّ تُكَاثِمُ بِمَعْنَى تَسْتُرُ ، وَيَكُونُ كَقَوْلِهِ :

* وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالَ^(٣) *

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَجَزَعًا انْتَصَبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ . وَمَوْضِعُ قَوْلِهِ « لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا » نَصَبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ ثَلَاثٍ ، وَقَوْلُهُ « لِلسُّرِّ سِتْرًا » ، يَجُوزُ أَنْ يُرْوَى « سِتْرًا » بِفَتْحِ السِّينِ ، فَيَكُونُ مُصَدَّرًا سِتْرَتْ ،

(١) التبريزي : « هو لبعض المجازيين » . وهو عمر بن أبي ربيعة . ديوانه ٣٨٤ بتحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢) التبريزي : « كَانَ فِيهِ قِتْرًا » . وروى التبريزي بعده :

من حديثي نَمَى إِلَى فَطِيمٍ خَلْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَأْطِئِهِ جِزْرًا

(٣) لاسمى القيس في ديوانه ٥٩ . ومصدره :

* وصبرنا إلى المسقى ورق كلامنا *

ويموز أن يرَوَى «سِتْرًا» بكسر السين فيكون واحدَ الشُّتُورِ ، والمعنى في الوجهين ظاهر . وقوله « فيهنَّ فِتْرًا » ، يقال : فَتَرَ الإنسانُ ، إذا لانت مفاصله وضعفت فِتْرًا وفِتُورًا ، وإِخَالُ كَسَرُ الهمزِ منه لفة هُذَيْل ، ثم فَشَتْ في غيرها .

٨٣٤

آخر :

- ١- جَزَى اللهُ عَنَّا ذَاتَ بَغْلٍ تَصَدَّقَتْ عَلَى عَزَبٍ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَهْلٌ
 - ٢- فَإِنَّا سَنَجْزِيهَا بِمَا فَعَلْتَ بِنَا إِذَا مَا تَزَوَّجْنَا وَلَيْسَ لَهَا بَغْلٌ
 - ٣- أَفِيضُوا عَلَى عَزَائِكُمْ بِنِسَائِكُمْ فَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ يُحَرِّمَ الْفَضْلُ
- روى محمد بن حبيب أن هذا الشاعر صعد إلى مِثْدَنَةٍ وَشَطَ الحَيَّ وأنشد هذه الأبيات ، فاجتمع عليه غياري الحَيُّ وفُتَّاكُه فقتلوه .

وقوله « عَزَائِكُمْ » ، هو جمع العازِبِ ، وقصدُهُ إلى جمع العَزَبِ ، وهو الأعزَابُ ، لَكِنَّهُ تَصَوَّرَ بُعْدَهُمَا عَنِ الْأَهْلِ وتساوِيَهُمَا فِيهِ ، فجعل العَزَبَ والعازِبَ بمعنى واحدٍ ، ثم استعار بِنَاءَ جَمْعِ الْعَازِبِ لِلْعَزَبِ . وهذا كما قيل تَمَرٌ وَتَمْرٌ ، لَأَنَّهُ لَمَّا تَصَوَّرَ أَنَّهُ أَنْمَرٌ فِي لَوْنِهِ جَمَعُوهُ جَمْعَ أَنْمَرٍ ، فَأَجْرَوْهُ بِمَجْرَى أَنْمَرٍ وَتَمَرٍ .

وقوله « أَفِيضُوا عَلَى عَزَائِكُمْ بِنِسَائِكُمْ » توهم في أَفِيضُوا معنى تصدَّقُوا ، فمذاه تعديته ، فلذلك زاد الباء في « بنسائكم » . ويموز أن يكون من قولم أَقْضِ الْإِنَاءَ بِمَائِهِ عَلَيْنَا ، ويكون التَّقْدِيرُ : أَفِيضُوا الْعَطَاءَ بِنِسَائِكُمْ . وقوله « فَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ » يَمْجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالْكِتَابِ الْمَصْدَرُ ، وَالْمَعْنَى فِيمَا كَتَبَهُ وَفَرَضَهُ . ويموز أن يُرِيدَ بِهِ الْقُرْآنُ .

٨٣٥

آخر:

١ - أَنْشُدُ بِاللّهِ وَبِالدَّلْوِ الْخَلْقُ

٢ - يَا رَبِّ مَنْ أَحْسَبَهَا مِنْ صَدَقْ

٣ - فَهَبْ لَهُ يَنْضَاءَ بِلَهَاءِ الْخُلُقِ

٤ - وَمَنْ نَوَى كِثْمَانَ دَلْوِي فَاحْتَرَقْ

٥ - قَابَعَتْ عَلَيْهِ عَلَقًا مِنَ الْعَلَقِ

أَنْشُدُ بِاللّهِ ، أى مستعيناً باللّهِ أو مذكراً باللّهِ . وقوله : « وبالدلو الخلق » ، يريد وبسبب الدلو نِشْدَانِي وَطَلَبِي . ففصل بين دخول الباءين .
 وقوله « مَنْ أَحْسَبَهَا » أى من رآها وأدركها بعلمه ، ثم صدقنى عند الشُّوَال عنها . فقوله « مَنْ صَدَقَ » يجوز أن يكون « مِنْ » نكرة ، والمراد من إنسان يَصْدُقُ أو عادته الصّدق . ويجوز أن يكون « مِنْ » معرفة ، والمراد من الذين يَصْدُقُونَ فى المقال .

وقوله « فَهَبْ لَهُ بِيضَاءَ بِلَهَاءِ » دعاء له بأن يملكه الله تعالى امرأة كريمة مستقيمة الطريقة ، سليمة الصدر ، لا غائل لها ولا غُلُولَ لديها .
 ومثل هذا قول الآخر^(١) :

* بِلَهَاءِ لَمْ تَحْفَظْ وَلَمْ تُصَبِّرْ *

وقوله « وَمَنْ نَوَى كِثْمَانَ دَلْوِي فَاحْتَرَقْ » يريد فأحرقه الله ولا تنهأ بعيش . والعلق : دويبة حمراء تكون فى الماء وتأخذ بالخلق . ويجوز أن يكون العلقُ مصدرَ عَلَقَتْ به العلوق الداهية . وسمى الأذى نفسه العلق ، واسم الحدث (١) هو أبو النجم المجلى كما فى مقاييس اللغة (عجز) وشروح سقط الزند ٩٢٩ . وقوله :
 * من كل معجزاء سقوط البرقع *

قد يُحمل صِنْفَةً للفاعل ، ويكون على هذا عِلْقًا يتناول واحداً من الجنس . والعلَقُ يتناول الجنسَ كُلَّهُ .

٦- إِنْ لَمْ يُصَبِّحْهُ بِمَا سَاءَ طَرَقُ

٧- وَبَاتَ فِي جَهْدِ بَلَاءٍ وَأَرْقُ

٨- وَهَبَ لَهُ ذَاتَ صِدَارٍ مَنْخَرِقُ

٩- مَشْتُومَةٌ تَخْلِطُ شُؤْمًا بِخُرْمَقُ

فاعل يصبِّحه التَّلَقُّ المذكور . والطَّرْقُ يكون بالليل . وقوله « فِي جَهْدِ بَلَاءٍ » ، أى فيما يجهدُه ويشقُّ عليه من مقاساة البلاء . والأَرْقُ : السهر بالليل . والصَّدَارُ : الثَّوبُ الذى يبلغ الصدر . وجعله مَنْخَرِقًا لجنون صاحبه ، لأنه دعا على مَنْ يَكْتُمُ دَلْوَهُ أَنْ يَهْبَ لَهُ امْرَأَةٌ مَجْنُونَةٌ تُخْرِجُ يَدَهَا مِنْ جَيْبِ صِدَارِهَا فَيَمِزُّقُ عَلَى نَفْسِهَا .

وفى هذه الطريقة قول الآخر^(١) :

كَجَيْبِ الدَّفْنِسِ الْوَزْهَاءِ رِيْعَتْ بَعْدَ إِجْفَالِ

وإنما وصف طِفْنَةً . فَشَبَّهَ سَعَتَهَا بِسَعَةِ جَيْبِ الْوَزْهَاءِ . ويقال : رَجُلٌ مَشْتُومٌ ، وَقَدْ شُمِّمَ ، وَشَامَ فُلَانٌ أَصْحَابَهُ إِذَا أَصَابَهُمْ شُؤْمٌ مِنْ قَبْلِهِ . وتقول : هذا طَائِرٌ أَشَامٌ ، وَطَيْرٌ أَشَامٌ ، أى جاريةٌ بالشُّوم . والخُرْقُ : ضِدُّ الرَّقِّقِ .

٨٣٦

وقال أعرابيٌّ :

١- كَأَنَّ خُصْيِيَّهِ مِنَ التَّدَلُّلِ

(١) هو القند الزمانى . المحاسبة ١٧٦ ص ٥٤١ .

٢ - سَخَقُ جُرَابٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلٍ

التدليل: الاضطراب. ويقال: ثوبٌ سَخَقٌ وَجَرْدٌ، وقه أنسحق وأنجوه. وإنما قال «ثِنْتَا حَنْظَلٍ» لأن حراده ثنتان من الحنظل. ولو أراد ثنية حنظلة لم يَجُزْ إلا حنظلتان. وقد أحكم القول فيه وفي أمثاله في غير هذا الموضع.

٨٣٧

آخر:

١ - كَأَنَّ خُصْيِيَّهٖ إِذَا تَدَلَّلَا

٢ - أَهْمِيَّتَانِ تَحْمِلَانِ الْمِرْجَلَا^(١)

قوله «أَهْمِيَّة» يجوز أن يكون أفعولة بدلالة قولهم: أَهْمَيْتُ الْعِذْرَ وَهَمَيْتُهَا: ويجوز أن يكون فُعْلِيَّةٌ بدلالة قولهم أَهْمَيْتُ الْعِذْرَ. ألا تَوَعَّى العابئة يقول:

* وَإِنْ تَأَنَّفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرُّقْدِ^(٢) *

فَتَأَنَّفَ هَمَلٌ، والمهمزة أصلية. وإنما يتلقى مثل هذين التقديرين في الكلمة الواحدة من لفتين. ويتقاضى كفيتهما وقوع الاختلاف في مثلها كلاما ليس هذا موضعه، فاعلمه إن شاء الله.

٧٣٨

آخر^(٣)

١ - كَأَنَّ خُصْيِيَّهٖ إِذَا مَا جَيَّ

(١) التبريزي: «ط عجبلا».

(٢) صدره: * لا هذين بركن لا كفاءه *

(٣) التبريزي: هذه الأرجوزة لامهأة تهجو زوجها وأولاد زوجها أن يتأنف فقال لها: =

٢ - دَجَاجَتَانِ تَلْتَطَانِ حَبَا

جَبِّي : قام منعنيا للاحتراش ، وهو إثارة الضَّب . ويقال : جَبِّي نَجِيَّةً ،
إذا سَطَّ لركبته ومَأْمَنَ بدنه ويديه .

٨٣٩

وقال آخر :

١ - وَفَيْشَةُ زَيْنٍ وَلَيْسَتْ فَاصِحَّةُ

٢ - نَابِلَةُ طَوْرًا وَطَوْرًا رَاغِمَةً

٣ - عَلَى الْمَدُوِّ وَالصَّدِيقِ جَائِعَةٍ

٤ - مَنْ لَقِيَتْ فَقَى لَهُ مُصَافِحَةً

٥ - تَسْدُ فَرْجَ الْقَحْبَةِ الْمُسَافِحَةِ

٦ - مُفْسِدَةِ لَابِنِ الْمَجُوزِ الصَّالِحَةِ

٧ - كَانَتْهَا سَفْجَةُ أَلْفٍ رَاجِعَةٍ

الْفَيْشَةُ : رأس القَضِيب ، وَالْفَيْشَلَةُ في معناه ، وليس من بنائه ، لكنه من
باب سَبَطٍ وَسَبَطٍ وما أشبهه . والرايح : صاحب الرَّمَح . والنابل : صاحب

إِنْ لَمْ أَفِيكَ بَعْدَ فَاجِعِي يَرُدُّ مِنْ غَرْبِ الدَّوَامِ الطَّلَحِ
مَنْ الدُّوِّ وَمَنْ التُّرُوحِ وَدَلَّجَ اللَّيْلَ إِلَى أَنْ تَصْبَحِي
فَاعْتَكُنِي فِي مَسْجِدِي وَسَبْحِي

فَأَجَابَهُ :

مَنْ يَحْضُرُ مَعِي زَوْجًا خَبَا أَحَبُّ مِنْ خُبْرَةِ يَدَايِ شَبَا

* كَأَنَّ خُصِيئَهُ إِذَا أَكْبَا *

فَأَجَابَهَا : يَا رَبِّ إِنْ كُنْتُ لَرَأَى فَالْعَمَلُ لَهَا أَرِيدُ عَمَلَهَا

النبل . ورَحَّت الدَّابَّةُ رَنَحًا : ضَرَبَتْ بِرِجْلَيْهَا . ويقولون : برئتُ إليك من
الجماع والرَّماح ؛ لأنَّ الجَوحَ صلابَةُ الرَّأسِ وأنَّ يَمضَى الشَّيْءَ لَوَجْهِهِ فَلَا يُضْبَطُ .
وَفَرَسٌ جُوحٌ وَجَامِحٌ . والمُصَافِحَةُ أصله في الالتقاء والتسليم ووضع اليد في اليد .
ويقال : لَقِيْتُهُ صِفَاحًا ، أَيْ مُفَاجَأَةً . والقَحْبَةُ : الفاجرة . وأهل اللغة يقولون :
هو من القَحَابِ : السَّعال ، لأنَّ مُرَاوِدَهَا إِذَا مَشَى فِي إِثْرِهَا تَقَحَّبَ لَتَلْتَفَتَ
إِلَيْهِ ، فَيُسَبِّرُ إِلَيْهَا بِمَا يَرِيدُ . والمُساْفِحَةُ : الزَّانِيَةُ ، أصله من سَفَحَ الْمَاءَ عِنْدَ الْجَمَاعِ .
وهذا كما يقال مِنَ اللَّذَى : مَا ذِيْتُهُ . واشتهر السَّفَاحُ بِمُضَادَّةِ النِّكَاحِ .

٨٤٠

آخر :

- ١ - وَفَيْشَةُ لَيْسَتْ كَهَذِي الْفَيْشِ
- ٢ - قَدْ مُلِثْتُ مِنْ خُرْمِ وَطَيْشٍ
- ٣ - إِذَا بَدَتْ قُلْتَ أَمِيرُ الْجَيْشِ
- ٤ - مَنْ ذَاتُهَا يَعْرِفُ طَعْمَ الْعَيْشِ

٨٤١

آخر (١) :

- ١ - لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُنْمُهَا وَلَا أَتْرُكُ الْأَسْرَارَ تَعْلِي عَلَى قَلْبِي
- ٢ - وَإِنْ قَلِيلَ الثَّقَلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً تُقَلِّبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ
أُنْمُهَا : أَفْشَاهَا وَأَظْهَرَهَا . وقوله « جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ » في موضع الحال .

(١) هو سحيم الفعسي ، كما في الميوان (١٨٤ : ٥) .

واللغى : يَتَلَقُّ فى مَضْجَمِهِ مَحَافِظَةً عَلَى السَّرِّ ، وَلَا يَغْرُكُهَا بِحَبِّهِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْمَاءِ فِي مُقْلَبِهِ .

٨٤٢

آخر :

١ - فَجَاءُوا بِشَيْخٍ كَدَحَ الشَّرَّ وَجْهَهُ جَهُولٍ مَتَى مَا يُنْفَذِ السَّبُّ يَلْطِمُ الكَدْحَ وَالْخَدَشَ وَالْخُمْشَ ، تَقَارَبُ فى اللغى . وَيُقَالُ : نَفَذَ الشَّيْءَ إِذَا فَنَى ، وَأَنْفَذْتُهُ أَنَا .

٨٤٣

وَقَالَتْ قَابِلَةٌ لَأَمْرَأَةٍ أَخَذَهَا الطَّلَقُ ، وَاسْمُهَا سَحَابَةٌ^(١) :

١ - أَيَا سَحَابَ طَرَّقِ بِخَيْرٍ

٢ - وَطَرَّقِ بِخُصِيَّةٍ وَأَيَّرِ

٣ - وَلَا تُرِينِى ظَرْفَ الْبُظَيْرِ

• التطريق : أَنْ يَظْهَرَ عِنْدَ الْوِلَادَةِ طَرْقَةُ الْوَلَدِ ، وَهِيَ أَطْرَافُهُ : رَأْسُهُ وَيَدَاهُ . وَلَكَ أَنْ تَرَوْى « يَا سَحَابَ » بِفَتْحِ الْبَاءِ عَلَى أَصْلِ التَّرْخِيمِ ، وَلَكَ أَنْ تَضُمَّهَا نَوَيْتَ تَمَامَ الْأَسْمِ بَعْدَ ذَهَابِ الْمَاءِ ثُمَّ بَنَيْتَ عَلَى الضَّمِّ لِلنَّدَاءِ .

٨٤٤

آخر :

١ - فَإِنَّكَ إِنْ تَرَى عَرَصَاتٍ مُجْمِلٍ بِمَاقِبَةٍ فَأَنْتَ إِذَا سَعَيْتَ

٢ - لَهَا عَيْنَانِ مِنْ أَقْطَرِ وَتَمَرٍ وَسَائِرُ خَلْقِهَا بَعْدُ الثَّرِيدُ

(١) انظر الحيوان (٥ : ٥٨١) والبيان (١ : ١٨٥) .

قوله « إِنْ تَرَى » أتى بقرى تاءاً وإن كان في موضع الجزم . فهو كقول الآخر^(١) :

* وَلَا تَرَضَاهَا وَلَا تَمَلِّقِ *

وكقول الآخر^(٢) :

ألم يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْبِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بِنِي زِيَادٍ
وَجُمْل : اسمُ امرأة . وَعَرُوسَةُ الدَّارِ وَخَرَصَتْهَا بِمَعْنَى . ويكون الذي حَدَفَهُ
للجزم في تَرَى حركة كانت في النِّتْيَةِ في موضع الرفع . وحروفُ المَذِّ تُعْذَفُ
من الأواخر ، ليكون بين الأفعال وهي في موضع الرفع وبينها وهي في موضع
الجزم فصلٌّ ، فلذلك جاز أن تأتي بها تاءٌ ، ولولا ذلك لكان خطأ . وقوله
« فَأَنْتَ إِذَا سَعِيدٌ » جَمَعَ بين الفاء وبين إِذَا في جواب الشرط تأكيذاً للجزاء ،
ولو قال فَأَنْتَ سَعِيدٌ ، لَكَفَى وَأَغْنَى ، ويكون إِذَا للحال ، كأنه يحكى الكائن
من الأمر في ذلك الوقت ، وكذلك لو قال فَأَنْتَ إِذَا سَعِيدٌ ، لجاز كما قال الهذلي^(٣) :

* بِعَاقِبَةٍ وَأَنْتَ إِذَا صَحِيحٌ^(٤) *

وقوله « سَعِيدٌ » يجوز أن يكون اسمُ الفاعل من سَعِدَ ، ويجوز أن يكون
فعللاً بمعنى مفعول ، ويقال سَعَّدَهُ اللهُ بمعنى أَسْعَدَهُ اللهُ . وقوله « بِعَاقِبَةٍ » أى
بمَقِيبِ مَا عَرَفْتُهَا وَدُفِعَتْ إِلَيْهَا . ومن روى « فَأَنْتَ إِذَا » يريد فَأَنْتَ إِذَا الْأَمْرُ
ذلك وفي ذلك الوقت . ونَوْنٌ إِذَا لِيَكُونَ التَّنْوِينُ فِيهِ عَوْضاً مِمَّا كَانَ يُضَافُ إِلَيْهِ
من الجمل . وعلى هذا حينئذٍ ، ويومئذٍ .

(١) هو رؤبة بن المجاج . الخزانة (٣ : ٥٤٤) وملحقات ديوانه ١٧٩ .

(٢) هو ليس بن زهير العبسي . الخزانة (٣ : ٥٣٦) .

(٣) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٦٨) .

(٤) صدره : * نهيك عن طلابك أم عمرو *

٨٤٥

آخر :

- ١- أُنِخَ فَاصْطَنِعَ قُرْصًا إِذَا عَتَادَكَ الْهَوَىٰ بِزَيْتٍ كَمَا يَكْفِيكَ فَقَدْ الْحَبَابِ
 ٢- إِذَا اجْتَمَعَ الْجَوْعُ الْمُبْرُحُ وَالْهَوَىٰ نَسِيتَ وَصَالَ الْإِنْسَانُ الْكَوَاعِبَ
 رَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « فَاصْطَنِعَ » كَأَنَّهُ يَجْمَلُهُ مِنَ الصَّنْعِ ، كَمَا قَالَ الْآخِرُ (١) :
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الرَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَحْدِي
 وَلَيْسَ هَذَا بِشَيْءٍ ، وَإِنَّمَا الرَّوَايَةُ « فَاصْطَنِعَ » مِنَ الصَّبَاغِ وَهُوَ الْأُذْمُ ، يَدُلُّ
 عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ قَوْلُهُ « زَيْتٍ » . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ :

كُلُّ إِذَا كُنْتَ عَاشِقًا مَا نَهَيْتَ مِنَ الدَّسَمِ
 وَادْفَعِ الشَّوْقَ وَالصَّدُو دَ عَنِ الْقَلْبِ بِالتَّخَمِ
 وَصَاحِبُ الْأَكْلِ فِي الْهَوَىٰ لَيْسَ يَخْشَى مِنَ السَّقَمِ
 وَقَوْلُهُ « كَمَا يَكْفِيكَ » رَوَاهُ الْكُوفِيُّونَ ، وَيَقُولُونَ كَمَا فِي مَعْنَى كَيْفًا .
 وَرَوَوْا أَيْضًا حِجَّةً فِيهِ قَوْلَ الْآخِرِ (٢) :

إِذَا جِئْتَ فَاْمَنْعَ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا كَمَا يَحْسِبُوا أَنَّ الْهَوَىٰ حَيْثُ تَنْظُرُ
 وَأَصْحَابُنَا الْبَصَرِيُّونَ يَرَوْنَهُ « لَكِي يَحْسَبُوا » . وَكَذَلِكَ رَوَوْا الْبَيْتَ الْأَوَّلَ
 « لَكِي يَكْفِيكَ » ، وَلَا يَمْرُقُونَ مَا ذَكَرُوهُ . وَالْإِنْسَانُ : ذَوَاتُ الْإِنْسِ .
 وَالْكَوَاعِبُ : اللَّاتِي نَهَدَتْ نُذْيُهَا .

٨٤٦

وقال آخر :

كَأَنَّ ثَنَائِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهَا لَبَا نَمَجَّةٌ سَوَّطَتَهُ بِدَقِيقِ

(١) هُوَ حَاتِمُ الطَّائِي . انظر الحاسية ٧٣٢ ص ١٦٦٨ .

(٢) هُوَ عُمَرُ بْنُ رِيْمَةَ فِي رَأْيِهِ الْمَشْهُورَةِ . وَيُرْوَى أَيْضًا لِلْجَلِيلِ . انظر شرح شواهد
 اللغى للسيوطي ١٧٠ .

يقال : سَطْتُ الشَّيْءَ ، إذا جمَعْتَهُ مع غيره في الإِناء وضرَبْتَهُما حتَّى يَخْتَلِطَا .
قال الدُّرَيْدِيُّ : وبه سَمِيَ السَّوْطُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ لِأَنَّهُ يَسُوْطُ اللَّحْمَ بِالْدَّمِ .

٨٤٧

آخر :

١ - رَمَتْنِي بِسَهْمِ الْحَبِّ أَمَا قَدْ أَذَاهُ فَتَمَرُّ وَأَمَّا رِيشُهُ فَسَوِيْقُ
يريد أنها كانت تُطْعِمُهُ التَّمَرَ والسَّوِيْقَ ، فلهذا أحبَّها . والقَدْ أَذَاهُ : جمع
القُدَّة ، وهي الرِّيش ، ويقال : قَذَذْتُ السَّهْمَ ، إذا جَمَعْتَ لَهُ قُدُذًا^(١) . وكان
أبو زيد يُجِيزُ : أَقَذَذْتُ أَيْضًا ، وأباه الأصمعيُّ . وكلُّ شَيْءٍ سَوِيْقَةٍ وَأَصْلَحَتِهِ
فقد قَذَذْتَهُ . والسهم الأَقْدَ ، الذي لا ريش له . ومن أمثالهم ما أَصْبَتْ مِنْهُ أَقْدَ
ولا ريشًا .

٨٤٨

آخر :

أَلَا رُبَّ خَوْدٍ عَيْنُهَا مِنْ خَزِيرَةٍ وَأُنْيَابُهَا النَّرُّ الْحِسَانُ سَوِيْقُ
الخَوْدُ : المرأة الناعمة الجسم . والخزيرة : دَقِيقٌ يَلْبِكُ بِشَحْمٍ . وكانت
العرب تُعَيِّرُ بَأْكُلِهِ . وقيل : إِنَّ الْقَصُودَ بِذَلِكَ بَنُو مُجَاشِعٍ وَقَرِيشٌ ، وهي
السَّخِينَةُ .

٨٤٩

آخر :

وَمَا الْقَبِيشُ إِلَّا نَوْمَةٌ وَتَشْرِيقٌ وَتَمَرُّ كَأَكْبَادِ الْجَرَادِ وَمَاءٌ^(٢)

(١) ل : « قذافا » .

(٢) في البيان (١ : ١٧٩) : « كاختلاف الرباع » .

٨٥٠

آخر :

١ - قَامَتْ تَمَطَّى وَالْقَمِيصُ مُنْخَرِقٌ

٢ - فَصَادَفَ الْخَرَقُ مَكَانًا قَدْ حُلِقَ^(١)٣ - كَأَنَّهُ قَمْبٌ نُضَارٍ مُنْفَلِقٍ^(٢)

تَمَطَّى ، أَرَادَ تَمَطَّى ، أَيْ تَمَدَّدَ ، غَذَفَ إِحْدَى التَّاءِ يَنْ . وَالنُّضَارُ : شَجَرٌ يُتَّخَذُ مِنْ خَشَبِهِ الْقِصَاعُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

إِذَا قَمَدَتْ مَقْعَدًا نَبَا بَيْنَهُ كَالْقَدَحِ الْكُبُوبِ فَوْقَ الرَّابِيَةِ

٨٥١

آخر :

إِذَا اجْتَمَعَ الْجُوعُ الْمَبْرُحُ وَالْهَوَى عَلَى الرَّجُلِ الْمُسْكِينِ كَادَ يَمُوتُ

٨٥٢

آخر :

١ - يَا رَبِّ إِنْ قَتَلْتَهَا فَعُدَّ لَهَا

٢ - فَلَنْ تَمُوتَ أَوْ تَشُدَّ قَتْلَهَا^(٣)

أَرَادَ إِلَّا أَنْ تَشُدَّ قَتْلَهَا وَتَبَالِغَ فِيهِ .

(١) هَذَا مَا فِي لِ وَالتَّبْرِيزِي . وَفِي الْأَصْلِ : « فَصَادَفَ الْقَمْبُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « كَأَنَّهُ كَمْبٌ » ، صَوَابُهُ فِي لِ وَالتَّبْرِيزِي .

(٣) التَّبْرِيزِي : « أَوْ تَجِيدُ قَتْلَهَا » ، ثُمَّ سَأَلَ التَّبْرِيزِي الْمَرْحُوعَ مَطَابَقًا لِمَرْحُوعِ الْمَرْزُوقِ .

٨٥٣

آخر :

١- وَأَبْيَضُ الضَّيْفِ مَا بِي جُلُّ مَا كَيْلُهُ إِلَّا تَنْفَجُهُ حَوْلِي إِذَا قَمَدًا
 ٢- مَا زَالَ يَنْفُجُ جَنْبِيهِ وَحُبُونَتُهُ حَتَّى أَقُولَ لَمَلِّ الضَّيْفَ قَدْ وَلَدَا^(١)
 قوله « إِلَّا تَنْفَجُهُ » استثناء خارج . والتنفج قيل هو التجشؤ . ويقال :
 تَفَجَّ فلانٌ ، أى تَوَقَّعَ فى جُلُوسِهِ . ومنه : هو مُتَنَفِّجُ الجَنِينِ . وهذا غَرَضُ
 الشاعر ، بدلالة قوله : مَا زَالَ يَنْفُجُ جَنْبِيهِ وَحُبُونَتُهُ . والتنفج : الكِبَرُ ، وفى
 التنفج زيادة تكلف .

٨٥٤

آخر :

وإِنَّا لَنَجْفُو الضَّيْفَ مِنْ غَيْرِ عُسْرَةٍ خِشَافَةً أَنْ يَضْرِبَ بِنَا فَيَمُودُ^(١)

(١) روى التبريزى بعده مقطوعة لم يروها المرزوقى . ونصها مع تفسيرها :

وقال بلال بن جرير :

بلال : أَحَدُ أَصْنَافِ الْمَاءِ . والجريز : جبل الزمام .

وَعَكْلِيَّةٌ قَالَتْ لَجَارَةٍ بَيْنَهَا إِذَا الْعَيْرُ أَدْلَى حَبْذَا مِثْلُ ذَا عِلْقَا

قال أبو العلاء : كان البغداديون ينشدون علقا بالقاف والعين . وقدم الوزير ابن أبى خالد
 التبريزى ومعه سبط له فقرأ الفلام الحماسية على بعض أهل العلم . وأشد هذا البيت بالقين والقاف
 « علقا » وذكر بعده بيتا وهو :

فَقَالَتْ لَهَا جَارَاتُهَا إِذَا سَمِعَتْهَا يَمُومُ حَبْذَائِلَ حَيْذَا مِثْلَهُ الْفَا

وزعم أن هذه الرواية وقعت إليهم من أبى عبد الله الأسدى البصرى صاحب كتاب
 المشاكسة ، وكان من أروى البصريين الذين فى زمانه لعمر العرب . والغلف : القىء الذى
 يجهل فى الغلاف .

(٢) بعده كما نس التبريزى :

وَنَشَلَّ عَلَيْهِ الْكَلْبُ عِنْدَ عَمَلِهِ وَبَدَى لَهُ الْحَرَمَانُ ثُمَّ نَزِيدُ

قال التبريزى :

« وهذا البيت — يعنى للأول — يروى لحاتم الطائى . ويقال إنه أراد بالضيف الأسد .
 وهذا لا يمتنع من مذاهب العرب ، لأنهم يسمون كل طارق ضيفا ، حتى جئوا الأسد كالضيف » .

قوله « فيعود » لم يعطفه على أن يضري بنا ، لكنه قصد به إلى الاستئناف ، والمراد فهو يعود ، ويقال : إن بعض المتحدثين في زمن الأصمعي خالفه في هذا وزعم أن الشاعر تمدح بهذا ولم يتملح^(١) ، وزعم أن للراد إنا لا نتكلف للضيف ولا نحتشد له ، بل نُقدّم إليه ما يحضرنا لئلا ينفّر من احتشامنا له ، فينقبض عنا ، ولا يعود إلينا . قال : ومعنى « مخافة أن يضري » أن لا يضري بنا ، ولا مضرة ، كما قال الله عز وجل : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ . وهذا كما تكلف بعضهم القول في قوله :

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلِّبَهُمْ قالوا لأئمتهم بُولِي على النارِ^(٢)
وزعم أنه مدح مع اتفاق الناس على أنه أهجى بيت .

٨٥٥

آخر

ونظرَ إلى جارية سوداء تخضّب كُفَّها فقال :

١ - تخضّبُ كُفَّاً مُبِتَكْتٍ مِنْ زَنْدِهَا

٢ - فتخضّبُ الحِجَاءُ مِنْ مُسَوِّدِهَا

٣ - كأنها والكُحْلُ في مِرْوَدِهَا

٤ - تكحلُّ عَيْنِهَا بِمِغْضِ جِلْدِهَا

وقوله « مُبِتَكْتٍ مِنْ زَنْدِهَا » منقطع بما قبله ، كأنه خبر عنها ، ثم دعا على كُفَّها . ولا يجوز أن يتصل بما قبله ، لأنه حينئذ يكون واقفاً موقع الصفة

(١) ل : « ولم يتملح » .

(٢) للأخطل في ديوانه ٢٢٥ والكامل ٧٣٤ ليسك .

لَكَفٌّ ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ والدعاء لا تكون صفاتٍ ولا صلاتٍ ولا أخباراً إلا بتأويل .

وقوله « فَتَخْضِبُ الحِنَّاءُ مِنْ مُسَوِّدَّهَا » ، يريد أن سواد لونِها يغيّر من الحِنَّاءِ فيخضبه . والحِنَّاءُ وزنه فِعَالٌ ، والمهمزة منه أصلية ، بدلالة قولهم : حَنَّاتُهُ بِالْحِنَّاءِ .

وقوله « فِي مِسْوَدَّهَا » استفتح الزحاف فشدد الدال ، ومثله :

* تَمْرُضُ الْمُهْرَةُ فِي الطَّوْلِ^(١) *

٨٥٦

آخر^(٢) :

- ١ - لَعَمْرِي لَقَدْ حَدَّثْتُ قُرْطَاوَجَارَهُ وَلَا يَنْفَعُ التَّحْذِيرُ مَنْ لَيْسَ بِحَذَرٍ
 - ٢ - نَهَيْتُهُمَا عَنْ نُورَةٍ أُخْرَقَتْهُمَا وَحَمَامٍ سَوَّاهُ يَنْسَقِرُ
 - ٣ - فَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَنَانِي مُوقِعًا بِهِ أَثَرٌ مِنْ مَسْهَا يَنْقَشِرُ
 - ٤ - أَجِدُّكُمْ لَمْ تَغْلَمَا أَنَّ نَجَارَنَا أَبَا الْجِسْلِ بِالصَّخْرَاءِ لَا يَنْتَوِرُ
 - ٥ - وَلَمْ تَغْلَمَا حَمَامَنَا بِيَلَادِنَا إِذَا جَعَلَ الْحِرْبَاءُ بِالْجِذْلِ يَخْطِرُ
- قوله « أَنَانِي مُوقِعًا » ، انتصب على الحال . ويقال : بعيرٌ موقع الظهر ، إذا كان به آثار الجرب . ورجلٌ موقعٌ ، إذا كان به آثار الجراح . قال :
- مِثْلَ الْحَارِ الْمَوْقِعِ السَّوِّءِ لَا يُحْسِنُ مَشْيًا إِلَّا إِذَا ضُرِبَا^(٣)

(١) أراد الطول ، بكسر فتح ، وهو الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه . والبيت لمنظور ابن مرثد الأسدي . انظر حواشي مجالس نعلب ٦٠١ - ٦٠٢ .
(٢) التبريزي : « وقال أعرابي لابنه وكان قد دخل الحمام فأحرقته النورة » .
(٣) للحكم بن عبد الأسد . الحماسية ٤٥٠ ص ١٢٠٥ .

وقوله : « لَا يَتَنَوَّرُ » ، الأجود في هذا أن يقال : لَا يَتَنَارُ ، وقد قيل تَنَوَّرَ أيضًا .

وقوله « أَجِدَّ كُما » انتصب على المصدر من فعلٍ مُضَمَّر ، كأنه قال : أَجِدَّانِ جِدَّ كُما .

وذكره سيبويه في باب ما ينتصب من المصادر توكيداً لما قبله ، كقولك هذا زَيْدٌ حقّاً لا باطلاً ، وهذا القول لا قولك ، وهذا زيدٌ غير ما تقول ، والتقدير : هذا القول لا أقول قولك . قال سيبويه : ومثله في الاستفهام أَجِدَّكَ لَا تَفْعَلُ كذا ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مضافاً ، والتقدير أَجِدَّامَكَ . وَجَرَى هذا تجرّى ما لَزِمَتْهُ الإضافةُ نحو لَبَّيْكَ وما أشبهه ، ومعاذ الله . والمعنى أهلك جِدّاً لم تهلل ما ذكرتُ . والحِزْباءُ أعظمُ من الغطاءة ، وهو أَغْبَرُ مادام صغيراً ، ثم يصفرُ إذا كَبُرَ ، فإذا حَمَيْتِ الشَّمْسُ عليه أخذَ جلدهُ يخضرُ . ولذلك قال ذو الرُّمّة

* وَيَخْضَرُّ مِنْ لَفْحِ الْمَجِيرِ غِبَاغِبُهُ ^(١) *

وقال الطِّرِمَاح :

وَأَنْتَمَى ابْنُ الْفَلَاةِ فِي طَرْفِ الْجِذْلِ لِـ وَأَعْيَا عَلَيْهِ مُلْتَحِدُهُ

وابْنُ الْفَلَاةِ : الحِزْباء . والجِذْلُ : العودُ وأصلُ الشَّجَرَةِ . وقال آخر ^(٢) :

أَنْى أُتِيحَ لَهُ حِزْبَاهُ تَنْضُبَةً لَا يُرْسِلُ السَّاقُ إِلَّا مُسَكَّ سَاقَا

(١) صدره في ديوان ذي الرمة ٤٧ :

* إِذَا جَعَلَ الْحَرْبَاءُ بَيْضَ رَأْسِهِ *

(٢) هو أبو دوداد الإيادي من أبيات رواها العسكري في الجمهرة ٢١٢ . وانظر اللسان

(١ : ٢٩٧ / ٣٥) وعبون الأخبار (٣ : ١٩٢) وأمثال الميداني (١ : ٢٠٢)

وديوان اللامي (١ : ١٣٨) والمخصص (٨ : ١٠٣) .

تَنْصُبُهُ : شجرة . والحِزْباء يَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ فيدورُ معها في سَوَاقِ الأشجار .
وقوله « جَلَّ الحِزْباء » بمعنى طَفِقَ .
وقوله « لَا يُرْسِلُ السَّاقَ » مَثَلٌ لِلْمُلْحِفِ الَّذِي لَا يَقْضِي حَاجَةً إِلَّا
سَأَلَ أُخْرَى .

٨٥٧

آخر :

١ - أَلَا قَتَى عِنْدَهُ خُفَانٍ يَحْمِلُنِي عَلَيْهِمَا إِنْتِ شَيْخٌ عَلَى سَفَرٍ
٢ - أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَخْوَالَ أُمَارِسُهَا مِنَ الْجِبَالِ وَأَنْتِ سَيِّئُ النَّظَرِ
٣ - إِذَا سَرَى الْقَوْمُ لَمْ أَبْصِرْ طَرِيقَهُمْ إِنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَوْءٌ مِنَ الْقَمَرِ
يروى « إِنْتِ شَيْخٌ عَلَى سَفَرٍ » بكسر الميمزة على الاستئناف ، ويروى
« أَتْنِ » بفتح الميمزة ، والمعنى لَأَنْتِ شَيْخٌ .
وقوله « لَمْ أَبْصِرْ طَرِيقَهُمْ » ، يريد أَنَّهُ لَا جَادَةَ فِي بِلَادِهِمْ . وهذا خلافُ
قول الآخر :

..... ترى للسائلين إلى أبوابه طُرُقًا^(١)
كَأَنَّهُ عَيْرٌ مَتَمَلِّحًا .

٨٥٨

وقالت جارية في جارية تَسُبُّهَا^(٢) :

١ - سُبِّي أَبِي سَبْكَ لَنْ يَضِيرَهُ
٢ - إِنَّ مَمِي قَوَافِيَا كَثِيرَهُ

(١) هذا غير بيت زهير المشهور ، وهو :

لقد جعل البنفون الحير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا

(٢) هذا ما في ل . وعند التبريزي : « وقالت جارية في لساء بتساين » . وفي الأصل :

« في لساء ين » .

٣ - يَنْفَعُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالذَّرِيرَةُ

يروى : « سَبَّكَ لِي بَصِيرَهُ » . وإذا رويت « سَبَّكَ لِي بِصِيرَةٍ » يرتفع سَبَّكَ
بالابتداء . وتنصب سَبَّكَ على المصدر ، أى كما تسببني ، فسبى أبى أيضاً ،
و « بصيرة » على النداء .

٨٥٩

وقالت أخرى :

١ - إِنَّ أَبَاكَ زَهْرَقُ دَقِيقُ

٢ - لَا حَسَنُ الْوَجْهِ وَلَا عَتِيقُ

٣ - تَضْحَكُ مِنْ طُرْطُبِهِ الْمُنُوقُ

الزَّهْرَقُ : اللَّيْمُ الدَّقِيقُ الْحَسَبُ . والعَتِيقُ : الكريم الرائع من كل شيء .
والفعل منه عَتَقَ عَتَقًا . والطَّرْطُبُ : صوت الراعى إذا سَكَنَ مِعْزَاهُ . والمُنُوقُ :
إناث أولاد العزى ، أى كأنها تُسَرُّ لَفْعَلَتِهِ تَلَك^(١) . ويروى : « تَضْحَكُ مِنْ طُرْطُبِهِ
الْقُبُوقُ » ، وذكر أن المخاطب كان لثديهِ حَلْمَةٌ طَوِيلَةٌ - والضَّرْعُ الطَوِيلُ يقال
له الطَّرْطُبُ - وأنَّ القُبُوقَ امرأةٌ . يريد أنها تَسْخَرُ مِنْهُ وَتُعْجِبُهَا خِلْقَتُهُ .

٨٦٠

وقالت أخرى :

١ - يَارَبِّ مَنْ عَادَى أَبِي فَعَادِهِ

٢ - وَازِمٍ بِسَهْمَيْنِ عَلَى فُؤَادِهِ

٣ - وَاجْعَلْ حِمَامَ نَفْسِهِ فِي زَادِهِ

(١) يعنى صوته بمعزاه . وفى الأصل : « لَفْعَلَتُهُ » ، صوابه فى ل .

٨٦١

وقالت أم النحيف (١) :

- ١- لَمَعْرِي لَقَدْ أَخْلَفْتَ ظَنِّي وَسُوءَاتِي
- ٢- وَلَا تَكُ مِطْلَاقًا مَلُومًا وَسَامِحًا ۥ
- ٣- فَقَدْ حَزُنْتَ بِالْوَرِهَاءِ أَخْبَثَ خَبِثَةً
- ٤- تَرَبَّعْنَ بِهَا الْأَيَّامُ عَلَى صُرُوفِهَا
- ٥- فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ مَنَاهُ إِلَهُهُ
- ٦- فَعَاوَلَهَا حَتَّى أَتَتْهَا مَنِيَّةٌ
- ٧- فَأَعْتَبَ لَمَّا كَانَ بِالصَّبْرِ مُفْصِمًا
- ٨- مُتَهَمَةً الْكَشْحَيْنِ بِمَحْطُوطَةِ الْحَشَا
- ٩- لَهَا كَفْلٌ كَالدَّعْصِ لِبَدَةِ الثَّرَى

كَأَنَّ الْمَخَاطَبَ كَانَ تَزَوَّجَ بِإِسْرَافٍ لَمْ تَرْضَاهَا لَهُ ، فَلَمْ تَحْمَدِ الْعَاقِبَةَ ، فَأَخَذَتْ تَوْبِخَهُ فِي الْخِلَافِ عَلَيْهَا ، وَالْمَصِيانِ لَهَا ، وَتَشِيرَ عَلَيْهِ بِمَصَابِرَتِهَا وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْفِقْهَا مِنْظَرًا رَيْبَ الزَّمَانِ وَأَحْدَاثِهِ فِيهَا . فَقَالَتْ : عَامِلُهَا بِمَعَامَلَةِ الْأَحْرَارِ (٢) الْكَرَامِ ، فَلَا تَطْلُقْهَا وَإِنْ تَكُ قَدْ حَزُنْتَ بِهَا وَرِهَاءَ ، وَهِيَ الْحَقَاءُ . وَأَصْلُ الْوَرَةِ الْخُرْقُ

(١) التبريزي : « وهو سعد بن قرط ، أحد بني جذيمة ، وكان تزوج امرأة نتهه أمه عنها . » والنحيف كذا ضبط في النسختين . وضبطه التبريزي بالتصغير ، قال : « فيجوز أن يكون النحيف تحقير ترخيم النحيف » .

(٢) التبريزي : « محطوط الحشا » .

(٣) ل والتبريزي : « لبده الندى » . والثرى والندى واحد . وبعده عند التبريزي :

« وقال سعد وليس من الكتاب - أي ليس من الحماسة - :

يَالَيْتَا أَمْنَا شَالَتْ نَعَامَتَا
تَلْتَمِ الْوَسْقُ مَشْدُودًا أَشْطَه
لَيْسَتْ بِشَيْءٍ وَلَوْ أَوْرَدَتْهَا هَجْرًا
ل : « بمعاملة الأحرار » .

في كلِّ عمل . ويقال : تورّه الرجلُ في عمله . وقولها « أَخْبَثَ خَبْنَةً » فالخبيث نعت كلِّ فاسد ، وكذلك الخابث . وقد استعمل أَخْبَثَةً في المجوز أيضاً . والأخبثان : البَخَر والسَّهَر ، وقيل الرّجيع والبُول .

وقولها « دَع عَنْكَ مَا قَدْ قُلْتَ » ، كأنه كان ممّ بمبأينتها فأنكرت ذلك وقالت تَرْبُصُ بها . والجاسم : النار الشديدة التّأجيج . ومنه جاسم الحرب ، وَجَعَمَتِ النَّارُ والحَرْبُ جَعَمَةً : اشتدّت . والسَّكَاةُ : الثَّرَاب . والجُنُوءَةُ : الكِبَةُ منه . والإِنْبُ : الدَّرْع . وأَعَمَّ مِنَ الشَّرِّ واعتَصَمَ : التَّجَأَ وامْتَنَعَ . مَحْطُوطَةٌ الخَشَا ، أى كأنها قد صُقِلَتْ بِالْمِحْطِ ، وهو ما يُحْطُ به السيف والجِلْد . والمُهْنَمَةُ : الخميصة البَطْنُ الدقيقة الخَضِر .

وقولها « كَهَمَّ الْفَتَى » أى كما يهواه ويَهْمُ به حينما تصرّف . والدَّغْصُ : المَجْتَمِعُ مِنَ الرَّمْلِ . وَلَبَّدَهُ : صَلَّبَهُ . يعنى أَن لَحَمَهَا فِي تَرَائِكِهِ واكتنازه كذلك .

٨٦٢

وقال أبو الطمّحان الأسدي^(١) :

- ١— وبالعِيرةِ البيضاء شَيْخٌ مُسَلِّطٌ إِذَا حَلَفَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ بَرَّتْ
- ٢— لَقَدْ حَلَقُوا مِنْهَا غُدَافًا كَأَنَّهُ عَنَاقِيدُ كَرَمٍ أَيْنَعَتْ فَاسْبَكَرَتْ
- ٣— فَظَلَّ الْمَذَارَى يَوْمَ تُحَلَّقُ لَتِي عَلَى عَجَلٍ يَلْقُظْنَهَا حَيْثُ خَرَّتْ

(١) سبقت ترجمته في الخامسة ٤٧٨ ص ١٢٦٦ . قال التبريزي : « وحلقه صاحبة شرطة يوسف بن عمر » . وذكر التبريزي من أبي محمد الأرماني أن الغائل هو طخيم أبو الطمّحان الأسدي . والذى خلق له هو المباس بن معبد المرى صاحب شرطة يوسف بن عمر .

بَرَّتَ اليمينُ بَرًّا ، وهي بارّة وبرّة ، وأبررتها أنا . قال :

* إني [حَلَفْتُ] على يمينِ بَرَّةٍ ^(١) *

ويقال : يَنَمَتِ الثمرةُ ، إذا نَضِجَتْ ، وأينَمَتِ أيضاً . واسبكرت : استقرخت ولانت . وخرّت : سقطت خُروراً . وخرّ الماء خريراً . شبهَ الشَّعرَ في طوله ولينه ولونه ^(٢) بـناقيدٍ من الكَرَمِ استرسلت .

وقوله « لقد حَلَقُوا منها » ، أى من الهامة . والغداف : الأسود ، ووُصِفَ به الغرابُ لذلك . وظلّ المذارى ، بمعنى صار . وإنما التقطن لِمَتَّها لجسنها وولوعهن بها من قبل .

(١) كلمة « حلفت » ساقطة من النسختين . والبيت من قصيدة الراعي الممهورية .
جبهة أشعار العرب ١٧٢ . ومجزه :

* لا أكذب اليوم الخليفة قتيلا *

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « في طولها ولينها ولونها » . والشعر مذكور .

بَابُ مَقَامَةِ النِّسَاءِ

بَابُ مَذْمَةِ النِّسَاءِ

٨٦٣

قال بعضهم :

١ - دِمَشْقُ خَذِيهَا وَأَعْلَى أَنْ لَيْلَةً تَمْرٌ بِبُودَى نَفْسِهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ
 ٢ - أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرُكَ بِضَرَّةٍ بَعِيدَةٍ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
 أظهر التضجر بها وبالكون معها ، وطلب الخلاص منها ، وبعت البلدة
 على أخذها وقبضها إلى نفسها . وقوله « تَمْرٌ بِبُودَى نَفْسِهَا » إن جملة الفعل
 لدمشق افتضى أن يكون في قوله تَمْرٌ بِبُودَى نَفْسِهَا ضمير يرجع إلى ليلة ، والمراد
 تَمْرٌ بِبُودَى نَفْسِهَا فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ . فإن جملة الفعل لليلة يكون المعنى أن الليلة
 التي تموت فيها أو تَمِيَّتْهَا تَحُلَّ مِنْهَا فِي عِظَمِ مَوْقِعِهَا حَلَّ لَيْلَةِ الْقَدَرِ التي هي خير
 من ألف شهر ليس فيها لَيْلَةُ الْقَدَرِ . وجاء في الخبر أنه إنما^(١) عَظُمَ مَوْقِعُهَا لِأَنَّ
 اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ فِيهَا جَمْلَةَ الْقُرْآنِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ أَنْزَلَ مِنْهَا نَجْمًا شَيْءٌ بَعْدَ
 الشَّيْءِ عَلَى مَا عَرَفَ مِنَ الْمَصْلُحَةِ فِيهِ .

وقوله « أَكَلْتُ دَمًا » يَجْرِي بِحَرَى الْيَمِينِ ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ لَفْظَ الدُّعَاءِ .
 وَأَكْلُ الدَّمِ يَسُوءُ عِنْدَ الْإِسْقَاءِ عَلَى الْهَلَكَةِ وَجَهْدِ الْبَلَاءِ فِي الْإِعْوَازِ . والمعنى :
 إِنْ لَمْ أَفَرِّغْكَ بِأَنْ أُنْزِلْ بِأَسْرَافَةٍ حَسَنَةِ السَّالِفَةِ ، طَيِّبَةِ الرَّائِحَةِ ، فَايْتَلَانِي اللَّهُ
 تَعَالَى بِمَا يَحْتَلُّ مَعَهُ أَكْلُ الدَّمِ .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « أنه إذا » .

٨٦٤

آخر :

١ - سَقَى اللَّهُ دَارًا فَفَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِيهَا وَابِلًا سَائِلُ الْقَطْرِ
 ٢ - وَلَا ذَكَرَ الرَّحْمَنُ يَوْمًا وَلَيْلَةً مَلَكُنَاكِ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ الْبَدْرِ
 دَعَا لِلدَّارِ الْمَفْرُوقَةِ بَيْنَهُمَا بِالشَّقِيَا الْغَزِيرَةِ وَعَلَى مَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا مِنْ أَيَّامِ الدَّهْرِ
 وَلِيَالِيهَا بِمَنْعِهَا الْخَيْرِ ، وَحِرْمَانِهَا الْحَيَا وَالْقَطْرَ ، ثُمَّ قَالَ « فِيهَا » فَرَدَّ الضَّمِيرَ عَلَى
 أَحَدِهِمَا وَاخْتَارَ الْأَقْرَبَ ، إِذْ عَلِمَ أَنَّ الْمَطُوفَ وَالْمَعُطُوفَ عَلَيْهِ يَسْتَوِيَانِ فِي الْإِخْبَارِ .
 وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .
 وَقَوْلُهُ « لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » مِنْ صِفَةِ اللَّيْلِ ، أَيْ كَانَتْ تِلْكَ
 اللَّيْلَةُ مَظْلَمَةً لَا نُورَ فِيهَا وَلَا سُعُودَ . وَمَعْنَى « وَلَا ذَكَرَ الرَّحْمَنُ » ، أَيْ لَا تَعَطَّفَ
 عَلَيْهَا ، وَلَا قَسَمَ لَهَا خَيْرًا .

٨٦٥

وَقَالَ آخَرُ فِي امْرَأَتَيْنِ تَزَوَّجَ بِهِمَا^(١) :

- ١ - رَحَلَتْ أَنْيْسَةُ بِالطَّلَاقِ وَعَتَقْتُ مِنْ رِقٍّ الْوَثَاقِ
- ٢ - بَانَتْ فَلَمْ يَأْلَمْ لَهَا قَلْبِي وَلَمْ تَبْكِ الْمَاقِي
- ٣ - وَدَوَّاهُ مَا لَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ تَعَجِيلُ الْفِرَاقِ
- ٤ - لَوْ لَمْ أَرْحُ بِفِرَاقِهَا لَأَرْحْتُ نَفْسِي بِالْإِبَاقِ
- ٥ - وَخَصَيْتُ نَفْسِي لَا أَرَى دُحْلِيلَةً حَتَّى التَّلَاقِ

(١) ل : « فِي امْرَأَةٍ تَزَوَّجَ بِهَا » . التبريزي : « فِي امْرَأَةٍ طَلَّقَهَا » .

يريد : طَلَّقَهَا فَبَانَتْ مَتًى وَفَارَقْتَنِي ، فَصِرْتُ حُرًّا عَتِيقًا . ومعنى « رِقَ الوَثَاقِ » ، يريد أنى كُنْتُ كَالْمُوثِقِ الْأَسِيرِ فَفَكَكْتُ وَثَاقِي ، وَجَعَلَ الْبُكَاءَ لِلْمَاتِي مَجَازًا ، وَهُوَ جَمْعُ الْمُوتِي عَلَى وَزْنِ الْمُعْتَقِ ، وَهُوَ طَرَفُ الْعَيْنِ الَّذِي بِلَى الْأَنْفِ ، وَهُوَ تَخْرُجُ الدَّمْعُ ، فَلِذَلِكَ جَعَلَ الْفِعْلَ لَهَا . وَفِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ عِدَّةُ لُغَاتٍ : مَاتَى عَلَى وَزْنِ الْمُعْتَقِ وَجَمْعُهُ آمَاتٌ ، وَمَاتَى عَلَى زَنْةٍ قَاضٍ وَالْجَمْعُ مَوَاتٍ . وَحَكِي أَبُو زَيْدٍ مَاتَى وَالْجَمْعُ مَوَاتٍ . وَقَالَ اسْرَوْ الْقَيْسُ فِي الْمَاتَى :

* شَقَّتْ مَا قِيهْمَا مِنْ أُخْرٍ ^(١) *

وَحَكِي يَعْقُوبُ (فِي الْمُنْطِقِ ^(٢)) عَنْ الْفَرَّاءِ ، أَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَفْعِلٌ بِكَسْرِ الْعَيْنِ إِلَّا حُرَفَانِ : مَاتَى الْعَيْنِ ، وَمَاتَوَى الْإِبِلِ ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ عَلَى اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ قَدْ عَمِلَتْهَا مَسْأَلَةٌ ، وَتَكَلَّمْتُ فِي وُجُوهِهَا ، وَبَيَّنْتُ خَطَأَ مَنْ وَزَنَ مَاتَى الْعَيْنِ بِمَفْعِلٍ بِكَسْرِ الْعَيْنِ . وَقَوْلُهُ « تَمْجِيلُ الْفِرَاقِ » ، يَرِيدُ تَمْجِيلَ فِرَاقِهِ ، فَجَعَلَ اللَّفْظَ عَامًّا ، وَالْمُرَادُ الْخَاصَّ ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ « مِنْ رِقَ الْوَثَاقِ » ، يَرِيدُ وَثَاقِيهَا . وَالْإِبَاقَى : الْهَرَبُ . وَالرَّاحَةُ : وَجَدَانُكَ الرَّوْحَ بَعْدَ مَشَقَّةٍ . وَمَا لَكَ نَوَاحٍ ، أَيْ رَاحَةٍ . وَالتَّرَاوِيحُ فِي رَمَضَانَ مِنْهُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : تَرَاوَحَتِ الْأُمُطَارُ ، وَأَفْعَلُ ذَلِكَ فِي سَرَاحٍ وَرَوَاحٍ . وَالْحَلِيلَةُ : الزَّوْجَةُ ، سَمَّيْتُ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُحَالُّ بَعْلَهَا ، أَيْ تُتَنَازَلُ وَيُنَازَلُهَا ^(٣) . وَقَوْلُهُ « حَتَّى التَّلَاقِ » ، أَيْ إِلَى وَقْتِ تَلَاقٍ اتَّخَلَقَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَانْطَفَ « وَخَصَّيْتُ » عَلَى قَوْلِهِ « لِأُرْحَتُ نَفْسِي » . وَمَوْضِعُ لَا أُرِيدُ نَصَبًا عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ خَصَّيْتُ .

(١) يروى : « فشقت » . وسدره في ديوانه ١٦ :

* وعين لها حدره بدره *

(٢) يريد كتابه « إصلاح المنطق » . انظر ص ١٣٧ طبعة دار المعارف .

(٣) في النسختين : « أى تنازلا » فقط .

٨٦٦

وقال آخر :

- ١ - أَلَيْمٌ بِجَوْهَرِ الْقُضْبَانِ وَالْمَدْرِ وبالصِّصَى التي في رُوسِها مُجَرَّ
 ٢ - أَلَيْمٌ بها لا لتسليم ولا مِقَّة إِلَّا لِيَكْسَرَ مِنْهَا أَنْفَهَا الْحَجَرُ^(١)
 ٣ - أَلَيْمٌ بَوَطْبَاءٍ فِي أَشْدَاقِهَا سَمَّةٌ فِي صُورَةِ الْكَلْبِ إِلَّا أَنَّهَا بَشَرٌ
 ٤ - حَدْبَاءُ وَقَصَاءُ صِيغَتِ صَيْغَةٍ عَجَبًا وَفِي تَرَائِبِهَا عَنْ صَدْرِهَا زَوْرُ
- الإلام : الزَّيَاة الخفيفة ، والبَاء من قوله « بجوهر » تعاقب به . وقوله « بالقضبان » أى والقضبان معك ، وهذا كما يقال : خرج بسلاحه ، أى والسلاح عليه . والعُجَر : جمع عُجْرَة ، وهى المقدة ، وَخِيطٌ عَجِرٌ وَعَصَا عَجْرَاءُ : فيها عُقْد . وقالوا في روس جمع رأس ، لَأَنَّهُ جَمْعٌ فَعْلًا عَلَى فَعْلٍ ، كَقَوْلِهِمْ سَفَفٌ وَسُقْفٌ ، وَرَهْنٌ وَرُهْنٌ .

وقد أَقْوَى فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ^(٢) ، فَهُوَ أَقْبَحُ .

وقال « في أشداقها » جمعاً على ما حوالية ، كما يقال هو ضَخَمَ الْعَتَانَيْنِ .
 وَالْوَطْبَاءُ : العظيمة الثَّدِين ، وهى فَمَلَاءٌ وَلَا أَفْمَلٌ لَهَا . وَمِثْلُهُ دِيمَةٌ هَطْلَاءٌ ،
 وَالْحُلُوءَاءُ . وَقَدْ مَرَّ نَظِيرُهُ . وَقَوْلُهُ « إِلَّا أَنَّهَا بَشَرٌ » ، الْبَشَرُ يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ
 وَالْجَمْعِ ، وَيَتَنَاوَلُ الْإِنْسَ دُونَ سَائِرِهِ^(٣) . وَالْوَقَصَاءُ : الْقَصِيْرَةُ الْعُنُقُ . وَالتَّرَائِبُ :
 جَمْعُ التَّرِيْبَةِ ، وهى مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ . وَإِنَّمَا يَصِفُ اعْوَجَاجَهَا فِي خِلْقَتِهَا وَهَزْلِهَا .

(١) كلمة « منها » ساقطة من ل .

(٢) يعنى البيت الأول .

(٣) ل : « غيره » .

٨٦٧

آخر:

١ - تَمَتَّ عُبَيْدَةُ إِلَّا فِي مُحَاسِنِهَا وَالْمَلْحُ مِنْهَا مَكَانُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(١)٢ - قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَنِيقٍ أَقْصِرْ فِرَاسُ الَّذِي قَدْ عِيبَ وَالْحَجَرُ^(٢)

قوله « تَمَتَّ عُبَيْدَةُ إِلَّا فِي مُحَاسِنِهَا » ، أطلق القول بتمامها ، ثم استثنى المحاسن من خصالها ، فخلص التمام في المقام لا غير . وقوله « وَالْمَلْحُ مِنْهَا مَكَانُ الشَّمْسِ » ، لك أن تنصب مكان على الظرف ، يريد أن الملح بعيد ، فهو في السماء ، ولك أن ترفعه كما تقول : هو منى فرسخان ، فتجعل الملح منها نفس السماء ، كما تجعل المخبر عنه في قولك : هو منى نفس الفرسخين ، وعلى هذا ينمطف قوله « والقمر » ، فإما أن تُجَرِّى على موضع مكان وقد نُصِبَ لَأَنَّهُ وهو ظرف في موضع الرفع ، وإما أن تُجَرِّى على لفظ مكان وقد رُفِعَ لَأَنَّهُ يصح أن يقال الملح منها القمر كما يصح أن يقال الملح منها مكان القمر . وإذا جررت « والقمر » كان معطوفاً على الشمس ، ويكون الشاعر مقوياً في البيت الذي بعده .

وقوله : « فِرَاسُ الَّذِي قَدْ عِيبَ^(٣) » ، أى رأس الإنسان الذى قد عيب ، لذلك لم يقل فِرَاسُ الْقَى . وعطف الحجر على الرأس على أحد وجهين : إما أن يريد رأسه والحجر مقرونان على طريق الدعاء لا على طريق الإخبار ، لحذف الخبر لأن المراد مفهوم . وهذا كما يقال : كل أسرى وشأنه . وإما أن يريد بالواو معنى مع ، كأنه قال رأسه مع الحجر ، وحينئذ يكون الخبر في الواو ، وهذا

(١) التبريزى : « من محاسنها » .

(٢) ل : « عبت » التبريزى : « عبت للحجر » .

(٣) ل : « عبت » .

يكون كقولهم : الرجال وأعضاؤها ، والنساء وأمجازها ، لأن المراد الرجال بأعضاها والنساء بأمجازها . وإنما قال : « قُلْ للذي عابها من عائبِ حنق » تخفيفاً لقُبْحها وتسلية^(١) لانتهاه عيِّبها . والحنق : أشدُّ النفيظ .

٨٦٨

وقال آخر :

١- لا تَنكِحَنَّ الدهرَ ماعِشَتِ أَيْتًا بُجْرَبَةً قَدْ مُلَّ مِنْهَا وَمَلَّتِ^(٢)
٢- تَحُكُّ قَفَاها مِنْ وَرَاءِ خِمَارِها إِذَا فَقَدَتْ شَيْئًا مِنَ الْبَيْتِ جُنَّتِ
٣- تَجُودُ بِرِجْلَيْها وَتَمْنَعُ دَرَّها وَإِنْ طَلَبَتْ مِنْها الْمُوَدَّةَ هَمَّتِ
قوله « لا تَنكِحَنَّ » أراد بالنكاح التقدلا للجماع . والأيم : التي قد مات عنها زوجها . وقد آمَت تَنِيمُ أَيْمَةً .

وقوله « قَدْ مُلَّ مِنْها وَمَلَّتِ » يريد أنها طمعت في السن ، فقضت مآرب الشهوات وقضيت منها .

وقوله « تَحُكُّ قَفَاها مِنْ وَرَاءِ خِمَارِها » ، أى تركت التنظف والتنطس ، ونسيت الحياء والأنفة ، فرأسها تَحُكُّها دائباً ، ومحبتها للحقير تَجَنُّنُها ، حتى إذا فَقَدَتْ ما لا خطرَ له ، كان عندها كالكبير الذي لا عِوَضَ منه .

وقوله « تَجُودُ بِرِجْلَيْها وَتَمْنَعُ دَرَّها » ، ويجوز أن يكون مثلاً لِقَلَّةِ خَيْرِها ، فشبَّهها بالشاة التي تُتَاجَرُ بِرِجْلَيْها ، فإذا أُرِيدَ حَلَبُها مَنَعَتْ . ويجوز أن يكون المراد أنها قعدت عن الولادِ فهي تُسَاعِدُ في الجماع ولا تَحْمِلُ ولا تَلِدُ .

(١) في الأصل : « تسلية » ، صوابه في ل .

(٢) التبريزي : « مخرمة » .

وقوله « وإن طَلَبْتَ منها المودَّةَ هَرَّت » يريد أنها لا يُتَمَنَّى عندها من نتائج الودِّ وأسباب الشفقة والحُبِّ شيء إلاَّ نَبَحَتْ نَبِيحَ الْكِلَابِ . ويجوز أن يريد بهرَّت كرهت وتقبضت (١) .

٨٦٩

آخر :

- ١ - لَأَسْمَاءَ وَجَهٌ بِذَعَةٍ مِنْ سَمَاجٍ يُرَغَّبُ فِي نَيْكِ كُلِّ أَتَانٍ
 ٢ - بَدَا فَبَدَتْ لِي شُقَّةٌ مِنْ جَهَنَّمَ فُقْتُ وَمَالِي بِالْجَحِيمِ يَدَانِ
 ٣ - وَغَادَرْتُ أَصْحَابِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا بِمَا شِيتَ مِنْ خِزْيٍ وَطُولِ هَوَانٍ
 ٤ - وَمَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَهَا أَنَّ فِي النِّسَاءِ جَحِيماً أَرَاهَا جَهَنَّمَ وَرَأَى
- قوله « بدا » الفعل للوجه ، وشُقَّةٌ ، أى قِطْعَةٌ . ولك أن ترويه بكسر الشين ، فيكون كعِزْمَةٍ وكِسْرَةٍ وَجِدْوَةٍ وَقِطْعَةٍ وَفِدْرَةٍ ، ولك أن تضمَّ الشين فيكون كالشُّمْبَةِ والعُجْرَةِ والمُقَدَّةِ ؛ فاروهِ كيف شئت . وقوله « فُقت ومالى بالجحيم بهتان » أى نهياتٌ للهَرَبِ منها ، إذ لم يكن لى طاقةٌ بالصَّبْرِ عليها ، ولا قُوَّةٌ فى ملاقاتها .

وقوله « وغادرتُ أصحابي » كأنه شايمة فى النهضة قومٌ وتخلَّفَ عنه قوم ، فقال : مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي كَانَتْ حَالُهُ عَلَى ذَلِكَ .

٨٧٠

آخر :

- ١ - لَا تَنْكَحْنِ عَجُوزاً إِنِ انَّيْتَبَهَا وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمْنِئاً هَرَبَا

(١) ل : « وتقبضت » .

٢ - فَإِنْ أَتَوَكَ وَقَالُوا إِنَّهَا نَصَفٌ فَإِنْ أُمِّتَ نِصْفَيْهَا الَّذِي ذَهَبَ^(١)
 المراد بالنكاح العقد ههنا ، وفي القرآن : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ
 النِّسَاءِ مَتْنًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ . وقوله « وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ » يجوز أن يكون مثل
 قول اسرى القيس :

* فَسَلَّى ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلٍ^(٢) *

وكما يقال ضُفَّ إليك من كذا جناحك . ويجوز أن يريد به تشمر وتخفف
 واخرج من مسكك^(٣) . ومعنى « منها » أى من أجلها . ونصب « بمعنا » على
 الحال . ويقال : أَمَعَنَ فى السَّيْرِ ، إذا أَبْعَدَ . و « هَرَبَا » يريد هاربا . وإنما
 سامه ما سامه ليكون أخف سيرا وأسرع حراكا .
 وقوله « فَإِنْ أُمِّتَ نِصْفَيْهَا » أى أصلحهما ، ويقال : فلان أُمِّتَ من
 فلان ، أى هو أدنى منه إلى الخير . وأماثل القوم : خيارهم .

٨٧١

آخر:

١ - رَفِطًا مَحْدَبًا يُبْدِي الْكَبِدَةَ مَضْحَكُهَا قَنَوَاهُ بِالْعَرَضِ وَالْعَيْنَانِ بِالطُّولِ
 ٢ - لَهَا فَمٌ مُلْتَقَى شِدْقِيهِ نَقَرَتْهَا كَانَتْ مَشْفَرَهَا قَدْ طُرَّ مِنْ فِيلِ
 ٣ - أَسْنَانُهَا أَضْعَفَتْ فِي خَلْقِهَا عَدَدًا مُطَهَّرَاتٍ جَمِيعًا بِالرَّوَابِلِ
 الرِّقَطَاءُ : المنقشة^(٤) بالبرش . والقفنا : طول الأنف ، وإذا كان بالعرض
 كان كأنف الخنزير .

(١) التبريزى : « وإن أتوك فقالوا » .

(٢) من معلقته . وصدره :

* وإن تك قد ساءتك مفي خليفة *

(٣) المسك ، يفتح أوله : الجلد .

(٤) ل : « المنقطة » .

وقوله « مُلتقى شِدْقِيهِ نَقَرْتُهَا » ، أراد أنها السِّعَة فيها يلتقيان عند نُقْرة القفا . ومعنى طُرٌّ نُطِيعَ . وقوله « مُظْهِرات » أى جُعِلَ لها ظُهُرةٌ كما يُجْعَلُ للفرش ظُهُرةٌ ، وكما قيل من الظُّهارة ظُهِرَ قيل من البِطانة بَطْنٌ ، ويجوز أن يكون من قولك هو ظُهُيرُك أى مُعِينُك . ويقال : بعير مَظْهُرٌ ، أى شديد الظُّهر قوًى . والظُّهر : ما غَلُظَ من الأرض وارتفع ، والظَّاهِرة مثله ، وهما متما تقدم . والرواويل : زوائد على عدد الأسنان ، والواحد رَاوُول .

٨٧٢

آخر :

- ١ - اضْرِمْنِي يَا خِلْقَةَ الْجِدَارِ وَصِلْنِي بِطُولِ مُبْدِ الْمَزَارِ
- ٢ - فَلَقَدْ شَمْتَنِي بِوَجْهِكَ وَالْوَصْ لِي قُرُوحًا أَعْيَتْ عَلَى الْمِسْبَارِ
- ٣ - ذَقَنْ نَاقِصٌ وَأَنْفٌ غَلِيظٌ وَجَبِينُ كَسَاجَةِ الْقُسْطَارِ
- ٤ - طَالَ لَيْلِي بِهَا فَبِتُّ أَنْادِي يَالثَّارَاتِ مُسْتَضَاءَ النَّهَارِ
- ٥ - قَامَةُ الْقُصْمَلِ الضَّعِيفِ وَكَفُّ خِنْصَرَاهَا كُذَيْتَنَا الْقَصَّارِ^(١)

وقوله « يا خِلْقَةَ الْجِدَارِ » يريد أنتِ غليظةٌ ثقيلةٌ ، فكأنك في غِلْظِ الجدار وثقله ، وكما قيل من الجدار مجدارٌ قيل في الغليظ الثَّعِيل من الجبل مجبال . وقال امرؤ القيس :

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ابْتَزَّهَا مِنْ ثِيَابِهَا تَمِيلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مَجْبَالِ
وَمِفْعَالٍ مِنْ أُبْنِيَةِ الْآلَاتِ ، فَهُوَ كَالْمِفْتَاحِ وَالْمَقْيَاسِ^(٢) وَاللِّدْرَاكِ^(٣) ، وَكَانَ

(١) ل والتبريزى والاسان (كذنى) : « القصمل الضئيل » . وفيهما أيضاً : « قصار » . قال البريزى : « وروى بعضهم : كوذيتنا قصار » .
(٢) ل : « والمقياس » بالباء الموحدة . (٣) كذا في النسختين .

الأصل في الجذر الارتفاع والفتوة . ويقال : جذرتُ الجدار . وقال بعضهم : الجذري منه اشتق .

والقروح : الجراح . والمسبار : المُلْمُول الذي يَقْدَرُ به الجرح وغوره ، وهو من سَبَرْتُ ، وتوسَّع في استعماله حتَّى وُضِعَ موضعَ جَرَبْتُ . والقسطار : الصَّيرْفُ ، وساجته : لوحه الذي يَقُومُ عليه كِفَتَا الشَّاهِين إذا وُزِنَ به ^(١) . وقوله « يا أشارات » يا حرف النداء ، واللام لام الاستغاثة . وإنما يستغيث بمن يَرُدُّ عليه النهار .

والقُصْلُ : القصير ، والخليلُ أهله وكذلك الخارزنجيُّ والدَّريدي . والضَّئِيلُ : الدَّقِيق . ورواها بعضهم : « قامة القُصْل » ، بالفاء ، وهو المقرب الصغير ، والرجل اللثيم . والمراد أن في أعضائها تفاوتاً فلا يتلاءم خاتمتها ^(٢) .

٨٧٣

آخر :

- ١ - الأُمُ على بُغْضٍ لما بَيْنَ حَيَّةٍ وَضَمِيعٍ وَتَمَسَّاحٍ تَفْشَاكَ مِنْ بَحْرِ
- ٢ - تُحَاكِ نَمِيماً زَالَ فِي قُبْحٍ وَجْهَهَا
- ٣ - هِيَ الضَّرْبَانُ فِي الْمَفَاصِلِ خَالِياً
- ٤ - إِذَا سَفَرَتْ كَانَتْ بِعَيْنَيْكَ سُخْنَةً
- ٥ - وَإِنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبِ
- ٦ - حَدِيثُ كَقَلْعِ الضَّرْسِ أَوْ نَتْفِ شَارِبِ

(١) الشاهين : عمود الميزان .

(٢) فاته أن يفسر الكذيق . قال التبريزي : « ثنية كذيق ، وليس برمي ، وهو الذي تسميه العامة كودينا » . وفي اللسان : « قال ابن برى : الكذيق مدق القصار الذي يَدُقُّ عليه الثوب » . وهو بالفارسية « كدين » أو « كدينه » . استينجاس ١٠١٩ .

(٣) ل : « لعينك » . التبريزي : « لعينك » .

٧ - وَتَفَقَّرَ عَنْ قُلُوحٍ عَدِمَتْ حَدِيثَهَا وَعَنْ جَبَلِيَّ طَيِّ وَعَنْ هَرَمَى مِصْرِي
 جَمَعَ بَيْنَ الْحَيَّةِ وَالضَّبُعِ وَالتَّمْسَاحِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ يَقْصِدُ التَّشْبِيهَ مِنْ وَجْهِ
 وَاحِدٍ ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ التَّشْبِيهَ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ مِنَ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ . وَالتَّمْسَاحُ :
 الدَّابَّةُ الْمَعْرُوفَةُ ، وَالرَّجُلُ الْكَذَّابُ . وَجَاءَ عَلَى هَذَا الْبِنَاءِ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ قَلِيلٌ
 لِأَنَّ الْمَصَادِرَ كُلَّهَا عَلَى تَفْعَالٍ بِفَتْحِ التَّاءِ ، إِلَّا أَحْرَفِينَ وَهَمَّا تَبْيَكانَ وَتِلْقَاءَ ، وَقَدْ
 حَصَرْتُهَا فِي كِتَابِي الْمُسَمَّى بِـ « مُنَوَانِ الْأَدِيبِ » .

وقوله « تُحَاكِي نَعِيًا زَالٌ » ، يَرِيدُ بِهِ الْمَثَلَ السَّائِرَ : « أَفْبَحَ مِنْ رِوَالِ
 النُّعْمَةِ » . يَرِيدُ : تُحَاكِي فِي قُبْحٍ وَجْهًا قُبْحَ زِوَالِ النُّعْمَةِ ، فَجَعَلَ اللَّفْظَ تَوْشِيًا
 عَلَى مَا تَرَى ، ثُمَّ جَعَلَ جَانِبَهَا وَمَا تُصَافِحُ بِهِ مُلَاقِيَهَا كَسَطْوَةِ الدَّهْرِ . وَالسَّطْوَةُ :
 الْبَسْطُ عَلَى الْإِنْسَانِ تَقْدِيرُهُ مِنْ فَوْقَ ، وَتَقُولُ : سَطَوْتُ بِهِ ، وَفِي الْقُرْآنِ :
 ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ ﴾ . قَالَ الْخَلِيلُ : سُمِّيَ الْفَرَسُ سَاطِيًا لِأَنَّهُ
 يَسْطُو عَلَى غَيْرِهِ فَيَقُومُ عَلَى رِجْلَيْهِ وَيَسْطُو عَلَى يَدَيْهِ . وَقَوْلُهُ « هِيَ الضَّرْبَانُ فِي
 الْمَفَاصِلِ خَالِيًا » ، أَيْ إِذَا خَلَوَتْ بِهَا كَانَتْ خَلَوَتْهَا كَمَوْجَانِ الْعُرُوقِ بِالْأَلَمِ فِي
 مَفَاصِلِ الْمُتَفَرِّسِ ، وَإِنْ جَذَبَتْهَا إِلَى نَفْسِكَ مَرْتَدِيًا بِهَا قَاسَيْتَ مِنْهَا مَا يُقَاسِي
 الْمَبْزُومُ مِنْ عَارِضِهِ ، وَإِنْ أَلَقْتَ قِنَاعَهَا سَخِنْتَ الْعَيْنَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا . كَأَنَّهَا إِذَا
 تَبَرَّقَعَتْ تَنَاهَى ابْتِقَارُكَ مِنْ كُلِّ مَنْظَرٍ يَرُوقُ ، وَمَطَاعٌ يُعْجِبُ وَيَرُوعُ ، فِي رَدِّ
 الطَّرْفِ إِلَيْهَا . وَقَوْلُهُ « فَالْفَقْرُ فِي غَايَةِ الْفَقْرِ » ، أَيْ إِذَا تَنَاهَى الْفَقْرُ ، حَتَّى
 لَا يَكُونَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ مِنْهُ .

والمصائب : جمع مُصِيبَةٍ ، وَهِيَ مُفْعَلَةٌ ، وَشُبَّهَ مَدَّتُهَا بِمَدَّةِ فَعِيلَةٍ ، وَجُمِعَتْ
 جَمْعَهَا ، وَالْقِيَاسُ مَصَاطِبُ وَقَدْ جَاءَ وَلَكِنَّهُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ دُونَ مَصَائِبَ . وَهَذَا
 مِمَّا شَذَّ فِي الْقِيَاسِ ، أَعْنَى مَصَائِبَ . وَمَصَاطِبُ شَاذٌّ فِي الْإِسْتِعْمَالِ مُطَّارِدٌ فِي الْقِيَاسِ .
 وَمُؤَوَّفَرَةٌ ، أَيْ مَكْمَلَةٌ . وَقَاصِمَةٌ : كَاسِرَةٌ ، أَيْ رَزِيَّةٌ هَكَذَا وَدَاهِيَةٌ هَكَذَا .

وقوله « كَعَطَمَ الأنف » ، الكسر للشئ اليابس . والحطام ، ما تحطَّم ، من ذلك . ورجل حُطِمَ . وعِيلَ به صَبْرِي ، أى غَلِبَ . وفي المثل : « عِيلَ ما هو عائله ^(١) » .

وقوله « عَدِمْتُ حَدِيثَهَا » دعاء لنفسه وعليها ، وهو من الحشو الحسن . ومثله في الدعاء وحُسنِ الوقع قول الآخر ^(٢) :

إِنَّ الثَّانِينَ وَبُلْفَتَهُمَا قَدْ أَحْوَجَتْ تَمْنِي إِلَى تَرْجُمَانٍ
وَتَفَتَّرُ ، أى تضحك ، ومنه فَرَزْتُ الدابة . وقوله « جَبَلِي طَيِّ » يعنى أجأ وسلمى ، وإنما يعنى اختلاف أسفانها وعِظَمَها .

٨٧٤

آخر :

- ١ — لو تَسَمَّعْتَ صَوْتَهُ قُلْتَ هَذَا صَوْتُ فَرِيخٍ فِي عُشِّهِ مَرْفُوقٍ
 - ٢ — أَوْ تَأَمَّلْتَ رَأْسَهُ قُلْتَ هَذَا حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ الْمُنْجَبِقِ
 - ٣ — مُفْعِلٌ قَرَضَ لِحْيَتَهُ لَوْ تَرَاهَا قُلْتَ عُثْنُونُ هَزِيدٍ مَخْلُوقٍ ^(٣)
 - ٤ — لَمْ أَعِبْهُ إِلَّا يَسْكُونُ تَقِيًّا مُؤْمِنًا مُنْفِضًا لِأَهْلِ الْفُسُوقِ
 - ٥ — غَيْرَ أَنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَنْظُرَ النَّاسُ سَإِلِي خَلْقِ رَبَّنَا الْمَخْلُوقِ
- مَرْفُوقُ أى يَرْفُهُ أَبَوَاهُ زَقًا . قال :

نَتَسَاقَى الرِّيقَ فِيمَا بَيْنَنَا زَقَّ أُمَاتِ الْقَطَا زُغَبَ الْقَطَا

(١) أى غلب ما هو غاليه . وفي اللسان : هو كقولك للشئ يعجبك : قاله الله وأخزاه .

(٢) هو عوف بن علم الخزاعي . الأمل (١ : ٥٠) .

(٣) الهربذ : واحد الهربذة ، وهم قومة بيوت النار التي للهند ، فارسي معرب . وتفيد بيوت النار بالهندية هو المذكور في المعاجم العربية ، ومى مكونة من كلمتين : « هير » بمعنى النار ، و « بد » بمعنى الحافظ والقيم .

وقوله «قلتَ هذا حَجَرٌ» ، يريد شَبَهته فقلتُ من كِبَره : هو حجر المنجنيق .
والمنجنيق معرّبة ، وقد اختلف في الفعل منه ، فقال بعضهم : الميم زائدة ،
واحتج بما حكاه النَوَزِيُّ عن أبي عبيدة ، قال : سألت أهرابيّا عن حروب
كانت بينهم ، فقال : « كانت بيننا حروبٌ عَوْنٌ ، تُفَقَأُ فيها العيون ، مرة
نُجْنَقُ ، ومرة نُرَشَقُ » . قال : فقوله نُجْنَقُ دالٌّ على أن الميم زائدة ، ولو كانت
أصليةً لقال نُجْنَقُ . وإلى هذا ذهب الدُّرَيْدِيُّ .

وكان أبو عُثْمَانَ المَازِنِيُّ يقول : الميم من نفس الكلمة ، والنون زائدة ،
لقولهم مَجَانِيقُ ، فسُقُوطُ النون في الجمع كسقوط الياء في جمع عَيْصَمُوذٍ إذا قلت
عَصَامِيذَ^(١) . وحكى الفَرَّاءُ : جَنَقُوكُم بِالْمَجَانِيقِ أيضا . فهذا على الوجه الأول^(٢) .

وقوله « مُعْمِلٌ قَرَضَ لَحِيَةً » أى قطعَ لَحِيَةً . و « لو تراها » حمل اللفظ على
اللحية والمراد منبِتُها . والعُثْنُونُ : أصل اللَّحْيِ ، وأوائل الرِّيحِ والسَّحابِ .

وقوله « خَلَقَ رَبُّنَا المَخْلُوقَ » ، وَصَفَ المَخْلُوقَ بِالمَخْلُوقِ تَأْكِيداً ، ويموز أن
يكون المراد خلقَ رَبُّنَا المَقْدَرِ ، لأنَّ الأصل في المَخْلُوقِ التقدير . ألا تَرَى قوله :
« وَأَنْتَ تَفَرِّى مَا خَلَقْتَ وَبِهِ ضَلَّ القَوْمُ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَفَرِّى »^(٣)

٨٧٥

آخر :

وَأَقْسِمُ لَوْ خَرَّتْ مِنْ اسْتِكَ بَيْضَةٌ لَمَّا انْكَسَرَتْ لِقُرْبِ بَعْضِكَ مِنْ بَعْضٍ

(١) الميموز : المعجوز الكبيرة .

(٢) المنجنيق معرب من الفارسي « منجنيك » ، وهذه مأخوذة من اليوناني :
Magganon ، وهى آلة ترى بها الحجارة في القتال . ويضطرب القويون الرب في تأصيلها
من الدارسي . انظر العرب للجواليقي بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر ٣٠٦ ومعجم استينجاس .
وقد ذكر الأخير أنها مأخوذة من اليوناني .

(٣) لزهير في ديوانه ٩٤ .

الحرور : السقوط للوجه . وخر الماء المكان : جعل فيه أخاديد .
وأغتر خار : الماء الكثير الجارى .

٨٧٦

آخر^(١) :

أظن خليلي من تقارب شخصيه يعرض القراء باستيه وهو قائم

٨٧٧

آخر^(٢) :

١ — ولقد غدوت بمشرف يافوخه عسير المكرة ماؤه يتدفق

٢ — أرن يسيل من النشاط لهابه ويكاد جلد إهابه يتمزق

كانه ألغز في هذا ، وأراد بمشرف اليافوخ ذلك العضو .

وروى أن أعرابياً حضر مجلس أبي عبيدة ، فأتى البيت عليه ، فذهب

أبو عبيدة إلى أن الشاعر يصف به فرساً ، وأخذ يفسره ، فقال الأعرابي :

حملك الله يا شيخ على مثله ! فظن أبو عبيدة وحجل . ومعنى يتدفق يتصبب

شيئاً [فشيئاً^(٣)] . والأرن النشاط ، ويقال للمستن من النشاط : أرن يارن أرناً .

وقيل إن الأرن نشاط تحليل ، كما أن الهبص نشاط الغطاء . والسئن : نشاط

الإيل ، ومنه جاء في المثل : « استنت الفصال حتى القرعى » . والأشمر : نشاط

الإنسان . والإهاب : الجلد الذى هو أهمة ما وراءه من اللحم . كما أنه سمي^(٤)

ما يمسكه المسك . ولذلك قال « جلد إهابه » فأضاف الجلد إليه .

(١) هو الحزبن الكنانى يهجو كثيراً الشاعر . ولبيت قصة طريفة فى الأغاني (٨) :

٢٨ — ٢٩) . وانظر الحيوان (٥ : ٣٤٩) ومعارضات الراغب (٢ : ١٢٩) .

(٢) هذه الحاسية رواها التبريزى فى (باب الملح) ، وهو الأوفى .

(٣) التكلة من ل . (٤) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « كأنه سمي » .

٨٧٨

آخر^(١) :

- ١ — لو تَأْتَى لَكَ التَّحَوُّلُ حَتَّى تَجْعَلَ خَلْفَكَ اللَّطِيفَ أَمَامًا
- ٢ — وَيَكُونَ الْأَمَامُ ذُو الْخَلْفَةِ الْجَبَّةِ لَكَ خَلْفًا مَرَكَّنًا مُسَكَّنًا
- ٣ — لِإِذَا كُنْتَ يَا عُيَيْدَةُ خَيْرَ النَّاسِ خَلْفًا وَخَيْرُهُمْ قَدَامًا
يَصِفُهَا بِأَنَّهَا قَلِيلَةُ اللَّحْمِ عَلَى الْعَجِيْزَةِ ، عَظِيْمَةُ الْبَطْنِ . فَيَقُولُ : لَوْ قُدِّمَ مُؤَخَّرُكَ
وَأَخْرَ مَقْدَمُكَ لَارْتَضَى خَلْفُكَ وَقَدَّامُكَ ، لِالْتِمَامِ أَعْضَانِكَ ، وَاعْتِدَالِ مَقَاسِمِكَ .
وَاسْتِمْعَالِ الْخَلْفِ وَالْأَمَامِ اسْتِمْعَالِ الْمَقْدَمِ وَالْمُؤَخَّرِ فَجُمِلَا اسْمَيْنِ . وَالْمَرَكَّنُ : الَّذِي
لَهُ أَرْكَانٌ . وَالْجَبَّةُ : الْفَلِيْظَةُ . وَالْمُسَكَّنُ ، مِنَ الْكُؤْمِ ، وَهُوَ الْجَمَاعُ . وَانْتَصَبَ
خَلْفًا وَقَدَامًا عَلَى النَّمِيْزِ .

٨٧٩

وَأَنْشَدَ لِأَبِي النُّطَشِ^(٢) أَبُو عُيَيْدَةَ :

- ١ — مُنِيتُ بَزْنَمِرْدَةٍ كَالْمَصَا أَلَصَّ وَأَخْبَثَ مِنْ كُنْدُشٍ
- ٢ — تُحِبُّ النِّسَاءَ وَتَأْتِي الرِّجَالَ وَتَمْشِي مَعَ الْأَخْبَثِ الْأَطْيَشِ
- ٣ — لَهَا شَعْرٌ قَرْدٍ إِذَا أَزِيْنَتْ وَوَجْهٌ كَيُنِضِ الْقَطَا الْأَبْرَشِ^(٣)
- ٤ — وَتَذَى يَجُولُ عَلَى نَحْرِهَا كَقَرْبَةِ ذِي الثَّلَّةِ الْمُعْطِشِ

(١) التبريزى : « وقال بعض الدينين » .

(٢) التبريزى : « لأبى النطش الحنفى » . وكذا جاءت نسبة الأبيات فى اللسان

(كنش) . وجاءت مطولة وبدون نسبة فى مجالس نعلب ٩٢ . — ٩٤ . والأبيات وردت فى

الأغاني (١٠ : ١٣١) منسوبة إلى إسماعيل بن عامر ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولة

يقولها فى هجاء أم ولد له .

(٣) التبريزى : « لها وجه قرد » ثم ذكر الرواية الأخرى .

يُروى « زَنْمِرْدَةٌ » بفتح الزاي وكسر الميم ، ويكون مما عُرِبَ ولا نظير له في
أبنية العرب . وَيُروى بفتح الزاي وفتح الميم ويكون على مثال قَهْقَرٍ ، وهو حَجَرٌ
يملأ الكف . وَيُروى « زَنْمِرْدَةٌ » بكسر الزاي وفتح الميم فيكون على وزن
فَعْلَةٍ من الرُّبَاعِيّ نحو عَلَكْدٍ ، وهو الغليظ الشديد ، أو يكون فِعْلٌ من
الغُمَاسِيّ نحو خِنْزَقٍ ، وهو القصير ، وقِرْطَمَبٌ دابة . والمراد بها المرأة التي خلقتها
وخلقتها كما يكون للرجال . وشبهها بالمصا لقلّة لحبها وهزلها ، واستواء صدرها
وظهرها . وكُنْدُشٌ : لقبٌ لصي كان معروفًا عندهم ^(١) . وقوله « إِذَا أَرِيْنَتْ »
أراد تَرِيْنَتْ ، فأراد الإدغام فيها وأبدل من التّاء زاء فسكن أولها ، فجلب ألفُ
الوصل ليتوصّل إلى النطق بساكن ، فصار كما ترى . والثّلة : الفِرقة والطائفة من
الصّان . والمُعْطِشُ : الرّاعى الذي قد عطشت رعيّته .

- ٥ — لَهَا رَكْبٌ مِثْلُ ظِلْفِ الْغَزَالِ أَشَدُّ اصْفِرَارًا مِنَ الْمِشْمِشِ
 - ٦ — وَأَبْرَدُ مِنْ ثَلَجٍ سَاتِيْدَمَا وَأَكْثَرُ مَاءٍ مِنَ الْمِكْرَشِ ^(٢)
 - ٧ — وَفَخْدَانِ يَتْنَهُمَا تَقْبَفُ تُجِيزُ الْمَحَامِلَ لَا تَخْدِشِ ^(٣)
 - ٨ — وَسَاقٌ مَخْلُخَلُهَا حَمَشَةٌ كَسَاقِ الْجَرَادَةِ أَوْ أَنْحَشِ
 - ٩ — كَانَ الثَّالِيلَ فِي وَجْهِهَا إِذَا سَفَرَتْ بِدَدُ الْقَشْمِشِ
 - ١٠ — لَهَا جَمَّةٌ فَرَعُهَا جَشَلَةٌ كِمِثْلِ الْخَوَافِي مِنَ الْمُرْعَشِ
- الرَّكْبُ : أصل التّخْد الذي عليه لَحْمُ الْفَرْجِ من المرأة ومُتَلَقُّ الذَّكَرِ من
الرَّجُل . والنّفَفُ : اللّهُوّة بين الجبَلَيْنِ . والتّخْدُشُ والتّخْمِشُ والكَدْحُ نظائر .

(١) وقال قوم : الكندش العمق . وذكر بعضهم أنه القارة .

(٢) هذا البيت ليس في ل ولا التبريزي ولا في مجالس طلب . وساتيدما : جبل بين
ميفارقين وسمرت . والمكرش : ماء لبنى عدى باليمامة .

(٣) هذا ما في الأصل ومجالس طلب وفيه الإقواء . وفي ل والتبريزي : « لم تخدش » .

والْحَمْشَةُ : الدَّفِيقَةُ . وَإِنَّمَا أَنتَ وَالْمُخْلَخَلُ مَذْكُرٌ لِأَنَّ الْخُلْخُلَ مِنَ السَّاقِ ،
وَالسَّاقُ مُؤَنَّثَةٌ ، وَبَعْضُ الشَّيْءِ إِذَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْكُلِّ أُجْرِيَ فِي الْأَحْوَالِ
مَجْرَاهُ إِلَّا أَنْ يَمْنَعَ مَانِعٌ . وَهَذَا كَمَا قَالَ الْآخَرُ ^(١) :

* كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ ^(٢) *

لأنَّ صدر القَنَاةِ قَنَاةٌ ، كَمَا أَنَّ الْخُلْخُلَ يُقَالُ لَهُ السَّاقُ . فَالْبِدْدُ : جَمْعُ بِدَّةٍ ،
وَهِيَ النِّطْطَةُ الْمُنْفَرِقَةُ . وَتَبَادُّ الْقَوْمُ : تَبَاعَدُوا . وَالْجُمَّةُ مِنَ الشَّعْرِ : دُونَ اللَّمَّةِ
فِي الطُّوْلِ . وَالْجُمْلَةُ : السَّكِينَةُ الْأَصُولُ . وَالْمُرْعَشُ : الْحَمَامُ الْأَبْيَضُ . وَالْخَوَافُ :
مَا دُونَ الرِّيشَاتِ الْعَشْرِ .

٨٨٠

وقال آخر ^(٣) :

١ - ماذا يُورِّقُنِي قَدِّمًا وَيُسْهِرُنِي مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَنَاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ ^(٤)

٢ - كَأَنَّ مُحَاضَةً فِي رَأْسِهِ نَبَتَتْ فِي أَوَّلِ الصَّيْفِ قَدْ هَمَّتْ بِإِثْمَارِ ^(٥)

قوله « ماذا يُورِّقُنِي » لفظه استفهامٌ ومعناه تعجبٌ . وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي
أَفْظَةِ مَاذَا ^(٦) . وَقَوْلُهُ « مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَنَاتٍ » أَيْ مِنْ انْتِظَارِ صَوْتِهِ ، خَذَفَ
لِلْمُضَافِ . وَرَعَنَاتٌ : جَمْعُ رَعْنَةٍ وَهِيَ مِنَ الدَّيْكِ عُثْنُونُهُ . وَرَعْنَةُ الشَّاةِ : زَنْمَتُهَا .
وَالرَّعَاتُ : كُلُّ مِعْلَاقٍ مِنْ قُرْطٍ أَوْ قِلَادَةٍ أَوْ غَيْرِهَا ، وَرَبَّمَا عُلِّقَ مِنَ الرَّحْلِ

(١) هُوَ الْأَعْفَى . دِيَوَانُهُ ٩٤ وَاللَّسَانُ (شَرْق) .

(٢) صَدْرُهُ : * وَتَشْرِيقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ *

(٣) لَسِبَ الْبَيْتَ الْأَوَّلُ فِي اللَّسَانِ (رَعَتْ) إِلَى الْأَخْطَلِ . وَرَوَاتُهُ :

* مَاذَا يُورِّقُنِي وَالنَّوْمُ يَمِجُّنِي *

(٤) الْبَيْتَانِ فِي اللَّسَانِ (حَمَضَ) وَالْحَيَوَاتِ (٢ : ٣٤٦) وَمَحَاضِرَاتُ الرَّابِعِ

(٢ : ٣٠١) .

(٥) الْحَيَوَانُ : « مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَدْ هَمَّتْ » .

(٦) انْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٨١١ ، ٩٣٤ .

والهؤدج رَعَتْ من الصوف . والحماض ، من ذُكِر البقل ، له زهرة حمراء
كانها الدم . والإيمار : إخراج الثمر . وشبه عُرف الديك به .

٨٨١

وقال آخر :

- ١ - صَوْتُ النَوَاقِيسِ بِالأَسْحَارِ هَيَّجَنِي بَلِ الدُّبُوكُ الَّتِي قَدْ هَجَنَ تَشْوِيقِي
- ٢ - كَأَنَّ أَعْرَافَهَا مِنْ فَوْقِهَا شُرْفُ خُمْرٍ بُنِينَ عَلَى بَعْضِ الْجَوَاسِقِ
- ٣ - عَلَى نَعَانِعَ مَالَتْ فِي بِلَاعِمِهَا كَثِيرَةُ الْوُثَى فِي لَيْنٍ وَتَرْقِيقِ
- ٤ - كَأَمَّا لَيْسَتْ أَوْ أَلَيْسَتْ فَفَنَّا فَعَلَّصَتْ مِنْ حَوَاشِيهِ عَنِ الشُّوقِ^(١)

قوله « صَوْتُ النَوَاقِيسِ » أى انتظارُ صَوْتِ النَوَاقِيسِ هَيَّجَنِي ، لحذف
المضاف . وهذا كما قال الآخر^(٢) :

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالذَّيْرَيْنِ هَيَّجَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ النَوَاقِيسِ^(٣)
وقال غيرها :

• وصوت نواقيس لم تُضرب •

فنبّه بقوله « لم تُضرب » على أنه كان منتظراً لا واقفاً . والجواسيق : جمع
الجَوْسَقِ ، وهى قرية من القصور . وأشبع الكسرة فى السّين فتولّد منها
ياء . ومثله : .

• تنفى الدّراهم تنقّاد الصّياريف^(٤) •

- (١) الفنك : دابة يفتى جلدها ، أى يلبس جلدها فرواً .
- (٢) هو جرير . ديوانه ٣٢١ والحيوان (٢ : ٣٤٢) .
- (٣) ذكر صاحب القند (٥ : ٣٨٨) أنه أراد ديرا واحداً هو دير الوليد بالعام .
وقد صرح ياقوت أنه أراد ديرين « دير فطرس » و « دير بطرس » بظاهر دمشق .
- (٤) لفرزدق فى ديوانه ٧٠ . والحزاة (٢ : ٢٥٦) وسيبويه (١ : ١٠) .
والكامل ١٤٣ ليسك . وسنذكره :

• تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة •

وَالنَّمَاعُ : أَعْرَافُ الدَّيْكَةِ . وَأَصْلُ التَّنْفُوعِ الاضطراب . لذلك قيل
طَوَّلُوا المضطرب التَّنْفُوعَ . وَنَمَاعُ الْمِنْطَقَةِ : ذُنَابُهَا ^(١) . وَالْبَلُومُ وَالْبَلْمُ : يَجْرَى
الطَّمَامُ ، وَبَاطِنُ الْعُنُقِ .

وهذه المقطوعة وما قبلها ، بابُ الصفاتِ أولى بهما ، فأنفق وقوعهما هنا .
وهذا آخر الاختيار . والحمد لله ربَّ العالمين ، وصلواته على النبيِّ مُحَمَّدٍ
وآلهِ أَجْمَعِينَ .

قد سَهَّلَ اللهُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، تَعَالَى جَدُّهُ ، بِلَوْغِ الْمُنْتَظَرِ مِنْ تَتِمِّمِ شَرْحِ هَذَا
الِاخْتِيَارِ ، وَاللَّهُ بِمَنَّةٍ وَطَوْلِهِ يَنْفَعُكَ وَإِيَّانَا بِهِ ، وَيُعِينُكَ عَلَى تَفْهِمِهِ .
وهذا الكتابُ وَإِنْ عَظُمَ حَجْمُهُ ، وَكَثُرَ وَرَقُهُ ، فَإِنَّهُ لَا يُبَلِّغُكَ تَصَفُّحَهُ
وَقِرَاءَتَهُ ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ ذَا فَنُونٍ مِنْ آثَارِ الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ ،
وَالْقِرَائِمِ السَّلِيمَةِ ، فَكُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِهِ جَمَامٌ لِمَا يَلِيهِ ، وَجِلَاءٌ لِمَا يَمِيهِ ،
وَلَأَنَّ غَوَامِضَ الْمَقَاصِدِ إِذَا تَبَرَّجْتَ لَكَ فِي رَوَائِعِ الْمَعَارِضِ ، وَأَقْبَلَ فُهُمُكَ
رَائِدًا لِقَلْبِكَ ، يَتَشَمَّمُ نَوَادِرَ الزُّهْرِ فِي مَغَارِسِ الْفِطَنِ ، وَيَتَخَيَّرُ فَرَائِدَ الدُّرَرِ مِنْ
قِلَائِدِ الْحِكْمِ ، فَكَلَّمَا أَزْدَادَ التَّقَاطُاعِ زَادَكَ نَشَاطُكَ ، كَمَا أَنَّ مَنْ عَرَفَ الْفَرْقَ بَيْنَ
الِإِطْنَابِ وَالِإِيْجَازِ ، وَبَيْنَ التَّطْوِيلِ وَالتَّقْصِيرِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْإِطْنَابَ تَفْخِيمٌ وَتَكْمِيلٌ ،
كَأَنَّ الْإِيْجَازَ تَخْلِيسٌ وَتَهْذِيبٌ ، وَأَنَّ التَّطْوِيلَ زِيَادَةٌ عَلَى الْكَفَايَةِ ، وَذَهَابٌ
عَنْ غَايَةِ الْحَاجَةِ ، كَمَا أَنَّ التَّقْصِيرَ قُصُورٌ عَنِ الْحَدِّ الْمُرْتَادِ ، وَوَقُوفٌ دُونَ مَدَى
الْمُرَادِ ، حِدَّةُ الْإِطْنَابِ وَالِإِيْجَازِ لِمَا نَالَهُمَا مِنْ مِيزَانِ الْبَلَاغَةِ ، وَذَمُّ التَّطْوِيلِ
وَالْتَّقْصِيرِ بِمَا فَاتَهُمَا مِنْ أَقْسَامِ الْفَصَاحَةِ .

(١) كَذَا فِي النُّسخَيْنِ . وَفِي الْقَامُوسِ : « ذُنَابُهَا » .

وَعَلِمَ صَحْبِكَ التَّوْفِيقُ فِي مَبَاغِيكَ ، أَنْ مَا جَمَعْتَ مُنْتَشِرُهُ ، وَأَنْزَلْتَ مُكْتَبَتَهُ ، وَحَلَلْتَ مَعْقُودَهُ ، وَأَعَدْتَ مَحْدُوفَهُ ، وَنَشَرْتَ مَطْوِيَّهُ ، وَمَدَدْتَ مَقْصُورَهُ مِنْ بَيُوتِ هَذَا الْاِخْتِيَارِ وَفُصُولِهِ ، فَإِنِّي لَمْ أَذْرِكُهُ إِلَّا فِي مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ لَا أَذْكَرُ طَرَفَهَا ، وَبِمَجَاهِدَاتٍ لَشَبُوحِ الصَّنَاعَةِ حَبِيبَةٍ لَا أُنْسَى مُجَاذِبَاتِي فِيهَا ، حِينَ كَانَ فِي الْقَوْلِ إِمْكَانٌ ، وَلِلتَّحْصِيلِ إِرْصَادٍ ، وَلِتَسْهَمِ النَّضَالُ تَسْهِيدًا ، وَفِي قَوْسِ الرَّمَاءِ مَنَزَعٌ وَتَوْتِيرٌ ، وَكَانَ الرَّأْيُ وَلُودًا ، وَالْخَاطِرُ عُمُولا ، وَالْحَدُّ حَدِيدًا ، وَالْخِرَاصُ عَتِيدًا ، مَعَ تَمَامِ الْبَرَاعَةِ ، وَاجْتِمَاعِ الْمَادَّةِ وَالْآلَةِ .

فَلَا تَطْنَنَّ فِيهِ مَا يَطْنُهُ الْوَادِعُ فِي جَهْدِ الْمَسْكَودِ ، فَإِنَّ أَهْوَانَ السَّقَى التَّشْرِيعَ ^(١) ، وَلَنْ تَنَالَهُ إِلَّا بِعَقَبٍ شَدِيدٍ . وَتَيَقَّنْ أَنِّي أَمْلَيْتُ هَذَا الشَّرْحَ مُسْتَقِيمًا أَرْفَقَ الْآلَاتِ فِي اخْتِرَاعِهِ ، وَأَرْفَقَ الْأَلْفَاظَ فِي تَصْوِيرِهِ وَبَيَانِهِ ، وَمُسْتَحْضِرًا مِنَ الشَّوَاهِدِ وَالْمَثَلِ مَا لَمْ يَكْمَلْ إِلَّا بِتَعَاوُنِهِ وَحُضُورِهِ ، وَلَوْ عَدَلْتُ عَنْ نَهْجِ التَّقْرِيبِ مُشْتَفِلًا بِأَبْوَابِ الْإِعْرَابِ وَالْغَرِيبِ إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا يُمَدُّ فِي الْفُضُولِ ، لَتَضَاعَفَتِ الْمُؤَنُ ، وَضَاعَتِ فِي عُجَارِهَا الثُّكْتُ . عَلَى أَنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ ضَيْقُنَا فِي تَحْصِيلِهِ وَحَصْرِهِ ، وَسَمَاحَتُنَا بَعْدَهُ بِقَصْنِيهِ وَبَذَلِهِ ، يُكْسِبُنَا مِنَ الْقُلُوبِ اسْتِحْلَاءً ، وَمِنَ النُّفُوسِ مَيْلًا وَاسْتِحْبَابًا ، وَأَنَّهُ لَا تَزَالُ تِلْكَ الْحَبِيبَةُ زَائِدَةً نَامِيَةً ، مَا دَامَتْ فَوَائِدُهُ قَائِمَةً بَاقِيَةً . وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ مَعُولُنَا فِي أَنْ يَوْفَّقَنَا لِمَرْضَاتِهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ سَعِينًا لَهُ وَفِيهِ ، وَحَسْبُنَا هُوَ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . وَالْحَدُّ لَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْأَخْيَارِ ^(٢) .

(١) التشريع : إيراد الإبل شريعة لا يحتاج معها إلى نزع باللق ولا سقى في الخوض .

(٢) هذه الكلمة سالطة من ل .

[صورة ما كتبه ناسخ الأصل]

مَشَقَّةُ لِنَفْسِهِ سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَّائِيِّ ، وَفَرَّغَ مِنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقْتُ صَلَاةِ الْمَصْرِ مُنْتَصَفَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، حَامِدًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُصَلِّيًا عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَمُسْلِمًا^(١) .

[صورة نص الوقت السجل في نسخة الأصل]

قَدْ وَقَفَ هَذَا الْكِتَابُ الْجَلِيلُ وَالْأَثَرُ الْجَمِيلُ وَالِدَةُ السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ وَالْخَلِيقَانِ الْمُنْعَمِ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْجَمِيدِ خَانَ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ وَعَمَرَ دَوْلَتَهُ إِلَى آخِرِ الدُّوَرَانِ أَعْنَى بِهَا حَضْرَةِ بَزْمِ عَالَمِ سُلْطَانِ عَلَيْهِ الشَّانُ جَعَلَ اللَّهُ سَمَى الْوَاقِفَةِ مُشْكُورًا وَجَزَاهَا جَزَاءً مُوفُورًا . لِسَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ .

(١) وَفِي نَهَائِهِ لِنَسْخَةِ د ل : د وَفَرَّغَ مِنْ تَسْوِيدِ بَيَاضِ هَذِهِ النُّسْخَةِ أَوْفَعُ عِبَادَاتِهِ وَأَرْجَى لِرِضْوَانِهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ فِي صَفْرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ... فَهُوَ وَمُصَلِّيًا عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

المستعمل
غفر الله له ولوالديه

الفهارس العامة

صنع وترتيب

عبد السلام محمد هارون

١ - فهرس الأشعار

١ - فهرس الأشعار(*)

١ - الحماسيات

(أ)

أضائها	طويل	قيس بن الخطيم	٣٦
فناء	»	محرز بن الكبير	٦٠٩
سواء	»	—	٧٥
وماء	»	—	٨٤٩
لواؤها	»	—	٥٨٥
الحياء	وافر	أمية بن أبي الصلت	٨٠٠
جفاء	»	أبو البرج القاسم	٧٢٧
بلاء	»	قيس بن الخطيم	٤٤٤
انطواء	»	—	٤٢٤
أعداء	كامل	—	٧٩٥
ورائها	طويل	الأخضر بن هبيرة	١٩١
براء	وافر	أبو صعترة	٦٢٧
وورائه	كامل	الهذيل بن مشجمة	٧٣٨

(ب)

تستلب	مقارب	أبو ثمامة بن عارم	١٨٧
-------	-------	-------------------	-----

(*) ما وضع من أعلام الشعراء بين قوسين فهو مما لم يذكره الرزوقي وأمكن التحقيق أن يعرفه . والأرقام في هذا القسم من الفهرس هي أرقام الحماسيات .

١٤٤	عنقرة بن شداد	مقارب	خشب
٢٢٩	قطري بن الفجاءة	طويل	المقشبا
٤٠٠	يحيى بن زياد	»	مرحبا
١٠	سمعد بن ناشب	»	جالبا
٢٥٥	أم ثواب الهزانية	بسيط	زغبا
٤١٤	بمض الفزاريين	»	اللقبا
٦٧٥	مرة بن محكان	»	والقربا
٨٧٠	—	»	هربا
١٧٧	رييمة بن مقروم	وافر	استجابا
٤٥٠	الحكم بن عبدل	منسرح	الطلببا
٥٩٢	جيل	طويل	أشْبُ
٨٦	(أبو الشنب ^(١))	»	العذب
٧١٧	عبد الله الحوالى	»	كعب
٩١	رجل من أسد	»	أحرب
١٦٩	شماس بن أسود	»	أجرب
٢٩٩	النطمش الضبي	»	تذهب
٣٦٠	» »	»	وينسب
٢٢٣	قراد بن عباد	»	يركبوا
٥٠	(مرة بن عداء)	»	يتقلب
٤٣٠	—	»	أجرب
٥٠٥	—	»	مطلب
٢٤٨	الأخنس بن شهاب	»	تجاوب

(١) أو الأقرع بن معاذ الغصيرى .

٥٩٧	أرطاة بن سهية	طويل	محارب
٢١٧	القتال الكلاني	»	المراكب
٣٨١	امراة	»	مهيّب
٥٢٩	(بعض الأعراب)	»	ريّيب
١١٥	جزء بن ضرار	»	عجيب
٥٥٩	ابن الدمينه	»	تطيب
٥٣٠	—	»	يحيب
٥٣٢	—	»	جنوب
٧٣	بشر بن المغيرة	»	جانبه
٧٧٧	رجل من بني سمد	»	حالبه
٦٩٤	أبو الطمحنان	»	كواكبه
٦٠٣	أبو منازل	»	طالبه
٥٣٤	ابن مياده	»	قاضيه
١٠٣	أبو النشنانش	»	أقاربه
٢٨٧	نهشل بن حري	»	أطايه
٧٣١	—	»	نوائبه
٣٩٤	امراة من طلي	»	إياها
٥٣١	—	»	تراها
٥٥٨	(نصيب)	»	حبيبها
١٩٠	عبد الله بن عنمة	بسيط	ومرهوب
٧١٠	ليلي الأخيلية	وافر	ناب
٩٩	—	»	الكذوب
٤٨٦	—	»	الجدوب
٧٣٤	حزاز بن عمرو	مقارب	ذاهب

٤٨٥	إياس بن الأرت	طويل	الشرب
٨٤١	(سحيم الفقمسى)	»	قلبي
٤٧٢	(قيس بن ذريح)	»	الخطب
٥٧٩	وجيهة بنت أوس	»	قلبي
٣١٦	—	»	والشرب
١٣٠	البيث بن حريث	»	المذبذب
١٠٠	(جندل بن عمرو)	»	ومنكبي
٤٣٧	(حجية بن المضرب)	»	والتنقب
١٢١	(خالد بن نضلة)	»	مركب
٧٠٥	المجير السلولى	»	فالمحصب
٧٨٧	كثير	»	يثر
٢٣٦	—	»	المشذب
٦٤١	إسماعيل بن عمار	»	غالب
٦٧١	امراة	»	الذوائب
١١٠	بعض بنى عبس	»	وراسب
٤٢٧	حاتم الطائى	»	الركائب
٣١٢	أبو الحجناء	»	المواقب
٦٠٠	عمارة بن عقيل	»	جانب
٢٧٠	محمد بن بشير	»	سائب
٥٨٠	مرداس بن حماس	»	صاحب
٥٢٦	—	»	صاحب
٥٢٢	—	»	هيوبي
٨٢٢	—	»	الركائب
٨٤٥	—	»	الجائب

٦٢٥	حريث بن عئاب	بسيط	عئاب
٢٣٨	رجل من نمير	وافر	جئاب
٦٥٧	—	»	ذيب
٨٠٩	عبد الله بن الزبير	كامل	المركب
١٢٣	موسى بن جابر	»	الحاجب
٢٧٥	رجل من بنى نصر	»	كلاب
١٤٨	مساور بن هند	»	سباب
٣٩٠	أخت القصص	»	بجباب
٣٠٦	حفص بن الأحنف	»	بذنوب
٢٣	الحارث بن هام	سريع	المازب
٢٤	ابن زبابة	»	فالآيب

(ت)

٨٥١	—	طويل	يموت
٨١٦	(البعيث الحنفى)	»	واشتوتها
٣٢	رويشد بن كثير	بسيط	الصوت
١٩٢	سنان بن الفعل	وافر	انتشيت
٣٣١	سليمان بن قطة	طويل	حلت
٣٠	سيار بن قصير	»	أرنت
٨٦٢	أبو الطمعان الأسدى	»	برت
٦٣٤	عبد الرحمن بن الحكم	»	وولت
٢٩	عمرو بن معد يكرب	»	فاسبطرت
٦٨٨	(محمد بن سعد)	»	جلت
٨٦٨	—	»	وملت

٣٥١	قراذ بن غوية	طويل	هامتي
٢٥٢	امراة من بني عامر	»	الدبرات
١٢٢	البرج بن مسهر	وافر	هنات
١٧٨	سلى بن ربيعة	كامل	فالحة
٩٧	—	»	وأجت

(ج)

٤٣٣	عبد الله بن الزبير	بسيط	الودجا
٤٣٦	محمد بن بشير	»	اللججا
٧٨٣	الشماخ	طويل	منضج
٣١٧	جارية	وافر	حاجي

(ح)

٦٥٠	—	وافر	صباحا
٢٨٠	الأشجع السلى	طويل	مادح
٥١٣	(توبة بن الحمير)	»	وصفاغ
٣٣٦	شبيب بن عواة	»	النواغ
٦٧٤	عتبة بن بجير	»	جافح
٥١٥	نصيب	وافر	يراح
٨٠١	ابن عبدل الأسدى	كامل	الذغ
٦٦٧	سعد بن مالك	مجزو الكامل	فاستراخوا

١٥٦	عمرو بن الورد	طويل	رتج
٤٧٨	أبو الطمحن القيني	»	الجوانح
٣٣٠	قسام بن رواحة	»	النواضح
٥٠٦	كثير	»	الأباطح
٤٩٨	(كثير)	»	صحيح
٢٧٩	مطيع بن لإاس	غلم البسيط	سحوح
٢٥٩	رجل من يشكر	وافر	النطاح
١٠٩	أبو صخر الهذلي	»	بالرماح
٣٠٨	فاطمة بنت الأحجم	كامل	الجراح
٢٧٨	مطيع بن لإاس	منسرح	السفع

(د)

٣٩٦	ماتكة بنت زيد	رمل	السهد
٥٨٣	رجل من بني الحارث	طويل	رغدا
٤٣٨	القعن الكندي	»	حددا
٥٣٩	ورد الجمدي	»	قصدا
٥٨٧	—	»	رمدا
٧٧٢	حطائط بن يضر	»	مقعدا
٥٧٦	كلثوم بن صعب	»	غدا
٧٦٩	يزيد بن الجهم	»	أحددا
٣٦٥	—	»	أمردا
٦٥٤	—	»	فصرخدا
٦٦	(الحكم بن زهرة)	بسيط	ولدا
٨٥٣	—	»	قعدا

٨١١	زياد الأعجم	بسيط	عادا
٨٠٣	—	»	كادا
٣٢٢	عبد الله بن الزبير	وافر	سمودا
٣٤	عمرو بن معد يكرب	عجزو الكامل	بردا
٥٣٣	(عبد الله بن النمينه)	طويل	برد
٤١٦	—	»	يتمعد
٤١٧	—	»	أسعد
٣٣٩	احرأة من بني أسد	»	الرواعد
٣٧٧	ابن أهبان	»	الفواقد
١٨٠	زيد الفوارس	»	مفائد
١٥٠	العباس بن مرداس	»	نكايد
٥١٢	» » »	»	بارد
٧٢٤	عروة بن الورد	»	واحد
٤٤٧	محمد بن أبي شحاذ	»	حامد
٥٨١	بعض بني أسد	»	قؤود
٢٩٧	عبد الله بن ثعلبة	»	تزيد
٢٦٦	أبو عطاء السندی	»	لجود
٤١٥	(الملوط السعدی)	»	وجلید
٧٩٩	نصيب	»	أجود
٦٩٢	—	»	مزید
٨٥٤	—	»	فيمود
١٤٢	أبي بن حام	»	حاسده
٧٤٠	إياس بن الأرت	»	واجده
٧٤٧	مضر بن دهمي	»	وجامده

٣٩٨	جرير	طويل	بمادها
٤٦٠	الحسين بن مطير	»	نمودها
٥٥٦	» » »	»	أذودها
٦٣٨	خنز بن أقرم	»	قتودها
٦٣٩	الراعي	»	شهودها
٥٨٤	(الموام بن عقبة)	»	أعودها
٥٩٦	قراذ بن حنش	»	تسودها
٦٥١	مدرك	»	شرودها
٥٥٦	—	»	وليدها
٧١٩	—	»	وقودها
٣٠٩	فاطمة بنت الأحجم	مديد	بعدوا
١٣٨	—	بسيط	حسدوا
٢٩٨	—	»	الأبد
٨٥٩	رجل من آل حرب	»	تعويد
٢٢٥	عمرو القنا	»	عودوا
٢٨٨	أسود بن زمعة	وافر	السهود
٨٧	حيان بن ربيعة	»	الحديد
٢٢٨	شبل الفزاري	»	الشديد
١٣٦	عقيل بن علفة	»	النحيد
١٤٦	عنزة بن شداد	»	تعود
٣٧٦	كبد الحصاة المجلي	»	التلبد
٣٥٢	مسجاح بن سباع	»	أييد
٦٩٦	—	»	والنجد
٨٤٤	—	»	سميد
٣٠٢	—	مجزو الوافر	صعده

٧١٥	حببية بنت عبد المزى	كامل	الأسود
٧٢	عوف القوافى	»	المواد
٣٦٣	الضبي	»	بعيد
١٩٥	الأخرم السنبسى	مقارب	أكيد
٧٣٢	(حاتم الطائى)	طويل	الورد
١٧٢	حسان بن علبة	»	سميد
٤١٠	شبيب بن البرصاء	»	يبدى
٦١٥	طارق الطائى	»	البعيد
٥٠٣	عبد الله بن الدمينه	»	وجد
٧١٢	(عبد الله سالم)	»	يمدى
٢٤٩	المديل بن الفرخ	»	الجمد
٥٨٨	ابن هرم الطائى	»	عندى
٤٨٠	—	»	وحدى
٥٦٠	—	»	وحدى
٥٤٣	(أبو الأسود الدؤلى)	»	يفند
٢٧١	دريد بن الصمة	»	شهى
٧٨٥	» » »	»	المقدد
٣٨٢	رجل من كلب	»	معبد
٤٤٨	محمد بن أبى شحاذ	»	الندى
٣٠١	—	»	أوقد
١٦٦	بعض بنى ققمس	»	السواعد
٥٥٤	—	»	الصوارد
٢٢٦	الفرزدق	»	ييعاد
٤٦	أعرابى	بسيط	ولم زد

٨٣١	(أبو الخندق الأسدي)	بسيط	بالسد
٢٦٧	—	»	الأبد
٦٧٧	—	»	الأبد
٣٧٣	أم قيس الضبية	»	القود
٦٨٥	—	»	والجود
٧٩٣	—	»	مجهودي
٣٤١	—	وافر	نجد
٧٧٦	عبد الله بن الحشرج	»	للسداد
٦٧٣	—	»	زياد
٧٠٢	—	»	زياد
٣٧	الحارث بن هشام	كامل	مزبد
٢٦٨	رجل من ختم	»	الأسود
٣٨	الفرار السلي	»	يدي
٥٥٣	محمد بن بشير	»	مبرد
٤٤١	مضرس بن ربي	»	الأصيد
٧٨٤	يزيد الحارثي	»	يولد
٦٨٩	(فدكي بن أعبد)	»	واحد
٢٢٤	زاهر أبو كرام	»	جلاد
٥٧	(مرداس بن جشيش)	»	الإفناد
٣٨٧	—	»	الأثمهاد
٣٢١	أشجع بن عمرو	سريع	بموجود

(ر)

٦٨٧	ابن عتقاء الفزاري	طويل	جهر
-----	-------------------	------	-----

١٧٩	أبى بن أبى ربيعة	مقارب	الدخر
٦٣	زيادة الحارثى	طويل	نقرا
٤١١	سالم بن وابصة	»	وقرا
٢٤١	كنزة أم شملة	»	عمرا
٤٦٨	—	»	شزرا
٦٤٧	—	»	نصرا
١٠٢	(جميل)	»	شمرا
٦٣١	جواس الكلبي	»	منبرا
١١٣	حسان بن نشبة	»	وحيرا
٥٩٩	خارجة بن ضرار	»	يتدمرا
٢٨	زفر بن الحارث	»	وحيرا
٣٩٣	عاتكة بنت زيد	»	أقبرا
٣٩١	عمرة بنت مرداس	»	تنصبرا
٣٤٣	—	»	فادبرا
٦٤٣	—	»	أغبرا
٦٣٩	رجل من بنى أسد	بسيط	الأزرا
٢٨٥	—	»	وأبصارا
١٨٣	شملة بن الأخضر	وافر	قصارا
٧١٣	(جثامة بن قيس)	»	خبيرا
١٩٣	جابر بن حريش	كامل	قالأصفرا
٧٠٠	(ليلي الأخيلية)	»	مذكورا
٤٩٠	—	»	ظهورا
٨٣٣	(عمر بن أبى ربيعة)	رمل	سرا
٣٨٤	الأيرد اليربوعي	طويل	الظهر

٨٢٤	حكيم بن قبيصة	طويل	قمر
٣٨٥	سلة الجعفي	»	والصبر
٤٦١	أبو صخر الهذلي	»	الأمر
٧	أبو عطاء السندی	»	السم
٣٣٣	النايفة الجمدي	»	الفقر
٣٠٣	—	»	الصبر
٤٧٩	—	»	الجر
٨٥٦	أعرابي	»	يحمو
١١	تأبط شراً	»	مدبر
٥٩٤	الحارثي	»	ونخصر
٢٠٧	حريث بن عتاب	»	تخطر
٥٦٢	(أبو حية)	»	أنظر
٣٦٦	لبيد	»	جعفر
٧٢٠	—	»	أصور
٨١٣	امراة	»	وافر
٣٦١	امراة (١)	»	المفاخر
١٩٤	إياس بن مالك	»	والمهاجر
٣٩٢	ربطة بنت عامر	»	الحواسر
٦٠	سبرة بن عمرو	»	قراقر
٨٠٧	طريح بن إسماعيل	»	لشاك
٢٤٦	عامر بن الطفيل	»	يحماد
١٦٢	عبد الله بن سبرة	»	معار
٦٠٧	منصور بن مسجاح	»	نائر

١٢٦	موسى بن جابر	طويل	أفاخر
٤١٨	—	»	المصادر
٤٦٥	—	»	المنظر
٤٦٧	—	»	حائر
٦٢٦	—	»	وحوافر
٢٢٢	سمد بن ناشب	»	أحرار
٥٢١	أبو دهل الجحى	»	لصبور
٥٠٨	(عبد الله بن السمينة)	»	لفقير
٧٩٧	أعشى ربيعة	»	زائر
٢١٨	أوس بن حبناء	»	أواصره
٦٤٠	—	»	محافره
٦٢٣	شميث بن عبد الله	»	كبارها
٥٤٩	توبة بن المضرس	»	يضيها
•	جعفر بن علبة	»	يزورها
٤٠٣	شبيب بن البرصاء	»	أستثيرها
٧٥٢	شرح بن الأحوص	»	وكسورها
٢٣٥	أوس بن ثعلبة	بسيط	تفتكر
٥٤٨	أبو دهل	»	السهر
٣٢٦	صفية الباهلية	»	الشجر
٣٦٤	عكرشة الضبي	»	مضر
٨٦٦	—	»	عجر
٨٦٧	—	»	والقمر
٩٢	أبو حنبل الطائي	»	سيار
٩٣	يزيد بن حمان	»	النار
٦٤٢	امراة ابن مية	وافر	قصار

٨٠٥	صفية بنت عبد المطلب	وافر	والإمار
٦٦٢	—	»	إزار
٥٤٩	ابن أبي دبا كل	»	قصير
٤١٩	المباس بن مرداس	»	خزير
٥٥٠	عبيد الله بن عبد الله	»	القطور
٥٣	عنزة بن الأخرس	»	تنصير
٧١٦	مالك بن جمدة	»	سفور
٤٨٣	نفر بن قيس	»	الدهور
١١٤	هلال بن رزين	»	التذور
٣٦٩	منقذ الهلال	كامل	الدهر
١٥٥	المساور بن هند	»	المغبر
٢٣٣	سوار بن المضرب	»	الأشرار
٣٢٤	مسلم بن الوليد	»	الأخطار
٣٢٧	التيمي	»	مجير
٣٩٥	الموراء بنت سبيع	مجزو الكامل	ناره
٣٥	عمرو بن معد يكرب	رمل	لفرود
٣٧٢	رجل من بني أسد	منسرح	القدر
٧٢٨	أرطاة بن مهيبة	طويل	البحر
٨٠٢	حاتم طي	»	صفر
٢٧٢	دريد بن الصمة	»	الصبر
٢٢١	سمد بن ناشب	»	وماتدري
١٤١	طرفة الجذمي	»	الصدر
٣٨٠	(المتي)	»	شطري
٣٧١	عكرشة الضبي	»	القطر

٥٧٨	عمرو بن ضبيعة	طويل	والصبر
٦٥٣	عوف القواف	»	زهر
١٩٩	قيصة بن النصراني	»	ظهر
١٠٨	يحيى بن منصور	»	والفرز
٢٩٥	—	»	السمر
٤٢٠	—	»	عمري
٤٣٢	—	»	أزرى
٤٥٧	—	»	قبرى
٥٢٧	—	»	يسرى
٥٢٨	—	»	بالمجر
٨٦٣	—	»	القدر
٨٦٤	—	»	القطر
٨٧٣	—	»	بحر
٧٣٧	زيد بن حصين	»	قاسهرى
١٤٠	شريح بن قرواش	»	مسكر
١٤٥	عروة بن الورد	»	مجزر
٦٨٠	(د د د)	»	ومجزرى
٧٦٣	المرار الفقمسى	»	متنور
٣٤٦	مسافع العيسى	»	مدبر
٨٦١	أم التحيف	»	قاصبر
٦٦٥	زياد الأنجم	»	الأناصر
٤٨١	شبرمة بن الطفيل	»	الزاهر
٦١٠	شملة بن الأخضر	»	هاجر
١٦٤	الشنفرى	»	باصر
٢٩٠	عبد الملك بن عبد الرحيم	»	المقابر

٧٥٠	الناينة الذيباني	طويل	الزاعم
٦٦١	ربمان	»	مجار
٨٥٧	—	بسيط	سفر
٨٦٧	—	»	والقمر
٦٤٩	بعض آل المهلب	»	والدار
٦٩١	المرندس	»	أيسار
٦٢٤	(عقال بن هاشم)	»	بأشرار
٩٤٩	مالك بن أسماء	»	الدار
٦٥٩	—	»	والعار
٧٤١	—	»	والجار
٧٤٢	—	»	قار
٨٨٠	—	»	الدار
٤٦٦	الصمة بن عبد الله	وافر	فالضمار
٣٥٤	حران بن عمرو	كامل	بكر
٦٦٨	أبو المناهية	»	ظهري
٢٣٥	أبو الأسد	»	أنخز
١٩	(بعض بني تيم الله)	»	التمطر
٧٩٠	ابن المولى	»	المشترى
٦٦٩	الحكم بن عبدل	»	المسار
٣٤٧	الربيع بن زياد	»	الساري
٨٣٢	(بعض المقلين)	»	مقرو
١٧٤	المنخل اليشكري	مجزو الكامل	ولا تحورى
٨٧٢	—	خفيف	المزار

(س)

١٨٤	حسبل بن نبلج	طوبل	الأخامسا
١٥١	العباس بن مرداس	»	فوارسا
٢٢٠	المتلس	»	يرمس
١٣٥	أرطاة بن سهبة	»	وتنافس
٣٥٩	أبو صمطرة البولاني	»	هاجس
٤٨٧	—	»	دامس
٢٣٩	الهندول بن كمب	»	المتقاعس
٨٢٨	(حبب بن أوس)	وافر	المراس
٣١٥	مهلهل	كامل	المجلس
٧٣٥	منصور بن مسجاح	طوبل	نقسي
٧٦٥	يزيد بن الطثرية	»	الممارس
٨٢١	(رجل من بكر)	كامل	بالخمس
٢٥	الأشتر النخعي	»	عبوس

(ش)

٨٧٩	أبو النطمش	مقارب	كنديش
-----	------------	-------	-------

(ص)

٣٧٠	ابنة ضرار	كامل	قيضا
-----	-----------	------	------

(ض)

٢٠١	برج بن مسهر	طويل	فائض
٢١١	قوال الطائي	»	الفرائض
٤٢٦	(الحكم بن عبدل)	»	قرضي
٢٦٢	أبو خراش الهذلي	»	بعض
٨١٨	ملحة الجرمي	»	أرض
٨٧٥	—	»	بعض
٨٦	خطاب بن الملى	سريع	خفص

(ع)

٢٨٢	ابن المقفع	طويل	وقع
١٦٥	تأبط شرأ	»	بجمعا
٣١٩	الحسين بن مطير	»	مربعا
٤٨٩	(رجل من بني سعد)	»	تقطعا
٤٥٤	الصمة بن عبد الله	»	معا
٤٧٤	عمر بن أبي ربيعة	»	تتقنا
١٣١	الثلج بن رياح	»	أو دعا
٧٧٨	مزعفر	»	فأشفعا
١٢٨	(موسى بن جابر)	»	موضعا
٢٨١	يحيى بن زياد	»	عروعا
١٠٥	—	»	أفروعا
٤٩٢	—	»	مطلعا

٥٤٢	—	طويل	منقما
٧٥٧	—	»	مما
٨٠٤	أخت النضر بن الحارث	بسيط	اصطنما
٣٣٨	امراة من كندة	»	امتتما
٤٩٩	عروة بن أذينة	»	ما اجتماعا
٦٩٠	أبو زياد الأعرابي	وافر	القناتا
٤٤٢	المتوكل الليثي	منسرح	قطما
٥١٨	(أعرابي من هذيل)	طويل	وأوسع
١١٧	الأعرج المني	»	توجع
٢٧٧	البراء بن ربي	»	أجزع
٤٥٩	جران المود	»	تصدع
٧٩	طفيل الفنوي	»	مفجع
٧٦١	عتبة بن بحير	»	مقنع
٢٤٧	مجمع بن هلال	»	ينفع
٢٦٤	هشام أخو ذى الرمة	»	مترع
٥٣٨	—	»	تدمع
٢١٤	عمرو بن غلاة	»	وواقع
٦٢٠	الكروس بن زيد	»	صانع
١٣٧	محمد بن عبد الله الأزدي	»	الجنادع
٧٤٦	(المنضع القيسي)	»	قاطع
٢٨٤	—	»	المسامع
٥٨٩	عمرو بن حكيم	»	وصدوع
١٧٠	حجر بن خالد	»	مطالمة
٣٩٩	مسكين الدارمي	»	جامعا

٤٥٥	(الصبة بن عبد الله)	طويل	شفيهما
٤٢٩	—	»	جوعها
٢١٣	(وضاح بن إسماعيل)	بسيط	والربع
٤٨	(عبيدة بن ربيعة)	وافر	ولا تباع
١٥٨	قيس بن زهير	»	يضيع
٧٢٦	المثلث بن رياح	كامل	تصنع
٣٠٥	مويلك المزوم	»	تسمع
٣٢٨	نهار بن توسمة	»	تضعض
٢٥٠	عاتكة بنت عبد المطلب	مجزو الكامل	سماعه
٢٠٥	خفاف بن ندبة	مقارب	أربع
٦١٨	رويشد	»	موقع
٣٠٠	أرطاة بن سهية	طويل	معي
٤٥٦	(عبد الله بن الدمينه)	»	ومربع
٧١	—	»	أتحشم
٥٢١	—	»	ومربعي
٥٨	يزيد بن الحكم	»	الأصابع
٤٧	إياس بن قبيصة	»	لا تباعها
٦٤٥	عبد الله بن أوفى	مقارب	تنفع

(ف)

٥٨٤	—	بسيط	التلفا
٤٤٩	حرقة بنت النمان	طويل	تنصف
٧٦٤	عروة بن الورد	»	أخوف

٥٧٤	—	طويل	سوادف
٢٤٢	شبرمة بن الطفيل	»	مشوف
٦٠٥	(أمساور بن هند)	وافر	إلاف
٨١٧	عنقرة بن الأخرس	طويل	منظف
٥٠٧	—	»	الخواطف
٣٥٨	قبيصة بن النصراني	وافر	كاف

(ق)

٤١٣	عقيل بن علفة	طويل	وأخلاقا
٨	(بلعاء بن قيس)	بسيط	صدقا
٢٥٧	—	منسرح	الحلقا
٦	جعفر بن علبة	طويل	موقوف
٦٢٣	حريث بن عناب	»	منطقي
٥٧٤	جميل	»	وامق
٥٤٥	—	»	فريق
٧٢٣	ممر بن الأهم	»	سروق
٥٢٣	—	»	فيشوق
٨٤٧	—	»	فسويق
٨٤٨	—	»	سويق
٩٨	الراعي	»	معانقه
٧٧٩	طارق الطائي	»	وشائقه
٤٧٧	عبد الله بن النمينه	»	عوائقه
٧٧٤	جؤية بن النصر	بسيط	خرق

٢٢٤	سالم بن وابصة	بسيط	الخلق
٣٣٢	قتيلة بنت النضر	كامل	موفق
٨٧٧	—	»	يقذف
٣٨٨	الشماخ	طويل	المزق
١٢٤	—	»	مشفق
٢٠٢	قبيصة بن النصراني	»	البوارق
٥٠٢	—	»	تلاق
٧٣٣	—	»	غبوق
٨٤٦	—	»	بدقيق
٤٣٥	محمد بن بشير	بسيط	بالملق
٤٧٠	(ابن هرمة)	»	تسبق
٨٨١	—	»	تشويق
٥٤٠	ورد الجمدي	وافر	المذاق
١٣٢	(ابن دارة)	كامل	تسبق
٦٧٠	أم عمرو بنت وقدان	»	بالأبرق
٨٦٥	—	مجزو الكامل	الوثاق
٧٠٧	أبو دهب	منسرح	خلق
٨٧٤	—	خفيف	مرفوق

(ك)

٣١٠	(أم السليك)	رمل	فهلك
٦٦٤	رجل من جرم	وافر	فاكا

١٣	تأبط شرا	طويل	مالك
٥١٠	(عبد الله بن اليمينة)	»	دارك
٢٦٥	متهم بن نيرة	»	السوافك
٥٦٦	خليد مولى العباس بن محمد	وافر	الأراك
٣٢٠	—	كامل	وباك
٨١	—	متقارب	سفوك

(ل)

٧٦٧	امراة سالم بن قحطان	طويل	والجبل
٢٥٤	زويفر بن الحارث	طويل	قتل
٣٩٧	امراة من بني الحارث	رمل	وكل
٨١٤	الخنساء	سريع	دليل
٦٧	—	متقارب	اتصل
٦١٧	رجل من طي	طويل	عقلا
٦٨٤	سالم بن قحطان	»	حبلا
٧٦٦	» » »	»	مهلا
٢٤٠	كنزة أم شملة	»	أزلا
٩٥	جابر بن ثعلب	»	مرحلا
٥٦٣	(ذو الرمة)	»	يقللا
٧٨٦	—	»	تمولا
٧١٨	حجر بن خالد	»	ونائلا
٨١٠	الكيمت	»	ققالها
٣٢٩	يزيد بن عمرو	»	فاطالها

١٩٨	ابن رالان السنبسى	بسيط	بجلا
٦٩٥	(محمد بن بشير)	»	السبلا
١٨٩	عبد الله بن عنمة	»	الحالا
١٠١	جميل	وافر	حلا
٢١٢	وضاح بن إسماعيل	»	أثيلا
٦٥	بعض بنى جرم	»	هالا
٤٥١	—	كامل	أولا
١١٨	حجر بن خالد	»	أهوالا
٤٦٣	(عروة بن أذينة)	»	هوى لها
٥٧٣	(عمرو بن الأيهم)	»	جهاها
٢٢	ابن زبابة	سريع	أخواله
٢٥١	عبد القيس بن خفاف	متقارب	طويلا
١٩٧	عبيد بن ماوية	»	وأجبالها
٥١٩	الحكم الحضرى	طويل	عبل
٧٩٤	خلف بن خليفة	»	شغل
٦٢٦	—	»	جزل
٨٣٤	—	»	أهل
٧٠	إبراهيم بن كنيف	»	معول
٢٥٤	أمية بن أبى الصلت	»	وتنهل
٦٧٩	بعض بنى أسد	»	أزمل
٢١٥	زفر بن الحارث	»	فيقتل
٤٣١	عروة بن الورد	»	عمل
٤١٣	معدان بن عبيد	»	وتقيلوا
٤٠٤	ممن بن أوس	»	أول

٤	جمفر بن علبة	طويل	المباسل
٦٣٣	جواس الكلبي	»	آكل
٥٩٩	زميل	»	الأنامل
٢٦	معدان بن جواس	»	الأنامل
٥٢٥	معدان بن المضرب	»	الأنامل
١٥٧	أبو الأبيض العبسي	»	قفول
٤٣٩	رجل من فزارة	»	وصول
١٥	السموول	»	جميل
٥٤١	ابن الطثرية	»	فتيل
٦٠١	طرفة بن العبد	»	وتقول
٢٩٣	عتى بن مالك	»	ذميل
٥٠٠	عمروة بن أذينة	»	بديل
٦٧٨	(مشمت بن عبدة ^(١))	»	لجهول
٣٧٩	أبو وهب العبسي	»	جميل
٥٠١	—	»	بجميل
٧٢٥	—	»	جليل
٤٧٥	أبو الرئيس الثعلبي	»	أقائله
٣٦٧	زينب بنت الطثرية	»	غوائله
٧٧١	سوايدة اليربوعي	»	عائله
٤٢١	(عبيد بن أيوب)	»	قائله
٣١١	المجبر السلولي	»	يمجادله
٣٦٢	(القلاخ)	»	وابله
٧٤٩	النمرى	»	وتقاتله

(١) هذه هي نسبة ابن جنى في التنبيه .

٥٣٦	الغمرى	طويل	وسائله
٥٠٩	(أحد الأعراب)	»	قلاها
٢٠٩، ٣٣	أنيف النبهاني	»	نكاهها
٧٥٤	(المكلى)	»	شماها
٤٧٦	عبد الله بن عجلان	»	شمولها
٤٦٤	—	»	ذميلها
٥٩٦	—	»	مقيلها
٢٧٣	تأبط شرا	مديد	يطل
٨٢٦	خندج بن خندج	بسيط	موصول
٤٥٨	—	»	مشغول
٧٨٨	يزيد بن الجهم	وافر	مال
٦١	(عمرو بن مسعود)	»	فصيل
٣٥٥	ابن عنمة	»	السييل
٤٨٨	الحارث بن خالد	كامل	العقل
٨٠٦	المتوكل الليثى	»	تتكلم
٥٩٤	مومى بن جابر	»	تتكلم
٧٧٣	القنع الكندى	»	رحيل
١٣٤	بشاة بن القدير	»	خذاها
٤٠	الشداخ بن يمر	منسرح	فشل
١٦١	المثلم بن عمرو	»	جبل
٦١٩	جابر	مقارب	جرول
٩٤	(بكير بن الأخنس)	طويل	محل
٧٥٥	جابر بن حباب	»	فعل
٢٧٦	الحريث بن زيد الخليل	»	المحل

٤٧٣	الحسين بن مطير	طويل	قبلى
١٦٠	عمرو بن كثنوم	»	القتل
٦٦٦	عمرو بن الهذيل	»	نحلى
١٢٥	موسى بن جابر	»	قتلى
٢٨٦	نهشل بن حرى	»	عقلى
٤٩٧	—	»	أهل
٥٢٠	—	»	والوصل
٧٢٢	—	»	أهلى
٧٩٢	—	»	أكل
٨١٩	حطيم	»	يكسل
١٤٩	العباس بن مرداس	»	بمسجل
٦٤	مسور بن زيادة	»	وجندل
٣٥٦	الهذلول بن هبيرة	»	جندل
٧٤٨	حماس بن ثامل	»	مقابل
٣١٤	أبو الشنب	»	السلاسل
٥٦	الطرماع	»	طائل
٢١٠	الكروس بن زيد	»	آمل
٥٥١	ابن ميادة	»	المكاحل
١٨٢	الوقاد بن المنذر	»	القبائل
٥٨٦	—	»	بناهل
٨٠٨	حبيب بن عوف	»	خليل
٣٧٥	رجل من هلال	»	سبيل
٦١٢	سويد بن مشنوء	»	لسبيل
٢٩٢	عتى بن مالك	»	نزول
٣٤٥	عقيل بن علفة	»	عقيل

٧٤٣	حسان بن ثابت	بسيط	البالي
٣٠٤	الناينة	»	مال
٧٠٩	—	»	للطال
٧٧٠	—	»	مال
٨٧١	—	»	بالطول
١٧١	حجر بن خالد	وافر	الفعان
٤٢	رجل من بني عقيل	»	مقال
٧٧٥	زرعة بن عمرو	»	الهزال
٤٤٠	عبد الله بن معاوية	»	مالي
٣٥٠	غوية بن أسلمى	»	أبالي
٢٤٣	قيصة بن جابر	»	احتياي
٧٥٣	مسكين الدارمي	»	الجلال
٥٠٤	—	»	الليالي
٦٤٨	—	»	المقال
٧٢١	—	»	الفصيل
٢٣٧	بغثر بن لقيط	كامل	المنصل
٩	ربيعة بن مقروم	»	هيكل
١٢	أبو كبير	»	مقل
٦٧٣	أبو محمد اليزيدي	»	تبذلي
٧١٤	عمرو بن الإطنابة	»	النائل
٧٣٩	حسان بن حنظلة	»	الأموال
١٧٥	باعث بن صريم	»	بلباها
١٧٦	الفند الزماني	هزج	بال
٩٦	بعض بني طي	مترج	الباطل
٢٣٢	وداك بن نميل	»	أبظان

رخيل	خفيف	منقذ الهلالى	٤٤٦
(م)			
عَدَم	طويل	عامر بن حوط	٧٣٦
ظلم	»	عمرو بن شأس	٨٤
وعم	متقارب	جربية بن الأشيم	٢٦٠
تكلماً	طويل	إياس بن الأرت	٣٥٧
القوماء	»	حسان بن نشبة	١١٢
أقدمات	»	الحصين بن الحمام	٤١
مقدما	»	» » »	١٣٣
وسما	»	رقية الجرعى	٣٤٢
درهما	»	شقران مولى سلامان	٦٩٧
تصرما	»	أم الصريح	٣١٨
وخنما	»	عامر بن الطفيل	٢٧
يترجما	»	عبدة بن الطيب	٢٦٣
وسلما	»	النابعة الجمدى	٣٣٥
أنكرما	»	نافع بن سعد	٤٢٥
مفما	»	الوقاد بن المنذر	١٨١
مفما	»	—	٥١
أهضما	»	—	١٠٤
أدما	»	—	٣١٣
كراكا	»	الأسدى	٢٨٩
المحارما	»	غلاق بن مروان	١٥٤
واباباهما	»	عمرة الخنممية	٣٨٦
سواها	»	كثير	٤٩٤

٦١١	قرواش بن حوط	كامل	الأعلا
٦٩٩	لبلى الأخيلية	»	بريما
٣٤٩	كعب بن زهير	مجزو الكامل	حامه
٤٠٥	عمرو بن قتيبة	منسرح	أما
٨٧٨	(بعض المدنيين)	خفيف	أما
١٦٣	الربيع بن زياد	متقارب	أجذا
٦٩٣	الحسين بن مطير	طويل	أنعم
٢٥٦	ابن السلماني	»	التلوم
٤٣٤	مالك بن حزم	»	تعل
٧٩٨	المتوكل اللبثي	»	يتوسم
٤١٢	(المؤمل بن أميل)	»	وعلقم
٦٨٣	(ابن هرمة)	»	معصم
٥٤٣	عبد الله بن الدمينه	»	نادم
٤٩٣	كثير	»	عالم
٤٩٥	نصيب	»	لناتم
٦١٤	يزيد بن قنافة	»	حاتم
٦١٧	—	»	حاتم
٨٧٦	—	»	قائم
٧٧	—	»	كرام
٥١٧	(أحد الأعراب)	»	لمظلم
٥٦٩	أمامة	»	يلوم
٦٠٨	جواس الضبي	»	حكيم
٥١٦	أبو حية النميري	»	رميم
٥٦٨	ابن الدمينه	»	جنوم
٧٤٤	عبد العزيز بن زراره	»	كلوم

٨٢٥	عمارة بن عقيل	طويل	كريم
٢٤٥	واقد بن النطريف	»	وخيم
٦٨١	—	»	لجسيم
٧٥٨	—	»	ومني
٢٠٨	أبان بن عبدة	»	وميم
٧٥٦	حاتم	»	نصادمه
٧٥١	الفرزدق	»	أضيها
٧٦٨	الأقرع بن ماذ	بسيط	وغيومها
٥٧٧	زياد بن حمل	»	كرم
٧٠٨	الفرزدق	»	نقم
١٨٥	عمرز بن المكبر	»	الكرم
١٨٨	أبو ثمامة بن طارم	وافر	للجنم
٤٨٤	برج بن مسهر	»	الزحام
١٤٧	قيس بن زهير	»	التجوم
٦٥٥	—	»	لا يريم
٦٩٨	أبو دهل الجحى	كامل	يرم
٤٩١	بكر بن النطاح	»	خنقم
٥٦٤	أبو الشيص	»	أسعم
٥٧٢	(ابن الدمينة)	»	متقدم
٢٥٨	قتادة بن مسلة	»	سلم
٥٦٧	أبو القمقام الأسدى	»	وتلوم
٦٨٢	ابن هرمة	»	فميم
٢٤٥	يزيد بن الحكم	مجزوء الكامل	خافيم
			الحكيم

٤٠٩	(عبد الله بن همام)	طويل	علم
٤٠١	المرار بن سميد	»	والشتم
٤٩	امراة من طي	»	يكلم
٦٨	بعض بن أسد	»	عرصم
٥٦١	أبو حية	»	ماتم
٧٠٤	المجير السلولي	»	بالدم
٧٦٢	عمرو بن أهر	»	تحلم
٤٣	القتال الكلابي	»	وهين
٥٢	كبشة أخت عمرو	»	دى
٢٥٣	معبد بن علقمة	»	بالدم
٧٨١	ملحة الجرمي	»	دم
٥٦٥	—	»	دى
٨٤٢	—	»	يلطم
٦٩	حريث بن عناب	»	حاتم
٦٢٨	الطرماح	»	المكارم
٨٣	(عبد العزيز بن زراراة)	»	كريم
٨٥	(إسحاق بن خلف)	بسيط	الظلم
٢٣٤	أبو حزابة	»	القهم
٧٠٦	أبو دهبيل	»	كرم
٤٢٣	سالم بن وابصة	»	قرم
٧٠١	(الشمر دل بن شريك)	»	والأثم
٤٠٢	عصام بن عبيد الله	»	أقوام
٢٦١	(شقيق بن سليك)	وافر	جسمي
٢١	الحريش	»	الحواي

٦٥٦	—	وافر	غلام
٢٩١	(بنت فروة بن مسمود)	»	بالكریم
٣٩	(مقل بن عامر)	»	الكریم
٦٦٣	—	»	كریم
٤٥	الحارث بن ولة	كامل	مهمی
٤٦٢	أبو صخر الهذلي	»	الهم
٢٨٣	بمض بنی أسد	»	برام
٢٠	القطري بن الفجاءة	»	لحام
٢٦٩	محمد بن بشير	»	الأيام
٥٥٣	(الجنون)	»	مقيم
٨١٢	امراة من بنی مخزوم	سريع	ومخزوم
٣١	بمض بنی بولان	منسرح	الضرم
١١١	بمض شعراء حمير	»	بدمه

(ن)

٦٢٠	إياس بن الأرت	سريع	عقربان
٥٩	جابر بن رالان	طويل	ومينا
١٢٧	(موسى بن جابر)	»	دونها
٥٥٧	سوار بن المضرب	بسيط	نسيانا
٢٣	(قريب بن أنيف)	»	شيانا
١٤	بشامة بن جزء	»	فاسقينا
٥٥	الفضل بن المباس	»	مدفونا
٥٩١	—	»	تمودينا
٦٥٨	—	»	تظنوننا

علينا	وافر	عبد الشارق بن عبد العزى ١٥٢
ترانا	»	القطامى ١١٦
تشوقينا	»	الشباطيط النطفانى ٤٩٦
بالقنينا	»	عاصر بن شقيق ١٨٦
بآخرينا	»	الفرزدق ٤٥٢
وهوانا	كامل	مارق الطائى ٦٠٤
عيونا	»	المعلوط الأسدى ٥٧٠
حزينا	طويل	خلف بن خليفة ٢٩٦
تبين	»	— ٥١١
تكون	»	— ٥٤٦
شؤونها	»	أدهم بن أبى الزعماء ٦٢١
شجونها	»	برج بن مسهر ٧٨٠
عيونها	»	بمض بنى جهينة ١٧٣
دفنوا	بسيط	(قعناب بن أم صاحب) ٦٠٦
اللبن	»	— ٧٤٥
يامعين	وافر	ابن عمار الأسدى ٣٧٨
متين	»	(قبيصة بن النصرانى) ٢٠٤
أفن	كامل	قيس بن ماصم ٦٨٦
إخوان	هزج	شهل بن شيان ٢
قرنى	طويل	أعشى ربيعة ٧٩٦
الضفائن	»	— ٤٢٨
لمؤتسيان	»	الأرقط بن دعبل ٢٣١
للخطر ان	»	بشير بن أبى جذيمة ٦٠٢

٧١١	الريان	طويل	بستان
٧٣٠	الساور بن هند	»	والأبوان
٣٢٣	مسلم بن الوليد	»	مختلفان
١٧	وداك بن نميل	»	سفوان
٧٠٣	—	»	دوان
٨٦٩	—	»	أنان
٤٨٢	جابر بن ثعلب	»	يقين
١٠٧	جميل	»	لقونى
٢٩٤	أبو الحجناء	بسيط	نمن
٧٨	(مؤرج)	»	وجيراني
٨٢	—	»	وأوطان
٢١٦	حسان بن الجمد	»	يبنى
٧٦٠	أبو كدراء المعلى	»	يؤذبنى
٦٥٣	—	»	وستين
٤٠٨	سلم بن ربيعة	مخلع البسيط	الأمون
٥٤	الأحوص	كامل	والشنان
٤٠٧	ربيعة بن مقروم	وافر	اللسان
١٨	سوار بن المضرب	»	زمانى
٤٤	قيس بن زهير	»	شفانى
١٥٩	هدبة بن خشرم	»	أمان
٩٠	رجل من كليب	»	تشوقينى
٢٠٦	(شبيب بن عمرو)	»	دوى
٣	أبو الغول الطهوى	»	ظنونى

(٥)

يحميها بسيط امرأة من إباد ٨١٥

٧٤	بعض بنى قمس	بسيط	قوافيا
٧٢٩	حجر بن حية	»	أثافيا
١٣٩	—	»	جانها
٣٤٤	—	»	سوافيا
٣٤٠	كعب بن زهير	وافر	أخوها
٦٣٣	جواس الكلبي	كامل	دنياها

(ى)

٤٥٣	الصلتان المبدى	مقارب	المشى
١٤٣	أبي بن حمام	طويل	مواليا
٣٨٣	أعرابي	»	التقاضيا
٤٠٦	إياس بن القائف	»	المراميا
٦٢	جزء بن كليب	»	لياليا
١٢٠	جعفر بن علبة	»	حماميا
١٢٩	حريث بن جابر	»	هوى ليا
٥٣٧	حفص بن عليم	»	النوانيا
٣٦٨	أبو حكيم المرى	»	ارتدانيا
٨٠	الراعى	»	جماليا
١٠٦	شبيب بن عوانة	»	تنائيا
٣٣٧	» » »	»	ثاويا
١٦	الشميدر	»	القوافيا
٣٨٩	صخر بن عمرو	»	ماليا
٥٢٤	عبد الرحمن الزهرى	»	حاليا
٤٤٣	(قتادة بن خرقة)	»	قلما ليا

٦٦٧	كنزة	طويل	هيا
٧٩١	المعدل	»	جازيا
٤٢٢	منظور بن سحيم	»	البوا كيا
٣٣٤	الناينة الجمدي	»	الأعادي
٣٧٤	» »	»	ولاليا
٨٩	—	»	مداويا
٣٠٧	—	»	تنائيا
٤٧١	—	»	علانيا
٥١٤	—	»	والقوافيا
٥٣٥	—	»	ليا
٥٤٤	—	»	تقاليا
٦٤٤	(امرأة قتادة بن مغرب)	»	حافيه
٤٦٩	بعض القرشين	خفيف	هوبا
٨٢٩	امراة	متقارب	أقواليه
٣٤٨	كعب بن زهير	وافر	فالسلي
٨٢٠	—	»	القسى

(الألف اللينة)

٦٣٦	(الراعى)	طويل	والرحى
٢٧٤	سويد المراند	»	هوى
٦٣٠	وضاح بن إسماعيل	»	السلام
٣٢٥	حنش	كامل	الثرى

ب - الشواهد

(أ)

كساء	مجزو الرمل	—	١٤٧٩
سواء	طويل	محز بن الكبير	٣٠،٢٣
وجاء	»	—	٩٦٠
عناؤها	»	نصيب	[٩٢٢]
الألاء	وافر	(بشر بن أبي خازم)	٥٦٧
شقاء	»	الحطيفة	٤٠٥
الرشاء	»	(زهير)	٩١
النساء	»	»	٣٠٢
والذكاء	»	»	٤٤٢
لواء	»	»	١٧٨٩
وماء	»	النافقة	١٥٧٠
أشياء	»	—	٧٢
والإمساء	كامل	—	٤٦٣، ٢٥٩
داء	»	—	١١٣٣، ٨٩٢
الأبناء	»	—	١٧٩٠

(*) ما وضع بين قوسين () من القوافي أو الأرقام فهو ما ورد صدره وأمكن معرفة مجزئه .

وما وضع قبله نجم من القوافي أو الأرقام فهو ما ورد مجزئه فقط .
وما وضع بين ممتقين [] من الأرقام فهو ما ورد في حواشي التحقيق .
وما وضع بين قوسين () من أسماء الشعراء فهو ما لم يذكره المرزوقي واحتدبت إليه في التحقيق .

٣٧	(الحارث بن حلزة)	خفيف	الاء
٨٣٦	()	»	الأنساء
١٤٥٢	()	»	الولاء
١٤٧	(أبو زيد)	»	• الجوزاء
١٣٠٨	—	»	غناء
٦٢٢	المهذلي	وافر	• بلائي
٣٥٤، ٢٣٠	—	»	سلائي
٤٠٢	—	كامل	خبائه
١٢٦٠	(ابن قيس الرقيات)	»	غلاؤها
١١٤٨	(أبو زيد)	خفيف	السواء
٨٣١	ابن قيس الرقيات	»	الظلماء
١٢١٨	—	»	قرنائى

(ب)

٧١٢	—	مجزو الكامل	النوائب
[٢٢٤]	الأخضر اللهبى	رمل	المرب
[٣٦٠]	—	سريع	عذاب
(٩٢٤)، ٢٥	أبو نامة بن عارم	مقتارب	اقترب
[٥٤٣]	الأعشى	طويل	تنسبا
١١٠٦	()	»	• ليذهبا
٤٣	(ابن مفرغ)	»	• فتنكبا
[٤٩٢]	—	»	معنبا

١٠٨٥	(سعد بن ناشب)	طويل	* صاحب
٥٣٩ ، ٥٠٤ *	(الحطيفة)	بسيط	الذنب
١٤٦٠	()	»	* غلبا
٥٨٦	(مرة بن محكان)	»	والقربا
١٨٤١	جرير	وافر	* اللابا
١٩٨	(الحارث بن ظالم)	»	* الرقابا
٩٢٥	(ربيعة بن مقروم)	»	اقترابا
٣٤٨	(معاوية بن مالك)	»	كبابا
١٤٣٢	» » »	»	غضابا
٥٣٣	—	»	قرايا
١٥٢٤	علي بن ثابت	مجزو الكامل	والبه
١٨٥٨	(الحكم بن عبدل)	منسرح	ضربا
١٨٣٩	زياد الأعجم	طويل	ينرب
١٨٢٦ ، ٦٩٢ *	الكيت	»	وتحسب
١١٥٦	»	»	والبب
[١٣٢٣]	معدان بن مضرب	»	المضرب
[١٢٠٤]	يحيى بن نوفل	»	ونحجب
١١٠٤	—	»	* منصب
[١٠٩]	الأخنس بن شهاب	»	نضارب
[١٠٩]	قيس بن الخطيم	»	فنضارب
٥٢٩	—	»	حساب
١٧٧٣ ، ٩٣٦	(ضابي بن الحارث)	»	* لغريب
٩٠٤	(عمرو بن حزام)	»	أجيب
٧٢٦ ، ٣٠٨	(علقمة الفحل)	»	* وركوب

٦٤٣	علقمة بن عبدة	طويل	طبيب
٩٠٦	(» » »)	»	* ذنوب
١٤٨٤	(» » »)	»	* فركوب
٢٨٦	(كعب بن سعد)	»	ذنوب
٦٢٥	(» » »)	»	كسوب
٩٣٣	(» » »)	»	يؤوب
١٥٦٠	(» » »)	»	محيب
١٣٣٠ ، ١٣٢٩	(المخبل السعدى)	»	* تطيب
٤٦٦	أبو تمام	»	عواقبه
١٨٥٩	ذو الرمة	»	* غباغبه
[١٣٠٨]	الفرزدق	»	يقاربه
٢٧١	(فرعان بن الأعرف)	»	* غاربه
١٠٤	(لقيط بن زراره)	»	صاحبه
٨١٥	التملس	»	عواقبه
٦٦٦	المرار	»	صاحبه
٥٨٢	—	»	وأطايه
١٢٦٢	—	»	مناكب
١٥٢٥ ، ٣٧٦	(أبو ذؤيب)	»	كلابها
١٦١٥	(» »)	»	(غرابها)
١٩٢	—	»	بابها
٥٨٩	—	»	كلابها
١٢٥٣	—	»	ذئابها
٤١٤	(بشر بن أبي خازم)	»	تذيبها
١٢٥٧	ذو الرمة	بسيط	* ثب
١٢٥٧	»	»	(مرب)

٧٧٨	—	بسيط	المطاب
١١٢٧	—	»	مصطحب
٧٨	(امرؤ القيس)	وافر	* الوطاب
١٢٤	(أبو ذؤيب)	»	* ولوب
١٨٨٤	—	»	طلوب
١٧١١	أبو الغيال الهذلي	محزو الوافر	أب
٤١٩	ساعة الهذلي	كامل	صلب
١٢٣٩	أبو تمام	»	تغرب
[١٣٥٩ ، ١٣٥٣]	ابن أبي دباكل	»	يذهب
٥٦٤	—	هزج	كلب
[٦٨٠]	مطيع بن إياس	خفيف	الأديب
٨٢٤	—	طويل	* الترب
١٣٠٦	الأشجعي	»	* يثرب
١٥٤٩ ، ٢٠٦	(امرؤ القيس)	»	* مغلب
٧٠٤	» »	»	مشرعب
٨٣٨	(» »)	»	(محنب)
[١٣٠٦]	الشماع	»	بيثرب
[١٠٨٣]	القلاخ بن يزيد	»	عرب
٥٧٩	هدبة بن خشرم	»	أركب
٩٨	—	»	مراقب
٣٧٤	—	»	* معقب
٦٧١	—	»	يفضب
١٢٥٨	—	»	تؤدب
١١٩٩	أبو تمام	»	جانب

١٦٠١	(قيس بن الخطيم)	طويل	* لاعب
٣٧	النايفة	»	* الضوارب
٩٧٠ ، ٢٨٥ ، ١٢٢	»	»	الكتائب
(٤١٣) ، ٣١٦	»	»	حارب
٤٣٢	»	»	(السياسب)
٩٤٣	»	»	وجالب
١١٠٣	»	»	* بآيب
٦٣٣	نصيب .	»	الحواجب
٤٥	—	»	الأقارب
٧٣	—	»	* العواقب
١٢٩ ، ١٠٩	—	»	للتضارب
١٣٣	—	»	المراكب
٤٢٤	—	»	* حبائب
١٥١٤	—	»	* محارب
١٥٧٩	—	»	* بمحارب
١٦٥٦	(أعشي طرود)	بسيط	* نشيب
٩٩٢	أبو تمام	»	العرب
[٩٨٣]	الكفيت	»	نوب
١٧٩٦	»	»	بالمقب
٢٥٣	—	»	* عجب
١٧٠٤ ، ١٦٥١	الرامي	»	جلباب
٤٦٤	—	»	بأصحابي
٤٢٢	(الجميع الأسدي)	»	* تجنيب
٥٢١	(» »)	»	* للشيب
٦٩	(سلامة بن جندل)	»	معلوب

١٣٠	(سلامة بن جندل)	بسيط	الطنائيب
٧٢٦ ، ٣٠٤ *	(» » »)	»	مربوب
٦٨٥	(» » »)	»	تذيب
١٠٩٩	(» » »)	»	* الأطائيب
٣٢٠	عنتره	وافر	بالأريب
[١٠٥]	القتال الكلابي	»	كلاب
[١٤٠] ، ١٠٥	» »	»	للسباب
١٣٨	(البحترى)	كامل	* مجرب
١٥٧٩	أبو تمام	»	قبا
[٢٢٠]	حضرى بن عامر	»	الأذراب
١٥٨٣	ضمرة بن ضمرة	»	[أتواى]
١٦٤	عنتره	»	هيا
١٨٥	»	»	الأثواب
١١١١	(حفص بن الأحنف)	»	المرقوب
٧٦٤	(عقبة بن سابق)	هنج	الركب
١٧٨٦	(» » »)	»	القاسب
١٠٦٩	—	مريع	الراكب
[١٤٢]	ابن زياة	منسرح	فالآب
١٥٢٩ ، ٤٢٠ ، ١٥٠	—	»	طنبه
١٥٦	—	»	غربه
٢٨٢	المأمون	خفيف	نصبي
٤١٨	(النابغة الجعدى)	متقارب	نضرب
١٨٨٤	—	»	* نضرب

(ت)

١٨٨	(أبو القتاهاية)	كامل	خفتُ
١٠٨	—	طويل	الفتى
٣٧٦	—	»	آنى
١٢٨٠	—	وافر	أتيتُ
١٢٢	(سليمان بن قنة)	طويل	سلَّتْ
١٣٥٨، ٣٤٤ *	(الشنفرى)	طويل	تبلت
٤٧٥	()	»	وعمتى
٦٤٠	()	»	بمنبتى
٦٦٥	()	»	مسرقتى
٦٦٥	()	»	أقشمرت
٧٥٧	()	»	وأقلت
١٢٣٦	()	»	جنت
١١١٠	عبد الله بن الصمة	»	وذلت
١٧٦٧، ٦٣	عمرو بن معد يكرب	»	كرت
٦١٣	()	»	أجرت
١١١٠	كثير	»	حلت
١١١١	—	»	حلت
١١١٢	—	»	وعلت
١٢٨٩	(عبد الله بن نخير)	»	خفرت

١٨٤٣	—	وافر	حباريات
[١٤٣٠]	قراد بن حنش	كامل	أضلت

(ث)

١٢٥٨	أبو تمام	كامل	* ثلاثا
------	----------	------	---------

(ج)

[٨٤١]	أبو جندب الهندل	طويل	الدجى
١٢٠٦	(محمد بن بشير)	بسيط	اللججا

٥٨٢	—	طويل	ملهوج
-----	---	------	-------

١٠٨٣	(ذو الرمة)	بسيط	الفرايح
------	------------	------	---------

٥٣	(الحارث بن حلزة)	كامل	يتمرج
----	------------------	------	-------

[١٧٣٧]	زياد الأعجم	»	الحشرج
--------	-------------	---	--------

٤٨٦	جرير	»	ناج
-----	------	---	-----

(ح)

٢٨	الأعشى	رمل	* كَلْع
----	--------	-----	---------

٩٥٩	»	»	* مصبح
-----	---	---	--------

٥٨٠	حجل بن فضلة	سريع	رماح
-----	-------------	------	------

١٢٩٥، ٨٢١	أبو نواس	بسيط	صحا
-----------	----------	------	-----

١٣٠٩	بشار	كامل	جرحا
------	------	------	------

١٤٤٨، ١١٤٧	(عبد الله بن الزبمرى)	مجزوء الكامل	ورعا
------------	-----------------------	--------------	------

١١٤١	طرفه	سريع	واخيه
٧٣٧	(ابن هرمة)	متقارب	شحاها
٨٠٣	(» »)	»	جناها
١٠٠	أبو ذؤيب	»	الأنوحا
١١٦	» »	»	مشيحا
[١٢٢٧]	جران المود	طويل	يصلح
١١٥١	—	»	تروح
٩٣٥	(أشجع السلمي)	»	النوايح
٥٨٤	(كثير عزة ، يزيد بن الطثرية)	»	* الأباطح
٥٦٤	(أبو ذؤيب) الهذلي ٩٧ ، *	»	شيخ
١٠٤٦ ، ١٠٢٢ ، ٩٨٣	النايفة	»	(جنوح)
١٨٠٨	(أبو ذؤيب) الهذلي	بسيط	أرماع
١٦٩٥ ، ٩٥٨ ، ٧٢١	»	»	نضاح
١٨٠٨	(») الهذلي	»	ضمضاح
١٤٧٢ ، ٢٤٨	(»)	»	* الأماديع
١٥٦٧	» »	»	مرازيح
٧٦١	ابن قيس الرقيات	»	المصاييح -
[٩٥٢]	نهار بن توسعة	»	مفتوح
١٨٥٢	(أبو ذؤيب) الهذلي	وافر	* صحيح
١٠٨٤	(سمد بن مالك)	محز والكامل	فاستراحوا
٩٩٨	(الطرماع)	طويل	فالمضيج
١١٨٦	(»)	»	الموشح
٩٩٦	(عمرو بن الورد)	»	رزح
٩١٤	(أوس بن حجر)	بسيط	بقرواح
٨٦٠	(مطيع بن إلياس)	منسرح	للمدح
(٢٥ - حاسة - رابع)			

(د)

٤٠٦	ممر بن أبي ربيعة	رمل	* الحسد
٧٣٦	—	طويل	* رمدا
[١١٧]	الأعشى	»	المهدا
[٣٩٥]	»	»	مهدا
١١٣	(الحصين بن القمقاع)	»	* يقردا
٣٧٧	—	»	* طاردا
٥٤٧	ابن أحر	بسيط	* القردا
٣٨٤ ، ٣٧	(عبد مناف) الهذلي	»	(المضدا)
١٥٣١	أبو وجزة	»	الجندا
١٧٧٥	—	»	حسادا
[١١٣٩]	عبد الله بن همام	وافر	الخلوما
٤٠٦	—	كامل	وحمودا
٧٢٠	(عدى بن الرقاع)	»	أبلادها
١١٠	عمرو بن معديكرب	مجزو والكامل	بردا
[٩٢٠]	—	مقارب	الباردة
٥٠٤	(حسان بن ثابت)	طويل	الفرود
٢٢٢	(الخطيئة)	»	* والبمد
٥٥٧	()	»	* ورد
١٢١	عمرو بن الورد	»	عبد
٨٦	—	»	السهد
١٦٩٣	—	»	أفود
٣٩٧	ذو الهمزة	»	الرواعد

٧٤	المباس بن مرداس	طويل	لا يحارد
٣١٣	—	»	الأبعاد
١٦٥٤	—	»	جاهد
١٦٨٧	—	»	معاد
٨٩٣	(عبد الله بن ثعلبة)	»	* تزيد
٩٤٤	(» » » »)	»	فبيد
١٤٢٠	—	»	* أريد
١٧٠٤	(الراعى)	»	* جيدها
٨٢	أبو تمام	بسيط	(يالبد)
٤١٤	—	»	حسدوا
٣٧٠	(امراة من بنى حنيفة)	وافر	مجود
١٧٣٧	(مسجاح بن سباع)	»	أبيد
٢٧٧	—	»	* النجيد
١٦٨	—	مجزو الوافر	أجده
٥٨٠	سبرة بن عمرو	كامل	اليد
٩٦٢	محمد بن وهيب	»	نضد
٧١٤	(لبيد)	»	خلود
٢٧٧٥	—	»	حسادها
[٧٦٤]	صخر النى	منسرح	ربد
٦٨١	—	خفيف	الحديد
١١٠٧	—	»	* عيد
١٨٥٩	الطرماع	خفيف	ملتحمده
١٧٤	حاتم الطائى	طويل	الوره
١٨٥٣	(» »)	»	وحدى

١٤٤٨	عارق الطائي	طويل	البعد
١٣٦٨	(النمر بن توب)	»	بعدي
١٣٧٣	(ابن هرم الكلابي)	»	* عهدي
[١٤٩٠]	وضاح بن إسماعيل	»	جمد
٥٦٠	—	»	والحرد
٥٣	(الحطيئة)	»	يهتدي
٨٣١	(دريد بن الصمة)	»	المقدد
٦٧١، ٤٣٩	(عدي بن زيد)	»	ويضهد
٩٧٦	» » »	»	فابعد
١١٣٠	» » » (١)	»	(موعد)
١٠٨	طرفة	»	أنبلد
٨٢٤، ٣٤٥، ١١٦	»	»	المتشدد
٩٤٧، (٨٩٣)، ٨٨٢			
٩٦٨، ٤٩٤	(»)	»	مخلدي
٧٠٦	»	»	* باليد
١٢٧٥ — ١٢٧٤	»	»	مجرد
٣٢١	—	»	* بأوحد
٩٠٨	—	»	(قدي)
٣٤	(الأشهب بن رميلة)	»	خالد
٧٩٢	(أبو ذؤيب) الهذلي	»	واحد
١٦٤	—	»	واقد
٥٢٠	—	»	الأبعاد
١٠٦٦، ٧٢١	مسلم بن الوليد	»	نجد
٧٧٨	(أبو دلامة)	يسيط	أسد

(١) حوايه دريد بن الصمة .

جسدى	بسيط	أخت عمرو بن ود	٨٠٤
* يدى	»	النايفة	١٤٩
والعمد	»	»	(٦٧٧) ، ٦٣٠
فى البلد	»	»	٩٦٧
* بالرفد	»	»	١٨٤٨ ، ١٠٣٢
إبلاد	»	القطاى	١٩٩
مىلادى	»	ابن هرة	[١٢٤٧]
رماد	وافر	حسان	[١٥٩ ، ٦٣]
* ودادى	»	(عمرو بن معد يكرب)	٢٠٢
زىاد	»	(قيس بن زهير) ، ١٤٨١ ، (١٧٧١) ، ١٨٥٢	
القيود	»	أبو تمام	٩٦
يقصد	كامل	(عامر بن الطفيل)	٥٥٨
بالفرقد	»	المتلس	٦٤٥
المسترفد	»	—	١٥٧٨ ، ٩٦٤
أوغد	»	—	[١١١٢]
* للأجرد	»	—	١٤٢٠
الفد	»	—	١٧٥٦
ومعاهد	»	ابن ميادة	[٤٤٧]
تآد	»	الأسود بن يفر	٨٤٣
(والأبراد)	»	(الأعتى)	٢٩٩
بالأجساد	»	أبو تمام	٦٤٦
حسود	»	» »	٤٠٦
(الأبد)	سريع	(عمر بن أبى ربيعة)	٤٠
يرتدى	مقارب	جرير	١٦٢٤
تواد	»	الفرزدق	[٢٤٣]

(ر)

١٥٩٠	ابن عنقاء الفزاري	طويل	جهر
[٨٩٤]	لبيد	»	اعتذر
١٥٢٤	أبو المناهية	كامل	قيصر
١٥٢٤	أبو نواس	»	أشقر
٢٠٥	طرفة	رمل	المؤنبر
٥٢٩، (٢٢٨)	»	»	المسبكر
٥١٤	(»)	»	* الجزر
١٠٧٨	(»)	»	المدكو
١٥٨٥	»	»	(فقر)
١٦٠	(المرار بن منقذ)	»	يزبئر
٧٧	ابن أحمر	سريع	حذر
٥٩٩، ٣٤٠، ١٢٠	(» »)	»	* ينحجر
١٥٧٤، ١٠٧٣			
١٤٦٩	(الأشمر الرقبان)	مقارب	مضر
٨٠	(امرؤ القيس)	»	النمر
١٦٤	» »	»	* مقشمر
١٨٦٩ *، ٥٤٧	» »	»	آخر
٧٠٥	» »	»	(الشطر)
١٣٥٧، ٧٣٦	» »	»	* المنحدر
١٠٧٧	(» »)	»	* يآتمر
٥٤٢	أوس بن حجر	»	تهر
١٨٣٥، ١٠٣ *	—	»	الخر
[١١١٢]	—	»	الكبر

٦٩	—	طويل	شهرأ
٣٧٨	امروء القيس	»	مصورا
٤٣٤	» »	»	أوعرا
١٤١٨	(» »)	»	تيمرا
١٨١٤	(» »)	»	منظرا
٧٣٣	(زفر بن الحارث)	»	تكسرا
١٤٩٦، ٦٥٠	عبد الرحمن بن الحكم	»	فتبرا
٨١١	(الخبل السمدى)	»	الزعفرا
[٧٥٠]	معبد بن علقمة	»	أخضرا
١٥٨	—	»	* أقفرا
٢٦٩	—	»	تمفرا
[٧٤١]	البراض	»	نفارا
١٣٤٠	(أبو ذؤيب الهذلى)	بسيط	المطرا
٣٢٣	(الأعشى)	مجزو الكامل	الجزاره
١٣٥٨ ، ١٢٤١	»	» »	كالمراره -
١٣٠٩	—	سريع	اليسرى
٩٧٨	—	»	المذره
٨٠٣ ، ١١٨ ، ٣٦	عدى بن زيد	خفيف	والفقيرا
١٢٦٣ ، ٤٦٥ ، ٣٣٤	الأعشى	مقارب	* جارا
٧٠٩	»	»	حارا
١٥٧٤	»	»	* إزارا
٨٣١	»	»	المبيرا
١٠٦٤	(»)	»	* غيورا

غاصره	مقارب	نصيب	[١٢٨٩]
الجزر	طويل	(الأيرد اليربوعى)	١٦٩٤
البحر	»	أبو تمام	٨٥٦
البدر	»	»	[٩٤٩]
العند	»	حاتم	١٦٧
الدهر	»	»	٦٥٣
الحشر	»	(سلمة الجعفى)	١١٠٩
الأمس	»	أبو صخر المذلى	٧٣٠
عمر	»	—	١١٥
نهر	»	—	٩٨٣
* جعفر	»	بشر بن أبى خازم	٢٦٢
* ومنور	»	»	٣٦٧
* المذكر	»	ذو الرمة	٨٤٥
ومعصر	»	(مهر بن أبى ربيعة)	١٦٧
تعذر	»	(مهر بن أبى ربيعة) ١٣٤٣، (١٣٧٠)، ١٦٣٥	
تنظرو	»	(» » » »)	١٨٥٣
المحبر	»	—	[٥٢٣]
أبصر	»	—	١٥٨١
قاصر	»	حميد بن نور	١٣٠
* عاقر	»	(دريد، أو مقفر)	١٠٠٨
الزوافر	»	(ذو الرمة)	١٣٢٤
حرار	»	(سبرة بن عمرو)	١٧٨
وقاصم	»	(» » »)	١٦٧٣
واتر	»	محمد بن بشير	[١٠٣٦]

٤٠٣	—	طويل	حادر
١٢٧٨	—	»	قادر
١٤٠٧	—	»	الأباعر
١٠	حسان	»	مضمار
٦٩	سعد بن ناشب	»	الدار
٨١٧	(أبو ذؤيب)	»	* كبير
١٨٢٨	(ابن النمينه)	»	لفقيه
٧٦٩	القطاى	»	* سوافره
١١٢٥	»	»	دوابره
٥٥٧	—	»	* حافره
[٢٥٥]	حريث بن عناب ^(١)	»	كبارها
٢٣٨	أبو ذؤيب الهذلى	»	عارها
٤٣٢	(» »)	»	إزارها
١٧٨٩	» » »	»	* ونارها
[١٠٤١]	» » »	»	يضيرها
[١٤١٤]	الموام بن عقبه	»	مطيرها
١٧٩٦	(عوف بن الأحوص)	»	يستميرها
١٦٤٣، ١٠٩٢	—	»	* شكيرها
[٩٣]	الأخطل	بسيط	قدروا
٤٠٢	(أعشى باهلة)	»	النمر
١٠٦٠	(» »)	»	(سخر)
١٢٤٥	أوس بن حجر	»	عور
٢٨٧	الحطينة	»	شجر
[١١٤٤]	المؤمل بن أميل	»	بصر

٥٢١، ٧٨	—	بسيط	القدر
١٤١١	(الخنساء)	»	عار
٨١٠	(يزيد بن حان)	»	مختار
٧٨٣	—	»	أحرار
٤٣	أوس بن حجر	»	بيازير
٤٠٨، ٢٥٢	(أبو تمام)	مخلع البسيط	* مطير
٥٥٣	—	وافر	* سمار
١٦٥٠	(عنزة)	كامل	كتر
٤٠٣	(مسكين)	»	الأمر
١٠٦١	—	»	ازور
٩٤٧	(مسلم بن الوليد)	»	(والأوعار)
٩٣٦	(عبد الله بن أيوب)	»	كبير
١١٨	(الأعشى)	محزو الكامل	بالحجلوه
(٢٣٩)، ١١١	عدى بن زيد	خفيف	الموفور
١٢٥٧	الراعى	مقارب	أوقر
٨٣٦، ٤١٣	(الأخطل)	طويل	الظهر
١١٦	دريد بن الصمة	»	القدر
٨٣٧	(» » »)	»	قير
٩٨٧	(» » »)	»	نكر
٨٨٢	(المتي)	»	(شطرى)
٩٦٩، ٦٦٦	المنتخل الهذلى	»	الفقر
٣٩١	نهل بن حرى	»	جر
(٤٣٩*، ١٠٩*)	(يحيى بن منصور)	»	الدهر
٧٤٦، ٤٧٥ *			

[٧٣]	—	طويل	الأثر
١٦٥١	—	»	تكري
٦٨٨، ٢٩	(أبو جندب الهذلي)	»	منزرى
١١٢٥	حميد بن نور	»	التدبر
٤٢٦، ٣٥٣ *	(زهير بن مسعود)	»	بنفمر
٦١٠	(شرح بن قرواش)	»	المقطر
٢٥٩	(عاصم بن الطفيل)	»	* مسهر
١٦٩٩	—	»	* بجيدر
٤٨٩	الأخطل	»	عاصم
٧٨	(سلمة بن الخرشب)	»	وحازر
٧٢٥	» » »	»	الأواصر
٧٢٦	» » »	»	وساجر
٨٩٥، ٨٩٠	(عبد الملك بن عبد الرحيم)	»	الحفاس
٣٣٤، ٢٤٤	—	»	* النواظر
٥٩٦	—	»	* للعوافر
٩٧٨	—	»	* قادر
١٥٧٩	—	»	* الحفاجر
١٦٤٣	(علي بن جبلة)	مديد	آره
٩٦٢	أبو تمام	بسيط	هفر
٩٩٩	جرير	»	الذكر
٥٠٠، ٣٨٣	(الراعى، أو القتال)	»	* بالسور
١٢٤٤، ٨٣٠، ٦٠٦	—	»	—
٩٩٢، ٢٧٠	الأخطل	»	بأطهار
١٨٥٧	()	»	النار
[١٤٨٩]	عقال بن هاشم	»	بأشرا

١٤٦٢، ٨٣٠، ٣١٥	(النايقة)	بسيط	عمار
[١٨٦٢]	—	»	نار
٦٢٣، ٤٥٢	—	»	مكفور
٥٨٠	—	وافر	غمر
١٨٥	مهمل	»	بالذكور
٣٩٩	(»)	»	جرور
[٤٤٠]	»	»	مدير
٦٣، ٦٢	(زهير)	كامل	الذعر
٣٨٩، ٣٦٢	»	»	* دهر
١٨٧٩	(»)	»	يفرى
١٥٣٢	هويف	»	والقدر
٣٩٨	—	»	النمر
١٤٤٠، ٤٣٢	أوس بن حجر	»	عبر
٨٥٨	البحترى	»	أقبر
٧٥٤	الأخطل	»	* الأنمار
٩٢٢	(الربيع بن زياد)	»	الأطهار
٣٩	الفرزدق	»	الأبصار
٥٦٣	(»)	»	عشارى
٣٤٢	النايقة	»	بقطار
١٤٥١	(عدى بن زيد)	رمل	(مشار)
٩٢	(الأعشى)	سريع	ضائر
[١٧٣٧، ١٧٠٢]	»	»	كابر
١١١٠	أبو نواس	منسرح	الثر
[٦٧٩]	—	متقارب	الكوثر
١٨١٨*، ١٢٤٧	—	»	مسور

٧٧٤	خداش بن زهير	مقارب	صادر
١٨١٨	—	»	* مسور

(ز)

٨٠	—	طويل	عز
٢٧٢	الشاخ	»	* حاضر

(س)

٧٩٢	امرؤ القيس	طويل	أنفسا
٦٣	حسيل بن سجميع	»	يمارسا
١٧٠٠	(العباس بن مرداس)	»	* القوانسا
٤٩٥	عبيد بن أيوب	»	أنس
١٢٢٤	—	»	وهجرس
٦١	(ربيعة بن الجحدر) الهذلي	»	قالس
٧٨٣	أبو نواس	»	ودارس
١٠٨٧	—	»	* عانس
٩٨٣	(أبو زبيد الطائي)	وافر	السريس
٧٢٧	—	»	جليس
٨٦٩	—	كامل	الأروس

[٣٣٥]	جرير	طويل	أناس
---------	------	------	------

١٨٨٤ ، ٣٠٨	(د)	بسيط	بالنواقيس
٨٧٠ ، ٨٤٩	الخنساء	وافر	نفسى

٦٩٠	—	وافر	بهجمي
١١١١	أبو نواس	سريع	الفاص

(ض)

١٦٦	(زيد الخليل)	طويل	* رضى
٢٥٠	—	سريع	عضا
٦١٦	—	طويل	فائض ^١
٦٨	(ابن أحر)	»	بيوضها
٧٠	—	بسيط	* متفاض
١٠٧٥	(أبو خراش الهذلي)	طويل	يمضى
١١٦٥	(طرفة)	»	* الدحض
٢٠٦	ذو الإصبع	هنج	يقضى

(ط)

٨٧٨	—	رمل	القطا
١٢٨	(المتنخل الهذلي)	وافر	رياط
[٥٤٤]	(» »)	»	والرياط
٩٩٣	» »	»	المهاط
١٣٧	—	سريع	* والمهاط

(ظ)

١٠	خلف	طويل	المتحفظ
----	-----	------	---------

(ع)

٩٠٨	(عبد الله بن القفم)	طويل	* الجزع
٢٢٣	(سويد بن أبي كاهل)	رمل	* بالقم
٣٤٧	() () ()	»	قطع
١٧٣١	() () ()	»	وصلع
٧٣٦	(ابن جندل الطمان)	طويل	مرقما
١٢٢١	(جرر)	»	المقنا
٥٥٩	(حريث بن عناب)	»	أجما
٩٥٢	(الحسين بن مطير)	»	تصدما
[٣٨٢]	سنان بن أبي حارثة	»	أجما
٣٧٦	(الكلجة المري)	»	* لنفزا
٥٥٤	() ()	»	إسبما
١١٦	متم بن نيرة	»	* ترفا
[٣٢١]	() () ()	»	أفرغا
١٥٢٦، [٧٨٤]	() () ()	»	أروغا
١٠٧٤	() () ()	»	ومصرغا
١٥٥٧	() () ()	»	ثكنما
١٧٤١	() () ()	»	* ودغا
٢٧٢	—	»	جوتغا
٩٣١، ٥٤٠، ٥١٣، ١٢١	الأعشى	بسيط	* تبغا
١١٥٩	()	»	والفرغا
[١٦١٨]	أبو دهبيل	»	زغا

[٦٧٥]	قبط بن يمر	بسيط	مما
٦٨٥	» » »	»	طمما
[٧٦٥]	الحارث بن ظالم	»	طلاما
١٥٧٤	(أبو زياد الأعرجي)	وافر	* القنعا
١٣٥	القطامي	»	اتبعا
١٣٥	(»)	»	انصدعا
٩٩٨	»	»	* الرنعا
١٦٢٧	»	»	* السيعا
١٧١٠	»	»	الصدعا
	أبو القيس بن أبي الأسلت ٧٦٩	»	انترعا
[١٠٠٧]	—	»	مضعا
١٠٦٧	أوس بن حجر	منسرح	وقعا
١١٥١	(الأضبط بن قريع)	»	رفعا
٨٢٢	(إسحاق بن حسان)	طويل	أوسع
١٦٤٤	الأعشى	»	وأشبع
[٩٥٣]	البراء بن ربي	»	وأمنع
[١٢٨٥]	بكر بن النطاح	»	تسمع
٧٧١	أبو تمام	»	أززع
١٠٥٣	الخرمى	»	لمو جمع
١٠٦	(أبو الرئيس الثعلبي)	»	(أززع)
١٥٧٧، ١٥٧٧، ١٠٩٨	(عتبة بن بيجر)	»	يهجم
٧٨٧	(مسمود أخو ذى الرمة)	»	أوجع
٨٠١	—	»	المتضمضع
١٠٦٩	—	»	أتمشع

١٣٣٨	—	طويل	فأنبع
١٦٩٣	—	»	يوسنع
[٩٥٠]	التيمي	»	صنائع
١٤٢١	(أبو ذؤيب) الهنلى	»	* ضائع
١٥٣٢، ٥٣٨	(الصلتان العبدى)	»	تواضع
٣٩٠، ١٤١	(قيس بن عيزارة) الهنلى	»	* ضائع
٩٨٨، ٩٨٠			
١٤٤	(ليبد)	»	الودائع
١٧١٢	(المخضع القيسى)	»	الرواجع
٣٨٥	النافقة	»	واسع
٦٤٩	—	»	وجادع
٣٤٧	(حجر بن خالد)	»	ماتدافعه
[١١١٢]	—	»	جامعه
٧٨٢، [٦٢٧]	عباس بن مرداس	بسيط	الضبيع
٦٦١	(» » »)	»	فينصدع
١٦٢	—	»	الندع
١٥٧٨	(رييمة بن مقروم)	وافر	اليفاع
١٤٦٨	(عبيدة بن رييمة)	»	* يستطاع
٥٨١، ٢٤٦	(عمرو بن معديكرب)	»	* وجميع
١٧٦٥، ١٤٨١، ١٣٨٧، ٦٤١			
٨٦٢، ٥٢	(أبو ذؤيب)	كامل	مصرع
٤٥١	(» »)	»	أربع
٤٨٣	(» ») الهنلى	»	يقتلع
٩٥٥، ٨٦٢	(» »)	»	مستتبع
٨٩٤	(» »)	»	يجزع

١٥٩٤	أبو ذؤيب	كامل	ويصدع
١٧٨٤	» »	»	سلفع
[٧٥٩]	سمدى الجهنية	»	مسلم
٩٤٣	(موبك الزموم)	»	البلقع
٢٣٦	—	»	الطلع
[١٣١٥]	—	خفيف	واجتماع
١٢٢	طفيل	طويل	(مقطع)
٥١٢	—	»	ممنع
١٣٨٣	ذو الرمة	»	بالأصابع
٩٠٠	(يزيد بن الحكم)	»	واضع
٢٩٨	—	»	بشافع
١٧٧١	—	بسيط	* يدع
٦٥٧	(نهشلى)	وافر	صناع
٤٥٣	الشماخ	»	* بديع
[١٢٠٥]	—	»	القنوع
٨٦٧	البحتري	كامل	الأضام
١١٨٥، ١١٠١، ٤٧٦، ٦٩	(الحادرة)	»	للأصراع
٢٩	(عمرو بن معديكرب)	»	سافع
١١٥٤	(المسيب بن علس)	»	هلواع
١٥٢١	—	سريع	أربع
٩٦٧، ٧٥ *	(أنس بن العباس ^(١))	»	الراقع
٧٧١، ١٦٠	(أبو قيس بن الأسلت)	»	تهجاء
١٤١	(» » »)	»	(مجزاع)

٨٣٦	(أبو قيس بن الأسلت)	سريع	يجمع
١٠٨٦	(» » »)	»	* جماع

(ف)

[١٢٨٥]	بكر بن النطاح	بسيط	منصرفا
١٣٨	أبو تمام	كامل	(النظريفا)
١٢١	حاتم	طويل	ويخلف
٥٣٥	الفرزدق	»	أعرف
١٦٦٠	»	»	أدنف
١٢٣٩	—	»	يألف
١٣٤٨	(أوس بن حجر)	»	مساءن
٧٧٦	(كعب بن جميل)	»	* المصاحف
٣٦٤	(مزرد)	»	وزائف
[١١٣٣]	—	»	قائف
١٥٢٧	—	»	المطارف
٨٧٦	الأحوص	بسيط	الأنف
[٧٧٣]	جريبة بن الأشيم	كامل	يعرف
١٥٧٨	المرقش	طويل	* للزعانف
١٥٩٤	(»)	»	بالمصايف
١٠٩٢ ، ١٠٤٤	(الفارعة ، فاطمة)	»	طريف
١٨٨٤ ، ١٤٤٧	(الفرزدق)	بسيط	* الصيارييف
٩٠٣٢ ، ٩٧٠ ، ٢٩٤	بشر بن أبي خازم	وافر	(شاق)
٢٨٤	(أبو خالد القناني)	»	الضفاف

٢٤٤	—	وافر	(خلاف)
٣٠٣	(أبو كبير) الهذلي	»	كالخفيف
٥٤١	(» »)	»	معروف

(ق)

٣٥٢	—	رمل	علق
[١٨٥٦]	بلال بن جرير	طويل	علقا
١٦٧٥ ، ١٥٨٣ ، ٣٤٥	زهير	بسيط	ورقا
٤٤٩	»	»	اعتنقا
[١٨٦٠]	»	»	طرقا
٦٢٧ ، ٤٦٠	—	»	* وهقا
١٨٦٠	—	»	* طرقا
١٨٥٩	(أبو دواد الإيادي)	»	ساقا
٨٢٠	—	مخلع البسيط	يضيقا
[١٢٠٣]	—	منسرح	حرقه
١٨٤	الأعنى	طويل	يتمطق
١٦٩٦	»	»	والملق
١٨٢٠	ذو الرمة	»	يبسق
١١٠٢	عبد الله بن أبي بكر	»	تطلق
[٦٢٠]	الأعرج المني	»	متضابق
١٢١٧	(المجنون)	»	البنائق
١٣٨٩	—	»	الفرانق
٧٥٤	بشار	»	لحقيق

١٣٧٨	حميد بن نور	طويل	تذوق
١٤١٩	—	»	طروق
١٠٣٩	طارق الطائي	»	* سابقه
١٤٤٧، [١٤٤٦]	» »	»	عارقه
١٤٤٧	» »	»	وشائقه
٢٩٨	(مسلم بن الوليد)	»	تواقفه
١٥٨٠	—	بسيط	* تسبق
٥٤	(زغبة الباهلي)	وافر	(حذين)
١٤٧٢	—	منسرح	تحترق
١١٤	أبو تمام	متقارب	أعرافها
[٣٤٣]	جزء بن ضرار	طويل	المزق
٣٧٢، (٣٦٨) ^(١)	ممقل بن جوشن	»	مشفق
١٠٤٥	(الشاخ)	»	بأسوق
١٠٦	—	»	المفارق
١٩٧	(تأبط شرا)	بسيط	واشفاق
٣٧٦	» »	»	(براق)
[٧٢٢]	» »	»	غيداق
٨١٩	(» »)	»	غساق
١٦١٥	» »	»	(أرفاق)
١٧٠٨	» »	»	تخراق
١٨٠٩	» »	»	* أرواق
١١٤٣	—	وافر	(ساق)
٧٢٨، ١٣٠	(كعب بن مالك)	كامل	(تلحق)

الإحراق	كامل	—	٤٥٣
الرائق	سريع	أبو عامر	[٧٥]

(ك)

صلتك	منسرح	أبو تمام	[١٦٣٠]
حالك	طويل	عمران بن الهيثم	٩٤٢
شمالكا	»	—	[٨٢]
لايقكا	هزج	علي بن أبي طالب	٣٣١
ضنك	طويل	ابن أبي عيينة	[٦٨٩]
والمسالك	»	(تأبط شرا)	٦٣١
الضواحك	»	» »	٦٩١
المهالك	»	(» »)	٨٣٣
بدا لك	»	ابن الدمينية	١٤١٥
السنايك	»	طرفة	٦٤
جمالك	»	»	٩٧١
مالك	»	(متم بن نويرة)	٨٩٠
المساويك	بسيط	(بشار بن برد)	١٢٨٢
الملوك	متقارب	—	٤٩

(ل)

والجبل	طويل	امراة سالم بن قحطان	١٥٨٢
بالأمل	ومل	ليبد	١٤٨

٢٠٤	ليد	رمل	* جلل
٦٠٨ ، ٢٩١	»	»	* بجل
١٨٢١ ، ٣٢٢	»	»	الأول
٣٧٠	»	»	الجلل
٤٩٦	»	»	عقل
٥١١	»	»	* الأجل
٩٧٧ ، ٧٣٨	»	»	ويجل
٩٧٧ ، ٧٣٨	»	»	* بالفتمل
١٤٧١	»	»	المبتذل
١٦١٤	»	»	الأفل
٨٠٧	الناينة الجمدى	»	واكل
٨٠٨	—	»	فل
١٩٧	—	مقارب	الأجل
١١١٩	—	»	نفل
٩٨	(أوس بن حجر)	طويل	تا كلا
٢٩٦	» » »	»	(مغولا)
٢٩٦	» » »	»	(جحفلا)
١١٣٠	» » »	»	مزيلا
١٦٤٠	» » »	»	توصلا
٢١٥	(جابر بن ثعلبة)	»	تمولا
١٦٤٥	(ضبابي البرجي)	»	أخولا
١٠٦	(الناينة الجمدى)	»	غلا
٥٧٢	—	»	* منهلا
[٥١٣]	حجر بن خالد	»	ونافلا

٥١٤	ليبد	طويل	(المفاصلا)
٩٦٥ ، ٣٧٢ ، ١٤١	(الراعى)	»	ابتدأها
٧٤٨	كثير	»	وأذالها
١٦٥٣	حاتم	بسيط	سبلا
٤٨٦	—	»	مالا
٣٤٣	(ذو الرمة)	وافر	(مالا)
٧١٥	»	»	قذالا
١٣١٢	—	»	الخيالا
٧٤٠ ، ٧٩	(الأخطل)	كامل	الأغلا
١٢٢٠	جرير	»	ومجالا
٧٥١	الراعى	»	مقتولا
١٢٥٧	»	»	ذولا
١٨٦٤	(»)	»	قيلا
٧٤٨	قيس بن معديكرب	»	نهاها
١٦٠٨	(ابن زبابة)	مربع	أخواله
٢١١	(الأعتى)	منسرح	• نجلا
٩٨٩	»	»	مهلا
١٨٩	مهلهل	خفيف	نمالا
٤٩٩	(النابغة)	»	• وفغولا
١٢٥	(الخنساء)	متقارب	قالها
١٩٨ ، ١٤٠	(»)	»	أوق لها
٦٦٢	(»)	»	أبطالها
١٨٣	زهير	طويل	• ويستملوا
١٥٤٤	»	»	• يحلو
٨٣٩	(عبد الرحمن بن داود)	»	النسل

[١٤٦٩]	عبد الله بن إهمام	طويل	نمل
١٢٥٠	—	»	القتل
١٤٥٠	—	»	البقل
٩٥٣، ٢٢٨	أوس بن حجر	»	* تأمل
٨٢٩، ٧٤٥	أبو تمام	»	(أطول)
١٢١	(زفر بن الحارث)	»	* محجل
٧٢٤، ٤٩٠	الشنفرى	»	أول
٧٢٨	»	»	متمهل
١٢٥	(كعب بن زهير)	»	(جرول)
٦٧٤	(معن بن أوس)	»	منرحل
٧٦	—	»	أعزل
١٣١٨	—	»	وجندل
١٦١٠	—	»	* وأخيل
١٢٤٩	أبو تمام	»	جائل
٥٠	جعفر بن علبة	»	(الأنامل)
١٣١٤	(أبو خراش) الهذلى	»	السلاسل
٢٧	(المزرد بن ضرار ^(١))	»	خامل
٧٤	ابن هرمة	»	* يحاول
١٣٠٣	—	»	باطل
٨٥١	(أبو الأبيض البسى)	»	وسول
٧١٢	(أحد الفزاريين)	»	طويل
٥٥٢	(السموال)	»	(سبيل)
٨٢٤	()	»	(قتيل)
٦٥٤	(طرفة ، كعب بن سعد)	»	ذليل

١٥٤٠	(طرفة)	طويل	بليل
١٠٠٢	—	»	تقول
١٠٠١	جرير	»	تواصله
١٤٢٥	»	»	هو اطله
٥٧٦	زهير	»	معاقله
٦٣٧	»	»	زلازله
٩٥٤	»	»	نصاولة
١٧٢٢	(زينب بنت الطرية)	»	(وسامله)
٦٦٦	الشمردل	»	مسائله
[١٥١٤]	الحبيل	»	قاتله
١٧١٩	(الفرى)	»	* أسائله
١٥٧٣، ٨٨	—	»	(نوافله)
٥٣٣	—	»	* ووابله
١٣٨٣	—	»	مقاتله
٦٦٩	(عميرة بن جمل)	»	يستقيلها
١٣٧٥	ابن هرمة	»	مطولها
٧٥	—	»	* منحولها
٨٥١، ٤٦٩	—	»	خليها
١٠٦٨	—	»	غولها
٦٢	الأعشى	بسيط	نزل
١٣٧	»	»	* قبل
١٠٨١	(»)	»	والقتل
١٢٤٩	»	»	(الرجل)
١٢٦١	»	»	(ينخزل)
١٨١١	»	»	* الوجل

٣٧٨	أبو تمام	بسيط	تنهمل
٧١٤	»	»	والجبل
١٣٥٠	»	»	الطلل
[١٨٩]	الراعى	»	الأمل
٤٥٩	(نصيب)	»	(النزل)
٢٥٣	—	»	* بخل
٣٨٦	—	»	(والممل)
٤٤٤	—	»	قتلوا
[١٦٧١]	حسان	»	السال
١٦٩٠	الراعى	»	مدخول
٣٩	(كمب بن زهير)	»	* الفول
١٧٠	امرؤ القيس	مخلع البسيط	النمال
٥٤٢	» »	» »	الغزال
٢٥٢	(الأعلم الهذلى)	وافر	طويل
٩٢٠	(أبو خراش)	»	الجبل
٧١٨	(ساعدة) الهذلى	»	* والكلول
٤٠	عتيبة بن الحارث	»	* قليل
٣٣٧	(عمرو بن مسمود)	»	يصول
٧٤٥	كثير	»	وطول
(١٦٦٤ ، ١٧٦٠ ، ١٨٢٥)	(»)	مجزو الوافر	الخلل
١٣٥٩ ، [١٣٥٣]	الأحوص	كامل	موكل
١٦٥١	(المقنع الكندى)	»	قليل
٤٢٧ ، ٢٧٧	بشامة بن الندير	»	وقتاها
٧٢٧ ، ٥٣٩			
٥١٥	—	مجزو الكامل	لا يحفلوا

٩٢٤	(عشمة بنت مطرود)	هنج	ما الدخل
٨٢٠	(تأبط شرا)	خفيف	مدل
١٢٣٧	—	»	القليل
١٣٤١	—	»	القليل
٨٠٩	(بكير بن الأخنس)	طويل	أهلى
٢٢٤	(جميل)	»	مهل
١٣٣١	(الحسين بن مطير)	»	أهلى
٤٧٨	أبو ذؤيب	»	(النحل)
١٠٦٣	زيد الخيل	»	عجل
[٨٦٦]	سميد بن أنيس	»	(أهلى)
١٠٩، [٧٨٤]	عمرو بن كلثوم	»	القتل
١٦٧٤			
[١٢٥٠]	—	»	شكلى
١٦٩٣	—	»	نصلى
٦٧	(امرؤ القيس)	»	* عل
١٥٩، (٣٤٠)	» »	»	عقنقل
٢٢٣	(» »)	»	* تنفل
٣١٩	(» »)	»	(محول)
٤٦١	» »	»	* بالتنزل
٥٢٨	» »	»	* المقتل
٧١٠	» »	»	بجندل
٧١٥	» »	»	(المتفضل)
٧٧٦	» »	»	* مقتلى
١٥٠١، ١٢٤١	» »	»	* فحول

١٣٦١	امرؤ القيس	طويل	ممجّل
١٣٦٩	» »	»	* تفضل
١٧٧٠	» »	»	(بأمثل)
١٨٢٨	» »	»	* بمأسل
١٨٣١	» »	»	جندل
١٨٧٤	» »	»	* تنسل
[١٤٧١]	ذو الرمة	»	المعسل
[١٧٠٣]	زياد الأعجم	»	يفصل
٣٥٩	(العباس بن مرداس)	»	(بالمثل)
٦٨	(عبد قيس بن خفاف)	»	* فتحول
١٧٢٧، ٣٥٢	المتلس	»	* مضلل
٦٥١	الزرد	»	ترحل
١٥٦٤	—	»	معضل
٩٧٥	(أبو الشغب)	»	القبائل
[٨١٧]، ٥٧٠	(الناطقة؟)	»	* ذائل
٩٩٤	»	»	المرجل
١٠١٠، ٢٧٠ *	امرؤ القيس	»	الحلى
١٣٥٩، ٤٢٣، ٣١٠	» »	»	حال
٥٣٤	(» »)	»	(وأوصالى)
١٣٢١	» »	»	ولا قال
١٨٤٤، ١٦٢٤	(» »)	»	* إذلال
١٦٢٤	» »	»	الطالى
١٨٧٥	» »	»	مجبّال
[١٠٥]	الأجدع الممداني	»	خذول
١٠	(أبو البيداء الرياحي)	»	دخيل

١٢٣٧، (١٤٣٥)	كثير	طويل	سبيل
١٣٢٤	»	»	بقليل
٥٩١	مهازل	بسيط	الإبل
٨٨٤	—	»	جل
[٨٤٦]	الحريث بن زيد الخليل	وافر	قبلي
٩١	(الأعلم الهذلي)	»	طوال
٣٩٥	(قبيصة بن النصراني)	»	النقال
١٠١	لبيد	»	هلال
٥٧٢	»	»	(الدخال)
٩٠٤	»	»	شمال
١١٧	—	»	مثال
٣٣٢	—	»	الرجال
٣٧٣	—	»	الفعال
١٦٥١	—	»	والجبال
١٧٩٤	—	»	آل
١١٦٧	(امرؤ القيس)	كامل	* الرحل
١٧٨٧، ١٥٣١	البحري	»	يتحول
١٤٠٩	أبو تمام	»	تسهل
٦٦	جرير	»	الأخطل
١٦٢٣	حسان بن ثابت	»	* الأول
(١١٣١)، ٦٩	(عبد قيس بن خفاف)	»	يرحل
١٥٢٨، ١٦٩	عنتر	»	بالمنصل
١١٦٢	()	»	المأكل
٢٥٤	(أبو كبير) الهذلي	»	محفل
١٥٣٥	()	»	الموجل

٢٣٣	—	كامل	عذل
[٧٩١]	—	»	الآهل
١٦٩٠	أبو تمام	»	المالى
، (٢٥٢)	(عمرو بن معديكرب)	»	جبول
٤٠٨ ، ٣٦٨			
٩٧٨ ، ٨٢٧	—	»	بالمطول
٣٢٨	—	»	بشمالها
٦١	(الفند الزمانى)	هزج	نصلى
٥٢٢	(» »)	»	تستغلى
١٨٤٧	(» »)	»	إجفال
١٧١٥	(المتنخل) الهذلى	سريع	* الأسول
٦٠ ، ٤١	امرؤ القيس	»	* الباسل
٨٣٩ ، ٦١٢	» »	»	شاغل
١١٦٧	(» »)	»	واغل
٣٠	وداك بن ثميل	»	أبطال
[٥٤٤]	—	منسرح	- جله
١٣٢١	أبو تمام	خفيف	الخيال
١١٧	(عمر بن أبى ربيعة)	»	الذيول
١٧٨٤	—	»	جمله
٣٧٧	(أمية بن أبى عائذ)	متقارب	اندمال

(م)

٧٤٧	(راشد بن شهاب)	طويل	* والقدم
١١٩٤ ، ٨٩٨	(» » »)	»	* زعم

١١٩٤، ٨٩٨	(راشد بن شهاب)	طويل	* تدم
٣٦٤	—	»	الأدم
٨٧٦	—	كامل	عدم
٤٥٨	(الرقش الأكبر)	سريع	غم
١٨٥٣	—	عجزو الخفيف	الدم
٤٢٥	الأعشى	متقارب	المرنجم
٨٢٦، ٦١٢	»	»	يقم
١٥١٥، ١٣٤٠	»	»	الرحم
١٧٢٩	»	»	* محتم
٥٨٠	—	»	حلم
٦٦٨	(أيمن بن خريم)	طويل	قضا
٤٥٠	(الحصين بن الحمام)	»	القوما
٤٥١	(» »)	»	مقدا
٨٦٦	(» »)	»	وأكرما
١١٣٣	(حميد بن ثور)	»	* وتسما
١٥٢٠	(» »)	»	وإعما
٥١٦	(شقران مولى سلامان)	»	تخزما
٠٨٨	عبدة بن الطيب	»	* سلسا
٣٩٥، ٦٦	التمس	»	ميسا
٦٦٧	(»)	»	لصما
١١٣	—	»	ليمصا
١٢٠	—	»	مبرما
٤١١	—	»	توها
٨١٤	حزوين بن النندر	»	نادما

١٧١٤ ، ١٣٦٦	الرقش	طويل	طاعما
٤٤	—	»	* واباباما
١٤٣	—	»	سالا
[١٤٥٣]	امراة من عائدة	»	حكيا
١٢٢٧	أبو تمام	بسيط	الصنما
١٧٦٠	» »	»	نما
١١٠٨	—	»	* والرخا
[٤٣٩]	الأعرج المعنى	وافر	قاما
[٣٢٩]	—	»	* أماما
٦٠٨	(أبو تمام)	كامل	نما
٥٨٥	(الربيع بن زياد)	مقارب	فاستقدا
٢٨	—	»	* الفما
١٦٦٦	(ربيعة بن مقروم)	»	كرما
١٢١٠	(مالك بن حريم)	طويل	مذمم
٦٦	الأعنى	»	* - واسم
١٥٧٠	(كثير غزاة)	»	عالم
٨٢٤	(عبد الصمد بن المذل)	»	تنام
[١٠٥١]	أبو حكيم المرى	»	حكيم
٢٥٧	(ساعدا) المذل	»	* لحيم
٣٢٢	(عمر بن أبى ربيعة)	»	يدوم
١٣٠٥	(واقدا بن المفطريف)	»	لسقيم
٩٦١	—	»	ألوم
١٦٢٥	—	»	(ونيم)
٦٣٨	(أبان بن عبدة)	»	قادمه

٤٠٩	ليبد	طويل	(نيامها)
[١٤٧٩]	البميث	»	قديمها
١٥٢٠	(الفرزدق)	»	(هشيمها)
٨٨٣	—	»	قسيمها
٨٨٦	(طرفة)	مديد	قدمه
١٢٥٧	»	»	* أرمه
[٧٤١]	خداش بن زهير	بسيط	والحرم
[٧٧٧]	» » »	»	شبه
٨١٩	(زياد بن منقذ)	»	* هضم
١٠٥٥ * ، ١٠١	—	»	تضطرم
٨٠٥	(الأحوص)	وافر	* السلام
١٨١٧	(البراء بن تازب)	»	* تضاموا
٤٤٣ ، ٧٩	بشر بن أبي خازم	»	ذمام
١٧٧٠ * ، ٧٣٧ ، ٦١٧	جرير	»	الخيام
١٦٤٣	النايفة	»	الحرام
١١٣	—	»	لا يرام
٣٢٣	—	»	نظاموا
٥٧٩	—	»	الخصيم
١٢٦٠	(الخبيل السمدى)	كامل	عظم
[١٦٨٨]	—	»	جهم
١١٢١	أبو تمام	»	* الدم
[١١٢١]	»	»	يرحم
١٤٨٤ ، ٧٢٥ ، ٣٠٨	»	»	* والإلجام
٥٤٥	»	»	والأوذام
[٥٢٥]	»	»	الإلغام

فهرس الأشعار (الشواهد)

١٩٧١

١٠٩٧	أبو تمام	كامل	مقام
١٢٩٠	»	»	استغرام
١٦٢٠	»	»	أيتام
٩٨٨	أبو نواس	كامل	قيام
٤٨٨، ٨٠ *	الأخطل	»	محروم
٥٣٥	(أبو الأسود)	»	عظيم
٢٩٨	لبيد	»	صرامها
٧٧٢	»	»	* حمامها
١١٣٠	»	»	قوامها
١٤٠٣	»	»	* لجامها
١٧١٣	»	»	(لثامها)
٣٦٠	(الجميع الأسدي)	منسرح	دسموا
١٤٠٤	(» »)	»	اللمم
١٧٠٨	—	»	والأثم
٥٠٩	(فقيد ثقيف)	عجزو الخفيف	حو
١٠٠٧، ٦٠٢	(أوس بن حجر)	طويل	مقروم
١١١٨	(» » »)	»	مسهم
١٦١١	(الأعشى)	»	يعتم
١٨٨٣	(»)	»	* اللم
٥١٢، ٣٨	زهير	»	لهضم
١٦٤٢، (٤٥٧)	»	»	فتنم
٥٢١	»	»	ينظم
١٢٢٤	»	»	* توم
[٩١٩]	المجبر السلولى	»	بالدم

١٢٩٠	عدى بن الرقاع	طويل	التندم
٢٤	كبشة أخت عمرو	»	دى
٢٤	» » »	»	لمطم
(٩٥٨)، ٨٤٨	» » »	»	مظلم
١٥٤٧، ٩٣٨ *	» » »	»	المسلم
١٢٦	—	»	* بالتكلم
١٥١١	—	»	أنجم
[١٥٦٢]	الأبيرد الرياحى	»	حاتم
٤٢٧	أبو تمام	»	والجلاجم
٢٥٦	جرير	»	الأكارم
[٨٨٩]	الفرزدق	»	الدرام
١٤٤٠	»	»	سالم
١١٨	—	»	المواسم
٥٣٩	(عمرو بن قيس)	»	برام
١٨٢٥	—	»	وهيام
[٢٢]	قطرى	»	نميم
١٦٠٦	(الشمر دل)	بسيط	* والكرم
[٨١٦]	الأسود بن يعفر	»	سلام
١٧٨٧، ١٤٨٣ *	الناينة	»	لأقوام
٥٤٦	(مهم الرقاشى)	»	بأقوام
٦٩٥	(الحريش بن هلال)	وافر	للطام
١٣٦٧	ذو الرمة	»	اللاثام
٥٣٦	عنزة	»	الزمام
٣٨٧	—	»	كالصميم
٧٠٥	—	»	نميم

فهرس الأشعار (الشواهد)

١٩٧٣

٧٨٥	—	وافر	* بالصميم
١٠٨٦	—	»	النجوم
٧٦٦	(الأعشى)	كامل	المظم
١٧٦٥ ، ٤٠٠ *	بشر بن أبي خازم	»	بالصميم
٤٨٧ ، ٢٨	عنزة	»	* الفم
١١٦	»	»	* بمحرم
٥٦١ ، ٤٢٠ ، ١٤٤ *	»	»	المنم
١٥٥	»	»	وتحمم
١٥٨	»	»	مقدى
١٢٥٣ ، ١٢١٩	»	»	بزعيم
١٨٨	»	»	يكلم
٥٤٧	ابن هرمة	»	المخضم
١١٦٢	—	»	المطعم
٤٨٦	امرؤ القيس	»	حزاي
١٥٤٦	» »	»	النوام
٣٧١	أبو تمام	»	بالأجسام
[١٨٨]	حسان	»	هشام
١٠٢٥	(مهمل)	»	القدام
٢٢١	—	»	* الأقدام
٤٢٧	(أحد بن بولان)	منسرح	* كرم
١١٨	(مهمل)	»	بدم
١٢٨٩	—	»	القدم
١٠٧	—	خفيف	للأوغام
١٤٠١	—	»	للكريم

(ن)

١٨٧٨، ١٤٠٧، ٣٨٧ (عوف بن علف)	سرف	ترجان
١٣٩ الأعشى	مقارب	* امتهن
٥٣٧ »	»	يفن
٥٨٢ (»)	»	* أوعدن
١٣٢ —	طوفل	جنى
٣١٠ —	»	يختبرونا
٢٤ (قرفط بن أنف)	بسط	إحسانا
٢٤ (» » »)	»	وركبانا
٢٤ (» » »)	»	نيرانا
١٣٠ (» » »)	»	برهانا
٤٥٦ (» » »)	»	* ووحدانا
١٢٢١ (» » »)	»	* لانا
٧٢٣ —	»	* خلصانا
٤٧٧ (بشامة بن حزن)	»	* أرفنا
٧٢٨ (» » »)	»	بأرفنا
[٤٤٠] (الفصل بن الباس)	»	وتؤذونا
٥٨٥، ٣٥٣ ابن أفر	وافر	تكونا
١٢٧٧، ١٨٨ عمرو بن كلثوم	»	سحفنا
١٠٦١، ٤٦٣ » » »	»	والجبفنا
٥٤٣ » » »	»	القرفنا
١٠٨ الفرزاق	»	هنفنا
٣٩٦ —	»	روفنا

٨٧٠	—	وافر	الظنوننا
٣٣٨	(المتنبى)	كامل	أمكنا
١٦٠	(عمر بن أبى ربيعة)	»	* تجمعننا
١٢٧١	جرير	»	ضئينا
٤١١	(عمرو بن معد يكرب)	سريع	* أنا
١٦٥٤	—	خفيف	سخينا
٨٩٥	(خلف بن خليفة)	طويل	(سكون)
١٢١١، ٨٣٩	(قيس بن الخطيم)	»	قين
١٣٦٧	—	»	* شجونها
٧٦٢	(قنبر بن أم صاحب)	بسيط	والجن
١٦٨٠	—	»	(اللبن)
٣٠٩	(شهل بن شيان)	هنج	* دانوا
٩٣٦	(ابن أحر)	طويل	رمانى
٦٠٥، ٣٠٠	(الأحول الكندى)	»	الطهيان
١١٦٢، ٣٤٤	(رجل من بنى كلاب)	»	* لقضانى
٦٨٥	عبد الرحمن بن حسان	»	الحدان
٩٤٤	(عروة بن حزام)	»	الحققان
٣٠	وداك بن ثميل	»	مكان
٤١٨	(أفنون التغلبى)	بسيط	بالبن
[١٠٤١]	—	»	مئلان
٣٣٠	(ذو الأصبع)	»	لبنى
١٥٢٩	()	»	* أيبين
١٦٩٤	()	»	حين

٤٧٥ (عبدالله بن الحارث السهمي)	بسيط	فيظنونى
٢٩٤ (عمرو بن معد يكرب)	وافر	فلينى
٨١٤*، ٤٧٤ النابغة	»	منى
١٠٨٣، ٨٤٣ (سوار بن المضرب)	»	جان
[١٤٩٩] عبد الرحمن بن الحكم	»	المجان
[١٤٧٩] الفرزدق	»	المجان
٧٣٤ (قيس بن زهير)	»	بنانى
٥٠١ (أبو حية النخيري)	»	* نخوفينى
٢٢٦ رجل من كليب	»	* تشوقينى
٢٧٦ » » »	»	قرونى
١٥١٩*، ٢٨ سحيم بن وثيل	»	* الشؤون
١٠٦١ » » »	»	القرين
١٥٢٨ » » »	»	* الأربمين
١٣٥٦ (الشاخ)	»	عين
١٨٢٠ »	»	اللجين
١٣٩ أبو النول	»	حين
١٥٨٧، ٥٩٠ (الثقب المبدى)	»	يلينى
١٥٨٧ (» »)	»	يبتغينى
٥٥ —	»	الشؤون
١٢٤٣ أبو تمام	كامل	الثانى
٩٧ (بدر بن عامر الهذلى)	»	* قرونى
٥٩٣ (رجل من سلول)	»	بمنينى
[١٤٩٠] وضاح بن إسماعيل	خفيف	اللمن
٦٤٤ (مهر بن أبى ربيعة)	»	يلتقيان
١٤٩٦ محمد بن غالب	مضارب	والناظران

(٥)

غناه	مقارب	المتنخل الهذلي	١٠٧٩، ٩٦٩، ٥٥٢،
			١٥٩٠، ١٠٨٦
أجازيها	بسيط	(بمض بني ققمس)	٣٠٧
سواها	وافر	العباس بن مرداس	١٥٨، [٣١]
رضاها	»	(القحيف المجلي)	١٤٦٢
عيناها	رجز	—	١١٤٧
الوجوه	مجزو الرمل	—	١٧٩٨
أوجهها	منسرح	أبو حنيفة	[٩٤٦]

(٥)

خاليا	طويل	ابن أحر	١٢٥٩، ١٠٨٤
سمائيا	»	أمية بن أبي الصلت	[٧٨٤]
وزاريا	»	(جزء بن كليب)	١٤٧٧
النوانيا	»	جميل	٤٥٩
ورائيا	»	زفر بن الحارث	[١٥٦]
فؤاديا	»	سوار بن المضرب	[١٣٠]
بنانيا	»	(عبد ينفوت بن وقاص)	١٢٤
لسانيا	»	() () () ()	٦٦٦، ١٦٣
القوافيا	»	هوف القوافي	[٢٦٢]
تفائيا	»	الكروس بن زيد	[٦٣٩]

٣٦٢	(مالك بن الرب)	طويل	* بواكيا
٨٩٢	(» » »)	»	مكانيا
١٠٧	—	»	التاسيا
٢٢٨	—	»	* شماليا
[٢٤٧]	—	»	جائيا
٢٨٧	—	»	ثمانيا
٤١٦	—	»	ورائيا
٢١٧	—	»	تلاقيا
١٧٧٨	—	»	خاليا
٨٨١	(أبو المتاهية)	وافر	حيا
٢١٠، ١٠٠	(زهير بن جناب)	مجزو الكامل	التحيه
٦٠٥			
١٤٧٩	—	» الرمل	شكيه
٩٣٣	(عمرو بن ملقط)	سريع	* الهاويه
١٦٥٣		»	للمافيه
٩٣٢	أبو ذؤيب	مقارب	رذئ
٨٦٧	أبو تمام	وافر	سحنئ
٤١٧	(الخطيئة)	»	بسي

(الألف اللينة)

١٠٠٠	—	رمل	بلي
١٣٤	—	كامل	وأى

(أجزاء الآيات)

٢٤١	أرادت لتنتاش الرواق فلم تغم
١٠٧	أقلت مسامة الرجال عديدا
١٦٥٥	ألا بكرت عرسي بليل تلومني
٤٦	الواطين على صدور نعالم
٨٦٦	إليك ابن ماء المزن وابن محرق
٢٩٧	إني إذا الشاعر المترو حربي
٥٣	أني ومن أين عادك الطرب
[٣١]	شدنا شدة فقتلت منهم
[٤٧١]	شرى ودي وشكري من بميد
٣٣٦	صبحناهم فغدوا شامة
١٧٤	عاود هراة وإن معمورها خربا
٣٧٤	عليهن فتیان كجنة عبقر
١٥٨٧	فأنت الندي فيما ينوبك والسدي ^(١)
١٨١٩	فمض يابها الميم ندامة
٣٥٨	قتلت قتيلاً لم ير الناس مثله
١٥٠٥	قرشية يهتز موكبها
٦٠٨	قرى المم إذ ضاف الزماع
٥٤٩	قليل ادخار المال إلا نملة
[٢١٥]	لمية موحشاً طلل قديم
٦٧٢	وأنبأه أن الفرار خزاية

٣٨٩	وزرق كستها ريشها مضرحية
٤١٩	وعراضة السيتين توبع بريها
[١٦٨٨]	يا دار هند عفت إلا أنا فيها
٧٥	يدعون حمساً ولم يرتع لهم فزع
١٦٩٧	يظل على البرز اليفاع كأنه
٤٧	ينوء بصدرة والرمح فيه

٢ - فهرس الأرجاز

٢ - فهرس الأراجاز

١ - الحماسيات

٨٣٥	—	انخلق	أدم بن أبي الزعرار ٢٠٠ ^(١)	لجب
٨٥٠	—	منخرق	عبد الرحمن المعنى ١٩٦	صلبا
٨٥٩	—	دقيق	١٦٨	كتق
٨٨	الأعرج المعنى	الوهل	٨٢٣	دارانها
٢٢٧	—	الوهل	٨٣٩	فاضحه
٨٣٧	—	تدلدا	٢٠٣	سعد
٨٥٢	—	فعد لها	٨٦٠	فعاذه
٨٣٦	أعراي	التدلل	٨٥٥	زندها
١١٩	ابن رميض	ينم	٨٢٧	الطرز
٧٨٩	أعراي	بهمة	٨٥٨	يضيره
٨٣٠	—	الحجلين	٨٤٣	بخير
٢١٩	(سحيم بن وثيل)	أنجته	٢٣٠	كهن
٧٨٢	—	الفق	٨٤٠	الفيش
			٦٦٠	عروف

(١) الرقم في هذا القسم هو رقم الحماسية لا رقم الصفحة .

ب - الشواهد

١٤٧٣	—	دحروجا	١١٥٤ ^(١)	—	نصب
١٢٧١	—	وهرج	٣١٩	—	ولإجاب
٧٠٤	—	الديباح	١٦١٤	(عبدالرحمن المعنى)	الشطبا
[٥٤٤]	—	مكسوحا	١٢٨١	—	جنبنا
[١٨٤٩]	—	فاجحي	٥٧٩	—	تمرقبا
٥٠٦	(المجاج)	مستصرخ	[٣٤٧]	القطاى	لجانبنا
٨٠٤	—	أحد	[٧٩٠]	—	ثملبه
٧٢٠	—	بلدا	٩٠٦	—	ذنوب
٧٧٨	—	واحد	١٦٣٢	—	شريب
١١٤٨	—	باردا ^(٢)	١٨١٩	—	الأريب
٣١١	—	عودا	١٥٤٧	—	القلب
٧٢٢	—	استعدي	١٤٨٢	—	الصياب
٦٠٩	(حميد الأرقط)	قدي	[١٢٩٠]	شماطيط	حدث به
١٠٧٦، ٨٩٦			١٣٠٠	(روبة)	سليت
١٠٩٥	هلال	الشهد	١٧٠٩	(أبو محمد الفقمسى)	أعطيت
٥٥	—	اليدي	١٦٥٧	(المجاج)	مدت
١٦٣٧	—	بالمجد	٣٥٣	—	كنفى
١٠٦٤	(ذو الرمة)	حريد	٣٠٦	—	الساج
٣٩٩	فيناكسر ^(٣)	أبان اللاحق	١٠٥٩، ٧٤٩	المجاج	الأضججا
			٧٩٦	()	تمرجا
			١٨٣١	()	رجا

(٢) انظر قافية (عينها) في فهرس الأشعار (الشواهد).

(٣) من الرجز المزوج.

(١) الرقم في هذا القسم رقم الصفحات

[٥١٧]	دكين	ضرسُ
١٧٢٥	—	أسرسِ
٢٢٠	—	فارضِ
٢١٤	(المعجاج)	قطّ
[٨١٢]	(دريد بن الصمة)	جذعُ
٣٦	(لبيد)	الخليضمة
١٤٥٠	—	سميعُ
١٨٤٦	(أبو النجم)	تضيع
٣٨٩	رؤبة	برزغا
١٦٣٩	(الشماخ)	إسكاف
٤١	—	وافِ
٣٣١	رؤبة	الصيقُ
١٢٦٣	»	البوقُ
١٦٤١	»	كاللقق
٣١٦	(»)	الحقق
١٠٣٢، ٩٧٠، ٢٩٤	—	القرق
[١٦٨٨]	—	الحقق
١٨٥٢، ١٧٧١	(رؤبة)	ولا تملقِ
١٨٤٢ ^(٢)	(عمارة بن طارق)	أيانق
١٥٤١	—	المراق
٥٣٢	(رؤبة)	دونكا

٩٤٤	المعجاج	العبرُ
٧٢٦	—	الشجر
٦٥٥	—	الدار
١١٠٢	(عاتكة بنت زيد)	أصفرا
٦٦	(الحصين بين بكير)	الهدره
١١٥	علي بن أبي أطالب	حيدرة
٢٩٧، ٤٠٧، ٦١١	—	—
١٠٧٨، ٨٦٩، ٦٤٢	—	—
١٥٢٨	عنتره	عنتره
[٣٨٥]	زميل بن أير	داره
١٦١٥	—	نافره
١٤٥٢	—	إعصارها
٢٩٠، ١٠٢	أبو النجم	شعري
١٦١٠	—	—
١٠٩١	—	بشر
١٦٣٦	—	الرير
٢٢٦	(طرفه بن العبد)	تحذري
٣٩٩	(١) أبان اللاحق	الأشرار
٢١٢	(المعجاج)	ضمير
١٦١	—	خدورها
١٦٢٨	—	نسنُ
٣٩٦	—	الشمسا
٥٢٥	—	جيسا
٦٥٩	بيهس	لبوسا

الحليل	الحريث بن زيد الخليل [٨٤٦]	الحم	(رؤية)	١٨٣٤
الكسل	(الشماخ) ٩٨٢، ٦٥٥	القسم	—	١٣٨٠
الذال	(المعاج) ٧٩٦	بالدم	(أبوأخزم الطائي) ٢١٩	
جلا	القلاخ [١٠٣٧]	المؤدم	—	١٦٢٦
وحنظلا	— ٣٠٥	والأدام	(المديل بن الفرخ) ٢١	
التمله	(صخر بن عمير) ٤٣٥	والناسم	— ٤٥	
منتخله	(يزيد بن عمرو) [٥٩٧]	وسوى	(عبدالله ذوالبجادين) ١٢٧٢	
ممرطله	— ١٦٧٧	شكيمه	الكسر [١٠٦٣]	
تهاله	— ٤٢٠، ١٦٢	ما أنقین	(النضربن سلمة) ١٢٩١،	
عمله	أبو النجم ١٤٤		١٥٠٥	
زرسله	» ١٧٣٤	برخان	أخت تأبط شرا [٨٢٧]	
الطول	(منظور بن مرشد) ١٨٥٨	ربميون	(أكرم بن صيفي) ١٣٩٥	
النمل	— ١٨٢٧	الداريون	— ٥٩٥	
المؤتلى	(المعاج) ٧٣٤، ٥٣٩	بنينا	— ١٣٤	
تبدل	أبو النجم ٥٨٢	شجينا	— [١٩٦]	
طالبطل	— ٧٦٩	قران	رؤية ١٠	
نبالى	— ٧١	عفى	(الفرزدق) ١٤٦٢، ٣١٥	
قدم	جربية بن الأشيم [٧٧٣]	المسكان	(ابن ميادة) ١١١١	
الهم	— ١٤٩٩	الشنين	— ١٣٧٢	
دأما	(رؤية) ٨٣	بيّه	— ١٨٥٥	
القياما	مروان بن سراقه [١٥٤]	قنسرئ	رؤية (١) ١٨١٨	
تؤام	— ٥٦٢	بجري	(المعاج) ١١٠١	
أضمه	(المعاج) ٦٣٥	دواری	(») ٧٦١	
أمبرمه	(») ١١٥١			
قتمه	— [٥٤٤]			

٣ - فهرس اللغة

٣ - فهرس اللغة

أتم: المأتم ٥٣٨ ، ٥٦٣ ، ٨٠٠ ،

١٣٦٩ ، ٩٥٢

أثث: أثيث ٦٣٦

أثر: آثروا ١٧٧٢ الأثر ٦٣٦ ، ٦٦٧

مأثرة ٦٠١ المآثر ٨٨١ ، ١٦٣٨

أثل: الأثل ٤٧٦ ، ١٠٤٦ أثلنا ٢٢٥

أجم: أجم ١٧٩٤ أجمت (في وجم)

أجن: آجن ١٨١٩

أحح: أحاح ٤٥٠

أحد: أحد (في وحد)

أخر: استأخر ٧٥٣ المستأخرون

٦٧٩ آخر الدهر ٨٢٥ آخر الليل

١٣٠٠

أخو: إخوتي ٩١٢ من أخوي ٩٥٨

أخي ١١٠٠ أخو الدنيا ١١٥٦

أخو سقطة ١٣١١ لا أخاله ١٠٨٣

لا أخاليا ١٠٩٥

أدب: المآدب ١٥٣٢

أدد: إدد ٥١٨

(أ)

آ: ١٥٤٤

أبد: الأبد ٧٦٦ أبدا ١٠٤ ،

٣٤٠ ، ١٦٣٦ ، ١٨٠٠ أبدة

١٤٣٠ الموبد ١٧٦٩

أبر: يابر ٢٠٥ الأبار ٧٥٧

أبس: نوبس ٦٦٣

أبض: الأبط ، المأبط ٤٣١

أبق: الإباق ١٧٦٩

أبل: الآبل ١٦٣٤ إبلان ١٦٦٤

الأبلة (في وبل)

أبو: أبو الأضياف ٩١٩ أبو ضيف

١٥٦١ أبو المثنوى ٩١٩ ، ١٥٦١ ،

١٥٦٨ ، ١٧١١ أبو اليتامى ١٠٩٨

بأينا ١٤١٦ لا أبالك ٣٥٢ ،

١٦٣٧ ، ١٤٢٩ ، ٥٠٠

أبي: أبيت اللعن ١٠٠ ، ٢١٠ ،

٦٠٥ أبي ٢١٦ ، ٨٣٠ آبي ٦٦٣

أنب: الإنب ١٥٤٧ ، ١٨٦٣

نأسو ١٠٧ أواسيه ٤٠٤ الاسى

٨٤٨ ، ٨٧٠ التأساء ٢٠٧ الأواسى

١٨٥ ، ١٠٨٧ أساة ١٦٥٩

مؤتسيان ٦٨٤

أشب : يؤتشب ٦١٥ الأشب ١٤٢٤

أشب ٣٣١ أشانب ٧٢٨

أشر : الأشر ١٨٨٠

أشى : الأشاءة ١٤٠١

أصر : الأواصر ٦٥٥

أصل : الأصيل ١٠٢٢ الأصائل ١٤١٧

أصلاً ٥٣٥

أضم : الأضمات ٤٤٣

أطر : الأاطر ٥٩٩

أطل : الأطلال ١٦٤ ، ١١٠٨

أطم : الأطم ١٤٠٠

أف : أف ٨٢١ ، ١٢٠٤

أفق : الآفاق ١٠٠

أفك : الإفك ١٥٢٢

أفل : إفال ٢١٧ ، ١٥٨٢ ، ١٧٠٩

أفن : الأفن ١٥٨٤

أقط : الماقط ٢٥٧

أكل : أكلت دما ١٨٦٧ الأكل

أدم : الأدم ٢٨١ الأديم ٤١٦ ، ١٤٣٤

الأدم ١٠٩٧

أدو : أداوى ١٨٢٧

أدى : آدام ٨٤٣

أذن : إذنا ١٤٥١ ائذنا ٦٧٦ بإذن

الله ٤٥٢ أذاني ١٨٢٤

أرب : الأرب ٧٥٨

أرج : الأريجة ١٣٣٢

أرض : أرضك ١٧٨٣

أرق : أرقت ٩٩١ ، ١٨٠٧ يورقى

١٠٦٧ أرق ١٨٤٧

أرك : الأراك ٤٧٦ الأوارك ٩٤

أرم : الأرم ٥٧٦ أرومة ١٥٩٨

أرن : أرن ١٨٨٠

أرى : الأرى ٨٣٢

أزر : الأزر ١١٨٠ مؤزر ١٤٩٣

أزق : المازق ١٢٩ ، ٦٢١

أزل : الأزل ٧٠٢ ، ١٧٧٣

أزم : أزم ٣٠٦ — ٣٠٧ أترم ٧٧٥

الأزم ٥٧٦ الأزم ٧٧٠ الأزم

١١٩٨ الأزم ٣٩١

أسل : الأسل ٢٥٢ ، ٧١٦ ، ١٠٥٧

أسو : آسى ٨١٨ ، ٩٨٩ آسو ٩٥٦

- أمس : أمس ٣٢٤
 أمل : أمل ٦٣٩ تأميلي ١٧٣٦
 أمم : أمم ٢٨١ الأم ١٧٦١ الأم
 ١٦١١
 أمن : أمنا ٨٦٤ انشمنتك ١١٣٩
 الأمون ١١٣٧
 أمو : أم الأرض ١٠٢١ الطعام ٧٥٧
 العيال ٧٥٧ المتوى ٩١٩ ، ١٥٦١
 ١٥٦٨ النجوم ٩٩ ، ٧٥٧ لأمه
 المبر ١٤٠٥
 أنس : أنست ١٤٣٤ أنسة ١٧٦٦
 الأنس ٩٩ ، ٢٥٧ أناس ٨١١
 آنسة ١٣٥٦ أوانس ٩٥١ آنسات
 ١٨٥٣
 أنف : أنف ١٦٤٥ أنف ٥٨٦ أنفا
 ٧٣١
 أنق : أنيق ١٣٢٣ موني ١٤٧٤
 أنى : أنى ١٠٠٩ الاستيناء ١٣٢٠
 الأناة ٦٤٧
 أهب : الإهاب ١٨٨٠
 أهل : أهلاً ٣٧٧ تأهيل ٣٧٧ أهلاً
 ١٣٤٧
 أوب : أبت ٨٣ أبنا ٦٢٢ أبك ١٠٠٢
- ١٧٧٣ الأكل ٨٨٨ ، ١٤٦٠
 الأكيل ١٦٦٩
 أكم : الأكم ١٤٠٤ الأكم ٥٩٦
 ألق : المألق ٣٦٦
 ألك : ألكنى ١٠٢٧
 ألل : الألة ٥٩٢ ، ٧١٩ الإل ٦٢٧
 مؤلة ٦٧٤
 أله : لله ١٥٠٤ لله تيم ٦٨٢ لله دره
 ٦٧٢ ، ١٠٤٤ لله درى ١٤١٨
 لله درك ١٦٢٧ لله ريب الحادئات
 ٨٦٣ لله عين ١١٠٣ لله قوم ٧٢٨
 الإله ٧٨٤ ، ١٦٧٤ الله أبصر ٣١٧
 بيت الله ونحوه ٨٦٣ ستر الله
 ١٣١٤ ضمان الله ١٣١٦ كجاب الله
 ١٨٤٥
 ألو : تالى ، انطلى ، آلى ٥٩ ، ٥٥٨
 آليت ١٤٥ ، ١٠٧٦ ، ١٧٢٢
 أولي ١٦٣٦ لم آل ٨٤ الألية
 ٩٧٩ آلي ٥٤٠ مؤتل ٢٤٦ آليا
 ١٥٤٤ الألة ٥٦٧ ، ١٠٢٦
 ألى : الآلا ٩٢٦
 أمر : أمر ١٦٥٦ انقمرت نفساه ١٠٧٧
 الأمر ٨١٥

بأو : البأو ٦١٨	تأوب عيني ١١٠٣ يأتاب ٦٤٤ ،
بقت : البقات ١٨٢٣	١٤٠٢
بتك : باتك ٩٨	أود : تؤود ٩٨٤ تؤودها ١٢٨٣
بقل : بقيل ١٣٤١	أور : أوار ٥٢٤
بثث : مبثوثة ٢٠٩ البث ٨٨٠	أوق : الأوق ٦٩٩
بجل : بجّل ٢٩١ ، ٦٠٨ أباجله	أول : آل ٤٥٢ ، ٦٢٣ ، ٩٦١ آلة
١٠٤٧ ، ٩٢٠	٦٠٠
بدأ : يبدؤه ٤٠٧ البدء ٥١٣	أوى : يأوى ١٢٧٧
بدد : تبددت ٨١٧ البدد ١٧٨ لا بدّ	أيد : المؤيد ١٧٦٩
٤٩٦ ، ٨٦٢ لم يكن من بد ٧٣١	أيس : يتأيس ٦٦١
البادآن ٩٧٤ البدد ١٨٨٣	أبيض : أض ٥٦٨ ، ٧٥٧ ، ١٤٤٦
بدر : ابتدرنا ٤٨ بتدر ١٠٣ يبتدرونه	أيم : آمت ٥٠٩ تثيم ١١٩٦ التأييم
٣٣٨ البوادر ٣٢٢ ، ٨٨٠	٤٩٢ الأييم ١٢٨٤ الأييم ١٨٧٢
بدل : استبدلى ٣٥٣	الأيى ٣٦٢
بدن : البدن ١٠٢٣ الأبدان ١٧٦	لأين : الأين ١٢٨٤
بادن ٣٢١ مبدّن ١٧٩٢	أيه : إيه ١٤٧٢
بده : بداهة ٣٢٣	أبي : آيات ١٤١٠
بدو : بدا ١٠٠٣ البداء ١٠٠٣ البداة	
١٠٨٣ ، ٩١٣ ، ١٦٦	(ب)
بذخ : باذخات ٦٨٦	بأول : البآدل ٩٢٠
بذعر : ابذعرت ١٦١	بأر : البئر ٥٩١
بذل : ابتذلت ١٤٢٤	بأس : بش ٣١٨ بئس ٢٥٤ بؤسى
برج : ما برج ٣٣٤ ، ١٣٨٦ البارح	٢٥٩

- برو : البرى ٦٧٧ ، ١٢٥٨
 برى : تبارى ١٨٠٩
 برز : بزنى ٨٣٠ البرز ١٤١ ، ٣٩٠ ،
 ٩٨٠ ، ٩٨٨ ، ١٠٩٤ ، ١٤٢١
 البرز بر ٣٦٧
 بزل : البزل ٦٧٧ ، ١٦٦٧ البازل
 ١١٣٧ ، ١٧٠٠
 بزو : أبزك ١١٢٧ أبزى ٢١٤
 بستن : بستان ١٦٢٧
 بسس : البساس ٥٩٤ المبسّين ١١٦٩
 بسط : بسّاط ١٨٣١ البسطة ١٤٢٤
 البسيطة ١٠٢٥
 بسق : باسق ٧٩٤
 بسل : البسالة ٤١ المباسل ٤٥ مُبسل
 ٤٩١ باسلة ٦٩ باسل ٥٣٦ باسلون
 ٧٦٧ مُتبسل ٥٨٨
 بسم : التبشّم ٨٨٩ بسم ١٧٩٧
 بشر : باشرتها ١٢٥٨ بشرم ٦٥٥
 أبشرى ٤٨٩ بشر ١٨٧٠ بشير
 ١٣٠٦
 بشم : يشمه ٦٤١ ، ٨٣٦ البشم ٧٧٧
 بصر : تبصرت ١٤٢٤ أبصر ٧٥٨
 الله أبصر ٣١٧ مُبصر ١٦٧٩
- ٢٧٢ ، ٨١٧ لست بارحا ٨٧٧
 مبرّح ٤٦٥ لا براح ٥٠٦ تبرّيح
 ٢٦٣
 برد : البرد ١٧٤ عارض برد ٤٤٥
 البرد ١٤١٤ برد الأنيا ١٣٠٥
 بارد ١٣١٠
 برذن : براذين ١٥٠٨
 برر : برّت ١٨٦٤ برر ٥٩٥ البربرة
 ٣٦٧
 برز : أبرزت ١٦٩٧ أبرزن ٩٩٦
 برزت ٥٥٤ البراز ٩١٠
 برض : تبرّضا ٨٦٩
 برق : برقت ٩٢ أبرقت ٧٣٠ البارق
 ١٨٠٧ البوارق ٦٢١ الأبرق ٧٨٤ ،
 ١٥٤٧ الأبارق ١٧٤٦ الأباريق
 ١٢٧٠ البراق ٥٥٥
 برك : بارك ١٦٩٠ باركت ١٠٩٠
 بُورك ١٧٩٨ برّكت ١٥٦٦
 البرك ٥١٠ ، ١٦٩٨ حك برّك
 ٢٩٣ البركة ١٤٦
 برم : الإبرام ١٢٤٩ البرم ٣٥٣ ،
 ١٣٩٣ البريم ١٢٦٢ ، ١٦٠٨ ،
 ١٧٠٤

بفر : بفر ٧٧٧
 بغض : أبيض ٦٢٨
 بنى : بنى ٤٢٩ تبنى ٢٤١ بنانى داء
 ١٨٢٨ البنى ١١٩٣
 بقع : البقعة ٢٠٨
 بقل : بقل ٩٨٢ بقل ٩٨٢ البقل
 ١٥٣٥ مبقل ١٤٧٤ مبقلة ١٥٣٦
 بقى : بقى (طائية) ١٣٨٩ البقية
 ١٦٩ ، ١٠٧٥ ، بقيتنا ٨٩٣ البقيا
 ٢٤٦ ، ١٤٥١ ، باقيا ٩٧٠
 بكأ : أبكأ ١٧٤٠
 بكر : بكر ٧٦٥ ، ٨٤٧ ، ١٦٥٥
 باكرها ١٢٣٦ البكر ٧٠٧ ،
 ١٠٩٢ الأبكر ٢١٧
 بكى : بكى ٩٠٩ بكين ١٧٠٧ بكوا
 ٨٥٣
 بلد : أتبلد ١١٥٠ البلد ٧٦٣ ، ٩٠٣
 البلاد ٧٢٠
 بلم : البلاغم ١٨٨٥
 بلق : البلق ٦٣٦
 بلقع : بلقع ٨٨٦ بلقمة ٩٨٦
 بلل : أبل ٨٧٨ بلال ١٦١٤ بليل
 ١٧٠٨ الأبل ٨٣٢ البلبال ٥٣١

البصائر ١٣٤
 بضع : البضع ٥١٥ البضع ١٥٢٩
 مستبضع ١٤٣٩
 بطح : الأبطح ، البطحاء ٤٩ ، ١٦٢١
 بطر : أبطر ١١٦٤
 بطل : البطل ٢٣٤ الباطل ٣٠٦ البطل
 ٧٦٩
 بطن : مبطن ١٥٣٥ مبطن ٨٩ البطين
 ٦٣٠ ، ١١٣٧ ، بطن ٧٣٨ مبطان
 ١٦٤٤ مستبطن ١٥٦٦ بطائن
 ١٠١٧
 بعث : بعث ٧٩٨ أبعث ١٢٢٧ تبعثوها
 ٣١٣ البعوث ٧٧٩
 بعد : باعدت ١٢١٦ لا تبعد ١٩٢ ،
 ٩٤٦ ، ١٠٤١ لا تبعدوا ٩١٣
 لا تبعدن ٩٠٥ ، ١٠٠٧ ابعد
 ٨٢١ ، ٦٩١ بعيد ٦٨١ ، ١٣٤٣ ،
 ١٦١٧ بعيد ٨٩٠
 بعز : الأباعر ٣٦٩
 بعظ : أبعط ١٠٥٧
 بيع : الباع ١٠٣٨
 بعل : البعل ٦٩٧ ، ٧٦٥
 بنت : البناث ١١٥٥

بهم : أبهم قفله ١٠٥٤ مبهم ٣٩٠

بهم : ١٧١٦ البهم ٦٧٩ البهمة

١١٠٥ البهم ٦٧٩ ، ١٣٩٢

بوا : بواته ١٧٩ بوءوك ٤٣٤ بواء ٢١٣

بوج : بوانج ١٠٩١

بوح : لم تستبح ٢٥ باحة ٦٠١ ، ٩٣٢

البوح ٩٣٢

بوخ : باخ ١٣٤٨ تبوخ ١١٨٥

بوع : بيوع ١٦٤٧ الباع ١٠٦٤ ،

١٧٩٥

بوق : بوائق ١٢٦٣

بول : البال ٣٢١ ، ٦٠٥ بالة ٧١ ،

٣٥٦ ، ٨٥٧ ، ١٤٢٢ البوال ،

بولان ١٦٥

بود : البو ٣١١ ، ٨١٧

بيت : باتت ١٧١٦ باتوا ٣٥٤ بيتوا

٨٨٤ بيت الحق ١٦٧٧ بيتوت

١٢٥٦

بيث : أبيت ٦٦٢

بيد : بيداء ٨٨٦ ، ١٥٣٥

بيض ابتاضوم ١٠٢٠ أبيض ٤١٩ ،

٧٣٠ ، ١٠٤٨ ، ١١٠٥ ، ١٧٥٦

بيضاء ٥٦٩ ، ٧٦٣ ، ١٨٤٦

البلابل ١٦٩٨

بله : بلهاء ١٨٤٦

بلو : بلوناك ١٧٩٥ تبلى ٤٢ البلاء

٦٩٧

بلى : تبلى ٤١ لا أبلى ٥٣٦ ، ١٦٠٣

لايبالى ٧١ ، ٢٠٧ ما أباليه ٨٥٧

١٥٤٥ لم تبلى ١٤٢١ أبلى وأجدد

١٤٧١

بنن : البنان ٢٠٣

بنو : ابن أحلام النيام ١٤٣٧ جد

١٤٨٧ حرة ٥٠ ، ١٣٢٧ القلاة

١٨٥٩ بُنى ١١٩٢ الأبناء ١٣٤

أبينوها ٥٤٨ بلعنبر ونحوه ٢٢

بنات الدهر ٣٨٤ الشوق ١٢١٧

القلا ٣٨٤ نعش ٦٤٤ ، ١٥٣٨

بُنَيَات ٢٨٧

بنى : بُنَتْ ١٦٦ البنية ٤٨٥ البناية

١١٩١ بُدَاة ١٦٥٩

بهت : البهته ٥٦١

بهر : البهير ٥٢٩

بهرج : البهرج ١٢١٧

بهزر : البهازر ١٦٤٩

بهظ : يبهظها ١٣٩٧

تجر: التجار ١١٣٢
 ترب: تربت يداك ٥٤٩ أترَب
 ٩٩٨ تراب له ١٣١٨ أترابي ٤٥٨
 الترائب ١٨٧٠
 نرر: لم أنتر ١٦٧٨ لا تتر ٣٦٦
 نرع: مترع ٧٩٤
 ترك: تراك ١١٢٤
 تعس: تعست ٧١٨
 تغلب: التغلبى ١٥٦
 تلد: التلاد، فى (ولد)
 تلغ: التلعة ٦١٦ التلاع ٣٥٧
 تلل: التلائل ١١٩٧
 تلو: استلقى ١٢٠١ متاية ١٥٦٧
 تواليه ١٨٣٢
 تمك: تامك ١٣٩٦
 تنبل: تنابلة ٦٧٥
 تنف: تنوفة ١٤١٩ تنائف ١٧٣٦
 تههم: التهم ١٤٩٩
 تبع: تباح ١٧٠ ، ٦٣٨ تبعات
 ١٣٢ ، ١١٣٥
 تبع: متابع ١٣٦٩
 تيم: التيم ١٣٨٦
 تيه: يستقيه ١٥٥٨

الببيض ١٧٦٩ العظام البيض
 ١٧١٥ الببيض ١٥٠ ، ٢٥٧ ،
 ٦٣٥ ، ١١٣٨ ، ٦٤٢ ، ١١٠٥ ،
 ١٧٥٦ بيضة الأرض ١٨٠٤ الإسلام
 ٨٠٤ البلد ٥٨٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ،
 ١٠٢٠ البيت ١٠٢٠ الخدر ٥٠٥ ،
 ٨٠٤ ، ١٠٢٠
 بيع: ميثاق ٣٩٢
 بين: استبنت ١١٤١ بين ٦١٢ ،
 ٧٩٨ ، ١٠٩٥ ، ١١٥١ ، ١٢٤١ ،
 ١٢٩٤ ، ١٥٠١ بينا ١٢٠٣ ،
 ١٢٤٦ ، ١٧٨٤ البين ١٢٩٤ بائن
 ٦٠١ البائن والمستعلى ١٠٥٠ ،
 ١١٧٧ ، ١٧٢٢ بينات ١٢٥٣ .

(ت)

تأد: انظر (وآد)
 تأق: تثق ٧٦٤
 تأم: تؤام ، فى (وأم)
 تبع: يتابع ٤١٩ تباع ٧١٥ تباعات
 ٦٧٦
 تبل: التبل ٦١٣ ، ١١٩٣ ، ١٧٧٤
 التبول ١٤٥٦

(ث)

ثار: الأثار ١٥٤٨ الآثار ٣٤٠ ،

٣٥٦ ثائر ١٤٥١

ثأى: أنأى ١٥١٨ ثأى ٦٧١ الثأى

٥٥١

ثبو: أنأى ٨٣٣

ثدن: مثدن ١٧٩٢

ثرب: يثرب ١٧٥٨

ثرد: الثرد ١١٧٩

ثور: الثرة ١٢٠٥ الثرة ٣٦٧

ثرم: ثرم ١٤٠٠

ثرو: أثرى ٧٣٨ ، ٧٣٩

ثرى: الثرى ١١٤ ، ٧٣٩ ، ١١٢٤

ثمل: الثمل ١٤٧٠

ثمر: الثمر ٦١٥

ثفل: الثفل ١٧٦٦

ثقى: أنقيتان ١٨٤٨ الأنقى ١٠٣٢

ثقب: أنقبت ١٦٩٧ ثقب ١٥٠٩

ثاقبه ١٥٩٩

ثقل: مثقل ٨٥ الثقلان ٥٩٧ ثقال

الجفان ١٦٠٣

ثكل: الثكل ٧٤٩ مثاكيل ١٧٠٩

ثلج: مثلوج ٧٨٨ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١

ثلل: ثللت ٨٤٥ الثلة ١٨٨٢

ثلم: ثلم ٢٩٦

ثمد: يثمد ١٣٩٤

ثمر: إثمار ١٨٨٤

ثمل: ثملوا ٨٣٥ الثملة ٤٣٥ الثميلة

٣٣٩ المثل ٤٣٤

ثمن: الثمن ٦٨٩

ثنى: أنثنى ١٢١٩ الثنى ٦٨٨ ، ٦٩٩

الثنى ١٨٨٦ ثنائيا ١٣٠٥ ثنية ٣٢٥ ،

٦٢٨ ثنايا ٢٣٦ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠٩ ،

١٦١٤ الاثنان ١٢١١ ثنتان

٤٥ الأثناء ١٤٥٢ الثناية ١١٩١

مثنى ١٧٣٠ الثناء ١٥٩٦

ثوب: ثوب ١٠٨٢ يثيب ١٣٦٤

ثائب ١١٨٤ الثياب ١٤١ ، ٩٨٠

الأثواب ٩٧٣ ، ١١٤٥

ثور: أثارث ١٤٧٣ أستثيرها ١١٢٤

ثوى: ثوت ٧٣٠ أثويناك ١٦٤٤

ثاو ٣٥٨ ، ١٦٧٠ أبو المئوى

وأم المئوى ١٥٦١ ، ١٥٦٨ ،

١٧١١

(ج)

جاش : الجاش ٩٢٥ ، ١٠٨٥

جاو : الجاواء ٦٠

جبر : الجبار ١٤٠١ الجبار ١٤٨٥

جيس : الجيس ١٤٨٩

جبل : أجبل ٣٠٨ الجبل ١٨٨١

مِجبال ١٨٧٥

جين : جيان الكلب ١٦٥٠

جبه : الجبه ٧٥٥

جبي : جبي ١٨٤٩

جتل : جتلة ١٨٨٣

جثم : أجثم ١٥٥٩ لم يجثما ١٠٨٦

الجمان ٥٢ ، ١٥٥٩ جثوم ١٣٨٠

جثو : أجثو ٥٧٨ جثو ٨٢٣ جثوة

١٨٦٣

جعر : أجعرت ١٤٧٠

جحش : الجحش ٩٦ الجحاش ٣٤٨

جعم : الجمعة ١٦٥ الجاعم ٥٠٢ ،

١٨٦٣

جذب : الجذب ١٧٢٩ جادب ١٦٧٣

جذث : الجذث ٨٢٢ الأجداث ١٠٥٥

جدد : جد ١٨٣٩ جد جده ٧٥ ،

١٣٣٤ أجد ١١٤٥ الجد ١٦٩٧

ابن جد ١٤٨٧ ذوو جد ٢٨٨

أجدك ١٠٢٣ أجدكا ٨٧٦ ،

١٨٥٩ أجدى ١٤١٣ وجدك

١٠٣٢ جديدة ١٢٥٩ جداء ٧٠٧

جدر : جدير ١٨٢ ، ٢٧٥ ، ٣٥٤ ،

١١٥٠ جديرون ١٦١٥ المجدار

١٧٧٥

جدع : الجذع ١٣٧١ الأجدع ٩٣٨

المجداع ٥١٥

جدف : الجدف ٨٢٢ الأجداف

١٠٥٥

جدل : الأجل ٩١ الجداول ١٥٧

منجدل ٦١٠ مجدل ٧٤٣ الجديل

١٢٦١ الجديلة ١٦٥

جدو : الجدا ١٧٥٨

جدي : الجادي ٦٧٤ ، ١٠٦٦

جذب : اجتذبنا ١٤٦٧ تجاذبه ١٣١٤

الجذاب ٥٤٣

جذذ : تجذذ ٥٨٩

جذع : الجذع ١٣٨ الجذع ١٤٥٢

جذل : الجذل ١٨٥٩

جذم : أجذم ٤٨٥ الجذم ١٥٥ ،

جسد : مُجَسَّد ٤٣٥ المجاسد ١٥٤٧
 جسس : مُجْتَسَّ ١٧٧٩
 جسق : الجواسيق ١٨٨٤
 جشم : جشموا ٥٧٣ يَجْشِمُهَا ١١٣٧
 جشن : جواشن ٣٠٥
 جمب : الْجَمْبَةُ ٣١٢
 جمع : الجمع ٨٣٥
 جعل : جَعَلَ ١٧٨٠ ، ١٨٦٠ جعلت
 ، ٢٧٣ ، ٣١١ ، ٥٦٨ ، ١١٢٣ ،
 ١١٢٩ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٥ ، ١٧٤١ ، ٦٩
 الجمالة ٧٨٠
 جفر : الجفر ٤٢٨ الجفير ٣١٢ ، ٤٢٨ ،
 ٧٦٤
 جفل : إجفال ٥٤١ الجافل ١٠٤٩ ،
 ١٢٥٨
 جفن : الجفن ٧٩٤ الجفون ١٢٤٨
 جفو : جُفَاء ٢٧٠
 جلب : الأجلاب ٨٤٤ جُلِبَ ١٨٠٦
 جلد : الْجِلْدُ ٨٥ ، ١٢٣٩ الْجِلْدُ ٨١٧
 الجليد ٦٥٣ ، ١٢٩٩ جِلَاد ٦٧٢
 الأجلاذ ٧٠٩
 جلس : الْجَلْسُ ١٥٦٧
 جلف : الجلائف ١٦٧١
 جاق : الجوائق ١٣٨٦

٤٧٦ ، ١٥٦١ الْجِذَمُ ٥٧٢ ، ٧٧٥
 جذام ٦٩٠
 جرب : أجرب ٥١٠ جَرَبِي ٦٠٤
 جرد : تَجَرَّدَ ١٦٦٧ أجرد ٤٦٨ ،
 ٩١٠ ، ١٤٢٠ ، ١٥٤٧ جرداء
 ١٤٠٣ جُرد ١٥٦ ، ١٤٠٤ ،
 ١٤٢٠ ، ١٧٩٧
 جرد : جَرَّ ١٣٩٠ أجرت ١٦٢ يَجْرُ
 ٤٢٠ الإجراء ٥٦٢ الجِرَّة ١٤٧٨
 الجريز ١١٥٥ ، ١٤١٠ الجرائز
 ٤٩١
 جرشع : جُرْشَع ١٨٠٤
 جرع : الأجرع ١٣٠٨
 جرم : جرموا ١٣٩١ الجُرم ١٤٨٦
 جرى : أجروا ٤٥٤ الجِراء ٥٥٤
 جزأ : يَمْزِنُهَا ١٦٣٩
 جزر : الْجَزَرُ ٧٥٠ الجازران ١٠٥٠
 جزز : أَجَزَّ ٥٦٣
 جزع : الْجَزَعُ ١٣٨٥ ، ١٤٠٠ ،
 ١٤٧١ الأجزاء ٢٦٨ الْجَزَعُ
 ١٥٩٩ جزعاً ٨٦٦
 جزل : الْجَزْلُ ١٧٦٩
 جزى : جزت رحم ١٤٤٥

جلل : تجلَّل ١٥١٥ تجلَّلت ٦٣٠ ،
 ١٢٠١ أجَلَّمَا ١٢٣٦ الأجلَّ ٨٣٩
 الجَلَّى ١٠١ جُلَّ ٤٠٨ ، ١١٨١
 الجَلَّل ٢٠٤ الجليل ٢٥٢ الجَلال
 ١٣٨٥ أجَلَّ جَلالة ١٦٠١ جُلالة
 ١٨٢٠ الجَلَّة ٧٤٩ ، ٥٥١ الأجلَّة
 ١٥٠٦ مجلَّل ١٠٢٨

جلاه : الجلهتين ١٣٨٠
 جلو : تجلَّت ١١٦٤ تنجلي ٣٦٦
 جمع : جاج ١٢٩٢
 جمد : جمود ٧٩٩ جمادى ١٥٦٣ ،
 ١٧٧٩

جر : جرَّه ١٥١٦
 جز : جَزَى ١١٤٧ ، ٥٥٤
 جمع : أجمع رجلى ١٨٢ الجميع ١٠٨٥
 جميعاً ٣٠٢ بجمعهم ٣٩٥ جمع
 ١٠٨٨ تجامع ٣٦٠ ألتَّمع ٦١٤
 بُمع كف ١٧٨٦ الجامع ١١١٥
 جل : الجامل ٢٥٤ ، ٥٦٥ ، ١٠٩٧
 الجائل ١١٨٥ مجل ١٧٥٨
 جم : أجمت ٣٠٨ أجم ٢٢٦ جم الرماد
 ١٣٩٣ الجمَّة ١٧٠٩ ، ١٨٨٣
 الجموم ١٩٤ ، ٥٥٤

جنب : جنب تجنبيا ٤٢٢ تجنبنا ١٣٠٠
 الجناب ٣٤٨ ، ٥٨ ، ١٦٥٨ جنيب
 ١٢٠١ ، ٥٢ جنوب ١٤٠٨ أجنب
 ٦٧٠ جنابة ١٢٥٠ مجنَّبات ٩٩٤
 جنح : جنحَ ١٠٢٢ جانحات ٣١٢
 الجوانح ٨٥٨ ، ٩٦٠ ، ١٢٦٦ ،
 ١٤٠٥ الجناح ٩١٠ جناح نغامة
 ١٠٩١ الجُنَّح ١٢٨٩
 جندع : الجنادع ٤٠٤
 جنس : التوجنيس ١٣٣٨ ، ١٣٤٩ ،
 ١٤٠٧

جنف : الجنف ١٢٥٦
 جنق : نُجَنَّق ١٨٧٩
 جنن : جُنَّ جنونه ٧٥ جُنَّ ذبابه ٦٦٢
 جنَّ ليله ٢٤١ جتنى ١٧٢٢ جتنى
 الليل ٥٧١ أجتت ١٠٢٢ لم يجنن
 ٤٦٧ الجن ٣٧٤ غبار مجنون ٧٢٣
 جنى : أجنى ٧٥٤ ينجيه ١١٣٦ جَنِيَّة
 ٤٨٥

جهجه : الجهجه ١٦٣٤
 جهد : جُهد ٥٣٨ جَهد بلاء ١٨٤٧
 جهز : أجهزاته ١٨٢٥
 جهل : تجهل ٧٦٢ جهول ١٥٧٢ جهال

جيز : جاض ٤٨

(ح)

حب : حبت ١٣٣١ حبذا ١٣٩٠ ،

١٥٤٢ ، ١٤٠٩

حبس : حابس ٣٨٧ محبسات ١٢٧٦

محبسة ١٧٢٨

حبك : حبك النطاق ٨٦ محبوك

١٧٩٧

حبل : الحابل ٢٢٨ حبل الهوى ٦٩٠

قلد حبله ٧٢٣

حبو : لم يحبه ٦٧٠ تحبو ٩٠٧ الحبى

١٨١٠

حقت : بحت ٤٢٢

حتف : حتف أنفه ١١٧

حتك : حوتكى ١٤٣٩

حث : حثوا ١٠٨٩

حثو : حثو ٨٢٣

حتى : تحى ١٠٦٩ الحائيا ١٠٦٩

حجج : حج ١٢٩٧ حجج ١٣٢٩

حجر : الحجر ٧٩ الحجرة ١٠٤٨

الحجرات ٦٣٦ ، ١٥١٠ ، ١٧٠٥

الحجر ١٤٩٨ المحاجر ١٢٤٤

٦٠٦ مبهولة ١٤٩٧ مجاهل ١١٨٣

المقجامل ٢٢٨

جوم : تجهمنى ٦٩٠

جوب : انجاب ٨٣٤ استجاب ١٥٦٠

لم أجب ٢٨٣ أجابها ١٣٣٠

المنجاب ٨٤٤ مجتاب ١٨٠٧ جواب

١٥٣٥ الجابة ٩٢٨

جوح : جائحات ٣١٢

جود : أجاد ٣٨٩ أجادت ٣٤٢ جيد

١٤٧١ تجودت ٦٠٧ الجياد ١٢٨

جور : مستجير ٥١٧

جوز : الجوزاء ٤٨٣ أجواز ١٧٠٥

جوع : مجاوع ٧٨٩

جوف : التجوينب ١٢٢ جوفاء ١٦٤٤

جول : جالت ٤٤٧ جُلنا ٤٤٦

جون : الجون ٧٨٢ ، ١٤٨٥ ، ١٨١٠

حونة ١٦٥٠ الجون ١٣٨٠

جوو : الجوة ٥٩٤

جوى : اجتويننا ٤٤٣ لا يحتويه ٧٢٣

الجوى ١٢٣٢

جيا : يماء ٢٢٠

جيش : جاش ٧٧ جاشت ١٥٨

الجاش ٦٧٤

حجَز : الحَجَز ١٤٩٩ غنيف الحَجَزَة

٤٣٢

حجل : حجلوا ٤٤٨ تحجل ٨٢٣

الحَجَل ١٤٧٦ محجَّل ٤٨٠

الحجلين ١٨٤١ الحجول ١٢١

حجم : أحجمَ ١٥٤٩ يحجم ٦٨٨

الإحجام ١٣٦

حذب : الحذب ٦١٤ أحذب ١٠٩٤

حدث : حدثت ٣٤٤ أحدث ٦٢٢

تحدث ٢٠٠ الحدثان ١٢٩ ،

١٧٥ ، ٨٩٢ ، ١٦٦٧ الحوادث

٦٣١ حديثاً ٣٢١ حديثكم ١٤٧٨

حدد : حد منكب ٣٨١ حد السيف

٧١٠ الحديد ٧٧١ حديدها ١٥١٠

محدج : الحدوج ٥٩٥ ، ١٢٢٧

حدق : الحدق ٩٣٩

حدم : يمتدم ١٧٢٩

حدو : احتديتنا ١٤٦٧

حذذ : حذَّ ١٤١٩

حذف : محذفة ٤٧٦

حذو : محذيات ١٣٥٨

حرب : أحرب ٢٩٧ حريب ١٦٣٨

الحرباء ١٨٥٩

حرج : أخرج ١٤٦٥

حرز : الحرز ٢٥٧

حرشف : الحرشف ١٧٠ ، ٦٣٨

حرف : حرفي حجر ١٨٣٥

حرق : حرق ٤٨٥ تحرق ٥٧٦ تحرقون

٢٣٦

حرم : حرمية ٥٧٠ حريم ١١٠١

الإحرام ٨٦٩ محرم ٧٥١ محرم

١٥٢٠ محارم ١١٠١ المحرم

١١٧٢ ، ١٧٧٩ حُرُم ١٣٩٨

حزب : حزبا ١٥٠٩

حزر : حازر ١٤٥٩

حزنا ٧٧٥ حزا ٢٤٢ ، ٢٧١ ، ٤٢٧

١٣٨٠ ، ١٤٠٥

حزم : الحزم ٧٦ ، ١٣٨٢ الحزامة

٢٥٢ ، ٦٩٩ أحزم ٣٩٢ الحزيم

١٦٠٨ حيازيم ٣٣١ محترم ١٤٠١

حزن : الحزن ١٧٠ ، ٦٣٧ الحزن

١٢٨١

حسب : حسبتني ١٠٩٠ الحسب ٦٢٧ ،

١٠٦٤ الأحساب ١٣١ محسوب

٥٨٧ حَسَبك ٤٠٥ ، ٨٥٨ ، ١٥٢٥

بحسبك ١٤٦٨ حَسَب ١٤٢٤

(٢٩ - جملة - رابع)

حصي : لم أحصهم ٦٠٢ الحصاة ٨٩
 حصاً : حضأت ١٥٦٩ ، ١٦٤٦
 حضر : الحضُر ٥٥٤ مُحَضَّر ٣٨١
 المحَضَّر ١٨٣٣ محضرة ١٧٠٤
 الحضارة ٣٤٧
 حضرم : حضرمية ١٨٠٣ الحضرميات
 ١٨٠٩
 حضض : الحضيض ١٦٦
 حطب : المحتطب ٤٢٠
 حطاط : محطوطة ١٨٦٣
 حطيم : الحَطْم ١٨٧٨ حُطَم ٣٥٥
 الحطيم ١٦٢٢
 حفاظ : الحظ ١٠٥٣ أحاط ١١٤٨
 حظو : يحظى ١١٧٥
 حفر : الحفار ١٧٧٩
 حفظ : الحفيظة ٢٧ ، ٢١٢ ، ١١٦٧
 الحِفاظ ١١٠ ، ١٠٣٩ ، ١٠٦٠
 الاحتفاظ ١٦١٧
 حفف : الحفيف ٧٠٤
 حفل : حفلت ٧٢٨ احتفل ١٠٣١
 حافل ١٤٣٧
 حفو : الحفى ١٧٢ ، ٥٢٠ ، ١٤٠٧
 حفى : الحوافى ١٠٦٤

حسد : محسَد ٢٢٢
 حسر : تحسّر ١٠٩٩ تحسران ١٣٧١
 حاسر ٥٩٨١٣٥١ حواسر ٩٩٢ ،
 ٩٩٥ المحاسر ١٣٧٢ المتحسّر
 ١٧٢٢
 حسس : أحسّها ١٨٤٦ محسّن ١٧٧٩
 الحسحة ١٩٤
 حسم : الحسام ١٤٢
 حسن : الحسَن ١٢٨١ الحسنى ١٤٩٣
 المحاسن ٦٤٤
 حسو : تحسّى ٥٤٥ أحسّى ١١٨٥
 حشب : حشب ، أحشبنى ٣٩٤
 حشد : الحاشدين ١٦٣٣
 حشر : الحشر ١٢٣٢
 حشش : حشّت ناره ١١٠٦ حشش
 ٦٧٢ حشاشة ١٢٩٨ ، ١٦٥٠
 حشف : الحشف ٨٤٨
 حشم : الحشم ١٤٠٢
 حشو : الحواشى ٩٥٨
 حصد : أحصد ٥٦٣ الحصداء ٥٠٣
 مستحصد ١٦١٥
 حصن : الحاصن ٢٠٨ الحصان ١٠٦٣
 المحصنات ١٠٦٣

حلو : أسر وأحلى ٩٩٨ تمر ونخل

١٥٤١ محلول ٩٩٨

حمت : الحميت ١٥٣٥

حد : حدث ٣٠١ ، ٧٨٤ حميد ٤٢٤

حميدون ١٠٠٤ حميد ١٦٤٤

حمر : أحمر القنا ٦٨٧ أحمر ١١٠٣

أحمرى ٨١٨ الحمر ١٣٠٧

حمس : حمس ، أحمس ، حمس

الحاسة ٢١

حش : أحشت ١٧٩٥ حشة ١٨٨٣

حض : حامض ٦٤١ حماسة ١٨٨٤

الحضيات ١٨٢٤

حق : أحق ١١٤٥ أحق ١١٤٦

الحق ١١٩٥

حل : احتملت ١٤٣٧ الحامل ٥٦٥

الحمل ٩١ طويل الحامل ١٠٤٨

حمولة ٣٠٠ ، ٦٠٨ الحائل ١٦٩٩

الحول ١٢٦٢

حم : حم ١٧٦٣ ، ١٧٦٤ الأحمر

٥٥٣ الحم ٨٣٠ الحام ٥٦١ حام

٥٦١ حام ٤٦٥ الاحتام ٩٥٥

الحيم ١٩٤ ، ١٢٧٦ الحيم ٧٧٤

حى : الحى ٤٢ ، ٨٣٠ ، ١١٠ ،

حقب : استحقبتها ١٤٦٦ الاحتقاب ،

الاستحقاب ١٠٢٣ مستحقين

١٤٨٢ محبة ٥٨٦ حبة ٩٠٨

الحقب ١٥٦٨ الحقية ١١٦٧

الحقائب ١٤٠٩

حقد : الحقد ١١٦١

حقق : الحق ٣٠٦ ، ٣٨٣ ، ١٧٧٦

أحقاً ٩٨٣ ، ١٣٦٤ بيت الحق

١٦٧٧ الحق ١٥٢٩ الحقيقة ٣٧١ ،

٧٥١ الحقائق ٦٢٢

حقو : الأحقى ١٨٢٨

حكك : حكك ١٤٠

حكم : الحكم ١٠٢٥

حلب : أحلب ٤٤ بحاب ٥١٦ الحلب

١٢٠٥ أحلاب ٧٢٥ ، ٧٢٦

حلس : جلساء ١٧٤١ أحلاس ٢٧٩ ،

٩٤٥ ، ٥٢٥

حلك : حالك ٨١٨

حلل : تحلل ١٦٣٨ الحلل ١١٩٨ ،

١٧٣٦ الحلة ١٧٤ الحليل ١٥٣ ،

٧١٨ الحليلة ١٨٦٩ الحلائل ١٣٩٣

حلول ٣٤٩

حلم : احتلمت ١٤٣٨ ذو الحلم ١٢٣٣

حوى : احتوينا ٤٤٣
 حيد : حاد ٥١٨ ، ١٧٨٧ حياء ٦٨٢
 حياء ١٠٨٩ الحيو ١٥١١
 حير : حائر ١٢٤٣ مستحير ١٣٩٤
 مستحيرة ١١ ١
 حيض : الحيضة ٨٦ حائض ٧٤٨
 حين : حان ١٠٢٩ حانت ٣٤١
 حيو : حيت ٤٤٣ حى ذبابه ٦٦٢
 يحميك ١٤٨١ نحاي ٢٣٩ التحية
 ٥٣ ، ٦٠٥ ، ٧٩١ ، ١٠٩٤ الحياة
 ٥٣ الحيا ١٧٢٢ ، ١٠٠ محيوك
 الحى ٩١٤ حى وزياتها فى
 الكلام ٤٥٢ ، ٦٢٣ الحيا
 ١٥٠٦ حياتى ١٠٠٣

(خ)

خبب : تخب ١٧٤٣ ، ١٧٤٦ الخبب
 ١٢١١ الخبب ١١٣٧
 خبت : الخبت ٣٠٨
 خبت : خبيت ، خابت ١٨٦٣
 خبر : خبرت ٤١٤ يخبرك ١٤٣٧
 خبروها ١٨٤٤ الخبر ١٥٢٢
 الأخبار ١٣٠٦ ثبت الخبر ٤٦٩
 الخبر ١٦٣١

١٢١٧ الحامى ٣٨١ الحاميان ٦٠٢
 الحوامى ١٣٩ حامة ٧٢٧ الحامون
 ١٠٧ حمية ٩١٠ حمية ١٠٤٢
 حياها ٧٠٠ ، ١٢٨٥ أحمى ١١٠٣
 حنا : الحناء ١٨٥٨
 حنجل : حنجل ٢٦٩
 حندس : حندس الظلم ٢٨٣
 حنق : الحنق ٦٤ حنق ١٨٨١ ، ١٨٤٣
 حنن : حنن ١٢١٥ حننة ٨٥٤
 الحنون ١١٣٨
 حنى : الحنى ٥٩٧ حنى ١١٦٦
 حوث : حوث ١٤٠٠
 حوذ : الحاذ ٧٨٠ ، ٩٨١
 حور : لا تحورى ٥٢٤
 حوش : حوش وحوشى ٨٨
 حول : حالت ٢١٧ حالوا ١٣٩٢
 حاولا ١٥١١ تحول ١٧٩٩ لم يحتمل
 ٧٤ الحال ٥٨٣ الحول ١١٩٤ الحول
 ٧٧ الحائل ١٦٤٢ لا محالة ١٤٨٣
 حوم : حومة ١١٠١ الحومات ٦٧٥
 حائمة ١٧٢٩ الحواثم ٦٤٨ الحائمات
 ١٢٩٧
 حوو : الحوو ٧٣٠

أخرق ٥٥ خرقاء ١٣٧٢ مخراق	خبط : مختبط ١٦٧٥
١٦٠١ منخرق ٩٦ ، ٩٧٢	خبل : مختبل ١٢٢٧
خرم : الخارم ٩١ ، ١٤٨٧ أخرم	خقل : لم أخقل ١١٠٠
٣٨٨	ختن : الختن ٣٥٣
خزر : تخازر ٢٢٨ أخزر ١٥٠١	خشم : الخشمة ١٥٤
خُزُر ٥٥٦ ، ١٦٣٤ الخزير ١٥٤٧	خذب : خدب ٩٧٤
الخريرة ١٨٥٤ خيزران ١٦٢٢	خدش : تخدش ١٨٨٢
خزع : خزاعة ١٩٦	خدع : أخادع ١٢٢٤ الأخدع ٩٥٣ ،
خزم : الخزَم ٣٣٦	١٢١٨ الأخدعان ١٤٣٦
خزو : يخزوك ٥١١	خدلج : خدلآج ٣٥٥
خزى : أخزى ٢٣٤ أخزىها ١٦٦٢	خدم : الخدم ١٣٩٦ مخدمون ١٤٠٢
خزيان ٨٣ ، ٧٠٠	خدى : خدت ٣١٩ تخدى ١٥٠٩
خسف : الخسف ٥٨٦	خدم : التخدم ١٦٠٤ خديم ١٦٧٤
خشب : خشب ٤١٨	خرج : خرجت خوارجه ٧٥ ،
خشع : تخشعت ٥٤	١٣٣٤ خارجة ٣٨٩
خشن : الخشن ٢٧	خرد : الخراة ٦٤٤
خشى : الخشية ٣١	خزر : خزر ٥٦٧ ، ٦٩١ ، ١٠٢٦ ،
خصر : أخصره ١٢٨٤ مخصرة	١٧٠١ خزت ١٨٦٤ ، ١٨١٠
١٢٣٠	خرش : خراش ، خراشة ٧٨٢
خصص : الخصاص ١١٧٧	خرف : أخرقه ١٧١٩
خصل : خُصل ٧٦٣ ، ١١٠٨	خرق : تخرق ١٠٧٩ تُخرق ٥٧٥
خضم : الخضم ٩١٩ ، ١١٠٠ خصوم	الخرق ٩٠٧ الخرق ١٧٣٥ ،
وخصيم ١٤٣٤	١٨٤٧ الخرق ٨٣٦ ، ١٢٧٣

خلد : يخلد ١٧٣٢ يخلد ١٧٣٣
 خلص : الخلسة ٦٠ ، ٨٤١ نخلسة
 ٦٠ الخلامى ٨٤٢
 خلص : أخلصتها ٣٩٠ خلصانى ٧٢٣
 خلط : خالط ٨٢
 خلع : الخليع ٧٢٤ الخانع ١٠١٨
 خلف : يخلف ١٥٤٣ لا يخلفونه ٧٩٤
 أخلاف ٦٩٩ الخلائف ٥٠٥
 خلوف ٧٠٥
 خاق : أخلق ٩٨ ، ١١٤٥ أخلق
 ١١٧٥ خلق ربنا الخلق ١٨٧٩
 الخلاق ٣٨٠ الخليفة ٩٠٢ مختلق
 ١٢٧٣ مخلوق ٧٦٤
 خلل : الخلل ٨٣٩ ، ١٦١٨ خلّ النقا
 ١٤٠٠ الخلة ٥٤٨ ، ٨٦٤ الخلة
 ١١٧٠ ، ١٣٤٢ الخلل ٦٠٩
 الخلل ٦٨٠ الأخلة ١٥٠٥ مختل
 ٦٤١ الخليل ٤٦٩ ، ٦١٦ ، ٨٥١
 الخليلين ٩٠٢ أخلاى ٨٩٤ ،
 ١٠٣٦
 خلو : خلى مكانه ٨١٨ ، ١٠٧١
 أخليت ١٥٠٩ خلوا ١٠١٨ خالهم
 ١٧٨٧ الخلا ١٥٠٥ خلى ١٦٧٩

خضب : يخنضب ٦١٥ الخضبة ٥٣٨
 خضع : تخضع ٣٧٤ تخضيم ٣٦
 الأخضع ١٠٤٠
 خضم : الخضمة ٥٣٨ متخضم ١٤٦٠
 خطب : الخطب ٧٦ الخطوب ٢٢٣
 الخطيب ١٤٧٨
 خطر : خطرت ١٢٤٦ تخطر ٥٧ ،
 ٦٣١ ، ١٤٤٣ تخاطرت ١٧٧٢
 الخطر ٩٤٤ خطارة ١٧٨٤
 خطط : خط منزرى ١٨٧ الخطى ٥٦ ،
 ٢٠٩ ، ٤٦٨ ، ٧٣٣ ، ١٧٨٦
 الخططة ٧٩ الخطيطة ٥٧
 خطف : الخواطف ١٣٠٤
 خفر : خفارة ١٥٣٦
 خفض : يخفض ٩٢٥ الخفض ٢٨٥ ،
 ٧٨٨ ، ١١٣٨ الخافض ١١٥٦ ،
 ١٢٠٦ مخفوض ١٣١٠
 خفف : خفاف ٦٣٥
 خفق : أخفق ٣١٩ تحقق ٩٦٥
 الخفقان ٩٤٤ خفاق ٣٥٥
 خفي : الخافى ١٠٣٢ الخوافى ٦٣٦ ،
 ١٨٨٣
 خلب : الخلب ٧١٧

خد : خامدة ٣٠١

خمر : خامر ١٠٣٣ الخمار ٨٨٠

الخمر ٥٥٦ ، ١٤٦٠ الخمار ٥٦٧

خمس : الخمس ١٨١٩ الخمس ٢٨١

خميس ١٧٤٥ خماس ٥٦٩

خمش : الخمش ٧١٩

خمص : خماص ٧٨٩ خميص ٨٢٠

١٢٦٢

خط : متخبط ٢٢٣ ، ٥٩٥

خل : نخلة ١٢٦١

خندف : خندف ٣٩٣

خنذ : خناذيد ٤٩٨ ، ٤٩٩

خنز : خنزوانة ٢٤٤

خنس : خنس ٦٨٣

خنو : الخنا ١٠٩٣ ، ١٦٣٣ ، ١٧٩٣

خنى : أخنى ٩٤٩

خوت : خات ١٨٣٤

خود : خود رأها ٣٦٥ الخود ١٧٩٦

خور : خوار ١٣٤٨

خوص : خوص ٥٩٧

خوط : خوط ١٣٦٩

خوف : خفت ١١١٧

خول : خل ٢٥٣ مخول ٣٠٥

خوى : اختوبنا ٤٤٣ الخوى ١٧١٥

خير : اخترت الرجال زيدا ٣١٥ يخير

١٦٧٦ الخير ١٧٤٤ الخيرات

١٧٠٨ الخير ٥٢٤ ، ١١٦١ خائرة

١٧٤٤

خيس : التخييس ٦٣٠ مخيسة ٦٧٧

مخيسات ١٢٧٦

خييط : خاط ٩٧

خيل : خالهم ١٠٨ تخايل ٦٧٧ إخال

٢٤٨ ، ٤٠١ خل ٢٥٣ الخيل

٥٣٩ ، ٦١٠ ، ٦٨٦ ، ٨١٦ ،

١٠٠٦ الاختيال ١٧٩٩ ، ٨١٧

خيال ٣٧٧ خيالنها ٣١٠ التخييل

٥٠٢ الأخيل ٨٩ الأخيل ١٦٠

مخايله ١٨٣٠

خيم : خام ٧٠٠ يخيم ٣٣٣ ، ٦٨٨ ،

١١٩٧ خيم ، الخيمة ٣٣٣ الخيم

٦٥٣ ، ١٦١٨ ، ١٧١٢

(د)

دأب : دأبين ١٧٤٦

دره : مدره ٤٧٣
 درم : درام ٨١٩
 دس : دسوا ٤٤٥ الدسيس ١٤٦١
 دعر : يتدعر ١٤٣٨
 دعس : الدعس ٧٧٠ الدواعس ٤٤٢
 المداعس ٧٠٠
 دعص : دِعص ١٣٤١ ، ١٨٦٣
 دعلج : الدعلج ١٥٤
 دعو : دعوا نزال ٦٢ دعت ويلها
 ١٤٤٠ دُعَى ٥٤٣ ندعو ١٠٢٢
 يُدْعون ٤٥٧ ندَّعى ١٠٢ ادَّعى
 لما ٤١٥ داغ ١٦٩٦ ، ١٧٠٣
 داعى الليل ١٦٤٨ داعية الصباح
 ١١٨٤ الدواعى ٩٥٩ ، ١١٤٢
 الأدهياء ١٥٢٤
 دفر : الدفر ١٨٤١
 دفع : تدافت ٥٢٨ مدافع ٨٠٨
 دقف : الدَّف ١٢٥٦
 دقق : يتدقق ١٨٨٠ مدققة ١١٧٩
 دفن : أدفن ٩٥٦
 دفنس : الدفنس ٥٤١
 دق : أدق ١٤٨٥ أدقها ١٢٣٦
 الدقيق ٢٥٢ دقاق ١٧٤٨ مدققة
 ١١٧٩

دأل : داول ١٠٢٣
 دبب : تدب عقار به ٣١٨
 دبر : أدبرت ٤٦٢ مدبر ٧٥ ، ٦٤٩
 الدوابر ٥٢٥ ، ١٤٠٤ الدبرات
 ٧٤٩
 دبی : الدبا ٢٠٩
 دثر : الدثر ٢٥٤
 دجج : المدجج ٧٤٧ ، ١٧٥٣
 دجن : الدجنة ٨٧١ مدجنة ٣٤٢
 دحض : الدحض ١١٦٥
 دخل : أدخلت ، أن يدخلوا الأبواب
 ١١٢١ داخل ٦٢٧ دخيل ٨٨٠
 المدَّاخل ١١٥٢
 درأ : الدراء ٤٣ الدريئة ١٣٦ الدرية
 ١٦١ التدرأ ١٠٣٩
 درب : المدرَّب ٥١١
 درر : درت ٢٤٢ درور ٣٤٢ ، ١٦٧٨
 لله دره ٦٧٢ ، ١٠٤٤ لله درك
 ١٦٢٧ لله درى ١٤١٨
 درس : دريس ١٠٤٨
 درك : أدرك ٥٦٣ أدركنام ٥٩٦
 المتدارك ٩٦ ، ٦٧٤
 درن : الدرين ١١٨٥

١٢٦ اللدائى ١٨١٠
 دهر : الدهر ٤٢٩ ، ٧٦٦ ما دهرى
 به ١٢٧٩ دهرأ ٣٢٠ ، ٧٢٣
 دهق : ندهلق ٥١٥
 دم : دهمتى ٢٦١ دهاء ١٧٠٣ الدّم
 ٢٩٩ ، ١٦٤٤ ، ١٧٢٠
 دهو : دهاك ٢٦٣ ما أدهى ٩٧٤
 داهية دهياء ٥٨٤
 دوا : داء البطن ١١٨٨ أدواء ٢٩٣
 دور : استدار ٥٦٧ التدِير ٥٩٥
 الدارات ١٨٢٢ دَوَارَى ٧٦١ ،
 ١٨١٨ ، ٨١٨
 دول : أدلنى ١٢٣٨ أديل ٨٥٣
 دوم : أدوم ١٦٦٢ الدّيمة ١١٣٦
 الديّم ١٣٩٤ مدامة ٧١٠
 دون : دون ١٨٤ ، ٣٧١ دُون ٨٩٠
 الدّون ٦٣٦
 ديف : ديافية ١٤٧٨
 دين : دان له ١٦٢٤ دنام ٣٥ الدّين
 ٤٠٩ الدّين ٦٣٤ دائنين ١٨٤٧
 (ذ)
 ذاب : ذوابة ٨٥٠ ، ١٠٦٠ ذوايب
 ١٥٤٨

دلج : الدّلاج ١١٧٤ الدّلاج ١٣٧٩
 دلح : دلوح ٨٥٤
 دلس : الدّلاس ٧٧١
 ذلك : الدّلك ١٨٤٢
 دلى : دليل ٧٦٢ الدّليل ٧٨٣ مُدَلّ
 ٨٣١ التّدليل ١٨٥٨
 دلو : دلاء ٥٧٣ دُلّيت ١٠٠٦ أدلوها
 ١١٢٣ المّدلون ١٦١٥
 دمت : دميث ٢٧٢
 دمس : دامس ١٠٣٣ ، ١٢٨٢
 دمع : مدامع ١٢٤٨ ، ١٣٥٧
 دمقس : الدمقس ٥٢٧ ، ١٢٦١
 دمل : دماميل ١٤٧٧
 دملج : الدماليج ٧٢٩
 دم : ديم ١٤٥٤ مدمدم ١٠٣٠
 ديمومة ١٨١٩
 دمن : دمنّتها ١٣٢٩ الدمن ١٣٨٥
 دمي : الدمي ١١٣٨ ، ١٤٠١ بلا دم
 ١٣٠٤ أكلت دما ١٨٦٧
 دنس : يدنس ١١٠ دَنَس ٨٦١
 دنف : دنف ١٤٢٣
 دنن : الدّنين ١٦٩٠
 دنو : تدانوا ١٧٢ دنيا ١٦٥٧ المّداني

ذلق : ذُلُق ٦٧٤	ذال : تذال ١٤٧٣
ذلل : الذلول ٣٤٦	ذوب : تذوب ٥٣٦ يذوب ١٨ التذيب
ذمر : الذمار ٤٦٩، ٧١١ أذمار ١٥٩٥	٦٨٥ المذبذب ٣٧٧
ذمل : ذمول ١٠٢٣ ذميل ٨٨٦	ذبح : الذَّبَح ١٧٨٤
ذم : الذمام ١٣٢٠ ذامة ١٧٤١	ذبل : ذُبِّل ١٨١٥
مذمات ٢٦٧٠	ذحل : الذحل ٦٩٢، ٦٩٣، ١٧٧٤
ذنب : الأذنب ٥٠٤، ٥٣٩ الذنابات	ذخر : ادخرت ١١٥٩ المدخر ٥٥٤
٥٠٤ الذنوب ٥٤٥ ، ٩٠٦	ذرب : مذروبة ٣٦٣ الذربين ٥٧٥
المذانب ٥٩٤	ذرر : ذرَّ ١٦١ ذررت ١٣٥٤ تذرَّ
ذهب : أذهبت ٢٥٣ أذهب (تفضيل)	٩٧٦
١٢٢٨ ، ٢٢٥٢ الذاهبين ٢٨٠	ذرع : الذريعة ١٦٢ الذرُع ١٦٢
ذهل : أذهل ٦٨	ذراع ٣٦٩ أذرع ٩٥٢
ذود : ذادَ ٥٦٠ ذدت ٥٦٩ ذيدَ	ذرف : تذرّاف ٧٩٩
١٤١٧ أذود ٤٠١ ، ١٣٦٠ ذواد	ذرو : تذرى ٧٢٣ يذرين ١٣٥٥
١٤١٠ أذواد ٤٧٦	الذرى ١٧٥١ الذرى ٩٠٢
ذوق : ذاق ٥٢٤	ذعف : الذُعاف ٦٨٢
ذيم : الذام ١١٢٣	ذعلب : ذعلبة ١٦٢٠
(ر)	ذفر : الذفر ١٨٤١ حرة الذفرى ٧٧٠
رأب : رأبت ٥٥١ ترأب ٦٧١	ذكر : ذكرتك ٥٧ الذَّكر والذَّكر
رأس : رأسه ١٩٣ الرأس ٦٣٥	٥٧ ، ١٩٥ ، ٢٦٤ ، ١٠٥٧
الروس ٥٣٩ الروس ١٨٧٠	مذكرة ١٥٦٧
رؤاسى ١٨٢٤	ذكو : ذكت ٨٣٠ ذاك ١٦٤٤
	المذاكى ٤٤١

- رأل : الرأل ٣٦٥
 رأم : الرثم ٧٠٣ ، ١٣٥٨ ، ١٤١٢
 الرثمان ٩٣٢ رأم ١٣٤٥ مرموم
 ١٦٠٨
 رأى : يرى ٦٥٤ يرون ٣٦٧ لم يروا
 ١٢٥٢ ألم تر ٦٥٨ ، ١٠١٩ ،
 ١١٢٥ ، ١٢١١ ترين ١٥٦٥
 أريت ١٣٧٧ لا أرينك ٥٢١ ،
 ١٣٧٠ ، ٧٤٢ ، ٧٣٨ ، ٥٨٨
 أرنى برأيك ٩٥٤ أرينى ١٧٣٤
 الرؤاء ١٤٥٤
 ربأ : ربي ٤٤٤ ريثة ٩٨ مربأ
 ١٤٠٤
 ربب : رُبَّتْ ٢٨١ الرب ١٦٣٦ رب
 عليه ٣٥٤ ، ٩٧٧ يارب ١٢٢٥
 الأرباب ١٧٢٨ ربيب ١٣٢٨
 مربية ١٠٢٣ ررب ٣٧٨
 ربح : الرباح ٧٠٠ ، ٧٠١
 ربط : الرباط ٤٥١ رباط الخيل ١٠٦٩
 ربع : الربع ١٣٧٢ الربع ٦٤٦ أربعة
 ٩٠٩ الرباع ١٧٤٣ رباعة ٦٣٤
 ربيع ١٤٢١ مريع ٩٣٥ ، ١٢٢٤
 مرباع ١٠٢٤ ، ١٣٩٥ مربوع
 ١٧٣
 ربق : الربق ٤٣٠
 ربل : الربل ١٤٣٧ الريلة ٧٨٨
 الريال ٧٨٨
 ربو : ربيته ٧٥٦ تربيقه ١٤٤٦
 الراية ٧٣٦ الرئي ١٥٨٩
 رتب : رتوب ٩٠
 رتج : ارتنيج ١١٧٥ الرتاج ٩٣٢ ،
 ١٥٢١
 رتق : يرتق ٦٠٩
 رثأ : الرثئة ١٤٥٩
 رثث : رثث ١١٣٠
 رثى : رثية ١٤٥٦
 رجج : رجرجة ٦١٤
 رجج : يرجع ٣٣ ترجع ١٣٨٧ ترجمه
 ١٦٩٤ الرجج ٨٨١ ، ١٣٤٤
 رجل : رجل ٦٥١ الرجل ١٧٠ ،
 ٦٣٨ المراجل ١٠٦ ، ١٠٤٨
 الرجيل ٧٥٨
 رجم : الرجم ٦٠٢ مرمج ٣٢١ مرمج
 ١٠٩٦ مرمج ١١٠٤
 رجو : رجيت ٥٧٦ ، ١١٠٤ أرجيته
 ٦٤ أرجميه ٢٢٠ الأرجاء ٣١٩
 رجاؤك ٢٧٦

- رزثا ٣٦٠ الرزء ١٠٨٦ ، ١٦٥٣ ،
 مرزأ ٦٦٦
 رزح : رزح ٤٦٤
 ررز : الرز ١٤٣٢
 رزغ : مرزغ ١٤٤٢
 رزم : أرزم ٧٧٥ أرزمت ١٥٠٩
 رزن : رزين ٦٢٦
 رسس : الرس ١٤٨٤ الرئيس ١٤٦١
 رسف : الرسفان ٥٥
 رسل : الرسل ١٠٧٩ ، ١٦٩٣ الرسول
 ٤٣٣ ، ٧٧٢
 رسم : يترسم ١٧٧٩
 رسن : أرسان ٨١٩
 رسو : رسا ١١٤ أرسوا ٥٠٠
 رشع : رشحوا بي ٧٢
 رشد : ترشد ٨١٥ لا ترشدن ٤٣٨
 إرشاد ٩٩٨ رشدة ١٠٣٤
 رصد : مرصد ١٩٠ رُصد ٩١٧ رصد
 ٩١٦
 رضح : المرضاح ١٤٠٤
 رضو : رضيت على ١٤٦٢
 رعب : المترعب ٩٢٥
 رعث : رعثات ١٨٨٣
- رحب : رُحاب ١٦٥٠ مرحبا ٣٧٧ ،
 ١٦٩٨ ، ١١١٧
 رحل : رحلناها ٢٦٠ ترهل مرحلا
 ٣٠٤ يرتحل ٥١٣ الرّحل ١٢٠٧
 ١٦٣٩ الرّحال ١٢٧٦
 رحم : يرحك الله ١٠٥٨ ذوو الرحم
 ٢٨٣ رحيم ١٣٣٤
 رخص : ترخص ١٠٥
 رخو : رخوة ٥٧٩ ، ١٤٣٤
 رخی : المرخی ٣٢٣
 ردد : رددن ٢٨٨ برذ ٧٥٩ أرد من
 كذا ١٨٠
 ردع : لم تردع ٧٢ رادع ١٤٤٩
 ردّاع ١٣٥٨ يركب ردعه ٦٩٨
 ردف : أردفه ٢٩٩
 ردن : الردينيات ٣٨٣
 رده : الردهة ٤٥٣
 ردی : ردینا ٤٤٨ ردوا ٧٣٤ رُدیت
 ١٧٤ ردی ١٦٩ ، ٦٢٤ الردي
 ١٣٢١ الرداء ٨٣٤ مردی ٤١٨ ،
 ٩١٩
 رذم : الرذم ١٣٩٤
 رزأ : رزئت ٧٦٦ رزيتك ٩٥٢

رعد : الرواعد ٩٧٦ رعايد ٦٧٥	رقد : الرقاد ٢٦٣
رُعش : رُعش ٦٧٥ المُرْعَش ١٨٨٣	رقص : الراقصات ١٣٧٦
رعم : الرعاع ٧٤٣	رقط : رقطاء ١٨٧٤
رعل : الرعال ١٧٠ ، ٦٣٨ رعيل	رقق : ترقق ١٣٥٧ الرق ٧٢١
٥٣٧	رقارق ١٤١٨
رعن : أرعن ١٠٢٣ رعان ١٤٦٧	رقم : أرقام ١٨٠٥
رعو : ارعوى ٤٤٦ ارعويت ١٧٣٤	ركب : ركب الطريق ٦٣٢ أركب
رعى : رعيته ٦٢٠ الرعاية ١١٩١	٥٦٣ الرَّكَب ١٨٨٢ الركاب
رغب : رغبة ٢٨٣ ، ١١٢٤ رغبة	٩٨٥ الركائب ٣١٩ ، ٩٦٥
٤٦٥ المترائب ٩٢٥	١١٦٧ ، ١٨٨٦ الراكب ١٦٧
رغد : رُغْد ٤١٣	الراكبان ٢٦٧ ياراكبا ٩٦٤
رغم : الرغم ٢٠٤ رغم العدو ١٢٥٠	الرَّكوب ٣٤٦
مرغماً ٣٣٩ مرأغماً ٧٦٢	ركد : الرُّكود ١٥٠٩ راكدة ١٦٧٩
رُغو : يُرغَى ٢٤٠	رُكِّد ١٨٣١
رفث : الرفث ١٢٣٤	ركض : الركض ٥٥٧
رفد : رفدتها ٥٥٢ الرفد ٢٦٤	ركن : سركن ١٨٨١
رفض : رفض ١٨٠٩	ركو : ركية ٥٨٩ الركي ١٨١٨ ،
رفع : رفعت برأسه ١٢٧٢ الأرفع	١٨١٩
٦٢٧	رمح : راحة ١٨٤٩
رقل : ترقل ٥٢٧ يرقلان ١١٣٨	رمد : رُمد ١٤١٧
رفه . رفهت ١٤٠٥ رفّه ١٨١٥	رمس : يرمس ٦٥٩ الرمس ٢٤٦
رقب : المرقبة ٨٩٧ المراقب ١٥٩٩	رمض : رميضة ١٤٩١
	رمل : ارتملت ٢١٩ الرمل ٦٣٧

- الراح ٧٧٣، ٩١١ الريح ١٥٤٠
 الروحات ١١٧٤ المراح ٥٠٥
 مستراح ٤٦٥
 رود: يرودها ١٦٤٤ رائذات ٧٢٤—
 ٧٢٥ سرناد ١٤١١ المروذ ١٨٥٨
 رادة ١٣١٧، ١٦٢٥ رويداً ١٢٧،
 ٢٢٥
 روض: راضها ٦١٩
 روع: روعت ٢٧٤ ربع روعه ٧٥،
 ١٣٣٤ ريعت ٥٤١ يروعك
 ١٥٢٢ يروعها ١٢٣١ لم أركك
 ١٨٦٧ الرّوع ٥٦٤، ٥٨٩،
 ٦٠٣ أرّوع ٤٩٢، ١٦٢٣ سرناع
 ١٣٩٦
 روق: الأرواق ١٨٠٩ الرواق ١٣١٠
 رول: الرواويل ١٨٧٥
 روى: ربّياً ١٢٤٢، ٢١٥ ربة ١٢٧٨
 الأروبة ٦٥٧
 ريب: لم أربه ٧٧٨—٧٧٩ ريبته
 ٤٠٣ ريب البلى ٨٦١ الزمان
 ٢٥٨، ٩٤٩ المنون ١١٩٥
 ريث: راث ١١٠٤ الربثة ١١٢٨
 ربح: أربحي ٧٦٤
- سربل ٦٩٣، ١٥٦٦، ١٦٨١
 الأرامل ٩٩٧، ١٣٩٤
 رم: رمّني ١٥٩١ رميم ١٧١٥
 رمى: رماه الله بالخير ١٥٧٧ أرامي
 ١٤١ الرمي ١٢٩٦ سرمى الصيد
 ١١٣٣ المرامي ١١٣٤
 رنب: الأرنب ٥٥٦
 رنج: ترّنج ١٢٧٥
 رند: الرند ١٢٩٩
 رنق: رنقت ٣٢٨، ٣٤٦ الرنق
 ١١٧٣، ١١٨٥
 رنن: أرنت ١٦٣ الرنة ٩٥٢
 رهب: التّرهب ١٠٣٥
 رهج: الريح ٦٧٤، ٧٧٠
 رهط: رهط ٣٥٨ أراهط ٥٠١
 رهف: مرهنة ٧٣٣ مرهفات ٦٣٥،
 ٨٧٣، ١٤٦٩
 رهق: أرهقه ١٧٧٣
 رهل: رهّل ٩٢٠، ١٠٤٧
 رهن: رهن المنية ١٤٢٣ رهينة ٢٤٦
 روح: تروحت ١٠٨٩ تروّحوا ٤٦٤
 روّحت ١٦٧٣ لم يرح سواما ٣٢٧
 أراح ١٥٨٣ لم أرح ١٨٦٩

زرع : الزرع ٨٨٠ الزراعة ١٣٩٤

زرف : زرافات ٢٩

زرق : الأزرق ٦٦٢ أزرق العين

١٠٩٢ زرق ٦٣٦ ، ١٤١٧ ،

١٦٠٩ زُرق الخط ٣٣٤

زرى : تزدرية ١١٥٣ لم يُزرها ١٤٢٤

زار ١٢٤٢ مزيًا عليك ٢٤٢

زعر : زعارة ١٤٣٩

زعم : تزعمنا ٧٤٠

زعم : زعمت ٥٤٧ زعمتم ٢٠٥ زعموا

١٠٨٢ الزعم ١٢٦ لا وزعمانك

١٧٤٥

زغب : زغب القطا ٢٨٧

زفت : الزفت ١٧٠٧

زفر : زفرة ٨٦٧

زفف : زِف ١٨٣٤ زَفوف ١٧٢٠

زقق : دم الزق ١٢٦٩ مزقوق ١٨٧٨

زلج : زلج ١٠٤٢ ، ١٧٥٠ ، ١٨٨٨ ،

١٧٥٢

زلل : زَلَّت ٤٥٤ ، ٨٩٨ ، ١٥٩٠ ،

١٦٧٨ يَزَلَّ ٣٣٢ الأزل ٨٣٢ ،

١١٥٤ زلول ١٦٧٨

زلم : الزلم ٣٥٥

دير : أَرار ١٢٩١ رارة ١٦٢٦

ريط : الريط ١١٣٢

ريع : الريعان ٥٥٣

ريف : يَريف ١٥٣٥

رى : الرايات ٦٤٨

(ز)

زاد : مزود ١٠٦٠ مزودة ٨٧

زار : ترامر ٦٠٢ يزير ١١٥٣

زبار : از بارت ١٦٠

زبب : أزب ٥١٩

زبد : الإزباد ٦٧٤

زبر : تزبرت ١٤٩٩

زبن : الزبون ٤٠ زبونات ١٣٢

زبجج : الزجاج ٢٩٩

زجى : أزجيته ٦٥ يزجى ١٧٤٨ لم

تزج ٨٨٦ المزجى ١٦٧ المزجى

٩٧٧

زجح : متزجح ١٤٨٩

زخر : زاخر ١٦٦١

زخرف : زُخرف ١٨٠٥

زرب : زرابى ٣٩٧ الزرائب ٧٢٥

زدر : زُدر ١٧٤٩

زيع : الزيع ٩٥٦	زمع : الزماع ٦٥٣
زيف : زياقة ١٥٦٧	زمل : الأزمل ١٥٧٤ الزمّل ٩٠ ،
زيل : زيل ١٢٠٨ يتزِيل ٤٣٥	٢٩٠ الزمّل ١١٠٨
زايلنى ٧٤٥ الزّيال ١٣٠٩	زنبير : الزنابير ٦٦٢
زيم : زيم ١٤٠٠	زند : الزند ١٨٩ مزندون ٣٦٣
زين : ازينت ١٨٨٢	زهـد : الزهيد ١٥٢٧
(س)	زهر : تزهـر ١٦٤٧ زهراء ١٥٢٩
سار : سائر ١١٥٣ سائرى ٤٩٠	مِزهر ١١٣٨ مَـزاهر ١٢٦٩
سأل : سألته ١٤١٢ سَلِي ١٣٠٨	زهق : تزهق ٥٤ زهزق ١٨٦١
سولك ١١٥٢ سوله ١٧١٥	زهو : زها ١٠٨٩ ، ١٢٥٥ ، زهته ٧٤٧
سام : يسام ١٧٨٠	يزديه ٥٥ تزد هينا ٢٤٥
سبب : استبّ ٩٣٠ السبة ١١٥ ،	زود : الأزواد ١٠٨٨
١٨٦ ، ٣٩٣ الأسباب ٥٨٩	زور : ازورّ ٢٦٥ زوراء ٤٦٣ ،
سبائب ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٨١١	١٠٠٦ ، ١٠٦٨ الزور ١٣٩٦
سبح : سابحة ١٤٠٣ ستباح ١٧٦٤	الزور ١٥٧ ، ٥٦٦ ، ١١٠٠
سبوح ٥٥٥	مزارك ١٢١٦
سبد : السبد ١١٠٧	زول : مازال ٣٩٦ ماتزال ٣٤٩
سبر : المسبار ١٨٧٦	زُول ١٤٧٥ تزواله ١٤٤
سبط : سبط ٦٧١	زيب : زيب ١٤٢
سبطر : اسبطر ١٥٧ مسبطرة ٢٠٩	زيح : زاحت ١٧٢٨ مزاح ٦٦٨ ،
سينغ : سابغ ١٧٥٦ سابغة ١٧٥ ،	٦٧٦
٧٤٧	زيد : زاد ١١٤٤ زادنى ٢٢٧ زائدة
	الظلم ١٥٣٨

سغن : سغنة ٧٢٢ ، ٨٦٢ سغن

١٢٧٧ ، ١٨٨

سدد : السد ٧٤٠

سدر : السدر ٤٣٣ سادر ١٨٣ ، ٩٥٣

سدس : ستين ١٥٢٨

سدف : السديف ٥١٦ ، ١٦٩٥

سدم : السدم ١٦٠٧ المدم ٢١٢

سدى : أسديت ١٥٨٧ ، ١٦٢٠

أسدي ١٧٤٠ أسديه ١١٦١

السدى ١٧٩٥

سرب : سارب ٧٢٩

سرج : الشريجي ٦٦٧

سرح : يسرح سواما ٣١٧ نسرح

١٦٧٥ سرحه ١٣٧٥ السرح

١٢٩٣ سُرح ١٧٨٥

سرد : السرد ٨١٣

سرر : استسره ٩٤٤ السر ١١٩ مير

١٣٦٩ سر المهارى ١٨٠٣ السرار

١٢٥٢ السرور ٨٥٣ أسرته

٣٣٦ أسرة وجهه ٩٢

سرع : السرع ٦٤٨

سرق : استراق ٩٥٨

سرمد : سرمد ١٩٠

سبكر : اسبكرت ١٨٦٤

سبل : السبل ٧١٦ ، ٧٦٧ ، ١٠٥٥

الأسبال ٥٣٢

سبنت : السبنت ١٠٩٢

ستر : ستر ١٨٤٤ ستر الله ١٣١٤

سجد : ساجدة ٥٩٦

سجس : سجيس الياى ٤٩٠

سجف : السجف ١٧٠٥

سجج : سجج ١٦١٩

سجو : ساجى الطرف ٣٠٦

سجبل : السجبل ٤٩

سجج : مسججة ١٤٠٤

سجج : نسج ، سجوح ٨٥٤

سجر : السجر ١٣٥٩ السجر ٥٨

١٣٧٠ السجارة ، المسجورة ٥٨

سحق : السحق ٨٤٤ سحق جراب

١٨٤٨ سحق اليماني ١٣٤٥

السحق ٦٩١ سحق ١٨٣٢

سجل : المسجل ١٥٥١

سجم : أسجم ١٢٨٦

سخط : السخط ١١٢٨

سغم : سغام وسغاي ٨٨ ، ٧٦١

سفيح ٤٢٣ مسفوحة ٩٦٥	سرو: تستريه ٥١٦ سرة الضمى
سفر: أسفرت ١١٦٤، ١٢٥٤ السفور	١٤٨٧ سرة الناس ١٠٢، ١٣١،
١٦٣٨ السِّفار ٩٠٦ سوافر ٦٧٩	١٩٩، ٤٦٨، ٦٩٥، ٧٦٧،
سفع: سافع ٢٩ مسفع ٤٩٣ سفع ٥٣٦	٧٧٢، ٨١٣ السروات ١٥٤٨،
سفف: السفساف ٤٧٣	١٨٢٧ السرى ١٢١٠
سفك: سفوك ٢٨٦ السوافك ٧٩٨	سرى: أسرى ١٦٤٧ أسروا ٨٣٤
سفه: سفوت ١٤٣٨ تسفه ١٧٢٩	سريت ٨٤ الشرى ١٣٧٩،
سفهأ ١٠١٧ السّفاء ٧٦٥، ١٦٥٦	١٧٥١ المسرى ٥٣ السارية ١٨٢٧
السفاهة ٤٣١ السفاهة كاسمها ٣٤١	سطو: سطوت ٢٠٤ يسطو ٨٣٢
زمام سفيه ٧٢٣	سطوة ١٨٧٧
سفو: سفاة ١٨٦٣ أسفى ٧٢٣	سعد: أسعدنى ٨٧٠ طال سعدك
سفى: يسفى ١٠٠٦ السوافى ٩٨٦	١٤٠٧ سديك ١٠٨٦، ١٢٤٧،
سقب: السقب ٨١٧، ١٤٨٦	سعيد ١٨٥٢
سقط: سقاطى ١٧٣١ آخر سقطه	سعر: استعر ٢٨٩ يساعر ١٨٠٦ يسعر
١٣١١ مساقط الرأس ١٦٤٥	٩٠٦، ١٧٩٩ مساعر ٩٩٥
سقم: سقيم ١٣٠٥، ١٧٢٨	مسفرة ٧٥٩
سقى: سقى ١٠٠، ١٨٦٨ سقى ٩٧٦	سمع: تسمع ٤٩٥
ساقيته ٦٧٣ أساقى ٨٣١ سقى ١٣٧٧	سفف: يساغفنا ١٣٨٣
سقية ١٢٦٠ التساقى ٨٦٢	سفل: السعالى ١٥٠
سكب: سكب ٢١٠ السواكب ٨٥٢	سعى: المساعى ١٧٣٩ سعاة ١٧٧٤
سكك: استككت ٨٦٨	سغب: ساغب ٦٥٣
سكن: سكى ٨٧٩	سفع: السّفع ١٧١ السّفح ٨٥٢
سلب: السّلب ١٥٦٨ قنا سلباً ٣٤٨	سافح ١٦١٩ مسافحة ١٨٥٠

سمك : سمك ٥٣٣ السمك ١٦٦٠

السمك ٦٤٥

سمل : الساملين ١٦٧٧

سملع : سملع ١٧٤٩

سم : السموم ١٨٠٣

سمو : تسامت ١٠٠٧ تسامى ١١٢ ،

٧٣٣ يساميا ١٨٠٠ أسمى ٨٥٥

السمى ١٠٧٤ السماء ١٤٣١

الساميات ١٨٢٤

سنبك : السنايك ١٤٠

سنح : سنحت ٥٥٦ سنحت لها ١٣٦٢

سند : سناد ١٦٣٨ مسند ١٩٢ مساندة

١٨٠٣

سنر : السنور ٧٤٢ ، ٩٩٠

سنم : سنم ١٣٩٦

سنن : يستن ١٣٩٤ السنن ١٨٨٠

سنة البدر ١٢٨٦ سناسن ١٥٦٨

سنو : سناء ٢٧٣ السنا ٥٤٠ ، ٨٣٤ ،

١٠٨٥ ، ١٧٢٢ السنين ٥٧٥ ،

١٦٧٣

سهد : الشهد ٨٩ الشهد ١١٠٧

السهود ٨٧٤

سهر : ساهرا ٨٥٤

سلجم : سلاج ٥٧٠ ، ١٤٦٩

سلط : السلطنة ١٧٩١ السلطان ١٧٩١

سلع : السلع ٨٢٧

سلف : نسلف ١٧٢٩ السلفان ١٠١٨

السافة ١١٨٤ سلاقة ١٦٣٠

سلل : سل ٧٧٨ سلت ١٤٦٩ يسل

٢٩٣ السلة ١٢٥ سليلة ٢١١

السلاسل ١٣١٤

سلم : يستلم ١٦٢٢ سلام عليك ٨٠٣

السلاي ١٢٩١ السلام ١٦٢٢

سلم : سلم ١٣٨٤ مسلم ٢٣٧ مستسلم

١٤٩٣

سلو : سلوت ، تسليت ١٢٢٦ تسلا

٨٨٧ نسلى ١٣٠٠ السلا ١٤٩١

سمت : يسمت ٣٩٩

سمح : سمحت ١١١٨ سماعة ١٧٨١

سمد : سمود ٩٤١

سمر : السمر ١٦١٣

سمع : سمع ٥٢٤ أسما ٨٦٠ السمع

١٦٦٩ ، ١٦٤٥ السمع ٨٣٢ السامع

٨٦٨ مسمعات ١٧٦ مستسمع ١٥٨١

سمق : سمقا ٩٤٨

٢٦٩ ، ١٤٥٧ ، ١٥٢٦ سواء

الرأس ٦٠ سَوَى ٣٨١ ، ١٠٦٦ ،

١٢٩٦ سَوَى ٣٢٦ سَيَّان ٤١٧ ،

١٦٠٦ ، ١٧٦٧ السَوَى ١٨١٧

السَوَى ٥٨١

سَيَّب : سَيَّب ١٢٨٤ السَيَّب ١١٦٥

سَيَّر : سَيَّر ٣١٦ ، ١٣٣٧ سَيَّرِي ٥٣٠

سَيَّرَة ١٧١٠

سَيْف : السَّيْف ١٧٢ السَّيْف ٦٨٦ ،

١٥٣٦ السَّانِف ١٤٠٤

سَيَّل : السَّيَّل ١٧١ مَسَيَّل ١٤٤٢

سَي : السَّيَّات ١٨٤٢

(ش)

شَام : شَام ٤٥٦ مشثومة ١٨٤٧

الأشائم ٤٥٧ الشامية ١٣٩١

شَان : الشئون ٦٣١ ، ١٢٤٧

شَبَب : شَبَب الحَرْب ٥٦٣ تَشَبَب ١٥٩٢

شَبَاب ١١٢ مشبوب ١٥٢٣ مشبوبة

١٦٩٦

شَبَر : الشبر ٩٥٢

شَبَع : الشبع ٢٦٥

شَبَك : الشوايك ٩٩

سَهْل : سَهْل ١٥٣٢ سَهْلًا ٣٧٧ ،

١٦٩٨ سَهْلًا ٦٤٤

سَهْم : سَهْم ١٣١٧ سَاهِمَة ٧٧٠ مسهوم

١٧٩٧ سَهْم الرزق ١١٧٤

سَهْو : سَهْو ، سَهْوَان ١٦١٦

سَوَا : سَوَاتِي ١١٢٨ سَوَا ١١١٥ ،

١٧٤٤ سَوَا سَوَا ١١٤٧ سَوَات

٤١٥ السَّي ٩٩٢ السَّي ٤١

مَسَاتِي ١١٢٨

سَوْح : الساحة ٢١٧

سَوْد : سَوْد ٢٤٢ سَوْدَاء ١٥٧٤ ،

١٧٠٢ سَوْدَاء القلوب ٤١٤ أسودى

٨١٨

سَوْر : السورة ١٤٧٥

سَوَط : سَوَطَة ١٨٥٤

سَوَف : مَسَاة ١١٣٧

سَوَق : سَوَقَة ١٢٠٣ السَّيْقَة ١٦٢

كشفت عن ساقها ٥٠٤

سَوَم : سَوَمَتِي ٣٧٥ سَوَم ١٠٥ يسيم

١١٩٥ سَوَم ٧٧١ السَّوَام ٣١٧ ،

١٧٢٥ سَوَم ٣٨٩ مَسَوَمَات ١٣٩

سَيَاء ١٣٩ سَيِيَاء ١٥٨٨

سَوَى : سَوَى ١٥٤١ سواء ١٣٢ ،

٦٤٦ الشَّد ٩٦ ، ١٧٧ الشَّدَّة

٥٦٣

شَدَق : الأشداق ١٨٧٠

شَذَب : شَذَبَهُ ٧٥٧ المشَذَّب ٦٩١

شَرَب : الشَّرَب ٩٣١

شَرَج : شَرَجَ بَادِم ١٤٤٠

شَرَجَب : الشَّرَجَب ١٦١٧

شَرَر : الشَّرَّة ١٤٣٦ مُشَرَّر ٧٧٦

شَرَس : الشَّرَاسَة ٦٦٤

شَرَسَف : الشَّرَسُوف ٤٩٤ شَرَاسِيف

٧٧٥

شَرَعَ : أَشْرَعَتْ ٤٦ الشَّرْع ١١٣٨

شَرَف : يَسْتَشْرِفُونَنِي ١٢٥١ الشَّرَف

٨٩٧ شَرَف المَجْرَاب ١١٢٩

الشَّارِف ١٢٧٤ المَشْرِف ٦٤١ ،

١٠٤٨ المَشْرِفِيَة ٣٩٦

شَرَق : شَرَقَة ١٨٤٣

شَرَك : مَشْرَكَ الِيسَر ٦٦٦

شَرَى : شَرَى ٤٧١ يَشْرَى ١٠٣

الشَّرَى ٨٣٢ شَرَاة الإِبِل ١٠٢ ،

١٣١ الشَّرَوَى ٤٧١

شَرْب : الشَرْب ١٥٠ شَوَازِب ٧٢٦

شَرَز : نَظَرَ شَرَزاً ١٢٤٥

شَبَل : أَشْبَال ٥٣٦

شَبَم : الشَّبَم ١٣٩٣

شَبَه : أَشْبَهَهُ ١٥٢٧ يَشْبَهُونَ ١٦١١

أَشْبَهَهَا ١٧٠٧

شَبَو : الشَّبَا ٨٣٥ الشَّبَاة ١٠٨

شَتَت : أَشْتَات ٤٣ الشَّتَات ٣٦١

شَتَّى ١١١٦

شَتَم : المَنْشَتَم ٧٥٢

شَتَو : شَتَوْنَا ٢٤٢ أَشْتَيْنَا ١٣٥٦ شَتَوَة

٣٦٩ شَانِيَا ٣٠٣

شَجَب : شَجِبَ ٤٢٠

شَجَر : تَشَجَّرَ ٣٢٧ الشَّجِير ٥٢٧

مَتَشَاجِر ١١٠١

شَجَعَ : تَشَجَّعَ ٢٤١ الشَّجَاع ٢١٥

شَجَعَاء ١٨٠٤

شَجَن : الشَّجَن ١٣٦٧، ٩١١ الشَّجُون

١٧٤٧ الأشْجَان ٨٩٠

شَجَو : شَجَانِي ١٢٤٣ الشَّجَا ٧٩٨

شَحَذ : تَشَحَّذَ ٤٣٧

شَحَط : شَحَطَ ٧٩١ الشَّحَطَ ١٨٣١

شَخَس : مَتَشَاحَس ٣٩٨

شَدَد : شَدَّ الطَّرَف ١٠٧٠ شَدَّ نَفْسِي

١١٢٤ لَشَدَّمَا ١٣١٨ يَشْدَدُ ١٤٦ ،

- شطب : الشطب ١٧٥ ، ٦٠٣
 شطر : الشطر ١٠٧٢ شطران ٨٢٦
 شطرة ١٠٧٢
 شظم : شيطم ١٤٤٦
 شظو : الشظية ، الشظا ١٠٦١
 شعب : تشعبوا ٦٤١ الشعب ٨٢٧
 شعب ١١١٦ شاعب ٣٩٨ شعوب
 ١٥٧٢
 شعث : شعثت ٥٠٩ أشعث ١٠٤٩ ،
 ١٧٥٢ شعثت ٢٦٨ ، ١٢٣٧ ،
 ١٣٩٦
 شعر : شَعَرْنَا ١٢٤٢ يشاعر ١٨٠٦
 أشعر ٧٢٢ مُشعر ١٧٤٦ شعر
 شاعر ٥٨٤ ، ٨٥٤ ليت شعري
 ٩١٥ ، ١٠٠٥ ، ١٣٢٥ ، ١٤٠٠
 الشعري ٨٣٠ ، ١٢٧١ ، ١٥٨٨
 شمع : الشَّعاع ١٨٣ ، ١٣٦٦ الشُّعاع
 ١٠١ ، ٧٤٣ ، ١١٨٤
 شعف : شَعَفَ ١٢٢٣ الأشعاف ٢٦٨
 شعل : لإشعالها ٣٩٦ الشاعل ١٦٣٥
 مُشعل ١٨٣٣
 شغب : شغب ١٢٧٩
 شفر : الشفرة ١١٣١ الشفار ٦٧٤
 شفع : أشفع ١٧٤٠
 شفف : شف ٥٣٠ ، ١١٠٧ ، ١٤٥٨
 يشفهم ٤٩٨ الشفيف ١٥٣٦
 شفق : أشفق ١٣٣٣ مَشْفَق ٣٦٦
 شَفَقا ٢٨٤
 شفو : شفا ٤٠٣ ، ٨٦٨
 شقر : شقراء ١٦٤٣
 شقق : الشقيق ٨٠٩ الشقيقة ٥٦٦
 الشقاق ١٢٦٥ ، ١٧٤٦ الشقة
 ١٣٤٢ الشقاق ٦٦٩
 شقي : الشقاوة ١١٩١ الشقي ٢٢٨
 شكر : الشكر ٧٨٤ شكارى ١٥١٠
 شكك : شككنا ٥٦٦ الشكة ٥٤١
 شكل : مشكول ١٨٣١
 شكم : شكيمة ٢٨١
 شكو : أشكاني ٨٠٥
 شلل : شل ١٥٢ شُلَّت ١٦٦٤
 شمت : يشمت ٣٩٩
 شمر : شمّر ٣١٥ شمّرت ١٥١٣
 شمرخ : الشمراخ ١٤٨٥ الشارخ
 ١٨٠٨
 شمردل : شمردل ١٦٦٧ شمردلى
 ١٨١٨

شمس : تَشْمَس ١١٢٠ متشمس ١٨٤٣

شامس ٨٣٠ شُمس ٦٨٥ أشمس

٦٦٣

شمعل : اشعلوا ٨٣٤ مشمعة ٣٥١

شمل : أشملنا ١٣٥٦ الشمال ١٤٠٨

الشمال ٥٦٠ ، ١٠٩٣ ركب

الشمال ١٨٢١ شق الشمال ٣٣٦

الشملة ٧٢٣ الشمول ١٢٥٩ ،

١٢٧٠ الشائل ٢٢٨ ، ٩٠٤ ،

١٦٩٧ ، ٩٩٦

شم : شمعت ٥٢٤ الشيم ١٢٤١

الشم ١٦٢٣ أشم ٩٥٢ ، ١٦٦٧ ،

١٨١٨ الشم ١٤٦٠ شم المناخر

١٢٧٠

شفا : الشنء ٥٦٠ الشناة ٢٢٠

الشنآن ٢٢٢

شنع : الشناع ٧٤٢

شن : أشن ١٤٩ شنة ١٣٧٢

شهب : شهباء ٦١٨

شهد : شهدت ٦٢ شهدناكم ٥١٩

شهد ٨٧٢ المشاهد ١٠٦٦

الأشهاد ١٠٨٨

شبق : شاهقة ٣٠٢

شهم : شهِموا ١٥٩٥ مشهوم ١٧٩٧

الشهم ٨٣١

شوب : الشوب ١٦٩٢

شور : شارة ١٤٥٢

شوس : أشوس ١٣٢ ، ٩٥٢ شُوس

١٦٤٢

شوف : مشوف ٧٠٤

شوك : الشوكة ١١٨٤

شول : شُلن ١٣٤ شاول ١٥٠٠

الشول ١٠٩٤ ، ١٤٧٥ ، ١٦١٤

شوى : اشتويتها ١٨٠٣ يشوى

١٩٤ يشوى ١٥٠٢ الشوى

٦٨٨

شيب : شيبة ١٣٠١

شيج : شيجان ٩٧ مشيعة ٥٦٤

شير : الشيرى ١٣٩٦ ، ١٧٥٣

شيع : مشيع ٤٩٧ ، ٤٩٨ الأشياء

١٣٤٢ المشايح ٦٤٩

شيم : شيمة ١١٠٨ ، ١٤٦٧ الشيم

٢٨٢

(ص)

صَاب : صَبَّان ١٨٣٣

صَبَب : تَصَبَّب ١٠٨٨ الصَّبَابَة ٥٦،

٩٠٧ الصَّبَابَة ١٦٤٤

صَبَح : أَصْبَحَت ٧٤٥ دَبَّحَت ٦١٤

اصْطَبَحُوا ١٤٦٣ تَصَبَّحَ ٢٧٦

يَصْبَحُن ٧٢٥ الصَّابِح ١٤٧

الصُّبُوح ١٦٧١ مُصْبِح ١٠٠٤

مُصْبِح ٤٤٠

صَبْر : صَبْرًا ٣٩١ الصَّبْر ٢٥٨، ١٢٩

أَصْبِر ١٥٩٩ صَبُور ١٣١٩ صَبِير

١٨٠٨ الصَّبَّار ٥٠٢ الْأَصْبَار

٥٣٢ اصْطَبَارِي ١٥١٨

صَبَغ : اصْطَبَغ ١٨٥٣

صَبُو : صَبَا ٨٢١، ٦٤٣ تَصَبَّى ١٢٧٨

الصَّبَا ٩١٩، ١٢٩٨، ١٤٤٢،

صَهَب : أَصْحَبَت ٢٩٥ الصَّاحِب ٧١،

٨٤٠ الصَّحَابَة ٧٢٣، ٩٨١

صَحَّح : الصَّحَاح ٨٥٨

صَحْر : الصَّحْرَاء ١٢٤

صَدَح : الصَّدَح ١٢٦٦ صَدَّاح ١٤٠٨

صَدَد : صَدَّ ٥٠٦ صَدَدَت ١٩٠ الصَّدَّ

٣٠٧

صَدْر : صَدْرَتَه ١٩٣ الصَّدْر ٤٠٧

الصَّدُور ٥٠ ، ٤٠٢ ، ٥٣٩ ،

١٦٣٢ الصَّدَار ١٨٤٧ الصَّادِر

١١٥٢

صَدَق : الصَّدِيق ١١٥٢، ٢٢٠، ٧٢٤،

٧٤٦، ٨٠٩، ١١٣٥، ١٣٤٨،

١٦٧٢ صَادِق ٧٠٣، ٧٥٠ صَادِق

الْوَقْع ١٨٣٥ آبَاءُ صَدَق ٣١٦

أَمْرُو الصَّدَق ١٦٢٨ ابْنُ عَمِ الصَّدَق

٩٣ فَنَيَّانُ صَدَق ١١١٥ لَيْلَةُ صَدَق

١٧٠٦ صَدْفَةُ ٤٦٣ المَصْدَق ١٦٧٦

صَدَم : نَصَادِمُه ٦٣٥

صَدُو : صَدَالُه ١٠٠٠

صَدَى : يَتَصَدَّى ٩٢٤ تَصَادِيهَا ١٧٢٠

الصَّدَى ٨٧٧، ١٣١١، ١٥٨٧،

الصَّدَى ١٤١١ الصَّادَى ١٤١٥

صَوَادِي ٦٧٧، ٩٣١ المَصَادَاة ٨١

صَرَح : صَرَّحَ ٣٤ الصَّرَاح ٥٠٥،

١٥٢٥

صَرَخ : الصَّرَاح ١٦١٠ صَارَخَ ٣٨٨

صَرِيخ ١٠١٩

صَرَد : تَصَرَّدَ ١٧١٧ الصَّرُود ١٢٧٦

مَصَرَّد ٨٠٦ الصَّوَارِد ١٣٥٩

صفائح ٨٥٧، ٣٩٠ الصفاح ١٢٧٧

مصافحة ١٨٥٠

صفر: صفرت وطأبي ٧٨ تصفر ٨٤

صِفْر ١٧٨٦ صفرا ١٦٤٤ صِفْرَات

٧٥٠

صفق: يصفقه ١٦٤٥

صفو: تصطفى ١٦٤٨ الصفق ١٢٠٥

الصفايا ١٠٢٤، ١٤٥١

صقع: مصاقع ١٥٨٥

صقل: الصقال ٢٠٠، ٥١٩ الصقيل

٧٤٦

صكك: تصك ١٨٤٣ اصطكك

١٢٦٩ صكا ١١٥٤

صلب: الصالب ٧٢٢ الصليب ١١٩٧

صلت: انصلت ١٨٣٤ انصلت

١٨٢٤

صلد: صلد ٧٣٦، ٨٩٩ صلودا ١٤١١

صلع: يصلع ٣٢٢

صلل: صِل ٨٢٩

سلم: للصلم ٢١٨

صلو: صلى ٩٠٣، ١٠٨٨

صل: صليت ٨٣٧ صَلُّوا ٤١ تصلى

الصَّرَاد ١٣٩١

صرر: صرصر ١٦٤٥

صرع: صَرَعَة ٨٦٢ مصرع ٤٩٢

صرف: تُصرف ١٠٧١ الصرف

٥٤٠ صوارف ١٣٨٧

صرم: صارم ١٧٨٦ صوارم ٢٥٧

صرمة ١٧٢٨، ١٧٣٣ صرَم

١٣٩١ صريم ١٢٧٦ صريمة

١٤٥٦ صرائم ١٦١١

صري: الصرى ١٥٠٣

صعب: مُصْعَب ١٧٠٠

صعد: تصعد بي ١٠٧٠ مُصْعِد ٥٢

الصعيد ٥٢، ٤٥٠ الصَّعْدَة ٥٢،

٨٣٧ الصَّعد ٨٩٧ من صُعد ٧٣٣

- الصَّعاد ١٦١٣

صعلك: الصلوك ٣٠٦، ٤٢١،

١١٤٩

صفر: صافرة ١٥٦٣

صفو: أصفت ٤٣٨ الصفا ٦٦٦

مُصَفَّى ٥٢١

صفح: صفحت ٥٥٢ صفحنا ٣٢

صاغت ٤٩٧ نصافح ١٥٦٠

صفيح ٦٦١ صفيحة الوجه ٤٢٣

صوت : صَوْتُ ١٧٩٧ الصوت ،

الصيت ١٦٧ رجل صات ١١٩٤

صور : الصوار ٥٩٥ ، ١٢٧٦ أصور

١٦٤٥

صول : الصولة ١٠٠٦

صوم : صيام ١٦٦١ طويل صيامها

١٦٧٩

صوو : الصوى ٣١٩ ، ١٥٠٣

صيب : صِيَاب ١٤٨٢

صيح : المصْبَح ١٠٠٥

صيد : الصَيْد ١٣٠٤ الصاد ٢٤٤

الأصيد ١١٨٤ الصَيْد ١٤٩٧

صيص : الصياصى ٨١٦

صيف : العيف ١٢٢٤

صيق : الصيق ٣٣٠ ، ٣٣١

(ض)

ضال : تضاءلت ١٤٩٦ تضاءلم

١٤٨٥ الضئيل ١٨٧٦ متضائل

١٠٤٧ ، ٩٢٠

ضب : ضبابة ١٦٤٤

ضبت : ضبئت ١٣٣٣ الضبت ٩٢٥

ضبرم : الضبارمة ٤٠٠

١٨٢٦ الصالون ١٦٤٧ المصلون

١٠٣

صمال : مصمثل ٨٢٩

صمخ : الصماخ ١٥١٨ الصماخان ٥٦٦

صمد : صَمَد ١٦٩٦

صمع : أصمع ١٢٥٨

صمل : الصامل ١٠٥٠

صمم : صَمَّ ١١٠٥ صَمَّ ٦٦٧ تصامته

٣٤٣ الأصم ١٦٥٧ الصَّمَّ ٧٩٥ ،

١٤٠٤ ، ١٤٥٠ مصمم ٧٥٢

مصمات ١٨٢٣ الصميم ٦١٥ ،

٧٦٧ ، ١٢٧٣ ، ١٥٣٨ الصمان

٥٧٣

صنع : اصطنع ١٨٥٣ صنيع ٤٧١

صنيعة ١٧٦٢ ، ٤٠٥ الصنائع ٩٥١

صنن : الصنن ١٨٤١

صنو : صنوى ٢٥١

صحب . الصُهب ١٤٥٢

صهر : الصَّهر ١٤٣٧

صهو : صهوة ١٧٤٦

صوب : أصاب ٦٠ يَصُوب ١٤٢١

صائب ١٦٧٤ مصائب ١٨٧٧

الصاب ٣٣٧ ، ١١٤٤

ضبس : ضبس ٦٠١
 ضجج : الضجاج ١٠٥٩
 ضجع : ضاجع ١٠٨٦ ، ١٥٣٨
 ضاجعة ٣٢٠ ضجعى ٧٧٩ ،
 ٧٨٠ ، ١٠٨٦ ، ١٥٣٨ ضجعة
 ٧٨٠ ، ٨٨٩ الضاجع ٢٣٣
 ضحك : تضحك الضبع ٨٣٧ الضحك
 ٨٨٩
 ضحل : الضحل ١٦٦١
 ضحو : أضحى ٣٦١ ، ٩٨٦ تضحى
 ١٤٢٥ الضاحى ٩١٠ ، ١٨٠٥
 الضواحي ١١٠٥ ، ٥٢٣
 ضرب : مضاربة ٢٦٦ الضرائب
 ٦٥٣ الضربان ١٨٧٧ مضطرب
 ٢٨٧
 ضرج : ضرج ٧٥١ ضرج ١٨٤٣
 ضرح : يضرحن ١٤٠٤ الضريح
 ٨٥٥ ، ٩٤٤ مضرحية ٦٣٦
 ضرر : أضر ١٠٢٢
 ضرس : الضرس ٥١٧ الضراس ١١٩٧
 مضروس ١٤١٠
 ضرع : تضرع ١٣٤٤ أضرع ٧١٨
 ضرم : الضرم ١٦٥
 ضرى : ضار
 ضمع : تضعضع ٩٥٢ تضعضعوا ٧٩٥
 ضعف : الضعف والضَّعْف ٥١٤
 مضاعفة ٧٣٣ ضعاف ١٣٠٤
 صم : ضيغم ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧
 ضغن : الضغين ٩٢٤ الضغينة ١١٢٤
 ١١٦٨
 ضفف : الضفف ٧٦٨
 ضلع : تضلعت ١٧٢ مضلعة ٥٤٩
 ضلل : أضل ١٣١٩ ضلل ١٧٧٥
 ضلة ٧٦٠ ، ٩١٥
 ضم : تضمر ١٠٢٤ الضمار ١٢٤٠ ،
 ١٥١٥ ضوامر ٥٩٧ ضمّر ١٠٥٩
 مضمرات ٥٢٦
 ضم : ضمت ٤٩
 ضمن : ضمنا ١٥٦٠ الضمين ١٦٠٦
 ضمان الله ١٣١٦
 ضمير : تضير ٢٢٠ يضير ١٣٥٣ يضيرها
 ١٣٥٢
 ضيع : أضع ٧٥ ضاعت له ٢٨١
 أضيع ١٣٧٣
 ضيف : الضيف ١٤٢
 ضيق : ضاق عليه ٦٤٩
 ضم : أن تضاموا ٥٨١ الضيم ١١١ ،
 ١٢٥ ، ٦٥٨ الضيم ١١٩٥

ضبس : ضبس ٦٠١
 ضجج : الضجاج ١٠٥٩
 ضجع : ضاجع ١٠٨٦ ، ١٥٣٨
 ضاجعة ٣٢٠ ضجعى ٧٧٩ ،
 ٧٨٠ ، ١٠٨٦ ، ١٥٣٨ ضجعة
 ٧٨٠ ، ٨٨٩ الضاجع ٢٣٣
 ضحك : تضحك الضبع ٨٣٧ الضحك
 ٨٨٩
 ضحل : الضحل ١٦٦١
 ضحو : أضحى ٣٦١ ، ٩٨٦ تضحى
 ١٤٢٥ الضاحى ٩١٠ ، ١٨٠٥
 الضواحي ١١٠٥ ، ٥٢٣
 ضرب : مضاربة ٢٦٦ الضرائب
 ٦٥٣ الضربان ١٨٧٧ مضطرب
 ٢٨٧
 ضرج : ضرج ٧٥١ ضرج ١٨٤٣
 ضرح : يضرحن ١٤٠٤ الضريح
 ٨٥٥ ، ٩٤٤ مضرحية ٦٣٦
 ضرر : أضر ١٠٢٢
 ضرس : الضرس ٥١٧ الضراس ١١٩٧
 مضروس ١٤١٠
 ضرع : تضرع ١٣٤٤ أضرع ٧١٨
 ضرم : الضرم ١٦٥
 ضرى : ضار

(ط)

طائاً : طائانه ١٣١٠

طبب : طبها ٣١١ مطبوب ١٢٦٨

طبخ : طبناخ ١٦٨٩

طبع : طبعتها ١٧٥٠ الطباع ٦٥٣

طرب : الطرب ١٢٥٦ طرباً ٢٩٥

طرح : طرحت به ١٥٥٨ طروح ١٨٣٥

طرد : الطراد ٦٢ الطريدة ١٦٢

مطرّد ٥٦٩ ، ٣٩٠

طرد : طرّد ٩٨٢ طرّد ١٨٧٥ الطرير

١١٥٤ الطرّر ١٧٣٢

طرطب : الطرطب ١٨٦١

طرف : أطرف ٥٧١ الطرف ٩١٤ ،

٢٢٨ ، ١٠٧٠ الطرقاء ٥٦١ ،

١٤٠٦ طريفة ١٦٨٢

طرق : طرّق ١٨٤٧ طرّق ١٨٥١

الطارق ١٢١ ، ١٥٧٥ مطرق

١٠٩٢ ، ٧٢٩

طرى : المطرى ٢٥٤

طم : الطعام ٣٣٧

طفت : طنفت ٩٠٥

طفل : أطفال حبها ١٢١٨

طاج : الطاج ١٧١ الطلاحيات ١٨٢٤

طلع : لم نطلع لها ٢٣٦ تطلع ٦٢٨

الاطلاع ١١١٦ طلاع ١٤٠٤ ،

١٦١٥

طلق : الطلق ٦١٩ ، ٩٠٦ طالق

١٧٣١ ، ٨٤٨

طلل : طلل ١٣٢٢ طلّ ١١٧ مطلول

٩٨٧ مطلق ٤٢٣ الأطلال ١٢٢٤

طمأن : اطمئن ٣٧٢

طمر : الطمر ٨٩ طمرة ١٧٦٤

طمع : لا تطمعوا ٢٢٤ الطمع ١١٦٣

طم : أطم ٧٧٦

طنب : الطنب ١٥٠٧ ، ١٥٦٤ ،

١٥٧٩ الأطناب ١٠٩٨

طنز : التطنز ٣٠٩

طوح : تطويع ٧٧٩ الطوايح ١٥٥٨

طور : طوراً ١١٧٤ ، ١٣٧٢ طورين

١٤٦٨ أطوار ٦٦٨

طوع : اسطاع يسطيع ٨٦٢ ، ١٠٨٤

تسطيع ١٢٥٥ لا يسطيعها ١١٩٧

لم نسطع ٨٦١ طوعاً ٦٧١ ، ٩٠١

الطاعة ١٣٠٦ ، ١٧١٧

طوف : طوف ١٠٠٩ نطوف ١٢٧٧

طول : طالما ٨٧٥ ، ٩١٨ طالها

١٧٩٥ طائل ٢٢٧ ، ٥٦٤ ، ٤٣٤

متطول ٢٤٧ طويل ٧٤٤ طويل

المدار ٩٨٨ طويلًا ١٠٠٦ طول

٨٧٧ طول ٦٤٩ ، ١٧٩٧ طول

٤٩٩

طوى : تنطوى ٢٧٤ طوى الكشح

٣٢٠ ، ١١٠٦ طوى البطن

١٦١٧ طاية ١٥٣٦ طيان ١١٠٦

طيب : طيب ١٦٨٨

طيح : تطايح ١٤٠٤

طير : طرت بها ١٨٠٤ طاروا بها

١٤٥٠ طرتم ٤٥٦ طير ١٤٧٨

مطاراة ١٢٥٦

طيش : طائش ٨١٨ طائشات ١٣٠٤

طيف : الطيف ٦٤٤

طين : يطان ٦٦١

(ظ)

ظبي : لحم ظبي ٥٨١ الظبات ١٠٨ ،

١١٨

ظور : أظري ١٨٣٢

ظمن : أظمنت ٨٢٦ الظمان ١٣٨٢

ظفر : ظفرتنا عليهم ١٥٤٨ ذو ظفر

١٠٧٣

ظلل : ظل ١٨٦٤ ظلت ١٦١ ،

٧٣١ ، ١٠٦٧ أظله ١١٦٢ الظل

١٣٧٧ ظل ظليل ٥٨٤ الأظل

٨٣٦

ظلم : ظلم ٢٨٠ أظلم ١٤٦١ الظلم ٣١ ،

١٢٦ ، ١١٩٣ الظلام ٧٥٢ مظلمة

١١٠٦ المظلومة والظلم ١٢٦ الأظلم

٩٧٢

ظنب : عارى الظنائب ٨١٩

ظنن : أظن ١١٣٤ تظنون ١٥٣٣

الظنة ١١٣١ مظنة ٩٦٤

ظهر : تظاهر ٢٦٣ ظاهر ٢٣٨ ظاهرة

٥٧٣ ظهر الغيب ٤٤٦ ، ١٤٣٦

على ظهر ٦١١ ، ١٠٥٦ شمس

الظهيرة ١٠٩٦ مظهرات ١٨٧٥

(ع)

عبأ : عبأت ٧١٩ العبء ٧٢٨

عجب : العيوب ٢٢٣

عبد : تعبدنى ٣١٨ عبد المقد ١٤٨٢

عجل: تعجلتها ٦٠ عجل ٨٠٧ مستعجل

١٥١٢ مستعجلين ١٨١٩ المجول

١٠٧٤

عجلز: عجلزة ١٩٤، ٥٥٣

عجم: عاجمت ٧٠٧ المعجم ١٤٠٤

الأعجم ٣٨٨

عجن: العجان ١٤٧٥

عدد: أعد ١٨١، ٢١٥ أعدت.

١٧٥ استعد ١٧٧ عدوا ٤١٦

معد ٧٥٥

عدمل: عداميل ١٠٥٠

عدن: العدان ٧٦٥ المعادن ٧١٥،

١٦٠٥ عيدان ١٦٢٧

عدو: عدا ٩٤٧ عدوا ٩٤٧ تعادوا

٥٦١ نعديين ٢٠٠ لم تعد ١٠٥١

عدوة ٤٥٥ العدوان ٣٥، ١٧٥

العداء ١٧٥ عدايات ٩٢٣ العدو

١٩٠، ٤٣٧ العدى ٩٨، ٣٥٩،

٨١١، ١٣٣٥ الأعادى ١٥٣

عذر: المذر ١٨٣٢ الماذر ١٥٣٧

المذارى ٥٥٠، ١٧٠٤ عذور

١٠٤٧

عذف: عذوف ٩٩٤

عبدينا ١١٧٧ المبدان ٦١٤،

١٤٦٣

عبر: العبرات ١٤٠٥ الشعري العبور

١٥٨٨، ١٢٧١

عبس: عبس ٨٤١ عبوس ١٤٩

عبق: عبق ١٦٣٣

عبل: عبل ١٣١٧ المابل ١٤٦٩

عتب: أعتبه ٤٠٠ معتب ١٠٣٦

عتبي ١٦٧٩

عتيد: عتيد ٥٨١، ٨٢٠ عتيد ٦٧٩

عتق: عتيق ١٧٦١ عتاق ٣٠٣،

٧٣٨

عتل: يمتلونه ٢١٢

عثر: العانور ١٣٢٦

عثن: عثنون ١٨٧٩ ضمخ الصانين

١٠٤٧

عجب: العجب ٨٥٨ عجبا ٩٥٢،

١٥٥٠

عجج: العجاجة ٧٧٤

عجر: العجر ١٨٧٠ معجز ١٦١٩

عجرف: تعجرف ١٤١٠ عجارف ١٧٢١

عجز: ابن عجرة ١٢١٠ عجوزة ١٤٧٥

الأعجاز ٥٣٩ حبل عاجز ٥٦٢

عرق : عارق ١٧٤٧ مُعْرِق ٩٦٧

مُعرِّقة ١٢٨٣

عرقب : تعرقبت ٥٧٨ العرقوب

١٥٠٤ ، ١٢٧٣

عرك : تعرك ١٢٠٠ يعرك ١٢٥٦

عريكة ١٥٠٣

عرم : اعترمت ٥٥٥ عرمم ٥٢٤

عرين : العرين ٣٣٢ العرينين ٩٣٨ ،

١٦٢٣ شم العرائين ٦٨٩

عرندس : العرندس ١٥٩٣

عرو : عراقى ٥٧ عرتقى ٥٦ اعتره

٥٧

عرى : أعراه ١١٤٢ يعروى ٩٦

مُعرِّها ١٨٤٣ الماى ١٣٧٢

عربية ١٤٤٢

عزب : تعزبه ١٥٢١ العازب ١٤٦

العازبة ١٣٤٦ عزابكم ١٧٤٥

عزذ : عزتني ٦٢١ عزها ١٣١٣

العزير ١١٣ عزعير ٥٨٣ أعزة

٩٣٤ أعزهم ٨٤٦

عزل : عُزلت ١٧٤٨ المزال ٣٥٣ .

عزم : اعترمت ٥٥٥ العزم ٧٣ العزيمة

عذفر : عذافرة ١٠٢٣

عذل : الماذلات ٣٠٤ المواذل ٣٠٨ ،

١٦٥٥

عرب : تعرب ١٤٨٣ العاربة ١٥٢٤

العرباء ، المستعربة ١٥٢٥

عرج : تعارج ٢٢٨ معرج ١٤٢٢

عرد : عرتد ٦٢١ معرد ٦٧٢ العرد

١٨٤٠ عردة ١٤٥٢

عرد : عره ٥٧ المعتر ١٥٧٥ العرار

١٢٤١ العراعر ١٣٨٦ ، ١٧٠٢

عرس : يعرس ٦٦٤ معرس ١٠٦٣

عرسه ٣٠٩

عرش : عرشي ٢٩٦ العرشان ١٠٨٧

العروش ٨٤٥

عوص : عوصات ١٨٥٢

عرض : أعرض ١٢١٧ ، ١٥٦٦

أعرضت ٤٦٢ ، ١٢٤٣ ، ١٥١٧

تعرضت النجوم ١٢٧٢ لاتعرض

عرضه ١٤٦٢ العرض ١٨٢٩ عن

عُرض ١٢٩٥ العرض ٧٤٦

أعراضنا ١٥٦١ أعراضها ٣٩٤

عارض ٩٢ ، ٣٦٦ ، ٤٤٥ ،

٧٣٠ عراض ٤١٧ عريض ٧٤٤

- عصو : عصا الدين ٦٦٧
 عصي : عصينا ١٧٣ نعتي ٧٥٢
 عضب : عضبه ٦٠ العضب ٦٠ ،
 ١٤٢ ، ٥١٢ ، ٥٦٩ ، ٧٤٦ ،
 ٧٦٤ ، ١٥٣٠
 عضد : الماضي ٩٥٥ الماضي ١٧٦٩
 عضض : أعضه ١٦٤٩ يعض ١٨١٩
 عَض الزمان ٢٤٢ المَض ٦٧٠
 عضل : داء معضل ٨٧ معضلة ٥٤٩
 المعضل ١٠٣٩
 عضه : العضه ١١٨٦ العضاه ١٠٩٢
 عضو : العضو ١٨٤٣
 عطب : العطب ١٥٦٧
 عطش : العطش ١٨٨٢
 عطف : العطف ٩٤ ، ٦٢٥ العِطاف
 ٨٣٤
 عطل : العاطل ١٢٥٨
 عطو : لم تعط ٣٨٣ المَطَاء ٩٩٨
 عنج : الأعفاج ١٤٩٥
 عفر : تعفر ٣٣٩ المتعفر ٤٢٢ منعفر
 ١٩٢ ليث عفرين ٢٦٩
 عفف : عف الشمال ٩٩٦
- ٦٩٤ العزمات ٧١
 عزى : عزى ٨٢٤ أعزى ٩١٧
 يعتزون ٣٣٤ تعز ٢٥٨ عزاء ٧٩٣
 الاعتزاء ١٧٢
 عسر : عسرت ٦٣١ عسير ٣٤١
 المسور ١١٦٤
 عسس : تعسس ٦٥٣ العُسس ٣٩٨
 عسف : الاعتساف ١٥٨٠ العسيف
 ٦٤٦ معسفا ١٣٩٩
 عسكر : المساكر ١٠٧٨
 عسل : عسول ٧٤٧
 عشب : اعشوب ٩٩٨ معشاب
 ١٠٩٨
 عشر : العشار ٥٥١ المعشر ٢٧ ، ٥٨٦
 عشو : عشية ٨٠٠
 عصب : عاصب ٣٣٠ عصبه ٨٤٨
 عَصَب ١٥٦٧ عصابة ١٤٣٠ ،
 ١٤٣١ العصائب ٧٢٨ ، ١٨٢٢
 عصر : الأعاصر ١٥٤٠ معاصر ١٤٥٢
 عصل : أعصل ١٢٧٩
 عصم : العصم ١٣٠٢ مُعَصِم ١٥٨٠ ،
 ١٨٦٣ مِعَصِم ١٣٧٠

عقم : عقيم ١٦٠٥ عقيم الرياح ١٧٠٣
عكر : أعكر ٣٨٥ تعكر ٦٩٠ معكر
٤١٠

علد : العلندي ١٧٥

علف : العلاف ١٠٩٧

علق : علق ٣٥٢ علقت العلوق ١٠٤٧

يلق ١٨١٥ العلق ١٣٨٤ ،

١٦٣٨ ، ١٨٤٦ العلق ١١٧٢

العلق ٢٠٩ ، ٢٧٤ العلوق ٤١٧

معلق ١٧٤٥ علائق ٦٢٧

علقم : العلقم ٣٣٧ ، ١١٤٤

علق : تعلق ٦٨٨

علل : علل ٨٠٦ عللت ١٧٢ أعلل ١٧٤٠

العلل ٣٩٦ ، ٨٣٧ عللة ٢٢٣

تعلة ١٩٥ ، ٤٩٤ ، ٥٤٩ عللات

الزمان ٧١١ العلل ١٩٥

علم : علم ٢٨٨ علمت ٢٢٢ ، ٨٧٧

الله يعلم ١٨٨ ، ٨٧٦ أعلم ١٤٤٢

تعلم ٩٨٠ ، ١٤٣٣ تعلم ٤٢٨

تعلى ١٢٣٥ العلم والعرفان ١٢٢٣

العلم ١٣٣٣ المعلم ٧٧٤ عليم ١٧٢٠

علو : علوا ٣٥٨ تعالوا ٢٥٦ عليك

عنو : عنوت ٢٠٤ تنفو ٧٨٧ عنوا

١٧٥٨ العاني ٨١١ ، ١٦٥٣ عاني

الطير ٦٥٩ العواني ٤١٠ ، ١٦٥٧

العناة ٥٥١ عاني ١٦٨٥ معنيك

١٧٦٢ عوائف ٦٤٨ العافية ٨٠٤ ،

١٦٥٣ ، ١٥٤٥ ، ٨١١

عقب : تعقبت ٥٧٨ عوقبت ٥٥٤

يعقب ١١٢٩ العقب ١٤٢٤

العقب ٦٤٦ ، ١٧٠٦ ، ١٧٩٥

العقاب ٧٦٤ ، ١٤٠٠ بعاقبة

١٨٥٣ عواقب ٩٩٣ الأعقاب

١١٢٥ ، ٨٢٠ ، ٧٦٠ ، ٢١٩

عقد : العقد ٧٣٠

يعقر : تعقر ١١١١ العقير ٥٢٨ المقور

١٧٠٦

عقرب : عقربان ١٤٧٤ عقربة ١٤٧٥

تدب عقاربه ٣١٨

عقل : أعقل ١١٢٨ لا تعقلوا ٢١٧

العقل ٢١٥ ، ٧٠٢ المقول ١١٦٤

معقول ١٢٢٧ معقولة ٢٩٩ المعقل

٢١٥ عقيلة ٣٧٨ ، ٥٣٦ عقائل

١٤٠١

- ٧١٠ علام ٦٣ ، ١٥٩ ، ٣٤٩ ،
 ١٦٧٧ على الظلام ٨٤ من عل
 ٦٧ على النجم ١٢٣٣ علوى الرياح
 ١٣٣٢ العوالى ٥١٩ ، ٦١٥ الملقى
 ١٦٥٩ الأعلى ٥٣٨ ، ٨٢٢ الملى
 ١٣٠٥ العلوان ٧٢١
 حمد : عدا ٧٣٠ عامد ١٤٢١ عبيد
 ١٠٢٠
 هر : عرت ٧١٤ عرتم ٩٢٨ العمر
 ٤٨ ، ١١٥٧ ، ٢٣٤ لعمرك ٣٧٥ ،
 ٤٦٩ ، ٧٥٩ ، ٩٩٧ ، ١١٢٦ ،
 ١٨٨٦ لعمرى ٣٥٨ ، ٦٢٥ ،
 ٧٠٣ ، ٧٣١ ، ٨٨٨ ، ٩٧٤ ،
 ١٠٤٦ ، ١٠٥٦ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٨ ،
 ١٦٤٠ لعمر أليك ٧٠٠ ، ٧٤٤
 لعمر أبى ليلى ١٣٣١
 خمس : العامس ٦٩٩
 عمل : اليعملات ٨٨٤
 عملس : عملس ١٧٤٩
 همم : العم ٢٨٢ ياعم ٢٦٦
 عى : تماى ٢٢٨ الماء ١٦٥٩ عماية
 ٣٦٦ فتنه عمياء ٤٦١
 عنبر : العنبر ٢٢ - ٢٣
 عنج : عناجيج ٩٨٥
- عندم : العندم ٣٣٦
 عنس : عنست ١٠٨٧ عنس ١٨٢٠
 عنف : عنفوان ٥٣٦
 عنق : العنوق ١٨٦١
 عنن : العنان ٦٢٤ ، ١٧٨٦ العنوان
 ١٣٦٢
 عنو : عنوة ٤٣٠ عان ١٠٤٣ ، ١٦٢٠
 العناية ٩٣٩ العنوان ٧٢١ ، ١٣٦٢
 عنى : عنت ١٨٨٦ العنيان ٧٢١
 عهد : تعهدت ٥٧٩ تعهدك ٩٤٧
 العهد ١٢٢٩ متعهد ٨٠١
 عهر : العهار ٢٧٠ ، ١٤٥٣
 عهم : عيهم ٧٦٢
 عوج : لم تعج ١٠٨٩ عوجا ٩٧٦ ،
 ١٣٣٩ العوجاء ٥٦٣
 عود : عادها ١١٠٧ العود ١٣٥٩
 عادة ١٧١٧ معاد ١٧٢٨ معودة
 ١٢٣ العادى ١٦٦٠
 عوض : معاذ ٣٧٨ ، ٤٧٤ ، ١٤٣٥ ،
 ١٨٥٩
 عور : العوراء ١٧٩٣ مَور ٧٩
 عوز : أعوزتها ٧٢٥ أعوزهن ٣٤٨
 مَوز ١٥٠٢
 عوض : عوض ٥٣٨

غبق : اغتبقن ٧٣٠ يغبقن ٧٣٠

الغبوق ١٦٧١

غبو : الغباوة ١١٩١

غثت : الغث ١٧٣٦

غشو : غشاء ١٤٥٨

غدر : غادرت ١٠٩١ القَدَر ٥٥٤، ٧٠

غدف : غُذاف ١٨٦٤

غدق : غيداق ١٦٢٧

غدو : غدوا ١١٠١ اغتدت ١٠٨٩

الغد ٨١٥ غدائذ ٨٩٤ لدن غدوة

١٢٧٠ النوادي ٩٠٦، ٩٤٥

غذم : غذمزم ١٦٠٤

غذو : غذا ٣٧، ٢٤٣ غذوتك ٧٥٤

غرب : الغرب ٤٣٦ الغرب ١٤٤٦

الغوارب ١٦٦٧

غمر : أغمر ٥١٠ غمر ١٠٠٠ اغتمروا

١٤٥٩ يغمرغر ١٦٥٠ على غرة

٤٩٥ الفرات ١٧١، ٦٣٨ غرار

النوم ٤٩٢ الفران ٧٦٣ الفرات

١٧١، ٦٣٨ أغر ٨٧١، ١٧٩٢

غرّان ١٥٠ مفترة ١٢٨٦

غرز : الغرز ١٢٥٧ غارزاً ١٤٣

غرض : غرض الدابة ١١٦٥ غرض

الردى ٧٩١ غرض ٦٥٢

عول : عُلتك ٨٥٤ عالى ٢٨٥ عيل

صبرى ١٨٧٨ عولة ٨٧٨ إعوالم

٥٣٨ معول ٢٥٨ المعولات ٩٧٣

العيال ١٧١، ٢٧٣، ٦٣٨

عوم : تعوم ٧٦٧

عون : العوان ٣٦٨، ٣٩٥، ٤٧٣،

١٤٣٧، ٨٤٢

عوى : عوى ١٥٨٠

عيب : عيبة ٧٧٤ ماب ١٤٢٤

عير : عيرتنا ٢٣٩ تعيرنا ١١١ عائر

١٤٨٥ العير ٤٢٦، ١٤٥١،

١٤٥٢ أعيار ٢٥٥ العير ٧٧٧

عيس : العيس ٦٧٧، ١٢٤٠، ١٢٤٦

عيش : العيش ٩٥٤

عيص : عيص ٦٠٢

عين : العين ١٠٣٨، ١٢٢٠، ١٥١٥

عين الجواد ١٦٩٢ معين ٥٩٥

عى : تعياً ١٦٣٩ المأعى الجواب ١٧٣٣

(ع)

غجب : يغب ٥١٩ الغب ٣١٣،

١٢٤٢ مقبة ١١٢٠ المتغيب ٣١٣

غبر : الغبر ١١٨٦ غبر الحيفة ٨٦

الغبراء ٨٤٧ المغبر ٤٥٨ المتغبر ١٣٤

غبط : أغبط ١٣١١ تغبط ١١٣٢

غلو : أغلين ١٠٥ المُغالي ١٧٦٤
 غمد . تغمّد ١٤٤٦ تغمّد ١٢٣
 غمر : غمره ٤٠٢ يغمر ٣٤٦ غمر الرداء
 ٤٣٢ غمر الندى ١٣٩٤ غمرات
 ٥٩ ، ٧١ غمار ٥٩
 غمز : تغمز ٢٤٠
 غمس : منغمس ٥٩ المغامس ٦٩٩ ، ٥٩
 غمض : أغمض ٩٩١ غامض ٦١٧
 غم : الغمة ٦٥٢ الغمّي ١٣٤٨ ،
 ١٤٩٨ الغماء ٥٠
 غمو : الغما ١٠٨٧
 غنن : أغنّ ٧٠٣ غناء ١٣٠٨
 غنى : الغانية ٥٣٥ ، ١٣٥٨ الغواني
 ٤٥٩ ، ١٣٣٧ الغنى ٤٩٥ ، ١٢٨٣
 غوث : غياث ٩٦٢ غيَّث ٢٣٦
 غور : الغار ٥٩٧ ، ٦١٤ غارة ١٥٠ ،
 ٦١٤ الغورى ١٣٣٧
 غوط : الغائط ١١٣٧
 غول : غالت ١٠٤٧ غالى ٢٨٥
 تغولت ١٠٧٨ اغتالها ١٤٧٣
 الغول ٢٨ ، ١٠٦٨ المغول ١٤٧٣
 غوى : الغواية ١٢٧٨ غية ١٠٣٤
 غيب : الغابة ١٠٣٩
 غيد : أغيد ١٢٥٨

غرم : الغريم ١١٩٣ مغرم ١٢٦٨
 غرنق : الغرائق ١٣٨٥ غرائيق ١٣٨٩
 غرو : يغرى ٤٩٦ لا غرو ١٣٧٥
 غسس : الغُسن ٣٥٣
 غشم : غشوم ٨٣٠ غشمشم ٢١٣
 ٨٤ غشم
 غشى : غشيت ٦٠ الغواشى ٥٠
 غصص : غصة ١٤٠٥
 غضب : إن تغضبوا ٣١٦ مغضبة
 ٥٧٧ غضبان ١٨٩٩ غضوب ١٧٠٤
 غضض : أغض ٩١١ غضة ١٤٤٨
 غضف : المنغضف ١٨٠٦
 غضن : الغضون ١٨٤٠
 غضى : يُغضى ١٦٢٣
 غطرس : متغطرس ٥٣٦
 غطى : غطاء الرأس ١٢٩٣
 غفر : مغفر ٤٦٨
 غفل : أغفلها ٣٩٤
 غلب : أغلب ٢٥٤
 غلف : غُلف ١٤٧٨
 غلق : الغلق ٩٣٢ غلق ١٦٢٠ مغالق
 ٥٥١ مغالق ١٧٤٥
 غلل : تغلغل ١٣٥٤ الغلل ٧١٧ الغلة
 ١٢٩٧ الغليل ٩٥٥ مغللة ١١٢٠

فجج : الفجاج ٩١ ، ٧٦١ ، ١٤٨٧

فحص : يفحصن ١٧٧

فحل : الفُحَال ٧٥٧

فخم : الفاحم ٧٣٠

فخم : فخمة ١٧٠٢

فدح : فادح ١٣٤٤

فدن : أفدان ١٦٢٧

فدى : فدية ٢١٦ الفداء ١٢٠٧ مفدأة

٢١٠

فذذ : فذذ ١٨٤٣

فروج : تفرُّج عنه ٤٨٥ يفرج ١١٠

تفرج ١٢٢٣ فارح ٧٦٣ فروج

٧٦٢ ، ١٤٩٦ مفرجة ١٨٠٣

فرح : الفرح ٨٥٣ مِفراح ٩٢٦

فرد : أفردوني ٢٩٦ الفرد ١٨١ ، ٧٣٠

فرداً ١٨١ الفريد ١٤١٢

فور : تفتّر ١٨٧٨

فوس : تفرس ٦٨١ فارس ١٢٨٢

فوارس ٣٩ ، ٦٩٧ ، ٧٦٦ ،

١٣٩٢ الفارسي ٨١٣

فرض : الفرائض ٦٤١

فرط : فرط الحزن ١٠٧٨ فراطة ١٧٠٢

فرع : فروع ١٢٦١ فوارع ١٤٦٠

أفرع ٣٢١

غير : غير ٩٦٩ ، ٧٠٩ ، ٤٣١ ، ٣١٤

١٠٦٢ ، ١٧٥٩ غيرى ١٦٧٩

غيض : غيَضَ ١٣٨٣ تغيض ٨٥٨

غائض ٦١٦

غيظ : غيظة ٧٧٨

غيل : الغيل ٦٤٤ الغيول ١٢٦٠

غين : الغين ١٣٠٨ الغيناء ١٣٠٨

غهي : الغاية ١٠٣ غياية ٣٦٦ المغياة

١٣٢٦

(ف)

فأد : مفائد ٥٥٨

فأر : الفأر ١٦٣٧

فقت : فُتّت ٨٩٩

فتر : فُتّر ١٨٤٥

فتق : تفتق ١٠٩١

فتك : فأتك ٩٧

فتكر : الفتكرين ٥٧٥

فقل : فُتِل ٤٩٢ فقلأ ٧٦٢ فُتِل

١٢٧٦ افتال ١٧٩٣

فتو : تفتيت ٥٤١ الفتى ٩٨٥ ، ١٠٦٥

فتو ٨٣٤ فتية ٤٤٨ الفتى ١٢١٠

الفتيانبة ١٢٦٨

فتى : الفتوى ٤٧١

فتأ : نشأ ١١٨٥

- فرق : أفرق ٥٤ فرقة ١١٣٤ فَرَوْقة
 ٩٠٣ مفارق ٦٩١
 فرقد : الفرقد ٦٤٥
 فره : مفرهة ١٦٣٨
 فرى : تفرى ٧٠٩ تفرى ١٢٧٨
 فوز : أفرز ١١٠٥
 فزع : فزعت ٣٧٦ أفزع ٣٤٣ أفزع
 ٩٥٤ فزع ٣٧٦
 فسد : حرب الفساد ٦٣٤
 فسل : الفسل ١٤٨٨
 فشل : الفشل ١٤٨٨
 فصد : الفصد ١٤٦٧
 فصعل : الفصعل ١٨٧٦
 فصل : المفصل ٤٠١ فيصل ٢٥٦
 فعم : يفعم ٧٦٣
 فضح : الفضح ٥٠٤
 فضض : فضض ١٥٩
 فضل : فضلتهم ١٧٩٥ فضول ١٠٢٦
 فواضل ٨٥٦ ، ٩٥١
 فضو : فضاً ١٧٦٥ منضى النصح ٧٣٧
 فطر : الفطور ١٣٥٤
 فطن : فطن ١٥٨٥
 فظاظ : فظاظه ٢٨٤ الفظ ٣٣٩
 فعل : افتعال ١٧٩٤
 فعم : مُفعم ٢١٦ ، ١٥٣٥
 فعو : أفعى ٨٢٩
 فغم : تفغمى ١٥٢٣
 فعو : فعو ١٦٣٠
 فقد : تفقدت ٥٧٩ تفاقدتم ٣٨٦
 تفاقدوا ٢١٤ تفقدت ٨٩٩ الفواقد
 ١٠٦٥
 فقر : يفقر ٣٠٥ فقير ١٣٠٥ أفقر
 ١١١٨ ، ١٣٠٥ الفاقر ١٧٢٤
 الفقور ١١٧٧
 فقع : فقّع ١٢٧٥ فقّع بقرقر ٥٨٢ ،
 ١٥٣٦
 فكك : ما انفك ١٠٥٧ لا تنفك
 ١١٠٣ لا ينفك ٦٢٥
 فكه : الفكاهة ١٥٦١ الفكاهة
 ١٠٩٨
 فلج : فلج ١١٧٤
 فلذ : فلذة ٢٨٨
 فاس : الفاس ١٧٢٥
 فلق : تلقى ٣٩١
 فلل : فللوا ١٣٩١ نفل ١١٨٤ الفل
 ٣٣٤ الأفل ٨٣٣

(ق)

قَبب : قُبَّ ٧٢٦
 قَبْر : لا تقبروني ٤٨٨
 قَبْس : يقبس ١٥٢١ القبس ٤١٩ ،
 ٧١٩ القابس ٤٢٣
 قَبْص : القبص ١٤٣ ، ٥٨٧
 قَبْض : قبضت عليه ١٠٤٠ القبض
 ١٤٣
 قَبْطَر : القبطرية ١٧٤٨
 قَبَل : القَبَل ٨٤١ القابل ١٠٥٠ ،
 ١٧٢٢ القوابل ٦٤٠ قبيل ٨٩٠ ،
 ٩٨٩ مقَبَل ٢٩٠
 قَتَب : القتب ٥٧٧ ، ١٢٠٧
 قَتَد : القتود ١٥٠٧ ، ١٦٥٦
 قَتَر : يُقَتَر ١١٩٤ الإقترار ١٧٥٧ القُتَر
 ١٥٣٧ ، ١٨٠٨ القتير ٥٢٥ المقتر
 ١٧٢٢ المقترون ١١٣٤
 قَتَلَ : قتله عنى ٣١٥ ، ١٤٦٢ تقتال
 ٦٨٦ الأقتال ١٤٦٥
 قَم : القَم ٣٣٢
 قَحْب : القعبة ١٨٥٠
 قَحْم : اقحمها ١٥١٧ القُحْم ٦٨٨ ،

فلو : افتلينا ١٠٤
 غَلَى : تستغلى ٥٤٢
 فَنَد : تفندنى ٦٦٤ يفند ١٥٨٤ يفند
 ١٣٤٥ الفَنَد ٣٢ الأفناد ٢٢٩
 الإفناد ٢٢٩
 فَنَق : الفنيق ٢١٢
 فَنَن : فَنَن ٩١١ ، ١٢٨٩ أفنان ١٨٣٥
 فَنُون ١١٣٨ فينانة ١٤١٧
 فَنَى : الفناء ٨٠٠
 فَوْت : أفاته ١٠٢٦ الفوت ١٦٨
 فَوْض : تفاوضنا ١٢٥٤ فَوْضَى ١٧٦٥
 فَوْف : الفوف ١٨٠
 فَوْق : فُوق ٨٩٠
 فَيَأ : أفأت ١٠٩٧ أفاءها ١٨٦ الفىء
 - ١٣٧٧ فيئامها ٩٤٨
 فَيَد : أفاد ١٧٥٨ أفدت ١٦٣٠ أفيد
 ١١٦٩ تفيده ٦٤ مفيد ٦٢٥
 فَيْش : فيشة وفيش ١٨٤٩
 فَيْض : أفيضوا ١٨٤٥ الفيض ١٣٣٣
 فَيَاض ٨٠٦ ، ١٧٣١ المفاضة
 ١٠٤٨
 فَيْن : فينة ١٥٧٢ ، ١٧٤٢

قَرَح ٨٥٢ قَرَح ١٦٢٥ قَرَح

١٦٥٤ قَارَح ١٣٨ ، ٣٢٣ أَقَرَح

١٨٣٠ قَرَحَى ٢٢٩

قَرَد : قَرَادَا الزَّوَر ١٧٤٩

قُر : يَقْرُ بَعِي ١٣٠٧ تَقْر ٨٦٢ الْقُرْ

٨٣٠ قَرَّة ١٤٤٢ ، ١٥٠٢

الْقَرَنان ٧٢٥ ، ١٠٢٤ القَرَات

١٥٧٤ قَرَقَر ١٥٣٦ قَرَاقِير ١٦٦١

قَرَس : قَارَس ١٢٨٢

قَرَض : يَقَارِض ٦١٩ الْقَرِض ١٨٧٩

قَرَع : قَارَعَت ٦٠٣ ، ٧٧٩ قَارَعْنَا

١٥٥ الْقِرَاع ٤٧٥ أَقْرَع ١٧١٤

قَرِيع الدَّهْر ٧٦

قَرَف : قَرَفَت ١٣٨٠ أَقْرَف ١٥٦٩

يَقْرَف ١٣٨٦ يَقْتَرَف ١٦٩٤

تَقْرَف ١٨٠٦ الْمُقْرِفُونَ ١٦٩ ،

٦٣٧

قَرَم : الْقَرَم ١٠٣١ الْقُرُوم ٧٣٣ ،

١٠٠٧

قَرَن : الْقَرَن ١٨٤٣ قَرَنُ الشَّمْس ٦٥١

قَرُونِي ٢٩٥ الْقَرَن ٣١٢ الْقَرَن

٦٩٨ الْأَقْرَان ١٠٩٥ ، ١٤٤٨

١٣٩٥ مَقَاهِم ٦٧٠

قَدَح : أَقْدَحُ ١٦٥١ أَقْدَحُ ٩٠٢

الْقَدِيح ١٧٠٢

قَدَد : قُدَّ ٩٢٠ ، ١٠٤٧ يَقْدُ ١٧٦ ،

٥٦٩ الْقَدَّ ١٧٦ مَقْدَد ٨١٧

قَدَر : الْقَدَّر ٨٢٤ ، ١٤٠٦ لَيْلَةُ الْقَدَر

١٨٦٧ قَادَرَهُ ٦٥٥ مَقْدَار ٩٤١ ،

١٢٦٤ قَوَادِر ١٧٣

قَدَم : قَدَّمَ ٩٨٢ ، ١٥٤٦ اسْتَقْدَم

٤٨٦ أَقْدَمَ ٦٠٦ مُقْدَمَ ٤٨٧ مُقْدَم

٧٢ مُقْدَمَ ٣٨٦ قَدَمًا ٢٧٥ ، ٦٨٨

قَدِيمًا ٢٥١ قَوَادِم ٦٣٦ مَقَادِم

١٢٩ الْقُدُم ١٤٠٣

قَدَى : قَدَى الزَّاد ٨٧١

قَذَذ : الْقَذَاذ ١٨٥٤ الْقَذَّ ١٤٨٢ ،

١٧٢٢

قَذَع : أَقَاذَعَهَا ٢٦٨ الْقَذَع ١١٨٦

قَذَى : قَذَى الزَّاد ٨٧١

قَرَب : قَرَّبَتْ ٣٨٠ قَارِبُوا قِيدَ ٧٢٩

قَارِبَ ٩٥٦ تَقَرَّبَ ٦٨٢ قُرْبَام

٤٣٥ قُرَاب ٥٤٥ مَقْرُوب ٥٨٦

الْقُرْبُ ١٥٦٣ الْأَقْرَاب ٨٤٢

قَرَح : الْقَرَح ٧٩٥ الْقُرُوح ١٨٧٦

الإقرا ٣٦ القرينة ٧٢٣ القران

٦١٢

قرو : القرى ١٦٩٩ ، ١٧٩٧ قرواء

١٨٠٤

قرى : قرى ٥٩٢ أقرى ٦٩٩

القرى ٩٨٧ ، ١٥٣١ قراها ٦٠٧

القرى ٥٩٤ قرى نمل ١٨٢٧

المقارى ١٤٨٠

قزح : قزح ١٧٨٥

قزع : القزع ١٨٠٩ قوس قزيع

١٧٨٥

قزم : القزم ١٣٩٢ ، ١٤٦٣

قشب : القشب ١٧٨٦

قسر : القسر ٦٦٥ ، ٧٤٣

قسم : أقسمت ٨٩٦ قسّمت ١٦٥١

القسم ٥٠ القسامة ١٠٠٧ القسيمات

١٤٥٨ ، ١٧٦٥ القسيم ٨٨٣

قسو : يقاسمها ٣٥٤

قشب : القشب ٦٨٢

قشعر : اقشعرت ١٦٤ مقشعر ١٥٤٩

قشمش : القشمش ١٨٨٢

قصب : القصب ، المقصب ١٠٩٧

قصد : القصد ٦٥ ، ٧١٠ ، ٧٣٧

القصيد ٦٠٧

قصر : قصرت ١٩٤ أقصر ١٣٣٦

تقاصر ٢٦٤ ، ٩٤٥ تقاصرت

المجدود ٨٧٤ أقصرى ١٠٣٧

مقصر ١٧٦٣ المقصور ١٤٧٦

قصص : القصص ٧٠٢ قصص الهزال

١٧٣٦

قصع : قواصع جرة ١٤٧٨

قصعل : القصل ١٨٧٦

قصم : قاصمة ١٨٧٧

قصو : تقصى ١٠٧٢ الأنصى ٣٧٩ ،

١٤٤٢

قضب : تقضب ٣١٣ يقضب ١٣٣٤

قضب ٦٠٢

قفض : انفض ١٨٣٤

قضى : قضى ٧١٢ ، ١٤٠٦ قضيت

١٨٧ ، ١٠٩١ تقاضى ١٠٧٧

القضاء ٦٧

قطب : القطب ١٢٤ قطاب ٤٧٨

قطيان ١٤٥٩

قطر : قطر ١٩٨ ، ٣٣٨ لا يقطرك

٥٨٠ القطار ١٢٤٢ المقطر ٤١١

قطرانه ١٨٠٨

قلع : تقلع ٥٢٢ القلعم ٦٤٧
 قلف : القليف ١٥٣٥
 قلل : قلَّ ١٢٠١ قلماً ٣٢٢ استقلت
 ١٦٥٩ تستقلَّ ١٠٤٨ القُلَّ
 ١١٣٨ ، ١٢٠٣ القلال ١٣٠٧
 قليل ٨١٩ ، ٤٩٢ ، ١١٢ ، ٩٥
 قليلا ٤٤٧ ، ٦٣٠
 قلى : نقليك ٢٢٦ لم أقلها ١٤٠٠ نقال
 ١٠٠٢
 قر : قرية ٩١١
 قش : قشَّت ٣٦٤
 قص : يقصه ٥٥٧
 قع : القمع ٥٥١
 قنب : مقنب ٦٦٤
 قنذع : قنذع ١٤٧٥
 قنس : القوانس ٤٤١ ، ٥٦٩
 قنسر : قنسرى ١٨١٨
 قنع : قنعت ٥٥٠ قنعت ١٢٥٤
 قن : قنَّة ٧٣٠
 قنو : اقنى حياءك ٣٥٢ اقنى ١٨٣٤
 قنواء ١٨٧٤ قنائة ٢٥٩ ، ١٠٧١
 قنا ٢٣٥ ، ٣٤٨ ، ٧٣٢ ، ٩٩٠
 القنين ٥٧٥

ققط : القَطَّ ١٧٦ الققط ٣٤٢
 قطع : قطعوا ٤٥٤ قطع الطرف ٢٢٨
 القطع المروضى ٩٩٣ القطيع ١١٧٢
 مقطع الأسر ٧١ منقطع ٥٦١
 قطف : تقطف ٢٦٧
 قطم : قطم ٥٩٥
 قطمر : القطمير ١٨٠ ، ٤٩٢
 قعد : القعد ١٥٢١ القعود ١٥٠٩
 القعدان ١٤٤٤ مقعد ١٧٣٣
 قمس : يقمس ٤٦١ الميقاس ٦٩٦
 قمع : قنعت ١٤٢٦ يقمع ٨٤٢
 القمعاق ٨٨٧ قماقم ٦٧٣
 قفر : اقفره ٤٩٨ مقفر ٥٩٤ مقفر
 ٤٥٨
 قفل : قفل ٤٦٧
 قفو : القافية ٦٠٧ القوافى ١٢٤ ،
 ١٣١٢ اقفاؤم ٣٠٤
 قلت : القلات ١٣٧٩ مقالات ١١٥٥
 قلد : قلد ١٦٣٦
 قلس : قالس ٥٧٠
 قلص : قلصت ٥٩٦ ، ٧٦٢ القلوص
 ١٦٣٩ ، ١٥٠٨ ، ٣٥٨ ، ٣١١
 قلائص ١٨١٥

قنى : مقتن ١٥٨٢ ، ١٧٢٧

قوت : يقتات ١١٦٠

قود : قاذى ٢٧٥ تقيده ١٠٤٠ لم يقد

١٣٠٤ قود ٣٥٧ القود ٢٥٠ قائد

أعمى ٦٣٢ قورد ١٤١٠ القود

١٠٦٠

قور : الأقورين ٥٧٥

قوس : قوس قزح ، قزيع ١٧٨٥

قسي ١٤٠٣ قياس ١٤٠٣

قوع : القاع ٦١٠ ، ٧٤٣

قول : قالت ١٣٧٠ قلنا لها ١٣٧٠

أقول ١٣٤٣ تقول ١٦٠ لم تقل

١٦٣٥ يقتال ١٠٣٥ القيل ٣٣٦

— ٣٣٨ مقال ٣٣٦ مقال ٤٣٦

قوم : قام النأحات ٨٠٠ قام بالأسر

٢٦ قام ميلكم ٢٥٧ أقيموا ٧٠٥

قيم ٥٣٦ مقيان ١٧٨١ المقام

١٠٦٨ المقامة ٩٥٣ مقامة ٧٢٠

المقوم ٣٣٥ ، ٥٦١

قوو : القوى ٤٣٩ ، ٥٨٩ ، ٩٩٤

قوى : الإقواء ٨١٨ ، ٨٢٠

قيد : قيد الرمح ١٢٦٧ الأفياد ٢٦٣

قير : القار ٢٩٩

قيظ : تقيظ ١٣٤١

قيل : تقيلوا ١٤٦٣ يتقيل ١٥٦٩

لا أقيلها ١٢٣٨ مقيل ٦٩٤ ،

٩٤٣ ، ١٠٦٣ ، ١٠٨٩ القيل

(فى قول)

قين : القين ١٦٣٩

(ك)

كأب : اكتباب ١١٠٤

كأد : تكأدنى ٦٩٠

كعب : كب وكعبك ٣٧٧ تكبتم

٣٤٢ السكبة ١١٩٨

كبد : أ كابد ١٦٨٧ يا كبد ١٢٢٨

كبر : كابروا ١٥١٢

كبش : الكبش ١٧٨ ، ٥٦٦ ،

٧٢٧ ، ٧٤٢ ، ١٦٣٤

كبل : مكبل ١٠٢٨

كبو : كبون ٤٥١ كاب ٢٠٠

كعب : كتاب الله ١٨٤٥ جاءته

كتابى ١٦٧ كتيبة ١٩١ كتاب

١٦٩

كتر : الكتر ١٦٥٠

كتم : تكاتم ١٨٤٤

كرى : الكرى ٩٦ ، ١٨١٥
 كسأ : أ كساء ٤٧٩
 كسر : الكسير ٥٢٧ ، ١٤٨٥ —
 ١٤٨٦ الكسور ١٧٠٥
 كشح : الكشح ١٧١٣ كشاحة
 ٤١٢ كشح ٧٤٦ كاشحون
 ١٢٤٤
 كشر : مكاشرتى ١٧٣٨
 كشط : يستكشط ١٥٨٠
 كظم : كظيم ١٣٨٠
 كمب : الكامب ٥٢٧ الكواكب
 ١٨٥٣ الكموب ١٧٨٦
 كفأ : تكافأ ٧٦٧ ، ١٦٧٢
 كفف : كفاف ١٦٥١ الكفة ٢٢٨
 كفل : الكفلاء ١٤٥٧
 كفهر : مكفهر ١٠٢٤ ، ١٥٤٩
 كفى : كفأ ٥٧٦ كاف ٢٩٤ ، ٩٧٠
 كلاً : كلوه ٣٠٩ كالى ٩٧ مكلئ
 ١٠٩٨
 كلب : الكلاب ٨٤٥ — ٨٤٦ ،
 ١٦٥٩
 كلبح : كلبحت ١٣٩١
 كلس : يكلس ٦٦١

كشب : الكواشب
 كثر : تكوثر ٣٣٨ كانز ١٥٢٢
 أ كثرى ٤٨٩ الكثر ١١٣٨ ،
 ١٢٠٣ الكثرين ١٥٦٢
 كل : أ كل ٣٠٦ كحيل ١٣٢٨
 كدح : كدح ١٨٥١ يكدح ٨٢
 كدر : تكدر ١١٩ أ كدر ١٥١٦
 كدرى ١٨٠٧ المكدّر ١٨٣٤
 كدس : تكدس ٦٦٢
 كدى : لم أ كده ٣٠٦ الكدى
 ١٤١١
 كذب : كاذبتها ١١٠٤ تُكذّبين
 ١٦٧٨
 كرب : الكرب ١٥٧ ، ٦٠٣
 الكرب ٧٥٧ كربة ١٦٦٧
 الكراب ٧٣ مكروب ١٠٤٢
 كرر : أ كر ١١٠٣
 كرع : الكراع ٢١١
 كرم : أ كرم ٣٨٩ كريمة ١٠٩٣
 كرائم ٢٦٤ كرام ١١١ كرمئ
 فضة وفريد ١٤١٢
 كره : كرها ٨٨ الكره ١٩٩ مكروهة
 ٥٩ الكريمة ١٥١ ، ١٠٣٩

كلف : كلفت ١٢٣٥

كلل : كل بيوته ١٦٠٥ كل الجواد

والشجاع ٢٧٨ كل الفتى ٩٧٦

كلهم ٢٦٥ السكيل ١١٤ الكلول

١٦٧٣ الكلالة ٩٣٠ ، ١١٩٥

مكلل ٥٠٣ مكللة ١٣٩٦ الإ كليل

١٤٧٥ كل كل الحرب ٢٤٨

الكلال كل ٤٤٧

كلم : يكلم ٢١٢ ، ٢٣٥ ، ١٣٨١

الكلم ١٦٥٩ السكوم ٧٨٧

الكلم ٢٨٤ الكلى ٤٥٠

كأ : الكمة ١١٥٣

كت : كيت ١٢٧٥

كد : الكد ٨٠٥

كش : كيش ٨١٨

كم : أكامها ١٠٩١

كمى : الكى ٤٩٣ الكمة ١٠٧ ،

٧٢٧

كنس : مكانس ٤٩٦

كنف : الكنف ٧٣٩ الأ كناف

٢٥٧ الكنيف ٨٠٦

كنن : الكنة ٥٠٩ الكناة ١٣٣

كفانق ٣١٢ كنين ١٣٥٠

مكنون ١٣٩٣

كهل : السكول ١١٢

كهى : كهة ١٢٧٤

كور : السكور ٥٧٧

كوس : كاست ١٢٧٣

كوم : يكومها ١٤٧٤ مستكام ١٨٨١

كوماء ١٥٠٣ ، ١٦٤٦ كوم

١٥٦٦ ، ١٢٧٦

كون : (كان) زيادتها ١٩٢ بمعنى

صار ٦٨ حذف نون يكون ٧٠١ ،

٧١٢ ، ٧٢٠ ، ٧٨٨ ، ٧٥٠ ،

٨٦٤ ، ٩١٧ ، ١١٥٦ ، ١٢٢٥ ،

١٥٩٢ مكانك ٣٦٥

كيد : كاد ٩٦٠

كيل : السكيل ١٦٠٤ التكايل

٢١٣

(ل)

لأم : ليم ١٣٥٤ لام ١٠٥٢

استلاموا ٥٢٥ اللاؤم ١١٠ ،

٢٥٠ ، ١٦٩٣ اللائم ١١٤٤

لأى : اللأى ٧٣٨

لبب : تلببوا ٥٢٥ لبيك ١٠٨٦ ،

لحن : اللحن ٦٣٣
 لحو : لحا الله ١٦١ ، ٤٢١ ، ٩٨٥ ،
 ٩٨٦ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٥٠٠
 تلحاني ١٧١٦ اللحاء ٧٤٥
 لدد : الألد ٦٤ ، ٦٢٤ ، ٧٠٠ ،
 ١٤٣٤
 لدن : آذن ٥٦١ ، ٥٦٩
 لزب : اللزبة ١٣٩١
 لزز : لزاز ٦٢٦
 لسن : اللسان ١٠٦٠ لُسن ١٥٨٥
 لصب : اللصاب ١٢٨٢
 لطف : ألطفت ١٥٠٣ لطف الجيران
 ٢٧٥
 لطم : لطمن ٤٥٣
 لعب : اللعابة ١٦١٨
 لعلق : تعلق ١٥١٢
 لمن : الامن ٢١٠
 لعب : اللعوب ٣١١
 لفظ : لفظ ١٧٢١
 لفت : الالفتات البلاغي ٧٣٥ ، ١٣٨٥
 لف : لفنا ٣٨٤ لَفَّها ٣٥٥ تلفهم
 ١٠٦١ لفاوان ١٣١٧
 لفو : ألفتني ٥٢٧ لم تلف ١٨٧

١٢٤٦ ، ١٥٨٩ ، لتيه ١٨١٧ اللب
 ١٤٦٥ الألباب ٤٣١ ، ٦١٥
 الابات ٦١٥ ، ٩٢٠
 لبد : لَبَدَه ١٨٦٣ يَلْبَدُها ١٨٢٧ لبد
 مال ٥٨٤
 لبس : لبستها ١٢٥٩ اللبسة ١١٤٥
 لابس الليل ٤٩٢
 لبق : اللباقة ١٢٣٦
 لبن : اللبن ٢١٦ اللبان ١٦٣ ، ٥٦٨ ،
 ١٤١٢ اللبون ٢٩٦ ، ١٦٢٧
 لث : ملث ١٠٣٨
 لثم : لثمتها ٥٢٨ يَلْثَمُ ١٧٤٩
 لثى : اللثا ٧٣٠
 لجب : اللجب ٦١٤ ذو لجب ٥١٩
 لجج : اللجج ١٦٦١ لجوج ١٧٢٠
 لجب : ملجَّب ٦٩١
 لجح : ملجَّاح ١٨٣٤
 لحد : اللحد ١٠٦٨ اللاحد ١٢٠١
 لحق : لاحقة الآطال ١٦٤ ، ١١٠٨
 لحم : تلاحت ١٦٦٧ الملاحم ٢٥٧
 مُحَاحِم ١١٠٨ اللحم بمعنى اللبن ٧٢٦
 لحم السيف ٨٢٥ لحم موضَّع ، على
 وضم ٥٨٢

لوث : اللوثة ٢٧ لوثنا ١٨٢٢ الملاث

١٣٤٠ ملاويث ١٣٤١

لوح : لوحته ٧٨٩

لوذ : لاوذ ٢٦٨ لذتم ٣٧٣ ألوذ ٩٠٩

لوذة ٦٨٤ لانذين ١٨١٦

لوق : ألاقه ١٤٣٩

لوك : يلوك ١٥٥١

لوم : تلوم ٣٥٠ الملامة ١٧٢٦ لوام

١١٦٣ المليم ١٩٥ ، ١٤٣٣ التلوم

٧٥٩

لون : لون ٩٨٢ تلون ١٣١ ذو لونين

٥١٨

لوى : لوى يده ١٤٤٦ يلوى ١١٩٣

تلوى ١٦٣ ألوى ١٧٠ ، ٦٣٨ ،

٧٩٨ ، ٨١٥ ، ١١٨٧ ، ١٧٤٧

الملوى ١٦٠٧ الملوية ١٥٣١

ليت : الليت ١٢١٨

ليث : الليث ٣٦ ، ٣٣٩ ليث عفرين

٢٦٩ ليوث ٣٦٤

لين : الليان ١٣٠٩ لينون ١٥٩٤

(م)

مأق : مأق ١٨٣٥ ، ١٨٦٩

لقب : ألقبه ، اللقبى ١١٤٧

لقح : اللقاح ٥٠٥ لقحة ٣٥٠ ،

٦٢٣ ، ١٥٠٩ ، ١٧٠٣ لقاح

١٨٢٦ لاقح ١٣٠٦ لواقح ١٥٥٩

اللقوح ٥٣٤

لقط : اللقطة ٢٥

لقم : تلقم ١٧٠٢

لقى : ألقى عزمه ٧٣

لكأ : تلكأ ١٦٣٦

لمح : لخوا ٧٤٣ الملح ١٢٦٥

لمس : التمسوا ١٦٨ ألمسه ٨٩٩ المتلمس

٦٦٢

لمع : لتاعة ٦٣١ ، ٦٣٢ اليلمع ٧٤٣

لم : ألت ٥٣ ، ٣١٠ ، ٨٣٩ تلم ٢٦٦

ألم ١٣٨٥ ، ١٨٧٠ ألمم ١١٣٢

ملتة ٢٦١ ، ٩٥٤ ، ١١٦٩ مللمة

٦٥٥

لحف : لحنى ٧٠٢ ، ٩٥٠ ، ١٠٣١ ،

١١٠٥ ألحفا ٤٤ ، ٧٦٠ بالحف

١٤٧

لمم : لممة ١٧٢٠ اللهميم ١٧٩٧

لمو : يلغى ١٤٥٦ ألغى ٨٨١ ملغى

١٣٠٤

مذق: المَذْق ١٧٩٦	مأى : أمأيتها فأمأت ١٥٠٥ مثنون
مذل : مَذِل ٦٧٣	١٥٦٢ ، ٦٨٩
مذى : مَأَذِيه ١٨٥٠	مفتح : المَاتَح ٩٦٥ ، ٩٧٤ ، ١٠٥٠
مراً : تَمَرَأ ٢٤١ المَرء ٦٤١ المرأة	متع : تَمْتَع ١٥٠٣ المتَّع ٦٢٢ المتَّوع
١١٥٣ اسرؤ ١١١٦	٦٥١ التمتع ٧١٦ ممتَّع ١٢١٨
مرت : المَرَوَت ١٧٤٧	متن : المتن ٧٥٧ متون ١٥٥٨ متين
مرح : المَرِاح ٥٠٢ مَرُوح ١٤٠٠	٦٢٥
مرد : أَمَرَد ١٠٤٥	مثل : مثل وأمثال ٤٤٨ ، ٩٢٣ ،
مرر : أَمَرَّ وأَحلى ٩٩٨ تمر وتحملى ١٥٤١	١٠٦٥ مثلاً ١٦٩٥ الأمثل
مُمَرَّ ٩٩٨ مَرَّة ٦٠٥ ، ٧٨٩	١٨٧٤
مربير ١١٢٤ مَرَّة ٩٥٥ أول مربة	محبج : يَمُجَّج ٧٣٤
ذات مربة ١٥٨	مجد : المَجْد ١٧٥ ماجد ٧٨٨ المواجد
مرس : تَمَرَس ٦٠٣ أمارس ١٧٢٥	٥٠٠
المِراس ١٨٣٩ الممارس ١٧٢٥	محص : يَمْحَصُن ١٧٧
مرط : المَرِيطَاء ١٠٧٠ الروط ١١٣٢	محض : المَحْض ٧٨٨ ، ١٨٠٩
مرى : مَرَى ٥٢٧ سراها ١٥١٠	محق : الأَمْحَق ١٥٤٧
امتري ١٣٩٣ يمتري ٤٢٠ أمتري	محل : المَحْل ٣٠٣ ، ٨٤٧ ذو محلة
٦٩٩	٧٧ المَحَال ١٥١٠ ، ١٧٠٤
مزح : المَزَاح ٧٣٢	مخنج : أَمُخَّت ١٧٤٣
مزر : مَزِر ١١٥٣	مخض : مَخَضَت ٥٤٥ الماخض ٦١٨
مزن : يَتَمَزَن ٢٥ المَزَن ٨٣٢ ،	المخاض ١٣٤ ، ٤٩٧ ، ١٦٦٧
١٢٨١ ، ١٨٠٩ المازن ٢٥	مدد : المَدَّ ١٦٩٢
مسح : مَسَحَة ١٥٤٣ التماسح ١٨٧٧	مدى : مَدَى ١٧٣١

ملا : ملأت عليه الأرض ٢٢٨ ملأت
 ٢٠٨ تمالوا ٥٩٢ يملأ العين ٧٦٥
 مل ٧٦٤٠ ، ١٣٦٣ للملأ ٤٤٦
 ملح : الملحاه ٢٨٩ الملاحات ١٤٩٤
 ملك : ملكت ١٨٤ الملك ١١٤٦
 ملل : ملت ٥٥٠ يملون ٤٠ أتمل
 ٧٥٤ التمل ١٨٣٠ المليلة ١٩٥١
 ملو : تملأها ١٥٢٩ تملتهم ٩١٣ أملاك
 ٩٠٨ يملئ ١١٩٥ الملأ ١٧٤٦
 منع : المنيع ٤٢٣ المنايح ١٥٦٢
 منع : المنيع ، النعمة ٢١١
 منن : لم تمنن ١٥٨٩ المنون ٤٣ ،
 ١١٩٦ ممنون ١٧١٨
 منى : منى لها ٩٥٦ تمنى ٤١٤ تمنى
 ١٨٠٥ المنى ١٤١٣ المنايا ٤٣ ،
 ١١٩٦
 مهج : المهجة ٦٧٣ ، ١٢٩٨
 مهد : مهدت ١٠٠٨
 مهر : المهارى ١٨٠٣
 مهل : مهلا ٢٢٤ ، ٢٦٦ ، ٧٥٨ ،
 ١٧٢٦ ، ١٠٦٧
 مه : المهمة ٩٠٧
 مهو : المها ١٨٠٣

مسد : المسد ١٨٤٢
 مسين : مسينا ٢٣٢ ، ٩٠٠
 مسك : يمسكن ٧٥٠ المسك ٨١٧
 مسى : أمسى ٣٤ ، ٣٦١ ، ١٤٢١
 تمسى ٩٩٢ المسمى ١٠٠٤
 مشش : مشوا ٢١٨ المشاش ٤٢١
 مشط : مشطت ١٠٦١
 مشق : مشق ١٦١٧
 مشى : يمشى ٤٠٤ مشوا ٢١٨ مشية
 ٣٦
 مصح : ماصح ٩٥٩
 مصد : مُصدان ١٦٣٠
 مصع : يماصه ٤٩٣ مصع ٨٢٨
 مضى : يمضى جماعتهم ٤٢٥ ماضٍ
 ٨٣٤
 مطر : المنطر ١٣٣
 مطلق : يتمطق ١٤٧٨
 مطو : أمطيت ١٥٦٧ تطفى ١٨٥٥
 المطأ ٥٥٠ المطية ١٦٦
 معز : المعزاء ١٧٧
 معن : معن ١٨٧٤
 مقأ : ماقى ومواقى ١٨٦٩
 مكث : ماكث ١٧٧

١٧٠٥، ١٦٤٥، ١٦٤٣، ١٥٦٩	موت : المات ٣٦٢
نبد : نبذت ٨٩	مور : يمور ١٦٣٨
نبر : منابرهن ٢٧٧	مول : المال ١١٢٨، ٦٤٢، ٦٠٩
نفس : لم ينبسوا ٩٣٠	رجل مال ١٦٢٦، ١١٩٤
نفس : لا تنبشوا ٢٢٤	موم : مومة ٩٥
نبط : أنبط ٨٤١	موه : ماء الحديد ٤٦٨ ماؤها ١٥١٠
نبع : النبع ١٥٦ النبعة ٦٨٤، ٧٦٣	أمواه ٥٧٧
نبل : النبل ١٦٦، ٣١٢، ٥٣٩	ميث : تمتث ١٥٩٢
نابلة ١٨٤٩ نباله ٦٢٦ نييلة ١٥٧٤	ميع : مانح ٥٣٢، ٩٦٥، ٩٧٣
نبه : نبه ٦٠٦، ٩٨٢، ١٥٤٦،	ميتاح ١٤٨٤
١٦٥١	مير : المير ٧٧٧
نبو : نبوة ٢٦٦ ناية ٤١٣	ميع : الميعة ١١٠٨، ١٨٣٢
نتج : نتجوك ١٤٨٦	ميل : مال سرجك ٤٨٦ ميل ١٣٩٢،
نتق : النائق ١٧١، ٦٣٨	١٦٣٥
نثر : النثرة ١٤٥، ٥٠٣، ٥٦٩	مين : المين ٢٣٤
نشو : النشا ٦٦٦، ١٠٩٢، ١٥٩٦	
نجب : نجيب ٣٤٦	(ن)
نجم : منجم ٤٦٥	نأى : بنأى ٦٠٠ النأى ١٣٤٦ التناى
نجد : استنجدوا ١٣٠ النجدة ١٠٠٧	١٢٩٨
النجادات ٥٠٢ النجيد ٤٠٠ الأنجاد	نبا : نبئت ١٤٢، ١٢٢٠ أنبيت
٦٧٣ طلاع أنجد ٨١٩، ١٢٠٣	١١٧١
الأنجدة ١٤٠٤ طويل النجاد	نبت : النبات ١٦٠٤
١٠٦٦، ٩٨٨	نبح : النباح ١٥٢٥ مستنبح ١٥٥٧،

ندى : ابتدى ١٦٢٤ تنادوا ١٣٧١
تندى ٥٩٥ التندية ٧٢٦ الندى
٩٩٠ أندية ١٥٦٣ ندى الكفين
٨٣١

نذر : تنافروا ١٥٣٠ نذير ٦٦٣
نرب : نيرب ١٦٦٠
نرح : نازح ٧٤٦ نازحة ١٢٣٣
نر : نزر ٢٤٥ ، ١٦٠٦ نزرور ١١٥٥
منزور ١٦١٨

نزع : نزع ٢٧٧ النازع ١٣٥٠
نُزع ١٢١٨ نُزاع ٩٤٥ نُزوع
٢٧٧ مِزَع ٥٥٦

نزف : أنزف ١٢٨٦ نَزَف ٩٤٣
نَزق : نوزقت ٥٥٤ النَزَق ٧٦٤
النَزَق ٧٤٥

نزل : نازلنام ٧٣٤ نزال ٦٢ ، ٧٧٦
المُنزِلين ١٥١٠ المُنزِل ١٣٧٢
النزِيل ١٢١

نزه : نَزَّه ١٥٤٥
نسأ : النسأ ١٨٢٧

نسب : منسوبة ٥٧٠
نسل : نسل ١٨٠٦ نَسَال ٩٨١
نسو : النسوان ١٣١٧

نجد : نجدته الأمور ٢٨ منجدة ١٥١٩
الناجد ٢٧

نجر : النجار ٤١٦ ، ١٦٠٥
نجز : أناجزها ٥٠٩

نجم : النجيع ٧٣٤ ، ١٢٦٥ ، ١٦٣٦
نجل : تناجلاها ٢١١ نجلاء ٦٧٤
نجل ١٤٧٦

نجم : النجم ٤٨٣ ، ١٤٧٩ النجوم ١٩٥
نحو : نحوه ٩١٤ ، ٩٨٨ ، ١٣٩١

النجوى ٤٣٩ ، ١١١٦ ، ١٢١١ ،
١٧٧٨ أنجوة ٦٥٧ ، ٦٥٨ النجاء
٧٢٢ ناجية ١٦٥٦

نحس : النحس ١٢٠٧
نحف : النحيف ١١٥٣

نحل : انتحال ٧٠٩ نواحل ١٣٩٦
نحو : انتحى ١٦١٩ ينتحى ٩٦

نخب : نخب ٣٥١
نخر : المنخر ٧٧

نخل : نخل النصيحة ٢٦٣ ناخِل
الصدر ٤١٢

نذب : يندبهم ٢٩
نذر : النوادر ٥٩٦

ندم : الندامة ١٦٢٩ ندمان ١٢٧٢

نصل : النصل ٨٧٩ نصال ٧٦٤
 المنصل ٦٨٨ ، ٦٩٤ ، ١٠٨٥ ،
 ١٥٠٤
 نصو : الناصاة ٩١٣ ، ١٠٨٣ نواصي
 الناس ١٠٦٠
 نصب : تنضبة ١٨٦٠
 نضج : نضجت ١٥٩٢ تنضج ٦٧٤
 ناضح ٤٣٦ نواضح ٩٥٨ نضاح
 ١٦٩٥
 نضر : استنضر ٩٢٨ نضار ١٨٥٥
 نضل : انتضل ٩٧٧
 نضو : نضوتها ٧١٥ تنضى ١٤٦٦
 نضو ١٢٢٧ أنضاء ٨٨٦ ، ١٠٨٩ ،
 ١٨١٥ أنضية ١٦١١ المنتضون
 ٩٨٠
 نطح : النطاح ٥٠٣
 نطف : منطف ١٨٠٥
 نطق : النطاق ٨٦ ، ٨٨
 نظر : استنظر ٩٤٨ ينظر ٨٣ تننظر
 ١٤٢٦ انظري ٥٢٤ الناظران
 ٣٥٠
 نظم : نظم ١٥٩٩ نظام ٩٢٣
 نسي : ناسي ٧٠١

نشأ : أنشأ ٧٥٧ الناشئ ١١٤٩ ،
 ١٦٠١
 نشب : نشب ٧١٧
 نشد : نشدت ٢٠١
 نشر : النشر ٩٥١ النواشر ١٤٥٨
 منش ٥٣٥
 نشز : نشز ٤٩٤ أنشزن ١٣٤٩
 النشز ١٥٧٩
 نشش : ينشش ١٥٦٨
 نشص : النشاص ١٢٩٥ ناشص ١٤٧٦
 نشط : ينشط ١٧٠١ النشطة ١٠٢٥
 ضروب النشاط ١٨٨٠
 نشو : انتشيت ٥٩٠ تنشى ١٢٧٣
 نشوة ١١٣٧ ، ١٨١٥ نشاوى
 ١٨٠٧
 نصب : ناصبتي ١٥٢٤ النصب ١١٠٤
 ناصب ١٣٥٦
 نصح : نصحت له ٨١٢ انتصحني
 ١٢٧٠ ناصح ، النصيحة ١٠٢٩
 نصع : نصع ١٢٧٥
 نصف : أنصفتني ٣٧٥ نتنصف ١٢٠٣
 تنصفونا ٦٧٦ المنصفات ٤٤٠ ،
 ٤٤٩

نفس : نفوسهم ٣٠٢
 نفى : نفيت ١٩١ النفى والنفى
 ١٠٦٤ ، ١٨٤٢ ، منفى ١٤٤٧
 نفى : نفى ٩٧٧ ، ١٨٨٢
 نفل : نافلة ٦٢٦
 نفه : منفها ١٨١٨
 نفي : أنفك ٣١٤ النفيان ٧٤٩
 نقب : ينقب ٨٣٦ النقب ١٤٠٧
 النقب ١٨٢٠ النقب ١٥٤٧
 المناقب ١٧٨٩ ، ١٧٥
 نقد : أسنقد ١١٦٥
 نقر : النقرات ١٣٠٤ النقر ١٨٠ ،
 ٤٩٢
 نقض : أنقض ١٦١١ النقض ٧١٧ ،
 ٨٢٨ ، ١٢٤٩ النقض ٧١٧ ،
 ٨٢٨ ، ١٨١٠
 نفع : النفع ٣٣٨ ، ٦٤٥ ، ٧٧٠ نافع
 ٩٥٩ منفع ٦٤١ ، ١٤٤٣ النافع
 ١٥١٥ النفعة ١٠٢٥
 نقل : النقال ٧٠٨
 نغم : نغمت منه ١١٣٥
 نقو : أنقها ١٥٠٥ النقا ١٤٠٠
 نكأ : النكء ٧٩٥

نمش : النمش ١٠٥١ بنات نمش
 ١٥٣٨ ، ٦٤٤
 نفع : النفع ١٨٨٥
 نغف : النغف ٢٤٦ ، ١٠٦٢ ، ١١٨٧
 النعاف ١٤٦٠
 نعل : نعل السيف ١٦٩٩
 نعم : نعم ٨٠٩ ، ١٨٨٨ ، ١٠٨٨ ،
 ١٠٩٤ ، ١٧٧٣ أنعم ٦٠٥ أنعموا
 عينا ٤٤٤ نعى ٢٥٩ نعيم البال
 ١٦٧٨ النعم ١٤٦ ، ١٣٩٦ ، ٥٠٥ ،
 ١٦٧٧
 نعى : نعى ٨٦٠ نعى ٧٩٤ نعى
 ٢٩٢ نعاء ٧٩٤
 نعى : يناغى ٣٠٦
 نفت : أنفت ٤٢٦ نفت ٨٢٩
 نفج : ينفج ١٨٥٦ تنفجه ١٨٥٦
 نفج الحقيبة ١٤٠٩ منفوجة
 ١٢٤٢ ، ١٨٠٣
 نفح : نفحت ١٤٩٥ نفحات ١٢٤٢
 نفخ : نوافخ ١٢٥٨
 نفد : ينفد ١٨٥١
 نفذ : لها نفذ ١٨٤
 نفر : النفر ١٦١٥

نهمس : تنهسه ٧٤٣ ينهسونك ٩٤٧

نهمش : تنهشه ٧٤٣

نهمض : النهمض ٧٨٩

نهمق : نواهقه ١٧٤٤

نهمك : نهمكت ٥٧ نهمكنا ١٥٦١ نهمكة

١٠٧١ ، ٧٦٦

نهمل : نهمل ٨٠٦ نهمات ٥٧ يُنهمل

٨٣٧ النهمل ١٤١٥ ، ١٤١٧ النهملها

٣٩٦ النهمال ١٧٢ النهمل ١١٧٣

نهمه : نهمهت ٥٦٩

نهمو : النهمي ١٥٥١

نهمي : تنامي ١٣١٠ تناهيت ١٣٠٢

نوا : تنوء ١٧٣٦ النوء ٤٧ مناواة

٤٠٥

نوب : ينوبها ١٣٩٦ ينشاب ٦٤٤

ينجابهن ١٤٠٢ السائبات ٧٤٦

النوب ٩٣٩ ، ٩٨٨

نوح : تناوحت ٥٢٦ النوح ١٠٦٥

النأحات ٨٠٠

نوخ : أناخ ١٥٣١ أنعم ٢٤٨ أنخا

٣٢٧ الإناخة ١٨١٦ مناخ ٥٤٩ ،

١٦٤٦ مناخنا ٣٠٨

نور : يتنور ١٨٥٩ المتنور ٤٢٣ ،

نكب : نكب ٤٣ ، ٧٣ ، ٦٠٦

نكبنم ٦٩٣ تنكب ٥٨٠ أنكب

٢١٤ ، ١٧٩٢ نكبأ ٨٠٦ ،

١٠٩٨ ، ١٦٤٥ نكب ١٥٨

منكب ٣٨١ منكوب ١٥٠٤

نكح : لا تنكحن ١٨٧٢

نكد : النكد ٤٥١

نكر : نكرنم ١٥٠٨ تناكرت ١٧٧٢

لا تنكريني ٣٢٢ يناكر ٥٩٨

نكيرة ٨٢٥ المستنكر ٢٧٥

نكس : نكس ٢٩٧ ، ١١٠٧

أنكاس ١٦٣٥

نكل : تنكل ١٤٢٩ نكال ٢٤٩ ،

٦٣٧

نمر : تنمروا ١٨٦

نم : أنمها ١٨٥٠

نمو : انتمينا ١٧١ تنمو ١٠٣٧

نمي : تنمي ١٠٣٧

نهب : نهب ١٥٠ المنهاب ١١٩٨

المنهب ٦١٤

نهد : نهد ١٧٥ ، ١١٠٨ ، ١١٧٩

نهر : أنهرت ١٨٤ المنهرة ١٨٥

نهر : الناهر ١٤٨٨

١٧٢٢ النار ١٧٨٩

نوس : نأس ٦٩٩

نوش : تنوشه ٨١٧ ، ٩٦٦ تنقاش
١٣١٠

نوط : النواط ٥٠٣ النياط ١٤٩٨

نوف : المنيفة ١٢٤٠

نوق : نيفة ٦٠٣ ، ١٤٢٤ المنوقة
١٤٢٠

نوك : النوك ١٥٥١

نول : نال ٦٠٥ نُلته ٦٠٥ تنيل

١٦٣٩ ينيلك ١٧٩٨ النائل ١٠٤١ ،
١٦٣٣نوم : نأثم التراب ٦٣٧ نؤوم الضحى
١٣٦٩

نوى : انتوى ٢٧٣ النوى ١١٠٩ ،

١١٣٤ النى ١٥٠٣ ، ١٧٠٠

ناوية ١٢٧٣

نيب : الناب ٦٠٢ ، ١٦٢٥ ذوناب
١٠٧٣

نيل : النيل ١٢٩٧

(٥)

هيب : هيب ٩٠ الميّن ١٥٨١

هيج : هيج ٧٨٨

هبر : الهبر ١٧٨٦

هبص : الهبص ١٨٨٠

هبل : هبيل ٨٦ ، ١٥٥٠

هتف : هتفت ١٢٨٩ أهتف ٨٧٩

هتم : الهتم ١٥٣٨

هجد : هاجد ١٦٤٩

هجر : هجروا ٨٣٤ الهجر ١٣٤٦ الهجر

١٠٩٣ ، ١١٤٣ هاجرة ١٨٠٣

المهاجر ٥٩٦

هيس : هوايس ٦٩٠

هجل : الهوجل ٨٩

هجم : هجمة ١٤٥١ ، ١٧٠٩ ، ١٧٣٣

هجن : الهجان ٩٤ ، ١١٣٦ ، ١٥٠٣ ،

١٦٧٢ ، ١٦٩٩ ، ١٧٠٠

هدم : إن تهدموا ٧٠

هدن : الهدنة ١٤٦٠ الهدون ٤٣

هدى : هداك الله ٦١٩ أهديه ١٥١٧

يهدى ١٣٠ الهدى ١٦٣٦ ،

١٧٤٦ الهدى ١٥٩١ التهادى

١٢٨٣ الهادى ٤٦٩ هدى ٩٢

هذر : هذران ١٦٩٢

هرب : هرباً ١٨٧٤

هرجب : هرجاب ١٧٢٠

هَلَل : أهل ٦٤٠ ، ١٣٩٨ ، ١٤٩٣

يَسْتَهْل ٨٣٧ استهلى ٨٥٥ هلال

١٧٣٦ هلالان ٣٦٩ التنهل ٦٢

هَد : الهامدات ١٨٠ المَد ١٠٤٥

هَمَل : انهمال ١١٠٩

هَمَم : مَم ٧١ أَمَم ١٨٠٠ المَم ٣٢٠ ،

٤٧٨ ، ٥٠٥ ، ٧٣٢ كَمَم الفقى

١٨٦٣ المَم ٩٤

هَنَد : هندوانية ٦٠٢ مَهَنَد ١٥٣٠

المَهَنَدَة ٣٤٢

هَنَف : متناهف ١٣٧٥

هَنَن : هَنَّا ١٨١٦

هَنُو : الهنات ٣٦٠ ، ١٤٥٢ ، ١٨٠٠

هَوَج : هوجاء ٧٢٢ ، ١٧٢٠

هَوَد : الموادة ٨٤٤

هَوَل : هُئال ١٦١٣ الهالة ٢٤٩ تهاويل

١٨٠٥

هَوَم : الهامة ٦٩٤ ، ٧٣٨ ، ١٠٠٥ ،

١٢٢٥ مَهَوَم ١٨٢١

هَوَن : لم أهَنك ٨٤٤ الهوان ٢٨٠

الهوينى ٤٤ ، ١٣٩٧ هينون ١٥٩٤

هَوُو : هُوَّة ١٤١٥

هَوَى : هَوَى ٣٣٨ ، ٦٧٤ ، ٨٩٨ ،

هَرَر : هَرَت ٣٧٥ ، ١٨٧٣ هروا

٤٦١ المَريِر ١٨٢

هَرَش : هارشت ١٦١

هَرَق : المَهراق ٩٥٩ مَهَارِق ١٧٤٥

هَرَم : هَرَمَت ١٢١٠ الهَرَم ٢٠٦

ابن هَرَمَة ١٢١٠

هَرَز : هَرَز ١٠١٨ هِرْزَة ١٥٠٥

هَرَم : هوازِم ٧٦٩ هَزِم ٧٦٩ مَهَزَم

١٧٢١

هَشَش : هَش الِيدِين ٥٢٧

هَشَم : الهَشِيم ١١٩٦ ، ١٨٠٥ الهَشِيمَة

١٥٠٩

هَضَب : المضاب ٥٩٦ ، ١٠٩٧

هَضَم : تَهَضَّم ٦٧٠ المضَم ١٤٠٤

أَهَضَم ٣٢٠ ، ٧٠٧ مضوم ١٢٧٣

هَضِم ١٧١٣ هَضِيَة ٦٦٩ هُضُم

١٣٩١

هَضَف : مَهْفِفَة ١٨٦٣

هَضُو : تَهْفُو ٨٣٨ الهافى ١٤٦٥

هَكَل : هَيْكَل ٦٢

هَكَم : يَتَهَكَم ١٧٤٩

هَلَع : هَلَعَت ١٧٩ ، ٥٩٢

هَلَك : مَهَلَك ٦٢٦ الهَلَاك ١٣٩٤

الأوتار ٦٩٣ الترات ٢١٣ الوار

٨٢٥

وثق : موثق ٣٥٢

وجب : الوجبة ٦٩١ ، ١٦٩٨

وجد : وجدنا ٥١٢ تجد ٣٨٦ الجدة

١١٧٣

وجل : أوجل ١١٢٦

وجم : أجمت ١٦٨

وجن : الوجناء ١١١١ ، ١٢٧٣

وجه : وجّه ٦٠٦ ، ٩٨٢ ، ١٦٥١

وجهته ١٩٣ أوجهني ٤٥٩ وجه

نهار ٩٩٥ وجهه ٣٠٧ وجهه ١٦٨٢

وجي : أوجيته ٦٤ الوجي ٨٨٤ ،

١٠٨٧ ، ١٧٤٨

وحد : أحد ١٣٦٨ وحدّه ١٦٩٨

وحدّي ١٥٢ ، ١٣٦٧ ، ١٦٦٩

واحداً ١٨٩ أوحد ٩٧٢ مَوحد

١٧٣٠ وحدان ٢٩

وحش : وحّشوا ١٥٤٦ ، ١٥٤٧

وحش ١٤٢٢

وحف : وحف ١٢٨٦

وحى : أوحيته ٦٥ الوحي ١٤٠٧

وخز : وخز ١٤٧٥

٨٩٩ ، ٩٤٩ هوت أمهم ٩٣٣

هَوَيْنَ ٢٣٥ تهوى ١٦٤٥ ،

١٧٨٤ يهوى غواربها ٩١ الهوى

والهوى ٩١ ، ١٢٤٦ الهاوية ٩٣٣

هيب : الهائب ٧٢ ، ٧٧٥ مُهيب

١٠٧٤

هيج : هجت ١٢٩٩ هيجنى أم عمار

٣١٥ ، ١٤٦٢ الهياج ١١٠٣

الهيجاء ١٤١٦

هيل : تهيل ١٠٦٩ يهّلن ٩٣١

هيم : هائم ١٢٦٨ هيم ٥٦٩ ، ٦٨٣ ،

٦٨٦

(و)

وَأَد : متئد ٢٦٨ وتئدها ١٤٣١

وَأَل : أوّل ١٢٠٧ أول مرة ١٥٨

الأولية ١٦٢٢ الأولين ١٠٠١

أولى القوم ٥٦٩

وَأَم : تؤام ٥٦٢ ، ١٠٢٩ ، ١٨٤٣

وبر : الوبر ٢٥٠

وبل : الوابل ٨٥٤ ، ١٠٣٨ ، ١٣٩٤

١٦٣٤ الأبله ١٣٦٨

وتر : الوتر ٦١١ ، ٦١٢ ، ١٠٥٢

- وخم : وخيم ٤٢٩
 ودج : الودج ١١٧١
 ودد : الودادة ١٢٨٧
 ودع : ودّعت ١١٣٨ دعي ١١٦٩
 مستودع ١٤٥ مودّعة ١٣٩٥
 ذو الودعات ٤٠٣
 ودى : أودى ٤٥٨ ، ٦٣٤ ، ١٠٦٤
 اتديتم ٢١٨ بوى ١٢٤٨ يلى ٣٢٥
 وفر : ذرى ١٤٦١ ذرى ١٧٣٢
 ورث : ورثاء ١٠٤٨ توارثها ١٢٨٠
 تراث ٧٠
 ورد : الورد ٥٦٩
 ورس : وارس ٥٦٨
 ورق : الورق ٥٨٣ له ورق ٣٤٥
 ورك : يورك ٦٢١
 وره : الورهاء ٥٤١ ، ١٨٦٢
 ورى : توارى ١٥٩٨ وراك ١٧٣١
 وراء ١٨٤ ، ٣٢٤ ، ٤١٦ ، ٨٢٨ ،
 ١٤٧٠ ، ١٦٨٠ ، ١٦٨٢
 وزع : وزعتها ٧١٦ لا ترعى ١٣٣٦
 وازعينا ٤٤٥
 وزن : وزن ١٦٨٥
 وسد : لم يوسد ١٠٢٦
 وسس : وساوس ١٢٣٧
 وسط : واسط الم ٣٠٥
 وسع : الواسعون ١٣٩١ وراك أوسع
 لك ١٧٣٠
 وسق : وسيقة ٨٠٧
 وسل : الوسائل ١٧٣
 وسم : وسم ٩٨٢ أسيم ٣٩٤ يتوسم
 ١٧٧٩ موسومة ١٣٥٧ الوسمى
 ١٢٢٩
 وسن : سينة ١٤٢
 وشج : الشيج ٣٣٥
 وشك : أوشكت ٩٧٥ وشك التراق
 ١٣٣٤
 وشل : الوشل ١٣٧٧
 وشى : الوشة ١٣٨١
 وصد : الموصل ٨٠٦
 وصل : الأوصال ١٠٨٠ ، ١٠٨١
 وضع : وضع النهار ١٢٣٣ واضح
 ٢٨٢ واحدة ١١٤١ الوضع ١١٠٥
 وضع : وضعوا ٣٦٨ يضع مقنه ١٠٧٩
 الاتضاع ١١١٦ غير واضح ٢٣٣
 موضع ٣٧٣

- وضم : الوضم ٢٨٣ ، ٣٥٦
 وطاً : وطاة ٩٢٨ الطاة ٩٨٣
 وطب : وطباء ١٨٧٠
 وطن : وطنها ١٦٣ أوطننت ٦٧٧
 يوطنون ٤١٧
 وعث : الموعث ١٨١٠
 وعد : الوعد، الوعيد ٥٥ ميعاد ١٣٣٢ ،
 ١٤٨٤
 وعمر : توغرت ١٧٦٢ الوعر ٧٠٣
 وعس : يواعس ٥٧٣
 وعل : الوعلة ٢٠٣
 وغد : الوغد ٤٢٣ ، ٦٨٨ ، ١٥٥١
 وغل : الإيغال ٥٧٢
 وغم : الوغم ٧٧٩
 ونغى : الوغى ١٢٨ ، ٧٧٠ ، ٨٨٨ ،
 ١١٥٨ ، ١٦٣٤
 وفد : الوفود ٨٠٠ المفودون ١٧٠٧
 وفر : فر ١٠٢٧ الوفر ١٤٩ ، ٢٨٥
 موفرة ١٨٧٧
 وفض : أوفضن ١٦٤٩
 وفى : وانى ١٤٨٠ لاتوفى ٣٢٥ لايوفى
 ١٠٢٦
 وقت : ميقات ٧٠٥
- وقع : الوقاح ٥٠٢
 وقد : نستوقد ١٦٦ الموقدان ١٧٢٢
 وقذ : وقيد ٩٥٤
 وقر : وقر ٩٨٠ ، ٩٨٨ الوقر ١١٤٢
 وقرة ١٤٢١
 وقص : تقص ١٩٢ وقصاء ١٨٧٠
 وقع : تقع البراح ٤١٩ الوقع ٧٤٦
 الموقع ١٢٠٦ ، ١٨٥٨
 وقف : توافقنا ٤٤٧ وقاف ٨١٨
 نص على الوقف ٩٣٧
 وقى : تتقى ٧٦٧ يتقى ١١٥٠
 وكر : الوكرى ١١٤٨
 وكل : الوكل ٢٩٠ ، ١١٠٨
 ولج : الولجات ٥٥٦ المتولج ١٧٥٣
 ولد : التلاذ ٧٠ ، ٥٦٥ ، ١٣٠٤ ،
 ١٧٣٨ التليد ٦٠١ ، ١٠٦٤ متبلد
 ١٥٩٦ الولائد ١٧٢٠
 وله : متله ١٢٢٦
 ولى : وآت ١٥٠٠ أولاك ٦٥٥ تولى
 ١٣٢٥ توليه ٩٥١ تولى ١٢٢٩
 الولاء ٦٠٠ الولية ١٦٢٥ الولايا
 ٤٥ المولى ٣٨٧ ، ٤١٥ ، ٥٨٤ ،
 ١٠٨٦ مولى ١٧٣٦ ، ١١٦٨ ، ٨٥١

يدى : يدبت ١٩٣ اليد ١١٧٠
 ىرق : اليارقان ٧٠٣
 يسر : ياسرتها ١٢٥٨ تياسرن ٧٢٤
 يسارة ١٧٨٠ ميسر ١٧٢٣ أيسار
 ١٥٩٤ ميسر ٤٢٢، ٣٥١ الموسرين
 ١٧٢٥ اليسور ١١٦٤

يفع : يافع ٥٩٨
 يفن : يفن ٥٣٧
 يقظ : يقظان التراب ٦٣٦
 يقن : اليقين ٣٤٣
 يمن : اليمنة ٨٤٤ اليمانون ٥٢ الأيمان
 ١٧٩٣
 ينغ : أينغت ١٨٦٤
 يوم : اليوم ٧٢٤، ٨٠٧ يومنا ٣٣٠
 الأيام ١٤٣٣

كلمات أجنبية

خر كاهات ١٧٠٧
 زمرودة ١٨٨٢
 سوزنيق ٥٥٦
 شواذ كين ٣٩٧
 منجنيق ١٨٧٩

موالى ٢١٣ : ٩٨٨ الولاة ١٤٩٨
 ومض : أومضت ٦٩٢ الومض ١٨٠٧
 الومضان ١٥١
 ونى : ونى ٣٩٤ أناة ١٣٦٨ تون
 ٦٨٥
 وهب : اتهب ٢١٨ لم أهبك ٨٤٤
 هبونى ١٣١٩ وهوب ٩٠٦
 وهد : وهاد ٦٧٩
 وهل : الهل ٦٧٩
 وم : الوم ٩٨٩
 ومن : وهنا ١٢٤٦، ١٢٨٩، ١٦١٦
 ومى : ومى ١٢٧٣ الومى ١٤٣٤
 ويمح : ويمحك ١٢٥٥ ويمح نفسى
 ١٠٥١
 ويل : ويل ١٠٢١ ويلة ١٦٣٨ ويلم
 ١٢٠٢، ١٤٣١ ويلم ١٧٩٩
 ويه : واهما ١٤٧٢ ويها ١٤٧١

(ى)

ييس : أيسس ١٥٠٤ يابس الجبين
 ٨٣١
 يتم : يتمت ٥٠٨ اليم ٢٨١

٤ - فهرس الكلمات النحوية

الآن : ٨٩٧	أن : الخفئة ٢٦٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٧ ،
أجل : ٨٤٠	٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٣٩١ ، ٦١٦ ،
إذا : ١١٠ ، ٢٧١ ، ١٢٠٤ ، ١٢٩٢ ،	٧٣٤ ، ٩٥٧ ، ٩٨٣ ، ٩٨٧ ،
١٧٨٤	١٠٩٤ ، ١٢١٦ ، ١٢٥٤ ، ١٢٦٤ ،
إذن : ١٥٨٧ ، ١٣١٨ ، ١٤٤٩ ، ١٥٧٢ ،	١٢٩٧ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣٧ ، ١٤٥٦ ،
١٨٥٢	١٤٧٧ ، ١٥٤٥ ، ١٨٢١ زيادتها
أفعل التفضيل : عمله في المعرفة ٤٤١	٧١٩
أل : دخولها ونزعها من الأعلام ١٠٢٧	إن : زيادتها ٩٠ ، ٣٥٢ ، ٥٨٥
ألاً : ٤٤٣ ، ٧٩٩ ، ١٠٦٤ ، ١٢٤٢ ،	الجازمة ١٢٢١
١٧٤٢ ، ١٤٠٥	إنما : ٢٨٨
إلاً : ٥٠٢	أنى : ٥٣ ، ٩٠٣
الآلف : قلب ألف الاستفهام هاء ٧٠٦	أو : ١٣٧ ، ٤٦٨ ، ٦٥٨ ، ١١٤٠ ،
ألف التسوية ٥٧ . وانظر (همزة)	١٧٦٢
إلى : بمعنى مع ٢٨٧ ، ٦١٥ ، ١١٨٩ ،	الأولى : ٢١٣ ، ٧٣١ ، ١٥٤٠ أولاك
١٧٦٨ إليك ١١٧٦	١٠١٨ الأولاء ١٧٦٩
أم : ٢٦٤ ، ٤٦٧ ، ٨٤٩ ، ١١٥١ ،	أى : ٢٠٢ ، ٣٤٧ ، ٩٧١ ، ١٠٠٢
١٧٨٢	أيتا ١٥٠٤ أيتها ٥٨٨
أتما : ١٢٣٧	إيتاك : ١١٥٢
أتما : ٦٩٤ ، ٦٥٠	الباء : زيادتها ٢٥١ ، ٣٨٣ ، ٤٩٩ ،
إتما : ٣٢١ ، ١١٤٠ ، ١١٥٨	٦٠٦ ، ٦١٩ ، ٧٧٢ ، ٨٣٠ ،

الطائفة ٩٥١، ٦٤٠، ٦٤٢،
 ١٨١٠، ١٧٤٧، ١١٥٩
 رَبٌّ: ١٢٥٩، ١٢٢٦، ٩٥٧، ٥٥٥،
 ١٣٣٠ ربما ٢٨٦، ٩٦٧،
 عَسَى: ٦٧٨، ٩٦٠
 المطف: المطف على معمولي عاملين
 ٦١٥
 عَنْ: بمعنى بعد ٧٩١، ١٧٠٢،
 ١٧٣٧
 الفاء: زيادتها ١٥٩، ١٨٧٤، وقوعها
 موقع رَبٍّ ٣١٩، ٥٤٤
 الفعل: ترك إعراب المعتل ٢٩٤، بمعنى
 على ١٦٨٧ أفى الله ٦٥٠
 ف: بمعنى السبب ٣٢٤، بمعنى على
 ١٦٨٧ أفى الله ٦٥٠
 قد: قدى ٨٩٦، ١٠٧٦
 قَطُّ: ٣٣٩
 الكاف: زيادتها ١٦٤١، وقوعها اسمها
 ١٠٨١ كاف الخطاب ٥٨٩
 كَأَنَّ: ٧١٩، ٨٥٩، ١٣٤٧
 كَأَنَّ: ٧١٩، ١١٤٩، ١٤٧٦
 كَلَّا: ٨٣٣، ١٦٠٥، كلا أخوينه
 ٢٥٤ كلانا ٧٣٢ كليهما ٩٩١
 كَلَّا: ٥٩٠، ١٣٤١

١٦٣١، ١٤٦٨، ١٣٠٧، ١٢٤٤
 ١٨٢٤ بمعنى البذل ٢٧٨، ٦٠٤
 ٨٠٢، ٨٤٨، ٨٣٥، ١٠٣١، بمعنى
 مع ١٨٧٠ بك (قَسَمَ) ١٠٠١
 بَلَّ: للإضراب ١٤٠٢ ووقوعها موقع
 واورب ٣١٩
 بَلَى: ٩٣٧، ١٢٩٧
 التاء: للتأنيث ١٠٦٨
 تنوين: تنوين العلم الموصوف بابن
 ١٤٣١، ١٤٥٩
 نَمَّ: ٤٩٠
 نَمَّ: ٢٦١ نُمَّتْ ٤٥٩، ١٠٦٨
 الجزم: إثبات حرف العلة معه ١٨٥٢
 حَتَّى: ٢٦٧، ٢٧٣، ٣٠٢، ٧٥٧
 ١٢٣٠، ١٢٥٥، ١٣٩٩، ١٥٦٥
 الحرف: حرف الجر، حذفه ٣٤٤
 ٣٨٦، ٤٠٧، ٥٧٠، ٩١٠
 ١٠٣٩، ١١٦٢، ٣١٦، ١٥٨٨
 حرف المطف، حذفه ١٤٠١
 حيث: ٨٨٦، ٩٩٠، ١٠٢٢، ١٠٥٨
 ١٣٤٩، ١٣٧٤، ١٤٠٠، ١٧٤١
 ١٧٨٥ حوث ١٤٠٠
 ذُو: زيادتها ٤٥٢، ٦٣٣، ١١٥٩

كَمْ : ٣٣٥ ، ١١٣٥ ، ١١٧٤ ،
 ١٦٨٨ ، ١٣٩٣
 كَمَا : بمعنى كَمَا ١٨٥٣
 كَيْ : ١٥١١ كَيْ إِذَا ١٢٦٧ ، ١١٦٩
 اللام : زيادتها في النداء ٥٠٠ وبعد
 تمنى وأراد ١٤٣٥ واستقبل ١٧٤٩
 حذفها ١٨٥٧ بمعنى على ٧٤٩
 لام كي ولام الجعود ١٥٧٢ لام
 الاستغاثة ٧٢ ، ٢١١ ، ١٠٥٤
 والتعجب ٣٦١ ، ٩٦٦ الموطئة
 للقسم ٦٤٠ ، ٧٧١ ، ٨٣٥ ،
 ٩٤٧ ، ١٠٤٦ ، ١٠٧١ ، ١٢٣٥ ،
 ١٢٣٨ ، ١٧٤٧
 لا : بمعنى لم ٣٤٠ جعلها كالاسم ١٦٠٦
 حذفها ٥٣٤ ، ١٠٧٦ ، ١٦٣٦
 لا أبالك ٣٥٢ ، ٥٠٠ ، ١٤٢٩ ،
 ١٦٣٧ لا أخاله ١٠٨٤ لا أخاليا
 ١٠٩٥ لا غرو ٣٧٥ لا محالة
 ١٤٨٣ لا ولا كرامة ١٣١٨
 لَأَنَّ : بمعنى لعل ١٧٣٤
 اللتيب : ٥٥٢
 لَدُنْ : لدن غدوة ١٢٧٠
 اللذان : حذف نونها ٨٠ ، ٧٣٩
 لَعَلَّ : ١٦٠٥ ، ١٧٢٢ ، ١١٦٣

لَكِنْ : ٧٨٩ ، ٥٩١ ، ٢٦٠ ،
 ١٣٦٩ ، ١١١٨
 لَمْ : أَلَمْ ٨٧٦ ، ١٠٨٠ ، ١٤٣٣ ،
 ١٥٣٠
 لَمَّا : ٥٣ ، ٢٦٣ ، ٦٣١ ، ٧٦٩ ،
 ٨١٤ ، ٩٣٨ ، ١٠٢٩ ، ١١١٧ ،
 ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٥٦٨
 لَوْ : ٩٠٣ ، ١٢٢١ ، ١٢٥٥ ،
 لَوْلا : ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٤٦٦ ، ٨٤٩ ،
 ١٢٢١ ، ١٤٣٢
 ما : زيادتها ١٨٢ ، ٢٤٣ ، ٥٣٧ ،
 ٦٠٠ ، ٦١٨ ، ٦٢٤ ، ٦٥٧ ،
 ٦٦٠ ، ٧١٣ ، ٨٣٩ ، ٨٧٢ ،
 ٩١٤ ، ١٠٠٢ ، ١١٠٨ ، ١٦٤٢ ،
 ورودها كافة ٨٧٢ ، ١٣٣٧ وضعها
 موضع مَن ١٣٩٨ ماذا ١٥٩ ،
 ٨١١ ، ٩٣٤ ، ٩٣٩ ، ١١٧٣ ،
 ١٣٨٣ ، ١٤٢٣ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٣ ،
 ١٥٩ ، ١٥٩ ، ٣٤٩ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧٧ ،
 ١٧٨٨
 مضاف : عمل المضاف إليه فيما قبله
 ٢٧٩
 مَعَ : مَعَ ٣١٣ ، ٨٦٢ ، ١٠٦٩ ،
 ١٢١٦

هَلْ : ٩٠٣
هَلَّا : ١٠١٨ ، ١٢٢١ ، ١٤٥٧
هَلُمَّ : ٦٤٠ ، ٦٦٢ ، ١٢٧٨ ، ١٦٤٧
الهمزة : قطع الموصولة ٧٣٩ (وانظر :
الألف)
هنا : ٢٦٨ ، ٦٥٧ هناك ٩٦٦
وا : وا بأبأها ١٠٨٣
الواو : زيادتها ١٥٩ ، ٣٤٠ واو
الإطلاق ١٧٧٠ المعية ٣٥٠
الياء : ياء المتكلم ٥١
يا : للنداء ٢٨٦ يا اسلى ٢٧٩ يا حبذا
١٢٤٢ يارب ١٢٢٥ يا عجباً ١٢٥٢ ،
١٢٥٣ ، ١٢٧٦ ، ١٣٠٤ يا قبح
الله ١٥٣٣ يا ثارات ١٨٧٦ يا لك
١٨٤١ يا لوما ١٥٣٢ يا ليت ١٣٣٧ ،
١٣٥١ ، ١٦٨٢ يا ليت شعري
١٦٨٢ ، ١٣٥١ ، ١٣٣٧

مفعول : الاستغناء عنه ٣٨٣ ، ٣٤٤
٤١٧
مِنْ : بمعنى العوض ٣٠٠ بمعنى منذ
٣٩٦ حذفها مع أفعل التفضيل
١٥٧ حذفها اكتفاء ٣٦٤ ، ٣٨١
زيادتها في الواجب ٢٦١ ، ٣٦٠ ،
٩١٣ ، ١٠٨١ ، ١٢٧٩ ورودها
للتبيين ١٠٥٩ ، ١٠٨١ ، ١٦٧٠
مِلْأَشْيَاء ١٣٥٥ مِلْأَل ٤٧٦ لست
منك ٨١٤
نَعَمْ : ١٣٧٥ ، ١٦٠٦ ، ١٦١٩ ،
١٧٦٠
النون : حذفها من اللذان (سبق)
من اللثني ٨٠ من الأفعال الخمسة
المرفوعة ٢٩٤ ، ٤٠٧ نون العاد ٢٠٥
ها : ٩٦٧
هاتا : ٦٦٣

٥ - فهرس الأمثال

(٣٣ - حاسة - رابع)

هـ - فهرس الأمثال

ألقى حبله على غاربه ٧٢٣	ابنك ابن بوحك ٩٣٢
إلى أمه يلحف اللهمان ٤٤	ابنك من دى عقبيك ٩٣٢
أم فرشت فأنامت ٣٨٣	أتبع الدلو رشاءها ١٨٧
أم مهدت فأنامت ١٠٠٨	أتبع الفرس لجامها ١٨٧
إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً	اتسع الخرق على الراقع ٧٥
١٥٤٠	أجبن من المزوف ضرباً ٩٤٤
إن الموصين بنو سهوان ١٦١٧	أحب أهل الكلب إليه الظاعن ١٥٨١
أنقر من نعام ٣٦٥	اختلط الخائر بالزباد ٤١٤
اقطع السلافي البطن ١٤٩١	إذا لم تجد عزاً فسمح ١١١٨
انقع له الشر حتى يسأم ٩٣٤٣، ٦٤١	أذل من ققع بقاع ١٥٣٦، ٨٠٤
أهل الحفاظ أهل الحفاظ ٢٧	است أمك أضيق من ذاك ٥٦٦
أهون الورد التشريع ١١٧٣	استنت الفصال حتى القرعى ١٨٨٠
أوسمت وهيا فارقه ١٤٣٤	أسد حطوم خير من سلطان غشوم ٨٥
أول الجرى نزقة ٥٥٤	أشرد من ظليم ٣٦٥
الإيمان قيد الفتك ٩٧	أضرب من مشى بشفة ٧٤٦، ٤٠٤
الإيمان هيوب ٧٢	أطرى فإنك ناعلة ١٨٣٢
بالساعد تبطش الكف ٢٠٣	أطرى فإنك ناعلة ١٨٣٢
بدت جفاده ٤٠٤	أعط القوس باريتها ٢٩٤
البطنة تذهب الفطنة ١٥٣٥	أقبح من زوال النعمة ١٨٧٧
بعض الشر أهون من بعض ٧٨٢،	أكثر من الترى ٧٣٩
٧٨٥	أكذب من يلعب ٧٤٣
بلغ الحزام الطبيين ٣٣٣	التقى الثريان ٧٣٩

- بين الصبح لدى عيني ٣٥
تبصر القذاة في عين أخيك ١٤٩٢
تمرد مارد وهز الأبلق ٦٦١
تهم ويهم بك ٧٢
جاء بالهيل والهيلان ١٠٦٩
جاءت جنادع الشر ٤٠٤
جرت لهم طير أشائم ٤٥٧
جري المذكيات غلاب ٤٤٢
حتفها تحمل ضأن بأظلافها ١٤٧٣
الحديث ذو شجون ١٧٤٧
الحديد بالحديد يفلح ٤٣
الحسن أحر ٦٨٧ ، ١١٠٣
الحفاظظ تحلل الأحقاد ٢٧
خذ ما صفا ودع ما كدر ١١٩
خير الأمور أوساطها ١٢٦١
دفن البنات من المكرمات ٢٨٤
دون هذا الأمر خرط القتاد ٣٦٧
ذهبت النعامة تطلب قرنين ٢١٩
الرائد لا يكذب أهله ٢٧٥ ، ١٢٣٩
روى تمحزم ٧٦
رويد يملون الجدد ١٢٧
رويدك الشعر يغيب ١٢٧
زال السرح عن المد ٣٣٣
زر غباً تردد حباً ٣١٣ ، ٥١٩
زف رآله ٣٦٥
- زندان في مرقمة ١٨٠ ، ٣٦٣
السراح من النجاح ١٢٩٤
سيد القوم أشقام ٢٥٢
الشجاع موق ١٩٧
الشر بيدؤه صفاره ٢٥٢
صالي أشد من نافضك ٨٢٢
صبحناهم فندوا شامة ١٤٧ ، ٣٣٦ ، ٥٨٦
طار طائر ٣٦٥
الطن يطار ٢٨ ، ٥١٢
الطن على الكاذب ١٤٨
عاد السهم إلى الزعة ٥٥٧
حسى النور أبوسا ٨٣
عصا الجبان أطول ٦٦٨
هيل ما هو عائله ١٨٧٨
غادر وهية لا ترقع ١٢٧٣
فرق بين معد تحاب ٢٩٣
فشت عليه الضيمة ٧٥
قبل الرماء تملأ الكنان ٧٦ ، ١٧٧
قد بين الصبح لدى عيني ٣٥
كأنما أنشط من عقال ١٧٠١
كفى برغائها مناديا ١٥٥٧
كل أذب نفور ٥١٩
كلب عس خير من أسد ربض ٦٥٣
كما تبحت الشاة عن مديتها ١٤٧٣

- كما تدين تدان ٣٥
 كستبضع تمرأ إلى أهل خير ١٤٣٩
 التمر إلى أهل حجر ١٤٣٩ الملح إلى
 بارق ١٤٣٩
 لا أفعل كذا ما أبس عبد بناقة ١١٦٨
 — ١١٦٩
 لا بقيا للحمية بعد الحرام ١١٠١، ١٥٢٠
 لا تكن كالباحث عن الشفرة ١٤٧٣
 لا فتى إلا على في الوغى ٩٤٠
 لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا ١٨٦٠
 لا يقل الحديد إلا الحديد ٤٣، ٨٦١
 لا يكذب الرائد أهله ٧٢٥، ١٢٣٩
 لأرينك السكواكب ظهراً ١٥٩٩
 لكل جديد لذة ١٣٠٤
 لم يغلبك مثل مغلب ٢٠٦
 له ، لهم صرخة الجبل ٣٨٨، ١٦١٠
 لو ذات سوار لطمتني ١٥٤٨
 لو كان ذا حيلة تحول ٧٧
 لو لك عويت لم أعو ١٥٨٠
 لولا السعي لم تكن المساعي ٥١٣
 لولا الوثام هلك اللثام ١٠٢٩
 ليس أوان يكره الخلط ٨٢
 ما أصبت منه أفد ولا مريشا ١٨٥٤
 ما أمر وما أحل ١٥٤١
 ما كل بيضاء شحمة ١٥٥
 ماله سبد ولا لبد ١١٠٧
 ما يموى ولا ينبع ١٥٨٠
 ما ينهى ولا يموى ١٥٨٠
 ما يوم حليلة بسر ١٥٩٨
 مات حتف أنفه ١١٧
 مثل الماء خير من الماء ١٦٩٣
 محسنة فهيل ١٠٦٩
 المرء بأصغره ٧٤٧، ١١٥٣
 من حفر مهواة وقع فيها ١٠٧٧
 من عز بز ٩٨٠
 من لم تقومه الكرامة قومته الإهانة ٣٨
 من يريوما يربه ٤٩٦، ١٠٩٥
 من الضياء رياضة الهرم ٧٥٨
 منى أننى وإن كان أجدع ٩٣٨
 النبع يقرع بعضه بعضا ٦٨١
 نجل الجواد جريه يتقبل ١٥٦٩
 النظرة الأولى حقاء ١٤٢٤
 نعم الخلق القبر ٢٨٤
 نعم الدواء الأزم ٣٠٧، ٧٧٠، ١١٩٨
 نعيم كلب في بؤسى أهله ١٥٨١
 هدنة على دخن ٤٣
 هو منى مناط الثريا ١٩٥
 هو نزع الحقائق ٧٥١
 ويل للشجى من الخلى ١٦٧٩
 يحرق على الأرم ٢٣٦
 يدع العين ويتبع الأثر ١٥١٥
 يربض حجرة ويرتنى وسطا ٧٩، ٦٣٦

٦- فهرس الاعلام

٦ - فهرس الأعلام (*)

(أ)	* أحمـر عاد ١٦٤٢
آدم ٢١٨	الأحنف (بن قيس) ١٤٧٤
أبان بن عبدة (٦٣٤)	الأحوص بن محمد (٢٢٢)، ٧٨٦،
أبان اللاحق ٣٩٩	الأخـرم السبنسي (٦٠٠)
إبراهيم بن العباس الصولي ٥	الأخضر بن هبيرة (٥٨٨)
» » كنيف النبهاني (٢٥٨)	الأخطل ٦٦، ٤٨٨، ٤٨٩، ٧٥٤،
» » المهدي ٢٨٢	٩٩٢
* أبي ٩٩٧، ٩٩٩، ١٠٤١، ١٠٤٢	الأخفش = علي بن سليمان
أبي بن حمام المري (٤١٤، ٤١٥)	الأخـس بن شهاب (٧٢٠)
» » ربيعة (٥٥٣)	أخيل ١٤٦٣
* أير ٣٨٧	أدم بن أبي الزعراء (٦١٣، ١٤٧٥)
الأيـرد اليربوعي (١٠٧٧)	* أريد (في شعر جميل) ٣١٤
أبو الأيض المبـسي (٤٦٦)، ٤٦٧	* أريد (أخو حطائط) ١٧٣٣
الأثرم ٩٥٧	أريد (أخولبيد) ١٠٤٥
* أنيل ٦٤٣	أرطاة بن سبية المري (٣٩٧، ٨٩٤،
الأخزم السنبسي = الأخرم	١٣٤٥، ١٦٦٠)
* أحمد ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٧٢٩،	الأرقط بن دعبـل المنبري (٦٨٤)
١٧٣٠	الأرمـني ١٦٣
ابن أحمـر، عمرو ٧٧، ٣٥٣، ٤٥٧،	* أروى ١٨٢٠
٥٨٥، ١٢٥٩، (١٧٢٠)	أريب بن عـمس (١٠٣٧)، ١٠٣٨،
	الأزرق (بن عبد الله الخزوي) ١٦١٨

(*) الأرقام الموضوعـة بين الأقواس في هذا الفهرس وتاليه تدل على صفحات المحاسيات ، وما وضع قبله نجم من الأعلام فهو ماورد في متن الشعر .

٧٨٣ ، ٨٤٣ ، ٨٤٥ ، ٩٥٧ ،
٩٨٢ ، ١٠٢١ ، ١١١١ ، ١٢٤١ ،
١٢٥٥ ، ١٢٥٧ ، ١٢٧٣ ، ١٢٨١ ،
١٣٠٣ ، ١٣٨٠ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٣ ،
١٤٠٤ ، ١٥٠١ ، ١٥٢١ ، ١٥٧٥ ،
١٦٠٧ ، ١٦٣٨ ، ١٧٢٠ ، ١٨٧٤ ،
١٨٥٤ ، ١٨٥٧

الأعجم = زياد

ابن الأعرابي ١٠٦ ، ١٥٧ ، ١٨٨ ، ٤٥٩ ،
٥٢٥ ، ٥٨٧ ، ٦٢٣ ، ٦٥١ ،
٦٦٣ ، ٨٨٣ ، ١٠٢٠ ،
١١٠٣ ، ١١١١ ، ١٢١٧ ، ١٢٤٩ ،
١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٣١٩ ، ١٤٠٨ ،
الأعرج المني (٢٨٩ ، ٣٤٩)

الأعشى ٢٨ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ١٢٠ ، ١٣٧ ،
١٣٨ ، ١٨٤ ، ٢٤٥ ، ٤٦٥ ،
٥١٣ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٦١٢ ،
٧٠٩ ، ٧٤٨ ، ٨٢٦ ، ٨٣١ ،
٩٣٠ ، ٩٥٩ ، ٩٧٩ ، ١١٥٩ ،
١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٩ ، ١٢٦١ ،
١٢٦٣ ، ١٣٥٨ ، ١٥١٥ ، ١٥٧٤ ،
١٦٤٤ ، ١٦٩٦ ، ١٧٢٩ ، ١٨١١ ،
أعشى ربيعة ، أبو المنيرة (١٧٧٦) ،
١٧٧٧

• الأعم ١٤٥٩ ، ١٤٦٠

• أبو أسامة ، والبة بن الحباب ١٥٢٤
إسحاق بن خلف (٢٨٢)
أبو إسحاق الزجاج ٤٥٨
أبو الأسد (١٥٠٠)
الأسدي (٨٧٥)

• أسماء ، ٢٩٤ ، ٩٧٠ ، ١٠٣٢ ، ١٨٧٣
أسماء بنت أبي بكر ٨٨

إسماعيل بن عامر (٨٨١)
• بن عامر الأسدي (١٥١٣)

• أسود ١٧٣٣
أبو الأسود الدؤلي (١٣٤٤)
أسود بن زمعة (٨٧٣)
الأسود بن يعفر ٨٤٣ ، ١٧٣٢ ،
١٧٣٣

الأشتر النخعي (١٤٩ ، ١٧٩٢)
الأشجع بن عمرو السلي (٨٥٦ ،
٩٣٩)

• ابن الأشد ١١٠٤
• أشقر (فرس) ١٤٩٣ ، ١٤٩٤

الأصمعي ٣٦ ، ٥٢ ، ٨٨ ، ١٥٥ ، ١٦٧ ،
١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،
٢٦٩ ، ٣١٠ ، ٣٦٤ ، ٣٧٥ ،
٣٨٩ ، ٤٢٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٩ ،
٥٦١ ، ٥٦٩ ، ٥٨٠ ، ٦١٧ ،
٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٧٢٢ ، ٧٤٣ ،

- الأقرع بن معاذ القشيري (٢٧١ ،
(١٧٢٨)
- * ألياء بن عمرو ٥١٨
- * أمامة ١٠٠١ ، ١٦٨٦
- * أمامة صاحبة ابن النمينة ١٣٧٩ ،
(١٣٨١)
- * أمامة (أم طارق الطائي) ١٤٦٦
- امروء القيس بن حجر ١٦ ، ٤١ ، ١١٨ ،
١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ٢٧٠ ،
٣١٠ ، ٣٤٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ ،
٤٢٣ ، ٤٣٤ ، ٤٦١ ، ٤٨٦ ،
٥٢٧ ، ٥٤٢ ، ٥٤٧ ، ٦١٢ ،
٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧١٠ ، ٧١٥ ،
٧٣٦ ، ٧٧٦ ، ٧٩٢ ، ٨٣٩ ،
١٠٦٧ ، ١٢٤١ ، ١٣٢١ ، ١٣٦١ ،
١٣٦٩ ، ١٥٠١ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٩ ،
١٦٢٤ ، ١٨٢٨ ، ١٨٣١ ، ١٨٦٩ ،
١٨٧٤ ، ١٨٧٥
- أمير المؤمنين = علي بن أبي طالب
- * أميم (أميمة) ١٢٧١ ، ١٧٣٨
- * أميم (أميمة صاحبة ابن النمينة)
١٤١٥
- * أميمة ٢٠٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،
١١٠٤
- أمية بن أبي الصلت (١٧٥٣ ، ١٧٨١)
- أبو أنس = الضحاك بن قيس
- أنس الفوارس ٤٧٠
- * أنيسة ١٨٦٨
- أنيف بن حكم النبهاني (١٦٩ ، ٦٣٧)
- * أهبان ٩٧٦
- ابن أهبان الفقمسي (١٠٦٥)
- * ابن أوس ٥٥٧ ، ٥٥٩
- * أبو أوس ١٠٢٨ ، ١٠٣٠
- أوس بن ثعلبة (٦٨٩)
- » » حبناء (٦٥٤)
- » » حجر ٤٣ ، ٩٣ ، ٢٢١ ،
- ٢٩٦ ، ٥٤٢ ، ٩٥٣ ، ١١٣٠ ،
- ١٢٤٥ ، ١٤٤٠ ، ١٦٤٠
- * أوس بن خالد ٨٤٦ — ٨٤٨
- * أم أوس (بن خالد) ٧٤٧
- * أوفى (بن ولهم) ٧٨٧ ، ٧٩٣ ،
٧٩٤ ، ٧٩٥
- أوفى بن موله ٧١١
- إياس بن الأرت (١٠٢٨ ، ١٢٧٧ ،
١٤٧٤ ، ١٦٨٥)
- إياس بن القائف (١١٣٣)
- » » قبيصة (٢٠٨)
- » » مالك (٥٩٥)
- أيوب عليه السلام ١٣١٨

(ب)

باعث بن صريم (٥٣١)، ٥٣٢

الباهلي اللنوي ٨٦

* بثينة (صاحبة جيل) ٣٢٤، ٢٢٤،

١٤٢٤، ١٣٤٧، ٤٥٩

* بجاد ١٤٨٣

* بجير ١٤٧٣

* بجير أبو لجأ ٥٦٧

البحترى ١٤، ١٣٨، ٨٥٨، ٨٦٧،

١٧٨٧، ١٥٣١

* بمحل ٦٤٩

ابن بمحل = حميد، حسان بن مالك

* بدر (بن يزيد بن الحكم) ١١٩٠

* بر ١٦٣٥، ١٦٣٦

البراء بن ربي الفعقي (٨٤٩)

* أبو البرج = القاسم بن حنبل

البرج بن مسهر (١٢٧٢، ٦١٦، ٣٥٩،

١٧٤٧)

* أبو برزة ٢٨٩، ٢٩٠

البرقي ١٢٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٢٨١،

١٥٠٥

* بريد ١٠٧٧، ١٠٧٨

* بريمة ١٥٠٥

بسر بن المغيرة = بشر

بسطام بن قيس بن مسعود ٥٦٦، ٢٠٦،

٥٦٧، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٦،

بشار بن برد ٦٥٤، ١٣٠٩

بشامة بن جزء النهشلي (١٠٠)، ١٠٨،

» » الفدير ٣٩٣

* بشر ٦٤٨، ١٥٤١، ١٨٢٥

* ابن بشر ١٧٨٣ - ١٧٨٥

* أبو بشر ١٨٢٥

بشر بن أبي (٤٥٠)

» » أبي خازم ٧٨، ٢٦٢، ٢٩٤،

٤٠٠، ٣٦٧

* بشر بن غالب ١٥١٣

» » المغيرة (٢٦٥)

بشير بن أبي جذيمة (١٤٤٣)

البصير = أبو طي

* بصيرة ١٨٦١

البعيث الحنقي (٣٧٦، ١٨٠٣)

» » (المجاشعي) ٦٦

* بكر ١٦٨٧

أبو بكر الصديق ٧٩٩، ١٠٢١،

» » بن عبد الرحمن (١٢٤٥)

بكر بن النطاح (١٢٨٥)

بلال الخارجي ٦٦٧

بلماء بن قيس (٥٩)

بهذل بن قرفة ٢١٢

* بهيشة ١٢٧١

* أبو بيان ١١٣٦

* بهس ٦٥٩ ، ٦٦٠

(ت)

تأبط شرأ ، الشمل (٧٤) ، ٧٧ ،

٨٥ ، (٩٢) ، ٣٧٦ ، ٤٩١ ،

٦٩١ ، ٧٥٧ ، (٨٢٧) ، ٩٨٨ ،

١٦١٥ ، ١٧٠٨

أم تأبط شرأ ٤٥٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، (٩١٤)

تبع ٦٦١

* تماضر ٥٤٦ ، ٥٤٧

أبو تمام الطائي ٣ ، ٤ ، ١٣ ، ١٤ ،

٨٢ ، ٨٤ ، ٩٦ ، ١١٤ ، ١٣٨ ،

٢٥٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٣٦٨ ،

٢٧١ ، ٣٧٨ ، ٤٠٦ ، ٤٢٧ ،

٤٦٦ ، ٥٤٥ ، ٦٤٦ ، ٧٠٨ ،

٧١٤ ، ٧٢٥ ، ٧٤٥ ، ٧٧١ ،

٨٥٦ ، ٨٦٧ ، ٩٥٧ ، ٩٦٢ ،

٩٩٢ ، ٩٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١١٢١ ،

١١٩٩ ، ١٢٢٧ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٣ ،

١٢٤٩ ، ١٢٥٨ ، ٢٩٠ ، ١٣٢٦ ،

١٣٥٠ ، ١٤٠٩ ، ١٤٨٤ ، ١٥٧٩ ،

١٦٢٠ ، ١٦٩٠ ، ١٧٦٠ ، ١٨٢٩

توبة بن الحمير (١٣١١)

» » الضرس (١٣٥٢)

التوزي ١٨٧٩

* تيم ٦٧٢

التيمي (١٣٣ ، ٩٥٠)

(ث)

* ثابت ٦٤٨

ابن ثامل = حماس

ثملة بن شعاث ١٤٤٧

* الثريا ٦٤٤

ثعلب ٤٥٢ ، ٥٢٥ ، ٩٦١

أبو ثمامة بن عارم (٥٧٧) ، ٥٨٠

أم ثواب الهزانية (٧٥٦)

* ثور ٦٤٨ ، ٦٤٩

(ج)

جابر (١٤٧١)

» بن ثعلب الطائي (٣٠٤ ، ١٢٧٠)

» » حباب (١٧١٠)

» » حريش (٥٩٢)

» » رالان (٢٣٤ ، ٦٠٨)

* جبار ٥١٨ ، ٦٣١

* جبر ٢١٣

جبريل ١٥٤

* أبو الجلاح ٧٧٢
الجمحي ٤١٩
* جل ١٥٨٢ ، ١٨٥١
* جميل ٢٢٤ ، (٣٢٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٤)
٤٥٩ ، (١٤٢٤ ، ١٣٨٣ ، ١٣٤٧)
* جندب ٣٠٨ ، ٣٠٧
* جندل بن عمرو (٣١١)
* جنوب ٦٨٦
* أبو جهل بن هشام ١٨٨
* جواس الضبي (١٤٥٣)
* الكلبي (١٤٩٢ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٧)
* الجون (فرس) ٥٦٨
* جوهر ١٨٧٠
* جوى ٩٧٨ — ٩٨٠
* جويرية بنت الحارث ١٠٢٤
* جوين ٤٤٨ ، ٤٤٩
* جؤية بن النضر ١٧٣٥
(ح)
* حاتم ١٤٦٨ ، ١٤٦٩
* أبو حاتم ٥٧٦ ، ٩٨٢ ، ١٣٠٣ ، ١٦٠٧
* حاتم الطائي ١٢١ ، ١٦٧ ، ٢٥٥ ، ١٤٦٤ ، (١١٦٦) ، ٦٥٣ ، ٢٥٦

جثامة بن قيس (١٦٣١)
جحدر = ربيعة بن ضبيعة
* جذيمة الأبرش ٦٥٩
* الجراح ٩٠٩
* جران العود (١٢٢٧)
* جرول ١٤٧٢ ، ١٤٧١
* جريبة بن الأشيم (٧٧٣)
* جرير بن الحطفي ٦٦ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦
٤٠١ ، ٤٨٦ ، ٥٣٨ ، ٥٦٣
٦١٧ ، ٦٣٧ ، ٩٩٨ ، (١١٠٩)
١٢٢٠ ، ١٢٧١ ، ١٣٠٣ ، ١٤٢٥
١٥٣٢ ، ١٦٢٤ ، ١٨٤١
* جرير بن عبد المزى = التلس
* جرية العمرى ٤٢٦ ، ٤٢٧
* جزء بن ضرار (٣٤٣)
* » » كليب الفقيسى (٢٤١)
* ابن جمدة المخزومي ٢١٢
* الجمعدى = النابغة
* جعفر ١٤١٦
* ابن جعفر = عبد الله بن جعفر
* أم جعفر ١٤١٩
* جعفر بن علبة الحارثي (٤٤ ، ٤٩)
٣٥٧ ، (٣٥٦ ، ٥١)
* ابن جفنة = عمرو بن الحارث
١٤٤٦ ، ١٤٤٨

- * أبو حجر ٩٧٣
حجر والد أوس ٩٣
» بن حبة (١٦٦٢)
» » خالد (٣٥١، ٥١٢، ٥١٨،
(١٦٤٠)
حجر بن عمرو ١١٨، ١٦
حجل بن نضلة ٥٨٠
* حجناء ٩٢٣، ٩٢٣
* أبو الحجناء ٩١٩
أبو الحجناء = نصيب الأصغر
أبو الحجناء الأسدي (٩٢٢)
حجية بن المضرب (١١٧٦، ١٥٢)
حذيفة بن بدر ٢٠٣، ٤٥٣
حران بن عمرو بن عبد مناة (١٠١٧،
(١٦٧١)
ابن حرب = معاوية بن أبي سفيان
١٤٩
* أم حرب ١٢٥٥
حري بن ضمرة، ابن دارم ٥١٠، ٥١١
حريث بن جابر (٣٧٥)
الحريث بن زيد الخليل (٨٤٦)
حريث بن عتاب (٢٥٥، ٦٣١،
(١٤٧٧، ١٤٨١)
الحريش بن هلال القريني (١٣٩)
أبو حزابة التميمي (٦٨٧)
- ١٤٦٥، ١٥٨٧، ١٦٥٣، (١٦٦٨)،
(١٧١١، ١٧٨٦)
الحاجبية ١٢٨٧
* حار (حارث) ٩٩١
* حار بن عمرو ١٤٣٠
* حارب ٣١٦
* حارث ١٠٦٨
الحارث بن خالد الخزومي (١٢٨٢)
» » زيد الخليل = الحريث
» » هشام (١٨٨)
» » همام (١٤٦)، ١٤٧
» » وعلة الذهلي (٢٠٣)
الحارثي (١٤٢٥)
* حباب ٣١٥
* ابن الحباب = والبة
* حبت ١٥٠٢ - ١٥٠٤
حبيب بن أوس (١٨٣٩)
» » عوف (١٧٩١)
» » المهلب (١٨٣٩)
حبيبة ابنة عبد المزي (١٦٣٥)
الحقات ٧٥٠، ٧٥١
حجاج (بن حباب) ٣١٥
الحجاج بن يوسف ٦٧٧، ٢٨٢ -
٦٧٩، ٧٠٧، ١٤٩٠
* حجر ١٦٥٨

حسين بن المنذر ٨١٤، ١٥٢٨
 حسين بن المنذر = حسين
 * ابنة حطان بن قيس ٧٢١
 حطائط بن يعفر (١٧٣٢)، ١٧٧٣
 الحطيثة ٢٨٧، ٤٠٦، ١٤٦٠
 حفص بن الأحنف الكنانى (٩٠٥)
 » » « علم (١٣٣٦)
 * الحكم ١٤٠٢، ١٤٠٣
 الحكم الخضرى (١٣١٧)
 » بن زهرة (٢٤٩)
 » » عبد الأسدى (١١٦٣)،
 (١٢٠٤، ١٥٤٥، ١٧٨٣)
 * حكيم ٦٩٤، ١٠٥١، ١٤٥٣
 » بن ضرار (١٨٢٥)
 » » قبيصة (١٨٢٥)
 أبو حكيم المرى (١٠٥١)
 حليلة (صاحبة المثل) ١٥٩٨
 * الحما (فوس) ١٩٤
 حماد مجرد (٨٥٤)
 » بن الحلف (١٥٢٥)
 * حمار ٨٠٢، ٨٠٣
 حماس بن ثامل (١٦٩٥)، ١٦٩٦
 حمزة بن الحسن، أبو عبد الله ١٦٢،
 ٤٠٦
 حمل بن بدر ٢٠٣، ٤٢٨، ٤٢٩

حزاز بن عمرو = حران بن عمرو
 * حزن ٦٤٨
 * حزيمة ٥٥٤
 الحزين اللبثى (١٦٢١)
 * أم حسان ١٧٢٣
 حسان بن ثابت ١٠، ١٦٢٣، ١٦٨٩
 » » « الجعد (٦٥١)
 » » « حنظلة (١٦٨٢)
 حسان بن علبة (٥٢٠)
 » » « مالك بن بحدل ٦٤٩، ٦٥٠،
 ١٤٩٥
 حسان بن نشبة (٣٣٥، ٣٣٧)
 * ابن حسحاس بن وهب ١٩٣،
 ١٩٤
 أبو الحسن الأخفش = على بن سليمان
 الحسن البصرى ٢٠٠، ٨٤٥
 » بن رجا ١٤، ١٥٠٠
 أبو الحسن، على بن أبى طالب ١١٠٢
 حصيل بن سجيح (٥٦٧)
 الحسين بن على ٣٩٢، ٩٦٢
 » » « مطير (٢٧٣، ٩٣٤، ١٢٢٨)
 (١٢٥١، ١٣٦٠، ١٥٩٧)
 حشب ٣١٤
 * حصن ٩٨٣، ١٠٢٢، ١٠٤٦
 الحصين بن الحمام المرى (١٩٧، ٣٧٦)

- * حميد الأرقط (١٨٣٢)
 » بن بحدل ٥٢٣، ٥٢٤
 » » ثور ١١٢٥، ١٣٠
 أبو حنبل الطائي (٢٩٨)، ٢٩٩
 * حندج ٢٦٩
 حندج بن حندج (١٨٢٨)
 حنش (٩٤٦)
 * ابن الحنظلية ١٤٨٧
 أبو حنيفة الدينوري ١٥٦٨
 » » النمان ٩٩
 * حواء ١٦٦١
 * حوشب ٣١٣
 * حوط ١٠٣١، ١٣٦٣
 * حوط (بن حجية) ١٥٢
 حيان بن ربيعة (٢٨٨)
 * حيدرة (لقب على بن أبي طالب)
 ١١٥، ٢٩٧، ٤٠٧، ٦١١
 ٦٤٢، ٨٦٩، ١٠٧٨
 أبو حية النيرى (١٣١٤، ١٣٦٨،
 (١٣٧١)
 (خ)
 * خارج (خارجة) ١٤٣٨
 خارجة بن ضرار المري (١٤٣٨)
 الخارزنجي ٣١٤، ١٨٧٦
- * خالد ٤١٤، ١٠٢٧
 * ابن خالد ١٧٧٩
 * أبو خالد ٩٧٤
 أم خالد ٣٤
 خالد بن عبد الله القسري ٩٢٧، ٩٢٨،
 ٩٧٥
 خالد بن الوليد ١٤٠
 * ابن خباب ١٤٨١، ١٤٨٢
 * أبو خبيب ١٦٥٨
 * الخبيبان (عبد الله ومصعب ابنا الزبير)
 ٦٠٩، ٨٩٦، ١٠٧٦
 خدش، بن زهير ٧٧٤
 * خراش ٧٨٢ - ٧٨٥، ٧٧٨
 أبو خراش الهذلي (٧٧٢)، ٧٨٣
 * أبو خراشة ٧٨٢
 * خرقاء ١٣٦٧، ١٤٢١
 الخرمي ١٠٥٣
 خضم (لقب العنبر بن مازن) ٣١٥
 أبو الخطاب الأخفش ١٢٤٧
 خطاب بن المولى (٢٨٥)
 الخطيم = حطيم
 خفاف بن ندبة (٦٢٦)
 خلف الأحمر ١٠، (٨٢٧)
 » بن خليفة (٨٨٩، ١٧٦٨)
 خليل مولى العباس بن محمد (١٣٧٦)

* الخليل ١٦٠٨

الخليل بن أحمد ٢٧، ٥٢، ٨٠، ٩١،

١٣١، ١٤٢، ١٦١، ١٦٦، ١٧٥،

١٩٠، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٢٧،

٢٢٩، ٢٣٦، ٢٦٩، ٢٧١، ٣٣٣،

٣٤٢، ٣٥٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٩٧،

٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٢٣،

٤٦٨، ٤٧٩، ٤٨٨، ٥٠٥، ٥٠٩،

٥٢٤، ٥٣٠، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٨٨،

٥٩٧، ٦١٤، ٦٤٤، ٦٦٧، ٦٩٥،

٦٩٨، ٧١٤، ٧١٧، ٧٢٩، ٧٣٠،

٧٥٠، ٧٥٧، ٧٦٤، ٧٧٧، ٧٧٠،

٧٧١، ٨١٢، ٨١٣، ٨٢٩، ٨٣٢،

٨٣٨، ٨٥٢، ٨٥٥، ٨٧٠، ٨٨٤،

٨٩٩، ٩٠٤، ٩٠٨، ٩١٦، ٩٣٥،

٩٥٩، ٩٨١، ٩٩٤، ٩٩٨، ١٠٠٦،

١١٠٠، ١١٠٥، ١١٠٨، ١١١٥،

١١٢٠، ١١٢٤، ١١٢٧، ١١٣٨،

١١٣٧، ١١٤٤، ١١٥٠، ١١٩٨،

١٢٠٧، ١٢٤١، ١٢٧٣، ١٢٧٦،

١٢٧٩، ١٢٨١، ١٣٣٢،

١٣٤٧، ١٣٥٨، ١٣٧٨، ١٣٨٩،

١٤٢٠، ١٤٣٧، ١٤٣٩، ١٤٨٢،

١٤٨٣، ١٤٩٨، ١٦١١، ١٦٢٢،

١٦٢٨، ١٦٣٠، ١٦٤٩، ١٦٥٠،

١٦٨٧، ١٧٠٠، ١٧٠٥، ١٧٠٦،

١٧٤٢، ١٧٨٥، ١٧٩٦، ١٨٠٩،

١٨١٧، ١٨٣٣، ١٨٤٠، ١٨٧٦،

١٨٧٧

* الخمس ٩٧٣، ٩٧٤،

أبو الخندق الأسدي (١٨٤٢)

خنزر بن أرقم (١٥٠٦)، ١٥٠٩،

١٥١١

* الخنساء ٣٢٠

الخنساء الشاعرة ١٠٧، ٨٤٩،

١٠٩٣، ١٧٩٨،

(د)

داحس (فرس) ٢٠٣، ٤٢٨، ٤٥٠،

٤٥٥

ابن دارم = حري بن ضمرة

ابن دارة (٣٨٥)

* ابن داود = سليمان

داود عليه السلام ٣٩٠، ٦٣٥، ٧٣٣،

ابن أبي دباكل الخزاعي (١٣٥٣)

درّاج (٦٨٣)

دريد بن الصمة الجشمي ١١٦، ١٣٩،

(١٧٥٧)، ٨٤١، (٨٢٢، ٨١٢)

* ذو البردين (عاصر بن أحيمر)

١٢٦٨ ، ١٢٤

ذو الحلم (عاصر بن بن الطرب ، عمرو

ابن حممة ، قيس بن خالد) ٢٠٦

ذو الرمة ٣٩٧ ، ٧١٥ ، ٧٩٣ ، ٨٤٥ ،

١٢٥٧ ، ١٣٢٤ ، ١٣٦٧ ،

(١٣٨٢) ، ١٣٨٣ ، ١٥٤٢ ،

١٨٥٩ ، ١٨٢٠ ، ١٥٤٣

* ذو طلال (فرس) ١٠٠٣

ذو الفقار (سيف) ١٠٢٤

* ذؤاب ٨٤٤

أبو ذؤيب الهذلي ١٠٠ ، ١١٦ ، ٢٣٨ ،

٤٧٨ ، ٥٨٩ ، ٧١٧ باسم أبي ذؤيب

٩٣٢ ، ١٥٦٧ ، ١٥٩٤ ، ١٦٩٥ ،

١٧٨٤ ، ١٧٨٩

* ابن ذيب ١٥٣٢

* أبو ذيب ٨١٧

(ر)

* رابع (رابعة) ١٠٦٨

* راشد ٢٥١

الراعي (٢٧٥ ، ٣٠٩) ، ٦٩٥ ،

٧٥١ : ١٢٥٧ ، (١٥٠٨ ، ١٥٠١) ،

١٦٥١ ، (١٦٩٠) ، ١٧٠٤

ابن رالان = جابر

البريدي : ٢١ ، ٣٢ ، ٩٧ ، ١٠٤ ،

١١٤ ، ١٢٤ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ،

١٨٣ ، ٣١٢ ، ٣٤٢ ، ٣٦٦ ،

٤٤١ ، ٥٠٨ ، ٨٥٥ ، ٨٩٠ ،

١٠٦٣ ، ١١٠٤ ، ١١٢٠ ،

١١٢٧ ، ١١٥٠ ، ١٢٦٠ ، ١٢٨٤ ،

١٣٧٧ ، ١٥٣٥ ، ١٦٠٨ ، ١٧٠٧ ،

١٧٤٧ ، ١٧٨٦ ، ١٧٩٦ ، ١٨٣٤ ،

١٨٥٤ ، ١٨٧٦ ، ١٨٧٩

دعامة بن طعمة ٩٩٩ ، ١٠٠١

دعبل (١٨٤٢)

* دعلج (فرس) ١٥٤

دغفل النسابة ٢٥٦

أبو الدقيش ١٤٣٧ ، ١٧٨٥

* أبو دلف ١٦٤٣

ابن دلم = أوفى

ابن الدمينة = عبد الله

أبو دهبل الجحى (١٣١٩ ، ١٣٥٠ ،

١٦٠٤ ، ١٦١٨ ، ١٦٢٠)

(ذ)

ذات النطاقين ، أسماء ٨٨

* ذفاف ١٠٣١

* ذلفاء ١٣٢١

ذو الإصبع المدواني ٢٠٦

رؤبة بن المعراج ١٠، ٣٣١، ٣٨٩،
١٨١٨، ١٢٦٣
* روح (بن حاتم) ٧٧٨
رويشد بن كثير الطائي (١٦٦)،
(١٤٧٠)
* رويق (رويقة) ١٣٩٦، ١٣٩٨،
* ريا ١١١٠، ١٢١٥، ١٢١٩،
١٢٧٠

* ريسان ١٤٦٣
* ابن ربطة ٢٣٨
ربطة بنت حاصم (١١٠٠)

(ز)

زاهر أبو كرام التيمي (٦٧٢)
زباء الرومية ٦٥٩
* زبان ١٧٧١
* زبرقان ١٠٦٨
الزبرقان ٨١١
أبو زيد الطائي ٢٣٦
* الزبير ٩٨١
ابن الزبير = عبد الله
الزبير بن العوام ٣٩٣
الزجاج = أبو إسحاق
زرارة بن عدس ١٤٤٧، ١٤٦٦
أم زرع ١٠٢

راطل ٦٤٨
راوية كثير ١٣٠٣
* الرباب ٤٨٥
* أم الرباب ١٨٢٨
ربمان (١٥٣٦)
أبو الرئيس الثملي (١٢٥٥)
ربيع الحفاظ بن زياد العبسي ٤٧٠،
٤٧١، (٤٨٤)، ٩٩١

الربيع بن زياد = ربيع الحفاظ
ربيعة بن ضبيعة، جحدر (٥٠٧) —
٥٠٩

* أبو ربيعة عبد عمرو ١٠٠٣
ربيعة بن عبيدة (٨٤٣)
ربيعة بن مقروم الضبي (٦١)، ٥٤٢،
٥٤٥، (١١٣٥)

* ربيعة بن مكدم ٩٠٥، ٩٠٦
* ردين (ردينة) ٤٤٢، ٤٤٣
ردينة ٤٦٢، ٤٦٣، ١٠٦١
رشيد بن رميض العبدي (٣٥٤)
* رفاعه ٩٨٢

ابن الرقيات ٧٦١، ٨٣١
رقية الجرمي (٩٨٢)
ابن رميض = رشيد
* رميم ١٣١٤

رم ابنة العتاب ١٧٣٢، ١٧٣٣

زياد بن أبيه ٣١٥ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ،

١٤٦٢

زياد الأعجم (١٥٣٩ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٦)

أبو زياد الأعرجي (١٥٩٢)

زياد بن حمل (١٣٨٩)

» عبد الله بن ناشب ٤٧٠

» عمرو = النابغة ٩٥٧

» » العقيلي ٦٤٨ ، ٦٤٩

» » منقذ (١٣٨٩)

زيادة الحارثي (٢٤٤)

* زيد ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ١٠٣١

* ابن زيد ١٦١٤

* ابن زيد = عمرو بن زيد الخليل

أبو زيد الأنصاري ١٦١ ، ١٦٢ ،

١٨٠ ، ٤٢٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ،

٤٥٣ ، ٤٥٦ ، ٤٦٣ ، ٥٨٦ ،

٦٠٥ ، ٦٥٦ ، ٦٧٨ ، ٧٤٤ ،

٧٦٦ ، ١٠٧٢ ، ١١٣٠ ، ١٣٦٤ ،

١٣٦٨ ، ١٣٩٨ ، ١٥٧٢ ، ١٨٦٩

زيد بن حصين = زيد الفوارس

* زيد (أخو حطائط) ١٧٣٣

* زيد (بن ضرار) ٤٥٢ ، ٦٢٣ ،

زيد الفوارس ، زيد اللات (٥٧٧) -

٥٥٩ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، (١٦٧٨)

زيد اللات = زيد الفوارس ١٠١٧

* زرعة ٥٨٧

زرعة بن عمرو (١٧٣٦)

زفر بن الحارث الكلابي (١٥٥ ،

٦٤٩) ، ٦٥٠ ،

* زكيرة ١٠٣٣

زمنة بن الأسود ٧٨٣ ، ٨٧٤

* زميل ٣٨٥

زميل بن أبيير (١٤٣٦ ، ١٤٣٨)

* أم زنباع ٧٠٥

* زهير ٨٥٢ ، ٨٢٧

زهير بن جذيمة العبسي ٤٦٢

» بن حذيفة ٤٥٧

» بن أبي سلمى ٩ ، ١٥ ، ٣٨ ،

٦٣ ، ٩٣ ، ٣٠٢ ، ٣٤٥ ، ٣٦١ ،

٣٨٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩ ، ٤٥٧ ،

٥١٢ ، ٥٢١ ، ٦٣٧ ، ٩٥٤ ،

١٢٢٣ ، ١٥٤١ ، ١٥٨٣ ، ١٦٤٢ ،

١٦٧٥ ، ١٧٨٩

زهير بن عمرو بن عامر ١٨٥ ، ١٨٦

زويفر بن الحارث بن ضرار (١٠١٩)

* زياية ١٤٧

ابن زياية التيمي (١٤٢) ، ١٤٦ ،

(١٤٧)

* زياد ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ١٥٤٩

* ابنا زياد ٦١٣

* سعد بن ناشب بن مازن (٦٧ ،

٦٦٤ ، ٦٦٧)

* سعدى ١٤١٣

* سعيد ٨٧٩ ، ١٧٧٩

* ابن سعيد ٨٥٦

سعيد بن سلم الباهلى ١٢٥٧

أبو سعيد الضرير ٤٢ ، ٨٨٤

سعيد بن العاص ٢٤٥

أبو سفيان (أحد السعاة) ٨٤٦ ،

٨٤٧

* سكاب (فرس) ٢٠٩ ، ٢١٠

السكرى ١٨٣٣

ابن السكيت = يعقوب

* سلام (سليان) ٨١٦

* أم السلسيل ٣٧٦ ، ٣٧٧

* أم سلم ١٦٣٧

سلم بن ربيعة (١١٣٧)

ابن السلماى (٧٥٩)

سلمة الجعفى (١٠٨٠)

» بن الخرشب ٧٢٥ ، ٧٢٦

* سلمى ١٠٠ ، ١٣٠ ، ٨٧٠ ، ١٥٢٦

* ابن سلمى ٧٣٨ ، ٩٧٧

* أبو سلمى ٤٣٣

أبو سلمى (والدزهير) ٩٣

سلمى بن ربيعة (٥٤٦)

* زيد مناة ١٠٣١ ، ١٠٣٢

* زينب ٣٧٧ ، ١٢٨٩ ، ١٣٠٠

زينب بنت الطثرية (١٠٤٦)

(س)

ساعدة الهذلى ٤١٩

* سالم ١٣٧٤ ، ١٤٤٠

سالم بن قحطان (١٥٨١ ، ١٧٢٦)

امراة سالم بن قحطان = أم الوليد

سالم بن وابصة (٧١٠ ، ١١٤٢ ،

١١٦٠)

* سائب ٨١٠

سبرة بن عمرو الفقمسى (٢٣٧) ، ٥٨٠

* سحاب (سحابة) ١٨٥١

سحيم الفقمسى (١٨٥٠)

» بن وثيل ١٠٦١

* سرحة ١٣٧٦

* سعاد ٦٠٨ ، ١٢٢٣

* سعد ٦٣١ ، ١٦٣٧ ، ١٨٦٢

* ابن سعد ١٠٥٩ ، ١٠٦٠

* ابنة آل سعد ٦٢٣

أم سعد ٦٦٤ ، ٩٣١

سعد بن مالك ، ابن قيس (٥٠٠) ،

٥٠٦

سيويه ٣٩ ، ٥٣ ، ٩١ ، ١٣٢ ،
 ٢٠١ ، ٢٢٦ ، ٣٥٦ ، ٣٧٨ ،
 ٤٨٨ ، ٥٠٦ ، ٥٢٨ ، ٥٥٨ ،
 ٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٦٢٤ ، ٧١٣ ،
 ٧٤٥ ، ٧٩٦ ، ٨٢٩ ، ٨٧٥ ،
 ٩١٣ ، ٩٦٧ ، ٩٨٣ ، ١٠٨١ ،
 ١٠٨٣ ، ١١١٨ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ،
 ١٢٣٣ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٥٢ ،
 ١٢٥٩ ، ١٢٧٩ ، ١٢٩٦ ، ١٣٢٩ ،
 ١٣٣٠ ، ١٣٧٣ ، ١٥٠٢ ، ١٥٦٠ ،
 ١٥٧٦ ، ١٦٧٢ ، ١٧٨٤ ، ١٨٠٥ ،
 ١٨١٧ ، ١٨٥٩

(ش)

* شأس ٩٠٦
 شبرمة بن الطفيل (٧٠٣ ، ١٢٦٩)
 * شبل ١٥٥٩
 شبل الفزاري (٦٨٠)
 شبيب بن البرصاء (١١٢٣) ، ١١٤١ ،
 » » عوأة (٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٣٢٣)
 * شحنة ٣٨٢ ، ٣٨٣
 الشداخ بن يعمر الكنانى (١٩٦)
 شريح بن الأحوص (١٧٠٥)
 » » قرواش (٤٠٩)
 » » مسهر ٤١٠

أم السليك بن السلكة (٩١٤)
 * سليم (سليمان) ٨١٦ ، ٧٥٠
 سليمان بن داود ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٨١٦
 سليمان بن عبد الملك ١٥٢٦ ، ١٧٧٧
 » » قته العدوى (٩٦١)
 * سليمي ١٢٧٩
 * سليمي أم منتشر ١٤٨١ ، ١٤٨٢
 السموأل بن عاديا (١١٠)
 * سمى (سمية) ٥٩٢ ، ٥٩٤
 * سنان ٣٨٢ ، ٣٨٣
 سنان بن الفحل (٥٩٠)
 * أم سهل ٣٤٩ ، ٣٥٠
 * سهيل ٦٤٤
 * ابنا سهيل ٣١٠
 * سواد (سواده) بن عمرو ٧٣٨ ،
 ٧٣٩
 سواده اليربوعي (١٧٣٢)
 سوار بن المضرب السعدى (١٣٠ ،
 ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ١٣٦١)
 * سوداء ١٤١٤ ، ١٤١٥
 سويد بن صميص المرندى (١٢٤ ، ٨٤٠)
 سويد المراند = سويد بن صميص
 » » بن مشنوء (١٤٦١)
 سيار بن قصير الطائى (١٦٣)
 » » (بن مواله) ٢٩٨ ، ٢٩٩

- * شعبة ٦٩١
الشعبي ٢٠٦
الشمل (تأبط شرا) ٩٨٨
شميت ، من كنانة (١٤٧٩)
أبو الشنب العبسي (٢٧١ ، ٩٢٧ ، ١٠٤٣ ، ١٠٥٥)
* شنب بن عكرشة ١٠٤٣ ، ١٠٤٤
* الشقراء (فرس) ١٣٩٩
شقران مولى سلامان (١٦٠٢)
* شقيق ٥٨٠
شقيق بن سليك الأسدي (٧٧٧)
الشاخ ٢٧١ ، ٤٥٣ ، (١٠٩٠ ، ١٧٥٢)
شماس بن أسود (٥١٠)
الشاطيط النطفاني (١٢٩٠ ، ١٢٩٢)
* شمر (فرس) ٣١٥ ، ٣١٦
الشمردل بن شريك (٦٦٦ ، ٨٦٩ ، ١٦١١)
* شمس بن مالك ٩٢ ، ٩٣
شملة بن الأخضر (٥٦٥ ، ١٤٥٨)
شملة بن برد النقري ٧٠١ ، ٧٠٢
الشميدز الحارثي (١٢٤)
* ابنا شميظ ٦٢٩
الشفري (٤٨٧) ، ٤٩٠ ، ٧٢٤ ، ٨٢٨ ، ٧٥٧
شهل بن شيان الزماني (٣٢)
* شولة (فرس) ٥٥٩
الشياني النساب ٩٥٧
أبو الشيص (١٣٧٣)
(ص)
صاحب العين ، الخليل ١٢٨١ ، ١٣٧٧
* ابن صبح ١٨٣
أبو صخر الهذلي (٣٢٧ ، ١٢٣١ ، ١٣٣٢)
صخر بن عمرو (١٠٩٣) ، ١٤١١
* ابن صرمة ١٠٩٤
أم الصريح الكندية (٩٣٣)
أبو صمرة البولاني (١٠٣٣ ، ١٢٨١ ، ١٤٨٦)
* ابن صفوة = أخيل
صفية الباهلية (٩٤٨)
» بنت حيي ١٠٢٥
» » عبد المطلب ٤٣١ ، (١٧٨٨)
الصلتان المبدي (١٢٠٩) ، ١٢١١
* صلب ١٦٣٧
الصمصامة (سيف عمرو) ٨٧٢
الصمة بن عبد الله القشيري (١٢١٥) ، ١٢٢٠ ، ١٢٤٠
* الصموت (فرس) ٤٧٩

* أبو الصهباء (بسطام بن قيس)

١٠٢٢

الصولى ١٤

* صيني ٨٩٥ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥

(ض)

الضبي (١٠٤١)

الضحاك بن قيس ٦٤٩ ، ٧٧٧ ،

١٤٩٤ ، ١٤٩٣ ، ٧٧٨

* ضرار ٤٠٧

ابنة ضرار الضبية (١٠٥٣)

* ضمرة ١١٣٦

ضمرة بن ضمرة النهشلى ٢٣٧

(ط)

ابن طباطبا ، أبو الحسن ٧

ابن الطثرية = يزيد

طخيم أبو الطخماء (١٨٦٣)

طرفة الجذيمى ٤١١

• بن المبد ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٨ ، ١١٦ ،

٢٠٥ ، ٥٢٩ بلفظ طرفة المبدى ،

٧٠٦ ، ٨٨٢ ، ٩٧١ ، ١١٤١ ،

١٢٥٧ ، ١٢٧٤ ، ١٤٤١

الطرماع بن جهم (١٤٨٧)

• • حكيم (٢٢٨) ، ١٢٧١ ،

١٨٥٩

طريح بن إسماعيل (١٧٩٠)

* ابن طريف ١٠٤٤ ، ١٠٩٢

* طريفة ١٧٣٥

ابن طعمة = دعامة

طفيل الفنوى ١٢٢ ، (٢٧٤)

• بن مالك ١٤٩٤

أبو الطمجان القينى (١٢٦٦ ، ١٥٩٨ ،

١٨٦٣)

* طيب ١٤١٠ ، ١٦٨٧

* ابن طيبة ٨٩٨ ، ١١٩٤

طيبة الباهلية = صفية

(ظ)

* ابن ظبية ١١٩٤

(ع)

* عاتكة ١٣٥٩

* ابن عاتكة ٩٠١ ، ٩٠٢

عاتكة بنت زيد بن نفيل (١١٠٢ ،

١١٠٦)

عاتكة بنت عبد المطلب (٧٤١)

* عارض ٨١٢

عارق الطائى ١٠٣٩ ، (١٤٤٦) -

١٤٤٨ ، (١٤٦٦ ، ١٧٤٢)

* ابن أبي الماصى = عبد الملك بن

عبد العزيز بن زرارة (٢٧٨، ١٦٩١)

* ابن عبد القيس ١٧٣

عبد القيس بن خفاف (٧٤٤)

* عبد الله ١٠٣١، ١٠٧٠، ١١٠٥

١٦١٦، ١٤٧٧، ١٤٧٦

* ابنة عبد الله = ماوية بنت عبد الله

أبو عبد الله = حمزة بن الحسن

عبد الله بن أوفى (١٥١٨)

» » ثعلبة الحنفى (٨٩١)

» » جعفر بن محمد الصادق

١٧٥١، ١٧٥٠

عبد الله بن الحشرج (١٨٣٧)

» » الحوالى (١٦٣٩)

» » خازم ٦٥٢

عبد الله بن اليمينة (١٢٢٣، ١٢٦٢،

١٢٩٨، ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣٣٢،

١٣٤٥، ١٣٦٤، ١٣٧٩، ١٣٨٤،

(١٤١٥)

عبد الله بن الزبير الأسدى (٩٤١،

١١٧٠، ١٧٩٢)

عبد الله بن الزبير، أحد الخبيبيين ٤٦١،

٤٦٢، ٦٠٩، ٦٤٨، ٦٥٠ —

٨٩٦، ١٠٧٦، ١٤٩٤، ١٤٩٦ —

عبد الله بن سالم الخياط (١٦٣٠)

» » سبرة (٤٨٣)

مروان ٧٤٨

* أم عاصم ١٥٧٢

عاصم بن خليفة الضبي ٥٦٦

عاصية البولانية (١٥٤٨)

* عاصم ١٠٢٩، ١٧٠٧، ١٧٠٨

عاصم بن أحيمر = ذو البردين

» » حوط (١٦٧٦)

» » شقيق (٥٧٤)

» » الطفيل (١٥٣، ٧١٢)

» » الظرب ٢٠٥، ٢٥٦

عائشة، أم المؤمنين ٢٩٢

أبو عبادة = البحترى ٨٦٧

أبو العباس = البرد

ابن عباس = عبد الله

العباس بن محمد ١٣٧٦

» » مرداس (١٣٩)، ١٥٨،

(٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤٠)، ٦٢٦،

١٠٩٩، (١١٥٣، ١٣١٠)

عبد بن حبر ٤٣٧

عبد الرحمن بن حسان ٦٨٥

» » الحكم ١٤٩٦، (١٤٩٩)

» » الزهرى ١٣٢٢

» » المعنى (٦٠٣)

عبد الشارق بن عبد المزى (٤٤٢)

عبد الصمد بن المنزل (٢٧٣)

- عبس ٣٨٠
- المبوق ١٨٦١
- عبید بن أبوب (١١٥٧)
- عبید بن ماوية (٦٠٤)
- عبید الله ١٠٧٠
- عبید الله بن زياد ١١٤٠
- عبید الله بن عبد الله بن عتبة (١٣٥٤)
- عبيدة ٧٧٢، ١٨٧١، ١٨٨١
- أبو عبيدة ١٧٦، ٣٩٧، ٤٥٩، ٥٦٩، ٦٢٨، ٨٦١، ٨٧٣، ٧٦٦، ٦٥٣، ١١٣٠، ١٠٢٦-١٠٢٤، ٩٥٨، ١٧٣٤، ١٧١٢، ١٢٥٨، ١١٩٦، ١٨٨١، ١٨٨٠، ١٨٧٩، ١٧٥٨
- عتاب ٤٣٠
- ابنة العتاب = رم
- العتابي
- أبو العتابية ١٥٢٤، (١٥٤٤)
- عتبان (أخو نهار بن توسعة) ٩٥٢، ٩٥٣
- عتبة بن مجير (١٥٥٧)، ١٧١٩، المتبي (١٠٧١)
- عتي بن مالك (٨٨٣، ٨٨٥)
- عتيبة بن الحارث ٤٠
- عتيبة بن شهاب ٨٤٥
- ابن أبي عتيق ١٣٢٤

- عبد الله بن الصمة ٨١٦، ٨١٨، ٨٤١، ٨٢٢
- عبد الله بن الصمة القشيري ١١١٠
- • عباس ٢٠٦، ٨٥٧، ٩٦٤
- • عبد الرحمن المهلي (١٥٢١)
- • عجلان النهدي (١٢٥٩)
- • عنمة (٥٨٢، ٥٨٥)، ١٠٢١
- عبد الله بن معاوية (١١٨٣)
- • معديكرب ٢٤، ٢١٧، ١٥٤٧
- عبد الله بن قيس الرقيات = ابن الرقيات
- • همام السلولى (١١٣٩)، ١١٤٠
- عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي (١١٠، ٨٧٩)
- عبد الملك بن مروان ٤٦١، ٤٦٢، ٦٥٠، ٧٤٨، ٩٤٢، ١٤٩٥، ١٧٧٧، ١٧٧٦
- عبد المليك (الملك، بن مروان) ١٤٩٥
- عبد الواحد ١٧٩٨
- عبد يثوث ٨٢٣، ٨٣٧
- ابن عبدل = الحكم
- عبدة بن الطبيب (٧٩٠)، ٨٨٠

- عُمان بن عفان ٢٩١، ٢٩٢، ٧٥١
أبو عُمان المازني = المازني
المجبر السلولي (٩١٨، ١٦١٤،
• عداء ٨٨٣ — ٨٨٥
• ابنة المدوي ١٦٨٢، ١٦٨٣
عدي بن الرقاع ١٢٩٠
• • زيد ٣٦، ١١١، ١١٨،
١١٣٠، ٩٧٦، ٢٣٩
المديلي بن الفرخ (٧٢٩)
• عراجة ١٥٤٥
• المرادة (عرس) ٥٥٤
• عرار (بن عمرو بن شأس)
٢٨٠ — ٢٨٢
• عرقان ٣٠٩
• عرقوب (صاحب النمل) ١٣٠٦
• عرقوب (فرس) ٥٨٧
المرندس (١٥٩٣)
عروة بن أذينة (١٢٣٥، ١٢٩٤،
(١٢٩٦)
عروة بن زيد الخليل ١٥٩٩، ١٦٠٠
• المنلى ٧٨٢ — ٧٨٥
• بن الورد ١٢١، (٤٦٤، ٤٢١)،
(١١٦٩، ١٥٧٥، ١٦٥٣، ١٧٢٣)
المریان بن سهلة (١٦٢٦)
- المریان بن الميتم ٩٤٢
عزة (صاحبة كثير) ١٢٩٢ بلفظ
• عز ١٣٦٧، ٤
• المصا (فرس) ٦٢٩، ٦٣٠
عصام بن عبيد الله (١١٢٠)
• المصاء ٣٢١
أبو عطاء السندی (٥٦، ٧٩٩)
ابن عفان = عُمان
• عفراء ٩٤٤، ٩٦٢
• عقال بن خويلد ١٤٥٩
• • هاشم (١٤٨٠)
عقبة بن رؤبة ١٠
• عقبة بن زهير ٦٨٧، ٦٨٨
• عقيل ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٥٣٠
• ابن عقيل ٩٨٧
عقيل بن علفة (٤٠٠، ٩٨٧، ١١٤٥)
• عقيلة ٩٧٣، ٩٧٤
عكرشة، أبو الشنب = أبو الشنب
• الضبي (١٠٥٥)
المكلى (١٧٠٧)
• أبو الملاء ١٨٤٣
• أم الملاء ٩٠٢
علقمة بن ذى وزن ٣٣٠
• علقمة بن سيف ١٥٩٠، ١٥٩٢
علقمة بن عبدة ٦٤٢

عمر بن الخطاب ١٥ ، ٤٤٧ ، ٥٥٦ ،
١١٠٢ ، ١٠٩٠

عمر بن أبي ربيعة ٤٠٦ ، ٦٤٤ ،
(١٢٥٤) ١٣٧٠ ، ١٦٣٥ ،
(١٨٤٤)

أبو عمر الزاهد ٩٦١

عمر بن عبيد الله بن معمر ١٧٨٠ ،
١٧٦٩

عمر ١٤٢ ، ٢٠٧ ، ٧٠٤ ، ٨٦٠ ،
٨٦٢ ، ١٠١٧ ، ١٠١٧ ، ١٥٨٩ ،
١٦٥٣

* ابن عمرو ١٧٩٩

* ابن عمرو بن طاهر ١٨٥

* ابن عمرو بن مرثد = قيس بن حسان

* أبو عمرو ٤٤٤

* أبو عمرو (يحيى بن زياد) ٧٦٣

أخت عمرو = كبشة

* أم عمرو ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٣٤٤ ،
١٧٣٦ ، ١٣٤٥

عمر بن أحر = ابن أحر

» » الإطنابة (١٦٣٢)

» » الأهم (١٦٥٢)

» » الأهم (١٣٨٥)

» » الحارث ، ابن جفنة ١٤٤٦ -

١٤٤٧

عمر بن حكيم (١٤٢١)

أبو علقمة اليماني ١٨٣٩

* علي ٧٠٢ ، ١٠٧٣

علي بن سليمان الأخفش ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٥٩ ،

١٦٢ ، ١٩٣ ، ٢١٤ ، ٢٦١ ،

٢٩١ ، ٣٢٦ ، ٣٦٠ ، ٦٢٤ ،

٧٩٦ ، ٨١٨ ، ٨٨٦ ، ٩١٣ ،

١٠٥٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٣ ، ١٢٣٣ ،

١٢٧٩

أبو علي البصير ٥

علي بن الحسين بن علي ١٦٢١

علي بن أبي طالب أبو الحسن ، حيدرة

١١٥ ، ٢٩٧ ، ٣٣١ ، ٣٨٧ ،

٤٠٧ ، ٦١١ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ،

٦٤٢ ، ٨٠٤ ، ٨٦٩ ، ٩٤٠ ،

٩٦١ ، ١٠٧٧ ، ١١٠٢ ،

أبو علي الفارسي ٣٦٤ ، ٣٩٩ ، ٧٦٩ ،

٨١٤ ، ١٤٠١ ، ١٧٠٢ ، ١٧٨٤ ،

١٨١٦

علي بن مهدي الكسروي ٤٠٦ ،

١٢٥٧

* أم عمار ٣١٥ ، ٨٣٠ ، ١٣٤٨ ،

١٤٦٢

ابن عمار الأسدي (١٠٦٦)

عمارة بن عقيل (١٤٣٢ ، ١٤٣٩)

عمارة الوهاب ٤٧٠

— ١٤٤٧، ١٠٦١، ٩٩٤، ٨٦٥

١٤٦٦، ١٤٤٩

أم عمرو بنت وقدان (١٥٤٦)

عمرة الخنمعية (١٠٨٢)

» بنت مرداس (١٠٩٩)

عملس بن عقيل بن علفة (١٤٣٢)

» عميلة ١٥٨٦، ١٥٩٠

» ابن عناب (حريث) ١٤٨١

المنبر بن مازن ٣١٥

» ابنا المنبرية ٣٦٩

عنقرة بن الأخرس المعنى (٢٢٠)،

(١٨٠٥)

عنقرة بن شداد المبسبي ٢٨، ١١٦،

١٤٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٤،

١٦٩، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨،

٣٢٠، (٤١٨)، (٤١٩)، (٤٢٥)،

٤٨٧، ٥٦١، ١٢١٩، ١٢٥٣،

١٥٢٨

ابن عنقاء الفزازي (١٥٨٦)، ١٥٩٠،

ابن عنمة = عبد الله

الموام بن عقبة (١٤١٤)

الموراء ابنة سبيع (١١٠٥)

» عوف (بن نهان) ٥٧٢

» عون ١٤٦٣

» عويج ١٤٨١، ١٤٨٢

عمرو بن حمدة الدومسي ٢٠٦

» عمرو بن الخليل ١٦٠٨

عمرو بن شأس (٢٨٠)

أبو عمرو (الشياني) ٣٤٢، ٤٢٣،

٨٣٥

» عمرو (بن الصلتان) ١٢١٠، ١٢١١

» » ضبيعة الرقاشي (١٤٠٥)

» » عبدود ٨٠٤

أخت عمرو بن عبدود ٨٠٤

أبو عمرو بن الملاء ١٦٧، ١٣٠٣،

عمرو بن قيثة ١١٣٢

عمرو القنا (٦٧٥)

عمرو بن كلثوم ١٠٩، ١٨٨، ٤٦٣،

٤٧٤، ٥٤٣، ١٠٦١، ١٢٧٦،

عمرو بن محرز ٦٤٨، ٦٤٩،

» » خلافة (٦٤٧)

» » معديكرب ٢٤، ١١٠،

١٥٧، ١٧٣، (١٧٤)، ١٧٩،

(١٨١)، ٢١٧، ٢١٨، ٤١١،

٤٤٧، ٨٧٢، ١٥٤٧،

عمرو بن المنذر بن ماء السماء = عمرو

بن هند ١٤٤٧

عمرو بن الهذيل (١٥٤١)

» » هند، محرق، وهو عمرو

بن المنذر ٣٨٩، ٣٩٠، ٥٣٢،

عوف القرافي (٢٦٢ ، ١٥٢٩) ،

١٥٣٢

أبو العيال المنلى ١٧١١

عيسى ، عليه السلام ١٧

ابن أبي عينة ١٤

هينة (بن أسماء) ٢٦٣

(غ)

* غالب ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٦٣

غالب ، ابن ليلي ١٧٠٣

الغبراء (فرس) ٢٠٣ ، ٤٢٨ ،

٤٥١ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٥٨٨

* ابن الغريرة ١٠٢٧ ، ١٠٢٨

أبو النطمش (١٨٨١)

النطمش الضبي (٨٩٣ ، ١٠٣٤)

* غلاق ١١٤١

غلاق بن مروان (٤٥٤)

أبو الغول الطهوى (٣٨) ، ١٣٩

غوية بن سلمى ربيعة (١٠٠١)

غيلان = ذو الرمة ٧٩٣ ، ١٥٤٢ ،

١٥٤٣

(ف)

* فارس الصموت = التلم بن عمرو

٤٧٩

* فاطم (فاطمة) ٤٥٥

فاطمة بنت الأحجم الخزاعية (٩٠٩ ،

٩١٢)

فاطمة بنت الخرشب الأنمارية ٤٧٠

فدكي بن أعبد (١٥٩٠)

الفراء ٩٦١ ، ١٣٧٥ ، ١٨٢٤ ،

١٨٦٩ ، ١٨٧٩

الفرار السلي (١٩١)

الفرزدق ٣٩ ، ٦٦٢ ، ١٠٨ ، ٣١٥ ،

٣٥٨ ، ٥٣٤ ، ٦٧٦ ، ١٢٠٨ ،

١٦٦٠ ، (١٧٠٢) ، ١٧٠٣

بنت فروة بن مسعود (٨٨٢)

الفضل بن العباس بن عتبة (٢٢٤)

أبو الفضل ابن العميد ٩٩٦

* فطيمة ١٣٦٦ ، ١٧١٤

الفند الزماني (٣٢) ، ٥٣٧

* فهر ١٤٦٣

(ق)

أبو قابوس ، النهمان بن المنذر ١٦٤٠ ،

١٦٤١ ، ١٦٤٣

* ابن قادر ٦٧٨

* أبو القاسم ٩٨٦

القاسم بن حنبل (١٦٥٨)

* قصير (صاحب جذيمة) ٦٥٩
القطامي ١٣٥ ، ١٩٩ ، (٣٤٧) ،
١٦٢٧ ، ١١٢٥ ، ٩٩٨ ، ٧٦٩
١٧١٠

قطرب ٣٣٢ ، ٥٧٥
القطري بن الفجاءة (١٣٦ ، ٦٨٢)
* ابن قمقاع ٨٨٧
قمنب بن أم صاحب (١٤٥٠)
القلاخ (١٠٣٧)
أبو القمقام الأسدي (١٣٧٧)
قوال الطائي (٦٤٠)
* قيار (فرس) ٩٣٦ ، ١٧٧٣
* ابن قيس = سعد بن مالك
قيس بن جروة الأجي ، عارق (١٤٤٧)
(١٤٦٦)
* قيس بن حسان بن عمرو بن مرثد
٥١٢ ، ٥١١

قيس بن خالد الشيباني ٢٠٦
* * الخطيم (١٨٣ ، ١١٨٧)
* * ذريح (١٢٥١ ، ١٣١٣)
* * زهير المبس (٢٠٣ ، ٤٢٨)
٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ ،
(٤٦٩) ، ٤٨٤ ، ٤٨٥
أم قيس الضبية (١٠٥٩)
قيس بن ضرار ١١٠٩ ، ١١١٠

قييمة بن جابر (٧٠٦)
» » ضرار ١٠٥٣ ، ١٠٥٤
» » النصراني (٦١٠ ، ٦٢٠)
(٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ١٠٣٠)
قتادة بن خرجة (١١٨٧)
» » مسلة الحنفي (٧٦٥)
» » مغرب ١٥١٧ ، ١٥١٨
امراة قتادة بن مغرب (١٥١٧)
القتال الكلابي (٢٠١ ، ٦٥٢)
قتيلة بنت النضر (٩٦٣) ، ٩٦٤
* أم القديس ١٦٣
* قدور ١٣٣٧
* قر (قرة) بن خويلد ٤٥٣
قراد بن حنش (١٤٣٠)
» » عباد (٦٦٩)
» » غوية (١٠٠٥)
* أبو قران ١١٧
* قرزل (فرس) ١٤٩٤
* قرط ٦٠٠ ، ١٨٥٨
* القرنبي ٤١٦
قرواش بن حوط (١٤٥٩)
* * * ليلي ١٠٢٩
قس بن ساعدة (٨٧٥)
قسام بن رواحة السنبسي (٩٥٨)
* القسري (خالد) ٩٧٥

قيس بن عاصم ٧٩٠، ٧٩٢، (١٥٨٤)

» » معديكرب ٧٤٨

* قين ٤٤٨

(ك)

كبد الحصة المجلى ١٠٦٣

كبشة أخت عمرو بن معديكرب ٢٣،

٢٤، (٢١٧)، ٩٥٨، ١٥٤٧،

أبو كبير. الهذلي (٨٤)، ٨٥، ٨٩،

كثير غزاة، أخو بني مليح ٧٤٥،

٧٤٨، ١١١٠، ١٢٣٧، ١٢٥٧،

(١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٩٢،

١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٢٤،

(١٧٥٨)

* أم كدراء ١٧١٧

أبو كدراء المجلى (١٧١٧)

* الكراع (فوس) ٢١٠

الكسائي ٤٥٢، ٩٦١، ١٨٢٤

الكسروي = علي بن مهدي

* كعب ١٥٢٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠

كعب بن زهير (٩٧٨، ٩٩٧،

(٩٩٩)

* كعب بن سعد ١٥٦٠

* أم الكلاب ١٧٣٩

الكلبي النسابة = هشام

ابن الكلبي، يزيد بن معاوية ٦٥٠،

١٤٩٢

كلثوم بن صعب (١٣٧٨)

كلحبة المريبي ٥٥٣

كليب وائل ٩٢٨، ٩٢٩

الكيت ٥٣، ٦٩٢، ٦٩٣، ١١٥٩

(١٧٩٣)، ١٧٩٦

ابن كناسة (١٠٥٧)

* كندش (الوص) ١٨٨١، ١٨٨٢

كنزة أم شملة (٧٠١، ٧٠٢، ١٥٤٢)

* أم كهمس ٦٨٣

* ابن كوز ٢٤١، ٢٤٣

(ل)

* لبيد ٦٠١

لبيد (بن ربيعة) ١٠١، ١٤٨، ٢٩١،

٢٩٨، ٣٢٢، ٣٧٠، ٤٠٩،

٤٩٦، ٥١١، ٥١٤، ٧٣٨،

٧٧٢، ٩٧٧، ١٠٤٥، ١١٣٠،

١٤٠٣، ١٦١٤، ١٧١٣، ١٨٢١

* لقمان ١٢١٠، ١٢١١

لقيط بن يعمر ٦٨٥

* لميس ١٧٨

أبو لؤلؤة ١٠٩٠

* ليل (ليلي) ٨٣٩
 * ليلي ٢٤٨ ، ٣٦٧ ، ٤٥٩ ، ٤٩٥ ،
 ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٠ ، ١٠٠٢ ، ٦٠٤
 ، ١٢٩٢ ، ١٢٣٧ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٤
 ، ١٣٢٠ ، ١٣١٩ ، ١٣١٨ ، ١٣١٢
 ، ١٣٢٣ — ١٣٢٥ ، ١٣٣٠ ،
 ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٨ ، ١٣٦٧ ،
 ١٤٧٢
 * ابن ليلي ٨٩٤ ، ٨٩٥
 ابن ليلي = غالب
 ليلي الأخيلية ١٣١١ ، (١٦٠٧ ،
 (١٦٢٥ ، ١٦٠٩
 * ليلي العامرية ١٣١٣
 ليلي بنت النضر (٩٦٣)
 ليلي (امرأة الياس بن مضر) ٣٩٣
 ليلي بنت يزيد بن الصق (٩٠٩)
 (م)
 ماء السماء ١٦٦٨
 المازني ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٦٩٦ ، ٨٦٩ ،
 ١٨٧٩
 * مالك ٧٤٣
 * ابنة مالك ١٧٤ ، ٩٧١ ، ١٦٦٨
 * أبو مالك ٥٥٢ ، ٩٦٩ ، ١٠٧٩ ،
 ١٠٨٦ ، ١٥٩٠
 * أم مالك ١٣١٤ ، ١٣١٦ ، ١٥٧٥
 مالك بن أسماء (١٥٢٣)
 » جمدة (١٦٣٧)
 » حزيم (١١٧١)
 » الرب ٣٥٧
 » زهير العبيسي ٢٠٣ ، ٤٥٢ ،
 ٩٢٢ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٥
 مالك بن عوف النصري ١٣٩
 » نورة ٧٩٧ — ٧٩٩ ، ٨٩٠
 * المالكية ١٤٠٥ ، ١٤٠٦
 المأمون ٢٨٢ ، ٩٦٢
 ماوية بنت عبد الله (زوج حاتم) ١٦٧ ،
 ١٧٤ ، ١٦٦٨
 المبرد ، أبو العباس ١٤ ، ٤٠ ، ٨٩ ،
 ١٦٢ ، ٢٥١ ، ٤٦٧ ، ٦٩٨ ،
 ٧٨٤ ، ٧٩٦ ، ١٠٨١ ، ١٢٦٧ ،
 ١٥٦٤ ، ١٨٢٤ ، ١٨٣٩
 المتلمس ٣٥٢ ، ٦٤٥ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ،
 ٦٦٢ ، ٦٦٤ ، ٨١٥
 متمم بن نورة ١١٦ ، (٧٩٧ ، ١٥٣٦) ،
 ١٥٥٧ ، ١٧٤١
 التنجي ٣٣٨
 المتنخل الهذلي ٩٩٣
 المتوكل الليثي (١١٨٥ ، ١٧٧٩ ،
 ١٨٩٠)

* ليل (ليلي) ٨٣٩
 * ليلي ٢٤٨ ، ٣٦٧ ، ٤٥٩ ، ٤٩٥ ،
 ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٠ ، ١٠٠٢ ، ٦٠٤
 ، ١٢٩٢ ، ١٢٣٧ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٤
 ، ١٣٢٠ ، ١٣١٩ ، ١٣١٨ ، ١٣١٢
 ، ١٣٢٣ — ١٣٢٥ ، ١٣٣٠ ،
 ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٨ ، ١٣٦٧ ،
 ١٤٧٢
 * ابن ليلي ٨٩٤ ، ٨٩٥
 ابن ليلي = غالب
 ليلي الأخيلية ١٣١١ ، (١٦٠٧ ،
 (١٦٢٥ ، ١٦٠٩
 * ليلي العامرية ١٣١٣
 ليلي بنت النضر (٩٦٣)
 ليلي (امرأة الياس بن مضر) ٣٩٣
 ليلي بنت يزيد بن الصق (٩٠٩)
 (م)
 ماء السماء ١٦٦٨
 المازني ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٦٩٦ ، ٨٦٩ ،
 ١٨٧٩
 * مالك ٧٤٣
 * ابنة مالك ١٧٤ ، ٩٧١ ، ١٦٦٨
 * أبو مالك ٥٥٢ ، ٩٦٩ ، ١٠٧٩ ،
 ١٠٨٦ ، ١٥٩٠

محمد بن وهيب ٩٦٢
 أبو محمد اليزيدي (١٥٤٩)
 * مخارق ١٠٠٨، ١٠٠٦، ١٠٠٥
 المنخفض القيسى (١٦٩٣)
 المدائني ١٨٢٥
 * مدرك ١٠٨٩، ١٠٨٨
 مدرك (١٥٢٥)
 * المزار ١٤٠٣، ١٤٠٢
 المزار بن سعيد الفقيسي (١١١٩)، (١٧٢١)
 مرداس بن جشيش (٢٢٩)
 » » هاس الطائي (١٤٠٨)
 * مرعي ١٤٧٤
 المرقش الأصغر ١٧١٤
 » الأكبر ١٥٧٨، (١٣٣٩)
 * مرة ١٤٣
 مرة بن عدا الفقيسي (٢١٣)
 » » محكان (١٥٦٢)، ١٥٦٨
 * ابن مرهوب ٥٥٩
 * مروان ٣٢٣
 مروان بن الحكم ٦٤٨، ٦٥٠،
 ١٧٧٧، ١٤٩٦، ١٤٩٣
 مزرد بن ضرار ٦٥١
 مزعفر (١٧٤٠)
 مسافع العبسي (٩٨٩)

المثلث بن رباح (١٦٥٥، ٣٨٢)
 » بن عمرو (٤٧٨)، ٤٧٩
 مجمع بن هلال (٧١٣)، ٧١٧، ٧١٨
 المجنون (١٣١٣، ١٤٢٥)
 * محارب ١٠٦١
 أم محارب ١٠٦١
 أبو مخذرة ١٠٧٠
 * محرز ٥٨٠
 * ابن محرز ٧٠٣
 محرز بن الكمبر الضبي (١٤٥٥، ٥٧٢)
 محرق (لقب عمرو بن هند) ٣٨٩،
 ٣٩٠، ٨٦٥، ٨٦٦
 * محصن ٢٩٣
 * ابن محكان (مرة) ١٥٦٨
 * المخلق ١٦٩٦
 * أم محمد ١٧٢٩
 محمد بن بشير الخارجي (٨٠٨، ٨١٠،
 ١١٧٢، ١٣٥٦، ١٥٩٩)
 محمد بن حبيب ١٨٤٥
 » » سعد (١٥٨٩)
 » » أبي شحاذ (١١٩٩)، ١٢٠٢
 » » عبد الله الأزدي (٤٠٣)
 » » غالب ١٤٩٦
 » » كناسة (١٠٥٧)
 » » مروان ١٧٩٢

معاوية بن أبي سفيان ، ابن حرب

١٤٩٩ ، ٦٤٩ ، ٧٥٨ ، ١٤٩٢ -

١٤٩٤

معاوية بن عمرو ١٠٩٣ ، ١٠٩٤

* معبد ١٠٧٤ ، ١٠٧٥

* معبد (عبد الله بن الصمة) ٨١٦

* أم معبد ١١٣٠

معبد بن علقمة (٧٥٠)

معدان بن جواس الكندي (١٥١)

» » عبيد (١٤٦٣)

» » مضرب (١٣٢٣)

المعدل (١٧٦٣)

* ابنا معرض ٦٣١

المعلوط الأسدي (١٣٨٢)

» السعدي (١١٤٨)

معن بن أوس (١١٢٦)

* معن (بن زائدة) ٩٣٤ - ٩٣٨

* معين ١٠٦٦

ابن مغرب = قتادة

مفلح بن حصن (١٥٢٥)

أبو المغيرة = أعشى ربيعة

المغيرة والد بشر ٢٦٥

» بن شعبة ١٠٩٠

المفجع ، أبو عبد الله ١٢١٩

المفضل ٤ ، ١٥٠٧

مساور بن هند (٤٣٠ ، ٤٥٨ ،

١٤٤٩ ، ١٦٦٣ ، ١٦٦٦)

مسحاج بن سباع (١٠٠٩)

* مسحل ٤٠٩ ، ٤١٠

* ابن مسحل ٨٨٣

* مسمود ١٠٠٣ ، ١٤٦١

مسكين الدارمي (١١١٥ ، ١٧٠٦ ،

١٧١٩)

مسلم بن الوليد ٢٧١ ، (٩٤٤ ، ٩٤٢)

١٠٦٦

مسلمة بن عبد الملك ١٧٩٣

* أبو مسمع ١١٢٠

* مسهر ٢٥٩

ابن مسهر = شريح

* مسور ١٢٤٧ ، ١٨١٨

مسور بن زيادة (٢٤٥)

مسيلة الكذاب ١٣٥

مشمث بن عبدة^(١) (١٥٧٢)

مصعب بن الزبير ، (أحد الخبيبيين)

١٠٧ ، ٦٠٩ ، ٨٩٦ ، ١٠٧٦ ،

١٧٩٢

مضر بن ربي (١١٨٣ ، ١٦٩٤)

مطيع بن إلياس (٨٥١ ، ٨٥٤)

(١) هذه نسبة ابن جني في التنبيه

للحماسية رقم ٦٧٨ .

منظور بن سحيم (١١٥٨)
 منقذ الهلالي (١١٩٨، ١٠٥٢)
 المهلب بن أبي صفرة ٢٦٥، ٢٦٦،
 ٢٨٢، ٣٠٣، ٧٧٨، ١٨٣٩
 مهمل ١٨٥، ١٨٩، ٥٩١، (٩٢٨)
 * مؤثر ١٠١٩
 مؤرج السدوسي (٢٨٤)
 موسى عليه السلام ١٧، ٤٨٦، ٥٧٠
 موسى بن جابر (٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٩،
 ٣٧٣، ١٤٢٩)
 ابن المولى (١٧٦١)
 المؤمل بن أميل (١١٤٤)
 مويك الزموم (٩٠٢)
 * م (مئة) ١٣٢٤، ١٣٣٣، ١٥٤٢،
 ١٥٤٣، ١٧٣٢
 ابن ميادة (١٣٣٣، ١٣٥٥)
 ميسون أخت القصص (١٠٩٥)
 » بنت مالك بن بحدل ٦٥٠
 ميكال ١٥٤
 * مئة ١٦٦٤، ١٧٦٠، ١٨٢٥
 * ابن مئة ١٥١٤، ١٥١٥
 * امرأة ابن مئة (١٥١٤)
 مئة صاحبة ذى الرمة ٧١٥، ١٥٤٢،
 ١٥٤٣

* أبو المقدام ٨٦٧
 * القصص ١٠٩٧
 أخت القصص = ميسون
 ابن المقفع (٨٦٣)
 المقنع الكندي (١١٧٨، ١٧٣٤)
 * المكسر ١٠٦٣، ١٠٦٤
 * ابن المكف ١٤٨١، ١٤٨٢
 ملححة الجري (١٧٤٨، ١٨٠٦)
 أخو بني مليح = كثير ١٣٠٣
 * منازل ١٤٤٥
 أبو منازل (١٤٤٥)
 منبه بن الحجاج ١٠٢٤
 * منتشر ١٤٨١
 * ابنة المنتضى ١٥١٨
 المنخل اليشكري (٥٢٣)، ٥٢٩
 * ابنة منذر ١٦٧٨
 المنذر بن امرئ القيس ١٦٦٨
 * المنذر الخير بن هند ١٧٤٣، ١٧٤٤
 المنذر بن ماء السماء = المفدر بن
 امرئ القيس
 * منذر (بن المضرب) ١٥٢، ١٣٢٣
 * منصور ٦٣١
 منصور بن زياد (٩٥٠)
 » » مسجاح (١٦٧٤، ١٤٥١)

(ن)

النايفة الجمدي ٨٠٧، (٩٦٨، ٩٦٩)،
(٩٧١، ١٠٦١)

النايفة الديباني ٣٧، ١٢٢، ١٤٩،
٣٤٢، ٣٨٥، ٤١٣، ٤٣٢،

٤٧٣، ٦٣٠، ٦٧٧، ٩٠١،

٩٥٧، ٩٦٧، ٩٧٠، ٩٨٣،

٩٩٤، ١٠٢٢، ١٠٣٢، ١١٠٣،

١٥٧٠، ١٦٤٣، ١٧٠١، ١٧٨٧،

١٨٤٨

* ابن ناشرة ٩٨٤

نافع بن سعد الطائي (١١٦٢)

* نائلة ١٤٣٩، ١٤٤٠

* نهان ٦٣١

* أبو النجم ١٠٣، ١٤٤، ٢٩٠،

٥٨٢، ١٦١٠، ١٧٣٤،

* نجم (بن الأرقط) ٦٨٤

أم النحيف (١٨٦٢)

أبو النشاش (٣١٧) - ٣١٩

نصر بن غالب (٨٧٥)

نصيب الأصغر، أبو الحجناء (٨٨٧)

» الأكبر ١٢٨٩، ٦٣٣، ١٢٨٩، (١٢٨٩)،

١٢٩٠، (١٣١٣، ١٣٦٣، ١٧٨٠)،

النضر بن الحارث الداري ٩٦٤ -

٩٦٦، ٩٦٨

أخت النضر بن الحارث (١٧٨٨)

* أبو فضلة ٨٠٤

فضلة الأسدي، أبو نوفل ٤١٨، ٤٣٠،

نعامة = بهس

* النعامة (فرس) ٦٩٠

* ابن نمان = عوف

النمان بن المنذر، أبو قابوس ٥٧٦،

٦٦١، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٣،

نفر بن قيس (١٢٧١)

النمري (١٦٩٦)

نهار بن توسعة (٩٥٢)

النهاس = النهس

النهس بن ربيعة العتكي ١٧٦٣

نهل بن حري ٣٩١، (٨٦٩)،

(٨٧٠)

* نوار ٤٦٩

أبو نواس ٧٨٣، ٨٢١، ٩٨٨،

١٢٩٤، ١٥٢٤

* نوس ٥١٠، ٥١١

أبو نوفل = فضلة

(هـ)

هدبة بن خشرم (٤٧٢)، ٥٧٩،

* هدم ١٤٦٣

- * هام ٦٤٨ ، ١٠٦٥
 * هند ٢٢٢ ، ٣٥٢ ، ٧٧٨ ، ١٣٣٩
 * ابن هند ٣٥٤ ، ٣٥٥
 هند بنت الحارث والدة عمرو ١٤٤٧ ،
 ١٤٦٦
 * أم هيثم ١٦٥٢
 * ابنا هيثم ٧٠٦
 (و)
 * ابن واقد ١٦٤
 واقد بن الفطريف (١٨٢٧)
 والبة بن الحباب ، أبو أسامة ١٥٢٤
 وائل بن صريم النبري ٥٣١ ، ٥٣٢
 * ابن وبرة ٤٥٥ ، ٤٥٦
 * وتيرة بن سماك ٩٣٨ ، ٩٣٩
 أبو وجزة ١٥٣١
 وجبة بنت أوس (١٤٠٦)
 * وحوح ١٠٦١
 وداك بن سنان = وداك بن نميل
 » » نميل (١٢٧ ، ٦٨٥)
 * الورد (فرس) ١٨٩ ، ٣٥٠ ،
 ٦٢٠ ، ٦٢٣
 ورد الجمدي (١٣٣٩)
 * ورد (بن حابس) ٤١٨
 الهذلول بن كعب المعبري (٦٩٥)
 » بن هبيرة (١٠٢٧)
 الهذلي ٧٥ ، ٦٢٢ ، (١٣١٦)
 أبو خراش ١٣١٤ أبو ذؤيب ٩٧ ،
 ٢٤٨ ، ٣٧٦ ، ٤٣٢ ، ٤٨٣ ،
 ٦٧٥ ، ٧٢١ ، ٧٩٢ ، ٩٥٨ ،
 ١١١٧ ، ١٤٧٢ ، ١٥٢٥ ، ١٦١٥ ،
 ١٨٠٨ ، ١٨٥٢ ربيعة بن الجحدر
 ٦١ ساعدة بن جؤية ٢٥٧ ، ٧١٨
 قيس بن عيزارة ١٤١ ، ٩٨٠ ،
 ١٤٢١ أبو كبير ٢٥٤ ، ٣٠٣
 التنخل ٩٦٩ ، ١٠٧٩ ، ١٧١٥
 الهذيل بن مشجمة البولاني (١٦٨٠)
 » » هبيرة = الهذلول
 * هر ٧٠٥
 ابن هرم الطائي (١٤١٩)
 ابن هرمة ٧٤ ، ٥٤٧ ، (١٢٤٧) ،
 ١٣٨٥ ، (١٥٧٨ ، ١٥٨٠)
 * هبيرة ٩٧٨
 هشام أخو ذي الرمة ٧٩٣
 » (بن عبد الملك) ١٣٠٣
 » السكبي النسابة ٩٥٧ ، ١٤٤٧
 * أبو هلال ١٠٠٣
 هلال بن رزين (٣٤٠)
 * هلال بن مرزوق ١٥١٣

وضاح بن إسماعيل (٦٤٣)، ٦٤٥،
(١٤٩٠)

الوقاد بن المنذر (٥٦٠، ٥٦٣)

* الوليد بن آدم ٩٢٥

أم الوليد، زوج سالم بن قحطان
(١٧٢٧)، ١٧٢٦

الوليد بن عبد الملك ١٥٢٦، ١٥٢٧

أم الوليد بن عبد الملك ١٥٢٨

وهب بن أعيا الأسدي ٢٥٥

أبو وهب المبس (١٠٦٧)

(ي)

الياس بن مضر ٣٩٣

يحيى بن زياد ٨٥١، ٨٥٢، (٨٦٠)،
٨٦٣، (١١١٧)

يحيى بن منصور (٣٢٦)

اليربوعي النسابة ٩٥٧

* يزيد، (صوابه بريد) ١٠٧٧،
١٠٧٨

* يزيد ٢٢٨، ٣٨٠، ٩٥٣

* يزيد، (هو ابن المهلب^(١)) ٣٩

يزيد بن الجهم الهلالي (١٧٢٩)،
(١٧٥٩)

(١) انظر الخزانة (١: ١٠٢).

يزيد بن حاتم ١٧٦١

» الحارثي (١٧٥٦)

» بن الحكم (٢٣١، ١١٩٠)

» » حمان السكوني (٣٠٠)

» » الطثرية ١٠٤٦، ١٠٤٧،

(١٣٤٠، ١٧٥٩)

يزيد بن عبد الملك ١٧٥٨، ١٧٥٩

» » عمرو الطائي (٩٥٥)، ٩٥٦،

٩٥٧

يزيد بن قنافة (١٤٦٤)

» » معاوية ٣٩٢، ٦٤٩، ٦٥٠،

١٤٩٢، ١٤٩٤

يزيد بن المهلب ٣٩، ٢٦٥

اليزيدي ٥٨٠

يعقوب بن داود ٩٤٦

» » السكيت ٤١٦، ٤٤٦، ٤٤٦،

١٨٦٩

يوسف عليه السلام ٤٥٥، ٤٥٨،

٤٨٩

* ابن يوسف = الهجاج ٦٧٩

يوسف بن عمر ٧٢٩

يونس بن حبيب ٧٦٤، ١٢٤٧

١٨١٧، ١٤٣٨

٧ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها

٧ - فهرس القبائل والطوائف ونحوها (*)

الأتراك = الترك	١٤٩٨
الأحاسن ، م عامر ٢١ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨	الأنصار ٥٢٢
أحمس ٦٦٢ ، ٦٦٣	أنف الناقة ٥٠٤ ، ٥٣٩
الأخايل ١٦٠٩	إياد ٦٧٩ ، (١٧٩٩)
أخزم ١٤٦٨ ، ١٤٦٩	بارق ١٤٣٩
إرم ٥٧٣	باهلة ١٦٩٦
أسد ١١٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٩٣ ،	بجتر بن عتود ٦٣٣
(٢٥٤) ، ٢٥٥ ، (٢٩٢ ، ٢٨٨)	البحدلية ٦٥٠ ، ١٤٩٦
٢٩٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤١ ، ٤٧٤ ، ٦١٢ ،	بدر ٦١٢
٦١٣ ، ٧٧٨ ، (٨٦٥ ، ٩٧٦ ،	بدين ٢٣٥
١٠٥٧ ، ١١٦٣ ، ١٤١٠) ، ١٤٤٩ ،	براء ١٤٨٦
١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، (١٥١١ ،	البربر ٣٦٧
١٥٧٣) ، ١٧٨٧ ،	البصريون ٩٣ ، ٣١٣ ، ٤٣٨ ، ٤٥٢ ،
إسرائيل ١٤٧٢	٥٤٨ ، ٨١٠ ، ٨٣٣ ، ٨٤٨ ،
أسلم ٣٨٧	٩٦١ ، ٩٩٠ ، ١٠٢٦ ، ١٤٨٦ ،
الأسود ٨٠٥	١٥٠٧ ، ١٥٣٩ ، ١٨٥٣ ،
أسيد (بالتصغير) ٥٣١	البطاح ٧٧٢ ، ١٤٧٤ ،
أشجع بن ريث ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٦٤٩ ،	البغداديون ١٨٣٢
أهيا ٢٥٥ ، ٢٥٦	ابنا بغيض (عبس وذبيان) ٤٥١ ،
الأكاسرة ٩٦٤	٤٥٦
أمية ٦٥٠ ، ١٣٦٧ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٧ ،	أبو بكر بن كلاب ٨٢٢ ، ١٥٩٣ ،

(*) حذفت من هذا الفهرس كلمة « بنو » و « آل » ونحوها .

جديس ١٧٠، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٦٠
 جديلة ١٦٥، ١٦٨٤
 جذام ١٥٥، ١٥٢٧
 جذيمة ٤٣١، ٤٣٢
 جرم ، من طي ١٦٠ ، ١٦١ ،
 (٢٤٨) ، ٧٨٠ ، ٧٧٩ ، ٣٢٨ ،
 ١٥٣٨
 جشم بن بكر ١٥٧٩
 جمدة ١٥٣٧
 جعفر ٢٦٢
 جعفر بن كلاب ١٠٤٥، ٨٤٤، ٤٨٣
 ١٠٤٦
 جفيف ٢٤٨
 الجلاح ١٧٠١، ١٧٠٢
 جلي ٦٦٢، ٦٦٣
 جناب ٦٩٥، ٦٩٤، ٣٤١
 جندل ١٠٢٨، ١٠٢٧
 جهينة ٤٤٦، (٥٢٢)
 جوين ٧٢٧، ١٦٨٣، ١٦٨٤
 الحارث ١٢٤، ٥٨٢، ٥٨٣، (١٤١٣)
 حارث بن كعب ٣٢٨، ٣٢٩، (١١٠٧)
 حارثة ٣٥٧
 حبيب (بالتصغير) ٥٧٥
 حبيب بن حبت ٣١٣، ٤٣٨
 » » كعب بن يشكر ٦٦٣ *

بكر بن وائل ٣٤٩، ٥٠٨، ٦٥٨
 ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٥٤١، ١٧٧٤
 (١٨١٩)
 بلال ٧٨٣
 بلعبر = المنبر
 بهثة ٤٤٦، ٥٦٠، ٥٦١
 بهدلة ١٦٦٨
 الترك ٦٨٧، ٦٨٨، ١٧٠٦، ١٧٠٧
 تغلب ، ابنة وائل ١٥٦ ، ٥٠٨ ،
 ٦٥٠، ٧٢٦، ٧٢٧
 تميم ٨٨، (٢٠٩)، ٣٨٩، ٤٠٠،
 ٤٣٠، ٥٠٢، ٥٣٢، ٥٦٦
 ٥٧٣، ٧٠٥، ٧١٣، ٧٣٢
 ٧٦٧، ٧٦٨، ١٤٠٣، ١٤٥٤
 ١٤٥٥، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٦٦٨
 ١٦٨٣
 تنوخ ٤٨٠
 تيم ١٦٣، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٤
 ٣٣٧ - ٣٣٩، ٣٤١، ٦٧٣
 (١٧٩٧)، ١٧٨٢
 ثعل ٢٩٦، ٦١٣، ١٤٧٧، ١٤٧٨
 ثقيف ٩٢٧
 ثماله ٧٨٣
 ثمود ٩٦٤
 جدس ١٧٠

خندف ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ١٦٦٨	٦٦٤
الخوارج ٥٩٦ ، ٦٦٨ ، ٧٦٩ ، ١٨٣٩	حذيم ١٤٤٣ ، ١٤٤٤
خيبرى ١٤٧٥	حرام ١٤٤٠
دارم ٧٣٥ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨	حرب ٩٤١ ، ١٤٣٢ ، (١٧١٦)
الديان ١٢٤	الحروية ٥٩٥ ، ٥٩٦
ذبيان ٨٣٦ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ ،	الحريش ١٥٣٧
٤٦٢ ، ٤٥٦ ، ٤٥١	حزن ٣١٢ ، ٣١٣
ذهل ٦٨ ، ٣٢ ، ٥٨٧	حسان = ذو آل حسان
ذهل بن ثعلبة ٦٦٣ ، ٧٧٢ ، ١٧٧٤ ،	حسل ٣٤٩
١٧٧٥	حسيل ٣٤٩
ذهل بن شيان ٢٣ ، ٢٥	حصن ٢١٣ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣
ذو آل حسان ١١٥٩	حكم ١٥٣٧
راسب ٣٢٨	حماس ٢١
الرباب ٥٨٤ ، ٧٣٥	الحس ، قريش ٢١ ، ٧٥
ربيعة عاصر ١٣٦٨ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩	حير ١٥٥ ، (٣٣٠) ، ٣٣٤ - ٣٣٨ ،
ربيعة بن زرار ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٥٦	٣٤٠ - ٣٤٢
٢٣٦ ، ٧٣٧	حيس ٢١
رزاح ٩٥٨ ، ٩٥٩	حنظلة بن مالك ٣٠٥ ، ٧٤٤
رزام ٧٢ ، ٧٨٣	حنيفة ١٣٥ ، ٥٠٥ ، ٧٧٠ ، ١٤٢٩
الرقاد ١٧٣٨	حيا بغيض ، عبس وذبيان ٤٥٦
الروم ٩٦٤	حية ١٦٨٣ ، ١٦٨٤
رياح ١٥٣١	حتى ١٤٧٩
الزيرية ٦٤٨ ، ١٤٩٦	خازم ٦٥١
زهير ٤٥٧	خشم بن أنمار ١٥٣ ، ١٥٤ ، (٨٠٥)
زياد ٤٦٩ ، ١٤٨١ ، ١٨٥٢	خزاعة ٢١ ، ١٩٦ ، ١٩٧

شداد ٢٤٠، ٢٣٩	زيد ٨٤٣، ٥٨٧، ٥٨٥، ٥٨١
شقرة بن كعب ١٠٣٤	زيد بن عمرو ١٠٢٦
شمجى ٦١٢، ٦١٠	سمد ١٢٨١، ٧٣٤، ٥٢١، ٥٢٠
شيان ٣٠١، ٣٠٠، ١٢٨، ١٢٧	(١٢٨٣)، ١٤٥٢، ١٦٦٨
١٨٦٨، (٨٨٢)، ٥٦٦، ٥٦٥	١٧٣٩، ١٧٠٢
١٨٦٩	سمد بنى تميم ١٣٠
صخرة ١٤٨١	سمد بن ذبيان ١١٢٥
صداء ١٥٣	سمد بن زيد مناة، الفز ٧١٣، ٣٢٦
صريم ١٦٠١، ١٦٠٠	سمد بن عمرو ١٥٢٢
صحة ٨٢٤، ١١٦	» « قيس ٤٩٨، ٢٥٥
الضباب ٣٤٩، ٣٤٨	» بنى كلاب ١٣٠
ضبة ٣٤٨، ٣٢٩، ٢٩٢، ٢٩١	» بن مالك ١٦٦٥، ١٦٦٣، ١٤٤١
٥٧٧، ٥٦٦، ٥٤٦، ٣٤٩	سعر ٢٠١
ضبيب ٣٤٩	سلامان ١٦٠٢، ١٤٧٢، ٤٧١
ضبيمة بن ربيعة ٦٦٣، ٦٥٨	سلامة ٤٣١، ٤٣٠
ضوطرى ١٢٢١	سلي بن جندل ١٠٢٧
طسم ٦٦٠، ٦٣٨، ٦٣٧، ١٧٠	سلول ١١٥، ١١٤
طلحة ١٧٨٧، ١٥٣١	سليم ٥٦١، ٤٣٣، ٨٨
طى ١٦٥، ١٦٦، ١٧١، (٢١١)،	سنان ١٦٥٨
٢٢٠، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٨	سنابس ٢٦٧
(٣٠٦)، ٤٣١، ٣٦٢، ٣٦٠	السند ٧٧٩، ٧٣٣
٥٩٦، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٢٩	سهم ١٢٣٤
٦٣٥، ٧٠٩، ٨٢٩، ٩٥٧	السوداء ٨١٢
٩٦٠، ٩٨٢، ١١٠٢، ١١٠٣	سويقة ١٣٨٢، ٣٢٠
١٣٨٩، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٦٦	السيد ٥٨٥، ٥٨٨، ٥٨٩

المجم ٩٦٣ ، ١٤٧٨ ، ١٧٤٩	١٤٦٧ ، (١٤٦٩) ، ١٤٨٧ ،
المدان ٨٦٥	(١٥٤٨) ، ١٦٨٣ ، ١٦٨٤ ،
عدوان ٨٣٥	١٧٤٤ ، ١٨١٠ ، ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ ،
عدي بن جناب ١٤٩٢	٢٧٧ ، ٣٩٦ ، ٤٢٧ ، ٥٣٩ ،
» » جندب ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ،	٥٧٣ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧٢٧ ،
١٤٥٨	٩٦٤ ، ١٦٤٢ ، ١٦٦٠ ،
عقيل (٩٩) ، ٤٨٩ ، ١٥٣٧	طامر ، الأجدار ٣٤١
عليه ١٦١٥	طامر بن صمصمة ٢١ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
عمرو ١٩٩ ، ٦٤٨ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ،	٤٠٠ ، ٥٣٣ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ،
٧٣٥ ، ٩٧٩ ، ٩٩٠ ، ١٤٤١	(٧٤٨) ، ١١٠٠ ، ١١٠٢ ، ١٤٨٣ ،
عمرو بن عوف ٦٣٣	١٤٨٤ ، ١٦٠٨ ، ١٧٨٧ ،
عميرة ١٥٣٣	طامر بن عبد مناة ١٦٨٦
العنبر بن عمرو بن نعيم (٢٢) ، ٢٣ ،	مائدة ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ،
٤٣١	عبد ١٣٣٦
عنس ١٣٩٠	عبد مناف ١٦٧١
عوذ ٥٦٠	عبد مناة ٣٣٠
عوف ١٤٤١ ، ١٥٢٧	عيس ١٦٩ ، ٢٠٣ ، (٣٢٨) ،
عوف بن سعد ٧٣٤ ، ٧٣٥	٣٢٩ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ ،
» » كعب ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٦٦٨ ،	٤٥١ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ ، ٦٤٨ ،
» » مالك ١٦٩ ، ٦٣٧	١٥٢٦ — ١٥٢٨
غالب ٤٧١ ، ١٦٦٦ ، ١٦٦٧	عبيد النصا ، أسد ١١٨
غير ٥٣٢ ، ٥٣٣	عتاب ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٢ ،
غراب بن فزارة ٦٥٩	العتيك ١٧٦٣
غزية ٨١٥ ، ٨١٦	عجل ٦٩٢ ، ٦٩٣ ،
غطفان ٥٨٧ ، ٥٨٨	المجلان ١٥٣٨

٤٧٢، ٦٤٨، ١٥٢٩، ١٦٠٢،

١٧٠٢، ١٦٠٣

قطن ١٥٠٦ - ١٥٠٨

القياصرة ٩٦٤

قيس بن ثعلبة (١٠٠)، ١٧٧٤،

١٧٧٥

قيس بن عيلان، القيسية ٢٥٦،

٣٢٦، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤١٣،

٤٩٨، ٥٢٢، ٥٢٣، ٦١٣،

٦١٤، ٦٤٩، ٦٥٠، ٧٣٤،

٧٣٥، ٧٤١، ٧٤٢، ٨٣٦،

١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٩٢ -

١٤٩٦، ١٤٩٨ - ١٥٠٠،

١٦٠٢

قيصر ١٥٢٤

كعب بن سعد ١٧٦، ٣٨٤، ١٦٠٨،

١٨٦٦

كلاب ٤٨٩، ٦٩٥،

كلب ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨،

٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٩ - ٣٦٢،

٥٢٢، ٥٢٣، ٦٤٨، (١٠٧٤)،

١٤٩٥، ١٤٩٦،

كليب ٧٩، (٢٩٤)، ٥٣٨،

٧٤٠، ١٥٣٢،

كنانة ٢١، ١٤٧٩، ١٤٨٠،

غفار ٣٨٧

الغوث ٢٣٦

غيث ٢٣٥

غيلان ١٧٣٠

فارس ٩٦٤

فزارة، الفزاريون ١٩٨، ٢٠٣،

٤٥٣، (١١٤٦، ١١٨١)

الفرز، سعد بن زيد مناة ٣٢٦

فقمس (٢١٣، ٢٢٩، ٢٣٩)،

٢٥٥، ٢٥٦، (٢٦٧)، ٤١١،

٤١٢، (٤٩٨)

فهم ٨٣

قدم ١٣٩٠

قران ٦٦٢، ٦٦٣

قرد ١٤٤٣، ١٤٤٤

قرط ١٤٣

قريش، القرشيون، الحس ٢١، ٣٠،

٧٥، ١٤٠، ٢٣١، ٦٠٢، ٨٧٣،

٨٧٤، (١٢٤٥)، ١٤٢٢،

١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٦٩، ١٤٧٠،

١٥١٦، ١٦٢١، ١٧٨٨، ١٧٨٩،

١٨٥٤

قريع (١١٤٨)

قشير (٧٤٨)، ١٤٦٢،

قضاة ١٥٠، ١٦١، ٣٢٨، ٤٢٠،

مروان ٦٧٦ ، ٦٧٩ ، ١٤٩٢
 المروانية ٦٤٨ ، ٦٥٠ ، ١٤٩٦
 مسمع ١٤٩٦
 المصطلق ١٠٢٤
 مضر بن نزار ٢٠٦ ، ٣٢٦ ، ٣٩٤
 ٧٣٧ ، ١٠٤٣ ، ١٦٦٨
 مطر ١٥٦٨ ، ١٥٦٩
 مطرف ١٦٠٩
 معد ٢٩٣ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٥١٣
 ٥١٤ ، ٥٨٥ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥
 ٩٧٤ ، ١٦٦٨
 معقل ٦٣٩
 ممن ٦٠٣ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ١٤٨٧
 المفاربة ٣٦٧
 مقاعس ٧٦٧
 مليح ١٣٠٣
 منقذ ١٤٣٩ ، ١٤٤٠
 منقر ١٥٨٤ ، ١٥٨٥
 مهرة بن حيدان ١٨٠٤
 المهلب ٣٠٣ ، (١٥٢١) ، ١٧٥٨
 ١٧٨٧
 موقع ١٤٧٠
 النبط ١٤٧٨ ، ١٨٢٤
 نبهان ٢١٢
 نذير بن بهثة ٦٦٢ ، ٦٦٣

كندة (٩٧٥) ، ١٤٨٢
 كوز ٥٨٥ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩
 الكوفيون ١٥٩ ، ٥٢٣ ، ٥٣٨
 ٥٤٨ ، ٨٣٣ ، ٩٧٦ ، ٩٩٠
 ١٠٥٠ ، ١٥٦٤ ، ١٦٦٩ ، ١٨٥٣
 لأم بن عمرو ١٥٩٨
 لحيان ، من هذيل ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢
 اللصوص ٦٢٩ ، (١٣١٥)
 اللقيطة ٢٣ ، ٢٥
 لؤي ٣٩٦
 مازن بن مالك ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧
 ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٩٢
 ٦٩٣ ، ١٤٥٧
 ماعز ١٠٦٢
 مالك ٢١١ ، ٢١٢ ، ٣٠٥ ، ٦٣٧
 ٧٥١ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٦٢
 مجاشع ٧١٣ ، ٧١٨ ، ١٨٥٤
 مجد ١٠١
 محارب ١٤٣٥ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤
 ١٥٤٨
 محمد ٩٦١
 مخزوم ١٧٩٧
 المديون (١٨٨١)
 مرة ٣٩٦
 مرهوب ٥٨٥

المجيم ٤٢٥	ابنا نزار، ربيعة ومضر ٧٣٧-٧٤٠
هذيل ٥٢، ٧٧، ٨٣٥ - ٨٣٧ ،	نزار بن معد ١٧١ ، ١٧٢ ، ٣٢٨ ،
١٨٤٥ ، ١٧١٥	٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٧ ، ١٦٦٨
هزان ٧٥٦	نصر ١٠١٧ ، ١٠١٨
هلال ١٠١ ، (١٠٦٢)	نصر بن قمين (٨٤٣)
هوازن ١٣٩ ، ١٧٥٩	النطاح ٧٧٢
هيم ٢٠١	نفر ١٢٧١
وائل ٣٨١ ، ٥٦٤	نمير ١٠١ ، (٦٩٤) ، ١٥٣٨ ، ٦٩٥ ،
وبر ٢٤٩ ، ٢٥٠	نهد ١٦١ ، ١٧٦
ود ٧٣٥	نهل ١٠٢ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨
ورد ١٧٣٨	هاجر ١٤٥٨
يحبص ٦٩٢	هاتم ١٠٢ ، ١٠٧ ، ٥٠٤ ، ٧٥٨ ،
اليحمد ١٨٣٩	٩٦٢ ، ١٠٩٣ ، ١٤٩٢ ، ١٥١٣ ،
يشكر ٥٠٥ ، ٦٧٢ ، ٧٧٢	١٥١٤ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧
اليمين ٢٠٦ ، ٣٢٨	هالة ٢٤٨ ، ٢٤٩

٨ - فهرس البلدان والمواضع ونحوها

٨ - فهرس البلدان والمواضع ونحوها

أواراة ٣٨٩	أباغ ٨٨٣، ٨٨٢
بارق ١٤٣٩	أبانان ١١٨
البحرين ٥٦، ٤٦٨	أبرق مازن ٦٨٤
بدا ١٢٨٨	أبضة ٤٣٠، ٤٣١
بدر ٨٧٤، ٨٧٣، ١٨٨	الأبطح ١٦٢١، ١٦٢٢
برام ٨٦٥	الأبلق ٦٦١
برم ٨٦٥	أبوى ٩٠١، ٩٠٢
البشر ١٢١٧	الأثيل ٩٦٣، ٩٦٤
البصرة ١٢٨، ٥٤٦، ٧٦٢، ٩٦١	أجا ٢٣٥، ٣٦٢، ٦٠١، ٧٠٩
بصرى ٣٨٩، ٣٩٠، ١٢٥٨	١٨٧٨، ١٦٨٤، ١٤٦٧، ١٤٦٦ .
البطحاء، بطحاء مكة ١٩٢١، ١٦٢٢	وانظر (الأجبال، الجبال، الجبلين)
بطنان ١٤٩٦	الأجبال، أجا وسلمى ١٦٨٣، ١٦٨٤
البقيع، بقیع الفرقد ٨٠٨، ٨٨٩،	أجراذ ٢١٧
١٤٤٠، ٨٩٠	أذرعات ٣١٠، ٤٢٣، ١٣٥٩.
بلاد المعجم ٤٥٦	إدباب ٤٣٠، ٤٣١
البلاكت ١٢٤٥، ١٢٤٦	إرم ١٤٠٠
بم ١١٨٦	الاشاء ١٤٠٠
البنية، الكعبة ٤٨٥	أشى ١٣٩٠، ١٣٩١
بيت رأس ١٥٧٠	الأصفر ٩٥٢، ٥٩٤
بيت الله، الكعبة ٧٦٢، ١٢٨٩،	الأفلاج ١٤١٨
١٢٩٠، ١٣٧٦، ١٥١٧،	الأكادر ١٤٥٨، ١٤٥٩
١٦٢١. وانظر: للكعبة	أكف ٣٨٨
البيضاء ٩٣٠	الأميلح ١٤٠٢

جبرون ١٤٩٢	تدمر ٦٣٠
جيشان ٩٣٤ ، ٩٣٣	تهامة ١٤٩٩ ، ١٦٠١
حارب ٣١٦	التهم ، تهامة ١٤٩٩
حائل ١٧١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٤ ، ٨٨٧	تياء ٧١٠ ، ٧٠٩
الحبيا ١٣٧	تيمر ١٤١٨
الحجاز ٦٤١ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٩٨١ ،	تأج ١٥٤١
١٣١٤ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٦٠٧ ،	التملبية ١٢١٨
١٦٠٨ ، ١٧٧٩ ، ١٧٨٠	تهلاق ٨٣٦ ، ١٤٠٧
حجر ١٨٥	الثوية ١١٤٣
الحجز ، الحجاز ١٤٩٩	الجالية ١٨٤٠
الحداد ١٦٨٨ ، ١٦٨٩	جابية الجولان ١٤٩٥
حذيم ٧٠٧	الجبال (بلاد الجبل) ١٥٠٠
الحرم (بالتحريك) ١٦٣٦	الجبال ، أجأ وسلمى ٢٣٥
الحرم (بالكسر) ٥٧٠	جبلاطى ، أجأ وسلمى ١٨٧٧ ، ١٨٧٨
حرة بنى سليم ٤٣٣	جيلة ١٥٩٨
الحزن ١٨٣١ ، ٥٤٦	الجبيلين ، أجأ وسلمى ٣٦٢
الحسن ١٠٢٢ ، ١٠٢١	الجداد = الحداد
حسن الجودى ١٢٨١	جلق ٣١٦ ، ٤١٣
الحسنان ٥٦٥ ، ٥٦٦	الجو ١٧٠
حضر موت ١٨٠٣	الجواء ١٣٥٧
الحطيم ١٦٢١ ، ١٦٢٢	جور ١٤٩٣ ، ١٤٩٤
حفير زياد ٦٧٧ ، ٦٧٨	الجودى ١٢٨١
الحلة ٥٤٦	الجوف ٥٧٣
حلوان ٩٤٤	الجولان ١٧٤٩
حام ٥٦٠	الجون ٦٦٠

الدوانك ٧٩٧ — ٧٩٩

دياف ١٤٧٨

الدير ٨٨٩ ، ٨٩٠

الديرين ٣٠٧ ، ١٨٨٤

ذات الإصاد ٤٥٣

» عرق ١٣٧٦

الذئاب ١٥٣٠

ذو الأمل ١٣٨٧

» بحار ٣٦٧

» الجداة ١٩٣

» صدر ٤٣٣

» السيد ٧٠٢

» شمر ٥٥٥

» طلوح ٦١٧ ، ٧٣٧

» غدم ١٤٥٩

» النمر ١٣٤٥

» فرقين ٥٧٥

» مرخ ٢٨٧

رامة ١٤٩٦

راوند ٨٧٦ ، ٨٧٧

الرحى ١٥٠١

الرس ١٤٨٤

رصافة ٥٩٣ ، ٥٩٤

رقد ١٤١٨

رمان ١٤١٢ ، ١٤١٣

الحى ١٢١٦ — ١٢٢٠ ، ١٣٤٠ ،

١٣٦٠ ، ١٣٦٥

الحى ، حى الرينة ٩٣٠

الحناة ١٤٠٠

حنين ١٣٩

حوران ١٤١٨

حومل ١٢٤١ ، ١٥٠١

الحيرتان ٥٦٦

الحيرة ٩٦٤ ، ١٨٦٣ بلفظ الحيرة

البيضاء

خبث ٣٠٧ ، ٣٦١

خراسان ١٥١٦

خزاق ٨٧٦ ، ١٢٧٦

الخط ٥٦ ، ٢٠٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٤٦٨ ،

١٧٨٦ ، ٧٣٢

خفان ١٤٧٨

الخندمة ١٤٠

خوارزم ٧٧٩

خير ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ١٤٣٨ ، ١٣٤٩

دار الندوة ٩٤

داراء ١٣٣١ ، ١٣٣٢

الدخول ١٢٤١ ، ١٥٠١

دمشق ١٤٩٢ ، ١٨٤٠ ، ١٨٦٧

الدهناء ٥٧٣ ، ٥٧٤

الدوار ٤٢٥

السلي ٩٩٧	رمع ١٦١٨
سمنان ١٤٠٢	الرمل ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٤٦٦ ،
سنجار ٨٠٥ ، ٧٠٤	١٤٨٨
سويقة ١٣٧٥ ، ١٣٨٢	رهاط ٧٢١ ، ٩٥٨
الشام ٣١٠ ، ٣٩٠ ، ٦٣٦ ، ٦٣٨ ،	الرمط ١٨٠٩
١٣٠٣ ، ١٢٥٨ ، ٨٦٦ ، ٦٤٥	ريا ٦٠٤
١٤٤٢ ، ١٤٧٨ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٥ ،	الريان ١١٠٤
١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٨٠٣ ، ١٨٠٩	زروود ٣٧٦
الشجي ٢١٧	زرم ٣٠٠ ، ٦٠٥
شراف ٩٥٧	ساباط ٧٨٣
الشرف ٥٦٨	سابور ١٠٦٦
الشريف ٥٦٧ ، ٥٦٨	ساتيد ما ١٨٨٢
الشري ١٧١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٥٤ ،	ساجر ٧٢٦
١٨٢٥	الساجوم ٣٧٨
شعب الحيس ٤٥٣ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨	الساحل ، ساحل الفرات ١٢٧٠
شعوب ١٣٨٩ ، ١٣٩٠	يساحوق ٧٨
شعب ١٢٨٨	سجبل ٤٩ ، ٥٠ ، ٣٥٦
الشقراء ١٣٩٩ ، ١٤٠٠	السد ، سد ياجوج ٧٣٨ ، ٧٤٠
صحراء النميز = النميز	سفوان ١٢٧ ، ١٢٨
صرخد ١٥٣٠	سكة طي ٦٢٩
صعدة ٢١٧ ، ٨٤٨	السلسلين ٩٩٧
صفين ٧٨ ، ٥٢١	سلي ٧٥٩ ، ٨٢٧
الصمان ٥٧٣ ، ٥٧٤	سلي ٢٣٥ ، ٣٦٢ ، ٥٠٣ ، ٦٠١ ،
صفاء ١٣٨٩ ، ١٣٩٠	٧٠٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠٢ ، ١٦٨٤ ،
صول ١٧٢٨ ، ١٨٢٩ ، ١٨٣١	١٨٧٨

عنيزة ٣٧٠ ، ١١٢٤	صيداء ٣١٦
عوارض ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٦١٧ ، ٦١٨	ضباغة ٥٩٣ ، ٥٩٤
الغبيط ١٧٤٦	ضربة ٩٥٩
غرب ١٢٢٧ ، ١٢٢٨	الضار ١٢٤٠ ، ١٢٤١
الغضا ١٣٠٦ ، ١٤١٧	الطف ١٠٧ ، ٩٦٢ ، ١٢٦٩
غضور ١٤١٢ ، ١٤١٣	الطهيان ٣٠٠ ، ٦٠٥
الغمير ١٢٤	طويلع ٩٧١
النور ٦٣٧ ، ١٤٩٩ ، ١٦٠١	ظهر ، الظهر ٦١٠ ، ٦١١ ، ١٧٨٣ ،
القادسية ٣٠٨	١٧٨٤
القاع ١٢٤٥ ، ١٢٤٦	حامم ١٤٨٧ ، ١٤٨٨
قراقر ٢٣٧ ، ١٧٠٢	عالج ٦٣٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩
قرح ١٨٢٢	عبقر ٣٧٤
قروري ١٨٢٣ ، ١٨٢٤	المدان ٨٦٥
قرى سحبل ٤٤	المراق ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٨١٤ ، ١٥٤١
القصبية ١٤٠٦	المرض ٦٦٢
القليب ١٩٠٥ ، ١٠٩٦	عرفة ١٣٧٦
قناة ١٣٤٧	الرم ١٩٦
القنتين ٣٤٣	عرنان ١١٤١
قنسرين ١٠٥٥	عسجل ٤٣٣
قهد ٨٠٤ ، ٨٠٥	عفرين ٢٦٩
قو ٩٩٧ ، ١١٢٥	العقيق ١٠٠١ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧
قوسى ٧٨٥ ، ٧٨٦	عكاظ ٧٤٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥
كامس ٥٩٢ ، ٥٩٤	المكرش ١٨٨٢
الكتيب ١٧٨٤	عمان ٥٦ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٨٥ ،
كرمان ٩٩٨	٧٣٣

مرعش ١٦٣	الكعبة ، البنية ٤٦٢ ، ٤٨٥ ، ٦٨٢
المريط ١٤٦٤	باسم كمية الله ، ١٦٢٢ . وانظر :
المسات ٦٣١	(بيت الله)
مسجد التقوى ٣٩٦	الكلاب ١٥٩٨
مسكن ١٠٧	الكوفتان ٥٦٦
المشارف ٣٩٦	الكوفة ٦٢٩
مصر ٧١٤ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ،	كويكب ٢٤٥
١٨٧٧	لبنان ١٨٠٨
مكشحة ١٤٠٠ ، ١٤٠١	اللهم ٦١٠
مكة ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ١٤٠ ، ١٩٦ ،	اللوى ٥٤٦ ، ٧٩٧ ، ١١٧٨ ، ٧٩٨ ،
٣١٠ ، ٨٦٦ ، ٩٦٤ ، ١٦٢١ ،	١٥٠١ ، ١٣٤٩
١٦٣٥	مارد ٦٦١
الملا ١٣٣٨ ، ١٥٤٢	مأسل ١٨٢٨
المنهب ٦١٣ ، ٦١٤	ماوان ٤٦٤ ، ٩٩٦
منميج ١٤٨٤	الثنى ٧٧٢
منور ٣٦٧	الحصب ١٦١٦
منى ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٦١٦ ، ١٦٣٥ ،	محر ١٦٦
١٦٣٦	مخيس ٦٢٩ ، ٦٣٠
المنيفة ١٢٤٠ ، ١٢٤١	المدينة ، يثرب ٢١٢ ، ٣١٠ ، ٤٢٣ ،
موسل ١٣٠٥ ، ١٨٢٧ ، ١٨٢٨	٦٣٦ ، ٦٣٨ ، ٧١٠ ، ٨٥٢ ، ٨٦٦ ،
ناعط ٤٣٤	١٠٤٥ ، ١٠٩١ ، ١٣٠٦ ، ١٣٥٩ ،
نجد ٥٦٨ ، ٩٨١ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ،	١٨٢٧ ، ١٢٩٨
١٢٤٠ — ١٢٤٢ ، ١٢٥٨ ،	مر ٩١٨ ، ٩١٩
١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ،	مران ١٠٦٢
١٣٣٢	المرج ، صراج راهط ٨٤٨ ، ١٤٩٢ ،
	١٤٩٣

وادی الأراك ، نمان ١٣٤٠ ، ١٣٤١	نحلة ١٣٩٨
وادی القرى ١٣٣٠	النسار ٤٠٠
وادی المياه ١٣٦٤	التنف ١٠٦٢
واسط ٣٨٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠	نف كويكب = كويكب
وبال ١٦٦٣	نف اللوى ١١٨٧
وجرة ١٣٢٧ ، ١٣٢٨	نمان ، نمان الأراك ١٢٨٩ ، ١٣٤٠ ،
الوشل ١٣٧٧	١٣٧٦
الوشم ١٣٩٩	قم ١٣٨٩ ، ١٣٩٠
الوقبي ٤٢	التميرة ١٤٠٧ ، ١٤٠٨
وهين ٢٧٦	نهر زياد ٦٦٧ ، ٦٧٨
يثرب ، المدينة ٣١٠ ، ٤٢٣ ، ٦٣٦ ،	نهي أكف ٣٨٨
١٣٥٩ ، ١٣٠٦ ، ٧١٠ ، ٦٣٨	الهباءة ٤٢٨
يرصم ١٤٥٩ ، ١٤٦٠	هبل ٧٨٥
يلعلم ، يرصم ١٤٦٠	هجر ١٤٣٩
اليامة ٦٦٠ — ٦٦٢ ، ١١٣٦ ،	هراة ١٧٤
١٤٤٧ ، ١٤٦٦	هرما مصر ١٨٧٧
اليمين ٥٢ ، ٢٧٢ ، ٣٣٦ ، ٦٤٣ ،	هضم ٧٠٦ ، ٧٠٧
٦٤٨ ، ٨٤٤ ، ١١٣٦ ، ١٣٩٠ ،	الهند ٧٣٢ ، ١١٠١ ، ١٥٢٣ ، ١٥٣٠ ،
١٦١٩ ، ١٦١٨ ، ١٤٠٨	بلفظ هند
	الحيا ٧١٦ ، ٧١٩

٩ - فهرس الكتب

وهي الكتب التي ذكرها المرزوقي في شرحه

الأزمة ، للمرزوقي ٤٩١

إصلاح المنطق = المنطق

الترجمان ، لأبي عبد الله المفجع ١٢١٩

رسالة الانتصار من ظلمة أبي تمام ، للمرزوقي ١٦٢٠

رسالة في مسألة « مؤق » ، للمرزوقي ١٨٣٥

شرح كتاب الفصيح ، للمرزوقي ٥٦٢ ، ٧٢١ ، ١٠٢٩ ، ١٣٦٢ ، ١٨٤٣

المققة ، للمدائني ١٨٢٥

عنون الأديب ، للمرزوقي ١٨٧٧

المين ، للخليل ٥٢

الكامل ، للمبرد ٧٨٤

كتاب سيويه ٩١ ، ١٧٤ ، ٣٢٢ ، ٤٧٤ ، ٥٣٤ ، ٦٩٣ ، ٧٣٣ ، ٧٨٢ ،

١١٢١ . وانظر (سيويه) في فهرس الأعلام

المنطق ، لابن السكيت ١٨٦٩

النوادر ، لابن الأعرابي ١٠٦

١٠ - فهرس مراجع التحقيق

- آيات الاستشهاد ، لابن فارس ، في سلسلة نواذر المخطوطات
إتحاف فضلاء البشر ، للديماطي . حنفى ١٣٥٩
إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطى . السعادة ١٣٢٦
الأزمنة والأمكنة ، للمرزوقى . حيدر آباد ١٣٣٢
أساس البلاغة ، للزغشرى . دار الكتب ١٣٤١
الاستيعاب ، لابن عبد البر . حيدر آباد ١٣١٨
أسد الغابة ، لابن الأثير . الوهبة ١٢٨٦
الاشتقاق ، لابن دريد ، تحقيق وستنفلد . جوتنجن ١٨٥٣ م
الإصابة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣
إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، بتحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون .
المعارف ١٣٦٨
الأصمعيات ، للأصمى . ليسك ١٩٠٢ م
» » بتحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون المعارف ١٣٦٨
إعراب ثلاثين سورة من القرآن ، لابن خالويه . دار الكتب ١٣٦٠
الأغانى ، لأبى الفرج . التقدم ١٣٢٣
إقليد الخزانة ، لعبد العزيز الميمنى . طبع لاهور ١٩٢٧ م
الألفاظ الفارسية العربية ، لأدى شير . بيروت ١٩٠١ م
أمالى ثملب ، هى مجالس ثملب
» الزجاجى . السعادة ١٣٢٤
» ابن الشجرى . حيدر آباد ١٣٤٩
» القالى . دار الكتب ١٣٤٤
» المرتضى . السعادة ١٣٢٥

- إنباء الرواة ، للقفطى ، بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم . دار الكتب
 أنجیل لوقا ، أنجیل متى
 الأنساب ، للسمرانى . لیدن ١٩١٢ م
 الإنصاف ، لابن الأنبارى . الاستقامة ١٣٤٦
 بنية الوعاة ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٨
 بلوغ الأرب ، للآلوسى . الرحمانية ١٣٤٣
 البيان والتبيين ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٦٩
 تاج المروس ، لمرتضى الزبيدى . القاهرة ١٣٠٦
 تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي . القاهرة ١٣٤٩
 » الطبرى . الحسينية ١٣٢٦
 تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكي . القاهرة بدون تاريخ
 التصريح ، بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد . الأزهرية ١٣٤٤
 تفسير أبى حيان ، وهو البحر المحيط . السعادة ١٣٢٨
 التنبيه والإشراف ، للمسمودى . الصاوى ١٣٥٧
 » على أمالى القالى ، للبكرى . دار الكتب ١٣٤٤
 » على شرح مشكلات الحامسة ، لابن جنى . مصورة معهد المخطوطات بالجامعة
 العربية .
 تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٢٥
 » الصحاح ، للزنجاني ، بتحقيق عبد السلام هارون وأحمد عطار . دار
 المعارف ١٩٥٢ م
 نمار القلوب ، للشمالي . الظاهر ١٣٢٦
 الجامع الصغير ، للسيوطى . حجازى ١٣٥٢
 الجمهرة ، لابن دريد . حيدر آباد ١٣٥١
 جمهرة أشعار العرب ، للقرشى . بولاق ١٣٠٨
 حاشية الصبان على الأثمنونى . عيسى الحلبي ١٣٦٦

- حماسة البحتري .. الرحمانية ١٩٢٩ م
 » ابن الشجرى . حيدر آباد ١٣٤٥
 حياة الحيوان ، للدميرى . صبيح بالقاهرة
 الحيوان ، للجاحظ . بتحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٦
 خزانة الأدب ، للبغدادى . بولاق ١٢٩٩ والسلفية ١٣٥١
 الخليل ، لابن الأعرابى . ليدن ١٩٢٨ م
 » ، لأبى عبيدة . حيدر آباد ١٣٥٨
 ديوان الأخطل . بيروت ١٨٩١ م
 » الأعشى . فينا ١٩٢٧ م
 » امرئ القيس . هندية ١٣٢٤
 » أوس بن حجر . فينا ١٨٩٢ م
 » البحتري . هندية ١٣٢٩
 » أبى تمام . بيروت ١٣٢٣
 » جرير . الصاوى ١٣٤٥
 » حاتم الطائى . الوهبة ١٢٩٣
 » حسان بن ثابت . الرحمانية ١٣٤٧
 » الحطيثة . التقدم بالقاهرة
 » حميد بن ثور . دار الكتب ١٣٧١
 » الخنساء . بيروت ١٨٨٨ م
 » ابن الدمينه . المنار ١٣٣٧
 » ذى الرمة . كبردج ١٩١٩ م
 » رؤبة ، بتحقيق ولیم بن الورد . ليبسك ١٩٠٢ م
 » زهير بن أبى سلمى . دار الكتب ١٣٦٣
 » سلامة بن جندل . بيروت ١٩١٠ م
 » الشماخ . السعادة ١٣٢٧

- ديوان طرفة . قازان ١٩٠٩ م
 » الطرماح . ليدن ١٩٢٧
 » طفيل الفنوى . ليدن ١٩٢٧ م
 » عامر بن الطفيل . ليدن ١٩١٣ م
 » أبى المتاهية . بيروت ١٩١٤ م
 » المعجاج ، بتحقيق وليم بن أورد . ليبسك ١٩٠٢ م
 » عمرو بن حزام . مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية
 » » » الورد . الوهبة ١٢٩٣
 » عمر بن أبى ربيعة . الميمنية ١٣١١
 » » » ، بشرح محمد محي الدين . السعادة ١٣٧١
 » عنتره . الرحمانية بالقاهرة
 » الفرزدق . الصاوى ١٣٥٤
 » القطاى . برلين ١٩٠٢ م
 » قيس بن الخطيم . ليبسك ١٩١٤ م
 » ابن قيس الرقيات . فينا ١٩٠٢ م
 » كمب بن زهير . دار الكتب ١٣٦٩
 » لبيد . فينا ١٨٨٠ ، ١٨٨١
 » المتلمس . مخطوطة الشنقيطى بدار الكتب المصرية
 » مسلم بن الوليد . ليدن ١٨٧٥ م
 » المعانى ، للمسكرى . القاهرة ١٣٥٢
 » معن بن أوس . ليبسك ١٩٠٣ م
 » النابغة الذبياني . الوهبة ١٢٩٣
 » الهذليين . دار الكتب ١٣٦٩
 الرسالة ، للشافعى ، بتحقيق أحمد محمد شاكر . الحلبي ١٣٥٨
 زهر الآداب ، للحصرى . الرحمانية ١٩٢٥

سفر الخروج

- سمط اللآلى ، للراجكوتى . لجنة التأليف ١٣٥٤
- السيرة لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م
- شرح أشعار الهذليين ، للسكرى . لندن ١٨٥٤ م
- » الحماسة للتبريزى بتحقيق فريتغ . بون ١٨٢٨ م
- » ديوان المتنبي ، للمكبرى . الشرفية ١٣٠٨
- » شواهد شروح الألفية ، للعينى (بهامش خزانة الأدب)
- » » سيديويه ، للشنتمرى (بهامش كتاب سيديويه)
- » » المغنى ، للسيوطى . البهية ١٣٢٢
- » القصائد العشر للتبريزى ، بتحقيق محمد الخضر حسين . السلفية ١٣٤٣
- » لامية العرب ، للزخشري . الجوائب ١٣٠٠
- » الفصل ، لابن يعيش . محمد منير
- » المفضليات ، للأنبارى ، بتحقيق ليال . بيروت ١٩٢٠ م
- شروح سقط الزند ، لجنة أبى الملاء . دار الكتب ١٩٤٥ - ١٩٤٩
- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، بتحقيق أحمد شاكر . الحلبي ١٣٧٠
- صبح الأعشى ، للقلقشندي . دار الكتب ١٣٤٠
- صحيح البخارى . بولاق ١٣١٣
- صفة الصفوة ، لابن الجوزى . حيدر آباد ١٣٥٦
- الصناعتين ، للمسكرى . صبيح بالقاهرة
- صيفة فعال ، بحث لجبران النحاس . طبع الإسكندرية ١٤٩٧
- الضرار ، للآلومى بشرح محمد بهجة الأثرى . السلفية ١٣٤١
- الطبقات ، لابن سعد . ليدن ١٣٢٣
- طبقات الشعراء ، لابن سلام . السعادة بالقاهرة
- المقد الفريد ، لابن عبدربه . الجمالية ١٣٣١ و لجنة التأليف ١٣٧٠
- المعدة ، لابن رشيقي . هندية ١٣٤٤

- عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٣٤٣
 » التواريخ ، لابن شاكر . مخطوطة دار الكتب المصرية
 الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية القاهرة
 فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق
 الكامل ، لابن الأثير . محمد منير ١٣٤٨
 » ، للمبرد . ليبسك ١٨٦٤ م
 كتاب سيويه . بولاق ١٣١٦
 كشف الظنون ، لحاجي خليفة . تركيا ١٣١٠
 الكنايات ، للثعالبي . السعادة ١٣٢٦
 الآلى = سمط الآلى
 لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٣٠
 ليس في كلام العرب ، لابن خالويه . السعادة ١٣٢٧
 مبادئ اللغة ، للإسكافي . السعادة ١٣٢٥
 المبهج ، لابن جنى . الترقى بدمشق ١٣٤٨
 المثل السائر ، لابن الأثير . الحلبي ١٣٥٨
 مجالس ثعلب ، بتحقيق عبد السلام هارون . المعارف ١٣٦٩
 المجتنى ، لابن دريد . حيدر آباد ١٣٤٢
 مجلة المقتطف . القاهرة
 مجلة الهدى النبوى . القاهرة
 مجمع الأمثال ، للميداني . البهية ١٣٤٢
 المجل ، لابن فارس . القاهرة ١٣٣١
 مجموعة الماني ، لم يعلم مؤلفه . الجوائب ١٣٠١
 محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهاني . الشرفية ١٣٢٦
 مختارات ابن السجري . الماصرة ١٣٠٦
 مختلف القبائل ومؤلفها ، لابن حبيب . جوتنجن ١٨٥٠ م

- المخصص ، لابن سيده . بولاق ١٣١٨
- الزهر ، للسيوطي . الحلبي ١٣٦١
- المصاحف ، للسجستاني ، بتحقيق الدكتور أرثر جفري . الرحمانية ١٣٥٥
- المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣
- معاهد التنصيص ، للمباسي . الهيئة ١٣١٦
- معجم الأدباء ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣ ، ومرجليوث
- » البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣
- » الشعراء ، للمرزباني . القدس ١٣٥٤
- » الفارسي الإنجليزي ، لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م
- » ما استعجم ، للبكري . بتحقيق مصطفى السقا . لجنة التأليف ١٣٦٤
- المرب ، للجواليقي ، دار الكتب ١٣٦١
- المعمرين ، للسجستاني . السعادة ١٣٢٣
- المغني ، لابن هشام . التقدم ١٣٤٨
- المفضليات ، شرح وتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٣٦١
- مقاييس اللغة ، لابن فارس بتحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٨
- المؤتلف والمختلف ، للأمدى . القدس ١٣٥٤
- الموشح ، للمرزباني . السلفية ١٣٤٣
- النقائض ، رواية أبي عبيدة . ليدن ١٩٠٥ م
- نقد الشعر ، لقدامة . الجوائب ١٣٠٢
- نكت الهميان ، للصفدي . القاهرة ١٩١٠ م
- نهاية الأرب ، للنويري . دار الكتب ١٣٤٢
- النوادر ، لأبي زيد . بيروت ١٨٩٤
- نوادير المخطوطات ، بتحقيق عبد السلام هارون . التأليف والسعادة
- الهاشميات ، من شعر الكهيت . شركة التمدن ١٣٣٠
- جمع الهوامع ، للسيوطي . السعادة ١٣٢٧

- الوحشيات ، لأبي تمام . مصورة دار الكتب ٢٢٩٧
 الوزراء والكتاب ، للجهشياري . الحلبي ١٣٥٧
 الوساطة ، للجرجاني . صيدا ١٣٣١
 وفيات الأعيان ، لابن خلكان . اليمينية ١٣١٠
 وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ، بتحقيق عبد السلام هارون . عيسى الحلبي ٩٣٦٥

تفسير بعض الإشارات إلى المراجع

السماعى = الأنساب	ابن الأثير = الكامل
الشتمرى = شرح شواهد سيويه	الأمثال = مجمع الأمثال
الطبرى = تاريخ الطبرى	الجمعى = طبقات الشعراء
المينى = شرح شواهد شروح الألفية	ابن جنى = التنبيه
المرزبانى = معجم الشعراء	الجهشياري = الوزراء والكتاب
الميدانى = مجمع الأمثال	السميرى = حياة الحيوان
	ابن سلام = طبقات الشعراء

استدراك وتعليق

استدراك وتعليق

١ - ص ٢٢ - ٢٣ من المقدمة « نسخة روان كشك ، هذه النسخة قد أسقطناها من أصول التحقيق وضربنا عنها صفحا لردائها وحدائتها ، واستبدلنا بها نسخة « لاله لي » ، وهي نسخة عتيقة جيدة كتبت في سنة ٥٨٨ ، من مجلوبات معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، وهي التي رمزنا إليها في الحواشي برمز « ل » . وانظر ما كتبناه في حواشي ص ٧٢٠ .

٢ - ص ٢٥ س ٢ « في رِخْوَةٍ » ، وكذا في ص ٩٢٤ . الأجود ما ورد في نسخة م ، أي « في رِخْوَةٍ » . يؤيده ما جاء من قول حمارة بن عقيل ص ١٤٣٢ :

وأما إذا آنتس أمنا ورِخْوَةٍ فإنك للقربي ألدَّ خصومُ

٣ - ص ١٩٦ س ٣ . حجة كتابة البيت :

قاتلي القوم لا خِزاع ولا يدخلكم من قتالم فشل

٤ - ص ٢٩٢ س ١٤ . « وقال آخر » . في حماسة البحتري ٣٨٦ أنه

عدي بن عدي النبهي .

٥ - ص ٣٣٥ س ٦ من الحواشي « وكان سراة التيم رهط جساس »

كذا جاءت رواية البيت عند التبريزي وكذا في ديوان جرير ص ٣٢٧ . وفيه

قبض « فولن » بمحذف آخره الساكن . وهو جائز في بحر الطويل أينما كان .

٦ - ص ٣٦٥ س ٨ « وقال آخر » . في حماسة البحتري ص ٢ أنه

« معقل بن جوشن الأسدي » .

٧ - ص ٤٠٧ س ١٧ « وقال آخر » في حماسة البحتري ٢٠٧ أنه

« طرفة » . على أنه لم يُرو في ديوانه .

- ٨ — ص ٤١٤ س ٩ « نخل مكانا » هذا ما في نسخة الأصل . وفي ل والتبريزي : « نخل مقاما » ، وهو المتسارق مع الشرح .
- ٩ — ص ٤٧٤ س ١١ « الإله » لم يعرض المرزوقي هنا للكلام على ندرة استعمال هذا اللفظ الكريم . وقد عرض له في الحاشية ٢٦٢ ص ٧٨٤ .
- ١٠ — ص ٤٨٥ س ١٣ « بآل الرباب » ، علق التبريزي على ذلك بقوله : « الرباب بفتح الراء : اسم المرأة ، وبكسرهما اسم القبيلة » .
- ١١ — ص ٤٩٨ وقع اضطراب في ترتيب حواشي هذه الصفحة والصفحتين التاليتين لها ، ففي س ١٤ صواب الرقم هو (٣) وفي س ١٥ صواب الرقم (٤) . وعلى ذلك فالحاشية الأولى من ص ٤٩٩ هي لرقم (٤) المصحح من ص ٤٩٨ . والحاشية الأولى من ص ٥٠٠ هي لرقم (٤) من ص ٤٩٩ .
- ١٢ — ص ٥٩٨ س ١٠ وقع عن غير قصد ضبط كلمة « يقدر » بفتح الدال ، وقد صادفت صواباً ، ففي مادة (قدر) من القاموس : « والفعل كضرب ونصر وفرح » .
- ١٣ — ص ٦٢٩ س ١ من الحواشي . هذه المقطوعة التي رواها التبريزي . ستأتي عند المرزوقي برقم ٢٥٣ ص ٧٥٠ .
- ١٤ — ص ٤٦٠ س ١٣ « قال قوال » نسبت هذه الحاشية في معجم المرزباني ٤٠٧ إلى « سعدان بن عبيد الطائي » .
- ١٥ — ص ٦٤٩ س ١٢ هذه الحاشية أجابه عبد الرحمن بن الحكم بالحاشية ٦٣٤ . انظر الطبري (٧ : ٣٢) .
- ١٦ — ص ٦٥٠ س ٩ « على الهوى » كذا ورد في النسختين والتبريزي . ففعل المراد : على ما نهوى . والأجود ما ورد في آخر الحاشية ٦٣٢ ص ١٤٩٦ : « على الهدى » .
- ١٧ — ص ٧٢٤ س ٣ وص ٤٩٠ س ١١ « عقيرته لايا » كذا وردت في النسختين ، مع ظهور الهمزة في كلمة «لأيا» بنسخة الأصل . والرواية عند الرخمشري

- في شرحه للامية العرب ص ٥٥ : « عقيرته لأبيها حم أول » .
- ١٨ — ص ٩٢٤ بس ١٤ انظر ما سبق في الاستدراك رقم « ١٦ » .
- ١٩ — ص ١٠٢١ س ٩ « ترشحت لسير » هذا ما في نسخة الأصل ، وهو خطأ ، والصواب « لستر » ، كما في نسخة « ل » .
- ٢٠ — ص ١٠٩٨ س ١٧ سقط في الطبع قبل كلمة « ومنه إطنابة » ، هذه العبارة : « وأطناب البيوت : حبالها » .
- ٢١ — ص ١١٣٤ س ١٢ « الدهر انتصب على أنه بدل من الدهر » فيه سقط مطبوع . والعبارة بتمامها : « الدهر انتصب على الظرف وما دمتا انتصب على أنه بدل من الدهر » .
- ٢٢ — ص ١٢٣٠ س ١٥ — ١٦ صواب العبارة : « والرفيف كثرة الماء في النبات ونضارتها » .
- ٢٣ — ص ١٢٥٤ س ٧ « ويلك » هذه رواية نسخة الأصل . والصواب « ويحك » كما في ل والتبريزي . والشرح على هذه الرواية الأخيرة .
- ٢٤ — ص ١٣٤٥ س ١١ رقم الحاشية (٥٤٣) هذا الرقم تكرر لما قبله ، وقد وقع فيه السهو مع شدة الحرص .
- ٢٥ — ص ١٤٩٢ س ٤ « تبصر القذاة .. » . أصل هذا المثل من كلام عيسى عليه السلام . ففي إنجيل متى ٧ : ٣ — ٤ : « ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها . أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وما الخشبة في عينك » . وفي إنجيل لوقا ٦ : ٤١ ، ٤٢ « لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها . أو كيف تقدر أن تقول لأخيك يا أخي دعني أخرج القذى الذي في عينك وأنت لا تنظر الخشبة التي في عينك » . وانظر ما سبق في حواشي ص ١٤٩٠ .
- ٢٦ — ص ١٥٠٦ س ٢ من الحواشي . تقدمت الحاشية الثانية على الحاشية الأولى .

٢٧ - ص ١٥٣٩ س ١٣ « وقد حذف صلته » كذا وردت العبارة في النسختين . والمراد : حذف صدر صلته .

٢٨ - ص ١٥٧٢ س ٢ « آخر » . في التنبية لابن جنى أن اسمه « مشمت بن عبدة » .

٢٩ - ص ١٦٢١ س ١ من الحواشي « اليتي » كذا وردت الكلمة في شرح التبريزي ، وليس لهذه الكلمة علاقة بالنسب كما يظهر من تتبع السلسلة ، والوجه « الدليل » كما وردت هذه النسبة في الأغاني (١٤ : ٧٧ - ٧٨) وهي نسبة إلى « الدليل بن بكر » . وقد سقط من الطبع كلمة « بن كنفانة » بين « عبد مناة » و « بن خزيمة » .

٣٠ - ص ١٧٦٥ س ٧ من الحواشي . ما في الأصل ، أى « تتعاسى » هو الصواب . وما أثبت من الصلب من ل خطأ لا يتسق مع نص الشعر .

٣١ - ص ٢٠٢٧ نهاية العمود الأول ، سقط رقم كلمة « ضار » وهو ١٨٣٣ .

٣٢ - ص ١٩٨٤ العنوان هو « فهرس الأرجاز (الشواهد) » .

٣٣ - فاتنا أن نلحق بفهرس اللغة بيان الكلمات التي ليست في المعاجم المتداولة ، وهي :

سحج : أرض سَحَاح ٨٥٥

سمن : الشمنة ١٢٦٢ ، ١٤٣٦

ضرج : الضَّرَج ، الضَّرَج ٧٥١

طنز : الطَّنْز ٣٠٩

عرف : مَعْرِف ١٠٦

قد : قد لا ٥٧

قزم : القُزْمَان ١٤٦٣

كنس : ظبي كَنِس ٤٩٦

بسط : الناقة البسيطة ١٠٢٥

جرى : جاره كذا ٣

حصل : يُحْصِلُهُمْ ، يُحْصِلُهُمْ ٦٨٥

حنّس : حنّس فهو مُحْنَس ٢٨٣

خرف : أَخْرَفَهُ ١٧١٩

دسس : الداسوس ٤٤٥

رزح : قوم رِزَاح ٤٦٥

مضامين الكتاب

صفحة	صفحة
١٨٩٠ (١) فهرس الأشعار	تصدير ص ٣ من صدر الكتاب
١ — الحماسيات	تقديم ص ٦ من صدر الكتاب
٢ — الشواهد	٣ مقدمة الشارح
١٩٨٢ (٢) فهرس الأراجاز	٢١ باب الحماسة
١ — الحماسيات	٧٨٢ « المرائي
٢ — الشواهد	١١١٥ « الأدب
١٩٨٨ (٣) فهرس اللغة	١٢١٥ « النسيب
٢٠٦١ (٤) « الكلمات النحوية	١٤٢٩ « المهجاء
٢٠٦٦ (٥) « الأمثال	١٥٥٧ « الأضياف
٢٠٧٠ (٦) « الأعلام	١٧٥٦ « المدح
٣١٠٤ (٧) « القبائل والطوائف ونحوها	١٨٠٣ « الصفات
٣١١٤ (٨) « البلدان والمواضع ونحوها	١٨١٥ « السير والنماس
٣١٢١ (٩) « الكتب التي ذكرها	١٨٣٩ « الملح
المرزوقي	١٨٦٧ « مذمة النساء
٣١٢٢ (١٠) « مراجع التحقيق	١٨٨٥ خاتمة شرح المرزوقي
٣١٣٢ استدرارك وتعليق	

مؤلفات وتحقيقات عبد السلام هارون

- آمال الزجاجي — مجلد
الزجاجي
الأساليب الانشائية في النحو العربي
الألف المختارة من صحيح البخاري ٢/١
الاشتقاق ٢/١
الامام ابن دريد
البيان والتبيين ٤/١ — مجلد
الجاحظ
البرصان والعرجان والعميان والحولان
الجاحظ
تحقيقات وتنبيهات في معجم
لسان العرب — مجلد
الحيوان ٨/١ — مجلد
الجاحظ
شرح ديوان الحماسة ٤/١
المرزوقي
الكتاب ٥/١
سيبويه
الجاحظ
العثمانية
فهارس المخصص
ابن سيده
مجموعة المعاني
مجموعة رسائل الجاحظ ٤/١

معجم مقاييس اللغة ٦/١
المفضليات الخمس
همزيات أبي تمام
وقعة صفيين
ابن فارس
ابن مزاحم